بسم الله الرحمن الرحيم

سبحان من ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وبين له من شعاير الشرايع كل جليل ودقيق وانزل عليه اظهر بينات
وابهر حجج قرانا عربيا غير ذى عوج مصدقا لما بين يديه من الكتب ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب
ناطقا بكل امر رشيد هاديا الى صراط العزيز الحميد امرا بعبادة الصمد المعبود كتابا متشابها مثانى تقشعر
منه الجلود تكاد الرواسى لهيبته تمور ويذوب منه الحديد ويميع صم الصخور حقيقا بان تلين به الجبال
ويلين به كل صعب محال معجزا فهم كل مصقع من مهرة قحطان ويبكت مفلق من سحرة البيان بحيث لو اجتمع
الانس والجن على معارضته ومباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من اياته نزله على فترة من الرسل ليرشد الامة
الى اقوم السبل فهداهم الى الحق وهم فى ضلال مبين فاضمحل دجى الباطل وسطع نور اليقين فمن اتبع هداه
فقد فاز بمناه ولعا لمن عانده وعصاه واتخذ الهه هواه فقد هام فى مهامه الردى وتردى فى مهاوى الزور
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور صلى الله عليه وعلى آله الاخيار وصحبه الابرار ما تناوبت الانوار
وتعاقبت الظلم والاضواء وعلى من تبعهم باحسان مدى الدهور والازمان وبعد فيقول العبد الفقير
الى رحمة ربه الهادى ابو السعود ابن محمد العمادى ان الغاية القصوى من تحرير نسخة العالم وما كان حرف
منها مسطورا والحكمة الكبرى فى تخمير طينة آدم ولم يكن شيئا مذكورا ليست الا معرفة الصانع المجيد
وعبادة البارى المبدئ المعيد ولا سبيل الى ذلك المطلب الجليل سوى الوقوف على مواقف التنزيل فانه عنوان
سلطانه وبرهانه وان سطر ايات قدرته فى صحايف الاكوان ونصب ايات وحدته فى صفايح الاعراض
والاعيان وجعل كل ذرة من ذرات العالم وكل قطرة من قطرات العالم وكل نقطة جرى عليها
قلم الابداع وكل حرف رقم فى لوح الاختراع مرات لمشاهدة جماله ومطالعة صفة كماله حجة نيرة واضحة
المكنون واية بينة لقوم يعلمون برهانا جليا لاريب فيه ومنهاجا سويا يضل من يلتحيه بل ناطقا
يتلو ايات ربه فهل من سامع واع ومجيبا صادقا فهل له من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم
بحسب معقولهم يحاور تارة ويصرح عبارة ويلوح اخرى بلطف اشارة لكن الاستدلال بتلك
الايات والدلايل والاستشهاد بتلك الامارات والمخايل والتنبه لتلك الاشارات السنية
والتفطن لمعانى تلك العبارات العبقرية وما فى تضاعيفها من رموز اسرار القضا والقدر وكنوز
اثار التعاجيب والعبر مما لا يطيق به عقول البشر الا بتوفيق خلاق القوى والقدر فاذن مدار

المدار

المراد ليس الا كلام رب العباد اذ هو المظهر لتفاصيل الشعاير الدينية والمفسر لمشكلات الايات
التكوينية والكاشف عن خفايا حظاير القدس والمطلع على خبايا اسرار الانس وبه يكتسب الملكات
الفاخرة وبه يتوصل الى سعادات الدنيا والاخرة خلا انه ايضا من علو الشان وسمو المكان ولغاية
الغموض والاعضال وصعوبة المأخذ وعزة المنال فى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات
النائية اعز من بيض الانوق وابعد من مناط العيوق لا يتسنى العروج الى معارجه الرفيعة
كيف لا وانه مع كونه متضمنا لدقايق العلوم النظرية والعملية ومنطويا على دقايق العلوم الخفية
والجلية حاويا لتفاصيل الاحكام الشرعية ومحيطا بمناط الدلايل الاصلية والفرعية منبئا عن اسرار الحقايق
والنعوت مخبرا باطوار الملك والملكوت عليه يدور فلك اوامر الاعجاز طويت حقايقه اللاهوتية عن
العقول ودريت دقايقه الخفية عن اذهان الفحول يرد عيون العقول سبحانه ويخطف ابصار البصاير بريقه
ولمعانه ولو تصدى لتخليص غوامض مشكلاته اساطين ائمة التفسير فى كل عصر من الاعصار وتولى التفسير
عويصات معضلاته سلاطين اسرة التقرير والتحرير فى كل قطر من الاقطار فغاصوا فى لجة وخاضوا فى
بشجه فنظموا فرائده فى سلك التحرير وابرزوا فوائده فى معرض التقرير وصنفوا كتبا جليلة
المقدار والفوائد جميلة الاثار اما المقدمون المحققون فاقتصروا على تمهيد المعانى وتشييد
المبانى وتبيين المرام وترتيب الاحكام حسبما بلغهم من سيد الانام عليه شرايف التحية والسلام
واما المتاخرون المدققون فراموا مع ذلك اظهار مزاياه الرايعة وابدا خفاياه الفايقة ليعاين
الناس دلايل اعجازه ويشاهدوا شواهد فضله وامتيازه عن ساير الكتب الربانية والزبر
العظيمة السبحانية فدونوا اسفارا بارعة جامعة لفنون المحاسن الرايعة يتضمن كل منها فوايد شريفة
تقر بها عيون الاعيان وعوايد لطيفة يتشنف بها آذان الاذهان لا سيما الكشاف وانوار التنزيل
المتفردان بالشان الجليل والنعت الجميل فان كلا منهما قد احرز قصب السبق اى احراز كانه مراة لاجتلاء
وجه الاعجاز صحايفهما مرايا المزايا الحسان وسطورهما عقود الجمان وقلايد العقيان
ولقد كان فى سوابق الايام وسوالف الدهور والاعوام اوان اشتغالى بمطالعتهما وممارستهما
يدور فى خلدى على استمرار آناء الليل واطراف النهار ان انظم درر فوائدهما فى سمط دقيق
وارتب غرر فرائدهما على ترتيب انيق واضيف اليهما ما الفيته فى تضاعيف الكتب الفاخرة من جواهر
الحقايق وصادفته فى اصداف العيالم الزاخرة من زواهر الدقايق واسلك خلالها بطريق الترصيع
على نسق انيق واسلوب بديع حسبما يقتضيه جلالة شان التنزيل ويستدعيه جزالة نظمه الجليل
ما سنح للفكر العليل بالعناية الربانية وسمح به النظر الكليل بالهداية السبحانية من عوارف معارف
يمد اليها اعناق الهمم من كل ماهر لبيب وعرايس رغايب ترنو اليها احداق الامم من كل نحرير
اريب وتحقيقات رصينة تقيل عثرات الافهام فى مداحض الاقدام وتدقيقات متينة
تزيل مضطربات الاوهام من خواطر الانام فى معارك افكار تشتبه فيها الشئون ومدارك
انظار تختلط فيها الظنون وابرز من وراء استار الكمون من دقايق السر المخزون فى خزائن
الكتاب المكنون ما تطمئن اليه النفوس وتقر به العيون من خفايا الرموز وخبايا الكنوز
واهديها الى الخزانة العامرة الغامرة للبحار الزاخرة لجناب من خصه الله تعالى بخلافة الارض
واصطفاه لسلطنتها فى الطول والعرض الا وهو السلطان الاسعد الاعظم والخاقان
الامجد الافخم مالك الامامة العظمى والسلطان الباهر وارث الخلافة الكبرى كابرا عن كابر
رافع رايات الدين الازهر موضح ايات الشرع الانور مرغم انوف الفراعنة والجبابرة معفر
جباه القياصرة والاكاسرة فاتح بلاد المشارق والمغارب بنصر الله وجنده وجنده الغالب
الهمام الذى شرق عزمه المنير فانتهى الى المشرق الاسناد وغرب حتى بلغ مغرب الشمس اودنا
بخميس عرمرم متراكم الافواج وعسكر كخضم متلاطم الامواج فاصبح ما بين افقى الطلوع والغروب
وما بين نقطتى الشمال والجنوب منتظما فى سلك ولايته الواسعة ومندرجا تحت ظلال
راياته الرايعة فاصبحت منابر الربع المسكون مشرقة بتذكار اسمه الميمون فيا له من ملك
استوعب ملكه البر البسيط واستغرق فلكه وجه البحر المحيط فكانه فضاء ضربت فيه خيامه
او نصبت عليه اوتاده واعلامه مالك ممالك العالم ظل الله الظليل على كافة الامم قاصم القياصرة
وقاهر القروم سلطان العجم والعرب والروم سلطان المشرقين وخاقان الخافقين الامام المقتدر
بالقدرة الربانية والخليفة المعتز بالعزة السبحانية المفتخر بخدامة الحرمين الجليلين
المعظمين وحماية المقامين الجليلين المفخمين ناشر القوانين السلطانية عاشر الخواقين العثمانية

السلطان ابن السلطان السلطان سليمان خان ابن السلطان المظفر المنصور والخاقان الموفق المشهور
صاحب المغازي المشهورة في اقطار الامصار ● والفتوحات المذكورة في صحايف الاسفار
السلطان سليم خان ابن السلطان السعيد ● والخاقان المجيد ● السلطان بايزيد خان ● لا زالت
سلسلة سلطنته متسلسلة الى انتهاء سلسلة الزمان وارواح اسلافه العظام متنزهة في روضة
الرضوان ● وكنت اتردد في ذلك بين اقدام واحجام ● لقصور شاني وعزة المرام اين المحيص ● من
الذرى ● شتان ما بين الثريا والثرى ● وهيهات اصطياد العنقا بالشباك ● واقتياد الجوزا من
بروج الافلاك ● فمضت عليه الدهور والسنون ● وتغيرت الاطوار ● وتبدلت الشؤون
فابتليت بتدبير مصالح العباد ● برهة في قضاء البلاد ● واخرى في قضاء العساكر والاجناد
فحال بيني وبين ما كنت اخاله تراكم المهمات وتزاحم الاشغال ● وجموم العوارض والعلايق ● وهجوم
الصوارف والعوايق والتردد الى المغازي والاسفار ● والتنقل من دار الى دار وكنت في تضاعيف
تلك الامور اقدر في نفسي ان انتهز نهزة من الدهور ● ويتسنى لي القرار وتطمئن لي الدار
واظفر حينئذ بوقت حال ● ابتل فيه الى جناب ذي العظمة والجلال ● واوجه اليه وجهي واسلم
له سري وعلانيتي وانظر الى كل شيء بعين الشهود واعرف سر الحق في كل موجود ● تلافيا لما قد فات
واستعدادا لما هو آت ● واتصدى لتحصيل ما عزمت عليه واتولى لتكميل ما توجهت اليه ● برفاهية
واطمئنان وحضور قلب وفراغ جنان ● فبينما انا في هذا الخيال اذ بدا لي ما لم يخطر بالبال لي
● تحولت الاحوال والدهور حول ● فوقعت في امر اشق من الاول ● امرت بحل مشكلات الانام
فيما شجر بينهم من النزاع والخصام ● فلقيت معاضلة طويلة الذيول ● وصرت كالهارب من
المطر الى السيول ● فبلغ السيل الزبا وغمر في اي غمر ● عوارب ماجرا بين زيد وعمرو فاصبحت في
ضيق المجال وواسعة الاشغال ● اشهر ممن يضرب بها الامثال ● فجعلت اتمثل بقول من قال

لقد اشكو الحوادث برهة ● واستمرض الايام وهي صحائح
الى ان تغشتني وقت حوادث ● تحقق ان السالفات منائح

فلما انصرمت غير الاهمال ● عن الفوز بفراغ البال ● ورايت ان الفراصة على جناح الفوات ●
وسبل الاسباب في شرف الشتات ● وقد مسني الكبر ● وتصالت القوى والقدر ودنى الاجل من
الحلول ● واشرفت شمس الحياة على الافول ● عزمت على انشاء ما كنت انويه ● وتوجهت الى ما
ظللت ابتغيه ● ناويا ان اسمه عند تمامه ● بتوفيق الله تعالى وانعامه ● ارشاد العقل السليم ●
الى مزايا الكتاب الكريم ● فشرعت فيه مع تفاقم المكاره علي وتزاحم المشاغل بين يدي متضرعا الى
رب العظمة والجبروت ● خلاق عالم الملك والملكوت في ان يعصمني عن الزيغ والزلل ويقيني ●
مصارع السوء في القول والعمل ● ويوفقني لتحصيل ما ارومه وارجوه ويهديني الى تكميله على احسن
الوجوه الذل والابتهال محويا به المنيع ورفعت ايدي الضراعة والسؤال الى جنابه الرفيع ●
افض علينا سوابغ الانوار التوفيق ● واطلعنا على دقايق اسرار التحقيق ● وثبت اقدامنا على
مناهج هداك ● وانطقنا بما فيه امرك ورضاك ● ولا تكلنا الى انفسنا في لحظة ولا ان وخذ بناصيتنا
الى الخير حيث كان ● حيناك على جباه ● الاستكانة ضارعين ● ولابواب فيضك قارعين انت الملاذ
في كل امر مهم وانت المعاد في كل خطب ملم لا رب غيرك ● بيدك مقاليد الامور ● لك الخلق والامر واليك النشور

ان يفتح كالكتاب والثوب اطلقت عليه لكونه واسطة في فتح الكل ثم اطلقت على اول كل شيء فيه تدريج
بوجه من الوجوه كالكلام التدريجي حصولا والسطور والاوراق التدريجية قراءة وعدا والتاء والنقل
من الوصفية الى الاسمية او هي مصدر بمعنى الفتح اطلقت عليه تسمية للمفعول باسم المصدر
اشعارا باصالته كانه نفس الفتح فان تعلقه به بالذات وبالباقي بواسطته لكن لا على معنى انه
واسطة في تعلقه بالباقي ثانيا حتى يرد انه لا يتسنى في الخاتمة لما ان ختم الشيء عبارة عن بلوغ آخره
وذلك انما يتحقق بعد انقطاع الملابسة عن اجزائه الاول بل على معنى ان الفتح المتعلق بالاول فتح له
اولا وبالذات وهو بعينه فتح للمجموع بواسطته لكونه جزءا منه وكذا الكلام في الخاتمة فان بلوغ آخر
الشيء يعرض للآخر اولا وبالذات وللكل بواسطته على الوجه الذي تحققته والمراد بالاول ما يعم
الاضافي فلا حاجة الى الاعتذار بان اطلاق الفاتحة على السورة الكريمة بتمامها باعتبار جزئها الاول

والمراد

والمراد بالكتاب هو المجموع الشخصي لا القدر المشترك بينه وبين اجزائه على ما عليه اصطلاح اهل الاصول
ولا ضير في اشتهار السورة الكريمة بهذا الاسم في اوائل عهد النبوة قبل تحصل المجموع بنزول الكل لما ان
التسمية من جهة الله تعالى او من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم بالاذن فيكفي فيها تحققه باعتبار
تحققه في علمه عز وجل او في اللوح او باعتبار انه نزل جملة الى السماء الدنيا واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم
نزل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة كما هو المشهور والاضافة بمعنى اللام كما في جزء
الشيء لا بمعنى من كما في خاتم فضة لما عرفت ان المضاف جزء من المضاف اليه لا جزئي له ووجه التسمية كونه اصلا و
مبدا للكتاب على الترتيب المعهود لا في القراءة في الصلوات والتعليم والاولى في النزول لما ان الاول لا يناسب المراد
بالكتاب القدر المشترك الصادق على ما يقرأ في الصلوات حتى يعتبر في التسمية مبدئيتها له واما الاخيران فلان اعتبار
المبدئية من حيث التعليم او من حيث النزول يستدعي مراعاة الترتيب في بقية ابعاض الكتاب من تلك الحيثيتين ولا
سبيل الى ان الترتيب التعليمي او ترتيب النزول يستدعي على نسق الترتيب المعهود وتسمى ام القرآن لكونها اصلا ومنشأ له
اما لمبدئيتها له واما لاشتمالها على ما فيه من الثناء على الله عز وعلا والتعبد بامره ونهيه وبيان وعده ووعيده
او على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الصراط المستقيم والاطلاع معا بدئ السعداء و
منازل الاشقياء والمراد بالقرآن هو المراد بالكتاب وتسمى ام الكتاب ايضا كما تسمى بها اللوح المحفوظ لكونه اصلا لكل
الكائنات والايات الواضحة الدلالة على معانيها لكونها بينة يحمل عليها المتشابهات ومناط التسمية ما ذكر في ام القرآن
وما اورده الامام البخاري في صحيحه من انه يبدأ بقراءتها في الصلاة فانه مما لا تعلق له في التسمية كما اشير اليه وتسمى
سورة الكنز لقوله عليه الصلاة والسلام انها انزلت من كنز تحت العرش او لما ذكر في ام القرآن كما انه الوجه في
تسميتها الاساس والكافية والوافية وتسمى سورة الحمد والشكر والدعاء والتعليم المسئلة لاشتمالها عليها وسورة
الصلاة لوجوب قراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام وهي شفاء من كل داء والسبع المثاني لانها
سبع ايات تثنى في الصلاة او لتكرر نزولها على ما روي انها نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة
الاخرى حين حولت القبلة وقد صح انها مكية لقوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص
بسم الله الرحمن الرحيم اختلف الامة في شان التسمية في اوائل السورة الكريمة فقيل انها ليست من القرآن اصلا
وهو قول ابن مسعود ومذهب مالك والمشهور من مذهب قدماء الحنفية وعليه قراء المدينة والبصرة
والشام وفقهاؤها وقيل انها آية فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية
وقيل هي آية تامة فذة من القرآن انزلت للفصل والتبرك بها وهو الصحيح من مذهب الحنفية وقيل هي آية تامة
من كل سورة صدرت بها وهو قول ابن عباس وقد نسب الى ابن عمر ايضا وعليه يحمل اطلاق عبارة ابن الجوزي
في زاد المسير حيث قال روي عن ابن عمر انها نزلت مع كل سورة وهو ايضا مذهب سعيد بن جبير و
الزهري وعطاء وعبد الله بن المبارك وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤها وهو القول الجديد للشافعي
ولذلك يجهر بها عنده فلا عبرة بما نقل عن الجصاص من ان هذا القول من الشافعي لم يسبق اليه احد وقيل انها
آية من الفاتحة مع كونها قرآنا في سائر السور ايضا من غير تعرض لكونها جزءا منها اولا ولا لكونها آية تامة اولا
وهو احد قولي الشافعي على ما ذكره القرطبي ونقل عن الخطابي انه قول ابن عباس وابي هريرة وقيل انها تامة
في الفاتحة وبعض في البواقي وقيل بعض آية في الفاتحة تامة في البواقي وقيل انها بعض آية في الكل وقيل انها
آيات من القرآن متعدد بعدد السور المصدرة بها من غير ان يكون جزءا منها وهذا القول غير معزي في الكتب
الى احد وهناك قول آخر ذكره بعض المتأخرين ولم ينسبه الى احد وهو انها آية تامة في الفاتحة وليست
بقرآن في سائر السور ولولا اعتبار كونها آية تامة في الفاتحة وليست بقرآن في سائر السور ولولا اعتبار
كونها آية تامة لكان ذلك احد محملي تردد الشافعي فانه قد نقل عنه انها بعض آية في الفاتحة واما في غيرها
فقوله فيها متردد فقيل بين ان يكون قرآنا اولا وقيل بين ان يكون آية تامة اولا قال الامام الغزالي والصحيح
من الشافعي هو تردد الثاني وعن احمد بن حنبل في كونها آية كاملة وفي كونها من الفاتحة روايتان ذكرهما
ابن الجوزي ونقل انه مع مالك وغيره ممن يقول انها ليست من القرآن هذا والمشهور من هذه الاقاويل
هي الثلاثة الاول الاتفاق على اثباتها في المصاحف مع الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله عز وجل
يقتضي بنفي القول الاول وبثبوت القول المشترك بين الاخيرين من غير دلالة على خصوصية احدهما فان
كونها جزءا من القرآن لا يستدعي كونها جزءا من كل سورة منه كما لا يستدعي كونها آية منفردة واما من روى
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من ان من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى
وما روي عن ام سلمة من انه عليه الصلاة والسلام قال الفاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم
وما روي عن ام سلمة من انه عليه الصلاة والسلام قرأ سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
العالمين آية وان دل كل واحد منهما على نفي القول الثاني فليس شيء منها نصا في اثبات القول الثالث اما الاول

فلانه لا بدل الا على كونها ايات من كتاب الله تعالى متعدد بتعدد السور المصدرة بها لا على ما هو المطلوب من كونها اية تامة من كل واحدة منها الا ان يلتجى الى ان يقال ان كونها ايات متعدد بتعدد السور المصدرة بها من غير ان يكون جزءا منها قول لم يقل به احد واما الثانى فساكت عن التعريض بحالها فى بقية السور واما الثالث فناطق بخلافه مع مشاركته للثانى فى السكوت المذكور والباء فيها متعلقة بمضمر ينبئ عنه الفعل المصدر بها كما انها كذلك فى تسمية المسافر عند الحلول والارتحال وتسمية كل فاعل عند مباشرة الافعال ومعناها الاستعانة والملابسة تبركا اى بسم الله اقرا او اتلو وتقديم المعمول للاعتناء به والقصد الى التخصيص كما فى اياك نعبد وتقديره مؤخرا لاقتضائه اقتصار التبرك على البداية مخل بما هو المقصود اعنى شمول البركة للكل وادعاء ان فيه امتثالا بالحديث الشريف من جهة اللفظ والمعنى معا وفى تقديره مؤخرا من جهة المعنى فقط ليس بشيء فان مدار الامتثال هو البدء بالتسمية لا تقدير فعله اذ لم يقل فى الحديث الكريم كل امر ذى بال لم يقل فيه اولم يضمر فيه ابناء هذا الى اخر السورة الكريمة مقول على السنة العباد تلقينا لهم وارشادا الى كيفية التبرك باسمه تعالى وهداية الى منهاج الحمد وسؤال الفضل ولذلك سميت السورة الكريمة بما ذكر من تعليم المسئلة وانما كسرت ومن حق الحروف المفردة ان تفتح لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر كما كسرت لام الامر ولام الاضافة داخلة على المظهر للفصل بينهما وبين لام الابتداء والاسم عند البصريين من الاسماء المحذوفة الاعجاز المبنية الاوائل على السكون وقد دخلت عليها عند الابتداء همزة الوصل لان من دابهم البدء بالمتحرك والوقف على الساكن ويشهد له تصريفهم على اسماء وسمى وسميت وسمى كهدى لغة فيه قال

والله اسماك سمى مباركا ... اثرك الله به ايثاركا

والقلب بعيد غير مطرد واشتقاقه من السمو لانه رفعة للمسمى وتنويه له وعند الكوفيين من السمة واصله وسم حذفت الواو وعوضت عنها همزة الوصل ليقل اعلالها ورد عليه بان الهمزة لم تعهد داخلة على ما حذف صدره فى كلامهم ومن لغاتهم سم وسم قال بسم الله الذى فى كل سورة سمه وانما لم يقل بالله للفرق بين اليمين والتيمن او لتحقيق ما هو المقصود بالاستعانة هاهنا وانها تكون تارة بذاته تعالى وحقيقتها طلب المعونة على ايقاع الفعل واحداثه اى افاضة القدرة المفسرة عند الاصوليين من اصحابنا بما يتمكن به العبد من اداء ما لزمه المنقسمة الى ممكنة وميسرة وهى المطلوبة باياك نستعين وتارة اخرى باسمه عز وعلا وحقيقتها طلب المعونة فى كون الفعل معتدا به مشروعا فانه ما لم يصدر باسمه تعالى يكون بمنزلة المعدوم ولما كانت كل واحدة منهما منتظمة فى معنى الاستعانة وجب تعيين المراد بذكر الاسم والا فالمتبادر من قولنا بالله عند الاطلاق لا سيما عند الوصف بالرحمن الرحيم هى الاستعانة الاولى ان قيل فليحمل الباء على التبرك وليستغن عن ذكر الاسم لما ان التبرك لا يكون الا به قلنا ذلك فرع كون المراد بالله هو الاسم وهذا مما لا اشتباه فيه فلا بد من ذكر الاسم لينقطع احتمال ارادة المسمى ويتعين حمل الباء على الاستعانة الثانية او التبرك وانما لم يكتب الالف لكثرة الاستعمال قالوا وطولت الباء عوضا عنها والله اصله الاله فحذفت همزته على غير قياس كما ينبئ عنه وجوب الادغام وتعويض الالف واللام عنها حيث لزماه وجردا عن معنى التعريف ولذلك قيل يا الله بالقطع فان المحذوف القياسى فى حكم الثابت فلا يحتاج الى التدارك بما ذكر من الادغام والتعويض وقيل على قياس تخفيف الهمزة فيكون الادغام والتعويض من خواص الاسم الجليل ليمتاز بذلك عما عداه امتياز مسماه عما سواه بما لا يوجد فيه من نعوت الكمال والاله فى الاصل اسم جنس يقع على كل معبود بحق او باطل اى مع قطع النظر عن وصف الحقية والبطلان لا مع اعتبار احدهما لا بعينه ثم غلب على المعبود بحق كالنجم والصعق واما الله بحذف الهمزة فعلم مختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره اصلا واشتقاقه من الالاهة والالوهة والالوهية بمعنى العبادة حسبما نص عليه الجوهرى على انه اسم منها بمعنى المالوه كالكتاب بمعنى المكتوب لا على انه صفة منها بدليل انه يوصف ولا يوصف به حيث يقال اله واحد ولا يقال شيء اله كما يقال كتاب مرقوم ولا يقال شيء كتاب والفرق بينهما ان الموضوع له فى الصفة هو الذات المبهمة باعتبار اتصافها بمعنى معين قائم بها على ان ملاك الامر تلك الخصوصية فبناء اى ذات يقوم بها ذلك المعنى يصح اطلاق الصفة عليه كما فى الافعال ولذلك تعمل عملها كاسمى الفاعل والمفعول والموضوع له فى الاسم المذكور هو الذات المعينة والمعنى الخاص فمدلوله مركب من ذينك المعنيين من غير رجحان للمعنى على الذات كما فى الصفة ولذلك لم يعمل عملها وقيل اشتقاقه من اله بمعنى تحير لانه سبحانه وتعالى يحار فى شانه العقول والافهام واما اله كعبد وزنا ومعنى فمشتق من الاله المشتق من اله بالكسر وكذا تاله اشتقاق استنوق واستحجر من الناقة والحجر وقيل من اله الى فلان اى سكن اليه لاطمئنان القلوب بذكره تعالى وسكون الارواح الى معرفته وقيل اصله لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع وقيل من اله اذا فزع من امر نزل به والهه غيره اذا اجاره

اذا العائذ به تعالى يفزع وهو يجيره حقيقته او فى زعمه وقيل اصله لاه على انه مصدر من لاه يليه بمعنى احتجب وارتفع اطلق على الفاعل مبالغة وقيل هو اسم علم للذات الجليل ابتداء وعليه مدار امر التوحيد فى قولنا لا اله الا الله ولا يخفى ان اختصاص الاسم الجليل بذاته سبحانه بحيث لا يمكن اطلاقه على غيره اصلا كاف فى ذلك ولا يقدح فيه كون ذلك الاختصاص بطريق الغلبة بعد ان كان اسم جنس فى الاصل وقيل هو وصف فى الاصل لكنه لما غلب عليه بحيث لا يطلق على غيره اصلا صار كالعلم ويرده امتناع الوصف به واعلم ان المراد بالمنكر فى كلمة التوحيد هو المعبود بالحق فمعناها لا فرد من افراد المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق الا ذلك المعبود بالحق وقيل اصله لاها بالسريانية فعرب بحذف الالف الثانية وادخال الالف واللام عليه وتفخيم لامه اذا لم ينكسر ما قبله سنة وقيل مطلقا وحذف الفه لحن تفسد به الصلاة ولا ينعقد به صريح اليمين وقد جاء لضرورة الشعر فى قوله الا لا بارك الله فى سهيل اذا ما الله بارك فى الرجال والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان من رحم بعد جعله لازما بمنزلة الغرائز بنقله الى رحم بالضم كما هو المشهور وقد قيل ان الرحيم ليس بصفة مشبهة بل هى صيغة مبالغة نص عليه سيبويه فى قوله هو رحيم فلانا والرحمة فى اللغة رقة القلب والانعطاف ومنه الرحم لانعطافها على ما فيها والمراد هاهنا التفضل والاحسان وارادتهما بطريق اطلاق اسم السبب بالنسبة الينا على مسببه البعيد او القريب فان اسماء الله تعالى تؤخذ باعتبار الغايات التى هى افعال دون المبادى التى هى انفعالات والاول من الصفات الغالبة حيث لم يطلق على غيره تعالى وانما امتنع صرفه الحاقا له بالاغلب فى بابه من غير نظر الى الاختصاص العارض فانه كما حظر وجود فعلى حظر وجود فعلانه فاعتباره يوجب اجتماع الصرف وعدمه فلزم الرجوع الى اصل هذه الكلمة قبل الاختصاص بان يقاس الى نظائرها من باب فعل يفعل فاذا كان كلها ممنوعة من الصرف لتحقق وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا فى اصلها مما تحقق فيها وجود فعلى فيها علم ان هذه الكلمة ايضا فى اصلها مما تحقق فيها وجود فعل فيها علم ان هذه الكلمة ايضا فى اصلها مما تحقق فيها وجود فعل فيمتنع من الصرف وفيه من المبالغة ما ليس فى الرحيم ولذلك قيل رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا وتقديمه مع كون القياس تاخيره رعاية لاسلوب الترقى الى الاعلى كما فى قولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض لانه باختصاصه به عز وجل صار حقيقا بان يكون قرينا للاسم الجليل الخاص به تعالى ولان ما يدل على جلائل النعم وعظائمها احق بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها وافراد الوصفين الشريفين بالذكر لتحريك سلسلة الرحمة الحمد لله الحمد هو الثناء على الجميل الاختيارى من نعمة وغيرها على وجه يشعر بتوجيهه الى المنعوت وبهذه الحيثية يمتاز عن المدح فانه خال عنها يرشدك الى ذلك ما ترى بينهما من الاختلاف فى كيفية التعلق بالمفعول فى قولك حمدته ومدحته فان تعلق الثانى بمفعوله على منهاج تعلق عامة الافعال بمفعولاتها واما الاول فتعلقه بمفعوله منبئ عن معنى الانهاء كما فى قولك كلمته فانه معرب عما تفيده لام التبليغ فى قولك قلت له ونظيره شكرته وعبدته وخدمته فان تعلق كل منها مبنى عن المعنى المذكور وتحقيقه ان مفعول كل فعل فى الحقيقة هو الحدث الصادر عن فاعله ولا يتصور فى كيفية تعلق الفعل به اى فعل كان اختلاف اصلا والمفعول به هو محله وموقعه فلما كان تعلقه به ووقوعه عليه على انحاء مختلفة حسبما يقتضيه خصوصيات الافعال بحسب معانيها المختلفة فان بعضها يقتضى ان يلابسه ملابسة تامة مؤثرة فيه كعامة الافعال وبعضها يستدعى ان يلابسه اما بالانتهاء اليه كالاعانة مثلا او بالابتداء منه كالاستعانة مثلا اعتبر فى كل نحو من انحاء تعلقه به كيفية لائقة بذلك النحو مغايرة لما اعتبر فى النحوين الاخيرين فنظم القسم الاول من التعلق فى سلك التعلق بالمفعول الحقيقى مراعاة لقوة الملابسة وجعل كل واحد من القسمين الاخيرين من التعلق بواسطة الجار المناسب له فان قولك اعنته مشعر بانتهاء الاعانة اليه وقولك استعنته بابتدائها منه فقد يكون الفعل واحد ومعمولان يتعلق باحدهما على الكيفية الاولى وبالاخر على الثانية كما فى قولك حدثنى الحديث وسألنى المال فان التحديث مع كونه فعلا واحدا قد تعلق بك على الكيفية الثانية وبالحديث على الاولى وكذا السؤال فانه فعل واحد وقد تعلق بك على الكيفية الثالثة وبالمال على الاولى ولا ريب فى ان اختلاف هذه الكيفيات الثلاث وتباينها فى اختصاص كل من المفاعيل الثلاثة المذكورة بما نسب اليه منها مما لا يتصور فيه تردد ولا نكير وان كان لا يتضح حق الاتضاح الا عند الترجمة والتفسير وان مدار ذلك الاختلاف ليس الاختلاف ذلك الفعل او اختلاف المفعول واذا لا اختلاف فى مفعول الحمد والمدح تعين ان اختلافهما فى كيفية التعلق لاختلافهما فى المعنى قطعا هذا وقد قيل المدح مطلقا عن قيد الاختيار يقال مدحت زيدا على حسنه ورشاقة قده وايا ما كان فليس بينهما ترادف بل اخوة من جهة الاشتقاق الكبير وتناسب تام فى المعنى

كالنصر والتاييد فانهما متناسبان معنى من غير ترادف لما ترى بينهما من الاختلاف فى كيفية التعلق بالمفعول
وانما مرادف النصر الاعانة ومرادف التاييد التقوية فتدبر ثم ان ما ذكر من التفسير هو المشهور من معنى الحمد
واللائق للارادة فى مقام التعظيم واما ما ذكر فى كتب الفقه من معنى الرضا مطلقا كما فى قوله تعالى عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا وفى قولهم لهذا الامر عاقبة حميدة وفى قول الاطبا بحران محمود مما لا يختص
بالفاعل فضلا من الاختيار فبمعزل من استحقاق الارادة هٰهنا استقلالا او استتباعا بحمل الحمد على ما يعم
المعنيين اذ ليس فى اثباته له عز وجل فائدة يعتد بها واما الشكر ٭ فهو مقابلة النعمة بالثنا وادءاب الجوارح
وعقد القلب على وصف المنعم ٭ بنعت الكمال كما قال من قال ٭ افادتكم النعماء منى ثلاثة ٭ يدى ولسانى والضمير المحجبا
فاذن هو اعم منهما من جهة واخص من اخرى ونقيضه الكفران ولما كان الحمد من شعب الشكر ادخل فى اشاعة النعمة
والاعتداد بشانها وادل على مكانها لما فى عمل القلب من الخفاء وفى اعمال الجوارح من الاحتمال جعل الحمد راس الشكر
وملاك الامر فى قوله صلى الله عليه وسلم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وارتفاعه بالابتداء وخبره
الظرف واصله النصب كما هو شان المصادر منصوبة بافعالها المضمرة التى لا تكاد تستعمل معها نحو شكرا وعجبا
كانه قيل نحمد الله تعالى حمدا بنون الحكاية ليوافق ما فى قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين لاتحاد الفاعل فى الكل
واما ما قيل من انه بيان لحمدهم له تعالى كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد ففيه انه لا حاجة اليه مما لا صحة له فى
نفسه فان السوال المقدر لا بد ان يكون بحيث يقتضيه انتظام الكلام وتنساق اليه الاذهان والافهام ولا ريب
فى ان الحامد بعد ما ساق حمده تعالى تلك الكيفية الرائقة لا يخطر ببال احد ان يسال عن كيفيته على ان ما قدر من
السوال غير مطابق للجواب فانه منسوق لتعيين المعبود لا لبيان العبادة حتى يتوهم كونه بيانا لكيفية حمدهم
والاعتذار بان المعنى نخصك بالعبادة وبه يتبين كيفية الحمد تعكس للامر وتمحل للتوفيق المتنزل المغتر بالوهم
المقدر وبعد اللتيا والتى ان فرض السوال من جهته عز وجل فاتت نكتة الالتفات التى اجمع عليها السلف
والخلف وان فرض من جهة الغير يختل النظام لو ابتنا الجواب على خطابه تعالى وبهذا يتضح فساد ما قيل انه
استيناف جوابا السوال يقتضيه اجراء تلك الصفات العظام على الموصوف بها فكانه قيل ما شانكم معه
وكيف توجهكم اليه فاجيب بحصر العبادة والاستعانة فيه فان تناسى جانب السائل بالكلية وبناء الجواب
على خطابه عز وجل مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله والحق الذى لا محيد عنه انه استيناف صدر عن
الحامد بحكم ملاحظة اتصافه تعالى بما ذكر من النعوت الجليلة الموجبة للاقبال الكلى عليه من غير ان يتوسط
شىء اخر كما ستحيط به خبرا وايثار الرفع على النصب الذى هو الاصل للايذان بان ثبوت الحمد لله له تعالى
لذاته لا لاثبات مثبت وان ذلك امر دائم مستمر لا حادث متجدد كما تفيده قراءة النصب وهو السر فى كون
تحية الخليل للملائكة عليهم التحية والسلام احسن من تحيتهم له فى قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام وتعريفه
للجنس ومعناه الاشارة الى الحقيقة من حيث هى حاضرة فى ذهن السامع والمراد تخصيص حقيقة الحمد به تعالى
المستدعى لتخصيص حقيقة الحمد به تعالى المستدعى لتخصيص افرادها به سبحانه على الطريق البرهانى لكن لا
بناء على ان افعال العباد مخلوقة له تعالى فتكون الافراد الواقعة بمقابلة ما صدر عنهم من الافعال الجميلة راجعة
اليه تعالى بل بناء على تنزيل تلك الافراد ووقوعها فى المقام الخطابى منزلة العدم كمّا وكيفا وقد قيل
للاستغراق الحاصل بالقصد الى الحقيقة من حيث تحققها فى ضمن جميع افرادها حسبما يقتضيه المقام وقرئ
الحمد لله بكسر الدال اتباعا لها باللام وبضم اللام اتباعا بالدال بناء على تنزيل الكلمتين لكثرة استعمالهما مقترنتين
منزلة كلمة واحدة مثل المغيرة ومنحدر الجبل رب العالمين بالجر على انه صفة الله فان اضافته حقيقية
مفيدة للتعريف على كل حال ضرورة تعين ارادة الاستمرار وقرئ منصوبا على المدح او بما دل عليه
الجملة السابقة كانه قيل نحمد الله رب العالمين ولا مساغ لنصبه بالحمد لقلة اعمال المصدر المحلى باللام ولزوم
الفصل بين العامل والمعمول بالخبر والرب فى الاصل مصدر بمعنى التربية وهى تبليغ الشىء الى كماله شيئا
فشيئا وصف به الفاعل مبالغة كالعدل وقيل صفة مشبهة من ربه يربه مثل نمه ينمه بعد جعله لازما
بنقله الى فعل بالضم كما هو المشهور سمى به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا
مقيدا كرب الدار ورب الدابة ومنه قوله تعالى فيسقى ربه خمرا وقوله تعالى ارجع الى ربك وما فى الصحيح
من انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم اطعم ربك وضئ ربك ولا يقل احدكم ربى وليقل سيدى
ومولاى فقد قيل ان النهى فيه للتنزيه واما الارباب فحيث لم يكن اطلاقه على الله جاز فى اطلاقه الاطلاق
والتقييد كما فى قوله تعالى ارباب متفرقون خير الاية والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به
الصانع تعالى من المصنوعات اى فى القدر المشترك بين اجناسها وبين مجموعها فانه كما يطلق على كل جنس
منها فى قولهم عالم الافلاك وعالم العناصر وعالم النبات وعالم الحيوان الى غير ذلك يطلق على المجموع ايضا
كما فى قولنا العالم بجميع اجزائه محدث وقيل هو اسم لاولى العلم من الملائكة والثقلين وتناوله لما سواهم بطريق

الاستتباع

الاستتباع وقيل اريد به الناس فقد فان كل واحد منهم من حيث اشتماله على نظائر ما فى العالم الكبير من
الجواهر والاعراض يعلم بها الصانع كما يعلم بما فيه عالم على حياله ولذلك امر بالنظر فى الانفس كالنظر فى الافاق
فقيل وفى انفسكم افلا تبصرون والاول هو الحق الاظهر وايثار صيغة الجمع لبيان شمول ربوبيته تعالى لجميع
الاجناس والتعريف للاستغراق افراد كل منها باسرها اذ لو افرد لربما توهم ان المقصود بالتعريف هو الحقيقة
من حيث هى او استغراق افراد جنس واحد على الوجه الذى اشير اليه فى تعريف الحمد وحيث صح ذلك بمساعدة
التعريف نزل العالم وان لم ينطلق على احد مدلوليه منزلة الجمع حتى قيل انه جمع لا واحد له من لفظه فكما ان
الجمع المعرف يستغرق احاد مفرده وان لم يصدق عليها كما فى مثل قوله تعالى والله يحب المحسنين اى كل محسن
كذلك العالم يشمل افراد الجنس مسمى به وان لم ينطلق عليها كانها احاد مفرده التقديرى ومن قضية هذا
التنزيل تنزيل جمعه منزلة جمع الجمع فكما ان الاقاويل تتناول كل واحد من احاد الاقوال تتناول لفظ العالمين
كل واحد من احاد الاجناس التى لا تكاد تحصى روى عن وهب بن منبه انه قال لله تعالى ثمانية عشر الف عالم
والدنيا عالم منها وانما جمع بالواو والنون مع اختصاص ذلك بصفات العقلاء وما فى حكمها من الاعلام لدلالته
على معنى العلم مع اعتبار تغليب العقلاء على غيرهم واعلم ان عدم انطلاق اسم العالم على كل واحد من تلك
الاحاد ليس الا باعتبار الغلبة والاصطلاح واما باعتبار الاصل فلا ريب فى صحة الاطلاق قطعا لتحقق
المصداق حتما كما يستدل على الله سبحانه بمجموع ما سواه من كل جنس من اجناسه يستدل عليه تعالى بكل جزء
من اجزاء ذلك المجموع وبكل فرد من افراد تلك الاجناس لتحقق الحاجة الى موثر الواجب لذاته فى الكل فان كل
ما ظهر فى المظاهر مما عز وهان وحضر فى هذه المحاضر كائنا ما كان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح
الى عالم التوحيد واما شمول ربوبيته عز وجل للكل فمما لا حاجة الى بيانه اذ لا شىء مما احدق به نطاق الامكان
والوجود من العلويات والسفليات والمجردات والماديات والروحانيات والجسمانيات الا وهو فى حد ذاته
بحيث لو فرض انقطاع اثار التربية عنه انا واحدا لما استقر له القرار ولا اطمانت به الدار الا فى مطمورة
العدم ومهاوى البوار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس الله تعالى شانه وتقدس فى كل زمان يمضى وكل
ان يمر وينقضى من فنون الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وكمالاته وصفاته ما لا يحيط به فلك
التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير ضرورة انه كما لا يستحق شيئا من الممكنات بذاته الوجود ابتداء ما لم ينسد
عليه جميع انحاء عدمه الاصلى لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء
عدمه الطارئ لما ان الدوام من خصائص الوجود الواجبى فظاهر انما يتوقف عليه وجوده من الامور
الوجودية التى هى علله وشرائطه وان كانت متناهية لوجوب تناهى ما دخل تحت الوجود لكن الامور
العدمية التى لها دخل فى وجوده وهى المعبر عنها بارتفاع الموانع ليست كذلك اذ لا استحالة فى ان يكون
لشىء واحد موانع غير متناهية يتوقف وجوده او بقاؤه على ارتفاعها اى بقائها على العدم مع امكان
وجودها فى انفسها فابقاء تلك الموانع التى لا تتناهى على العدم تربية لذلك الشىء من وجوه غير
متناهية وبالجملة فاثار ربوبيته عز وجل الفائضة على كل فرد من افراد الموجودات فى كل ان من انات
الوجود غير متناهية فسبحانه ما اعظم سلطانه لا تلاحظه العيون بانظارها ولا تطالعه العقول
بافكارها ٭ شانه لا يضاهى ٭ واحسانه لا يتناهى ٭ ونحن فى معرفته حائرون ٭ وفى اقامة مراسم
شكره قاصرون ٭ نسالك اللهم الهداية الى مناهج معرفتك ٭ والتوفيق لاداء حقوق نعمتك ٭ لا نحصى
ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك الرحمن الرحيم صفتان لله تعالى فان اريد بما فيهما
من الرحمة ما يختص بالعقلاء من العالمين او ما يفيض على الكل بعد الخروج الى طور الوجود من النعم فوجه
تاخيرهما عن وصف الربوبية ظاهر وان اريد ما يعم الكل فى الاطوار كلها حسبما فى قوله تعالى ورحمتى
وسعت كل شىء فوجه الترتيب ان التربية لا تقتضى المقارنة للرحمة فايرادهما فى عقبها للايذان بانه
تعالى متفضل فيها فاعل بقضية رحمته السابقة من غير وجوب عليه وبانها واقعة على احسن ما يكون
والاقتصار على نعته تعالى بهما فى التسمية لما انه الانسب بحال المتبرك المستعين باسمه الجليل والاوفق
لمقاصده مالك يوم الدين صفة رابعة له تعالى وتاخيرها عن الصفات الاول مما لا حاجة الى بيان
وجهه وقرا اهل الحرمين المحترمين ملك من الملك الذى هو عبارة عن السلطان القاهر والاستيلاء
الظاهر والغلبة التامة والقدرة على التصرف الكلى فى امور العامة بالامر والنهى وهو الانسب
لمقام الاضافة الى يوم الدين كما فى قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ ملك
بالتخفيف وملك بلفظ الماضى ومالك بالنصب على المدح او الحال وبالرفع منونا ومضافا على انه
خبر مبتدا محذوف وملك مضافا بالرفع والنصب واليوم فى العرف عبارة عما بين طلوع الشمس
وغروبها من الزمان وفى الشرع عما بين طلوع الفجر الثانى وغروب الشمس والمراد هاهنا مطلق الوقت

والتدين الجزاء خيراكان اوشرا ومنه الثاني في المثل السائر كما تدين تدان والاول في بيت الحماسة ولم يبق
سوى العداوة دناهم كما دانوا وأما الاول في الاول والثاني في الثاني فليس بجزاء حقيقة وانما سمى به
مشاكلة اوتسمية للشيء باسم مسببه كما سميت ارادة القيام والقراءة باسمها في قوله عز اسمه اذا قمتم الى
الصلاة وقوله تعالى فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله ولعل السر في بناء المفاعلة من الافعال التي تقوم
اسبابها بمفعولاتها نحو عاقبت اللص ونظايره فان قيام السرقة التي هي سبب العقوبة باللص نزل منزلة
قيام المسبب وهي العقوبة فصاركانها قامت بالجانبين وصدرت عنهما فبنيت صيغة المفاعلة الدالة على
المشاركة بين الاثنين واضافة اليوم اليه لادنى ملابسة كاضافة ساير الظروف الزمانية الى ما وقع
فيها من الحوادث كيوم الاحزاب وعام الفتح وتخصيصه من بين ساير ما وقع فيه من القيامة والجمع والحساب
لكونه ادخل في الترغيب والترهيب فان ما ذكر من القيامة وغيرها من مبادى الجزاء ومقدماته واضافة
مالك الى اليوم اضافة اسم الفاعل الى الظرف على نهج الاتساع المبني على اجرايه مجرى المفعول مع
بقاء المعنى على حاله كقولهم يا سارق الليلة اهل الدار اى مالك امور العالمين كلها في يوم الدين وخلو
اضافته عن افادة التعريف المسوغ لوقوعه صفة للمعرفة انما هو اذا اريد به الحال او الاستقبال
واما عند ارادة الاستمرار الثبوتي كما هو اللايق بالمقام فلا ريب في كونها اضافة حقيقية كاضافة
الصفة المشبهة الى غير معمولها في قراءة ملك يوم الدين ويوم الدين وان لم يكن مستمرا في جميع الازمنة
الا انه لتحقق وقوعه وبقائه ابدا اجرا مجرى المتحقق المستمر ويجوز ان يراد به الماضي بهذا
الاعتبار كما يشهد به القراءة على صيغة الماضي وما ذكر من اجراء الظرف مجرى المفعول به انما هو من
حيث المعنى لا من حيث الاعراب حتى يلزم كون الاضافة لفظية الا ترى انك تقول مالك عبده
امس انه مضاف الى المفعول به على معنى انه كذلك معنى لا انه منصوب محلا وتخصيصه بالاضافة
اما لتعظيمه وتهويله او لبيان تفرده تعالى باجراء الامر فيه وانقطاع العلايق المجازية بين الملاك
والاملاك حينئذ بالكلية واجراء هاتيك الصفات الجليلة عليه سبحانه تعليل لما سبق من
اختصاص الحمد به تعالى المستلزم للاختصاص لاستحقاقه به تعالى وتمهيد لما لحق من اقتصار العبادة
والاستعانة عليه فان كل واحدة منها مفصحة بوجوب ثبوت كل واحدة منها له تعالى وامتناع ثبوتها
لما سواه اما الاولى والرابعة فظاهرة لانهما متعينتان صراحة لكونه تعالى ربا مالكا وما سواه
مربوبا مملوكا له تعالى واما الثانية والثالثة فلان اتصافه بهما تعالى ليس الا بالنسبة الى ما سواه
من العالمين وذلك يستدعي ان يكون الكل منعما عليهم فظهر ان كل واحدة من تلك الصفات كما دلت
على وجوب ثبوت الامور المذكورة له تعالى دلت على امتناع ثبوتها لما عداه على الاطلاق وهو المعنى
بالاختصاص اياك نعبد واياك نستعين التفات من الغيبة الى الخطاب وتلوين النظم من باب الى
باب جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البلاغة حسبما يقتضي المقام لان التنقل من
اسلوب الى اسلوب ادخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب يقع من كل واحد من التكلم
والخطاب والغيبة الى كل واحد من الآخرين كما في قوله عز وجل الله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
الآية وقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم الى غير ذلك من الالتفاتات الواردة في التنزيل
لاسرار تقتضيها ومزايا تستدعيها ومما استاثر به هذا المقام الجليل من النكت الرايقة الدالة على
ان تخصيص العبادة والاستعانة به تعالى لما اجرى عليه من النعوت الجليلة التي اوجبت له تعالى
اكمل تميز وابلغ ظهور بحيث تبدل خفايا الغيبة بجلايا الحضور فاستدعي استعمال صيغة الخطاب
والايذان بان حق التالي بعد ما تامل فيما سلف من تقرره تعالى بذاته الاقدس المستوجب للعبودية
وامتيازه بذاته عما سواه بالكلية واستبداده بجلايل الصفات واحكام الربوبية المميزة له عن جميع
افراد العالمين وافتقار الكل اليه في الذات والوجود ابتداء وبقاء على التفصيل الذي مرت اليه الاشارة
ان يترقى من رتبة البرهان الى طبقة العيان وينتقل من عالم الغيبة الى معالم الشهود ويلاحظ نفسه في
حضاير القدس حاضرا في محاضر الانس كانه واقف لدى مولاه ماثل بين يديه وهو يدعوا بالخضوع
والاخبات ويقرع بالضراعة باب المناجات قايلا يا من هذه شئون ذاته وصفاته نخصك بالعبادة
والاستعانة فان ما سواك كاينا ما كان بمعزل من استحقاق الوجود فضلا عن استحقاقه يعبد
ويستعان ولعل هذا هو السر في اختصاص السورة الكريمة بوجوب القراءة في كل ركعة من الصلاة
التي هي مناجاة العبد لمولاه ومنبئة للتبتل اليه بالكلية واياك منفصل منصوب وما يلحقه من
الكاف والياء والهاء حروف زيدت لتعيين الخطاب والتكلم والغيبة لا محل لها من الاعراب كالتاء في انت
والكاف في ارايتك وما ادعاه الخليل من الاضافة محتجا عليه بما حكاه من بعض العرب اذا بلغ الرجل

الستين فاياه وايا الشواب فمما لا يعول عليه وقيل هي الضماير وايا عمدة لها لما انفصلت وقيل الضمير هو
المجموع وقرئ اياك بالتخفيف وبفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء والعبادة اقصى غاية
التذلل والخضوع ومنه طريق معبد اى مذلل والعبودية بما فعل الله تعالى والاستعانة طلب المعونة
على الوجه الذي مر بيانه وتقديم المفعول فيهما لما ذكر من القصر والتخصيص كما في قوله تعالى واياى
فارهبون مع ما فيه من التعظيم والاهتمام به قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معناه نعبدك ولا نعبد
غيرك وتكرير الضمير المنصوب للتنصيص على تخصيصه تعالى بكل واحد من العبادة والاستعانة ولابراز الاستلذاذ
بالمناجاة والخطاب وتقديم العبادة لما انها مقتضيات مدلول الاسم الجليل وان ساعده الصفات المجراة عليه
والاستعانة من الاحكام المبنية على الصفات المذكورة ولان العبادة من حقوق الله تعالى والاستعانة من
حقوق المستعين ولان العبادة واجبة حتما والاستعانة تابعة للمستعان فيه في الوجوب وعدمه وقيل لان
تقديم الوسيلة ادعى الى الاجابة والقبول هذا على تقدير كون اطلاق الاستعانة عن المفعول فيه ليتناول كل
مستعان فيه كما قالوا وقد قيل انه لما ان المسؤل هو المعونة في العبادة والتوفيق لاقامة مراسمها على ما ينبغي
وهو اللايق بشأن التنزيل والمناسب لحال الحامد فان استعانته مسبوقة بملاحظة فعل من افعاله ليستعينه
تعالى في ايقاعه ومن البين انه عند استغراقه في ملاحظة شئونه تعالى واشتغاله باداء موجبة تلك الملاحظة
من الحمد والثناء لا يكاد يخطر بباله من افعاله واحواله الا الاقبال الكلي عليه والتوجه التام اليه ولقد فعل
ذلك بتخصيص العبادة به تعالى اولا وباستدعاء الهداية الى ما يتوصل اليه آخرا فكيف يتصور ان يشغل
فيما بينهما بما لا يعنيه من امور دنياه او ما يعمها وغيرها كانه قيل واياك نستعين في ذلك فانا غير قادرين
على اداء حقوقه من غير اعانة منه فوجه الترتيب حينئذ واضح وفيه من الاشعار بعلو رتبة عبادته تعالى
وعزة منالها وكونها عند العابد اشرف المباغي والمقاصد وبكونها من مواهبه تعالى لا من اعمال نفسه ومن
الملاءمة لما يعقبه من الدعاء ما لا يخفى وقيل الواو للحال اى اياك نعبد مستعينين بك وايثار صيغة المتكلم
مع الغير في الفعلين للايذان بتصور نفسه وعدم لياقته بالوقوف في مواقف الكبرياء منفردا وعرض العبادة
واستدعاء المعونة والهداية مستقلا وان ذلك انما يتصور من عصابة هو من جملتهم وجماعة هو من جملة
زمرتهم كما هو ديدن الملوك او للاشعار باشتراك ساير الموحدين له في الحالة العارضة له بناء على تعاضد
الادلة الملجئة الى ذلك وقرئ نستعين بكسر النون على لغة بني تميم اهدنا الصراط المستقيم افراد العظم
افراد المعونة المسؤل بالذكر وتعيين هو الامر او بيان لها كانه قيل كيف اعينكم فقيل اهدنا والهداية دلالة
تلطف على ما يوصل الى البغية ولذلك اختصت بالخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على نهج
التهكم والاصل تعديتها بالى واللام كما في قوله عز وجل قل هل من شركائكم من يهدي الى الحق قل الله يهدي للحق
فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه وعليه قوله لنهدينهم سبلنا وهداية الله تعالى مع
تنوعها الى انواع لا تكاد تحصر منحصرة في اجناس مترتبة منها انفسية كافاضة القوى الطبيعية والحيوانية التي
بها يصدر عن المرء افاعيله الطبيعية والحيوانية والقوى المدركة والمشاعر الظاهرة والباطنة التي بها يتمكن
من اقامة مصالحه المعاشية والمعادية ومنها آفاقية فاما تكوينية معربة عن الحق بلسان الحال وهي نصب الادلة
المودعة في كل فرد من افراد العالم حسبما لوح به فيما سلف واما تنزيلية مفصحة عن تفاصيل الاحكام النظرية
والعملية بلسان المقال بارسال الرسل وانزال الكتب المنطوية على فنون الهدايات التي من جملتها الارشاد
الى سلوك الاستدلال بتلك الادلة التكوينية الآفاقية والانفسية والتنبيه على مكانها كما اشير اليه مجملا
في قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم افلا تبصرون وفي قوله عز وجل ان في اختلاف الليل
والنهار وما خلق الله في السموات والارض لآيات لقوم يتقون ومنها الهداية الخاصة وهي كشف الاسرار
على قلب المهدي بالوحي والالهام ولكل مرتبة من هذه المراتب صاحب منتحلها وطالب يستدعيها والمطلوب
اما زيادتها كما في قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واما الثبات عليها كما روي عن علي وابي رضي
الله عنهما اهدنا ثبتنا ولفظ الهداية على الوجه الاخير مجاز قطعا واما على الاول فان اعتبر قطعا مفهوم الزيادة
داخلا في المعنى المستعمل فيه كان مجازا ايضا وان اعتبر خارجا عنه مدلولا عليه بالقراين كان حقيقة لان
الهداية الزايدة هداية كما ان العبادة الزايدة عبادة فلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز وقرئ ارشدنا والصراط
الجادة اصله السين قلبت صادا لمكان الطاء كمصيطر في مسيطر من سرط الشيء اذا ابتلعه سميت به لانها
تسترط السابلة اذا سلكوها كما سميت لقما لانها تلتقمهم وقد تشم الصاد صوت الزاي تحريا للقرب من المبدل
منه وقد قرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام وجمعه
سرط ككتاب وكتب وهو كالطريق والسبيل في التذكير والتانيث والمستقيم المستوي والمراد به طريق
الحق وهي الملة الحنيفية السمحة المتوسطة بين الافراط والتفريط صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول

بدل الكل وهو فى حكم العامل من حيث انه المقصود بالنسبة وفائدته التأكيد والتنصيص على ان الطريق
الذين انعم الله عليهم هو العلم فى الاستقامة والمشهود له بالاستواء بحيث لا يذهب الوهم عند
ذكر الطريق المستقيم الا اليه واطلاق الانعام لقصد الشمول فان نعمة الاسلام عنوان النعم كلها فمن
فاز بها فقد حازها بحذافيرها وقيل المراد بهم الانبياء عليهم السلام ولعل الاظهر انهم المذكورون فى
قوله عز وعلا فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لشهادة ما
قبله من قوله تعالى ولهديناهم صراطا مستقيما وقيل هم اصحاب موسى وعيسى عليهما السلام قبل النسخ
والتحريف وقرئ صراط من انعمت عليهم والانعام ايصال النعمة وهى فى الاصل الحالة التى يستلذها الانسان
من النعمة وهى اللين ثم اطلقت على ما يستلذه النفس من طيبات الدنيا ونعم الله تعالى مع استحالة احصائها
ينحصر اصولها فى دنيوى واخروى والاول قسمان وهبى وكسبى والوهبى ايضا قسمان روحانى كنفخ الروح
فيه وامداده بالعقل وما يتبعه من القوى المدركة فانها مع كونها من قبيل الهدايات نعم جليلة فى انفسها
وجسمانى كتخليق البدن والقوى الحالة فيه والهيئات العارضة له من الصحة وسلامة الاعضاء والكسبى
تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالاخلاق السنية والملكات البهية وتزيين البدن بالهيئات المطبوعة
والحلى المرضية وحصول الجاه والمال والثانى مغفرة ما فرط منه والرضا عنه وتبوئته فى اعلى عليين مع المقربين
والمطلوب هو القسم الاخير وما هو ذريعة الى نيله من القسم الاول اللهم ارزقنا ذلك بفضلك العظيم
ورحمتك الواسعة غير المغضوب عليهم ولا الضالين صفة الموصول على انه عبارة عن احدى الطوائف
المذكورة المشهورة بالانعام وباستقامة المسلك ومن ضرورة هذه الشهرة شهرتهم بالمغايرة لما
اضيف اليه كلمة غير من المتصفين بضدى الوصفين المذكورين اعنى مطلق المغضوب عليهم ولا الضالين فاكتسب
بذلك تعرفا مصححا لوقوعها صفة للمعرفة كما فى قولك عليك بالحركة غير السكون ومعا بذلك تكملة لما قبله
وايذانا بان السلامة مما ابتلى به اولئك نعمة جليلة فى نفسها اى الذين جمعوا بين النعمة المطلقة التى هى نعمة
الايمان ونعمة السلامة من الغضب والضلال وقيل المراد بالموصول طائفة من المؤمنين لا باعيانهم فيكون
بمعنى النكرة لان اللام انما اريد به الجنس فى ضمن بعض الافراد لا بعينه وهو المسمى بالمعهود الذهنى وبالمغضوب
عليهم ولا الضالين اليهود والنصارى كما ورد فى مسند احمد والترمذى فيبقى لفظ غير على ابهامه نكرة
مثل موصوفة والتخيير بان جعل الموصول عبارة عما ذكر من طوائف غير معينة بتذكية ما اضيف
اليه بما قبله فان مدار ما كون صراط المؤمنين علما فى الاستقامة مشهودا له بالاستواء على الوجه الذى
تحقيقه فيما سلف ومن البين ان ذلك من حيث اضافته وانتسابه الى كلهم لا الى بعض منهم وبهذا تبين ان لا
سبيل الى جعل غير المغضوب عليهم بدلا من الموصول لما عرفت من ان شأن البدل ان يفيد متبوعه مزيد
تأكيد وتقرير وفضل ايضاح وتفسير ولا ريب فى ان قصارى امر ما نحن فيه ان يكتسب مما اضيف اليه
نوع تعرف مصحح لوقوعه صفة للموصول واما استحقاق ان يكون مقصودا بالنسبة مفيدا لما ذكر من الفوائد
فكلا وقرئ بالنصب على الحال والعامل انعمت او على المدح او على الاستثناء ان فسر النعمة بما يعم القبيلين والغضب
هيجان النفس لارادة الانتقام وعند اسناده الى الله سبحانه وتعالى يراد به غايته بطريق اطلاق اسم
السبب بالنسبة الينا على مسببه القريب ان اريد به ارادة الانتقام ويجوز حمل الكلام على مسببه القريب ان
اريد به ارادة الانتقام ويجوز الهيئة المنتزعة من سخطه تعالى للعصاة وارادة الانتقام منهم لمعاصيهم
مما ينتزع من حال الملك اذا غضب على الذين عصوه واراد الانتقام منهم ان ينتقم منهم ويعاقبهم وعليهم
مرتفع بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن اسناد الغضب اليه تعالى كالانعام جرى على منهاج
الآداب التنزيلية فى نسبة النعم والخيرات الى الله عز وجل دون اضدادها كما فى قوله تعالى الذى خلقنى فهو
يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين وقوله تعالى وانا لا ندرى اشر اريد بمن
فى الارض ام اراد بهم ربهم رشدا ولا مزيدة لتأكيد ما افاده غير من معنى النفى كانه قيل لا المغضوب
عليهم ولا الضالين ولذلك جاز انا زيدا غير ضارب لجواز انا زيدا لا ضارب وان امتنع انا زيدا مثل
ضارب والضلال هو العدول عن الصراط السوى وقرئ وغير الضالين وقرئ ولا الضألين بالهمزة على
لغة من جد فى الهرب من التقاء الساكنين • امين • اسم فعل هو استجب • وعن ابن عباس رضى الله عنهما
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى امين فقال افعل بنى على الفتح كاين لالتقاء الساكنين
وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال • ويرحم الله عبدا قال امينا • وقال امين فزاد الله ما بيننا بعدا
عن النبى صلى الله عليه وسلم لقننى جبريل امين عند فراغى من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب
وليست من القرآن وفاقا ولكن يسن ختم السورة الكريمة بها والمشهور عن ابى حنيفة رحمه الله ان المصلى
يأتى بها مخافتة وعنه انه لا يأتى بها الامام لانه الداعى وعن الحسن رحمه الله مثله وروى الاخفاء

عبدالله

عبد الله بن مغفل وانس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم وعند الشافعى يجهر بها لما روى وائل بن
حجر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته عن النبى صلى الله عليه وسلم
لابى بن كعب الا اخبرك بسورة لم ينزل فى التوراة والانجيل مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب
انها السبع المثانى والقرآن العظيم الذى اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب الحمد لله رب العالمين
فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم العذاب بذلك اربعين سنة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الم الالفاظ التى يعبر بها عن حروف المعجم التى من جملتها المقطعة المرقومة فى فواتح السور الكريمة
والتصغير وغير ذلك انما لها لاندراجها تحت حد الاسم ويشهد به ما يعتريها من التعريف والتنكير والجمع
وغير ذلك من خصائص الاسم وقد نص على ذلك اساطين الائمة العربية وما وقع فى عبارات المتقدمين
من التصريح بحرفيتها محمول على المسامحة واما ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه من انه صلى الله عليه
وسلم قال من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف بل الف حرف
ولام حرف وميم حرف وفى رواية الترمذى والدارمى لا اقول الم حرف ذلك الكتاب حرف ولكن الالف
واللام حرف والميم حرف والذال حرف والكاف حرف فلا تعلق له بما نحن فيه قطعا فان اطلاق الحرف على ما
يقابل الاسم والفعل عرف جديد اخترعه اهل الصناعة وانما الحرف عند الاوائل ما يتركب منه الكلم
من الحروف المبسوطة وربما يطلق على الكلمة ايضا تجوزا فاريد بالحديث الشريف رفع توهم التجوز
وزيادة تعيين ارادة المعنى الحقيقى ليتبين بذلك ان الحسنة الموعودة ليست بعدد الكلمات القرآنية
بل بعدد حروفها المكتوبة فى المصاحف كما يلوح به ذكر كتاب الله دون كلام الله او القرآن وليس هذا
من تسمية الشئ باسم مدلوله فى شئ كما قيل كيف لا والمحكوم عليه بالحرفية واستتباع الحسنة انما
هى المسميات البسيطة الواقعة فى كتاب الله عز وجل سواء عبر عنها باسمائها او بانفسها كما فى قولك
السين مهملة والشين معجمة مثلثة وغير ذلك مما لا يصدق المحمول الا على ذات الموضوع لا اسمائها
المؤلفة كما اذا قلنا الالف مؤلف من ثلاثة احرف فكما ان الحسنات فى قراءة قوله تعالى ذلك الكتاب
بمقابلة حروفه البسيطة وموافقة لعددها كذلك فى قراءة قوله تعالى الم بمقابلة حروفه الثلاثة
المكتوبة وموافقة لعددها لا بمقابلة اسمائها الملفوظة والالفات الموافقة فى العدد اذ الحكم
بان كلا منهما حرف واحد مستلزم للحكم بانه مستتبع لحسنة واحدة فالعبرة فى ذلك بالمعبر عنه
ولعل السر فيه ان استتباع الحسنة منوط بافادة المعنى المراد بالكلمات القرآنية فكما ان سائر الكلمات
الشريفة لا يفيد معانيها الا بتلفظ حروفها بانفسها كذلك الفواتح المكتوبة لا تفيد المعانى
المقصودة بها الا بالتعبير عنها باسمائها فجعل ذلك تلفظا بالمسميات كالقسم الاول من غير فرق بينهما
الا ترى الى ما فى الرواية الاخيرة من قوله عليه السلام والذال حرف والكاف حرف كيف عبر عن
طرفى ذلك باسميهما كونهما ملفوظين بانفسهما ولقد روعيت فى هذه التسمية نكتة رائقة حيث
جعل كل مسمى لكونه من قبيل الالفاظ صدر الاسمه ليكون هو المفهوم منه اثر ذى اثير خلا ان الالف حيث
تعذر الابتداء بها استعيرت مكانها الهمزة وهى معربة اذ لا مناسبة بينها وبين مبنى الاصل لكنها
ما لم تلها العوامل ساكنة الاعجاز على الوقف كاسماء الاعداد وغيرها حين خلت عن العوامل ولذلك
قيل صاد وقاف مجموعا فيها بين الساكنين ولم يعامل معاملة اين وكيف وهؤلاء وان وليتها عامل مسها
الاعراب وقصرها آخر الف عند التهجى لا بتغاء الخفة لا لانه ورائه ولا لانها تقصر تارة فتكون حرفا
وتمد اخرى فتكون اسما لها كما فى قوله حسان رضى الله عنه • ما قال لا قط الا فى تشهده • لولا التشهد لم يسمع له
نعما وقد تكلموا فى شأن هذه الفواتح الكريمة وما اريد بها فقيل انها من العلوم المستورة والاسرار
المحجوبة روى عن الصديق رضى الله عنه انه قال فى كل كتاب سر وسر القرآن اوائل السور وعن على
رضى الله عنه انه قال فى كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى وعن ابن عباس رضى الله عنهما
انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وسئل الشعبى عنها فقال سر الله عز وجل فلا تطلبوه فقيل انها اسماء
الله تعالى وقيل هو كل حرف منها اشارة الى اسم من اسمائه تعالى وصفة من صفاته تعالى وقيل
انها صفات الافعال الالف الاؤه واللام لطفه والميم مجده وملكه قاله محمد بن كعب القرظى
وقيل انها من قبيل الحساب وقيل الالف من الله واللام من جبريل والميم من محمد اى انزل الكتاب بواسطة

جبريل على محمد وقيل هي اقسام من الله تعالى بهذه الحروف المعجمة لشرفها من حيث انها اصول اللغات ومبادي
كتبه المنزلة ومباني اسمائه الكريمة وقيل اشارة الى انتهاء كلام وابتداء كلام اخر وقيل وكلن الذي عليه
التعويل اما كونها اسماء للسور المصدرة بها وعليه اجماع الاكثر واليه ذهب الخليل وسيبويه قالوا سميت بها
ايذانا بانها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ فلولا انها وحي من الله عز وجل لما عجزوا عن
معارضته ويقرب منه ما قاله الكلبي والسدي وقتادة من انها اسماء للقران والتسمية بثلثة اسماء فصاعدا انما
تستنكر في لغة العرب اذا ركبت وجعلت اسما واحدا كما في حضرموت فاما اذا كانت منثورة فلا استنكار فيها
والمسمى هو المجموع لا الفاتحة فقط حتى يلزم اتحاد الاسم والمسمى غاية الامر دخول الاسم في المسمى ولا محذور
فيه كما لا محذور في عكسه حسبما تحقيقه انما كتبت في المصاحف صور المسميات دون صور الاسماء لانه
ادل على كيفية التلفظ بها وهي ان يكون على نهج التهجي دون التركيب ولان فيه سلامة عن التطويل لاسيما
في الفواتح الخماسية على ان خط المصحف مما لا يناقش فيه بمخالفة القياس واما كونها مسرودة على نمط
التعديد واليه جنح اهل التحقيق قالوا انما وردت هكذا ليكون ايقاظا لمن تحدى بالقران وتنبيها لهم على انه
منتظم من عين ما ينظمون منه كلامهم فلولا انه خارج عن طوق البشر • نازل من عند خلاق القوى والقدر
لما تضاءلت قوتهم • ولا تساقطت قدرتهم • وهم فرسان حلبة الحوار • وامراء الكلام في نادي الفخار • دون
الاتيان بما يدانيه • فضلا عن المعارضة بما يساويه • مع تظاهرهم في المضادة والمضارة • وتهالكهم على المغالبة
والمهارة او ليكون مطلع ما يتلى عليهم مستقلا بضرب من الغرابة انموذجا لما في الباقي من فنون الاعجاز فان النطق
بانفس الحروف في تضاعيف الكلام • وان كان على طرف الثمام • يتناوله الخواص والعوام • من الاعراب والاعجام
لكن التلفظ باسمائها انما يتاتى ممن درس وخط واما ممن لم يحم حول ذلك قط فاعز من بيض الانوق • وابعد من
مناط العيوق • لاسيما اذا كان على نمط عجيب • واسلوب غريب • منبئ عن سر سري • مبني على نهج عبقري
بحيث يحار في فهمه ارباب العقول ويعجز عن ادراكه الباب الفحول • وكيف لا وقد وردت تلك الفواتح
في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم مشتملة على نصفها تقريبا بحيث ينطوي على انصاف
اصنافها تحقيقا او تقريبا كما يتضح عند التفحص والتنقير • حسبما فصله بعض افاضل ائمة التفسير •
فسبحان من دقت حكمته عن ان يطالعها الانظار • وجلت قدرته عن ان ينالها ايدي الافكار • وايراد بعضها
فرادى وبعضها ثنائية الى الخماسية على عادة الافتنان مع مراعاة ابنية الكلم وتفريقها في السور دون
ايرادها مرة لذلك ولما في التكرير والاعادة من زيادة افادة • وتخصيص كل منها بسورة مما لا
سبيل الى المطالبة بوجهه وعد بعضها اية دون بعض مبني على التوقيف البحت اما الم فاية حيثما وقعت
وقيل في آل عمران ليست باية • والمص اية • والمر لم تعد اية • والر ليست باية في شيء من سورها الخمس
وطسم اية في سورتيها • وطه ويس ايتان • وطس ليست باية • وحم اية في سورها كلها • وحم عسق ايتان
وص وق ونون • لم تعد واحدة منها اية هذا على راي الكوفيين وقد قيل بجميع الفواتح ايات عندهم
في السور كلها بلا فرق بينهما واما من عداهم فلم يعدوا شيئا منها اية ثم انها على تقدير كونها على نمط التعديد
لا تشم رائحة الاعراب ويوقف عليها وقف التمام وعلى تقدير كونها اسماء للسور او القران كان لها حظ
منه اما الرفع على الابتداء او على الخبرية واما النصب بفعل مضمر كاذكر او بتقدير فعل القسم على طريقة
الله لافعلن واما الجر بتقدير حرفه حسبما يقتضيه المقام • ويستدعيه النظام • ولا وقف فيما عدا
الرفع على الخبرية والتلفظ بالكل على وجه الحكاية ساكنة الاعجاز الا ان ما كانت مفردة مثل ص وق
ونون يتاتى فيها الاعراب اللفظي ايضا وقد قرئ بالنصب على اضمار فعل اي اذكر او اقرا صاد وقاف
ونون وانما لم تنون لامتناع الصرف وكذا ما كانت منها موازنة للمفرد نحو حم وطس وطسم الموازنة
لقابيل وهابيل حيث اجاز سيبويه فيها مثل ذلك قال في باب اسماء السور من كتابه وقد قرا بعضهم
يس وياسين ويجوز ان يكون ذلك في الكل تحريكا لالتقاء الساكنين ولا مساغ للنصب باضمار فعل القسم
لان ما بعدها من القران والقلم محلوف بهما وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم على واحد قبل انقضاء
الاول وهو السر في جعل ما عدا الواو الاولى في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر
والانثى عاطفة ولا مجال للعطف هاهنا للمخالفة بين الاول والثاني في الاعراب نعم يجوز ذلك بجعل
الاول مجرورا باضمار الباء القسمية مفتوحا لكونه غير منصرف وقرئ صاد وقاف بالكسر على التحريك
لالتقاء الساكنين ويجوز في طاسين ميم ان تفتح نونها وتجعل من قبيل دارابجرد ذكره سيبويه في كتابه
واما ما عدا ذلك من الفواتح فليس فيها الا الحكاية وسيجيء تفاصيل سائر احكام كل منها شروحه في
مواقعها باذن الله عز سلطانه اما هاهنا الفاتحة الشريفة فان جعلت اسما للسورة او القران فمحلها الرفع
اما لانه خبر لمبتدا محذوف وتقديرها هذا الم اي مسمى به وانما صحت الاشارة الى القران بعضا او كلا

مع

مع عدم سبق ذكره لانه باعتبار كونه بصدد الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان
واما على انه مبتدا اي المسمى به والاول هو الاظهر لان ما يجعل عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك
معلوم الانتساب اليه عند الخطاب المخاطب واذ لا علم بالتسمية عنوان الموضوع حقه ان يكون قبل ذلك
معلوم فحقها الاخبار بها وادعاء شهرتها يابا الترديد في ان المسمى هو السورة او كل القران ذلك ذا اسم اشارة
واللام عماد جيء به للدلالة على بعد المشار اليه والكاف للخطاب والمشار اليه هو المسمى فانه منزل منزلة
المشاهد بالحس البصري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وكونه
في الغاية القاصية من الفضل والشرف واشتهاره بذكر اسمه وما قيل من انه باعتبار التقضي او باعتبار
الوصول من المرسل الى المرسل اليه في حكم المتباعد وان كان مصححا لايراده لكنه بمعزل من ترجيحه على ايراد
ما وضع للاشارة الى القريب وتذكيره على تقدير كون المسمى هي السورة لان المشار اليه هو المسمى بالاسم
المذكور من حيث هو مسمى به لا من حيث هو مسمى بالسورة ولئن ادعى اعتبار الحيثية الثانية في الاولى
بناء على ان التسمية لتمييز السور بعضها من بعض فذلك التذكير لما بعده وهو على الوجه الاول مبتدا على حدة
وعلى الوجه الثاني مبتدا ثان وقوله عز وعلا الكتاب اما خبر له او صفة اما اذا كان خبرا له فالجملة على الوجه
الاول مستانفة مؤكدة لما افاده الجملة الاولى من نباهة شان المسمى لا محل لها من الاعراب وعلى الوجه
الثاني في محل الرفع على انها خبر للمبتدا الاول واسم الاشارة مغن عن الضمير الرابط والكتاب اما مصدر
سمي به المفعول مبالغة كالخلق والتصوير للمخلوق والمصور واما فعال بني للمفعول كاللباس من الكتب
الذي هو ضم الحروف بعضها الى بعض واصله الجمع والضم في الامور البادية للحس البصري ومنه الكتيبة للعسكر
كما ان اصل القراءة الجمع والضم في الاشياء الخافية عليه واطلاق الكتاب على المنظوم عبارة لما ان ماله الكتابة
والمراد به على تقدير المسمى به هي السورة جميع القران العظيم وان لم يتم منزلا عند نزول السورة
اما باعتبار تحققه في علم الله عز وجل او باعتبار ثبوته في اللوح او باعتبار نزوله جملة الى السماء الدنيا
حسبما ذكر في فاتحة الفاتحة واللام للعهد والمعنى ان هذه السورة هي الكتاب العمدة القصوى منه
كانه في احراز الفضل كل الكتاب المعهود الغني عن الوصف بالكتاب لاشتهاره به فيما بين الكتب على طريقة
قوله عليه السلام الحج عرفة وعلى طريقة كون المسمى كل القران فالمراد بالكتاب الجنس واللام للحقيقة
والمعنى ان ذلك هو الكتاب الكامل الحقيق بان يخص به اسم الكتاب لغاية تفوقه على بقية الافراد في حيازة
كمالات الجنس كان ما عداه من الكتب السماوية خارج بالنسبة اليه كما يقال هو الرجل اي الكامل في الوجود
الجامع لما يكون في الرجال من مرضي الخصال وعليه من قول من قال • هم القوم كل القوم يا ام خالد • فالمدح
كما ترى من جهة حصر كمال الجنس في فرد من افراده وفي السورة الاولى من جهة حصر كمال الكل في الجزء ولا
مساغ هنالك لحمل الكتاب على الجنس لما ان فرد المعهود هو مجموع القران المقابل لسائر افراده الكتب السماوية
لا بعضه الذي ينطلق عليه اسم الكتاب باعتبار كونه جزءا من الفرد لا باعتبار كونه جزئيا للجنس على حياله
ولان حصر الكمال في السورة مشعر بنقصان سائر السور وان لم يكن الحصر بالنسبة اليها لتحقق المغايرة
بينهما هذا على تقدير كون الكتاب خبرا لذلك واما اذا كان صفة له فذلك الكتاب على تقدير كون الم خبر
مبتدا محذوف ما خبر ثان او بدل من الخبر الاول او مبتدا مستقل خبره ما بعده وعلى تقدير كونه مبتدا اما
خبر له او مبتدا ثان خبره ما بعده والجملة خبر للمبتدا الاول والمشار اليه على كلا التقديرين هو المسمى سواء كان هي
السورة او القران ومعنى البعد ما ذكر من الاشعار بعلو شانه والمعنى ذلك الكتاب العجيب الشان البالغ
اقصى مراتب الكمال وقيل المشار اليه هو الكتاب الموعود فمعنى البعد ظاهر خلا انه ان كان المسمى هي السورة
ينبغي ان يراد بالوعد ما في قوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا كما قيل وان كان هو القران فهو ما في التوراة
والانجيل هذا على تقدير كون الم اسما للسورة والقران واما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد
فذلك مبتدا والكتاب اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف او يقدر مبتدا والكتاب
اما خبره او صفته والخبر ما بعده على نحو ما سلف او يقدر مبتدا اي المؤلف من هذه الحروف ذلك
الكتاب وقرئ تنزيل الكتاب وقوله تعالى لا ريب فيه اما في محل الرفع على انه خبر لذلك الكتاب
على الصور الثلث المذكورة او على انه خبر ثان لالم او لذلك على تقدير كون الكتاب خبره او للمبتدا
المقدر اخرا على راي من يجوز كون الخبر الثاني جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى واما في محل
النصب على الحالية من ذلك او بالكتاب والعامل معنى الاشارة واما جملة مستانفة لا محل لها من الاعراب
موكدة لما قبلها وكلمة لا نافية للجنس مفيدة للاستغراق عاملة عمل ان بحملها عليها لكونها نقيضا لها
ولازمة للاسم لزومها واسمها مبني على الفتح لكونه مفردا نكرة لا مضافا ولا شبيها به واما ما ذكره
الزجاج من انه معرب وانما حذف التنوين للتخفيف فمما لا تعويل عليه وسبب بنائه تضمنه لمعنى من

الاستغراقية لانه مركب معها تركيب خمسة عشر كما توهم وخبرها محذوف اى لاريب موجود او نحوه كما في قوله
تعالى لا عاصم اليوم من امر الله والظرف صفة لاسمها ومعناه نفى الكون المطلق وسلبه عن الريب المفروض في
الكتاب والخبر هو الظرف ومعناه سلب الكون فيه عن الريب المطلق وقد جعل الخبر المحذوف ظرفا وجعل المذكور
خبرا لما بعده وقرئ لاريب فيه على انها بمعنى ليس والفرق بينه وبين الاول ان ذلك موجب للاستغراق وهذا مجوز
والريب في الاصل مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقتها قلق النفس واضطرابها ثم استعمل في معنى الشك
مطلقا او مع تهمة لانه يقلق النفس ويزيل الطمانينة وفي الحديث دع ما يريبك ومعنى نفيه عن الكتاب
انه في علو الشان وسطوع البرهان بحيث ليس فيه مظنة ريب في حقيقته وكونه وحيا منزلا من عنده
تعالى لا انه لا يرتاب فيه احد اصلا الا يرى كيف جوز ذلك وقوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا الى اخره
فانه في قوة ان يقال وان كان لكم ريب فيما نزلنا او وان ارتبتم فيما نزلنا الى اخره الا انه خولف في الاسلوب
حيث فرض كونهم في الريب لا كون الريب فيه لزيادة تنزيه ساحة الكتاب عنه مع نوع اشعار بان ذلك
من جهتهم لا من جهته العالية ولم يقصد هاهنا الاشعار بثبوت الريب في سائر الكتب ليقتضى المقام
تقديم الظرف كما في قوله تعالى لا فيها غول هدى مصدر من هدى كالسرى في البكى وهو الدلالة بلطف على
ما يوصل الى البغية اى ما من شانه ذلك وقيل هى الدلالة الموصولة اليها بدليل وقوع الضلالة في
مقابلته في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله تعالى وانا او اياكم لعلى هدى او
في ضلال مبين ولا شك في ان عدم الوصول معتبر في مفهوم الضلال فيعتبر الوصول في مفهوم مقابله
ومن ضرورة اعتباره فيه اعتباره في مفهوم الهدى المتعدى اذ لا فرق بينهما الا من حيث التاثير والتاثر
ومحصله ان الهدى المتعدى هو التوجيه الموصل لان اللازم هو التوجه الموصل بدليل ان مقابله الذى
هو الضلال توجه غير موصل قطعا وهذا كما ترى مبنى على امرين اعتبار الوصول وجوبا في مفهوم اللازم
واعتبار وجود اللازم وجوبا في مفهوم المتعدى وكلا الامرين بمعزل من الثبوت اما الاول فلان مدار
التقابل بين الهدى والضلال ليس هو الوصول وعدمه على الاطلاق بل هما معتبران في مفهوميهما على وجه
مخصوص به يتحقق التقابل بينهما وتوضيحه ان الهدى لابد فيه من اعتبار توجه عن علم الى ما من شانه
الايصال الى البغية كما ان الضلال لابد فيه من اعتبار الجور عن القصد الى ما ليس من شانه الايصال
قطعا وهذه المرتبة من الاعتبار مسلمة بين الفريقين ومحققة للتقابل بينهما وانما النزاع في ان امكان
الوصول الى البغية هل هو كاف في تحصيل مفهوم الهدى او لابد فيه من خروج الوصول الى القوة الى
الفعل كما ان عدم الوصول بالفعل في مفهوم الهدى واعتباره مقارنا له في الوجود زمانا كحسب اعتبار
عدمه في مفهوم مقابله فذلك بين البطلان لان الوصول غاية التوجيه المذكور وفيئته به قطعا لاستحالة
التوجه الى تحصيل الحاصل وما ينبغى بعد ذلك فهو ما توجه الى الثبات عليه واما توجه الى زيادته
لانه التوجه الى المقصد تدريجى اليه فمتى نيل يستحيل اجتماعهما في الوجود ضرورة واما عدم الوصول
فحيث كان امرا مستمرا مثل ما يقتضيه من الضلال وجب مقارنته له في جميع ازمنة وجوده اذ لو فارقه
في ان من ازمنة تلك الازمنة لقارنه في ذلك لان مقابله الذى هو الوصول لما فرضناه ضلالا لا يكون ضلالا
وان اريد اعتباره من حيث انه غاية له واجبة الترتيب عليه لزم ان يكون التوجه المقارن لغاية الجد في
السلوك الى ما من شانه الوصول عند تخلفه عنه لمانع خارجى كاخترام المنية مثلا من غير تقصير ولا جور من
قبل المتوجه ولا خلل من جهة المسلك ضلالا اذ لا واسطة بينهما مع انه لا جور فيه عن القصد اصلا فبطل
اعتبار وجوب الوصول في مفهوم اللازم قطعا وتبين منه عدم اعتباره في مفهوم المتعدى حتما واما اعتبار
وجود اللازم فيه وجوبا وهو الامر الثانى فبيانه مبنى على تمهيد اصل وهو ان فعل الفاعل حقيقة هو الذى
يصدر عنه ويتم من قبله لكن لما لم يكن له في تحققه في نفسه بد من تعلقه بمفعوله اعتبر ذلك في مدلول
اسمه قطعا ثم لما كان له باعتبار كيفية صدوره عن فاعله وكيفية تعلقه بمفعوله وغير ذلك اثار
شتى مرتبة عليه متمايزة في انفسها مستقلة باحكام مقتضية لافرادها باسماء خاصة وعرض له بالقياس
الى كل اثر من تلك الاثار اضافة خاصة ممتازة عما عداها من الاضافات العارضة له بالقياس الى سائرها
وكان تلك الاثار تابعة له في التحقق غير منفكة عنه اصلا اذ لا موثر لها سوى فاعله عدت من متمماته
واعتبرت الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله له كالاعتماد المتعلق بالجسم مثلا وضع له باعتبار
الاضافة العارضة له من انكسار ذلك الجسم الذى هو اثر خاص لذلك الاعتماد الاسم الكسر وباعتبار
الاضافة العارضة له من انقطاعه الذى هو اثر اخر له اسم القطع الى غير ذلك من الاضافات العارضة
له بالقياس الى اثاره الملازمة وهذا امر مطرد في اثاره الطبيعية فاما الاثار التى له مدخل في وجودها في
الجملة من غير ايجاب لها ترتب عليه تارة وتفارقه اخرى بحسب وجود اسبابها الموجبة لها وعدمها

كالاثار

كالاثار والاختيارية الصادرة عن موثرها بواسطة كونه داعيا الى الله فحيث كانت تلك الاثار
مستقلة في انفسها مستندة الى موثر اخر مغاير لازمة له لزوم الاثار الطبيعية التابعة له لم تعد من متمماته ولم
تعتبر الاضافة العارضة له بحسبها داخلة في مدلوله كالاضافة العارضة للدعوة بحسب اجابة المدعو فان
الامتثال والاجابة وان عدا من اثار الامر والدعوى باعتبار ترتبهما عليهما غالبا لكنهما لما كانا فعلين اختياريين
للمامور والمدعو بل جعلا عبارة عن نفس الطلب المتعلق بالمامور والمدعو سوا وجد الامتثال والاجابة
اولا اذا تمهد هذا فنقول لما ان الامتثال والاجابة فعلان مستقلان في انفسهما صادران عن المامور والمدعو
باختيارهما غير لازمين للامر والدعوة لزوم الاثار الطبيعية التابعة للافعال الموجبة لها وان كانا مترتبين
عليهما في الجملة لذلك هدى المهدى اى توجهه الى ما ذكر من الاثار الطبيعية وان كان مترتبا عليها في الجملة فلما
لم يعدا من متممات الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة لها بحسبهما داخلة في مدلولهما على انه لم يعد الهدى من
متممات الهداية ولم يعتبر الاضافة العارضة بحسبه داخلة في مدلولها ان قيل ليس الهدى بالنسبة الى الهداية
كالامتثال والاجابة بالقياس الى اصليهما فان تعلق الامر والدعوة لا يقتضى الا اتصافهما بكونهما مامورا ومدعوا
وليس من ضرورته اتصافها بالامتثال والاجابة اذ لا تلازم بينهما وبين الاولين اصلا [illegible] الهدى بالنسبة الى
الهداية فان تعلقها بالمهدى يقتضى اتصافه به لان تعلق الفعل المتعدى المبنى للفاعل بمفعوله يدل على اتصافه
بمصدره الماخوذ من المبنى للمفعول قطعا وهو مستلزم لاتصافه بمصدر الفعل اللازم وهل هو الا اعتبار
اللازم في مدلول المتعدى حتما قلنا كما ان تعلق الامر والدعوة بالمامور والمدعو لا يستدعى الا اتصافهما بما
ذكر من غير تعرض للامتثال والاجابة ايجابا وسلبا كذلك تعلق الهداية التى هى عبارة عن الدلالة المذكورة
بالمهدى لا يستدعى الا اتصافه بالمدلولية التى هى عبارة عن المصدر الماخوذ من المبنى للمفعول من غير تعرض
لقبوله لتلك الدلالة كما هو المعنى الهدى اللازم ولا لعدم قبوله بل الهداية عين الدعوة الى طريق الحق والاهتداء
عين الاجابة فكيف يوخذ في مدلولها واستلزام الاتصاف بمصدر الفعل المتعدى المبنى للمفعول والاتصاف
بمصدر الفعل المتعدى المبنى للمفعول للاتصاف بمصدر الفعل اللازم مطلقا انما هو في الافعال الطبيعية
كالمكسورية والانكسار والمقطوعية والانقطاع واما الافعال الاختيارية فليست كذلك كما تحقيقه فيما
سلف قيل التعلم من قبيل الافعال الاختيارية مع انه معتبر في مدلول التعليم قطعا فليكن الهدى مع الهداية
كذلك قلنا ليس ذلك لكونه فعلا اختياريا على الاطلاق ولا لكون التعليم عبارة عن القاء المبادى العلمية
على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئا فاشياء على ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا عن تحصيل العلم للمتعلم
كما قيل فان المعلم ليس بمستقل في ذلك فلى اسناده اليه ضربا من التجوز بل لان كلا منهما مفتقر في تحققه تحققه
الى الاخر فان التعليم العبارة عن القاء المبادى العلمية على المتعلم وسوقها الى ذهنه شيئا فشيئا على
ترتيب يقتضيه الحال بحيث لا يتاتى اليه بعض منها الا بعد تلقيه لبعض اخر فكل منهما متمم للاخر حتى
في مدلوله واما الهدى الذى هو عبارة عن التوجيه المذكور ففعل اختيارى يستقل به فاعله لا دخل
للهداية فيه سوى كونها داعية الى ايجاده باختياره ولكن من متمماته ولا معتبر في مدلولها ان قيل التعلم
نوع من انواع الهداية والتعلم نوع من انواع الاهتداء فيكون عبارة في مدلول التعلم اعتبار للهدى في
مدلول الهداية قلنا اطلاق الهداية على التعليم انما هو عند وضوح المسلك واستعداد المتعلم لسلوكه من
غير خلل من المتعلم فيه سوى كونه داعيا اليه وقد عرفت جلية الامر في ذلك التقدير ان قيل اليس
تخلف الهدى عن الهداية كتخلف التعلم عن التعليم فحيث لم يكن ذلك تعليما في الحقيقة فليكن الهداية ايضا
كذلك ولهذا لم يسمه ما لم يستتبع الهدى باهلى التجويز قلنا شتان بين التخلفين فان تخلف التعلم عن التعليم
يكون لقصور فيه كان تخلف الانكسار عن الضرب الضعيف لذلك واما تخلف الهدى عن الهداية فليس
لنا باية قصور من جهتها بل انما هو لفقد سببه الموجب له من جهة الهدى وبعد تكامل ما يتم من قبل
الهادى وهذا التحرير منهج طريق الهداية وتبين [illegible]
المنعه بتعريف معالمه وتبيين شواكله من غيرها ان يشترط في مدلولها الوصول ولا القبول وان الدلالة
المقارنة لهما والاحتجاج والمفارقة مهما كل ذلك
لهما وان ما في قوله تعالى انك لا تهدى من احببت وقوله تعالى ولو شاء لهداكم
الوصول من قبيل الهدى
الشئ بعينه الوارد
حقيقة داعية من عند الله سبحانه
للمتقين اى المتصفين بالتقوى
بالاثر وان كان ذلك شاملا لكل ناظر

فاعل من باب الافتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة والتقوى في عرف الشرع عبارة عن كمال التوقي عما يضره
في الاخرة قال عليه السلام جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية وعن عمر بن
عبد العزيز انه ترك ما حرم الله واداء ما فرض الله وعن شهر بن حوشب المتقي من يترك ما لا باس به حذرا من
الوقوع بما فيه باس وعن ابي يزيد ان التقوى هو التورع عن كل ما فيه شبهة وعن محمد بن حنيف انه مجانبة
كل ما يبعدك عن الله تعالى وعن سهل المتقي من تبرا عن حوله وقوته وقيل التقوى ان لا يراك الله حيث نهاك
ولا يفقدك حيث امرك وعن ميمون بن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون اشد محاسبة لنفسه من الشريك
الشحيح والسلطان الجائر وعن ابي تراب بين يدي التقوى خمس عقبات لا ينالها من لا يجاوزهن ايثار الشدة
على النعمة • وايثار الضعف على القوة • وايثار الذل على العزة • وايثار الجهد على الراحة • وايثار الموت على الحياة
وعن بعض الحكماء انه قال لا يبلغ الرجل سنام التقوى الى ان يكون بحيث لو جعل ما في قلبه في طبق به في السوق
لم يستحي ممن نظر اليه وقيل التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين علانيتك للخلق والتحقيق ان التقوى ثلث
مراتب الاولى التوقي عن العذاب المخلد بالتبري عن الكفر وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية
التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعني
بقوله والوان القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عن كل ما يشغل سره عن الحق عز وجل ويتبتل اليه
بكليته وهو التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته ولهذه المرتبة
عرض عريض يتفاوت فيه طبقات اصحابها حسب تفاوت درجات استعدادهم الفائضة عليهم بموجب المشية
الالهية المبنية عن حكم الابية اقصاها ما انتهى اليه هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام حيث جمعوا بذلك بين
رياستي النبوة والولاية وما عاقهم التعلق بعالم الاشباح • عن العروج الى معالم الارواح • ولم يصدهم
الملابسة بمصالح الخلق • عن الاستغراق في شؤون الحق • لكمال استعداد نفوسهم الزكية • المؤيدة بالقوة القدسية
وهداية الكتاب المبين شاملة لارباب هذه المراتب اجمعين فان اريد بكونه هدى للمتقين ارشاده اياهم
الى تحصيل المرتبة الاولى ونيلها والمراد بهم المشارفون التقوى مجازا لاستحالة تحصيل الحاصل وايثاره عن
العبارة المعاربة عن ذلك الايجاز وتصدير السورة الكريمة بذكر اوليائه تعالى وتفخيم شانه وان اريد به
ارشاده الى تحصيل احدى المرتبتين الاخريين فان عني بالمتقين اصحاب الطبقة الاولى تعينت الحقيقة وان
عني بهم الحال فيما بين المرتبة الثانية والثالثة تعين المجاز لان الوصول اليهما انما يتحقق بهدايته المترقبة
وكذا ان اريد بكونه هدى لهم تثبيتهم على ما هم عليه وارشادهم الى الزيادة فيه على ان يكون مفهوما داخلا
في المعنى المستعمل فيه فهو مجاز لا محالة ولفظ المتقين حقيقة على كل حال واللام متعلقة بهدى او بمحذوف وقع
صفة له او حالا منه ومحل هدى الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف او هدى او خبر مع لا ريب فيه ولذلك
الكتاب او خبر مبتدا خبره الظرف المقدم كما اشير اليه والنصب على الحالية من ذلك او من الكتاب والعامل
معنى كانه قيل لم يحصل فيه الريب حال كونه هاديا على انه قيد للنفي لا للمنفي وحاصله انتفى الريب فيه حال
كونه هاديا وتنكيره للتفخيم وحمله على الكتاب اما للمبالغة كانه نفس الهدى او لجعل المصدر بمعنى الفاعل
هذا والذي يستدعيه جزالة التنزيل في شان ترتيب هذه الجملة ان تكون متناسقة تقرر اللاحقة منها السابقة
ولذلك لم يتخلل بينهما عاطف فالم جملة براسها على انها خبر لمبتدا • وعصبة طائفة من حروف المعجم مستقلة
بنفسها دالة على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يؤلفون منه كلامهم وذلك الكتاب جملة ثانية شك
ودالة على تكميله بعد كماله او يستتبع السابقة منها اللاحقه استتباع الدليل المدلول فانه لما نبه اولا على
اعجاز المتحدي من حيث انه من جنس كلامهم وقد عجزوا عن معارضته بالمرة ظهر انه الكتاب البالغ
اقصى مراتب الكمال وذلك مستلزم لكونه في غاية النزاهة عن مظنة الريب اذ لا انقص مما يعتريه
الشك ما كان لذلك كان لا محالة هدى للمتقين وفي كل منها من النكت الرائقة والمزايا الفائقة ما لا
يخفى جلالة شانه حسبما تحقيقه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين ومحله الجر على انه صفة
مقيدة له ان فسر التقوى بترك المعاصي فقط مترتبة عليه ترتب التحلية وموضحة ان فسر بما هو
المتعارف شرعا والمتبادر عرفا من فعل الطاعات وترك السيئات معا لانها حينئذ تكون تفصيلا لما انطوى
عليه اسم الموصوف اجمالا وذلك لانها مشتملة على ما هو عماد الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة
والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر القرب
الداعية الى التجنب عن المعاصي غالبا الا يرى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله عليه السلام
الصلاة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام او مادحة للموصوفين بالتقوى المفسر بما مر من فعل الطاعة
وترك السيئات وتخصيص ما ذكر من الخصال الثلث بالذكر لاظهار شرفها وانافتها على سائر ما انطوى
تحت اسم التقوى من الحسنات او النصب على المدح بتقدير اعني او الرفع عليه بتقدير هم واما مفصول عنه

مرفوع

مرفوع بالابتداء خبره الجملة المصدرة باسم الاشارة كما سياتي بيانه فالوقف على المتقين حينئذ وقف تام لانه
وقف على مستقل ما بعده ايضا مستقل واما على الوجوه الاول فحسن لاستقلال الموقوف عليه غير تام لتعلق
ما بعده به وتبعيته له اما الاعلى تقدير الجر على الوصفية فظاهر واما على التقدير النصب والرفع على المدح
فلما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما قبلهما صورة حيث لم يتبعاه في الاعراب
وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا يرى كيف التزم حذف الفعل والمبتدا في النصب والرفع واما
لتصوير كل منهما بصورة متعلق من متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما قال ابو علي اذا ذكرت صفات
للمدح وخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان اي للتفنن الموجب لايقاظ السامع وتحريكه الى الجد
في الاصغاء فان تغيير الكلام المسوق لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبئ عن اهتمام جديد بشانه
من المتكلم ويستجلب مزيد رغبة فيه من المخاطب اذ قيل لا ريب في ان خال الموصوف عند كونه خبر المبتدا
محذوف كحاله عند كونه مبتدا خبره اولئك على هدى في انه يستتبع جملة اصلية اسمية مفيدة لاتصاف
المتقين بالصفات الفاضلة ضرورة ان كلا من الضمير المحذوف والموصول عبارة عن المتقين فان كلا من
اتصافهم بالايمان وفروعه واحرازهم الهدى والفلاح من النعوت الجليلة في الشق فانه جعل ذلك في
الصورة الاولى من توابع المتقين وعد الوقف غير تام وفي الثانية مقتطعا عنه وعد الوقف تاما قلنا
السر في ذلك ان المبتدا في الصورتين وان كان عبارة عن المتقين لكن الخبر في الاولى لما كان تفصيلا لما تضمنه
المبتدا اجمالا حسبما تحقيقه معلوم الثبوت له بلا اشتباه غير مفيد للسامع سوى فائدة التفصيل
والتوضيح نظم ذلك في سلك الصفات مراعاة لجانب المعنى وان سمي قطعا مراعاة لجانب اللفظ كيف
لا وقد اشتهر في القران الخبر اذا كان معلوم الانتساب الى الموصوف حقه ان يكون خبرا له حتى قالوا ان
الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات واما الخبر في الثانية فحيث لم يكن لذلك
بل كان مشتملا على ما ينبئ عنه المبتدا من المعاني اللائقة كما ستحيط به خبرا مفيدا للمخاطب فوائد رائقة
جعل ذلك مقتطعا عما قبله محافظة على الصورة والمعنى جميعا والايمان افعال من الامن المتعدي الى
واحد يقال امنته وبالنقل تعدى الى اثنين يقال امنته غيري ثم استعمل في التصديق لان المصدق يؤمن
المصدق اي يجعله امينا من التكذيب والمخالفة واستعماله بالباء لتضمينه معنى الاعتراف وقد يطلق
على الوثوق فان الواثق يصير ذا امن وطمانينة ومنه ما حكي عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي
ما صرت ذا امن وسكون وهو في الشرع لا يتحقق بدون التصديق بما علم ضرورة انه من دين نبينا
صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها وهل هو كاف في ذلك او لا بد من الاقرار
اليه للمتمكن منه والاول راي الشيخ الاشعري ومن شايعه فان الاقرار عنده منشا لاجراء الاحكام
والثاني مذهب ابي حنيفة ومن تابعه وهو الحق فانه جعلهما جزئين له خلا ان الاقرار ركن محتمل السقوط
بعذر كما عند الاكراه وهو مجموع ثلاثة امور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بموجبه عند جمهور المحدثين
والمعتزلة والخوارج فمن اخل بالاعتقاد وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فهو كافر ومن اخل بالعمل
فهو فاسق اتفاقا وكافر عند الخوارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وقرئ يؤمنون بغير همز
والغيب اما مصدر وصف به الغائب مبالغة كالشهادة في قوله تعالى عالم الغيب والشهادة او فيعل
خفف كقيل في قيل وهين في هين وميت في ميت لكن لم يستعمل فيه الاصل كما استعمل في نظائره واياما كان
فهو ما غاب عن الحس والعقل الغيبة كاملة بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة وهو
قسمان لا دليل عليه وهو الذي اريد بقوله سبحانه وتعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وقسم
نصب عليه دليل كالصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها من الشرائع والاحكام واليوم الاخر واحواله
من البعث والنشور والحساب والجزاء وهو المراد ههنا فالباء صلة للايمان واما لتضمنه معنى الاعتراف
او بجعله مجازا من الوثوق وهو واقع موقع المفعول به واما مصدر على حاله كالغيبة فالباء متعلقة بمحذوف
وقع حالا من الفاعل كما في قوله تعالى ليعلم اني لم اخنه بالغيب اي يؤمنون ملتبسين بالغيبة اما عن
المؤمن به او غائبين عن المؤمنين كالمنافقين الذين اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الى شياطينهم
قالوا انا معكم والمراد بالغيب القلب لانه مستور والمعنى يؤمنون بقلوبهم كالذين يقولون بافواههم
ما ليس في قلوبهم فالباء للالة وترك ذكر المؤمن به على التقادير الثلاثة اما للقصد على احداث نفس
الفعل كما في قولهم فلان يعطي ويمنع اي يفعلون الايمان واما للاكتفاء بما سيجيء فان الكتب الالهية ناطقة
بتفاصيل ما يجب الايمان به ويقيمون الصلوة اقامتها عبارة عن تعديل اركانها وحفظها من ان يقع في
شيء من فرائضها واركانها من اقام العود اذا قومه وعدله وقيل عن المواظبة عليها ماخذ من
قامت السوق اذا نفقت واقمتها اذا جعلتها نافقة فانها اذا حوفظ عليها كانت كالنافق الذي يرغب فيه

وقيل عن التشمر لادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجتهد وقيل عن
ادائها من غير فتور ولا توان من قولهم قام بالامر واقامه اذا جد فيه واجهد وقيل عن ادائها عبر عنه
بالاقامة لاشتمالها على القيام كما عبر عنه بالقنوت الذي هو القيام وبالركوع والتسبيح والسجود والاول
هو الاظهر لانه اشهر والى الحقيقة اقرب والصلاة فعلة من صلى اذا دعا كالزكوة من زكى وانما كتبتا بالواو
مراعاة للفظ المفخم وانما سمى الفعل المخصوص بها لاشتماله على الدعاء وقيل اصل حرك الصلوين وهما
العظمان الناتئان في اعلى الفخذين لان المصلي يفعله في ركوعه وسجوده واشتهار اللفظ في المعنى الثاني
دون الاول لايقدح في نقله عنه وانما سمى الداعي مصليا تشبيها له في تخشعه بالراكع والساجد ومما
رزقناهم ينفقون الرزق في اللغة العطا ويطلق على الحظ المعطى نحو ذبح ورعى وقيل هو بالفتح مصدر
وبالكسر اسم وفي العرف ما ينتفع به الحيوان والمعتزلة لما احالوا تمكين الله تعالى من الحرام لانه منع من
الانتفاع به وامر بالزجر عنه قالوا الرزق لايتناول الحرام الا يرى انه تعالى اسند الرزق الى ذاته ايذانا
بانهم ينفقون من الحلال الصرف فان انفاق الحرام بمعزل من ايجاب المدح وذم المشركين على تحريم بعض
ما رزقهم الله تعالى بقوله قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حلالا وحراما واصحابنا جعلوا
الاسناد المذكور للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم لتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقناهم بالحلال
للقرينة وتمسكوا بشمول الرزق لهما بما روى عنه عليه السلام في حديث عمرو بن قرة حين اتاه فقال
يا رسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا ارى ارزق الا من دفي بكفي فاذن لي في الغنا من غير فاحشة من
انه قال صلى الله عليه وسلم لا اذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت اى عدو الله والله لقد رزقك الله حلالا
طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله وبانه لو لم يكن الحرام رزقا لم يكن
المتغذي به طول عمره مرزوقا وقد قال الله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والانفاق
والانفاد اخوان خلا ان في الثاني معنى الاذهاب بالكلية دون الاول والمراد بهذا الانفاق الصرف
الى سبيل الخير فرضا كان او نفلا ومن فسره بالزكوة ذكر افضل انواعه والاصل وخصوصه بها لاقترانه بما هو
شقيقها والجملة معطوفة على ما قبلها من الصلوة وتقديم المفعول للاهتمام والمحافظة على رؤس الاى
وادخال من التبعيضية عليه للكف عن التبذير وقد يجوز ان يراد به الانفاق من جميع المعادن التي منحهم الله
تعالى من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده قوله عليه السلام علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه واليه
ذهب من قال ومما خصصناهم من انوار المعرفة يفيضون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك
معطوف على الموصول الاول على تقدير وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث
الصورة والمعنى معا او من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد بالاولين الذين امنوا
بعد الشك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالاخرين الذين امنوا
بالقران بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه او على المتقين على ان يراد بهم الاولين
خاصة ويكون تخصيصهم بوصف الاتقا للايذان بتنزيههم عنها لتم لما كان فيها من كمال القباحة والتباينة
للشرائع كلها الموجبة للاتقاء عنها بخلاف الاخرين فانهم غير تاركين لما كانوا عليه بالمرة بل متمسكون باصول
الشرائع التي لاتكاد تختلف باختلاف الاعصار ويجوز ان يكون يجعل كلا الموصولين عبارة عن الكل مندرجا
تحت المتقين ولا يكون توسيط العاطف بينهما لاختلاف الذوات بل اختلاف الصفات كما في قوله •
الى الملك القوام وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم • وقوله • يا لهف زيابة للحارث الصابح
فالغانم فالايب • للايذان بان كل واحد من الايمان بما اشير اليه من الامور الغائبة والايمان بما يشهد
بثبوتها من الكتب السماوية نعت جليل على حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف
مستقل ولا يجعل احدهما تتمة للاخر وقد شفع الاول باداء الصلاة والتصدق اللتين هما من جملة الشرايع
المندرجة تحت تلك الامور المؤمن بها تكملة له فان كمال العلم بالعمل وقرن الثاني بالايقان بالاخرة مع كونه
منطويا تحت الاول تنبيها على كمال صحته وتعريضا بما في اعتقاد اهل الكتابين من الخلل كما سياتي هذا على تقدير تعلق
البا بالايمان وقس عليه الحال عند تعلقها بالمحذوف فان كلا من الايمان الغيبي المشفوع بما يصدقه من العبادتين
مع قطع النظر عن المؤمن به والايمان بالكتب المنزلة الشارحة لتفاصيل الامور التي يجب الايمان بها مقرونا
بما قرن به فضيلة باهرة مستدعية لما ذكر والله تعالى اعلم وقد حمل ذلك على معنى انهم الجامعون بين الايمان
بما يدركه العقل جملة والايمان بما يصدقه من العبادات البدنية والمالية وبين الايمان بما لا طريق اليه غير
السمع وتكرير الموصول للتنبيه على تغاير القبيلتين وتباين السبيلين فليتامل وان يراد بالموصول الثاني بعد
اندراج الكل في الاول فريق خاص منهم وهم مؤمنوا اهل الكتاب بان يخصوا بالذكر تخصيص جبرائيل وميكايل
اثر جريان ذكر الملائكة عليهم السلام تعظيما لشانهم وترغيبا لامثالهم واقرانهم في تحصيل ما لهم من الكمال

والانزال

والانزال النقل من الاعلى الى الاسفل وتعلقه بالمعاني انما هو بتوسط تعلقه بالاعيان المستتبعة لها فنزول
ما عدا المصحف من الكتب الالهية الى الرسل عليهم السلام والله تعالى اعلم بان يتلقاها الملك من جنابه عز وجل
تلقيا روحانيا او يحفظها من اللوح المحفوظ فينزل بها الى الرسل فيلقيها عليهم عليهم السلام والمراد بما انزل
اليك هو القران باسره والشريعة عن اخرها والتعبير عن انزاله بالماضي مع كون بعضه مترقبا لتغليب
المحقق على المقدار والتنزيل ما في شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع كما في قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من
قبلك التورية والانجيل وسائر الكتب السالفة وعدم التعرض لذكر من انزل عليه من الانبيا عليهم السلام
لقصد الايجاز مع عدم تعلق الغرض بالتفصيل حسب تعلقه به في قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا
وما انزل الى ابراهيم واسمعيل الاية والايمان بالكل جملة فرض وبالقران تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله
فرض كفاية فان في وجوبه على الكل حرجا بينا واخلالا بامر المعاش وبناء الفعلين للمفعول للايذان بتعيين
الفاعل والجري على سنن الكبريا وقرئا على البنا للفاعل وبالاخرة هم يوقنون الايقان اتقان العلم بالبغي
بنفي الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اى يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان اهل الكتاب من الشكوك
والاوهام التي من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما
معدودات واختلافهم في ان نعيم الجنة هل هو من قبيل نعم الدنيا اولا وهل هو دائم اولا وفي تقديم الصلة وبنا
يوقنون على الضمير التعريض بمن عداهم من اهل الكتاب فان اعتقادهم في امور الاخرة بمعزل من الصحة فضلا عن
الوصول مرتبة اليقين والاخرة تانيث الاخر كما ان الدنيا تانيث الادنى غلبتا على الدارين فجريا مجرى الاسما وقرئ
بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ يؤقنون بقلب الواو همزة اجراء لضمها قبلها في وجوه ووقتت
في نظير ما في قوله • لحب المؤقدان الى مؤسى • وجعدة اذا اضاءهما الوقود • اولئك اشارة الى الذين
حكيت خصالهم الحميدة من حيث اتصافهم بها وفيه دلالة على انهم متميزون بذلك اكمل تميز منتظمون بسببه
في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدأ
وقوله عز وعلا على هدى خبره وما فيه من الابهام المفهوم من التنكير لكمال تفخيمه كانه قيل على اى هدى
هدى لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره وايراد كلمة الاستعلا بناء على تمثيل حالهم في ملابستهم بالهدى بحال من
يعتلي الشئ ويستولي عليه بحيث يتصرف فيه كيف ما يريد او على استعارتها لتمسكهم بالهدى استعارة تبعية
متفرعة على تشبيهه باعتلاء الراكب واستوائه على مركوبه او على جعلها قرينة للاستعارة بالكناية بين الهدى
والمركوب للايذان بقوة تمكنهم منه وكمال رسوخهم فيه وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع صفة
مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية مؤكدة لها اى على هدى كائن من عنده تعالى وهو
شامل لجميع انواع هدايته سبحانه وتعالى وفنون توفيقه والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم
لغاية تفخيم الموصوف والمضاف اليهم وتشريفهما ولزيادة تحقيق مضمون الجملة وتقريره ببيان ما يوجبه
ويقتضيه وقد ادغمت النون في الراء بغنة وبغير غنة والجملة على تقدير كون الموصولين موصولين بالمتقين
مستقلة لا محل لها من الاعراب المقررة لمضمون قوله تعالى هدى للمتقين مع زيادة تاكيد له وتحقيق كيف
لا وكون الكتاب هدى لهم فن من فنون ما منحوه واستقروا عليه من الهدى حسبما تحقيقه لاسيما مع ملاحظة
ما يستتبعه من الفوز والفلاح وقيل واقعة مواقع الجواب عن سؤال ربما ينشا مما سبق كانه قيل ما
للموصوفين بما ذكر من النعوت اختصوا بهداية ذلك الكتاب العظيم الشان وهل هم احقاء بتلك الاثرة
فاجيب بانهم بسبب اتصافهم بذلك الكون لزمام اصل الهدى الجامع لفنونه المستتبع للفوز والفلاح فلا
ريب في استحقاقهم قبل لما فرع من فروعه ولقد حاد عن سنن الصواب من قال في التقرير الجواب ان اولئك
الموصوفين غير مستبعدان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح اجلا واما على تقدير كونهما مفصولين
عنه فهي في محل الرفع على انها خبر للمبتداء الذي هو الموصول الاول والثاني معطوف عليه وهذه الجملة
استئناف وقع جوابا عن سؤال اينساق اليه الذهن من تخصيص ما ذكر بالمتقين قبل بيان مبادي استحقاقهم
لذلك كانه قيل ما بال المتقين مخصوصين به فاجيب بشرح ما انطوى عليه اسمهم اجمالا من نعوت الكمال
وبيان ما يستدعيه من النتيجة اى الذين هذه شؤونهم احقاء بما هو اعظم من ذلك كقولك احب الانصار الذين
قد غزوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلوا مهجتهم في سبيل الله اولئك سودى عيني وسويدا قلبي
واعلم ان هذا المسلك يسلك تارة باعادة صفة كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك
ولا ريب في ان هذا ابلغ من الاول لما فيه من الاشعار وبكمال تميزهم بها وانتظامه بسبب ذلك في سلك
الامور المشاهدة والايماء الى بعد منزلته كما مر هذا وقد جوز ان يكون الموصول مجرى على المتقين حسبما
فصل والثاني مبتدا واولئك الى اخره خبره ويجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا بغير المؤمنين
من اهل الكتاب حيث كانوا يزعمون انهم على الهدى ويطمعون في نيل الفلاح واولئك هم المفلحون تذكير

اسم الاشارة لاظهار مزيد العناية بشان المشار اليهم والتنبيه على ان اتصافهم بتلك الصفات يقتضي نيل كل
واحدة من سلك الاثرتين وان كلا منهما كاف في تميزهم بها عمن عداهم ويؤيده توسيط العاطف بين الجملتين
بخلاف ما في قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون فان التسجيل عليهم بكمال الغفلة عبارة
عن الفوز بالمطلوب فلما كان مغنى الهدى نتيجة له وكان كلا منهما في نفسه اعز مرام يتنافس فيه المتنافسون
فعل ما فعل وهو ضمير فصل يفصل الخبر عن الصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه ومبتدا
خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين للدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم هم
المفلحون في الاخرة او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم هذا وفي بيان اختصاص
المتقين بنيل هذه المراتب الفائقة على فنون من الاعتبارات الرائقة حسبما اشير اليه في تضاعيف تفاسير
الاية الكريمة من الترغيب في اقتفاء اثرهم الارشاد الى اقتداء سيرهم ما لا يخفى والله ولي الهداية والتوفيق
ان الذين كفروا كلام مستانف سيق لشرح احوال الكفرة والغواة المردة العتاة اثر بيان احوال اضدادهم
المتصفين بنعوت كمال الفائزين بمباغيهم في الحال والمال وانما ترك العاطف بينهما ولم يسلك به مسلك قوله تعالى
ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم لما بينهما من التنافي في الاسلوب والتباين في الغرض فان الاولى مسوقة لبيان
رفعة شان الكتاب في باب الهداية والارشاد واما التعرض لاحوال المهتدين به فانما هو بطريق الاستطراد سواء جعل
الموصول موصولا بما قبله او مفصولا عنه فان الاستئناف مبني على سؤال نشا من الكلام المتقدم فهو من
مستتبعاته لا محالة واما الثانية فمسوقة لبيان احوال الكفرة اصالة وترامي امرهم في الغواية والضلال الى
حيث لا يجديهم الانذار والتبشير ولا يؤثر فيهم العظة والتذكير فهم ناكبون في تيه الغي والفساد عن منهاج
العقول وراكبون في مسلك المكابرة والعناد متن كل صعب وذلول وانما اوثرت هذه الطريقة ولم يؤسس
الكلام على بيان ان الكتاب هاديا للاولين وغير مجد للاخرين لان العنوان الاخير ليس مما يورثه كمالا حتى
يتعرض له في اثناء تعداد كمالاته وان من الحروف التي شابهت الفعل في عدد الحروف والبناء على الفتح ولزوم
الاسماء ودخول الوقاية عليها كانني ولعلني ونظائرهما واعطا معانيه والمتعدي خاصة في الدخول على
اسمين ولذلك اعملت عمله الفرعي وهو نصب الاول ورفع الثاني ايذانا بكونه فرعيا في العمل دخلا فيه وعند
الكوفيين لا عمل له في الخبر بل هو باق على حاله بقضية الاستصحاب واجيب بان ارتفاع الخبر مشروط بالتجرد عن
العوامل والا لما انتصب خبر كان وقد زال بدخولهما فتعين اعمال الحرف واثرها تاكيد النسبة وتحقيقها
ولذلك يتلقى بها القسم ويصدر بها الاجوبة ويؤتى بها في مواقع الشك والانكار لدفعه ورده قال
المبرد قولك عبد الله قائم اخبار عن قيامه وان عبد الله قائم جواب سائل عن قيامه شان فيه وان عبد الله لقائم جواب
منكر لقيامه وتعريف الموصول اما للعهد والمراد به ناس باعيانهم كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة
واضرابهم واحبار اليهود او للجنس وقد خص منه غير المصرين بما اسند اليه من قوله تعالى سواء عليهم الى اخره
والكفر في اللغة ستر النعمة واصله الكفر بالفتح اي الستر ومنه قيل للزارع والليل كافر قال تعالى كمثل غيث
اعجب الكفار نباته وعليه قول لبيد • في ليلة كفر النجوم غمامها • ومنه المتكفر بسلاحه وهو الشاكي الذي
غطى السلاح بدنه وفي الشريعة انكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول عليه السلام به وانما عد لبس الغيار
وشد الزنار بغير اضطرار ونظائرهما كفرا لانها تدل على التكذيب فان من صدق النبي صلى الله عليه وسلم
لا يكاد يجترئ على امثال ذلك اذ لا داعي اليه كالزنى وشرب الخمر واحتجت المعتزلة على حدوث القران
بما جاء فيه بلفظ الماضي على وجه الاخبار فانه يستدعي سابقة المخبر عنه لا محالة واجيب بانه من مقتضيات
التعلق وحدوثه لا يستدعي حدوث الكلام كما ان حدوث تعلق العلم بالمعلوم لا يستدعي حدوث العلم
سواء هو اسم بمعنى الاستواء نعت به كما ينعت بالمصادر مبالغة قال تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم وقوله تعالى عليهم متعلق به ومعناه عندهم وارتفاعه على انه خبر لان وقوله تعالى ءانذرتهم ام لم
تنذرهم مرتفع به على الفاعلية لان الهمزة وام مجردتان عن معنى الاستفهام لتحقيق الاستواء بين مدخوليهما
كما جرد الامر والنهي لذلك عن معنييهما في قوله عز وجل استغفر لهم او لا تستغفر لهم وحروف النداء في
قولك اللهم اغفر لنا ايتها العصابة عن معنى الطلب لمجرد التخصيص كانه قيل ان الذين كفروا مستو
عليهم انذارك وعدمه كقولك ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او مبتدا وسواء عليهم خبر قدم عليه
اعتناء بشانه والجملة خبر لان والفعل انما يمتنع الاخبار عنه عند بقائه على حقيقته اما لو اريد به اللفظ
او مطلق الحدث المدلول عليه ضمنا على طريقة الاتساع فهو اسم في الاضافة والاسناد اليه كما في قوله
تعالى هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقوله تعالى واذا قيل لهم لا تفسدوا وفي قولهم تسمع بالمعيدي خير
من ان تراه كانه قيل انذارك وعدمه سيان عليهم والعدول الى الفعل لما فيه من ايهام التجدد والتوسل
الى ادخال الهمزة ومعادلها عليه لافادة تقرير معنى الاستواء وتاكيده كما اشير اليه وقيل سواء مبتدا وما

بعده

بعده خبره وليس بذاك لان مقتضى المقام بيان كون الانذار وعدمه سواء لا بيان كون المستوي الانذار
وعدمه والانذار اعلام المخوف للاحتراز عنه افعال من نذر بالشيء اذا علمه فحذره والمراد هاهنا
التخويف من عذاب الله وعقابه على المعاصي والاقتصار عليه لما انهم ليسوا باهل البشارة اصلا ولان
الانذار اوقع في القلوب واشد تاثيرا في النفوس فان دفع المضار اهم من جلب المنافع فحيث لم يتاثروا به
فلان لا يرفعوا للبشارة راسا اولى وقرئ بتوسيط الف بين الهمزة مع تحقيقهما وبتوسيطها والثانية
بين بين وبتخفيف الثانية بين بين بلا توسيط وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن
قبله كما قرئ بقلب الثانية الفا وقد نسب ذلك الى اللحن لا يؤمنون جملة مستقلة مؤكدة لما قبلها مبينة لما فيه
من الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة له او بدل او خبر لان وما قبلها اعتراض بما هو علة للحكم او خبر
ثان على راي من يجوزه عند كونه جملة والاية الكريمة مما استدل به على جواز التكليف بما لا يطاق فانه
تعالى قد اخبر عنهم بانهم لا يؤمنون فظهر استحالة ايمانهم لاستلزامه المستحيل الذي هو عدم مطابقة اخباره
تعالى للواقع مع كونهم مامورين بالايمان باقين على التكليف ولان من جملة ما كلفوه الايمان بعدم ايمانهم المستمر
والحق ان التكليف بالممتنع لذاته وان جاز عقلا من حيث ان الاحكام لا تستدعي اغراضا لا سيما الامتثال لكنه غير
واقع للاستقراء والاخبار بوقوع الشيء او بعدمه لا ينفي القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو او العبد
باختياره وليس ما كلفوه الايمان بتفاصيل ما نطق به القران حتى يلزم ان يكلفوا الايمان بعدم ايمانهم المستمر بل
هو الايمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا على ان كون الموصول عبارة عنهم ليس معلوما لهم وفائدة
الانذار بعد العلم بانه لا يفيد الزام الحجة واحراز الرسول عليه السلام فضل الابلاغ ولذلك قيل سواء عليهم
ولم يقل عليك كما قيل لعبدة الاصنام سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وفي الاية الكريمة اخبار بالغيب على ما
هو به ان اريد بالموصول اشخاص باعيانهم فهي من المعجزات الباهرة ختم الله على قلوبهم استئناف تعليل لما سبق من الحكم
وبيان لما يقتضيه او بيان وتاكيد له والمراد بالقلب محل القوة العاقلة من الفؤاد والختم على الشيء الاستيثاق منه
بضرب الخاتم عليه صيانة له او لما فيه من التعرض له كما في البيت الفارغ والكيس المملو والاول هو الانسب بالمقام
اذ ليس المراد به صيانة ما في قلوبهم بل احداث حالة تجعلها بسبب تماديهم في الغي وانهماكهم في التقليد واعراضهم
عن منهاج النظر الصحيح بحيث لا يؤثر فيها الانذار ولا ينفذ فيها الحق اصلا اما على طريق الاستعارة التبعية
بان يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحو ابواب المنازل الخالية المبنية للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلي
هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه وحقه ان يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغة الماضي واما على
طريقة التمثيل بان يشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بها ما فعل من احداث تلك الحالة المانعة من
ان يوصل اليها ما خلقت هي لاجله من الامور الدينية النافعة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة
من محال معدة للحلول ما يحملها خلوا مستعملا لمصالح مهمة وقد منع من الدخول عليها وحيل بينها وبين ما
اعدت لاجله بالكلية ثم يستعار لها ما يدل على الهيئة المشبهة بها فتكون كل طرفي التشبيه مركبا من
امور عدة قد اقتصر من جانب المشبه به على ما عليه يدور الامر في تصوير تلك الهيئة وانتزاعها وهو الختم
والباقي منوي مراد قصد به افادة معنى مخصوصة بها محقق التركيب وتلك الالفاظ وان كان ما دخل في تحقيق
وجه الشبه الذي هو امر عقلي منتزع منها وهو امتناع الانتفاع بما اعد له بسبب مانع قوي لكن ليس في شيء
منها مجاز باعتبار هذا المجاز بل هي باقية على حالها من كونها حقيقة او مجازا او كناية وانما التجوز
في المجموع وحيث لم يكن معنى المجموع بحاني تلك الالفاظ التي ليس فيها تجوز عن المعهود ولكن الهيئة
المنتزعة منها مدلولا وضعيا لها بل كونها مدلولا عليها بالهيئة المشبهة بها عند استعمالها في الهيئة المشبهة مستعملا
ما وضع له فقد اندفع ما بحث الاستعارة التي هي قسم من المجاز اللغوي الذي هو صفة للكلمة المستعملة في غير
الاقسام عند ائمة الفن قدما المحققين كالشيخ عبد القاهر واضرابه الى جعل التمثيل قسيما براسه ومن رام تطبيق
من هيئة اخرى منتزعة من امور اخر من قبيل الاستعارة وسماه استعارة تمثيلية واسناد احداث تلك الحالة
في قلوبهم الى الله تعالى لاستناد جميع الحوادث عندنا من حيث الخلق اليه سبحانه وتعالى وورود الاية الكريمة
ناعية عليهم سوء صنيعهم ووخامة عاقبتهم لكون افعالهم من حيث الكسب مستندة اليهم فان خلقها منه
سبحانه ليس بطريق الجبر بل بطريق الترتيب على ما اقترفوه من القبائح كما يعرب عنه قوله تعالى بل طبع الله عليها
بكفرهم ونحو ذلك واما المعتزلة فقد سلكوا مسلك التاويل وذكروا في ذلك عدة من الاقاويل منها ان القوم
لما اعرضوا عن الحق وتمكن ذلك في قلوبهم حتى صار كالطبيعة لهم شبه بالوصف الخلقي المجبول عليه ومنها ان
المراد به تمثيل قلوبهم بقلوب البهائم التي خلقها الله تعالى خالية عن الفطن او مقلوب قلوبهم ختم الله عليها كما
في سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا طالت غيبته ومنها ان ذلك في الشيطان او الكافر واسناده

الى الله سبحانه وتعالى باعتبار كونه باقداره تعالى وتمكينه ومنها ان اعراقهم لما رسخت في الكفر واستحكمت بحيث
لم يبق الى تحصيل ايمانهم طريق سوى الالجا والقسر ثم لم يفعل ذلك محافظة على حكمة التكليف عبر عن ذلك بالختم لانه
سد لطريق ايمانهم بالكلية وفيه اشعار بتمادي امرهم في الغي والعناد وتناهي انهماكهم في الشر والفساد ومنها ان ذلك
حكاية لما كانت الكفرة يقولونه مثل قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك
حجاب تهكما بهم ومنها ان ذلك في الاخرة وانما اخبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه ويعضده قوله تعالى ونحشرهم يوم
القيمة على وجوههم عميا وبكما ومنها ان المراد بالختم وسم قلوبهم بسمة تعرفها الملائكة فيبغضونهم وينفرون
عنهم وعلى سمعهم عطف على ما قبله داخل في حكم الختم لقوله عز وجل وختم على سمعه وقلبه وللوفاق على
الوقف عليه لا على قلوبهم ولاشتراكهما في الادراك من جميع الجوانب واعادة الجار للتاكيد والاشعار بتغاير
الختمين وتخصيص ختم قلوبهم للايذان بانها الاصل في عدم الايمان وللاشعار بان ختمها ليس بطريق التبعية لختم
سمعهم بناء على انه طريق اليها فالختم عليه ختم عليها بل هي مختومة بختم على حدة لو فرض عدم الختم على سمعهم
فهو باق على حاله حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون
والسمع ادراك القوة السامعة وقد يطلق عليها وعلى العضو الحامل لها وهو المراد هاهنا اذ هو المختوم
عليه اصالة وتقديمه حاله على حال ابصارهم للاشتراك بينه وبين قلوبهم في تلك الحال ولان جنايتهم من حيث
السمع الذي به يتلقى الاحكام الشرعية وبه يتحقق الانذار اعظم منها من حيث البصر الذي هو يشاهد الاحوال
الدالة على التوحيد فبيانها احق بالتقديم وانسب بالمقام قالوا السمع افضل من البصر لانه عز وجل حين
ذكرهما قدم السمع على البصر ولان السمع شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولا اصم ولان السمع
وسيلة الى استكمال العقل بالمعارف التي تتلقف من اصحابها وتوحيده للامن عن اللبس واعتبار الاصل
والتقدير المضاف اي وعلى حواس سمعهم والكلام في ايقاع الختم على ذلك كما مر من قبل وعلى ابصارهم غشاوة
الابصار جمع والكلام فيه كما سمعته في السمع والغشاوة فعالة من التغشية اي التغطية بنيت لما يشتمل
على الشي كالعصابة والعمامة وتنكيرها للتفخيم والتهويل وهي على راي سيبويه مبتدا خبره الظرف المقدم
والجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للايذان بدوام مضمونها فان ما يدرك بالقوة الباصرة من
الايات المنصوبة في الافاق والانفس حيث كانت مستمرة كان تعاميهم من ذلك ايضا كذلك واما الايات
التي تتلقى بالقوة السامعة فلما كان وصولها اليها حينا فحينا وقع في بيان الختم عليها وعلى ما هي احد طريق
معرفته اعني القلب بالجملة الفعلية وعلى راي الاخفش مرتفع بالفاعلية مما تعلق به الجار وقرئ بالنصب
على تقدير فعل اي ناصب وجعل على ابصارهم غشاوة وقيل على حذف الجار وايصال الختم اليه والمعنى وختم
على ابصارهم بغشاوة وقرئ بالضم والرفع وبالفتح والنصب وهما لغتان فيها وغشوة بالكسر مرفوعة
ومنصوبة وغشاوة بالعين غير المعجمة والرفع ولهم عذاب عظيم وعيد وبيان لما يستحقونه في الاخرة
والعذاب كالنكال بناء ومعنى يقال اعذب عن الشيء اذا امسك عنه ومنه الماء العذب لما انه يقمع العطش ويردعه
ولذلك سمي نقاخا فانه ينقخ العطش ويكسره وفراتا فانه يرفته على القلب ويكسره ثم اتسع فيه فاطلق
على كل الم فادح وان لم يكن عقاب ايراد به ادع الجاني عن المعاودة وقيل اشتقاقه من التعذيب الذي هو
ازالة العذب كالتقذية والتمريض والعظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فمن ضرورة كون الحقير
دون الصغير كون العظيم فوق الكبير ويستعملان في الجثث والاحداث يقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او
خطره ووصف العذاب به لتاكيد ما يفيده التنكير من التفخيم والتهويل والمبالغة في ذلك والمعنى ان على ابصارهم
ضربا من الغشاوة خارجا مما يتعارفه الناس وهي غشاوة التعامي عن الايات ولهم من الالام العظام نوع عظيم
لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته اللهم انا نعوذ بك من ذلك كله يا ارحم الراحمين ومن الناس شروع في بيان
شروع في بيان بعض من حكيت احوالهم السالفة ليسوا بمقصورين على ما ذكر من محض الاصرار على الكفر والعناد بل
يضمون اليه فنونا اخر من الشر والفساد تعديل لجناياتهم الشنيعة المستتبعة لاحوالهم الهائلة عاجلة واصل ناس
اناس كما يشهد له انسان واناسي وانس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الوقة وعوض عنها حرف التعريف
ولذلك لا يكاد يجمع بينهما واما في قوله ان المنايا يطلعن على الاناس الامنينا فشاذ سموا بذلك لظهورهم وتعلق
الايناس بهم كما سمي الجن جنا لاجتنانهم وذهب بعضهم الى ان اصله النوس وهو الحركة انقلبت واوه الفا لتحركها
وانفتاح ما قبلها الى انه ماخوذ من نسي وبعضهم الى انه ماخوذ من نسي نقلت لامه الى موضع العين
فصار نيسا ثم قلبت الفا سموا بذلك لنسيانهم وروي عن ابن عباس انه قال سمي الانسان انسانا لانه عهد
اليه فنسي واللام فيه اما للعهد او للجنس المقصور على المصرين حسبما ذكر في الموصول كانه قيل ومنهم او ومن
اولئك والعدول الى الناس للايذان بكثرتهم كما ينبئ عنه التبعيض ومحل الظرف الرفع على انه مبتدا باعتبار
مضمونه او نعت لمقدر هو المبتدا كما في قوله عز وجل وما منا دون ذلك اي وجمع منا الى اخره ومن في قوله

تعالى

تعالى من يقول موصولة او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمعنى وبعض الناس او وبعض من الناس الذي
يقول كقوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي الى اخره او فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الى اخره او
فريق يقول كقوله تعالى من المؤمنين رجال الى اخره على ان يكون مناط الافادة والمقصود بالاضافة اتصافهم بما في حيز
الصلة والصفة وما يتعلق به من الصفات جميعا لا كونهم ذوات اولئك المذكورين واما جعل الظرف خبرا كما
هو الشايع في موارد الاستعمال فيا باه جزالة المعنى لان كونهم من الناس ظاهر فالاخبار به عارض عن
الفائدة هو التنبيه على ان الصفات المذكورة تنافي الانسانية فحق من يتصف بها ان لا يعلم كونه من الناس فيخبر به
ويتعجب منه وانت خبير بان الناس عبارة عن المعهودين او عن الجنس المقصور على المصرين وايا ما كان فالفائدة
ظاهرة بل لان مخبرية الظرف مستدعي ان يكون اتصاف هولاء بتلك الصفات القبيحة المفصلة في ثلث عشرة اية
عنوانا للموضوع مفروغا عنه غير مقصود بالذات ويكون مناط الافادة كونهم من اولئك المذكورين ولا ريب
في احديانه يجب حمل النظم الجليل على اعظم المعاني واكملها وتوحيد الضمير في يقول باعتبار لفظة من وجمعه
في قوله تعالى من يقول امنا بالله وباليوم الاخر وما بعده باعتبار معناها والمراد باليوم الاخر من وقت
الحشر الى ما لا يتناهى او الى ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار اذ لا حد وراءه وتخصيصهم للايمان بهما
بالذكر مع تكرير الباء لادعائهم انهم قد حازوا الايمان من قطريه واحاطوا به من طرفيه وانهم قد امنوا بكل منهما
على الاصالة والاستحكام وقد دسوا تحته ما هم عليه من العقائد الفاسدة حيث لم يكن ايمانهم بواحد منهما
ايمانا في الحقيقة اذ كانوا مشركين بالله بقولهم عزير ابن الله وجاحدين باليوم الاخر بقولهم لن تمسنا النار
الا اياما معدودة ونحو ذلك حكاية وعبادتهم لبيان كمال خبثهم وعادتهم فان ما قالوا لو صدر منهم لا على وجه
الخداع والنفاق وعقيدتهم عقيدتهم لم يكن ذلك فكيف وهم يقولونه تمويها على المسلمين والاستهزاء بهم
وما هم بمؤمنين رد لما ادعوه ونفي لما انتحلوه وما حجازية فان دخول الباء في خبرها لتاكيد النفي اتفاقا بخلاف
التميمية فايثار الجملة الاسمية على الفعلية الموافقة لدعواهم المردودة للمبالغة في الرد بافادة انتفا
الايمان عنهم في جميع الازمنة لا في الماضي فقط كما يفيده الفعلية ولا يتوهمن ان الجملة الاسمية الايجابية
تفيد دوام الثبوت فعند دخول النفي عليها يتعين الدلالة على نفي الدوام فانها بمعونة المقام تدل على دوام
النفي قطعا كما ان المضارع الخالي عن حرف الامتناع يدل على استمرار الامتناع لا على امتناع الاستمرار كما في
قوله عز وجل ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فان عدم قضا الاجل لاستمرار
عدم التعجيل واطلاق الايمان عما قيدوه به للايذان بانهم ليسوا من جنس الايمان في شيء اصلا فضلا عن
الايمان بما ذكروه وقد جوزوا ان يكون المراد ذلك ويكون الاطلاق للظهور والمدلول الاية الكريمة
ان من اظهر الايمان واعتقاده بخلافه لا يكون مؤمنا لا حجة فيها على الكرامية القائلين بان من تفوه
بكلمتي الشهادة فارغ القلب عما يوافقه او ينافيه مؤمن يخادعون الله والذين امنوا بيان ليقول
وتوضيح لما عنوا عنهم بما يقولون او استيناف يقع جوابا عن سوال ينساق اليه الذهن كانه قيل ما لهم
يقولون ذلك وهم غير مؤمنين فقيل يخادعون الى اخره اي يخدعون وقد قرئ كذلك وايثار صيغة
المفاعلة لافادة المبالغة في الكيفية فان الفعل متى غولب فيه بولغ فيه قطعا او في الكمية كما في الممارسة
والمزاولة فانهم كانوا مداومين على الخدع والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه ليوقعه فيه
من حيث لا يحتسب او يوهمه المساعدة على ما يريد هو به من المكروه ليوقعه فيه من قولهم ضب خادع
وخدع وهو الذي اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه الاقبال عليه فيخرج من بابه الاخر وكل المعنيين
مناسب للمقام فانهم كانوا يريدون بما صنعوا ان يطلعوا على اسرار المسلمين فيذيعوها الى المنابذين وان
يدفعوا عن انفسهم ما يصيب سائر الكفرة وايا ما كان فنسبته الى الله سبحانه اما على طريقة الاستعارة والتمثيل
لافادة كمال شناعة جنايتهم اي يعاملون معاملة المخادعين واما على طريقة المجاز العقلي بان ينسب اليه تعالى
ما حقه ان ينسب الى الرسول صلى الله عليه وسلم لابانة مكانه عنده تعالى كما ينبي عنه قوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومنه قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله مع افادة
كمال الشناعة كما مر واما لمجرد التوطية والتمهيد لما بعده من نسبته الى الذين امنوا ايذانا بقوة اختصاصهم
به تعالى والقصد رسوله احتجاجا برسوله وقوله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله وابقاء صيغة
المخادعة على معناها الحقيقي بناء على زعمهم الفاسد وترجمة لما عن اعتقادهم الباطل كما قيل انهم يزعمون
انهم يخدعون الله والله يخدعهم او على جعلها استعارة تبعية او تمثيلا لما ان صورة
صنيعهم مع الله تعالى والمؤمنين وصنعه تعالى معهم باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده اخبث الكفرة
واهل الدرك الاسفل من النار استدراجا لهم وامتثال الرسول عليه السلام والمؤمنين بامر الله تعالى
في ذلك مجازاة لهم مثل صنيعهم صورة صنيع المخادعين كما قيل مما لا يرضيه الذوق السليم ... الاول

فلان المنافقين لو اعتقدوا ان الله تعالى يخدعهم بمقابلة خدعهم له لم يتصور منهم التصدي للخدع واما
الثاني فلان مقتضى المقام ايراد حالهم خاصة وتصويرها بما يليق بها من الصورة المستهجنة وبيان ان
غائلتها آيلة اليهم من حيث لا يحتسبون كما يعرب عنه قوله عز وعلا وما يخدعون الا انفسهم فالتعريض بحال
جانب الآخر مما يخل بتوفية المقام حقه وهو حال من ضمير يخادعون اى يفعلون ما يفعلون والحال انهم ما يضرون
بذلك الا انفسهم فان دائرة فعلهم مقصورة عليهم او ما يخدعون حقيقة الا انفسهم حيث يعرفونها بالاباطيل فيلقونها
في مهاوي الردى وقرئ وما يخدعون والمعنى هو المعنى ومن حافظ على الصيغة فيما قبل قال وما يعاملون تلك
المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم لاختصاص ضررها بهم او ما يخدعون من التخديع وما يخدعون
اى يختدعون ويخدعون ويخادعون على البناء للمفعول ونصب انفسهم بنزع الخافض والنفس ذات الشيء وحقيقته
وقد يقال للروح لان نفس الحي به وللقلب ايضا لانه محل الروح او متعلقه وللدم ايضا لان قوامها به وللماء
ايضا لشدة حاجتها اليه والمراد هاهنا هو المعنى الاول لان المقصود بيان ان ضرر مخادعتهم راجع اليهم لا يتخطاهم
الى غيرهم وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير ما يخدعون اى يقتصرون على خدع انفسهم والحال انهم ما يشعرون
اى ما يحسون بذلك لتماديهم في الغواية وحذف المفعول اما للظهور او للعموم اى ما يشعرون بشيء اصلا
جعل لحوق وبال ما صنعوا بهم في الظهور بمنزلة الامر المحسوس الذي لا يخفى الا على مؤوف الحواس مختل المشاعر
في قلوبهم مرض المرض عبارة عما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال اللائق به ويوجب الخلل في افاعيله ويؤدي
الى الموت استعير هاهنا لما في قلوبهم من الجهل وسوء العقيدة وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم من
فنون الكفر المؤدي الى الهلاك الروحاني والتنكير للدلالة على كونه نوعا مبهما غير ما يتعارفه الناس من الامراض
والجملة المقررة لما يفيده قوله تعالى وما هم بمؤمنين فقيل في قلوبهم مرض يمنعه فزادهم الله مرضا بان طبع
على قلوبهم لعلمه تعالى بانه لا يؤثر فيها التذكير والانذار وجملة معطوفة على ما قبلها والفاء للدلالة
على ترتب مضمونها عليه وبه اتضح كونهم من الكفرة المختوم على قلوبهم من الضعف والجبن مع زيادة تباين
المثبت وقيل زادهم كفرا بزيادة التكاليف الشرعية لانهم كانوا كلما ازداد التكاليف بنزول الوحي يزدادون
كفرا ويجوز ان يكون المرض المستعار لما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخوف عند مشاهدتهم لعز
المسلمين فزيادته تعالى اياهم مرضا ما فعل بهم من القاء الروع وقذف الرعب في قلوبهم عند امداد الذين
بامداد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة وتاييده بفنون النصر والتمكين فقوله تعالى في قلوبهم مرض
الى آخره حينئذ استئناف تعليل لقوله صلى الله عليه وسلم تعالى يخادعون الله الى آخره كانه قيل ما لهم يخادعون
ويداهنون ولم يجاهدون بما في قلوبهم من الكفر فقيل في قلوبهم ضعف مضاعف صده حالهم في الدنيا ولهم
في الآخرة عذاب اليم اى مؤلم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف به العذاب للمبالغة كما في قوله
تحية بينهم ضرب وجيع على طريقة جد جده فان الالم والوجع حقيقة للمؤلم والمضروب كما ان الجد للجاد
وقيل هو بمعنى المؤلم كالسميع بمعنى المسمع وليس ذلك بثبت كما سيجيء في قوله تعالى بديع السموات والارض
بما كانوا يكذبون الباء للسببية او للمقابلة وما مصدرية داخلة في الحقيقة على يكذبون وكلمة كان مقحمة لافادة
دوام كذبهم وتجدده اى بسبب كونهم يكذبون او بمقابلة كذبهم المتجدد المستمر الذي هو قولهم آمنا بالله وباليوم
الآخر وهم غير مؤمنين فانه اخبار باحداثهم الايمان فيما مضى لا انشاء للايمان ولو سلم فهو متضمن للاخبار
بصدوره عنهم وليس لذلك لعدم التصديق القلبي بمعنى الادعاء والقبول قطعا ويجوز ان يكون محمولا
على الظاهر بناء على رأي من يجوز ان يكون لكان الناقصة مصدر كما صرح في قول الشاعر

ببذل وحلم ساد في قومه الفتى ... وكونك اياه عليك يسير

اى لهم عذاب اليم بسبب كونهم يكذبون على الاستمرار وترتيب العذاب عليه من بين سائر موجباته القوية
اما لان المراد بيان العذاب الخاص بالمنافقين بناء على ظهور شركتهم للمجاهرين فيما ذكر من العذاب العظيم حسب
اشتراكهم فيما يوجبه من الاصرار على الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن الناس الى آخره واما للايذان بان لهم بمقابلة
سائر جناياتهم العظيمة من العذاب ما لا يوصف واما للرمز الى كمال سماجة الكذب النظر الى ظاهر العبارة المخيلة
لانفراده بالسببية مع احاطة علم السامع بان لحوق العذاب بهم من جهات شتى وان الاقتصار عليه للاشعار
بنهاية قبحه والتنفير عنه عن الصديق رضي الله عنه ويروى مرفوعا ايضا الى النبي صلى الله عليه وسلم اياكم
والكذب فانه مجانب للايمان وما روي ان ابراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات فالمراد به التعريض وانما
سمي به لشبهه به صورة وقيل ما موصولة والعائد محذوف اى بالذي يكذبونه وقرئ يكذبون والمفعول
محذوف وهو اما النبي صلى الله عليه وسلم او القرآن وما مصدرية اى بسبب تكذيبهم اياه عليه السلام او
القرآن او موصولة اى بالذي يكذبونه على ان العائد محذوف ويجوز ان يكون صيغة التفعيل للمبالغة كما في
بين في بان وقلص في قلص والتكثير كما في موتت البهائم وبركت الابل وان يكون من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا

ثم

ثم وقف لينظر ما وراءه فان المنافق متوقف في امره متردد في رواية ولذلك قيل له مذبذب واذا قيل لهم لا
تفسدوا في الارض شروع في تعديد بعض من قبائحهم المتفرعة على ما حكى عنهم من الكفر والنفاق واذا ظرف
زمان مستقبل يلزمها معنى الشرط غالبا ولا يدخل في الامر المحقق او المرجح وقوعه واللام متعلقة بقيل معناها
الانهاء وتبليغ والقائم مقام فاعله جملة لا تفسدوا على ان المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور
والفساد خروج الشيء عن الحالة اللائقة به والصلاح مقابله والفساد في الارض تهييج الحروب والفتن المستتبعة لزوال
الاستقامة عن احوال العباد واختلال امر المعاش والمراد بما نهوا عنه ما يؤدي الى ذلك من افشاء اسرار المؤمنين
الى الكفار واغرائهم عليهم وغير ذلك من فنون الشرور كما يقال للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك
في النار اذا اقدم على ما تلك عاقبته وهو اما معطوف على يقول فان جعلت كلمة من موصولة فلا محل لها من
الاعراب ولا باس بتخلل البيان او الاستيناف وما يتعلق بهما بين اجزاء الصلة فان ذلك ليس توسيطا بالاجنبي
وان جعلت موصوفة فمحله الرفع والمعنى من الناس من اذا نهوا من جهة المؤمنين عما هم عليه من الافساد
في الارض قالوا ارادة الناهين ان ذلك غير صادر عنهم مع ان مقصودهم الاصلي انكار كون ذلك افسادا وادعاء
كونه صلاحا محضا كما سياتي في توضيحه انما نحن مصلحون اى مقصورون على الاصلاح المحض بحيث لا يتعلق
به شائبة الافساد والفساد او مشيرين بكلمة انما الى ان ذلك من الوضوح بحيث لا ينبغي ان يرتاب فيه وما كلام
مستانف سيق لتعديد شنائعهم واما عطفه على يكذبون بمعنى ولهم عذاب اليم بسبب كذبهم وبقولهم حين
نهوا عن الافساد انما نحن مصلحون كما قيل فيأباه ان هذا النحو من التعليل حقه ان يكون باوصاف ظاهرة
العلية مسلمة الثبوت للموصوف غنية عن البيان لشدة الاتصاف بها عند السامع او لسبق ذكره صريحا
كما في قوله تعالى بما كانوا يكذبون فان مضمونه عبارة عما حكى عنهم من قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر او لذكر
ما يستلزمه استلزاما ظاهرا كما في قوله عز وجل ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم
الحساب وما لم يكن كذلك فحقه ان يخبر بعليته قصدا كما في قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الآية وقوله
تعالى ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق الآية الى غير ذلك ولا ريب في ان هذه الشرطية وما بعدها من الشرطيتين
المعطوفتين عليها ليس مضمون شيء منها معلوم الانتساب اليهم عند السامعين بوجه من الوجوه المذكورة حتى
يستحق الانتظام في سلك التعليل المذكور فاذن حقها ان تكون مسوقة على سنن تعديد قبائحهم على احد الوجهين
مفيدة لاتصافهم بكل واحد من تلك الاوصاف قصدا واستقلالا كيف وقوله عز وجل الا انهم هم المفسدون
ينادي بذلك نداء جليا فانه رد من جهته تعالى لدعواهم المحكية ابلغ رد وادل على سخط عظيم حيث سلك فيه
الاستيناف المؤدي الى زيادة تمكن الحكم في ذهن السامع وصدرت الجملة بحرفي التاكيد الا المنبهة على تحقق ما
بعدها من الجملة الاسمية بما يتعلق به القسم واختها التي هي اما من طلائع القسم وقيل هما حرفان بسيطان
موضوعان للتنبيه والاستفتاح وان القرينة ولذلك لا تنسب وعرف الخبر وتوسط ضمير الفصل لزيادة ما في نص
انفسهم على الاصلاح من التعريض بالمؤمنين ثم استدرك بقوله تعالى ولكن لا يشعرون للايذان بان كونهم
مفسدين من الامور المحسوسة لكن لا حس لهم حتى يدركوه وهكذا الكلام في الشرطيتين الآتيتين وما بعدهما
من رد مضمونهما ولولا ان المراد تفصيل خباياهم وتعديد جناياتهم وهنا تم اظهار فسادهم وابانة بطلانها
لما فتح هذا الباب والله تعالى اعلم بالصواب واذا قيل لهم من قبل المؤمنين بطريق الامر بالمعروف اثر نهيهم عن
المنكر اتماما للنصح واكمالا للارشاد آمنوا حذف المؤمن به لظهوره او اريد افعلوا الايمان كما آمن الناس
الكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر مؤكد محذوف اى آمنوا ايمانا مماثلا لايمانهم فما مصدرية او
كافة كما في ربما فانها تكف الحرف عن العمل وتصحح دخولها على الجملة وتكون للتشبيه بين مضموني الجملتين اى حققوا ايمانكم
كما تحقق ايمانهم واللام في الناس للجنس والمراد به الكاملون في الانسانية العاملون بقضية العقل فان اسم الجنس
كما يستعمل في مسماه يستعمل فيما يكون جامعا للمعاني الخاصة به المقصودة منه ولذلك يسلب عما ليس كذلك
فيقال هو ليس بانسان وقد جمعهما من قال • اذ الناس ناس والزمان زمان • او للعهد والمراد به الرسول
صلى الله عليه وسلم ومن معه او من آمن من اهل جلدتهم كابن سلام واضرابه والمعنى آمنوا ايمانا مقرونا بالاخلاص
متمحضا عن شوائب النفاق مماثلا لايمانهم قالوا مقابلين للامر بالمعروف بالانكار المنكر واصفين للمراجعين الى الحق
بما فيهم من السفاهة أنؤمن كما آمن السفهاء مشيرين باللام الى من اشير اليه في الناس من الكاملين او المعهودين
او الى الجنس بأسره وهم مندرجون فيه على زعمهم الفاسد والسفه خفة وسخافة رأي يورثهما قصور العقل
ويقابلهما الحلم والاناة وانما نسبوهم اليه مع انهم في الغاية القاصية من الرشد والرزانة والوقار لكمال
انهماكهم في السفاهة وتماديهم في الغواية وكونهم ممن زين له سوء عمله فرآه حسنا فمن حسب الضلال
هدى يسمي الهدى لا محالة ضلالا او لتحقير شانهم فان كثيرا من المؤمنين كانوا فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال او
للتجلد وعدم المبالاة بمن آمن منهم على تقدير كون المراد بالناس عبد الله بن سلام وامثاله وايا ما كان فالذي

يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل ان يكون صدور هذا القول عنهم بمحضر من المؤمنين
الناصحين لهم جوابا اى تضيحتهم وحيث كان فحواه سفه اولئك المشاهير بالاعلام والقدح في ايمانهم لزم
كونهم مجاهدين لا منافقين وذلك مما لا يكاد يساعده السياق والسياق وعن هذه قالوا ينبغي ان يكون ذلك
فيما بينهم لا على وجه المؤمنين انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه
عليه السلام والمؤمنين بذلك بانهم وانت خبير بان ابراز ما صدر عن احد المتحاورين في الخلاء في معرض ما
بينهما في مقام المحاورة مما لا عهد به في الكلام فضلا عما هو في منصب الاعجاز بالحق الذي لا محيد عنه ان
قولهم هذا وان صدر عنهم بمحضر من الناصحين لا يقتضي كونهم مجاهدين فانه ضرب من الكفر ابيق وفن من
النفاق حريق مصنوع على شاكلة قولهم اسمع غير مسمع فكما انه كلام ذو وجهين مثلهم محتمل للشر بان يحمل
على معنا اسمع منا غير مسمع كلاما ترضاه ونحوه وللخير بان يحمل على معنى اسمع مكروها كانوا يخاطبون به
رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين به ولذلك نهى عنه لذلك هذا الكلام محتمل للشر كما ذكر
في تفسيره وللخير بان يحمل على ادعى الايمان كايمان الناس وانكار ما اتهموا به من النفاق على معنى انؤمن كما
آمن السفهاء والمجانين الذي لا اعتداد بهم مرائين لارادة المعنى الاخير معولون على الاول فرد عليهم ذلك
بقوله عز وجل الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون ابلغ رد وجهلوا اشنع تجهيل حيث صدرت الجملة بحرفي
التاكيد حسبما اشير اليه فيما سلف وجعلت السفاهة مقصورة عليهم وبالغة الى حيث لا يدرون انهم
سفهاء وبهذا اتضح لك سر ما مر في قوله تعالى انما نحن مصلحون فان حمله على المعنى الاخير كما هو راى
الجمهور مناف لحالهم ضرورة ان مشافهتهم للناصحين بادعاء كون ما نهوا عنه من الافساد اصلاحا كما مر اظهار
منهم للشقاق وبروز باشخاصهم من نفق النفاق والاعتذار بان المراد بما نهوا عنه مداراتهم للمشركين
كما ذكر في بعض التفاسير وبالاصلاح الذي يدعون اصلاح ما بينهم وبين المؤمنين وان معنى قوله تعالى
الا انهم هم المفسدون انهم في تلك المعاملة مفسدون لمصالح المؤمنين لاشعارها باعطاء الدنية وانبائها
عن ضعفهم الملجي الى توسيط من يتصدى لاصلاح ذات البين عن كونهم مصلحين مما لا سبيل اليه قطعا
فان قوله تعالى ولكن لا يشعرون ولا ريب في انهم فيهما كاذبون لا يعاصرونهم الا مصاهرة للذين وخيانة
للمؤمنين فاذن طريق حل الاشكال ليس الا ما اشير اليه فان قولهم انما نحن مصلحون لا يصلح عنا
ما تنهون عنه من الافساد وقد خاطبوا به الناصحين استهزاء بهم وارادوا به لارادة هذا المعنى وهم معرجون
على المعنى الاول فرد عليهم بقوله تعالى الا انهم هم المفسدون الاية والله سبحانه وتعالى اعلم بما اودعه
في تضاعيف كتابه المكنون من السر المخزون فنساله العصمة والتوفيق والهداية الى سواء الطريق
وتفصيل هذه الاية الكريمة بلا يعلمون لما انه اكثر طباقا لذكر السفه الذي هو فن من فنون الجهل
ولان الوقوف على ان المؤمنين ثابتون على الحق وهم على الباطل منوط بالتمييز بين الحق والباطل وذلك مما
لا يتسنى الا بالنظر والاستدلال واما النفاق وما فيه من الفتنة والفساد وما يترتب عليه من كون
من يتصف به مفسدا فامر بديهي يقف عليه من له شعور ولذلك فصلت الاية الكريمة السابقة
بلا يشعرون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا بيان لتباين احوالهم وتناقض اقوالهم في اثناء المعاملة
والمخاطبة حسب تباين المخاطبين ومساق ما صدرت قصتهم لتحرير مذهبهم وترجمة عن نفاقهم
ولذلك لم يتعرض ههنا لتعلق الاية فليس فيه شائبة التكرير روى ان عبد الله ابن ابي واصحابه خرجوا
ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فقال ابن ابي انظروا كيف ارد هؤلاء
السفهاء عنكم فلما دنوا منهم اخذ بيد ابي بكر رضي الله عنه فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ
الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دينه الباذل نفسه وماله
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال مرحبا بابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركت وقيل قال له علي رضي الله عنه يا عبد الله
اتق الله ولا تنافق فان المنافقين شر خلق الله تعالى فقال له مهلا يا ابا الحسن اني تقول هذا والله ان ايماننا
كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم افترقوا فقال ابن ابي لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاذا رايتموهم فافعلوا
مثل ما فعلت واثنوا عليه خيرا وقالوا ما نزال بخير ما عشت فينا فرجع المسلمون الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم واخبروه بذلك فنزلت واللقاء المصادفة يقال لقيته ولاقيته اى صادفته واستقبلته وقرئ
اذا لاقوا واذا خلوا من خلوت الى فلان اى انفردت معه وقد يستعمل بالباء ومن خلا بمعنى مضى ومنه القرون
الخالية ومعولهم خلاك ذم اى جاوزك ومضى عنك وقد جوز كونه من خلوت به اذا سخرت منه على ان تعديته
بالى في قوله تعالى الى شياطينهم لتضمنه معنى الانهاء اى واذا انهوا عليهم السخرية الى اخره وانت خبير بان

تقييد

بان تقييد قولهم المحكي بذلك الانهاء مما لا وجه له والمراد بشياطينهم المماثلون منهم للشيطان في التمرد والعناد
المظهرون لكفرهم واضافتهم اليه للمشاركة في الكفر او كبار المنافقين والقائلون صنعاء هم وجعل سيبويه
نون الشيطان اصلية فوزنه فيعال على انه من شطن اذا بعد فانه بعيد من الخير والرحمة ويشهد له قولهم تشيطن
واخرى زائدة فوزنه فيعلان على انه من شاط اى هلك او بطل ومن اسمائه الباطل وقيل معناه هاج واحترق
قالوا انا معكم اى في الدين والاعتقاد لا نفارقكم في حال من الاحوال وانما خاطبوهم بالجملة الاسمية المؤكدة لان
مدعاهم عندهم تحقيق الثبات على ما كانوا عليه من الدين والتاكيد للانباء عن صدق رغبتهم ووفور نشاطهم لا لكمال
الشياطين بخلاف معاملتهم مع المؤمنين فانهم انما يدعون عندهم احداث الايمان لجهلهم بعدم انعاج ادعاء الكمال
فيه والثبات عليه انما نحن اى في اظهار الايمان عند المؤمنين مستهزئون بهم من غير ان يخطر ببالنا الايمان
حقيقة وهو استئناف مبني على سؤال ناشئ من ادعاء المعية كانه لهم عند قولهم انا معكم فما بالكم توافقون
للمؤمنين في الاتيان بكلمة الايمان فقالوا انما نحن مستهزئون بهم فلا يقدح ذلك في كوننا معكم بل يؤكده وقد ضمنوا
جوابهم انهم يهينون المؤمنين ويعدون ذلك نصرة لدينهم او تاكيد لما قبله فان المستهزئ بالشيء مصر على خلافه
او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر والاستهزاء بالشيء السخرية منه يقال هزئت واستهزأت بمعنى
واصله الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على مكانه وتهزأ به ناقته اى تسرع به وتخف الله
يستهزئ بهم اى يجازيهم على استهزائهم سمي جزاؤه باسمه كما سمي جزاء السيئة سيئة اما للمشاكلة في اللفظ او للمقارنة في
الوجود او يرجع وبال الاستهزاء او يعاملهم معاملة المستهزئ بهم اما في الدنيا فباجراء احكام المسلمين عليهم واستدراجهم
بالامهال والزيادة في النعمة على التمادي في الطغيان واما في الاخرة فبما يروى انه يفتح لهم باب الى الجنة فيسرعون نحوه
فاذا صاروا اليه سد عليهم الباب وذلك قوله تعالى فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون وانما استؤنف للايذان
بانهم قد بلغوا في المبالغة في استهزاء المؤمنين الى غاية ظهرت شناعته عند السامعين وتعاظم ذلك عليهم حتى
اضطرهم الى ان يقولوا ما مصير امر هؤلاء وما عاقبة حالهم وفيه انه تعالى هو الذي يتولى امرهم ولا يحوجهم
الى المعارضة بالمثل ويستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم عنده من باب الاستهزاء حيث
ينزل بهم من النكال ويحل عليهم من الذل والهوان ما لا يوصف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد
والاستمرار كما يعرب عنه قوله عز قائلا اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا خالين
في اكثر الاوقات من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ذلك كما ينبئ عنه قوله
عز وجل يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون
ويمدهم اى يزيدهم ويقويهم من مد الجيش وامده اذا زاده وقواه ومنه مددت الدواة والسراج اذا اصلحتهما
بالحبر والزيت [illegible] الاستعداد
وما يحوجه الى ما جاء داعية اليه كما في الاضافة المذكورة وقرئ يمدهم من الامداد [illegible] في ان القراءة
المشهورة ليست من المد في العمر [illegible] وتعالى ويمد لهم من العذاب مدا ولو حذف
الجار واتصال الفعل الى الضمير [illegible] في طغيانهم متعلق بيمدهم والطغيان
مجاوزة الحد في كل امر والمراد افراطهم في العتو وغلوهم في الكفر وقرئ بكسر الطاء وهي لغة فيه كلقيان
ولقيان وفي اضافته اليه ايذان باختصاصه بهم وتاييد لما اشير اليه من ترتيب المد على سوء اختيارهم
يعمهون حال من الضمير المنصوب او المجرور لكون المضاف مصدرا فهو مرفوع حكما والعمه في البصيرة كالعمى
في البصر وهو التحير والتردد بحيث لا يدري اين يتوجه [illegible] عند اهل الحق من ان جميع الاشياء مستندة من حيث الخلق اليه
سبحانه وتعالى وان كانت افعال العباد من حيث الكسب مستندة اليهم والمعتزلة لما تعذر عليهم اجراء النظم
الكريم على مسلكهم فكلوا الى شعاب التاويل فقالوا لما انهم لما اصروا على كفرهم خذلهم الله تعالى ومنعهم
الطافه [illegible] في قلوبهم فسمي ذلك مددا في الطغيان فاسند الى الله تعالى فالمسند مجاز لغوي وفي
الاسناد عقلي لانه اسناد للفعل الى المسبب له وفاعله الحقيقي هم الكفرة وقيل اسناده الى الله بالمد في الطغيان لترك
القسر والالجاء الى الايمان كما في قوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون [illegible]
معناه الحقيقي [illegible] والشيطان لكنه اسنده الى الله سبحانه مجازا [illegible] اولئك اشارة
الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات الشنيعة المميزة لهم عمن عداهم اكمل تمييز بحيث صاروا
كانهم حضار مشاهدون [illegible] البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر وسوء الحال
ومحله الرفع على الابتداء وخبره قوله تعالى الذين اشتروا الضلالة بالهدى والجملة مسوقة لتقرير ما قبلها وبيان
كمال جنايتهم في الحكي من الاقوال والافعال باظهار غاية سماجتها وتصويرها بصورة ما لا يكاد يتعاطاه من له ادنى
تميز فضلا عن العقلاء والضلالة الجور عن القصد والهدى التوجه اليه وقد استعير الاول للعدول عن الصواب

في الدين والثاني في الاستقامة عليه والاشترا استبدال السلعة بالثمن اى اخذها به لا بذل له لتحصيلها
كما قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشرى ومفهومه هو الطلب دون السلب المعتبر في عقد البيع
ثم استعير لاخذ شيء ما عطا في يده عينا كان كل منهما او معنى للاعراض عما في يده محصلا به غيره كما قيل وان
استلزمه لما مر ومنه قوله • اخذت بالجملة ايهسا دغرا • وبالثنايا الواضحات الدردرا •
• وبالطويل العمر عمرا حيدرا • كما اشترى المسلم اذ تنصرا •
فاشترى الضلالة بالهدى مستعار لاخذها بدلا منه اخذا منوطا بالرغبة فيها والاعراض عنه ولما اقتضى ذلك ان
يكون ما يجري مجرى الثمن حاصلا للكفرة قبل العقد وما يجري مجرى المبيع غير حاصل لهم اذ ذاك حسبما هو في البيت
ولا ريب في انهم بمعزل من الهدى مستمرون على الضلالة استدعى الحال تحقيق ما جرى مجرى العوضين فنقول
وبالله التوفيق ليس المراد مما تعلق من الاشترا ههنا جنس الضلالة الشاملة لجميع اصناف الكفرة حتى تكون
حاصلة لهم من قبل بل هو فردها الكامل الخاص بهؤلاء على ان اللام للعهد وهو عمههم المقرون بالمد في الطغيان
المرتب على ما حكى عنهم من القبايح وذلك انما يحصل لهم عند اليأس عن اهتديهم والختم على قلوبهم وكذا ليس
المراد بما في حيز الثمن نفس الهدى بل هو التمكن التام منه بتعاضد الاسباب وتاخذ المقدمات المستتبعة له
بطريق الاستعارة كانه نفس الهدى بجامع المشاركة في استتباع الجدوى ولا مرية في ان هذه من التمكن كانت
حاصلة لهم بما شهدوا من الايات الباهرة والمعجزات من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم وبما سمعوه من نصايح
المؤمنين التي من جملتها ما حكي من النهي عن الافساد في الارض والامر بالايمان الصحيح وقد نبذوها وراء ظهورهم
واخذوا بدلها الضلالة الهائلة التي هي العمه في تيه الطغيان وحمل الهدى على الفطرة الاصلية الحاصلة لكل احد
يأباه ان اضاعتها غير مختصة بهؤلاء ولئن حملت على الاضاعة التامة الواصلة الى حد الختم على القلوب المختصة
بهم فليس في اضاعتها فقط من الشناعة ما في اضاعتها مع ما يؤيدها من المؤيدات العقلية والنقلية على ان ذلك
يفضي الى كون ذكر ما فصل من اول السورة الكريمة الى ههنا ضايعا وابعد منه حمل اشترا الضلالة بالهدى على
مجرد اختيارها عليه من غير اعتبار كونه في ايديهم بناء على انه يستعمل اتساعا في ايثار احد الشيئين الكائنين في
شرف الوقوع على الآخر فانه مع خلوه عن المزايا المذكورة بالمرة مخل برونق الترشيح الآتي هذا على تقدير
جعل الاشترا المذكور عبارة عن معاملتهم السابقة المحكية وهو الانسب بتجاوب اطراف النظم الكريم واما
اذا جعل ترجمة عن جناية اخرى من جناياتهم فالمراد بالهدى ما كانوا عليه من معرفة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم
وحقيقة دينه بما كانوا يشاهدونه في التوراة من نعوته عليه السلام وقد كانوا على يقين منه حتى كانوا
يستفتحون به على المشركين ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون
لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به كما سياتي ولا مساغ لحمل
الهدى على ما كانوا يظهرونه عند لقاء المؤمنين فانها ضلالة مضاعفة فما ربحت تجارتهم عطف على الصلة داخل
في حيزها والفا للدلالة على ترتب مضمونه عليها والتجارة وهي التصدي للبيع والشرى لتحصيل الربح والفضل
على رأس المال يقال ربح فلان في تجارته اى استشف فيها واصاب الربح واسناد عدمه الذي هو عبارة
عن الخسران اليها وهو لاربابها بناء على التوسع المبني على ما بينهما من الملابسة وفائدة المبالغة في تخسيرهم
لما فيه من الاشعار بكثرة الخسارة وعمومها المستتبع لسرايته الى ما يلابسهم وايرادهما اثر الاشترا المستعار
للاستبدال المذكور ترشيح لانهماكهم فيما هم عليه من ايثار الضلالة على الهدى وتمرنهم عليه معربة عن كون
ذلك صناعة رابحة اذ من ضرورات الترشيح ان يكون باقيا على الحقيقة تابعا للاستعارة لا يقصد به
الا تقويتها كما في قولك رايت اسدا وافي البراثن فانك لا تريد به الا زيادة تصوير الشجاع وانه اشد كامل من
غير ان تريد بلفظ البراثن معنى آخر بل قد يكون مستعارا من ملايم المستعار منه لملايم المستعار له ومع
ذلك يكون ترشيحا لاصل الاستعارة كما في قوله • فلما رايت النسر عز ابن داية • وعشش في وكريه جاش له صدري
فان لفظ الوكرين مع كونه مستعارا من معناه الحقيقي الذي هو موضع يتخذه الطاير للتفريخ للراس واللحية
والفودين اصبحا في الراس ترشيحا باعتبار معناه الاصلي لاستعارة لفظ النسر للشيب ولفظ ابن داية
للشعر الاسود وكذا لفظ التعشيش مع كونه مستعارا للحلول والنزول المستمر ترشيح لتينك الاستعارتين
بالاعتبار المذكور وقرئ تجاراتهم ولعل ذلك لتعدد المضاف اليهم وما كانوا مهتدين اى لطريق التجارة
فان المقصود منها سلامة راس المال مع حصول الربح ولئن فات الربح في صفقة فربما يتدارك في صفقة
اخرى لبقاء الاصل واما اتلاف الكل بالمرة فليس من باب التجارة قطعا وهؤلاء الذين كان راس مالهم الهدى قد
استبدلوا بها الضلالة فاضاعوا كلتا الطلبتين فبقوا خائبين خاسرين نائين عن طريق التجارة بالف منزل
فالجملة راجعة الى الترشيح معطوفة على ما قبلها مشاركة في الترتب على الاشترا المذكور حالا ولي عطفها
الاشترا الى آخره مثلهم الى آخره زيادة كشف لحالهم وتصوير لها غب تصويرها بصورة ما يؤدي الى

الخسار

الخسار بحسب المال بصورة ما يفضي الى الخسار من حيث النفس تهويلا لها وابانة لفظاعتها وان التمثيل الطف
ذريعة الى تسخير الوهم للعقل واستنزاله من مقامه الاستعصاء عليه واقوى وسيلة الى تفهيم الجاهل الغبي وقمع سورة الجا
الى آخره الابي كيف لا وهو رافع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية وابرازها في معرض المحسوسات الجلية
وابداء المنكر في صورة المعروف واظهار الوحشي في هيات المالوف والمثل في الاصل بمعنى المثل والنظير يقال
مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم اطلق على القول السائر الذي مثل مضربه بمورده وحيث لم يكن ذلك
الا قولا بديعا فيه غرابة صيرته جديرا بالتسيير في البلاد وخليقا بالقبول فيما بين كل حاضر وباد استعير لكل حال
او صفة او قصة لها شان عجيب وخطر غريب من غير ان يلاحظ بينهما او بين شيء آخر تشبيه ومنه قوله عز وجل
ولله المثل الاعلى اى الوصف الذي له شان عظيم وخطر جليل وقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون اى قصتها
العجيبة الشان كمثل الذي اى الذين كما في قوله تعالى وخضتم كالذي خاضوا خلا انه وحد الضمير في قوله تعالى
استوقد نارا نظرا الى الصورة وانما جاز ذلك مع عدم جواز وضع القايم مقام القايمين لان المقصود بالوصف
هي الجملة الواقعة صلة له دون نفسه ولذلك بولغ فيه بحذف ياوه ثم بكسر نونه ثم اقتصروا على اللام في اسما
الفاعلين والمفعولين ولانه ليس باسم تام بل كالجزء منه فحقه ان لا يجمع ويستوي فيه الواحد والمتعدد كما هو شان
اخواته وليس الذين جمعه المصحح بل النون فيه مزيدة للدلالة على زيادة المعنى ولذلك جاء بالياء ابدا على اللغة
الفاصحة او قصد به جنس المستوقد او الفوج او الفريق المستوقد او الفريق المستوقد والنار جوهر
لطيف مضي حار محرق واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والاستيقاد طلب وقودها
اى سطوعها وارتفاع لهبها وتنكيرها للتفخيم فلما اضاءت ما حوله الاضاءة فرط الانارة كما يعرب عنه قوله تعالى
هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وتجي متعدية ولازمة والفا للدلالة على ترتبها على الاستيقاد اى
فلما اضاءت النار ما حول المستوقد او فلما اضاءت ما حوله والتانيث لكونه عبارة عن الاماكن والاشيا او اضاءت
النار نفسها فيما حوله على ان ذلك ظرف لاشراق النار المنزل منزلة لازمها او ما مزيدة وحوله ظرف وتاليف
الحول للدوران وقيل للعام حول لانه يدور ذهب الله بنورهم النور ضوء كل نير واشتقاقه من النار والضمير
للذي والجمع باعتبار المعنى اى اطفا الله نارهم التي هي مدار نورهم وانما علق الاذهاب بالنور دون نفس النار
لانه المقصود بالاستيقاد لا الاستدفا ونحوه كما ينبي عنه قوله تعالى فلما اضاءت حيث لم يقل فلما شبت ضرامها
ونحو ذلك وهو جواب لما او استيناف اجيب به عن سوال سايل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال المستوقد
الذي طفيت ناره او بدل من جملة التمثيل على وجه البيان والضمير على الوجهين للمنافقين والجواب محذوف كما في قوله
تعالى فلما ذهبوا به للايجاز وامن الالباس كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا في الظلمات خابطين
متحيرين خاسئين بعد الكدح في احيايها واسناد الاذهاب الى الله تعالى اما لان الكل بخلقه تعالى واما لان الانطفا
حصل بسبب خفي او امر سماوي كريح او مطر او للمبالغة كما يؤذن به تعدية الفعل بالباء دون الهمزة لما فيه
من معنى الاستصحاب والامساك يقال ذهب السلطان بماله اذا اخذه وما اخذه الله عز وجل فامسكه فلا
مرسل له من بعده ولذلك عدل عن الضوء الذي هو مقتضى الظاهر الى النور لان ذهاب الضوء قد يجامع بقاء
النور في الجملة لعدم استلزام عدم القوي لعدم الضعيف والمراد ازالته بالكلية كما يفصح عنه قوله تعالى
وتركهم في ظلمات لا يبصرون فان الظلمة التي هي عدم النور وانطماسه بالمرة لا سيما اذا كانت متضاعفة
متراكمة متراكبا بعضها على بعض كما يفيده الجمع والتنكير التفخيمي وما بعدها من قوله تعالى لا يبصرون لا يتحقق الا
بعد ان لا يبقى من النور عين ولا اثر [illegible]
والفساد كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله [illegible]
[illegible] والنار الحقيقية التي يوقدها الغواة ليتوصلوا بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث
والفساد فاطفاها الله تعالى وخيب آمالهم وترك في الاصل بمعنى طرح وخلى [illegible]
التصيير فجرى مجرى افعال القلوب [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

لما ان سببه باطل الصماخ وانسداد منافذه بحيث لا يكاد يدخله هوا يحصل الصوت بتموجه والبكم الخرس
والعمى عدم البصر عما من شانه ان يبصر وصفوا بذلك مع سلامة مشاعرهم المعدودة لما انهم حيث سدوا
مسامعهم عن الاصاخة لما يتلى عليهم من الايات والذكر الحكيم وابوا ان يتلقوها بالقبول وينطقوا بها السنتهم ولم
يجتلوا ما شاهدوا من المعجزات الظاهرة على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظروا الى ايات التوحيد
المنصوبة فى الافاق والانفس بعين التدبر واصروا على ذلك بحيث لم يبق لهم الا رجوع عنه صاروا كما فاقدى
تلك المشاعر بالكلية وهنا عند مقلقى سحرة البيان من باب التمثيل الغريب البليغ المؤسس على تناسى التشبيه
كما فى قول من قال ويصعد حتى يظن الجهول بان له حاجة فى السما لما ان المقدر فى النظم فى حكم الملفوظ لا من
قبيل الاستعارة التى يطوى فيها ذكر المستعار له بالكلية حتى لم يكن هناك قرينة لحمل على المعنى الحقيقى كما فى قول
زهير • لدى اسد شاكى السلاح مقذف • له لبد اظفاره لم تقلم • فهم لا يرجعون الفا للدلالة على ترتيب
ما بعدها على ما قبلها اى هم بسبب اتصافهم بالصفات المذكورة لا يعودون الى الهدى الذى تركوه وضيعوه
او عن الضلالة التى اخذوها والاية نتيجة للتمثيل مفيدة لزيادة تهويل وتفظيع فان قصارى امر التمثيل
بقاؤهم فى ظلمات هايلة من غير تعرض لمشعرى السمع والنطق والاختلال مشعر الابصار وقيل الضمير
المقدر وما بعده للموصول باعتبار المعنى كالضماير المتقدمة والاية الكريمة تتمة للتمثيل وتكميل له بان ما
اصابهم ليس مجرد انطفاء نارهم وبقائهم فى ظلمات كثيفة هايلة مع بقاء حاسة البصر بحالها بل اختلت
مشاعرهم جميعا واتصفوا بتلك الصفات على طريقة التشبيه او الحقيقة فبقوا جامدين فى مكانهم لا
يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى ما ابتدوا منه والعدول الى الجملة الاسمية
للدلالة على استمرار تلك الحالة فيهم وقرى صما بكما عميا اما على الذم كما فى قوله تعالى حمالة الحطب والمخصوص
بالذم هم المنافقون او المستوقدون واما على الحالية من الضمير المنصوب فى تركهم والمرفوع فى لا يبصرون
واما على المفعولية لتركهم فى الضمير للمستوقدين او كصيب تمثيل بحالهم اثر تمثيل ليعم البيان عليها كل دقيق
وجليل ويوفى حقها من التفظيع والتهويل فان تفننهم من فنون الكفر والضلال وتنقلهم فيها من حال الى حال
حقيق بان يضرب فى شانه الامثال • ويرخى فى حلبته اعنة المقال • ويمد لشرحه اطناب الاطناب •
ويعقد لاجله فصول وابواب لما ان كل كلام له حظ من البلاغة • وقسط من الجزالة والبراعة لا بد ان يوفى
فيه حق كل من مقامى الاطناب والايجاز فما ظنك بما فى ذروة الاعجاز • من التنزيل الجليل ولقد نعى عنهم فى
هذا التمثيل • تفاصيل خباياهم وهو عطف على الاول على حذف المضاف لما سياتى من الضماير المتوجهة لذلك
اى كمثل ذوى صيب وكلمة او للايذان بتساوى القصتين فى الاستقلال بوجه التشبيه وبصحة التمثيل بكل واحدة
منهما وبهما معا والصيب فيعل من الصوب وهو النزول الذى وقع وتاثير يطلق على المطر وعلى السحاب قال
الشماخ • عفا اية نسج الجنب مع الصبا • واسحم دان صادق الرعد صيب • • • ولعل الاول هو المراد
هاهنا لاستلزامه الثانى وتنكيره لما انه اريد به نوع منه شديد هايل كالنار فى التمثيل الاول وامد به
ما فيه من المبالغات من جهة مادته الاولى التى هى الصاد المستعلية والباء المشددة والبا الشديدة ومادته
الثانية اعنى الصواب المنبى عن شدة الانسكاب ومن شدة بنائه الدال على الثبات من جهة بنائه الدال
على الثبات وقرى او كصايب من السماء متعلق بصيب او بمحذوف وقع صفة له والمراد بالسماء هذه المظلة
وهى فى الاصل كل ما علاك من سقف ونحوه وعن الحسن انها موج مكفوف او ممنوع بقدرة الله عز وجل
من السيلان وتعريفها للايذان بان انبعاث الصيب ليس من افق واحد فان كل افق من افاقها اى كما يحيط
به كل افق منها سما على حدة قال • ومن بعد ارض بيننا وسما • كما ان كل طبقة من طباقها سما قال تعالى واوحى
فى كل سما امرها والمعنى انه صيب عام نازل من غمام مطبق اخذ بالافاق وقيل المراد بالسما السحاب واللام
لتعريف الماهية فيه ظلمات اى انواع منها وهى ظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلاله ما
يلزمه من الغمام الاسحم المطبق الاخذ بالافاق مع ظلمة الليل وجعله محلا لها مع ان بعضها لغيره كظلمتى الغمام
والليل لما انهما جعلتا من توابع ظلمته مبالغة فى شدته وتهويلا لامره وايذانا بانه من الشدة والهول بحيث
تغمر ظلمات الليل والغمام وهو السر فى عدم جعل الظلمات هو الاصل المستتبع للباقى مع ظهور ظرفيتهما
للكل اذ لو قيل او كظلمات فيها صيب لما افاد ان للصيب ظلمة خاصة به فضلا عن كونها غالبة على غيرها
ورعد هو صوت يسمع من السحاب والمشهور انه يحدث من اصطكاك اجرام السحاب بعضها ببعض
او من انقلاع بعضها عن بعض عند اضطرابها بسوق الرياح اياه سوقا عنيفا وبرق وهو ما يلمع من
السحاب من برق الشىء بريقا اى لمع وكلاهما فى الاصل مصدر ولذلك لم يجمعا وكونهما فى الصيب
باعتبار كونهما فى اعلاه ومصبه ووصول اثرهما اليه وكونهما فى الظلمات الكائنة فيه والتنوين فى الكل
للتفخيم والتهويل كانه قيل فيه ظلمات شديدة داجية ورعد قاصف وبرق خاطف وارتفاع الجميع بالظرف

على

على الفاعلية لتحقق شرط العمل بالاعتماد وقيل بالابتدا والجملة اما صفة لصيب او حال منه لتخصصه بالصفة
او بالعمل فيما بعده من الجار او من المستكن فى الظرف الاول على تقدير كونه صفة لصيب والضماير فى قوله عز
وجل يجعلون اصابعهم فى اذانهم للمضاف الذى اقيم مقامه الذى اضيف المضاف اليه فان معناه باق وان حذف
لفظه تعويلا على الدليل كما فى قوله تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فان الضمير لاهل
المدلول عليه بما اقام مقامه من القرية قال حسان رضى الله عنه • يسقون من ورد البريص عليهم • بردى يصفق بالرحيق
السلسل • فان تذكير الضمير المستكن فى يصفق لرجوعه الى الما المضاف الى بردى والا لانث حتما وايثار الجعل المنبى
عن دوام الملابسة واستمرار الاستقرار على الادخال المفيد لمجرد الانتقال من الخارج الى الداخل للمبالغة فى بيان
سد المسامع باعتبار الزمان كما ان ايراد الاصابع مثلا بدل الانامل للاشباع فى بيان سدها باعتبار الذات
كانهم سدوها بجملتها لا بانامله فحسب كما هو المعتاد ويجوز ان يكون هذا ايما الى كمال حيرتهم وفرط دهشتهم
وبلوغهم الى حيث لا يهتدون الى استعمال الجوارح على النهج المعتاد وكذا الحال فى عدم تعيين الاصبع المعتادة
اعنى السبابة وقيل ذلك لرعاية الادب والجملة استيناف لا محل لها من الاعراب مبنى على سوال نشا من الكلام
كانه قيل عند بيان احوالهم الهائلة فماذا يصنعون فى تضاعيف تلك الشدة فقيل يجعلون الخ وقوله تعالى
من الصواعق متعلق بيجعلون اى من اجل الصواعق المقارنة للرعد من قولهم سقاه من العيمة والصاعقة قصفة
رعد هايل تنقض معها شقة نار لا تمر بشىء الا اتت عليه من الصعق وهو شدة الصوت وبناؤها اما ان يكون
صفة كقصفة الرعد او للرعد والتا للمبالغة كما فى الرواية او مصدر كالعافية وقد يطلق على كل هايل مسموع
او مشاهد يقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته بالاحراق او بشدة الصوت وسد الاذان انما يفيده على التقدير
الثانى دون الاول وقرى من الصواقع لا على القلب فى التصريف يقال صقع الديك وخطيب مصقع اى مجهر
بخطبته حذر الموت منصوب بيجعلون على العلة وان كان معرفة بالاضافة كقوله • واغفر عوراء الكريم ادخاره
واصفح عن شتم اللئيم تكرما • • ولا ضير فى تعدد المفعول له فان الفعل يعلل بعلل شتى وقيل هو نصب على المصدرية
اى يحذرون حذرا مثل حذر الموت والحذر والحذار هو شدة الخوف وقرى حذار الموت والموت زوال الحيوة
وقيل عرض يضادها لقوله تعالى خلق الموت والحياة ورد بان الخلق بمعنى التقدير والاعدام مقدرة والله محيط
بالكافرين اى لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط شبه شمول قدرته تعالى لهم وانطوا ملكوته عليهم باحاطة
المحيط بما احاط به فى استحالة الفوت او شبه الهيئة المنتزعة من شئونه تعالى معهم بالهيئة المنتزعة من احوال
المحيط مع المحاط فالاستعارة المبنية على التشبيه الاول استعارة تبعية على ما فى مصدرها من الاستعارة
والمبنية على الثانى تمثيلية قد اقتصر من طرف المشبه به على ما هو العمدة فى انتزاع الهيئة اعنى الاحاطة والباقى
منوى فى الالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر فى التمثيل كما مر تحريره [illegible]
موضع الضمير الراجع الى اصحاب الصيب للايذان بان ما دهمهم من الامور الهائلة المحكية بسبب كفرهم على
منهاج قوله تعالى كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته فان الاهلاك الناشى من السخط اشد
وقيل هذا الاعتراض من جملة احوال المشبه على ان المراد بالكافرين المنافقون قد دل به على انه لا مدفع لهم من عذاب الله
فى الدنيا والاخرة وانما وسط بين احوال المشبه به مع ان القياس تقديمه او تاخيره لاظهار كمال العناية وفرط
الاهتمام بشان المشبه يكاد البرق استيناف اخر وقع جوابا عن سوال مقدر كانه قيل فكيف حالهم مع ذلك البرق
فقيل يكاد ذلك يخطف ابصارهم اى يختلسها ويستلبها بسرعة وكاد من افعال المقاربة وضعت لمقاربة
الخبر من الوجود لتاخذ اسبابه وتعاضد مباديه لكنه لم يوجد بعد لفقد شرط او لعروض مانع ولا يكون خبرها
الا مضارعا عاريا عن ان وشذ مجيئه اسما صريحا كما فى قوله • فابت الى فهم وما كدت ائبا • ولذا جاء محالة مع
ان حملا لها على عسى كما فى قول رؤبة • قد كاد من طول البلى ان يمصحا • كما تحمل عليها بالحذف لما بينهما من
المقارنة فى اصل المقاربة وليس فيها شائبة الانشائية كما فى عسى وقرى يخطف بكسر الطاء ويختطف ويخطف
بفتح الياء والخاء وتشديد الطاء واصله يختطف ويخطف بكسرهما على اتباع الياء للخاء ويخطف من خطف
التفعيل ويتخطف من قوله تعالى ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم ظرف وما مصدرية والزمان محذوف اى كل زمان اضاءة
وقيل ما نكرة موصوفة معناها الوقت والعايد محذوف اى كل وقت اضاء لهم فيه والعامل فى كلما جوابها وهو
استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون فى اثناء ذلك الهول ايفعلون بابصارهم ما فعلوا باذانهم ام لا فقيل
كلما نور لهم البرق [illegible] مشوا فيه اى فى ذلك المسلك اى فى مطرح نوره خطوات يسيرة مع خوف ان يخطف
ابصارهم وايثار المشى على ما فوقه من السعى والعدو للاشعار بعدم استطاعتهم لها واذا اظلم عليهم
اى خفى البرق واستتر والظلام [illegible]
تحقيقا لما اريد منه من المبالغة فى بيان تحيرهم وقد جوز ان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل

ومنه ما جاء في قول ابي تمام • هما اظلما حالي ثمت اجليا • ظلاميهما عن وجه امرد اشيب • • •
ويعضده قراءة اظلم على البنا للمفعول قاموا اى وقفوا في اماكنهم على ما كانوا عليه من الهيئة متحيرين مترصدين
لخفقة اخرى عسى يتهيأ لهم الوصول الى المقصد والالتجا الى ملجا بعضهم وايراد كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام
للايذان بانهم حراص على المشي مترقبون لما يصححه فكلما وجدوا فرصة انتهزوها ولا كذلك الوقوف وفيه من
الدلالة على كمال التحير وتطاير اللب ما لا يوصف ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم كلمة لو لتعليق
حصول امر ماض وهو الجزاء بحصول امر مفروض فيه هو الشرط لما بينهما من الدوران حقيقة او ادعاء ومن قضية
مفروضية الشرط دلالتها على انتفائه قطعا والمنازع فيه مكابر واما دلالتها على انتفاء الجزاء فقد قيل
وقيل والحق الذي لا محيد عنه انه اذا كان ما بينهما من الدوران كليا او جزئيا فقد بني الحكم على اعتبار دم
فهي دالة عليه بواسطة مدلولها الوضعي لا محالة ضرورة استلزام انتفاء العلة لانتفاء المعلول اما في
مادة الدوران الكلي كما في قوله عز وجل ولو شاء لهديكم اجمعين وقولك لو جئتني لاكرمتك فظاهر لان وجود
المشية علة لوجود الهداية حقيقة ووجود المجيء علة لوجود الاكرام ادعاء وقد انتفيا بحكم المفروضية ه
فانتفى معلولاهما حتما ثم انه قد يساق الكلام لتعليل انتفاء الجزاء بانتفاء الشرط كما في المثالين المذكورين
وهو الاستعمال الشايع لكلمة لو ولذلك قيل هي لامتناع الثاني لامتناع الاول وقد يساق الاستدلال
بانتفاء الثاني لكونه ظاهرا او مسلما على انتفاء الاول خفيا او متنازعا فيه كما سياتي في قوله سبحانه وتعالى لو
كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وفي قوله تعالى لو كان خيرا ما سبقونا اليه وان فسادهما لازم لتعدد
الالهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين الى الايمان لازم لتعدد الالهة حقيقة وعدم سبق المؤمنين الى الايمان
لازم لخيريته في زعم الكفرة ولا ريب في انتفاء اللازمين فيتعين انتفاء الملزومين حقيقة في الاول وادعاء
في الثاني ضرورة استلزام انتفاء اللازم لانتفاء الملزوم لكن لا بطريق السببية الخارجية كما في المثالين ه
الاولين بل بطريق الدلالة العقلية الراجعة الى سببية العلم بانتفاء الثاني للعلم بانتفاء الاول ومن لم يتنبه له
زعم انه لانتفاء الاول لانتفاء الثاني واما في مادة الدوران الجزئي كما في قولك لو طلعت الشمس لوجد الضوء فان
الجزاء المنوط بالشيء الذي هو طلوعها لو وجوده هو كان كضوء القمر الجامع لعدم الطلوع مثلا بل انما هو وجود
ذو الخاص الناشئ من الطلوع ولا ريب في انتفائه بانتفاء الطلوع هذا اذا بني الحكم على اعتبار الدوران واما
اذا بني على عدمه واما ان يعتبر هناك تحقق مدار اخر له اولا فان اعتبر فالدلالة تابعة لحال ذلك المدار فان
كان بينه وبين الاول منافاة تعين الدلالة كما اذا قلت لو لم تطلع الشمس لوجد الضوء فان وجود الضوء
وان علق صورة بعدم الطلوع لكنه في الحقيقة معلق بسبب اخر له كالقمر مثلا ولا ريب في ان هذا الجزء منتف
عند انتفاء الشرط لاستحالة وجود الضوء القمري عند طلوع الشمس ان لم يكن بينهما منافاة تعين عدم الدلالة كما في
قوله صلى الله عليه وسلم في بنت ابي سلمة لو لم تكن ربيبتي في حجري ما حلت لي انها لابنة اخي من الرضاعة فان المدار
المفهوم في ضمن الشرط اعني كونها ابنة اخيه عليه السلام من الرضاعة غير مناف لانتفائه الذي هو كونها ربيبته
عليه السلام بل يجامع له ومن ضرورته مجامعة اثريهما اعني الحرمة الناشئة من كونها ابنة اخيه من الرضاعة
وان لم يعتبر هناك تحقق مدار اخر بل بني الحكم على اعتبار عدمه فلا دلالة لها على ذلك اصلا كيف لا ومساق
الكلام حينئذ لبيان ثبوت الجزاء على كل حال بتعلقه بما ينافيه ليعلم ثبوته عند وقوع ما لا ينافيه بالطريق الاولى
كما في قوله عز وجل قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم وقوله عليه السلام لو كان الايمان في
الثريا لناله رجال من فارس وقول علي رضي الله تعالى عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فان الاجزية
المذكورة قد نيطت بما ينافيها ويستدعي نقائضها ايذانا بانها في انفسها بحيث يجب ثبوتها مع فرض انتفاء اسبابها
وتحقق اسباب انتفائها كيف اذا لم يكن لذلك على طريقة لو الوصلية في مثل قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار ولها تفاصيل وتفاريع حررناها في تفسير قوله تعالى اولو كنا كارهين وقول عمر رضي الله تعالى عنه
نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه ان حمل على تعليق عدم العصية في ضمن عدم الخوف بما اخر نحو الحيا
والاجلال وغيرهما مما يجامع الخوف كان من قبيل حديث ابنة ابي سلمة وان حمل على بيان استحالة عصيانه مبالغة
كان من هذا القبيل والاية الكريمة واردة على الاستعمال الشايع مفيدة كمال فظاعة حالهم وغاية هول ما
دهمهم من المشاق وانها قد بلغت من الشدة الى حيث لو تعلقت مشية الله تعالى بازالة مشاعرهم لزالت
لتحقق ما يقتضيه اقتضاء تاما وقيل كلمة لو فيها لربط جزائها بشرطها مجردة عن الدلالة على انتفاء احدهما
لانتفاء الاخر بمنزلة كلمة ان ومفعول المشية محذوف جريا على القاعدة المستمرة فانها اذا وقعت شرطا
وكان مفعولها مضمون الجزاء فلا يكاد يذكر الا ان يكون شيئا مستغربا كما في قوله • فلو شئت ان ابكي دما لبكيته •
عليه ولكن ساحة الصبر اوسع • • اي لو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لفعل ولكن لم يشا لما
يقتضيه من الحكم والمصالح وقرئ لاذهب باسماعهم على زيادة الباء كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة

والاقرار

والاقرار في المشهورة لان التمييز مصدر في الاصل والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها الاستئناف فيه وقيل كلما
اضاء الى اخره وقوله عز وجل ان الله على كل شيء قدير تعليل للشرطية وتقرير لمضمونها الناطق بقدرته تعالى على ازالة
مشاعرهم بالطريق البرهاني والشيء بحسب مفهومه اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان على انه
في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفي في ذلك باعتبار تعلق اختصاص القدرة به لما انها عبارة عن التمكن من الايجاد
والاعدام خاصين به وقد قيل هي صفة تقتضي ذلك التمكن والقدير هو الذي ان شاء فعل وان شاء لم يفعل والقدير
هو الفعال لكل ما يشاء كما يشاء ولذلك لم يوصف به غير الباري جل جلاله ومعنى قدرته تعالى على الممكن الموجود حال
وجوده انه ان شاء ابقاه عليه فان علة الوجود هي علة البقاء وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى رب العالمين
وان شاء اعدامه اعدمه ومعنى قدرته على المعدوم حين عدمه انه ان شاء ايجاده اوجده وان لم يشا لم يوجده
وقيل قدرة الانسان هيئة بها يتمكن من الفعل والترك وقدرة الله تعالى عبارة عن نفي العجز واشتقاق القدرة من
القدر لان القادر يوقع الفعل بقدر ما تقتضيه ارادته او بقدر قوته وفيه دليل على ان مقدور العبد مقدور الله
تعالى حقيقة لانه شيء وكل شيء مقدور له تعالى واعلم ان كل واحد من التمثيلين وان احتمل ان يكون من قبيل التمثيل
المفرق كما في قوله • كان قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالي • • • بان يشبه المنافقون
في التمثيل الاول بالمستوقدين وما اظهروه من الايمان بالنار وتاييدهم اياه بما شاهدوه من الدلايل باستنفادها وتمكنهم
التام من الانتفاع به بما اضاءته ما حولهم وازالته باذهاب النور الناري واخذ الضلالة بمقابلته بلابستهم
الظلمات الكثيفة وبقائهم فيها وتشبهوا في التمثيل الثاني بالسائلة والقران وما فيه من العلوم والمعارف
التي هي مدار الحياة الابدية بالصيب الذي هو سبب الحياة الارضية وما عرض لهم بنزوله من الغموم والاحزان
وانكشاف البال بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وتصامهم عما يقرع اسماعهم من الوعيد
بحال من يحوله من الرعد والبرق فيخاف صواعقه فيسد اذنه منها ولا خلاص له منها واهتزازهم لما يلمع لهم
من رشد يدركونه او رفد يحرزونه بمشيهم في مطرح ضوء البرق كلما اضاء لهم وتحيرهم في امرهم حين عن لهم مصيبة
بوقوفهم اذا اظلم عليهم لكن الحمل على التمثيل المركب الذي لا يعتبر فيه تشبيه كل واحد من المفردات
الواقعة في احد الجانبين بواحد من المفردات الواقعة في الجانب الاخر على وجه التفصيل بل ينتزع فيه من المفردات
الواقعة في جانب المشبه هيئة فيشبه بهيئة اخرى منتزعة من المفردات الواقعة في جانب المشبه به بان
ينتزع من المنافقين واحوالهم المفصلة في كل واحد من التمثيلين هيئة على حدة وينتزع من كل واحد من المستوقدين
واصحاب الصيب واحوالهم المحكية هيئة بحيالها فتشبه كل واحدة من الاوليين بما يضاهيها من الاخريين هو
الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شانه الجليل لاشتماله على التشبيه الاول اجمالا مع امر زايد
هو تشبيه الهيئة بالهيئة وايذانه بان تلك المفردات مستتبعة لهيئة عجيبة حقيقة بان تكون مثلا في الغرابة
يا ايها الناس اعبدوا ربكم اثر ما ذكر الله تعالى علو طبقة كتابه الكريم وتحزب الناس في شانه الى ثلث
فرق مومنة محافظة على ما فيه من الشرايع والاحكام وكافرة قد نبذته وراء ظهورها بالمجاهرة والشقاق
واخرى مذبذبة بينهما بالخداع والنفاق ونعت كل فرقة منها بما لها من النعوت والاحوال وبين ما لهم
من المصير والمال اقبل عليهم بالخطاب على نهج الالتفات هزا لهم الى الاستماع وتوجيها للقلوب نحو التلقي
وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذة الخطاب فامر كافتهم بعبادته ونهاهم عن الاشراك به ويا حرف
وضع لندا البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمه كقول الداعي يا الله ويا رب
وهو اقرب اليه من حبل الوريد استقصارا لنفسه واستبعادا لها من محل الزلفى ومنازل المقربين
واما لتنبيهه على غفلته وسوء فهمه وقد يقصد به التنبيه على ان ما يعقبه امر خطير يعتني بشانه واي مبهم
جعل وصلة الى نداء المعرف باللام [illegible] والتزم
رفعه [illegible] كلمة التنبيه تاكيدا
لمعنى النداء وتعويضا عما يستحقه اي من المضاف اليه [illegible] هذه الطريقة [illegible] من اساليب
المبالغة والتاكيد كثر سلوكها في التنزيل المجيد كيف لا وكل ما نادى [illegible] الاحكام
الشرايع وغير ذلك خطوب جليلة حقيقة بان [illegible] القلوب [illegible]
واعية واكثرهم عنها غافلون فاقتضى الحال المبالغة والتاكيد في الايقاظ والتنبيه والمراد بالناس كافة ه
المكلفين الموجودين في ذلك العصر [illegible] صحة الاستثناء منها
والتاكيد بما يفيد العموم كما في قوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون واستدلال الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين بعمومها شايعا واما من عداهم ممن سيوجد منهم فغير داخلين في خطاب المشافهة وانما دخولهم تحت حكمه
لما تواتر من دينه صلى الله عليه وسلم ان مقتضى خطابه واحكامه شامل للموجودين من المكلفين
ومن سيوجد منهم الى قيام الساعة ولا يقدح في العموم ما روي عن علقمة والحسن البصري ان ما نزل فيه

يا ايها الناس مهنوا مكي اذ ليس من ضرورة نزوله بمكة شرفها الله تعالى اختصاص حكمه باهلها ولا من قضية اختصاصه بالكفار اذ لم يكن كل اهلها حينئذ كفرة ولا ضير في تحقق العبادة في بعض المكلفين قبل وجود هذا الامر لما ان المامور به القدر المشترك الشامل لانشاء العبادة والثبات عليها والزيادة فيها مع انها مذكورة متكررة حسب تكرر اسبابها ولا في انتفاء شرطها في الاخرين منهم اعني الايمان لان الامر بها منتظم للامر بما لا يتم الا به وقد علم من الدين ضرورة اشتراطها به فان امر المحدث بالصلاة مستتبع للامر بالتوضي لا محالة وقد قيل المراد بالعبادة ما يعم افعال القلب ايضا لما انها عبارة عن غاية التذلل والخضوع وروي ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان كل ما ورد في القران من العبادة فمعناه التوحيد وقيل معنى اعبدوا وحدوا واطيعوا ولا في كون بعض من الفريقين الاخيرين ممن لا يجدي فيهم الانذار بموجب النص القاطع لما ان الامر لقطع الاعذار وليس فيه تكليفهم بما ليس في وسعهم من الايمان بعد ما ايمانهم اصلا اذ لا قطع لاحد منهم بدخوله في حكم النص قطعا ورد النص بذلك كونهم في انفسهم بسوء اختيارهم لذلك لورود النص بذلك فلا جبر اصلا نعم لتخصيص الخطاب بالمشركين وجه لطيف ستقف عليه عند قوله لا تجعلوا وايراده تعالى بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد موجب الامر للاشعار بعليتها للعبادة الذي خلقكم صفة اجريت عليه سبحانه للتبجيل والتعليل اثر التعليل وقد جوز كونها للتقييد والتوضيح بناء على تخصيص الخطاب بالمشركين وحمل الرب على ما هو اعم من الرب الحقيقي والالهة التي يسمونها اربابا والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء واصله التقدير يقال خلق النعل اي قدرها وسواها بالمقياس وقرئ خلقكم بادغام القاف في الكاف والذين من قبلكم عطف على الضمير المنصوب ومتمم لما قصد من التعظيم والتعليل فان خلق اصولهم من موجبات العبادة كخلق انفسهم ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف اي كانوا من زمان قبل زمانكم وقيل خلقهم من قبل خلقكم فحذف الخلق واقيم الضمير مقامه والمراد بهم من تقدمهم من الامم السالفة كافة ومن ضرورة عموم الخطاب بيان شمول خلقه تعالى للكل وتخصيصه بالمشركين يؤدي الى عدم التعرض لخلق من عداهم من معاصريهم واخراج الجملة مخرج الصلة التي حقها ان تكون معلومة للانتساب الى الموصول عندهم ايضا مع انهم غير معترفين بغاية الخلق وان اعترفوا بنفسه كما ينطق به قوله تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله للايذان بان خلقهم للتقوى من الظهور بحيث لا يتأتى لاحد انكاره وقد قرئ وخلق من قبلكم وقرئ والذين من قبلكم باقحام الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كاقحام الامرين المضافين في لا ابا لك او بجعله موصوفا بالظرف خبرا لمبتدا محذوف اي الذين هم اناس كائنون من قبلكم لعلكم تتقون المعنى الوضعي لكلمة لعل هو انشاء توقع امر متردد بين وقوعه وعدمه مع رجحان الاول اما محبوب فيسمى ترجيا او مكروه فيسمى اشفاقا وذلك المعنى قد يعتبر تحققه بالفعل اما من جهة المتكلم كما في قولك لعل الله يرحمني وهو الاصل الشائع في الاستعمال لان معاني الانشاءات قائمة به واما من جهة المخاطب تنزيلا له منزلة المتكلم في التلبس التام بالكلام الجاري بينهما كما في قوله سبحانه فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى وقد يعتبر تحققه بالقوة بضرب من التجوز ايذانا بان ذلك الامر في نفسه مئنة للتوقع متصف بحيثية مصححة له من غير ان يعتبر هناك توقع بالفعل من متوقع اصلا فان روعيت في الاية الكريمة جهة المتكلم يستحيل ارادة ذلك المعنى لامتناع التوقع من علام الغيوب عز وجل فيصار اما الى الاستعارة بان يشبه طلبه تعالى من عباده التقوى مع كونهم مئنة لها لتعاضد اسبابها برجاء الراجي من المرجو منه امرا هين الحصول في كون متعلق كل منهما مترددا بين الوقوع وعدمه مع رجحان الاول فيستعار له كلمة لعل استعارة تبعية حرفية للمبالغة في الدلالة على قوة الطلب وقرب المطلوب من الوقوع واما الى التمثيل بان يلاحظ خلقه الله تعالى اياهم مستعدين للتقوى وطلبه اياها منهم وهم متمكنون منها جامعون لاسبابها وينتزع من ذلك هيئة فتشبه بهيئة منتزعة من الراجي ورجائه من المرجو منه شيئا سهل المنال ويستعمل في الهيئة الاولى ما حقه ان يستعمل في الثانية فيكون هناك استعارة تمثيلية قد صرح من الفاظها بما هو العمدة في انتزاع الهيئة المشبه بها اعني كلمة الترجي والباقي منوي بالفاظ متخيلة بها يحصل التركيب المعتبر في التمثيل كما مر مرارا واما جعل المشبه ارادته تعالى في الاستعارة والتمثيل فامر مؤسس على قاعدة الاعتزال القائلة بجواز تخلف المراد عن ارادته تعالى فالجملة حال اما من فاعل خلقكم اي طالبا منكم التقوى كانه قيل خلقكم لتتقوا اما بناء على تجويز تعليل افعاله تعالى باغراض راجعة الى العباد كما ذهب اليه كثير من اهل السنة واما تنزيلا لترتب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ما هو غرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات ومصالح متقنة جليلة من غير ان يكون هي علة غائية لها بحيث لولاها لما اقدم عليها مما لا نزاع فيه وتقييد خلقهم بما ذكر من الحال او العلية لتكميل علته للمامور به وتاكيدها فان اتيانهم بما خلقوا له ادخل في الوجوب وايثار تتقون على تعبدون مع

موافقته لقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون للمبالغة في ايجاب العبادة في الزامها لما ان التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده واذا الزمتم كانما هو ادنى منها الزم والاتيان به اهون فان روعيت جهة المخاطب فلعل في معناها الحقيقي والجملة حال من ضمير اعبدوا كانه قيل اعبدوا ربكم راجين للانتظام في زمرة المتقين الفائزين بالهدى والفلاح على ان المراد بالتقوى مرتبتها الثالثة التي هي التبتل الى الله عز وجل بالكلية والتنزه عن كل ما يشغل سره عن مراقبته وهي اقصى غايات العبادة التي هي يتنافس المتنافسون وبالانتظام القدر المشترك بين انشائه والثبات عليه لتزجية اسباب هذه المرتبة وما دونها من مرتبتي التوقي عن العذاب المخلد عن كل يوم والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك كما مر في تفسير المتقين ولعل توسيط الحال من الفاعل بين وصفي المفعول لما في التقديم من فوات الاشعار بكون الوصف الاول معظم احكام الربوبية وكونه عريقا في ايجاب العبادة وفي التاخير من زيادة طول الكلام هذا على تقدير اعتبار تحقق بالقوة فالجملة حال من مفعول خلقكم وما عطف عليه على الطريقة المذكورة اي خلقكم واياهم حال كونهم جميعا بحيث يرجو منكم كل راج ان تتقوا فانه سبحانه وتعالى لما برأهم مستعدين للتقوى جامعين لما عنها الافاقية والانفسية كان حالهم بحيث يرجو منهم كل راج ان يتقوا لا محالة وهذه الحالة مقارنة لخلقهم وان لم يتحقق الرجا قطعا واعلم ان الاية الكريمة مع كونها بعبارتها ناطقة بوجوب توحيده تعالى او تحتم عبادته على كافة الناس مرشدة لهم باشارتها الى ان مطالعة الايات التكوينية المنصوبة في الانفس والافاق مما يقتضي بذلك قضاء متقنا وقد بين فيها اولا من تلك الايات ما يتعلق بانفسهم من خلقهم وخلق اسلافهم لما انه اقوى شهادة واظهر دلالة ثم عقب بما يتعلق بمعاشهم فقيل الذي جعل لكم الارض فراشا وهو في محل النصب على انه صفة ثانية لربكم موضحة او مادحة او على تقدير اخص او في محل الرفع على المدح والتعظيم بتقدير المبتدا قال ابن مالك التزم حذف الفعل في المنصوب على المدح اشعارا بانه انشا كما في المنادى وحذف المبتدا في المرفوع اجرا للوجهين على سنن واحد واما كونه مبتدا خبره فلا تجعلوا كما قيل فيستدعي ان يكون مناط النهي ما في حيز الصلة فقط من غير ان يكون لما سلف من خلقهم وخلق من قبلهم مدخل في كونه اعظم شانا وجعل بمعنى صير والمنصوبان بعده مفعولاه وقيل هو بمعنى خلق وانتصاب الثاني على الحالية والظرف متعلق به على التقديرين وتقديمه على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كون ما يعقبه من منافع المخاطبين وللتشويق اليه لان النفس عند تاخير ما حقه التقديم لا سيما بعد الاشعار بمنفعته تبقى مترقبة له فيتمكن لديها عند وروده عليها فضل تمكن او لما في المؤخر وما عطف عليه من نوع طول لو قدم لفات تجاوب اطراف النظم الكريم ومعنى جعلها فراشا جعل بعضها بارزا من الماء مع اقتضاء طبعها الرسوب وجعلها متوسطة بين الصلابة واللين صالحة للقعود عليها والنوم فيها كالبساط المفروش وليس من ضرورة ذلك كونها سطحا حقيقيا فان كرويتها مع عظم جرمها مصححة لافتراشها وقرئ بساطا ومهادا والسماء بناء عطف على المفعولين السابقين وتقديم حال الارض لما ان احتياجهم اليها وانتفاعهم بها اكثر واظهر اي جعلها قبة مضروبة عليكم والسماء اسم جنس يطلق على الواحد والمتعدد او جمع سماءة او سماوة والبناء في الاصل مصدر سمي به المبني بيتا كان او قبة او خباء ومنه قولهم بنى على امراته لما انهم كانوا اذا تزوجوا امرأة ضربوا عليها خباء جديدا وانزل من السماء ماء عطف على جعل اي انزل من جهتها او منها الى السحاب ومن السحاب الى الارض كما روي عنه عليه الصلاة والسلام والمراد من السماء جهة العلو كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار وهو على الاولين لزيادة التقرير ومن لابتداء الغاية متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من المفعول اي كائنا من السماء قدم عليه لكونه نكرة واما تقديم الظرف على الوجه الاول فلما انه التاخير عن المفعول الصريح فلما لان السماء اصله ومبدؤه واما لما مر من التشويق اليه مع ما فيه من مزيد انتظام بينه وبين قوله تعالى فاخرج به اي بسبب الماء من الثمرات رزقا لكم وذلك بان اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة منفعلة فتولد من تفاعلهما اصناف الثمار او بان اجرى عادته بافاضة صور الثمار وكيفياتها المتخالفة على المادة الممتزجة منهما وان كان المؤثر في الحقيقة قدرته تعالى ومشيئته فانه تعالى قادر على ان يوجد جميع الاشياء بلا مباد ومواد كما ابدع نفوس المبادي والاسباب لكن له عز وجل في انشائها متقلبة في الاحوال او متبدلة في اطوار من بدائع حكم باهرة تجدد لاولي الابصار عبرا ومزيد طمانينة الى عظيم قدرته ولطيف حكمته ما ليس في ابداعها بغتة ومن للتبعيض لقوله تعالى فاخرجنا به ثمرات ولوقوعها بين منكرين اعني ماء ورزقا كانه قيل وانزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهكذا الواقع اذ لم يكن ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج من الارض كل الثمرات ولا جعل كل المرزوق ثمارا او للتبيين ورزقا مفعول بمعنى المرزوق ومن الثمرات بيان له او حال منه كقولك انفقت من الدراهم

القا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا وزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزقا وانما ساغ ورود الثمرات دون الثمار مع ان الموضع موضع كثرة لانه اريد بالثمرات جماعة الثمرة فى قولك ادركت ثمرة بستانه ويويده القراة على التوحيد لان الجموع يقع بعضها موقع بعض كقوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وقوله ثلاثة قروا ولانها محلاة باللام خارجة عن حد القلة واللام متعلقة بمحذوف وقع صفة لرزقا على تقدير كونه بمعنى المرزوق اى رزقا كائنا لكم او دعامة لتقويه عمل رزقا على تقدير تقدير كونه مصدرا كانه قيل رزقا اياكم فلا تجعلوا لله اندادا اما متعلق بالامر السابق مترتب عليه كانه قيل اذا امرتم بعبادة من هذا شانه من التفرد بهذه النعوت الجلية والافعال الجميلة فلا تجعلوا له شريكا وانما قيل اندادا باعتبار الواقع لا لان مدار النهى هو جمعيه وقرى اندادا وايقاع الاسم الجليل موقع الضمير لتعيين المعبود بالذات اثر تعيينه بالصفات وتعيين الحكم بوصف الالوهية التى عليها مدار امر الوحدانية واستحالة الشركة والايذان باستتباعها لساير الصفات واما معطوفة عليه كما فى قوله تعالى اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والفا للاشعار بعلية ماقبلها من الصفات المجراة عليه تعالى للمنهى والانتهاء او لان مال النهى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى المرتب على اصلها كانه قيل اعبدوا واخضوها به والاظهار فى موضع الاضمار لما مر انفا وقيل هو نهى منصوب باعتبار انه جوابا للامر وياباه ان ذلك فيما يكون الاول سببا للثانى ولا ريب فى ان العبادة لا تكون سببا للتوحيد الذى هو اصلها ومبناها وقيل هو منصوب بلعل نصب فاطلع فى قوله لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات والارض فاطلع الى اله موسى اى خلقكم لتتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه وحيث كان مدار هذا النصب تشبيه لعل فى بعض المرجو بليته كان فيه تنبيه على تقصيرهم بجعلهم المرجو القريب بمنزلة المتمنى البعيد وقيل هو متعلق بقوله تعالى الذى جعل الى اخره على تقدير رفعه على المدح او على الذى حفظكم بهذه الايات العظام والدلالات البينة فلا تتخذوا له شريكا وعنه ما مرمن لذوم كون خلقهم وخلق اسلامهم بمعزل من مناطية النهى مع غرابتها فيها وقيل هو خبر للموصول بتاويل مقول فى حقه وقد عرفت ما فيه من لذوم المصير الى راى الاخفش فى تنزيل الاسم الظاهر منزلة الضمير كما فى قولك زيد قام ابو عبد الله اذا كان ذلك كنيته والند المثل المنادى من ند ندودا اذا نفر وناددته خالفته خص بالمخالفة المماثل بالذات كما خص بالمماثل المساوى فى المقدار وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا والحال انهم ما زعموا انها تماثله تعالى فى صفاته ولا انها تخالفه فى افعاله لما انهم لما تركوا عبادته تعالى الى عبادتهم وسموها الهة شابهت حال حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان تدفع عنهم باس الله عز وجل وتمنحهم ما لم يرد الله تعالى بهم من خير فتهكم بهم وشنع عليهم ان يجعلوا اندادا لمن يستحيل ان يكون له ند واحد وفى ذلك قال موحد الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل • اربا واحدا ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور • تركت اللات والعزى جميعا • كذا يفعل الرجل البصير • وقوله تعالى وانتم تعلمون حال من ضمير لا تجعلوا بصرف التقييد الى ما افاده النهى من قبح المنهى عنه ووجوب الاجتناب عنه ومفعول تعلمون مطروح بالكلية كانه قيل لا تجعلوا ذلك فانه قبيح واجب الاجتناب عنه والحال انكم من اهل العلم والمعرفة بدقايق الامور واصابة الراى او مقدر حسبما يقتضيه المقام نحو وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله تعالى هل من شركايكم من يفعل من ذلكم من شىء او غير ذلك وحاصله تنشيط المخاطبين وحثهم على الانتهاء عما نهوا عنه هذا هو الذى يستدعيه عموم الخطاب فى النهى بجعل المنهى عنه المقدر والمشترك المنتظم لانشاء الانتهاء كما هو المطلوب من الكفرة والثبات عليه كما هو شان المومنين حسبما مر مثله فى الامر واما صرف التقييد الى نفس النهى فيستدعى تخصيص الخطاب بالكفرة لا محالة اذ لا يستبنى ذلك بطريق تقصى النهى على حالة العلم ضرورة شمول التكليف للعالم والجاهل المتمكن من العلم بل انما يتاتى بطريق المبالغة فى التوبيخ والتقريع بناء على ان تعاطى القبايح من العالمين بقبحها اقبح وذلك انما يتصور فى حق الكفرة فمن صرف التقييد الى نفس النهى مع تعميم الخطاب للمومنين ايضا فقد ناى عن التحقيق ان قلنا فى تخصيصه بالكفرة فى الامر والنهى خلاص من امثال ما مر من التكليفات وحسن انتظام بين السباق والسياق اذ لا يجيد فى اية التحدى من تجريد الخطاب وتخصيصه بالكفرة لا محالة مع ما فيه من رباء محال المومنين ورفع شانهم عن حيز الانتظام فى سلك الكفرة والايذان بانهم مستمرون على الطاعة والعبادة حسبما مر فى صدر الاية الكريمة مستغنون فى ذلك عن الامر والنهى قلت على انه وجه سرى ونهج سوى لا يضل من ذهب اليه ولا يذل من تثبت قدمه عليه فتامل وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا شروع فى تحقيق ان الكتاب الكريم الذى من جملته ما تلى من الايتين الكريمتين الناطقتين بوجوب العبادة والتوحيد منزل من عند الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ما ذكر فيهما من الايات التكوينية الدالة على ذلك صادرة عنه تعالى لتوضيح اتصافه بما ذكر فى مطلع الاية الشريفة من النعوت الجليلة التى من جملة

براعتها عن ان يعتريه ريب ما والتعبير عن اعتقادهم فى حقه فى الريب مع انهم جازمون بكونه من كلام البشر كما يعرب عنه قوله تعالى ان كنتم صادقين اما للايذان بان اقصى ما يمكن صدوره عنهم وان كانوا فى غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتياب فى شانه • واما الجزم المذكور فخارج من دايرة الاحتمال كما ان تنكير ريب وتصديره بكلمة الشك للاشعار بان حقه ان يكون ضعيفا امشكوك الوقوع واما للتنبيه على ان جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلايل الاعجاز ونهاية قوتها واما المرتقى وان ارتبتم فيما نزلنا لما انجر لما اشير اليه فيما سلف من المبالغة فى تنزيه ساحة التنزيل عن شايبة وقوع الريب فيه حسبما نطق به قوله تعالى لا ريب فيه والاشعار بان ذلك ان وقع فمن جهتهم لا من جهته العالية واعتبار استقرارهم فيه واحاطته بهم لا ينافى اعتبار ضعفه وقلته لما ان ما يقتضيه ذلك هو دوام ملابستهم به لا قوته وكثرته ومن فى مما ابتدايية متعلقة بمحذوف وقع صفة لريب وجعلها على السببية ربما يوهم كونه محلا للريب فى الجملة وحاشاه ذلك وما موصولة عبارة عن الكتاب الكريم لا عن القدر المشترك بينه وبين ابعاضه وليس معنى كونهم فى ريب منه ارتيابهم فى استقامة معانيه وصحة احكامه بل فى نفس كونه وحيا منزلا من عند الله عز وعلا وايثار التنزيل المبنى عن التدريج على مطلق الانزال المتذكر منشا ارتيابهم وبنا التحدى عليه ارخا للعنان وتوسيعا للميدان فانهم كانوا اتخذوا نزوله منجما وسيلة الى الكابرة فجعل ذلك من مبادى الاعتراف به كانه قيل ان ارتبتم فى شان ما نزلنا على مهل وتدريج فهاتوا انتم مثل نوبة فذه من نوبه ونجم فرد من نجومه فانه ايسر عليكم من ان ينزل الجملة واحدة ويتحدى بالكل وهذا كما ترى غاية ما يكون فى التبكيت وازاحة العلل وفى ذكره صلى الله عليه وسلم لعنوان العبودية مع الاضافة الى ضمير الجلالة من التشريف والتنويه والتنبيه على اختصاصه به عز وجل وانقياده لاوامره تعالى ما لا يخفى وقرى على عبادنا والمراد هو عليه الصلاة والسلام ايذانا بان الارتياب فيه ارتياب فيما انزل من قبله لكونه مصدقا ومهيمنا عليه والامر فى قوله تعالى فاتوا بسورة من باب التعجيز والقام الحجر كما فى قوله تعالى فات بها من المغرب والفا للجواب وسببية للارتياب للامر والاتيان بالمامور لما اشير اليه من انه عبارة عن جزمهم المذكور فانه سبب للاول مطلقا وللثانى على تقدير الصدق كانه قيل ان كان الامر كما زعمتم من كونه كلام البشر فاتوا بمثله لانكم تقدرون على ما يقدر عليه ساير بنى نوعكم والسورة طايفة من القران العظيم المترجمة واقلها ثلث ايات واوها اصلية منقولة من سور البلد لانها محيطة بطايفة من القران مفرزة محوزة على حيالها او محتوية على فنون رايقة من العلوم احتواء سور المدينة على ما فيها او من السورة التى هى الرتبة قال • ولرهط حراب وقد سورة • فى المجد ليس غرابها بمطار • • فان سور القران مع كونها فى انفسها ذات من جنا الفضل والشرف او من حيث الطول والقصر فهى من حيث انتظامها مع اخواتها فى المصحف مراتب يرتقى اليها القارى شيا فشيا وقيل واوها مبدلة من الهمزة فمعناها البقية من الشىء ولا يخفى على ما فيه من قوله تعالى من مثله بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة والضمير لما نزلنا اى بسورة كاينة من مثله فى علو الرتبة وسمو الطبقة والنظم الرايق والبيان البديع وحيازة ساير نعوت الاعجاز وجعلها تبعيضية وعوان له مثلا محققا قد اريد تعجيزهم عن الاتيان ببعضه كانه قيل فاتوا ببعض ما هو مثل له فلا يفهم منه كون المماثلة من تتمة المعجوز عنه فضلا عن كونها مدارا للعجز مع انه المراد ومبنا الامر على المجاراة معهم بحسب حسبانهم حيث كانوا يقولون لو نشا لقلنا مثل هذا وعلى الهكم بهم بايهام ما يسبق من تنزيله منزلة الريب فان مبنى الهكم على تسليم ذلك منهم وتسويغه ولو بغير جد وقيل هى زايدة على ما هو راى الاخفش بدليل قوله تعالى فاتوا بسورة مثله بعشر سور مثله وقيل هى ابتدايية والضمير للمنزل عليه حتما لما ان رجوعه الى المنزل يوهم ان له مثلا محققا قد ورد الامر التعجيزى بالاتيان بشىء منه وقد عرفت ما فيه بخلاف رجوعه الى المنزل عليه فان تحقق مثله عليه السلام فى البشرية والعربية والامية بدون الخطب فى الجملة خلا ان تخصيص التحدى بفرد يشاركه عليه السلام فيما ذكر من الصفات المنافية للاتيان بالمامور به لا يدل على عجز من ليس كذلك من علمايهم بل ربما يوهم قدرتهم على ذلك فى الجملة فرادى ومجتمعين مع انه يستدعى عزل المنزل عن ما فضل من النعوت الموجبة لاستحالة وجود مثله فاين هذا من تحدى امة جة واصله وامرهم بان يحتشدوا فى حلبة المعارضة بخيلهم ورجلهم حسبما ينطق به قوله تعالى وادعوا شهداءكم من دون الله ويتعاونوا على الاتيان بقدر يسير مماثل فى صفات الكمال لما اتى بجملته واحد من ابنا جنسهم والشهدا جمع شهيد بمعنى الحاضر والقايم بالشهادة او الناصر ومعنى دون ادنى مكان من شىء يقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قليلا ثم استعير للتفاوت فى الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو اى فى الفضل والرتبة ثم اتسع فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطى حكم الى حكم من غير ملاحظة انحطاط احدهما من الاخر فجرى مجرى اداة الاستثناء وكلمة من اما متعلقة بادعوا فتكون لابتداء الغاية والظرف مستقر والمعنى ادعوا متجاوزين الله تعالى للاستظهار من حضركم كاينا من كان او الحاضرين فى مشاهدكم ومحاضركم

من رؤسائكم واشرافكم الذين تفزعون اليهم في الملمات وتعولون عليهم في المهمات او القايمين بشهاداتكم
الجارية فيما بينكم من امنائكم المتولين لاستخلاص الحقوق بتنفيذ القول عند الولاة والقايمين بنصركم حقيقة
او زعما من الانس والجن ليعينوكم واخراجه سبحانه وتعالى لانه لا يجاهر اليه واما في ساير الوجوه فللتصريح من
اول الامر ببرائتهم منه تعالى وكونهم في عدد المحاربة والمشاقة له قاصرين استظهارهم على ما سواه والالتفات
لادخال الروعة وتربية المهابة وقيل المعنى ادعوا من دون الله اولياء الله شهداءكم الذين هم وجوه الناس
وفرسان المقاولة والمناقلة ليشهدوا لكم ان ما اتيتم به مثله ايذانا بانهم يابون ان يرضوا لانفسهم الشهادة
بصحة ما هو بين الفساد وجلي الاستحالة وفيه انه يؤذن بعدم شمول التحدي لاولئك الرؤساء وقيل
المعنى ادعوا شهداءكم فصححوا بهم دعواكم ولا تستشهدوا بالله تعالى قايلين الله يشهد ان ما ندعيه حق فان
ذلك ديدن المحجوج وفيه انه ان اريد بما يدعونه حقيقة ما هم فيه من الدين والباطل فلا مساس له بمقام
التحدي وان اريد مثلية ما اتوا به للمتحدى به فمع عدم ملائمته لابتداء التحدي يوهم انهم قد تصدوا للمعارضة
واتوا بشيء مشتبه الحال مترددين بين المثلية وعدمها وانهم ادعوها مستشهدين في ذلك بالله سبحانه
وتعالى اذ عند ذلك تمس الحاجة الى الامر بالاستشهاد بالناس والنهي عن الاستشهاد به تعالى واني لهم ذلك
وما نبض لهم عرق ولا نبسوا ببنت شفة واما متعلقه شهداءكم والمعني بهم الاصنام ودون بمعنى التجاوز
على انها ظرف مستقر وقع حالا من ضمير المخاطبين والعامل ما دل عليه شهداءكم اي ادعوا اصنامكم الذين
اتخذتموهم آلهة متجاوزين الله تعالى في اتخاذها لذلك وكلمة من ابتدائية فان الاتخاذ مبتدأ من التجاوز و
التعبير عن الاصنام بالشهداء للتعيين مدار الاستظهار بها بتهكم بهم كما زعموا من انها تشفع لهم من الله تعالى وانها
تنفعهم بشهادتها لهم انهم على الحق فان من هذا شانه يجب ان يكون ملاذا لهم في كل امر مهم وملجأ يأوون اليه
في كل ملم كانه قيل اولئك عبدتموهم فادعوهم لهذه التي دهمتكم فوجه الالتفات الايذان بكمال سخافة عقولهم
حيث اثروا على عبادة من له الالوهية الجامعة لجميع صفات الكمالات عبادة ما لا احقر منه وقيل
لفظة دون مستعارة من معناها الوصفي الذي هو ادنى مكان من شيء لقدامه كما في قول الاعشى • تريك القذى
من دونها وهي دونه • اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى فيكون ظرفا لغوا معمولا لشهداءكم
لكفاية رايحة الفعل فيه من غير حاجة الى اعتماد ولا تقدير يشهدون اي يدعون اي ادعوا شهداءكم الذين
يشهدون لكم بين يدي الله تعالى ليعينوكم في المعارضة وايرادها في هذا العنوان لما مر من الاشعار بمناط
الاستعانة بها ووجه الالتفات في تربية المهابة وترشيح ذلك المعنى فان ما يقوم بهذا الامر في ذلك المقام
الخطير حقه ان يستعان به ووجه الالتفات في كلمة من امروا في امرهم على الوجهين بان يستظهروا في معارضته
القران الذي اخرس كل منطيق بالجماد من التهكم بهم ما لا يوصف وكلمة من ههنا تبعيضية لما انهم يقولون
جلس بين يديه وخلفه بمعنى في لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل انما يقع في بعض تينك
الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وقد يقال كلمة من الداخلة على دون في جميع المواقع بمعنى في
كما في ساير الظروف التي لا تتصرف وتكون منصوبة على الظرفية ابدا ولا تجر الا بمن خاصة وقيل المراد
بالشهداء مدارة القوم ووجوه المحافل والمحاضر ودون ظرف مستقر ومن ابتدائية اي الذين يشهدون
لكم ان ما اتيتم به مثله متجاوزين في ذلك اولياء الله ومحصله شهداء مغايرين لهم ايذانا بانهم ايضا لا يشهدون
بذلك وانما قدر المضاف الى الله تعالى رعاية للمقابلة فان اولياء الله تعالى يقابلون اولياء الاصنام كما
ان ذكر الله تعالى يقابل ذكر الاصنام والمقصود بهذا الامر ارخاء العنان والاستدراج الى غاية التبكيت
كانه قيل تركنا الزامكم بشهداء لا ميل لهم الى احد الجانبين كما هو المعتاد واكتفينا بشهدائكم المعروفين
بالذب عنكم فانهم ايضا لا يشاهدون لكم حذرا من اللائمة وانفة من الشهادة البينة البطلان كيف وامر الاعجاز
قد بلغ من الظهور الى حيث لم يبق الى انكاره سبيل قطعا وفيه ما مر من عدم الملائمة لابتداء التحدي
وعدم تناوله لاولئك الشهداء وايهام انهم تعرضوا للمعارضة واتوا بشيء احتاجوا في اثبات مثليته للمتحدى
به الى الشهادة وشتان بينهم وبين ذلك ان كنتم صادقين اي في زعمكم انه من كلامه عليه السلام وهو شرط
حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا بسورة من مثله الى اخره واستلزام المقدم
للتالي من حيث ان صدقهم في ذلك الزعم يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه
الصلاة والسلام في البشرية والعربية مع ما بهم من طول الممارسة للخطب والاشعار وكثرة المزاولة
لاساليب النظم والنثر والمبالغة في حفظ الوقايع والايام لا سيما عند المفاخرة والتفاوت ولا ريب
في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر به فان لم تفعلوا اي ما امرتم به من الاتيان
بالمثل بعد ما بذلتم في السعي غاية المجهود وجاوزتم في الحد كل حد معهود متشبثين بالذيول راكبين
متن كل صعب وذلول وانما لم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه بناء على كمال ظهوره كانكم على ذلك وانما

اورد

اورد في حيز الشرط مطلق الفعل وجعل مصدر الفعل المامور به مفعولا له للايجاز البديع المغني عن التطويل
والتكرير مع سر سري استقل به المقام وهو الايذان بان المقصود بالتكليف هو ايقاع نفس الفعل المامور به
لاظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول اي المأتي به ضرورة استحالته وان مناط الجواب في الشرطية اعني
الامر باتقاء النار هو عجزهم عن ايقاعه لا فوت حصول المفعول فان مدلول لفظ الفعل هو نفس الفعل الحادث
لازمة كانت او متعدية من غير اعتبار تعلقه بمفعولاتها الخاصة فاذا علق بفعل خاص متعد فانما
يقصد به ايقاع نفس ذلك الفعل واخراجه من القوة الى الفعل واما تعلقه بمفعوله المخصوص فهو خارج
عن مدلول الفعل المطلق وانما يستفاد ذلك من الفعل الخاص ولذلك تراهم يتوسلون بذلك الى تجريد
الافعال المتعدية عن مفعولاتها وتنزيلها منزلة الافعال اللازمة فيقولون مثلا معنى فلان يعطي ويمنع
يفعل الاعطاء والمنع يرشدك الى هذا قوله تعالى فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون بعد قوله
تعالى ائتوني باخ لكم من ابيكم فانه لما كان مقصود يوسف عليه السلام بالامر والمرمى غرضه بالتكليف
استحضار بنيامين لم يكتف بالشرطية الداعية بهم الى الجد في الامتثال والسعي في تحقيق المامور به بالاشارة
الاجمالية الى الفعل الذي ورد به الامر بان يقول فان لم تفعلوا بل اعاده بعينه متعلقا بمفعوله تحقيقا لمطلبه
واعرابا لمقصده هذا وقد قيل اطلق الفعل واريد به الاتيان مع ما يتعلق به اما على طريقة التعبير عن الاسماء
الظاهرة بالضماير الراجعة اليها حذرا من التكرار وعلى طريقة ذكر اللازم وارادة الملزوم لما بينهما من التلازم
المصحح للانتقال بمعونة قراين الحال فتدبروا ايثار كلمة ان المفيدة للشك على اذا مع تحقيق الجزم بعدم فعلهم
مجاراة معهم بحسب حسبانهم قبل التجربة او تهكما بهم ولن تفعلوا كلمة لن لنفي المستقبل كلا خلا ان في لن
زيادة تاكيد وتشديد واصلها عند الخليل لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها نونا وعند سيبويه حرف
مقتضب لمعنى المذكور وهي احدى النواصب عن الخليل والجملة اعتراض بين جزئي الشرط مقررة لمضمون
مقدمها ومؤكدة لايجاب العمل بتاليها وهذه معجزة باهرة حيث اخبر بالغيب الخاص علمه به عز وجل وقد
وقع الامر كذلك كيف لا ولو عارضوه بشيء يدانيه في الجملة لتناقله الرواة خلفا عن سلف فاتقوا النار
جواب الشرط على ان اتقاء النار كناية عن الاحتراز عن العناد اذ بذلك يتحقق تسببه عنه كانه قيل
فاذا عجزتم عن الاتيان بمثله كما هو المقرر فاحترزوا من انكار كونه منزلا من عند الله سبحانه فانه موجب
للعقاب بالنار لكن اوثر عليه الكناية المذكورة المبنية على تصوير النار وجعل الاتصاف به عين الملابسة
للمبالغة في تهويل شانه وتفظيع امره واظهار كمال العناية بتحذير المخاطبين منه وتنفيرهم عنه
وحثهم على الجد في تحقيق المكني عنه وفيه من الايجاز البديع ما لا يخفى حيث كان الاصل فان لم تفعلوا فقد
صح صدقه عندكم فاذا صح ذلك كان لزومكم العناد وترككم الايمان سببا لاستحقاقكم العقاب بالنار
فاحترزوا منه واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة صفة للنار مورثة لها زيادة هول وفظاعة
اعاذنا الله منها بحيث لا تتقد الا بمن سيأتي من رطب او يابس الا احرقته لا كنيران الدنيا متقد في التهابها الى
وقود من حطب او حشيش وانما جعل هذا الوصف صلة للموصول المقتضية لكون انتسابها الى ما ينسب
هي اليه معلوما للمخاطب بناء على انهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالحجارة الاصنام
وبالناس انفسهم حسبما ورد في قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية اعدت للكافرين
اي هيئت للذين كفروا بما نزلناه وجعلت عدة لعذابهم والمراد بهم جنس الكفار والمخاطبون داخلون
فيهم دخولا اوليا واياهم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم لذمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت
من العتاد بمعنى العدة وفيه دلالة على ان النار مخلوقة موجودة الان لا من ضميرها وقودها لما في ذلك
من الفصل بينهما بالخبر وقيل جملة بعد صلة او عطف على الصلة بترك العاطف وبشر الذين امنوا اي بانه
منزل من عند الله عز وجل وهو معطوف على الجملة السابقة لكن لا على ان المقصود عطف نفس الامر حتى
يطلب له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة المؤمنين بالقران ووصف ثوابهم على قصة
الكافرين به وكيفية عقابهم جريا على السنة الالهية من شفع الترغيب بالترهيب والوعد بالوعيد
وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين حالي الفريقين وقرئ وبشر على صيغة الفعل مبنيا للمفعول عطفا
على اعدت فيكون استينافا وتعليق التبشير بالموصول للاشعار بانه معلل بما في حيز الصلة من الايمان
والعمل الصالح لكن لا لذاتهما فانهما لا يكافئان النعم السابقة فضلا من ان يقتضيا ثوابا فيما يستقبل بل بجعل
الشارع ومقتضى وعده وجعل صلته فعلا مفيدا للحدوث بعد ايراد الكفار بصيغة الفاعل لحث المخاطبين
بالكفار على احداث الايمان وتحذيرهم من الاستمرار على الكفر والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل
من يتاتى منه التبشير كما في قوله عليه السلام بشر المشائين الى المساجد في ظلم الليالي بالنور التام يوم
القيمة فانه عليه السلام لم يامر بذلك واحدا بعينه بل كل احد ممن يتاتى منه ذلك وفيه رمز الى ان الامر

لعظمه وفخامة شانه حقيق بان يتولى التبشير به كل من يقدر عليه والبشارة الخبر السار الذي يظهر به اثر السرور في البشرة وتباشير الصبح اوائل ضوء وعملوا الصالحات الصالحة الحسنة في الجريان مجرى الاسم وهي كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل واللام للجنس والجمع لافادة ان المراد بها جملة من الاعمال الصالحة التي اشير الى امهاتها في مطلع السورة الكريمة وطائفة منها متفاوتة حسب تفاوت المكلفين في مواجب التكليف وفي عطف العمل على الايمان دلالة على تغايرهما واشعار بان مدار استحقاق البشارة مجموع الامرين فان الايمان اساس العمل الصالح والبناء عليه ولا غناء باس لا بناء به ان لهم جنات منصوب بنزع الخافض وافضاء الفعل اليه او مجرور باضماره مثل الله لافعلن والجنة هي المرة من مصدر جنه اذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المتظلل الملتفات اغصانه قال نصيب ٭ كان عيني في غربي مقتلة ٭ من النواضح تسقي جنة سحقا ٭ ٭ ٭ اي نخلا طوالا لانها لفرط تكاثفها والتفافها وتغطيتها لما تحتها بالمرة نفس الستر وعلى الارض ذات الشجر قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم فحق المصدر ان يكون ماخوذا من الفعل المفعول انما سميت دار الثواب بها مع ان ما فيها ما لا يوصف من الغرفات والقصور لما انها مناط نعيمها ومعظم ملاذها وجمعها مع التنكير لانها سبع على ما ذكره ابن عباس رضي الله تعالى عنه جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم وجنة الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون وفي كل واحدة منها مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الاعمال واصحابها تجري من تحتها الانهار في حيز النصب على انه صفة جنات فان اريد بها الاشجار فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض المشتملة عليها فلا بد من تقدير مضاف اي تحت اشجارها وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فاعتبار التحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم الجنة على الكل عن مسروق انهار الجنة تجري في غير اخدود واللام في الانهار للجنس كما في قولك لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب او عوض عن المضاف اليه كما في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا او للعهد والاشارة الى ما ذكر في قوله عز وعلا انهار من ماء غير آسن الاية والنهر بفتح الهاء وسكونها المجرى الواسع فوق الجدول دون البحر كالنيل والفرات والتركيب للسعة والمراد بها ماؤها على الاضمار او على المجاز اللغوي والمجاري انفسها وقد اسند اليها الجريان مجازا عقليا كما في سال الميزاب كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل صفة اخرى لجنات اجريت مجرى على الاولى لان جريان الانهار من تحتها وصف لها باعتبار اهلها المتمتعين بها او خبر مبتدأ محذوف او جملة مستانفة كانه حين وصف الجنات بما ذكر من الصفة وقع في ذهن السامع ان ثمارها كثمار جنات الدنيا او لا فبين حالها وكلما نصب على الظرفية ورزقا مفعول به ومن الاولى والثانية للابتداء واقعتان موقع الحال كانه قيل كل وقت رزقوا مرزوقا مبتدأ من الجنات مبتدأ من ثمرة على ان الرزق معتبر بكونه مبتدأ من الجنات وابتداؤه منها مقيد بكونه مبتدأ من ثمرة فصاحب الحال الاولى رزقا وصاحب الثانية ضميره المستكن في الحال ويجوز كون من ثمرة بيانا تقدم على المبين كما في قولك رايت منك اسدا وهذا اشارة الى ما رزقنا وان وقعت على فرد معين منه كقولك مشيرا الى نهر جار هذا الماء لا ينقطع فانك وان اشرت الى ما تعاينه بحسب الظاهر لكنك انما تعني بذلك النوع المستمر فالمعنى هذا الذي رزقنا من قبل اي من قبل هذا في الدنيا ولكن لما استحكم الشبه بينهما جعل ذاته ذاته وانما جعل ثمر الجنة كثمار الدنيا لتميل النفس اليه حين تراه فان الطباع مائلة الى المالوف متنفرة من غير معروف ولتبين لها مرتبة وكنه النعمة فيها اذ لو كان جنسا غير معهود الظن انه لا يكون الا لذلك او مثل الذي رزقنا من قبل الجنة لان طعامها متشابه الصور كما يحكى عن الحسن رضي الله تعالى عنهم عنه ان احدهم يؤتى بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى باخرى فيراها مثل الاولى فيقول ذلك فتقول الملائكة كل فاللون واحد والطعم مختلف او كما روي انه صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول الثمرة فياكلها فما هي واصلة الى فيه حتى يبدل الله تعالى مكانها مثلها والاول انسب لمحافظة عموم كلما فانه يدل على ترديدهم هذه المقالة كل مرة رزقوا الا فيما عدا المرة الاولى يظهرون بذلك التبجح وفرط الاستغراب لما بينهما من التفاوت العظيم من حيث اللذة مع اتحادهما في الشكل واللون كانهم قالوا هذا عين ما رزقناه في الدنيا فمن اين له هذه الرتبة من اللذة والطيب ولا يقدح فيه ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من انه ليس في الجنة من اطعمة الدنيا الا الاسم فان ذلك لبيان كمال التفاوت بينهما من حيث اللذة والحسن والهيئة لا لبيان ان لا تشابه بينهما اصلا كيف لا واطلاق الاسماء منوط بالاتحاد النوعي قطعا هذا وقد فسرت الاية الكريمة بان مستلذات اهل الجنة بمقابلة ما رزقوه في الدنيا من المعارف والطاعات متفاوتة بحسب تفاوتها فيجوز ان يريدوا هذا ثواب الذي رزقناه في الدنيا من الطاعة ولا يساعده تخصيص ذلك بالثمرات فان الجنة وما فيها من فنون الكرامات من قبيل الثواب واتوا به متشابها اعتراض مقرر لما قبله والضمير المجرور على الاول راجع الى ما دل عليه فحوى الكلام مما رزقوا في الدارين كما في قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير وعلى الثاني الى الرزق ولهم فيها ازواج مطهرة اي مما في نساء الدنيا

من الاحوال المستقذرة كالحيض والدرن ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والافعال وقرئ مطهرات وهما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلت وفعلن وهن فاعلة وفواعل قال ٭ وانا الغذارى بالدخان تقنعت ٭ واستعجلت نصب القدور فملت ٭ ٭ ٭ فالجمع على اللفظ والافراد على تاويل الجماعة وقرئ مطهرة بتشديد الطاء وكسر الهاء بمعنى متطهرة ومطهرة ابلغ من طاهرة ومتطهرة للاشعار بان مطهرا طهرهن وهو الله سبحانه وتعالى واما التطهير فيحتمل ان يكون من قبل انفسهن كما عند اغتسالهن والزوج يطلق على الذكر والانثى وهو في الاصل اسم لما فيه له قرين من جنسه وليس في مفهومه اعتبار التوالد الذي هو مدار بقاء النوع حتى لا يصح اطلاقه على الزوج في ازواج اهل الجنة لخلوهم فيها واستغنائهم عن الاولاد كما ان المدار لبقاء الفرد ليس بمعتبر في مفهوم اسم الرزق حتى يخل ذلك باطلاقه على ثمار الجنة وهم فيها خالدون اي دائمون والخلود في الاصل الثبات المديد دام او لم يدم ولذلك قيل للاثافي والاحجار خوالد وللجزء الذي يبقى من الانسان على حاله خلد ولو كان وضعه للدوام قطعا لما يقتضي به من الايات والسنن وما قيل ان الابدان مؤلفة من الاجزاء المتضادة في الكيفية معرضة للاستحالات المؤدية الى الانحلال والانفكاك مداره قياس ذلك العالم الكامل بما يشاهد في عالم الكون والفساد على انه يجوز ان يعيدها الخالق تعالى بحيث لا يعتريها الاستحالة الانحلال قطعا بان يجعل اجزاءها متفاوتة في الكيفيات متعادلة في القوى بحيث لا يقوى شيء منها عند التفاعل على احالة الاخر متعانقة متلازمة لا ينفك بعضها عن بعض وتبقى هذه النسبة محفوظة فيما بينها ابدا لا يعتريها التغير بالاكل والشرب والحركات وغير ذلك واعلم ان معظم اللذات الحسية لما كان المقصور على المساكن والمطاعم والمناكح حسبما يقتضي به الاستقراء وكان ملاك جميع ذلك الدوام والثبات اذ كل نعمة وان جلت حيث كانت في شرف الزوال ومعرض الاضمحلال فانها منغصة غير صافية من شوائب الالم بشر المؤمنين بها وبدوامها تكميلا للبهجة والسرور اللهم وفقنا لمراضيك وثبتنا على ما يؤدي اليها من القول والعمل ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة شروع في تنزيه ساحة التنزيل عن تعلق ريب خاص اعتراهم من جهة ما وقع فيه من ضرب الامثال وبيان لحكمته وتحقيق للحق اثر تنزيهها عما اعتراهم من مطلق الريب بالتحدي والزامهم العجز والمفاحمة كافة البلغاء من اهل المدر والوبر روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المنافقين طعنوا في ضرب الامثال بالنار والظلمات والرعد والبرق وقالوا الله اجل واعلى من ضرب الامثال وروى عطاء عنه رضي الله تعالى عنه ان هذا الطعن كان من المشركين وروي عنه ايضا لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له الاية وقوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء الاية قالت اليهود اي قدر للذباب والعنكبوت حتى يضرب الله تعالى بهما المثل وجعل ذلك ذريعة الى انكار كونه من عند الله مع انه لا يخفى على احد ممن له تمييز انه ليس مما يتصور فيه التردد فضلا عن التكذيب بل هو واضح ادلة كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر كيف لا وان التمثيل كما مر ليس الا ابراز المعنى المقصود في معرض الامر المشهود وتحلية المعقول بحلية المحسوس وتصوير اوابد المعاني الهيئة المانوس لاستمالة الوهم واستنزاله عن معارضته العقل واستعصائه عليه في ادراك الحقائق الخفية وفهم الدقائق الابية كي يتابعه فيما يقتضيه ويشايعه الى ما يرتضيه ولذلك شاعت الامثال في الكتب الالهية والكلمات النبوية وذاعت في عبارات البلغاء واشارات الحكماء ومن قضية وجوب التماثل بين الممثل والممثل به في مناط التمثيل تمثيل العظيم بالعظيم والحقير بالحقير وقد مثل في الانجيل غل الصدر بالنخالة ومعارضة السفهاء باثارة الزنابير وجاء في عبارات البلغاء اجمع من ذرة واجرأ من الذباب واسمع من قراد واضعف من بعوضة الى غير ذلك مما لا يكاد يحصى والحياء تغير النفس وانقباضها عما يعاب به او يذم عليه يقال حيي الرجل وهو حي واشتقاقه من الحياة اشتقاق شظي النسي وحشي اذا اعتلت منه تلك الاعضاء كان من يعتريه الحياء يعتل قواه الحيوانية وتنتقص واستحيى بمعناه خلا انه يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال استحييته واستحييت منه والاول لا يتعدى الا بحرف الجر وقد تحذف منه احدى الياءين ومنه قوله ٭ الا يستحي منا الملوك ويتقي ٭ محارمنا لا يبوء الدم بالدم وقوله ٭ اذا ما استحين الماء يعرض نفسه ٭ كرعن بسبت في اناء من الورد ٭ ٭ ٭ وكلا انه اذا اسند اليه سبحانه يطلق على الايجاب في مثل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا يستحيي من ذي الشيبة المسلم ان يعذبه وقوله عليه الصلوة والسلام ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا اريد به الترك اللاحق على طريقة التمثيل حيث مثل في الحديثين الكريمين تركه تعذيب ذي الشيبة وتخييب العبد من عطاياه بترك من يترك كليهما حياء لذلك اذا نفي عنه تعالى في المقام الخاص كما في هذه الاية الشريفة وفي قوله ان الله تعالى والله لا يستحيي من الحق يراد به سلب ذلك الترك الخاص المناهي لنوك المستحق منه لا سلب وصف الحياء عنه تعالى راسا كما في قوله ان الله تعالى لا يوصف بالحياء لان تخصيص السلب ببعض المواد يوهم كون الايجاب من شانه تعالى في الجملة فالمراد هاهنا عدم ترك

ضرب المثل المماثل لترك من يستحيي من ضربه وفيه رمز الى تعاضد الدواعي الى ضربه وتأكيد البواعث
اليه اذ الاستحياء انما يتصور في الافعال المقبولة للنفس المرضية عندها ويجوز ان يكون وروده على طريقة
المشاكلة فانهم كانوا يقولون ما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالاشياء المحقرة كما في قول من قال
من مبلغ افناء يعرب كلها ◦ انى بنيت الجار قبل المنزل ◦◦◦ وضرب المثل استعماله في مضربه وتطبيقه به
لا صنعه وانشاؤه في نفسه والا لكان انشاء الامثال السائرة في مواردها ضربا لها دون استعمالها بعد
ذلك في مضاربها لفقدان الانشاء هناك والامثال الواردة في التنزيل وان كان استعمالها بعد ذلك
في مضاربها عين انشائها في نفسها لكن التعبير بالضرب ليس بهذا الاعتبار بل بالاعتبار الاول قطعا وهو
مأخوذ اما من ضرب الخاتم بجامع التطبيق فكما ان ضربه تطبيقه بقالبه كذلك الامثال في مضاربها تطبيقها
كأن المضارب قوالب تضرب الامثال على شاكلتها لكن لا بمعنى انها تنشأ بحسبها بعد ان لم تكن كذلك بل
بمعنى انها ترد منطبقة عليها سواء كان انشاؤها كعامة الامثال التنزيلية وقبل ذلك كسائر الامثال
السائرة فانها وان كانت مصنوعة من قبل الا ان تطبيقها اي ايرادها منطبقة على مضاربها انما يحصل
عند الضرب واما من ضرب الطين على الجدار ليلتزق به بجامع الالصاق كان من يستعملها يلصقها بمضاربها
ويجعلها ضربة لازب لا ينفك عنها لشدة تعلقها بها ومحل ان يضرب على تقدير تعديه بنفسه النصب
على المفعولية واما على تقدير تعديته بالجار فعند الخليل الخفض باضمار من وعند سيبويه النصب بافضاء الفعل
اليه بعد حذفها ومثلا مفعول ليضرب وما اسمية ابهامية تزيد ما تقارنه من الاسم المنكر ابهاما وشياعا
كما في قولك اعطني كتابا ما كأنه قيل مثلا من الامثال اي مثل كان فانه صفة لما قبلها او حرفية مزيدة
لتقوية النسبة وتوكيدها كما في قوله تعالى فبما رحمة من الله وبعوضة بدل من مثلا او عطف بيان عند من يجوزه
في النكرات او مفعول ليضرب ومثلا حال تقدمت عليها لكونها نكرة او هما مفعولاه لتضمنه معنى الجعل والتصيير
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو بعوضة والجملة على تقدير كون ما موصولة صلة لها بحذف
الصدر كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن او على قراءة الرفع او على تقدير كونها ابهامية صفة لها لمثلا
لذلك واما على تقدير كونها استفهامية فهي خبر لها كأنه لما رد استبعادهم ضرب المثل قيل ما بعوضة فما
فوقها حتى لا يضرب بها المثل بل له تعالى ان يمثل بما هو اصغر منها واحقر كجناحها على ما وقع في قوله صلى الله
عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء والبعوض فعول من البعض
كالبضيع والقضيب غلب على هذا النوع كالخموش في لغة هذيل الخمس وهو الخدش فما فوقها عطف على بعوضة
على تقدير نصبها على الوجوه المذكورة وما موصولة او موصوفة صلتها او صفتها الظرف واما على تقدير
رفعها فهو عطف على ما الاولى على تقدير كونها استفهامية فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها
كما قيل المعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيء فوقها حتى لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها استفهامية
فهو عطف على خبرها اعني بعوضة لا على نفسها كما قيل المعنى ما بعوضة فالذي فوقها او فشيء فوقها حتى
لا يضرب بها المثل وكذا على تقدير كونها صفة للنكرة او زائدة او بعوضة خبر المضمر وذكر البعوضة
فما فوقها من بين افراد المثل انما هو بطريق التمثيل دون التعيين والتخصيص فلا يخل بالشمول بل يقرره ويوكده
بطريق الاولوية والمراد بالفوقية اما الزيادة في المعنى الذي اريد بالتمثيل اعني الصغر والحقارة واما
الزيادة في الحجم والجثة لكن لا بالغا ما بلغ بل في الجملة كالذباب والعنكبوت وعلى التقدير الاول يجوز ان يكون
ما الثانية خاصة استفهامية انكارية والمعنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فأي شيء فوقها
في الصغر والحقارة فاذن له تعالى ان يمثل بكل ما يريد ونظيره في احتمال الامرين ما روي ان رجلا بمنى خر
على طنب فسطاط فقالت عائشة رضي الله تعالى عنها حين ذكر لها ذلك سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب الله له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة فانه
يحتمل ما يجاوز الشوكة في القلة كنخبة النملة بقوله عليه السلام ما اصاب المومن من مكروه فهو كفارة
لخطاياه حتى نخبة النملة وما تجاوزها في الالم كامثال ما حكي من الخرور فاما الذين آمنوا شروع
في تفصيل ما يترتب على ضرب المثل من الحكم اثر تحقيق حقيته صدوره منه تعالى والفاء للدلالة على ترتب
ما بعدها على ما يدل عليه ما قبلها كأنه قيل فيضربه فاما الذين آمنوا الى آخره وتقديم بيان حال المؤمنين
على ما حكي من الكفرة مما لا يفتقر الى بيان السبب وفي تصدير الجملتين باما من احماد المؤمنين وذم الكفرة
ما لا يخفى وهو حرف متضمن لمعنى اسم الشرط وفعله بمنزلة مهما يكن من شيء ولذلك يجاب بالفاء
وفائدته توكيد ما صدر به وتفصيل ما في نفس المتكلم من الاقسام فقد تذكر جميعا وقد يقتصر على
واحد منها كما في قوله عز من قائل فاما الذين في قلوبهم زيغ قال سيبويه اما زيد فذاهب معناه مهما يكن
من شيء فهو ذاهب لا محالة وانه منه عزيمة وكان الاصل دخول الفاء على الجملة لانها الجزاء لكن كرهوا ايلاءها

حرف الشرط فادخلوها الخبر وعوض المبتدأ عن الشرط لفظا والمراد بالموصول فريق المؤمنين المعهودين كما
ان المراد بالموصول الآتي فريق الكفرة لا من يؤمن بضرب المثل ومن يكفر به لاختلال المعنى اي فاما المؤمنون فيعلمون
انه الحق من ربهم كسائر ما ورد منه تعالى والحق هو الثابت الذي يحق ثبوته لا محالة بحيث لا سبيل للعقل الى انكاره
والثابت الدلالة على انه مشهود له بالحقية وان له حكما ومصالح ومن لابتداء الغاية المجازية وعاملها محذوف
وقع حالا من الضمير المستكن في الحق او من الضمير العائد الى المثل او الى ضربه اي كائنا وصادرا من ربهم والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والايذان بان ضرب المثل تربية لهم وارشاد الى ما
يوصلهم الى كمالهم اللائق بهم والجملة سادة مسد مفعولي يعلمون عند الجمهور ومسد مفعوله الاول والثاني
محذوف عند الاخفش اي فيعلمون حقيته ثابتة ولعل الاكتفاء بحكاية علمهم المذكور عن حكاية اعترافهم بموجبه
كما في قوله تعالى والراسخون في العلم يقولون امنا به كل من عند ربنا للايذان بقوة ما بينهما من التلازم ه
وظهور المعنى عن الذكر واما الذين كفروا ممن حكيت اقوالهم وافعالهم فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا
اوثر يقولون على لا يعلمون حسبما يقتضيه ظاهر قرينه دلالة على كمال غلوهم في الكفر وترامي امرهم في العتو فان
مجرد العلم بحقيقته ليس بمثابة انكارها والاستهزاء به صريحا وتمهيد لتعداد ما عليهم في تضاعيف الجواب
من الضلال والفسق ونقض العهد وغير ذلك من شنايعهم المترتبة على قولهم المذكور على ان عدم العلم
بحقيقته لا يعم جميعهم فان منهم من يعلمها وانما يقولون مكابرة وعنادا وحمله على عدم الاذعان والقبول
الشامل للجهل والعناد تعسف ظاهر هذا وقد قيل كان من حقه واما الذين كفروا فلا يعلمون ليطابق قرينه
ويقابل قسيمه لكن لما كان قولهم هذا دليلا واضحا على جهلهم عدل اليه على سبيل الكناية ليكون كالبرهان عليه
فتامل وكن على الحق المبين وماذا اما مؤلفة من كلمة استفهام وقعت مبتدأ خبره ذا بمعنى الذي وصلته التي ما
بعده والعائد محذوف فالاحسن ان يجي جوابه مرفوعا واما منزلة منزلة اسم واحد بمعنى اي شيء فالاحسن
جوابه النصب والارادة نزوع النفس وميلها الى الفعل بحيث يحملها عليه او القوة التي هي مبدأ والاول
مع الفعل والثاني قبله وكلا معنييها مما لا يتصور في حقه تعالى ولذلك اختلفوا في ارادته عز وجل فقيل
ارادته تعالى لافعاله كونه غير ساه فيه ولا مكره ولا فعل غيره امره بها فلا يكون العاصي بارادته تعالى وقيل
هي علمه باشتمال الامر على النظام الاعلى والوجه الاصلح فانه يدعوا لقادر الى تحصيله والحق انه عبارة عن ترجيح
احد طرفي المقدور على الآخر وتخصيصه بوجه دون وجه او معنى يوجبه وهي اعم من الاختيار فانه ترجيح
مع تفضيل وفي كلمة هذا تحقير للمشار اليه واسترذال ومثلا نصب على الحال او على التمييز كما في قوله تعالى
ناقة الله لكم اية وليس مرادهم بهذه العظيمة استفهام الحكمة في ضرب المثل ولا القدح في اشتماله على
الفائدة مع اعترافهم بصدوره عنه عز وعلا بل غرضهم التنبيه بادعاء انه من الدناءة والحقارة بحيث
لا يليق بان يتعلق به امر من الامور الداخلة تحت ارادته تعالى على استحالة ان يكون ضرب المثل به من عنده
سبحانه فقوله عز من قائل يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جواب عن تلك المقالة الباطلة ورد لها ببيان انه
مشتمل على حكمة جليلة وغاية جميلة هي كونه ذريعة الى هداية المستعدين للهداية في الدلالة على تحققهما
فان ارادتهما دون وقوعهما بالفعل وتجافيا عن نظم الاضلال مع الهداية في سلك الارادة لابهامه
تساويهما في تعلقها وليس كذلك فان المراد بالذات من ضرب المثل هو التذكير والاهتداء كما ينبئ عنه قوله
تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ونظائره واما الاضلال فهو امر عارض مترتب على سوء
اختيارهم واوثر صيغة الاستقبال ايذانا بالتجدد والاستمرار وقيل وضع الفعلان موضع مصدريهما
كأنه قيل اراد اضلال كثير وهداية كثير وقدم الاضلال على الهداية مع تقدم حال المهتدين على حال الضالين
فيما قبله ليكون اول ما يقرع اسماعهم من الجواب امرا فظيعا يسوءهم ويفت في اعضادهم وهو السر في
تخصيص هذه في الذكر وقيل هو بيان للجملتين المصدرتين باما وتسجيل بان العلم بكونه حقا هدى وان الجهل
بوجه ايراده والانكار لحسن مورده ضلال وفسوق وكثرة كل فريق انما هي بالنظر الى انفسهم لا بالقياس
الى مقابليهم فلا يقدح في ذلك قلة اهل الهدى بالنسبة الى اهل الضلال حسبما نطق به قوله تعالى وقليل
من عبادي الشكور وعن ذلك واعتبار كثرتهم الذاتية دون قلتهم الاضافية لتكميل فائدة ضرب المثل ه
وتكثيرها ويجوز ان يراد في الاولين كثرة من حيث العدد وفي الآخرين من حيث الفضل والشرف كما في قول
من قال ان الكرام كثير في البلاد وان ◦ قلوا كما غيرهم قل وان كثروا ◦◦◦ واسناد الاضلال اي خلق
الضلال اليه سبحانه مبني على ان جميع الاشياء مخلوقة له تعالى وان كان افعال العباد من حيث الكسب
مستندة اليهم وجعله من قبيل اسناد الفعل الى سببه يأباه التصريح بالسبب وقرئ يضل به كثير ويهدى
به كثير على البناء للمفعول وتكرير به مع جواز الاكتفاء بالاول لزيادة تقرير السببية وتأكيدها وما يضل به
اي بالمثل او بضربه الا الفاسقين عطف على ما قبله وتكملة للجواب والرد وزيادة تعيين لمن اريد اضلالهم

بيان صفاتهم القبيحة المستتبعة وتاكيد ماله واشارة الى ان ذلك اضلال لا ابتدا بل هو تثبيت على ما كانوا عليه
من فنون الضلال وزيادة فيه وقرئ وما يضل به الا الفاسقون على البنا للمفعول والفسق في اللغة الخروج
يقال فسقت الرطبة عن قشرها والفارة من جحرها قال رؤبة • يذهبن في نجد وغورا غائرا • فواسقا عن قصدها
جوائرا • وفي الشريعة الخروج عن طاعة الله عز وجل بارتكاب الكبيرة التي من جملتها الاصرار على الصغيرة وله طبقات
ثلاث الاولى التغابي وهو ارتكابها احيانا مستقبحا لها والثانية الانهماك في تعاطيها والثالثة المثابرة
عليها مع جحود قبحها وهذه الطبقة من مراتب الكفر فما لم يبلغها الفاسق لا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه
بالتصديق الذي عليه يدور الايمان ولقوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمعتزلة لما ذهبوا
الى ان الايمان عبارة عن مجموع التصديق والاقرار والعمل والكفر عن تكذيب الحق وجحوده لم يتسن لهم ادخال
الفاسق في احدهما فجعلوه قسما بين قسمي المؤمن والكافر لمشاركته كل واحد منهما في بعض احكامه والمراد بالفاسقين
ههنا العاتون المارقون في الكفر الخارجون عن حدوده ممن حكي عنهم ما حكي من انكار كلام الله تعالى
والاستهزاء به وتخصيص الاضلال بهم مرتبا على صفة الفسق وما اجري عليهم من القبائح للايذان بان ذلك
هو الذي اعدهم للاضلال وادى بهم الى الضلال فان كفرهم وعدولهم عن الحق واصرارهم على الباطل صرفت
وجوه انظارهم عن التدبر في حكمة المثل الى حقارة الممثل حتى تحت به جهالتهم وازدادت ضلالتهم وانكروا
وقالوا فيه ما قالوا الذين ينقضون عهد الله صفة للفاسقين للذم وتقرير ما هم عليه من الفسق والنقض
والنسخ فسخ التركيب من المركبات الجسمية كالحبل والغزل ونحوهما واستعماله في ابطال العهد من حيث
استعارة الحبل له لما فيه من ارتباط احد المتعاهدين بالاخر فان شفع بالحبل واريد به العهد كان
ترشيحا للمجاز وان قرن بالعهد كان رمزا الى ما هو من روادفه وتنبيها على مكانه وان المذكور قد استعير له
كما يقال شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس تنبيها على انه اسد في شجاعته وبحر في افاضته والعهد
الموثق يقال عهد اليه كذا اذا وصاه به ووثقه عليه والمراد ههنا اما العهد الماخوذ بالعقل وهو الحجة
القائمة على عباده الدالة على وجوده ووحدته وصدق رسوله عليه السلام وبه اول قوله تعالى
واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى او المعنى الظاهر منه او الماخوذ من جهة الرسل على الامم
بانهم اذا بعث اليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره وذكره في الكتب المتقدمة
ولم يخالفوا حكمه كما ينبئ عنه قوله عز وجل واذ اخذ الله ميثاق النبيين الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس ولا تكتمونه الاية ونظائره وقيل عهود الله تعالى ثلاثة الاول ما اخذه على جميع ذرية ادم عليه
السلام بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه والثالث ما اخذه على العلما بان يبينوا الحق ولا يكتموه من بعد
ميثاقه الميثاق اما اسم لما يقع به الوثاقة والاحكام واما مصدر بمعنى التوثقة كالميعاد بمعنى الوعد
فعلى الاول ان رجع الضمير الى العهد كان المراد بالميثاق ما وثقوه به من الالتزام والقبول وان رجع الى
لفظ الجلالة يراد به اياته وكتبه وانذار رسله عليهم السلام والمضاف محذوف على الوجهين اي من بعد
تحقق ميثاقه وعلى الثاني ان رجع الضمير الى العهد والميثاق مصدر من المبني للفاعل فالمعنى من بعد ان
وثقوه بالقبول والالتزام او من بعد ان وثقه الله عز وجل بانزال الكتب وانذار الرسل وان كان مصدرا
من المبني للمفعول فالمعنى من بعد كونه موثقا اما بتوثيقهم اياه بالقبول واما بتوثيقه الله تعالى اياه
بانزال الكتب وانذار الرسل ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله سبحانه
كقطع الرحم وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبيا عليهم السلام والكتب في التصديق وترك الجماعة
المفروضة وسائر ما فيه رفض خير او تعاطي شر فانه يقطع ما بين الله تعالى وبين العبد من الوصلة
التي هي المقصودة بالذات من كل وصل وفصل والامر هو القول الطالب للفعل مع العلو وقيل
بالاستعلا وبه سمي الامر الذي هو واحد الامور تسمية للمفعول بالمصدر فانه مما يؤمر به كما يقال له
شان وهو القصد والطلب لما انه اثر الشان وكذا يقال له شي وهو مصدر شا لما انه اثر المشيئة
ومحل ان يوصل اما النصب على انه بدل من الموصول او من ضميره والثاني اولى لفظا ومعنى ويفسدون
في الارض بالمنع عن الايمان والاستهزا بالحق وقطع الوصل التي عليها يدور فلك نظام العالم وصلاحه
اولئك اشارة الى الفاسقين باعتبار اتصافهم بما فصل من الصفات القبيحة وفيه ايذان بانهم متميزون
بها اكمل تميز ومنتظمون بسبب ذلك في سلك الامور المحسوسة وما فيه من معنى البعد للدلالة على
بعد منزلتهم في الفساد هم الخاسرون الذين خسروا باهمال العقل عن النظر واقتناص ما يفيدهم الحياة
الابدية واستبدال الانكار والطعن في الايات بالايمان بها والتامل في حقائقها والاقتباس من انوارها
واشتروا النقض بالوفاء والفساد بالصلاح والقطيعة بالصلة والعقاب بالثواب كيف تكفرون بالله
التفات الى الخطاب المذكورين مبني على ايراث ما عدد من قبائحهم السابقة لتزايد السخط الموجب

للنافخة

للنافخة بالتوبيخ والتقريع والاستفهام انكاري لا بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد
عند الله وعند رسوله الى اخره بل بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه
الانكار الى نفس الكفر بان يقال اتكفرون لان كل موجود يجب ان يكون وجوده على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى
جميع احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني وقوله عز وجل وكنتم امواتا الى اخر الاية
حال من ضمير الخطاب في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما عدد فيها من الشؤون العظيمة الداعية الى
الايمان الرادعة عن الكفر من حيث كونها نعمة عامة ومن حيث دلالتها على قدرة تامة كقوله تعالى وقد خلقكم
اطوارا وكيف منصوبة على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش في اي حال او على اي حال
تكفرون به تعالى والحال انكم كنتم امواتا اي اجساما لا حياة لها عناصر واغذية ونطفا ومضغا مخلقة
وغير مخلقة والاموات جمع ميت كالاقوال جمع قيل واطلاقها على تلك الاجسام باعتبار عدم الحياة مطلقا كما في
قوله تعالى بلدة ميتا وقوله تعالى واية لهم الارض الميتة فاحياكم بنفخ الارواح فيكم والفا للدلالة على التعقيب
فان الاحيا حاصل اثر كونهم امواتا وان توارد عليهم في تلك الحالة اطوار مترتبة بعضها متراخ عن بعض كما
اشير اليه انفا ثم يميتكم اي عند تقضي اجالكم وكون الاماتة من دلائل القدرة ظاهر واما كونها من النعم فلكونها
وسيلة الى الحياة الثانية التي هي الحيوان والنعمة العظمى والتراخي المستفاد من كلمة ثم بالنسبة الى زمان الاحيا دون
زمان الحياة وان زمان الاماتة غير متراخ عنه ثم يحييكم بالنشور يوم ينفخ في الصور او للسؤال في القبور
واياما كان فهو متراخ عن زمان الاماتة وان كان اثر زمان الموت المستمر ثم اليه ترجعون بعد الحشر لا الى
غيره فيجازيكم باعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر او اليه تنشرون من قبوركم للحساب وصيغة الافعال وان كان
بعضها مستقبلا لا يستدعي مقارنة ثم منها لما هو حاله كانه قيل كيف تكفرون بالله وانتم عالمون بهذه الاحوال
المانعة منه ومآله التعجب عن وقوعه مع تحقق ما ينفيه وانما نظم ما ينكرونه من الاحيا الاخير والرجع في سلك
ما يعترفون به من الاحيا الاول والاماتة تنزيلا لتمكنهم من العلم لما عاينوه من الدلائل القاطعة منزلة العلم بذلك
بالفعل في ازاحة العلل والاعذار والحياة حقيقة في القوة الحساسة او ما يقتضيها وبه سمي الحيوان حيوانا مجازا
في القوة النامية لكونها من طلائعها وكذا فيما يخص الانسان من الفضل والعلم والايمان من حيث انه كمالها وغايتها
والموت بازائها يطلق على ما يقابلها في كل مرتبة من تلك المراتب قال تعالى قل الله يحييكم ثم يميتكم وقال تعالى اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها وقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وعند وصفه
تعالى بها يراد بها صحة اتصافه تعالى بالعلم والقدرة واللازمة لهذه القوة فينا او معنى قائم بذاته تعالى مقتض
لذلك وقرئ ترجعون بفتح التا والاول هو الاليق بالمقام هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا تقرير للانكار وتاكيد
له من الحيثيتين المذكورتين فان ما يتعلق بذواتهم من الاحيا والاماتة والحشر ادخل في الحث على الايمان والكف عن
عن الكفر مما يتعلق بمعايشهم وفيما يجري مجراها وفي جعل الضمير مبتدا والموصول خبرا من الدلالة على الجلالة ما لا يخفى
وتقديم الظرف على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونه نافعا للمخاطبين وتشويق اليه كما سلف اي خلق لاجلكم
جميع ما في الارض من الموجودات لتنتفعوا بها في امور دنياكم بالذات وبالواسطة يراد بها جهة السفل كما
يراد بالسما جهة العلو ثم يعم كل حي ومن اجزائها فانه من جملة ما فيها من صورة وجزئي الكل وجميعا حال
من الموصول الثاني مؤكدة لما فيه من العموم فان كل فرد من افراد ما في الارض بل كل جزء من اجزا العالم له مدخل
في استمراره على ما هو عليه من النظام اللائق الذي عليه يدور انتظام مصالح الناس اما من جهة المعاش فظاهر
واما من جهة الدين فلانه ليس في العالم شي مما يتعلق به النظر ومما لا يتعلق به الا وهو دليل على القادر الحكيم جل
جلاله كما مر في تفسير قوله تعالى رب العالمين وان لم يستدل به احد ثم استوى الى السما اي قصد اليها بارادته
ومشيئته قصدا سويا بلا صارف يلويه ولا عاطف يثنيه من ارادة خلق شي اخر في تضاعيف خلقها او غير ذلك ماخوذ
من قولهم استوى اليه كالسهم المرسل اليه وتخصيصه بالذكر ههنا اما لعدم تحققه في خلق السفليات لما
روي من تخلل خلق السموات بين خلق الارض ودحوها عن الحسن رضي الله تعالى عنه خلق الله تعالى الارض
في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك
الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما واما لاظهار كمال العناية بابداع
العلويات وقيل استوى استولى وملك والاول هو الظاهر وكلمة ثم للايذان بما فيه من المزية والفضل على خلق
السفليات لا للتراخي الزماني فان تقدمه على خلق الارض المتاخر عن دحوها مما لا مرية فيه لقوله تعالى والارض
بعد ذلك دحاها ولما روي عن الحسن رضي الله تعالى عنه والمراد بالسما اما الاجرام العلوية فان القصد
اليها بالارادة لا يستدعي سابقة الوجود واما جهات العلو فسويهن اي اتمهن وقومهن وخلقهن ابتدا مصونة
عن العوج والفطور لانه تعالى سواهن بعد ان لم يكن كذلك ولا يخفى ما في مقارنة التسوية والاستوا من حسن
الموقع وفيه اشارة الى ان لا تغير فيهن بالنمو والذبول كما في السفليات والضمير على الوجه الاول للسما فانها في معنى

الجنس وقيل هي جمع سماة او سماوة وعلى الوجه الثاني منهم يفسده قوله تعالى سبع سموات كما في قولهم ربه
رجلا وهو على الوجه الاول البدل من الضمير وتأخير ذكر هذا الصنيع البديع عن ذكر خلق ما في الارض مع كونها اقوى
منه في الدلالة على كمال القدرة القاهرة كما نبه عليه لما ان المنافع الدينية والدنيوية ما لا يخفى هذا وانما قالوا وسياق
في تتمة مزيد تحقيق وتفصيل باذن الله تعالى وهو بكل شيء عليم اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من خلق السموات والارض
وما فيها على هذا النمط البديع المنطوي على الحكم الفائقة والمصالح اللائقة فان علمه عز وجل بجميع الاشياء ظاهرها وباطنها بارزها
وكامنها وما يليق بكل واحد منها يستدعي ان يخلق كل ما يخلقه على الوجه الرائق وقرئ وهو بسكون الهاء تشبيها له
بعضد واذ قال ربك بيان لامر آخر من جنس الامور المتقدمة المؤكدة للانكار والاستبعاد وان خلق ادم عليه
السلام وما خصه به من الكرامات السنية المحكية من جلائل النعم الداعية لذريته الى الشكر والايمان الناهية
عن الكفر والعصيان وتقرير لمضمون ما قبله من قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا وتوضيح لكيفية التصرف
والانتفاع بما فيها وتلوين الخطاب بتوجيهه الى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة للايذان بان فحوى الكلام ليس
مما يهتدى اليه بادلة العقل كالامور المشاهدة التي نبه عليها الكفرة بطريق الخطاب بل انما طريقه الوحي الخاص
به عليه السلام وفي التعرض لعنوان الربوبية عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة
والسلام من الانباء عن تشريفه عليه السلام ما لا يخفى واذ ظرف موضوع لزمان نسبة ماضية وقع فيه
نسبة اخرى مثلها كما ان اذا موضوع لزمان نسبة ماضية وقع نسبة اخرى مستقبلة تقع اخرى ولذلك
يجب اضافتهما الى الجمل وانتصابه بمضمر صرح بمثله في قوله عز وجل واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وقوله تعالى
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها
المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني
ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا وقيل ليس انتصابه
على المفعولية بل على تاويل اذكر الحادث فيه بحذف المظروف واقامة الظرف مقامه واياما كان فهو معطوف
على معنى اخر ينسحب عليه الكلام كانه قيل له عليه الصلوة والسلام غب ما اوحى اليه ما خوطب به الكفرة من
الوحي الناطق بتفاصيل الامور السابقة الزاجرة عن الكفر به تعالى ذكرهم بذلك واذكر لهم هذه النعمة
ليتنبهوا بذلك لما هم فيه وينتهوا عنه واما ما قيل من ان المقدر هو اشكر النعمة في خلق السموات والارض
او تدبر ذلك فغير سديد ضرورة ان مقتضى المقام تذكير المخاطبين بموجب الشكر وتنبيههم على ما يقتضيه
وابن ذلك من مقامه الجليل صلى الله عليه وسلم وقيل انتصابه بقوله تعالى قالوا ويأباه انه يقتضي ان يكون
دون معاير القصة وقيل بما سبق من قوله تعالى وبشر الذين امنوا ولا يخفى ما بعده وقيل بمضمر دل عليه مضمون
الاية المتقدمة مثل وبدأ خلقكم اذ قال الى اخره ولا ريب في انه لا فائدة في تقييد بدء الخلق بذلك الوقت
وقيل بخلقكم او باحياكم مضمرا او غيره ما فيه وقيل اذا زائدة ويعزى ذلك الى ابي عبيدة معمر وقيل انه بمعنى قد
واللام في قوله عز قائلا للملائكة للتبليغ وتقديم الجار والمجرور في هذا الباب مطرد لما في المقول من الطول
مع ما فيه من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر كما مر مرارا والملائكة جمع ملأك باعتبار اصله الذي
هو مألك على ان الهمزة مزيدة كالشمائل في جمع شمال والتاء لتأكيد تأنيث الجماعة واشتقاقه من ملك لما
فيه من معنى الشدة والقوة وقيل على انه مقلوب من مألك وهي الالوكة وهي الرسالة اي موضع الرسالة
او مرسل على انه مقلوب من مألك من الالوكة وهي الرسالة مصدر بمعنى المفعول فانهم بين الله تعالى
وبين الناس فهم رسله عز وجل او بمنزلة رسله عليهم الصلاة والسلام واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد
اتفاقهم على انها ذوات موجودة قائمة فذهب اكثر المتكلمين الى انها اجسام لطيفة قادرة على التشكل باشكال
مختلفة مستدلين بان الرسل كانوا يرونهم كذلك عليهم السلام وذهب الحكماء الى انها جواهر مجردة مخالفة
للنفوس الناطقة في الحقيقة وانها اكمل منها قوة واكثر علما تجري منها مجرى الشمس من الاضواء منقسمة الى
قسمين قسم شأنهم الاستغراق في معرفة الحق والتنزه عن الاشتغال بغيره كما نعتهم الله عز وجل بقوله
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وهم العليون المقربون وقسم يدبر الامر من السماء الى الارض حسبما
جرى عليه قلم القضاء والقدر وهم المدبرات امرا فمنهم سماوية ومنهم ارضية وقالت طائفة من
النصارى هم النفوس الفاضلة البشرية المفارقة للابدان ونقل في شرح كثير انه عليه السلام
انه قال اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك ساجد او راكع وروي ان بني
ادم عشر الجن وهما عشر حيوانات البر والكل عشر الطيور والكل عشر حيوانات البحار وهؤلاء كلهم عشر
ملائكة الارض الموكلين وهؤلاء الكل عشر ملائكة سماء الدنيا وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا
الى السماء السابعة ثم كل اولئك في مقابلة ملائكة الكرسي نزر قليل ثم جميع هؤلاء عشر ملائكة سرادق
واحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة الف طول كل سرادق وعرضه وسمكه اذا قوبلت به السموات

والارض

والارض وما فيهما وما بينهما لا تعد عنده قدر محسوس وما منه من مقدار شبر الا وفيه ملك راكع او ساجد
او قائم له زجل بالتسبيح والتقديس ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر ثم
ملائكة اللوح الذين هم اشياع اسرافيل عليه السلام والملائكة الذين هم جنود جبريل عليه السلام لا تحصى
اجناسهم ولا مدة اعمارهم ولا كيفيات عباداتهم الا هو وهو العليم الخبير على ما قال وما يعلم جنود ربك الا هو
وروي انه عليه السلام حين عرج به الى السماء رأى ملائكة في موضع بمنزلة شرف يمشي بعضهم تجاه بعض
فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام الى اين يذهبون فقال جبريل عليه السلام لا
ادري الا اني اراهم منذ خلقت ولا ارى واحدا منهم قد رأيته قبل ذلك ثم سألا واحدا منهم منذ كم خلقت
فقال لا ادري غير ان الله عز وجل يخلق في كل اربعمائة سنة كوكبا وقد خلق منه منذ خلقني اربعمائة الف
كوكب فسبحانه من اله ما اعظم قدره وما اعظم ملكوته واختلف في الملائكة الذين قيل لهم ما قيل
فقيل هم ملائكة الارض وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم المختارون مع ابليس حين
بعثه الله تعالى لمحاربة الجن حيث كانوا سكان الارض فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فقتلوهم الا قليلا قد
اخرجوهم من الارض والحقوهم بجزائر البحار وقلل الجبال وسكنوا الارض وخفف الله تعالى عنهم العبادة
واعطى ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تعالى تارة في الارض
وتارة في السماء واخرى في الجنة فاخذه العجب فكان من امره ما كان وقال اكثر الصحابة والتابعين
رضوان الله تعالى عليهم انهم كل الملائكة لعموم اللفظ وعدم المخصص وقوله تعالى اني جاعل في الارض
خليفة في حيز النصب على انه مقول قال وصيغة الفاعل بمعنى المستقبل ولذلك عملت عمله وفيها ما
ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه فاعل ذلك لا محالة وهي من الجعل بمعنى التصيير المتعدي
الى مفعولين فقيل اولهما خليفة وثانيهما الظرف المقدم على ما هو مقتضى الصناعة فان مفعولي التصيير
في الحقيقة اسم صار وخبره اولهما الاول وثانيهما الثاني وهو مبتدأ وخبره الاصل في الارض خليفة ثم
قيل صار في الارض خليفة ثم مصير في الارض خليفة فمعناه بعد اللتيا والتي اني جاعل خليفة من الخلائف
او خليفة بعينه كائنا في الارض فان خبر صار في الحقيقة هو الكون المقدر العامل في الظرف ولا ريب
في ان ذلك ليس مما يقتضيه المقام اصلا وانما الذي يقتضيه هو الاخبار بجعل ادم خليفة فيها كما يعرب
عنه جواب الملائكة عليهم السلام فاذن قوله تعالى خليفة مفعول ثان والظرف متعلق بجاعل قدم
على المفعول الصريح لما مر من التشويق الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا مما بعده لكونه نكرة واما المفعول
الاول فمحذوف تعويلا على القرينة الداعية عليه كما في قوله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي
جعل الله لكم قياما حذف منه المفعول الاول وهو ضمير الاموال لدلالة الحال عليه وكذا في قوله تعالى
ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ولا ريب في تحقق القرينة ههنا اما ان حمل على الحذف
عند وقوع المحكي فهي واضحة لوقوعه في اثناء ذكره عليه الصلوة والسلام على ما نفصله كانه قيل اني خالق
بشرا من طين وجاعل في الارض خليفة واما ان حمل على انه لم يحذف هنالك بل قيل مثلا وجاعل اياه خليفة
في الارض لكنه حذف عند الحكاية فالقرينة ما ذكر من جواب الملائكة عليهم السلام قال العلامة الزمخشري
في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين ان قلت كيف صح ان يقول لهم بشرا وما
عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قلت وجهه ان يكون قد قال لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه
حين حكاه اقتصر على الاسم انتهى فحيث جاز الاكتفاء عند الحكاية عن ذلك التفصيل بمجرد الاسم من غير قرينة
تدل عليه فما ظنك بما نحن فيه ومعه قرينة ظاهرة ويجوز ان يكون من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول
واحد هو خليفة وحال الظرف في التعلق والتقدم كما مر فلا يكون ما سيأتي من كلام الملائكة مترتبا
عليه بالذات بل بالواسطة فانه يروى انه تعالى لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة قالوا ربنا وما يكون
ذلك الخليفة قال تعالى يكون له ذرية يفسدون في الارض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضا فعند ذلك
قالوا ما قالوا والله تعالى اعلم والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه فعيل بمعنى الفاعل والتاء للمبالغة
والمراد اما ادم عليه السلام وبنوه وانما اقتصر عليه استغناء بذكره عن ذكرهم كما يستغنى عن ذكر القبيلة
بذكر ابيها كمضر وهاشم ومنه الخلافة في قريش واما من يخلف او خلق
يخلف فيخلفه عليه السلام وغيره من خلفاء ذريته والمراد بالخلافة اما الخلافة من جهته سبحانه في اجراء احكامه
وتنفيذ اوامره بين الناس وسياسة الخلق لكن لا لحاجة به تعالى الى ذلك بل لقصور استعداد المستخلف
عليهم وعدم لياقتهم لقبول الفيض بالذات فيختص بالخواص من بنيه واما الخلافة ممن كان في الارض قبل
ذلك فيعم حينئذ الجميع قالوا استئناف وقع جوابا عما ينساق اليه الاذهان كانه قال فماذا قالت الملائكة حينئذ فقيل
قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها وهو ايضا من الجعل المتعدي الى اثنين فقيل فيهما ما قيل في الاول والظاهر ان

الاول كلمة والثاني محذوف ثقة بما ذكر في الكلام السابق كما حذف الاول ثقة بما ذكر هنهنا قال قايلهم
لا تخلنا على غرابك انا ● قال ما قد وشي بنا الاعدا ●● تحذف المفعول الثاني اي لا تخلنا جازعين والمعنى
اتجعل فيها من يفسد فيها خليفة والظرف الاول متعلق بتجعل وتقديمه لما مر مرارا والثاني بيفسد وفايدته
تاكيد الاستبعاد لما ان في استخلاف المفسد ومحل افساده من البعد ما ليس في استخلافه في غيره هذا وقد جوز
كونه من الجعل بمعنى الخلق المتعدي الى مفعول واحد هو كلمة من وانت خبير بان مدار تعجبهم ليس خلق من يفسد
في الارض كيف لا وان ما يعقبه من الجملة الحالية الناطقة بدعوى احقيتهم منه يقتضي بطلانه حتما اذ لا صحة
لدعوى الاحقية منه بالخلق وهم مخلوقون بل مداره ان يستخلف مكان المطبوعين على الطاعة من شان بني نوعه
الافساد وسفك الدما وهو عليه السلام وان كان منزها عن ذلك الا ان الاستخلاف مستتبع لاستخلاف
ذريته التي لا تخلو عنه غالبا وانما اظهروا تعجبهم استكشافا عما خفي عليهم من الحكم التي بدت على تلك المفاسد
والغتها واستخبارا عما يزيح شبهتهم ويرشدهم الى معرفته ما فيه عليه الصلاة والسلام من الفضايل التي
جعلته اهلا لذلك كسؤال المتعلم عما يختلج في ذهنه لا اعتراضا على فعل الله سبحانه ولا شكا في اشتماله على
الحكمة والمصلحة اجمالا ولا طعنا فيه عليه السلام وفي ذريته على وجه الغيبة فان منصبهم اجل من ان يظن بهم
امثال ذلك قال تعالى بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وانما عرفوا ما قالوا اما باخبار
من الله تعالى حسبما نقل من قبل او تلق من اللوح او باستنباط عما ركز في عقولهم من اختصاص العصمة بهم او
بقياس لاحد الثقلين على الاخر ويسفك الدماء السفك والسفح والسبك والسكب انواع من الصب
والاولان مختصان بالدم بل لا يستعمل اولهما الا في الدم المحرم اي بقتل النفوس المحرمة بغير حق والتعبير
عنه بسفك الدماء لما انه اقبح انواع القتل وافظعه وقرى يسفك بضم الفا ويسفك من اسفك وسفك
وقري يسفك على البنا للمفعول وحذف الراجع الى من موصولة او موصوفة اي يسفك الدما فيهم ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك جملة حالية مقررة للتعجب السابق ومؤكدة له على طريقة قول من يجد في خدمة
مولاه وهو يا مر بها غيره انستخدم العصاة وانا مجتهد فيها كانه قيل انستخلف من شان ذريته الفساد مع
وجود من ليس من شانه ذلك اصلا والمقصود عرض احقيتهم منهم بالخلافة واستفسار عما رجحهم عليهم
مع ما هو متوقع منهم من الموانع لا العجب والتفاخر فكانهم شعروا بما فيهم من القوة الشهوية التي رذيلتها
الافراطية الفساد في الارض والقوة الغضبية التي رذيلتها الافراطية سفك الدما فقالوا ما قالوا وذهلوا
عما اذا سخرتها القوة العقلية ومرنتها على الخير يحصل من ذلك علو الدرجة وما يقصر عن بلوغ رتبته القوة
العقلية عند انفرادها في افاعيلها كالاحاطة بتفاصيل الاحوال الجزييات واستنباط الصناعات واستخراج
منافع الكاينات من القوة الى الفعل وغير ذلك مما نيط به من الخلافة والتسبيح تنزيه الله تعالى وتبعيده اعتقادا وقولا
وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما ومنه قولهم فرس سبوح اي واسع الجري
وكذلك تقدسه تعالى من قدس في الارض اذا ذهب فيها وابعد ويقال قدسه اي طهره فان مطهر الشي
مبعده عن الاقذار والبا في بحمدك متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير اي ننزهك عن كل ما لا يليق بشانك
ملتبسين بحمدك على ما انعمت به علينا من فنون النعم التي من جملتها توفيقنا لهذه العبادة والتسبيح لاظهار صفات
الجلال والحمد لتذكير صفات الانعام واللام في لك اما مزيدة والمعنى نقدسك او صلة للفعل كما في نحمد الله
واما للبيان كما في سقيا لك فتكون متعلقة بمحذوف اي تقديسنا لك اي نصفك بما يليق بك من العلو
والعزة وننزهك عما لا يليق بك وقيل المعنى نطهر نفوسنا عن الذنوب لاجلك كانهم قابلوا الفساد الذي
هو اعظمه الاشراك بالتسبيح وسفك الدما الذي هو تلويث النفس باقبح الجرايم بتطهير النفس عن الاثام لا تمدحا
بذلك ولا اظهارا للمنة بل بيانا للواقع قال استيناف كما سبق اني اعلم ما لا تعلمون ليس المراد به بيان انه
تعالى يعلم ما لا يعلمونه من الاشيا كاينا ما كان فان ذلك مما لا شبهة لهم فيه حتى يحتاجوا الى التنبيه عليه لا سيما
بطريق التوكيد بل بيان ان فيه عليه السلام معاني مستدعية لاستخلافه اذ هو الذي خفي عليهم وبنوا عليه
ما بنوا من التعجب والاستبعاد فما موصولة كانت او موصوفة عبارة عن تلك المعاني والمعنى اني اعلم
ما لا تعلمون من دواعي الخلافة فيه وانما لم يقتصر على بيان تحققها فيه عليه السلام بان قيل مثلا ان فيه
ما يقتضيه من غير تعرض لاحاطته به وغفلتهم عنه تفخيما لشانه وايذانا باستئثاره تعالى على العلم الرصين
والحكمة المستتبعة وبدرهم لهم عن الغفلة وقيل معناه اني اعلم من المصالح واستخلافه ما هو خفي عليكم
وان هذا ارشاد للملايكة الى العلم بان افعاله تعالى كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة
وانت خبير بانه مشعر بكونهم غير عالمين بذلك من قبل ويكون تعجبهم مبنيا على ترددهم في اشتمال هذا الفعل
لحكمة ما وذلك مما لا يليق بشانهم فانهم عالمون بان ذلك متضمن لحكمة ما وذلك لانهم وكلهم مترددون
في انها ما ذا اهل هو امر راجع الى محض حكم الله عز وجل او الى فضيلة من جهة المستخلف فبين سبحانه وتعالى

لم

لم اولا على وجه الاجمال والابهام ان فيه فضايل غايبة عنهم ليستشرفوا اليها ثم ابرز لهم طرفا منها ليعاينوا
جهرة ويظهر لهم بديع صنعه وحكمته وتنزاح شبهتهم بالكلية وعلم ادم الاسما كلها شروع في تفصيل ما جرى
بين الجواب الاجمالي تحقيقا لمضمونه وتفسيرا لابهامه وهو عطف على قال والابتدا والحكاية التعليم لدلالة على
على ان ما مر من مقاولته الحكية انما جرت بعد خلقه عليه السلام بحضر منه وهو الانسب بوقوف الملائكة
على احواله عليه السلام بان قيل اثر نفخ الروح فيه انى جاعل اياه خليفة فقيل ما قيل كما اشير اليه وايراده
عليه السلام باسمه العلمي لزيادة تعيين المراد بالخليفة ولان ذكره بعنوان الخلافة لا يلايم مقام تمهيد مبانيها
وهو اسم اعجمي والاقرب ان وزنه فاعل كشالخ وعاذر وعابر وفالغ وما قيل افعل والتصدي لاشتقاقه
من الادمه او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه تعالى
قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها ادم ولذلك اختلفت الوان ذريته او من الادم والادمة
بمعنى الالفة تعسف كاشتقاق ادريس من الدرس ويعقوب من العقيب وابليس من الابلاس والاسم
باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشي ودليلا يرفعه الى الذهن من الالفاظ والصفات والافعال
واستعماله عرفا في اللفظ الموضوع لمعنى مفردا كان او مركبا مخبرا عنه او خبرا او رابطة بينهما واصطلاحا في المفرد
الدال على معنى في نفسه غير مقترن باحد الازمنة الثلاثة والمراد هنا اما الاول او الثاني وهو مستلزم للاول
اذ العلم بالالفاظ من حيث الدلالة على المعاني مسبوق بالعلم بها والتعليم حقيقة عبارة عن فعل يترتب عليه
العلم بلا تخلف عنه ولا يحصل ذلك بمجرد افاضة المعلم بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيض وتلقيه
منه كما في تفسير الهدى وهو الشرح في اشارة على الاعلام والانبا لانهما انما يتوقفان على سماع الخبر الذي
هو يشترك فيه البشر والملك وبه يظهر حقيقته بالخلافة منهم عليه السلام لما انجبلتهم غير مستعدة للاحاطة
بتفاصيل احوال الجزييات الجسمانية خبرا فمعنى تعليمه تعالى اياه ان يخلق فيه اذ ذاك بموجب استعداده علما
ضروريا تفصيليا باسما جميع المسميات واحوالها وخواصها اللايقة بكل منها او يلقي في روعه تفصيلا انه هذا
فرس وشانه كذا وكيت وذاك بعير وحالة ذيت وذيت الى غير ذلك من الاحوال الموجودات فيتلقاها
حسبما يقتضيه استعداده ويستدعيه قابليته المتفرعة على فطرته المنطوية على طبايع متباينة مستعد
لانواع الادراكات انواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيلات والموهومات فالهمه معرفة
ذوات الاشيا واسمايها وخواصها ومعارفها واصول العلم وقوانين الصناعات وتفاصيل الاتها وكيفيات
استعمالاتها فيكون ما مر من المقاولة قبل خلقه عليه السلام وقيل التعليم على ظاهره ولكن هناك جملا
مطوية عطف عليها المذكور اي فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح وعلم الى اخره ثم عرضهم على الملايكة الضمير
للمسميات المدلول عليها بالاسما كما في قوله تعالى واشتعل الراس شيبا والتذكير لتغليب العقلا على غيرهم
وقري عرضهن وعرضها اي عرض مسمياتهن او مسمياتها في الحديث انه تعالى عرضهم امثال الذر ولعله عز
وجل عرض عليهم من افراد كل نوع ما يصلح ان يكون انموذجا يتعرف منه احوال البقية واحكامها فقال
انبئوني باسماء هؤلاء تبكيتا لهم واظهارا لعجزهم عن اقامة ما علقوا به رجاءهم من امر الخلافة فان التصرف
والتدبير واقامة المعدلة بغير وقوف على مراتب الاستعدادات ومقادير الحقوق مما لا يكاد يمكن والانبا
اخبار فيه اعلام ولذلك يجري مجرى كل منهما فالمراد هاهنا ما خلا عنه وايثاره على الاخبار للايذان برفعة
شان الاسما وعظم خطرها فان النبا انما يطلق على الخبر الخطير والامر العظيم ان كنتم صادقين اي في زعمكم
انكم احق بالخلافة ممن استخلفته كما ينبي عنه مقالكم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه
قد يتطرق اليه باعتبار ما يلزمه من الاخبار فان ادنى مراتب الاستحقاق هو الوقوف على اسمايها في الارض
واما ما قيل من ان المعنى في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سافكين للدما فليس مما يقتضيه المقام
وانا اولى بان يقال في زعمكم اني استخلف من غالب امره الافساد وسفك الدما من غير ان يكون له مزية
من جهة اخرى اذ لا تعلق له بامرهم بالانبا وجواب الشرط محذوف للدلالة المذكور عليه قالوا استيناف
واقع موقع الجواب كانه قيل فماذا قالوا هل خرجوا عن عهدة ما ولا فقيل قالوا سبحانك قيل هو علم للتسبيح
يستعمل الا مضافا وقد جا غير مضاف على الشذوذ غير منصرف للتعريف والالف والنون المزيدتين كما في
قوله سبحان من علقمة الفاجر واما في قوله سبحانه ثم سبحانا نعوذ به فقيل صرفه ضرورة وقيل لانه
مصدر منكر كغفران لا اسم مصدر ومعناه على الاول التنزيه عما لا يليق بشانك الاقدس من الامور التي
من جملتها خلو افعالك من الحكم والمصالح وعلى الثاني ننزهك تسبيحا لائقا بك عما يلابسه النقص والايقال
باشتمال استخلاف ادم عليه الصلاة والسلام على الحكم البالغة وعلى الثاني نزهت عن ذلك تنزيها تاما شيا
عن ذلك واراد وابه انهم قالوه عن اذعان لما علموا اجمالا بانه عليه الصلوة والسلام يكلف ما كلفوه وانه
يقدر على ما قد عجزوا عنه مما تتوقف عليه الخلافة وقوله عز وجل لا علم لنا الا ما علمتنا باعتراف منهم

بالعزيز مما حلقوا اذ معناه لا علم لنا الا ما علمتنا بحسب قابليتنا من العلوم المناسبة لعالمنا ولا قدرة بنا على ما هو
خارج عن دائرة استعدادنا حتى لو كنا مستعدين لذلك لافضته علينا وما في علمتنا موصولة حذف من صلتها عايدها
او مصدرية ولقد نفوا عنهم العلم بالاسما على وجه المبالغة حيث لم يقتصروا على بيان عدمه بان قالوا مثلا
لا علم لنا بها بل جعلوها من جملة ما لا نعلمونه واشعروا بان كونه من تلك الجملة مغن عن البيان انك انت العليم الحكيم
الذي لا يخفى عليه خافيه وهذا اشارة الى تحقيقهم بقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون الحكيم اى المحكم لمصنوعاته
الفاعل لها حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة وهو خبر بعد خبر او صفة للاول وانت ضمير الفعل لا محل له
من الاعراب وله محل منه مشارك لما قبله كما قاله الفراء لما بعده كما قاله الكسائي وقيل تاكيد للكاف
كما في قولك مررت بك وانت وقيل مبتدأ خبره ما بعده والجملة خبران وتلك الجملة تعليل لما سبق من قصر علمهم
بما علمهم الله تعالى وما يفهم من ذلك من علم ادم عليه السلام لما نحن بمعزل من الاستعداد له من العلوم الخفية
المتعلقة بما في الارض من انواع المخلوقات التي يدور عليها فلك الخلافة الحكيم الذي لا يفعل الى ما يقتضيه
الحكمة ومن جملة تعليم ادم عليه السلام ما هو قابل له من العلوم الكلية والمعارف الجزئية المتعلقة بما في
الارض وبنى امر الخلافة عليها قال استيناف كما سلف يا ادم انبئهم اى اعلمهم او مشعر على انبئني كما وقع
في امر الملائكة عليهم السلام مع الحصول المراد معه ايضا وهو ظهور فضل ادم عليه السلام ابانة لما
بين الامرين من التفاوت الجلي وايذانا بان علمه عليه السلام بها امر واضح غير محتاج الى ما يجري مجرى
الامتحان وانه عليه السلام وانه حقيق بان يعلمها غيره وقرئ تقلب الهمزة ياء وبحذفها ايضا والهاء مكسورة
فيهما باسمائهم التي عجزوا عن علمها واعترفوا بتقاصر هممهم عن بلوغ مرتبتها فلما انباهم باسمائهم الفا فصيحة عاطفة
لجملة الشرطية على محذوف يقتضيه المقام وينسحب عليه الكلام للايذان بتقرره وغناه عن الذكر والاشعار
بتحققه في اسرع ما يكون كما في قوله عز وجل فلما راه مستقرا عنده بعد قوله سبحانه انا اتيك به قبل ان يرتد اليك
طرفك واظهار الاسما في موقع الاضمار لاظهار كمال العناية بشانها والايذان بانه عليه السلام انباهم بها على
وجه التفصيل دون الاجمال والمعنى فانباهم باسمائهم مفصلة وبين لهم احوال كل منهم وخواصه المتعلقة بالمعاش
والمعاد فعلموا ذلك لما راوا انه عليه السلام لم يتلعثم في شيء من التفاصيل التي ذكرها مع مساعدة ما بين
الاسما والمسميات من المناسبات والمشاكلات وغير ذلك من القرائن الموجبة لصدق مقالاته عليه السلام
فلما انباهم بذلك قال عز وجل تقريرا لما مر من الجواب الاجمالي واستحضارا له الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات
والارض لكن لا لتقرير نفسه كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا ونظايره بل لتقرير ما يفيد من تحقيق
دواعي اطلاقه في ادم عليه السلام بظهور مصداقه بايراد ما لا يعلمون بعنوان الغيب مضافا الى السموات
والارض المبالغة في بيان كمال شمول علمه المحيط وغاية سعته مع الايذان بان ظهر من عجزهم وعلم ادم عليه
السلام من الامور المتعلقة باهل السموات واهل الارض وهذا دليل واضح على ان المراد بما لا تعلمون فيما
سبق ما اشير اليه هنالك كانه قيل الم اقل لكم اني اعلم فيه من دواعي الخلافة ما لا تعلمونه فيها هو هذا الذي
عاينتموه وقوله عز وجل واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون عطف على جملة الم اقل لكم لا على اعلم اذ هو
غير داخل تحت القول وما في الموضعين للاسلوب باستمرار كتمهم قيل المراد بما تبدون قولهم اتجعل الى
اخره وبما تكتمون استبطاؤهم احقايا الخلافة وانه تعالى لا يخلق خلقا افضل منهم وروي انه تعالى لما خلق
ادم عليه السلام رات الملائكة فطرته العجيبة وقالوا ليكن ما شاء فلن يخلق ربنا خلقا الا كنا اكرم عليه
منه وقيل هو ما اسره ابليس في نفسه من الكبر وترك السجود فاسناد الكتمان ح الى الجميع من قبيل قولهم
بنوا فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد من بينهم قالوا في الاية الكريمة دلالة على شرف الانسان ومزية
العلم وفضله على العبادة وان ذلك هو المناط للخلافة وان التعليم يصحح الاطلاقه على الله تعالى وان لم
يصح الاطلاق المعلم عليه لاختصاصه عادة بمن يحترف به وان اللغات توقيفية اذ الاسما تدل على الالفاظ
بخصوص وعموم وتعليمها ظاهر في القايها على المتعلم مبينا له معانيها وذلك يستدعي سابقة وضع
وما هو الا من عند الله تعالى وان مفهوم الحكمة زائد على مفهوم العلم والا لزم التكرار وان علوم الملائكة
وكما لاتهم تقبل الزيادة والحكما منعوا ذلك في الطبقة العليا منهم وحملوا على ذلك قوله تعالى وما منا
الا له مقام معلوم وان ادم افضل من هؤلاء الملائكة عليهم السلام لانه اعلم منهم وانه تعالى
يعلم الاشيا قبل حدوثها واذ قلنا للملائكة عطف على الظرف الاول منصوب بما نصبه من المضمر وناصب
مستقل معطوف على ناصبه عطف القصة على القصة اى واذكر وقت قولنا لهم وقيل بفعل دل عليه الكلام
اى اطاعوا وقت قولنا الى اخره وقد عرفت امثاله وتخصيص هذا القول بالذكر مع كون مقتضى الظاهر
ايراده على منهاج ما قبله من الاقوال المحكية المتصلة به للايذان بان ما في حيزه نعمة جليلة مستقلة
حقيقة بالذكر والتذكير على حيالها والالتفات الى التكلم لاظهار الجلالة وتربية المهابة مع ما فيه من

تأكيد

تأكيد الاستقلال وكذا اظهار الملائكة في موقع الاضمار والكلام في اللام وتقديمها مع مجرورها على
المفعول كما مر وقرئ بضم تا الملائكة اتباعا لضم الجيم في قوله تعالى اسجدوا لادم كما قرئ بكسر الدال في قوله
تعالى الحمد لله اتباعا لكسر اللام وهي لغة ضعيفة والسجود في اللغة الخضوع والتطامن وفي الشرع
وضع الجبهة على الارض على قصد العبادة فقيل امورا بالسجود عليهم السلام على وجه التحية والتكرمة تعظيما
له واعترافا بفضله واداء الحق التعليم واعتذارا عما وقع منهم في شانه وقيل امروا بالسجود له تعالى وانما
كان ادم قبلة لسجودهم تفخيما لشانه او سببا لوجوبه كانه تعالى لما براه نموذجا للمبدعات كلها ونسخة منطوية
على تعلق العالم الروحاني بالعالم الجسماني وامتزاجهما على نمط واحد بديع امرهم بالسجود له تعالى لما عاينوا
من عظيم قدرته فاللام فيه كما في قول حسان رضي الله تعالى عنه • اليس اول من صلى لقبلتكم • واعرف الناس
بالقران والسنن • • • او في قوله تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس والاول هو الاظهر وقوله عز وجل
فسجدوا عطف على قلنا والفا لافادة مسارعتهم الى الامتثال وعدم تلعثمهم في ذلك وروي عن وهب
ان اول من سجد جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم ساير الملائكة عليهم السلام الا ابليس استثنا
متصل لانه كان جنيا مغمورا بالوف من الملائكة متصفا بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني
استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنسا يتوالدون يقال لهم الجن كما روي عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما او لان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود له لكن استغني بذكر الملائكة عن ذكرهم او منقطع وهو
اسم اعجمي ولذلك لم ينصرف ومن جعله مشتقا من الابلاس وهو اليأس قال انه شبه بالعجمة حيث لم يسم به
احد فكان كالاسم الاعجمي واعلم ان الذي يقتضيه هذه الاية الكريمة والتي في سورة الاعراف من قوله تعالى
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الاية ان سجود الملائكة انما ترتب على الامر التنجيزي الوارد بعد
خلقه وتسويته ونفخ الروح فيه البتة كما يلوح به حكاية امتثالهم بامره السجود دون الوقوع الذي
به ورد الامر التعليقي ولكن ما في سورة الحجر من قوله عز وعلا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون وما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال
ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين الى اخر الاية يستدعيان بظاهرهما ترتبه على ما فيهما من الامر
التعليقي من غير ان يتوسط بينهما شيء غير ما يفصح عنه الفا الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه
عليه السلام وقد روي عن وهب انه كان السجود كما نفخ فيه الروح بلا تاخير وتاويل الايات السابقة
بحمل ما فيهما من الامر التعليقي بعد تحقق الامر المعلق به اجمالا فانه ح يكون في حكم التنجيزي يابا ما في سورة
الاعراف من كلمة ثم المنادية بتاخر ورود الامر عن التصوير المتاخر عن الخلق المتاخر عن الامر التعليقي والاعتذار
بحمل التراخي على تعليق الرتبي والتراخي في الاخبار او بان الامر التعليقي قبل تحقق المعلق به كان في عدم ايجاب
الماموربه بمنزلة العدم جعل كانه انما حدث بعد تحققه فحكي على صورة التنجيز يؤدي بعد اللتيا والتي
الى ان جرى بينه وبينهم عليه السلام في شان الخلافة وما قالوا فيه وما سمعوا انما جرى بعد السجود ده
المسبوق بمعرفة جلالة منزلته عليه السلام في شان الخلافة وخروج ابليس من البين باللعن المؤبد
لعناده وبعد مشاهدتهم لذلك كله عيانا وهل هو الا اخراق لقضية العقل والنقل والالتجاء في التفصي
عنه الى تاويل نفخ الروح بحمله على ما يعم اقامة ما به حياة النفوس التي من جملتها تعليم الاسما تعسف بعيد
عن ضيق المجال فالذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر اللايق بعد التصفح في مستودعات الكتاب المكنون
والتفحص عما فيه من السر المخزون ان سجودهم له عليه السلام انما ترتب على الامر التنجيزي المتفرع
على ظهور فضله المبني على المحاورة المسبوقة بالاخبار بخلافته المنتظم جميع ذلك في سلك ما يتطابه
الامر التعليقي من التسوية ونفخ الروح اذ ليس من قضيته وجوب السجود عقيب نفخ الروح فيه بان الفا
الجزائية ليست بنص في وجوب وقوع مضمون الجزاء عقيب وجوب السجود عقيب الشرط من غير تراخ
للقطع بعدم وجوب السعي عقيب الندا لقوله تعالى اذا نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الاية
وبعدم وجوب اقامة الصلاة عقب الاطمينان لقوله تعالى فاذا اطماننتم فاقيموا الصلوة بل انما الوجوب
عند دخول الوقت كيف لا والحكمة الداعية الى ورود ما نحن فيه من الامر التعليقي اثر ذي انما هي
حمل الملائكة عليهم السلام على التامل في شانه عليه السلام ليتدبروا في احواله عليه السلام ويحيطوا
بالدية خبرا ويستفهموا ما عسى يبتهم عليهم في امره عليه السلام لابتنايه على حكم ابيه واسرار خفية
طويت عن علومهم ويقفوا على جلية الحال قبل ورود الامر التنجيزي في سلك الامور المذكورة في
السورتين عند الحكاية لا يستلزم عدم انتظامه فيه عند وقوع المحكي كما ان عدم ذكر الامر التعليقي
عند حكاية الامر التنجيزي في السورة الكريمة المذكورة لا يوجب عدم مسبوقيته به فان حكاية
كلام واحد على اساليب مختلفة حسبما يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام ليست بعزيزة

فى الكتاب العزيز وناهيك بما نقل فى توجيه قوله تعالى انى خالق بشرا مع عدم سبق معرفة الملائكة عليهم السلام بذلك حيث
صبر اليه مع انه لم يرد به نقل فما ظنك بما قد وقع التصريح به فى مواضع عديدة فلعله قد القى اليهم ابتدا
جميع ما يتوقف عليه الامر التنجيزى اجمالا بان قيل مثلا انى خالق بشرا من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة فى الارض
فاذا سويته ونفخت فيه من روحى وتبين لكم شانه فقعوا له ساجدين فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فقالوا
عند ذلك ما قالوا او القى اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرايط المعدودة بان قيل اثر نفخ الروح فيه انى جاعل
هذا خليفة فى الارض فهنالك ذكروا فى حقه عليه السلام ما ذكروا فايده الله عز وجل بتعليم الاسما فشاهدوا
منه ما شاهدوا فعند ذلك ورد الامر التنجيزى اعتنابشان المامور به وتعيينا لوقته وقد حكى بعض الامور
فى بعض المواطن وبعضها فى بعضها اكتفا بما ذكر فى كل موطن عما ترك فى موطن اخر والذى يحسم مادة الاعتنا
ان ما فى سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الى اخره بدل من قوله تعالى ما كان لى من علم بالملأ الاعلى
اذ يختصمون اى بكلامهم عند اختصامهم والمراد بالملأ الاعلى الملائكة وادم عليه السلام وابليس حسبما
اطلق عليه جمهور الامة وباختصامهم ما جرى بينهم فى شان ادم عليه السلام من التقاولات الذى
من جملته ما صدر عنه عليه السلام من الانبا بالاسما ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور فى
تضاعيف ما شرح فيه تفصيلا من الامر التعليقى وما علق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما
ترتب عليه من سجود الملائكة عليهم السلام وعناد ابليس وما يتبعه من لعنه واخراجه من بين الملائكة وابليس
المستتبعة لطرده من بينهم لما عرفت انه احد المختصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة استحالة الانبا بالاسماء
فهو اذن بعد النفخ الروح وقبل السجود حتما باخف الطريقين والله سبحانه اعلم بحقيقة الامر ابى واستكبر
استيناف مبنى لكيفيته عدم السجود المفهوم من الاستثنا اذ انه لم يكن للتردد والتامل والابا الامتناع
بالاختيار والتكبر اى يرى نفسه اكبر من غيره واستكبر طلب ذلك بالتشبع اى متشبع مما امر به واستكبر
من ان يعظمه او يتخذه وصلة فى عبادة ربه وتقديم الابا على الاستكبار مع كونه مسببا عنه لظهوره ووضوح
اثره واقتصر فى سورة ص على ذكره الاستكبار اكتفا به فى سورة الحجر على ذكر الابا حيث قيل ابى ان يكون مع
الساجدين وكان من الكافرين اى فى علم الله تعالى او كان اصله من كفرة الجن فلذلك ارتكب ما ارتكبه على ما
افصح عنه قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه فالجملة اعتراضية مقررة لما سبق من الابا والاستكبار
وصار منهم باستقباح امره اياه تعالى بالسجود لادم عليه السلام زعما منه انه افضل منه والافضل
لا يحسن ان يومر بالخضوع للمفضول كما يفصح عنه قوله انا خير منه حين قيل له ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدى واستكبرت ام كنت من العالين بترك الواجب وحده فالجملة معطوفة على ما قبلها وايثار الواو
على الفا للدلالة على ان مجرد الابا والاستكبار كفر لا انهما اسببان له كما يفيده الفا وقلنا شروع فى حكاية
ما جرى بينه تعالى وبين ادم عليه السلام بعد تمام ما جرى بينه تعالى وبين الملائكة وابليس من الاقوال
والافعال وقد تركت توبيخ ابليس وجوابه ولعنه واستنظاره اجتزا بما فصل فى ساير السور الكريمة وهو
عطف على قلنا للملائكة ولا يقدح فى ذلك اختلاف زمانيهما فالمراد بالزمان المدلول عليه بكلمة اذ زمان
ممتد واسع للقولين وقيل هو عطف على قلنا باضمار اذ وهذا تذكير لنعمة اخرى موجبة للشكر مانعة من
الكفر وتصدير الكلام بالنداء فى قوله تعالى يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة للتنبيه على الاهتمام بتلقى
المامور به وتخصيص اصل الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته فى مباشرة المامور به واسكن من
السكنى وهو اللبث والاقامة والاستقرار دون السكون الذى هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن ليصح
العطف عليه واختلف فى وقت خلق زوجه فذكر السدى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما وابن مسعود رضى
الله تعالى عنه وناس من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ان الله تعالى لما اخرج ابليس من الجنة واسكنها
ادم لبقى فيها وحده وما كان معه من يستانس به فالقى الله تعالى عليه النوم ثم اخذ ضلعا من جانبه الايسر ووضع
مكانه لحما وخلق حوا منه فلما استيقظ وجدها عند راسه قاعدة فسالها ما انت قالت امراة قال ولم خلقت
قالت لتسكن الى فقالت الملائكة تجربة لعلمه من هذه قال امراة قالوا ولم سميت امراة قال لانها من المرا اخذت فقالوا ما
اسمها قال حوا قالوا ولم سميت حوا قال لانها خلقت من شى حى وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال
بعث الله تعالى جندا من الملائكة فحملوا ادم وحوا على سرير من ذهب كما يحمل الملوك والبسهما النور حتى
اذا ادخلوهما الجنة وهذا كما ترى ان خلقها قبل دخول الجنة والمراد بها دار الثواب لانها المعهودة وقيل هى
جنة بارض فلسطين او بين فارس وكرمان خلقها الله تعالى امتحانا لادم عليه السلام وحمل الاهباط على
النقل منها الى ارض الهند كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا لما ان خلقه عليه السلام كان فى ارض بلا خلاف
ولم يذكر فى هذه القصة رفعه الى السماء ولو وقع ذلك لكان اولى بالذكر والتذكير لما انه من اعظم
النعم ولانها لو كانت دار الخلد لما دخلها ابليس وقيل انها كانت فى السماء السابعة بدليل اهبطوا ثم ان الاهباط

الاول كان منها الى السماء الدنيا والثانى منها الى الارض وقيل الكل ممكن والادلة النقلية متعارضة فوجب
التوقف وترك القطع وكلا منها اى من ثمارها وانما وجه الخطاب اليهما تعميما للتشريف والتربية ومبالغة فى
ازالة العلل والاعذار وايذانا بتساويهما فى مباشرة المامور به فان حوا اسوة له عليه السلام فى الاكل بخلاف
السكنى فانها تابعة له فيه رغدا صفة للمصدر المؤكد اى اكلا واسعا رافها حيث شئتما اى اى مكان اردتما منها
وهذا كما ترى اطلاق كلى حيث ابيح لهما الاكل منها على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلل ولم يحظر عليهما بعض الاكل
ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات حتى لا يبقى لهما عذر فى تناول ما منعا منه بقوله تعالى ولا تقربا بفتح الراء من
قرب الشى بالكسر اذا التبس به وتعرض له وقال الجوهرى قرب بالضم يقرب قربا اى دنا وقربته بالكسر
قربانا دنوت منه هذه الشجرة نصب على انه بدل من اسم الاشارة او نعت له بتاويلها بمشتق اى هذه الحاضرة من
الشجرة اى لا تاكلا منها وانما علق النهى بالقربان مبالغة فى تحريم الاكل ووجوب الاجتناب عنه والمراد بها الحنطة
او العنبة او التينة وقيل هى شجرة من اكل منها احدث والاولى عدم تعيينها من غير قاطع وقرى هذه بالياء وبكسر
الشجرة وما تقربا وقرى الشجرة بكسر الشين وفتح اليا فتكونا من الظالمين مجزوم على انه معطوف على تقربا ومنصوب
على انه جواب للنهى واياما كان فالقرب اى الاكل منها سبب لكونهما من الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بارتكاب
المعصية او نقصوا نفوسهم بمباشرة ما يخل بالكرامة والنعيم او تعدوا حدود الله تعالى فازلهما الشيطان
عنها اى صدر زلتهما اى فعلهما وحملهما الزلة بسببها ونظيره عن هذه ما فى قوله تعالى وما فعلته عن امرى
او ازالهما عن الجنة بمعنى اذهبهما وابعدهما عنها يقال زل عنى كذا اذا ذهب عنك ويعضده قراءة ازالهما
وهما متقاربان فى المعنى فان الازلال تقتضى زوال الزال عن موضعه البتة وازلالة قوله لهما هل ادلكم لك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى وقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين ومقاسمته
لهما انى لكما لمن الناصحين وهذه الايات مشعرة بانه عليه السلام لم يوحى بسكنى الجنة على وجه الخلود بل على وجه
التكرمة والتشريف لما قدم من خلافة الارض الى حين البعث اليهما واختلف فى كيفية توصله اليهما بعد ما قيل
له اخرج منها فانك رجيم فقيل انه انما منع من الدخول على وجه التكرمة كما يدخلها الملائكة عليهم السلام
ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لادم وحوا وقيل قام عند الباب فناديهما وقيل تمثل بصورة دابة فدخل
ولم يعرفه الخزنة وقيل دخل فى فم الحية فدخلت معها وقيل ارسل بعض اتباعه فازلهما والعلم عند الله سبحانه
فاخرجهما مما كانا فيه اى من الجنة ان كان ضمير عنها للشجرة والتعبير عنها بذلك للايذان بفخامتها وجلالتها
وملابستهما له من المكان العظيم الذى كانا مستقرين فيه او من الكرامة والنعيم ان كان الضمير للجنة
وقلنا اهبطوا الخطاب لادم وحوا بدليل قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا وجمع الضمير لانهما اصل الجنس فكانهما
الجنس كلهم وقيل لهما ولحية وابليس على انه اخرج منها ثانيا بعدما كان يدخلها للوسوسة او يدخلها مسارقة
او اهبط من السما وقرى بضم البا بعضكم لبعض عدو حال استغنى فيها عن الواو بالضمير اى متعادين يبغى
بعضكم على بعض بتضليله او استيناف لا محل له من الاعراب وافراد العدو اما للنظر الى لفظ البعض
واما لان وزانه المصدر كالقبول ولكم فى الارض التى هى محل الاهباط والظرف متعلق بما تعلق به الخبر اعنى
لكم من الاستقرار مستقر اى استقرار او موضع استقرار ومتاع اى تمتع بالعيش وانتفاع به الى حين هو
حين الموت على ان المعنى تمتع كل فرد من المخاطبين او القيامة على انه تمتع الجنس فى ضمن بعض الافراد والجملة
كما قبلها فى كونها حالا اى مستحقين للاستقرار والتمتع واستينافا فتلقى ادم من ربه كلمات اى استقبلها بالاخذ
والقبول والعمل بها حين علمها او فقها وقرى بنصب ادم ورفع كلمات دلالة على انها مستقبل وبلغته
وهى قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقيل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله
الا انت ظلمت نفسى فاغفر لى انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال يا رب الم
تخلقنى بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ من روحك قال بلى قال يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال
يا رب الم تسكنى جنتك قال يا رب ان تبت اليك واصلحت اراجعى انت الى الجنة قال نعم والفا للدلالة على
ان التوبة حصلت عقيب الامر بالهبوط قبل تحقق المامور به والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليه
عليه السلام للتشريف والايذان بعليته لا لتعلم الكلمات المدلول عليها بتلقيها فتاب عليه اى رجع اليه
بالرحمة وقبول التوبة والفا للدلالة على ترتبه على تلقى الكلمات المتضمن بمعنى التوبة التى هى عبارة عن
الاعتراف بالذنب والندم عليه والعزم على عدم العود اليه واكتفى بذكر شان ادم عليه السلام لما انحوا
تبع له فى الحكم ولذلك طوى النسا فى اكثر مواقع الكتاب والسنة انه هو التواب اى الرجاع على عبادة
بالمغفرة او الذى يكثر اعانتهم على التوبة واصل التوب الرجوع فاذا وصف به العبد كان رجوعا عن المعصية
واذا وصف به البارى عز وعلا اريد به الرجوع عن العقاب الى المغفرة الرحيم المبالغ فى الرحمة وفى
الجمع بين الوصفين وعد بليغ للتايب بالاحسان مع العفو والغفران والجملة تعليل لقوله تعالى فتاب

فتاب عليه قلنا استيناف مبنى على سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا وقع بعد وقبول توبته فقيل
قلنا اهبطوا منها جميعا لرد الامر بالهبوط انه انما يحتم مقتضاه وتحققه لا محالة ودفعا لما عسى يقع فى
امنيته عليه السلام من استتباع قبول التوبة للعفو عن ذلك واظهار القنوع سرانة به عليه السلام لما بين
الامرين من الفرق البين كيف لا والاول مسوب بضرب سخط مذيل ببيان ان بعضهم داربلية وتعاد لا يخلدون
فيها والثانى مقرون بوعد ايتا الهدى المودى الى النجاة والهاج واما ما فيه من وعيد العقاب فليس بمقصود
من التكليف قصدا اوليا بل انما هو داير على سو اختيار المكلفين قيل وفيه تنبيه على ان الحازم يكفيه فى الردع
عن مخالفة حكم الله تعالى مخافة الاهباط المقترن بها فتامل وقيل الاول من الجنة الى السماء الدنيا
والثانى منها الى الارض ويابا التعرض لاستقرارهم فى الارض فى الاول وعود رجوع الضمير الى الجنة فى الثانى
وجميعا حال فى اللفظ وتاكيد فى المعنى كانه قيل اهبطوا انتم اجمعون ولذلك لا يستدعى الاجتماع على الهبوط
فى زمان واحد كما فى قولك جاوا جميعا فاما ياتينكم منى هدى الفا لترتيب ما بعدها على الهبوط المفهوم
من الامر به واما مركبة من ان الشرطية واما المزيدة الموكدة بعدها على الهبوط المفهوم من الامر به
واما مركبة من ان الشرطية واما المزيدة الموكدة لمعناها والفعل فى محل الجزم بالشرط لانه مبنى لاتصاله
بنون التاكيد وقيل معرب مطلقا وقيل مبنى مطلقا والصحيح التفصيل ان باشرطه النون بنى والا اعرب
نحو هل يقومان وتقديم الظرف على الفاعل لما مر غير مرة والمعنى ان ياتيكم منى هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب
انزله عليكم وجواب الشرط قوله تعالى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون كما فى قولك ان جيتنى
فان قدرت احسنت اليك وايراد كلمة الشك مع تحقيق الاتيان لا محالة للايذان بان الايمان بالله
والتوحيد لا يشترط فيه بعثه وانزال الكتب بل يكفى فى وجوبه افاضة العقل ونصب الادلة الافاقية
والانفسية والتمكين من النظر والاستدلال والجرى على سنن العظما فى ايراد عسى ولعل فى مواقع القطع
والجزم والمعنى ان من تبع هداى منكم فلا خوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات
مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك الا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم
نفس الخوف والحزن اصلا بل مستمرون على السرور والنشاط كيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما
لجلال الله سبحانه واستعصار الجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من خصايص الخواص والمقربين والمراد
بيان دوام انتفايهما كما يتوهم من كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما تقرر فى موضعه ان النفى وان دخل
على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام واظهار الهدى مضافا الى ضمير الجلالة لتعظيمه
وتاكيد وجوب اتباعه اولان المراد بالثانى ما هو اعم من الهدايات التشريعية وما ذكر من افاضة العقل
ونصب الادلة الافاقية والانفسية كما قيل وقرى هدى على لغة هذيل وقرئ ولا خوف بالفتح والذين كفروا
وكذبوا باياتنا عطف على من تبع الى اخره قسيم له كانه قيل ومن لم يتبعه بل كفروا بالله وكذبوا باياتنا او ما ذكر نفصيلا لحال
الضلالة واظهار الكمال قبحها وايراد الموصول بصيغة الجمع للاشعار بكثرة الكفرة والجمع بين الكفر والتكذيب
للايذان بتنوع الهدى الى ما ذكر من النوعين وايراد نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة واضافة
الايات اليها لاظهار كمال قبح التكذيب بها والذين كذبوا برسلنا المرسلة اليهم وكذبوا باياتنا المنزلة عليهم
وقيل المعنى كفروا بالله وكذبوا باياته التى انزلها على الانبيا واظهرها بايديهم من المعجزات وقيل كفروا بالايات
جنانا وكذبوا بها لسانا فيكون كلا الفعلين متوجها الى الجار والمجرور والاية فى الاصل العلامة الظاهرة قال
النابغة • توهمت ايات لها فعرفتها • لستة اعوام وذا العام سابع • • • ويقال
للمصنوعات من حيث دلالتها على الصانع تعالى وعلمه وقدرته ولكل طائفة من كلمات القران المتميزة
عن غيرها بفصل لانها علامة لانفصال ما قبلها بما بعدها وقيل لانها تجمع كلمات منه فتكون من قولهم خرج
بنو فلان بايتهم اى بجماعتهم قال • خرجنا من البيتين لا حى مثلنا • باياتنا نزجى النعاج المطافلا
• • فحذفت الهمزة تخفيفا اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة من الكفر والتكذيب
وفيه اشعار بتميزهم بذلك الوصف تميزا مصححا للاشارة الحسية وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
فيه وهو مبتدا خبره قوله عز وجل اصحاب النار اى ملازموها وملابسوها بحيث لا يفارقونها خبره
والجملة خبر للموصول او اسم الاشارة بدل من الموصول او عطف بيان له واصحاب النار خبر له وقوله
تعالى هم فيها خالدون فى حيز النصب على الحالية لورود التصريح فى قوله تعالى اصحاب النار خالدين
فيها وقد جوز كونه حالا من النار لاشتماله على ضميرها والعامل معنى الاضافة واللام المقدرة او فى
محل الرفع على انه خبر اخر لاولئك على راى من جوز وقوع الجملة خبرا ثانيا وفيها متعلق بخالدين
والخلود فى الاصل المكث الطويل وقد نقل الاجماع على ان المراد به الدوام يا بنى اسرائيل تلوين
الخطاب وتوجيه له الى طائفة خاصة من الكفرة المعاصرين للنبى صلى الله عليه وسلم لتذكيرهم بفنون

القابضة عليهم لتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره بتذكيرهم كلهم بالنعمة العامة لبنى
ادم قاطبة بقوله تعالى واذ قال ربك للملائكة الى اخره واذ قلنا للملائكة الى اخره لان المعنى كما اشير اليه
بلغهم كلامى واذكر لهم اذ جعلنا اباهم خليفة فى الارض وسجود الملائكة عليهم السلام وشرفنا بتعليم الاسما
وقبلنا توبته والابن من البنا لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه فيقال ابو الحرب وبنت
فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعبرية صفوة الله وقيل عبد الله وقرى اسرائل
بحذف اليا واسرال بحذفهما واسرائيل بقلب الهمزة يا واسرال بهمزة مفتوحة واسرائل بهمزة مكسورة
بين الراو واللام وتخصيص هذه الطائفة بالذكر والتذكير لما انهم اوفر الناس نعمة واكثرهم كفرا بها اذكروا
نعمتى التى انعمت عليكم بالتفكر فيها والقيام بشكرها وفيه اشعار بانهم قد نسوها بالكلية ولم يخطروها
بالبال لا انهم اهملوا شكرها فقط واضافة النعمة الى ضمير الجلالة لتشريفها وايجاب تخصيص شكرها به تعالى
وتقييد النعمة بهم لما ان الانسان مجبول على حب النعمة فاذا نظر الى ما فاض عليه من النعم حمله ذلك على
الرضا والشكر قيل اريد بها ما انعم به على ابائهم من النعم التى سيجى تفصيلها وعليهم من فنون النعم التى اجلها
ادراك عصر النبى صلى الله عليه وسلم وقرى اذكروا من الافتعال ونعمتى باسكان اليا واسقاطها فى الدرج
وهو مذهب من لا يحرك اليا المكسور ما قبلها واوفوا بعهدى بالايمان والطاعة اوف بعهدكم بحسن
الاثابة والعهد يضاف الى كل واحد ممن يتولى طرفيه ولعل الاول مضاف الى الفاعل والثانى الى المفعول
فانه تعالى عهد اليهم بالايمان والعمل الصالح بنصب الدلايل وارسال الرسل وانزال الكتب ووعدهم
بالثواب على حسناتهم وللوفا بهما عرض عريض فاول مراتبه منا هو الاتيان بكلمتى الشهادة ومن الله تعالى
حقن الدما والاموال واخرها منا الاستغراق فى بحر التوحيد بحيث نغفل عن انفسنا فضلا عن غيرنا ومن
الله تعالى الفوز باللقا الدايم واما ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اوفوا بعهدى فى اتباع محمد
عليه الصلاة والسلام اوف بعهدكم فى رفع الاصار والاغلال وعن غيره اوفوا باداء الفرايض وترك
الكباير اوف بالمغفرة والثواب واوفوا بالاستقامة على الطريق المستقيم اوف بالكرامة والنعيم المقيم
فبالنظر الى الوسايط وقيل كلاهما مضاف الى المفعول والمعنى اوفوا بما عاهدتمونى من الايمان والتزام
الطاعة اوف بما عاهدتكم من حسن الاصابة وتفصيل العهدين من قوله تعالى ولقد اخذنا ميثاق بنى
اسرائيل الى قوله ولادخلنكم جنات الى اخره وقرى اوف بالتشديد للمبالغة والتاكيد واياى فارهبون
فيما تاتون وما تذرون خصوصا فى نقض العهد وهو اكد فى افادة التخصيص من اياك نعبد لما فيه من
التقديم من تكرير المفعول والفا الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كانه قيل ان كنتم راهبين شيا
فارهبون والرهبة خوف معه تحرز والاية متضمنة للوعد والوعيد ودالة على وجوب الشكر والوفا
وان المؤمن ينبغى ان لا يخاف الا الله تعالى وامنوا بما انزلت افراد الايمان بالقرآن بالامر به لما انه
العمدة القصوى فى شان الوفا بالعهود مصدقا لما معكم من التوراة والتعبير عنها بذلك للايذان بعلمهم
بتصديقه لها فان المعية مئنة لتكرر المراجعة اليها والوقوف على ما فى تضاعيفها المودى الى العلم بكونه
مصدقا لها ومعنى تصديقه للتوراة انه نازل حسب ما نعت فيها او من حيث انه موافق لها فى
القصص والمواعيد والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهى عن المعاصى والفواحش واما ما
يتراءى من مخالفته لها فى بعض جزئيات الاحكام المتفاوتة بسبب تفاوت الاعصار فليست بمخالفة
على الحقيقة بل هى موافقة لها من حيث ان كلا منها بالاضافة الى عصره وزمانه متضمن للحكمة التى عليها يدور
فلك التشريع وليس فى التوراة دلالة على ابدية احكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها وانما يدل
على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض للبقا بها او زوالها بل نقول فى ناطقة بنسخ تلك الاحكام فان
نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها فاذن مناط المخالفة فى الاحكام المنسوخة انما هو اختلاف
العصر حتى لو تاخر نزول المتقدم لنزل على وفق المتاخر ولو تقدم نزول المتاخر لوافق المستقدم من
قطعا ولذلك قال عليه السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى وتقييد المنزل بكونه مصدقا
لما معهم لتاكيد وجوب الامتثال بالامر فان ايمانهم بما معهم مما يقتضى الايمان بما يصدقه قطعا ولا تكونوا
اول كافر به اى لا تسارعوا الى الكفر فان وظيفتكم ان تكونوا اول من امن به لما انكم تعرفون شانه
وحقيقته بطريق التلقى مما معكم من الكتب الالهية كما تعرفون ابناءكم وقد كنتم تستفتحون به وتبشرون
بزمانه كما سيجى فلا تضعوا موضع ما يتوقع منكم ويجب عليكم ما لا يتوهم صدوره عنكم من كونكم
اول كافر به ووقوعه اول كافر به خبرا من ضمير الجمع بتاويل اول فريق او فوج او بتاويل لا يكن كل واحد
منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة ونهيهم عن التقدم فى الكفر به مع ان مشركى العرب اقدم منهم لما
ان المراد به التعريض بما الدالة على ما نطق به الظاهر كقولك اما انا فلست بجاهل اولان المراد

نهيهم عن كونهم اول من اهل الكتاب او ممن كفر بما عنده فان من كفر بالقران فقد كفر بما يصدقه او مثل من كفر
من مشركي مكة واول افعل لا فعل له وقيل اصله اوأل من وأل اليه اذا نجا وخلص فابدلت الهمزة واوا تخفيفا
غير قياسي او اول من آل فقلبت همزته واوا وادغمت ولا تشتروا باياتي اى لا تاخذوا لانفسكم بدلا منها
ثمنا قليلا اى الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة بالنسبة الى ما فات عنهم من حظوظ الاخرة
بترك الايمان قيل كانت لهم رياسة في قومهم ورسوم وهدايا فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاختاروها على الايمان وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود
فيها بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة فيها وقرنت الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون بالباء
التي تصحب الوسائل ايذانا بتعكيسهم حيث جعلوا ما هو المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا واياي
فاتقون بالايمان والاتباع للحق والاعراض عن حطام الدنيا ولما كانت الاية السابقة مشتملة على ما هو
كالمبادي للاية الثانية فصلت بالرهبة التي هي من مقدمات التقوى ولان الخطاب بها لما عم العالم والمقلد امرهم فيها
بالرهبة المتناولة للفريقين واما الخطاب بالثانية فحيث خص بالعلماء امرهم فيها بالتقوى الذي هو المنتهى
ولا تلبسوا الحق بالباطل عطف على ما قبله واللبس الخلط وقد يلزمه الاشتباه بين المختلطين والمعنى
لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذي تخترعونه وتكتبونه حتى يشتبه احدهما بالاخر ولا تجعلوا الحق ملتبسا
بسبب الباطل الذي يكتبونه في تضاعيفه وتذكرونه في تاويله وتكتموا الحق مجزوم داخل تحت حكم النهي
كانهم امروا بالايمان وترك الضلالة ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق والاخفاء عن من لم يسمعه
او منصوب باضمار ان على ان الواو للجمع اى لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وبين كتمانه ويعضده انه في
مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وتكتمون اى كاتمين وفيه اشعار بان استقباح اللبس لما يصحبه
من كتمان الحق وتكرير الحق اما لان المراد بالاخير ليس عين الاول بل هو نعت النبي صلى الله عليه وسلم
الذي كتموه وكتبوا مكانه غيره كما سيجيء في قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم واما لزيادة
تقبيح المنهي عنه اذ في التصريح باسم الحق ما ليس في ضميره وانتم تعلمون اى حال كونكم عالمين بانكم لابسون
كاتمون او وانتم تعلمون انه حق او وانتم من اهل العلم وليس ايراد الحال لتقييد النهي عنه كما في قوله
تعالى ولا تقربوا الصلوة وانتم سكارى بل لزيادة تقبيح حالهم اذ الجاهل عسى يعذر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة
اى صلاة المسلمين وزكوتهم فان غيرهما بمعزل من كونه صلاة وزكوة امرهم الله تعالى بفروع الاسلام
بعد الامر باصوله واركعوا مع الراكعين اى في جماعتهم فان صلاة الجماعة تفضل على صلاة الفذ بسبع
وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس والمناجاة وعبر عن الصلاة بالركوع احترازا عن صلاة اليهود
وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع قال الاضبط بن قريع السعدي ○ لا تحقرن الضعيف
علك ان ○ تركع يوما والدهر قد رفعه ○○○ اتامرون الناس بالبر تجريد للخطاب وتوجيه له الى بعضهم
بعد توجيهه الى الكل والهمزة فيه للتقرير مع توبيخ وتعجيب والبر التوسع في الخير من البر الذي هو الفضاء الواسع
يتناول جميع اصناف الخيرات ولذلك قيل البر ثلاثة بر في عبادة الله تعالى وبر في مراعاة الاقارب وبر في
معاملة الاجانب وتنسون انفسكم اى تتركونها من البر كالمنسيات عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها نزلت
في احبار المدينة كانوا يامرون سرا من نصحوه باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه طمعا في الهدايا
والصلات التي كانت تصل اليهم من اتباعهم وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وقال السدى
انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله تعالى وينهونهم عن معصيته وهم يتركون الطاعة ويقدمون على
المعصية وقال ابن جريج كانوا يامرون الناس بالصلوة والزكوة وهم يتركونهما ومدار الانكار والتوبيخ
هي الجملة المعطوفة دون ما عطفت عليه وانتم تتلون الكتاب تبكيت لهم وتقريع كقوله وانتم تعلمون اى
والحال انكم تتلون التوراة الناطقة بنعوته صلى الله عليه وسلم الامرة بالايمان به او بالوعد بفعل الخير
والوعيد على الفساد والعناد وترك البر ومخالفة القول العمل افلا تعقلون اى اتتلونه فلا تعقلون
ما فيه او قبح ما تصنعون حتى ترتدعوا عنه فالانكار متوجه الى كلا الامرين والمبالغة ح من حيث انكم
والعقل في الاصل المنع والامساك ومنه العقال الذي يشد به وظيف البعير الى ذراعه لحبسه
عن الحراك سمي به النور الروحاني الذي به تدرك النفوس العلوم الضرورية والنظرية لانه
يحبسه عن تعاطي ما يقبح ويعقله على ما يحسن والاية كما ترى ناعية على كل من يعظ ولا يتعظ سوء صنيعه
وعدم تاثره وان فعله فعل الجاهل بالشرع او الاحمق الخالي عن العقل والمراد بها كما اشير اليه حثه على
على تزكية النفس والاقبال عليها بالتكميل لتقوم بالحق فتقيم غيرها لا منع الفاسق عن الوعظ يروى
انه كان عالم من العلماء بليغ الكلام قوي التصرف في القلوب فكان كثيرا ما يموت من اهل مجلسه واحد
او اثنان من شدة تاثير وعظه فكان في بلده عجوز لها ابن صالح رقيق القلب سريع الانفعال

وكانت

وكانت تحترز عليه وتمنعه من حضور مجلس الواعظ فحضره يوما على حين غفلة منها فوقع من امر الله تعالى
ما وقع ثم ان العجوز لقيت الواعظ يوما في الطريق فقالت ○ تهدي الانام ولا تهتدي ○ الا ان ذلك لا ينفع
فيا حجر المسن حتى متى ○ تسن الحديد ولا تقطع ○○○ فلما سمعه الواعظ شهق شهقة فخر من فرسه مغشيا
عليه فحملوه الى بيته فتوفي الى رحمة الله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة متصل بما قبله كانهم لما كلفوا
ما فيه مشقة من ترك الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح
والفرج توكلا على الله تعالى او بالصوم الذي هو الصبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة وتصفية النفس
والتوسل بالصلاة والالتجاء اليها فانها جامعة لانواع العبادة النفسانية والبدنية من الطهارة وستر العورة
وصرف المال فيهما والتوجه الى الكعبة والعكوف على العبادة واظهار الخشوع بالجوارح واخلاص النية
بالقلب ومجاهدة الشيطان ومناجاة الحق وقراءة القران والتكلم بالشهادة وكف النفس عن الاطيبين
حتى تجابوا الى تحصيل المارب وجبر المصايب روي انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة
ويجوز ان يراد بها الدعاء وانها اى الاستعانة بهما او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شانها
واشتمالها على ضروب من الصبر كما في قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها او جملة ما امروا بها
ونهوا عنها لكبيرة لثقيلة شاقة كقوله تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الا على الخاشعين الخشوع
الاخبات ومنه الخاشعة للرملة المتطامنة والخضوع اللين والانقياد ولذلك يقال الخشوع بالجوارح
والخضوع بالقلب وانما لم يثقل عليهم لانهم يتوقعون ما ادخر لهم بمقابلتها فتهون عليهم ولا يستغرقون في مناجاة
ربهم فلا يدركون ما يجري عليهم من المشاق والمتاعب ولذلك قال عليه الصلوة والسلام وقرة عيني في الصلوة
والجملة حالية والاعتراض بدليل الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون الذين يتوقعون لقاءه
تعالى وما عنده من المثوبات والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للايذان بفيضان احسانه
اليهم او يتيقنون انهم يحشرون اليه للجزاء فيعملون على حسب ذلك رغبة ورهبة واما الذين لا يوقنون
بالجزاء ولا يرجون الثواب ولا يخافون العقاب كانت عليهم مشقة خالصة فتثقل عليهم كالمنافقين
والمرائين والتعرض لعنوان المذكور للاشعار بعلية الربوبية والمالكية للحكم ويؤيده ان في
مصحف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمن
معنى التوقع قال ○ فارسلته مستيقن الظن انه ○ مخالط ما بين الشراسيف جائف ○○○
ويجعل خبر ان في الموضعين اسما للدلالة على تحقق اللقاء والرجوع وتقريرهما عندهم يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم كرر التذكير للتاكيد ولربط ما بعده من الوعيد الشديد واني فضلتكم عطف على
نعمتي عطف الخاص على العام لكماله اى فضلت اباكم على العالمين اى عالمي زمانهم بما منحتهم من العلم
والايمان والعمل الصالح وجعلتهم انبياء وملوكا مقسطين وهم اباؤهم الذين كانوا في عصر موسى عليه
السلام وبعده قبل ان يغيروا واتقوا يوما اى حساب يوم او عذاب يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئا
اى لا تقضي عنها شيئا من الحقوق وانتصاب شيئا على المفعولية او شيئا من الجزاء فيكون نصبه على
المصدرية وقرئ لا تجزئ اى لا تغني عنها فتعين النصب على المصدرية وايراده منكرا مع تنكير النفس
للتعميم والاقناط الكلي والجملة صفة يوما والعائد منها محذوف اى لا تجزي فيه ومن لم يجوز الحذف قال
اتسع فيه ومن لم يجوز الحذف قال اتسع فيه فحذف الجار واجري المجرور مجرى المفعول ثم حذف كما حذف
في قول من قال ○ فما ادري اغيرهم تناء ○ وطول العهد ام مال اصابوا ○○○ اى اصابوه
ولا تقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى من النفس الثانية العاصية او من الاولى والشفاعة
من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والعدل الفدية وقيل البدل واصله التسوية
سمي به الفدية لانها تسوي المفدي وتجزي مجراه ولا هم ينصرون اى يمنعون من عذاب الله عز وجل والضمير
لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة في سياق النفي من النفوس الكثيرة والتذكير لكونها
عبارة عن العباد والاناسي والنصرة ههنا اخص من المعونة لاختصاصها بدفع الضرر كانه اريد بالاية
ان دفع العذاب احد عن احد من كل وجه من كل محتمل فانه اما ان يكون قهرا او لا والاول النصرة
والثاني اما ان يكون مجانا او لا والاول الشفاعة والثاني اما ان يكون باداء ما كان عليه وهو ان
يجزي عنه او باداء غيره وهو ان يعطي عنه عدلا وقد تمسكت المعتزلة بهذه الاية على نفي الشفاعة لاهل
الكبائر والجواب انها خاصة بالكفار للايات الواردة في الشفاعة والاحاديث المروية فيها ويؤيده
ان الخطاب معهم ولرده عما كانوا عليه من اعتقاد ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم واذ نجيناكم من ال فرعون
تذكير لتفاصيل ما اجمل في قوله تعالى نعمتي التي انعمت عليكم من فنون النعماء وصنوف الالاء اى واذكروا

وقت تنجيتنا اياكم اى اباكم فان تنجيتهم بنجية لاعقابهم وقرئ انجيتكم واصل ال اهل لان تصغيره اهيل وخص
بالاضافة الى اولى الاخطار كالانبياء عليهم الصلاة والسلام والملوك وفرعون لقب لمن ملك العمالقة
ككسرى لملك الفرس وقيصر لملك الروم وخاقان لملك الترك ولعتوهم اشتق منه تفرعن الرجل اذا عتا وتمرد
وكان فرعون موسى عليه السلام مصعب بن ريان وقال ابنه وليد من بقايا عاد وقيل انه كان عطارا اصفهانيا
ركبته الديون فلس فاضطر الى الخروج فلحق بالشام فلم يتيسر له المقام به فدخل مصر فراى فى ظاهره
حملا من البطيخ بدرهم وفى نفسه بطيخا بدرهم فقال لنفسه ان تيسر لى اداء الديون فهذا طريقه فخرج الى
السواد فاشترى حملا بدرهم فتوجه به الى السوق وكل من لقيه من المكاسين اخذوا منه بطيخا فدخل
البلد وما معه الا بطيخة فباعها بدرهم ومضى لوجهه ورأى اهل البلد متروكين سدى لا يتعاطى
احد سياستهم وكان قد وقع به وباء عظيم فتوجه نحو المقابر فراى ميتا يدفن فتعرض لاوليائه فقال
انا امين المقابر فلا ادعكم تدفنوه حتى تعطوا خمسة دراهم فدفعوها اليه ومضى لاخر واخر حتى
جمع فى مقدار ثلاثة اشهر مالا عظيما ولم يتعرض احد له قط الى ان تعرض لاولياء ميت فطالبوا منه
ما كان يطلب من غيرهم فابوا ذلك فقالوا من نصبك هذا المنصب فذهبوا به الى فرعون فقال من
انت ومن اقامك هذا المقام قال لم يقمنى احد وانما فعلت ما فعلت ليحضرنى احد الى مجلسك فانبهك
على اختلال حال قومك وقد جمعت بهذا الطريق هذا المقدار من المال فاحضره ودفعه الى فرعون
فقال ولنى امورك ترنى امينا كافيا فولاه اياها فسار بهم سيرة حسنة فانتظمت مصالح العسكر
واستقامت احوال الرعية فلبث فيهم دهرا طويلا وترامى امره فى العدل والصلاح فلما مات فرعون
اقاموه مقامه فكان من امره ما كان وكان فرعون يوسف عليه السلام ريان وكان بينهما اكثر من اربعمائة
سنة يسومونكم اى يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه ظلما واصله الذهاب فى طلب الشئ سوء
العذاب اى افظعه واقبحه بالنسبة الى سائره والسوء مصدر من ساء يسوء ونصبه على المفعولية ليسومونكم
والجملة حال من الضمير فى نجيناكم او من ال فرعون او منهما جميعا لاشتمالها على ضميريهما يذبحون
ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم ولذلك ترك العاطف بينهما وقرئ يذبحون بالتخفيف
وانما فعلوا بهم ما فعلوا لما ان فرعون راى فى المنام او الجن الكهنة انه سيولد منهم من يذهب بملكه
فلم يرد اجتهادهم من قضاء الله عز وجل شيئا قيل قتلوا بتلك الطريقة تسعمائة الف مولود وتسعين الفا
وقد اعطى الله عز وجل موسى من القوة على التصرف ما كان يعطيه اولئك المقتولين لو كانوا احيا
ولذلك كانت معجزة ظاهرة باهرة وفى ذلكم اشارة الى ما ذكر من التذبيح والاستحياء او الى الانجاء منه وجمع
الضمير للمخاطبين فعلى الاول معنى قوله تعالى بلاء محنة وبلية وكون استحياء نسائهم اى استبقائهم على الحيوة
محنة مع انه عفو وترك للعذاب لما ان ذلك كان للاستعمال فى الاعمال الشاقة وعلى الثانى نعمة واصل
البلاء الاختبار ولكن لما كان ذلك فى حقه سبحانه وتعالى محالا وكان يجرى مجرى الاختبار لعباده تارة
بالمحنة واخرى بالمنحة اطلق عليهما وقيل يجوز ان يشار بذلكم الى الجملة ويراد بالبلاء القدر المشترك الشامل لهما من ربكم
من جهته تعالى بتسليطهم عليكم او ببعث موسى عليه السلام وتوفيقه لتخليصكم منهم او بهما جميعا عظيم
صفة لبلاء وتنكيرهما للتفخيم وفى الاية الكريمة تنبيه على ان ما يصيب العبد من السراء والضراء من قبيل
الاختبار فعليه الشكر فى المسار وعليه الصبر فى المضار واذ فرقنا بكم البحر بيان لسبب التنجية وتصوير
لكيفيتها اثر تذكيرها وبيان عظمها وهولها وقد بين فى تضاعيف ذلك نعمة جليلة اخرى هى الانجاء
من الغرق اى اذكروا اذ فلقناه بسلوككم او ملتبسا بكم كقوله تعالى تنبت بالدهن اى بسبب انجائكم
وفصلنا بعضه عن بعض حتى حصلت مسالك وقرئ بالتشديد للتكثير لان المسالك كانت اثنى
عشر بعدد الاسباط فانجيناكم اى من الغرق باخراجكم الى الساحل كما يلوح به العدول الى صيغة الافعال
بعد ايراد التخليص من فرعون بالتفعيل وكذا قوله تعالى واغرقنا ال فرعون اريد فرعون وقومه وانما
اقتصر على ذكرهم للعلم بانه اولى به منهم وقيل شخصه كما روى ان الحسن رضى الله عنه كان يقول اللهم
صل على ال محمد اى شخصه فاستغنى بذكره عن ذكر قومه وانتم تنظرون ذلك واغراقهم واطباق البحر
عليهم وانفلاق البحر عن طرق يابسة مذللة او جثثهم التى قذفها البحر الى الساحل او ينظر بعضكم بعضا
روى انه تعالى امر موسى عليه السلام ان يسرى ببنى اسرائيل فخرج بهم فصبحهم فرعون وجنوده وصادفوهم
على ساحل البحر فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فضرب به فظهر فيه اثنا عشر طريقا يابسا
فسلكوها فقالوا نخاف ان يغرق بعض اصحابنا فلا نعلم به ففتح الله تعالى كوى فتراءوا وتسامعوا حتى
عبروا البحر فلما وصل اليه فرعون ورآه منفلقا اقتحمه هو وجنوده فغشيهم ما غشيهم واعلم ان هذه كما انها لموسى

معجزة

معجزة عظيمة تخر لها صم الجبال ونعمة عظيمة لاوائل بنى اسرائيل موجبة عليهم شكرها كذلك اقتصاصها على ما
هى عليه من رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة عظيمة تطمئن بها القلوب الابية وتنقاد لها النفوس الغبية
موجبة لاعقابهم ان يتلقوها بالاذعان فلا تأثرت اوائلهم بمشاهدتها ودعوتها لا تذكرت اواخرهم
بتذكيرها وادوا بينها فيالها من عصابة ما اعصاها وطائفة ما اطغاها واذ وعدنا موسى اربعين سنة لما
عادوا الى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى عليه السلام بنى اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم
اتاهم بكتاب من عند الله تعالى فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب
وامره بصوم ثلاثين وهو شهر ذى القعدة ثم نادى فزاد عشرا من ذى الحجة وعبر عنها بالليالى لانها غرر الشهور
وصيغة المفاعلة بمعنى الثلاثى وقيل على اصلها تنزيلا لقبول موسى عليه السلام منزلة الوعد واربعين
ليلة مفعول ثان لوعدنا على حذف المضاف اى تمام اربعين ليلة وقرئ وعدنا ثم اتخذتم العجل بتسويل
السامرى الها ومعبودا وثم للتراخى الرتبى من بعده اى من بعد مضيه الى الميقات على حذف المضاف وانتم
ظالمون باشراككم ووضعكم للشئ فى غير موضعه وهو حال من ضمير اتخذتم او اعتراض تذييلى اى وانتم قوم
عادتكم الظلم ثم عفونا عنكم حين تبتم والعفو محو الجريمة من عفاه ودرسه وقيل بمحلا لانما قال عرفت المنزل
الخالى عفا من بعد احوال عفاه كل حسان كثير الوبل هطال ... وقوله تعالى من بعد ذلك اى من بعد
الاتخاذ الذى هو متناه فى القبح للايذان بكمال بعد العفو بتلك المرتبة من الظلم لعلكم تشكرون لكى تشكروا
نعمة العفو وتستمروا بعد ذلك على الطاعة واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان اى التوراة الجامعة مع كونها
كتابا وحجة تفرق بين الحق والباطل وقيل اريد بالفرقان معجزاته الفارقة بين المحق والمبطل فى
الدعوى او بين الكفر والايمان وقيل الشرع الفارق بين الحلال والحرام والنصر الذى فرق بينه وبين عدوه
كقوله يوم الفرقان اريد به يوم بدر لعلكم تهتدون لكى تهتدوا بالتدبر فيه والعمل بما يحويه واذ قال
موسى لقومه بيان لكيفية وقوع العفو المذكور يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل اى معبودا فتوبوا اى
فاعزموا على التوبة الى بارئكم اى الى من خلقكم بريئا من العيوب والنقصان والتفاوت وميز بعضكم من بعض
بصور وهيئات مختلفة واصل التركيب للخلوص عن الغير اما بطريق التفصى كما فى برئ المريض او بطريق الانشاء
كما فى برأ الله ادم من الطين والتعرض لعنوان البارئية للاشعار بانهم بلغوا من الجهالة اقصاها ومن الغباوة
منتهاها حيث تركوا عبادة العليم الحكيم الذى خلقهم بلطيف حكمته بريئا من التفاوت والتنافر الى عبادة
البقر الذى هو مثل فى الغباوة وان من لم يعرف حقوق منعمه حقيق بان يسترد هو منه ولذلك امروا بالقتل
وفك التركيب فاقتلوا انفسكم تماما لتوبتكم بالبخع اى بقطع الشهوات وقيل امروا ان يقتل بعضهم بعضا
وقيل امر من لم يعبد العجل بقتل من عبده روى ان الرجل كان يرى قريبه فلم يقدروا على المضى لامر الله
تعالى فارسل ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون بها فاخذوا يقتلون من الغداة الى العشى حتى دعا موسى
وهارون عليهما السلام فكشفت السحابة ونزلت التوبة وكانت القتلى سبعين الفا والفاء الاولى للتسبيب
والثانية للتعقيب ذلكم اشارة الى ما ذكر من التوبة والقتل خير لكم عند بارئكم لما انه طهرة عن الشرك
ووصلة الى الحياة الابدية والبهجة السرمدية فتاب عليكم عطف على محذوف على انه خطاب منه سبحانه
على نهج الالتفات من التكلم الذى يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه فان مبنى الجميع على التكلم الى الغيبة
ليكون ذريعة الى اسناد الفعل الى ضمير بارئكم المستتبع للايذان بعليته عنوان البارئية والخلق والاحياء
لقبول التوبة التى هى عبارة عن العفو عن القتل تقديره ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم بارئكم وانما لم يقل
فتاب عليهم على ان الضمير للقوم لما ان ذلك نعمة اريد التذكير بها للمخاطبين لا لاسلافهم هذا وقد جوز
ان يكون فتاب عليكم ولا يخفى انه بمعزل من اللياقة بجلالة شان التنزيل كيف لا وهو حكاية لوعد موسى
عليه السلام قومه بقبول التوبة منه تعالى حتما وقد عرفت ان الاية الكريمة تفصيل الكيفية المحكى
فيما قبل وان المراد تذكير المخاطبين بتلك النعمة انه هو التواب الرحيم تعليل لما قبله الذى يكثر توفيق
المذنبين للتوبة ويبالغ فى قبولها منهم وفى الانعام عليهم واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك تذكير لنعمة
اخرى عليهم بعد ما صدر عنهم ما صدر من الخيانة العظيمة التى هى اتخاذ العجل اى لن نؤمن لاجلك وبقولك
ودعوتك لن نقر لك والمؤمن به اعطاء الله اياه التوراة والتكلمة اياه وانه نبى الله او انه تعالى
جعل توبتهم بقتلهم انفسهم حتى نرى الله جهرة اى عيانا وهى فى الاصل مصدر قولك جهرت بالقراءة
استعيرت للمعاينة لما بينهما من الاتحاد فى الوضوح والانكشاف الا ان الاول فى المسموعات والثانى فى
المبصرات ونصبها على المصدرية لانها نوع من الرؤية او حال من الفاعل او المفعول وقرئ بفتح الهاء على
انها مصدر كالغلبة او جمع كالكتبة فيكون حالا من الفاعل لا غير والقائلون هم السبعون المختارون
لميقات التوبة عن عبادة العجل روى انهم لما ندموا على ما فعلوا وقالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن

من الخاسرين امر الله تعالى موسى عليه السلام ان يجمع سبعين رجلا ويحضر معهم الطور يظهرون فيه تلك
التوبة فلما خرجوا الى الطور وقع عليهم عمود من الغمام وتغشاه كله فكلم الله موسى عليه السلام يأمره
وينهاه وكان كلما كلمه الله تعالى اوقع على جبهته نورا ساطعا لا يستطيع احد من السبعين النظر اليه وسمعوا
كلامه تعالى مع موسى افعل ولا تفعل فعند ذلك طمعوا في الروية فقالوا ما قالوا كما سياتي في سورة الاعراف
ان شاء الله تعالى وقيل عشرة الاف من قومه فاخذتكم الصاعقة لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل
فانهم ظنوا انه تعالى مما يشبه الاجسام ويتعلق به الروية تعلقها بها على طريقة المقابلة في الجهات والاحيان
ولا ريب في استحالته انما الممكن في شانه تعالى الروية المنزهة عن الكيفيات بالكلية وذلك للمؤمنين في الاخرة
وللافراد من الانبياء الذين بلغوا من صفاء الجوهر الى حيث تراهم كانهم في جلابيب من ابدانهم قد نضوها وتجردوا
عنها الى عالم القدس في بعض الاحوال في الدنيا قيل جاءت نار من السما فاحرقتهم وقيل صيحة وقيل جنود
سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وعن وهب انهم لم يموتوا بل لما راوا تلك الهيبة الهائلة
اخذتهم الرعدة ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وتنقض ظهورهم واشرفوا على الهلاك فعند ذلك
بكى موسى عليه السلام ودعا ربه فكشف الله عز وجل عنهم ذلك فرجعت اليهم عقولهم ومشاعرهم
ولم تكن صعقة موسى عليه السلام موتا بل غشية لقوله تعالى فلما افاق وانتم تنظرون اي ما اصابكم
بنفسه او باثاره ثم بعثناكم من بعد موتكم بتلك الصاعقة قيد البعث به لما انه قد يكون من الاغماء وقد
يكون من النوم كما في قوله تعالى ثم بعثناهم لنعلم الى اخره لعلكم تشكرون اي نعمة البعث او ما كفرتموه
بما رايتم من باس الله تعالى وظللنا عليكم الغمام اي جعلناها بحيث تلقى عليكم ظلها وذلك انه سخر لهم
السحاب يسير بسيرهم وهم في التيه يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه
وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وانزلنا عليكم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل عليهم المن
مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منه ما يكفيه
كلوا على ارادة القول قائلين لهم اي قيل لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته وما موصولة
كانت او موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا عدل به عن نهج الخطاب السابق للايذان باقتضاء
المخاطبين للاعراض عنهم وتعداد قبائحهم عند غيرهم على طريق المباثة معطوف على مضمون قد حذف للايجاز
والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان كفروا تلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن
كانوا انفسهم يظلمون بالكفران اذ لا يتخطاهم ضرره وتقديم المفعول للدلالة على القصر الذي يقتضيه النفي
السابق وفيه ضرب تهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم في الظلم واستمرارهم
على الكفر واذ قلنا تذكير لنعمة اخرى من جنابه تعالى وكفرة اخرى لاسلافهم اي فاذكروا وقت قولنا
لابائكم اثر ما انقذناهم من التيه ادخلوا هذه القرية منصوبة على الظرفية عند سيبويه على المفعولية عند
الاخفش وهي بيت المقدس وقيل اريحا فكلوا منها حيث شئتم رغدا اي واسعا هنيئا ونصبه على المصدرية
او الحالية من ضمير المخاطبين وفيه دلالة على ان المامور به الدخول على وجه الاقامة والسكنى فيؤول الى ما في
سورة الاعراف من قوله تعالى اسكنوا هذه القرية وادخلوا الباب اي باب القرية لما روي انهم دخلوا اريحا
في زمن موسى عليه السلام كما سيجي في سورة المائدة او باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا
بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام سجدا اي متطامنين مخبتين او ساجدين لله شكرا على اخراجهم من
التيه وقولوا حطة اي مسألتنا او امرك حطة وهي فعلة من الحط كالجلسة وقرئ بالنصب على الاصل بمعنى
حط عنا ذنوبنا حطة او على انها مفعول قولوا اي قولوا هذه الكلمة وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط رحالنا في
هذه القرية ونقيم بها نغفر لكم خطاياكم لما تفعلون من السجود والدعاء وقرئ بالياء والتاء على البناء للمفعول
واصل خطايا خطايئ كخطايع فعند سيبويه ابدلت الياء الزائدة همزة لوقوعها بعد الالف واجتمعت
همزتان وابدلت الثانية ياء ثم قلبت الفا فكانت الهمزة بين الفين فابدلت ياء وعند الخليل قدمت الهمزة
على الياء ثم فعل بها ما ذكر وسنزيد المحسنين ثوابا جعل الامتثال توبة للمسيء وسببا لزيادة الثواب للمحسن
واخرج ذلك عن صورة الجواب الى الوعد ايذانا بان المحسن بصدد ذلك وان لم يفعله فكيف اذا فعله وانه
يفعله لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا بما امروا به من التوبة والاستغفار بان اعرضوا عنه واوردوا مكانه
قولا اخر مما لا خير فيه وروي انهم قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة
حمراء استخفافا بامر الله عز وجل غير الذي قيل لهم نعت لقولا وانما صرح به مع استحالة تحقق التبديل
بلا مغايرة تحقيقا لمخالفتهم وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فانزلنا اي عقيب ذلك على الذين ظلموا بما
ذكر من التبديل وانما وضع الموصول موضع العائد الى الموصول الاول للتعليل والمبالغة في الذم والتقريع
وللتصريح بانهم بما فعلوا قد ظلموا انفسهم بتعريضها لسخط الله رجزا من السماء اي عذابا مقدرا منها

والنفوس

والنفوس للتهويل والتفخيم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم المستمر حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي و
والمستقبل وتعليل انزال الرجز به بعد الاشعار بتعليله بظلمهم للايذان بان ذلك فسق وخروج عن
الطاعة وغلو في الظلم وان تعذيبهم بجميع ما ارتكبوا من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يشعر به ترتيبه
على ذلك بالفاء والرجز في الاصل ما يعاف منه وكذلك الرجس وقرئ بالضم وهو لغة فيه والمراد به الطاعون
روي انه مات به في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفا واذ استسقى موسى لقومه تذكير لنعمة اخرى
كفروها وكان ذلك في التيه حين استولى عليهم العطش الشديد والتغيير الى ترتيب لما اشير اليه مرارا من الامور
المعدودة في معرض امر مستقبل واجب التذكير ولو ادعي الترتيب الوقوعي لفهم ان الكل [illegible]
واللام متعلقة بالفعل اي استسقى لاجل قومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر روي انه كان حجرا طوريا مكعبا
حمله معه وكانت تنبع من كل وجه منه ثلاث اعين تسيل كل عين في جدول الى سبط وكانوا ستمائة الف
وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وكان حجرا اهبطه الله تعالى مع ادم عليه السلام من الجنة ووقع الى شعيب
عليه السلام فاعطاه موسى عليه السلام مع العصا او كان هو الحجر الذي فر بثوبه حين وضعه عليه ليغتسل
وبراه الله تعالى به عما رموه به من الادرة فاشار اليه جبريل عليه السلام ان يحمله وكان حجرا من الحجارة وهو
الاظهر في الحجة قيل لم يؤمر عليه السلام بان يضرب حجرا بعينه ولكن لما قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض لا حجارة
بها حمل حجرا في مخلاته وكان يضربه بعصاه اذا نزل فينفجر ويضربه اذا ارتحل فييبس فقالوا ان فقد موسى
عصاه متنا عطشا فاوحى الله تعالى اليه لا تقرع الحجر وكلمه يطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان الحجر رخاما وحجمه
ذراع في ذراع والعصا عشرة اذرع على طوله عليه السلام من آس الجنة ولها شعبتان تتقدان في الظلمة فانفجرت
عطف على مقدر ينبئ عنه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كانه حصل عقيب الامر
بالضرب اي فضرب فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا واما تعلق الفاء بمحذوف اي فان ضربت فقد انفجرت فغير
حقيق بجلالة شان النظم الكريم كما لا يخفى على احد وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها وهما ايضا لغتان قد علم كل اناس
كل سبط منهم مشربهم عينهم الخاصة بهم كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله هو ما رزقهم من المن والسلوى
والماء وقيل هو الماء وحده لانه يؤكل ما ينبت به من الزروع والثمار ويأباه ان المامور به اكل النعمة العتيدة لا ما
سيطلبونه واضافته اليه تعالى مع استناد الكل اليه خلقا وملكا اما للتشريف واما لظهوره بغير سبب
عادي وانما لم يقل من رزقنا كما يقتضيه قوله تعالى فقلنا الى اخره ايذانا بان الامر بالاكل والشرب لم يكن
بطريق الخطاب بل بواسطة موسى عليه السلام ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي اشد الفساد فكان في
مقابلة الظلم المعتدي بفعله وقد يكون فيه صلاح راجح كقتل الخضر عليه السلام للغلام وخرقه للسفينة
ونظيره العيث خلا انه غالب فيما يدرك حسا واذ قلتم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم وكفرانهم لنعمة
الله عز وجل واخلادهم الى ما كانوا فيه من الدناءة والخساسة واسناد القول المحكي الى اخلافهم وتوجيه
التوبيخ اليهم لما بينهم من الاتحاد يا موسى لن نصبر على طعام واحد لعلهم يريدون بذلك جميع ما طلبوا مع ما كان
لهم من النعمة ولذوا بها وخصوص ما طلبوا مكانه اذ يأباه التعرض للوحدة بل ارادوا ان يكونوا هذا
تارة وذاك اخرى روي انهم كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجعوا ما كانوا فيه من النعمة العتيدة
لوحدتها النوعية واطرادها وتاقت انفسهم الى الشقاء فادع لنا ربك اي سله لاجلنا بدعائك اياه والفاء
لسببية عدم الصبر للدعاء والتعرض لعنوان الربوبية لتمهيد مبادي الاجابة يخرج لنا اي يظهر لنا ويوجد
والجزم لجواب الامر مما تنبت الارض اسناد مجازي باقامة القابل مقام الفاعل ومن تبعيضية والتي في قوله
تعالى من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها بيانية واقعة موقع الحال اي كائنا من بقلها وقيل بدل
باعادة الجار والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به اطايبه التي تؤكل كالنعناع والكرفس والكراث
واشباهها والفوم الحنطة وقيل الثوم وقرئ قثائها بضم القاف وهو لغة فيه قال اي الله تعالى او موسى انكارا
عليهم وهو استئناف وقع جوابا عن سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال اتستبدلون اي اتأخذون
لانفسكم وتختارون الذي هو ادنى اي اقرب منزلة وادون قدرا سهل المنال وهين الحصول لعدم كونه
مرغوبا مرذولا قليل القيمة واصل الدنو القرب في المكان فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة
فقيل بعيد المحل وبعيد الهمة وقرئ ادنأ من الدناءة وقد حملت المشهورة على انها مبدلة من الهمزة
بالذي هو خير اي بمقابلة ما هو خير فان الباء تصحب الذاهب الزائل دون الآتي الحاصل كما في التبدل والتبديل
في مثل قوله عز وجل ومن يتبدل الكفر بالايمان وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وليس فيه
ما يدل قطعا على انهم ارادوا زوال المن والسلوى بالمرة وحصول ما طلبوا مكانه لتحقق الاستبدال فيما
هو من صورة المناوبة اهبطوا مصرا امروا به بيانا لدناءة مطلبهم او متعنتا لما اهمهم اي انحدروا اليه
من التيه يقال هبط الوادي وقرئ بضم الباء والمصر البلد العظيم واصله الحد بين الشيئين وقيل اريد به

العلم وانما صرف لكونه لسكون وسطه او لتأويله بالبلد دون المدينة ويؤيده انه في مصحف ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه منون وقيل اصله مصرائم فعرب فان لكم ما سألتم تعليل للامر بالهبوط اي فان لكم ما سألتم
ولعل التعبير عن الاشياء المسؤلة بما للاستهجان بذكرها كانه قيل فانه كثير فيه مبتذلة ينالها كل احد بغير
مشقة وضربت عليهم الذلة والمسكنة اي جعلتا محيطتين بهم احاطة القبة بمن ضربت عليه او الصقتا بهم
وجعلتا ضربة لازب لا ينفكان عنهم مجازاة لهم على كفرهم من ضرب الطين على الحائط بطريق الاستعارة
بالكناية واليهود في غالب الامر اذلاء مساكين اما على الحقيقة واما لخوف ان يضاعف جزيتهم وباؤا
اي رجعوا بغضب من الله عظيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لغضب مؤكدة لما افاده
التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي بغضب كائن من الله تعالى او صاروا احقاء به من قولهم
باء فلان بفلان اي صار حقيقا بان يقتل بمقابلته ومنه قول من قال • بؤ بشسع نعل كليب • واصل البوء المساواة
ذلك اشارة الى ما سلف من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب العظيم بانهم بسبب انهم كانوا يكفرون
على الاستمرار بآيات الله الباهرة التي هي المعجزات الساطعة على يدي موسى عليه السلام مما عد وما لم
يعد ويقتلون النبيين بغير الحق كشعيا وزكريا ويحيى عليهم السلام وفائدة التقييد مع ان قتل
الانبياء يستحيل ان يكون بحق الايذان بان ذلك عندهم ايضا بغير الحق اذ لم يكن احد معتقدا بحقية قتل احد
منهم عليهم السلام وانما حملهم على ذلك حب الدنيا واتباع الهوى والغلو في العصيان والاعتداء كما
يفصح عنه قوله تعالى ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي جرهم العصيان والتمادي في العدوان الى ما ذكر
من الكفر وقتل الانبياء عليهم السلام فان صغار الذنوب اذا دووم عليها ادت الى كبارها كما ان
مداومة صغار الطاعة مؤدية الى تحري كبارها وقيل كررت الاشارة للدلالة على ان ما لحقهم كما انه
بسبب الكفر والقتل فهو بسبب ارتكابهم المعاصي واعتدائهم حدود الله تعالى وقيل الاشارة الى الكفر
والقتل والباء بمعنى مع ويجوز الاشارة الى المتعدد بتأويل ما ذكر او تقدم كما في قول رؤبة بن العجاج
فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق • اي كان ما ذكر والذي حسن ذلك في المضمرات
والمبهمات ان تثنيتها وجمعها ليسا على الحقيقة ولذلك جاء الذي بمعنى الذين ان الذين امنوا اي بالسنتهم فقط
وهم المنافقون بقرينة انتظامهم في سلك الكفرة والتعبير عنهم بذلك دون عنوان النفاق للتصريح
بان تلك النحلة مرتبة وان عبر عنها بالايمان لا تجديهم نفعا اصلا ولا تنقذهم من ورطة الكفر قطعا
والذين هادوا اي تهودوا من هاد اذا دخل في اليهودية ويهود اما عربي من هاد اذا تاب سموا بذلك
حين تابوا من عبادة العجل وخصوا به لما كانت توبتهم توبة هائلة واما معرب يهودا كانهم سموا باسم اكبر
اولاد يعقوب عليه السلام والنصارى جمع نصران كندامى وندمان يقال رجل نصران وامرأة نصرانة
والياء في نصراني للمبالغة كما في احمري سموا بذلك لانهم نصروا المسيح عليه السلام او لانهم كانوا معه
في قرية يقال لها نصران او ناصرة فسموا باسمها او نسبوا اليها والياء للنسبة وقال الخليل واحد النصارى
نصري كمهري ومهارى والصابئين هم قوم بين النصارى والمجوس وقيل اصل دينهم دين نوح عليه
السلام وقيل هم عبدة الملائكة وقيل عبدة الكواكب فهو ان كان عربيا فمن صبأ اذا خرج من دين الى اخر
وقرئ بالياء اما بالتخفيف واما لانه من صبا اذا مال لانهم مالوا من سائر الاديان الى ما هم فيه او من
الحق الى الباطل من امن بالله واليوم الاخر اي من احدث من هذه الطوائف ايمانا خالصا بالمبدأ والمعاد
على الوجه اللائق وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان بما ذكر فلهم بمقابلة ذلك اجرهم الموعود لهم
عند ربهم اي مالك امرهم ومبلغهم الى كمالهم اللائق فمن اما في محل الرفع على الابتداء خبره جملة فلهم
اجرهم والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط كما في قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين الاية
وجمع الضمائر الثلاثة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في الصلة باعتبار ما في لفظه والجملة
كما هي خبر ان والعائد الى اسمها محذوف اي من امن منهم واما في محل النصب على البدلية
من اسم ان وما عطف عليه وخبرها فلهم اجرهم وعند متعلق بما تعلق به لهم من معنى الثبوت وفي
اضافته الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد لطف بهم وايذان بان اجرهم متيقن الثبوت مأمون
عن الفوات ولا خوف عليهم عطف على جملة فلهم اجرهم اي لا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب
ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون على تضييع العمر وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما
لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر من ان النفي وان دخل على نفس
المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام هذا وقد قيل المراد بالذين امنوا المتدينون
بدين الاسلام المخلصون منهم والمنافقون فحينئذ لا بد من تفسير من امن بمن اتصف منهم بالايمان الخالص
بالمبدأ والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الاحداث احداثه وانشائه كايمان من عداهم من المنافقين

وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين مزيد ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تأخرهم في الاتصاف به
غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين في استحقاق الاجر وما يتبعه من الامن الدائم واما ما قيل في
تفسير من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدأ والمعاد عاملا بمقتضى شرعه فمما لا سبيل اليه
اصلا لان مقتضى المقام هو الترغيب في دين الاسلام واما بيان حال من مضى على دين اخر قبل انتساخه
فلا ملابسة له بالمقام قطعا بل ربما يخل بمقتضاه من حيث دلالته على حقيته في زمانه في الجملة على ان
المنافقين والصابئين لا يتسنى في حقهم ما ذكر اما المنافقون فان كانوا من اهل الشرك فالامر بين وان كانوا
من اهل الكتاب فمن مضى قبل النسخ ليسوا بمنافقين واما الصابئون فليس لهم دين يجوز رعايته في وقت من الاوقات
ولو سلم انه كان لهم دين سماوي ثم خرجوا عنه فمن مضى من اهل ذلك الدين قبل خروجهم منه ليسوا من الصابئين
فكيف يمكن ارجاع الضمير الرابط الى اسم ان وخبرها او الى المنافقين وارتكاب اخراجه الى مجموع الطوائف
من حيث هو لا الى كل واحد منها قصدا الى درج الفريق المذكور فيه ضرورة ان من كان من اهل الكتاب عاملا بمقتضى
شرعه قبل نسخه من مجموع الطوائف بحكم اشتماله على اليهود والنصارى وان لم يكن من المنافقين •
والصابئين مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله على ان المخلصين مع اندراجهم في حيز خبرها فبقي ولا اثر
تأمل وكن على الحق المبين واذ اخذنا ميثاقكم تذكير لجناية اخرى لاسلافهم اي واذكروا وقت اخذنا
بالمحافظة على ما في التوراة ورفعنا فوقكم الطور عطف على اخذنا او حال اي وقد رفعنا فوقكم الطور
كانه ظلة روي ان موسى عليه السلام لما جاءهم بالتوراة فرأوا ما فيها من التكاليف الشاقة كبرت عليهم
فابوا قبولها فامر جبريل عليه السلام فقلع الطور فظلله عليهم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه اي احفظوه ولا تنسوه او تفكروا فيه فانه ذكر بالقلب
واعملوا به لعلكم تتقون كي تتقوا المعاصي اي لتنجوا من هلاك الدارين او رجاء منكم ان تنتظموا في سلك المتقين
او طلبا لذلك وقد مر تحقيقه ثم توليتم اعرضتم عن الوفاء بالميثاق من بعد ذلك من بعد اخذ ذلك
الميثاق المؤكد فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيقكم للتوبة او بمحمد صلى الله عليه وسلم حيث يدعوكم
الى الحق ويهديكم اليه لكنتم من الخاسرين اي المغبونين بالانهماك في المعاصي والخبط في مهاوي
الضلال عند الفترة وقيل لولا فضله تعالى عليكم بالامهال وتاخير العذاب لكنتم من الهالكين وهو الانسب
بما بعده وكلمة لولا اما بسيطة او مركبة من لو الامتناعية وحرف النفي ومعناها امتناع الشيء
لوجود غيره كما ان لو لامتناع الشيء لامتناع غيره والاسم الواقع بعدها عند سيبويه مبتدأ خبره
محذوف وجوبا لدلالة الحال عليه وسد الجواب مسده والتقدير لولا فضل الله حاصل وعند الكوفيين
فاعل فعل محذوف اي لولا ثبت فضل الله عليكم ولقد علمتم اي عرفتم الذين اعتدوا منكم في السبت
روي انهم امروا بان يتمحضوا يوم السبت للعبادة ويتجردوا لها ويتركوا الصيد فاعتدى فيه اناس
في زمن داود عليه السلام فاشتغلوا بالصيد وكانوا يسكنون قرية بساحل البحر يقال لها ايلة فاذا كان
يوم السبت فيصطادونها يوم الاحد فالمعنى وبالله لقد علمتموهم حين فعلوا من قبيل حياتكم ما فعلوا
ثم لم نمهلهم ولم نؤاخر عقوبتهم بل عجلناها فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اي جامعين بين صورة القردة
والخسوء وهو الطرد والصغار على ان خاسئين نعت لقردة وقيل حال من اسم كونوا عند من يجيز عمل كان في الحال
ما مسخت صورتهم ولكن قلوبهم فمثلوا بالقردة كما مثلوا بالحمار في قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا والمراد
بالامر بيان سرعة التكوين وانهم صاروا كذلك كما اراده عز وجل وقرئ قردة بفتح القاف وكسر
الراء وخاسين بغير همز فجعلناها اي المسخة والعقوبة نكالا عبرة تنكل المعتبر بها اي تمنعه وتردعه
ومنه النكل للقيد لما بين يديها وما خلفها لما قبلها ولما بعدها من الامم اذ ذكرت حالهم في زبر الاولين
واشتهرت قصصهم في الاخرين او لمعاصيهم ومن بعدهم او لما بحضرتها من القرى وما تباعد او لاهل تلك
القرية وما حواليها او لاجل ما تقدم عليها من ذنوبهم وما تأخر منها وموعظة للمتقين من قومهم او لكل
متق سمعها واذ قال موسى لقومه توبيخ اخر لاخلاف بني اسرائيل بتذكير بعض جنايات صدرت عن اسلافهم
اي اذكروا وقت قول موسى عليه السلام لاجدادكم ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة وسببه انه كان
في بني اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو عمه طمعا في ميراثه فطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون
بديته فامرهم الله تعالى ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها فيحيى فيخبرهم بقاتله قالوا استئناف وقع
جوابا عما ينساق اليه الكلام كانه قيل فما صنعوا هل سارعوا في الامتثال فقيل قالوا اتتخذنا هزؤا بضم
الواو وقلب الهمزة واوا وقرئ بالهمزة مع الضم والسكون اي اتجعلنا مكان هزؤ او اهل هزؤ او مهزوا بنا
او الهزؤ نفسه استبعادا لما قاله واستخفافا به قال استئناف كما سبق اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان
الهزؤ في اثناء تبليغ امر الله سبحانه جهل وسفه نفى عنه عليه السلام ما توهموه من قبله على ابلغ وجه واكده

باخراجه مخرج ما لا مكروه وتبرأه بالاستعاذة منه استعظاما لما قدموا عليه من العظيمة التي شافهوه
بها عليه السلام قالوا استئناف كامر كانه قيل فاذا قالوا بعد ذلك فقيل توجهوا نحو الامتثال و قالوا
ادع لنا اى لاجلنا ربك يبين لنا ما هى ما مبتدا وهى خبره والجملة في حيز النصب اى يبين لنا جواب هذا السؤال
وقد سألوا عن حالها وصفتها لما قرع اسماعهم ما لم يعهدوه من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى
فان ما وان ساغت في طلب مفهوم الاسم وحقيقته كما في ما الشارحة والحقيقية لكنها قد تطلب بها
الصفة والحال تقول ما زيد فتقول طبيب او عالم وقيل كان حقه ان يستفهم بأى لما اراد وانما رأوا ما امر به
على حاله مغايرة لما عليه الجنس اخرجوه عن الحقيقة فجعلوه جنسا على حيالها قال اى موسى عليه السلام بعد
ما دعا ربه عزوجل بالبيان واتاه الوحى انه تعالى يقول انها اى البقرة المامور بذبحها بقرة لا فارض ولا بكر اى
مسنة ولا فتية يقال فرضت البقرة فروضا اى اسنت من الفرض بمعنى القطع كانها قطعت سنها وبلغت
اخرها وتركيب البكر للاولية ومنه البكر والباكورة عوان اى نصف لا قحم ولا ضرع قال ●
طوال مثل اعناق الهوادى ● نواعم بين ابكار وعون بين ذلك اشارة الى ما ذكر من الفارض والبكر
ولذلك اضيف اليه بين لاختصاصه بالاضافة الى المتعدد فافعلوا امر من جهة موسى عليه السلام
متفرع على ما قبله من بيان صفة المامور به ما تؤمرون اى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به كما في قوله ● امرتك الخير
فافعل ما امرت به ● ● فان حذف الجار قد شاع في هذا الفعل حتى لحق بالافعال المتعدية الى مفعولين
وهذا الامر منه عليه السلام لحثهم على الامتثال وزجرهم عن المراجعة ومع ذلك لم يقتنعوا به وقوله
تعالى قالوا استئناف كامر كانه قيل ماذا صنعوا بعد هذا البيان الثانى والامر المكرر فقيل قالوا
ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها حتى يتبين لنا البقرة المامور بها قال اى موسى عليه السلام بعد المناجاة
الى الله تعالى ومجى البيان انه تعالى يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها اسناد البيان في كل مرة الى الله عز
وجل لاظهار كمال المساعدة في اجابة مسؤلهم بيبين لنا وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
والفقوع نصوع الصفرة وخلوصها ولذلك يؤكد به ويقال اصفر فاقع كما يقال اسود حالك واحمر قانى
وفي اسناده الى اللون مع كونه من احوال الملون لملابسته به ما لا يخفى من فضل تاكيد كانه قيل صفراء
شديدة الصفرة صفرتها كما في جد جده وعن الحسن رضى الله تعالى عنه سوداء شديدة السواد وبه
فسر قوله تعالى جمالات صفر ولعل التعبير عن السواد بالصفرة لما انها من مقدماته واما لان سواد
الابل يعلوه صفرة ويأباه وصفها بقوله تعالى تسر الناظرين كما يأباه وصفها بفقوع اللون والسرور
لذة في القلب عند حصول نفع او توقعه ومن التشعى على رضى الله تعالى عنه من لبس نعلا صفرا قل همه
قالوا استئناف كنظايره ادع لنا ربك يبين لنا ما هى زيادة استكشاف عن حالها كانهم سألوا بيان حقيقتها
بحيث تمتاز عن جميع ما عداها مما يشاركها في الاوصاف المذكورة والاحوال المشروحة في اثناء البيان
ولذلك عللوه بقولهم ان البقر تشابه علينا يعنون ان الاوصاف المعدودة يشترك فيها كثير من البقر
ولا نهتدى بها الى تشخيص ما هو المامور بها ولذلك لم يقولوا ان البقرة تشابهت ايذانا بان النعوت
المعدودة ليست بمشخصة للمامور بها على صادقة على سائر افراد الجنس وقرئ ان الباقر تشابه وهو اسم
لجماعة البقر والاباقر وتشابه بالياء والتاء وتشابه بطرح التاء والادغام على التذكير والتانيث
وتشابهت مخففا ومشددا بمعنى تشبه ويتشبه بالتذكير ومتشابه ومتشابهة ومشتبه وفيه
دلالة على انهم ميزوها عن بعض ما عداها في الجملة وانما بقى اشتباه بشرف الزوال كما ينبي عنه قولهم
وانا ان شاء الله لمهتدون تأكيدا بوجوه من التوكيد اى لمهتدون بما سألنا من البيان الى المامور بذبحها
وفي الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى
الحرث اى لم تذلل للكراب وسقى الحرث ولا ذلول صفة لبقرة بمعنى غير ذلول ولا الثانية لتاكيد الاولى
والفعلان صفتان ذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرئ لا ذلول بالفتح اى حيث هى كقولك
مررت برجل لا بخيل ولا جبان اى حيث هو وقرئ تسقى من اسقى مسلمة سلمها الله تعالى من العيوب
او اهلها من العمل واخلص لها لونها من سلم له كذا اذا خلص له ويؤيده قوله تعالى لا شية فيها اى
لا لون فيها مخالف لون جلدها حتى قرنها وظلفها وهى في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط
بلونه لونا اخر قالوا عند ما سمعوا بهذه النعوت الان جئت بالحق اى بحقيقة وصف البقرة بحيث
ميزتها على جميع ما عداها ولم يبق لنا في شانها اشتباه اصلا بخلاف المرتين الاوليين فان ما جئت به فيهما لم
يكن في التعيين بهذه المرتبة ولعلهم كانوا قبل ذلك قد راوها ووجدوها جامعة لجميع ما فصل
من الاوصاف المشروحة في المرات الثلاث من غير مشارك لها فيما عد في المرة الاخيرة والا فمن
اين عرفوا اختصاص النعوت الاخيرة بها دون غيرها وقرئ الان بالمد على الاستفهام والان بحذف

الهمزة

الهمزة والقاء حركتها على اللام فذبحوها الفا فصيحة كما في فانفجرت اى فحصلوا البقرة فذبحوها وما كادوا
يفعلون كان من افعال المقاربة وضع لدنو الخبر من الحصول والجملة حال من ضمير ذبحوا اى فذبحوها والحال انهم
كانوا قبل ذلك بمعزل منه او اعتراض تذييلى وما له استثقال استقصائهم واستطالتهم وانهم لفرط تطويلهم وكثرة
مراجعاتهم ما كاد ينتهى خيط اسهابهم فيها قيل مضى من اول الامر الى الامتثال اربعون سنة وقيل وما كادوا
يفعلون ذلك لغلاء ثمنها روى انه كان في بنى اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم انى استود
عكها لابنى حتى يكبر وكان برا بوالديه فتوفى الشيخ وشبت العجلة فكانت من احسن البقر واسمنها فساوموها
اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت وحيدة بالصفات المذكورة وكانت البقرة اذ ذاك
بثلاث دنانير واعلم انه لا خلاف في ان مدلول ظاهر النظم الكريم البقرة مطلقة مبهمة وان الامتثال
في اخر الامر انما وقع بذبح بقرة معينة حتى لو ذبحوا غيرها ما خرجوا عن عهدة الامر لكن اختلف في ان المراد
المامور به اثر ذى اثير هل هو المعينة وقد اخر البيان عن وقت الخطاب او المبهمة ثم لحقها التعيين الى المعينة
بسبب تثاقلهم في الامتثال وتماديهم في التعمق والاستكشاف فذهب بعضهم الى الاولى تمسكا بان الضماير
في الاجوبة اعنى انها بقرة الى اخره للمعينة قطعا ومن قضيته ان يكون في السؤال ايضا لذلك ولا ريب في
ان السؤال انما هو عن البقرة المامور بذبحها فتكون هى المعينة وهو مدفوع بانهم لما تعجبوا من بقرة
ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى ظنوها معينة خارجة مما عليه الجنس من الصفات والخواص فسألوا عنها
فرجعت الضماير الى المعينة في زعمهم واعتقادهم فعينها الله تعالى تشديدا عليهم وان لم يكن المراد من
اول الامر هى المعينة والحق في اول الامر مبهمة بحيث لو ذبحوا اية بقرة كانت لحصل الامتثال بدلالة
النظم الكريم وتكرير الامر قبل بيان اللون وما بعده من كونها مسلمة الى اخره وقد قال عليه السلام لوا
عترضوا ادنى بقرة فذبحوها لكفتهم وروى مثله عن رئيس المفسرين عبد الله ابن عباس رضى الله تعالى عنه
ثم رجح الحكم الاول منسوخا بالثانى والثانى بالثالث تشديدا عليهم لكن لا على وجه ارتفاع حكم المطلق
بالكلية وانتقاله الى المعين بل على طريقة تقييده وتخصيصه به شيئا فشيئا كيف لا ولو لم يكن كذلك لما عدت
مراجعاتهم المحكية من قبيل الجنايات بل من قبيل العبادات فان الامتثال بالامر بدون الوقوف على
المامور به مما لا يكاد يتسنى فيكون سؤالهم من باب الاهتمام بالامتثال واذ قتلتم نفسا منصوب
بمضمر كما في نظايره والخطاب لليهود والمعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسناد القتل والتدارء
اليهم لما مر من نسبة جنايات الاسلاف الى الاخلاف توبيخا وتقريعا وتخصيصهما بالاسناد دون
ما مر من جناياتهم لظهور قبح القتل واسناده الى الغير اى اذكروا وقت قتلكم نفسا محترمة فادارءتم فيها
اى تخاصمتم في شانها اذ كل واحد من الخصماء يدفع الاخر او تدافعتم بان طرح كل واحد قتلها الى اخر
واصله تدارءتم فادغمت التاء في الدال واجتلبت لها همزة الوصل والله مخرج ما كنتم تكتمون اى مظهر
لما تكتمونه لا محالة والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على الاستمرار وانما اعمل مخرج لانه
حكاية حال ماضية فقلنا اضربوه عطف على فادارءتم وما بينهما اعتراض والتفات لتربية المهابة
والضمير للنفس والتذكير باعتبار انها عبارة عن الرجل او بتأويل الشخص او القتيل ببعضها اى ببعض
البقرة اى بعض كان وقيل باصغريها وقيل بلسانها وقيل بفخذها اليمنى وقيل باذنها وقيل بالعظم الذى
يلى الغضروف وهذا اول القصة كما ينبي عنه الضمير الراجع الى البقرة كانه قيل واذ قتلتم نفسا فادارءتم
فيها فقلنا اذبحوا بقرة فاضربوه ببعضها وانما غير الترتيب عند الحكاية لتكرير التوبيخ وتثنية التقريع
فان كل واحد من قتل النفس المحرمة والاستهزاء برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والافتيات على
امره وترك المسارعة الى الامتثال به جناية عظيمة حقيقة بان ينعى عليهم حيالها ولو حكيت
القصة على الترتيب الوقوعى لما علم استقلال كل منهما بما يخص بها من التوبيخ وانما حكى الامر بالذبح عن
موسى عليه السلام مع انه من الله عزوجل كالامر بالضرب لما ان جناياتهم كانت بمراجعتهم اليه عليه
السلام والافتيات على رأيه كذلك يحيى الله الموتى على ارادة قول معطوف على مقدر ينسحب عليه
الكلام اى فضربوه فحيى وقلنا كذلك الى اخره فحذف الفاء الفصيحة في فحيى مع ما عطف هو عليه
لدلالة كذلك على ذلك فالخطاب في كذلك حج للحاضرين عند حياة القتيل ويجوز ان يكون ذلك للحاضرين
عند نزول الاية الكريمة فلا حاجة الى تقدير القول تنتهى الحكاية عند قوله تعالى ببعضها مع ما قدر
بعده فالجملة معترضة اى مثل ذلك الاحيا العجيب يحيى الله الموتى يوم القيمة ويريكم اياته ودلائله الدالة
على انه تعالى على كل شئ قدير ويجوز ان يراد بالايات هذا الاحيا والتعبير عنه بالجمع لاعتباره لاشتماله على الامور
الخارقة للعادات لعلكم تعقلون اى تكمل عقولكم وتعلموا ان من قدر على احيا الانفس كلها او تعملوا على قضيته
عقولكم ولعل الحكمة في اشتراطها ما اشترط في الاحيا ابتداؤه لا بواسطة اصلا اشتماله على التقرب الى الله تعالى

وأداء الواجب ونفع اليتيم والتنبيه على بركة التوكل على الله تعالى والشفقة على الاولاد ونفع بر الوالدين
وان من حق الطالب ان يقدم قربة ومن حق المتقرب ان يتحرى الاحسن ويغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله
تعالى عنه انه ضحى بنجيبة اشتراها بثلاثمائة دينار وان من رام ان يعرف اعدى عدوه الساعي في اماتته الموت الحقيقي
فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التي هي قوته الشهوية حين زال عنها شره الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر وكانت
معجبة رائقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من قبائحها بحيث يصل اثره الى نفسه
فيحيى بها حياة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارؤ والجدال ثم قست
قلوبكم الخطاب لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم والقسوة عبارة عن الغلظ والجفاء والصلابة كما في الحجر
استعيرت لنبو قلوبهم عن التأثر بالعظات والقوارع التي تميع منها الجبال وتلين بها الصخور وايراد الفعل
المفيد لحدوث القساوة مع ان قلوبهم لم تزل قاسية لما ان المراد بيان بلوغهم الى مرتبة مخصوصة من
مراتب القساوة وحدثة واما لان الاستمرار على شيء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه امر جديد وصنع
حادث وثم لاستبعاد القسوة بعد مشاهدة ما يزيلها لقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
من بعد ذلك اشارة الى ما ذكر من احياء القتيل او الى جميع ما عدد من الآيات والموجبة للين القلوب
وتوجهها نحو الحق اي من بعد سماع ذلك وما فيه معنى البعد للايذان ببعد منزلته عليه وعلو طبقته
وتوجيه حرف الخطاب لتعدد المخاطبين اما بتأويل الفريق او لان المراد مجرد الخطاب كما هو المشهور
فهي كالحجارة في القساوة او اشد قسوة اي هي في هذه القسوة مثل الحجارة او زائدة عليها فيها او انها مثلها
او مثل ما هو اشد منها قسوة كالحديد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويعضده القراءة بالجر
عطفا على الحجارة وايراد الجملة اسمية مع كون ما سبق فعلية للدلالة على الاستمرار قساوة قلوبهم والفاء اما
للتفريع شابهتها على كل ما ذكر من القساوة تفريع التشبيه على بيان وجه الشبه في قولك احمر خده
فهو كالورد واما للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق له وانما لم يقل او اقسى منها لما في التصريح
بالشدة من زيادة مبالغة ودلالة ظاهرة على اشتراك القسوتين في الشدة واشتمال المفضل على زيادة
او للتخيير او للترديد بمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة من القساوة وعدم التأثير واستحالة
صدور الخير وترك ضمير المفضل عليه للامن من الالتباس فان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار اي المياه العظيمة
وان منها لما يشقق اي يتشقق فيخرج منه الماء اي العيون وان منها لما يهبط من خشية الله اي يتردى من
الاعلى الى الاسفل بمقتضى ما اودعه الله عز وجل فيها من الثقل الداعي الى المركز وهو مجاز من الانقياد
بامره تعالى والمعنى ان من الحجارة ليس منها فرد الا وهو منقاد لامره عز وعلا آت لما خلق له من غير استعصا
وقلوبهم ليست كذلك فتكون اشد منها قسوة لا محالة واللام في لما لام الابتداء دخلت على اسم ان لتقدم
الخبر وقرئ ان على انها مخففة من الثقيلة واللام فارقة وقرئ يهبط بالضم وما الله بغافل عما تعملون عن متعلقة
بغافل وما موصولة والعائد محذوف او مصدرية وهو وعيد شديد على ما هم عليه من قساوة القلب
وما يترتب عليها من الاعمال السيئة وقرئ بالياء على الالتفات وقوله تعالى افتطمعون تلوين للخطاب وصرف
له عن اليهود اوما عددت هناتهم ونعيت عليهم جناياتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين
والهمزة لانكار الواقع واستبعاده كما في قولك اتضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه
نظام الكلام لكن لا على قصد توجيه الانكار الى المعطوفين معا كما في اولا تبصرون فالمنكر ترتب الثاني
على الاول مع وجوب ان يترتب عليه نقيضه اي اتسمعون اخبارهم وتعلمون احوالهم فتطمعون ومآل المعنى
ابعد ان علمتم تفاصيل شؤونهم المؤيسة عنهم تطمعون ان يؤمنوا فانهم متماثلون في شدة الشكيمة
والاخلاق الذميمة لا يتأتى من اخلافهم الا مثل ما اتى من اسلافهم وان مصدرية حذف عنها الجار والاصل
في ان يؤمنوا وهي مع ما في حيزها في محل النصب او الجر على خلاف المعروف واللام في لكم لتضمين معنى
الاستجابة كما في قوله عز وجل فآمن له لوط اي في ايمانهم مستجيبين لكم او للتعليل اي في ان يحدثوا الايمان
لاجل دعوتكم وصلة الايمان محذوفة لظهور ان المراد به معناه الشرعي وسيتضح عليه المزية على ما فيه
من المنة باذن الله تعالى وقد كان فريق منهم الفريق اسم جمع لا واحد له من لفظه كالرهط والقوم والجار
والمجرور في محل الرفع اي فريق كائن منهم وقوله تعالى يسمعون كلام الله خبر كان وقرئ كلم الله والجملة
حالية مؤكدة للانكار مباعدة لمادة الطمع مثل احوالهم الشنيعة المحكية فيما سلف على منهاج قوله تعالى
وهم لكم عدو بعد قوله تعالى افتتخذونه وذريته اولياء من دوني اي والحال انه طائفة منهم قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم قوم من السبعين المختارين للميقات كانوا يسمعون كلام الله تعالى حين
كلم موسى عليه السلام بالطور وما امر به ونهي عنه ثم يحرفونه عن مواضعه لا لقصور فهمهم عن
الاحاطة بتفاصيله على ما ينبغي لاستيلاء الدهشة والمهابة حسبما يقتضيه والكبريا بل من بعد ما عقلوه

اي

اي فهموه وضبطوه بعقولهم ولم يبق لهم في مضمونه ولا في كونه كلام رب العزة ريب اصلا فلما رجعوا الى قومهم
اداه الصادقون اليهم كما سمعوا وهؤلاء قالوا سمعنا الله تعالى يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا هذه
الاشيا فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا ولا باس فثم للتراخي زمانا او رتبة وقال القفال رحمه الله تعالى سمعوا
كلام الله تعالى وعقلوا مراده تعالى منه فاولوه تاويلا فاسدا وقيل هم رؤسا اسلافهم الذين تولوا تحريف
التوراة فيما سلف الا ان يحمل ذلك على تقدمه على زمان نزول الآية الكريمة على تقدمه على عهده صلى الله
عليه وسلم هذا والاول هو الانسب بالسماع والكلام واما التوراة وان كانت كلام الله عز وجل لكنها
باسم الكتاب اشهر واشهر التحريف فيها ظهر ووصف اليهود بتلاوتها اكثر لاسيما رؤساؤهم المباشرين للتحريف فان
وظيفتهم التلاوة دون السماع فكان الانسب ان يقال يتلون كتاب الله تعالى فالمعنى افتطمعون في ان يؤمن
هؤلاء بواسطتكم ويستجيبوا لكم والحال ان اسلافكم الموافقين لهم في خلال السوء كانوا يسمعون كلام الله بلا
واسطة ثم يحرفونه من بعد ما علموه يقينا فلا يستجيبون له هيهات ومن ههنا ظهر ما في اتيانكم على بالله من
الفخامة والجزالة وقوله عز وجل وهم يعلمون جملة حالية من فاعل يحرفونه مفيدة لكمال قباحة حالهم
مؤذنة بان تحريفهم ذلك لم يكن بنا على نسيان ما عقلوه او على الخطا في بعض مقدماته بل كان ذلك حال
كونهم عالمين به مستحضرين له او وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون واذا لقوا جملة مستانفة سيقت اثر بيان
ما صدر عن اشياعهم لبيان ما صدر عنهم بالذات من الشنايع المؤيسة عن ايمانهم من نفاق بعض وعتاب
آخرين عليهم او معطوفة على ما سبق من الجملة الحالية والضمير لليهود لما ستقف على سر لا لمنافقيهم خاصة كما
قيل تحرزا لاتحاد الفاعل في فعل الشرط والجزاء حقيقة الذين آمنوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا اي
اللاقون لكن لا بطريق تصدي الكل للقول حقيقة بل بمباشرة منافقيهم وسكوت الباقين كما يقال فيل تحرزا لاتحاد
الفاعل في فعل الشرط والجزاء حقيقة بنو فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم وهذا ادخل في تقبيح حال
الساكتين اولا الغائبين ثانيا لما فيه من الدلالة على نفاقهم واختلاف احوالهم وتناقض اراءهم من اسناد
القول الى المباشرين خاصة بتقدير المضاف اي قال منافقوهم آمنا لم يقتصروا على ذلك بل عللوه بانهم وجدوا
نعت النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة وعلموا انه النبي المبشر به وانما لم يصرح به تعويلا على شهادة التوبيخ
الآتي واذا خلا بعضهم اي الساكتون منهم اذا فرغوا من الاشتغال بالمؤمنين متوجهين ومنضمين الى بعض
اخر منهم وهم منافقوهم بحيث لم يبق معهم غيرهم وهذا نص على اشتراك الساكتين في لقاء المؤمنين كما اشير اليه
انفا لان الخلو انما يكون بعد الاشتغال ولان عتابهم معلق بمحض الخلو ولولا انهم حاضرون عند المقاولة
لوجب ان يجعل سماعهم لها من تمام الشرط ولان فيه زيادة تشنيع لهم على ما اتوا من السكوت ثم العتاب
قالوا اي الساكتون موبخين لمنافقيهم على ما صنعوا اتحدثونهم بعنوان المؤمنين بما فتح الله عليكم ما موصولة
والعائد محذوف اي بينه لكم خاصة في التوراة من نعت النبي صلى الله عليه وسلم والتعبير عنه بالفتح للايذان
بانه سر مكنون وباب مغلق لا يقف عليه احد ويجوز ان يكون هذا التوبيخ من جهة المنافقين لاعقابهم اراءهم
للتصلب دينهم كما ذهب اليه عصابة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل واللام في قوله عز وجل ليحاجوكم به
متعلقة بالتحديث دون الفتح والمراد تاكيد النكير وتشديد التوبيخ فان التحديث بذلك وان كان منكرا
في نفسه لكن التحديث به لاجل هذا الغرض مما لا يكاد يصدر عن العاقل اي اتحدثونهم بذلك ليحتجوا عليكم به
فيبكتوكم والمحدثون به وان لم يحوموا حول ذلك الغرض لكن فعلهم ذلك لما كان مستتبعا البتة جعلوا
فاعلين للغرض المذكور اظهارا لكمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم عند ربكم اي في حكمه وكتابه كما يقال
هو عند الله كذا اي في كتابه وشرعه وقيل عند ربكم يوم القيامة ورد عليه بان الاخفاء لا يدفعه اذ هم عالمون
بانهم محجوجون يومئذ حدثوا به او لم يحدثوا والاعتذار بان الزام المؤمنين اياهم وتبكيتهم بان يقولوا لهم الم
تحدثونا بما في كتابكم في الدنيا من حقية ديننا وصدق نبينا افحش فيجوز ان يكون المحذور عندهم هذا الالزام
بارجاع الضمير في به الى التحديث دون المحدث به ولا ريب في انه مدفوع بالاخفاء لا يساعده الآية
الكريمة الآتية كما ستقف عليه باذن الله عز وجل افلا تعقلون من تمام التوبيخ والعتاب والفاء للعطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام اي الا تلاحظون فلا تعقلون هذا الخطاب الفاحش او شيئا من الاشيا التي
من جملتها هذا فالمنكر عدم التعقل ابتداء او تعقلون ذلك فلا تعقلون بطلانه مع وضوحه حتى تحتاجون
الى التنبيه عليه فالمنكر عدم التعقل بعد الفعل هذا واما ما قيل من انه خطاب من جهة الله سبحانه وتعالى
للمؤمنين متصل بقوله تعالى افتطمعون والمعنى افلا تعقلون حالهم وان لا مطمع لكم في ايمانهم فيأباه قوله تعالى
اولا يعلمون فانه الى آخره تجهيل لهم من جهته تعالى فيما حكى عنهم فيكون توسيط الخطاب للمؤمنين في اثنائه من
قبيل الفصل بين الشجر ولحائه على ان في تخصيص الخطاب من المؤمنين من التعسف وفي تعميمه للنبي ايضا صلى
الله عليه وسلم ما في افتطمعون من سوء الادب ما لا يخفى والهمزة للانكار والتبكيت كما قبلها والواو للعطف على
مقدر ينساق اليه الذهن والضمير للموبخين اي يلومونهم على التحديث المذكور مخافة المحاجة ولا يعلمون

ان الله يعلم ما يسرون اى يسرونه فيما بينهم من المؤمنين او ما يضمرونه فى قلوبهم فليت الحكم فى ذلك بالطريق
الاولى وما يعلنون اى يظهرونه للمؤمنين او لاصحابهم حسبما سبق فيظهر الله تعالى للمؤمنين ما ارادوا اخفاءه
بواسطة الوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم فيحصل المحاجة ويقع التبكيت كما وقع فى آية الرجم وتحريم بعض المحرمات
عليهم فاى فائدة فى اللوم والعتاب ومن ههنا تبين ان المحذور عندهم هو المحاجة بما فتح الله عليهم وهى حاصلة
فى الدارين حدثوا به ام لا لا التحديث به حتى يندفع بالاخفاء وقيل الضمير للمنافقين فقط او لهم وللموبخين او لابائهم
المحرفين اى تفعلون ما تفعلون ولا يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن جملتها اسرارهم الكفر
واظهارهم الايمان واخفاء ما فتح الله عليهم واظهار غيره وكتم امر الله واظهار ما اظهروه افتراء وانما قدم
الاسرار على الاعلان للايذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه من اول الامر والمبالغة فى بيان شمول
علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه مع كونهما فى الحقيقة على السوية
فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شىء فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى
وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة ونظيره قوله عز وعلا قل ان تخفوا ما فى صدوركم
او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء ولما ذكر من السر على عكس ما وقع فى قوله تعالى وان
تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وان الاصل فى تعلق المحاسبة هو الامور البادية دون الخافية ويجوز
ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شىء يعلن الا وهو او مباديه
قبل ذلك مضمر فى القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية
ومنهم اميون وقرئ بتخفيف الياء جمع امى وهو من لا يقدر على الكتابة والقراءة واختلف فى نسبته فقيل
الى الام بمعنى انه شبيه بها بالجهل بالكتابة والقراءة فانهما ليستا من شؤون النساء بل من خلال الرجال او بمعنى
انه على الحالة التى ولدته امه فى الخلو عن العلم والكتابة وقيل الى الامة بمعنى انه باق على سذاجتها خال عن
معرفة الاشياء كقولهم عامى اى على عادة العامة روى عن عكرمة والضحاك ان المراد بهم نصارى العرب
وقيل قوم من اهل الكتاب رفع كتابهم لذنوب ارتكبوها فصاروا اميين وعن على رضى الله عنه هم المجوس
والحق الذى لا محيد عنه انهم جهلة اليهود والجملة مستأنفة مسوقة لبيان قبائحهم اثر بيان شنائع الطوائف
السالفة وقيل هى معطوفة على الجملة الحالية وان مضمونها مناف للرجاء والخبر منهم وان لم يكن فيه ما يحسم
مادة الطمع عن ايمانهم كما هو مضمون الجملة الحالية وما بعدها فان الجهل بالكتاب فى منافاة الايمان ليس بمثابة
تحريف كلام الله بعد سماعه والعلم بمعانيه كما وقع من الاولين والنفاق والنهى عن اظهار ما فى التوراة كما وقع
من الفرقتين الاخريين او ومنهم طائفة جهلة غير قادرين على الكتابة والتلاوة لا يعلمون الكتاب اى لا
يعرفون التوراة ليطالعوها ويتحققوا ما فى تضاعيفها من دلائل النبوة فيؤمنوا وحمل الكتاب على الكتابة
يأباه سياق النظم وسياقه الا امانى بالتشديد وقرئ بالتخفيف جمع امنية اصلها امنوية افعولة من منى
بمعنى قدر او بمعنى تلى كما فى قوله • تمنى كتاب الله فى اول ليلة • فاعلت اعلال سيد وميت ومعناها على الاول
ما يقدره الانسان فى نفسه ويتمناه او على الثانى ما يتلى وعلى التقديرين فالاستثناء منقطع اذ ليس ما يتمنى وما
يتلى من جنس علم الكتاب اى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون امانى حسبما منتهم احبارهم من ان الله سبحانه يعفو
عنهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم وغير ذلك من امانيهم الفارغة المستندة الى الكتاب على زعم رؤسائهم
او لا يعلمون الكتاب لكن يتلقونه قدر ما يتلى عليهم فيقبلونه من غير ان يتمكنوا من التدبر فيه واما
حمل الامانى على الاكاذيب المختلقة على الاطلاق من غير ان يكون لها ملابسة بالكتاب فلا يساعده النظم
الكريم وان هم الا يظنون ما هم الا قوم قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يصلوا الى رتبة العلم فانى
يرجى منهم الايمان المؤسس على قواعد اليقين ولما بين حال هؤلاء فى تمسكهم بحبال الامانى واتباع
الظن عقب ببيان حال الذين اوقعوهم فى تلك الورطة وكشف كيفية اضلالهم وتعيين مرجع الكل
بالآخرة فقيل على وجه الدعاء عليهم فويل هو وامثاله من ويح وويس وويب وويه وويك وعول
من المصادر المنصوبة بافعال من غير لفظها لا يجوز اظهارها البتة فان اضيف نصب نحو ويلك
وويحك واذا فصل عن الاضافة رفع نحو ويل له ومعنى الويل شدة الشر قال الخليل وقال الاصمعى
الويل التفجع والويح ترحم وقال سيبويه ويل لمن وقع فى الهلكة وويح زجر لمن اشرف على الهلاك وقيل
الويل الحزن وهل ويح وويب وويس بذلك المعنى او بينها وبينه فرق وقيل ويل فى الدعاء عليه
وويح وما بعده فى الترحم عليه وقال ابن عباس رضى الله عنه الويل العذاب الاليم وعن سفيان
الثورى انه صديد اهل جهنم وروى ابو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال الويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره وقال سعيد ابن المسيب
انه واد فى جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لماعت من شدة حره وقال ابن بريدة جبل قيح ودم
وقيل صهريج فى جهنم وحكى الزهراوى انه باب من ابواب جهنم وعلى كل حال فهو مبتدأ خبره قوله عز وعلا

للذين يكتبون الكتاب اى المحرف او ما كتبوه من التأويلات الزائغة بايديهم تأكيد لدفع توهم المجاز كقوله
كتبته بيمينى ثم يقولون هذا اى جميعا على الاول مخصوصه على الثانى من عند الله روى ان احبار اليهود خافوا
ذهاب مأكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا فى تعويق اسافل
اليهود عن الايمان فعمدوا الى صفة النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة وكانت هى فيها حسن الوجه حسن
الشعر اكحل العينين ربعة فغيروها وكتبوا مكانها طوال ازرق سبط الشعر فاذا سألهم سفلتهم عن ذلك
قرأوا عليهم ما كتبوا فيجدونه مخالفا لصفته عليه السلام فيكذبونه وثم للتراخى الرتبى فان نسبة
المحرف والتأويل الزائغ الى الله سبحانه وتعالى صريحا اشد شناعة من التحريف والتأويل ليشتروا به
اى يأخذوا لانفسهم بمقابلته ثمنا عوضا ما اخذوا من الرشى بمقابلة ما فعلوا من التحريف والتأويل وانما عبر
عن المشترى الذى هو المقصود بالذات فى عقد المعاوضة بالثمن الذى هو وسيلة فيه ايذانا بتعكيسهم
حيث جعلوا المقصود بالذات وسيلة والوسيلة مقصودا بالذات قليلا لا يعبأ به فان ذلك وان جل
فى نفسه فهو اقل قليل عند ما استوجبوا به من العذاب الخالد فويل لهم تكرير لما سبق للتأكيد والتصريح
بتعليله بما قدمت ايديهم بعد الاشعار فيما سلف بايراد بعضه فى حيز الصلة وبعضه فى معرض الغرض
والفاء للايذان بترتبه عليه ومن قوله عز وجل مما كتبت ايديهم تعليلية متعلقة بويل او بالاستقرار
فى الخبر وما موصولة اسمية والعائد محذوف اى كتبته او مصدرية والاول ادخل فى الزجر عن تعاطى
المحرف والثانى فى الزجر عن التحريف وويل لهم مما يكسبون الكلام فيه كالذى فيما قبله والتكرير لما مر من
التأكيد والتشديد والقصد الى التعليل بكل من الجنايتين وعدم التعرض لقولهم هذا من عند الله لما انه
من مبادى ترويج ما كتبت ايديهم فهو داخل فى التعليل به وقالوا بيان لبعض اخر من جناياتهم وفصله عما
قبله مشعر بكونه من الاكاذيب التى اختلقوها ولم يكتبوها فى الكتاب لن تمسنا النار فى الاخرة الا اياما
معدودة قليلة محصورة عدد ايام عبادتهم العجل اربعين يوما مدة غيبة موسى عليه السلام عنهم وحكى الاصم
عن بعض اليهود زعمت انهم وجدوا فى التوراة ان ما بين طرفى جهنم مسيرة اربعين سنة الى ان ينتهوا الى شجرة
الزقوم انهم يقطعون فى كل يوم مسيرة سنة فيكملونها قل تبكيتا لهم وتوبيخا اتخذتم باسقاط الهمزة
المجتلبة لوقوعها فى الدرج وباظهار الذال وقرئ بادغامها فى التاء عند الله عهدا خبرا او وعدا بما تزعمون
فانما تدعون لا يكون الا بناء على وحى وعد قوى ولذلك عبر عنه بالعهد فلن يخلف الله عهده الفاء فصيحة
معربة عن شرط محذوف كما فى قول من قال • قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا • ثم القفول فقد جئنا خراسانا •
اى ان كان الامر كذلك فلن يخلفه والجملة اعتراضية واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان عدم
الاخلاف من قضية الالوهية واظهار العهد مضافا الى ضميره عز وجل لما ذكر ولان المراد به جميع
عهوده لعمومه بالاضافة فيدخل فيه العهد المعهود دخولا اوليا وفيه تجاف عن التصريح بتحقق
مضمون كلامهم وان كان معلقا بما لم يكد يشم رائحة الوجود قطعا اعنى اتخاذ العهد ام تقولون مفترين
على الله ما لا تعلمون وقوعه انما علق التوبيخ باسنادهم اليه سبحانه ما لا يعلمون وقوعه مع ان المسند
اليه تعالى من قبيل ما يعلمون عدم وقوعه للمبالغة فى توبيخهم والتنكير فان توبيخ على الاول مستلزم له
للتوبيخ على الاعلى بطريق الاولى وتوهم الحكم وان لم يكن تصريحا بالافتراء عليه سبحانه لكنه مستلزم لان ذلك
الجزم لا يكون الا باسناد سبب اليه تعالى وام اما متصلة والاستفهام للتقرير المؤدى الى التبكيت لتحقق
العلم بالشق الاخير كانه قيل أم لم تتخذوه بل تقولون عليه تعالى واما منقطعة والاستفهام لانكار
الاتخاذ ونفيه ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ بالانكار على اتخاذ العهد الى ما تفيده همزتها
من التوبيخ على التقول على الله سبحانه كما فى قوله عز وجل قل الله اذن لكم ام على الله تفترون بلى الى
اخره جواب عن قولهم المحكى وابطاله من جهته تعالى وبيان لحقيقة الحال تفصيلا فى ضمن تشريع
كلى شامل لهم ولسائر الكفرة بعد اظهار كذبهم اجمالا وتفويض ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم لما ان
المحاجة والالزام من وظائفه عليه السلام مع ما فيه من الاشعار بانه امر بين لا يتوقف على التوقيف
وبلى حرف ايجاب مختص بجواب النفى خبرا او استفهاما من كسب سيئة فاحشة من السيئات اى كبيرة من
من الكبائر ككذب هؤلاء الكفرة والكسب استجلاب النفع وتعليقه بالسيئة على طريقة فبشرهم بعذاب اليم
واحاطت به من جميع جوانبه بحيث لم يبق له جانب من قلبه ولسانه وجوارحه الا وقد اشتملت واستولت
عليه خطيئته التى كسبها وصارت خاصة كما ينبئ عنه الاضافة اليه وهذا انما يتحقق فى الكافر ولذلك
فسرها السلف بالكفر حسبما اخرجه ابن ابى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنه وابى هريرة رضى الله عنه وابن
جرير عن ابى وائل ومجاهد وقتادة وعطاء والربيع وقيل السيئة الكفر والخطيئة الكبيرة وقيل بالعكس
وقيل الفرق بينهما ان الاولى قد تطلق على ما يقصد بالذات والثانية تغلب على ما يقصد بالعرض

لا بما من الخطا وقرئ خطيئته وخطيئاته على القلب والادغام فيهما وخطيئاته وخطاياه وفي ذلك انه
بكثرة فنون كفرهم فاولئك مبتدا اصحاب النار خبره والجملة خبر المبتدا والفا لتضمنه معنى الشرط وايراد
اسم الاشارة المنبئ عن استحضار المشار اليه بما له من الاوصاف للاشعار بعليتها لصاحبية النار
وما فيه من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتهم في الكفر والخطايا وانما اشير اليهم بعنوان الجمعية
مراعاة لجانب المعنى في كلمة من بعد مراعاة جانب اللفظ في الضماير الثلاثة لما هو المناسب لما اسند اليهم
في تلك الحالتين فان كسب السيئة واحاطة خطاياهم بهم اصحاب النار اي ملازموها في الاخرة
حسب ملازمتهم في الدنيا لما يستوجبها من الاسباب التي من جملتها ما هم عليه من تكذيب
ايات الله تعالى وتحريف كلامه والافترا عليه وغير ذلك وانما لم يخص الجواب بما جرى بينهم يقال مثلا
بلى انهم اصحاب النار الى اخره لما في التعميم من التهويل وبيان حالهم بالبرهان والدليل مع ما فيه من قصد
الاختصار بالتعليل هم فيها خالدون دايما ابدا فانى لهم التفصي عنها بعد سبعة ايام او اربعين كما زعموا فلا
حجة في الاية الكريمة على خلود صاحب الكبيرة لما عرفت من اختصاصها بالكافر ولا حاجة الى حمل الخلود
على اللبث الطويل على ان فيه تهوين الخطاب في مقام التهويل والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون جرت السنة الالهية على شفع الوعد بالوعيد مراعاة لما تقتضيه الحكمة
في ارشاد العباد من الترغيب تارة والترهيب اخرى والتبشير مرة والانذار اخرى واذ اخذنا ميثاق
بني اسرائيل شروع في تعداد بعض اخر من قبائح اسلاف اليهود مما ينادي بعدم ايمان اخلافهم وكلمة اذ نصب
باضمار فعل خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ليؤديهم التامل في احوالهم الى قطع الطمع عن
ايمانهم او اليهود الموجودين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم توبيخا لهم بسوء صنيع اسلافهم اي اذكروا اذ
اخذنا ميثاقهم لا تعبدون الا الله على ارادة القول اي وقلنا او قائلين لا تعبدون الى اخره وهو اخبار
في معنى النهي كقوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وكما تقول تذهب الى فلان وتقول كيت وكيت وهو
ابلغ من صريح النهي لما فيه من ايهام ان المنهي حقه ان يسارع الى الانتها عما نهي عنه فكانه انتهى عنه
فيخبر به الناهي ويؤيده قراءة لا تعبدوا وعطف قولوا عليه وقيل تقديره ان لا تعبدوا الى اخره فحذف
الناصب ورفع الفعل كما في قوله • الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • وان اشهد اللذات هل انت مخلدي •
ويعضده قراءة ان لا تعبدوا فيكون بدلا من الميثاق او معمولا له بحذف الجار وقيل انه جواب قسم دل
عليه المعنى كانه قيل وحلفناهم لا تعبدون الا الله وقرئ باليا لانهم غيب وبالوالدين احسانا متعلق
بمضمر اي وتحسنون او احسنوا وذي القربى واليتامى والمساكين عطف على الوالدين ويتامى جمع يتيم
كندامى جمع نديم وهو قليل ومسكين مفعيل من السكون كان الفقر اسكنه من الحراك واثخنه عن
التقلب وقولوا للناس حسنا اي قولا حسنا سماه حسنا للمبالغة وقرئ كذلك وحسنا بضمتين وهو
لغة اهل الحجاز وحسنى كبشرى والمراد به ما فيه تخلق وارشاد واقيموا الصلوة واتوا الزكوة هما
فرض عليهم في شريعتهم ثم توليتم ان جعل ناصب الظرف خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
فهذا التفات الى خطاب بني اسرائيل جميعا بتغليب اخلافهم على اسلافهم لجريان ذكرهم كلهم على نهج
الغيبة فان الخطابات السابقة لاسلافهم محكية داخلة في حيز القول المقدر قبل لا تعبدون كانهم
استحضروا عند ذكر جناياتهم فنعيت هي عليهم وان جعل خطابا لليهود والمعاصرين لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فهذا تعميم للخطاب بتنزيل الاسلاف منزلة الاخلاف كما انه تعميم للتولي بتنزيل الاخلاف
منزلة الاسلاف للتشديد في التوبيخ اي اعرضتم عن المضي على مقتضى الميثاق ورفضتموه الا قليلا منكم
وهم من الاسلاف من اقام اليهودية على وجهها قبل النسخ ومن الاخلاف من اسلم كعبد الله بن سلام
واضرابه وانتم معرضون جملة تذييلية اي وانتم قوم عادتكم الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق
واصل الاعراض عن الطاعة ومراعاة حقوق الميثاق واصل الاعراض الذهاب عن المواجهة والاقبال
الى جانب العرض واذ اخذنا ميثاقكم منصوب بفعل مضمر خوطب به اليهود قاطبة على ما ذكر من التعليل
ولعل عليهم اخلالهم بموجب الميثاق الماخوذ منهم في حقوق العباد على طريقة النهي اثر بيان ما فعلوا
بالميثاق الماخوذ منهم في حقوق الله سبحانه وتعالى وما يجري مجراه على سبيل الامر فان المقصود الاصلي
من النهي عن عبادة غير الله تعالى هو الامر بتخصيص العبادة به تعالى اي واذكروا وقت اخذنا ميثاقكم
في التوراة وقوله تعالى لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من دياركم كما قبله اخبار في معنى
النهي غير المسوق اليه لما ذكر من نكتة المبالغة والمراد به النهي الشديد عن تعرض بعض بني اسرائيل
لبعض بالقتل والاجلاء والتعبير عن ذلك بسفك دماء انفسهم واخراجها من ديارهم بناء على جريان كل واحد
منهم مجرى انفسهم لما بينهم من الاتصال القوي نسبا ودينا للمبالغة في الحمل على مراعاة حقوق الميثاق بتصوير

المنهي عنه بصورة تكرهها كل نفس وتنفر عنها كل طبيعة فضمير انفسكم للمخاطبين حتما اذ به يتحقق تنزيل المخرجين
قطعا اذ المحذور انما اخراجهم من ديارهم المخاطبين من حيث انهم مخاطبون كما يفصح عنه ما سياتي من قوله
من ديارهم واما الخطاب ههنا باعتبار تنزيل ديارهم منزلة ديار المخاطبين ادعوهما متقاربان في افادة
المبالغة فتدبروا اما ما قيل من ان المعنى لا تباشروا ما يودي الى قتل انفسكم قصاصا وما يبيح سفك دمائكم
واخراجكم من دياركم او لا تفعلوا ما يرديكم ويصرفكم عن الحياة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا
ما تحرمون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلا الحقيقي فمما لا يساعده سياق النظم الكريم بل هو نص فيما قلناه كما
ستقف عليه ثم اقررتم اي بالميثاق وبوجوب المحافظة عليه وانتم تشهدون توكيد للاقرار كقولك اقر
فلان شاهدا على نفسه وقيل وانتم ايها الحاضرون تشهدون اليوم على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء
خطاب خاص بالحاضرين فيه توبيخ وتشديد واستبعاد قوي لما ارتكبوه بعد ما كان من الميثاق والاقرار به
والشهادة عليه فانتم مبتدا وهؤلاء خبره ومناط الافادة اختلاف الصفات المنزل منزلة اختلاف الذات
والمعنى انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون الناقضون المتناقضون حسبما يعرب عنه الجمل الاتية وقوله عز وجل تقتلون
انفسكم الى اخره بيان له وتفصيل لاحوالهم المنكرة المندرجة تحت الاشارة ضمنا كانهم قالوا كيف نحن فقيل تقتلون
انفسكم الجارين مجرى انفسكم كما اشير اليه وقرئ تقتلون بالتشديد للتكثير وتخرجون فريقا منكم الضمير للمخاطبين
والمضاف محذوف اي من انفسكم واما المتقاتلون والخطاب باعتبار انهم جعلوا النفس المخاطبين والا فلا يتحقق التكافؤ
بين المقتولين والمخرجين وذلك العنوان الذي عليه يدور فلك المبالغة في تاكيد الميثاق حسبما نص عليه ولا
يظهر كمال قباحة جنايتهم في نقضه من ديارهم الضمير للفريق وايثار الغيبة مع جواز الخطاب ايضا بناء على
اعتبار العنوان المذكور كما في صدر الميثاق للاحتراز عن توهم كون المراد اخراجهم من ديار المخاطبين من حيث هي
ديارهم لا من حيث هي ديار المخرجين وقيل هؤلاء موصول والجملة في حيز الصلة والمجموع هو الخبر لانتم تظاهرون عليهم
بحذف احدى التاءين وقرئ باثباتهما وبالادغام وتظهرون بطرح احدى التاءين من تتظهرون ومعنى الكل تتعاونون
وهو حال من فاعل تخرجون او من مفعوله او منهما جميعا مبينة لكيفية الاخراج دافعة لتوهم اختصاص الحرمة
بالاخراج بطريق الاصالة والاستقلال دون المظاهرة والمعاونة بالاثم متعلق بتظاهرون حال من فاعله اي
ملتبسين بالاثم وهو الفعل الذي يستحق فاعله الذم واللوم وقيل هو ما تنفر عنه النفس ولا يطمئن اليه القلب
والعدوان وهو التجاوز في الظلم وان ياتوكم اسارى جمع اسير وهو من يؤخذ قهرا فعيل بمعنى مفعول من الاسر
الشد او جمع اسرى وهو جمع اسير كجرحى وجريح وقد قرئ اسرى ومحله النصب على الحالية تفادوهم اي
تخرجوهم من الاسر باعطا الفدا وقرئ تفدوهم قال السدي ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل ان لا يقتل بعضهم
بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه من بني اسرائيل فاشتروه واعتقوه وكانت
قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج حين كان بينهما من العداوة والشنان وكان كل فريق يقاتل مع
حلفايه فاذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها ثم اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا فيفدونه فعيرتهم
العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان
نذل حلفاءنا فذمهم الله تعالى على المناقضة وهو محرم عليكم اخراجهم هو ضمير الشان وقع مبتدا ومحرم فيه
ضمير قائم مقام الفاعل وقع خبرا من اخراجهم والجملة خبر لضمير الشان وقيل محرم خبر لضمير الشان واخراجهم
مفعول ما لم يسم فاعله وقيل الضمير مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما يدل عليه تخرجون من المصدر
واخراجهم تاكيدا وبيان والجملة حال من الضمير في تخرجون او من فريقا او منهما كما مر بعد اعتبار التقييد
بالحال السابقة وتخصيص بيان الحرمة ههنا بالاخراج مع كونه قرينا للقتل عند اخذ الميثاق لكونه مظنة
للمساهلة في امره بسبب قلة خطره بالنسبة الى القتل لان مساق الكلام لذمهم وتوبيخهم على جناياتهم وتناقض
افعالهم معا وذلك مختص بصورة الاخراج حيث لم ينقل عنهم تدارك القتلى بشيء من دية او قصاص
وهو السر في تخصيص التظاهر به فيما سبق واما تاخيره عن الشرطية المعترضة مع ان حقه التقديم كما
ذكره الواحدي فلان النظر الى فاصليهم المتناقضة في حيز واحد من الذكر ادخل في اظهار بطلانها افتؤمنون
ببعض الكتاب اي التوراة الذي اخذ فيها الميثاق المذكور والهمزة للانكار التوبيخي والفا للعطف على
مقدر يستدعيه المقام اي اتفعلون ذلك فتؤمنون ببعض الكتاب وهو المفاداة وتكفرون ببعض وهو حرمة
القتال والاخراج مع ان قضية الايمان ببعضه الايمان بالباقي لكون الكل من عند الله داخلا في الميثاق فمناط
التوبيخ كفرهم بالبعض مع ايمانهم بالبعض حسبما يفيده الترتيب النظم الكريم فان التقديم يستدعي في المقام
الخطابي اصالة المقدم وتقدمه بوجه من الوجوه حتما واذ ليس ذلك ههنا باعتبار الانكار والتوبيخ عليه
فهو باعتبار الوقوع قطعا لا يمانهم بالبعض مع كفرهم ببعض كما هو المفهوم لو قيل افتكفرون ببعض
الكتاب وتؤمنون ببعض لا لمجرد كفرهم بالبعض وايمانهم بالبعض كما يفيده ان يقال افتجمعون بين الايمان

ببعض الكتاب والكفر ببعض او بالعكس فما جزاء من يفعل ذلك منكم ما نافية ومن ان جعلت موصولة فلا محل
ليفعل من الاعراب وان جعلت موصوفة فمحل الجر على انه صفتها وذلك اشارة الى الكفر ببعض الكتاب
مع الايمان ببعض او الى ما فعلوا من القتل والاجلاء مع مفاداة الاسارى منكم حال من فاعل يفعل الا خزى
استثناء مفرغ وقع خبرا للمبتدا والخزى الذل والهوان مع الفضيحة والتنكير للتفخيم وهو قتل بني قريظة واجلاء
بني النضير الى اذرعات واريحا من الشام وقيل الجزية في الحيوة الدنيا في حيز الرفع على انه صفة خزي اي
خزي كاين في الحيوة الدنيا او في حيز النصب ظرف لنفس الخزي ولعل بيان جزائهم بطريق القصر على ما ذكر
لقطع اطماعهم الفارغة من ثمرات ايمانهم ببعض الكتاب واظهار انه لا اثر له اصلا مع الكفر ببعض
ويوم القيمة يردون بالاجتماع الى اشد العذاب لما ان معصيتهم اشد المعاصي وقيل اشد العذاب بالنسبة
الى ما لهم في الدنيا من الخزي والصغار وانما غير سبك النظم الكريم حيث لم يقل مثلا واشد العذاب يوم
القيمة للايذان بكمال التنافي بين الجزائين المتباينين وتقديم يوم القيمة على ذكر ما يقع فيه لتهويل الخطب وتفظيع
الحال من اول الامر وما الله بغافل عما تعملون من القبايح التي من جملتها هذا المنكر وقرى بالياء على نهج يردون
وهو تاكيد للوعيد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف القبيحة وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين
اشتروا اي اشتروا الحيوة الدنيا واستبدلوها بالاخرة واعرضوا عنها مع تمكنهم من تحصيلها فان ما ذكر
من الكفر ببعض احكام الكتاب انما كان لمراعاة جانب حلفائهم لما يعود اليهم منهم من بعض المنافع الدنيوية
الدنيوية فلا يخفف عنهم العذاب دنيويا كان او اخرويا ولا هم ينصرون بدفعه عنهم بشفاعة او جبرا
والجملة معطوفة على ما قبلها عطف الاسمية على الفعلية او ينصرون مفسر لمحذوف قبل الضمير فيكون من
عطف الفعلية على مثلها ولقد اتينا موسى الكتاب شروع في بيان بعض اخر من جناياتهم وتصديره بالجملة
القسمية لاظهار كمال الاعتنا به والمراد بالكتاب التوراة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان التوراة لما نزلت
جملة واحدة امر الله عز وجل موسى عليه السلام بحملها فلم يطق بذلك فبعث بكل حرف منها ملكا فلم يطيقوا
بحملها فخففها الله تعالى لموسى عليه السلام فحملها وقفينا من بعده بالرسل يقال قفاه به اذا اتبعه اياه اي
ارسلناهم على اثره كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا
وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام واتينا عيسى ابن مريم البينات
المعجزات الواضحة من احيا الموتى وابرا الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات والانجيل وعيسى بالسريانية ايشوع
ومعناه المبارك ومريم بمعنى الخادم وهو بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة ۞ قلت لزير لم
تصله مريمه ۞ ضليل اهوا الصبا تندمه ۞ ووزنه مفعل اذ لم يثبت فعيل وايدناه اي قويناه وقرى ايدناه
بروح القدس بضم الدال وقرى بسكونها اي بالروح المقدسة وهي روح عيسى عليه السلام كقولك حاتم
الجود ورجل صدق وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث
وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما قيل في القران روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان
يحيي الموتى بذكره وتخصيصه من بين الرسل عليهم السلام بالذكر ووصفه بما ذكر من ايتاء البينات والتاييد
بروح القدس لما ان بعثتهم كانت لتنفيذ احكام التوراة وتقريرها واما عيسى عليه السلام فقد نسخ
بشرعه كثيرا من احكامها ولحسم مادة اعتقادهم الباطل في حقه عليه السلام ببيان حقيقته
واظهار كمال قبح ما فعلوا به عليه السلام افكلما جاءكم رسول من اولئك الرسل بما لا تهوى انفسكم من
الحق الذي لا محيد عنه اي لا تحبه من هوى كفرح اذا احب والتعبير عنه بذلك للايذان بان مدار
الرد والقبول عندهم هو المخالفة لاهوا انفسهم والموافقة لها لا شي اخر وتوسيط الهمزة بين الفا
وما تعلقت به من الافعال التابعة لتوبيخهم على تعقيبهم ذلك بهذا او للتعجيب من شانهم ويجوز ان يكون
الفا للعطف على مقدر يناسب المقام اي الم تطيعوهم فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم
عن الاتباع له والايمان بما جاء به من عند الله تعالى ففريقا منهم كذبتم من غير ان تتعرضوا لهم بشي
اخر من المضار والفا للسببية او للتعقيب وفريقا اخر منهم تقتلون غير مكتفين بتكذيبهم كزكريا ويحيى
وغيرهما عليهما السلام وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام وتشويق السامع الى ما فعلوا بهم لا للقصر
وايثار صيغة الاستقبال في القتل لاستحضار صورته الهايلة او للايما الى انهم بعد على تلك النية حيث
هموا بما لم ينالوا من جهته عليه السلام وسحروه وسموا له الشاة حتى قال صلى الله عليه وسلم ما زالت اكلة
خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وقالوا بيان لفن اخر من قبايحهم على طريقة الالتفات الى الغيبة
اشعارا بابعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للاعراض عنهم وحكاية نظايرها
نقل عن نفيهم بطلانها وقباحتها من اهل الحق والقائلون هم الموجودون في عصر النبي عليه السلام قلوبنا
غلف جمع اغلف مستعار من الاغلف الذي لم يختن اي هي مغشاة باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها

ما جاء به محمد عليه السلام ولا تفقهه كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وقيل هو تخفيف غلف جمع
غلاف ويؤيده ما روي عن ابي عمرو من القراءة بضمتين يعنون ان قلوبنا اوعية للعلوم فنحن مستغنون
بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطا وقال الكلبي يعنون ان قلوبنا لا يصل اليها حديث الا
وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل لعنهم الله بكفرهم رد لما قالوا وتكذيب لهم في ذلك والمعنى
على الاول بل ابعدهم الله سبحانه عن رحمته بان خذلهم وخلاهم وشانهم بسبب كفرهم العارض وابطالهم
لاستعدادهم بسوء اختيارهم بالمرة وكونهم بحيث لا ينفعهم الالطاف اصلا بعد ان خلقهم على الفطرة والتمكن
من قبول الحق وعلى الثاني بل ابعدهم من رحمته فابى لهم دعوى العلم الذي هو اجل اثارها وعلى الثالث بل
ابعدهم من رحمته فلذلك لا يقبلون الحق المودي اليها فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة للمبالغة اي فايمانا
قليلا يؤمنون وهو ايمانهم ببعض الكتاب وقيل فزمانا قليلا يؤمنون وهو ما قالوا امنوا بالذي انزل
على الذين امنوا واكفروا اخره وكلاهما ليس بايمان حقيقة والتنكير للتفخيم ووصفه بقوله عز وجل من عند الله
اي كاين من عنده للتشريف مصدق لما معهم من التوراة عبر عنها بذلك لما ان المعية من موجبات
الوقوف على ما في تضاعيفها المودي العلم بكونه مصدقا لها وقرى مصدقا على انه حال من كتاب لتخصيصه
بالوصف وكانوا من قبل اي من قبل مجيئه يستفتحون على الذين كفروا اي وقد كانوا قبل مجيئه يستفتحون
على الذين كفروا ويقولون اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في اخر الزمان الذي نجد نعته في التوراة ويقولون
لهم قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم قال ابن عباس رضي الله عنهما
وقتادة والسدي نزلت في بني قريظة والنضير كانوا يستفتحون على الاوس والخزرج برسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم بان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه
والسين للمبالغة كما في تستعجب اي يسالون من انفسهم الفتح عليهم وعلى التقديرين فالجملة حالية
وقوله تعالى ما عرفوا عبارة عما سلف من الكتاب لان معرفة من انزل هو عليه معرفة له والاستفتاح
به وايراد الموصول دون الاكتفاء بالاضمار لبيان كمال مكابرتهم فان معرفة ما جاءهم من مبادي
الايمان به ودواعيه لا محالة والفا للدلالة على تعقيب مجيئه للاستفتاح به من غير ان يتخلل بينهما
مدة منسية وقوله تعالى كفروا به جواب لما الاولى كما هو راي المبرد وجوابهما معا كما قاله ابو البقا
وقيل جواب الاولى محذوف للدلالة المذكور عليه فيكون قوله تعالى وكانوا الى اخره جملة معطوفة
على الشرطية عطف القصة على القصة والمراد بما عرفوا النبي صلى الله عليه وسلم كما هو المراد بما كانوا
يستفتحون به فالمعنى ولما جاءهم كتاب مصدق لكتابهم كذبوه وكانوا من قبل مجيئه يستفتحون بمن
انزل عليه ذلك الكتاب فلما جاءهم النبي الذي عرفوه كفروا به فلعنة الله على الكافرين اللام للعهد
اي عليهم ووضع المظهر موضع المضمر للاشعار بان حلول اللعنة عليهم بسبب كفرهم وما ان
الفا للايذان بترتبها عليه او للجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا اذ الكلام فيهم وايا ما كان فهو
محقق لمضمون قوله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم بئسما اشتروا به انفسهم ما نكرة بمعنى شي منصوبة
مفسرة لفاعل بئس اي بئس شيا باعوا به انفسهم وقيل اشتروها به في زعمهم حيث يعتقدون
انهم بما فعلوا خلصوها من العقاب وياباه انه لا بد ان يكون المذموم ما كان حاصلا لهم لا ما كان زايلا
عنهم والمخصوص بالذم قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله اي بالكتاب المصدق لما معهم بعد الوقوف
على حقيقته وتبديل الانزال بالمجي للايذان بعلو شانه الموجب للايمان به بغيا حسدا وطلبا لما
ليس لهم وهو علة لان يكفروا حتما دون اشتروا لما قيل من الفصل بما هو اجنبي بالنسبة اليه وان لم
يكن اجنبيا بالنسبة الى فعل الذم وفاعله ولان البغي مما لا تعلق له بعنوان البيع قطعا لا سيما وهو
معلل بما سياتي من تنزيل الله تعالى من فضله على من يشاء وانما الذي بينه وبينه علاقة هو
كفرهم بما انزل الله والمعنى بئس شيا باعوا به انفسهم كفرهم المعلل بالبغي الكاين لاجل ان ينزل الله
من فضله الذي هو الوحي على من يشاء اي يشاؤه ويصطفيه من عباده المتاهل لتحمل اعبا الرسالة
وماله تعليل كفرهم بالمنزل بحسدهم للمنزل عليه وايثار صيغة التفعيل ههنا للايذان بتجدد بغيهم حسب
تجدد الانزال وتكثره حسب تكثره فباؤا بغضب على غضب اي رجعوا ملتبسين بغضب كاين على غضب
مستحقين له حسب ما اقترفوا من كفر على كفر فانهم كفروا بمحمد عليه السلام بعد وقيل بعد قولهم عزير
ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من فنون كفرهم وللكافرين اي لهم والاظهار في موضع
الاضمار للاشعار بعلية كفرهم لما حاق بهم عذاب مهين يراد به اهانتهم واذلالهم لما ان كفرهم بما انزل
الله تعالى كان مبنيا على الحسد المبني على طمع النزول عليهم وادعا الفضل على الناس والاستهانة بمن انزل
عليه عليه الصلاة والسلام واذا قيل من جانب المومنين لهم اي اليهود وتقديم الجار والمجرور قد مر وجهه
لا سيما في لام التبليغ امنوا بما انزل الله من الكتب الالهية جميعا والمراد به الامر بالايمان بالقران

لكن سلك مسلك التعميم ايذانا بتحتم الامتثال من حيث مشاركته لما امنوا به فيما في حيز الصلة وموافقته
له في المضمون وتنبيها على ان الايمان بما عداه من غير ايمان به ليس بايمان بما انزل الله قالوا نؤمن
اي نستمر على الايمان بما انزل علينا يعنون به التوراة وما انزل على انبياء بني اسرائيل لتقرير حكمها ويدسون
فيه ان ما عدا ذلك غير منزل عليهم ومن اوهم بتغيير المتكلم اما انفسهم ومعنى الانزال عليهم تكليفهم
بما في المنزل من الاحكام واما انبياء بني اسرائيل عليهم وهو الظاهر لاشتماله على مزية الايذان بان
عدم ايمانهم بالفرقان لما مر من حسدهم وبغيهم على نزوله على من ليس منهم ولان مرادهم بالموصول
وان كان هو التوراة وما في حكمها خاصة لكن ايرادها بعنوان الانزال عليهم مبني على ادعاء ان
ما عداها ليس كذلك على وجه التعريض كما اشير اليه فلو اريد بالانزال عليهم ما ذكر من تكليفهم
يلزم من مغايرة القران لما انزل عليهم حسبما يعرب عنه قوله عز وجل ويكفرون بما وراءه عدم
كونهم مكلفين بما فيه كما يلزم عدم كونه نازلا على واحد من بني اسرائيل على الوجه الاخير وتجريد الموصول
عند الاضمار عما عنونوا به تعسف لا يخفى والوراء في الاصل مصدر جعل ظرفا ويضاف الى الفاعل
ويراد به ما يتوارى به وهو خلفه والى المفعول فيراد به ما يواريه وهو امامه والجملة حال من
ضمير قالوا بتقدير مبتدا اي قالوا ما قالوا وهم يكفرون بما عداه وليس المراد به مجرد بيان ان ايراد
ايمانهم بما انزل عليهم بالذكر لنفي ايمانهم بما وراءه بل بيان ان ما يدعون من الايمان ليس
بايمان بما انزل عليهم حقيقة فان قوله عز اسمه وهو الحق اي المعروف بالحقيقة ان يخص به
اسم الحق على الاطلاق حال من فاعل يكفرون وقوله تعالى مصدقا حال مؤكدة لمضمون الجملة صاحبها
اما ضمير الحق وعاملها ما فيه من معنى الفعل قاله ابو البقاء واما ضمير دل عليه الكلام وعاملها
فعل مضمر اي احقه مصدقا لما معهم من التوراة والمعنى قالوا نؤمن بما انزل علينا وهم يكفرون
بالقران والحال انه حق مصدق لما امنوا به فيلزمهم الكفر بما امنوا به وماله انهم ادعوا الايمان
بالتوراة والحال انهم يكفرون بما يلزم من الكفر به الكفر بها قل تبكيتا لهم من جهة الله عز من قائل
ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم بعد بيان التناقض في اقوالهم فلم اصله لما حذفت عنه
الالف فرقا بين الاستفهامية والخبرية تقتلون انبياء الله من قبل الخطاب للحاضرين من اليهود
والماضين على طريق التغليب وحيث كانوا مشاركين في العقد والعمل كان الاعتراض على الاسلاف
اعتراضا على اخلافهم وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية وهو جواب شرط محذوف اي قل لهم
ان كنتم مؤمنين بالتوراة كما تزعمون فلاي شيء كنتم تقتلون انبياء الله من قبل وهو فيها حرام وقرئ
انبياء الله مهموزا وقوله تعالى ان كنتم مؤمنين تكرير للاعتراض لتاكيد الالزام وتشديد
التهديد اي ان كنتم مؤمنين فلم تقتلونهم وقد حذف من كل واحدة من الشرطيتين ما حذف ثقة
بما اثبت في الاخرى وقيل لا حذف فيه بل تقديم الجواب على الشرط وذلك لا يتاتى الا على راي الكوفيين
وابي زيد وقيل ان نافية اي ما كنتم مؤمنين والا لما قتلتم ولقد جاءكم موسى بالبينات من تمام
التبكيت والتوبيخ داخل تحت الامر لا تكرير لما قص في تضاعيف تعداد النعم الظاهرة التي هي العصا واليد
والسنون ونقص الثمرات والدم والطوفان والجراد والقمل والضفادع وفلق البحر وقد عد منها
التورية وليس بواضح فان المجيء بها بعد قصة العجل ثم اتخذتم العجل اي الها من بعده اي من بعد
مجيئه بها او قيل من بعد ذهابه الى الطور فيكون التورية ح من جملة البينات وثم للتراخي في الرتبة
والدلالة على نهاية قبح ما صنعوا وانتم ظالمون حال من ضمير اتخذتم بمعنى اتخذتم العجل ظالمين بعبادته
واضعين لها في غير موضعها او بالاخلال بحقوق ايات الله او اعتراض اي وانتم عادتكم الظلم
واذ اخذنا ميثاقكم توبيخ من جهة الله سبحانه وتعالى وتكذيب لهم في ادعائهم الايمان بما انزل عليهم
بتذكير جناياتهم الناطقة بتكذيبهم اي واذكروا حين اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور قائلين خذوا ما اتيناكم
بقوة واسمعوا اي خذوا بما امرتم في التوراة واسمعوا ما فيها سمع طاعة وقبول قالوا استيناف مبني على سؤال
سائل كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا سمعنا قولك وعصينا امرك فاذا قال اسلافهم مثل ذلك الخطاب
المؤكد مع مشاهدتهم مع تلك المعجزة الباهرة بمثل هذه العظيمة الشنعاء وكفروا بما في تضاعيف التوراة
فكيف يتصور من اخلافهم الايمان بما فيها واشربوا في قلوبهم العجل على حذف المضاف واقامة المضاف
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للمبالغة اي تداخلهم ورسخ في قلوبهم صورته لفرط شغفهم
وحرصهم كما يتداخل الصبغ الثوب والشراب اعماق البدن وفي قلوبهم بيان لمكان الاشراب كما في قوله
تعالى انما ياكلون في بطونهم نارا والجملة حال من ضمير قالوا بتقدير قد بكفرهم بسبب كفرهم السابق الموجب
لذلك قيل كانوا مجسمة او حلولية ولم يروا جسما اعجب منه فتمكن في قلوبهم ما سول لهم السامري
قل توبيخا للحاضرين اليهود اثر ما تبين احوال رؤسائهم الذين بهم يقتدون في كل ما ياتون وما يذرون

بئسما

بئسما يامركم به ايمانكم بما انزل عليكم من التوراة حسبما تدعون والمخصوص بالذم محذوف اي ما ذكر
من قولهم سمعنا وعصينا وعبادتهم العجل وفي اسناد الامر الى الايمان تهكم بهم واضافة الايمان اليهم
للايذان بانه ليس بايمان حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ان كنتم مؤمنين بها عاملين فيما ذكر من
القول والعمل بما فيها فبئسما يامركم به ايمانكم بها واذ لا يسوغ الايمان بها من تلك القبائح فلستم
بمؤمنين بها قطعا وجواب الشرط كما ترى محذوف لدلالة ما سبق عليه قل كرر الامر مع قرب العهد
بالامر السابق لما انه امر بتبكيتهم واظهار كذبهم في فن اخر من اباطيلهم لكنه لم يحك عنهم قبل
الامر بابطاله بل اكتفي بالاشارة في تضاعيف الكلام حيث قيل ان كانت لكم الدار الاخرة اي الجنة او
نعيم الدار الاخرة عند الله خالصة اي سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا
ونصبها على الحالية من الدار وعند ظرف من الاستقرار في الخبر اعني لكم وقوله تعالى من دون الله في محل النصب
بخالصة يقال خلص لي كذا من كذا واللام للجنس اي الناس كافة او للعهد اي المسلمين فتمنوا الموت
فان من ايقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص اليها من دار البوار وقرارة الاكدار لا سيما اذا كانت
خالصة له كما قال علي كرم الله وجهه لا ابالي اسقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار بن ياسر بصفين
الان الاقي الاحبة محمدا وحزبه ● وقال حذيفة بن اليمان حين احتضر وقد كان يتمنى الموت قبله جاء حبيب
على فاقة لا افلح من ندم اي على التمني وقوله تعالى ان كنتم صادقين تكرير للكلام لتشديد الالزام
وللتنبيه على ان ترتب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الامر فقط بل في اعتقادهم ايضا وانهم قد ادعوا
ذلك والجواب محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اي ان كنتم صادقين فتمنوه وقوله تعالى ولن يتمنوه
ابدا كلام مستانف داخل تحت الامر سيق من جهته سبحانه لبيان ما يكون منهم من الاحجام عما دعوا
اليه الدال على كذبهم في دعواهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من المعاصي الموجبة لدخول النار كالكفر
بالنبي عليه السلام والقران وتحريف التورية ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة
منافعه واكثر مرافقه عبر بها تارة عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين
اي بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم بانهم ظالمون في جميع الامور التي من جملتها
ادعاء ما ليس لهم ونفيه عن غيرهم والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه اي عليم بهم وبما صدر عنهم
من فنون الظلم والمعاصي المفضية الى افانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدي الى
ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد اذ لو وقع ذلك لنقل واشتهر وعن النبي صلى الله
عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي يهودي على وجه الارض ولتجدنهم
احرص الناس من الوجدان العقلي وهو جار مجرى العلم خلا انه مختص بما يقع على التجربة ونحوها ومفعولاه
الضمير واحرص والتنكير في قوله تعالى على حيوة للايذان بان مرادهم نوع خاص منها وهي الحيوة المتطاولة
وقرئ بالتعريف ومن الذين اشركوا عطف على ما قبله بحسب المعنى كانه قيل احرص من الناس ومن الذين
اشركوا وافراده بالذكر مع دخولهم في الناس للايذان بامتيازهم من بينهم بشدة الحرص للمبالغة في توبيخ
اليهود فان حرصهم وهم معترفون بالجزاء لما كان اشد من حرص المشركين المنكرين له دل ذلك على جزمهم
بمصيرهم الى النار ويجوز ان يحمل على حذف المعطوف ثقة بانباء المعطوف عليه عنه اي واحرص من الذين
اشركوا فقوله تعالى يود احدهم بيان لزيادة حرصهم على طريقة الاستيناف ويجوز ان يكون خبرا في صفة
لمبتدا محذوف خبره الظرف المتقدم على ان يكون المراد بالمشركين اليهود لقولهم عزير ابن الله ومنهم طائفة
يود احدهم [illegible] لو يعمر الف سنة [illegible]
على الغيبة لقوله تعالى يود [illegible] في محل النصب على انه مفعول يود اجري له مجرى
القول لانه فعل قلبي وما هو بمزحزحه من العذاب ما حجازية والضمير العائد الى احدهم اسمها [illegible]
وان يعمر فاعل بمزحزحه [illegible]
الضمير لما دل عليه يعمر من المصدر [illegible] والجملة حال من احدهم
والعامل يود [illegible] واصل سنة سنوة لقولهم سنوات
وسنة وقيل سنهة كجبهة لقولهم سانهته وسنيهة وتسنهت النخلة اذا اتت عليها السنون والله بصير
بما يعملون البصير في كلام العرب العالم بكنه الشيء الخبير به ومنه قولهم فلان بصير بالفقه اي عليم بخفياته
[illegible] فهو مجازيهم لا محالة وقرئ بتاء الخطاب التفاتا وفيه تشديد للوعيد قل من كان عدوا لجبريل نزل
[illegible] عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله عمن ينزل عليه بالوحي
فقال عليه السلام جبريل عليه السلام فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لامنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت
[illegible]

المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل عليه السلام
وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه والا فباى حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان
يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا وروى انه كان لعمر رضى الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على
مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك
فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسألكم لشك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى
الله عليه وسلم وارى آثاره في كتابكم ثم سألهم عن جبريل عليه السلام فقالوا ذاك هو عدونا
يطلع محمدا على اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل يجئ بالخصب والسلام فقال لهم وما
منزلتهما عند الله تعالى قالوا جبريل اقرب منزلة هو عن يمينه وميكائيل عن يساره وهما متعاديان
فقال عمر رضى الله عنه ان كان كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير ومن كان عدوا
لاحدهما فهو عدو للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدو الله سبحانه وتعالى ثم رجع عمر فوجد جبريل
عليه السلام قد سبقه بالوحى فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر قال عمر رضى
الله عنه لقد رأيتنى في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبرئيل كسلسبيل وجبرئل كجحمرش وجبريل
وجبرال وجبرائيل كجبراعيل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله فانه نزله
تعليل لجواب الشرط قائم مقامه والبارز الاول لجبريل عليه السلام والثانى للقرآن اضمر من غير
ذكر ايذانا بفخامة شأنه واستغنائه عن التذكير لكمال شهرته ونباهته لا سيما عند ذكر شئ من صفاته
على قلبك زيادة تقرير للتنزيل ببيان الوحى فانه القابل الاول له ومدار الفهم والحفظ وايثار
بامره وتيسيره مستعار من تسهيل الحجاب وفيه تلويح بكمال توجه جبريل عليه السلام الى تنزيله
وصدق عزيمته عليه وهو حال من فاعل نزله وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه اى من الكتب الالهية
التى معظمها التوراة حال من مفعوله وكذا قوله تعالى وهدى وبشرى للمؤمنين والعامل في الكل نزله
نزله والمعنى من عادى جبريل من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته بل يجب عليه محبته فانه نزل عليك
كتابا مصدقا لكتبهم او فالسبب في عداوته تنزيله الكتاب مصدقا لكتابه موافقا له وهم له كارهون
ولذلك حرفوا كتابهم وجحدوا موافقته لان الاعتراف بها يوجب الايمان به وذلك يستدعى انتكاس
احوالهم وزوال رياستهم وقيل ان الجواب فقد خلع ربقة الانصاف او فقد كفر بما معه من الكتاب
او فليمت غيظا او فهو عدو لى وانا عدو له من كان عدوا لله اريد بعداوته تعالى مخالفة امره عنادا
والخروج عن طاعته مكابرة او عداوة خواصه ومقربيه لكن صدر الكلام بذكره الجليل تفخيما لشأنه
وايذانا بان عداوتهم عداوته عز وعلا كما في قوله عز وجل والله ورسوله احق ان يرضوه ثم صرح
بالمرام فقيل وملائكته ورسله وجبريل وميكال وانما افرد بالذكر مع انهما اول من يشملهما عنوان
الملائكة والرسالة لاظهار فضلهما كانهما عليهما السلام من جنس آخر اشرف مما ذكر تنزيلا للتغاير في
الوصف منزلة التغاير في الجنس وللتنبيه على ان عداوة احدهما عداوة للآخر حسما لمادة اعتقادهم الباطل
في حقهما حيث زعموا انهما متعاديان وللاشارة الى ان معاداة الواحد والكل سواء في الكفر واستتباع
العداوة من جهة الله سبحانه وتعالى وان من عادى احدهم فكانما عادى الجميع وقوله تعالى فان الله عدو
للكافرين اى لهم جواب الشرط والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه اشد عقاب وايثار الاسمية للدلالة
على التحقيق ووضع الكافرين موضع المضمر للايذان بان عداوة المذكورين كفر وان ذلك بين لا يحتاج الى
الاخبار به وان مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لاشد العقوبة والعذاب هو كفرهم المذكور
وقرئ ميكائيل كميكاعيل وميكئيل كميكعيل ولقد انزلنا اليك آيات بينات واضحة الدلالة على
معانيها وعلى كونها من عند الله عز وجل وما يكفر بها الا الفاسقون اى المتمردون في الكفر الخارجون
عن حدوده فان من ليس على تلك الصفة من الكفرة لا يجترئ على الكفر بمثل هاتيك البينات قال الحسن
اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصى وقع على اعظم افراد ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس
رضى الله عنه انه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشئ نعرفه وما انزل عليك
من آية فنتبعك بها فنزلت واللام للعهد اى الفاسقون المعهودون وهم اهل الكتاب المحرفون لكتابهم
الخارجون عن دينهم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا اوكلما عاهدوا عهدا الهمزة للانكار
والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اكفروا بها وهى في غاية الوضوح وكلما عاهدوا عهدا ومن
جملة ذلك ما اشير اليه في قوله تعالى وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا من قولهم للمشركين قد
اظل زمان نبى يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقرئ بسكون الواو على ان تقدير
النظم الكريم وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهودهم مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا

اعطوا

اعطوا العهد نبذه فريق منهم اى رموا بالزمام ورفضوه وقرئ ينقضه واسناد النبذ الى فريق
منهم لان منهم من لم ينبذه بل اكثرهم لا يؤمنون اى بالتوراة وهذا دفع لما يتوهم من ان النابذين
هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا فهم مؤمنون بها سرا ولما جاءهم رسول هو النبى صلى الله عليه وسلم
والتنكير للتفخيم من عند الله متعلق بجاء او بمحذوف وقع صفة لرسول لافادة مزيد تعظيمه بتأكيد ما
افاده التنكير من الفخامة الاضافية مصدق لما معهم من التوراة حيث انه صلى الله عليه وسلم قرر
صحتها وحقق حقية النبوة موسى عليه السلام بما انزل عليه او من حيث انه عليه السلام جاء على وفق ما
نعت فيها نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب اى التوراة وهم الذين كانوا في عهد النبى صلى الله عليه وسلم
من كانوا يستفتحون به قبل ذلك لا الذين كانوا في عهد سليمان عليه السلام كما قيل لان النبذ عند
مجئ النبى صلى الله عليه وسلم لا يتصور منهم وافراد هذا النبذ بالذكر مع اندراجه تحت قوله عز وجل
اوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم لانه معظم جناياتهم ولانه تمهيد لذكر اتباعهم لما تتلو الشياطين
وايثارهم له عليه والمراد بايتائها اما ايتاء علمها بالدراسة والحفظ والوقوف على ما فيها فالموصول
عبارة عن علمائهم واما مجرد انزالها عليهم فهو عبارة عن الكل وعلى التقديرين فوضعه موضع الضمير
للايذان بكمال التنافى بين ما اثبت لهم في حيز الصلة وبين ما صدر عنهم من النبذ كتاب الله اى الذى اوتوه
قال السدى لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والفرقان فنبذوا
التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت فلم يوافق القرآن فهذا قوله تعالى ولما جاءهم
رسول من عند الله الى آخره وانما عبر عنها بكتاب الله تشريفا وتعظيما لحقها عليهم وتهويلا لما اجترؤوا عليه
من الكفر بها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول لا سيما بعد ما كانوا يستفتحون
به من قبل فان ذلك قبول له وتمسك به فيكون الكفر به عند مجيئه نبذا له كانه قيل كتاب الله الذى
جاء به فان مجئ الرسول معرب عن مجئ الكتاب وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه بالكلية مثل
بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه كانهم لا يعلمون جملة حالية اى نبذوه وراء ظهورهم
متشبهين بمن لا يعلمه فان اريد بهم احبارهم فالمعنى كانهم لا يعلمونه على وجه الاتقان ولا يعرفون ما فيه
من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ففيه ايذان بان علمهم به رصين لكنهم يتجاهلون او كانهم لا يعلمون
انه كتاب الله او لا يعلمونه اصلا كما اذا اريد بهم الكل وفى هذين الوجهين زيادة مبالغة في اعراضهم
عما في التوراة من دلائل النبوة هذا وان اريد بما نبذوه من كتاب الله القرآن والمراد بالعلم المنفى
في قوله تعالى كانهم لا يعلمون هو العلم بانه كتاب الله ففيه ما في الوجه الاول من الاشعار بانهم متيقنون
في ذلك وانما يكفرون به مكابرة وعنادا قيل ان جميع اليهود اربع فرق فرقة آمنوا بالتوراة وقاموا
بحقوقها كمؤمنى اهل الكتاب وهم الاقلون المشار اليهم بل اكثرهم لا يؤمنون وفرقة جاهروا بنبذ العهود
وتعدى الحدود تمردا وفسوقا وهم المعنيون بقوله تعالى نبذه فريق منهم وفرقة لم يجاهروا بنبذها
ولكن نبذوها لجهلهم بها وهم الاكثرون وفرقة تمسكوا بها ظاهرا ونبذوها خفية وهم المتجاهلون واتبعوا
ما تتلوا الشياطين عطف على جواب لما اى نبذوا كتاب الله واتبعوا كتب السحرة التى كانت تقرؤها الشياطين
وهم المتمردون من الجن وتتلوا حكاية حال ماضية والمراد بالاتباع التوغل والتمحض فيه والاقبال
عليه بالكلية والا فاصل الاتباع كان حاصلا قبل مجئ الرسول صلى الله عليه وسلم فلا ينتظم عطفه على جواب
لما ولذلك قيل هو معطوف على الجملة وقيل على اشربوا على ملك سليمان اى في عهد ملكه قيل كانت
الشياطين يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وهم يدونونها
ويعلمونها الناس وفشا ذلك في عهده عليه السلام حتى قيل ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان
وما تم له ملكه الا بهذا العلم وبه سخر الانس والجن والطير والريح التى تجرى بامره وقيل ان سليمان عليه
السلام كان قد دفن كثيرا من العلوم التى خصه الله بها تحت سرير ملكه فلما مضت على ذلك مدة من الزمان
توصل اليها قوم من المنافقين فكتبوا في خلال ذلك اشياء من فنون السحر تناسب تلك الاشياء المدفونة من
بعض الوجوه ثم بعد موته واطلاع الناس على تلك الكتب اوهموهم انه من عمل سليمان عليه السلام وانه
ما بلغ هذا المبلغ الا بسبب هذه الاشياء وما كفر سليمان تنزيه لساحته عليه السلام عن السحر وتكذيب
لمن افترى عليه بانه كان يعتقده ويعمل به والتعرض لكونه كفرا للمبالغة في اظهار نزاهته عليه السلام
وكذب باهتيه بذلك ولكن الشياطين كفروا وقرئ بتخفيف لكن ورفع الشياطين والواو عاطفة للجملة
الاستدراكية على ما قبلها وكون المخففة عند الجمهور للعطف انما هو عند عدم الواو وكون ما بعدها
مفردا كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر اغواء واضلالا والجملة في محل النصب على الحالية
من ضمير كفروا او من الشياطين فان ما في لكن من رائحة الفعل كاف في العمل في الحال او في محل الرفع على انه

على انه خبر ثان لكن او بدل من الخبر الاول وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرار التعليم وتجدده وجملة
مستانفة هنا على تقدير كون الضمير للشياطين واما على تقدير رجوعه الى فاعل اتبعوا فهو اما حال منه واما
استينافيه فحسب واعلم ان السحر انواع منها سحر الكلدانيين الذين كانوا في قديم الدهر وهم قوم يعبدون
الكواكب وزعموا انها هي المدبرة لهذا العالم ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة
ويستحدثون الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماوية بالقوى الارضية وهم الذين بعث الله تعالى ابراهيم
عليه السلام لابطال مقالتهم وهم ثلاث فرق ففرقة منها يزعمون ان الافلاك والنجوم واجبة الوجود
لذواتها وهم الصابئية وفرقة يقولون بالهية الافلاك ويتخذون لكل واحد منها هيكلا ويشتغلون
بخدمتها وهم عبدة الاوثان وفرقة اثبتوا للافلاك والكواكب فاعلا مختارا لكنهم قالوا انه اعطاها
قوة عالية نافذة في هذا العالم وفوض تدبيره اليها ومنها سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية فانهم
يقولون ان الانسان يبلغ بالتصفية وقراءة العزائم والرقى الى بحيث يخلق الله سبحانه وتعالى عقب
ذلك على سبيل جريان العادة بعض الخوارق والمعتزلة اتفقوا على انه كافر لانه لا يمكنه هذا الاعتقاد
معرفة صدق الانبياء والرسل بخلاف غيرهم ولعل التحقيق ان ذلك الانسان ان كان متشرعا في كل ما ياتي
ويذر وكان ممن يستعين من الارواح الخيرة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة لاحكام الشريعة الشريفة
ولم يكن فيها ظهر من الارواح الخبيثة وكانت عزائمه ورقاه غير مخالفة للاحكام في يده من الخوارق فهي
شرع لاحد فليس ذلك من قبيل السحر وان كان شريرا غير متمسك بالشريعة فظاهر انه من اظهار الامور
العجيبة بواسطة ترتيب الالات الهندسية وخفة اليد والاستعانة بخواص الادوية والاحجار
واطلاق السحر عليها بطريق التجوز ولما فيها من الدقة لانه في الاصل عبارة عن كل ما لطف ماخذه وخفي
سببه او عن الصرف على الجهة المعتادة لما انه في اصل اللغة الصرف على ما حكي الازهري عن الفراء ويونس
وما انزل على الملكين عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل عليهما والمراد بهما واحد والعطف
لتغاير الاعتبار فهو نوع اقوى منه او على ما تتلوا وما بينهما اعتراض واتبعوا ما انزل اي اخترعوه
وبما امكان انزالا لتعليم السحر ابتلاء من الله للناس كما ابتلي قوم طالوت بالنهر والتمييز بينه وبين المعجزة
لئلا يغتر به الناس ولان السحر كثرت في ذلك الزمان واستنبطت ابوابا غريبة من السحر وكانوا يدعون
النبوة فبعث الله تعالى هذين الملكين ليعلما الناس ابواب السحر حتى يتمكنوا من معارضة اولئك
الكذابين واظهار امرهم على الناس واما ما يحكى من ان الملائكة عليهم السلام لما راوا ما يصعد من
ذنوب بني آدم وغيرهم وقالوا لله سبحانه وتعالى هؤلاء الذين اخترتهم لخلافة الارض يعصونك فيها
فقال الله عز وجل لو ركبت فيكم ما ركبت فيهم لعصيتموني قالوا سبحانك ما ينبغي لنا ان نعصيك قال
تعالى فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلحهم واعبدهم فاهبطا الى الارض بعد ما ركب في
البشر من الشهوة وغيرها من القوة ليقضيا بين الناس نهارا ويعرجا الى السماء مساء وقد نهيا عن
الاشراك والقتل بغير الحق وشرب الخمر والزنا وكانا يقضيان بينهم نهارا فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم
فصعدا الى السماء فاختصمت اليهما ذات يوم امراة من اجمل النساء تسمى زهرة وكانت من لخم وقيل كانت
من اهل فارس ملكة في بلدها وكانت خصومتها مع زوجها فلما راياها افتتنا بها فراوداها عن نفسها
فقالت لا الا ان تقضيا لي على خصمي ففعلا ثم سالاها ما سالا فقالت لا الا ان تقتلاه ففعلا ثم سالاها ما سالا
فقالت لا الا ان تشربا الخمر وتسجدا للصنم ففعلا كل من ذلك بعد التاباء والتي ثم سالاها ما سالا
فقالت لا الا ان تعلماني ما تصعدان به الى السماء فعلماها الاسم الاعظم فدعت به وصعدت الى
السماء فمسخها الله كوكبا فهما بالعروج حسب عادتهما فلم تطعهما اجنحتهما فعلما ما حل بهما وكانا في
عهد ادريس عليه السلام فالتجا اليه ليشفع لهما ففعل فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب
الاخرة فاختارا الاول لانقطاعه عما قليل فهما معذبان ببابل بل قيل معلقان بشعورهما وقيل
منكوسان يضربان بسياط الحديد الى قيام الساعة فلا تعويل عليه لما ان مداره رواية اليهود
مع ما فيه من المخالفة لادلة العقل والنقل ولعله من مقولة الامثال والرموز التي لا قصد بها
ارشاد اللبيب الاريب بالترغيب والترهيب وقيل هما رجلان سميا ملكين لصلاحهما ويعضده قراءة
الملكين الملكين بالكسر ببابل الباء بمعنى في وهي متعلقة بانزل او بمحذوف وقع حالا من الملكين او من الضمير
في انزل وهي بابل العراق وقال ابن مسعود رضي الله عنه بابل ارض الكوفة وقيل جبل دماوند
ومنع صرفهما للعجمة والعلمية ولو كان من الهرت والمرت بمعنى الكسر لانصرفا واما من
قرا الملكين بكسر اللام وقال كانا رجلين صالحين فقال هما اسمان لهما وقيل هما اسما قبيلتين من
الجن هما المراد من الملكين بالكسر وقري بالرفع على هما هاروت وماروت وما يعلمان من احد

او للتانيث والعلمية هاروت وماروت عطف بيان
للملكين علمان لهما ومنع صرفهما للعجمة صح

من

من مزيده في المفعول به كما فادة تاكيد الاستغراق الذي تفيده احد لا لافادة نفس الاستغراق كما في قولك
ما جاءني من رجل وقري يعلمان من الاعلام حتى يقولا انما نحن فتنة الفتنة الاختبار والامتحان وافرادها مع
تعددهما لكونها مصدرا وحملها عليهما مواطاة للمبالغة كانهما نفس الفتنة والقصر لبيان انه ليس لهما
فيما يتعاطيانه شان سواها لينصرف الناس عن تعلمه اي هما يعلمان ما انزل عليهما من السحر احدا
من طالبيه حتى ينصحاه قبل التعليم ويقولا انما نحن فتنة وابتلاء من الله عز وجل فمن عمل بما تعلم منا
واعتقد حقيقته كفر ومن توقى عن العمل به واتخذه ذريعة للاتقاء عن الاغترار بمثله بقي على الايمان
فلا تكفر باعتقاد حقيقته وجواز العمل به والظاهر ان غاية النفي ليست هذه المقالة فقط بل من
جملتها التزام المخاطب بموجب النهي لكن لم يذكر لظهوره وكون الكلام في بيان اعتناء الملكين بشان
النصح والارشاد والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير يعلمون لا معطوفة عليه كما قيل اي فكفر
الشياطين كفروا يعلمون الناس ما انزل على الملكين ويحملونهم على العمل به اغواء واضلالا والحال انهما
ما يعلمان احدا حتى ينهياه عن العمل به والكفر بسببه واما ما قيل من انه ما في قوله تعالى وما انزل
الى آخره وما كفر سليمان جيء بها لتكذيب اليهود في القصة اي لم تنزل على الملكين اباحة السحر وان هاروت
وماروت بدل من الشياطين اتباعا لهما وان المعنى ما يعلمان احدا حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر
فتكون مثلنا فيا باه ان مقام وصف الشياطين بالكفر واضلال الناس مما لا يلايمه وصف رؤسائهم
بما ذكر من النهي عن الكفر مع ما فيه من الاخلال بنظام الكلام فان الابدال في حكم تنحية المبدل منه
فيتعلمون منهما عطف على الجملة المنفية فانها في قوة المثبتة كانه قيل يعلمانهم بعد قولهما انما نحن الى آخره
والضمير لاحد حملا على المعنى كما في قوله تعالى وما منكم من احد عنه حاجزين ما يفرقون به اي بسببه وباستعماله
بين المرء وقري بفتح الميم وكسرها مع الهمزة وبتشديد الراء بلا همزة وزوجه بان يحدث الله تعالى بينهما
التباغض والفرك والنشوز عندما فعلوا من السحر على حسب جري العادة الالهية من خلق المسببات عقيب
حصول الاسباب العادية ابتلاء لا ان السحر هو المؤثر في ذلك وقيل فيعلمون منهما ما يعملون به فيراه
الناس ويعتقدون انه الحق فيكفرون فتبين ازواجهم وما هم بضارين اي بما تعلموه واستعملوه من
السحر من احد اي احدا من مزيدة لما ذكر في قوله تعالى وما يعلمان من احد والمعهود وان كانت زيادته في معمول
فعل منفي الا انه حملت الاسمية في ذلك على الفعلية كانه قيل وما يضرون به من احد الا باذن الله
لانه وغيره من الاسباب بمعزل من التاثير بالذات وانما هو بامره تعالى فقد يحدث عنه استعمالهم
السحر فعلا من افعاله ابتلاء وقد لا يحدثه والاستثناء مفرغ والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من
ضمير ضارين او من مفعوله وان كان نكرة لاعتمادها على النفي والضمير المجرور في به اي وما يضرون
به احدا الا مقرونا باذن الله تعالى وقري بضاري على الاضافة بجعل الجار جزءا من المجرور وفصل
ما بين المضافين بالظرف ويتعلمون ما يضرهم لانهم يقصدون به العمل او لان العلم يجر الى العمل
غالبا ولا ينفعهم صرح بذلك ايذانا بانه ليس من الامور المشوبة بالنفع والضرر بل هو شر بحت
وضرر محض لانهم لا يقصدون به التخلص عن الاغترار باكاذيب من يدعي النبوة مثلا من السحرة او تخليص
الناس منه حتى يكون فيه نفع في الجملة وفيه ان الاجتناب عما لا يؤمن من غوائله خير كتعلم الفلسفة
التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية وان قال من قال عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر
من الناس يقع فيه ولقد علموا اي اليهود والذين حكيت جناياتهم لمن اشتراه اي استبدل ما تتلوا ه
الشياطين بكتاب الله عز وجل واللام الاولى لجواب قسم محذوف والثانية لام الابتداء علق بها علموا
عن العمل ومن موصولة في حيز الرفع بالابتداء واشتراه صلتها وقوله تعالى ما له في الآخرة من خلاق اي من
نصيب جملة من مبتدا وخبره ومن مزيدة في المبتدا وفي الآخرة متعلق بمحذوف وقع حالا منه ولو اخر
عنه لكان صفة له والتقدير ما له خلاق في الآخرة وهذه الجملة في محل الرفع على انها خبر للموصول والجملة
في حيز النصب سادة مسد مفعولي علموا ان جعل متعديا الى اثنين او مفعول الواحد ان جعل متعديا
الى واحد فجملة ولقد علموا الى آخره مقسم عليها دون جملة لمن اشتراه الى آخره هذا ما عليه الجمهور ه
ومذهب سيبويه وقال الفراء وتبعه ابو البقاء ان اللام الاخيرة موطئة للقسم ومن شرطية مرفوعة
بالابتداء واشتراه خبرها وما له في الآخرة من خلاق جواب القسم وجواب الشرط محذوف اكتفاء عنه
بجواب القسم الا انه اذا اجتمع الشرط والقسم يجاب سابقهما غالبا فلا يكون الجملتان مقسما عليهما
ولبئسما اشتروا به انفسهم اي باعوها واللام جواب قسم محذوف والمخصوص بالذم محذوف
اي وبالله لبئسما باعوا انفسهم السحر او الكفر وفيه ايذان بانهم خبث بنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم
فقد عرضوا انفسهم للهلكة وباعوها بما لا يزيدهم الا تبارا ويجوز كون الشراء بمعنى الاشتراء مما لا

سبيل اليه لان المشترى مستعين وهو ماتتلوا الشياطين ولان متعلق الذم الماخوذ لا المنبوذ كما اشير
اليه فى تفسير قوله تعالى بئسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله لو كانوا يعلمون اى يعلمون
بعلمهم جعلوا غير عالمين لعدم عملهم بموجب علمهم او لو كانوا يتفكرون فيه او يعلمون قبحه على التعيين
وحقيقته ما يتبعه من العذاب على ان المثبت لهم اولا على التوكيد القسمى العقلى الغريزى او العلم
الاجمالى بقبح الفعل او ترتب العقاب عليه من غير تحقيق وجواب لو محذوف اى لما فعلوا ما فعلوا
ولو انهم آمنوا اى بالرسول الموحى اليه فى قوله تعالى ولما جاءهم رسول من الله الى اخره وبما انزل
اليه من الايات المذكورة فى قوله تعالى ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون
او بالتوراة التى اريدت بقوله تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
فان الكفر بالقرآن كفر والرسول عليه السلام كفر بها واتقوا المعاصى المحكية عنهم لمثوبة من عند الله
خير جواب لو واصله لاثيبوا مثوبة من عند الله خيرا مما شروا به انفسهم فحذف الفعل وغير
السبك الى ما عليه النظم الكريم دلالة على ثبات المثوبة لهم والجزم بخيريتها وحذف المفضل عليه
اجلالا للفضل من ان ينسب اليه وتنكير المثوبة للتعليل ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة تشريفية
لمثوبة او لشئ ما من المثوبة كائنة من عنده تعالى خير وقيل جواب لو محذوف اى لاثيبوا وما بعده
جملة مستانفة فان وقوع الجملة الابتدائية جوابا للو غير معهود فى كلام العرب وقيل لو للتمنى ومعناه
انهم من فظاعة الحال بحيث يتمنى العارف ايمانهم واتقاءهم تلهفا عليهم وقرئ لمثوبة وانما سمى الجزاء
ثوابا ومثوبة لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير نسبوا الى الجهل لعدم العمل
بموجب العلم يا ايها الذين آمنوا خطاب للمؤمنين فيه وارشاد لهم الى الخير واشارة الى بعض اخر من
جنايات اليهود لا تقولوا راعنا المراعاة المبالغة فى الرعى وهو حفظ الغير وتدبير اموره وتدارك
مصالحه وكان المسلمون اذا القى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من العلم يقولون راعنا
يا رسول الله اى راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهم كلامك ونحفظه وكانت لليهود كلمة عبرانية
او سريانية يتسابون بها فيما بينهم وهى راعينا قيل معناها اسمع لا سمعت فلما سمعوا بقول المؤمنين
ذلك افترصوه واتخذوه ذريعة الى مقصدهم فجعلوا يخاطبون به النبى صلى الله عليه وسلم يعنون به
تلك المسبة او نسبته عليه الصلوة والسلام الى الرعن وهو الحمق والهوج روى ان سعد بن
عبادة رضى الله عنه سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتها
من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه قالوا اولستم تقولونها فنزلت
الاية ونهى فيها المؤمنين عن ذلك قطعا لالسنة اليهود عن التدليس وامروا بما فى معناها ولا يقبل
التلبيس فقيل وقولوا انظرنا اى انظر الينا بالحذف والايصال او انتظرنا على انه من نظره اذا انتظره
وقرئ انظرنا من النظرة اى امهلنا حتى نحفظ وقرئ راعونا على صيغة الجمع للتوقير على صيغة الفاعل اى
قولا ذا رعن كدارع ولابن لانه لما اشبه قولهم راعينا وكان سببا للسب اتصف بالرعن اتصف به واسمعوا
واحسنوا سماع ما يكلمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلقى عليكم من المسائل باذان واعية واذهان
حاضرة حتى لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا ما كلفتموه من النهى ولا تعودوا
عنادا حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه او واسمعوا سماع طاعة وقبول ولا يكن سماعكم سماع اليهود حيث
قالوا سمعنا وعصينا وللكافرين اى اليهود الذين توسلوا بقولكم المذكور الى كفرياتهم وجعلوه سببا
للتهاون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا له ما قالوا عذاب اليم لما اجترؤا عليه من العظيمة
وهو تذييل لما سبق فيه وعيد شديد لهم ونوع تحذير للمخاطبين عما نهوا عنه ما يود الذين كفروا
اى ما يحب الشئ مع تمنيه ولذلك يستعمل فى كل منهما وكلمة كناية عن الكراهة ووضع الموصول
موضع الضمير للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة لعدم ودهم ولعل تعلقه بما قبله من حيث ان
القول المنهى عنه كثيرا ما كان يقع عند تنزيل الوحى المعبر عنه فى هذه الاية بالخير فكانه اشير الى
انه سبب تحريفهم له الى ما حكى عنه لوقوعه فى اثناء حصول ما يكرهونه من تنزيل الخير وقيل كان
فريق من اليهود يظهرون للمؤمنين محبة ويزعمون انهم يودون لهم الخير فنزلت تكذيبا لهم فى ذلك
ومن فى قوله تعالى من اهل الكتاب ولا المشركين للتبيين كما فى قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من
اهل الكتاب والمشركين ولا مزيدة لما استغرقه ان ينزل عليكم فى حيز النصب على انه مفعول يودوا
وبنا للفعل المفعول للثقة بتعين الفاعل والتصريح الاتى وقوله تعالى من خير هو القائم مقام
فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفى وان لم يباشره ظاهرا لكنه ينسحب عليه معنى والخير الوحى
وحمله على ما يعمه وغيره من العلم والنصرة كما قيل يأباه وصفه فيما سيأتى بالاختصاص وتقديم

الظرف

الظرف عليه مع ان حقه التاخر عنه لاظهار كمال العناية به لانه المدار لعدم ودهم ومن فى قوله تعالى
من ربكم ابتدائية والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعليته لتنزيل الخير والاضافة الى ضمير المخاطبين
لتشريفهم وليست كراهتهم لتنزيل على المخاطبين من حيث تعبدهم بما فيه وتعرضهم بذلك لسعادة
الدارين كيف لا وهم من تلك الحيثية من جملة من نزل عليهم الخير بل من حيث وقوع التنزيل على
النبى صلى الله عليه وسلم وصيغة الجمع للايذان بان مدار كراهتهم ليس معنا خاصا بالنبى صلى الله
عليه وسلم بل وصف مشترك بين الكل وهو الخلو عن الدراسة عند اليهود وعن الرياسة عند المشركين
والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم ويكرهون ان ينزل عليكم شئ من
الوحى اما اليهود فبناء على انهم اهل الكتاب وابناء الانبياء الناشئون فى مهابط الوحى وانتم
اميون واما المشركون فادلالا بما كان لهم من الجاه والمال زعما منهم ان رياسة الرسالة كسائر الرياسات
الدنيوية منوطة بالاسباب الظاهرة ولذلك قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
ولما كانت اليهود بهذا الداء اشهر لاسيما فى اشياء ذكر ابتلائهم به فيما قبل من نفى ودادتهم لما ذكر نفى
ودادة المشركين له قريت كلمة لا لتاكيد النفى والله يختص برحمته جملة ابتدائية سيقت لتقرير ما
سبق من تنزيل الخير والتنبيه على حكمته وارغام الكارهين له والمراد برحمته الوحى كما فى قوله سبحانه
اهم يقسمون رحمة ربك عبر عنه باعتبار نزوله على المؤمنين بالخير وباعتبار اضافته اليه تعالى
بالرحمة قال على رضى الله عنه بنبوته خص بها محمدا صلى الله عليه وسلم فالفعل متعد وصيغة الافتعال
للانباء عن الاصطفاء وايثاره على التنزيل المناسب للسياق الموافق لقوله تعالى ان ينزل الله من فضله
على من يشاء ولزيادة تشريفه صلى الله عليه وسلم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة والباء داخلة
على المقصود اى يؤتى رحمته من يشاء من عباده ويجعلها مقصورة عليه لاستحقاقه الذاتى الفائض عليه
بحسب ارادته عز وجل تفضلا لا يتعداه الى غيره وقيل الفعل لازم ومن يشاء فاعله والضمير العائد اليه
من محذوف على التقديرين وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وفيه
ايذان بان ايتاء النبوة من فضله العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا وان حرمان من حرم
ذلك ليس لضيق ساحة فضله بل لمشيئته الجارية على سنن الحكمة البالغة وتصدير الجملتين بالاسم الجليل
للايذان بفخامة مضمونهما وكون كل منهما مستقلة بشانها فان الاضمار فى الثانية مبنى على توقفها
على الاولى ما ننسخ من اية او ننسها كلام مستانف مسوق لبيان سر النسخ الذى هو فرد من افراد
تنزيل الوحى وابطال مقالة الطاعنين فيه اثر تحقيق حقيقته الوحى ورد كلام الكارهين له راسا
قيل نزلت حين قال المشركون او اليهود الا ترون ان محمدا عليه السلام يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم
عنه ويامر بخلافه والنسخ فى اللغة الازالة والنقل يقال نسخت الريح الاثر اى ازالته ونسخت
الكتاب نقلته ونسخ الاية بيان انتهاء التعبد بقراءتها او بالحكم المستفاد منها او بهما جميعا وانساؤها
اذهابها من القلوب وما شرطية جازمة لننسخ منتصبة به على المفعولية وقرئ ننسخ من انسخ
اى نامر نبيك او جبريل بنسخها او نجدها منسوخة وننساها من النسء اى نؤخرها وننسها بالتشديد
وننسها على خطاب الرسول عليه السلام مبنيا للفاعل وللمفعول وقرئ ما ننسخ من اية او
ننسكها وقرئ ما ننسك من اية او ننسخها والمعنى ان كل اية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة والمصلحة
من ازالة لفظها او حكمها او كليهما معا الى بدل او الى غير بدل نأت بخير منها اى بنوع اخر هو خير للعباد
بحسب الحال فى النفع والثواب من الذاهبة وقرئ بقلب الهمزة الفا او مثلها اى فيما ذكر من
النفع والثواب وهذا الحكم غير مختص بنسخ الاية التامة فما فوقها بل جار فيما دونها ايضا وتخصيصها
بالذكر باعتبار الغالب والنص كما ترى دال على جواز النسخ كيف لا وتنزيل الايات التى عليها تدور
تلك الاحكام الشرعية انما هو بحسب ما يقتضيه من الحكم والمصالح وذلك يختلف باختلاف الاحوال
ويتبدل بحسب تبدل الاشخاص والاعصار كاحوال المعاش فرب حكم تقتضيه الحكمة فى حال تقتضى
فى حال اخرى نقيضه فلو لم يجز النسخ لاختل ما بين الحكمة والاحكام من النظام الم تعلم الهمزة للتقرير
كما فى قوله سبحانه وتعالى اليس الله بكاف عبده وقوله تعالى الم نشرح لك صدرك والخطاب
للنبى عليه السلام وقوله تعالى ان الله على كل شئ قدير ساد مسد مفعولى تعلم عند الجمهور ومسد
مفعوله الاول والثانى محذوف عند الاخفش والمراد بهذا التقرير الاستشهاد بعلمه بما ذكر على
قدرته تعالى على النسخ وعلى الاتيان بما هو خير من المنسوخ وبما هو مثله لان ذلك من جملة الاشياء
المقهورة تحت قدرته سبحانه وتعالى فمن علم شمول قدرته تعالى لجميع الاشياء علم قدرته على
ذلك قطعا والالتفات بوضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان

فان شمول القدرة لجميع الاشيا من الاحكام الالوهية وكذا الحال في قوله عز سلطانه الم تعلم ان الله له
له ملك السموات والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر لان
وايثاره على ان يقال ان الله ملك السموات والارض للقصد الى تقوى الحكم بتكرير الاسناد وهو ما
تكرير للتقرير واعادة للاستشهاد على ما ذكر وانما لم يعطف على ان ما في حيزها على ما سبق من مثلها وما
لزيادة التاكيد واشعارا باستقلال العلم بكل منها وكفايته في الوقوف على ما هو المقصود واما تقرير
مستقل للاستشهاد على قدرته تعالى على جميع الاشيا اى الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء
الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما ايجادا واعداما وامرا ونهيا حسبما تقتضيه
مشيئته لا معارض لامره ولا معقب لحكمه فمن هذا شانه كيف يخرج عن قدرته شيء من الاشيا وقوله
تعالى وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير معطوف على الجملة الواقعة خبرا لان داخل معها تحت تعلق
العلم المقرر وفيه اشارة الى تناول الخطاب بين النبي للامة ايضا وانما افراده عليه السلام
بما لما ان علومهم مستندة الى علمه عليه السلام ووضع الاسم الجليل موضع الضمير الراجع الى الاسم
ان لتربية المهابة والايذان بمقارنة الولاية والنصرة للقوة والعزة والمراد به الاستشهاد بما
تعلق به من العلم على تعلق ارادته تعالى بما ذكر من الاتيان بما هو خير من المنسوخ او بمثله فان مجرد
قدرته تعالى على ذلك لا يستدعي حصوله البتة وانما الذي يستدعيه كونه تعالى مع ذلك وليا
ونصيرا لهم فمن علم انه تعالى وليه ونصيره على الاستقلال يعلم قطعا انه لا يفعل به الا ما هو خير له
فيفوض امره اليه تعالى ولا يخطر بباله ريبة في امر النسخ وغيره اصلا والفرق بين المولى والنصير ان
المولى قد يضعف عن النصرة والنصير قد يكون اجنبيا من المنصور وما اما تميمية لا عمل لها ولكم
خبر مقدم ومن ولي مبتدا مؤخر زيدت فيه كلمة من للاستغراق واما حجازية ولكم خبرها المقدم
عند من يجيز تقديمها واسمها من ولي من مزيدة لما ذكر ومن دون الله في حيز النصب على الحالية من
اسمها لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا ومعناه سوى الله والمعنى ان قضية العلم
بما ذكر من الامور الثلثة هو الجزم والايقان بانه تعالى لا يفعل بهم في امر من امور دينهم او دنياهم
الا ما هو خير لهم والعمل بموجبه من الثقة به والتوكل عليه وتفويض الامر اليه من غير اصغا الى
اقاويل الكفرة وتشكيكاتهم التي من جملتها ما قالوا في امر النسخ وقوله تعالى ام تريدون تجريد
للخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم وتخصيص له بالمؤمنين وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب
والانتقال عن حملهم على العمل بموجب علمهم بما ذكر عند ظهور بعض مخايل المساهلة منهم في ذلك
وامارات التاثر من اقاويل الكفرة الى التحذير من ذلك ومعنى الهمزة انكار وقوع الارادة منهم
واستبعاده لما ان قضية الايمان وازعة عنها وتوجيه الانكار الى الارادة دون متعلقها للمبالغة
في انكاره واستبعاده ببيان انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه والمعنى
بل اتريدون ان تسالوا وانتم مؤمنون رسولكم وهو في تلك الرتبة من علو الشان وتقترحوا عليه
ما تشتهون غير واثقين في اموركم بفضل الله تعالى حسبما يوجبه قضية علمكم بشؤونه سبحانه قيل
لعلهم كانوا يطلبون منه عليه السلام تفاصيل الحكم الداعية الى النسخ وقيل سأله عليه السلام
قوم من المسلمين ان يجعل لهم ذات انواط كما كانت للمشركين وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلقون عليها
الماكول والمشروب وقوله تعالى كما سئل موسى مصدر تشبيهي اى نعت لمصدر مؤكد محذوف
وما مصدرية اى سؤالا مشبها بسؤال موسى حيث قيل له اجعل لنا الها وارنا الله جهرة وغير
ذلك ومقتضى الظاهر ان يقال كما سالوا موسى لان المشبه به هو المصدر من المبني للفاعل اعني سائلية
المخاطبين لا المبني للمفعول اعني مسؤولية الرسول عليه السلام حتى يشبه بمسؤولية موسى
عليه السلام فلعله اريد التشبيه فيهما معا ولكنه اوجز النظم فذكر في جانب المشبه السائلية
وفي جانب المشبه به المسؤولية واكتفى بما ذكر في كل موضع عما ترك في الموضع الآخر كما ذكر في
قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وقد
جوز ان يكون ما موصولة على ان العائد محذوف اى كالسؤال الذي سأله موسى عليه السلام
وقوله تعالى من قبل متعلق بسئل جيء به للتاكيد وقرئ سيل بالياء وكسر السين وبتسهيل
الهمزة بين بين ومن يتبدل الكفر اى يختره ويأخذه بمقابلة بالايمان بدلا منه وقرئ ومن يبدل من
ابدل وكان مقتضى الظاهر ان يقال ومن يفعل ذلك اى السؤال المذكور وارادته وحاصله
ومن يترك الثقة بالايات البينة المنزلة بحسب المصالح التي من جملتها الايات الناسخة
التي هي خير محض وحق بحت واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل اى عدل وجاد من حيث لا يدري

عن

عن الطريق المستقيم الى معالم الحق والهدى وتاه في تيه الهوى وتردى في مهاوي الردى وانما اوثر على
ذلك ما عليه النظم الكريم للتصريح من اول الامر بانه كفر وارتداد وان كونه لذلك امر واضح غني
عن الاخبار به بان يقال ومن يفعل ذلك يكفر حقيق بان يعد من المسلمات ويجعل مقدما للشرطية وما
للمبالغة في الزجر والافراط في الردع وسواء السبيل من باب اضافة الوصف الى الموصوف لقصد
المبالغة في بيان قوة الاتصاف كانه نفس السؤال على منهاج حصول الصورة في الصورة الحاصلة
وقيل الخطاب لليهود حين سالوا ان ينزل الله عليهم كتابا من السماء وقيل للمشركين حين قالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا الى اخره فاضافة الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم على القولين
باعتبار انهم من امة الدعوة ومن تبدل الكفر بالايمان وهم بمعزل من الايمان ترك صرف قدرتهم
اليه مع تمكنهم من ذلك وايثارهم للكفر عليه ود كثير من اهل الكتاب هم رهط من احبار اليهود
روي ان فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر
بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وافضل
ونحن اهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت ان لا اكفر
بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت
بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت لو يردونكم حكاية لودادتهم ولو
في معنى التمني وصيغة الغيبة كما في قوله حلف ليفعلن وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب
وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لود والتقدير ودوا ردكم وقيل هي على حقيقتها
وجوابها محذوف وتقديره لو يردونكم كفارا لسروا بذلك من بعد ايمانكم متعلق بيردونكم وقوله
تعالى كفارا مفعول ثان له على تضمين الرد معنى التصيير اى يصيرونكم كفارا كما في قوله • رمى الحدثان
نسوة آل سعد • بمقدار سمدن له سمودا • فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض سودا •
• وقيل هو حال من مفعوله والاول ادخل لما فيه من الدلالة صريحا على كون الكفر المفروض بطريق القسر
وايراد الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة كون المخاطبين مؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر
بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة ما ارادوه وغاية بعده من
الوقوع اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته واما للممانعة الايمان له كانه قيل من بعد
ايمانكم الراسخ وفيه من تثبيت المؤمنين ما لا يخفى حسدا علة لود وحال اريد به نعت الجميع اى
حاسدين لكم والحسد الاسف على من له خير يخيره من عند انفسهم متعلق بود اى ودوا ذلك من اجل
تشهيهم وحظوظ انفسهم لا من قبل التدين والميل مع الحق ولو على زعمهم او بحسدا اى حسدا منبعثا
من اصل نفوسهم بالغا اقصى مراتبه من بعد ما تبين لهم الحق بالمعجزات الساطعة وبما عاينوا في التورية
من الدلائل وعلموا انكم متمسكون به وهم منهمكون بالباطل فاعفوا واصفحوا العفو ترك المواخذة
والعقوبة والصفح ترك التثريب والتانيب حتى ياتي الله بامره الذي هو قتل بني قريظة واجلاء
واجلاء بني النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم او الاذن في القتال وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه منسوخ باية السيف ولا يقدح في ذلك ضرب الغاية لانها لا تعلم الا شرعا ولا يخرج الوارد
بذلك من ان يكون ناسخا كانه قيل فاعفوا الى ورود الناسخ ان الله على كل شيء قدير فينتقم منهم اذا
حل حينه وآن اوانه فهو تعليل لما دل عليه ما قبله واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا
واصفحوا امروا بالصبر والمداراة والالتجا الى الله تعالى بالعبادة البدنية والمالية وما تقدموا
لانفسكم من خير كصلوة او صدقة او غير ذلك اى اى شيء من الخيرات تقدموه لمصلحة انفسكم تجدوه
عند الله اى تجدوا ثوابه وقرئ تقدموا من اقدم ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده عمل
فهو عنده وعد للمؤمنين وقرئ بالياء فهو وعيد للكافرين وقالوا عطف على ود والضمير لاهل الكتاب
جميعا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اى قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
نصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد كلا منهما الى قائله
ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا وليس مرادهم باو بيان من اقام اليهودية والنصرانية
قبل النسخ والتحريف على وجهها بل انفسهم على ما هم عليه لانهم انما يقولون لاضلال المؤمنين وردهم
الى الكفر وهود جمع هائد كعود جمع عائد وبزل جمع بازل والافراد في كان باعتبار لفظ من والجمع في خبره
باعتبار معناه وقرئ الا من كان يهوديا او نصرانيا تلك امانيهم الاماني جمع امنية وهي ما يتمنى
كالاعجوبة والاضحوكة والجملة معترضة مبينة لبطلان ما قالوا وتلك اشارة اليه والجمع باعتبار

صدوره من الجميع وقيل فيه حذف مضاف اى امثال تلك الامنية امانيهم وقيل تلك اشارة اليه
والى ما قبله من ان لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وان يردهم كفارا ويرده قوله تعالى قل هاتوا
برهانكم ان كنتم صادقين فانها ليس مما يطلب له البرهان ولا مما يحتمل الصدق والكذب قيل هاتوا
اصله ائتوا قلبت الهمزة هاء اى احضروا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في دعواكم
هذا ما يقتضيه المقام بحسب النظم الجليل الذي هو يستدعيه اعجاز التنزيل ان يحمل الامر التبكيتي
على طلب البرهان على اصل الدخول الذي يتضمنه دعوى الاختصاص فان قوله تعالى بلى الى اخره اثبات
من جهته تعالى لما نفوه مستلزم لنفي ما اثبتوه واذ ليس الثابت به مجرد دخول غيرهم الجنة ولو
معهم ليكون المنفي لما نفوه ما اثبتوه مجرد اختصاصهم به مع بقاء اصل الدخول على حاله بل هو اختصاص
غيرهم بالدخول كما ستعرفه باذن الله تعالى ظهر ان المنفي اصل دخولهم ومن ضرورته ان يكون هو الذي
كلفوا اقامة البرهان عليه لا اختصاصهم به ليتحد مورد الاثبات والنفي وانما عدل عن ابطال صريح
ما ادعوه وسلك هذا المسلك اماتة لغاية حرمانهم من اصل الدخول او عجزهم عن اثباته واما نفي الدخول
فحيث ثبت حرمانهم عنه وعجزهم عن اثباته فهم من الاختصاص به ابعد وعن اثباته وانما الفائز به
من انتظمه قوله سبحانه وتعالى من اسلم وجهه لله اى اخلص نفسه له تعالى لا يشرك به شيئا غيره عبر عنها
بالوجه لانه اشرف الاعضاء ومجمع المشاعر وموضع السجود ومظهر آثار الخضوع الذي هو من اخص
خصائص الاخلاص او توجهه وقصده بحيث لا يلوي عزيمته الى شيء غيره وهو محسن حال من ضمير اسلم اى
والحال انه محسن في جميع اعماله التي من جملتها الاسلام المذكور وحقيقة الاحسان الاتيان بالعمل
على الوجه اللائق وهو حسنه الوصفي التابع لحسنه الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد
الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فله اجره الذي وعد له على عمله وهو عبارة عن دخول
الجنة او عما يدخل هو فيه دخولا اوليا واياما كان فتصويره بصورة الاجر للايذان بقوة ارتباطه
بالعمل واستحالة نيله بدونه وقوله تعالى عند ربه حال من اجره والعامل فيه معنى الاستقرار
في الظرف والعندية للتشريف ووضع اسم الرب مضافا الى ضمير من اسلم موضع ضمير الجلالة
لاظهار مزيد اللطف به وتقرير مضمون الجملة اى فله اجره عند مالكه ومدبر اموره ومبلغه الى
كماله والجملة جواب من ان كانت شرطية وخبرها ان كانت موصولة والفاء لتضمنها معنى الشرط فيكون
الرد بقوله تعالى بلى وحده ويجوز ان يكون من فاعلا لفعل مقدر اى بلى يدخلها من اسلم وقوله تعالى
فله اجره معطوف على ذلك المقدر واياما كان فتعلق ثبوت الاجر بما ذكر من الاسلام والاحسان
المختصين باهل الايمان بان اولئك المدعوين من دخول الجنة بمعزل ومن الاختصاص به بالف منزل
ولا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب
ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والجمع في الضمائر الثلثة باعتبار معنى من كما ان
الافراد في الضمائر الاول باعتبار اللفظ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء بيان لتضليل
كل فريق صاحبه وخصوصية اثر بيان تضليله كلا من عداه على وجه العموم نزلت لما قدم وفد نجران
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم احبار اليهود فتناظروا فارتفعت اصواتهم فقالوا لهم
لستم على شيء اى يعتد به من الدين او على شيء ما منه اصلا مبالغة في ذلك كما قالوا اقل من لا شيء
وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى ليست اليهود على شيء على الوجه المذكور وكفروا
بموسى والتورية لما انهم قالوا ذلك بناء للامر على منسوخية التوراة وهم يتلون الكتاب الواو
للحال واللام للجنس اى قالوا ما قالوا والحال ان كل فريق منهم من اهل العلم والكتاب اى كان حق
كل منهم ان يعترف بحقية دين صاحبه حسبما ينطق به كتابه فان كتب الله تعالى متصدقة كذلك
اى مثل ذلك سمعت به والكاف في محل النصب اما على انها نعت لمصدر محذوف قدم على
عاملة على قاعدة القصر اى قولا مثل ذلك القول بعينه لا قولا مغايرا له قال الذين لا يعلمون من
عبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم من الجهلة اى قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء واما على انها حال
من المصدر المضمر المعرف الدال عليه قال اى قال القول الذين لا يعلمون حال كونه مثل ذلك
القول الذي سمعت به مثل قولهم اما بدل من محل الكاف واما مفعول للفعل المنفي قبله اى مثل
ذلك القول قال الجاهلون مثل مقالة اليهود والنصارى وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا
انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم اصلا فالله يحكم بينهم اى بين اليهود والنصارى فان مساق
النظم لبيان حالهم وانما التعرض لمقالة غيرهم لاظهار كمال بطلان مقالهم ولان المحاجة المحوجة
الى الحكم انما وقعت بينهم يوم القيمة متعلق بيحكم وكذا ما قبله وما بعده ولا ضير فيه لاختلاف

المعنى

المعنى فيما كانوا فيه يختلفون قدم عليه للمحافظة على رؤس الاى لا يكانوا ومن اظلم ممن منع مساجد الله
انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار
المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشي والاستعمال المطرد فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل من
فلان او لا افضل من فلان فالمراد حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك
في اى مسجد كان وان سبب النزول فعل طائفة معينة في مسجد مخصوص روى ان النصارى كانوا يطرحون
في بيت المقدس الاذى ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية
وقتلوا وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنه ان طيطوس الرومي ملك النصارى واصحابه غزوا
بني اسرائيل وقتلوا مقاتلهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التوراة واخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه
الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه المسلمون في عهد عمر رضي الله عنه وانما اوقع المنع على
المساجد وان كان الممنوع هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى في التخريب ونحوهما متعلق بالمسجد
لا بالناس مع كونه على حاله وتعلق الآية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى
لاختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل المسجد
الحرام عام الحديبية فتعلقها بما تقدمها من جهة ان المشركين من جملة الجهلة القائلين الكل من عاداهم
ليسوا على شيء ان يذكر فيها اسمه ثاني مفعولي منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله
تعالى وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع
ان او ان يكون ذلك مفعولا له اى كراهة ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها بالهدم والتعطيل
بانقطاع الذكر اولئك المانعون الظالمون الساعون في خرابها ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين
اى ما كان ينبغي لهم ان يدخلوها الا بخشية وخضوع فضلا عن الاجتراء على تخريبها وتعطيلها او ما كان
الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا ان
يستولوا عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان لهم في علم الله تعالى وقضائه بالاخرة الا ذلك فيكون
وعدا للمؤمنين بالنصر والاستخلاص مما استولوا عليه منهم وقد انجز الوعد ولله الحمد فروى انه
لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقيل معناه النهي عن تمكينهم من
الدخول في المسجد واختلف الائمة في ذلك فجوزه ابو حنيفة رضي الله عنه مطلقا ومنعه مالك
مطلقا وفرق الشافعي بين المسجد الحرام وغيره لهم اى لاولئك المذكورين في الدنيا خزي اى خزي
فظيع لا يوصف بالقتل والسبي والاذلال بضرب الجزية عليهم ولهم في الآخرة عذاب عظيم وهو عذاب
النار لما ان سببه ايضا هو ما حكي من ظلمهم لذلك في العظم وتقديم الظرف في الموضعين للتشويق الى
ما يذكر بعده من العذاب والعقاب لما مر من ان التاخير ما حقه التقديم موجب لتوجه النفس اليه
فيتمكن فيها عند وروده فضل تمكن كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم من الانعام
ثمانية ازواج اى الغني ذلك ولله المشرق والمغرب اى له كل الارض التي هي عبارة عن ناحيتي المشرق
والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته دون مكان
فان منعتم من اقامة العبادة في المسجد الاقصى والمسجد الحرام فاينما تولوا اى ففي اى مكان فعلتم تولية
وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ثم اسم اشارة للمكان البعيد خاصة مبني على الفتح ولا ينصرف
سوى الظرفية وهو خبر مقدم ووجه الله مبتدأ والجملة في محل الجزم على انها جواب الشرط هنا اى
جهته التي امر بها فان امكان التولية غير مختص بمسجد دون مسجد ومكان دون آخر بمعنى
الحضور العلمي اى فهو عالم بما يفعل فيه ومثيبكم على ذلك وقرئ بفتح التاء واللام اى فاينما توجهوا
القبلة ان الله واسع باحاطته بالاشياء او برحمته يريد التوسعة على عباده عليم بمصالحهم واعمالهم
في الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضي الله عنه نزلت في صلاة المسافر
على الراحلة اينما توجهت وقيل في قوم عميت عليهم القبلة فصلوا الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا
خطاهم وعلى هذا لو اخطأ المجتهد ثم تبين له الخطاء لم يلزمه التدارك وقيل هي توطئة لنسخ القبلة
وتنزيه للمعبود عن ان يكون في حيز وجهة وقالوا اتخذ الله ولدا حكاية لطرف اخر من مقالاتهم الباطلة
المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها من قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء
الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود والنصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ
بغير واو على الاستيناف نزلت حين قالت اليهود عزير بن الله والنصارى المسيح بن الله ومشركوا
العرب الملائكة بنات الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى

التقصيرى والمفعول الاول محذوف اى صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه وتبرية له تعالى عما قالوا
وسبحان علم التسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه
اى انزهه تنزيها لا يليق به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو الذهاب
والابعاد فى الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له
خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة اقامة مع المصدر مع الفعل
ما لا يخفى وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزه اى تنزهه بذاته تنزها حقيقيا به ففيه مبالغة
من حيث اسناد البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد نزاهته تعالى عما لا يليق به
لا انباتها له تعالى وقوله تعالى بل له ما فى السموات والارض رد لما زعموا وتنبيه على بطلانه وكلمة بل
للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى لشىء من المخلوقات ومن سرعة
فنائه المحوجة الى اتخاذ ما يقوم مقامه وفنائها بالتحقيق مستغنية بدوامها ومطول بقائها عما يجرى مجرى
الولد من الحيوان اى ليس الامر كما زعموا بل هو خالق جميع الموجودات التى من جملتها عزير والمسيح والملئكة
كل التنوين عوض عن المضاف اليه اى كل ما فيهما كائنا ما كان من اولى العلم وغيرهم له قانتون منقادون
لا يستعصى شىء منهم على تكوينه وتقديره ومشيته ومن كان هذا شانه لم يتصور مجانسته الشىء ومن
حق الوالد ان يكون من جنس الوالد وانما جىء بما المختصة بغير اولى العلم تحقيرا لشانهم وايذانا بكمال
بعدهم عما نسبوا الى بعض منهم وصيغة جمع العقلاء فى قانتون للتغليب او كل من جعلوه لله ولدا له
قانتون اى مطيعون عابدون له معترفون بربوبيته تعالى لقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون
الى ربهم الوسيلة بديع السموات والارض اى مبدعها ومخترعها بلا مثال يحتذى به وقد قانون
بتمحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه اساطين اهل اللغة وقد جاء
بدعه كمنعه بمعنى انشاه كابتدعه كما ذكر فى القاموس وغيره ونظير السميع بمعنى المسمع فى قوله
• امن ريحانة الداعى السميع • وقيل هو من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها للتخفيف بعد
نصبه على تشبيهها باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته من بدع اذا كان على شكل فائق
وحسن رائق وهو حجة اخرى لابطال مقالتهم الشنعاء تقريرها ان الوالد عنصر الولد المنفعل
بانفصال مادته عنه والله سبحانه مبدع الاشياء كلها على الاطلاق منزه عن الانفعال
فلا يكون والدا ورفعه على انه خبر لمبتدا محذوف اى هو بديع الى اخره وقرى بالنصب على المدح
وبالجر على انه بدل من الضمير فى له على راى من يجوز الابدال من الضمير المجرور كما فى قوله • • •
على جوده لضن بالماء حاتم • واذا قضى امرا اى اراد شيئا كقوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل
القضاء الاحكام اطلق على الارادة الالهية المتعلقة بوجود الشىء لا يجابها اياه البتة وقيل
الامر ومنه قوله تعالى وقضى ربك الى اخره فانما يقول له كن فيكون كلاهما من الكون التام اى
احدث فيحدث وليس المراد به حقيقة الامر والامتثال وانما هو التمثيل لسهولة تاتى المقدورات
بحسب تعلق مشيته تعالى وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فى الباب من طاعة المامور المطيع للامر القوى
المطاع وفيه تقرير لمعنى الابداع وتلويح للحجة الاخرى لابطال ما زعموه بان اتخاذ الولد شان من
يفتقر فى تحصيل مراده الى مباد يستدعى ترتيبها مرور زمان وتبدل اطوار وفعله تعالى متعال
عن ذلك وقال الذين لا يعلمون حكاية لنوع اخر من قبائحهم وهو قدحهم فى امر النبوة بعد حكاية قدحهم
فى شان التوحيد بنسبة الولد اليه سبحانه وتعالى واختلف فى هؤلاء القائلين فقال ابن عباس هم
اليهود وقال مجاهد هم النصارى ووصفهم بعدم العلم بعدم علمهم بالتوحيد والنبوة كما ينبغى
ولعدم عملهم بموجب علمهم ولما ان ما يحكى عنهم لا يصدر عمن له شائبة علم اصلا وقال قتادة واكثر
اهل التفسير هم مشركوا العرب لقوله تعالى فليأتنا باية كما ارسل الاولون وقالوا لولا انزل عليه
الملئكة او نرى ربنا لولا يكلمنا الله اى هلا يكلمنا بلا واسطة امرا ونهيا كما يكلم الملئكة او هلا
يكلمنا تنصيصا على نبوتك او تاتينا اية حجة تدل على صدقك بلغوا من العتو والاستكبار الى حيث
لم يعدوا ما اتاهم من البينات الباهرة التى تملوا نيل رتبة المقارنة الالهية من غير توسيط
الرسول والملك والعناد والمكابرة الى حيث لم يعدوا ما اتاهم من البينات الباهرة التى تخر لها
صم الجبال من قبيل الايات قاتلهم الله اى يؤفكون كذلك مثل ذلك القول الشنيع المصادر
عن العناد والفساد قال الذين من قبلهم من الامم الماضية مثل قولهم هذا الباطل الشنيع فقالوا ارنا
الله جهرة وقالوا لن نصبر على طعام واحد وقالوا هل يستطيع ربك الى اخره وقالوا اجعل لنا الها

اخره

اخره تشابهت قلوبهم اى قلوب هؤلاء واولئك فى العمى والعناد والا لما تشابهت اقاويلهم الباطلة قد بينا
الايات اى نزلناها بينة بان جعلناها كذلك فى انفسها كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل
لا انا بيناها بعد ان لم تكن بينة لقوم يوقنون اى يطلبون اليقين ويوقنون بالحقائق لا يعتريهم شبهة ولا
ريبة وهذا رد لطلبهم الاية وفى تعريف الايات وجمعها وايراد التبيين المفصح عن كمال التوضيح مكان الاتيان
الذى طلبوه ما لا يخفى من الجزالة والمعنى انهم اقترحوا اية فذة ونحن قد بينا الايات العظام لقوم يطلبون الحق
واليقين وانما لم يتعرض لرد قولهم لولا يكلمنا الله ايذانا بانه من ظهور البطلان بحيث لا حاجة الى الرد والجواب
انا ارسلناك بالحق اى ملتبسا بالقران كما فى قوله تعالى بل كذبوا بالحق لما جاءهم او بالصدق كما فى قوله تعالى
احق هو وقوله تعالى بشيرا ونذيرا حال من المفعول باعتبار تقييده بالحال الاولى اى ارسلناك ملتبسا حال
كونك بشيرا لمن امن بما انزل عليك وعمل به ونذيرا لمن كفر به وارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدق
كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك
بالثواب ونذيرا لمن كفر به وارسلناك صادقا حال كونك بشيرا لمن صدقك بالثواب ونذيرا لمن كذبك
بالعذاب فيحتذروا لا نقسرهم ما احبوا الا قاسرا لهم عن الايمان فلا عليك ان اصروا وكابروا ولا تسأل عن
اصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد ما بلغت ما ارسلت به وقرى لا تسئل على صيغة النهى ايذانا بكمال شدة
عقوبة الكفار وتهويلا لها كانها لغاية فظاعتها لا يقدر المخبر على اجرائها على لسانه او لا يستطيع السامع ان
يسمع خبرها وحمله على النهى النبى صلى الله عليه وسلم عن السؤال عن حال ابويه مما لا يساعده النظم الكريم وتحجيم
المتاجج من النار وفى التعبير عنهم بصاحبته الجحيم دون الكفر والتكذيب ونحوهما وعيد شديد وايذان بانهم
مطبوع عليهم لا يرجى منهم الايمان قطعا وقوله تعالى ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم
بيان لكمال شدة شكيمة هاتين الطائفتين خاصة اثر بيان ما يعمها والمشركين من الاصرار على ما هم عليه
الى الموت وايراد لا النافية بين المعطوفين لتاكيد النفى لما مر من ان تصلب اليهود فى امثال هذه العظائم
اشد من النصارى وللاشعار بان رضى كل منهما مباين لرضى الاخرى اى لن ترضى عنك اليهود ولو خليتهم
وشهادتهم حتى تتبع ملتهم ولا النصارى ولو تركتهم ودينهم حتى تتبع ملتهم فاوجز النظم ثقة بظهور المراد
وفيه من المبالغة فى اقناطه صلى الله عليه وسلم من اسلامهم ما لا غاية وراءه فانهم حيث لم يرضوا عنه
عليه السلام بملتهم فكيف يتوهم اتباعهم لملته عليه السلام وهذه حالتهم فى انفسهم ومقالتهم فيما
بينهم واما انهم اظهروها للنبى صلى الله عليه وسلم وشافهوه بذلك وقالوا لن ترضى عنك وان ما كنت فى طلب
رضانا حتى تتبع ملتنا كما قيل فلا يساعده النظم الكريم بل فيه ما يدل على خلافه فان قوله عز وجل قل
ان هدى الله هو الهدى صريح فى ان ما وقع فى هذا جوابا عنه ليس عين تلك العبارة بل ما يستلزم مضمونها
ويلزمه من الدعوة الى اليهودية والنصرانية وادعاء الاهتداء فيهما كقوله عز وعلا حكاية عنهم كونوا
هودا او نصارى تهتدوا اى قل ردا عليهم ان هدى الله الذى هو الاسلام هو الهدى بالحق والذى يصح
ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون اليه ليس بهدى بل هو هوى كما يعرب عنه
قوله تعالى ولئن اتبعت اهواءهم اى ارائهم الزائغة الصادرة عنهم بقضية شهوات انفسهم وهى
التى عبر عنها فيما قبل عليهم اذ هى التى ينتمون اليها وما شرعه الله تعالى لهم من الشريعة على لسان الانبياء
وهو المعنى الحقيقى للملة فقد غيروها تغييرا بعد الذى جاءك من العلم اى الوحى او الدين المعلوم صحته
ما لك من الله من جهة العرمرمة من ولى يلى امرك عموما ولا نصير يدفع عنك عقابه وحيث لم
يستلزم نفى الولى نفى النصير وسط بينهما حرف النفى لتاكيد النفى وهذا من باب التهييج والالهاب
والا فانى يتوهم مكان اتباعه عليه السلام لملتهم وهو جواب للقسم الذى وطاه اللام واكتفى بها عن
جواب الشرط الذين اتيناهم الكتاب هم مؤمنون اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه يتلونه
حق تلاوته بمراعاة لفظه عن التحريف بالتدبر فى معانيه والعمل بما فيه وهو حال مقدرة والخبر ما بعده
مقرر له اولئك اشارة الى الموصوفين بايتاء الكتاب وتلاوته كما هو حقه وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلتهم فى الفضل يؤمنون به اى بكتابهم دون المحرفين فانهم بمعزل من الايمان به
فانه لا يجامع الكفر الا ببعض منه ومن يكفر به بالتحريف والكفر بما يصدقه فاولئك هم الخاسرون
حيث اشتروا الكفر بالايمان يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم ومن جملتها التورية وذكر
النعمة انما يكون بشكرها وشكرها الايمان بجميع ما فيها ومن جملته نعت النبى صلى الله عليه وسلم من
ضرورة الايمان بها الايمان به عليه السلام وانى فضلتكم على العالمين افردت هذه النعمة بالذكر مع
كونها مندرجة تحت النعمة السالفة لانافتها فيما بين فنون النعم واتقوا ان لم تؤمنوا يوما لا تجزى
فى ذلك اليوم نفس من النفوس عن نفس اخرى شيئا من الاشياء او شيئا من الجزاء ولا يقبل منها عدل
اى فدية ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون وتخصيصهم بتكرير التذكير اعادة التحذير للمبالغة فى

النصح وللايذان بان ذلك فذلكة القصة والمقصود من القصة لما انعم الله عز وجل عليهم اعظم وكفرهم
بها اشد واقبح واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات شروع في تحقيق ان هدى الله هو ما عليه النبي صلى الله
عليه وسلم من التوحيد والاسلام الذى هو ملة ابراهيم عليه السلام وان ما عليه اهل الكتابين
اهوا زايغة وان ما يدعونه من انهم على ملته عليه السلام فرية بلا مرية ببيان ما صدر عن
ابراهيم وابنايه الانبيا عليهم السلام من الاقاويل والافاعيل الناطقة بحقية التوحيد والاسلام
وبطلان الشرك وبصحة النبوة النبي صلى الله عليه وسلم وبكونه ذلك النبي الذى استدعاه ابراهيم
واسمعيل عليهما السلام بقولهما ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية فاذ منصوب على المفعولية
بمضمر مقدم خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين اى اذكر لهم وقت ابتلائه عليه
السلام ليتذكروا بما وقع فيه من الامور الداعية الى التوحيد الوازعة عن الشرك فيقبلوا الحق
ويتركوا ما هم عليه من الباطل وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما يقع فيه من الحوادث مع انها
المقصودة بالذات قد مر وجهه في ثنا تفسير قوله عز وجل واذ قال ربك للملائكة انى جاعل في الارض
خليفة وقيل على الظرفية بمضمر مؤخر اى اذ ابتلاه كان كيت وكيت وقيل بما سيجئ من قوله تعالى قال
الى اخره والاول هو اللايق بجزالة التنزيل ولا يبعد ان ينتصب بمضمر معطوف على اذكروا خوطب به
بنو اسرائيل ليتاملوا فيما يحكى عمن ينتمون الى ملته من ابراهيم وابنايه عليه السلام من الافعال
والاقوال فيعدوا بهم ويسيروا بسيرتهم والابتلا في الاصل الاختبار اى تطلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه
لامر يشق عليه غالبا فعله او تركه وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور
واما من العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين قبل ان يترتب عليه
شيا هو من مباديه العادية كمن يختبر عبده لا يتعرف حاله من الكياسة فيامره بما يليق بحاله منهما له
وابراهيم اسم اعجمي قال السهيلي كثيرا ما يقع في الاتفاق والتقارب بين السرياني والعربي الا يرى ان ابراهيم
تفسيره اب راحم ولذلك جعل هو وزوجته سارة كافلين لاطفال المومنين الذين يموتون صغارا الى يوم
القيمة على ما روى البخاري في حديث الرؤيا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في الروضة ابراهيم عليه السلام
وحوله اولاد الناس وهو مفعول مقدم لاضافة فاعله الى ضميره والتعرض لعنوان الربوبية تشريفا له
عليه السلام وايذان بان ذلك الابتلا تربية له وترشيح لامر خطير والمعنى عامله سبحانه وتعالى معاملة
المختبر حيث كلفه اوامر ونواهي تظهر بحسن قيامه بحقوقها قدرته على الخروج عن عهدة الامامة
العظمى وتحمل اعباء الرسالة وهذه المعاملة وتذكيرها للناس لارشادهم الى طريق اتقان الامور ببنائها
على التجربة وللايذان بان بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ايضا مبنية على تلك القاعدة الرصينة واقعة
بعد ظهور استحقاقه عليه السلام للنبوة العامة كيف لا وهي التي اجيب بها دعوة ابراهيم عليه
السلام كما سياتى واختلف في الكلمات قال مجاهد هي المذكور بعدها ورد بانه ياباه الفاء في اتمهن
ثم الاستيناف وقال طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما هي عشر خصال كانت فرضا في شرعه وهي سنة
في شرعنا خمسة في الراس المضمضة والاستنشاق وفرق الراس وقص الشارب والسواك وخمس
في البدن الختان وحلق العانة ونتف الابط وتقليم الاظفار والاستنجا بالماء وفي الخبر ان ابراهيم
عليه السلام اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار وقال عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما لم يبتل احد بهذا الدين فاقامه كله الا ابراهيم ابتلاه الله تعالى بثلثين خصلة من
خصال الاسلام عشر منها في سورة براة التائبون الى اخره وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات
الى اخره وعشر في المومنون وسال سائل الى قوله عز وجل والذين هم على صلوتهم يحافظون وقيل
ابتلاه الله سبحانه بسبعة اشيا بالشمس والقمر والنجوم والختان على الكبر والنار وذبح الولد والهجرة
فوفى بالكل وقيل هو محاجته قومه والصلوة والزكوة والصوم والضيافة والصبر عليها وقيل هي
مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل هي قوله عليه السلام
الذي خلقني فهو يهدين الايات ثم انما وقع هذا الابتلا قبل النبوة وهو الظاهر وقيل بعدها لانه
يقتضي سابقة الوحي واجيب بان مطلق الوحي لا يستلزم البعثة الى الخلق وقرى برفع ابراهيم ونصب
ربه اى دعاه بكلمات من الدعا فعل المختبر هل يجيبه اليهن اولا فاتمهن اى اقام بهن حق القيام وادا
هن احسن التادية من غير تفريط وتوان كما في قوله تعالى وابراهيم الذى وفى وعلى القراة الاخيرة
فاعطاه الله ما ساله من غير نقص ويعضده ما روى عن مقاتل انه فسر الكلمات بما سال ابراهيم
ربه بقوله رب اجعل الايات وقوله عز وجل قال على تقدير انتصاب اذ بمضمر جملة مستانفة وقعت
جوابا عن سؤال نشا من الكلام فان الابتلا بتمهيد لامر معظم وظهور فضيلة المبتلى من دواعي الاحسان

فبعد كاحيهما يترقب النفس الى ما وقع بعد هما كانه قيل فاذا كان بعد ذلك فقيل قال انى جاعلك
للناس اماما اى بيان لقوله تعالى ابتلى على راى من جعل الكلمات عبارة عما ذكر عن اثره من الامامة
وتطهير البيت ورفع قواعده وغير ذلك وعلى تقدير انتصاب اذ يقال فالجملة معطوفة على ما قبلها
عطف لعقبة على القصة والواو في المعنى داخلة على قال اى وقال اذ ابتلى الى اخره والجعل بمعنى التصيير
احد مفعوليه الضمير والثاني اماما واسم الفاعل بمعنى المضارع واوكد منه لدلالته على انه جاعل
البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وللناس متعلق بجاعلك اى لاجل الناس او بمحذوف
وقع حالا من اماما اذ لو تاخر عنه لكان صفة له والامام اسم لمن يوتم به وكل نبي امام لامته عليه
السلام وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا كان من ذريته مامورا باتباع
ملته قال استيناف مبني على سؤال مقدر كانه قيل فماذا قال ابراهيم عليه السلام عنده فقيل قال
ومن ذريتي عطف على الكاف ومن تبعيضية متعلقة بجاعل اى وجاعل بعض ذريتي كما تقول وزيدا لمن تقول
سأكرمك او بمحذوف اى واجعل فريقا من ذريتي اماما وتخصيص البعض بذلك لبداهة استحالة امامة
الكل وان كانوا على الحق وقيل التقدير وما ذا يكون من ذريتي والذرية نسل الرجل فعوله من ذروت او ذريت
والاصل ذرووة او ذريية فاجتمع في الاول واوان زائدة واصلية فقلبت الاصلية يا فصارت كالثانية
فاجتمعت واو ويا وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت اليا في اليا فصارت ذرية او
فعلية منهما والاصل في الاولى ذريوة فقلبت الواو يا لما سبق من اجتماعهما وسبق احدهما
بالسكون فصارت ذريية كالثانية وادغمت اليا في مثلها ذرية او فعلية من الذرء بمعنى الخلق
والاصل ذريئة فخففت الهمزة بابدالها يا او بالهمزة خطية ثم ادغمت اليا الزائدة في المبدلة او فعلية من
الذر بمعنى التفريق والاصل ذريرة فقلبت الرا الاخيرة يا لتوالي الامثال كما في تسرى وتقضى وتظنى فادغمت
اليا في اليا كما مر او فعولة منه والاصل ذرورة فقلبت الرا الاخيرة يا فجاء الادغام وقرى بكسر الذال
وهي لغة فيها وقرا ابو جعفر المدني بالفتح وهي ايضا لغة فيها قال استيناف مبني على سؤال ينساق اليه
النص كما سبق لا ينال عهدى الظالمين ليس هذا ردا لدعوته عليه السلام بل اجابة خفية لها وعده لجلالة
منه تعالى بتشريف بعض ذريته عليه السلام بنيل عهد الامامة حسبما وقع في استدعايه عليه السلام
من غير تعيين لهم بوصف مميز لهم عن جميع من عداهم فان التنصيص على حرمان الظالمين منه بمعزل من ذلك
التبيين اذ ليس معناه انه ينال كل من ليس بظالم منهم ضرورة استحالة ذلك كما اشير اليه ولعل ايثار
هذه الطريقة على تعيين الجامعين لمبادى الامامة من ذريته اجمالا او تفصيلا وارسال الباقين
لئلا ينتظم المقتدون بالائمة من الامة في سلك المحرومين وفي تفصيل كل فرقة من الاطناب ما لا يخفى مع ما
في هذه الطريقة من تخييب الكفرة الذين كانوا يتمنون النبوة وقطع اطماعهم الفارغة من نيلها وانما
اختير نيل على الجعل ايما الى ان امامة الانبيا عليهم السلام من ذريته عليه السلام كاسمعيل واسحاق
ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان وايوب ويونس وزكريا ويحيى وعيسى ونبينا
محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم وسلم تسليما كثيرا ليست بجعل مستقل بل هي حاصلة في ضمن امامة ابراهيم
عليه السلام تنال كلا منهم في وقت قدره الله عز وجل وقرى الظالمون على ان عهدى مفعول قدم
على الفاعل اهتماما ورعاية للفواصل وفيه دليل على عصمة الانبيا عليهم السلام من الكباير على الاطلاق
وعدم صلاحية الظالم للامامة وقوله تعالى واذ جعلنا البيت اى الكعبة المعظمة غلب عليها
غلبة النجم على الثريا معطوف على اذ ابتلى على ان العامل فيه هو العامل فيه او مضمر مستقل معطوف
على المضمر الاول والجعل اما بمعنى التصيير فقوله عز وجل مثابة اى مرجعا يثوب اليه الزوار
بعد ما تفرقوا عنه وامثالهم وموضع ثواب يثابون بحجه واعتماده مفعوله الثاني واما بمعنى الابداع
فهو حال من مفعوله واللام في قوله للناس متعلقة بمحذوف وقع صفة لمثابة اى مثابة كاينة
للناس او بجعلنا اى جعلنا لاجل الناس وقرى مثابات باعتبار تعدد التائبين وامنا اى امنا كما في قوله
تعالى حرما امنا على ايقاع المصدر موقع اسم الفاعل للمبالغة او على تقدير المضاف اى ذا امن او على
الاسناد المجازى اى امنا من جهة من عذاب الاخرة من حيث ان الحج يجب ما قبله او من دخله من
التعرض له بالعقوبة وان كان جانيا حتى يخرج على ما هو راى ابي حنيفة ويجوز ان يعتبر الامن
بالقياس الى كل شى كاينا ما كان ويدخل فيه امن الناس دخولا اوليا وقد اعتيد فيه امن الصيد
حتى ان الكلب كان يهم بالصيد خارج الحرم فيفر منه وهو يتبعه فاذا دخل الصيد الحرم لم يتبعه الكلب
واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة قول هو عطف على جعلنا او حال من فاعله وقلنا او قائلين
لهم اتخذوا الى اخره وقيل هو بنفسه معطوف على الامر الذى يتضمنه عز وجل مثابة للناس كانه قيل

توبوا اليه واتخذوا الى آخره وقيل على المعنى العامل في اذ وقيل هي مستانفة والخطاب على الوجوه الاخيرة
له عليه السلام ولامته الاول هو الاليق بجزالة النظم الكريم والامر معمول لقال او مفهوما من الحكاية
للاستغراب ومن تبعيضية والمقام اسم مكان وهو الحجر الذي عليه اثر قدمه عليه السلام والموضع
الذي كان عليه قام ودعا الناس الى الحج او حين رفع قواعد البيت وهو موضعه والمراد بالمصلى اما
موضع الصلاة او موضع الدعاء روي انه صلى الله عليه وسلم اخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال هذا مقام
ابراهيم فقال عمر رضي الله عنه افلا نتخذه مصلى فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وقيل
المراد به الامر بركعتي الطواف لما روى جابر رضي الله عنه انه عليه السلام لما فرغ من طوافه عمد الى
مقام ابراهيم وصلى خلفه ركعتين وقرى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وللشافعي في وجوبهما قولان
وقيل مقام ابراهيم الحرم كله وقيل مواقف الحج عرفة والمزدلفة والجمار واتخاذها مصلى ان يدعى فيها
ويتقرب الى الله عز وجل وقرى اتخذوا على صيغة الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم
الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل اي
امرناهما امرا مؤكدا ان طهرا بيتي بان طهراه على ان ان مصدرية حذف منها الجار حذفا مطردا والجواز كون
صلتها امرا ونهيا كما في قوله عز وجل وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا انما هو
دلالته على المصدر وهي متحققة فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو للتوصل
الى وصف المعارف بالجمل وهي لا يوصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس كذلك
ولما كان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سوى ساغ وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فيتجرد عند
ذلك عن معنى الامر والنهي نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى الماضي والاستقبال او اي طهرا على ان ه
مفسرة لتضمن العهد معنى القول واضافة البيت الى ضمير الجلالة للتشريف وتوجيه الامر بالتطهير ههنا
اليهما عليهما السلام لا ينافي ما في سورة الحج من تخصيصه بابراهيم عليه السلام فان ذلك واقع قبل بناء
البيت كما يفصح عنه قوله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وكان اسمعيل عليه السلام حينئذ بمعزل
من مثابة الخطاب وظاهر ان هذا بعد بلوغه مبلغ الامر والنهي وتمام البناء بمباشرته كما ينبئ عنه ايراده
اثر حكاية جعله مثابة للناس الى آخره والمراد تطهيره من الاوثان والانجاس وطوائف الجنب والحائض
وغير ذلك مما لا يليق به للطائفين حوله والعاكفين والمجاورين المقيمين عنده او المعتكفين او القائمين
في الصلوة كما في قوله عز وعلا للطائفين والقائمين والركع السجود جمع راكع وساجد اي للطائفين المصلين
لان القيام والركوع والسجود من هيئات المصلي ولتقارب الاخيرين ذاتا وزمانا ترك العاطف بين
موصوفيهما او اخلاصه لهؤلاء ولئلا يغشاه غيرهم وفيه ايماء الى ان ملابسة غيرهم به وان كانت مع مقارنة
امر مباح من قبيل تلويثه وتدنيسه واذ قال ابراهيم عطف على ما قبله من قوله واذ جعلنا الى آخره
اما بالذات وبعامله المضمر كما مر رب اجعل هذا بلدا آمنا ذا امن كعيشة راضية او آمنا اهله كليلة نائم
اي اجعل هذا الوادي من البلاد الآمنة وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد بن جبير عن
ابن عباس رضي الله عنهم انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام
تبعته هاجر فجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت آلله امرك
بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادي فقال
ربنا اني اسكنت الآية وتعريف البلد مع جعله هذا في سورة ابراهيم ان حمل على تعدد السؤال
لما انه عليه السلام سأل اولا كلا الامرين البلدية والامن فاستجيب له احدهما وتأخر الآخر الى وقته
المقدر له لما يقتضيه من الحكمة الباهرة ثم كرر السؤال حسبما هو المعتاد في الدعاء والابتهال وكان
المسؤول اولا البلدية ومجرد الامن المصحح للسكنى كما في سائر البلاد وقد اجيب الى ذلك وثانيا الامن
المعهود او كان هو المسؤول اولا ايضا وقد اجيب اليه لكن السؤال الثاني لاستدامته والاقتصار على سؤاله
مع جعل البلد صفة لهذا لانه المقصد الاصلي ولان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقيق بخلاف
الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤول كلا الامرين وقد حكي ذلك
ههنا واقتصر هناك على حكاية سؤال الامن اكتفاء عن حكاية سؤال البلدية بحكاية سؤال جعل افئدة الناس
تهوي اليه كما سيأتي تفصيله هناك باذن الله عز وجل وارزق اهله من الثمرات من انواعها بان تجعل
بقرب منه قرى يحصل فيها ذلك او تجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع
فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان الطائف
كانت من ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى فوضعها حيث
وضعها رزقا للحرم وعن الزهري انه تعالى نقل قرية من اهل الشام فوضعها بالطائف لدعوة ابراهيم

عليه السلام من آمن منهم بالله واليوم الآخر بدل من اهله بدل البعض خصهم بالدعاء اظهارا
لشرف الايمان وابانة لخطره واهتماما بشأن اهله ومراعاة لحسن الادب وفيه ترغيب لقومه
في الايمان وزجر عن الكفر كما ان في حكايته ترغيبا وترهيبا لقريش وغيرهم من اهل الكتاب قال
استيناف مبني على السؤال كما مر مرارا وقوله تعالى ومن كفر عطف على مفعول فعل محذوف تقديره
ارزق من آمن ومن كفر وقوله تعالى فامتعه معطوف على ذلك الفعل او في محل رفع بالابتداء وقوله
فامتعه خبره اي فانا امتعه وانما دخلته الفاء تشبيها له بالشرط والكفر وان لم يكن سببا للتمتيع
المطلق لكنه يصلح سببا لتقليله وكونه موصولا بعذاب النار وقيل هو عطف على من آمن عطف تلقين
كانه قيل قل وارزق من كفر فانه ايضا مجاب كانه عليه السلام قاس الرزق على الامامة فنبهه تعالى
على انه رحمة دنيوية شاملة للبر والفاجر بخلاف الامامة الخاصة بالخواص وقرئ فامتعه من امتع
وقرئ فنمتعه قليلا تمتيعا قليلا او زمانا قليلا ثم اضطره الى عذاب النار اي الجئه اليه لز المضطر
لكفره وتضييعه ما متعته به من النعم وقرئ ثم نضطره على وفق قراءة فنمتعه وقرئ فامتعه قليلا ثم
اضطره بلفظ الامر فيهما على انهما من دعاء ابراهيم عليه السلام وفي قال ضميره وانما فصله عما قبله لكونه
دعاء على الكفرة وتغيير سبكه للايذان بان الكفر سبب لاضطرارهم الى عذاب النار واما رزق من آمن
فانما هو على طريقة التفضل والاحسان وقرئ بكسر الهمزة على لغة من يكسر حرف المضارعة واطره
بادغام الضاد في الطاء وهي لغة مرذولة فان حروف ضم شفر يدغم فيها ما يجاورها بلا عكس وبئس المصير
المخصوص بالذم محذوف اي بئس المصير النار او عذابها واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت عطف على
ما قبله من قوله عز وعلا واذ قال ابراهيم على احد الطريقين المذكورين واذ جعلنا وصيغة الاستقبال
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة المنبئة عن المعجزة الباهرة والقواعد جمع قاعدة
وهي الاساس صفة غالبة من القعود بمعنى الثبات والعلة مجاز من مقابل القيام ومنه قعدك الله ورفعها
البناء عليها لانه ينقلها من هيئة الى هيئة الارتفاع والمرتفع حقيقته وان كان هو الذي بني عليها لكنهما
لما التأما صارا شيئا واحدا فكانها نمت وارتفعت وقيل المراد برفعها رفع مكانة البيت واظهار
شرفه ودعاء الناس الى حجه وفي ابهامها اولا ثم تبيينها من تفخيم شأنها ما لا يخفى وقيل المعنى واذ يرفع
ابراهيم ما قعد من البيت واستوطأ يعني بجعل هيئته القاعدة المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء روي
ان الله عز وجل انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم
اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة
فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة
رجلية فكان ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور وكان موضعه
خاليا الى زمن ابراهيم عليه السلام فامره سبحانه وتعالى ببنائه وعرفه جبرئيل مكانه وقيل
بعث الله السكينة لتدله عليه فتبعها ابراهيم حتى اتيا مكة المعظمة وقيل بعث الله تعالى على قدر
البيت وسار ابراهيم في ظلها الى ان وافت مكة المعظمة فوقفت على موضع البيت فنودي ان ابن على
ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حراء
وجاء جبرئيل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه في ايام الطوفان
وكان ياقوتة بيضاء من يواقيت الجنة فلما لمسته الحيض في زمن الجاهلية اسود وقال الفاسي في شفاء
الغرام وتاريخ البلد الحرام والذي يتحصل من جملة ما قيل في عدد بناء الكعبة انها بنيت عشر
مرات منها بناء الملائكة عليهم السلام ذكره النووي في تهذيب الاسماء واللغات والازرقي في تاريخه
وذكر انه كان قبل خلق آدم عليه السلام ومنها بناء آدم عليه السلام ذكره البيهقي في دلائل النبوة
وروى فيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعث الله عز وجل
جبريل الى آدم عليهما السلام فقال له ولحواء ابنيا لي بيتا فخط جبرئيل وجعل آدم عليه السلام
يحفر وحواء تنقل التراب حتى اذا اصاب الماء نودي من تحته حسبك يا آدم فلما بناه اوحى اليه ان يطوف
به فقيل له انت اول الناس وهذا اول بيت وهكذا ذكره الازرقي في تاريخه وعبد الرزاق في مصنفه
ومنها بناء بني آدم عندما رفعت الخيمة التي عزى الله تعالى بها آدم عليه السلام وكانت ضربت في موضع
البيت فبنى بنوه مكانها بيتا من الطين والحجارة فلم يزل معمورا يعمرونه هم ومن بعدهم الى ان مسه
الغرق في عهد نوح عليه السلام ذكره الازرقي فيما بين خاص وعام ومنها بناء جرهم ذكره الازرقي
في مسنده الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومنها بناء قصي بن كلاب ذكره الزبير بن بكار في كتب
النسب ومنها بناء قريش وهو مشهور ومنها بناء عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومنها بناء الحجاج

ابن يوسف وما كان ذلك بنا كبنايها بل الجابر من حدرابنا وقال الحافظ السهيلي بناها المرتين في الدهر
الاخيرات الاولى حين بناها شيت عليه السلام انتهى والله سبحانه وتعالى واسمعيل عطف على
ابرهيم ولعل تأخيره عن المفعول للايذان بان الاصل في الرفع ابرهيم واسمعيل تبع له قيل انه كان له
يناوله الحجارة وهو بينهما وقيل كانا يبنيانه من طرفين ربنا تقبل منا على ارادة القول اي يقولان
ربنا تقبل منا اذ يرفعان اي وقت رفعهما وقيل واسمعيل مبتدأ خبره قول محذوف هو العامل في
تقبل منا فيكون ابرهيم هو الرافع واسمعيل هو الداعي والجملة في محل النصب على الحالية واذ يرفع
ابرهيم القواعد والحال ان اسمعيل يقول ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن افاضة
ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرهما عليهما السلام لتحريك سلسلة الاجابة وترك
مفعول تقبل مع ذكره في قوله تعالى ربنا تقبل منا والتعرض لوصف الربوبية المنبئة دعا ليعم
الدعا وغيره من القرب والطاعات التي من جملتها ما هم بصدده من البنا كما يعرب عنه جعل الجملة الدعائية
حالية انك انت السميع لجميع المسموعات التي من جملتها دعاؤنا العليم بكل المعلومات التي من زمرتها
نياتنا في جميع اعمالنا والجملة تعليل لاستدعا التقبل الى من حيث انكونه تعالى سميعا لدعايهما عليما
بنيتهما مصحح للتعليل في الجملة لا من حيث انه تعالى بصحة نياتهما وخلوصهما في اعمالهما مستدع له بحسب
الوعد تفضلا وتاكيد الجملة لغرض كمال قوة يقينهما بمضمونها وقصر صفتي السمع والعلم عليه تعالى لاظهار
اختصاص دعايهما به تعالى وانقطاع رجايهما عما سواه بالكلية واعلم ان الظاهر ان اول ما جرى من
الامور المحكية هو الابتلا وما يتبعه من دعا الابدية والامن وما يتعلق به ثم رفع قواعد
البيت وما يتلوه ثم جعله مثابة للناس والامر بتطهيره ولعل تغيير الترتيب الوقوعي في الحكاية
لنظم الشئون الصادرة عن جنابه تعالى في سلك مستقل ونظم الامور الواقعة من جهة ابرهيم
واسمعيل عليهما السلام من الافعال والاقوال في سلك اخر واما قوله تعالى ومن كفر الى اخره
فانما وقع في تضاعيف الاحوال المتعلقة بابرهيم لاقتضا المقام واستيجاب ما سبق من الكلام
ذلك بحيث لم يكن بد منه اصلا كما ان وقوع قوله عليه السلام ومن ذريتي في خلال كلامه سبحانه
وتعالى لذلك ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك او مستسلمين من اسلم اذا استسلم وانقاد والمراد
كان فالمطلوب الزيادة والثبات على ما كانا عليه من الاخلاص والاذعان وقرى مسلمين على صيغة الجمع
بادخال ماجر معهما في الدعا او لان التثنية من مراتب الجمع ومن ذريتنا امة مسلمة لك اي واجعل
بعض ذريتنا وانما خصاهم بالدعا لانهم احق بالشفقة ولانهم اذا صلحوا صلح الاتباع وانما خصا به
بعضهم لما علما ان منهم ظلمة وان الحكمة الالهية لا تقتضي اتفاق الكل على الله عز وجل فان ذلك مما يخل بامر
المعاش ولذلك قيل لولا الحمقى لخربت الدنيا وقيل اراد بالامة المسلمة امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقد جوز ان يكون من للتبيين قدمت على المبين وفصل بها بين العاطف والمعطوف كما في قوله تعالى ومن
الارض مثلهن وامة مسلمة لك ومن ذريتنا وارنا من الروية بمعنى الابصار او بمعنى التعريف او بمعنى
او عرفنا مناسكنا اي متعبداتنا في الحج او مذابحنا والنسك في الاصل غاية العبادة وشاع في الحج لما فيه
من الكلفة والبعد عن العادة وقرى ارنا قياسا على فخذ في فخذ وفيه اجحاف لان الكسرة منقولة من
الحرف الساقطة دليل عليها وقرى بالاختلاس وتب علينا استتابة لذريتهما انك انت التواب الرحيم
وهو تعليل للدعا ومزيد استدعا للاجابة قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع الله عز وجل بما
يناسبه من اسمايه وصفاته ربنا وابعث فيهم اي في الامة المسلمة رسولا منهم اي من انفسهم فان البعث
فيهم لا يستلزم البعث منهم ولم يبعث من ذريتهما غير النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي اجيب بدعوتهما
عليهما السلام روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان قال عليه السلام انا دعوة
ابرهيم وبشرى عيسى ورويا امي وتخصيص ابرهيم عليه السلام بالاستجابة لما انه الاصل في الدعا
واسمعيل تبع له عليهما السلام يتلوا عليهم اياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من البينات ويعلمهم
بحسب قوتهم النظرية الكتاب اي القران والحكمة وما يكمل به نفوسهم من احكام الشريعة والمعارف
الحقة ويزكيهم بحسب قوتهم العملية اي يطهرهم عن دنس الشرك وفنون المعاصي انك انت العزيز
الذي لا يقهر ولا يغلب على ما يريد الحكيم الذي لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل
للدعا ولاجابة المسئول فان وصف الحكمة مقتض لافاضة ما تقتضيه الحكمة من الامور التي من
جملتها بعث الرسول ووصف العزة مستدع لامتناع وجود المانع بالمرة ومن يرغب عن ملة ابرهيم انكار
واستبعاد لان يكون في العقلا من يرغب عن ملته التي هي الحق الصريح والدين الصحيح اي لا يرغب
عن ملته الواضحة الغرا الا من سفه نفسه اي اذلها واستمهنها واستخفها وقيل خسر نفسه وقيل

اوبق

اوبق واهلك او جهل نفسه قال المبرد وثعلب سفه بالكسر متعد وبالضم لازم ويشهد له ما ورد له
في الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل معناه ضل من قبل نفسه وقيل اصله سفه نفسه بالرفع
فنصب على التمييز نحو غبن رايه والم راسه ونحو قوله • ونأخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له
سنام • وما قومي بثعلبة بن سعد • ولا بفزارة الشعر الرقابا • • • وذلك انه اذا رغب عما لا يرغب عنه
احد من العقلا فقد بالغ في اذلال نفسه واذالها واهانتها حيث خالف بها كل نفس عاقلة روي ان عبد الله
بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التورية اني باعث
من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة
وابى مهاجر فنزلت ولقد اصطفيناه في الدنيا اي اخترناه بالنبوة والحكمة من بين ساير الخلق واتخاذ صفوة
الشي كما ان اصل الاختيار اتخاذ خيره واللام جواب قسم محذوف والواو اعتراضية والجملة مقررة لمضمون
ما قبلها اي وبالله لقد اصطفيناه وقوله تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين اي من المشهود لهم بالثبات
على الاستقامة والخير والصلاح معطوف عليها داخل في حيز القسم موكد لمضمونها مقرر لمقرره ولا
حاجة الى جعله اعتراضا او حالا مقدرة فان من كان صفوة للعباد في الدنيا مشهودا له بالصلاح في
الاخرة كان حقيقا بالاتباع لا يرغب عن ملته الا سفيه او متسفه اذل نفسه بالجهل والاعراض عن النظر
والتامل وايثار السفيه اذل نفسه لما ان استقامته في ذمة صالحي اهل الاخرة امر مستقر في الدارين
لا انه يحدث في الاخرة والتاكيد بان واللام لما ان الامور الاخروية خفية عند المخاطبين فحاجتها الى
التاكيد اشد من الامور التي تشاهد اثارها وكلمة في متعلقة بالصالحين على ان اللام للتعريف وليست
بموصولة حتى يلزم تقديم بعض الصلة عليها على انه قد يغتفر في الظرف ما لا يغتفر في غيره كما في قوله ربيته
حتى اذا تمعددا • كان جزاي بالعصا ان اجلدا • • • او بمحذوف من لفظه وانه لصالح في الاخرة لمن الصالحين
او من غير لفظه اي اعني في الاخرة لك بعد رغبنا وقيل هي متعلقة باصطفيناه على ان في النظم الكريم تقديما
وتاخيرا تقديره ولقد اصطفيناه في الدنيا والاخرة وانه لمن الصالحين اذ قال له ظرف لاصطفيناه لما ان
المتوسط ليس باجنبي بل هو مقرر له لان اصطفيناه في الدنيا انما هو بالنبوة وما يتعلق بصلاح الاخرة او
تعليل له او منصوب باذكر كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتقف على انه المصطفى الصالح المستحق للامامة
والتقدم وانه ما نال ما نال الا بالمبادرة الى الاذعان والانقياد لما امر به واخلاص سره على احسن
ما يكون حين قال له ربه اسلم اي لربك قال اسلمت لرب العالمين وليس الامر على حقيقته بل هو تمثيل
والمعنى اخطر بباله دلايل التوحيد المودية الى المعرفة الداعية الى الاسلام من الكواكب والقمر والشمس
وقيل اسلم اي اذعن واطع وقيل اثبت على ما انت عليه من الاسلام والاخلاص واستقم وفوض امورك
الى الله تعالى فالامر على حقيقته والالتفات مع التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليه عليه السلام
لاظهار مزيد اللطف والاعتنا بتربيته واضافة الرب في جوابه عليه السلام الى العالمين للايذان
بكمال قوة اسلامه عليه السلام حيث ايقن حين النظر بشمول ربوبيته للعالمين قاطبة لا لنفسه وحده
كما هو المامور به ووصى بها ابرهيم بنيه شروع في بيان تكميله عليه السلام لغيره اثر بيان كماله في نفسه
وفيه تاكيد لوجوب الرغبة في ملته عليه السلام والتوصية التقدم الى الغير بما فيه خير وصلاح
للمومنين من فعل او قول واصلها الوصلة يقال وصاه اذا فصله وقصاه اذا وصله كان الموصي يصل فعله
بفعل الوصي والضمير في بها للملة وقوله اسلمت لرب العالمين بتاويل الكلمة مع غيرها عن قوله تعالى د
انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني في قوله عز وجل وجعلها كلمة باقية في عقبه وقرى اوصى واول ابلغ د
ويعقوب عطف على ابرهيم اي وصى بها هو ايضا بنيه وقرى بالنصب عطفا على بنيه ما بني على اضمار
القول عند البصريين ومتعلق بوصى عند الكوفيين لانه في معنى القول كما في قوله رؤبة • رجلان من ضبة اخبرانا
انا راينا رجلا عريانا • • • فهو عند الاولين بتقدير القول وعند الاخرين متعلق بالاخبار الذي هو في معنى
القول وقرى ان يا بني وبنو ابرهيم عليه السلام كانوا اربعة اسمعيل واسحق ويعقوب ومدين ومدان
وقيل ثمانية وقيل اربعة وعشرين وكان بنو يعقوب اثني عشر وقيل وسمعون ولاوي ويهوذا
ويشسوخور ودنولون وريوانا ونفتوتا وكوذا واوشير ونبيامين ويوسف عليه السلام ان الله
اصطفى لكم الدين دين الاسلام الذي هو صفوة الاديان ولا دين غيره عند الله فلا تموتن الا وانتم
مسلمون ظاهره النهي عن الموت على خلاف حال الاسلام والمقصود الامر بالثبات على الاسلام الى
حين الموت اي فاثبتوا عليه ولا تفارقوه ابدا كقولك لا تصل الا وانت خاشع وتغيير العبارة للدلالة
على ان موتهم لا على الاسلام موت لا خير فيه وان حقه ان لا يحل بهم فانه يجب ان يحذروه غاية الحذر
وتظرهمت فانت شهيد روي ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب

ما وصى باليهودية يوم مات فنزلت أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة مقدرة ببل والهمزة والخطاب لاهل الكتاب الراغبين عن ملة ابراهيم عليه السلام وشهداء جمع شهيد او شاهد بمعنى الحاضر اذ ظرف لشهداء والمراد بحضور الموت حضور اسبابه وتقديم يعقوب عليه السلام للاهتمام به اذ المراد بيان كيفية وصيته لبنيه بعد ما بين ذلك اجمالا ومعنى بل الاضراب والانتقال عن توبيخهم على رغبتهم عن ملة ابراهيم عليه السلام الى توبيخهم وافترائهم على يعقوب عليه السلام باليهودية حسبما حكي عنهم واما تعميم الافتراء هنا لسائر الانبياء عليهم السلام كما قيل فيأباه تخصيص يعقوب عليه السلام بالذكر وما سيأتي من قوله عز وعلا ام يقولون الى آخره ومعنى الهمزة انكاره وقوع الشهود عند احتضاره عليه السلام وتبكيتهم وقوله تعالى اذ قال لبنيه بدل من اذ حضر اي ما كنتم حاضرين عند احتضاره عليه السلام وقوله لبنيه ما تعبدون من بعدي اي اي شيء تعبدونه بعدي موتي فمن اين لكم ان تدعوا عليه السلام ما تدعون رجما بالغيب وعند هذا تم التوبيخ والانكار والتبكيت ثم بين ان الامر قد جرى على خلاف ما زعموا وانه عليه السلام اراد بسؤاله ذلك تقريرهم على التوحيد والاسلام واخذ ميثاقهم على الثبات عليهما اذ به تتم وصيته بقوله فلا تموتن الا وانتم مسلمون وما يسأل به عن كل شيء ما لم يعرف فاذا عرف خص العقلاء بمن اذا سئل عن شيء بعينه وان سئل عن وصفه قيل ما زيد أفقيه ام طبيب فقوله تعالى قالوا استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ عن حكاية سؤاله عليه السلام كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق حسبما كان مراد ابيهم عليه السلام بالسؤال اي نعبد الاله المتفق على وجوده والهيته ووجوب عبادته وعد اسمعيل من آبائه تغليبا للاب والجد لقوله عليه السلام ثم الرجل صنو ابيه وقوله عليه السلام في العباس هذا بقية آبائي وقرئ ابيك على انه جمع بالواو والنون كما في قوله ⁂ فلما تبين اصواتنا ⁂ بكين وفديننا بالابينا ⁂ وقد سقطت النون بالاضافة او مفرد وابراهيم عطف بيان له واسمعيل واسحق معطوفة على ابيك الها واحدا بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة وفائدته التصريح بالتوحيد ودفع التوهم الناشئ من تكرير المضاف لتعذر العطف على المجرور او نصب على الاختصاص ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد ومن مفعوله او منهما معا ويحتمل ان يكون اعتراضا محققا لمضمون ما سبق تلك امة مبتدأ وخبر والاشارة الى ابراهيم ويعقوب وبنيهما الموحدين والامة هي الجماعة التي تؤمها فرق الناس اي يقصدونها ويقتدون بها قد خلت صفة للخبر اي مضت بالموت وانفردت عمن عداها واصله صارت الى الخلاء وهي الارض التي لا انيس بها لها ما كسبت جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب او صفة اخرى لامة او حال من الضمير في خلت وما موصولة او موصوفة والعائد اليها محذوف اي لها ما كسبته من الاعمال الصالحة المحكية لا يتخطاها الى غيرها فان تقديم المسند يوجب قصر المسند اليه عليه كما هو المشهور ولكم ما كسبتم عطف على نظيرها على الوجه الاول وجملة مبتدأة على الوجهين الاخيرين اذ لا ربط فيها ولا بد منه في الصفة ولا مقارنة في الزمان ولا بد منها في الحال اي لكم ما كسبتموه لا ما كسبه غيركم فان تقديم المسند قد يقصد به قصره على المسند اليه كما قيل في قوله تعالى لكم دينكم اي ولي ديني لا دينكم وحمل الجملة الاولى على هذا القصر على معنى ان اولئك لا ينفعهم الا ما كسبوا كما قيل مما لا يساعده المقام اذ لا يتوهم متوهم انتفاعهم بكسب هؤلاء حتى يحتاج الى بيان امتناعه انما الذي يتوهم انتفاع هؤلاء بكسبهم فبين امتناعه بان اعمالهم الصالحة مخصوصة بهم لا تتخطاهم الى غيرهم وليس لهؤلاء الا ما كسبوا فلا ينفعهم انتسابهم اليهم وانما ينفعهم اتباعهم في الاعمال كما قال عليه السلام يا بني هاشم لا يأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم ولا تسألون عما كانوا يعملون اي اجري السؤال على ظاهره فالجملة مقررة لمضمون ما مر من الجملتين تعريفا ظاهرا وان اريد به سببه اعني الجزاء فهو تتميم لما سبق جار مجرى النتيجة روايا ما كان فالمراد تخييب المخاطبين وقطع اطماعهم الفارغة كلية عن الانتفاع بحسنات الامة الخالية وانما اطلق العمل لاثبات الحكم بالطريق البرهاني في ضمن قاعدة كلية هذا وقد جعل السؤال عبارة عن المؤاخذة والموصول عن السيئات فقيل اي لا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تثابون بحسناتهم ولا ريب في انه مما لا يليق بشأن التنزيل كيف لا وهم منزهون من السيئات فمن اين يتصور تحميلها على غيرهم حتى يتصدى لبيانه وقالوا شروع في بيان فن آخر من فنون كفرهم وهو اضلالهم لغيرهم اثر بيان ضلالهم في انفسهم والضمير لاهل الكتابين على طريقة الالتفات المؤذن باستيجاب حالهم لابعادهم من مقام المخاطبين والاعراض عنهم وتعديد جناياتهم عند غيرهم اي قالوا للمؤمنين كونوا هودا او نصارى ليس هذا القول مقولا لكلهم او لكل طائفة من الطائفتين بل هو موضع الايهام على وجه خاص يقتضيه حالهما اقتضاء ومعلينا عن الصريح به قالت اليهود كونوا هودا وقالت النصارى كونوا نصارى

فقعل

فقعل بالنظم الكريم ما فعل بقوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى اعتمادا على ظهور المرام تهتدوا جواب للامر اي ان تكونوا كذلك تهتدوا قل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل لهم على سبيل الرد عليهم وبيان ما هو الحق لديهم وارشادهم اليه بل ملة ابراهيم اي لا نكون كما تقولون بل نكون اهل ملته عليه السلام وقيل بل نتبع ملته عليه السلام وقد جوز ان يكون المعنى بل اتبعوا انتم ملته عليه السلام وكونوا اهل ملته وقرئ بالرفع اي ملتنا او امرنا ملته اي نحن ملته حنيفا مائلا عن الباطل الى الحق وهو حال من المضاف اليه كما في رأيت وجه هند قائمة وفي قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا الى آخره وما كان من المشركين تعريض بهم وايذان ببطلان دعواهم اتباعه عليه السلام مع اشراكهم بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله قولوا خطاب للمؤمنين بعد خطابه عليه السلام برد مقالتهم الشنعاء على الاجمال وارشاد لهم على طريق التوحيد والايمان على منهج مفصل اي قولوا لهم بمقابلة ما قالوا تحقيقا وارشادا لهم اليه آمنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن قدم على سائر الكتب الالهية مع تأخره عنها نزولا لاختصاصه بنا وكونه سببا للايمان بها وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الصحف وان كانت نازلة الى ابراهيم عليه السلام لكن من بعده عليه السلام حيث كانوا متعبدين بتفاصيلها داخلين تحت احكامها جعلت منزلة اليهم كما جعل القرآن منزلا علينا والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم واسحق وما اوتي موسى وعيسى من التوراة والانجيل وسائر المعجزات الباهرة الظاهرة بأيديهما حسبما فصل في التنزيل الجليل وايرادهما بعنوان الايتاء لما اشير اليه من التعميم وتخصيصهما بالذكر لما ان الكلام مع اليهود والنصارى وما اوتي النبيون اي جملة المذكورين وغيرهم من ربهم من الآيات البينات والمعجزات الباهرات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى آمنوا ببعض وكفروا ببعض وانما اعتبر عدم التفريق بين ما اوتوه وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والمجموع والمؤنث والمذكر ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس ومنه ما في قوله صلى الله عليه وسلم احلت لكم الغنائم لا حد سود الرؤوس غيركم حيث وصف بالجمع واما مبدلة من الواو فهو بمعنى واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصح دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اي بين احد منهم وبين غيره كما في قول النابغة ⁂ فما كان بين الخير لو جاء سالما ⁂ ابو حجر الا ليال قلائل ⁂ اي بين الخير وبيني وفيه من الدلالة صريحا على تحقق عدم التفريق بين كل فرد منهم وبين كل من عداهم كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بينهم والجملة حال من الضمير في آمنا وقوله عز وجل ونحن له مسلمون اي مخلصون له ومذعنون حال اخرى منه او عطف على آمنا فان آمنوا الفاء للترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما تقدم من ايمان المخاطبين على الوجه المحرر مظنة للايمان اهل الكتابين لما انه مشتمل على ما هو مقبول عندهم بمثل ما آمنتم به اي بما آمنتم به على الوجه الذي فصل على ان المثل مقحم كما في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله ويعضده قراءة ابن مسعود بما آمنتم به وقراءة ابي بالذي آمنتم به ويجوز ان تكون الباء الاستعانة على ان المؤمن به محذوف لظهوره بمعونة السياق وعلى الفعل مجرى اللازم فان آمنوا بما مر مفصلا او فان تحصلوا الايمان بشهادة مثل شهادتكم وان تكون للملابسة اي فان آمنوا ملتبسين بمثل ما آمنتم ملتبسين او فان آمنوا ايمانا متلبسا بمثل ما آمنتم ايمانا متلبسا به من الاذعان والاخلاص وعدم التفريق بين الانبياء عليهم السلام فان ما وجد فيهم وصدر عنهم من الشهادة والاذعان وغير ذلك مثل ما للمؤمنين لا بعينه بخلاف المؤمن به فانه لا يتصور فيه التعدد فقد اهتدوا الى الحق واصابوه كما اهتديتم وحصل بينكم الاتحاد والاتفاق واما ما قيل من ان المعنى فان تحروا الايمان بطريق يهدي الى الحق مثل طريقكم فقد اهتدوا فان وحدة المقصد لا تأبى تعدد الطريق فيأباه ان مقام تعيين الحق وارشادهم اليه تعينه لا يلائم تجويز ان يكون له طريق آخر وراءه وان تولوا اي عرضوا عن الايمان على الوجه المذكور بان اخلوا بشيء من ذلك كأن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما هو ديدنهم وديدتهم فانما هم في شقاق الشاقة والشقة من الشق كالمخالفة والخلاف من الخلف والمعاداة والعداوة من العدوة اي الجانب فان احد المخالفين يعرض عن الآخر صورة او معنى ويوليه خلفه ويأخذ في شق غير شقه وعدوة غير عدوته والتنوين للتفخيم اي هم مستغرقون في خلاف عظيم بعيد من الحق وهذا لدفع ما يتوهم من احتمال الوفاق بسبب ايمانهم ببعض ما آمن به المؤمنون والجملة اما جواب الشرط كما هي على ان المراد ثباتهم واستقرارهم في الحادثة بعد توليهم عن الايمان فجواب الشرطية الاولى وانما اوثرت الجملة الاسمية الدالة على ثباتهم واستقرارهم في ذلك واما بتأويل فاعلموا انما هم في شقاق هذا هو الذي يستدعيه فخامة شأن التنزيل الجليل وقد قيل قوله تعالى فان آمنوا الى آخره من باب التعجيز والتبكيت على منهاج قوله تعالى فأتوا بسورة

من مثل ما هو المعنى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مماثلا له في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولا مكان له
فلا امكان لاهتدائهم ولا ريب في انه لا يليق بحمل النظم الكريم عليه ولما دل تنكير الشقاق على امتناع
الوفاق فان ذلك مما يودى الى الجدال والقتال لا محالة عقب ذلك بتسلية رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتفريح المؤمنين بوعد النصر والغلبة وضمان التأييد والاعزاز بالسين الدالة على تحقق الوقوع
البتة فقيل فسيكفيكهم الله اى سيكفيك شقاقهم فان الكفاية لا تتعلق بالاعيان بل بالافعال وقد
انجز جل وعلا الكريم بقتل بنى قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير وتلوين الخطاب بتجريده للنبى صلى الله عليه وسلم
مع ان ذلك كفاية منه سبحانه وتعالى للكل لما انه الاصل والعمدة في ذلك للايذان بان القيام بامور
الحروب وتحمل المؤن والمشاق ومقاساة الشدائد في مناهضة الاعداء من وظائف الرؤسا
فنعمته تعالى في الكفاية والنصر في حقه عليه السلام اتم واكمل وهو السميع العليم تذييل لما سبق من الوعد
وتأكيد له والمعنى انه تعالى يسمع ما تدعو به ويعلم ما في نيتك من اظهار الدين فيستجيب لك ويوصلك
الى مرادك او وعيد للكفرة اى يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرونه في قلوبهم مما لا خير فيه وهو
معاقبهم عليه ولا يخفى ما فيه من تأكيد الوعيد السابق فان وعيد الكفرة وعد للمؤمنين صبغة الله
الصبغة من الصبغ كالجلسة من الجلوس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ عبر بها عن الايمان بما ذكر على الوجه
الذي فصل لكونه تطهيرا للمؤمنين من اوضار الكفرة وحلية تزينهم بآثارهم الجميلة ومتداخلا في قلوبهم كما
ان شان الصبغ بالنسبة الى الثوب كذلك وقيل للمشاكلة التقديرية فان النصارى كانوا يغمسون اولادهم
في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويزعمون انه تطهير لهم وبه تحق نصرانيتهم واضافتها الى الله عز وجل مع
استناده فيما سلف الى ضمير المتكلمين للتشريف والايذان بانها عطية منه سبحانه وتعالى لا يستقل العبد
بتحصيلها فهي اذن مصدر موكد لقوله تعالى آمنا وما عطف عليه في حيز قولوا منتصب عنه انتصاب وعد
الله عما تقدم لكونه بمثابة فعله كانه قيل صبغنا الله وقيل هي منصوبة بفعل الاغراء اى الزموا صبغة
الله وانما وسط بينهما الشرطيتان وما بعدهما اعتناء ببيان ان الايمان الحق وبه الاهتداء ومسارعة الى
تسليته عليه السلام ومن احسن من الله مبتدأ وخبر والاستفهام للانكار والنفي وقوله تعالى صبغة نصب
على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن صبغته احسن من صبغته على معنى انها احسن من كل
صبغة على ما اشير اليه من قوله تعالى ومن اظلم ممن منع الى آخره وحيث كان مدار التفضيل على تعميم
الحسن الحقيقي والفرضي المبني على زعم الكفرة لم يلزم منه ان يكون في صبغة الله تعالى حسن في الجملة
اعتراضية مقررة لما في صبغة الله من معنى التبجح والابتهاج ونحن له اى لله الذي اولانا تلك النعمة
الجليلة عابدون شكرا لها ولسائر نعمه وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفواصل وهو عطف على آمنا
داخل معه تحت الامر وايثار الاسمية للاشعار بدوام العبادة او على فعل الاغراء بتقدير القول اى
الزموا صبغة الله وقولوا نحن له عابدون فقوله تعالى ومن احسن من الله صبغة تجري مجرى التعليل للاغراء قل
اتحاجوننا تجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم عقيب الكلام الداخل تحت الامر الوارد بالخطاب العام
لما ان المامور به من الوظائف الخاصة به عليه السلام وقرئ بادغام النون والهمزة للانكار والتوبيخ
اى اتجادلوننا في الله اى في دينه وتدعون ان دينه الحق هو اليهودية والنصرانية وتبنون دخول
الجنة والاهتداء عليهما وتقولون تارة لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وتارة كونوا هودا
او نصارى تهتدوا وهو ربنا وربكم جملة حالية وكذلك ما عطف عليها اى اتجادلوننا والحال انه
لا وجه للمجادلة اصلا لانه تعالى ربنا اى مالك امرنا وامركم ولنا اعمالنا الحسنة الموافقة لامره ولكم
اعمالكم السيئة المخالفة لحكمه ونحن له مخلصون في تلك الاعمال لا نبتغي بها الا وجهه فانى لكم المحاجة
وادعاء حقية ما انتم عليه والطمع في دخول الجنة بسببه ودعوة الناس اليه وكلمة ام في قوله تعالى
ام تقولون اما معادلة للهمزة في قوله تعالى اتحاجوننا داخلة في حيز الامر على معنى اى الامرين
تاتون اقامة الحجة وتنوير البرهان على حقية ما انتم عليه والحال ما ذكر ام التشبث بذيل التقليد
والافتراء على الانبيا وتقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى
فنحن بهم مقتدون والمراد انكار كلا الامرين والتوبيخ عليهما واما منقطعة مقدرة ببل والهمزة
دالة على الاضراب والانتقال من التوبيخ على المحاجة الى التوبيخ على الافترا على الانبيا عليهم
السلام وقرئ ام يقولون على صيغة الغيبة وهي منقطعة لا غير داخلة تحت الانكار اذ هو
من جهته تعالى توبيخا لهم وانكارا عليهم لا من جهته عليه السلام على نهج الالتفات كما قيل هذا
واما ما قيل من ان المعنى اتحاجوننا في شان الله واصطفائه نبيا من العرب دونكم لما روى ان اهل
الكتاب قالوا الانبيا كلهم منا فلو كنت نبيا لكنت منا فنزلت ومعنى قوله تعالى وهو ربنا وربكم

ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم انه لا اختصاص له تعالى بقوم دون قوم يصيب برحمته من يشاء من عباده
فلا يبعد ان يكرمنا باعمالنا كما اكرمكم باعمالكم كانه الزمهم على كل مذهب ينتحونه افحاما وتبكيتا
فان اكرامه على الطاعة والتحلى من الاخلاص فكما ان لكم اعمالا ربما يعتبرها الله تعالى في اعطائها فلنا
ايضا اعمالها ونحن له مخلصون اى لا انتم فمع عدم ملايمته لسباق النظم الكريم وسياقه لاسيما على تقدير
كون الجملة ام معادلة للهمزة غير صحيح في نفسه لما ان المراد بالاعمال من الطرفين ما اشير اليه من
الاعمال الصالحة ولا ريب في ان امر الصلاح والسوء يدور على موافقة الدين المبنى على البعثة ومخالفته
فكيف يتصور اعتبار تلك الاعمال في استحقاق النبوة واستعدادها المتقدم على البعثة بمراتب قل
أانتم اعلم ام الله اعادة الامر ليست لمجرد تأكيد التوبيخ وتشديد الانكار عليهم بل للايذان بان ما بعده
ليس متصلا بما قبله بل بينهما كلام للمخاطبين مترتب على ما سبق مستتبع لما لحق قد ضرب عنه الذكر صفحا
لظهوره وهو تصريحهم بما وبخوا عليه من الافترا على الانبيا عليهم السلام كما في قوله عز وجل قال ومن
يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم ايها المرسلون وقوله عز وعلا قال أأسجد لمن خلقت
طينا قال ارايتك هذا الذي كرمت على فان تكرير قال في الموضعين وتوسيطه بين قولي قايل واحد
للايذان بان بينهما كلاما لصاحبه متعلقا بالاول والثاني بالتبعية والاستتباع كما حرر في محله وتكذيبهم
في ذلك وتبكيتهم قايلا ان الله يعلم وانتم لا تعلمون وقد نفى عن ابراهيم عليه السلام كلا الامرين حيث
قال ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا واحتج عليه بقوله تعالى وما انزلت التورية والانجيل الا من
بعده وهؤلاء المعطوفون عليه عليهم السلام اتباعه في الدين وفاقا فكيف يقولون ما تقولون
سبحان الله عما يصفون ومن اظلم انكار لان يكون احد اظلم ممن كتم شهادة ثابتة عنده كائنة من الله
وهي شهادته تعالى له عليه السلام بالحنيفية والبراءة من اليهودية والنصرانية حسبما تلى آنفا فعنده
صفة لشهادة وكذا من الله جئ بهما للتعليل الانكار وتأكيده فان ثبوت الشهادة عنده وكونها
من جناب الله عز وجل من اقوى الدواعي الى اقامتها واشد الزواجر عن كتمانها وتقديم الاول
مع انه متاخر في الوجود لمراعاة طريقة الترقي من الادنى الى الاعلى والمعنى انه لا احد اظلم من
اهل الكتاب حيث كتموا هذه الشهادة واثبتوا نقيضها بما ذكر من الافترا وتعليق الاظلمية بمطلق
الكتمان للايماء الى ان مرتبة من يردها ويشهد بخلافها في الظلم خارجة عن دائرة البيان اى لا احد اظلم
منا لو كتمناها فالمراد بكتمها عدم اقامتها في مقام المحاجة وفيه تعريض بغاية اظلمية اهل الكتاب على
نحو ما اشير اليه وفي اطلاق الشهادة المعينة تعريض بكتمانهم شهادة الله عز وجل للنبي صلى الله عليه
وسلم في التوراة والانجيل وما الله بغافل عما تعملون من فنون السيئات فيدخل فيها كتمانهم لشهادته
سبحانه وتعالى وافتراؤهم على الانبيا عليهم السلام دخولا اوليا اى هو محيط بجميع ما تأتون وما
تذرون فيعاقبكم بذلك اشد عقاب وقرئ عما يعملون على صيغة الغيبة فالضمير اما لمن كتم باعتبار
المعنى واما لاهل الكتاب وقوله تعالى ومن اظلم الى آخر الآية مسوق من جهته تعالى لوصفهم بغاية الظلم
وتهديدهم بالوعيد تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون تكرير
للمبالغة في الزجر عما هم عليه من الافتخار بالآباء والاتكال على اعمالهم وقيل الخطاب السابق لهم وهذا لنا
تحذيرا عن الاقتداء بهم وقيل المراد بالامة الاولى الانبيا عليهم السلام وبالثانية اسلاف اليهود
سيقول السفهاء اى الذين خفت احلامهم واستمهنوها بالتقليد والاعراض عن التدبر والنظر من
قولهم ثوب سفيه اذا خفيف النسج وقيل السفيه البهات الكذاب المتعمد خلاف ما يعلم وقيل الظلوم
الجهول والمراد بالسفهاء اليهود على ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رضي الله عنه قالوه
انكارا للنسخ وكراهة للتحويل حيث كانوا يانسون بموافقته عليه السلام لهم في القبلة وقيل هم المنافقون
وهو الانسب بقوله عز وعلا الا انهم هم السفهاء وانما قالوه لمجرد الاستهزاء والطعن لا لاعتقادهم حقية
القبلة الاولى وبطلان الثانية اذ ليس كلهم من اليهود وقيل هم المشركون وانما قالوه كراهة للتحويل الى مكة
بل طعنا في الدين فانهم كانوا يقولون رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها وليرجعن الى دينهم ايضا وقيل هم
القادحون في التحويل منهم جميعا فيكون قوله تعالى من الناس اى الكفرة لبيان ان ذلك القول المحكى لم
يصدر عن كل فرد من تلك الطوائف الثلاث عن اشتغالهم المعتاد في الخوض في فنون الفساد وهو الاظهر اذ لو
اريد بهم طائفة مخصوصة منهم لما كان من لبيان كونهم من الناس مزيد فائدة وتخصيص سفهائهم بالذكر
لا يقتضي تسليم الباقين للتحويل وارتضاهم اياه بل عدم التفوه بالقدح المطلق او بالعبارة المحكية ما ولاهم
اى اى شئ صرفهم والاستفهام للانكار والنفي عن قبلتهم التي كانوا عليها فعلة من المقابلة كالوجهة من المواجهة
وهي الحالة التي تقابل الشئ غيره عليها كالجلسة للحالة التي يقع عليها الجلوس يقال لا قبلة له ولا دبرة اذا لم

يهتدى لجهة امره غلبت على الجهة التى يستقبلها الانسان فى الصلوة والمراد ههنا بيت المقدس واضافتها الى
ضمير المسلمين ووصفها بقوله تعالى التى كانوا عليها اى ثابتين مستمرين على التوجه اليها ومراعاتها واعتقاد
حقيقتها ثم ايذانا فى الاصراف فان اريد بالقايلين اليهود فمداره الانكار تراهتهم التحويل عنها وزعمهم انه
خطا وان اريد بهم المشركين فمداره مجرد القصد الى الطعن فى الدين والقدح فى احكامه واظهار الكلام من
التوجه اليها والانصراف عنها واقع بغير داع اليه لاكراهتهم الانصراف عنها والتوجه الى مكة وتعليق
الانكار بما يوليهم عنها الا بما يوجههم الى غيرها مع تلازمهما فى الوجود لما ان ترك الدين التقديم ابعد
عند العقول وانكار سببه ادخل للايذان بان المنكرين هم اليهود بناء على ان المنكر عندهم هو التحويل عن خصوصه
بناء على ان المنكر عندهم ترك القبلة القديمة على وجه القدح والطعن لان التوجه الى الكعبة لانه الحق عندهم
فانه بمعزل من ذلك كيف والمنافقون من احد الفريقين لا محالة والاخبار بذلك قبل الوقوع مع كونه
من دلايل النبوة حيث وقع كما اخبر لتوطين النفوس واعداد ما يكبتهم فان مفاجاة المكروه على النفس
اشق والجواب العتيد لشغب الخصم الالد اقطع وقوله عز وجل قل لله المشرق والمغرب استئناف مبنى على
السؤال كانه قيل فماذا اقول عند ذلك فقيل قل اى جزء اى لله تعالى ناحيتا الارض اى الجهات كلها ملكا
وتصرفا فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة دون ما عداها بل انما هو بامر الله سبحانه ومشيته
يهدى من يشاء اى يهديه نشة تابعة للحكم الخفية التى لا يعلمها الا هو الى صراط مستقيم موصل الى سعادة
الدارين وقد هدانا الى ذلك حيث امرنا بالتوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى حسبما
تقتضيه مشية المقارنة لحكم الله ومصالح خفية وكذلك جعلناكم توجيه الخطاب الى المؤمنين بين
الخطابين المختصين بالرسول صلى الله عليه وسلم لتاييد ما فى مضمون الكلام من التشريف وذلك اشارة
الى مصدر جعلنا لا الى جعل اخر مفهوم كما سبق كما قيل وتوحيد الكلام الكاف مع القصد الى المؤمنين
لما ان المراد الفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
درجة المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل كمال تميزه به وانتظاره نسبه فى سلك الامور المشاهدة
والكاف لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحلها فى الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف
واصل التقدمة جعلناكم امة وسطا جعلا مثل ذلك الجعل مقدم الفعل الا لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة
للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اى ذلك الجعل البديع جعلناكم امة وسطا الاجملا
اخيارا وفى منه والوسط فى الاصل اسم لما يستوى نسبته الجوانب اليه كمركز الدائرة ثم استعير للخصال المحمودة
البشرية لكن لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوان والاوساط محمية محوطة كما قيل واستشهد
عليه بقول بن اوس الطائى كانت هى الوسط المحمى فاكتنفت بها الحوادث حتى اصبحت طرفا فان تلك العلاقة
بمعزل من الاعتبار فى هذا المقام اذ لا ملابسة بينه وبين اهلية الشهادة التى جعلت غاية للجعل
المذكور بل لكون تلك الخصال اوساطا للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفى الافراط والتفريط كالعفة
التى طرفاها الفجور والجمود وكالشجاعة التى طرفاها التهور والجبن وكالحكمة التى طرفاها الجربزة والبلادة
وكالعدالة التى هى كيفية متشابهة حاصلة من اجتماع تلك الاوساط المحفوفة باطرافها ثم اطلق على
المتصفة بها مبالغة كانها نفسها وسوى فيه بين المفرد والجمع والمذكر والمؤنث رعاية لجانب الاصل
كداب ساير الاسماء التى يوصف بها وقد روعيت ههنا نكتة رايقة هى ان الجعل المشار اليه عبارة عما
تقدم ذكره من هدايته تعالى الى الحق الذى عبر عنه بالصراط المستقيم الذى هو الطريق السوى الواقع
فى وسط الطرق الجائرة عن القصد الى الجوانب فانا اذا فرضنا خطوطا كثيرة واصلة بين نقطتين متقابلتين
فالخط المستقيم انما هو الخط الواقع فى وسط تلك الطرق الخطوط المنحنية ومن ضرورة كونه وسطا بين
الطرق الجائرة كون الامة المهدية اليه امة وسطا بين الامم السالكة الى تلك الطرق الزايغة اى
متصفة بالخصال الحميدة خيارا وعدولا مزكين بالعلم والعمل لتكونوا شهداء على الناس بان الله عز
وجل قد اوضح السبل وارسل الرسل فبلغوا ونصحوا وذكروا فهل من مدكر وهو غاية للجعل المذكور
مترتبة عليه فان العدالة كما اشير اليه حيث كانت هى الكيفية المتشابهة المتالفة من العفة التى
هى فضيلة القوة الشهوية البهيمية والشجاعة التى هى فضيلة القوة الغضبية السبعية والحكمة التى هى
فضيلة القوة العقلية الملكية المشار الى رتبتها بقوله عز وعلا ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا
كثيرا كان المتصف بها واقفا على الحقايق المودعة فى الكتاب المبين المنطوى على احكام الدين واحوال
الامم يوم القيمة يجحدون تبليغ الانبياء عليهم السلام فيطالبهم الله تعالى بالبينة وهو اعلم اقامة
الحجة على المنكرين وزيادة لخزيهم بان كذبهم من بعدهم من الامم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم
فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله تعالى فى كتابه الناطق

على

على لسان نبيه الصادق فيؤتى عند ذلك بالنبى صلى الله عليه وسلم ويسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد
بعدالتهم وذلك قوله تعالى عز قائلا ويكون الرسول عليكم شهيدا وكلمة الاستعلاء لما فى معنى الشهيد
من معنى الرقيب والمهيمن وقيل لتكونوا شهداء على الناس فى الدنيا فيما لا يقبل فيه الشهادة الا
من العدول الاخيار وتقديم الظرف للدلالة على اختصاص شهادته عليه السلام به وما جعلنا القبلة
التى كنت عليها اى جعل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم رمزا الى ان تتضمن الكلام من الاسرار الحقيقة
بان يختص معرفته به عليه السلام وليس الموصول صفة للقبلة بل هو المفعول بان الجعل وما قيل من ان
الجعل تحويل الشئ من حالة الى اخرى فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثانى كما فى قولك جعلت الطين
خزفا فينبغى ان يكون المفعول الاول هو الموصول والثانى هو القبلة فكلام صاف ينساق اليه الذهن
بحسب النظر الجليل ولكن التامل اللايق يهدى الى العكس فان المقصود افادته ليس جعل الجهة قبلة لا غير كما
يفيده ما ذكر بل هو جعل القبلة المحققة الموجودة هذه الجهة دون غيرها والمراد بالموصول هو الكعبة
فانه عليه السلام كان يصلى اليها والا لما هاجر امر بالصلاة الى الصخرة تالفا لليهود وهى الصخرة لما
روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان قبلته عليه السلام بمكة كان بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه
وبينه وعلى هذه الرواية لا يتكى ايراد بالقبلة الاولى الكعبة وما الصخرة فيمان ارادتها على روايتين والمعنى
على الاول وما جعلنا القبلة الجهة التى كنت عليها اولا ثم رددناك اليها وهى الكعبة وعلى الثانى وما جعلنا التى
كنت عليها قبل هذا الوقت وهى الصخرة الا لنعلم استثناء مفرغ من اعم العلل اى وما جعلنا ذلك لشئ من
الاشياء الا لنمتحن الناس اى نعاملهم معاملة من يمتحنهم ونعلم حينئذ من يتبع الرسول فى التوجه لما امر به من
الدين او القبلة والا لتفات الى الغيبة مع ايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للاشعار بعلة الاتباع
ممن ينقلب على عقبيه يرتد عن دين الاسلام او لا يتوجه الى القبلة الجديدة او لنعلم الان من يتبع الرسول
وممن لا يتبعه وما كان لعارض يزول بزواله وعلى الاول ما رددناك الى ما كنت عليه الا لنعلم الثابت
على الاسلام والناكص على عقبيه لقلقه وضعف ايمانه او لنعلم الان والمراد بالعلم ما يدور عليه فلك
الجزاء من العلم الحالى اى ليتعلق علمنا به موجودا بالفعل وقيل المراد علم الرسول عليه السلام والمؤمنين
واسناده اليه سبحانه وتعالى لما انهم خواصه او لتميز الثابت على المتزلزل كقوله تعالى ليميز الله الخبيث
من الطيب فوضع العلم موضع التمييز الذى هو مسبب عنه ويشهد له قراءة لنعلم على بناء المجهول من صيغة
الغلبة والعلم بمعنى المعرفة او معلق عما فى من من معنى الاستفهام او مفعوله الثانى ممن ينقلب الى
اخره اى لنعلم من يتبع الرسول متميزا ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة اى ثقيلة شاقة وان
هى المخففة من الثقيلة دخلت على ناسخ المبتدا والخبر واللام هى المفارقة بينها وبين النافية كما فى قوله
تعالى ان كان ليضلنا المفعول ورعم الكوفيون انها نافية واللام بمعنى الا اى ما كانت الا كبيرة والضمير الذى
هو اسم كان راجع الى ما دل عليه قوله تعالى وما جعلنا القبلة التى كنت عليها من الجعل اى التولية
او التحويلة او الردة او القبلة وقرئ لكبيرة بالرفع على ان كان مزيدة كما فى قوله ٭ واخوان
لنا كانوا كرام ٭٭٭ واصله وان هى لكبيرة كقوله ان زيد لمنطلق الا على الذين هدى الله اى الى
سر الاحكام الشرعية المبنية على الحكم والمصالح اجمالا وتفصيلا وهم المهديون الى الصراط المستقيم الثابتون
على الايمان واتباع الرسول عليه السلام وما كان الله ليضيع ايمانكم اى ما صح وما استقام له ان
يضيع ثباتكم على الايمان بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم وقيل ايمانكم بالقبلة المنسوخة
وصلوتكم اليها لما انه عليه السلام لما توجه الى الكعبة قالوا كيف حال اخواننا الذين مضوا وهم
يصلون الى بيت المقدس فنزلت واللام ليضيع ايمانكم اما متعلقة بالخبر المقدر لكان كما هو
راى البصرية وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اى ما كان الله مريدا ومتصديا لان يضيع الى
اخره ففيه توجيه النفى الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليس فى توجيهه الى نفسه واما مزيدة
للتاكيد ناصبة للفعل بنفسها كما هو راى الكوفية ولا مقدح فى ذلك فى زيادتها كما لا يقدح زيادة
حروف الجر فى عملها وقوله تعالى ان الله بالناس لرؤف رحيم تحقيق وتقرير للحكم وتعليل له فان اتصافه
عز وجل بهما يقتضى اجورهم ولا يدع ما فيه صلاحهم والباء متعلقة برؤف وتقدمه على رحيم مع
كونه ابلغ منه لما مر فى وجه التقديم الرحمن على الرحيم وقيل الرحمة اكثر من الرافة فى الكمية والرافة
اقوى منها فى الكيفية لانها عبارة عن ايصال النعم الصافية عن الالام والرحمة ايصال النعمة مطلقا
وقد يكون مع الالم كقطع العضو المتوكل وقرئ رؤف بغير مد كندس قد نرى تقلب وجهك فى
السماء اى تردده وتصرف نظرك فى جهتها تطلعا للوحى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يقع فى روعه ويتوقع من ربه عز وجل ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابراهيم وادعى الى العرب الى

الى الايمان لانها مفخرتهم ومن ارمهم ومطالفتهم وانما خالفة اليهود فكان يراعي نزول جبرئيل عليه السلام
بالوحي بالتحويل فلنولينك قبلة الفا للدلالة على سببية ما قبلها لما بعدها وهي في الحقيقة داخلة على
قسم محذوف يدل عليه اللام اي فوالله لنولينك اي لنعطينكها ولنمكننك من استقبالها من قولهم
وليتك كذا اي صيرته واليا له او لنجعلنك تلي جهتها او لنحولنك على ان نصب قبلة بحذف الجار اي الى
قبلة وقيل هو متعد الى مفعولين ترضاها تحبها وتشتاق اليها لمقاصد دينية وافقت مشيته تعالى
وحكمته فول وجهك الفا لتعريف الامر بالتولية عن الوعد الكريم وتخصيص تولية بالوجه لما انه
مدار التوجه ومعياره وقيل المراد به كل البدن اي فاصرفه شطر المسجد الحرام اي نحوه وهو نصب على
الظرفية مفعول او على نزع الخافض وعلى انه مفعول ثان وقيل الشطر في الاصل اسم لما انفصل من الشيء ودار
شطور اذا كانت منفصلة عن الدور ثم استعمل لجانبه وان لم ينفصل كالقطر والحرام محرم فيه القتال او
ممنوع من الظلمة ان يتعرضوا له وفي ذكر المسجد الحرام دون الكعبة ايذان بكفاية مراعاة الجهة لان في مراعاة
العين من البعيد حرجا عظيما بخلاف القريب روي عن البراء بن عازب ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قدم
المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد زوال
الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلى باصحابه
ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال
فسمي المسجد مسجد القبلتين وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خص الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطاب
تعظيما لجنابه وايذانا باسعاف مرامه ثم عمم الخطاب للمؤمنين مع التعرض لاختلاف اماكنهم تاكيدا
للحكم وتصريحا بعمومه لكافة العباد من كل حاضر وباد وحثا للامة على المتابعة وحيث ما شرطية وكنتم في
محل الجزم بها وقوله تعالى فولوا وجوهكم جوابها وتكون هي منصوبة على الظرفية بكنتم نحو قوله تعالى اياما تدعوا فله
الاسماء الحسنى وان الذين اوتوا الكتاب من فريقي اليهود والنصارى ليعلمون انه اي التحويل او التوجه المفهوم
من التولية الحق لا غير لعلمهم بان عادته سبحانه وتعالى جارية على تخصيص كل شريعة بقبلة ولمعاينتهم لما هو
مسطور في كتبهم من انه صلى الله عليه وسلم يصلي الى القبلتين كما يشعر بذلك التعبير عنهم بالاسم الموصول
بايتاء الكتاب وان مع اسمها وخبرها ساد مسد مفعولي يعلمون او مسد مفعول الواحد على ان العلم بمعنى
المعرفة وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف وقع حالا من الحق اي كائنا من ربهم او صفة له على راي من
يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اي الكائن من ربهم وما الله بغافل عما تعملون وعد ووعيد للفريقين
والخطاب للكل تغليبا وقرئ على صيغة الغيبة فهو وعيد لاهل الكتاب ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب
وضع الموصول موضع المضمر للايذان بكمال سوء حالهم من العناد مع تحقق ما ينفيهم منه من الكتاب الناطق
بحقية ما كابروا في قبوله بكل اية اي حجة قطعية دالة على حقية التحويل واللام موطئة للقسم وقوله تعالى ما
تبعوا قبلتك جواب للقسم المضمر ساد مسد جواب الشرط والمعنى انهم ما تركوا قبلتك بشبهة تزيلها
الحجة وانما خالفوك مكابرة وعنادا وتجريد الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد تعميمه للامة لما ان
المحاجة والاتيان بالاية من الوظائف الخاصة به عليه وقوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم جملة معطوفة
على الجملة الشرطية للدلالة على دوام مضمونها واستمراره وافراد قبلتهم مع تعددها باعتبار اتحادها في
البطلان ومخالفة الحق ولئلا يتوهم ان مدار النفي هو التعدد وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة وما بعضهم
بتابع قبلة بعض فان اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس لا يرجى توافقهم لك لتصلب كل فريق
فيما هو فيه ولئن اتبعت اهواءهم الزائغة المخالفة من بعد ما جاءك من العلم ببطلانها وحقية ما انت
عليه وحدة الشيطنة المرضية وارداه على منهاج التهييج والالهاب للثبات اي على الحق اي ولئن اتبعت اهواءهم
فرضا انك لمن الظالمين وفيه لطف للسامعين وتحذيرهم عن متابعة الهوى فان من ليس من شانه ذلك
اذا نهي عنه ورتب على فرض وقوعه ما رتب من الانتظام في سلك الراسخين في الظلم فما ظن من ليس كذلك
واذن حرف جواب وجزاء توسطت بين اسم ان وخبرها لتقرير ما بينهما من النسبة اذ كان حدها ان تتقدم
او تتاخر فلم تتقدم لئلا يتوهم انها لتقرير النسبة التي بين الشرط وجوابه المحذوف لان المذكور جواب
القسم ولم تتاخر لرعاية الفواصل ولقد بولغ في التاكيد من وجوه تعظيما للحق المعلوم وتحريضا على
اكتسابه وتحذيرا عن متابعة الهوى واستعظاما لصدور الذنب عن الانبياء عليهم السلام الذين اتيناهم
الكتاب اي علماؤهم ادرج العمدة في اتيانه ووضع الموصول موضع المضمر مع قرب العهد للاشعار
بعلية ما في حيز الصلة للحكم والضمير المنصوب في قوله تعالى يعرفونه للرسول صلى الله عليه وسلم
والالتفات الى الغيبة للايذان بان المراد ليس معرفتهم له عليه السلام من حيث ذاته ونسبه الطاهر
بل من حيث كونه مسطورا في الكتاب منعوتا فيه بالنعوت التي من جملتها انه عليه السلام يصلي الى

القبلتين كانه قيل الذين اتيناهم الكتاب يعرفون من وصفناه فيه وبهذا يظهر جزالة النظم الكريم وقيل
اضمر قبل الذكر للاشعار بفخامة شانه عليه السلام وانه علم معلوم بغير اعلام فتامل وقيل الضمير
للعلم او سببه الذي هو الوحي او القران او التحويل ويؤيده الاول قوله عز وجل كما يعرفون ابناءهم اي
يعرفونه عليه السلام باوصافه الشريفة المكتوبة في كتابهم لا يشتبه عليهم كما لا يشتبه ابناؤهم وتخصيصهم
بالذكور دون البنات لكونهم اعرف عندهم منهن بسبب كونهم احب اليهم عن عمر رضي الله عنه انه سال
عبد الله بن سلام رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني قال
ولم قال لاني لست اشك فيه انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل عمر رضي الله عنه راسه رضي الله
عنهما وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون هم الذين كابروا وعاندوا الحق والباقون هم الذين امنوا منهم وانهم
يظهرون الحق ولا يكتمونه واما الجهلة منهم فليست لهم معرفة بالكتاب ولا بما في تضاعيفه فما هم بصدد الاظهار
ولا بصدد الكتم وانما لم يكفرهم على وجه التعليل الحق بالرفع على انه مبتدأ وقوله تعالى من ربك خبره واللام
للعهد للاشارة الى ما عليه النبي صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذي يكتمونه او للجنس والمعنى ان الحق ما
ثبت انه من الله تعالى كالذي انت عليه لا غيره كالذي عليه اهل الكتاب او على انه خبر مبتدأ محذوف اي هو
الحق وقوله من ربك ما حال او خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على انه بدل من الاول او مفعول ليعلمون وفي
التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به عليه السلام ما لا يخفى
فلا تكونن من الممترين اي الشاكين في كتمانهم الحق عالمين به وقيل في انه من ربك وليس المراد به نهي الرسول
عليه السلام عن الشك فيه لانه غير متوقع منه عليه السلام وليس بقصد واختيار بل اما تحقيق الامر
وانه بحيث لا يشك فيه ناظر او امر الامة باكتساب المعارف المزيحة للشك على الوجه الابلغ ولكل
اي ولكل امة من الامم على ان التنوين عوض عن المضاف اليه وجهة اي قبلة وقد قرئ كذلك اي لكل قوم من
المسلمين جانب من جوانب الكعبة هو موليها احد المفعولين محذوف اي موليها وجهه والله موليها اياه
وقرئ ولكل وجهة بالاضافة اي موليها تلك الجهة قد وليتها فاستبقوا الخيرات اي تسابقوا اليها بنزع الخافض
للجار كما في قوله تنادي عليكم الجوب ومن يميل • سواكم فاني مهتد غير مائل • وهو ابلغ من الامر بالمسارعة
لما فيه من الحث على احراز قصب السبق والمراد بالخيرات جميع انواعها من امر القبلة وغيره مما ينال
به سعادة الدارين او الفاضلات من الجهات وهي المسامتة للكعبة اينما تكونوا يات بكم الله جميعا
اي في اي موضع تكونوا من موافق او مخالف مجتمع الاجزاء او متفرقها يحشركم الله تعالى الى المحشر للجزاء
او اينما تكونوا من اعماق الارض وقلل الجبال تقبض ارواحكم واينما تكونوا من الجهات المختلفة المتقابلة
يجعل صلواتكم كانها صلوة الى جهة واحدة ان الله على كل شيء قدير فيقدر على الامامة والاحياء والجمع
فهو تعليل للحكم السابق ومن حيث خرجت تاكيد لحكم التحويل وتصريح بعدم تفاوت الامر في حالتي السفر
والحضر ومن متعلقة بقوله تعالى فول او بمحذوف عطف هو عليه اي من اي مكان خرجت اليه للسفر فول وجهك
عند صلوتك شطر المسجد الحرام او افعل ما امرت به من اي مكان خرجت اليه فول الى اخره وانه
اي هذا الامر للحق من ربك اي الثابت الموافق للحكمة وما الله بغافل عما تعملون فيجازيكم بذلك احسن
جزاء فهو وعد للمؤمنين وقرئ يعملون على صيغة الغيبة فهو وعيد للكافرين ومن حيث خرجت اليه في
اسفارك ومفارقتك من المنازل القريبة والبعيدة فول وجهك شطر المسجد الحرام الكلام فيه كما
مر انفا وحيث ما كنتم من اقطار الارض مقيمين او مسافرين حسبما يعرب عنه ايثار كنتم على خرجتم فان
الخطاب عام لكافة المؤمنين المنتشرين في الافاق من الحاضرين والمسافرين فلو قيل وحيث ما خرجتم
لما تناول الخطاب المقيمين في الاماكن المختلفة من حيث اقامتهم فيها فولوا وجوهكم من محالكم شطره
والتكرير لما ان القبلة لها شان خطير والنسخ من مظان الشبهة والفتنة فبالحري ان يؤكد امرها
مرة بعد اخرى مع انه ذكر في كل مرة حكمة مستقلة لئلا يكون للناس عليكم حجة متعلق بقوله تعالى
فولوا وقيل بمحذوف يدل عليه الكلام كانه قيل فعلنا ذلك لئلا الى اخره والمعنى ان التولية عن
الصخرة تدفع احتجاج اليهود بان المنعوت في التورية من اوصافه انه يحول الى الكعبة واحتجاج المشركين
بانه يدعي ملة ابراهيم ويخالف قبلته الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة اي لئلا يكون لاحد من الناس
حجة الا المعاندين منهم والذين يقولون ما تحول الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده او
بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وتسمية هذه الكلمة الشنعاء حجة مع انها بمعزل من
الحجة بمعنى المطلق الاحتجاج وقيل الاستثناء للمبالغة في نفي الحجة راسا كما في قوله • ولا عيب فيهم
غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • ضرورة ان لا حجة للظالم وقرئ الا الذين على انه حرف التنبيه
على انه استيناف فلا تخشوهم فان مطاعنهم لا تضركم شيئا واخشوني فلا تخالفوا امري ولاتم نعمتي

عليكم ولعلكم تهتدون علة لمحذوف يدل عليه النظم الكريم اى وامرتكم بما امرت لاتمام النعمة عليكم لما
ان نعمته جليلة ولارادتى اهتديكم لما انه صراط مستقيم وفى التعبير عن الارادة بكلمة لعل الموضوعة على
طريقة الاستعارة التبعية من الدلالة على كمال العناية بالهداية ما لا يخفى او عطف على علة مقدرة اى
واخشونى لاحفظكم ولاتم الى اخره او على قوله تعالى لئلا يكون الى اخره وتوسيط قوله تعالى فلا
تخشوهم الى اخره بينهما للمسارعة الى التولية والتثبيت فى الخبر تمام النعمة دخول الجنة وعن على
رضى الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم متصل بما قبله والظرف
الاول متعلق بالفعل قدم على مفعوله الصريح لما فى صفاته من الطول والظرف والثانى متعلق بمحذوف وقع
صفة لرسولا مبينة لتمام النعمة اى ولاتم نعمتى عليكم فى امر القبلة او فى الاخرة اتماما كائنا كاتمامى
لها بارسال رسول كائن منكم فان ارسال الرسول لاسيما المجانس لهم نعمة لا يكافئوها نعمة قط وقيل متصل
بما بعده اى كما ذكرتكم بالارسال فاذكرونى كما وايثار صيغة المتكلم مع الغير بعد التوحيد فيما قبله
افتنانا وجريانا على سنن الكبرياء يتلوا عليكم اياتنا صفة ثانية لرسولا كاشفة لكمال النعمة ويزكيكم
عطف على يتلوا اى يحملكم على ما تصيرون به ازكياء ويعلمكم الكتاب والحكمة صفة اخرى مترتبة فى
الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب القوة العملية
وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعلم المترتب على التلاوة للايذان بان
كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود كما فى قوله
تعالى وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت
العزيز الحكيم لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة واحدة كما مر نظيره فى قصة البقرة وهو السر فى التعبير
عن القران تارة بالايات واخرى بالكتاب والحكمة رمزا الى انه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح
فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف الاحاديث الشريفة من الشرائع وقوله عز وجل ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون صريح فى ذلك فان الموصول مع كونه يقتضيه كما فى قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ عقيب
قوله نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا والمراد بعدم علمهم انه ليس من شانهم ان يعلموه
بالفكر والنظر وغير ذلك من طرق العلم لانحصار الطريق فى الوحى فاذكرونى الفاء للدلالة على ترتب
الامر على ما قبله من موجباته اى فاذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر مع
الاشعار بما يوجبه واشكروا لى ما انعمت به عليكم ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما امرتكم به
يا ايها الذين امنوا وصفهم بالايمان اثر تعداد ما يوجبه ويقتضيه تنشيطا لهم وحثا على مراعاة ما بعده
من الامر استعينوا فى كل ما تأتون وما تذرون بالصبر على الامور الشاقة على النفوس التى من جملتها
معادات الكفرة ومقاتلتهم المؤدية الى مقاتلتهم والصلوة التى هى ام العبادات ومعراج المؤمنين
ومناجاة رب العالمين ان الله مع الصابرين تعليل للامر بالاستعانة بالصبر خاصة لما انه المحتاج الى
التعليل واما الصلوة فحيث كانت عند المؤمنين اجل المطالب كما ينبئ عنه قوله عليه السلام
وجعلت قرة عينى فى الصلوة لم يفتقر الامر بالاستعانة بها الى التعليل ومعنى المعية الولائية الدائمة
المستتبعة للنصرة واجابة الدعوة ودخول مع الصابرين لما انهم المباشرون للصبر حقيقة فهم
متبعون من تلك الحيثية ولا تقولوا عطف على استعينوا الى اخره مسوق لبيان ان الاالمامورات
الشهادة التى ربما يؤدى اليها الصبر حياة ابدية لمن يقتل فى سبيل الله اموات اى هم اموات بل احياء
اى بل هم احياء ولكن لا تشعرون بحياتهم وفيه رمز الى انها ليست مما يشعر به بالمشاعر الظاهرة من الحياة
الجسمانية وانما هى امر روحانى لا يدرك بالعقل بل بالوحى وعن حسن رضى الله عنه ان الشهداء
احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ال فرعون غدوا
وعشيا فيصل اليهم الالم والوجع قلت رايت فى المنام سنة تسع وثلثين وتسعماية انى ازور
قبور شهداء احد رضى الله عنهم وانا اتلوا هذه الاية وما فى سورة ال عمران واردد هما متفكرا فى
امرهم وفى نفسى ان حياتهم روحانية لا جسمانية فبينما انا على ذلك اذ رايت شابا منهم قاعدا
فى قبره تام الجسد كامل الخلقة فى احسن ما يكون من الهيأة والمنظر ليس عليه شئ من اللباس قد بدا منه
ما فوق السرة والباقى فى القبر خلا انى اعلم يقينا ان ذلك ايضا كما ظهر وانما لم يظهر لكونه عورة
فنظرت الى وجهه فرايته ينظر الى متبسما كانه ينبهنى على ان الامر بخلاف رايى فسبحان من علت كلمته
وجلت حكمته وقيل الاية نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر وفيها دلالة على ان الارواح جواهر
قائمة بانفسها مغايرة لما يحس به من البدن تبقى بعد الموت دراكة وعليه جمهور الصحابة والتابعين
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وبه نطقت الايات والسنن وعلى هذا فتخصيص الشهداء بذلك

لما يستدعيه مقام التحريض على مباشرة مبادى الشهادة ولاختصاصهم بمزيد القرب من الله تعالى
ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر احوالكم اتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشئ من الخوف
والجوع اى بقليل من ذلك فان ما وقاهم عنه اكثر بالنسبة الى ما اصابهم بالفتن وكذا ما يصيب به من
معانديهم وانما اخبر به قبل الوقوع ليوطنوا عليه نفسهم ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما اخبر
به وليعلموا انه شئ يسير له عاقبة حميدة ونقص من الاموال والانفس والثمرات عطف على شئ
وقيل على الخوف وعن الشافعى رضى الله عنه الخوف خوف الله والجوع صوم رمضان ونقص من الاموال الزكوة
والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات الاولاد وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد
العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله عز وجل اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون
نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله عز وعلا ابنوا لعبدى بيتا
فى الجنة وسموه بيت الحمد وبشر الصابرين الا الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون
الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لمن يتأتى منه البشارة والمصيبة ما يصيب الانسان من
مكروه لقوله عليه السلام كل شئ يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وليس الصبر هو الاسترجاع باللسان
بل بالقلب بان يتصور ما خلق له وانه راجع الى ربه ويتذكر نعم الله تعالى عليه ويرى ان ما ابقى عليه
اضعاف ما استرده منه فيهون ذلك على نفسه ويستسلم والمبشر به محذوف دل عليه ما بعده ثم
اولئك اشارة الى الصابرين باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت ومعنى البعد فيه للايذان بعلو
رتبتهم عليهم صلوات من ربهم ورحمة الصلاة من الله سبحانه وتعالى المغفرة والرافة وجمعها للتنبيه
على جمعها على كثرتها وتنوعها والجمع بينها وبين الرحمة للمبالغة كما فى قوله تعالى رافة ورحمة رؤف رحيم
والتنوين فيهما للتفخيم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لاظهار مزيد العناية بهم اى
اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجليلة عليهم فنون الرافة الفائضة من مالك امورهم ومبلغهم
الى كمالاتهم اللائقة بهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة واحسن عقباه وجعل له
خلفا صالحا يرضاه واولئك اشارة اليهم اما باعتبار السابق والتكرير لاظهار كمال العناية بهم اى
اولئك واما باعتبار حيازتهم بما ذكر من الصلوة والرحمة المترتب على الاعتبار الاول فعلى الاول المراد
بالاهتداء فى قوله عز وجل هم المهتدون هو الاهتداء للحق والصواب مطلقا والاهتداء لما ذكر من الاسترجاع
والاستسلام خاصة لما انه علمهما فلا بد لتاخيره عما هو نتيجة لهما من داع يوجبه وليس بظاهر والجملة
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله كانه قيل واولئك هم المختصون بالاهتداء لكل حق وصواب ولذلك
استرجعوا واستسلموا لقضاء الله تعالى وعلى الثانى هو الاهتداء للفوز بالمطالب والمعنى اولئك هم
الفائزون بمباغيهم الدينية والدنيوية فان من نال رافة الله تعالى ورحمته لم يطلب ان الصفا والمروة
علمان لجبلين بمكة المعظمة كالصمان والمقطم من شعائر الله من اعلام مناسكه جمع شعيرة وهى العلامة
فمن حج البيت او اعتمر الحج فى اللغة القصد والاعتماد الزيارة غلبا فى الشريعة على قصد البيت
وزيارته على الوجهين المعروفين كالبيت والنجم فى الاعيان وحيث اظهر البيت وجب تجريده على
المتعلق به فلا جناح عليه ان يطوف بهما اى فى ان يطوف بهما اصله يتطوف قلبت التاء طاء فادغمت التاء
فى الطاء وفى ايراد صيغة التفعل ايذان بان من حق الطائف ان يتكلف فى الطواف ويبذل فيه جهده وهذا
الطواف واجب عندنا وعن مالك والشافعى رضى الله عنهما انه ركن وايراده بنفى الجناح المشعر بالتخيير
لما انه كان فى عهد الجاهلية على الصفا صنم يقال له اساف وعلى المروة اخر اسمه نائلة وكانوا اذا سعوا بينهما
مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسر الاصنام تحرج المسلمون ان يطوفوا بينهما لذلك فنزلت وقيل هو
تطوع ويعضده قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما ومن تطوع خيرا اى فعل طاعة فرضا
كان او نفلا او زاد على ما فرض عليه من حج او عمرة او طواف وخيرا منصوب على انه صفة لمصدر محذوف
اى تطوعا خيرا او على حذف الجار وايصال الفعل اليه او على تضمين معنى فعل وقرئ يطوع واصله يتطوع
مثل يتطوف وقرئ ومن يتطوع بخير فان الله شاكر اى مجاز على الطاعة عبر عن ذلك بالشكر مبالغة فى
الاحسان على العباد عليم مبالغ فى العلم بالاشياء فيعلم مقادير اعمالهم وكيفياتها فلا ينقص من اجورهم
شيئا وهو علة للجواب الشرط قائم مقامه كانه قيل ومن تطوع خيرا جازاه الله او اثابه فان الله شاكر
عليم ان الذين يكتمون قيل نزلت فى احبار اليهود والنصارى وقيل نزلت فى كل من كتم شيئا من احكام
الدين لعموم الحكم للكل والاقرب هو الاول فان عموم الحكم لا يابى خصوص السبب والكتم والكتمان ترك
اظهار الشئ وقد يكون بازالته ووضع شئ اخر فى موضعه وهو الذى فعله هؤلاء ما انزلنا من البينات
من الايات الواضحة الدالة على امر محمد صلى الله عليه وسلم والهدى اى والايات الهادية الى كنه امره

ووجوب اتباعه والايمان به عبر عنها بالمصدر مبالغة ولم يجمع مراعاة للاصل وهي المرادة بالبينات
ايضا والعطف لتغاير العنوان كما في قوله عز وجل هدى للناس وبينات من الهدى الى اخره وقيل المراد
بالهدى الادلة العقلية وباباه الانزال والكتم من بعد ما بيناه للناس متعلق بيكتمون والمراد بالناس الكل
لا الكاتمون فقط واللام متعلقة ببيانه وكذا الظرف في قوله تعالى في الكتاب فان تعلق جارين بفعل واحد
عند اختلاف المعنى مما لا ريب في جوازه والتخيير متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله اي كائنا في
الكتاب وتبيينه لهم تلخيصه وايضاحه بحيث يتلقاه كل احد منهم من غير ان يكون له فيه شبهة وهذا عنوان
مغاير لقوله بينات في نفسه وهدى مؤكد بفتح الكتم او تفهيمه لهم بواسطة موسى عليه السلام والاول
انسب بقوله تعالى في الكتاب والمراد بكتمه ازالته ووضع غيره في موضعه فانهم محوا نعته عليه
الصلوة والسلام وكتبوا مكانه ما يخالفه كما ذكرناه في تفسير قوله عز وعلا ان الذين يكتمون الكتاب
الاخره اولئك اشارة اليهم باعتبار ما وصفوا به للاشعار بعليته لما حاق بهم وما فيه من معنى
البعد للايذان بتوالي امرهم وبعد منزلتهم في الفساد يلعنهم الله اي يطرده ويبعده من رحمته والالتفات
الى الغيبة باظهار اسم الذات الجامع للصفات لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان مبدا صدور
اللعن عنه سبحانه وتعالى صفة الجلال المغايرة لما هو مبدا الانزال والتبيين وصف الجمال والرحمة
ويلعنهم اللاعنون اي الذين يتاتى منهم اللعن اي الدعاء عليهم باللعن من الملئكة ومؤمني الثقلين
والمراد بيان دوام اللعن واستمراره وعليه يدور الاستثناء المتصل في قوله تعالى الا الذين تابوا
اي عن الكتمان واصلحوا اي ما افسدوا بان ازالوا الكلام المحرف وكتبوا مكانه ما كانوا ازالوه عند التحريف
وبينوا للناس معاينة فانه غير الاصلاح المذكور او بينوا لهم ما وقع منهم اولا واخيرا فانه داخل
في ارشاد الناس الى الحق وصرفهم عن طريق الضلال الذي كانوا اوقعوهم فيه او بينوا توبتهم
ليمحوا به سمة ما كانوا فيه ويقتدي بهم اضرابهم وحيث كانت هذه التوبة المقرونة بالاصلاح
والتبيين مستلزمة للتوبة عن الكفر مبنية عليها لم يصرح بالايمان وقوله تعالى فاولئك اشارة الى
الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة للاشعار بعليته للحكم والفا لتاكيد ذلك اتوب عليهم
اي بالقبول وافاضة المغفرة والرحمة وقوله وانا التواب الرحيم اي المبالغ في قبول التوب ونشر
الرحمة اعتراض تذييلي محقق لمضمون ما قبله والالتفات الى التكلم للافتنان في النظم الكريم مع ما فيه من
التلويح والرمز الى ما مر من اختلاف المبدا في فعلته تعالى السابق واللاحق ان الذين كفروا جملة مستانفة
سيقت لتحقيق بقاء اللعن فيما وراء الاستثناء وتاكيد دوامه واستمراره على غير التائبين حسبما يفيده
الكلام والاقتصار على ذكر الكفر في الصلة من غير تعرض لعدم التوبة والاصلاح والتبيين مبني على ما اشير
اليه فيما ان وجود تلك الامور الثلاثة مستلزم للايمان الموجب لعدم الكفر بذلك وجود الكفر مستلزم
لعدمها جميعا ان الذين استمروا على الكفر المستتبع للكتمان وعدم التوبة وماتوا وهم كفار لا يرعوون
عن حالتهم الاولى اولئك الكلام فيه كما في قبله عليهم اي مستقر عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين ممن يعتد بلعنهم وهذا بيان لدوامها الثبوتي بعد بيان دوامها التجددي وقيل الاول لعنهم احياء
وهذا لعنتهم امواتا وقرئ والملئكة والناس اجمعون عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في المعنى كقولك
اعجبني ضرب زيد وعمرو تريد ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة الى اخره
وقيل هو فاعل لفعل مقدر اي ويلعنهم الملئكة خالدين فيها اي في اللعنة او في النار وعلى انها اضمرت من غير ذكر
تفخيما لشانها وتهويلا لامرها لا يخفف عنهم العذاب اما مستانف لبيان كثرة عذابهم من حيث الكيف
اثر بيان كثرته من الكم او حال من الضمير في خالدين على وجه التداخل ومن الضمير في عليهم على طريقة الترادف ولا هم
ينظرون عطف على ما قبله جار فيه ما جرى فيه وايثار الجملة الاسمية لافادة دوام النفي واستمراره اي
لا يمهلون ولا يوجلون او لا ينظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة والهكم خطاب عام لكافة الناس اي
المستحق منكم للعبادة اله واحد اي فرد في الالهية لا صحة لتسمية غيره الها اصلا لا اله الا هو خبر اخر
للمبتدا او صفة اخرى للخبر واعتراض ايا ما كان فهو مقرر للوحدانية ومزيح لما عسى يتوهم ان في
الوجود الها لكن لا يستحق العبادة الرحمن الرحيم خبران اخران للمبتدا او لمبتدا محذوف وهو تقرير للتوحيد فانه
تعالى حيث كان مولا لجميع النعم اصولها وفروعها جليلها ودقيقها وكان ما سواه كائنا ما كان مفتقرا
اليه في وجوده وما يتفرع اليه من كمالاته بحقيقة وحدانيته بلا ريب وحصر استحقاق العبادة فيه تعالى
قطعا قيل كان للمشركين حول الكعبة المكرمة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا هذه الاية تعجبوا وقالوا ان كنت
صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق السموات والارض اي في ابداعهما على ما هما عليه
مع ما فيهما من تعاجيب العبر وبدايع صنايع يعجز عن فهمها عقول البشر وجمع السموات لما هو المشهور

من

من انها طبقات الذي جعل الليل والنهار خلفة واختلاف كل منهما في انفسهما ازديادا وانتقاصا على ما قدره
الله تعالى والفلك التي تجري في البحر عطف على ما قبله وتانيثه اما بتاويل السفينة او بانه جمع فان ضمة
الجمع مغايرة لضمة الواحد في التقدير اذ الاولى كما في حمر والثانية كما في قفل وقرئ بضم اللام بما ينفع الناس
اي ملتبسة بالذي ينفعهم مما يحمل فيها من انواع المنافع او بنفعهم وما انزل الله من السماء من ماء عطف على
الفلك وتاخيره عن ذكرها مع كونه اعم منها نفعا لما فيه من مزيد تفصيل وقيل المقصود الاستدلال
بالبحر واحواله وتخصيص الفلك بالذكر لانه سبب الخوض فيه والاطلاع على عجائبه ولذلك قدم على ذكر
المطر والسحاب لان منشاهما البحر في غالب الامر ومن الاولى ابتدائية والثانية بيانية او تبعيضية واما
ما كان تاخيرها مع ما مر من التشويق والمراد بالسماء الفلك او السحاب او جهة العلو فاحيى به الارض
بانواع النبات والازهار وما عليها من الاشجار بعد موتها باستيلاء اليبوسة عليها حسبما تقتضيه طبيعتها
كما يوذن به ايراد الموت في مقابلة الاحياء وبث فيها اي فرق ونشر من كل دابة من العقلاء وغيرهم والجملة معطوفة
على انزل داخلة تحت حكم الصلة وقوله تعالى فاحيا الى اخره متصل بالمعطوف عليه بحيث كانا في حكم شيء واحد
كانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها الى اخره او على احيا بحذف الجار والمجرور والعائد الى الموصول
وان لم تتحقق الشرائط المعهودة كما في قوله ۝ وان لساني شهدة يشتفى بها ۝ وكن على من صبه الله علقم
وقوله ۝ لعل الذي اصعدتني ان تردني ۝ الى الارض ان لم يقدر الخير قادره ۝۝ على معنى فاحيا بالماء الارض
وبث فيها من كل دابة فانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف الرياح عطف على ما انزل اي تقليبها من
مهب الى اخر او من حال الى اخرى وقرئ على الافراد والسحاب عطف على تصريف الرياح وهو اسم جنس واحده
سحابة سمي بذلك لانسحابه في الجو المسخر بين السماء والارض صفة للسحاب باعتبار لفظه وقد يعتبر معناه
فيوصف بالجمع كما في قوله تعالى سحابا ثقالا وتسخيره تقليبه في الجو بواسطة الرياح حسبما تقتضيه مشية الله
تعالى ولعل تاخير تصريف الرياح وتسخير السحاب في الذكر عن جريان الفلك وانزال الماء مع انعكاس الترتيب
الخارجي لما مر في قصة البقرة من الاشعار باستقلال كل من الامور المتعددة في كونها اية ولو روعي
الترتيب الخارجي لربما توهم كون المجموع المترتب بعضه على بعض اية واحدة لايات اسم ان دخلت اللام
لتاخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي ايات عظيمة كثيرة دالة على القدرة القاهرة والحكمة البالغة
والرحمة الواسعة المقتضية لاختصاص الالوهية به سبحانه وتعالى لقوم يعقلون اي يتفكرون فيها
وينظرون اليها بعيون العقول وفيه تعريض بجهل المشركين الذين اقترحوا على النبي صلى الله عليه وسلم
اية تصدقه في قوله تعالى والهكم اله واحد وتسجيل عليهم بسخافة العقول والا فمن تامل في تلك
الايات وجد كلا منها ناطقة بوجوده تعالى ووحدانيته وساير صفاته الكمالية الموجبة لتخصيص
العبادة به وتعالى واستغنى بها عن ساير ما فان كل واحد من الامور المعدودة قد وجد على وجه خاص
من الوجوه الممكنة دون ما عداه مستتبع لحكم مستقل فاذن لا بد له من موجد قادر حكيم يوجده حسبما
تقتضيه حكمته وتستدعيه مشيته متعال عن معارضة الغير اذ لو كان معه اخر يقدر على ما يقدر عليه
لزم اما اجتماع المؤثرين على اثر واحد او التمانع المؤدي الى فساد العالم ومن الناس من يتخذ من دون الله
بيان لكمال ركاكة المشركين اثر تقرير وحدانيته سبحانه وتعالى وتحرير الايات الباهرة الملجئة للعقلاء
الى الاعتراف بها القاضية باستحالة ان يشاركه شيء من الموجودات في صفة من صفات الكمال فضلا
عن المشاركة في صفة الالوهية والكلام في اعرابه كما فصل في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله
وباليوم الاخر الى اخره ومن دون الله متعلق بيتخذ اي من الناس من يتخذ من دون الله ذلك الاله
الواحد الذي ذكرت شئونه الجليلة وايثار الاسم الجليل لتعينه تعالى بالذات غب تعينه بالصفات
اندادا اي امثالا لا من رؤساهم الذين يتبعونهم فيما ياتون وما يذرون لا سيما في الاوامر والنواهي
كما يفصح عنه ما سياتي من وصفهم بالتبري من المتبعين وقيل هي الاصنام وارجاع ضمير العقلاء
اليها في قوله عز وجل يحبونهم مبني على ارائهم الباطلة في شانها من وصفهم بما لا يوصف به الا العقلاء
والمحبة ميل القلب من الحب استعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لانه اصابها ورسخ فيها
والعقل محب من احب على حد مدركني الاستعمال المستفيض على احب حبا ومحبة فهو محب ومنه محبوب
ومحب قليل وحاب اقل منه ومحبة العبد الله سبحانه ارادة طاعته في اوامره ونواهيه
والاعتنا بتحصيل مراضيه فمعنى يحبونهم يطيعونهم ويعظمونهم والجملة في حيز النصب اما صفة
لاندادا او حالا من فاعل يتخذ وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان افراده باعتبار لفظها كحب الله مصدر
تشبيهي اي نعت لمصدر مؤكد للفعل السابق ومن قضيته كونه مبنيا للفاعل كونه ايضا كذلك والظاهر
ايضا كذلك والظاهر اتحاد فاعلهما فانهم كانوا يقربون به تعالى ويتقربون اليه فالمعنى يحبونهم حبا كائنا

كحب المؤمنين له تعالى فلابد من اعتبار المشابهة بينهما في اصل الحب كما في وصفه كما وكيفا لما سياتي من
التفاوت البين وقيل هو مصدر مبني من المبني للمفعول اي كما يحب الله تعالى ويعظم وانما استغني عن
ذكر من يحبه لانه غير ملتبس وانت خبير بانه لا مشابهة بين محبتهم لانداده وبين محبوبيته تعالى
فالمصير ما اسلفناه ● في تفسير قوله عز وجل كما سئل موسى من اظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار
لتربية المهابة وتفخيم المضاف وابانة كمال قبح ما ارتكبوه والذين آمنوا اشد حبا لله جملة مبتداه
جيء بها توطئة لما يعقبها من بيان رخاوة حبهم وكونه حسرة عليهم والمفضل عليه حبهم لله تعالى فانهم
لا تنادهم وما له ان حب اولئك له تعالى اشد من حب هؤلاء لانداده وفيه من الدلالة على كون الحب
مصدرا من المبني للفاعل ما لا يخفى وانما لم يجعل المفضل عليه حبهم لله تعالى لما ان المقصود بيان
انقطاعه وانقلابه بغضا وذلك انما يتصور في حبهم لانداده لكونه منوطا بمبان فاسدة ومباد موهومة
يزول بزوالها قيل ولذلك كانوا يعدلون عنها عند الشدائد الى الله سبحانه وتعالى وكانوا يعبدون
صنما اياما فاذا وجدوا آخر رفضوه اليه وقد اكلت باهلة الها عام المجاعة وكان من حيس وانت
خبير بان مدار ذلك اعتبار اختلال حبهم لها في الدنيا وليس الكلام فيه بل في انقطاعه في الآخرة عند
ظهور حقيقة الحال ومعاينة الاهوال كما سياتي بلا عبرة به ويخل بما يقتضيه مقام المبالغة
في كمال قبح ما ارتكبوه وغاية عظيم ما اقترفوه وايثار الاظهار في موضع الاضمار لتفخيم الحب
والاشعار بعلته ولو يرى الذين ظلموا اي باتخاذ الانداد ووضعها موضع المعبود اذ يرون العذاب
المعد لهم يوم القيمة اي لو علموا اذ عاينوه وانما اوثر صيغة المستقبل لجريانها مجرى الماضي في الدلالة على
التحقق في اخبار علام الغيوب ان القوة لله جميعا ساد مسد مفعولي يرى وان الله شديد العذاب
عطف عليه وفايدته المبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الامر فان اختصاص القوة به تعالى لا يوجب
شدة العذاب لجواز تركه عفوا مع القدرة عليه وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن دائرة البيان
اما لعدم الاحاطة بكنهه واما لضيق العبارة عنه واما لايجاب ذكره ما لا يستطيعه المعبر او المستمع
من الضجر والتفجع عليه اي لو علموا اذ راوا العذاب ما حل بهم ولم ينقذهم منه احد من انداهم ان القوة لله
جميعا ولا دخل لاحد في شيء اصلا لوقعوا في الحسرة والندم فيما لا يكاد يوصف وقري ولو ترى ما لنا
الغواية على ان الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب فالجواب حينئذ
لرايت امرا لا يوصف من الهول والفظاعة وقري اذ يرون على البناء للمفعول وان الله شديد العذاب
على الاستيناف واضمار القول اذ تبرأ الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي اذ تبرأ الرؤسا من الذين
اتبعوا من الاتباع بان اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم اليه من فنون الكفر والضلال
واعترفوا بمخالطتهم وقابلوهم باللعن كقول ابليس اني كفرت بما اشركتمون من قبل وقري بالعكس
اي تبرأ الاتباع من الرؤسا والواو في قوله عز وجل ورأوا العذاب حالية وقد مضمرة وقيل عاطفة
على تبرأ او الضمير في رأوا للموصولين جميعا وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل التي كانت بينهم من
التبعية والمتبوعية والاتفاق على الملة الزايغة والاغراض الداعية الى ذلك واصله السبب الاصل
الذي يرتقى به الشجر ونحوه والجملة معطوفة حين عاينوا تبرأ الرؤسا منهم وندموا على ما فعلوا من اتباعهم
لهم في الدنيا وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة اي ليت لنا رجعة الى الدنيا فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا
اليوم كذلك اشارة الى مصدر فعل الذي بعده لا الى شيء آخر مفهوم مما سبق فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته مع كمال تميزه عما عداه وانتظامه في سلك الامور
المشاهدة والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله النصب على المصدرية
اي ذلك الاراء الفظيع يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات شديدة فان الحسرة شدة
الندم والكمد وهي تألم القلب انحساره عما يؤمله واشتقاقها من قولهم بعير حسير اي منقطع القوة
وهي ثالث مفاعيل يرى ان كان من رؤية القلب والا فهي حال والمعنى ان اعمالهم تنقلب حسرات
عليهم فلا يرون الا الحسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين من النار كلام مستانف لبيان حالهم بعد دخولهم
النار والاصل وما يخرجون والعدول الى الاسمية لافادة دوام نفي الخروج والضمير للدلالة على
قوة امرهم فيما اسند اليهم كما في قوله ● هم يفرشون اللبد كل طمرة ● واجرد سباق يبذ المغاليا ●
●● يا ايها الناس كلوا مما في الارض اي بعض ما فيها من اصناف الماكولات التي من جملتها ما حرموه
افتراء على الله من الحرث والانعام قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في قوم من ثقيف وبني عامر بن صعصعة
وخزاعة وبني مدلج حرموا على انفسهم ما حرموا من الحرث والبحاير والسوايب والوصايل والحام وقوله
تعالى حلالا حال من الموصول اي كلوه حال كونه حلالا او مفعول لكلوا على ان من ابتدائية وقد جوز كونه

صفة لمصدر مؤكد اي اكلا حلالا او يؤول الاولين قوله تعالى طيبا فانه صفة له ووصف الاكل به
غير معتاد وقيل نزلت في قوم من المؤمنين حرموا على انفسهم رفيع الاطعمة والملابس ويرده قوله
عز وجل ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تقتدوا به في اتباع الهوى فانه صريح في ان الخطاب
للكفرة كيف لا وتحريم الحلال على نفسه تزهدا ليس من باب اتباع خطوات الشيطان فضلا عن كونه
تقولا وافتراء على الله تعالى وانما الذي نزل فيهم ما في سورة المائدة من قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم الاية وقري خطوات بسكون الطاء وهما لغتان في جمع خطوة
وهي ما بين قدمي الخاطي وقري بضمتين وهمزة جعلت ضمة الطاء كانها على الواو وبفتحتين على انه جمع
خطوة وهي المرة من الخطو انه لكم عدو مبين تعليل للنهي اي ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وان كان
يظهر الولاية لمن يغويه ولذلك سمي وليا في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت انما يامركم بالسوء
والفحشاء استيناف لبيان كيفية عداوته وتفصيل لفنون شره وافساده وانحصار معاملته معهم
في ذلك والسوء في الاصل مصدر ساءه يسوءه سوءا ومساءة اذا احزنه يطلق على جميع المعاصي سواء كانت
من اعمال الجوارح او افعال القلوب لاشتراكهما في انها تسوء صاحبها والفحشاء اقبح انواعها واعظمها
مساءة وان تقولوا على الله ما لا تعلمون عطف على الفحشاء اي وبان تفتروا على الله تعالى بانه حرم هذا او
ذاك ومعنى ما لا تعلمون ان الله تعالى امر به وتعليق امره بتقولهم على الله تعالى ما لا يعلمون وقوعه
منه تعالى لا بتقولهم عليه ما لا يعلمون عدم وقوعه منه تعالى مع ان حالهم ذلك للمبالغة في الزجر وان
التحذير من الاول مع كونه في القبح والشناعة دون الثاني تحذير عن الثاني على ابلغ وجه واكده للايذان بان العاقل
يجب عليه ان لا يقول عليه ما لم يعلم وقوعه منه تعالى مع الاهتمام فضلا عن ان يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه
منه تعالى مع الاحتمال فضلا عن يقول عليه ما يعلم عدم وقوعه منه قالوا وفيه دليل على المنع من اتباع الظن
راسا واما اتباع المجتهد لما ادى اليه ظنه فمستند الى مدرك شرعي فوجوبه قطعي والظن في طريقه واذا قيل
لهم اتبعوا ما انزل الله التفات الى الغيبة تسجيلا بكمال ضلالهم وايذانا بايجاب تعداد ما ذكر من جناياتهم
لصرف الخطاب عنهم وتوجيهه الى العقلاء وتفصيل مساوي احوالهم على نهج المباثة اي اذا قيل لهم على وجه
النصيحة والارشاد اتبعوا كتاب الله الذي قالوا لا نتبعه بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا اي وجدناهم عليه
اما على الظرف متعلق بمحذوف وقع حالا من اباءنا والفينا متعد الى واحد واما على انه مفعول له ثان
مقدم على الاول نزلت في المشركين امروا باتباع القرآن وسائر ما انزل الله تعالى من الحجج الظاهرة والبينات
الباهرة فجنحوا للتقليد والموصول اما عبارة عما سبق من اتخاذ الانداد وتحريم الطيبات ونحو ذلك واما
على عمومه وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا وقيل نزلت في طائفة من اليهود دعاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا لانهم كانوا خيرا منا واعلم فعلى هذا فما انزل الله تعالى
التوراة لانها ايضا تدعو الى الاسلام وقوله عز وجل اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون رد
استيناف مسوق من جهته تعالى لرد مقالتهم الحمقاء واظهار لبطلان آرائهم والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
والتعجيب منه لا لانكار الوقوع كالتي في قوله تعالى اولو كنا كارهين وكلمة لو في امثال هذا المقام ليست لبيان
انتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها
عليه بل هي لبيان تحقيق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال
مفروض من الاحوال اي انتفاعه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي
القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو
العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا معنى قولهم انها
لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا المعنى ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قولك
فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي ولو كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه
ولو اهانك لبقاء المعنى على حاله واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء ناشيء من ورود الانكار عليه لكن الاصل في
الكل واحد لان كلمة لو في الصورة المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان ما يقصد بيان
تحققه على كل حال هو نفس مدلوله وان الجملة حال من ضميره او مما يتعلق به وان ما في خبر لو باق على
ما هو عليه من الاستبعاد غالبا بخلاف ما نحن فيه لما ان الجملة لو متعلقة فيه بفعل مقدر يقتضيه المذكور
وان ما يقصد بيان تحققه على كل حال مدلوله لا مدلول المذكور من حيث هو مدلوله وان الجملة حال
مما يتعلق به لا مما يتعلق بالمذكور من حيث هو متعلق به وان المقصود الاصلي انكار مدلوله باعتبار مقارنته
للحال المذكورة واما تقدير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في خبر لو لا يقصد استبعاده في نفسه
بل يقصد الاشعار بانه محقق الا انه اخرج مخرج الاستبعاد معاملة مع المخاطبين على معتقدهم لتلك

المقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها
منه وقيد ما منافاة له ليظهر ثبوته او انتفاؤه
معه ثبوته صح

يلبسوا من التصريح بنسبة ابائهم الى كمال الجهالة والضلالة جلد النبي فيكونوا متن العناد ومبالغة في الانكار
من جهة من اتباعهم لابائهم حيث كان منكرا مستقبحا عند احتمال كون ابائهم كما ذكر احتمالا بعيدا فلان يكون
منكرا عند تحقق ذلك اولى والتقدير اتتبعون ذلك لو لم يكن اباؤهم لا يعقلون شيئا من الدين ولا يهتدون
للصواب ولو كانوا لذلك فالجملة في حيز النصب على الحالية من اباؤهم حال كونهم عاقلين و جاهلين ضالين انكارا
لما افاده كلامهم من الاتباع على اي حالة كانت من الحالتين بيد انه اكتفى بذكر الحالة الثانية تنبيها على انها
الواقعة في نفس الامر وتعويلا على اقتضائها الحالة الاولى اقتضاء بينا فان اتباعهم الذي يتعلق به الانكار حين
تحقق مع كون ابائهم ضالين فلان يتحقق مع كونهم عاقلين ومهتدين اولى وان قلت الانكار المستفاد من الاستفهام
الانكاري بمنزلة النفي ولا ريب في ان الاولية في صورة النفي معتبرة بالنسبة الى النفي لا الى ما اذن الاولى لا التحقيق
فيما ذكر من مثال النفي عند الحالة المسكوت عنها اعني ادم المعنى هو ادم الاعطا لا نفسه فكان ينبغي ان يكون
الاولى بالتحقيق الذي هو الحكم الذي اريد بيانه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطا المستفاد من
الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه فهو نفس الاتباع المستفاد من الفعل المعتبر اذ هو الذي يقتضيه
الكلام السابق اعني قولهم بل نتبع الى اخره واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لانكاره ما يفيده ..
واستقباح ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة النفي كما سياتي تحقيقه في قوله تعالى اولو كنا كارهين
وقيل الواو حالية وقيل ولكن التحقيق ان المعنى مسدود على معنى العطف في ساير اللغات ايضا ومثل الذين
كفروا جملة ابتدائية واردة لتقرير ما قبلها من طريق التصوير وفيها مضاف قد حذف لدلالة ما قبل عليه ووضع
الموصول موضع الضمير الراجع الى ما يرجع اليه الضماير السابقة لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلة ما
اثبت لهم من الحكم والتقدير مثل ذلك القايل ومثاله لحقيقة لغرابتها بان تتبع مثلا وتصير في الافاق فيما
ذكر من دعوته اباهم الى اتباع الحق وعدم دفعهم اليه راسا لانهماكهم في التقليد واخلادهم الى ما هم عليه
من الضلالة وعدم فهمهم من جهة الداعي الا الدعاء من غير ان يلقوا اذهانهم الى ما يلقى عليهم كمثل الذي ينعق
بما لا يسمع الا دعاء ونداء من البهايم فانها لا تسمع صوت الراعي وهتفه بها من غير فهم الكلام اصلا
وقيل انما حذف المضاف من الموصول الثاني لدلالة كلمة ما عليه فانها عبارة عنه مشعرة مع ما في حيز
الصلة بما هو مدار التمثيل اي مثل الذين كفروا فيما ذكر من انهماكهم فيما هم فيه وعدم التدبر فيما القي اليهم من
الايات كمثل بهايم الذي ينعق بها وهي لا تسمع منه الا جرس النغمة ودوي الصوت وقيل اريد تمثيلهم في
اتباع ابائهم على ظاهر حالهم جاهلين بحقيقتها بالبهايم التي تسمع الصوت ولا تفهم ما تحته وقيل تمثيلهم في
دعائهم الاصنام بالناعق في نعقه وهو تصويته على البهايم وهذا غني عن الاضمار ولكن لا يساعده قوله الا
دعاء ونداء فان الاصنام بمعزل من ذلك وقد عرفت ان حسن التمثيل فيما نتابه افراد الطريقين صم بكم عمي
بالرفع على الذم اي هم صم الى اخره فهم لا يعقلون شيئا لان طريق التعقل هو التدبر في مبادي الامور
المعقولة والتامل في ترتيبها وذلك انما يحصل باستماع ايات الله ومشاهدة صحة الواضحة والمقاولة
مع من يوخذ منه العلوم فاذا كانوا صما بكما عميا فقد انسد عليهم ابواب التعقل وطرق الفهم بالكلية
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اي من مستلذاته واشكروا لله الذي رزقكموها ولا تقيد
لترتبه المهابة ان كنتم اياه تعبدون فان عبادته تعالى لا تتم الا بالشكر له وعن النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل اني والانس والجن في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة
اي اكلها او الانتفاع بها التي ماتت على غير ذكوة والسمك والجراد خارجان منها بالعرف واستثنا الشرع خروج
الطحال من الدم وقيل الدم ولحم الخنزير انما خص لحمه مع ان ساير اجزائه ايضا في حكمه لانه معظم ما يوكل من
الحيوان وساير اجزائه بمنزلة التبع له وما اهل به لغير الله اي رفع به الصوت عند ذبحه للصنم ..
والاهلال اصله روية الهلال لكن لما جرت العادة برفع الصوت بالتكبير عندها سمي ذلك اهلالا ثم
قيل لرفع الصوت وان كان لغيره فمن اضطر غير باغ بالاستيثار على مضطر اخر ولا عاد سد الرمق والجوعة وقيل
غير باغ على الوالي ولا عاد بقطع الطريق وعلى هذا لا يباح للعاصي بالسفر وهو مذهب الشافعي وقول احمد
رضي الله عنهما فلا اثم عليه في تناوله ان الله غفور لما فعل رحيم بالرخصة ان قيل كلمة انما تفيد ..
قصر الحكم على ما ذكر وكم من حرام لم يذكر قلنا المراد قصر الحرمة على ما ذكر مما استحلوه لا مطلقا او قصر حرمته
على حالة الاختيار كانه قيل انما حرم عليكم هذه الاشيا ما لم تضطروا اليها ان الذين يكتمون ما انزل
الله من الكتاب المشتمل على فنون الاحكام التي من جملتها احكام المحللات والمحرمات حسبما ذكر انفا وقال
ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في روسا اليهود حين كتموا بعث النبي صلى الله عليه وسلم ويشترون به
اي ياخذون بدله ثمنا قليلا عوضا حقيرا وقد مر سر التعبير عن ذلك بالثمن الذي هو وسيلة في عقود
المعاوضة وقوله تعالى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الوصفين

المميزين لهم عن عداهم اكمل تمييز الجاعلين اياهم بحيث كانهم حضار مشاهدين على ما هم عليه وما فيه من معنى
البعد للايذان بغاية بعد منزلتهم في الشر والفساد وهو مبتدا خبره قوله تعالى ما ياكلون في بطونهم
الا النار والجملة خبر لان او اسم الاشارة مبتدا ثان او بدل من الاول والخبر ما ياكلون الى اخره ومعنى اكلهم
النار انهم ياكلون الى اخره ومعنى اكلهم النار انهم ياكلون في الحال ما يستتبع النار ويستلزمها فكانه عين النار
واكله اكلها قوله • اكلت دما ان لم ارعك بضرة • بعيدة مهوى القرط طيبة النشر ••• او انهم ياكلون في المال
يوم القيمة عين النار عقوبة على اكلهم الرشى في الدنيا وفي بطونهم متعلق كما في قولهم متعلق بياكلون وفايدته
تاكيد الاكل وتقريره ببيان مقر الماكول وقيل معناه ملء بطونهم كما في قولهم اكل في بطنه واكل في بعض
بطنه ومنه كلوا في بعض بطنكم تعفوا فلا بد من الاتصال تعليقه بمحذوف وقع حالا مقدرة من النار مع
تقديمه على حذف الاستثنا والا فتعليقه بياكلون يودي الى قصر ما ياكلونه مطلقا عليها ولا يكلمهم الله
يوم القيمة عبارة عن غضبه العظيم عليهم وتعريض بحرمانهم ما اتيح للمومنين من فنون الكرامات السنية ..
والزلفى ولا يزكيهم لا يثني عليهم ولهم مع ما ذكر عذاب اليم مولم اولئك اشارة الى ما اشير اليه بنظيره الاول بعنوانه
المذكور خاصة لا مع ما يتلوه من احوالهم الفظيعة اذ لا دخل لها في الحكم الذي يراد اثباته ههنا فان المقصود
تصوير ما باشروه من المعاملة بصورة قبيحة تنفر منها الطباع ولا يتعاطاها عاقل اصلا ببيان حقيقة
ما نبذوه واظهار كفر ما اخذوه وابدا فظيعة بتعاته وهو مبتدا خبره الموصول اي اولئك المشترون
لكتاب الله عز وجل ثمنا قليلا ليسوا بمشترين للثمن وان قل بل هم الذين اشتروا بالنسبة الى الدنيا الضلالة
التي ليست مما يمكن ان يشترى قطعا بالهدى الذي ليس من قبيل ما يبذل بمقابلة شيء وان جل والعذاب اي
اشتروا بالنظر الى الاخرة العذاب لا تيوهم كونه مما يشترى بالمغفرة التي يتنافس فيها المتنافسون فما
اصبرهم على النار تعجب من حالهم الهائلة التي هي ملابستهم بما يوجب النار ايجابا قطعيا كانه عينها وما عند
سيبويه نكرة تامة مفيدة لمعنى التعجب مرفوعة بالابتدا وتخصيصها كتخصيص شر اهر ذا ناب خبرها ما
بعدها اي شيء وما عظيم جعلهم صابرين على النار وعند الفراء استفهامية وما بعدها خبرها اي اي شيء اصبرهم
على النار وقيل هي موصولة وقيل موصوفة بما بعدها والخبر محذوف اي الذين اصبرهم على النار امر فظيع عجيب
ذلك العذاب بان الله نزل الكتاب اي جنس الكتاب بالحق اي ملتبسا به فلا جرم يكون من يرفضه بالتكذيب
والكتمان ويرتكب متن الجهل والغواية مبتلى بمثل هذا من افانين العذاب وان الذين اختلفوا في الكتاب
اي في جنس الكتاب الالهي بان امنوا ببعض كتب الله تعالى وكفروا ببعضها او في التورية بان امنوا ببعض
اياتها وكفروا ببعض كالايات المغيرة المشتملة على امر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ونعوته الكريمة فمعنى
الاختلاف التخلف عن الطريق الحق والاختلاف فيما بينهما او في القران بان قال بعضهم انه سحر وبعضهم اساطير
كما حكي عن المعترين لفي شقاق بعيد عن الحق والصواب مستوجب لاشد العذاب ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب البر اسم جامع لانواع الخصال والخطاب لاهل الكتابين فانهم كانوا اكثروا الخوض في امر القبلة
حين حولت الى الكعبة وكان كل فريق يدعي خيرية التوجه الى قبلته من القطرين المذكورين وتقديم المشرق
على المغرب مع تاخر زمان الملة النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب الشروق والغروب مع تاخر زمان
الملة النصرانية اما لرعاية ما بينهما من الترتيب المتفرع على ترتيب الشروق والغروب واما لان توجه
اليهود الى المغرب ليس لكونه بيت المقدس من المدينة المنورة واقعا في جانب الغرب فقال لهم ليس
البر ما ذكر من التوجه الى تينك الجهتين على ان البر خبر ليس مقدم على اسمها كما في قوله • سلي ان جهلت
الناس عنا وعنهم • فليس سواء عالم وجهول • النبي عظيما ان تسلم مسلمة • وليس علينا في الخطوب معول
••• وانما اختير ذلك ان المصدر المول اعرف من المحلى باللام لانه يشبه الضمير من حيث انه لا يوصف به
والاعرف احق بالاسمية ولان في الاسم طولا فلو روعي الترتيب المعهود لفات تجاوب النظم الكريم وقرئ
برفع البر على انه اسمها وهو اقوى بحسب المعنى لان كل فريق يدعي ان البر هذا فيجب ان يكون البر موافقا لزعمهم
وما ذلك الا يكون البر اسما كما يفصح عنه جعله مخبرا عنه في الاستدراك بقوله عز وجل ولكن البر من امن
بالله فهو تحقيق للحق بعد بيان بطلان الباطل وتفصيل لخصال البر مما لا يختلف باختلاف الشرايع وما يختلف
باختلافها اي ولكن البر المعهود الذي يحق ان يهتم بشانه ويجد في تحصيله من امن بالله وحده ايمانا بريا
من شائبة الاشراك لا كايمان اليهود والنصارى المشركين بقولهم عزير ابن الله وقولهم المسيح ابن الله م
واليوم الاخر اي على ما هو عليه لا كما يزعمون من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وان اباهم الانبيا يشفعون
لهم ففيه تعريض بان ايمان اهل الكتاب بين حيث لم يكن كما ذكر من الوجه الصحيح لم يكن ايمانا وفي تعليق البر بهما من
اول الامر عقيب نفيه عن التوجه الى المشرق والمغرب من الجزالة ما لا يخفى كانه قيل ولكن البر هو التوجه
الى المبدا والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة والملائكة اي وامن بهم وبانهم عباد مكرمون

لتوسطون بينه تعالى وبين انبيائه بالقاء الوحي وانزال الكتب والكتاب اي بجنس الكتاب الذي من افراده
الفرقان الذي نبذوه وراء ظهورهم وفيه تعريض بكتمانهم نعوت النبي صلى الله عليه وسلم واشترائهم
بما انزل الله ثمنا قليلا والنبيين جميعا من غير تفرقة بين احد منهم كما فعل اهل الكتابين ووجه توسيط اهل
الكتاب بين حملة الوحي وبين النبيين واضح كما في قوله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واتى المال على
حبه حال من الضمير في اتى والضمير المجرور للمال اي اتاه كائنا على حب المال في قوله صلى الله عليه وسلم حين
سئل اي الصدقة افضل ان تؤتيه وانت صحيح شحيح وقول ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود رضي الله
عنه ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا
ولفلان كذا وقيل الضمير لله تعالى اي اتاه كائنا على محبته تعالى لا على قصد الشر والفساد وفيه نوع
تعريض بالباذلي الرشا فاخذ بها التعبير التورية وقيل للمصدر اي كائنا على حب الايتاء ذوي القربى مفعول اول
لاتى تقدم عليه مفعوله الثاني اعني المال لاهتمام به اولان في الثاني مع ما عطف عليه طولا لو روعي
الترتيب لفات تجاوب الاطراف في الكلام وهو الذي اقتضى تقديم الحال ايضا وقيل هو المفعول الثاني
واليتامى اي المحاويج منهم على ما يدل عليه المقام وتقديم ذوي القربى عليهم لما ان ايتائهم صدقة وصلة
والمساكين جمع مسكين وهو الدائم السكون الى ان الخلة السكنية بحيث لا حراك به او دائم السكون الى الناس
وابن السبيل اي المسافر سمي به لملازمته اياه كما القاطع بن الطريق وقيل الضيف والسائلين الذين الجاهم
الحاجة والضرورة الى السؤال قال عليه السلام اعطوا السائل ولو جاء على فرس وفي الرقاب اي وضعه
في فك الرقاب بمعاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في فك الاسارى وقيل في ابتياع الرقاب
واعتاقها واياما كان فالعدول عن ذكرهم بعنوان مصحح للمالكية كالذين من قبلهم اما للايذان بعدم
قرار ملكهم فيما اوتوا كما في الوجهين الاولين او بعدم ثبوته راسا كما في الوجه الاخير واما للاشعار
برسوخهم في الاستحقاق والحاجة لما ان في الظرفية المنبئة عن محليتهم لما يؤتى واقام الصلوة اي المفروضة
منها واتى الزكوة اي المفروضة على ان المراد بما مر من ايتاء المال التنفل بالصدقات قدم على الفريضة
مبالغة في الحث عليه والمراد بهما المفروضة والاول لبيان المصارف والثاني لوجوب الاداء والموفون
بعهدهم عطف على من امن فانه في قوة ان يقال ومن اوفوا بعهدهم وايثار صيغة الفاعل للدلالة على
وجوب استمرار الوفاء والمراد بالعهد ما لا يحرم حلالا ولا يحل حراما من العهود الجارية بين الناس
وقوله تعالى اذا عاهدوا اعهدا اذا عاهدوا للايذان بعدم كونه من ضروريات الدين والصابرين نصب على
الاختصاص من غير بسكه فيما قبله تنبيها على فضيلة الصبر ومزيته وهو في الحقيقة معطوف على ما قبله
قال ابو علي اذا ذكرت صفات المدح او الذم فخولف في بعضها الاعراب فقد خولف للافتنان ويسمى
ذلك قطعا لان تغيير المالوف يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشانه كما هو
في صدر السورة وقد قرئ والصابرون كما قرئ والموفين في الباساء اي في الفقر والشدة والضراء اي
المرض والزمانة وحين الباس اي وقت مجاهدة العدو في مواطن الحرب وزيادة الحين للاشعار بوقوعه
احيانا وسرعة انقضائه اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالنعوت الجميلة المعدودة وما
فيه من معنى البعد للامر من انا من التنبيه على علو طبقتهم وسمو رتبتهم اولئك الذين صدقوا اي
في الدين واتباع الحق وتحري حيث لم تغيرهم الاحوال ولم تزلزلهم الاهوال واولئك هم المتقون عن الكفر
وسائر الرذائل وتكرير الاشارة لزيادة تنويه شانهم وتوسيط الضمير للاشارة الى انحصار التقوى
فيهم والاية الكريمة كما ترى حاوية لجميع الكمالات البشرية برمتها تصريحا او تلويحا لما انها مع العباد وتهذيب
النفس وقد اشير الى الاول بالايمان بما فضل والى الثالثة باقامة الصلاة الى اخره ولذلك وصف
الحائزون لها بالصدق نظرا الى ايمانهم واعتقادهم وبالتقوى اعتبارا بمعاشرتهم مع الخلق ومعاملتهم
مع الحق واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بهذه الاية فقد استكمل الايمان يا ايها الذين امنوا
شروع في بيان الاحكام الشرعية على وجه التلافي لما فرط من المخلين بما ذكر من اصول الدين وقواعده
التي عليها بني اساس المعاش والمعاد كتب عليكم اي فرض والزم عند مطالبة صاحب الحق فلا يقدح فيه
قدرة الولي على العفو فان الايجاب وجوب انما اعتبر بالنسبة الى الحكام والقابلين القصاص في القتلى
اي بسبب قتلهم كما في قوله صلى الله عليه وسلم ان امراة دخلت النار في هرة ربطتها اي بسبب ربطها
اياها الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى كان في الجاهلية بين حيين من احياء العرب دماء وكان
لاحدهما طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى فلما جاء الاسلام تحاكموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فامرهم ان يتباوؤا وليس فيها دلالة على اختصاص الحكم
بالمنطوق وقد رايت الوجه هاهنا وانما يتمسك في ذلك هو ومالك رضي الله عنهما بما روي عنه

رضي الله

رضي الله عنه انه قال من السنة ان لا يقتل مسلم بذي عهد ولا حر بعبد وبان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما
كانا لا يقتلان الحر بالعبد بين اظهر الصحابة من غير نكير وبالقياس على الاطراف وعندنا يقتل الحر بالعبد
لقوله تعالى ان النفس بالنفس فان شريعة من قبلنا ما قصت علينا من غير دلالة على نسخها فانما نعمل بها واجب
على انها شريعة لنا ولان القصاص يعتمد المساواة في العصمة وهي بالدين او بالدار وهما سيان فيهما وقرئ
كتب على البنا للفاعل ونصب القصاص فمن عفي له من اخيه شيء اي شيء من العفو لان عفا لازم وفائدته
الاشعار بان بعض العفو بمنزلة كله في اسقاط القصاص وعفي لما تقع ايضا في العادة او كثيرا ما يقع العفو
من بعض الاولياء فهو شيء من العفو وقيل بمعنى عفي ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف اذ لم يثبت عفاه
بمعنى تركه بل اعفاه وجعل العفو على المحو كما في قوله من قال ● وبادعفا ها جوبكل معاند ● وقوله ● عفا كل
جنان كثير الويل هطال ● ليكون المعنى فمن محي له من اخيه شيء وصرف للعبارة والشذوذة في الكتاب
والسنة عن معناها المشهور المعهود بما ليس بمعهود فيهما وفي استعمال الناس ثم انهم يستعملون
العفو في باب الجنايات الاثيما ذكر من قبل بمعنى تعدى الى الذنب قال تعالى عفا الله عنك وقال
عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت لفلان عما جنى كانه قيل فمن عفي له عن جنايته من جهة اخيه
يعني ولي الدم وايراده بعنوان الاخوة الثابتة بينهما باعتبار كونهما من بني ادم عليه السلام لتحريك سلسلة
الرقة والعطف عليه فاتباع بالمعروف فالامر اتباع فليكن اتباع والمراد وصية العافي بالمسامحة
ومطالبة الدية بالمعروف من غير تعسف وتوجه يحل واداء اليه باحسان حث للمعفو عنه على ان يؤديها
باحسان من غير مماطلة وبخس ذلك اي ما ذكر من الحكم تخفيف من ربكم ورحمة لما فيه من التسهيل والنفع
وقيل كتب على اليهود القصاص وحده وحرم عليهم العفو والدية وللنصارى العفو على الاطلاق وحرم
عليهم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث تيسيرا عليهم وتنزيلا للحكم على حسب المنازل فمن اعتدى
بعد ذلك بان قتل غير القاتل بعد ورود هذا الحكم او قتل القاتل بعد العفو واخذ الدية فله باعتدائه
عذاب اليم اما في الدنيا فبالاقتصاص بما قتله بغير حق واما في الاخرة فبالنار ولكم في القصاص حيوة
بيان لمحاسن الحكم المذكور على وجه بديع لا ينال غايته حيث جعل الشيء محلا لضده وعرف القصاص ونكر
الحيوة ليدل على ان هذا الجنس نوعا من الحيوة عظيما لا يبلغه الوصف وذلك لان العلم به يردع القاتل عن
القتل فيتسبب لحيوة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فيثور الفتنة بينهم فاذا
اقتص من القاتل سلم الباقون فيكون ذلك سببا لحياتهم وعلى الاول فيه اضمار وعلى الثاني تخصيص
وقيل المراد الحيوة الاخروية فان القاتل اذا اقتص منه في الدنيا لم يؤاخذ به في الاخرة والظرفان
اما خبران لحيوة او احدهما خبر والاخر صلة له او حال من المستكن فيه وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم
من حكم القتل او في القران حيوة للقلوب يا اولي الالباب اي ذوي العقول الخالصة عن شوب الاوهام
خوطبوا بذلك بعدما خوطبوا بعنوان الايمان تنشيطا الى التامل في حكمة القصاص لعلكم تتقون اي تتقون
انفسكم من المساهلة في امره والاهمال في المحافظة عليه والحكم به والاذعان له او من القصاص فتكفوا
عن القتل المؤدي اليه كتب عليكم بيان لحكم اخر من الاحكام المذكورة واذا حضر احدكم اي حضر اسبابه
وظهر اماراته ودنا نفسه من الحضور وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت وروده عليها
ان ترك خيرا اي مالا وقيل مالا كثيرا لما روي عن علي رضي الله عنه ان له اراد ان يوصي وله سبعمائة درهم
فمنعه وقال قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن عائشة رضي الله عنها ان
رجلا اراد الوصية وله عيال واربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد اخر ان يوصي فسالته
كم مالك فقال ثلثة الف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله تعالى ان ترك خيرا وان
هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك الوصية للوالدين والاقربين مرفوع بكتب اخر عما بينهما للامر مولرا وانما
تذكير الفعل مع جوازه لتانيثه للفصل او على تاويل ان يوصي والايصاء ولذلك ذكر الضمير في قوله تعالى فمن
بدله بعدما سمعه واذا ظرف محض والعامل فيه كتب لكن لا من حيث صدوره عنه تعالى بل من
حيث تعلقه بهم تعلقا فعليا مستتبعا لوجوب الاداء كما ينبي عنه البنا للمفعول وكلمة الايجاب ولا
مساغ لجعل العامل هو الوصية لتقدمه عليها وقيل هو مبتدا خبره للوالدين والجملة جواب الشرط
باضمار الفا كما في قوله ● من يفعل الحسنات الله يشكرها ● ورد بانه صح في ضرورة الشعر ومعنى كتب
فرض وكان هذا الحكم في بدو الاسلام ثم نسخ عند نزول اية المواريث بقوله عليه السلام ان الله اعطى
كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث فانه وان كان من اخبار الاحاد لكن حيث تلقته الامة بالقبول انتظم
في سلك المتواتر في صلاحيته للنسخ عند ائمتنا على ان التحقيق ان الناسخ حقيقة هي اية المواريث
وانما الحديث مبين لجهة نسخها ببيان انه تعالى كان قد كتب عليكم ان تؤدوا الى الوالدين والاقربين

حقوقهم بحسب استحقاقهم من غير تبيين لمراتب استحقاقهم ولا تعيين لمقادير انصبائهم بل فوض ذلك
الى آرائهم حيث قال بالمعروف اى بالعدل فالان قد رفع ذلك الحكم عنكم وتولى لتبيين طبقات استحقاق كل واحد
منهم وتعيين مقادير حقوقهم بالذات اعطى كل ذى حق حقه الذى يستحق بحكم القرابة من غير نقص ولا زيادة
ولم يدع ثمة شيئا فيه مدخل لرأيكم اصلا حسبما يعرب عليه الجملة المنفية بلا النافية للجنس وتصديرها
بكلمة التنبيه اذا تحققت هذا ظهر لك ان ما قيل من ان آية المواريث لا تعارضه بل تحققه وتؤكده من حيث انها
تدل على تقديم الوصية مطلقا والحديث من الآحاد وتلقى الامة اياها بالقبول لا يلحقه بالمتواتر ولعله
احترز عنه من فسر الوصية بما اوصى به الله عز وجل من توريث الوالدين والاقربين بقوله تعالى يوصيكم
الله او بايصا المحتضر لهم بتوفير ما اوصى به الله تعالى عليهم بمعزل من التحقيق وكذا ما قيل من ان الوصية
للوارث كانت واجبة بهذه من غير تعيين لانصبائهم فلما نزلت آية المواريث بيانا لانصبائهم مبينا
بتبيينه النبى صلى الله عليه وسلم ان المراد منه هذه الوصية التى كانت واجبة بهذه الآية كأنه قيل
ان الله تعالى اوصى بنفسه تلك الوصية ولم يفوضها اليكم فقام الميراث مقام الوصية فكان هذا
معنى النسخ لا ان فيها دلالة على رفع ذلك الحكم فان مدلول آية الوصية حيث كان تفويضا للامر الى
آراء المكلفين على الاطلاق وتسنى الخروج عن عهدة التكليف باداء ما ادى اليه آراؤهم بالمعروف فكون
آية المواريث الناطقة بمراتب الاستحقاق وتفاصيل مقادير الحقوق والقاطعة بامتناع الزيادة
والنقص بقوله تعالى فريضة من الله ناسخة لها رافعة لحكمها مما لا يشتبه على احد فقوله تعالى
حقا على المتقين مصدر مؤكد اى حق ذلك حقا فمن بدله اى غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه اى
بعد ما وصل اليه وتحقق لديه فانما اثمه اى اثم الايصاء المغير او اثم التبديل على الذين يبدلونه
لانهم خانوا وخالفوا حكم الشرع ووضع الموصول موضع الضمير الراجع الى من لتأكيد الايذان بعلية
ما فى حيز الصلة الاولى وايثار الجمع للاشعار بتعدد المبدلين انواعا وكثرتهم افرادا والايذان
لشمول الاثم لجميع الافراد ان الله سميع عليم وعيد شديد للمبدلين فمن خاف من موص اى توقع وعلم
من قولهم اخاف ان ترسل السماء جنفا اى ميلا بالخطأ فى الوصية او اثما اى تعمدا للجنف فاصلح بينهم اى بين
الموصى لهم باجرائهم على منهاج الشريعة الشريفة فلا اثم عليه اى فى هذا التبديل لانه تبديل باطل
الى الحق بخلاف الاول ان الله غفور رحيم وعد للمصلح وذكر المغفرة لمطابقة الاثم وكون الفعل من جنس ما يؤثم
يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام بيان لحكم آخر من الاحكام الشرعية وتكرير النداء لاظهار مزيد
الاعتناء به والصيام والصوم فى اللغة الامساك عما تنازع اليه النفس ومنه قوله تعالى انى نذرت
للرحمن صوما فلن اكلم الآية وقيل هو الامساك عن الشىء مطلقا ومنه صامت الريح اى امسكت عن
الهبوب والفرس اى امسكت عن العدو وقال • خيل صيام وخيل غير صائمة • تحت العجاج واخرى تعلك اللجما
••• وفى الشريعة هو الامساك نهارا مع النية عن المفطرات المعهودة التى هى معظم ما تشتهيه الانفس كما كتب فى
حيز النصب على انه نعت لمصدر مؤكد اى كتبا كائنا كما كتب او على انه حال من المصدر المعرفة اى كتب عليكم الصيام
الكتب مشبها بما كتب فما على الوجهين مصدرية او على انه نعت لمصدر من لفظ الصيام اى صوما مماثلا للصوم
المكتوب على من قبلكم فما موصولة او على انه حال من الصيام اى حال كونه مماثلا لما كتب على الذين من قبلكم
من الانبياء عليهم السلام والامم من لدن آدم عليه السلام وفيه تأكيد للحكم وترغيب فيه وتطييب لانفس
المخاطبين به فان الشاق اذا عم سهل عمله والمراد بالمماثلة اما المماثلة فى اصل الوجوب واما فى الوقت والمقدار
كما يروى ان صوم رمضان كان مكتوبا على اليهود والنصارى اما اليهود فقد تركته وصامت يوما من السنة
زعموا انه غرق فرعون وكذبوا فى ذلك فانه كان يوم عاشوراء واما النصارى فانهم صاموا رمضان حتى صادفوا
حرا شديدا فاجتمعت آراء علمائهم على تعيين ثم مرض ملكهم او وقع فيهم موتان فزادوا عشرة ايام فصار خمسين
لعلكم تتقون اى المعاصى فان الصوم يكسر الشهوة الداعية اليها كما قال عليه السلام فعليه بالصوم فان
الصوم له وجاء او تتقون الاخلال بادائه لاصالته او تصلون بذلك الى رتبة التقوى اياما معدودات
مؤقتا او بعدد معلوم او قلائل فان القليل من المال يعد عدا والكثير يهال هيلا والمراد بها اما رمضان او ما
وجب فى بدء الاسلام ثم نسخ به من صوم عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر وانتصابه ليس بالصيام كما قيل
لوقوع الفصل بينهما باجنبى بل بمضمر دل هو عليه اعنى صوموا اما على الظرفية او على المفعولية اتساعا بقوله تعالى
كتب على احد الوجهين وفيه ان الايام ليست محلا له بل للمكتوب فلا يتحقق الظرفية المتفرعة عليها اتساعا
فمن كان منكم مريضا اى مرضا يضره الصوم او يعسر معه او على سفر مستمر عليه وفيه تلويح ورمز الى
من سافر فى اثناء اليوم لم يفطر فعدة اى فعليه صوم عدة ايام المرض والسفر من ايام اخر اى القضاء محذوف
الشرط فان ثقة بالظهور وقرى بالنصب اى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل على الوجوب واليه

ذهب

ذهب الظاهرية وبه قال ابو هريرة رضى الله عنه وعلى الذين يطيقونه اى وعلى المطيقين للصيام ان افطروا
فدية اى اعطاء فدية وهى طعام مسكين وهو نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل
الحجاز مد وكان ذلك فى بدء الاسلام لما انه قد فرض عليهم الصوم وما كانوا متعودين فاشتد عليهم فرخص لهم فى
الافطار والفدية ويطوقونه بمعنى يتطوقونه بمعنى يتكلفونه واصلها يطيقونه ويتطيقونه من فيعل وتفيعل من الطوق
فادغمت الياء فى الواو بعد قلبها بالقول لهم تديّر المكان وما بها ديار وفيه وجهان احدهما نحو معنى يطيقونه
والثانى يكلفونه على جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو حينئذ غير
منسوخ ويجوز ان يكون هذا معنى يطيقونه اى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد
فى الفدية فهو اى التطوع او الخير الذى تطوعه خير له وان تصوموا ايها المطيقون والمطوقون وتحملوا على
انفسكم وتجهدوا طاقتكم والمرخصون فى الافطار من المرضى والمسافرين خير لكم من الفدية او من
تطوع الخير او منهما او من التأخر الى ايام اخر والالتفات الى الخطاب للهز والتنشيط ان كنتم تعلمون
اى ما فى صومكم مع تحقق المبيح للافطار من الفضيلة والجواب محذوف ثقة بظهوره اى اخترتموه او سارعتم
اليه وقيل معناه ان كنتم من اهل العلم والتدبر علمتم ان الصوم خير من ذلك شهر رمضان مبتدأ سياتى
خبره او خبر لمبتدأ محذوف اى ذلكم شهر رمضان او بدل من الصيام على حذف المضاف اى صيام شهر رمضان
وقرى بالنصب على اضمار صوموا وعلى انه مفعول تصوموا او بدل من اياما معدودات ورمضان مصدر
رمض اى احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما
قيل ابن داية للغراب فقوله عليه السلام من صام رمضان الحديث وارد على حذف المضاف للامن من
الالتباس وانما سمى بذلك اما لارتماضهم فيه من حر الجوع والعطش واما لارتماض الذنوب بالصيام فيه او لوقوعه
فى ايام رمض الحر عند نقل اسماء الشهور عن اللغة القديمة الذى انزل فيه القرآن خبر للمبتدأ على الوجه الاول
وصفة لشهر رمضان على الوجوه الباقية ومعنى انزاله فيه انه كان ذلك ليلة القدر او انزل فيه جملة الى
السماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض حسبما تقتضيه المشيئة الربانية او انزل فى شأنه القرآن وهو قوله عز
وجل كتب عليكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة
لست مضين منه والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان
حالان من القرآن اى انزل حال كونه هداية للناس بما فيه من الاعجاز وغيره وآيات واضحة مرشدة الى الحق
فارقة بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فمن شهد منكم الشهر اى حضر فيه ولم يكن مسافرا ووضع الظاهر
موضع الضمير للتعظيم والمبالغة فى البيان والفاء للتفريع والترتيب ولتضمين المبتدأ معنى الشرط او جائزة
او زائدة على تقدير كون شهر رمضان مبتدأ والموصول صفة له وهذه الجملة خبر له وقيل هى جزائية كأنه قيل
لما كتب عليكم الصيام فى ذلك الشهر فمن حضر فيه فليصمه اى فليصم فيه بحذف الجار وايصال الفعل الى
المجرور اتساعا وقيل من شهد منكم هلال الشهر فليصمه على انه مفعول به كقولك شهدت الجمعة اى صلوتها
فيكون ما بعده مخصصا له قيل ومن كان مريضا وان كان حاضرا فيه او على سفر وان كان صحيحا فعدة من ايام اخر
اى فعليه صيام ايام اخر لان المريض والمسافر ممن شهد الشهر ولعل التكرير لذلك او لئلا يتوهم نسخه
كما نسخ يريد الله بهذا الترخيص بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لغاية رأفته وسعة رحمته ولتكملوا العدة
ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون علل لفعل محذوف يدل عليه ما سبق اى ولهذه الامور شرع
ما شرع من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر فيه ومن الترخيص فى اباحة
الفطر فقوله تعالى لتكملوا عدة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا العدة علة ما علم من كيفية القضاء ولعلكم
تشكرون علة الترخيص والتيسير وتعدية فعل التكبير بعلى لتضمنه معنى الحمد كأنه قيل ولتكبروا الله
حامدين على ما هداكم ويجوز ان يكون معطوفة على اليسر اى يريد بكم لتكملوا الى آخره ويجوز عطفها على
اليسر اى يريد بكم لتكملوا الى آخره والمعنى بالتكبير تعظيمه تعالى بالحمد والثناء عليه وقيل تكبير يوم العيد
وقيل التكبير عند الهلال وما يحتمل المصدرية والموصولة اى على هدايته اياكم او على الذى هداكم اليه
وقرى ولتكملوا بالتشديد واذا سألك عبادى عنى تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما لا يخفى من تشريفه ورفع محله فانى قريب اى فقل لهم انى قريب وهو تمثيل لكمال علمه بافعال
العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت اجيب دعوة الداع اذا دعان تقرير للقرب وتحقيق
له ووعد للداعى بالاجابة فليستجيبوا لى اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما اجيبهم اذا دعونى لمهماتهم
وليؤمنوا بى امر بالثبات على ما هم عليه لعلهم يرشدون راجين اجابة الرشد اى الحق وقرى بفتح الشين و
كسرها ولما امرهم الله تعالى بصوم الشهر ومراعاة العدة وحثهم على القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه

بهذه الاية الكريمة الدالة على انه تعالى خبير باحوالهم سميع باقوالهم مجيب لدعائهم مجازيهم على اعمالهم تاكيدا
له وحثا عليه ثم شرع في بيان احكام الصيام فقال احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم روي ان المسلمين
كانوا اذا امسوا احل لهم الاكل والشرب والجماع الى ان يصلوا العشا الاخيرة او يرقدوا ثم ان عمر رضي الله عنه باشر
بعد العشا فندم واتى النبي صلى الله عليه وسلم واعتذر فقام رجال فاعترفوا بما صنعوا بعد العشا فنزلت
وليلة الصيام الليلة التي يصبح منها صائما والرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث وهو الافصاح
بما يجب ان يكنى به وعدي بالى لتضمنه معنى الافضا والانها وايثاره هنا لاستقباح ما ارتكبوه
ولذلك سمي خيانة وقرئ الرفوث وتقديم الظرف على القيام مقام الفاعل لما مر مرارا من التشريف
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة اليه فيتمكن عندها وقت وروده فضل تمكن هن
لباس لكم وانتم لباس لهن استئناف مبين لسبب الاحلال وهو صعوبة الصبر عنهن مع شدة المخالطة وكثرة
الملابسة بهن وجعل كل من الرجل والمراة لباسا للاخر لاعتناقهما واشتمال كل منهما مع الاخر بالليل قال
اذا ما الضجيع ثنى عطفها • تثنت فكانت عليه لباسا ••• اي لان كلا منهما يستر حال صاحبه ويمنعه
من الفجور علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم استئناف اخر مبين لما ذكر من السبب والاختيان ابلغ من الخيانة
كالاكتساب من الكسب ومعنى تختانون تظلمونها بتعريضها للعقاب وتنقيص حقها من الثواب فتاب عليكم
عطف على علم اي تاب عليكم لما تبتم مما اقترفتموه وعفا عنكم اي محا اثره عنكم فالان لما نسخ التحريم باشروهن
المباشرة الزاق البشرة كنى بها عن الجماع الذي يستلزمها وفيه دليل على نسخ جواز الكتاب للسنة وابتغوا
ما كتب الله لكم اي واطلبوا ما قدره الله لكم وقرره في اللوح من الولد وفيه ان المباشر ينبغي ان يكون غرضه
الولد فانه الحكمة في خلق الشهوة وشرع النكاح لا قضاء الشهوة وقيل فيه النهي عن العزل وقيل عن
غير الماتي والتقدير واتبعوا المحل الذي كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
من الفجر شبه اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق وما يمتد معه من غبش الليل بخيطين ابيض و
واسود واكتفى ببيان الخيط الابيض بقوله تعالى من الفجر عن بيان الخيط الاسود لدلالته عليه وبذلك
خرجا عن الاستعارة الى التمثيل ويجوز ان تكون من للتبعيض فان ما يبدو بعض الفجر وما روي انها
نزلت ولم ينزل من الفجر فعمد رجال الى خيطين ابيض واسود وطفقوا ياكلون ويشربون حتى يتبينا
لهم فنزلت فلعل ذلك كان قبل دخول رمضان وتاخير البيان الى وقت الحاجة جائز او اكتفوا اولا
باشتهارهما في ذلك ثم صرح بالبيان لما التبس على بعضهم وفي تجويزه المباشرة الى الصبح دلالة على جواز
تاخير الغسل اليه وصحة صوم من اصبح جنبا ثم اتموا الصيام الى الليل بيان لاخر وقته ولا تباشروهن وانتم
عاكفون في المساجد اي معتكفون فيها والمراد بالمباشرة الجماع وعن قتادة كان الرجل يعتكف فيخرج
الى امراته فيباشرها ثم يرجع فنهوا عن ذلك وفيه دليل على ان الاعتكاف يكون في المسجد ولا يختص
ببعض دون بعض وان الوطي فيه حرام ومفسد له لان النهي في العبادات يوجب الفساد تلك حدود
الله اي الاحكام المذكورة حدود وضعها الله تعالى للعباده فلا تقربوها فضلا عن تجاوزها ونهي ان
يقرب الحد الحاجز بين الحق والباطل مبالغة في النهي عن تخطيها كما قال صلى الله عليه وسلم ان لكل
ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه اذ يراد بحدود الله تعالى محارمه
ومناهيه كذلك اي مثل ذلك التبيين البليغ يبين الله اياته الدالة على الاحكام التي شرعها للناس
لعلهم يتقون مخالفة اوامره ونواهيه ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل نهي عن اكل بعض الاموال بعض
الاموال لبعض بالوجه الذي لم يبحه الله تعالى وبينكم نصب على الظرفية او الحالية من اموالكم وتدلوا بها
الى الحكام عطف على المنهي عنه او نصب باضمار ان والادلاء الالقاء اي ولا تلقوا حكومتها الى الحكام لتاكلوا بالتحاكم
اليهم فريقا من اموال الناس بالاثم بما يوجب اثما كشهادة الزور واليمين الفاجرة او ملتبسين بالاثم وانتم
تعلمون انكم مبطلون فان ارتكاب المعاصي مع العلم بها اقبح روي ان عبدان الحضرمي ادعى على امرئ القيس
الكندي قطعة ارض ولم يكن له بينة فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يحلف امرؤ القيس
فهم به فقرا عليه السلام ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الاية فارتدع عن اليمين فسلم
الارض الى عبدان فنزلت وروي انه اختصم اليه خصمان فقال عليه السلام انما انا بشر مثلكم وانتم
تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشي من حق اخيه فانما
اقضي له قطعة من نار فبكيا فقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل
واحد منكما صاحبه يسئلونك عن الاهلة ساله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا ما بال الهلال
يبدو دقيقا كالخيط ثم يزيد حتى يستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا قل هي مواقيت للناس والحج
كانوا قد سالوه عليه السلام عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدل امره فامره الله ان يجيبهم

بان

بان يجيبهم بان الحكمة الظاهرة في ذلك ان يكون معالم للناس في عباداتهم لا سيما الحج فان الوقت مراعى فيه ادا
وقضاء وكذا معاملاتهم بحسب ما يتفقون عليه والمواقيت جمع ميقات من الوقت والفرق بينه وبين
المدة والزمان ان المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها الى منتهاها والزمان مدة مقسومة
الى الماضي والحال والمستقبل والوقت الزمان المفروض لامر وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
كانت الانصار اذا احرموا لم يدخلوا دارا ولا فسطاطا من بابه وانما يدخلون ويخرجون من نقب او فرجة
وراءها ويعدون ذلك برا فبين لهم انه ليس ببر فقيل ولكن البر من اتقى اي بر من اتقى المحارم والشهوات
ووجه اتصاله بما قبله انهم سالوا عن الامرين او انه لما ذكر انها مواقيت للحج ذكر عقيبه ما هو من
افعالهم في الحج استطرادا او انهم سالوا عما لا يعنيهم ولا يتعلق بعلم النبوة فانه عليه السلام مبعوث لبيان
الشرائع لا لبيان حقائق الاشياء وتركوا السؤال عما يعنيهم ويختص بعلم الرسالة عقب بذكره جواب
ما سالوه منه تنبيها على ان اللائق بهم ان يسالوا عن امثال ذلك ويهتموا بالعلم بها او اريد به التنبيه
على تعكيسهم في السؤال وكونهم من قبيل دخول البيت من ورائه والمعنى وليس البر بان تعكسوا في
مسائلكم ولكن البر من اتقى ذلك ولم يجتري على مثله واتوا البيوت من ابوابها اذ ليس في العدول
برا وباشروا الامور من وجوهها واتقوا الله لعلكم تفلحون اي لكي تظفروا بالبر والهدى وقاتلوا في
سبيل الله اي جاهدوا لاعزاز دينه واعلاء كلمته وتقديم الظرف على المفعول الصريح لابراز كمال العناية
بشان المقدم الذين يقاتلونكم قيل كان ذلك قبل ما امروا بقتال المشركين كافة المقاتلين منهم والمحاجزين
وقيل معناه الذين يناصبونكم القتال ويتوقع منهم ذلك دون غيرهم من المشايخ والصبيان والرهبانة
والنساء والكفرة جميعا فان الكل بصدد قتال المسلمين ويؤيد الاول ما روي ان المشركين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة
ثلثة ايام فرجع لعمرة القضا فخاف المسلمون ان لا يوفوا لهم ويقاتلوهم في الحرام وكرهوا ذلك فنزلت
ويعضده ايراده في اثنا بيان احكام الحج ولا تعتدوا بابتداء القتال او بقتال المعاهد والمفاجاة به
من غير دعوة او بالمثلة وقتل من نهيتم عن قتله من النساء والصبيان ومن يجري مجراهم ان الله لا يحب
المعتدين اي لا يريد بهم الخير وهو تعليل للنهي واقتلوهم حيث ثقفتموهم اي حيث وجدتموهم من حل او حرم
واصل الثقف الحذق في ادراك الشي علما او عملا وفيه معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها قال • فاما
تثقفوني فاقتلوني • فمن اثقف فليس الى خلود ••• واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد
فعل بهم ذلك يوم الفتح بمن لم يسلم من كفارها والفتنة اشد من القتل اي المحنة التي يفتتن بها
الانسان كالاخراج من الوطن اصعب من القتل لدوام تعبها وتالم النفس بها وقيل شركهم
في الحرم وصدهم لكم عنه اشد من قتلكم اياهم فيه ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام ولا تفاتحوهم بالقتل
هنالك ولا تهتكوا حرمة المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم فيه ولا تبالوا
بقتالهم ثمة فانهم الذين هتكوا حرمته فاستحقوا اشد العذاب وفي العدول عن صيغة المفاعلة
التي لها وعد والنهي والشرط عدة بالنصر والغلبة وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم
والمعنى حتى يقتلوا بعضكم كقولهم قتلنا بنو اسد كذلك جزاء الكافرين يفعل بهم مثل ما فعلوا
فان انتهوا عن القتال والكفر بعد ما داموا قاتلكم فان الله غفور رحيم يغفر لهم ما قد
سلف وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة اي شرك ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب
فان انتهوا بعد مقاتلتكم عن الشرك فلا عدوان الا على الظالمين فلا تعتدوا عليهم اذ لا يحسن الظلم
الا من ظلم فوضع العلة موضع الحكم وتسمية الجزا بالعدوان للمشاكلة كما في قوله عز وجل فمن اعتدى
عليكم فاعتدوا عليه او انكم ان تعرضتم للمنتهين صرتم ظالمين وينعكس الحال عليكم والفا الاولى
للتعقيب والثانية للجزا الشهر الحرام بالشهر الحرام قاتلهم المشركون عام الحديبية في ذي القعدة
فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضا في ذي القعدة ايضا وكراهتهم القتال فيه هذا الشهر بذلك
الشهر الحرام وهتكه بهتكه فلا تبالوا به والحرمات قصاص اي كل حرمة وهو ما يجب المحافظة عليه يجري
فيها القصاص فلما هتكوا حرمة شهركم بالصد فافعلوا بهم مثله وادخلوا عليهم عنوة فاقتلوهم ان
قاتلوكم كما قال الله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وهو فذلكة مقررة
لما قبلها واتقوا الله في الانتصار فلا تعتدوا الى ما لم يرخص لكم واعلموا ان الله مع
المتقين فيحرسهم ويصلح شانهم وانفقوا في سبيل الله اي في الجهاد
به ثا لنفس او لا تمسكوا كل الامساك ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة بالاسراف وتضييع وجه المعاش
او بالكف عن الغزو والانفاق فيه فان ذلك مما يقوي العدو ويسلطهم عليكم ويؤيده ما روي

عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال لما اعز الله الاسلام وكثر اهله رجعنا الى اهالينا واموالنا نقيم فيها
ونصلحها فنزلت او بالامساك وحب المال فانه يؤدي الى الهلاك المؤبد ولذلك سمي البخل هلاكا وهو في الاصل
انتهاء الشيء في الفساد والالقاء طرح الشيء وعدي بالى لتضمنه معنى الانتهاء والباء مزيدة والمراد بالايدي
الانفس والتهلكة مصدر كالتضرة والتسرة وهي والهلاك واحد اي لا توقعوا انفسكم في الهلاك وقيل
معناه لا تجعلوها آخذة بايديكم او لا تلقوا بايديكم انفسكم اليها فحذف المفعول واحسنوا اي اعمالكم
واخلاقكم او تفضلوا على الفقراء ان الله يحب المحسنين اي يريد بهم الخير وقوله تعالى واتموا الحج والعمرة
لله بيان لوجوب اتمام افعالهما عند التصدي لادائهما وارشاد للناس الى تدارك ما عسى يعتريهم
من العوارض المخلة بذلك من الاحصار ونحوه من غير تعرض لهما في انفسهما من الوجوب وعدمه كما
في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل فانه بيان لوجوب مد الصيام الى الليل من غير تعرض لوجوب اصله
وانما هو بقوله تعالى كتب عليكم الصيام الى الآية كما ان وجوب الحج بقوله تعالى ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا فان الامر باتمام فعل من الافعال ليس امرا باصله ولا مستلزما له
اصلا فليس فيه دليل على وجوب العمرة قطعا وادعاء ان الامر باتمامهما امر بانشائهما تامين كاملين
حسبما تقتضيه قراءة واقيموا الحج والعمرة وان الامر للوجوب ما لم يدل على خلافه دليل مما لا استداد له
ضرورة ان ليس البيان مقصورا على افعال الحج المفروض حتى يتصور ذلك بل الحق ان تلك القراءة ايضا
محمولة على المشهورة ناطقة بوجوب اقامة افعالهما بما ينبغي من غير تعرض لحالهما في انفسهما فالمعنى اكملوا
شرائطهما واركانهما وسائر افعالهما المعروفة شرعا لوجه الله تعالى من غير اخلال منكم بشيء منها
هذا وقد قيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية افضل وقيل هو جعل نفقتهما
حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من الاغراض الدنيوية واياما كان فلا تعرض في
الآية الكريمة لوجوب العمرة اصلا واما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان العمرة لقرينة
الحج وقول عمر رضي الله عنه هديت لسنة نبيك حين قال له رجل وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي
اهللت بهما وفي رواية فاهللت بهما جميعا فبمعزل من افادة الوجوب مع كونه معارضا بما روي عن
جابر انه قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرة الواجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وبقوله
عليه السلام الحج مكتوب والعمرة تطوع فتدبر فان احصرتم اي منعتم من الحج يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه
ومنعه من المضي لوجهه مثل صده واصده والمراد حصر العدو عند مالك والشافعي رضي الله عنهما لقوله تعالى فاذا
امنتم ولنزوله في الحديبية ولقول ابن عباس رضي الله عنهما لا حصر الا حصر العدو وكل منع من عدو او مرض
او غيرهما عند ابي حنيفة رضي الله عنه لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فعليه الحج
من قابل فما استيسر من الهدي اي فعليكم او فالواجب ما استيسر او فاهدوا ما استيسر والمعنى ان المحرم
اذا احصر واراد ان يتحلل تحلل بذبح هدي تيسر عليه من بدنة او بقرة او شاة حيث احصر عند الاكثر وعندنا
يبعث به الى الحرم ويجعل للمبعوث بيده يوم امار فاذا جاء اليوم وظن انه ذبح تحلل لقوله تعالى ولا
تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي المبعوث الى الحرم بلغ مكانه الذي يجب ان
ينحر فيه وحمل الاولون بلوغ الهدي محله على ذبحه حيث يحل حلا كان او حرما ومحتجهم في ذلك ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذبح عام الحديبية بها وهي من الحل قلنا كان محصره طرف الحديبية الذي الى اسفل
مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي
الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة والمحل بالكسر يطلق على الزمان والمكان والهدي جمع هدية
كجدي وجدية وقرئ من الهدي كمطي ومطية فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى الحلق او به اذى من راسه كجراحة
وقمل ففدية اي فعليه فدية ان حلق من صيام او صدقة او نسك بيان لجنس الفدية واما قدرها
فقد روي انه صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة لعلك آذاك هوامك قال نعم يا رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال احلق وصم ثلثة ايام او تصدق بفرق على ستة مساكين او انسك شاة والفرق ثلثة اصع
فاذا امنتم اي الاحصار او كنتم في حال امن وسعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج اي فمن استمتع بالتقرب الى الله تعالى بالعمرة
قبل الانتفاع بتقربه بالحج في اشهره وقيل من استمتع بعد التحلل من عمرته باستباحة محظورات الاحرام الى
ان يحرم بالحج فما استيسر من الهدي اي فعليه دم استيسر عليه بسبب التمتع وهو دم جبران يذبحه اذا احرم
بالحج ولا ياكل منه عند الشافعي وعندنا هو كالاضحية فمن لم يجد اي الهدي فصيام ثلثة ايام في الحج اي في اشهره
بين الاحرامين وقال الشافعي في ايام الاشتغال بالحج بعد الاحرام الى التحرم بالحج وقيل التحلل والاحب ان
يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه فلا يصح يوم النحر وايام التشريق وسبعة اذا رجعتم اي نفرتم وفرغتم
من اعماله وفي احد قولي الشافعي اذا رجعتم الى اهليكم وقرئ وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلثة ايام تلك عشرة

فذلك

فذلك الحساب وفائدتها ان لا يتوهم ان الواو بمعنى او كما في قولك جالس الحسن وابن سيرين وان يعلم العدد جملة
كما علم تفصيلا فان اكثر العرب لا يعرف الحساب وان المراد بالسبعة هو العدد المخصوص دون الكثرة كما يراد بها
ذلك ايضا كاملة صفة مؤكدة لعشرة تفيد المبالغة في المحافظة على العدد او مبينة كمال العشرة فانها
اول عدد كامل اذ به ينتهي الآحاد وتتم مراتبها او مقيدة تفيد كمال بدليتها من الهدي ذلك اشارة الى التمتع
عندنا والى الحكم المذكور عند الشافعي لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وهو من كان من الحرم على
على مسافة القصر عند الشافعي ومن كان مسكنه وراء الميقات عندنا واهل الحل عند طاوس وغير اهل مكة
عند مالك واتقوا الله في المحافظة على اوامره ونواهيه لا سيما في الحج واعلموا ان الله شديد العقاب لمن لم
يتقه كي يصدكم العلم به عن العصيان واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة الحج اي
وقته اشهر معلومات معروفات بين الناس وهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عندنا وتسعة بليلة
النحر عند الشافعي وكله عند مالك ومدار الخلاف ان المراد بوقته وقت احرامه او وقت اعماله ومناسكه
او ما لا يحسن فيه غيره من المناسك مطلقا فان مالكا كره العمرة في بقية ذي الحجة وابو حنيفة صحح الاحرام به قبل
شوال فقد استكرهه وانما سمي شهران وبعض اشهرا اقامة للبعض مقام الكل او اطلاقا للجمع على ما فوق
الواحد وصيغة جمع المذكر في غير العقلاء يجيء بالالف والتاء فمن فرض فيهن الحج اي اوجبه على نفسه بالاحرام
فيهن او بالتلبية او بسوق الهدي فلا رفث ولا فسوق اي لا جماع او فلا فحش من الكلام ولا خروج من حدود
الشرع بارتكاب المحظورات وقيل بالسيئات والتنابز بالالقاب ولا جدال اي لا مراء مع الخدم والرفقة
في الحج اي في ايامه والاظهار في مقام الاضمار لاظهار كمال الاعتناء بشأنه والاشعار بعلة الحكم فان زيارة البيت
المعظم والتقرب بها الى الله عز وجل من موجبات ترك الامور المذكورة وايثار النفي للمبالغة في النهي والدلالة
على ان ذلك حقيق بان لا يكون فان ما كان منكرا مستقبحا في نفسه ففي ايام الحج افحش كلبس الحرير في الصلاة
والتطريب بقراءة القرآن لانه خروج عن مقتضى الطبع والعادة الى محض العبادة وقرئ الاولان على معنى النهي لا يكونن
رفث ولا فسوق والثالث بالفتح على معنى الاخبار بانتفاء الخلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف
سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام فارتفع الخلاف بان يقفوا ايضا بعرفات وما تفعلوا من خير يعلمه الله فيجزي
به حث على فعل الخير اثر النهي عن الشر وتزودوا فان خير الزاد التقوى اي تزودوا لمعادكم
التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فكانوا كلا على الناس
فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السؤال والتثقيل على الناس واتقون يا اولي الالباب فان
قضية اللب استشعار خشية الله عز وجل وتقواه حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود بذلك
هو الله تعالى فيتبرؤا من كل شيء سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوائب الهوى فلذلك خص بهذا
الخطاب اولي الالباب ليس عليكم جناح ان تبتغوا اي في ان تبتغوا اي تطلبوا فضلا من ربكم عطاء ورزقا
منه اي الربح بالتجارة وقيل كان عكاظ ومجنة وذو المجاز سوقهم في الجاهلية يقيمونها ايام مواسم الحج
وكانت معيشتهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا منه فنزلت فاذا افضتم من عرفات اي دفعتم منها بكثرة من افضت
الماء اذا صببته بكثرة واصله افضتم انفسكم فحذف المفعول كما حذف من دفعت من البصرة وعرفات جمع
سمي به كاذرعات وانما نون وكسر وفيه العلمية والتانيث لان تنوين الجمع تنوين المقابلة لا تنوين التمكين ولذلك يجمع
مع اللام وذهاب الكسرة تبع ذهاب التنوين من غير عوض لعدم الصرف وهنا ليس كذلك او لان
التانيث اما ان يكون بالتاء المذكورة وهي ليست تاء التانيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث او بتاء
مقدرة كما في سعاد ولا سبيل اليه لان المذكورة تمنع من تقديرها لانها كالبدل منها لاختصاصها بالمؤنث
كتاء بنت وانما سمي الموقف عرفة لانه نعت لابراهيم عليه السلام فلما ابصره عرفه او لان جبريل عليه السلام
كان يدور به في المشاعر فلما اراه قال قد عرفت او لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه
وهي من الاسماء المرتجلة الا ان يجعل جمع عارف قيل وفيه دليل على وجوب الوقوف بها لان الافاضة لا تكون
الا بعده وهي مأمور بها لقوله تعالى ثم افيضوا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفات فمن ادرك عرفة
فقد ادرك الحج او مقدمة للذكر المأمور به وفيه نظر اذ الذكر غير واجب والامر به غير مطلق فاذكروا
الله بالتلبية والتهليل والدعاء وقيل بصلاة العشائين عند المشعر الحرام وهو جبل يقف عليه الامام ويسمى
قزح وقيل ما بين مأزمي عرفة ووادي محسر ويؤيد الاول ما روى جابر انه عليه السلام لما صلى الفجر يعني
بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى اتى المشعر الحرام فدعا فيه وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى اسفر وانما
سمي مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه
افضل والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر واذكروه كما هداكم اي كما علمكم او اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم
هداية حسنة الى المناسك وغيرها وما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله من قبل ما ذكر من هدايته اياكم

لمن الضالين غير العالمين بالايمان والطاعة وان هي المخففة واللام هي الفارقة وقيل هي نافية واللام بمعنى
الا كما في قوله عز وعلا وان نظنك لمن الكاذبين ثم افيضوا من حيث افاض الناس اي من عرفة لا من المزدلفة
والخطاب لقريش لما كانوا يقفون بجمع وسائر الناس بعرفة ويرون ذلك ترفعا عليهم فامروا بان يساووهم وثم
لتفاوت ما بين الافاضتين كما في قولك احسن الى الناس ثم لا تحسن الا الى كريم وقيل من مزدلفة الى منى بعد
الافاضة من عرفة شرع قلنا فلا تغيروه واستغفروا الله من جاهليتكم في تغيير المناسك ان الله غفور رحيم
يغفر ذنب المستغفر وينعم عليه فهو تعليل للاستغفار او للامر به فاذا قضيتم مناسككم عبادتكم المتعلقة
بالحج وفرغتم منها فاذكروا الله كذكركم اباءكم اي فاذكروه ذكرا تعالى وبالغوا في ذلك كما تفعلون بذكر اباءكم
ومفاخرهم وايامهم وكانت العرب اذا قضوا مناسكهم وقفوا بمنى بين المسجد والجبل فيذكرون مفاخر
ابائهم ومحاسن ايامهم او اشد ذكرا اما مجرور معطوف على الذكر بجعله ذاكرا على المجاز والمعنى فاذكروا
الله ذكرا كائنا مثل ذكركم اباءكم او كذكر اشد منه وابلغ او على ما اضيف اليه بمعنى او كذكر قوم اشد
منكم ذكرا او منصوب بالعطف على اباءكم وذكرا من فعل المذكور بمعنى او كذكركم اشد مذكورية من اباءكم
او بمضمر دل عليه المعنى او كونوا اشد ذكرا لله منكم لاباءكم فمن الناس تفصيل للذاكرين الى من لا يطلب
بذكر الله الا الدنيا والى من يطلب به خير الدارين والمراد به الحث على الاكثار والانتظام في سلك
الاخرين من يقول اي في ذكره ربنا اتنا في الدنيا اي اجعل ايتاءنا ومنحتنا في الدنيا خاصة وما له في الاخرة
من خلاق اي من حظ ونصيب لاقتصار همه على الدنيا فهو بيان لحاله في الاخرة او من طلب خلاق فهو بيان
لحاله في الدنيا وتاكيد لقصر دعائه على المطالب الدنيوية ومنهم من يقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة
هي الصحة والكفاف والتوفيق للخير وفي الاخرة حسنة هي الثواب والرحمة وقنا عذاب النار بالعفو
والمغفرة وروى عن علي كرم الله وجهه ان الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الاخرة الحوراء وعذاب
النار امرأة السوء وعن الحسن ان الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الاخرة الجنة وقنا عذاب النار معناه
احفظنا من الشهوات والذنوب المؤدية الى النار اولئك اشارة الى الفريق الثاني باعتبار اتصافهم بما
ذكر من النعوت الجميلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشارة الى علو درجتهم وبعد منزلتهم
في الفضل وقيل اليهما معا فالتنوين في قوله تعالى لهم نصيب مما كسبوا على الاول للتفخيم وعلى الثاني
للتنويع اي لكل منهم نوع نصيب من جنس ما كسبوا او من اجله كقوله تعالى مما خطاياهم اغرقوا او مما دعوا به
نعطيهم منه ما قدرناه وتسمية الدعاء كسبا لما انه من الاعمال والله سريع الحساب يحاسب العباد على كثرتهم
وكثرة اعمالهم في مقدار لمحة فاحذروا من الاخلال بطاعة من هذا شان قدرته او يوشك ان يقيم القيامة
ويحاسب الناس فبادروا الى الطاعة واكتساب الحسنات واذكروا الله اي كبروه في اعقاب الصلوة
وعند ذبح القرابين ورمي الجمار وغيرها في ايام معدودات هي ايام التشريق فمن تعجل اي استعجل في
النفر او النفر فان التفعل والاستفعال يجيئان لازمين ومتعديين يقال تعجل في الامر واستعجل
الزلل في يومين اي في تمام يومين بعد يوم النحر وهو يوم القر ويوم النفر الاول واليوم بعده يعني اذا فرغ
من رمي الجمار فلا اثم عليه بتعجله ومن تاخر في النفر حتى رمى في اليوم الثالث قبل الزوال او بعده عند
او بعده وعند الشافعي بعده فقط فلا اثم عليه بما صنع من التاخر والمراد التخيير بين التعجل والتاخر
ولا يقدح افضلية الثاني وانما ورد بلفظ نفي الاثم تصريحا بالرد على اهل الجاهلية حيث كانوا مختلفين
فمن مؤثم للتعجل ومؤثم للمتعجل والمراد التخيير بين التعجل والتاخر لمن اتقى خبر المبتدا محذوف اي الذي
ذكر من التخيير او النفي الاثم عن المتعجل او من الاحكام لمن اتقى لانه الحاج على الحقيقة والمنتفع به او لاجله
حتى لا يتضرر بترك ما يهمه منها واتقوا الله في جامع اموركم بفعل الواجبات وترك المحظورات لتعبابكم
وتنتظموا في سلك المغتنمين بالاحكام المذكورة والحج واحذروا الاخلال بما ذكر من الاحكام وهو الانسب
بقوله عز وجل واعلموا انكم اليه تحشرون اي للجزاء على اعمالكم بعد الاحياء واصل الحشر الجمع وضم المفرق وهو
تاكيد للامر بالتقوى وموجب للامتثال به فان من علم بالحشر والمحاسبة والجزاء كان ذلك من اقوى
الدواعي الى ملازمة التقوى ومن الناس من يعجبك قوله تحرير للخطاب وتوجيه لذاته عليه السلام
وهو كلام مبتدا سيق لبيان تحزب الناس في شان التقوى الى حزبين وتعيين ما لكل منهما ومن موصولة
موصوفة واعرابه كما بين في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وباليوم الاخر اي ومنهم
من يروقك كلامه ويعظم موقعه في نفسك لما تشاهد فيه من ملائمة الحوي ولطف الاداء والتعجب
حيرة تعرض للانسان بسبب عدم الشعور بسبب ما يتعجب منه في الحيوة الدنيا متعلق بقوله اي ما
يقوله في حق الحياة الدنيا ومعناها فانها الذي يريده بما يدعيه من الايمان ومحبة الرسول صلى الله
صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى ان له قولا اخر ليس بهذه الصفة او يعجبك اي يعجبك قوله في الدنيا

كلاوته وفصاحته لا في الاخرة لما انه يظهر هنا كذبه وقبحه وقيل لما يرهقه الحبسة واللكنة وانت
خبير بانه لا مبالغة في سوء حاله فان ماله بيان حسن كلامه في الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه اي بحسب
ادعائه حيث يقول الله يعلم ما في قلبي موافق لما في لساني وهو عطف على يعجبك وقرئ ويشهد الله
والمراد بما في قلبه قوله ما فيه حقيقة ويؤيده قراءة ابن عباس رضي الله عنه والله يشهد على ما في قلبه
على ان كلمة على لان المشهود به مضر له فالجملة اعتراضية وقرئ ويستشهد الله وهو الد الخصام
اي شديد العداوة والخصومة للمسلمين على ان الخصام مصدر واضافة الدال لاليه بمعنى في او هو جمع العذب
او اسنه الخصوم لهم خصومة على انه جمع خصم كصعب وصعاب وقيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي
فكان حسن المنظر حلو المنطق يوالي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدعي الاسلام والمحبة وقيل في
المنافقين والجملة حال من الضمير المجرور في قوله المستكن في يشهد وعطف على ما قبلها على القرائتين على المتوسطين
واذا تولى من مجلسك وقيل اذا صار واليا سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل كما فعله
الاخنس بثقيف حيث بيتهم واحرق زروعهم واهلك مواشيهم او كما يفعله ولاة السوء بالقتل والاتلاف
او بالظلم حتى يمنع الله تعالى بشومه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ ويهلك الحرث والنسل على اسناد
الهلاك اليهما عطفا على سعى وقرئ بفتح اللام وهي لغة وقرئ على البناء للمفعول من الاهلاك والله لا يحب الفساد
اي لا يرتضيه ويبغضه ويغضب على من يتعاطاه وهو اعتراض تذييلي واذا قيل له على نهج العظة والنصيحة
اتق الله واترك ما تباشره من الفساد والنفاق واحذر سوء عاقبته اخذته العزة بالاثم اي حملته الانفة
وحمية الجاهلية على الاثم الذي نهي عنه لجاجا وعنادا من قولك اخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه
فحسبه جهنم مبتدا وخبر اي كافيه جهنم وقيل جهنم فاعل لحسبه ساد مسد خبره وهو مصدر بمعنى الفاعل
وقوي لاعتماده على الفاء الرابطة على الجملة بما قبلها وقيل حسب اسم فعل ماض اي كفته جهنم ولبئس المهاد
جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف لظهوره وتعينه والمهاد الفراش وقيل ما يوطأ للجنب
والجملة اعتراض ومن الناس من يشري نفسه مبتدا وخبر كما مر اي يبيعها ويبذلها في الجهاد ومسافي
الطاعة وتعريضها للمهالك في الحروب او يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وان ترتب على القتل ابتغاء مرضات
الله اي طلبا لرضاه وهذا كمال التقوى وايراده قسيما للاول من حيث ان ذلك يانف من الامر بالتقوى
فهذا يامر بذلك وان ادى الى الهلاك وقيل نزلت في صهيب ابن سنان الرومي اخذه المشركون وعذبوه
ليرتد فقال اني شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وخذوا مالي
فقبلوا منه فاتى المدينة فيشري ح بمعنى يشتري لجريان الحال صورة الشرى والله رؤف بالعباد
ولذلك يكلفهم التقوى ويعرضهم للثواب والجملة اعتراض تذييلي يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم اي
الاستسلام والطاعة وقيل الاسلام وقرئ بفتح السين وهي لغة فيه وبفتح اللام ايضا وقوله تعالى
كافة حال من الضمير في ادخلوا او من السلم او منهما معا كما في قوله ● خرجت بها تمشي تجر وراءنا ● على اثرينا ذيل
مرط مرحل ●●● وهي في الاصل جماعة تكف مخالفها ثم استعملت في معنى جميعا وتاؤها ليست للتانيث
حتى يحتاج الى جعل السلم مؤنثا مثل الحرب كما في قوله عز وجل وان جنحوا للسلم فاجنح لها وفي قوله تعالى عليه
السلام تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع وانما هي للنقل كما في عامة وخاصة
وقاطبة والمعنى استسلموا الله تعالى واطيعوه جملة ظاهرا وباطنا والخطاب للمنافقين او ادخلوا في الاسلام
بكليته ولا تخلطوا به غيره والخطاب لمؤمني اهل الكتاب فانهم كانوا يراعون بعض احكام دينهم القديم
بعد اسلامهم او في شرائع الله تعالى كلها بالايمان بالانبياء والكتب جميعا والخطاب لاهل الكتاب كلهم
ووصفهم بالايمان اما على طريقة التغليب واما بالنظر الى ايمانهم القديم او في شعب الاسلام
واحكامه فلا تخلوا بشيء منها والخطاب للمسلمين وانما خوطب اهل الكتاب بعنوان الايمان مع انه لا
يصح الايمان الا بما كلفوه الان ايذانا بان ما يدعونه لا يتم بدونه ولا تتبعوا خطوات الشيطان بالتفرق
والتفريق او بمخالفة ما امرتم به انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة او مظهر لها وهو تعليل للنهي والانتهى
فانه لكم اي عن الدخول في السلم وقرئ بكسر اللام وهي اللغة فيه من بعد ما جاءتكم البينات
الحجج القطعية الدالة على حقيقته الموجبة للدخول فيه فاعلموا ان الله عزيز حكيم غالب على امره لا يعجزه
الانتقام منكم لا يترك ما تقتضيه الحكمة من مؤاخذة المجرمين المستعصين على امره هل ينظرون استفهام
انكاري في معنى النفي اي ما ينتظرون بما يفعلون من العناد والمخالفة في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا
عنه الا ان ياتيهم اي امره وباسه اي ياتيهم الله بامره وباسه فحذف الماتي به لدلالة الحال عليه والالتفات
الى الغيبة للايذان بان سوء صنيعهم موجب للاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لمن عداهم من اهل الانصاف على
طريقة المباثة وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها

لما يترقبون لوقوعها في ظلل جمع ظلة كقلل جمع قلة وهي ما اظلك وقرئ في ظلال كقلال في جمع قلة من الغمام اي
السحاب الابيض وانما يأتيهم العذاب فيه لما انه مظنة الرحمة فاذا اتى منه العذاب كان افظع للطامع فان
اتيان الشر من حيث لا يحتسب صعب فكيف فاتيانه من حيث يرجى منه الخير والملائكة عطف على الاسم الجليل
اي ويأتيهم الملائكة فانهم وسائط في اتيان امره تعالى بل هم الاتون بباسه على الحقيقة وتوسيط الغمام
بينهما للايذان بانه الاتي او من جنس ما يلابس الغمام ويترتب عليه عادة واما الملئكة وان كان اتيانهم
مقارنا لما ذكر من الغمام لكن ذلك ليس بطريق الاعتبار وقرئ بالجر عطفا على ظلل او الغمام وقضي الامر
اي اتم امر اهلاكهم وفرغ منه وهو عطف على ما يأتيهم داخل في حيز الانتظار وانما عدل الى صيغة الماضي
دلالة على تحققه فكانه قد كان او جملة مستانفة جيء بها انباء عن وقوع مضمونها وقرئ وقضاء الامر عطفا على الملئكة
والى الله ترجع الامور بالتانيث على البناء للمفعول من الرجع وقرئ بالتذكير وعلى البناء للفاعل بالتانيث
من الرجوع سل بني اسرائيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل الكتاب والمراد
بالسؤال تبكيتهم وتقريعهم بذلك وتقرير لمجيء البينات كم اتيناهم من اية بينة معجزة ظاهرة على ايدي الانبيا
عليهم السلام او اية ناطقة بحقية الاسلام المامور بالدخول فيه وكم خبرية او استفهامية مقررة
ومحلها النصب على المفعولية او الرفع بالابتداء على حذف العايد من الخبر واية تمييزها ومن يبدل نعمة الله
التي هي اياته الباهرة فانها سبب للهدى الذي هو اجل النعم وتبديلها جعلها سببا للضلالة وازدياد الرجس
او تحريفها وتاويلها الزايغ من بعد ما جاءته ووصلت اليه وتمكنت من معرفتها والتصريح بذلك مع ان
التبديل لا يتصور قبل المجيء للاشعار بانهم قد بدلوها بعد ما وقفوا على تفاصيلها كما في قوله عز وجل
ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون قيل تقديره فبدلوها ومن يبدل وانما حذف للايذان بعدم
الحاجة الى التصريح به لظهوره فان الله شديد العقاب تعليل للجواب كانه قيل ومن يبدل نعمة الله عاقبه
اشد عقوبة فانه شديد العقاب واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة زين للذين
كفروا الحياة الدنيا اي حسنت في اعينهم واشربت محبتها في قلوبهم حتى تهالكوا عليها وتهافتوا فيها معرضين
عن غيرها والتزيين من حيث الخلق والايجاد مشية الله سبحانه كما يعرب عنه القراءة على البناء للفاعل اذ ما من
شيء الا هو خالقه وكل من الشيطان والقوى الحيوانية وما في الدنيا من الامور البهية والاشياء الشهية
مزين بالعرض ويسخرون من الذين امنوا عطف على زين وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على استمرار السخرية
منهم وهم فقراء المومنين كبلال وعمار وصهيب كانوا يسترذلونهم ويستهزؤن بهم على رفضهم الدنيا واقبالهم
على العقبى ومن ابتدائية فكانهم جعلوا السخرية مبتدية منهم والذين اتقوا هم الذين امنوا بعينهم وذكرهم
بعنوان التقوى للايذان بان اعراضهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مخلة بتبتلهم الى جناب القدس شاغلة
عنه فوقهم يوم القيمة لانهم في اعلى عليين وهم في اسفل سافلين او لانهم في اوج الكرامة وهم في حضيض
الذل والمهانة او لانهم يتطاولون عليهم في الاخرة فيسخرون منهم كما سخروا منهم في الدنيا والجملة
معطوفة على ما قبلها وايثار الاسمية للدلالة على دوام مضمونها والله يرزق من يشاء اي في الدارين
بغير حساب بغير تقدير فيوسع في الدنيا استدراجا تارة وابتلاء اخرى كان الناس امة واحدة متفقين
على كلمة الحق ودين الاسلام وكان ذلك بين ادم وادريس او نوح عليه السلام او بعد الطوفان فبعث الله
النبيين اي فاختلفوا فبعث الى اخره وهي قراءة ابن مسعود وقد حذف تعويلا على ما يذكر عقيبه مبشرين
ومنذرين عن كعب الذي علمته من عدد الانبيا عليهم السلام ماية واربعة وعشرون الفا والمرسلون منهم
ثلاثماية وثلاثة عشر والمذكور في القران ثمانية وعشرون وقيل كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر والضلال
في فترة ادريس او نوح فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول هو الانسب بالنظم الكريم وانزل معهم الكتاب
اي جنس الكتاب او مع كل واحد منهم من له كتاب كتابه الخاص به لا مع كل واحد منهم على الاطلاق اذ لم يكن لبعضهم
كتاب وانما كانوا ياخذون بكتب من قبلهم وعموم النبيين لا ينافي خصوص الضمير العايد اليه بمعونة المقام
بالحق حال من الكتاب او مع كل اي ملتبسا بالحق او متعلق بانزل كقوله عز وعلا وبالحق انزلناه وبالحق نزل ليحكم
اي الكتاب او الله سبحانه وتعالى او كل واحد من النبيين بين الناس اي المذكورين والاظهار في موقع الاضمار
لزيادة التعيين فيما اختلفوا فيه اي في الحق الذي اختلفوا فيه او فيما التبس عليهم وما اختلف فيه اي في الحق
او الكتاب المنزل ملتبسا به والواو حالية الا الذين اوتوه اي الكتاب المنزل لازالة الاختلاف وازاحة
الشقاق والتعبير عن الانزال بالايتاء للتنبيه من اول الامر على كمال تمكنهم من الوقوف على ما في تضاعيفه
من الحق فان الانزال لا يفيد تلك الفايدة اي عكسوا الامر حيث جعلوا ما انزل لازالة الاختلاف سببا
لاستحكامه ورسوخه من بعد ما جاءتهم البينات اي رسخت في عقولهم ومن متعلقة بمحذوف يدل عليه
الكلام اي فاختلفوا وما اختلف فيه الى اخره وقيل بالملفوظ المحلى بنا على عدم الا عنه كما في قولك ما قام

الا زيد يوم الجمعة بغيا بينهم متعلق بما تعلقت به من اي اختلفوا بغيا وتهالكا على الدنيا فهدى الله الذين امنوا
بالكتاب لما اختلفوا فيه اي الحق الذي اختلف فيه من اختلف من الحق بيان لما وفي ابهامه اولا وتفسيره
ثانيا ما لا يخفى من التفخيم باذنه بامره او بتيسيره ولطفه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم موصل
اعتراض مقرر لمضمون ما سبق ام حسبتم خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين
حثا لهم على الثبات على المصابرة على مخالفة الكفرة وتحمل المشاق من جهتهم اثر بيان اختلاف الامم على الانبيا
عليهم السلام وقد بين ما في اختلافهم وما لقي الانبيا ومن معهم من قبلهم من مكابدة الشدايد ومقاساة
الهموم وان عاقبة امرهم النصر وام منقطعة والهمزة فيها للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة
ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم من الانبيا ومن معهم من المومنين اي والحال انه لم ياتكم مثله بعد ولم تبتلوا
بما ابتلوا به من الاحوال الهائلة التي هي مثل في الفظاعة والشدة وهو متوقع ومنتظر مستهم استيناف
وقع جوابا عما ينساق اليه الذهن كانه قيل كيف كان مثلهم فقيل مستهم البأساء اي الشدة من الخوف والفاقة
والضراء اي الالام والامراض وزلزلوا اي ازعجوا ازعاجا شديدا بما دهمهم من الاهوال والافزاع
حتى يقول الرسول والذين امنوا معه اي انتهى امرهم من الشدة الى حيث اضطرهم الضجر الى ان يقول الرسول
وهو اعلم الناس بشئون الله تعالى واوثقهم بنصره والمومنون المقتدون باثاره والمهتدون والمستضيئون
بانواره متى ياتي نصر الله طلبا وتمنيا له واستطالة لمدة الشدة والعنا وقرئ حتى يقول بالرفع على
انه حكاية حال ماضية نحو عنا كما ترى غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية كيف لا والرسول
مع علو كعبهم في الثبات والاصطبار حيث عيل صبرهم وبلغوا هذا المبلغ من الضجر الضجيج على ان الامر
بلغ الغاية لا يستطاع ودعا الا ان نصر الله قريب على تقدير القول اي فقيل لهم حينئذ ذلك اسعافا لمرامهم
والمراد بالقرب القرب الزماني وفي ايراد الجملة الاسمية على الفعلية المناسبة لما قبلها وتصديرها بحرف
التنبيه والتاكيد من الدلالة على تحقيق مضمونها وتقريره ما لا يخفى واختيار حكاية الوعد بالنصر لما انها
في حكم انشاء الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والاقتصار على حكايتها دون حكاية نفس النصر مع
تحققه للايذان بعدم الحاجة الى ذلك لاستحالة الخلف ويجوز ان يكون ذلك واردا من جهته تعالى عند
الحكاية على نهج الاعتراض لا واردا عند وقوع المحكي وفيه رمز الى ان الوصول الى الجناب القدسي لا يتسنى
الا برفض اللذات ومكابدات المشاق كما ينبئ عنه قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار
بالشهوات يسألونك ماذا ينفقون اي من اصناف اموالهم قل ما انفقتم من خير ما اما شرطية واما
موصولة حذف العايد اليها اي ما انفقتموه من خير اي خير كان وفيه تجويز الانفاق من جميع انواع
الاموال وبيان لما في السؤال الا انه جعل من جملة ما في حيز الشرط او الصلة واورد في معرض البيان المصرف
حيث قيل فللوالدين والاقربين للايذان بان الاهم بيان المصارف المعدودة لان الاعتداد بالانفاق
بحسب وقوعه في موقعه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم له مال عظيم
فقال يا رسول الله ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت واليتامى اي المحتاجين منهم والمساكين وابن السبيل
ولم يتعرض للسائلين والرقاب اما اكتفا بما ذكر في المواقع الاخر واما بناء على دخولهم تحت عموم قوله
تعالى وما تفعلوا من خير فانه شامل لكل خير واقع في اي مصرف فان الله به عليم فيوفي ثوابه وليس
في الاية ما ينافيه فرض الزكوة لينسخ كما نقل عن السدي كتب عليكم القتال بنا الفعل للمفعول ورفع
القتال اي قتال الكفرة وقرئ على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونصب القتال وقرئ كتب عليكم
القتل اي قتل الكفرة والواو في قوله تعالى وهو كره لكم حالية اي والحال انه مكروه لكم طبعا على ان الكره
مصدر وصف به المفعول مبالغة اي بمعنى المفعول كالخبز بمعنى المخبوز وقرئ بالفتح على انه بمعنى المضموم
كالضعف والضعف او على انه بمعنى الاكراه مجازا كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته
عليهم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وهو جميع ما كلفوه من الامور الشاقة التي من جملتها القتال فان
النفوس تكرهه وتنفر عنه والجملة اعتراضية دالة على ان القتال خير لهم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم
وهو جميع ما نهوا عنه من الامور المستلذة وهو معطوف على ما قبله لا محل لهما من الاعراب والله يعلم ما هو
خير لكم فلذلك يأمركم به وانتم لا تعلمون اي لا تعلمونه ولذلك تكرهونه او والله يعلم ما هو خير وشر لكم
وانتم لا تعلمونهما فلا تتبعوا في ذلك اراءكم وامتثلوا امره تعالى يسألونك عن الشهر الحرام روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين
ليترصدوا عيرا لقريش فيهم عمرو بن عبد الله الحضرمي في ثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير بما
فيها من تجارة الطائف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الاخرة فقالت قريش قد
استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم

العير وعظم ذلك على اصحاب السرية وقالوا حتى يتنزل توبتنا ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم العير والاسارى
وعن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسالك الكفار
او المسلمون عن القتال في الشهر الحرام على ان قوله عز وجل قتال فيه بدل الاشتمال من الشهر وتنكيره لما
ان سؤالهم كان عن مطلق القتال في الشهر الحرام وقرئ عن قتال فيه بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين
امنوا استضعفوا لمن امن منهم وقرئ قتل فيه قل في جوابهم قتال فيه كبير جملة من مبتدأ وخبر محلها النصب
بقل وانما جاز وقوع قتال مبتدأ مع كونه نكرة لتخصيصه اما بالوصف ان تعلق الظرف بمحذوف وقع
صفة له اى قتال كائن فيه واما بالعمل ان تعلق به وانما اوثر التنكير احترازا عن توهم التعيين وايذانا
بان المراد مطلق القتال الواقع اى قتال كان عن عطا انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله
ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل
انها منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وصد عن سبيل الله مبتدأ قد تخصص
بالعمل فيما تعدوه اى ومنع عن الاسلام الموصل للعبد الى الله تعالى وكفر به عطف على صد عامل فيما
بعده مثله اى وكفر بالله تعالى وحيث كان عن سبيل الله تعالى فردا من افراد الكفر به تعالى لم يقدح
العطف المذكور في حسن عطف قوله تعالى والمسجد الحرام على سبيل الله تعالى لانه ليس باجنبى محض
وقيل هو ايضا معطوف على صد بتقدير المضاف اى وصد المسجد الحرام واخراج اهله وهم النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنون منه اى من المسجد الحرام وهو عطف على وكفر به اكبر عند الله خبر للاشياء المعدودة
اى كبائر التسائلين اكبر عند الله مما منوا بالسؤال وهو ما فعلته السرية خطاء وبناء على الظن وافعل
يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والفتنة اى اقطع من قتل الحضرمى ولا يزالون يقاتلونكم بيان
لاستحكام عداوتهم وتصميما صرارهم على الفتنة في الدين حتى يردوكم عن دينكم الحق الى دينهم الباطل واضافة الدين
اليهم لتذكير تاكد ما بينهما من العلاقة الموجبة لامتناع الافتراق ان استطاعوا اشارة الى تصلبهم في الدين
وثبات قدمهم عليه كانه قيل وانى لهم ذلك ومن يرتدد منكم عن دينه تحذير من الارتداد اى ومن يفعل ذلك
باضلالهم واغوائهم فيمت وهو كافر بان لم يرجع الى الاسلام بعد الارتداد فاولئك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الارتداد والموت عليه وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم
في السوء والفساد والجمع للنظر الى المعنى اولئك المصرون على الارتداد الى حين الموت حبطت اعمالهم
الحسنة التى كانوا عملوها في حالة الاسلام حبوطا لا تلافى له قطعا في الدنيا والاخرة بحيث لم يبق لها حكم
من الاحكام الدنيوية والاخروية واولئك الموصوفون بما ذكر سابقا ولاحقا من القبائح اصحاب النار
ملابسوها وملازموها او مالكوها وهم فيها خالدون كداب سائر الكفرة ان الذين امنوا نزلت في اصحاب السرية
لما ظن بهم انهم سلموا من الاثم فلا اجر لهم والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله كرر الموصول مع ان المراد
بهما واحد لتفخيم شان الهجرة والجهاد فكانهما مستقلان في تحقيق الرجاء اولئك المنعوتون يرجون بما لهم
من مبادى الفوز رحمة الله اى ثوابه ثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للايذان بانهم عالمون بان العمل
غير موجب للاجر وانما هو على طريق التفضل منه سبحانه لا لان في فوزهم اشتباها والله غفور مبالغ
في مغفرة ما فرط من عباده حتى رحيم يجزل لهم الاجر والثواب والجملة اعتراض محقق لمضمون ما قبلها
يسئلونك عن الخمر والميسر قد نزلت في شان الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا فطفق المسلمون يشربونها ثم ان عمر رضي الله عنه ومعاذا ونفرا من
الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين قالوا افتنا يا رسول الله في الخمر فانها مذهبة للعقل فنزلت هذه
الاية فشربها قوم وتركها اخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا فشربوا فسكروا فقام احدهم فقرأ
قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى الاية فقل من يشربها
ثم دعا عتبان بن مالك سعد بن وقاص في نفر فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد شعرا فيه هجاء
الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم بين
لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا
يا رب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة منها في بئر فبنيت في مكانها منارة لم اؤذن عليها ولو وقعت
في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم ارعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو ادخلت اصبعي فيها لم تتبعني وهذا هو الايمان
والتقى حقا رضوان الله عليهم اجمعين والخمر مصدر خمره اى ستره سمى به من عصير العنب ما غلى واشتد
وقذف بالزبد لتغطيتها العقل والتمييز كانها نفس الستر كما سميت سكرا لانها تسكرهما والميسر مصدر
ميمي من يسر كالموعد والمرجع يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه اما من اليسر لانه اخذ المال بيسر من غير
كد وتعب واما من اليسار لانه سلب له وصفته انه كانت لهم عشرة اقداح هي الازلام والاقلام الفذ

والتوءم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لقد منهم وللتوءم سهمان وللرقيب
ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة
يضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا قدحا فمن خرج له قدح
من ذوات الانصباء اخذ النصيب المعين لها ومن خرج له من تلك الثلاثة غرم ثمن الجزور مع حرمانه وكانوا
يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لا يدخل فيه ويسمونه
البرم في حكمه جميع انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم
وهاتين اللعبتين المشومتين فانهما ميسر العجم وعن علي كرم الله وجهه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن
ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسالونك عن حكمتهما وعما في تعاطيهما قل فيهما اثم كبير
للاموال ومنافع للناس من كسب الطرب واللذة ومصاحبة الفساق وتشجيع الجبان وتقوية الطبيعة
وقرئ اثم كثير بالمثلثة وفي تقديم اسمه ووصفه الكبير وتاخير ذكر منافعه مع تخصيصها بالناس من
الدلالة على غلبة الاول ما لا يخفى على ما نطق به قوله تعالى واثمهما اكبر من نفعهما اى المفاسد المترتبة على
تعاطيهما اعظم من الفوائد المترتبة عليه وقرئ اقرب من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون عطف على
يسئلونك عن الخمر الى اخره عطف القصة على القصة اى اى شيء ينفقونه قيل هو عمرو بن الجموح ايضا سال
اولا عن اى جنس ينفق من اجناس اموال فلما بين جواز الانفاق من جميع الاجناس سال ثانيا من اى اصنافها
ينفق من خيارها ام غيرها او سال عن مقدار ما ينفق قيل قل العفو بالنصب اى ينفقون العفو او انفقوا
العفو وقرئ بالرفع على ان ما استفهامية وذا موصولة صلتها ينفقون اى الذي ينفقونه العفو قال الواحدي
اصل العفو في اللغة الزيادة وقال القفال العفو ما سهل وتيسر مما فضل من الكفاية وهو قول قتادة
وعطا والسدى وكانت الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة
ويتصدقون بالفضل وروى ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم ببيضة من ذهب اصابها في بعض
الغنائم فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه فكرر ذلك مرارا حتى قال عليه السلام مغضبا هاتها فاخذها
فحذفها عليه حذفا لو اصابته لشجته ثم قال ياتي احدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما
الصدقة عن ظهر غنى كذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتى وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة
المشار اليه في الفضل مع كمال تميزه وانتظامه بسبب ذلك في سلك الامور المشاهدة والكاف لتاكيد
ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين باعتبار القبيل والفريق
او لعدم القصد الى تعيين الخطاب كما مر ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى مثل ذلك البيان
الواضح الذي هو عبارة عما مضى في اجوبة الاسئلة المارة يبين الله لكم الايات الدالة على الاحكام الشرعية
المذكورة لا بيانا ادنى منه وقد مر تمام تحقيقه في قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وتبيين الايات
تنزيلها مبينة واضحة المدلول لا انه تعالى يبينها بعد ان كانت مشتبهة ملتبسة وصيغة الاستقبال
لاستحضار الصورة لعلكم تتفكرون كى تتفكروا فيها وتقفوا على مقاصدها وتعملوا بما في تضاعيفها قوله
تعالى في الدنيا والاخرة متعلق اما بيبين كما فيما يتعلق بالدنيا والاخرة واما بمحذوف وقع
حالا من الايات اى يبينها لكم كائنة فيما يتعلق بهما واما بما يدل عليه التعليل المزيد
بالاعتبار ان تتفكروا فيما يتعلق بهما تعالى لعلكم تتفكرون في الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة في الاحكام الواردة
في اجوبة الاسئلة المارة فتختارون منها ما يصلح لكم وينفعكم وتجتنبون عما يضركم وهذا التخصيص هو
المناسب لمقام تعداد الاحكام الجزئية ويجوز التعميم لجميع الامور المتعلقة بالدنيا والاخرة وذلك
جميع اشارة الى ما مضى البيانات كلا او بعضا الى مصدر ما بعده فانه نوع مستقل ليس عبارة عن
تلك البيانات والمراد بالايات والدلائل لعلكم تتفكرون في امورهم المتعلقة بالدنيا والاخرة فتاخذون
بما يصلح لكم وينفعكم فيهما وتذرون ما يضركم حسبما تقتضيه تلك الايات المبنية ويسئلونك عن اليتامى
عطف على ما قبله من نظيره وروى انه لما نزلت ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية تحامى الناس عن
مخالطة اليتامى وتعهد اموالهم قل اصلاح لهم خير اى مداخلتهم على طريق الاصلاح خير من مجانبتهم وان تخالطوهم وتعاشروهم
على وجه ينفعهم فاخوانكم اى فهم اخوانكم اى في الدين الذي هو اقوى من العلاقة النسبية ومن حقوق الاخوة
ومواجبها المخالطة بالاصلاح والنفع وقد حمل المخالطة على المصاهرة والله يعلم المفسد من المصلح
العلم بمعنى المعرفة المتعدية الى واحد ومن لتضمينه معنى التمييز اى يعلم من يفسد في امورهم عند المخالطة
او من يقصد بمخالطة الخيانة والافساد ممن له يصلح فيها او يقصد الاصلاح فيجازى كلا منهما بعمله
ففيه وعد ووعيد خلا ان في تقديم المفسد مزيد تهديد وتاكيد للوعيد ولو شاء الله لاعنتكم اى
لوشاء ان يعنتكم اى يحملكم ما يشق عليكم من العنت وهو المشقة ولم يجوز لكم مداخلتهم ان الله عزيز

غالب على امره لا يعز عليه امر من الامور التي من جملتها اعناتكم فهو تعليل لمضمون الشرطية وقوله عز
وجل حكيم فاعل لافعاله حسبما تقتضيه الحكمة الداعية الى بناء التكليف على اساس الطاقة دليل على
ما يفيده كلمة لو من انتفاء مقدمها ولا تنكحوا المشركات اي لا تتزوجوهن وقرئ بضم التاء من الانكاح اي لا
تزوجوهن من المسلمين حتى يؤمن والمراد بهن ما يعم الكتابيات ايضا حسبما يقتضيه عموم التعليل بين
الآيتين لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه عما يشركون
فالآية منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واما غير الكتابيات فهي
ثابتة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها
ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا تخلوا فقال ويحك ان
الاسلام حال بيننا فقالت هل لك ان تتزوج بي فقال نعم ولكن ارجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
فاستأمره فنزلت ولامة مؤمنة تعليل للنهي عن مواصلتهن وترغيب في مواصلة المؤمنات صدر بلام
الابتداء الشبيهة بلام القسم في افادة التأكيد مبالغة في الحمل على الانزجار واصل امة اموة حذف
لامها على غير قياس وعوض منه تاء التأنيث ودليل كون لامها واوا رجوعها في الجمع قال الكلابي * اما الاماء
فلا تدعونني ولدا * اذا تنادى بنو الاماء بالعار *** وظهورها في المصدر يقال هي امة بينة الاموة
واقر له بالاموة وقد وقعت مبتدأ لما فيها من لام الابتداء والوصف اي ولامة مؤمنة مع ما بها من
خساسة الرق وقلة الخطر خير بحسب الدين والدنيا خير من مشركة اي امرأة مشركة مع ما لها من شرف
الحرية ورفعة الشأن ولو اعجبتكم قد مر ان كلمة لو في امثال هذا الموقع ليست لبيان انتفاء الشيء في الماضي
لانتفاء وتحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة على الاجمال
بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته معها ثبوته مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية
لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلأن يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال
ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها وهذا
معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على وجه الاجمال كأنه قيل لو لم تعجبكم ولو اعجبتكم والجملة في حيز النصب على
الحالية من مشركة اذ المآل ولأمة مؤمنة خير من مشركة حال عدم اعجابها اياكم وحال اعجابها بجمالها ومالها ونسبها و
نحو ذلك من مبادي الاعجاب وموجبات الرغبة فيها اي على كل حال وقد اقتصر على ذكر ما هو اشد
منافاة للخيرية تنبيها على انها حيث تحققت معه فلأن تتحقق مع غيره اولى وقيل الواو حالية وليس
بواضح وقيل اعتراضية وليس بسديد والحق انها عاطفة مستتبعة لما ذكر من الاعتبار اللطيف ثم يجوز
ان تكون الجملة الاولى مع ما عطف عليها مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها ولا تنكحوا المشركين من الانكاح
والمراد بهم الكفار على الاطلاق لما مر اي لا تزوجوا منهم المؤمنات سواء كن حرائر او اماء حتى يؤمنوا و
يتركوا ما هم عليه من الكفر ولعبد مؤمن مع ما به من ذل المملوكية خير من مشرك مع ما له من عز المالكية
ولو اعجبكم بما فيه من دواعي الرغبة فيه الراجعة الى ذاته وصفاته اولئك استئناف مقرر لمضمون ال
التعليل اي المذكورون من المشركين والمشركات يدعون من يقارنهم ويعاشرهم الى النار اي الى
ما يؤدي اليها من الكفر والفسوق فلا بد من الاجتناب عن مقارنتهم ومقاربتهم والله يدعو بواسطة
عباده المؤمنين من يقارنهم الى الجنة والمغفرة اي الى الاعتقاد الحق والعمل الصالح الموصلين اليهما وتقديم
الجنة على المغفرة مع ان حق التخلية ان تقدم على التحلية لرعاية مقابلة النار ابتداء باذنه متعلق بيدعو
اي يدعو ملتبسا بتوفيقه الذي من جملته ارشاد المؤمنين لمقارنيهم الى الخير ونصيحتهم اياهم فهم احقاء
بالمواصلة ويبين آياته المشتملة على الاحكام الفائقة والحكم الرائقة للناس لعلهم يتذكرون اي لكي يتذكروا
ويعملوا بما فيها فيفوزوا بما دعوا اليه من الجنة والغفران هذا وقد قيل والله يدعو اولياؤه وهم المؤمنون
على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تشريفا لهم وانت خبير بان الضمير في المعطوف على الخبر
اعني قوله تعالى ويبين الله تعالى فيلزم التفكيك وقيل معناه والله يدعو باحكامه المذكورة الى الجنة
والمغفرة فانها موصلة لمن عمل بها اليهما وهذا وان كان مستدعيا للاتحاد مرجع الضمير بين الكائنين في
الجملتين المتعاطفتين الواقعتين خبرا للمبتدأ لكن يفوت حينئذ حسن المقابلة بينه وبين قوله تعالى اولئك
يدعون الى النار ولعل الطريق الاسلم ما اومأناه اولا وايراد التذكر ههنا للاشعار بانه واضح لا
يحتاج الى التفكر كما في الاحكام السابقة ويسألونك عن المحيض عطف على ما تقدم من مثله ولعل حكاية
هذه الاسئلة الثلاثة بالعطف لوقوع الكل عند السؤال عن الخمر وحكاية ما عداها بغير عطف لوقوع
كل من ذلك في وقت على حدة والمحيض مصدر من حاضت المرأة كالمجيء والمبيت روي ان اهل الجاهلية
كانوا لا يساكنون الحيض ولا يؤاكلونهن كفعل اليهود والمجوس واستمر الناس على ذلك الى ان سأل

عن

عن ذلك ابو الدحداح في نفر من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فنزلت قل هو اذى اي شيء يستقذر
منه ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا النساء في المحيض اي فاجتنبوا مجامعتهن في حالة
الحيض قيل اخذ المسلمون بظاهر الاعتزال فاخرجوهن من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد
شديد والثياب قليلة فان آثرناهن هلك سائر اهل البيت وان استأثرناها هلكت الحيض فقال صلى الله
عليه وسلم انما امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل
ان النصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يفرطون في الاعتزال فامر المسلمون ولا تقربوهن
حتى يطهرن تأكيد لحكم الاعتزال وتنبيه على ان المراد به عدم قربانهن لا عدم القرب منهن وبيان لغايته وهو
انقطاع الدم عند ابي حنيفة رحمه الله فان كان ذلك في اكثر المدة حل القربان كما انقطع والا فلا بد من الاغتسال
او مضي وقت صلوة وعند الشافعي ان يغتسل بعد الانقطاع كما يفصح عنه القراءة بالتشديد وينبئ عنه قوله
عز وجل فاذا تطهرن فان التطهر هو الاغتسال فأتوهن من حيث امركم الله من المأتي الذي حلله لكم وهو القبل
ان الله يحب التوابين مما عسى يندر منهم من ارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير لمزيد العناية من
التطهر ومن سائر الذنوب ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش والاقذار وفي ذكر التوبة اشعار
بمساس الحاجة اليها بارتكاب بعض الناس لما نهوا عنه وتكرير الفعل لمزيد العناية بامر التطهر نساؤكم
حرث لكم اي مواضع حرث شبهن بالحرث وعبر عن مجامعتهن بالاتيان وهو بيان لقوله تعالى فأتوهن من حيث امركم
الله فأتوا حرثكم انى شئتم من اي جهة شئتم روي ان اليهود كانوا يزعمون ان من اتى امرأته في قبلها من دبرها يأتي
ولده احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقدموا لانفسكم اي ما يدخر لكم الثواب
وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند المباشرة واتقوا الله بالاجتناب عن معاصيه التي من جملتها
ما علم من الامور واعلموا انكم ملاقوه فتزودوا لتحصيل ما تنتفعون به واجتنبوا اقتراف ما تفتضحون
به وبشر المؤمنين الذين تلقوا ما خوطبوا به من الاوامر والنواهي بحسن القبول والامتثال بما يقصر
عنه البيان من الكرامة والنعيم المقيم او بكل ما يبشر به من الامور التي تنشرح بها القلوب وتقر بها
العيون وفيه مع ما في تلوين الخطاب وجعل المبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم من المبالغة في التشريف
للمؤمنين ما لا يخفى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم قيل نزلت في عبد الله بن رواحة حين حلف ان لا ينفق على
مسطح لخوضه في حديث الافك والعرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة تطلق على ما يعرض دون
الشيء فيصير حاجزا منه كما يقال فلان عرضة للخير وللمعترض للامر كما في قوله * فلا تجعلوني عرضة للوائم *
** وللامور الحسنة التي تحلفون على تركها وعبر عنها بالايمان لملابستها لها كما في قوله عليه السلام لعبد الله
بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك وقوله تعالى
ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس عطف بيان لايمانكم او بدل لايمانكم او بدل منها لما عرفت انها
عبارة عن الامور المحلوف عليها واللام في لايمانكم متعلقة بالفعل او بعرضة فيكون الايمان بمعناها
لما فيها من معنى الاعتراض اي لا تجعلوا الله لبركم واتقائكم واصلاحكم بين الناس عرضة اي برزخا
حاجزا بان تحلفوا بالله تعالى على تركها او لا تجعلوه تعالى عرضة اي شيئا يعترض الامور المذكورة ويحجزها بما
ذكر من الحلف به على تركها وقد يجوز ان تكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا الى آخره بالفعل او بعرضة
فيكون الايمان بمعناها وانت خبير بانه يؤدي الى الفصل بين العامل ومعموله وعلى الوجه الثاني لا
تجعلوا الله معرضا لايمانكم تبتذلونه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من نزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين
باشنع المذام وذلك وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا حينئذ علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا
لان الحلاف مجترئ على الله سبحانه غير معظم له فلا يكون برا متقيا ثقة بين الناس فيكون بمعزل من التوسط
في اصلاح ذات البين والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم فحافظوا على ما كلفتموه لا يؤاخذكم الله
باللغو في ايمانكم اللغو ما سقط من الكلام عن درجة الاعتبار والمراد به في الايمان ما لا عقد معه ولا
قصد كما ينبئ عنه قوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وهو المعني بقوله عز وجل ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم وقد اختلف فيه فعندنا هو ان يحلف على شيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه فانه
لا قصد فيه الى الكذب وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم من غير اخطار
الحلف بالبال فالمعنى على الاول لا يؤاخذكم الله اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم ظانا انه صادق
فيه ولكن يؤاخذكم بما اقترفته قلوبكم من اثم القصد الى الكذب في اليمين وذلك في الغموس وعلى
الثاني لا يلزمكم الكفارة بما لا قصد معه الى اليمين ولكن يلزمكموها بما نوت قلوبكم وقصدت به اليمين ولم
يكن كسب اللسان فقط والله غفور حيث لم يؤاخذكم باللغو مع كونه ناشئا من عدم التثبت وقلة المبالاة
حليم حيث لم يعجل بالمؤاخذة المعاقبة لا ايجاب الكفارة اذ هي التي يتعلق بها المغفرة والحلم دونه للذين

يولون من نسائهم الا بالحلف وحقه ان يستعمل بعلى واستعماله بمن لتضمينه معنى البعد اى للذين يحلفون
متباعدين من نسائهم ويحتمل ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لى منك كذا وقرئ في
الوامن نسائهم وقرئ يقسمون من نسائهم والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا
على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون ذلك وحكمه ان فاء اليها في المدة بالوطئ
ان امكن او بالقول اى بعجزه عنه صح الفئ وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان
امضت الاربعة بانت بتطليقة والتربص الانتظار والتوقف اضيف الى الظرف اتساعا اى لهم ان
ينتظروا في هذه المدة من غير مطالبة بفئ او طلاق فان فاؤا اى رجعوا من اليمين بالحنث والفاء للتفصيل
كما اذا قلت انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم اقمت عندكم الى اخره والا لم البث الا ريثما اتحول فان الله
غفور رحيم يغفر للمولى بالفيئة التي هي كالتوبة اثم حنثه عند تكفيره او ما قصد بالايلاء من ضرار المراة
وان عزموا الطلاق واجمعوا عليه فان الله سميع بما جرى منهم من الطلاق وما يتعلق به من الدمدمة
والمقاولة التي لا تخلو عنها الحال عادة عليم بنياتهم وفيه من الوعيد على الاصرار وترك الفيئة ما لا
يخفى والمطلقات اى ذوات الاقراء من الحرائر المدخول بهن لما قد بين ان لا عدة على غير المدخول بها وان
عدة من لا تحيض لصغر او كبر او حمل بالاشهر ووضع الحمل وان عدة الامة قرآن او شهران يتربصن خبر
في معنى الامر مفيد للتاكيد باشعاره بان المامور به مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى الاتيان به
فكانهن امتثلن بالامر بالتربص فهو يخبر به موجودا محققا وبناؤه على المبتدا مفيد لزيادة تاكيد ب
انفسهن الباء للتعدية اى يقمعنها ويحملنها على ما لا تشتهيه بل تشق عليها من التربص وفيه
مزيد بعث لهن على ذلك لما فيه من الاباء عن الاتصاف بما يستنكفن منه من كون نفوسهن طوامح الى
الرجال فيحملهن ذلك على الاقدام على الاتيان بما امرن به ثلثة قروء نصب على الظرفية او المفعولية بتقدير
مضاف اى يتربصن مدة ثلثة قروء وهو جمع قرء والمراد به الحيض بدليل قوله عليه السلام
دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله عليه السلام طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان وقوله
تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر ولان المقصود الاصلي من العدة
استبراء الرحم ومداره الحيض دون الطهر ويقال اقرأت المراة اذا حاضت وقوله تعالى فطلقوهن
لعدتهن معناه مستقبلات لعدتهن وهي الحيض الثلاث وايراد جمع الكثرة في مقام جمع القلة بطريق
الاتساع فان ايراد كل من الجمعين مكان الاخر شائع ذائع وقرئ ثلثة قرو بغير همز ولا يحل لهن ان يكتمن
ما خلق الله في ارحامهن من الحيض والولد استعجالا في العدة وابطالا لحق الرجعة وفيه دليل على قبول
قولهن في ذلك نفيا واثباتا ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر وجواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله
دلالة واضحة اى فلا يجترئن على ذلك فان قضية الايمان بالله واليوم الاخر الذي يقع فيه الجزاء
والعقوبة منافية له قطعا وبعولتهن البعولة جمع بعل وهو في الاصل السيد المالك والتاء لتانيث
الجمع كما في الحزونة والسهولة او مصدر بتقدير مضاف اى اهل بعولتهن اى ازواجهن الذين طلقوهن
طلاقا رجعيا كما ينبئ عنه التعبير عنهم بالبعولة فالضمير لبعض افراد المطلقات احق بردهن الى النكاح والرجعة
اليهن في ذلك اى في زمان التربص وصيغة التفضيل لافادة ان الرجل اذا اراد الرجعة والمراة تاباها
وجب ايثار قوله على قولها لا ان لها ايضا حقا في الرجعة ان ارادوا اى الازواج بالرجعة بل هو الحث عليه
والزجر عن قصد الضرار ولهن عليهم من الحقوق مثل الذي لهم عليهن بالمعروف من الحقوق التي يجب
مراعاتها في المهر والكفاف وترك الضرار ونحوها ادرقية في الفضل لما انهم قوامون عليهن حراس لهن
ولما في ايديهن يشاركوهن فيما هو الغرض من الزواج ويستبدون بفضيلة الرعاية والانفاق والله
عزيز يقدر على الانتقام ممن يخالف احكامه حكيم تنطوي شرائعه على الحكم والمصالح الطلاق هو بمعنى التطليق
كالسلام بمعنى التسليم والمراد به الرجعي لما ان السابق الاقرب حكمه ولما روي انه عليه السلام سئل عن
الثالثة فقال عليه السلام او تسريح باحسان وهو مبتدا بتقدير مضاف خبره ما بعده اى عدد الطلاق
الذي يستحق الزوج فيه الرد والرجعة حسبما بين انفا مرتان اى اثنان وايثار ما ورد به النظم الكريم
عليه للايذان بان حقهما ان يقعا مرة بعد مرة لا دفعة واحدة وان كان حكم الرد ثابتا ايضا
فامساك اى فالحكم بعدهما امساك لهن بالرجعة بمعروف اى بحسن عشرة ولطف معاملة او تسريح
باحسان بالطلقة الثالثة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم او بعدم الرجعة الى ان تنقضي العدة
فتبين وقيل المراد به الطلاق الشرعي والمرتين مطلق التكرير لا التثنية بعينها كما في قوله ثم ارجع
البصر كرتين اى كرة بعد كرة والمعنى ان التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع بين
الطلقتين او الثلاث فان ذلك بدعة عندنا فقوله تعالى فامساك الى اخره حكم مبتدا وتخيير مستانف

اصلاحا لما بينهم وبينهن احسانا اليهن ولم يريدوا
مضارتهن فليس المراد به شرطية تقصد الاصلاح
بصحة الرجعة صح

ويتحتم المحافظة عليها وللرجال عليهن درجة اى زيادة
في الحق وتفوقهم في انفسهن وحقوقهن صح

والقا

والفاء فيه للترتيب على التعليم كانه قيل اذا علمتم كيفية التطليق فامسكوا احد الامرين ولا يحل لكم ان تاخذوا
منهن بمقابلة الطلاق مما اتيتموهن اى من الصدقات وتخصيصها بالذكر وان شاركها في الحكم سائر اموالهن
اما لرعاية العادة او للتنبيه على انه اذا لم يحل لهم ان ياخذوا مما اتوهن بمقابلة البضع عند خروجه من
ملكهم فلان لا يحل ان ياخذوا مما لا تعلق له بالبضع اولى واحرى شيئا اى نزرا يسيرا فضلا عن الكثير والتعميم
الطارئ عليه لما مر مرارا والخطاب مع الحكام والاسناد الاخذ والايتاء اليهم لانهم الامرون بهما عند المرافعة
وقيل مع الازواج وما بعده مع الحكام وذلك مما يشوش النظم الكريم على القراءة المشهورة الا ان يخافا
اى الزوجان وقرئ يظنا وهو مؤيد لتفسير الخوف بالظن الا يقيما حدود الله اى الا يراعيا مواجب احكام
الزوجية وقرئ يخافا على البناء للمفعول وابدال ان بصلته من الضمير بدل الاشتمال وقرئ تخافا وتقيما بتاء
الخطاب فان خفتم ايها الحكام الا يقيما اى الزوجان حدود الله بمشاهدة بعض الامارات والمخائل فلا جناح
عليهما اى على الزوجين فيما افتدت به لا على الزوج في اخذ ما افتدت به ولا عليها في اعطائه اياه روي
ان جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول كانت تبغض زوجها ثابت بن قيس فاتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت لا انا ولا ثابت لا يجمع راسي وراسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا
خلق ولكن اكره الكفر في الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم
سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت فاختلعت منه بحديقة كان اصدقها اياها تلك اى الاحكام
المذكورة حدود الله فلا تعتدوها بالمخالفة والرفض ومن يتعد حدود الله فاولئك والجمع
باعتبار معنى الموصول هم الظالمون اى لانفسهم بتعريضها لسخط الله تعالى وعقابه ووضع الاسم الجليل في
المواقع الثلاثة الاخيرة موقع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتعقيب النهي بالوعيد للمبالغة
في التهديد فان طلقها اى بعد الطلقتين السابقتين فلا تحل له من بعد اى من بعد هذا الطلاق حتى تنكح
زوجا غيره اى حتى تتزوج غيره فان النكاح ايضا يسند الى كل منهما وتعلق بظاهره من اقتصر على العقد
والجمهور على اشتراط الاصابة لما روي ان امراة رفاعة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رفاعة
طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن ابن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال صلى الله عليه
وسلم اتريدين ان ترجعي الى رفاعة قالت نعم قال عليه السلام لا الا ان تذوقي عسيلته ويذوق من
عسيلتك ومثله يجوز الزيادة على الكتاب وقيل النكاح بمعنى الوطء والعقد مستفاد من لفظ الزوج
والحكمة في هذا التشريع الردع عن المسارعة الى الطلاق والعود الى المطلقة ثلاثا والرغبة فيها والنكاح
بشرط التحليل مكروه عندنا وروي عدم الكراهة فيما لم يكن الشرط مصرحا به وفاسد عند الاكثرين
لقوله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له فان طلقها اى الزوج الثاني فلا جناح عليهما اى على
الزوج الاول والمراة ان يتراجعا ان يرجع كل منهما الى الاخر بالعقد ان ظنا ان يقيما حدود الله التي اوجب
مراعاتها على الزوجين من الحقوق ولا وجه لتفسير الظن بالعلم لما ان العواقب غير معلومة ولان ان
الناصبة للتوقع المنافي للعلم ولذلك لا يكاد يقال علمت ان يقوم زيد وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة
الى هنا حدود الله اى احكامه المعينة المحمية من التعرض لها بالتغيير والمخالفة يبينها بهذا البيان اللائق
او سيبينها فيما سياتي بيانا على ان بعضها يلحقه زيادة كشف وبيان ما بالكتاب والسنة والجملة خبر ثان
عند من يجوز كونه جملة كما في قوله تعالى فاذا هي حية تسعى او حال من حدود الله تعالى والعامل معنى
الاشارة لقوم يعلمون اى يفهمون وتخصيصهم بالذكر مع عموم الدعوة والتبليغ لما انهم المنتفعون
بالبيان اولان ما سيلحق بعض النصوص من البيان لا يقف عليه الا الراسخون في العلم واذا طلقتم النساء
فبلغن اجلهن اى اخر عدتهن فان الاجل كما يطلق على المدة يطلق على منتهاها والبلوغ هو الوصول
الى الشيء وقد يقال للشيء للدنو منه اتساعا وهو المراد هنا بقوله عز وجل فامسكوهن بمعروف
او سرحوهن بمعروف اذ لا امكان للامساك مع تحقق بلوغ الاجل اى فراجعوهن بغير ضرار او خلوهن
حتى ينقضي اجلهن باحسان من غير تطويل وهذا كما ترى اعادة للحكم في بعض صوره اعتناء بشانه ومبالغة
في ايجاب المحافظة عليه ولا تمسكوهن ضرارا تاكيدا للامر بالامساك بمعروف وتوضيح لمعناه وزجر
صريح عما كانوا يتعاطونه اى لا تراجعوهن ارادة الاضرار بهن كان المطلق يترك المعتدة حتى اذا شارفت
انقضاء الاجل يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول عليها العدة فهي عنه بعد ما امر بضده لما ذكر وضرارا
نصب على العلية او الحالية اى لا تمسكوهن للمضارة او مضارين واللام في قوله لتعتدوا متعلقة بضرارا
لتظلموهن بالالجاء الى الافتداء ومن يفعل ذلك اى ما ذكر من الامساك المؤدي الى الظلم وما فيه من معنى
البعد للدلالة على بعد منزلته في الشر والفساد فقد ظلم نفسه في ضمن ظلمه لهن بتعريضها للعقاب ولا
تتخذوا ايات الله المنطوية على الاحكام المذكورة او جميع اياته وهي داخلة فيها دخولا اوليا هزوا اى

اى مهزوا بها بان تعرضوا عنها وتتهاونوا فى المحافظة على ما فى تضاعيفها من الاحكام والحدود من قولهم لمن لم
يجد فى الامر انت هازئ كانه نهى عن الهزء بها واريد ما يستلزمه من الامر بضده اى جدوا فى الاخذ بها
والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اخذتموها هزوا ولعبا ويجوز ان يراد به النهى عن الاستهزاء
ضرارا فان الرجعة بلا رغبة فيها عمل بموجب ايات الله بحسب الظاهر دون الحقيقة وهو معنى الهزء
وقيل كان الرجل ينكح ويطلق ويعتق ثم يقول انما كنت العب فنزلت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ثلاث
جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق واذكروا نعمة الله عليكم حيث هداكم الى ما فيه
سعادتكم الدينوية والدينية اى قابلوها بالشكر والقيام بحقوقها والظرف متعلق بمحذوف وقع
حالا من نعمة الله اى كائنة عليكم او صفة لها على رأى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى
الكائنة عليكم ويجوز ان يتعلق بنفسها ان اريد بها الانعام لانها اسم مصدر كنبات من انبت ولا
يقدح فى عمله تاء التانيث لانه مبنى كما فى قوله • فلولا رجاء النصر منك ورهبة • عقابك قد كانوا
لنا كالموارد • وما انزل عليكم عطف على نعمة الله وما موصولة حذف عائدها من الصلة ومن فى
قوله عز وجل من الكتاب والحكمة بيانية اى من القرآن والسنة من القرآن الجامع للعنوانين على العطف
لتغاير الوصفين كما فى قوله • الى الملك القرم وابن الهمام • وفى ابهامه اولا ثم بيانه من التفخيم ما لا يخفى
وفى افراده بالذكر مع كونه اول ما دخل فى النعمة المأمور بذكرها ابانة لخطره ومبالغة فى البعث
على مراعاة ما ذكر قبله من الاحكام يعظكم به اى بما انزل حال من فاعل انزل او من مفعوله او منهما معا
واتقوا الله فى شأن المحافظة عليه والقيام بحقوقه الواجبة واعلموا ان الله بكل شىء عليم فلا يخفى عليه
شىء مما تأتون وما تذرون فيؤاخذكم بافانين العقاب واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن
بيان لحكم ما كانوا يفعلونه عند بلوغ الاجل حقيقة بعد بيان ما كانوا يفعلونه عند المشارفة اليه
والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها ولم يخرج والمراد المنع والخطاب
اما للاولياء لما روى انها نزلت فى معقل بن يسار حين عضل اخته جملة ان ترجع الى زوجها بالنكاح
وقيل نزلت فى جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والاسناد اليهم لتسببهم فيه كما ينبئ عنه ما
تصدى بهم للعضل المذكور ح وليس فيه دلالة على ان ليس للمرأة ان تزوج نفسها والا لما احتيج الى
الى نهى الاولياء عن العضل لما ان النهى لدفع الضرر عنهن فانهن وان قدرن على تزويج انفسهن
لكنهن يحترزن عن ذلك مخافة اللوم والقطيعة واما للازواج حيث كانوا يعضلون مطلقاتهم ولا
يدعونهن يتزوجن ظلما وقسرا لحمية الجاهلية واما للناس كافة فان اسناد ما فعله واحد منهم الى الجميع
شائع مستفيض والمعنى اذا وجد فيكم طلاق فلا يقع فيما بينكم عضل سواء كان ذلك من قبل الاولياء من
جهة الازواج او من غيرهم وفى تهويل لامر العضل وتحذير منه وايذان بان وقوع ذلك بين ظهرانيهم
وهم ساكتون عنه بمنزلة صدوره عن الكل فى استتباع اللائمة وسراية الغائلة ان ينكحن اى من ان
ينكحن فمحله النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل على الخلاف المشهور وقيل هو بدل اشتمال من
الضمير المنصوب فى تعضلوهن وفيه دليل على صحة النكاح بعبارتهن ازواجهن ان اريد بهن المطلقون
فالزوجية اما باعتبار ما كان واما باعتبار ما يكون والا فالاعتبار الاجنبى اذا تراضوا ظرف
لا تعضلوهن وصيغة التذكير باعتبار تغليب الخطاب على النساء والتقييد به لانه المعتاد لا
لتجويز المنع قبل تمام التراضى وقيل ظرف لان ينكحن وقوله تعالى بينهم ظرف للتراضى مفيد لرسوخه
واستحكامه بالمعروف بالجميل عند الشرع المستحسن عند الناس والباء اما متعلقة بمحذوف وقع حالا
من فاعل تراضوا او نعتا لمصدر محذوف اى تراضيا كائنا بالمعروف واما بتراضوا اى تراضوا بما يحسن
فى الدين والمروءة وفيه اشعار بان المنع من التزوج بغير كفو او بما دون مهر المثل ليس من باب العضل
ذلك اشارة الى ما فصل من الاحكام وما فيه من معنى البعد لتعظيم المشار اليه والخطاب لجميع المكلفين
كما فيما بعده والتوحيد اما باعتبار كل منهم واما بتأويل القبيل والفريق واما لان الكاف لمجرد الخطاب
والفرق بين الحاضر والمنقضى دون تعيين المخاطبين او للرسول صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى يا ايها
النبى اذا طلقتم النساء للدلالة على ان حقيقة المشار اليه امر لا يكاد يعرفه كل احد يوعظ به من كان
منكم يؤمن بالله واليوم الآخر فيسارع الى الامتثال باوامره ونواهيه اجلالا وخوفا من عقابه
وقوله تعالى منكم اما متعلق بكان عند من يجوز عملها فى الظروف وشبهها واما بمحذوف وقع حالا
من فاعل يؤمن اى كائنا منكم ذلكم اى الاتعاظ به والعمل بمقتضاه ازكى لكم اى انمى وانفع واطهر من ادناس
الآثام واوضار الذنوب والله يعلم ما فيه من الزكاء والطهر وانتم لا تعلمون ذلك او والله يعلم ما فيه
صلاح امركم من الاحكام والشرائع التى من جملتها ما بينه ههنا وانتم لا تعلمونها فدعوا رأيكم وامتثلوا

بامره

بامره تعالى ونهيه فى كل ما تأتون وما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن شروع فى بيان الاحكام
المتعلقة باولادهن خصوصا واشتراكا وهو من اخرج مخرج الخبر مبالغة فى الحمل على تحقيق مضمونه ومعناه
الندب او الوجوب ان خص بمادة عدم قبول الصبى ثدى الغير او فقدان الظئر او عجز الوالد عن الاستيجار
والتعبير عنهن بالعنوان المذكور لهز عطفهن نحو اولادهن والحكم عام للمطلقات وغيرهن وقيل خاص بهن
اذ الكلام فيهن حولين كاملين التأكيد بصفة الكمال لبيان ان التقدير تحقيقى لا تقريبى مبنى على المسامحة المعتادة
لمن اراد ان يتم الرضاعة بيان لمن يتوجه اليه الحكم اى ذلك لمن اراد اتمام الرضاعة وفيه دلالة على جواز
النقص وقيل اللام متعلقة بيرضعن فان الاب يجب عليه الارضاع كالنفقة والام ترضع له كما يقال ارضعت
فلانة لفلان ولده وعلى المولود له اى الوالد فان الولد يولد له وينسب اليه وتغيير العبارة للاشارة الى
المعنى المقتضى لوجوب الارضاع ومؤنة المرضعة عليه رزقهن وكسوتهن اجرة لهن واختلف فى استيجار
الام وهو غير جائز عندنا ما دامت فى النكاح والعدة جائز عند الشافعى رضى الله عنه بالمعروف حسبما
يراه الحاكم ويفى به وسعه لا تكلف نفس الا وسعها تعليل لايجاب المؤن بالمعروف اى تفسير للمعروف وهو نص على
انه تعالى لا يكلف العبد ما لا يطيقه وذلك لا ينافى امكانه لا تضار
والدة بولدها ولا مولود له بولده تفصيل لما قبله وتقرير له اى لا يكلف كل واحد منهما الآخر ما لا يطيقه ولا
يضاره بسبب ولده وقرئ لا تضار بالرفع بدلا من لا تكلف واصله على القراءتين لا تضارر بالكسر على البناء
للفاعل وبالفتح على البناء للمفعول وعلى الوجه الاول يجوز ان يكون بمعنى تضر والباء من صلته اى لا يضر الوالدان
بالولد ويفرطا فى تعهده ويقصرا فيما ينبغى له وقرئ لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وبه مع
التخفيف على انه من ضاره يضيره واضافة الولد الى كل منهما لاستعطافهما اليه وللتنبيه على انه جدير بان
يتفقا على استصلاحه ولا ينبغى ان يتضارا بسببه وعلى الوارث مثل ذلك عطف على قوله تعالى وعلى
المولود له رزقهن وكسوتهن الى اخره وما بينهما تعليل او تفسير معترض والمراد به وارث الصبى ممن كان
ذا رحم محرم منه وقيل عصباته وقال الشافعى رضى الله عنه هو وارث الاب وهو الصبى اى تمان المرضعة
من ماله عند موت الاب ولا نزاع فيه وانما الكلام فيما اذا لم يكن للصبى مال وقيل الباقى من الابوين من
قوله عليه السلام واجعله الوارث منا وذلك اشارة الى ما وجب على الاب من الرزق والكسوة
فان ارادا اى الوالدان فصالا اى فطاما عن الرضاع قبل تمام الحولين والتنكير للايذان بانه فصال غير معتاد
عن تراض متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اى صادرا عن تراض منهما اى من الوالدين لا من احدهما فقط
لاحتمال اقدامه على ما يضر بالولد بان تمل المرأة الارضاع ويبخل الاب باعطاء الاجرة وتشاور فى شأن
الولد وتفحص عن احواله واجماع منهما على استحقاقه للفطام والتشاور من المشورة وهى استخراج الرأى
من شرت العسل اذا استخرجته وتنكيرهما للتفخيم فلا جناح عليهما فى ذلك لما ان تراضيهما لا يكون الا بعد
استقرار رأيهما واجتهادهما على ان صلاح الولد فى الفطام وقلما يتفقان على الخطأ وان اردتم بيان لحكم عدم
اتفاقهما على الفطام والالتفات الى خطاب الآباء لهزهم الى الامتثال بما امروا به ان تسترضعوا اولادكم
بحذف المفعول الاول لاستغنائه عنه اى ان تسترضعوا المراضع اولادكم يقال ارضعت المرأة الصبى واسترضعتها
اياه وقيل انما يتعدى الى الثانى بحرف الجر يقال استرضعت المرأة للصبى اى ان تسترضعوا المراضع لاولادكم
بحذف حرف الجر ايضا كما فى قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم فلا جناح عليكم اى فى الاسترضاع وفيه دلالة
على ان للاب ان يسترضع الولد ويمنع الام من الارضاع اذا سلمتم اى الى المراضع ما آتيتم اى ما اردتم ايتاءه كما
فى قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وقرئ ما اتيتم من اتى اليه احسانا اذا فعله وقرئ ما اوتيتم
اى من جهة الله عز وجل كما فى قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وفيه مزيد بعث لهم الى التسليم
بالمعروف متعلق بسلمتم او بالوجه المتعارف المستحسن شرعا وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه
وليس التسليم بشرط للصحة والجواز بل هو ندب الى ما هو الاليق والاولى فان المراضع اذا اعطين ما قدر
لهن ناجزا يدا بيد كان ذلك ادخل فى استصلاح شؤون الاطفال واتقوا الله فى شأن مراعاة الاحكام المذكورة
واعلموا ان الله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وفيه
من الوعيد والتهديد ما لا يخفى والذين على حذف المضاف اى وازواج الذين يتوفون منكم اى يقبض ارواحهم
بالموت فان التوفى هو القبض يقال توفيت مالى من فلان واستوفيته منه اى اخذته وقبضته والخطاب
لكافة الناس بطريق التلوين ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا او على حذف العائد
الى المبتدأ فى الخبر اى يتربصن بعدهم كما فى قولهم السمن منوان بدرهم اى منوان منه وقرئ يتوفون بفتح الياء
اى يستوفون آجالهم وتأنيث العشر باعتبار الليالى لانها غرر الشهور والايام ولذلك تراهم لا يكادون
يستعملون التذكير فى مثله اصلا حتى انهم يقولون صمت عشرا ومن البين فى ذلك قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا

ثم ان تتم الا يوما ولعل الحكمة في هذا التقدير ان الجنين اذا كان ذكرا يتحرك غالبا لثلاثة اشهر وان كانت انثى
تتحرك لاربعة فاعتبر اقصى الاجلين وزيد عليه العشر استظهارا اذ ربما تضعف الحركة فلا يحس بها
وعموم اللفظ يقتضي تساوي المسلمة والكتابية والحرة والامة في هذا الحكم ولكن القياس اقتضى التنصيف
في الامة وقوله عز وجل اولات الاحمال خص الحامل منه وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما انها تعتد بابعد
الاجلين احتياطا فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الحكام والمسلمون جميعا فيما فعلن في انفسهن
من التزين والتعرض للخطاب وسائر ما حرم على المعتدة بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع وفيه اشارة
الى انهن لو فعلن ما ينكره الشرع فعليهم ان يكفوهن عن ذلك والا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فلا تعملوا
خلاف ما امرتم به ولا جناح عليكم خطاب للكل فيما عرضتم به التعريض والتلويح ابهام المقصود بما لم يوضع
له حقيقة ولا مجازا كقول السائل جئتك لاسلم عليك واصله امالة الكلام عن نهجه الى عرض منه اي
جانب والكناية هي الدلالة على الشيء بذكر لوازمه وروادفه كقولك طويل النجاد للطويل وكثير الرماد
للمضياف من خطبة النساء الخطبة بالكسر كالقعدة والجلسة ما يفعله الخاطب من الطلب والاستلطاف
بالقول والفعل وقيل هي ماخوذة من الخطب اي الشان الذي له خطر لما انها شان من الشئون ونوع من الخطوب
وقيل من الخطاب لانها نوع مخاطبة تجري بين جانب الرجل وجانب المراة والمراد بالنساء المعتدات للوفاة
والتعريض بخطبتهن ان تقول لها انك لجميلة او صالحة او نافعة ومن عزمي ان اتزوج ونحو ذلك مما يوهم انه
يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت ولا يصرح بالنكاح او اكننتم في انفسكم اي اضمرتم في قلوبكم
فلم تذكروه صريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن اظهار الرغبة فيهن
وفيه نوع توبيخ لهم على قلة التثبت ولكن لا تواعدوهن سرا استدراك عن محذوف دل عليه ستذكرونهن
اي فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن نكاحا بل اكتفوا بما رخص من التعريض والتعبير عن النكاح بالسر لان مسببه
الذي هو الوطء مما يسر به واشاره على اسمه للايذان بانه مما ينبغي ان يسر به ويكتم وحمله على الوطء مما
يوهم الرخصة في المحظور الذي هو التصريح بالنكاح وقيل انتصاب سرا على الظرفية اي لا تواعدوهن في
السر على ان المراد بذلك المواعدة بما يستهجن وفيه ما فيه الا ان تقولوا قولا معروفا استثناء مما يدل عليه
النهي اي لا تواعدوهن مواعدة ما الا مواعدة معروفة غير منكرة شرعا وهو ما يكون بطريق التعريض والتلويح
او الا مواعدة بقول معروف اي لا تواعدوهن بشيء من الاشياء الا بان تقولوا قولا معروفا وقيل هو استثناء
منقطع من سرا وهو ضعيف لادائه الى جعل التعريض موعودا وليس كذلك ولا تعزموا عقدة النكاح من
عزم الامر اذا قصده قصدا جازما وحقيقته القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام
من الليل وروي لمن لم يبيت الصيام والنهي عنه للمبالغة في النهي عن مباشرة عقد النكاح اي لا تقربوا عقد
عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي العدة المكتوبة المفروضة آخرها وقيل معناه لا تقطعوا عقدة
النكاح اي لا تبرموها ولا تقطعوا عليها فيكون نهيا عن نفس الفعل لا عن قصده واعلموا ان الله يعلم ما في
انفسكم من ذوات الصدور التي من جملتها العزم على ما نهيتم عنه فاحذروه بالاجتناب عن العزم ابتداء او اقلاعا
عنه بعد تحققه واعلموا ان الله غفور يغفر لمن يقلع عن عزمه خشية منه تعالى حليم لا يعاجلكم بالعقوبة
فلا تستدلوا بتاخيرها على ان ما نهيتم عنه من العزم ليس مما يستتبع المؤاخذة واظهار الاسم الجليل في
موضع الاضمار لادخال الروعة لا جناح عليكم اي لا تبعة من مهر او وزر وقيل من وزر اذ لا بدعة في
الطلاق قبل المسيس وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر النهي عن الطلاق فظن ان فيه حرجا فنفى ذلك
ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن اي ما لم تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء في جميع المواقع اي مدة عدم
مسيسكم اياهن على انها مصدرية ظرفية بتقدير المضاف ونقل ابو البقاء انها شرطية بمعنى ان فتكون من
باب اعتراض الشرط على الشرط فيكون الثاني قيدا للاول كما في قولك ان تاتني ان تحسن الي اكرمك اي ان تاتني
محسنا الي والمعنى اذا طلقتموهن غير ماسين لهن وهذا المعنى اقعد من الاول لما ان ما الظرفية انما يحسن موقعها
فيما اذا كان المظروف امرا ممتدا منطبقا على ما اضيف اليه من المدة او الزمان كما في قوله تعالى خالدين فيها
ما دامت السموات والارض وقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ولا يخفى ان التطليق ليس كذلك
وتعليق الظرف بنفي الجناح ربما يوهم امكان المسيس بعد الطلاق ثم الوجه ان يقدر المضاف مكان الزمان والمدة
او تفرضوا لهن فريضة اي الا ان تفرضوا لهن او حتى تفرضوا لهن عند العقد مهرا على ان فريضة فعيلة بمعنى مفعول
والتاء لنقل اللفظ من الوصفية الى الاسمية وانتصابه على المفعولية ويجوز ان يكون مصدرا صيغة واعرابا
والمعنى انه لا تبعة على المطلق بمطالبة المهر اصلا اذا كان الطلاق قبل المسيس على كل حال الا في حال التسمية
فنصف المسمى وفي صورة عدمها مهر المثل وقيل كلمة او عاطفة لدخولها على ما قبلها من الفعل المجزوم
على معنى ما لم يكن منكم مسيس ولا فرض ومتعوهن عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فطلقوهن ومتعوهن والحكمة

في

في ايجاب المتعة جبر ايحاش الطلاق وهي درع وملحفة وخمار على حسب الحال كما يفصح عنه قوله تعالى على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره اي ما يليق بحال كل واحد وقرئ بسكون الدال وهي جملة مستانفة لا محل لها من
الاعراب مبينة لمقدار المتعة بالنظر الى حال المطلق يسارا واقتارا او حال من فاعل متعوهن بحذف الرابط اي على
الموسع منكم الى آخره او على جعل الالف واللام عوضا من المضاف اليه عند من يجوزه اي على موسعكم الى آخره
وهذا اذا لم يكن مهر مثلها اقل من ذلك فان كان فلها الاقل من نصف المهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة
دراهم متاعا تمتيعا بالمعروف اي بالوجه الذي يستحسنه الشريعة والمروءة حقا صفة لمتاعا او مصدر
مؤكد اي حق ذلك حقا على المحسنين اي الذين يحسنون الى انفسهم بالمسارعة الى الامتثال او الى المطلقات بالتمتيع
بالمعروف وانما سموا محسنين باعتبار المشارفة ترغيبا وتحريضا وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم
لهن قبل ذلك فريضة اي وان طلقتموهن قبل المسيس حال كونكم مسمين لهن فيما سبق عند النكاح مهرا على ان
الجملة حال من فاعل طلقتموهن ويجوز ان يكون حالا من مفعوله لتحقق الربط بالنسبة اليهما ونفس الفرض
من المبني للفاعل او المفعول وان لم يقارن حالة التطليق لكن اتصاف المطلق بالفارضية فيما سبق مما لا
ريب في مقارنته لها وكذا الحال في اتصاف المطلقة بكونه مفروضا لها فيما سبق فنصف ما فرضتم اي فلهن نصف
ما سميتم لهن من المهر اي فالواجب عليكم ذلك وهذا صريح في ان المنفي في الصورة السابقة انما هو تبعة
المهر وقرئ بالنصب اي فادوا نصف ما فرضتم ولعل تاخير حكم التسمية مع انها الاصل في العقد والاكثر في
الوقوع لما ان الآية الكريمة نزلت في انصاري تزوج امراة من بني حنيفة وكانت مفوضة فطلقها قبل الدخول
بها فتخاصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عليه السلام عند اظهاره ان لا شيء له متعها بقلنسوتك
الا ان يعفون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي فلهن نصف المفروض معينا في كل حال الا حال عفوهن فانه
يسقط ذلك حينئذ بعد وجوبه وظاهر الصيغة في نفسها يحتمل التذكير والتانيث وانما الفرق في الاعتبار
والتحقيق فان الواو في الاولى ضمير والنون علامة الرفع وفي الثانية لام الفعل والنون ضمير والفعل مبني
ولذلك لم يؤثر فيه ان ههنا فيما عطف في محله من قوله تعالى او يعفو بالنصب وقرئ بسكون الواو الذي
بيده عقدة النكاح اي يترك الزوج المالك للعقد وحله ما يعود اليه من نصف المهر الذي ساقه اليها
كاملا على ما هو المعتاد تكرما فان ترك حقه عليها عفو بلا شبهة او سمي ذلك عفوا في صورة عدم السوق
مشاكلة او تغليبا لحال السوق على حال عدمه فمرجع الاستثناء الى منع الزيادة في المستثنى منه كما انه في
الصورة الاولى الى منع النقصان فيه اي فلهن هذا القدر بلا نقصان ولا زيادة في جميع الاحوال الا حال عفوهن
فانه حينئذ لا يكون لهن القدر المذكور بل ينتفي ذلك او ينحط او في حال عفو الزوج فانه حينئذ يكون لهن الزيادة على
ذلك القدر هذا على التفسير الثاني فلا بد من التعميم في الفعل او الاستثناء منقطعا اذ في صورة عفو الزوج
لا يتصور الوجوب عليه هذا عندنا وفي القول القديم للشافعي رضي الله عنه ان المراد عفو الولي الذي بيده
عقدة النكاح للصغيرة وهو ظاهر الماخذ خلا ان الاول انسب بقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى
الى آخره فان اسقاط حق الصغيرة ليس في شيء من التقوى وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه انه تزوج
امراة وطلقها قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وقرئ بالياء ولا تنسوا الفضل بينكم
اي لا تتركوا ان يتفضل بعضكم على بعض كالشيء المنسي وقرئ بكسر الواو والخطاب للفريقين للرجال والنساء
جميعا بطريق التغليب ان الله بما تعملون بصير فلا يكاد يضيع ما عملتم من التفضل والاحسان حافظوا على
الصلوات اي داوموا على ادائها لاوقاتها من غير اخلال بشيء منها كما ينبئ عنه صيغة المفاعلة المفيدة
للمبالغة ولعل الامر بها في تضاعيف بيان احكام الازواج والاولاد قبل الاتمام للايذان بانها حقيقة بكمال
الاعتناء بشانها والمثابرة عليها من غير اشتغال عنها بشانهم بل بشان انفسهم ايضا كما يفصح عنه الامر
بها في حالة الخوف ولذلك امر بها في خلال بيان ما يتعلق بهم من الاحكام الشرعية المتشابكة الآخذ
بعضها بحجز بعض والصلوة الوسطى اي المتوسطة بينها او الفضلى منها وهي صلوة العصر لقوله صلى الله عليه
وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها
الصلاة التي شغل عنها سليمان بن داود عليهما السلام وفضلها لكثرة اشتغال الناس في وقتها بتجاراتهم ومكاسبهم
واجتماع ملائكة الليل والنهار وقيل هي صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكانت اشق الصلوات عليهم
لما انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصليها بالهاجرة فكانت افضلها لقوله صلى الله عليه وسلم افضل
العبادات احمزها وقيل هي صلوة الفجر لانها بين صلوتي الليل والنهار والواقعة في الحد المشترك بينهما ولانها
مشهودة كصلوة العصر وقيل صلوة المغرب لانها متوسطة من حيث العدد ومن حيث الوقوع بين صلوة
في الليل والنهار ووتر النهار ولا ينقص في السفر وقيل هي صلاة العشاء لانها بين الجهريتين الواقعتين في طرفي
الليل وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما انه عليه السلام قرأ والصلوة الوسطى وصلوة العصر فيكون

بها احدى الاربع قد خصت بالذكر مع العصر لانفرادهما بالفضل وقرئ وعلى الصلوة الوسطى وقرئ بالنصب
على المدح وقرئ الوسطى وقوموا لله اي في الصلوة قانتين ذاكرين له تعالى في القيام لان القنوت هو الذكر فيه
وقيل هو كمال الطاعة واتمامها بغير اخلال بشيء من اركانها وقيل خاشعين وقال ابن المسيب رضي الله عنه هو
المراد به القنوت في الصبح فان خفتم اي من عدو او من غيره فرجالا جمع راجل كقيام وقائم او رجل بمعنى راجل
وقرئ بضم الراء مع التخفيف وبضمها مع التشديد ايضا وقرئ فرجلا اي راجلا او ركبانا جمع راكب اي
فصلوا راجلين او راكبين حسبما يقتضيه الحال ولا تخلوا بها ما امكن من الوقوف في الجملة وقد جوز الشافعي
رضي الله عنه اداءها حال المسايفة ايضا فاذا امنتم بزوال الخوف فاذكروا الله اي فصلوا صلاة الامن عبر
عنها بالذكر لانه معظم اركانها كما علمكم متعلق بمحذوف وقع ايضا لمصدر محذوف اي ذكرا كائنا كما علمكم ما لم تكونوا
تعلمون من كيفية الصلاة والمراد بالتشبيه ان تكون الصلاة المؤداة موافقة لما علمه الله تعالى وايرادها
بذلك العنوان لتذكير النعمة او فاشكروا الله تعالى شكرا يوازي تعليمه اياكم ما لم تكونوا تعلمون من الشرائع
والاحكام التي من جملتها كيفية اقامة الصلوة حالتي الخوف والامن هذا وفي ايراد الشرطية الثانية بكلمة
اذا المنبئة عن تحقق وقوع الامن وكثرته مع الايجاز في جواب الاولى والاطناب في جواب الثانية المنبئين
على تنزيل مقام الوقوع المامور فيها منزلة مقام وقوع الامن تنزيلا مستدعيا لاجراء مقتضى المقام الاول
في كل منهما مجرى مقتضى المقام الثاني من الجزالة ولطف الاعتبار ما فيه عبرة لاولي الابصار والذين
يتوفون منكم ويذرون ازواجا عود لبيان بقية الاحكام المفصلة فيما سبق اثر بيان احكام وسطت
بينها لما اشير اليه من الحكمة الداعية الى ذلك وصية لازواجهم اي يوصون او ليوصوا او كتب الله عليهم وصية
ويؤيده قراءة من قرأ كتب عليكم الوصية لازواجكم وقرئ بالرفع على تقدير مضاف في المبتدا والخبر اي حكم
الذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم او والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم او كتب
عليهم وصية وقرئ متاع لازواجهم بدل وصية متاعا الى الحول منصوب بيوصون ان اضمر والا فبا
لوصية او بمتاع على القراءة الاخيرة غير اخراج بدل منه او مصدر مؤكد كما في قولك هذا القول غير ما
تقول او حال من ازواجهم اي غير مخرجات والمعنى يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل الاحتضار
لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالنفقة والسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله
تعالى اربعة اشهر وعشرا فانه وان كان متقدما في التلاوة متأخر في النزول وسقطت النفقة بتوريثها
الربع والثمن ولذلك السكنى عندنا وعند الشافعي هي باقية فان خرجن من منزل الازواج باختيارهن
فلا جناح عليكم ايها الائمة فيما فعلن في انفسهن من معروف لا ينكره الشرع كالتزين والتطيب وترك الحداد
والتعرض للخطاب وفيه دلالة على ان المحظور اخراجها عند ارادة القرار وملازمة مسكن الزوج والحداد
من غير ان يجب عليها ذلك وانها كانت مخيرة بين الملازمة من اخذ النفقة وبين الخروج مع تركها والله
عزيز غالب على امره يعاقب من خالفه حكيم يراعي في احكامه مصالح عباده وللمطلقات سواء كن مدخولا بهن او لا
متاع اي يطلق المتعة الشاملة للواجبة والمستحبة اوجبها سعيد بن جبير وابو العالية والزهري للكل وقيل
المراد بالمتاع نفقة العدة وقيل اللام للعهد والمراد غير المدخول بهن وانما اعيد والتكرير للتأكيد بالمعروف
شرعا وعادة حقا على المتقين اي بما لا ينبغي كذلك اي مثل ذلك البيان الواضح يبين الله لكم اياته الدالة
على احكامه التي شرعها لعباده لعلكم تعقلون كي تفهموا ما فيها وتعملوا بموجبها الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم
من اهل الكتاب وارباب الاخبار وتعجيب من شانهم البديع فان سماعهم لها بمنزلة الرؤية النظرية والعلمية
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب ايذانا بان قصتهم من الشهرة والشيوع بحيث يحق لكل احد ان يحمل على الاقرار
برؤيتهم وسماع قصتهم ويتعجب بها وان لم يكن ممن راهم او سمع بقصتهم فان هذا الكلام قد جرى مجرى
المثل في مقام التعجب لما انه شبه حال غير الرائي لشيء عجيب بحال الرائي له بناء على ادعاء ظهور امره وجلائه
بحيث استوى في ادراكه الشاهد والغائب ثم اجري الكلام معه كما يجري مع الرائي قصدا الى المبالغة في
شهرته واعراقه في التعجيب وتعدية الرؤية بالى في قوله تعالى الى الذين خرجوا من ديارهم على تقدير كونها
بمعنى الابصار باعتبار معنى النظر وعلى تقدير كونها ادراكا قلبيا لتضمين معنى الوصول والانتهاء على معنى الم
ينته علمك اليهم وهم الوف اي الوف كثيرة قيل عشرة الاف وقيل ثلثون وقيل سبعون الفا والجملة حال
من ضمير خرجوا وقوله عز وجل حذر الموت مفعول له روي ان اهل داوردان قرية قبل واسط
وقع فيهم الطاعون فخرجوا منها هاربين فاماتهم الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا ان لا مفر من حكم الله عز و
سلطانه وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى
شدقيه واصابعه تعجبا مما راى من امرهم فاوحى الله اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله تعالى فنادى
فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم

ملكهم

ملكهم الى الجهاد ففروا حذر الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وقوله عز وجل فقال لهم الله موتوا
اما عبارة عن تعلق ارادته تعالى بموتهم دفعة واما تمثيل لاماتته تعالى اياهم ميتة نفس واحدة في اقرب
وقت وادناه واسرع زمان واوحاه بامر امر مطاع لمامور مطيع كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول
له كن فيكون ثم احياهم عطف اما على مقدر يستدعيه المقام اي فماتوا ثم احياهم واما حذف للدلالة على
الاستغناء عن ذكره لاستحالة تخلف مراده تعالى عن ارادته واما على ما قال لما انه عبارة عن الاماتة وفيه تشجيع
للمسلمين على الجهاد والتعرض لاسباب الشهادة وان الموت حيث لم يكن منه بد ولم ينفع منه الفرار فاولى
ان يكون في سبيل الله تعالى ان الله لذو فضل عظيم على الناس قاطبة اما اولئك فقد احياهم ليعتبروا واما
جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى واما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم الى مسلك الاعتبار والاستبصار ولكن
اكثر الناس لا يشكرون فضله كما ينبغي ويجوز ان يراد بالشكر الاعتبار والاستبصار واظهار الناس في مقام
الاضمار لمزيد التشنيع وقاتلوا في سبيل الله عطف على مقدر يعينه ما قبله كانه قيل فاشكروا فضله بالاعتبار
بما قص عليكم وقاتلوا في سبيله لما علمتم ان الفرار لا ينجي من الحمام وان المقدر لا مرد له فان كان قد حان الاجل
فموت في سبيل الله عز وجل والا فنصر عزيز وثواب واعلموا ان الله سميع يسمع مقالة السابقين والمتخلفين عليم
بما يضمرونه في انفسهم وهو من وراء الجزاء خيرا وشرا فسارعوا الى الامتثال واحذروا المخالفة والمساهلة
من ذا الذي يقرض الله من استفهامية مرفوعة المحل بالابتداء وذا خبره والموصول صفة له او بدل
منه واقراض الله تعالى مثل لتقديم العمل العاجل طلبا للثواب الاجل والمراد هاهنا اما الجهاد الذي
هو عبارة عن بذل النفس والمال في سبيل الله عز وجل ابتغاء لمرضاته واما مطلق العمل الصالح المنتظم
له انتظاما اوليا قرضا حسنا اي اقراضا مقرونا بالاخلاص وطيب النفس او مقرضا حلالا طيبا فيضاعفه
له بالنصب على جواب الاستفهام حملا على المعنى فانه في معنى ايقرضه وقرئ بالرفع اي يضاعف اجره
وجزاءه جعل ذلك مضاعفة له بناء على ما بينهما من المناسبة بالسببية ظاهرا او باطنا وصيغة المغالبة
للمبالغة وقرئ فيضعفه بالرفع وبالنصب اضعافا جمع ضعف نصبه على انه حال من الضمير المنصوب
او مفعول بان تضمن المضاعفة معنى التصيير او مصدر مؤكد على ان الضعف اسم المصدر والجمع للتنويع
كثيرة لا يعلم قدرها الا الله وقيل الواحد بسبعمائة والله يقبض ويبسط اي يقتر على بعض ويوسع على
بعض او يقتر تارة ويوسع اخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح فلا تبخلوا عليه بما وسع
عليكم كيلا يبدل احوالكم ولعل تأخير البسط عن القبض في الذكر للايماء الى انه يعقبه في الوجود تسلية للفقراء
وقرئ يبصط لمجاورة الطاء واليه ترجعون فيجازيكم على ما قدمتم من الاعمال خيرا او شرا الم تر تقرير وتعجيب
كما سبق قطع عنه للايذان باستقلاله في التعجب مع ان له مزيد ارتباط بما وسط بينهما من الامر بالقتال
الى الملا من بني اسرائيل الملا من القوم وجوههم واشرافهم وهو اسم للجماعة لا واحد له من لفظه كالرهط
والقوم سموا بذلك لما انهم يملئون العيون مهابة والمجالس بهاء او لانهم مليئون بما يحتاج اليه ومن
تبعيضية وما في قوله تعالى من بعد موسى ابتدائية وعاملها مقدر وقع حالا من الملا اي كائنين بعض بني
اسرائيل من بعد وفاة موسى عليه السلام ولا ضير في اتحاد الحرفين لفظا عند اختلافهما معنى اذ قالوا
منصوب بمضمر يستدعيه المقام اي الى قصة الملا او حديثهم حين قالوا لنبي لهم هو يوشع بن نون بن
افرائيم بن يوسف عليه السلام وقيل شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام وقيل
اشمويل بن بال بن علقمة وهو بالعبرانية اسمعيل قال مقاتل هو من نسل هارون عليه السلام وقال
مجاهد اشمويل بن هلقانا ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اي انهض للقتال معنا اميرا نصدر في
تدبير امر الحرب عن رايه وقرئ نقاتل بالرفع على انه حال مقدرة اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف
مبني على السؤال وقرئ يقاتل بالياء مجزوما على الجواب للامر والوصف لملكا قال استئناف وقع جوابا
عن سؤال الذهن كانه قيل فماذا قال لهم حينئذ فقيل قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا
فصل بين عسى وخبره بالشرط للاعتناء به اي هل قاربتم ان لا تقاتلوا كما اتوقعه منكم والمراد تقرير ان
المتوقع كائن وانما لم يذكر في معرض الشرط ما التمسوه بان قيل هل عسيتم ان بعث لكم ملكا الى اخره
مع انه اظهر تعلقا بكلامهم بل ذكر كتابة القتال عليهم للمبالغة في بيان تخلفهم عنه فانهم اذا لم يقاتلوا عند
فرضية القتال عليهم بايجاب الله تعالى فلان لا يقاتلوا عند عدم فرضيته اولى ولان ايراد ما ذكروه
ربما يوهم ان سبب تخلفهم عن القتال هو المبعوث لا نفس القتال وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة
قالوا استئناف كما سبق وما لنا ان لا نقاتل اي اي سبب لنا في ان لا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من
ديارنا وابنائنا اي والحال انه قد عرض لنا ما يوجب القتال ايجابا قويا من الاخراج عن الديار والا
وطان والاغتراب عن الاهل والاولاد وعليق بن عاد كان هو ومن معه من العمالقة يسكنون ساحل

بحر الروم بين مصر وفلسطين وظهروا على بني اسرائيل واخذوا تابوتهم فلما كتب عليهم القتال بعد
سؤال النبي عليه السلام ذلك وبعث الملك تولوا اي اعرضوا وتخلفوا لكن لا في الابتداء والامر بل بعد مشاهدة
كثرة العدو وشوكته كما سيجيء تفصيله وانما ذكر ههنا مآل امرهم اجمالا اظهارا لما بين قولهم وفعلهم من التنافي
والتباين الا قليلا منهم وهم الذين اكتفوا بالغرفة من النهر وجاوزوه وهم ثلثمائة وثلثة عشر بعدد اهل
بدر والله عليم بالظالمين وعيد لهم على ظلمهم بالتولي عن القتال وترك الجهاد وتنافي اقوالهم وافعالهم
والجملة اعتراض تذييلي وقال لهم نبيهم شروع في تفصيل ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال
والافعال اثر الاشارة الاجمالية الى مصير حالهم اي قال لهم بعد ما اوحي اليه ما اوحي ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكا طالوت علم عبري كداود وجعله فعلوتا من الطول يأباه منع صرفه ملكا حال منه
روي انه عليه السلام لما دعا ربه ان يجعل لهم ملكا اتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا
طالوت قالوا استئناف كما مر انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون او كيف يكون تملك علينا والحال
انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق منه ولعدم ما يتوقف عليه الملك من المال وسبب هذا الاستبعاد
ان النبوة كانت مخصوصة بسبط معين من اسباط بني اسرائيل وهو سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام
وسبط المملكة بسبط يهودا ومنه داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من احد هذين السبطين
بل من ولد بنيامين قيل كان راعيا وقيل دباغا وقيل سقاء قال ان الله اصطفاه عليكم لما استبعدوا
تملكه بسقوط نسبه وبفقره رد عليهم ذلك اولا بان ملاك الامر هو اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم
وهو اعلم بالمصالح منكم وثانيا بان العمدة فيه وفور العلم ليتمكن به من معرفة الامور السياسية وجسامة
البدن ليعظم خطره في القلوب ويقدر على مقاومة الاعداء ومكابدة الحروب وقد خصه الله تعالى منهما
بحظ وافر وذلك قوله عز وعلا وزاده بسطة في العلم اي العلم المتعلق بالملك او به وبالديانات ايضا
وقيل قد اليه ونبي والجسم قيل بطول القامة فانه كان اطول من غيره برأسه ومنكبيه حتى ان الرجل
القائم كان يمد يده فينال رأسه وقيل بالجمال وقيل بالقوة والله يؤتي ملكه من يشاء لما انه مالك الملك
والملكوت فعال لما يريد فله ان يؤتيه من يشاء من عباده والله واسع يوسع على الفقير ويغنيه عليم
بمن يليق بالملك وممن لا يليق واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وقال لهم نبيهم توسيطه فيما بين قوليه المحكيين
عنه عليه السلام للاشعار بعدم اتصال احدهما بالآخر وتخلل الكلام من جهة المخاطبين متفرع على السابق
مستتبع للاحق كأنهم طلبوا منه عليه السلام آية تدل على انه تعالى اصطفى طالوت وملكه عليهم روي
انهم قالوا ما آية ملكه فقال ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت اي الصندوق وهو فعلوت من التوب
الذي هو الرجوع لما انه لا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت ورهبوت
والمشهور ان يوقف على آية من غير ان تقلب هاء ومنهم من يقلبها اياها والمراد به صندوق التوراة
فكان قد رفعه الله عز وجل بعد وفاة موسى عليه السلام سخطا على بني اسرائيل لما عصوا واعتدوا فلما
طلب القوم من نبيهم آية تدل على ملك طالوت قال لهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت من السماء
والملائكة يحفظونه فاتاهم كما وصف والقوم ينظرون اليه حتى نزل عند طالوت وهذا قول ابن عباس
رضي الله عنهما وقال ارباب الاخبار ان الله تعالى انزل على آدم تابوتا فيه تماثيل الانبياء عليهم السلام
من اولاده وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم عليه السلام الى ان توفي
فتوارثه اولاده واحدا بعد واحد الى ان وصل الى يعقوب عليه السلام ثم بقي في ايدي بني
اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام فكان عليه السلام يضع فيه التوراة وكان اذا قاتل قدمه
وكانت تسكن اليه نفوس بني اسرائيل وكان عنده الى ان توفي ثم تداولته ايدي بني اسرائيل وكانوا اذا
اختلفوا في شيء تحاكموا اليه فيكلمهم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال يقدمونه بين ايديهم
ويستفتحون به على عدوهم وكانت الملائكة تحمله فوق العسكر ثم يقاتلون العدو فاذا سمعوا من
التابوت وسلبوه وجعلوه في موضع البول والغائط فلما اراد الله تعالى ان يملك طالوت سلط عليهم
البلاء حتى ان كل من بال عنده ابتلي بالبواسير وهلكت من بلادهم خمس مدائن فعلم الكفار ان ذلك
بسبب استهانتهم بالتابوت فاخرجوه وجعلوه على ثورين فاقبل الثوران يسيران وقد وكل الله بهما
اربعة من الملائكة يسوقونهما حتى اتوا منزل طالوت قال لهم النبي ان آية ملكه انكم تجدون التابوت
في داره فيه سكينة من ربكم اي في اتيانه سكون لكم وطمأنينة كائنة من ربكم او في التابوت ما تسكنون
اليه وهو التوراة المودعة فيه بناء على ما مر ان موسى عليه السلام اذا قاتل قدمه فتسكن اليه
نفوس بني اسرائيل وقيل السكينة صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها رأس وذنب كرأس
الهر وذنبه وجناحان فتأن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل

ذلك ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال الواو الاولى حالية والثانية عاطفة جامعة للجملتين في الحكم اي كيف صح

النصر

النصر وعن علي رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك آل موسى
وآل هارون هي رضاض الالواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة وكان قد رفعه الله تعالى بعد وفاة موسى
عليه السلام والمراد بآل موسى وآل هارون انفسهما والآل مقحم لتفخيم شأنهما او انبياء بني اسرائيل تحمله الملائكة حال
من التابوت اي ان آية ملكه اتيانه حال كونه محمولا للملائكة وقد مر كيفية ذلك ولعل حمل الملائكة على الرواية
الاخرى عبارة عن سوق الثورين الحاملين له ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شأن التابوت وهو من تمام
كلام النبي عليه السلام لقومه او ابتداء خطاب من جهة الله تعالى للمخاطبين
القصة الا الكمال العناية به وافراد حرف الخطاب مع تعدد المخاطبين للتقرير بين يدي الفريق
او بقيمه كما سلف لآية عظيمة لكم دالة على ملك طالوت او على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث اخبر بهذه
التفاصيل على ما هي عليه من غير سماع من البشر ان كنتم مؤمنين اي مصدقين بتمليكه عليكم او بشيء من الآيات
وان شرطية والجواب محذوف ثقة بما قبله وقيل هي بمعنى اذ فلما فصل طالوت بالجنود اي انفصل بالجنود عن بلده
الفعل وهو واصل نفسه ولما اتحد فاعله ومفعوله شاع استعماله محذوف المفعول حتى نزل منزلة القاصر
كانفصل وقيل فصل فصولا وقد يجوز كونه اصلا لبراسه متمازا من المتعدي بمصدره كوقف وقوفا ووقفه وقفا
وصد صدودا وصده صدا ورجع رجوعا ورجعه رجعا والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من طالوت اي ملتبسا
بهم ومصاحبا لهم روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء ولم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا
متزوج بامرأة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما اختاره ثمانون الفا وكان
الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجري الله تعالى لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر ما تعلقت به مشيئته تعالى
من جهة النبي عليه السلام وطريق الوحي عند من يقول بنبوته قال ان الله مبتليكم بنهر بين بعض الحمار وقرى
فسكو بما فمن شرب منه اي ابتداء شربه من النهر بان كرع لانه الشرب منه حقيقة فليس مني اي من جملتي
واشياع المؤمنين وقيل ليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لكمال اختلاطهما فمن لم
يطعمه اي لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه مأكولا كان او مشروبا او غيرهما قال وان شئت حرمت النساء
سواكم وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا اي لم يذقه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده استثناء من قوله
تعالى فمن شرب منه فليس مني وانما اخر عن الجملة الثانية لابراز كمال العناية بها ومعناها الرخصة
في اغتراف الغرفة باليد دون الكرع والغرفة ما يغرف وقرئ بفتح الغين على انه مصدر والباء
متعلقة باغترف او بمحذوف وقع صفة لغرفة اي غرفة كائنة بيده روي ان الغرفة كانت تكفي
الرجل لشربه واداوته ودوابه واما الذين شربوا منه فقد اسودت شفاههم وغلبهم العطش
فشربوا منه عطف على مقدر يقتضيه المقام اي فابتلوا به فشربوا منه الا قليلا منهم وهم الثلثمائة
الا قليلا منهم ميلا الى جانب المعنى
تعالى فشربوا منه في قوة ان يقال فلم يطيعوه ويؤيده في قول الفرزدق وعض زمان
يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحت او مجلف فان قوله لم يدع في حكم لم يبق فلما جاوزه اي النهر
هو اي طالوت والذين آمنوا معه عطف على الضمير المتصل المؤكد بالمنفصل والظرف متعلق بجاوز لا
بآمنوا وهم الذين لم يشربوا معه وهم اولئك القليل وفيه اشارة الى ان من عداهم بمعزل من الايمان قالوا اي بعض من
معه من المؤمنين لبعض لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده اي بمحاربتهم ومقاومتهم فضلا على ان نكون
لنا غالبية عليهم لما شاهدوا منهم من الكثرة والشدة قيل كانوا مائة الف مقاتل شاكي السلاح قال
استئناف مبني على السؤال كأنه قيل فما ذا قال مخاطبوهم فقيل قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله قيل هم
الخلص منهم الذين يتيقنون لقاء الله تعالى بالبعث ويتوقعون ثوابه واذ حدثهم تلك الوصف لا ينافي
ايمان الباقين فان درجات المؤمنين في التيقن والتوقع متفاوتة او الذين يعلمون انهم يستشهدون
عما قريب فيلقون الله تعالى وقيل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة والضمير في قالوا للمتخلفين منهم كأنهم
قالوا اعتذارا عن التخلف والنهر بينهما كم من فئة اي فرقة وجماعة من الناس من فأوت رأسه اذا شققته
او من فاء اليه اذا رجع فوزنها على الاول فعة وعلى الثاني فلة قليلة غلبت فئة كثيرة وكم خبرية
كانت واستفهامية معتمدة للتكثير وهي في محل الرفع بالابتداء وخبرها غلبت اي كثير من الفئات القليلة
غلبت الفئات الكثيرة باذن الله اي بحكمه وتيسيره فان دوران كافة الامور على مشيئته تعالى فلا يذل لمن
نصره وان قل عدده ولا يعز من خذله وان كثر اسبابه وعدده وقد روعي في الجواب نكتة بديعة حيث لم يقل
اطاقت بفئة كثيرة حسبما وقع في كلام اصحابهم مبالغة في رد مقالتهم وتسكين قلوبهم وهذا كما ترى جواب
[illegible] ولا دخل في ذلك لظن لقاء الله تعالى بالبعث لاسيما بالاستشهاد
فان العلم به [illegible] من القلبة دلالة لتوقع ثوابه تعالى ولا يتيسر الا ما ذكر في حيز الصلة ينبغي ان

ان يكون مدار الحكم الوارد على الموصول لا اقل من ان يكون وصفا ملايما له فلعل المراد بلقائه تعالى
لقاؤه نصره وتأييده عبر عنه بذلك مبالغة كما عبر عن مقارنة نصره تعالى بمقارنته سبحانه حيث قيل
والله مع الصابرين فان المراد به نصره وتوفيقه حتما وحملها على المعية بالاثابة كما فعل يأباه انهم انما قالوه
تتميما لجوابهم وتأييدا له بطريق الاعتراض التذييلي تشجيعا لاصحابهم وتثبيتا لهم على الصبر المؤدي
الى الغلبة ولا تعلق له بما ذكر من المعية بالاثابة قطعا وكذا الحال اذا جعل ذلك ابتداء كلام من جهة الله
تعالى جيء به تقريرا لكلامهم والمعنى قال الذين يظنون او يعلمون من جهة النبي ومن جهة التابوت وما
والسكينة انهم ملاقوا نصر الله العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فنحن ايضا نغلب جالوت
وجنوده وايراد خبر ان اسما مع ان اللقاء مستقبل للدلالة على تقرره وتحققه ولما برزوا اي ظهر طالوت
ومن معه من المؤمنين وصاروا الى براز من الارض في موطن الحرب لجالوت وجنوده وشاهدوا ما هم
عليه من العدد والعدد وايقنوا انهم غير مطيقين بهم عادة قالوا اي جميعا عند تقوى قلوب الفريق
الاول منهم بقول الفريق الثاني متضرعين الى الله مستعينين به ربنا افرغ علينا صبرا على مقاساة شدائد
الحرب واقتحام موارده الصعبة الضيقة وفي التوسل بوصف الربوبية المنبئة على التبليغ الى الكمال
وايثار الافراغ المعرب عن الكثرة وتنكير الصبر المفصح عن التفخيم من الجزالة ما لا يخفى وثبت اقدامنا في
مداحض القتال وزل النزال وثبات القدم عبارة عن كمال القوة والرسوخ عند المقارعة وعدم التزلزل
وقت المقاومة لا لمجرد التقرر في حيز واحد وانصرنا على القوم الكافرين بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين
بقهرهم وهزمهم ووضع الكافرين في موضع الضمير العائد الى جالوت للاشعار بعلة النصر عليهم ووضع الكافرين
في موضع الضمير العائد الى جالوت وجنوده للاشعار بعلة النصر عليهم ولقد راعوا في الدعاء ترتيبا بديعا حيث
قدموا سؤال افراغ الصبر الذي هو ملاك الامر ثم سؤال تثبيت القدم المتفرع عليه ثم سؤال النصر الذي هو
الغاية القصوى فهزموهم اي كسروهم بلا مكث باذن الله بنصره وتأييده اجابة لدعائهم وايثار هذه
الطريقة قوله عز وجل فآتاهم الله ثواب الدنيا الى آخره للمحافظة على مضمون قولهم غلبت فئة كثيرة باذن الله
وقتل داود جالوت كان ايشى ابو داود في عسكر طالوت معه ستة من بنيه وكان داود عليه السلام
سابعهم وكان صغيرا يرعى الغنم فاوحى الله تعالى الى نبيهم انه الذي يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد
مر في طريقه بثلاثة احجار قال له كل منها احملنا فانك بنا تقتل جالوت فحملها في مخلاته قيل لما ابطأ على
ابيه خبر اخوته في المصاف ارسل داود اليهم ليأتيه بخبرهم فاتاهم وهم في المصاف وقد برز جالوت
بنفسه الى البراز ولا يكاد يبارزه احد وكان طلبه مبارزا فقال داود لاخوته ما فيكم من يخرج الى هذا الا
تلف فرجعوه فجاء ناحية اخرى ليس فيها اخوته وقد مر به طالوت وهو يحرض الناس على القتال فقال
له داود ما تصنعون بمن يقتل هذا الاقلف قال طالوت انكحه بنتي واعطيه شطر مملكتي فبرز له داود ورماه
بما معه من الاحجار بالقلاع فاصابه في صدره فنفذت الاحجار منه وقتلت بعده ناسا كثيرا وقيل انما كانت
الاحجار عند بروزه لجالوت في المعركة فانجز له طالوت ما وعده وقيل انه حسده واخرجه من مملكته
ثم ندم على ما صنعه فذهب يطلبه الى ان قتل وملك داود عليه السلام واعطى النبوة وذلك قوله عز
وجل وآتاه الله الملك اي ملك بني اسرائيل في مشارق الارض المقدسة ومغاربها والحكمة اي النبوة
لم يجتمع في بني اسرائيل الملك والنبوة قبله الا له بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط آخر وما
اجتمعوا قبله على ملك قط وعلمه مما يشاء اي مما يشاء الله تعالى تعليمه اياه لا مما يشاء داود عليه السلام لان
معظم ما علمه تعالى اياه مما لا يكاد يخطر ببال احد ولا يقع في امنية بشر ليتمكن من طلبه ومشيئته كالسرد باتخاذ
الحديد ومنطق الطير والدواب ونحو ذلك من الامور الخفية ولولا دفع الله الناس بعضهم الذين يباشرون
الشر والفساد ببعض آخر منهم بردهم عما هم عليه بما قدر الله تعالى من القتل كما في القصة المحكية او غيره
وقرئ ودفاع الله على ان صيغة المغالبة للمبالغة لفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها
من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض ويصلحها وقيل لولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض
قاطبة ولكن الله ذو فضل عظيم لا يقادر قدره على العالمين كافة وهذا اشارة الى قياس استثنائي مؤلف من
وضع نقيض المقدم منتج لنقيض التالي خلا انه قد وضع موضعه ما يستتبعه ويستوجبه اعني كونه
تعالى ذا فضل على العالمين ايذانا بانه تعالى متفضل في ذلك الدفع من غير ان يجب عليه ذلك وان فضله
تعالى غير منحصر فيه بل هو فرد من افراد فضله العظيم كانه قيل ولكنه تعالى يدفع فساد بعضهم ببعض فلا
يفسد الارض وينتظم به مصالح العالم وتنصلح الاحوال الامم تلك اشارة الى ما سلف من حديث الالوف
وتمليك طالوت على التفصيل من عنده تعالى والجملة مستأنفة وقوله تعالى آيات الله المنزلة من عنده تعالى والجملة
مستأنفة وقوله تعالى نتلوها عليك اي بواسطة جبريل عليه السلام حالا من الآيات والعامل

معنى

معنى الاشارة وان جعلت مستقلة لا محل لها من الاعراب بالحق في حيز النصب على انه حال من مفعول
نتلوها اي ملتبسة باليقين الذي لا يرتاب فيه احد من اهل الكتاب وارباب التواريخ لما يجدونها موافقة لما
في كتبهم او من فاعله اي نتلوها عليك ملتبسين بالحق والصواب او من الضمير المجرور اي ملتبسا بالحق
والصدق وانك لمن المرسلين اي من جملة الذين ارسلوا الى الامم لتبليغ رسالاتنا واجراء اوامرنا
واحكامنا عليهم فان هذه المقابلة لا تجري بينك وبين غيرهم فهي شهادة منه سبحانه برسالته صلى الله عليه وسلم
اثر بيانه ما يستوجبها والتأكيد من مقتضيات مقام الجاحدين بها تلك الرسل جملة مستأنفة ذهب الى انه صلى
الله عليه وسلم منهم وافاضل الرسل العظام عليهم الصلوات والسلام اثر بيان كونه من جملتهم والاشارة الى
الجماعة الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واللام في المآل للاستغراق وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو منزلتهم وبعلو طبقتهم وقيل الى الذين ذكرت قصصهم في السورة وقيل الى الذين ثبت علمه عليه السلام
بهم فضلنا بعضهم على بعض في مراتب الكمال بان خصصنا حسبما تقتضيه مشيئتنا بمأثرة جليلة خلا عنها غيره
منهم من كلم الله تفصيل للتفضيل المذكور اجمالا اي فضله بان كلمه تعالى بغير سفير وهو موسى عليه السلام
حيث كلمه الله تعالى ليلة الحيرة وفي الطور وقرئ كلم الله بالنصب وقرئ كالم الله من المكالمة فانه
كلم الله تعالى كما انه تعالى كلمه ويؤيده كليم الله بمعنى مكالمه وايراد الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية
المهابة والرمز الى ما بين التكليم والرفع وبين ما سبق من مطلوب التفصيل وبالحق من ايتاء البينات والتأييد
بروح القدس من التفاوت ورفع بعضهم درجات اي ومنهم من رفعه على غيره من الرسل المتفاوتين في
معارج الفضل بدرجات قاصية ومراتب نائية وتغيير الاسلوب لتربية ما بينهم من اختلاف الحال
في درجات الشرف والظاهر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ينبئ عنه الاخبار بكونه عليه السلام
منهم فان ذلك في قوة بعضهم فانه قد خص بالدعوة العامة والحجج الجمة والمعجزات المستمرة والآيات المتعاقبة
بتعاقب الدهور والفضائل العلمية والعملية الفائتة للحصر والابهام لتفخيم شأنه وللاشعار بانه العلم
الفرد الغني عن التعيين وقيل انه ابراهيم عليه السلام حيث خصه تعالى بمقام الخلة وقيل ادريس عليه
السلام حيث رفعه مكانا عليا وقيل اولو العزم من الرسل عليهم السلام واتينا موسى عيسى ابن مريم البينات
الآيات الباهرة والمعجزات الظاهرة من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات او الانجيل
وايدناه اي قويناه بروح القدس بسكون الدال وقرئ بضمها اي بالروح المقدسة كقولك رجل صدق وهي
روح عيسى وانما وصفت بالقدس للكرامة او لانه عليه السلام لم تضمه الاصلاب والارحام الطوامث
وقيل بجبريل عليه السلام وقيل بالانجيل كما مر وافراده عليه السلام بما ذكر لما بين اهل الكتابين في
شأنه عليه السلام من التفريط والافراط والآية ناطقة بان الانبياء عليهم السلام متفاوتة الاقدار فيجوز
تفضيل بعضهم على بعض ولكن بقاطع ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم اي جاؤوا من بعد الرسل من
الامم المختلفة اي لو شاء الله عدم اقتتالهم ما اقتتلوا بان جعلهم متفقين على اتباع الرسل المتفقة على كلمة
الحق فمفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء على القاعدة المعروفة وقيل تقديره لو شاء الله هدى الناس
جميعا ما اقتتل الى آخره وليس بذاك من بعد ما جاءتهم البينات من جهة اولئك الرسل البينات المعجزات
الواضحة والآيات الظاهرة الدالة على حقيقة الحق الموجبة لاتباعهم الزاجرة عن الاعراض عن سننهم المؤدي
الى الاقتتال فمن متعلقة باقتتل ولكن اختلفوا استدراك من الشرطية اشير به الى قياس استثنائي مؤلف
من وضع نقيض مقدمها منتج لنقيض تاليها الا انه قد وضع فيه الاختلاف موضع نقيض المقدم المترتب
عليه للايذان بان الاقتتال ناشئ من قبلهم لا من جهته تعالى ابتداء كانه قيل ولكن لم يشأ عدم اقتتالهم
لانهم اختلفوا اختلافا فاحشا فمنهم من آمن اي بما جاءت به اولئك الرسل من البينات وعملوا به ومنهم
من كفر بذلك كفرا لا ارعواء له عنه فاقتضت الحكمة عدم مشيئته تعالى لعدم اقتتالهم فاقتتلوا بموجب اقتضاء
احوالهم ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذه المرتبة ايضا من الاختلاف والشقاق المستتبعين للاقتتال
بحسب العادة ما اقتتلوا وما نبض منهم عرق التطاول والتعادي لما ان الكل تحت ملكوته تعالى فالتكرير
ليس للتأكيد كما ظن بل للتنبيه على ان اختلافهم ذلك ليس موجبا لعدم اقتتالهم ما اقتتلوا كما يفصح عنه
الاستدراك بقوله عز وجل ولكن الله يفعل ما يريد اي من الامور الوجودية والعدمية التي من جملتها
عدم مشيئته عدم اقتتالهم فان الترك ايضا من جملة الافعال اي يفعل ما يريد حسبما يريد من غير ان
يوجبه عليه موجب او يمنعه منه مانع وفيه دليل بين ان الحوادث تابعة لمشيئته سبحانه وتعالى
خيرا كان او شرا ايمانا كان او كفرا يا ايها الذين آمنوا انفقوا في سبيل الله مما رزقناكم اي شيئا مما رزقناكم
على ان ما موصولة حذف عائدها والتعرض للموصولة منه تعالى للحث على الانفاق كما في قوله تعالى
وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والمراد به الانفاق الواجب بدلالة ما بعده من الوعيد من قبل

ان ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة كلمة من متعلقة بما تعلقت به اجمعا ولا ضير فيه لاختلاف
معنييهما فان الاولى تبعيضية وهذه لابتدا الغاية اي انفقوا بعض ما رزقناكم من قبل ان ياتي يوم
لا تقتدرون على تلافي ما فرطتم فيه اذ لا تبايع فيه حتى تبتاعوا ما تنفقونه او تفتدون به او تفتدون
به من العذاب ولا خلة حتى يسامحكم به اخلاؤكم او يعينوكم عليه ولا شفاعة لمن اذن له الرحمن ورضي
له قولا حتى تتوسلوا بشفعا يشفعون لكم في حط ما في ذممكم وانما رفعت الثلاثة مع قصة التعميم
لانها في التقدير جواب هل فيه بيع او خلة او شفاعة وقرئ بفتح الكل والكافرون اي والتاركون
للزكوة واثاره عليه للتغليظ والتهديد كما في قوله تعالى ومن كفر مكان ومن لم يحج وللايذان بان ترك
الزكوة من صفات الكفار وقال تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة هم الظالمون اي الذين
ظلموا انفسهم بتعريضها للعقاب او وضعوا المال في غير موضعه وصرفه في غير وجهه الله لا اله الا هو
مبتدا وخبر اي هو المستحق للعبودية لا غير في اضمير خبر لا مثل في الوجود او يصح ان يوجد خلاف
للنحاة معروف الحي الباقي الذي لا سبيل عليه للموت والفنا وهو اما خبر ثان او خبر مبتدا محذوف او
بدل من الله او صفة له ويعضده القراة بالنصب على المدح لاختصاصه بالنعت القيوم فيعول
فيفعول من قام بالامر اذا حفظه اي دائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقيل هو القائم لغيره انه
لا تاخذه سنة ولا نوم السنة ما تتقدم النوم من الفتور قال عدي بن الرقاع العاملي وسنان اقصده
النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم * والنوم حالة تعرض للحيوان من استرخا اعصاب
الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف المشاعر الظاهرة عن الاحساس والمراد بيان
انتفا اعتراء شي منهما له سبحانه لعدم كونهما من شانه تعالى لانهما قاصران بالنسبة الى القوة الالهية
فانه بمعزل من مقام التنزيه فلا سبيل الى حمل النظم الكريم على طريقة المبالغة والترقي بناء على ان
القادر على دفع السنة قد لا يقدر على دفع القوى كما في قوله عز وجل ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا
كبيرة الاية واما التعبير عن عدم الاعتراء والعروض بعدم الاخذ فلمراعاة الواقع اذ عروض السنة
والنوم لمعروضهما انما يكون بطريق الاخذ والاستيلاء وقيل هو من باب التكميل والجملة تاكيد لما
قبلها من كونه تعالى حيا قيوما فان من يعتريه احدهما يكون هو والحيوة قاصرا في الحفظ والتدبير
وقيل استيناف موكد لما سبق وقيل حال موكدة من الضمير المستكن في القيوم له ما في السموات
وما في الارض تقرير لقيوميته تعالى واحتجاج به على تفرده في الالوهية والمراد بما هو اعم من اجزائهما
الداخلة فيهما ومن الامور الخارجة عنهما المتمكنة فيهما من العقلا وغيرهم من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه بيان لكبريا شانه وانه لا يدانيه احد ليقدر على تغيير ما يريده شفاعة وضراعة فضلا
من ان يدافعه عنادا او مناصبة يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي ما قبلهم وما بعدهم او بالعكس
لانك مستقبل المستقبل ومستدبر الماضي او امور الدنيا وامور الاخرة او بالعكس او ما
يحسونه وما يعقلونه او ما يدركونه وما لا يدركونه والضمير لما في السموات والارض بتغليب
ما فيهما من العقلا على غيرهم او لما دل عليه من ذا الذي من الملئكة والانبيا عليهم السلام ولا يحيطون
بشيء من علمه اي من معلوماته الا بما شاء ان يعلموه وعطفه على ما قبله لما انهما جميعا دليل على تفرده
تعالى والعلم الذاتي التام الدال على وحدانيته وسع كرسيه السموات والارض الكرسي ما يجلس عليه
عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وكانه منسوب الى الكرسي الذي هو الملبد وليس ثمة كرسي ولا قاعد
ولا قعود وانما هو تمثيل لعظمة شانه وسعة سلطانه عز وجل واحاطة علمه بالاشيا قاطبة على طريقة
قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه
وقيل كرسيه مجاز عن علمه اخذا من كرسي العالم وقيل عن ملكه اخذا من كرسي الملك فان الكرسي كلما
كان اعظم يكون عظمة القاعد اكثر وفيه تعبير عن شمول علمه او عن بسيطة ملكه وسلطانه بسعة
كرسيه واحاطته بالاقطار العلوية والسفلية وقيل هو جسم بين يدي العرش محيط بالسموات
السبع لقوله عليه السلام وما السموات السبع والارضون السبع مع الكرسي الا كحلقة في فلاة
وفضل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة ولعله الفلك الثامن وعن الحسن البصري انه
العرش ولا يؤده اي لا يثقله ولا يشق عليه حفظهما اي حفظ السموات والارض وانما لم يتعرض لذكر
ما فيهما لما ان حفظهما مستتبع لحفظه وهو العلي المتعالي بذاته عن الاشيا والانداد العظيم الذي يستحقر
بالنسبة اليه كل ما سواه ولما ترى من انطوى هذه الاية الكريمة على امهات المسايل الالهية المتعلقة
بالذات العلية والصفات الجلية فانها ناطقة بانه تعالى موجود متفرد بالالهية متصف بالحياة
واجب الوجود لذاته موجد لغيره ولما ان القيوم هو القائم بذاته المقيم لغيره منزه عن التغير

والحلول

والحلول مبرا عن التغير لا مناسبة بينه وبين الاشباح ولا يعتريه ما يعتري النفوس والارواح مالك
الملك والملكوت ومبدع الاصول والفروع والبطش الشديد لا يشفع عنده الا من اذن له قيل العالم
بجميع الاشيا جليها وخفيها كليها وجزئيها واسع الملك والقدرة بحيث من شانه ان يملك ويقدر عليه لا يشق
عليه شاق ولا يشغله شان عن شان متعال عما يناله الاوهام عظيم لا يحيط به الافهام ولذلك تفردت بفضائل رائقة
وخواص فائقة خلت عنها اقرانها قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم اية في القرآن اية الكرسي من قراها بعث
الله ملكا يكتب من حسناته ويمحو من سيئاته من الغد من تلك الساعة وقال عليه السلام ما قرئت هذه
الاية في دار الا اهجرته الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك
واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم منها وقال صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة
لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله
تعالى على نفسه وجاره وجار جاره والابيات التي حوله وقال عليه الصلوة والسلام سيد البشر ادم وسيد
العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد
الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القران وسيد القران سورة البقرة وسيد البقرة اية الكرسي وتخصيص
سيادته عليه السلام للعرب بالذكر في اثناء تعداد السيادات الخاصة لا يدل على نفي ما دلت عليه
الاخبار المستفيضة وانعقد عليه الاجماع من سيادته عليه السلام لجميع افراد البشر لا اكراه في الدين
جملة مستانفة جيء بها اثر بيان تفرده سبحانه وتعالى بالشؤن الجليلة الموجبة للايمان به وحده ايذانا
بان من حقه حق العاقل ان لا يحتاج الى التكليف والالزام على اتخاذ الدين الحق من غير تردد وتلعثم وقيل
هو خبر في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين فقيل منسوخ بقوله تعالى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم وقيل خاص باهل الكتاب حيث حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن
عوف ابنان قد تنصرا قبل مبعثه عليه السلام ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى
تسلما فابيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فخلاهما قد تبين الرشد من الغي استيناف
تعليل صدر بكلمة التحقيق لزيادة تقرير مضمونه كما في قوله تعالى قد بلغت من لدني عذرا اي اذ قد تبين بما ذكر
من نعوته التي يمتنع توهم اشتراك الغير في شيء منها الايمان الذي هو الرشد الموصل الى السعادة الابدية
من الكفر الذي هو الغي المؤدي الى الشقاوة السرمدية فمن يكفر بالطاغوت هو بنا مبالغة من الطغيان
كالملكوت والجبروت قلب مكان عينه ولامه فقيل هو في الاصل مصدر وقيل ذهب الفارسي وقيل هو اسم
جنس مفرد مذكر وانما الجمع والتذكير لارادة الالهة وهو راي سيبويه وقيل هو جمع وهو مذهب
المبرد وقيل يستوي فيه الافراد والجمع والتذكير والتانيث اي فمن يكفر بما اثرها تبين الحق من الباطل بموجب
الحجج الواضحة والايات البينة ويكفر بالشيطان او بالاصنام او بكل ما عبد من دون الله تعالى او صد عن
عبادته تعالى لما تبين كونه بمعزل من استحقاق العبادة ويؤمن بالله وحده لما شاهد من نعوته الجليلة
وحده لما شاهد من نعوته الجليلة المقتضية للاختصاص الالوهية به عز وجل الموجبة للايمان والتوحيد
وتقديم الكفر بالطاغوت على الايمان به تعالى لتوقفه عليه فان التخلية متقدمة على التحلية فقد استمسك
بالعروة الوثقى اي بالغ في التمسك بها كانه وهو ملتبس به يطلب من نفسه الزيادة فيه والثبات عليه
لا انفصام لها اي لا انقطاع لها العصم الكسر بغير ابانة كما ان القصم هو الكسر بابانة ونفي الاول يدل على انتفاء الثاني
بالاولوية والجملة اما استيناف مقرر لما قبلها من وثاقة العروة واما حال من العروة والعامل استمسك
او من الضمير المستتر في الوثقى ولها في خبر لا اي كاين لها والكلام تمثيل مبني على تشبيه الهيئة العقلية المنتزعة
من ملازمة الاعتقاد الحق الذي لا يحتمل النقيض اصلا لثبوته بالبراهين النيرة القطعية بالهيئة الحسية
المنتزعة من التمسك بالحبل المحكم المامون انقطاعه فلا استعارة في المفردات ويجوز ان تكون العروة
الوثقى مستعارة للاعتقاد الحق الذي هو الايمان والتوحيد لا للنظر الصحيح المؤدي اليه كما قيل فانه غير
مذكور في حيز الشرط والاستمساك بها مستعار لما ذكر من الملازمة او ترشيحا للاستعارة الاولى والله
سميع بالاقوال عليم بالعزايم والعقايد والجملة اعتراض تذييلي حامل على الايمان والتوحيد رادع من الكفر
والنفاق بما فيه من الوعد والوعيد الله ولي الذين امنوا اي معينهم ومتولي امورهم والمراد بهم الذين
ثبت في علمه تعالى ايمانهم في الجملة مالا او حالا يخرجهم بفضل الولاية وخبر ثان عند من يجوز كونه جملة
او حال من الضمير في ولي من الظلمات التي هي ظلمات الكفر والمعاصي وظلمات الشبهة بل بما في بعض
مراتب العلوم الاستدلالية من نوع ضعف وخفا بالقياس الى مراتبها القوية الجلية بل بما في جميع
مراتبها بالنظر الى مرتبة العيان الى النور الذي يعم نور الايمان ونور الايقان بمراتبه ونور الوحدة
والجمع الظلمات لتعدد فنون الضلال والذين كفروا اي الذين ثبت في علمه تعالى كفرهم اولياؤهم الطاغوت اي

الشياطين وساير المضلين عن طريق الحق فالموصول مبتدا واولياهم مبتدا ثان والطاغوت خبره والجملة الحاصلة
معطوفة على ما قبلها ولعل تغيير السبك للاحتراز عن وضع الطاغوت في مقابلة الاسم الجليل و لقصد
المبالغة بتكرير الاسناد مع الايماء الى التباين بين الفريقين من كل وجه حتى من جهة التعبير ايضا
يخرجونهم بالوساوس وغيرها من طرق الضلال والاغواء من النور الفطري الذي جبل عليه الناس كافة او من
نور البينات التي يشاهدونها من جهة النبي صلى الله عليه وسلم بتنزيل تمكنهم من الاستضاءة بها منزلة نفسها
الى الظلمات ظلمات الكفر والانهماك في الغي وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام والجملة تفسير لولاية
الطاغوت او خبر ثان كما مر والاخراج من حيث النسبة الى الطاغوت لا يقدح في اسناده من حيث الخلق
الى قدرته سبحانه وتعالى اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما يتبعه من
القبايح اصحاب النار اي ملابسوها وملازموها بسبب ما لهم من الجرائم هم فيها خالدون ماكثون ابدا
الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه استشهاد على ما ذكر من ان الكفرة اولياؤهم الطاغوت وتقرير له على
طريقة قوله الم تر انهم في كل واد يهيمون كما ان ما بعده استشهاد على ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير لها وانما
بدا بهذه لرعاية الاقتران بينه وبين مدلوله و استقلاله امر عجيب حقيق بان يصدر به المقال وهو
اجتراؤه على المهاجة في الله عز وجل وما اتى بها في اثنائها من العظيمة المنادية بكمال حماقته ولان فيما
بعده تعددا وتفصيلا وصيغة الاستفهام لانكار النفي وتقرير المنفي اي الم تنظر او الم ينته علمك الى هذا
الطاغوت المارد كيف تصدى لاضلال الناس واخراجهم من النور الى الظلمات اي قد تحققت الروية
وتقررت بناء على ان امره من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد ممن له حظ من الخطاب فظهر ان الكفرة
اولياؤهم الطاغوت وفي التعريض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام تشريف له وايذان
بتأييده في المحاجة ان آتاه الله الملك اي لان آتاه حيث ابطره ذلك وحمله على المحاجة او حاجه لاجله وضعا
للمحاجة التي هي اقبح وجوه الكفر موضع ما يجب عليه من الشكر كما يقال عاديتني لان احسنت اليك او وقت
ان آتاه الله الملك وهو حجة على من منع ايتاء الله الملك للكافر اذ قال ابراهيم ظرف لحاج او بدل من آتاه
على الوجه الاخير ربي الذي يحيي ويميت بفتح يا ربي وقرئ بحذفها روي انه عليه السلام لما كسر الاصنام
سجنه ثم اخرجه فقال من ربك الذي تدعوا اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت اي يخلق الموت والحيوة في الاجساد
قال استيناف مبني على السؤال كانه قيل كيف حاجه في هذه المقالة القوية الحقة فقيل قال انا احيي واميت
روي انه دعا برجلين فقتل احدهما واطلق الاخر فقال ذلك قال ابراهيم استيناف كما سلف كانه قيل فماذا
قال ابراهيم لمن في هذه المرتبة من الحماقة وبماذا افحمه فقيل قال فان الله ياتي بالشمس من المشرق حسبما
تقتضيه مشيئته فأت بها من المغرب ان كنت قادرا على مثل ما قدره الله تعالى لم يلتفت عليه السلام الى
مقالة اللعين ايذانا بان بطلانها من الجلاء والظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد وان التصدي لابطالها من
قبيل السعي في تحصيل الحاصل واتى بمثال لا يجد اللعين فيه مجالا للتمويه والتلبيس من قبيل السعي في تحصيل
الحاصل فبهت الذي كفر اي صار مبهوتا وقرئ على بناء الفاعل على ان الموصول مفعوله اي فغلب ابراهيم الكافر
واسكته وايراد الكفر في حيز الصلة للاشعار بعلة الحكم والتنصيص على كون المحاجة كفرا والله لا يهدي القوم
الظالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي لا يهدي الذين ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب المخلد بسبب اعراضهم
عن قبول الهداية الى مناهج الاستدلال او الى سبيل النجاة او الى طريق الجنة يوم القيمة او كالذي مر على قرية
استشهاد على ما ذكر من ولايته تعالى للمؤمنين وتقرير له معطوف على الموصول السابق وايثار الفاء الفارقة
على الواو الجامعة للاحتراز عن توهم اتحاد المستشهد عليه من اول الامر والكاف اما اسمية كما اختاره
قوم جمع بها التنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها كما ذكر كما في قولك الفعل الماضي مثل قصر واما
زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى او ارايت مثل الذي مر على قرية كيف هداه الله تعالى واخرجه من
ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود اي قد رايت ذلك وشاهدته فاذا لا ريب في ان الله تعالى ولي الذين
آمنوا الى آخره هذا وقد جعل الهمزة لمجرد التعجب على ان يكون المعنى في الاول الم تنظر الى الذي حاج الى آخره
وما جرى عليه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل كما استقر عليه اي الجمهور ودفعي حليق بجزالة التنزيل وفخامة
شانه الجليل فتدبر وهو عزير بن شرخيا قاله قتادة والربيع وعكرمة وناجية بن كعب وسليمان بن بريدة
والضحاك والسدي وقيل هو ارميا بن خلقيا من سبط هارون عليه السلام قاله وهب وعبيد الله بن
عمير وقيل ارميا هو الخضر بعينه وكان مجاهد هو المار رجلا كافرا بالبعث وهو بعيد والقرية بيت المقدس
قاله وهب وعكرمة والربيع وقيل هو دير هرقل على شط دجلة وقال الكلبي هو دير سابر اباد وقال
السدي هو دير سلما باد والاول هو الاظهر والاشهر روي ان بني اسرائيل لما بالغوا في تعاطي الشر والفساد
وجاوزوا في الطغيان كل حد معتاد سلط الله عليهم بخت نصر البابلي فسار اليهم في ستماية الف رايه

حتى

وطي الشام وضرب بيت المقدس وجعل بني اسرائيل اثلاثا ثلث قتلهم وثلث منهم اقرهم بالشام
وثلث منهم سباهم وكانوا ماية الف غلام يافع وغير يافع فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب
كل ملك اربعة غلمة وكان عزير من جملتهم فلما نجاه الله تعالى منهم بعد حين مر بحماره على بيت المقدس
فراه على افظع منظر واوحشه وذلك قوله عز وجل وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها بان
سقطت العروش ثم الحيطان من خوى البيت اذا سقط او من خوت الارض اذا تهدمت والجملة حالية من
ضمير مر او من قرية عند من يجوز الحال من النكرة مطلقا قال اي تلهفا عليها وتشوقا الى عمارتها مع استشعار
الياس عنها انى يحيي هذه الله وهي على ما يرى من الحالة العجيبة المباينة للحيوة وتقديمها على الفاعل للاعتنا
بها من حيث ان الاستبعاد ناش من جهتها لا من جهة الفاعل وانى نصب على الظرفية ان كانت بمعنى متى
وعلى الحالية من هذه ان كانت بمعنى كيف والعامل يحيي وايا ما كان فالمراد استبعاد عمارتها بالبناء والسكان
بقاها اصلها الذين تفرقوا ايدي سبا ومن غيرهم وانما عبر عنها بالاحياء الذي هو علم في البعد عن الوقوع عادة
تهويلا للخطب وتاكيدا للاستبعاد كما انه لاجله عبر عن خرابها بالموت حيث قيل بعد موتها وحيث كان هذا
التعبير معربا عن الاستبعاد الاحيا بعد الموت على ابلغ وجه وآكده اراه الله تعالى ابعد الامرين في
نفسه ثم اراه ما استبعده صريحا مبالغة في ازاحة ما عسى يختلج في خلده واما حمل احيائها على احيا اهلها
فيأباه التعرض لحال القرية دون حال اهلها والاقتصار على ذكر موتهم دون كونهم ترابا وعظاما مع كونه ادخل
في الاستبعاد لشدة مباينته للحيوة وغاية بعده عن قبولها على انه لم يتعلق ارادته تعالى باحيائهم
كما تعلقت بعمارتها ومعاينة المار لها كما سيحيط به خبرا فاماته الله والبثه على الموت ماية عام روي
انه لما دخل القرية ربط حماره فطاف بها ولم ير فيها احدا فقال ما قال وكانت اشجارها قد اثمرت فتناول
من التين والعنب وشرب من عصيره ونام فاماته الله تعالى في منامه وهو شاب وامات حماره
وبقيت تينه وعنبه او عصيره عنده ثم اعمى الله تعالى عنه عيون المخلوقات فلم يره احد فلما مضى من
موته سبعون سنة وجه الله ملكا عظيما من ملوك فارس يقال له يوشك الى بيت المقدس ليعمره ومعه
الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثماية الف عامل فجعلوا يعمرونه واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت
دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرائيل وردهم الى بيت المقدس وتراجع اليه من تفرق منهم في الاكناف
فعمروه ثلثين سنة وكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا فلما تمت الماية من موت عزير احياه الله تعالى وذلك
قوله ثم بعثه وايثاره على احياه للدلالة على سرعته وسهولته تاتيه على البارئ تعالى كانه بعثه من
النوم وللايذان بانه اعاده كهيئته يوم موته عاقلا فاهما مستعدا للنظر والاستدلال قال استيناف
مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال له بعد بعثه فقيل قال كم لبثت ليظهر له عجزه عن الاحاطة بشؤونه
تعالى وان احياه ليس بعد مدة يسيرة ربما يتوهم انه هين في الجملة بل بعد مدة طويلة وينحسم به
مادة استبعاده بالمرة ويطلع في تضاعيفه على امر آخر من بدايع آثار قدرته تعالى وهو ابقاء الغذاء المتسارع
الى الفساد بالطبع على ما كان عليه دهرا طويلا من غير تغير ما وكم نصب على الظرفية مميزها محذوف اي
كم وقتا لبثت والقايل هو الله تعالى او ملك مامور بذلك من قبله تعالى وقيل نودي من السماء يا عزير كم
لبثت بعد الموت قال لبثت يوما او بعض يوم قاله بناء على التقريب والتخمين او استقصارا لمدة لبثه
واما ما يقال من انه مات ضحى وبعث بعد الماية قبل الغروب فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم
التفت اليها فراى بقية فقال او بعض يوم على وجه الاضراب فبمعزل من التحقيق اذ لا وجه للجزم بتمام
اليوم ولو بناء على حسبان الغروب لتحقق النقصان من اوله قال استيناف كما سلف بل لبثت ماية عام
عطف على مقدر اي ما لبثت ذلك القدر بل هذا القدر فانظر لتعاين امرا آخر من دلايل قدرتنا الى
طعامك وشرابك لم يتسنه اي لم يتغير في هذه المدة المتطاولة مع تداعيه الى الفساد روي انه
وجد تينه او عنبه كما جنى وعصيره كما عصر والجملة المنفية حال بغير واو كقوله تعالى لم يمسسهم
سوء اما من الطعام والشراب وافراد الضمير لجريانهما مجرى الواحد كالغذاء واما من الاخير اكتفاء
بدلالة حاله على حال الاول ويؤيده قراءة من قرا وهذا شرابك لم يتسنه والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه
من السنة لان لامها هاء او واو وقيل اصله يتسنن من الحماء المسنون فقلبت نونه حرف علة كما في تقضي
البازي وقد جوز ان يكون معنى لم يتسنه لم يمر عليه السنون التي مرت لا حقيقة بل تشبيها اي
هو على حاله كانه لم يلبث ماية عام وقرئ لم يسنه بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف نخرت
عظامه وتفرقت وتقطعت اوصاله وتمزقت ليتبين لك ما ذكر من لبثك المديد وتطمين به نفسك
ولنجعلك آية للناس الموجودين في هذا القرن بان يشاهدوك وانت من اهل القرون
الخالية ويأخذوا منك ما طوي عنهم منذ احقاب من علم التوراة كما ياتي او متعلق بفعل مقدر بعده

اى ولنجعلك اية على الوجه المذكور فعلنا ما فعلنا فهو على التقديرين دليل على ما ذكر من البعث المديد
ولذلك قرن بينه وبين الامر بالنظر الى حماره وتكرير الامر فى قوله تعالى وانظر الى العظام ان العظام
عظام الحمار ايضا لما ان المامور به اولا هو النظر اليها من حيث دلالتها على ما ذكر من اللبث المديد وثانيا
هو النظر من حيث تعتريها الحياة ومباديها وانظر الى العظام عظام الحمار لتشاهد كيفية الاحيا فى غيرك
بعد ما شاهدت نفسه فى نفسك كيف ننشزها بالزاى المعجمة اى نرفع بعضها الى بعض ونردها الى اما
كنها من الجسد فنركبها تركيبا لايقا بها وقال الكسائى نلينها ونعظمها ولعل من فسره بنحييها اراد بالاحيا
هذا المعنى وكذا من قرا ننشرها بالراء من انشر الله تعالى الموتى اى احياها لا معناه الحقيقى لقوله تعالى
ثم نكسوها لحما اى نسترها به كما نستر الجسد باللباس واما من قرا ننشرها بفتح النون وضم الشين فلعله
اراد به ضد الطى كما قال الفرا فالمعنى كيف نبسطها والجملة حال من العظام اى وانظر اليها مركبة
مكسوة لحما او بدل اشتمال اى وانظر الى العظام كيف انشازها وبسط اللحم عليها ولعل عدم التعرض
لكيفية نفخ الروح لما انها مما لا يقتضى الحكمة بيانه روى ينادى ايتها العظام البالية ان الله يامركم ان
تجتمعى فاجتمع كل جزء من اجزائها التى ذهب بها الطيور والسباع وطارت بها الرياح من كل سهل وجبل
فانضم بعضها الى بعض والتصق كل عضو بما يليق به الضلع بالضلع والذراع بالذراع فى محلها والراس
بموضعها ثم الاعصاب والعروق ثم انبسط عليه اللحم ثم الجلد ثم خرجت منه الشعور ثم نفخ فيه الروح
فقام ينهق فلما تبين له اى دل عليه الامر بالنظر اليه من كيفية الاحيا بمباديه والفا للعطف على مقدر
يستدعيه الامر المذكور وانما حذف للايذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر وللاشعار بسرعة وقوعه
كما فى قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده بعد قوله انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك كانه قيل فامر
فانشزها الله تعالى وكساها لحما فنظر اليها فتبين كيفيته فلما تبين له ذلك اى اتضح اتضاحا تاما قال
اعلم ان الله على كل شئ قدير من الاشيا التى من جملتها ما شاهدها فى نفسه وفى غيره من تعاجيب الاثار قدير
لا يستعصى عليه امر من الامور وايثار صيغة المضارع للدلالة على ان علمه بذلك مستمر نظرا الى ان اصله
لم يتغير ولم يتبدل بالعيان وصفه وفيه اشعار بانه انما قال ما قال بناء على الاستبعاد العادى
واستعظاما للامر وقيل فاعل تبين مضمر يفسره مفعول اعلم اى فلما تبين له ان الله على كل شئ
قدير فتدبر وقرئ تبين على صيغة المجهول وقرئ قال اعلم وقيل اعلم على صيغة الامر روى انه ركب
حماره واتى محلته وانكره الناس وانكر المنازل فانطلق على وهم منه حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء
مقعدة قد ادركت زمن عزير فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير قالت نعم واين ذكر عزير وقد
فقدناه منذ كذا وكذا فبكت بكاء شديدا قال فانى عزير قالت سبحان الله انى يكون ذلك قال قد اماتنى
الله مائة عام ثم بعثنى قالت ان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة فادع الله يرد على بصرى حتى اراك فدعا
ربه ومسح بيده عينيها فصحت فاخذ بيدها فقال لها قومى باذن الله الى محلة فقامت صحيحة كانما
نشطت من عقال فنظرت اليه فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى محلة بنى اسرائيل وهم فى انديتهم
وكان فى المجلس ابن لعزير قد بلغ مائة وثمانى عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم
فكذبوها فقالت انظروا فانى بدعائه رجعت الى هذه الحالة فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه
كان لابى شامة سوداء بين كتفيه مثل الهلال فكشف فاذا هو كذلك وقد كان قتل بخت نصر ببيت
المقدس من قرا التوراة اربعين الف رجل ولم يكن يومئذ بينهم نسخة من التوراة ولا احد يعرف
التوراة فقراها عليهم عن ظهر قلبه من غير ان يخرم منها حرفا فقال رجل من اولاد المسبيين ممن ورد
بيت المقدس بعد مهلك بخت نصر حدثنى ابى عن جدى انه دفن التوراة يوم سبينا فى خابية فى كرم فان
اريتمونى كرم جدى اخرجتها لكم فذهبوا الى كرم جده ففتشوها فوجدوها فعارضوها بما املى عليهم
عزير عن ظهر القلب فما اختلفا فى حرف واحد فعند ذلك قالوا هو ابن الله تعالى الله عن ذلك
علوا كبيرا واذ قال ابراهيم دليل اخر على ولايته تعالى للمؤمنين واخراجه لهم من الظلمات الى النور
وانما لم يسلك به مسلك الاستشهاد كما قبله بان يقال او كالذى قال رب الى اخره بل بان ذكره
عليه السلام فان ما جرى عليه من احيائه بعد مائة عام من جملة الشواهد على قدرته تعالى وهدايته
والظرف منتصب بمضمر صرح بمثله فى قوله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفا اى واذكر وقت قوله عليه
السلام وما وقع من تعاجيب صنع الله تعالى على ما مر من ولايته تعالى وهدايته وتوجيه الامر بالذكر
فى امثال هذه المواقع الى الوقت دون ما وقع فيه من الواقعة مع انها المقصودة بالتذكير لما ذكر
غير مرة من المبالغة فى ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهانى
ولان الوقت مشتمل عليها مفصلة فاذا استحضر كانت حاضرة بتفاصيلها بحيث لا يشذ عنها شئ

مما ذكر عند الحكاية ولم يذكر كانها مشاهدة عيانا رب كلمة استعطاف قدمت بين يدى الدعا مبالغة
فى استدعاء الاجابة ارنى من الرؤية البصرية المتعدية الى واحد وبدخول همزة النقل طلبت مفعولا
اخر هو الجملة الاستفهامية المعلقة لها فانها تعلق كما يعلق النظر البصرى اى اجعلنى مبصرا كيف تحيى الموتى
بان تحييها وانا انظر اليها وكيف فى محل النصب على التشبيه بالظرف عند سيبويه وبالحال عند الاخفش
والعامل فيها تحيى اوفى اى حال او على اى حال تحيى قال القرطبى الاستفهام بكيف انما هو سؤال عن حال
شئ متقرر الوجود عند السائل والمسؤول والاستفهام هاهنا عن حالة الاحيا المتقررة عند السائل
اى بصرنى فى كيفية احيائك للموتى وانما ساله عليه السلام ليتايد ايقانه بالعيان ويزداد عليه السلام
ان احيا الله تعالى برد الارواح الى الاجساد فقال نمرود هل عاينته فلم يقدر على ان يقال نعم فانتقل
الى تقرير اخر ثم سال ربه ان يريه ذلك فيأباه تعليل السؤال بالاطمئنان قال استئناف كما مر غير مرة
اولم تؤمن عطف على مقدر اى الم تعلم ولم تؤمن بانى قادر على الاحيا كيف اشاء حتى تسالنى ارائته قال
استئناف اعلم بانه عليه السلام اثبت الناس ايمانا واقواهم يقينا ليجيب بما اجاب به فيكون ذلك
لطفا للسامعين قال بلى علمت وامنت بانك قادر على الاحيا كيفية انشا ولكن ما سالت ليطمئن قلبى
بمضامة العيان الى الايمان والايقان فازداد بصيرة بمشاهدته على كيفية معينة قال فخذ الفا جواب
شرط محذوف اى ان اردت ذلك فخذ اربعة من الطير قيل هو اسم لجمع كركب وسفر وقيل جمع له كتاجر
وتجر وقيل هو مصدر سمى به الجنس وقيل هو تخفيف طير بمعنى طاير كهين فى هين ومن متعلقة بخذ او بمحذوف
وقع صفة لاربعة اى اربعة كاينة من الطير قيل هى طاوس وديك وغراب وحمامة وقيل نسر بدل
الاخيرة وتخصيص الطير بذلك لانه اقرب الى الانسان واجمع لخواص الحيوان ولسهولة تاتى ما يفعل به
من التجربة والتفريق وغير ذلك فصرهن من صاره يصوره اى اماله وقرئ بكسر الصاد من صاره يصيره
اى املهن واضممهن وقرئ فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه فصرهن
ان من التصرية بمعنى الجمع اى اجمعهن اليك لتتاملها وتعرف شانها مفصلة حتى تعلم بعد الاحيا ان جزءا من
اجزائها لم ينتقل من موضعه الاول اصلا روى انه امر بان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها
ويخلط ريشها ودماءها ولحومها ويمسك رؤسها ثم امر بان يجعل اجزاءها على الجبال وذلك ثم اجعل على كل جبل
منهن جزءا اى جزءا منهن وفرق اجزاءهن على ما يحصل لك من الجبال قيل كانت اربعة اجبل وقيل سبعة فجعل
على كل جبل ربعا او سبعا من كل طائر وقرئ جزءا بضمتين وجزء بتشديد بطرح همزته تخفيفا ثم تشديده
عند الوقف ثم اجرا الوصل مجرى الوقف ثم ادعهن ياتينك وقرئ بالنصب على انه جواب الامر ولكنه بنى
لاتصاله بنون جمع المؤنث سعيا اى ساعيات مسرعات او ذوات سعى طيرانا او مشيا وانما اقتصر على
حكاية اوامره تعالى من غير تعرض لامتثاله عليه السلام ولا لما ترتب عليه من عجايب اثار قدرته تعالى
كما روى عليه السلام انه نادى فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل جزء منهن يطير الى صاحبه حتى صارت
جثثا ثم اقبلن الى رؤسهن فانضمت كل جثة الى راسها فعادت كل واحدة منهن الى ما كانت عليه من الهيئة للايذان
بان ترتب تلك الامور على الاوامر الجليلة واستحالة تخلفها عنها من الجلاء والظهور بحيث لا حاجة الى الذكر اصلا
وناهيك بالقصة دليلا على فضل الخليل ويمن الضراعة فى الدعا وحسن الادب فى السؤال حيث اراه الله
ما ساله فى الحال على ايسر ما يكون من الوجوه وارى عزيرا ما اراه بعد ما اماته مائة عام عليهما السلام
واعلم ان الله عزيز غالب على امره لا يعجزه شئ عما يريده حكيم ذو حكمة بالغة فى افاعيله فليس بناء افعاله
على الاسباب العادية لعجزه عن ايجادها بطريق اخر خارق للعادات بل لكونه متضمنا للحكم والمصالح مثل
الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله اى فى وجوه الخيرات من النفل والواجب كمثل حبة لابد من تقدير المضاف فى
احد الجانبين اى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة انبتت سبع سنابل اى اخرجت ساقا
تشعب منها سبع شعب لكل واحد منها سنبلة فى كل سنبلة مائة حبة كما يشاهد ذلك فى الذرة والدخن
فى الاراضى المغلة بل اكثر من ذلك واسناد الانبات الى الحبة مجازى كاسناده الى الارض والربيع وهذا التمثيل
تصوير للاضعاف كانها حاضرة بين يدى الناظر والله واسع لا يضيق عليه ما يتفضل به من الزيادة عليم بنية
المنفق ومقادير انفاقه وكيفية تحصيل ما انفقه الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله جملة مبتداة
جئ بها لبيان كيفية الانفاق الذى بين فضله بالتمثيل المذكور ثم لا يتبعون ما انفقوا اى ما انفقوه
او انفاقهم منا ولا اذى المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اوجب بذلك حقا
والاذى ان يتطاول عليه بسبب انعامه عليه وانما قدم المن لكثرة وقوعه وتوسيط كلمة لا للدلالة على
شمول النفى لاتباع كل واحد منهما وثم لاظهار علو رتبة المعطوف وقيل نزلت فى عثمان رضى الله عنه
حين جهز جيش العسرة بالف بعير باقتابها واحلاسها او عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه حين اتى

النبي صلى الله عليه وسلم اربعة الاف درهم صدقة ولم يكد يخطر ببالهما شيء من المن والاذى لهم اجرهم
اى حسبما وعد لهم فى ضمن التمثيل وهو جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا عن الموصول وفى تكرير الاسناد
وتقييد الاجر بقوله عند ربهم من التاكيد والتشريف ما لا يخفى وتخلية الخبر عن الفا المفيدة لسببية
ما قبلها لما بعدها للايذان بان ترتب الاجر على ما ذكر من الانفاق وترك اتباع المن والاذى امر بين لا
يحتاج الى التصريح بالسببية واما ايهام انهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف بهم اذا فعلوا فيأباه مقام
الترغيب فى الفعل والحث عليه ولا خوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه من المكاره ولا هم يحزنون
لفوات مطلوب من المطالب قلّ او جلّ اى لا يعتريهم ما يوجبه لا انه يعتريهم ذلك لكنهم لا يخافون
ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف واستشعار الخوف
والخشية استعظاما لجلال الله تعالى وهيبته واستقصارا للجد والسعى فى اقامة حقوق العبودية من
خواص المقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية
مضارعا لما ان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام قول معروف
اى كلام جميل تقبله القلوب ولا تنكره يرد به السائل من غير اعطاء شيء ومغفرة اى ستر لما وقع من السائل من
الالحاف فى المسئلة وغيره مما يثقل على المسؤول وصفح عنه وانما صح الابتدا بالنكرة فى الاول لاختصاصها
بالوصف وبالثانى بالعطف او بالصفة المقدرة اى ومغفرة كائنة من المسؤل خير اى للسائل من صدقة
يتبعها اذى لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الاولين من الضرر والجملة مستأنفة مقررة لاعتبار ترك
اتباع المن والاذى وتفسير المغفرة بنيل مغفرة من الله تعالى بسبب رد الجميل وبعفو السائل بناء على اعتبار
الخيرية بالنسبة الى المسئول يؤدى الى ان يكون فى الصدقة الموصوفة بالنسبة اليه خير فى الجملة مع بطلانها بالمرة
والله غنى لا يحوج الفقرا الى تحمل مؤنة المن والاذى ويرزقهم من جهة اخرى حليم لا يعاجل اصحاب المن
والاذى بالعقوبة لا انهم لا يستحقونها بسببهما والجملة تذييل لما قبله مشتمل على الوعيد مقرر لاعتبار الخيرية
بالنسبة الى السائل قطعا يا ايها الذين امنوا اقبل عليهم بالخطاب اثر بيان ما يبطل الصدقة مبالغة
فى ايجاب العمل بموجب النهى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اى لا تحبطوا اجرها باحد منهما كالذى فى محل
النصب اما على انه نعت لمصدر محذوف اى لا تبطلوها ابطالا كابطال الذى هو ينفق ماله رئاء الناس
واما على انه حال من فاعل لا تبطلوا اى لا تبطلوها مشابهين الذى ينفق او الذى يبطل انفاقه بالرياء
وقيل من ضمير المصدر على ما هو راى سيبويه وانتصاب رئاء اما على انه علة لينفق اى لاجل رئائهم او
على انه حال من فاعله اى ينفق ماله مرائيا والمراد به المنافق لقوله تعالى ولا يؤمن بالله واليوم الاخر
حتى يرجو ثوابا او يخشى عقابا فمثله الفا لربط ما بعدها بما قبلها اى فمثل المرائى فى الانفاق وحالته
العجيبة كمثل صفوان اى حجر املس عليه تراب اى شيء يسير من تراب فاصابه وابل اى مطر عظيم القطر
فتركه صلدا املس ليس عليه شيء من الغبار اصلا لا يقدرون على شيء مما كسبوا اى لا ينتفعون بما فعلوا
رئاء ولا يجدون له ثوابا قطعا كقوله تعالى فجعلناه هباء منثورا والجملة استئناف مبنى على السؤال كانه
قيل فماذا يكون حالهم حينئذ فقيل لا يقدرون الخ ومن ضرورة كون مثلهم كما ذكر كون مثل من يشبههم وهم
اصحاب المن والاذى كذلك والضمير للموصول باعتبار المعنى كما فى قوله عز وجل وخضتم كالذى خاضوا كما
ان المراد به الجنس او الجمع او الفريق كما ان الضمائر الاربعة السابقة باعتبار اللفظ والله لا يهدى القوم الكافرين
اى الى الخير والرشاد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله وفيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من
خصائص الكفار ولا بد للمؤمنين ان يجتنبوا الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله اى لطلب رضاه
وتثبيتا من انفسهم اى ولتثبيت بعض انفسهم على الايمان فمن تبعيضية كما فى قولهم هز من عطفه وحرك من
نشاطه فان المال شقيق الروح فمن بذل ماله لوجه الله تعالى فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله
وروحه فقد ثبتها كلها او تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم فمن ابتدائية كما فى قوله تعالى
حسدا من عند انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويؤيده قراءة من قرأ وتبيينا من انفسهم
وفيه تنبيه على ان حكمة الانفاق للمنفق تزكية النفس عن البخل وحب المال الذى هو راس كل خطيئة كمثل
جنة بربوة الربوة بالحركات الثلث وقد قرئ بها المكان المرتفع اى مثل نفقتهم فى الزكوة كمثل بستان
كائن بمكان مرتفع مامون من ان يصطلمه البرد للطافة هوائه بهبوب الرياح الملطفة وان اشجار الربى
تكون احسن منظرا وازكى ثمرا واما الاراضى المنخفضة فقلما تسلم مما دهاها من البرد لكثافة هوائها
بركود الرياح وقرئ كمثل حبة اصابها وابل مطر عظيم القطر فآتت اكلها ثمرتها وقرئ بسكون الكاف
تخفيفا ضعفين اى مثلى ما كانت تثمر فى سائر الاوقات بسبب ما اصابها من الوابل والمراد بالضعف المثل
وقيل اربعة امثال ونصبه على الحال من اكلها اى مضاعفا فان لم يصبها وابل فطل اى فطل يكفيها لجودتها

وكرمها

وكرمها ولطافة هوائها وقيل فيصيبها طل والمراد بالطل المطر الصغير القطر وقيل فالذى يصيبها طل والمعنى ان نفقات
هؤلاء زاكية عند الله تعالى لا تضيع بحال وان كانت متفاوتة باعتبار ما ينضم اليها من الاحوال ويجوز ان يعتبر
التمثيل بين حالهم باعتبار ما صدر عنهم من النفقة الكثيرة والقليلة وبين الجنة المعهودة باعتبار ما اصابها من
المطر الكثير والقليل فكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكلها فكذلك نفقتهم جلت او قلت بعد ان
يطلب بها وجه الله تعالى زاكية زائدة فى زلفاهم وحسن حالهم عند الله تعالى والله بما تعملون بصير لا
يخفى عليه شيء منه وهو ترغيب فى الاخلاص مع تحذير من الرياء ونحوه ايود احدكم الود حب الشيء مع تمنيه
ولذلك يستعمل استعمالهما والهمزة لانكار الوقوع كما فى اضرب ابى لا لانكار الواقع كما فى قولك اتضرب اباك
على ان مناط الانكار ليس جميع ما تعلق به الود بل انما هو اصابة الاعصار وما يتبعها من الاحراق ان تكون
له جنة وقرئ جنات من نخيل واعناب اى كائنة منهما على ان يكون الاصل والركن فيها هذين الجنسين الشريفين
الجامعين لفنون المنافع والباقى من المستتبعات لا على ان لا يكون فيها غيرهما كما ستعرفه والجنة تطلق على
الاشجار الملتفة المتكاثفة قال زهير * كان عينى فى غربى مقتلة * من النواضح تسقى جنة سحقا * وعلى الارض
المشتملة عليها والاول هو الانسب لقوله عز وجل تجرى من تحتها الانهار اذ على الاول لا بد من تقدير مضاف
اى من تحت اشجارها وكذا لا بد من جعل اسناد الاحتراق اليها فيما سياتى مجازا والجملة فى محل الرفع على انها صفة
جنة كما ان قوله تعالى من نخيل واعناب كذلك او محل النصب على انه حال منها لانها موصوفة له فيها من
كل الثمرات الظرف الاول خبر والثانى حال والثالث مبتدا اى صفة للمبتدا قائمة مقامه اى له رزق من
كل الثمرات كما فى قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم اى وما منا احد الا له الى اخره وليس المراد
بالثمرات العموم بل انما هو التكثير كما فى قوله تعالى واوتيت من كل شيء واصابه الكبر اى كبر السن الذى هو
مظنة شدة الحاجة الى منافعها ومئنة كمال العجز عن تدارك اسباب المعاش والواو حالية اى وقد اصابه الكبر
وله ذرية ضعفاء حال من الضمير فى اصابه اى والحال ان له ذرية صغارا لا يقدرون على الكسب وترتيب مبادى
المعاش وقرئ ضعاف فاصابها اعصار اى ريح عاصفة تستدير فى الارض ثم تنعكس منها ساطعة الى السماء على
هيئة العمود فيه نار شديدة فاحترقت عطف على فاصابها وهذا كما ترى تمثيل لحال من يعمل اعمال البر والحسنات
ويضم اليها ما يحبطها من القوادح ثم يجدها يوم القيمة عند كمال حاجته الى ثوابها هباء منثورا فى التحسر
والتاسف عليها كذلك وتوحيد الكاف مع كون المخاطب جمعا قد مر وجهه مرارا مثل ذلك البيان الواضح
الجارى فى الظهور مجرى الامور المحسوسة يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون كى تتفكروا فيها وتعتبروا بما فيها
من العبر وتعملوا بموجبها يا ايها الذين امنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم بيان لحال ما ينفق منه اثر بيان
اصل الانفاق وكيفيته اى انفقوا من حلال ما كسبتم وجياده لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
ومما اخرجنا لكم من الارض اى ومن طيبات ما اخرجنا لكم من الحبوب والثمار والمعادن فحذف لدلالة ما
قبله عليه ولا تيمموا الخبيث اى لا تقصدوا وقرئ بضمها وقرئ ولا تاموا والكل بمعنى القصد اى لا
تقصدوا الخبيث اى الردى الخسيس وهو كالطيب من الصفات الغالبة التى لا تذكر موصوفاتها منه تنفقون الجار
متعلق بتنفقون والضمير للخبيث والتقديم للتخصيص والجملة حال من فاعل تيمموا اى لا تقصدوا الخبيث
قاصدين الانفاق عليه او من الخبيث اى مختصا به الانفاق وايا ما كان فالتخصيص لتوبيخهم بما كانوا يتعاطونه
من انفاق الخبيث خاصة لا لتسويغ انفاقه مع الطيب عن ابن عباس رضى الله عنه انهم كانوا يتصدقون
بحشف التمر وشراره فنهوا عنه وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير لما ان المدلول عليه بحسب
المقام او للموصولين على طريقة قوله * كانه فى الجلد توليع البهق * او للثانى وتخصيصه بذلك لما ان الانفاق
فيه اكثر وينفقون حال من الفاعل المذكور اى ولا تقصدوا الخبيث كائنا من المال او مما كسبتم ومما
اخرجنا لكم منفقين اياه وقوله تعالى ولستم باخذيه حال على كل حال من واو تنفقون اى تنفقون والحال
انكم لا تاخذونه فى معاملاتكم فى وقت من الاوقات او بوجه من الوجوه الا ان تغمضوا فيه اى الا وقت اغماضكم
فيه او الا باغماضكم فيه وهو عبارة عن المسامحة بطريق الكناية او الاستعارة يقال اغمض بصره اذا غضه
وقرئ على البنا للمفعول على معنى الا ان تحملوا على الاغماض او تدخلوا فيه او توجدوا مغمضين وقرئ تغمضوا
او تغمضوا بضم الميم وكسرها وقيل تم الكلام عند قوله تعالى ولا تيمموا الخبيث ثم استانف فقيل على طريقة
التوبيخ والتقريع منه تنفقون والحال انكم لا تاخذونه الا اذا اغمضتم فيه وتاكيد الاستفهام للانكار
فكانه قيل امنه تنفقون الى اخره واعلموا ان الله غنى عن انفاقكم وانما يامركم به لمنفعتكم وفى الامر بان يعلموا
ذلك مع ظهور علمهم به توبيخ لهم على ما يصنعون من اعطاء الخبيث وايذان بان ذلك من اثار الجهل بشانه
تعالى فان اعطاء مثله انما يكون عادة عند اعتقاد المعطى ان الاخذ محتاج الى ما يعطيه بل مضطر اليه
حميد مستحق للحمد على نعمه العظام وقيل حامد بقبول الجيد والاثابة عليه الشيطان يعدكم الفقر

الوعيد هو الاخبار بما يكون من جهة المخبر مترتبا على شئ من زمان او غيره يستعمل فى الشر استعماله فى الخير
قال تعالى النار وعدها الله الذين كفروا اى يعدكم فى الانفاق الفقر ويقول ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا
وانما عبر عن ذلك بالوعد مع ان الشيطان لم يتضمنه مجى الفقر الى جهته للايذان بمبالغة فى الاخبار بتحقق
مجيئه كانه نزله فى تقرر الوقوع منزلة افعاله الواقعة بحسب ارادته ولوقوعه فى مقابلة وعده تعالى على طريقة
المشاكلة وقرئ بضم الفا والسكون وبضمتين وبفتحتين ويامركم بالفحشاء اى بالخصلة الفحشاء ويغريكم على
البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور على فعل المامور به والعرب تسمى البخيل فاحشا قال طرفة بن العبد
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفى • عقيلة مال الفاحش المتشدد •• وقيل بالمعاصى والسيئات
والله يعدكم اى فى الانفاق مغفرة لذنوبكم والجار فى قوله تعالى منه متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة
موكدة لفخامتها التى افادها تنكيرها اى مغفرة كاينة منه عز وجل وفضلا صفة محذوفة لدلالة المذكور
عليها كما فى قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ونظايره اى وفضلا كاينا منه تعالى اى خلفا مما
انفقتم زايدا عليه فى الدنيا وفيه تكذيب الشيطان وقيل ثوابا فى الاخرة والله واسع قدرة وفضلا يحقق
ما وعدكم به من المغفرة واخلاف ما تنفقونه عليم قدرة وفضلا يحقق ما وعدكم به من المغفرة واخلاف
ما تنفقونه عليم مبالغ فى العلم فيعلم انفاقكم فلا يكاد يضيع اجركم او يعلم ما سيكون من المغفرة والفضل فلا
احتمال للخلف للوعد والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبله يؤتى الحكمة قال مجاهد الحكمة هى القران والعلم والفقه
وروى عن ابن نجيح انها الاصابة فى القول والعمل وعن ابراهيم النخعى انها معرفة معانى الاشيا وفهمها
وقيل معرفة حقايق الاشيا وقيل هى الاقدام على الفعل الحسنة الصايبة وعن مقاتل انها تفسر فى القران
باربعة اوجه فتارة بمواعظ القران واخرى بما فيه من عجايب الاسرار وعرة بالعلم والفهم واخرى بالنبوة
ولعل الانسب بالمقام ما ينتظم الاحكام المبنية فى تضاعيف الايات الكريمة من احد الوجهين الاولين
ومعنى ايتايها تبيينها والتوفيق للعلم والعمل بها من يشاء من عباده ان يوتيها اياه بموجب سعة فضله
واحاطة علمه كما اتاكم ما بينه فى ضمن الاى من الحكم البالغة التى يدور عليها فلك منافعكم فاغتنموها
وسارعوا الى العمل بها والموصول المفعول اول ليوتى قدم عليه الثانى للعناية والجملة مستانفة مقررة
لمضمون ما قبلها ومن يوت الحكمة على بناء المفعول وقرئ على البنا للفاعل اى من يوتيه الله الحكمة والاظهار
فى مقام الاضمار لاظهار الاعتنا بشانها وللاشعار بعلة الحكم فقد اوتى خيرا كثيرا اى خير كثير اذ انه قد حيز
له خير الدارين وما يذكر اى ما يتعظ بما اوتى من الحكمة او ما يتفكر فيها الا اولوا الالباب اى العقول الخالصة
عن شوايب الوهم والركون الى متابعة الهوى وفيه من الترغيب فى المحافظة على الاحكام الواردة فى شان
الانفاق ما لا يخفى والجملة اما حال او اعتراض تذييلى وما انفقتم من نفقة بيان لحكم كلى شامل لجميع افراد
النفقات وما فى حكمها اثر بيان حكم ما كان منها فى سبيل الله وما شرطية او موصولة حذف عايدها من
الصلة اى ما انفقتموه من نفقة اى نفقة كانت فى حق او باطل فى سر او علانية قليلة او كثيرة او نذرتم من نذر
النذر عقد الضمير على شئ والتزامه وفعله كضرب ونصر من نذر كان فى طاعة او معصية بشرط او بغير
شرط متعلق بالمال او بالافعال كالصيام والصلوة ونحوهما فان الله يعلمه الفاء على الاول داخلة على
الجواب وعلى الثانى مزيدة فى الخبر وتوحيد الضمير مع تعدد متعلق العلم لاتحاد المرجع بناء على كون العطف
بكلمة او كما فى قولك زيد او عمرو اكرمته ولا يقال اكرمتهما والمتصدين الى التاويل فى قوله تعالى ان يكن غنيا
او فقيرا فالله اولى بهما بل يعاد الضمير تارة الى المقدم واخرى رعاية للاول كما فى قوله عز وجل واذا
راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها واخرى الى المؤخر رعاية للقرب كما فى هذه الاية وفى قوله تعالى ومن يكسب
خطيئة او اثما ثم يرم به بريا وحمل النظم على تاويلها بالمذكور ونظايره او على حذف الاول ثقة بدلالة
الثانى عليه كما فى قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله وقوله نحن بما
عندنا وانت بما عندك راض والراى مختلف وعن همام عطف عليه بالواو الجامعة بعسف مستغنى
عنه نعم يجوز ارجاع الضمير الى ما على تقدير كونها موصولة وتصدير الجملة بان لتاكيد مضمونها وافادة
لتحقيق الجزاء اى فانه تعالى يجازيكم عليه البتة ان خيرا فخير وان شرا فشر فهو ترغيب وترهيب ووعد
ووعيد وما للظالمين بالانفاق والنذر فى المعاصى او بمنع الصدقات وعدم الوفا بالنذور وبانفاق
الخبيث او بالريا والمن والاذى وغير ذلك مما ينتظمه معنى الظلم الذى هو عبارة عن وضع الشئ فى
غير محله موضعه الذى يحق له ان يوضع فيه من انصار اى عون ينصرونهم من بأس الله وعقابه لا بشفاعة
ولا مدافعة وايراده بصيغة الجمع مقابلة الظالمين اى وما لظالم من الظالمين من نصير اصلا والجملة هو
استيناف مقرر لمضمون قبله من الوعيد مفيد لفظاعة حال من يفعل من الظالمين لتحصيل الافادة ورعاية
للخلاف ان تبدوا الصدقات نوع تفصيل لبعض ما اجمل فى الشرطية وبيان له ولذلك ترك العطف بينهما
متناهى

اى

اى ان تظهروا الصدقات فنعم شيئا ابداؤها وما بعد ان لم يكن فى محل وقرئ بفتح النون وكسر العين على
الاصل وقرئ بكسر النون وسكون العين وقرئ بسكون النون واخفا حركة العين وهذا فى الصدقات
المفروضة واما فى صدقة التطوع فالاخفا افضل وهى التى اريد بقوله تعالى وان تخفوها اى تعطوها
خفية وتؤتوها الفقرا ولعل التصريح بايتايها الفقرا مع انه واجب فى الابدا ايضا لما ان الاخفا مظنة
الالتباس والاشتباه فان الغنى ربما يدعى الفقر ويقدم على قبول الصدقة سرا ولا يفعل ذلك عند الناس
فهو خير لكم اى فالاخفا خير لكم من الابدا وهذا فى التطوع ومن لم يعرف بالمال واما فى الواجب فالامر بالعكس لدفع
التهمة عن ابن عباس رضى الله عنه صدقة السر فى التطوع تفضل على علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها
افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ويكفر عنكم من سيئاتكم اى والله يكفر والاخفا ومن تبعيضية اى شيئا من سيئاتكم
كما استتر بها او قيل مزيدة على راى الاخفش وقرئ بالتاء مرفوعا ومجزوما على ان الفعل للصدقات وقرئ بالنون
معطوفا على محل ما بعد الفاء وما بعده لانه جواب الشرط والله بما تعملون من الاسرار والاعلان خبير فهو ترغيب
فى الاسرار ليس عليك هداهم اى لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الاتيان بما امروا به من المحاسن والانتهاء
عما نهوا عنه من القبايح المعدودة وانما الواجب عليك الارشاد الى الخير والحث عليه والنهى عن الشر
والردع عنه بما اوحى اليك من الايات والذكر الحكيم ولكن الله يهدى هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما
من يشاء هدايته الى ذلك ممن يتذكر بما ذكر ويتبع الحق ويختار الخير والجملة معترضة جئ بها على تلوين الخطاب
وتوجيهه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الالتفات الى الغيبة فيما بين الخطابات المتعلقة بالمكلفين
مبالغة فى حملهم على الامتثال فان الاخبار بعدم وجوب تدارك امرهم على النبى صلى الله عليه وسلم مؤذن
بوجوبه عليهم حسبما ينطق به ما بعده من الشرطية وقيل لما كثر فقرا المؤمنين نهى رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين ليحملهم الحاجة على الدخول فى الاسلام فنزلت اى ليس عليك
هدى من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل دخولهم فى الاسلام ولا التفات فى الكلام وضمير الغيبة للمعروفين
من فقرا المشركين بل فيه تلوين فقط وقوله تعالى وما تنفقوا من خير على الاول التفات من الغيبة الى
خطاب المكلفين لزيادة هزهم نحو الامتثال وعلى الثانى تلوين الخطاب بتوجيهه اليهم وصرفه عن النبى
صلى الله عليه وسلم وما شرطية جازمة لتنفقوا منتصبة به على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف
وقع صفة لاسم الشرط مبينة ومخصصة له اى اى شئ تنفقوا كاينا من المال فلانفسكم اى فهو لانفسكم
لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا على من اعطيتموه ولا تؤذوه ولا تنفقوا من الخبيث او فنفعه الدينى لكم لا لغيركم
من الفقرا حتى تمنعوه ممن لا ينتفع به من حيث الدين من فقرا المشركين وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله استثنا
من اعم العلل او اعم الاحوال اى ليست نفقتكم لشئ من الاشيا الا لابتغاء وجه الله فما بالكم تمنون بها
وتنفقون الخبيث الذى لا يوجه مثله الى الله تعالى وقيل هو نفى فى معنى النهى وما تنفقوا من خير يوف اليكم
اى اجره وثوابه مضاعفا حسبما فصل فيما قبل فلا عذر لكم فى ان ترغبوا عن انفاقه على احسن الوجوه واجملها
فهو تاكيد وبيان للشرطية السابقة اى يوف اليكم ما لا يخلفه من نتايج دعايه عليه السلام بقوله اللهم
اجعل لمنفق خلفا ولممسك تلفا وقيل حجت اسما بنت ابى بكر فاتتها امها تسالها وهى مشركة فابت ان
تعطيها وعن سعيد بن جبير انهم كانوا يبغون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروى ان ناسا من المسلمين
كانت لهم اصهار فى اليهود ورضاع كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم فنزلت
وهذا فى غير الواجب واما الواجب فلا يجوز صرفه الى الكافر وان كان ذميا وانتم لا تظلمون لا تنقصون شيئا
مما وعدتم من الثواب المضاعف او من الخلف للفقرا متعلق بمحذوف ينساق اليه الكلام كما فى قوله عز وجل
فى تسع ايات الى فرعون اى اعمدوا للفقرا واجعلوا ما تنفقونه للفقرا او صدقاتكم للفقرا الذين احصروا فى سبيل الله
بالغزو والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا فى الارض اى ذهابا للكسب والتجارة وقيل هم اهل الصفة
رضوان الله عليهم اجمعين كانوا نحوا من اربعماية من فقرا المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون
اوقاتهم بالتعلم والجهاد وكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل
بحالهم اغنيا من التعفف اى من اجل تعففهم عن المسالة تعرفهم بسيماهم اى تعرف فقرهم واضطرارهم مع ما تعين
منهم من الضعف ورثاثة الحال والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من
الخطاب مبالغة فى بيان وضوح فقرهم لا يسالون الناس الحافا اى الحاحا من قولهم لحفنى من فضل لحافه اى
اعطانى من فضل ما عنده والمعنى لا يسالونهم شيئا وان سالوا لحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل
هو نفى لكلا الامرين جميعا على طريقة قوله • على لاحب لا يهتدى بمناره •• اى لا منار ولا اهتدا وما
تنفقوا من خير فان الله به عليم فيجازيكم بذلك احسن جزا فهو ترغيب فى التصدق لا سيما على هؤلا الذين
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية اى يعمون الاوقات والاحوال بالخير والصدقة وقيل نزلت

في شأن الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة الاف منه بالليل وعشرة بالنهار وعشرة
سرا وعشرة علانية وقيل في علي كرم الله وجهه حين لم يكن عنده الا اربعة دراهم فتصدق بكل واحد منها
على وجه من الوجوه المذكورة ولعل تقديم الليل على النهار والسر على العلانية لمزيد الخفي على الاظهار
وقيل في رباط الخيل والانفاق عليها فلهم اجرهم عند ربهم خبر للموصول والفاء للدلالة على سببية ما قبلها
لما بعدها وقيل للعطف والخبر محذوف اي ومنهم الذين الى اخره ولذلك جوز الوقف على علانية ولا خوف
عليهم ولا هم يحزنون تقدم تفسيره الذين يأكلون الربا اي يأخذونه والتعبير عنه بالاكل لما انه اعظم المقاصد به
ولشيوعه في المطعومات مع ما فيه من زيادة تشنيع لهم وهو الزيادة في المقدار او الاجل حسبما فصل في كتب
الفقه وانما كتب بالواو كالصلوات على لغة من يفخم في امثالها وزيدت الالف تشبيها بواو الجمع لا يقومون
اي من قبورهم اذا بعثوا الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان اي الا قياما كقيام المصروع وهو وارد على ما يزعمون
ان الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب بغير استواء كخبط العشواء من المس اي الجنون وهو ايضا
من زعماتهم ان الجني يمسه فيختلط عقله ولذلك يقال جن الرجل وهو متعلق بما قبله من الفعل المنفي اي
لا يقومون من المس الذي بهم بسبب اكلهم الربا او بيقوم او يتخبطه فيكون نهوضهم وسقوطهم كالمصر
وعين لا لاختلال عقولهم بل لان الله تعالى اربى في بطونهم ما اكلوا من الربا فاثقلهم فصاروا مخبلين
ينهضون ويسقطون تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف ذلك اشارة الى ما ذكر من حالهم وما في
اسم الاشارة من معنى البعد للايذان بفظاعة المشار اليه بانهم قالوا انما البيع مثل الربا اي ذلك العقاب
بسبب انهم ذلك العقاب بسبب انهم نظموا الربا والبيع في سلك واحد لافضائهما الى الربح فاستحلوه
استحلاله وقالوا يجوز بيع درهم بدرهمين كما يجوز بيع ما قيمته درهم بدرهمين بل جعلوا الربا
اصلا في الحل وقاسوا به البيع مع وضوح الفرق بينهما فان احد الدرهمين في الاول ضائع حتما وفي الثاني
منجبر بمساس الحاجة الى السلعة او بتوقع رواجها واحل الله البيع وحرم الربا انكار من جهة الله تعالى
لتسويتهم وابطال للقياس لوقوعه في مقابلة النص مع ما اشير اليه من عدم الاشتراك في المناط والجملة
ابتدائية لا محل لها من الاعراب فمن جاءه موعظة اي فمن بلغه وعظ وزجر كالنهي عن الربا وقرئ جاءته
من ربه متعلق بجاءه او بمحذوف وقع صفة لموعظة او التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة للاشعار
بكون مجيء الموعظة للتربية فانتهى عطف على جاءه اي فاتعظ بلا تراخ وتبع النهي فله ما سلف اي ما تقدم
اخذه التحريم ولا يسترد منه وما مرتفع بالظرف ان جعلت من موصولة وبالابتداء ان جعلت شرطية على راي
سيبويه لعدم اعتماد الظرف على ما قبله وامره الى الله يجازيه على انتهائه ان كان عن قبول الموعظة
وصدق النية وقيل يحكم في شأنه ولا اعتراض لكم عليه ومن عاد اي الى تحليل الربا فاولئك اشارة الى من
عاد والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد فيه عاد باعتبار اللفظ وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم
في السوء والفساد اصحاب النار اي ملازموها هم فيها خالدون ماكثون ابدا والجملة مقررة لما قبلها يمحق
الله الربا اي يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه ويربي الصدقات يضاعف ثوابها ويبارك
فيها ويزيد المال الذي اخرجت منه الصدقة وروي عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل الصدقة
ويربيها كما يربي احدكم مهره وعنه عليه السلام ما نقصت زكوة من مال قط والله لا يحب اي لا يرضى لان
الحب مختص بالتوابين كل كفار مصر على تحريم المحرمات اثيم منهمك في ارتكابه ان الذين آمنوا بالله ورسوله
وبما جاءهم به وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة تخصيصهما بالذكر مع اندراجهما في
الصالحات لانافتهما على سائر الاعمال الصالحة على طريقة ذكر جبريل وميكائيل عقيب الملائكة عليهم السلام
لهم اجرهم جملة مبتداة وخبر واقعة خبرا لان اي اجرهم الموعود لهم وقوله تعالى عند ربهم حال
من اجرهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم مزيد لطف وتشريف لهم ولا خوف
عليهم من مكروه آت ولا هم يحزنون من محبوب فات يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله اي قوا انفسكم عقابه وذروا
ما بقي من الربا اي واتركوا بقايا ما شرطتم منه على الناس تركا كليا ان كنتم مؤمنين على الحقيقة فان
ذلك مستلزم لامتثال ما امرتم به البتة وهو شرط حذف جوابه ثقة بما قبله اي ان كنتم مؤمنين فاتقوا
وذروا الى آخره روي انه كان لثقيف مال على بعض قريش فطالبهم عند المحل بالربا فنزلت فان لم تفعلوا
اي ما امرتم به من الاتقاء وترك البقايا اما مع انكار حرمته واما مع الاعتراف فاذنوا بحرب
من الله ورسوله اي فاعلموا بها من اذن بالشيء اذا علم به اما على الاول فكحرب المرتدين واما على
الثاني فكحرب البغاة وقرئ فآذنوا اي فاعلموا غيركم من الاذن وهو الاستماع فانه من طرق العلم وقرئ
فايقنوا وهو مؤيد لقراءة العامة وتنكير حرب للتفخيم ومن متعلق بمحذوف وقع صفة لها مؤكدة
لفخامتها اي بنوع من الحرب عظيم لا يقادر قدره كائن من عند الله تعالى ورسوله روي انه لما نزلت

قالت

قالت ثقيف لا يد لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتباء مع الايمان بحرمتها بعدما سمعتموه
من الوعيد فلكم رؤوس اموالكم تأخذونها كملا لا تظلمون غرماءكم باخذ الزيادة والجملة اما مستأنفة
لا محل لها من الاعراب او حال من الضمير في لكم والعامل ما تضمنه الجار من الاستقرار ولا تظلمون عطف
على ما قبله اي لا تظلمون انتم من قبلهم بالمطل والنقص من ضرورة تعليق هذا الحكم بتوبتهم عدم ثبوته عند
عدمها لان عدمها ان كان مع انكار الحرمة فهم مرتدون وماله المكسوب في حال الردة فيء للمسلمين عند
ابي حنيفة رضي الله عنه وكذا سائر امواله عند الشافعي وعنده هو لورثته ولا شيء لهم على كل حال وان
كان مع الاعتراف بها فان كان لهم شوكة فهم على شرف القتل لم تسلم لهم رؤوسهم فكيف برؤوس اموالهم
والا فكذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما فانه يقول من عامل بالربا يستتاب والا ضرب عنقه واما عند
غيره فهم محبوسون الى ان تظهر توبتهم ولا يمكنون من التصرفات اصلا فما لم يتوبوا لم يسلم لهم شيء من
اموالهم بل انما يسلم بموتهم لورثتهم وان كان ذو عسرة اي ان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة على ان كان
تامة وقرئ ذا عسرة على انها ناقصة فنظرة اي فالحكم نظرة او فعليكم نظرة وهي الانظار والامهال وقرئ
فناظرة اي فالمستحق ناظرة اي منتظرة او فصاحب نظرته على طريق النسب وقرئ فناظره امرا من المفاعلة
اي فسامحه بالنظرة الى ميسرة اي الى يسار وقرئ بضم السين وهما لغتان كمشرقة ومشرقة وقرئ بهما
مضافين بحذف التاء عند الاضافة كما في قوله ● واخلفوك عد الامر الذي وعدوا ● وان تصدقوا بحذف
احدى التاءين وقرئ بتشديد الثاني وان تتصدقوا على معسري غرمائكم بالابراء خير لكم اي اكثر ثوابا من
الانظار او خير مما تأخذونه لمضاعفة ثوابه ودوامه فهو ندب الى ان يتصدقوا برؤوس اموالهم كلا او
بعضا على غرمائهم المعسرين لقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل المراد بالتصدق الانظار
لقوله عليه الصلاة والسلام لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون
جوابه محذوف اي ان كنتم تعلمون انه خير لكم عملتموه واتقوا يوما هو يوم القيامة والتنكير للتفخيم
والتهويل وتعليق الاتقاء به للمبالغة في التحذير عما فيه من الشدائد والاهوال ترجعون فيه على البناء
للمفعول من الرجع والاول ادخل في التهويل وقرئ بالياء على طريق الالتفات وقرئ تردون وكذا
تصيرون الى الله لمحاسبة اعمالكم ثم توفى كل نفس من النفوس والتعميم للمبالغة في تهويل اليوم اي
يعطى كملا ما كسبت اي جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون حال من كل نفس تفيد ان المعاقبين وان
كان عقوباتهم مؤبدة غير مظلومين في ذلك لما انه من قبل انفسهم وجمع الضمير لانه انسب بحال الجزاء
لانه كما ان الافراد وفق بحال الكسب عن ابن عباس رضي الله عنهما انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام
وقال ضعها في رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا
وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين
شروع في بيان حال المداينة الواقعة في تضاعيف المعاوضات الجارية فيما بينهم من السلم بالنقود بعد
بيان حال الربا اي اذا داين بعضكم بعضا وعامله نسيئة معطيا او آخذا وفائدة ذكر الدين دفع توهم
كون التداين بمعنى المجازاة والتنبيه على تنويعه الى الحال والمؤجل وانه الباعث على الكتابة وتعيين
المرجع للضمير المنصوب المتصل بالامر الى اجل متعلق بتداينتم او بمحذوف وقع صفة للدين مسمى
بالايام او الاشهر ونظائرهما مما يفيد العلم ويرفع الجهالة لا بالحصاد والدياس ونحوهما مما لا يرفعها
فاكتبوه اي الدين باجله لانه اوثق وادفع للنزاع فالجمهور على استحبابه وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا اباح السلف وليكتب بينكم كاتب بيان لكيفية الكتابة
المأمور بها وتعيين لمن يتولاها اثر الامر بها اجمالا وحذف المفعول اما لتعيينه او للقصد الى ايقاع
نفس الفعل اي ليفعل الكتابة وقوله تعالى بينكم للايذان بان الكاتب ينبغي ان يتوسط بين المتداينين
ويكتب كلامهما ولا يكتفي بكلام احدهما وقوله تعالى بالعدل متعلق بمحذوف هو صفة لكاتب اي كاتب
بالعدل اي وليكن المتصدي للكتابة من شأنه ان يكتب بالسوية من غير ميل الى احد الجانبين لا يزيد ولا
ينقص وهو امر للمتداينين باختيار كاتب فقيه دين حتى يجيء كتابه موثوقا به معدلا بالشرع ويجوز
ان يكون حالا منه اي ملتبسا بالعدل وقيل متعلق بالفعل اي وليكتب بالحق ولا يأب كاتب اي ولا
يمتنع احد من الكتاب ان يكتب كتاب الدين كما علمه الله اي على طريقة ما علمه من كتبة الوثائق او كما بينه
بقوله تعالى بالعدل اي لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله تعالى بتعليم الكتابة كقوله تعالى
واحسن كما احسن الله اليك فليكتب تلك الكتابة المعلمة امر بها بعد النهي عن ابائها تأكيدا لها ويجوز
ان يتعلق الكاف بالامر على ان يكون النهي عن الامتناع منها مطلقة ثم الامر بها مقيدة وليملل الذي عليه
الحق الاملال هو الالقاء اي وليكن المملي من عليه الحق لانه المشهود عليه فلا بد ان يكون هو المقر

وليتق الله ربه جمع بين الاسم الجليل والنعت الجميل للمبالغة في التحذير اي وليتق المملي دون الكاتب
كما قيل لقوله تعالى ولا يبخس منه اي من الحق الذي عليه الكاتب شيئا فانه الذي يتوقع منه البخس
خاصة واما الكاتب فيتوقع منه النقص فلو اريد نهيه نهي عن كليهما وقد فعل ذلك حيث امر بالعدل
وانما شدد في تكليف المملي حيث جمع فيه بين الامر بالاتقاء والنهي عن البخس لما فيه من الدواعي الى
المنهي عنه فان الانسان مجبول على دفع الضرر عن نفسه وتخفيف ما في ذمته بما امكن فان كان الذي عليه الحق
صرح بذلك في موضع الاضمار لزيادة الكشف والبيان لان الامر والنهي لغيره سفيها ناقص العقل مبذرا
مجازفا او ضعيفا صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملاء بنفسه لخرس او عي
او غير ذلك من العوارض فليملل وليه اي الذي يلي امره ويقوم مقامه من قيم او وكيل او مترجم
بالعدل اي من غير نقص ولا زيادة لم يكلف بعين ما كلف به من عليه الحق لانه يتوقع منه الزيادة كما
يتوقع منه البخس واستشهدوا شهيدين اي اطلبوهما ليتحملا الشهادة على ما جرى بينكما من المداينة وتسميتهما
شهيدين لتنزيل المشارف منزلة الكائن من رجالكم متعلق باستشهدوا ومن ابتدائية او بمحذوف وقع
صفة لشهيدين ومن تبعيضية اي شهيدين كائنين من رجال المسلمين الاحرار اذ الكلام في معاملاتهم فان
خطابات الشرع لا تنتظم العبيد بطريق العبارة كما بين في موضعه واما اذا كانت المداينة بين الكفرة او
كان من عليه الحق كافرا فيجوز استشهاد الكافر عندنا فان لم يكونا اي الشهيدان جميعا على طريقة نفي
الشمول لا شمول النفي رجلين اما لاعوازهما او لسبب آخر من الاسباب فرجل وامرأتان اي فليشهد
رجل وامرأتان يكفون وهذا فيما عدا الحدود والقصاص عندنا وفي الاموال خاصة عند الشافعي
رضي الله عنه ممن ترضون متعلق بمحذوف وقع صفة لرجل وامرأتان اي كائنون مرضيين عندكم
وتخصيصهم بالوصف المذكور مع تحقق اعتباره في كل شهيد لقلة اتصاف النساء به وقيل نعت
لشهيدين اي كائنين ممن ترضون ورد بانه يلزم الفصل بينهما بالاجنبي وقيل بدل من رجالكم بتكرير
العامل ورد بما ذكر من الفصل وقيل متعلق بقوله تعالى فاستشهدوا فيلزم الفصل بين اشتراط
المرأتين وبين تعليله وقوله عز وجل من الشهداء متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المحذوف
الراجع الى الموصول اي ممن ترضونهم كائنين من بعض الشهداء لعلمكم بعدالتهم وثقتكم بهم وادراج النساء
في الشهداء بطريق التغليب ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى تعليل لاعتبار العدد في النساء
والعلة في الحقيقة هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك اعددت
السلاح ان يجيء عدو فادفعه كانه قيل لاجل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت الشهادة بان نسيتها
ولعل ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال ان تضل احداهما فتذكرها الاخرى لتأكيد الابهام
والمبالغة في الاحتراز عن توهم اختصاص الضلال باحداهما بعينها والتذكير بالاخرى وقرئ ان تضل على
الشرط فتذكر بالرفع كقوله تعالى من الاذكار وقرئ فتذاكر وقرئ ان تضل على الشرط فتذكر بالرفع
كقوله تعالى ومن عاد فينتقم الله منه ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء الشهادة او لتحملها وتسميتهم شهداء
قبل التحمل لما مر من تنزيل المشارف منزلة الواقع وما مزيدة عن قتادة انه كان الرجل يطوف في الحواء
العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت ولا تسأموا اي لا تملوا من كثرة مداينتكم ان تكتبوه
اي الدين او الحق او الكتاب وقيل كني به عن الكسل الذي هو صفة المنافق كما ورد في قوله تعالى واذا قاموا الى
الصلاة قاموا كسالى وعنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقول المؤمن كسلت صغيرا او كبيرا حال
من الضمير اي حال كونه صغيرا او كبيرا اي قليلا او كثيرا او مجملا او مفصلا الى اجله متعلق بمحذوف وقع
حالا من الهاء في تكتبوه اي مستقرا في الذمة الى وقت حلوله الذي اقر به المديون ذلكم اشارة الى ما امر
به من الكتب والكتاب للمؤمنين اقسط اي اعدل عند الله في حكمه تعالى واقوم للشهادة اي اثبت
لها واعون على اقامتها وهما مبنيان من اقسط واقام فانه قياسي عند سيبويه اي من قاسط بمعنى ذي قسط
وقويم وانما صحت الواو في اقوم كما صحت في التعجب لجموده وادنى ان لا ترتابوا واقرب الى انتفاء ريبكم
وجنس الدين وقدره واجله وشهوده ونحو ذلك الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم استثناء
منقطع من الامر بالكتابة اي لكن وقت كون تداينكم او تجارتكم تجارة حاضرة بحضور البدلين تديرونها
بينكم بتعاطيهما يدا بيد فليس عليكم جناح ان لا تكتبوها اي فلا باس بان لا تكتبوها لبعده عن التنازع
والنسيان وقرئ برفع تجارة على انها اسم كان وحاضرة صفتها وتديرونها خبرها او على انها تامة
واشهدوا اذا تبايعتم اي هذا التبايع او مطلقا لانه احوط والاوامر الواردة في الآية الكريمة للندب
عند الجمهور وقيل للوجوب ثم اختلف في احكامها ونسخها ولا يضار كاتب ولا شهيد نهي عن المضارة
يحتمل للبناء كما ينبئ عنه قراءة من قرأ ولا يضارر بالكسر والفتح وهو نهيهما عن ترك الاجابة والتغيير والتحريف

في

في الكتاب والشهادة او نهي الطالب عن الضرار بهما بان يعجلهما عن مهمهما ويكلفهما الخروج عما حد لهما
او لا يعطي الكاتب جعله وقرئ بالرفع على انه نفي في معنى النهي وان تفعلوا ما نهيتم عنه من الضرار فانه اي
فعلكم ذلك فسوق بكم اي خروج عن الطاعة ملتبس بكم واتقوا الله في مخالفة اوامره ونواهيه التي من
جملتها نهيه عن المضارة ويعلمكم الله احكامه المتضمنة لمصالحكم والله بكل شيء عليم فلا يكاد يخفى عليه
حالكم وهو مجازيكم كرر لفظ الجلالة في الجمل الثلاث لادخال الروعة وتربية المهابة والتنبيه على استقلال
كل منها بمعنى على حياله فان الاول حث على التقوى والثانية وعد بالانعام والثالثة تعظيم لشانه تعالى
وان كنتم على سفر اي مسافرين او متوجهين اليه ولم تجدوا كاتبا في المداينة وقرئ كتابا وكتبا وكتابا
فرهان مقبوضة مقبوضة اي فالذي يستوثق به فليؤخذ او فالمشروع رهان مقبوضة وليس هذا التعليق
لاشتراط السفر في شرعية الارتهان كما حسبه مجاهد والضحاك لانه صلى الله عليه وسلم رهن درعه في المدينة
من يهودي بعشرين صاعا من شعير واخذه لاهله بل لاقامة التوثيق بالارتهان مقام التوثق بالكتبة في السفر
الذي هو مظنة اعوازها وانما تعرض لحالة التشاهد لانه في حكم الكاتب توثقا واعوازا والجمهور على وجوب
القبض في تمام الرهن عن مالك وقرئ فرهن كسقف وكلاهما جمع رهن بمعنى مرهون وقرئ بسكون الهاء فان امن
بعضكم بعضا اي بعض الدائنين بعض المديونين لحسن ظنه به واستغنى بامانته عن الارتهان وقرئ فان اومن
بعضكم اي امنه الناس ووصفوه بالامانة قيل فيكون انتصاب بعضا على نزع الخافض اي على متاع بعضا فليؤد
الذي اؤتمن وهو المديون وانما عبر عنه بذلك العنوان لتعينه طريقا للاعلام ولحمله على الاداء امانته
اي دينه وانما امانة لائتمانه عليه بترك الارتهان وقرئ ايتمن بقلب الهمزة ياء وقرئ بادغام الياء في التاء
وهو خطأ لان المنقلبة من الهمزة لا تدغم لانها في حكمها وليتق الله ربه في رعاية حقوق الامانة وفي الجمع بين
عنوان الالوهية وصفة الربوبية من التأكيد والتحذير ما لا يخفى ولا تكتموا الشهادة ايها الشهود والمديون
اي شهادتكم على انفسكم عند المعاملة ومن يكتمها فانه آثم قلبه آثم خبر ان وقلبه مرتفع به على الفاعلية كأنه
قيل يأثم قلبه او مرتفع بالابتداء وآثم خبر مقدم والجملة خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان مما
اقترفه ونظيره نسبة الزنى الى العين والاذن او للمبالغة لانه رئيس الاعضاء وافعاله اعظم الافعال
كانه قيل تمكن الاثم في نفسه وتملك اشرف مكان فيه وفاق سائر ذنوبه عن ابن عباس رضي الله عنه ان
اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة
وقرئ بالنصب كما في سفه نفسه وقرئ اثم قلبه اي جعله آثما والله بما تعملون عليم فيجازيكم به ان خيرا
فخير وان شرا فشر لله ما في السموات وما في الارض من الامور الداخلة في حقيقتهما والخارجة عنهما
المتمكنة فيهما من اولي العلم وغيرهم اي كلها له تعالى خلقا وملكا وتصرفا لا شركة لغيره في شيء منها بوجه
من الوجوه وان تبدوا ما في انفسكم من السوء والعزم عليه بان تظهروه للناس بالقول او بالعمل او تخفوه بان تكتموه
منهم ولا تظهروه باحد الوجهين ولا يندرج فيه ما لا يخلو عنه البشر من الوساوس واحاديث النفس التي لا عقد
ولا عزيمة فيها ان التكليف بحسب الوسع يحاسبكم به الله يوم القيامة وهو حجة على منكري الحساب من المعتزلة
والروافض وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للاعتناء به واما تقديم الابداء على الاخفاء على عكس ما في قوله عز
وجل قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله فلما ان المعلق بما في انفسهم ههنا هو المحاسبة والاصل
فيها الاعمال البادية واما العلم فتعلقه بها كتعلقه بالاعمال الخافية كيف لا وعلمه سبحانه بمعلوماته متعال عن
ان يكون بطريق تحصيل الصور بل وجود كل شيء في نفسه في اي طور كان علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا لا يختلف الحال
بين الاشياء البادية والكامنة خلا ان مرتبة الاخفاء متقدمة على مرتبة الابداء اذ ما من شيء يبدى الا وهو او
مباديه قبل ذلك مضمر في النفس فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية وقد مر
في تفسير قوله تعالى او لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيغفر بالرفع على الاستئناف اي فهو يغفر
بفضله لمن يشاء ان يغفر له ويعذب بعدله من يشاء اي يعذبه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح
وتقديم المغفرة على التعذيب لتقديم رحمته على غضبه وقرئ بجزم الفعلين عطفا على جواب الشرط وقرئ بالجزم
من غير فاء على انهما بدل من الجواب بدل البعض او الاشتمال ونظيره في البدلية من الشرط قوله متى
تأتنا تلمم بنا في ديارنا ۞ تجد حطبا جزلا ونارا تأججا ۞ وادغام الراء في اللام لحن والله على كل شيء قدير تذييل مقرر
لمضمون ما قبله فان كمال قدرته تعالى على جميع الاشياء موجب لقدرته سبحانه على ما ذكر من المحاسبة وما
فرع عليه من المغفرة والتعذيب آمن الرسول لما ذكر في فاتحة السورة الكريمة ان ما انزل الى الرسول صلى الله
عليه وسلم من الكتاب العظيم الشأن هدى للمتقين فيما فصل من الصفات الفاضلة التي من جملتها الايمان به وبما
انزل قبله من الكتب الالهية وانهم حائزون لاثرتي الهدى والفلاح من غير تعيين لهم بخصوصهم ولا تصريح بتحقق اتصافهم
بها اذ ليس فيما ذكر في حيز الصلة حكم بالفعل وعقب ذلك ببيان حال من كفر به من المجاهرين والمنافقين ثم شرع في

تضاعيفهما من فنون الشرايع والاحكام والمواعظ والحكم واخبار سوالف الامم وغير ذلك مما يقتضي الحكمة شرحه
مبين في خاتمتها المتصافون بها وحكم بانصافهم بها على طريق الشهادة لهم من جهته عز وجل بكمال الايمان وحسن الطاعة
وذكر صلى الله عليه وسلم بطريق الغيبة مع ذكره هنالك بطريق الخطاب لما ان حق الشهادة الباقية على ممر الدهور
ان لا يخاطب بها المشهود له ولم يتعرض ههنا لبيان فوزهم بمطالبهم التي من جملتها ما حكي عنهم من الدعوات الاتية
ايذانا بانه امر محقق غني عن التصريح به لا سيما بعد ما نص عليه فيما سلف وايراده عليه السلام بعنوان
الرسالة المنبئة عن كونه عليه السلام صاحب كتاب مجيد وشرع جديد تمهيد لما تعقبه تعالى بما انزل اليه ومزيد
توضيح لاندراجه في الرسل المؤمن بهم عليهم السلام والمراد بما انزل اليه ما يعم كله وكل جزء من اجزائه ففيه تحقيق
لكيفية ايمانه صلى الله عليه وسلم وتعيين لعنوانه اي امن عليه السلام بكل ما انزل اليه من ربه ايمانا تفصيليا
متعلقا بجميع ما فيه من الشرايع والاحكام والقصص والمواعظ واحوال الرسل والكتب وغير ذلك من حيث
انه منزل منه تعالى واما الايمان بحقية احكامه وصدق اخباره ونحو ذلك فمن فروع الايمان به من الحيثية
المذكورة وفي هذا الاجمال اخلال بجانب عليه السلام واشعار بان تعلق ايمانه بتفاصيل ما انزل اليه واحاطته
بجميع ما انطوى عليه من الظهور بحيث لا حاجة الى ذكره اصلا وكذا في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام تشريف له وتنبيه على ان انزاله اليه تربية وتكميل له صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
اي الفريق المعروفون بهذا الاسم فاللام عهدية لا موصولة لافضائها الى خلو الكلام عن الجدوى وهو مبتدا
وقوله عز وجل كل مبتدا ثان وقوله تعالى امن خبره والجملة خبر المبتدا الاول والرابط بينهما الضمير
الذي ناب منابه التنوين وتوحيد الضمير في امن مع رجوعه الى كل المؤمنين لما ان المراد بيان ايمان كل فرد
فرد منهم من غير اعتبار الاجتماع كما اعتبر ذلك في قوله تعالى وكل اتوه داخرين وتغيير سبك النظم الكريم
عما قبله لتاكيد الاشعار بما بين ايمانه عليه السلام المبني على المشاهدة والعيان وبين ايمانهم الناشئ
عن الحجة والبرهان من التفاوت البين والاختلاف الجلي كانهما متخالفان من كل وجه حتى في هيئة التركيب
الدال عليهما وما فيه من تكرير الاسناد لما في الحكم بايمان كل واحد منهم على الوجه الاتي من نوع خفاء محوج
الى التقوية والتاكيد كل واحد منهم امن بالله وحده من غير شريك له في الالوهية والمعبودية
وملئكته اي من حيث انهم عباد مكرمون له تعالى من شانهم التوسط بينه وبين الرسل بانزال الكتب
والقاء الوحي فان مدار الايمان بهم ليس خصوصيات ذواتهم في انفسهم بل هو اضافتهم اليه تعالى من الحيثية المذكورة
كما يلوح به الترتيب في النظم وكتبه ورسله اي من حيث مجيئهما من عند الله لارشاد الخلق الى ما شرع لهم من
الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على اطلاق بل على ان كل واحد من تلك الكتب المنزل منه تعالى الى رسول معين
من اولئك الرسل عليهم السلام حسبما فصل في قوله تعالى قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم
واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم الاية ولا على ان
مناط الايمان خصوصية ذلك الكتاب او ذلك الرسول بل على ان الايمان بالكل مندرج في الكتاب المنزل الى
الرسول عليه السلام ومستند اليه لما تلي من الاية الكريمة ولا على ان احكام الكتب السالفة وشرايعها باقية
بالكلية ولا على ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان احكام كل واحد منها كانت حقة ثابتة الى ورود
كتاب اخر ناسخ له وان ما لم ينسخ منها الى الان من الشرايع والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب
المصون عن النسخ الى يوم القيمة وانما لم يذكر ههنا الايمان باليوم الاخر كما ذكر في قوله تعالى ولكن البر من امن
بالله واليوم الاخر والملئكة والكتاب والنبيين لاندراجه في الايمان بكتبه ورسله وكتابه على ان المراد به القران
او جنس الكتاب كما في قوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب والفرق بينه وبين الجمع
انه شايع في افراد الجنس والجمع في جموعه ولذلك قيل الكتاب اكثر من الكتب وهذا نوع تفصيل لما اجمل في قوله
عز وجل بما انزل اليه من ربه اقتصر به ايذانا بكفايته في الايمان الاجمالي المتحقق في كل فرد من افراد المؤمنين من غير
نفي للزيادة ضرورة اختلاف طبقاتهم وتفاوت ايمانهم بالامور المذكورة في مراتب التفصيل تفاوتا فاحشا فان
الاجمال في الحكاية لا يوجب الاجمال في المحكي كيف لا وقد اجمل في حكاية ايمانه عليه السلام بما انزل اليه من ربه
مع بداهة كونه متعلقا بتفاصيل ما فيه من الجلايل والدقايق ثم ان الامور المذكورة حيث كانت من الامور
الغيبية التي لا يوقف عليها الا من جهة العليم الخبير كان الايمان بها مصداقا لما ذكر في صدر السورة الكريمة من الايمان
بالغيب واما بكتبه تعالى فاشارة الى ما في قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك هذا هو اللايق
لشان التنزيل والحقيق بمقداره الجليل وقد جوز ان يكون قوله تعالى والمؤمنون معطوفا على الرسول فيوقف
عليه والضمير الذي عوض عنه التنوين راجع الى المعطوفين كانه قيل امن الرسول والمؤمنون بما انزل اليه من
ربه ثم فصل ذلك وقيل كل واحد من الرسول والمؤمنين امن بالله الى اخره خلا انه قدم المؤمن على المعطوف
اعتناء بشانه وايذانا باصالته عليه السلام في الايمان به ولا يخفى انه مع خلوه عما في الوجه الاول من كمال اجلاء

شأنه

شأنه عليه السلام وتفخيم ايمانه مخل بجزالة النظم الكريم لانه ان حمل كل من الايمانين على ما يليق بشأنه صلى الله
عليه وسلم من الايمان العيانى في التعلق بجميع التفاصيل وبالنسبة الى احاد الامة على الايمان المكتسب من جهة عليه
السلام اللايق بحالهم في الاجمال والتفصيل فاعتساف بين ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله وقوله تعالى
لا نفرق بين احد من رسله في حيز النصب بقول مقدر على صيغة الجمع رعاية لجانب المعنى المنصوب على انه حال
من ضمير امن او مرفوع على انه خبر اخر لكل اي يقولون لا نفرق بينهم رعاية لجانب المعنى المنصوب على انه
حال من ضمير امنا او مرفوع على انه خبر اخر لكل اي يقولون لا نفرق بينهم بان نؤمن ببعض منهم ونكفر باخرين
بل نؤمن بصحة رسالة كل واحد منهم قيدوا به ايمانهم تحقيقا للحق وتخطية لاهل الكتابين من حيث اجمعوا على
الكفر بالرسول صلى الله عليه وسلم وتفردت اليهود بالكفر بعيسى عليه السلام ايضا على ان مقصودهم الاصلي
ابراز ايمانهم بما كفروا به من رسالته عليه السلام لاظهار موافقتهم لهم فيما امنوا وهذا كما ترى صريح في ان
القايلين احاد المؤمنين خاصة اذ لا يمكن ان يسند اليه عليه السلام ان يقول لا نفرق بين احد من رسله
وهو يريد به اظهار ايمانه برسالة نفسه وتصديقه في دعواها وعدم التعرض لنفي التفريق بين الكتب
لاستلزام المذكور اياه وانما لم يعكس مع تحقق التلازم من الطرفين لان الاصل في تفريق المفرقين هو
الرسل وكفرهم بالكتب متفرع على كفرهم بهم وقرئ بالياء على اسناد الفعل الى كل وقرئ لا يفرقون حملا على المعنى
كما في قوله تعالى وكل اتوه داخرين فالجملة نفسها حال من الضمير المذكور وقيل خبر ثان لكل كما قيل في القول
المقدر فلا بد من اعتبار الكلية بعد النفي دون العكس اذ المراد شمول النفي لا نفي الشمول والكلام في همزة
احد وفي دخول بين عليه السلام قد مر تفصيله في قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم وفيه من الدلالة صريحا على
تحقق عدم التفريق بين كل فرد فرد منهم وبين من عداه كائنا من كان ما ليس في ان يقال لا نفرق بين رسله وايثار اظهار
الرسل على الاضمار الواقع مثله في قوله تعالى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم وبين من عداه كائنا
من كان اما للاحتراز عن توهم اندراج الملئكة في الحكم او للاشعار بعلة عدم التفريق او للايماء الى عنوانه كان
المعتبر عدم التفريق من حيث الرسالة دون سائر الحيثيات الخاصة وقالوا عطف على امن وصيغة الجمع باعتبار
جانب المعنى وهو حكاية لامتثالهم بالاوامر اثر حكاية ايمانهم سمعنا اي فهمنا ما جاءنا من الحق وتيقنا بصحته
واطعنا ما فيه من الاوامر والنواهي وقيل سمعنا اجبنا دعوتك واطعنا امرك غفرانك ربنا اي اغفر لنا
غفرانك او نسألك غفرانك ذنوبنا المتقدمة او ما لا يخلو عنه البشر من التقصير في مراعاة حقوقك وتقديم
ذكر السمع والطاعة على طلب الغفران لما ان تقديم الوسيلة على المسؤول ادعى الى الاجابة والقبول والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة اليهم للمبالغة في التضرع والجؤار واليك المصير اي الرجوع بالموت والبعث
لا الى غيرك وهو تذييل لما قبله مقرر للحاجة الى المغفرة لما ان الرجوع للحساب والجزاء وقوله تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها جملة مستقلة جيء بها اثر حكاية تلقيهم لتكاليفه تعالى بحسن الطاعة اظهارا لما له تعالى
عليهم في ضمن التكليف من محاسن اثار الفضل والرحمة ابتداء لا بعد السؤال كما سيجيء هذا وقد روي انه لما نزل
قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله الاية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتوه عليه السلام ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا ما نطيق الصلوة والصيام والحج
والجهاد وقد انزل اليك هذه الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال
اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فقراها القوم
فانزل الله عز وجل امن الرسول بما انزل اليه من ربه الى قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فقوبل الخطاب
عليهم ببيان ان المراد بما في انفسهم ما عزموا عليه من السوء خاصة لا ما يعم الخواطر التي لا تستطاع بالاحتراز
عنها والتكليف الزام ما فيه كلفة والوسع ما يتسع فيه الانسان ولا يضيق عليه اي سنته تعالى
ان لا يكلف نفسا من النفوس الا ما يتسع فيه طوقها ويتيسر عليها دون مدى الطاقة والمجهود تفضلا منه تعالى
ورحمة لهذه الامة كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقرئ وسعها بالفتح وهذا يدل على
عدم وقوع التكليف بالمحال لا على امتناعه وقوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت للترغيب في المحافظة
على مواجب التكليف والتحذير عن الاخلال بها ببيان ان تكليف كل نفس مع مقارنته لنعمة التخفيف والتيسير
يتضمن مراعاته منفعة زائدة وانها تعود اليها لا الى غيرها ويستتبع الاخلال به مضرة تحيق بها لا بغيرها
فان اختصاص منفعة الفعل بفاعله من اقوى الدواعي الى تحصيله واقتصار مضرته عليه من اشد الزواجر
عن مباشرته اي لها ثواب ما كسبت من الخير الذي كلفت فعله لا لغيرها استقلالا او تبعا [illegible] شمول كلمة
ما للجزء من اجزاء مكسوبها وعليها لا على غيرها باحد الطريقين المذكورين عقاب ما اكتسبت من الشر
الذي كلفت تركه وايراد الاكتساب في جانب الشر لما فيه من اعتمال [illegible] اعتناء النفس بتحصيل الشر وسعيها
في طلبه ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا شروع في حكاية بقية دعواتهم اثر بيان سر التكليف اي لا تؤاخذنا

بما صدر عنا من الامور المودية الى النسيان او الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوهما مما يدخل تحت
التكليف اى لا تؤاخذنا بما صدر عنا من الامور المودية الى النسيان او الخطأ من تفريط وقلة مبالاة ونحوها
مما يدخل تحت التكليف او بانفسهما من حيث ترتبهما على ما ذكر او مطلقا اذ لا امتناع فى المواخذة بهما
عقلا فان المعاصى كالسموم فكما ان تناولها ولو سهوا او خطاء مؤد الى الهلاك فتعاطى المعاصى ايضا لا يبعد ان
يفضى الى العقاب وان لم يكن عن عزيمة ووعده تعالى بعدمه لا يوجب استحالة وقوعه فان ذلك من اتمام
فضله ورحمته كما ينبئ عنه الرفع فى قوله عليه السلام رفع عن امتى الخطأ والنسيان وقد روى ان اليهود
كانوا اذا نسوا شيئا عجلت لهم العقوبة فدعاؤهم بعد العلم بتحقق الموعود للاستدامة والاعتداد
بالنعمة فى ذلك كما فى قوله تعالى ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ربنا ولا تحمل علينا اصرا عطف على ما قبله
وتوسيط النداء بينهما لابراز مزيد الضراعة والاصر العبء الثقيل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه مكانه والمراد به
التكاليف الشاقة وقيل الاصر الذنب الذى لا توبة له فالمعنى اعصمنا من اقترافه وقرئ آصارا وقرئ ولا تحمل
بالتشديد للمبالغة كما حملته على الذين من قبلنا فى حيز النصب على انه صفة لمصدر محذوف اى حملا مثل حملك
اياه على من قبلنا وهو ما كلفه بنى اسرائيل من بخع النفس فى التوبة وقطع موضع النجاسة وخمسين صلاة فى
يوم وليلة وصرف ربع المال للزكوة وغير ذلك من التشديدات فانهم كانوا اذا اتوا بخطيئة حرم عليهم من
الطعام ما كان حلالا لهم قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقد عصم الله عز وجل بفضله
ورحمته هذه الامة عن امثال ذلك وانزل فى شانهم ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وقال عليه
السلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وعن العقوبات التى عوقب بها الاولون من المسخ والخسف وغير
ذلك قال عليه السلام رفع عن امتى الخسف والمسخ والغرق ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به عطف على
ما قبله واستعفاء عن العقوبات التى لا تطاق بعد الاستعفاء عما يؤدى اليها من التفريط فيه من التكاليف
الشاقة التى لا يكاد من يكلفها يخلو عن التفريط فيها كانه قيل لا تكلفنا تلك التكاليف ولا تعاقبنا بتفريطنا
فى المحافظة عليها فيكون التعبير عن انزال العقوبات بالتحميل باعتبار ما يؤدى اليها وقيل هو تكرير للاول وتصوير
للاصر بصورة ما لا يستطاع مبالغة وقيل هو استعفاء عن التكليف بما لا يفى به الطاقة البشرية حقيقة فيكون
دليلا على جوازه عقلا والا لما سئل التخلص عنه والتشديد ههنا لتعدية الفعل الى المفعول الثانى واعف عنا
اى امح ذنوبنا واغفر لنا واستر عيوبنا ولا تفضحنا على رؤس الاشهاد وارحمنا وتعطف بنا وتفضل علينا وتقديم
طلب العفو والمغفرة على طلب الرحمة لما ان التخلية سابقة على التحلية انت مولانا سيدنا ونحن عبيدك
وناصرنا ومتولى امورنا فانصرنا على القوم الكافرين فان من حق المولى ان ينصر عبده ومن يتولى امره على الاعداء
او المراد به عامة الكفرة وفيه اشارة الى ان اعلاء كلمة الله تعالى والجهاد فى سبيله تعالى حسبما امر فى تضاعيف
السورة غاية مطالبهم روى انه صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل دعوة قد فعلت
وعنه عليه السلام انزل الله تعالى ايتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفى عام من
قرأهما بعد العشاء الاخيرة اجزأتاه عن قيام الليل وعنه عليه السلام من قرأ الايتين من سورة البقرة كفتاه وهو حجة على من استكره
ان يقول سورة البقرة وقال ينبغى ان يقال السورة التى يذكر فيها البقرة كما قال عليه السلام السورة التى يذكر فيها البقرة
فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال عليه السلام السحرة

بسم الله الرحمن الرحيم الم الله لا اله الا هو قد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة كصاد وقاف
ونون ولا موازنة لمفرد كحاميم وطاسين وياسين الموازنة لقابيل وهابيل وكطاسين ميم الموازنة لدارابجرد
حسبما ذكره سيبويه فى الكتاب فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سواء جعلت اسما
او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقاء الساكنين لما انه مغتفر فى باب الوقف قطعا فحق هذه الفاتحة
ان يوقف عليها ثم يبدأ بما بعدها كما فعله ابو بكر رواية عن عاصم واما ما فيها من الفتح على القراءة المشهورة فانما هى
حركة همزة الجلالة القيت على الميم لتدل على ثبوتها اذ ليس اسقاطها للدرج بل للتخفيف فهى مبقاة حركتها فى حكم
الثابت المبتدا به والميم تكون الحركة لغيرها فى حكم الوقف على السكون دون الحركة كما توهم واعترض بانه غير
معهود فى الكلام وقيل هى حركة لالتقاء السواكن التى هى ليا الميم ولام الجلالة بعد سقوط همزتها وانت
خبير بان سقوطها مبنى على وقوعها فى الدرج وقد عرفت ان سكون الميم وقفى موجب لانقطاعها عما بعدها
مستدع لثبات الهمزة على حالها كما فى الحروف والاسماء المبنية على السكون فان حقها الانفصال عما بعدها
وصلا ولذلك لا يسقط بها همزة الوصل ويجوز اعجازها لالتقاء الساكنين ثم ان جعلت مسرودة على نمط

التعديد فلا محل لها من الاعراب كسائر الفواتح وان جعلت اسما للسورة فمحلها اما الرفع على انها خبر مبتدا
محذوف واما النصب على اضمار فعل يليق بالمقام كاذكر او اقرأ او نحوهما واما الرفع بالابتداء او النصب
بتقدير فعل القسم او الجر بتقدير حرفه فلا مساغ لشئ منها لما ان ما بعدها غير صالح للخبرية ولا للاقسام عليه
فان الاسم الجليل مبتدا وما بعده خبره والجملة مستأنفة اى هو المستحق للمعبودية لا غير وقيل هو صفة للمبتدا
او بدل منه او الحى وما قبله اعتراض بين المبتدا والخبر مقرر لما يفيده الاسم الجليل او حال منه واياما كان فهو
كالدليل على استحقاق المعبودية له سبحانه وتعالى لما مر من ان معنى الحى الباقى الذى لا سبيل عليه للموت والفنا
ومعنى القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه من ضرورة اختصاص ذينك الوصفين به تعالى اختصاص استحقاق
المعبودية به تعالى لاستحالة تحققه بدونهما وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اسم الله الاعظم
فى ثلاث سور فى سورة البقرة الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى ال عمران الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى طه
وعنت الوجوه للحى القيوم ويروى ان بنى اسرائيل سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الاعظم قال الحى القيوم
ويروى ان عيسى عليه السلام كان اذا اراد احياء الموتى يدعو يا حى يا قيوم ويقال ان آصف بن برخيا اتى بعرش بلقيس
دعا بذلك بتعريض الحى القيوم وهذا رد على من زعم ان عيسى عليه السلام كان ربا فانه روى ان وفد نجران قدموا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا ستين راكبا فيهم اربعة عشر من اشرافهم ثلاثة منهم اكابر اليهم يؤول
امرهم احدهم اميرهم وصاحب مشورتهم العاقب واسمه عبد المسيح وثانيهم وزيرهم ومشيرهم السيد واسمه
الايهم وثالثهم حبرهم واسقفهم وصاحب مدارسهم ابو حارثة بن علقمة احد بنى بكر بن وائل وقد كان ملوك
الروم شرفوه ومولوه واكرموه لما شاهدوا من علمه واجتهاده فى دينهم وبنوا له كنائس فلما خرجوا من نجران
ركب ابو حارثة بغلته وكان اخوه كرز بن علقمة الى جنبه فبينما بغلة ابى حارثة تسير اذ عثرت فقال كرز
تعسا للابعد يريد به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو حارثة بل تعست امك فقال كرز ولم
يا اخى قال انه والله النبى الذى كنا ننتظره فقال له كرز فما يمنعك عنه وانت تعلم هذا قال ان هؤلاء الملوك
اعطونا اموالا كثيرة واكرمونا فلو امنا به لاخذوا منا كلها فوقع ذلك فى قلب كرز واضمره الى ان اسلم فكان
يحدث بذلك فاتوا المدينة ثم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عليهم
ثياب الحبرات جبب واردية فاخبره يقول بعض من رآهم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ما رأينا وفدا
مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا ليصلوا فى المسجد فقال عليه السلام دعوهم فصلوا الى المشرق
ثم تكلم اولئك الثلاثة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تارة عيسى هو الله لانه كان يحيى
الموتى ويبرئ الاسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيطير وتارة اخرى
هو ابن الله اذ لم يكن له اب يعلم وتارة اخرى انه ثالث ثلاثة لقوله تعالى فعلنا وقلنا ولو كان واحدا
لقال فعلت وقلت فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا قبلك قال عليه السلام
يمنعكم من الاسلام دعاؤكم لله تعالى ولدا قالوا ان لم يكن ولدا لله فمن يكون ابوه فقال عليه السلام الستم
تعلمون انه لا يكون ولد الا ويشبه اباه فقالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى
عليه الفنا قالوا بلى قال عليه السلام الستم تعلمون ان ربنا قيوم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال
عليه السلام فهل يملك عيسى من ذلك شيئا قالوا لا فقال عليه السلام الستم تعلمون ان الله تعالى لا يخفى
عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال عليه السلام فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم قالوا لا قال
عليه السلام الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى
الصبى ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث قالوا بلى قال عليه السلام فكيف يكون هذا كما زعمتم
فسكتوا فابوا الا الجحود فانزل الله عز وجل من اول السورة الى نيف وثمانين اية تقريرا لما احتج به عليه
السلام عليهم واجاب به عن شبههم وتحقيقا للحق الذى فيه يمترون نزل عليك الكتاب اى القرآن عبر عنه باسم
الجنس ايذانا بكمال تفوقه على بقية الافراد فى حيازة كمالات الجنس كانه هو الحقيق بان يطلق عليه اسم الكتاب
دون ما عداه كما يلوح به التصريح باسمى التوراة والانجيل وصيغة التفعيل للدلالة على التنجيم وتقديم
الظرف على المفعول لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة اما مستأنفة او خبر اخر عن الاسم
الجليل او هى الخبر وقوله تعالى لا اله الا هو اعتراض او حال وقوله عز وجل الحى القيوم صفة او بدل كما مر وقرئ
نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب والظاهر ان تكون مستأنفة وقيل يجوز كونها خبرا بحذف
العائد اى نزل الكتاب من عنده بالحق حال من الفاعل او المفعول اى انزله محقا فى تنزيله على ما هو عليه
او ملتبسا بالعدل فى احكامه او بالصدق فى اخباره التى من جملتها خبر التوحيد وما يليه او فى وعده
ووعيده او بما يحقق انه من عند الله تعالى من الحجج البينة مصدقا حال من الكتاب بالاتفاق على تقدير كون
قوله تعالى بالحق حالا من فاعل نزل واما على تقدير حاليته من الكتاب فهو عند من يجوز تعدد الحال بلا

عطف عليه ولا بدلية حال منه بعد حال واما عند من يمنعه فقد قيل انه حال من محل الحال الاولى على البدلية
وقيل من المستكن في الجار والمجرور لانه حينئذ يتحمل ضمير القيامة مقام عامله المتحمل له فيكون حالا متداخلة
وعلى كل حال فهي حال موكدة وفائدة تقييد التنزيل بها حث اهل الكتابين على الايمان بالمنزل وتنبيههم على وجوبه
فان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما صدقه حتما لما بين يديه مفعول لمصدقا واللام دعامة لتقوية
العمل [illegible] لما قبله من الكتب السابقة وفيه ايما الى حصوصها وكمال ظهور امرها بين
الناس وتصديقه اياها في الدعوة الى الايمان والتوحيد وتنزيه الله عز وجل عما لا يليق بشانه الجليل والامر
بالعدل والاحسان ولذلك في انبا الانبيا والامم الخالية وكذا في نزوله على النعت المذكور فيها وكذا في الشرايع التي
لا تختلف باختلاف الامم والاعصار ظاهر لا ريب فيه واما في الشرايع المختلفة باختلافهما من حيث ان احكام كل
واحد منها واردة حسبما تقتضيه الحكمة التشريعية بالنسبة الى خصوصيات الامم المكلفة بها مشتملة على المصالح
اللايقة بشانهم وانزل التورية والانجيل تعيين لما بين يديه وتبيين لرفعة محله تاكيدا لما قبله وتمهيدا لما
بعده اذ بذلك يترقى شان ما يصدقه رفعة ونباهة ويزداد في القبول قبولا ومهابة ويتفاحش حال من كفر بهما
في الشناعة واستتباع ما سنذكر من العذاب الشديد والانتقام اي انزلهما جملة على موسى وعيسى عليهما السلام
وانما لم يذكر لان الكلام في الكتابين لا فيمن انزلا عليه وهما اسمان اعجميان عبري والثاني سرياني ويعضده القراة
بفتح همزة الانجيل لانه افعيل ليس من ابنية العرب والتصدي لاشتقاقهما من الوري والنجل تعسف من قبل متعلق
بانزل اي انزلهما من قبل تنزيل الكتاب والتصريح به مع ظهور الامر للمبالغة في البيان هدى للناس في حيز
النصب على انه علة للانزال اي انزلهما لهداية الناس او على انه حال منهما اي انزلهما حال كونهما هدى والافراد
لما انه مصدر جعل نفس الهدى مبالغة او حذف منه المضاف اي ذوي هدى ثم ان اريد هدايتهما بجميع ما فيهما
من حيث هو جميع فالمراد بالناس الامم الماضية من حين نزولهما الى زمان نسخهما وان اريد هدايتهما على الاطلاق
وهو الانسب بالمقام فالناس على عمومه لما ان هدايتهما بما عدا الشرايع المنسوخة من الامور التي يصدقه القرآن
فيها ومن جملتها البشارة بنزوله وبمبعث النبي صلى الله عليه وسلم تعم الناس قاطبة وانزل الفرقان الفرقان
في الاصل مصدر كالغفران اطلق على الفاعل مبالغة والمراد به ههنا اما جنس الكتب الالهية عبر عنها بوصف
شامل لما ذكر منها وما لم يذكر على طريق التتميم بالتعميم اثر تخصيص بعض مشاهيرها بالذكر كما في قوله عز وجل فانبتنا
فيها حبا وعنبا الى قوله تعالى وفاكهة وابا واما نفس الكتب المذكورة اعيد ذكرها بوصف خاص لم يذكر فيما سبق على
طريقة العطف بتكرير لفظ الانزال تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله سبحانه وتعالى ولما
جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ واما الزبور فانه مشتمل على المواعظ
الفارقة بين الحق والباطل الداعية الى الخير والرشاد الزاجرة عن الشر والفساد وتقديم الانجيل عليه مع تاخره
عنه نزولا لقوة مناسبته للتوراة في الاشتمال على الاحكام والشرايع وشيوع اقترانهما في الذكر واما
القرآن نفسه ذكر بنعت مادح له بعد ما ذكر باسم الجنس تعظيما لشانه ورفعا لمكانه وقد بين اولا تنزيله
التدريجي الى الارض وثانيا انزاله الدفعي الى السماء الدنيا او اريد بانزاله انزال القدر المشترك العايد الى ما
فصل من قبل التدريجي وعدمه واما المعجزات المقرونة بانزال الكتب المذكورة الفارقة بين الحق والباطل
ان الذين كفروا بايات الله وضع موضع الضمير العايد الى ما فصل من الكتب المنزلة او عينها او من المعجزات
الايات [illegible] الى الاسم الجليل تعيينا لحيثية كفرهم وتهويلا لامرهم وتاكيدا لاستحقاقهم العذاب الشديد
وايذانا بان ذلك الاستحقاق لا يشترط فيه الكفر بالجميع بل يكفي فيه الكفر ببعض منها [illegible] بالموصول اهل
الكتابين وهو الانسب بمقام المحاجة معهم ومن عداهم من الكفرة [illegible] دخولا [illegible]
كفروا بما ذكر من ايات الله الناطقة بالتوحيد والتنزيه عما لا يليق لشانه الجليل كلا او بعضا
مع ما بها من النعوت الموجبة للايمان بها بان كذبوا بالقرآن اصالة وبسائر الكتب الالهية تبعا لان تكذيب المصدق موجب لتكذيب ما
يصدقه حتما [illegible] الناطقة بالتوحيد والتنزيه [illegible] المبشرة بنزول
القرآن ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] لهم عذاب [illegible] الفاعلية [illegible]
[illegible]

سرا وجهرا اثر بيان كمال قدرته وعزته ترشيحا لما قبله من الوعيد وتنبيها على ان الوقوف على بعض الخفيات
كما كان في عيسى عليه السلام بمعزل من بلوغ رتبة الصفات الالهية وانما عبر عن علمه عز وجل بما ذكر بعدم
خفائه عليه في قوله سبحانه وتعالى ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء ايذانا بان علمه تعالى
بمعلوماته وان كانت في اقصى الغايات الخفية ليس من شانه ان يكون على وجه يمكن ان يقارنه شائبة خفا
بوجه من الوجوه كما في علوم المخلوقين بل هو في غاية الوضوح والجلا والجملة المنفية خبر لان وتكرير الاسناد
لتقوية الحكم وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء مؤكدة لعمومه المستفاد من وقوعه في سياق النفي اي
لا يخفى عليه شيء ما كائن في الارض ولا في السما [illegible]
[illegible] وتقديم الارض على السما لاظهار الاعتنا بشان
احوال اهلها [illegible] باعتبار البعد والقرب منا
المستدعى للتفاوت بالنسبة الى علومنا وقوله عز وجل هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء جملة مستانفة
ناطقة ببعض احكام قيوميته سبحانه وتعالى [illegible] احوال الخلق في اطوار الوجود [illegible]
[illegible]

ليظهر فضل العلماء ويزداد حرصهم على الاجتهاد في تدبرها وتحصيل الامور التي ينيط بها استنباط ما اريد بها
بحقه فينالوا بها وباتعاب القرائح في استخراج مقاصدها الرائقة ومعانيها اللائقة المدارج العالية ويعرجوا
بالتوفيق بينها وبين المحكمات من اليقين والاطمينان الى المعارج القاصية واما قوله عز وجل الر كتاب
احكمت اياته فمعناه انها حفظت من اعتراء الخلل او من النسخ او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على حقيقتها
او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها وقوله تعالى كتابا متشابها مثاني فمعناه متشابه
الاجزاء اي يشبه بعضها بعضا في صحة المعنى وجزالة النظم وحقية المدلول فاما
الذين في قلوبهم زيغ اي ميل عن الحق الى الاهواء الباطلة قال الراغب الزيغ الميل عن الاستقامة الى احد
الجانبين وفي جعل قلوبهم مقرا للزيغ مبالغة في عدولهم عن سنن الرشاد واصرارهم على الشر والفساد
فيتبعون ما تشابه منه معرضين عن المحكمات اي يتعلقون بظاهر المتشابه من الكتاب او بتاويل باطل لا
تحريا للحق بعد الايمان بكونه من عند الله تعالى ابتغاء الفتنة اي طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم بالتشكيك
والتلبيس ومناقضة المحكم بالمتشابه كما نقل عن الوفد وابتغاء تاويله اي وطلب ان يؤولوه حسبما يشتهونه
من التاويلات الزائغة والحال انهم بمعزل من تلك الرتبة وذلك قوله عز وجل وما يعلم تاويله الا الله
والراسخون في العلم فانه حال من ضميري يتبعون باعتبار العلة الاخيرة اي يتبعون المتشابه لابتغاء تاويله
والحال انه مخصوص به تعالى وبمن وفقه له من عباده الراسخين في العلم اي الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ولم
يتزلزلوا في مزال الاقدام وفي تعليل الاتباع بابتغاء تاويله دون نفس تاويله وتجريد التاويل عن الوصف
بالصحة والحقية ايذان بانهم ليسوا من التاويل في شيء وانما يبتغونه ليس بتاويل اصلا لا انه تاويل غير
صحيح قد يعذر صاحبه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله عز وجل بعلمه كمدة بقاء الدنيا
ووقت قيام الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية او بما دل القاطع على عدم ارادة ظاهره ولم يدل
على ما هو المراد منه يقولون امنا به اي بالمتشابه وعدم التعرض لايمانهم بالمحكم لظهوره او بالكتاب والجملة على
الاول استيناف موضح لحال الراسخين وحال منه وعلى الثاني خبر لقوله تعالى والراسخون وقوله تعالى كل من عند
ربنا من تمام المقول مقرر لما قبله ومؤكد اي كل واحد منه ومن المحكم او كل واحد من متشابهه ومحكمه منزل
من عنده لا مخالفة بينهما وامنا به وبحقيته على مراده تعالى وما يذكر حق التذكر الا اولوا الالباب اي
العقول الخالصة عن الركون الى الاهواء الزائغة وهو تذييل سيق من جهته تعالى مدحا للراسخين بجودة الذهن
وحسن النظر واشارة الى ما به استعدوا للاهتداء الى تاويله من تجرد العقل عن غواشي الحس وتعلق الاية الكريمة
بما قبلها من حيث انها جواب عما تشبث به النصارى من نحو قوله تعالى وكلمته القاها الى مريم وروح منه
على وجه الاجمال وسيجيء الجواب المفصل بقوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم قال له
كن فيكون ربنا لا تزغ قلوبنا من تمام مقالة الراسخين اي لا تزغ قلوبنا عن نهج الحق الى اتباع المتشابه
بتاويل لا ترتضيه قال صلى الله عليه وسلم قلب ابن ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه على
الحق وان شاء ازاغه عنه وقيل معناه لا تبتلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا اي الى الحق والتاويل
الصحيح او الى الايمان بالقسمين وهو نصب بلا تزغ على الظرفية وان في محل الجر باضافته اليه خارج من
الظرفية اي بعد وقت هدايتك ايانا وقيل انه بمعنى ان وهب لنا من لدنك كلا الجارين متعلق بهب
وتقديم الاول لما مر مرارا ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وهو حال من المفعول اي كائنة من لدنك ومن
لابتداء الغاية المجازية ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمان او مكان او غيرهما من الذوات نحو من
لدن زيد وليست مرادفة لعند اذ قد يكون فضله ولذلك البني بعضهم بعضها بصرف المكان تضاف الى
صريح الزمان كما في قوله تنتفض الرعدة في ظهيري من لدن الظهر الى العصر • ولا تنقطع عن الاضافة بحال
واكثر ما تضاف الى المفردات وقد تضاف الى ان وصلتها كما في قوله • ولم تقطع اصلاحي لدن انت وليتنا •
قرابة ذي رحم ولا حق مسلم • اي من لدن ولاية ايانا وقد تضاف الى الجملة الاسمية كما في قوله •
تذكر نعماه لدن انت يافع • والى الجملة الفعلية ايضا كما في قوله لزمنا لدن سالمتمونا وفاقكم • فلا يك منكم
للخلاف جنوح ❀ وفيما نحن فيه كما في التبيين الاخيرين رحمة واسعة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك او
توفيقا للثبات على الحق وتاخير المفعول الصريح عن الجارين لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى
المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة لوروده لا سيما عند الاشعار بكونه من المنافع
بالامر فاذا ورد عليها تمكن عنده فضل تمكن انك انت الوهاب تعليل للسؤال او لاعطاء المسؤول وانت
اما مبتدأ وفصل او تاكيد لاسم ان واطلاق الوهاب ليتناول كل موهوب فيه دلالة على ان الهدى والضلال
من قبله تعالى وانه متفضل بما ينعم به على عباده من غير ان يجب عليه شيء ربنا انك جامع الناس ليوم اي لحساب
يوم او لجزاء يوم فحذف المضاف واقيم مقامه المضاف اليه تهويلا له وتفظيعا لما يقع فيه لا ريب فيه اي

في وقوعه ووقوع ما فيه من الحشر والحساب والجزاء ومقصودهم بهذا عرض كمال افتقارهم الى الرحمة وانها
المقصد الاسنى عندهم والتاكيد لاظهار ما هم عليه من كمال الطمانينة وقوة اليقين باحوال الاخرة ان الله
لا يخلف الميعاد تعليل لمضمون الجملة المؤكدة او لانتفاء الريب والتاكيد لما مر واظهار الاسم الجليل
مع الالتفات لابراز كمال التعظيم والاجلال الناشئ من ذكر اليوم المهيب الهائل بخلاف ما في اخر السورة
الكريمة فانه مقام طلب الانعام كما سياتي او للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منافية للاخلاف وقد يجوز
ان تكون الجملة مسوقة من جهته تعالى لتقرير قول الراسخين والميعاد مصدر كالميقات واستدل به الوعيدية
واجيب بان وعيد الفساق مشروط بعدم العفو بدلائل منفصلة كما هو مشروط بعدم التوبة وفاقا
ان الذين كفروا اثر ما بين الدين الحق والتوحيد وذكر احوال الكتب الناطقة به وشرح شان القران
العظيم وكيفية ايمان العلماء الراسخين به شرع في بيان حال من كفر به والمراد بالموصول جنس الكفرة
الشامل لجميع الاصناف وقيل وفد نجران او اليهود من بني قريظة والنضير او مشركو العرب لن تغني عنهم
اي لن تنفعهم وقرئ بالتذكير وسكون الياء جدا في استثقال الحركة على حروف اللين اموالهم التي يبذلونها
في جلب المنافع ودفع المضار ولا اولادهم الذين بهم يتناصرون في الامور المهمة وعليهم يعولون في الخطوب
الملمة وتاخير الاولاد عن الاموال مع توسيط حرف النفي بينهما اما لعراقة الاولاد في كشف الكروب
او لان الاموال اول عدة يفزع اليها عند نزول الخطوب من الله من عذابه تعالى شيئا اي شيئا من الاغناء
وقيل كلمة من بمعنى البدل والمعنى بدل رحمة الله او بدل طاعته كما في قوله تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا
او بدل الحق ومنه قوله ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي لا ينفعه جده بدلك اي بدل رحمتك كما في قوله تعالى ان
الظن لا يغني من الحق شيئا وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وانت خبير بان احتمال سد اموالهم
واولادهم مسد رحمة الله تعالى او طاعته مما لا يخطر ببال احد حتى يتصدى لنفيه والاول هو الاليق
بتفظيع حال الكفرة وتهويل امرهم والانسب لما بعده من قوله تعالى واولئك هم وقود النار ومن قوله تعالى فاخذهم
الله اي اولئك المتصفون بالكفر حطب النار وحصبها الذي تسعر به فان اريد بيان حالهم عند التعذيب
فاتيان الجملة الاسمية للدلالة على تحقق الامر وتقرره والا فهو للايذان بان حقيقة حالهم ذلك وان احوالهم
الظاهرة بمنزلة العدم فهم حال كونهم في الدنيا وقود النار باعيانهم وفيه من الدلالة على كمال ملابستهم
بالنار ما لا يخفى وهم يحتمل الابتداء وان يكون ضمير الفصل والجملة اما مستانفة مقررة لعدم الاغناء ومعطوفة
على خبر ان واياما كان ففيها تعيين للعذاب الذي بين ان اموالهم ولا اولادهم لا تغني عنهم منه شيئا وقرئ
وقود النار بضم الواو وهو مصدر اي اهل وقودها كداب ال فرعون الداب مصدر داب في العمل اذا كدح
فيه وتعب غلب استعماله في معنى الشان والحال والعادة ومحل الكاف الرفع على انه خبر لمبتدا
محذوف وقد جوز النصب بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم كما لن تغني عن اولئك او توقد بهم النار
كما توقد بهم وانت خبير بان المذكور في تفسير الداب انما هو التكذيب والاخذ من غير تعرض لعدم الاغناء
لا سيما على تقدير كون من بمعنى البدل كما هو راي المجوز ولا لايقاد النار على تقدير النصب بلن تغني وبقوله
تعالى واولئك هم وقود النار الا ان يجعل التشبيه لا معطوفا على خبر ان فالوجه هو الرفع على الخبرية اي دابهم
في الكفر وعدم النجاة من اخذ الله تعالى وعذابه كداب ال فرعون والذين من قبلهم اي من قبل ال فرعون من
الامم الكافرة والموصول في محل الجر عطفا على ما قبله وقوله تعالى كذبوا باياتنا بيان وتفسير لدابهم الذي
فعلوا على طريقة الاستيناف المبني على السؤال كانه قيل كيف كان دابهم فقيل كذبوا باياتنا وقوله تعالى
فاخذهم الله تفسير لدابهم الذي فعل بهم اي فاخذهم الله وعاقبهم ولم يجدوا من باس الله تعالى محيصا
فداب هؤلاء الكفرة ايضا كدابهم وقيل كذبوا الى اخره حال من ال فرعون على اضمار قد اي داب هؤلاء كداب اولئك
وقد كذبوا الى اخره واما كونه خبرا عن الموصول كما قيل فمما يذهب برونق النظم الكريم والالتفات الى التكلم
اولا للجري على سنن الكبرياء والى الغيبة ثانيا باظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة بذنوبهم ان اريد
بها تكذيبهم بالايات فالباء للسببية جيء بها للدلالة على ان لهم ذنوبا تاكيدا لما تفيده الفاء من سببية ما قبلها
لما بعدها وان اريد بها سائر ذنوبهم فالباء للملابسة جيء بها للدلالة على ان لهم ذنوبا اخر فاخذهم ملتبسين
بذنوبهم غير تائبين عنها كما في قوله تعالى وتزهق انفسهم وهم كافرون والذنب في الاصل التلو والتابع
وسمي الجريمة ذنبا لانها تتلو اي تتبع عقابها فاعلها والله شديد العقاب تذييل مقرر لما قبله من
الاخذ وتكملة له قل للذين كفروا هم اليهود لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اليهود بالمدينة
لما شاهدوا غلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا والله انه النبي الامي الذي بشرنا به
موسى وفي التورية نعته وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم
احد شكوا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا وانطلق كعب بن

الاشرف في ستين راكبا الى اهل مكة فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن سعيد بن
جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما اصاب قريشا ببدر ورجع الى المدينة
جمع اليهود في سوق بني قينقاع فحذرهم ان ينزل بهم ما نزل بقريش فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا
لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت اي قل لهم ستغلبون البتة عن قريب
في الدنيا وقد صدق الله عز وجل وعده بقتل بني قريظة واجلاء بني النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من
عداهم وهو من اوضح شواهد النبوة واما ما روي عن مقاتل من انها نزلت قبل بدر وان الموصول عبارة عن
مشركي مكة ولذلك قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم وبئس المهاد
فيؤدي الى انقطاع الاية الكريمة عما بعدها الى وله بعد وقعة بدر وتحشرون اي في الاخرة الى جهنم وقرئ
الفعلان بالياء على انه عليه السلام امر بان يحكي لهم ما اخبر الله تعالى له من وعيدهم بعبارته كانه قيل ادّ اليهم
هذا القول وبئس المهاد جهنم اي ما مهدوه لانفسهم قد كان لكم جواب قسم محذوف وهو من تمام القول المامور
به جيء به لتقرير مضمون ما قبله وتحقيقه والخطاب لليهود ايضا والظرف خبر كان على انها ناقصة ولتوسطه
بينها وبين اسمها ترك التانيث كما في قوله ۝ ان امرأ غره منكن واحدة ۝ بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور ۝
على ان التانيث ههنا غير حقيقي او هو متعلق بكان على انها تامة وانما قدم على فاعلها لما مر مرارا من
الاعتناء بما قدم والتشويق الى ما اخر اي والله قد كان لكم ايها المغرورون بعددهم وعددهم اية عظيمة دالة
على صدق ما اقول لكم انكم ستغلبون في فئتين اي فرقتين او جماعتين فان المغلوبة منهما كانت مدلة
بكثرتها معجبة بعزتها وقد لقيها ما لقيها فسيصيبكم ما يصيبكم ومحل الظرف الرفع على انه صفة لاية
وقيل النصب على خبرية كان والظرف الاول متعلق بمحذوف وقع حالا من اية التقتا في حيز الجر على انه
صفة فئتين اي تلاقتا بالقتال يوم بدر فئة بالرفع خبر مبتدأ محذوف اي احديهما فئة كما في قوله ۝ اذا مت
كان الناس حيين شامت ۝ واخر مثن بالذي كنت اصنع ۝ اي احديهما شامت واخر مثن وقوله ۝
حتى اذا ما استقل النجم في غلس ۝ وغودر البقل ملوي ومحصود ۝ والجملة مع ما عطف عليها مستانفة لتقرير
ما في الفئتين من الاية وقوله تعالى تقاتل في سبيل الله في محل الرفع على انه صفة فئة كانه قيل فئة مؤمنة
ولكن ذكر مكانه من احكام الايمان ما يليق بالمقام مدحا لهم واعتدادا بقتالهم وايذانا بانه المدار في تحقق
الاية وهي رؤية القليل كثيرا وقرئ مقاتل على تاويل الفئة بالقوم والفريق واخرى نعت لمبتدأ محذوف
معطوف على ما حذف من الجملة الاولى اي وفئة اخرى وانما نكرت والفئتين تعريفها التي بينتها الوضوح ان التفريق
لنفس المثنى المقدر وعدم الحاجة الى التعريف كافرة خبر المبتدأ المحذوف وانما لم توصف هذه الفئة بما
يقابل صفة الفئة الاولى اسقاطا لقتالهم عن درجة الاعتبار وايذانا بانهم لم يتصدوا للقتال لما اعتراهم
من الرعب والهيبة وقيل بل هما المتعاطفين بدل من الضمير في التقتا وما بعدهما صفة فلا بد من ضمير
محذوف عايد الى المبدل منه مسوغ لوصف المبدل بالجملة العارية عن ضميره اي فئة منهما تقاتل الى اخره
وقرئ فئة بالجر على البدلية من فئتين بدل بعض من كل وقد عرفت انه لا بد من ضمير عائد الى المبدل منه ويسمى
بدلا تفصيليا كما في قول كثير عزة ۝ وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ۝ ورجل رمى فيها الزمان فشلت ۝
وقرئ فئة الى اخره بالنصب على الذم او المدح او على الحالية من ضمير التقتا كانه قيل التقتا مؤمنة وكافرة
فيكون فئة واخرى توطئة لما هو الحال حقيقة ان المقصود بالذكر وصفاهما كما في قولك جاءني زيد رجلا
صالحا يرونهم اي يرى فئة الاخيرة الفئة الاولى وايثار صيغة الجمع للدلالة على شمول الرؤية لكل
واحد واحد من احاد الفئة والجملة في محل الرفع على انها صفة للفئة الاخيرة او مستانفة مبينة لكيفية
الاية مثليهم اي مثلي عدد الرائين قريبا من الفين اذ كانوا تسعماية وخمسين مقاتلا
راسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وفيهم ابو سفيان وابو جهل وكان فيهم من الخيل والابل ماية فرس وسبعماية
بعير ومن اصناف الاسلحة عدد لا يحصى عن محمد بن ابي الفرات عن سعد بن اوس انه قال اسر المشركون
رجلا من المسلمين فسالوه كم كنتم قال ثلثماية وثلثة عشر قالوا ما كنا نراكم الا تضعفون علينا او مثلي عدد
المرئيين اي ستماية ونيفا وعشرين حيث كانوا ثلثماية وثلثة عشر رجلا سبعة وسبعون رجلا من المهاجرين
ومايتين وستة وثلثون من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وكان صاحب راية رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمهاجرين علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الانصار سعد بن عبادة الخزرجي
رضي الله عنه وكان في العسكر تسعون بعيرا وفرسان احدهما للمقداد بن عمرو والاخر لمرثد بن ابي
مرثد وست ادرع وثمانية سيوف وجميع من استشهد يومئذ من المسلمين اربعة عشر رجلا ستة من
المهاجرين وثمانية من الانصار رضوان الله عليهم اجمعين اراهم الله عز وجل لذلك مع قلتهم ليهابوهم
ويجبنوا عن قتالهم مددا لهم منه سبحانه وتعالى كما امدهم بالملائكة عليهم السلام وكان لذلك عند التقا

الفئتين بعد ان قللهم في اعينهم عند تراءيها ليجترئوا عليهم ولا يهربوا من اول الامر حين ينجيهم الهرب
وقيل يرى الفئة الاولى الفئة الاخرى مثلي انفسهم مع كونهم ثلثة امثالهم ليثبتوا ويطمئنوا بالنصر الموعود
في قوله تعالى ان يكن منكم ماية صابرة يغلبوا مايتين والاول هو الاولى لان رؤية المثلين غير متعينة
من جانب المؤمنين بل قد وقعت رؤية المثل بل اقل منه ايضا فانه روي ان ابن مسعود رضي الله عنه
قال نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم
قللهم الله تعالى في اعينهم حتى رايتهم عددا يسيرا اقل من انفسهم قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا
في اعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل جنبي تراهم سبعين قال اراهم ماية فاسرنا منهم رجلا فقلنا كم كنتم قالوا
الفا فلو اريد برؤية المؤمنين المشركين اقل من عددهم في نفس الامر كما في سورة الانفال لكانت رؤيتهم اياهم
اقل من انفسهم احق بالذكر في كونها اية من رؤيتهم مثليهم على ان ابانة اثار قدرة الله تعالى وحكمته للكفرة
باراءتهم القليل كثيرا والضعيف قويا والقاء الرعب في قلوبهم بسبب ذلك ادخل في كونها اية لهم وحجة عليهم
واقرب الى اعتراف المخاطبين بذلك لكثرة مخالطتهم الكفرة المشاهدين للحال ولما تعلق الفعل بالفاعل اشد
من تعلقه بالمفعول فجعل اقرب المذكورين السابقين فاعلا وابعدهما مفعولا سواء جعل الجملة صفة او مستانفة
اولى من العكس هذا ما تقتضيه جزالة التنزيل على قراءة الجمهور ولا ينبغي جعل الخطاب لمشركي مكة كما قيل اما ان جعل
الوعيد عبارة عن هزيمة بدر كما صرحوا به فظاهر لا سترة به واما ان جعل عبارة عن هزيمة اخرى فلان الفئة
التي شاهدت تلك الاية الهائلة هم المخاطبون فالتعبير عنهم بفئة مبهمة تارة وموصوفة اخرى ثم
اسناد المشاهدة اليها مع كونها مسندا الى المخاطبين اوقع في الزام الحجة وادخل في التبكيت مما لا داعي اليه
وبهذا يتبين حال جعل الخطاب الثاني للمؤمنين واما قراءة ترونهم بتاء الخطاب فظاهرها وان اقتضى توجيه
الخطاب الثاني المشركين لكنه ليس بنص بذلك لانه وان اندفع به المحذور الاخير فالاول باق بحاله فلعل
رؤية المشركين نزلت منزلة رؤية اليهود لما بينهم من الاتحاد في الكفر والاتفاق في الكلمة لا سيما بعدما
وقع بينهم بواسطة كعب بن الاشرف من العهد والميثاق فاسندت الرؤية اليهم مبالغة في البيان وتحقيقا
لعروض مثل تلك الحالة لهم فتدبر وقيل المراد الجميع الكفرة ولا ريب في صحته وسداده وقرئ يرونهم وترونهم
على البناء للمفعول من الاراءة اي يريهم او يريكم الله تعالى كذلك رأي العين مصدر مؤكد ليرونهم ان كان الرؤية
بصرية او مصدر تشبيهي ان كانت قلبية اي رؤية ظاهرة مكشوفة جارية مجرى رؤية العين والله يؤيد
اي يقوي بنصره من يشاء اي يؤيده من غير توسيط الاسباب العادية كما ايد الفئة المقاتلة في سبيله بما ذكر
من النصر وهو من تمام القول المامور به ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من رؤية القليل كثيرا المستتبعة
لغلبة القليل العديم العدة على الكثير الشاكي السلاح وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار
اليه في الفضل لعبرة العبرة الفعلة من العبور كالركبة من الركوب والجلسة من الجلوس والمراد بها الاتعاظ
فانه نوع من العبور اي لعبرة عظيمة كائنة لاولي الابصار لذوي العقول والبصائر وقيل لمن ابصرهم وهو
اما من تمام الكلام الداخل تحت القول مقرر لما قبله بطريق التذييل واما وارد من جهته تعالى تصديقا
لمقالته صلى الله عليه وسلم زين للناس كلام مستانف سيق لبيان حقارة شان الحظوظ الدنيوية باصنافها
وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم الى ما عنده تعالى اثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعززون
بها والمراد بالناس الجنس حب الشهوات الشهوة نزوع النفس الى ما تريده والمراد ههنا المشتهيات عبر
عنها بالشهوات مبالغة في كونها مشتهاة مرغوبا فيها كانها نفس الشهوات وايذانا بانهماكهم في حبها بحيث
احبوا شهواتها كما في قوله تعالى اني احببت حب الخير او استرذالا لها فان الشهوات مسترذلة مذمومة من صفات
البهائم والمزين هو الباري سبحانه وتعالى اذ هو الخالق لجميع الافعال والدواعي والحكمة فيه ذلك ابتلاؤهم قال
تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم الاية فانها ذريعة لنيل سعادة الدارين عند كون تعاطيها
على نهج الشريعة الشريفة ووسيلة الى بقاء النوع وايثار صيغة المبني للمفعول الجري على سنن الكبرياء
وقرئ على البناء للفاعل وقيل المزين هو الشيطان لما ان مساق الاية الكريمة على ذمها وفرق الجبائي بين
المباحات فاسند تزيينها الى الله تعالى وبين المحرمات فنسب تزيينها الى الشيطان من النساء والبنين في محل
النصب على انه حال من الشهوات وهي مفسرة لها في المعنى وقيل من للبيان للجنس وتقديم النساء على البنين
لعراقتهن في معنى الشهوة فانهن حبائل الشيطان وعدم التعرض للبنات لعدم الاطراد في حبهن والقناطير
المقنطرة جمع قنطار وهو المال الكثير وقيل ماية الف دينار وقيل ملء مسك ثور وقيل سبعون الفا وقيل
اربعون الف مثقال وقيل ثمانون الفا وقيل ماية رطل وقيل الف ومايتا مثقال وقيل الفا دينار وقيل
ماية من وقيل ماية رطل وماية مثقال وماية درهم وقيل دية النفس واختلف في ان وزنه فعلال
او فنعال ولفظ المقنطرة ماخوذ منه للتاكيد كقولهم بدرة مبدرة وقيل المقنطرة المحكمة المحصنة وقيل

الكثيرة المنضدة بعضها على بعض اى المدفونة وقيل المضروبة المنقوشة من الذهب والفضة بيان
القناطير وحال والخيل عطف على القناطير قيل هي جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والواحد فرس
وقيل واحده خايل وهو مشتق من الخيلا المسومة اى المعلمة من المسومة وهي العلامة او المرعية من اسام
الدابة وسومها اذا ارسلها وسيبها للرعي او المطهمة التامة الخلق والانعام اى الابل والبقرة والغنم
والحرث اى الزرع مصدر بمعنى المفعول ذلك اى ماذكر من الاشيا المعهودة متاع الحيوة الدنيا اى ما يتمتع
به في الحيوة الدنيا اياما قلايل فتفنى سريعا والله عنده حسن المآب حسن المرجع وفيه دلالة على ان
ليس فيما عدد عاقبة حميدة وفي تكريرا لاسناد بجعل الجلالة مبتدا وبنا الجملة الظرفية اليه زيادة تاكيد
وتفخيم ومزيد اعتنا بالترغيب فيما عند الله عز وجل من النعيم المقيم والتزهيد في ملاذ الدنيا وطيباتها
الفانية قل اؤنبئكم بخير من ذلكم اثر مابين شان مزخرفات الدنيا وذكر ما عنده تعالى من حسن المآب
اجماله امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفصيل ذلك المجمل للناس مبالغة في الترغيب والخطاب للجميع والهمزة
للتقرير اى اخبركم بما هو خير مما فصل من تلك الذات المزينة لكم وابهام الخير لتفخيم شانه والتشويق
اليه وقوله تعالى للذين اتقوا عند ربهم جنات استيناف مبين لذلك المبهم على ان جنات مبتدا والجار مع
المجرور خبر او على ان جنات مرتفع به على الفاعلية عند من لا يشترط في ذلك اعتماد الجار على ما فصل في محله
والمراد بالتقوى هو التبتل الى الله تعالى والاعراض عما سواه على ما ينبئ عنه النعوت الاتية وتعليق حصول
الجنات وما بعدها من فنون الخيرات به للترغيب في تحصيله والثبات عليه وعند نصب على الحالية من
جنات او متعلق بما تعلق به الجار من معنى الاستقرار مفيد لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقاتها
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المتقين لاظهار مزيد اللطف بهم وقيل اللام متعلقة
بخير وكذا الظرف وجنات خبر لمبتدا محذوف والجملة مبينة لخير ويؤيده قراءة جنات بالجر على البدلية
من خير ولا يخفى ان تعليق الاخبار والبيان بما هو خير لطائفة ربما يوهم ان هناك خيرا اخر لاخرين تجري
في محل الرفع او الجر صفة لجنات على حسب القراءتين من تحتها الانهار متعلق بتجري فان اريد بالجنات نفس
الجنات كما هو الظاهر فجريانها من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض والاشجار فهو باعتبار جزيها
الظاهر كما مر تفصيله خالدين فيها حال مقدرة من المستكن في للذين والعامل ما فيه من معنى الاستقرار
وازواج مطهرة عطف على جنات اى مبراة مما يستقذر من النسا والاحوال البدنية والطبيعية ورضوان
التنوين للتفخيم وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة له موكدة لما افاده التنوين من الفخامة
اى رضوان اى رضوان لا يقادر قدره كاين من الله عز وجل وقري بضم الرا والله بصير بالعباد وباعمالهم
فيثيب ويعاقب حسبما يليق بها او بصير باحوال الذين اتقوا ولذلك اعد لهم ما ذكر وفيه اشعار بانهم
المستحقون للتسمية باسم العبد الذين يقولون ربنا اننا امنا في محل الرفع على انه خبر مبتدا محذوف كانه
قيل من اولئك المتقون الفايزون بهذه الكرامات السنية فقيل هم الذين الى اخره او النصب على المدح
او الجر على انه تابع على المتقين نعتا او بدلا او للعباد كذلك والاول الاظهر والله بصير بالعباد ح معترضة
وتاكيد الجملة لاظهار ان ايمانهم ناشي عن وفور الرغبة وكمال النشاط وفي الترتيب الدعا عليه فاغفر لنا
ذنوبنا وقنا عذاب النار على مجرد الايمان دلالة على كفايته في استحقاق المغفرة والوقاية من النار الصابرين
هو على تقدير كون الموصول في محل الرفع منصوب على المدح باضمار اعني واما على تقدير كونه في محل النصب
او الجر فهو نعت له والمراد بالصبر هو الصبر على مشاق الطاعة وعلى البأساء والضراء وحين البأس والصادقين
في اقوالهم ونياتهم وعزايمهم والقانتين المداومين على الطاعة المواظبين على العبادات والمنفقين اموالهم
في سبيل الله والمستغفرين بالاسحار قال مجاهد وقتادة والكلبي اى المصلين بالاسحار وعن زيد بن اسلم هم
هم المصلون الصبح في جماعة وقال الحسن مدوا الصلوت الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضي
الله عنهما يحيي الليلة ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله
ويدعو حتى يصبح وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعا والاستغفار
وتخصيص الاسحار بالاستغفار لان الدعا فيها اقرب الى الاجابة اذ العبادة ح اشق والنفس اصفى والروح
اجمع لا سيما للمتهجدين وتوسيط الواو بين الصفات المعدودة للدلالة على استقلال كل منها وكمالهم فيها
او التغاير الموصوفين بها شهد الله انه بفتح الهمزة اى بانه او على انه لا اله الا هو اى بين وحدانيته
بنصب الدلائل التكوينية في الافاق والانفس وانزال الايات التشريعية الناطقة بذلك عبر عنه
بالشهادة على طريقة الاستعارة ايذانا بقوته في اثبات المطلوب واشعارا بانكار المنكر وقري انه بكسر
الهمزة اما باجرا شهد مجرى قال واما بجعله الجملة اعتراضا وايقاع الفعل على قوله تعالى ان الدين الى اخره على
قراءة ان بفتح الهمزة كما سيأتي وقري شهداء الله بالنصب على انه حال من المذكورين او على المدح او بالرفع على انه

خبر مبتدا محذوف وماله الرفع على المدح اى هم شهداء الله وهو اما جمع شهيد كظرفا في جمع ظريف او
جمع شاهد كشعرا في جمع شاعر والملئكة عطف على الاسم الجليل بحمل الشهادة على معنى مجازي شامل
للاقرار والايمان بطريق عموم المجاز اى اقروا بذلك واولوا العلم اى امنوا به واحتجوا عليه بما ذكر من
الادلة التكوينية والتشريعية قيل المراد بهم الانبيا عليهم السلام وقيل المهاجرين والانصار وقيل
علما مومني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل جميع علما المؤمنين الذين عرفوا وحدانيته
تعالى بالدلايل القاطعة وارتفاعهما على القراءتين الاخيرتين قيل بالعطف على الضمير في الشهيد
لوقوع الفصل بينهما وانت خبير بان ذلك على قراءة النصب على الحالية يودي الى تقييد حال المذكورين
بشهادة الملئكة واولي العلم وليس فيه كثير فايدة فالوجه كون ارتفاعهما بالابتدا والخبر محذوف لدلالة
الكلام عليه والملئكة واولوا العلم شهدوا بذلك ذلك ان يحمل القراءتين على المدح نصبا ودفعا فيحسب
العطف على المشتق على كل حال قوله تعالى قائما بالقسط اى مقيما بالعدل في جميع اموره بيان لكماله تعالى
في افعاله اثر بيان كماله في ذاته وانتصابه على الحالية من الله كما في قوله تعالى وهو الحق مصدقا وانما جاز افراده
مع عدم جواز جاء زيد وعمرو راكبا لعدم اللبس كقوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ولعل
تاخيره عن المعطوفين للدلالة على علو رتبتهما وقرب منزلتهما والمسارعة الى اقامة شهود التوحيد
اعتنا بشانه ورفعا لمحله وهو السر في تقديمه على المعطوفين مع ما فيه من الايذان باصالته تعالى
في الشهادة به كما مر في قوله تعالى امن الرسول بما انزل اليه من ربه او من هو وهو الاوجه والعامل فيها
معنى الجملة اى تفرد او احقه لانها حال موكدة او على المدح وقيل على انه صفة للمنفي اى لا اله قائما الى اخره
والفصل بينهما من قبيل توسعاتهم وهو مندرج في المشهود به اذا جعل صفة او حالا من الضمير او نصبا على
المدح منه وقري القائم بالقسط على البدلية من هو فيلزم الفصل بينهما كما في الصفة او على انه خبر لمبتدا محذوف
وقري قيما بالقسط لا اله الا هو تكرير للتاكيد ومزيد الاعتنا بمعرفة ادلة التوحيد والحكم به بعد اقامة الحجة
وليجري عليه قوله تعالى العزيز الحكيم فيعلم انه المنعوت بهما ووجه الترتيب تقديم العلم بحكمته تعالى ورفعهما
على البدلية من الضمير او الوصفية لفاعل شهد او الخبر به لمبتدا مضمر وقد روي في فضلها انه عليه السلام قال
يجاء بصاحبها يوم القيمة فيقول الله عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا
عبدي الجنة وهو دليل على فضل علم اصول الدين وشرف اهله وروي عن سعيد ابن جبير انه كان ثلثماية وستون
صنما فلما نزلت هذه الاية خررن سجدا وقيل نزلت في نصارى نجران وقال الكلبي قدم على النبي صلى الله عليه
وسلم حبران من احبار الشام فلما ابصرا المدينة قال احدهما ما اشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي
يخرج في اخر الزمان فلما دخلا عليه عليه السلام عرفاه بالصفة فقالا له عليه السلام انت محمد قال عليه السلام
نعم قالا وانت احمد قال عليه السلام انا محمد واحمد قالا فانا نسالك عن شيء فان اخبرتنا به امنا بك وصدقناك
قال عليه السلام سلا فقالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل هذه الاية فاسلم الرجلان ان الدين
عند الله الاسلام جملة مستانفة موكدة للاولى اى لا دين مرضيا لله تعالى سوى الاسلام الذي هو التوحيد
والتدرع بالشريعة الشريفة عن قتادة انه شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله تعالى
وقري ان الدين عند الله الاسلام وقري ان الدين الى اخره على انه بدل من انه بدل الكل ان فسر الاسلام بالايمان
او بما يتضمنه وبدل الاشتمال ان فسر بالشريعة او على ان شهد واقع عليه على تقدير قراءة انه بالكسر كما اشير
اليه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب نزلت في اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام الذي جاء به النبي
صلى الله عليه وسلم وانكروا نبوته والتعبير عنهم بالموصول وجعل ايتا الكتاب صلة له لزيادة تقبيح حالهم
فان الاختلاف ممن اوتي ما يزيله ويقطع شافته في غاية القبح والسماجة وقوله تعالى الا من بعد ما جاءهم
العلم استثنا مفرغ من اعم الاحوال او اعم الاوقات اى وما اختلفوا في حال من الاحوال او في وقت من
الاوقات الا بعد ان علموا بانه الحق الذي عنه او بعد ان علموا حقيقة الامر وتمكنوا من العلم بها بالحجج
النيرة والايات الباهرة وفيه من الدلالة على ترامي حالهم في الضلالة ما لا مزيد عليه فان الاختلاف
بعد حصول ذلك المرتبة مما لا يصدر عن العاقل وقوله تعالى بغيا بينهم اى حسدا كاينا بينهم وطلبا
للرياسة لا لشبهة وخفا في الامر تشنيع اثر تشنيع ومن يكفر بايات الله اى باياته الناطقة بما ذكر من
ان الدين عند الله تعالى هو الاسلام ومن يعمل بمقتضاها او باية اية كانت من اياته تعالى على ان يدخل
فيها ما نحن فيه دخولا اوليا فان الله سريع الحساب اى ياتي حسابه عن قريب او يتم ذلك بسرعة
واظهار الجلالة لتربية المهابة وادخال الروعة وفي ترتب العقاب على مطلق الكفر بايات الله تعالى من
غير تعرض لخصوصية حالهم من كون كفرهم بعد ايتا الكتاب وحصول الاطلاع على ما فيه بعد ما اقيمت عليهم
الحجج فقل اسلمت وجهي اى اخلصت نفسي وقلبي وجملتي وانما عبر عنها بالوجه لانه اشرف الاعضا الظاهرة

قائم مقام جواب الشرط علة له ومن يكفر بايات الله
فانه تعالى يجازيه ويعاقبه عن قريب فانه سريع الحساب صح

وكون ذلك البغي دلالة على كمال شدة عقابهم فان حاجوك
اى في كون الدين عند الله الاسلام اى جادلوك فيه صح

الظاهرة ومظهر القوى والمشاعر ومجمع معظم ما تقع به العبادة من السجود والقراءة وبه يحصل التوجه الى كل شىء
لله اى لا شريك له فيها غيره وهو الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعت اليه الايات والرسل عليهم السلام
ومن اتبعن عطف على المتصل فى اسلمت وحسن ذلك لمكان الفصل الجارى مجرى التاكيد بالمنفصل اى واسلم من
اتبعن او مفعول معه وقل للذين اوتوا الكتاب اى من اليهود والنصارى وضع الموصول موضع الضمير لرعاية
التقابل بين وصفى المتعاطفين والاميين اى الذين لا كتاب لهم من مشركى العرب ءاسلمتم متبعين لى كما فعل
المؤمنون فانه قد اتاكم من البينات ما يوجبه ويقتضيه لا محالة فهل اسلمتم وعملتم بقضيتها او انتم على كفركم
بعد كما يقول من لخص لصاحبه المسئلة ولم يدع من طرق التوضيح والبيان مسلكا الا سلكه فهل فهمتها
على منهاج قوله تعالى فهل انتم منتهون اثر تفصيل الصوارف عن تعاطى الخمر والميسر وفيه من استقصارهم
وتعييرهم بالمعاندة وقلة الانصاف وتوبيخهم بالبلادة وكلة القريحة ما لا يخفى فان اسلموا اى كما اسلمتم
وانما لم يصرح به كما فى قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به حسما لباب اطلاق اسم الاسلام على شىء اخر
اى بالكلية فقد اهتدوا اى فازوا بالحظ الاوفر ونجوا عن مهاوى الضلال وان تولوا اى اعرضوا عن الاتباع
وقبول الاسلام فانما عليك البلاغ قائم مقام الجواب اى لم يضروك شيئا اذ ما عليك الا البلاغ وقد فعلته
على ابلغ وجه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الاية على اهل الكتاب قالوا اسلمنا فقال
صلى الله عليه وسلم لليهود اتشهدون ان عيسى كلمة الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله وقال عليه السلام
للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عيسى عبدا وذلك قوله عز وجل
وان تولوا والله بصير بالعباد عالم بجميع احوالهم وهو تذييل فيه وعد ووعيد ان الذين يكفرون بايات الله
اى اية كانت فيدخل فيهم الكافرون بالايات الناطقة بحقية الاسلام على الوجه الذى مر تفصيله
دخولا اوليا ويقتلون النبيين بغير حق هم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء عليهم السلام وقتلوا اتباعهم
وهم راضون بما فعلوا وكانوا قاتلهم الله تعالى حائمين حول قتل النبى عليه السلام لولا ان عصم الله عز وجل
ساحته المنيعة وقد اشير اليه بصيغة الاستقبال وقرئ بالتشديد للتكثير والتقييد بغير حق للايذان
بانه كان عندهم ايضا بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس اى بالعدل ولعل تكرير الفعل
للاشعار بما بين القتلين من التفاوت او باختلافهما فى الوقت عن ابى عبيدة بن الجراح قلت يا رسول الله
اى الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا
عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار فى ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر
رجلا من عباد بنى اسرائيل فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من اخر النهار وقرئ ويقاتلون
الذين فبشرهم بعذاب اليم خبر ان والفاء لتضمن اسمها معنى الشرط فانها بالنسخ لا تغير معنى الابتداء بل تزيده
تاكيدا ولذا الحال فى النسخ بان المفتوحة كما فى قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شىء فان لله خمسه ولذا النسخ
بلكن كما فى قوله ۞ فوالله ما فارقتكم عن ملالة ۞ ولكن ما يقضى فسوف يكون ۞ وانما يتغير معنى الابتداء فى
النسخ بليت ولعل وقد ذهب سيبويه والاخفش الى منع دخول الفاء عند النسخ مطلقا فالخبر عندهما
قوله تعالى اولئك الذين حبطت اعمالهم فى الدنيا والاخرة كما فى قولك الشيطان فاحذر عدو مبين وعلى
الاول هو استيناف واسم الاشارة مبتدأ وما فيه من معنى البعد للدلالة على ترامى امرهم فى الضلال وبعد
منزلتهم فى فظاعة الحال والموصول بما فى حيز صلته خبره اى اولئك المتصفون بتلك الصفات القبيحة
او المبتلون باسوأ الحال الذين بطلت اعمالهم التى عملوها من البر والحسنات ولم يبق لها اثر فى الدارين بل بقى
لهم اللعنة والخزى فى الدنيا وعذاب اليم فى الاخرة وما لهم من ناصرين ينصرونهم من باس الله عز وجل وعذابه
فى احدى الدارين وصيغة الجمع لرعاية ما وقع فى مقابلته لا لنفى تعدد الانصار من كل واحد منهم كما فى
قوله تعالى وما للظالمين من انصار الم تر تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتاتى منه الرؤية
من حال اهل الكتاب وسوء صنيعهم وتقرير لما سبق من ان اختلافهم انما كان بعد ما جاءهم العلم بحقيقة اى
الم تنظر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب اى التورية على ان اللام للعهد وحمله على جنس الكتب الالهية
تطويل للمسافة اذ تمام التقريب حينئذ بكون التورية من جملتها لان مدار التشنيع والتعجيب انما هو اعراضهم
عن المحاكمة الى ما دعوا اليه وهم لم يدعوا الا الى التورية والمراد بما اوتوه منها ما بين لهم فيها من العلوم
والاحكام التى من جملتها ما علموه من نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه
بالنصيب للاشعار بكمال اختصاصه بهم وكونه حقا من حقوقهم التى يجب مراعاتها والعمل بموجبها وما فيه من التنكير
للتفخيم وحمله على التحقير لا يساعده مقام المبالغة فى تقبيح حالهم يدعون الى كتاب الله الذين اوتوا نصيبا
منه وهو التورية والاظهار فى مقام الاضمار لايجاب الاجابة واضافته الى الاسم الجليل لتشريفه وتاكيد
وجوب المراجعة اليه والجملة استيناف مبين لذلك روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم

فدعاهم

فدعاهم الى الايمان فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اى دين انت فقال صلى الله عليه وسلم على ملة ابرهيم
قالا ان ابرهيم كان يهوديا قال صلى الله عليه وسلم لهما ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت
فى الرجم وقد اختلفوا فيه وقيل كتاب الله القران فانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه وقرئ ليحكم بينهم
على بناء المجهول فيكون الاختلاف بينهم بان اسلم بعضهم كعبد الله بن سلام واضرابه وعاداهم الاخرون ثم يتولى
فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بوجوب الرجوع اليه وهم معرضون اما حال من فريق لتخصصه بالصفة
اى يتولون من المجلس وهم معرضون بقلوبهم او اعتراض اى وهم قوم ديدنهم الاعراض عن الحق والاصرار على
الباطل ذلك اشارة الى ما مر من التولى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بانهم اى حاصل بسبب انهم قالوا لن
تمسنا النار باقتراف الذنوب وركوب المعاصى الا اياما معدودات وهى مقدار عبادتهم العجل ورسخ
اعتقادهم على ذلك وهونوا عليهم الخطوب وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من قولهم ذلك وما اشبهه من قولهم
ان اباءنا الانبياء يشفعون لنا وان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم
ولذلك ارتكبوا ما ارتكبوا من القبائح فكيف رد لقولهم المذكور وابطال لما غرهم باستعظام ما يدهمهم
وتهويل ما سيحيق بهم من الاهوال اى فكيف يكون حالهم اذا جمعناهم ليوم اى لجزاء يوم لا ريب فيه اى فى وقوعه
ووقوع ما فيه روى ان اول راية ترفع يوم القيمة من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم الله عز وجل على رؤس
الاشهاد ثم يامر بهم الى النار ووفيت كل نفس ما كسبت اى جزاء ما كسبت من غير نقص اصلا كما يزعمون وانما
وضع المكسوب موضع جزائه للايذان بكمال الاتصال والتلازم بينهما كانهما شىء واحد وفيه دلالة على ان
العبادة لا تحبط وان المؤمن لا يخلد فى النار لان توفية جزاء ايمانه وعمله لا تكون فى النار ولا قبل دخولها فاذن هى
بعد الخلوص منها وهم اى كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عذاب او بنقص ثواب بل يصيب كل
منهم مقدار ما كسبه قل اللهم الميم عوض عن حرف النداء ولذلك لا يجتمعان وهذا من خصائص الاسم الجليل
لدخوله عليه مع حرف التعريف وقطع همزته ودخول تاء القسم عليه وقيل اصله يا الله امنا بخير اى اقصدنا
به فخفف بحذف حرف النداء ومتعلقات الفعل وهمزته مالك الملك اى مالك جنس الملك على الاطلاق ملكا
حقيقيا بحيث تتصرف فيه كيف ما تشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير مشارك ولا
ممانع وهو نداء ثان عند سيبويه فان الميم عنده تمنع الوصفية تؤتى الملك بيان لبعض وجوه التصرف
الذى يستدعيه مالكية الملك وتحقيق لاختصاصها به حقيقية وكون مالكية غيره بطريق المجاز كما ينبئ عنه
ايثار الايتاء الذى هو مجرد الاعطاء على التمليك المؤذن بثبوت المالكية حقيقة من تشاء اى ايتاءه وتنزع
الملك ممن تشاء اى نزعه منه فالملك الاول حقيقى عام ومملوكيته حقيقية والاخران مجازيان خاصان
ونسبتهما الى صاحبهما مجازية وقيل الملك الاول عام والاخران بعضان منه فتامل وقيل المراد بالملك
النبوة ونزعها نقلها من قوم الى اخرين وتعز من تشاء اى تعزه فى الدنيا او فى الاخرة او فيهما بالنصر والتوفيق
وتذل من تشاء اى تذله فى احديهما او فيهما من غير ممانعة من الغير ولا مدافعة بيدك الخير تعريف الخير
للتعميم وتقديم الخبر للتخصيص اى بقدرتك الخير كله لا يقدر احد من غيرك يتصرف فيه قبضا وبسطا
حسبما تقتضيه مشيتك وتخصيص الخير بالذكر لما انه مقتضى الذات واما الشر فمقتضى بالعرض اذ ما
من شىء جزئى الا وهو متضمن لخير كلى او لان فى حصول الشر دخلا لصاحبه فى الجملة لانه من اجزية اعماله واما
الخير ففضل محض او رعاية للادب او لان الكلام فيه فانه روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما
خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة من اهل المدينة اربعين ذراعا واخذوا يحفرونه خرج من
بطن الخندق صخرة كالتل لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فجاء عليه
السلام واخذ منه المعول فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا فى جوف
بيت مظلم فكبر وكبر معه المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية
فقال اضاءت لى منها قصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى منها قصور صنعاء واخبرنى
جبريل عليه السلام ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل
ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق من الفرق لا
تستطيعون ان تبرزوا انك على كل شىء قدير تعليل لما سبق وتحقيق له تولج الليل فى النهار اى تدخله فيه
بتعقيبه اياه اى بنقص الاول وزيادة الثانى وتولج النهار فى الليل على احد الوجهين وتخرج الحى من الميت اى
ينشئ الحيوانات من موادها او من النطفة وقيل يخرج المؤمن من الكافر وتخرج الميت من الحى اى يخرج النطفة
من الحيوان وقيل يخرج الكافر من المؤمن وترزق من تشاء بغير حساب قال ابو العباس المقرى ورد لفظ
الحساب فى القران على ثلاثة اوجه بمعنى التعب قال تعالى وترزق من تشاء بغير حساب وبمعنى العدد
قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب

وبمعنى المطالبة قال تعالى فامنن او امسك بغير حساب والبا متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل ترزق
او من مفعوله وفيه دلالة على ان من قدر على [illegible]
[illegible] فاتحة الكتاب [illegible]
الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب واية الكرسي [illegible] شهد الله انه لا اله الا هو [illegible] قوله تعالى
ان الدين عند الله الاسلام و قل اللهم مالك الملك الى قوله تعالى بغير حساب معلقة ما بينهن [illegible]
يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله عز وجل [illegible] لا يقرأكن احد [illegible] صلاة الا جعلت
الجنة مثواه على ما كان فيه [illegible] حظيرة القدس ونظرت اليه [illegible] كل يوم سبعين مرة وقضيت له سبعين
حاجة ادناها المغفرة واعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليهم [illegible] وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك
قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصوني جعلتهم
عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام
كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء نهوا عن موالاتهم لقرابة او صداقة جاهلية
ونحوهما من اسباب المصادقة والمعاشرة كما في قوله سبحانه وتعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي
وعدوكم اولياء وقوله تعالى لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء حتى لا يكون حبهم ولا بغضهم الا لله
تعالى وعن الاستعانة بهم في الغزو وسائر الامور الدينية من دون المؤمنين في موضع الحال اي
متجاوزين المؤمنين اليهم استقلالا او اشتراكا وفيه اشارة الى ان [illegible] وان في موالاتهم مندوحة
عن موالاة الكفرة ومن يفعل ذلك اي اتخاذهم اولياء والتعبير عنه بالفعل للاختصار او لايهام الاستهجان
بذكره فليس من الله في شيء اي من ولايته تعالى في شيء يصح ان يطلق عليه اسم الولاية فان موالاة المتعاديين
لا يكاد تدخل تحت الوقوع قال [illegible] تود عدوي ثم تزعم انني صديقك ليس النوك عنك بعازب
والجملة اعتراضية وقوله تعالى الا ان تتقوا منهم تقاة استثناء مفرغ من اعم الاحوال
والعامل فعل النهي معتبرا فيه الخطاب كانه قيل لا تتخذوهم اولياء ظاهرا او باطنا في حال من الاحوال
الا حال اتقائكم من جهتهم [illegible]
[illegible]
[illegible] كما قال عيسى عليه السلام كن وسطا وامش جانبا [illegible]
[illegible] ويحذركم الله نفسه اي ذاته المقدسة [illegible]
النفس مرادا به الذات عليه سبحانه بلا مشاكلة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] قل ان تخفوا ما في صدوركم من الضمائر التي من جملتها ولاية الكفرة او تبدوه [illegible]
[illegible] ويعلم ما في السموات وما في الارض [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا [illegible]
[illegible]

ودت

ودت فيجوز كونها شرطية لكون الحمل على الخبر اوفق معنى لانها حكاية حال ماضية واوفق للقراءة المشهورة
ويحذركم الله نفسه تكرير لما سبق واعادة له لكن لا للتاكيد فقط بل لافادة ما يفيده قوله عز وجل
والله رؤف بالعباد من ان تحذيره تعالى من رأفته بهم ورحمته الواسعة او ان رأفته بهم لا تمنع تحقيق
ما حذرهموه من عقابه وان تحذيره ليس مبنيا على تناسي صفة الرأفة بل هو متحقق مع تحققها ايضا كما في
قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الجملة على الاول اعتراض وعلى الثاني حال وتكرير الاسم
الجليل لتربية المهابة قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني المحبة ميل النفس الى الشيء لكمال ادركته فيه
بحيث يحملها على ما يقربها اليه والعبد اذا علم ان الكمال الحقيقي ليس الا الله عز وجل وان كل ما يراه كمالا
من نفسه او من غيره فهو من الله او بالله او الى الله ولم يكن حبه الا لله وفي الله وذلك يقتضي ارادة
طاعته والرغبة فيما يقربه اليه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت ملتزمة لاتباع الرسول
صلى الله عليه وسلم في عبادته والحرص على مطاوعته يحببكم الله اي يرضى عنكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يكشف
الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عنه بالمحبة
بطريق الاستعارة والمشاكلة والله غفور رحيم اي لمن يتحبب اليه بطاعته وتقربا اليه لاتباع نبيه
صلى الله عليه وسلم فهو تذييل مقرر لما قبله مع زيادة وعد الرحمة ووضع الاسم الجليل موضع المضمر
للاشعار باستتباع وصف الالوهية للمغفرة والرحمة روى انها نزلت لما قالت اليهود نحن ابناء الله
واحباؤه وقيل نزلت في وفد نجران لما قالوا انا نعبد المسيح حبا لله تعالى وقيل في اقوام زعموا على عهده
عليه السلام انهم يحبون الله تعالى فامروا ان يجعلوا لها مصداقا من العمل وروى الضحاك عن ابن عباس رضي
الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم وقف على قريش وهم في المسجد الحرام يسجدون للاصنام وقد علقوا
عليها بيض النعام وجعلوا في آذانها الشنوف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لقد خالفتم
ملة ابراهيم واسمعيل عليهما السلام فقالت قريش انما نعبدها حبا لله تعالى ليقربونا الى الله تعالى زلفى
فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله تعالى وتعبدون الاصنام لتقربكم اليه
فاتبعوني اي اتبعوا سنتي وشريعتي يحببكم الله فانا رسوله اليكم وحجته عليكم قل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول اي في جميع الاوامر والنواهي فيدخل في ذلك الطاعة في اتباعه عليه السلام دخولا اوليا
وايثار الاظهار على الاضمار بطريق الالتفات لتعيين حيثية الطاعة والاشعار بعلتها فان الطاعة المامور
بها طاعته عليه السلام من حيث انه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا من حيث ذاته ولا ريب في ان عنوان
الرسالة من موجبات الطاعة ودواعيها فان تولوا اما من تمام مقول القول فهي صيغة المضارع المخاطب بحذف
احدى التائين اي تتولوا واما كلام متفرع عليه مسوق من جهته تعالى فهي صيغة الماضي وفي ترك ذكر احتمال
الطاعة كما في قوله تعالى فان اسلموا تلويح الى انه غير محتمل فان الله لا يحب الكافرين نفي المحبة كناية عن
بغضه تعالى لهم وسخطه عليهم اي لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وايثار الاظهار على الاضمار لتعميم الحكم لكل
الكفرة والاشعار بعلته فان سخطه تعالى بسبب كفرهم والايذان بان التولي عن الطاعة كفر وبان محبته عز
وجل مخصوصة بالمؤمنين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين لما بين عز وجل
ان الدين المرضي عنده هو الاسلام والتوحيد وان اختلاف اهل الكتابين فيه انما هو لبغيهم وحسدهم وان
الفوز برضوانه ومغفرته ورحمته منوطة باتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعته شرع في تحقيق
رسالته وكونه من بيت النبوة القديمة ابتدأ ببيان جلالة اقدار الرسل عليهم الصلاة والسلام كافة
واتبعه ذكر مبدأ امر عيسى وامه وكيفية دعوته للناس الى التوحيد والاسلام تحقيقا للحق وابطالا
لما عليه اهل الكتابين في شأنهما من الافراط والتفريط ثم بين بطلان محاجتهم في ابراهيم عليه السلام وادعائهم
الانتماء الى ملته ونزه ساحته العلية عما هم عليه من اليهودية والنصرانية ثم نص على ان جميع الرسل عليهم
السلام دعاة الى عبادة الله عز وجل وحده وطاعته منزهون عن احتمال الدعوة الى عبادة انفسهم او غيرهم
من الملائكة والنبيين وان اممهم قاطبة مامورون بالايمان بمن جاءهم من الرسل مصدقا لما معهم تحقيقا
لوجوب الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكتابه المصدق لما بين يديه من التوراة والانجيل وتحتم
الطاعة له حسبما سيأتي تفصيله وتخصيص آدم عليه السلام بالذكر لانه ابو البشر ومنشأ النبوة وكذا
حال نوح عليه السلام فانه آدم الثاني واما ذكر آل ابراهيم فلترغيب المعترفين باصطفائهم بالايمان
بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم واستمالتهم نحو الاعتراف باصطفائه بواسطة كونه من ذريتهم مع
ما مر من دعوتهم مع ما مر من التنبيه على كونه عليه السلام عريقا في النبوة من ذرية المصطفين الاخيار
واما ذكر آل عمران مع اندراجهم في آل ابراهيم فلاظهار الاعتنا في امر عيسى عليه السلام لكمال رسوخ
الخلاف في شأنه فان نسبة الاصطفاء الى الاب الاقرب ادل على تحققه في الآل وهو الداعي الى اضافة الآل

الى ابراهيم دون نوح ادم عليه السلام والاصطفى اخذ ما اصطفى من الشئ كالاستصطفا مثل به اختيارهم تعالى
اياهم بالنفوس القدسية ومايليق بها من الكمالية الروحانية والكمالات الجسمانية المستتبعة للرسالة في نفس
المصطفى كما في اكثر الرسل عليهم السلام او فيما يلابسه وينشا عنه كما في مريم قيل اصطفى ادم عليه السلام
بان خلقه بيده في احسن تقويم وبتعليمه الاسماء والاسجاد الملئكة اياه واسكانه الجنة واصطفى نوحا عليه
السلام بكونه اول من نسخ الشرايع اذ لم يكن قبل ذلك تزويج المحارم حراما واطالة عمره وجعل ذريته هم
الباقين واستجابة دعوته في حق الكفرة والمؤمنين وحمله على متن الماء والمراد بال ابراهيم اسمعيل واسحق
والانبياء من اولادهما الذين من جملتهم النبي صلى الله عليه وسلم واما اصطفى نفسه عليه السلام فمفهوم من
اصطفائهم بطريق الاولوية وعدم التصريح به للايذان بالغنى عنه لكمال شهرة امره في الخلة وكونه امام الانبياء
وقدوة الرسل عليهم السلام وكون اصطفاء ال النبي بدعوته وبقوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم الاية ولذلك
قال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبال عمران عمران بن ماثان بن العازار بن ابي هود بن زربابل بن سليان بن يوحنا
بن اوشا بن موذ بن ميشك بن حارقا بن احاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن ساقط بن ايشا بن رحبعم
بن سليمن بن داود عليهما السلام بن ايشا بن عوبد بن سلمون بن ياعز بن نحشون بن عميادب بن ادم بن حصرون
بن فارص بن يهوذ بن يعقوب عليهم السلام وقيل الهي موسى وهرون عليهما السلام ابنا عمران بن يصهر
بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة فكيف اصطفا عيسى
عليه السلام ح بالاندراج في ال ابراهيم عليه السلام والاول هو الاظهر بدليل تعقيبه بقصة مريم
واصطفى موسى وهرون عليهما السلام بالانتظام في سلك ال ابراهيم عليه السلام انتظاما ظاهرا والمراد
بالعالمين اهل زمان كل واحد منهم اي اصطفى كل واحد منهم على عالمي زمانه ذرية نصب على البدلية من
الاولين او على الحالية منهما وقد مر بيان اشتقاقها في قوله تعالى ومن ذريتي وقوله تعالى بعضها من بعض
في محل النصب على انه صفة لذرية اي اصطفى الاولين حال كونهم ذرية متسلسلة متشعبة البعض من
البعض في النسب كما ينبئ عنه التعرض لكونهم ذرية وقيل بعضها من بعض في الدين والاشتمال على الوجه
الاول بقرينة وعلى الثاني برهانية والله سميع لاقوال العباد عليم باعمالهم البادية والخافية فيصطفي
من بينهم لخدمته من يظهر استقامته قولا وفعلا على نهج قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته والجملة
تذييل مقرر لمضمون ما قبلها اذ قالت امرأة عمران رب في حيز النصب على المفعولية بفعل مقدر على طريقة
الاستيناف لتقرير اصطفى ال عمران وبيان كيفيته اي اذكر لهم وقت قولها الى اخره وقد مر مرارا وجه
توجيه التذكير الى الاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث وقيل هو منصوب على الظرفية
لما قبله سميع لقولها المحكي عليم بضميرها المنوي وقيل هو ظرف لمعنى الاصطفاء المدلول عليه باصطفى المذكور
كانه قيل واصطفى ال عمران اذ قالت الى اخره فكان من عطف الجمل على الجمل دون عطف المفردات على
المفردات ليلزم كون اصطفى الكل في ذلك الوقت وامرأة عمران هي حنة بنت فاقود جدة عيسى عليه
السلام وكانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون عليهما السلام فظن ان المراد
زوجته وليس كذلك فان قضية كفالة زكريا عليه السلام قاضية بانها زوجة عمران بن ماثان لانه
عليه السلام كان معاصرا له وقد تزوج ايشاع اخت حنة ام يحيى عليه السلام واما قوله صلى الله عليه
وسلم في شان يحيى وعيسى عليهما السلام هما ابنا خالة فقيل تأويله ان الاخت كثيرا ما تطلق على بنت الاخت
وبهذا الاعتبار جعلا عليهما السلام ابني خالة وقيل كانت ايشاع اخت حنة من الام واخت مريم من الاب
روي انها كانت عجوزا عاقرا فبينما هي ذات يوم في ظل شجرة اذ رأت طائرا يطعم فرخه فحنت الى الولد وتمنته
وقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وكان
هذا النذر مشروعا عندهم في الغلمان ثم هلك عمران وهي حامل وحينئذ فقولها اني نذرت لك ما في بطني محررا
لا بد من حمله على التكرير لتأكيد نذرها واخراجه عن صورة التعليق الى هيئة التنجيز والتعرض لوصف
الربوبية المنبئة عن افاضة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميرها لتحريك سلسلة الاجابة
ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاؤه فليدع الله بما يناسبه من اسمائه وصفاته وتأكيد
الجملة لابراز وفور الرغبة في تقديم مضمونها وتقديم الجار والمجرور لتصوره في درجة العقد محررا اي
معتقا لخدمة بيت المقدس لا يشغله شان اخر او مخلصا للعبادة ونصبه على الحالية من الموصول
والعامل فيه نذرت وقيل من ضميره في الصلة فالعامل معنى الاستقرار فانها في قوة ما استقر في بطني ولد
يعني ان المراد تقييد فعلها بالتحرير ليحصل به التقرب اليه تعالى لا تقييد ما لا دخل لها فيه من الاستقرار
في بطنها فتقبل مني اي ما نذرته والتقبل اخذ الشيء على الوجه الرضي وهذا في الحقيقة استدعاء للولد
بدون تحقق المقبول بل للولد الذكر لعدم قبول الانثى انك انت السميع لجميع المسموعات التي من

جملتها

جملتها تضرعي ودعائي العليم بكل المعلومات التي من جملتها ما في ضميري لا غير وهو تعليل لاستدعاء القبول لا من
حيث ان كونه تعالى سميعا لدعائها عليما بما في ضميرها مصحح للتقبل في الجملة بل من حيث ان علمها بكونه تعالى سميعا
لدعائها بصحة نيتها واخلاصها مستدع لذلك تفضلا واحسانا وتأكيد جملة الغرض لقوة يقينها بمضمونها وقصر
صفتي السمع والعلم عليه تعالى لغرض اختصاص دعائها به تعالى وانقطاع حبل رجائها عما عداه بالكلية
مبالغة في الضراعة والابتهال فلما وضعتها قالت اي ما في بطنها وتأنيث الضمير العائد اليه لما ان المقام
يستدعي ظهور انوثته واعتباره في حيز الشرط اذ عليه يترتب جواب لما اعني قوله تعالى قالت رب اني وضعتها
انثى لا على وضع ولد ما كانه قيل فلما وضعت بنتا قالت الى اخره وقيل تأنيثه لان ما في بطنها كان انثى في علم
الله تعالى او لانه مؤول بالحبلة او النفس او النسمة وانت خبير بان اعتبار شيء مما ذكر في حيز الشرط لا يكون
مدار الترتب الجواب عليه وقوله تعالى حال موكدة من الضمير او بدل منه وتأنيثه للمسارعة الى عرض ما دهمها
من خيبة الرجاء او لما مر من التأويل بالحبلة او النسمة فالحال حينئذ مبينة وانما قالته تحزنا وتحسرا على خيبة
رجائها وعكس تقديرها لما كانت ترجوا ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة والتأكيد للرد على اعتقادها
الباطل والله اعلم بما وضعت تعظيم من جهته تعالى لموضوعها وتفخيم لشانه وتجهيل لها بقدره اي والله
اعلم بالشيء الذي وضعته وما علق به من عظائم الامور وجعلها وابنها اية للعالمين وهي غافلة عن ذلك والجملة
اعتراضية وقرئ وضعت على خطاب الله تعالى لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما اودع الله فيه
من علو الشان وسمو المقدار وقرئ وضعت على صيغة التكلم مع الالتفات في الخطاب الى الغيبة واظهار
الغاية الجلال فيكون ذلك منها اعتذارا الى الله تعالى حيث اتت بمولود لا يصلح لما نذرته من السدانة
وتسلية لنفسها على معنى لعل الله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر فوجه الالتفات
ظاهر وقوله تعالى وليس الذكر كالانثى اعتراض اخر مبين لما في الاول من تعظيم الموضوع ورفع منزلته واللام
في الذكر والانثى للعهد اي ليس الذكر الذي كانت تطلبه وتتخيل فيه كمالا قصاراه ان يكون كواحد من السدنة
كالانثى التي وهبت لها فان دائرة امنيتها وعلمها لا تكاد تحيط بما فيها من جلايل الامور هذا على القراءتين
الاولتين واما على التفسير الاخير للقراءة الاخيرة فمعناه وليس الذكر كهذه الانثى في الفضيلة بل ادنى
منها واما على التفسير الاول لها فمعناه تأكيد الاعتذار ببيان ان الذكر ليس كالانثى في الفضيلة والمزية
وصلاحية خدمة المتعبدات فانهن بمعزل من ذلك فاللام للجنس وقوله تعالى واني سميتها مريم
عطف على اني وضعتها انثى وغرضها من عرضها على علام الغيوب التقرب الى الله تعالى واستدعاء العصمة لها
فان مريم في لغتهم بمعنى العابدة قال القرطبي معناه خادم الرب واظهار انها غير راجعة عن نيتها وان كان
ما وضعته انثى وانها ان لم تكن خليقة بسدانة بيت المقدس فلتكن من العابدات فيه واني اعيذها بك عطف
على اني سميتها وصيغة المضارع للدلالة على استمرار اي اجيرها بحفظك وقرئ بفتح ياء المتكلم في المواضع
التي بعدها همزة مضمومة الا في موضعين بعهدي اوف اتوني افرغ وذريتها عطف على الضمير وتقديم الجار
والمجرور عليه لابراز كمال العناية به من الشيطان الرجيم اي المطرود واصل الرجم الرمي بالحجارة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مسه الا مريم
وابنها ومعناه ان الشيطان يطمع في اغواء كل مولود بحيث يتاثر منه الا مريم وابنها فان الله عصمهما ببركة
هذه الاستعاذة فتقبلها اي اخذ مريم ورضي بها في النذر مكان الذكر ربها مالكها ومبلغها الى كمالها
اللائق وفيه من تشريفها ما لا يخفى بقبول حسن قيل الباء زائدة والقبول مصدر مؤكد للفعل السابق
بحذف الزوائد اي تقبلها قبولا حسنا وانما عدل عن الظاهر للايذان بمقارنة التقبل لكمال الرضى وموافقته
للعناية الذاتية فان صيغة التفعل مشعرة بحسب اصل الوضع بالتكلف وكون الفعل على خلاف طبع
الفاعل وان المراد بها في حقه تعالى ما يترتب عليه من كمال قوة الفعل وكثرته وقيل القبول ما يقبل به الشيء
كالسعوط واللدود مما يسعط ويلد وهو اختصاصه تعالى اياها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل
قبلها انثى او بان يسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة روي ان حنة حين ولدتها
لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة
فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فان بني ماثان
كانت رؤوس بني اسرائيل وملوكهم وقيل لانهم وجدوا امرها وامر عيسى عليهما السلام في الكتب الالهية
فقال زكريا عليه السلام انا احق بها عندي خالتها فابوا الا القرعة وكانوا سبعة وعشرين فانطلقوا
الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فطفا قلم زكريا عليه السلام ورسبت اقلامهم فتكفلها وقيل هو مصدر على تقدير
مضاف ومقدار اي فتقبلها بذي قبول اي بامر ذي قبول حسن وقيل تقبل بمعنى استقبل [illegible] بمعنى تقضى
وتعجل بمعنى استعجل اي استقبلها في اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها مجاز عن تربيتها بما يصلحها

في جميع احوالها نباتا حسنا مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد وقيل بل بفعل مضمر موافق له
تقديره فنبتت نباتا حسنا وكفلها زكريا اي جعله عليه السلام كافلا لها وضامنا لمصالحها قائما بتدبير امورها
لا على طريقة الوحي بل على ما ذكر من التفصيل فان رغبته عليه السلام في كفالتها وطفو قلمه ورسوب اقلامهم
وغير ذلك من الامور الجارية بينهم كلها من اثار قدرته تعالى وقرئ وكفلها وقرئ زكرياء بالنصب والمد
وقرئ بتخفيف الفا وكسرها ورفع زكريا ممدودا وقرئ وتقبلها ربها وانبتها وكفلها على صيغة الامر في
الكل ونصب ربها على الدعا اي فاقبلها يا ربها وربها تربية حسنة واجعل زكريا كافلا لها وهو تعيين لجهة
التربية قيل بنى عليه السلام لها محرابا في المسجد اي غرفة تصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها
كانها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب روي انه كان لا يدخل
عليها الا هو وحده واذا خرج غلق عليها سبعة ابواب كلما دخل عليها زكريا المحراب تقديم الظرف على الفاعل
لاظهار كمال العناية بامرها ونصب المحراب على التوسع وكلمة كلما ظرف على ان ما مصدرية والزمان محذوف
او نكرة موصوفة معناها الوقت والعائد محذوف والعامل فيها جوابها اي كل زمان دخوله عليها او كل
وقت دخل عليها فيه وجد عندها رزقا اي نوعا منه غير معتاد اذ كان ينزل ذلك من الجنة وكان يجد عندها
في الصيف فاكهة الشتاء وفي الشتاء فاكهة الصيف ولم ترضع ثديا قط قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل
فماذا قال زكريا عليه السلام عند مشاهدة هذه الاشياء الاية فقيل قال يا مريم انى لك هذا اي من اين
لك هذا الذي لا يشبه ارزاق الدنيا والابواب مغلقة دونك وهو دليل على جواز الكرامة للاولياء ومن
انكرها جعل هذا ارهاصا وتاسيسا لرسالة عيسى عليه السلام واما جعله معجزة لزكريا عليه السلام فيأباه
اشتباه الامر عليه وانما خاطبها عليه السلام واما جعله معجزة لزكريا عليه السلام فذلك مع كونها
بمعزل من رتبة الخطاب لما علم بمشاهدة انها مؤيدة من عند الله تعالى بالعلم والقدرة قالت استئناف كما
قبله كانه قيل فماذا صنعت مريم وهي صبية لا قدرة لها على فهم السؤال ورد الجواب فقيل قالت هو من عند الله
فلا تعجب ولا تستبعد ان الله يرزق من يشاء اي يرزقه بغير حساب اي بغير تقدير لكثرته او بغير استحقاق
منه تعالى وهو تعليل لكونه من عند الله اما من تمام كلامها فيكون في محل النصب واما من كلامه عز وجل فهو
مستانف روي ان فاطمة الزهراء اهدت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رغيفين وبضعة لحم فرجع بها اليها
فقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال لها انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله
يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة بني اسرائيل ثم جمع عليا
والحسن والحسين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وجمع اهل بيته فاكلوا وشبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت
على جيرانها هنالك كلام مستانف وقصة مستقلة سيقت في تضاعيف حكاية مريم لما بينهما
من قوة الارتباط وشدة الاشتباك مع ما في ايرادها من تقرير ما سيقت له حكايتها من بيان اصطفاء آل عمران
فان فضائل بعض الاقرباء ادلة على فضائل الاخرين وهنا ظرف مكان واللام للدلالة على البعد والكاف
للخطاب اي في ذلك المكان حيث قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت اذ يستعار هنا وثم
وحيث للزمان دعا زكريا ربه لما رأى كرامة مريم على الله تعالى ومنزلتها منه تعالى رغب ان يكون له من
ايشاع ولد مثل ولد حنة في النجابة والكرامة على الله تعالى وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت حنة كذلك
وقيل لما رأى الفواكه في غير اوانها تنبه لجواز ولادة العجوز العاقر من الشيخ الفاني فاقبل على الدعاء من
غير تاخير كما ينبئ عنه تقديم الظرف على الفعل لا على معنى ان ذلك كان هو الموجب للاقبال على الدعاء فقط بل كان
جزءا اخيرا من العلة التامة التي من جملتها كبر سنه عليه السلام وضعف قوته وخوف مواليه حسبما فصل
في سورة مريم قال تفسير للدعاء وبيان لكيفيته لا محل له من الاعراب رب هب لي من لدنك كلا
الجارين متعلق بهب لاختلاف معنييهما فاللام صلة له ومن لابتداء الغاية مجازا اي اعطني من محض قدرتك
من غير وسط معتاد ذرية طيبة كما وهبتها لحنة ويجوز ان يتعلق بمحذوف وقع حالا من ذرية اي كائنة
من لدنك والذرية النسل يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد ههنا ولد واحد فالتانيث
في الصفة لتانيث لفظ الموصوف كما في قوله من قال • ابوك خليفة ولدته اخرى • وانت خليفة
ذاك الكمال •• وهذا اذا لم يقصد به واحد معين اما اذا قصد به المعين امتنع اعتبار اللفظ طيبة ومعنى
ولا يجوز ان يقال جاءت حمزة وذهبت طلحة انك سميع الدعاء اي مجيبه وهو تعليل لما قبله وتحريك لسلسلة
الاجابة فنادته الملائكة كان المنادي جبريل عليه السلام كما يفصح عنه قراءة من قرأ فناداه جبريل والجمع كما في
قولهم فلان يركب الخيل ويلبس الثياب وماله غير فرس وثوب قال الزجاج اي اتاه النداء من هذا الجنس الذي
هم الملائكة وقيل لما كان جبريل عليه السلام رئيسهم عبر عنه خاصة وقرئ فناداه بالامالة وهو قائم
جملة حالية من مفعول النداء مقررة لما افاده الفاء من حصول البشارة عقيب الدعاء وقوله تعالى يصلي

اما

اما صفة لقائم او خبر ثان عند من يرى تعدده عند كون الثاني جملة كما في قوله تعالى في المحراب اي في المسجد
او في غرفة مريم متعلق بيصلي او بقائم على تقدير كون يصلي حالا من ضمير قائم لان العامل وفي الحال شيء
واحد فلا يلزم الفصل بالاجنبي كما يلزم على التقادير الباقية ان الله يبشرك بيحيى اي بان الله وقرئ
بكسر الهمزة على تقدير القول واجراء النداء مجراه لكونه نوعا منه وقرئ يبشرك من الابشار ويبشرك من الثلاثي
واياما كان ينبغي ان يكون هذا الكلام الى اخره محكيا بعبارته من الله عز وجل على منهاج قوله تعالى قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية كما يلوح به مراجعته عليه السلام في الجواب اليه
تعالى بالذات لا بواسطة الملك والعدول عن اسناد التبشير الى نون العظمة حسبما وقع في سورة مريم للجري
على سنن الكبرياء كما في قول الخلفاء امير المؤمنين يرسم لك كذا وللايذان بان ما حكي هنا من النداء والتبشير وما
يترتب عليه من المحاورة كان كل ذلك بتوسط الملك بطريق الحكاية منه سبحانه وتعالى لا بالذات كما هو
المتبادر وبهذا يتضح اتحاد المعنى في السورتين الكريمتين فتأمل ويحيى اسم اعجمي وان جعل عربيا فمنع صرفه
للتعريف دون الفعل روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال
قتادة لانه تعالى احيى قلبه بالايمان قال القرطبي كان اسمه في الكتاب الاول حيا ولا بد من تقدير
مضاف يعود اليه الحال اي بولادة يحيى فان التبشير لا يتعلق بالاعيان مصدقا حال مقدرة من يحيى
بكلمة من الله اي بعيسى عليه السلام وانما سمي كلمة لانه وجد بكلمة كن من غير اب فشابه البديعيات
التي هي عالم الامر ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة لكلمة اي بكلمة كائنة منه تعالى
قيل هو اول من امن به وصدق بانه كلمة الله وروح منه وقال السدي لقيت ام يحيى ام عيسى فقالت
اشعرت بحبلي قالت مريم وانا ايضا حبلى قالت فاني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى
مصدقا بكلمة الى اخره وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان يحيى كان اكبر من عيسى عليهما السلام بستة اشهر
وقيل بثلث سنين وقيل قتل قبل رفع عيسى عليهما السلام بمدة يسيرة وعلى كل حال يكون بين ولادة يحيى وبين
البشارة بها زمان مديد لما ان مريم ولدت وهي بنت ثلث عشرة سنة او بنت عشر سنين وقيل بكلمة من
الله اي بكتاب الله سمي كلمة كما يقال كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا عطف على مصدقا اي رئيسا يسود قومه
ويفوقهم في الشرف وكان فائقا للناس قاطبة فانه لم يلم بخطيئة ولم يهم بمعصية فيالها من سيادة ما اسناها
وحصورا عطف على ما قبله اي مبالغا في حصر النفس وحبسها عن الشهوات مع القدرة روي انه مر في
صباه بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت ونبيا عطف على ما قبله مترتب على ما عدد من
الخصال الحميدة من الصالحين اي ناشئا منهم لانه كان من اصلاب الانبياء عليهم السلام او كائنا من جملة
المشهودين بالصلاح كما في قوله تعالى وانه في الاخرة لمن الصالحين والمراد بالصلاح ما فوق الصلاح الذي لا
بد منه في منصب النبوة البتة من اقاصي مراتبه وعليه مبنى دعاء سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك
في عبادك الصالحين قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال زكريا عليه السلام حينئذ فقيل قال
رب لم يخاطب الملك المنادي له مع انه المباشر للخطاب وان كان ذلك بطريق الحكاية عنه تعالى بل
جرى على نهج دعائه السابق مبالغة في التضرع والمناجاة وجدا في التبتل اليه تعالى واحترازا عما عسى يوهم
خطابه الملك من توهم ان علمه سبحانه بما يصدر عنه يتوقف على توسطه كما يتوقف وقوف البشر على ما
يصدر عنه سبحانه وتعالى على توسطه في عامة الاحوال وان لم يتوقف عليه في بعضها انى يكون لي غلام
فيه دلالة على انه قد اخبر بكونه غلاما عند التبشير كما في قوله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى وانى
بمعنى كيف او من اين وكان تامة وانى واللام متعلقتان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء
بما قدم والتشويق الى ما اخر كيف او من اين يحدث لي غلام ويجوز ان تتعلق اللام بمحذوف وقع حالا
من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له او ناقصة واسمها ظاهر وخبرها اما انى واللام متعلق بمحذوف كما مر
واما لي وانى منصوب على الظرفية وقد بلغني الكبر حال من ياء المتكلم اي ادركني كبر السن واثر في
كقولهم ادركته السن اي اخذته السن وفيه دلالة على ان كبر السن من حيث كونه من طلائع الموت طالب
للانسان لا يكاد يسلم له قيل كان له تسع وتسعون سنة وقيل اثنتان وتسعون وقيل مائة وعشرون وقيل ستون وقيل
خمس وستون وقيل سبعون وقيل خمس وسبعون وقيل ثمانون وقيل خمس وثمانون ولامرأته ثمان وتسعون
وامراتي عاقر اي ذات عقر وهو ايضا حال من ياء المتكلم على القول بتعدد الحال او من ياء بلغني اي كيف يكون
لي ذلك والحال اني وامراتي على حالة منافية له كل المنافاة وانما قال عليه السلام مع سبق دعائه
بذلك وقوة يقينه بقدرة الله تعالى لا سيما بعد مشاهدته عليه السلام للشواهد السالفة
استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجيبا منها واعتدادا بنعمته عز وجل عليه بذلك لا استبعادا له وقيل
كان بين الدعاء والبشارة ستون سنة وقد كان قد نسي دعاءه وهو بعيد وقيل كان ذلك استفهاما عن

كيفية حدوثه قال المستيناف كما سلف كذلك اشارة الى المصدر يفعل وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء
اى ما يشاء ان يفعله من تعاجيب الافاعيل الخارقة للعادات فالله مبتدا ويفعل خبره والكاف فى محل النصب
على انه فى الاصل نعت لمصدر محذوف اى الله يفعل ما يشاء ان يفعله فعلا مثل ذلك الفعل العجيب
والصنع البديع الذى هو خلق الولد من شيخ فان وعجوز عاقر فقدم على العامل لافادة القصر بالنسبة
الى ما هو ادنى من المشار اليه واعتبرت الكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة وقد مر
تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا او على انها حال من ضمير المصدر المقدر
معرفة ان يفعل الفعل كائنا مثل ذلك او فى محل الرفع على انها خبر والجلالة مبتدا على نحو هذا الشان
البديع شان الله تعالى ويفعل ما يشاء بيان لذلك الشان المبهم او كذلك خبر المبتدا محذوف اى الامر
كذلك وقوله تعالى الله يفعل ما يشاء بيان له قال رب اجعل لى اية اى علامة تدلنى على تحقق المسؤل
ووقوع الحبل وانما سالها لان العلوق امر خفى لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه تعالى ليتلقى
تلك النعمة الجليلة من حين حصولها بالشكر ولا يؤخره الى ان يظهر ظهورا معتادا ولعل هذا السؤال وقع بعد
البشارة بزمان مديد اذ به يظهر ما ذكر من كون التفاوت بين سنى يحيى وعيسى عليهم السلام ستة اشهر
وبثلث سنين لان ظهور العلامة كان عقيب تعينها لقوله تعالى فى سورة مريم فخرج على قومه من المحراب
فاوحى اليهم الاية اللهم الا ان تكون المحاورة بين زكريا ومريم فى حالة كبرها وقد عدت من جملة من تكلم فى
الصغر بموجب قولها لحكى والجعل ابداعى واللام متعلقة به وتقديمه لما مر مرارا من الاعتنا بما قدم والتشويق
الى ما اخر او بمحذوف وقع حالا من اية وقيل هو بمعنى التصيير المستدعى لمفعولين اولهما اية وثانيهما
لى والتقديم لانه مسوغ لكون اية مبتدا عند انحلال الجملة الى مبتدا وخبر سوى تقديم الجار فلا يتغير حالهما
بعد دخول الناسخ قال ايتك الا تكلم الناس اى ان لا تقدر على تكليمهم ثلاثة ايام اى متوالية لقوله
تعالى فى سورة مريم ثلث ليال سويا مع القدرة على الذكر والتسبيح وانما جعلت ايته ذلك لتخليص
المدة لذكر الله تعالى وشكره قضا لحق النعمة كانه قيل اية حصول المطلوب ووصول النعمة ان تحبس لسانك
الا عن شكرها واحسن الجواب ما اشتق من السؤال الا رمزا اى اشارة بيد او راس او نحوهما واصله التحرك
يقال ارتمز اى تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وهو استثنا منقطع لان الاشارة ليست من قبيل الكلام او
متصل على ان المراد بالكلام ما فهم منه المرام ولا ريب فى كون الرمز من ذلك القبيل وقرئ رمزا بفتحتين على انه
جمع رامز كخدم وبضمتين على انه جمع رموز كرسل على انه حال منه ومن الناس معا بمعنى مترامزين كقوله
متى ما تلقنى فردين ترجف روانف اليتيك وتستطارا واذكر ربك اى فى ايام الحبسة شكرا لحصول التفضل
والانعام كما يؤذن به التعرض لعنوان الربوبية كثيرا اى ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا وسبح اى نزهه تعالى
او اصل التسبيح بالعشى اى من الزوال الى الغروب وقيل من العصر الى ذهاب صدر الليل والابكار من طلوع
الفجر الى الضحى قيل المراد بالتسبيح الصلوة بدليل تقييده بالوقت كما فى قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وقيل الذكر اللسانى كما ان المراد بالذكر الذكر القلبى وقرئ والابكار بفتح الهمزة على انه جمع
بكر كسحر واذ قالت الملائكة شروع فى شرح بقية احكام اصطفاء آل عمران اثر الاشارة الى بعض من
فضايل بعض اقاربهم اعنى زكريا ويحيى عليهما السلام لاستدعا المقام اياها حسبما اشير اليه وقرئ
بتذكير الفعل والمراد بالملائكة جبريل عليه السلام وقد مر ما فيه من الكلام واذ منصوب بمضمر
معطوف على المضمر السابق عطف القصة على القصة وقيل معطوف على الظرف السابق اعنى قوله
تعالى اذ قالت امراة عمران منصوب بناصبه وقيل فى قدير اى واذكر ايضا من شواهد اصطفائهم
وقت قول الملئكة عليهم السلام يا مريم وتكرير الاستشعار بمزيد الاعتنا بما حكى من احكام الاصطفاء والتنبيه
على استقلالها وانفرادها عن الاحكام السابقة فانها من احكام التربية الجسمانية اللائقة بحال صغر
مريم عليها السلام وهذه من باب التربية الروحانية بالتكاليف الشرعية المتعلقة بحال كبرها قيل
كلموها شفاها كرامة لها او ارهاصا لنبوة عيسى عليه السلام لمكان الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ
امراة وقيل الهموها ان الله اصطفاك اولا حيث تقبلك من امك بقبول حسن ولم يقبل قبلك
انثى ورباك فى حجر زكريا ورزقك من رزق الجنة وخصك بالكرامات السنية وطهرك اى مما يستقذر
من الاحوال والافعال ومما قذفك به اليهود بانطاق الطفل واصطفاك ثانيا على نساء العالمين
بان وهب لك عيسى عليه السلام من غير اب ولم يكن ذلك لاحد وجعلكما اية للعالمين فعلى هذا ينبغى ان يكون
تقديم حكاية هذه المقاولة على حكاية بشارتها بعيسى عليه السلام لما مر مرارا من التنبيه على ان كلا منها
مستحق للاستقلال بالتذكير ولو روعى الترتيب الخارجى لتبادر كون الكل شيئا واحدا وقيل المراد بالاصطفا
بين واحد والتكرير للتاكيد وتبيين من اصطفاها عليهن فلا اشكال فى ترتيب النظم الكريم اذ الجميع اصطفا

على

على ما ذكر اولا يجعل هذه المقاولة قبل بشارتها بعيسى عليه السلام ايذانا بكونها قبل ذلك متوفرة
على الطاعة والعبادات حسبما امرت بها مجتهدة فيها مقبلة على الله تعالى متبتلة اليه تعالى منسلخة
عن احكام البشرية مستعدة لفيضان الروح عليها يا مريم تكرير النداء للايذان بان المقصود بالخطاب ما يرد
بعده وان ما قبله من تذكير النعم كان تمهيدا لذكره وترغيبا للعمل بموجبه اقنتى لربك اى قومى فى الصلوة
واطيلى القيام فيها له تعالى والتعرض لعنوان ربوبيته تعالى لها للاشعار بعلة وجوب الامتثال بامره
واسجدى واركعى مع الراكعين امرت بالصلوة بالجماعة بذكر اركانها مبالغة فى ايجاب رعايتها وايذانا
بفضيلة كل منها واصالته وتقديم السجود على الركوع اما لكون الترتيب فى شريعتهم كذلك واما لكون
السجود افضل اركان الصلوة واقصى مراتب الخضوع ولا يقتضى ذلك كون الترتب فى الخارج كذلك بل اللايق
به الترقى من الادنى الى الاعلى واما ليقترن اركعى بالراكعين للاشعار بان من لا ركوع فى صلوتهم ليسوا
مصلين واما ما قيل من ان الواو لا توجب الترتيب فغايته التصحيح لا الترجيح وتجريد الامر بالركنين الاخيرين عما
قيد به الاول لما ان المراد تقييد الامر بالصلوة بذلك وقد فعل حيث قيد به الركن الاول منها وقيل
المراد بالقنوت ادامة الطاعة كما فى قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما وبالسجود الصلوة
لما مر من انه افضل اركانها وبالركوع الخشوع والاخبات قيل لما امرت بذلك قامت فى الصلوة حتى ورمت
قدماها وسالت دما وقيحا ذلك اشارة الى ما سلف من الامور البديعة وما فيه من معنى البعد للتنبيه
على علو شان المشار اليه وبعد منزلته فى الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى من انباء الغيب اى من الانبا
المتعلقة بالغيب والجملة مستانفة مبنية لا محل لها من الاعراب وقوله تعالى نوحيه اليك
جملة مستقلة مبنية للاولى وقيل الخبر هو الجملة الثانية ومن انباء الغيب اما متعلق بنوحيه او حال
من ضميره اى نوحى من انباء الغيب او نوحيه حال كونه من جملة انباء الغيب وصيغة الاستقبال للايذان
بان الوحى لم ينقطع بعد وما كنت لديهم اى عند الذين اختلفوا وتنازعوا فى تربية مريم وهو تقرير
وتحقيق لكونه وحيا على طريقة التهكم بمنكريه كما فى قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى الاية وما كنت ثاويا
فى اهل مدين الاية فان طريق معرفة امثال هاتيك الحوادث والواقعات اما المشاهدة واما السماع
وعدمه محقق عندهم فبقى احتمال المعاينة المستحيلة ضرورة فنفيت تهكما بهم اذ يلقون اقلامهم ظرف للاستقرار
العامل فى لديهم واقلامهم اقداحهم التى اقترعوا بها وقيل اقترعوا باقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة تبركا
ايهم يكفل مريم متعلق بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم اى يلقونها ينظرون او ليعلموا ايهم يكفلها وما كنت
لديهم اذ يختصمون اى فى شانها تنافسا فى كفالتها حسبما ذكر فيما سبق وتكرير ما كنت لديهم مع تحقق المقصود
بعطف اذ يختصمون على اذ يلقون كما فى قوله عز وجل نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى للدلالة
على ان كل واحد من عدم حضوره صلى الله عليه وسلم هذا المقال والمقام وعدم حضوره عند الاختصام به
مستقل بالشهادة على نبوته عليه السلام لا سيما اذا اريد باختصامهم تنازعهم قبل الاقتراع فان تغيير الترتيب
فى الذكر مؤكد له اذ قالت الملئكة شروع فى قصة عيسى عليه السلام وهو بدل من واذ قالت الملائكة
منصوب بناصبه وما بينهما اعتراض جئ به تقريرا لما سبق وتنبيها على استقلاله وكونه حقيقا بان يعد على
حاله من شواهد النبوة وترك العطف بينهما بناء على اتحاد المخاطب والمخاطب وايذانا بتقارن الخطابين
او تقاربهما فى الزمان وقيل منصوب بمضمر معطوف على ناصبه وقيل بدل من اذ يختصمون كانه قيل وما كنت
حاضرا فى ذلك الزمان المديد الذى وقع فى طرف منه الاختصام وفى طرف اخر هذا الخطاب اشعارا باحاطته
عليه السلام بتفاصيل احوال مريم عليها السلام من اولها الى اخرها والقايل جبريل عليه السلام وايراد
صيغة الجمع لما مر يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه من لابتدا الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة الكلمة
اى بكلمة كائنة منه عز وجل اسمه ذكر الضمير الراجع الى الكلمة لكونها عبارة عن مذكر وهو مبتدا خبره المسيح
وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان وقيل خبر اخر وقيل خبر مبتدا محذوف وقيل منصوب باضمار اعنى
مدحا وقوله تعالى ابن مريم صفة لعيسى وقيل المراد بالاسم ما يتميز المسمى عن سواه فالخبر حينئذ مجموع
الثلاثة اذ هو المميز له عليه السلام تمييزا عن جميع ما عداه والمسيح لقبه عليه السلام وهو من الالقاب
المشرفة كالصديق واصله بالعبرية مشيحا ومعناه المبارك وعيسى معرب من ايشوع والتصدى لاشتقاقهما
من المسح والعيس وتعليله بانه عليه السلام مسح بالبركة او بما يطهره من الذنوب او مسحه جبريل عليه
السلام او مسح الدهن وطيبه فى موضع او كان عليه السلام يمسح ذا العاهة فيبرا او بانه كان فى لون عيسى اى
بياض يعلوه حمرة من قبيل الرقم على الماء وانما قيل ابن مريم مع كون الخطاب لها تنبيها على انه يولد من غير اب فلا ينسب
الا الى امه ولذلك فضلت على نساء العالمين وجيها فى الدنيا والاخرة الوجيه ذو الجاه وهو القوة والمنعة
والشرف وهو حال مقدرة من كلمة فانها وان كانت نكرة لكنها صالحة لان ينتصب بها وتذكيرها باعتبار المعنى

والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة وفي الجنة ومن المقربين اي
من الله عز وجل قيل هو اشارة الى رفعه عليه السلام وصحبته الملائكة وهو عطف على الحال الاولى وقد عطف
عليه قوله تعالى ويكلم الناس في المهد وكهلا اي يكلمهم حال كونه طفلا وكهلا كلام الانبيا من غير تفاوت
والمهد مصدر سمي به ما يمهد للصبي اي يسوى من مضجعه وقيل انه رفع شابا والمراد وكهلا بعد نزوله وفي
ذكر احواله المختلفة المتنافية اشارة الى انه بمعزل من الالوهية ومن الصالحين حال اخرى من كلمة معطوفة
على الاحوال السابقة او من الضمير في يكلم قالت استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قالت مريم حين قالت
لها الملائكة ذلك فقيل قالت متضرعة الى ربها رب انى يكون لي اي كيف يكون لي ولد على وجه الاستبعاد العادي
والتعجيب واستعظام قدرة الله عز وجل وقيل على وجه الاستفهام والاستفسار بانه بالتزوج او بغيره
ويكون اما تامة واني واللام متعلقتان بها وتاخير الفاعل عن الجار لما مر من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر
ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا من ولد اذ لو تاخر لكان صفة له واما ناقصة واسمها ولد وخبرها
اما انى واللام متعلقة بمضمر وقع حالا كما مر وخبرها لي ونصب انى على الظرفية وقوله تعالى ولم يمسسني بشر جملة
حالية محققة للاستبعاد اي والحال اني على حالة منافية للولادة قال استئناف كما سلف والقائل هو الله تعالى
او جبريل عليه السلام كذلك الله يخلق ما يشاء الكلام في اعرابه كما مر في قصة زكريا بعينه خلا ان ايراد يخلق
ههنا مكان يفعل هنالك لما ان ولادة العذراء من غير ان يمسها بشر ابدع واغرب من ولادة عجوز عاقر من شيخ
فان فكان الخلق المنبئ عن الاختراع انسب بهذا المقام من مطلق الفعل ولذلك عقب ببيان كيفيته فقيل
اذا قضى امرا من الامور اي اراد شيئا من الاشيا كما في قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا واصل القضاء الاحكام
اطلق على الارادة الالهية القطعية المتعلقة بوجود الشيء لايجابها اياه البتة وقيل الامر ومنه قوله تعالى
وقضى ربك فانما يقول له كن لا غير فيكون من غير ريث وهو كما ترى تمثيل لكمال قدرته تعالى وسهولة
تاتي المقدورات حسبما تقتضيه مشيئته وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فيها من طاعة المامور المطيع
للامر القوي المطاع وبيان لانه تعالى كما يقدر على خلق الاشيا مدرجا باسباب ومواد يقدر على خلقها
دفعة من غير حاجة الى شيء من الاسباب والمواد ونعلمه الكتاب اي الكتابة او جنس الكتب الالهية والحكمة
اي العلوم وتهذيب الاخلاق والتوراة والانجيل افرادهما بالذكر على تقدير كون المراد بالكتاب جنس الكتب
المنزلة لزيادة فضلهما وانافتهما على غيرهما والجملة عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام
مبتدا سيق لتطييب قلبها وازاحة لما اهمها من خوف اللائمة لما علمت انها تلد من غير زوج وقرئ ونعلمه بالنون
ورسولا الى بني اسرائيل منصوب بمضمر يعود اليه المعنى معطوف على نعلمه اي ويجعله رسولا الى بني اسرائيل
اي كلهم وقال بعض اليهود انه كان مبعوثا الى قوم مخصوصين ثم قيل كان رسولا حال الصبى وقيل بعد البلوغ
وكان اول انبيا بني اسرائيل يوسف عليه السلام وآخرهم عيسى عليه السلام وقيل اولهم موسى وآخرهم
عيسى عليهما السلام وقوله تعالى اني قد جئتكم معمول لرسولا لما فيه من معنى النطق كانه قيل حال كونه وجيها
ورسولا ناطقا باني الى آخره وقرئ ورسول بالجر عطفا على كلمة والباء في قوله تعالى باية متعلقة بمحذوف
وقع حالا من فاعل الفعل على انها للملابسة والتنوين للتفخيم دون الوحدة لظهور تعددها وكثرتها وقرئ
بآيات او بجئتكم على انها للتعدية ومن في قوله تعالى من ربكم لابتدا الغاية مجازا متعلقة بمحذوف وقع صفة
لآية اي قد جئتكم ملتبسا باية عظيمة كائنة من ربكم او اتيتكم باية عظيمة كائنة من ربكم او انتكم اية عظيمة
كائنة منه تعالى والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد ايجاب الامتثال
بما سياتي من الاوامر وقوله تعالى اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير بدل من قوله تعالى اني قد جئتكم ومحله
النصب على نزع الجار عند سيبويه والفرا والجر على راي الخليل والكسائي او بدل من آية وقيل منصوب
بفعل مقدر اي اعني اني الى آخره وقيل مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف اي هي اني اخلق لكم وقرئ بكسر
الهمزة على الاستئناف اي اقدر لكم اي لاجل تحصيل ايمانكم ودفع تكذيبكم اياي من الطين شيئا مثل صورة
الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير المقدرة اي اخلق لكم من الطين كهيئة الطير
فانفخ فيه فيكون طيرا حيا طيارا كسائر الطيور باذن الله بامره تعالى اشار بذلك الى ان احياءه من الله
تعالى لا منه قيل لم يخلق غير الخفاش روي انه عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر المعجزات طالبوه بخلق
خفاش فاخذ طينا وصوره ونفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام
الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز من خلق الله تعالى قيل انما طلبوا خلق الخفاش
لانه اكمل الطير خلقا وابلغ دلالة على القدرة لان له ثديا واسنانا وهي تحيض وتطهر وتلد كسائر الحيوانات
وتضحك كما يضحك الانسان وتطير بغير ريش ولا تبصر في ضوء النهار ولا في ظلمة الليل وانما ترى في ساعتين
ساعة بعد الغروب وساعة بعد طلوع الفجر وقيل خلق انواعا من الطير وابرئ الاكمه اي الذي ولد اعمى

والممسوح

والممسوح العين والابرص المبتلى بالبرص ولم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ويقال له الوضح ايضا
وتخصيص هذين الدائين لانهما مما اعيا الاطبا وكانوا في غاية الحذاقة في زمنه عليه السلام فاراهم الله تعالى
المعجزة من ذلك الجنس روي انه ربما كان يجتمع عليه السلام الوف من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم
يطق اتاه عيسى عليه السلام وما يداوي الا بالدعا واحيي الموتى باذن الله كرره مبالغة في دفع وهم
من توهم فيه اللاهوتية قال الكلبي كان عليه السلام يحيي الموتى بيا حي يا قيوم احيى عازر وكان صديقا
له فعاش وولد له ومر بنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك فقالوا الى ومر على ابن عجوز ميت فدعا
الله تعالى فنزل عن سريره حيا ورجع الى اهله وبقي وولد له وبنت العاشر احياها وولدت بعد ذلك
فقالوا انك تحيي من كان قريب العهد من الموت فلعلهم لم يموتوا فاصابتهم سكتة فاحي لنا سام بن
نوح فقال دلوني على قبره فخرجوا فقام على قبره فدعا الله عز وجل فقام من قبره وقد شاب راسه
فقال عليه السلام كيف شبت ولم يكن في زمانكم شيب قال يا روح الله لما دعوتني سمعت صوتا يقول
اجب روح الله فظننت ان الساعة قد قامت فمن هول ذلك الوقت شبت فساله عن النزع قال يا روح
الله ان مرارته لم تذهب من حنجرتي وكان بينه وبين موته اكثر من اربعة آلاف سنة وقال للقوم صدقوه
فانه نبي فآمن به بعضهم وكذبه آخرون وقالوا هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت كذا ويا فلان خبئ لك
كذا وذلك قوله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم اي بالمغيبات من احوالكم التي لا تشكون فيها
وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من الامور العظام لآية عظيمة وقرئ
لآيات لكم دالة على صحة رسالتي دلالة واضحة ان كنتم مؤمنين جواب الشرط محذوف لانصباب المعنى
اليه اي دلالة المذكور عليه اي انتفعتم لو ان كنتم ممن يتاتى منهم الايمان دلتكم على صحة رسالتي والايمان
بها ومصدقا لما بين يدي من التوراة عطف على المضمر الذي تعلق به قوله تعالى باية اي قد جئتكم ملتبسا
باية الى آخره ومصدقا الى ما بين الى آخره او على رسولا على الاوجه الثلاثة فان مصدقا فيه معنى
النطق كما في رسولا اي ويجعله مصدقا ناطقا باني اصدق الى آخره او منصوب باضمار فعل دل عليه قد جئتكم
اي وجئتكم مصدقا الى آخره وقوله من التوراة اما حال من الموصول والعامل مصدقا واما من ضميره
المستتر في الظرف الواقع صلة والعامل الاستقرار المضمر في الظرف لقيامه مقام الفعل ولاحل لكم معمول
دل عليه ما قبله اي وجئتكم لاحل الى آخره وقيل عطف على معنى مصدقا كقولهم جئته معتذرا ولاجتلب
رضاه كانه قيل قد جئتكم لاصدق ولاحل الى آخره وقيل عطف على باية اي جئتكم باية من ربكم ولاحل لكم
بعض الذي حرم عليكم اي في شريعة موسى عليه السلام من الشحوم والثروب والسمك ولحوم الابل
والعمل في السبت قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلف في احلال السبت وقرئ حرم
على التسمية للفاعل وهو ما بين يدي الله عز وجل وقرئ حرم بوزن كرم وهذا يدل على ان شريعته كانت ناسخة
لبعض احكام التوراة ولا يخل ذلك بكونه مصدقا لها لما ان النسخ في الحقيقة بيان وتخصيص في الازمان
وتاخير المفعول عن الجار والمجرور لما مر مرارا من المبادرة الى ذكر ما يسر المخاطبين والتشويق الى المؤخر
وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وقرئ بآيات فاتقوا الله في عدم قبولها ومخالفة مدلولها
واطيعون فيما آمركم به وانهاكم عنه بامر الله تعالى وتلك الآية هي قولي ان الله ربي وربكم فاعبدوه
هذا صراط مستقيم فانه الحق الصريح الذي اجمع عليه الرسل قاطبة فيكون آية بينة على انه عليه السلام
من جملتهم وقرئ ان الله بالفتح بدلا من آية وقد جئتكم باية على ان الله ربي وربكم وقوله تعالى
فاتقوا الله واطيعون اعتراض والظاهر انه تكرير لما سبق اي قد جئتكم باية بعد آية مما ذكرت لكم
من خلق الطير وابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى والانبا بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير اب ومن
كلامي في المهد ومن غير ذلك والاول لتمهيد الحجة والثاني لتقريبها الى الحكم ولذلك رتب عليه بالفاء
قوله تعالى فاتقوا الله اي لما جئتكم بالمعجزات الباهرة والآيات الظاهرة فاتقوا الله في المخالفة
واطيعون فيما ادعوكم اليه ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله تعالى لايلاف
قريش الى آخره ثم شرع في الدعوة واشار اليها بالقول المجمل فقال ان الله ربي وربكم اشارة الى استكمال
القوة العملية فانه يلازم الطاعة التي هي الاتيان بالاوامر والانتهاء عن المناهي ثم قرر ذلك بين ان
الجمع بين الامرين هو الطريق المشهود له بالاستقامة ونظيره قوله عليه السلام قل آمنت بالله ثم استقم
فلما احس عيسى منهم الكفر شروع في بيان مآل احواله عليه السلام اثر ما اشير الى ظهورها بطريق
النقل عن الملائكة والفاء فصيحة تفصح عن تحقق جميع ما قالته الملائكة عليهم السلام وخروجه من القوة
الى الفعل حسبما شرحته كما في قوله تعالى فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك كانه قيل فحملته فولدته فكان كيت وكيت وقال ذيت وذيت وانما لم يذكر اكتفاء بحكاية

الملائكة وايذانا بعدم الخلف وثقة بما فصل في المواضع الاخر واما عدم نظم بقية احواله عليه السلام
في سلك النقل فاما للاعتنا بامرها او لعدم مناسبتها المقام البشارة لما فيها من ذكر مقاساته عليه
السلام للشدائد ومعاناته للمكابد والمراد بالاحساس الادراك القوي الجاري مجرى المشاهدة وبالكفر
اصرارهم عليه وعتوهم ومكابرتهم فيه مع العزيمة على قتله عليه السلام كما ينبئ عنه الاحساس فانه انما
يستعمل في اصل هذه المواقع عند كون متعلقه امرا محذورا مكروها كما في قوله عز وجل فلما احسوا بأسنا
اذا هم منها يركضون وكلمة من متعلقة باحس والضمير المجرور لبني اسرائيل اي ابتدا الاحساس من جهتهم
وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتنا به والتشويق الى المؤخر وقيل متعلقة
بمحذوف وقع حالا من الكفر قال اي لخلص اصحابه لا لجميع بني اسرائيل لقوله تعالى كما قال عيسى بن مريم
للحواريين الاية وقوله تعالى فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ليس بنص في توجيه الخطاب
الى الكل بل يكتفي فيه ببلوغ الدعوة اليهم من انصاري الانصار جمع نصير كاشراف جمع شريف الى الله متعلق
بمحذوف وقع حالا من اليا اي من انصاري متوجها الى الله ملتجيا اليه اي يا انصاري مضمنا لمعنى
الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون الى الله عز وجل ينصرونني كما ينصرني وقيل الى بمعنى اي في سبيل الله
وقيل بمعنى اللام وقيل بمعنى مع قال استيناف مبني على سوال ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قالوا في
جوابه عليه السلام فقيل قال الحواريون جمع حواري يقال فلان حواري فلان اي صفوته وخاصته من
الحور وهو البياض الخالص ومنه الحواريات للحضريات لخلوص الوانهن ونقائهن سمي به اصحاب عيسى عليه
السلام لخلوص نياتهم ونقاء سرائرهم وقيل لما عليهم من اثار العبادة وانوارها وقيل كانوا ملوكا يلبسون
البيض وذلك ان واحدا من الملوك صنع طعاما وجمع الناس عليه وكان عيسى عليه السلام على قصعة
لا تزال يأكل منها ولا تنقص فذكر ذلك للملك فتبعه مع اقاربه فاولئك هم الحواريون وقيل كانوا صيادين
يصطادون السمك يلبسون الثياب البيض فيهم شمعون ويعقوب ويوحنا فمر بهم عيسى عليه السلام فقال
لهم انتم تصيدون السمك فان اتبعتموني صرتم بحيث تصيدون الناس بالحياة الابدية قالوا من انت قال
عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله فطلبوا منه المعجز وكان شمعون قد رمى شبكته تلك الليلة فما اصطاد
شيئا فامره عيسى عليه السلام بالقائها في الماء مرة اخرى ففعل فاجتمع في الشبكة ما كادت تتمزق واستعانوا
باهل سفينة اخرى وملأوا السفينتين فعند ذلك امنوا بعيسى عليه السلام وقيل كانوا اثني عشر
رجلا امنوا به عليه السلام واتبعوه وكانوا اذا جاعوا قالوا جعنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها
لكل واحد رغيفان واذا عطشوا قالوا عطشنا فيضرب بيده الارض فيخرج منها الماء فيشربون فقالوا
من افضل منا قال عليه السلام افضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه فصاروا يغسلون الثياب
بالاجرة فسموا حواريين وقيل ان امه سلمته الى صباغ فاراد الصباغ ان يشتغل يوما ببعض مهماته
فقال له عليه السلام ههنا ثياب مختلفة قد جعلت لكل واحد منها علامة معينة فاصبغها بتلك
الالوان فغاب فجعلها عليه السلام كلها في جب واحد وقال لكوني باذن الله كما اريد فرجع الصباغ
فسأله فاخبره بما صنع فقال افسدت علي الثياب قال قم فانظر فجعل يخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر وثوبا
اصفر الى ان اخرج الجميع على احسن ما يكون حسبما كان يريد فتعجب منه الحاضرون وامنوا به عليه
السلام وهم الحواريون قال القفال ويجوز ان يكون بعض هؤلاء الحواريين الاثني عشر من الملوك
وبعضهم من القصارين وبعضهم من الصباغين والكل سموا بالحواريين لانهم كانوا انصار عيسى بن
مريم عليهما السلام واعوانه والمخلصين في طاعته ومحبته نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله
امنا بالله استيناف جار مجرى العلة لما قبله فان الايمان به تعالى موجب لنصرة دينه ورسوله
والذب عن اوليائه والمحاربة مع اعدائه واشهد بانا مسلمون مخلصون في الايمان منقادون لما
تريد منا من نصرتك طلبوا منه عليه السلام الشهادة بذلك يوم القيمة يوم تشهد الرسل عليهم
السلام لاممهم وعليهم ايذانا بان مرمى غرضهم على الرسول لمبالغة في اظهار امرهم واتبعنا الرسول
اي في كل ما ياتي ويذر من امور الدين فيدخل فيه الاتباع في النصرة دخولا اوليا فاكتبنا مع الشاهدين
اي مع الذين يشهدون لانبيائهم او مع امة محمد عليه السلام فانهم شهداء على الناس قاطبة وهو حال
من مفعول اكتبنا ومكروا اي الذين علم عيسى عليه السلام كفرهم من اليهود بان وكلوا به من يقتله
غيلة ومكر الله بان رفع عيسى عليه السلام والقى شبهه على من قصد اغتياله حتى قتل والمكر
من حيث انه في الاصل حيلة تجلب بها غيره الى مضرة لا يمكن اسناده اليه سبحانه وتعالى الا بطريق
المشاكلة روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ملك بني اسرائيل لما قصد قتله عليه السلام امر
جبريل عليه السلام ان يدخله بيتا فيه روزنة فرفعه جبريل من تلك الروزنة الى السماء فقال الملك

لرجل

السعادة الاخروية ربنا امنا بما انزلت تضرع الى الله عز وجل وعرض لحالهم عليه تعالى بعد عرضهم صح

لرجل خبيث منهم ادخل عليه فاقتله فدخل البيت فالقى الله عز وجل شبهه عليه فخرج يخبرهم انه ليس في
البيت فقتلوه وصلبوه وقيل انه عليه السلام جمع الحواريين ليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل
ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فاتى احدهم فقال لهم ما تجعلون
لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فالقى الله عز وجل عليه شبه عيسى
عليه السلام ورفعه الى السما فاخذوا المنافق وهو يقول انا دليلكم فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه ثم
قالوا وجهه يشبه وجه عيسى وبدنه يشبه بدن صاحبنا فان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان
صاحبنا فاين عيسى فوقع بينهم قتال عظيم وقيل لما صلب المصلوب جاءت مريم عليها السلام ومعها امرأة
ابرأها الله تعالى من الجنون بدعاء عيسى عليه السلام وجعلتا تبكيان على المصلوب فانزل الله عيسى عليه
السلام فجاءهما فقال علام تبكيان فقالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء
شبه لهم قال محمد بن اسحق ان اليهود عذبوا الحواريين بعد رفع عيسى عليه السلام فلقوا منهم الجهد
فبلغ ذلك ملك الروم وكان ملك اليهود من رعيته فقيل له ان رجلا من بني اسرائيل ممن تحت
امرك كان يخبرهم انه رسول الله واراهم احيا الموتى وابرا الابرص وفعل وفعل فقال لو علمت ذلك
ما خليت بينهم وبينه ثم بعث الى الحواريين فانتزعهم من ايديهم وسألهم عن عيسى عليه السلام فاخبروه فبايعهم
على دينهم وانزل المصلوب فغيبه واخذ الخشبة فاكرمها ثم غزا بني اسرائيل وقتل منهم خلقا عظيما ومنه ظهر
اصل النصرانية في الروم ثم جاء بعده ملك اخر يقال له طيطوس وغزا بيت المقدس بعد رفع عيسى عليه
السلام بنحو من اربعين سنة فقتل وسبى ولم يترك في مدينة بيت المقدس حجرا على حجر فخرج عند ذلك
قريظة والنضير الى الحجاز قال اهل التواريخ حملت مريم بعيسى عليه السلام وهي بنت ثلاث عشرة سنة
وولدته ببيت لحم من ارض اوري شلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على ارض بابل واوحى الله
تعالى اليه على راس ثلاثين سنة ورفعه اليه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث
وثلاثين سنة وعاشت امه بعد رفعه ست سنين والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم
على ايصال الضرر من حيث لا يحتسب واظهار الجلالة في موضع الاضمار لتربية المهابة والجملة تذييل مقرر
لمضمون ما قبله اذ قال الله ظرف لمكر الله او لمضمر نحو وقع ذلك يا عيسى اني متوفيك اي مستوفي اجلك
ومؤخرك الى اجلك المسمى عاصما لك من قتلهم او قابضك من الارض من توفيت مالي او متوفيك نائما
اذ روي انه رفع وهو نائم وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السما ورافعك الان او مميتك
من الشهوات العائقة عن العروج الى عالم الملكوت وقيل اماته سبع ساعات ثم رفعه الى السما واليه
ذهب النصارى قال القرطبي والصحيح ان الله تعالى رفعه من غير وفاة ولا نوم كما قال الحسن وابن زيد
وهو اختيار الطبري وهو الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه واصل القصة ان اليهود لما عزموا على قتله
عليه السلام اجتمع الحواريون وهم اثنا عشر رجلا في غرفة فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فاخبرهم
ابليس جمع اليهود فركب منهم اربعة الاف رجل فاخذوا باب الغرفة فقال المسيح للحواريين ايكم يخرج
ويقتل ويكون معي في الجنة فقال احدهم انا يا نبي الله فالقى عليه مدرعة من صوف وعمامة من صوف
وناوله عكازه والقي عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه واما عيسى عليه
السلام فكساه الله الريش والنور والبسه النور وقطع عنه شهوة المطعم والمشرب وذلك قوله تعالى اني
متوفيك وطار مع الملائكة ثم ان اصحابه حين راوا ذلك تفرقوا ثلث فرق فقالت فرقة كان الله فينا
ثم صعد الى السماء وهم اليعقوبية وقالت فرقة كان فينا ابن الله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهم
النسطورية وقالت فرقة اخرى منهم كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله اليه وهؤلاء هم
المسلمون فتظاهرت عليهم الفرقتان الكافرتان فقتلوهم فلم يزل الاسلام منطمسا الى ان بعث الله تعالى محمدا
صلى الله عليه وسلم ورافعك الي اي الى محل كرامتي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين كفروا اي من سوء
جوارهم وخبث صحبتهم ودنس معاشرتهم وجاعل الذين اتبعوك قال قتادة والربيع والشعبي ومقاتل
والكلبي هم اهل الاسلام الذين صدقوه واتبعوا دينه من امة محمد صلى الله عليه وسلم دون الذين كذبوه
وكذبوا عليه من النصارى فوق الذين كفروا وهم الذين مكروا به عليه السلام ومن يسير بسيرتهم من
اليهود فان اهل الاسلام فوقهم ظاهرين بالعزة والمنعة والحجة وقيل هم الحواريون فينبغي ان يحمل فوقيتهم
على فوقية المسلمين بحكم الاتحاد في الاسلام والتوحيد وقيل هم الروم وقيل هم النصارى فالمراد بالاتباع
مجرد الادعاء والمحبة والا فاولئك الكفرة بمعزل من اتباعه عليه السلام الى يوم القيمة غاية للجعل او
للاستقرار المقدر في الظرف لا على معنى ان الجعل او الفوقية ينتهي حينئذ ويتخلص الكفرة من الذلة بل
على معنى ان المسلمين يعلونهم الى تلك الغاية فاما بعدها فيفعل الله تعالى بهم ما يريد ثم الي مرجعكم اي

رجوعكم للبعث وثم للتراخي وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتأكيد الوعد والوعيد والضمير لعيسى
عليه السلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فانه ابلغ
في التبشير والانذار فاحكم بينكم يومئذ اثر رجوعكم الي فيما كنتم فيه تختلفون من امور الدين وفيه متعلق
بتختلفون وتقديمه عليه لرعاية الفواصل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا تفسير للحكم الواقع بين
الفريقين وتفصيل الكيفية والبداية ببيان حال الكفرة لما ان مساق الكلام لتهديدهم وزجرهم عما هم عليه
من الكفر والعناد وقوله تعالى في الدنيا والآخرة متعلق باعذبهم لا بمعنى ايقاع كل واحد من التعذيب في الدنيا
والتعذيب في الآخرة واحداثهما يوم القيمة بل بمعنى اتمام مجموعهما يومئذ وقيل ان المراجع اعم من الدنيوي
والاخروي وقوله تعالى الى يوم القيمة غاية للفوقية لا للجعل والرجوع متراخ عن الجعل وهو غير محدود بل
عن الفوقية المحدودة على نهج قولك سأعيرك تسكن هذا البيت شهرا ثم اخلع عليك بخلعة لزمه تأخر
الخلع عن الاعادة لا عن الشهر وما لهم من ناصرين يخلصونهم من عذاب الله في الدارين وصيغة الجمع لمقابلة
ضمير الجمع وليس لواحد منهم ناصر واحد واما الذين آمنوا بما ارسلت به وعملوا الصالحات كما هو ديدن
المؤمنين فنوفيهم اجورهم اي نعطيهم اياها كاملة ولعل الالتفات الى الغيبة للايذان بما بين مصدري
التعذيب والاثابة من الاختلاف من حيث الجلال والجمال وقرئ فنوفيهم جريا على سنن العظمة والله لا
يحب الظالمين اي يبغضهم فان هذه الكناية ناشئة في جميع اللغات جارية مجرى الحقيقة وايراد الظلم
للاشعار بانهم بكفرهم متعدون متجاوزون عن الحدود وواضعون الكفر مكان الشكر والايمان والجملة
تذييل لما قبله تقرير لمضمونه ذلك اشارة الى ما سلف من نبأ عيسى عليه السلام وما فيه من معنى البعد
للدلالة على عظم شان المشار اليه وبعد منزلته في الشرف وعلى كونه في ظهور الامر ونباهة الشان بمنزلة
المشاهد المعاين وهو مبتدأ وقوله عز وعلا نتلوه خبره وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوه وقوله تعالى
من الآيات حال من الضمير المنصوب او خبر بعد خبر وهو الخبر وما بينهما حال من اسم الاشارة او ذلك خبر لمبتدا
مضمر اي الامر ذلك ونتلوه حال كما مر وصيغة الاستقبال اما لاستحضار الصورة او لان التلاوة
لم تتم بعد والذكر الحكيم اي المشتمل على الحكم او المحكم الممنوع من تطرق الخلل اليه والمراد به القرآن فمن
تبعيضية او بعض مخصوص منه فمن بيانية وقيل هو اللوح المحفوظ فمن ابتدائية ان مثل عيسى اي شانه
البديع المنتظم لغرابته في سلك الامثال عند الله اي في تقديره وحكمه كمثل آدم اي كحاله العجيبة التي لا
يرتاب فيها مرتاب ولا ينازع فيها منازع خلقه من تراب تفسير لما ابهم في المثل وتفصيل لما اجمل فيه
وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه بينهما وحسم لمادة شبه الخصوم فان انكار خلق عيسى عليه السلام
بلا اب ممن اعترف بخلق آدم عليه السلام بغير اب وام مما لا يكاد يصح والمعنى خلق قالبه من تراب ثم
قال له كن اي انشأه بشرا كما في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر او قدر تكوينه من التراب ثم كونه ويجوز كون ثم
للتراخي الاخباري لا للتراخي الخبري فيكون حكاية حال ماضية روي ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم مالك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته
القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رأيت انسانا من غير اب فحيث سلمت انه لا اب له من البشر
وجب ان يكون ابوه هو الله فقال عليه السلام ان آدم عليه السلام ما كان له اب ولا ام ولم يلزم
من ذلك كونه ابنا لله سبحانه وتعالى فكذا حال عيسى عليه السلام الحق من ربك خبر مبتدا محذوف
اي هو الحق اي ما قصصنا عليك من نبأ عيسى عليه السلام وامه والظرف اما حال اي كائنا من ربك
او خبر ثان اي كائنا منه تعالى وقيل هما مبتدأ وخبر اي الحق المذكور من الله تعالى والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتشريفه عليه السلام والايذان بان تنزيل هذه الآيات الحقة
الناطقة بكنه الامر تربية له صلى الله عليه وسلم ولطف به فلا تكن من الممترين في ذلك والخطاب
اما للنبي صلى الله عليه وسلم على طريقة الالهاب والتهييج لزيادة التثبيت والاشعار بان الامتراء
في المحذورية بحيث ينبغي ان ينهى عنه من لا يكاد يمكن صدوره عنه فكيف بمن هو بصدد الامتراء واما
لكل من له صلاحية الخطاب فمن حاجك اي من النصارى اذ هم المتصدون للمحاجة فيه اي في شان عيسى
وامه زعما منهم انه ليس على الشان المحكي من بعد ما جاءك من العلم اي ما يوجبه ايجابا قطعيا من الآيات
البينات وسمعوا ذلك فلم يرعووا عما هم عليه من الغي والضلال فقل لهم تعالوا اي هلموا بالرأي والعزيمة
ندع ابناءنا وابناءكم اكتفى بهم عن ذكر البنات لظهور كونهم اعز منهن واما النساء فتعلقهن من جهة
اخرى ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي ليدع كل منا ومنكم نفسه واعزة اهله والصقهم بقلبه
الى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس في باب المباهلة التي هي من باب المهالك ومظان التلف مع ان
الرجل يخاطر لهم بنفسه ويحارب دونهم للايذان بكمال امنه صلى الله عليه وسلم وتمام ثقته بامره وقوة

يقينه

يقينه بانه لن يصيبهم في ذلك شائبة مكروه اصلا وهو السر في تقديم جانبه عليه السلام على جانب
المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الاصل في الصيغة فان غير المتكلم تبع له في الاسناد ثم نبتهل
اي نتباهل بان نلعن الكاذب منا والبهلة بالضم والفتح اللعنة واصلها الترك من قولهم بهلت الناقة اي
تركتها بلا صرار فنجعل لعنة الله على الكاذبين عطف على نبتهل مبين لمعناه روي انه لما دعاهم الى المباهلة قالوا
حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم
يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش
كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل
وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة
تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم اجمعين وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران
يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا
ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على
دينك ونثبت على ديننا قال صلى الله عليه وسلم فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما
على المسلمين فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا
تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا
عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على اهل نجران
واهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى حتى يهلكوا ان هذا اي ما قص من نبأ عيسى
وامه لهو القصص الحق دون ما عداه من اكاذيب النصارى فهو ضمير الفصل دخلته اللام لكونه اقرب
الى المبتدا من الخبر واصلها ان تدخل المبتدا وقرئ لهو بسكون الهاء القصص خبر ان والحق صفته وهو
مبتدا والقصص خبره والجملة خبر لان وما من اله الا الله صرح فيه بمن الاستغراقية بالرد على النصارى
في تثليثهم وان الله لهو العزيز القادر على جميع المقدورات الحكيم المحيط بالمعلومات لا احد يشاركه في القدرة
والحكمة ليشاركه في الالوهية فان تولوا عن التوحيد وقبول الحق الذي قص عليك بعدما عاينوا تلك الحجج
النيرة والبراهين الساطعة فان الله عليم بالمفسدين اي بهم وانما وضع موضعه ما وضع للايذان
بان الاعراض عن التوحيد والحق الذي لا محيد عنه بعد ما قامت به الحجج افساد للعالم وفيه من شدة الوعيد
ما لا يخفى قل يا اهل الكتاب امر بخطاب اهل الكتابين وقيل بخطاب وفد اهل نجران وقيل بخطاب
يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم لا يختلف فيها الكتب والرسل وهي ان لا نعبد الا الله
اي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نشرك به شيئا ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة ولا
نراه اهلا لان يعبد ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله بان نقول عزير ابن الله والمسيح ابن الله
ولا نطيع الاحبار فيما احدثوا من التحريم والتحليل لان كلا منهم بشر مثلنا روي انه لما نزلت اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله قال عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله فقال عليه السلام
اما كانوا يحلون لكم ويحرمون فتأخذون بقولهم قال نعم قال عليه السلام هو ذلك فان تولوا عما دعوتهم
اليه من التوحيد وترك الاشراك فقولوا اي قل لهم انت والمؤمنون اشهدوا بانا مسلمون اي لزمتكم
الحجة فاعترفوا بانا مسلمون دونكم او اعترفوا بانكم كافرون لما نطقت به الكتب وتطابقت عليه الرسل
عليهم السلام تنبيه انظر الى ما روعي في هذه القصة من المبالغة في الارشاد وحسن التدرج في المحاجة
حيث بين اولا احوال عيسى عليه السلام وما توارد عليه من الاطوار المنافية للالهية ثم ذكر كيفية
دعوته للناس الى التوحيد والاسلام فلما ظهر عنادهم دعاهم الى المباهلة بنوع من الاعجاز ثم لما اعرضوا
عنها وانقادوا بعض الانقياد دعاهم الى ما اتفق عليه عيسى والانجيل وسائر الانبياء والكتب ثم لما ظهر عدم
اجدائه ايضا امر بان يقال لهم اشهدوا بانا مسلمون يا اهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تحاجون
في ابراهيم اي في ملته وشريعته تنازعت اليهود والنصارى في ابراهيم عليه السلام وزعم كل منهم انه
عليه السلام منهم وترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمعنى لم تدعون انه عليه السلام
كان منكم وما انزلت التورية على موسى عليه السلام والانجيل على عيسى عليه السلام الا من بعده حيث كان
بينه وبين موسى عليهما السلام الف سنة وبين موسى وعيسى عليهما السلام الفا سنة فكيف يمكن ان يتفوه
به عاقل افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون بطلان مذهبكم او تقولون ذلك فلا تعقلون بطلانه
ها انتم هؤلاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه ثم بينت بجملة مستانفة اشعارا بكمال
غفلتهم اي انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى حيث حاججتم فيما لكم به علم في الجملة حيث وجد نعته في التورية
والانجيل فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم اصلا اذ لا ذكر لدين ابراهيم في احد الكتابين قطعا وقيل هؤلاء

بمعنى الذي وحاججتم صلته وقيل ها انتم اصله أأنتم على الاستفهام وقيل هؤلاء بمعنى الذي وحاججتم
صلته وقيل ها انتم اصله الاستفهام قلبت الهمزة هاء والله يعلم ما حاججتم فيه او بكل شيء فيدخل فيه
ذلك دخولا اوليا وانتم لا تعلمون اي محل النزاع او شيئا من الاشياء التي من جملتها ذلك ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا تصريح بما نطق به البرهان المقرر ولكن كان حنيفا اي مائلا عن العقائد الزائغة كلها مسلما اي
منقادا لله تعالى وليس المراد انه كان على ملة الاسلام والا لاشترك الالزام وما كان من المشركين
تعريض بانهم مشركون بقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله ورد لادعاء المشركين انهم على ملته عليه السلام
ان اولى الناس بابراهيم اي اقربهم اليه واخصهم به للذين اتبعوه اي في زمانه وهذا النبي والذين امنوا
لموافقتهم في اكثر ما شرعه لهم على الاصالة وقرئ والنبي بالنصب عطفا على الضمير في اتبعوه وبالجر عطفا
على ابراهيم والله ولي المؤمنين ينصرهم ويجازيهم الحسنى بايمانهم وتخصيص المؤمنين بالذكر ليثبت
الحكم بدلالة النص ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم نزلت في اليهود حين دعوا حذيفة وعمارا
ومعاذا الى اليهودية ولو بمعنى ان وما يضلون الا انفسهم جملة حالية جيء بها للدلالة على كمال رسوخ
المخاطبين وثباتهم على ما هم عليه من الدين القويم وما يتخطاهم الاضلال ولا يعود وباله اليهم لما انه
يضاعف به عذابهم وقيل وما يضلون الا امثالهم ويأباه قوله وما يشعرون اي باختصاص وبالهم
وضرره بهم يا اهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله اي بما نطقت به التوراة والانجيل ودلت على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانتم تشهدون اي والحال انكم تشهدون انها آيات الله او بالقرآن وانتم
تشهدون نعته في الكتابين او تعلمون بالمعجزات انه حق يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل بتحريفكم
وابرازكم الباطل كما في قوله عليه السلام كلابس ثوبي زور وتكتمون الحق اي نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ونعته وانتم تعلمون اي حقيقته وقالت طائفة من اهل الكتاب وهم رؤساؤهم ومفسدوهم لاعقابهم
امنوا بالذي انزل على الذين امنوا اي اظهروا الايمان بالقرآن المنزل عليهم وجه النهار اي اوله واكفروا
اي اظهروا ما انتم عليه من الكفر به آخره موهمين لهم انكم امنتم به بادي الرأي من غير تامل ثم تاملتم
فيه فوقفتم على خلل رأيكم الاول فرجعتم عنه لعلهم اي المؤمنين يرجعون عما هم عليه من الايمان كما رجعتم
والمراد بالطائفة كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف قالا لاصحابهما لما حولت القبلة امنوا بما
انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم صلوا الى الصخرة آخره لعلهم يقولون هم
اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون وقيل اثنا عشر رجلا من احبار خيبر تقاولوا بان يدخلوا في الاسلام
اول النهار ويقولوا آخره نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا صلى الله عليه وسلم بالنعت
الذي ورد في التوراة لعل اصحابه يشكون فيه ولا تؤمنوا اي لا تقروا بتصديق قلبي الا لمن تبع دينكم اي
لاهل دينكم او لا تظهروا ايمانكم وجه النهار الا لمن كان على دينكم من قبل فان رجوعهم ارجى واهم قل ان الهدى
هدى الله يهدي به من يشاء الى الايمان ويثبته عليه ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم متعلق بمحذوف اي دبرتم
ذلك وقلتم لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اي ولا تؤمنوا اي ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم
الا لاشياعكم ولا تفشوه الى المسلمين لئلا يزيد ثباتهم ولا الى المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام وقوله
قل ان الهدى هدى الله اعتراض مفيد لكون كيدهم غير مجد لطائل او خبر ان على ان الهدى بدل من الهدى
وقرئ ان يؤتى على الاستفهام التقريعي وهو مؤيد للوجه الاول اي ألأن يؤتى احد الى آخره دبرتم وقرئ
على انها نافية فيكون من كلام الطائفة اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل
ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى على الوجهين الاولين وعلى الثالث معناه حتى يحاجوكم
عند ربكم فيدحضوا حجتكم والواو ضمير احد لانه في معنى الجمع اذ المراد به غير اتباعهم قل ان
الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم رد لهم وابطال لما زعموه بالحجة الباهرة يختص
برحمته من يشاء اي يجعل رحمته مقصورة على من يشاء والله ذو الفضل العظيم كلاهما تذييل لما قبله
مقرر لمضمونه ومن اهل الكتاب شروع في بيان خيانتهم في الدين والجار والمجرور في محل الرفع على الابتداء
حسبما مر تحقيقه في تفسير قوله ومن الناس من يقول الى آخره وخبره قوله تعالى من ان تأمنه بقنطار
يؤده اليك على ان المقصود بيان اتصافهم بمضمون الجملة الشرطية لا كونهم ذوات المذكورين كأنه
قيل بعض اهل الكتاب بحيث ان تأمنه بقنطار اي بمال كثير يؤده اليك كعبد الله بن سلام استودعه
قرشي الفا ومائتي اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك كفنحاص
بن عازوراء استودعه قرشي آخر دينارا فجحده وقيل المأمونون على الكثير النصارى اذ الغالب فيهم
الامانة والخائنون في القليل اليهود اذ الغالب فيهم الخيانة الا ما دمت عليه قائما استثناء مفرغ
من اعم الاحوال او الاوقات اي لا يؤده اليك في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات الا في حال

دوام قيامك او في وقت دوام قيامك على رأسه مبالغة في مطالبته بالتقاضي واقامة البينة ذلك
اشارة الى ترك الاداء المدلول عليه بقوله تعالى لا يؤده وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال غلوهم في الشر
والفساد بانهم اي بسبب انهم قالوا ليس علينا في الاميين اي في شأن من ليس من اهل الكتاب سبيل اي عتاب
ومؤاخذة ويقولون على الله الكذب بادعائهم ذلك وهم يعلمون انهم كاذبون مفترون على الله تعالى
وذلك لانهم استحلوا ظلم من خالفهم وقالوا لم يجعل في التوراة في حقهم حرمة وقيل عامل اليهود رجالا من
قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا سقط حقكم حيث تركتم دينكم وزعموا انه كذلك في كتابهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة
فانها مؤداة الى البر والفاجر بلى اثبات لما نفوه اي بلى عليهم فيهم سبيل وقوله تعالى بلى من اوفى بعهده
واتقى فان الله يحب المتقين استئناف مقرر للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير المجرور لمن او لله تعالى
وعموم المتقين ناب مناب الراجع من الجزاء الى من مشعر بان التقوى ملاك الامر وهو عام للوفاء وغيره من
اداء الواجبات والاجتناب من المناهي ان الذين يشترون اي يستبدلون ويأخذون بعهد الله اي بدل
ما عاهدوا عليه من الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم والوفاء بالامانات وايمانهم وبما حلفوا
وبما حلفوا به من قولهم لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا هو حطام الدنيا اولئك الموصوفون بتلك
الصفات القبيحة لا خلاق لا نصيب لهم في الآخرة من نعيمها ولا يكلمهم الله اي بما يسرهم او بشيء اصلا وانما
يقع ما يقع من السؤال والتوبيخ والتقريع في اثناء الحساب من الملائكة عليهم السلام او لا ينتفعون بكلمات
الله تعالى وآياته والظاهر انه كناية عن شدة غضبه وسخطه نعوذ بالله تعالى من ذلك لقوله تعالى
ولا ينظر اليهم يوم القيامة فانه مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم متفرع على الكناية في حق من يجوز
عليه النظر لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاد نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن
الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثمة نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجرد المعنى الاحسان مجازا عما وقع
كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر ويوم القيامة متعلق بالفعلين وفيه تهويل للوعيد ولا يزكيهم اي
لا يثني عليهم ولا يطهرهم من اوضار الاوزار ولهم عذاب اليم على ما فعلوه من المعاصي قيل انها نزلت في
ابي رافع بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذوا الرشوة على ذلك وقيل نزلت في الاشعث بن قيس حيث كان بينه وبين رجل نزاع في بئر فاختصما
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له شاهداك او يمينه فقال الاشعث اذن يحلف ولا يبالي
فقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان
وقيل في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اشتراها بما لم يكن اشتراها به وان منهم اي من
اليهود المحرفين لفريقا ككعب بن الاشرف ومالك بن الصيف واضرابهما يلوون ألسنتهم بالكتاب اي
يفتلونها بقراءته فيميلونها من المنزل الى المحرف او يعطفونها بشبه الكتاب وقرئ يلوون بالتشديد
ويلون بقلب الواو المضمومة همزة ثم تخفيفها بحذفها والقاء حركتها على ما قبلها من الساكن لتحسبوه
اي المحرف المدلول عليه بقوله تعالى يلوون الى آخره وقرئ بالياء والضمير للمسلمين من الكتاب اي من
جملته وقوله تعالى وما هو من الكتاب حال من الضمير المنصوب اي والحال انه ليس منه في نفس
الامر وفي اعتقادهم ايضا ويقولون مع ما ذكر من اللي والتحريف الخطي بالتصريح لا بالتورية والتعريض
هو اي المحرف من عند الله اي منزل من عند الله وما هو من عند الله حال من الضمير المبتدأ في الخبر اي
والحال انه ليس من عند الله تعالى في اعتقادهم ايضا وفيه من المبالغة في تشنيعهم وتقبيح امرهم وكمال
جراءتهم ما لا يخفى واظهار الاسم الجليل والكتاب في محل الاضمار لتهويل ما اقدموا عليه من القول
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون ومفترون على الله تعالى وهو تأكيد وتسجيل عليهم
بالكذب على الله تعالى والتعمد فيه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود الذين قدموا على كعب بن
الاشرف وغيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذت
قريظة ما كتبوا فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر بيان لافترائهم على الانبياء عليهم السلام
وابطال له اثر بيان افترائهم على الله سبحانه وتعالى وابطاله اي ما صح وما استقام لاحد وانما قيل
لبشر اشعارا بعلة الحكم فان البشرية منافية للامر الذي اسنده الكفرة اليه ان يؤتيه الله الكتاب الناطق
بالحق الآمر بالتوحيد الناهي عن الاشراك والحكم اي الفهم والعلم والحكمة وهي السنة والنبوة ثم يقول
ذلك البشر بعد ما شرفه الله عز وجل بما ذكر من التشريفات وعرفه الحق واطلعه على شؤونه العالية
للناس كونوا عبادا لي اتخاذ متعلق بمحذوف هو صفة عبادا اي عبادا كائنين لي من دون الله متعلق بلفظ
عباد لما فيه من معنى الفعل او صفة ثانية له ويحتمل الحالية لتخصيص النكرة بالوصف او متجاوزين

الله تعالى سواء كان ذلك بالاستقلال او بالتبعية فان التجاوز محقق فيهما حتما قيل ان ابا رافع القرظي والسيد
النجراني قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال عليه السلام معاذ الله
نعبد غير الله تعالى او ان نأمر بعبادة غيره تعالى فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل من
المسلمين يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال عليه السلام لا ينبغي ان يسجد
لاحد من دون الله تعالى ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله ولكن كونوا اى ولكن يقول لهم كونوا ربانيين
الرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل الشديد
التمسك بطاعة الله تعالى ودينه بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اى بسبب مثابرتكم على
تعليم الكتاب ومدارسته اى قراءته فان جعل خبر كان مضارعا للافادة الاستمرار التجددي وتكرير بما كنتم
تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون للايذان باستقلال كل من استمرار التعليم واستمرار القراءة بالفضل في
التحصيل الربانية وتقديم التعليم على الدراسة لزيادة شرفه عليها او لان الخطاب الاول لرؤسائهم
والثاني لمن دونهم وقرئ تعلمون بمعنى عالمين وتدرسون من التدريس وتدرسون من الادراس بمعنى
التدريس كاكرم بمعنى كرم ويجوز كون القراءة المشهورة ايضا بهذا المعنى على تقدير بما تدرسونه على
الناس ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا بالنصب عطف على ثم يقول ولا مزيدة لتأكيد
معنى النفي في قوله تعالى ما كان لبشر ان يستنبئه الله تعالى ثم يأمر الناس بعبادة نفسه ثم او يأمر
باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا وتوسيط الاستدراك بين المعطوفين للمسارعة الى تحقيق الحق ببيان
ما يليق بشأنه ويحق صدوره عنه واما ما قيل من انها مزيدة على معنى انه ليس له ان يأمر بعبادته
ولا يأمر باتخاذ الغاية وتوسيط اربابا بل نهى عنه وهو ادنى ما يليق بشأنه من العبادة فيفضي بفساده
ما ذكر من توسيط الاستدراك بين الجملتين المتعاطفتين ضرورة اندراجهما في حكم جملة واحدة وكذا قوله تعالى
ايأمركم بالكفر فانه صريح في ان المراد بيان انتفاء الامرين قصدا لا بيان انتفاء الاول لانتفاء الثاني
ويعضده قراءة الرفع على الاستيناف ويجوز الحالية بتقدير المبتدأ اى وهو لا يأمركم الى اخره بين النساد
لما عرفته انفا وقوله تعالى بعد اذ انتم مسلمون يدل على ان الخطاب للمسلمين وهم المستأذنون للسجود له
عليه السلام واذ اخذ الله ميثاق النبيين منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم اى
اذكر وقت اخذه تعالى ميثاقهم لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن
به ولتنصرنه قيل هو على ظاهره واذا كان هذا حكم الانبياء كان الامم به اولى واحرى وقيل معناه اخذ
الميثاق من النبيين واممهم واستغنى بذكرهم عن ذكرهم وقيل المراد اولاد النبيين على حذف المضاف وهم بنوا
اسرائيل او سماهم النبيين تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد صلى الله عليه وسلم
لانا اهل الكتاب والنبيون كانوا منا واللام في لما موطئة للقسم لان اخذ الكتاب بمعنى الاستحلاف
وما تحتمل الشرطية ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط وتحتمل الخبرية وقرئ لما بالكسر على ان
ما مصدرية اى لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب ثم لمجئ رسول مصدق اخذ الله الميثاق لتؤمنن به
ولتنصرنه او موصولة والمعنى اخذه للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرئ لما بمعنى حين
اتيتكم او لمن اجل ما اتيتكم على ان اصله لمن ما بالادغام فحذف احدى الميمات الثلث استثقالا
قال اى الله تعالى بعد ما اخذ الميثاق ءاقررتم بما ذكر واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى سمي به لانه
يؤصر اى يشد وقرئ بضم الهمزة وهي اما لغة فيه كعبر وعبر او جمع اصار وهو ما يشد
قالوا اقررنا استيناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل قالوا اقررنا وانما لم يذكر اخذهم
الاصر اكتفاء بذلك قال فاشهدوا اى فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وقيل الخطاب فيه للملائكة
وانا معكم من الشاهدين اى وانا ايضا على اقراركم ذلك وتشاهدكم شاهد وادخال مع على المخاطبين
لما انهم المباشرون للشهادة حقيقة وفيه من التأكيد والتحذير ما لا يخفى فمن تولى اى اعرض عما ذكر
بعد ذلك الميثاق والتوكيد بالاقرار والشهادة فمعنى البعد في معنى الاشارة للتفخيم الميثاق
فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار المعنى كما ان الافراد في تولى باعتبار اللفظ وما فيه من معنى
البعد للدلالة على ترامي امرهم في السوء وبعد منزلتهم في الشر والفساد اى فاولئك المتولون
المتصفون بالصفات القبيحة هم الفاسقون المتمردون الخارجون عن الطاعة من الكفرة فان
الفاسق من كل طائفة من كان متجاوزا عن الحد افغير دين الله يبغون عطف على مقدر اى اتتولون
فيبغون غير دين الله وتقديم المفعول لانه المقصود بالانكار او على الجملة المتقدمة والهمزة متوسطة
بينهما للانكار وقرئ بالخطاب على تقدير وقل لهم وله اسلم من في السموات والارض جملة حالية مفيدة
لزيادة الانكار طوعا وكرها اى طائعين بالنظر واتباع الحجة وكارهين بالسيف ومعاينة ما يلجئ الى

الاسلام كنتق الجبل وادراك الغرق والاشراف على الموت او مختارين كالملائكة والمؤمنين ومسخرين
كالكفرة فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضى الله عليهم واليه يرجعون اى فيهما والجمع باعتبار المعنى
وقرئ بتاء الخطاب والجملة اما معطوفة على ما قبلها منصوبة على الحالية او مستأنفة سيقت للتهديد
والوعيد قل امنا بالله امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه ومن معه من المؤمنين بالايمان
بما ذكر وجمع الضمير في قوله تعالى وما انزل علينا وهو القرآن لما انه منزل عليهم ايضا بتوسط تبليغه
اليهم او لان المنسوب الى واحد من الجماعة قد ينسب الى الكل او عن نفسه فقط والانسب لما بعده
والجمع لاظهار جلالة قدره عليه السلام ورفعة محله بامره بان يتكلم عن نفسه على ديدن الملوك
ويجوز ان يكون الامر عاما والافراد لتشريفه صلى الله عليه وسلم والايذان بانه عليه السلام اصل
في ذلك كما في قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وما انزل على ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط من الصحف والنزول كما يعدى بالى لانتهائه الى الرسول يعدى بعلى لانه من فوق ومن رام الفرق
بان على لكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والى لكون الخطاب للمؤمنين فقط تعسف الا يرى الى قوله
تعالى بما انزل اليك الى اخره وقوله امنوا بالذي انزل على الذين امنوا الى اخره وانما قدم المنزل على
الرسول صلى الله عليه وسلم على ما انزل على سائر الرسول عليهم السلام مع تقدمه عليه نزولا لانه
المعرف له والعيار عليه والاسباط جمع سبط وهو الحافد والمراد بهم حفدة يعقوب عليه السلام وابناؤه
الاثنا عشر وذراريهم فانهم حفدة ابراهيم عليه السلام وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل
وسائر المعجزات الظاهرة بايديهما كما ينبئ عنه ايثار الايتاء على الانزال الخاص بالكتاب وتخصيصهما بالذكر
لما ان الكلام مع اليهود والنصارى والنبيون عطف على موسى وعيسى عليهما السلام اى وبما اوتي
النبيون من المذكورين وغيرهم من ربهم من الكتب والمعجزات لا نفرق بين احد منهم كدأب اليهود والنصارى
امنوا ببعض وكفروا ببعض بل نؤمن بصحة نبوة كل منهم وبحقية ما انزل اليهم في زمانهم وعدم التعرض
لنفي التفريق بين الكتب لاستلزام المذكور اياه وقد مر تفصيله في تفسير قوله تعالى لا نفرق بين احد من
رسله وهمزة احد اما اصلية فهو اسم موضوع لمن يصلح ان يخاطب يستوي فيه المفرد والمثنى والجمع
والمذكر والمؤنث ولذلك صح دخول بين عليه كما في مثل المال بين الناس واما مبدلة من الواو فهو بمعنى
واحد وعمومه لوقوعه في حيز النفي وصحة دخول بين عليه باعتبار معطوف قد حذف لظهوره اى بين احد
منهم وغيره كما في قول النابغة ● فما كان بين الخير اذ جاء سالما ● ابو حجر الا ليال قلائل ●● اى بين الخير
وبيني ونحن له مسلمون اى منقادون ومخلصون له تعالى انفسنا لا نجعل له شريكا فيها وفيه تعريض بايمان
اهل الكتاب فانه بمعزل من ذلك ومن يبتغ غير الاسلام اى غير التوحيد والانقياد لحكم الله تعالى كمن
المشركين صريحا والمدعين للتوحيد مع اشراكهم كاهل الكتابين دينا ينتحل اليه وهو نصب على انه
مفعول ودينا تمييز لما فيه من الابهام او بدل من غير الاسلام فلن يقبل ذلك منه ابدا بل يرد اشد رد
واقبحه وقوله تعالى وهو في الاخرة من الخاسرين اما حال من الضمير المجرور او [illegible] او مستأنف لا محل له من
الاعراب اى من الواقعين في الخسران والمعنى ان المعرض عن الاسلام والطالب لغيره [illegible] وقع في
الخسران بابطال الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وفي ترتيب الرد والخسران على مجرد الطلب
دلالة على ان حال من تدين بغير دين الاسلام واطمأن بذلك افظع واقبح استدل به على ان الايمان هو
الاسلام اذ لو كان غيره لم يقبل والجواب انه ينفي قبول كل دين يغايره كيف يهدي الله قوما كفروا
بعد ايمانهم قيل هم عشرة رهط ارتدوا بعد ما امنوا ولحقوا بمكة وقيل هم يهود قريظة والنضير ومن
دان بدينهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به قبل مبعثه وشهدوا ان الرسول
حق وجاءهم البينات استبعاد لان يهديهم الله تعالى فان الحائد عن الحق بعد ما وضح له منهمك في الضلال
بعيد عن الرشاد وقيل نفي وانكار لذلك وذلك يقتضي ان لا تقبل توبة المرتد وقوله تعالى وشهدوا عطف
على ايمانهم باعتبار انحلاله الى الجملة الفعلية كما في قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله
الى اخره او حال من ضمير كفروا [illegible] قد وهو دليل على ان الاقرار
باللسان خارج عن حقيقة الايمان والله لا يهدي القوم الظالمين اى الذين ظلموا انفسهم بالاخلال
بالنظر ووضع الكفر موضع الايمان فكيف من جاءه الحق وعرفه ثم اعرض عنه والجملة اعتراضية او حالية
اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما مر من الصفات الشنيعة وما فيه من معنى البعد لما
مر مرارا وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم مبتدأ ثان وقوله تعالى ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين خبره والجملة خبر لاولئك وهذا يدل بمنطوقه على جواز لعنهم وبمفهومه ينفي جواز لعن غيرهم
ولعل الفرق بينهم وبين غيرهم انهم مطبوع على قلوبهم ممنوعون من الهدى ايسون عن الرحمة راسا بخلاف

غيرهم والمراد بالناس المؤمنون او الكل فان الكافر ايضا يلعن منكر الحق والمرتد عنه ولكن لا يعرف الحق
بعينه خالدين فيها في اللعنة او العقوبة او النار وان لم تذكر لدلالة الكلام عليها ولا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون اي يمهلون الا الذين تابوا من بعد ذلك اي من بعد الارتداد واصلحوا اي ما افسدوا او دخلوا
في الصلاح فان الله غفور رحيم فيقبل توبتهم ويتفضل عليهم وهو تعليل لما دل عليه الاستثناء قيل نزلت
في الحارث بن سويد حين ندم على ردته فارسل الى قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه جلاس
الاية فرجع الى المدينة فتاب ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا كاليهود كفروا بعيسى والانجيل
بعد الايمان بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا حيث كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن او كفروا به
عليه السلام بعد ما امنوا به قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا بالاصرار عليه والطعن فيه والصد عن
الايمان ونقض الميثاق او كقوم ارتدوا ولحقوا بمكة ثم ازدادوا كفرا بقولهم نتربص بهم ريب المنون او نرجع
اليه فننافقه باظهار الايمان لن تقبل توبتهم لانهم لا يتوبون الا عند اشرافهم على الهلاك فكنى عن
عدم توبتهم بعدم قبولها تغليظا في شانهم وابرازا لحالهم في صورة حال الايسين من الرحمة او لان توبتهم
لا تكون الا نفاقا لارتدادهم وازديادهم كفرا ولذلك لم تدخل فيه الفاء واولئك هم الضالون
الثابتون على الضلال ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به
لما كان الموت على الكفر سببا لامتناع قبول الفدية دخلت الفاء ههنا للاشعار به وملء الشيء ما يملؤه
وذهبا تمييز وقرئ بالرفع على انه بدل من ملء او خبر لمحذوف ولو افتدى محمول على المعنى كانه قيل
فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا لو تصدق به في الدنيا ولو افتدى به من العذاب في الاخرة او المراد
ولو افتدى بمثله كقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف ويراد
كثيرا لان المثلين في حكم شيء واحد اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات الشنيعة
المذكورة لهم عذاب اليم مؤلم اسم الاشارة مبتدا والظرف خبره ولاعتماده على المبتدا ارتفع به عذاب
اليم على الفاعلية وما لهم من ناصرين في دفع العذاب عنهم او في تخفيفه ومن مزيدة للاستغراق وصيغة
الجمع لمراعاة الضمير اي ليس لواحد منهم ناصر واحد لن تنالوا البر من نال نيلا اذا اصابه والخطاب
للمؤمنين وهو كلام مستانف سيق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم اثر بيان ما لا ينفع الكفرة ولا
يقبل منهم اي لن تبلغوا حقيقة البر الذي يتنافس فيه المتنافسون ولن تدركوا شاوه ولن تلحقوا
بزمرة الابرار او لن تنالوا بر الله تعالى وهو ثوابه ورحمته ورضاه وجنته حتى تنفقوا اي في سبيل
الله عز وجل رغبة عنده مما تحبون تبعيضية ويؤيده قراءة من قرا بعض ما تحبون
وقيل بيانية وما موصولة او موصوفة اي مما تحبون ويعجبكم من كرائم اموالكم واحبها اليكم كما في قوله تعالى
انفقوا من طيبات ما كسبتم اي مما يعمها وغيرها من الاعمال وغيرها والمهجة على ان المراد بالانفاق مطلق
البذل وفيه من الايذان بعزة منال البر ما لا يخفى وكان السلف رضي الله تعالى عنهم اجمعين اذا احبوا شيئا
جعلوه لله عز وجل وروي انها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحاء
فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او رايح فاني
ارى ان تجعلها في الاقربين فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله
فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان الله تعالى قبلها منك قيل وفيه دلالة على ان انفاق
احب الاموال على اقرب الاقارب افضل وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان
يشتري له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن
تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها وروي ان عمر بن عبد العزيز كانت لزوجته جارية بارعة
الجمال وكان عمر راغبا فيها وكان قد طلبها منها مرارا فلم تعطها اياه ثم لما ولي الخلافة زينتها وارسلتها
اليه فقالت قد وهبتكها يا امير المؤمنين فلتخدمك قال من اين ملكتها قالت جئت بها من بيت
ابي عبد الملك ففتش عن كيفية تملكه اياها فقيل انه كان على فلان العامل ديون فلما توفي اخذت
من تركته ففتش عن حال العامل فاحضر ورثته وارضاهم جميعا باعطاء المال ثم توجه الى الجارية وكان
يهواها هوى شديدا فقال انت حرة لوجه الله تعالى فقالت لم يا امير المؤمنين وقد ازحت عن
امرها كل شبهة قال لست اذن ممن نهى النفس عن الهوى وما تنفقوا من شيء ما شرطية جازمة لتنفقوا
منتصبة على المفعولية ومن تبعيضية متعلقة بمحذوف هو صفة لاسم الشرط اي اي شيء تنفقوا كائنا
من الاشياء فان المفرد في مثل هذا الموضع واقع موقع الجمع وقيل محل الجار والمجرور النصب على التمييز
اي اي شيء تنفقوا طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم تعليل لجواب الشرط واقع
موقعه اي فيجازيكم بحسبه جيدا كان او رديا فانه تعالى عليم بكل شيء تنفقونه علما كاملا بحيث لا يخفى

عليه

عليه شيء من ذاته وصفاته وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل وفيه من الترغيب في انفاق
الجيد والتحذير عن انفاق الرديء ما لا يخفى كل الطعام اي كل افراد المطعوم او كل انواعه كان حلا لبني اسرائيل
اي حلالا لهم فان الحل مصدر نعت به ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كما في قوله تعالى
لا هن حل لهم الا ما حرم اسرائيل على نفسه استثناء متصل من اسم كان اي كان كل المطعومات حلالا لبني اسرائيل
الا ما حرم اسرائيل يعقوب عليه السلام على نفسه وهو لحوم الابل والبانها قيل كان به وجع النسا فنذر لئن
شفي لا ياكل احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه وقيل فعل ذلك للتداوي باشارة الاطباء واحتج
به من جوز للنبي الاجتهاد وللمانع ان يقول كان ذلك باذن من الله تعالى وهو كتحريمه ابتداء من قبل ان تنزل
التوراة متعلق بقوله تعالى كان حلا ولا ضير في توسيط الاستثناء بينهما وقيل متعلق بحرم وفيه ان تقييد
تحريمه عليه السلام بقبلية تنزيل التوراة ليس فيه مزيد فائدة اي كان ما عدا المستثنى حلالا لهم قبل
ان تنزل التوراة مشتملة على تحريم ما حرم عليهم بظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا وهو رد لليهود في
دعواهم البراءة مما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله تعالى
وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الايتين بان قالوا لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على
نوح وابراهيم ومن بعده حتى انتهى والطعن في دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم موافقته لابراهيم
عليه السلام بتحليله لحوم الابل والبانها قل فاتوا بالتوراة فاتلوها امر عليه السلام بان يحاجهم
بكتابهم الناطق بان تحريم ما حرم عليهم حادث مترتب على ظلمهم وبغيهم كلما ارتكبوا معصية من المعاصي
التي اقترفوها حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم ويكلفهم اخراجه وتلاوته ليبكتهم ويلقمهم الحجر ويظهر
كذبهم واظهار اسم التوراة لكون الجملة كلاما مع اليهود منقطعا عما قبله وقوله تعالى ان كنتم صادقين
اي في دعواكم انه تحريم قديم وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فاتوا
بالتوراة فاتلوها فان صدقكم بما يدعوكم الى ذلك البتة روي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة
فبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك من الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وجواز النسخ
الذي يجحدونه ما لا يخفى والجملة مستانفة ومقررة لما قبلها فمن افترى على الله الكذب اي اختلقه
عليه سبحانه بزعمه انه حرم ما ذكر قبل نزول التوراة على بني اسرائيل ومن تقدمهم من الامم من بعد
ذلك من بعد ما ذكر من امرهم باحضار التوراة وتلاوتها وما ترتب عليه من التبكيت والالزام
والتقييد به للدلالة على كمال القبح فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة
والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الصلة باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
في الضلال والطغيان اي فاولئك هم المصرون على الافتراء بعد ما ظهرت حقيقة الحال وضاقت عليهم
حلقة المحاجة والجدال هم الظالمون المفرطون في الظلم والعدوان المتعدون فيهما والجملة مستانفة
لا محل لها من الاعراب مسوقة من جهته تعالى لبيان كمال عتوهم وقيل هي في محل النصب داخلة تحت
القول عطفا على قوله تعالى فاتوا بالتوراة قل صدق الله اي ظهر وثبت صدقه تعالى فيما انزل
في شان التحريم وقيل في قوله تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الى اخره او صدق في كل شان من
الشؤون وهو داخل في ذلك دخولا اوليا وفيه تعريض بكذبهم الصريح فاتبعوا ملة ابراهيم اي ملة
الاسلام التي هي في الاصل ملة ابراهيم عليه السلام فانكم ان كنتم متبعين لملته كما تزعمون او
فاتبعوا مثل ملته حتى تتخلصوا عن اليهودية التي اضطرتكم الى التحريف والمكابرة وتلفيق الاكاذيب
لتسوية الاغراض الدنية والزمتكم تحريم طيبات محللة لابراهيم عليه السلام ومن تبعه وفي الفاء الدلالة
على ان ظهور صدقه تعالى موجب للاتباع وترك ما كانوا عليه حنيفا اي مائلا عن الاديان الزائغة كلها
وما كان من المشركين اي في امر من امور دينهم اصلا وفرعا وفيه تعريض باشراك اليهود وتصريح بانه
عليه السلام ليس بينه وبينهم علاقة دينية قطعا والغرض بيان ان النبي صلى الله عليه وسلم على دين
ابراهيم عليه السلام في الاصول لانه لا يدعو الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سواه سبحانه وتعالى
والجملة تذييل لما قبلها ان اول بيت وضع للناس شروع في بيان كفرهم ببعض اخر من شعائر ملته عليه
السلام اثر بيان كفرهم بكون كل المطعومات حلالا له عليه السلام روي انهم قالوا بيت المقدس اعظم
من الكعبة لانه مهاجر الانبياء وفي الارض المقدسة وقال المسلمون بل الكعبة فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزلت ان اول بيت وضع للعبادة وجعل متعبدا لهم والواضع هو الله تعالى
ويؤيده القراءة على البناء للفاعل وقوله تعالى للذي ببكة خبر لان وانما اخبر بالمعرفة مع كون اسمها نكرة
لتخصيصها بما بعده من الاضافة والوصف بالجملة بعدها اي للبيت الذي ببكة اي فيها وفي ترك الموصوف
من التفخيم ما لا يخفى وبكة لغة في مكة فان العرب تعاقب بين الباء والميم كما في قولهم ضربة لازب ولازم

والنميط والنبيط في اسم موضع بالدهنا وقولهم امر راتب وداغ وتب دراسه وسمود واعبطت
الحمى واغمطت وهي علم للبلد الحرام من بكة اذا زحمه لازدحام الجبابرة اي ندقهم لم يقصدها جبار الا قصمه
الله عز وجل وقيل بكة اسم البطن مكة وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد نفسه ومكة اسم للبلد كله
ويايد هذا بان التباك وهو الازدحام انما يقع عند الطواف وقيل لموضع البيت وقيل للمسجد والمطاف
والمطاف وبكة اسم البلد لقوله تعالى للذي ببكة روي انه عليه السلام سئل عن اول بيت وضع للناس
فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما فقال اربعون سنة وقيل اول من بناه ابراهيم عليه
السلام وقد استوفينا ما فيه من الاقاويل في سورة البقرة وقيل اول بيت بالشرف لا بالزمان مباركا
كثير الخير والنفع لما يحصل لمن حجه واعتمره واعتكف دونه وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وهو
حال من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه ما قدر في الظرف من فعل الاستقرار
وهدى للعالمين لانه قبلتهم ومتعبدهم ولان فيه ايات عجيبة دالة على عظيم قدرته تعالى وبالغ حكمته
كما قال فيه ايات بينات واضحة كانحراف الطيور عن موازاة البيت على مدى الاعصار ومخالطة ضواري
السباع الصيود في الحرم من غير تعرض لها وقهر الله تعالى لكل جبار قصده بسوء كاصحاب الفيل والجملة مفسرة
للهدى او حال اخرى مقام ابراهيم اي اثر قدميه عليه السلام في الصخرة التي كان عليه السلام يقوم
عليها وقت رفع الحجارة لبناء الكعبة عند ارتفاعه او عند غسل راسه على ما روي انه عليه السلام
جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل عليهما السلام انزل حتى تغسل راسك فلم ينزل
فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه
الايسر حتى غسلت الشق الاخر فبقي اثر قدميه عليه وارتفاعه اما مبتدأ خبره محذوف اي منها مقام
ابراهيم او بدل من ايات بدل البعض من الكل او عطف بيان اما وحده باعتبار كونه بمنزلة ايات كثيرة
لظهور شانه وقوة دلالته على قدرة الله تعالى وعلى نبوة ابراهيم عليه السلام لقوله تعالى ان ابراهيم
كان امة قانتا او باعتبار اشتماله على ايات كثيرة فان كل واحد من اثر قدميه في صخرة صماء وغوصه
فيها الى الكعبين ولانه بعض الصخر دون بعض وابقائه دون سائر ايات الانبياء وحفظه مع كثرة الاعداء الوف سنة اية
مستقلة ويؤيده القراءة على التوحيد واما بما يفهم من قوله عز وجل ومن دخله كان امنا فانه وان كان
جملة مستانفة ابتدائية وشرطية لكنها في قوة ان يقال وامن من دخله فتكون بحسب المعنى والمآل معطوفة
على مقام ابراهيم ولا يخفى ان الاثنين نوع من الجمع فيكتفى بذلك او يحمل على انه من تلك الايات اثنتان
وطوى ذكر ما عداهما دلالة على كثرتها ومعنى امن داخله امنه من التعرض له كما في قوله تعالى اولم يروا
انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا بلدا
امنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب
ما مسسته حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته
حتى يخرج منه ولذلك قال ابو حنيفة رضي الله عنه من لزمه القتل بقتال او ردة او زنا فالتجأ الى الحرم
لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل امنه من النار وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة امنا وعنه عليه السلام الحجون
والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله
عنه وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من
هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع
كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة
ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مائتي عام ولله على الناس حج البيت جملة من مبتدأ هو حج البيت
وخبر هو لله وقوله تعالى على الناس متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او بمحذوف هو حال من الضمير
المستكن في الجار والعامل فيه ذلك الاستقرار ويجوز ان يكون على الناس هو الخبر ولله متعلق بما
تعلق به الخبر ولا سبيل الى ان يتعلق بمحذوف هو حال من الضمير المستكن في الناس لاستلزامه تقديم
الحال على العامل المعنوي وذلك مما لا مساغ له عند الجمهور وقد جوزه ابن مالك اذا كانت هي ظرفا
او حرف جر وعاملها كذلك بخلاف المجرور حرفا الجر فانهما تتقدمان على عاملهما المعنوي واللام في البيت
للعهد وحجه قصده للزيارة على الوجه المخصوص المعهود وكسر الحاء لغة نجد وقيل هو اسم المصدر
وقرئ بفتحها من استطاع اليه سبيلا في محل الجر على انه بدل من الناس بدل البعض مخصص لعمومه
فالضمير العائد الى المبدل منه محذوف اي من استطاع منهم وقيل بدل الكل على ان المراد بالناس
هو البعض المستطيع فلا حاجة الى الضمير وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هم من استطاع

الى

الى اخره وقيل في محل النصب بتقدير اعني وقيل كلمة من شرطية والجزاء محذوف لدلالة المذكور عليه وكذا
العائد الى الناس اي من استطاع منهم اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقد رجح هذا بان يكون
ما بعده شرطية والضمير المجرور في اليه راجع الى البيت او الى الحج او السبيل وهو متعلق بالسبيل قدم عليه اهتماما
بشأنه كما في قوله عز وجل فهل الى خروج من سبيل وهل الى مرد من سبيل لما فيه من معنى الافضاء والايصال
كيف لا وهو عبارة عن الوسيلة من مال او غيره فانه قد روى انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه قال السبيل الزاد والراحلة وروى ابن عمر رضي الله عنهما ان رجلا قال يا رسول الله ما السبيل
قال الزاد والراحلة وهو المراد بما روي انه عليه السلام فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وهكذا
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وابن عمر رضي الله تعالى عنهم وعليه اكثر العلماء خلا ان الشافعي رضي الله
عنه انه اخذ بظاهره فاوجب الاستنابة على الزمن القادر على الاجرة من ينوب عنه والظاهر ان عدم
تعرضه عليه الصلاة والسلام لصحة البدن لظهور الامر كيف لا والمفسر في الحقيقة هو السبيل الموصل
لنفس المستطيع الى البيت وذا لا يتصور بدون الصحة وعن الزبير انه على قدر القوة ومذهب مالك
ان الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على
السفر وقد يقدر عليه من لا زاد له ولا راحلة وعن الضحاك انه اذا قدر ان يوجر نفسه فهو مستطيع
ومن كفر وضع من كفر موضع من لم يحج تاكيدا لوجوبه وتشديدا على تاركه ولذلك قال عليه السلام
من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه عليه
الصلوة والسلام قال في خطبته ايها الناس ان الله فرض الحج على من استطاع اليه سبيلا ومن لم يفعل فليمت
على اي حال شاء يهوديا او نصرانيا او مجوسيا فان الله غني عن العالمين وعن عبادتهم وحيث كان من كفر من
جملتهم داخلا فيها دخولا اوليا اكتفى بذلك عن الضمير الرابط بين الشرط والجزاء ولقد حازت الاية الكريمة
من فنون الاعتبارات المعربة عن كمال الاعتناء بامر الحج والتشديد على تاركه مما لا مزيد عليه حيث اوثرت
صيغة الخبر الدالة على التحقق وابرزت في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستمرار على وجه يفيد
انه حق واجب لله سبحانه وتعالى في ذمم الناس لا انفكاك لهم عن ادائه والخروج عن عهدته وسلك مسلك
التعميم ثم التخصيص والابهام ثم التبيين وكرره وجعل جزاؤه استغناؤه تعالى المؤذن بشدة المقت وعظم
السخط لا عن تاركه فقط فانه قد ضرب عنه صفحا اسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل
عن جميع العالمين ممن فعل وترك البدل على نهاية شدة الغضب قال وقال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن
وعطاء ومن كفر اي جحد فرض الحج وزعم انه ليس بواجب وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا
الحج الى مكة غير واجب وروي انه لما نزل قوله تعالى ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون
وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع الى السماء في الثالثة وروي حجوا قبل ان يمنع البر
جانبه وعن ابن مسعود رضي الله عنه حجوا هذا البيت قبل ان ينبت في البادية شجرة لا تاكل منها دابة
الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما ما نوظروا قل يا اهل الكتاب هم اليهود والنصارى
وانما خوطبوا بعنوان اهلية الكتاب الموجبة للايمان به وبما يصدقه من القران العظيم مبالغة في
تقبيح حالهم في كفرهم بها قوله عز وجل لم تكفرون بايات الله توبيخ وانكار لان يكون لكفرهم سبب من
الاسباب وتحقيق لما يوجب الاجتناب عنه بالكلية والمراد باياته تعالى ما يعم الايات القرانية التي من
جملتها ما تلي في شان الحج وغيره وما في التوراة والانجيل من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
والله شهيد على ما تعملون حال من فاعل تكفرون مفيدة لتشديد التوبيخ والتاكيد الانكار واظهار
الجلالة في موقع الاضمار لتربية المهابة وتهويل الخطب وصيغة المبالغة في شهيد للتشديد في الوعيد
وكلمة ما اما عبارة عن كفرهم او هي على عمومها وهو داخل فيها دخولا اوليا والمعنى لاي سبب تكفرون
باياته عز وجل والحال انه تعالى مبالغ في الاطلاع على جميع اعمالكم وفي مجازاتكم عليها ولا ريب في ان ذلك
يسد جميع انحاء ما تاتونه ويقطع اسبابه بالكلية قل يا اهل الكتاب امر بتوبيخهم اثر توبيخ وترك عطفه على الامر
السابق للايذان باستقلالهما كما ان ترك عطف قوله تعالى لم تصدون على قوله تعالى لم تكفرون للاشعار بان كل واحد من
كفرهم وصدهم شناعة على حيالها مستقلة في استتباع اللائمة والتقريع وتكرير الخطاب بعنوان اهلية الكتاب
لتاكيد الاستقلال وتشديد التشنيع فان ذلك العنوان كما يستدعي الايمان بما هو مصدق لما معهم يستدعي
ترغيب الناس فيه فصدهم عنه في اقصى مراتب القباحة ولكون صدهم في بعض الصور بتحريف
الكتاب والكفر بالايات الدالة على نبوته عليه السلام وقرئ تصدون من اصده عن سبيل الله اي دينه

والاضلال اثر توبيخهم بالضلال والتكرير للمبالغة في حمله
عليه السلام على تقريعهم وتوبيخهم صح

الحق الموصل الى السعادة الابدية وهو التوحيد وملة الاسلام عوجا من مفعول لتصدون قدم عليه الجار
والمجرور للاهتمام كانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم
ويقولون ان صفته عليه السلام ليست في كتابهم ولا تقدمت البشارة به عندهم وقيل اتت اليهود الاوس
والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العدوان والحروب ليعودوا الى ما كانوا فيه تبغونها على
اسقاط الجار وايصال الفعل الى الضمير كما في قوله ◦ فتولى غلامهم ثم نادى ◦ اظليما اصيدكم امحمارا ◦◦
بمعنى اصيد لكم اى تطلبون لسبيل الله تعالى التي هي اقوم السبل عوجا اعوجاجا بان تلبسوا على الناس وتوهموا
ان فيه ميلا عن الحق بنفي النسخ وتغيير صفة الرسول صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والجملة
حال من فاعل تصدون وقيل من سبيل الله وانتم شهداء حال من فاعل تصدون باعتبار تقييده بالحال
الاولى او من فاعل تبغونها اى والحال انكم تشهدون بانها سبيل الله لا يحوم حولها شائبة اعوجاج وان
الصد عنها اضلال قال ابن عباس رضي الله عنه شهداء ان في التوراة ان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام
او وانتم عدول فيما بينكم يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في القضايا وعظائم الامور وما الله بغافل
عما تعملون اعتراض تذييلي فيه تهديد ووعيد شديد قيل لما كان صدهم للمؤمنين بطريق الخفية ختمت
الاية الكريمة بما يحسم مادة حيلتهم من احاطة علمه تعالى باعمالهم كما ان كفرهم بايات الله تعالى لما
كان بطريق العلانية ختمت الاية السابقة بشهادته تعالى على ما تعملون يا ايها الذين امنوا ان
تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين تلوين الخطاب وتوجيه له الى المؤمنين
تحذيرا لهم عن طاعة اهل الكتاب والافتتان بفتنتهم اثر توبيخهم بالاغواء والاضلال ردعا لهم عن ذلك
وتعليق الرد بطاعة فريق منهم للمبالغة في التحذير عن طاعتهم وايجاب الاجتناب عن مصاحبتهم
بالكلية فانه في قوة ان يقال لا تطيعوا فريقا الى اخره كما ان تعميم التوبيخ فيما قبله للمبالغة في الزجر
او للمحافظة على سبب النزول فانه روى ان نفرا من الاوس والخزرج كانوا جلوسا يتحدثون فمر بهم
شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الحسد للمسلمين فغاظه ما راى منهم من تالف القلوب
واتحاد الكلمة واجتماع الراى بعد ما كان منهم ما كان من العداوة والشحناء فامر شابا يهوديا كان
معه بان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث فكان ذلك يوما عظيما اقتتل فيه الحيان وكان الظفر فيه
للاوس وينشدهم ما قيل فيه من الاشعار ففعل فتنازع القوم وتغاضبوا حتى تواثبوا وقالوا السلاح
السلاح فاجتمع من القبيلين خلق عظيم فعند ذلك جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال اتدعون
الجاهلية وانا بين اظهركم بعد ان اكرمكم الله تعالى بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية والف بينكم
فعلموا انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا السلاح واستغفروا وعانق بعضهم بعضا ثم
انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام الواحدي اصطفوا للقتال فنزلت
الاية الى قوله تعالى لعلكم تهتدون فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأهن ورفع
صوته فلما سمعوا صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم انصتوا له وجعلوا يستمعون له فلما فرغ
القوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجعلوا يبكون وقوله تعالى كافرين اما مفعول ثان ليردوكم على
تضمين الرد معنى التصيير كما في قوله ◦ رمى الحدثان نسوة ال سعد ◦ بمقدار سمدن له سمودا ◦◦
فرد شعورهن السود بيضا ◦ ورد وجوههن البيض سودا ◦◦ او حال من مفعوله والاول ادخل
في تنزيه المؤمنين عن نسبتهم الى الكفر لما فيه من التصريح بكون الكفر المفروض بطريق القسر وايراد
الظرف مع عدم الحاجة اليه ضرورة سبق الخطاب بعنوان المؤمنين واستحالة تحقق الرد الى الكفر
بدون سبق الايمان مع توسيطه بين المفعولين لاظهار كمال شناعة الكفر وغاية بعده من الوقوع
اما لزيادة قبحه الصارف للعاقل عن مباشرته او لممانعة الايمان له كانه قيل بعد ايمانكم الراسخ وفيه
تثبيت المؤمنين ما لا يخفى وكيف تكفرون استفهام انكاري بمعنى انكار الوقوع كما في قوله تعالى
كيف يكون للمشركين عهد الى اخره لا بمعنى انكار الواقع كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الى اخره وفي
توجيه الانكار والاستبعاد الى كيفية الكفر من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال
اتكفرون لان لكل موجود لا بد ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انكر ونفي جميع احوال
وجوده انتفى وجوده بالكلية على طريق البرهان وقوله عز وجل وانتم تتلى عليكم ايات الله جملة
وقعت حالا من ضمير المخاطبين في تكفرون مؤكدة للانكار والاستبعاد بما فيها من الشؤون الداعية
الى الثبات على الايمان الوازعة عن الكفر وقوله تعالى وفيكم رسوله معطوف عليها داخل في حكمها فان تلاوة
ايات الله تعالى عليهم وكون رسوله عليه السلام بين اظهرهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم
بتحقيق الحق وازاحة الشبه من اقوى الزواجر عن الكفر وعدم كساد التلاوة الى رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم للايذان باستقلال كل منهما في الباب ومن يعتصم بالله اى من يتمسك بدينه الحق الذي
بينه باياته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الاسلام والتوحيد المعبر عنه فيما سبق بسبيل
الله فقد هدى جواب للشرط لافادة معنى التحقق كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع فيه
ظاهر فان المعتصم به تعالى متوقع للهدى بالاستقامة للتصريح بالرد على الذين يبغون له عوجا وهذا وان
كان هو دينه الحق في الحقيقة والاهتداء اليه هو الاعتصام به بعينه وكان العنوان الاخير مما يتنافس فيه
المتنافسون ابرز في معرض الجواب للحث والترغيب على طريقة قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل
الجنة فقد فاز يا ايها الذين امنوا تكرير الخطاب بعنوان الايمان تشريف اثر تشريف اتقوا الله الاتقاء
افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة حق تقاته اى حق تقواه وما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام
بالمواجب والاجتناب عن المحارم كما في قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن مسعود رضي الله عنه
هو ان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر ولا يكفر وقد روى مرفوعا عليه الصلاة والسلام
وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل هو ان ينزه
الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازاة وقد مر تحقيق الحق في ذلك عند قوله عز وجل هدى
للمتقين والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد اصلها وقية قلبت واوها المضمومة تاء كما في تخمة وتهمة
وياؤها المفتوحة الفا ولا تموتن الا وانتم مسلمون اى مخلصون نفوسكم لله عز وجل لا تجعلون فيها شركة
لما سواه اصلا كما في قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال
اى لا تموتن على حال من الاحوال الا حال تحقق اسلامكم وثباتكم عليه كما ينبئ عنه الجملة الاسمية ولو قيل الا مسلمين لم يفد فائدتها
والعامل في الحال ما قبل الا بعد النقض وظاهر النظم الكريم وان كان نهيا عن الموت المقيد بقيد هو الكون
على اى حال غير حال الاسلام لكن المقصود هو النهي عن ذلك القيد عند الموت المستلزم للامر
بضده الذي هو الكون على حال الاسلام حينئذ وحيث كان الخطاب للمؤمنين كان المراد ايجاب الثبات على
الاسلام الى الموت وتوجيه النهي الى الموت للمبالغة في النهي عن قيده المذكور فان النهي عن المقيد
في امثاله نهي عن القيد ورفع له من اصله بالكلية مفيد لما لا يفيده النهي عن نفس القيد فان
قولك لا تصل الا وانت خاشع يفيد من المبالغة في ايجاب الخشوع في الصلاة ما لا يفيده قولك لا تترك
الخشوع في الصلاة لما ان هذا نهي عن ترك الخشوع فقط وذلك نهي عنه وعن ما يقارنه ومفيد لكون
الخشوع هو العمدة في الصلاة وان الصلاة بدونه حقها ان لا تفعل وفيه نوع تحذير عما وراء الموت وقوله
عز وجل واعتصموا بحبل الله اى بدين الاسلام او بكتابه لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين
لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدى الى
صراط مستقيم اما تمثيل للحالة الحاصلة من استظهارهم ووثوقهم بحمايته بالحالة الحاصلة من تمسك
المتدلي من مكان رفيع بحبل وثيق مأمون الانقطاع من غير اعتبار مجاز في المفردات واما استعارة
للحبل لما ذكر من الدين او الكتاب والاعتصام ترشيح لها او مستعار للوثوق به والاعتماد عليه
جميعا حال من فاعل اعتصموا اى مجتمعين في الاعتصام ولا تفرقوا اى لا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او
كما كنتم متفرقين في الجاهلية يحارب بعضكم بعضا او لا تحدثوا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة التي انتم
عليها واذكروا نعمة الله مصدر مضاف الى الفاعل وقوله تعالى عليكم متعلق به او بمحذوف وقع حالا
منه وقوله تعالى اذ كنتم ظرف له اى لاستقرار في عليكم اى اذكروا انعامه مستقرا عليكم وقت كونكم
اعداء في الجاهلية بينكم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين
لابوين فوقعت بين اولادهما العداوة والبغضاء وتطاولت الحروب فيما بينهم مائة وعشرين
سنة فالف بين قلوبكم بتوفيقكم للاسلام فاصبحتم اى فصرتم بنعمته التي هي ذلك التاليف اخوانا خبر
اصبحتم اى اخوانا متحابين على الاخوة في الله متراحمين متناصحين متفقين على كلمة الحق وقيل معنى
فاصبحتم فدخلتم في الصباح فالباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من الفاعل وكذا اخوانا اى فاصبحتم
ملتبسين بنعمته حال كونكم اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار شفا الحفرة وشفتها حرفها اى ان
كنتم مشرفين على الوقوع في نار جهنم لكفركم اذ لو ادرككم الموت على تلك الحالة لوقعتم فيها فانقذكم
بان هداكم الى الايمان منها الضمير للحفرة او للنار او للشفا والتانيث للمضاف اليه كما في قوله ◦
وتشرق بالقول الذي قد اذعته كما شرقت صدر القناة من الدم ◦◦ او لانه بمعنى الشفة فان
شفا البئر وشفتها جانبها كالجانب والجانبة واصله شفو قلبت الواو الفا في المذكر وحذفت
في المؤنث كذلك الى ما ضمير الفعل الذي بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار
اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال تميزه عما عداه انتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة

كما ان قصد الكريم متوقع للندى الى صراط مستقيم
موصل الى المطلوب والتنوين للتفخيم والوصف صح

والكاف مقحمة لتأكيد ما افادة اسم الاشارة من الفخامة ومحلها النصب على انها صفة لمصدر محذوف
اى مثل ذلك التبيين الواضح يبين الله لكم اياته اى دلائله لعلكم تهتدون طلبا لثباتكم على الهدى وازديادكم
فيه ولتكن منكم امة يدعون الى الخير امرهم الله سبحانه بتكميل الغير وارشاده اثر امرهم بتكميل النفس وتهذيبها
وتهذيبها بما قبله من الاوامر والنواهي تثبيتا للكل على مراعاة ما فيهما من الاحكام بان يقوم بعضهم بمواجبها
ويحافظ على حقوقها وحدودها ويذكرها الناس كافة ويردعهم عن الاخلال بها والجمهور على اسكان لام الامر
وقد قرئ بكسرها على الاصل وهي من كان التامة ومن التبعيضية متعلقة بالامر او بمحذوف وقع حالا
من الفاعل وهو امة ويدعون صفتها اى لتوجد منكم امة داعية الى الخير والامة هي الجماعة التي يؤمها
فرق الناس اى يقصدونها ويقتدون بها ومن الناقصة وامة اسمها ويدعون خبرها اى لتكن منكم
داعين الى الخير وايا ما كان فتوجيه الخطاب الى الكل مع اسناد الدعوة الى البعض لتحقيق معنى فرضيتها
على الكفاية وانها واجبة على الكل لكن بحيث ان اقامها البعض سقطت عن الباقين ولو اخل بها الكل
اثموا جميعا لا بحيث يتحتم على الكل اقامتها على ما ينبئ عنه قوله عز وجل وما كان المؤمنون لينفروا
كافة الاية ولانها من عظائم الامور وعزائمها التي لا يتولاها الا العلماء باحكامه تعالى ومراتب
الاحتساب وكيفية اقامتها فان من لا يعلمها يوشك ان يأمر بمنكر وينهى عن معروف ويغلظ في مقام
اللين ويلين في مقام الغلظة وينكر على من لا يزيده الانكار الا التمادي والاصرار وقيل من بيانية كما
في قوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم الاية والامر من كان الناقصة والمعنى كونوا
امة يدعون الاية كقوله تعالى وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم الاية والامر من كان
الناقصة والمعنى كونوا امة يدعون الاية كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس الاية ولا
يقتضي ذلك كون الدعوة فرض عين فان الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة والدعاء
الى الخير عبارة عن الدعاء الى ما فيه صلاح ديني او دنيوي فعطف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
عليه بقوله تعالى ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر مع اندراجهما فيه من باب عطف الخاص على العام
للايذان بفضلهما وانافتهما على سائر الخيرات كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة عليهم السلام وحذف
المفعول الصريح من الافعال الثلاثة اما للايذان بظهوره اى يدعون الناس ويأمرونهم وينهونهم
واما القصد الى ايجاد نفس الفعل كما في قولك فلان يعطي ويمنع اى يفعلون الدعاء الى الخير والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر واولئك اشارة الى الامة المذكورة باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الفاضلة
وكمال تميزهم بذلك عمن عداهم وانتظامهم بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد
للاشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والافراد في كاف الخطاب اما لان المخاطب كل من يصلح
للخطاب واما لان التعيين غير مقصود اى اولئك الموصوفون بتلك الصفات الكاملة هم المفلحون اى هم
الاخصاء بكمال الفلاح وهم ضمير فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند
بالمسند اليه او مبتدأ خبره المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحين اما للعهد او للاشارة الى ما
سئل عن خير الناس فقال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم للرحم وعنه عليه السلام
من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعنه عليه
السلام والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عذابا من
عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ
الفاسقين وغضب لله غضب الله له والامر بالمعروف في الوجوب والندب تابع للمأمور به واما النهي
عن المنكر فواجب كله لان جميع ما انكره الشرع حرام والعاصي يجب عليه النهي عما ارتكبه اذ يجب عليه
تركه وانكاره فلا يسقط بترك احدهما وجوب شيء منهما والتوبيخ في قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر
وتنسون انفسكم انما هو على نسيان انفسهم لا على امرهم بالبر عن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا ولا تكونوا
كالذين تفرقوا هم اهل الكتاب حيث تفرقت اليهود فرقا والنصارى فرقا واختلفوا باستخراج التاويلات
الزائغة وكتم الايات الناطقة وتحريفها بما اخلدوا اليه من حطام الدنيا الدنية من بعد ما جاءهم
البينات اى الايات الواضحة المبينة للحق الموجبة للاتفاق عليه واتحاد الكلمة فالنهي متوجه الى
المتصدين للدعوة اصالة والى اعقابهم تبعا ويجوز تعميم الموصول للمختلفين من الامم السالفة المشار
اليهم بقوله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاءتهم البينات وقيل هم المبتدعة من
هذه الامة وقيل هم الحرورية وعلى كل تقدير فالمنهي عنه انما هو الاختلاف في الاصول دون الفروع الا ان يكون
مخالفا للنصوص البينة او الاجماع لقوله عليه السلام اختلاف امتي رحمة وقوله عليه السلام من
اجتهد فاصاب فله اجران ومن اخطأ فاصاب عله اجر واحد واولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم

بما

بما في حيز الصلة وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم خبره وقوله تعالى عذاب عظيم مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده
على المبتدأ او مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للمبتدأ الاول وفيه من التاكيد والمبالغة في وعيد المتفرقين
والتشديد في تهديد المتشبهين بهم ما لا يخفى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه اى وجوه كثيرة وقرئ تبياض وتسواد وجوه
كثيرة وقرئ تسواد عن عطا تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بني قريظة والنضير ويوم منصوب
على انه ظرف للاستقرار في لهم اى لثبوت العذاب العظيم لهم او على انه مفعول المضمر خوطب المؤمنون
تحذيرا لهم عن عاقبة التفرق بعد مجيء البينات وترغيبا في الاتفاق على التمسك بالدين اى اذكروا يوم تبيض
الى اخره وبياض الوجه وسواده كنايتان عن ظهور بهجة السرور وكآبة الخوف فيه وقيل يوسم اهل الحق
ببياض الوجه والصحيفة واشراق البشرة وسعي النور بين يديه وبيمينه واهل الباطل باضداد ذلك
فاما الذين اسودت وجوههم تفصيل لاحوال الفريقين من بعد الاشارة اليها اجمالا وتقديم بيان هؤلاء لما
ان المقام مقام التحذير عن التشبه بهم مع ما فيه من الجمع بين الاجمال والتفصيل والافضاء الى ختم الكلام بحسن
حال المؤمنين كما بدئ بذلك عند الاجمال اكفرتم بعد ايمانكم على ارادة القول اى فيقال لهم ذلك والهمزة له
للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد ايمانهم كفرهم برسول الله صلى الله عليه
وسلم بعد ايمان اسلافهم او ايمان انفسهم به قبل مبعثه عليه السلام او جميع الكفرة حيث كفروا بعد
ما اقروا بالتوحيد يوم الميثاق او بعد ما تمكنوا من الايمان بالنظر الصحيح والدلائل الواضحة والايات
البينة وقيل المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء والفاء في قوله عز وعلا فذوقوا العذاب اى العذاب
المعهود الموصوف بالعظم للدلالة على ان الامر بذوق العذاب على طريق الاهانة مترتب على كفرهم
المذكور كما ان قوله تعالى بما كنتم تكفرون صريح في ان نفس الذوق معلل بذلك والجمع بين صيغة الماضي
والمستقبل للدلالة على استمرار كفرهم او على مضيه في الدنيا واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله
اى الجنة والنعيم المخلد عبر عنهما بالرحمة تنبيها على ان المؤمن وان استغرق عمره في طاعة الله تعالى فانه
لا يدخل الجنة الا برحمته تعالى وقرئ ابياضت كما قرئ اسوادت هم فيها خالدون استئناف وقع جوابا
عن سؤال نشأ من السياق كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون
وتقديم الظرف للمحافظة على رؤوس الاى تلك اشارة الى الايات المشتملة على تنعيم الابرار وتعذيب
الكفار ومعنى البعد للايذان بعلو شانها وسمو مكانها في الشرف وهو مبتدأ وقوله تعالى ايات الله خبره وقوله
تعالى نتلوها جملة حالية من الايات والعامل فيها معنى الاشارة او هي الخبر وايات الله بدل من اسم الاشارة
والالتفات الى التكلم بنون العظمة مع كون التلاوة على لسان جبريل عليه السلام لابراز كمال العناية
بالتلاوة وقرئ يتلوها على اسناد الفعل الى ضميره تعالى وقوله تعالى عليك متعلق بنتلوها وقوله تعالى
بالحق حال مؤكدة من فاعل نتلوها او من مفعوله اى ملتبسين بالحق والعدل ليس في حكمها شائبة جور
بنقص ثواب المحسن او بزيادة عقاب المسيء او بالعقاب من غير جرم بل كل ذلك موفى لهم حسب استحقاقهم
باعمالهم بموجب الوعد والوعيد وقوله تعالى وما الله يريد ظلما للعالمين تذييل مقرر لمضمون ما قبله على
ابلغ وجه واكده فان تنكير الظلم وتوجيه النفي الى ارادته بصيغة المضارع دون نفسه وتعليق الحكم
باحاد الجمع المعرف والالتفات الى الاسم الجليل اشعارا بعلة الحكم بيان لكمال نزاهته عز وجل عن الظلم بما
لا مزيد عليه اى ما يريد فردا من افراد الظلم لفرد من افراد العالمين في وقت من الاوقات فضلا عن ان يظلمهم
فان المضارع كما يفيد الاستمرار يفيده في النفي بحسب المقام على دوام الثبوت وعند دخول حرف النفي
يدل على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وفي سبك الجملة نوع ايماء الى التعريض بان الكفرة هم ظلموا انفسهم
بتعريضها للعذاب الخالد كما في قوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون ولله
ما في السموات وما في الارض اى له تعالى وحده من غير شركة اصلا ما فيهما من المخلوقات الفائتة للحصر ملكا
وخلقا احياء واماتة واثابة وتعذيبا وايراد كلمة ما اما لتغليب غير العقلاء على العقلاء او لتنزيلهم
منزلة غيرهم اظهارا لحقارتهم في مقام بيان عظمته تعالى والى الله اى الى حكمه وقضائه لا الى غيره شركة
واستقلالا ترجع الامور اى امورهم فيجازي كلا منهم بما وعد له واوعده من غير دخل في ذلك لاحد قط
والجملة مقررة لمضمون ما ورد في جزاء الفريقين وقيل هي معطوفة على ما قبلها مقررة لمضمونه فان كون العالمين
عبيده تعالى ومخلوقه ومقدوراته يستدعي ارادة الخير بهم كنتم خير امة كلام مستأنف سيق لتثبيت
المؤمنين على ما هم عليه من الاتفاق على الحق والدعوة الى الخير وكنتم من كان الناقصة التي تدل على تحقق
شيء بصفة في الزمان الماضي من غير دلالة على عدم سابق او لاحق كما في قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل
كنتم كذلك في علم الله تعالى او في اللوح او فيما بين الامم السالفة وقيل معناه انتم خير امة اخرجت للناس
صفة لامة واللام متعلقة باخرجت اى اظهرت لهم وقيل لخير امة اى كنتم خير الناس للناس فهو صريح في ان

الخيرية بمعنى النفع للناس وان فهم ذلك من الاخراج لهم ايضا اى اخرجت لاجلهم ومصلحتهم قال ابو هريرة
رضى الله عنه معناه كنتم خير الناس للناس تأتون بهم فى السلاسل فتدخلونهم فى الاسلام وقال
قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يؤمر نبى قبله بالقتال فهم يقاتلون الكفار فيدخلونهم فى الاسلام
فهم خير امة للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر استئناف مبين لكونهم خير امة كما يقال زيد كريم يطعم
الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم او خبر ثان لكنتم وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار وخطاب
المشافهة وان كان خاصا بمن شاهد الوحى من المؤمنين لكن حكمه عام للكل قال ابن عباس رضى الله عنهما
يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج اصل هذا الخطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يعم سائر امته وروى الترمذى عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبى صلى الله عليه
وسلم يقول فى قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها واكرمها على
الله تعالى وظاهر ان المراد بكل امة اوائلهم واواخرهم لا اوائلهم فلا بد ان يكون اعقاب هذه الامة
ايضا داخلة فى الحكم وكذا الحال فيما يروى ان مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لبعض من اصحاب
النبى صلى الله عليه وسلم فيهم ابن مسعود وابى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى ابى حذيفة رضى الله تعالى
عنهم نحن افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله
عنهما كنتم خير امة الذين هاجروا مع رسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروى عن الضحاك انهم
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة الرواة والدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وتؤمنون
بالله اى ايمانا متعلقا بكل ما يجب ان يؤمن به من رسول وكتاب وحساب وجزاء وانما لم يصرح به تفصيلا
لظهور انه الذى يؤمن به المؤمنون وللايذان بانه الايمان بالله تعالى حقيقة وان ما خلا عن شئ من ذلك
كايمان اهل الكتاب ليس من الايمان به تعالى فى شئ قال تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ن
ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا وانما اخر ذلك عن الامر بالمعروف
والنهى عن المنكر مع تقدمه عليهما وجودا ورتبة لان دلالتهما على خيريتهم للناس اظهر من دلالته عليها
وليقترن به قوله تعالى ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اى لو آمنوا كايمانكم لكان خيرا لهم مما هم عليه
من الرياسة واستتباع العوام ولزادت رياستهم وتمتعهم بالحظوظ الدنيوية مع الفوز بما وعدوه
على الايمان من ايتاء الاجر مرتين وقيل مما هم فيه من الكفر فالخيرية انما هى باعتبار زعمهم وفيه ضرب
تهكم بهم وانما لم يتعرض للمؤمن به اصلا للاشعار بظهور انه الذى يطلق عليه اسم الايمان لا يذهب
الوهم الى غيره ولو فصل المؤمن به ههنا او فيما قبل لربما فهم ان لاهل الكتاب ايضا ايمانا فى الجملة
لكن ايمان المؤمنين خير منه وهيهات ذلك منهم المؤمنون جملة مستأنفة سيقت جوابا عما نشأ عنه
من الشرطية الدالة على انتفاء الخيرية لانتفاء الايمان عنهم كأنه قيل هل منهم من آمن او كلهم على
الكفر فقيل منهم المؤمنون المعهودون الفائزون بخير الدارين كعبد الله بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون
المتمردون فى الكفر الخارجون عن الحدود لن يضروكم الا اذى استثناء مفرغ من المصدر العام اى لن يضروكم
ابدا ضررا ما الا ضررا اذى لا يبالى به من طعن وتهديد لا اثر له وان يقاتلوكم يولوكم الادبار اى
ينهزموا من غير ان ينالوا منكم شيئا من قتل واسر ثم لا ينصرون عطف على الشرطية وثم للتراخى فى الرتبة
اى لا ينصرون من جهة احد ولا يمنعون منكم قتلا واخذا وفيه تثبيت لمن آمن منهم فانهم كانوا يؤذونهم
بالتلاحى بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم وبشارة لهم بانهم لا يقدرون على ان يتجاوزوا الاذى
بالقول الى ضرر يعبأ به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان
والذل وانما لم يعطف نفى منصوريتهم على الجزاء لان المقصود هو الوعد بنفى النصر مطلقا ولو عطف
عليه لكان مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وكم بين الوعدين كأنه قيل ثم شأنهم الذى اخبركم عنه
وابشركم به انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعد ذلك بجناح ولا يقومون على
ساق ولا يستقيم لهم امر وكان ذلك كذلك حيث لقى بنو قريظة والنضير وبنو قينقاع ويهود خيبر ما لقوا
ضربت عليهم الذلة اى هدر النفس والمال والاهل او ذل التمسك بالباطل اينما ثقفوا اى وجدوا
الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء من اعم الاحوال اى ضربت عليهم الذلة ضرب القبة على من هى عليه
فى جميع الاحوال الا حال كونهم معتصمين بذمة الله او كتابه الذى آتاهم وذمة المسلمين او بذمة
الاسلام واتباع سبيل المؤمنين وباؤا بغضب من الله اى رجعوا به مستوجبين له والتنكير للتفخيم والتهويل
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة بغضب مؤكدا لما افادة التنكير من الفخامة والهول اى كائن من الله
عز وجل وضربت عليهم المسكنة فهى محيطة بهم من جميع جوانبهم واليهود كذلك فى غالب الحال مساكين تحت
ايدى المسلمين والنصارى ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة عليهم والبوء بالغضب العظيم

بانهم كانوا يكفرون بآيات الله اى ذلك الذى ذكر كائن بسبب كفرهم المستمر بآيات الله الناطقة بنبوة
محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لها ولسائر الآيات القرآنية ويقتلون الانبياء بغير حق اى فى اعتقادهم
ايضا الفعل اليه مع انه فعل اسلافهم لرضاهم به كما ان التحريف مع كونه من افعال احبارهم ينسب الى
كل من يسير بسيرتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من القتل والاسر والكفر بما عصوا وكانوا يعتدون اى كائن
بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله تعالى على الاستمرار فان الاصرار على الصغائر يفضى الى مباشرة
الكبائر والاستمرار عليها يؤدى الى الكفر وقيل معناه ان ضرب الذلة والمسكنة فى الدنيا واستيجاب
الغضب فى الآخرة كما هو معلل بكفرهم وقتلهم فهو مسبب عن عصيانهم واعتدائهم من حيث انهم مخاطبون
بالفروع من حيث المؤاخذة ليسوا سواء جملة مستأنفة سيقت تمهيدا لتعداد محاسن مؤمنى اهل الكتاب
وتذكيرا لقوله تعالى منهم المؤمنون والضمير فى ليسوا لاهل الكتاب جميعا لا للفاسقين منهم خاصة
وهو اسم ليس وخبره سواء وانما افرد لانه فى الاصل مصدر والمراد بنفى المساواة نفى المشاركة فى اصل الاتصاف
بالقبائح المذكورة لا نفى المساواة فى مراتب الاتصاف بما ذكر من القبائح والابتلاء بما يترتب عليها من العقوبات
وقوله تعالى من اهل الكتاب امة قائمة استئناف مبين لكيفية عدم تساويهم ومزيل لما فيه من الابهام كما
ان ما سبق من قوله تعالى تأمرون بالمعروف الآية مبين لقوله تعالى كنتم خير امة الى آخره ووضع اهل
الكتاب موضع الضمير العائد اليهم لتحقيق ما به الاشتراك بين الفريقين والايذان بان تلك الامة ممن اوتى
نصيبا وافرا من الكتاب لا من ارذالهم والقائمة المستقيمة العادلة من اقمت العود فقام بمعنى استقام
وهم الذين اسلموا منهم كعبد الله بن سلام وثعلبة بن سعد واسيد بن عبيد واضرابهم وقيل هم اربعون رجلا
من اهل نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثلاثة من الروم على دين عيسى وصدقوا محمدا عليهما السلام وكان
من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبى صلى الله عليه وسلم منهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور
ومحمد بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما يعرفون من شرائع
الحنيفية حتى بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وقوله تعالى يتلون آيات الله فى
محل الرفع على انه صفة اخرى لامة وقيل فى محل النصب على انه حال منها لتخصيصها بالنعت والعامل
فيه الاستقرار الذى يتضمنه الجار او من ضميرها فى قائمة او من المستكن فى الجار لوقوعه خبرا لامة
والمراد بآيات الله القرآن وقوله تعالى آناء الليل ظرف ليتلون اى فى ساعاته جمع انى بزنة عصا او
انى بزنة معى او انى بزنة نحى او انو بزنة جرو وهم يسجدون اى يصلون اذ لا تلاوة فى السجود قال
صلى الله عليه وسلم الا انى نهيت ان اقرأ راكعا او ساجدا وتخصيص السجود بالذكر من بين سائر
اركان الصلاة لكونه ادل على كمال الخضوع والتصريح بتلاوتهم آيات الله فى الصلاة مع انها مشتملة
عليها قطعا لزيادة تحقيق المخالفة وتوضيح عدم المشاركة بينهم وبين الذين وصفوا آنفا بالكفر
بها وهو السر فى تقديم هذا النعت على نعت الايمان والمراد بصلاتهم التهجد اذ هو ادخل فى مدحهم
وفيه يتيسر لهم التلاوة فانها فى المكتوبة وظيفة الامام واعتبار حالهم عند الصلوة على الانفراد
يأباه مقام المدح وهو الانسب بالعدول عن ايرادها باسم الجنس المتبادر انه الصلوات المكتوبة
وبالتعبير عن وقتها بالآناء المبهمة وقيل صلوة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها لما روى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اخرها ليلة ثم خرج فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال اما انه ليس من اهل
الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار
وتكرير الاسناد لتقوية الحكم وتأكيده وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والجملة حال من فاعل
يتلون وقيل هى مستأنفة والمعنى انهم يقومون تارة ويسجدون اخرى يبتغون الفضل والرحمة بانواع
ما يكون فى الصلاة من الخضوع لله عز وجل كما فى قوله تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقيل
المراد بالسجود هو الخضوع كما فى قوله تعالى ولله يسجد ما فى السموات والارض يؤمنون بالله واليوم الآخر
صفة اخرى لامة مبنية لما بينهم وبين اليهود من جهة اخرى اى يؤمنون بهما على الوجه الذى يطلق عليه الايمان
بهما لا يذهب الوهم الى غيره وللتعريض بان ايمان اليهود بهما مع قولهم عزير ابن الله وكفرهم ببعض الكتب
والرسل ووصفهم اليوم الآخر بخلاف صفته ليس من الايمان فى شئ اصلا ولو قيد بما ذكر لربما توهم ان
المنتفى عنهم هو القيد المذكور مع جواز اطلاق اسم الايمان على ايمانهم بالاصل وهيهات ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر صفتان اخريان لامة اجريتا عليهم تحقيقا لمخالفتهم اليهود فى الفضائل
المتعلقة بتكميل الغير اثر بيان مباينتهم لهم فى الخصائص المتعلقة بتكميل النفس وتعريضا بمداهنتهم فى الاحتساب
بل بتعكيسهم فى الامر باضلال الناس وصدهم عن سبيل الله فانه امر بالمنكر ونهى عن المعروف ويسارعون
فى الخيرات صفة اخرى لامة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير والمسارعة فى الخير

فرط الرغبة في تحصيل اصناف الخيرات اللازمة والمتعدية وفيه تعريض بتباطؤ اليهود بل بمبادرتهم
الى الشرور وايثار كلمة في على ما وقع ما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الى اخره للايذان بانهم مستقرون
في اصل الخيرات متقلبون في فنونه المترتبة في طبقات الفضل وايثاره على العكس للاشعار بعلة
الحكم والمدح اى واولئك المنعوتون بتلك الصفات الفاضلة بسبب اتصافهم من الصالحين من جملة
من صلحت احوالهم عند الله عز وجل واستحقوا رضاه وثناءه وما تفعلوا من خير كائنا ما كان مما ذكر
او لم يذكر فلن تكفروه اى لن تعدموا ثوابه البتة عبر عنه بذلك كما عبر عن توفية الثواب بالشكر
اظهارا لكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك اثابتهم بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى
من القبائح وتعديته الى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وايثار صيغة البناء للمفعول الجري على سنن الكبرياء
وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب والله عليم بالمتقين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان علمه تعالى
بافعالهم يستدعي توفية اجورهم لا محالة والمراد بالمتقين اما الامة المعهودة ووضع موضع الضمير
العائد اليهم مدحا لهم وتعيينا لعنوان تعلق العلم بهم واشعارا بمناط اثابتهم وهو التقوى
المنطوي على الخصائص السابقة واما جنس المتقين عموما وهم مندرجون تحت حكمه اندراجا
اوليا ان الذين كفروا اى بما يجب ان يؤمن به قال ابن عباس رضي الله عنه هم بنو قريظة والنضير
فان معاندتهم كانت لاجل المال وقيل هم مشركوا قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بماله وقيل
ابو سفيان واصحابه انفقوا مالا كثيرا على الكفار يوم بدر واحد وقيل هم الكفار كافة فانهم فاخروا
بالاموال والاولاد حيث قالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فرد الله عز وجل عليهم وقال
لن تغني عنهم اى لن تدفع عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اى من عذابه تعالى شيئا اى شيئا يسيرا
منه او شيئا من الاغناء واولئك اصحاب النار اى مصاحبوها على الدوام وملازموها هم فيها خالدون
ابدا مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا بيان لكيفية عدم اغناء اموالهم التي كانوا يعولون عليها في
جلب المنافع ودفع المضار ويعلقون بها اطماعهم الفارغة وما موصولة اسمية حذف عائدها اى
ما ينفقه الكفرة قربة ومفاخرة وسمعة او المنافقون رياء وسمعة وخوفا وقصته العجيبة
التي تجري مجرى المثل في الغرابة كمثل ريح فيها صر اى برد شديد فانه في الاصل مصدر وان شاع اطلاقه
على الريح الباردة كالصرصر فعلى كله في تجريد به كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
اصابت حرث قوم ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فباؤا بغضب من الله وانما وصفوا بذلك لان
الاهلاك عن سخط اشد وافظع فاهلكته عقوبة ولم تدع منه اثرا ولا عثيرا والمراد تشبيه ما انفقوا
في ضياعه وذهابه بالكلية من غير ان يعود اليهم نفع ما بحرث كفار ضربته صر فاستاصلته ولم
يبق لهم فيه منفعة ما بوجه من الوجوه وهو من التشبيه المركب الذي مر تفصيله في تفسير قوله تعالى
كمثل الذي استوقد نارا ولذلك لم يبال بايلاء كلمة التشبيه الريح دون الحرث ويجوز ان يراد
مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ
تنفقون وما ظلمهم الله بما بين من ضياع ما انفقوا ولكن انفسهم يظلمون لما انهم اضاعوها بانفاقها
لا على ما ينبغي وتقديم المفعول لرعاية الفواصل لا للتخصيص اذ الكلام في الفعل باعتبار تعلقه بالفاعل لا
بالمفعول اى ما ظلمهم الله ولكن ظلموا انفسهم وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار
وقد يجوز ان يكون المعنى وما ظلمهم الله تعالى اصحاب الحرث باهلاكه ولكنهم ظلموا انفسهم بارتكاب
ما استحقوا به العقوبة ويأباه انه قد مر التعرض له صريحا او اشعارا وقرئ ولكن بالتشديد على
ان انفسهم اسمها ويظلمون خبرها والعائد محذوف للفاصلة اى ولكن انفسهم يظلمونها واما تقدير ضمير
الشأن فلا سبيل اليه لتخصيصه بالشعر ضرورة كما في قوله • ولكن من يبصر جفونك يعشق يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا بطانة بطانة الرجل ولجته من يعرفه اسراره ثقة به تشبيها ببطانة الثوب كما شبه
بالشعار قال عليه السلام الانصار شعار والناس دثار قال ابن عباس رضي الله عنه كان رجال من المؤمنين
يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف فانزل الله تعالى هذه الاية وقال
مجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يواصلون المنافقين فنهوا عن ذلك ويؤيده قوله تعالى واذا
لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل وهو صفة المنافق وايا ما كان فالحكم عام للكفرة
كافة من دونكم اى من دون المسلمين وهو متعلق بلا تتخذوا او بمحذوف وقع صفة لبطانة اى
كائنة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا جملة مستأنفة مبينة لحالهم داعية الى الاجتناب عنهم
او صفة لبطانة يقال الا في الامر اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا الوك
نصحا ولا الوك جهدا على تضمين معنى المنع والنقص والخبال الفساد اى لا يقصرون لكم في الفساد

ودوا

ودوا ما عنتم اى تمنوا عنتكم اى مشقتكم وشدة ضرركم وهو ايضا استئناف مؤكد للنهي موجب
لزيادة الاجتناب عن المنهي عنه قد بدت البغضاء من افواههم استئناف اخر مفيد لمزيد الاجتناب
عن المنهي عنه اى قد ظهرت البغضاء في كلامهم لما انهم لا يتمالكون مع مبالغتهم في ضبط انفسهم وتحاملهم
عليها ان ينفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم للمسلمين وقرئ قد بدا البغضاء والافواه جمع فم
واصله فوه فلامه هاء يدل على ذلك جمعه على افواه وتصغيره على فويه والنسبة اليه فوهي وما تخفي
صدورهم اكبر مما بدا لان بدوه ليس عن روية واختيار قد بينا لكم الايات الدالة على وجوب الاخلاص
في الدين وموالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ان كنتم تعقلون ما بين لكم من الايات والجواب محذوف
لدلالة المذكور عليه ها انتم اولاء جملة من مبتدا وخبر صدرت بحرف التنبيه اظهارا لكمال العناية
بمضمونها اى انتم اولاء الخاطئون في موالاتهم وقوله تعالى تحبونهم ولا يحبونكم بيان لخطئهم في ذلك
وهو خبر ثان لانتم او خبر لاولاء والجملة خبر لانتم كقولك انت زيد تحبه او صلة له او حال والعامل
معنى الاشارة ويجوز ان ينتصب اولاء بفعل يفسره ما بعده وتكون الجملة خبرا وتؤمنون بالكتاب كله
اى بجنس الكتاب جميعا وهو حال من ضمير المفعول في لا يحبونكم والمعنى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون
بكتابهم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بكتابكم وفيه توبيخ بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم واذا لقوكم
قالوا امنا نفاقا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ اى من اجله تاسفا وتحسرا حيث لم يجدوا
الى التشفي سبيلا قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الاسلام واهله
الى ان يهلكوا به او باشتداده الى ان يهلكهم ان الله عليم بذات الصدور فيعلم ما في صدوركم من العداوة
والبغضاء والحنق وهو يحتمل ان يكون من المقول اى وقل لهم ان الله تعالى عليم بما هو اخفى مما تخفونه من
عض الانامل غيظا وان يكون خارجا عنه بمعنى لا تتعجب من اطلاعي اياك على اسرارهم فاني عليم بذات
الصدور وقيل هو امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله
تعالى ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به من غير ان يكون ثمة قول كانه قيل حدث نفسك
بذلك ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها بيان لتناهي عداوتهم الى حد حسدوا ما
نالهم من خير ومنفعة وشمتوا بما اصابهم من ضر وشدة وذكر المس مع الحسنة والاصابة مع السيئة اما
للايذان بان مدار مساءتهم ادنى مراتب اصابة الحسنة ومناط فرحهم تمام اصابة السيئة واما لان المس
مستعار لمعنى الاصابة وان تصبروا على عداوتهم او على مشاق التكاليف وتتقوا ما حرم الله تعالى
عليكم ونهاكم عنه لا يضركم كيدهم مكرهم وحيلتهم التي دبروها لاجلكم وقرئ لا يضركم بكسر الضاد
على جواب الشرط من ضاره يضيره بمعنى ضره يضره وضمة الراء في القراءة المشهورة للاتباع كضمة مد
شيئا نصب على المصدرية اى لا يضركم شيئا من الضرر بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين
ولان المجد في الامر المندوب بالاتقاء والصبر يكون جريا على الخصم ان الله بما تعملون في عداوتكم من
الكيد محيط علما فيعاقبهم على ذلك وقرئ بالياء الفوقانية اى بما تعملون من الصبر والتقوى فيجازيكم
بما انتم اهله واذ غدوت كلام مستانف سيق للاستشهاد بما فيه من استتباع عدم الصبر والتقوى
للضرر على ان وجودهما مستتبع لما وعد من النجاة في مضرة كيد الاعداء واذ نصب على المفعولية
بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة مع عموم الخطاب فيما قبله وما بعده له وللمؤمنين
لاختصاص مضمون الكلام به عليه السلام اى واذكر لهم وقت غدوك ليتذكروا ما وقع فيه من
الاحوال الناشئة عن عدم الصبر فيعلموا انهم ان لزموا الصبر والتقوى لا يضرهم كيد الكفرة وتوجيه
الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه مع ان الحوادث هي المقصودة بالذات للمبالغة في
ايجاب ذكرها واستحضار الحادثة بتفاصيلها كما سلف بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك
للملائكة الى اخره والمراد به خروجه عليه السلام الى احد وكان ذلك من منزل عائشة رضي الله عنها
وهو المراد بقوله تعالى من اهلك اى من عند اهلك تبوئ المؤمنين اى تنزلهم او تهيئ وتسوي لهم
مقاعد ويؤيده قراءة من قرأ تبوي للمؤمنين والجملة حال من فاعل غدوت لكن لا على انها حال
مقدرة اى ناويا وقاصدا للتبوية كما قيل بل على ان المقصود تذكير الزمان الممتد المتسع لابتداء الخروج
والتبوية وما يترتب عليها اذ هو المذكر للقصة وانما عبر عنه بالغدو الذي هو الخروج غدوة مع
كون خروجه عليه السلام بعد صلاة الجمعة كما ستعرفه اذ وقت التبوية التي هي العمدة في الباب
اذا المقصود بتذكير الوقت تخطئتهم لامر النبي صلى الله عليه وسلم وتنابلهم عن اجابته المعينة لهم
عند التبوية وعدم صبرهم وهنا تبين خلل رأي من احتج به على جواز اداء صلاة الجمعة قبل الزوال
والسلام في قوله تعالى للقتال اما متعلقة بتبوى اى لاجل القتال واما بمحذوف وقع صفة لمقاعد اى كائنة

ومقاعد القتال اماكنه ومواقفه فان استعمال المقعد والمقام بمعنى المكان اتساعا شايع ذايع كما
في قوله تعالى في مقعد صدق وقوله تعالى قبل ان تقوم من مقامك روي ان المشركين نزلوا باحد
يوم الاربعا فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم
يكن دعاه قبل ذلك فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم
فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا
فدعهم فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان
بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم
وقال عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولته
هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة فدعوهم
فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر واكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ اخرج بنا الى اعدائنا
وقال النعمان بن مالك الانصاري رضي الله عنه يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق
لادخلنها ثم قال لتقول اشهد ان لا اله الا الله واني لا افر من الزحف فلم يزالوا به عليه السلام حتى
دخل فلبس لامته فلما راوه لذلك ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله والوحي ياتيه وقالوا
اصنع يا رسول الله ما رايت فقال ما ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة
واصبح بالشعب من احد يوم السبت النصف من شوال لسنة ثلاث من الهجرة فمشى على رجليه فجعل
يصف اصحابه للقتال وكانما يقوم بهم القدح ان راى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في
عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا
عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا ولا تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم والله سميع لاقوالكم
عليم بضمائركم والجملة اعتراض للايذان بانه قد صدر عنهم هنالك من الاقوال والافعال ما لا
ينبغي صدوره منهم اذ همت بدل من اذ غدوت مبين لما هو المقصود بالتذكير او ظرف لسميع عليم على
معنى انه تعالى جامع بين سماع الاقوال والعلم بالضماير في ذلك الوقت اذ لا وجه لتقييد كونه
تعالى سميعا عليما بذلك الوقت قال الفراء معنى قولك ضربت واكرمت زيدا في زيدا منصوب بهما
وانهما تسلطا عليه معا طائفتان منكم ان تفشلا متعلق بهمت والباء محذوفة اي بان تفشلا اي تجبنا
وتضعفا وهما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان عسكر
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الف رجل وقيل تسعمائة وخمسين وعدهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم الفتح ان صبروا فلما قاربوا عسكر الكفرة وكانوا ثلاثة الاف انخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس
وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله تعالى في
نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله تعالى فمضوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم
على الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس فلما تخلوا النفس عنه عند الشدايد
والله وليهما اي عاصمهما عن اتباع تلك الخطيرة والجملة اعتراض ويجوز ان تكون حالا من فاعل همت او من
ضميره في تفشلا مفيدة لاستبعاد فشلهما او همهما به مع كونهما في ولاية الله عز وجل وقرئ والله وليهم
كما في قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا استقلالا
واشتراكا فليتوكل المؤمنون في جميع امورهم فانه حسبهم واظهار الاسم الجليل للتبرك به وللتعليل فان
الالوهية من موجبات التوكل على الله تعالى واللام في المؤمنين للجنس فيدخل فيه الطائفتان دخولا
اوليا وفيه اشعار بان وصف الايمان من دواعي التوكل وموجباته ولقد نصركم الله ببدر جملة
مستانفة لايجاب الصبر والتقوى بتذكير ما يترتب عليهما من النصر اثر تذكير ما ترتب على عدمهما
من الضرر وقيل لايجاب التوكل على الله تعالى بتذكير ما يوجبه وبدر اسم ما بين مكة والمدينة كان
لرجل اسمه بدر بن كلدة فسمي باسمه وقيل سمي به لصفائه كالبدر واستدارته وقيل هو اسم الموضع
والوادي وكانت وقعة بدر في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنين من الهجرة وانتم اذلة حال من
مفعول نصركم واذلة جمع ذليل وانما جمع جمع قلة للايذان بانهم حينئذ بوصف القلة والذلة
اذ كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر وكان ضعف حالهم في الغاية خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على
البعير الواحد ولم يكن في العسكر الا فرس واحد وقيل فرسان لمقداد ومرثد وستون بعيرا وست ادرع
وثمانية سيوف وكان العدو زهاء الف ومعهم مائة فرس وشكة وشوكة فاتقوا الله اقتصر على الامر
بالتقوى مع كونه مشفوعا بالصبر فيما سبق وما لحق للاشعار باصالته وكون الصبر من مبادية

اللازمة له ولذلك قدمعليه في الذكر وفي ترتيب الامر بالتقوى على الاخبار بالنصر ايذانا بان نصرهم
المذكور كان بسبب تقواهم اي ان كان الامر كذلك فاتقوا الله كما اتقيتم يومئذ لعلكم تشكرون اي
راجين ان تشكروا ما ينعم به عليكم بتقواكم من النصر اي لعلكم تشكرون فيما قبل او لعلكم ينعم الله عليكم بالنصر
كما فعل ذلك من قبل فوضع الشكر موضع سببه الذي هو الانعام او تعقيل تلوين الخطاب بتخصيصه
برسول الله صلى الله عليه وسلم للتشريف والايذان بان وقوع النصر كان ببشارته عليه السلام واذ
ظرف لنصركم قدمعليه الامر بالتقوى لاظهار كمال العناية به والمراد به الوقت الممتد الذي وقع
فيه ما ذكر بعده وما طوي ذكره تعويلا على شهادة الحال فيما يتعلق به وجود النصر وصيغة المضارع
لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها اي نصركم وقت قولك للمؤمنين حين اظهروا العجز عن المقاتلة
قال الشعبي بلغ المؤمنين ان كرز بن جابر المحاربي يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المسلمين فنزلت
الم يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملائكة الكفاية سد الخلة والقيام بالامر
والامداد في الاصل اعطاء الشيء حالا بعد حال قال المفضل ما كان منه بطريق التقوية والاعانة
يقال فيه امده يمده امدادا وما كان بطريق الزيادة يقال فيه مده يمده ومنه البحر يمده من
بعده سبعة ابحر وقيل المد في الشر كقوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون ونمد له من العذاب
مدا والامداد في الخير كقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين والتعرض لعنوان الربوبية ههنا
وفيه كما في مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار العناية بهم في
عدم كفاية الامداد بذلك المقدار ونفيه وكلمة لن للاشعار بانهم كانوا كالايسين من النصر لضعفهم
وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم من الملائكة بيان او صفة لثلاثة الاف اولا اضيف اليه اي كائنين من
الملائكة منزلين صفة لثلاثة الاف وقيل حال من الملائكة وقرئ منزلين بالتشديد للتكثير والتدريج
قيل امدهم الله تعالى اولا بالف ثم صاروا ثلاثة الاف ثم خمسة الاف وقرئ مبنيا للفاعل من الصيغتين
اي منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن وتحقيق له اي بلى يكفيكم ذلك ثم وعدهم الزيادة بشرط الصبر والتقوى
حثا لهم عليهما وتقوية لقلوبهم فقال ان تصبروا وتتقوا على لقاء العدو ومناهضتهم وتتقوا معصية
الله ومخالفة نبيه عليه السلام وياتوكم اي المشركون من فورهم هذا اي من ساعتهم هذه وهو في الاصل
مصدر فارت القدر اي اشتد غليانها ثم استعير للسرعة ثم اطلق على كل حالة لا ريب فيها اصلا ووصفه
بهذا التاكيد للسرعة بزيادة تعيينه وتقريبه ونظم اتيانهم بسرعته في سلك شرطي الامداد المستعين
له وجودا وعدما وما امن الصبر والتقوى مع تحقيق الامداد لا محالة سواء اسرعوا او ابطاوا لتحقيق
شرطيه الامداد لا لتحقيق اصله او لبيان تحققه على اي حال اي حرض على ابلغ وجه واكده بتعليقه
بالعلا التقادير ليعلم تحققه في سائرها بالطريق الاولى فان هجوم الاعداء واتيانهم بسرعة من مظان
عدم لحوق المدد عادة فعلق به تحقيق الامداد ايذانا بانه حيث تحقق ما ينافيه عادة فلان يتحقق
بدونه اولى واحرى بها انا ادت وصف درع بغاية الحصانة تقول ان لبستها وبادرتك بها الاعداء
تضروك بايد شداد وسيوف حداد لا تتاتى منها قطعا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين
من التسويم الذي هو اظهار سيماء الشيء اي معلمين انفسهم او خيلهم فقد روي انهم كانوا بعمائم بيض الا جبريل
عليه السلام فانه كان بعمامة صفراء على مثال الزبير بن العوام وروي انهم كانوا على خيل بلق قال عروة ابن
الزبير كانت الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة عمائم صفر
وقال قتادة والضحاك كانوا قد علموا بالعهن نواصي الخيل واذنابها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقرئ مسومين على البناء للمفعول معناه معلمين من جهته سبحانه وتعالى
وقيل مرسلين من التسويم بمعنى وما جعله الله كلام مبتدا غير داخل في حيز القول مسوق من جنابه تعالى
لبيان ان الاسباب الظاهرة بمعزل من التاثير وان حقيقة النصر مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون
ولا يقنطوا منه عند فقدان اسبابه وامارته معطوف على فعل مقدر ينسحب عليه الكلام ويستدعيه
النظام فان الاخبار بوقوع النصر على الاطلاق وتذكير وقته وحكاية الوعد بوقوعه على وجه مخصوص
على الامداد بالملائكة مرة بعد اخرى وتعيين وقته فيما مضى مقتضى بوقوعه مقتضا قطعا كانه قيل صريح
به تعويلا على تعاضد الدلائل وتاخذ الامارات والمخايل وايذانا بكماله الغنا عنه بل التحاشي عن سابقة
الذكر ومن ابهام اختلال احتمال التخلف في الوعد المحتوم كانه قيل عقيب قوله تعالى يمددكم بخمسة الاف
من الملائكة مسومين فامددكم بهم وما جعله الله الى اخره واجعل متعد الى واحد هو الضمير العايد مصدر
ذلك الفعل المقدر وما عوده الى المصدر المذكور اعني قوله تعالى ان يمدكم او الى المصدر المدلول
عليه بقوله تعالى يمددكم كما قيل فغير حقيق بجزالة التنزيل لان الطليعة البسيطة متقدمة على التركيبة فبيان

العلة الغائية لوجود الامداد كما هو المتبادر من النظم الكريم حقه ان يكون بعد بيان وجوده في نفسه ولا
ريب في ان الصدر من المذكور غير معتبر من حيث الوجود والوقوع كمصدر الفعل المقدر حتى يتسنى
لبيان احكامه وجودهما بل الاول معتبر من حيث الكفاية والثاني من حيث الوعد على ان الاول هو الامداد
بثلاثة الاف والواقع هو الامداد بخمسة الاف وقوله تعالى الا بشرى لكم استثناء مفرغ من اعم العلل تلوين
للخطاب تشريف للمؤمنين ولايذان بانهم المحتاجون الى البشارة وتسكين القلوب بتوفيق الاسباب
الظاهرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم غني عنه بما له من التاييد الروحاني اي وما جعل امدادكم
بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم بانكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به اي بالامداد
وتسكن اليه كما كانت السكينة لبني اسرائيل لذلك فكلاهما علة غائية للجعل وقد نصب الاول لاجتماع
شرائط من اتحاد الفاعل والزمان وكونه مصدرا مسوقا للتعليل وبقي الثاني على حاله لفقدها وقيل للاشارة
ايضا الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وفي
قصر الامداد عليهما اشعار بان الملائكة عليهم السلام لم يباشروا يومئذ القتال وانما كان امدادهم
بتقوية قلوب المباشرين بتكثير السواد ونحوه كما هو راي بعض السلف رضي الله عنه وقيل الجعل متعد الى
اثنين وقوله عز وجل الا بشرى لكم استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله تعالى شيئا من الاشياء الا بشارة
لكم فاللام في قوله تعالى ولتطمئن متعلقة بمحذوف وتقديره ولتطمئن قلوبكم به وما النصر اي حقيقة النصر
على الاطلاق فيندرج في حكمه النصر المعهود اندراجا اوليا الا من عند الله اي الا كائنا من عنده تعالى من غير ان
يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما هي مظاهر له بطريق جريان سنته تعالى او وما النصر المعهود
الا من عنده تعالى لا من عند الملائكة فانهم بمعزل من التاثير وانما قصارى امرهم ما ذكر من البشارة وتقوية
القلوب العزيز اي الذي لا يغالب في حكمه وقضيته واجراء هذا الوصف عليه تعالى للاشعار بعلة
اختصاص النصر به تعالى كما ان وصفه بالحكيم اي الذي يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة للايذان
بعلة جعل النصر بانزال الملائكة عليهم السلام فان ذلك من مقتضيات الحكم البالغة ليقطع متعلق
بقوله تعالى ولقد نصركم وما بينهما تحقيق لحقيقته وبيان لكيفية وقوعه والمقصود على التعليل بما
ذكر من البشرى والاطمئنان انما هو الامداد بالملائكة على الوجه المذكور فلا يقدح ذلك في تعليل اصل
النصر بالقطع وما عطف عليه او بما تعلق به الخبر في قوله عز وعلا وما النصر الا من عند الله على تقدير
كونه عبارة عن النصر المعهود وقد اشير الى ان العلل بالبشارة والاطمئنان انما هو الامداد الصوري
لا في معينة من المعنوي الذي هو ملاك الامر واما تعلقه بنفس النصر كما قيل فمع ما فيه من الفصل بين
المصدر ومعموله باجنبي هو الخبر مخل بسداد المعنى كيف لا ومعناه قصر النصر المخصوص المعلل بعلل معينة
على الحصول من جهته تعالى وليس المراد الا قصر حقيقة النصر او النصر المعهود على ذلك والمعنى لقد نصركم
الله يومئذ وما النصر الظاهر عند الملائكة الا ثابت من عند الله ليقطع اي يهلك وينقص طرفا من الذين
كفروا اي طائفة منهم بقتل واسر وقد وقع ذلك حيث قتل من رؤسائهم وصناديدهم سبعون واسر سبعون
او يكبتهم اي يخزيهم ويغيظهم فان الكبت شدة غيظ او وهن يقع في القلب من كبته بمعنى كبده اذا ضرب
كبده بالغيظ او الحرقة وقيل الكبت الاصابة بمكروه وقيل هو الصرع للوجه واليدين فالتاء غير
مبدلة واو للتنويع فينقلبوا خائبين اي فينهزموا منقطعي الآمال غير فائزين من مبتغاهم بشيء
كما في قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شيء اعتراض وسط بين
المعطوف عليه المتعلق بالعاجل والمعطوف المتعلق بالاجل لتحقيق ان لا تاثير للمنصورين اثر بيان انه لا
تاثير للناصرين وتخصيص النفي برسول الله صلى الله عليه وسلم على طريق تلوين الخطاب للدلالة على
الانتفاء من غيره بالطريق الاولى وانما خص الاعتراض بموقعه لان ما قبله من القطع والكبت من مظان
ان يكون فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولسائر مباشري القتال مدخل في الجملة او يتوب عليهم
او يعذبهم عطف على يكبتهم والمعنى ان مالك امرهم على الاطلاق وهو الله عز وجل نصركم عليهم ليهلكهم
او يكبتهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا وليس لك من امرهم شيء وانما انت عبد مامور
بانذارهم والمراد بتعذيبهم التعذيب الشديد الاخروي المخصوص باشد الكفرة كفرا والا فمطلق التعذيب
الاخروي متحقق في الفريقين الاولين ايضا ونظم التوبة والتعذيب المذكور في سلك العلة الغائية
للنصر المترتبة عليه في الوجود من حيث ان قبول توبتهم فرع تحققها الناشئ من علمهم بحقية الاسلام
بسبب عليه اهل المترتبة على النصر وان تعذيبهم بالعذاب المذكور مترتب على اصرارهم على الكفر
بعد تبين الحق على الوجه المذكور هذا وقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
احد وكسر رباعيته فجعل عليه السلام يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه

الدم

الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك
من الامر شيء الاية كانه نوع معاتبة على انكاره عليه السلام لفلاحهم وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه
الله تعالى لعلمه بان منهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب عليهم او من تعذيبهم شيء او المتوبة عليهم او تعذيبهم
ونقل عن ... بان منهم من يؤمن فقوله تعالى او يتوب الى المغيا وابن الانباري ان او بمعنى الا ان والمعنى ليس لك من
امرهم شيء الا ان يتوب عليهم فتفرح به او يعذبهم فتتشفى منهم واياما كان فهو كلام مستانف سيق لبيان
بعض الامور المتعلقة بغزوة احد اثر بيان بعض ما يتعلق بغزوة بدر لما بينهما من التناسب الظاهر لان
كلا منهما مبني على اختصاص الامر كله بالله تعالى ومنبئ عن سلبه عمن سواه واما تعلق كل القصة بغزوة
احد على ان قوله تعالى اذ تقول بدل ثان من اذ غدوت وان ما حكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع
يوم احد وان الامداد الموعود كان مشروطا بالصبر والتقوى انما هو الامداد بخمسة الاف لا بثلاثة الاف
مع انه لم يقع الامداد يومئذ ولم يملك واحدا اما ثانيا فلانه كان ينبغي ح ان ينعى عليهم جناياتهم وحرمانهم
بسببها تلك النعمة ودعوى ظهوره مع عدم دلالة السياق والسياق عليه بل مع دلالتهما على خلافه مما
لا يكاد يسوغ واما ثالثا فلانه لا سبيل الى جعل الضمير في قوله تعالى وما جعله الله تعالى الى اخره الامداد
الموعود لانه لم يتحقق فكيف تبين علته الغائية ولا الى الوعد به على معنى انه تعالى انما جعل ذلك الوعد
لبشارتكم واطمئنان قلوبكم فلم تفعلوا ما شرط عليكم من الصبر والتقوى فلم يقع انجاز الموعود لان قوله تعالى
وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ينافي انه قد لا يقع الامداد الموعود ولكن اثره انما هو مجرد البشارة
والاطمئنان وقد حصلا واما النصر الحقيقي فليس ذلك الا من عنده تعالى وجعله تلبيسا فاهم قرار العدم من
وقوع الامداد على معنى ان النصر الموعود مخصوص به تعالى فلا ينصر من خالف امره بترك الصبر والتقوى
واعتساف يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان قوله تعالى ليقطع طرفا الاية متعلق حينئذ بما
تعلق به قوله تعالى من عند الله من الثبوت والاستقرار ضرورة ان تعلقه بقوله تعالى ولقد نصركم الله
ببدر الاية مع كون ما بينهما من التفصيل متعلقا بوقعة احد من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه فلا بد من
اعتبار وجود النصر قطعا لان التفصيل الاحكام المترتبة على وجود شيء بصدد لبيان انتفائه مما لم
يعهد في كلام الناس فضلا عن الكلام المجيد فالحق الذي لا محيد عنه انه قوله تعالى اذ تقول ظرف لنصركم
وان ما حكي في اثنائه الى قوله تعالى خائبين متعلق بيوم بدر قطعا وما بعده محتمل للوجهين المذكورين
وقوله تعالى فانهم ظالمون تعليل على كل حال ولله ما في السموات كلام مستانف سيق لبيان اختصاص ملكوت كل الكائنات
به عز وجل اثر بيان اختصاص مبنى طرف من ذلك به سبحانه تقريرا لما سبق وتكملة له وتقديم الجار للقصر
وكلمة ما شاملة للعقلاء ايضا تغليبا له اي له ما فيهما من الموجودات خلقا وملكا لا دخل فيه لاحد اصلا
فله الامر كله يغفر لمن يشاء ان يغفر له مشيئته مبنية على الحكم والمصالح ويعذب من يشاء ان يعذبه
بعدله مشيئته لذلك والله غفور رحيم باثبات كلمة من في المومنين لاختصاص المغفرة والتعذيب بالعقلاء
وتقديم المغفرة على التعذيب للايذان بسبق رحمته تعالى غضبه وبانها من مقتضيات الذات دونه فانه
من مقتضيات سيئات العصاة وهذا صريح في نفي وجوب التعذيب والتقييد بالتوبة وعدمها كالمنافي له
يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا كلام مبتدا مشتمل على ما هو ملاك الامر في كل باب لاسيما في باب الجهاد
من التقوى والطاعة وما بعدها من الامور المذكورة على نهج الترغيب والترهيب جيء به في تضاعيف
القصة مسارعة الى ارشاد المخاطبين الى ما فيه وايذانا بكمال وجوب المحافظة فيما امروا به من الجهاد فان
الامور المذكورة فيه مع كونها مناطا للفوز في الدارين على الاطلاق فعمدة في امر الجهاد عليها يدور
فلك النصرة والغلبة كيف لا ولو حافظوا على الصبر والتقوى وطاعة الرسول عليه السلام لما لقوا
ما لقوا ولعل ايراد النهي عن الربوا في تضاعيفها لما انه الترغيب في الانفاق في السراء والضراء الذي عمدته
الانفاق في سبيل الله للجهاد متضمن للترغيب في تحصيل المال الذي هو مظنة مبادرة الناس الى طرق
الاكتساب ومن جملتها الربوا فنهوا عن ذلك والمراد بالاكل اخذه وانما عبر عنه بالاكل لما ان معظم ما يقصد
بالاخذ لشيوعه في الماكولات مع ما فيه من زيادة تشنيع وقوله عز وجل اضعافا مضاعفة ليس
لتقييد النهي به بل لمراعاة ما كانوا عليه من العادة توبيخا لهم بذلك اذ كان الرجل يربي الى اجل فاذا
حل قال للمدين زدني في المال حتى ازيدك في الاجل فيفعل وهكذا عند محل كل اجل فيستغرق بالشيء
القليل الطفيف ماله بالكلية ومحله النصب على الحالية من الربوا وقرئ مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم
عنه من الامور التي من جملتها الربوا لعلكم تفلحون راجين الفلاح واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالتحرز
عن متابعتهم وتعاطي ما يتعاطون كان ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه يقول هي اخوف اية في القرآن
حيث اوعد الله المومنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه واطيعوا الله في كل ما

بقوله تعالى او يعذبهم مبين لكون ذلك من جهتهم
وجزاء لظلمهم ولله ما في السموات وما في الارض صح

امركم به ونهاكم عنه والرسول الذي يبلغكم اوامره ونواهيه لعلكم ترحمون راجين لرحمته عقب الوعيد
بالوعد ترهيبا على المخالفة وترغيبا في الطاعة وايراد لعل في الموضعين للاشعار بعزة منال الفلاح
والرحمة قال محمد بن اسحاق هذه الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين امرهم بما
امرهم يوم احد وسارعوا عطف على اطيعوا وقرئ بغير واو على وجه الاستيناف اى بادروا واقبلوا
وقرئ وسابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة اى الى ما يؤدي اليهما وقيل الى الاسلام وقيل الى التوبة وقيل
الى الاخلاص وقيل الى الجهاد وقيل الى اداء جميع الواجبات وترك جميع المنهيات ويدخل فيها ما من
الامور المأمور بها والمنهي عنها دخولا اوليا وتقديم المغفرة على الجنة لما ان التخلية متقدمة على التحلية
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لمغفرة اى كائنة من ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى
ضمير المخاطبين لاظهار مزيد اللطف بهم وقوله تعالى عرضها السموات والارض اى كعرضهما صفة لجنة
وتخصيص العرض بالذكر للمبالغة في وصفها بالسعة والبسطة على طريقة التمثيل فان العرض في العادة
ادنى من الطول وعن ابن عباس رضي الله عنهما كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض اعدت
للمتقين في حيز الجر على انه صفة اخرى لجنة او في محل النصب على الحالية منها لتخصصها بالصفة اى
هيئت لهم وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة الآن وانها خارجة عن هذا العالم الذين ينفقون في محل الجر
على انه نعت للمتقين مادح لهم او بدل منه او بيان او في حيز النصب او الرفع على المدح ومفعول
ينفقون محذوف لتعينه او لكل ما يصلح للانفاق او متروك بالكلية كما في قولك يعطي ويمنع في السراء والضراء
في حالتي الرخاء والشدة واليسر والعسر او في الاحوال كلها اذ الانسان لا يخلو عن مسرة او مضرة اى لا
في حال ما بانفاق ما قدروا عليه من قليل او كثير والكاظمين الغيظ عطف على الموصول والعدول الى صيغة
الفاعل للدلالة على الاستمرار واما الانفاق فحيث كان امرا متجددا عبر عنه بما يفيد الحدوث والتجدد والكظم
الحبس يقال كظم القربة اى حبسه قال المبرد تأويله انه كتمه على امتلائه منه يقال كظمت السقاء اذا ملأته
وسددت عليه اى الممسكين عليه الكافين عن امضائه مع القدرة عليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه امنا وايمانا والعافين عن الناس اى التاركين عقوبة من
استحق مؤاخذته روى انه ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله تعالى فلا يقوم الا
من عفا وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي
مضت وفي هذين الموضعين تمهيد حسن موقع عفوه عليه السلام الى ترك ما عزم عليه من مجازاة المشركين
بما فعلوا بحمزة رضي الله تعالى عنه حيث قال حين رآه قد مثل به لأمثلن بسبعين مكانك والله يحب
المحسنين اللام اما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا واما للعهد عبر عنهم بالمحسنين ايذانا بان النعوت
المعدودة من باب الاحسان الذي هو الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم
لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها والذين مرفوع على الابتداء وقيل مجرور معطوف على ما قبله من صفات
المتقين وقوله تعالى والله يحب المحسنين اعتراض بينهما من المتفاوت فان درجة الاولين من التقوى
اعلى من درجة هؤلاء وحظهم اوفى من حظهم او على نفس المتقين فيكون التفاوت اكثر واظهر اذا فعلوا فاحشة
اى فعلة بالغة في القبح كالزنا او ظلموا انفسهم بان اتوا ذنبا اى ذنب كان وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس
الصغيرة او الفاحشة ما يتعدى الى الغير وظلم النفس ما ليس كذلك قيل قال المؤمنون يا رسول الله كانت بنو
اسرائيل اكرم على الله منا كان احدهم اذا اذنب اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة داره افعل كذا
فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل ان نبهان التمار اتته امرأة حسناء تطلب منه تمرا فقال لها هذا التمر
ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها
وندم على ذلك واتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت وقيل جرى مثل هذا بين انصاري
وامرأة رجل ثقفي كان بينهما مؤاخاة فندم الانصاري وحثا على رأسه التراب وهام على وجهه وجعل
يسيح في الجبال تائبا مستغفرا ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وايا ما كان فاطلاق اللفظ ينتظم
ما فعله الرماة انتظاما اوليا ذكروا الله تذكروا حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء او وعيده
او حكمه وعقابه فاستغفروا لذنوبهم بالتوبة والندم والفاء للدلالة على ان ذكره تعالى مستتبع
للاستغفار لا محالة ومن يغفر الذنوب استفهام انكاري والمراد بالذنوب جنسها كما في قولك فلان يلبس
الثياب ويركب الخيل لا كلها حتى يخل بما هو المقصود من استحالة صدور مغفرة فرد منها عن غيره تعالى وقوله
تعالى الا الله بدل من الضمير المستكن في يغفر اى لا يغفر جنس الذنوب احد الا الله وهذا ان دلالة الاستفهام
على الانتفاء اقوى وابلغ لايذانه بان كل واحد ممن يتأتى منه الخطاب يعرف ذلك فيسارع الى الجواب به

والمراد

والمراد به وصفه سبحانه وتعالى بغاية سعة الرحمة وعموم المغفرة والجملة معترضة بين المعطوفين اى
بين الحال وصاحبها لتقرير الاستغفار والحث عليه والاشعار بالوعد بالقبول ولم يصروا عطف على
فاستغفروا وتأخيره عنه مع تقدم عدم الاصرار على الاستغفار رتبة لاظهار الاعتناء بشأن الاستغفار
واستحقاقه للمسارعة اليه عقيب ذكره تعالى وحال من فاعله اى ولم يقيموا او غير مقيمين على ما فعلوا اى ما
فعلوه من الذنوب فاحشة كانت او ظلما او على فعلهم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ما اصر من استغفر
وان عاد في اليوم سبعين مرة وانه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل
يصروا اى لم يصروا على ما فعلوا وهم عالمون بقبحه وبالنهي عنه والوعيد عليه والتقييد بذلك لما انه
قد يعذر من لا يعلم ذلك اذا لم يكن عن تقصير في تحصيل العلم به اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار
اتصافهم بما مر من الصفات الحميدة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم في
الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى جزاؤهم بدل اشتمال منه وقوله تعالى مغفرة خبر له او جزاؤهم مبتدأ ثان
ومغفرة خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر لقوله تعالى والذين اذا فعلوا الى آخره على الوجه الاول
وهو الاظهر الانسب بنظم المغفرة المنبئة عن سابقة الذنوب في سلك الجزاء اذ على الوجهين الاخيرين يكون
قوله تعالى اولئك الى آخره جملة مستأنفة مبينة لما قبلها كاشفة عن حال كلا الفريقين المحسنين
والتائبين ولم يذكر من اوصاف الاولين ما فيه شائبة الذنب حتى يذكر في مطلع الجزاء الشامل لهما
المغفرة وتخصيص الاشارة بالاخيرين واشتراكهما في حكم اعداد الجنة لهما تعسف ظاهر من ربهم متعلق بمحذوف
وقع صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية اى كائنة من جهته تعالى والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة الحكم والتشريف وجنات تجري من تحتها الانهار
عطف على مغفرة والتنكير المشعر بكونها ادنى من الجنة السابقة مما يؤيد رجحان الوجه الاول خالدين فيها
حال من الضمير في جزاؤهم لانه مفعول به في المعنى لانه في قوة يجزيهم الله جنات خالدين فيها ولا مساغ لان
يكون حالا من جنات في اللفظ وهو لصاحبها في المعنى اذ لو كان كذلك لبرز الضمير ونعم اجر العاملين
المخصوص بالمدح محذوف اى ونعم اجر العاملين ذلك اى ما ذكر من المغفرة والجنات والتعبير عنهما
بالاجر المشعر بانهما مستحقان بمقابلة العمل وان كان بطريق التفضل لمزيد الترغيب في الطاعة
والزجر عن المعاصي والجملة تذييل مختص بالتائبين حسب اختصاص التذييل السابق بالاولين ولعل تغيير
مضمونهما دليلا على ما بين الفريقين من التفاوت النير والتباين البين قد خلت من قبلكم سنن
رجوع الى تفصيل بقية القصة بعد تمهيد مبادي الرشد والصلاح وترتيب مقدمات الفوز
والفلاح والمعنى وقائع سنها الله تعالى في الامم المكذبة وقيل الامم اما متعلق بخلت او بمحذوف وقع حالا
من سنن اى مضت من قبل زمانكم اى كائنة من قبلكم وقايع سنها الله تعالى في الامم المكذبة كما في
قوله عز وجل وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا الى آخره والفاء في قوله تعالى فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين للدلالة على سببية خلوها للسير والنظر والامر بهما وقيل المعنى على
الشرط اى ان شككتم فسيروا والاخرة كيف خبر مقدم لكان معلق بفعل النظر والجملة في محل النصب بعد
نزع الخافض لان الاصل استعماله بالى هذا اشارة الى ما سلف من قوله قد خلت الى آخره بيان
للناس اى تبيين لهم على ان اللام متعلقة بالمصدر او كائن لهم على انها متعلقة بمحذوف وقع صفة له وتعريف
الناس للعهد وهم المكذبون اى ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب فان الامر بالسير والنظر وان
كان خاصا بالمؤمنين لكن العمل بموجبه غير مختص بواحد دون واحد ففيه حمل للمكذبين ايضا على ان
ينظروا في عواقب من قبلهم من اهل التكذيب ويعتبروا بما يعاينون من آثار دمارهم وان لم يكن الكلام
مسوقا لهم وهدى وموعظة للمتقين اى زيادة بصيرة وموعظة لكم وانما قيل للمتقين للايذان بعلة الحكم فان
مدار كونه هدى وموعظة هو تقواهم ويجوز ان يراد بالمتقين الصابرين الى التقوى والهدى والموعظة
على ظاهرهما اى بيان لامي الناس وهداية لمن اتقى منهم وتخويف لهم عما هم عليه من التكذيب
وان يراد به ما يعمهم وغيرهم من المتقين بالفعل ويراد بالهدى والموعظة ايضا ما يعم ابتداءهما والزيادة
فيهما وانما قدم كونه بيانا للمكذبين مع انه غير مسوق له [illegible] هدى وموعظة للمتقين مع انه المقصود
بالسياق [illegible]
فاموريته عليه وتخصيص البيان بالناس مع شموله للمتقين ايضا لما ان المراد به مجرد البيان العاري عن
الهدى والعظة [illegible]
ان يكون تعريف الناس للجنس اى هذا بيان للناس كافة وهدى وموعظة للمتقين منهم خاصة [illegible]
اشارة الى الحاصل [illegible] المتقين والتائبين والمصرين وقوله تعالى قد خلت الاية اعتراض للبعث

على الايمان وما يستحق به ما ذكر من احوال العاملين وانت خبير بان الاحتراز لابد ان يكون مقررا لمضمون
ما وقع في خلاله ومعاينة هلاك اثار المكذبين مما لا تعلق له بحال احد الاصناف الثلثة للمؤمنين فان
كان باعتبار الايمان ناجيا عن التكذيب وقيل اشارة الى القران ولا تهنوا تشجيع
للمؤمنين وتقوية لقلوبهم وتسلية عما اصابهم يوم احد من القتل والقرح وكان قد قتل يومئذ خمسة
من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ومصعب بن عمير صاحب راية رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعبد الله بن جحش بن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان بن شماس وسعد مولى عتبة رضي الله عنه
ومن الانصار سبعون رجلا رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اي لا تضعفوا عن الجهاد بما نالكم من الجراح
ولا تحزنوا على من قتل منكم وانتم الاعلون جملة حالية من فاعل الفعلين اي والحال انكم الاعلون الغالبون
دون عدوكم فان مصير امرهم الى الدمار حسبما شاهدتم من احوال اسلافهم فهو تصريح بالوعد
بالنصر والغلبة والاشعار به فيما سبق او انتم المعهودون بغاية علو الشان لما انكم على الحق وقتالكم
لله عز وجل وقتلاكم في الجنة وهم على الباطل وقتالهم للشيطان وقتلاهم في النار وقيل وانتم الاعلون
حالا منهم حيث اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم اليوم ان كنتم مؤمنين متعلق بالنهي او بالاعلون
وجوابه محذوف لدلالة ما تعلق به عليه اي ان كنتم مؤمنين فلا تهنوا ولا تحزنوا فان الايمان يوجب
قوة القلب والثقة بصنع الله تعالى وعدم المبالاة باعدائه او ان كنتم مؤمنين بالله تعالى فانتم
الاعلون وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقيق المعلق به كما في قول الاجير ان كنت عملت
لك فاعطني حقي ولذلك قيل معناه اذ كنتم مؤمنين وقيل معناه ان بقيتم على الايمان ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله القرح بالفتح والضم لغتان كالضعف والضعف وقد قرئ بهما وقيل هو
بالفتح الجراح وبالضم المها وقرئ بفتحتين وقيل القرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم
يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال
فانتم احق بان لا تضعفوا فانكم ترجون من الله ما لا يرجون وقيل كلا المسين كان يوم احد فان المسلمين
نالوا منهم قبل ان يخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلوا منهم نيفا وعشرين رجلا منهم
صاحب لوائهم وجرحوا عددا كثيرا وعقروا عامة خيلهم بالنبل وتلك الايام اشارة الى الايام الجارية
فيما بين الامم الماضية والاتية كافة لا الى الايام المعهودة خاصة من يوم بدر ويوم احد بل هي داخلة
فيها دخولا اوليا والمراد بها اوقات الظفر والغلبة نداولها بين الناس نصرفها بينهم نديل لهؤلاء تارة
ولهؤلاء اخرى كقول من قال ۞ فيوما علينا ويوما لنا ۞ ويوما نساء ويوما نسر ۞ والمداولة كالمعاورة
يقال داولته بينهم فتداولوه اي عاورته فتعاوروه واسم الاشارة مبتدا والايام اما صفة له او
بدل منه او عطف بيان له ونداولها خبره او خبر فنداولها حال من الايام والعامل معنى اسم الاشارة
او خبر بعد خبر وصيغة المضارع الدالة على التجدد والاستمرار للايذان بان تلك المداولة سنة
مسلوكة فيما بين الامم قاطبة سابقتها ولاحقتها وفيه ضرب من التسلية وقوله عز وجل وليعلم الله
الذين امنوا اما من باب التمثيل اي ليعاملكم معاملة من يريد ان يعلم المخلصين الثابتين على الايمان من
غيرهم او العلم فيه مجاز عن التمييز بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اي ليميز الخبيث من الطيب
او هو على حقيقته معتبر من حيث تعلقه بالمعلوم من حيث انه موجود بالفعل اذ هو الذي يدور
عليه فلك الجزاء لا من حيث انه موجود بالقوة واطلاق الايمان مع ان المراد هو الرسوخ والاخلاص
فيه للايذان بان اسم الايمان لا ينطلق على غيره والالتفات الى الغيبة باسناده الى اسم الذات المستجمع
للصفات لتربية المهابة والاشعار بان صدور كل واحد مما ذكر بصدد التعليل من افعاله تعالى
باعتبار منشا معين من صفاته تعالى مغاير لمنشا الاخر والجملة علة لما هو فرد من افراد مطلق المداولة
التي نطق بها قوله تعالى نداولها بين الناس من المداولة المعهودة الجارية بين فريق المؤمنين والكافرين بنفس
الفعل المطلق باعتبار وقوعه بينهما والجملة معطوفة على علة اخرى لها معتبرة اما على الخصوص وتعيين
محذوفة للدلالة المذكور عليها لكونها من مبادئه كانه قيل نداولها بينكم وبين عدوكم ليظهر امركم وليعلم
الى اخره فان ظهور اعمالهم وخروجها من القوة الى الفعل من مبادي تميزهم عن غيرهم ومن موجبات تعلق العلم
الازلي بها من تلك الحيثية وكذا الحال في باب التمثيل فتامل واما على العموم والابهام للتنبيه على ان العلة
غير منحصرة فيما عد من الامور وان العبد يسوءه ما يجري عليه من النوائب ولا يشعر بان لله تعالى في
ذلك من اللطائف الخفية ما لا يخطر بالبال كانه قيل نداولها بينكم ليكون من المصالح كيت وكيت وليعلم الى
اخره وفيه من تاكيد التسلية ومزيد التبصرة ما لا يخفى وتخصيص البيان بعلة هذا الفرد من مطلق
المداولة دون سائر افرادها الجارية فيما بين بقية الامم تعيينا او ابهاما لعدم تعلق الغرض العلمي ببيانها

ولك

ولك ان تجعل المحذوف المبهم عبارة عن علل سائر افرادها للاشارة اجمالا الى ان كل فرد من افرادها له
علة داعية اليه كانه قيل نداولها بين الناس كافة ليكون كيت وكيت من الحكم الداعية الى تلك الافراد
وليعلم الى اخره فاللام الاولى متعلقة بالفعل المطلق باعتبار تقيده بتلك الافراد والثانية باعتبار
تقيده بالفرد المعهود وقيل هي متعلقة بمحذوف مؤخر تقديره وليعلم الله الذين امنوا فعل ذلك
ويتخذ منكم شهداء جمع شهيد اي ويكرم ناسا منكم بالشهادة وهم شهداء احد فمن ابتدائية او تبعيضية
متعلقة بيتخذ او بمحذوف وقع حالا من شهداء او جمع شاهد اي ويتخذ منكم شهودا معدلين بما ظهر منهم
من الثبات على الحق والصبر على الشدائد وغير ذلك من شواهد الصدق ليشهدوا على الامم يوم القيمة
فمن بيانية لان تلك الشهادة وظيفة الكل دون المستشهدين فقط وايا ما كان ففي لفظ الاتخاذ المنبي
عن الاصطفاء والتقريب من تشريفهم وتفخيم شانهم ما لا يخفى وقوله تعالى والله لا يحب الظالمين اعتراض
مقرر لمضمون ما قبله ونفي المحبة كناية عن البغض وفي ايقاعه على الظالمين تعريض بمحبته تعالى
لمقابليهم والمراد بهم اما غير الثابتين على الايمان فالتقرير من حيث ان بغضه تعالى لهم من دواعي اخراج
المخلصين المصطفين للشهادة من بينهم واما الكفرة الذين اديل لهم فالتقرير من حيث ان ذلك ليس
بطريق النصرة لهم فانها مختصة باوليائه تعالى بل لما ذكر من الفوائد العائدة الى المؤمنين وقوله
تعالى وليمحص الله الذين امنوا اي ليصفيهم ويطهرهم من الذنوب عطف على يتخذ وتكرير اللام لتذكير
التعليل لوقوع الفصل بينهما بالاعتراض واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز مزيد الاعتناء بشان
التمحيص وهذه الامور الثلثة علل للمداولة المعهودة باعتبار كونها على المؤمنين قدمت في الذكر لانها
المحتاجة الى البيان ولعل تاخير العلة الاخيرة عن الاعتراض لئلا يتوهم اندراج المذنبين في الظالمين او لتقترن
بقوله عز وعلا ويمحق الكافرين فان التمحيص فيه محو الاثار وازالة الاوضار كما ان المحق عبارة عن النقص
والاذهاب قال المفضل هو ان يذهب الشيء بالكلية حتى لا يرى منه شيء ومنه قوله تعالى يمحق الله الربا
ويربي الصدقات اي يستاصلهم وهذه علة للمداولة باعتبار كونها على الكافرين والمراد بهم الذين حاربوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واصروا على الكفر وقد محقهم الله عز وجل جميعا ام حسبتم كلام مستانف
سيق لبيان ما هو الغاية القصوى من المداولة والنتيجة لما ذكر من التمييز الخلص وتمحيصهم واتخاذ الشهداء
او اظهار عزة منالها والخطاب للذين انهزموا يوم احد وام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن
التسلية ببيان العلل فيما لقوا من الشدة الى تحقيق انها من مبادي الفوز بالمطلب الاسنى والهمزة
للانكار والاستبعاد اي بل احسبتم ان تدخلوا الجنة وتفوزوا بنعيمها وقوله تعالى ولما يعلم الله الذين
جاهدوا منكم حال من ضمير تدخلوا مؤكدة للانكار فان رجاء الاجر بغير عمل ممن يعلم انه منوط به مستبعد
عند العقول وعدم العلم كناية عن عدم المعلوم لما بينهما من اللزوم المبني على لزوم تحقق الاول لتحقق
الثاني ضرورة استحالة تحقق شيء بدون علمه تعالى به وايثارها على التصريح للمبالغة في تحقيق المعنى
المراد فانها اثبات لعدم جهادهم بالبرهان وللايذان بان مدار ترتب الجزاء على الاعمال انما هو علم الله
تعالى بها كانه قيل والحال انه لم يوجد الذين جاهدوا منكم وانما وجه النفي الى الموصوفين مع ان المنفي
هو الوصف فقط كما يكفي ان يقال ولما يعلم الله جهادكم كناية عن عدم ولما تجاهدوا للمبالغة في بيان
انتفاء الوصف وعدم تحققه اصلا وفي كلمة لما ايذان بان الجهاد متوقع منهم فيما يستقبل الا انه غير
معتبر في تاكيد الانكار وقرئ يعلم بفتح الميم على ان اصله يعلمن فحذفت النون او على طريقة اتباع الميم
لما قبلها في الحركة ابقاء لتفخيم اسم الله تعالى ومنكم حال من الذين ويعلم الصابرين منصوب باضمار ان
على ان الواو للجمع كما في قولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن اي لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن
والمعنى ان حسبتم ان تدخلوا الجنة والحال انه لم يتحقق منكم الجهاد والصبر اي الجمع بينهما وايثار اسم
الفاعل على الموصول للدلالة على ان المعتبر هو الاستمرار على الصبر والمحافظة على الفواصل وقيل
مجزوم معطوف على المجزوم قبله قد حرك لالتقاء الساكنين بالفتح للخفة والاتباع كما مر ويؤيده
القراءة بالكسر على ما هو الاصل في تحريك الساكن وقرئ يعلم بالرفع على ان الواو للحال وصاحبها الموصول
والمبتدا محذوف اي وهو يعلم الصابرين كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون ولقد كنتم تمنون الموت
اي تتمنون الحرب فانها من مبادي الموت او الموت بالشهادة والخطاب للذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون
ان يشهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا لينالوا ما نال شهداء بدر من الكرامة فالحوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج ثم ظهر منهم خلاف ذلك من قبل ان تلقوه متعلق بتمنون
مبين لسبب اقدامهم على التمني او من قبل ان تشاهدوه وتعرفوا هوله وشدته وقرئ تلاقوه فقد
رايتموه اي ما تتمنونه من اسباب الموت او الموت بمشاهدة اسبابه وقوله تعالى وانتم تنظرون حال من ضمير

المخاطبين وفي ايثار الروية على الملاقاة وتقييدها بالنظر مزيد مبالغة في مشاهدتهم له والفاء
فصيحة كانه قيل ان كنتم صادقين في تمنيكم ذلك فقد رايتموه معاينين له حين قتل بين ايديكم من
قتل من اخوانكم واقاربكم وشاهدتم ان تقتلوا فلم فعلتم ما فعلتم وهو توبيخ لهم على تمنيهم الحرب وتسببهم
لها ثم جبنتم وانهزامهم لا على تمني الشهادة بناء على تضمنها لغلبة الكفار لما ان مطلب من يتمنا ها نيل
الشهدا من غير ان يخطر بباله شيء غير ذلك فلا يستحق العتاب من تلك الجهة وما محمد الا رسول مبتدا
وخبر ولا عمل لما بالاتفاق لانتقاض نفيه بالا وقوله قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول منبئة
عن كونه في شرف الخلو فان خلو مشاركته في منصب الرسالة من شواهد خلوه لا محالة كانه قيل قد
خلت من قبله امثاله فسيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه بعده كما يجب التمسك بدينهم بعدهم
فرد عليهم بانه ليس الا رسول كساير الرسل فسيخلو كما خلوا ويجب التمسك بدينه كما يجب التمسك
بدينهم وقيل هو قصر افراد فانهم لما استعظموا عدم بقايه عليه السلام نزلوا منزلة المستبعدين
لهلاكه كانهم يعتقدون فيه عليه الصلوة والسلام وصفين الرسالة والبعد عن الهلاك فرد عليهم بانه
مقصور على الرسالة لا يتجاوزها الى البعد عن الهلاك فلا بد حينئذ من جعل قوله تعالى قد خلت الى اخره
كلاما مبتدا مسوقا لتقرير انه عليه السلام من الهلاك وبيان كونه اسوة لمن قبله من الرسل عليهم
السلام وايا ما كان فالكلام مخرج على خلاف مقتضى الظاهر افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم
انكار لارتدادهم وانقلابهم عن الدين بخلوه بموت او قتل بعد علمهم بخلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به
وقيل الباء للسببية والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم بعد وفاته مع كونه
سببا في الحقيقة للثبات على الدين وايراد الموت بكلمة ان مع العلم به البتة لتنزيل المخاطبين منزلة
المترددين فيه لما ذكر من استعظامهم اياه وهكذا الحال في ساير الموارد فان كلمة ان في كلام الله تعالى لا تجري على
ظاهرها قط لاستحالة تعلقه تعالى بالوقوع بل تحمل على اعتبار حال السامع او امر اخر يناسب المقام وتقديم
تقدير الموت مع ان تقدير القتل هو الذي ثار منه الفتنة وعظم فيه المحنة لما ان الموت في شرف الوقوع
فزجر الناس عن الانقلاب عنده وحملهم على الثبات هناك ولان الوصف الجامع بينه وبين الرسل
عليهم السلام هو الخلو بالموت دون القتل روي انه لما التقى الفئتان حمل ابو دجانة في نفر من المسلمين
على المشركين فقاتل قتالا شديدا وقاتل علي بن ابي طالب رضي الله عنه قتالا عظيما حتى التوى سيفه
وكذا سعد بن ابي وقاص فقتلوا جماعة من المشركين وهزموهم فلما نظر الرماة اليهم وقد هزموا
اقبلوا على النهب ولم يلتفتوا الى نهي اميرهم عبد الله بن جبير فلم يبق منهم عنده الا ثمانية نفر فلما راهم
خالد بن الوليد قد اشتغلوا بالغنيمة حمل عليهم فيما بين خمسين فارسا من المشركين من قبل الشعب
وقتلوا من بقي من الرماة ودخلوا خلف اقفية المسلمين ففرقوهم وهزموهم وحملوا على اصحاب
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتلوهم حتى اصيب هناك نحو ثلثين رجلا منهم كلهم يجثوا بين
يديه ويقول وجهي لوجهك وقاء ونفسي لنفسك فداء وعليك سلام الله غير مودع ورمى عبد الله بن
قمية الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه الكريم فذب عنه مصعب
بن عمير رضي الله عنه وكان صاحب الراية حتى قتله ابن قمية وهو يزعم انه قتل النبي صلى الله عليه
وسلم فقال قتلت محمدا وصارخ صارخ قيل انه ابليس الا ان محمدا قد قتل فانكفأ الناس وجعل الرسول
صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله قال كعب بن مالك كنت اول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المسلمين فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحاز اليه ثلثون
من اصحابه وحموه حتى كشفوا عنه المشركين وتفرق الباقون وقال بعضهم ليت ابن ابي ياخذ لنا امانا
من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال انس بن
النضر وهو عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا كراما على ما مات عليه ثم قال
اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرا اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه وقاتل حتى قتل
وتجويزهم قتله عليه السلام مع قوله تعالى والله يعصمك من الناس لما ان كل اية ليس يسمعها كل احد
ولا كل من يسمعها يستحضرها في كل مقام لا سيما في مثل ذلك المقام الهائل وقد غفل عمر رضي الله تعالى
عنه عن هذه الاية الكريمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم وقام في الناس فقال ان رجالا من المنافقين
يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ولكنه
ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله ليرجعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا قطعن ايدي رجال وارجلهم الذين يزعمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

والتقصير قولهم فانهم لما انقلبوا على اعقابهم فكانهم اعتقدوا انه عليه السلام رسول لا كساير الرسل في انه يخلو كما خلوا صح

مات

ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران فغاب عن قومه اربعين ليلة ثم رجع والله
ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قطعن ايدي رجال وارجلهم الذين يزعمون ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مات ولم يزل يكرر ذلك الى ان قام ابو بكر رضي الله تعالى عنه فحمد الله عز وجل
واثنى عليه ثم قال ايها الناس من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت
ثم تلا وما محمد الا رسول الاية قال الراوي فوالله لكان الناس لم يعلموا ان هذه الاية نزلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها ابو بكر وقال عمر رضي الله عنه ما هو الا ان سمعت ابا بكر رضي الله
عنه يتلوها فعقرت حتى ما تحملني رجلاي وعرفت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات ومن ينقلب على عقبيه
بادباره عما كان يقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر الجهاد وغيره وقيل بارتداده عن الاسلام
وما ارتد يومئذ احد من المسلمين الا ما كان من المنافقين فلن يضر الله بما فعل من الانقلاب شيئا اي
شيئا من الضرر وانما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب وسيجزي الله الشاكرين اي الثابتين على دين
الاسلام الذي هو احق بان يحمد واعز معروف يسموا بذلك لان الثبات عليه شكر له وعرفان لحقه وفيه ايما
الى كفران المنقلبين وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المراد بهما الطائعون لله تعالى من المهاجرين
والانصار وعن علي رضي الله عنه وابو بكر واصحابه وعنه رضي الله عنه انه قال ابو بكر من الشاكرين
ومن احباء الله تعالى واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار للابراز مزيد الاعتناء بشان جزائهم وما كان
لنفس ان تموت الا باذن الله كلام مستانف سيق للتنبيه على خطايهم فيما فعلوا حذرا من قتلهم وبناء
على الارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم ببيان ان موت كل نفس منوط بمشيئة الله عز وجل لا يكاد يقع
بدون تعلقها وان خوضت موارد الحتوف واقتحمت مضايق كل هايل مخوف وقد اشير بذلك الى انهم
لم تكن متعلقة بموتهم في الوقت الذي يحذرونه فيه ولذلك لم يقتلوا ولا احجامهم عن مباشرة القتال وكلمة
كان ناقصة اسمها ان تموت وخبرها الظرف على انه متعلق بمحذوف وقوله تعالى الا باذن الله استثناء مفرغ
من اعم الاسباب اي وما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس بسبب من الاسباب الا بمشيئته تعالى على ان الاذن
مجاز عن لوازمه والاذن لملك الموت في قبض روحها وسوق الكلام مساق التمثيل بتصوير الموت
بالنسبة الى النفوس بصورة الافعال الاختيارية التي لا ينبغي للفاعل ايقاعها والاقدام عليها بدون
اذنه تعالى او بتنزيل اقدامها على مباديه اعني القتال منزلة الاقدام على نفسه للمبالغة في تحقيق المرام
فان موتها حين استحالة وقوعه عند اقدامها عليه او على مباديه وسعيها في ايقاعه فلان يستحيل عند عدمه ذلك
اولى واظهر وفيه من التحريض على القتال ما لا يخفى كتابا مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اي كتبه الله
كتابا مؤجلا مؤقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ولو ساعة موجلا بالواو بدل الهمزة على قياس
التخفيف وبعد تحقيق انحصار الموت والحياة بحقيقة مشية الله عز وجل من غير ان يكون فيه مدخل لاحد اصلا
اشير الى ان توفية ثمرات الاعمال دائرة على ارادتهم ليصرفوها عن الاعراض الدنيية الى المطالب السنية
فقيل ومن يرد اي بعمله ثواب الدنيا نؤته منها اي من ثوابها ما نشاء اي
نؤتيه اياه كما في قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وهو تعريض بمن شغلتهم
الغنايم يومئذ فقد بين تفصيله ومن يرد اي بعمله ثواب الاخرة نؤته منها اي من ثوابها ما نشاء من الاضعاف
حسبما جرى به الوعد الكريم وسنجزي الشاكرين نعمة الاسلام الثابتين عليه الصادقين لما ايتهم الله تعالى
من القوى والقدر الى ما خلقت هي لاجله من طاعة الله عز وجل لا يلويهم عن ذلك صارف اصلا والمراد بهم اما
المجاهدون المعهودون من الشهداء وغيرهم واما جنس الشاكرين وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله ووعد بالمزيد عليه وفي تصديرها بالسين وابهام الجزاء من التاكيد ما لا يخفى
وقرئ الافعال الثلاثة بالياء وكاين كلام مبتدا ناع عليهم تقصيرهم وسوء صنيعهم في صدورهم عن سنن
الرباني المجاهدين في سبيل الله مع الرسل الخالية عليهم السلام وكاين لفظة مركبة من كاف التشبيه
واي حدث فيها بعد التركيب معنى التكثير كما حدث في كذا وكذا والنون تنوين اثبتت في الخط على غير قياس
ومنها جنس لغات هي اصلها هذه والثانية كاين مثل كاعن والثالثة كاين مثل كعين والرابعة كيء لا بياء ساكنة
بعدها همزة مكسورة وهي قلب ما قبلها والخامسة كان مثل كعن وقد قرئ بكل منها ومحلها الرفع بالابتدا
وقوله تعالى من نبي تمييز لها لانها مثل كم الخبرية وقد جاء تمييزها منصوبا كما في قوله ٭ اطرد اليأس ٭
بالرجا فكاين ٭ املا حم يسره بعد عسره ٭ وقوله تعالى قاتل معه ربيون كثير خبرها على ان الفعل مسند الى
الظاهر والرابط هو الضمير المجرور في معه وقرئ قتل وقتل على صيغة المبني للمفعول مخففة ومشددة
والربي منسوب الى الرب كالرباني وكسر الراء من التغييرات النسب وقرئ بضمها وبفتحها ايضا على الاصل
وقيل هو منسوب الى الربة وهي الجماعة اي كثير من الانبياء قاتل معه لاعلاء كلمة الله واعزاز دينه علماء اتقياء

اوعا بدون او جماعة كثيرة فالظرف متعلق بقاتل او بمحذوف وقع حالا من فاعله كما في القراتين الاخيرتين
اذلا احتمال فيهما لتعلقه بالفعل اى قتلوا او قتلوا كاينين معه في القتال لا في القتل قال سعيد ابن جبير
رضى الله عنه ما سمعنا بنبي قتل في القتال وقال الحسن البصري وجماعة من العظماء لم يقتل نبي في حرب
قط وقيل الفعل مسند الى ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والظرف متعلق بمحذوف وقع حالا منه والرابط
هو الضمير المجرور الراجع اليه وهذا واضح على القراءة المشهورة بلا اختلاف اى كم نبي قاتل كاينا معه في القتال
ربيون كثير واما على القراتين الاخيرتين فغير ظاهر لاسيما على قراءة التشديد وقد جوزه بعضهم وايده
بان مدار التوبيخ انخذالهم للارجاف بقتله صلى الله عليه وسلم اى كم من نبي قاتل كاينا معه في القتل او في
القتال ربيون الى اخره وقوله تعالى فما وهنوا عطف على قاتل على ان المراد عدم الوهن المتوقع من القتال
كما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشيء بعد وجود ما يوجب الاقلاع
عنه وان كان استمرارا عليه بحسب الظاهر لكنه بحسب الحقيقة صنع جديد مصحح لدخول الفاء المرتبة
له على ما قبله اى فما فتروا وما انكسرت همتهم لما اصابهم في اثناء القتال وهو علة للمنفي دون النفي ثم
يشعر بعلته وقوله تعالى في سبيل الله فان كون ذلك في سبيله عز وجل مما يقوي قلوبهم ويزيل وهنهم وما
موصولة او موصوفة فان جعل الضمير لجميع الربيين فهي عبارة عما عدا القتل من الجراح وسائر المكاره
المعترية للكل وان جعل للبعض الباقين بعد ما قتل الاخرون كما هو الانسب بمقام توبيخ المنخذلين بعد ما
استشهد الشهداء فهي عبارة عما ذكر مع ما اعتراهم من قتل اخوانهم من الخوف والحزن وغير ذلك هذا
على القراءة المشهورة واما على القراتين الاخيرتين فان اسند الفعل الى الربيين مع النبي في القتل
فالجميع ان اعتبر كونهم معه في القتال وما ضعفوا عن العدو وقيل عن الجهاد وقيل في الدين وما استكانوا
اى وما خضعوا للعدو واصله استكن من السكون لان الخاضع يسكن لصاحبه ليصنع به ما يريده والالف
من اشباع الفتحة او استكون من الكون لانه طلب ان يكون لمن يخضع له وهذا تعريض بما اصابهم من
الوهن والانكسار عند الاستيلاء الكفرة عليهم والارجاف بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وبضعفهم
عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم له حين ارادوا ان يعتضدوا بابن ابي المنافق في طلب الامان
من ابي سفيان والله يحب الصابرين اى على مقاساة الشدائد ومعاناة المكاره في سبيل الله فينصرهم
ويعظم قدرهم والمراد بالصابرين اما المعهودون والاظهار في موقع الاضمار للثناء عليهم بحسن الصبر
والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة تذييل لما قبلها وما كان قولهم
كلام مبين لمحاسنهم القولية معطوف على ما قبله من الجمل المبينة لمحاسنهم الفعلية وقولهم بالنصب
خبر لكان واسمها ان وما بعدها في قوله تعالى الا ان قالوا والاستثناء مفرغ من اعم الاشياء اى ما كان
قولا لهم عند لقاء العدو واقتحام مضايق الحرب واصابة ما اصابهم من فنون الشدائد والاهوال
شيء من الاشياء الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اى صغايرنا واسرافنا في امرنا اى تجاوزنا الحد في ركوب
الكبائر اضافوا الذنب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين برآء من التفريط في جنب الله تعالى
هضما لها واستقصارا لهممهم واسنادا لما اصابهم الى اعمالهم وقدموا الدعاء بغفرها على ما هو الاهم بحسب
الحال من الدعاء بقولهم وثبت اقدامنا اى في مواطن الحرب بالتقوى والتأييد من عندك او ثبتنا على
دين الحق وانصرنا على القوم الكافرين تقريبا له الى حيز القبول فان الدعاء المقرون بالخضوع الصادر
عن زكاء وطهارة اقرب الى الاستجابة والمعنى لم يزالوا مواظبين على الدعاء من غير ان يصدر عنهم
قول يوهم شائبة الجزع والخور والتزلزل في مواقف الحرب ومراصد الدين وفيه من التعريض بالمنهزمين
ما لا يخفى وقرأ ابن كثير وعاصم في رواية عنهما برفع قولهم على انه الاسم والخبر ان وما في حيزها اى ما كان
قولهم حينئذ شيئا من الاشياء الا هذا القول المنبئ عن احاسن المحاسن وهذا كما ترى اقعد بحسب المعنى واوفق
بمقتضى المقام لما ان الاخبار بكون قولهم المطلق خصوصية قولهم المحكي عنهم مفيد كما تفيده قراءتهما الكثر
افادة للسامع من الاخبار بكون خصوصية قولهم المذكور قولهم لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجملة
الخبرية هو الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدث واوفر اشتمالا على نسب
خاصة بعيدة من الوقوع في الخارج وفي ذهن السامع ولا يخفى ان ذلك هنا في ان مع ما في حيزها اتم
واكمل واما ما يفيده الاضافة من النسبة المطلقة الاجمالية بحيث كانت مسلمة الحصول خارجا وذهنا
كان حقها ان تلاحظ ملاحظة اجمالية ويجعل عنوانا للموضوع لا مقصودا بالذات في باب البيان ولما
اختار الجمهور ما اختاروه لقاعدة صناعية هي انه اذا اجتمع معرفتان فالاعرف منهما احق بالاسمية
ولا ريب في اعرفيته ان قالوا لدلالة على جهة النسبة وزمان الحدث ولانه يشبه المضمر من حيث
انه لا يوصف ولا يوصف به وقولهم مضافا الى ضمير فهو بمنزلة العلم فتأمل فآتاهم الله بسبب

دعاءهم ذلك ثواب الدنيا اى النصر والغنيمة والعز والذكر الجميل وحسن ثواب الاخرة اى وثواب
الاخرة الحسن وهو الجنة والنعيم المخلد والتخصيص وصف الحسن به للايذان بفضله ومزيته وانه المعتد به
عنده تعالى والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله فان محبة الله تعالى للعبد عبارة عن
رضاه عنه وارادة الخير به فهو مبدأ كل سعادة واللام اما للعهد وانما وضع المظهر موضع ضمير
المعهودين للايذان بان ما حكي عنهم من الافعال والاقوال من باب الاحسان واما للجنس وهم داخلون
فيه دخولا اوليا وهذا انسب بمقام ترغيب المؤمنين في تحصيل ما حكي عنهم من المناقب الجليلة يا ايها
الذين آمنوا شروع في زجرهم عن متابعة الكفار ببيان مضارها اثر ترغيبهم في الاقتداء بانصار الانبياء عليهم السلام ببيان افضائه الى فوزهم بسعادة الدارين وتصدير الخطاب
بالنداء والتنبيه لاظهار الاعتناء بما في حيزه ووصفهم بالايمان لتذكير حالهم وتثبيتهم عليها باظهار مباينتها
لحال اعدائهم كما ان وصف المنافقين بالكفر في قوله تعالى ان تطيعوا الذين كفروا لذلك قصدا الى مزيد
التنفير عنهم والتحذير عن طاعتهم قال على رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة
ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم فوقوع قوله تعالى يردوكم على اعقابكم جوابا للشرط مع كونه في
قوة ان يقالوا ان تطيعوهم في قولهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يدخلوكم في دينهم تمهيد لقوله تعالى
فتنقلبوا خاسرين اى للدنيا والاخرة غير فائزين بشيء منهما واقعين في العذاب الخالد على الارتداد
على العقب علم في انتكاس الامر ومثله في الحور بعد الكور وقيل المراد بهم اليهود والنصارى حيث كانوا
يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه
ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما عليه ويوما له وقيل ابو سفيان واصحابه
والمراد بطاعتهم استنباعهم والاستكانة لهم وقيل الموصول على عمومه والمعنى نهي المؤمنين عن طاعتهم
في امر من الامور حتى لا يستجروهم الى الارتداد عن الدين فلا حاجة على هذه التقادير الى ما مر من البيان
بل الله مولاكم اضراب عما يفهم من مضمون الشرطية كانه قيل فليسوا انصاركم حتى تطيعوهم بل الله
ناصركم لا غيره فاطيعوه واستغنوا به عن موالاتهم وقرئ بالنصب كانه قيل فلا تطيعوهم بل اطيعوا الله
مولاكم نصب على انه صفة له وهو خير الناصرين مخصوص بالطاعة والاستعانة سنلقي شروع في العظمة
طريق الالتفات جريا على سنن الكبرياء لتربية المهابة وقرئ بالياء والسين لتأكيد الالقاء في قلوب الذين
كفروا الرعب بسكون العين وقرئ بضمها على الاصل وهو ما قذف في قلوبهم من الخوف يوم احد حتى تركوا
القتال ورجعوا بغير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما
صنعنا شيئا قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فعند ذلك القى الله
تعالى في قلوبهم الرعب فامسكوا فلا بد من كون نزول الاية في تضاعيف الحرب او عقيب انقضائه
وقيل ما القي في قلوبهم من الرعب يوم الاحزاب بما اشركوا بالله متعلق بنلقي دون الرعب وما مصدر
ية اى بسبب اشراكهم به تعالى فانه من موجبات خذلانهم ونصر المؤمنين عليهم وكلاهما من دواعي
الرعب ما لم ينزل به اى باشراكه سلطانا اى حجة سميت به لوضوحها وانارتها او لقوتها او لحدتها
ونفوذها او ذكر عدم تنزيلها مع استحالة تحققها في نفسها من قبيل قوله ولا ترى الضب
بها ينجحر اى ولا ضب ولا انجحار وفيه ايذان بان المتبع هو البرهان السماوي دون الاراء والاهواء
الباطلة ومأواهم بيان لاحوالهم في الاخرة اثر بيان احوالهم في الدنيا اى من الرعب اى ما يأوون
اليه في الاخرة النار لا ملجأ لهم غيرها وبئس مثوى الظالمين اى مثواهم وانما وضع موضع
المظهر المذكور للتغليظ والتعليل والاشعار بانهم ظالمون واضعون الشيء في غير موضعه
والمخصوص بالذم محذوف اى بئس مثوى الظالمين النار وفي جعلها مثواهم بعد جعلها مأواهم نوع
رمز الى خلودهم فيها فان المثوى مكان الاقامة المنبئة عن المكث واما المأوى فهو المكان الذي
يأوي اليه الانسان ولقد صدقكم الله وعده نصب على انه مفعول ثان لصدق صريحا وقيل بنزع
الجار اى في وعده نزلت حين قال ناس من المؤمنين عند رجوعهم من المدينة من اين اصابنا هذا وقد
وعدنا الله بالنصر وهو ما وعدهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من النصر حيث قال للرماة لا
تبرحوا مكانكم فلن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وفي رواية اخرى لا تبرحوا عن هذا المكان فانا لا نزال
غالبين ما دمتم في هذا المكان وقد كان كذلك فان المشركين لما اقبلوا جعل الرماة يرشقونهم والباقون
يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم قتلا ذريعا وذلك قوله تعالى اذ تحسونهم
اى تقتلونهم قتلا كثيرا فاشيا من حسه اذا ابطل حسه وهو ظرف لصدقكم وقوله تعالى باذنه

اى تيسر وتوفيقه لتحقيق ان قتلهم بما وعدهم الله تعالى من النصر وقيل هو ما وعدهم بقوله تعالى
ان تصبروا وتتقوا الاية وقد مر تحقيقه ان ذلك كان يوم بدر كيف لا والموعود بما ذكر امداده
عز وجل بانزال الملائكة عليهم السلام وتقييد صدق وعده تعالى موقت وقيل هو ما وعده تعالى
بقوله سنلقى الى اخره وانت خبير بان القاء الرعب كان عند تركهم القتال ورجوعهم من غير سبب او
او بعد ذلك فى الطريق على اختلاف الروايتين واياما كان فلا سبيل الى كونه مغيا بقوله تعالى حتى
اذا فشلتم اى جبنتم وضعف رايكم او ملتم الى الغنيمة فان الحرص من ضعف القلب وتنازعتم فى الامر
فقال بعض الرماة حين انهزم المشركون وولوا هاربين والمسلمون على اعقابهم قتلا وضربا فما موقفنا
ههنا بعد هذا وقال اميرهم عبد الله بن جبير رضى الله عنه لا نخالف امر الرسول صلى الله عليه وسلم
فثبت مكانه فى نفر دون العشرة من اصحابه ونفر الباقون للنهب وذلك قوله تعالى وعصيتم من بعد
ما اراكم ما تحبون اى من الظفر والغنيمة وانهزام العدو فلما راى المشركون ذلك حملوا عليهم من قبل
الشعب وقتلوا امير الرماة ومن معه من اصحابه حسبما فصل فى تفسير قوله تعالى افان مات او قتل
انقلبتم على اعقابكم وجواب اذا محذوف وهو منعكم نصره وقيل هو امتحنكم ويرده جعل الابتلا غاية للصرف
المترتب على منع النصر وقيل هو انقسمتم الى قسمين كما ينبئ عنه قوله تعالى منكم من يريد الدنيا وهم الذين
تركوا المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الاخرة وهم الذين ثبتوا مكانهم حتى نالوا شرف الشهادة
هذا على تقدير كون اذا شرطية وحتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية وقيل اذا اسم كما فى قولهم اذا يقوم
زيد اذا يقوم عمرو وحتى حرف جر بمعنى الى متعلقة بقوله تعالى صدقكم باعتبار تضمنه لمعنى النصر كانه قيل
لقد نصركم الله الى وقت فشلكم وتنازعكم الى اخره وعلى هذا فقوله تعالى ثم صرفكم عنهم عطف على ذلك
وعلى الاول عطف على الجواب المحذوف كما اشير اليه والجملتان الظرفيتان اعتراض بين المتعاطفين اى
كفكم عنهم حتى حالت الحال ودالت الدولة وفيه من اللطف بالمسلمين ما لا يخفى ليبتليكم اى يعاملكم
معاملة من يمتحنكم بالمصائب ليظهر ثباتكم على الايمان عندها ولقد عفا عنكم تفضلا ولما علم من ندمكم
على المخالفة والله ذو فضل على المؤمنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ومؤذن بان ذلك العفو بطريق
التفضل والاحسان لا بطريق الوجوب عليه اى شانه ان يتفضل عليهم بالعفو وهو متفضل عليهم فى
جميع الاحوال اديل لهم او اديل عليهم اذ الابتلا ايضا رحمة والتنكير للتفخيم والمراد بالمؤمنين اما
المخاطبون والاظهار فى موقع الاضمار للتشريف والاشعار بعلة الحكم واما الجنس وهم داخلون فى الحكم
دخولا اوليا اذ تصعدون متعلق بصرفكم او بقوله تعالى ليبتليكم او بمقدر كاذكروا والاصعاد الذهاب
والابعاد فى الارض وقرئ تصعدون من الثلاثى اى فى الجبل وقرئ تصّعّدون من التفعل بطرح احدى
التائين وقرئ يصعدون بالالتفات الى الغيبة ولا تلوون على احد اى لا تلتفتون الى ما وراءكم ولا يقف
واحد منكم لواحد وقرئ تلون بواو واحدة بقلب الواو المضمومة همزة وحذفها تخفيفا وقرئ يلوون
كيصعدون والرسول يدعوكم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله انا رسول
الله من يكر فله الجنة وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للايذان بان دعوته عليه السلام كانت
بطريق الرسالة من جهته سبحانه وتعالى اشباعا فى توبيخ المنهزمين فى اخراكم فى ساقتكم وجماعتكم
الاخرى فاثابكم عطف على صرفكم اى فجازاكم الله تعالى بما صنعتم غما موصولا بغم من الاغتمام بالقتل
والجرح وظفر المشركين والارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له لكيلا تحزنوا على
ما فاتكم ولا ما اصابكم لتتمرنوا على الصبر فى الشدائد فلا تحزنوا على نفع فات او ضر ات وقيل لا زائدة
والمعنى لتتاسفوا على ما فاتكم من الظفر والغنيمة وعلى ما اصابكم من الجراح والهزيمة عقوبة لكم وقيل
الضمير فى اصابكم من الجراح وغير ذلك والله خبير بما تعملون اى عالم باعمالكم وبما قصدتم بها ثم انزل
عليكم عطف على قوله فاثابكم والخطاب للمؤمنين حقا من بعد الغم اى الغم المذكور والتصريح بتاخر
الانزال عنه مع دلالة ثم عليه وعلى تراخيه عنه لزيادة البيان والتذكير لعظم النعمة كما فى قوله
تعالى ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا الاية امنة اى امنا نصب على المفعولية وقوله تعالى نعاسا
بدل منها او عطف بيان وقيل مفعول له او هو المفعول وامنة حال عنه متقدمة عليه او مفعول
له او حال من المخاطبين على تقدير مضاف اى ذوى امنة او على انه جمع امن كبار وبررة وقرئ بسكون
الميم كانها مرة من الامن وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر وتخصيص الخوف من بين فنون الغم بالذكر لانه المهم عندهم لما ان المشركين لما
انصرفوا كانوا يتوعدون المؤمنين المسلمين بالرجوع فلم يامنوا كرتهم وكانوا تحت الحجف متاهبين

للقتال

للقتال فانزل الله تعالى عليهم الامنة فاخذهم النعاس قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما امنهم يومئذ
بنعاس يغشاهم بعد خوف وانما ينعس من امن والخائف لا ينام وقال الزبير رضى الله عنه كنت مع النبى
صلى الله عليه وسلم حين اشتد الخوف فانزل الله علينا النوم والله انى لاسمع قول معتب بن قشير
والنعاس يغشانى ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وقال ابو طلحة رضى الله
تعالى عنه رفعت راسى يوم احد فجعلت لا ارى احدا من القوم الا وهو يميل تحت حجفته من النعاس
قال وكنت ممن القى عليه النعاس يومئذ فكان السيف يسقط من يدى فاخذه ثم يسقط السوط من يدى
فاخذه وفيه دلالة على ان من المؤمنين من لم يلق عليه النعاس كما ينبئ عنه قوله عز وجل يغشى طائفة منكم
قال ابن عباس هم المهاجرون وعامة الانصار ولا يقدح ذلك فى عموم الانزال للكل والجملة فى محل
النصب على انها صفة لنعاسا وقرئ بالياء على انها صفة لامنة وفيه ان الصفة حقها ان تتقدم على
البدل او عطف البيان وان لا يتصل بينها وبين الموصوف بالمفعول له وان المعهود ان يحدث عن البدل
دون المبدل منه وطائفة قد اهمتهم انفسهم اى اوقعتهم فى الهموم والاحزان او ما يهمهم الا هم انفسهم وقصد
خلاصها من قولهم همنى الشئ اى كان من همى وقصدى والقصر مستفاد بمعونة المقام وطائفة مبتدا
وما بعدها اما خبرها وانما جاز ذلك مع كونها نكرة لاعتمادها على واو الحال كما فى قوله ۞ سرينا ونجم
قد اضاء فمذ بدا ۞ محياك اخفى ضوءه كل شارق ۞ او لوقوعها فى موقع التفصيل كما فى قوله ۞ اذا ما بكى من
خلفه انصرفت له ۞ بشق وشق عندنا لم يحول ۞ واما صفتها والخبر محذوف اى ومعكم طائفة او وهناك
طائفة وقيل تقديره ومنكم طائفة وفيه انه يقتضى دخول المنافقين فى الخطاب بانزال الامنة واياما
كان فالجملة اما حالية مبينة لفظاعة الهول مؤكدة لعظم النعمة فى الخلاص عنه كما فى قوله تعالى
اولم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم واما مستانفة مسوقة لبيان حال المنافقين
وقوله عز وجل يظنون بالله حال من ضمير اهمتهم او من طائفة لتخصيصها بالصفة او صفة اخرى لها
او خبر بعد خبر او استيناف مبين لما قبله وقوله تعالى غير الحق فى حكم المصدر اى يظنون به تعالى غير
الظن الحق الذى يجب ان يظن به سبحانه وقوله تعالى ظن الجاهلية بدل منه وهو الظن المختص بالملة
الجاهلية والاضافة كما فى حاتم الجود ورجل صدق وقوله تعالى يقولون بدل من يظنون لما ان مسالتهم
كانت صادرة من الظن اى يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صورة الاسترشاد هل لنا من الامر
اى من امر الله تعالى ووعده من النصر والظفر من شئ اى من نصيب قط او هل لنا من التدبير من
شئ وقوله تعالى قل ان الامر كله لله اى الغلبة بالاخرة لله تعالى ولاوليائه فان حزب الله هم
الغالبون او ان التدبير كله لله تعالى فانه تعالى قد دبر الامر كما جرى فى سابق قضائه فلا مرد له
وقرئ كله بالرفع على الابتداء وقوله تعالى يخفون فى انفسهم اى يضمرون فيما بينهم بطريق
الخفية ما لا يبدون لك انفسهم او يقول بعضهم لبعض فيما بينهم خفية لو كان لنا من الامر شئ كما وعد
محمد عليه السلام من ان الغلبة لله تعالى ولاوليائه وان الامر كله لله او لو كان لنا من التدبير والراى
شئ ما قتلنا ههنا اى ما غلبنا او ما قتل من قتل منا فى هذه المعركة على ان النفى راجع الى نفس القتل
لا الى وقوعه فقط او لما برحنا من منازلنا كما راه ابن ابى وغيره فيتعين مكان القتل وكذا قوله تعالى قل لو كنتم
فى بيوتكم اى لو لم تخرجوا الى احد وقعدتم بالمدينة كما تقولون لبرز الذين كتب عليهم القتل اى فى اللوح
المحفوظ لسبب من الاسباب الداعية الى البروز الى مضاجعهم الى مصارعهم التى قدر الله تعالى
قتلهم فيها وقتلوا هناك البتة ولم ينفع العزيمة على الاقامة بالمدينة قطعا فان قضاء الله تعالى لا
يرد وحكمه لا يعقب وفيه مبالغة فى رد مقالتهم الباطلة حيث لم يقتصر على تحقيق نفس القتل كما فى قوله
عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت بل عين مكانه ايضا ولا ريب فى تعين زمانه ايضا لقوله تعالى فاذا جاء
اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون روى ان ملك الموت حضر مجلس سليمان عليه السلام فنظر الى
رجل من اهل المجلس نظرة هائلة فلما قام قال الرجل من هذا قال سليمان عليه السلام هذا ملك الموت
فقال ارسلنى مع الريح الى عالم اخر فانى رايت منه مراى هائلا فامرها عليه السلام فالقته قطر سحيق
من اقطار العالم فما لبث ان عاد ملك الموت الى سليمان عليه السلام فقال كنت امرت بقبض روح
ذلك الرجل فى هذه الساعة فى ارض كذا فلما وجدته فى مجلسك قلت متى يصل هذا اليها وقد ارسلته
بالريح الى ذلك المكان فوجدته هناك فقضى امر الله عز وجل فى زمانه ومكانه من غير اخلال بشئ
من ذلك وقرئ كتب على البنا للفاعل ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد
على البنا للمفعول ونصب القتل وقرئ كتب عليهم القتال وقرئ لبرز بالتشديد على البنا للمفعول وليبتلى
الله ما فى صدوركم ۞ ليعاملكم معاملة من يبتليها فى صدوركم من الاخلاص والنفاق ويظهر ما فيها

من السواير وهو علة لفعل مقدر يجيلها معطوفة على علل لها اخرى مطوية للايذان بكثرتها كانه قيل فعل
ما فعل لمصالح جمة وليبتلي الى اخره وجعلها علة لا يبرز يا باه الذوق السليم فان مقتضى المقام بيان
حكمة ما وقع يومئذ من الشدة والهول لا بيان حكمة البروز المفروض ولفعل مقدر بعدها اي وللابتلا
المذكور فعل ما فعل لعدم العناية بامر المؤمنين ونحو ذلك وتقدير الفعل مقدما خال عن هذه الاية
وليمحص ما في قلوبكم من مخفيات الامور ويكشفها او يخلصها من الوساوس والله عليم بذات الصدور
اي السراير والضماير الخفية التي لا تكاد تفارق الصدور بل تلازمها او تصاحبها والجملة اما اعتراض
للتنبيه ان الله تعالى غني عن الابتلا وانما يبرز صورة الابتلا لتمييز المومنين واظهار حال المنافقين
او حال من متعلق الفعلين او فعل ما فعل للابتلاء والتمحيص والحال انه تعالى غني عنهما محيط بخفيات
الامور وفيه وعد ووعيد ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان وهم الذين انهزموا يوم احد حسبما
مر حكايتهم انما استزلهم الشيطان اي انما كان سبب انهزامهم ان الشيطان طالب منهم الزلل ببعض
ما كسبوا من الذنوب والمعاصي التي هي مخالفة امر النبي صلى الله عليه وسلم وترك المركز والحرص على
الغنيمة والحياة فحرموا التأييد وقوة القلب وقيل استزلال الشيطان توليهم وذلك بذنوب تقدمت
لهم فان المعاصي تجر بعضها الى بعض كالطاعة وقيل استزلهم بذنوب سبقت منهم وكرهوا القتل قبل
اخلاص التوبة والخروج من المظلمة ولقد عفا الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب
حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب والجملة تعليل لما قبلها على سبيل التحقيق وفي اظهار الجلالة تربية للمهابة
وتاكيد للتعليل يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وهم المنافقون القائلون لو كان لنا من الامر
شيء ما قتلنا ههنا وانما ذكر في صدر الصلة كفرهم تصريحا بمباينة حالهم لحال المؤمنين وتنفيرا عن مماثلتهم
ازدي المغر وقوله تعالى وقالوا لاخوانهم تعيين لوجه الشبه والمماثلة التي نهوا عنها اي قالوا لاجلهم
وفي حقهم اتفاقهم نسبا او مذهبا اذا ضربوا في الارض اي سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها وايثار
اذا المفيدة لمعنى الاستقبال على اذ المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية اذ المراد بها الزمان المستمر
المنتظم للحال الذي عليه يدور امر استحضار الصورة قال الزجاج اذا ههنا تنوب عما مضى من الزمان وما
يستقبل يعني انها لمجرد الوقت اي يقصد بها الاستمرار وظرفيتها لقولهم كانه قيل قالوا لاجلهم ما امتد
احوالهم حين ضربوا الى اخره او كانوا غزى جمع غاز كعفى جمع عاف قال • ومغبر الافاق
خاشعة الصوى • لها قلبي عن الحياض اجون • وقد قرئ بتخفيف الزاي على حذف التاء من غزاة وافراد
كونهم غزاة بالذكر مع اندراجه تحت الضرب لانه المقصود شانه في المقام وذكر الضرب في الارض
توطئة له وتقديمه لكثرته ووقوعه على انه قد يوجد بدون الضرب في الارض اذ المراد به السفر
البعيد وانما لم يقل او غزوا للايذان باستمرار اتصافهم بعنوان كونهم غزاة او بانقضاء ذلك اي كانوا
غزاة فيما مضى وقوله تعالى لو كانوا عندنا اي مقيمين ما ماتوا وما قتلوا مفعول لقالوا ودليل على ان
هنالك مضمرا قد حذف ثقة به اي اذا ضربوا في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا وليس المقصود
بالنهي عدم مماثلتهم في النطق بهذا القول بل في الاعتقاد بمضمونه والحكم بموجبه كما انه المنكر على قائليه
الا ترى الى قوله تعالى ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه الذي جعل حسرة فيها قطعا واليه اشير
بذلك كما نقل عن الزجاج انه اشارة الى ظنهم انهم لو لم يحضروا القتال لم يقتلوا وتعلقه بقالوا
ليس باعتبار نطقهم بذلك القول بل باعتبار ما فيه من الحكم والاعتقاد واللام لام العاقبة كما في قوله
تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون حسرة في قلوبهم والمراد بالتعليل المذكور
بيان عدم ترتب فائدة ما على ذلك اصلا وقيل هو تعليل للنهي يعني لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك
القول واعتقاده ليجعله الله تعالى حسرة في قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم فذلك كما ترى اشارة
الى ما دل عليه قولهم من الاعتقاد ويجوز ان يكون اشارة الى ما دل عليه النهي اي لا تكونوا مثلهم ليجعل
الله انتفا كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم فان مضادتكم لهم في القول والاعتقاد مما يغمهم ويغيظهم
والله يحيي ويميت رد لقولهم الباطل اثر بيان غائلته اي هو المؤثر في الحياة والممات وحده من غير ان يكون
للاقامة او السفر مدخل في ذلك فانه تعالى قد يحيي المسافر والغازي مع اقتحامهما لموارد الحتوف
ويميت المقيم والقاعد مع حيازتهما لاسباب السلامة والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين على ان
يماثلوهم وقرئ بالياء على انه وعيد للذين كفروا وبما يعملون عام يتناول قولهم المذكور ولمنشائه الذي
هو اعتقادهم ولما ترتب على ذلك من الاعمال ولذلك تعرض لعنوان البصر لا لعنوان السمع واظهار
الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والقاء الروعة والمبالغة في التهديد والتشديد في الوعيد
ولئن قتلتم في سبيل الله او متم شروع في تحقيق ان ما يحذرون ترتبه على الغزو والسفر من القتل

والموت في سبيل الله ليس مما ينبغي ان يحذر بل مما يجب ان يتنافس فيه المتنافسون اثر ابطال ترتبه
عليهما واللام هي الموطئة للقسم وما في قوله تعالى او من متعلقة بمحذوف وقع صفة للمبتدا وقد
حذفت صفة رحمة لدلالة المذكور عليها والجملة جواب للقسم ساد مسد جواب الشرط والمعنى
ان السفر والغزو ليس مما يجلب الموت ويقدم الاجل اصلا ولئن وقع ذلك بامر الله تعالى لمغفرة يسيرة
من مغفرته ورحمته كائنتين من الله تعالى بمقابلة ذلك خير مما تجمعون اي الكفرة من منافع الدنيا
وطيباتها مدة اعمارهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمرا وقرئ بالياء اي مما
يجمعونه انتم لو لم تموتوا والاقتصار على بيان خيريتهما من ذلك فلا تعرض للاخبار بحصولهما لهم للايذان
بعدم الحاجة اليه بناء على استحالة التخييب منه تعالى بعد الاطماع وقد قيل لا بد من حذف اخر لمغفرة
لكم من الله الى اخره وحينئذ ايضا يكون اخراج المقدر مخرج الصفة دون الخبر لنحو ما ذكر من ادعا الظهور
والغنى من الاخبار به وتغيير لترتيب الواقع في قولهم ما ماتوا وما قتلوا المبني على كثرة الوقوع وتلته
للمبالغة في الترغيب بالجهاد ببيان زيادة مزية القتل في سبيل الله وانافته في استجلاب المغفرة
والرحمة وفيه دلالة واضحة على ما مر من المقصود بالنهي انما هو عدم مماثلتهم في الاعتقاد بمضمون القول
المذكور والعمل بموجبه لا في النطق به واضلال الناس به ولئن متم او قتلتم اي على اي وجه اتفق هلاككم
حسب تعلق الارادة الالهية وقد قرئ متم بسكون الميم من مات يمات لالى الله اي الى المعبود بالحق العظيم
الشان الواسع الرحمة الجزيل الاحسان تحشرون لا الى غيره فيوفي اجوركم ويجزل لكم عطاءكم والكلام في الجملة
كما مر في اختها فبما رحمة من الله لنت لهم تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والفاء لترتيب مضمون الكلام على ما ينبئ عنه السياق من استحقاقهم اللائمة والتعنيف بموجب الجبلة
البشرية او من سعة ساحة مغفرته تعالى ورحمته والباء متعلقة بلنت قدمت عليه للقصر وما
مزيدة للتوكيد او نكرة ورحمة بدل منها مبين لابهامها والتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف وقع
صفة لرحمة اي فبرحمة عظيمة لهم كائنة من الله تعالى وهي ربطه على جاشه وتخصيصه بمكارم الاخلاق
لنت لهم اي لين الجانب لهم وعاملتهم بالرفق والتلطف بهم حيث اغتممت لهم بعد ما كان منهم ما كان من
مخالفة امرك واسلامك للعدو ولو كنت فظا جافيا في المعاشرة قولا وفعلا وقال
الراغب الفظ هو الكريه الخلق وقال الواحدي هو الغليظ الجانب السيء الخلق غليظ القلب قاسيه
وقال الكلبي فظا في القول غليظ القلب في الفعل لانفضوا من حولك لتفرقوا من عندك ولم يسكنوا
اليك وترددوا في مهاوي الردى والفاء في قوله عز وجل فاعف عنهم لترتيب العفو والامر به على ما قبله
اي اذا كان الامر كما ذكر فاعف عنهم فيما يتعلق بحقوقك كما عفا الله عنهم واستغفر لهم الله فيما يتعلق
بحقوقه تعالى اتماما للشفقة عليهم واكمالا للبر بهم وشاورهم في الامر اي في امر الحرب اذ هو المقصود
او فيه وفي امثاله مما يجري فيه المشاورة عادة استظهارا بارائهم وتطييبا لقلوبهم وتمهيدا لسنة
المشاورة للامة وقرئ وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت اي عقيب المشاورة على شيء واطمانت
به نفسك فتوكل على الله في امضاء امرك على ما هو ارشد لك واصلح فان علمه مختص به سبحانه وتعالى
وقرئ فاذا عزمت على صيغة المتكلم اي عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد
ذلك احدا والالتفات لتربية المهابة وتعليل التوكل والامر به فان عنوان الالوهية الجامعة لجميع الصفات
الكمال مستدع للتوكل عليه تعالى والامر به ان الله يحب المتوكلين عليه تعالى فينصرهم ويرشدهم
الى ما فيه خير وصلاح والجملة تعليل للتوكل عليه تعالى وقوله تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم
جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب تشريفا للمؤمنين لايجاب توكلهم عليه تعالى وحثهم على
الالتجاء اليه وتحذيرهم عما يفضي الى الخذلان اي ان ينصركم كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم في طريق نفي الجنس
المنتظم لنفي جميع افراد الغالب ذاتا وصفة ولو قيل فلا يغلبكم احد لدل على نفي الصفة فقط ثم المفهوم
من ظاهر النظم الكريم وان كان نفي مغلوبيتهم من غير تعرض لنفي المساواة ايضا وهو الذي يقتضيه
المقام لكن المفهوم منه فيما قطعا هو نفي المساواة واثبات الغالبية للمخاطبين فانا قلت لا اكرم من
فلان او لا افضل منه حتما انه اكرم من كل فاضل وهذا امر مطرد في جميع اللغات ولا اختصاص له بالنفي
الصريح بل هو مطرد فيما ورد على طريق الاستفهام الانكاري كما في قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله
كذبا في مواقع كثيرة من التنزيل ومما هو نص قاطع فيما ذكرنا في صورة هود حيث قيل بعده في حقهم
لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون فان كونهم اخسر من كل خاسر يستدعي قطعا كونهم اظلم من كل ظالم
وان يخذلكم كما فعله يوم احد وقرئ يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا فمن ذا الذي ينصركم استفهام انكار
مفيد لانتفاء الناصر ذاتا وصفة بطريق المبالغة من بعده اي من بعد خذلانه تعالى على معنى اذا

لمغفرة من الله ورحمة لام الابتدا والتنوين في الموضعين
للتقليل والموت في سبيل الله تعالى صح

جاوزتموه وعلى الله فليتوكل المؤمنون تقديم الجار والمجرور على الفعل لافادة قصره عليه تعالى والفا
لترتيب الامر به على ما مر من غالبية المخاطبين على تقدير نصرته تعالى لهم ومغلوبيتهم على
تقدير خذلانه تعالى اياهم فان العلم بذلك مما يقتضي قصر التوكل عليه تعالى لا محالة والمراد بالمؤمنين
اما الجنس والمخاطبون داخلون فيه دخولا اوليا واما هم خاصة بطريق الالتفات وايا ما كان ففيه من
تشريف لهم بعنوان الايمان اشتراكا واستقلالا والتعليل لحكم التوكل عليه تعالى فان وصف الايمان
مما يوجبه قطعا وما كان لنبي اي وما صح لنبي من الانبياء عليهم السلام ولا استقام له ان يغل اي يخون
في المغنم فان النبوة تنافيه منافاة بينة يقال غل شيئا من المغنم يغل غلولا واغل اغلالا اذا اخذه خفية
والمراد ما تنزيه ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ظن به الرماة يوم احد حين تركوا المركز
وافاضوا في الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ شيئا فهو له ولا تقسم الغنائم
كما لم يقسمها يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم
امري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم بينكم واما المبالغة
في النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روي انه بعث طلائع فغنم النبي عليه السلام بعدهم غنائم
فقسمها بين الحاضرين ولم يترك للطلائع شيئا فنزلت والمعنى ما كان للنبي ان يعطي قوما من العسكر ويمنع
آخرين بل عليه ان يقسم بين الكل بالسوية وعبر عن حرمان بعض الغزاة بالغلول تغليظا واما ما قيل من
ان المراد تنزيهه عليه السلام عما تفوه به بعض المنافقين لفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم احدها فبعيد
جدا وقرئ على البناء للمفعول والمعنى ما كان له ان يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل يأت بما غل
يوم القيامة يأت بالذي غله بعينه يحمله على عنقه كما ورد في الحديث الشريف وروي انه عليه السلام
انه قال الا لا اعرفن احدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد يا محمد
فاقول لا املك لك من الله شيئا فقد بلغتك او يأت بما احتمل من اثمه وبالا له ثم توفى كل نفس ما كسبت
اي تعطى وافيا جزاء ما كسبت خيرا وشرا كثيرا او يسيرا ووضع المكسوب موضع جزائه تحقيقا للعدل
ببيان ما بينهما من تمام التناسب كما وكيفا فانهما شيء واحد وفي اسناد التوفية الى كل كاسب وتعليقها
بكل مكسوب مع ان المقصود بيان حال الغال عند اتيانه بما غله يوم القيامة من الدلالة على فخامة شأن
اليوم وهول مطلعه والمبالغة في بيان فظاعة حال الغال ما لا يخفى فانه حين ما وفي كل كاسب جزاء
كسبه ولم ينقص منه شيء وان كان جرمه في غاية القلة والحقارة فلان لا ينقص من جزاء الغال شيء
وجرمه من اعظم الجرائم اظهر وهم اي كل الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يظلمون بزيادة عقاب
او بنقص ثواب افمن اتبع رضوان الله اي سعى في تحصيله وانتحى نحوه حيثما بفعل الطاعات وترك
المنكرات ومن يسيء بسيئته كمن باء اي رجع بسخط عظيم لا يقادر قدره كائن من الله تعالى بسبب
معاصيه كالغال ومن يدين بدينه والمراد تأكيد نفي الغلول عن النبي عليه السلام وتقوية تحقيق المباينة
الكلية بينه وبين الغال حيث وصف كل منهما بنقيض ما وصف به الاخر فقوبل رضوانه تعالى بسخطه د
والاتباع والبوء والمجيء والفاء لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المماثلة بينهما والحكم بها على ما ذكر من حال
الفاعل كانه قيل ابعد ظهور حاله يكون من ترقى الى اعلى عليين كمن تردى الى اسفل سافلين واظهار الاسم
الجليل في موقع الاضمار لادخال الروعة وتربية المهابة ومأواه جهنم اما كلام مستأنف مسوق لبيان
مال امر من باء بسخطه تعالى واما معطوف على قوله تعالى باء بسخط عطف الجملة الاسمية على الفعلية
وايا ما كان فلا محل له من الاعراب وبئس المصير اعتراض تذييلي والمخصوص بالذم محذوف اي وبئس
المصير جهنم والفرق بينه وبين المرجع ان الاول يعتبر فيه الرجوع على خلاف الحالة الاولى بخلاف الثاني هم
راجع الى الموصولين باعتبار المعنى درجات عند الله اي طبقات متفاوتة في علمه وحكمه شبهوا بها في
تفاوت الاحوال وتباينها بالدرجات مبالغة وايذانا بان بينهم تفاوتا ذاتيا كالدرجات او ذوو درجات
والله بصير بما يعملون من الاعمال والدرجات فيجازيهم بحسبها لقد من الله جواب قسم محذوف اي
والله لقد من الله اي انعم على المؤمنين اي من قومه عليه السلام اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم اي من
نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفقهوا كلامه بسهولة ويكونوا واقفين على حاله في الصدق والامانة
مفتخرين به وفي ذلك شرف لهم عظيم قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقرئ من انفسهم اي اشرفهم
فانه عليه السلام كان من اشرف قبائل العرب وبطونها وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث الى اخره
على انه خبر لمبتدأ محذوف اي ومنه اذ بعث الى اخره او على ان اذ في محل الرفع على الابتداء بمعنى لمن من الله
على المؤمنين وقت بعثه وتخصيصهم بالامتنان مع عموم نعمة البعثة للاسود والاحمر لما مر من مزيد
انتفاعهم بها وقوله تعالى من انفسهم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسولا اي كائنا من انفسهم وقوله تعالى

يتلوا

يتلو عليهم اياته صفة اخرى اي يتلو عليهم القرآن بعد ما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي
ويزكيهم عطف على يتلو اي يطهرهم من دنس الطبائع وسوء العقائد واوضار الاوزار ويعلمهم الكتاب والحكمة
اي القرآن والسنة وهو صفة اخرى لرسولا مترتبة في الوجود على التلاوة للايذان بان كل واحد من الامور
المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعي ترتيب الوجود كما في قوله تعالى ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم يتلو عليهم اياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم لتبادر الى الفهم عد الجميع نعمة واحدة
وهذا هو السر في التعبير عن القرآن بالايات تارة وبالكتاب والحكمة اخرى رمزا الى انه باعتبار كل عنوان
نعمة على حدة ولا يقدح في ذلك شمول الحكمة لما في مطاوي الاحاديث الكريمة من الشرائع كما سلف في
سورة البقرة وان كانوا من قبل اي من قبل بعثته عليه السلام وتزكيته وتعليمه لفي ضلال مبين اي بين
لا ريب في كونه ضلالا وان هي المخففة من ان المثقلة وضمير الشأن محذوف واللام فارقة بينها وبين
النافية والظرف الاول لغو متعلق بكان والثاني خبرها وهي مع خبرها خبر لان المخففة التي حذف اسمها
اعني ضمير الشأن وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اي وما كانوا من قبل الا في ضلال مبين وايا ما كان فالجملة
اما حال من الضمير المنصوب في يعلمهم او مستأنفة وعلى التقديرين فهي مبينة لكمال النعمة وتمامها
اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها قلتم انى هذا كلام مبتدأ مسوق لابطال بعض ما صدر عنهم من
الظنون الفاسدة والاقاويل الباطلة الناشئة منها اثر ابطال بعض اخر منها والهمزة للتقريع والتقرير
والواو عاطفة لمدخولها على محذوف قبلها ولما ظرف لقلتم مضاف الى ما بعده وقد اصبتم في
محل الرفع على انه صفة لمصيبة والمراد بها ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين منهم وبمثليها ما اصاب
اصاب المشركين يوم بدر من قتل سبعين منهم واسر سبعين منهم وانى هذا مقول قلتم وتوسيط الظرف وما
يتعلق به بينه وبين الهمزة مع ان المقصود انكاره والمعطوف بالواو حقيقة لتأكيد النكير وتشديد
التقريع فان فعل القبيح في غير وقته ابشع والانكار على فاعله ادخل والمعنى حين اصابكم من المشركين نصف
ما اصابهم منكم قبل ذلك جزعتم وقلتم من اين اصابنا هذا وقد تقدم الوعد بالنصر على توجيه الانكار
والتقريع الى صدور ذلك القول عنهم في ذلك الوقت خاصة بناء على عدم كونه مظنة له داعيا اليه بل
على كونه داعيا الى عدمه فان كون مصيبة عدوهم ضعف مصيبتهم مما يهون الخطب ويورث السلوى افعلتم ما
فعلتم ولما اصابتكم غائلته قلتم انى هذا على توجيه الانكار الى استبعادهم الحادثة مع مباشرتهم لسببها وتذكير
اسم الاشارة في انى هذا مع كونه اشارة الى المصيبة ليس لكونها عبارة عن القتل ونحوه بل لما ان اشارتهم
ليست الا الى ما شاهدوه في المعركة من حيث هو من غير ان يخطر ببالهم تسمية باسم المصيبة وانما هي عند الحكاية
وقوله عز وجل قل هو من عند انفسكم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب عن سؤالهم الفاسد اثر
تحقيق فساده بالانكار والتقريع وتبكيتهم ببيان ان ما نالهم انما نالهم من جهتهم بتركهم المركز وحرصهم على الغنيمة
وقيل باختيارهم الخروج من المدينة ويأباه ان الوعد كان بعد ذلك كما ذكر عند قوله تعالى ولقد صدقكم الله
وعده الاية وان عمل النبي صلى الله عليه وسلم بموجبه قد رفع الحظر عنه وخفف جنايتهم فيه على ان اختيار
الخروج والاصرار عليه كان ممن اكرمهم الله تعالى بالشهادة يومئذ وبينهم من المتعوذ بما عنه الكلمة
وقيل بأخذهم الفداء يوم بدر قبل ان يؤذن لهم والاول هو الاظهر الاقوى ويعضده توسيط خطاب
الرسول صلى الله عليه وسلم بين الخطابين المتوجهين الى المؤمنين وتفويض التبكيت اليه عليه السلام
فان توبيخ الفاعل على الفعل اذا كان ممن نهاه عنه كان اشد تأثيرا والله على كل شيء قدير ومن جملته النصر
عند الطاعة والخذلان عند المخالفة وحيث خرجتم عن الطاعة اصابكم منه تعالى والجملة تذييل مقرر لمضمون
ما قبلها داخل تحت الامر وما اصابكم رجوع الى خطاب المؤمنين اثر خطابه عليه السلام لمستقتضيه د
وارشاد لهم الى حقيقة الحق فيما سألوا عنه وبيان لبعض ما فيه من الحكم والمصالح ورفع لما عسى يتوهم
من قوله تعالى قل هو من عند انفسكم من استقلالهم في وقوع الحادثة والعدول عن الاضمار الى ما ذكر للتهويل
وزيادة التعريف ببيان وقته بقوله تعالى يوم التقى الجمعان اي جمعكم وجمع المشركين فباذن الله اي فهو
كائن بقضائه وتخليته الكفار سمى ذلك اذنا لكونها من لوازمه وليعلم المؤمنين عطف على قوله تعالى فباذن
الله عطف السبب على المسبب والمراد بالعلم التمييز والاظهار فيما بين الناس وليعلم الذين نافقوا عطف
على ما قبله من مثله واعادة الفعل لتشريف المؤمنين وتنزيههم عن الانتظام في قرن المنافقين وللايذان
بان اختلاف حال العلم بحسب التعلق بالفريقين فانه متعلق بالمؤمنين على نهج تعلقه السابق وبالمنافقين
على وجه جديد هو السر في ايراد الاولين بصيغة اسم الفاعل المنبئة عن الاستمرار والاخيرين بموصول
صلته فعل دال على الحدوث والمعنى وما اصابكم يومئذ فهو كائن لتمييز الثابتين على الايمان والذين اظهروا
النفاق وقيل لهم عطف على نافقوا داخل معه في حيز الصلة او كلام مبتدأ قال ابن عباس رضي الله عنهم عبد الله

ابن ابي واصحابه حين انصرفوا يوم احد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم عبد الله ابن عمرو بن
حزم اذكركم الله ان تخذلوا نبيكم وقومكم ودعاهم الى القتال وذلك قوله تعالى قاتلوا في سبيل الله
او ادفعوا قال السدي ادفعوا عنا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا وقيل او ادفعوا عن اهلكم
وبلدكم وحريمكم ان لم تقاتلوا في سبيل الله تعالى وترك العطف بين تعالوا وقاتلوا لما ان المقصود بهما واحد
وهو الثاني وذكر الاول توطئة له وترغيب فيه لما فيه من الدلالة على التظاهر والتعاون قالوا استئناف
وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كانه قيل فماذا صنعوا حين خيروا بين الخصلتين المذكورتين لو
نعلم قتالا لاتبعناكم اي لو نحسن قتالا ونقدر عليه وانما قالوه دغلا واستهزاء وانما عبر عن نفي
القدرة على القتال بنفي العلم به لما ان القدرة على الافعال الاختيارية مستلزمة للعلم بها او لو نعلم ما
يصح ان يسمى قتالا لاتبعناكم ولكن ما انتم بصدده ليس بقتال اصلا وانما هو القاء النفس الى التهلكة
وفي جعلهم الثاني مجرد الاتباع دون القتال الذي هو المقصود بالدعوة دليل على كمال تثبطهم عن القتال
حيث لا ترضى نفوسهم بجعله تاليا لعدم مستحيل الوقوع هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان الضمير مبتدأ
واقرب خبره واللام في الكفر والايمان متعلقة به وكذا يومئذ ومنهم وعدم جواز تعلق حرفين متحدين
لفظا ومعنى بعامل واحد بلا عطف او بدلية وانما هو فيما عدا افعل التفضيل من العوامل لاتحاد حيثية
عملها واما افعل التفضيل فحيث دل على اصل الفعل وزيادته جرى مجرى عاملين كانه قيل قربهم للكفر
زيادة على قربهم للايمان وقيل تعلق الجارين به لشبههما بالظرفين هم للكفر يومئذ اذ قالوا ما قالوا اقرب منهم
للايمان فانهم كانوا قبل ذلك متظاهرين بالايمان وما ظهرت منهم امارة مؤذنة بكفرهم فلما انخذلوا عن
عسكر المسلمين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل
الكفر اقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليل سواد المسلمين بالانخذال تقوية للمشركين وقوله تعالى يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وذكر الافواه والقلوب تصوير لنفاقهم وتوضيح
لمخالفة ظاهرهم وباطنهم وما عبارة عن القول والمراد به اما نفس الكلام الظاهر في اللسان تارة وفي القلب
اخرى فالمثبت والمنفي متحدان ذاتا وان اختلفا مظهرا واما القول الملفوظ فقط فالمنفي حينئذ معناه الذي
لا ينفك عنه القول اصلا وانما عبر عنه به ابانة لما بينهما من شدة الاتصال اي يتفوهون بقول لا وجود له
او لمعناه في قلوبهم اصلا من الاباطيل التي من جملتها ما حكي عنهم انفا فانهم اظهروا فيه امرين ليس في قلوبهم
شيء منهما احدهما عدم العلم بالقتال والاخر الاتباع على تقدير العلم به فقد كذبوا فيهما كذبا بينا
حيث كانوا عالمين به غير ناوين للاتباع بل كانوا مصرين مع ذلك على الانخذال عازمين على الارتداد
وقوله عز وجل والله اعلم بما يكتمون زيادة تحقيق لكفرهم ونفاقهم ببيان اشتغال قلوبهم بما يخالف
اقوالهم من فنون الشر والفساد اثر بيان خلوها عما يوافقها وصيغة التفضيل لما ان بعض ما يكتمونه من
احكام النفاق ودواهي المؤمنين وتخطئة ارائهم والشماتة بهم يعلمه المؤمنون على وجه الاجمال

وغير ذلك صح

وان تفاصيل ذلك وكيفياته مختصة بالعلم الذين قالوا مرفوع على انه بدل من ضمير افواههم او قلوبهم
كما في قوله على جوده لضن بالماء حاتم والمراد بهم عبد الله بن ابي واصحابه لاخوانهم اي لاجلهم وهم من
قتل يوم احد من جنسهم او من اقاربهم فيندرج فيهم بعض الشهداء وقعدوا حال من ضمير قالوا بتقدير
قد اي قالوا وقد قعدوا عن القتال بالانخذال لو اطاعونا اي فيما امرناهم به ووافقونا في ذلك ما قتلوا
كما لم نقتل وفيه ايذان بانهم امروهم بالانخذال حين انخذلوا واغووهم كما غووا وحمل القعود عليها
لتصويب ابن ابي عند المشاورة من الاقامة بالمدينة ابتداء وجعل الاطاعة عبارة عن قبول رايه والعمل
به يرده كون الجملة حالية فانها لتعيين ما فيه من العصيان والمخالفة مع ان ابن ابي ليس من القاعدين
فيها بذلك المعنى على ان تخصيص عدم الطاعة باخوانهم يتادى باختصاص الامر بهم فيستحيل ان
يحمل على ما خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم عند المشاورة قل تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم فادرءوا
عن انفسكم الموت جواب الشرط محذوف تعويلا على ما بعده من قوله تعالى ان كنتم صادقين كما ان الشرط
حذف في جوابه لدلالة الجواب المذكور عليه اي ان كنتم صادقين فيما ينبئ عنه قولكم من انكم قادرين على دفع
القتل عمن كتب عليه فادفعوا عن انفسكم الموت الذي كتب عليكم معلقا بسبب خاص موقتا بوقت معين
بدفع سببه فان اسباب الموت في امكان المدافعة بالحيل وامتناعها سواء وانفسكم اعز عليكم من اخوانكم
وامرها اهم لديكم من امرهم والمعنى ان عدم قتلكم كان بسبب انه لم يكن مكتوبا عليكم لا بسبب انكم
دفعتموه بالقعود مع كتابته عليكم فان ذلك مما لا سبيل اليه بل قد يكون القتال سببا للنجاة والقعود
موديا الى الموت روي انه مات يوم قالوا ما قالوا سبعون منافقا فقال اريد ان كنتم صادقين في مضمون
الشرطية والمعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين فقوله تعالى فادرءوا

عن انفسكم الموت ح استهزاء بهم اي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا
كما درأتم في زعمكم هذا السبب الخاص ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا كلام مستأنف مسوق لبيان
ان القتل الذي يحذرونه ويحذرون الناس ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب الذي يتنافس فيها
المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي ولا تحسبن بكسر السين والمراد بهم شهداء احد وكانوا
سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شهاب وعبد الله بن
جحش وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او
لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقرئ بالياء على الاسناد الى ضميره عليه السلام او ضمير من يحسب وقيل الى
الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف لانه في الاصل مبتدأ جائز الحذف عند القرينة والتقدير ولا يحسبنهم
الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد من توجيه النهي اليهم تنبيه السامعين على انهم احقاء بان يسلوا
بذلك ويبشروا بالحياة الابدية والكرامة السنية والنعيم المقيم لكن لا في جميع اوقاتهم بل عند ابتداء
القتل اذ بعد تبين حالهم لهم لا يبقى لاعتبار تنبيههم وتبشيرهم فائدة ولا لتنبيه السامعين وتذكيرهم وجه
وقرئ قتلوا بالتشديد لكثرة المقتولين بل احياء اي بل هم احياء وقرئ منصوبا اي بل احسبهم احياء على ان
الحسبان بمعنى اليقين كما في قوله حسبت التقى والجود خير تجارة * رباحا اذا ما المرء اصبح ناقلا * او على
انه وارد على طريق المشاكلة عند ربهم في محل الرفع على انه خبر ثان للمبتدأ المقدر او صفة لاحياء او في محل
النصب على انه حال من الضمير في احياء وقيل هو ظرف لاحياء وللفعل بعده والمراد بالعندية التقرب والزلفى
والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم لمزيد تكرمة لهم
يرزقون اي من الجنة وفيه تاكيد لكونهم احياء وتحقيق لمعنى حياتهم قال الواحدي الاصح في حياة الشهداء
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وترد انهار
الجنة وتاكل من ثمارها وتسرح في الجنة حيث شاءت وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش
وفيه دلالة على ان روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف عليه ادراكه وتألمه
والتذاذه ومن قال بتجرد النفوس من البشرية يقول ان المراد ان نفوس الشهداء تتمثل طيرا خضرا وتتعلق
بها فتلتذ بما ذكر وقيل المراد انها تتعلق بالافلاك والكواكب فتلتذ بذلك وتكتسب زيادة كمال فرحين
بما اتاهم الله من فضله وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والزلفى من الله عز وجل والتمتع
بالنعيم المخلد عاجلا ويستبشرون يسرون بالبشارة بالذين لم يلحقوا بهم اي باخوانهم الذين لم يقتلوا بعد في
سبيل الله فيلحقوا بهم من خلفهم متعلق بيلحقوا والمعنى انهم بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم او بمحذوف وقع
حالا من فاعل يلحقوا بهم اي حال كونهم متخلفين عنهم باقين في الدنيا الا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل من
الذين بدل اشتمال مبين لكون استبشارهم بحال اخوانهم لا بذواتهم وان هي المخففة من ان واسمها ضمير الشان
المحذوف وخبرها الجملة المنفية اي يستبشرون بما تبين لهم من حسن حال اخوانهم الذين تركوهم وهو انهم
عند قتلهم يفوزون بحياة ابدية لا يكدرها خوف وقوع محذور ولا حزن فوات مطلوب او لا خوف
عليهم في الدنيا من القتل فانه عين الحياة التي يجب ان يرغب فيها فضلا عن ان تخاف وتحذر اي لا يعتريهم
ذلك لكنهم لا يخافون ولا يحزنون والمراد بيان دوام انتفاء الخوف والحزن لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه
كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا فان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب
المقام يستبشرون بنعمة كرر لبيان ان الاستبشار المذكور ليس بمجرد عدم الخوف والحزن بل به وبما يقارنه من نعمة
عظيمة لا يقادر قدرها وهي ثواب اعمالهم وقد جوز ان يكون الاول متعلقا بحال اخوانهم وهذا بحال
انفسهم بيانا لبعض ما اجمل في قوله تعالى فرحين بما اتاهم الله من فضله من الله متعلق بمحذوف وقع
صفة لنعمة مؤكدة لما افادها التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة منه تعالى
وفضل اي زيادة عظيمة كما في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
بفتح ان عطف على فضل منتظم معه في سلك المستبشر به والمراد بالمؤمنين اما الشهداء والتعبير عنهم
بالمؤمنين للايذان بسمو رتبة الايمان وكونه مناطا لما نالوه من السعادة واما كافة اهل الايمان من الشهداء
وغيرهم ذكرت توفية اجورهم وعدت من جملة ما يستبشر به الشهداء بحكم الاخوة في الدين وقرئ بكسرها
على انه استئناف معترض دال على ان ذلك اجر لهم مشعر بان من لا ايمان له اعماله محبطة لا اجر لها وفيه من
الحث على الجهاد والترغيب في الشهادة والبعث على ازدياد الطاعة وبشرى المؤمنين بالفلاح ما لا يخفى
الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما اصابهم القرح صفة مادحة للمؤمنين لا مخصصة او نصب على المدح
او رفع على الابتداء والخبر قوله تعالى للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم بجملته ومن للبيان والمقصود
من الجمع بين الوصفين المدح والتعليل لا التقييد لان المستجيبين كلهم محسنون ومتقون روي ان ابا

سفيان واصحابه لما انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي
سفيان وقال لا يخرجن معنا الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا
حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر
والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت الذين قال لهم الناس يعني الركب الذين استقبلوهم
من عبد قيس او نعيم بن مسعود الاشجعي واطلاق الناس عليه لما انه من جنسهم وكلامه كلامهم يقال فلان
يركب الخيل ويلبس الثياب وماله سوى فرس فرد وغير ثوب واحد او لانه انضم اليه ناس من المدينة
واذاعوا كلامه ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد
موعدنا موسم بدر القابل ان شئت فقال عليه السلام ان شاء الله تعالى فلما كان القابل خرج ابو سفيان
في اهل مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله تعالى في قلبه الرعب فبدا له ان يرجع فمر به ركب من بني عبد قيس
يريدون المدينة للميرة فشرط لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوا المسلمين وقيل لقي نعيم ابن مسعود وقد
قدم معتمرا فسأله ذلك فالتزم له عشرا من الابل وضمنها منه سهيل بن عمرو فخرج نعيم فوجد المسلمين
يتجهزون للخروج فقال لهم اتوكم في دياركم فلم يفلت منكم احدا فترون ان تخرجوا فقد جمعوا لكم ففتروا
فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا كلهم يقولون حسبنا
الله ونعم الوكيل قيل هي الكلمة التي قالها ابراهيم عليه السلام حين القي في النار فزادهم ايمانا الضمير المستكن
للمقول او لمصدر قال او لفاعله ان اريد به نعيم وحده والمعنى انهم لم يلتفتوا الى ذلك بل ثبت به يقينهم بالله
تعالى وازداد طمأنينتهم واظهروا حمية الاسلام واخلصوا النية عنده وهو دليل على ان الايمان يتفاوت
زيادة ونقصانا فان ازدياد اليقين بالالف وكثرة التامل وتناصر الحجج مما لا ريب فيه ويعضده قول ابن
عمر رضي الله عنه قلنا يا رسول الله الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص
حتى يدخل صاحبه النار وقالوا حسبنا الله اي محسبنا الله وكافينا من احسبه اذا كفاه والدليل على انه
بمعنى المحسب انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك ونعم الوكيل اي نعم الموكول اليه
والمخصوص بالمدح محذوف اي الله عز وجل فانقلبوا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي فخرجوا اليهم
ووافوا الموعد روي انه عليه السلام وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال وكانت معهم تجارات فباعوها
واصابوا خيرا كثيرا والباء في قوله تعالى بنعمة متعلقة بمحذوف وقع حالا من الضمير في فانقلبوا والتنوين
للتفخيم اي فرجعوا من مقصدهم ملتبسين بنعمة عظيمة لا يقادر قدرها وقوله عز وجل من الله متعلق بمحذوف
وقع صفة لنعمة مؤكدة لفخامتها الذاتية التي يفيدها التنكير بالفخامة الاضافية كائنة من الله تعالى
وهي العافية والثبات على الايمان والزيادة فيه وحذر العدو منهم وفضل اي ربح في التجارة وتنكيره
ايضا للتفخيم لم يمسسهم سوء حال كونهم سالمين عن السوء والحال اذا كان مضارعا منفيا بلم وفيه ضمير
ذي الحال جاز فيه دخول الواو كما في قوله تعالى او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وعدمه كما في هذه
الاية الكريمة وفي قوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا واتبعوا في كل ما اتوا من قول
وعمل رضوان الله الذي هو مناط الفوز بخير الدارين والله ذو فضل عظيم حيث تفضل عليهم بالتثبيت
وزيادة الايمان والتوفيق للمبادرة الى الجهاد والتصلب في الدين واظهار الجراءة على العدو وحفظهم عن
كل ما يسوؤهم مع اصابة النفع الجليل وفيه تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا
انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله عز وجل ثواب الغزو
ورضي عنهم انما ذلكم اشارة الى المثبط اما الى من حمله على التثبيط والخطاب للمؤمنين وهو مبتدا وقوله
تعالى الشيطان اما خبره وقوله تعالى يخوف اولياءه جملة مبينة مستانفة لشيطنته او حال كما
في قوله تعالى فتلك بيوتهم خاوية الى اخره واما صفته والجملة خبره ويجوز ان تكون الاشارة الى قوله
على تقدير مضاف اي انما ذلكم قول الشيطان اي ابليس المستكن في يخوف اما المقدر واما الشيطان بحذف
الراجع الى المقدر اي يخوف به والمراد باوليائه اما ابو سفيان واصحابه فالمفعول الاول محذوف اي يخوفكم
اولياءه كما في قراءة ابن عباس رضي الله عنه ويؤيده قوله تعالى فلا تخافوهم اولياءه وخافوني في مخالفة امري
واما القاعدون فالمفعول الثاني محذوف اي يخوفهم الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير البارز
في فلا تخافوهم للناس الثاني اي فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا وخافون في وجاهدوا مع رسولي
وسارعوا الى ما امركم به والخطاب للفريقين الخارجين والقاعدين والفاء لترتيب النهي او الانتهاء على ما قبلها
فان كون المخوف شيطانا مما يوجب عدم الخوف والنهي عنه ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي ايثار
خوف الله عز وجل على خوف غيره ويستدعي الامن من شر الشيطان واوليائه ولا يحزنك تكوين الخطاب

وتوجيها

وتوجيها له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتشريفه بتخصيصه بالتسلية والايذان باصالته في تدبير
امور الدين اي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يسارعون في الكفر اي يقعون فيه سريعا
لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه وايثار كلمة في على ما وقع في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة الاية للاشعار
باستقرارهم في الكفر ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها كما في قوله تعالى اولئك الذين
يسارعون في الخيرات فان ذلك مؤذن بملابستهم للخيرات وتقلبهم في فنونها في طرفي المسارعة وتضاعيفها
واما ايثار كلمة الى في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الى اخره فلان المغفرة والجنة منتهى
المسارعة وغايتها والمراد بالموصول المنافقون من المتخلفين وطائفة من اليهود حسبما عين في قوله
تعالى يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن
الذين هادوا وقيل قوم ارتدوا عن الاسلام والتعبير عنهم بذلك للاشعار بما في حيز الصلة الى
مظنة وجود المنهي عنه والاعتناء به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا يحزنونك بمبادرتهم في الكفر
ومبادرتهم الى تمشية احكامه ومظاهرتهم لاهليه وتوجيه النهي الى حزنهم مع ان المقصود نهيه عليه السلام
عن التاثر منهم للمبالغة في ذلك لما ان النهي عن التاثير نهي عن اصله ونفي له بالمرة وقد توجه النهي الى اللازم والمراد
هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا ارينك ههنا وقرئ لا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي
والمعنى واحد وقيل معنى حزنه جعل فيه حزنا كما في دهنه اي جعل فيه دهنا ومعنى احزنه جعله حزينا وقيل
معنى حزنه احدث له الحزن ومعنى احزنه عرضه للحزن انهم لن يضروا الله تعليل للنهي وتكميل للتسلية بتحقيق
نفي ضررهم ابدا اي لن يضروا بذلك اولياء الله البتة وتعليق نفي الضرر به تعالى لتشريفهم والايذان بان
مضارتهم بمنزلة مضارته سبحانه وتعالى وفيه مزيد مبالغة في التسلية وقوله تعالى شيئا في حيز النصب
على المصدرية اي شيئا من الضرر والتنكير لتاكيد ما فيه من القلة والحقارة وقيل على نزع الجار اي
بشيء ما اصلا وقيل المعنى لن ينقصوا بذلك من ملكه تعالى وسلطانه شيئا كما روى ابو ذر عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان اولكم واخركم وجنكم وانسكم كانوا على اتقى قلب رجل منكم ما
زاد ذلك في ملك الله شيئا ولو ان اولكم واخركم وجنكم وانسكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص من ملك
الله جناح بعوضة والاول الانسب بمقام التسلية والتعليل يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الاخرة استئناف
مبين لسر ابتلائهم بما هم فيه من الانهماك في الكفر وفي ذكر الارادة من الايذان بكمال الخلوص الداعي الى
حرمانهم وتعذيبهم حيث تعلقت بهما ارادة ارحم الراحمين ما لا يخفى وصيغة الاستقبال للدلالة على
دوام الارادة واستمرارها اي يريد الله بذلك ان لا يجعل لهم في الاخرة حظا ما من الثواب ولذلك
تركهم في طغيانهم يعمهون الى ان يهلكوا على الكفر ولهم مع ذلك الحرمان الكلي عذاب عظيم لا يقادر قدره
قيل لما دلت المسارعة في الشيء على عظم شانه وجلالة قدره عند المسارع وصف عذابه بالعظم
رعاية للمناسبة وتنبيها على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه والجملة اما مبتداة مبينة لحظهم
من العقاب اثر بيان ان لا شيء لهم من الثواب واما حال من الضمير في لهم اي يريد الله حرمانهم من
الثواب معدا لهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان اي اخذوه بدلا منه رغبة
فيما اخذوه واعراضا عما تركوه وقد مر تحقيق القول في هذه الاستعارة في تفسير قوله عز وجل اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى مستوفى لن يضروا الله شيئا تفسيره كما في نظيره وفيه تعريض ظاهر باقتصار
الضرر عليهم كانه قيل وانما يضرون انفسهم فان جعل الموصول عبارة عن المسارعين المعهودين بان يراد
باشتراء الكفر بالايمان ايثاره عليه اما باخذه بدلا من الايمان الحاصل بالفعل كما هو حال المرتدين او
بالقوة القريبة منه الحاصلة بمشاهدة دلائله في التوراة كما هو شان اليهود ومنافقيهم فالتكرير لتقرير
الحكم وتاكيده ببيان علته بتغيير عنوان الموضوع فان ما ذكر في حيز الصلة من الاشتراء المذكور
صريح بلحوق ضرره بانفسهم وعدم تعديه الى غيرهم اصلا كيف لا وهو علم في الخسران الكلي والحرمان
الابدي دال على كمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم فكيف يتأتى منهم ما يتوقف على قوة الحزم ورزانة
الراي ورصانة التدبير من مضارة حزب الله تعالى وهو اعز من الابلق الفرد وامنع من عقاب الجو
وان اجري الموصول على عمومه بان يراد بالاشتراء المذكور القدر المشترك الشامل للفريقين المذكورين
ولاخذ الكفر بدلا مما نزل منزلة نفس الايمان من الاستعداد القريب له الحاصل بمشاهدة الوحي
الناطق وملاحظة الدلائل المنصوبة في الافاق والانفس كما هو دأب جميع الكفرة فالجملة مقررة لمضمون
ما قبلها تقرير القواعد الكلية لما اندرج تحتها من جزئيات الاحكام هذا وقد جوز كون الاول
عاما للكفار والثاني خاصا بالمعهودين وانت خبير بانه مع خلوه عن النكت المذكورة مما لا يليق بفخامة
شان التنزيل لما ان صدور المسارعة في الكفر بالمعنى المذكور وكونها مظنة لايراث الحزن لرسول الله

صلى الله عليه وسلم كما يعلم من النهي عنه انما يتصور ممن علم اتصافه بها واما من لا يعرف حاله من الكفرة
الكاينين في الاماكن البعيدة فاسناد المسارعة المذكورة اليهم واعتبار كونها من مبادي حزنه عليه السلام
مما لا وجه له وقوله تعالى ولهم عذاب اليم جملة مبتدأة مبينة لكمال فظاعة عذابهم بذكر غاية ايلامه بعد
ذكر نهاية عظمه قيل لما جرت العادة باغتباط المشتري بما اشتراه وسروره بتحصيله عند كون الصفقة رابحة
وبتالمه عند كونها خاسرة وصف عذابهم بالايلام مراعاة لذلك ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير
لانفسهم عطف على قوله تعالى ولا يحزنك الاية والفعل مسند الى الموصول وان ما في حيزها ساد مسد
مفعوليه عند سيبويه لتمام المقصود بها وهو تعلق الفعل القلبي بالنسبة بين المبتدا والخبر وعند احدهما
والاخر محذوف عند الاخفش وما مصدرية او موصولة حذف عايدها ووصلها في الكتابة لاتباع الامام
اي لا يحسبن الكافرون ان املانا لهم او ان ما نمليه خير لانفسهم او لا يحسبن الكافرون خيرية املائنا لهم
او خيرية ما نمليه لهم ثابتة او واقعة وما لديهم من السرور بظاهر املائه تعالى لهم بناء على حسبان
خيريته لهم وتحسيرهم ببيان انه شر بحت وضرر محض كما ان مال المعطوف عليه نهي الرسول صلى الله عليه
وسلم عن الحزن بظاهر حال الكفرة بناء على توهم الضرر من قبلهم وتسليته عليه السلام ببيان عجزهم عن
ذلك ما كلمته والمراد بالموصول اما جنس الكفرة فيندرج تحت حكم الكلي احكام المعهودين اندراجا
اوليا واما المعهودون خاصة فايثار الاظهار على الاضمار لما انه المقارنة الدائمة بين الصلة وبين
الاملاء الذي هو عبارة عن امهالهم وتخليتهم وشانهم دهرا طويلا فان المقارن له دايما انما هو الكفر
المستمر لا المسارعة المذكورة ولا الاشتراء المذكور فانهما من الاحوال المتجددة المتقضية في تضاعيف
الكفر المستمر وقرئ ولا تحسبن بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الانسب بمقام التسلية
او لكل من يتأتى منه الحسبان قصدا الى اشاعة فظاعة حالهم والموصول مفعول وانما نملي لهم اما بدل
منه وحيث كان التعويل على البدل وهو ساد مسد المفعولين كما في قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم
يسمعون اقتصر على مفعول واحد كما في قولك جعلت المتاع بعضه فوق بعض واما مفعول ثان بتقدير
مضاف اما فيه ولا تحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او في المفعول الاول اي لا تحسبن
حال الذين كفروا ان املاءنا خير لانفسهم ومعنى التفضيل باعتبار زعمهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما استيناف
مبين لحكمة الاملاء وما كافة واللام لام الارادة وعند المعتزلة لام العاقبة وقرئ بفتح الهمزة ههنا على
ايقاع الفعل عليه وكسرها فيما قبله على انه اعتراض بين الفعل ومعموله مفيد لمزيد الاعتناء
بابطال الحسبان ورده على معنى لا يحسبن الكافرون انما نملي لهم لازدياد الاثم حسبما هو شانهم بل انما
هو ليتلافوا فيه ما فرط منهم بالتوبة والدخول في الايمان ولهم في الاخرة عذاب مهين لما تضمن الاملاء
التمتع بطيبات الدنيا وزينتها وذلك مما يستدعي التعزز والتجبر وصف عذابهم بالاهانة ليكون جزاؤهم
جزاء وفاقا والجملة اما مبتدأة مبينة لحالهم في الاخرة اثر بيان مالهم في الدنيا واما حال من الواو اي ليزدادوا
اثما معدا لهم عذاب مهين وهذا متعين على القراءة الاخيرة ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه كلام
مستانف مسوق لوعد المؤمنين ووعيد المنافقين بالعقوبة الدنيوية التي هي الفضيحة والخزي اثر بيان
عقوبتهم الاخروية والمراد بالمؤمنين المخلصون واما الخطاب فقد قيل انه لجمهور المصدقين من اهل الاخلاص
واهل النفاق ففيه التفاوت في ضمن التكوين والمراد بما انتم عليه اختلاط بعضكم ببعض واستواؤكم في اجرا
احكام الاسلام عليكم اذ هو القدر المشترك بين الفريقين وقيل انه للكفار والمنافقين وهو قول ابن عباس
والضحاك ومقاتل والكلبي واكثر المفسرين ففيه تكوين فقط ولعل المنافقين عطف تفسيري للكفار والا
فلا شركة بين المؤمنين والمجاهدين في امر من الامور والمراد بما هم عليه ما هو من القدر المشترك فانه مما
يجوز نسبته الى الفريقين معا بجواز نسبته الى كل منهما لا الكفر والنفاق كما قيل فان المؤمنين ما كانوا
مشاركين لهم في ذلك حتى لا يتركوا عليه وقيل انه للمؤمنين خاصة وهو قول اكثر اهل المعاني ففيه تلوين والتفات
كما مر والتعرض لايمانهم قبل الخطاب للاشعار بعلة الحكم والمراد بما انتم عليه ما مر غير مرة والاول هو الاقرب
واليه جنح المحققون من اهل التفسير لكونه صريحا في كون المراد بما هم عليه ما لكل من القدر المشترك بين
الفريقين من حيث هو مشترك بينهما بخلاف القولين الاخيرين فانهما بمعزل من ذلك كيف لا والمفهوم مما
عليه المنافقون هو الكفر والنفاق ومما عليه المؤمنون هو الايمان والاخلاص لا القدر المشترك بينهما
ولئن فهم ذلك فانما يفهم من حيث الانتساب الى احدهما لا من حيث الانتساب اليهما معا وعليه يدور
امر الاختلاط المحوج الى الافراز واللام في ليذر اما متعلقة بالخبر المقدر كما هو رأي البصريين
وانتصاب الفعل بعدها بان المقدرة اي ما كان الله مريدا او متصديا لان يذر المؤمنين الى اخره ففيه
توجيه النفي الى ارادة الفعل تاكيد ومبالغة ليست في توجيهه الى نفسه واما مزيدة للتاكيد ناصبة

للفعل بنفسها كما هو رأي الكوفية ولا يقدح في ذلك زيادتها كما لا يقدح زيادة حرف الجر في عمله وقوله
عز وجل حتى يميز الخبيث من الطيب غاية لما يفيده النفي المذكور كانه قيل ما يتركهم الله على ذلك الاختلاط
بل يقدر الامور ويرتب الاسباب حتى يعزل المنافق من المؤمن وفي التعبير عنهما بما ورد به النظم الكريم
تسجيل على كل منهما بما يليق به واشعار بعلة الحكم وافراد الخبيث والطيب مع تعدد ما اريد بكل منهما وتكثره
لا سيما بعد ذكر ما اريد باحدهما اعني المؤمنين بصيغة الجمع للايذان بان مدار افراد احد الفريقين من الاخر
هو اتصافهما بوصفيهما لا خصوصية ذاتهما وتعدد احادهما كما في مثل قوله تعالى ولا تقولوا
ونظيره قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت حيث قصد الدلالة على الاتصاف بالوصف من غير
تعرض لكون الموصوف من العقلاء او غيرهم وتعليق المنع بالخبيث المعبر به عن المنافق مع ان المتبادر مما
سيق من عدم ترك المؤمنين على الاختلاط تعليقه بهم وافرادهم عن المنافقين لما ان المميز الواقع بين
الفريقين انما هو بالتصرف في المنافقين وتغييرهم من حال الى حال مغايرة للاولى مع بقاء المؤمنين
على ما كانوا عليه من اصل الايمان وان ظهر مزيد اخلاصهم لا بالتصرف فيهم وتغييرهم من حال الى حال
اخرى مع بقاء المؤمنين على ما هم عليه من الاستتار ولان فيه مزيد تاكيد كما اشير اليه بقوله تعالى والله
يعلم المفسد من المصلح وانما لم ينسب عدم الترك اليهم لما انه مشعر بالاعتداد بشان من نسب اليه فان المتبادر
منه عدم الترك على حالة غير ما يليق به كما يشهد به الذوق السليم وقرئ حتى يميز من التمييز وقوله تعالى
وما كان الله ليطلعكم على الغيب تمهيد لبيان المميز الموعود على طريق تجريد الخطاب للمخلصين تشريفا لهم
وقوله عز وعلا ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء اشارة الى كيفيته ووقوعه على سبيل الاجمال واظهار الاسم
الجليل في الموضعين لتربية المهابة فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين بل يميز بينهم وما
يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق ولكنه تعالى يوحي الى رسوله عليه السلام فيخبره
بذلك وبما ظهر منهم من الاقوال والافعال حسبما حكي عنهم بعضهم فيما سلف فيفضحهم على رؤوس الاشهاد
ويخلصكم من وحشة الشركة وسوء جوارهم والتعرض للاجتباء للايذان بان الوقوف على امثال تلك الاسرار الغيبية
لا يتأتى الا ممن رشحه الله تعالى لمنصب جليل تقاصرت عنه همم الامم واصطفاه على الجماهير لارشادهم والتعميم
للاجتباء لسائر الرسل عليهم السلام للدلالة على ان شانه عليه السلام في هذا الباب امر متين له اصل اصيل
جار على سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين هذه الرسل الخالية عليهم السلام وتعميم الامر في قوله تعالى فآمنوا بالله
ورسله مع ان سوق النظم الكريم للايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم لايجاب الايمان به بالطريق البرهاني والاشعار
بان ذلك مستلزم للايمان بالكل لانه مصدق لما بين يديه من الرسل وهم شهداء بصحة نبوته عليه السلام والمامور
به الايمان بكل ما جاء به عليه السلام فيدخل فيه تصديقه عليه السلام فيما اخبر به من احوال المنافقين دخولا
اوليا هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم وقد جوز ان يكون المعنى لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من
الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله تعالى قلوبهم كبذل الارواح
في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله تعالى فيجعل ذلك عيارا على عقايدكم وشاهدا بضمايركم حتى يعلم بعضكم
بما في قلب بعض بطريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور فان ذلك مما استاثر الله تعالى به وانت
خبير بان الاعتراض باجتباء الرسل المبني على مزيد مزيتهم وفضل معرفتهم على الخلق اثر بيان قصور رتبتهم
عن الوقوف على خفايا السراير صريح في ان المراد اظهار تلك السراير بطريق الوحي لا بطريق التكليف بما يؤدي الى
خروج اسرارهم عن رتبة الخفايا واقرب من ذلك حمل الاية الكريمة على ان تكون مسوقة لبيان الحكمة في املائه
تعالى للكفرة اثر بيان شريته لهم فالمعنى ما كان الله ليذر المخلصين على الاختلاط ابدا كما تركهم لذلك الى ان
الله تقتضيه بل يعزل عنهم المنافقين ولذلك فعله يومئذ يوم احد حكى الكفرة وشانهم وابرز لهم صورة الغلبة
واظهر من في قلوبهم مرض ما فيها من الخبائث وافتضحوا على رؤوس الاشهاد وقيل قال الكافرون ان كان محمد
صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت وان تؤمنوا اي بما ذكر حق الايمان وتتقوا اي عدم مراعاة
حقوقه او النفاق فلكم بمقابلة ذلك الايمان والتقوى اجر عظيم لا يبلغ كنهه ولا يحسبن الذين يبخلون بما
اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بيان لحال البخل وسوء عاقبته وتخطئة لاهله في توهم خيريته حسب
بيان الاملاء او ارادة ما يبخلون به لعنوان ايتاء الله تعالى اياه من فضله للمبالغة في بيان سوء صنيعهم فان
ذلك من موجبات بذله في سبيله كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه والفعل مسند الى الموصول
المفعول الاول محذوف لدلالة الصلة عليه وضمير له هو خيرا لهم من النفاقه وقيل الفعل مسند الى
ضمير النبي صلى الله عليه وسلم او الى ضمير من يحسب والمفعول الاول هو الموصول بتقدير مضاف والثاني
ما ذكر كما هو لك على قراءة الخطاب اي ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم
التنصيص على شريته لهم مع انفهامها من نفي خيريته للمبالغة في ذلك والتنوين للتفخيم وقوله تعالى سيطوقون

الفعل راجع اليه ولا يحسبن الباخلون بما اتاهم الله من فضله من غير ان يكون لهم مدخل فيه او استحقاق صح

ما بخلوا يوم القيمة بيان لكيفية شريته اى يسلونهون وبال ما بخلوا به الزاما لطوق على انه حذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقام الانذار بكمال المناسبة بينهما وروى عن النبى عليه السلام انه قال من لا يودى
زكاة ماله الا جعله الله شجاعا فى عنقه يوم القيمة وقيل يجعل ما بخل به من الزكوة حية فى عنقه تنهشه من قرنه
الى قدمه وتنقر راسه وتقول انا مالك ولله وحده لا لاحد غيره استقلالا او اشتراكا ميراث السموات والارض
اى ما يتوارثه اهلهما من مال وغيره من الرسالات التى يتوارثها اهل السموات فما لهم يبخلون عليه بملكه
ولا ينفقونه فى سبيله تعالى عند هلاكهم وتبقى عليهم الحسرة والندامة والله بما تعملون من المنع والبخل خبير
فيجازيكم على ذلك واظهار الاسم الجليل فى موضع الاضمار لتربية المهابة والالتفات للمبالغة فى الوعيد
والاشعار باشتداد غضب الرحمن الناشئ من ذكر قبايحهم وقرى بالياء على الظاهر لقد سمع الله قول الذين
قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا قالت اليهود لما سمعوا قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا
وروى انه عليه السلام كتب مع ابى بكر رضى الله عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام واقام
الصلوة وايتاء الزكوة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير حين سألنا القرض فلطمه
ابو بكر رضى الله عنه فى وجهه وقال لولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وجحد ما قاله فنزلت والجمع مع كون القايل واحدا لرضى الباقين بذلك
والمعنى انه لم يخف عليه تعالى واعد له من العقاب كفاه والتعبير عنه بالسماع للايذان بانه من الشناعة
والسماجة بحيث لا يرضى قايله بان يسمعه سامع والتوكيد القسمى للتشديد فى التهديد والمبالغة
فى الوعيد سنكتب ما قالوا اى سنكتب ما قالوه من العظيمة الشنعا فى صحائف الحفظة او سنحفظه
ونثبته فى علمنا ولا ننساه ولا نهمله كما نثبت المكتوب والسين للتأكيد اى لن يفوتنا ابدا تدوينه واثباته
لكونه فى غاية العظم والهول كيف لا وهو كفر بالله تعالى واستهزا بالقران العظيم والرسول الكريم
ولذلك عطف عليه قوله تعالى وقتلهم الانبياء ايذانا بانهما فى العظم اخوان وبينهما على انه ليس
باول جريمة ارتكبوها بل لهم فيه سوابق وان من اجترا على قتل الانبياء لم يستبعد منه امثال هذه العظائم
والمراد بقتلهم الانبياء رضاهم بفعل اسلافهم وقوله تعالى بغير حق متعلق بمحذوف وقع حالا من قتلهم
اى كاينا بغير حق فى اعتقادهم ايضا كما هو فى نفس الامر وقرئ سيكتب على البناء للفاعل ويكتب
على البناء للمفعول وقتلهم بالرفع ونقول ذوقوا عذاب الحريق اى وننتقم منهم بعد الكتبة بان نقول
ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص وفيه من المبالغات ما لا يخفى وقرئ ويقول بالياء ويقال
على البناء للمفعول ذلك اشارة الى العذاب المذكور وما فيه من معنى البعد للدلالة على عظم شانه
وبعد منزلته فى الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما قدمت ايديكم اى بسبب ما اقترفتموه
من قتل الانبياء والتفوه بمثل تلك العظيمة وغيرهما من المعاصى والتعبير عن الانفس بالايدى لما ان
عامة افاعيلها تزاول بهما ومحل ان فى قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه خبر مبتدا
محذوف والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبلها اى والامر انه تعالى ليس بمعذب للعبيد بغير ذنب
من قبلهم والتعبير بذلك عن نفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم كما تقرر من قاعدة اهل السنة
فضلا عن كونه ظلما بالغا لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه
سبحانه وتعالى من الظلم كما يعبر عن ترك الاصابة على الاعمال باضاعتها مع ان الاعمال غير موجبة
للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها اضاعتها وصيغة المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد
من قولهم فلان ظالم لعبيده وظلام لعبيده على انها للمبالغة كما لا كثرة هنا وقد قيل محل ان الجر بالعطف
على ما قدمت وسببية للعذاب من حيث ان نفى الظلم مستلزم للعدل المقتضى لاثابة المحسن ومعاقبة
المسئ وفساده ظاهر فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولا عقلا حتى ينتهض نفى الظلم
سببا للتعذيب حسبما ذكره القايل فى صورة الانفال وقيل سببيته ذنوبهم لعذابهم مقيدة بانضمام
انتفاء ظلمه تعالى اذ لولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم وانت خبير بان امكان تعذيبه تعالى لعبيده
بغير ذنب بل وقوعه لا ينافى كون تعذيب هؤلاء الكفرة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى ذلك انه لو كان
المدعى ان جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين الذين قالوا نصب او رفع على الذم وهم كعب
بن الاشرف ومالك بن صيفى وحيى بن اخطب وفنحاص بن عازوراء ووهب بن يهودا ان الله عهد الينا
اى امرنا واوصانا فى التوراة الا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار كما كان لدى انبيا بنى اسرائيل
حيث كان يقرب بالقربات فيقوم النبى فيدعو فتنزل نار من السماء فتأكله اى تحيله الى طبعها
بالاحراق وهذا من مفترياتهم واباطيلهم فان اكل النار القربان لم يوجب الايمان الا لكونه معجزة فهو
وساير المعجزات سواء ولما كان محصل كلامهم الباطل ان عدم ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم لعدم

اتيانهم

اتيانه بما قالوا ولو تحقق الاتيان لتحقق الايمان رد عليهم بقوله تعالى قل اى تبكيتا لهم واظهارا لكذبهم
قد جاءكم رسل كثيرة العدد كبيرة المقدار من قبلى بالبينات اى المعجزات الواضحة وبالذى قلتم بعينه
من القربان الذى تأكله النار فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين اى فيما يدل عليه كلامهم من انكم تؤمنون
لرسول يأتيكم بما اقترحتموه فان زكريا ويحيى وغيرهما من الانبياء عليهم الصلوة والسلام قد جاءكم
بما قلتم فى معجزات اخر فما لكم لم تؤمنوا لهم حتى اجترأتم على قتلهم فان كذبوك شروع فى تسلية رسول الله
صلى الله عليه وسلم اثر ما اوحى اليه ما كربه عليه السلام من مقالات الكفرة من المشركين واليهود
وقوله تعالى فقد كذب رسل من قبلك تعليل لجواب الشرط اى فتسل فقد كذب الى اخره ومن متعلقة بكذب
او بمحذوف هو صفة لرسل اى كائنة من قبلك جاؤا بالبينات اى المعجزات الواضحات صفة لرسل والزبر
جمع زبور وهو الكتاب المقصود على الحكم من زبرته اذا حسنته وقيل الزبور المواعظ والزواجر من زبرته
اذا زجرته والكتاب المنير قيل اى التوراة والانجيل والزبور والكتاب فى عرف القرآن ما يتضمن الشرايع
والاحكام ولذلك جاء الكتاب والحكمة متعاطفين فى عامة المواقع وقرئ بالزبر باعادة الجار دلالة على
انها مغايرة بالذات للبينات كل نفس ذائقة الموت وعد ووعيد للمصدق والمكذب وقرئ ذائقة
الموت بالتنوين وعدمه كما فى قوله ولا ذاكر الله الا قليلا وانما توفون اجوركم اى تعطون اجزية اعمالكم
على التمام والكمال يوم القيمة اى يوم قيامكم من القبور وفى لفظة التوفية اشارة الى ان بعض اجورهم يصل
اليه قبله كما ينبئ عنه قوله عليه السلام القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران فمن زحزح
عن النار اى بعد عنها يومئذ وتجيء فى الزحزحة فى الاصل تكرير الزح وهو الجذب بعجلة وادخل الجنة فقد فاز
بالنجاة وقيل المراد والفوز الظفر بالبغية وعن النبى صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار
ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر ويأتى الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما
الحيوة الدنيا اى لذاتها وزخارفها الا متاع الغرور شبهت بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى
يشتريه وهذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب بها الاخرة فهى له متاع بلاغ والغرور اما مصدر او
جمع غار لتبلون شروع فى تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين عما سيلقونه
من جهة الكفرة من المكاره انه تسليتهم عما قد وقع منهم ليوطنوا انفسهم على احتماله عند وقوعه ويستعدوا
للقائه ويقابلوه بحسن الصبر والثبات فان هجوم الاوجال مما يزلزل اقدام الرجال والاستعداد
للكروب مما يهون الخطوب واصل الابتلاء الاختبار اى طلب الخبرة بحال المختبر بتعريضه لامر يشق عليه
غالبا ملابسته او مفارقته وذلك انما يتصور حقيقة ممن لا وقوف له على عواقب الامور واما من
جهة العليم الخبير فلا يكون الا مجازا من تمكينه للعبد من اختيار احد الامرين او الامور قبل ان يرتب
عليه شيئا هو من مباديه العادية كما مر والجملة جواب قسم محذوف اى والله لتبلون اى لتعاملن
معاملة المختبر ليظهر ما عندكم من الثبات على الحق والاعمال الحسنة وفائدة التوكيد اما تحقيق معنى
الابتلاء تهوينا للخطاب واما تحقيق المبتلى به مبالغة فى الحث على ما اريد منهم من التهيؤ والاستعداد
فى اموالكم بما يقع فيها من ضروب الافات المؤدية الى هلاكها واما انفاقها فى سبيل الخير مطلقا فلا يليق
نظمه فى سلك الابتلاء لما انه من باب الاضعاف المتاعب والمخاوف والهداية ونحو ذلك وتقديم
الاموال لكثرة وقوع الهلكة فيها ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اى من قبل ايتائكم القران
وهم اليهود والنصارى عبر عنهم بذلك للاشعار بمدار الاشفاق والايذان بان بعض ما يسمعونه
منهم مستند الى زعمهم عن الكتاب كما فى قوله تعالى ان الله عهد الينا الى اخره والتصريح بالقبلية
لتأكيد الاشعار وتقوية المدار فان قدم نزول كتابهم مما يؤيد تمسكهم به ومن الذين اشركوا اذى كثيرا
من الطعن فى الدين الحنيف والقدح فى احكام الشرع الشريف وصد من اراد ان يؤمن وتخطئة من
امن وما كان من كعب بن الاشرف واضرابه من هجاء المؤمنين وتحريض المشركين على مضادة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك بالاحيرفيه وان تصبروا اى على تلك الشدايد والبلوى عند ورودها
وتقابلوها بحسن التجمل وتتقوا اى تتبتلوا الى الله تعالى بالكلية معرضين عما سواه بالمرة بحيث تساوى
عندكم وصول المحبوب ولقاء المكروه فان ذلك اشارة الى الصبر والتقوى وما فيه من معنى البعد
للايذان بعلو درجتهما وبعد منزلتهما وتوجيه حرف الخطاب اما باعتبار كل واحد من المخاطبين لان
المراد بالخطاب مجرد التنبيه من غير ملاحظة خصوصية احوال المخاطبين من عزم الامور من معزوماتها
التى يتنافس فيها المتنافسون اى مما يجب ان يعزم عليه كل احد لما فيه من كمال المزية والشرف
او مما عزم الله تعالى عليه وامر به وبالغ فيه يعنى ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد ان تصبروا وتتقوا
وبالجملة تعليل لجواب الشرط واقع موقعه كما فى ابراز الامر بالصبر والتقوى فى صورة الشرطية من اظهار

كمال اللطف واوقع موقعه كانه قيل وان تصبروا وتتقوا فهو خير لكم او فافعلوا او فقد احسنتم او فقد
اصبتم فان ذلك من عزم الامور ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ان صبر المخاطبين وتقويهم فالجملة جواب
الشرط وفي ابراز الامر بالصبر والتقوى في صورة الشرطية من اظهار كمال اللطف بالعباد ما لا يخفى
واذ اخذ الله كلام مستانف سيق لبيان بعض اذياتهم وهو كتمانهم من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم
وغيرها واذ منصوب على المفعولية بمضمر امر به النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق تجريد الخطاب
الشامل له عليه السلام للمؤمنين لكونه مضمونه من الوظائف الخاصة به عليه السلام وتوجيه الامر
بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها
على ما مر بيانه في تفسير قوله تعالى واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة اي اذكر وقت اخذه
تعالى ميثاق الذين اوتوا الكتاب وهم علما اليهود والنصارى ذكروا بعنوان ايتا الكتاب مبالغة في تقبيح حالهم
لتبيننه للناس حكاية لما خوطبوا به والضمير للكتاب وهو جواب لقسم ينبئ عنه اخذ الميثاق كانه
قيل لهم بالله لتبيننه للناس وتظهرون جميع ما فيه من الاحكام والاخبار التي من جملتها امر نبوته
صلى الله عليه وسلم وهو المقصود بالحكاية وقرئ بالياء لانهم غيب ولا تكتمونه عطف على الجواب وانما لم يؤكد
بالنون لكونه منفيا كما في قولك والله لا يقوم زيد وقيل النفي بالتاكيد في الاول لانه تاكيد له وقيل
هو حال من ضمير المخاطبين اما على اضمار مبتدا بعد الواو اي وانتم لا تكتمونه واما على راي من جوز دخول
الواو على المضارع المنفي عند وقوعه حالا اي لتبيننه غير كاتمين وانما لم يعد الامر بالبيان وما
للمبالغة في ايجاب المامور به واما لان المراد بالبيان المامور به ذكر الايات الناطقة بنبوته عليه السلام
وبالكتمان المنهي عنه القا التاويلات الزايغة والشبهات الباطلة وقرئ بالياء كما قبله فنبذوه النبذ
الرمي والابعاد اي طرحوا ما اخذ منهم من الميثاق الموثق بعنوان التاكيد والقوة وراء ظهورهم ولم
يراعوه ولم يلتفتوا اليه اصلا فان نبذ الشيء وراء الظهر مثل في الاستهانة به والاعراض عنه بالكلية
كما ان جعله نصب العين علم في كمال العناية به وفيه من الدلالة على تحتم بيان الحق على علما الدين واظهار
ما علموه من العلم للناس اجمعين وحرمة كتمانه لغرض من الاغراض الفاسدة او طمع في غرض من الاغراض
الفانية الكاسدة ما لا يخفى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما من اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس
انه قال لوهب بن منبه اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم
كما رايت ان الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلما ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان
يسكت على جهله حتى يسال وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل
العلم ان يعلموا واشتروا به اي بالكتاب الذي امروا ببيانه ونهوا عن كتمانه فان ذكر نبذ الميثاق يدل
على ذلك دلالة واضحة وايقاع الفعل على الكل مع ان المراد به كتم بعضه كدلايل نبوته عليه السلام
ونحوها لما ان ذلك كتم الكل اذ به يتم الكتاب كما ان رفض بعض اركان الصلاة رفض لكلها او بمنزلة
كتم الكل من حيث انهما سيان في الشناعة واستجرار العقاب كما في قوله وان لم تفعل فما بلغت رسالته
والاشترا مستعار لاستبدال متاع الدنيا بما كتموا او تركوا ما امروا به واخذوا بدله ثمنا قليلا اي شيئا
تافها حقيرا من حطام الدنيا واعراضها وفي تصوير هذه المعاملة بعقد المعاوضة لاسيما بالاشترا
المؤذن بالرغبة في الماخوذ والاعراض عن المعطى والتعبير عن المشترى الذي هو العمدة في العقد والمقصود
بالمعاملة بالثمن الذي شانه ان يكون وسيلة اليه وجعل الكتاب الذي حقه ان يتنافس فيه المتنافسون
مصحوبا بالباء الداخلة على الالات والوسائل من نهاية الجزالة والدلالة على كمال فظاعة حالهم وغاية
قبحها بايثارهم الدني الحقير على الشريف الخطير وتعكيسهم بجعلهم المقصد الاصلي وسيلة والوسيلة مقصدا
ما لا يخفى جلالة شانه ورفعة مكانه فبئس ما يشترون ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس ويشترون
صفة والمخصوص بالذم محذوف اي بئس شيئا يشترونه ذلك الثمن لا تحسبن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولكل احد ممن يصلح له صفته الذين يفرحون بما اتوا اي بما فعلوا كما في قوله تعالى انه كان وعده ماتيا
ويدل عليه قراءة ابي تفرحون بما فعلوا وقرئ بما اوتوا بمعنى اعطوا وبما اوتوا اي اوتوه من علم التوراة
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هم اليهود حرفوا التوراة وفرحوا بذلك واحبوا ان يوصفوا بالديانة
والفضل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه
بخلافه واروه انهم صدقوا واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا وقيل فرحوا بكتمان النصوص الناطقة
بنبوته عليه السلام فالموصول عبارة واحبوا ان يحمدوا بانهم متبعون ملة ابراهيم عليه السلام
فالموصول عبارة عن المذكورين او نحو مشاهيرهم موضوع موضع ضميرهم والجملة مسوقة لبيان ما
يستتبعه اعمالهم المحكية من العقاب الاخروي اثر بيان قباحتها وقد ادمج فيها بيان بعض اخر من

شنايعهم

الشنايع هم وهو اصرارهم على ما هم عليه من القبايح وفرحهم بذلك ومحبتهم لان يوصفوا بما ليس فيهم من
الاوصاف الجميلة وقد نظم ذلك في تلك الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت للموصول عند المخاطب
ايذانا بشهرة اتصافهم بذلك وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو ثم اعتذروا بانهم راوا المصلحة في ذلك
واستحمدوا به وقيل هم المنافقون كافة وهو الانسب بظاهر قوله تعالى ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا
الشهرة انهم كانوا يفرحون بما فعلوا من اظهار الايمان وقلوبهم مطمئنة بالكفر ويستحمدون الى المسلمين
بالايمان وهم عن فعله بالف منزل وكانوا يظهرون محبة المؤمنين وهم في الغاية القاصية من العداوة
فالموصول عبارة عن طايفة معهودة من المذكورين وغيرهم فان اكثر المنافقين كانوا من اليهود ولعل
الاولى اجرا الموصول على عمومه شاملا لكل من ياتي بشيء من الحسنات فيفرح به فرح اعجاب ويود ان يحمده
الناس بما هو عار منه من الفضايل منتظما للمعهودين انتظاما اوليا واما ما كان فهو مفعول اول لا تحسبن
وقوله تعالى فلا تحسبنهم تاكيد له والفا زايدة والمفعول الثاني قوله تعالى بمفازة من العذاب اي
ملتبسين بنجاة منه على ان المفازة مصدر ميمي ولا يضر تانيثها لان التا انما مبنية عليها وليست للدلالة
على الوحدة كما في قوله • فلولا رجا النفس منك ورهبة • عقابك قد كانوا لنا بالموارد • ولا سبيل الى جعلها
اسم مكان على ان الجار متعلق بمحذوف وقع صفة لها اي بمفازة كائنة من العذاب لان الميت من العذاب
وتقدير فعل خاص تصح به المعنى اي بمفازة منجية من العذاب مع كونه خلاف الاصل تعسف مستغنى عنه
وقرئ بضم الباء في الفعلين على ان الخطاب شامل للمؤمنين ايضا وقرئ بياء الغيبة وفتح الباء على ان
الفعل له عليه السلام او لكل احد ممن ياتي منه الحسبان ومفعولا كما ذكر وقرئ بضم الباء في الثاني
فقط على ان الفعل للموصول والمفعول الاول محذوف لكونه عين الفاعل والثاني بمفازة اي لا يحسبن الذين
يفرحون انفسهم فايزين وقوله تعالى فلا يحسبنهم تاكيد للاول والفا زايدة كما مر ويجوز ان يجعل الفعل
الاول على حذف المفعولين معا اختصارا لدلالة مفعولي الثاني عليهما على عكس ما في قوله • باي كتاب ام باية
سنة • ترى حبهم عارا علي وتحسب • حيث حذف فيه مفعولا الثاني لدلالة مفعولي الاول عليهما او على ان
الفعل الاول للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل حاسب ومفعوله الاول الموصول والثاني محذوف لدلالة
مفعول فعل الثاني عليه والفعل الثاني مسند الى ضمير الموصول والفا للعطف لظهور تفرع عدم حسبانهم
على عدم حسبانه عليه السلام ومفعولاه الضمير المنصوب وقوله تعالى بمفازة وتصدير الوعيد بنهيهم
عن الحسبان المذكور للتنبيه على بطلان ارايهم الركيكة وقطع اطماعهم الفارغة حيث كانوا يزعمون
انهم ينجون بما صنعوا من عذاب الاخرة كما نجوا به من المواخذة الدنيوية وعليه كان سبيل فرحهم واما نهيه
صلى الله عليه وسلم فللتعريض بحسبانهم المذكورة لا لاحتمال وقوع الحسبان من جهته صلى الله عليه وسلم
ولهم عذاب اليم بعدما اشير الى عدم نجاتهم من مطلق العذاب حقق ان لهم فردا منه لا غاية له في المدة والشدة
كما يلوح به الجملة الاسمية والتنكير التفخيمي والوصف ولله ملك السموات والارض اي خاصة السلطان
القاهر فيهما بحيث يتصرف فيهما وفيما فيهما كيف يشاء ويريد ايجادا واعداما احياء واماتة تعذيبا واثابة
من غير ان يكون لغيره شائبة دخل في شيء من ذلك بوجه من الوجوه فالجملة المقررة لما قبلها وقوله تعالى
والله على كل شيء قدير تقرير لاختصاص تلك العالم الجسمان المعبر عنه بقطريه سبحانه وتعالى فان كونه
تعالى قادرا على الكل بحيث لا يشذ من ملكوته شيء من الاشيا في القدرة على شيء من الاشيا فضلا عن المشاركة
في ملك السموات والارض وفيه تقرير لما مر من ثبوت العذاب الاليم لهم وعدم نجاتهم منه اثر تقرير واظهار
اسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بمناط الحكم فان شمول القدرة لجميع الاشيا من احكام
الالوهية مع ما فيه من الاشعار باستقلال كل من الجملتين بالتقرير ان في خلق السموات والارض جملة
مستانفة لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة صدرت بكلمة التاكيد
اعتنا بتحقيق مضمونها اي في انشائهما على ما هما عليه في ذواتهما او صفاتهما من الامور التي يحار في فهم اجلاها
العقول والارض على ما هي عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار اي في تعاقبهما في وجه الارض
وكون كل منهما خليفة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض
او في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة
الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد
القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة
منه ولياليها واما في انفسهما فان كرية الارض تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي
مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا او عصرا او غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق
بين واحده وجمعه بالتا كتمر وتمرة والليالي جمع جمع والصحيح انه مفرد ولا يحفظ له جمع والليالي

جمع الليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة كما في كيكاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس
عند الشهود ونظيره في الليالي اهل اما المتقدمة في الخليفة حسبما ينبي عن قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ
منه النهار ومن قال من فارس صوصينا ما بينهما اي تقديم الليل على النهار اي تذيله عنه فتخلفه لايات
اسم ان دخلته اللام لانه لتاخيره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي ايات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها
دالة على تعاجيب شئونه التي من جملتها ما مر من اختصاص الملك العظيم والقدرة التامة به سبحانه وتعالى
وعدم التعرض لما ذكر في سورة البقرة من الفلك والمطر وتصريف الرياح والسحاب لما ان المقصود ههنا
بيان استبداده تعالى بما ذكر من الملك والقدرة فالتنفي بمعظم الشواهد الدالة على ذلك واما هناك فقد
قصد في وصف بيان اختصاصه تعالى بالالوهية بيان اتصافه تعالى بالرحمة الواسعة فنظمت دلائل الفضل
والرحمة في سلك دلائل التوحيد فان ما فصل هنا من ايات الهيته ووحدانيته لاولي الالباب اي لذوي
العقول المخلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المجردين من العلائق النفسانية المتخلصين عن العوائق
الظلمانية المتاملين في احوال الحقائق واحكام النعوت المراقبين في اطوار الملك واسرار الملكوت
المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمته المودعة في الانفس والافاق الناظرين
للعالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود متأثرين على مراقبته وذكراه
غير ملتفتين الى شيء مما سواه الا من حيث انه مرآة المشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله فان كلا منا
ظهر في مظاهر الابداع وخص مخاصيص التكوين والاختراع سبيل سوي الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع
المجيد ناطق بايات قدرته فهل من سامع داع محب بايات علمه وحكمته فهل له من داع يكلم الناس على قدر
عقولهم ويرد جوابهم بحسب عقولهم تارة بحيا ومنازرة باوضح عبارة وتلويح اخرى بالطف اشارة مادعا في
الحواد ايها مهم وتصريحهم وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتامل في هذه الشئون
والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال هل لك يا عائشة ان تاذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك
قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن
وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله تعالى واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل
يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول
الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال
ومالي لا ابكي وقد انزل الله تعالى في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولي الالباب الذين يذكرون الله الموصول اما موصول باولي الالباب مجرور على انه نعت
كاشف له بما في حيز الصلة واما مفصول عنه مرفوع او منصوب على المدح او مرفوع على انه خبر لمبتدا
محذوف وقيل هو مرفوع على الابتدا والخبر هو القول المقدر قبل قوله تعالى ربنا الى اخره وفيه من
تفكيك النظم الجليل ما لا يخفى واياما كان فقد اشير بما في حيز صلته ان المراد بهم الذين لا يغفلون عنه
تعالى في عامة اوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم في مراقبته لما ايقنوا بان كل ما سواه
فايض منه وعائد اليه فلا يشاهدون حالا من الاحوال في انفسهم واليه اشير بقوله عز وجل قياما
وقعودا وعلى جنوبهم ولا في الافاق واليه اشير بما بعده الا وهم يعاينون في ذلك شانا من شئونه تعالى
فالمراد به ذكره تعالى مطلقا سواء كان ذلك من حيث الذات او من حيث الصفات والافعال وسواء
قارنه ذكر اللسان اولا واما ما يحكى عن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة رضي الله تعالى عنهم من انهم
خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله تعالى فقال بعضهم اما قال الله تعالى يذكرون الله قياما
وقعودا فقاموا يذكرون الله تعالى على اقدامهم فليس مرادهم به تفسير الاية وتحقيق مصداقها على التعيين
وانما ارادوا التبرك بنوع موافقة لها في ضمن الايات بفرد من افراد مدلولها واما حمل الذكر على الصلاة
في هذه الاحوال حسب الاستطاعة كما قال عليه السلام لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب تومي ايماء فلا يساعده سياق النظم الكريم الجليل وسياقه والقيام والقعود
جمع قائم وقاعد كقيام وقعود جمع قائم وراقد وانتصابهما على الحالية من ضمير يذكرون اي يذكرون
قائمين وقاعدين وقوله تعالى وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف على الحالين كائنين على جنوبهم اي
مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر وتخصيص الاحوال المذكورة بالذكر ليس لتخصيص الذكر
بها بل لانها الاحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الانسان غالبا ويتفكرون في خلق السموات والارض
عطف على يذكرون منتظم معه في خبر الصلة فلا محل له من الاعراب وقيل النصب على انه معطوف على
الاحوال السابقة وليس بظاهر وهو بيان لتفكرهم في افعاله سبحانه وتعالى اثر بيان تفكرهم في ذاته سبحانه

وتعالى

وتعالى على الاطلاق اشارة الى نتيجته التي يؤدي اليها من معرفة احوال المعاد حسبما نطقت السنة الرسل
وايات الكتب فكما انها ايات تشريعية هادية للخلق الى معرفته تعالى ووجوب طاعته كذلك المخلوقات
ايات تكوينية مرشدة لهم الى ذلك فالاولى منبهات على الثانية ودواع الى الاستشهاد بها كما نطقت به الاية الكريمة
ونحوها مما ورد في مواقع غير محصورة من التنزيل والثانية مؤيدات للاولى شواهد دالة على صحة مضمونها
وحقية مكنونها فان من تامل في تضاعيف خلق العالم على هذا النمط البديع قضى باتصاف خالقه تعالى بجميع
ما نطقت به الرسل والكتب من الوجوب الذاتي والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم
الشامل والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال وحكم على من قدر على نشأته بلا مثال يحتذى به او قانون
ينتحيه فهو على اعادته بالبعث اقدر وحكم بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب استحقاقهم
المنوط باعمالهم اي علومهم واعتقاداتهم التابعة لانتظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والامارات
والمخايل وساير اعمالهم المتفرعة على ذلك فان العمل غير مختص بعمل الجوارح بل متناول لعمل القلب بل هو
اشرف من الثاني لكون عمله ايضا اشرف من عمله كيف لا ولا عمل ابدع من معرفته تعالى التي هي اقل الواجبات
على العباد والغاية القصوى من الخلق على ما نطق به قوله عز وجل وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
اي ليعرفوا كما اعرب عنه قوله عليه السلام كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف وانما
طريقها النظر والتفكر فيما ذكر من شئونه تعالى وقد روي انه عليه السلام قال لا تفضلوني على يونس
بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل المتفكر وقد عرفت انه يستتبع لتحقيق ما جاءت به الشريعة الحقة والا
لما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان
عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا يقول عليه السلام ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله
تعالى فان التورع عن محارمه سبحانه وتعالى موقوف على معرفة الحلال والحرام المنوطة بالكتاب
والسنة بعد تصديق الايات التكوينية وتوافق الادلة العقلية والسمعية وهو الذي نظم ما حكي
عن المتفكرين من الامور المستدعية للايمان بالشريعة في تلك نتيجة تفكرهم كما ستقف عليه واما
خلق السموات والارض مع كفاية الاضمار لابراز كمال العناية ببيان حالهم والايذان بكون تفكرهم
على وجه التحقيق والتفصيل وعدم التعرض لادراج اختلاف الملوين في تلك التفكر مع ذكره فيما
سلف اما للايذان بظهور اندراجه فيه لما ان ذلك من الاحوال التابعة لاحوال السموات والارض
كما اشير اليه واما للاشعار بمسارعتهم الى الحكم بالنتيجة بمجرد تفكرهم في بعض الايات من غير حاجة الى
بعض اخر منها في اثبات المطلوب والخلق مصدر على حاله اي يتفكرون في انشائهما وابداعهما بما فيهما من
عجايب المصنوعات وقيل بمعنى المخلوق على ان الاضافة بمعنى في اي يتفكرون فيما خلق فيهما اعم من ان يكون
بطريق الجزئية منهما او بطريق الحلول فيهما او على انها بيانية ربنا ما خلقت هذا باطلا على ارادة القول هذا اشارة
الى السموات والارض متضمنة لضرب من التعظيم كما في قوله سبحانه وتعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي
اقوم والتذكير لما انهما باعتبار تعلق الخلق بهما في معنى المخلوق او الى الخلق على تقدير كونه بمعنى المخلوق
وباطلا اما صفة لمصدر مؤكد محذوف او حال من المفعول به اي ما خلقت هذا المخلوق البديع العظيم
الشان عبثا عاريا عن الحكمة خاليا عن المصلحة كما ينبئ عنه اوضاع الغافلين عن ذلك المعرضين عن التفكر
فيه بل منتظما لحكم جليلة ومصالح عظيمة من جملتها ان يكون مدارا لمعايش العباد ومنارا يرشدهم الى
معرفة احوال المبدأ والمعاد حسبما افصحت عنه الرسل والكتب الالهية كما حققته مفصلا والجملة
بتمامها في حيز النصب بقول مقدر هو على تقدير كون الموصول نعتا لاولي الالباب استئناف مبين لنتيجة
التفكر ومدلول الايات ناشئ مما سبق فان النفس عند سماع تخصيص الايات المنصوبة في خلق العالم
باولي الالباب ثم وصفهم بذكر الله تعالى والتفكر في محال تلك الايات تبقى مترقبة لما يظهر منهم حين
اثارها واحكامها كانه قيل فماذا يكون عند تفكرهم في ذلك وما يترتب عليه من النتيجة فقيل يقولون
كيت وكيت مما ينبئ عن وقوفهم على سر الخلق المؤدي الى معرفة صدق الرسل وحقية الكتب الناطقة
بتفاصيل الاحكام الشرعية على التفصيل الذي وقفت عليه هناك اذا ما جعله حالا من المتفكرين في الفعل
كما اطلق عليه الجمهور فمما لا يساعد جزالة النظم الكريم لما ان ما في حيز الصلة وما هو قيد له حقه ان
ان يكون من مبادي الحكم الذي اجري على الموصول ورواعي ثبوته له لتذكيرهم لله عز وجل في عامة اوقاتهم
وتفكرهم في خلق السموات والارض فانهما مما يؤدي الى اجتلاء تلك الايات والاستدلال بها على المطلوب
ولا ريب في ان قولهم ذلك ليس من مبادي الاستدلال المذكور بل من نتايجها المترتبة عليه فاعتباره
قيدا لما في حيز الصلة مما لا يليق بشان التنزيل الجليل نعم هو حال من ذلك على تقدير كون الموصول
مرفوعا او منصوبا على المدح او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف اذ لا اشتباه في انتظام ذلك مع

مبادى مدائحهم ومحاسن مناقبهم وفى ابراز هذا القول فى معرض الحال دون الخبر اشعار بمقارنته
لتفكرهم من غير تلعثم وتردد فى ذلك وقوله تعالى سبحانك اى تنزيها لك مما لا يليق بك من الامور التى
من جملتها خلق ما لا حكمة فيه اعتراض مؤكد لمضمون ما قبله وممهد لما هو بعده من قوله تعالى فقنا
عذاب النار فان معرفة سر خلق العالم وما فيه من الحكمة البالغة والغاية الحميدة والقيام بما يقتضيه
من الاعمال الصالحة وتنزيه الصانع تعالى عن العبث من دواعى الاستعاذة مما لا يحيق بالمخلين بذلك
من وجهين احدهما الوقوف على تحقق العذاب فالفا لترتيب الدعا على ما ذكر والثانى الاستعداد لقبول
الدعا فالفا لترتيب المدعو اعنى الوقاية عليه كانه قيل واذا قد عرفنا سرك واطعنا امرك
ونزهناك عما لا ينبغى فقنا عذاب النار الذى هو جزاء الذين لا يعرفون ذلك ربنا انك من تدخل النار
فقد اخزيته مبالغة فى استدعا الوقاية وبيان لسببه وتصدير الجملة بالندا للمبالغة فى التضرع والجؤار
وتاكيدها لاظهار كمال اليقين بمضمونها والايذان بشدة الخوف واظهار النار فى موضع
الاضمار لتهويل امرها وذكر الادخال فى معرض الشرط لتعيين كيفيته وتبيين غاية فظاعته قال
الواحدى للاخزا معان متقاربة يقال اخزاه الله اى ابعده وقيل اهانه وقيل اهلكه وقيل فضحه
قال ابن الانبارى الخزى لغة الهلاك بتلف وبانقطاع حجة او بوقوع فى بلاء والمعنى المرعى الذى
لا محيد عنه وفيه من الاشعار بفظاعة العذاب الروحانى ما لا يخفى وقوله تعالى وما للظالمين من
انصار تذييل لاظهار نهاية فظاعة حالهم ببيان خلود عذابهم بفقدان من ينصرهم ويقوم بتخليصهم
ووضعهم موضع ضمير المدخلين لذمهم والاشعار بتعليل دخولهم
النار بظلمهم ووضعهم وجمع الانصار بالنظر الى جمع الظالمين اى ما لظالم من الظالمين نصير من الانصار
والمراد به من ينصر بالمدافعة والقهر فليس فى الاية دلالة على نفى الشفاعة على ان المراد بالظالمين هم
الكفار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان حكاية لدعا اخر لهم مبنى على تاملهم فى الدليل السمعى حكاية
دعائهم السابق المبنى على التفكر فى الادلة العقلية وتصديره مقدمة الدعا وتعديته بالى لتضمينها
معنى الانتها وباللام لاشتمالها على معنى الاختصاص والمراد بالمنادى الرسول صلى الله عليه وسلم وتنوينه
للتفخيم وايثاره على معنى الداعى للدلالة على كمال اعتنائه بشان الدعوة وتبليغها الى الدانى والقاصى
لما فيه من الايذان برفع الصوت وينادى صفة لمناديا عند الجمهور كما فى قولك سمعت رجلا يقول
كيت وكيت ولو كان معرفة لكان حالا منه كما اذا قلت سمعت زيدا يقول الى اخره ومفعول ثان لسمعنا
عند الفارسى واتباعه وهذا اسلوب بديع يصار اليه للمبالغة فى تحقيق السماع والايذان بوقوعه
بلا واسطة عن صدور المسموع عن المتكلم والتوسل به الى تفصيله واستحضار صورته وقد اختص
النظم الكريم بمزية زائدة على ذلك حيث عبر عن المسموع منه بالمنادى ثم وصف بالندا للايمان على
طريقة قولك سمعت متكلما يتكلم بالحكمة لما ان التفسير بعد الابهام والتقييد بعد الاطلاق اوقع
عند النفس واجدر بالقبول وقيل المنادى القرآن ان امنوا على ان ان تفسيرية او بان امنوا على انها
مصدرية بربكم بمالككم ومتولى اموركم ومبلغكم الى الكمال فى اطلاق الايمان ثم تقييده تفخيم لشانه
فامنا اى فامتثلنا بامره واجبنا نداءه ربنا تكرير للتضرع واظهار لكمال الخضوع وعرض للاعتراف بربوبيته
مع الايمان به والفا فى قوله تعالى فاغفر لنا لترتيب المغفرة او الدعا بها على الايمان به تعالى والاقرار
بربوبيته فان ذلك من دواعى المغفرة والدعا بها ذنوبنا اى كبائرنا فان الايمان يجب ما قبله وكفر عنا
سيئاتنا اى صغائرنا فانها مكفرة عن مجتنب الكبائر وتوفنا مع الابرار اى مخصوصين بصحبتهم معتنقين
بجوارهم معدودين من زمرتهم وفيه اشعار بانهم كانوا يحبون لقاء الله ومن احب لقاء الله احب
الله لقاءه والابرار جمع بار او بر كاصحاب وارباب ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك حكاية لدعا اخر لهم
مسبوق بما قبله معطوف عليه لتاخر التحلية عن التخلية وتكرير الندا لما مر مرارا والمراد بالمدعو
الثواب وعلى اما متعلقة بالوعد كما فى قولك وعد الله الجنة على الطاعة اى وعدتنا على تصديق
رسلك او بمحذوف وقع صفة لمصدر مؤكد محذوف اى وعدتنا وعدا كائنا على السنة رسلك
وقيل التقدير منزلا على رسلك او محمولا على رسلك ولا يخفى ان تقدير الافعال الخاصة فى مثل هذه المواقع
تعسف وجمع الرسل مع ان المنادى هو الرسول صلى الله عليه وسلم وحده لما ان دعوته عليه السلام
لا سيما فى باب التوحيد وما اجتمع عليه الكل من الشرائع منطوية على دعوة الكل فتصديقه تصديق
لهم عليهم السلام كيف لا وقد اخذ منهم الميثاق بالايمان به عليه السلام لقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الاية وكذا الموعود على لسانه من الثواب موعود على الكل وايثار الجمع
لاظهار كمال الثقة بانجاز الموعود بناء على كثرة الشهود ولا تخزنا يوم القيامة قصدوا بذلك تذكير وعده

تعالى

وعده تعالى فى قوله يوم لا يخزى الله النبى والذين امنوا معه مظهرين انهم ممن امن معه رجا
لانتظامهم فى سلكهم يومئذ وقوله تعالى انك لا تخلف الميعاد تعليل لتحقيق ما نظموا فى سلك الدعا
وهذه الدعوات وما فى تضاعيفهما من كمال الضراعة والابتهال ليست لخوفهم من اخلاف الميعاد بل
لخوفهم من ان لا يكونوا من جملة الموعودين بتغير الحال وسوء الخاتمة والمال فمرجعها الى الدعا بالتثبيت
او للمبالغة فى التعبد والخشوع والميعاد الوعد وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه البعث بعد الموت
وفى الاثار عن جعفر الصادق من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه
ما اراد وقرا هذه الاية فاستجاب لهم ربهم الاستجابة بمعنى الاجابة وقال تاج القرا الاجابة
عامة والاستجابة خاصة باعطا المسؤول ويتعدى باللام وبنفسه كما فى قوله فلم يستجبه عند ذلك
مجيب وهو عطف على الاستئناف المقدم فما سلف مترتب على ما فى حيزه من الادعية كما فى قوله تعالى
ثم قيل للذين ظلموا الى اخره عطف على قيل المقدر قبل الان اى قيل لهم الان امنتم به وكما ان قوله تعالى فى
سورة الاعراف ونطبع على قلوبهم معطوف على ما دل عليه معنى اولم يهد الخ كانه قيل يغفلون عن الهداية
ونطبع الى اخره ولا ضير فى اختلافهما صيغة لما ان صيغة المستقبل هناك للدلالة على الاستمرار المناسب
لمقام الدعا وصيغة الماضى ههنا للايذان بتحقق الاستجابة وتقررها كما لا ضير فى الاختلاف بين قوله تعالى
اذ تستغيثون ربكم وبين ما عطف عليه من قوله تعالى فاستجاب لكم كما سيأتى ويجوز ان يكون معطوفا على
مضمر ينساق اليه الذهن اى دعوا بهذه الادعية فاستجاب الى اخره واما على تقدير كون المقدر حالا
فهو عطف على يتفكرون باعتبار مقارنته لما وقع حالا من فاعله اعنى قوله ربنا الى اخره فان الاستجابة
مترتبة على دعواتهم لا على مجرد تفكرهم وحيث كانت هى من اوصافهم الجميلة المترتبة على اعمالهم بالاخرة
استحقت الانتظام فى سلك محاسنهم المعدودة فى اثنا مدحهم واما على تقدير كون الموصول
نعت الاولى الالباب فلا مساغ لهذا العطف اصلا لما عرفت من ان ما فى حيز الصلة ان يكون من مبادى
جريان الحكم على الموصول وقد عرفت ان دعواتهم السابقة ليست كذلك فاين الاستجابة المتاخرة عنها وفى
التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم من تشريفهم واظهار
اللطف بهم ما لا يخفى انى لا اضيع عمل عامل منكم اى بانى وهكذا قرا ابى رضى الله تعالى عنه والبا للسببية
كانه قيل فاستجاب لهم ربهم بسبب انه لا يضيع عمل عامل منهم اى سنته مستمرة على ذلك والالتفات
الى التكلم والخطاب لاظهار كمال الاعتنا بشان الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والمراد تاكيدها
ببيان سببها والاشعار بان مدارها اعمالهم التى قدموها على الدعا لا مجرد الدعا وتعميم الوعد لسائر العاملين
وان لم يبلغوا درجة اولى الالباب لتاكيد استجابة الدعوات المذكورة والتعبير عن ترك الاثابة بالاضاعة
مع انه ليس باضاعة حقيقة اذ الاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها ضياعها لبيان كمال
نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه من القبائح وابراز الاثابة فى معرض
الامور الواجبة عليه وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول اى فقال انى الى اخره فلا التفات حينئذ وقرئ
لا اضيع بالتشديد ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لعامل كائنا منكم وقوله تعالى من ذكر او انثى بيان لعامل
وتاكيد لعمومه وقوله تعالى بعضكم من بعض جملة معترضة مبينة لسبب انتظام النسا فى سلك الرجال فى الوعد
فان كون كل منهما من الاخر لتشعبهما من اصل واحد او لفرط الاتصال بينهما او لاتفاقهما فى الدين والعمل مما يستدعى
الشركة والاتحاد فى ذلك روى ان ام سلمة رضى الله عنها قالت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اسمع الله
تعالى يذكر الرجال فى الهجرة ولا يذكر النسا فنزلت وقوله تعالى فالذين هاجروا الخ تفصيل لما اجمل فى
العمل وتعداد لبعض احاسن افراده على وجه المدح والتعظيم اى فالذين هاجروا الشرك او الاوطان والعشاير
للدين قوله تعالى واخرجوا من ديارهم على الاول عبارة عن نفس الهجرة وعلى الثانى عن كيفيتها او كونها بالقسر
والاضطرار واوذوا فى سبيلى اى بسبب ايمانهم بالله ومن اجله وهو متناول لكل اذية نالتهم من قبل المشركين
وقاتلوا اى الكفار فى سبيل الله وقتلوا استشهدوا فى القتال وقرئ بالعكس لما ان الواو لا تستدعى الترتيب
او لان المراد قتل بعضهم وقتال اخرين اذ ليس المعنى على اتصاف كل فرد من افراد الموصول المذكور بكل واحد
مما ذكر فى حيز الصلة بل على اتصاف الكل بالكل فى الجملة سوا كان ذلك باتصاف كل فرد من الموصول بواحد من
الاوصاف المذكورة او باثنين منها او باكثر اما بطريق التوزيع او بطريق حذف الموصولات من البين كما
هو راى الكوفيين لا على اتصاف كل فرد بالكل فكان قد اصبح من جملة اتصاف بالبعض وقرئ قتلوا
بالتشديد لاكفرن عنهم سيئاتهم جواب قسم محذوف اى والله لاكفرن والجملة القسمية خبر للمبتدا الذى هو الموصول
وهذا تفصيل لبعض ما ساله الدعوات بخصوصه بعد ما وعد ذلك عموما وقوله تعالى ولادخلنهم جنات

جنات تجري من تحتها الانهار اشارة الى ما عبر عنه الداعون فيما قبل بقولهم واتنا ما وعدتنا على رسلك
وتفسير له وقوله ثوابا مصدر مؤكد لما قبله فان تكفير السيئات وادخال الجنة في معنى الاثابة وقوله تعالى من
عند الله متعلق بمحذوف هو صفة له مبينة لشرفه اي لاثيبنهم اثابة كائنة او تثويبا كائنا من عنده تعالى
بالغا الى المرتبة القاصية من الشرف وقوله تعالى والله عنده حسن الثواب اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبله والاسم الجليل مبتدا خبره عنده وحسن الثواب مرتفع بالظرف على الفاعلية لاعتماده على المبتدا
او هو مبتدا ثان والظرف خبره والجملة خبر للمبتدا الاول والعندية عبارة عن الاختصاص به تعالى مثل
كونه بقدرته تعالى وفضله بحيث لا يقدر عليه غيره بحال الشيء يكون بحضرة احد لا يد عليه لغيره
والاختصاص مستفاد من التمثيل سواء جعل عنده خبرا مقدما لحسن الثواب اولا وفي تصدير الوعد
الكريم بعدم اضاعة العمل ثم تعقيبه بمثل هذا الاحسان الذي لا يقادر لفظه قدره من لطف
المسلك المنبي عن عظم شان المحسن ما لا يخفى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد بيان لقبح ما اوتي الكفرة
من حظوظ الدنيا وكشف عن حقارة شانها وسوء مغبتها اثر بيان ما اوتي المؤمنين من الثواب والخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم على ان المراد تثبيته على ما هو عليه كقوله تعالى فلا تطع المكذبين او على ان
المراد نهي المؤمنين كما يوجه الخطاب الى مدارة القوم ورؤسائهم والمراد افنائهم او لكل احد ممن يصلح
للخطاب من المؤمنين والنهي للمخاطب جعل للتغليب مبالغة اي لا تنظروا الى ما عليه الكفرة من السعة
ووفور الحظ ولا تغتروا بظاهر ما ترى منهم من التبسط في المكاسب والمتاجر والمزارع روي ان بعض
المؤمنين كانوا يرون المشركين في رخاء ولين عيش فيقولون ان اعداء الله تعالى فيما نرى من الخير وقد
هلكنا من الجوع والجهد فنزلت وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل خبر لمبتدا محذوف اي هو
متاع قليل لا قدر له في جنب ما ذكر من ثواب الله تعالى وقال عليه السلام ما الدنيا في الاخرة الا
مثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما يرجع فاذن لا يجدي وجوده لواجديه ولا فقدانه لفا
قديه ثم ماويهم اي مصيرهم الذي ياوون اليه لا يبرحونه جهنم التي لا يوصف عذابها وقوله تعالى و
وبئس المهاد ذم لها وايذان بان مصيرهم اليها مما جنته انفسهم وكسبته ايديهم والمخصوص بالذم
محذوف اي بئس ما مهدوا لانفسهم جهنم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها بيان لكمال حسن حال المؤمنين غب بيان وتكرير له اثر تقرير مع زيادة خلودهم في الجنات
ليتم بذلك سرورهم ويزداد تحسرهم وتكامل به سوء حال الكفرة وايراد التقوى في حيز الصلة
للاشعار بكون الخصال المذكورة من باب التقوى والمراد به الاتقاء من الشرك والمعاصي والموصول
مبتدا والظرف خبره وجنات مرتفع به على الفاعلية لاعتماده على المبتدا او الظرف خبر لجنات
والجملة خبر للموصول وخالدين فيها اي في الجنات حال مقدرة من الضمير او من جنات لتخصيصها بالوصف
والعامل ما في الظرف من معنى الاستقرار نزلا من عند الله وقرئ بسكون الزاي وهو ما يعد للنازل
من طعام وشراب وغيرهما قال ابو الشعر الضبي ۞ وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ۞ جعلنا القنا والمرهفات
نزلا ۞ وانتصابه على الحالية من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل فيه ما في الظرف من الاستقرار وقيل
هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله تعالى وما عند الله خير مبتدا وخبره وقوله تعالى
للابرار متعلق بمحذوف هو صفة لخير اي ما عنده تعالى من الامور المذكورة الدائمة خير كائن للابرار اي
مما يتقلب فيه الفجار من المتاع القليل الزائل والتعبير عنهم بالابرار للاشعار بان الصفة المعدودة
من اعمال البر كما انها من قبيل التقوى والجملة تذييل لما قبلها وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله جملة
مستانفة سيقت لبيان ان اهل الكتاب ليس كلهم كمن حكيت هناتهم من نبذ الميثاق وتحريف الكتاب وغير
ذلك بل منهم من له مناقب جليلة قيل هم عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اربعون من اهل نجران و
وثلثون من الحبشة وثمانية من الروم كانوا نصارى فاسلموا وقيل المراد به اصحمة النجاشي فانه لما مات
نعاه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم
فخرج الى البقيع فنظر الى ارض الحبشة وابصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا
الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط ليس على دينه فنزلت وانما دخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف
بينهما كما في قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن وما انزل اليكم من القرآن وما انزل اليهم من الكتابين و
وتاخير ايمانهم بهما عن ايمانهم بالقرآن في الذكر مع ان الامر بالعكس في الوجود لما انه عيار ومهيمن
عليهما فان ايمانهم بهما انما يعتبر بتبعية ايمانهم به اي ايمانهم بهما من غير تحريف ولا كتم كما هو ديدن المحرفين
واتباعهم من العامة خاشعين لله حال من فاعل يؤمن والجمع باعتبار المعنى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا تصريح

بمخالفتهم

بمخالفتهم للمحرفين والجملة حال كما قبله ونظمها في سلك محاسنهم ليس من حيث عدم الاشتراء فقط بل لتضمين
ذلك لاظهار ما في الكتابين من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم اولئك اشارة اليهم من حيث اتصافهم بما عد من
صفاتهم الحميدة وما فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف والفضيلة وهو
مبتدا خبره قوله تعالى لهم وقوله اجرهم اي المختص بهم الموعود لهم بقوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين
وقوله تعالى يؤتكم كفلين من رحمته مرتفع بالظرف على الفاعلية او على الابتداء والظرف خبره والجملة خبر
لاولئك وقوله تعالى عند ربهم نصب على الحالية من اجرهم والمراد به التشريف كما في الصفة ان الله سريع
الحساب لنفوذ علمه بجميع الاشياء فهو عالم بما يستحقه كل عامل من الاجر من غير حاجة الى تامل والمراد
بيان سرعة وصول الاجر الموعود اليهم يا ايها الذين آمنوا اثر ما بين في تضاعيف السورة الكريمة فنون
الحكم والاحكام ختمت بما يوجب المحافظة عليها فقيل اصبروا اي على مشاق الطاعة وغير ذلك من المكاره
والشدائد وصابروا اي غالبوا اعداء الله تعالى بالصبر في مواطن الحروب واعدى عدوكم بالصبر على مخالفة
الهوى وتخصيص المصابرة بالامر بعد الامر بمطلق الصبر لكونها اشد منه واشق ورابطوا اي اقيموا في
الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين للغزو مستعدين له قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر رمضان وقيامه
لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا الله في مخالفة امره على الاطلاق فيندرج فيه ما ذكر في
تضاعيف السورة الكريمة اندراجا اوليا لعلكم تفلحون كي تنتظموا في زمرة المفلحين الفائزين بكل مطلوب
الناجين عن كل مكروه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة آل عمران اعطي بكل آية منها امانا على
جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرا السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله
عليه والملائكة حتى تغيب الشمس والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس خطاب يعم حكمه المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم من الموجودين
حينئذ والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة عند انتظامهم فيه لكن لا بطريق الحقيقة فان الخطاب المشافهة
لا يتناول القاصرين عن درجة التكليف الا عند الحنابلة بل اما بطريق تغليب الفريق الاول على الاخيرين واما
بطريق تعميم حكمه لهما بدليل خارجي فان الاجماع منعقد على ان اخر الاية مكلف بما كلف به اولها كما ينبئ عنه قوله
عليه الصلاة والسلام حلالي ما جرى على لساني الى يوم القيمة وحرامي ما جرى على لساني الى يوم القيمة
وقد فصل في موضعه واما الامم الدارجة قبل النزول فلا حظ لهم في الخطاب لاختصاص الاوامر والنواهي
بمن يتصور منه الامتثال واما اندراجهم في خطاب ما عداهما بما له دخل في تاكيد التكليف وتقوية الايجاب
فليستقرى حاله ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما صيغة جمع المذكر في قوله تعالى
عز وجل اتقوا ربكم فواردة على طريق التغليب لعدم تناولها حقيقة للاناث عند غير الحنابلة واما ادخالهن
في الامر بالتقوى بما ذكر من الدليل الخارجي وان كان فيه مراعاة جانب الصيغة لكنه يستدعي تخصيص
لفظ الناس ببعض افراده والمامور به اما مطلق التقوى التي هي التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك
واما التقوى فيما يتعلق بحقوق ابناء الجنس اي اتقوه تعالى في مخالفة اوامره ونواهيه على الاطلاق
او في مخالفة تكاليفه الواردة ههنا واياما كان فالتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية
والتربية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لتاكيد الامر وتاكيد فان خلقه تعالى اياهم على هذا النمط
البديع لانبائه عن قدرة شاملة لجميع المقدورات التي من جملتها عقابهم على معاصيهم وعن نعمة كاملة لا
يقادر قدرها من اقوى الدواعي الى الاتقاء من موجبات نقمته واتم الزواجر عن كفران نعمته وكذا جعله
تعالى اياهم صنوانا مفرعة من ارومة واحدة هي نفس آدم عليه السلام من موجبات الاحتراز عن
الاخلال بمراعاة ما بينهم من حقوق الاخوة وتعميم الخطاب في ربكم وخلقكم للامم السالفة ايضا مع اختصاصه
فيما قيل بالمامورين بناء على ان تذكير شمول ربوبيته تعالى وخلقه للكل من موكدات الامر بالتقوى وموجبات
الامتثال به تعليل للنظم الكريم مع الاستغناء عنه لان خلقه تعالى للمامورين من نفس آدم عليه السلام و
حيث كان بواسطة ما بينهم وبينه عليه السلام من الاباء والامهات كان التعرض لخلقهم متضمنا للتعرض
لخلق الوسائط جميعا وكذا التعرض لربوبيته تعالى لهم متضمن لربوبيته تعالى لاصولهم قاطبة لا سيما وقد
نطق بذلك قوله عز وجل وخلق منها زوجها فانه مع ما عطف عليه صريح في ذلك وهو معطوف
اما على مقدر ينبئ عنه سوق الكلام لان تفريع الفروع من اصل واحد يستدعي انشاء ذلك الاصل لا محالة كانه

ايجاب الامتثال به على طريقة الترغيب والترهيب وكذا وصف الرب بقوله تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة صح

قيل خلقكم من نفس واحدة خلقها اولا خلق منها زوجها الى اخره وهو استيناف سيق لتقرير وحدة المبدا
وبيان كيفية خلقهم منه وتفصيل ما اجمل اولا او صفة لنفس مفيدة لذلك واما على خلقكم داخل معه
في حيز الصلة مقرر ومبين لما ذكر واعادة الفعل مع جواز عطف مفعوله على مفعول الفعل الاول
كما في قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم الى اخره لاظهار ما بين الخلقين
من التفاوت فان الاول بطريق التفريع من الاصل والثاني بطريق الانشا من المادة فانه تعالى خلق حوا من
ضلع ادم عليه السلام روي انه عز وجل لما خلقه عليه السلام واسكنه الجنة القى عليه النوم فبينما
هو بين النائم واليقظان خلق حوا من ضلع من اضلاعه اليسرى فلما انتبه وجدها عنده وتاخير ذكر خلقها
عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم ادخل في تحقيق ما هو المقصود من حملهم على الامتثال بالامر بالتقوى من
تذكير خلقها عن ذكر خلقهم لما ان تذكير خلقهم لها خلقها وتقديم الجار والمجرور للاعتنا ببيان مبدايته عليه
السلام لها مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما مر مرارا وايرادها بعنوان الزوجية تمهيد لما بعده من
التناسل وبث منهما اي نشر من تلك النفس وزوجها المخلوقة منها بطريق التوالد والتناسل رجالا كثيرا
نعت لرجالا مؤكد لما افاده التنكير من الكثرة والافراد باعتبار معنى الجمع العدد وقيل هو نعت لمصدر
مؤكد للفعل اي بثا كثيرا ونساء اي كثيرة وترك التصريح بها للاكتفا بالوصف المذكور وايثارهما على
ذكورا واناثا لتاكيد الكثرة والمبالغة فيها بترشيح كل فرد من الافراد المبثوثة لمبدايته غيره وقرئ
وخالق وباث على حذف المبتدا اي وهو خالق وباث واتقوا الله الذي تساءلون به تكرير للامر وتذكير
لبعض اخر من موجبات الامتثال به فان سؤال بعضهم بعضا بالله تعالى بان تقول اسالك بالله وانشدك
الله على سبيل الاستعطاف تقتضي الاتقا من مخالفة اوامره ونواهيه وتعليق الاتقا بالاسم الجليل لمزيد
التاكيد والمبالغة في الحمل على الامتثال بتربية المهابة وادخال الروعة ولوقوع التساؤل به لا بغيره من
اسمائه تعالى وصفاته وتساءلون اصله تتساءلون فطرحت احدى التائين تخفيفا وقرئ بادغام التا الثانية
في السين لتقاربهما في الهمس وقرئ تسالون من الثلاثي اي تسالون به غيركم وقد فسر به القراة الاولى
والثانية حملا وحمل صيغة التفاعل على اعتبار الجمع كما في قولك رايت الهلال وترايناه وبه فسر عم
يتساءلون على وجه وقرئ تسلون بنقل حركة الهمزة الى السين والارحام بالنصب عطفا على محل الجار
والمجرور كقولك مررت بزيد وعمرا ويقويه قراءة تسالون به وبالارحام فانهم كانوا يقرنونها
في السؤال والمناشدة بالله عز وجل ويقولون اسالك بالله وبالرحم او عطفا على الاسم الجليل اي
اتقوا الله والارحام وصلوها ولا تقطعوها فان قطعها مما يجب ان يتقى وهو قول مجاهد وقتادة
والسدي والضحاك والفرا والزجاج وقد جوز الواحدي نصبه على الاغرا اي والزموا الارحام وصلوها
وقرئ بالجر عطفا على الضمير المجرور وبالرفع على انه مبتدا محذوف الخبر تقديره والارحام كذلك اي مما
يتقى او يتساءل به ولقد نبه سبحانه وتعالى حيث قرنها باسمه الجليل على ان صلتها بمكان منه كما في قوله تعالى
ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعنه صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من
وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله ان الله كان عليكم رقيبا اي مراقبا وهي صيغة مبالغة من رقب
يرقب رقبا ورقبانا اذا احد النظر لامر يريد تحقيقه اي حافظا مطلعا على جميع ما يصدر عنكم من الافعال
والاقوال وعلى ما في ضمائركم من النيات مريدا لمجازاتكم بذلك وهو تعليل للامر ووجوب الامتثال به
واظهار الاسم الجليل لتاكيده وتقديم الجار والمجرور لرعاية الفواصل واتوا اليتامى اموالهم شروع في
تفصيل موارد الاتقا ومظانه بتكليف ما يقابلها امرا ونهيا عقيب الامر بنفسه مرة بعد اخرى وتقديم
ما يتعلق باليتامى لاظهار كمال العناية بامرهم ولملابستهم بالارحام اذ الخطاب للاوليا والاوصيا وقلما
تفوض الوصاية الى الاجانب واليتيم من مات ابوه من اليتم وهو الانفراد ومنه الدرة اليتيمة وجمعه
على يتامى اما لانه لما جرى مجرى الاسما جمع على يتائم ثم قلب فقيل يتامى او لانه لما كان من وادي الافات
جمع على يتمى ثم جمع يتمى على يتامى والاشتقاق يقتضي صحة اطلاقه على الكبار ايضا واختصاصه بالصغار
مبني على العرف واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فتعليم للشريعة لا تعيين لمعنى اللفظ اي لا يجري
على اليتيم بعده حكم الايتام والمراد بايتا اموالهم قطع المخاطبين اطماعهم الفارغة عنها وكف
اكفهم الخاطفة عن اختزالها وتركها على حالها غير متعرض لها بسو حتى تاتيهم وتصل اليهم سالمة كما ينبي
عنه ما بعده من النهي عن التبدل والاكل لا الاعطا بالفعل فانه مشروط بالبلوغ وايناس الرشد على
ما ينطق به قوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح الاية الى اخره وانما عبر عما ذكر بالايتا ومجاز الاية انه ينبغي ان يكون
مرادهم بذلك ايصالها اليهم لا مجرد ترك التعرض لها فالمراد بهم اما الصغار على ما هو المتبادر والامر خاص
بمن يتولى امرهم من الاوليا والاوصيا وشمول حكمه للاوليا من كان بالغا عند نزول الاية بطريق الدلالة

دون العبارة واما من جرى عليهم اليتم في الجملة مجازا على انه يكون لك عند النزول او بالغا لا مرشدا فالامر شامل
للاوليا الفريقين صيغة توجب عليهم ما ذكر من حفظ اموالهم والتحفظ عن اضاعتها مطلقا واما وجوب الدفع
الى الكبار فمستفاد مما سياتي من الامر به وقيل المراد بهم الصغار وبالايتا الاعطا في الزمان المستقبل وقيل
اطلق اسمهم على الكبار بطريق الاتساع لقرب عهدهم باليتم حثا للاوليا على المسارعة الى دفع اموالهم
اليهم اول ما بلغوا قبل ان يزول عنهم اسمهم المعهود فالايتا بمعنى الاعطا بالفعل وياباهما ما ياتي من قوله
تعالى وابتلوا اليتامى الى اخره فان ما فيه بالرفع وارد على وجه التكليف الابتدائي لا على وجه تعيين
وقته او بيان شرطه فقط كما هو مقتضى القولين واما تعميم الاسم للصغار والكبار مجازا بطريق التغليب
اما تعميم الايتا للايتا حالا وللايتا مالا وتعميم الخطاب للاوليا الفريقين على ان من بلغ منهم توليته
مامور بالدفع اليه بالفعل وان من لم يبلغ بعد فوليه مامور بالدفع اليه عند بلوغه رشيدا فمع
ما فيه من التكلف لا يخفى فالاولى ما تقدم من حمل ايتا اموال اليتيم على ما يؤدي اليه من ترك التعرض
لها بسو كما يلوح به التعبير عن الاعطا بالفعل بالدفع سوا اريد باليتامى الصغار او ما يعم الصغار
والكبار حسبما ذكر انفا واما ما روي من ان رجلا من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له فلما بلغ
طلب منه ماله فمنعه فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب
الكبير فغير قادح في ذلك لما ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب نهي
عن اخذ اليتيم على الوجه المخصوص بعد النهي المضمون عن اخذه على الاطلاق وتبدل الشي بالشي
واستبداله به اخذ الاول بدل الثاني بعد ان كان حاصلا له او في شرف الحصول يستعملان ابدا بافضائهما الى
الماخوذ بانفسهما والى المتروك بالبا كما في قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالايمان الخ وقوله تعالى اتستبدلون
الذي هو ادنى بالذي هو خير واما التبديل فيستعمل تارة كذلك كما في قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات
فبدلناهم بجنتيهم جنتين الى اخره واخرى بالعكس كما في قولك بدلت الحلقة بالخاتم اذا اذبتها وجعلتها
خاتما نص عليه الازهري وتارة اخرى بافضائه الى مفعوليه بنفسه كما في قوله تعالى يبدل سيئاتهم
حسنات والمراد بالخبيث والطيب ان كان هو الحرام والحلال فالمنهي عنه استبدال مال اليتيم بمال
انفسهم مطلقا كما قاله الفرا والزجاج وقيل معناه لا تذروا اموالكم الحلال وتاكلوا الحرام من اموالهم فالمنهي
عنه اكل ماله مكان ماله المحقق اذ المقدر وقيل هو اختزال ماله مكان حفظه واياما كان فانما عبر عنهما
بهما تنفيرا عما اخذوه وترغيبا فيما اعطوه تصويرا لمعاملتهم بصورة ما لا يصدر عن العاقل وان كان هو
الردي بالجيد فمورد النهي ما كانوا عليه من اخذ الجيد من مال اليتيم واعطا الردي من مال انفسهم وبه
قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي وتخصيص هذه المعاملة بالنهي لخروجها مخرج العادة
لا لاباحة ما عداها واما التعبير عنها بتبدل الخبيث بالطيب مع انها تبديلهم به او تبدل الخبيث
بالطيب فللايذان بان الاوليا حقهم ان يكونوا في المعاوضات عاملين لليتيم لا لانفسهم مراعين لجانبه
قاصدين لجلب المجلوب اليه مشتريا كان او ثمنا لا لسلب المسلوب عنه ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم
نهي عن منكر اخر كانوا يتعاطونه اي لا تاكلوها مضمومة الى اموالكم ولا تسووا بينهما وهذا حلال وذلك
حرام وقد رخص من ذلك مقدار اجر المثل عند كون الولي فقيرا انه اي الاكل المفهوم من النهي كان حوبا
اي ذنبا عظيما وقرئ بفتح الحا وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا وهو ايضا مصدر كقال قولا وقالا كبيرا
مبالغة في بيان عظم ذنب الاكل المذكور كان قال من كبار الذنوب العظيمة لا من افنائها وان خفتم الا
تقسطوا في اليتامى اي ان لا تعدلوا وقرئ بفتح التا فقيل من قسط اي جار ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا
يعلم وقيل هو بمعنى اقسط فان الزجاج حكى ان قسط يستعمل استعمال اقسط والمراد بالخوف العلم كما في قوله
تعالى فمن خاف من موص جنفا عبر عنه بذلك ايذانا بكون المعلوم مخوفا محذورا لا معناه الحقيقي لان الذي
علق به الجواب هو العلم بوقوع الجور المخوف لا الخوف منه والا لم يكن الامر شاملا لمن يصبر على الجور ولا يخافه
وهذا شروع في النهي عن منكر اخر كانوا يباشرونه متعلق بانفس اليتامى اصالة وباموالهم تبعا عقيب النهي
عما يتعلق باموالهم خاصة وتاخيره عنه لقلة وقوع المنهي عنه بالنسبة الى الاول ونزوله منه منزلة المركب
من المفرد وذلك انهم كانوا يتزوجون من يحل لهم من اليتامى التي يلونهن لكن لا لرغبة فيهن بل في مالهن
ويسيئون في الصحبة والمعاشرة ويتربصون بهن ان يمتن فيرثوهن وهذا قول الحسن وقيل هي اليتيمة تكون
في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا
لهن في اكمال الصداق وامروا ان ينكحوا ما سواهن من النساء وهذا قول الزهري رواية عن عروة عن
عائشة رضي الله تعالى عنها واما اعتبار اجتماع عدد كثير منهن كما اطبق عليه اكثر المفسرين حيث قالوا كان
الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن

الى الحد فلا يساعده النظم الامر بنكاحهن فان المحذور حينئذ يندفع بتقليل عددهن اى ان خفتم ان لا
تعدلوا في حق اليتامى اذا تزوجتم بهن باساءة العشرة او بنقص الصداق فانكحوا ما طاب لكم ما موصولة
او موصوفة ما بعدها صلتها او صفتها اوثرت على من ذهابا الى الوصف بانه المقصود بالذات والغالب
في الاعتبار له بنا على ان الاناث من العقلا يجرين مجرى غير العقلا لاخلاله بمقام الترغيب فيهن وقرأ ابن
ابى عبلة من طاب ومن في قوله تعالى من النساء بيانية وقيل تبعيضية والمراد بهن غير اليتامى بشهادة قرينة
المقام اى فانكحوا من استطابتها نفوسكم من الاجنبيات وفي ايثار الامر بنكاحهن على النهي عن نكاح
اليتامى مع انه المقصود بالذات مزيد لطف في استنزالهم عن ذلك فان النفس مجبولة على الحرص على ما منعت
منه كما ان وصف النساء بالطيب على الوجه الذي اشير اليه وفيه مبالغة النفس مجبولة على الحرص
في اشتماله اليمين والترغيب فيهن وكل ذلك للاعتنا بصرفهم عن نكاح اليتامى وهو السر في توجيه النهي
الضمني الى النكاح المترتب مع ان سبب النزول هو النكاح المحقق فان محظوريته المترتب حيث
كانت للجور لترتب فيه محظورية المحقق مع تحقق الجور فيه اولى وقيل المراد بالطيب الحل اى ما حل لكم
شرعا لان ما استطابه شامل للمحرمات ولا مخصص له مع ما عداهن وفيه قرار من محذور ووقوع فيما هو افظع
منه لان ما حل لهم مجمل وقد تقرر ان النقل اذا تردد بين الاجمال والتخصيص يحمل على الثاني لان العام المخصوص
حجة في غير محل التخصيص والمجمل ليس بحجة قبل ورود البيان اصلا ولئن جعل قوله تعالى حرمت عليكم الى
آخره دالا على التفصيل بناء على ادعاء تقدمه في التنزيل فليجعل دالا على التخصيص مثنى وثلاث ورباع
معدولة عن اعداد مكررة غير منصرفة لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وقيل
للعدل والصفة فانها بنيت صفة فان لم يكن اصلها كذلك وقرئ وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع
ومحلهن النصب على انها حال من فاعل طاب مؤكدة لما افادة وصف الطيب من الترغيب فيهن والاستمالة
اليهن بتوسيع دائرة الاذن اى فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلثا وثلثا وربعا
اربعا حسبما تريدون على معنى ان لكل واحد منهم ان يختار اى عدد شاء من الاعداد المذكورة لا ان بعضها
لبعض منهم وبعضها لبعض آخر كما في قولك اقتسموا هذه البدرة درهمين درهمين وثلثة ثلثة واربعة اربعة ولو
افردت لفهم منه تجويز الجمع بين تلك الاعداد دون التوزيع ولو ذكرت بكلمة او لفات تجويز الاختلاف في
العدد هذا وقد قيل في تفسير الآية لما نزلت الآية في اليتامى وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير اخذ الاوليا
يتحرجون من ولاية اليتامى خوفا من لحوق الحوبة بترك الاقساط مع انهم كانوا لا يتحرجون من ترك العدل في حقوق
النساء وكان تحت الرجل منهم عشرة من النساء فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامى فتحرجتم منها
فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب
مثله فهو غير متحرج ولا تائب عنه وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم
الجور في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات ولا يخفى انه لا يساعدهما
جزالة النظم الكريم لابتنائهما على تقدم نزول الآية الاولى وشيوعها بين الكل مع ظهور توقف حكمها على
ما بعدها من قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء الى قوله وكفى بالله حسيبا فان خفتم ان لا تعدلوا اى فيما بينهن
ولو في اقل الاعداد المذكورة كما خفتموه في حق اليتامى او كما لم تعدلوا في حقهن او كما لم تعدلوا فيما فوق هذه
الاعداد فواحدة اى فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع بالكلية وقرئ بالرفع اى فالمقنع واحدة
او فحسبكم واحدة او ما ملكت ايمانكم اى من السراري بالغة ما بلغت من مراتب العدد وهو عطف على واحدة
على ان اللزوم والاختيار فيه بطريق التسري لا بطريق النكاح كما فيما عطف عليه لاستلزامه ورود ملك
النكاح على ملك اليمين بموجب اتحاد المخاطبين في الموضعين بخلاف ما يأتي من قوله تعالى ومن لم يستطع
منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم فان المأمور بالنكاح هناك غير المخاطبين بملك
اليمين وانما سوى في السهولة واليسر بين الحرة الواحدة وبين السراري من غير حصر في عدد لقلة تبعتهن
وخفة مؤنتهن وعدم وجوب القسم فيهن وقرئ او من ملكت ايمانكم وما في القراءة المشهورة للايذان بقصور
رتبتهن عن رتبة العقلاء ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري ادنى ان لا تعولوا العول الميل من قولهم
عال الميزان عولا اذا مال وعال في الحكم اى جار والمراد ههنا الميل المحظور المقابل للعدل اى ما ذكر من اختيار
الواحدة والتسري اقرب بالنسبة الى ما عداهما من ان لا تميلوا ميلا محظورا لانتفائه رأسا بانتفاء محله
في الاول وانتفاء خطره في الثاني بخلاف اختيار العدد في الحرائر فان الميل المحظور متوقع فيه لتحقق المحل
والخطر ومن ههنا تبين ان مدار الامر هو عدم العول لا تحقق العدل كما قيل وقد فسر بان لا تكثر عيالكم على
انه من عال الرجل عياله يعولهم اى مانهم فعبر عن كثرة العيال بكثرة المؤنة على طريقة الكناية ويؤيده قراءة
ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله ووجه كون التسري مظنة قلة العيال مع جواز الاكثار من

التسري الى انه يجوز العدل عن نكاحهن بغير رضاهن ولا كذلك الحرائر والجملة مستانفة جارية مما قبلها مجرى التعليل
وآتوا النساء اى اللاتي امر بنكاحهن صدقاتهن جمع صدقة كسمرة وهي المهر وقرئ بسكون الدال على التخفيف
وبضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة كغرفة وبضمها على التوحيد وهو تثقيل صدقة كظلمة في ظلمة نحلة
قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد فريضة من الله لانها مما فرضه تعالى في النحلة اى الملة والشرعة
والديانة فانتصابها على الحالية من الصدقات اى اعطوهن مهورهن حال كونها فريضة منه تعالى وقيل
الزجاج تدينا فانتصابها على انها مفعول له اى اعطوهن ديانة وشرعة وقال الكلبي نحلة اى هبة وعطية
من الله تعالى وتفضلا منه عليهن فانتصابها على الحالية منها ايضا وقيل عطية من جهة الازواج من نحله كذا
اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة وبخلاف التعبير عن ايتاء المهر بالنحلة مع كونها
واجبة على الازواج لافادة معنى الايتاء عن كمال الرضا وطيب الخاطر وانتصابها على المصدرية لان الايتاء والنحلة
بمعنى الاعطاء كانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم او على الحالية
من ضمير آتوا اى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اى منحولة معطاة عن
طيبة الانفس فالخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك
النافجة لمن يولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك اى تعظمه فان طبن لكم عن شيء منه الضمير للصدقات
وتذكيره لاجرائه مجرى ذلك فانه قد يشار به الى المتعدد كما في قوله عز وجل قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر
الشهوات المعدودة وقد روي عن رؤبة انه حين قيل له في قوله • فيها خطوط من سواد وبلق • كأنه في الجلد
توليع البهق • ان اردت الخطوط ينبغي ان تقول كانها وان اردت السواد والبلق ينبغي ان تقول كانهما قال لكني
اردت كان ذلك او للصداق الواقع موقع صدقاتهن كانه قيل وآتوا النساء صداقهن كما في قوله تعالى فاصدق
واكن حيث عطف اكن على ما دل عليه المذكور ووقع موقعه كانه قيل فاصدق واكن واللام متعلقة بالفعل
وكذا عن لكن بتضمينه معنى التجافي والتجاوز ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة لشيء اى كائن من الصداق
وفيه بعث لهن الى تقليل الموهوب نفسا تمييز والتوحيد لما ان المقصود بيان الجنس اى وهبن لكم شيئا من الصداق
متجافيا عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى البذل من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم لكن عدل
عن لفظ الهبة والسماحة الى ما عليه النظم الكريم ايذانا بان العمدة في الامر انما هو طيب النفس وتجافيها عن
الموهوب بالمرة فكلوه اى فخذوا ذلك الشيء الذي طابت به نفوسهن وتصرفوا فيه تملكا وتخصيص الاكل بالذكر
لانه معظم وجوه التصرفات المالية هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه
وقيل الهنيء ما يلذه الآكل والمريء ما يحمد عاقبته وقيل ما ينساغ في مجراه الذي هو المريء وهو ما بين الحلقوم
الى فم المعدة سمي بذلك لمروء الطعام فيه اى انساغه ونصبهما على انهما صفتان للمصدر اى اكلا هنيئا مريئا
او على انهما حال من الضمير المنصوب اى كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على كلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى
انهما صفتان اقيمتا مقام مصدرين كانه قيل هنئا مرئا وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة
التبعة روي ان ناسا كانوا يتأثمون ان يقبل احدهم من زوجته شيئا مما ساقه اليها فنزلت ولا تؤتوا السفهاء
اموالكم رجوع الى بيان بقية الاحكام المتعلقة باموال اليتامى وتفصيل ما اجمل فيما سبق من شرط ايتائها
ووقته وكيفيته اثر بيان بعض الاحكام المتعلقة بانفسهن اعني نكاحهن وبيان بعض الحقوق المتعلقة
بغيرهن من الاجنبيات من حيث النفس ومن حيث المال استطرادا والخطاب للاولياء نهوا ان يؤتوا المبذرين
من اليتامى اموالهم مخافة ان يضيعوها وانما اضيفت اليهم وهي لليتامى لا نظرا الى كونها تحت ولايتهم كما قيل
فانه غير مصحح لاتصافها بالوصف الآتي بل تنزيلا لاختصاصها باصحابها منزلة اختصاصها بالاولياء فكان اموالهم
عين اموالهم لما بينهم وبينهم من الاتحاد الجنسي والنسبي مبالغة في حملهم على المحافظة عليها كما في قوله تعالى
ولا تقتلوا انفسكم اى لا يقتل بعضكم بعضا حيث عبر عن بني نوعهم بانفسهم مبالغة في زجرهم عن قتلهم فكان
قتلهم قتل انفسهم وقد ايد ذلك حيث عبر عن جعلها مناطا لمعاش اصحابها بجعلها مناطا لمعاش الاوليا
فقيل التي جعل الله لكم قياما اى جعلها الله شيئا تقومون به وتتعيشون على حذف المفعول الاول
فلو ضيعتموه لضعتم ثم زيد في المبالغة حتى جعل ما به القيام قياما فكانها في انفسها قيامكم وانتعاشكم وقيل انما
اضيفت الى الاولياء لانها من جنس ما يقيم الناس به معايشهم حيث لم يقصد به الخصوصية الشخصية بل الجنسية
التي هي معنى ما يقام به المعاش وتميل اليه القلوب ويدخر لاوقات الاحتياج وهي بهذا الاعتبار لا تختص
باليتامى وانت خبير بان ذلك بمعزل من حمل الاولياء على المحافظة المذكورة كيف لا والوحدة الجنسية المالية
ليست مختصة بما بين اموال اليتامى واموال الاولياء بل هي متحققة بين اموالهم واموال الاجانب فاذن لا وجه
لاعتبارها اصلا وقرئ اللاتي واللواتي وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوضا بمعنى عياذا وقرئ قواما بكسر القاف
وهو ما يقام به الشيء او مصدر قاوم وقرئ بفتحها وارزقوهم فيها واكسوهم اى واجعلوها مكانا لرزقهم وكسوتهم

بان يحجروا وبرجوا حتى يكونوا نفقاتهم من الارباح لا من صلب المال وقيل الخطاب لكل احد كائنا من كان والمراد
نهيه عن ان يفوض امر ماله الى من لا رشد له من نسائه واولاده وكلاليه وغير ذلك ولا يخفى ان ذلك مخل بجزالة
النظم الكريم وقولوا لهم قولا معروفا اى كلاما لينا تطيب به نفوسهم وعن سعيد بن جبير ومجاهد وابن جريج
عدوهم عدة جميلة بان تقولوا اذا صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وكل ما سكنت اليه النفس لحسنه شرعا
او عقلا من قول او عمل فهو معروف وما انكرته لقبحه شرعا او عقلا فهو منكر وابتلوا اليتامى شروع في
تعيين وقت تسليم اموال اليتامى اليهم وبيان شرطه بعد الامر بايتائها على الاطلاق والنهي عنه عند كون
اصحابها سفهاء اى اختبروا من ليس منهم بين السفه قبل البلوغ وتتبعوا احوالهم في اصلاح الدين والاهتدا
الى ضبط المال وحسن التصرف فيه وجربوهم بما يليق بحالهم فان كان من اهل التجارة فبان تعطوهم من المال
ما يتصرفون فيه بيعا وابتياعا وان كان ممن له ضياع واهل وخدم فبان تعطوهم منه ما يصرفونه الى
نفقة عبيدهم وخدمهم واجرائهم وساير مصارفهم حتى يتبين لكم كيفية احوالهم حتى اذا بلغوا النكاح بان
يحتلموا لانهم يصلحون عنده للنكاح فان انستم اى شاهدتم وتبينتم وقرئ احستم بمعنى احسستم كما في قوله
من قال • خلا ان العتاق من المطايا • احسن به وهن اليه شوش •• منهم رشدا اى اهتداء الى وجوه التصرف
من غير عجز وتبذير وتقديم الجار والمجرور للاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وللاعتداد بمبدايته له
والتنوين للدلالة على كفاية رشد في الجملة وقرئ بفتح الراء والشين وبضمهما فادفعوا اليهم اموالهم من غير
تأخير عن حد البلوغ وفي ايثار الدفع على الايتاء الوارد في اول الامر ايذان بتفاوتهما بحسب المعنى كما
اشير اليه فيما سلف ونظم الآية الكريمة ان حتى هي التي يقع بعدها الجمل كالتي في قوله • فما زالت القتلى
تمج دماءها • بدجلة حتى ماء دجلة اشكل • وما بعدها جملة شرطية جعلت غاية للابتلاء وفعل الشرط
بلغوا وجوابه الشرطية الثانية كانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم واستحقاقهم دفع اموالهم
بشرط ايناس الرشد منهم وظاهر الآية الكريمة ان من بلغ غير رشيد اما بالتبذير او بالعجز لا يدفع اليه
ماله ابدا وبه اخذ ابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة رحمه الله تعالى ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان
البلوغ بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير احوال الانسان
لما قال عليه السلام مروهم بالصلوة لسبع دفع اليه ماله اونس منه رشد او لم يونس ولا تأكلوها
اسرافا وبدارا ان يكبروا اى مسرفين ومبادرين كبرهم اى لا تسرفوا في اكلها وتبادروا كبرهم تفرطون في انفاقها
وتقولوا ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا والجملة لتاكيد الامر بالدفع وتمهيد لما
بعدها من قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف اى من كان من الاولياء والاوصياء غنيا فليتنزه من اكلها
وليقتنع بما اتيه الله تعالى من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله ومن كان فقيرا من الاولياء والاوصياء فقيرا
فليأكل بالمعروف بقدر حاجته الضرورية واجرة سعيه وخدمته وفي لفظ الاستعفاف والاكل بالمعروف
ما يدل على ان للوصي حقا لقيامه عليها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افا
كل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان ولي
اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنأ جرباها وتسقيها يوم
وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعن محمد بن كعب يتقرم كما تتقرم البهيمة وينزل نفسه
منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند
الضرورة ويقضي مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر
ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضى وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه اني انزلت نفسي من مال الله عز وجل منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت
وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعفف ابلغ من عف كانه يطلب زيادة العفة فاذا
دفعتم اليهم اموالهم بعد ما راعيتم الشرائط المذكورة وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للاهتمام
به فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم لما ان ذلك ابعد من التهمة وانفى للخصومة
وادخل في الامانة وبراءة الساحة وان لم يكن ذلك واجبا عند اصحابنا فان الوصي يصدق بالدفع مع اليمين
خلافا لمالك والشافعي رحمهما الله تعالى وكفى بالله حسيبا اى محاسبا فلا تخالفوا ما امرتم به ولا تجاوزوا
ما حد لكم للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون شروع في بيان احكام المواريث بعد بيان احكام
اموال اليتامى المنتقلة اليهم بالارث والمراد بالاقربين المتوارثون ومن في مما متعلقة بمحذوف وقع
صفة للنصيب اى لهم نصيب كائن مما ترك وقد جوز تعلقها بنصيب وللنساء نصيب مما ترك
الوالدان والاقربون ايراد حكمهن على الاستقلال دون الدرج في تضاعيف احكامهم بان يقال للرجال
والنساء الى اخره للاعتناء بامرهن والايذان باصالتهن في استحقاق الارث والاشارة من اول الامر

الى التفاوت ما بين نصيبي الفريقين والمبالغة في ابطال حكم الجاهلية فانهم ما كانوا يورثون النساء والاطفال
ويقولون انما يورث من يحارب ويذب عن الحوزة روي ان اوس بن ثابت الانصاري خلف زوجته ام
كحة وثلث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة وقتادة وعرفجة ميراثه عنهن على سنة الجاهلية فجاءت
ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله تعالى
فنزلت فارسل اليهما ان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين فلا تفرقا من مال اوس شيئا حتى يبين فنزلت
يوصيكم الله الى اخره فاعطى ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وهو دليل على جواز تأخير
البيان عن الخطاب وقوله تعالى مما قل منه او كثر بدل من ما الاخيرة باعادة الجار واليها يعود الضمير
المجرور وهو البدل المراد في الجملة الاولى ايضا محذوف للتعويل على المذكور وفائدته دفع توهم اختصاص بعض
الاموال ببعض الورثة كالخيل وآلات الحرب للرجال وتحقيق ان لكل من الفريقين حقا من كل ما جل ودق
نصيبا مفروضا نصب على انه مصدر مؤكد كقوله تعالى فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة على
الحالية اذ المعنى ثبت لهم نصيب كائن مما ترك الوالدان والاقربون حال كونه مفروضا او على الاختصاص
اى اعني نصيبا مقطوعا مفروضا واجبا لهم وفيه دليل على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اى قسمة التركة وانما
ثبت نصيب على ان الوارث لو اعرض عن نصيبه لم يسقط حقه واذا حضر القسمة اى قسمة التركة وانما
قدمت مع كونها مفعولا لان المحجوب هنا ولان في الفاعل تعددا فلو روعي الترتيب يفوت تجاوب
اطراف الكلام اولوا القربى ممن لا يرث واليتامى والمساكين من الاجانب فارزقوهم منه اى اعطوهم شيئا
من المال المقسوم المدلول عليه بالقسمة وقيل الضمير لما وهو امر ندب كلف به البالغون من الورثة
تطييبا لقلوب الطوائف المذكورة وتصدقا عليهم وقيل امر وجوب ثم اختلف في نسخه وقولوا لهم قولا معروفا
وهو ان تدعوا لهم ويستقلوا ما اعطوهم ويعتذروا من ذلك ولا يمنوا عليهم وليخش الذين لو تركوا من خلفهم
ذرية ضعافا خافوا عليهم امر للاوصياء بان يخشوا الله تعالى ويتقوه في امر اليتامى فيفعلوا بهم ما يحبون ان
يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم او لمن حضر المريض من العواد عند الايصاء بان يخشوا اولاد المريض
ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولادهم فلا يتركوا ان يضر بهم بصرف المال عنهم او للورثة بالشفقة على من حضر
القسمة من ضعفاء الاقارب واليتامى والمساكين متصورين انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضعافا مثلهم
هل يجوزون حرمانهم او للمؤمنين ان ينظروا للورثة فلا يسرفوا في الوصية ولو فيما في خبرها صلة الذين على معنى
وليخش الذين حالهم وصفتهم انهم لو شارفوا ان يخلفوا ارونه ضعافا خافوا عليهم الضياع وفي ترتيب الامر
عليه اشارة الى المقصود منه والعلة فيه وبعث على الترحم وان يحب لاولاد غيره ما يحب لاولاد نفسه
وتهديد للمخالف بحال اولاده وقرئ ضعفاء وضعافى وضعافى نحو سكارى فليتقوا الله في ذلك والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها وليقولوا قولا سديدا امرهم بالتقوى التي غاية الخشية بعد ما امرهم بها مراعاة للمبدأ
والمنتهى اذ لا تنفع للاول بدون الثاني ثم امرهم بان يقولوا لليتامى مثل ما يقولوا لاولادهم بالشفقة
وحسن الادب او للمريض ما يصده عن الاسراف في الوصية وتضييع الورثة ويذكره التوبة وكلمة الشهادة
او لحاضري القسمة عذرا ووعدا حسنا او يقولوا في الوصية لا يؤدي الى تجاوز الثلث ان الذين يأكلون اموال
اليتامى ظلما استئناف جيء به لتقرير ما فصل من الاوامر والنواهي اى على وجه الظلم او ظالمين استئناف
جيء به لتقرير انما يأكلون في بطونهم اى ملء بطونهم نارا اى ما يجري الى النار ويؤدي اليها وعن ابي بردة انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تأجج افواههم نارا فقيل من هم فقال عليه السلام
الم تروا ان الله يقول ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا
اى سيدخلون نارا هائلة مبهمة الوصف وقرئ بضم الياء مخففا ومشددا من الاصلاء والتصلية يقال
صلى النار قاسى حرها وصليته مثوبته واصليته وصليته القيته فيها والسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت
النار اذا الهبتها روي ان آكل مال اليتيم يبعث يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه
وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا وروي انه لما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على
الناس فاحترزوا عن مخالطة اليتامى بالكلية وصعب الامر على اليتامى فنزل قوله تعالى وان تخالطوهم
الآية يوصيكم الله شروع في تفصيل احكام المواريث المجملة في قوله عز وجل للرجال نصيب الخ واقسام
الورثة ثلاثة قسم لا يسقط وهم الآباء والاولاد والازواج فهؤلاء قسمان والثلاثة الكلالة اى يأمركم
ويعهد اليكم في اولادكم اى في شأن ميراثهم بدأ بهم لانهم اقرب الورثة الى الميت واكثرهم
بقاء بعد المورث للذكر مثل حظ الانثيين جملة مستأنفة جيء بها لتبيين الوصية وتفسيرها وقيل محلها
النصب بيوصيكم على ان المعنى يفرض عليكم ويشرع لكم هذا الحكم وهذا قريب مما راه الفراء فانه يجري ما كان
بمعنى القول من الافعال مجراه في حكاية الجملة بعده ونظيره قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا

من ... فجيء به لتقرير ما فصل من الاوامر والنواهي اى على
وجه الظلم او ظالمين استينافا فجيء به لتقرير صح
اى ما يجري الى النار ويؤدي اليها وعن ابي بردة انه قال
قال صلى الله عليه وسلم يبعث الله قوما من قبورهم تأجج افواههم
اى ملء بطونهم صح نارا فقيل منهم فقال عليه السلام الم تروا ان الله يقول
الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم

وعملوا الصالحات لم معنى الاية وقوله تعالى للذكر لابد له من ضمير عايد الى الاولاد محذوف ثقة بظهوره كما
في قوله السمن منوان بدرهم اي للذكر منهم وقيل الالف واللام قايم مقامه والاصل لذكرهم ومثله صفة
لموصوف محذوف اي للذكر منهم حظ مثل حظ الانثيين والبداية ببيان حكم الذكر لاظهار مزيته على
الانثى كما انها المناط في تضعيف حظه وايثار اسمي الذكر والانثى على ما ذكر اولا من الرجال والنساء
للتنصيص على استواء الكبار والصغار من الفريقين في الاستحقاق من غير دخل للبلوغ والكبر في ذلك اصلا كما
هو زعم اهل الجاهلية حيث كانوا لا يورثون الاطفال كالنساء فان كن نساء اي الاولاد فالتانيث باعتبار
الخبر وهو قوله تعالى نساء اي خلصا ليس معهن ذكر فوق اثنتين خبر ثان او صفة لنساء اي نساء زايدات على اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك اي المتوفى المدلول عليه بقرينة المقام وان كانت اي المولودة واحدة اي امراة واحدة
ليس معها اخ ولا اخت وعدم التعرض للموصوف لظهوره مما سبق فلها النصف مما ترك وقرئ واحدة
على كان التامة واختلف في الثنتين فقال ابن عباس حكمهما حكم الواحدة لانه تعالى جعل الثلثين لما
فوقهما وقال الجمهور حكمهما حكم ما فوقهما لانه تعالى لما بين ان حظ الذكر مثل حظ الانثيين اذا كان معه انثى
وهو الثلثان اقتضى ذلك ان فرضهما الثلثان ثم لما اوهم ذلك ان يزداد النصيب بزيادة العدد رد بقوله تعالى
فان كن نساء فوق اثنتين ويؤيده ذلك ان البنت الواحدة لما استحقت الثلث مع اخيها الاقوى منها في
الاستحقاق فلان تستحقه مع مثلها اولى واحرى وان البنتين امس رحما من الاختين وقد فرض الله تعالى لهما الثلثين
حيث قال تعالى فلهما الثلثان مما ترك ولابويه اي لابوي الميت في النظم الكريم لعدم اختصاص حكمه بما
قبله من الصور لكل واحد منهما بدل بتكرير العامل وسر ذكر المبتدا الذي هو قوله تعالى السدس وتبيين
خبره الذي هو لابويه ونقل الخبرية اليه تنصيصا على استحقاق كل منهما السدس وتاكيد له بالتفصيل
بعد الاجمال لسكون الدال تخفيفا وكذلك الثلث والربع والثمن مما ترك متعلق بمحذوف وقع حالا
من السدس والعامل الاستقرار المعتبر في الخبر اي كاينا مما ترك المتوفى ان كان له ولد او ولد ابن ذكرا كان
او انثى واحدا او متعددا غير ان الاب في صورة الانوثة بعدما اخذ فرضه المذكور ياخذ ما بقي من ذوي الفروض
بالعصوبة فان لم يكن له ولد ولا ولد ابن وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك والباقي للاب وانما لم
يذكر لعدم الحاجة اليه لانه لما فرض انحصار الوارث في ابويه وعين نصيب الام علم ان الباقي للاب وتخصيص
جانب الام بالذكر واحالة جانب الاب على دلالة الحال مع حصول البيان بالعكس ايضا لما ان حظها المفروض
واستحقاقه اتم واوفر ولان استحقاقه بطريق العصوبة دون الفرض هذا ان لم يكن معهما احد الزوجين اما اذا كان
معهما ذلك فلها ثلث ما بقي بعد فرض احدهما لا ثلث الكل كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما فانه يفضي الى تفضيل
الانثى مع كونه اقوى منها في الارث بدليل اضعافه عليها عند انفرادهما عن احد الزوجين وكونه صاحب
فرض وعصبة وذلك خلاف وضع الشرع فان كان له اخوة اي عدد ممن له اخوة من غير اعتبار التثليث سوا
كان من جهة الابوين او من جهة احدهما وكانوا ذكورا او اناثا او مختلطين وسوا كان لهم ميراث او كانوا محجوبين
بالاب فلامه السدس واما السدس الذي حجبوها عنه فهو للاب عند وجوده ولهم عند عدمه وعليه
الجمهور وعند ابن عباس رضي الله عنهما انه لهم على كل حال خلافا ان هذا الحجب عنده لا يتحقق بما دون الثلث
ولا بالاخوات الخلص فلامه بكسر الهمزة اتباعا لما قبلها من بعد وصية خبر مبتدا محذوف والجملة متعلقة بما
تقدم جميعا لا بما يليه وحده اي هذه الانصبا للورثة من بعد اخراج وصية يوصي بها اي الميت وقرئ
مبنيا للمفعول مخففا ومبنيا للفاعل مشددا وفايدة الوصف الترغيب في الوصية والندب اليها او دين
عطف على وصية الا انه غير مقيد بما قيدت به من الوصف بل هو مطلق يتناول ما ثبت بالبينة الاولى او
الاقرار في الصحة وايثار او المفيدة للاباحة على الواو للدلالة على تساويهما في الوجوب وتقدمهما على القسمة
مجموعين ومفردين وتقديم الوصية على الدين ذكرا مع تاخرها عنه حكما لاظهار كمال العناية بتنفيذها لكونها
مظنة للتفريط في ادائها ولاطرادها بخلاف الدين اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
الخطاب للورثة فاباؤكم مبتدا وابناؤكم عطف عليه ولا تدرون مع خبره وايهم مبتدا واقرب خبره ونفعا نصب
على التمييز منه وهو منقول من الفاعلية كانه قيل اقرب لكم نفعه والجملة في حيز النصب بلا تدرون والجملة
الكبيرة اعتراض مؤكدة لوجوب تنفيذ الوصية اي اصولكم وفروعكم الذين يتوفون لا تدرون ايهم انفع لكم
امن يوصي ببعض ماله فيعرضكم لثواب الاخرة بتنفيذ وصيته ام من لا يوصي بشيء فيوفر عليكم عرض الدنيا
وليس المراد بنفي الدراية عنهم بيان اشتباه الامر عليهم وكون انفعية كل من الاول والثاني في حيز الاحتمال عندهم
من غير رجحان احدهما على الاخر كما في قوله صلى الله عليه وسلم مثل امتي مثل المطر لا يدرى اوله خير ام اخره
فان ذلك بمعزل من افادة التاكيد المذكور والترغيب في تنفيذ الوصية بل تحقيق انفعية الاول في ضمن التعريض
بان لهم اعتقادا بانفعية الثاني مبنيا على عدم الدراية وقد اشير الى ذلك حيث عبر عن الانفعية باقربية النفع

انكبي المناظر رجمهم وتعيينا لمناط خطابهم ومبالغة في الترغيب المذكور بتصوير الثواب الاجل بصورة
العاجل لما ان الطباع مجبولة على حب الخير العاجل كانه قيل لا تدرون ايهم انفع لكم فتحكمون نظرا الى ظاهر الحال
وقرب المنال بانفعية الثاني مع ان الامر بخلافه فان ثواب الاخرة لتحقق وصوله الى صاحبه ودوام تمتعه
به مع غاية قصر مدة ما بينهما من الحيوة الدنيا اقرب واحضر وعرض الدنيا لسرعة نفاده وفنائه
ابعد واقصى وقيل الخطاب للمورثين والمعنى لا تعلمون من انفع لكم ممن يرثكم من اصولكم وفروعكم عاجلا واجلا
فتحروا في شانهم ما اوصاكم الله تعالى به ولا تعمدوا الى تفضيل بعض وحرمان بعض روي ان احد المتوالدين
انه كان ارفع درجة من الاخر سال ان يرفع الله صاحبه فيرفع اليه بشفاعته وقيل فالجملة الاعتراضية ح
حينئذ مؤكدة لامر القسمة وانت خبير بانه مشعر بان مدار الارث ما ذكر من اقربية النفع مع انه
العلاقة النسبية فريضة من الله نصب مصدر مؤكد لفعل محذوف اي فرض الله ذلك فرضا او لقوله تعالى
يوصيكم الله فانه في معنى يامركم ويفرض عليكم ان الله كان عليما اي بالمصالح والرتب حكيما في كل ما قضى وقدر
فيدخل فيه الاحكام المذكورة دخولا اوليا ولكم نصف ما ترك ازواجكم شروع في بيان احكام القسم
الثاني من الورثة ووجه تقديم حكم ميراث الرجال مما لا حاجة الى ذكره ان لم يكن لهن ولد اي ولد وارث
من بطنها او من صلب بنيها او بني بنيها وان سفل ذكرا كان او انثى واحدا كان او متعددا لان لفظ الولد ينتظم
الجميع منكم او من غيركم والباقي لمن دونهن من ذوي الفروض والعصبات ولغيرهم ولبيت المال ان لم يكن لهن وارث
اخر اصلا فان كان لهن ولد على نحو ما فصل والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ذكر تقديم عدم الولد
وبيان حكمه مستتبع لتقدير وجوده وبيان حكمه فلكم الربع مما تركن من المال والباقي لباقي الورثة من بعد
وصية متعلق بكلتا الصورتين لا بما يليه وحده يوصين بها في محل الجر على انه صفة الوصية وفايدتها
ما مر من ترغيب الميت في الوصية وحث الورثة على تنفيذها او دين عطف على وصية سوا كان
ثبوته بالبينة او بالاقرار وايثار او على الواو لما مر من الدلالة على تساويهما في الوجوب والتقدم على
القسمة وكذا تقديم الوصية على الدين ذكرا لما ذكر من ابراز كمال العناية بتنفيذها ولهن الربع مما تركتم ان لم
يكن لكم ولد على التفصيل المذكور انفا والباقي لباقية ورثتكم من اصحاب الفروض والعصبات او ذوي الارحام
او لبيت المال ان لم يكن لكم وارث اخر اصلا فان كان لكم ولد على النحو الذي فصل فلهن الثمن مما تركتم من
المال والباقي للباقين من بعد وصية توصون بها او دين الكلام فيه كما فصل في نظيريه فرض للرجال بحق
الزواج ضعف ما فرض للمراة كما في النسب لمزيته عليها وشرفه الظاهر ولذلك اختص بتشريف الخطاب
وهكذا قياس كل رجل وامراة اشتركا في الجهة والقرب ولا يستثنى منه الا اولاد الام والمعتق ويستوي
الواحدة والعدد منهن في الربع والثمن وان كان رجل شروع في بيان احكام القسم الثالث من الورثة
المحتمل للسقوط ووجه تاخيره عن الاولين بين المراد بالرجل الميت وقوله تعالى يورث على البناء للمفعول
من ورث لا من اورث خبر كان اي يورث منه كلالة الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب
القوة من الاعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالاضافة الى قرابتهما وتطلق على
من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذي كلالة كما تطلق القرابة على ذوي
القرابة وقد يجوز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق فنصبها اما على انه مفعول له اي يورث منه
لاجل القرابة المذكورة او على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث وارثه حال كونه ذا كلالة او على
انها خبر لكان ويورث صفة لرجل اي ان كان رجل يورث منه كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يورث على البناء
للفاعل مخففا ومشددا فانتصاب كلالة اما على انها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف اي يورث لاجل
الكلالة او امراة عطف على رجل مقيد بما قيد به اي او امراة تورث كذلك ولعل فصل ذكرها عن ذكره للايذان
بشرفه واصالته في الاحكام وله اي وللرجل وفيه تاكيد للايذان المذكور حيث لم يتعرض لها بعد جريان
ذكرها ايضا وقيل الضمير لكل منهما اخ او اخت اي من الام فحسب وقد قرئ كذلك فان احكام بني الاعيان
والعلات هي التي ذكرت في اخر السورة الكريمة والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير يورث كلالة
من رجل على تقدير كون يورث صفة له وبها تم التصوير المسالة فذكر الكلالة لتحقيق جريان الحكم المذكور ان
كان مع من ذكر ورثة اخرى بطريق الكلالة واما جريانه في صورة وجود الام او الجدة مع ان قرابتهما للميت
بطريق الكلالة فبالاجماع فلكل واحد منهما من الاخ والاخت السدس من غير تفضيل للذكر على الانثى لان الادلاء
الى الميت بمحض الانوثة وان كانوا اكثر من ذلك اي اكثر من الاخ او الاخت المنفردين بواحد او بالتثنية لما
لا ما مر ان ذكر احتمال الانفراد مستتبع هذا واما تجويز ان يكون يورث في القراءة المشهورة مبنيا للمفعول من
اورث على ان المراد به الوارث فالمعنى وان كان رجل يجعل وارثا لاجل الكلالة او ذا كلالة اي غير والد وولد
وكذلك الوارث اخ واخت فلكل واحد منهما من ذلك الوارث واخيه او اخته السدس فان كانوا اكثر من

لئن احتمال التعدد فهم شركاء في الثلث يقتسمونه بالسوية
والباقي لباقية الورثة من اصحاب الفروض والعصبات

ذلك او من الاثنين فان كانوا ثلاثة او اكثر فهم شركاء في الثلث المودع للاثنين لا يزاد عليه شيء فمعول
من السداد اما اولا فلان المعتبر في ذلك التقدير انما هي الاخوة وبين شريكه في الارث من جهته او اخته
لا ما بينه وبين مورثه من الاخوة عليها يترتب حكم الارث وبها يتم تصوير المسئلة وانما المعتبر بينهما الوراثة
بطريق الكلالة وهي عامة لجميع صور القرابات التي لا تكون بالولاء فلا تكون نصيبه ولا نصيب شريكه ما ذكر
بعينه ومن ادعى اختصاصها بالاخوة لام متمسكا بالاجماع على ان المراد بالكلالة ههنا اولاد الام فقد اعترف
ببطلان ذاته من حيث لا يحتسب كيف لا ومبناه انما هو الاجماع على ان المراد بالاخوة في قوله تعالى وله اخ او
اخت هو الاخوة لام خاصة حسبما شهدت به القراءة المحكية والاية الاتية في اخر السورة الكريمة ولولا
ان الرجل عبارة عن الميت والاخوة معتبرة بينه وبين ورثته لما امكن كون الكل اولاد الام ثم ان الكلام كما
بنيت عليه باقية على اطلاقها ليس فيها شائبة اختصاص باولاد الام فضلا عن الاجماع على ذلك ولالا
لانتقاد البيان على حكم صورة انحصار الورثة فيهم وانما الاجماع فيما ذكر من ان المراد بالاخ والاخت من
كان لام خاصة وانت خبير بان ذلك في قوة الاجماع على ان يورث من يورث لام منها ورث فتدبروا اما ثانيا
فلانه يقتضي ان يكون المعتبر في استحقاق الورثة للفرض المذكور اخوة بعضهم لبعض من جهة الام فقط لما ذكر
من الاجماع بعد ثبوت الاستحقاق على تقدير الاخوة من الجهتين واما ثالثا فلان حكم صورة الانفراد عن الاخ
والاخت يبقى حينئذ غير مبين كون حظ كل منهما السدس عند الاجتماع كونه كذلك عند الانفراد الا يرى
ان حظ كل من الاختين الثلث عند الاجتماع والنصف عند الانفراد واما رابعا فلان تخصيص احد الورثة
بالتوريث وجعل غيره تبعا له فيه مع اتحاد الكل في الادلاء الى الميت مما لا عهد به من بعد وصية يوصى بها
الكلام فيه كالذي مر في نظائره خلا ان الدين ههنا موصوف بوصف الوصية جريا على قاعدة تقييد المعطوف
بما قيد به المعطوف عليه لاتفاق الجمهور على اعتبار عدم المضارة فيه ايضا وذلك انما يتحقق فيما يكون
ثبوته بالاقرار في المرض كانه قيل او دين يوصى به غير مضار حال من فاعل فعل مضمر يدل عليه المذكور وما
حذف من المعطوف اعتمادا عليه كما ان رجال في قوله عز وجل يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال على قراءة المبني
للمفعول فاعل لفعل ينبئ عنه المذكور والمحذوف اكتفاء وعلى قراءة البناء للفاعل اي يوصي بما ذكر من الوصية والدين
حال كونه غير مضار للورثة بان يوصي بما زاد على الثلث او تكون الوصية لقصد الاضرار بهم دون القربة وبان
يقر في المرض بدين كاذبا وتخصيص هذا القيد بهذا المقام لما ان الورثة مظنة لتفريط الميت في حقهم
وصية من الله مصدر مؤكد لفعل محذوف وتنوينه للتفخيم ومن متعلقة بمضمر وقع صفة له مؤكدة لفخامته
الذاتية بالفخامة الاضافية اي يوصيكم بذلك وصية كائنة من الله تعالى كقوله تعالى فريضة من الله
ولعل السر في تخصيص كل منهما بمحله الاشعار بما بين الاحكام المتعلقة بالاصول والفروع وبين الاحكام
المتعلقة بغيرهم من التفاوت حسب تفاوت الفريضة والوصية وان كان كلتاهما واجبة المراعاة او منصوب
بغير مضار على انه مفعول به فانه اسم فاعل معتمد على ذي الحال او منفي معنى فيعمل فيه المفعول
الصريح ويعضده القراءة بالاضافة اي غير مضار لوصية الله وعهده لا في شان الاولاد فقط كما قيل اذ لا
تعلق لهم بالمقام بل في شان الورثة المذكورة ههنا فان الاحكام المفصلة كلها مندرجة تحت قوله تعالى
يوصيكم الله جارية مجرى تفسيره وبيانه ومضارتها الاخلال بحقوقهم ونقصها بما ذكر من الوصية بما
زاد على الثلث والوصية لقصد الاضرار دون القربة والاقرار بالدين كاذبا واقرارها وايقاعها على
الوصية مع انها واقعة على الورثة حقيقة كما في قوله ۞ يا سارق الليلة اهل الدار ۞ للمبالغة في الزجر
عنها باخراجها مخرج مضارة الله تعالى ومضارته وجعل الوصية عبارة عن الوصية بالثلث فما دونه
تقتضي ان يكون غير مضار حالا من ضمير الفعل المتعلق بالوصية فقط وذلك يؤدي الى الفصل بين الحال
وعاملها باجنبي هو المعطوف على وصية مع انه لا تخصيص به مادة المضارة لبقاء الاقرار بالدين على اطلاقه
والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعامل بالعقوبة فلا يغتر بالامهال وايراد الاسم الجليل مع كفاية الاضمار
لادخال الروعة وتربيت المهابة تلك اشارة الى الاحكام التي تقدمت في سورة اليتامى والمواريث وغير
ذلك حدود الله اي شرائعه المحدودة التي لا يجوز مجاوزتها ومن يطع الله ورسوله في جميع الاوامر
والنواهي التي من جملتها ما فصل ههنا واظهار الاسم الجليل لما ذكر انفا يدخله جنات نصب على الظرفية
عند الجمهور وعلى المفعولية عند الاخفش تجري من تحتها الانهار صفة لجنات منصوبة حسب انتصابه
خالدين فيها حال مقدرة من مفعول يدخله وصيغة الجمع بالنظر الى الجمعية من حيث المعنى كما ان افراد الضمير
بالنظر الى افراده لفظا وذلك اشارة الى ما مر من دخول الجنات الموصوفة بما ذكر على وجه الخلود وما فيه
من معنى البعد للايذان بكمال علو درجته الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه ووصف الفوز وهو الظفر
بالخير العظيم اما باعتبار متعلقه او باعتبار ذاته فان الفوز العظيم عظيم والجملة اعتراض ومن يعص الله

ورسوله

ورسوله ولو في بعض الاوامر والنواهي قال مجاهد فيما اقتص من المواريث وقال عكرمة عن ابن عباس
رضي الله عنهما من لم يرض بقسم الله ويتعد حدوده ويتخطى شرائعه المحدودة في جميع الاحكام يدخله
نارا دخولا اوليا بيدخله وقرئ بنون العظمة في الموضعين نارا اي عظيمة هائلة لا يقادر قدرها
خالدا فيها كما سبق ولعل ايثار الافراد ههنا نظرا الى ظاهر اللفظ واختيار الجمع هناك نظرا الى المعنى للايذان
بان الدخول في دار الثواب بصفة الاجتماع والانفراد اشد في استجلاب الوحشة وله عذاب مهين اي وله مع عذاب
الحريق الجسماني عذاب اخر مبهم لا يعرف كنهه وهو العذاب الروحاني كما يؤذن به وصفه والجملة حالية
واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم شروع في بيان بعض اخر من الاحكام المتعلقة بالنساء اثر بيان احكام
المواريث واللاتي جمع التي بحسب المعنى دون اللفظ وقيل جمع على غير قياس والفاحشة الفعلة القبيحة اريد بها
الزنا لزيادة قبحه والاتيان الفعل والمباشرة يقال اتى الفاحشة اي فعلها وباشرها وكذا جاءها ورهقها
وغشيها وقرئ بالفاحشة فالاتيان بمعناه المشهور ومن متعلقة بمحذوف وقع حالا من فاعل يأتين
اي اللاتي يفعلن الزنا كائنات من نسائكم اي من ازواجكم كما في قوله والذين يظاهرون من نسائهم وقوله
تعالى من نسائكم اللاتي دخلتم بهن وبه قال السدي فاستشهدوا عليهن اربعة منكم خبر للموصول والفاء للدلالة
على سببية ما في حيز الصلة للحكم اي فاطلبوا ان يشهد عليهن باتيانها اربعة من رجال المؤمنين واحرارهم فان
شهدوا عليهن بذلك فامسكوهن في البيوت اي فاحبسوهن فيها واجعلوها سجنا عليهن حتى يتوفاهن
اي يستوفي ارواحهن الموت وفيه تهويل للموت وابراز له في صورة من يتولى قبض الارواح ويتوفاها او حتى
يتوفاهن ملائكة الموت او يجعل الله لهن سبيلا اي شرع لهن حكما خاصا بهن ولعل التعبير عنه بالسبيل للايذان
بكونه طريقا مسلوكا فليس فيه دلالة على كونه اخف من الحبس كما قاله ابو مسلم واللذان يأتيانها منكم
هم الزاني والزانية بطريق التغليب قال السدي اريد بهما البكران منهما كما ينبئ عنه كون عقوبتهما اخف من
الحبس المخلد وبذلك يندفع التكرار خلا انه يبقى حكم الزاني المحصن منهما لاختصاص العقوبة الاولى
بالمحصنات وعدم ظهور لحوقه باحد الحكمين لدلالة خفاء الشركة في المناط فاذوهما اي بالتوبيخ والتقريع وقيل
بالضرب بالنعل ايضا والظاهر ان اجراء هذا الحكم ايضا انما يكون بعد الثبوت لكن ترك ذكره تعويلا على ما ذكر
انفا فان تابا عما فعلا من الفاحشة بسبب ما لقيا من زواجر الاذية وقوارع التوبيخ كما ينبئ عنه الفاء
واصلحا اي اعمالهما فاعرضوا عنهما اي فاقطعوا الاذية والتوبيخ فان التوبة والصلاح مما يمنع استحقاق
الذم والعقاب وقد يجوز ان يكون الخطاب للشهود الواقفين على هنائهما ويراد بالايذاء ذمهما وتعنيفهما
وتهديدهما بالرفع الى الولاة وبالاعراض عنهما ترك التعرض لهما بالرفع اليهم قيل كانت عقوبة الفريقين
المذكورين في اوائل الاسلام على ما مر من التفصيل ثم نسخ بالحد لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب ترجم والبكر تجلد وقيل هذه الاية سابقة على الاولى
نزولا وكانت عقوبة الزناة مطلقا الاذى ثم الحبس ثم الجلد والرجم وقد يجوز ان يكون الامر بالحبس
غير منسوخ بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت بعد اقامة
الحد صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال ولا يخفى انه مما لا يساعده
النظم الكريم وقد عزاه الى مجاهد ان الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وما في سورة النور في الزناة والزواني
متمسكا بان المذكور في الاولى صيغة الاناث خاصة وفي الثانية صيغة الذكور ولا ضرورة الى المصير الى
التغليب على انه لا امكان له في الاولى ويأباه الامر باستشهاد الاربعة فانه غير معهود في الشرع فيما عدا
الزنا ان الله كان توابا مبالغا في قبول التوبة رحيما واسع الرحمة وهو تعليل للامر بالاعراض انما التوبة على الله
استئناف مسوق لبيان قبول التوبة من الله تعالى ليس على اطلاقه كما ينبئ عنه وصفه تعالى بكونه توابا
رحيما بل هو مقيد بما سينطق به النص الكريم فقوله تعالى التوبة مبتدأ وقوله تعالى للذين يعملون السوء
خبره وقوله تعالى على الله متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار فان تقديم الجار والمجرور على عامله
المعنوي مما لا نزاع فيه في جوازه وكذا الظرف او بمحذوف وقع حالا من ضمير المبتدأ المستكن فيما تعلق به الخبر
على راي من جوز تقديم الحال على عاملها المعنوي عند كونها ظرفا او حرف جر كما سبق في تفسير قوله تعالى
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا واياما كان فمعنى كون التوبة عليه سبحانه وتعالى صدور
القبول عنه تعالى وكلمة على للدلالة على التحقيق البتة بحكم جري العادة وسبق الوعد حتى كانه من الواجبات
عليه سبحانه وهذا مراد من قال كلمة على بمعنى من وقيل هي بمعنى عند وعن الحسن يعني التوبة التي يقبلها
الله تعالى وقيل اي التوبة التي اوجب الله تعالى على نفسه بفضله قبولها وهناك سبيل الى ان قوله تعالى على
الله صفة للتوبة بتقدير متعلقة معرفة على راي من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اي انما التوبة
الكائنة على الله تعالى والمراد بالسوء المعصية صغيرة كانت او كبيرة وقيل الخبر بمحذوف وقع حالا من الضمير

المستكن في متعلق الخبر وليس فيه ما في الوجه الاول من تقديم الحال على العامل المعنوي الا ان الذي يقتضيه
المقام ويستدعيه النظام هو الاول لان ما قبله من وصفه تعالى بكونه توابا رحيما انما يقتضي بيان
اختصاص قبول التوبة منه تعالى بالمذكورين انما يكون بجعل قوله تعالى للذين الى اخره خبرا لا بجعل قوله
عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الى اخره فانه ناطق بما قلنا كانه قيل انما التوبة لهؤلاء
لا لهؤلاء وقوله بجهالة متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يعملون اي يعملون السوء ملتبسين بها اي جاهلين سفهاء
او بيعملون على ان الباء سببية اي يعملونه بسبب الجهالة لان ارتكاب الذنب مما يدعو اليه الجهل وليس
المراد به عدم العلم بكونه سوءا بل عدم التفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجتمع اصحاب
الرسول صلى الله عليه وسلم فراوا ان كل شيء عصي به ربه فهو جهالة وليس المراد به عدم العلم بكونه
سوءا بل عدم تفكر في العاقبة كما يفعله الجاهل قال قتادة اجتمع لعمد كان او خطاء وعن مجاهد كل من
عصى الله تعالى كان جاهلا حتى ينزع عن جهالته وقال الزجاج يعني بقوله بجهالة اختيارهم اللذة
الفانية على الباقية ثم يتوبون من قريب اي من زمان قريب وهو ما قبل حضور الموت كما ينبئ عنه ما يأتي
من قوله تعالى حتى اذا حضر الى اخره فانه صريح في ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه
التوبة فبقي ما وراءه في حيز القبول وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك
كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن ابراهيم النخعي ما لم يؤخذ بكظمه وهو مجرى النفس وروى ابو ايوب
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته
بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن ادم ما دام روحه
في جسده فقال تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر ومن تبعيضية اي يتوبون بعض
زمان قريب كانه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضور الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا
الزمان فهو تائب فاولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما ذكر وما فيه من معنى البعد
باعتبار كونهم بانقضاء ذكرهم في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى يتوب الله عليهم وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية الحكم وهذا وعد بقبول
توبتهم اثر بيان ان التوبة لهم والفاء للدلالة على سببيتها وكان الله عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيبني
احكامه وافعاله على اساس الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها واظهار الاسم الجليل
في موضع الاضمار للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية منشأ لاتصافه تعالى بصفات الكمال وليست
التوبة للذين يعملون السيئات تصريح بما فهم من قصر القبول على توبة من تاب من قريب وزيادة تعيين له
ببيان ان توبة من عداهم بمنزلة العدم وجمع السيئات باعتبار تكرر وقوعها في الزمان المديد لا لان المراد
بها جميع انواعها وبما مر من السوء نوع منها حتى اذا حضر احدهم الموت غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة
قال اني تبت الان حتى حرف ابتداء والجملة الشرطية بعدها غاية لما قبلها اي ليس قبول التوبة للذين
يعملون السيئات الى حضور موتهم وقولهم حينئذ اني تبت وذكر الان لمزيد تعيين الوقت وايثار قال على تاب
لاسقاط ذلك عن درجة الاعتبار والتحاشي عن تسميته توبة ولا الذين يموتون وهم كفار عطف على الموصول
الذي قبله اي ليس قبول التوبة لهؤلاء ولا لهؤلاء وانما ذكر هؤلاء مع انه لا توبة لهم راسا مبالغة في بيان
عدم قبول توبة المسوفين وايذانا بان وجودها كالعدم بل في تكرير حرف النفي في المعطوف اشارة خفية الى كون
حال المسوفين في عدم استتباع الجدوى اقوى من حال الذين يموتون على الكفر والمراد بالموصول اما الكفار
خاصة واما الفساق وحدهم وتسميتهم في الجملة الحالية كفارا للتغليظ كما في قوله تعالى ومن كفر فان الله
غني عن العالمين واما ما يعم الفريقين جميعا والتسمية للتغليب ويجوز ان يراد بالاول الفسقة وبالثاني
الكفرة ففيه مبالغة اخرى اولئك اشارة الى الفريقين وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم
في الفظاعة وبعد منزلتهم في السوء وهو مبتدأ خبره اعتدنا لهم اي هيأنا لهم عذابا اليما تكرير الاسناد
لما مر من تقوية الحكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بكون العذاب معدا لهم
وتنكير العذاب ووصفه للتفخيم الذاتي والوصفي يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها
كان الرجل اذا مات قريبه يلقي ثوبه على امرأته او على خبائها ويقول ارث امرأته كما ارث ماله فيصير
بذلك احق بها من كل احد ثم ان شاء تزوجها بلا صداق غير الصداق الاول وان شاء زوجها غيره
واخذ صداقها ولم يعطها منه شيئا وان شاء عضلها لتفتدي بما ورثت من زوجها وان ذهبت المرأة الى
اهلها قبل القاء الثوب فهي احق بنفسها فنهوا عن ذلك وقيل لهم لا يحل لكم ان تأخذوهن بطريق الارث
على زعمكم كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات عليه وقيل كانوا يمسكوهن حتى يمتن
ويرثوا منهن فقيل لهم لا يحل لكم ذلك وهن غير راضيات بامساككم وقرئ لا تحل بالتاء الفوقانية على ان

يرثوا

يرثوا بمعنى الوارثة وقرئ كرها بضم الكاف وهو لغة كالضعف وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من
حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر وضيق عليها لتفتدي منه بما لها وتختلع فقيل لهم ولا تعضلوهن عطفا
على ترثوا ولا لتأكيد النفي والخطاب للازواج والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها
اذا اختنقت رحمها فخرج بعضه وبقي بعضه اي ولا ان تضيقوا عليهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن اي من
الصداق بان يدفعن اليكم بعضه اضطرارا فتأخذوه منهن وانما لم يتعرض لفعلهن ايذانا بكونه بمنزلة العدم
لصدوره عنهن اضطرارا وانما عبر عن ذلك بالذهاب به لا بالاخذ ولا بالاذهاب للمبالغة في تقبيحه ببيان
تضمنه لامرين كل منهما محظور شرعا الاخذ والاذهاب منهن لانه عبارة عن الذهاب مستصحبا به الا ان يأتين
بفاحشة مبينة على صيغة الفاعل من بين بمعنى تبين وقرئ على صيغة المفعول وعلى صيغة الفاعل من ابان
بمعنى تبين اي بينة القبح من النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة ويعضده قراءة
ابي الا ان يفحشن عليكم وقيل الفاحشة الزنا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم الاوقات او اعم العلل اي ولا
يحل لكم عضلهن في حال من الاحوال او في وقت من الاوقات او لعلة من العلل الا في حال اتيانهن بها فان السبب
حينئذ يكون من جهتهن وانتم معذورون في طلب الخلع وعاشروهن بالمعروف خطاب للذين يسيئون العشرة
معهن والمعروف ما لا ينكره الشرع والمروءة والمراد ههنا النصفة في المبيت والاجمال في القول ونحو
ذلك فان كرهتموهن وسئمتم صحبتهن بمقتضى الطبيعة من غير ان يكون من قبلهن ما يوجب ذلك من الامور
المذكورة فلا تفارقوهن بمجرد كراهة النفس واصبروا على معاشرتهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه
خيرا كثيرا علة للجزاء اقيمت مقامه للايذان بقوة استلزامها اياه كانه قيل فان كرهتموهن فاصبروا عليهن
مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه وعسى تامة رافعة لما بعدها مستغنية
عن تقدير الخبر اي فقد قربت كراهتكم شيئا وجعل الله فيه خيرا كثيرا فان النفس ربما تكره ما هو اصلح
في الدين واحمد عاقبة وادنى الى الخير وتحب ما هو بخلافه فليكن نظركم الى ما فيه خير وصلاح دون
ما تهوى انفسكم وذكر الفعل الاول مع الاستغناء عنه وانحصار العلية في الثاني للتوسل الى تعميم مفعوله ليفيد
ان ترتب الخير الكثير من الله تعالى ليس مخصوصا بمكروه دون مكروه بل هو سنة الهية جارية على
الاطلاق حسب اقتضاء الحكمة وان ما نحن فيه مادة من موادها وفيه من المبالغة في الحمل على ترك المفارقة
وتعميم الارشاد ما لا يخفى وقرئ ويجعل مرفوعا على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة حالية تقديره وهو
اي ذلك الشيء يجعل الله فيه خيرا كثيرا وقيل تقديره والله يجعل الله بوضع المظهر موضع المضمر
وتنوين خيرا لتفخيمه الذاتي ووصفه بالكثرة لبيان فخامته الوصفية والمراد به ههنا الولد الصالح
وقيل الالفة والمحبة وان اردتم استبدال زوج اي تزوج امرأة ترغبون فيها مكان زوج ترغبون
عنها بان تطلقوها واتيتم احداهن اي احدى الزوجات فان المراد بالزوج هو الجنس والجملة حالية
باضمار قد لا معطوفة على الشرط اي وقد اتيتم التي تريدون ان تطلقوها قنطارا اي مالا كثيرا
فلا تأخذوا منه اي من ذلك القنطار شيئا يسيرا فضلا عن الكثير اتأخذونه بهتانا واثما مبينا استئناف
مسوق لتقرير النهي والتنفير عن المنهي عنه والاستفهام للانكار والتوبيخ اي اتأخذونه باهتين واثمين
او للبهتان والاثم فان احدهم كان اذا تزوج امرأة بهت التي تحته بفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه
بما اعطاها ليصرفه الى تزوج الجديدة فنهوا عن ذلك والبهتان الكذب الذي يبهت المكذوب
عليه ويدهشه وقد يستعمل في الفعل الباطل ولذلك فسر ههنا بالظلم وقوله عز وجل وكيف
تأخذونه انكار لاخذه اثر انكار وتنفير عنه غب تنفير وقد بولغ فيه حيث وجه الانكار الى
كيفية الاخذ ايذانا بانه مما لا سبيل له الى التحقق والوقوع اصلا لان ما يدخل تحت الوجود لا بد ان يكون على
حال من الاحوال فاذا لم يكن لشيء حال اصلا لم يكن له حظ من الوجود قطعا وقوله عز وجل وقد افضى
بعضكم الى بعض حال من فاعل تأخذونه مفيدة لتأكيد النكير وتقرير الاستبعاد اي على اي حال او في حال تأخذونه
والحال انه قد جرى بينكم وبينهن احوال منافية له من الخلوة وتقرر المهر وثبوت حق خدمتهن وغير ذلك واخذن
منكم ميثاقا غليظا عطف على ما قبله داخل في حكمه اي اخذن منكم عهدا وثيقا وهو حق الصحبة والمعاشرة
او ما اوثق الله تعالى عليهم في شأنهن بقوله تعالى فامساك بمعروف او تسريح باحسان او ما اشار اليه
النبي صلى الله عليه وسلم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم
شروع في بيان من يحرم نكاحها من النساء ومن لا يحرم وانما خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح
المحرمات الاتية مبالغة في الزجر عنه حيث كانوا مصرين على تعاطيه قال ابن عباس رضي الله عنهما
وجمهور المفسرين كان اهل الجاهلية يتزوجون بازواج ابائهم فنهوا عن ذلك واسم الاباء ينتظم الاجداد
مجازا فثبتت حرمة ما نكحوها نصا واجماعا ويستدل في اثبات هذه الحرمة نفس النكاح اذا كان صحيحا

واما اذا كان فاسدا فلا بد في اثباتها من الوطء وما يجري مجراه من التقبيل والمس بشهوة ونحوهما بل هو المثبت
لها في الحقيقة حتى لو وقع شيء من ذلك بحكم ملك اليمين او بالوجه المحرم ثبت به الحرمة عندنا خلافا للشافعي
في المحرم اي لا تنكحوا التي نكحها اباؤكم وايثار ما على من للذهاب الى الوصف وقيل ما مصدرية على ارادة المفعول
من المصدر من النساء بيان لما نكح على الوجهين الا ما قد سلف استثناء مما نكح مفيد للمبالغة في التحريم باخراج
الكلام مخرج التعليق بالمحال على طريقة قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب
والمعنى لا تنكحوا حلائل اباءكم الا من ماتت منهن والمقصود سد طريق الاباحة بالكلية ونظيره قوله تعالى حتى
يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو استثناء مما يستلزمه النهي ويستوجبه مباشرة المنهي عنه كانه قيل ولا تنكحوا
ما نكح اباؤكم من النساء فانه موجب للعقاب الا ما قد مضى فانه معفو عنه وقيل هو استثناء منقطع
معناه لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه لانه مقرر وياباهما قوله تعالى انه كان فاحشة ومقتا
فانه تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح مبغوضا اشد البغض وانه لم يزل في حكم الله تعالى
وعلمه موصوفا بذلك ما رخص فيه لامة من الامم فلا يلائم ان يوسط بينهما ما يهون امره من ترك
المؤاخذة على ما سلف منه وساء سبيلا في كلمة ساء قولان احدهما انها جارية مجرى بئس في الذم والعمل
ففيها ضمير مبهم يفسره ما بعده والمخصوص بالذم محذوف وتقديره وساء سبيلا سبيل ذلك النكاح
كقوله تعالى بئس الشراب اي ذلك الماء وثانيهما انها كسائر الافعال وفيها ضمير يعود الى ما عاد اليه ضمير انه
وسبيلا تمييز والجملة اما مستانفة لا محل لها من الاعراب او معطوفة على خبر كان محكية بقول مضمر هو
المعطوف في الحقيقة تقديره ومقولا في حقه ساء سبيلا فان السنة الامم كافة لم تزل ناطقة بذلك في
اعصارهم والامصار قيل مراتب القبح ثلث القبح العقلي والقبح الشرعي والقبح العادي فقد وصف الله
تعالى هذا النكاح بكل ذلك فقوله تعالى فاحشة مرتبة قبحه العقلي وقوله تعالى ومقتا مرتبة قبحه
الشرعي وقوله تعالى ساء سبيلا مرتبة قبحه العادي وما اجتمع فيه هذه المراتب فقد بلغ اقصى مراتب
القبح حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ليس
المراد تحريم ذواتهن بل تحريم نكاحهن وما يقصد به من التمتع بهن وبيان ذلك ورود ملك النكاح عليهن وانتفا
محليتهن له راسا واما حرمة التمتع بهن بملك اليمين في المواد التي يتصور فيها قرار الملك كما في بعض
المعطوفات على تقرير رقهن فثابتة بدلالة النص لاتحاد المدار الذي هو عدم محلية ابضاعهن للملك
لا بعبارته بشهادة سياق النظم الكريم وسياقه وانما الموجب للمدار المذكور امتناع ورود ملك اليمين
عليهن راسا وحرمة سببهن الذي هو العقد او ما يجري مجراه كما اوجب حرمة عقد النكاح وامتناع ره
ورود حكمه عليهن لان مورد حكم ملك اليمين ليس هو البضع الذي هو مورد ملك النكاح حتى
يفوت بفوات محليته له كملك النكاح فانه حيث كان مورده ذلك فات بفوات محليته له قطعا
وانما مورده الرقبة الموجودة في كل رقيق فيتحقق بتحقق محله حتما ثم يزول بوقوع العتق في المواد التي
سبب حرمتها محض القرابة النسبية كالمذكورات ويبقى في البواقي على حاله مستتبعا بجميع احكامه المقصودة
منه شرعا واما على الوطء فليس من تلك الاحكام فلا ضير في تخلفه عنه كما في المجوسية والامهات تعم
الجدات وان علون والبنات تتناول بناتهن وان سفلن والاخوات ينتظمن الاخوات من الجهات الثلاث
وكذا الباقيات والعمة كل انثى ولدها من ولد والدك والخالة كل انثى ولدها من ولد والدتك قريبا
او بعيدا وبنات الاخ وبنات الاخت تتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من ره
الرضاعة نزل الله تعالى الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا وكذا
زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده
فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولدها من هذا الزوج فهم اخوته
لابيه وامه ومن ولدها من غيره فهم اخوته واخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من
الرضاع ما يحرم من النسب وهو حكم كلي جار على عمومه واما ام اخيه لاب واخت ابنه لام
وام امرأة ابنه وام عمه وام خالة لاب فليست حرمتهن من جهة النسب حتى تحل بعمومه ضرورة حلهن في صورة
الرضاع بل من جهة المصاهرة الا ترى ان الاولى موطوءة ابيه والثانية بنت موطوءته والثالثة ام موطوءته
والرابعة موطوءة جده الصحيح والخامسة موطوءة جده الفاسد وامهات نسائكم شروع في بيان
المحرمات من جهة المصاهرة اثر بيان المحرمات من جهة الرضاعة التي لها لحمة كلحمة النسب والمراد
بالنساء المنكوحات على الاطلاق سواء كن مدخولا بهن او لا وعليه جمهور العلماء وقد روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال في رجل تزوج امراة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه لا باس بان يتزوج ابنتها
ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران ابن الحصين ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق وهي

مرسلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ابهموا ما ابهم الله خلافا لما روي عنه وعن علي
وزيد وابن عمر وابن الزبير رضي الله تعالى عنهم انهم قرأوا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وعن جابر ره
روايتان وعن سعيد بن المسيب وعن زيد انه اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها
قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت في ذلك مقام الدخول كما اقام مقامه في باب المهر والعدة والحق
بهن الموطوات بوجه من الوجوه المعدودة فيما سبق والممسوسات ونظائرهن والامهات من الرضاعة كما لا
يخفى وربائبكم اللاتي في حجوركم الربائب جمع ربيبة فعيل بمعنى مفعول والتاء للنقل الى
الاسمية والربيب ولد المراة من آخر سمي به لانه يربه غالبا كما يرب ولده وان لم يكن ذلك امرا مطردا وهو المعنى
بكونهن في حجوركم فان شأنهن الغالب المعتاد ان يكن في حضانة امهاتهن تحت حماية ازواجهن لكونهن لذلك
بالفعل وفائدة وصفهن بذلك تقوية علة الحرمة وتكميلها كما انها النكتة في ايرادهن باسم الربائب دون
بنات النساء فان كونهن بصدد احتضانهم لهن وفي شرف التقلب في حجورهم وتحت حمايتهم وتربيتهم مما يقوي
الملابسة والشبه بينهن وبين اولادهم ويستدعي اجراءهن مجرى بناتهم لا لتقييد الحرمة بكونهن في حجورهم بالفعل كما روي عن
علي رضي الله عنه وبه اخذ داود ومذهب جمهور العلماء ما ذكر اولا ويدل في ما في قوله تعالى من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن فانه لتقييد به قطعا فان كلمة من متعلقة بمحذوف وقع حالا من ربائبكم او من ضميرها المستكن
في الظرف لانه لما وقع صلة تحمل ضميرا اي وربائبكم اللاتي استقرين في حجوركم كائنات من نسائكم الخ
ولا مساغ لجعله حالا من امهات او من نسائكم الاولى لان اضيفت هي اليه خاصة ويقتضي كون كلمة من ابتدائية وحالية من امهات ونسائكم
ضرورة ان حاليته من ربائبكم او من ضميرها تقتضي كونها ابتدائية وجعل الموصول صفة للنسا
تستدعي كونها بيانية وادعى كونها اتصالية منتظمة لمعنى الابتدا والبيان
مع اختلاف عاملهما مما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله مع انه سعي في اسكان ما نطق به النبي
صلى الله عليه وسلم واتفق عليه الجمهور حسبما ذكر فيما قبل واما ما نقل من القراة فضعيفة الرواية وعلى
تقدير الصحة محمولة على النسخ ومعنى الدخول بهن ادخالهن الستر والبا للتعدية وهي كناية عن الجماع ره
كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب وفي حكمه اللمس ونظائره كما مر فان لم تكونوا اي فيما قبل دخلتم بهن
اصلا فلا جناح عليكم اي في نكاح الربائب وهو تصريح بما اشعر به ما قبله والفا الاولى لترتيب ما بعدها
على ما قبلها فان بيان حكم الدخول مستتبع لبيان حكم عدمه وحلائل ابنائكم اي زوجاتهم سميت الزوجة ره
حليلة لحلها للزوج او لحلولها في محله وقيل لحل كل منهما ازار صاحبه وفي حكمه من بنائهم ومن يجري مجراهن
من الممسوسات ونظائرهن وقوله تعالى الذين من اصلابكم لاخراج الادعياء دون ابناء الاولاد والابنا
من الرضاع فانهم وان سفلوا في حكم الابنا الصلبية وان تجمعوا بين الاختين في حيز الرفع عطفا على ما قبله
من المحرمات والمراد به جمعهما في النكاح لا في ملك اليمين واما جمعهما في الوطء بملك اليمين فملحق به
بطريق الدلالة لاتحادهما في المدار وقوله عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فلا يجمعن ماءه في رحم اختين بخلاف نفس ملك اليمين فانه ليس في معنى النكاح في الافضاء الى الوطء ولا
مستلزما له ولذلك يصح شراء المجوسية دون نكاحها حتى لو وطئهما لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه
وطء الاخرى بسبب من الاسباب وكذا لو تزوج اخت امته الموطوءة لا يحل له وطء احداهما حتى يحرم عليه الاخرى
لان المنكوحة موطوءة حكما فكانه جمعهما لا الى الثانية منهما بان يقال واخوات نسائكم للاحتراز عن افادة
الحرمة المؤبدة كما في المحرمات السابقة وكونه بمعزل من الدلالة على حرمة الجمع بينهما على سبيل المعصية
ويشترك في هذا الحكم الجمع بين المراة وعمتها ونظائرهما فان مدار حرمة الجمع بين الاختين افضاؤه الى
قطع ما امر الله به ان يوصل وذلك يتحقق في الجمع بينهما ولا بل اولى فان العمة والخالة بمنزلة الام فقوله
صلى الله عليه وسلم لا تنكح المراة على عمتها ولا على خالتها ولا على ابنة اخيها من قبيل بيان التغيير لا بيان
التغيير وقيل هو مشهور وتجوز به الزيادة على الكتاب الا ما قد سلف استثنا منقطع اي لكن ما قد
مضى لا تؤاخذون به ولا سبيل الى جعله متصلا لقصد التاكيد والمبالغة كما مر فيما سلف لان قوله تعالى
ان الله كان غفورا رحيما تعليل لما افادته الاستثنا فيتحتم الانقطاع وقال العطا والسدي معناه الا ما كان
من يعقوب عليه السلام فانه جمع ليا ام يهوذا وبين راحيل ام يوسف عليه السلام ولا يساعده م
التعليل لما ان ما نقله يعقوب عليه السلام كان حلالا في شريعته وقال ابن عباس رضي الله عنهما
كان اهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله الا امراة الاب والجمع بين الاختين الا يرى انه قد عقب النهي
عن كل منهما بقوله تعالى الا ما قد سلف وهذا يشير الى كون الاستثنا فيهما على سنن واحد ويأباه اختلاف
التعليلين والمحصنات بفتح الصاد وهن ذوات الازواج احصنهن التزوج والازواج او الاوليا
اي عففن عن الوقوع في الحرام وقرئ على صيغة اسم الفاعل كانهن احصن فروجهن عن غير ازواجهن او احصن

ازواجهن وقيل من التزوج كما في هذه الاية الكريمة الثاني العفة الصيغة للفاعل على القراءة الاولى ايضا وفتح
الصاد محمول على التشديد كما في نظيره ملقح ومسهب من القح واسهب قيل قد ورد الاحصان في القرآن بازاء
اربعة معان الاول التزوج كما في هذه الاية الكريمة الثاني العفة كما في قوله تعالى محصنين غير مسافحين الثالث
الحرية كما في قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات والرابع الاسلام كما في قوله تعالى فاذا احصن قيل في
تفسيره اي اسلمن وهي معطوفة على المحرمات السابقة وقوله تعالى من النساء متعلق بمحذوف وقع حالا منها
اي كاينات من النساء وفايدته تاكيد عمومها لا دفع توهم شمولها للرجال بناء على ان كونها صفة للانفس
كما توهم الا ما ملكت ايمانكم استثناء من المحصنات استثناء النوع من الجنس اي مملوكتهن واسناد الملك الى الايمان
لما ان سببه الغالب هو الصفقة الواقعة بها وقد اشتهر ذلك في الارقاء لا سيما في اناثهم وهي المراد هاهنا
رعاية للمقابلة بينه وبين ملك النكاح الوارد على الحراير والتعبير عنهن بما لاسقاطهن بما فيهن من قصور الرق
عن رتبة العقلاء وهي اما عامة حسب عموم صلتها فالاستثناء حينئذ ليس لاخراج جميع افرادها من حكم التحريم
بطريق شمول النفي بل بطريق نفي الشمول المستلزم لاخراج بعضها اي حرمت عليكم المحصنات على الاطلاق الا
المحصنات اللاتي ملكتموهن فانهن ليس من المحرمات على الاطلاق بل فيهن من لا يحرم نكاحهن في الجملة وهن المسبيات
بغير ازواجهن او مطلقا حسب اختلاف الرايين واما خاصة بالمذكورات فالمعنى حرمت عليكم المحصنات الا اللاتي
سبين فان نكاحهن مشروع في الجملة اي لغير مالكهن واما حلهن له بحكم ملك اليمين فمفهوم بدلالة النص لاتحاد
المناط لا بعبارته لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان حرمة التمتع بالمحرمات المعدودة بحكم ملك النكاح
وانما ثبوت حرمة التمتع بهن بحكم ملك اليمين بطريق دلالة النص في ذلك مما لا يجري فيه الاستثناء قطعا واما
عدهن من ذوات الازواج مع تحقق الفرقة بينهن وبين ازواجهن قطعا بالتباين او بالسبي على اختلاف الرايين
فمبني على اعتقاد الناس حيث كانوا حينئذ غافلين عن الفرقة الا يرى الى ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه من انه قال اصبنا يوم اوطاس سبايا لهن ازواج فكرهنا ان نقع عليهن فسالنا النبي صلى الله عليه وسلم
وفي رواية عنه قلنا يا رسول الله كيف نقع على نساء قد عرفنا انسابهن وازواجهن فنزلت والمحصنات
من النساء الا ما ملكت ايمانكم فاستحللناهن وفي رواية اخرى عنه ونادى منادي رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا لا توطؤ حامل حتى تضع ولا حائل حتى تحيض فاباح وطيهن بعد الاستبراء وليس في ترتيب هذا الحكم
على نزول الاية الكريمة ما يدل على كونها مسوقة له فان ذلك انما يتوقف على افادتها له بوجه من الوجوه
الدالات على افادتها بطريق العبارة او نحوها هذا وقد روي عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال انها نزلت
في نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن
مهاجرين فنهي عن نكاحهن فالمحصنات حينئذ عبارة عن مهاجرات يتحقق او يتوقع من ازواجهن الاسلام
والمهاجرة ولذلك لم يزل عنهن اسم الاحصان والنهي لتحريم المحقق وتعرف حال المتوقع والا فما عداهن بمعزل من
الحرمة واستحقاق اطلاق الاسم عليهن كيف لا وحين انقطعت العلاقة بين المسبية وزوجها مع اتحادهما
في الدين فلان ينقطع ما بين المهاجرة وزوجها الحربي اولى كما يفصح عنه قوله عز وجل فان علمتموهن مؤمنات فلا
ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الاية كتاب الله مصدر مؤكد اي كتب الله عليكم تحريمها
كتابا وفريضة فرضا وقيل منصوب على الاغراء بفعل مضمر اي الزموا كتاب الله وعليكم متعلق اما بالمصدر
واما بمحذوف وقع حالا منه وقيل هو اغراء اخر مؤكد لما قبله قد حذف مفعوله لدلالة المذكور عليه
او بنفس عليكم على راي من جوز تقديم المنصوب في باب الاغراء كما في قوله • يا ايها المايح دلوي دونكا • اني رايت
الناس يحمدونكا •• وقرئ كتب الله بالجمع والرفع اي هذه فرايض الله عليكم وقرئ كتب الله بلفظ الفعل
واحل لكم عطف على حرمت عليكم الى اخره وتوسيط قوله تعالى كتاب الله عليكم بينهما للمبالغة في الحمل على
المحافظة على المحرمات المذكورة وقرئ على صيغة المبني للفاعل فيكون معطوفا على الفعل المقدر وقيل بل على
حرمت عليكم الى اخره فانهما جملتان متقابلتان مؤسستان للتحريم والتحليل المنوطين بامر الله تعالى ما وراء
ذلكم اشارة الى ما ذكر من المحرمات المعدودة اي احل لكم نكاح ما سواهن انفرادا وجمعا ولعل ايثار اسم الاشارة
المتعرض لوصف المشار اليه وعنوانه على الضمير المتعرض للذات فقط لتذكير ما في كل واحدة منهن من
العنوان الذي عليه يدور حكم الحرمة فيفهم مشاركة من في معناهن لهن فيها بطريق الدلالة فان حرمة
الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين خالتها ليست بطريق العبارة بل بطريق الدلالة كما سلف وقيل ليس المراد
بالاحلال الاحلال مطلقا اي على جميع الاحوال حتى يرد انه يلزم منه حل الجمع بين المراة وعمتها وبينها وبين
خالتها بل انما هو احلالهن في الجملة اي على بعض الاحوال ولا ريب في حل نكاحهن بطريق الانفراد ولا يقدح في ذلك
حرمته بطريق الجمع الا يرى الى حرمة نكاح المعتدة والمطلقة ثلاثا والخامسة ونكاح الامة على الحرة ونكاح
الملاعنة لا يقدح في حل نكاحهن بعد العدة وبعد التحليل وبعد تطليق الرابعة وانقضاء العدة وبعد تطليق الحرة وبعد

اكذاب

اكذاب الملاعن نفسه وانت خبير بان الحل يجب ان يتعلق هاهنا بما تعلق الحرمة فيما سلف وقد تعلق هنالك
بالجمع فلا بد ان يتعلق الحل هاهنا به ايضا ان تبتغوا متعلق بالفعلين المذكورين على انه مفعول له لكن لا باعتبار
ذاتهما بل باعتبار بيانهما واظهارهما اي بين لكم تحريم المحرمات المعدودة واحلال ما سواهن ارادة ان تبتغوا
باموالكم والمفعول محذوف اي تبتغوا النساء او متروك اي تفعلوا الابتغاء باموالكم بصرفها الى مهورهن او بدل
اشتمال مما وراء ذلكم بتقدير ضمير المفعول محصنين حال من فاعل تبتغوا والاحصان العفة وتحصين النفس
عن الوقوع فيما يوجب اللوم والعقاب غير مسافحين حال ثانية منه او حال من الضمير في محصنين والسفاح
الزنا والفجور من السفح الذي هو صب المني سمي به لانه الغرض منه ومفعول الفعلين محذوف اي محصنين فروجكم
غير مسافحين الزواني وهي في الحقيقة حال مؤكدة لان المحصن غير مسافح البتة وما في قوله عز وجل فما استمتعتم
به منهن اما عبارة عن النساء او عما يتعلق بهن من الافعال وعلى التقديرين فهي اما شرطية ما بعدها شرطها
واما موصولة ما بعدها صلتها وايا ما كان فهي مبتدأ خبرها على تقدير كونها شرطية اما فعل الشرط او
جوابه او كلاهما على الخلاف المعروف وعلى تقدير كونها موصولة قوله تعالى فاتوهن اجورهن والفاء لتضمن
الموصول معنى الشرط ثم على تقدير كونها عبارة عن النساء فالعايد الى المبتدأ هو الضمير في فاتوهن سواء كانت
شرطية او موصولة ومن بيانية او تبعيضية محلها النصب على الحالية من الضمير المجرور في به والمعنى فاي فرد
استمتعتم به او فالفرد الذي استمتعتم به حال كونه من جنس النساء او بعضهن فاتوهن اجورهن وقد روعي تارة
جانب اللفظ فافرد الضمير اولا واخرى جانب المعنى فجمع ثانيا وثالثا واما على تقدير كونها عبارة عما يتعلق بهن
فمن ابتدائية متعلقة بالاستمتاع والعايد الى المبتدأ محذوف والمعنى اي فعل استمتعتم به من جهتهن من نكاح
او خلوة او نحوهما او فالفعل الذي استمتعتم به من قبلهن من الافعال المذكورة فاتوهن اجورهن لاجله او بمقابلته
والمراد بالاجور المهور فانها اجور ابضاعهن فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او نعت لمصدر محذوف
اي ايتاء مفروضا او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة او عليكم ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به اي لا اثم عليكم
فيما تراضيتم به من الحط عن المهر او الابراء منه على طريقة قوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا وقوله
تعالى واتوا النساء صدقاتهن وقوله الا ان يعفون وتعميم للزيادة على المسمى لا يساعده رفع الجناح من
الرجال لانها ليست مظنة للجناح الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح
الا ان يجعل الخطاب للازواج تغليبا فان اخذ الزيادة على المسمى مظنة الجناح على الزوجة وقيل فيما تراضيتم
به من نفقة ونحوها وقيل من مقام او فراق ولا يساعده قوله تعالى من بعد الفريضة اذ لا تعلق لهما بالفريضة
الا ان يكون الفراق بطريق المخالعة وقيل نزلت في المتعة التي هي النكاح الى وقت معلوم من يوم او اكثر سميت
بذلك لان الغرض منها مجرد الاستمتاع بالمراة واستمتاعها بما يعطى وقد ابيحت ثلاثة ايام حين فتحت
مكة شرفها الله ثم نسخت لما روي انه صلى الله عليه وسلم اباحها ثم اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم
بالاستمتاع في هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وحكي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه رجع عن القول بجوازه عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي
في الصرف ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما فيما شرع لهم من الاحكام ولذلك شرع لكم هذه الاحكام اللايقة
بحالكم ومن لم يستطع منكم من اما شرطية ما بعدها شرطها او موصولة ما بعدها صلتها والظرف متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل يستطع اي حال كونه منكم وقوله تعالى طولا اي غنى وسعة او اعتلاء ونيلا واصله الزيادة
والفضل مفعول ليستطع وقوله عز وجل ان ينكح المحصنات المؤمنات مفعول صريح لطولا فان اعمال المصدر
المنون شايع ذايع كما في قوله تعالى او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة كانه قيل ومن لم يستطع منكم ان
ينال نكاحهن واما بتقدير حرف الجر اي ومن لم يستطع منكم غنى الى نكاحهن او لنكاحهن فالجار في محل النصب صفة
لطولا اي طولا موصلا اليه اي كاينا له او على نكاحهن على ان الطول بمعنى القدرة في القاموس الطول والطائل
والطائلة الفضل والقدرة والغنى والسعة ومحل ان بعد الحرف الجار نصب عند سيبويه والفراء وجر عند
الكسائي والاخفش واما بدل من طولا لان الطول فضل والنكاح قدرة واما مفعول ليستطع وطولا مصدر
مؤكد لانه بمعناه اذ الاستطاعة هي الطول او تمييز اي ومن لم يستطع منكم نكاحهن استطاعة او من
جهة الطول والغنى اي لا من جهة الطبيعة والمزاج فان عدم الاستطاعة من تلك الجهة لا تعلق له بالمقام
والمراد بالمحصنات الحراير بدليل مقابلتهن بالمملوكات فان حريتهن احصنتهن عن ذل الرق والابتذال
وغيرهما من صفة القصور والنقصان وقوله عز وجل فمما ملكت ايمانكم اما جواب للشرط او خبر للموصول
والفا لتضمنه معنى الشرط والجار متعلق بفعل مقدر حذف مفعوله وما موصولة اي فلينكح امراة او امة من
النوع الذي ملكته ايمانكم وهو في الحقيقة متعلق بمحذوف وقع صفة لذلك المفعول المحذوف ومن تبعيضية
اي فلينكح امراة كاينة من ذلك النوع وقيل من زائدة والموصول مفعول للفعل المقدر اي فلينكح ما ملكته

ايمانكم وقوله تعالى من فتياتكم المؤمنات فى محل النصب على الحالية من الضمير المقدر فى ملكت الراجع الى ما
وقيل هو المفعول المقدر على زيادة من ومما ملكت متعلق بنفس الفعل ومن لابتداء الغاية او بمحذوف
وقع حالا من فتياتكم حال من العايد المحذوف وظاهر النظم الكريم يفيد عدم جواز نكاح الامة للمستطيع كما
ذهب اليه الشافعى رضى الله عنه وعدم جواز نكاح الامة الكتابية اصلا كما هو راى اهل الحجاز وقد جوزهما
ابو حنيفة رضى الله عنهما متمسكا بالعمومات محمل الشرط والوصف على الافضلية ولا نزاع فيه لاحد وقد روى عن
ابن عباس رضى الله عنهما انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا
قوله تعالى والله اعلم بايمانكم جملة معترضة جيء بها لتانيسهم بنكاح الاماء وتنزيلهم واستنزالهم من رتبة الاستنكاف
منه ببيان ان مناط التفاضل ومدار التفاخر هو الايمان دون الاحساب والانساب على ما نطق به قوله عز
قائلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم
والمعنى انه تعالى اعلم منكم بمراتبكم فى الايمان الذى به ينتظم احوال العباد وعليه يدور فلك المصالح والمعاش
والمعاد ولا تعلق له بحصول الحرية والرق فرب امة يفوق ايمانها ايمان الحراير وقوله تعالى بعضكم من بعض
ان اريد به الاتصال من حيث الدين فهو بيان لتناسبهم من تلك الحيثية اثر بيان تفاوتهم فى ذلك وان
اريد به الاتصال من حيث النسب فهو اعتراض اخر مؤكد للتانيس من جهة اخرى والخطاب فى الموضعين اما
لمن كان فى الخطاب الذى يعقبه قد روعى فيه جانب اللفظ وها هنا جانب المعنى والالتفات للاهتمام به
بالترغيب والتانيس واما للكل من المسلمين كالخطابات السابقة لحصول الترغيب لخطابهم ايضا واياما كان
فاعادة الامر بالنكاح على وجه الخطاب كما فى قوله تعالى فانكحوهن مع انفهامه من قوله تعالى فمما ملكت ايمانكم
حسبما ذكر لزيادة الترغيب فى نكاحهن وتقييده بقوله تعالى باذن اهلهن وتصديره بالفا للايذان بترتبه
على ما قبله اى واذ قد تقرر على جلية الامر فانكحوهن باذن مواليهن ولا تترفعوا عنهن وفى اشتراط اذن الموالى
دون مباشرتهم للعقد اشعار بجواز مباشرتهن وآتوهن اجورهن اى مهورهن بالمعروف متعلق
بآتوهن اى ادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار والجاء الى الاقتضاء واللز حسبما يقتضيه الشرع والعادة ومن
ضرورة ان يكون الادا اليهن باذن الموالى فيكون ذكر ايتائهن لبيان جواز الادا اليهن لا لكون المهر المعهود
لهن وقيل اصله آتوا مواليهن فحذف المضاف واوصل الفعل الى المضاف اليه محصنات حال من مفعول
فانكحوهن اى حال كونهن عفايف عن الزنا غير مسافحات حال مؤكدة اى غير مجاهرات به ولا متخذات اخدان
عطف على مسافحات ولا لتاكيد ما فى غير من معنى النفى والخدن الصاحب قال ابو زيد الاخدان الاصدقاء على
الفاحشة والواحد خدن وخدين والجمع للمقابلة بالانقسام على معنى ان لا يكون لواحدة منهن خدن لا على معنى
ان لا يكون لها اخدان اى غير مجاهرات بالزنا ولا مسرات له وكان الزنا فى الجاهلية منقسما الى هذين القسمين
فاذا احصن اى بالتزويج وقرئ على البنا للفاعل اى احصن فروجهن او ازواجهن فان اتين بفاحشة اى فعل
اى فعل فاحشة وهو الزنا فعليهن فثابت عليهن شرعا نصف ما على المحصنات اى الحراير الابكار من العذاب
من الحد الذى هو جلد مائة فنصفه خمسون كما هو كذلك قبل الاحصان فالمراد بيان عدم تفاوت حدهن
بالاحصان كتفاوت حد الحراير والفا فى فان اتين جواب اذا والثانية جواب ان والشرط الثانى مع جوابه
مترتب على وجود الاول كما فى قولك اذا اتيتنى فان لم اكرمك فعبدى حر ذلك اى نكاح الاماء لمن خشى العنت منكم
اى لمن خاف وقوعه فى الاثم الذى يؤدى اليه غالبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر واستعير
لكل مشقة وضرر يعترى الانسان بعد صلاح حاله ولا ضرر اعظم من مواقعة الماثم بارتكاب افحش القبايح
وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها يخشى ان يواقعها فيحد فالاول هو اللايق بحال المؤمن دون الثانى لايهامه
ان المحذور عنده الحد لا ما يوجبه وان تصبروا اى عن نكاحهن متعففين كافين انفسكم عما تشتهيه من المعاصى
خير لكم من نكاحهن وان سبقت كلمة الرخصة فيه لما فيه من تعريض الولد للرق قال عمر رضى الله عنه ايما حر
تزوج بامة فقد ارق نصفه وقال سعيد بن جبير ما نكاح الامة من الزنا الا قريب ولان حق المولى فيها
اقوى فلا تخلص للزوج خلوص الحراير لان المولى يقدر على استخدامها كيف ما يريد فى السفر والحضر وعلى
بيعها للحاضر والبادى وفيه من اختلال حال الزوج واولاده ما لا مزيد عليه ولانها ممتهنة مبتذلة
خراجة ولاجة وذلك كله ذل ومهانة سارية الى الناكح والعزة بالمؤمنين ولا ثم بها المولد لها فلا تقدر
على التمتع به ولا على هبته للزوج فلا ينتظم الامر المنزل وقد قال عليه السلام الحراير صلاح البيت والاماء هلاك
البيت والله غفور رحيم مبالغ فى المغفرة فيغفر لمن يصبر على نكاحهن ما فى ذلك من الامور المنافية لحال
المؤمنين رحيم مبالغ فى الرحمة ولذلك رخص لكم فى نكاحهن يريد الله ليبين لكم استيناف مسوق لتقرير ما سبق
من الاحكام وبيان كونها جارية على مناهج المهتدين من الانبيا والصالحين قيل اصل النظم الكريم يريد الله
ليبين لكم فزيدت اللام لتاكيد معنى الاستقبال اللازم للارادة ومفعول يبين محذوف ثقة بشهادة

السياق والسياق اى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفى عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وما تعبدكم به من الحلال
والحرام وقيل مفعول يريد محذوف تقديره يريد الله تشريع ما شرع من التحريم والتحليل لاجل التبيين لكم
وهذا مذهب البصريين ويعزى الى سيبويه وقيل ان اللام بنفسها ناصبة الفعل من غير اضمار ان وهى
وما بعدها مفعول للفعل المتقدم فان اللام قد تقام ان فى فعل الارادة والامر فيقال اردت لاذهب وان
اذهب وامرتك لتقوم وان تقوم قال الله تعالى يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم وفى موضع يريدون
ان يطفؤا وقال تعالى وامرنا لنسلم وفى موضع وامرت ان اسلم وفى اخرى وامرت لاعدل بينكم اى ان اعدل وهذا
مذهب الكوفيين ومنعه البصريون وقالوا ان وظيفة اللام الجر والنصب فيما قالوا باضمار ان اى امرنا بما امرنا
لنسلم ويريدون ما يريدون ليطفؤا وقيل يؤول الفعل الذى قبل اللام بمصدر مرفوع بالابتداء وتجعل
ما بعده خبرا له كما فى تسمع بالمعيدى خير من ان تراه اى ان تسمع به وينسب هذا الراى الى بعض البصريين ويهديكم
سنن الذين من قبلكم من الانبيا والصالحين لتقتدوا بهم ويتوب عليكم اذا تبتم اليه تعالى عن من يقع منكم من
التقصير والتفريط فى مراعاة ما كلفتموه به من الشرايع فان المكلف قلما يخلو من تقصير يستدعى تلافيه بالتوبة
ويغفر لكم ذنوبكم او يرشدكم الى ما يردعكم عن المعاصى ويحثكم على التوبة او الى ما يكون كفارة لسيئاتكم
وليس الخطاب لجميع المكلفين حتى يتخلف مراده تعالى عن ارادته فيمن لم يتب منهم بل لطايفة معينة حصلت
لهم هذه التوبة والله عليم مبالغ فى العلم بالاشيا التى من جملتها ما شرع لكم من الاحكام حكيم مراع فى جميع افعاله
الحكمة والمصلحة والله يريد ان يتوب عليكم جملة مبتداة مسوقة لبيان كمال منفعة ما اراده الله تعالى وكمال
مضرة ما يريد الفجرة لا لبيان ارادته تعالى لتوبته عليهم حتى يكون من باب التكرير للتقرير وكذلك عن الاسلوب
الى الجملة الاسمية دلالة على دوام الارادة ولم يفعل ذلك فى قوله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات للاشارة
الى الحدوث وللايما الى كمال المباينة بين مضمونى الجملتين كما فى قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا الاية والمراد
بمتبعى الشهوات الفجرة فان اتباعها الائتمار لها واما المتعاطى لما سوغه الشرع من المشتهيات دون غيره
فهو متبع له لا لها وقيل هم اليهود والنصارى وقيل المجوس حيث كانوا يحلون الاخوات من الاب والبنات الاخ
وبنات الاخت فلما حرمهن الله تعالى قالوا فانكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة مع ان العمة والخالة عليكم
حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت ان تميلوا عن الحق بموافقتهم على اتباع الشهوات واستحلال المحرمات
وتكونوا زناة مثلهم وقرئ بالياء التحتانية والضمير للذين يتبعون الشهوات ميلا عظيما اى بالنسبة الى
ميل من اقترف خطيئة على ندرة من غير استحلال يريد الله ان يخفف عنكم بما مر من الرخص ما فى عهدتكم من
مشاق التكاليف والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وخلق الانسان ضعيفا عجزا عن مخالفة هواه غير
قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه فى مشاق الطاعة وعن
الحسن رضى الله عنه ان المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فان الجملة اعتراض تذييلى مسوق لتقرير
ما قبله من التخفيف بالرخصة فى نكاح الاماء وليس لضعف البنية مدخل فى ذلك وانما الذى يتعلق به
التخفيف فى العبادات الشاقة وقيل المراد به ضعفه فى امر النسا خاصة حيث لا يصبر عنهن وعن سعيد بن
المسيب ما ايس الشيطان من بنى آدم قط الا اتاهم من قبل النسا فقد اتى على ثمانون سنة وذهبت
احدى عينى وانا اعشو بالاخرى وان اخوف ما اخاف على فتنة النسا وقرئ وخلق
الانسان على البنا للفاعل والضمير لله عز وجل وعنه رضى الله عنه ثمان آيات فى سورة النسا هى خير
لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله
ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ومن يعمل سوءا ويظلم نفسه ما يفعل الله
بعذابكم ان شكرتم وآمنتم يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل شروع فى بيان بعض المحرمات
المتعلقة بالاموال والانفس اثر بيان المحرمات المتعلقة بالابضاع وتصدير الخطاب بالندا والتنبيه لا
لاظهار كمال العناية بمضمونه والمراد بالباطل ما يخالف الشرع كالغصب والسرقة والخيانة والقمار
وعقود الربا وغير ذلك مما لا يبيحه الشرع اى لا ياكل بعضكم اموال بعض بغير طريق شرعى الا ان تكون تجارة
عن تراض منكم استثنا منقطع وعن متعلقة بمحذوف وقع صفة لتجارة اى الا ان تكون التجارة تجارة صادرة
عن تراض كما فى قوله • اذا كان يوما ذا كواكب اشنعا • اى اذا كان اليوم يوما الى آخره او الا ان تكون الاموال
اموال تجارة وقرئ تجارة بالرفع على ان كان تامة اى ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض اى وقوعها
اى ولكن وجود تجارة عن تراض غير منهى عنه وتخصيصها بالذكر من بين سائر اسباب الملك لكونها معظمها
واغلبها وقوعا واوفقها لذوى المروات والمراد بالتراضى مراضاة المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال

المبايعة وقت الايجاب والقبول عندنا وعند الشافعي رحمه الله حالة الافتراق عن مجلس العقد
ولا تقتلوا انفسكم اى من كان من جنسكم من المؤمنين فان كلهم كنفس واحدة وعن الحسن رحمه الله لا تقتلوا
اخوانكم والتعبير عنهم بالانفس للمبالغة في الزجر عن قتلهم بالتصوير بصورة ما لا يكاد يفعله عاقل
او لا تهلكوا انفسكم بتعريضها للعقاب باقتراف ما يفضي اليه فانه القتل الحقيقي لها كما يشعر به ايراده
عقيب النهي عن اكل الحرام فيكون مقررا للنهي السابق وقيل لا تقتلوا انفسكم بالبخع كما يفعله بعض الجهلة
او بارتكاب ما يؤدي الى القتل من الجنايات وقيل بالقائها في التهلكة ويؤيده ما روي عن عمرو بن العاص انه
تأوله بالتيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ ولا تقتلوا بالتشديد للتكثير وقد
جمع في التوصية بين حفظ المال لما انه شقيقها من حيث انه سبب لقوامها وتحصيل كمالاتها واستيفاء
فضائلها وتقديم النهي عن التعرض له لكثرة وقوعه ان الله كان بكم رحيما تعليل للنهي بطريق الاستئناف
اي مبالغا في الرأفة والرحمة وكذلك نهاكم عما نهى فان في ذلك رحمة عظيمة لكم بالزجر عن المعاصي وللذين
هم في معرض التعرض بحفظ اموالهم وانفسهم وقيل معناه انه كان بكم يا امة محمد رحيما حيث امر بني
اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم ولم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة ومن يفعل
ذلك اشارة الى القتل خاصة او بما قبله من اكل الاموال وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهما
في الفساد عدوانا وظلما اى افراطا في التجاوز عن الحد واتيانا بما لا يستحقه وقيل اريد بالعدوان التعدي
على الغير وبالظلم الظلم على النفس بتعريضها للعقاب ومحلهما النصب على الحالية او على العلية اى متعديا
وظالما او للعدوان والظلم وقرئ عدوانا بكسر العين فسوف نصليه جواب الشرط اى ندخله وقرئ
بالتشديد من صلى وبفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى
او لذلك من حيث انه سبب للصلي نارا اى نارا مخصوصة هائلة شديدة العذاب وكان ذلك اى اصلاؤه
اياه على الله يسيرا لتحقق الداعي وعدم الصارف واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية
المهابة وتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اى كبائر الذنوب التي نهاكم
الشرع عنها مما ذكر هاهنا وما لم يذكر وقرئ كبير على ارادة الجنس نكفر عنكم بنون العظمة على طريقة
الالتفات وقرئ بالياء بالاسناد اليه تعالى والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة
اى نغفر لكم سيئاتكم صغائركم ونمحها عنكم قال المفسرون الصلاة الى الصلاة والجمعة الى الجمعة ورمضان
الى رمضان مكفرات لما بينهن من الصغائر اذا اجتنب الكبائر واختلف في الكبائر والاقرب ان الكبيرة
كل ذنب رتب الشارع عليه الحد او صرح بالوعيد فيه وقيل ما علم حرمته بقاطع وعن النبي صلى الله
عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله تعالى وقتل النفس التي حرم الله تعالى وقذف المحصنة واكل مال
اليتيم والربا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين وعن علي رضي الله تعالى عنه التعرب بعد الهجرة مكان
حقوق الوالدين وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه رجلا قال
له الكبائر سبع قال هي الى سبعمائة اقرب منها الى سبع وروي عنه الى سبعين اذ لا صغيرة مع الاصرار
ولا كبيرة مع الاستغفار وقيل اريد به انواع الشرك واصغر الصغائر حديث النفس وما بينهما وسائط
يصدق عليه الامران فمن عن له امران منهما ودعت نفسه اليهما بحيث لا يتمالك فكفها عن اكبرهما كفر عنه
ما ارتكبه لما استحق على اجتناب الاكبر من الثواب وندخلكم مدخلا بضم الميم اسم مكان هو الجنة كريما اى
حسنا مرضيا او مصدر ميمي اى ادخالا مع كرامة وقرئ بفتح الميم وهو ايضا يحتمل المكان والمصدر ونصبه
على الثاني بفعل مقدر مطاوع للمذكور اى ندخلكم فتدخلون مدخلا اى دخولا كريما كما في قوله وعضة
دهر يا ابن مروان لم تدع ‧ من المال الا مسحت او مجلف ‧ اى لم يدع ولم يبق الا مسحت الى اخره ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض اى عليكم ولعل ايثار الابهام عليه للتفادي عن المواجهة بما يشق
عليهم قال القفال لما نهاهم الله تعالى عن اكل اموال الناس بالباطل وقتل الانفس عقبه بالنهي عما يؤدي
اليه من الطمع في اموالهم وتمنيها وقيل نهاهم اولا عن التعرض لاموالهم بالجوارح ثم عن التعرض لها
بالقلب على سبيل الحسد لتطهر اعمالهم الظاهرة والباطنة فالمعنى لا تتمنوا ما اعطاه الله تعالى بعضكم
من الامور الدنيوية كالجاه والمال وغير ذلك مما يجري فيه التنافس دونكم فان ذلك قسمة من الله
تعالى صادرة عن تدبير لائق باحوال العباد مترتب على الاحاطة بكلها بل بشؤونهم ودقائقها فعلى كل واحد
من المفضل عليهم ان يرضى بما قسم له ولا يتمنى حظ المفضل ولا يحسده عليه لما انه معارضة لحكم
القدر المؤسس على الحكم البالغة لا لان عدمه خير له ولا لانه لو كان بخلافه لكان مفسدة له كما قيل
اذ لا يساعده ما سيأتي من الامر بالسؤال من فضله تعالى فانه ناطق بان المنهي تمني نصيب الغير لا تمني ما زاد

على

على نصيبه مطلقا هذا نصيب وقد قيل لما جعل الله تعالى في الميراث للذكر مثل حظ الانثيين قالت
النساء نحن احوج ان يكون لنا سهمان وللرجال سهم واحد لانا ضعفاء وهم اقوياء واقدر على طلب المعاش
منا فنزلت وهذا هو الانسب بتعليل النهي بقوله تعالى للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما
اكتسبن فانه صريح في جريان التمني بين فريقي الرجال والنساء ولعل صيغة المذكر في النهي لما عبر عنهن
بالبعض والمعنى لكل من الفريقين في الميراث نصيب معين المقدار مما اصابه بحسب استعداده وقد عبر
عنه بالاكتساب على طريقة الاستعارة التبعية المبنية على تشبيه اقتضاء حاله لنصيبه باكتسابه
اياه تأكيدا لاستحقاق كل منهما لنصيبه وتقوية لاختصاصه به بحيث لا يتخطاه الى غيره فان ذلك مما يوجب
الانتهاء عن التمني المذكورة وقوله تعالى واسألوا الله من فضله عطف على النهي وتوسيط التعليل
بينهما لتقرير الانتهاء مع ما فيه من الترغيب في الامتثال بالامر كانه قيل لا تتمنوا ما يختص بغيركم من نصيبه
المكتسب له واسألوا الله تعالى من خزائن نعمه التي لا نفاد لها وحذف المفعول الثاني للتعميم اى واسألوا
ما تريدون فانه تعالى يعطيكموه او لكونه معلوما من السياق اى واسألوه مثله وقيل من زائدة والتقدير
واسألوا فضله وقد جاء في الحديث لا يتمنين احدكم مال اخيه ولكن ليقل اللهم ارزقني اللهم اعطني مثله
وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فانه يحب ان
يسأل وافضل العبادة انتظار الفرج وحمل النصيب على الاجر الاخروي وابقاء الاكتساب على حقيقته
بحمل سبب النزول ما روي ان ام سلمة رضي الله تعالى عنها قالت ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه
على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم على ان المعنى لكل من الفريقين نصيب خاص به من الاجر مترتب
على عمله فللرجال اجر بما يليق بهم من الاعمال كالجهاد ونحوه وللنساء اجر بمقابلة ما يليق بهن من الاعمال
كحفظ حقوق الازواج ونحوه فلا يتمن النساء خصوصية اجر الرجال وليسألن من خزائن رحمته تعالى
ما يليق بحالهن من الاجر لا يساعده سياق النظم الكريم المتعلق بالمواريث وفضائل الرجال ان الله كان
بكل شيء عليما ولذلك جعل الناس على طبقات ورفع بعضهم على بعض درجات حسب مراتب استعداداتهم
الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الابية ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون جملة
مبتدأة مقررة لمضمون ما قبلها ولكل مفعول ثان لجعلنا قدم عليه لتأكيد الشمول ودفع توهم تعلق الجعل
بالبعض دون البعض كما في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اى ولكل تركة جعلنا ورثة متفاوتة
في الدرجة يلونها ويحرزون منها انصباء وهم بحسب استحقاقهم المنوط بما بينهم وبين المورث من العلاقة
ومما ترك بيان لكل قد فصل بينهما بما عمل فيه كما فصل في قوله تعالى قل اغير الله اتخذ وليا فاطر السموات
والارض بين لفظ الجلالة وبين صفته بالعامل فيما اضيف اليه اعني غير ويجوز ولكل قوم جعلناهم موالي اى ورثاء
نصيب معين مغاير لنصيب قوم اخرين مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالي صفة لكل والضمير
الراجع اليه محذوف والكلام مبتدأ وخبر على طريقة قولك لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اى
حظ منه واما ما قيل من ان المعنى لكل احد جعلنا موالي مما ترك اى وراثا منه على ان من صلة موالي لانه
في معنى الوارث وفي ترك ضمير مستكن عائد الى كل وقوله تعالى الوالدان والاقربون استئناف مفسر للموالي
كانه قيل من هم فقيل الوالدان الى اخره ففيه تفكيك للنظم الكريم لان بيان الموالي بما ذكر يفوت الابهام
المصحح لاعتبار التفاوت بينهم وبه يتحقق الانتظام كما اشير اليه في تقرير الوجهين الاولين مع ما فيه من
خروج الاولاد من الموالي اذ لا يتناولهم الاقربون كما لا يتناول الوالدين والذين عاقدت ايمانكم كانهم
موالي الولاة كان الحليف يورث السدس من مال الحليف فنسخ بقوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى
ببعض وعند ابي حنيفة رضي الله عنه اذا اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يرثه ويعقل عنه صح وعليه
عقله وله ارثه ان لم يكن له وارث اصلا واسناد العقد الى الايمان لان المعتاد هو المماسحة بها عند العقد
والمعنى عقدت ايمانكم عهودهم فحذف العهود واقيم المضاف اليه مقامه ثم حذف وقرئ عقدت
بالتشديد وعاقدت بمعنى عاقدتهم ايمانكم وما سمحوا به وهو مبتدأ متضمن لمعنى الشرط ولذلك صدر الخبر
اعني قوله تعالى فآتوهم نصيبهم بالفاء او منصوب بمضمر يفسره ما بعده كقولك زيدا فاضربه او معطوف
مرفوع على الوالدان والاقربون وقوله تعالى فآتوهم الى اخره جملة مبينة للجملة قبلها او مؤكدة لها والضمير
للموالي ان الله كان على كل شيء ومن الاشياء التي من جملتها الايتاء والمنع شهيدا ففيه وعد ووعيد الرجال
قوامون على النساء كلام مستأنف مسوق لبيان سبب استحقاق الرجل الزيادة في الميراث تفصيلا اثر بيان
تفاوت استحقاقهم اجمالا وايراد الجملة اسمية والخبر على صيغة المبالغة للايذان بعراقتهم في الاتصاف
بما اسند اليهم ورسوخهم فيه اى شأنهم القيام عليهن بالامر والنهي قيام الولاة على الرعية وعلل ذلك
بامرين موهبي وكسبي فقيل بما فضل الله بعضهم على بعض الباء سببية متعلقة بقوامون او بمحذوف

وقع حالا من ضمير وما مصدرية والضمير البارز لكلا الفريقين تغليبا اى قوامون عليهن بسبب تفضيل
الله تعالى اياهم عليهن او ملتبسين بتفضيله تعالى الى اخره تغليبا اى قوامون عليهن بسبب تفضيل الله
الله تعالى اياهم ووضع البعض موضع الضمير للاشعار بغاية ظهور الامر وعدم الحاجة الى التصريح بالمفضل
عليه اصلا ولمثل ذلك لم يصرح بما به التفضيل من صفات كماله التي هي كمال العقل وحسن التدبير ورزانة
الراى ومزيد القوة في الاعمال والطاعة ولذلك خصوا بالنبوة والامامة والولاية واقامة الشعائر
والشهادة في جميع القضايا ووجوب الجهاد والجمعة ونحو ذلك وبما انفقوا من اموالهم الباء متعلقة بما
تعلقت به الاولى وما مصدرية وموصولة حذف عائدها من الصلة ومن تبعيضية او ابتدائية متعلقة
بانفقوا او بمحذوف وقع حالا من العائد المحذوف اى وبسبب انفاقهم من اموالهم او بسبب ما انفقوه
من اموالهم وكائنا من اموالهم وهو ما انفقوه في المهر والنفقة روى ان سعيد بن الربيع احد نقباء
الانصار رضي الله عنهم نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكى فقال عليه الصلاة والسلام لتقتص منه فنزلت فقال عليه
السلام اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير فالصالحات منهن قانتات اى مطيعات لله تعالى
قائمات بحقوق الازواج حافظات للغيب اى لمواجب الغيب او لما يجب عليهن حفظه في حال غيبة
الازواج من الفروج والاموال عن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان
امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فيما لها ونفسها وتلا الاية وقيل لاسرارهم واضافة المال
اليها للاشعار بان ماله في حق التصرف في حكم مالها كما في قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الاية بما حفظ الله
ما مصدرية اى بحفظه تعالى اياهن بالامر بحفظ الغيب والحث عليه بالوعد والوعيد والتوفيق له
او موصولة اى بالذي حفظه الله لهن عليهم من المهر والنفقة والقيام بحفظهن والذب عنهن وقرئ بما
حفظ الله بالنصب على حذف المضاف اى بالامر الذي حفظ حق الله تعالى وطاعته وهو التعفف
والشفقة على الرجال واللاتي تخافون نشوزهن خطاب للازواج وارشاد لهم الى طريق القيام عليهن والخوف
حالة تحصل في القلب عند حدوث امر مكروه او عند الظن او العلم بحدوثه وقد يراد به احدهما
اى تظنون عصيانهن وترفعهن عن مطاوعتكم من النشز وهو المرتفع من الارض فعظوهن فانصحوهن
بالترغيب والترهيب واهجروهن بعد ذلك ان لم ينجع الوعظ والنصيحة في المضاجع اى في المراقد فلا
تدخلوهن تحت اللحف ولا تباشروهن فيكون كناية عن الجماع وقيل المضاجع المبايتات اى لا تبايتوهن
وقرئ في المضجع وفي المضطجع واضربوهن ان لم ينجع ما فعلتم من العظة والهجران ضربا غير مبرح ولا
شائن فان اطعنكم بذلك كما هو الظاهر لانه منتهى ما يعد زاجرا فلا تبغوا عليهن سبيلا بالتوبيخ والاذية اى فازيلوا
عنهن التعرض واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له ان الله كان عليا كبيرا
فاحذروه فانه تعالى اقدر عليكم منكم على من تحت ايديكم او انه تعالى على علو شانه يتجاوز عن سيئاتكم
ويتوب عليكم عند توبتكم وانتم احق بالعفو عن ازواجكم عند اطاعتهن لكم او انه تعالى يتعالى ويتكبر ان يظلم احدا
او ينقص حقه وعدم التعرض لعدم اطاعتهن لهم للايذان بان ذلك ليس مما ينبغي ان يتحقق او يفرض
تحققه وان الذي يتوقع منهن ويليق بشانهن ولا سيما بعد ما كان من الزواجر هو الاطاعة ولذلك صدرت
الشرطية بالفاء المنبئة عن سببية ما قبلها لما بعدها فان خفتم شقاق بينهما تلوين للخطاب وتوجيه له الى
الحكام او اردنا على بناء الامر على التقدير المسكوت عنه عدم اداء الاطاعة المودي الى المخاصمة والمرافعة
اليهم والشقاق المخالفة اما لان كلا منهما يريد ما يشق على الاخر واما لان كلا منهما في شق اى جانب غير
شق الاخر والخوف هاهنا بمعنى العلم قاله ابن عباس رضي الله عنه والجزم بوجود الشقاق لا ينافي بعث
الحكمين لانه لرجاء ازالته لا لتعرف وجوده بالفعل وقيل بمعنى الظن وضمير التثنية للزوجين وان لم يجر
ذكرهما لجرى ما يدل عليهما واضافة الشقاق الى الظرف اما على اجرائه مجرى المفعول به كما في قوله يا سارق
الليلة اهل الدار او مجرى الفاعل كما في قولك نهاره صائم اى ان علمتم او ظننتم تأكد المخالفة
بحيث لا يقدر الزوج على ازالتها فابعثوا اى الى الزوجين لاصلاح ذات البين حكما رجلا وسطا صالحا
للحكومة والاصلاح من اهله من اهل الزوج وحكما اخر على صفة الاول من اهلها فان الاقارب اعرف
ببواطن الاحوال واطلب للصلاح وهذا على وجه الاستحباب ولو نصبا من الاجانب جاز واختلف
في انهما هل يليان الجمع والتفريق ان رايا ذلك فقيل لهما ذلك وهو المروي عن علي رضي الله عنه وبه قال
الشعبي وعن الحسن رضي الله عنه يجمعان ولا يفرقان وقال مالك لهما ان يتخالعا ان كان الصلاح فيه
ان يريدا اى الحكمان اصلاحا اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت بينهما صحيحة المودة والرافة وعدم
التعرض لعدم ذكر ارادتهما الاصلاح لما ذكر من الايذان لان ذلك ليس مما ينبغي ان يعرض صدوره

وقلوبهما ناصحة لوجه الله تعالى يوفق الله بينهما يوقع بينهما الموافقة والالفة والقى في نفوسهما ح

عنهما

عنهما وان الذي يليق بشانهما ويتوقع صدوره عنهما هو ارادة الاصلاح وفيه مزيد ترغيب للحكمين في الاصلاح
وتحذير عن المساهلة كيلا ينسب اختلال الامر الى عدم ارادتهما فان الشرطية الناطقة بدوران وجود
التوفيق على الارادة منبئة عن دوران عدمه على عدمها وقيل كلا الضميرين للحكمين اى ان قصدا الاصلاح
يوفق الله بينهما فيتفق كلمتهما ويحصل مقصودهما وقيل كلاهما للزوجين اى ان ارادا اصلاح ما بينهما من
الشقاق اوقع الله تعالى بينهما الالفة والوفاق وفيه تنبيه على ان من اصلح نيته فيما يتوخاه وفقه الله
لمبتغاه ان الله كان عليما خبيرا بالظواهر والبواطن فيعلم كيف يرفع الشقاق ويوقع الوفاق واعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا كلام مبتدأ مسوق لبيان الاحكام المتعلقة بحقوق الله عز وجل والوالدين
والاقارب ونحوهم اثر بيان الاحكام المتعلقة بحقوق الازواج صدر بما يتعلق بحقوق الله عز وجل
التي هي اكد الحقوق واعظمها تنبيها على جلالة شان حقوق الوالدين بنظمها في سلكها كما في سائر المواقع
وشيئا نصب على انه مفعول اى لا تشركوا به شيئا من الاشياء صنما او غيره او على انه مصدر اى لا تشركوا
به شيئا من الاشراك جليا او خفيا وبالوالدين احسانا اى احسنوا بهما احسانا وبذي القربى اى بصاحب
القرابة من اخ وعم وخال ونحو ذلك واليتامى والمساكين من الاجانب والجار ذي القربى اى الذي قرب
جواره وقيل الذي له مع الجوار قرب واتصال بسبب او دين وقرئ بالنصب على الاختصاص تعظيما
لحق الجار ذي القربى والجار الجنب اى البعيد او الذي لا قرابة له وعنه صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة
حقوق حق الجوار وهو الجار من اهل الكتاب وقرئ والجار الجنب والصاحب بالجنب اى الرفيق في امر حسن
كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فانه صحبك وحصل بجانبك ومنهم من قعد بجنبك في مسجد او مجلس
او غير ذلك من ادنى صحبة التامت بينك وبينه وقيل هي المرأة وابن السبيل هو المسافر المنقطع به او الضيف
وما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء ان الله لا يحب من كان مختالا اى متكبرا يانف عن اقاربه وجيرانه
واصحابه ولا يلتفت اليهم فخورا يتفاخر عليهم والجملة تعليل للامر السابق الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل بضم الباء وسكون الخاء وقرئ بفتح الاولى وبفتحهما وبضمهما والموصول بدل من قوله من كان او نصب
على الذم او رفع عليه او هم الذين اى مبتدأ خبره محذوف تقديره الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء
بكل ملامة ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اى من المال والغنى او من نعوته صلى الله عليه وسلم التي بينها
لهم في التوراة وهو انسب بامرهم للناس بالبخل فان احبارهم كانوا يكتمونها ويامرون اعقابهم بكتمها
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا وضع الظاهر موضع المضمر اشعارا بان من شانه ذلك فهو كافر بنعمة الله تعالى
ومن كفر بنعمته تعالى فله عذاب يهينه كما اهان النعمة بالبخل والاخفاء والاية نزلت في طائفة من اليهود كانوا
يقولون للانصار بطريق النصيحة لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر وقيل في الذين كتموا نعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة اعتراض تذييلي لما قبلها والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس
اى للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا لابتغاء وجه الله تعالى وهو عطف على الذين يبخلون او على الكافرين
وانما شاركوهم في الذم والوعيد لان البخل والسرف الذي هو الانفاق فيما لا ينبغي من حيث انهما طرفا تفريط
وافراط سواء في القبح واستتباع اللائمة والذم ويجوز ان يكون العطف بناء على اجراء التغاير الوصفي
مجرى التغاير الذاتي كما في قوله الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتائب في المزدحم او مبتدأ خبره محذوف
يدل عليه قوله تعالى ومن يكن الى اخره كأنه قيل والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون
بالله ولا باليوم الاخر ليتحروا بالانفاق مراضيه تعالى وثوابه وهم مشركو مكة المنفقون اموالهم في
عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا اى
فقرينهم الشيطان وانما حذف للايذان بظهوره واستغنائه عن التصريح به والمراد به ابليس واعوانه
حيث حملوهم على تلك القبائح وزينوها لهم كما في قوله تعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين ويجوز
ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن لهم في النار وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا
مما رزقهم الله اى على من ذكر من الطوائف ابتغاء لوجه الله تعالى وانما لم يصرح به تعويلا على
التفصيل السابق واكتفاء بذكر الايمان بالله واليوم الاخر فانه يقتضي ان يكون الانفاق لابتغاء
وجه الله تعالى وطلب ثوابه البتة اى وما الذي عليهم او واى تبعة ووبال عليهم في الايمان بالله
والانفاق في سبيله وهو توبيخ لهم على الجهل بمكان المنفعة والاعتقاد في الشيء بخلاف ما هو عليه
وتحريض على التفكر لطلب الجواب لعله يؤدي بهم الى العلم بما فيه من الفوائد الجليلة والعوائد الجميلة
وتنبيه على ان المدعو الى امر لا ضرر فيه ينبغي ان يجيب اليه احتياطا فكيف اذا كان فيه منافع
لا تحصى وتقديم الايمان بهما لاهميته في نفسه ولعدم الاعتداد بالانفاق بدونه واما تقديم انفاقهم
رئاء الناس على عدم ايمانهم بهما مع كون المؤخر اقبح من المقدم فلرعاية المناسبة بين انفاقهم ذلك

وبين ما قبله من بخلهم وامرهم الناس به وكان الله بهم وبما هو الحقيقة عليما فهو وعيد لهم بالعقاب
اوبما علم المفروضة فهو بيان لتنزهه تعالى اياهم لو كانوا قد امنوا وانفقوا كما ينبئ عنه قوله تعالى ان الله لا
يظلم مثقال ذرة المثقال مفعال من الثقل كالمقدار من القدر وانتصابه على انه نعت للمفعول القائم مقامه
سواء كان الظلم بمعنى النقص او بمعنى وضع الشيء في غير موضعه اى لا ينقص من الاجور ولا يزيد في العقاب
شيئا مقدار ذرة او على انه نعت لمصدر محذوف نائب منابه اى لا يظلم ظلما مقدار ذرة وهي النملة
الصغيرة او كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة وهو الانسب بمقام المبالغة فان فتته في الثقل اظهر من قلة
النملة فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ادخل يده في التراب ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء
ذرة وان تك حسنة اى وان يك مثقال الذرة حسنة انث الضمير لتأنيث الخبر او لاضافته الى الذرة وحذف
النون من غير قياس تخفيفا وتشبيها بحروف العلة وتخفيفا لكثرة الاستعمال وقرئ حسنة بالرفع على ان
كان تامة يضاعفها اى يضاعف ثوابها جعل ذلك مضاعفة لنفس الحسنة تنبيها على كمال الاتصال بينهما
كأنهما واحد وقرئ يضعفها وكلاهما بمعنى واحد وقرئ نضاعفها بنون العظمة على طريقة الالتفات عن عثمان
النهدي انه قال لابي هريرة رضي الله تعالى عنه بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته صلى الله عليه وسلم يقول
يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية الكريمة والمراد الكثرة لا التحديد ويؤت من لدنه ويعط صاحبها من عنده
على نهج التفضل زائدا على ما وعده في مقابلة العمل اجرا عظيما عطاء جزيلا وانما سماه اجرا لكونه تابعا للاجر مزيدا
عليه فكيف محلها اما الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف واما النصب بفعل محذوف وعلى التشبيه بالحال كما هو رأي
سيبويه او على التشبيه بالظرف كما هو رأي الاخفش اى فكيف حال هؤلاء الكفرة من اليهود والنصارى وغيرهم
اوكيف يصنعون اذا جئنا يوم القيمة من كل امة من الامم بشهيد يشهد عليهم بما كانوا عليه من فساد العقائد
وقبائح الاعمال فهو نبيهم كما في قوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فالعامل في الظرف مضمون المبتدا
والخبر من هول الامر وعظم الشأن او الفعل المقدر من متعلقة تعجيبا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء اشارة الى
الشهداء المدلول عليهم بما ذكر شهيدا تشهد على صدقهم لعلمك بعقائدهم لاستجماع شرعك بجامع قواعدهم
وقيل الى المكذبين المستفهم عن حالهم تشهد عليهم بالكفر والعصيان كما تشهد سائر الانبياء على اممهم وقيل
الى المؤمنين كما في قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا يومئذ يود الذين كفروا
وعصوا الرسول استيناف لبيان حالهم التى اشير الى شدتها وفظاعتها بقوله تعالى فكيف فان اريد بهم المكذبون
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فالتعبير عنهم بالموصول لاسيما بعد الاشارة اليهم بهؤلاء لذمهم بما في حيز
الصلة والاشعار بعلة ما اعتراهم من الحال الفظيعة والامر الهائل وايراده عليه الصلاة والسلام بعنوان
الرسالة لتشريفه وزيادة تقبيح حال تكذيبه فان حق الرسول ان يؤمن به ويطاع لا ان يكفر به ويعصى وان
اريد بهم الكفرة فهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا والمراد بالرسول الجنس المنتظم انتظاما اوليا وايا ما
كان ففيه من تهويل الامر وتفظيع الحال ما لا يقادر قدره وقوله تعالى وعصوا عطف على كفروا داخل معه
في الصلة والمراد معاصيهم المغايرة لكفرهم ففيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع في حق المؤاخذة
وقيل حال من ضمير كفروا وقيل صلة لموصول آخر اى يود في ذلك اليوم الذين جمعوا بين الكفر وعصيان
الرسول او الذين كفروا وقد عصوا الرسول والذين كفروا والذين عصوا الرسول ولو في قوله تعالى لو تسوى
بهم الارض ان جعلت مصدرية فالجملة مفعول ليود اى يودون ان يدفنوا فتسوى بهم الارض كالموتى وقيل
يودون انهم لم يبعثوا ولم يخلقوا وكانوا هم والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها وان جعلت
على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه اى يودون تسوية الارض بهم وجواب لو ايضا
محذوف ايذانا بغاية ظهوره اى لسروا بذلك وقوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا عطف على يود اى لا
يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اى يودون ان يدفنوا في الارض وهم لا
يكتمون منه تعالى حديثا ولا يكذبونه بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين اذ روى انهم اذا قالوا ذلك
ختم الله على افواههم فتشهد عليهم جوارحهم فيشتد الامر عليهم فيتمنون ان تسوى بهم الارض وقرئ تسوى
على ان اصله تتسوى فادغم التاء في السين وقرئ تسوى بحذف التاء الثانية يقال سويته فتسوى
يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون لما نهوا فيما سلف عن الاشراك به
تعالى نهوا هاهنا عما يؤدي اليه من حيث لا يحتسبون فانه روي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما
وشرابا حين كانت الخمر مباحة فدعا نفرا من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فاكلوا وشربوا حتى ثملوا وجاء
وقت صلاة المغرب فتقدم احدهم ليصلي بهم فقرأ اعبد ما تعبدون فنزلت وتصدير الكلام بحرف
النداء والتنبيه للمبالغة في حملهم على العمل بموجب النهي وتوجيه النهي الى قربان الصلوة مع ان المراد هو النهي

عن

عن اقامتها للمبالغة في ذلك وقيل المراد النهي عن قربان الصلاة المساجد كقوله عليه الصلاة والسلام
جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم واباه قوله تعالى حتى تعلموا ما تقولون فالمعنى لا تقيموها في حالة
السكر حتى تعلموا قبل الشروع ما تقولونه اذ بتلك التجربة يظهر انهم يعلمون ما سيقرؤونه حينئذ يكون عاريا
عن النازع وقيل المراد بالسكر سكر النعاس وعليه النوم واياما كان فليس مرجع النهي هو المقيد مع بقاء
بحاله ما بل انما هو القيد مع بقاء المقيد على حاله ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا كانه قيل يا ايها
الذين امنوا لا تسكروا في اوقات الصلاة وقد روى انهم كانوا بعد ما نزلت الآية لا يشربون الخمر في اوقات
الصلاة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ولا جنبا عطف
على قوله وانتم سكارى فانه في حيز النصب كانه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب من اصابه
الجنابة يستوي فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع لجريانه مجرى المصدر الا عابري سبيل مفرغ من اعم الاحوال
الا في حال كونكم مسافرين على ان في حالة السفر ينتهي حكم النهي لكن لا بطريق شمول النفي لجميع صورها
بل بطريق نفي الشمول في الجملة من غير دلالة على انها خصوصية البعض المنتفي ولا على بقاء خصوصية
البعض الباقي ولا على ثبوت نقيضه لا كليا ولا جزئيا فان الاستثناء لا يدل على ذلك عبارة نعم يشير الى المخالفة
حكم ما بعده لما قبله اشارة اجمالية يكتفى بها في المقامات الخطابية لا في اثبات الاحكام الشرعية فان
ملاك الامر في ذلك هو الدليل وقد ورد عقيبه على طريقة البيان وقيل هو صفة لجنبا على انه بمعنى
غير اى جنبا غير عابري سبيل والمراد بالصلاة مواضعها اعني المساجد وبالعبور الاجتياز بها وجوزوا للجنب عبور
المسجد وبه قال الشافعي رضي الله عنه وعندهما لا يجوز ذلك الا ان يكون الماء او الطريق فيه وقيل ان رجالا من
الانصار كانت ابوابهم في المسجد وكان يصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم ذلك حتى تغتسلوا
غاية للنهي عن قربان الصلاة حالة الجنابة ولعل تقديم الاستثناء عليه للايذان من اول الامر بان حكم النهي في
هذه الصورة ليس على الاطلاق كما في صورة السكر تشويقا الى البيان وروما لزيادة تقرره في الاذهان
وفي الآية الكريمة اشارة الى ان المصلي حقه ان يتحرز عما يلهيه ويشغل قلبه وان يزكي نفسه عما يدنسها
ولا يكتفي بادنى مراتب التزكية عند امكان اعلاها وان كنتم مرضى شروع في تفصيل ما اجمل في الاستثناء
وبيان ما هو في حكم المستثنى من الاعذار والاقتصار فيما قبل على استثناء السفر مع مشاركة الباقي له في
حكم الترخيص للاشعار بانه العذر الغالب المبني على الضرورة التي عليها يدور امر الرخصة كانه قيل ولا
جنبا الا مضطرين والى هذا يرجع ما قيل من انه جعل عابري سبيل كناية عن مطلق المعذورين والمراد بالمرض
ما يمنع من استعمال الماء مطلقا سواء كان ذلك بتعذر الوصول اليه او بتعذر استعماله او على سفر عطف على
مرضى اى وان كنتم على سفر ما طال او قصر وايراده صريحا مع سبق ذكره بطريق الاستثناء لبناء الحكم الشرعي عليه
وبيان كيفيته فان الاستثناء كما اشير اليه بمعزل من الدلالة على ثبوته فضلا عن الدلالة على كيفيته وتقديم
المرض عليه للايذان باصالته واستقلاله باحكام لا توجد في غيره كالاستبداد باستعمال الماء ونحوه او جاء
احد منكم من الغائط هو المكان الغائر المطمئن والمجيء منه كناية عن الحدث لان المعتاد ان من يريده
يذهب اليه ليواري شخصه عن اعين الناس واسناد المجيء منه الى واحد منهم من المخاطبين دون نسبته
للتفادي عن التصريح بنسبتهم الى ما يستحيى منه او يستهجن التصريح به ولذلك ايثار الكناية فيما عطف
عليه من قوله تعالى او لامستم النساء على التصريح بالجماع ونظمهما في سلك سببي سقوط الطهارة والمصير
الى التيمم مع كونهما سببي وجوبها ليس باعتبار انفسهما بل باعتبار قيدهما المستفاد من قوله تعالى
فلم تجدوا بل هو السبب في الحقيقة وانما ذكر تمهيدا له وتنبيها على انه سبب للرخصة بعد انعقاد سبب
الطهارة الصغرى والكبرى كانه قيل او لم تكونوا مرضى او مسافرين كنتم فاقدين للماء بسبب من الاسباب
مع تحقق موجب استعماله وتخصيص ذكر هذه الصورة مع انه معتبر في صورة المرض والسفر ايضا
لندرة وقوعه فيها واستغنائها عن ذكره اما لان الجنابة معتبرة فيهما قطعا فيعلم من حكمها حكم الحدث
الاصغر بدلالة النص لان تقدير النظم لا تقربوا الصلوة في حال الجنابة الا حال كونكم مسافرين فان
كنتم كذلك او كنتم مرضى الى آخره واما لما قيل من ان عموم اعواز الماء في حق المسافر غالب والعجز عن استعمال
الماء القائم مقام عدمه في حق المريض مغن عن ذكره لفظا وما قيل من ان هذا القيد راجع الى الكل وان فيه
وجوب التطهير المكنى عنه بالمجيء من الغائط والملامسة معتبر في الكل مما لا يساعده النظم الكريم فتيمموا
صعيدا طيبا فتعمدوا شيئا من وجه الارض طاهرا قال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا او غيره وان كان
صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه
وعند الشافعي لا بد ان يعلق باليد شيء من التراب فامسحوا بوجوهكم وايديكم اى الى المرفقين لما روى
انه صلى الله عليه وسلم تيمم ومسح يديه الى مرفقيه ولانه بدل من الوضوء فيتقدر بقدره ان الله

كان غفورا رحيما تعليل للترخيص والتيسير وتقرير لهما فان من عادته المستمرة ان يعفو عن الخطائين ويغفر
للمذنبين لا سيما ان يكون ميسرا لا معسرا وقيل هو كناية عنه فان الترخيص والمسامحة من روادف العفو
وتوابع الغفران الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب كلام مستأنف مسوق لتعجيب المؤمنين من سوء
حالهم والتحذير عن موالاتهم والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية من المؤمنين وتوجيهه اليه ههنا مع
توجيهه فيما بعد الى الكل معا للايذان بكمال شهرة شناعة حالهم وانها بلغت من الظهور الى حيث
يتعجب منها كل من يراها والرؤية بصرية اي الا تنظر اليهم فانهم احقاء بان يشاهدهم ويتعجب من احوالهم
وتجويز كونها قلبية على ان الى لتضمينها معنى الانتهاء كما فعلوه يأباه مقام تشهير شنائعهم ونظمها في
تلك الامور المشاهدة والمراد بهم احبار اليهود روي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في حبرين
من احبار اليهود كانا يأتيان رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورهطه يثبطانهم عن الاسلام وعنه
رضي الله عنه ايضا انها نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا تكلم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لويا لسانهما وعاباه والمراد بالكتاب هو التوراة وحمله على جنس الكتاب المنتظم لها انتظاما اوليا
تطويل للمسافة وبالذي اوتوه ما بين لهم فيها من الاحكام والعلوم التي من جملتها ما علموا من نعوت النبي
صلى الله عليه وسلم وحقية الاسلام والتعبير عنه بالنصيب المنبي عن كونه حقا من حقوقهم التي
يجب مراعاتها والمحافظة عليها للايذان بكمال ركاكة آرائهم حيث ضيعوه تضييعا وتنوينه تفخيمي
مؤيد للتشنيع عليهم والتعجيب من حالهم فالتعبير عنهم بالموصول للتنبيه بما في حيز الصلة على كمال
شناعتهم والاشعار بمكان ما طوي ذكره في المعاملة المحكية عنهم من الهدى الذي هو احد العوضين وكلمة
من متعلقة اما باوتوا او بمحذوف وقع صفة لنصيبا مبينة لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته
الذاتية اي نصيبا كائنا من الكتاب وقوله تعالى يشترون الضلالة قيل هو حال مقدرة من واو اوتوا ولا ريب
في ان اعتبار تقدير اشترائهم المذكور في الايتاء مما لا يليق بالمقام وقيل حال من الموصول اي الم تنظر اليهم حال
اشترائهم الى آخره وانت خبير بانه خال عن افادة ان مادة التشنيع والتعجيب هو الاشتراء المذكور
وما عطف عليه والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم انه استئناف مبين لمناط التشنيع ومدار التعجيب
المفهومين من صدر الكلام على وجه الاجمال والابهام مبني على سؤال نشأ منه كأنه قيل ماذا يصنعون
حتى ينظر اليهم فقيل يأخذون الضلالة ويتركون ما اوتوه من الهداية وانما طوي ذكر المتروك
لغاية ظهور الامر لا سيما بعد الاشعار المذكور والتعبير عن ذلك بالاشتراء الذي هو عبارة عن استبدال
السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه اخذا ناشئا عن الرغبة فيها والاعراض عنه للايذان بكمال رغبتهم في
الضلالة التي حقها ان يعرض عنها كل الاعراض واعراضهم عن الهداية التي يتنافس فيها المتنافسون وفيه
من التسجيل على نهاية سخافة عقولهم وركاكة آرائهم ما لا يخفى حيث صورت حالهم بصورة ما لا يكاد
يتعاطاه احد ممن له ادنى تمييز وليس المراد بالضلالة جنسها الحاصل لهم من قبل حتى يخل بمعنى الاشتراء
المنبي عن تأخرها عنه بل هو عنادهم وتماديهم في الكفر بعد ما علموا بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتيقنوا بحقية دينه وانه هو النبي العربي المبشر به في التوراة ولا ريب في ان هذه المرتبة لم تكن
حاصلة لهم قبل ذلك وقد مر في اوائل سورة البقرة ويريدون عطف على يشترون شريك له في بيان
محل التشنيع والتعجيب وصيغة المضارع فيهما للدلالة على الاستمرار التجددي فان تجدد حكم اشترائهم
المذكور وتكرر العمل بموجبه في قوة تجدد نفسه وتكرره اي لا يكتفون بضلال انفسهم بل يريدون بما
فعلوا من كتمان نعوته صلى الله عليه وسلم ان تضلوا انتم ايضا ايها المؤمنون السبيل المستقيم الموصل الى الحق
والله اعلم اي منكم باعدائكم جميعا ومن جملتهم هؤلاء وقد اخبركم بعداوتهم وما يريدون بكم لتكونوا على حذر
منهم ومن مخالطتهم او هو اعلم بحالهم ومآل امرهم والجملة معترضة لتقرير ارادتهم المذكورة وكفى بالله
وليا في جميع اموركم ومصالحكم وكفى بالله نصيرا في كل المواطن فثقوا به واكتفوا بولايته ونصرته ولا
تتولوا غيره او لا تبالوا بهم وبما يسومونكم من السوء فانه تعالى يكفيكم مكرهم وشرهم ففيه وعد ووعيد
والباء مزيدة في فاعل كفى لتأكيد الاتصال الاسنادي بالاتصال الاضافي وتكرير الفعل في الجملتين مع
اظهار الجلالة في مقام الاضمار لا سيما في الشأن لتقوية استقلالهما المناسب للاعتراض وتأكيد كفايته
عز وجل في كل من الولاية والنصرة والاشعار بعليتهما فان الالوهية من موجباتها لا محالة من الذين هادوا
قيل هو بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض وفيه انه لا وجه لتخصيص علمه سبحانه بطائفة من اعدائهم
لا سيما في معرض الاعتراض الذي هو العموم والاطلاق وانفكاكها عما هو المقصود في المقام انتظاما اوليا هو
المشير اليه وقيل هو صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كما في قوله تعالى فمن ينصرني من الله وفيه من
تحجير واسع نصرته عز وجل مع انه لا داعي لوضع الموصول موضع ضمير الاعداء لان ما في حيز الصلة ليس بوصف

ملازم

ملازم للنصر وقيل هو خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى يحرفون الكلم عن مواضعه صفة له اي من الذين هادوا
قوم او فريق يحرفون الى آخره وفيه انه يقتضي كون الفريق السابق بمعزل من التحريف الذي هو المصداق لاشترائهم
في الحقيقة فالذي يليق بشأن التنزيل الجليل انه بيان للموصول الاول المتناول بحسب المفهوم لاهل الكتابين قد
وسط بينهما ما وسط لمزيد الاعتناء ببيان محل التشنيع والتعجيب والمسارعة الى تنفير المؤمنين منهم وتحذيرهم
عن مخالطتهم والاهتمام بحملهم على الثقة بالله عز وجل والاكتفاء بولايته ونصرته وان قوله تعالى يحرفون الخ
عطف عليه بيان لاشترائهم المذكور وتفصيل لفنون ضلالهم وقد روعيت في النظم الكريم الطريقة التفسيرية
بعد الابهام والتفصيل اثر الاجمال روما لزيادة تقرير تقتضيه الحال والكلم اسم جنس واحده كلمة كتمر وتمرة
وتذكير ضميره باعتبار افراده لفظا وجمع مواضعه باعتبار تعدده معنى وقرئ بكسر الكاف وسكون اللام جمع
كلمة تخفيف كلمة وقرئ يحرفون الكلام والمراد به ههنا اما ما في التوراة خاصة واما ما هو اعم منه ومما
سيحكى عنهم من الكلمات المعهودة الصادرة عنهم في اثناء المحاورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا مساغ
لارادة تلك الكلمات خاصة بان يجعل عطف قوله تعالى ويقولون سمعنا وعصينا الى آخره على ما قبله عطفا
تفسيريا لما ستقف على سره فان اريد به الاول فتحريفه ازالته عن مواضعه التي وضعه
الله تعالى فيها من التوراة كتحريفهم في نعت النبي صلى الله عليه وسلم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بان
وضعوا مكانه آدم طوال وكتحريفهم الرجم بوضعهم بدله الحد او صرفه عن المعنى الذي انزل الله تعالى فيه الى
ما لا صحة له بالتأويلات الزائغة الملائمة لشهواتهم الباطلة وان اريد به الثاني فالاليق بذلك ان يراد بمواضعه
ما يليق به مطلقا سواء كان ذلك بتعيينه تعالى صريحا كمواضع ما في التوراة او بتعيين العقل والدين
كمواضع غيره وايا ما كان فقولهم سمعنا وعصينا ينبغي ان يجري على اطلاقه من غير تقييد بزمان او مكان ولا
تخصيص بمادة دون مادة بل وان يحمل على ما هو اعم من القول الحقيقي ومما يترجم به عنادهم ومكابرتهم اي
تخصيص بمادة دون مادة ليندرج فيه ما نطقت به السنة حالهم عند تحريف التوراة فان من لا يتفوه بتلك العظيمة لا يكاد يتجاسر
على مثل هذه الجناية والدخل له على ما قالوه في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم من القبائح خاصة يستدعي
اختصاصه بحكم الشرطية الآتية وما بعدها بمن عبر عن تحريفهم التوراة مع انه معظم جناياتهم
المعدودة ومن ههنا انكشف لك السر المومى اليه فتأمل اي يقولون في كل امر مخالف لاهوائهم الفاسدة سواء كان
بمحضر النبي صلى الله عليه وسلم خاصة وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بان يحمل على معنى واسمع حال
كونك غير مسمع كلاما اصلا بصمم او موت اي مدعوا عليك بلا سمعت او غير مسمع كلاما ترضاه فحينئذ
يجوز ان يكون نصبه على المفعولية وللخير بان يحمل على اسمع منا غير مسمع مكروها كانوا يخاطبون به
النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء مظهرين له ارادة المعنى الاخير وهم مضمرون في انفسهم وراعنا عطف
على اسمع غير مسمع اي يقولون في اثناء خطابهم له صلى الله عليه وسلم هذا ايضا يوردون كلا
من العظائم الثلث في مواقعها وهو ايضا كلمة ذات وجهين محتملة للخير بحملها على معنى ارقبنا وانتظرنا
نكلمك وللشر بحملها على السب بالرعونة اي الحمق او باجرائها مجرى ما يشبهها من كلمة عبرانية او سريانية
كانوا يتسابون بها وهي راعينا كانوا يخاطبونه عليه الصلاة والسلام بذلك ينوون الشتيمة والاهانة
ويظهرون التوقير والاحترام ومصيرهم الى مسلك النفاق في القولين الاخيرين مع تصريحهم بالعصيان
في الاول لما قالوا من ان جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء
وقيل كانوا يقولون الاول فيما بينهم وقيل يجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا به جعلوا كانهم
نطقوا به ليا بالسنتهم اي فتلا بها وصرفا للكلام عن نهجه الى نسبة السب حيث وضعوا غير مسمع موضع
لا اسمعت مكروها واجروا راعنا المشابهة لراعينا مجرى انظرنا او فتلا بها وضما ما يظهرونه من الدعاء
والتوقير الى ما يضمرونه من السب والتحقير وطعنا في الدين اي قدحا فيه بالاستهزاء والسخرية وانتصابهما
على العلية ليقولون باعتبار تعلقه بالقولين الاخيرين اي يقولون ذلك لصرف الكلام عن وجهه الى السب
والطعن في الدين او على الحالية اي لاوين وطاعنين في الدين ولو انهم عند ما سمعوا شيئا من اوامر الله تعالى
ونواهيه قالوا بلسان المقال او بلسان الحال مكان قولهم سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا وانما اعيد
سمعنا مع انه متحقق في كلامهم وانما الحاجة الى وضع اطعنا مكان عصينا للتنبيه على عدم اعتباره بل على
اعتبار عدمه كيف لا وسماعهم سماع الرد ومرادهم بحكايته اعلام ان عصيانهم للامر بعد سماعه
والوقوف عليه فلا بد من الغائه واقامة سماع القبول مقامه واسمع اي لو قالوا عند مخاطبة النبي
صلى الله عليه وسلم بدل قولهم اسمع غير مسمع وانظرنا اي ولو قالوا انظرنا بدل قولهم راعنا ولم
يدسوا تحت كلامهم شرا وفسادا اي لو ثبت انهم قالوا هذا مكان ذلك او ان الاقوال لكان قولهم ذلك
خيرا لهم مما قالوا واقوم اي اعدل واسد في نفسه وصيغة التفضيل اما على بابها واعتبار اصل

الفعل في المفضل عليه بناء على اعتقادهم او بطريق التهكم واما بمعنى اسم الفاعل واياما قدم في البيان حالة
بالنسبة اليهم على حاله في نفسه لانهم مقصورة على ما ينفعهم ولكن لعنهم الله بكفرهم اي ذلك فلا يؤمنون
الا قليلا قيل الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وهو الايمان ببعض الكتب والرسل والاظهر الا زمانا قليلا وهو زمان
الاحتضار فانهم يؤمنون لا ينفعهم الايمان قال تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وكلاهما
ليس بايمان قطعا وقد يجوز ان يراد بالقلة العدم بالكلية على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى اي ان كان الايمان المعدوم ايمانا فهم يحدثون شيئا من الايمان فهو في المعنى تعليق
بالمحال وانت خبير بان الكل يأباه ما يعقبه من الامر بالايمان بالقرآن الناطق بهذا الاقتضائه
حينئذ الى التكليف بالمحال الذي هو ايمانهم بعدم ايمانهم للمستثنى اما على الوجه الاخير فظاهر واما
على الاولين فلان امرهم بالايمان المنجز بجميع الكتب والرسل التكليف لهم بايمانهم بعدم ايمانهم
ببعض الكتب والرسل وبعدم ايمانهم الى وقت الاحتضار فالوجه ان يحمل القليل على من يؤمن بعد ذلك
لكن لا يجعل المستثنى منه ضمير الفاعل في لا يؤمنون لاقتضائه وقوع ايمان من لعنه الله تعالى وخذله
مع ما فيه من نسبة القرآن الى الاتفاق على غير المختار بل يجعله ضمير المفعول في لعنهم اي ولكن لعنهم الله
الا فريقا قليلا فانه تعالى لم يلعنهم فلم ينسد عليهم باب الايمان وقد آمن بعد ذلك فريق من الاحبار كعبد الله
بن سلام وكعب واضرابهما كما سيأتي يا ايها الذين اوتوا الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له اما الى من حكيت
احوالهم واقوالهم خاصة بطريق الالتفات ووصفهم تارة بايتاء الكتاب والتوراة واخرى بايتاء نصيب
منها التوفية كل من المقامين حظه فان المقصود فيما سبق بيان اخذهم الضلالة وازالة ما اوتوه بمقابلة
بالتحريف وليس ما ازالوه بذلك كلها حتى يوصفوا بايتائه واما هاهنا فالمقصود تأكيد ايجاب الامتثال
بالامر الذي يعقبه التحذير عن مخالفته من حيث ان الايمان بالمصدق موجب للايمان بما يصدقه والكفر
بالثاني مقتضي للكفر بالاول قطعا ولا ريب في ان المحذور عنده انما هو لزوم الكفر بالتوراة نفسها
لا ببعضها وذلك انما يتحقق بجعل القرآن مصدقا لكلها وان كان مناط التصديق بعضها ضرورة ان
مصدق البعض مصدق للكل المتضمن له حتما اما اليهم والى غيرهم قاطبة وهو الاظهر واياما
كان فتفصيل ما فصل لما ان من مظان اقلاع كل من الفريقين عما كانوا عليه من الضلالة عقيب ذلك
بالامر بالمبادرة الى سلوك محجة الهداية مشفوعا بالوعيد الشديد على المخالفة وقيل آمنوا بما نزلنا
من القرآن عبر عنه بالموصول تشريفا له بما في حيز الصلة وتحقيقا لكونه من عنده عز وجل مصدقا
لما معكم من التوراة عبر عنها بذلك للايذان بكمال وقوفهم على حقيقة الحال فان المعية المستدعية لدوام
تلاوتها وتكرر المراجعة اليها من موجبات العثور على ما في تضاعيفها المؤدي الى العلم بكون القرآن
مصدقا لها ومعنى تصديقه اياها نزوله حسبما نعت لهم فيها او كونه موافقا لها في القصص والمواعيد
والدعوة الى التوحيد والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما ما يتراءى من مخالفة
لها في جزئيات الاحكام بسبب تفاوت الامم والاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة بل هي عين الموافقة
من حيث ان كلا منهما حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور فلك التشريع حتى لو تأخر
نزول المتقدم لنزل على وفق المتأخر ولو تقدم نزول المتأخر لوافق المتقدم قطعا ولذلك قال عليه
السلام لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعي من قبل ان نطمس وجوها متعلق بالامر مفيد للمسارعة
الى الامتثال به والجد في الامتناع عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على ابلغ وجه وآكده
حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيها على ان ذلك امر محقق
غني عن الاخبار به وانه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل
للخطب وفي ابهامها لطف بالمخاطبين وحسن لاستدعائهم الى الايمان واصل الطمس محو الآثار وازالة
الاعلام اي آمنوا من قبل ان نمحو تخطيط صورها ونزيل آثارها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
نجعلها كخف البعير او كحافر الدابة وقال قتادة والضحاك نعميها كقوله تعالى فطمسنا اعينهم وقيل
نجعلها منابت الشعر كوجوه القردة فنردها على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها واقفائها مطموسة
مثلها فالفاء للتسبيب او ننكسها بعد الطمس فنردها الى موضع الاقفاء والاقفاء الى موضعها وقد اكتفى
بذكر اشدهما فالفاء للتعقيب وقيل المراد بالوجوه الوجهاء على ان الطمس بمعنى مطلق التغيير اي من قبل
ان نغير احوال الوجهاء فنسلب اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارا وادبارا او نردهم من حيث جاؤوا
منه من اذرعات الشام فالمراد بذلك اجلاء بني النضير ولا يخفى انه لا يساعده مقام تشديد الوعيد
وتعميم التهديد للجميع فالوجه ما سبق من الوجوه وقد روي ما يؤيده ما روي ان عبد الله بن سلام لما
قدم من الشام وقد سمع هذه الآية اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يأتي اهله فاسلم وقال

يا رسول الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يتحول وجهي الى قفاي وفي رواية جاء الى النبي صلى الله عليه
وسلم ويده على وجهه واسلم وقال ما قال وكذا ما روي ان عمر رضي الله عنه قرأ هذه الآية على كعب
الاحبار فقال كعب يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافة ان يصيبه وعيدها ثم اختلفوا فقيل انه منتظر
بعد ولا بد من طمس في اليهود ومسخ وهو قول المبرد وفيه ان الصاف العذاب الموعود عن اوائلهم وهم الذين
باشروا اسباب نزوله وموجبات حلوله حيث شاهدوا شواهد النبوة في رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكذبوها وفي التوراة فحرفوها واصروا على الكفر والضلالة وتعلق بهم خطاب المشافهة بالوعيد
ثم نزوله على من وجد بعد ما مات من السنين من اعقابهم الضالين باضلالهم العاملين بما مهدوا من قوانين
الغواية بعيد من حكمة الله العزيز الحكيم وقيل ان وقوعه كان مشروطا بعدم الايمان وقد آمن احبارهم
المذكوران واضرابهما فلم يقع وفيه ان اسلام بعضهم ان لم يكن سببا لتأكيد نزول العذاب على الباقين
لتشديدهم التكبر والعناد بعد ازدياد الحق وضوحا وقيام الحجة عليهم بشهادة اماثلهم العدول فلا اقل
من ان تكون سببا لرفعه عنهم وقيل كان الوعيد بوقوع احد الامرين كما ينطق به قوله تعالى او نلعنهم
كما لعنا اصحاب السبت فان لم يقع الامر الاول فلا نزاع في وقوع الثاني كيف لا وهم ملعونون بكل
لسان في كل زمان وتفسير اللعن بالمسخ ليس بمقرر البتة وانت خبير بان المتبادر من اللعن المشبه بلعن
اصحاب السبت هو المسخ وليس في عطفه على الطمس والرد على الادبار شائبة دلالة على عدم ارادة
المسخ ضرورة انه تغيير مغاير لما عطف عليه على ان المتوعد به لا بد ان يكون امرا حادثا مترتبا على الوعيد
محذورا عندهم ليكون من جرة عن مخالفة الامر ولا يبعد انه وقع عليهم لعن بهذا الوصف انما الواقع
عليهم ما تداولته الالسنة من اللعن المستمر الذي الفوه وهو بمعزل من صلاحيته ان يكون حكما للوعيد
او مزجرة للعنيد وقيل انما كان الوعيد بوقوع ما ذكر في الآخرة عند الحشر وسيقع فيها لا محالة احد الامرين
كلاهما على سبيل التوزيع واما ما روي عن عبد الله بن سلام وكعب رضي الله عنه فمبني على الاحتياط
اللائق بشأنهما والحق ان النظم الكريم ليس بنص في احد الوجهين بل المتبادر منه بحسب المقام هو الاول
لانه ادخل في الزجر وعليه مبنى ما تعرض من الحبرين لكن لما لم يتضح وقوعه علم ان المراد هو الثاني والله
تعالى اعلم واما ما كان فلعل السر في تخصيصهم بهذه العقوبة من بين العقوبات مراعاة المشاكلة
بينهما وبين ما اوجبها من جنايتهم التي هي التحريف والتغيير والله هو العليم الخبير وكان امر الله اي ما امر به
كائنا ما كان او امره بايقاع شيء من الاشياء مفعولا نافذا كائنا لا محالة فيدخل فيه ما اوعدتم به
دخولا اوليا فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما سبق ووضع الاسم الجليل موضع الضمير بطريق الالتفات
لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية ما في الاعتراض من الاستقلال ان الله لا يغفر ان يشرك به كلام
مستأنف مسوق لتقرير ما قبله من الوعيد وتأكيد وجوب الامتثال بالامر بالايمان ببيان استحالة
المغفرة بدونه فانهم كانوا يفعلون ما يفعلون من التحريف ويطمعون في المغفرة كما في قوله تعالى فخلف
من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا والمراد بالشرك مطلق
الكفر المنتظم لكفر اليهود انتظاما اوليا فان الشرع قد نص على اشراك اهل الكتاب قاطبة وقضى بخلود
اصناف الكفرة في النار ونزوله في حق اليهود كما قال مقاتل وهو الانسب بسياق النظم الكريم وسياقه
لا يقتضي اختصاصه بكفرهم بل يكفي اندراجه فيه قطعا بل لا وجه له اصلا لاقتضائه مغفرة ما دون
كفرهم في الشدة من انواع الكفر اي لا يغفر الكفر لمن اتصف به بلا توبة وايمان لان الحكمة التشريعية
مقتضية لسد باب الكفر وجواز مغفرته بلا ايمان مما يؤدي الى فتحه ولان ظلمات الكفر والمعاصي انما يسترها
نور الايمان فمن لم يكن له ايمان لم يغفر له شيء من الكفر والمعاصي ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء عطف
على خبر ان وذلك اشارة الى الشرك وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد
درجته وكونه في اقصى مراتب القبح اي ويغفر ما دونه في القبح من المعاصي صغيرة كانت او كبيرة
تفضلا من لدنه واحسانا من غير توبة عنها لا لكل احد بل لمن يشاء اي لمن يشاء ان يغفر له ممن اتصف به فقط
لا بما فوقه فان مغفرتهما لمن اتصف بهما سواء في استحالة الدخول تحت المشيئة المبنية على الحكمة
التشريعية فان اختصاص المعاصي بمغفرة من غير توبة باهل الايمان من متممات الترغيب والزجر عن
الكفر ومن علق المشيئة بكلا الفعلين وحمل الموصول الاول على من لم يتب والثاني على من تاب فقد
ضل سبيل الصواب كيف لا وان مساق النظم الكريم لاظهار كمال عظم جريمة الكفر وامتيازه عن سائر المعاصي
ببيان استحالة مغفرته وجواز مغفرتها فلو كان الجواز على تقدير التوبة لم يظهر بينهما فرق للاجماع
على مغفرتهما بالتوبة ولم يحصل ما هو المقصود من الزجر البليغ عن الكفر والطغيان والحمل على التوبة
والايمان ومن يشرك بالله اظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لزيادة تقبيح الاشراك وتفظيع حاله

من يتصف به فقد افترى اثما عظيما اي افترى واختلق مرتكبا اثما لا يقادر قدره ويستحقر دونه
جميع الآثام فلا يتعلق به المغفرة قطعا الم تر الى الذين يزكون انفسهم تعجيب من حالهم المنافية لما هم
عليه من الكفر والطغيان والمراد بهم اليهود الذين يقولون نحن ابناء الله واحباؤه وقيل ناس من
اليهود جاؤوا باطفالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال عليه السلام
لا قالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار كفر عنا بالليل وما عملنا بالليل كفر عنا بالنهار اي انظر اليهم فتعجب
من ادعائهم انهم ازكياء عند الله تعالى مع ما هم عليه من الكفر والاثم العظيم او من ادعائهم التكفير مع
استحالة ان يغفر للكافر شيء من كفره او معاصيه وفيه تحذير من اعجاب المرء بنفسه وبعمله بل الله
يزكي من يشاء تزكيته ممن يستاهلها من المرتضين من عباده المؤمنين اذ هو العليم الحكيم الخبير بما
ينطوي عليه البشر من المحاسن والمساوي وقد وصفهم الله بما هم متصفون به من القبائح واصل
التزكية نفي ما يستقبح بالفعل او بالقول ولا يظلمون عطف على جملة قد حذفت تعويلا على دلالة الحال
عليها وايذانا بانها غنية عن الذكر اي يعاقبون بتلك الفعلة القبيحة ولا يظلمون في تلك العقاب
فتيلا اي ادنى ظلم واصغره وهو الخيط الذي في شق النواة يضرب به المثل في القلة والحقارة وقيل
التقدير يثاب المزكون ولا ينقص من ثوابهم اصلا ولا يساعده مقام الوعيد انظر كيف يفترون على الله الكذب
كيف نصب على التشبيه بالظرف اي في اي حال او بالحال على الخلاف المشهور بين سيبويه والاخفش والعامل
يفترون وبه يتعلق على اي في اي حال او على اي حال يفترون على الله تعالى الكذب والمراد تشنيع تلك الحال
وكما قطعها والجملة في حال النصب بعد نزع الخافض والنظر معلق بها وهو تعجيب اثر تعجيب وتنبيه على ان
ما ارتكبوه متضمن لامرين عظيمين موجبين للتعجيب ادعاؤهم الاتصاف بما هم متصفون بنقيضه
وافتراؤهم على الله سبحانه وتعالى فان ادعاءهم الزكاء عنده تعالى متضمن لادعائهم قبول الله وارتضاءه
اياهم تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولكون هذا اشنع من الاول جنسا واعظم قبحا لما فيه من نسبته سبحانه
وتعالى الى ما يستحيل عليه بالكلية من قبول الكفر وارتضائه لعباده ومغفرة كفر الكافر وساير معاصيه
وجه النظر الى كيفيته تشديدا للتشنيع وتاكيدا للتعجيب والتصريح بالكذب مع ان الافترا لا يكون الا كذبا
للمبالغة في تقبيح حالهم وكفى به اي بافترائهم هذا من حيث هو افترا عليه مع قطع النظر عن مقارنته
لتزكيتهم انفسهم ولساير آثامهم العظام اثما مبينا ظاهرا بينا كونه اثما والمعنى كفى ذلك وحده
في كونهم اشد اثما من كل كفار اثيم او في استحقاقهم لاشد العقوبات لما مر سره وجعل الضمير لزعمهم
مما يساعده بمن لا مساغ عنه لاخلاله بتهويل امر الافترا فتدبر الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
تعجيب من حال اخرى لهم ووصفهم بما ذكر من ايتاء النصيب لما مر من منافاته لما صدر عنهم من القبائح
وقوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت استئناف مبين لمادة التعجيب مبني على سؤال ينساق اليه
الكلام كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينظر اليهم فقيل يؤمنون بالجبت والاصنام وكل ما عبد من دون الله
وقيل اصله الجبس وهو الذي لا خير عنده فابدل السين تاء وقيل الجبت الساحر بلغة الحبشة والطاغوت
الشيطان وقيل هو في الاصل كل ما يطغي الانسان روي ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا
الى مكة في سبعين راكبا من اليهود ليحالفوا قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا
العهد الذي كان بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم
الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لالهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم
سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرا الكتاب وتعلم ونحن
اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا نحن ام محمد فقال ماذا يقول محمد قال يامر بعبادة الله وحده وينهى عن
الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم
قال انتم اهدى سبيلا وذلك قوله تعالى ويقولون للذين كفروا اي لاجلهم وفي حقهم هؤلاء يعنونهم
اهدى من الذين آمنوا سبيلا اي اقوم دينا وارشد طريقة وايرادهم بعنوان الايمان ليس من قبل القائلين
بل من جهة الله تعالى تعريفا لهم بالوصف الجميل وتخطئة لمن رجح عليهم المتصفين باقبح القبائح اولئك
اشارة الى القائلين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بذكرهم للاشعار ببعد منزلتهم في الضلال
وهو مبتدا خبره قوله تعالى الذين لعنهم الله اي ابعدهم عن رحمته وطردهم والجملة مستانفة لبيان
حالهم واظهار مصيرهم ومآلهم ومن يلعن الله اي يبعده عن رحمته فلن تجد له نصيرا يدفع عنه
العذاب دنيويا كان او اخرويا لا بشفاعة ولا بغيرها وفيه تنصيص على حرمانهم مما طلبوا من قريش
وفي كلمة لن وتوجيه الخطاب الى كل احد يصلح له الخطاب وتوجيه النفي الى وجدانه او التعبير عن عدمه
مسندا الى المخاطب العام من الدلالة على حرمانهم الابدي بالكلية ما لا يخفى ام لهم نصيب من الملك

شروع

شروع في تفصيل بعض اخر من قبايحهم وام منقطعة وما فيها من بل للاضراب والانتقال من توبيخهم
بتزكيتهم انفسهم وغيرها مما حكى عنهم الى ذمهم بادعائهم نصيبا من الملك وبخلهم المفرط وبنجيهم البالغ
والهمزة لانكار ان يكون لهم حاية منه وابطال ما زعموا ان الملك سيصير اليهم وقوله تعالى فاذا لا يؤتون
الناس نقيرا بيان لعدم استحقاقهم له بل لاستحقاقهم الحرمان منه بسبب انهم من البخل والدناءة بحيث لو
اوتوا شيئا من ذلك لما اعطوا الناس منه اقل قليل ومن حق من اوتي الملك ان يؤثر الغير بشيء منه والفاء
للسببية الجزائية لشرط محذوف اي ان جعل لهم نصيب منه فاذا لا يؤتون الناس نقيرا وهو ما في ظهر النواة
من النقرة يضرب به المثل في القلة والحقارة وهذا هو البيان الكاشف عن كنه حالهم واذا كان شانهم كذلك
وهم ملوك فما ظنك بهم وهم اذلاء متفاقرون ويجوز ان لا تكون الهمزة لانكار الوقوع بل لانكار الواقع والتوبيخ
عليه اي اخذه منكم غيره لا يبق بالوقوع على ان الفاء للعطف والانكار متوجه الى مجموع المعطوفين على معنى
لهم نصيب وافر من الملك حيث كانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كالملوك فلا يؤتون الناس
مع ذلك نقيرا كما تقول لغني لا يراعي اباه الك هذا القدر من المال فلا تنفق على ابيك شيئا وفائدة اذن تاكيد
الانكار والتوبيخ حيث يجعلون ثبوت النصيب سببا للمنع مع كونه سببا للاعطاء وهي ملغاة عن العمل كانه قيل
فلا يؤتون الناس اذن وقرئ فاذن لا يؤتوا بالنصب على اعمالها ام يحسدون الناس منقطعة ايضا وهي
مفيدة للانتقال عن توبيخهم بما سبق الى توبيخهم بالحسد الذي هو شر الرذائل واقبحها لا سيما على ما هم بمعزل
من استحقاقه واللام في الناس للعهد والاشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وحمله على الجنس
ايذانا بحيازتهم للكمالات البشرية قاطبة فكانهم هم الناس لا غير لا يلايمه ذكر حديث آل ابراهيم فان ذلك
لتذكير ما بين الفريقين من العلاقة الموجبة لاشتراكهما في استحقاق الفضل والهمزة لانكار الواقع واستقباحه
فانهم كانوا يطمعون ان يكون النبي الموعود منهم فلما خص الله تعالى بتلك الكرامة غيرهم حسدوهم اي بل
ايحسدونهم على ما آتاهم الله من فضله يعني النبوة والكتاب وازدياد العز والنصر يوما فيوما وقوله تعالى
فقد آتينا تعليل للانكار والاستقباح والزام لهم بما هو مسلم عندهم وحسم لمادة حسدهم واستبعادهم المبنيين
على توهم عدم استحقاق المحسود لما اوتي من الفضل ببيان استحقاقه له بطريق الوراثة كابرا عن كابر واجرا
الكلام على سنن الكبرياء بطريق الالتفات لاظهار كمال العناية بالامر والمعنى ان حسدهم المذكور في غاية
القبح والبطلان فانا قد آتينا من قبل هذا آل ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وابناء اعمامه
الكتاب والحكمة اي النبوة وآتيناهم مع ذلك ملكا عظيما لا يقادر قدره فكيف يستبعدون نبوته
عليه السلام ويحسدونه على ايتائها وتكرير الايتاء لما يقتضيه مقام التفصيل مع الاشعار بما بين النبوة
والملك من المغايرة فان اريد به الايتاء بالذات فالمراد بآل ابراهيم انبياؤهم عليهم السلام خاصة والضمير
المنصوب في الفعل الثاني لبعضهم اما بحذف المضاف او بطريق الاستخدام لما ان الملك لم يؤت كلهم قال ابن
عباس رضي الله عنهما الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان عليهم السلام وان اريد به ما
يعمه وغيره من الايتاء بالواسطة وهو اللائق بالمقام والاوفق لما قبله من نسبة ايتاء الفضل الى الناس فالمراد
بآل ابراهيم كلهم فان تشريف البعض بما ذكر من ايتاء النبوة والملك تشريف للكل لاغتنامهم باثاره
واقتباسهم من انواره وفي تفصيل ما اوتوه وتكرير الفعل ووصف الملك بالعظم وتنكيره التفخيمي من تاكيد
الالزام وتشديد الانكار ما لا يخفى هذا هو المتبادر من النظم الكريم واليه جنح جمهور ائمة التفسير لكن
الظاهر حينئذ ان يكون قوله تعالى فمنهم من آمن به ومنهم حكاية لما صدر عن اسلافهم عقيب وقوع المحكي
من غير ان يكون له دخل في الالزام الذي سيق له الكلام اي فمن جنسهم او من آل ابراهيم من آمن بما
اوتي آل ابراهيم ومنهم من اعرض عنه واما جعل الضمير لما ذكر من حديث آل ابراهيم فيستدعي تراخي الآية
الكريمة عما قبلها نزولا كيف لا وحكاية ايمانهم بالحديث المذكور واعراضهم عنه بصيغة الماضي انما يتصور
بعد وقوع الايمان والاعراض المتاخرين عن سماع الحديث المتاخر عن نزوله وكذا جعلهما لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ الظاهر بيان حالهم بعد هذا الالزام وحمله على حكاية حالهم السابقة لا يساعده الفاء المرتبة
لما بعدها على ما قبلها ولا يبعد كل البعد ان يكون الهمزة لتقرير حسدهم وتوبيخهم بذلك ويكون قوله
تعالى فقد آتينا الآية تعليلا له بدلالته على اعراضهم عما اوتي آل ابراهيم وان لم يذكر كونه بطريق الحسد كانه
قيل بل يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ولا يؤمنون وذلك ديدنهم المستمر فانا قد آتينا آل
ابراهيم ما آتينا فمنهم اي من جنسهم من آمن بما آتيناهم ومنهم من اعرض عنه ولم يؤمن به والله سبحانه وتعالى
اعلم وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا نارا مسعرة يعذبون بها والجملة تذييل
لما قبلها ان الذين كفروا بآياتنا ان اريد بهم الذين كفروا برسول الله صلى الله عليه وسلم فالمراد بالآيات
اما القرآن او ما يعم كله وبعضه او ما يعم سائر معجزاته ايضا وان اريد بهم الجنس المتناول لهم تناولا

اوليا فالمراد بالمراد ما يعم المذكورات وساير الشواهد التي اوتيها الانبيا عليهم والسلام سوف نصليهم نارا
قال سيبويه سوف كلمة تذكر للتهديد والوعيد وينوب عنها السين وقد تذكران في الوعيد فيفيدان التاكيد
اي ندخلهم نارا عظيمة هائلة كلما نضجت جلودهم اي احترقت وكلما ظرف زمان والعامل فيه بدلناهم
جلودا غيرها من قبيل بدله بخوفه امنا لا من قبيل يبدل الله سيئاتهم حسنات اي اعطيناهم مكان كل جلد
محترق عند احتراقه جلدا جديدا مغايرا للجلد المحترق صورة وان كان عينه مادة بان يزال عنه الاحتراق ليعود
احساسه للعذاب والجملة في محل النصب على انها حال من ضمير نصليهم وقد جوز كونها صفة لنارا على
حذف العائد اي كلما نضجت فيها جلودهم ومعنى قوله تعالى ليذوقوا العذاب ليدوم ذوقه ولا ينقطع
كقولك للعزيز اعزك الله وقيل يخلق مكانه جلدا اخر والعذاب للنفس العاصية لا لالة ادراكها
قال ابن عباس رضي الله عنهما يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الاية قرئت عند
عمر رضي الله عنه فقال للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها
يبدل في ساعة مائة مرة فقال عمر رضي الله عنه هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحسن
تاكلهم النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا وروى ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة ايام والتعبير عن ادراك
العذاب بالذوق ليس لبيان قلته بل لبيان ان احساسهم بالعذاب في كل مرة كاحساس الذائق بالذوق من
حيث انه لا يدخله نقصان بدوام الملابسة او للاشعار بمرارة العذاب مع ايلامه او للتنبيه على شدة
تاثيره من حيث ان القوة الذائقة اشد الحواس تاثرا وعلى سرايته للباطن ولعل السر في تبديل الجلود
مع قدرته تعالى على ابقاء ادراك العذاب وذوقه بحاله مع الاحتراق او مع ابقاء ابدانهم على حالها
مصونة عن الاحتراق ان النفس ربما تتوهم زوال الادراك بالاحتراق ولا تستبعد كل الاستبعاد ان
تكون مصونة عن التالم والعذاب صيانة بدنها عن الاحتراق ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه ما يريده
ولا يمانعه احد حكيما يعاقب من يعاقب على وفق حكمته والجملة تعليل لما قبلها من الاحراق والتبديل
واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتهويل الامر وتربية المهابة وتعليل الحكم فان عنوان الالوهية
مناط لجميع صفات كماله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات عقب بيان سوء حال الكفرة ببيان حسن
حال المؤمنين تكميلا لمساءة الاولين ومسرة الاخرين اي الذين امنوا باياتنا وعملوا بمقتضاها وهو
مبتدا خبره قوله تعالى سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ سيدخلهم بالياء ردا على الاسم الجليل
وفي السين تاكيد للوعد خالدين فيها ابدا حال مقدرة من الضمير المنصوب في سندخلهم وقوله عز وعلا
لهم فيها ازواج مطهرة اي مما في النساء الدنيا من الاحوال المستقذرة البدنية والادناس الطبيعية في محل
الرفع على انه خبر للموصول بعد خبر وندخلهم ظلا ظليلا اي فينانا لا جوب فيه دائما لا تنسخه شمس
اللهم ارزقنا ذلك بفضلك وكرمك يا ارحم الراحمين والظليل صفة مشتقة من لفظ الظل للتاكيد
كما في الليل اليل ويوم ايوم وقرئ يدخلهم بالياء وهو عطف على سيدخلهم لا على انه غير الادخال الاول
بالذات بل بعنوان كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب
غليظ ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها في تصدير الكلام بكلمة التحقيق واظهار الاسم الجليل
وايراد الامر على صورة الاخبار من الفخامة وتاكيد وجوب الامتثال به والدلالة على الاعتناء بشانه ما لا
يزيد عليه وهو خطاب يعم حكمه المكلفين قاطبة كما ان الامانة تعم جميع الحقوق المتعلقة بذممهم
من حقوق الله تعالى وحقوق العباد سواء كانت فعلية او قولية او اعتقادية وان ورد في شان عثمان
بن طلحة بن عبد الدار سادن الكعبة المعظمة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم
الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد الى السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذه منه وفتح ودخل النبي صلى الله عليه وسلم
وصلى ركعتين فلما خرج سال العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا
ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي رضي الله عنه اكرهت واذيت ثم جئت ترفق فقال
لقد انزل الله في شانك قرانا فقرا عليه السلام الاية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
رسول الله فهبط جبريل عليه السلام واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان
ابدا وقيل الامانة على التوحيد والمراد الجنس لا المعهود وقيل هو امر الولاة باداء الحقوق المتعلقة بذممهم
من المناصب وغيرها الى مستحقيها كما ان قوله تعالى واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل امر لهم بايصال
الحقوق المتعلقة بذمم الغير الى اصحابها وحيث كان المامور به هاهنا مختصا بوقت المرافعة قيد به

بحذف المامور به اولا فانه لما لم يتعلق بوقت دون وقت اطلق اطلاقا فقوله تعالى ان تحكموا بالعدل عطف
على ان تؤدوا وقد فصل بين العاطف والمعطوف بالظرف المعمول عند الكوفيين والمقدر يدل عليه عند البصريين
لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها عندهم اي وان تحكموا وقوله تعالى بالعدل متعلق بتحكموا او بمحذوف وقع حالا
من فاعله اي ملتبسين بالعدل والانصاف ان الله نعما يعظكم به ما اما منصوبة موصوفة بيعظكم به او مرفوعة
موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم
به ذلك وهو المامور به من اداء الامانات والعدل في الحكومات وقرئ نعما بفتح النون والجملة مستانفة
مقررة لما قبلها متضمنة لمزيد لطف بالمخاطبين وحسن استدعائهم الى الامتثال بالامر واظهار الاسم الجليل
لتربية المهابة ان الله كان سميعا باقوالكم بصيرا بافعالكم فهو وعد ووعيد واظهار الجلالة لما ذكر انفا
فيه تاكيد لكل من الوعد والوعيد يا ايها الذين امنوا بعد ما امر الولاة بطريق العموم او بطريق الخصوص
باداء الامانات والعدل في الحكومات امر سائر الناس بطاعتهم لكن لا مطلقا بل في ضمن طاعة الله عز وجل
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حيث قيل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وهم امراء الحق
وولاة العدل كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين واما امراء الجور فبمعزل من استحقاق العطف على الله
تعالى والرسول عليه الصلاة والسلام في وجوب الطاعة لهم وقيل هم علماء الشرع لقوله تعالى ولو ردوه الى
الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ويأباه قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله اذ ليس
للمقلد ان ينازع المجتهد في حكمه الا ان يجعل الخطاب لاولي الامر بطريق الالتفات وفيه بعد وتصدير الشق
بالفاء لترتيبها على ما قبلها فان بيان حكم طاعة اولي الامر عند موافقتها لطاعة الله تعالى وطاعة الرسول
صلى الله عليه وسلم يستدعي بيان حكمها عند المخالفة اي ان اختلفتم انتم واولوا الامر منكم في امر من امور
الدين فراجعوا فيه الى كتاب الله والرسول اي الى سنته وقد استدل به منكروا القياس وهو في الحقيقة
دليل على حجيته كيف لا ورد المختلف فيه الى المنصوص عليه انما يكون بالتمثيل والبناء عليه وهو المعني
بالقياس ويؤيده الامر به بعد الامر بطاعة الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه
يدل على ان الاحكام ثلثة ثابت بالكتاب وثابت بالسنة وثابت بالرد اليهما بالقياس ان كنتم تؤمنون
بالله واليوم الاخر متعلق بالامر الاخير الوارد في محل النزاع اذ هو المحتاج الى التحذير من المخالفة
وجواب الشرط محذوف عند جمهور البصريين ثقة بدلالة المذكور عليه اي ان كنتم تؤمنون بالله
واليوم الاخر فردوه الى اخره فان الايمان بهما يوجب ذلك اما الايمان بالله تعالى فظاهر واما الايمان باليوم
الاخر فلما فيه من العقاب على المخالفة ذلك اي الرد بالمامور به خير لكم واصلح واحسن في نفسه تاويلا اي
عاقبة ومالا وتقديم خيريته لهم على حسنيته في نفسه لما ان مدار تعلق انظارهم لما ينفعهم والمراد بيان
اتصافه في نفسه بالخيرية الكاملية والحسن الكامل في حد ذاته من غير اعتبار فضله على شيء يشاركه
في اصل الخيرية والحسن كما ينبئ عنه التحذير السابق الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما
انزل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجيبا له من حال الذين يخالفون
ما مر من الامر المحتوم ولا يطيعون الله ورسوله ووصفهم بادعاء الايمان بالقران وما انزل من قبلك
اعني التورية لتاكيد التعجيب وتشديد التوبيخ والاستقباح ببيان كمال المباينة بين دعواهم وبين ما
صدر عنهم وقرئ الفعلان على البناء للفاعل وقوله عز وجل يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت استئناف سيق
لبيان محل التعجيب مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل ماذا يفعلون فقيل يريدون الى اخره روي
عن ابن عباس رضي الله عنه ان منافقا خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودي فلم
يرض به المنافق وقال تعال الى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال اليهودي قضى لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يرض بقضائه فقال عمر رضي الله عنه للمنافق اهكذا قال نعم فقال عمر مكانكما حتى اخرج اليكما
فدخل فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء
رسول الله فنزلت فهبط جبريل عليه السلام وقال ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف سمي به لافراطه في الطغيان وعداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان او التسمية باسمه وجعل اختيار التحاكم الى غير
النبي صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان وقال الضحاك المراد بالطاغوت كهنة اليهود
وسحرتهم وعن الشعبي ان المنافق دعا خصمه الى كاهن في جهينة فتحاكما اليه وعن السدي ان الحادثة وقعت
في قتيل بني قريظة والنضير فتحاكم المسلمون من الفريقين الى النبي صلى الله عليه وسلم وابى المنافقون منهما
الى التحاكم الى ابي بردة الكاهن الاسلمي فتحاكموا اليه فيكون الاقتصار حينئذ في معرض التعجيب والاستقباح

على ذكر ارادة التحاكم دون نفسه مع وقوعه ايضا للتنبيه على ان اراده مما يقضي منه التعجب ولا ينبغي
ان يدخل تحت الوقوع فما ظنك بنفسه وهذا انسب بوصف المنافقين بادعاء الايمان بالتوراة فانه
كما يقتضي كفرهم من منافقي اليهود يقتضي كون ما صدر عنهم من التحاكم ظاهر المنافاة لادعاء الايمان
بالتوراة وليس التحاكم الى كعب بن الاشرف بهذه المثابة من الظهور مما يقال المتبادر من قوله تعالى
وقد امروا ان يكفروا به كونهم مامورين بكونه في الكتابين وما ذاك الا الشيطان واولياؤه
المشهورون بولايته كالكهنة ونظائرهم لان من عداهم ممن لم يشتهر بذلك وقرئ ان يكفروا بها على ان
الطاغوت جمع كما في قوله تعالى اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم والجملة حال من ضمير يريدون مفيدة
لتاكيد التعجب وتشديد الاستقباح كالوصف السابق وقوله عز وعلا ويريد الشيطان ان يضلهم
ضلالا بعيدا عطف على يريدون داخل في حكم التعجب فان اتباعهم لمن يريد اضلالهم واعراضهم عمن
يريد هدايتهم اعجب من كل عجيب وضلالا اما مصدر مؤكد للفعل المذكور بحذف الزوائد كما في قوله
تعالى وانبتها الله نباتا حسنا اي ضلالا بعيدا واما مصدر مؤكد للفعل المدلول عليه بالمذكور اي
فيضلون ضلالا واياما كان فوصفه بالبعد الذي هو نعت موصوفه للمبالغة وقوله تعالى واذا قيل لهم
الى ما انزل الله والى الرسول تكملة لمادة التعجب ببيان اعراضهم صريحا عن التحاكم الى كتاب الله تعالى
ورسوله اثر بيان اعراضهم عن ذلك في ضمن التحاكم الى الطاغوت وقرئ تعالوا بضم اللام على انه حذف
لام الفعل تخفيفا كما في قولهم تعالى ما باليت بالت اصلها باليت كعافية وكما في قوله قالوا في اية ان
اصلها ايية فحذفت اللام ووقعت واو الجمع بعد اللام في تعالى فضمت فصار تعالوا ومنه قول اهل
مكة للمراة تعالي بكسر اللام وعليه قول ابي فراس الحمداني ايا جارتا ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك
الهموم تعالي رايت المنافقين اظهار المنافقين في مقام الاضمار للتسجيل عليهم بالنفاق وذمهم به
والاشعار بعلة الحكم والرؤية بصرية وقوله تعالى يصدون عنك حال من المنافقين وقيل الرؤية قلبية والجملة
مفعول ثان لها والاول هو الانسب لظهور حالهم وقوله تعالى صدودا مصدر مؤكد لفعله اي يعرضون
عنك اي اعراض او اي اعراض وقيل هو اسم للمصدر الذي هو الصد والاظهر انه مصدر لصد اللازم والصد
مصدر للمتعدي يقال صد عنه صدودا اي اعرض عنه وصده عنه صدا اي منعه منه وقوله تعالى فكيف
شروع في بيان غائلة جناياتهم المحكية ووقاية عاقبتهما اي كيف يكون حالهم اذا اصابتهم مصيبة اي
وقت اصابتهم المصيبة ايام بافتضاحهم بظهور نفاقهم بما قدمت ايديهم بسبب ما عملوا من الجنايات
التي من جملتها التحاكم الى الطاغوت والاعراض عن حكمك ثم جاؤك للاعتذار عما صنعوا من القبائح
وهو عطف على اصابتهم والمراد تفظيع حالهم وتهويل ما دهمهم من الخطب واعتراضهم من شدة الامر
عند اصابة المصيبة عند المجيء للاعتذار يحلفون بالله حال من فاعل جاؤك ان اردنا الا احسانا
وتوفيقا اي ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا الفصل بالوجه الحسن والتوفيق بين الخصمين ولم نرد
مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك فلا تؤاخذنا بما فعلنا وهذا وعيد لهم على ما فعلوا وانهم سيندمون
عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد
اهدره الله تعالى فقالوا ما اردنا اي ما اراد صاحبنا المقتول بالتحاكم الى عمر رضي الله عنه الا ان
يحسن اليه ويود واليه بينه وبين خصمه اولئك اشارة الى المنافقين وما فيه من معنى البعد للتنبيه
على بعد منزلتهم في الكفر والنفاق وهو مبتدأ خبره الذين يعلم الله ما في قلوبهم اي من فنون الشرور
والفساد المنافية لما اظهروا لك من الاكاذيب فاعرض عنهم جواب شرط محذوف اي اذا كان حالهم
كذلك فاعرض عن قبول معذرتهم وقيل عن عقابهم لمصلحة في استبقائهم ولا يظهر لهم علمك بما في
بواطنهم ولا تهتك سترهم حتى يبقوا على وجل وعظهم اي ازجرهم عن النفاق والكيد
وقل لهم في انفسهم في حق انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على الشرور التي يعلمها الله تعالى او في انفسهم
خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا بالنصيحة لانها في السر انجع قولا بليغا مؤثرا في كنه المراد مطابقا
لما سيق له من المقصود فالظرف على التقديرين متعلق بالامر وقيل متعلق ببليغا على راي من يجيز
تقديم معمول الصفة على الموصوف اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم مؤثرا في قلوبهم من مكنونات
الشرور والنفاق وعدا باستئصالهم من نفق النفاق لمسهم العذاب ان الله شديد العقاب وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله كلام مستانف جيء به تمهيدا لبيان خطئهم في الاشتغال بستر جناياتهم
بالاعتذار بالاباطيل وعدم تلافيها بالتوبة اي وما ارسلنا رسولا من الرسل لشيء من الاشياء الا ليطاع
بسبب اذنه تعالى في طاعته وامره المرسل اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عنه تعالى وطاعته
طاعة الله تعالى ومعصيته معصية الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم وعرضوها للعذاب على عذاب

النفاق

النفاق بترك طاعتك والتحاكم الى غيرك جاؤك من غير تاخير كما يفصح عنه التقديم الظرف متوسلين بك
في التنصل عن جناياتهم القديمة والحادثة ولم يزدادوا جناية على جناية بالقصد الى سترها بالاعتذار الباطل
والايمان الفاجرة فاستغفروا الله بالتوبة والاخلاص وبالغوا في التضرع اليك حتى انتصبت لهم شفيعا الى الله
تعالى واستغفرت لهم وانما قيل واستغفر لهم الرسول على طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعته في حيز القبول لوجدوا الله توابا رحيما لعلموه مبالغا في قبول
توبتهم والتفضل عليهم بالرحمة وان الوجدان بالمصادفة كان قوله تعالى توابا حالا ورحيما بدلا منه او
حالا من الضمير فيه واما ما كان ففيه فضل ترغيب للسامعين في المسارعة الى التوبة والاستغفار وعيد شديد
لاولئك المنافقين على ما صنعوا لما انطوى تحته تاثير قبول التوبة وحصول الرحمة لهم ومشاهدتهم لاثارهما
نعمة زائدة عليهما موصلة لكمال الرغبة في تحصيلهما وتمام الحسرة على فواتهما فلا وربك اي فوربك ولا مزيدة
لتاكيد معنى القسم لا لتاكيد معنى النفي في جوابه اعني قوله تعالى فلا يؤمنون لانها تزاد في الاثبات
ايضا كما في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم ونظائره حتى يحكموك اي يتحاكموا اليك ويترافعوا اليك وانما
جيء بصيغة التحكيم مع انه عليه الصلاة والسلام حاكم بامر الله سبحانه وتعالى ايذانا بانحتم ان
يجعلوه عليه الصلاة والسلام حكما فيما بينهم ويرضوا بحكمه وان قطع النظر عن كونه حاكما على الاطلاق فيما شجر
بينهم اي فيما اختلف بينهم من الامور واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم لا يجدوا عطف على مقدر
ينساق اليه الكلام اي فيقضي بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا ضيقا مما قضيت اي مما قضيت به او من
قضائك وقيل شكا من اجله اذ الشاك في ضيق من امره ويسلموا اي ينقادوا لامرك ويذعنوا له تسليما تاكيدا
للفعل بمنزلة تكريره اي تسليما تاما بظاهرهم وباطنهم يقال سلم لامر الله واسلم له بمعنى وحقيقته سلم نفسه
له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة اي ينقادوا لحكمك انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت
في شان المنافق اليهودي وقيل في شان الزبير ورجل من الانصار حين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
في شراج من الحرة كانا يسقيان منها النخل فقال عليه الصلاة والسلام اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك
فغضب الانصاري وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير
ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه
سعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا
على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد
اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين
الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق ولو امرني
محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان في قلوبهم اثبت من الجبال الرواسي فنزلت في شان
هؤلاء ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على
بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتابتهم من عبادة العجل وان مصدرية او مفسرة
لان كتبنا في معنى امرنا ما فعلوه اي المكتوب المدلول عليه بكتبنا او احد مصدري الفعلين الا قليل منهم
اي الا اناس قليل منهم وهم المخلصون من المؤمنين وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا
ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك وقيل معنى اقتلوا انفسكم تعرضوا بها للقتل بالجهاد وهو
بعيد وقرئ الا قليلا بالنصب على الاستثناء او الا فعلا قليلا ولو انهم ما فعلوا ما يوعظون به من متابعة الرسول
عليه الصلاة والسلام وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به ظاهرا وباطنا وسميت اوامر الله تعالى ونواهيه
مواعظ لاقترانها بالوعيد والوعد لكان اي فعلهم ذلك خيرا لهم عاجلا واجلا واشد تثبيتا لهم من الايمان
وابعد من الاضطراب فيه او اشد تثبيتا لثواب اعمالهم واذا لاتيناهم من لدنا اجرا عظيما جواب لسؤال مقدر
كانه قيل وماذا يكون لهم بعد التثبيت فقيل واذا لو ثبتوا لاتيناهم فاذا جواب وجزاء ولهديناهم صراطا مستقيما
يصلون بسلوكه الى عالم القدس ويفتح لهم ابواب الغيب قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه
الله تعالى علم ما لم يعلم ومن يطع الله والرسول كلام مستانف فيه فضل ترغيب في الطاعة ومزيد تشويق
اليها ببيان ان نتيجتها اقصى ما ينتهي اليه همم الامم وارفع ما يمتد اليه اعناق عزائمهم من مجاورة
اعظم الخلائق مقدارا وارفعهم منارا متضمن لتفسير ما لهم في جواب الشرطية السابقة وتفصيل ما اجمل
فيه والمراد بالطاعة هو الانقياد التام والامتثال الكامل بجميع الاوامر والنواهي فاولئك اشارة
الى المطيعين والجمع باعتبار معنى البعد مع القرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في
الشرف وهو مبتدا خبره مع الذين انعم الله عليهم والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار

بمقصود العبارة عن تفصيله وبيانه من النبيين بيان المنعم عليهم والتعرض لمعينه سائر الانبيا عليهم السلام
مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم في سبب النزول مع ما فيه من
الاشارة الى ان طاعته عليه الصلاة والسلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرايعهم التي لا تتغير
بتغير الاعصار روي ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله انصرنا الى الجنة تفضلنا
بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال
ما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله والذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني لاذكرك
وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني اذا دخلت الجنة كنت
في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان شديد الحب عليه السلام قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف
الحزن في وجهه فساله رسول الله عليه السلام عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك
اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الاخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني
عرفت انك ترفع مع النبيين واذا دخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذلك حين
لا اراك ابدا فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه
وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين
وروي ان انسا قال يا رسول الله الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال عليه السلام المرء مع من احب
والصديقين اي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والاخلاص في الاقوال والافعال وهم افاضل
اصحاب الانبيا عليهم السلام واماثل خواصهم المقربين كابي بكر الصديق والشهداء الذين بذلوا ارواحهم
في طاعة الله تعالى واعلاء كلمته والصالحين الصارفين اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته وليس المراد
بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية
الاخر وزيارته متى اراد وان بعد ما بينهما في المسافة وحسن اولئك رفيقا الرفيق الصاحب ماخوذ من
الرفق وهو لين الجانب واللطافة والمعاشرة قولا وفعلا فان جعل اولئك اشارة الى النبيين ومن بعدهم
على ان ما فيه من معنى البعد لما مر مرارا فرفيقا اما تمييز او حال على معنى انهم وصفوا بحسن الرفيق من
النبيين ومن بعدهم بالحسن من جهة كونهم رفقا للمطيعين او حال كونهم رفقاءهم وافراده لما انه
كالصديق والخليط والرسول البنوي فيه الواحد والمتعدد او لانه اريد حسن كل واحد منهم رفيقا وان
جعل اشارة الى المطيعين فهو تمييز معنى انهم وصفوا بحسن الرفق من النبيين ومن بعدهم لا بنفس
الحسن فلا يجوز دخول من عليه كما يجوز في الوجه الاول والجملة تذييل مقرر لما قبله مؤكد للترغيب
والتشويق قيل فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ
وحسن بسكون السين ذلك اشارة الى ما للمطيعين من الاجر العظيم ومزيد الهداية ومرافقة هؤلاء
المنعم عليهم او الى فضلهم ومزيتهم وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف
الفضل صفته وقوله من الله خبره اي ذلك الفضل العظيم من الله تعالى لا من غيره او الفضل خبره ومن
الله متعلق بمحذوف وقع حالا منه والعامل فيه معنى الاشارة اي ذلك الذي ذكر فضل كاينا من الله تعالى
لا ان اعمال المكلفين توجبه وكفى بالله عليما بجزاء من اطاعه وبمقادير الفضل واستحقاق اهله يا ايها الذين
امنوا خذوا حذركم الحذر والحذر واحد كالاثر والاثر والشبه والشبه اي تيقظوا واحترزوا من العدو
ولا تمكنوا من انفسكم يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر اليه التي يقي
بها نفسه وقيل هو ما يحذر به من السلاح والحزم اي استعدوا للعدو فانفروا بكسر الفاء وقرئ بضمها اي
اخرجوا الى الجهاد وعند خروجكم ثبات جمع ثبة وهي الجماعة من الرجال فوق العشرة ووزنها في الاصل
فعلة كحطمة حذفت لامها وعوض منها تاء التانيث وهل هي واوي او يائي فيه قولان قيل انها مشتقة
من ثبات وتحدا اي اجتمع وقيل من ثبت على الرجل اذا اثنيت عليه كانك جمعت محاسنه ويجمع ايضا على
ثبين جبرا لما حذف من عجزه ومحلها النصب على الحالية اي انفروا جماعات متفرقة سرية بعد سرية
او انفروا جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بايديكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن
اي ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد من بطا بمعنى ابطا كعتم بمعنى اعتم والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلهم المؤمنين منهم والمنافقين والمبطئون منافقوهم الذين تثاقلوا وتخلفوا عن الجهاد او
ليبطئن غيره ويثبطه من بطا منقولا من بطؤ كثقل من ثقل كما ابطا ابن ابي ناسا يوم احد والاول
انسب لما بعده واللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان للفصل بالخبر والثانية جواب قسم محذوف
والقسم بجوابه صلة من والراجع اليه ما استكن في ليبطئن والتقدير وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن

فان اصابتكم مصيبة كقتل وهزيمة قال اي المبطئ فرحا بصنعه وحامدا لرايه قد انعم الله علي اي بالقعود
اذ لم اكن معهم شهيدا اي حاضرا في المعركة فيصيبني ما اصابهم والفا في الشرطية لترتيب مضمونها على ما قبلها
فان ذكر التبطئة مستتبع لذكر ما يترتب عليها كما ان نفس التبطئة مستدعية لشيء ينتظر المبطئ وقوعه
ولئن اصابكم فضل فتح وغنيمة من الله متعلق باصابكم او بمحذوف وقع صفة لفضل اي فضل كاين من الله تعالى
ونسبة اصابة الفضل الى جانب الله تعالى دون اصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزيلية كما في قوله
واذا مرضت فهو يشفين وتقديم الشرطية الاولى لما ان مضمونها لمقصدهم اوفق واثر نفاقهم فيها اظهر
ليقولن ندامة على التبطئة وقعوده وتهالكا على حطام الدنيا وتحسرا على فواته وقرئ ليقولن بضم اللام
اعادة للضمير الى معنى من وقوله كان لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض وسط بين الفعل ومفعوله الذي هو
يا ليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما لئلا يتوهم من مطلع كلامه ان تمنيه لمعية المؤمنين لنصرتهم ومظاهرتهم
حسبما يقتضيه ما في البين من المودة بل هو للحرص على المال كما ينطق به اخره وليس اثبات المودة في البين
بطريق التحقيق بل بطريق التهكم وقيل الجملة التشبيهية حال من ضمير ليقولن اي ليقولن مشبها بمن لا مودة
بينكم وبينه وقيل هي داخلة في المقول اي ليقولن المثبط لمن يثبطه من المنافقين وضعفة المؤمنين كان لم
يكن بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم مودة حيث لم يستصحبكم في الغزو حتى تفوزوا بما فاز يا ليتني كنت
معهم وغرضه القاء العداوة بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم وتاكيدها وكان مخففة من الثقيلة واسمها
ضمير الشان وهو محذوف وقرئ لم تكن بالتاء والمنادى في يا ليتني محذوف اي يا قوم وقيل يا اطلق للتنبيه
على الاتساع وقوله تعالى فافوز نصب على جواب التمني وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي فانا
افوز في ذلك الوقت او على انه معطوف على كنت داخل معه تحت التمني فليقاتل في سبيل الله قدم الظرف
على الفاعل للاهتمام به الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة اي يبيعونها وهم المؤمنون فالفا جواب شرط
مقدر اي ان بطا هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلصون الباذلون انفسهم في طلب الاخرة او الذين يشترونها
ويختارونها على الاخرة وهم المبطئون والفا للتعقيب اي ليتركوا ما كانوا عليه من التثبط والنفاق وليعقبوه
بالقتال في سبيل الله ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه بنون العظمة التفاتا اجرا عظيما
لا يقادر قدره وتعقيب القتال باحد الامرين للاشعار بان المجاهد حقه ان يوطن نفسه باحد الحسنيين
ولا يخطر بباله القسم الثالث اصلا وتقديم القتل للايذان بتقدمه في استتباع الاجر روى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تكفل الله تعالى لمن جاهد في سبيله لا يخرجه الا الجهاد في سبيله
وتصديق كلمته ان يدخله الجنة ويرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة وما لكم
خطاب للمامورين بالقتال على طريقة الالتفات مبالغة في التحريض عليه وتاكيد الوجوبه وهو
مبتدا وخبره قوله عز وجل لا تقاتلون في سبيل الله حال عاملها ما في الظرف من معنى الفعل والاستفهام
للانكار والنفي اي اي شيء لكم غير مقاتلين اي لا عذر لكم في ترك المقاتلة والمستضعفين عطف على اسم
الله اي على سبيل المستضعفين وهو تخليصهم من الاسر وصونهم عن العدو او على السبيل بحذف المضاف
اي في خلاص المستضعفين ويجوز نصبه على الاختصاص فان سبيل الله يعم ابواب الخير وتخليص ضعفة
المؤمنين من ايدي الكفرة اعظمها واخصها من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين او حال
منهم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لصد المشركين او لضعفهم عن الهجرة المستذلين ممتحنين وانما ذكر الولدان
معهم تكميلا للاستعطاف واستجلاب المرحمة وتنبيها على تناهي ظلم المشركين بحيث بلغ اذاهم الصبيان
لارغام ابائهم وامهاتهم وايذانا باجابة الدعاء اللاتي واقتراب زمان الخلاص ببيان شركتهم في التضرع
الى الله تعالى في كل ذلك المبالغة في الحث على القتال وقيل المراد بالولدان العبيد والاماء اذ يقال لهما
الوليد والوليدة وقد غلبت الذكور على الاناث واطلق الولدان على الولائد ايضا الذين محله الجر
على انه صفة للمستضعفين او لما في حيز البيان والنصب على الاختصاص يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية
الظالم اهلها بالشرك الذي هو ظلم عظيم وباذيته المسلمين وهي مكة والظالم صفتها وتذكيره لتذكير ما اسند اليه
فان اسم الفاعل والمفعول اذا اجري على غير من هو له كان كالفعل في التذكير والتانيث بحسب ما عمل فيه واجعل لنا
من لدنك وليا كلا الجارين متعلق باجعل لاختلاف معنيهما وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار
الاعتنا بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة
فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وتقديم
اللام على من للمسارعة الى ابراز كون المسؤول نافعا لهم مرغوبا فيه لديهم ويجوز ان يتعلق كلمة من بمحذوف
وقع حالا من وليا وقدمت عليه لكونه نكرة وكذا الكلام في قوله تعالى واجعل لنا من لدنك نصيرا قال
ابن عباس رضي الله عنه اي ول علينا واليا من المؤمنين يوالينا ويقوم بمصالحنا ويحفظ علينا ديننا وشرعنا

الظالم اهلها

وينصرنا على اعدائنا ولقد استجاب الله عز وجل دعاءهم حيث يسر لبعضهم الخروج الى المدينة وجعل
لمن بقي منهم خير ولي واعز ناصر ففتح مكة على يدى نبيه صلى الله عليه وسلم فتولاهم اى تولاه ونصرهم
اى نصره ثم استعمل عليهم عتاب بن اسيد فحماهم ونصرهم حتى صاروا اعز اهلها وقيل المراد واجعل لنا
من لدنك ولاية ونصرة اى كن انت ولينا ونصيرنا وتكرير الفعل والمتعلقة للمبالغة في التضرع والابتهال
الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله كلام مبتدأ سيق لترغيب المؤمنين في القتال وتشجيعهم ببيان كمال قوتهم
بامداد الله تعالى ونصرته وغاية ضعف اعدائهم اى المؤمنون اى يقاتلون في دين الله الحق الموصل لهم الى الله
عز وجل وفي اعلاء كلمته فهو وليهم وناصرهم لا محالة والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت اى
فيما يوصلهم الى الشيطان فلا ناصر لهم سواه والفاء في قوله تعالى فقاتلوا اولياء الشيطان لبيان
استتباع ما قبلها لما بعدها وذكرهم بهذا العنوان للدلالة على ان ذلك بنتيجة لقتالهم في سبيل الشيطان
والاشعار بان المؤمنين اولياء الله لما ان قتالهم في سبيله وكل ذلك لتاكيد رغبة المؤمنين في القتال
وتقوية عزائمهم عليه فان ولاية الله تعالى علم في العزة والقوة كما ان ولاية الشيطان مثل في الذلة
والضعف كانه قيل اذا كان الامر كذلك فقاتلوا اولياء الشيطان ثم صرح بالتعليل
فقيل ان كيد الشيطان كان ضعيفا اى في حد ذاته فكيف بالقياس الى قدرة الله عز وجل ولم يتعرض
لبيان قوة جنابه تعالى ايذانا بظهورها قالوا فايدة ادخال كان في امثاله هذه المواضع التاكيد
ببيان انه منذ كان كان كذلك فالمعنى ان كيد الشيطان منذ كان كان موصوفا بالضعف الم تر الى الذين
كفوا ايديكم تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من احجامهم عن القتال مع انهم كانوا قبل ذلك
راغبين فيه حراصا عليه بحيث كادوا يباشرونه كما ينبئ عنه الامر بكف الايدي فان ذلك مشعر بكونهم
بصدد بسطها الى العدو بحيث يكادون يسطون بهم قال الكلبي ان جماعة من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم منهم عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد ابن اسود الكندي وقدامة بن
مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص الزهري رضي الله تعالى عنهم كانوا يلقون من مشركي مكة قبل الهجرة اذى
كثيرا فيشكون ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ائذن لنا في قتالهم ويقول لهم النبي صلى
الله عليه وسلم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فاني لم اومر بقتالهم وبناء القول للمفعول
مع ان القائل هو النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بكون ذلك بامر الله سبحانه وتعالى ولان المقصود
بالذات والمعتبر في التعجيب انما هو كمال رغبتهم في القتال وكونهم بحيث احتاجوا الى النهي عنه وانما
ذكر في حيز الصلة الامر بكف الايدي لتحقيقه وتصويره على طريقة الكناية فلا يتعلق ببيان خصوصية
الامر غرض وكانوا في مدة اقامتهم بمكة مستمرين على تلك الحالة فلما هاجروا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المدينة وامروا بالقتال في وقعة بدر كرهه بعضهم وشق ذلك عليه لكن لا شكا في
الدين ولا رغبة عنه بل نفورا من الاخطار بالارواح وخوفا من الموت بموجب الجبلة البشرية
وذلك قوله تعالى فلما كتب عليهم القتال الى اخره وهو عطف على قيل لهم كفوا ايديكم باعتبار مدلوله
الكنائي اذ حينئذ يتحقق التباين بين مدلولي المعطوفين وعليه يدور امر التعجيب كانه قيل الم تر الى الذين
كانوا حراصا على القتال فلما كتب عليهم كرهه بعضهم وقوله تعالى اذا فريق منهم يخشون الناس جواب
لما على ان فريق مبتدأ ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة له ويخشون خبره وتصديره باذا المفاجاة لبيان
مسارعتهم الى الخشية اثر ورود الامر بلا تلعثم وتردد اى فاجأ فريق منهم ان يخشوا الكفار ان يقاتلوهم
ولعل توجيه التعجيب الى الكل مع صدور الخشية عن بعضهم للايذان بانه ما كان ينبغي ان يصدر
عن احد منهم ما ينافي حالتهم الاولى وقوله تعالى كخشية الله مصدر مضاف الى المفعول محله النصب على انه
حال من فاعل يخشون اى يخشونهم متشبهين باهل خشية الله تعالى وقوله تعالى او اشد خشية عطف عليه
بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله او على انه مصدر مؤكد على جعل الخشية ذات خشية مبالغة كما في جد
جده اى يخشونهم خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله واياما كان فكلمة او اما
للتنويع على معنى ان خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم اشد منها واما للابهام على السامع وقريب مما
في قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون وقالوا عطف على جواب لما اى فلما كتب عليهم القتال فاجأ
فريق منهم خشية الناس وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال في هذا الوقت لا على وجه الاعتراض على حكمه
تعالى والانكار لايجابه بل على طريقة التخفيف لولا اخرتنا الى اجل قريب استزادة في مدة الكف
واستمهال الى وقت اخر حذرا عن الموت وقد يجوز ان يكون هذا مما نطقت به السنة حالهم من غير ان يتفوهوا
به صريحا قل اى تزهيدا لهم فيما يؤملونه بالقعود من المتاع الفاني وترغيبا فيما ينالونه بالقتال من
النعيم الباقي متاع الدنيا اى ما يتمتع به وينتفع به في الدنيا قليل سريع التقضي وشيك الانصرام

واذ

وان اخرتم الى ذلك الاجل والاخرة اى ثوابها الذي من جملته الثواب المنوط بالقتال خير لكم من
ذلك المتاع القليل لكثرته وعدم انقطاعه وصفائه عن الكدورات وانما قيل لمن اتقى حثا لهم
على اتقاء العصيان والاخلال بمواجب التكليف ولا تظلمون فتيلا عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى
يجزون فيها ولا ينقصون ادنى شيء من اجور اعمالكم التي من جملتها مسعاكم في شأن القتال فلا ترغبوا عنه
والفتيل ما في شق النواة من الخيط يضرب به المثل في القلة والحقارة وقرئ يظلمون بالياء اعادة للضمير
الى الظاهر من اينما تكونوا يدرككم الموت كلام مبتدأ مسوق من قبله تعالى بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المخاطبين اعتناء بالزامهم اثر بيان حقارة الدنيا وعلو شأن الاخرة
بواسطته عليه السلام فلا محل له من الاعراب او في محل النصب داخل تحت القول المامور به اينما تكونوا
في الحضر والسفر يدرككم الموت الذي لاجله تكرهون القتال زعما منكم انه من مظانه وتحبون القعود عنه على
انه منجاة منه وفي لفظ الادراك اشعار بانهم في الهرب من الموت وهو مجد في طلبهم وقرئ بالرفع على
حذف الفاء كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها او على اعتبار وقوع اينما كنتم في موقع اينما تكونوا
او على انه كلام مبتدأ واينما تكونوا متصل بلا تظلمون اى لا تنقصون شيئا مما كتب من اجالكم اينما تكونوا
في ملاحم الحروب ومعارك الخطوب ولو كنتم في بروج مشيدة في حصون رفيعة او قصور محصنة
وقال السدي وقتادة بروج السماء يقال شاد البناء واشاده وشيده رفعه وقرئ مشيدة بكسر الياء
وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما في قصيدة شاعرة ومشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو
الجص وجواب لو محذوف اعتمادا على دلالة ما قبله عليه اى لو كنتم في بروج مشيدة يدرككم الموت والجملة
معطوفة على اخرى مثلها اى لو لم تكونوا في بروج مشيدة ولو كنتم الى اخره وقد اطرد حذفها لدلالة المذكور
عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة
يدور ما في لو الوصلية وان الوصلية من التاكيد والمبالغة وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى اولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من الله كلام مبتدأ جيء به عقيب ما حكي
عن المسلمين لما بينهما من المناسبة في اشتمالهما على اسناد ما يكرهونه الى بعض الامور كما هم له بسبب
ذلك والضمير لليهود والمنافقين روي انه كان قد بسط عليهم الرزق فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة ودعاهم الى الايمان فكفروا امسك عنهم بعض الامساك فقالوا ما لا نرى النقص في ثمارنا
ومزارعنا مذ قدم هذا الرجل واصحابه وذلك قوله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك
اى وان تصبهم نعمة ورخاء نسبوها الى الله تعالى وان تصبهم بلية وبلاء اضافوها اليك كما حكي عن
اسلافهم بقوله تعالى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه فامر النبي صلى الله عليه وسلم بان يرد
زعمهم الباطل ويرشدهم الى الحق ويلقمهم الحجر ببيان اسناد الكل اليه تعالى على الاجمال انهم يحتجون على
معارضته امر الله عز وجل حيث قيل قل كل من عند الله اى كل واحدة من النعمة والبلية من جهة الله
تعالى خلقا وايجادا من غير ان يكون لي مدخل في وقوع شيء منهما بوجه من الوجوه كما تزعمون بل وقوع الاولى منه
تعالى بالذات تفضلا ووقوع الثانية بواسطة ذنوب من ابتلي بها عقوبة كما سياتي بيانه فهذا الجواب
المجمل في معنى ما قيل ردا لعلى ايسلانهم من قوله تعالى الا عند غيره حتى يسندوها اليه ويطيروا به وقوله
تعالى فما لهؤلاء القوم الى اخره كلام معترض بين المبين وبيانه مبين من جهته تعالى لتعييرهم بالجهل
وتقبيح حالهم والتعجيب من كمال عنادهم والفاء لترتيبه على ما قبله وقوله تعالى لا يكادون يفقهون حديثا
حال من هؤلاء والعامل فيها ما في الظرف من معنى الاستقرار اى فحيث كان الامر كذلك فاي شيء حصل لهم
حال كونهم بمعزل من ان يفقهوا حديثا او استئناف مبني على سؤال نشأ من الاستفهام كانه قيل ما بالهم وماذا
يصنعون حتى يتعجب منه او يسال عن سببه فقيل لا يكادون يفقهون حديثا من الاحاديث اصلا فيقولون
ما يقولون اذ لو فقهوا شيئا من ذلك لفهموا هذا النص وما في معناه وما هو اوضح منه من النصوص القرانية
الناطقة بان الكل فائض من عند الله تعالى وان النعمة منه تعالى بطريق التفضل والاحسان والبلية بطريق
العقوبة على ذنوب العباد لا سيما النص الوارد عليهم في صحف موسى وابراهيم الذي وفى الا تزر وازرة
وزر اخرى ولم يسندوا جناية انفسهم الى غيرهم وقوله تعالى ما اصابك من حسنة الى اخره بيان للجواب
المجمل المامور به واجراؤه على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ثم سوق البيان من جهته عز وجل بطريق تلوين
الخطاب وتوجيهه الى كل احد من الناس والالتفات لمزيد الاعتناء به والاهتمام برد مقالتهم الباطلة والايذان
بان مضمونه مبني على حكمة دقيقة حقيقة بان يتولى بيانها علام الغيوب وتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم دونهم
كما في قوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم للمبالغة في التحقيق بقطع احتمال سببية
معصية بعضهم لعقوبة الاخرين اى ما اصابك من نعمة من النعم فمن الله اى فهي منه تعالى بالذات

تفضلا واحسانا من غير استيجاب لها من قبلك كيف لا وان كل ما يفعله المرء من الطاعات التي يرجى كونها
ذريعة الى اصابة النعمة ما هي بحيث لا تكاد تكافئ نعمة حياته المقارنة لادائها ولا نعمة اقداره تعالى
اياه على ادائها فضلا عن استيجابها النعمة الاخرى ولذلك قال عليه السلام ما احد يدخل الجنة الا برحمة
الله قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا وما اصابك من سيئة اى بلية من البلايا فمن نفسك اى فهي
منها بسبب اقترافها المعاصي الموجبة لها وان كانت من حيث الايجاد منتسبة اليه تعالى نازلة من
عنده عقوبة كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضي
الله تعالى عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا
بذنب وما يعفو الله اكثر وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما قبله وما بعده لكن لا لبيان حاله
صلى الله عليه وسلم بل لبيان حال الكفرة بطريق التصوير ولعل ذلك لاظهار كمال السخط والغضب عليهم
والاشعار بانهم لفرط جهلهم وبلادتهم بمعزل من استحقاق الخطاب لا سيما بمثل هذه الحكمة الانيقة وارسلناك
للناس رسولا بيان لجلالة منصبه صلى الله عليه وسلم ومكانته عند الله عز وجل بعد بيان بطلان زعمهم
الفاسد في حقه عليه السلام بناء على جهلهم بشأنه الجليل وتعريف الناس للاستغراق والجار اما متعلق
برسولا قدم عليه للاختصاص الناظر الى قيد العموم اى رسولا لكل الناس لا لبعضهم فقط كما في قوله
تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس واما بالفعل ورسولا حال مؤكدة وقد جوز ان يكون مصدرا مؤكدا كما
في قوله لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول اى بارسال بمعنى رسالة وكفى بالله شهيدا
اى على رسالتك بنصب المعجزات التي من جملتها هذا النص الناطق والوحي الصادق والالتفات لتربية المهابة
وتقوية الشهادة والجملة اعتراض تذييلي من يطع الرسول فقد اطاع الله بيان لاحكام رسالته صلى الله
عليه وسلم اثر بيان تحققها وثبوتها وانما كان كذلك لان الآمر والناهي في الحقيقة هو الله عز وجل وانما هو عليه
السلام مبلغ لامره ونهيه فمرجع الطاعة وعدمها هو الله عز وجل روي انه عليه السلام قال من احبني فقد
احب الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد
قارف الشرك وهو ينهى ان يعبد غير الله ما يريد الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت
والتعبير عنه عليه السلام بالرسول دون الخطاب للايذان بان مناط كون طاعته عليه السلام طاعة له
تعالى ليس خصوصية ذاته عليه السلام بل حيثية رسالته واظهار الجلالة لتربية المهابة وتأكيد
وجوب الطاعة فكلمة عنوان الالوهية وحمل الرسول على الجنس المنتظم له عليه السلام انتظاما اوليا
يأباه تخصيص الخطاب به عليه السلام في قوله تعالى ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا وجواب الشرط
محذوف والمذكور تعليل له اى ومن اعرض عن الطاعة فاعرض عنه انما ارسلناك رسولا مبلغا لا حفيظا
مهيمنا تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم بحسبها وحفيظا حال من الكاف وعليهم متعلق به
قدم عليه رعاية للفاصلة وجمع الضمير باعتبار معنى من كما ان الافراد في تولى باعتبار لفظه ويقولون
شروع في بيان معاملتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بيان وجوب طاعته اى يقولون اذا
امرتهم بشيء طاعة اى امرنا وشأننا طاعة او منا طاعة والاصل النصب على المصدر والرفع
للدلالة على الثبات كسلام فاذا برزوا من عندك اى خرجوا من مجلسك بيت طائفة منهم اى من القائلين
المذكورين وهم رؤساؤهم غير الذي تقول اى دبرت طائفة منهم وسوت خلاف ما قالت لك من
القبول وضمان الطاعة لانهم مصرون على الرد والعصيان وانما يظهرون ما يظهرون على وجه النفاق
او خلاف ما قلت لها والتبييت اما من البيتوتة لانه قصد الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت
بليل واما من بيت الشعر لان الشاعر يدبره ويسويه وتذكير الفعل لان تأنيث الطائفة غير
حقيقي وقرئ بادغام التاء في الطاء لقرب المخرج واسناده الى طائفة منهم لبيان انهم المتصدون له بالذات
والباقون اتباع لهم في ذلك لا لان الباقين ثابتون على الطاعة والله يكتب ما يبيتون اى يكتبه
في جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا ان مكرهم يخفى عليك فيجدون بذلك الى
الاضرار بكم سبيلا او يكتبه في صحائفهم فيجازيهم عليه وايا ما كان فالجملة اعتراضية فاعرض عنهم اى
لا تبال بهم وبما صنعوا او تجاف عنهم ولا تتصد للانتقام منهم والفاء لسببية ما قبلها لما بعدها
وتوكل على الله في كل ما تأتي وما تذر لا سيما في شأنهم واظهار الجلالة في مقام الاضمار للاشعار
بعلة الحكم وكفى بالله وكيلا فيكفيك معرتهم وينتقم لك منهم والاظهار هاهنا ايضا لما مر
وللتنبيه على استقلال الجملة واستغنائها عما عداها من كل وجه افلا يتدبرون القرآن انكار واستقباح لعدم
تدبرهم القرآن واعراضهم عن التأمل فيما فيه من موجبات الايمان وتدبر الشيء تأمله والنظر في ادباره
وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم استعمل في كل تأمل ونظر والفاء للعطف على مقدر اى ايعرضون عن

القرآن فلا يتأملون فيه ليعلموا كونه من عند الله تعالى بمشاهدة ما فيه من الشواهد التي من جملتها
هذا الوحي الصادق والنص الناطق بنفاقهم المحكي على ما هو عليه ولو كان اى القرآن من عند غير الله
كما يزعمون لوجدوا فيه اختلافا كثيرا بان يكون بعض اخباره غير مطابق للواقع اذ لا علم بالامور
الغيبية ماضية كانت او مستقبلة لغيره سبحانه وتعالى وحيث كانت كلها مطابقة للواقع تعين
كونه من عنده تعالى قال الزجاج ولولا انه من عند الله تعالى لكان ما فيه من الاخبار بالغيب مما
يسره المنافقون وما يبيتونه مختلفا بعضه حق وبعضه باطل لان الغيب لا يعلمه الا الله تعالى وقال
ابو بكر الاصم هؤلاء المنافقين كانوا يتواطئون في السر على انواع كثيرة من الكيد والمكر وكان الله
تعالى يطلع الرسول عليه السلام على ذلك ويخبره بها مفصلة فقيل لهم ان ذلك لو لم يحصل باخبار
الله تعالى لما اطرد الصدق فيه ولوقع فيه الاختلاف فلما لم يقع ذلك قط علم انه باعلامه تعالى
هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما حمل الاختلاف على التناقض وتفاوت النظم في
البلاغة بان كان بعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعاني وبعضه على معنى فاسد غير ملتئم وبعضه
بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه تمكن معارضته كما جنح اليه الجمهور فمما لا يساعده السياق ولا
السباق ومن رام التقريب وقال لعل ذكره هنا للتنبيه على ان ما سبق من الاحكام ليس لتناقض
في الحكم والمصالح المقتضية لذلك فقد ابعد عن الحق بمراحل واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به
يقال اذاع السر واذاع به اى اشاعه وافشاه وقيل معنى اذاعوا به فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ
من اذاعوه وهو كلام مسوق لدفع ما عسى يتوهم في بعض المواد من شائبة الاختلاف بناء على عدم
فهم المراد ببيان ان ذلك لعدم وقوفهم على معنى الكلام لا لتخلف مدلوله عنه وذلك ان ناسا من ضعفة
المسلمين الذين لا خبرة لهم بالاحوال كانوا اذا اخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما اوحي اليه
من وعد بالظفر وتخويف الكفرة يذيعونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا
يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم قد يكون ذلك مشروطا بامور تفوت بالاذاعة
فلا يظهر اثره المتوقع فيكون ذلك منشأ لتوهم الاختلاف فنعي عليهم ذلك وقيل ولو ردوه
اى ذلك الامر الذي جاءهم الى الرسول اى عرضوه على رأيه عليه السلام مستكشفين لمعناه وما
ينبغي له من التدبير والالتفات لما ان عنوان الرسالة من موجبات الرد والمراجعة الى رأيه صلى الله
عليه وسلم والى اولي الامر منهم وهم كبار الصحابة البصراء في الامور رضي الله تعالى عنهم لعلمه اى لعلم
الرادون معناه وتدبيره وانما وضع موضع ضميرهم الموصول فقيل الذين يستنبطونه منهم للايذان
بانه ينبغي ان يكون قصد من يرده اليهم استكشاف معناه واستيضاح فحواه اى تعلمه اولئك
الرادون الذين يستنبطونه اى يتلقونه ويستخرجون علمه وتدبيره منهم اى من جهة الرسول صلى الله
عليه وسلم واولي الامر من صحابته رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ولما فعلوا في حقه ما فعلوا فلم
يقع فيه ما وقع من الاشتباه وتوهم الاختلاف وقيل لعلمه الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم
ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها فكلمة من في منهم بيانية وقيل انهم كانوا اذا بلغهم خبر عن
سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم
مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر منهم لعلم تدبير ما اخبروا به
الذين يستنبطونه اى يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل
كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم واولي الامر على امن ووثوق بالظهور على بعض
الاعداء او على خوف فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر وفوضوه اليهم وكانوا كان لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطونه تدبيره كيف يدبرونه
وما يأتون وما يذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيئا من الخبر عن السرايا مظنونا
غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول صلى الله عليه
وسلم والى اولي الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع اولا يذاع لعلم صحته
وهل هو مما يذاع اولا يذاع هؤلاء المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اى يتلقونه
منهم ويستخرجون علمه من جهتهم فسياق النظم الكريم حينئذ لبيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم
اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم والخطاب في قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته للطائفة
المذكورة على طريقة الالتفات اى لولا فضل الله تعالى ورحمته بارشادكم الى طريقة الحق التي هو
المراجعة في مظان الاشتباه الى الرسول صلى الله عليه وسلم والى اولي الامر لاتبعتم الشيطان
وعملتم بآراء المنافقين فيما تأتون وما تذرون ولم تهتدوا الى سنن الصواب الا قليلا وهم اولوا الامر

المنافقون على امراد الكتاب الراسخون في معرفة احكامه فالاستثنا منقطع وقيل لولا فضله تعالى
عليكم ورحمته بارسال الرسول وانزال الكتاب لاتبعتم الشيطان وبقيتم على الكفر والضلال الا
قليلا منكم قد تفضل عليه بعقل راجح اهتدى به الى طريق الحق والصواب في عصمة عن متابعة
الشيطان كقس بن ساعدة الايادي وزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل واضرابهم فالخطاب
للكل والاستثنا متصل وقيل المراد بالفضل والرحمة النصرة والظفر بالاعداء ولو لا حصول النصرة
والظفر على التواتر والتتابع لاتبعتم الشيطان وتركتم الدين الا قليلا منكم وهم اولوا البصاير الناقدة
والنيات القوية والعزايم الماضية من افاضل المؤمنين الواقفين على حقيقة الدين البالغين الى درجة
الحق اليقين المستغنين عن مشاهدة اثار حقيقته من الفتح والظفر وقيل الا اتباعا قليلا فقاتل في
سبيل الله تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الالتفات وهو
جواب شرط محذوف ينساق اليه النظم الكريم اذا كان الامر كما حكي من عدم طاعة المنافقين وكيدهم
وتقصير الاخرين في مراعاة احكام الاسلام فقاتل انت وحدك غير مكترث بما فعلوا وقوله عز وجل
لا تكلف الا نفسك اي الا فعل نفسك استيناف مقرر لما قبله فان اختصاص تكليفه عليه السلام بفعل
نفسه من موجبات مباشرته للقتال وحده وفيه دلالة على انما فعلوا من التثبط لا يضره عليه
السلام ولا يؤاخذ به وقيل هو حال من فاعل فقاتل اي فقاتل غير مكلف الا نفسك وقرى لا يكلف بالجزم
على النهي وقيل على جواب الامر وقرى بنون العظمة اي لا نكلفك الا فعل نفسك لا على معنى لا نكلف احدا
الا نفسك وحرض المؤمنين عطف على الامر السابق داخل في حكمه فان كون حال الطايفتين كما حكي سبب الامر
بالقتال وحده وبتحريض خلص المؤمنين والتحريض على الشيء الحث عليه والترغيب فيه قال الراغب كانه
في الاصل ازالة الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به اي رغبهم في القتال ولا تعنف بهم وانما لم يذكر
المحرض عليه لغاية ظهوره وقوله تعالى عسى الله ان يكف باس الذين كفروا عدة منه سبحانه وتعالى
محققة الانجاز بكف شدة الكفرة ومكروههم فان ما صدر بلعل وعسى مقرر الوقوع من جهته عز وجل
وقد كان كذلك حيث روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب احد
موسم بدر الصغرى في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فنزلت فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين ركبا ووافوا الموعد والقى الله تعالى في قلوب الكفرة الرعب
فرجعوا من مر الظهران وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وافى بجيشه بدرا واقام بها ثماني ليال
وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا كثيرا وقد مر في سورة آل عمران والله اشد باسا اي من
قريش واشد تنكيلا اي تعذيبا وعقوبة تنكل من يشاهدها عن مباشرة ما يؤدي اليها والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لما قبلها واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة وتكرير الخبر
لتاكيد التشديد وقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها اي من ثوابها جملة
مستانفة سيقت لبيان ان له عليه السلام فيما امر به من تحريض المؤمنين حظا موفورا فان الشفاعة
هي التوسط بالقول في وصول شخص الى منفعة من المنافع الدنيوية والاخروية او خلاصه عن مضرة
ما كذلك من الشفع كان المشفوع له كان فردا فجعله الشفيع شفعا والحسنة منها ما كانت في امر
مشروع روعي بها حق مسلم ابتغاء لوجه الله تعالى من غير ان يتضمن غرضا من الاغراض الدنيوية واي منفعة
اجل مما قد يحصل للمؤمنين بتحريضه عليه السلام على الجهاد من المنافع الدنيوية والاخروية واي
مضرة اعظم مما يتخلصون عنه بذلك من التثبيط عنه ويندرج فيها الدعا للمسلم فانه شفاعة الى
الله تعالى وعليه مساق اية التحية الاتية روي انه عليه السلام قال من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب
استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك وهذا بيان لمقدار النصيب الموعود ومن يشفع شفاعة
سيئة وهي ما كانت بخلاف الحسنة يكن له كفل منها اي نصيب من وزرها مساو لها في المقدار من غير ان
ينقص منه شيء وكان الله على كل شيء مقيتا اي مقتدرا من اقات على الشيء اذا اقتدر عليه او على العين
واذا حييتم بتحية ترغيب في فرد شايع من افراد الشفاعة الحسنة اثر ما رغب فيها على الاطلاق وحذر عما
تقابلها من الشفاعة السيئة واشار الى توفية حق الشفيع وكيفية ادائه فان تحية الاسلام من
المسلمين شفاعة منه لاخيه الى الله عز وجل والتحية مصدر حي واصلها تحيية كتسمية من سمى واصل الاصل
تحييي بثلث ياات فحذفت الاخيرة وعوض عنها التاء وادغمت الاولى في الثانية بعد نقل حركتها الى
الحاء قال الراغب اصل التحية الدعا بالحياة وطولها ثم استعملت في كل دعا وكانت العرب اذا لقي بعضهم بعضا
يقول حياك الله ثم استعملها الشرع في السلام وهي تحية الاسلام قال تعالى تحيتهم فيها سلام وقال تحيتهم
يوم يلقونه سلام وقال فسلموا على انفسكم تحية من عند الله قالوا في السلام مزية على التحية لما انه دعا

بالسلامة

بالسلامة على الافات الدينية والدنيوية وهي مستلزمة لطول الحيوة وليس في الدعا بطول الحيوة
ذلك ولان السلام من اسمائه تعالى فالبداية بذكره مما لا ريب في فضله ومزيته اي اذا سلم عليكم من جهة المؤمنين
فحيوا باحسن منها اي بتحية احسن منها بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ان اقتصر المسلم على الاول
وبان تزيدوا وبركاته ان جمعهما المسلم وهي النهاية لاستنظامها لجميع فنون المطالب التي هي السلامة عن المضار
ونيل المنافع ودوامها ونماؤها او ردوها اي اجيبوها بمثلها روي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال الاخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال
عليه السلام انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله وجواب التسليم واجب وانما التخيير بين الزيادة
وتركها وعن النخعي ان السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الرد واجب وما من رجل يمر
على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع منهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد في
الخطبة وتلاوة القران جهرا ورواية الحديث ودراسة العلم والاذان والاقامة ولا يسلم على لاعب النرد
والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري في الحمام وغيره ويسلم الرجل على امراته لا على اجنبية
والسنة ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير
والقليل على الكثير واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة رحمه الله لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم حيث كانوا يقولون السام
عليك او وعليك السلام دون الزيادة وقيل التحية بالاحسن عند كون المسلم مسلما ورد مثلها عند كونه
كافرا ان الله كان على كل شيء حسيبا فيحاسبكم على كل شيء من اعمالكم التي من جملتها ما امرتم به من التحية
فحافظوا على مراعاتها حسبما امرتم به الله لا اله الا هو مبتدا وخبر وقوله تعالى ليجمعنكم الى يوم القيمة
جواب قسم محذوف اي والله ليحشرنكم من قبوركم الى حساب يوم القيمة وقيل الى بمعنى في والجملة القسمية
اما مستانفة لا محل لها من الاعراب وخبر ثان للمبتدا او هي الخبر والله الا هو اعتراض وقوله لا ريب فيه
اي في يوم القيمة او في الجمع حال من اليوم او صفة للمصدر اي جمعا لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا
انكار لان يكون احد اصدق منه تعالى في وعده وسائر اخباره وبيان لاستحالته كيف لا والكذب محال عليه
تعالى دون غيره فما لكم مبتدا وخبر والاستفهام للانكار والنفي والخطاب لجميع المؤمنين لكن ما فيه من
معنى التوبيخ متوجه الى بعضهم وقوله في المنافقين متعلق اما بما تعلق به الخبر اي اي شيء كاين لكم فيهم
اي في امرهم وشانهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه واما بما يدل عليه قوله فئتين من معنى
الافتراق اي فما لكم تفترقون في المنافقين واما بمحذوف وقع حالا من فئتين اي كائنين في المنافقين لانه
في الاصل صفة فلما قدمت انتصبت حالا كما هو شان صفات النكرات على الاطلاق او من الضمير في تفترقون
وانتصاب فئتين عند البصريين على الحالية من المخاطبين والعامل ما في لكم من معنى الفعل كما في قوله عز
وجل فما لهم عن التذكرة معرضين وعند الكوفيين على خبرية كان مضمرة اي فما لكم في المنافقين وبيان
وجوب بت القول بكفرهم واجرائهم مجرى المجاهرين بالكفر في جميع الاحكام معنونهم بعنوان النفاق باعتبار
وصفهم السابق روي انهم قوم من المنافقين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى البدو
معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة فمرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلفوا المشركين
فاختلف المسلمون في امرهم وقيل هم قوم هاجروا من مكة الى المدينة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم ناس
اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم
رجعوا وياباه ما سياتي من جعل هجرتهم غاية للنهي عن توليهم وقيل هم العرنيون الذين غاروا على السرح
وقتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرده ما سياتي من الايات الناطقة بكيفية المعاملة معهم
من السلم والحرب وهؤلاء وقد اخذوا وفعل بهم ما فعل من المثلة والقتل ولم ينقل في امرهم اختلاف
المسلمين والله اركسهم حال من المنافقين مفيدة لتاكيد الانكار السابق واستبعاد وقوع المنكر ببيان
وجود الناهي بعد بيان عدم الداعي وقيل من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو اي اي شيء يدعوكم الى الاختلاف
في كفرهم مع تحقق ما يوجب اتفاقكم على كفرهم وهو ان الله تعالى قد ردهم في الكفر كما كانوا ما كسبوا
بسبب ما كسبوا من الارتداد واللحوق بالمشركين والاحتيال على رسول الله صلى الله عليه وسلم والعايد
الى الموصول محذوف وقيل ما مصدرية اي بكسبهم وقيل معنى اركسهم نكسهم بان صيرهم للنار واصل
الركس رد الشيء مقلوبا وقرى ركسهم مشددا وركسهم ايضا مخففا اتريدون ان تهدوا من اضل الله تجريد
للخطاب وتخصيص له بالقائلين بايمانهم من الفئتين وتوبيخ لهم على زعمهم في ذلك واشعار بانه يؤدي
الى محاولة المحال الذي هو هداية من اضله الله تعالى وذلك لان الحكم بايمانهم وادعاء اهتدائهم وهو بمعزل

من ذلك سعي في هدايتهم وارادة لها ووضع الموصول موضع ضمير المنافقين لتشديد الانكار
وتأكيد استحالة الهداية بما ذكر في حيز الصلة وتوجيه الانكار الى الارادة لا الى متعلقها بان يقال أ
تهدون الى آخره للمبالغة في انكاره ببيان انه مما لا يمكن ارادته فضلا عن امكان نفسه وجعل الهداية
والاضلال على الحكم بهما يأباه قوله عز وجل ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي ومن يخلق فيه الضلال
كائنا من كان فلن تجد له سبيلا من السبل فضلا عن ان تهديه اليه وفيه من الافصاح عن كمال الاستحالة ما ليس في
قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من هاد ونظايره وعيد اضلاله تعالى عن حكمه وقضائه بالضلال محل
بحسن المقابلة بين الشرط والجزاء وتوجيه الخطاب الى كل واحد من المخاطبين للاشعار بشمول عدم الوجدان
للكل على طريق التفصيل والجملة اما حال من فاعل تريدون او تهدوا والرابط هو الواو او اعتراض تذييلي
مقرر للانكار السابق ومؤكد لاستحالة الهداية فحينئذ يجوز ان يكون الخطاب لكل احد ممن يصلح له من
المخاطبين او لا من غيرهم ودوا لو تكفرون كلام مستأنف مسوق لبيان غلوهم وعادتهم في الكفر وتصديهم
لاضلال غيرهم اثر بيان كفرهم وضلالهم في انفسهم وكلمة لو مصدرية غنية عن الجواب وهي مع ما بعدها
نصب على المفعولية اي ودوا ان تكفروا وقوله تعالى كما كفروا نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي كفرا
مثل كفرهم او حال من ضمير ذلك المصدر كما هو رأي سيبويه وقوله تعالى فتكونون سواء عطف على تكفرون
داخل في حكمه اي ودوا ان تكفروا فتكونون سواء مستوين في الكفر والضلال وقيل كلمة لو على بابها وجوابها
محذوف كمفعول ودوا والتقدير ودوا كفركم لو تكفرون كما كفروا لسروا بذلك فلا تتخذوا منهم اولياء
الفاء جواب شرط محذوف وجمع اوليا لمراعاة جمعية المخاطبين فان المراد نهي ان يتخذوا احدا من المخاطبين
وليا واحدا منهم اي اذا كان حالهم ما ذكر من ودادة كفركم فلا توالوهم حتى يهاجروا في سبيل الله اي حتى
يؤمنوا ويحققوا ايمانهم بهجرة كائنة لله تعالى ولرسوله عليه السلام لا لغرض من اغراض الدنيا فان تولوا
اي عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فخذوهم اذا قدرتم عليهم واقتلوهم حيث وجدتموهم
من الحل والحرم فان حكمهم حكم ساير المشركين اسرا وقتلا ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا اي جانبوهم
مجانبة كلية ولا تقبلوا منهم ولاية ولا نصرة ابدا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء
من قوله تعالى فخذوهم واقتلوهم اي الا الذين يتصلون وينتهون الى قوم عاهدوكم ولم يحاربوكم وهم الا
سلميون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت خروجه الى مكة قد وادع هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا
يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال وقيل هم
بنو بكر بن مسناة وقيل هم خزاعة او جاءوكم عطف على الصلة اي او الذين جاءوكم كافين عن قتالكم وقتال
قومهم استثنى من المأمور باخذهم وقتلهم فريقان احدهما من ترك المحاربين ولحق بالمعاهدين والآخر من
اتى المؤمنين وكف عن قتال الفريقين او على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او
الى قوم كافين عن القتال لكم والقتال عليكم والاول هو الاظهر لما سيأتي من قوله تعالى الى آخره فانه
صريح في ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض لهم وقرئ جاءوكم بغير عاطف على انه صفة
بعد صفة او بيان ليصلون او استيناف حصرت صدورهم حال باضمار قد بدليل انه قرئ حصرة صدورهم
وحاصرات صدورهم وقيل صفة لموصوف محذوف هو حال من فاعل جاءوكم اي جاءوكم قوما حصرت صدورهم
وقيل هو بيان لجاءوكم وهم بنو مدلج جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق
والانقباض ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم اي عن ان يقاتلوكم او لان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم الى آخره
ولو شاء الله لسلطهم عليكم جملة مبتدأة جارية مجرى التعليل لاستثناء الطائفة الاخيرة من حكم الاخذ
والقتل ونظمهم في سلك الطائفة الاولى الجارية مجرى المعاهدين مع عدم تعلقهم بنا ولا بمن عاهدونا
كالطائفة الاولى اي ولو شاء الله لسلطهم عليكم ببسط صدورهم وتقوية قلوبهم وازالة الرعب
عنها فلقاتلوكم عقيب ذلك ولم يكفوا عنكم واللام جواب لو على تكرير الجواب او الابدال من الاولى
فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم ولم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم مع ما علمتم من تمكنهم من
ذلك بمشيئة الله عز وجل والقوا اليكم السلم اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام فما
جعل الله لكم عليهم سبيلا طريقا بالاسر او القتل فان مكافتهم عن قتالكم وان لم يقاتلوا قومهم ايضا
والقاءهم اليكم السلم وان لم يعاهدوكم كافية في استحقاقهم لعدم تعرضكم لهم ستجدون آخرين يريدون
ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم هم قوم من اسد وغطفان كانوا اذا أتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليأمنوا المسلمين
فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم ليأمنوا قومهم وقيل هم بنو عبد الدار وكان ديدنهم
ما ذكر كلما ردوا الى الفتنة اي دعوا الى الكفر وقتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه
وكانوا فيها اشر من كل عدو شرير فان لم يعتزلوكم بالكف عن التعرض لكم بوجه ما ويلقوا اليكم السلم اي يلقوا

اليكم

الصلح والعهد بل نبذوه واليكم ويكفوا ايديهم اي لم يكفوها عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
اي تمكنتم منهم واولئكم الموصوفون بما عدد من الصفات القبيحة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة
واضحة في الايقاع بهم قتلا وسبيا لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في الكفر والغدر واضرارهم باهل
الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في اخذهم وقتلهم وما كان لمؤمن اي وما صح له ولا لاق بحاله
ان يقتل مؤمنا بغير حق فان الايمان زاجر عن ذلك الا خطأ فانه ربما يقع لعدم دخول الاحتراز عنه
بالكلية تحت الطاقة البشرية وانتصابه اما على انه حال اي وما كان له ان يقتل مؤمنا في حال من الاحوال
الا في حال الخطأ او على انه مفعول له اي ما كان له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطأ او على انه صفة لمصدر
اي الا قتلا خطأ وقيل الا بمعنى ولا والتقدير وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا عمدا ولا خطأ وقيل ما كان نفي في
معنى النهي والاستثناء منقطع اي لكن ان قتله خطأ فجزاؤه ما يذكر والخطأ ما لا يقارنه القصد الى
الفعل او الى الشخص ولا يقصد به زهوق الروح غالبا او لا يقصد به محظور كرمي مسلم في صف
الكفار مع الجهل باسلامه وقرئ خطاء بالمد وخطا كعصا بتخفيف الهمزة روي ان عياش بن ابي ربيعة
وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر الى المدينة خوفا من اهله وذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم
فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحارث بن زيد بن ابي انيسة
فاتياه وهو في اطم ففتل منه ابو جهل في الذروة والغارب فقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف
وبر امك وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا من المدينة كتفاه وجلده كل واحد منهما مائة
فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل
كتافه او يرتد ففعل بلسانه ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر فلقيه عياش بظهر قبا ولم يشعر
باسلامه فقتله فنزلت ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة اي فعليه او فواجبه تحرير رقبة اي اعتاق نسمة عبر
عنها بها كما يعبر عنها بالرأس مؤمنة محكوم باسلامها وان كانت صغيرة ودية مسلمة الى اهله مؤداة الى ورثته
يقتسمونها كساير المواريث لقول الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرني
ان اورث امرأة اشيم الضبابي من عقل زوجها الا ان يصدقوا اي يتصدقوا اهله عليه سمي العفو عنها صدقة
حثا عليه وتنبيها على فضله وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرئ الا ان يتصدقوا وهو
متعلق بعليه او بمسلمة اي تجب الدية او يسلمها الى اهله الى وقت تصدقهم عليه فهو في محل النصب
على الظرفية او الى حال كونهم متصدقين عليه فهو حال من الاهل او من القاتل فان كان المقتول من قوم عدو
لكم محاربين وهو مؤمن ولم يعلم به القاتل لكونه بين اظهر قومه بان اسلم فيما بينهم ولم يفارقهم او بان
اتاهم بعد ما فارقهم لمهم من المهمات فتحرير رقبة مؤمنة اي فعلى قاتله الكفارة دون الدية اذ لا وراثة
بينه وبين اهله لانهم محاربون وان كان اي المقتول المؤمن من قوم كفرة بينكم وبينهم ميثاق اي عهد موقت
او مؤبد فدية اي فعلى قاتله دية مسلمة الى اهله من اهل الاسلام ان وجدوا ولعل تقديم هذا
الحكم هاهنا مع تأخيره فيما سلف للاشعار بالمسارعة الى تسليم الدية تحاشيا عن توهم نقض الميثاق وتحرير
رقبة مؤمنة كما هو حكم ساير المسلمين ولعل افراده بالذكر مع اندراجه في حكم ما سبق من قوله تعالى ومن قتل مؤمنا
خطأ الى آخره لبيان ان كونه فيما بين المعاهدين لا يمنع وجوب الدية كما منع كونه فيما بين المحاربين وقيل
المراد بالمقتول الذمي او المعاهد لئلا يلزم التكرار بلا فائدة ولا التوريث بين المسلم والكافر وقد عرفت
عدم لزومهما فمن لم يجد اي رقبة لتحريرها بان لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها من الثمن فصيام اي فعليه صيام
شهرين متتابعين لم يتخلل بين يومين من ايامها افطار توبة نصب على انه مفعول له اي شرع ذلك لكم توبة
وقيل على انه حال من الضمير المجرور في عليه بحذف المضاف اي فعليه صيام شهرين ذا توبة وقوله تعالى من الله
متعلق بمحذوف وقع صفة لتوبة اي كائنة منه تعالى وكان الله عليما بجميع الاشياء التي من جملتها حاله
حكيما في كل ما شرع وقضى من الشرايع والاحكام التي من جملتها ما شرعه في شأنه ومن يقتل مؤمنا متعمدا
لما بين حكم القتل خطأ وعقل اقسامه الثلث عقب ذلك ببيان القتل عمدا اخلالا بحكمه الدنيوي لما بين
في سورة البقرة اقتصر هاهنا على حكمه الاخروي روي ان مقيس بن ضبابة الكناني وكان قد اسلم واخوه
هشام فوجد اخاه قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر القصة فارسل عليه السلام
معه زهير بن عياض الفهري وكان من اصحاب بدر الى بني النجار يأمرهم بتسليم القاتل الى مقيس ليقتص
منه ان علموه وباداء الدية ان لم يعلموه فقالوا سمعا وطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ما
نعلم له قاتلا ولكنا نؤدي ديته فاتوه بمائة من الابل فانصرفا راجعين الى المدينة حتى اذا كانا ببعض
الطريق اتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اتقبل دية اخيك فتكون مسبة عليك اقتل الذي
معك فتكون نفس بنفس وفضل الدية فتغفل الفهري فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا من الابل

اي تجاوزا من تاب الله عليه اذا قبل توبته او مصدر مؤكد
لفعل محذوف اي تاب عليكم توبة صح

ولحق بقومه راجعا الى مكة كافرا فهو يقول قتلت به فهرا وحملت عقله • سراة بني النجار ارباب فارع
• وادركت ثاري واضطجعت موسدا • وكنت الى الاوثان اول راجع • فنزلت وهو الذي استثناه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ممن امنه فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وقوله تعالى متعمدا
حال من فاعل يقتل وروي عن الكسائي سكون التاء كانه فر من توالي الحركات فجزاؤه اي الذي يستحقه
بجنايته جهنم وقوله تعالى خالدا فيها حال مقدرة من فاعل فعل مقدر يقتضيه المقام كانه قيل فجزاؤه
ان يدخل جهنم خالدا فيها وقيل هو حال من ضمير جزاها وقيل من مفعول جزاه وايد ذلك بانه انسب بعطف
ما بعده عليه لموافقته له صيغة ولا يخفى ان ما يقدر للحال او للعطف عليه حقه ان يكون مما يقتضيه
اقتضاء ظاهرا ويدل عليه الكلام دلالة بينة وظاهر ان يكون جزاؤه ما ذكر لا يقتضي وقوع الجزاء البتة
كما ستقف عليه حتى يقدر يجزاها او جزاه بطريق الاخبار عن وقوعه واما قوله تعالى وغضب الله عليه
فعطف على مقدر يدل عليه الشرطية دلالة واضحة كانه قيل بطريق الاستيناف تقريرا وتاكيدا لمضمونها
حكم الله بان جزاؤه ذلك وغضب عليه اي انتقم منه ولعنه اي ابعده عن الرحمة بجعل جزائه ما ذكر
وقيل هو وما بعده معطوف على الخبر بتقدير ان وحمل الماضي على معنى المستقبل كما في قوله تعالى ونفخ في
الصور ونظائره اي فجزاؤه جهنم وان يغضب الله عليه الى آخره واعد له عذابا عظيما لا يقادر قدره وهذا
ترى في الآية الكريمة من التهديد الشديد والوعيد الاكيد وفنون الابراق والارعاد وقد تايدت بما روي
عن الاخبار الشداد كقوله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل
مؤمن وقوله عليه السلام لو ان رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لاشرك في دمه وقوله صلى الله عليه
وسلم من اعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ونحو ذلك
من القوارع تمسكت الخوارج والمعتزلة بها في خلود من قتل المؤمن عمدا في النار ولا متمسك لهم فيها لا لما قيل
من انها في حق المستحل كما هو رأي عكرمة واضرابه بدليل انها نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني المرتد
حسبما مرت حكايته فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب بل لان المراد بالخلود هو المكث الطويل
لا الدوام لتظاهر النصوص الناطقة بان عصاة المؤمنين لا يدوم عذابهم وما روي عن ابن عباس رضي الله
عنه انه لا توبة لقاتل المؤمن عمدا وكذا ما روي عن سفيان ان اهل العلم كانوا اذا سئلوا قالوا لا توبة له
محمول على الاقتداء بسنة الله تعالى في التشديد والتغليظ وعليه يحمل ما روي عن انس رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ابى الله ان يجعل لقاتل المؤمن توبة كيف لا وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه
ان رجلا سأله القاتل المؤمن توبة قال لا وسأله آخر القاتل المؤمن توبة فقال نعم فقيل له قلت
لذلك كذا ولهذا كذا قال كان الاول لم يقتل بعد فقلت له ما قلت كيلا يقتل وكان هذا قد قتل فقلت له
ما قلت لئلا ييأس وقد روي عنه جواز المغفرة بلا توبة ايضا حيث قال في قوله تعالى فجزاؤه جهنم الآية
هي جزاؤه فان شاء عذبه وان شاء غفر له وروي مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم هي جزاؤه ان جازاه
به قال عون بن عبد الله وبكر بن عبد الله وابو صالح قالوا قد يقول الانسان لمن زجره عن امر ان فعلته
فجزاؤك القتل والضرب ثم ان لم يجازه بذلك لم يكن ذلك منه كذبا قال الواحدي والاصل في ذلك
ان الله عز وجل يجوز ان يخلف الوعيد وان امتنع ان يخلف الوعد بهذا وردت السنة عن النبي صلى الله
عليه وسلم في حديث انس رضي الله عنه انه عليه السلام قال من وعده الله على عمله ثوابا فهو منجزه ومن او
عده على عمله عقابا فهو بالخيار والتحقيق انه لا ضرورة الى تفريع ما نحن فيه على الاصل المذكور لانه
اخبار منه تعالى بان جزاؤه ذلك لا بانه يجزيه بذلك كيف لا وقد قال الله عز وجل وجزاء سيئة سيئة
مثلها ولو كان هذا اخبارا بانه تعالى يجزي كل سيئة بمثلها لعارضه قوله تعالى ويعفو عن كثير يا ايها الذين آمنوا
اثر ما بين حكم القتل بقسميه وانما يتصور صدوره عن المؤمن انما هو القتل خطأ شرع في التحذير عما
يؤدي اليه من قلة المبالاة في الامور اذا ضربتم في سبيل الله اي سافرتم للغزو وكلمة اذا متضمنة معنى الشرط ولذا
قوله تعالى فتبينوا بالفاء اي فاطلبوا بيان الامر في كل ما تاتون وتذرون ولا تعجلوا فيه بغير تدبر وروية
وقرئ فتثبتوا اي اطلبوا اثباته وقوله عز وجل ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام نهي عما هو نتيجة لترك المامور به وتعيين
لمادة مهمة من المواد التي يجب فيها التبين وقرئ السلم بغير الف وبكسر السين وسكون اللام اي لا تقولوا لمن
قاتل لمن حياكم بتحية الاسلام اي لمن القى اليكم مقاليد الاستسلام والانقياد لست مؤمنا وانما اظهرت
ما اظهرت متعوذا بل اقبلوا منه ما اظهره وعاملوه بموجبه وقرئ مؤمنا بالفتح اي مبذولا لك الامان
وهذا انسب بالقراءتين الاخيرتين والاقتصار على ذكر تحية الاسلام في القراءة الاولى مع كونها مقرونة بكلمتي
الشهادة كما سيأتي في سبب النزول للمبالغة في النهي عنه والتنبيه على كمال ظهور خطائهم ببيان ان تحية
الاسلام كانت كافية في المكافة والانزجار عن التعرض لصاحبها فكيف وهي مقرونة بهما وقوله تعالى تبتغون

عرض

عرض الحيوة الدنيا حال من فاعل لا تقولوا منبئ عما يحملهم عن العجلة وترك التأني لكن لا على ان يكون النهي راجعا
الى القيد فقط كما في قولك لا تطلب العلم تبتغي به الجاه بل اليهما جميعا اي لا تقولوا له ذلك حال كونكم
طالبين لماله الذي هو حطام سريع النفاد وقوله تعالى فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله
بما فيه من الوعد الضمني كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة تعليل للنهي عن ابتغاء ماله بما فيه
من الوعد الضمني كانه قيل لا تبتغوا ماله فعند الله مغانم كثيرة يغنمكموها فيغنيكم عن ارتكاب ما ارتكبتموه
وقوله تعالى كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم تعليل للنهي عن القول المذكور ولعل تأخيره لما فيه من نوع تفصيل
ربما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم مع ما فيه من مراعاة المقارنة بين تعليل السابق وبين ما علل
به كما في قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الى آخره وتقديم خبر كان
للقصر المفيد لتأكيد المشابهة بين طرفي التشبيه وذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة والفاء في
فمن للعطف على كنتم اي مثل ذلك الذي القى اليكم السلام كنتم انتم ايضا في مبادي اسلامكم لا يظهر منكم للناس غير
ما ظهر منه لكم من تحية الاسلام ونحوها فمن الله عليكم بان قبل منكم تلك المرتبة وعصم بها دماءكم واموالكم
ولم يأمر بالتفحص عن سرائركم والفاء في قوله تعالى فتبينوا فصيحة اي اذا كان الامر كذلك فاطلبوا بيان هذا
الامر البين وقيسوا حاله بحالكم وافعلوا به ما فعل بكم في اوائل اموركم من قبول ظاهر الحال من غير وقوف
على تواطئ الظاهر والباطن هذا هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل ويستدعيه فخامة شأنه الجليل ومن حسب
ان المعنى اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار
الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم فيه وان
صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا
ولا تقولوا الى آخره فقد ابعد عن الحق لان المراد كما عرفت بيان ان تحصين الدماء والاموال حكم مترتب على ما فيه
المماثلة بينه وبينهم من تحصين دمائهم واموالهم حسبما ذكر حتى يظهر عندهم وجوب تحصين دمه وماله
ايضا بحكم المشاركة فيما يوجبه وحيث لم يفعل الى من مجرد التفوه بكلمة الشهادة واظهار انه ترتبه عليه
في حقهم يقتضي ترتبه عليه في حقه ايضا الزاما لهم واظهارا لخطائهم ولا يخفى ان ذلك انما يتأتى بتفسيره منه
تعالى عليهم المرتب على ما يدل على ترتب تحصين دمائهم واموالهم على ما ذكر فمن ابن له ان يقول فحصنت دماءكم
واموالكم حتى يتأتى البيان وارتكاب تقديره بناء على اقتصار ما ذكر في تفسير المن اياه بناء على اساس واه كيف
لا وانما ذكره بصدد التفسير واذ كان امرا متفرعا على ما فيه من المماثلة مبنيا عليه في حقهم لكنه ليس بحكم اريد
اثباته في حقه بناء على ثبوته في حقهم كالتحصين المذكور حتى يستحق ان يتعرض له ولا بامر له دخل في وجوب
اعتبار ظاهر الاسلام من الداخلين فيه حتى يصح في تلك ما فرع عليه قوله فعليكم ان تفعلوا الى آخره وحمل
الكلام على معنى انكم في اول الامر كنتم مثله في قصور الرتبة في الاسلام فمن الله عليكم وبلغتم هذه الرتبة
العالية منه فلا تحتقروا حاله نظرا الى حالكم هذه بل اعتدوا بها الى حالكم السابقة برده ان قتله لم
يكن لاستقصار اسلامه بل لتوهم عدم مطابقة قلبه للسانه فان الآية الكريمة نزلت في شأن مرداس
بن نهيك من اهل فدك وكان قد اسلم ولم يسلم من قومه غيره فلما رأى الخيل الجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد
فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد
واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة
ما معه فقال اسامة انه قال بلسانه دون قلبه وفي رواية انما قالها خوفا من السلاح فقال عليه السلام
هلا شققت عن قلبه وفي رواية افلا شققت عن قلبه ثم قرأ الآية ثم اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي
فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت
الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة وقيل نزلت في رجل قال يا رسول الله كنا نطلب القوم فقد هزمهم الله
فقصدت رجلا فلما احس بالسيف قال اني مسلم فقتلته فقال له رسول الله اقتلت مسلما قال انه كان متعوذا
فقال عليه السلام افلا شققت عن قلبه ان الله كان بما تعملون من الاعمال الظاهرة والخفية وبكيفياتها
خبيرا فيجازيكم بحسبها ان خيرا فخير وان شرا فشر فلا تتهافتوا في القتل واحتاطوا فيه والجملة تعليل لما قبلها
بطريق الاستيناف وقرئ بفتح ان على انها معمولة لتبينوا او على حذف لام التعليل لا يستوي القاعدون
بيان لتفاوت طبقات المؤمنين بحسب تفاوت درجات سعيهم في الجهاد بعد ما مر من الامر به وتحريض
المؤمنين عليه ليأنف القاعد عنه ويترفع بنفسه عن انحطاط رتبته فيهتز له رغبة في ارتفاع طبقته
والمراد بهم الذين اذن لهم في القعود عن الجهاد اكتفاء بغيرهم قال ابن عباس رضي الله عنهما القاعدون عن بدر
والخارجون اليها وهو الظاهر الموافق لتاريخ النزول لا ما روي عن مقاتل من انهم الخارجون الى تبوك فانه مما
لا يوافقه التاريخ ولا يساعده الحال اذ لم يكن للمتخلفين يومئذ هذه الرخصة وقوله تعالى من المؤمنين متعلق

بمحذوف وقع حالا من القاعدين اى كائنين من المؤمنين وفائدتها الايذان من اول الامر بعدم اخلال وصف
القعود بايمانهم والاشعار بعلة استحقاقهم لما سياتي من الحسنى غير اولي الضرر بالرفع صفة للقاعدين لجريانه
مجرى النكرة حيث لم يقصد به قوم باعيانهم او بدل منه وقرئ بالنصب على انه حال منه او استثناء وبالجر
على انه صفة للمؤمنين او بدل منه والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة ونحوها وفي معناه العجز
عن الاهبة عن زيد بن ثابت انه قال كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت
فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت لا يستوي القاعدون من المؤمنين
والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته
السكينة لذلك ثم سري عنه فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون
ايرادهم بهذا العنوان دون الخروج المقابل لوصف المعطوف عليه كما وقع في عبارة ابن عباس رضي الله عنهما
وكذا تقييد المجاهدة بكونها في سبيل الله واموالهم وانفسهم لمدحهم بذلك وللاشعار بعلة استحقاقهم
لعلو الرتبة مع ما فيه من حسن موقع السبيل في مقابلة القعود وتقديم القاعدين في الذكر للايذان من
اول الامر بان القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستوا
بين الشيئين المتفاوتين زيادة ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب قصور
القاصر وعليه قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك واما قوله
تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول
وقوله عز وجل فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة استئناف مسوق لتفصيل
ما بين الفريقين من التفاضل المفهوم من ذكر عدم استوائهم اجمالا ببيان كيفيته وكميته مبني على سؤال
ينساق اليه المقال كانه قيل كيف وقع ذلك فقيل فضل الله الى اخره ولما تقرر ما لهم لا يستوون فانما
يليق بجعل الاستئناف تعليلا لعدم الاستوا مسوقا لاثباته وفيه تعكيس ظاهر فان الذي يحق ان يكون مقصودا
بالذات انما هو بيان تفاضل الفريقين على درجات متفاوته واما عدم استوائهما فقصارى امره ان يكون
توطئة لذكره ولام المجاهدين والقاعدين للعهد فقيد كون المجاهدين في سبيل الله معتبر في الاول كما ان
قيد عدم الضرر معتبر في الثاني ودرجة نصب على المصدرية لوقوعها موقع المرة من التفضيل اى فضل
الله تفضيله او على نزع الخافض اى بدرجة وقيل على التمييز وقيل على الحالية من المجاهدين اى ذوي
درجة وتنوينها للتفخيم وقوله تعالى وكلا مفعول اول لما يعقبه قدم عليه لافادة القصر تاكيدا
للوعد اى كل واحد من المجاهدين والقاعدين وعد الله الحسنى اى المثوبة الحسنى وهي الجنة لا احدهما
فقط كما في قوله تعالى وارسلناك للناس رسولا على ان الكلام متعلق برسولا والجملة اعتراض جئ به تداركا
لما عسى يوهمه تفضيل احد الفريقين على الاخر من حرمان المفضول وقوله عز وجل وفضل الله المجاهدين على
القاعدين عطف على قوله تعالى فضل الله الى اخره واللام في الفريقين منبئة لهما عن ذكر القيود التي تركت
على سبيل التدريج وقوله تعالى اجرا عظيما مصدر مؤكد لفضل على انه بمعنى اجر واشارة على ما هو مصدر
من فعله للاشعار بكون ذلك التفضيل اجرا لاعمالهم او مفعول ثان له بتضمينه معنى الاعطا او الاعطام زيادة
على القاعدين اجرا عظيما وقيل هو منصوب بنزع الخافض اى فضلهم باجر عظيم وقوله تعالى درجات بدل من
اجرا بدل الكل مبين لكمية التفضيل وقوله تعالى منه متعلق بمحذوف وقع صفة لدرجات دالة على فخامتها
وجلالة قدرها اى درجات كائنة منه تعالى قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو
الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وقال السدي هي سبعمائة درجة وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله تعالى للمجاهدين في سبيله بين الدرجتين كما بين
السما والارض ويجوز ان يكون انتصاب درجات على المصدرية كما في قولك ضربته اسواطا اى ضربات
كانه قيل فضلهم تفضيلات وقوله تعالى ومغفرة بدل من اجرا بدل البعض لان بعض الاجر ليس من باب المغفرة
اى مغفرة لما يفرط منهم من الذنوب التي لا يكفرها سائر الحسنات التي ياتي بها القاعدون ايضا حتى تعد من
خصائصهم وقوله تعالى ورحمة بدل الكل من اجرا مثل درجات ويجوز ان يكون انتصابهما باضمار فعلهما
اى غفر لهم مغفرة ورحمهم رحمة ولعل تكرير التفضيل بطريق العطف المبني على المغايرة وتقييده تارة بدرجة
واخرى بدرجات مع اتحاد المفضل والمفضل عليه حسبما يقتضيه الكلام ويستدعيه حسن الانتظام
اما لتنزيل الاختلاف العنواني بين التفضيلين وبين الدرجة والدرجات منزلة الاختلاف الذاتي
تمهيدا لسلوك طريقة الابهام ثم التفسير روما لمزيد التحقيق والتقرير كما في قوله تعالى ولما جاء امرنا
نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ كانه قيل فضل الله المجاهدين على
القاعدين درجة لا يقادر قدرها ولا يبلغ كنهها وحيث كان تحقق هذا البون البعيد بينهما موهما لحرمان

القاعدين قيل وكلا وعد الله الحسنى ثم اريد تفسير ما افاده التنكير بطريق الابهام بحيث يقطع احتمال
كونه للوحدة فقيل ما قيل ولله در شان التنزيل واما للاختلاف بالذات بين التفضيلين وبين الدرجة
والدرجات على ان المراد بالتفضيل الاول ما خولهم الله تعالى عاجلا في الدنيا من الغنيمة والظفر والذكر الجميل
الحقيق بكونه درجة واحدة وفي الاخرة درجات لا تحصى وقد وسط بينهما في الذكر ما هو متوسط بينهما
في الوجود اعني الوعد بالجنة توضيحا لحالهما ومسارعة الى تسلية المفضول والله سبحانه وتعالى اعلم هذا ما بين
المجاهدين والقاعدين غير اولي الضرر واما اولوا الضرر فهم مساوون للمجاهدين عن القاعدين بمفهوم
الصفة وبان الاستثنا من النفي اثبات وما عند من لا يقول بذلك فلدلالة العبادة النص عليه وقد ذكر
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم في المدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا
معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوى الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير
من ضرر او غيره وبعبارة اخرى في المدينة لاقواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم
فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر قالوا هذه المساواة مشروطة
بشريطة اخرى سوى الضرر قد ذكرت في قوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الى قوله تعالى اذا
نصحوا لله ورسوله وقيل القاعدون الاولى هم الاضراء والثاني غيرهم وفيه من تفكيك النظم الكريم ما لا
يخفى ولا ريب في ان الاضراء افضل من غيرهم درجة كما لا ريب في انهم دون المجاهدين بحسب الدرجة الدنيوية
وكان الله غفورا رحيما تذييل مقرر لما وعد من المغفرة والرحمة ان الذين توفاهم الملائكة بيان لحال
القاعدين عن الهجرة اثر بيان حال القاعدين عن الجهاد وتوفاهم يحتمل ان يكون ماضيا ويؤيده قراءة من
قرأ توفتهم وان يكون مضارعا قد حذف منه احدى التائين واصله تتوفاهم على حكاية الحال الماضية او القصد
الى استحضار صورتها ويعضده قراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله تعالى يوفي الملائكة انفسهم
فيستوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم حال من ضمير توفاهم فانه وان كان مضافا
الى المعرفة الا انه نكرة في الحقيقة لان المعنى على الانفصال وان كان موصولا في اللفظ كما في قوله تعالى
غير محلي الصيد وهديا بالغ الكعبة وثاني عطفه اى محلين الصيد وبالغا الكعبة وثانيا عطفه كانه قيل
ظالمين انفسهم وذلك بترك الهجرة واختيار مجاورة الكفرة الموجبة للاخلال بامور الدين فانها نزلت
في ناس من مكة قد اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة قالوا اى الملائكة عليهم السلام للمتوفين
تقريرا لهم بتقصيرهم في اظهار اسلامهم واقامة احكامه من الصلاة ونحوها وتوبيخا لهم بذلك فيم كنتم اى في
اى شيء كنتم من امور دينكم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فماذا
قالوا في الجواب فقيل قالوا متجانفين عن الاقرار الصريح بما هم فيه من التقصير متعللين بما يوجبه على
زعمهم كنا مستضعفين في الارض اى في ارض مكة عاجزين عن القيام بمواجب الدين فيما بين اهلها
قالوا ابطالا لتعللهم وتبكيتا لهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الى قطر اخر منها تقدرون فيه
على اقامة امور الدين كما فعله من هاجر الى المدينة والى الحبشة واما حمل تعللهم على اظهار العجز عن
الهجرة وجعل جواب الملائكة تكذيبا لهم في ذلك فيرده ان سبب العجز عنها لا ينحصر في فقدان دار الهجرة
بل قد يكون لعدم الاستطاعة للخروج بسبب الفقر او لعدم تمكين الكفرة منه فلا يكون بيان سعة الارض
تكذيبا لهم وردا عليهم بل لا بد من بيان استطاعتهم ايضا حتى يتم التبكيت وقيل كانت الطائفة المذكورة
قد خرجوا مع المشركين الى بدر منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واضرابهما
فقتلوا فيها فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم وقالوا لهم ما قالوا فيكون ذلك منهم تقريعا لهم
وتوبيخا لهم بما كانوا فيه من مساعدة الكفرة بانتظامهم في عسكرهم ويكون جوابهم بالاستضعاف تعللا
بانهم كانوا مقهورين تحت ايديهم وانهم اخرجوهم كارهين فرد عليهم بانهم كانوا بسبيل من الخلاص عن قهرهم متمكنين
من المهاجرة فاولئك الذين حكيت احوالهم الفظيعة مأواهم اى في الاخرة جهنم كما ان مأواهم في الدنيا
دار الكفر لتركهم الفريضة المحتومة فمأواهم مبتدأ وجهنم خبره والجملة خبر لاولئك وهذه الجملة خبر ان
والفاء فيه لتضمن اسمها معنى الشرط وقوله تعالى قالوا فيم كنتم حال من الملائكة باضمار قد عند من يشترطه
او هو الخبر والعائد منه محذوف اى قالوا لهم والجملة المصدرة بالفاء معطوفة عليه مستنتجة منه ومما في حيزه
وساءت مصيرا اى مصيرهم او جهنم وفي الاية الكريمة ارشاد الى وجوب المهاجرة من موضع لا يتمكن الرجل
من اقامة امور دينه باى سبب كان وتحقيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام الا المستضعفين
استثناء منقطع لعدم دخولهم في الموصول وضميره والاشارة اليه ومن قوله تعالى من الرجال والنساء والولدان
متعلقة بمحذوف وقع حالا من المستضعفين اى كائنين منهم وذكر الولدان ان اريد بهم المماليك والمراهقون
ظاهر واما اذا اريد بهم الاطفال فللمبالغة في امر الهجرة وايهام انها بحيث لو استطاعها غير المكلفين لوجبت

والاشعار بانه لا محيص عنها البتة يجب عليهم كما لحقوا حتى كانها واجبة عليهم قبل البلوغ لو استطاعوا
وان اقوامهم يجب عليهم ان يهاجروا بهم متى امكنت وقوله تعالى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا
صفة للمستضعفين فان ما فيه من اللام ليس للتعريف او حال منه او من المعنى المستكن فيه وقيل تفسير
لنفي المستضعفين لكثرة وجوه الاستضعاف والاستطاعة الحيلة وجدان اسباب الهجرة ومباديها
واهتداء السبيل معرفة طريق الموضع المهاجر اليه بنفسه او بدليل فاولئك اشارة الى المستضعفين
الموصوفين بما ذكر من صفات العجز عسى الله ان يعفو عنهم جيء بكلمة الاطماع ولفظ العفو ايذانا بان الهجرة
من تاكيد الوجوب بحيث ينبغي ان يعد تركها ممن تحقق عدم وجوبها عليه ذنبا يجب طالب العفو عنه رجاء
وطمعا لا جزما وقطعا وكان الله عفوا غفورا تذييل مقرر لما قبله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض
مراغما كثيرا ترغيب في المهاجرة وما فيها اي يجد فيها متحولا ومهاجرا وانما عبر عنه بذلك تاكيدا
للترغيب لما فيه من الاشعار بكون ذلك المتحول بحيث يصل فيه المهاجر من الخير والنعمة الى ما يكون سببا
لرغم انف قومه الذين هاجرهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب وقيل يجد
فيها طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم وسعة اي من الرزق ومن يخرج من بيته مهاجرا الى
الله ورسوله ثم يدركه الموت اي قبل ان يصل الى المقصد وان كان ذلك خارج بابه كما ينبئ عنه ايثار الخروج
من بيته على المهاجرة وهو عطف على فعل الشرط وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل هو حركة
الهاء نقلت الى الكاف على نية الوقف كما في قوله من عنزي سبني لم اضربه وقرئ بالنصب على اضمار ان كما في
قوله والحق بالحجاز فاستريحا فقد وقع اجره على الله اي ثبت ذلك عنده ثبوت الامر الواجب روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث بالايات المتقدمة الى مسلمي مكة قال جندب بن ضمرة لبنيه
وكان شيخا كبيرا احملوني فاني لست من المستضعفين واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة
فحملوه على سرير متوجها الى المدينة فلما بلغ التنعيم اشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال
اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا فنزلت قالوا والهجرة في غرض ديني من
طلب علم او حج او جهاد او نحو ذلك فهو هجرة الى الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم وكان
الله غفورا مبالغا في المغفرة فيغفر له ما فرط منه من الذنوب التي من جملتها القعود عن الهجرة الى وقت
الخروج رحيما مبالغا في الرحمة فيرحمه باكمال ثواب هجرته واذا ضربتم في الارض شروع في بيان كيفية
الصلوة عند الضرورات من السفر ولقاء العدو والمرض والمطر وفيه تاكيد لعزيمة المهاجر على المهاجرة
وترغيب له فيها لما فيه من تخفيف المونة اي اذا سافرتم اي مسافرة كانت ولذلك لم يقيد بما قيد به المهاجرة
فليس عليكم جناح اي حرج واثم ان تقصروا اي في ان تقصروا والقصر خلاف المد يقال قصرت الشيء
اي جعلته قاصرا بحذف بعض اجزائه او اوصافه فمتعلق القصر حقيقة انما هو ذلك الشيء لا بعضه فانه
متعلق الحذف دون القصر وعلى هذا فقوله تعالى من الصلوة ينبغي ان يكون مفعولا لتقصروا على زيادة من
حسبما راه الاخفش واما على تقدير ان تكون تبعيضية ويكون المفعول محذوفا كما هو راي سيبويه اي شيئا من الصلوة
فينبغي ان يصار الى وصف الجزء بصفة الكل او يراد بالقصر معنى الحبس يقال قصرت الشيء اذا حبسته او يراد
بالصلوة الجنس ليكون المقصور بعضا منها وهي الرباعيات اي فليس عليكم جناح في ان تقصروا بعض الصلوة
بتنصيفها وقرئ تقصروا من الاقصار وتقصروا من التقصير والكل بمعنى واحد وادنى مدة السفر الذي
يتعلق به القصر عند ابي حنيفة رحمه الله مسيرة ثلثة ايام ولياليها بسير الابل ومشي الاقدام بالاقتصاد
وعند الشافعي رحمه الله مسيرة يومين وظاهر الاية الكريمة التخيير وافضلية الاتمام وبه تعلق
الشافعي رحمه الله وبما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة رضي الله عنها
انها اتمت تارة وقصرت اخرى وعن عثمان رضي الله عنه انه كان يتم ويقصر وعندنا يجب القصر لا محالة
خلا ان بعض مشايخنا سماه عزيمة وبعضهم رخصة اسقاط بحيث لا مساغ للاتمام لا رخصة ترفيه اذ لا
معنى للتخيير بين الاخف والاثقل وهو قول عمر وعلي وابن عباس وابن عمر وجابر رضوان الله تعالى عليهم
اجمعين وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول مالك وقد روي عن عمر رضي الله عنه
صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم عليه السلام وعن انس خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
من المدينة الى مكة فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة وعن عمران بن حصين ما رايت النبي
صلى الله عليه وسلم يصلي في السفر الا ركعتين وصلى بمكة ركعتين ثم قال اتموا فانا قوم سفر وحين سمع ابن مسعود
ان عثمان رضي الله عنهما صلى بمنى ركعتين وصليت مع عمر رضي الله عنه بمنى ركعتين فليت حظي من اربع
ركعات ركعتان متقبلتان وقد اعتذر عثمان عن اتمامه بانه تاهل بمكة وعن الزهري انه انما اتم لانه ازمع

الاقامة بمكة وعن عائشة رضي الله عنها اول ما فرضت الصلوة فرضت ركعتين فاقرت في السفر
وزيدت في الحضر وفي صحيح البخاري انها قالت فرض الله الصلوة حين فرضها ركعتين في الحضر والسفر فاقرت
صلوة السفر وزيد في صلوة الحضر واما ما روي عنها من الاتمام فقد اعتذرت عنه وقالت انا ام المؤمنين
فحيث حللت فهي داري وانما ورد ذلك بنفي الجناح لما انهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة ان يخطر ببالهم
ان عليهم نقصانا في القصر فصرح بنفي الجناح عنهم لتطيب به نفوسهم ويطمئنوا اليه كما في قوله تعالى فمن حج
البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما مع ان ذلك الطواف واجب عندنا ركن عند الشافعي رضي
الله عنه وقوله تعالى ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان خفتم
ان يتعرضوا لكم بما تكرهونه من القتال وغيره فليس عليكم جناح الى اخره وهو شرط معتبر في شرعية ما ذكر
بعضه من صلوة الخوف المؤداة بالجماعة واما في حق مطلق القصر فلا اعتبار له اتفاقا لتظاهر السنن
على شرعيته حسبما وقفت على تفاصيلها وقد ذكر الطحاوي في شرح الاثار مسندا الى يعلى بن امية انه
قال قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه انما قال الله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وفيه دليل على عدم جواز الاكمال لان
التصدق بما لا يحتمل التمليك اسقاط محض لا يحتمل الرد كما حقق في موضعه ولا يتوهم انه مخالف للكتاب لان
التقييد بالشرط عندنا انما يدل على ثبوت الحكم عند وجود الشرط واما عدمه عند عدمه فمسكوت عنه فان
وجد له دليل ثبت عنده ايضا والا يبقى على حاله لعدم تحقق دليله لا لتحقق دليل عدمه وناهيك ما سمعت
من الادلة الواضحة واما عند القائلين بالمفهوم فلانه انما يدل على نفي الحكم عند عدم الشرط اذا لم يكن له فائدة
اخرى وقد يخرج الشرط ههنا مخرج الاغلب كما في قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا
بل نقول ان الاية الكريمة مجملة في حق مقدار القصر وكيفيته وفي حق ما يتعلق به من الصلوات وفي مقدار
مدة الضرب الذي ينوط به القصر فكلما ورد منه صلى الله عليه وسلم من القصر في حال الامن وتخصيصه بالرباعيات
على وجه التنصيف وبالظرف في المدة المعينة بيان لاجمال الكتاب وقد قيل ان قوله تعالى ان خفتم الى اخره
متعلق بما بعده من صلوة الخوف منفصل عما قبله فانه روي عن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه انه قال
نزل قوله تعالى واذا ضربتم في الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ثم سالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد حول فنزل ان خفتم الى اخره اي ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فليس عليكم جناح الى اخره
وقد قرئ من الصلوة ان يفتنكم بغير ان خفتم على انه مفعول له لما دل عليه الكلام كانه قيل شرع لكم ذلك
كراهة ان يفتنكم الى اخره فان استمرار الاشتغال بالصلوة مظنة لاقتدارهم على ايقاع الفتنة وقوله تعالى
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا تعليل لذلك باعتبار تعلله بما ذكر او لما يفهم من الكلام من كون فتنتهم متوقعة
فان كمال عداوتهم للمؤمنين من موجبات التعرض لهم بسوء وقوله تعالى واذا كنت فيهم بيان لما قبله من النص
المجمل الوارد في شرعية القصر بوقوع بطريق التفريق وتصوير لكيفيته عند الضرورة التامة وتخصيص
البيان لما فيها من كثرة التغيير من الهيئات الاصلية ومن ههنا ظهر لك ان مورد النص الشريف هو المقصور
وحكم ماعداها مستفاد من حكمها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد وبظاهره
تعلق من لا يرى صلوة الخوف بعده ولا يخفى ان الائمة بعده نوابه عليه السلام قوام بما كان يقوم به
فيتناولهم حكم الخطاب الوارد له عليه السلام كما في قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة وقد روي ان سعيد بن
العاص لما اراد ان يصلي بطبرستان صلوة الخوف قال من شهد منكم صلوة الخوف مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقام حذيفة بن اليمان فوصف له ذلك فصلى بهم كما وصف وكان ذلك بحضرة الصحابة رضي الله
تعالى عنهم فلم ينكره احد فحل محل الاجماع وروي في السنن انهم غزوا مع عبد الرحمن بن سمرة كابل فصلى
بهم صلوة الخوف فاقمت لهم الصلوة اي اردت ان تقيم بهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك بعد ان جعلتهم
طائفتين ولتقف الطائفة الاخرى بازاء العدو ليحرسوكم منهم وانما لم يصرح به لظهوره وليأخذوا اي
الطائفة القائمة معك اسلحتهم اي لا يضعوها ولا يلقوها وانما عبر عن ذلك بالاخذ للايذان بالاعتناء
باستصحابها كانهم يأخذونها ابتداء فاذا سجدوا اي القائمون معك واتموا الركعة فليكونوا من ورائكم اي
فلينصرفوا الى مقابلة العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا بعد وهي الطائفة الواقفة تجاه
العدو للحراسة وانما لم تعرف لانها لم تذكر فيما قبل فليصلوا معك الركعة الباقية ولم يبين في الاية الكريمة
حال الركعة الباقية لكل من الطائفتين وقد بين ذلك بالسنة حيث روي عن عمر وابن مسعود رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى صلوة الخوف صلى بالطائفة الاولى ركعة وبالطائفة الاخرى ركعة
كما في الاية ثم جاءت الطائفة الاولى وذهبت هذه الى مقابلة العدو حتى قضت الاولى الركعة الاخرى بلا

قراءة وسلموا ثم جاءت الطائفة الاخرى وقضوا الركعة الاولى بقراءة حتى صار لكل طائفة ركعتان وليأخذوا
اى هذه الطائفة حذرهم واسلحتهم لعل زيادة الامر بالحذر فى هذه المرة لكونها مظنة لوقوف الكفرة على كون
الطائفة القائمة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى شغل شاغل واما قبلها فربما يظنونهم قائمين للحراب
وتكليف كل من الطائفتين بما ذكر لما ان الاشتغال بالصلوة مظنة لالقاء السلاح والاعراض عن غيرها
ومظنة لهجوم العدو كما ينطق به قوله تعالى ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم
ميلة واحدة فانه استيناف مسوق لتعليل الامر المذكور والخطاب للفريقين بطريق الالتفات اى تمنوا
ان ينالوا منكم غرة وينتهزوا فرصة فيشدوا عليكم شدة واحدة والمراد بالامتعة ما يتمتع به فى الحرب
لا مطلقا وهذا الامر للوجوب لقوله تعالى ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا
اسلحتكم حيث رخص لهم فى وضعها اذا ثقل عليهم استصحابها بسبب مطر او مرض وامروا مع ذلك بالتيقظ
والاحتياط فقيل وخذوا حذركم لئلا يهجم العدو عليهم غيلة روى الكلبى عن ابى صالح ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزى محاربا وبنى انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم لحاجة له وقد وضع سلاحه حتى قطع الوادى والسماء ترش فسال الوادى
بينه عليه السلام وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصر به غورث بن الحارث
المحاربى فقال قتلنى الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا وهو قائم على رأسه عليه السلام وقد سل سيفه من غمده فقال يا محمد من يعصمك منى
الان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله عز وجل ثم قال اللهم اكفنى غورث بن الحارث بما شئت ثم اهوى
بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث من يمنعك منى الان قال لا احد
قال عليه السلام اتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك سيفك قال لا ولكن اشهد
ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال
غورث والله لانت خير منى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا احق بذلك منك فرجع غورث الى
اصحابه فقص عليهم قصته فآمن بعضهم قال وسكن الوادى فقطع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومباشرة الاسباب كى يحل بهم عذابه بايديكم وقيل لما كان الامر بالحذر من العدو موهما لتوقع غلبته
واعتزازه نفى ذلك الايهام باذن الله بنصرهم واهانة عدوهم لتقوى قلوبهم فاذا قضيتم الصلوة صلوة
الخوف اى اديتموها على الوجه المبين وفرغتم منها فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اى فداوموا على ذكره
تعالى وحافظوا على مراقبته ومناجاته ودعائه فى جميع الاحوال حتى فى حال المسايفة والقتال كما فى قوله
تعالى اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون فاذا اطمأننتم سكنت قلوبكم من الخوف
وامنتم بعدما وضعت الحرب اوزارها فاقيموا الصلوة اى الصلوة التى دخل وقتها حينئذ اى اودها
بتعديل اركانها ومراعات شرائطها وقيل المراد بالذكر فى الاحوال الثلثة الصلوة فيها اى فاذا اردتم
الصلوة فصلوا قياما عند المسايفة وقعودا جاثين على الركب عند المراماة وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح
فاذا اطمأننتم فى الجملة فاقضوا ما صليتم فى تلك الاحوال التى هى احوال القلق والانزعاج وهو رأى الشافعى
رضى الله عنه وفيه من البعد ما لا يخفى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا اى فرضا موقتا
قال مجاهد وقته الله تعالى عليهم فلا بد من اقامتها فى حال الخوف ايضا على الوجه المشروع وقيل مفروضا
مقدرا فى الحضر اربع ركعات وفى السفر ركعتين فلا بد ان تؤدى فى كل وقت حسبما قدر فيه ولا تهنوا فى
ابتغاء القوم اى لا تضعفوا ولا تتوانوا فى طلب الكفار بالقتال والتعرض لهم بالحراب وقوله تعالى
ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون تعليل للنهى وتشجيع لهم اى ليس ما
تقاسونه من الالام مختصا بكم بل هو مشترك بينكم وبينهم ثم انهم يصبرون على ذلك فما لكم لا تصبرون مع
انكم اولى به منهم حيث ترجون من الله من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب فى الاخرة ما لا يخطر
ببالهم وقرئ ان تكونوا بفتح الهمزة اى لا تهنوا لان تكونوا تألمون وقوله تعالى فانهم تعليل للنهى عن
الوهن لاجله والاية نزلت فى بدر الصغرى وكان الله عليما حكيما فما يأمر وينهى فجدوا فى الامتثال
بذلك فان فيه عواقب حميدة انا انزلنا اليك الكتاب بالحق روى ان رجلا من الانصار يقال له
طعمة بن ابيرق من بنى ظفر سرق درعا من جاره قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر
من خرق فيه فخبأها عند زيد بن السمين اليهودى فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها
وما له بها علم فتركوه واتبعوا اثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة
وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ان يجادل
عن صاحبهم وشهدوا ببراءته وسرقة اليهودى فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل فنزلت وروى

ان

فاكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه فندر سيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط فقتله وقيل نزل على رجل
من بنى سليم من اهل مكة يقال له الحجاج بن علاط فنقب بيته فسقط عليه حجر فلم يستطع الدخول ولا الخروج
فاخذ ليقتل فقيل دعوه فانه قد لجأ اليك فتركه واخرجوه من مكة فالتحق بتجار من قضاعة نحو
المشارفة فنزل منزلا فسرق بعض متاعهم وهرب فاخذوه ورجموه بالحجارة حتى قتلوه وقيل انه ركب
سفينة الى جدة فسرق فيها كيسا فيه دنانير فاخذوا فالقوه فى البحر لتحكم بين الناس بما اراك الله اى بما
عرفك واوحى به اليك ولا تكن للخائنين اى لاجلهم والذب عنهم وهم طعمة ومن يعينه من قومه او هو
ومن يسير بسيرته خصيما مخاصما للبرآء اى لا تخاصم اليهود لاجلهم والنهى معطوف على امر ينسحب عليه
المنزل الكريم كانه قيل فاحكم به ولا تكن الى اخره واستغفر الله مما هممت به تعويلا على شهادتهم ان الله
كان غفورا رحيما مبالغا فى المغفرة والرحمة لمن يستغفره ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اى يخونونها
بالمعصية كقوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما
جعلت ظلما لها لرجوع ضررها اليهم والمراد بالموصول اما طعمة وامثاله واما هو ومن يعاونه ويشهد
ببرائته من قومه فانهم شركاء له فى الاثم والخيانة ان الله لا يحب من كان خوانا مفرطا فى الخيانة مصرا عليها
اثيما منهمكا فيه وتعليق عدم المحبة الذى هو كناية عن البغض والسخط بالمبالغ فى الخيانة والاثم ليس
لتخصيصه به بل لبيان افراط طعمة وقومه فيهما يستخفون من الناس يستترون منهم حياء وخوفا من ضررهم
ولا يستخفون من الله اى لا يستحيون منه سبحانه وتعالى وهو احق بان يستحيى منه ويخاف من عقابه
وهو معهم عالم بهم وباحوالهم فلا طريق الى الاستخفاء منه سوى ترك ما يستقبحه ويؤاخذ عليه اذ يبيتون
يدبرون ويزورون ما لا يرضى من القول من رمى البرئ والحلف الكاذب وشهادة الزور وكان الله بما يعملون
من الاعمال الظاهرة والخافية محيطا لا يعزب عنه شئ منها ولا يفوت ها انتم هؤلاء تلوين للخطاب وتوجيه
له اليهم بطريق الالتفات ايذانا بان تعديد جناياتهم يوجب مشافهتهم بالتوبيخ والتقريع والجملة مبتدأ وخبر
وقوله تعالى جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا جملة مبينة لوقوع اولاء خبرا ويجوز ان يكون اولاء اسما موصولا
بمعنى الذين وجادلتم صلته والمجادلة اشد المخاصمة والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وامثاله فى الدنيا
فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة فمن يخاصم عنهم يومئذ عند تعذيبهم وعقابهم ام من يكون عليهم وكيلا
حافظا ومحاميا من بأس الله تعالى وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودى
او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل السوء ما دون الشرك والظلم الشرك وقيل هما الصغيرة
والكبيرة ثم يستغفر الله بالتوبة الصادقة يجد الله غفورا لذنوبه كائنة ما كانت رحيما متفضلا عليه
وفيه مزيد ترغيب لطعمة وقومه فى التوبة والاستغفار لما ان شهادة التائب لاثار المغفرة والرحمة
نعمة زائدة كما مر ومن يكسب اثما من الاثام فانما يكسبه على نفسه بحيث لا يتعدى ضرره ووباله الى غيره
فليحترز عن تعريضها للعقاب والعذاب عاجلا واجلا وكان الله عليما مبالغا فى العلم حكيما مراعيا للحكمة فى
كل ما قدر وقضى ولذلك لا يحمل وازرة وزر اخرى ومن يكسب خطيئة صغيرة او ما لا عمد فيه من الذنوب
وقرئ ومن يكسب بكسر الكاف وتشديد السين واصله يكتسب او اثما كبيرة او ما كان عن عمد ثم يرم به اى يقذف به
وتوحيد الضمير مع تعدد المرجع لمكان او وتذكيره لتغليب الاثم على الخطيئة كانه قيل ثم يرم باحدهما
وقرئ يرم بهما وقيل الضمير للكسب المدلول عليه بقوله تعالى يكسب وثم للتراخى فى الرتبة بريئا اى مما
رماه به ليحمله عقوبته العاجلة كما فعل طعمة بزيد فقد احتمل اى بما فعل من تحميل جريرته على البرئ
بهتانا وهو الكذب على الغير بما يبهت منه ويتحير عند سماعه لفظاعته وهوله وقيل هو الكذب الذى
يتحير فى عظمه واثما مبينا اى بينا فاحشا وقد اكتفى فى بيان عظم البهتان بالتنكير التفخيمى كانه قيل بهتانا
لا يقادر قدره واثما مبينا على انه وصف للاثم بما ذكر بمنزلة وصف البهتان به لانهما عبارتان عن امر واحد
هو رمى البرئ فان رمى البرئ بجناية ما خطيئة كانت او اثما بهتان واثم فى نفسه اما كونه بهتانا فظاهر واما
كونه اثما فلان كون الذنب بالنسبة الى من فعله خطيئة لا يلزم منه كونه بالنسبة الى من نسبه الى البرئ منه
ايضا كذلك بل لا يجوز ذلك قطعا كيف وهو كذب محرم فى جميع الاديان فهو فى نفسه بهتان واثم لا محالة
ويكون تلك الجناية للرامى يتضاعف ذلك شدة ويزداد قبحا لكن لا لانضمام جنايته المكسوبة الى رمى البرئ
والا لكان الرمى بغير جنايته مثله فى العظم ولا لمجرد اشتماله على تبرئة نفسه الخاطئة والا لكان الرمى بغير
جنايته مع تبرئة نفسه كذلك فى العظم بل لاشتماله على الاكتساب ونحوه لما فيه من الايذان بانعكاس
تقديره مع ما فيه من الاشعار بثقل الوزر وصعوبة الامر ثم ما ذكر من انضمام كسبه وتبرئة نفسه
الى رمى البرئ يزداد الجناية قبحا لكن تلك الزيادة وصف للمجموع لا للاثم ولولا فضل الله عليك ورحمته
باعلامك على ما هم عليه بالوحى وتنبيهك على الحق وقيل بالنبوة والعصمة لهمت طائفة منهم

اى من بنى ظفر وهم الذابون عن طعمة وقد جوز ان يكون المراد بالطائفة كلهم ويكون الضمير راجعا الى الناس
وقيل هم وفد بنى ثقيف قدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا جئناك لنبايعك على ان لا نكسر
اصنامنا ولا نعشر فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يضلوك اى بان يضلوك عن القضاء
بالحق مع علمهم بكنه الامر والجملة جواب لولا وانما نفى همهم مع ان المنفى انما هو تاثيره فقط ايذانا
بانتفاء تاثيره بالكلية وقيل المراد هو الهم المؤثر ولا ريب فى انتفائه حقيقة وقيل الجواب محذوف اى
لازالوك وقوله عز وجل لهمت جملة مستأنفة اى لقد همت طائفة الى اخره وما يضلون الا انفسهم
لانقضاء وباله عليهم من غير ان يصيبك منه شىء والجملة اعتراض وقوله تعالى وما يضرونك من شىء
عطف عليه ومحل الجار والمجرور النصب على المصدرية اى وما يضرونك شيئا من الضرر لما انه تعالى
عاصمك واما ما خطر ببالك فكان عملا منك بظاهر الحال ثقة باقوال القائلين من غير ان يخطر ببالك
ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة اى القرآن الجامع بين العنوانين وقيل
المراد بالحكمة السنة وعلمك بالوحى من خفيات الامور التى من جملتها وجوه ابطال كيد المنافقين
او من امور الدين واحكام الشرع ما لم تكن تعلم ذلك الى وقت التعليم وكان فضل الله عليك عظيما
اذ لا فضل اعظم من النبوة العامة والرسالة التامة لا خير فى كثير من نجويهم اى فى كثير من تناجى الناس
الا من امر الا فى نجوى من امر بصدقة او معروف وقيل المراد بالنجوى المتناجون بطريق المجاز وقيل
النجوى جمع نجى نقله الكرمانى فالاستثناء متصل ويجوز الانقطاع ايضا على معنى لكن من امر
بصدقة الى اخره ففى نجواه الخير والمعروف كل ما يستحسنه الشرع ولا ينكره العقل فينتظم اصناف
الجميل وفنون اعمال البر وقد فسر ههنا بالقرض واغاثة الملهوف وصدقة التطوع على ان المراد
بالصدقة الصدقة الواجبة او اصلاح بين الناس عند وقوع المشاقة والمعاداة بينهم من غير ان
يجاوز فى ذلك حدود الشرع الشريف وبين اما متعلقة بنفس اصلاح يقال اصلحت بين القوم او
بمحذوف هو صفة له اى كائن بين الناس عن ابى ايوب الانصارى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال له الا ادلك على صدقة خير لك من حمر النعم فقال بلى يا رسول الله قال تصلح بين الناس
اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا قالوا ولعل السر فى افراد هذه الاقسام الثلاثة بالذكر ان عمل الخير
المتعدى الى الناس اما لايصال المنفعة او لدفع المضرة والمنفعة اما جسمانية كاعطاء المال واليه
الاشارة بقوله عز وجل الا من امر بصدقة واما روحانية واليه الاشارة بالامر بالمعروف واما دفع الضرر
فقد اشير اليه بقوله تعالى او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك اشارة الى الامور المذكورة اعنى الصدقة
والمعروف فانه يشار به الى متعدد وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد للايذان ببعد منزلتها ورفعة
شانها وترتيب الوعد على فعلها اثر بيان خيرية الامر بها لما ان المقصود الاصلى هو الترغيب فى الفعل وبيان
خيرية الامر به للدلالة على خيرية بالطريق الاولى لما ان مدار حسن الامر وقبحه حسن المامور به وقبحه
بحيث تثبت خيرية الامر بالامور المذكورة فخيرية فعلها اثبت وفيه تعريض للامرين بها على فعلها او اشارة
الى الامر بها كانه قيل ومن يامر بها والكلام فى ترتيب الوعد على فعلها كالذى مر فى الخيرية فان استتباع
الامر بها للاجر العظيم انما هو لكونه ذريعة الى فعلها فاستتباعه له اولى واحق ابتغاء مرضات الله علة
للفعل والتقييد به لان الاعمال بالنيات وان من فعل خيرية لغير ذلك لم يستحق به غير الحرمان فسوف
نؤتيه بنون العظمة على الالتفات وقرئ بالياء اجرا عظيما يقصر عنه الوصف ومن يشاقق الرسول
التعرض لعنوان الرسالة لاظهار كمال شناعة ما اجترؤا عليه من المشاقة والمخالفة وتعليل الحكم الآتى
الذى بذلك من بعد ما تبين له الهدى ظهر له الحق بالوقوف على المعجزات الدالة على نبوته ويتبع غير سبيل
المؤمنين اى غير ما هم مستمرون عليه من عقد وعمل وهو الدين القيم نوله ما تولى اى نجعله واليا لما تولاه
من الضلال ونخذله بان نخلى بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم اى ندخله اياها وقرئ بفتح النون من
صلاه وساءت مصيرا اى جهنم وفيه دلالة على حجية الاجماع وحرمة مخالفته ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قد مر تفسيره فيما سبق وهو تكرير للتاكيد والتشديد او لقصة طعمة وقد
مر موته كافرا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان شيخا من العرب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا
ولم اواقع المعاصى جرأة على الله تعالى وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر
فما ترى حالى عند الله تعالى فنزلت ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا عن الحق فان الشرك اعظم انواع
الضلالة وابعدها عن الصواب والاستقامة كما انه افتراء اثم عظيم ولذلك جعل الجزاء فى هذه الشرطية
فقد ضل الى اخره وفيما سبق فقد افترى اثما عظيما حسبما يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه ان يدعون اى

ما يعبدون من دونه الا اناثا هى اللات والعزى ومنات ونحوها عن الحسن انه لم يكن حى من احياء العرب
الا كان لهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بنى فلان قيل لانهم كانوا يقولون فى اصنامهم هن بنات الله وقيل لانهم
كانوا يلبسونها انواع الحلى ويزينونها على هيئات النسوان وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله
وقيل تسميتها اناثا لتانيث اسمائها او لانها فى الاصل جماد والجمادات تؤنث من حيث انها ضاهت الاناث
لانفعالها وايرادها بهذا الاسم للتنبيه على فرط حماقة عبدتها وتناهى جهلهم والاناث جمع انثى كرباب
وربى وقرئ على التوحيد وانثى ايضا على انه جمع انيث ككليب وكلب او جمع اناث كثمار وثمر وقرئ
وثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد على الاصل وقلب الواو الفا نحو اجوه فى
وجوه وان يدعون وما يعبدون بعبادتها الا شيطانا مريدا اذ هو الذى امرهم بعبادتها واغراهم عليها
فكانت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد هو الذى لا يعلق بخير واصل التركيب للملابسة ومنه صرح
ممرد وشجرة مرداء التى تناثر ورقها لعنه الله صفة ثانية لشيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله تعالى وهذا
القول الشنيع الصادر عنه عند اللعن ولعلهم جهلوا ان عبادة الاصنام غاية الضلال بطريق التعليل
بانها تعبد وهى لا تنفعل ولا تفعل فعلا اختياريا وذلك ينافى الالوهية غاية المنافاة ثم استدل عليه
بان ذلك عبادة للشيطان وهو افظع الضلال من وجوه ثلاثة الاول انه منهمك فى الغى لا يكاد يعلق عنه
بشىء من الخير والهدى فيكون طاعته ضلالا بعيدا من الحق والثانى انه ملعون لضلالة فلا يستتبع مطاوعته
سوى اللعن والضلال والثالث انه فى غاية السعى فى اهلاكهم واضلالهم فموالاة من هذا شانه غاية
الضلال فضلا عن عبادته والمفروض المقطوع اى نصيبا قدر لى وفرض من قولهم فرض له فى العطاء ولاضلنهم
ولامنينهم الامانى الباطلة كطول الحيوة وان لا بعث ولا عقاب ونحو ذلك ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام اى
فليقطعنها بموجب امرى ويشقنها من غير تلعثم فى ذلك ولا تأخير وذلك ما كانت العرب تفعله بالبحائر
والسوائب ولآمرنهم فليغيرن ممتثلين به خلق الله عن نهجه صورة او صفة وينتظم فيه ما قيل من
فقء عين الحامى وخصاء العبيد والوشم والوشر ونحو ذلك وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقا لكن الفقهاء
رخصوا فى البهائم لمكان الحاجة وهذه الجمل المحكية عن اللعين مما نطق به لسانه مقالا او حالا وما فيها من اللامات
كلها للقسم والمأمور به فى الموضعين محذوف ثقة بدلالة النظم عليه ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله
بايثار ما يدعوا اليه على ما امر الله تعالى به ومجاوزته عن طاعة الله تعالى الى طاعته فقد خسر خسرانا
مبينا لانه ضيع رأس ماله بالكلية واستبدل بمكانه من الجنة مكانه من النار يعدهم اى ما لا يكاد ينجز
ويمنيهم الامانى الفارغة او يفعل لهم الوعد والتمنية على طريقة فلان يعطى ويمنع والضميران لمن والجمع
باعتبار معناها كما ان الافراد فى نحو وخسر باعتبار لفظها وما يعدهم الشيطان الا غرورا وهو اظهار
النفع فيما فيه الضرر وهو الوعد اما بالقاء الخواطر الفاسدة او بالسنة اوليائه وغرورا اما مفعول
ثان للوعد او مفعول لاجله او نعت لمصدر محذوف اى وعدا ذا غرور او مصدر على غير لفظ المصدر
لان يعدهم فى قوة يغرهم بوعده والجملة اعتراض وعدم التعرض للتمنية لانها باب من الوعد اولئك
اشارة الى اولياء الشيطان وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلتهم فى الخسران وهو مبتداء
وقوله تعالى مأويهم مبتداء ثان وقوله تعالى جهنم خبر للثانى والجملة خبر للاول ولا يجدون عنها محيصا
اى معدلا ومهربا من حاص الحمار اذا عدل وقيل خلص ونجى وقيل الحيص هو الروغان بنفور وعنها متعلق
بمحذوف وقع حالا من محيصا اى كائنا عنها ولا مساغ لتعلقه بمحيصا اما اذا كان اسم مكان فظاهر واما
اذا كان مصدرا فلانه لا يعمل فيما قبله والذين آمنوا وعملوا الصالحات مبتدأ وبوعد المؤمنين زيادة
لمسرة هؤلاء ومساءة اولئك وعد الله حقا اى وعده وعدا وحق ذلك حقا فالاول مؤكد لنفسه لان
مضمون الجملة الاسمية وعد والثانى مؤكد لغيره ويجوز ان ينتصب الموصول بمصدر يفسره ما بعده
وينتصب وعد الله بقوله سندخلهم لانه فى معنى نعدهم ادخال الجنات الى اخره وحقا على انه حال من
المصدر ومن اصدق من الله قيلا جملة مؤكدة بليغة والمقصود من الآية معارضة مواعيد الشيطان
الكاذبة لقربائه بوعد الله تعالى الصادق لاوليائه والمبالغة فى تاكيده ترغيبا للعباد فى تحصيله
والقيل مصدر كالقول والقال وقال ابن السكيت القال وقيل اسمان لا مصدران ونصبه على التمييز
وقرئ باشمام الصاد وكذا كل صاد ساكنة بعدها دال ليس بامانيكم اى ليس ما وعد الله من الثواب
يحصل بامانيكم ايها المسلمون اصلا كما فى قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار وانما يحصل بالايمان
والعمل الصالح ولعل نظم امانى اهل الكتاب فى سلك امانى المسلمين مع ظهور حالها للايذان بعدم اجداء
امانى المسلمين اصلا كما فى قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار سلف وعن الحسن ليس الايمان بالتمنى
ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم

وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا
عطف على الجملة المتقدمة اى شيطانا صح

خبره وقوله تعالى سندخلهم جنات تجرى من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قرن وعيد الكفرة صح

وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين واهل الكتاب
افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى
منكم نبينا خاتم النبيين وكنا بنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم فقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا
خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب المتقدمة فنزلت وقيل الخطاب للمشركين ويؤيده تقدم ذكرهم اي
ليس الامر باماني المشركين وهو قولهم لا جنة ولا نار وقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا
منهم واحسن حالا وقولهم لاوتين مالا وولدا ولا اماني اهل الكتاب وهو قولهم لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة ثم قرر ذلك بقوله تعالى من يعمل
سوءا يجز به عاجلا او آجلا لما روي انه لما نزل قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه فمن ينجو مع هذا يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما تحزن اما تمرض اما يصيبك اللأواء قال بلى يا رسول الله قال هو ذلك ولا يجد له
من دون الله اي مجاوزا لموالاة الله ونصرته وليا يواليه ولا نصيرا ينصره في دفع العذاب عنه ومن
يعمل من الصالحات اي بعضها او شيئا منها فان كل احد لا يتمكن من كلها وليس مكلفا بها من ذكر او انثى
في موضع الحال من المستكن في يعمل ومن للبيان او من الصالحات ومن للابتداء اي كائنة من ذكر او انثى
وهو مؤمن حال شرط اقترانه بها العمل في استدعاء الثواب المذكور تنبيها على انه لا اعتداد به
دونه فاولئك اشارة الى من بعنوان اتصافه بالايمان والعمل الصالح والجمع باعتبار معناها كما ان
الافراد فيما سبق باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من الاشعار بعلو رتبة المشار
اليه وبعد منزلته في الشرف يدخلون الجنة وقرئ يدخلون مبنيا للمفعول من الادخال ولا يظلمون نقيرا
اي لا ينقصون شيئا حقيرا من ثواب اعمالهم فان النقير علم في القلة والحقارة واذا لم ينقص ثواب
المطيع فلان لا يزاد عقاب العاصي اولى واحرى كيف لا وهو المجازي ارحم الراحمين وهو السر في الاقتصار
على ذكره عقيب الثواب ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله اي اخلص نفسه له تعالى لا يعرف لها ربا
سواه وقيل بذل وجهه له في السجود وقيل اخلص عمله له عز وجل وقيل فوض امره له تعالى وهذا
انكار واستبعاد لان يكون احد احسن دينا ممن فعل ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا
لانكار المساواة ونفيها يرشدك اليه العرف المطرد والاستعمال الفاشي فانه اذا قيل من اكرم من فلان او لا
افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل وعليه مساق قوله تعالى
ومن اظلم ممن افترى ونظائره ودينا نصب على التمييز من احسن منقول من المبتدأ والتقدير ومن
دينه احسن من دين من اسلم الخ فالتفضيل في الحقيقة جار بين الدينين لا بين صاحبيهما ففيه
تنبيه على ان ذلك اقصى ما تنتهي اليه القوة البشرية وهو محسن اي آت بالحسنات تارك للسيئات
او آت بالاعمال الصالحة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره
صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة حال من فاعل اسلم
واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين الاسلام المتفق على صحتها وقبولها حنيفا مائلا عن الاديان الزائغة
وهو حال من فاعل اتبع او من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اصطفاه وخصه بكرامات تشبه
كرامة الخليل عند خليله واظهاره عليه السلام في موضع الاضمار للتفخيم ثنائه عليه السلام والتنصيص
على انه الممدوح وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية والخلة من تخلل الود نفسه وخالطها وقيل
من الخلل فان كل واحد من الخليلين يسد خلل الآخر او الطريق في الرمل فانهما يترافقان في الطريقة
او من الخلة بمعنى الخصلة فانهما يتفقان في الخصال وفائدة الاعتراض جمة من جملتها الترغيب في اتباع
ملته عليه السلام فانه من بلغ من الزلفى عند الله عز وجل مبلغا مصححا لتسميته خليلا حقيق بان يكون
اتباع طريقته اهم ما يمتد اليه اعناق الهمم واشرف ما يرمق نحوه احداق الامم قيل انه عليه السلام بعث
الى خليل له بمصر في ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه
لفعلت ولكنه يريدها للاضياف وقد اصابنا ما اصاب الناس من الشدة فرجع غلمانه عليه السلام
فاجتازوا ببطحاء لينة فملؤا منه الغرائر حياء من الناس يمتار منه فقال الخليل لو كان ابراهيم يطلب الميرة
وجاؤا بها الى منزل ابراهيم عليه السلام والقوها فيه وتفرقوا وجاء احدهم فاخبر ابراهيم بالقصة
فاغتم لذلك غما شديدا لا سيما لاجتماع الناس ببابه رجاء الطعام فغلبته عيناه وعمدت سارة الى
الغرائر فاذا فيها اجود ما يكون من الحوارى واختبزت وفي رواية فاطعمت الناس واستيقظ ابراهيم فاشتم
رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت سارة من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه الله
تعالى خليلا ولله ما في السموات وما في الارض جملة مبتدأة سيقت لوجوب تقرر طاعته تعالى على اهل
السموات والارض ببيان ان جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا لا يخرج من ملكوته شيء

منها

منها فيجازي كلا بموجب اعماله خيرا او شرا وقيل لبيان ان اتخاذه تعالى لابراهيم خليلا ليس لاحتياجه سبحانه
وتعالى الى ذلك في شأن من شؤونه كما هو دأب الآدميين فان مدار خلتهم افتقار بعضهم الى بعض في مصالحهم
بل لمجرد تكرمته وتشريفه وقيل لبيان ان الخلة لا تخرجه من رتبة العبودية وقيل لبيان ان اصطفاءه عليه
السلام للخلة بمحض مشيئته تعالى اي له تعالى ما فيهما جميعا يختار منهما ما يشاء وقوله تعالى وكان الله بكل
شيء محيطا تذييل مقرر لمضمون ما قبله على الوجوه المذكورة فان احاطته تعالى علما وقدرة بجميع
الاشياء التي من جملتها ما فيهما من المكلفين واعمالهم مما يقرر ذلك احسن تقرير ويستفتونك في النساء
اي في حقهن على الاطلاق كما ينبئ عنه الاحكام الآتية لا في حق ميراثهن خاصة فانه عليه السلام قد
سئل عن احوال كثيرة مما يتعلق بهن فما بين حكمه فيما سلف احيل بيانه على ما ورد في ذلك من الكتاب
وما لم يبين حكمه بعد بين ههنا وذلك قوله تعالى قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب باسناد
الافتاء الذي هو تبيين المبهم وتوضيح المشكل اليه تعالى والى ما تلي من الكتاب فيما سبق باعتبار تبيين
على طريقة قولك اغناني زيد وعطاؤه بعطف ما على المبتدأ او ضميره في الخبر لمكان الفصل بالمفعول
والجار والمجرور وايراد صيغة المضارع للايذان باستمرار التلاوة ودوامها وفي الكتاب اما متعلق
بيتلى او بمحذوف وقع حالا من المستكن فيه اي يتلى كائنا فيه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي
الكتاب خبره على ان المراد به اللوح المحفوظ والجملة معترضة مسوقة لبيان عظم شأن المتلو عليهم
وان العدل في الحقوق المبينة فيه من عظائم الامور التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها وما يتلى حينئذ
متناول لما تلي وما سيتلى ويجوز ان يكون مجرورا على القسم المنبئ عن تعظيم المقسم به وتفخيمه كانه قيل
قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب فالمراد بقوله تعالى يفتيكم بيانه السابق واللاحق ولا
مساغ لعطفه على المجرور في فيهن لاختلاله لفظا ومعنى وقوله تعالى في يتامى النساء على الوجه الاول
وهو الاظهر متعلق بيتلى اي ما يتلى عليكم في شأنهن وعلى الاخيرين بدل من فيهن وعدده الاضافة بمعنى من
لانها اضافة الشيء الى جنسه وقرئ ييامى على قلب همزة ايامى ياء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن اي ما فرض
لهن من الميراث وغيره وترغبون عطف على الصلة عطف جملة مثبتة على جملة منفية وقيل حال من
فاعل تؤتونهن بتأويل وانتم ترغبون ولا ريب في انه لا يظهر لتقييد عدم الايتاء بذلك فائدة الا
ان اريد بما كتب لهن صداقهن ان تنكحوهن لكن لا لاجل التمتع بهن بل لاكل مالهن او في ان تنكحوهن لغير ا
كمال الصداق وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها
ويريد ان ينكحها بادنى من سنة نسائها فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وعن ان
ينكحوهن وذلك ما روي عنها رضي الله عنها انها يتيمة يرغب وليها عن نكاحها ولا ينكحها فيعضلها طمعا في
ميراثها وفي رواية عنها انها هو الرجل يكون عنده يتيمة وهو وارثها ولها شيء يكتمها في المال حتى في العذق
فيرغب ان ينكحها او يكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها فالمراد بما كتب لهن على الوجه
الاول والاخير ميراثهن وبما يتلى في حقهن قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم وقوله تعالى ولا تأكلوها
ونحوهما من النصوص الدالة على عدم التعرض لاموالهم وعلى الوجه الثاني صداقهن وبما يتلى فيهن قوله
تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى الآية والمستضعفين من الولدان عطف على يتامى النساء وما
يتلى في حقهم قوله تعالى يوصيكم الله الى آخره وقد كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء وانما يورثون
الرجال القوام بالامور روي ان عيينة بن حصين الفزاري جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اخبرنا انك تعطي الابنة النصف والاخت النصف وانما كنا نورث من يشهد القتال ويحوز
الغنيمة فقال صلى الله عليه وسلم كذلك امرت وان تقوموا لليتامى بالقسط بالجر عطف على ما قبله
وما يتلى في حقهم قوله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم ونحو ذلك مما
لا يكاد يحصى هذا على تقدير كون في يتامى النساء متعلقا بيتلى واما على تقدير كونه بدلا من فيهن فالوجه
نصبه عطفا على موضع فيهن اي يفتيكم ان تقوموا ويجوز نصبه باضمار فعل اي ويأمركم وهو خطاب
للولاة وللاولياء والاوصياء وما تفعلوا في حقوق المذكورين من خير حسبما امرتم به او ما تفعلونه من
خير على الاطلاق ما يتعلق بهم اندراجا اوليا فان الله كان به عليما فيجازيكم بحسبه وان امرأة خافت
شروع في بيان ما لم يبين فيما سلف من الاحكام اي توقعت امرأة من بعلها نشوزا اي تجافيا عنها وترفعا
عن صحبتها كراهة لها ومنعا لحقوقها او اعراضا بان يقل مجادثتها ومؤانستها لما يقتضي ذلك من
الدواعي والاسباب فلا جناح عليهما حينئذ ان يصلحا بينهما صلحا اي في ان يصلحا بينهما بان تحط له المهر
او بعضه او القسم كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوهبت يومها لعائشة او بان تهب له شيئا تستميله وقرئ يصالحا من يصالحا ويصلحا من يصطلحا

ويصالحا من المفاعلة وصلحا اما منصوب بالفعل المذكور على كل تقدير على انه مصدر منه بحذف الزوائد
وقد يعبر عنه باسم المصدر كانه قيل اصلاحا او اصلاحا تصالحا او اصطلاحا حسبما قرئ الفعل او بفعل
مترتب على المذكور اي فيصلح حالهما صلحا وبينهما ظرف للفعل او حال من صلحا والتعرض لنفي الجناح عنهما
مع انه ليس من جانبها الاخذ الذي هو مظنة للجناح لبيان ان هذا الصلح ليس من قبيل الرشوة المحرمة للمعطي
والاخذ والصلح خير اي من الفرقة او من سوء العشرة او من الخصومة فاللام للعهد او هو خير من الخيور
فاللام للجنس والجملة اعتراض مقرر لما قبله وكذا قوله واحضرت الانفس الشح اي جعلت حاضرة له مطبوعة
عليه لا ينفك عنه ابدا فلا المراة تسمح بحقوقها من الرجل ولا الرجل يجود بحسن المعاشرة مع دمامتها
فان فيه تحقيقا للصلح وتقريرا له بحث كل منهما عليه لكن لا بالنظر الى حال نفسه فان ذلك يستدعي التمادي
في المماكسة والشقاق بل بالنظر الى حال صاحبه فان شح نفس الرجل وعدم ميلها عن حالتها الجبلية بغير
استمالة مما يحمل المراة على بذل بعض حقوقها اليه لاستمالته وكذا شح نفسها بحقوقها مما يحمل الرجل ان
يقنع من قبلها بشيء يسير ولا يكلفها بذل الكثير فيتحقق بذلك الصلح وان تحسنوا في العشرة
وتتقوا النشوز والاعراض وان تقاصدت الاسباب الداعية اليهما وتصبروا على ذلك مراعاة لحقوق
الصحبة ولم تضطروهن الى بذل شيء منها من حقوقهن فان الله كان بما تعملون اي من الاحسان والتقوى
او بما تعملون جميعا فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا خبيرا فيجازيكم ويثيبكم على ذلك البتة لاستحالة ان
يضيع اجر المحسنين وفي خطاب الازواج بطريق الالتفات والتعبير عن رعاية حقوقهن بالاحسان
ولفظ التقوى المنبئ عن كون النشوز والاعراض مما يتقى عنه وترتيب الوعد الكريم عليه من لطف الاستمالة
والترغيب في حسن المعاملة ما لا يخفى روي انها نزلت في عمرة بنت محمد بن سلمة وزوجها سعد بن الربيع
تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج شابة وآثرها عليها وجفاها فاتت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وشكت اليه ذلك وقيل نزلت في ابي السائب كانت له امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلق
ويتزوج غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على اولادي فاقسم لي من كل شهرين ان شئت وان شئت فلا
تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فنزلت
ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء اي محال ان تقدروا على ان تعدلوا بينهن بحيث لا يقع ميل ما الى جانب
احداهن في شان من الشؤون البتة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فيعدل
ثم يقول اللهم هذه قسمتي فيما املك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا املك وفي رواية وانت اعلم بما لا املك يعني
فرط محبته لعائشة رضي الله عنها ولو حرصتم اي على اقامة العدل وبالغتم في ذلك فلا تميلوا كل الميل
اي فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور واعدلوا ما استطعتم فان عجزكم عن حقيقة العدل انما يصحح عدم
تكليفكم بها لا بما دونها من المراتب الداخلة تحت استطاعتكم فتذروها اي التي ملتم عنها كالمعلقة التي
ليست ذات بعل ولا مطلقة وقرئ كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احداهما جاء يوم
القيمة واحد شقيه مائل وان تصلحوا ما كنتم تفسدون من امورهن وتتقوا الميل فيما يستقبل فان الله
كان غفورا يغفر لكم ما فرط منكم من الميل رحيما يتفضل عليكم برحمته وان يتفرقا وقرئ يتفارقا اي وان
يفارق كل واحد منهما صاحبه بان لم يتفق بينهما وفاق بوجه ما من الصلح وغيره يغن الله كلا منهما اي
يجعله مستغنيا عن الآخر يكفه مهماته من سعته من غناه وقدرته وفيه زجر لهما عن المفارقة رغما
لصاحبه وكان الله واسعا حكيما مقتدرا متقنا في افعاله واحكامه وقوله تعالى ولله ما في السموات
وما في الارض اي من الموجودات كائنا ما كان من الخلائق وارزاقهم وغير ذلك جملة مستانفة منبهة
على كمال سعته وعظم قدرته ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم امرناهم في كتابهم وهم اليهود
والنصارى ومن قبلهم من الامم واللام في الكتاب للجنس ومن متعلقة بوصينا او باوتوا واياكم عطف
على الموصول ان اتقوا الله اي وصينا كلا منكم ومنهم بان اتقوا الله على ان ان مصدرية حذف عنها
الجار ويجوز ان تكون مفسرة لان التوصية في معنى القول فقوله تعالى وان تكفروا فان لله ما في السموات
وما في الارض حينئذ من تتمة القول المحكي اي ولقد قلنا لكم ولهم اتقوا الله وان تكفروا الى آخره وعلى
تقدير كون ان مصدرية مبني على ارادة القول اي امرناهم واياكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان
تكفروا الآية وقيل هي جملة مستانفة خوطب بها هذه الامة واياما كان فالمترتب على كفرهم ليس
مضمون قوله تعالى فان لله الآية بل هو الامر بعلمه كانه قيل وان تكفروا فاعلموا ان لله ما في السموات
وما في الارض من الخلائق قاطبة مفتقرون اليه في الوجود وسائر النعم المتفرعة عليه لا يستغنون عن
فيضه طرفة عين فحقه ان يطاع ولا يعصى ويتقى عقابه ويرجى ثوابه وقد قرر ذلك بقوله تعالى
وكان الله غنيا اي عن الخلق وعبادتهم حميدا محمودا في ذاته حمدوه او لم يحمدوه فلا يتضرر بكفرهم

ومعا

ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم وانما وصاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته ولله ما في السموات
وما في الارض كلام مبتدأ مسوق للمخاطبين توطئة لما بعده من الشرطية غير داخل تحت القول المحكي
اي له سبحانه وتعالى ما فيهما من الخلائق خلقا وملكا يتصرف فيهم كيف يشاء ايجادا واعداما واحياء
واماتة وكفى بالله وكيلا في تدبير امور الكل وكل الامور فلا بد من ان يتوكل عليه لا على احد سواه
ان يشأ يذهبكم ايها الناس اي يفنكم ويستاصلكم بالمرة ويات باخرين اي ويوجد دفعة مكانكم قوما
آخرين من البشر او خلقا آخرين مكان الانس ومفعول المشيئة محذوف لكونه مضمون الجزاء اي ان يشأ
افناءكم وايجاد آخرين يذهبكم الى آخره يعني ان ابقاءكم على ما انتم عليه من العصيان انما هو لكمال غناه عن
طاعتكم ولعدم تعلق مشيئته المبنية على الحكم البالغة بافنائكم لا لعجزه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا
وكان الله على ذلك اي افنائكم بالمرة وايجاد آخرين دفعة مكانكم قديرا بليغ القدرة وفيه لا سيما في توسيط
الخطاب بين الجزاء وما عطف عليه من تشديد التهديد ما لا يخفى وقيل هو خطاب لمن عادى رسول الله
صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشأ يمتكم ويات بناس آخرين يوالونه فمعناه معنى قوله تعالى وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده
على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة
فعند الله ثواب الدنيا والآخرة اي فعنده تعالى ثوابهما له ان اراده فما له يطلب اخسهما فليطلبهما كمن
يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة او ليطلب اشرفهما فان من جاهد خالصا لوجه
الله لم يخطئه الغنيمة وله في الآخرة ما هي في جنبه كلا شيء اي فعند الله ثواب الدارين فيعطي كلا ما يريده
كقوله من كان يريد حرث الدنيا نؤته منها الآية وكان الله سميعا بصيرا عالما بجميع المسموعات
والمبصرات فيندرج فيها ما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المتعلقة بمرادهم اندراجا اوليا يا ايها
الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط مبالغين في العدل واقامة القسط في جميع الامور مجتهدين في
ذلك حق الاجتهاد شهداء لله بالحق تقيمون شهاداتكم لوجه الله تعالى وهو خبر ثان وقيل حال
ولو على انفسكم اي ولو كانت الشهادة على انفسكم بان تقروا عليها على ان الشهادة عبارة عن الاخبار بحق الغير
سواء كان ذلك عليه او على ثالث او بان تكون الشهادة مستتبعة لضرر ينالكم من جهة المشهود عليه
او الوالدين والاقربين اي ولو كانت على والديكم واقاربكم ان يكن اي المشهود عليه غنيا يبتغى في العادة
رضاه ويتقى سخطه او فقيرا يترحم عليه وقرئ ان يكن غني او فقير على ان كان تامة وجواب الشرط
محذوف لدلالة قوله تعالى فالله اولى بهما عليه اي فلا تمتنعوا عنها طلبا لرضا الغني او ترحما على الفقير فان
الله تعالى اولى بجنسي الغني والفقير المدلول عليهما بما ذكر ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها
وقرئ اولى بهم فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا اي مخافة ان تعدلوا عن الحق فان اتباع الهوى من مظان الجور
الذي حقه ان يخاف ويحذر وقيل كراهة ان تعدلوا بين الناس او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا اي
السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل بان تاتوا بها لا على وجهها وقرئ وان تلوا من الولاية والتصدي
اي وان وليتم اقامة الشهادة او تعرضوا اي عن اقامتها راسا فان الله كان بما تعملون خبيرا اي من
لي الالسنة والاعراض بالكلية او من جميع الاعمال التي من جملتها ما ذكر خبيرا فيجازيكم لا محالة على
ذلك فهو على القراءة المشهورة وعيد محض وعلى القراءة الاخيرة متضمن للوعد ايضا يا ايها الذين آمنوا خطاب
لكافة المسلمين فمعنى قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي
انزل من قبل اثبتوا على الايمان بذلك وداوموا عليه او ازدادوا فيه طمانينة ويقينا او آمنوا بما ذكر
مفصلا بناء على ان ايمان بعضهم اجمالي والمراد بالكتاب الثاني الجنس المنتظم لجميع الكتب السماوية
لقوله تعالى وكتبه وبالايمان به الايمان بان كل كتاب من تلك الكتب منزل منه تعالى على رسول
معين لارشاد امته الى ما شرع لهم من الدين بالاوامر والنواهي لكن لا على ان مدار الايمان بكل واحد
من تلك الكتب خصوصية ذلك الكتاب ولا على ان احكام تلك الكتب وشرائعها باقية بالكلية ولا على
ان الباقي منها معتبر بالاضافة اليها بل على ان الايمان بالكل مندرج تحت الايمان بالكتاب المنزل على
رسوله وان احكام كل منها كانت حقة ثابتة الى ورود ما نسخها وان ما لم ينسخ منها الى الآن من الشرائع
والاحكام ثابتة من حيث انها من احكام هذا الكتاب الجليل المصون عن النسخ والتبديل كما مر في تفسير خاتمة
سورة البقرة وقرئ ونزل وانزل على المفعول وقيل هو خطاب لمؤمني اهل الكتاب لما ان عبد الله بن
سلام وابن اخته سلاما وابن سلمة وابن اخيه واسدا واسيدا ابني كعب وثعلبة بن قيس ويامين بن يامين اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما
سواه من الكتب والرسل فقال صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب

كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم فامرهم بالايمان بالكتاب المتناول للتوراة مع انهم
مؤمنون بها من قبيل ليس يكون المراد بالايمان ما يعم انشاؤه والثبات عليه ولان متعلق الامر حقيقة
هو الايمان بما عداها كانه قيل آمنوا بالكل ولا تخصوه بالبعض بل لان المامور به انما هو الايمان بها في ضمن
الايمان بالقرآن على الوجه الذي اشير اليه انفا لا ايمانهم السابق ولان فيه حملا لهم على التسوية بينها
وبين سائر الكتب في التصديق لاشتراك الكل فيما يوجبه وهو النزول من عند الله تعالى وقيل خطاب
لاهل الكتابين فالمعنى آمنوا ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر اي بشيء
من ذلك فقد ضل ضلالا بعيدا عن القصد بحيث لا يكاد يعود الى طريقه وزيادة الملائكة واليوم الآخر
في جانب الكفر لما ان الكفر باحدهما لا يتحقق الايمان اصلا وجمع الكتب والرسل لما ان الكفر بالكتاب
او برسول كفر بالكل وتقديم الرسول فيما سبق لذكر الكتاب بعنوان كونه منزلا عليه ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم
آمنوا عند عوده اليهم ثم كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم وقيل هم قوم تكرر منهم الارتداد واصروا على الكفر وازدادوا تماديا في الغي لم يكن الله ليغفر لهم
ولا ليهديهم سبيلا لما انه يستبعد منهم ان يتوبوا عن الكفر ويثبتوا على الايمان فان قلوبهم قد ضربت
بالكفر وتمرنت على الردة كان الايمان عندهم اهون شيء وادونه لا انهم لو اخلصوا الايمان لم يقبل منهم
ولم يغفر لهم وخبر كان محذوف اي مريدا ليغفر لهم وقوله تعالى بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما يدل
على ان المراد بالمذكورين الذين آمنوا في الظاهر نفاقا وكفروا في السر مرة بعد اخرى ثم ازدادوا كفرا
ونفاقا ووضع بشر موضع انذر تهكما بهم الذين يتخذون الكافرين اولياء في محل النصب او الرفع
على الذم بمعنى اريد بهم الذين او هم الذين وقيل نصب على انه صفة للمنافقين وقوله تعالى من دون
المؤمنين حال من فاعل يتخذون اي يتخذون الكفرة انصارا متجاوزين ولاية المؤمنين وكانوا يوالونهم ويقول
بعضهم لبعض لا يتم امر محمد صلى الله عليه وسلم فتولوا اليهود ايبتغون عندهم العزة انكار لرأيهم
وابطال له وبيان لخيبة رجائهم وقطع لاطماعهم الفارغة والجملة معترضة مقررة لما قبلها اي يطلبون
بموالاة الكفرة القوة والغلبة قال الواحدي اصل العزة الشدة ومنه قيل للارض الشديدة الصلبة
عزاز وقوله تعالى فان العزة لله جميعا تعليل لما يفيده الاستفهام الانكاري من بطلان رأيهم وخيبة رجائهم
فان انحصار جميع العزة في جنابه تعالى بحيث لا ينالها الا اولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة وقال
ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين يقتضي بطلان التعزز بغيره سبحانه وتعالى واستحالة الانتفاع به
وقيل هو جواب شرط محذوف كانه قيل ان تبتغوا عندهم عزة فان العزة لله جميعا حال من المستكن في
قوله لله لاعتماده على المبتدأ وقد نزل عليكم خطاب للمنافقين بطريق الالتفات مفيد لتشديد التوبيخ
الذي يستدعيه تعداد جناياتهم وقرئ مبنيا للمفعول من التنزيل ومن الانزال وقرئ ايضا مخففا والجملة
حال من ضمير يتخذون ايضا مفيدة لكمال قباحة ضلالهم ولغاية استعصائهم عليه سبحانه وتعالى لبيان انهم
فعلوا ما فعلوا من موالاة الكفرة مع تحقق ما يمنعهم عن ذلك وهو ورود النهي الصريح عن مجالستهم
المستلزم للنهي عن موالاتهم على ابلغ وجه وآكده اثر بيان انتفاء ما يدعوهم اليه والجملة المعترضة كانه
قيل تتخذونهم اولياء والحال انه تعالى قد نزل عليكم قبل هذا بمكة في الكتاب اي القرآن الكريم ان اذا سمعتم
آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك قوله تعالى واذا رأيت الذين
يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم الآية وهذا يقتضي الانزجار عن مجالستهم في تلك الحالة القبيحة فكيف بموالاتهم
ولا عتادهم الحقيقة وان هي المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان الذي هو محذوف والجملة الشرطية خبرها وقوله
تعالى يكفر بها حال من آيات الله وقوله تعالى ويستهزأ بها عطف عليه داخل في حكم الحالية وانما اضافة
الآيات الى الاسم الجليل لتشريفها وابانة خطرها وتهويل امر الكفر بها اي نزل عليكم في الكتاب ان اذا
سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها وايقاع ... على النبي صلى الله عليه وسلم والا خوطب
به خاصة منزل على الامة وان مدار الاعراض عنهم هو العلم بخوضهم في الآيات ولذلك عبر عن
ذلك تارة بالرؤية واخرى بالسماع وان المراد بالاعراض اظهار المخالفة بالقيام عن مجالسهم لا
الاعراض بالقلب او بالوجه فقط والضمير في معهم للكفرة المدلول عليهم بقوله يكفر بها ويستهزأ
بها حتى يخوضوا اي الكفرة في حديث غيره انكم اذا مثلهم جملة مستأنفة سيقت لتعليل النهي غير داخلة تحت التنزيل واذا ملغاة عن العمل
لوقوعها بين المبتدأ والخبر اي لا تقعدوا معهم انكم ان فعلتموه كنتم مثلهم في الكفر
واستتباع العذاب وافراد المثل لانه كالمصدر او للاستغناء بالاضافة الى الجمع وقرئ شاذا مثلهم
بالفتح لاضافته الى غير متمكن كما في قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون وقيل هو منصوب على الظرفية
اي في مثل حالهم وقوله تعالى ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا تعليل لكونهم مثلهم

في

في الكفر ببيان ما يستلزمه من شركتهم لهم في العذاب والمراد بالمنافقين اما المخاطبون ونصب جميعا مثل ما قبله
الذين يتربصون بكم تلوين للخطاب وتوجيه له الى المؤمنين بتعديد بعض اخر من جنايات المنافقين وقبائحهم
وهو اما بدل من الذين يتخذون او صفة للمنافقين فقط اذ هم المتربصون دون الكافرين او مرفوع او منصوب
على الذم اي ينتظرون امركم وما يحدث لكم من ظفر او اخفاق والفاء في قوله تعالى فان كان لكم فتح من الله
لترتيب مضمونه على ما قبلها فان حكاية تربصهم مستتبعة لحكاية ما يقع بعد ذلك كما ان نفس التربص
يستدعي شيئا ينتظر المتربص وقوعه قالوا الم نكن معكم اي مظاهرين لكم فاسهموا لنا في الغنيمة وان كان
للكافرين نصيب من الحرب فانها سجال قالوا اي للكفرة الم نستحوذ عليكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم
ونمنعكم من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم وهو منوا في قتالكم وتوانينا في
مظاهرتهم والا كنتم نهبة للنوائب فهاتوا لنا نصيبا مما اصبتم وتسمية ظفر المسلمين فتحا وتخسيس حظ الكافرين
وقوعا ونمنعكم باضمار ان فالله يحكم بينكم يوم القيامة حكما يليق بشأن كل منكم من الثواب والعقاب واما في
الدنيا فقد اجرى على من تفوه بكلمة الاسلام حكمه ولم يضع السيف على من تكلم بها نفاقا ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا حينئذ كما قد يجعل ذلك في الدنيا بطريق الابتلاء والاستدراج او في الدنيا على ان المراد
بالسبيل الحجة ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم كلام مبتدأ سيق لبيان طرف اخر من قبائح اعمالهم
اي يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان نقيضه والله فاعل بهم ما يفعل الغالب في
الخداع حيث تركهم في الدنيا معصومي الدماء والاموال واعد لهم في الآخرة الدرك الاسفل من النار
وقد مر التحقيق في صدر سورة البقرة وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون
بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة
قاموا كسالى متثاقلين كالمكره على الفعل وقرئ بفتح الكاف وهما جمعا كسلان يراؤن الناس ليحسبوهم
مؤمنين والمراءاة مفاعلة بمعنى التفعيل كنعم وناعم او للمقابلة فان المرائي يري من يرائيه عمله وهو يريه
استحسانه والجملة اما استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا يريدون بقيامهم
اليها كسالى فقيل يراؤن الى آخره او حال من ضمير قاموا ولا يذكرون الله الا قليلا عطف على يراؤن اي لا
يذكرونه سبحانه وتعالى الا ذكرا قليلا وهو ذكرهم باللسان فانه بالاضافة الى الذكر بالقلب قليل اي الا
زمانا قليلا او لا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون الا بمرأى من الناس وذلك قليل وقيل لا يذكرونه تعالى في
الصلوة الا قليلا عند التكبير والتسليم مذبذبين بين ذلك حال من فاعل يراؤن او منصوب على الذم وذلك
اشارة الى الايمان والكفر المدلول عليهما بمعونة المقام اي مترددين بينهما متحيرين قد ذبذبهم الشيطان
وحقيقة المذبذب ما يذب ويدفع عن كلا الجانبين مرة بعد اخرى وقرئ بكسر الذال مذبذبين قلوبهم
او دينهم او رأيهم او هو بمعنى متذبذبين كما جاء صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف ابن مسعود رضي
الله عنه متذبذبين وقرئ مدبدبين بالدال الغير المعجمة وكان المعنى اخذ بهم تارة في دبة واخرى في
اخرى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء اي لا منسوبين الى المؤمنين ولا منسوبين الى الكافرين او لا صائرين الى
الاولين ولا الى الآخرين فمحله النصب على انه حال من ضمير مذبذبين او على انه بدل منه او بيان وتفسير
له ومن يضلل الله لعدم استعداده للهداية والتوفيق فلن تجد له سبيلا موصلا الى الحق والصواب فضلا
عن ان تهديه اليه والخطاب لكل من يصلح له كائنا من كان يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء
من دون المؤمنين نهوا عن موالاة الكفرة صريحا وان كان في بيان حال المنافقين من جره على ذلك مبالغة
في الزجر والتحذير اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا اي اتريدون بذلك ان تجعلوا لله عليكم
حجة بينة على انكم منافقون فان موالاتهم افصح ادلة النفاق او سلطانا يسلط عليكم عقابه وتوجيه
الانكار الى الارادة دون متعلقها بان يقال اتجعلون الى آخره للمبالغة في انكاره وتهويل امره ببيان
انه مما لا يصدر عن العاقل ارادته فضلا عن صدوره نفسه كما في قوله تعالى اتريدون ان تسألوا رسولكم
ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وهو الطبقة التي في قعر جهنم وانما كان ذلك لانهم
اخبث الكفرة حيث ضموا الى الكفر الاستهزاء بالاسلام واهله وخداعهم واما قوله عليه السلام ثلاث من
كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن
خان ونحوه فمن باب التشديد والتغليظ مبالغة في الزجر وتسمية طبقاتها السبع دركات لكونها
متداركة متتابعة بعضها تحت بعض وقرئ بفتح الراء وهو لغة كالسطر والسطر ويعضده ان جمعه
ادراك ولن تجد لهم نصيرا يخلصهم منه الا الذين تابوا اي عن النفاق وهو استثناء من
المنافقين بل من ضميرهم في الخبر واصلحوا ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله اي وثقوا
به وتمسكوا بدينه واخلصوا دينهم لله اي جعلوه خالصا لله لا يبتغون بطاعته الا وجهه فاولئك

اشادة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد المنزلة
وعلو الطبقة مع المؤمنين اى المؤمنين المعهودين الذين لم يصدر عنهم نفاق اصلا منذ امنوا
والا فهم ايضا مؤمنون اى معهم في الدرجات العالية من الجنة وقد بين ذلك بقوله تعالى وسوف
يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره فيساهمونهم فيه ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم
استيناف مسوق لبيان ان مدار تعذيبهم وجودا وعدما انما هو كفرهم لا شيء اخر فيكون مقررا لما قبله
من اثابتهم عند توبتهم وما استفهامية مفيدة للنفي على ابلغ وجه واكده اى اى شيء يفعل الله سبحانه
بتعذيبكم ايتشفى به من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضررا كما
هو شأن الملوك وهو الغني المتعال عن امثال ذلك وانما هو امر يقتضيه كفركم فاذا زال ذلك
بالايمان والشكر انتفى التعذيب لا محالة وتقديم الشكر على الايمان لما انه طريق موصل اليه فان
الناظر يدرك اولا ما عليه من النعم الانفسية والافاقية فيشكر شكرا مبهما ثم يترقى الى معرفة المنعم
فيؤمن به وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وكان الله شاكرا الشكر من الله سبحانه وتعالى هو
الرضا باليسير من طاعة عباده واضعاف الثواب مقابلته عليما مبالغا في العلم بجميع المعلومات التي من
جملتها شكركم وايمانكم فيستحيل ان لا يوفيكم اجوركم لا يحب الله الجهر بالسوء من القول عدم محبته تعالى
لشيء كناية عن سخطه والباء متعلقة بالجهر ومن بمحذوف وقع حالا من السوء اى لا يحب الله تعالى ان
يجهر احد بالسوء كائنا من القول الا من ظلم الا جهر من ظلم بان يدعو على ظالمه ويتظلم منه ويذكره بما فيه
من السوء فان ذلك غير مسخوط عنده سبحانه وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد
ظلمه الاية وقيل ضاف رجل قوما فلم يطعموه فاشتكاهم فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء
للفاعل فالاستثناء منقطع اى ولكن الظالم يرتكب ما لا يحبه الله تعالى فيجهر بالسوء وكان الله سميعا
بجميع المسموعات فيندرج فيها كلام المظلوم والظالم عليما بجميع المعلومات التي من جملتها حال المظلوم
والظالم فالجملة تذييل مقرر لما يفيده الاستثناء ان تبدوا خيرا اى خير كان من الاقوال والافعال او
تخفوه او تعفوا عن سوء مع ما سوغ لكم من مواخذة المسيء والتنصيص عليه مع اندراجه في ابداء الخير
واخفائه لما انه الحقيق بالبيان وانما ذكر ابداء الخير واخفاؤه بطريق التسبيب له كما ينبئ عنه قوله عز وجل
فان الله كان عفوا قديرا فان ايراده في معرض جواب الشرط يدل على ان العمدة هو العفو مع القدرة التي
كان مبالغا في العفو مع كمال قدرته على المواخذة وقال الحسن يعفو عن الجاني مع قدرته على الانتقام فعليكم
ان تقتدوا بسنة الله تعالى وقال الكلبي هو اقدر على عفو ذنوبكم منكم على عفو ذنوب من ظلمكم وقيل عفوا
عن عفا قديرا على ايصال الثواب اليه ان الذين يكفرون بالله ورسله اى يؤدي اليه مذهبهم ويقتضيه
رايهم لا انهم يصرحون بذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله اى بان يؤمنوا
به تعالى ويكفروا بهم لكن لا بان يصرحوا بالايمان به تعالى وبالكفر بهم قاطبة بل بطريق الالتزام كما
يحكيه قوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض اى نؤمن ببعض الانبياء ونكفر ببعض كما قالت اليهود نؤمن
بموسى والتوراة وعزير ونكفر بما وراء ذلك وما ذلك الا كفر بالله تعالى ورسله وتفريق بين الله تعالى
ورسله في الايمان لانه تعالى قد امرهم بالايمان بجميع الانبياء وما من نبي من الانبياء الا وقد اخبر قومه
بحقية دين نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين فمن كفر بواحد منهم فقد كفر بالكل وبالله تعالى
ايضا من حيث لا يحتسب ويريدون بقولهم ذلك ان يتخذوا بين ذلك اى بين الايمان والكفر سبيلا
يسلكونه مع انه لا واسطة بينهما قطعا اذ الحق لا يختلف وماذا بعد الحق الا الضلال اولئك
الموصوفون بالصفات القبيحة هم الكافرون اى الكاملون في الكفر لا عبرة بما يدعونه ويسمونه
ايمانا اصلا حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اى حق ذلك اى كونهم كاملين في الكفر حقا او صفة لمصدر الكافرين
اى هم الذين كفروا كفرا حقا اى ثابتا يقينا لا ريب فيه واعتدنا للكافرين اى لهم وانما وضع المظهر
مكان المضمر ذما لهم وتذكيرا لوصفهم او لجميع الكافرين وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا عذابا مهينا
سيذوقونه عند حلوله والذين امنوا بالله ورسله على الوجه الذي تبين في تفسير قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا امنوا بالله ورسوله الاية ولم يفرقوا بين احد منهم بان يؤمنوا ببعضهم ويكفروا باخرين كما فعله
الكفرة ودخول بين على احد قد مر تحقيقه في سورة البقرة بما لا مزيد عليه اولئك المنعوتون بالنعوت
الجليلة المذكورة سوف نؤتيهم اجورهم الموعودة لهم وتصديره بسوف لتاكيد الوعد والدلالة على انه
كائن لا محالة وان تراخى وقرئ نؤتيهم بنون العظمة وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما مبالغا في الرحمة
عليهم بتضعيف حسناتهم يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء نزلت في احبار اليهود حين
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى عليه السلام

وقيل

وقيل كتابا محررا بخط سماوي على اللوح المحفوظ كما نزلت التوراة او كتابا نعاينه حين ينزل او كتابا الينا باعياننا
بانك رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان مقصدهم بهذه العظيمة الا التحكم والتعنت قال الحسن ولو سألوه
لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم كفاية فقد سألوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اى ان
استكبرت ما سألوا منك فقد سألوا موسى اكبر منه وقيل تعليل للجواب اى فلا تبال بسؤالهم فقد
سألوا موسى اكبر منه وقيل تعليل الجواب اى فلا تبال بسؤالهم فقد سألوا موسى اكبر منه وهذه
المسألة وان صدرت عن اسلافهم لكنهم لما كانوا مقتدين بهم في كل ما يأتون وما يذرون اسند اليهم
والمعنى ان لهم في ذلك عرقا راسخا وان ما اقترحوا عليك ليس اول جهالاتهم فقالوا ارنا الله جهرة اى ارناه نره
جهرة اى عيانا او مجاهرين معاينين له والفاء تفسيرية فاخذتهم الصاعقة اى النار التي جاءتهم من السماء
فاهلكتهم وقرئ الصعقة بظلمهم اى بسبب ظلمهم وهو تعنتهم وسؤالهم لما يستحيل في تلك الحال التي كانوا
عليها وذلك لا يقتضي امتناع الرؤية مطلقا ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات اى المعجزات
التي اظهرها لفرعون من العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها لا التوراة لانها لم تنزل عليهم
بعد فعفونا عن ذلك ولم نستأصلهم وكانوا احقاء به قيل هذا استدعاء لهم الى التوبة كانه قيل ان اولئك
الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم ايضا حتى نعفو عنكم واتينا موسى سلطانا مبينا سلطانا ظاهرا
عليهم حيث امرهم بان يقتلوا انفسهم توبة عن معاصيهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم اى بسبب ميثاقهم
ليعطوه على ما روى انهم امتنعوا عن قبول شريعة التوراة فرفع الله تعالى عليهم الطور فقبلوها او ليخافوا
فلا ينقضوه على ما روى انهم هموا بنقضه فرفع الله تعالى عليهم الجبل فخافوا واقلعوا عن النقض وهو
الانسب بما سيأتي من قوله تعالى واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقلنا لهم على لسان موسى عليه السلام والطور
مظل عليهم ادخلوا الباب قال قتادة كنا نحدث انه باب من ابواب بيت المقدس وقيل هو ايليا
وقيل اريحا وقيل هو اسم قرية وقيل باب القبة التي كانوا يصلون اليها فانهم لم يدخلوا بيت المقدس
في حياة موسى عليه السلام سجدا اى متطامنين خاضعين وقلنا لهم لا تعدوا اى لا تظلموا باصطياد الحيتان
في السبت وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بفتح العين وتشديد الدال على ان اصله تعتدوا فادغمت
التاء في الدال لتقاربهما في المخرج بعد نقل حركتها الى العين واخذنا منهم على الامتثال بما كلفوه ميثاقا
غليظا مؤكدا وهو العهد الذي اخذه الله عليهم في التوراة قيل انهم اعطوا الميثاق على انهم ان هموا
بالرجوع عن الدين فالله تعالى يعذبهم باي انواع العذاب اراد فبما نقضهم ميثاقهم ما مزيدة للتاكيد
او نكرة تامة ونقضهم بدل منها والباء متعلقة بفعل محذوف اى فبسبب نقضهم ميثاقهم ذلك فعلنا بهم
ما فعلنا من اللعن والمسخ وغيرهما من العقوبات النازلة عليهم او على عقابهم روى انهم اعتدوا في
السبت في عهد داود عليه السلام ومسخوا قردة وقيل متعلقة بحرمنا على ان قوله تعالى فبظلم بدل من
قوله تعالى فبما وما عطف عليه فيكون التحريم معللا بالكل ولا يخفى ان قولهم انا قتلنا المسيح وقولهم على مريم
البهتان متاخر عن التحريم ولا مساغ لتعلقها بما دل عليه قوله تعالى بل طبع الله عليها بكفرهم لانه رد لقولهم قلوبنا
غلف فيكون من صلة قوله تعالى وقولهم المعطوف على المجرور فلا يعمل في جاره وكفرهم بايات الله اى بالقران
او بما في كتابهم وقتلهم الانبياء بغير حق كزكريا ويحيى عليهما السلام وقولهم قلوبنا غلف جمع اغلف وهي مغشاة
باغشية جبلية لا يكاد يصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم او هو تخفيف غلف جمع غلاف اى
هي اوعية ايضا للعلوم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره قاله ابن عباس رضي الله عنهما وعطاء وقال الكلبي
يعنون ان قلوبنا بحيث لا يصل اليها حديث الا وعته ولو كان في حديثك خير لوعته ايضا بل طبع الله عليها
بكفرهم كلام معترض بين المعطوفين جيء به على وجه الاستطراد مسارعة الى رد زعمهم الفاسد اى ليس
كفرهم وعدم وصول الحق الى قلوبهم لكونها غلفا بحسب الجبلة بل الامر بالعكس حيث ختم الله عليها بسبب
كفرهم اوليست قلوبهم كما زعموا بل هي مطبوع عليها بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا منهم كعبد الله بن
سلام واضرابه او الا ايمانا قليلا لا يعبأ به وبكفرهم اى بعيسى عليه السلام وهو عطف على قولهم
واعادة الجار لطول ما بينهما بالاستطراد وقد جوز عطفه على بكفرهم فيكون هو وما عطف عليه من اسباب
الطبع وقيل هذا المجموع معطوف على مجموع ما قبله وتكرير ذكر الكفر للايذان بتكرر كفرهم حيث كفروا
بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد عليهم الصلوة والسلام وقولهم على مريم بهتانا عظيما لا يقادر قدره حيث نسبوها
الى ما هي منه بالف منزل وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله نظم قولهم هذا في سلك سائر
جناياتهم التي نعيت عليهم ليس لمجرد كونه كذبا بل لتضمنه ابتهاجهم بقتل النبي والاستهزاء به فان وصفهم
له عليه السلام بعنوان الرسالة انما هو بطريق التهكم به كما في قوله تعالى يا ايها الذي نزل عليه الذكر الى
اخره ولا بنائه عن ذكرهم له عليه السلام بالوجه القبيح على ما قيل من ان ذلك وضع الذكر الجميل من جهته

تعالى مكان ذكرهم القبيح وقيل هو نعت له عليه السلام من جهته تعالى مدحا له عليه السلام ورفعا
لمحله واظهارا لغاية جراءتهم في تصديهم لقتله ونهاية وقاحتهم في افتخارهم بذلك وما قتلوه وما صلبوه
حال او اعتراض ولكن شبه لهم روي ان رهطا من اليهود سبوه عليه السلام وامه فدعا عليهم فمسخهم الله
قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله تعالى بانه يرفعه الى السماء فقال لاصحابه ايكم
يرضى بان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم انا فالقى الله تعالى عليه شبهه
فقتل وصلب وقيل كان رجل ينافق عيسى عليه السلام فلما ارادوا قتله قال انا ادلكم عليه فدخل
بيت عيسى عليه السلام فرفع عليه السلام والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه وقتلوه وهم
يظنون انه عيسى عليه السلام وقيل ان ططيانوس اليهودي دخل بيتا كان هو فيه فلم يجده والقى الله
تعالى عليه شبهه فلما خرج ظن انه عيسى فاخذ وقتل وامثال هذه الخوارق لا تستبعد في عصر النبوة وقيل
ان اليهود لما هموا بقتله عليه السلام فرفعه الله تعالى الى السماء خاف رؤساء اليهود من وقوع الفتنة
بين عوامهم فاخذوا انسانا وقتلوه وصلبوه ولبسوا على الناس واظهروا لهم انه هو المسيح وما
كانوا يعرفونه الا بالاسم لعدم مخالطته لهم عليه السلام الا قليلا وشبه مسند الى الجار والمجرور كانه
قيل ولكن وقع التشبيه بين عيسى والمقتول او في الامر على قول من قال لم يقتل احد ولكن ارجف بقتله
فشاع بين الناس والى ضمير المقتول لدلالة انا قتلنا على ان ثمة مقتولا وان الذين اختلفوا فيه اي في
شان عيسى عليه السلام فانه لما وقعت تلك الواقعة اختلف الناس فقال بعض اليهود انه كان
كاذبا فقتلناه حقا وتردد آخرون وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى
عليه السلام والبدن بدن صاحبنا وقال من سمع منه ان الله يرفعني الى السماء انه رفع الى السماء
وقال قوم صلب الناسوت وصعد اللاهوت لفي شك منه لفي تردد والشك كما يطلق على ما لم يترجح
احد طرفيه يطلق على مطلق التردد وعلى ما يقابل العلم ولذلك اكد بقوله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع
الظن استثناء منقطع اي لكنهم يتبعون الظن ويجوز ان يفسر الشك بالجهل والعلم بالاعتقاد الذي تسكن
اليه النفس جزما كان او غيره فالاستثناء حينئذ متصل وما قتلوه يقينا كما زعموا بقولهم انا قتلنا المسيح
وقيل معناه ما علموه يقينا كما في قول من قال كذلك تخبر عنها العالمات بها وقد قتلت بعلمي ذلكم يقينا
من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ علمك فيه وفيه تهكم بهم لاشعاره بعلمهم في الجملة
وقد نفى ذلك عنهم بالكلية بل رفعه الله اليه رد وانكار لقتله واثبات لرفعه وكان الله عزيزا
لا يغالب فيما يريده حكيما في جميع افعاله فيدخل فيها تدبيراته تعالى في امر عيسى عليه السلام
دخولا اوليا وان من اهل الكتاب اي من اليهود والنصارى وقوله تعالى الا ليؤمنن به قبل موته
جملة قسمية وقعت صفة لموصوف محذوف اليه يرجع الضمير الثاني والاول لعيسى عليه السلام اي وما
من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام قبل ان تزهق روحه بانه عبد الله ورسوله ولات
حين ايمان لانقطاع وقت التكليف ويعضده انه قرئ ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون لما ان احدا في
معنى الجمع وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه
قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال فان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها
في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج اية ما قرأتها الا تخالج في نفسي
شيء منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا اسمع منه ذلك
فقلت ان اليهودي اذا حضرته الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك موسى
نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي ويقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او
ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر
الي وقال ممن قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من
عين صافية والاخبار بحالهم هذه وعيد لهم وتحريض على المسارعة الى الايمان به قبل ان يضطروا اليه
مع انتفاء جدواه وقيل كلا الضميرين لعيسى عليه السلام والمعنى وما من اهل الكتاب الموجودين
عند نزول عيسى احد الا ليؤمنن به قبل موته روي انه عليه السلام ينزل من السماء في آخر الزمان
فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله تعالى في زمانه
الدجال ويقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان
مع الحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه وقيل الضمير الاول
يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيامة يكون اي عيسى عليه السلام عليهم
اي على اهل الكتاب شهيدا فيشهد على اليهود بالتكذيب وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله تعالى

تعالى

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فبظلم من الذين هادوا لعل ذكرهم بهذا العنوان للايذان بكمال عظم ظلمهم
بتذكير وقوعه بعد ما هادوا اي تابوا من عبادة العجل مثل تلك التوبة الهائلة المشروطة ببخع النفوس
اثر بيان عظمه في حد ذاته بالتنوين التفخيمي اي بسبب ظلم عظيم خارج عن حدود الاشباه والاشكال
صادر عنهم حرمنا عليهم طيبات احلت لهم ولمن قبلهم لا لشيء غيره كما زعموا فانهم كانوا كلما ارتكبوا معصية
من المعاصي التي اقترفوها يحرم عليهم نوع من الطيبات التي كانت محللة لهم ولمن تقدمهم من اسلافهم عقوبة
لهم وكانوا مع ذلك يفترون على الله سبحانه وتعالى ويقولون لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة
على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا فكذبهم الله تعالى في مواقع كثيرة وبكتهم بقوله تعالى كل
الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين اي في ادعائكم انه تحريم قديم روي انه عليه السلام لما كلفهم اخراج التوراة
لم يجسر احد على اخراجها لما ان كون التحريم بظلمهم كان مسطورا فيها فبهتوا وانقلبوا صاغرين وبصدهم
عن سبيل الله كثيرا اي ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربا وقد نهوا عنه فان الربا كان محرما عليهم كما
هو محرم علينا وفيه دليل على ان النهي يدل على حرمة المنهي عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة
وسائر الوجوه المحرمة واعتدنا للكافرين منهم اي للمصرين على الكفر لا لمن تاب وآمن من بينهم عذابا اليما سيذوقونه
في الآخرة كما ذاقوا في الدنيا عقوبة التحريم لكن الراسخون في العلم منهم استدراك من قوله واعتدنا الى
آخره وبيان لكون بعضهم على خلاف حالهم عاجلا وآجلا اي لكن الثابتون في العلم منهم المتقنون المستبصرون
فيه غير التابعين للظن كاولئك الجهلة والمراد به عبد الله بن سلام واصحابه والمؤمنون اي منهم
وصفوا بالايمان بعد ما وصفوا بما يوجبه من الرسوخ في العلم بطريق العطف المبني على المغايرة بين
المعطوفين تنزيلا للاختلاف العنواني منزلة الاختلاف الذاتي وقوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك حال من المؤمنين مبينة لكيفية ايمانهم وقيل اعتراض مؤكد لما قبله وقوله تعالى
والمقيمين الصلوة قيل نصب باضمار فعل تقديره واعني المقيمين الصلوة على ان الجملة معترضة بين المبتدا
والخبر وقيل هو عطف على ما انزل اليك على ان المراد بهم الانبياء عليهم السلام اي يؤمنون بالكتب
وبالانبياء وبالملائكة قال مكي اي ويؤمنون بالملائكة الذين صفتهم اقامة الصلوة لقوله تعالى يسبحون
الليل والنهار لا يفترون وقيل عطف على الكاف في اليك اي يؤمنون بما انزل اليك والى المقيمين الصلوة
اي الانبياء وقيل على الضمير المجرور في منهم اي لكن الراسخون في العلم منهم ومن المقيمين الصلوة وقرئ بالرفع
على انه معطوف على المؤمنين بناء على ما مر من تنزيل التغاير الذاتي ولذا الحال فيما سياتي من المعطوفين
فان قوله تعالى والمؤتون الزكوة عطف على المؤمنون مع اتحاد الكل ذاتا ولذا الكلام في قوله تعالى
والمؤمنون بالله واليوم الآخر فان المراد بالكل مؤمنو اهل الكتاب قد وصفوا اولا بكونهم
راسخين في علم الكتاب ايذانا بان ذلك موجب للايمان حتما وان من عداهم انما بقوا مصرين على الكفر
لعدم رسوخهم فيه ثم بكونهم مؤمنين بجميع الكتب المنزلة على الانبياء عليهم السلام ثم بكونهم عاملين
بما فيها من الشرائع والاحكام واكتفي من بينها بذكر اقامة الصلوة وايتاء الزكوة المستتبعين لسائر
العبادات البدنية والمالية ثم بكونهم مؤمنين بالمبدا والمعاد تحقيقا لحيازتهم الايمان بقطريه
واحاطتهم به من طرفيه وتعريضا بان من عداهم من اهل الكتاب ليسوا بمؤمنين بواحد منهما في
حقيقة فانهم بقولهم عزير ابن الله مشركون بالله سبحانه وتعالى وبقولهم لن تمسنا النار الا اياما
معدودة كافرون باليوم الآخر وقوله تعالى اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما عد من الصفات
الجميلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا وقوله
تعالى سنؤتيهم اجرا عظيما خبره والجملة خبر المبتدا الذي هو الراسخون وما عطف عليه والسين لتاكيد
الوعد وتنكير الاجر للتفخيم وهذا انسب بتجاوب طرفي الاستدراك حيث اوعد الاولون بالعذاب الاليم
ووعد الآخرون بالاجر العظيم كانه قيل اثر قوله تعالى واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن المؤمنون
منهم سنؤتيهم اجرا عظيما واما ما جنح اليه الجمهور من جعل قوله تعالى يؤمنون بما انزل اليك الى
آخره خبر المبتدا ففيه كمال السداد خلا انه غير متعرض لتقابل الطرفين وقرئ سيؤتيهم بالياء مراعاة لظاهر
قوله تعالى والمؤمنون بالله انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده جواب لاهل الكتاب
عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بانه ليس
بدعا من الرسل وانما شانه في حقيقة الارسال واصل الوحي كشان سائر مشاهير الانبياء الذين لا ريب
لاحد في نبوتهم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ايحاء مثل ايحائنا الى نوح
او على انه حال من ذلك المصدر المقدر معرفا كما هو راي سيبويه اي اوحينا الايحاء حال كونه مشبها بايحائنا

إلى آخره ومن بعده متعلق بأوحينا وإنما بدئ بنوح لأنه أبو البشر وأول نبي شرع الله تعالى على لسانه
الشرائع والأحكام وأول نبي عذبت أمته لردهم دعوته وقد أهلك الله تعالى بدعائه أهل الأرض
وأوحينا إلى إبراهيم عطف على أوحينا إلى نوح داخل معه في حكم التشبيه أي وكما أوحينا إلى إبراهيم وإسمعيل
وإسحق ويعقوب والأسباط وهم أولاد يعقوب عليهم السلام وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان
خصوا بالذكر مع ظهور انتظامهم في سلك النبيين تشريفا لهم وإظهارا لفضلهم كما في قوله تعالى من كان
عدوا لله وملائكته وجبريل وميكائل وتعيينا لمن ينتمي إليهم اليهود من الأنبياء وتكرير الفعل لمزيد
تقرير الإيحاء والتنبيه على أنهم طائفة خاصة مستقلة بنوع مخصوص من الوحي وآتينا داود زبورا
قال القرطبي كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الأحكام وإنما هي حكم ومواعظ والتحميد
والتمجيد والثناء على الله عز وجل وقرئ بضم الزاي وهو جمع زبر بمعنى مزبور والجملة عطف على أوحينا
داخل في حكمه لأن إيتاء الزبور من باب الإيحاء أي وكما آتينا داود زبورا وإيثاره على وأوحينا إلى
داود لتحقيق المماثلة في أمر خاص هو إيتاء الكتاب بعد تحقيقها في مطلق الإيحاء ثم أشير إلى تحقيقها
في أمر لازم لهما لزوما كليا وهو الإرسال فإن قوله تعالى ورسلا نصب بمضمر يدل عليه أوحينا
داخل معه في حكم التشبيه كما قبله أي وكما أرسلنا رسلا لا بما يفسره قوله تعالى قد قصصناهم عليك
أي وقصصنا رسلا كما قالوا وفرعوا عليه أن قوله تعالى قد قصصناهم على الوجه الأول منصوب
على أنه صفة لرسلا وعلى الوجه الثاني لا محل له من الإعراب فإنه مما لا سبيل إليه كما تقف عليه وقرئ
برفع رسل وقوله تعالى من قبل متعلق بقصصنا أي قصصنا من قبل هذه السورة أو اليوم ورسلا لم
نقصصهم عليك عطف على رسلا منصوب بناصبه وقيل كلاهما منصوب بنزع الخافض والتقدير كما
أوحينا إلى نوح وإلى رسل إلى آخره والحق أن يكون انتصابهما بأرسلنا فإن فيه تحقيقا للمماثلة بين شأنه
صلى الله عليه وسلم وبين شؤون من يعترفون بنبوته من الأنبياء عليهم السلام في مطلق الإيحاء ثم في إيتاء
الكتاب ثم في الإرسال فإن قوله تعالى إنا أوحينا إليك منتظم بمعنى آتيناك وأرسلناك حتما كأنه
قيل إنا أوحينا إليك إيحاء مثل ما أوحينا إلى نوح ومثل ما أوحينا إلى إبراهيم ومن بعده وآتيناك
الفرقان إيتاء مثل ما آتينا داود زبورا وأرسلناك إرسالا مثل ما أرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك
من قبل ورسلا أخرى لم نقصصهم عليك من غير تفاوت بينك وبينهم في حقيقة الإيحاء وأصل الإرسال
فما للكفرة يسألونك شيئا لم يعطه أحد من هؤلاء الرسل عليهم السلام ومن ههنا اتضح أن رسلا
لا يمكن نصبه بقصصنا فإن ناصبه يجب أن يكون معطوفا على أوحينا داخلا معه في حكم التشبيه الذي
عليه يدور فلك الاحتجاج على الكفرة ولا ريب في أن قصصنا لا تعلق له بشيء من الإيحاء والإيتاء حتى
يمكن اعتباره في ضمن قوله تعالى إنا أوحينا إليك ثم يعتبر بينه وبين المذكور مماثلة مصححة للتشبيه على
أن تقديره في رسلا الأول يقتضي تقدير نفيه في الثاني وذلك أشد استحالة وأظهر بطلانا وكلم الله
موسى برفع الجلالة ونصب موسى وقرئ على القلب وقوله تعالى تكليما مصدر مؤكد رافع لاحتمال
المجاز قال الفراء العرب تسمي ما وصل إلى الإنسان كلاما بأي طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فإذا أكد به لم
يكن إلا حقيقة الكلام والجملة إما معطوفة على قوله تعالى إنا أوحينا إليك عطف القصة على القصة لا على
آتينا وما عطف عليه وإما بتقدير قد كما ينبئ عنه تغيير الأسلوب بالالتفات والمعنى أن التكليم بغير واسطة
منتهى مراتب الوحي خص به من بينهم موسى فلم يكن ذلك قادحا في نبوة سائر الأنبياء فكيف يتوهم نزول
التوراة عليه السلام جملة قادحا في صحة نبوة من أنزل عليه الكتاب مفصلا مع ظهور أن نزولها
كذلك لحكم مقتضية لذلك من جملتها أن بني إسرائيل كانوا في العناد وشدة الشكيمة بحيث لو لم يكن
نزولها كذلك لما آمنوا بها ومع ذلك ما آمنوا بها إلا بعد اللتيا والتي وقد فضل الله نبينا محمدا صلى
الله عليه وسلم بأن أعطاه مثل ما أعطى كل واحد منهم صلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا رسلا مبشرين
ومنذرين نصب على المدح أو بإضمار أرسلنا أو على الحال بأن يكون رسلا موطئا لما بعده أو على البدلية
من رسلا الأول أي مبشرين لأهل الطاعة بالجنة ومنذرين للعصاة بالنار لئلا يكون للناس على الله
حجة أي معذرة يعتذرون بها قائلين لولا أرسلت إلينا رسولا فيبين لنا شرائعك ويعلمنا ما لم نكن نعلم
من أحكامك لقصور القوة البشرية عن إدراك جزئيات المصالح وعجز أكثر الناس عن إدراك كلياتها
كما في قوله تعالى ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك
الآية وإنما سميت حجة مع استحالة أن يكون لأحد عليه سبحانه وتعالى حجة في فعل من أفعاله بل له أن
يفعل ما يشاء كما يشاء للتنبيه على أن المعذرة في القبول عنده تعالى بمقتضى كرمه ورحمته بعباده بمنزلة
الحجة القاطعة التي لا مرد لها ولذلك قال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قال النبي صلى الله عليه وسلم

ما أحد أغير من الله تعالى لذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وما أحد أحب إليه المدح من
الله تعالى لذلك مدح نفسه وما أحد أحب إليه العذر من الله تعالى لذلك أرسل الرسل وأنزل
الكتب واللام متعلقة بأرسلنا وقيل بقوله تعالى مبشرين ومنذرين وحجة اسم كان وللناس خبرها
وعلى الله متعلق بمحذوف وقع حالا من حجة أي كائنة على الله أو هو الخبر وللناس حال على الوجه المذكور ويجوز
أن يتعلق كل منهما بما تعلق به الآخر الذي هو الخبر ولا يجوز تعلق على الله بحجة لأن معمول المصدر لا يتقدم عليه وقوله
تعالى بعد الرسل أي بعد إرسالهم وتبليغ الشرائع إلى الأمم على ألسنتهم متعلق بحجة أو بمحذوف
وقع صفة لها لأن الظروف يوصف بها الأحداث كما يخبر بها عنها نحو القتال يوم الجمعة وكان الله عزيزا
لا يغالب في أمر من أموره ومن قضيته الامتناع عن الإجابة إلى مسألة المتعنتين حكيما في جميع أفعاله
التي من جملتها إرسال الرسل وإنزال الكتب فإن تعدد الرسل والكتب واختلافها في كيفية النزول
وتفاوتها في بعض الشرائع والأحكام إنما هو لتفاوت طبقات الأمم في الأحوال التي عليها يدور فلك
التكليف فكما أنه سبحانه وتعالى برأهم على أنحاء شتى وأطوار متباينة حسبما تقتضيه الحكمة التكوينية
كذلك تعبدهم بما يليق بشأنهم وتقتضيه أحوالهم المختلفة واستعداداتهم المتغايرة من الشرائع والأحكام
حسبما تستدعيه الحكمة التشريعية وراعى في إرسال الرسل وإنزال الكتب وغير ذلك من الأمور المتعلقة
بمعاشهم ومعادهم ما فيه مصلحتهم وسؤال تنزيل الكتاب جملة اقتراح فاسد إذ حينئذ تتعاقب التكاليف
فتثقل على المكلف قبولها والخروج عن عهدتها وأما التنزيل المنجم الواقع حسب الأمور الداعية إليه
فهو أيسر قبولا وأسهل امتثالا لكن الله يشهد بتخفيف النون ورفع الجلالة وقرئ بتشديد النون ونصب الجلالة
وهو استدراك عما يفهم مما قبله كأنه لما تعنتوا عليه بما سبق من السؤال واحتج عليهم بقوله تعالى إنا أوحينا
إليك كما أوحينا إلى آخره قيل إنهم لا يشهدون بذلك لكن الله يشهد بما أنزل على البناء للفاعل وقرئ على
بناء المفعول والباء صلة للشهادة أي يشهد بحقية ما أنزل إليك من القرآن المعجز الناطق بنبوتك وقيل لما
نزل قوله تعالى إنا أوحينا إليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزلت لكن الله يشهد أنزله بعلمه أي ملتبسا بعلمه
الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم بديع يعجز عنه كل بليغ أو بعلمه بحال من أنزل إليه واستعداده
لاقتباس الأنوار القدسية أو بعلمه الذي يحتاج إليه الناس في معاشهم ومعادهم فالجار والمجرور على
الأولين حال من الفاعل وعلى الثالث من المفعول والجملة في موقع التفسير لما قبلها وقرئ نزله وقوله تعالى
والملائكة يشهدون أي بذلك مبتدأ وخبر والجملة عطف على ما قبلها وقيل حال من مفعول أنزله أي أنزله
والملائكة يشهدون بصدقه وحقيته وكفى بالله شهيدا على صحة نبوتك حيث نصب لها معجزات باهرة وحججا ظاهرة
مغنية عن الاستشهاد بغيرها إن الذين كفروا أي بما أنزل الله وشهد به أو بكل ما يجب الإيمان به وهو
داخل فيه دخولا أوليا والمراد بهم اليهود حيث كفروا به وصدوا عن سبيل الله وهو دين الإسلام من أراد
سلوكه بقولهم ما نعرف صفة محمد في كتابنا وقرئ صدوا مبنيا للمفعول قد ضلوا بما فعلوا من الكفر
والصد عن طريق الحق ضلالا بعيدا لأنهم جمعوا بين الضلال والإضلال ولأن المضل يكون أعرق في الضلال
وأبعد من الإقلاع عنه إن الذين كفروا أي بما ذكر آنفا وظلموا أي محمدا صلى الله عليه وسلم بإنكار نبوته
وكتمان نعوته الجليلة ووضع غيرها مكانها أو الناس بصدهم عما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد لم يكن
الله ليغفر لهم لاستحالة تعلق المغفرة بالكافر ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم لعدم استعدادهم للهداية إلى
الحق والأعمال الصالحة التي هي طريق الجنة والمراد بالهداية المفهومة من الاستثناء بطريق الإشارة
خلقه تعالى لأعمالهم السيئة المؤدية بهم إلى جهنم عند صرف قدرتهم واختيارهم إلى اكتسابها أو سوقهم
إليها يوم القيامة بواسطة الملائكة والطريق على عمومه والاستثناء متصل وقيل خاص بطريق الحق
والاستثناء منقطع خالدين فيها حال مقدرة من الضمير المنصوب والعامل فيها ما دل عليه الاستثناء
دلالة واضحة كأنه قيل يدخلهم جهنم خالدين فيها إلى آخره وقوله أبدا نصب على الظرفية رافع لاحتمال
حمل الخلود على المكث الطويل وكان ذلك أي جعلهم في جهنم خالدين على الله يسيرا لاستحالة أن يتعذر
عليه شيء من مراداته تعالى يا أيها الناس بعدما حكى لرسول الله صلى الله عليه وسلم تعلل اليهود بالأباطيل
واقتراحهم الباطل تعنتا ورد عليهم ذلك بتحقيق نبوته عليه السلام وتقرير رسالته ببيان شأنه
عليه السلام في أمر الوحي والإرسال كشؤون من يعترفون بنبوته من مشاهير الأنبياء عليهم السلام
وأكد ذلك بشهادته تعالى وشهادة الملائكة أمر المكلفين كافة على طريق تلوين الخطاب بالإيمان بذلك
أمرا مشفوعا بالوعد بالإجابة والوعيد على الرد تنبيها على أن الحجة قد لزمت ولم يبق لأحد بعد ذلك
عذر في عدم القبول وقوله عز وجل قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم تكرير للشهادة وتقرير لحقية المشهود به
وتمهيد لما يعقبه من الأمر بالإيمان وإيراده عليه السلام بعنوان الرسالة لتأكيد وجوب طاعته والمراد

بالحق وهو القرآن الكريم والبا متعلقة بجاءكم فهى للتعدية او بمحذوف وقع حالا من الرسول اى ملتبسا بالحق
ومن ايضا متعلقة اما بالفعل واما بمحذوف وقع حالا من الحق اى جاءكم به من عنده تعالى وجاءكم بالحق كائنا
من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين للايذان بان ذلك لتربيتهم
وتبليغهم الى كمالهم اللايق ترغيبا لهم فى الامتثال بما بعده من الامر والفا فى قوله عز وعلا فامنوا
للدلالة على ايجاب ما قبلها لما بعدها فامنوا به وبما جاءكم به من الحق وقوله تعالى خيرا لكم منصوب على انه
مفعول لفعل واجب الاضمار كما هو راى الخليل وسيبويه اى اقصدوا او ايتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه
من الكفر او على انه نعت لمصدر محذوف كما هو راى الفرا اى امنوا ايمانا خيرا لكم او على انه خبر كان المضمرة
الواقعة جوابا للامر لا جوابا للشرط على المذهب الكوفى للكسائى وابى عبيدة اى يكن الايمان خيرا لكم وان
تكفروا اى ان تصروا وتستمروا على الكفر به فان لله ما فى السموات وما فى الارض من الموجودات سواء كانت
داخلة فى حقيقتهما او بذلك يعلم حال انفسهما على ابلغ وجه واكده او خارجة عنهما مستقرة فيهما من العقلاء وغيرهم
فيدخل فى جملتهم المخاطبون دخولا اوليا اى كلها له عز وعلا خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته وقهره شىء منها
فمن هذا شانه فهو قادر على تعذيبكم بكفركم لا محالة فمن كان كذلك فهو غنى عنكم وعن غيركم لا يتضرر بكفركم
ولا ينتفع بايمانكم وقيل فمن كان كذلك فله عابد يعبده وينقاد له وكان الله عليما مبالغا
فى العلم فهو عالم باحوال الكل فيدخل فى ذلك علمه تعالى بكفرهم دخولا اوليا حكيما مراعيا للحكمة فى جميع
افعاله التى من جملتها تعذيبه تعالى اياهم بكفرهم يا اهل الكتاب تجريد للخطاب وتخصيص له بالنصارى
زجرا لهم عما هم عليه من الكفر والضلال لا تغلوا فى دينكم بالافراط فى رفع شان عيسى عليه السلام وادعاء الوهيته
واما غلو اليهود فى حط رتبته عليه السلام ورميهم له بانه ولد لغير رشدة فقد نعى عليهم ذلك فيما سبق
ولا تقولوا على الله الا الحق اى لا تصفوه بما يستحيل اتصافه به من الحلول والاتحاد واتخاذ الصاحبة والولد
بل نزهوه عن جميع ذلك انما المسيح قد مر تفسيره فى سورة آل عمران بكسر الميم وتشديد السين كالسكيت
على صيغة المبالغة وهو مبتدا وقوله تعالى عيسى بدل منه او عطف بيان له وقوله تعالى ابن مريم
صفة له مفيدة لبطلان ما وصفوه عليه السلام به من بنوته تعالى وقوله تعالى رسول الله خبر
للمبتدا والجملة مستانفة مسوقة لتعليل النهى عن القول الباطل المستلزم للامر بضده اعنى الحق
اى انه مقصور على رتبة الرسالة لا يتخطاها وكلمته عطف على رسول الله اى مكون بكلمته وامره الذى
هو كن من غير واسطة اب ولا نطفة القاها الى مريم اى اوصلها اليها وحصلها فيها بنفخ جبريل عليه السلام وقيل
اعلمها اليها واخبرها بها بطريق البشارة وذلك قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه المسيح عيسى بن مريم
قيل الجملة حال من ضمير عليه السلام المستكن فيما دل عليه وكلمته من معنى المشتق الذى هو العامل فيها
فقد مقدرة معها وروح منه قيل هو الذى نفخ جبريل عليه السلام فى درع مريم فحملت باذن الله تعالى
سمى النفخ روحا لانه ريح يخرج من الروح ومن لابتداء الغاية مجازا لا تبعيضية كما زعمت النصارى يحكى ان
طبيبا حاذقا نصرانيا للرشيد ناظر على بن حسين الواقدى المروزى ذات يوم فقال له ان فى كتابكم ما يدل
على ان عيسى عليه السلام جزء منه تعالى وتلا هذه الاية فقرا الواقدى وسخر لكم ما فى السموات وما فى
الارض جميعا منه فقال اذن يلزم ان تكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه وتعالى علوا كبيرا فانقطع
النصرانى فاسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدى بصلة فاخرة وهى متعلقة بمحذوف وقع
صفة للروح اى كائنة من جهته تعالى وجعلت منه تعالى وان كانت بنفخ جبريل عليه السلام لكون النفخ
بامره تعالى وقيل سمى روحا لاحيائه الاموات وقيل لاحيائه القلوب كما سمى به القرآن لذلك فى قوله
تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل اريد بالروح الوحى الذى اوحى الى مريم بالبشارة وقيل
جرت العادة بانهم اذا ارادوا وصف شىء بغاية الطهارة والنظافة قالوا انه روح فلما كان عيسى عليه
السلام متكونا من النفخ لا من النطفة وصف بالروح وتقديم كونه عليه السلام رسول الله تعالى فى
الذكر مع تاخره عن كونه كلمته تعالى وروحا منه فى الوجود لتحقيق الحق من اول الامر بما هو نص فيه غير
محتمل للتاويل وتعيين مآل ما يحتمله وسد باب التاويل الزائغ فامنوا بالله وخصوه بالالوهية ورسله
اجمعين وصفوهم بالرسالة ولا تخرجوا بعضهم عن سلكهم بوصفه بالالوهية ولا تقولوا ثلثة اى الالهة
ثلثة الله والمسيح ومريم كما ينبئ عنه قوله تعالى ءانت قلت للناس اتخذونى وامى الهين من دون الله او الله
ثلثة ان صح انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس
وانهم يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثانى العلم وبالثالث الحيوة انتهوا اى عن التثليث خيرا لكم
قد مر وجوه انتصابه انما الله اله واحد اى بالذات منزه عن التعدد بوجه من الوجوه فالله مبتدا واله
الخبر وواحد نعت اى منفرد فى الهيته سبحانه ان يكون له ولد اى اسبحه تسبيحا من ان يكون له ولد او سبحوه

تسبيحا

تسبيحا من ذلك فانه انما يتصور فيمن يماثله شىء ويتطرق اليه فناء والله سبحانه منزه عن امثاله وقرئ
ان يكون اى سبحانه ما يكون له ولد وقوله تعالى له ما فى السموات وما فى الارض جملة مستانفة مسوقة
لتعليل التنزيه وتقريره اى له ما فيهما من الموجوبات خلقا وملكا وتصرفا لا يخرج من ملكوته شىء من الاشيا
التى من جملتها عيسى عليه السلام فكيف يتوهم كونه ولدا لله تعالى وكفى بالله وكيلا اليه يكل الخلق
امورهم وهو غنى عن العالمين فانى يتصور فى حقه تعالى اتخاذ الولد الذى هو شان العجزة المحتاجين فى تدبير امورهم
الى من يخلفهم ويقوم مقامه لن يستنكف المسيح استيناف مقرر لما سبق من التنزيه والاستنكاف الانفة
والترفع من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك بالاصبع اى لن يانف ولن يترفع ان يكون عبدا لله اى عن ان
يكون عبد الله تعالى مستمرا على عبادته وطاعته حسبما هو وظيفة العبودية كيف وان ذلك اقصى مراتب
الشرف والاقتصار على ذكر عدم استنكافه عليه السلام عنه مع ان شانه عليه السلام المباهاة به كما يدل
عليه احوالهم ويفصح عنه اقواله اولا يرى ان اول مقالة قالها للناس قوله انى عبد الله اتانى الكتاب
وجعلنى نبيا لوقوعه عما قاله الكفرة روى ان وفد نجران قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب
صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واى شىء اقول قالوا تقول انه عبد الله قال انه ليس بعار ان
يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت وهو السر فى جعل المستنكف عنه كونه عليه السلام عبدا له تعالى دون
ان يعبد الله ونحو ذلك مع افادة فائدة جليلة هى كمال نزاهته عليه السلام عن الاستنكاف بالكلية
فان كونه عبد الله تعالى حالة اشير اليه بخلاف عبادته فانها حالة متجددة مستلزمة للدوام يكفى
فى اتصاف موصوفها بها تحققها مرة فعدم الاستنكاف عنها لا يستلزم عدم الاستنكاف عن دوامها
ولا الملائكة المقربون عطف على المسيح اى ولا يستنكف الملائكة المقربون ان يكونوا عبيدا لله وقيل ان اريد
بالملائكة كل واحد منهم لم يحتج الى التقدير واحتج بالاية من زعم فضل الملائكة على الانبيا عليهم السلام
وقال مساقه لرد النصارى فى رفع المسيح عن مقام العبودية وذلك يقتضى ان يكون المعطوف اعلى درجة
من المعطوف عليه حتى يكون عدم استنكافهم مستلزما لعدم استنكافه عليهم السلام السلم
وامتيازه عن سائر افراد البشر بالولادة من غير اب وبالعلم بالمغيبات وبالرفع الى السما عطف على
عدم استنكافه عن عبوديته تعالى عدم استنكاف من هو اعلى درجة منه فيما ذكر فان الملائكة مخلوقون
من غير اب ولا ام ويعلمون ما لا يعلمه البشر من المغيبات ومقارهم السموات العلى ولا نزاع لاحد فى
علو درجتهم من هذه الحيثية وانما النزاع فى علوها من حيث كثرة الثواب على الطاعة وبان الاية ليست
للرد على النصارى فقط بل على عبدة الملائكة ايضا فلا دلالة لما قالوا حينئذ وانه مسلم اختصاصها بالرد
على النصارى فلعله اريد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير والتفصيل لا باعتبار التكبير والتفضيل
كما فى قولك اصبح الامير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس ولئن سلم ارادة التفضيل فغاية الامر الدلالة
على افضلية المقربين منهم وهم الكروبيون الذين حول العرش او من هو اعلى منهم رتبة من الملائكة عليهم
السلام على المسيح من الانبيا عليهم السلام وليس يلزم من ذلك فضل احد الجنسين على الآخر مطلقا وهو
المتنازع فيه ومن يستنكف عن عبادته اى عن طاعته فيشمل جميع الكفرة لعدم طاعتهم له تعالى وانما
جعل المستنكف عنه ههنا عبادته تعالى لا الطاعة لتعليق الوعيد بوصف ظاهر الثبوت للكفرة فان
عدم طاعتهم له تعالى لا سبيل لهم الى انكاره اصلا بخلاف عدم طاعتهم له تعالى فانه لا استنكاف قلنا
لا يتهم عنها مع ان ذلك منهم كان بطريق الاستنكاف حيث لا يكون الامر من جهته تعالى بلا واسطة كما انهم
كانوا يستنكفون عن طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طاعة لله عز وجل
امره عليه السلام سوى اوامره تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله ويستكبر الاستكبار دون الانفة
بما لا ينبغى ان يؤنف عنه اصلا فهو طلب الكبر لنفسه بغير استحقاق لها لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد
عدم حصوله فيه بل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده كذلك وانما عبر عنه بما يدل على الطلب للايذان
بان ما له محض الطلب بدون حصول المطلوب وقد عبر عن نفس ذلك ببغية الطلب فى قوله تعالى
يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فانهم ما كانوا طالبين ثبوت العوج لسبيل الله مع اعتقادهم
لاستقامتها بل كانوا يعدونها معوجة ويعتقدونها كذلك وانما عبر عن ذلك بالطلب لما ذكر
من الاشعار بان ليس هناك شىء سوى الطلب والاستكبار دون الاستنكاف المنبئ عن توهم لحوق العار
والنقص من المستنكف عنه فسيحشرهم اليه جميعا اى المستنكفين ومقابليهم المدلول عليهم بذكر عدم استنكاف
المسيح والملائكة عليهم السلام وقد ترك ذكر احد الفريقين فى التفصيل عند قوله فاما الذين امنوا ثقة
بانه مع عموم الخطاب لهما اعتمادا على ظهور اقتضاء احدهما العقاب لا الاخر ضرورة شمول الحشر
وقيل الضمير للمستنكفين وهناك مقدر معطوف عليه والتقدير فسيحشرهم وغيرهم وقيل المعنى فسيحشرهم

اليه يوم يحشر العباد لمجازاتهم وفيه ان الانسب بالتفضيل الاتي اعتبار حشر الكل في الاجماع على نهج
واحد وقرئ فسنحشرهم بكسر السين وهي لغة وقرئ فسيحشرهم بنون العظمة بطريق الالتفات واما الذين
امنوا وعملوا الصالحات بيان لحال الفريق المطوي ذكره في الاجمال وقدم على بيان حال ما يقابله ابانة لفضله
ومسارعة الى بيان كون حشره ايضا معتبرا في الاجمال وايراده بعنوان الايمان والعمل الصالح لا بوصف
عدم الاستنكاف المناسب لما قبله وما بعده للتنبيه على انه المستتبع لما يعقبه من الثمرات فيوفيهم اجورهم
من غير ان ينقص منها شيئا اصلا ويزيدهم من فضله بتضعيفها اضعافا مضاعفة وباعطاء ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا اي عن عبادته تعالى واستكبروا فيعذبهم
بسبب استنكافهم واستكبارهم عذابا اليما لا يحيط به الوصف ولا يجدون لهم من دون الله وليا يلي امورهم
ويدبر مصالحهم ولا نصيرا ينصرهم من باسه تعالى وينجيهم من عذابه يا ايها الناس تلوين للخطاب
وتوجيه له لكافة المكلفين اثر بيان بطلان ما عليه الكفرة من فنون الكفر والضلال وابطال الزامهم بالبراهين
القاطعة التي تخر لها صم الجبال وازاحة شبههم الواهية بالبينات الواضحة وتنبيه لهم على ان الحجة
قد تمت فلم يبق بعد ذلك علة لمتعلل ولا عذر لمعتذر قد جاءكم اي وصل اليكم وتقرر في قلوبكم
بحيث لا سبيل لكم الى الانكار برهان البرهان ما يبرهن به على المطلوب والمراد به القران الدال على
صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المثبت لما فيه من الاحكام التي من جملتها ما اشير اليه مما اثبته
الايات الكريمة من حقية الحق وبطلان الباطل وقد روي ان ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه
وسلم عبر عنه لما معه من المعجزات التي اظهرها وقيل هو دين الحق الذي جاء به وقوله تعالى من ربكم اما متعلق
بجاءكم او بمحذوف وقع صفة مشرفة لبرهان مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية اي كائن منه تعالى على ان من لابتداء الغاية مجازا وقد جوز على الثاني كونها تبعيضية بحذف المضاف
اي كائن من براهين ربكم والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار اللطف بهم والايذان
بان مجيئه لهم لتربيتهم وتكميلهم وانزلنا اليكم نورا مبينا اريد به ايضا القران الكريم عبر عنه تارة بالبرهان
لما اشير اليه انفا واخرى بالنور المنير بنفسه المنور لغيره ايذانا بانه بين بنفسه مستغن في ثبوت حقيته
وكونه من عند الله تعالى باعجازه غير محتاج الى غيره مبين لغيره من الامور المذكورة واشعارا بهدايته
الخلق باخراجهم من ظلمات الكفر الى نور الايمان وقد سلك به مسلك العطف المبني على تغاير الطرفين تنزيلا
للمغايرة العنوانية منزلة المغايرة الذاتية وعبر عن ملابسته بالمخاطبين تارة بالمجيء المسند اليه المنبئ عن
كمال قوته في البرهانية كانه يجيء بنفسه فيثبت احكامه من غير ان يجيء به شيء فيكفر بالابطال واخرى
بالانزال الموقع عليه الملائم لحيثية كونه نورا توقيرا له باعتبار كل واحد من عنوانيه حظه اللائق به واسناد
انزاله اليه تعالى بطريق الالتفات لكمال تشريفه هذا على تقدير كون البرهان عبارة عن القران العظيم واما
على تقدير كونه عبارة عن الرسول صلى الله عليه وسلم او عن المعجزات الظاهرة على يديه او عن الدين الحق فالامر هين
وقوله تعالى اليكم متعلق بانزلنا فان انزاله بالذات وان كان الى النبي صلى الله عليه وسلم لكنه منزل اليهم
ايضا بواسطته عليه السلام وانما اعتبر حاله باعتبار المواسطة دون حاله بالذات كما في قوله تعالى انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس ونظايره لاظهار كمال اللطف بهم والتصريح بوصوله اليهم مبالغة في الاعذار
وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر غير مرة من الاهتمام بما قدم والتشويق
الى ما اخر والمحافظة على فواصل الاي الكريمة فاما الذين امنوا بالله حسبما يوجبه البرهان الذي اتاهم
واعتصموا به اي عصموا به انفسهم مما يرديه من زيغ الشيطان وغيره فسيدخلهم في رحمة منه وفضل
قال ابن عباس رضي الله عنهما هي الجنة وما يتفضل عليهم مما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وعبر عن اثابة الفضل بالادخال على طريقة قوله ❁ وعلفتها تبنا وماء باردا وتنوين رحمة وفضل
تفخيمي ومنه متعلق بمحذوف وقع صفة مشرفة لرحمة ويهديهم اليه اي الى الله عز وجل وقيل الى الموعود
وقيل الى عبادته صراطا مستقيما هو الاسلام والطاعة في الدنيا وطريق الجنة في الاخرة وتقديم ذكر الوعد
بادخال الجنة على الوعد بالهداية اليها على خلاف الترتيب في الوجود بين الموعودين للمسارعة الى التبشير
بما هو المقصد الاصلي وقيل انتصاب صراطا على انه مفعول لفعل محذوف ينبئ عنه يهديهم اي يعرفهم صراطا
مستقيما يستفتونك اي في الكلالة استغنى عن ذكره بوروده في قوله تعالى قل الله يفتيكم في الكلالة
وقد مر تفسيرها في مطلع السورة الكريمة والمستفتي جابر بن عبد الله رحمه الله يروى انه اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فقال ان لي اختا فكم اخذ من ميراثها ان ماتت
وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي وروي عنه رضي الله
عنه انه قال دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل فتوضا وصب من وضوئه علي فعقلت

فقلت

فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن الميراث وانما يرثني كلالة فنزلت وقوله تعالى ان امرؤ هلك
استيناف مبين للفتيا وارتفع امرؤ بفعل يفسره المذكور وقوله تعالى ليس له ولد صفة له وقيل
او حال من الضمير في هلك ورد بانه مفسر للمحذوف غير مقصود في الكلام اي ان هلك امرؤ غير ذي
ولد ذكرا كان او انثى واقتصر على ذكر عدم الولد مع ان عدم الوالد ايضا معتبر في الكلالة ثقة بظهور
الامر ولا له تفصيل الورثة عليه وقوله تعالى وله اخت عطف على قوله ليس له ولد او حال والمراد
بالاخت من ليست لام فقط فان فرضها السدس وقد مر بيانه في صدر السورة الكريمة فلها نصف
ما ترك اي بالفرض والباقي للعصبة او لها بالرد ان لم يكن له عصبة وهو اي المرء المفروض يرثها
اي اخته المفروضة ان فرض هلاكها مع بقائه ان لم يكن لها ولد ذكرا كان او انثى فالمراد بارثه لها احراز جميع
مالها اذ هو المشروط بانتفاء الولد بالكلية لا ارثه لها في الجملة فانه يتحقق مع وجود بنتها وليس في الاية
ما يدل على سقوط الاخوة بغير الولد ولا على عدم سقوطهم وانما دلت على سقوطهم مع الاب السنة
الشريفة فان كانتا اثنتين عطف على الشرطية الاولى اي اثنتين فصاعدا فلهما الثلثان مما ترك الضمير لمن
يرث بالاخوة وتانيثه وتثنيته باعتبار المعنى قيل وفائدة الاخبار عنها باثنتين مع دلالة الف
التثنية على الاثنينية التنبيه على ان المعتبر في اختلاف الحكم هو العدد دون الصغر والكبر وغيرهما وان
كانوا اي من يرث بطريق الاخوة اخوة اي مختلطة رجالا ونساء بدل من اخوة والاصل وان كانوا اخوة
واخوات فغلب المذكر على المؤنث فللذكر اي فللذكر منهم مثل حظ الانثيين يقتسمون التركة على طريقة
التعاصيب وهذا اخر ما نزل من كتاب الله تعالى في الاحكام روي ان الصديق رضي الله عنه قال في خطبته
ان الاية التي انزلها الله تعالى في سورة النساء في الفرائض فاولها في الولد والوالد وثانيها في الزوج
والزوجة والاخوة من الام والاية التي ختم بها السورة في الاخوة والاخوات لابوين او لاب والاية
التي ختم بها سورة الانفال انزلها في اولي الارحام يبين الله لكم اي حكم الكلالة او احكامه وشرائعه
التي من جملتها حكمها ان تضلوا اي كراهة ان تضلوا في ذلك وهذا راي البصريين صرح به المبرد وذهب
الكسائي والفراء وغيرهما من الكوفيين الى تقدير اللام ولا في طرفي ان اي لئلا تضلوا وقال الزجاج هو مثل
قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لئلا ان تزولا وقال ابو عبيد رويت للكسائي حديث
ابن عمر رضي الله عنه وهو لا يدعون احدكم على ولده ان يوافق من الله اجابة اي لئلا يوافق فاستحسنه وليس
ما ذكر من الاية والحديث نصا فيما ذهب اليه الكسائي واضرابه فان التقدير فيهما عند البصريين
كراهة ان تزولا وكراهة ان يوافق الى اخره وقيل ليس هنا حذف ولا تقدير وانما هو مفعول يبين اي
يبين لكم ضلالكم الذي هو من شانكم اذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه وتتحروا خلافه وانت خبير بان
ذلك انما يليق بما اذا كان بيانه تعالى على طريقة تعيين مواقع الخطا والضلال من غير تصريح بما هو الحق
والصواب وليس كذلك والله بكل شيء من الاشياء التي من جملتها احوالكم المتعلقة بمحياكم ومماتكم
عليم مبالغ في العلم فيبين لكم ما فيه مصلحتكم ومنفعتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة النساء فكانه تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر
كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله تعالى من الذين يتجاوز عنهم ❁❁❁

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود الوفاء القيام بموجب العقد
وكذا الايفاء والعهد هو العهد الموثق المشبه بعقد الحبل ونحوه والمراد بالعقود ما يعم جميع ما الزمه
الله تعالى عباده وعقده عليهم من التكاليف والاحكام الدينية وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الامانات
والمعاملات ونحوها مما يجب الوفاء به او يحسن دينا بان يحمل الامر على معنى يعم الوجوب والندب امر بذلك
اولا على وجه الاجمال ثم شرع في تفصيل الاحكام التي امر بالايفاء بها وبدئ بما يتعلق بضروريات معايشهم
فقيل احلت لكم بهيمة الانعام البهيمة كل ذات اربع واضافتها الى الانعام للبيان كثوب الخز وافرادها لارادة
الجنس اي احل لكم البهيمة من الانعام والاضافة لما بينهما وهي الازواج الثمانية المعدودة في سورة الانعام
والحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما وقيل هي المراد بالبهيمة هاهنا للتعميم بان تحل الانعام والاضافة
لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الانياب وفايدتها الاشعار بعلة الحكم المشتركة بين
المتضايفين كانه قيل احلت لكم البهيمة الشبيهة بالانعام التي بين احلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط
الحكم والتقديم والمجهود على القائم مقام الفاعل لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل

المسرة والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها
فضل تمكن الا ما يتلى عليكم استثناء من بهيمة الانعام اى الا محرم ما يتلى عليكم من قوله تعالى حرمت عليكم الميتة
ونحوه اى الا ما يتلى عليكم اية تحريمه غير محلى الصيد اى الاصطياد او هو شايع فى الكتاب والسنة وقوله
تعالى وانتم حرم اى محرمون حال من الضمير فى محلى وفايدة تقييد احلال بهيمة الانعام بما ذكر من احلال
الصيد حال الاحرام على تقدير كون المراد بها الظباء ونظايرها ظاهرة لما ان احلالها غير مطلق كانه قيل
احللنا لكم الصيد حال كونكم ممتنعين عنه عند احرامكم واما على تقدير الاول ففايدته اتمام النعمة واظهار
الامتنان باحلالها بتذكير احتياجهم اليه فان حرمة الصيد فى حالة الاحرام من مظان حاجتهم الى احلال
غيره حينئذ كانه قيل احللنا لكم الانعام مطلقا حال كونكم ممتنعين عن تحصيل ما يغنيكم عنها فى بعض الاوقات
محتاجين الى احلالها وفى اسناد عدم الاحلال اليهم بالمعنى المذكور مع حصول المراد بان يقال غير محلل لكم
او محرما عليكم الصيد حال احرامكم مزيد تربية للامتنان وتقرير للحاجة ببيان علتها القريبة فان
تحريم الصيد عليهم انما يوجب حاجتهم الى احلال ما يغنيهم عنه باعتبار تحريمهم له عملا واعتقادا مع ما فى
ذلك من وصفهم بما هو اللائق بهم ان الله يحكم ما يريد من الاحكام حسبما يقتضيه سنته المبنية على الحكم
البالغة فيدخل فيها ما ذكر من التحليل والتحريم دخولا اوليا ومعنى الايفاء بما الحق يانه على موجبها عقدا
وعملا والاجتناب عن تحليل المحرمات وتحريم بعض المحللات كالبحيرة ونظايرها التى سياتى بيانها يا ايها
الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله لما بين حرمة احلال الاحرام الذى هو من شعائر الحج عقب ذلك ببيان
حرمة احلال ساير الشعائر واضافتها الى الله عز وجل لتشريفها وتهويل الخطب فى احلالها وهى جمع شعيرة
وهى اسم لما اشعر اى جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامى الجمار والمطاف والمسعى
والافعال التى هى علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعى والحلق والنحر واحلالها
ان يتهاون بحرمتها وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدث فى اشهر الحج ما يصد به الناس عن الحج وقيل
المراد بها دين الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله اى دينه وقيل حرمات الله وقيل فرايضه التى
حدها لعباده واحلالها الاخلال بها والاول انسب بالمقام ولا الشهر الحرام اى لا تحلوه بالقتال فيه وقيل
بالنسىء والاول هو الاولى بحال المؤمنين والمراد به شهر الحج وقيل الاشهر الاربعة الحرم والافراد لارادة
الجنس ولا الهدى بان يتعرض له بالغصب او بالمنع من بلوغ محله وهو ما يهدى الى الكعبة من ابل او بقر
وشاة جمع هدية كجدى وجدية ولا القلائد هى جمع قلادة وهى ما يقلد به الهدى من نعل او لحاء شجر
ليعلم به انه هدى فلا يتعرض له والمراد النهى عن التعرض لذوات القلائد من الهدى وهى البدن وعطفها
على الهدى مع دخولها فيه لمزيد التوصية بها لمزيتها على ما عداها كما عطف جبرئيل وميكائيل على الملائكة
عليهم السلام كانه قيل والقلائد منه خصوصا او النهى عن التعرض لنفس القلائد مبالغة فى النهى عن
التعرض لاصحابها على معنى لا تحلوا قلائدها فضلا عن ان تحلوها كما نهى عن ابداء الزينة بقوله تعالى ولا
يبدين زينتهن مبالغة فى النهى عن ابداء مواقعها ولا امين البيت الحرام اى لا تحلوا قوما قاصدين زيارته
بان تصدوهم عن ذلك باى وجه كان وقيل مضاف محذوف اى قتال قوم او اذى قوم امين الى اخره وقرئ
ولا امى البيت الحرام بالاضافة وقوله عز وجل يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا حال من المستكن فى امين
لا صفة له لان المختار ان اسم الفاعل اذا وصف بطل عمله اى قاصدين زيارته حال كونهم طالبين ان يثيبهم
الله تعالى ويرضى عنهم وتنكير فضلا ورضوانا للتفخيم ومن ربهم متعلق بنفس الفعل او بمحذوف وقع صفة
لفضلا مغنية عن وصف ما عطف عليه بها اى فضلا كاينا من ربهم ورضوانا كذلك والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتشريفهم والاشعار بحصول مبتغاهم وقرئ تبتغون على الخطاب
فالجملة حينئذ حال من ضمير المخاطبين فى لا تحلوا على ان المراد بيان منافاة حالهم هذه للمنهى عنه لا تقييد
النهى بها واضافة الرب الى ضمير الامين للايماء الى اقتصار التشريف عليهم وحرمان المخاطبين عنه وعن
نيل المبتغى وفى ذلك من تعليل النهى وتاكيده والمبالغة فى استنكار المنهى عنه ما لا يخفى ومن ههنا
قيل ان المراد بالامين هم المسلمون خاصة وبه تمسك من ذهب ان الاية محكمة وقد روى ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال سورة المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال
رحمه الله ليس فيها منسوخ وعن ابى ميسرة فيها ثمانية عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقد
قيل هم المشركون خاصة لانهم المحتاجون الى نهى المؤمنين عن احلالهم على ان حرمة احلالهم تستبطن
دلالة النص ويؤيده ان الاية نزلت فى الحطم بن ضبيعة البكرى وقد كان اتى المدينة فخلف خيله
خارجها فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم وحده ودعاه ان يأتى باصحابه فيسلم ثم خرج من عنده
عليه السلام فمر بسرح المدينة فاستاقه فلما كان فى العام القابل خرج من اليمامة حاجا فى حجاج بكر بن

وايل ومعه تجارة عظيمة وقد قلدوا الهدى فسال المسلمون النبى صلى الله عليه وسلم ان يخلى بينهم وبينه
فاباه النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله الاية وفسر
ابتغاء الفضل بطلب الرزق بالتجارة وابتغاء رضوان بانهم كانوا يزعمون انهم على سداد من دينهم وان
يقربهم الى الله تعالى فوصفهم الله تعالى بظنهم وذلك الظن الفاسد وان كان بمعزل من استتباع رضوانه
تعالى لكن لا يبعد فى كونه مدار الحصول بعض مقاصدهم الدنيوية وخلاصهم عن المكاره العاجلة لا سيما
فى ضمن مراعاة حقوق الله تعالى وتعظيم شعايره وقال قتادة هو ان يصلح معايشهم فى الدنيا ولا يعجل لهم
العقوبة فيها وقيل هم المسلمون والمشركون لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المسلمين والمشركين
كانوا يحجون جميعا فنهى الله المسلمين ان يمنعوا احدا من حج البيت بقوله تعالى لا تحلوا الاية ثم نزل بعد
ذلك انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله
وقال مجاهد والشعبى لا تحلوا نسخ بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ولا ريب فى تناول
الامين للمشركين قطعا اما استقلالا واما اشتراكا لما سياتى من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم الى اخره
فيتعين النسخ كلا او بعضا ولا بد فى الوجه الاخير من تفصيل الفضل والرضوان بما يناسب الفريقين وقيل
ابتغاء الفضل اى الرزق للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة ويجوز ان يكون
الفضل على اطلاقه شاملا للفضل الاخروى ايضا ويختص ابتغاؤه بالمؤمنين واذا حللتم فاصطادوا
تصريح بما اشير اليه بقوله تعالى وانتم حرم من انتهاء حرمة الصيد بانتفاء موجبها والامر للاباحة
بعد الحظر كانه قيل واذا حللتم فلا جناح عليكم فى الاصطياد وقرئ احللتم وهو لغة فى حل وقرئ بكسر
الفاء بالقاء حركة همزة الوصل عليها وهو ضعيف جدا ولا يجرمنكم نهى عن احلال الحل كافة قوم من الامين
خصوا به مع اندراجهم فى النهى عن احلال الكل كافة لاستقلالهم بامور ربما يتوهم كونها مصححة لاحلالهم
داعية اليه وجرم جار مجرى كسب فى المعنى وفى التعدى الى مفعول واحد والى اثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه
وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه خلا ان جرم يستعمل غالبا فى كسب ما لا خير فيه وهو السبب فى ايثاره ههنا
على الثانى وقد ينقل الى الاول من كل منهما بالهمزة الى معنى الثانى فيقال اجرمته ذنبا واكسبته اياه
وعليه قراءة من قرأ ولا يجرمنكم بضم الياء شنان قوم بفتح النون وقرئ بسكونها وكلاهما مصدر اضيف
الى مفعوله لا الى فاعله كما قيل وهو شدة البغض وغاية المقت ان صدوكم متعلق بالشنان باضمار لام
العلة اى لان صدوكم عام الحديبية عن المسجد الحرام عن زيارته والطواف به للعمرة وهذه اية
بينة فى عموم امين للمشركين قطعا وقرئ ان صدوكم على انه شرط معترض اغنى عن جوابه ولا يجرمنكم
قد ابرز الصد المحقق فيما سبق فى معرض المفروض للتوبيخ والتنبيه على ان حقه ان لا يكون وقوعه الا
على سبيل الفرض والتقدير ان تعتدوا اى عليهم وانما حذف تعويلا على ظهوره وايماء الى ان المقصد
الاصلى من النهى منع صدور الاعتداء عن المخاطبين محافظة على تعظيم الشعائر لا منع وقوعه على القوم
مراعاة لجانبهم وهو ثانى مفعولى يجرمنكم اى لا يكسبنكم شدة بغضكم لهم لصدهم اياكم عن المسجد الحرام
اعتداءكم عليهم وانتقامكم منهم للتشفى وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشنان عن كسب الاعتداء
للمخاطبين لكنه فى الحقيقة نهى لهم عن الاعتداء على ابلغ وجه واكده فان النهى عن اسباب الشىء ومباديه
المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهانى وابطال للسببية وقد يوجه النهى الى المسبب ويراد النهى عن
السبب كما فى قوله لا ارينك ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه ولعل تاخير هذا النهى عن قوله
تعالى واذا حللتم فاصطادوا مع ظهور تعلقه بما قبله للايذان بان حرمة الاعتداء لا تنتهى بالخروج عن الاحرام
كانتهاء حرمة الاصطياد به بل هى باقية ما لم تنقطع علاقتهم عن الشعائر بالكلية وبذلك يعلم بقاء حرمة
التعرض لساير الامين بالطريق الاولى وتعاونوا على البر والتقوى لما كان الاعتداء غالبا بطريق التظاهر
والتعاون امروا اثر ما نهوا عنه بان يتعاونوا على كل ما هو من باب البر والتقوى ومتابعة الامر
ومجانبة الهوى فيندرج فيه ما نحن بصدده من التعاون على العفو والاغضاء عما وقع منهم اندراجا اوليا ثم نهوا
عن التعاون فى كل ما هو من مقولة الظلم والمعاصى بقوله تعالى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فيندرج
فيه النهى عن التعاون على الاعتداء والانتقام بالطريق البرهانى واصل لا تعاونوا لا تتعاونوا فحذف منه
احدى التاءين تخفيفا وانما اخر النهى عن الامر مع تقدم التخلية على التحلية مسارعة الى ايجاب ما هو مقصود
بالذات فان المقصود من ايجاب ترك التعاون على الاثم والعدوان انما هو تحصيل التعاون على البر
والتقوى ثم امروا بقوله تعالى واتقوا الله بالاتقاء فى جميع الامور التى من جملتها مخالفة ما ذكر من
الاوامر والنواهى فثبت وجوب الاتقاء فيها بالطريق البرهانى ثم علل ذلك بقوله تعالى ان الله شديد
العقاب اى لمن لا يتقيه فيعاقبكم لا محالة ان لم تتقوه واظهار الاسم الجليل لما مر مرارا من ادخال

الروعة وتربية المهابة وتقوية استقلال الجملة حرمت عليكم الميتة شروع في بيان المحرمات التي
اشير اليها بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم والميتة ما فارقه الروح من غير ذبح والدم اي المسفوح منه
لقوله تعالى او دما مسفوحا وكان اهل الجاهلية يصبونه في الامعاء ويشوونه ويقولون لم يحرم من
فزد له اي من فصد له ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله عند ذبحه كقولهم
باسم اللات والعزى والمنخنقة اي التي ماتت بالخنق والموقوذة اي التي ماتت بالضرب بالخشب
ونحوه من وقذته اذا ضربته والمتردية اي التي تردت من علو او في بئر فماتت والنطيحة اي التي نطحتها
اخرى فماتت بالنطح والتاء للنقل وقرئ والمنطوحة وما اكل السبع اي ما اكل منه السبع فمات وقرئ
بسكون الباء وقرئ واكيل السبع وفيه دليل على ان جوارح الصيد اذا قتلت بما صادته لم يحل الا ما
ذكيتم اي الا ما ادركتم ذكوته وفيه بقية حياة يضطرب اضطراب المذبوح وقيل الاستثناء مخصوص
بما اكل السبع والذكوة في الشرع بقطع الحلقوم والمرئ بمحدد وما ذبح على النصب قيل هو مفرد وقيل هو
جمع نصاب وقرئ بسكون الصاد وايا ما كان فهو واحد الانصاب وهي احجار كانت منصوبة حول
البيت يذبحون عليها ويعدون ذلك قربة وقيل هي الاصنام وان تستقسموا بالازلام جمع زلم كعمر والفتح
اي وحرم عليكم الاستقسام بالاقداح وذلك انهم اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة اقداح مكتوب على احدها
امرني ربي وعلى الثاني نهاني ربي وعلى الثالث غفل فان خرج الامر مضوا على ذلك وان خرج الناهي اجتنبوا
ذلك وان خرج الغفل اجالوها مرة اخرى فمعنى الاستقسام طلب معرفة ما قسم لهم بالازلام وقيل
هو استقسام الجزور بالاقداح على الانصبا المعهودة ذلكم اشارة الى الاستقسام بالازلام ومعنى
البعد فيه للاشارة الى بعد منزلته في الشر فسق تمرد وخروج من الحد ودخول في علم الغيب وضلال
باعتقاد انه طريق اليه وافتراء على الله سبحانه وتعالى ان كان المراد بقولهم ربي عز شانه وجهالة ان كان
هو الصنم وقيل ذلكم اشارة الى تناول المحرمات المعدودة لان تحريمها تحريم تناولها اليوم اللام للعهد
والمراد به الزمان الحاضر وما يتصل به من الازمنة الماضية والاتية وقيل يوم نزولها وقد نزلت
بعد عصر يوم الجمعة يوم عرفة حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على العضباء
فكادت عضد الناقة تندق لثقلها فبركت واياما كان فهو منصوب على انه ظرف لقوله تعالى
يئس الذين كفروا من دينكم اي من ابطاله ورجوعكم عنه بتحليل هذه الخبائث او غيرها او من ان
يغلبوكم عليه لما شاهدوا من ان الله عز وجل وفى بوعده حيث اظهره على الدين كله وهو الانسب
بقوله تعالى فلا تخشوهم اي ان يظهروا عليكم واخشون اي واخلصوا لي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم
بالنصر والاظهار على الاديان كلها او بالتنصيص على قواعد العقائد والتوقيف على اصول الشرائع وقوانين
الاجتهاد وتقديم الجار والمجرور للايذان من اول الامر بان الاكمال لمنفعتهم ومصلحتهم كما في قوله تعالى الم نشرح
لك صدرك وعليكم في قوله تعالى واتممت عليكم نعمتي متعلق باتممت لا بنعمتي لان المصدر لا يتقدم عليه
معموله وتقديمه على المعمول الصريح لما مر مرات اي اتممتها بفتح مكة ودخولها امنين ظاهرين وهدم منار
الجاهلية ومناسكها والنهي عن حج المشرك وطواف العريان او باكمال الدين والشرائع او بالهداية والتوفيق
قيل معنى اتممت عليكم نعمتي انجزت لكم وعدي بقولي ولاتم نعمتي عليكم ورضيت لكم الاسلام دينا اي اخترته
لكم من بين الاديان وهو الدين عند الله لا غير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا
امير المؤمنين اية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي اية
قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي الاية قال عمر رضي الله عنه عرفنا ذلك اليوم والمكان
الذي انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم عرفة جمعة اشار رضي الله عنه الى ان ذلك
اليوم عيد لنا وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر رضي الله عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك
قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاذا كمل فانه لا يكمل شيء الا نقص فقال عليه السلام صدقت فكانت هذه
الاية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لبث بعد ذلك الا احدا وثمانين يوما فمن اضطر متصل بذكر المحرمات
وما بينهما اعتراض بما يوجب ان يجتنب عنها وهو ان تناولها فسوق وحرمتها من جملة الدين الكامل
والنعمة التامة والاسلام المرضي اي فمن اضطر الى تناول شيء من هذه المحرمات في مخمصة اي مجاعة يخاف
معها الموت او مباديه غير متجانف لاثم اي غير مائل ومنحرف اليه بان ياكلها تلذذا او مجاوزا حد
الرخصة او ينتزعها من مضطر اخر كقوله تعالى غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم لا يؤاخذه بذلك
يسئلونك ماذا احل لهم شروع في تفصيل المحللات التي ذكر بعضها على وجه الاجمال اثر بيان المحرمات كانهم
سألوا عنها عند بيان اضدادها ولتضمن السؤال معنى القول اوقع على الجملة فماذا مبتدا واحل لهم خبره وضمير
الغيب لما ان يسئلونك بلفظ الغيبة فانه كان يعتبر حال المحكي عنه فيقال اقسم زيد ليفعلن ويعتبر حال

الحالي

الحالي فيقال اقسم زيد لافعلن والسؤال ما احل لهم من المطاعم قل احل لكم الطيبات اي ما لم يستخبثه
الطباع السليمة ولم ينفر عنه كما في قوله تعالى ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث وما علمتم من
الجوارح عطف على الطيبات بتقدير المضاف على ان ما موصولة والعائد محذوف اي وصيد ما علمتموه
او مبتدا على ان ما شرطية والجواب فكلوا وقد جوز كونها مبتدا على تقدير كونها موصولة ايضا والخبر
كلوا وانما دخلته الفاء تشبيها للموصول باسم الشرط من الجوارح حال من الموصول او من ضميره المحذوف
والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير وقيل سميت بها لانها تجرح الصيد غالبا مكلبين معلمين
لها الصيد والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد مشتق من الكلب لان التاديب كثيرا ما يقع فيه
او لان كل سبع يسمى كلبا لقوله عليه السلام في حق عتبة بن ابي لهب حين اراد سفر الشام فغاظ النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد وانتصابه على الحالية من فاعل
علمتم وفايدتها المبالغة في التعليم لما ان اسم المكلب لا يقع الا على النحرير في علمه وقرئ مكلبين بالتخفيف
والمعنى واحد تعلمونهن حال ثانية منه او حال من ضمير مكلبين او استيناف مما علمكم الله من الحيل وطرق
التعليم والتاديب فان العلم به الهام من الله تعالى او مكتسب بالعقل الذي هو منحة منه او مما
عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك
الصيد عليه وعدم اكله منه فكلوا مما امسكن عليكم قد مر فيما سبق ان هذه الجملة على تقدير كون ما شرطية
جواب الشرط وعلى تقدير كونها موصولة مرفوعة الى الابتداء خبر لها واما على تقدير كونها عطفا على الطيبات
فهي جملة متفرعة على بيان حل صيد الجوارح المعلمة مبينة للمضاف المقدر الذي هو المعطوف وبه يتعلق
الاحلال حقيقة ومشيرة الى نتيجة التعليم واثره داخلة تحت الامر التي قبلها كما في قوله امرتك الخير فافعل ما
امرت به ومن تبعيضية لما ان البعض مما لا يتعلق به الاكل كالجلود والعظام والريش وغير ذلك وما
موصولة او موصوفة حذف عايدها وعلى متعلقة بامسكن اي كلوا بعض ما امسكنه عليكم وهو الذي
لم يأكلن منه واما ما اكلن منه فهو انما امسكنه على انفسهن لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم وان اكل
منه فلا تأكل انما امسك على نفسه واليه ذهب اكثر الفقهاء وقال بعضهم لا يشترط عدم الاكل في سباع
الطير لان تاديبها الى هذه الدرجة متعذر وقال اخرون لا يشترط ذلك مطلقا وقد روي عن سلمان وسعد بن
ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم انه اذا اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وقد ذكرت اسم الله عليه فكلوا
واذكروا اسم الله عليه الضمير لما فيما علمتم اي سموا عليه عند ارساله او لما امسكنه اي سموا عليه
اذا ادركتم ذكاته واتقوا الله في شان محرماته ان الله سريع الحساب اي سريع اتيان حسابه اي سريع
تمامه اذا شرع فيه يتم في اقرب ما يكون من الزمان والمعنى على التقدير الاول انه يؤاخذكم سريعا في كل جليل ودقيق
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم اليوم احل لكم الطيبات قيل المراد بالايام
الثلاثة وقت واحد وانما كرر للتاكيد للاختلاف لاحداث الواقعة فيه حسن تكريره والمراد بالطيبات ما مر
وطعام الذين اوتوا الكتاب اي اليهود والنصارى واستثنى علي رضي الله عنه نصارى بني تغلب وقال ليسوا
على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي رضي الله عنه والمراد بطعامهم ما يتناول
ذبائحهم وغيرها حل لكم اي حلال وسئل ابن عباس انه سئل عن ذبائح العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين
وبه اخذ ابو حنيفة رضي الله عنه واصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عنده وقال صاحباه هم صنفان
صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل
الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبائحهم ونكاح نسائهم
لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكلي ذبائحهم وطعامكم حل لهم فلا
عليكم ان تطعموهم وتبيعوه منهم ولو حرم عليهم لم يحرم عليكم ذلك والمحصنات من المؤمنات رفع انه مبتدا
حذف خبره لدلالة ما تقدم عليه اي حل لكم ايضا والمراد بهن الحرائر العفائف وتخصيصهن بالذكر للبعث
على ما هو الاولى لا لنفي ما عداهن فان نكاح الاماء المسلمات صحيح بالاتفاق وكذا نكاح غير العفائف منهن
واما الاماء الكتابيات فهن كالمسلمات عند ابي حنيفة رحمه الله خلافا للشافعي رحمه الله والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اي هن ايضا حل لكم وان كن حربيات وقال ابن عباس رضي الله عنه لا تحل
الحربيات اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن وتقييد الحل باتيانها لتاكيد وجوبها والحث على الاولى وقيل المراد
باتيانها التزامها فاذا ظرفية عاملها احل المحذوف وقيل ظرفية شرطية حذف جوابها اي اذا اتيتموهن اجورهن
حللن لكم محصنين حال من فاعل اتيتموهن اي حال كونكم اعفاء بالنكاح وكذا قوله تعالى غير مسافحين وقيل هو حال
من ضمير محصنين وقيل صفة لمحصنين اي غير مجاهرين بالزنا ولا متخذي اخدان اي ولا مسرين به والخدن الصديق
يقع على الذكر والانثى وهو اما مجرور عطف على مسافحين وزيدت لا لتاكيد النفي المستفاد من غير او منصوبا

عطفا على غير مسافحين باعتبار وجهة الثلاثة ومن يكفر بالايمان اى من ينكر شرايع الاسلام التى
من جملتها ما بين ها هنا من الاحكام المتعلقة بالحل والحرمة ويمتنع عن قبولها فقد حبط عمله الصالح الذى
عمله قبل ذلك وهو فى الاخرة من الخاسرين هو مبتدا من الخاسرين خبره وفى متعلقه بما تعلق به الخبر من
الكون المطلق وقيل بمحذوف دل عليه المذكور اى خاسر فى الاخرة وقيل بالخاسرين على ان الالف واللام
للتعريف لا موصولة لان ما بعدها لا يعمل فيما قبلها يغتفر فى الظرف ما لا يغتفر فى غيره كما فى قوله
ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائى بالعصا ان اجلدا يا ايها الذين امنوا شروع فى بيان الشرايع
المتعلقة بدينهم بعد بيان ما يتعلق بدنياهم اذا قمتم الى الصلوة اى اردتم القيام اليها كما فى قوله
تعالى فاذا قرأت القران فاستعذ بالله عبر عن ارادة الفعل بالفعل المسبب عنها مجازا للايجاز
والتنبيه على ان من اراد الصلوة حقه ان يبادر اليها بحيث لا ينفك عن ارادتها او اذا قصدتم
الصلوة اطلاق الاسم احد لازميها على لازمها الاخر وظاهر الاية الكريمة يوجب الوضوء على كل قائم
اليها وان لم يكن محدثا لما ان الامر للوجوب قطعا والاجماع على خلافه وقد روى ان النبى صلى الله
عليه وسلم صلى الصلوات الخمس يوم الفتح بوضوء واحد فقال عمر رضى الله عنه صنعت شيئا لم تكن
تصنعه فقال عليه السلام عمدا فعلته يا عمر يعنى بيانا للجواز وحمل الامر بالنسبة الى غير المحدث
على الندب مما لا مساغ له فالوجه ان الخطاب خاص بالمحدثين بقرينة دلالة الحال واشتراط الحدث
فى التيمم الذى هو بدل له وما نقل عن النبى صلى الله عليه وسلم والخلفا من انهم كانوا يتوضؤون لكل صلوة
فلا دلالة فيه على انهم كانوا يفعلونه بطريق الوجوب اصلا كيف لا وما روى عنه صلى الله عليه وسلم
من قوله من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات صريح فى ان ذلك كان منهم بطريق الندب وما قيل كان ذلك
اول الامر ثم نسخ يرده قوله عليه وسلم المائدة من اخر القران نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها فاغسلوا
وجوهكم اى امروا عليها الماء ولا حاجة الى الدلك خلافا لمالك وايديكم الى المرافق الجمهور على دخول
المرفقين فى المغسول ولذلك قيل الى بمعنى مع فى قوله تعالى ويزدكم قوة الى قوتكم وقيل الى انما تفيد معنى الغاية
مطلقا واما دخولها فى الحكم او خروجها منه فلا دلالة لها عليه وانما هو امر يدور على الدليل الخارجى
كما فى حفظت القران من اوله الى اخره وقوله تعالى فنظرة الى ميسرة فان الدخول فى الاول والخروج فى الثانى
متيقن بناء على تحقيق الدليل وحيث لم يتحقق ذلك فى الاية وكانت الايدى متناولة للمرافق حكم بدخولها
فيها احتياطا وقيل الى من حيث افادتها للغاية تقتضى خروجها لكن لما لم يتميز الغاية هنا عن ذى الغاية وجب
ادخالها احتياطا وامسحوا برءوسكم الباء مزيدة وقيل للتبعيض فانه الفارق بين قولك مسحت المنديل ومسحت
بالمنديل وتحقيقه انها تدل على تضمين الفعل معنى الالصاق فكأنه قيل والصقوا المسح برءوسكم وذلك لا
يقتضى الاستيعاب كما يقتضيه ما لو قيل وامسحوا رءوسكم فانه كقوله تعالى فاغسلوا وجوهكم واختلف
العلماء فى القدر الواجب فاوجب الشافعى اقل ما ينطلق عليه الاسم اخذا باليقين وابو حنيفة ببيان رسول الله
صلى الله عليه وسلم حيث مسح على ناصيته وقدرها بربع الرأس ومالك مسح الكل اخذا بالاحتياط وارجلكم الى
الكعبين بالنصب عطفا على وجوهكم ويؤيده السنة الشايعة وعمل الصحابة وقول اكثر الايمة والتحديد اذ
المسح لم يعهد محدودا وقرئ بالجر على الجوار ونظيره فى القران كثير كقوله تعالى عذاب يوم اليم وقوله تعالى ونظائره
وللنحاة فى ذلك باب مفرد وفايدته التنبيه على انه ينبغى ان يقتصد فى صب الماء عليها ويغسلها غسلا قريبا
من المسح وفى الفصل بينه وبين اخواته ايماء على فضيلة الترتيب وقرئ بالرفع اى وارجلكم مغسولة
وان كنتم جنبا فاطهروا اى فاغتسلوا وقرئ فاطهروا اى فطهروا ابدانكم وفى تعليق الامر بالطهارة الكبرى
بالحدث الاكبر اشارة الى اشتراط الامر بالطهارة الصغرى بالحدث الاصغر وان كنتم مرضى مرضا يخاف به الهلاك
او ازدياده باستعمال الماء او على سفر مستقرين عليه او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء
فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه من لابتداء الغاية وقيل للتبعيض وهى متعلقة بامسحوا
وقرئ فاموا صعيدا وقد مر تفسير الاية الكريمة مشبعا فى سورة النساء فليراجع اليه ولعل التكرير ليتصل
الكلام فى انواع الطهارة ما يريد الله اى ما يريد بالامر بالطهارة للصلاة او بالامر بالتيمم ليجعل عليكم
من حرج من ضيق فى الامتثال به ولكن يريد ما يريد ليطهركم اى لينظفكم او ليطهركم عن الذنوب فان
الوضوء مكفر لها او ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالماء فمفعول يريد فى الموضعين محذوف واللام
للعلة وقيل مزيدة والمعنى ما يريد الله ان يجعل عليكم من حرج فى باب الطهارة حتى لا يرخص لكم فى التيمم ولكن
يريد ان يطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهير بالماء وليتم بشرعه ما هو مطهرة لابدانكم ومكفرة لذنوبكم نعمته
عليكم فى الدين او ليتم برخصه انعامه عليكم بعزايمه لعلكم تشكرون نعمته من لطايف الاية الكريمة انها
مشتملة على سبعة امور كلها مثنى طهارتان اصل وبدل والاصل مستوعب وغير مستوعب وغير المستوعب

باعتبار

باعتبار الفعل محدود وغير محدود وان آلتهما مايع وجامد وموجبهما حدث اصغر واكبر وان المبيح للعدول
الى البدل مرض او سفر وان الموعود عليهما تطهير الذنوب واتمام النعمة واذكروا نعمة الله عليكم بالكمال
لتذكركم النعم وترغبكم فى شكره وميثاقه الذى واثقكم به اى عهده المؤكد الذى اخذه عليكم وقوله تعالى
اذ قلتم سمعنا واطعنا ظرف لواثقكم به او لمحذوف وقع حالا من الضمير المجرور فى به او من ميثاقه اى كاينا وقت
قولكم سمعنا واطعنا وفايدة التقييد به تأكيد وجوب مراعاته بتذكير قبولهم والتزامهم بالمحافظة عليه
وهو الميثاق الذى اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
فى حال العسر واليسر والمنشط والمكره وقيل هو الميثاق الواقع ليلة العقبة وفى بيعة الرضوان واضافته
اليه تعالى مع صدوره منه صلى الله عليه وسلم لكون المرجع اليه تعالى كما نطق به قوله تعالى ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله وقال مجاهد هو الميثاق الذى اخذه الله تعالى على عباده حين اخرجهم من
صلب ادم عليه السلام واتقوا الله اى فى نسيان نعمته ونقض ميثاقه او فى كل ما تأتون وما تذرون
فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا ان الله عليم بذات الصدور اى بخفياتها الملابسة لها ملابسة تامة
مصححة لاطلاق الصاحب عليها فيجازيكم عليها فما ظنكم بجليات الاعمال والجملة تعليل للامر باتقائه واظهار
الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة يا ايها الذين امنوا
شروع فى بيان الشرايع المتعلقة بما يجرى بينهم وبين غيرهم اثر بيان ما يتعلق بانفسهم كونوا قوامين لله
مقيمين لاوامره ممتثلين بها معظمين لها مراعين لحقوقها شهداء بالقسط اى بالعدل ولا يجرمنكم شنآن
قوم اى شدة بغضكم لهم على ان لا تعدلوا فلا تشهدوا فى حقوقهم بالعدل او فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا
يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا وغير ذلك اعدلوا هو اى العدل اقرب للتقوى
الذى امرتم به صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعدما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى
الهوى واذا كان وجوب العدل اقرب له اعتنا بشانه وتنبيها على انه ملاك الامر ان الله خبير بما تعملون
من الاعمال فيجازيكم بذلك وتكرير هذا الحكم اما لاختلاف السبب كما قيل ان الاولى نزلت فى المشركين وهذه
فى اليهود او لمزيد الاهتمام بالعدل والمبالغة فى اطفاء نائرة الغيظ والجملة تعليل لما قبلها واظهار
الجلالة لما مر مرات وحيث كان مضمونها مبنيا عن الوعد والوعيد عقب بالوعد لمن يحافظ على طاعته تعالى
وبالوعيد لمن يخل بها فقيل وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات التى من جملتها العدل والتقوى لهم
مغفرة واجر عظيم حذف ثانى مفعول وعد استغناء عنه بهذه الجملة فانه استيناف مبين له وقيل الجملة
فى موقع المفعول فانه الوعد ضرب من القول فكأنه قيل وعدهم هذا القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا
التى من جملتها ما تليت من النصوص الناطقة بالامر بالعدل والتقوى اولئك الموصوفون بما ذكر
من الكفر وتكذيب الايات اصحاب الجحيم ملابسوها ملابسة مؤبدة من السنة القرانية شفع
الوعد بالوعيد والجمع بين الترغيب والترهيب ايفاء لحق الدعوة بالتبشير والانذار يا ايها الذين
امنوا اذكروا نعمة الله عليكم تذكير لنعمة الانجاء من الشر اثر تذكير نعمة ايصال الخير الذى هو نعمة الاسلام
وما يتبعها من الميثاق وعليكم متعلق بنعمة الله او بمحذوف وقع حالا منها وقوله تعالى اذ هم قوم على
الاول ظرف لنفس النعمة وعلى الثانى لما تعلق به عليكم ولا سبيل الى كونه ظرفا لاذكروا لتنافى زمانيهما
اى اذكروا انعمه تعالى عليكم او اذكروا نعمته كاينة عليكم فى وقت همهم ان يبسطوا اليكم ايديهم بان
يبطشوا بكم بالقتل والاهلاك ولا سبيل الى كونه ظرفا يقال بسط اليه يده اذا بطش به وبسط اليه لسانه
اذا شتمه وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة الى بيان رجوع ضرر البسط وغايته اليهم
حملا لهم من اول الامر على الاعتداد بنعمة دفعه كما ان تقديم لكم فى قوله عز وجل هو الذى خلق لكم ما فى الارض
للمبادرة الى بيان كون المخلوق من منافعهم تعجيلا للمسرة فكف ايديهم عنكم عطف على هم وهو النعمة التى اريد
تذكيرها وذكر الهم للايذان بوقوعها عند مزيد الحاجة اليها والفا للتعقيب المفيد لتمام النعمة وكمالها
واظهار ايديهم فى موقع الاضمار لزيادة التقرير اى منع ايديهم ان تمد اليكم عقيب همهم بذلك لا انه
كفها عنكم بعد ما مدوها اليكم وفيه من الدلالة على كمال النعمة من حيث انها لم تكن مشوبة بضرر الخوف والانزعاج
الذى قلما يعرى عنه الكف بعد المد ما لا يخفى مكانه وذلك ما روى ان المشركين راوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه بعسفان فى غزوة ذى انمار وهى غزوة ذات الرقاع وهى السابعة من مغازيه عليه السلام
قاموا الى الظهر معا فلما صلوا ندم المشركون الا كانوا قد اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هى احب اليهم
من ابائهم وابنائهم يعنون صلوة العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل الله تعالى جبريل بصلوة
الخوف وقيل هو ما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بنى قريظة ومعه الشيخان وعلى رضى الله تعالى
عنهم يستقرضهم لدية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمرى خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس

فى حق الكفار بهذه الغاية فما ظنك بوجوبه فى حق
المسلمين واتقوا الله امر بالتقوى بعد ما بين ان العدل صح

حتى نطعمك ونعطيك ما سالت فاجلسوه في صفه وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله تعالى يده ونزل جبريل فاخبره فخرج عليهما السلام وقيل هو ما روي انه عليه السلام نزل منزلا وتفرق اصحابه في العضاة يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه بشجرة فجاء اعرابي فاخذه وسله فقال من يمنعك مني فقال عليه السلام الله تعالى فاسقطه جبريل عليه السلام من يده فاخذه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال لا احد اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واتقوا الله عطف على اذكروا اي تقوه في رعاية حقوق نعمته ولا تخلوا بشكرها او في كل ما تاتون وما تذرون فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وعلى الله اي عليه تعالى خاصة دون غيره استقلالا واشتراكا فليتوكل المؤمنون فانه يكفيهم في ايصال كل خير ودفع كل شر والجملة تذييل مقرر لما قبله وايثار صيغته امر الغائب واسنادها الى المؤمنين لايجاب التوكل على المخاطبين بالطريق البرهاني وللايذان بان ما وصفوا به عند الخطاب من وصف الايمان داع الى ما امروا به من التوكل والتقوى وازع من الاخلال بها واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتقوية استقلال الجملة التذييلية ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل كلام مستانف مشتمل على ذكر بعض ما صدر عن بني اسرائيل من الخيانة ونقض الميثاق وما ادى اليه ذلك من التبعات مسوق لتقرير المؤمنين على ذكر نعمة الله تعالى ومراعاة حق الميثاق الذي واثقهم به وتحذيرهم من نقضه او لتقرير ما ذكر من الهم بالبطش وتحقيقه على تقدير كون ذلك من بني قريظة حسبما مر من الرواية ببيان ان الغدر والخيانة عادة لهم قديمة توارثوها من اسلافهم واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتفخيم الميثاق وتهويل الخطب في نقضه مع ما فيه من رعاية حق الاستيناف المستدعي للانقطاع عما قبله والالتفات في قوله عز وجل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا للجري على سنن الكبرياء ولان البعث كان بواسطة موسى عليه السلام كما سياتي وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والنقيب فعيل بمعنى فاعل من نقب القوم ومنه قوله تعالى فنقبوا في البلاد سمي بذلك لتفتيشه عن احوال القوم واسرارهم قال الزجاج واصله من النقب وهو الثقب الواسع يروى ان بني اسرائيل لما استقروا بمصر بعد مهلك فرعون امرهم الله عز وجل بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيون وقال اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر موسى عليه السلام ان ياخذ من كل سبط نقيبا امينا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما امروا به توثقة عليهم فاختار النقباء واخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم النقباء وسار بهم فلما دنا من ارض كنعان بعث النقباء اليهم يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم بما راوا وقد نهاهم موسى عن ذلك فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوقنا نقيب سبط يهودا ويوشع بن نون نقيب سبط افرايم بن يوسف الصديق عليه السلام قيل لما توجه النقباء الى ارضهم للتجسس لقيهم عوج بن عنق وكان طوله ثلاثة الاف وثلثمائة وثلثة وثلثين ذراعا وقد عاش ثلثة الاف سنة وكان على راسه حزمة حطب فاخذهم وجعلهم في الحزمة وانطلق بهم الى امراته وقال انظري الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا فطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلي فقالت لا بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل فجعلوا يتعرفون احوالهم وكان لا يحمل عنقود عنبهم الا خمسة رجال واربعة فخرج فلما خرج النقباء قال بعضهم لبعض انا ان اخبرتم بني اسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ولكن اكتموه الا عن موسى وهرون عليهما السلام فيكونان هما يريان رايهما فاخذ بعضهم على بعض الميثاق ثم انصرفوا الى موسى عليه السلام وكان معهم حبة من عنبهم وقر رجل فنكثوا عهدهم وجعل كل منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راوا الا كالبا ويوشع وكان معسكر موسى فرسخا في فرسخ فجاء عوج حتى نظر اليهم ثم رجع الى الجبل ثم قور منه صخرة عظيمة على قدر العسكر ثم حملها على راسه ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور من الصخرة وسطها المحاذي لراسه فانتقبت فوقعت في عنق عوج وطوقته فصرعته واقبل موسى عليه السلام وطوله عشرة اذرع وكذا طول العصا فترامى في السماء عشرة اذرع فما اصاب العصا الا كعبه وهو مصروع فقتله قالوا فاقبلت جماعة ومعهم الخناجر حتى حزوا راسه وقال الله اي لبني اسرائيل فقط اذ هم المحتاجون الى ما ذكر من الترغيب والترهيب كما ينبئ عنه الالتفات مع ما فيه من تربية المهابة وتاكيد ما يتضمنه الكلام من الوعد اني معكم اي بالعلم والقدرة والنصرة او بالنصرة فقط فانتم لهم على علمه يقال بكل ما تاتون وما تذرون وعلى كونهم تحت قدرته وملكوته مما يحملهم على الجد في الامتثال بما امروا به والانتهاء عما نهوا عنه كانه قيل اني معكم اسمع كلامكم وارى اعمالكم واسمع كلامهم واعلم ضمائركم فاجازيكم بذلك هذا وقد قيل المراد بالميثاق وهو الميثاق بالايمان والتوحيد وبالنقباء ملوك بني اسرائيل الذين ينقبون احوالهم ويلون امورهم بالامر والنهي

واقامة العدل وهو الانسب بقوله تعالى لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة وامنتم برسلي اي بجميعهم واللام موطئة للقسم المحذوف وتاخير الايمان عن اقامة الصلوة وايتاء الزكوة مع كونهما من الفروع المترتبة عليه لما انهم كانوا معترفين بوجوبهما مع ارتكابهم بعض الرسل عليهم السلام ومراعات المقارنة بينه وبين قوله تعالى وعزرتموهم اي نصرتموهم وقويتموهم واصله الذب وقيل التعظيم والتوقير والتاخير وقرئ عزرتموهم بالتخفيف واقرضتم الله بالانفاق في سبيل الخير او بالتصدق بالصدقة المندوبة وقوله عز وعلا قرضا حسنا اما مصدر مؤكد وارد على غير صيغة المصدر كما في قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا او مفعول ثان لاقرضتم على انه اسم للمال المقرض وقوله تعالى لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب للقسم المدلول عليه باللام سادة مسد جواب الشرط ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عطف على ما قبله داخل معه في حكم الجواب متاخر عنه في الحصول ايضا ضرورة تقدم التخلية على التحلية فمن كفر اي برسلي وبشيء مما عدد في حيز الشرط والفاء لترتيب بيان حكم من كفر على بيان حكم من امن تقوية للترغيب بالترهيب بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق به الوعد العظيم الموجب للايمان قطعا منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل كفر ولعل تغيير حال المشبه حيث لم يقل وان كفرتم عطفا على الشرطية السابقة لاخراج كفر الكل عن حيز الاحتمال واسقاط من كفر بعد ذلك خلا انه قصد بايراد ما يدل على الحدوث بيان ترقيهم في مراتب الكفر فان الاتقان ينبئ بعد ورود ما يوجب الاطلاع عنه وان كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فقد ضل سواء السبيل اي وسط الطريق الواضح ضلالا بينا واخطا خطاء فاحشا لا عذر معه اصلا بخلاف من كفر قبل ذلك اذ ربما يمكن ان يكون له شبهة ويتوهم له معذرة فبما نقضهم ميثاقهم الباء سببية وما مزيدة للتاكيد الكلام وتمكينه في النفس اي بسبب نقضهم ميثاقهم المؤكد لا بشيء اخر استقلالا او انضماما لعناهم طردناهم وابعدناهم من رحمتنا او مسخناهم قردة وخنازير او اذللناهم بضرب الجزية عليهم وتخصيص البيان بما ذكر مع ان حقه ان يبين بعد بيان تحقق نقض العين والنقص بان يقال مثلا فنقضوا ميثاقهم فلعناهم ضرورة تقدم حلية الشيء بالبسيطة والمسببية وجعلنا قلوبهم قاسية بحيث لا تتاثر عن الايات والنذر وقيل امليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست او خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى صارت كذلك وقرئ قسية وهي اما مبالغة قاسية او بمعنى ردية من قولهم درهم قسي اي ردي اذا كان مغشوشا لانه يشبه في خشونته وترى ببكسر القاف اتباعا لها بالسين يحرفون الكلم عن مواضعه استيناف لبيان مرتبة قساوة قلوبهم فانه مرتبة اعظم مما لا يصح الاجترا على تغيير كلام الله عز وجل والافترا عليه وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقيل حال من مفعول لعناهم ونسوا حظا اي تركوا نصيبا وافيا مما ذكروا به من التوراة او من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل حرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الاية ولا تزال تطلع على خائنة منهم اي خيانة على انها مصدر كلاغية وكاذبة او فعلة خائنة اي ذات خيانة او طائفة خائنة او شخص خائن على ان التاء للمبالغة ونفس خائنة ومنهم متعلق بمحذوف وقع صفة لها خلا انه على الوجهين الاولين لابتدائية اي على خيانة او على فعلة خائنة كائنة منهم صادرة عنهم وعلى الوجوه الباقية تبعيضية والمعنى ان الغدر والخيانة عادة مستمرة لهم ولاسلافهم بحيث لا يكادون يتركونها او يكتمونها فلا تزال ترى ذلك منهم الا قليلا منهم استثناء من الضمير المجرور في منهم على الوجوه كلها وقيل من خائنة على الوجوه الثلثة الاخيرة والمراد بهم الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل من خائنة على الوجه الثاني فالمراد بالقليل الفعل القليل ومن ابتدائية كما مر اي الا فعلا قليلا كائنا منهم فاعف عنهم واصفح اي ان تابوا وامنوا او عاهدوا والتزموا الجزية وقيل مطلق نسخ باية السيف ان الله يحب المحسنين تعليل للامر وحث على الامتثال به وتنبيه على ان العفو على الاطلاق من باب الاحسان ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم بيان لقبائح النصارى وجناياتهم اثر بيان قبائح اليهود وخياناتهم ومن متعلقة باخذنا اذ التقدير واخذنا من الذين قالوا انا نصارى ميثاقهم وتقديم الجار والمجرور للاهتمام به ولان ذكر حال احدى الطائفتين مما يوقع في ذهن السامع ان حال الاخرى ماذا فكانه قيل ومن الطائفة الاخرى ايضا اخذنا ميثاقهم وقيل هي متعلقة بمحذوف وقع خبر المبتدا المحذوف قامت صفته او صلته مقامه اي ومنهم قوم اخذنا ميثاقهم او من اخذنا ميثاقهم وضمير ميثاقهم راجع الى الموصوف المقدر وفي الوجه الاول فراجع الى الموصول وقيل راجع الى بني اسرائيل اخذنا من هؤلاء ميثاقا اولئك اي مثل ميثاقهم من الايمان بالله والرسل وما يتفرع على ذلك من افعال الخير وانما نسب تسميتهم نصارى الى انفسهم دون ان يقال ومن النصارى ايذانا بانهم في قولهم نحن نصارى بمعزل من الصدق وانما هو تقول محض منهم وليسوا من نصرة الله تعالى في شيء او اظهار الكمال سوء صنيعهم ببيان التناقض بين اقوالهم وافعالهم فان ادعاءهم لنصرته تعالى يستدعي ثباتهم

على طاعته تعالى ومراعاة مواثيقه فنسوا عقيب اخذ الميثاق من غير تلعثم حظا وافرا مما ذكروا به في تضاعيف
الميثاق من الايمان بالله تعالى وغير ذلك حسبما مر انفا وقيل هو ما كتب عليهم في الانجيل من ان يؤمنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم فتركوه ونبذوه وراء ظهورهم واتبعوا اهواءهم فاختلفوا وتفرقوا نسطورية
ويعقوبية وملكانية انصار الشيطان فاغرينا اي الزمنا والصقنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق
به واغراه غيره ومنه الغراء وقوله تعالى بينهم ظرف لاغرينا او متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعوله
اي اغرينا العداوة والبغضاء كائنة بينهم ولا سبيل الى جعله ظرفا لهما لان المصدر لا يعمل فيما قبله
وقوله تعالى الى يوم القيمة اما غاية للاغراء او للعداوة والبغضاء اي يتعادون ويتباغضون الى يوم
القيمة حسبما تقتضيه اهواؤهم المختلفة وآراؤهم الزائغة المؤدية الى التفرق الى الفرق الثلثة فضمير
بينهم لهم خاصة وقيل لهم ولليهود اي اغرينا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى وسوف
ينبئهم الله بما كانوا يصنعون وعيد شديد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده ساخبرك بما فعلت
اي يجازيهم بما عملوا على الاستمرار من نقض الميثاق ونسيان الحظ الوافر مما ذكروا به وسوف لتاكيد الوعيد
والالتفات الى ذكر الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة تشديد الوعيد والتعبير عن العمل بالصنع
للايذان برسوخهم في ذلك وعن المجازاة بالتنبئة للتنبيه على انهم لا يعلمون حقيقة حالها بمنزلة الاخبار بها
يا اهل الكتاب التفات الى خطاب الفريقين على ان الكتاب جنس شامل للتوراة والانجيل اثر بيان
احوالهما من الخيانة وغيرها من فنون القبائح ودعوة لهم الى الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
والقرآن وايرادهم بعنوان اهلية الكتاب لانطواء الكلام المصدر به على ما يتعلق بالكتاب وللمبالغة
في التشنيع فان اهلية الكتاب من موجبات مراعاته والعمل بمقتضاه وبيان ما فيه من الاحكام وقد
فعلوا من الكتم والتحريف ما فعلوا وهم يعلمون قد جاءكم رسولنا الاضافة للتشريف والايذان بوجوب
اتباعه وقوله تعالى يبين لكم حال من رسولنا وايثار الجملة الفعلية للدلالة على تجدد البيان
اي قد جاءكم رسولنا حال كونه مبينا لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة كثيرا مما كنتم تخفون من
الكتاب اي التوراة والانجيل كبعثة محمد عليه السلام واية الرجم في التوراة وبشارة عيسى باحمد عليه
السلام في الانجيل وتأخير كثيرا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من اظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيل
المسرة والتشويق الى المؤخر لما ان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما مع الاشعار بكونه من منافع المخاطب
تبقى النفس مترقبة الى وروده فيتمكن عندها اذا ورد فضل تمكن ولان في المؤخر ضرب تفصيل ربما يخل
تقديمه بتجاوب النظم الكريم فانهما متعلق بمحذوف وقع صفة لكثيرا وما موصولة اسمية وما بعدها
صلتها والعائد اليها محذوف ومن الكتاب متعلق بمحذوف هو حال من العائد المحذوف والجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل للدلالة على استمرارهم على الكتم والاخفاء اي يبين لكم كثيرا من الذي تخفونه على الاستمرار
حال كونه من الكتاب الذي انتم اهله والمتمسكون به ويعفوا عن كثير اي ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا
لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار
بالعفو فيه حيث ثم على عدم الاخفات عيبا وتوبيخا والجملة معطوفة على الجملة الحالية داخلة في حكمها
وقيل يعفوا عن كثير منكم وقوله تعالى قد جاءكم من الله نور جملة مستأنفة مسوقة لبيان ان فائدة مجيء
الرسول ليست منحصرة فيما ذكر من بيان ما كانوا يخفونه بل له منافع لا تحصى ومن الله متعلق بجاء ومن لابتداء
الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من نور اي ما كان فهو تصريح بما يشعر به اضافة الرسول من مجيئه من جنابه
عز وجل وتقديم الجار والمجرور على الفاعل للمسارعة الى بيان كون المجيء من جهته العالية والتشويق الى الجائي
ولان فيه نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم كما في قوله تعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة
وذكرى للمؤمنين وتنوين نور للتفخيم والمراد به وبقوله وكتاب مبين القرآن لما فيه من كشف ظلمات الشرك
والشك وابانة ما خفي على الناس من الحق والاعجاز البين والعطف لتنزيل المغايرة بالعنوان منزلة المغايرة
بالذات وقيل المراد بالاول هو الرسول صلى الله عليه وسلم وبالثاني القرآن يهدي به الله توحيد الضمير
المجرور لاتحاد المرجع بالذات او لكونهما في حكم الواحد او اريد يهدي بما ذكر وتقديم الجار والمجرور للاهتمام
واظهار الجلالة لاظهار كمال الاعتناء بامر الهداية ومحل الجملة الرفع على انها صفة ثانية للكتاب او النصب
على انه حال منه لتخصصه بالصفة من اتبع رضوانه اي رضاه بالايمان به ومن موصولة او موصوفة سبل السلام
اي طرق السلامة من العذاب والنجاة من العقاب او سبيل الله تعالى وهو شريعته التي شرعها للناس قيل
هو مفعول ثان ليهدي والحق ان انتصابه بنزع الخافض على طريقة قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين
وانما يعدى الى الثاني بالى او باللام كما في قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويخرجهم الضمير لمن
والجمع باعتبار المعنى من الظلمات اي ظلمات فنون الكفر والضلال الى النور الى الايمان باذنه بتيسيره

او

او بارادته ويهديهم الى صراط مستقيم هو اقرب الطرق الى الله تعالى ومؤد اليه لا محالة وهذه الهداية غير الهداية
الى سبيل السلام وانما عطفت عليها تنزيلا للتغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى فلما جاء
امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو
المسيح بن مريم اي لا غير كما يقال الكرم هو التقوى وهم اليعقوبية القائلون بانه تعالى قد يحل في بدن انسان
معين او في روحه وقيل لم يصرح به احد منهم لكن حيث اعتقدوا اتصافه بصفات الله الخاصة وقد
اعترفوا بان الله تعالى موجود لزمهم القول بانه المسيح لا غير وقيل لما ادعوا ان فيه لاهوتا وقالوا
لا اله الا واحد لزمهم ان يكون هو المسيح فنسب اليهم لازم قولهم توضيحا لجهلهم وتفضيحا لمعتقدهم
قل اي تبكيتا لهم واظهارا لبطلان قولهم الفاسد والقاما لهم الحجر والفاء في قوله تعالى فمن يملك من الله
شيئا فصيحة ومن استفهامية للانكار والتوبيخ والملك الضبط والحفظ التام عن حزم ومن متعلقة به
على حذف المضاف اي اذ كان الامر كما تزعمون ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن في الارض جميعا
ومن حق من يكون الها ان لا يتعلق به ولا بشأن من شؤونه بل بشيء من الموجودات قدرة غيره بوجه من الوجوه
فضلا عن ان يعجز عن دفع شيء منها عند تعلقها بهلاكه فلما كان عجزه بينا لا ريب فيه ظهر كونه بمعزل
مما تقولون في حقه والمراد بالاهلاك الاماتة والاعدام مطلقا لا بطريق السخط والغضب واظهار المسيح
على الوجه الذي نسبوا اليه الالوهية في مقام الاضمار لزيادة التقرير والتنصيص على انه من تلك الحيثية
بعينها داخل تحت قهره وملكوته ونفي المالكية المذكورة بالاستفهام الانكاري عن احد مع تحقق الالزام
والتبكيت بنفيها عن المسيح فقط بان يقال فهل يملك شيئا من الله ان اراد الى اخره لتحقيق الحق بنفي الالوهية
عن كل ما عداه سبحانه وتعالى واثبات المطلوب في ضمنه بالطريق البرهاني فان انتفاء المالكية المستلزم
لاستحالة الالوهية متى ظهر بالنسبة الى الكل ظهر بالنسبة الى المسيح على ابلغ وجه واكده فيظهر استحالة
الوهيته قطعا وتعميم ارادة الاهلاك للكل مع حصول ما ذكر من التحقيق بقصرها عليه بان يقال فمن يملك
من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح لتهويل الخطب واظهار كمال العجز ببيان ان الكل تحت قهره تعالى وملكوته
لا يقدر احد على دفع ما اريد به فضلا عن دفع ما اريد بغيره وللايذان بان المسيح اسوة لساير المخلوقات
في كونه عرضة للهلاك كما انه اسوة لها فيما ذكر من العجز وعدم استحقاق الالوهية وتخصيص امه بالذكر
مع اندراجها في ضمن من في الارض لزيادة تاكيد عجز المسيح لعل نظمها في سلك من فرض ارادة اهلاكهم
مع تحقق هلاكها قبل ذلك لتاكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها انموذجا لحال
بقية من فرض اهلاكه كانه قيل قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح وامه ومن في الارض
وقد اهلك امه فهل مانعه احد فكذا حال من عداها من الموجودين وقوله تعالى ولله ملك السموات
والارض وما بينهما اي ما بين قطري العالم الجسماني لا بين وجه الارض ومقعر فلك القمر فقط فيتناول
ما في السموات من الملائكة وما في اعماق الارض والبحار من المخلوقات تنصيص على كون الكل تحت قهره تعالى
وملكوته اثر الاشارة الى كون البعض اي من في الارض كذلك اي له تعالى وحده ملك جميع الموجودات
والتصرف المطلق فيها ايجادا واعداما واحياء واماتة لا لاحد سواه استقلالا ولا اشتراكا فهو تحقيق
اختصاص الالوهية به تعالى اثر بيان انتفائها عن كل ما سواه وقوله تعالى يخلق ما يشاء جملة مستأنفة
مسوقة لبيان بعض احكام الملك والالوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبهة في امر المسيح لولادته
من غير اب وخلق الطير واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص اي يخلق ما يشاء من انواع الخلق والايجاد على
ان ما نكرة موصوفة محلها النصب على المصدرية لا على المفعولية كانه قيل يخلق اي خلقا يشاؤه فتارة يخلق
من غير اصل كخلق السموات والارض واخرى من اصل كخلق ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كخلق ادم
وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه اما من ذكر وحده كخلق حواء او انثى وحدها كخلق عيسى عليه السلام
او منهما كخلق الطير على يد عيسى عليه السلام معجزة له واحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب
ان ينسب كله اليه تعالى لا الى من اجرى ذلك على يده والله على كل شيء قدير اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله
واظهار الاسم الجليل للتعليل وتقوية استقلال الجملة وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه
حكاية لما صدر عن الفريقين من الدعوى الباطلة وبيان لبطلانها بعد ذكر ما صدر عن احدهما وبيان بطلانه
اي قالت اليهود نحن اشياع ابنه عزير وقالت النصارى نحن اشياع ابنه المسيح كما قال اشياع ابي خبيب
وهو عبد الله بن الزبير نحن الخبيبون وكما تقول اقارب الملوك عند المفاخرة نحن الملوك وقال ابن عباس رضي الله
عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا جماعة من اليهود الى دين الاسلام وخوفهم بعقاب الله تعالى فقالوا
كيف تخوفنا به ونحن ابناء الله واحباؤه وقيل ان النصارى يتلون في الانجيل ان المسيح قال لهم اني
ذاهب الى ابي وابيكم وقيل ارادوا ان الله تعالى كالاب لنا في الحنو والعطف ونحن كالابناء له في القرب

والمنزلة وبالجملة انهم كانوا يدعون ان لهم فضلا ومزية عند الله تعالى على سائر الخلق فرد عليهم ذلك
وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل اى الزاما لهم وتبكيتا فلم يعذبكم بذنوبكم اى ان صح ما زعمتم
فلاى شيء يعذبكم في الدنيا بالقتل والاسر والمسخ وقد اعترفتم بانه تعالى سيعذبكم في الاخرة بالنار اياما
بعدد ايام عبادتكم العجل ولو كان الامر كما زعمتم لما صدر عنكم ما صدر وما وقع عليكم ما وقع وقوله تعالى
بل انتم بشر عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى لستم كذلك بل انتم بشر ممن خلق اى من جنس من خلقه الله
تعالى من غير مزية لكم عليهم يغفر لمن يشاء ان يغفر له من اولئك المخلوقين وهم الذين امنوا بالله تعالى
وبرسوله ويعذب من يشاء ان يعذبه منهم وهم الذين كفروا به وبرسوله مثلكم ولله ملك السموات
والارض وما بينهما من الموجودات لا ينتمي اليه سبحانه وتعالى شيء منها الا بالمملوكية والعبودية والمقهورية
تحت ملكوته يتصرف فيه كيف يشاء ايجادا واعداما احياء واماتة واثابة وتعذيبا فانى لهم ادعاء
ما ادعوا واليه المصير في الاخرة خاصة لا الى غيره استقلالا او اشتراكا فيجازي كلا من المحسن والمسيء
بما يستدعيه عمله من غير صارف يثنيه ولا عاطف يلويه يا اهل الكتاب تكرير للخطاب بطريق الالتفات
ولطف في الدعوة قد جاءكم رسولنا يبين لكم حال من رسولنا وايثاره على مبينا لما مر فيما سبق اى يبين لكم
الشرائع والاحكام الدينية المقرونة بالوعد والوعيد ومن جملتها ما بين في الايات السابقة من بطلان
اقاويلكم الشنعاء وما سيأتي من اخبار الامم السالفة وانما حذف تعويلا على ظهور ان مجيء الرسول انما هو
لتبيينها او يفعل لكم البيان ويبذله لكم في كل ما تحتاجون فيه الى البيان من امور الدين واما التقدير مثل
ما سبق في قوله تعالى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كما قيل فمع كونه تكريرا من غير فائدة يرده
قوله عز وجل على فترة من الرسل فان فتور الارسال وانقطاع الوحي انما يحوج الى بيان الشرائع والاحكام
لا الى بيان ما كتموه وعلى فترة متعلق بجاءكم على الظرفية كما في قوله عز وجل واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان اى جاءكم على حين فتور من الارسال وانقطاع من الوحي ومزيد احتياج الى بيان الشرائع
والاحكام الدينية او بمحذوف وقع حالا من ضمير يبين او من ضمير لكم اى يبين لكم ما ذكر حال كونه
على فترة من الرسل او حال كونكم عليها احوج ما كنتم الى البيان ومن الرسل مبتدئة من جهتهم وقوله
تعالى ان تقولوا تعليل لمجيء الرسول بالبيان على حذف المضاف اى كراهة ان تقولوا معتذرين عن تفريطكم
في مراعاة احكام الدين ما جاءنا من بشير ولا نذير وقد طمست اثار الشرائع السابقة وانقطعت
اخبارها وزيادة من في الفاعل للمبالغة في نفي المجيء وتنكير بشير ونذير للتقليل
المقدر والنبوي بشير هو الشرائع والاحكام لا كيف ما كانت بل مشفوعة بما ذكر من الوعد والوعيد
وقوله تعالى فقد جاءكم بشير ونذير متعلق بمحذوف ينبئ عنه الفاء الفصيحة ويبين انه معلل به وتنوين
بشير ونذير للتفخيم اى لا تعتذروا بذلك فقد جاءكم بشير اى بشير ونذير والله على كل شيء قدير فيقدر
على الارسال تترى كما فعله بين موسى وعيسى عليهما السلام حيث كان بينهما الف وسبعمائة سنة والف نبي وعلى
الارسال بعد الفترة كما فعله بين عيسى ومحمد عليهما السلام حيث كان بينهما ستمائة سنة او خمسمائة
وتسع وستون سنة او خمسمائة وست واربعون سنة واربعة انبياء على ما روى الكلبي ثلاثة من بني
اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي وقيل لم يكن بعد عيسى الا رسول الله عليهما السلام وهو
الانسب بما في تنوين فترة من التفخيم اللائق بمقام الامتنان عليهم بان الرسول قد بعث اليهم عند كمال حاجتهم
اليه بسبب مضي دهر طويل بعد انقطاع الوحي ليعشوا اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله تعالى وفتح
باب الى الرحمة ويلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم من غفلتهم واذ قال موسى
لقومه جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما فعلت بنو اسرائيل بعد اخذ الميثاق منهم وتفصيل كيفية
نقضهم له وتعلقه بما قبله من حيث ان ما ذكر فيه من الامور التي وصف النبي صلى الله عليه وسلم ببيانها
ومن اشتماله على انتفاء فترة الرسل فيما بينهم واذ نصب على انه مفعول لفعل مقدر خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب وصرفه عن اهل الكتاب ليعدد عليهم ما سلف من بعضهم
من الجنايات اى واذكر لهم وقت قول موسى لقومه ناصحا لهم ومستميلا لهم باضافتهم اليه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها المقصودة بالذات
للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان الوقت
مشتمل على ما وقع فيه تفصيلا فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا بتفاصيله كانه مشاهد عيانا وعليكم
متعلق بنفس النعمة اذا جعلت مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها اذا جعلت اسما اى اذكروا انعامه
عليكم واذكروا نعمته كائنة عليكم وكذا اذ في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء اى اذكروا انعامه تعالى
عليكم في وقت جعله او اذكروا نعمته تعالى كائنة عليكم في وقت جعله فيما بينكم من اقربائكم انبياء ذوي

عدد

عدد كثير او اولى خطر وشأن خطير حيث لم يبعث في امة من الامم ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء وجعلكم
ملوكا عطف على جعل فيكم اى جعل فيكم او منكم ملوكا كثيرة فانه قد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الانبياء وانما حذف
الظرف تعويلا على ظهور الامر او جعل الكل في مقام الامتنان عليهم ملوكا لما ان اقارب الملوك يقولون
عند المفاخرة نحن الملوك وانما لم يسلك ذلك المسلك فيما قبله لما ان منصب النبوة من عظم الخطر وعزة
الطلب وصعوبة المنال ليس بحيث يليق ان ينسب اليه ولو مجازا من ليس ممن اصطفاه الله له وقيل
كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء
جار وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين
من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك مما اتاهم الله تعالى من الامور
العظام والمراد بالعالمين الامم الخالية الى زمانهم وقيل من عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
كرر النداء بالاضافة التشريفية اهتماما بشأن الامر ومبالغة في حثهم على الامتثال به والارض هي ارض
بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت قرار الانبياء ومسكن المؤمنين وقيل هي الطور وما حوله وقيل
دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي الشام التي كتب الله لكم اى كتب في اللوح انها تكون مسكنا
لكم ان امنتم واطعتم لقوله تعالى لهم بعد ما عصوا فانها محرمة عليهم وقوله تعالى ولا ترتدوا على ادباركم
فتنقلبوا خاسرين فان ترتيب الخيبة والخسران على الارتداد يدل على اشتراط الكتب بالمجاهدة المترتبة
على الايمان والطاعة قطعا اى لا ترجعوا مدبرين خوفا من الجبابرة والجار والمجرور متعلق بمحذوف هو
حال من فاعل ترتدوا ويجوز ان يتعلق بنفس الفعل قيل لما سمعوا احوالهم من النقباء بكوا وقالوا ليتنا
متنا بمصر تعالوا نجعل لنا راسا ينصرف بنا الى مصر او لا ترتدوا عن دينكم بالعصيان وعدم الوثوق بالله
تعالى وقوله تعالى فتنقلبوا اما مجزوم عطفا على ترتدوا او منصوب على جواب النهي والخسران خسران الدين
والدنيا لا سيما دخول ما كتب لهم قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من سياق الكلام كانه قيل فماذا قالوا
بمقابلة امره عليه السلام ونهيه فقيل قالوا غير ممتثلين بذلك يا موسى ان فيها قوما جبارين متغلبين
لا يتأتى منازعتهم ولا يتسنى مناصبتهم والجبار العاتي الذي يجبر الناس ويقسرهم كائنا من كان على ما يريده
كائنا ما كان فعال من جبره على الامر اى اجبره عليه وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها من غير صنع من
قبلنا فانه لا طاقة لنا باخراجهم منها فان يخرجوا منها بسبب من الاسباب التي لا تعلق لنا بها فانا داخلون
حينئذ اتوا بهذه الشرطية مع كون مضمونها مفهوما مما سبق من توقيت عدم الدخول بخروجهم منها تصريحا
بالمقصود وتنصيصا على ان امتناعهم من دخولها ليس الا لمكانهم فيها واتوا في الجزاء بالجملة الاسمية
المصدرة بحرف التحقيق دلالة على تقرر الدخول وثباته عند تحقق الشرط لا محالة واظهارا لكمال الرغبة
فيه وبالامتثال بالامر قال رجلان استئناف كما سبق كانه قيل هل اتفقوا على ذلك او خالفهم البعض فقيل
قال رجلان من الذين يخافون اى يخافون الله تعالى دون العدو ويتقونه في مخالفة امره ونهيه وبه
قرا ابن مسعود رضي الله عنه وفيه تعريض بان من عداهما لا يخافونه تعالى بل يخافون العدو وقيل من
الذين يخافون العدو اى منهم في النسب لا في الخوف وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا من النقباء وقيل
هما رجلان من الجبابرة اسلما وصارا الى موسى عليه السلام فالواو حينئذ لبني اسرائيل والموصول
عبارة عن الجبابرة واليهم يعود العائد المحذوف اى من الذين يخافهم بنو اسرائيل ويعضده قراءة من قرا
يخافون على صيغة المبني للمفعول اى المخوفين وعلى الاول يكون هذا من الاخافة اى من الذين يخوفون من
الله تعالى بالتذكير او يخافونهم الوعيد انعم الله عليهما اى بالتثبيت وربط الجأش والوقوف على شؤونه تعالى
والثقة بوعده او بالايمان وهو صفة ثانية لرجلان او اعتراض وقيل حال من الضمير في يخافون او من رجلان
لتخصصه بالصفة اى قالا مخاطبين لهم ومشجعين ادخلوا عليهم الباب اى باب بلدهم وتقديم الجار والمجرور
عليه للاهتمام به لان المقصود دخول الباب وهم في بلدهم اى باغتوهم وضاغطوهم في المضيق وامنعوهم
من البروز الى الصحراء لئلا يجدوا للحراب مجالا فاذا دخلتموه اى باب بلدهم وهم فيه فانكم غالبون من غير
حاجة الى القتال فانا قد رايناهم وشاهدنا ان قلوبهم ضعيفة وان كانت اجسادهم عظيمة فلا تخشوهم
واهجموا عليهم في المضايق فانهم لا يقدرون فيها على الكر والفر وقيل انما حكما بالغلبة لما علماها من جهة
موسى عليه السلام ومن قوله تعالى كتب الله لكم اى لما علما من سنته تعالى في نصرة رسله وما عهدا من
صنعه تعالى لموسى عليه السلام من قهر اعدائه والاول انسب بتعليق الغلبة بالدخول وعلى الله تعالى
خاصة فتوكلوا بعد ترتيب الاسباب ولا تعتمدوا عليها فانها بمعزل من التأثير وانما التأثير من عند الله
العزيز القدير ان كنتم مؤمنين اى مؤمنين به تعالى مصدقين لوعده فان ذلك مما يوجب التوكل عليه حتما
قالوا استئناف كما سبق اى قالوا غير مبالين بهما وبمقالتهما مخاطبين لموسى عليه السلام اظهارا لاصرارهم

على القول الاول وتصريحا بمخالفتهم له عليه السلام بانا لن ندخلها اى ارض الجبابرة فضلا عن دخولهم
بابهم وهم فى بلدهم ابدا اى دهرا طويلا ما داموا فيها اى فى ارضهم وهو بدل من ابدا بدل البعض او عطف
بيان فاذهب الفاء فصيحة اى فاذا كان الامر كذلك فاذهب انت وربك فقاتلا اى فقاتلاهم انما قالوا
ذلك استهانة واستهزاء به سبحانه وبرسوله وعدم مبالاة بهما وقصدوا ذهابهما حقيقة كما ينبئ عنه
غاية جهلهم وقسوة قلوبهم وقيل ارادوا ارادتهما وقصدهما كما تقول كلمته فذهب يجيبنى كانهم قالوا
فاريدا قتالهم واقصداهم وقيل التقدير فاذهب انت وربك يعينك ولا يساعده قوله تعالى فقاتلا
ولم يذكروا هرون ولا الرجلين كانهم لم يجزموا بذهابهم او لم يعبؤوا بقتالهم وقوله تعالى انا ههنا قاعدون
يؤيد الوجه الاول وارادوا بذلك عدم التقدم لا عدم التاخر قال عليه السلام لما راى منهم ما
راى من العناد على طريقة البث والحزن والشكوى الى الله تعالى مع رقة القلب التى بمثلها تستجلب
الرحمة وتستنزل رب انى لا املك الا نفسى واخى عطف على نفسى وقيل على الضمير فى انى على معنى انى لا املك
الا نفسى وانى اخى لا يملك الا نفسه وقيل على الضمير فى لا املك للفصل فافرق بيننا يريد نفسه وله
والفاء لترتيب الفرق او الدعاء به على ما قبله وبين القوم الفاسقين الخارجين عن طاعتك المصرين على
عصيانك بان تحكم لنا بما نستحقه وعليهم بما يستحقونه وقيل بالتبعيد بيننا وبينهم وتخليصنا من صحبتهم
قال فانها اى الارض المقدسة والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الدعاء محرمة عليهم تحريم منع لا تحريم
تعبد ولا يدخلونها ولا يملكونها لان كتابتها لهم كانت مشروطة بالايمان والجهاد وحيث نكصوا على ادبارهم
حرموا ذلك وانقلبوا خاسرين وقوله تعالى اربعين سنة ان جعل ظرفا لمحرمة يكون التحريم موقتا لا مؤبدا
فلا يكون مخالفا لظاهر قوله كتب الله لكم والمراد بتحريمها عليهم انه لا يدخلها احد منهم فى هذه المدة لكن
لا بمعنى انهم يدخلونها بعدها بل بعضهم ممن بقى حسبما روى ان موسى عليه السلام [illegible]
فالموقت بالاربعين فى الحقيقة تحريمها على ذراريهم وانما جعل تحريمها عليهم لما بينهما من العلاقة التامة
المتاخمة للاتحاد وقوله تعالى يتيهون فى الارض اى يتحيرون فى البرية استئناف لبيان كيفيات حرمانهم او حال
من ضمير عليهم وقيل الظرف متعلق بيتيهون فيكون التيه موقتا والتحريم مطلقا قيل كانوا ستمائة
الف مقاتل وكان طول البرية تسعين فرسخا وقد تاهوا فى ستة فراسخ وتسعة وثلاثين فرسخا وقيل فى
ستة فراسخ فى اثنى عشر فرسخا روى انهم كانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذا امسوا اذا هم بحيث ارتحلوا
وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع بالليل عمود من نور يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول
شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله وهذه الانعامات عليهم مع انهم
معاقبون لما ان عقابهم كان بطريق العرك والتاديب قيل كان موسى وهرون معهم ولكن كان ذلك لهما
روحا وسلامة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب عليهم السلام وروى ان هرون مات فى التيه ومات
موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة اشهر ولا يساعده ظاهر النظم الكريم
فانه تعالى بعد ما قبل دعوته على بنى اسرائيل وعذبهم بالتيه بعيد ان ينجى بعض المدعو عليهم او يدرجهم
ويقدر وقوفهما فى محل العقوبة ظاهرا وان كان ذلك لهما منزل روح وراحة وقد قيل انهما لم يكونا معهم
فى التيه وهو الانسب بتفسير الفرق بالمباعدة ومن قال بانهما كانا معهم فيه فقد فسر الفرق بما ذكر من الحكم
بما يستحقه كل فريق فلا تأس فلا تحزن على القوم الفاسقين روى انه عليه السلام ندم على دعائه عليهم
فقيل لا تندم ولا تحزن عليهم فانهم احقاء بذلك لفسقهم واتل عليهم عطف على مقدر تعلق به قوله تعالى
واذ قال موسى الى آخره وتعلقه به من حيث انه تمهيد لما سياتى من جنايات بنى اسرائيل بعد ما كتب
عليهم ما كتب وجاءتهم الرسل بما جاءت من البينات نبأ ابنى آدم هما قابيل وهابيل ونقل عن الحسن رضه
والضحاك انهما رجلان من بنى اسرائيل [illegible] القصة وليس كذلك اوحى الله عز وجل الى آدم ان
تزوج كلا منهما توامة الآخر وكانت توامة قابيل اجمل واسمها اقليما فحسد عليه
اخاه وسخط وزعم ان ذلك ليس من عند الله تعالى بل من جهة آدم عليه السلام فقال لهما عليه السلام
قربا قربانا فمن ايكما قبل تزوجها فقعدا فنزلت نار على قربان هابيل فاكلته ولم تتعرض لقربان فازداد
قابيل حسدا وسخطا وفعل ما فعل بالحق متعلق بمحذوف وقع صفة لمصدر محذوف اى تلاوة ملتبسة
بالحق والصحة او حالا من فاعل اتل او من مفعوله اى ملتبسا انت او نبأهما بالحق والصدق حسبما تقرر
فى كتب الاولين اذ قربا قربانا منصوب على النبأ ظرفا له اى اتل قصتهما ونبأهما فى ذلك الوقت بدلا منه
على حذف المضاف اى اتل عليهم نبأهما نبأ ذلك الوقت ورد عليهم بان اذ لا يضاف اليها غير الزمان
كوقتئذ وحينئذ والقربان اسم لما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او صدقة كالحلوان اسم لما يعطى اى
يعطى وتوحيده لما انه فى الاصل مصدر وقيل تقديره اذ قرب كل منهما قربانا فتقبل من احدهما هو هابيل

قيل

الفاء فصيحة اى فاذا كان الامر كذلك فاذهب ص

قيل كان هو صاحب ضرع وقرب جملا سمينا فنزلت نار فاكلته ولم يتقبل من الآخر هو قابيل قيل كان
هو صاحب زرع وقرب اردأ ما عنده من القمح فلا تتعرض له النار اصلا قال استئناف مبنى على سؤال
نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال من لم يتقبل قربانه فقيل قال لاخيه لتضاعف سخطه وحسده لما
ظهر فضله عليه عند الله عز وجل لاقتلنك اى والله لاقتلنك بالنون المشددة وقرئ بالمخففة قال
استئناف كما قبله اى قال الذى تقبل قربانه لما ان درى انه حسده لقبول قربانه وعدم قبول قربان نفسه
انما يتقبل الله اى القربان من المتقين لا من غيرهم وانما لم يتقبل قربانك لما فيك من التقوى
وعدم اى انما اتيت من قبل نفسك لا من قبيلى فلم تقتلنى خلا انه لم يصرح بذلك بل سلك مسلك التعريض
حذرا من تهييج غضبه وحملا له على التقوى والاقلاع عما نواه ولذلك اسند الفعل الى الاسم الجليل لتربية
المهابة ثم صرح بتقواه على وجه يستدعى سكون غيظه لو كان له عقل وازع حيث قال بطريق التوكيد
لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك حيث صدر الشرطية باللام
الموطئة للقسم وقدم الجار والمجرور على المفعول الصريح ايذانا من اول الامر برجوع ضرر البسط وغائلته
اليه ولم يجعل جواب القسم الساد مسد جواب الشرط جملة فعلية موافقة لما فى الشرط بل اسمية
مصدرة بما الحجازية المفيدة لتاكيد النفى بما فى خبرها من الباء للمبالغة فى اظهار براءته عن بسط اليد
ببيان استمراره على نفى البسط كما فى قوله تعالى وما هم بمؤمنين وقوله تعالى وما هم بخارجين منها فان
الجملة الاسمية الايجابية كما تدل بمعونة المقام على دوام الثبوت كذلك السلبية تدل بمعونته على
دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام وذلك باعتبار الدوام والاستمرار بعد اعتبار النفى لا قبله
حتى يرد النفى على المقيد بالدوام فيرفع قيده اى والله لئن باشرت قتلى حسبما اوعدتنى به وتحقق ذلك
منك ما انا بفاعل مثله لك فى وقت من الاوقات ثم علل ذلك بقوله انى اخاف الله رب العالمين وفيه من ارشاد
قابيل الى خشية الله تعالى على ابلغ وجه واكده ما لا يخفى كانه قيل انى اخافه تعالى ان بسطت يدى اليك
لاقتلك ان يعاقبنى وان كان ذلك منى لدفع عداوتك عنى فما ظنك بحالك وانت البادى العادى وفى وصفه
تعالى بربوبية العالمين تاكيد للخوف وقيل كان هابيل اقوى منه ولكن تحرج عن قتله واستسلم خوفا
من الله تعالى لان القتل للدفع لم يكن مباحا حينئذ وقيل تحريا لما هو الافضل حسبما قال صلى الله عليه وسلم
كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل ويأباه التعليل بخوفه تعالى الا ان يدعى ان ترك الاولى عنده
بمنزلة المعصية فى استتباع الغائلة مبالغة فى التنزه وقوله تعالى انى اريد ان تبوء باثمى واثمك تعليل آخر
لامتناعه عن المعارضة على انه غرض متأخر عنه غرضى متلخص منه كما ان الاول باعث متقدم عليه وانما لم يعطف
عليه تنبيها على كفاية كل منهما فى العلية والمعنى انى اريد باستسلامى لك وامتناعى عن التعرض لك ان ترجع
باثمى اى بمثل اثمى لو بسطت يدى اليك وباثمك ببسط يدك الى كما فى قوله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا
فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم اى على البادى عين اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه بحكم كونه سببا له وقيل
معنى باثمى اثم قتلى ومعنى باثمك اثمك الذى لاجله لم يتقبل قربانك انما هو بعدم ملابسته للاثم [illegible]
اخيه له وقيل المراد بالاثم عقوبته ولا ريب فى جواز ارادة عقوبة العاصى ممن علم انه لا يرعوى عن المعصية
اصلا ويأباه قوله عز وعلا فتكون من اصحاب النار فان كونه منهم انما يترتب على رجوعه بالاثمين لا على ابتلائه
بعقوبتهما وحمل العقوبة على نوع آخر يترتب عليها العقوبة النارية يرده قوله تعالى وذلك جزاء الظالمين
فانه صريح فى ان كونه من اصحاب النار تمام العقوبة وكمالها والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ولقد
سلك فى صرفه عما نواه من الشر كل مسلك من العظة والتذكير بالترغيب تارة والترهيب اخرى فما اورث
ذلك الا الاصرار على الغى والانهماك فى الفساد فطوعت له نفسه قتل اخيه اى وسعته وسهلته من طاع
له المرتع اذا اتسع وترتيب التطويع على ما حكى من مقالات هابيل مع تحققه قبلها ايضا كما يفصح عنه
قوله لاقتلنك لما ان بقاء الفعل بعد تقرر ما يزيله من الدواعى القوية وان كان استمرارا عليه بحسب
الظاهر لكنه فى الحقيقة امر حادث وصنع جديد كما فى قولك وعظته فلم يتعظ ولان هذه المرتبة من التطويع
لم تكن حاصلة قبل ذلك بناء على تردده فى قدرته على القتل لما انه كان اقوى منه وانما حصلت بعد وقوفه على
استسلام هابيل وعدم معارضته له والتصريح باخوته لكمال تقبيح ما سولته نفسه وقرئ فطاوعت
على انه فاعل بمعنى تفعل او على انه قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وزيادة
الربط كقولك حفظت لزيد ماله فقتله قيل لم يدر قابيل كيف يقتل هابيل فتمثل ابليس واخذ طائرا ووضع
راسه على حجر ثم شدخها بحجر آخر فتعلم منه فوضع راس هابيل بين حجرين وهو مستسلم لا يستعصى
عليه وقيل اغتاله وهو نائم وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلف فى موضع قتله فقيل عند عقبة
حراء وقيل بالبصرة فى موضع المسجد الاعظم وقيل فى جبل نود ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع

به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره اربعين يوما وقيل سنة حتى اروح وعكف عليه الطيور
والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا فبعث الله غرابا يبحث في الارض
ليريه كيف يواري سوأة اخيه روي انه تعالى بعث غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره
ورجليه حفرة فالقاه فيها والمستكن في يريه لله تعالى او للغراب واللام على الاول متعلقة ببعث حتما
وعلى الثاني بيبحث ويجوز تعلقها ببعث ايضا وكيف حال من ضمير يواري والجملة ثاني مفعولي يري والمراد
بسوأة اخيه جسده الميت قال استئناف مبني على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا قال عند
مشاهدة حال الغراب فقيل قال يا ويلتى هي كلمة جزع وتحسر والالف بدل من ياء المتكلم والمعنى يا ويلتي
احضري فهذا اوانك فالويل والويلة الهلكة اعجزت ان اكون اي عن ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة
اخي تعجب من عدم اهتدائه الى ما اهتدى اليه الغراب وقوله تعالى فاواري بالعطف على اكون وقرئ
بالرفع اي فانا اواري فاصبح من النادمين اي على قتله لما كابد فيه من التحير في امره وحمله على رقبته
مدة طويلة وروي انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا
قال بل قتلته ولذلك اسود جسدك ومكث آدم بعده مائة سنة لا يضحك وقيل لما قتل قابيل هابيل
هرب الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يخدمها ويعبدها
فان عبدتها ايضا حصل مقصودك فبنى بيت نار فعبدها وهو اول من عبد النار من اجل ذلك شروع
فيما هو المقصود بتلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني اسرائيل ومعاصيهم وذلك اشارة الى عظم
شأن القتل وافراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل له وكمال اجتنابه
عن مباشرته وان كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لان يقتل خوفا من عقابه وبيان استتباعه
لتحمل القاتل لاثم المقتول ومن كون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم ومن ندامته على فعله
مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب والاجل في الاصل مصدر اجل شرا اذا جناه استعمل
في تعليل الجنايات كما في قولهم من جراك فعلته اي من ان جررته وجنيته ثم اتسع فيه واستعمل في كل تعليل وقرئ
من اجل بكسر الهمزة وهي لغة فيه وقرئ من اجل بحذف الهمزة والقاء فتحتها على النون ومن لابتداء الغاية
متعلقة بقوله تعالى كتبنا على بني اسرائيل وتقديمها عليه للقصر اي من ذلك ابتدأ الكتب ومنه نشأ
لا من شيء آخر اي قضينا عليهم وبينا انه من قتل نفسا واحدة من النفوس بغير نفس اي بغير قتل نفس
يوجب الاقتصاص او فساد في الارض اي فساد يوجب اهدار دمها وهو عطف على ما اضيف اليه غير على
معنى نفي كلا الامرين معا كما في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلاته لا نفي احدهما كما في قولك
من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلاته ومدار الاستعمال اعتبار ورود النفي على ما يستفاد من كلمة او من
الترديد بين الامرين المنبئ عن التخيير والاباحة او اعتبار العكس ومناط الاعتبارين اختلاف حال ما اضيف
اليه غير من الامرين بحسب اشتراط نقيض الحكم بتحقق احدهما واشتراطه بتحققهما معا ففي الاول يرد
النفي على الترديد الواقع بين الامرين قبل وروده فيفيد نفيهما معا وفي الثاني يرد الترديد على النفي فيفيد
نفي احدهما حتما اذ ليس قبل ورود النفي ترديد حتى يتصور عكسه وتوضيحه ان كل حكم شرط تحققه احد
شيئين مثلا فنقيضه مشروط بانتفائهما معا وكل حكم شرط بتحققهما معا فنقيضه مشروط بانتفاء احدهما
ضرورة ان نقيض كل شيء مشروط بنقيض شرطه ولا ريب في ان نقيض الايجاب الجزئي كما في الحكم هو السلب
الكلي والايجاب الكلي كما في الحكم الثاني بانتفاء احدهما ولما كان الحكم في قولك من صلى بوضوء او تيمم صحت صلوته
مشروطا بتحقق احدهما مبهما كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او تيمم بطلت صلاته مشروطا
بنقيض الشرط المذكور البتة وهو انتفاؤهما معا فتعين ورود النفي المستفاد من غير على الترديد الواقع
بين الوضوء والتيمم بكلمة او فانتفى تحققهما معا ضرورة عموم النفي الوارد على المبهم وعلى هذا يدور ما
قالوا انه اذا قيل جالس العلماء او الزهاد ثم ادخل عليه لا الناهية امتنع فعل الجميع نحو ولا تطع منهم آثما
او كفورا اذ المعنى لا تفعل احدهما فايهما فعله فهو احدهما واما قولك من صلى بوضوء وثوب صحت صلوته فحيث
كان الحكم فيه مشروطا بتحقق كلا الامرين كان نقيضه في قولك من صلى بغير وضوء او ثوب بطلت صلوته
مشروطا بنقيض الشرط المذكور وهو انتفاء احدهما فتعين ورود الترديد على النفي فافاد نفي احدهما
ولا يخفى ان اباحة القتل مشروطة باحد ما ذكر من القتل والفساد ومن ضرورته اشتراط حرمته بانتفائهما
معا فتعين ورود النفي على الترديد لا محالة كانه قيل من قتل نفسا بغير احدهما فكانما قتل الناس جميعا
ومن قال في تفسيره او بغير فساد فقد ابعد عن توفية النظم الكريم حقه وما في كانما كافة مهيئة لوقوع
الفعل بعدها وجميعا حال من الناس او تأكيد ومناط التشبيه اشتراك الفعلين في هتك حرمة الدماء
والاستعصاء على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع الفعلين في هتك حرمة الدماء والاستعصاء

على

على الله تعالى وتجسير الناس على القتل وفي استتباع القود واستجلاب غضب الله تعالى وعذابه العظيم
ومن احياها اي تسبب لبقاء نفس واحدة موصوفة بعدم ما ذكر من القتل او الفساد في الارض اما
بنهي قاتلها عن قتلها او استنقاذها من سائر اسباب الهلكة بوجه من الوجوه فكانما احيا الناس جميعا ووجه
التشبيه ظاهر والمقصود تهويل امر القتل وتفخيم شأن الاحياء بتصوير كل منهما بصورة لائقة به في ايجاب
الرهبة والرغبة ولذلك صدر النظم الكريم بضمير الشأن المنبئ عن كمال شهرته ونباهته وتبادره الى
الاذهان عند ذكر الضمير الموجب لزيادة تقرر ما بعده في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر
الا شأن مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كانه قيل ان الشأن
الخطير هذا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات جملة مستأنفة معطوفة على كتبنا اكدت بالتوكيد القسمي
وحرف التحقيق لكمال العناية بتحقق مضمونها وانما لم يقل ولقد ارسلنا اليهم رسلنا الى آخره للتصريح
بوصول الرسالة اليهم فانه ادل على تناهيهم في العتو والمكابرة اي وبالله لقد جاءتهم رسلنا حسبما
ارسلناهم بالآيات الواضحة الناطقة بتقرير ما كتبنا عليهم تأكيدا لوجوب مراعاته وتأكيد التحتم
المحافظة عليه ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من الكتب وتأكيد الامر بارسال الرسل تترى
وتجديد العهد مرة بعد اخرى ووضع اسم الاشارة موضع الضمير للايذان بكمال تميزه وانتظامه بسبب
ذلك في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايماء الى علو درجته وبعد منزلته في عظم الشأن
وثم للتراخي في الرتبة والاستبعاد في الارض متعلق بقوله تعالى لمسرفون وكذا الظرف المتقدم ولا
يقدح فيه توسط اللام بينه وبينهما لانها لام الابتداء وحقها الدخول على المبتدأ وانما دخولها على
الخبر لمكان ان فهي في حيزها الاصلي حكما والاسراف في كل امر التباعد عن حد الاعتدال مع عدم مبالاة
به اي مسرفون في القتل غير مبالين به ولما كان اسرافهم في امر القتل مستلزما لتفريطهم في شأن الاحياء
وجودا وذكرا وكان هو اقبح الامرين وافظعهما اكتفي بذكره في مقام التشنيع انما جزاء الذين يحاربون الله
ورسوله كلام مستأنف سيق لبيان حكم نوع من انواع القتل وما يتعلق به من الفساد باخذ المال ونظائره
وتعيين موجبه وكان ذلك اثر بيان عظم شأن القتل بغير حق واندرج فيه بيان ما اشير اليه اجمالا من الفساد
المبيح للقتل قيل انه يحاربون رسوله وذكر الله تعالى للتمهيد والتنبيه على رفعة محله عنده عز وجل
ومحاربة اهل شريعته وسالكي طريقته من المسلمين محاربة له عليه السلام فيعم الحكم من يحاربهم ولو بعد
اعصار بطريق العبارة دون الدلالة والقياس لان ورود النص ليس بطريق خطاب المشافهة حتى يختص
حكمه بالمكلفين عند النزول فيحتاج في تعميمه الى دليل آخر وقيل جعل محاربة المسلمين محاربة لله تعالى
ورسوله تعظيما لهم والمعنى يحاربون اولياءهما واصل الحرب السلب والمراد ههنا قطع الطريق وقيل
المكابرة بطريق اللصوصية وان كانت في مصر ويسعون في الارض عطف على يحاربون والجار متعلق به
وقوله تعالى فسادا اما مصدر وقع موقع الحال من فاعل يسعون او مفسدين او مفعول له او الفساد او
مصدر مؤكد ليسعون لانه في معنى يفسدون على انه مصدر من افسد بحذف الزوائد او اسم مصدر
نزلت الآية في قوم هلال بن عويمر الاسلمي وكان وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يعينه
ولا يعين عليه ومن اتاه من المسلمين فهو آمن لا يهاج ومن مر بهلال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام بناس من قوم هلال ولم يكن هلال يومئذ ثمة
شاهدا فقطعوا عليهم وقتلوهم واخذوا اموالهم وقيل نزلت في العرنيين وقصتهم مشهورة وقيل في
قوم من اهل الكتاب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبل
وافسدوا في الارض ولما كانت المحاربة والفساد على مراتب متفاوتة ووجوه شتى من القتل بدون
اخذ المال ومن القتل مع اخذه ومن اخذه بدون قتل ومن الاخافة بدون قتل واخذ شرعت لكل مرتبة
من تلك المراتب عقوبة معينة بطريق التوزيع فقيل ان يقتلوا اي حدا من غير صلب ان افردوا القتل
ولو عفا الاولياء لا يلتفت الى ذلك لانه حق الشرع ولا فرق بين ان يكون القتل بآلة جارحة اولا
او يصلبوا اي مع القتل ان جمعوا بين الاخذ والقتل بان يصلبوا احياء وتبعج بطونهم برمح الى ان يموتوا وفي
ظاهر الرواية ان الامام مخير ان شاء اكتفى بذلك وان شاء قطع ايديهم وارجلهم من خلاف وقتلهم ثم
صلبهم وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئ بالتخفيف فيهما او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اي
ايديهم اليمنى وارجلهم اليسرى ان اقتصروا على اخذ المال من مسلم او ذمي وكان في المقدار بحيث لو قسم عليهم
اصاب كلا منهم عشرة دراهم او ما يساويها قيمة اما قطع ايديهم فلاخذ المال واما قطع ارجلهم فلاخافة
الطريق بتفويت امنه او ينفوا من الارض ان لم يفعلوا غير الاخافة والسعي للفساد والمراد بالنفي
عندنا هو الحبس فانه نفي عن وجه الارض بدفع شرهم عن اهلها ويعزرون ايضا لمباشرتهم منكر الاخافة

واذالة الامن وعند الشافعي رحمه الله النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل هو النفي عن
بلده فقط وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك اي ما
فصل من الاحكام والاجزية قيل هو مبتدا وقوله لهم خزي جملة من خبر مقدم على المبتدا وقوله تعالى في الدنيا
متعلق بمحذوف وقع صفة لخزي او متعلق بخزي على الظرفية والجملة في محل الرفع على انه خبر لذلك وقيل
خزي خبر لذلك ولهم متعلق بمحذوف وقع حالا من خزي لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا
وفي الدنيا اما صفة لخزي او متعلق به على ما مر والخزي الذل والفضيحة ولهم في الآخرة غير هذا عذاب عظيم
لا يقادر قدره لغاية عظم جنايتهم فقوله تعالى لهم خبر مقدم وعذاب مبتدا مؤخر وفي الآخرة متعلق بمحذوف
وقع حالا من عذاب لانه في الاصل صفة له فلما قدم انتصب حالا اي كائنا في الآخرة الا الذين تابوا من قبل
ان تقدروا عليهم استثناء مخصوص بما هو من حقوق الله عز وجل كما ينبئ عنه قوله تعالى فاعلموا ان الله غفور
رحيم اما ما هو من حقوق الاولياء من القصاص ونحوه فاليهم ذلك ان شاؤا عفوا وان احبوا استوفوا وانما
بالتوبة وجوب استيفائه لا جوازه وعن علي رضي الله عنه ان الحارث ابن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع
الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله لما ذكر عظم شأن القتل والفساد وبين
حكمهما واشير في تضاعيف ذلك الى مغفرته تعالى لمن تاب من جنايته امر المؤمنين بان يتقوه تعالى في كل ما يأتون وما
يذرون بترك ما يجب اتقاؤه من المعاصي التي من جملتها ما ذكر من القتل والفساد وبفعل الطاعة التي
من جملتها ما في احياء النفوس ودفع الفساد والمسارعة الى التوبة والاستغفار وابتغوا اي اطلبوا
لانفسكم اليه اي الى ثوابه والزلفى منه الوسيلة هي فعيلة بمعنى ما يتوسل به ويتقرب الى الله عز وجل
من فعل الطاعة وترك المعاصي من وسل الى كذا اي تقرب اليه بشيء واليه متعلق بها قدم عليها للاهتمام
به وليس بمصدر حتى لا يعمل فيما قبلها ولعل المراد بها الاتقاء المامور به فانه ملاك الامر كله كما اشير اليه
وذريعة لنيل كل خير ومنجاة من كل ضير والجملة الاولى امر بترك المعاصي والثانية امر بفعل الطاعات وحيث
كان في كل من ترك المعاصي المشتهاة للنفس وفعل الطاعات المكروهة لها كلفة ومشقة عقب الامر بقوله
تعالى وجاهدوا في سبيله بمحاربة اعدائه البارزة والكامنة لعلكم تفلحون بنيل مرضاته والفوز بكرامته ان
الذين كفروا كلام مبتدأ مسوق لتأكيد وجوب الامتثال بالاوامر السابقة وترغيب المؤمنين في المسارعة
الى تحصيل الوسيلة اليه عز وجل قبل انقضاء اوانه ببيان استحالة توسل الكفار يوم القيمة باقوى
الوسائل الى النجاة من العذاب فضلا عن نيل الثواب لو ان لهم اي لكل واحد منهم كما في قوله تعالى ولو ان لكل
نفس ظلمت ما في الارض الى آخره لا لجميعهم اذ ليس في ذلك هذه المرتبة من تهويل الامر وتفظيع الحال
ما في الارض اي من اصناف اموالها وذخائرها وسائر منافعها قاطبة وهو اسم ان ولهم خبرها ومحلها الرفع بانه
خلاف خلا انه عند سيبويه رفع على الابتداء ولا حاجة فيه الى الخبر لاشتمال صلتها على المسند والمسند اليه
وقد اختصت من بين سائر ما يؤول بالاسم بالوقوع بعد لو فهو محذوف قيل يقدر مقدما اي لو ثابت كون ما في
الارض لهم وقيل يقدر مؤخرا اي لو كونه في الارض لهم ثابت وعند المبرد والزجاج والكوفيين رفع بالفاعلية
والفعل مقدر بعد لو اي لو ثبت ان لهم ما في الارض وقوله تعالى جميعا توكيد للموصول او حال منه ومثله
بالنصب عطف عليه وقوله تعالى معه ظرف وقع حالا من المعطوف والضمير راجع الى الموصول وفائدته
التصريح بفرض كينونتهما لهم بطريق المعية لا بطريق التعاقب تحقيقا لكمال فظاعة الامر مع ما فيه من نوع
اشعار بكونهما شيئا واحدا وتمهيد لافراد الضمير الراجع اليهما واللام في قوله تعالى ليفتدوا به متعلقة
بما تعلق به خبر ان اعني الاستقرار المقدر في لهم وفي الخبر المقدم عند من يرى تقديره مقدما مؤخرا او بالفعل
المقدر بعد لو على راي المبرد ومن نحا نحوه ولا ريب في ان مدار الافتداء بما ذكر هو كونه لهم لا ثبوت كونه لهم وان
كان مستلزما له والباء في به متعلقة بالافتداء والضمير راجع الى الموصول ومثله معا وتوحيده اما لما
اشير اليه واما لاجرائه مجرى اسم الاشارة كانه قيل بذلك كما في قولك كانه في الجلد توليع البهق اي كان ذلك
وقيل هو راجع الى الموصول والعائد الى المعطوف اعني مثله محذوف كما حذف الخبر من قيار كما في قوله واني
وقيار بها لغريب وفيه ما فيه ايضا من غريب وقد جوز ان يكون نصب ومثله على انه مفعول معه ناصبه الفعل المقدر
بعد لو تفريعا على مذهب المبرد ومن اى رايه وانت خبير بانه يؤدي الى كون الرافع للفاعل غير الناصب
للمفعول معه لان المعنى على اعتبار المعية بين ما في الارض ومثله في الكينونة لهم لا في ثبوت تلك الكينونة
وتحققها ولا مساغ لجعل ناصبه الاستقرار المقدر في لهم لما ان سيبويه قد نص على ان اسم الاشارة وحرف
الجر المتضمن للاستقرار لا يعملان في المفعول معه وان قوله هذا لك واباك قبيح وان جوزه بعض النحاة في الظرف
وحرف الجر وقوله تعالى من عذاب يوم القيمة متعلق بالافتداء ايضا اي لو ان ما في الارض ومثله ثابت
لهم ليجعلوه فدية لانفسهم من العذاب الواقع يومئذ ما تقبل منهم ذلك وهو جواب وترتيبه على كون ذلك لهم

لاجل

لاجل افتدائهم به من غير ذكر الافتداء بان يقال لو افتدوا به مع ان الرد والقبول انما يترتب عليه لا على
مباديه للايذان بانه امر محقق الوقوع غني عن الذكر وانما المحتاج الى الغرض قد ترتب على ما ذكر والمبالغة
في تحقق الرد وتخييل انه وقع قبل الافتداء على منهاج ما في قوله تعالى انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
فلما رآه مستقرا عنده حيث لم يقل فاتى به فرآه فلما رآه مستقرا عنده وما في قوله تعالى فقالت اخرج
عليهن فلما رأينه اكبرنه من غير ذكر خروجه عليه السلام عليهن ووقوع رؤيتهن له والجملة الامتناعية بتمامها خبر لان
الذين كفروا والمراد تمثيل لزوم العذاب لهم واستحالة نجاتهم منه بوجه من الوجوه المحققة والمفروضة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقال
نعم فيقول له قد سئلت ايسر من ذلك انتهى وهو كلمة الشهادة وقوله تعالى ولهم عذاب اليم تصريح بما اشير اليه
بعدم قبول فديتهم لزيادة تقريره وبيان هوله وشدته قيل محل النصب على الحالية وقيل الرفع عطفا
على خبر ان وقيل عطف على ان الذين فلا محل له كالمعطوف عليه يريدون ان يخرجوا من النار استئناف مسوق
لبيان حالهم في اثناء مكابدة العذاب مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فكيف يكون حالهم او ماذا يصنعون
فقيل يريدون الى آخره وقد بين في تضاعيفه انه عذاب النار وقيل انهم يقصدون ذلك ويطلبون
المخرج فيلفحهم لهب النار ويرفعهم وقيل يتمنونه ويريدونه بقلوبهم وقوله تعالى وما هم بخارجين منها اما
حال من فاعل يريدون او اعتراض وايا ما كان فايثار الجملة الاسمية على الفعلية مصدرة بما الحجازية الدالة بما
في خبرها من الباء على تاكيد النفي لبيان كمال سوء حالهم باستمرار عدم خروجهم منها فان الجملة الاسمية الايجابية
كما تفيد الدوام كذلك السلبية ايضا بمعونة المقام دوام النفي لا نفي الدوام كما في قوله تعالى ما انا بباسط يدي اليك الى آخره
وقرئ ان يخرجوا على بناء المفعول من الاخراج ولهم عذاب مقيم تصريح بما اشير اليه من عدم تناهي مدته
بعد بيان شدته والسارق والسارقة شروع في بيان حكم السرقة الصغرى بعد بيان احكام الكبرى وقد عرفت
اقتضاء الحال لايرادها وتوسيطها بينهما من المقال ولما كانت السرقة معهودة من النساء كالرجال صرح بالسارقة
ايضا مع ان المعهود في الكتاب والسنة ادراج النساء في الاحكام الواردة في شان الرجال بطريق الدلالة لمزيد
الاعتناء بالبيان والمبالغة في الزجر وهو مبتدأ خبره عند سيبويه محذوف وتقديره وفيما يتلى عليكم او وفيما
فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما وعند المبرد قوله تعالى فاقطعوا ايديهما والفاء لتضمن المبتدأ معنى
الشرط اذ المعنى الذي سرق والتي سرقت وقرئ بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة الرفع لان الانشاء لا
يقع خبرا الا باضمار وتاويل والسرقة اخذ مال الغير خفية وانما توجب القطع اذا كان الاخذ من حرز والماخوذ
يساوي عشرة دراهم فما فوقها مع شروط فصلت في موضعها والمراد بايديهما ايمانهما كما ينفصح عنه قراءة ابن
مسعود رضي الله عنه والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم ولذلك ساغ وضع الجمع موضع المثنى كما في
قوله تعالى فقد صغت قلوبكما اكتفاء بتثنية المضاف اليه واليد اسم لتمام الجارحة ولذلك ذهب الخوارج الى ان
القطع من المنكب والجمهور على انه الى الرسغ لانه عليه السلام اتي بسارق فامر بقطع يمينه منه جزاء نصب على انه
مفعول له اي فاقطعوا للجزاء او مصدر مؤكد لفعله الذي يدل عليه فاقطعوا اي فجازوهما جزاء وقوله تعالى
بما كسبا على الاول متعلق بجزاء وعلى الثاني فاقطعوا وما مصدرية اي بسبب كسبهما او موصولة اي بسبب ما كسباه
من السرقة التي تباشر بالايدي وقوله تعالى نكالا مفعول له ايضا على البدلية من جزاء لانهما من نوع واحد
وقيل القطع معلل بالجزاء والقطع المعلل معلل بالنكال وقيل هو منصوب بجزاء على طريقة الاحوال المتداخلة
فانه علة للجزاء والجزاء علة للقطع كما اذا قلت ضربته تاديبا له احسانا اليه فان الضرب معلل بالاحسان وقد
اجازوا في قوله تعالى ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده ان يكون بغيا
مفعولا له ناصبه ان يكفروا ثم قالوا ان قوله تعالى ان ينزل الله مفعول له ناصبه بغيا على ان التنزيل
علة البغي والبغي علة للكفر وقوله تعالى من الله متعلق بمحذوف وقع صفة لنكالا اي نكالا كائنا منه تعالى
والله عزيز غالب على امره يمضيه كيف يشاء من غير ند ينازعه ولا ضد يمانعه حكيم في شرائعه لا يحكم الا ما تقتضيه
الحكمة والمصلحة ولذلك شرع هذه الشرائع المنطوية على فنون الحكم والمصالح فمن تاب اي من السراق الى الله تعالى
من بعد ظلمه الذي هو سرقته والتصريح به مع ان التوبة لا تتصور قبله لبيان عظم نعمته تعالى بتذكير عظم جنايته
واصلح اي امره بالتفصي عن تبعات ما باشره والعزم على ترك المعاودة اليها فان الله يتوب عليه اي يقبل
توبته فلا يعذبه في الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عندنا لان فيه حق المسروق منه وتسقطه عند
الشافعي في احد قوليه ان الله غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة ولذلك تقبل توبته وهو تعليل لما قبله
واظهار الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة وكذا في قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض فان عنوان الالوهية مدار احكام ملكوتهما والجار والمجرور خبر مقدم وملك السموات والارض
مبتدأ والجملة خبر لان وهي مع ما في خبرها ساد مسد مفعولي تعلم عند الجمهور وما فيه من تكرير الاسناد لتقوية

الكلم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وقيل لكل احد صالح للخطاب والاستفهام الانكاري لتقرير العلم والمراد به الاستشهاد بذلك على قدرته تعالى على ما يأتي من التعذيب والمغفرة على ابلغ وجه واتمه اى الم تعلم ان الله له السلطان القاهر والاستيلاء الباهر المستلزمان للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة الى غير ذلك حسبما تقتضيه مشيئته يعذب من يشاء ان يعذبه ويغفر لمن يشاء ان يغفر له من غير ند يساهمه ولا ضد يزاحمه وتقديم التعذيب على المغفرة لمراعاة ما بين سببيهما من الترتيب والجملة اما تقرير لكون ملكوت السموات والارض له سبحانه او خبر آخر لان والله على كل شيء قدير فيقدر على ما ذكر من التعذيب والمغفرة والاظهار في موقع الاضمار لما مر مرارا والجملة تذييل مقرر لما قبلها يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر خوطب صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة للتشريف والاشعار بما يوجب عدم الحزن والمسارعة في الشيء الوقوع فيه بسرعة ورغبة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الى آخره للايماء الى انهم مستقرون في الكفر لا يبرحونه وانما ينتقلون بالمسارعة عن بعض فنونه واحكامه الى بعض آخر منها كاظهار موالاة المشركين وابراز آثار الكيد للاسلام ونحو ذلك كما في قوله تعالى اولئك يسارعون في الخيرات فانهم مستقرون على الخير مسارعون في انواعه وافراده والتعبير عنهم بالموصول للاشارة بما في حيز صلته الى مدار الحزن وهو هنا وان كان بحسب الظاهر نهيا للكفرة عن ان يحزنوه عليه السلام بمسارعتهم في الكفر لكنه في الحقيقة نهي له عليه السلام عن التأثر منه ذلك والمبالاة به على ابلغ وجه وآكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهي عنه بالطريق البرهاني وقلع له من اصله وقد يوجه النهي الى المسبب ويراد به النهي عن السبب كما في قوله لا اريتك ههنا يريد به نهي مخاطبه عن الحضور بين يديه وقرئ لا يحزنك من احزنه منقولا من حزن بكسر الزاي وقرئ يسرعون يقال اسرع فيه الشيب اي وقع فيه سريعا اي لا تحزن ولا تبال بتهافتهم في الكفر بسرعة وقوله تعالى من الذين قالوا آمنا بافواههم بيان للمسارعين في الكفر وقيل متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل يسارعون وقيل من الموصول اي كائنين من الذين الى آخره والباء متعلقة بقالوا لا بآمنا وقوله تعالى ولم تؤمن قلوبهم جملة حالية من ضمير قالوا وقيل عطف على قالوا وقوله تعالى ومن الذين هادوا عطف على من الذين قالوا الى آخره وبه يتم بيان المسارعين في الكفر بتقسيمهم الى قسمين المنافقين واليهود فقوله تعالى سماعون للكذب خبر لمبتدأ محذوف راجع الى الفريقين والى المسارعين واما رجوعه الى الذين هادوا فمخل بعموم الوعيد الآتي ومباديه للكل كما ستقف عليه وكذا جعل قوله ومن الذين الى آخره خبرا على ان سماعون صفة لمبتدأ محذوف اي ومنهم قوم سماعون الى آخره لادائه الى اختصاص ما عدد من القبائح وما يترتب عليها من الغوائل الدنيوية والاخروية بهم فالوجه ما ذكر اولا اي هم سماعون واللام اما لتقوية العمل واما لتضمين السماع معنى القبول واما لام كي والمفعول محذوف والمعنى هم مبالغون في سماع الكذب او في قبول ما يفتريه احبارهم من الكذب على الله سبحانه وتحريف كتابه او سماعون اخباركم واحاديثكم ليكذبوا عليكم بان يمسخوها بالزيادة والنقص والتبديل والتغيير او اخبار الناس واقاويلهم الدائرة فيما بينهم ليكذبوا فيها بان يرجفوا بقتل المؤمنين وانكسار سراياهم ونحو ذلك مما فيه ضرر بهم وايا ما كان فالجملة مستأنفة جارية مجرى التعليل للنهي فان كونهم سماعين للكذب على الوجوه المذكورة وانتهاء امورهم على ما لا اصل له من الاباطيل والاراجيف مما يقتضي عدم المبالاة بهم وترك الاعتداد بما يأتون وما يذرون للقطع بظهور بطلان اكاذيبهم واختلال ما بنوا عليها من الافاعيل الفاسدة المؤدية الى الخزي والعذاب كما سيأتي وقرئ سماعين للكذب بالنصب على الذم وقوله تعالى سماعون لقوم آخرين خبر ثان للمبتدأ المقدر مقرر للاول ومبين لما هو المراد بالكذب على الوجهين الاولين واللام مثل ما في سمع الله لمن حمده في الرجوع الى معنى من اي قبل منه حمده والمعنى مبالغون في قبول كلام قوم آخرين واما كونها لام التعليل بمعنى سماعون منه عليه السلام لاجل قوم آخرين وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه عليه السلام او كونها متعلقة بالكذب على ان سماعون الثاني مكرر للتأكيد بمعنى سماعون ليكذبوا لقوم آخرين فلا يكاد يساعده النظم الكريم اصلا وقوله تعالى لم يأتوك صفة اخرى لقوم اي لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا وافراطا في البغضاء قيل هم يهود خيبر والسماعون بنو قريظة يحرفون الكلم عن مواضعه صفة اخرى لقوم وصفوا اولا بمغايرتهم للسماعين تنبيها على استقلالهم واصالتهم في الرأي والتدبير ثم بعدم حضورهم مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم ايذانا بكمال طغيانهم في الضلال ثم باستمرارهم على التحريف بيانا لافراطهم في العتو والمكابرة والاجتراء على الافتراء على الله عز وجل وتعيينا للكذب الذي سمعه السماعون اي يميلونه ويزيلونه عن مواضعه بعد ان وضعه الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده وقيل الجملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب ناعية عليهم شنائعهم وقيل خبر لمبتدأ

محذوف

محذوف راجع الى القوم وقوله تعالى يقولون كالجملة السابقة في الوجوه المذكورة ويجوز ان يكون حالا من ضمير يحرفون واما تجويز كونها صفة لسماعون او حالا من الضمير فيه فمما لا سبيل اليه اصلا كيف وان مقول القول ناطق بان قائليه ممن لا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم والمخاطب به ممن يحضره فكيف يمكن ان يقول السماعون المترددون اليه عليه السلام لمن لا يحضره عليه السلام قطعا وادعاء قول السماعين لاعقابهم المخاطبين لهم للسماعين تعسف ظاهر مخل بجزالة النظم الكريم والحق الذي لا محيد عنه ان المحرفين والقائلين هم القوم الآخرون اي يقولون لاتباعهم السماعين لهم عند القائهم اليهم اقاويلهم الباطلة مشيرين الى كلامهم الباطل ان اوتيتم من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم هذا فخذوه واعملوا بموجبه فانه الحق وان لم تؤتوه بل اوتيتم غيره فاحذروا اي فاحذروا قبوله واياكم واياه وفي ترتيب الامر بالحذر على مجرد عدم ايتاء المحرف من المبالغة في التحذير ما لا يخفى روي ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بني قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان يأخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال عليه السلام هل تعرفون شابا ابيض امرد يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي على وجه الارض بما انزل الله على موسى بن عمران في التوراة قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال عليه السلام وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال لهم اترضون به حكما قالوا نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر وانجاكم واغرق آل فرعون وظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى ورفع فوقكم الطور وانزل عليكم التوراة فيها حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على من احصن قال نعم والذي ذكرتني به لولا خشيت ان تحرقني التوراة ان كذبت او غيرت ما اعترفت ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال عليه السلام اذا شهد اربعة رهط عدول انه ادخل فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم قال ابن صوريا والذي انزل التوراة على موسى هكذا انزل الله في التوراة على موسى فوثبت عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي العربي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب المسجد ومن يرد الله فتنته اي ضلالته او فضيحته كائنا من كان فيندرج فيه المذكورون اندراجا اوليا وعدم التصريح بكونهم كذلك للاشعار بكمال ظهوره واستغنائه عن ذكره فلن تملك له من الله شيئا في دفعها والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ومبينة لعدم انفكاكهم عن القبائح المذكورة ابدا اولئك اشارة الى المذكورين من المنافقين واليهود وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفساد وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم اي من رجس الكفر وخبث الضلالة لانهماكهم فيهما واصرارهم عليهما واعراضهم عن صرف اختيارهم الى تحصيل الهداية بالكلية كما ينبئ عنه وصفهم بالمسارعة في الكفر ولا يخرج فنون ضلالتهم آخرا والجملة استئناف مبين لكون ارادته تعالى لفتنتهم منوطة بسوء اختيارهم وقبح صنيعهم الموجب لها لا واقعة منه تعالى ابتداء لهم في الدنيا خزي اما المنافقون فخزيهم فضيحتهم وهتك سترهم بظهور نفاقهم فيما بين المسلمين واما خزي اليهود فالذل والجزية والافتضاح بظهور كذبهم في كتمان نص التوراة وتنكير خزي للتفخيم وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم وهو مبتدأ ولهم خبره وفي الدنيا متعلق بما تعلق به الخبر من الاستقرار او لنا الحال في قوله تعالى ولهم في الآخرة اي مع الخزي الدنيوي عذاب عظيم هو الخلود في النار وضمير لهم في الجملتين للمنافقين واليهود جميعا لا لليهود خاصة كما قيل وتكرير لهم مع اتحاد المرجع لزيادة التأكيد والتقرير والجملتان استئناف مبني على سؤال نشأ من تفصيل افعالهم واحوالهم الموجبة للعقاب كأنه قيل فما لهم من العقوبة فقيل لهم في الدنيا الآية سماعون للكذب خبر آخر للمبتدأ المقدر كرر تأكيدا لما قبله وتمهيدا لما بعده من قوله تعالى اكالون للسحت وهو ايضا خبر آخر للمقدر وارد على طريقة الذم ايضا وعلى ان المراد بالكذب ما يفتعله الراشون عند الآكلين والسحت بضم السين وسكون الحاء في الاصل كل ما لا يحل كسبه وقيل هو الحرام مطلقا من سحته اذا استأصله يسمى به لانه مسحوت البركة والمراد به ههنا اما الرشا التي كان يأخذها المحرفون على تحريفهم وساير احكامهم الزائغة وهو المشهور او ما كان يأخذه فقراؤهم من اغنيائهم من المال ليقيموا على اليهودية كما قيل واما مطلق الحرام المنتظم لما ذكر انتظاما اوليا وقرئ السحت بضم السين والحاء وبفتحهما وبفتح السين وسكون الحاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به فان جاؤك لما بين تفاصيل امورهم الواهية

واحوالهم المختلفة الموجبة لعدم المبالاة بهم وبافاعيلهم حسبما امر به عليه السلام خوطب عليه السلام
ببعض ما يبتني عليه من الاحكام بطريق التفريع قالفا نصيحة اي وان كان حالهم كما شرح فان جاؤك
متحاكمين اليك فيما شجر بينهم من خصومات فاحكم بينهم او اعرض عنهم غير مبال بهم ولا خائف من جهتهم
اصلا وهذا كما ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم بين الامرين فقيل هو في امر خاص هو ما ذكر من زنا المحصن
وقيل في قتيل قتل من اليهود في بني قريظة والنضير فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
بنوا قريظة اخواننا بنو النضير ابونا واحد وديننا واحد واذا قتلوا منا قتيلا لم يرضوا بالقود واعطونا
سبعين وسقا من تمر واذا قتلنا منهم قتلوا القاتل واخذوا منا الضعف مائة واربعين وسقا من
تمر وان كان القتيل امراة اقتلوا بها الرجل منا وبالرجل منهم الرجلين منا وبالعبد منهم الحر منا فاقض
بيننا فجعل عليه السلام الدية سوا وقيل هو عام في جميع الحكومات ثم اختلفوا فمن قائل انه ثابت وهو
المروي عن عطاء والنخعي والشعبي وقتادة وابي بكر الاصم وابي مسلم ومن قائل انه منسوخ وهو قول
ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة قال ابن عباس لم ينسخ من المائدة الا آيتان قوله تعالى لا تحلوا
شعائر الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها
قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض وان احكم بينهم بما انزل الله
وعليه مشايخنا وان تعرض عنهم بيان لحال الامرين اثر تخييره عليه السلام بينهما وتقديم حال
الاعراض للمسارعة الى بيان انه لا ضرر فيه حيث كان مظنة الضرر لما انهم كانوا لا يتحاكمون اليه
عليه السلام الا لطلب الايسر والاهون عليهم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة بينهم شق ذلك عليهم فتشتد
عداوتهم ومضادتهم له عليه السلام فامنه الله عز وجل بقوله فلن يضروك شيئا من الضرر فان الله
عاصمك من الناس وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط بالعدل الذي امرت به كما حكمت بالرجم ان الله يحب
المقسطين ومن ضرورته ان يحفظهم عن كل مكروه ومحذور وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله
تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه والحال ان الحكم منصوص عليه في كتابهم الذي يدعون الايمان به
وتنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق واقامة الشرع وانما طلبوا به ما هو اهون عليهم
وان لم يكن ذلك حكم الله على زعمهم فقوله تعالى وعندهم التوراة حال من فاعل يحكمونك وقوله
تعالى فيها حكم الله حال من التوراة ان جعلت مرتفعة بالظرف وان جعلت مبتدأ فمن ضميرها
المستكن في الخبر وقيل جملة مستانفة لبيان ان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم وتانيثها لكونها نظيرة المؤنث
في كلامهم لفظا كموماة ودوداة ثم يتولون عطف على يحكمونك داخل في حكم التعجيب وثم للتراخي في الرتبة وقوله
تعالى من بعد ذلك اي من بعد ذلك حكمك تصريح بما علم قطعا لتاكيد الاستبعاد والتعجيب اي ثم
يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم من بعد ما رضوا بحكمك وقوله تعالى وما اولئك بالمؤمنين تذييل
مقرر لفحوى ما قبله ووضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للقصد الى احضارهم في الذهن بما وصفوا به من
القبائح ايماء الى علة الحكم والى انهم قد تميزوا بذلك عن غيرهم اكمل تمييز حتى انتظموا في سلك الامور
المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في العتو والمكابرة اي وما اولئك الموصوفون
بما ذكر بالمؤمنين بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعن حكمك الموافق ثانيا او بهما وقيل وما اولئك
بالكاملين بالايمان تهكما بهم انا انزلنا التوراة كلام مستانف سيق لبيان علو شان التوراة ووجوب
مراعاة احكامها وانها لم تزل مرعية فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم كابرا عن كابر مقبولة لكل احد
من الحكام والمتحاكمين محفوظة عن المخالفة والتبديل تحقيقا لما وصف به المحرفون من عدم ايمانهم
بها وتقريرا لكفرهم وظلمهم وقوله تعالى فيها هدى ونور حال من التوراة فان ما فيها من الشرايع
والاحكام من حيث ارشادها الناس الى الحق الذي لا محيد عنه هدى ومن حيث اظهارها وكشفها ما استبهم
من الاحكام وما يتعلق بها من الامور المستورة بظلمات الجهل نور وقوله تعالى يحكم بها النبيون اي انبياء
بني اسرائيل وقيل موسى ومن بعده من الانبياء جملة مستانفة مبينة لرفعة رتبتها وسمو طبقتها وقد جوز
كونه حالا من التوراة فيكون حالا مقدرة اي يحكمون باحكامها ويحملون الناس عليها وبه تمسك من ذهب
الى ان شريعة من قبلنا شريعة لنا ما لم تنسخ وتقديم الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاعتناء بشان
المقدم والتشويق الى المؤخر ولان في المؤخر وما يتعلق به نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاوب النظم الكريم
وقوله تعالى الذين اسلموا صفة اجريت على النبيين على سبيل المدح دون التخصيص والتوضيح لكن لا
للقصد الى مدحهم بذلك حقيقة فان النبوة اعظم من الاسلام قطعا فيكون وصفهم بها تنزلا من الاعلى الى
الادنى بل لتنويه شان الصفة فان ابراد الوصف في معرض مدح العظماء منبئ عن عظم قدر الموصوف لا محالة
كما في وصف الانبياء بالصلاح ووصف الملائكة بالايمان عليهم السلام ولذلك قيل اوصاف الاشراف اشراف

الاوصاف وفيه رفع لشان المسلمين وتعريض باليهود بانهم بمعزل من الاسلام والاقتداء بدين الانبياء
عليهم السلام لا سيما مع ملاحظة ما وصفوا به في قوله تعالى للذين هادوا وهو متعلق بيحكم اي يحكمون
فيما بينهم واللام اما لبيان اختصاص الحكم بهم اعم من ان يكون لهم او عليهم كانه قيل لاجل الذين هادوا
واما للايذان بنفعه للمحكوم عليه ايضا باسقاط التبعة عنه واما للاشعار بكمال رضاهم به وانقيادهم له
كانه امر نافع لكلا الفريقين ففيه تعريض بالمحرفين وقيل التقدير للذين هادوا وعليهم فحذف ما حذف
لدلالة ما ذكر عليه وقيل هو متعلق بانزلنا وقيل بهدى ونور وفيه فصل بين المصدر ومعموله وقيل متعلق
بمحذوف وقع صفة لهما اي هدى ونور كائنان للذين هادوا والربانيون والاحبار اي الزهاد والعلماء
من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود وعن ابن عباس رضي الله عنهما الربانيون
الذين يسوسون الناس بالعلم ويربونهم بصغاره قبل كباره والاحبار هم الفقهاء واحده حبر بالفتح
والكسر والثاني افصح وهو راي الفراء ماخوذ من التحبير والتحسين فانهم يحبرون العلم ويزينونه ويبينونه وهو
عطف على النبيون اي هم ايضا يحكمون باحكامها وتوسيط المحكوم لهم بين المعطوفين للايذان بان الاصل في الحكم
بها وحمل الناس على ما فيها هم النبيون وانما الربانيون والاحبار خلفاء ونواب لهم في ذلك كما ينبئ عنه قوله تعالى
بما استحفظوا اي بالذي استحفظوه من جهة النبيين وهو التوراة حيث سالوهم ان يحفظوها من التغيير والتبديل
على الاطلاق ولا ريب في ان ذلك منهم عليهم السلام استخلاف لهم في اجراء احكامها من غير اخلال بشيء منها
وفي ابهامها اولا ثم بيانها بقوله تعالى من كتاب الله من تفخيمها واجلالها ذاتا واضافة وتاكيد ايجاب
حفظها والعمل بما فيها ما لا يخفى وايرادها بعنوان الكتاب للايماء الى ايجاب حفظها عن التغيير من جهة الكتابة والباء
الداخلة على الموصول متعلقة بيحكم لكن لا على انها صلة له كالتي في قوله تعالى بها لئلا يلزم تعلق حرفي جر متحدي
المعنى بفعل واحد بل على انها سببية اي ويحكم الربانيون والاحبار ايضا بسبب ما استحفظوه من كتاب الله حسبما
وصاهم به انبياؤهم في ضمن الصلة من الاستحفاظ وقيل الباء صلة لفعل مقدر معطوف على قوله تعالى يحكم بها
النبيون عطف جملة على جملة اي ويحكم الربانيون والاحبار بحكم كتاب الله الذي سالهم انبياؤهم ان يحفظوه
من التغيير وكانوا عليه شهداء اي رقباء يحمونه من ان يحوم حوله التغيير والتبديل بوجه من الوجوه
وتغيير الاسلوب لما ذكر من المزايا وقيل بما استحفظوا بدل من قوله تعالى بها باعادة العامل وهو بعيد وكذا
تجويز كون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا على ان الاستحفاظ من جناب الله عز
وجل اي كلفهم الله عز وجل ان يحفظوه ويكونوا عليه شهداء وقوله تعالى فلا تخشوا الناس خطاب لرؤساء
اليهود وعلمائهم بطريق الالتفات واما حكام المسلمين فيتناولهم النهي بطريق الدلالة دون العبارة والفاء
لترتيب النهي على ما فصل من حال التوراة وكونها معتنى بشانها فيما بين الانبياء ومن يقتدي بهم من الربانيين
والاحبار المتقدمين عملا وحفظا فان ذلك مما يوجب الاجتناب عن الاخلال بوظائف مراعاتها والمحافظة
عليها باي وجه كان فضلا عن التحريف والتغيير ولما كان مدار جراتهم على ذلك خشية ذي سلطان او رغبة
في الحظوظ الدنيوية نهوا عن كل منهما صريحا اي اذا كان شانها ما ذكر فلا تخشوا الناس كائنا من كان واقتدوا
في مراعاة احكامها وحفظها بمن قبلكم من الانبياء واشياعهم واخشون في الاخلال بحقوق مراعاتها فكيف
بالتعرض لها بسوء ولا تشتروا باياتي الاشتراء استبدال السلعة بالثمن اي اخذها بدلا منه لا بذل الثمن
لتحصيلها كما قيل ثم استعير لاخذ شيء بدلا مما كان له عينا كان او معنى اخذا منوطا بالرغبة فيما اخذ
والاعراض عما اعطى ونبذ كما فصل في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فالمعنى لا تستبدلوا
باياتي التي فيها بان تخرجوها منها او تتركوا العمل بها وتاخذوا لانفسكم بدلا منها ثمنا قليلا من الرشوة والجاه
وسائر الحظوظ الدنيوية فانها وان جلت قليلة مسترذلة في نفسها لا سيما بالنسبة الى ما فات عنهم بترك
العمل بها وانما عبر عن المشترى الذي هو العمدة في عقود المعاوضة والمقصود بالاصل بالثمن الذي شانه ان يكون
وسيلة لتحصيله وابرزت الآيات التي حقها ان يتنافس فيها المتنافسون في معرض الآلات والوسائط
حيث قرنت بالباء التي تصحب الوسائل ايذانا بمبالغتهم في التعكيس بان جعلوا المقصد الاقصى وسيلة
والوسيلة الادنى مقصدا ومن لم يحكم بما انزل الله كائنا من كان دون المخاطبين خاصة فانهم مندرجون فيه
اندراجا اوليا اي من لم يحكم بذلك مستهينا به منكرا له كما يقتضيه ما فعلوه من تحريف آيات الله تعالى
اقتضاء بينا فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها هم الكافرون
لاستهانتهم به وهم اما ضمير الفصل او مبتدأ ما بعده خبره والجملة اما خبر لاولئك وقد مر تفصيله في مطلع
سورة البقرة والجملة تذييل مقرر لمضمون ما قبلها ابلغ تقرير وتحذير عن الاخلال به اشد تحذير حيث علق فيه
الحكم بالكفر بمجرد ترك الحكم بما انزل الله فكيف وقد انضم اليه الحكم بخلافه لا سيما مباشرة ما نهوا عنه
من تحريفه ووضع غيره موضعه وادعاء انه من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وكتبنا عطف على انزلنا التوراة

عليهم اى على الذين هادوا وقرئ وانزل الله على بني اسرائيل فيها اى في التوراة ان النفس بالنفس اى تقاد بها
اذا قتلتها بغير حق والعين تفقأ بالعين اذا فقئت بغير حق والانف يجدع بالانف المقطوع بغير حق والاذن
تصلم بالاذن المقطوعة ظلما والسن تقلع بالسن المقلوعة بغير حق والجروح قصاص اى ذات قصاص اذا
كانت بحيث يعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت وقرئ
وان الجروح قصاص وقرئ والعين الى آخره بالرفع عطفا على محل ان النفس لان المعنى كتبنا عليهم النفس
بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان المعنى جملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب
كما يقع عليه القراءة يقول كتب الحمد لله وقرأت سورة انزلناها فمن تصدق اى من المستحقين به اى المتصدق
يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته
له اى فالمتصدق كفارته التي يستحقها بالتصدق له لا ينقص منها شئ وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى
فاجره على الله ومن لم يحكم كائنا من كان فيتناول من لا يرى قتل الرجل بالمرأة من اليهود تناولا اوليا بما
انزل الله من الاحكام والشرائع كائنا ما كان فيدخل فيها الاحكام المحكية دخولا اوليا فاولئك هم الظالمون
المبالغون في الظلم المتعدون لحدوده تعالى الواضعون الشئ في غير موضعه والجملة تذييل مقرر لايجاب
العمل بالاحكام المذكورة وقفينا على آثارهم شروع في بيان احكام الانجيل اثر بيان احكام التوراة وهو
عطف على انزلنا التوراة اى آثار النبيين المذكورين يقال قفيته بفلان اى اتبعته اياه فحذف المفعول
لدلالة الجار والمجرور عليه اى قفيناهم بعيسى بن مريم اى ارسلناه عقيبهم مصدقا لما بين يديه من التوراة
حال من عيسى عليه السلام وآتيناه الانجيل عطف على قفينا وقرئ بفتح الهمزة فيه هدى ونور كما في
التوراة وهو في محل النصب على انه حال من الانجيل اى كائنا فيه ذلك كانه قيل مشتملا على هدى ونور
وتنوين هدى ونور للتفخيم ويندرج في ذلك شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم وهدى وموعظة للمتقين
عطف على مصدقا منتظم معه في سلك الحالية جعل كله هدى بعد ما جعل مشتملا عليه حيث قيل فيه هدى
وتخصيص كونه هدى وموعظة للمتقين لانهم المهتدون بهداه والمنتفعون بجدواه وليحكم اهل الانجيل بما
انزل الله فيه امر مبتدأ لهم بان يحكموا ويعملوا بما فيه من الامور التي من جملتها دلائل رسالته صلى الله عليه
وسلم وشواهد نبوته وما قررته الشريعة من احكامه واما الاحكام المنسوخة فليس الحكم بها حكما بما
انزل الله فيه بل هو ابطال وتعطيل له اذ هو شاهد بنسخها وانتهاء وقت العمل بها لان شهادته بصحة ما
ينسخها وبان احكامه ما قررته تلك الشريعة التي تشهد بصحتها كما سياتي في قوله تعالى يا اهل الكتاب لستم
على شئ حتى تقيموا التوراة والانجيل الآية وقيل هو حكاية للوارد عليهم بتقدير فعل معطوف على آتيناه
اى وقلنا ليحكم اهل الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الى آخره وقرئ وان ليحكم على ان موصولة بالامر
كما في قولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل الى آخره وقرئ على صيغة
المضارع ولام التعليل على انها متعلقة بمقدر كانه قيل وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه آتيناه اياه
وقد عطف على هدى وموعظة على انهما مفعول لهما كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه اياه وللحكم بما انزل
الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فيه منكرا له مستهينا به فاولئك هم الفاسقون المتمردون الخارجون
عن الايمان والجملة تذييل مضمون مقرر للجملة السابقة ومؤكد لوجوب الامتثال بالامر وفيه دلالة على
ان الانجيل مشتمل على الاحكام وان عيسى عليه السلام كان مستقلا بالشرع مامورا بالعمل بما فيه من الاحكام
قلت او كثرت لا بما في التوراة خاصة وحمله على معنى وليحكم بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة
خلاف الظاهر وانزلنا اليك الكتاب اى الفرد الكامل الحقيق بان يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الاوصاف
الكمالية لجنس الكتاب السماوي وتفوقه على بقية افراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد والجملة عطف
على انزلنا وما عطف عليه وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا حيث انه نازل لحيثما نعت فيه اى
انه موافق له في القصص والمواعيد والدعوة الى الحق والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي والفواحش واما
ما يتراءى من مخالفته له في بعض جزئيات الاحكام المتغيرة بسبب تغير الاعصار فليست بمخالفة في الحقيقة
بل هي موافقة لها من حيث ان كلا من تلك الاحكام حق بالاضافة الى عصره متضمن للحكمة التي عليها يدور
امر الشريعة وليس في المتقدم دلالة على ابدية احكامه المنسوخة حتى يخالفه الناسخ المتاخر وانما يدل
على مشروعيتها مطلقا من غير تعرض لبقائها وزوالها بل نقول هو ناطق بزوالها لما ان الناطق بصحة ما ينسخها
وزوالها وقوله تعالى من الكتاب بيان لما واللام للجنس اذ المراد هو الكتاب السماوي وهو بهذا العنوان
جنس براسه وان كان في نفسه نوعا مخصوصا من مدلول لفظ الكتاب ومن هذا قالوا اللام للعهد الا ان
ذلك لا ينبغي للخصوصية الفردية والخصوصية النوعية التي هي اخص من مطلق الكتاب وهو ظاهر
ومن الكتاب السماوي ايضا حيث خص بما عدا القرآن ومهيمنا عليه اى رقيبا على سائر الكتب المحفوظة

اى تصدق ص
اى المتصدق يكفر الله تعالى بها ذنوبه وقيل الجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وقرئ فهو كفارته له ص

عن

عن التغيير لانه يشهد له بالصحة والثبات ويقرر اصول شرائعهما وما يتابد من فروعهما ويعين احكامهما
المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ولا ريب في ان تعيين احكامها
الباقية على المشروعية ابدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها من احكامها كونه مهيمنا عليها وقرئ ومهيمنا
عليه على صيغة المفعول اى هو من عليه وحفظ من التغيير والتبديل كقوله عز وجل لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه والحافظ انما هو من جهته تعالى كما في قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والحافظ
في كل اعصار والامصار والتفاتي في قوله فاحكم بينهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كون القرآن العظيم حقا
مصدقا لما قبله من الكتب المنزلة على الامم مهيمنا عليه من موجبات الحكم المامور به اى اذا كان شان القرآن
كما ذكر فاحكم بين اهل الكتابين عند تحاكمهم اليك بما انزل الله اى بما انزله اليك فانه مشتمل على جميع الاحكام
الشرعية الباقية في الكتب الالهية وتقديم بينهم للاعتناء ببيان تعميم الحكم لهم ووضع الموصول موضع الضمير
للتنبيه على علته ما في حيز الصلة للحكم والالتفات باظهار الاسم الجليل لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم
ولا تتبع اهواءهم التي ايعة عما جاءك من الحق الذي لا محيد عنه وعن متعلقه بلا تتبع عن تضمين معنى العدول
ونحوه كانه قيل ولا تعدل عما جاءك من الحق ان ما وقع حالا لا بد ان يكون فعلا عاما ووضع الموصول
موضع ضمير الموصول الاول للايماء بما في حيز الصلة من مجئ الحق الى ما يوجب كمال الاجتناب عن اتباع الاهواء
وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كلام مستانف جئ به لحمل اهل الكتابين من معاصريه عليه السلام
على الانقياد لحكمه عليه السلام بما انزل اليه عليه السلام من القرآن الكريم ببيان انه هو الذي كلفوا العمل
به دون غيره من الكتابين وانما الذين كلفوا العمل بهما من مضى قبل نسخهما من الامم السالفة والخطاب بطريق
التلوين والالتفات للناس كافة لكن لا للموجودين خاصة بل للماضين ايضا بطريق التغليب واللام متعلقة
بجعلنا المتعدي لواحد وهو اخبار بجعل ماض لا انشاء وتقديمها عليه للتخصيص ومنكم متعلق بمحذوف وقع صفة
لما عوض عنه تنوين كل ولا ضير في توسط جعلنا بين الصفة والموصوف كما في قوله تعالى اغير الله اتخذ وليا
فاطر السموات الى اخره والمعنى لكل امة كائنة منكم ايها الامم الباقية والخالية جعلنا اى عينا ووضعنا
شرعة ومنهاجا خاصين بتلك الامة لا تكاد امة تتخطى شرعتها التي عينت لها فالامة التي كانت من مبعث موسى
الى مبعث عيسى عليهما السلام شرعتهم التوراة والتي كانت من مبعث الى مبعث النبي عليهما السلام شرعتهم
الانجيل واما انتم ايها الموجودون فشرعتكم الفرقان فآمنوا به واعملوا بما فيه والشرعة والشريعة هي
الطريقة الى الماء شبه بها الدين لكونه سبيلا موصلا الى ما هو سبب للحياة الابدية كما ان الماء سبب للحياة الفانية
والمنهاج الطريق الواضح في الدين من نهج الامر اذا وضح وقرئ شرعة بفتح الشين قيل فيه دليل على ان
اننا متعبدين بشرائع من قبلنا والتحقيق انا متعبدون باحكامها الباقية من حيث انها احكام شرعتنا لا من
حيث انها شرعة للاولين ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على دين واحد في جميع الاعصار من
غير اختلاف بينكم وبين من قبلكم من الامم في شئ من الاحكام الدينية ولا نسخ ولا تحويل ومفعول المشيئة
محذوف تعويلا على دلالة الجزاء عليه اى ولو شاء الله ان يجعلكم امة واحدة لجعلكم وقيل المعنى لو شاء الله
اجتماعكم على الاسلام لاجبركم عليه ولكن ليبلوكم متعلق بمحذوف يستدعيه النظام اى ولكن لم يشاء
ذلك اى جعلكم امة واحدة بل شاء ما عليه السنة الالهية الجارية فيما بين الامم ليعاملكم معاملة من
يبتليكم فيما آتيكم من الشرائع المختلفة المناسبة لاعصارها وقرونها هل تعملون بها مذعنين لها معتقدين ان
اختلافها بمقتضى المشيئة الالهية المبنية على اساس الحكم البالغة والمصالح النافعة لكم في معاشكم ومعادكم
او تزيغون عن الحق وتتبعون الهوى وتستبدلون المضرة بالجدوى وتشترون الضلالة بالهدى وبهذا اتضح
ان مدار عدم المشيئة المذكورة ليس مجرد الابتلاء بل العمدة في ذلك ما اشير اليه من انطواء الاختلاف على ما
فيه مصلحتهم معاشا ومعادا كما ينبئ عنه قوله عز وعلا فاستبقوا الخيرات اى اذا كان الامر كما ذكر فسارعوا
الى ما هو خير لكم في الدارين من العقايد الحقة والاعمال الصالحة المندرجة في القرآن الكريم وابتدروها انتهازا
للفرصة واحرازا لسابقة الفضل والتقدم ففيه من تاكيد الترغيب في الاذعان للحق وتشديد التحذير عن الزيغ
ما لا يخفى وقوله تعالى الى الله مرجعكم استئناف مسوق مساق التعليل لاستباق الخيرات بما فيه من الوعد
والوعيد وقوله تعالى جميعا حال من ضمير الخطاب والعامل فيه اما المصدر المنحل الى حرف مصدري وفعل مبني
للفاعل او مبني للمفعول واما الاستقرار المقدر في الجار فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون اى فيفعل بكم من الجزاء
الفاصل بين المحق والمبطل ما لا يبقى لكم معه شائبة شك فيما كنتم فيه تختلفون في الدنيا وانما عبر عن
ذلك بما ذكر لوقوعه موقع ازالة الاختلاف التي هي وظيفة الاخبار وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع
اهواءهم عطف على الكتاب اى انزلنا عليك الكتاب والحكم بما فيه والتعرض لعنوان انزاله تعالى اياه لتاكيد
وجوب الامتثال بالامر او على الحق اى انزلناه بالحق وبان احكم وحكاية الامر بهذا الحكم بعد ما مر من الامر

الصريح تأكيد له وتمهيد لما يعقبه من قوله تعالى واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك اى يصرفوك
عن بعضه ولو كان اقل قليل بتصوير الباطل بصورة الحق واظهار الاسم الجليل لتأكيد الامر بتهويل الخطب وان
بصلته بدل اشتمال من ضميرهم اى احذر فتنتهم او مفعول له اى احذرهم مخافة ان يفتنوك واعادة ما انزل الله
لتأكيد التحذير بتهويل الخطب روى ان احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد فعلنا نفتنه عن دينه فذهبوا اليه
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القاسم قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم وان بيننا
وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت فان تولوا اى اعرضوا عن الحكم بما انزل الله تعالى وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان
يصيبهم ببعض ذنوبهم اى بذنب توليهم عن حكم الله عز وجل وانما عبر عنه بذلك ايذانا بان لهم ذنوبا كثيرة
هذا مع كمال عظمه واحد من جملتها وفى هذا الابهام تعظيم للتولى كما فى قول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها
يريد به نفسه اى نفسا كبيرة ونفسا اى نفس وان كثيرا من الناس لفاسقون اى متمردون فى الكفر مصرون
عليه خارجون من الحدود المعهودة وهو اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله افحكم الجاهلية يبغون انكار
وتعجيب من حالهم وتوبيخ لهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى يتولون عن حكمك فيبغون حكم الجاهلية
وتقديم المفعول للتخصيص المفيد لتأكيد الانكار والتعجب لان التولى عن حكمه صلى الله عليه وسلم وطلب
حكم آخر منكر عجيب وطلب حكم الجاهلية اقبح واعجب والمراد بالجاهلية اما الملة الجاهلية التى هى متابعة ال
هوى الموجبة للميل والمداهنة فى الاحكام فيكون تعييرا لليهود بانهم مع كونهم اهل كتاب وعلم يبغون حكم
الجاهلية التى هى هوى وجهل لا يصدر عن كتاب ولا يرجع الى وحى واما اهل الجاهلية وحكمهم ما كانوا عليه من
التفاضل فيما بين القتلى حيث روى ان بنى النضير لما تحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خصومة قتل
وقعت بينهم وبين بنى قريظة طلبوا اليه عليه السلام ان يحكم بينهم بما كانوا عليه اهل الجاهلية من التفاضل
فقال عليه السلام القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت وقرئ برفع الحكم على انه مبتدأ
و يبغون خبره والراجع محذوف حذفه فى قوله تعالى اهذا الذى بعث الله رسولا وقد استضعف ذلك
فى غير الشعر وقرئ بتاء الخطاب اما بالالتفات لتشديد التوبيخ واما بتقدير القول اى قل لهم افحكم
الى آخره وقرئ بفتح الحاء والكاف اى افحاكما كحكام الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما انكار لان يكون احد
حكمه احسن من حكمه تعالى او مساويا له وان كان ظاهر السبك غير متعرض لنفى المساواة وانكارها وقد مر
تفصيله فى تفسير قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله لقوم يوقنون اى عندهم واللام كما فى
هيت لك اى هذا الاستفهام لهم فانهم الذين يتدبرون الامور بانظارهم فيعلمون يقينا ان حكم الله عز وجل
احسن الاحكام واعدلها يا ايها الذين آمنوا خطاب يعم حكمه كافة المؤمنين من المخلصين وغيرهم وان كان
سبب وروده بعضا منهم كما سيأتى وتعيينهم بعنوان الايمان لحملهم من اول الامر على الانزجار عما نهوا
عنه بقوله عز وجل لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فان تذكير اتصافهم بضد صفة الفريقين من اقوى
الزواجر عن موالاتهما اى لا يتخذ احد منكم احدا منهم وليا بمعنى لا تصافوهم ولا تعاشروهم مصافاة الاحباب
ومعاشرتهم لا بمعنى لا تجعلوهم اولياء لكم حقيقة فانه امر ممتنع فى نفسه لا يتعلق به النهى بعضهم اولياء بعض
اى بعض كل فريق من ذينك الفريقين اولياء بعض آخر من ذلك الفريق لا من الفريق الآخر وانما اوثر الاجمال
فى البيان تعويلا على ظهور المراد لوضوح انتفاء الموالاة بين فريقى اليهود والنصارى رأسا والجملة مستأنفة
مسوقة لتعليل النهى وتأكيد الايجاب الاجتناب عن المنهى عنه اى بعضهم اولياء بعض متفقون على كلمة واحدة
فى كل ما يأتون وما يذرون ومن ضرورته اجماع الكل على مضادتكم بحيث يسومونكم السوء ويبغونكم الغوائل
فكيف يتصور بينكم وبينهم موالاة وقوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم حكم مستنتج منه فان اختصاص
الموالاة فيما بينهم يستدعى كون من يواليهم منهم ضرورة ان الاتحاد فى الدين الذى عليه يدور امر الموالاة حيث
لم يكن بكونهم ممن يواليهم من المؤمنين تعين ان يكون ذلك بكون من تولاهم منهم وفيه زجر شديد للمؤمنين عن
اظهار صورة الموالاة لهم وان لم يكن موالاة فى الحقيقة وقوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين تعليل
لكون من يتولاهم منهم اى لا يهديهم الى الايمان بل يخليهم وشأنهم فيقعون فى الكفر والضلالة وانما وضع المظهر
موضع ضميرهم تنبيها على ان توليهم ظلم لما انه تعريض لانفسهم للعذاب الخالد ووضع للشئ فى غير موضعه وقوله
تعالى فترى الذين فى قلوبهم مرض بيان لكيفية توليهم واشعار بسببه وبما يؤول اليه امرهم والفاء للايذان
بترتبه على عدم الهداية والخطاب اما للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين واما لكل احد ممن له
اهلية له وفيه مزيد تشنيع لا يهديهم بل يذرهم وشأنهم فتراهم الى آخره وانما وضع موضع المضمر الموصول
ليشار بما فى حيز صلته الى ان ما ارتكبوه من التولى بسبب ما فى قلوبهم من مرض النفاق ورخاوة العقد فى الدين
وقوله تعالى يسارعون فيهم حال من الموصول والرؤية بصرية وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول هو

الانسب بظهور نفاقهم اى يرون مسارعين فى موالاتهم وانما قيل فيهم مبالغة فى بيان رغبتهم فيها وتهالكهم عليها
وايثار كلمة فى على كلمة الى للدلالة على انهم مستقرون فى الموالاة وانما مسارعتهم من بعض مراتبها الى بعض آخر منها كما
فى قوله تعالى اولئك يسارعون فى الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها كما فى قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة
من ربكم وجنة وقرئ فيرى بياء الغيبة على ان الضمير لله سبحانه وقيل لمن تصح منه الرؤية وقيل الفاعل هو
الموصول والمفعول هو الجملة على حذف ان المصدرية والرؤية قلبية اى ويرى القوم الذين فى قلوبهم مرض ان
يسارعوا فيهم فلما حذفت ان انقلب الفعل مرفوعا كما فى قول من قال ألا ايهذا الزاجرى احضر الوغى
والمراد بهم عبد الله بن ابى واضرابه الذين كانوا يسارعون فى موادة اليهود ونصارى نجران وكانوا يعتذرون
الى المؤمنين بانهم لا يأمنون ان تصيبهم صروف الزمان وذلك قوله تعالى يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة
وهو حال من ضمير يسارعون والدائرة من الصفات الغالبة التى لا يذكر معها موصوفها اى يدور علينا دائرة
من دوائر الدهر ودولة من دوله بان ينقلب الامر ويكون الدولة للكفار وقيل نخشى ان يصيبنا مكروه من
مكاره الدهر كالجدب والقحط فلا يعطون الميرة والقرض روى ان عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من اليهود كثيرا عددهم وانى ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله
ورسوله فقال عبد الله بن ابى انى رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من موالاة موالى وهم يهود بنى قينقاع ولعله
يظهر للمؤمنين انه يريد بالدوائر المعنى الاخير ويضمر فى نفسه المعنى الاول وقوله عز وجل فعسى الله ان يأتى بالفتح
رد من جهة الله تعالى لعللهم الباطلة وقطع لاطماعهم الفارغة وتبشير للمؤمنين بالظفر فان عسى منه سبحانه
وعد محتوم لما ان الكريم اذا اطمع اطمع لا محالة فما ظنك باكرم الاكرمين وان يأتى فى محل النصب على انه خبر عسى
وهو رأى الاخفش او على انه مفعول به وهو رأى سيبويه لئلا يلزم الاخبار عن الجثة بالحدث فى قولك عسى
زيد ان يقوم والمراد بالفتح فتح مكة قاله الكلبى والسدى وقال الضحاك فتح قرى اليهود من خيبر وفدك وقال
قتادة ومقاتل هو القضاء الفصل بنصره عليه السلام على من خالفه واعزاز الدين او امر من عنده يقطع شأفة
اليهود من القتل والاجلاء فيصبحوا اى اولئك المنافقون المتعللون بما ذكر وهو عطف على يأتى وداخل معه فى
خبر عسى وان لم يكن فيه ضمير يعود الى اسمها فان فاء السببية مغنية عن ذلك فانها تجعل الجملتين كجملة واحدة
على ما اسروا فى انفسهم نادمين وهو ما كانوا يكتمونه فى انفسهم من الكفر والشك فى امره صلى الله عليه وسلم
وتعليق الندامة به لا بما كانوا يظهرونه من موالاة الكفرة لما انه الذى كان يحملهم على الموالاة ويغريهم عليها
فدل ذلك على ندامتهم عليها باصلها وسببها ويقول الذين آمنوا كلام مبتدأ مسوق لبيان كمال سوء حال
الطائفة المذكورة وقرئ بغير واو على جواب سؤال نشأ مما سبق كانه قيل فماذا يقول المؤمنون حينئذ وقرئ
ويقول بالنصب عطفا على يصبحوا وقيل على يأتى باعتبار المعنى كانه قيل فعسى الله ان يأتى بالفتح ويقول الذين
آمنوا والاول اوجه لان هذا القول انما يصدر عن المؤمنين عند ظهور ندامة المنافقين لا عند اتيان الفتح
فقط والمعنى ويقول الذين آمنوا مخاطبين لليهود مشيرين الى المنافقين الذين كانوا يوالونهم ويرجون دولتهم
ويظهرون لهم غاية المحبة وعدم المفارقة عنهم فى السراء والضراء عند مشاهدتهم لخيبة رجائهم وانعكاس
تقديرهم بوقوع ضد ما كانوا يترقبونه ويتعللون به تعجيبا للمخاطبين من حالهم وتعريضا بهم اهؤلاء الذين اقسموا
بالله جهد ايمانهم اى بالنصرة والمعونة كما قالوا فيما حكى عنهم وان قوتلتم لننصرنكم فاسم الاشارة مبتدأ وما
بعده خبره والمعنى انكار ما فعلوه واستبعاده وتخطئتهم فى ذلك او يقول بعض المؤمنين لبعض مشيرين الى
المنافقين ايضا اهؤلاء الذين اقسموا انهم لمعكم فالخطاب فى معكم لليهود على التقديرين الا انه على الاول
من جهة المؤمنين وعلى الثانى من جهة المقسمين وهذه الجملة لا محل لها من الاعراب لانها تفسير وحكاية لمعنى
اقسموا لكن لا بالفاظهم والا لقيل انا معكم وجهد الايمان اغلظها وهو فى الاصل مصدر ونصبه على الحال على
تقدير واقسموا بالله يجهدون جهد ايمانهم فحذف الفعل واقيم المصدر مقامه ولا يبالى بتعريفه لفظا لانه
مؤول بنكرة اى مجتهدين فى ايمانهم او على المصدر اى اقسموا اقسام اجتهاد فى اليمين وقوله تعالى حبطت
اعمالهم فاصبحوا خاسرين اما جملة مستأنفة مسوقة من جهته تعالى لبيان مآل ما صنعوه من ادعاء الولاية
والاقسام على المعية فى المنشط والمكره اثر الاشارة الى بطلانه بالاستفهام الانكارى واما خبر ثان للمبتدأ
عند من يجوز كونه جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى او هو الخبر والموصول مع ما فى حيز صلته صفة لاسم
الاشارة فالاستفهام حينئذ للتقرير وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم والمعنى بطلت
اعمالهم التى عملوها فى شأن موالاتكم وسعوا فى ذلك سعيا بليغا حيث لم يكن لكم دولة فينتفعوا بما صنعوا من ال
مساعى وتحملوا من مكابدة المشاق وفيه من الاستهزاء بالمنافقين والتقريع للمخاطبين ما لا يخفى وقيل قاله بعض
المؤمنين مخاطبا لبعض تعجيبا من سوء حال المنافقين واغتباطا بما من الله به تعالى على انفسهم من التوفيق للاخلاص
اهؤلاء الذين اقسموا لكم باغلظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار بطلت اعمالهم التى كانوا

يستخلفون ها في رأي اعين الناس وانت خبير بان ذلك الكلام من المؤمنين انما يليق بما اظهر المنافقون حينئذ خلاف ما كانوا يدعونه ويقسمون عليه من ولاية المؤمنين ومعاضدتهم على الكفار فظهر كذبهم وافتضحوا بذلك على رؤس الاشهاد وبطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفون ها في رأي اعين المؤمنين ولا ريب في انهم يومئذ اشد ادعاء واكثر اقساما منهم قبل ذلك فضلا على ان يظهروا خلاف ذلك وانما الذي يظهر منهم الندامة على ما صنعوا وليس ذلك علامة ظاهرة الدلالة على كفرهم وكذبهم في ادعائهم فانهم يدعون ان ليست ندامتهم الا على ما اظهروه من موالاة الكفرة خشية اصابة الدائرة يا ايها الذين امنوا من يرتدد منكم عن دينه وقرئ من يرتد بالفك على لغة الحجاز والادغام لغة تميم لما نهى فيما سلف عن موالاة اليهود والنصارى وبين ان موالاتهم مستدعية للارتداد عن الدين وفصل مصير امر من يواليهم من المنافقين شرع في بيان حال المرتدين على الاطلاق وهذا من الكائنات التي اخبر عنها القران قبل وقوعها روي انها ارتد عن الاسلام احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار هو الاسود العنسي كان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده فاخرج منها عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب عليه السلام الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يدي فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر به المسلمون وقبض عليه السلام من الغد واتى خبره في اخر شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فاجاب عليه السلام من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي قاتل حمزة رضي الله تعالى عنه وكان يقول قتلت في جاهليتي خير الناس وفي اسلامي شر الناس وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبأ فبعث ابو بكر رضي الله تعالى عنه خالد بن الوليد فانهزم بعد القتال الى الشام فاسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر رضي الله تعالى عنه فزارة قوم عيينة بن حصين وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري ۞ امت سجاح ووالاها مسيلمة ۞ كذابة في بني الدنيا وكذاب ۞ وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله تعالى امرهم على يدي ابي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله تعالى عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم وقصته مشهورة وقوله عز وجل فسوف يأتي الله جواب الشرط والعائد الى اسم الشرط محذوف اي فسوف يأتي الله مكانهم بعد اهلاكهم بقوم يحبهم اي يريد بهم خير الدنيا والاخرة ومحل الجملة الجر على انها صفة لقوم وكذا قوله تعالى ويحبونه اي يريدون طاعته ويتحرزون عن معاصيه معطوف عليها داخل في حكمها قيل هم اهل اليمن لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى ابي موسى الاشعري وقال قوم هذا وقيل هم الانصار رضي الله تعالى عنهم وقيل هم الفرس لما روي انه عليه السلام سئل عنهم فضرب بيده الكريمة على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وقيل هم الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وثلاثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم القادسية اذلة على المؤمنين جمع ذليل لا ذلول فان جمعه ذلل اي ارقاء رحماء متذللين ومتواضعين لهم واستعماله بعلى اما لتضمين معنى العطف والحنو او للتنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضين لهم اجنحتهم او لرعاية المقابلة بينه وبين ما في قوله تعالى اعزة على الكافرين اي اشداء متغلبين عليهم من عزه اذا غلبه كما في قوله عز وعلا اشداء على الكفار رحماء بينهم وهما صفتان اخريان لقوم ترك بينهما العاطف للدلالة على استقلالهم بالاتصاف بكل منهما وفيه دليل على صحة تأخير الصفة الصريحة من الجملة والظرف كما في قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث وما ذهب اليه من لا يجوزه من ان قوله تعالى يحبهم ويحبونه كلام معترض وان مبارك خبر بعد خبر او لمبتدأ محذوف وان من ربهم ومن الرحمن حالان مقدمتان من ضمير محدث تكلف لا يخفى وقرئ اذلة اعزة بالنصب على الحالية من قوم لتخصصه بالصفة يجاهدون في سبيل الله صفة اخرى لقوم مترتبة على ما قبلها مبينة مع ما بعدها لكيفية عزتهم او حال من الضمير في اعزة ولا يخافون لومة لائم عطف على يجاهدون بمعنى انهم جامعون بين المجاهدة في سبيل الله وبين التصلب في الدين وفيه تعريض بالمنافقين بانهم اذا خرجوا في جيش المسلمين خافوا اولياءهم اليهود فلا يكادون يعملون شيئا يلحقهم فيه لوم من جهتهم وقيل هو حال من فاعل يجاهدون بمعنى انهم يجاهدون وحالهم خلاف حال المنافقين واعترض عليه بانهم نصوا على ان المضارع المنفي بلا او ما كالمثبت في عدم جواز مباشرة واو الحال له ذلك الموصوف المرة من الموصوفات وفي تكميلهم مبالغة لا تخفى ذلك اشارة الى ما تقدم من الاوصاف الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها في الفضل فضل الله اي لطفه واحسانه لا انهم مستقلون

في الاتصاف بها يؤتيه من يشاء ايتاؤه اياه وتوفيقه لكسبه وتحصيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والله واسع كثير الفواضل والالطاف عليم مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها من هو اهل للفضل والتوفيق والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل للاشعار بالعلة وتأكيد استقلال الجملة الاعتراضية انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا لما نهاهم الله عز وجل عن موالاة الكفرة وعلله بان بعضهم اولياء بعض لا يتصور ولايتهم للمؤمنين ولا ينبغي ان من يتولاهم يكون من جملتهم بين ها هنا من هو وليهم بطريق قصر الولاية عليه كانه قيل لا تتخذوهم اولياء لان بعضهم اولياء بعض وليسوا باوليائكم انما اولياؤكم الله ورسوله والمؤمنون فاختصوهم بالموالاة ولا تتخطوهم الى الغير وانما افرد الولي مع تعدده للايذان بان الولاية اصالة لله تعالى وولايته عليه السلام وكذا ولاية المؤمنين بطريق التبعية لولايته عز وعلا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة للذين امنوا لجريانه مجرى الاسم او بدل او نصب على المدح او رفع عليه وهم راكعون حال من فاعل الفعلين اي يعملون ما ذكر من اقامة الصلوة وايتاء الزكوة وهم خاشعون ومتواضعون لله تعالى وقيل هو حال مخصوصة بايتاء الزكوة والركوع ركوع الصلوة والمراد بيان كمال رغبتهم في الاحسان ومسارعتهم اليه وروي انها نزلت في علي رضي الله عنه حين سأله سائل وهو راكع فطرح اليه خاتمه كانه كان مرجا في خنصره غير محتاج في اخراجه الى كثير عمل يؤدي الى فساد الصلوة ولفظ الجمع حينئذ لترغيب الناس في مثل فعله رضي الله تعالى عنه وفيه دلالة على ان صدقة التطوع تسمى زكوة ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا اوثر الاظهار على ان يقال ومن يتولهم رعاية لما مر من نكتة بيان اصالته تعالى في الولاية كما ينبئ عنه قوله تعالى فان حزب الله هم الغالبون حيث اضيف الحزب اليه تعالى خاصة وهو ايضا من باب وضع الظاهر موضع المضمر العائد الى من اي فانهم الغالبون لكنهم جعلوا حزب الله تعالى تعظيما لهم واثباتا لغلبتهم بالطريق البرهاني كانه قيل ومن يتول هؤلاء فانهم حزب الله وحزب الله هم الغالبون يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المؤمنين يوادونهما فنهوا عن موالاتهما ترتيب النهي على وصف يعمهما وغيرهما تعميما للحكم وتنبيها على العلة وايذانا بان من هذا شانه جدير بالمعاداة فكيف بالموالاة من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم بيان للمستهزئين والتعرض لعنوان ايتاء الكتاب لبيان كمال شناعتهم وغاية ضلالتهم لما ان ايتاء الكتاب وازع لهم عن الاستهزاء بالدين المؤسس على الكتاب المصدق لكتابهم والكفار اي المشركين خصوا به لتضاعف كفرهم وهو عطف على الموصول الاول وفيه اشعار بانهم ليسوا بمستهزئين كما ينبئ عنه تخصيص الخطاب باهل الكتاب في قوله تعالى يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الاية وقرئ بالجر عطفا على الموصول الاخير ويعضده قراءة ابي ومن الكفار وقراءة عبد الله ومن الذين اشركوا فهم ايضا من جملة المستهزئين اولياء وجانبوهم كل المجانبة واتقوا الله في ذلك بترك موالاتهم او بترك المناهي على الاطلاق فيدخل فيه ترك موالاتهم دخولا اوليا ان كنتم مؤمنين اي حقا فان قضية الايمان توجب الاتقاء لا محالة واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها اي الصلوة او المناداة وفيه دلالة على شرعية الاذان هزوا ولعبا بيان لاستهزائهم بحكم خاص من احكام الدين بعد بيان استهزائهم بالدين على الاطلاق اظهارا لكمال شقاوتهم روي ان نصرانيا بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله يقول احرق الله الكاذب فدخلت خادمة ذات ليلة بنار واهله نيام فتطايرت منها شرارة في البيت فاحترق هو واهله جميعا ذلك اي الاستهزاء المذكور بانهم بسبب انهم قوم لا يعقلون فان السفه يؤدي الى الجهل بمحاسن الحق والهزء به ولو كان لهم عقل في الجملة لما اجترؤا على تلك العظيمة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق تلوين الخطاب بعد النهي المؤمنين عن تولي المستهزئين بان يخاطبهم ويبين ان الدين منه بما يصح صدوره عنهم من الاستهزاء ويظهر لهم سبب ما ارتكبوه ويلقمهم الحجر اي قل لاولئك الفجرة يا اهل الكتاب وصفوا باهلية الكتاب تمهيدا لما سيأتي من تبكيتهم والزامهم بكفرهم بكتابهم هل تنقمون منا من نقم منه كذا اذا عابه وانكره وكرهه ينقمه من حد ضرب وقرئ بالفتح والكاف من حد علم وهي ايضا لغة اي وما تعيبون وما تنكرون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا من القران المجيد وما انزل من قبل اي من قبل انزاله من التوراة والانجيل المنزلين عليكم وسائر الكتب الالهية وان اكثركم فاسقون اي متمردون خارجون عن الايمان بما ذكر فان الكفر بالقران مستلزم للكفر بما يصدقه لا محالة وهو عطف على ان امنا على انه مفعول له لتنقمون والمفعول الذي هو الدين محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه دلالة واضحة فان اتخاذ الدين هزوا ولعبا عين نقمه وانكاره والايمان بما فصل عين الدين الذي نقموه خلا انه ابرز في معرض علة نقمهم له تسجيلا عليهم بكمال المكابرة والتعكيس حيث جعلوه موجبا لنقمه مع كونه في نفسه موجبا لقبوله وارتضائه فالاستثناء من اعم العلل اي ما تنقمون منا دينا لعلة من العلل الا لان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل من كتبكم ولان اكثركم متمردون غير مؤمنين بواحد مما ذكر حتى لو كنتم مؤمنين بكتابكم الناطق بصحة كتابنا لامنتم به وكناد الفسق الى اكثرهم لانهم الحاملون لاعقابهم على

التمردوا العناد وقيل عطف عليه على انه مفعول لتنقمون لكن لا على ان المستثنى مجموع المعطوفين
بل هو ما يلزم منهما من المخالفة كانه قيل ما تنقمون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا الايمان وانتم خارجون عنه
وقيل على حذف المضاف اى واعتقاد ان اكثركم فاسقون وقيل عطف على علة محذوفة اى لقلة انصافكم
ولان اكثركم فاسقون وقيل الواو بمعنى مع اى ما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم الى اخره وقيل
وقيل هو منصوب بفعل مقدر يدل عليه المذكور اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون وقيل هو مرفوع على الابتدا
والخبر محذوف اى وفسقكم معلوم او ثابت والجملة حالية او معترضة وقرى بان المكسورة والجملة
مستانفة مبينة لكون اكثرهم فاسقين متمردين قل هل انبئكم بشر من ذلك لما امر صلى الله عليه وسلم
بالزامهم وتبكيتهم ببيان ان مدار نقمهم للدين انما هو اشتماله على ما ارتقنا عندهم ايضا وكفرهم بما هو
مسلم لهم امر عليه السلام عقيبه بان يبكتهم ببيان ان الحقيق بالنقم والعيب حقيقة ما هم عليه من الدين
المحرف وينعى عليهم في ضمن بيان جناياتهم وما حاق بهم من تبعاتها وعقوباتها على منهاج التعريض لئلا يحملهم
التصريح بذلك على ركوب متن المكابرة والعناد ويخاطبهم قبل البيان بما ينبئ عن عظم شان المبين ويستدعي
اقبالهم على تلقيه من الجملة الاستفهامية المسوقة الى المخبرية والتنبئة المشعرة بكونه امرا خطيرا لما ان النبا
هو الخبر الذي له شان وخطر وحيث كان مناط النقم شرية المنقوم حقيقة او اعتقادا او كان مجرد النقم غير
مفيد لشريته البتة قيل بشر من ذلك تحقيقا للشرية مكايدة لهم لزيادة تقرير لها وقيل انما قال ذلك لوقوعه
في عبارة المخاصمين حيث اتى نفر من اليهود فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دينه فقال عليه السلام او
من بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فحين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام قالوا لا نعلم شرا من دينكم
وانما اعتبر التشريه بالنسبة الى الدين وهو منزه عن شائبة الشرية بالكلية مجاراة معهم على زعمهم الباطل المنعقد
على كمال شريته ليثبت ان دينهم شر من كل شر اى هل اخبركم بما هو شر في الحقيقة مما تعتقدونه شرا وان كان في نفسه
خيرا محضا مثوبة عند الله اى جزاء ثابتا في حكمه وقرئ مثوبة وهي لغة فيها كمشورة ومشورة وهي مختصة بالخير كان
العقوبة مختصة بالشر وانما وضعت هاهنا موضعها على طريقة قوله ° تحية بينهم ضرب وجيع ° ونصبها على
التمييز من بشر وقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه خبر لمبتدا محذوف بتقدير مضاف قبله مناسب لما
اشير اليه بكلمة ذلك اى دين من لعنه الى اخره وبتقدير مضاف فيها مناسب لمن اى بشر من اهل ذلك فقيل هو من
لعنه الله ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لتربية المهابة وادخال الروعة وتهويل امر اللعن وما تبعه والموصول
عبارة عن المخاطبين حيث ابعدهم الله تعالى من رحمته وسخط عليهم بكفرهم وانهماكهم في المعاصي بعد وضوح الايات
وسنوح البينات وجعل منهم القردة والخنازير اى مسخ بعضهم قردة وهم اصحاب السبت مسخت شبابهم قردة
وبعضهم خنازير وهم كفار مائدة عيسى عليه السلام وقيل كلا المسخين في اصحاب السبت مسخت شبابهم قردة
وشيوخهم وجمع الضمير الراجع الى الموصول في منهم باعتبار معناه كما ان افراد الضميرين الاولين باعتبار لفظه
وايثار وضعه موضع الضمير للخطاب المناسب لانبئكم للقصد الى اثبات الشرية بما عدد في حيز صلته من الامور
الهائلة الموجبة لها على الطريقة البرهانية مع ما فيه من الاحتراز عن تهييج لجاجهم وعبد الطاغوت عطف
على صلة من وافراد الضمير لمراعاة لفظها عبد الطاغوت على قراءة البناء للمفعول ورفع الطاغوت وكذا عبد الطاغوت
بمعنى صار معبودا فالراجع الى الموصول محذوف على القراءتين اى عبد فيهم او بينهم وتقديم اوصافهم المذكورة
بصدد اثبات شرية دينهم على وصفهم هذا مع انه الاصل المستتبع لها في الوجود لانه ادل على شريته بالذات
لان عبادة الطاغوت عين دينهم البين البطلان ودلالتها عليها بطريق الاستدلال بشرية الاثار على شرية
ما يوجبها من الاعتقاد والعمل ما للقصد الى تبكيتهم من اول الامر بوصفهم بما لا سبيل لهم الى الجحود لشريته
وفظاعته ولا بانصافهم به واما للايذان باستقلال كل من المقدم والمؤخر بالدلالة على ما ذكر من الشرية ولو
روعي ترتيب الوجود وقيل من عبد الطاغوت ولعنه الله وغضب عليه الى اخره لربما فهم ان علة الشرية هو
المجموع وقد قرئ عابد الطاغوت وكذا عبد الطاغوت بالاضافة على انه جمع عابد كخدم او على ان اصله عبدة
حذفت تاوه للاضافة بالنصب في الكل عطفا على القردة والخنازير وقرئ عبد الطاغوت بالجر عطفا على من
بناء على انه مجرور بتقدير المضاف وقد قيل ان من مجرور على انه بدل من شر على احد الوجهين المذكورين في
تقدير المضاف وانت خبير بان ذلك مع اختصاصه اخلال بالنظم الكريم عن المزايا المذكورة بالمرة مما لا
سبيل اليه قطعا ضرورة ان المقصود الاصلي ليس مضمون الجملة الاستفهامية بل هي كما مر مقدمة سيقت
امام المقصود لهز المخاطبين وتوجيه اذهانهم نحو تلقي ما يلقى اليهم عقيبها بجملة خبرية موافقة في الكيفية
للسؤال الناشئ منها وهو المقصود افادته عليه يدور تلك الالزام والتبكيت حسبما شرح فاذا جعل
الموصول بما في حيز صلته من تتمة الجملة الاستفهامية فاين الذي يلقى اليهم عقيبها جوابا عما نشأ منها من السؤال
ليحصل الالزام والتبكيت واما الجملة الاتية فبمعزل من صلاحية الجواب كيف لا ولا بد من موافقته في الكيفية
للسؤال الناشئ من الجملة الاستفهامية وقد عرفت ان السؤال الناشئ منها يستدعي وقوع الشر من تتمة

نخ كنفط ويقظ وكذا عبد الطاغوت
وكذا عبد الطاغوت بالاضافة ع

المخبر

المخبر عنه لا خبرا كما في الجملة المذكورة ويتضح ذلك من بيان تصاحح بإذن الله تعالى والمراد بالطاغوت العجل وقيل
هو الكهنة وكل من اطاعوه في معصية الله تعالى فيعم الحكم دين النصارى ايضا ويتضح وجه تاخير ذكر عبدته
عن العقوبات المذكورة اذ لو قدمت عليها لتوهم اشتراك الفريقين في تلك العقوبات ولما كان مال ذكر بعض
التبكيت ان ما هو شر مما نقموه دينهم او انهم هو شر من اهل ما نقموه انفسهم بحسب ما قدر من المضاف في
وكانت الشرية على كلا الوجهين من تتمة الموضوع غير مقصودة الاثبات لدينهم اولا نفسهم عقب ذلك باثباتها
لهم على وجه يشعر بعليه ما ذكر من القبائح لثبوتها لهم بجملة مستانفة مسوقة من جهته سبحانه شهادة عليهم
بكمال الشرارة والضلال او داخلة تحت الامر تاكيدا للالزام والتشديد للتبكيت فقيل اولئك شر مكانا
فاسم الاشارة عبارة عمن ذكرت صفاتهم الخبيثة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشرارة
اى اولئك الموصوفون بتلك القبائح والفضائح شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة على شرارتهم
وقيل شر مكانا اى منصرفا واضل عن سواء السبيل عطف على شر مقرر له اى اكثر ضلالا عن الطريق المستقيم
وفيه دلالة على كون دينهم شرا محضا بعيدا عن الحق لان ما يسلكونه من الطريق دينهم فاذا كانوا اضل كان دينهم ضلالا
مبينا لا غاية وراءه وصيغة التفضيل في الوصفين للزيادة مطلقا بالاضافة الا من يشاركهم في اصل الشرارة
والضلال واذا جاءوكم قالوا امنا نزلت في ناس من اليهود وكانوا يدخلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيظهرون له الايمان نفاقا فالخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم او له مع من عنده من المسلمين
اى اذا جاءوكم اظهروا الاسلام وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به اى يخرجون من عندك ملتبسين بالكفر كما
دخلوا لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والجملتان حالان من فاعل قالوا وبالكفر وبه حالان من فاعل دخلوا وخرجوا
وقد وان دخلت لتقريب الماضي من الحال ليصح ان يقع حالا افادت ايضا بما فيها من معنى التوقع ان امارات
النفاق كانت لائحة وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يظنه ويتوقع ان يظهره الله تعالى ولذلك قيل والله
اعلم بما كانوا يكتمون اى من الكفر وفيه وعيد شديد لهم وترى خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل
احد ممن يصلح للخطاب والرؤية بصرية كثيرا منهم من اليهود والمنافقين وقوله تعالى يسارعون في الاثم
حال من كثيرا وقيل مفعول ثان والرؤية قلبية والاول انسب بحالهم وظهور نفاقهم والمسارعة المبادرة المباشرة
للشيء بشرعة وايثار كلمة في على كلمة الى الواقعة في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم الى اخره لما ذكر في قوله
تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فيهم والمراد بالاثم الكذب على الاطلاق وقيل الحرام وقيل كلمة الشرك وقولهم
عزير ابن الله وقيل هو ما يختص بهم من الاثام والعدوان اى الظلم المتعدي الى الغير او مجاوزة الحد في المعاصي
واكلهم السحت اى الحرام خصه بالذكر مع اندراجه في الاثم للمبالغة في التقبيح لبئس ما كانوا يعملون اى لبئس
شيئا كانوا يعملون والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار لولا ينهاهم الربانيون والاحبار
وقال الحسن الربانيون علماء الانجيل والاحبار علماء التوراة وقيل كلهم في اليهود وهو تخصيص للذين يقتدى بهم
افنائهم ويعلمون قباحة ما هم فيه وسوء مغبته على نهي اسافلهم عن ذلك مع توبيخهم على تركه عن قولهم
الاثم واكلهم السحت مع علمهم بقبحهما ومشاهدتهم لمباشرتهم لهما لبئس ما كانوا يصنعون وهذا ابلغ مما قيل
في حق عامتهم لما ان العمل لا يبلغ درجة الصنع ما لم يتدرب فيه صاحبه ولم يحصل فيه مهارة تامة ولذلك
ذم به خواصهم ولان ترك الحسبة اقبح من مواقعة المعصية لان النفس تلتذ بها وتميل اليها ولا كذلك ترك
الانكار عليها فكان جديرا بابلغ ذم وفيه مما ينعى على العلماء توانيهم في النهي عن المنكرات ما لا يخفى وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انها اشد اية في القران وعن الضحاك ما في القران اية اخوف عندي منها وقالت اليهود قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وعكرمة والضحاك ان الله تعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا
واخصبهم ناحية فلما عصوا الله تعالى بان كفروا برسوله صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف عنهم ما بسط عليهم
فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة وحيث لم ينكر عليه الاخرون ورضوا به نسبت تلك العظيمة
الى الكل كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واردوا بذلك لعنهم الله تعالى انه سبحانه يمسك
يقتر بالرزق فان كلا من غل اليد وبسطها مجاز عن محض البخل والجود من غير قصد في ذلك الى اثبات يد وغل او بسط
الا يرى انهم يستعملونه حيث لا يتصور فيه ذلك كما في قوله ° جاد الحمى بسط اليدين بوابل ° شكرت نداه تلاعه ووهاده °
ولقد سلك لبيد هذا المسلك الشديد حيث قال ° وغداة ريح قد شهدت وقرة ° اذ اصبحت بيد الشمال زمامها °
فانه انما اريد بذلك اثبات القدرة التامة للشمال على التصرف في القرة كيف ما شاء على طريقة المجاز من
غير ان يخطر بباله ان يثبت لها يدا ولا للقرة زماما واصله كناية فيمن يجوز عليه ارادة المعنى الحقيقي كما في
قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة في سورة ال عمران وقيل ارادوا ما حكي عنهم بقوله تعالى لقد سمع الله
قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء غلت ايديهم بالبخل المذموم والمسكنة او بالفقر والنكد او بغل
الايدي حقيقة بان يكونوا اسارى مغلولين في الدنيا ويسحبوا الى النار باغلالها في الاخرة فيكون المطابقة

من حيث اللفظ وملاحظة للمعنى الاصلي كما في سبني سب الله دابره ولعنوا عطف على الدعا الاول اى ابعدوا
من رحمة الله بما قالوا اى بسبب ما قالوا من الكلمة الشنعا وقيل كلاهما خبره بل يداه مبسوطتان عطف على
على مقدر تقتضيه المقام اى كلا ليس كذلك بل هو في غاية ما يكون من الجود واليه اشير بتثنية اليد فان
اقصى ما ينتهي اليه همم الاسخيا ان يعطوا ما يعطونه بكلتا يديهم وقيل التثنية للتنبيه على منحه تعالى لنعمتي
الدنيا والاخرة وقيل على اعطائه اكراما وعلى اعطائه استدراجا ينفق كيف يشاء جملة مستانفة
واردة لتاكيد كمال وجوده وللتنبيه على سر ما ابتلوا به من الضيق الذي اتخذوه من غاية جهلهم وضلالهم
ذريعة الى الاجتراء على تلك الكفرة العظيمة والمعنى ان ذلك ليس لقصور في فيضه بل لان انفاقه تابع
لمشيته المبنية على الحكم التي يدور عليها امر المعاش والمعاد وقد اقتضت الحكمة بسبب ما فيهم من شوم
المعاصي ان يضيق عليهم كما يشير اليه تمليا في من قوله عز وعلا ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل الاية
وكيف ظرف ليشاء والجملة في محل النصب على الحالية من ضميره ينفق اى ينفق كائنا على اى حال يشاء اى كائنا على
مشيئة اى مريدا وترك ذكر ما ينفقه لقصد التعميم وليزيدن كثيرا منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ما انزل اليك
من القران المشتمل على هذه الايات وتقديم المفعول للاعتناء به وتخصيص الكثير منهم بهذا الحكم لما ان بعضهم
ليس كذلك من ربك متعلق بانزل كما ان اليك كذلك وتاخيره عنه مع ان حق المبدا ان يتقدم على المنتهى
لاقتضاء المقام الاهتمام ببيان المنتهى لان مدار الزيادة هو النزول اليه عليه السلام كما في قوله تعالى
قوله تعالى وانزل اليكم من السماء ماء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
لتشريفه عليه السلام طغيانا وكفرا مفعول ثان للزيادة اى ليزيدنهم طغيانا الى طغيانهم وكفرا على كفرهم
المقدار كما ان الطعام الصالح للاصحاء يزيد المرضى مرضا والقينا بينهم اى بين اليهود فان بعضهم جبرية
وبعضهم قدرية وبعضهم مرجية وبعضهم مشبهة العداوة والبغضاء فلا يكاد يتوافق قلوبهم ولا يتطابق
اقوالهم والجملة مبتداء مسوقة لازاحة ما عسى يتوهم من ذكر طغيانهم وكفرهم من الاجتماع على امر يؤدي الى
الاضرار بالمسلمين قيل العداوة اخص من البغضاء لان كل عدو مبغض ولا عكس كلي الى يوم القيمة متعلق بالقينا
وقيل بالبغضاء كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله تصريح بما اشير اليه من عدم وصول غائلة ما ذكر للمسلمين
اى كلما ارادوا محاربة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ورتبوا مباديها وركبوا في ذلك متن كل صعب وذلول
ردهم الله تعالى وقهرهم او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التوراة سلط الله تعالى عليهم بختنصر
ثم افسدوا فسلط عليهم المسلمين والحرب اما صلة لاوقدوا واما متعلق بمحذوف وقع صفة لنارا اى كائنة
للحرب ويسعون في الارض فسادا اى يجتهدون في الكيد للاسلام واهله واثارة الشر والفتنة فيما بينهم
عما يغاير ما عبر عنه بايقاد نار الحرب وفسادا اما مفعول له او في موقع المصدر اى يسعون للفساد او يسعون
سعي فساد والله لا يحب المفسدين ولذلك اطفا نائرة افسادهم واللام اما للجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا واما للعهد ووضع المظهر مقام المضمر للتعليل وبيان كونهم راسخين في الافساد ولو ان اهل
الكتاب اى اليهود والنصارى على ان المراد بالكتاب الجنس المنتظم للتوراة والانجيل وانما ذكروا بذلك
العنوان تاكيد للتشنيع فان اهلية الكتاب توجب ايمانهم واقامتهم له لا محالة فكفرهم به وعدم اقامتهم
له وهم اهله اقبح من كل قبيح وتشنيع من كل شنيع فمفعول قوله تعالى امنوا محذوف ثقة بظهوره مما سبق من
قوله تعالى هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان اكثركم فاسقون وما لحق
من قوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة الخ اى لو انهم مع ما صدر عنهم من فنون الجنايات قولا وفعلا
امنوا بما نعتهم بالايمان به فيندرج فيه ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما اراده ايمانهم
به عليه السلام خاصة [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومبشرات بعثته فان اقامتهما انما تكون بذلك لا بمراعاة جميع ما فيهما من
الاحكام لانتساخ بعضها بنزول القران فليست مراعاة الكل من اقامتهما في شيء وما انزل اليهم من ربهم من القران
[illegible]
[illegible]

لطف

لطف بهم في الدعوة الى الاقامة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل مثل كتاب شعيا وكتاب
حبقوق وكتاب دانيال فانها مملوءة بالبشارة ببعثته صلى الله عليه وسلم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
اى لوسع عليهم ارزاقهم بان يفيض عليهم بركات السماء والارض وبان يكثر ثمرات الاشجار وغلال
الزروع او بان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار فيجتنوا ما تهدل منها من رؤس الاشجار ويلتقطوا ما تساقط منها
على الارض وقيل المراد المبالغة في شرح السعة والخصب لا الجهتين كانه قيل لاكلوا من كل جهة ومفعول
كلوا محذوف لقصد التعميم او القصد الى نفس الفعل كما في قوله فلان يعطي ويمنع ومن في الموضعين لابتدا
الغاية وفي هاتين الشرطيتين من حثهم على ما ذكر من الايمان والتقوى والاقامة بالوعد بنيل سعادة
الدارين وزجرهم عن الاخلال به ببيان افضائه الى الحرمان عنها وتنبيههم على ان ما اصابهم من الضنك
والضيق انما هو من شوم جناياتهم لا لقصور في فيض الفياض ما لا يخفى منهم امة مقتصدة جملة مستانفة
مبنية على سؤال نشا من مضمون الجملتين المصدرتين بحرف الامتناع الدالتين على انتفاء الايمان والاتقا
واقامة الكتب المنزلة من اهل الكتاب كانه قيل هل كلهم كذلك مصرون على عدم الايمان الى اخره فقيل منهم
امة مقتصدة اما على ان منهم مبتدا باعتبار مضمونه اى بعضهم امة واما بتقدير الموصوف اى بعض كائن
منهم كما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله الاية اى طائفة حالهم امم في عداوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكثير منهم مبتدا لتخصصه بالصفة خبره ساء ما يعملون اى مقول في حقهم هذا القول
اى بئسما يعملون وفيه معنى التعجب اى ما اسوا عملهم من العناد والمكابرة وتحريف الحق والاعراض عنه والافراط
في العداوة وهم الاجلاف المتعصبون ككعب بن الاشرف واشباهه والروم يا ايها الرسول نودي عليه الصلاة
والسلام بعنوان الرسالة تشريفا له وايذانا بانها من موجبات الاتيان بما امر به من تبليغ ما اوحي اليه بلغ ما
انزل اليك اى جميع ما انزل اليك من الاحكام وما يتعلق بها كائنا ما كان وفي قوله تعالى من ربك اى مالك
امورك ومبلغك الى كمالك اللائق بك عدة ضمنية بحفظه عليه السلام وكلاءته اى بلغه غير مراقب في ذلك
احدا ولا خائف ان ينالك مكروه ابدا وان لم تفعل اى ما امرت به من تبليغ الجميع بالمعنى المذكور كما ينبئ عنه
قوله تعالى فما بلغت رسالته فان ما يتعلق به الاحكام اصلا من الاسرار الخفية ليست مما يقصد تبليغه
الى الناس اى فما بلغت شيئا من رسالته واتصفت بما شرفت به من عنوان الرسالة بالمرة لما ان بعضها ليس
اولى بالاداء من بعض فاذا لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها
لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها لذلك في حكم شيء واحد ولا ريب في ان الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير
مؤمن به ولان كتمان بعضها اضاعة لما ادى منها كترك بعض اركان الصلوة فان غرض الدعوة ينتقض بذلك وقيل
فكانك ما بلغت شيئا منها كقوله تعالى فكانما قتل الناس جميعا من حيث ان كتمان البعض والكل سوا في الشناعة
واستجلاب العقاب وقرئ فما بلغت رسالاته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان كتمت اية لم تبلغ رسالاتي
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ
رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت وذلك قوله تعالى والله يعصمك من الناس فكانما ترى عدة كريمة
بعصمته من لحوق ضررهم بروحه العزيز بعثه له عليه السلام كان يحرس حتى نزلت فاخرج راسه من قبة
ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين
تعليل لعصمته تعالى عليه السلام اى لا يمكنهم مما يريدون بك من الاضرار وايراد الاية الكريمة في تضاعيف
الايات الواردة في حق اهل الكتاب لما ان الكل قوادح يسوق الكفار سيما ما هو يشق على الرسول صلى الله عليه
وسلم مشافهتهم بها وخصوصا ما يتلوها من النص الناعي عليهم كمال ضلالهم ولذلك اعيد الامر فقيل قل
يا اهل الكتاب مخاطبين للفريقين لستم على شيء اى دين يعتد به ويليق بان يسمى شيئا لظهور بطلانه ووضوح
فساده وفي هذا التعبير من التحقير والتصغير ما لا غاية وراءه حتى تقيموا التوراة والانجيل اى تراعوهما
وتحافظوا على ما فيهما من الامور التي من جملتها دلائل رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته فان
اقامتهما انما تكون بذلك واما مراعاة احكامهما المنسوخة فليست من اقامتهما في شيء بل هو تعطيل لهما ورد
لشهادتهما لانهما شاهدان بنسخهما وانتهاء وقت العمل بها لان شهادتهما بصحة ما ينسخها شهادة بنسخها وخروجها
عن كونها من احكامهما وان احكامهما ما قرره النبي الذي بشر فيهما ببعثته وذكر في تضاعيفهما نعوته فاذن اقامتهما
بيان شواهد النبوة والعمل بما قرره الشريعة من الاحكام كما يفصح عنه قوله تعالى وما انزل اليكم من ربكم
اى القران المجيد بالايمان به فان اقامة الجميع لا تتاتى بغير ذلك وتقديم اقامة الكتابين على اقامته مع انها
المقصودة بالذات لرعاية حق الشهادة واستنزالهم عن رتبة الشقاق وايراده بعنوان الانزال اليهم لما مر
من التصريح بانهم مامورون باقامته والايمان به لا كما يزعمون من اختصاصه بالعرب وفي اضافة الرب
الى ضميرهم ما اشير اليه من اللطف في الدعوة وقيل المراد بما انزل اليهم كتب انبياء بني اسرائيل كما مر وقيل

الكتب الالهية فانها باسرها امرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له روى عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما ان جماعة من اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الست تقر ان التوراة حق من
عند الله فقال عليه السلام بلى فقالوا فانا مومنون بها ولا نومن بغيرها فنزلت وقوله تعالى وليزيدن كثيرا
منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا جملة مستانفة مبينة لشدة شكيمتهم وغلوهم في المكابرة
والعناد وعدم افادة التبليغ نفعا وتصديرها بالقسم لتاكيد مضمونها وتحقيق مدلولها والمراد بالكثير
المذكور علماؤهم ورؤساؤهم ونسبة الانزال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نسبته فيما مر اليهم للايذان
عن انسلاخهم عن تلك النسبة فلا تاس على القوم الكافرين اى لا تتاسف ولا تحزن عليهم لافراطهم في الطغيان
والكفر بما تبلغه اليهم فان غائلته ايلة اليهم وتبعته حائقة بهم لا تتخطاهم وفي المومنين مندوحة لك عنهم
ووضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالرسوخ في الكفر ان الذين امنوا كلام مستانف مسوق
لترغيب من عدا المذكورين في الايمان والعمل الصالح اى الذين امنوا بالسنتهم فقط وهم المومنون وقيل
اعم من ان يواطيها قلوبهم اولا والذين هادوا اى دخلوا في اليهودية والنصارى جمع نصران وقد مر تفصيله
في سورة البقرة وقوله تعالى والصابئون رفع على الابتدا وخبره محذوف والنية به التاخير عما في حيز ان
والتقدير ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كيت وكيت والصابئون كذلك كقوله • فاني
وقيار بها لغريب • وقوله • والا فاعلموا انا وانتم بغاة ما بقينا في شقاق • خلا انه وسط بين اسم ان وخبرها
دلالة على ان الصابئين مع ظهور ضلالهم وزيغهم عن الاديان كلها حيث قبلت توبتهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح
فغيرهم اولى بذلك وقيل الجملة الاتية خبر للمبتدا المذكور وخبر ان مقدر كما في قوله • نحن بما عندنا وانت بما عندك
راض والراى مختلف • وقيل والنصارى مرفوع على الابتدا كقوله تعالى والصابئون عطفا عليه وهو مع خبره
عطف على الجملة المصدرة بان ولا مساغ لعطفه وحده على محل ان واسمها لاشتراطه بالفراغ عن الخبر
والا لارتفع الخبر بان والابتدا معا واعتذر عنه بان ذلك اذا كان المذكور خبرا لهما واما اذا كان خبر المعطوف
المحذوف فلا محذور فيه ويدل على الضمير فيها لعدم التاكيد والفصل ولاستلزامه كون الصابئين هودا وقرئ
والصابيون بياء صريحة بتخفيف الهمزة وقرئ والصابون وهم من صبا يصبو لانهم صبوا الى اتباع الهوى
والشهوات في دينهم وقرئ والصابئين وقرئ يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون وقوله تعالى
من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا اما في محل الرفع على انه مبتدا خبره فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والفاء
لتضمن المبتدا معنى الشرط وجمع الضماير الاخيرة باعتبار معنى الموصول كما ان افراد ما في صلته باعتبار لفظه
والجملة خبر ان والعايد الى اسمها محذوف اى من امن منهم واما في محل النصب على انه بدل من اسم ان وما عطف
عليه والخبر قوله تعالى فلا خوف والفاء كما في قوله عز وعلا ان الذين فتنوا المومنين والمومنات ثم لم يتوبوا
فلهم عذاب جهنم الاية فالمعنى على تقدير كون المراد بالذين امنوا المنافقين وهو الاظهر من احدث من هذه الطوائف
ايمانا خالصا بالمبدا والمعاد على الوجه اللايق لا كما يزعمه اهل الكتاب فان ذلك بمعزل من ان يكون ايمانا بهما
وعمل صالحا حسبما يقتضيه الايمان بهما فلا خوف عليهم حين يخاف الكفار العقاب ولا هم يحزنون حين يحزن المقصرون
على تضييع الاعمار وتفويت الثواب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في
الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والاستمرار بحسب المقام
واما على تقدير كون المراد بالذين امنوا مطلق المتدينين بدين الاسلام المخلصين منهم والمنافقين فالمراد بمن امن
من اتصف منهم بالايمان الخالص بالمبدا والمعاد على الاطلاق سواء كان ذلك بطريق الثبات والدوام عليه كايمان
المخلصين او بطريق الاحداث والانشاء كايمان من عداهم من المنافقين وسائر الطوائف وفائدة التعميم للمخلصين
المبالغة في ترغيب الباقين في الايمان ببيان ان تاخرهم في الاتصاف به غير مخل بكونهم اسوة لاولئك الاقدمين
الاعلام واما ما قيل من ان المعنى من كان منهم في دينه قبل ان ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدا والمعاد عاملا بمقتضى شرعه
فمما لا سبيل اليه اصلا لما مر تفصيله في سورة البقرة لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل كلام مستانف مسوق لبيان
بعض اخر من جناياتهم المنادية باستبعاد الايمان منهم اى وبالله لقد اخذنا ميثاقهم بالتوحيد وسائر
الشرائع والاحكام المكتوبة عليهم في التوراة وارسلنا اليهم رسلا ذوي عدد كثير واولي شان خطير ليقرروهم
على مراعاة حقوق الميثاق ويطلعوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم ويتعهدوهم بالعظة والتذكير
وقوله تعالى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم جملة شرطية مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشا
من الاخبار باخذ الميثاق وارسال الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل فماذا فعلوا بالرسل فقيل كلما جاءهم
رسول من اولئك الرسل وجواب الشرط محذوف كانه قيل كلما جاءهم رسول بما يخالف هواهم
من الاحكام الحقة والشرائع عصوه وعادوه وقوله تعالى فريقا كذبوا وفريقا يقتلون جواب مستانف عن
استفسار كيفية ما اظهروه من اثار المخالفة المفهومة من الشرطية على طريقة الاجمال كانه قيل كيف فعلوا بهم

فقيل

فقيل فريقا منهم كذبوهم من غير ان يتعرضوا لهم بشيء اخر من المضار وفريقا اخر منهم لم يكتفوا بتكذيبهم بل
قتلوهم ايضا وانما اوثر عليه صيغة المضارع على حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها الهايلة للتعجيب منها
وللتنبيه على ان ذلك ديدنهم المستمر والمحافظة على رؤوس الاي الكريمة وتقديم فريقا في الموضعين للاهتمام
به وللتشويق الى ما فعلوا به لا للقصر هذا واما جعل الشرطية صفة لرسلا كما ذهب اليه الجمهور فلا
يساعده المقام اصلا ضرورة ان الجملة الخبرية اذا جعلت صفة او صلة يفصح ما فيها من الحكم ويجعل عنوانا
للموصوف وتتمة له في اثبات امر اخر له ولذلك يجب ان يكون الوصف معلوم الانتساب الى الموصوف عند
السامع قبل جعله وصفا له ومن هاهنا قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات
ولا ريب في ان ما سيق له النظم انما هو بيان انهم جعلوا كل من جاءهم من رسل الله تعالى عرضة للقتل والتكذيب
حسبما يفيده جعلها استئنافا على ابلغ وجه واكده لا بيان انه تعالى ارسل اليهم رسلا موصوفين بكون كل منهم
كذلك كما هو مقتضى جعلها صفة وحسبوا ان لا تكون فتنة اى حسب بنو اسرائيل انه لا يصيبهم من الله تعالى بما فعلوا
من الداهية الدهياء والخطة الشنعاء بلاء وعذاب وقرئ لا تكون بالرفع على ان ان هي المخففة من ان واسمها ضمير
الشان المحذوف واصله انه لا تكون فتنة وتعليق فعل الحسبان بها وهي للتحقيق لتنزيله منزلة العلم لكمال قوته
وان بما في خبرها ساد مسد مفعوليه فعموا عطف على حسبوا والفاء للدلالة على ترتيب ما بعدها على ما قبلها اى
امنوا باس الله تعالى فتمادوا في فنون الغي والفساد وعموا عن الدين بعد ما هداهم الرسل الى معالمه الظاهرة وبينوا
لهم مناهجه الواضحة وصموا عن استماع الحق الذي القوه عليهم ولذلك فعلوا بهم ما فعلوا وهذا اشارة الى
المرة الاولى من مرتي افساد بني اسرائيل حين خالفوا احكام التوراة وركبوا المحارم وقتلوا شعيا وقيل حبسوا
ارميا عليهما السلام لا الى عبادتهم العجل كما قيل فانها وان كانت معصية عظيمة ناشئة عن كمال العمى والصمم
لكنها في عصر موسى عليه السلام ولا تعلق لها بما حكي عنهم مما فعلوا بالرسل الذين جاؤهم بعده عليه السلام
باعصار ثم تاب الله عليهم حين تابوا ورجعوا عما كانوا عليه من الفساد بعد ما كانوا ببابل دهرا طويلا تحت قهر
بخت نصر اسارى في غاية الذل والمهانة فوجه الله عز وجل ملكا عظيما من ملوك فارس الى بيت المقدس فعمره
ورد من بقي من بني اسرائيل في اسر بخت نصر بعد هلكه وردهم الى وطنهم وتراجع من تفرق منهم في الاكناف فعمروه ثلاثين
سنة فكثروا وكانوا كاحسن ما كانوا عليه وقيل لما ورث بهمن بن اسفنديار الملك من جده كشتاسف القى الله عز
وجل في قلبه شفقة عليهم فردهم الى الشام وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع
بخت نصر فقامت فيهم الانبياء فرجعوا الى احسن ما كانوا عليه من الحال وذلك قوله تعالى ثم رددنا لكم الكرة
عليهم واما ما قيل ان المراد قبول توبتهم من عبادة العجل فقد عرفت ان ذلك لا تعلق له بالمقام ولم يسند التوبة
اليهم كسائر احوالهم من الحسبان والعمى والصمم تجافيا عن التصريح بنسبة الخير اليهم وانما اشير اليها في ضمن بيان
توبته تعالى عليهم تمهيدا لبيان نقضهم اياها بقوله تعالى ثم عموا وصموا وهو اشارة الى المرة الاخرة من مرتي
افسادهم وهو اجتراؤهم على قتل زكريا ويحيى وقصدهم قتل عيسى عليه السلام لا الى طلبهم الرؤية كما قيل
لما عرفت سره فان فنون الجنايات الصادرة عنهم لا تكاد تتناهى خلا ان انحصار ما حكي عنهم هاهنا في المرتين
وترتبه على حكاية ما فعلوا بالرسل عليهم السلام يقضي بان المراد ما ذكرناه والله عنده علم الكتاب وقرئ
عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اى رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك
وركبته اذا ضربته بركبتك وقوله تعالى كثير منهم بدل من الضمير في الفعلين وقيل خبر مبتدا محذوف اى اولئك
والله بصير بما يعملون اى بما عملوا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورتها الفظيعة ورعاية
للفواصل والجملة تذييل اشير به الى بطلان حسبانهم المذكور ووقوع العذاب من حيث لم يحتسبوا اشارة اجمالية
اكتفي بها تعويلا على ما فصل نوع تفصيل في سورة بني اسرائيل والمعنى حسبوا انه لا يصيبهم عذاب ففعلوا ما
فعلوا من الجنايات العظيمة المستوجبة لاشد العقوبات والله بصير بتفاصيلها فكيف لا يؤاخذهم بها ومن
اين لهم هذا الحسبان الباطل ولقد وقع ذلك في المرة الاولى حيث سلط الله تعالى عليهم بخت نصر عامل لهراسب
على بابل وقيل جالوت الجزري وقيل سنحاريب من اهل نينوى والاول هو الانسب فاستولى على بيت المقدس فقتل
من اهله اربعين الفا ممن يقرا التوراة وذهب بالبقية الى ارضه فبقوا هناك على اقصى ما يكون من الذل والنكد
الى ان احدثوا توبة صحيحة فردهم الله عز وعلا الى ما حكي عنهم من حسن الحال ثم عادوا المرة الاخرة من الافساد
فبعث الله تعالى عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه خودرد وقيل خردوس فعل بهم ما
فعل قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلي فسالهم فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقتموني
فقتل عليه الوفا منهم ثم قال ان لم تصدقوني ما تركت منكم احدا فقالوا انه دم يحيى عليه السلام فقال
بمثل هذا ينتقم الله منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك فاهدا باذن الله تعالى قبل
ان لا ابقي احدا منهم فهدا لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم شروع في تفصيل قبائح النصارى

وابطال اقوالهم الفاسدة بعد تفصيل قبائح اليهود وهؤلاء هم الذين قالوا ان مريم ولدت الها قيل هم
الملكانية والمار يعقوبية منهم وقيل هم اليعقوبية خاصة قالوا ومعنى هذا ان الله تعالى حل في ذات عيسى
واتحد بذاته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح حال من فاعل قالوا بتقدير قد مفيدة لمزيد القبح اي قالوا
ببيان تكذيبهم للمسيح وعدم انتهائهم عما اصروا عليه بما اوعدهم به اي قالوا ذلك وقد قال المسيح مخاطبا
لهم يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم فاني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا خالقي وخالقكم انه اي الشان من
يشرك بالله اي شيئا في عبادته او فيما يختص به من صفات الالوهية فقد حرم الله عليه الجنة فلن يدخلها
ابدا كما لا يصل المحرم اليه المحرم فانها دار الموحدين واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتهويل الامر وتربية
المهابة ومأواه النار فانها هي المعدة للمشركين وهذا بيان لابتلائهم بالعقاب اثر بيان حرمانهم الثواب وما
للظالمين من انصار اي ما لهم من احد ينصرهم بانقاذهم من النار اما بطريق المغالبة او بطريق الشفاعة والجمع
لمراعاة المقابلة بالظالمين واللام اما للعهد والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضمائر الثلثة باعتبار
لفظها واما للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا ووضعه على الاول موضع الضمير للتسجيل عليهم بانهم ظلموا
بالاشراك وعدلوا عن طريق الحق والجملة تذييل مقرر لما قبله وهو اما من تمام كلام عيسى عليه السلام واما
وارد من جهته تعالى تأكيدا لمقالته عليه السلام وتقريرا لمضمونها وقد قيل انه من كلامه عز وجل على معنى انهم
ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده
وانكره وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى عليه السلام على معنى لا ينصركم
احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول وانت خبير بان التعبير عما حكي عنه عليه
السلام من مقابلته لقولهم الباطل بصريح الرد والانكار والوعيد بحرمان الجنة ودخول النار بمجرد عدم مساعدته
على ذلك وعدم نصرته له مع خلوه عن المقابلة تصوير للقوي بصورة الضعيف وتهوين للخطاب في مقام تهويله
بل ربما يوهم ذلك بحسب الظاهر ما لا يليق لشانه عليه السلام من توهم المساعدة والنصرة لا سيما مع ملاحظة
قوله وان كانوا معظمين له الى آخره الى ان يحمل الكلام على التهكم بهم وكذا الحال على تقدير كونه من تمام
كلامه عليه السلام فان زجره اياهم عن قولهم الفاسد بما ذكر من عدم الناصر والمساعد بعد زجره اياهم
بما مر من الرد الاكيد والوعيد الشديد بمعزل من الافادة والتاثير ولا سبيل هنا الى الاعتذار بالتهكم لقد
كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة شروع في بيان كفر طائفة اخرى منهم ومعنى قولهم ثالث ثلثة ورابع
اربعة ونحو ذلك احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع خاصة ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما
بعده بان يقال ثالث ثلثة ورابع اربعة وانما ينصبه اذا كان ما بعده دونه بمرتبة كما في قولك عاشر
تسعة وتاسع ثمانية قيل انهم يقولون ان الالهية مشتركة بين الله تعالى وعيسى ومريم وكل واحد من هؤلاء
اله ويؤكده قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله تعالى ثالث
ثلثة اي احد ثلثة آلهة وهو المتبادر من ظاهر قوله تعالى وما من اله الا اله واحد اي والحال انه ليس في الوجود ذات واجب
مستحق للعبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف بالوحدانية متعال عن قبول الشركة ومن مزيدة
للاستغراق وقيل انهم يقولون الله جوهر واحد ثلثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم
يريدون بالاول الذات وقيل الوجود وبالثاني العلم وبالثالث الحيوة فمعنى قوله تعالى وما من اله الا اله واحد
بالذات منزه عن شائبة التعدد بوجه من الوجوه وان لم ينتهوا عما يقولون من الكفر الشنيع ولم يوحدوا وقوله تعالى
ليمسن الذين كفروا جواب قسم محذوف ساد مسد جواب الشرط اي وبالله ان لم ينتهوا ليمسنهم وانما وضع موضع
ضميرهم الموصول لتكرير الشهادة عليهم بالكفر ومن في قوله تعالى منهم بيانية اي ليمسن الذين بقوا منهم على ما كانوا
عليه من الكفر او تبعيضية وانما جيء بالفعل المنبئ عن الحدوث تنبيها على ان الاستمرار عليه بعد ورود ما ينحي
عليه بالقلع من نص عيسى عليه السلام وغيره كفر جديد وغلو زائد على ما كانوا عليه من اصل الكفر عذاب اليم اي
نوع شديد الالم من العذاب والهمزة للاستفهام في قوله تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه للانكار الواقع
واستبعاده لا لانكار الوقوع وفيه تعجيب من اصرارهم والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا ينتهون
عن تلك العقائد الزائغة والاقاويل الباطلة فلا يتوبون الى الله الحق ويستغفرونه بالتوحيد والتنزيه
عما نسبوه اليه من الاتحاد والحلول فمدار الانكار والتعجيب عدم الانتهاء وعدم التوبة معا او لا يسمعون
هذه الشهادات المكررة والتشديدات المقررة فلا يتوبون عقيب ذلك فمدارهما عدم التوبة عقيب تحقق
ما يوجبها من سماع تلك القوارع الهائلة وقوله عز وجل والله غفور رحيم جملة حالية من فاعل يستغفرونه
مؤكدة للانكار والتعجيب من اصرارهم على الكفر وعدم مسارعتهم الى الاستغفار اي والحال انه تعالى مبالغ
في المغفرة فيغفر لهم عند استغفارهم ويمنحهم من فضله ما المسيح ابن مريم الا رسول استئناف مسوق لتحقيق
الحق الذي لا محيد عنه وبيان حقيقة حاله عليه السلام وحال امه بالاشارة اولا الى اشرف ما لهما من نعوت

الكمال التي بها صارا من زمرة اكمل افراد الجنس وآخرا الى الوصف المشترك بينهما وبين جميع افراد البشر بل
افراد الحيوان استنزالا لهم بطريق التدريج عن رتبة الاصرار على ما تقولوا عليهما وارشادا لهم الى التوبة
والاستغفار اي هو مقصور على الرسالة لا يكاد يتخطاها وقوله تعالى قد خلت من قبله الرسل صفة لرسول
منبئة عن اتصافه بما ينافي الالوهية اي ما هو الا رسول كالرسل الخالية من قبله خصه الله تعالى ببعض من
الايات كما خص كلا منهم ببعض آخر منها فان احيى الموتى على يده فقد احيى العصا في يد موسى وجعلت حية
تسعى وهو اعجب منه وان خلق من غير اب فقد خلق آدم من غير اب ولا ام وهو اغرب منه وكل ذلك من جنابه
عز وجل وانما موسى وعيسى مظاهر لشؤونه وافعاله وامه صديقة اي وما امه ايضا الا كسائر النساء اللاتي
يلازمن الصدق او التصديق ويبالغن في الاتصاف به فما رتبتهما الا رتبة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي
فمن اين لكم ان تصفوهما بما لا يوصف به سائر الانبياء وخواصهم كانا يأكلان الطعام استئناف مبين لما اشير
اليه من كونهما كسائر افراد البشر في الاحتياج الى ما يحتاج اليه كل فرد من افراده بل من افراد الحيوان
وقوله عز وجل انظر كيف نبين لهم الايات تعجيب من حال الذين يدعون لهما الربوبية ولا يرعوون عن ذلك
بعد ما بين لهم حقيقة حالهما بيانا لا يحوم حوله شائبة ريب وكيف معمول لنبين والجملة في حيز النصب معلقة
لانظر اي انظر كيف نبين لهم الايات الباهرة المنادية ببطلان ما تقولوا عليهما نداء يكاد يسمعه صم
الجبال ثم انظر انى يؤفكون اي كيف يصرفون عن استماعها والتامل فيها وكلا هما فيه كما فيما قبله وتكرير الامر
بالنظر للمبالغة في التعجيب وثم لاظهار ما بين العجبين من التفاوت وان بياننا للايات امر بديع في بابه بالغ
لاقصى الغايات القاصية من التحقيق والايضاح واعراضهم عنها مع انتفاء ما يصححه بالمرة وتعاضد ما يوجب
قبولها اعجب وابدع قل امر له صلى الله عليه وسلم بالزامهم وتبكيتهم اثر تعجيبه من احوالهم اتعبدون من
دون الله اي متجاوزين اياه وتقديمه على قوله تعالى ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والموصول عبارة عن عيسى عليه السلام وايثاره على كلمة من لتحقيق ما هو المراد من
كونه معزولا من الالوهية رأسا ببيان انتظامه عليه السلام في سلك الاشياء التي لا قدرة لها على شيء اصلا
وهو عليه السلام وان كان يملك ذلك بتمليكه تعالى اياه لكنه لا يملكه من ذاته ولا يملك مثل ما يضر به
الله تعالى من البلايا والمصائب وما ينفع به من الصحة والسعة وتقديم الضر على النفع لان التحرز عنه اهم
من تحري النفع ولان ادنى درجات التاثير دفع الشر ثم جلب الخير وقوله تعالى والله هو السميع العليم
حال من فاعل اتعبدون مؤكد للانكار والتوبيخ ومقرر للالزام والتبكيت والرابط هو الواو اي اتشركون
بالله تعالى ما لا يقدر على شيء من ضركم ونفعكم والحال ان الله تعالى هو المختص بالاحاطة التامة بجميع
المسموعات والمعلومات التي من جملتها ما انتم عليه من الاقوال الباطلة والعقائد الزائغة والاعمال
السيئة وبالقدرة الباهرة على جميع المقدورات التي من جملتها مضاركم ومنافعكم في الدنيا والآخرة
قل يا اهل الكتاب تلوين للخطاب وتوجيه له الى فريقي اهل الكتاب على لسان النبي صلى الله عليه وسلم بعد
ابطال مسلك كل منهما للمبالغة في زجرهم عما سلكوا من المسلك الباطل وارشادهم الى الامر الثابت لا تغلوا
في دينكم اي لا تجاوزوا الحد وهو نهي للنصارى عن رفع عيسى عليه السلام عن رتبته العلية الى ما تقولوا
عليه من الكلمة الشنعاء وقيل هو خاص بالنصارى كما في سورة النساء فذكرهم بعنوان اهلية الكتاب لتذكير
ان الانجيل ايضا ينهاهم عن الغلو وقوله تعالى غير الحق نصب على انه نعت لمصدر محذوف اي لا تغلوا في
دينكم غلوا غير الحق اي غلوا باطلا او حالا من ضمير الفاعل اي لا تغلوا مجاوزين الحق او من دينكم ولا تغلوا في
دينكم حال كونه باطلا وقيل نصب على الاستثناء المتصل وقيل على المنقطع ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا
من قبل هم اسلافهم وائمتهم الذين قد ضلوا من الفريقين او من النصارى على القولين قبل مبعث النبي صلى الله
عليه وسلم في شريعتهم واضلوا كثيرا اي قوما كثيرا ممن شايعهم في الزيغ والضلال او اضلالا كثيرا والمفعول
محذوف وضلوا عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وتوضيح محجة الحق وتبيين مناهج الاسلام عن سواء
السبيل حين كذبوه وحسدوه وبغوا عليه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني الى ضلالهم
عما جاء به الشرع لعن الذين كفروا اي لعنهم الله عز وجل وبناء الفعل للمفعول للجري على سنن الكبرياء من بني
اسرائيل متعلق بمحذوف وقع حالا من الموصول او من فاعل كفروا وقوله تعالى على لسان داود وعيسى ابن مريم
متعلق بلعن اي لعنهم الله تعالى في الزبور والانجيل على لسانهما وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت دعا
عليهم داود عليه السلام وقال اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخهم الله تعالى قردة واصحاب المائدة لما كفروا
قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما اكل من المائدة عذابا لم تعذب به احدا من العالمين والعنهم كما
لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي ذلك اشارة الى اللعن
المذكور وايثاره على الضمير للتنبيه على كمال ظهوره وامتيازه عن نظائره وانتظامه بسببه في سلك الامور

عن رتبة الرسالة الى ما يقولوا في حقه العظيمة
واليهود وضعوا وضعهم له صح

المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان بكمال فظاعته وبعد درجته في الشناعة وهو مبتدا خبره قوله تعالى بما عصوا وكانوا يعتدون والجملة مستانفة واقعة موقع الجواب عما نشأ من الكلام كانه قيل باي سبب وقع ذلك فقيل ذلك اللعن الهائل الفظيع بسبب عصيانهم واعتدائهم المستمر كما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل وينبئ عنه قوله تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه فانه استيناف مفيد بعادته لاستمرار عدم التناهي عن المنكر ولا يمكن استمرار الا باستمرار تعاطي المنكرات وليس المراد بالتناهي ان ينهى كل واحد منهم الاخر عما يفعله من المنكر كما هو المعنى المشهور لصيغة التفاعل بل مجرد صدور النهي عن اشخاص متعددين من غير اعتبار ان يكون كل واحد منهم ناهيا ومنهيا معا كما في تراءى الهلال وقيل التناهي بمعنى الانتهاء يقال تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه فالجملة حينئذ مفسرة لما قبلها من المعصية والاعتداء ومفيدة لاستمرارهما صريحا وعلى الاول مفيدة لاستمرار انتفاء النهي عن المنكر بان لا يوجد فيما بينهم من يتولاه في وقت من الاوقات ومن ضرورته استمرار فعل المنكر حسبما ينبئ عنه على كلا التقديرين ما يفيده تنكير المنكر من الوحدة نوعية لا شخصية فلا يقدح وصفه بالفعل الماضي في تعلق النهي به لما ان متعلق الفعل انما هو فرد من افراد ما تعلق به النهي والانتهاء من مطلق المنكر باعتبار تحققه في ضمن اي فرد كان من افراده على ان المعنى المعتبر في الصفة انما هو بالنسبة الى زمان النزول لا الى زمان النهي حتى يلزم كون النهي بعد الفعل فلا حاجة الى تقدير المعاودة او المثل او بجعل الفعل عبارة عن الارادة او المثل او جعل الفعل عبارة عن الارادة على ان المعاودة كانها لا تتعلق بالمنكر المفعول فلا بد من المصير الى احد ما ذكر من الوجهين او الى تقدير المثل او الى جعل الفعل عبارة عن ارادته وفي كل ذلك تعسف لا يخفى لبئس ما كانوا يفعلون تقبيح لسوء اعمالهم وتعجيب منه بالتوكيد القسمي كيف لا وقد اداهم الى ما شرح من اللعن الكبير وليس في تسليته بذلك دلالة على خروج كفرهم عن السببية مع الاشارة الى سببية له فيما سبق من قوله تعالى لعن الذين كفروا فان اجراء الحكم على الموصول مشعر بعلية ما في حيز الصلة له لما ان ما ذكر في حيز السببية مشتمل على كفرهم ايضا ترى كثيرا منهم اي من اهل الكتاب ككعب بن الاشرف واضرابه حيث خرجوا الى مشركي مكة ليتفقوا على محاربة النبي صلى الله عليه وسلم والرؤية بصرية وقوله تعالى يتولون الذين كفروا حال من كثيرا لكونه موصوفا اي يوالون المشركين بغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل من منافقي اهل الكتاب يتولون اليهود وهو قول ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم لبئس شيئا قدموا ليردوا عليه يوم القيمة ان سخط الله عليهم هو المخصوص بالذم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على كمال التعلق والارتباط بينهما كانهما شيء واحد ومبالغة في الذم اي موجب سخطه تعالى ومحله الرفع على الابتدا والجملة قبله خبره والى ابطاله من يشترط فيه العموم ولا حاجة اليه لان الجملة عين المبتدا او على انه خبر لمبتدا محذوف ينبئ عنه الجملة المتقدمة كانه قيل ما هو اي شيء هو فقيل هو ان سخط الله عليهم وقيل المخصوص بالذم محذوف وما اسم تام معرفة في محل الرفع بالفاعلية للفعل الذم وقدمت لهم انفسهم جملة في محل الرفع على انها صفة المخصوص بالذم قائمة مقامه والتقدير لبئس الشيء شيء قدمت لهم انفسهم فقوله تعالى ان سخط الله عليهم بدل من شيء المحذوف وهذا مذهب سيبويه وفي العذاب اي عذاب جهنم هم خالدون ابد الابدين ولو كانوا اي الذين يتولون المشركين من اهل الكتاب يؤمنون بالله والنبي اي نبيهم وما انزل اليه من الكتاب او لو كان المنافقون يؤمنون بالله وبنبينا ايمانا صحيحا ما اتخذوهم اي المشركين او اليهود اولياء فان الايمان بما ذكر وازع عن توليهم قطعا ولكن كثيرا منهم فاسقون خارجون عن الدين والايمان بالله وبنبيهم وكتابهم او متمردون في النفاق مفرطون فيه لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا جملة مستانفة مسوقة لتقرير ما قبلها من قبائح اليهود وعراقتهم في الكفر وسائر احوالهم الشنيعة التي من جملتها موالاتهم للمشركين اكدت بالتوكيد القسمي اعتناء ببيان تحقق مضمونها والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد له صالح له ايذانا بان حالهم مما لا يخفى على احد من الناس والوجدان متعد الى اثنين احدهما اشد الناس والثاني اليهود وما عطف عليه وقيل بالعكس لانهما في الاصل مبتدا وخبر ومصب الفائدة هو الخبر لا المبتدا ولا ضير في التقديم والتاخير اذا دل على الترتيب دليل وهنا دليل واضح عليه وهو ان المقصود بيان كون الطائفتين اشد الناس عداوة للمؤمنين لا كون اشدهم عداوة لهم الطائفتين المذكورتين وانت خبير بانه بمعزل من الدلالة على ذلك كيف لا والافادة في الصورة الثانية اتم واكمل مع خلوها من تعسف التقديم والتاخير اذ المعنى ان تصدت ان تعرف اشد الناس عداوة للمؤمنين وتتبعت احوال الطوائف طرا واحطت بما لديهم خبرا وبالغت في تعرف احوالهم الظاهرة والباطنة وسعيت في تطلب ما عندهم من الامور الكامنة والبادية لتجدن اشدهم بتلك الطائفتين لا غير فتامل واللام الداخلة على الموصول متعلقة بعداوة مقوية لعملها ولا ضير في كونها

مونثه بالتاء لانها مبنية عليها كما في قوله ۰ ورهبة عقابك ۰۰ وقيل متعلقة بمحذوف هو صفة العداوة اي كائنة للذين امنوا وصفهم الله تعالى بذلك لشدة شكيمتهم وتضاعيف كفرهم وانهماكهم في اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم على التمرد والاستعصاء على الانبياء والاجتراء على تكذيبهم ومناصبتهم وفي تقديم اليهود على المشركين بعد لزهما في قرن واحد اشعار بتقدمهم عليهم في العداوة كما ان في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ولتجدنهم احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ايذانا بتقدمهم عليهم في الحرص ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا اعيد الموصول مع صلته وما لزيادة التوضيح والبيان الذين قالوا انا نصارى عبر عنهم بذلك اشعارا بقرب مودتهم حيث يدعون انهم انصار الله واوداء اهل الحق وان لم يظهروا اعتقاد حقية الاسلام وعلى هذه الكلمة مبنى الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم والكلام في مفعولي لتجدن وتعلق اللام كالذي سبق والعدول جعل ما فيه التفاوت ما بين الفريقين شيئا واحدا تفاوتا فيه بالشدة والضعف او القرب والبعد بان يقال اخر ولتجدن اضعفهم عداوة الى اخره وبان يقال او ولتجدن ابعد الناس مودة الى اخره للايذان بكمال تباين ما بين الفريقين من التفاوت ببيان ان احدهما في اقصى مراتب احد النقيضين والاخر في اقرب مراتب النقيض الاخر ذلك اي كونهم اقرب مودة للمؤمنين بان منهم اي بسبب ان منهم قسيسين وهم علماء النصارى وعبادهم ورؤساؤهم والقسيس صيغة مبالغة من تقسس الشيء اذا تتبعه وطلبه بالليل سموا به لمبالغتهم في تتبع العلم قاله الراغب وقيل القس بفتح القاف تتبع الشيء ومنه سمي عالم النصارى لتتبعه العلم وقيل قص الاثر وقسه بمعنى وقيل انه اعجمي قال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وقيل ضيعت النصارى الانجيل وما فيه وبقي منهم رجل يقال له قسيسا لم يبدل دينه فمن راعى هديه ودينه قيل له قسيس ورهبانا هو جمع راهب كركب وراكب وفرسان وفارس وقيل انه يطلق على الواحد وعلى الجمع وانشد فيه قول من قال ۰ لو عاينت رهبان دير في قلل ۰ لاقبل الرهبان يعدو ونزل ۰۰ والترهب التعبد في الصومعة قال الراغب الرهبانية الغلو في تحمل التعبد من فرط الخوف والتنكير لافادة الكثرة ولا بد من اعتبارها في القسيسين ايضا اذ هي التي تدل على مودة جنس النصارى للمؤمنين فان اتصاف افراد كثيرة لجنس بخصلة مظنة لاتصاف الجنس بها والا ففي اليهود ايضا قوم مهتدون الا ترى الى عبد الله بن سلام واضرابه قال تعالى من اهل الكتاب امة قائمة يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون الى اخره لكنهم لما لم يكونوا في الكثرة كالذين من النصارى لم يتعد حكمهم الى جنس اليهود وانهم لا يستكبرون عطف على ان منهم اي وبانهم لا يستكبرون من قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولا يتكبرون كاليهود وهذه الخصلة شاملة لجميع افراد الجنس فسببيتها لاقربيتهم مودة للمؤمنين واضحة وفيه دليل على ان التواضع والاقبال على العلم والعمل والاعراض عن الشهوات محمود وان كان ذلك من كافر واذا سمعوا ما انزل الى الرسول عطف على لا يستكبرون اي ذلك بسبب انهم لا يستكبرون وان اعينهم تفيض من الدمع عند سماع القران وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وعدم ابائهم اياه ترى اعينهم تفيض من الدمع اي تمتلئ بالدمع فاستعير له الفيض الذي هو الانصباب عن امتلاء مبالغة او جعلت اعينهم من فرط البكاء كانها تفيض بانفسها مما عرفوا من الحق من الاولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول اي ابتداء الفيض ونشاؤه من معرفة الحق وحصل من اجله وبسببه ويحتمل ان يكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق حيث ابكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوه كله وقرؤا القران واحاطوا بالسنة وقرئ ترى اعينهم على صيغة المبني للمفعول يقولون ربنا امنا استيناف مبني على سؤال نشأ من حكاية حالهم عند سماع القران كانه قيل ماذا يقولون فقيل يقولون ربنا امنا بهذا اي بمن انزل هذا عليه او بهما وقيل حال من الضمير المجرور في اعينهم لما ان المضاف جزؤه كما في قوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا فاكتبنا مع الشاهدين اي الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او مع امة محمد الذين هم شهداء على الامم يوم القيمة وانما قالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق كلام مستانف قالوه تحقيقا لايمانهم وتقريرا له بانكار سبب انتفائه ونفيه بالكلية على ان قوله لا نؤمن حال من الضمير في لنا والعامل ما فيه من الاستقرار اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفي الى السبب كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وامثاله فان همزة الاستفهام كما يكون تارة لانكار الواقع ونفيه فقط كما في الاية الثانية ۰ وقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء امر محقق وقد لانكاره ونفي سببه وقد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيسري الى المسبب ايضا كما في الاية الكريمة الاولى فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضا قطعا فان عدم العبادة امر مفروض حتما وقوله تعالى ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى من الضمير المذكور بتقدير مبتدا

والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيد بها اي اي شيء حصل لنا غير مؤمنين ونحن نطمع في صحبة الصالحين
او من الضمير في لا نؤمن على معنى انهم انكروا على انفسهم عدم ايمانهم مع انهم يطمعون في صحبة المؤمنين
فتقيل معطوف على نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين ترك الايمان وبين الطمع المذكورة فاثابهم الله بما
قالوا اي عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اي معتقده وقرئ فاتاهم الله جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين اي الذين احسنوا النظر والعمل او الذين اعتادوا الاحسان في الامور
والايات الاربع روي انها نزلت في النجاشي واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه
فقراه ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين معه واحضر القسيسين والرهبان فامر جعفر ان يقرا
عليهم القران فقرا سورة مريم فبكوا وامنوا بالقران والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم
عطف على التكذيب بايات الله تعالى على الكفر مع انه ضرب منه لما ان القصد الى بيان حال المكذبين
وذكرهم بمقابلة المصدقين بها جميعا بين الترغيب والترهيب يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل
الله لكم اي ما طاب ولذ منه كانه لما تضمن ما سلفت من مدح النصارى على الترهب ترغيب المؤمنين
في كسر النفس ورفض الشهوات عقب ذلك بالنهي عن الافراط في الباب اي لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم
او لا تقولوا حرمناها على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصف القيامة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في
بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا في الارض ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا
وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب عن
سنتي فليس مني ونزلت ولا تعتدوا اي ولا تتعدوا حدود ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا
في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن مطلق الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها
دخولا اوليا او لتأكده بعقبه ان الله لا يحب المعتدين تعليل لما قبله وكلوا
مما رزقكم الله حلالا طيبا اي ما حل لكم وطاب مما رزقكم الله فحلالا مفعول كلوا ومما رزقكم اما حال منه
تقدمت عليه لكونه نكرة او متعلق بكلوا ومن ابتدائية او هو المفعول وحلالا حال من الموصول او من عائده
المحذوف او صفة لمصدر محذوف اي اكلا حلالا وعلى الوجوه كلها لو لم يقع الرزق على الحرام لم يكن لذكر
الحلال فائدة زائدة واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون توكيد للوصية بما امر به فان الايمان به تعالى
موجب للمبالغة في التقوى والانتهاء عما نهى عنه لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي
لا يتعلق به حكم وهو عندنا ان يحلف على شيء يظن انه كذلك وليس كما يظن وهو قول مجاهد وقيل كانوا حلفوا
على تحريم الطيبات على ظن انه قربة فلما نزلت النهي قالوا كيف بايماننا فنزلت وعند الشافعي رحمه الله تعالى
ما يبدو من المرء من غير قصد كقوله لا والله وبلى والله وهو قول عائشة رضي الله تعالى عنها وفي ايمانكم
صلة يؤاخذكم او اللغو لانه مصدر او حال منه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان اي بتعقيدكم الايمان وتوثيقها
عليه بالقصد والنية والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتموها اذا حنثتم وبنكث ما عقدتم فحذف للعلم به
وقرئ بالتخفيف وقرئ عاقدتم بمعنى عقدتم فكفارته اي فكفارة نكثه وهي الفعلة التي من شانها ان
تكفر الخطيئة وتسترها واستدل بظاهره على جواز التكفير قبل الحنث وعندنا لا يجوز ذلك لقوله عليه
السلام من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير ثم ليكفر عن يمينه اطعام عشرة مساكين من
اوسط ما تطعمون اهليكم اي من اقصده في النوع او المقدار وهو نصف صاع من بر لكل مسكين ومحله
النصب لانه صفة مفعول محذوف تقديره ان تطعموا عشرة مساكين طعاما كائنا من اوسط ما تطعمون
او الرفع على انه بدل من اطعام واهلون جمع اهل كارضون جمع ارض وقرئ اهاليكم بسكون الياء على لغة
من يسكنها في الحالات الثلاث كالالف وهو ايضا جمع اهل كالاراضي جمع ارض والليالي في جمع ليل وقيل
جمع اهلاة او كسوتهم عطف على اطعام او على محل من اوسط على تقدير كونه بدلا من اطعام وهو ثوب
يغطي العورة وقيل ثوب جامع قميص ورداء وازار وقرئ بضم الكاف وهو لغة كقدوة في قدوة
واسوة في اسوة وقرئ او كاسوتهم على ان الكاف في محل الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى او كمثل
ما تطعمون اهليكم اسرافا او تقتيرا تواسون بينهم ان لم تطعموهم الاوسط او تحرير رقبة اي اعتاق انسان
كيف ما كان وشرط الشافعي رحمه الله تعالى فيه الايمان قياسا على كفارة القتل ومعنى او ايجاب احدى
الخصال مطلقا وخيار التعيين للمكلف فمن لم يجد اي شيئا من الامور المذكورة فصيام اي فكفارته صيام
ثلاثة ايام والتتابع شرط عندنا لقراءة ثلاثة ايام متتابعات والشافعي لا يرى الشواذ حجة ذلك اي التي

ذكر

ذكر كفارة ايمانكم اذا حلفتم وحنثتم واحفظوا ايمانكم بان تضنوا بها ولا تبذلوها كما يشعر به قوله
تعالى اذا حلفتم وقيل بان تبروا فيها ما استطعتم ولم يفت بها خير او بان تكفروها اذا حنثتم وقيل احفظوها
كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها كذلك اشارة الى مصدر الفعل الاتي لا الى تبيين اخر مفهوم مما سبق
والكاف مقحمة لتاكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة ومحله في الاصل النصب على انه نعت لمصدر
محذوف واصل التقدير يبين الله تبيينا كائنا مثل ذلك البيان فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت
الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار نفس المصدر لا نعتا له وقد مر تفصيله في قوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي ذلك البيان البديع يبين الله لكم اياته اعلام شريعته واحكامه لا بيانا ادنى منه
وتقديم لكم على المفعول لما مر مرارا لعلكم تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج يا ايها الذين امنوا
انما الخمر والميسر والانصاب اي الاصنام المنصوبة للعبادة والازلام مر تفسيرها في اوائل السورة
الكريمة رجس قذر تعاف عنه العقول وافراده لانه خبر للخمر وخبر المعطوفات محذوف ثقة بالمذكور
او المضاف محذوف اي شان الخمر والميسر الخ من عمل الشيطان في محل الرفع على انه صفة رجس اي
كائن من عمله لانه مسبب من تسويله وتزيينه فاجتنبوه اي الرجس او ما ذكر لعلكم تفلحون اي راجين فلاحكم
وقيل لكي تفلحوا بالاجتناب عنه وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون ولقد اكد تحريم
الخمر والميسر في هذه الاية الكريمة بفنون التاكيد حيث صدرت الجملة بانما وقرنا بالاصنام والازلام
وسميا رجسا من عمل الشيطان تنبيها على ان تعاطيهما شر بحت وامر بالاجتناب عن عينهما وجعل ذلك سببا
يرجى منه الفلاح فيكون ارتكابهما خيبة ومحقة ثم قرر ذلك ببيان ما فيهما من المفاسد الدنيوية والدينية
المقتضية للتحريم فقيل انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر وهو اشارة الى
مفاسدهما الدنيوية ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة اشارة الى مفاسدهما الدينية وتخصيصهما
باعادة الذكر وشرح ما فيهما من الوبال للتنبيه على ان المقصود بيان حالهما وذكر الاصنام والازلام للدلالة
على انهما مثلها في الحرمة والشرارة لقوله عليه السلام شارب الخمر كعابد الوثن وتخصيص الصلوة بالافراد
مع دخولها في الذكر للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان لما انها عماده ثم اعيد الحث
على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا على ما تقدم من اصناف الصوارف فهل انتم منتهون ايذانا بان الامر
في الزجر والتحذير وكشف ما فيهما من المفاسد والشرور قد بلغ الغاية وان الاعذار قد انقطعت بالكلية
واطيعوا الله واطيعوا الرسول عطف على اجتنبوه اي اطيعوهما في جميع ما امرا به ونهيا عنه واحذروا
اي مخالفتهما في ذلك فيدخل فيه مخالفة امرهما ونهيهما في الخمر والميسر دخولا اوليا فان توليتم اي اعرضتم
عن الامتثال بما امرتم به من الاجتناب عن الخمر والميسر وعن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه
وسلم والاحتراز عن مخالفتهما فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وخرج
عن عهدة الرسالة اي خروج وقامت عليكم الحجة وانتهت الاعذار وانقطعت العلل وما بقي بعد ذلك الا
العقاب وفيه من عظم التهديد وشدة الوعيد ما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى فاعلموا انكم لم تضروا
بتوليكم الرسول لانه ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وقد فعل وانما ضررتم انفسكم حين اعرضتم عما
كلفتموه فلا يساعده المقام اذ لا يتوهم منهم ادعاء انهم بتوليهم يضرونه صلى الله عليه وسلم حتى يرد عليهم
بانهم لا يضرونه عليه السلام وانما يضرون انفسهم ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح اي اثم
وحرج فيما طعموا اي تناولوا اكلا او شربا فان استعماله في الشرب ايضا مستفيض منه قوله تعالى ومن لم
يطعمه فانه مني قيل لما انزل الله تعالى تحريم الخمر بعد غزوة الاحزاب قال رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم اصيب فلان يوم بدر وفلان يوم احد وهم يشربونها ونحن نشهد انهم في الجنة وفي رواية اخرى لما
نزل تحريم الخمر والميسر قال الصحابة رضي الله تعالى عنهم يا رسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون
الخمر وياكلون مال الميسر وفي رواية اخرى قال ابو بكر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله كيف باخواننا
الذين ماتوا وقد شربوا الخمر وفعلوا القمار فنزلت وليست كلمة ما في طعموا عبارة عن المباحات
خاصة والا لزم تقييد اباحتها باتقاء ما عداها من المحرمات بقوله تعالى اذا ما اتقوا واللازم منتف بالضرورة
بل هي على عمومها موصولة كانت او موصوفة وانما تخصصت بذلك القيد الطارئ عليها والمعنى ليس عليهم
جناح فيما تناولوه من الماكول والمشروب كائنا ما كان اذا ما اتقوا ان يكون في ذلك شيء من المحرمات
والا لم يكن نفي الجناح في كل ما طعموه بل في بعضه ولا محذور فيه اذ اللازم منه تقييد اباحة الكل بان
لا يكون فيه محرم لا تقييد اباحة بعضه باتقاء بعض اخر منه كما هو اللازم من الاول وامنوا وعملوا الصالحات
اي واستمروا على الايمان والاعمال الصالحة وقوله تعالى ثم اتقوا عطف على اتقوا داخل معه في حيز الشرط
اي اتقوا ما حرم عليهم بعد ذلك مع كونه مباحا فيما سبق وامنوا اي بتحريمه وتحريم الاتقاء عليه اما له

للاعتنا به اولانه المذى يدل على التحريم الحادث الذى هو المؤمن به اولا واستمروا على الايمان به ثم اتقوا اى
ما حرم عليهم بعد ذلك مما كان مباحا من قبل على ان المشروط بالاتقا فى كل مرة اباحة كل ما طعموه فى ذلك
الوقت لا اباحة كل ما طعموه قبله لانتساخ اباحة بعضه حينئذ واحسنوا اى عملوا الاعمال الصالحة الحسنة
الجميلة المنتظمة لجميع ما ذكر من الاعمال القلبية والقالبية وليس تخصيص هذه المرة بالذكر لتخصيص الحكم
بها بل لبيان التعدد والتكرير بالغا ما بلغ والمعنى انهم اذا اتقوا المحرمات واستمروا على ما هم عليه من الايمان
والاعمال الصالحة وكانوا فى طاعة الله ومراعاة اوامره ونواهيه بحيث كلما حرم عليهم شىء من المباحات اتقوه
ثم وثم فلا جناح عليهم فيما طعموه فى كل مرة من المطاعم والمشارب اذ ليس فيها شىء محرم عند طعمه وانت خبير
بان ما عدا اتقاء المحرمات من الصفات المذكورة للجملة المذكورة لا دخل لها فى انتفاء الجناح وانما ذكرت
فى حيز اذا شهادة باتصاف الذين سئل عن حالهم بها ومدحا لهم بذلك وحمدا لاحوالهم وقد اشير الى
ذلك حيث جعلت تلك الصفات تبعا لاتقا فى كل مرة تمييزا بينها وبين ما له دخل فى الحكم فان مساق النظم
الكريم بطريق العبارة وان كان لبيان حال المتصفين بما ذكر من النعوت فيما سياتى بقضيته كلمة انما لكنه
اخرج مخرج جواب عن حال الماضين لاثبات الحكم فى حقهم فى ضمن التشريع الكلى على الوجه المبرهن بطريق
دلالة النص بناء على كمال اشتهارهم بالاتصاف بها فكانه قيل ليس عليهم جناح فيما طعموه اذ كانوا فى طاعته
تعالى مع ما لهم من الصفات الحميدة بحيث كلما امروا بشىء تلقوه بالامتثال وانما كانوا يتعاطون الخمر والميسر
فى حياتهم لعدم تحريمهما اذ ذاك ولو حرما فى عصرهم لاتقوهما بالمرة هذا وقد قيل التكرير باعتبار الاوقات
الثلثة او باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى بينه وبين نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله
عز وجل ولذلك جىء بالاحسان فى الكرة الثالثة بدل الايمان اشارة الى ما قاله صلى الله عليه وسلم فى تفسيره
او باعتبار المراتب الثلث المبدا والوسط والمنتهى او باعتبار ما يتقى فانه ينبغى ان يترك المحرمات توقيا من
العقاب والشبهات توقيا من الوقوع فى الحرام وبعض المباحات حفظا للنفس عن الخسة وتهذيبا لها عن دنس
الطبيعة وقيل المراد بالاول اتقاء الكفر وبالثانى اتقا الكبائر وبالثالث اتقاء الصغائر ولا ريب فى انه لا تعلق
لهذه الاعتبارات بالمقام فاحسن التامل والله يحب المحسنين تذييل مقرر لمضمون ما قبله ابلغ تقرير يا ايها
الذين امنوا ليبلونكم الله جواب قسم محذوف اى والله ليعاملنكم معاملة من يختبركم ليتعرف احوالكم
بشىء من الصيد اى من صيد البر ماكولا او غير ماكول ما عدا المستثنيات من الفواسق فاللام للعهد نزلت عام
الحديبية ابتلاهم بالصيد وهم محرمون كانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم بحيث كانوا متمكنين من صيدها اخذا
بايديهم وطعنا برماحهم وذلك قوله تعالى تناله ايديكم ورماحكم فهموا باخذها فنزلت وروى انه عن لهم
حمار وحشى فحمل عليه ابو اليسر بن عمرو فطعنه برمحه وقتله فقيل له قتلته وانت محرم فاتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وساله عن ذلك فانزل الله تعالى الاية قال التاكيد القسمى فى ليبلونكم انما هو لتحقيق ان ما
وقع من عدم توحش الصيد منهم ليس الا لابتلائهم لا لتحقيق وقوع المبتلى به كما لو كان النزول قبل الابتلاء وتنكير
شىء للتحقير المؤذن بان ذلك ليس من الفتن الهائلة التى تزل فيها اقدام الراسخين كالابتلاء بقتل الانفس واتلاف
الاموال وانما هو من قبيل ما ابتلى به اهل ايلة من صيد البحر وفائدته التنبيه على ان من لم يثبت فى مثل هذا كيف
يثبت عند شدائد المحن فمن فى قوله تعالى من الصيد بيانية قطعا اى بشىء حقير هو الصيد وجعلها
تبعيضية يقتضى اعتبار قلته وحقارته بالنسبة الى كل الصيد لا بالنسبة الى عظائم البلايا فيعرى الكلام
عن التنبيه المذكور ليعلم الله من يخافه بالغيب اى ليتميز الخائف من عقابه الاخروى وهو غائب مترقب
لقوة ايمانه فلا يتعرض للصيد ممن لا يخافه لذلك لضعف ايمانه فيقدم عليه وانما عبر عن ذلك بعلم
الله تعالى اللازم له ايذانا بمدار الجزاء ثوابا وعقابا فانه ادخل فى حملهم على الخوف وقيل المعنى ليتعلق علمه
بمن يخافه بالفعل فان علمه تعالى بانه سيخافه وان كان متعلقا به قبل خوفه لكن تعلقه بانه خائف بالفعل
وهو الذى يدور عليه امر الجزاء انما يكون عند تحقق الخوف بالفعل وقيل هناك مضاف محذوف والتقدير
ليعلم اولياء الله وقرئ ليعلم من الاعلام على حذف المفعول الاول اى ليعلم الله عباده الى اخره والعلم
على القرائتين متعد الى واحد واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة فمن
اعتدى بعد ذلك اى بعد بيان ان ما وقع ابتلاء من جهته تعالى لما ذكر من الحكمة لا بعد تحريمه او النهى
عنه كما قاله بعضهم اذ النهى والتحريم ليس امرا حادثا يترتب عليه الشرطية بالفاء ولا بعد الابتلاء كما اختاره
الاخرون لان نفس الابتلاء لا يصلح مدارا للتشديد العذاب بل ربما يتوهم كونه عذرا مسوغا للتخفيف
وانما الموجب للتشديد بيان كونه ابتلاء لان الاعتداء بعد ذلك مكابرة صريحة وعدم مبالاة بتدبير
الله تعالى وخروج عن طاعته وانخلاع عن خوفه وخشيته بالكلية اى فمن تعرض للصيد بعد ما بينا ان
ما وقع من كثرة الصيد وعدم توحشه منهم مؤد الى تمييز المطيع من العاصى فله عذاب اليم لما ذكر

وقيل التكرير لمجرد التاكيد كما فى قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون ونظائره
ص

من

من انه مكابرة محضة ولان من لا يملك زمام نفسه ولا يراعى حكم الله تعالى فى امثال هذه البلايا الهينة
لا يكاد يراعيه فى عظائم المداحض والمراد بالعذاب الاليم عذاب الدارين قال ابن عباس رضى الله عنهما يوسع
ظهره وباطنه جلدا وينزع ثيابه يا ايها الذين امنوا شروع فى بيان ما يتدارك به الاعتداء من الاحكام
اثر بيان ما يلحقه من العذاب والتصريح بالنهى فى قوله تعالى لا تقتلوا الصيد وانتم حرم مع كونه معلوما
لا سيما فى قوله تعالى غير محل الصيد وانتم حرم لتاكيد الحرمة وترتيب ما يعقبه عليه واللام فى الصيد
للعهد حسبما سلف وحرم جمع حرام وهو المحرم وان كان فى الحل وفى حكمه من فى الحرم وان كان حلالا كردح جمع
رداح والجملة حال من فاعل لا تقتلوا اى لا تقتلوه وانتم محرمون ومن قتله اى الصيد المعهود وذكر القتل
فى الموضعين دون الذبح للايذان بكونه فى حكم الميتة منكم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل قتله
اى كائنا منكم متعمدا حال منه ايضا اى ذاكرا لاحرامه عالما بحرمة قتل ما يقتله والتقييد بالتعمد مع ان
محظورات الاحرام يستوى فيها العمد والخطا لما ان الاية نزلت فى المتعمد كما مر من قصة ابى اليسر ولان
الاصل فعل التعمد والخطا لاحق به للتغليظ وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا وعن
سعيد بن جبير رضى الله تعالى عنه لا ارى فى الخطا شيئا اخذا باشتراط التعمد فى الاية وهو قول داود وعن
مجاهد والحسن ان المراد بالتعمد هو تعمد القتل مع نسيان الاحرام اما اذا قتله عمدا وهو ذاكر لاحرامه
فلا حكم عليه وامره الى الله عز وجل لانه اعظم من ان يكون له كفارة فجزاء مثل ما قتل برفعهما اى فعليه
جزاء مماثل لما قتله وقرئ برفع الاول ونصب الثانى على اعمال المصدر وقرئ بجر الثانى على اضافته الى
مفعوله وقرئ فجزاؤه مثل ما قتل على الابتداء والخبرية وقرئ بنصبهما على فليجز جزاء اى فعليه ان يجزى جزاء
مثل ما قتل والمراد عند ابى حنيفة وابى يوسف المثل باعتبار القيمة يقوم الصيد حيث صيد او فى اقرب
الاماكن اليه فان بلغت قيمته قيمة هدى يخير الجانى بين ان يشترى بها ما قيمته قيمة الصيد فيهديه الى الحرم
وبين ان يشترى بها طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وبين ان يصوم عن طعام كل مسكين يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين تصدق به او صام عنه يوما
كاملا اذ لم يعهد فى الشرع صوم ما دونه فيكون قوله تعالى من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة على احد
وجوه التخيير فان من فعل ذلك يصدق عليه انه جزى بمثل ما قتل من النعم وعند مالك والشافعى رحمه الله
تعالى ومن يرى رايهما هو المثل باعتبار الخلقة والهيئة ولان الله تعالى اوجب مثل المقتول مقيدا بالنعم
فمن اعتبر المثل بالقيمة فقد خالف النص وعن الصحابة رضى الله تعالى عنهم انهم اوجبوا فى النعامة بدنة
وفى الظبى شاة وفى حمار الوحش بقرة وفى الارنب عناقا وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الضبع
صيد وفيه شاة اذا قتله المحرم ولنا ان النص اوجب المثل والمثل المطلق فى الكتاب والسنة
والاجماع الامة والمعقول يراد به اما المثل صورة ومعنى واما المثل صورة بلا معنى واما المثل معنى فلا
اعتبار له فى الشرع اصلا واذا لم يمكن ارادة الاول اجماعا تعينت ارادة الثانى لكونه معهودا فى الشرع
كما فى حقوق العباد الا يرى ان المماثلة بين افراد نوع واحد مع كونها فى غاية القوة والظهور لم يعتبرها
الشرع ولم يجعل الحيوان عند الاطلاق مضمونا بفرد اخر من نوعه مماثل له فى عامة الاوصاف بل مضمونا
بقيمته مع ان المنصوص عليه فى امثاله انما هو المثل قال تعالى فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
فحيث لم يعتبر تلك المماثلة القوية مع تيسر معرفتها وسهولة مراعاتها فلان لا يعتبر ما بين افراد
انواع مختلفة المماثلة الضعيفة الخفية مع صعوبة ماخذها وتعسر المحافظة عليها اولى واحرى ولان
القيمة قد اريدت فيما لا نظير له اجماعا فلم يبق غيره مرادا اذ لا عموم للمشترك فى مواقع الاثبات
والمراد بالمروى ايجاب النظير باعتبار القيمة لا باعتبار العين ثم الموجب الاصلى للجناية والجزاء المماثل
للمقتول انما هو قيمته لا باعتبار ان يهدى للجانى اليها فيصرفها الى المصارف ابتداء بل باعتبار ان يجعلها
معيارا فيقدر بها احدى الخصال الثلث فيقيمها مقامها فقوله تعالى مثل ما قتل وصف لازم للجزاء غير
مفارق عنه بحال واما قوله تعالى من النعم فوصف له معتبر فى ثانى الحال بناء على وصفه الاول الذى هو
المعيار له ولما بعده من الطعام والصيام فحقهما ان يعطفا على الوصف المفارق لا على الوصف اللازم
فضلا عن العطف على الموصوف كما سياتى بإذن الله تعالى وذا يشهد لك بان المراد بالمثل هو القيمة وقوله
عز وجل يحكم به اى بمثل ما قتل ذوا عدل منكم اى حكمان عادلان من المسلمين لكن لا لان التقويم هو الذى
يحتاج الى النظر والاجتهاد من العدول دون الاشياء المشاهدة التى يستوى فى معرفتها كل واحد من الناس
فان ذلك ناشئ من الغفلة عما ارادوا بما به المماثلة بل لان ما جعلوه مدار المماثلة بين الصيد وبين
النعم من ضرب مشاكلة وتضاهاة فى بعض الاوصاف والهيئات مع تحقق التباين بينهما فى بقية الاحوال
مما لا يهتدى اليه من اساطين ائمة الاجتهاد وصناديد اهل الهداية والارشاد الى المؤيدون بالقوة
القدسية الا يرى ان الامام الشافعى اوجب فى قتل الحمامة شاة بناء على ما اثبت بينهما من المماثلة من حيث

ان كلا منهما تعب وتهدد مع ان النسبة بينهما من ساير الحيثيات كما بين العنب والنوق فكيف يفوض معرفة
امثال هذه الدقايق الغويصة اليهما اي عدلين من احاد الناس على ان الحكم هذا المعنى انما يتعلق بالانواع الى الاشخاص
فنقول معناه بمقابلة كل نوع من انواع الصيد نوع من انواع النعم يتم الحكم ولا يبقى عند وقوع خصوصيات الحوادث
حاجة الى حكم اصلا وقرئ يحكم به دون عدل على ارادة الجنس العادل دون الوحدة وقيل بل على ارادة الامام
والجملة صفة لجزاء او حال منه لتخصصه بالصفة او بدل في مثل فيمن نصبه او في محله فيمن جره او نصب
على المصدر اي يهديه هديا والجملة صفة اخرى لجزاء بالغ الكعبة صفة لهديا لان الاضافة غير حقيقية
او كفارة عطفا على محل من النعم على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة صفة ثانية لجزاء كما اشير اليه وقوله
تعالى طعام مساكين عطف بيان لكفارة عند من لا يخصصه بالمعارف او بدل منه او خبر مبتدأ محذوف
اي هي طعام مساكين وقوله تعالى او عدل ذلك صياما عطف على طعام الى اخره كانه قيل فعليه جزاء مماثل
للمقتول من النعم او طعام مساكين او صيام ايام بعددهم فحينئذ يكون المماثلة وصفا لازما للجزاء يقدر به
الهدي والطعام والصيام اما الاولان فبلا واسطة واما الثالث فبواسطة الثاني فيختار الجاني كلا منهما بدلا
من الاخرين هذا وقد قيل ان قوله تعالى او كفارة عطف على جزاء فلا يبقى في النظم الكريم ما يقدر به الطعام
والصيام فلا يلتجأ الى القياس على الهدي بتعسف لا يخفى هذا على قراءة جزاء بالرفع وعلى ساير القراءات
فقوله تعالى او كفارة خبر مبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هو من النعم وقرئ او كفارة طعام مساكين
بالاضافة لتبيين نوع الكفارة وقرئ طعام مسكين على ان التبيين يحصل بالواحد الدال على الجنس وقرئ او
عدل بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عدل له من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل
به في المقدار كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول وذلك اشارة الى الطعام ومن اما تمييز
للعدل والخيار في ذلك للجاني عند ابي يوسف وابي حنيفة وللحكمين عند محمد رحمهم الله تعالى ليذوق
وبال امره متعلق بالاستقرار في الجار والمجرور اي فعليه جزاء ليذوق الى اخره وقيل بفعل يدل عليه الكلام
كانه قيل شرع ذلك عليه ليذوق وبال امره اي سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام والوبال في الاصل المكروه
والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله منه قوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ومنه الطعام الوبيل
وهو الذي لا تستمرئه المعدة عفا الله عما سلف من قتل الصيد محرما قبل ان يسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل عما سلف منه في الجاهلية لانهم كانوا متعبدين بشرايع من قبلهم كان الصيد فيها محرما ومن عاد الى قتل
الصيد بعد النهي عنه وهو محرم فينتقم الله منه خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو ينتقم الله منه ولذلك
دخلت الفاء كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا اي فذلك لا يخاف الى الحق وقوله تعالى ومن
كفر فامتعه اي فانا امتعه والمراد بالانتقام التعذيب في الاخرة واما الكفارة فعن عطاء وابراهيم وسعيد بن
جبير والحسن انها واجبة على العايد وعن ابن عباس رضي الله عنهما وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر
والله عزيز غالب لا يغالب ذو انتقام شديد فينتقم ممن اصر على المعصية والاعتداء احل لكم الخطاب للمؤمنين
صيد البحر اي ما يصاد في المياه كلها بحرا كان او نهرا او غديرا وهو ما لا يعيش الا في الماء ماكولا كان او غير ماكول
وطعامه اي وما يطعم من صيده وهو تخصيص بعد تعميم والمعنى احل لكم التعرض لجميع ما يصاد في المياه
والانتفاع به واكل ما يوكل منه وهو السمك عند نا وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الاية عنده احل لكم
صيد حيوان البحر وان تطعموه وقرئ وطعمه وقيل صيد البحر ما صيد فيه وطعامه ما قذفه او نضب عنه
متاعا لكم نصب على انه مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة في قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة حال مختص بيعقوب عليه السلام اي احل لكم طعامه تمتيعا للمقيمين منكم ياكلونه طريا وللسيارة
منكم يتزودونه قديدا وقيل نصب على انه مصدر موكد لفعل مقدر اي متعكم به متاعا وقيل موكد لمعنى
احل لكم فانه في قوة متعكم به تمتعا كقوله تعالى كتاب الله عليكم وحرم عليكم صيد البر وقرئ على بناء الفعل
للفاعل ونصب صيد البر وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء ما دمتم حرما
اي محرمين وقرئ بكسر الدال من دام يدام وظاهره يوجب حرمة ما صاده الحلال على المحرم وان لم يكن له
فيه مدخل وهو قول عمر وابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انه
يحل له اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يشر اليه ولم يدل عليه وكذا ما ذبحه قبل احرامه
وهو مذهب ابي حنيفة لان الخطاب للمحرمين فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم
وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم الله تعالى لا يباح ما صيد له واتقوا الله فيما نهاكم عنه او في جميع
المعاصي التي من جملتها ذلك الذي اليه تحشرون لا الى غيره حتى يتوهم الخلاص من اخذه تعالى بالالتجاء اليه
جعل الله الكعبة قال مجاهد سميت كعبة لكونها مكعبة مربعة وقيل لانفرادها من البناء وقيل
لارتفاعها من الارض ونتوها وقوله تعالى البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح دون التوضيح كما يجيء الصفة

لذلك

لذلك وقيل مفعول ثان لجعل وقوله تعالى قياما للناس نصب على الحال ويرده عطف على ما بعده على
المفعول الاول كما سيجيء بل هذا هو المفعول الثاني وقيل الجعل بمعنى الانشاء والخلق وهو الحال كما مر ومعنى
كونه قياما لهم انه مدار لقيام امر دينهم ودنياهم اذ هو سبب لانتعاشهم في امور معاشهم ومعادهم
يلوذ به الخايف ويامن فيه الضعيف ويربح فيه التجارة ويتوجه اليه الحجاج والعمار وقرئ
قيما على انه مصدر على وزن شبع اعل عينه بما اعل في فعله والشهر الحرام اي الذي يودي فيه الحج
وهو ذو الحجة وقيل جنس الشهر الحرام وهو وما بعده عطف على الكعبة فالمفعول الثاني محذوف ثقة
بما مر اي وجعل الشهر الحرام والهدي والقلائد ايضا قياما لهم والمراد بالقلائد ذوات القلائد
وهي البدن خصت بالذكر لان الثواب فيها اكثر وبهاء الحج فيها اظهر ذلك اشارة الى الجعل المذكور خاصة
او مع ما ذكر من الاحكام بحفظ حرمة الاحرام وغيره ومحله النصب بفعل مقدر يدل عليه السياق وهو
العامل في اللام بعده اي شرع ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فان تشريع هذه
الشرايع المستتبعة لدفع المضار الدينية والدنيوية قبل وقوعها وجلب المنافع الاولية والاخروية
من اوضح الدلايل على حكمة الشارع وعدم خروج شيء من علمه المحيط وقوله تعالى وان الله بكل شيء عليم
تعميم اثر تخصيص للتاكيد ويجوز ان يراد بما في السموات والارض الاعيان الموجودة فيهما وبكل شيء الامور
المتعلقة بتلك الموجودات من العوارض والاحوال التي هي من قبيل المعاني اعلموا ان الله شديد العقاب
وعيد لمن انتهك محارمه واصر على ذلك وقوله تعالى وان الله غفور رحيم وعد لمن حافظ على مراعات
حرماته وقوله تعالى او اقلع عن الانتهاك بعد تعاطيه ووجه تقديم الوعيد ظاهر ما على الرسول الا البلاغ
تشديد في ايجاب القيام بما امر به اي الرسول قد اتى بما وجب عليه من التبليغ بما لا مزيد عليه وقامت
عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم من بعد في التفريط والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فيؤاخذكم
بذلك نقيرا وقطميرا قل لا يستوي الخبيث والطيب حكم عام في نفي المساواة عند الله تعالى بين الردي
من الاشخاص والاعمال والاموال وبين جيدها قصد به الترغيب في جيد كل منهما والتحذير عن رديه وان
كان سبب النزول شريح بن ضبعة البكري الذي مرت قصته في تفسير قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحلوا
شعاير الله الى اخره وقيل نزلت في رجل سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الخمر كانت تجارتي واني اعتقدت
من بيعها مالا فهل ينفعني من ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان
انفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل جناح بعوضة ان الله لا يقبل الا الطيب وقال عطاء والحسن رحمهما
الله تعالى الخبيث والطيب الحرام والحلال وتقديم الخبيث في الذكر للاشعار من اول الامر بان
القصور الذي ينبئ عنه عدم الاستواء فيه لا في مقابله فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين
زيادة ونقصا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزايد لكن المتبادر باعتباره بحسب قصور القاصر كما في قوله تعالى هل يستوي الاعمى والبصير
الى غير ذلك واما قوله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان
صلته ملكة لصلة المفضول ولو اعجبك كثرة الخبيث اي وان سرتك كثرته والخطاب لكل واحد من الذين
امر النبي صلى الله عليه وسلم بخطابهم والواو لعطف الشرطية على مثلها المقدر وقيل للحال وقد مر اي
لو لم يعجبك كثرة الخبيث ولو اعجبك وكلتاهما في موقع الحال من فاعل لا يستوي اي لا يستويان كاينين على كل
حال مفروض كما في قولك احسن الى فلان وان اساء اليك اي احسن اليه ان لم يسئ اليك وان اساء اليك
اي كاينا على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة واضحة فان
الشيء اذا تحقق مع المعارض فلان يتحقق بدونه اولى وعلى هذا السر يدور على ما في لو وان الوصليتين
من المبالغة والتاكيد وجواب لو محذوف في الجملتين لدلالة ما قبلهما وسياق النظم الكريم عليه في مواقع عديدة
باذن الله تعالى فاتقوا الله يا اولي الالباب اي في تحري الخبيث وان كثر واثروا عليه الطيب وان قل فان
مدار الاعتبار هو الجودة والرداءة لا الكثرة والقلة فالمحمود القليل خير من المذموم الكثير بل كلما
كثر الخبيث كان اخبث لعلكم تفلحون راجين ان تنالوا الفلاح يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء هو
اسم جمع على راي الخليل وسيبويه وجمهور البصريين كطرفا وقصبا اصله شيئا بهمزتين بينهما الف فقلبت
الكلمة بتقديم لامها على فايها فصار وزنها لفعاء ومنعت الصرف لالف التانيث الممدودة وقيل هو جمع شيء
على انه مخفف من شيء كهين مخفف من هين والاصل اشياء كاهوناء بزنة افعلاء فاجتمعت همزتان لام الكلمة
والتي للتانيث اذ الالف كالهمزة فخففت الكلمة بان قلبت الهمزة الاولى ياء لانكسار ما قبلها فصارت اشيياء
فاجتمعت ياءان اولهما عين الكلمة فحذفت تخفيفا فصارت اشياء ووزنها افلاء ومنعت الصرف لالف التانيث
وقيل انما حذفت لام اشياء الياء المنقلبة من الهمزة التي هي لام الكلمة وفتحت الياء المكسورة لتسلم الالف الجمع
فوزنها افعاء وقوله تعالى ان تبد لكم تسؤكم صفة اشياء داعية الى الامتناع عن السؤال عنها وحيث كان

المساواة في هذه الشرطية معلقة بابدائها لا بالسؤال عنها عقبت بشرطية اخرى ناطقة باستلزام السؤال
عنها لابدائها الموجب للمحذور قطعا وان تسألوا عنها حين ينزل القران تبد لكم اي تلك الاشيا الموجبة
للمساءة بالوحي كما ينبئ عنه تقييد السؤال بحين التنزيل والمراد بها ما يشق عليهم ويعمهم من التكاليف الصعبة
التي لا يطيقون بها والاسرار الخفية التي يفتضحون بظهورها ونحو ذلك مما لا خير فيه فكما ان السؤال عن الامور
الواقعة مستتبع لابدائها كذلك السؤال عن تلك التكاليف مستتبع لايجابها عليهم بطريق التشديد لاساءتهم
الادب واجترائهم على المسألة والمراجعة وتجاوزهم عما يليق بشأنهم من الاستسلام لامر الله تعالى من غير
بحث فيه ولا تعرض لكيفيته وكميته اي لا تكثروا مسألة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما لا يعنيكم من نحو
تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها حسبما اوحي اليه لم تطيقوا بها ونحو بعض امور مستورة
تكرهون بروزها وذلك مثل ما روي عن علي كرم الله وجهه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله تعالى كتب الحج فقام رجل من بني اسد يقال له عكاشة بن محصن
وقيل هو سراقة بن مالك فقال افي كل عام يا رسول الله فاعرض عنه حتى اعاد مسألته ثلث مرات فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم
ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا
امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ومثل ما روي عن انس وابي هريرة رضي
الله تعالى عنهما انه سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء حتى احفوه في المسألة فقام عليه
السلام مغضبا خطيبا فحمد الله تعالى واثنى عليه وقال سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء ما دمت في
مقامي هذا الا بينته لكم فاشفق اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون بين يدي امر قد حضر قال انس
رضي الله عنه فجعلت التفت يمينا وشمالا فلا اجد رجلا الا وهو لاف راسه في ثوبه يبكي فقام رجل من
قريش من بني سهم يقال له عبد الله بن حذافة بن قيس السهمي وقام آخر وقال ابن ابي قال عليه السلام في
النار ثم قام عمر رضي الله تعالى عنه فقال رضينا بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه
السلام رسولا ونبيا نعوذ بالله تعالى من الفتن انا حديثو عهد بجاهلية وشرك فاعف عنا يا رسول الله
فسكن غضبه صلى الله عليه وسلم عفا الله عنها استئناف مسوق لبيان ان نهيهم عنها لم يكن لمجرد صيانتهم
عن المساءة بل لانها في نفسها معصية مستتبعة للمؤاخذة وقد عفي عنها وفيه من حثهم على الجد في الانتهاء عنها
ما لا يخفى وضمير المسألة المدلول عليها بلا تسألوا اي عفا الله تعالى عن مسألتكم السالفة حيث لم يفرض عليكم
الحج في كل عام جزاء بمسألتكم وتجاوز عن عقوبتكم الاخروية لسائر مسائلكم فلا تعودوا الى مثلها واما جعله
صفة اخرى لاشيا على ان الضمير لها بمعنى لا تسألوا عن اشيا عفا الله عنها ولم يكلفكم اياها فمما لا سبيل
اليه اصلا لاقتضائه ان يكون الحج قد فرض اولا في كل عام ثم نسخ بطريق العفو وان يكون ذلك معلوما
للمخاطبين ضرورة ان حق الوصف ان يكون معلوم الثبوت للموصوف عند المخاطب قبل جعله وصفا له وكلاهما
ضروري الانتفا قطعا على انه يستدعي اختصاص النهي بمسألة الحج ونحوها ان سلم وقوعها مع ان النظم
الكريم صريح في انه مسوق للنهي عن السؤال عن الاشيا التي يسوؤهم ابداؤها سواء كانت من قبيل الاحكام
والتكاليف الموجبة لمساءتهم بانشائها وايجابها بسبب السؤال عقوبة وتشديدا كمسألة الحج لولا عفوه تعالى
عنها او من قبيل الامور الواقعة قبل السؤال الموجبة لمساءة السائل بل هي محتملة لايجاب المسرة ايضا لان
ايجابها الاولى ان كان من حيث وجودها فهي من حيث عدمها موجبة للثانية قطعا وليست احدى الحيثيتين
محققة عند السائل وانما غرضه من السؤال ظهورها كيف كانت بل ظهورها بحيثية ايجابها المسرة فلم
عبر عنها بحيثية ايجابها المساءة قلت لتحقيق النهي عنه كما ستعرفه مع ما فيه من تأكيد النهي وتشديده لان
تلك الحيثية هي الموجبة للانتهاء واما قولها لا بحيثية ايجابها المسرة ولا بحيثية ترددها بين ان قيل
ان الشرطية الناطقة بان السؤال عن تلك الاشيا الموجبة للمساءة موجبة مستلزم لابدائها البتة كما هو
فلم يتخلف الابداء عن السؤال في مسألة الحج حيث لم يفرض في كل عام قلنا الوقوع بالسؤال قبل ورود النهي
وما ذكر في الشرطية انما هو السؤال الواقع بعد وروده اذ هو الموجب للتغليظ والتشديد ولا تخلف
فيه ان قيل ما ذكرته انما يتمشى فيما اذا كان السؤال عن الامور المترددة بين الوقوع وعدمه كما ذكرنا من
التكاليف الشاقة واما اذا كان عن الامور الواقعة قبله فلا يكاد يتسنى لان ما يتعلق به الابدا هو الذي
وقع في نفس الامر ولا مرد له سوا كان السؤال قبل النهي او بعده وقد يكون الواقع ما يوجب المسرة كما في
مسألة عبد الله بن حذافة فيكون هو الذي يتعلق به الابدا لا غيره فيتعين التخلف حتما قلنا لا احتمال
للتخلف فضلا عن التعيين فان المنهي عنه في الحقيقة انما هو السؤال عن الاشيا الموجبة للمساءة الواقعة في
نفس الامر قبل السؤال كسؤال من قال اين ابي لا عما يعمها وغيرها مما ليس بواقع لكنه محتمل الوقوع عند

المكلفين

المكلفين حتى يلزم التخلف في صورة عدم الوقوع وجملة ان مدلول النظم الكريم بطريق العبارة انما هو النهي
عن السؤال عن الاشيا التي توجب ابداؤها المساءة البتة اما بان تكون تلك الاشيا بعرضية الوقوع فتبدى
عند السؤال بطريق الانشاء عقوبة وتشديدا كما في صورة كونها من قبيل التكاليف الشاقة واما بان تكون
واقعة في نفس الامر كالسؤال فتبدى عنده بطريق الاخبار بها فالتخلف ممتنع في الصورتين معا ومنشاء
توهمه عدم الفرق بين المنهي عنه وبين غيره بناء على عدم امتياز ما هو موجود وبعرضية الوجود من تلك
الاشيا في نفس الامر عما ليس كذلك عند المكلفين وملاحظتهم الكل باحتمال الوجود والعدم وفائدة
هذا الابهام الانتهاء عن السؤال عن تلك الاشيا على الاطلاق حذارا من ابداء المكروه والله غفور حليم اعتراض
تذييل مقرر لعفوه تعالى اي مبالغ في مغفرة الذنوب والاغضاء عن المعاصي ولذلك عفا عنكم ولم يؤاخذكم
بعقوبة ما فرط منكم قد سألها قوم اي سأل هذه المسألة لكن لا عينها بل مثلها في كونها محظورة ومستتبعة
للوبال وعدم التصريح بالمثل للمبالغة في التحذير من قبلكم متعلق بسألها ثم اصبحوا بها اي بسببها او بمرجعها
كافرين فان بني اسرائيل كانوا يستفتون انبياءهم في اشياء فاذا امروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة
ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وابطال لما ابتدعه اهل الجاهلية حيث كانوا اذا انتجت الناقة خمسة ابطن
آخرها ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ودرها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان الرجل يقول اذا قدمت
من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل يقول اذا
اعتق عبدا يقول هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا
فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا انتجت من صلب
الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى ومعنى ما جعل ما
شرع وما وضع ولذلك عدي الى مفعول واحد هو بحيرة وما عطف عليها ومن مزيدة لتأكيد النفي فان
الجعل التكويني كما يجيء تارة متعديا الى مفعولين واخرى الى واحد كذلك الجعل التشريعي يجيء مرة متعديا
الى مفعولين كما في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس واخرى الى واحد كما في الآية
الكريمة ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب حيث يفعلون ما يفعلون ويقولون الله امرنا بهذا وامامهم
عمرو بن لحي فانه اول من فعل هذه الافاعيل الباطلة هذا شان رؤسائهم وكبارهم واكثرهم وهم اراذلهم الذين
يتبعونهم من معاصري رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يشهد به سياق النظم الكريم لا يعقلون انه افترا
باطل حتى يخالفوهم ويهتدوا الى الحق بانفسهم فيبقون في اسر التقليد وهذا بيان لقصور عقولهم وعجزهم عن
الاهتداء بانفسهم وقوله عز وجل واذا قيل لهم اي للذين عبر عنهم باكثرهم على سبيل الهداية والارشاد
تعالوا الى ما انزل الله من الكتاب المبين للحلال والحرام والى الرسول الذي انزل هو عليه لتقفوا على حقيقة
الحال وتميزوا الحرام من الحلال قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا بيان لعنادهم واستعصائهم على الهادي
الى الحق وانقيادهم الى الداعي الى الضلال اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون قيل الواو للحال دخلت
عليها الهمزة للانكار والتعجب اي احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم جهلة ضالين وقيل للعطف على شرطية
اخرى مقدرة قبلها وهو الاظهر والتقدير احسبهم ذلك او ايقولون هذا القول لو لم يكن اباؤهم لا
يعلمون شيئا من الدين ولا يهتدون للصواب ولو كانوا لا يعلمون الى آخره وكلتاهما في موقع الحال اي احسبهم
ما وجدوا عليه اباءهم كائنين على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة
الثانية عليها دلالة واضحة كيف لا وان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى كما في
قولك احسن الى فلان وان ساء اليك اي احسن اليه وان لم يسئ اليك وان اساء اي احسن اليه كائنا
على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى لدلالة الثانية عليها دلالة ظاهرة اذ الاحسان حيث امر به عند
المانع فلان يؤمر به عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور ما في ان ولو الوصليتين من المبالغة والتأكيد
وجواب لو محذوف لدلالة ما سبق عليه اي ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون حسبهم ذلك او يقولون
وما في لو من معنى الامتناع والاستبعاد انما هو بالنظر الى زعمهم لا الى نفس الامر وفائدته المبالغة في
الانكار والتعجيب ببيان ان ما قالوه موجب للانكار والتعجب اذا كان كون اباءهم جهلة ضالين في حيز الاحتمال
البعيد فكيف اذا كان ذلك واقعا لا ريب فيه وقيل مال الوجهين واحد لان الجملة المقدرة حال فكذا ما
عطف عليها وانت خبير بان الحال على الوجه الاخير مجموع الجملتين لا الاخيرة فقط وان الواو للعطف لا
للحال وقد مر التحقيق في قوله تعالى ولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون فتدبر يا ايها الذين امنوا
عليكم انفسكم اي الزموا امر انفسكم واصلاحها وقرئ بالرفع على الابتداء اي واجبة عليكم انفسكم وقوله
عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم اما مجزوم على انه جواب للامر او نهي مؤكد له وانما ضمت الراء اتباعا
لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة اذ الاصل لا يضرركم ويؤيده القراءة بفتح الراء وقراءة من قرأ

لا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره واما مرفوع على انه كلام مستانف في موقع التعليل
لما قبله ويعضده قراءة من قرأ لا يضيركم اى لا يضركم ضلال من ضل اذا كنتم مهتدين ولا يتوهموا ان فيه
رخصة في ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مع استطاعتهما كيف لا ومن جملة الاهتداء ان ينكر على المنكر
حسبما تفي به الطاقة قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فاستطاع ان يغيره فليغيره بيده فان لم
يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وقد روى ان الصديق رضي الله تعالى عنه قال يوما على المنبر
يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ولا تدرون ما هي وانى سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا رأوا منكرا فلم يغيروه عمهم الله بعقاب فأمروا بالمعروف
وانهوا عن المنكر ولا تغتروا بقول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا الى آخره فيقول احدكم على نفسي والله
لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليستعملن عليكم شراركم فليسومونكم سوء العذاب ثم ليدعن خياركم
فلا يستجاب لهم وعنهم صلى الله عليه وسلم ما من قوم عمل فيهم منكر او سن فيهم قبيح فلم يغيروه ولم
ينكروه الا وحق على الله ان يعمهم بالعقوبة جميعا ثم لا يستجاب لهم والآية نزلت لما كان المؤمنون يتحسرون على
الكفرة وكانوا يتمنون ايمانهم وهم من الضلال بحيث لا يكادون يرعوون عنه بالامر والنهي وقيل كان الرجل
اذا اسلم لاموه وقالوا له سفهت آباءك وضللتهم اى نسبتهم الى السفاهة والضلال فنزلت تسلية له بان
ضلال آبائه لا يضره ولا يشينه الى الله لا الى احد سواه مرجعكم رجوعكم يوم القيامة جميعا بحيث لا
يتخلف عنه احد من المهتدين وغيرهم فينبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا من الاعمال الهداية والضلال
فهو وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على ان احدا لا يؤاخذ بعمل غيره يا ايها الذين آمنوا استئناف مسوق
لبيان الاحكام المتعلقة بامور دنياهم اثر بيان الاحوال المتعلقة بامور دينهم وتصديره بحرف النداء
والتنبيه لاظهار كمال العناية بمضمونه وقوله عز وجل شهادة بينكم بالرفع والاضافة الى الظرف توسعا
اما باعتبار جريانها بينهم او باعتبار تعلقها بما يجري بينهم من الخصومات مبتدأ وقوله تعالى اذا حضر احدكم
الموت اى شارفه وظهرت علاماته ظرف لها وتقديم المفعول لافادة كمال تمكن الفاعل عند النفس وقت
وروده عليها فانه ادخل في تهويل امر الموت وقوله تعالى حين الوصية بدل منه لا ظرف للموت كما توهم
ولا لحضوره كما قيل فان في الابدال تنبيها على ان الوصية من المهمات المقررة التي لا ينبغي ان يتهاون فيها المسلم ويذهل
عنها وقوله تعالى اثنان خبر للمبتدأ بتقدير المضاف الى شهادة اى شهادة بينكم حينئذ شهادة اثنين او فاعل
لشهادة بينكم على ان خبرها محذوف اى فيما نزل عليكم اى يشهد بينكم اثنان وقرئ شهادة بالرفع والتنوين
والاعراب كما سبق وقرئ شهادة بالنصب والتنوين على ان عاملها مضمر هو العامل في اثنان ايضا اى ليقم
شهادة بينكم اثنان ذوا عدل منكم اى من اقاربكم لانهم اعلم باحوال الميت وانصح له واقرب الى تحري ما
هو اصلح له وقيل من المسلمين وهما صفتان لاثنان او آخران او ليقم شهادة بينكم آخران وقوله تعالى من غيركم
صفة لآخران اى كائنان من غيركم او من الاجانب وقيل من اهل الذمة وقد كان ذلك في بدء الاسلام لعزة
وجود المسلمين لا سيما في السفر ثم نسخ وعن مكحول انه نسخها قوله تعالى واشهدوا ذوي عدل منكم ان انتم
مرفوع بمضمر يفسره ما بعده تقديره ان ضربتم فلما حذف الفعل انفصل الضمير وهذا رأى جمهور البصريين
وذهب الاخفش والكوفيون الى انه مبتدأ وبناء على جواز وقوع المبتدأ بعد ان الشرطية كجواز وقوعه
بعد اذا فقوله تعالى ضربتم في الارض اى سافرتم فيها لا محل له من الاعراب عند الاولين لكونه مفسرا ومرفوع
على الخبرية عند الباقين وقوله تعالى فاصابتكم مصيبة الموت عطف على الشرط وجوابه محذوف لدلالة
ما قبله عليه اى ان سافرتم فقاربكم الاجل حينئذ وما معكم من الاقارب او من اهل الاسلام من يتولى امر
الشهادة كما هو الغالب المعتاد في الاسفار فليشهد آخران اى فاستشهدوا آخرين او فالشاهدان آخران فكأنه
قيل والانسب ان يقدر مرضي ما سبق اى فآخران على معنى شهادة بينكم شهادة آخرين اى فان يشهد آخران
على الوجوه المذكورة ثمة وقوله تعالى تحبسونهما استئناف وقع جوابا عما نشأ من اشتراط العدالة كأنه
قيل فكيف نصنع ان ارتبنا بالشهادة فقيل تحبسونهما اى تقفونهما وتصبرونهما للتحليف من بعد الصلوة
وقيل هو صفة لآخران والشرط بجوابه المحذوف اعتراض فائدته الدلالة على ان اللائق اشهاد الاقارب
او اهل الاسلام واما اشهاد الآخرين فعند الضرورة الملجئة اليه وانت خبير بان مقتضى اختصاص الحبس
بالآخرين مع شمول الاولين ايضا قطعا على ان اعتبار اتصافهما بذلك يأباه مقام الامر باشهادهما اذ حاله
فآخران شأنهما الحبس والتحليف ان امكن اتمام التقريب باعتبار قيد الارتياب بهما كما يفيده الاعتراض
الآتي والمراد بالصلوة صلاة العصر وعدم تعيينها لتعينها عندهم بالتحليف بعدها لانه وقت اجتماع
الناس وتصادم ملائكة الليل وملائكة النهار ولان جميع اهل الاديان يعظمونه ويجتنبون فيه الحلف
الكاذب وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم حلف كذلك وقيل بعد اى صلوة كانت لانها

داعية الى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله عطف
على تحبسونهما وقوله تعالى ان ارتبتم شرطية محذوفة الجواب لدلالة ما سبق من الحبس والاقسام عليه سيقت
من جهته تعالى معترضة بين القسم وجوابه للتنبيه على اختصاص الحبس والتحليف بحال الارتياب اى ان ارتاب
بهما الوارث منكم بخيانة واخذ شيء من التركة فاحبسوهما وحلفوهما بالله وقوله عز وجل لا نشتري به ثمنا
قليلا جواب وليس هذا من قبيل ما اجتمع فيه قسم وشرط فاكتفي بذكر جواب سابقهما عن جواب الآخر كما هو
الواقع غالبا فان ذلك انما يكون عند سد جواب السابق مسد جواب اللاحق لاتحاد مضمونهما كما في قولك
والله ان اتيتني لاكرمنك ولا ريب في استحالة ذلك هاهنا لان القسم وجوابه كلاهما وقد عرفت ان
الشرطية من جهته عز وجل والاشتراء هو استبدال السلعة بالثمن اى اخذها بدلا منه لا بذله لتحصيلها كما
قيل وان كان مستلزما له فان المعتبر في عقد الشراء ومفهومه هو الجلب دون السلب المعتبر في عقد البيع ثم
استعير لاخذ شيء بازالة ما عنده عينا كان او معنى على وجه الرغبة في المأخوذ والاعراض عن الزائل كما هو
المعتبر في المستعار منه حسبما مر تفصيله في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والضمير
في به لله تعالى والمعنى لا نأخذ لانفسنا بدلا من الله تعالى اى من حرمته عرضا من الدنيا بان نهتكها ونزيلها
بالحلف الكاذب اى لا نحلف بالله تعالى كاذبين لاجل المال وقيل الضمير للقسم فلا بد من تقدير مضاف البتة
اى لا نستبدل بصحة القسم بالله اى لا نأخذ بدلا منها عرضا من الدنيا بان نزيل عنه وصف الصدق ونصفه
بالكذب اى لا نحلف كاذبين كما ذكر والا فلا سداد للمعنى سواء اريد به المقسم الصادق والكاذب اما ان
اريد به الكاذب فلانه يفوت حينئذ ما هو المعتبر في الاستعارة من كون المتروك شيئا مرغوبا فيه عند
الحالف لحرمة الله تعالى وهو صفة الصحة والصدق في القسم ولا ريب في ان القسم الكاذب ليس كذلك واما
ان اريد به الصادق فلانه وان امكن ان يتوسل باستعماله الى عرض الدنيا كالقسم الكاذب لكن [illegible]
التوسل اليه بترك استعماله ولا امكان له هاهنا حتى يصح التعبير عنه وانما يتوسل اليه باستعمال القسم الكاذب
وليس استعماله من لوازم ترك استعمال الصادق ضرورة جواز تركهما معا حتى يتصور جعل ما اخذ باستعماله مأخوذا
بترك استعمال الصادق كما في صورة تقدير المضاف فان ازالة وصف الصدق عن القسم مع بقاء الموصوف
مستلزمة لثبوت وصف الكذب له البتة فتأمل وقوله تعالى ولو كان اى المقسم له المدلول عليه بفحوى الكلام
ذا قربى اى قريبا منا تأكيد لتبريهم من الحلف كاذبا ومبالغة في التنزه عنه كأنهما قالا لا نأخذ لانفسنا بدلا
من حرمة اسمه تعالى مالا ولو انضم اليه رعاية جانب الاقرباء فكيف اذا لم يكن كذلك وصيانة انفسهما وان
كانت اهم من رعاية الاقرباء لكنها ليست ضميمة للمال بل هي راجعة اليه وجواب لو محذوف ثقة بدلالة ما
سبق عليه اى لا نشتري به ثمنا والجملة معطوفة على اخرى مثلها كما فصل في تفسير قوله تعالى ولو اعجبك الى
آخره وقوله عز وجل ولا نكتم شهادة الله اى الشهادة التي امرنا الله تعالى باقامتها معطوفة على لا نشتري
داخل معه في حكم القسم وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على حذف حرف القسم وتعويض
حرف الاستفهام منه وبغير مد كقولهم الله لافعلن انا اذا لمن الآثمين اى ان كتمناها وقرئ لملاثمين بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام النون فيها فان عثر اى اطلع بعد التحليف على انهما استحقا اثما
حسبما اعترفا به بقولهما انا اذا لمن الآثمين اى فعلا ما يوجب اثما من تحريف وكتم بان ظهر بايديهما شيء من
التركة وادعيا استحقاقهما له بوجه من الوجوه كما وقع في سبب النزول حسبما سيأتي فآخران اى فرجلان
وهو مبتدأ خبره يقومان مقامهما ولا محذور في الفصل بالخبر بين المبتدأ وبين وصفه الذي هو الجار والمجرور
بعده اى يقومان مقام اللذين عثر على خيانتهما وليس المراد بمقامهما اداء الشهادة التي تولياها ولم
يؤدياها كما هي بل هو مقام الحبس والتحليف على الوجه المذكور لاظهار الحق وابراز كذبهما فيما ادعيا من
استحقاقهما لما في ايديهما من الذين استحق على البناء للفاعل قراءة علي وابن عباس وابي رضي الله تعالى عنهم اى من
اهل الميت الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم اى الاقربان الى الميت الوارثان له الاحقان بالشهادة
اى باليمين كما ستعرفه ومفعول استحق محذوف اى استحقا عليهم ان يجردوهما للقيام بها لانهما احق بها ويظهروا
بهما كذب الكاذبين وهما في الحقيقة الآخران القائمان مقام الاولين على وضع المظهر موضع المضمر وقرئ
على البناء للمفعول وهو الاظهر اى من الذين استحق عليهم الاثم اى جني عليهم وهم اهل الميت وعشيرته فالاوليان
مرفوع على انه خبر لمحذوف كأنه قيل ومن هما فقيل هما الاوليان او هو بدل من الضمير في يقومان او من آخران
وقد جوز ارتفاعه باستحق على حذف المضاف اى استحق عليهم انتداب الاوليين منهم للشهادة وقرئ الاولين
على انه صفة للذين الى آخره مجرور او منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة
لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرئ الاولان فيقسمان بالله عطف على
يقومان لشهادتنا المراد بالشهادة اليمين كما في قوله تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات بالله اى

ليمينا على انهما كاذبان فيما ادعيا من الاستحقاق مع كونها حقة صادقة في نفسها احق بالقبول من شهادتهما اى
مع كونها كاذبة في نفسها لما انه قد ظهر للناس استحقاقهما للاثم ويميننا منزهة عن الريب والريبة فصيغة
التفضيل مع انه لا حقيقة في يمينهما رأسا للايذان بان مكان حقيتها في الجملة باعتبار احتمال الصدق فيما في دعاء تملكهما
لما ظهر في ايديهما وما اعتدينا عطف على جواب القسم اى ما تجاوزنا فيها الحق او ما اعتدينا عليهما بابطال
حقهما انا اذا لمن الظالمين استئناف مقرر لما قبله اى انا ان اعتدينا في يميننا لمن الظالمين انفسهم بتعريضها
لسخط الله تعالى وعذابه بسبب هتك حرمة اسم الله تعالى او لمن الواضعين الحق في غير موضعه ومعنى
النظم الكريم ان المحتضر ينبغى له ان يشهد على وصيته عدلين من ذوى نسبه او دينه فان لم يجدهما بان كان
في سفر فآخران من غيرهم ثم ان وقع ارتياب بهما اقسما على انهما ما كتما من الشهادة ولا من التركة شيئا بالتغليظ
في الوقت فان اطلع بعد ذلك على كذبهما بان ظهر بايديهما شيء من التركة وادعا تملكه من جهة الميت
حلف الورثة وعمل بايمانهم ولعل تخصيص الاثنين لخصوص الواقعة فانه روى ان تميم بن اوس الدارى وعدى
ابن يزيد خرجا الى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل بن ابى مريم مولى عمرو بن العاص
وكان مسلما مهاجرا فلما قدما الشام مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه طرحه في متاعه ولم يخبر
هما بذلك واوصى اليهما بان يدفعا متاعه لاهله ومات ففتشاه فوجدا فيه اناء من فضة وزنه ثلثمائة
مثقال منقوشا بالذهب فغيباه ودفعا المتاع الى اهله فاصابوا فيه الكتاب فطلبوا منهما الاناء فقالا
ما ندرى انما اوصى الينا بشيء وامرنا ان ندفعه اليكم ففعلنا وما لنا بالاناء من علم فرفعوهما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزل يا ايها الذين امنوا الاية فاستحلفهما بعد صلوة العصر عند المنبر بالله الذى لا اله
الا هو انهما لم يختانا شيئا مما دفع ولا كتما فحلفا على ذلك فخلى صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ان الاناء وجد
بمكة فقال من بيده اشتريته من تميم وعدى وقيل لما طالت المدة اظهراه فبلغ ذلك بنى سهم فطلبوه
منهما فقالا كنا اشتريناه من بديل فقالوا الم نقل لكما هل باع صاحبنا من متاعه شيئا فقلتما لا قالا ما كان
لنا بينة فكرهنا ان نقر به فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل قوله عز وجل فان عثر الاية
فقام عمرو بن العاص والمطلب بن ابى وداعة السهميان فحلفا بالله بعد العصر انهما كذبا وخانا فدفع
الاناء اليهما وفى رواية والى اولياء الميت واعلم انهما ان كانا وارثين لبديل فلا نسخ الا في وصف
اليمين فان الوارث لا يحلف على البتات والا فهو منسوخ ذلك كلام مستأنف سيق لبيان ان ما ذكر
مستتبع للمنافع وارد على مقتضى الحكمة والمصلحة اى الحكم الذى تقدم تفصيله ادنى ان ياتوا بالشهادة
على وجهها اى اقرب الى ان يؤدى الشهود الشهادة على وجهها الذى تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة
خوفا من العذاب الاخروى وهذه كما ترى حكمة شرعية التحليف بالتغليظ المذكور وقوله تعالى او يخافوا
ان ترد ايمان بعد ايمانهم بيان لحكمة شرعية رد اليمين على الورثة معطوف على مقدر ينبئ عنه المقام كانه
قيل ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها ويخافوا عذاب الاخرة بسبب اليمين الكاذبة او يخافوا الافتضاح
على رؤس الاشهاد بابطال ايمانهم والعمل بايمان الورثة فينزجروا عن الخيانة المؤدية اليه فاى الخوفين
وقع حصل المقصد الذى هو الاتيان بالشهادة على وجهها او الى ان يخافوا الافتضاح برد اليمين على
الورثة فلا يحلفوا على موجب شهادتهم ان لم ياتوا بها على وجهها فيظهر كذبهم بنكول لهم واما ما قيل
من ان المعنى ان ذلك اقرب الى ان ياتى الاسيرين اللذين ايهما وقع كان فيه الصلاح اداء الشهادة على الصدق
والامتناع عن ادائها على الكذب فيأباه المقام اذ لا تعلق له بالحادثة اصلا ضرورة ان الشاهد بمعزل
فيهما الى الجواب فان الامتناع عن الشهادة الكاذبة مستلزم للاتيان بالصادقة قطعا فليس هناك امران
ايهما وقع كان فيه الصلاح حتى يتوسط بينهما كلمة او وان اريد بالاتيان ذلك في شهود لم يتهموا بخيانة على ان
اضافة الامتناع عن الشهادة الكاذبة الى خوف رد اليمين على الورثة ونسبة الاتيان بالصادقة الى غيره
مع ان ما يقتضى احدهما يقتضى الاخر لا محالة تحكم بحت فتأمل واتقوا الله في مخالفة احكامه التى من
جملتها هذا الحكم واسمعوا ما توعظون به كائنا ما كان سمع طاعة وقبول والله لا يهدى القوم الفاسقين
الخارجين عن الطاعة اى فان لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم فاسقين والله لا يهدى القوم الفاسقين الى طريق
الجنة او الى ما فيه نفعهم يوم يجمع الله الرسل نصب على انه بدل اشتمال من مفعول اتقوا لما بينهما من الملابسة
فان مدار البدلية ليس ملابسة الظرفية ونحوها فقط بل هو تعلق ما مصحح لانتقال الذهن من
المبدل منه الى البدل بوجه اجمالى كما في ما نحن فيه فان كونه تعالى خالقا للاشياء كافة مالك يوم الدين
خاصة كافى الباب مع ان الامر بتقوى الله تعالى يتبادر منه الى الذهن ان المتقى شان من شؤونه
واى فعل من افعاله وقيل هناك مضاف محذوف به يتحقق الاشتمال اى اتقوا عذاب الله فحينئذ يكون
انتصابه بمحذوف معطوف على اتقوا وما عطف عليه اى واحذروا او واذكروا يوم الاخرة فان تذكير ذلك

اليوم

اليوم الهائل مما يضطرهم الى تقوى الله عز وعلا وتلقى امره بسمع الاجابة والطاعة وقيل هو ظرف
لقوله تعالى لا يهدى اى لا يهديهم يومئذ الى طريق الجنة كما يهدى اليه المؤمنين وقيل منصوب بفعل
مؤخر قد حذف للدلالة على ضيق العبارة عن شرحه وبيانه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة
والدواهى العامة كانه قيل يوم يجمع الله الرسل ويقول الى اخره يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى ببيانه
نطاق المقال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة وتشديد التهويل وتخصيص الرسل
بالذكر ليس لاختصاص الجمع بهم دون الامم كيف لا وذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وقال
الله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم بل لانه منبئ عنهم واصالتهم والاديان بعدم الحاجة الى التصريح
بجمع غيرهم بناء على ظهور كونهم اتباعا لهم ولاظهار سقوط منزلتهم وعدم المبالاة بهم بالانتظام في سلك
جمع الرسل كيف لا وهم عليهم السلام يجمعون على وجه الاجلال واولئك يسحبون على وجوههم بالاغلال
فيقول لهم مشيرا الى خروجهم عن عهدة الرسالة كما ينبغى حسبما يعرب عنه تخصيص السؤال بجواب
الامم اعراضا وايمانا والا لصدر الخطاب بان يقال هل بلغتم رسالاتى وماذا في قوله عز وجل ماذا اجبتم
عبارة عن مصدر الفعل فهو نصب على المصدرية اى اى اجابة اجبتم من جهة اممكم اجابة قبول او
اجابة رد وقيل عبارة عن الجواب فهو في محل النصب بعد حذف الجار عنه اى باى جواب اجبتم وعلى التقديرين
ففي توجيه السؤال عما صدر عنهم وهو منسوب الى الرسل عليهم السلام كسؤال المؤودة يفضى الى ذلك
والعدول عن اسناد الجواب اليهم بان يقال ماذا اجابوا من الانباء عن تحقير شانهم وشدة الغيظ والسخط عليهم
ما لا يخفى قالوا استئناف مبنى على سؤال نشأ من سوق الكلام كانه قيل فماذا يقول الرسل عليهم السلام
هنالك فقيل يقولون لا علم لنا وصيغة الماضى للدلالة على التقرر والتحقيق كما في قوله تعالى ونادى
اصحاب الجنة اصحاب الاعراف ونظائرهما وانما يقولون ذلك تفويضا للامر الى علمه تعالى واحاطته تعالى بما
اعتراهم من جهتهم من مقاساة الاهوال ومعاناة الهموم والاوجال وعرضا للعجز عن بيانه لكثرته وفظاعته
انك انت علام الغيوب تعليل لذلك اى فتعلم ما اجابوا واظهروا لنا وما لم نعلمه مما اضمروه في قلوبهم
وفيه اظهار للشكاة ورد للامر الى علمه تعالى بما لقوا من قبلهم من الخطوب وكابدوا من الكروب والتجاء
الى ربهم في الانتقام منهم وقيل المعنى لا علم لنا بما احدثوا بعدنا وانما الحكم للخاتمة ورد ذلك بانهم
يعرفونهم بسيماهم فكيف يخفى وانت خبير بان مرادهم حينئذ ان بعضهم كانوا في زمانهم على الحق ثم صاروا
كفرة وعن ابن عباس ومجاهد والسدى انهم يفزعون من اول الامر ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد
ما ثابت اليهم عقولهم بالشهادة على اممهم ولا يلائمه التعليل المذكور وقيل المراد به المبالغة في تحقيق
فضيحتهم وقرئ علام الغيوب بالنصب على النداء والاختصاص بالمدح على ان الكلام قد تم عند قوله انت
اى انك انت المنعوت بنعوت كمالك المعروف بذلك اذ قال الله يا عيسى بن مريم شروع في بيان ما جرى
بينه تعالى وبين واحد من الرسل المجموعين من المفاوضة على التفصيل اثر بيان ما جرى بينه تعالى وبين
الكل على وجه الاجمال ليكون ذلك كالانموذج لتفاصيل احوال الباقين وتخصيص شان عيسى عليه السلام
بالبيان تفصيلا من بين شؤون سائر الرسل عليهم السلام مع دلالتها على كمال هول ذلك اليوم ونهاية
سوء حال المكذبين بالرسل لما ان شانه عليه السلام متعلق بكلا الفريقين من اهل الكتاب الذين نعيت عليهم في
السورة الكريمة جناياتهم فتفصيله اعظم عليهم واجلب لحسرتهم وندامتهم وافت في اعضادهم وادخل في صرفهم عن
غيهم وعنادهم وان بدل من يوم يجمع الله الى اخره صيغة الماضى لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع واظهار الاسم
الجليل في مقام الاضمار لما مر من المبالغة في التهويل وكلمة على في قوله تعالى اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك متعلق
بنفس النعمة ان جعلت مصدرا اى اذكر انعامى عليكما او بمحذوف هو حال منها ان جعلت اسما اى اذكر نعمتى كائنة
عليكما وليس المراد بامره عليه السلام يومئذ بذكر النعم المنتظمة في سلك التعديد تكليفه عليه السلام
شكرها والقيام بمواجبها ولات حين تكليف مع خروجه عليه السلام عن عهدة الشكر في اوانه اى خروج
بل اظهار امره عليه السلام بتعداد تلك النعم حسبما بينه الله سبحانه اعتدادا بها وتلذذا بذكرها على
رؤس الاشهاد ليكون حكاية ذلك على ما انبأ عنه النظم الكريم توبيخا ومزجرة للكفرة المختلفين في شانه
عليه السلام افراطا وتفريطا وابطالا لقولهما جميعا اذ ايدتك ظرف لنعمتى اى اذكر انعامى عليكما وقت
تاييدى لك او حال منها اى اذكرها كائنة وقت تاييدى لك وقرئ آيدتك والمعنى واحد اى قويتك
بروح القدس بجبريل عليه السلام لتثبيت الحجة او بالكلام الذى يحيى به موتى الدين واضافته الى القدس
لانه سبب الطهر عن اوضار الاثام او يحيى به الموتى او النفوس حيوة ابدية وقيل الارواح مختلفة الحقائق
فمنها طاهرة نورانية ومنها خبيثة ظلمانية ومنها مشرقة ومنها كدرة ومنها حرة ومنها نذلة وكان روحه
عليه السلام طاهرة مشرقة نورانية علوية واياما كان فهو نعمة عليهما السلام تكلم الناس في المهد وكهلا

استيناف مبين لتاييده عليه السلام وحال من الكاف وذكر تكليمه عليه السلام في حال الكهولة لبيان ان
كلامه عليه السلام في تينك الحالتين كان على نسق واحد بديع صادر عن كمال العقل مقارن لرزانة
الراي وبه استدل على انه عليه السلام سينزل من السماء لما انه عليه السلام رفع قبل
التكهل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ارسله الله تعالى وهو ابن ثلثين سنة ومكث في رسالته ثلثين
شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه واذ علمتك الكتاب عطف على قوله تعالى اذ ايدتك منصوب بما نصبه اي
اذكر نعمتي عليكما وقت تعليمي لك الكتاب والحكمة اظهارا للنعم فيهما وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام
المحكم الصواب والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير اي تصور منه هيئة مماثلة لهيئة
الطير باذني بتسهيلي وتيسيري لا على ان يكون الخلق صادرا عنه عليه السلام حقيقة بل على ان يظهر ذلك
على يده عليه السلام حقيقة بل على انه يظهر ذلك على يده عليه السلام عند مباشرة الاسباب مع
كون الخلق حقيقة لله تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى فتنفخ فيها اي في الهيئة المقصودة فتكون اي تلك
الهيئة طيرا باذني فان اذنه تعالى لو لم يكن عبارة عن تكوينه تعالى للطير بل عن محض تيسيره مع صدور
الفعل حقيقة عما اسند اليه لكان هذا تكرارا من جهة الحياة وتكرير قوله باذني في الطير مع كونه
شيئا واحدا للتنبيه على ان كلا من التصوير والنفخ امر معظم بديع لا يتسنى ولا يترتب عليه شيء الا
باذنه تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني عطف على تخلق واذ تخرج الموتى باذني عطف على اذ تخلق
اعيد فيه اذ لكون اخراج الموتى من قبورهم لا سيما بعد ما رمّوا معجزة باهرة ونعمة جليلة حقيقة
بتذكير وقتها صريحا قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وامراة وجارية وتكرير قوله باذني في المواضع
الاربعة للاعتناء بتحقيق الحق ببيان ان تلك الخوارق ليست من قبل عيسى عليه السلام بل من جهته سبحانه قد اظهرها
على يديه معجزة له ونعمة خصه بها واما ذكره في سورة آل عمران مرتين لما ان ذلك موضع الاخبار وهذا
موضع تعداد النعم واذ كففت بني اسرائيل عنك عطف على اذ تخرج اي منعت اليهود الذين ارادوا بك
السوء عن التعرض لك اذ جئتهم بالبينات بالمعجزات الواضحة مما ذكر وما لم يذكر كالاخبار بما ياكلون وما
يدخرون في بيوتهم ونحو ذلك وهو ظرف لكففت لكن لا باعتبار المجيء بها فقط بل باعتبار ما يعقبه من قوله تعالى
فقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر مبين فان قولهم ذلك مما يدل على انهم قد قصدوا اغتياله عليه السلام
المحوج الى الكف اي كففتهم عنك حين قالوا ذلك عند مجيئك اياهم بالبينات وانما وضع موضع ضميرهم
الموصول لذمهم بما في حيز الصلة وكلمة من بيانية وهذا اشارة الى ما جاء به وتذكيره لان اشارتهم الى
ما جاء به من نفس المسمى من حيث هو او من حيث هو سحر لا من حيث هو مسمى بالبينات وقرئ ان هذا الا ساحر
مبين فهذا حينئذ اشارة الى عيسى عليه السلام واذ اوحيت الى الحواريين عطف على ما قبله من اخواتها
الواقعة ظروفا للنعمة التي امر بذكرها وهي وان كانت في الحقيقة عين ما يفيده الجمل التي اضيف اليها
تلك الظروف من تاييده بروح القدس وتعليم الكتاب والحكمة وسائر الخوارق المعدودة لكنها لمغايرتها
لها بعنوان منبئ عن غاية الاحسان امر بذكرها من تلك الحيثية وجعلت عاملة في تلك الظروف لكفاية
المغايرة الاعتبارية في تحقيق ما اعتبر في مدلول كلمة اذ من تعدد النسبة فانه ظرف موضوع لزمان نسبتين
ماضيتين واقعتين فيه احداهما معلومة الوقوع فيه للمخاطب دون الاخرى فيراد افادة وقوعها ايضا
فيضاف الى الجملة المفيدة للنسبة الاولى ويجعل ظرفا معمولا للنسبة الثانية ثم قد يكون المغايرة بين
النسبتين بالذات كما في قولك اذكر احساني اليك اذ منعتك من المعصية تريد تنبيهه على كون منعه منها
احسانا اليه لا على احسان اخر واقع حينئذ ومن هذا القبيل عامة ما وقع في التنزيل من قوله تعالى
يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا الاية وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم الى غير ذلك من النظائر
ومعنى ايحائه تعالى اليهم امره تعالى اياهم في الانجيل على لسانه عليه السلام وقيل الهامه تعالى اياهم
كما في قوله تعالى واوحينا الى ام موسى وان في قوله تعالى ان امنوا بي وبرسولي مفسرة لما في الايحاء من
معنى القول وقيل مصدرية وايراده عليه السلام بعنوان الرسالة للتنبيه على كيفية الايمان به
عليه السلام كانه قيل امنوا بوحدانيتي في الالوهية والربوبية وبرسالة رسولي كما يؤذن به
قوله تعالى حكاية قالوا امنا واشهد باننا مسلمون اي مخلصون في ايماننا من اسلم وجهه لله وهذا القول منهم
بمقتضى وحيه تعالى وامره لهم بذلك نعمة جليلة كسائر النعم الفائضة عليه عليه السلام وكل
ذلك نعمة على والدته ايضا روي انه عليه السلام لما علم انه سيؤمر بذكر تلك النعم العظام
جعل يلبس الشعر وياكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول لكل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد
فيموت اينما امسى بات اذ قال الحواريون كلام مستانف مسوق لبيان بعض ما جرى بينه عليه السلام

ولا تزيلوه عن حيزه حطا ولا رفعا وقوله تعالى قالوا استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قالوا حين اوحي اليهم ذلك فقيل قالوا

وبين قومه منقطع عما قبله كما ينبئ عنه الاظهار في موضع الاضمار واذ منصوب بمضمر خوطب به
النبي عليه السلام بطريق تلوين الخطاب لكن لا لان الخطاب السابق لعيسى عليه السلام فانه ليس
بخطاب بل لان الخطاب لمن خوطب بقوله تعالى واتقوا الله الاية فتامل كانه قيل للنبي صلى الله عليه
وسلم عقيب حكاية ما صدر عن الحواريين من المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى
عليه السلام اذكر للناس وقت قولهم الى اخره وقيل هو ظرف لقالوا اريد به التنبيه على ان ادعاءهم الايمان
والاخلاص لم يكن عن تحقيق وايقان ولا يساعده النظم الكريم يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك
ان ينزل علينا مائدة من السماء واختلف في انهم كانوا مؤمنين اولا فقيل كانوا شاكين في قدرة
الله تعالى على ما ذكروا في صدق عيسى عليه السلام في دعوى الايمان والاخلاص وقيل كانوا مؤمنين وسؤالهم
للاطمئنان والتثبت لا لازاحة الشك وهل يستطيع سؤال عن الفعل دون القدرة عليه تعبيرا
عنه بلازمه وقيل الاستطاعة على ما تقتضيه الحكمة والارادة لا على ما تقتضيه القدرة وقيل المعنى
هل يطيع ربك بمعنى هل يجيبك واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب بمعنى اجاب
وقرئ هل تستطيع ربك اي سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عنه وهي قراءة
علي وعائشة وابن عباس ومعاذ رضي الله تعالى عنهم وسعيد بن جبير واخرين والمائدة الخوان الذي
عليه الطعام من ماده اذا اعطاه ورفده كانها تميد من تقدم اليه ونظيره قولهم شجرة مطعمة وقال
ابو عبيدة هي فاعلة بمعنى مفعولة كعيشة راضية قال استئناف مبني على سؤال ناشئ مما قبله كانه قيل فماذا
قال لهم عليه السلام حين قالوا ذلك فقيل قال اتقوا الله اي من امثال هذا السؤال ان كنتم مؤمنين اي
بكمال قدرته تعالى وبصحة نبوتي او ان صدقتم في ادعاء الايمان والاسلام فان ذلك مما يوجب التقوى
والاجتناب عن امثال هذه الاقتراحات وقيل امرهم بالتقوى ليصير ذلك ذريعة الى المسؤول لقوله تعالى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وابتغوا اليه الوسيلة قالوا استئناف كما سبق نريد ان ناكل منها تمهيد عذر وبيان لما دعاهم الى السؤال
اي لسنا نريد بالسؤال ازالة شبهتنا في قدرته سبحانه وتعالى على تنزيلها او في صحة نبوتك حتى
يقدح ذلك في الايمان والتقوى بل نريد ان ناكل منها اي نتبرك وقيل لحاجة وتمتع وتطمئن قلوبنا
بكمال قدرته تعالى وان كنا مؤمنين به من قبل فان انضمام علم المشاهدة الى العلم الاستدلالي مما يوجب
ازدياد الطمانينة وقوة اليقين ونعلم اي علما يقينيا لا يحوم حوله شائبة شبهة اصلا وقرئ ليعلم على
البناء للمفعول ان قد صدقتنا ان هي المخففة من ان وضمير الشان محذوف اي ونعلم انه قد صدقتنا في
دعوى النبوة وان الله يجيب دعوتنا وان كنا عالمين بذلك من قبل ونكون عليها من الشاهدين
نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني اسرائيل ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمانينة ويقينا
ويؤمن بسببها كفارهم او من الشاهدين للعين دون السامعين للخبر وعليها متعلق بالشاهدين ان جعل اللام
للتعريف وبيان لما يشهدون عليه ان جعلت موصولة كانه قيل اي شيء يشهدون فقيل عليها فان ما
يتعلق بالصلة لا يتقدم على الموصول او هو حال من اسم كان او هو متعلق بمحذوف يفسره من الشاهدين
قال عيسى ابن مريم لما راى عليه السلام ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا يقلعون عنه ازمع على استدعائها
وطلبها واراد ان يلزمهم الحجة بكمالها روي انه عليه السلام اغتسل ولبس المسح وصلى ركعتين فطاطا
راسه وغض بصره وقال اللهم ربنا ناداه سبحانه وتعالى مرتين مرة بوصف الالوهية الجامعة لجميع الكمالات
ومرة بوصف الربوبية المنبئة عن التربية اظهارا لغاية التضرع ومبالغة في الاستدعاء انزل علينا
تقديم الظرف على قوله تعالى مائدة لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى
من السماء متعلق بانزل او بمحذوف هو صفة لمائدة اي كائنة من السماء نازلة منها وقوله تعالى تكون لنا
عيدا في محل النصب على انه صفة المائدة واسم تكون ضمير المائدة وخبرها اما عيدا ولنا حال منه او من ضمير
تكون عند من يجوز اعمالها في الحال واما لنا وعيدا حال من الضمير في لنا لانه وقع خبرا فيحمل ضميرا او من ضمير
تكون عند من يرى ذلك اي يكون يوم نزولها عيدا نعظمه وانما اسند ذلك الى المائدة لان شرف اليوم
مستعار من شرفها وقيل العيد السرور العائد ولذلك سمي يوم العيد عيدا وقرئ تكن بالجزم على
جواب الامر كما في قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا يرثني خلا ان قراءة الجزم هناك متواترة وههنا من
الشواذ لاولنا واخرنا بدل من لنا باعادة العامل اي عيدا لمتقدمينا ومتاخرينا روي انها نزلت يوم الاحد
ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل الرؤساء منا والاتباع وقيل ياكل منها اولنا واخرنا وقرئ لاولانا
واخرانا بمعنى الامة والطائفة واية عطف على عيدا منك متعلق بمحذوف هو صفة لاية اي كائنة
منك دالة على كمال قدرتك وصحة نبوتي وارزقنا اي المائدة او الشكر عليها وانت خير الرازقين

تذييل جار مجرى التعليل اي خير من يرزق لانه خالق الارزاق ومعطيها بلا عوض وفي اقباله عليه
السلام على الدعاء بتكرير النداء المنبئ عن كمال الضراعة والابتهال وزيادته ما لم يخطر ببال السائلين
من الامور الداعية الى الاجابة والقبول دلالة واضحة على انهم كانوا مؤمنين وان سؤالهم كان
لتحصيل الطمانينة كما في قول ابراهيم عليه السلام رب ارني كيف تحيي الموتى والا لما قبل اعتذارهم
عما ذكروه ولما اضاف اليه من عنده ما يؤكده ويقربه الى القبول قال الله استئناف كما سلف اني منزلها
عليكم وعد بالاجابة منه تعالى بصيغة التفعيل المنبئة عن التكثير مع كون الدعاء منه عليه السلام
بصيغة الافعال لاظهار كمال اللطف والاحسان كما في قوله تعالى قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب الى
آخره بعد قوله تعالى لئن انجيتنا من هذه الى آخره مع ما فيه من مراعاة ما وقع في عبارة السائلين
وفي تصدير الجملة بكلمة التحقيق وجعل خبرها اسما تحقيق للوعد وايذان بانه عز وجل منجزه لا محالة
من غير صارف يثنيه ولا مانع يلويه واشعار بالاستمرار اي اني منزل المائدة عليكم مرات كثيرة وقرئ
بالتخفيف وقيل الانزال والتنزيل بمعنى واحد فمن يكفر بعد اي بعد تنزيلها منكم متعلق بمحذوف
وقع حالا من فاعل يكفر فاني اعذبه بسبب كفره بعد معاينة هذه الآية الباهرة عذابا اسم مصدر
بمعنى التعذيب وقيل مصدر بحذف الزوائد وانتصابه على المصدرية بالتقديرين المذكورين
وجوز ان يكون مفعولا به على الاتساع وقوله تعالى لا اعذبه في محل النصب على انه صفة لعذابا
والضمير له اي اعذبه تعذيبا لا اعذب مثل ذلك التعذيب احدا من العالمين اي من عالمي زمانهم او
من العالمين جميعا قيل لما سمعوا هذا الشديد خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل
وبه قال مجاهد والحسن والصحيح الذي عليه جماهير الامة ومشاهير الائمة انها قد نزلت روي انه
عليه السلام لما دعا بما دعا واجيب بما اجيب اذا السفرة حمراء نزلت بين غمامتين غمامة من فوقها
وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني
من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة للعالمين ولا تجعلها مثلة وعقوبة ثم قام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف
المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند راسها ملح
وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون
وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون راس الحواريين
يا روح الله امن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة
الغالبة كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقالوا يا روح الله لو اريتنا من هذه الآية
آية اخرى فقال يا سمكة احيي باذن الله تعالى فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم
طارت المائدة ثم عصوا فمسخوا قردة وخنازير وقيل كانت تأتيهم اربعين يوما غبا يجتمع عليها
الفقراء والاغنياء والصغار والكبار ياكلون حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون في ظلها ولم ياكل منها
فقير الا غني مدة عمره ولا مريض الا برئ ولم يمرض ابدا ثم اوحى الله الى عيسى عليه السلام ان اجعل
مائدتي للفقراء والمرضى دون الاغنياء والاصحاء فاضطرب الناس لذلك فمسخ منهم من مسخ فاصبحوا
خنازير يسعون في الطرقات والكناسات وياكلون العذرة في الحشوش فلما راى الناس ذلك فزعوا الى
عيسى عليه السلام وبكوا على الممسوخين فلما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام بكت وجعلت تطيف
به عليه السلام وجعل يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام
فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عيسى عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين
يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا انا لو عملنا لاحد فقضينا عمله لاطعمنا وسألوا
الله تعالى المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى
وضعتها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم قال كعب نزلت منكوسة تطير بها الملائكة
بين السماء والارض عليها كل الطعام الا اللحم وقال قتادة كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية
العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء وقال الكلبي ومقاتل نزلت سمكة وخمسة ارغفة
فاكلوا ما شاء الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم ونشروا الحديث ضحك منهم من لم يشهد
وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به الخير ثبته على بصيرته ومن اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير
فمكثوا بذلك ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ واذ قال
الله يا عيسى ابن مريم معطوف على اذ قال الحواريون منصوب بما نصبه من المضمر المخاطب به النبي
صلى الله عليه وسلم او بمضمر مستقل معطوف على ذلك اي اذكر للناس وقت قول الله عز وجل له
عليه السلام في الآخرة توبيخا للكفرة وتبكيتا لهم باقراره عليه السلام على رؤس الاشهاد بالعبودية

وامره لهم بعبادته عز وجل وصيغة الماضي لما مر مرارا من الدلالة على التحقيق والوقوع أأنت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين اثنين الاتخاذ اما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو حال
من المفعول وليس مدار الاصل الكلام الى القول متيقن والاستفهام لتبيين انه باسر عليه السلام امر
من تلقاء انفسهم كما في قوله تعالى أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل وقوله تعالى من دون الله
متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من فاعله اي متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين
اي كائنين من دونه تعالى واياما كان فالمراد اتخاذهما بطريق اشراكهما به سبحانه كما في قوله تعالى ومن
الناس من يتخذ من دون الله اندادا وقوله عز وجل ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون
هؤلاء شفعاؤنا عند الله الى قوله سبحانه وتعالى عما يشركون اذ به يتأتى التوبيخ ويتسنى التقريع
والتبكيت ومن توهم ان ذلك بطريق الاستقلال ثم اعتذر عنه بان النصارى يعتقدون ان المعجزات التي ظهرت
على يد عيسى ومريم عليهما السلام لم يخلقها الله تعالى بل هما خلقاهما فصح انهم اتخذوهما في حق بعض الافعال
الهين مستقلين ولم يتخذوه تعالى الها في حق ذلك البعض فقد ابعد عن الحق بمراحل واما من تمحل فقال ان
عبادته تعالى مع عبادة غيره كلا عبادة فمن عبده تعالى مع عبادتهما كانه عبدهما ولم يعبده تعالى فقد
غفل عما يوجد به ويشتغل بما لا يعنيه كدأب من قبله فان توبيخهم انما يحصل بما يعتقدونه ويعترفون به صريحا
لا بما يلزمه بضرب من التاويل واظهار الاسم الجليل لكونه في حيز القول المسند الى عليه السلام كانه قيل
فاذا يقول عيسى عليه السلام حينئذ فقيل يقول وايثار صيغة الماضي لما مر مرارا قال سبحانك سبحان
للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من المبالغة في التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح
الذي هو الذهاب والابعاد في الارض ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم
الموضوع له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى اي
انزهك تنزيها لائقا بك من ان اقول ذلك او من ان يقال في حقك ذلك واما تقدير من ان يكون لك شريك
في الالوهية فلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق استئناف
مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور اي ما يستقيم وما ينبغي لي ان اقول قولا لا
اقوله وايثار ليس على الفعل المنفي لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقية وافادة التاكيد بما في خبره من
الباء فان اسمها ضمير عائد الى ما وخبرها بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما في سقيا لك ونحوه وقوله
تعالى ان كنت قلته فقد علمته استئناف مقرر لعدم صدور القول المذكور عنه حتما ضرورة ان عدم اللازم
مستلزم لعدم الملزوم تعلم ما في نفسي استئناف جار مجرى التعليل لما قبله كانه قيل لانك تعلم ما اخفيه
في نفسي فكيف بما اعلنه وقوله تعالى ولا اعلم ما في نفسك بيان للواقع واظهار لقصوره اي ولا اعلم ما تخفيه
من معلوماتك وقوله تعالى في نفسك للمشاكلة وقيل المراد بالنفس هو الذات ونسبة المعلومات اليها
لما انها مرجع الصفات التي من جملتها العلم المتعلق بها فلم يكن كنسبتها الى الحقيقة وقوله تعالى انك انت
علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما وقوله عز وجل ما قلت لهم الا ما امرتني به استئناف
مسوق لبيان ما صدر عنه قد ادرج فيه عدم صدور القول المذكور عنه على ابلغ وجه وآكده حيث
حكم بانتفاء صدور جميع الاقوال المغايرة للمأمور به فدخل فيه انتفاء صدور المذكور دخولا اوليا اي ما امرتهم
الا بما امرتني به وانما قيل ما قلت لهم نزولا على قضية حسن الادب ومراعاة لما ورد في الاستفهام وقوله تعالى
ان اعبدوا الله ربي وربكم تفسير للمأمور به وقيل عطف بيان للضمير في به وقيل بدل منه وليس من شرط البدل
جواز طرح المبدل منه مطلقا ليلزم بقاء الموصول بلا عائد وقيل خبر مضمر او مفعوله مثل هو او اعني وكنت
عليهم شهيدا رقيبا اراعي احوالهم واحملهم على العمل بموجب امرك وامنعهم عن المخالفة او مشاهدا لاحوالهم
من كفر وايمان ما دمت فيهم ما مصدرية ظرفية تقدر بمصدر مضاف اليه زمان ودمت صلتها اي
كنت عليهم شهيدا مدة دوامي فيما بينهم فلما توفيتني بالرفع الى السماء كما في قوله تعالى اني متوفيك ورافعك
الي فان التوفي اخذ الشيء وافيا والموت نوع منه قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في
منامها كنت انت الرقيب عليهم لا غيرك فانت ضمير الفصل او تاكيد وقرئ الرقيب بالرفع على انه خبر
انت والجملة خبر كان وعليهم متعلق به اي انت كنت الحافظ لاعمالهم والمراقب فمنعت من اردت عصمته
عن المخالفة بالارشاد الى الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات وخذلت من خذلت من
الضالين فقالوا ما قالوا وانت على كل شيء قدير اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وفيه ايذان بانه تعالى
كان هو الشهيد على الكل حين كونه عليه السلام فيما بينهم وعلى متعلقة بشهيد والتقديم لمراعاة الفاصلة ان
تعذبهم فانهم عبادك وقد استحقوا ذلك حيث عبدوا غيرك وان تغفر لهم فانك انت العزيز اي القوي القادر
على جميع المقدورات ومن جملتها الثواب والعقاب الحكيم الذي لا يريد ولا يفعل الا ما فيه حكمة ومصلحة

فان المغفرة مستحسنة لكل مجرم فان عذبت فعدل وان غفرت ففضل وعدم غفران الشرك انما هو بمقتضى
الوعيد فلا امتناع فيه لذاته ليمنع الترديد وقيل الترديد بالنسبة الى فرقتين والمعنى ان تعذبهم اى من
كفر منهم وان تغفر لهم اى لمن امن منهم قال الله كلام مستانف ختم به حكاية ما حكى مما يقع يوم يجمع الله الرسل
عليهم السلام وكنى الى نتيجته ومآله ويقول الله تعالى يومئذ عقيب جواب عيسى عليه السلام مشيرا الى
صدقه فى ضمن بيان حال الصادقين الذين هو فى زمرتهم وصيغة الماضى لما مر فى نظائره مرارا فقوله تعالى
هذا اشارة الى ذلك اليوم وهو مبتدا خبره ما بعده اى هذا اليوم الذى حكى بعض ما يقع فيه اجمالا وبعضه
تفصيلا يوم ينفع الصادقين بالرفع والاضافة والمراد بالصادقين كما ينبئ عنه الاسم المستمرون فى الدنيا
على الصدق فى الامور الدينية التى معظمها التوحيد الذى نحن بصدده والشرائع والاحكام المتعلقة به
من الرسل الناطقين بالحق والصدق الداعين الى ذلك وبه يحصل الشهادة بصدق عيسى عليه السلام ومن
الامم المصدقين لهم المقتدين بهم عقدا وعملا وبه يتحقق المقصود بالحكاية من ترغيب السامعين فى الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو صدقهم فى اى شئ كان ضرورة ان الجانى المعترف فى الدنيا بجنايته لا
ينفعه يومئذ اعترافه وصدقه صدقهم اى صدقهم فيما ذكر من امور الدين فى الدنيا اذ هو المستتبع يومئذ
للنفع واعتباره استمرارا فى الدارين مع انه لا حاجة اليه كما عرفت ولا دخل له فى استتباع النفع والجزاء مما
لا وجه له وهذه القراءة هى التى اطبق عليها الجمهور وهى اللائق بسياق النظم وسياقه وقد قرئ يوم ينفع
بالنصب اما على انه ظرف لقال فهذا حينئذ اشارة الى قوله تعالى أأنت قلت الى اخره واما على انه خبر
لهذا فهو حينئذ اشارة الى جواب عيسى عليه السلام اى هذا الجواب منه عليه السلام واقع يوم ينفع
الى اخره او الى السؤال والجواب معا وقيل هو خبر ولكنه بنى على الفتح وليس بصحيح عند البصريين لانه
مضاف الى متمكن معرب وقرئ يوم بالرفع والتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى الاية لهم جنات تجرى من
تحتها الانهار خالدين فيها ابدا استئناف مسوق لبيان النفع المذكور كانه قيل ما لهم من النفع فقيل لهم
نعيم دائم وثواب خالد وقوله تعالى رضى الله عنهم استئناف اخر لبيان انه عز وجل افاض عليهم غير ما ذكر من
الجنات ما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذى لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوا عنه اذ لا
شئ اعز منه حتى يمتد اليه اعناق هممهم ذلك اشارة الى نيل رضوانه تعالى وقيل الى نيل الكل هو الفوز
العظيم لما ان عظم شان الفوز تابع لعظم شان المطلوب الذى تعلق به الفوز وقد عرفت ان لا مطلب وراء ذلك
اصلا وقوله تعالى لله ملك السموات والارض وما فيهن تحقيق للحق وتنبيه على كذب النصارى وفساد
ما زعموا فى حق المسيح وامه اى لله تعالى خاصة ملك السموات والارض وما فيهما من العقلاء وغيرهم يتصرف فيها كيف
يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا من غير ان يكون لشئ من الاشياء مدخل فى ذلك وايثار ما على من
المختصة بالعقلاء على تقدير تناولها للكل مراعاة للاصل واشارة الى تساوى الفريقين فى استحالة الربوبية حسب
تساويهما فى تحقق المربوبية وعلى تقدير اختصاصها بغير العقلاء تنبيه على كمال قصورهم عن رتبة الالوهية والاهانة بهم
بتغليب غيرهم عليهم وهو على كل شئ من الاشياء قدير مبالغ فى القدرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحى عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصرانى يتنفس فى الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله تعليق الحمد اولا باسم الذات الذى عليه يدور كافة
ما يوجد من صفات الكمال واليه يؤول جميع نعوت الجلال والجمال للايذان بانه عز وجل هو المستحق له بذاته
لما مر مرارا من اقتضاء اختصاص الحقيقة به سبحانه لاقتصار جميع افرادها عليه بالطريق البرهانى ووصفه تعالى
ثانيا بما ينبئ عن تفصيل بعض موجباته المنتظمة فى سلك الاجمال من عظائم الاثار وجلائل الافعال بقوله عز
وجل الذى خلق السموات والارض للتنبيه على استحقاقه تعالى له واستقلاله به باعتبار افعاله العظام وآلائه
الجسام ايضا وتخصيص خلقهما بالذكر لاشتمالهما على جلة الاثار العلوية والسفلية وعامة الالاء الجليلة والخفية
التى اجلها نعمة الوجود الكافية فى ايجاب حمده تعالى على كل موجود فكيف بما يتفرع عليها من فنون النعم الانفسية
والآفاقية المنوط بها مصالح العباد فى المعاش والمعاد اى انشاهما على ما هما عليه من النمط الفائق والطراز الرائق
منطويتين على انواع البدائع واصناف الروائع على ما تتحير فيه العقول والافكار من تعاجيب العبر والآثار
تبصرة وذكرى لاولى الابصار وجمع السموات لظهور تعدد طبقاتها واختلاف آثارها وحركاتها وتقديمها لشرفها
وعلو مكانها وتقدمها وجودا على الارض كما هو وجعل الظلمات والنور عطف على خلق مرتب عليه لكونه جعلا مشتقا
عن خلق منشاؤهما ومحلهما داخل معه فى حكم الاشعار بعلية الحمد فكما ان خلق السموات والارض وما فيهما لكونه

اثر

اثرا عظيما ونعمة جليلة موجب لاختصاص الحمد بجاعلهما جل وعلا لذلك جعل الظلمات والنور لكونه امرا
خطيرا ونعمة عظيمة مقتض لاختصاصه بجاعلهما والجعل هو الانشاء والابداع كالخلق خلا ان ذلك مختص
بالانشاء التكوينى وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما فى الاية الكريمة وللتشريعى ايضا كما فى قوله تعالى
ما جعل الله من بحيرة الاية واياما كان ففيه انباء عن ملابسة مفعوله بشئ اخر بان يكون فيه او له او منه او نحو ذلك ملابسة
مصححة لان يتوسط بينهما شئ من الظروف لغوا كان او مستقرا لكن لا على ان يكون عمدة فى الكلام بل قيدا كما فى قوله
عز وعلا وجعل بينهما برزخا وقوله تعالى وجعل فيها رواسى وقوله واجعل لنا من لدنك وليا الاية فان كل واحد من
هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله تقدمت عليه لكونه نكرة واياما كان
فهو قيد فى الكلام حتى اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما فى قوله تعالى
يجعلون اصابعهم فى آذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو فى الحقيقة قيد باحد الوجهين كما
سلف فى قوله تعالى انى جاعل فى الارض خليفة قيل ان الظرف مفعول ثان لجاعل قدم على الاول الذى يقتضى
به الذوق السليم ويقتضيه جزالة النظم الكريم انه متعلق بجاعل او بمحذوف وقع حالا من المفعول فان المفعول
الثانى هو الخليفة والاول محذوف على ما مر تفصيله وجمع الظلمات لظهور كثرة اسبابها ومحالها عند الناس
ومشاهدتهم لها على التفصيل وتقديمها على النور لتقدم الاعدام على الملكات مع ما فيه من رعاية حسن
المقابلة بين القرينتين وقوله تعالى ثم الذين كفروا بربهم يعدلون معطوف على الجملة السابقة الناطقة بما
مر من موجبات اختصاصه تعالى بالحمد المستدعى لاقتصار العبادة عليه كما تحقق فى تفسير الفاتحة الكريمة
سوق لانكار ما عليه الكفرة واستبعاده من مخالفتهم لمضمونها واجترائهم على ما يقضى ببطلانه بديهة العقول والمعنى
انه تعالى مختص باستحقاق الحمد والعبادة باعتبار ذاته وباعتبار ما فصل من شئونه العظيمة الخاصة به الموجبة
لقصر الحمد والعبادة عليه ثم هؤلاء الكفرة لا يعملون بموجبه ويعدلون به سبحانه اى يسوون به غيره فى
العبادة التى هى اقصى غايات الشكر الذى له راسه الحمد مع كون كل ما سواه مخلوقا له غير متصف بشئ
من مبادى الحمد وكلمة ثم لاستبعاد الشرك بعد وضوح ما ذكر من الايات التكوينية القاضية ببطلانه لا
بعد بيانه بالايات التنزيلية والموصول عبارة عن طائفة الكفار جار مجرى الاسم لهم من غير ان يجعل كفرهم
بما يجب ان يؤمن به كلا او بعضا عنوانا للموضوع فان ذلك مخل باستبعاد ما اسند اليهم من الاشراك والباء
متعلقة بيعدلون ووضع الرب موضع ضميره تعالى لزيادة التشنيع والتقبيح والتقديم لمزيد الاهتمام
والمسارعة الى تحقيق مدار الانكار والاستبعاد والمحافظة على الفواصل وترك المفعول لظهوره او لتوجيه
الانكار الى نفس الفعل بتنزيله منزلة اللازم ايذانا بان المدار بانه فى الاستبعاد والاستنكار لا خصوصية
المفعول هذا هو الحقيق بجزالة التنزيل والخليق بفخامة شانه الجليل واما جعل الباء صلة لكفروا على ان
يعدلون من العدول والمعنى ان الله تعالى حقيق بالحمد على ما خلقه نعمة على العباد ثم الذين كفروا به يعدلون
فيكفرون نعمته فيرده ان كفرهم به تعالى لا سيما باعتبار ربوبيته تعالى لهم اشد شناعة واعظم جناية من
عدولهم عن حمده عز وجل لتحققه مع اغفاله ايضا فجعل اهون الشرين عمدة فى الكلام مقصودا افادته
واخراج اعظمهما مخرج القيد المفروغ عنه مما لا عهد له فى الكلام السديد فكيف بالنظم التنزيلى هذا وقد
قيل انه معطوف على خلق السموات والمعنى انه تعالى خلق ما خلق مما لا يقدر عليه سواه ثم هم يعدلون
به سبحانه ما لا يقدر على شئ منه لكن لا على قصد ان به صلة مستقلة ليكون بمنزلة ان يقال الحمد لله الذى
عدلوا به تدل على انه داخل تحت الصلة بحيث تكون الصلة واحدة كانه قيل الحمد لله كان منه تلك النعم العظام
ثم من الكفرة الكفر واستعجب بان ما ينتظم به فى سلك الصلة المنبئة عن موجبات حمده عز وجل حقه ان
يكون له دخل فى ذلك الانباء ولو فى الجملة ولا ريب فى ان كفرهم بمعزل منه [illegible] له دخلا فيه لدلالته
على كمال الجود كانه قيل الحمد لله الذى انعم بمثل هذه النعم العظام على من لا يحمده فتعسف لا يساعده النظام
وتكلف يأباه المقام كيف لا ومساق النظم الكريم كما يفصح عنه الايات الاتية تشنيع الكفرة وتوبيخهم
ببيان غاية اساءتهم مع نهاية احسانه تعالى اليهم مع غاية اساءتهم فى حقه تعالى كما يقتضيه [illegible]
وبهذا اتضح انه لا سبيل الى جعل المعطوف من روادف المعطوف عليه لما ان حق الصلة ان تكون غير مقصودة
الافادة فما ظنك بما هو من روادفها وقد عرفت ان المعطوف هو الذى سبق له الكلام فتأمل وقوله عز وجل
هو الذى خلقكم من طين استئناف مسوق لبيان بطلان كفرهم بالبعث مع مشاهدتهم لما يوجب الايمان به
اثر بيان بطلان اشراكهم به تعالى مع معاينتهم لموجبات توحيده وتخصيص خلقهم بالذكر من بين سائر دلائل
صحة البعث مع ان ما ذكر من خلق السموات والارض من اوضحها واظهرها كما ورد فى قوله تعالى اوليس الذى
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم لما ان محل النزاع بعثهم فدلالة بدء خلقهم على ذلك اظهر
وهم بشؤون انفسهم اعرف والتعامى عن الحجة النيرة اقبح والالتفات لمزيد التشنيع والتوبيخ اى ابتدا خلقكم

منه فانه المادة الاولى للكل لما ان منشى ادم الذى هو اصل البشر وانما نسب هنا الخلق الى المخاطبين لا الى
ادم عليه السلام وهو المخلوق منه حقيقة بان يقال هو الذى خلق اباكم الى اخره مع كفاية علمهم بخلقه عليه
السلام منه فى ايجاب الايمان بالبعث وابطلان الاستر التوضيح منهاج القياس والمبالغة فى ازاحة
الاشتباه والالتباس مع ما فيه من تحقيق الحق والتنبيه على حكمة خفية وهى ان كل فرد من افراد البشر
له حظ من انشايه عليه السلام منه حيث لم تكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا
منطويا على فطرة ساير احاد البشر انطواء اجماليا مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام
من الطين خلقا للكل احد من فرع منه ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط السارى الى جميع افراد
ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل
على عظم قدرة الخلاق العليم وكمال علمه وحكمته وكان ابتلا حال المخاطبين اولى بان يكون اعتبارا معيارا لانتهاء
بما فعل ما فعل الله ذر شان التنزيل وعلى هذا السر مدار قوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم الى
اخره وقوله تعالى ولقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا كما سياتى وقيل المعنى خلق اباكم منه على حذف
المضاف وقيل معنى خلقهم منه من النطفة الحاصلة من الاغذية المكتونة من الارض واياما كان ففيه
من وضوح الدلالة على كمال قدرته تعالى على البعث ما لا يخفى فان من قدر على احياء ما لم يشم رايحة ابدا
قد كان على احياء ما قاربها مدة اظهر قدرة ثم قضى اى كتب لموت كل احد منكم اجلا خاصا به اى حدا معينا
من الزمان يفنى عند حلوله لا محالة وكلمة ثم للايذان بتفاوت ما بين خلقهم وبين تقدير اجالهم حسب ما
يقتضيه حكمه البالغة واجل مسمى اى حد معين لبعثكم جميعا وهو مبتدأ والتخصيص بالصفة كما فى قوله تعالى
ولعبد مؤمن ولوقوعه فى موقع التفصيل كما فى قول من قال • اذا ما بكى من خلفها انصرفت له • بشق وشق
عندنا لم يحول • وتنوينه للتفخيم شانه وتهويل امره ولذلك اوثر تقديمه على الخبر الذى هو عنده مع ان
الشايع المستفيض هو التاخير كما فى قولك عندى كلام حق ولى كتاب نفيس كانه قيل واى اجل مسمى مثبت
معين فى علمه لا يتغير ولا يقف على وقت حلوله احد لا مجملا ولا مفصلا واما اجل الموت فمعلوم اجمالا
وتقريبا بناء على ظهور اماراته او على ما هو المعتاد فى اعمار الانسان وتسميته اجلا انما هو باعتبار كونه غاية
لمدة لبثهم فى القبور لا باعتبار كونه مبتدأ لمدة القيامة كما ان مدار التسمية فى الاجل الاول هو كونه اخر مدة
الحياة لا كونه اول مدة الممات لما ان الاجل فى اللغة عبارة عن اخر المدة لا عن اولها وقيل الاجل
الاول ما بين الخلق والموت والثانى ما بين الموت والبعث من البرزخ فان الاجل كما يطلق على
اخر المدة يطلق على كلها وهو الاوفق لما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الله تعالى قضى لكل احد
اجلين اجلا من مولده الى موته واجلا من موته الى مبعثه فان كان برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل
العمر وان كان فاجرا قاطعا نقص من اجل العمر وزيد فى اجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص
من عمره الا فى كتاب مبين فمعنى عدم تغير الاجل حينئذ عدم تغير اخره والاول هو الاشهر الاليق
بتفخيم الاجل الثانى المنوط باختصاصه بعلمه تعالى والانسب بتهويله المبنى على مقارنته الطامة الكبرى
فان كون بعضه معلوما للخلق ومضيه من غير ان يقع فيه شىء من الدواهى كما يستلزمه الحمل على المعنى
الثانى مخل بذلك قطعا واما معنى زيادة الاجل ونقصه فيما روى تاخير الاجل الاول وتقديمه ثم انتم تمترون
استبعاد واستنكار لامترايهم فى البعث بعد معاينتهم لما ذكر من الحجج الدالة عليه اى تمترون فى وقوعه
وتحققه فى نفسه مع مشاهدتكم فى انفسكم ما يقطع مادة الامتراء بالكلية فان من قدر على افاضة
الحيوة وما يتفرع عليها من العلم والقدرة وساير الكمالات البشرية على مادة غير مستعدة لشىء منها اصلا
كان اوضح اقتدارا على افاضتها على مادة قد استعدت لها وقارنتها مدة ومن ههنا تبين ان ما قيل
من ان الاجل الاول هو النوم والثانى هو الموت او ان الاول اجل الماضين والثانى اجل الباقين او ان الاول مقدار
ما مضى من عمر كل احد والثانى مقدار ما بقى منه فلا وجه له اصلا لما رايت من انسياق النظم الكريم
استبعاد امترايهم فى البعث الذى هو الشك وتوجيه الاستبعاد اليه مع انهم جازمون بانتفاء البعث
مصرون على انكاره كما ينبىء عنه قوله ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونظايره للدلالة
على ان جزمهم المذكور فى اقصى مراتب الاستبعاد والاستنكار وقوله تعالى وهو الله جملة من مبتدأ وخبر
معطوفة على ما قبلها مسوقة لبيان شمول احكام الهيته تعالى لجميع المخلوقات واحاطة علمه بتفاصيل
احوال العباد واعمالهم المؤدية الى الجزاء واشارة الاشارة الى تحقق المعاد فى تضاعيف بيان كيفية خلقهم
وتقدير اجالهم وقوله تعالى فى السموات وفى الارض متعلق بالمعنى الوصفى الذى ينبىء عنه الاسم الجليل
اما باعتبار اصل اشتقاقه وكونه علما للمعبود بالحق كانه قيل وهو المعبود فيهما واما باعتبار انه اسم
اشتهر فيها اشتهرت به الذات من صفات الكمال فلوحظ معه منها ما يقتضيه المقام من المالكية

الكلية

الكلية والتصرف الكامل حسبما تقتضيه المشيئة المبنية على الحكم البالغة فعلق به الظرف من تلك الحيثية
فصار كانه قيل وهو المالك والمتصرف المدبر فيهما كما فى قوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وليس
المراد بما ذكر من الاعتبار ان الاسم الجليل يحمل على معناه اللغوى او على معنى المالك والمتصرف ونحو ذلك
بل مجرد ملاحظة اجل المعانى المذكورة فى ضمنه كما لوحظ مع اسم الاسد فى قولها اسد على الى اخره ما اشتهر به
من وصف الجراة التى اشتهر بها مسماه فجرى مجرى جرى على وبهذا تبين ان ما قيل بصدد التفسير والتعيين
اى هو المعروف بذلك فى السموات وفى الارض او هو المعروف والمشتهر بالصفات الكمالية او هو
المعروف بالالهية فيهما او نحو ذلك بمعزل من التحقيق فان المعتبر مع الاسم هو نفس الوصف الذى
اشتهر به او هو الذى يقتضيه المقام حسبما بين انفا لا اشتهاره به الا ترى ان كلمة على فى المثال المذكور
دونها فى تعليقها بالاشتهار الاسم بالجراة قطعا وقيل بما تقرر عند الكل من اطلاق هذا الاسم عليه تعالى
خاصة كانه قيل وهو الذى يقال له الله لا يشرك به شيئا فى هذا الاسم على الوجه الذى سبق من اعتبار
معنى التوحيد او القود فى مجرى الكلام بطريق الاستتباع على حمل الاسم الجليل على معنى التوحيد او القود
فى مجرى الكلام بطريق الاستتباع على حمل الاسم الجليل على معنى التوحيد بالالهية او على تقدير القود
وقد جوز ان يكون الظرف خبرا ثانيا على ان كونه سبحانه فيهما عبارة عن كونه تعالى مبالغا فى العلم بما فيهما
بناء على تنزيل علمه المقدس عن حصول الصورة والاشباح بكونه حضوريا منزلة كونه متعا فيهما وتقديره
على طريقة التمثيل المبنى على تشبيه حال علمه بما فيهما بحالة كونه تعالى فيهما فان العالم اذا كان فى مكان كان
عالما به وبما فيه على وجه لا يخفى عليه منه شىء فلعل هذا يكون قوله عز وجل يعلم سركم وجهركم
اى ما اسررتموه وما جهرتم به من الاقوال اثما اسددتم بدءا علتموه كما بيانا لما ان من الاقوال والاعمال
بيانا وتقريرا لمضمونه وتحقيقا للمعنى المراد منه وتعليق علمه عز وجل بما ذكر خاصة مع شموله لجميع ما
فيهما حسبما تفيده الجملة السابقة لانسياق النظم الكريم الى بيان حال المخاطبين وكذا على الوجه الثانى
فلان ملاحظة الاسم الجليل من حيث المالكية الكلية والتصرف الكامل الجارى على النمط المذكور
مستتبعة لملاحظة علمه المحيط فيكون هذا بيانا وتقريرا له بلا ريب واما على الاوجه الثلاثة الباقية
فلا سبيل الى كونه بيانا لكن لا لما قيل من انه لا دلالة لاستواء السر والجهر فى علمه تعالى على ما اعتبر فيها
من المعبودية والاختصاص بهذا الاسم اذ ربما يعبد ويختص به من ليس بكامل العلم فانه باطل قطعا
ان المراد بما ذكر هو المخصوص بالمعبودية بالحق والاختصاص بالاسم الجليل ولا ريب فى انهما مما لا يتصور
فيمن ليس له كمال العلم بديهة بل لان ما ذكر من العلم غير معتبر فى مدلول شىء من المعبودية ان التوحيد
بالالهية لا يعتبر فى مفهومه العلم الكامل ليكون هذا بيانا له وبهذا تبين انه ليس بيانا على الوجه
الثالث ايضا لما ان التوحد بالالهية لا يعتبر فى مفهومه العلم الكامل ليكون هذا بيانا له بل هو معتبر
فيما صدق عليه المتوحد وذلك غير كاف فى البيانية وقيل هو خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثانى
جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى وقيل هو الخبر والاسم الجليل بدل من هو وبه يتعلق الظرف المتقدم
يكفى فى ذلك كون المعلوم فيهما كما فى قولك رميت الصيد فى الحرم اذا كنت خارجه والصيد فيه ولعل حمل
وجهرهم فيهما للتوسيع الدايرة وتصوير انه لا يعزب عن علمه شىء منهما فى اى مكان كان لا لانهما قد يكونان
فى السموات ايضا وتعميم الخطاب للملائكة تعسف لا يخفى ويعلم ما تكسبون اى ما تفعلونه لجلب نفع او
دفع ضر من الاعمال المكتسبة بالقلوب او بالجوارح سرا او علانية وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما
سبق على التفسير الثانى فى السر والجهر لاظهار كمال الاعتناء بها لانها التى يتعلق بها الجزاء وهو السر فى اعادة
يعلم وما تاتيهم من اية من ايات ربهم كلام مستانف وارد لبيان كفرهم بايات الله تعالى واعراضهم عنها
بالكلية بعد ما بين فى الاية الاولى اشراكهم بالله سبحانه واعراضهم عن بعض ايات التوحيد وفى الاية
الثانية امتراءهم فى البعث واعراضهم عن بعض ايات التوحيد والالتفات للاشعار بان ذكر قبايحهم
• فقد اقتضى ان يضرب عنهم الخطاب صفحا وتعدد جناياتهم لغيرهم وما لهم وتقبيحا لحالهم فما نافية وصيغة
المضارع لحكاية الحال الماضية او للدلالة على استمرار التجدد ومن الاولى مزيدة للاستغراق والثانية
تبعيضية واقعة مع مجرورها صفة لاية واضافة الايات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم
شانها المستتبع لتهويل ما اجترءوا عليه فى حقها والمراد بها اما الايات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى
ما تنزل اليهم اية من الايات القرانية التى من جملتها هاتيك الايات الناطقة بما فصل من بدايع صنع
عز وجل المنبية عن جريان احكام الوهيته على كافة الكاينات واحاطة علمه بجميع احوال الخلق واعمالهم
الموجبة للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين اى على وجه التكذيب والاستهزاء كما
ستقف عليه واما الايات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات فاتيانها ظهورها

لهم والمعنى يظهر لهم اية من الايات التكوينية التي من جملتها ما ذكر من جلائل شؤونه تعالى الشاهدة
بوحدانيته تعالى الا كانوا عنها معرضين تاركين للنظر الصحيح فيها المؤدي الى الايمان بمكونها
وايثاره على ان يقال الا اعرضوا عنها كما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر
للدلالة على استمرارهم على الاعراض حسب استمرار الايات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه
مراعاة للفواصل والجملة في محل النصب على انها حال من مفعول تاتي او من فاعله المتخصص بالوصف
لاشتمالها على ضمير كل منهما وايا ما كان ففيها دلالة بينة على كمال مسارعتهم على الاعراض وايقاعهم له
في ان الاتيان كما يفصح عنه كلمة لما في قوله عز وجل فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فان الحق عبارة عن القران
الذي اعرضوا عنه حين اعرضوا عن كل اية اية منه عبر عنه بذلك ابانة لكمال قبح ما فعلوا به فان تكذيب
الحق مما لا يتصور صدوره عن احد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انه شيء مغاير له
في الحقيقة واقع عقيبه او حاصل بسببه على ان الاول هو عين الثاني حقيقة وانما الترتيب بحسب
التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى كما في قوله تعالى فقد جاؤا ظلما وزورا بعد قوله تعالى وقال
الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم اخرون فان ما جاؤه اي فعلوه من الظلم
والزور عين قولهم المحكي لكنه لما كان مغايرا له مفهوما واشنع منه حالا رتب عليه بالفاء ترتيب
اللازم على الملزوم تهويلا لامره كذلك مفهوم التكذيب بالحق حيث كان اشنع من مفهوم
الاعراض المذكور اخرج مخرج اللازم البين البطلان فرتب عليه بالفاء اظهارا لغاية بطلانه ثم قيد
ذلك بكونه بلا تامل تاكيدا لشناعته وتمهيدا لبيان ان ما كذبوا به اشد ذي اثر له عواقب
جليلة ستبدو لهم البتة والمعنى انهم حيث اعرضوا عن تلك الايات عند اتيانها فقد كذبوا بما لا يمكن
تكذيبه اصلا من غير ان يتدبروا في حاله ومآله ويقفوا على ما في من الشواهد الموجبة لتصديقه كقوله
تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله كما ينبئ عنه قوله تعالى فسوف ياتيهم انباء ما كانوا
به يستهزؤن فان ما عبارة عن الحق المذكور عبر عنه بذلك تهويلا لامره بابهامه وتعليلا للحكم بما
في حيز الصلة وانباؤه عبارة عما سيحيق بهم من العقوبات العاجلة التي نطقت بها ايات
الوعيد وفي لفظ الانباء ايذان بغاية العظم لما ان النبا لا يطلق الا على خبر عظيم الوقع وحملها على
العقوبات الاجلة او على ظهور الاسلام وعلو كلمته يأباه الايات الاتية وسوف لتاكيد مضمون
الجملة وتقريره اي سياتيهم البتة وان تاخر مصداق انباء الشيء الذي كانوا يكذبون به
قبل من غير ان يتدبروا في عواقبه وانما قيل يستهزؤن ايذانا بان تكذيبهم كانوا مقرونا بالاستهزاء كما
اشير اليه هنا على ان يراد بالايات القرانية وهو الاظهر واما ان يراد بها الايات التكوينية
والفاء داخلة على علة جواب شرط محذوف والاعراض على حقيقته كانه قيل انهم كانوا معرضين عن تلك الايات
فلا تعجب فقد فعلوا بما هو اعظم منها ما هو اعظم من الاعراض حيث كذبوا بالحق الذي هو اعظم
الايات ولا مساغ لحمل الايات في هذا الوجه على كلها اصلا واما ما قيل من ان المعنى انهم لما كانوا
معرضين عن الايات كلها كذبوا بالقران فمما ينبغي تنزيه القران عن امثاله الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن
استيناف مسوق لتعيين ما هو المراد بالانباء التي سبق بها الوعيد وتقريرا تيانها بطريق الاستشهاد وهمزة
الانكار لتقرير الرؤية وهي في تاثيره مستدعية لمفعول واحد كم استفهامية كانت او خبرية معلقة
لها عن العمل مفيدة للتكثير سادة مع ما في خبرها مسد مفعولها منصوبة باهلكنا على المفعولية على
انها عبارة عن الاشخاص ومن قرن مميز لها على انه عبارة عن اهل عصر من الاعصار سموا بذلك لاقترانهم
برهة من الدهر كما في قوله صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الحديث وقيل هو عبارة عن
مدة من الزمان المضاف محذوف اي من اهل قرن واما انتصابها على المصدر متعلقة باهلكنا اي الم يعرفوا
بمعاينة الاثار وسماع الاخبار كم اهلاكا اهلكنا من قبل اهل مكة اي من قبل خلقهم او من زمانهم على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كعاد وثمود واحزابهم وقوله تعالى مكناهم في الارض استيناف
لبيان كيفية الاهلاك وتفصيل مباديه مبني على سؤال نشا من صدر الكلام كانه قيل كيف كان ذلك
فقيل مكناهم الى اخره وقيل هو صفة لقرن لما ان النكرة مفتقرة الى المخصص فاذا وليها ما يصلح
مخصصا لها تعين وصفيته بها وانت خبير بان تنويه التفخيم مغن له عن استدعاء الصفة على ان
ذلك مع اقتضائه ان يكون مضمونه ومضمون ما عطف عليه من الجمل الاربع امرا مفروغا عنه
غير مقصود بسياق النظم مؤد الى اختلال النظم الكريم كيف لا والمعنى حينئذ الم يروا كم اهلكنا من
قبلهم من قرن موصوفين بكذا وكذا وباهلاكنا اياهم بذنوبهم وانه بين الفساد والتمكين الشيء في الارض
جعله قارا فيها ولما لزمه جعلها مقرا له ورد الاستعمال بكل منهما فقيل تارة مكنه في الارض ومنه

قوله

قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه واخرى له في الارض ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض
حتى اجرى كل منهما مجرى الاخر ومنه قوله تعالى ما لم نمكن لكم بعد قوله مكناهم في الارض كانه قيل في الاول
مكنا لهم وفي الثاني ما لم نمكنكم وما نكرة موصوفة بما بعدها من الجملة المنفية والعائد محذوف محلها
النصب على المصدرية اي مكناهم تمكينا لم نمكنه لكم والالتفات لما في مواجهتهم بضعف الحال من بيان لشان
المتيقن ولدفع الاشتباه من اول الامر عن مرجع الضميرين وارسلنا السماء اي المطر او السحاب
المظلة لانها مبدأ المطر عليهم متعلق بارسلنا مدرارا اي مغزارا حال من السماء وجعلنا الانهار اي صيرناها
فقوله تعالى تجري من تحتهم مفعول ثان لجعلنا وانشاؤها هو حال من مفعوله ومن تحتهم متعلق بتجري وفيه
من الدلالة على كونها مسخرة مستمرة على الجريان على الوجه المذكور ما ليس في ان يقال واجرينا الانهار وليس
المراد بتعدادها يتلك النعم العظام الفائضة عليهم بعد ذكر تمكينهم بيان عظم جناياتهم وكفرانهم وكفاءتهم
بذلك لاعظم العقوبات بعدها زيادة تهم لجميع اسباب نيل المآرب ومبادي الامن والنجاة من المكاره
والمعاطب وعدم اغناء ذلك عنهم شيئا والمعنى اعطيناهم من البسطة في الاجسام والامتداد في الاعمار
والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا في استجلاب المنافع واستدفاع المضار ما لم نعط اهل
مكة ففعلوا ما فعلوا فاهلكناهم بذنوبهم اي اهلكنا كل قرن من القرون بسبب ما يخصهم من الذنوب
فما اغنى عنهم تلك العدد والاسباب فسيحل بهؤلاء مثل ما حل بهم من العذاب وهذا كما ترى اخر ما به الاستشهاد
والاعتبار واما قوله سبحانه وانشانا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم كل قرن قرنا اخرين بدلا من الهالكين
فلبيان كمال قدرته تعالى وسعة سلطانه وان ما ذكر من اهلاك الامم الكثيرة لم ينقص من ملكه شيئا بل
كلما اهلك امة انشا بعدها اخرى ولو نزلنا عليك جملة مستانفة سيقت بطريق تلوين الخطاب لبيان
شدة شكيمتهم في المكابرة من الاوائل الباطلة اثر بيان اعراضهم عن ايات الله تعالى وتكذيبهم بالحق واستحقاقهم
بذلك لنزول العذاب والنسبة المتنزل هنا اليه عليه السلام مع نسبة الاتيان الايات ومجيء الحق فيما
سبق اليهم للاشعار بقدحهم في نبوته عليه السلام مع نسبة اتيان في ضمن تحجيم فيما نزل اليه صريحا وقال
الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن ابي امية ونوفل بن خويلد حيث قالوا يا رسول الله
صلى الله عليه وسلم لن نؤمن لك حتى تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون انه
من عند الله تعالى وانك رسوله كتابا ان جعل بمعنى المكتوب فقوله تعالى في قرطاس متعلق بمحذوف
وقع صفة له اي كتابا كائنا في صحيفة وان جعل مصدرا بمعنى المكتوب فهو متعلق بنفسه فلمسوه اي
الكتاب وقيل القرطاس وقوله تعالى بايديهم مع ظهور ان اللمس لا يكون عادة الا بالايدي لزيادة
التعيين ودفع احتمال التجوز الواقع في قوله تعالى وانا لمسنا السماء اي تفحصنا اي فمسوه بايديهم بعد
ما رأوه باعينهم بحيث لم يبق لهم في شانه اشتباه ولم يقدروا على الاعتذار بتسكير الابصار لقال
الذين كفروا اي لقالوا انما وضع الموصول موضع الضمير للتنصيص على اتصافهم بما في حيز الصلة من الكفر
الذي لا يخفى حسن موقعه باعتبار مفهومه اللغوي ايضا ان هذا اي ما هذا مشيرين الى ذلك الكتاب
الا سحر مبين اي بين كونه سحرا تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره كما هو داب المفحم المحجوج وديدن المكابر اللجوج
وقالوا لولا انزل عليه ملك شروع في قدحهم في نبوته عليه السلام صريحا بعد ما اشير الى قدحهم
فيها ضمنا وقيل هو معطوف على جواب لو وليس بذاك لان تلك المقالة الشنعاء ليست مما يقدر صدورها
عنهم على تقدير تنزيل الكتاب المذكور بل هي من اباطيلهم المحققة وخرافاتهم الملفقة التي يتعللون بها كلما
ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل اي هلا انزل عليه عليه السلام ملك بحيث نراه ويكلمنا انه نبي حسبما نقل
فيما روي عن الكلبي ومقاتل ونظيره قولهم لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا ولما كان مدار الاقتراح
انزال الملك كما هو وجعله معه عليه السلام نذيرا اجيب عنه بان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الوجود
اصلا لاشتماله على امرين متنافيين لا يجتمعان في الوجود لما ان انزال الملك على صورته يقتضي انتفاء جعله
نذيرا وجعله نذيرا يستدعي عدم انزاله على صورته لا محالة وقد اشير الى الاول بقوله تعالى ولو انزلنا
ملكا لقضي الامر اي لو انزلنا ملكا على هيئته حسبما اقترحوه والحال انه من هول المنظر بحيث لا تطيق بمشاهدته
قوى الاحاد البشرية الا ترى ان الانبياء صلوات الله تعالى عليهم اجمعين كانوا يشاهدون الملائكة ويفاوضونهم
على الصور البشرية كضيف ابراهيم ولوط وخصم داود عليه السلام وغير ذلك وكان من شانهم
لذلك وهم مؤيدون بالقوى القدسية فما ظنك بمن عداهم من العوام فلو شاهدوه لذلك لقضي الامر
باهلاكهم بالكلية واستحال جعله نذيرا وهو مع كونه خلاف مطلوبهم يستلزم اخلاء العالم عما عليه يدور
نظام الدنيا والاخرة من ارسال الرسل وتاسيس الشرائع وقد قال سبحانه وما كنا معذبين حتى نبعث
رسولا وفيه كما ترى ايذان بانهم في ذلك الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه وان عدم الاجابة اليه

للتعليا عليهم وبناء الفعل الاول في الجواب للفاعل الذي هو نون العظمة مع كونه في السؤال مبنيا للمفعول
لتهويل الامر وتربية المهابة وبناء الثاني للمفعول للجري على سنن الكبرياء وكلمة ثم في قوله تعالى ثم لا ينظرون
اى لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين فضلا عن ان يمانوا دوابه كما هو المقصود بالانظار للتنبيه على تفاوت
ما بين قضاء الامر وعدم الانظار فان مفاجاة العذاب اشد من نفس العذاب واشق وقيل في سبب اهلاكهم
بانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي اية لا شيء ابين منها
ثم لم يكن بد من اهلاكهم وقيل انهم اذا راوه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف فيجب اهلاكهم والى
الثاني بقوله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا على ان الضمير الاول للنذير المفهوم من فحوى الكلام
بعونه المقام وانما لم يجعل للملك المذكور قبله بان يعكس ترتيب المفعولين ويقال ولو جعلناه نذيرا
لجعلناه رجلا مع فهم المراد منه ايضا لتحقيق ان مناط ابراز الجعل الاول في معرض الفرض والتقدير
ومدار استلزامه الثاني انما هو ملكية النذير لا نذيرية الملك وذلك لان الجعل يكون مفعوله الاول
مبتداء والثاني انما هو ملكية النذير به الملك فذلك لان الجعل يكون مفعوله الاول مبتداء والثاني
خبر لكونه بمعنى التصيير المنقول من صار الداخل على المبتدا والخبر ولا ريب في ان مصب الفائدة ومدار
اللزوم بين طرفي الشرطية هو محمول المقدم لا موضوعه فحيث كانت امتناعية احديهما بايان الجعل
الاول لاستلزامه المحذور الذي هو الجعل الثاني وجب ان يجعل مدار الاستلزام في الاول مفعوله الثاني
لا محالة ولذلك جعل مقابله في الجعل الثاني اى مفعوله الثاني لذلك ابانه لكمال التنافي بينهما الموجب
لانتفاء الملزوم ومن الضمير الثاني للملك لا لما رجع اليه الاول والمعنى لو جعلنا النذير الذي اقترحوه
ملكا لمثلنا ذلك الملك رجلا لما مر من عدم استطاعة الاحاد لمعاينة الملك على هيكله وفي ايثار
رجلا على بشرا ايذانا بان الجعل بطريق التمثيل لا بطريق قلب الحقيقة وتعيين لما يقع به التمثيل وقوله
تعالى وللبسنا عليهم عطف على جواب لو مبني على الجواب الاول وقد يرى بحذف لام الجواب اكتفاء بما في
المعطوف عليه يقال لبست الامر على القوم البسه اذا شبهته وجعلته مشكلا عليهم واصله الستر
بالثوب وقرئ الفعلان بالتشديد للمبالغة اى ولخلطنا عليهم بتمثيله رجلا ما يلبسون على انفسهم حينئذ
بان يقولوا له انما انت بشر ولست بملك ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز الناطق بها او
بمعجزات اخر غير ملجئة الى التصديق لكذبوه كما كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم ولو اظهر له صورته الاصلية
لزم الامر الاول والتعبير عن تمثيله تعالى باللبس اما لكونه في صورة اللبس او لكونه سببا للبسهم او لوقوعه
في صحبته بطريق المشاكلة وفيه تاكيد لاستحالة جعل النذير ملكا كانه قيل لو فعلناه لفعلنا ما لا
يليق لشاننا من لبس الامر عليهم وقد جوز ان يكون المعنى للبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم
الساعة في كفرهم بايات الله البينة ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عما يلقاه من قومه وفي تصدير الجملة بلام القسم وحرف التحقيق من الاعتناء بها ما لا يخفى وتنوين
رسل للتفخيم والتكثير ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف وقع صفة لرسل اى وبالله لقد استهزئ برسل
اولي شان خطير وذوي عدد كثير كائنين من زمان قبل زمانك على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه فحاق عقيبه اى احاط او نزل او دخل ونحو ذلك فان معناه يدور على الشمول واللزوم ولا
يكاد يستعمل الا في الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى بالذين سخروا منهم
اى استهزؤا بهم من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى
ما كانوا به يستهزؤن للمسارعة الى بيان ما فعلت الامم الخالية وما فعل بهم خوطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم بانذار قومه وتذكيرهم باحوالهم الفظيعة تحذيرا لهم عما هم عليه وتكملة للتسلية
بما في ضمنه من العدة اللطيفة بانه سيحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم الاولين وقد انجز
ذلك يوم بدر اى انجاز قل سيروا اى سيحوا في الارض لتعرفوا احوال اولئك الامم ثم انظروا اى
تفكروا كيف كان عاقبة المكذبين وكلمة ثم اما للدلالة على ان النظر في آثارهم لا يتم الا بعد انتهاء
السير الى اماكنهم واما لابانة ما بينهما من التفاوت في مراتب الوجوب وهو الاظهر فان وجوب السير
ليس الا لكونه وسيلة الى النظر كما يفصح عنه العطف بالفاء في قوله عز وجل فانظروا الآية واما ان الامر
الاول لاباحة السير في التجارة ونحوها والثاني لايجاب النظر في آثارهم وثم لتباعد ما بين الواجب
والمباح فلا يناسب المقام وكيف معلقة لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اى تفكروا في
انهم كيف اهلكوا بعذاب الاستيصال والعاقبة مصدر كالعافية ونظائرها وهي منتهى الامر ومآله
له ووضع المكذبين موضع المستهزئين لتحقيق ان مدار اصابة ما اصابهم هو التكذيب ليعتبر
السامعون عنه لا عن الاستهزاء فقط مع بقاء التكذيب بحاله بناء على عدم انه المدار في ذلك قل

اى استهزؤا بهم من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحيق وتقديمه على فاعله الذي هو قوله تعالى

لم

لهم بطريق الالجاء والتبكيت لمن ما في السموات وما في الارض من العقلاء وغيرهم اى لمن الكائنات جميعا
خلقا وملكا وتصرفا وقوله تعالى قل لله تقرير لهم وتنبيه على انه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتاتى
لاحد ان يجيب بغيره كما نطق به قوله عز وجل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
وقوله تعالى كتب على نفسه الرحمة جملة مستقلة داخلة تحت الامر ناطقة بشمول رحمته الواسعة
لجميع الخلق شمول ملكه وقدرته للكل مسوقة لبيان انه تعالى رؤف بعباده لا يعجل عليهم بالعقوبة
ويقبل منهم التوبة والانابة وان ما سبق ذكره وما لحق من احكام الغضب ليس من مقتضيات ذاته
تعالى بل من جهة الخلق كيف لا ومن رحمته ان خلقهم على الفطرة السليمة وهداهم الى معرفته وتوحيده
بنصب الآيات الانفسية والافاقية وارسال الرسل وانزال الكتب المشحونة بالدعوة الى موجبات
رضوانه والتحذير من مقتضيات سخطه وقد بدلوا فطرة الله تبديلا واعرضوا عن الآيات بالمرة وكذبوا
بالكتب واستهزؤا بالرسل وما ظلمهم الله ولكن كانوا هم الظالمين ولولا شمول رحمته لسلك بهؤلاء ايضا
مسالك الغابرين ومعنى كتب الرحمة على نفسه انه تعالى قضاها واوجبها بطريق التفضل والاحسان على
ذاته المقدسة بالذات لا بتوسط شيء اصلا وقيل هو ما روى عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لما قضى الله تعالى الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش ان الرحمة سبقت
غضبي وعنه في رواية وعن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال لكعب ما اول شيء ابتداه الله تعالى من خلقه
فقال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه بقلم ولا مداد كتابته الزبرجد واللؤلؤ والياقوت انا الله لا اله
الا انا سبقت رحمتي غضبي ومعنى سبق الرحمة عليها وغلبتها انها اقدم تعلقا بالخلق واكثر وصولا اليهم مع
انها من مقتضيات الذات المفيضة للخير وفي التعبير عن الذات بالنفس حجة على من ادعى ان لفظ النفس
لا يطلق على الله تعالى وان اريد به الذات الا بطريق المشاكلة لما ترى من انتفاء المشاكلة ها هنا بالكلية وقوله
تعالى ليجمعنكم الى يوم القيامة جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق للوعيد على اشراكهم واغفالهم
النظر اى والله ليجمعنكم في القبور مبعوثين او محشورين الى يوم القيامة فيجازيكم على شرككم وسائر معاصيكم
وسائر ذلك ان امهلكم بموجب رحمته ولم يعاجلكم بالعقوبة الدنيوية وقيل الى بمعنى اللام اى ليجمعنكم ليوم
القيمة كقوله تعالى انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه وقيل هي بمعنى في اى ليجمعنكم في يوم القيمة
لا ريب فيه اى في اليوم او في الجمع وقوله تعالى الذين خسروا انفسهم اى بتضييع راس مالهم وهو
الفطرة الاصلية والعقل السليم والاستعداد القريب الحاصل من مشاهدة الرسول صلى الله عليه وسلم
واستماع الوحي وغير ذلك من آثار الرحمة في موضع النصب او الرفع على الذم اى اعني الذين الخ
او هو مبتدا والخبر قوله تعالى فهم لا يؤمنون والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط والاشعار بان عدم ايمانهم
بسبب خسرانهم فان ابطال العقل باتباع الحواس والوهم والانهماك في التقليد واغفال النظر ادى
بهم الى الاصرار على الكفر والامتناع من الايمان والجملة تذييل مسوق من جهته تعالى لتقبيح حالهم غير داخل
تحت الامر وله اى لله عز وجل خاصة ما سكن في الليل والنهار نزل الملوان منزلة المكان فعبر عن
نسبة الاشياء الزمانية اليهما بالسكون فيهما وتعديته بفي كما في قوله تعالى وسكنتم في مساكن الذين
ظلموا انفسهم او السكون مقابل الحركة والمراد ما سكن فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الاخر
وهو السميع المبالغ في السماع كل مسموع العليم المبالغ في العلم بكل معلوم فلا يخفى عليه شيء من
الاقوال والافعال قل لهم بعدما بكتهم بما سبق من الخطاب اغير الله اتخذ وليا اى معبودا بطريق الاستقلال
والاشتراك وانما سلطت الهمزة على المفعول الاول لا على الفعل ايذانا بان المنكر هو اتخاذ غير الله تعالى وليا
لا اتخاذ الولي مطلقا كما في قوله تعالى افغير الله تامروني اعبد الى اخره فاطر السموات والارض اى مبدعهما
بالجر صفة للجلالة مؤكدة للانكار لانه بمعنى الماضي ولذلك قرئ فطر ولا يضر الفصل بينهما بالجملة لانها
ليست باجنبية اذ هي عاملة في عامل الموصوف او بدل فان الفصل بينه وبين المبدل منه اسهل لان البدل
على نية تكرير العامل وقرئ بالرفع والنصب على المدح وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما عرفت معنى
الفاطر حتى اختصم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اى ابتداتها وهو يطعم ولا يطعم اى يرزق
الخلق ولا يرزق وتخصيص الطعام بالذكر لشدة الحاجة اليه او لانه معظم ما يصل الى المرزوق من الرزق
ومحل الجملة النصب على الحالية فان مضمونها مقرر لوجوب اتخاذه سبحانه وتعالى وليا وقرئ ولا يطعم ولما
بفتح اليا وسكون بعكس القراءة الاولى ايضا على ان الضمير لغير الله والمعنى اشرك بمن هو فاطر السموات
والارض ما هو نازل عن رتبة الحيوانية وبنائهما على الفاعل على ان الثاني بمعنى يستطعم او على معنى انه يطعم
تارة ولا يطعم اخرى كقوله تعالى يقبض ويبسط قل بعد بيان اتخاذ غيره تعالى وليا ما يقضي ببطلانه
بهداية العقول اني امرت من جنابه عز وجل ان اكون اول من اسلم وجهه لله مخلصا لان النبي امام امته

اى قيل لى لا تكونن من

في الاسلام كقوله تعالى من امور الدين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وبذلك امرت وانا
اول المسلمين وقوله تعالى سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين ولا تكونن من المشركين اى في امر من امور الدين
ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك وقد جوز عطفه على امرت وهو قل انى اخاف ان عصيت ربى
اى بمخالفة امره ونهيه اى عصيان كان فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا وفيه بيان لكمال اجتنابه عليه
السلام من المعاصى على الاطلاق وقوله تعالى عذاب يوم عظيم اى عذاب يوم القيمة مفعول اخاف والشرطية
معترضة بينهما والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه وفيه قطع لاطماعهم الفارغة وتعريض بانهم عما
مستوجبون للعذاب العظيم ومن يصرف عنه على البنا للمفعول اى العذاب وقرئ على البنا للفاعل
والضمير لله سبحانه وقد قرئ بالاظهار والمفعول محذوف وقوله تعالى يومئذ ظرف للصرف اى في ذلك
اليوم العظيم وقد جوزنا ان يكون هو المفعول على القراءة المبنا للفاعل بحذف المضاف اى عذاب يوم عظيم
فقد رحمه اى نجاه وانعم عليه وقيل فقد ادخله الجنة كما في قوله تعالى فمن زحزح عن النار وادخل الجنة
فقد فاز والجملة مستانفة موكدة لتهويل العذاب وضمير عنه ورحمه لمن وهو عبارة عن غير العاصى وذلك
اشارة الى الصرف او الرحمة لانها مولدة بانه مع الفضل وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته
وبعد مكانه من الفضل وهو مبتدا خبره وقوله تعالى الفوز المبين اى الظاهر كونه فوزا وهو الظفر
بالبغية واللام لتعريف الجنس على ذلك وان يمسسك الله بضر اى ببلية كمرض وفقر ونحو ذلك فهو
فلا كاشف له اى فلا قادر على كشفه عنك الا هو وحده وان يمسسك بخير من صحة ونعمة ونحو ذلك
فهو على كل شئ قدير ومن جملته ذلك فيقدر عليه فيمسكه ويحفظه عليك من غير ان يقدر على دفعه
او دفعه احد كقوله تعالى فلا راد لفضله وحمله على تاكيد الجوابين يأباه الفاء ذكره روى عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنه انه قال اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من
شعر ثم اردفنى خلفه ثم سار بى مليا ثم التفت فقال يا غلام فقلت لبيك يا رسول الله فقال احفظ
الله تجده امامك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة فاذا سالت فاسأل الله تعالى واذا استعنت
فاستعن بالله تعالى فقد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم
يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتب الله تعالى عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان
تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر
مع الصبر وان مع الكرب فرجا وان مع العسر يسرا وهو القاهر فوق عباده تصوير لقهره وعلوه
بالغلبة والقدرة وهو الحكيم في كل ما يفعله ويامر به الخبير باحوال العباد وخفايا امورهم واللام
في المواضع الثلاثة للقصر قل اى شئ اكبر شهادة روى ان قريشا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا ان ليس لك عندهم ذكر ولا صفة فارنا من يشهد لك انك
رسول الله فنزلت فاى مبتدا واكبر خبره وشهادة نصب على التمييز وقوله تعالى قل الله امر له صلى
الله عليه وسلم بان يتولى الجواب بنفسه اما للايذان بتعينه وعدم قدرتهم على ان يجيبوا بغيره او لانهم
ربما يتلعثمون فيه لا لتردد هم في انه اكبر من كل شئ بل في كونه شهيدا في هذا الشان وقوله تعالى
شهيد خبر مبتدا محذوف اى هو شهيد بينى وبينكم ويجوز ان يكون الله شهيد هو الجواب لانه اذا كان
هو الشهيد بينه وبينكم كان اكبر شئ شهادة شهيدا له عليه السلام وتكذيبهم التحقيق المقابلة
واوحى الى اى من جهته تعالى هذا القران الشاهد بصحة رسالتى لانذركم به بما فيه من الوعيد والاكتفا
على ذكر الانذار لما ان الكلام مع الكفرة ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين اى لانذركم به يا اهل مكة
وساير من بلغه من الاسود والاحمر او من الثقلين او لانذركم به ايها الموجودون ومن سيوجد الى يوم
القيمة وهو دليل على ان احكام القران تعم الموجودين يوم نزوله ومن سيوجد بعد الى يوم القيمة خلا ان
ذلك بطريق العبادة في الكل عند الحنابلة بالاجماع عندنا في غير الموجودين وفي غير المكلفين يومئذ كما في
اول سورة النساء ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد
بذلك وان شهدتم به فانه باطل صرف قل كرر للتاكيد انما هو اله واحد اى بل انما اشهد انه تعالى لا اله الا
هو واننى برئ مما تشركون من الاصنام او من اشراككم الذين اتيناهم الكتاب جواب عما سبق من قولهم لقد
سالنا عنك اليهود والنصارى اخر عن تعيين الشهيد مسارعة الى الزامهم بالجواب عن تحكمهم
بقولهم فارنا من يشهد لك الى اخره والمراد بالموصول اليهود والنصارى وبالكتاب الجنس المنتظم للتوراة
والانجيل وايراده بعنوان ايتاء الكتاب للايذان بمدار ما اسند اليه بقوله تعالى يعرفونه اى يعرفون
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة من جهة الكتابين ونعوته المذكورة فيهما كما
يعرفون ابناءهم بحلاهم بحيث لا يشكون في ذلك اصلا روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم

المدينة

المدينة قال عمر رضى الله عنه لعبد الله بن سلام انزل الله تعالى على نبيه هذه الاية وكيف هذه
المعرفة فقال يا عمر لقد عرفته فيكم حين رايته كما اعرف ابنى ولانا اشد معرفة بمحمد منى بابنى لانى ما ادرى
ما صنع النساء واشهد انه حق من الله تعالى الذين خسروا انفسهم من اهل الكتاب والمشركين بان
ضيعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها واعرضوا عن البينات الموجبة للايمان بالكلية فهم لا يؤمنون
لما انهم مطبوع على قلوبهم ومحل الموصول الرفع على الابتدا وخبره والجملة المصدرة بالفا لما فيه من معنى
الشرط وقيل على انه خبر مبتدا محذوف اى هم الذين خسروا الى اخره وقيل على انه نعت للموصول الاول
وقيل النصب على الذم فقوله تعالى فهم لا يؤمنون على الوجوه الاخيرة عطف على جملة الذين اتيناهم
الكتاب الى اخره ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان وصفه النبى الموعود في الكتابين بخلاف اوصافه
عليه الصلوة والسلام فانه افترا على الله سبحانه وبقولهم الملائكة بنات الله وقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله ونحو ذلك وهو انكار واستبعاد لان يكون احد اظلم ممن فعل ذلك او مساويا له وان كان سبك
التركيب غير متعرض لانكار المساواة ونفيها يشهد به العرف الفاشى والاستعمال المطرد فانه اذا قيل من اكرم
من فلان او لا افضل من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل الا ترى الى قوله
عز وجل لا جرم انهم في الاخرة هم الاخسرون بعد قوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا الى اخره والسر
في ذلك ان النسبة بين الشيئين انما تتصور غالبا لا سيما في باب المبالغة المغالبة بالتفاوت زيادة
ونقصانا فاذا لم يكن احدهما ازيد يتحقق النقصان لا محالة او كذب باياته كان كذبوا بالقران الذى من
جملته الاية الناطقة بانهم يعرفونه عليه السلام كما يعرفون ابناءهم وبالمعجزات وسموها سحرا وحرفوا
التوراة وغيروا نعوته عليه الصلوة والسلام فان ذلك تكذيب باياته تعالى وكلمة او للايذان بان كلا من
الافترا والتكذيب وحده بالغ غاية الافراط في الظلم فكيف وقد جمعوا بينهما فاثبتوا ما نفاه الله تعالى
ونفوا ما اثبته قاتلهم الله انى يؤفكون انه الضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعا شهرته
المغنية عن ذكره وفائدته تصدير الجملة الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن
فان الضمير لا يفهم من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده
له فضل تمكن فكانه قيل الشان الخطير هذا وهو لا يفلح الظالمون اى لا ينجون من مكروه ولا يفوزون
بمطلوب واذا كان حال الظالمين هذا فما ظنك بمن في الغاية القاصية من الظلم ويوم نحشرهم جميعا
منصوب على الظرفية بمضمر مؤخر قد حذف ايذانا بضيق العبارة عن شرحه وبيانه وايماء الى عدم
استطاعة السامعين لسماعه لكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة والداهية التامة كانه قيل ويوم
نحشرهم جميعا ثم نقول لهم ما نقول من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به داير المقال وتقدير صيغة
الماضى للدلالة على التحقيق وحسن موقع عطفه تعالى ثم لم تكن الى اخره وقيل منصوب على المفعولية
بمضمر مقدم اى واذكر لهم للتخويف والتحذير يوم نحشرهم الى اخره وليتقوا وليحذروا يوم نحشرهم الى
اخره والضمير للكل وجميعا حال منه وقرئ يحشرهم جميعا ثم يقول بالياء فيهما للذين اشركوا اى نقول لهم
خاصة للتوبيخ والتقريع على رؤس الاشهاد اين شركاؤكم اى الهتكم التى جعلتموها شركاء لله سبحانه
واضافتها اليهم لما ان شركتها ليست الا بتسميتهم وتقولهم الكاذب كما ينبئ عنه قوله تعالى الذين كنتم تزعمون
اى تزعمونها شركاء فحذف المفعولان معا وهذا السؤال المنبئ عن غيبة الشركاء مع عموم الحشر
لها لقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله وغير ذلك من النصوص
انما يقع بعد ما جرى بينها وبينهم من التبرى من الجانبين وتقطع ما بينهم من الاسباب والعلايق حسبما يحكيه
قوله تعالى فزيلنا بينهم الى اخره ونحو ذلك من الايات الكريمة اما بعدم حضورها في الحقيقة اذ ليس
السؤال عنها من حيث ذواتها بل انما هو من حيث انها شركاء كما يعرب عنه الوصف بالموصول ولا ريب
في ان عدم الوصف موجب عدم الموصوف من حيث هو موصوف فهى من حيث هى شركاء غايبة لا محالة
وان كانت حاضرة من حيث ذواتها اصناما كانت او غيرها واما بما يقال من انه يحال بينها وبينهم في وقت
التوبيخ ليفقدوها في الساعة التى علقوا بها الرجا فيها فيروا مكان رجائهم وحسرتهم فيما يشعر بعد مرة
تعودهم بحقيقة الحال وعدم انقطاع حبال رجائهم عنها بعد وقت عرفت انهم شاهدوها قبل ذلك
وانصرمت عروة اطماعهم عنها بالكلية على انها معلومة لهم من حين الموت والابتلا بالعذاب في البرزخ وانما
الذى يحصل يوم الحشر الانكشاف الجلى واليقين القوى المترتب على المحاضرة او على مجاوزة ثم لم تكن فتنتهم
بتانيث الفعل ورفع فتنتهم على انه اسم له والخبر الا ان قالوا وقرئ بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم
الا ان قالوا والتانيث للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ بنصب فتنتهم على انها الخبر والاسم الا ان قالوا
والتانيث للخبر كما في قولهم من كانت امك وقرئ بالتذكير مع رفع الفتنة ونصبها ورفع ما نسب

بحسب المعنى والجملة عطف على ما قدر عاملا في يوم نحشرهم كما اشير اليه فيما سلف الا استثناء مفرغ من اعم
الاشياء وفتنتهم وا ما كفرهم مرادا به عاقبته اى انظر لكن عاقبة كفرهم الذى لزموه مدة اعمارهم وتحربوا
به ومنعا من الدنيا الاجحوده والتبرى عنه بان يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين واما جوابهم عبر عنه بالفتنة
لانه كذب ومعصية تعالى لربوبيته لهم للمبالغة في التبري من الاشراك حيث رتبوا على النداء فهو لاظهار الضراعة
والاجتهاد في تشديدها قبول المعذرة وانما يقولون ذلك مع علمهم بانه بمعزل من النفع راسا من فرط الحيرة
والدهشة وجملة على معنى مشركين عند انفسنا وما علمنا في الدنيا انا على خطا في معتقدنا مما لا ينبغي ان يتوهم
اصلا فانه مما يوهم ان لهم عذرا ما وان لهم قدرة على الاعتذار في الجملة وذلك مخل بكمال هول اليوم قطعا
على انه قضى ببطلانه وقوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم فانه تعجيب من كذبهم الصريح بانكار صدور
الاشراك عنهم في الدنيا انظر كيف كذبوا على انفسهم في قولهم فانه معتبر عجيب في الغاية واما حمله على
كذبهم في الدنيا فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عنه وقوله تعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون عطف على كذبوا
داخل في حكم التعجب وما مصدرية او موصولة قد حذف عائدها والمعنى انظر كيف كذبوا باليمين
الفاجرة المغلظة على انفسهم بانكار صدور ما صدر عنهم وكيف ضل عنهم اى زال وذهب افتراؤهم او ما كانوا
يفترونه من الاشراك حتى نفوا صدوره عنهم بالكلية وتبرؤا منه بالمرة وقيل ما عبارة عن الشركاء
وايقاع الافتراء عليها مع انه في الحقيقة على احوالها من الالهية والشركة والشفاعة ونحوها للمبالغة
في امرها كانها نفس المفترى وقيل الجملة كلام مستانف غير داخل في حيز التعجب ومنهم من يستمع اليك
كلام مبتدأ مسوق لحكاية ما صدر في الدنيا عن بعض المشركين من احكام الكفر ثم بيان ما سيصدر عنهم يوم
الحشر تقريرا لما قبله وتحقيقا لمضمونه والضمير للذين اشركوا ومحل الظرف الرفع على مبتدأ باعتبار مضمونه
بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك وجمع منا الى اخره ومن موصولة او موصوفة محلها
الرفع على الخبرية والمعنى وبعضهم او وبعض منهم الذى يستمع اليك على مناط الافادة اتصافهم بانحيز
الصلة او الصفة لا لكونهم ذوات اولئك المذكورين وتقدم في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول
الى اخره روى انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر وكان صاحب اخبار يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذى
جعلها بيته ما ادرى ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما احدثكم عن القرون الماضية
فقال ابو سفيان انى لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت وجعلنا على قلوبهم اكنة من الجعل بمعنى الانشاء وعلى
متعلقة به او ضمير قلوبهم راجع الى من وجمعه باعتبار معناها كما ان افراد ضمير يستمع باعتبار لفظها
وقد روعي جانب المعنى في قوله تعالى في سورة يونس ومنهم من يستمعون اليك الاية والاكنة جمع كنان وهو ما
يستر به الشيء وتنوينها للتفخيم والجملة اما مستانفة للاخبار بما تضمنته من الختم او حال من فاعل يستمع باضمار
قد عند من يقدرها قبل الماضي الواقع حالا اى يستمعون اليك وقد جعلنا على قلوبهم اغطية كثيرة لا يكاد
قدرها [illegible] ان يفقهوه اى كراهة ان يفقهوا ما يستمعونه من القران المدلول
عليه بذكر الاستماع ويجوز ان يكون مفعولا لما يدل عليه الكلام اى منعناهم ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا
صمما وثقلا مانعا من سماعه له والكلام فيه كما في قوله تعالى على قلوبهم اكنة وهذا تمثيل معرب عن كمال
جهلهم بشئون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القران الكريم ومج اسماعهم له وقد مر تحقيقه
في اول سورة البقرة وقيل هو حكاية لما قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر [illegible]
خبر بان مرادهم بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القران والنبي صلى الله عليه وسلم جهلا وكفرا من
اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان لا الاخبار بان هناك امرا وذلك حايلا بينهم وبين
ادراكه حايل من قبلهم حتى يمكن جعل النظم الكريم عليه [illegible] من الايات القرانية او يشاهدوا كل
[illegible] لا يؤمنوا بها على عموم النفي لا على نفي العموم [illegible] واحدا بعد واحد [illegible]
من حالهم حتى اذا جاؤك يجادلونك هي حتى التي يقع بعدها الجمل والجملة هي قوله تعالى اذا جاؤك يقول الذين
كفروا وما بينهما حال من فاعل جاؤك [illegible]
[illegible] بلغوا من التكذيب والمكابرة الى انهم اذا جاؤك مجادلين [illegible] بعدم الايمان بما سمعوا من
الايات الكريمة [illegible] ان هذا الا اساطير الاولين [illegible] الذى
[illegible] الباطل [illegible] من قبيل الاساطير والاباطيل والخرافات [illegible]
[illegible] قوله تعالى
[illegible] الى اخره [illegible] والاساطير جمع اسطورة واسطارة [illegible] جمع سطر [illegible]
واصله السطر بمعنى الخط وهم ينهون عنه [illegible] اى لا يقتنعون بما ذكر

من تكذيبه وعده من قبيل الاساطير بل ينهون الناس عن استماعه لئلا يقفوا على حقيقته فيؤمنوا به
وينئون عنه اى يتباعدون عنه بانفسهم اظهارا لغاية نفورهم عنه وتاكيدا لنهيهم فان اجتناب الناهي عن
المنهي عنه من متممات النهي ولعل ذلك هو السر في تخصيص تاخير النأي عنه عن النهي وقيل الضمير المجرور للنبي
عليه السلام وقيل المرفوع في لابي طالب ونظرائه والجمع باعتبار اتباعه فانه كان ينهى قريشا عن التعرض
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا اليه وارادوا برسول الله صلى
الله عليه وسلم سوءا فقال له ۞ والله لن يصلوا اليك بجمعهم ۞ حتى اوسد في التراب دفينا ۞ فاصدع بامرك
ما عليك غضاضة ۞ وابشر بذاك وقر فيه عيونا ۞ ودعوتني وزعمت انك ناصح ۞ ولقد صدقت وكنت ثم
امينا ۞ وعرضت دينا لا محالة انه ۞ من خير اديان البرية دينا ۞ لولا الملامة او حذاري سبة ۞ لوجدتني
سمحا بذاك مبينا ۞ فنزلت وان يهلكون بما فعلوا من النهي والنأي الا انفسهم بتعريضها لاشد العذاب
وقطيعة عاجلا واجلا وهو عذاب الضلال والاضلال وقوله تعالى وما يشعرون حال من ضمير يهلكون
اى يقتصرون الاهلاك على انفسهم والحال انهم ما يشعرون اى لا باهلاكهم انفسهم ولا باختصاص ذلك بهم ما هي
غيران انهم يضروا بذلك شيئا من القران والرسول عليه السلام والمؤمنين وانما عبر عنه بالاهلاك مع ان
المنفي عن غيرهم مطلق الضرر لا غايته ما يؤدي اليه ما فعلوا من القدح في القران الكريم المماتعة في تمتين
احكامه وظهور امر الدين للايمان بان ما يحيق بهم هو الهلاك لا دونه والنفي المطلق على ان مقصدهم لم يكن
مطلق المماتعة فيما ذكر بل كانوا يبغون الغوائل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ويكون النفي المتعلق
مبني على تنزيل عذاب الضلال عند عذاب الاضلال منزلة العدم ولو ترى اذ وقفوا على النار شروع في
حكاية ما يصدر عنهم يوم القيمة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا من القبائح المحكية مع كونه كذبا
في نفسه والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من اهل المشاهدة والعيان قصدا الى بيان
كمال سوء حالهم وبلوغها من الشناعة والفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة
الامور العجيبة بل كل من يتاتى منه الرؤية يتعجب من هولها وفظاعتها وجواب لو محذوف ثقة بظهوره
وايذانا بقصور العبارة عن تفصيله وكذا مفعول ترى لدلالة ما في حيز الظرف عليه اى لو تريهم حين
يوقفون على النار حتى يعاينوها لرايت ما لا يساعده التعبير وصيغة الماضي للدلالة على التحقق وحين
يطلعون عليها اطلاعا وهي تحتهم او يدخلونها فيعرفون مقدار عذابها من قولهم وقفته على كذا اذا عرفته
وفهمته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف وقوفا فقالوا يا ليتنا نرد اى الى الدنيا تمنيا للرجوع
والخلاص وهيهات ولات حين مناص ولا نكذب بايات ربنا اى باياته الناطقة باحوال النار واهوالها الامرة
باتقائها اذ هي التي تخطر بالهم ويتحسرون على ما فرطوا في حقها او بجميع اياته المنتظمة لتلك الايات انتظاما
اوليا ونكون من المؤمنين بها العاملين بمقتضاها حتى لا نرى هذا الموقف الهائل او نكون من فريق المؤمنين الناجين
من العذاب الفائزين بحسن الماب بنصب الفعلين على جواب التمني باضمار ان بعد الواو واجرائها مجرى
الفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه وابن اسحاق فلا نكذب والمعنى ان رددنا لم نكذب ونكن
من المؤمنين وقيل ينسبك من ان المصدرية ومن الفعل بعدها مصدر يتقيد قبله مصدر متوهم فيعطف
هنا تمكنه كانه قيل ليت لنا ردا وانتفاء تكذيب وكونا من المؤمنين وقرئ برفعهما على انه كلام مستانف
كقوله دعني ولا اعود تركيبي او لا تتركني او عطف على نرد او حال من ضميره فيكون داخلا في حكم التمني كالوجه
الاخير للنصب وتعلق التكذيب الاتي به لما تضمنه من العدة بالايمان وعدم التكذيب كمن قال ليتني [illegible]
مالا فاكافيك على صنيعك فانه متضمن في معنى الوعد فلو رزق مالا ولم يكافئ صاحبه يكون مكذبا لا محالة
وقرئ برفع الاول ونصب الثاني وقد مر وجههما بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما ينبئ عنه التمني من
الوعد بتصديق الايات والايمان بها كيف ذلك عن عزيمة صادقة ناشئة عن رغبة في الايمان وشوق الى
تحصيله والاتصاف به بل لانه ظهر لهم في موقفهم ذلك ما كانوا يخفونه في الدنيا من الداهية الدهيا فقطوا انهم
مواقعوها فلخوفهم ووقوفهم على هول مطلعها قالوا ما قالوا والمراد بها النار التي وقفوا عليها اذ هي التي سبق الكلام لتهويل
امرها والتعجب من فظاعة حال الموقوفين عليها وباخفائها تكذيبهم بها فان التكذيب بالشيء كفر به اخفاء لا محالة
وايراده على صيغة التكذيب الوارد في قوله عز وجل هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون وقوله تعالى هذه النار
التي كنتم بها تكذبون مع كونه انسب بما قبله من قولهم ولا نكذب بايات ربنا للمراعاة ما في مقابلته من النكتة وهذا
هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما ما قيل من ان المراد بما يخفون من كفرهم ومعاصيهم او قبائحهم
وفضائحهم التي كانوا يكتمونها من الناس فتظهر في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم او شركهم الذين يجحدون
به في وصف بعض مواقف القيمة والله ربنا ما كنا مشركين ثم يظهر بما ذكر من شهادة الجوارح عليهم او ما
اخفاه رؤساء الكفرة عن اتباعهم من امر البعث والنشور او ما كتمه علماء اهل الكتابين من صحة نبوة النبي صلى الله

عليه وسلم وبنوتها الشريعة عن عوامهم على ان الضمير المجرور للعوام والمرفوع للخواص او كفرهم الذى
اخفوه من المؤمنين فالضمير المجرور للمؤمنين والمرفوع للمنافقين فمعنى الاغضاء عما فى كل منهما من الاعتساف
والاختلاف لا يسيل الى شئ من ذلك اصلا لما عرفت ان سوق النظم الشريف لتهويل اهل النار اى النار
وتفظيع حال اهلها وقد ذكر وقوفهم عليها انه اعتراهم عند ذلك من الخوف والخشية والحيرة والدهشة
ما لا يحيط به الوصف ورتب عليه تمنيهم المذكور بالفاء القاضية بسببية ما قبلها لما بعدها فاسقاط التابع
بعد ذلك من تلك السببية وهى فى نفسها ادهى الدواهى وازجر الزواجر واسنادها الى شئ من الامور الملكو
التى دونها فى الهول والزجر مع عدم جريان ذكرها ثمة امر يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله واما ما قيل
من ان المراد جزاء ما كانوا يخفون فى قبيل دخول البيوت من ظهورها وابوابها مفتوحة فتامل ولو ردوا اى
لو فرض ذلك الى الدنيا حسبما تمنوه وغاب عنهم ما شاهدوه من الاهوال لعادوا لما نهوا عنه من فنون القبائح التى
من جملتها التكذيب المذكور ونسوا ما عاينوه بالكلية لاقتصار انظارهم على الشاهد دون الغائب وانهم لكاذبون
اى لقوم ديدنهم الكذب فى كل ما يأتون وما يذرون وقالوا عطف على عادوا داخل فى حيز الجواب وتوسيط قوله
تعالى وانهم لكاذبون بينهما لانه اعتراض مسوق لتقرير ما افاده الشرطية من كذبهم المخصوص ولو افرادهم ان
المراد تكذيبهم فى انكارهم البعث والمعنى لو ردوا الى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه وقالوا ان هى اى ما الحياة الا حياتنا
الدنيا نموت ونحيى وما نحن بمبعوثين بعد ما فارقنا هذه الحياة كأن لم يروا ما راوا من الاحوال التى اولها
البعث والنشور ولو ترى اذ وقفوا على ربهم الكلام فيه كالذى مر فى نظيره خلا ان الوقوف ههنا مجاز عن الحبس
للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده للعقاب وقيل عرفوا ربهم حق التعريف وقيل وقفوا على
جزاء ربهم وقوله تعالى قال استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام السابق كأنه قيل فماذا قال لهم ربهم اذ ذاك فقيل
قال اليس هذا مشيرا الى ما شاهدوه من البعث وما يتبعه من امور النظام بالحق تعريفا لهم على تكذيبهم
لذلك وقولهم عند سماع ما يتعلق به ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا استئناف كما سبق بلى وربنا اكدوا
اعترافهم باليمين اظهارا لكمال تيقنهم بحقيقته وايذانا بصدور ذلك عنهم بالرغبة والنشاط طمعا فى نفعه
قال استئناف كما مر فذوقوا العذاب الذى عاينتموه والفاء لترتيب التعذيب على اعترافهم بحقية ما كفروا
به فى الدنيا لكن لا على ان مدار التعذيب هو اعترافهم بذلك بل هو كفرهم السابق بما اعترفوا بحقيته الان
كما نطق به قوله عز وجل بما كنتم تكفرون اى بسبب كفركم فى الدنيا بذلك او بكل ما يجب الايمان به فيدخل كفرهم
به دخولا اوليا ولعل هذا التوبيخ والتقريع انما يقع بعد ما وقفوا على النار فقالوا ما قالوا اذ الظاهر انه لا يبقى
بعد هذا الامر الا العذاب قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله هم الذين حكيت احوالهم لكن وضع الموصول موضع
الضمير للايذان بتسبب خسرانهم بما فى حيز الصلة من التكذيب بلقائه تعالى لقيام الساعة وما يترتب
عليه من البعث واحكامه المتفرعة عليه واستمرارهم على ذلك فان كلمة حتى فى قوله تعالى حتى اذا جاءتهم
الساعة غاية لتكذيبهم لا لخسرانهم فانه ابدى لا حد له بغتة البعث والبغتة مفاجاة الشئ بسرعة من غير
شعور به يقال بغتته بغتة وبغتا اى فجاة وانتصابها اما على انه مصدر واقع موقع الحال من فاعل جاءتهم اى مباغتة
او من مفعوله اى مبغوتين واما على انه مصدر مؤكد على غير الصدر فان جاءتهم فى معنى بغتتهم كقوله اتيته
ركضا او مصدر مؤكد لفعل محذوف وقع حالا من فاعل جاءتهم الساعة تبغتهم بغتة قالوا جواب اذا يا حسرتنا
تعالى فهذا اوانك والحسرة شدة الندم وهذا التحسر وان كان يعتريهم عند الموت لكن لما كان ذلك من مبادى
الساعة سمى باسمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجئ الساعة بعد
الموت كالواقع بغير فترة لسرعته على ما فرطنا فيها اى على تفريطنا فى شان الساعة وتقصيرنا فى مراعاة حقها
والاستعداد لها بالايمان بها واكتساب الاعمال الصالحة على ما فرطت فى جنب الله وقيل الضمير للحياة الدنيا
وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة والتفريط التقصير فى الشئ مع القدرة على فعله وقيل هو التضييع وقيل
الفرط السبق ومنه الفارط اى السابق ومعنى فرط خلى السبق لغيره والتضعيف فيه للسلب كما فى جلد
البعير وقوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم حال من فاعل قالوا فايدته للايذان بان عذابهم ليس مقصورا على
ما ذكر من الحسرة على ما فات وزال بل يقاسون على ذلك تحمل الاوزار الثقال والايذان بان تلك الحسرة من
الشدة بحيث لا تزول ولا تنسى بما يكابدون من فنون العقوبات والسر فى ذلك ان العذاب الروحانى
لا يزول ولا ينسى بشدة من الجسمانى نعوذ برحمة الله عز وجل منهما والوزر فى الاصل الحمل الثقيل سمى به الاثم
والذنب لغاية ثقله على صاحبه وذكر الظهور كذكر الايدى فى قوله تعالى فبما كسبت ايديكم فان المعتاد
حمل الاثقال على الظهور كما ان المألوف هو الكسب بالايدى والمعنى انهم يتحسرون على ما لم يعملوا من
الحسنات والحال انهم يحملون اوزارهم ما عملوا من السيئات الا ساء ما يزرون تذييل مقرر لما قبله وتكملة
له اى بئس شيئا يزرونه وزرهم وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو لما حقق فيما سبق ان وراء الحيوة الدنيا

حيوة اخرى يلقون فيها من الخطوب ما يلقون بين بعد حال تينك الحيوتين فى انفسهما واللعب عما يشغل
النفس ويلهيها عما تنتفع به واللهو صرفها عن الجد الى الهزل والمعنى اما على حذف المضاف او على جعل الحيوة
الدنيا نفس اللعب واللهو مبالغة فى قول الخنساء • فانما هى اقبال وادبار • اى وما اعمال الدنيا اى الاعمال
المتعلقة بها من حيث هى وما هى من حيث انها محل تكسب تلك الا اعمال الا لعب يشغل
الناس ويلهيهم عما هو فيه من منفعة سريعة الزوال ولذة وشيكة الاضمحلال عما يعقبهم منفعة جليلة باقية
ولذة حقيقية غير متناهية من الايمان والعمل الصالح وللدار الاخرة التى هى محل الحياة الاخرى خير للذين يتقون
الكفر والمعاصى لان منافعها خالصة عن المضار ولذاتها غير متنغصة بالالام مستمرة على الدوام افلا يعقلون
ذلك حتى تتقوا ما انتم عليه من الكفر والعصيان والفاء للعطف على مقدر اى اتغفلون فلا تعقلون او الا
تتفكرون فلا تعقلون وقرئ يعقلون على الغيبة قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون استئناف مسوق لتسلية
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن الذى يعتريه مما حكى عن الكفرة من الاصرار على التكذيب والمبالغة
فيه ببيان انه عليه السلام بمكانه من الله عز وجل وان ما يفعلون فى حقه فهو راجع اليه تعالى فى الحقيقة
وانه ينتقم منهم لا محالة اشد انتقام وكلمة قد لتأكيد العلم بما ذكر المفيد لتأكيد الوعد كما فى قوله تعالى
قد يعلم ما انتم عليه وقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين ونحوهما باخراجها الى معنى التكثير حسبما يخرج اليه
ربما مثل قوله • وان تمس مهجور الفناء فربما • اقام به بعد الوفود وفود • جريا على سنن العرب عند قصد
الافراط فى التكثير تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندى وعنده
مقانب جمة يريد بذلك التمادى فى تكثير فرسانه ولكنه يروم اظهار براءته عن التزيد وابراز انه ممن
يقلل كثير ما عنده فضلا عن تكثير القليل وعليه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه
طريقة انما تسلك عند كون الامر من الوضوح بحيث لا تحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما فى الايات الكريمة
المذكورة او ادعاء كما فى البيت وقوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وهذه طريقة انما تسلك
عند كون الامر من الوضوح بحيث لا تحوم حوله شائبة ريب حقيقة كما فى الايات الكريمة المذكورة او ادعاء كما
فى البيت وقوله • قد اترك القرن مصفرا انامله • وقوله • ولكنه قد يهلك المال نائله • والمراد بكثرة
علمه تعالى كثرة تعلقه وهو متعد الى اثنين وما بعده ساد مسدهما واسم ان ضمير الشان وخبرها الجملة
المفسرة له والموصول فاعل يحزنك وعائده محذوف اى الذى يقولونه وهو ما حكى عنهم من قولهم ان هذا
الا اساطير الاولين ونحو ذلك وقرئ ليحزنك من احزن المنقول من حزن اللازم وقوله تعالى فانهم لا يكذبونك
تعليل لما يشعر به الكلام السابق من النهى عن الاعتداد بما قالوا لكن لا بطريق التشاغل عنه وعده هينا والا
قبال التام على ما هو اهم منه من استعظام جحودهم بايات الله عز وجل كما قيل فانه مع كونه بمعزل من
التسلية بالكلية بما يوهم كون حزنه صلى الله عليه وسلم لخاصة نفسه بل بطريق التسلى بما يفيده من بلوغه
عليه السلام فى جلالة القدر ورفعة المحل والزلفى من الله عز وجل الى حيث لا غاية وراءه حيث لم
يقتصر على جعل تكذيبه عليه السلام تكذيبا لاياته سبحانه على طريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله اثباتا لكمال القرب واضافه لرسوله عليه السلام من شان الله عز وجل ثم استعظام لجنايتهم
مبنى على عظم عقوبتهم كانه قيل لا تعتد به وكله الى الله تعالى فانهم فى تكذيبهم ذلك لا يكذبونك فى الحقيقة
ولكن الظالمين بايات الله يجحدون اى ولكنهم بايات الله تعالى يكذبون فوضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا عليهم
بالرسوخ فى الظلم الذى جحودهم هذا فن من فنونه والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة واستعظام
ما قدموا عليه من جحود اياته وايراد الجحود فى مورد التكذيب للايذان بان اياته تعالى من الوضوح بحيث يشاهد
صدقها كل احد وان من ينكرها فانما ينكرها بطريق الجحود الذى هو عبارة عن الانكار مع العلم بخلافه كما فى قوله
تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم وهو المعنى بقول من قال انه نفى فى القلب ثباته او اثبات ما فى
القلب نفيه والباء متعلقة بيجحدون يقال جحده حقه وبحقه اذا انكره وهو يعلمه وقيل هى لتضمين الجحود
معنى التكذيب وايا ما كان فتقديم الجار والمجرور للقصر وقيل المعنى فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم
يجحدون بالسنتهم ويعضده ما روى عن الاخنس بن شريق انه قال لابى جهل يا ابا الحكم اخبرنى عن محمد اصادق
هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو
قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقد روى عن ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب فى شئ ولكنهم كانوا يجحدون
وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بايات الله كما روى ان ابا جهل
كان يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما نكذبك وانك عندنا الصادق ولكن نكذب ما جئتنا به فنزلت وكان
صدق الخبر عند الخبث مطابقة خبره لاعتقاده والاول هو الذى يستدعيه الجزالة التنزيلية وقرئ لا يكذبونك من ا

العرب تقول كذبت الرجل اي نسبت الكذب اليه واكذبته اي نسبت الكذب الى ما جاء به لا اليه وقوله تعالى ولقد
كذبت رسل من قبلك استئناف وتسلية عليه السلام في الصبر على ما اصابهم من الامم اممهم من فنون الاذية
وعدة ضمنية له عليه السلام بمثل ما منحوه من النصر وتصدير الكلام بالقسم لتاكيد التسلية وتنوين رسل
للتفخيم والتكثير حتما بحذو وعدد كثير وكذبت رسل كانوا من زمان قبل زمانك فصبروا على ما كذبوا اما مصدرية
وقوله تعالى واوذوا عطف على ما كذبوا داخل في حكمه فان ثبت منهما مصدران من المبني للمفعول اي فصبروا
على تكذيبهم وايذائهم فتاس بهم واصطبر على ما نالك من قومك والمراد بايذائهم اما عين تكذيبهم واما ما
يقارنه من فنون الاذية لم يصرح به لما انه قل ما يخلو عنه التكذيب اياه غالبا وايا ما كان ففيه تاكيد للتسلية وقيل
عطف على صبروا وقيل على كذبت وقيل هو استئناف وقوله تعالى حتى اتاهم نصرنا غاية للصبر وفيه ايذان
بان نصره تعالى اياهم امر مقرر لا مرد له وانه متوجه اليهم لا بد من اتيانه اليهم والالتفات الى نون العظمة
لابراز الاعتناء بشان النصر وقوله تعالى ولا مبدل لكلمات الله اعتراض لما قبله من اتيان نصره اياهم والمراد
بكلماته تعالى ما ينبئ عنه قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم
الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن انا ورسلي من المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام الدالة على نصرة
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نفس الايات المذكورة ونظائرها فان الاخبار بعدم تبدلها انما يفيد عدم
تبدل المواعيد الواردة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة دون المواعيد السابقة للرسل عليهم السلام
ويجوز ان يراد بكلماته تعالى جميع كلماته التي من جملتها تلك المواعيد الكريمة ويدخل فيها المواعيد الواردة في
حقه عليه السلام دخولا اوليا والالتفات الى الاسم الجليل للاشعار بعلة الحكم فان الالوهية من موجبات
ان لا يغالبه احد في فعل من الافعال ولا يقع منه خلف في قول من الاقوال وقوله ولقد جاءك من نبأ المرسلين جملة
قسمية جيء بها لتحقيق ما منحوا من النصر وتاكيد ما في ضمنه من الوعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لتقرير
جميع ما ذكر من تكذيب الامم وما ترتب عليه من الامور والجار المجرور في محل الرفع على انه فاعل اما باعتبار
مضمونه اي بعض نبأ المرسلين او بتقدير الموصول اي بعض من نبأ المرسلين كما مر في تفسير قوله تعالى اياهم
بعض الليتا والتي على المثا في جميع ما جرى بينهم عليهم السلام وبين اممهم على ما ينبئ عنه قوله تعالى ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا الاية وقيل في محل
النصب على الحالية من المستكن في جاء العائد الى ما معهم من الجملة السابقة اي ولقد جاءك هذا الخبر كائنا من نبأ
الرسل وان كان كبر عليك اعراضهم كلام مستانف مسوق لتاكيد ايجاب الصبر المستفاد من التسلية ببيان انه
امر لا محيد عنه اصلا اي ان كان عظم عليك وشق اعراضهم عن الايمان بما جئت من القران الكريم حسبما يفصح
عنه ما حكي عنهم من تسميتهم له اساطير الاولين وتنائيهم عنه ونهيهم الناس عنه وقيل ان الحرث بن عامر بن نوفل
بن عبد مناف اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في محضر من قريش فقالوا يا محمد ائتنا باية من عند الله
كما كانت الانبياء تفعل وانا نصدقك فابى الله تعالى ان ياتيهم باية مما اقترحوا فاعرضوا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشق ذلك عليه لما انه عليه السلام كان شديد الحرص على ايمان قومه فكان اذا
سالوه اية يود ان ينزلها الله تعالى طمعا في ايمانهم فنزلت فقوله تعالى اعراضهم مرتفع بكبر وتقديم الجار
والمجرور عليه لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والجملة في محل النصب على انها خبر لكان
مقدم على اسمها لانه فعل رافع لضمير مستكن كما هو المشهور وعلى التقديرين فقوله عز وجل فان استطعت
الى اخره شرطية اخرى محذوفة الجواب وقعت جوابا للشرط الاول والمعنى ان شق عليك اعراضهم عن الايمان
بما جئت به من البينات وعدم عدهم لها من قبيل الايات واحببت ان تجيبهم الى ما سالوه اقتراحا فان استطعت
ان تبتغي نفقا اي سربا ومنفذا في الارض تنفذ فيه الى جوفها او سلما اي مصعدا في السما وتعرج به فيها
فتاتيهم منها باية مما اقترحوه فافعل وقد جوز ان يكون ابتغاؤهما نفس الاتيان بالاية فالفا في فتاتيهم
حينئذ تفسيرية وتنوين اية للتفخيم اي فان استطعت ان تبتغيهما فتجعل ذلك اية لهم فافعل والظرفان
متعلقان بمحذوفين وقع حالا من فاعل تبتغي اي تبتغي نفقا كائنا انت في الارض او سلما كائنا في السما وفيه
من الدلالة على تبالغ حرصه عليه السلام على اسلام قومه وتراميه الى حيث لو قدر ان ياتي باية من تحت
الارض او من فوق السما لفعل رجاء لايمانهم ما لا يخفى وايثار الابتغاء على الاتخاذ ونحوه للايذان بان ما ذكر
من النفق والسلم مما لا يستطاع ابتغاؤه فكيف باتخاذه ولو شاء الله لجمعهم على الهدى تحقيق للحق وصرف
اختيارهم الى جانب الهدى مع تمكنهم التام منه ومشاهدتهم للايات الداعية اليه لا انه تعالى لم يوفقهم
له مع توجههم الى تحصيله وقيل لو شاء الله لجمعهم عليه بان تاتيهم باية ملجئة اليه ولكن لم يفعله لخروجه
عن الحكمة وقوله تعالى فلا تكونن من الجاهلين نهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان فيه من الحرص الشديد
على اسلامهم والميل الى اتيان مقترحاتهم من الجاهلين بدقائق شؤونه تعالى التي من جملتها ما ذكر من تعلق مشيئته

تعالى

اي لو شاء الله تعالى لجمعهم على ما انتم عليه من الهدى بفعله بان يوفقهم للايمان فيؤمنوا معكم ولكن صح

باتيانهم اما اختيارا فلعدم توجههم اليه واما اضطرارا فلخروجه عن الحكمة التشريعية المؤسسة على الاختيار
ويجوز ان يراد بالجاهلين على الوجه الثاني المقترحون ويجوز بالنهي منعه عليه السلام من المساعدة
على اقتراحهم وايرادهم بعنوان الجهل دون الكفر ونحوه لتحقيق مناط النهي الذي هو الوصف الجامع بينه
عليه السلام وبينهم انما يستجيب الذين يسمعون تقرير لما مر من ان على قلوبهم اكنة مانعة من الفقه وفي
اذانهم وقرا حاجزا من السماع وتحقيق لكونهم بذلك من قبيل الموتى لا يتصور منهم الفقه والاستجابة
الاجابة المقارنة بالقبول اي انما يقبل دعوتك الى الايمان الذين يسمعون ما يلقى اليهم سماع فهم وتدبر دون
الموتى الذين هؤلاء منهم كقوله تعالى فانك لا تسمع الموتى وقوله تعالى والموتى يبعثهم الله تمثيل لاختصاصه
تعالى بالقدرة على توفيقهم للايمان باختصاصه تعالى بالقدرة على بعث الموتى من القبور وقيل بيان لاستمرارهم
على الكفر وعدم اقلاعهم عنه اصلا على ان الموتى مستعار للكفرة على تشبيه جهلهم بموتهم وهؤلاء الكفرة يبعثهم
الله من قبورهم ثم اليه ترجعون للجزاء فحينئذ يستجيبون واما قبل ذلك فلا سبيل اليه وقرئ يرجعون على
البناء للفاعل من رجع رجوعا والمشهور اوفق بحق المقام لانبائه عن كون مرجعهم اليه تعالى بطريق الاضطرار
وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه حكاية لبعض اخر من اباطيلهم بعد حكاية ما قالوا في حق القران الكريم
وبيان ما يتعلق به والقائلون رؤساء قريش وقيل الحارث بن عامر بن نوفل واصحابه وقد بلغت بهم الضلالة
والطغيان الى حيث لم يقتنعوا بما شاهدوا من البينات التي تخر لها صم الجبال حتى اجترؤوا على ادعاء انها ليست من
قبيل الايات وانما هي ما اقترحوه من الخوارق الملجئة او المعقبة للعذاب كما قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر علينا حجارة من السماء الاية والتنزيل بمعنى الانزال كما ينبئ عنه القراءة بالتخفيف فيما سياتي وما يفيده
التعرض لعنوان الربوبية له تعالى عليه السلام من الاشعار بالعلية انما هو بطريق التعريض بالتهكم من جهتهم
واطلاق الاية في قوله تعالى قل ان الله قادر على ان ينزل اية مع ان المراد بها ما هو من الخوارق المذكورة لا اية
ما من الايات لفساد المعنى مجاراة معهم على زعمهم ويجوز ان يراد بها اية موجبة لهلاكهم كما نزل به من الملائكة
ونحوه على ان تنوينه للتفخيم والتهويل كما ان اظهار الاسم الجليل لتربية المهابة مع ما فيه من الاشعار بعلة القدرة
الباهرة والاقتصار في الجواب على بيان قدرته تعالى على تنزيلها مع انها ليست في حيز الانكار للايذان بان عدم
تنزيله تعالى مع قدرته عليه لحكمة بالغة بحيث معرفتها وهم عنها غافلون كما ينبئ عنه الاستدراك بقوله تعالى
ولكن اكثرهم لا يعلمون اي ليسوا من اهل العلم على ان المفعول مطروح بالكلية او لا يعلمون شيئا على انه محذوف مدلول
عليه بقرينة المقام والمعنى انه تعالى قادر على ان ينزل اية من ذلك او انه تعالى لتوكل اكثرهم لا يعلمون لخلايدرون ان
عدم تنزيلها مع ظهور قدرته لما ان في تنزيلها قلعا لاساس التكليف المبني على قاعدة الاختيار او لاستيصالهم
بالكلية فيقترحونها جهلا ويتخذون عدم تنزيلها ذريعة الى التكذيب وتخصيص عدم العلم باكثرهم لما ان
بعضهم واقفون على حقيقة الحال وانما يفعلون ما يفعلون مكابرة وعنادا وقوله تعالى وما من دابة في الارض
الى اخره كلام مستانف مسوق لبيان كمال قدرته عز وجل وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه
تعالى قادر على تنزيل الاية وانما لا ينزلها محافظة على الحكم البالغة وزيادة من تاكيد الاستغراق وفي متعلقه
بمحذوف هو وصف لدابة مفيد لزيادة التعميم كانه قيل وما فرد من افراد الدواب يستقر في قطر من اقطار الارض
وكذا زيادة الوصف في قوله تعالى ولا طائر يطير بجناحيه مع ما فيه من زيادة التقرير اي ولا طائر من الطيور
يطير في ناحية من نواحي الجو بجناحيه كما هو المشاهد المعتاد وقرئ ولا طائر بالرفع على محل الجار والمجرور كانه
قيل وما دابة ولا طائر الا امم اي طوائف متخالفة والجمع باعتبار المعنى كانه قيل وما من دواب ولا طير الا امم
امثالكم اي كل امة منها مثلكم في ان احوالها محفوظة وامورها معتنية ومصالحها مرعية جارية على سنن السداد
منتظمة في سلك تقديرات الالهية والتدبيرات الربانية ما فرطنا في الكتاب من شيء يقال فرط الشيء اي ضيعه
وتركه قال ساعدة بن جؤية معه سقاء لا يفرط حمله اي لا يتركه ولا يفارقه ويقال فرط في الشيء اي اهمل ما ينبغي
ان يكون فيه واغفله فقوله تعالى في الكتاب اي القران على الاول ظرف لغو وقوله تعالى من شيء مفعول لفرطنا
ومن مزيدة للاستغراق اي ما تركنا في القران شيئا من الاشياء المهمة التي من جملتها بيان انه تعالى مراع لمصالح
جميع مخلوقاته على ما ينبغي وعلى الثاني مفعول الفعل ومن شيء في موضع المصدر اي ما جعلنا الكتاب مفرطا فيه
شيئا من التفريط بل ذكرنا فيه كل ما لا بد من ذكره وايا ما كان فالجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها والكتاب
اللوح فالمراد بالاعتراض الاشارة الى ان احوال الامم مستقصاة في اللوح غير مقصورة على هذا القدر المجمل وقرئ فرطنا
بالتخفيف وقوله تعالى ثم الى ربهم يحشرون بيان لاحوال الامم في الاخرة بعد بيان احوالها في الدنيا وايراد ضميرها
على صيغة جمع العقلاء لاجرائها مجراهم والتعبير عنها بالامم اي الى مالك امورهم يحشرون يوم القيامة لا الى
غيره فيجازيهم فينصف بعضهم من بعض حتى يبلغ من عدله ان ياخذ للجماء من القرناء وقيل حشرها موتها وبابه
مقام تهويل الخطب وتفظيع الحال وقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا متعلق بقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب

من شيء والموصول عبارة عن المعهودين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الآيات ومحله الرفع على الابتداء خبره
ما بعده اي وعدد ذلك القرآن بجميع الامور المهمة وازاحته العلل والاعذار الذين كذبوا بآياتنا التي هي منه صم
لا يسمعونها سماع تدبر وفهم فلذلك يسمونها اساطير الاولين ولا يعدونها من الآيات ويقترحون غيرها وبكم لا يقدرون
على ان ينطقوا بالحق ولذلك لا يستجيبون دعوتك بها وقوله عز وجل في الظلمات اي في ظلمات الكفر او ظلمات الجهل والعناد
والتقليد اما خبر ثان للمبتدأ على انه عبارة عن العمى كما في قوله تعالى صم بكم عمي واما متعلق بمحذوف وقع حالا
من المستكن في الخبر كأنه قيل ضالون كائنين في الظلمات او صفة لبكم اي بكم كائنون في الظلمات والمراد بيان كمال
عراقتهم في الجهل وسوء الحال فان الاصم الابكم اذا كان بصيرا ربما يفهم شيئا باشارة غيره وان لم يفهمه بعبارته وكذا
يشعر غيره بما في ضميره بالاشارة وان كان معزولا عن العبارة واما اذا كان مع ذلك اعمى او كان في الظلمات فينسد
عليه باب الفهم والتفهيم بالكلية وقوله تعالى من يشأ الله يضلله تحقيق للحق وتقرير لما سبق من حالهم ببيان انهم
من اهل الطبع لا يتأتى منهم الايمان اصلا فمن مبتدأ خبره ما بعده ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة
من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقها به اي من يشأ الله اضلاله اي يخلق فيه
الضلالة يضلله اي يخلقها فيه لكن لا ابتداء بطريق الجبر من غير ان يكون له دخل ما في ذلك بل عند صرف اختياره
الى كسبه وتحصيله وقس عليه قوله تعالى ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم لا يضل من ذهب اليه ولا يزل من ثبت
قدمه عليه قل ارأيتكم امر للرسول صلى الله عليه وسلم بان يبكتهم ويلقمهم الحجر بما لا سبيل لهم الى النكير والكاف
حرف جيء به لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب ومبنى التركيب وان كان على الاستخبار عن الرؤية قلبية كانت او
بصرية لكن المراد به الاستخبار عن متعلقها اي اخبروني ان اتاكم عذاب الله حسبما اتى الامم السالفة من انواع العذاب
الدنيوي او اتتكم الساعة التي لا محيص عنها البتة اغير الله تدعون هذا مناط الاستخبار ومحط التبكيت وقوله
تعالى ان كنتم صادقين متعلق بارأيتكم مؤكد للتبكيت كاشف عن كذبهم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة
المذكور عليه اي ان كنتم صادقين ان اصنامكم آلهة كما هو زعمكم المعروف او ان كنتم قوما صادقين فاخبروني اغير
الله تدعون ان اتاكم عذاب الله الى آخره فان صدقهم باي معنى كان من موجبات اخبارهم بدعائهم غيره سبحانه
واما جعل الجواب ما يدل عليه قوله تعالى اغير الله تدعون اعني فادعوه على ان الضمير لغير الله فمخل بجزالة النظم
الكريم كيف لا والمطلوب منهم انما هو الاخبار بدعائهم غيره تعالى عند اتيان ما يأتي لا نفس دعائهم اياه وقوله
تعالى بل اياه تدعون عطف على جملة منفية ينبئ عنها الجملة التي تعلق بها الاستخبار انباء جليا كأنه قيل لا غيره تعالى
تدعون بل اياه تدعون وقوله تعالى فيكشف ما تدعون اليه اي الى كشفه عطف على تدعون اي فيكشف اثر
دعائكم وقوله تعالى ان شاء اي ان شاء كشفه لبيان ان قبول دعائهم غير مطرد بل هو تابع لمشيئته المبنية على حكم خفية
قد استأثر الله تعالى بعلمها فقد يقبله كما في بعض دعواتهم المتعلقة بكشف العذاب الاخروي الذي من جملته
الساعة وقوله تعالى وتنسون ما تشركون اي تتركون ما تشركون به تعالى من الاصنام تركا كليا عطف على تدعون ايضا
وتوسيط الكشف بينهما مع تقارنهما وتأخر الكشف عنهما لاظهار كمال العناية بشأن الكشف والايذان بترتبه
على الدعاء خاصة وقوله تعالى ولقد ارسلنا كلام مستأنف مسوق لبيان ان منهم من لا يدعو الله تعالى عند اتيان
العذاب ايضا لتماديهم في الغي والضلالة لا يتأثرون بالزواجر التكوينية كما لا يتأثرون بالزواجر التنزيلية د
وتصديره بالجملة القسمية لاظهار مزيد الاهتمام بمضمونه ومفعول ارسلنا محذوف لما ان مقتضى المقام
بيان حال المرسل اليهم لا حال المرسلين اي وتالله لقد ارسلنا رسلا الى امم من قبلك اي كائنة من زمان قبل زمانك
فاخذناهم اي فكذبوا رسلهم فاخذناهم بالبأساء اي بالشدة والفقر والضراء اي الضر والآفات وهما صيغتا
تأنيث لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون اي لكي يدعوا الله تعالى في كشفها بالتضرع والتذلل ويتوبوا اليه من كفرهم
ومعاصيهم فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا اي فلم يتضرعوا حينئذ مع تحقق ما يستدعيه ولكن قست قلوبهم د
استدراك على المعنى اي فلم يتضرعوا الى الله تعالى برقة القلب والخضوع مع تحقق ما يدعوهم اليه ولكن ظهر منهم
نقيضه حيث قست قلوبهم اي استمرت على ما هي عليه من القساوة او ازدادت قساوة كقولك لم يكرمني اذ
جئته ولكن اهانني وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي فلم يخطروا ببالهم ان ما اعتراهم من البأساء
والضراء ما اعتراهم الا لاجله وقيل الاستدراك لبيان انه لم يكن لهم في ترك التضرع عذر سوى قسوة قلوبهم
والاعجاب باعمالهم التي زينها الشيطان لهم وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به عطف على مقدر ينساق اليه
النظم الكريم اي فانهمكوا فيه ونسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فلما نسوه فتحنا عليهم ابواب كل شيء
من فنون النعماء على منهاج الاستدراج لما روي انه عليه السلام قال مكر بالقوم ورب الكعبة وقرئ فتحنا
بالتشديد للتكثير وفي ترتيب الفتح على النسيان المذكور اشعار بان التذكير في الجملة غير خال عن النفع
وحتى في قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا هي التي يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية كما في قوله تعالى
حتى اذا جاء امرنا الآية ونظائرها وهي مع ذلك غاية لقوله تعالى فتحنا او لما يدل هو عليه كأنه قيل ففعلوا

ما فعلوا حتى اذا اطمأنوا بما اتيح لهم وبطروا واشروا اخذناهم بغتة اي نزل بهم عذابنا فجأة ليكون اشد عليهم
وقعا وافظع هولا فاذا هم مبلسون متحسرون غاية الحسرة آيسون من كل خير وفي الجملة الاسمية دلالة
على استقرارهم على تلك الحالة الفظيعة فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي آخرهم بحيث لم يبق منهم احد
من دبره دبرا ودبورا اي تبعه ووضع الظاهر موضع المضمر للاشعار بعلة الحكم فان هلاكهم بسبب
ظلمهم الذي هو وضع الكفر موضع الشكر واقامة المعاصي مقام الطاعة والحمد لله رب العالمين على ما
جرى عليهم من النكال فان اهلاك الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شؤم عقائدهم
الفاسدة واعمالهم الخبيثة نعمة جليلة مستجلبة للحمد لا سيما مع ما فيه من اعلاء كلمة الحق التي نطقت به د
رسلهم عليهم السلام قل ارأيتم امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتكرير التبكيت وتثنية الالزام
بعد تكملة الالزام الاول ببيان انه امر مستمر لم يزل جاريا في الامم وهذا ايضا استخبار عن متعلق
الرؤية وان كانت بحسب الظاهر استخبارا عن نفس الرؤية ان اخذ الله سمعكم وابصاركم بان اصمكم واعماكم
بالكلية وختم على قلوبكم بان غطى عليها بما لا يبقى لكم معه عقل وفهم اصلا وتصيرون مجانين ويجوز ان يكون
الختم عطف تفسير بالاخذ المذكور فان السمع والبصر طريقان للقلب منهما يرده من المدركات فاخذهما
سد لبابه بالكلية وهو السر في تقديم اخذهما على ختمها واما تقديم السمع على الابصار فلانه مورد الآيات
القرآنية وافراده لما ان اصله مصدر وقوله تعالى من اله مبتدأ وخبر ومن استفهامية وقوله تعالى غير الله صفة
للخبر وقوله تعالى يأتيكم به اي بذلك على ان الضمير مستعار لاسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه صفة اخرى له
والجملة متعلق الرؤية ومناط الاستخبار اي اخبروني ان سلب الله تعالى مشاعركم من اله غيره تعالى يأتيكم بها
وقوله تعالى انظر كيف نصرف الآيات تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من عدم تأثرهم بما عاينوا من الآيات
الباهرة اي انظر كيف نكررها ونقررها مصروفة من اسلوب الى اسلوب تارة بترتيب المقدمات العقلية وتارة
بطريق الترغيب والترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير ثم هم يصدفون عطف على نصرف داخل في حكمه وهو العمدة
في التعجيب ثم لاستبعاد صدودهم اي اعراضهم عن تلك الآيات بعد تصريفها على هذا النمط البديع الموجب للاقبال
عليها قل ارأيتكم تبكيت آخر لهم بالجائهم الى الاعتراف باختصاص العذاب بهم ان اتاكم عذاب الله اي عذابه
العاجل الخاص بكم كما اتى من قبلكم من الامم بغتة اي فجأة من غير ان يظهر منه مخايل الاتيان وحيث تضمن هذا
معنى الخفية قوبل بقوله تعالى او جهرة اي بعد ظهور اماراته وعلاماته وقيل ليلا ونهارا كما في قوله تعالى بياتا
او نهارا لما ان الغالب فيما اتى ليلا البغتة وفيما اتى نهارا الجهرة وقرئ بغتة او جهرة وهما في موضع المصدر
اي اتيان بغتة او جهرة وتقديم البغتة لكونها اهول وافظع وقوله تعالى هل يهلك متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير
اي قل لهم تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى حسبما تستحقونه هل يهلك
بذلك العذاب الا انتم اي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه وانما وضع موضعه الا القوم الظالمون تسجيلا
عليهم بالظلم وايذانا بان مناط اهلاكهم ظلمهم الذي هو وضعهم الكفر موضع الايمان وقيل المراد بالظالمين الجنس
وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا قال الزجاج هل يهلك الا انتم ومن اشبهكم ويأباه تخصيص الاتيان بهم
وقيل الاستفهام بمعنى النفي فمتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كأنه قيل اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى بغتة
او جهرة ماذا يكون الحال ثم قيل بيانا لذلك ما يهلك الا القوم الظالمون اي ما يهلك بذلك العذاب الخاص
بكم الا انتم فقيد الهلاك بهلاك التعذيب والسخط لتحقيق الحصر باخراج غير الظالمين منه لما انه ليس بطريق
التعذيب والسخط بل بطريق الاثابة ورفع الدرجة فقد اهمل ما يجديه وتشبث بما لا يعنيه واخل بجزالة
النظم الكريم وقرئ هل يهلك من الثلاثي وما نرسل المرسلين كلام مستأنف مسوق لبيان وظائف منصب الرسالة
على الاطلاق وتحقيق ما في عهدة الرسل عليهم السلام واظهار ان ما يقترحه الكفرة عليه عليه السلام ليس
مما يتعلق بالرسالة اصلا وصيغة المضارع لبيان ان ذلك امر مستمر جرت عليه العادة الالهية وقوله تعالى
الا مبشرين ومنذرين حالان مقدرتان من المرسلين اي ما نرسلهم الا مقدرا تبشيرهم وانذارهم وفيهما معنى
العلة الغائية قطعا اي ليبشروا قومهم بالثواب على الطاعة وينذروهم بالعقوبة على المعصية اي ليخبروهم بالخبر
السار والخبر الضار دنيويا كان او اخرويا من غير ان يكون لهم دخل ما في وقوع المخبر به اصلا وعليه يدور القصر فلا يرد
ان لا يكون بيان الشرائع والاحكام من وظائف الرسالة والفاء في قوله تعالى فمن آمن واصلح لترتيب ما بعدها على ما
قبلها ومن موصولة والفاء في قوله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون لشبه الموصول بالشرط اي لا خوف عليهم من
العذاب الذي انذروه دنيويا كان او اخرويا ولا هم يحزنون بفوات ما بشروا به من الثواب العاجل والآجل وتقديم
نفي الخوف على نفي الحزن لمراعاة حق المقام وجمع الضمائر الثلاثة الراجعة الى من باعتبار معناها كما ان افراد
الضميرين السابقين باعتبار لفظها اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكن لا يخافون ولا يحزنون د
والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما تقرر في

موضعه من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد دوامه الدوام والاستمرار بحسب المقام الا ترى ان
الجملة الاسمية تدل بمعونة المقام على استمرار ثبوت فاذا دخل عليها حرف النفي يفيد استمرار الانتفاء
لا انتفاء الاستمرار ولا بعد في ذلك فان قولك ما زيدا ضربت مفيد لاختصاص النفي لا نفي الاختصاص
كما بين في محله وقوله عز وجل والذين كذبوا عطف على من دخل في حكمه وقوله تعالى باياتنا اشارة الى ما
ينطق به الرسل عليهم السلام عند التبشير والانذار ويبلغونه الى الامم اياته تعالى وان من امن به فقد امن
بايات الله تعالى ومن كذب به فقد كذب بها وفيه من الترغيب بالايمان والتحذير عن تكذيبه ما لا يخفى والمعنى
ما نرسل المرسلين الا ليخبروا الامم من جهتنا بما سيقع منا من الامور الشاقة والضارة الا ليوقعوها
استقلالا من عند انفسهم او ليستدعوا من قبلنا تبشيرا وانذارا في ضمن اياتنا واصلح ما يجب اصلاحه من اعماله او
دخل في الصلاح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا التي بلغوها عند التبشير والانذار يمسهم
العذاب اي العذاب الذي انذروه عاجلا او اجلا وحقيقة العذاب وجنسه المنتظم له انتظاما اوليا
بما كانوا يفسقون اي بسبب فسقهم المستمر الذي هو الاصرار على الخروج عن التصديق والطاعة قل لا اقول لكم
عندي خزائن الله استئناف مبني على ما اسسنا من السنة الالهية في شان ارسال الرسل وانزال الكتب
مسوق لاظهار تبريه عليه السلام عما يدور عليه مقترحاتهم اي قل للكفرة الذين يقترحون عليك تارة
تنزيل الايات واخرى غير ذلك لا ادعي ان خزائن مقدوراته تعالى مفوضة الى اتصرف فيها كيف اشا استقلالا
او استدعاء حتى تقترحوا علي تنزيل الايات او انزال العذاب او قلب الجبال ذهبا او غير ذلك مما لا يليق بشاني
وهذا تبرؤ عن دعوى الالهية بما لا وجه له قطعا وقوله تعالى ولا اعلم الغيب عطف على محل عندي خزائن الله اي لا
ادعي ايضا في العلم الغيب من افعاله تعالى حتى تسالوني عن وقت الساعة او وقت نزول العذاب او نحوهما
ولا اقول لكم اني ملك حتى تكلفوني من الافاعيل الخارقة للعادات ما لا يطيق به البشر من الرقي في السما ونحوه او
تعدوا عدم اتصافي بصفاتهم قادحا في امري كما ينبئ عنه قولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
والمعنى اني لا ادعي شيئا من هذه الاشيا الثلاثة حتى تقترحوا علي ما هو من اثارها واحكامها وتجعلوا عدم
اجابتي الى ذلك دليلا على عدم صحة ما ادعيه من الرسالة التي لا تعلق لها بشيء مما ذكر قطعا بل انما هو عبارة
عن تلقي الوحي من جهة الله تعالى والعمل بمقتضاه فحسب حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي
لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه دون غيره بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى
مفعول اخر كما هو الاستعمال الشائع الوارد على توجيه القصر الى ما يتعلق بالفعل باعتبار النفي في الاصل والاثبات
في القيد بل على معنى تخصيص حاله عليه السلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر الى نفس الفعل بالقياس الى
ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصيته فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار
النفي فيما يتضمنه من مطلق الفعل والاثبات فيما يقارنه من المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال الخاصة
كضرب مثلا ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق الفعل والاثبات هو مدلول لفظ الفعل والى معنى خاص يقومه
معناه قبل النفي مرشدك الى ذلك قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطا والمنع فورود القصر في الحقيقة
ما يتعلق بالفعل بتوجيه النفي الى الاصل والاثبات الى القيد كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي من غير ان يكون
لي مدخل في الوحي وفي الموحى بطريق الاستدعا او بوجه اخر من الوجوه اصلا قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل
للضال والمهتدي على الاطلاق والاستفهام انكاري والمراد انكار استوا من لا يعلم ما ذكر من الحقائق ومن يعلمها وفيه
من الاشعار بكمال ظهورها والتنفير عن الضلال والترغيب في الاهتدا ما لا يخفى وتكرير الامر لتثنية التبكيت
وتاكيد الالزام وقوله تعالى افلا تتفكرون تقريع وتوبيخ داخل تحت الامر والفا للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اي الا تسمعون هذا الكلام الحق فلا تتفكرون فيه او لا تسمعون فيه فلا تتفكرون فيه فمناط التوبيخ
في الاول عدم الامرين معا وفي الثاني عدم التفكر مع تحقق ما يوجبه وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى
ربهم بعد ما حكي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الكفرة قوما لا يتعظون بتصريف الايات الباهرة ولا
يتاثرون بمشاهدة المعجزات القاهرة قد ايقنت مشاعرهم بالكلية والتحقيق بالاموات ومن ذلك بان كرر
عليهم من فنون التبكيت والالزام ما يلقمهم الحجر اي المقام فابوا الا الاباء والنكير وما نجع فيهم عظة ولا تذكير
وما افادهم الانذار الا الاصرار على الانكار امر صلى الله عليه وسلم بتوجيه الانذار الى من يتوقع منهم في
الجملة وهم المجوزون منهم للحشر على الوجه الاتي سوا كانوا جازمين باصله كاهل الكتاب وبعض المشركين
المعترفين بالبعث المترددين في شفاعة ابائهم الانبيا كالاولين او في شفاعة الاصنام كالاخرين او مترددين
فيهما معا كبعض الكفرة الذين يعلم من حالهم انهم اذا سمعوا بحديث البعث يخافون ان يكون حقا واما المنكرون
للحشر راسا والقائلون القاطعون بشفاعة ابائهم او بشفاعة الاصنام فهم خارجون ممن امر بانذارهم
وقد قيل هم المفرطون في الاعمال من المؤمنين ولا يساعده سباق النظم الكريم ولا سياقه بل فيه ما يقتضي

باستحالة صحته كما ستقف عليه والضمير المجرور لما يوحى او لما دل هو عليه من القران والمفعول الثاني
لانذر اما العذاب الاخروي المدلول عليه بما في حيز الصلة واما مطلق العذاب الذي ورد به الوعيد
والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي لتربية المهابة وتحقيق
المخافة وقوله تعالى ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في حيز النصب على الحالية من ضمير يحشروا ومن متعلقة
بمحذوف وقع حالا من اسم ليس لانه في الاصل صفة له فلما قدم عليه انتصب حالا خلا ان الحال الاولى
لاخراج الحشر الذي هو لم يقيد بها عن حيز الخوف وتحقيق ان ما نيط به الخوف هو الحشر على تلك الحالة لا
الحشر كيف ما كان ضرورة ان المعترفين به الجازمين بنصرة غيره تعالى بمنزلة المنكرين له في عدم الخوف
الذي يدور عليه الامر الانذار واما الحال الثانية فليست لاخراج الولي الذي تعيد بها عن حيز الانتفا
لفساد المعنى الذي لا يستلزمه ثبوت ولاية تعالى لهم كما في قوله تعالى وما لكم من دون الله من ولي
ولا نصير لتحقيق مدار خوفهم وهو فقد ان ما علقوا به رجاهم وذلك انما هو ولاية غيره سبحانه وتعالى
كما في قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اوليا والمعنى انذر به
الذين يخافون ان يحشروا غير منصورين من جهة انصارهم على زعمهم ومن هذا اتضح ان لا سبيل الى كون
المراد بالخائفين المفرطين من المؤمنين اذ ليس لهم ولي سواه تعالى ليخافوا الحشر بدون نصرته وانما الذي
يخافون الحشر بدون نصرته عز وجل وقوله تعالى لعلهم يتقون تعليل للامر اي انذرهم كي يتقوا
الكفر والمعاصي او حال من ضمير الامر اي انذرهم راجيا تقواهم او من الموصول اي انذرهم مرجوا منهم
التقوى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي لما امر عليه السلام بانذار المذكورين ليتنظموا
في سلك المتقين نهي عليه السلام عن كون ذلك بحيث يؤدي الى طردهم المتقين دويان روسا من
المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هؤلاء الاعبد وارواح جبابهم يعنون فقرا
المسلمين كعمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المؤمنين
فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت فقال عليه السلام طمعا في ايمانهم وروي ان
عمر رضي الله تعالى عنه قال له عليه السلام لو فعلت حتى ننظر ما يصيرون وقيل ان عتبة بن ربيعة وشيبة
ابن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبيد وعمرو بن نوفل اشراف بني عبد مناف
من اهل الكفر اتوا ابا طالب فقالوا يا ابا طالب لو ان ابن اخيك محمدا يطرد موالينا وحلفانا وهم عبيدنا و
عتقاونا كان اعظم في صدورنا وادنى لاتباعنا اياه فاتى ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي
كلموه فقال عمر رضي الله تعالى عنه لو فعلت حتى ننظر بالذي يريدون والى ما يصيرون وقال سلمان
وخباب فينا نزلت هذه الاية جاء الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس
وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم جالسا مع اناس من ضعفاء المؤمنين فلما
راوهم حوله عليه السلام حقروهم فاتوه عليه السلام فقالوا يا رسول الله لو جلست في صدر المسجد
ونفيت عنا هؤلاء وارواح جبابهم فجالسناك وحدثناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا بطارد
المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا فان وفود العرب تاتيك
فنستحيي ان ترانا مع هؤلاء الا وارواح جبابهم فجالسناك وحدثناك واخذنا عنك فقال عليه السلام ما انا
عبد فاذا نحن جئناك فاقمهم عنا فاذا فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال عليه السلام نعم قالوا فاكتب لنا كتابا
فدعا بالصحيفة وبعلي رضي الله تعالى عنه ليكتب ونحن قعود في ناحية فنزل جبريل عليه السلام بالاية
فرمى عليه السلام بالصحيفة ودعانا فاتيناه وجلسنا عنده وكنا ندنو منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان
يقوم عنا اذا اراد القيام فنزل واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه
وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي معكم المحيا ومعكم الممات والمراد
بذكر الوقتين الدوام وقيل صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وقوله تعالى يريدون وجهه حال من ضمير
يدعون اي يدعونه تعالى مخلصين له وتقييده به لتاكيد عليته للنهي فان الاخلاص من اقوى موجبات
الاكرام المضاد للطرد وقوله تعالى ما عليك من حسابهم من شيء اعتراض وسط بين النهي وجوابه تقريرا
له ودفعا لما عسى يتوهم كونه مسوغا لطردهم من اقاويل الطاعنين في دينهم كدأب قوم نوح حيث قالوا ما نر
اك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي اي ما عليك شيء من حساب ايمانهم واعمالهم الباطنة حتى
تتصدى له وتبني على ذلك ما تراه من الاحكام وانما وظيفتك حسبما هو شان منصب النبوة باعتبار
ظواهر الاعمال واجرا الكلام على موجبها واما بواطن الامور فحسابها على العليم بذات الصدور كقوله تعالى ان
حسابهم الا على ربي وذكر قوله تعالى وما من حسابك عليهم من شيء مع ان الجواب قد تم بما قبله
للمبالغة في بيان انتفا كون حسابهم عليه عليه السلام بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه اصلا وهو انتفا كون

حسابه عليه السلام عليهم على طريقة قوله تعالى لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون واما ما قيل من ان
ذلك لتنزيل الجملتين منزلة جملة واحدة لتأدية معنى واحد على نهج قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
فغير حقيق بجلالة شان التنزيل وتقديم عليك في الجملة الاولى للقصد الى ايراد النفي على اختصاص
حسابهم به عليه السلام اذ هو الداعي الى تصديه عليه السلام لحسابهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى
انك لا تؤاخذ بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويدعوك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين وقوله تعالى فتطردهم
جواب النفي وقوله تعالى فتكون من الظالمين جواب النهي وقد جوز عطفه على فتطردهم على طريقة التسبب
وليس بذاك وكذلك فتنا بعضهم ببعض استئناف مبين لما نشأ عنه ما سبق من النهي وذلك اشارة الى مصدر
ما بعده من الفعل الذي هو عبارة عن تقديمه تعالى لفقراء المؤمنين في امر الدين بتوفيقهم للايمان مع ما هم
عليه في امر الدنيا من كمال سوء الحال وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته
في الكمال والكاف لتأكيد ما افادة اسم الاشارة من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت
لمصدر مؤكد محذوف والتقدير فتنا بعضهم ببعض فتونا كائنا مثل ذلك الفتون ثم قدم على الفعل لافادة القصر
المفيد لعدم القصور فقط اعتبرت الكاف مقحمة فصار نفس المصدر المؤكد لا نعتا له والمعنى ذلك الفتون
الكامل البديع فتنا اي ابتلينا بعض الناس ببعضهم لا فتونا غيره حيث قدمنا الاخرين في امر الدين على الاولين
المتقدمين عليهم في امر الدنيا تقدما كليا واللام في قوله تعالى ليقولوا للعاقبة اي ليقول البعض الاولون
مشيرين الى الاخرين محقرين لهم اي لما بينهما من التفاوت الفاحش الدنيوي وتعاميا عما هو مناط التفضيل
حقيقة اهؤلاء من الله عليهم من بيننا بان وفقهم لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده تعالى من دوننا ونحن
المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن راسا على طريقة قولهم لو كان خيرا
ما سبقونا اليه وهم العبيد والفقراء وغرضهم بذلك انكار وقوع المن راسا على طريقة قولهم اليه لا تحقير الممنون
عليهم مع الاعتراف بوقوعه بطريق الاعتراض عليه تعالى اليس الله باعلم بالشاكرين رد لقولهم ذلك
وابطال له واشارة الى مدار استحقاق الانعام معرفة شان النعمة والاعتراف بحق المنعم والاستفهام
لتقرير علمه البالغ بذلك اي اليس الله باعلم بالشاكرين لنعمه حتى يستبعدوا انعامه عليهم وفيه من
من الاشارة الى ان اولئك الضعفاء عارفون لحق نعمة الله تعالى في تنزيل القرآن والتوفيق للايمان
شاكرون له تعالى على ذلك مع التعريض بان القائلين بمعزل من ذلك كله ما لا يخفى واذا جاءك الذين يؤمنون
باياتنا هم الذين نهي عن طردهم وصفوا بالايمان بايات الله عز وجل كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى
بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف لان مدار الوعد بالرحمة
والمغفرة هو الايمان بها كما ان مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى فقل
سلام عليكم امر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم
وقيل بان يبدأهم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة اي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة
بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط شيء اصلا تبشير لهم بسعة رحمته تعالى ونيل المطالب
اثر تبشيرهم بالسلامة عن المكاره وقبوله التوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميرهم اظهار للطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاؤوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت وقوله تعالى انه من عمل منكم سوءا
بدل من الرحمة وقرئ بكسرها على انه تفسير للرحمة بطريق الاستئناف وقوله تعالى بجهالة حال من فاعل
عمل اي عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المضار والمفاسد والتقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر ما يعلم
انه يؤدي الى الضرر او عمله ملتبسا بجهالة ثم تاب من بعده اي من بعد عمله او من بعد سفهه واصلح اي
ما افسده تداركا وعزما على ان لا يعود اليه ابدا فانه غفور رحيم اي فامره غفور رحيم اي فله انه
غفور رحيم وقرئ فانه بالكسر على انه استئناف وقع صدر الجملة الواقعة خبرا لمن على انها موصولة او جوابا
لها على انها شرطية وكذلك نفصل الايات تذييل لما فيه من الكلام اي مثل هذا التفصيل البديع
نفصل الايات في صفة اهل الطاعة واهل الاجرام المصرين منهم والاوابين ولتستبين سبيل المجرمين
بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل وقرئ بالتذكير بناء على تذكيره فان السبيل مما يذكر ويؤنث
وهو عطف على علة محذوفة للفعل المذكور لم يقصد تعليله بها بعينها وانما قصد الاشعار بان له
فوائد جمة من جملتها ما ذكر او علة لفعل مقدر هو عبارة عن المذكور وقرئ بنصب السبيل على ان
الفعل متعد والتاء للخطاب اي ولتستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم قل اني
نهيت امر صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى مخاطبة المصرين على الشرك اثر ما امر بمعاملة من عداهم من
اهل الانذار والتبشير بما يليق بحالهم اي قل لهم قطعا لاطماعهم الفارغة عن ركونه عليه السلام اليهم وبيانا

لكون

> حال من فاعل عمل اى عمله وهو جاهل بحقيقة ما يتبعه من المفاسد التقييد بذلك للايذان بان المؤمن لا يباشر ما يعلم انه يؤدي الى الضرر وعمله ملتبسا بجهالة ص

لكون ما هم عليه من الدين هوى محضا وضلالا بحتا اي صرفت وزجرت بما نصب لي من الادلة وانزل علي
من الايات في امر التوحيد ان اعبد الذين تدعون اي عن عبادة ما تعبدونه من دون الله كائنا ما كان
ولعل الامر مع قرب العهد بالامر السابق لاختلاف المقولين فحيث ان الاول حكاية لما من
جهته تعالى من النهي والثاني حكاية لما من جهته عليه السلام من الانتهاء عن عبادة ما يعبدونه
وانما قيل لا اتبع اهواءكم استجهالا لهم وتنصيصا على انهم فيما هم فيه تابعون لاهواء باطلة وليسوا على شيء
مما ينطلق عليه الدين اصلا واشعارا بما يوجب النهي والانتهاء وقوله تعالى قد ضللت اذا استئناف
مؤكد لانتهائه عما نهي عنه مقرر لكونهم في غاية الضلال والغواية اي ان اتبعت اهواءكم فقد ضللت
وقوله تعالى وما انا من المهتدين عطف على ما قبله والعدول الى الجملة الاسمية للدلالة على الدوام
والاستمرار اي دوام النفي واستمراره لا نفي الدوام والاستمرار اي ما انا في شيء من الهدى حتى اكون
في عدادهم وقوله تعالى قل اني على بينة تحقيق للحق الذي عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان اتباعه
اياه اثر ابطال الباطل الذي عليه الكفرة وبيان عدم اتباعه له والبينة الحجة الواضحة التي تفصل بين الحق
والباطل والمراد بها القرآن والوحي وقيل هي الحجج العقلية او ما يعمها ولا يساعده المقام والتنوين للتفخيم
وقوله تعالى من ربي متعلق بمحذوف هو صفة لبينة مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة
الاضافية وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ورفع
المنزلة ما لا يخفى وقوله تعالى وكذبتم به اما جملة مستأنفة او حالية بتقدير قد او بدونها جيء بها
لاستقباح مضمونها واستبعاد وقوعه مع تحقق ما يقتضي عدمه من غاية وضوح البينة والضمير المجرور
للبينة والتذكير باعتبار المعنى المراد والمراد اني على بينة عظيمة كائنة من ربي وكذبتم بها وبما في تضاعيفها
من الاخبار التي من جملتها الوعيد بمجيء العذاب وقوله تعالى ما عندي ما تستعجلون به استئناف مبين لخطئهم
في شان ما جعلوه منشأ لتكذيبهم بها وهو عدم مجيء ما وعد فيها من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بطريق الاستهزاء او بطريق الالزام على زعمهم اي ليس ما تستعجلونه من
العذاب الموعود في القرآن وتجعلون تأخره ذريعة الى تكذيبه في حكمي وقدرتي حتى اجيء به واظهر لكم صدقه
اي ليس امره بمفوض الي ان الحكم المعهود او في جميع احكامه المتضمنة له انتظاما اوليا اي لا يحكم الا
هو وحده فيثبت حقية التضمين وقرئ يقضي فانتصاب الحق على المصدرية اي القضاء الحق او على المفعولية اي
يصنع الحق ويدبره من قولهم قضى الدرع اذا صنعها واصل القضاء الفصل بتمام الامر واصل الحكم المنع
فكانه منع الباطل عن معارضة الحق او الخصم عن التعدي على صاحبه وهو خير الفاصلين اعتراض تذييلي
مقرر لمضمون ما قبله مشير الى ان قضاء الحق بطريق خاص هو الفصل بين الحق والباطل هذا هو الذي
تستدعيه جزالة التنزيل وقد قيل ان المعنى اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة
وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به تعالى غيره وانت خبير بان مساق النظم الكريم فيما سبق وما
لحق على وصفهم بتكذيب ايات الله تعالى بسبب مجيء العذاب الموعود فيها فتكذيبهم به سبحانه في امر التوحيد مما لا
تعلق له بالمقام اصلا قل لو ان عندي اي في قدرتي ومكنتي ما تستعجلون به من العذاب الذي ورد به الوعيد بان يكون
امره مفوضا الي من جهته تعالى لقضي الامر بيني وبينكم اي بان ينزل عليكم اثر استعجالكم بقولكم متى هذا الوعد
ونظائره وفي بناء الفعل للمفعول من الايذان بتعيين الفاعل الذي هو الله سبحانه وتعالى وتهويل الامر
ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى فما قيل في تفسيره لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي ولتخلصت منكم سريعا
بمعزل من توفية المقام حقه وقوله تعالى والله اعلم بالظالمين اعتراض مقرر لما افاده الجملة الامتناعية من
انتفاء كون امر العذاب مفوضا اليه عليه السلام المستتبع لانتفاء قضاء الامر وتعليل له والمعنى والله اعلم
بحال الظالمين وبانهم مستحقون للامهال بطريق الاستدراج لتشديد العذاب ولذلك لم
يفوض الامر الي فلم نعقل الامر بتعجيل العذاب والله اعلم وعنده مفاتح الغيب بيان لاختصاص المقدورات
الغيبية به تعالى من حيث العلم اثر بيان اختصاص الغيب كانها مخازن خزنت فيها الامور الغيبية تعلق
عليها وتغلق واما جمع مفتح بكسرها وهو المفتاح ويؤيده قراءة من قرأ مفاتيح الغيب فهو مستعار
لما يتوصل الى تلك الامور بناء على الاستعارة الاولى اي عنده تعالى خاصة خزائن غيوبه او ما يتوصل
به اليها وقوله عز وجل لا يعلمها الا هو تأكيد لمضمون ما قبلها وايذان بان المراد هو الاختصاص
من حيث العلم لا من حيث القدرة والمعنى ان ما تستعجلونه من العذاب ليس مقدورا لي حتى الزمكم
بتعجيله ولا معلوما لدي لاخبركم بوقت نزوله بل هو مما يختص به تعالى قدرة وعلما فينزله حسبما
تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقوله تعالى ويعلم ما في البر والبحر بيان لتعلق قدرته
وعلما فينزله حسبما تقتضيه الى علمه تعالى بالمشاهدات اثر بيان تعلقه بالمغيبات تكملة له وتنبيها على ان الكل

> اى ما الحكم في ذلك تعجيلا وتأخيرا اى وما الحكم في جميع الاشياء فيدخل فيه ما ذكر دخولا اوليا الا لله وحده من غير ان يكون لغيره دخل ما بوجه من الوجوه وقوله تعالى يقضي الحق اى يتبعه بيان لسوء تعالى في الحكم ص

بالنسبة الى علمه المحيط سواء في الجلاء اى يعلم ما فيهما من الموجودات مفصلة على اختلاف اجناسها وانواعها
وتكثر افرادها وقوله تعالى وما تسقط من ورقة الا يعلمها بيان لتعلقه باحوالها المتغيرة بعد بيان تعلقه
بذواتها فان تخصيص حال السقوط بالذكر ليس الا بطريق الاكتفاء بذكرها عن ذكر سائر الاحوال كما ان ذكر
حال الورقة وما عطف عليها خاصة دون احوال سائر ما فيهما من فنون الموجودات الفائتة للحصر باعتبار
انها انموذج احوال السائر وقوله تعالى ولا حبة عطف على ورقة وقوله تعالى في ظلمات الارض متعلق
بمحذوف وهو صفة لحبة مفيدة لكمال نفوذ علمه تعالى اى ولا حبة كائنة في بطون الارض الا يعلمها
وكذا قوله تعالى ولا رطب ولا يابس معطوفان عليها داخلان في حكمها وقوله تعالى الا في كتاب مبين بدل من
الاستثناء الاول بدل الكل على ان الكتاب عبارة عن علمه تعالى او بدل الاشتمال على انه عبارة عن اللوح
المحفوظ وقرئ الاخيران بالرفع عطفا على محل من ورقة وقيل رفعهما بالابتداء والخبر الا في كتاب مبين
وهو الانسب بالمقام لشمول الرطب واليابس حينئذ لما ليس من شانه السقوط وقد نقل قراءة الرفع في ولا حبة
ايضا وهو الذي يتوفاكم بالليل اى ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الاماتة للانامة لما بين النوم والموت
من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز واصله قبض الشيء بتمامه ويعلم ما جرحتم بالنهار اى ما كسبتم فيه
والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما اذ بالتوفي والبعث الموجودين فيهما يتحقق
قضاء الاجل المسمى المترتب عليهما لا في بعضهما والمراد بعلمه تعالى بذلك علمه بخروج قبل الجرح كما يلوح به تقديم ذكره
على البعث اى يعلم ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة كما يلوح به تقديم ذكره
ما تجرحون بالنهار وصيغة الماضي للدلالة كما يلوح به تقديم ذكره على التحقيق وتخصيص التوفي بالليل والجرح
بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص الاخر للجري على سنن العادة ثم يبعثكم فيه اى يوقظكم في النهار عطف على
يتوفيكم وتوسيط قوله تعالى ويعلم الخ بينهما لبيان ما في بعثهم من عظيم الاحسان اليهم بالتنبيه على ما يكتسبون
من السيئات مع كونها موجبة لا بقائهم على التوفي بل لاهلاكهم بالمرة يفيض عليهم الحياة ويمهلهم كما ينبئ عنه
كلمة التراخي كانه قيل هو الذي يتوفيكم في جنس الليالي ثم يبعثكم في جنس النهار مع علمه بما ستجرحون
فيها ليقضى اجل مسمى معين لكل فرد بحيث لا يكاد يتخطى احد ما عين له طرفة عين ثم اليه مرجعكم اى
رجوعكم بالموت لا الى غيره اصلا ثم ينبئكم بما كنتم تعملون بالمجازاة باعمالكم التي كنتم تعملونها في تلك الليالي
والايام وقيل الخطاب مخصوص بالكفرة والمعنى انكم ملقون كالجيف بالليل وكاسبون للاثام بالنهار ليقضى
الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم وفيه ما لا يخفى من التكلف والاخلال لافضائه الى
كون البعث معللا بقضاء الاجل المضروب له وهو القاهر فوق عباده اى هو المتصرف في امورهم لا غيره يفعل
بهم ما يشاء ايجادا واعداما واحياء واماتة وتعذيبا واثابة الى غير ذلك ويرسل عليكم خاصة ايها المكلفون
حفظة من الملائكة وهم الكرام الكاتبون وعليكم متعلق بيرسل لما فيه من معنى الاستيلاء وتقديمه على
المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل متعلق بمحذوف هو حال
من حفظة اذ لو تاخر لكان صفة اى كائنين عليكم وقيل متعلق بحفظة والمحفوظ محذوف وهي على كل حال
اى يرسل عليكم ملائكة يحفظون اعمالكم كائنين ما كان وفي ذلك حكمة جليلة ونعمة جميلة لما ان المكلف اذا
علم ان اعماله تحفظ عليه وتعرض على رؤوس الاشهاد كان ذلك ازجر له عن تعاطي المعاصي والقبائح وان
العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه الواقفين على احواله
وحتى في قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت هي التي يبتدأ بها الكلام وهي مع ذلك تجعل ما بعدها من الجملة
الشرطية غاية لما قبلها كانه قيل ويرسل عليكم حفظة يحفظون اعمالكم مدة حياتكم حتى اذا انتهت
مدة احدكم كائنا ما كان وجاءه اسباب الموت ومباديه توفته رسلنا الاخرون المفوض اليهم ذلك وهم ملك
الموت واعوانه وانتهى هناك حفظ الحفظة وقرئ توفاه ماضيا او مضارعا بطرح احدى التائين وهم اى الرسل
لا يفرطون اى بالتواني والتاخير وقرئ يفرطون بالتخفيف من الافراط اى لا يجاوزون ما حد لهم بزيادة او نقصان
والجملة حال من رسلنا وقيل مستانفة سيقت لبيان اعتنائهم بما امروا به وقوله تعالى ثم ردوا عطف على توفته
والضمير للكل المدلول عليه باحدكم وهو السر في مجيئه بطريق الالتفات تغليبا والافراد اولا والجمع اخرا لوقوع
التوفي على الانفراد والرد على الاجتماع اى ثم ردوا بعد البعث بالحشر الى الله اى الى حكمه وجزائه في
موقف الحساب مولاهم اى مالكهم الذي يلي امورهم على الاطلاق لا ناصرهم كما في قوله تعالى وان الكافرين
لا مولى لهم الحق الذي لا يقضي الا بالعدل وقرئ بالنصب على المدح الا له الحكم يومئذ صورة ومعنى لا
لاحد غيره بوجه من الوجوه وهو اسرع الحاسبين يحاسب جميع الخلائق في اسرع زمان واقصره لا يشغله
حساب عن حساب ولا شان عن شان وفي الحديث انه تعالى يحاسب الكل في مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من
ظلمات البر والبحر اى قل لهم تقريرا لهم بانحطاط شركائهم عن رتبة الالهية من ينجيكم من شدائدهما الهائلة التي

تبطل الحواس وتدهش العقول ولذلك [illegible] الظلمات المبطلة لحاسة البصر يقال لليوم الشديد يوم
مظلم ويوم ذو كواكب ومن الخسف في البر والغرق في البحر وقرئ ينجيكم من الانجاء والمعنى واحد وقوله تعالى
تدعونه تضرعا وخفية حال من مفعول ينجيكم اى ينجيكم منها حال كونكم داعين له او من فاعله
اى ينجيكم منها حال كونه مدعوا من جهتكم وقوله تعالى تضرعا وخفية اما حال من فاعل تدعونه او مصدر
مؤكد له اى تدعونه متضرعين [illegible] ومسرين او دعاء اعلان واخفاء وقرئ خفية بكسر [illegible] وقوله
تعالى لئن انجيتنا حال من الفاعل ايضا على تقدير القول اى تدعونه قائلين لئن انجيتنا من هذه الشدة
والورطة التي عبر عنها بالظلمات لنكونن من الشاكرين الراسخين في الشكر المداومين عليه لاجل هذه النعمة
او جميع النعماء التي من جملتها هذه وقرئ لئن انجانا مراعاة لقوله تعالى تدعونه قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب
امره عليه السلام بتقرير الجواب مع كونه من وظائفهم للايذان بانه متعين عندهم ولبناء قوله تعالى ثم انتم
تشركون عليه اى الله تعالى وحده ينجيكم مما تدعونه الى كشفه من الشدائد المذكورة وغيرها من الغموم
والكرب ثم انتم بعد ما تشاهدون هذه النعم الجليلة تشركون بعبادته تعالى وقرئ ينجيكم بالتخفيف وقوله
تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا استئناف مسوق لبيان انه تعالى هو القادر على القاهر
اثر بيان انه هو المنجي لهم [illegible] العذاب [illegible] قوله تعالى افامنتم
ان يخسف بكم جانب البر الى قوله تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى وعليكم متعلق بيبعث وتقديمه
على مفعوله الصريح للاعتناء به والمسارعة الى بيان كون المبعوث مما يضرهم ولتهويل امر المؤخر وقوله تعالى
من فوقكم متعلق به ايضا او بمحذوف وقع صفة لعذابا اى عذابا كائنا من جهة الفوق كما فعل بمن فعل من
قوم لوط واصحاب الفيل وامثالهم او من تحت ارجلكم اى من جهة السفل كما فعل بفرعون وقارون وقيل
من فوقكم اكابركم وولاة امركم ومن تحت ارجلكم سفلتكم وعبيدكم وقيل او لمنع الخلو دون الجمع فلا منع
لما كان من الجهتين معا كما فعل بقوم نوح او يلبسكم شيعا اى يخلطكم فرقا متحزبين على اهواء شتى كل فرقة
مشايعة لامام فينشب بينكم القتال فتختلطوا في الملاحم كقول الحماسي ° وكتيبة لبستها
بكتيبة ° حتى اذا التبست نفضت لها يدي °°° ويذيق بعضكم باس بعض عطف على يبعث وقرئ بنون
العظمة على طريق الالتفات لتهويل الامر والمبالغة والتحذير والبعض الاول الكفار والاخر المؤمنون ففيه
وعد ووعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال عند قوله عذابا من فوقكم اعوذ بوجهك
وعند قوله تعالى او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض هذا اهون وهذا ايسر وعنه عليه السلام انه
قال سالت ربي ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل
باسهم بينهم فمنعني ذلك انظر كيف نصرف الآيات من حال الى حال لعلهم يفقهون كي يفقهوا ويقفوا على
جلية الامر فيرجعوا عما هم عليه من المكابرة والعناد وكذب به اى بالعذاب الموعود او القرآن المجيد
الناطق بمجيئه قومك اى المعاندون منهم ولعل ايرادهم بهذا العنوان للايذان بكمال سوء حالهم فان
تكذيبهم بذلك مع كونهم من قومه عليه السلام مما يقضي بغاية عتوهم ومكابرتهم وتقديم الجار والمجرور
على الفاعل لما مر مرارا من اظهار الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقوله تعالى وهو الحق حال
من الضمير المجرور اى كذبوا به والحال انه الواقع لا محالة او انه الكتاب الصادق في كل ما نطق به وقيل
هو استئناف وايا ما كان ففيه دلالة على عظم جنايتهم ونهاية قبحها قل لهم مشيرا على ما يؤول اليه امرهم
وعلى انه قد اديت ما عليك من وظائف الرسالة لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم لامنعكم من
التكذيب واجبركم على التصديق انما انا منذر وقد خرجت من العهدة حيث اخبرتكم بما سترونه لكل نبا اى لكل
نبا به من الانباء التي من جملتها عذابكم او لكل خبر من الاخبار التي من جملتها خبر مجيئه مستقر اى وقت استقرار
ووقوع البتة او وقت استقرار بوقوع مدلوله وسوف تعلمون اى حال نبائكم في الدنيا او في الآخرة او فيهما
معا وسوف للتاكيد كما في قوله تعالى ولتعلمن نباه بعد حين واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا اى بالتكذيب
والاستهزاء بها والطعن فيها كما هو داب قريش ودينهم فاعرض عنهم بترك مجالستهم والقيام عنهم وقوله
تعالى حتى يخوضوا في حديث غيره حتى يخوضوا في حديث غيره غاية للاعراض اى استمر على الاعراض الى ان يخوضوا
في حديث غير اياتنا والتذكير باعتبار كونها حديثا وان وصف حديث بمغايرتها بالنسبة الى اعتبارها بعنوان
الحديثية وقيل باعتبار كونه القرآن واما ينسينك الشيطان بان يشغلك فتنسى النهي فتجالسهم ابتداء وبقاء وقرئ
ينسينك من التنسية فلا تقعد بعد الذكرى اى بعد تذكر النهي مع القوم الظالمين اى معهم فوضع المظهر
موضع المضمر نعيا عليهم انهم بذلك الخوض ظالمون واضعون التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والتعظيم
راسخون في ذلك وما على الذين يتقون روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم عن مجالسهم
عند خوضهم في الآيات قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام ونطوف بالبيت

فنزلت اى ما على الذين يتقون قبائح اعمال الخائضين واحوالهم من حسابهم اى مما يحاسبون عليه من الجرائر
من شىء اى شىء ما على انه مبتدا وما تميمية او اسم لها وهى حجازية ومن مزيدة للاستغراق ومن حسابهم حال
منه وعلى الذين يتقون فى محل الرفع على انه خبر للمبتدا او لما الحجازية على راى من لا يجيز اعمالها فى الخبر المقدم عند
كونه ظرفا او حرف جر ولكن ذكرى استدراك من النفى السابق اى ولكن عليهم ان يذكروهم ويمنعوهم عما هم عليه
من القبائح بما امكن من العظة والتذكير ويظهروا لهم الكراهة والنكير ومحل ذكرى اما النصب على انه
مصدر مؤكد للفعل المحذوف اى عليهم ان يذكروهم تذكيرا والرفع على انه مبتدا محذوف الخبر اى ولكن عليهم
ذكرى لعلهم يتقون اى يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز كون الضمير للموصول اى يذكرونهم
رجاء ان يثبتوا على تقواهم او يزدادوها وذر الذين اتخذوا دينهم الذى كلفوه وامروا باقامة مواجبه لعبا
ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا به او بنوا امر دينهم على ما لا يكاد يتعاطاه العاقل بطريق الجد وانما يصدر عنه
لو صدر بطريق اللعب واللهو كعبادة الاصنام وتحريم البحائر والسوائب ونحو ذلك والمعنى اعرض عنهم
ولا تبال بافعالهم واقوالهم وقيل هو تهديد لهم كقوله تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا الاية وغرتهم الحيوة الدنيا
واطمانوا بها حتى زعموا ان لا حياة بعدها ابدا وذكر به اى بالقران من يصلح للتذكير ان تبسل نفس بما كسبت
اى لئلا تبسل كقوله تعالى ان تضلوا الاية او مخافة ان تبسل او كراهة ان تبسل نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى علمت
نفس ما احضرت وترتهن بسوء عملها واصل الابسال والبسل المنع ومنه اسد باسل لان فريسته لا تفلت
منه او لانه ممتنع والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه وهذا بسل عليك اى حرام ممنوع ويجوز ان
يكون الضمير المجرور فى به راجعا الى الابسال مع عدم جريان ذكره كما فى ضمير الشان وتكون الجملة بدلا منه
مفسرا له لما فى الابهام اولا والتفسير ثانيا من التفخيم وزيادة التقرير كما فى قوله * على جوده لضن بالماء
حاتم على انه بدل من ضمير جوده فالمعنى بابسالها النفوس وحبسها وقوله تعالى ليس لها من دون الله
ولى ولا شفيع استئناف مسوق للاخبار بذلك وقيل فى محل النصب على انه حال من ضمير كسبت وقيل
فى محل الرفع على انه وصف لنفس والاظهر انه حال من نفس فانها فى قوة نفس كافرة او نفوس
كثيرة كما فى قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال من ولى كما بين فى تفسير
قوله تعالى علمت نفس ما احضرت ومن دون الله متعلق بمحذوف هو حال منه ولى كما بين فى تفسير قوله تعالى
وان تعبد الذين الاية وقيل هو خبر ليس فيكون لها متعلقا بمحذوف على البيان وان تعدل اى تفد
النفس كل عدل اى كل فداء على انه مصدر مؤكد لا يؤخذ منها على اسناد الفعل الى الجار والمجرور لا الى ضمير العدل
كما فى قوله تعالى لا المصدر لا يؤخذ منه اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافهم بصلته وما فيه من
معنى البعد للايذان ببعد درجتهم فى سوء الحال ومحله الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى الذين ابسلوا بما
كسبوا والجملة مستانفة سيقت اثر تحذيرهم من الابسال المذكور لبيان انهم المبتلون بذلك اى اولئك
المتخذون دينهم لعبا ولهوا المغترون بالحياة الدنيا هم الذين ابسلوا الى ما كسبوا من القبائح وقوله تعالى لهم
شراب من حميم استئناف اخر مبين لكيفية الابسال المذكور وعاقبته مبنى على سؤال نشا من الكلام كانه قيل ماذا
لهم حين ابسلوا بما كسبوا فقيل لهم شراب من ماء مغلى يتجرجر فى بطونهم وتتقطع به امعاؤهم وعذاب اليم بنار
تشتعل فى ابدانهم بما كانوا يكفرون اى بسبب كفرهم المستمر فى الدنيا ويجوز ان يكون لهم شراب الخ
حالا من ضمير ابسلوا وترتيب ما ذكر من العذاب على كفرهم مع انهم معذبون بسائر معاصيهم ايضا حسبما
ينطق به قوله تعالى بما كسبوا لانه العمدة فى ايجاب العذاب والاهم فى باب التحذير او اريد بكفرهم ما هو اعم منه
ومن مستتبعاته من المعاصى والسيئات هذا ويجوز ان يكون اولئك اشارة الى النفوس المدلول عليها
بنفس ومحله الرفع بالابتداء والموصول الثانى صفته او بدل منه ولهم شراب الخ خبره والجملة مسوقة لبيان
تبعة الابسال قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا قيل نزلت فى ابى بكر رضى الله تعالى عنه حين دعاه
ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاصنام وتوجيه الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم للايذان بما بينهما
من الاتصال والاتحاد تنويها بشان الصديق رضى الله تعالى عنه اى انعبد متجاوزين عبادة الله الجامع لجميع صفات
الالوهية التى من جملتها القدرة على ذلك وقوله تعالى ونرد على اعقابنا عطف على ندعوا داخل فى حكم
الانكار والنفى اى ونرد الى الشرك والتعبير عنه بالرد على الاعقاب لزيادة تقبيحه بتصويره بصورة
ما هو علم فى القبح مع ما فيه من الاشارة الى كون الشرك حالة قد تركت ونبذت وراء الظهور وايثار نرد
على نرتد لتوجيه الانكار الى الارتداد برد الغير تصريحا بمخالفة المضل وقطعا لاطماعهم الفارغة وايذانا بان الارتداد من
غير داع ليس فى حيز الاحتمال ليحتاج الى نفيه وانكاره وقوله تعالى بعد اذ هدانا الله اى الى الاسلام
وانقذنا من الشرك متعلق بنرد مسوق لتاكيد النكير لا لتحقيق معنى الرد وتصويره فقط والا لكفى ان يقال
بعد اذ هدينا كانه قيل ونرد الى الشرك باضلال المضل بعد ان هدانا الله الذى لا هادى سواه كالذى

استهوته

كالذى استهوته الشياطين فى محل النصب على انه حال من مرفوع نرد اى انرد على اعقابنا مشبهين
بالذى استهوته مردة الجن واستغوته الى المهامه والمهالك او على انه نعت لمصدر محذوف اى انرد ردا مثل
رد الذى استهوته الى اخره والاستهواء استفعال من هوى فى الارض اذا ذهب فيها كانها طلبت هويه وحرصت
عليه بالغ بما له وقوله تعالى فى الارض اما متعلق باستهوته او بمحذوف هو حال من مفعوله اى كائنا
فى الارض وكذا قوله تعالى حيران حال منه على انها بدل من الاولى او حال ثانية عند من يجوزها او من الذى
او من المستكن فى الظرف اى تائها ضالا عن الجادة لا يدرى ما يصنع وقوله تعالى له اصحاب يدعونه الى
الهدى صفة لاصحاب اى لذلك المستهوى رفقة يهدونه الى الطريق المستقيم تسمية له بالمصدر مبالغة
كانه نفس الهدى ائتنا على ارادة القول على انه بدل من يدعونه او حال من فاعله اى يقولون ائتنا وفيه
اشارة الى انهم مهتدون ثابتون على الطريق المستقيم وان من يدعونه ليس ممن يعرف الطريق المستقيم ليدعى
الى اتيانه وانما يدعى الى سمت الداعى ومورد النعيق فقط قل ان هدى الله الذى هدانا اليه وهو الاسلام
هو الهدى وحده وما عداه ضلال محض وغى بحت كقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال ونحوه وتكرير الامر
للاعتناء بشان المامور به او لان ما سبق للزجر عن الشرك وهذا حث على الاسلام وهو توطئة لما بعده فان اختصاص
الهدى بهداه تعالى مما يوجب الامتثال بالامر الوارد بعده وامرنا عطف على ان هدى الله هو الهدى داخل
تحت القول واللام فى لنسلم لرب العالمين تعليل للامر المحكى وتعيين ما اريد به من الاوامر الثلاثة كما فى
قوله تعالى بان نسلم على الوجوه الثلاثة على ان ان المصدرية اذا وصلت بالامر تجرد عن معنى المضى
والاستقبال والمعنى على الاول امرنا اى قيل لنا اسلموا واقيموا الصلاة واتقوا الله لاجل ان نسلم ونتقيه
تعالى وعلى الاخرين امرنا بان نسلم او نقيم الصلاة ونتقيه تعالى والتعرض لوصف ربوبيته تعالى للعالمين
لتعليل الامر وتاكيد وجوب الامتثال به كما ان فى قوله تعالى وهو الذى اليه تحشرون جملة مستانفة موجبة
للامتثال بما امر به من الامور الثلاثة وهو الذى خلق السموات والارض اريد بخلقهما خلق ما فيهما ايضا
وعدم التصريح بذلك لظهور اشتمالهما على جميع العلويات والسفليات وقوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف
هو حال من فاعل خلق او من مفعوله او صفة لمصدره المؤكد اى قائما بالحق او ملتبسا بالحق او خلقا
ملتبسا به وقوله تعالى ويوم يقول كن فيكون قوله الحق استئناف لبيان ان خلقه تعالى لما ذكر من السموات
والارض ليس مما يتوقف على مادة او مدة بل يتم بمحض الامر التكوينى من غير توقف على شىء اصلا وان ذلك الامر
المتعلق بكل فرد من افراد المخلوقات فى حين معين من افراد الاحيان حق فى نفسه ومتضمن للحكمة ويوم ظرف
لمضمون جملة قوله الحق والواو بحسب المعنى داخل عليها وتقديمه عليها للاعتناء به من حيث انه مدار الحقية
وترك ذكر المقول له لظهوره وغاية ظهوره والمراد بالقول كلمة كن تحقيقا او تمثيلا كما هو المشهور فالمعنى
وامره المتعلق بكل شىء يريد خلقه من الاشياء فى حين تعلقه به لا قبله ولا بعده من افراد الاحيان الحق اى المشهود
له بالحقية المعروف بها هذا وقد قيل قوله مبتدا والحق صفته ويوم يقول خبره مقدما عليه كقولك يوم
الجمعة القتال واشتماله بمعنى الاستقرار وحاصل المعنى وقوله الحق كائن حين يقول لشىء من الاشياء كن فيكون
ذلك الشىء وقيل يوم منصوب بالعطف على السموات او على الضمير فى واتقوه او بمحذوف دل عليه الحق وقوله
الحق مبتدا وخبر وفاعل يكون على معنى حين يقول لقوله الحق اى لقضائه الحق كن فيكون والمراد حين تكون الاشياء
ويحدثها او حين تقوم القيمة فيكون التكوين حشر الاموات واحياءها فتامل الحق التامل وله الملك يوم ينفخ فى
الصور تقييد اختصاص الملك به تعالى بذلك اليوم مع عموم الاختصاص بجميع الاوقات لغاية ظهور ذلك
بانقطاع العلائق المجازية الكائنة فى الدنيا المصححة للمالكية المجازية فى الجملة كقوله تعالى لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار عالم الغيب والشهادة اى هو عالمهما وهو الحكيم فى كل ما يفعله الخبير بجميع الامور الجلية والخفية
واذ قال ابراهيم منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم معطوف على قل اندعوا لا على
اقيموا كما قيل لفساد المعنى اى واذكر لهم بعدما انكرت عليهم عبادة ما لا يقدر على نفع وضر وحققت ان
الهدى هو هدى الله تعالى وما يتبعه من شؤونه تعالى وقت قول ابراهيم الذين يدعون انهم على ملته موبخا
لابيه ازر على عبادة الاصنام فان ذلك مما يبكتهم وينادى بفساد طريقتهم وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع
فيه من الحوادث مع انها المقصودة لما مر مرارا من المبالغة فى ايجاب ذكرها وازر بزنة ادم وعابر وعاذر
وفالغ وكذلك تارح ذكره ابن اسحق والضحاك والكلبى وكان من قرية من سواد الكوفة ومنع صرفه للعجمة
والعلمية وقيل اسمه بالسريانية تارح وازر لقبه المشهور وقيل اسم صنم لقب هو به للزومه عبادته وهو
عطف بيان لابيه او بدل منه وقال الضحاك معناه الشيخ الهرم وقال الزجاج المخطئ وقال الفراء وسليمان
التيمى المعوج نعت له كانه اعوج منشعا من الازر او الوزر واريد به عابدا ازر على حذف المضاف واقامة
المضاف اليه مقامه وقرئ ازر على النداء وهو دليل العلمية اذ لا يحذف حرف النداء الا من الاعلام اتتخذ

متعد الى مفعولين هما اصناما آلهة اى أتجعلها لنفسك آلهة على توجيه الانكار الى اتخاذ الجنس من غير اعتبار
للجمعية وانما اريد صيغة الجمع باعتبار الوقوع وقرئ ازر بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاء ساكنة
وراء منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد ازرا ثم قيل تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو
داخل تحت الانكار لكونه بيانا لها وقيل الازر القوة والمعنى الاجل القوة والمظاهرة تتخذ اصناما آلهة انكارا
لتعضده بها على طريقة قوله عز وجل أيبتغون عندهم العزة انى اراك وقومك الذين يتبعونك في عبادتها
في ضلال عن الحق مبين اى بين كونه ضلالا لا اشتباه فيه اصلا والرؤية اما علمية والظرف مفعولها الثاني
واما بصرية فهو حال من المفعول والجملة تعليل للانكار والتوبيخ وكذلك نرى ابراهيم هذه الاراءة من
الرؤية البصرية المستعارة للمعرفة ونقل البصرية البصيرة اى عرفناه وبصرناه وصيغة الاستقبال
حكاية للحال الماضية لاستحضار صورتها وذلك اشارة الى مصدر نرى لا الى اراءة اخرى مفهومة من قوله
تعالى انى اراك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل وكمال
تميزه بذلك وانتظامه بسببه في سلك الامور المشاهدة والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة من
الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نرى ابراهيم اراءة
كائنة مثل تلك الاراءة فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة فصار
المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اى ذلك التبصير البديع نبصره عليه السلام ملكوت السموات
والارض اى ربوبيته تعالى ومالكيته لهما وسلطانه القاهر عليهما وكونهما بما فيهما مربوبا ومملوكا
له تعالى لا تبصيرا آخر ادنى منه والملكوت مصدر على زنة المبالغة كالرهبوت والجبروت ومعناه الملك
العظيم والسلطان القاهر ثم هل هو مختص بملك الله عز سلطانه اولا فقد قيل وقيل والاول
هو الاظهر وبه قال الراغب وقيل ملكوتهما عجائبهما وبدائعهما روى انه عليه السلام كشف له عن السموات
والارض حتى العرش واسفل الارضين وقيل آياتهما وقيل ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت
الارض الجبال والاشجار والبحار وهذه الاقوال لا تقتضي الاراءة بصرية اذ ليس المراد باراءة ما ذكر من الامور
الحسية مجرد تمكينه عليه السلام من ابصارها ومشاهدتها في انفسها بل اطلاعه عليه السلام على حقائقها وتعريفها من
حيث دلالتها على شؤونه عز وجل ولا ريب في ان ذلك مما لا يدرك حسا كما ينبئ عنه اسم الاشارة المفصح
عن كون المشار اليه امرا بديعا فان الاراءة البصرية المعتادة بمعزل من تلك المثابة وقرئ ترى بالتاء
واسناد الفعل الى الملكوت اى تبصره عليه السلام دلائل الربوبية واللام في قوله تعالى وليكون من الموقنين
متعلقة بمحذوف مؤخر والجملة اعتراض مقرر لما قبلها اى وليكون من جملة الراسخين في الايقان البالغين
درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى فعلنا ما فعلنا من التبصير البديع المذكور لا لامر آخر فان
الوصول الى تلك الغاية كمال مترتب على ذلك التبصير لا عينه وليس القصر لبيان انحصار فائدته
في ذلك كيف لا وارشاد الخلق والزام المشركين كما سيأتي من فوائده بلا مرية بل لبيان انحصار فائدته
في تلك انه الاصل الاصيل والباقي من مستتبعاته وقيل هي متعلقة بالفعل السابق والجملة معطوفة على
علة اخرى محذوفة ينسحب عليها الكلام اى ليستدل بها وليكون الخ فينبغي ان يراد بملكوتهما بدائعهما
وآياتهما لان الاستدلال من غاياتها لا اراءة نفس الربوبية وقوله تعالى فلما جن عليه الليل
على الاول وهو الحق المبين عطف على قال ابراهيم داخل تحت ما امر بذكر وقته وما بينهما
اعتراض مقرر لما سبق وما لحق فان تعريفه عليه السلام ربوبيته ومالكيته للسموات والارض وما فيهما
وكون الكل مقهورا تحت ملكوته مفتقرا اليه في الوجود وسائر ما يترتب عليه من الكمالات وكونه من
الراسخين في معرفة شؤونه تعالى الواصلين الى ذروة عين اليقين مما يقضي بان يحكم عليه السلام
باستحالة الهية ما سواه سبحانه من الاصنام والكواكب وعلى الثاني وهو تفصيل لما ذكر من اراءة ملكوت
السموات والارض وبيان لكيفية استدلاله عليه السلام ووصوله الى رتبة الايقان ومعنى جن عليه
الليل ستره بظلامه وقوله تعالى رأى كوكبا جواب لما فان رؤيته انما تتحقق بزوال نور الشمس
عن الحس وهذا صريح وانه لم يكن في ابتداء الطلوع بل كان غيبته عن الحس بطريق الاضمحلال بنور الشمس
والتحقيق انه كان قريبا من الغروب كما ستعرفه قيل كان ذلك الكوكب هو الزهرة وقيل هو
المشتري وقوله تعالى قال هذا ربي استئناف مبني على سؤال نشأ من الشرطية السابقة المتفرعة على بيان
اراءته عليه السلام ملكوت السموات والارض فان ذلك مما يحمل السامع على استكشاف ما ظهر منه
عليه السلام من آثار تلك الاراءة واحكامها كانه قيل فماذا صنع عليه السلام حين رأى الكوكب
فقيل قال على سبيل الوضع والفرض هذا ربي مجاراة مع ابيه وقومه الذين كانوا يعبدون الاصنام
والكواكب فان المستدل على فساد قول يحكيه على رأي خصمه ثم يكر عليه بالابطال ولعل سلوك هذه الطريقة

في بيان استحالة ربوبية الكواكب دون بيان استحالة الالهية للاصنام لما ان هذا اخفى بطلانا واستحالة
من الاول فلو صدع بالحق من اول الامر كما فعله في حق عبادة الاصنام لتمادوا في المكابرة والعناد ولجوا
في طغيانهم يعمهون وقيل قاله عليه السلام على وجه النظر والاستدلال وكان ذلك في زمان مراهقته
واول اوان بلوغه وهو مبني على تفسير الملكوت بآياتهما وعطف قوله تعالى ليكون على ما ذكر من العلة
المقدرة وجعل قوله تعالى فلما جن تفصيلا لما ذكر من الاراءة وبيانا لكيفية الاستدلال وانت
خبير بان كل ذلك مما يخل بجلالة النظم الجليل وجلالة منصب الخليل فلما افل اى غرب قال لا احب
الآفلين اى الارباب المنتقلين من مكان الى مكان المتغيرين من حال الى حال المحتجبين بالاستار فانهم
بمعزل من استحقاق الربوبية قطعا فلما رأى القمر بازغا اى مبتدئا في الطلوع اثر غروب الكوكب قال
هذا ربي على الاسلوب السابق فلما افل كما افل النجم قال لئن لم يهدني ربي الى جنابه الذي هو الحق الذي لا
محيد عنه لاكونن من القوم الضالين فان شيئا مما رأيته لا يليق بالربوبية وهذا مبالغة منه عليه
السلام في اظهار النصفة ولعله عليه السلام كان اذ ذاك في موضع كان في جانبه الغربي جبل شامخ
يستتر الكوكب والقمر وقت الظهر من النهار او بعده بقليل وكان الكوكب قريبا منه وافقه الشرقي
في مكشوف اولا والا فطلوع القمر بعد افول الكوكب ثم افوله قبل طلوع الشمس كما ينبئ عنه قوله
تعالى فلما رأى الشمس بازغة اى مبتدئة في الطلوع مما لا يكاد يتصور قال اى على المنهج السابق هذا ربي
وانما لم يؤنث لما ان المشار اليه والمحكوم عليه بالربوبية هو الجرم المشاهد من حيث هو لا من حيث هو
يسمى باسم من الاسامي فضلا عن حيثية تسميته بالشمس او التذكير للخبر وصيانة الرب عن وصمة التأنيث
وقوله تعالى هذا اكبر تأكيد لما رامه عليه السلام من اظهار النصفة من الكوكب والقمر قال
مخاطبا للكل صادعا بالحق بين اظهرهم يا قوم اني بريء مما تشركون اى من الذي تشركونه من الاجرام المحدثة
المتغيرة من حال الى اخرى المسخرة الى محدثها او من اشراككم وترتيب هذا الحكم ونظيره على الافول دون البزوغ
والظهور من ضروريات سوق الاحتجاج على هذا المساق الحكيم فان كلا منهما وان كان في نفسه انتقالا منافيا
الاستحقاق معروضية الربوبية قطعا لكن لما كان الاول حالة موجبة لظهور الآثار والاحكام ملائمة
لتوهم الاستحقاق في الجملة رتب عليها الحكم الاول على الطريقة المذكورة وحيث كان الثاني حالة مقتضية
لانطماس الآثار وبطلان الاحكام المنافيين للاستحقاق المذكور منافاة بينة يكاد يعترف بها كل مكابر
عنيد رتب عليها ما رتب ثم لما تبرأ عليه السلام منهم توجه الى مبدع هذه المصنوعات ومنشئها فقال
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات التي هي هذه الاجرام التي تعبدونها والارض التي تعبدون فيها حنيفا اى
مائلا عن الاديان الباطلة والعقائد الزائغة كلها وما انا من المشركين في شيء من الافعال والاقوال وحاجه
قومه اى شرعوا في مغالبته في امر التوحيد قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية محاجتهم
كانه قيل فماذا قال عليه السلام حين حاجوه فقيل قال منكرا لما اجترؤا عليه من محاجته عليه السلام
مع قصورهم عن تلك الرتبة وعزة المطلب وقوة الخصم أتحاجوني في الله بادغام نون الجمع في نون الوقاية
وقرئ بحذف الاولى وقوله تعالى وقد هدان حال من ضمير المتكلم مؤكدة للانكار فان كونه عليه السلام
مهديا من جهة الله عز وجل ومؤيدا من عنده مما يوجب استحالة محاجته عليه السلام اى اتجادلونني
في شأنه تعالى ووحدانيته والحال انه تعالى هداني الى الحق بعد ما سلكت طريقكم بالفرض والتقدير
وتبيين بطلانه تبيينا تاما كما شاهدتموه وقوله تعالى ولا اخاف ما تشركون به جواب عما خوفوه عليه
السلام في اثناء المحاجة من اصابة مكروه من جهة اصنامهم كما قال لهود عليه السلام قومه ان نقول
الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ولعلهم فعلوا ذلك حين فعل عليه السلام بآلهتهم ما فعل وما موصولة اسمية
حذف عائدها وقوله تعالى الا ان يشاء ربي شيئا استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى لا اخاف ما تشركون
به سبحانه من معبوداتكم في وقت من الاوقات الا في وقت مشيئته تعالى شيئا من اصابة مكروه من جهتها
وذلك انما هو من جهته تعالى من غير دخل لآلهتكم فيه اصلا وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره عليه السلام الاظهار منه لانقياده لحكمه سبحانه وتعالى واستسلامه لامره واعتراف بكونه
تحت ملكوته وربوبيته تعالى وقوله تعالى وسع ربي كل شيء علما كأنه تعليل للاستثناء اى احاط بكل
شيء علما فلا يبعد ان يكون في علمه ان يحيق بي مكروه من قبلها بسبب من الاسباب وفي الاظهار في
موقع الاضمار تأكيد للمعنى المذكور واستلذاذ بذكره تعالى افلا تتذكرون اى اتعرضون عن التأمل
في ان آلهتكم جمادات غير قادرة على شيء ما من نفع ولا ضر فلا تتذكرون انها غير قادرة على اضراري
وفي ايراد التذكر دون التفكر ونظائره اشارة الى ان امر اصنامهم مركوز في العقول لا يتوقف
الا على التذكر وقوله تعالى وكيف اخاف ما اشركتم استئناف مسوق لنفي الخوف عنه عليه السلام

بحسب زعم الكفرة بالطريق الالزامي كما سيأتي بعد نفيه عنه بحسب الواقع ونفس الامر والاستفهام
لانكار الوقوع ونفيه بالكلية كما في قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله الاية كما لانكار
الواقع استبعاده مع وقوعه كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله الى آخره وفي توجيه الانكار الى كيفية
الخوف من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفسه بان يقال أأخاف لما ان كل موجود يجب ان يكون
وجوده على حال من الاحوال او كيفية من الكيفيات قطعا فاذا انتفى جميع احواله وكيفياته فقد
انتفى وجوده من جميع الجهات بالطريق البرهاني وقوله عز وجل ولا تخافون انكم اشركتم بالله حال من
الضمير في اخاف بتقدير مبتدأ والواو كافية في الربط من غير حاجة الى الضمير العائد الى ذي الحال وهو
مقرر لانكار الخوف ونفيه عنه عليه السلام ومفيد لاعترافهم بذلك فانهم حيث لم يخافوا في محل
الخوف فلان لا يخاف عليه السلام في محل الامن اولى واحرى اي وكيف اخاف ما ليس في حيز الخوف ماهو
من جملة مخلوقاته وانما عبر بقوله تعالى ما لم ينزل به اي باشراكه عليكم سلطانا على طريقة التهكم
مع الايذان بان الامور الدينية لا تعول عليها الا على الحجة المنزلة من عند الله تعالى وفي تعليق الخوف
الثاني باشراكهم من المبالغة ومراعاة حسن الادب ما لا يخفى هذا واما ما قيل من قوله تعالى ولا
تخافون الى آخره معطوف على اخاف داخل معه في حكم الانكار والتعجب فمما لا سبيل اليه اصلا
لافضائه الى فساد المعنى قطعا كيف لا وقد عرفت ان الانكار بمعنى النفي بالكلية فيؤول المعنى
الى نفي الخوف عنه عليه السلام ونفي نفيه عنهم وانه بين الفساد وحمل الانكار في الاول على معنى
نفي الوقوع وفي الثاني على الاستبعاد الواقع مما لا يساغ له على ان قوله تعالى فأي الفريقين احق
بالامن ناطق ببطلانه حتما فانه كلام مترتب على انكار خوفه عليه السلام في محل الامن وبعدم
استحقاقهم لما هم عليه وانما جيء بصيغة التفضيل المشعرة باستحقاقهم له في الجملة لاستنزالهم عن رتبة
المكابرة والاعتساف بسوق الكلام على سنن الانصاف والمراد بالفريقين الفريق الآمن في محل الامن
والفريق الآمن في محل الخوف وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال فأينا احق بالامن انا ام انتم لتأكيد
الالجاء الى الجواب الحق بالتنبيه على علة الحكم على ان يقال فانا احق بالامن والتفادي عن التصريح بتخطئتهم
لا لمجرد الاحتراز عن تزكية النفس ان كنتم تعلمون المفعول اما محذوف تعويلا على ظهوره بمعونة المقام
اي ان كنتم تعلمون من احق بذلك او قصدا الى التعميم اي ان كنتم تعلمون شيئا واما متروك اي ان كنتم
تعلمون من اولي العلم من احق بذلك وجواب الشرط محذوف اي فاخبروني الذين آمنوا استئناف من
جهته تعالى مبين للجواب الحق الذي لا محيد عنه اي الفريقان الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
ذلك اي لم يخلطوه بظلم اي بشرك كما يفعله الفريق المشركون حيث يزعمون انهم يؤمنون بالله عز
وجل وان عبادتهم للاصنام من تمادي ايمانهم واحكامه لكونها لاجل التقريب والشفاعة كما قالوا
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهذا معنى الخلط اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه
بما في حيز الصلة وفي الاشارة اليه بعد وصفه بما ذكر ايذان بانهم تميزوا بذلك عن غيرهم وانتظموا في سلك
الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ
ثان وقوله لهم الامن جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر وقعت خبرا لاولئك وهو مع خبره خبر المبتدأ
الاول الذي هو الموصول او عطف بيان لهم خبر للموصول والامن فاعل للظرف لاعتماده على المبتدأ
ويجوز ان يكون لهم خبرا مقدما والامن مبتدأ والجملة خبر للموصول ويجوز ان يكون اولئك مبتدأ
ثانيا ولهم خبره والامن فاعلا والجملة خبر للموصول اي اولئك الموصوف بما ذكر من الايمان الخالص عن
شوب الشرك لهم الامن فقط وهم مهتدون الى الحق ومن عداهم في ضلال مبين روي انه لما نزلت الاية
شق ذلك على الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وقالوا اينا لم يظلم نفسه فقال صلى الله عليه
وسلم ليس ما تظنون انما هو ما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وليس
الايمان به ان يصدق بوجود الصانع الحكيم ويخلط بهذا التصديق الاشراك به وليس من قضيته الخلط
بقاء الاصل مع الخلط حقيقة وقيل المراد بالظلم المعصية التي يفسق صاحبها والظاهر هو الاول لوروده
مورد الجواب عن حال الفريقين وتلك اشارة الى ما احتج به ابراهيم عليه السلام من قوله تعالى
فلما جن عليه الليل وقيل قوله تعالى وهم مهتدون وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتفخيم شأن المشار
اليه والاشعار بعلو طبقته وسمو منزلته في الفضل وهو مبتدأ وقوله تعالى حجتنا خبره وفي اضافتها
الى نون العظمة من التفخيم ما لا يخفى وقوله تعالى آتيناها ابراهيم اي ارشدناه اليها وعلمناه اياها
في محل النصب على انه حال من حجتنا والعامل فيها معنى الاشارة كما في قوله تعالى فتلك بيوتهم
خاوية بما ظلموا او في محل الرفع على انه خبر ثان او هو الخبر وحجتنا بدل او بيان للمبتدأ وابراهيم

مفعول

مفعول اول لآتينا قدم عليه الثاني لكونه ضميرا وقوله تعالى على قومه متعلق بحجتنا ان جعل خبرا لتلك
او بمحذوف ان جعل بدلا اي آتيناها ابراهيم حجة على قومه وقيل بقوله آتينا نرفع بنون العظمة وقرئ
بالياء على طريقة الالتفات وكذا الفعل الآتي درجات اي رتبا عالية عظيمة من العلم والحكمة وانتصابها
على المصدرية او على الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات او على التمييز والمفعول قوله تعالى
من نشاء وتأخيره على الوجوه الثلاثة الاخيرة لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر ومفعول
المشيئة محذوف اي من نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة وايثار صيغة الاستقبال
للدلالة على ان ذلك سنة مستمرة جارية فيما بين المصطفين الاخيار غير مختصة بابراهيم عليه السلام
وقرئ بالاضافة الى من والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها لا محل لها من الاعراب وقيل هي في محل
النصب على انها حال من فاعل آتينا اي حال كوننا رافعين الى آخره ان ربك حكيم في كل ما فعل من
رفع وخفض عليم بحال من يرفعه واستعداده له على مراتب متفاوتة والجملة تعليل لما قبلها وفي
وضع الرب مضافا الى ضميره عليه السلام موضع نون العظمة بطريق الالتفات في تضاعيف
بيان احوال ابراهيم عليه السلام اظهار لمزيد لطف وعناية به صلى الله عليه وسلم ووهبنا له
اسحق ويعقوب عطف على قوله تعالى وتلك حجتنا الى آخره فان عطف كل من الجملة الفعلية والاسمية
على الاخرى مما لا نزاع في جوازه ولا مساغ لعطفه على آتيناها لان له محلا من الاعراب نصبا ورفعا حسبما
بين من قبل فلو عطف عليه هذا لكان في حكمه من الحالية والخبرية المستدعيتين للترابط ولا سبيل اليه
هنا كلا مفعول لما بعده وتقديمه عليه للقصر لكن لا بالنسبة الى غيرهما مطلقا بل بالنسبة الى احدهما
اي كل واحد منهما هدينا لا احدهما دون الآخر وترك ذكر المهدي اليه لظهور انه الذي اوتي ابراهيم
وانهما مقتديان به ونوحا منصوب بمضمر يفسره هدينا من قبل اي من قبل ابراهيم عد هداه نعمة على
ابراهيم عليهما السلام لان شرف الوالد سار الى الولد ومن ذريته الضمير لابراهيم لان مساق النظم
الكريم لبيان شؤونه العظيمة من ايتاء الحجة ورفع الدرجات وهبة الاولاد والانبياء وابقاء هذه
الكرامة في نسله الى يوم القيامة كل ذلك لالزام من ينتمي الى ملته عليه السلام من المشركين واليهود
وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من ذرية ابراهيم عليه السلام فلو كان الضمير
له لاختص بالمعدودين في هذه الاية والتي بعدها واما المذكورون في الاية الثالثة فعطف على نوحا
وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هؤلاء الانبياء كلهم مضافون الى ذرية ابراهيم وان كان منهم
من لم يلحقه بولادة من قبل ام ولا اب لان لوطا ابن اخي ابراهيم والعرب تجعل العم ابا كما اخبر تعالى عن ابناء
يعقوب انهم قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق مع ان اسمعيل عم يعقوب داود
وسليمان منصوب بالمضمر كما سبق وكذا ما عطف عليهما وبه يتعلق بذريته وتقديمه على المفعول
الصريح للاهتمام بشأنه مع ما في المفاعيل من نوع طول ربما يخل تأخيره بتجاوب النظم الكريم اي
وهدينا من ذريته داود وسليمان وايوب هو ابن اموص من اسباط عيص بن اسحق ويوسف وموسى
وهرون اي هديناهم وقيل حالا من المذكورين اي هديناهم حال كونهم من ذريته وكذلك اشارة الى ما
يفهم من النظم الكريم من جزاء ابراهيم عليه السلام ومحل الكاف النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل
التقدير نجزي المحسنين جزاء مثل ذلك الجزاء والتقديم للقصر وقد مر تحقيقه مرارا والمراد بالمحسنين الجنس
لا المماثلة من كل وجه ضرورة ان الجزاء بكثرة الاولاد والانبياء مما اختص به ابراهيم عليه السلام والاقرب
ان لام المحسنين للعهد وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذي بعده وهو عبارة عما اوتي المذكورون من
فنون الكرامات وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو طبقته والكاف لتأكيد ما افاده اسم الاشارة
من الفخامة ومحلها في الاصل النصب على انه نعت لمصدر محذوف واصل التقدير نجزي المحسنين
المذكورين جزاء كائنا مثل ذلك الجزاء فقدم على الفعل لافادة القصر فاعتبرت الكاف مقحمة للنكتة المذكورة
فصار المشار اليه نفس المصدر المؤكد لا نعتا له اي وذلك الجزاء البديع نجزي المحسنين المذكورين
لا جزاء ادنى منه والاظهار في موضع الاضمار للثناء عليهم بالاحسان الذي هو عبارة عن الاتيان
بالاعمال الحسنة على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المقارن لحسنها الذاتي وقد فسره صلى الله
عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك والجملة اعتراض مقرر لما قبلها
وزكريا هو ابن آذن ويحيى ابنه وعيسى هو ابن مريم وفيه دليل بين على ان الذرية تتناول اولاد
البنات والياس قيل هو ادريس جد نوح فيكون البيان مخصوصا بمن في الاية الاولى وقيل هو من
اسباط هرون اخي موسى عليه السلام كل اي كل واحد من اولئك المذكورين من الصالحين اي
من الكاملين في الصلاح الذي هو عبارة عن الاتيان بما ينبغي والتحرز عما لا ينبغي والجملة اعتراض جيء به

للثناء عليهم بالصلاح واسمعيل واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز وقرئ والليسع وهو على القرائتين علم اعجمي
ادخل عليه اللام ولا اشتقاق له ويقال انه يوشع بن نون وقيل انه منقول من مضارع وسع واللام كما
في يزيد في قول من قال • رايت الوليد بن اليزيد مباركا • شديدا باعباء الخلافة كاهله • ويونس هو ابن متى
ولوطا هو ابن هاران ابن اخي ابراهيم عليه السلام وكلا اي وكل واحد من اولئك المذكورين فضلنا بالنبوة
لا بعضهم دون بعض على العالمين على عالمي عصرهم والجملة اعتراض كاختها وقوله تعالى ومن آبائهم وذرياتهم
واخوانهم اما متعلق بما تعلق من ذريته ومن ابتدائية والمفعول محذوف اي وهدينا من آبائهم وذرياتهم
واخوانهم جماعات كثيرة واما معطوف على كلا ومن تبعيضية اي وفضلنا بعض آبائهم الخ واجتبيناهم
عطف على فضلنا اي اصطفيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم تكرير للتاكيد وتمهيد لبيان ما هدوا
اليه ذلك اشارة الى ما يفهم من النظم الكريم من مصادر الافعال المذكورة وقيل الى ما دانوا به وما في
ذلك من معنى البعد لما مر مرارا هدى الله الاضافة للتشريف يهدي به من يشاء من عباده وهم المستعدون
للهداية والارشاد وفيه اشارة الى انه تعالى متفضل بالهداية ولو اشركوا اي هؤلاء المذكورون لحبط
عنهم مع فضلهم وعلو طبقاتهم ما كانوا يعملون من الاعمال المرضية الصالحة فكيف بمن عداهم وهم هم واعمالهم
اعمالهم اولئك اشارة الى المذكورين من الانبياء الثمانية عشر والمعطوفين عليهم عليهم السلام باعتبار
اتصافهم بما ذكر من الهداية وغيرها من النعوت الجليلة الثانية لهم وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة من
الايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل والشرف وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب
اي جنس الكتاب المتحقق في ضمن اي فرد من افراد الكتب السماوية والمراد بايتائه التفهيم التام بما فيه
من الحقائق والتمكين من الاحاطة بالدقائق والجلائل اعم من ان يكون ذلك بالانزال ابتداء او بالايراث بقاء فان
المذكورين لم ينزل على كل واحد منهم كتاب معين والحكم اي الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والصواب
والنبوة اي الرسالة فان يكفر بها اي بهذه الثلاثة او بالنبوة الجامعة للباقيين هؤلاء اي كفار قريش فانهم
بكفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وما انزل عليه من القرآن كافرون بما يصدقه جميعا وتقديم
الجار والمجرور على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر فقد وكلنا بها اي امرنا
بمراعاتها ووفقنا للايمان بها والقيام بحقوقها قوما ليسوا بها بكافرين في وقت من الاوقات بل مستمرون
على الايمان بها فان الجملة الايجابية كما تفيد دوام الثبوت كذلك السلبية تفيد دوام النفي بمعونة
المقام لا نفي الدوام كما حقق في مقامه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد هم الانصار واهل
المدينة وقيل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كل مؤمن من بني آدم وقيل الفرس فان كلا من هؤلاء
الطوائف موفقون للايمان بالانبياء والكتب المنزلة اليهم عاملون بما فيها من اصول الشرايع وفروعها
الباقية في شريعتنا وبه يتحقق الخروج من عهدة التوكيل والتكليف دون المنسوخة منها فانها
بانتساخها خارجة عن كونها من احكامها كما هو اعم من اجزاء احكامها كما هو شانهم في حق كتابهم ومن اعتقاد
حقيقتها كما هو شانهم في حق ساير الكتب التي من جملتها القرآن الكريم وقد قيل هم الملائكة فالتوكيل هو
الامر بانزالها وحفظها واعتقاد حقيقتها وايا ما كان فتنكير قوما للتفخيم والباء الاولى صلة لكافرين
قدمت عليه محافظة على الفواصل والثانية لتاكيد النفي واما تقديم صلة وكلنا على مفعوله الصريح
الصريح فلما ذكر آنفا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر لان فيه نوع طول ربما يودي تقديمه
الى الاخلال بتجاوب النظم الكريم او الى الصفة والموصوف وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور
اي فان يكفر هؤلاء فلا اعتداد به اصلا فقد وفقنا للايمان بها قوما ليسوا بها بكافرين بها قطعا
بل مستمرون على الايمان بها والعمل بما فيها ففي ايمانهم بها مندوحة عن ايمان هؤلاء ومن هنا تبين ان الوجه
ان يكون المراد بالقوم احدى الطوائف المذكورة اذ بايمانهم بالقرآن والعمل باحكامه يتحقق الغنية عن
ايمان الكفرة به والعمل باحكامه واما الانبياء والملائكة عليهم السلام فايمانهم به ليس من قبيل ايمان آحاد
الامة كما اشير اليه اولئك اشارة الى الانبياء المذكورين وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم
وهو مبتدأ خبره قوله تعالى الذين هدى الله اي الى الحق والنهج المستقيم والالتفات الى الاسم الجليل
للاشعار بعلة الهداية فبهداهم اقتده اي فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد بغيرهم والمراد بهداهم طريقتهم
في الايمان بالله تعالى وتوحيده واصول الدين دون الشرايع القابلة للنسخ فانها بعد النسخ لا تبقى
هدى والهاء في اقتده للوقف حقها ان تسقط في الدرج واستحسن اثباتها فيها اتباعا لما فيه ايضا اجراء له مجرى
الوقف واقتداء بالامام وقرئ باشباعها على انها كناية المصدر قل لا اسالكم عليه اي على القرآن او على
التبليغ فان مساق الكلام يدل عليهما وان لم يجر ذكرهما اجرا من جهتكم كما لم يساله من قبلي من الانبياء
عليهم السلام وهذا من جملة ما امر عليه السلام بالاقتداء بهم فيه ان هو اي ما القرآن الا ذكرى للعالمين

اي عظة وتذكرة لهم كافة من جهته سبحانه فلا يختص بقوم دون آخرين وما قدروا الله حق قدره لما بين
من شان القرآن العظيم وانه نعمة جليلة منه تعالى على كافة الامم حسبما ينطق به قوله تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين عقب ذلك ببيان عظم ابائهم وكفرهم بها وكفرهم سوى ذلك الى الكفر
بجميع الكتب الالهية واصل القدر السبر والحزر يقال قدر الشيء يقدره بالضم قدرا اذا سبره
وحزره ليعرف مقداره ثم استعمل في معرفة الشيء في مقداره واحواله واوصافه وقوله تعالى حق قدره
نصب على المصدرية وهي في الاصل صفة للمصدر اي قدره فلما اضيف الى الموصوف انتصب على ما كان
ينتصب عليه موصوفه اي ما عرفوه حق معرفته في اللطف بعباده والرحمة عليهم ولم يراعوا حقوق
تعالى في ذلك بل اخلوا بها اخلالا اذ قالوا منكرين لبعثة الرسل وانزال الكتب كافرين بنعمته الجليلة
فيهما ما انزل الله على بشر من شيء وفي معرفتهم لقدره سبحانه تكنية عن عظم لقدره الجليل ووصفه
له تعالى بنقيض نعمته الجليل كان في الجملة في شأن الله لا يجب الاحاطة بكنه عن البعض والسخط ولا
تنفي معرفة قدره تعالى تحقق مع عدم التعرض لخطه بلج السقي بتخصيص المعونة كما في قوله من يناجي
مستقصر المعونة وعبادة تدمسحانك ما عرفناك حق معرفتك وما عبدناك حق عبادتك او ما عرفوا
حق معرفته في السخط على الكفار وشدة بطشه تعالى بهم حسبما نطق به القرآن اجترءوا على التفوه بهذه العظيمة
الشنعاء فالنفي بمعناه الحقيقي والقائلون هم اليهود قالوه مبالغة في انكار انزال القرآن على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا سبيل لهم الى انكاره قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى اي قل لهم
ذلك على طريقة التبكيت والقام الحجر روي ان مالك بن الضيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذي انزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين
وانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر رضي
الله تعالى عنه فقال ما انزل الله على بشر من شيء فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل هم المشركون
والزامهم بانزال التوراة لما انه كان عندهم من المشاهير الذايعة ولذلك كانوا يقولون لو انا انزل علينا
الكتاب لكنا اهدى منهم ووصف الكتاب بالموصول اليهم لزيادة التقرير وتشديد التبكيت وكذا تقييده
بقوله تعالى نورا وهدى فان كونه نيرا بنفسه ومبينا لغيره مما يؤكد الالزام اي تاكيد وانتصابهما على
الحالية من الكتاب والعامل انزل او من الضمير في به والعامل جاء واللام في قوله تعالى للناس متعلق
بهدى او بمحذوف هو صفة له اي هدى كائنا للناس وليس المراد بهما مجرد الزامهم الاعتراف بانزال
التوراة فقط بل بانزال القرآن ايضا فان الاعتراف بالزامها مستلزم للاعتراف بانزاله قطعا لما فيها
من الشواهد الناطقة به وقد بقي عليهم ما فعلوا بها من التحريف والتغيير حيث قيل تجعلونه قراطيس
اي تضعونه في قراطيس مقطعة وورقات مفرقة بحذف الجار على تشبيه القراطيس كانهم اخرجوه من
جنس الكتاب ونزلوه منزلة القراطيس الخالية عن الكتابة والجملة حال كما سبق وقوله تعالى تبدونها
صفة لقراطيس وقوله تعالى وتخفون كثيرا معطوف عليه والعائد الى الموصوف محذوف اي كثيرا
منها وقيل كلام مبتدا لا محل لها من الاعراب والمراد بالكثير نعوت النبي صلى الله عليه وسلم وساير ما
كتموه من احكام التوراة وقرئ الافعال الثلاثة بالياء حملا على ما قالوا وما قدروا وقوله تعالى وعلمتم
ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم قيل هو حال من فاعل تجعلونه باضمار قد او بدونه على اختلاف الرايين قلت
فينبغي ان يجعل ما عبارة عما اخذوه من الكتاب من العلوم والشرايع ليكون التقييد بالحال مفيدا لتاكيد
التوبيخ وتشديد التشنيع فان ما فعلوه بالكتاب من التفريق والتقطيع لما ذكر من الابداء والاخفاء شنيعة
عظيمة في نفسها ومع ملاحظة كونه ماخذا لعلومهم ومعارفهم اشنع واعظم لا عما تلقوه من جهة النبي
صلى الله عليه وسلم زيادة على ما في التوراة وبيانا لما التبس عليهم وعلى ابائهم من مشكلاتها حسبما ينطق
به قوله تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون كما قالوا لان تلقيهم لذلك
من القرآن الكريم ليس مما يزجرهم عما صنعوا بالتوراة اما ما وجه بطريق البيان فلان مدار ما فعلوا
بها من التبديل والتحريف ليس ما وقع فيها من الالتباس الامر واشتباه الحال حتى يقلعوا عن ذلك
بايضاحه وبيانه فتكون الجملة حينئذ خالية عن تاكيد التوبيخ فلا تستحق ان تقع موقع الحال بل الوجه
حينئذ ان يكون استئنافا مقررا لما قبلها من مجيء الكتاب بطريق التكملة والاستطراد والتمهيد لما يعقبه
من مجيء القرآن ولا سبيل الى جعل ما عبارة عما كتموه من احكام التوراة كما يفصح عنه قوله تعالى قد جاءكم
رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب فان اظهروه وان كان من جهة زجرهم عن الكتم مخافة الافتضاح
مصححا لوقوع الجملة في موقع الحال لكن ذلك مما يخله الا ان تمون حتما هنا وقد قيل الخطاب لمن امن من
قريش كما في قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وقوله تعالى قل الله امر لرسول الله صلى الله عليه

وسلم ان يجيب عنهم اشعارا بتعين الجواب بحيث لا محيد عنه وايذانا بانهم افحموا ولم يقدروا على التكلم
اصلا ثم ذرهم في خوضهم يلعبون في باطلهم الذي يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة والقام الحجر يلعبون
حال من الضمير الاول والظرف صلة للفعل المقدم او المؤخر او متعلق بمحذوف هو حال من مفعول الاول
وهذا كتاب انزلناه تحقيق لتنزيل القرآن الكريم بعد تقرير انزال ما تقدمه من التوراة وتكذيب لهم في
كلمتهم الشنعاء اثر التكذيب مبارك اى كثير الفوائد وجم المنافع مصدق الذى بين يديه من التوراة
لنزوله حسبما وصف فيها او الكتب التي قبلها فانه مصدق للكل في اثبات التوحيد والامر به ونفي
الشرك والنهي عنه وفي اصول الشرائع التي لا تنسخ ولتنذر ام القرى عطف على ما دل عليه مبارك اى للبركات ولانذار
اهل مكة وانما ذكرت باسمها المنبئ عن كونها اعظم القرى شانا وقبلة لاهلها قاطبة ايذانا بان انذار
اهلها اصل مستتبع لانذار اهل الارض كافة وقرئ لينذر بالياء على ان الضمير للكتاب ومن حولها من اهل
المدر والوبر في المشارق والمغارب والذين يؤمنون بالاخرة وبما فيه من افانين العذاب يؤمنون به
اى بالكتاب لانهم يخافون العاقبة ولا يزال الخوف يحملهم على النظر والتامل حتى يؤمنون به وهم على صلاتهم
يحافظون تخصيص محافظتهم على الصلاة بالذكر من بين سائر العبادات التي لا بد من المؤمنين من ادائها
للايذان بانافتها من بين سائر الطاعة وكونها العماد بعد الايمان ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا
فزعم انه تعالى بعثه نبيا اى هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم منه وانكاره من
غير تعرض لنفي المساوي في انكاره فان الاستعمال الفاشي من قولك من افضل من كل فاضل واكرم من كل
كريم وقد مر تمام الكلام فيه او قال اوحي الي من جهته تعالى ولم يوح اليه اى والحال انه لم يوح اليه شيء
اصلا كعبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فلما نزلت ولقد خلقنا
الانسان من سلالة من طين فلما بلغ انشأناه خلقا آخر قال عبد الله تبارك الله احسن الخالقين تعجبا من
تفصيل الانسان ثم قال عليه الصلوة والسلام اكتبها كذلك فشك عبد الله وقال ان كان محمد صادقا
فقد اوحي الي كما اوحي اليه وان كان كاذبا فقد قلت كما قال ومن قال سانزل مثل ما انزل الله كالذين
قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون حذف مفعول ترى لدلالة الظرف عليه اى ولو ترى
اذ الظالمون اذ هم في غمرات الموت اى شدائده من غمره اذا غشيه والملائكة باسطوا ايديهم بقبض
ارواحهم كالمتقاضي الملظ الملح يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة من غير امهال
وتنفيس اى باسطوها بالعذاب قائلين اخرجوا انفسكم اى اخرجوا ارواحكم الينا من اجسادكم او خلصوها
انفسكم من العذاب اليوم اى وقت الاماتة او الوقت الممتد بعده الى ما لا نهاية له تجزون عذاب الهون
اى العذاب المتضمن لشدة واهانة باضافته الى الهون وهو الهوان لعراقته فيه بما كنتم تقولون على
الله غير الحق كاتخاذ الولد له ونسبة الشريك اليه وادعاء النبوة والوحي كاذبا وكنتم عن اياته تستكبرون
فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون بها ولقد جئتمونا للحساب فرادى منفردين عن الاموال والاولاد وغير
ذلك مما آثرتموه من الدنيا او عن الاعوان والاصنام التي كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وهو جمع فرد
والالف للتانيث ككسالى وقرئ فراد كرخال وفراد كثلاث وفردى كسكرى كما خلقناكم اول مرة بدل
من فرادى اى على الهيئة التي ولدتم عليها في الانفراد او حال ثانية عند من يجوز تعددها او حال من الضمير
في فرادى اى مشبهين ابتداء خلقكم في الدنيا عراة حفاة غرلا بهما او صفة مصدر جئتمونا كما خلقناكم وتركتم
ما خولناكم تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الاخرة وراء ظهوركم ولم تحملوا نقيرا ما قدمتم به
شيئا ولم تحملوا نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اى شركاء لله تعالى في
الربوبية واستحقاق العبادة لقد تقطع بينكم كما يقال بين الشيئين اى وقع الجمع بينهما وقرئ بينكم بالرفع
على اسناد الفعل الى الظرف كما يقال قوتل امامكم وخلفكم او على ان البين اسم للفصل والوصل اى
تقطع وصلكم وقرئ ما بينكم وضل عنكم اى ضاع او غاب ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم وانه لا بعث
ولا جزاء ان الله فالق الحب والنوى شروع في تقرير لبعض افاعيله تعالى الدالة على كمال قدرته ولطيف
صنعه وحكمته اثر تقرير ادلة التوحيد والفلق الشق بابانة اى شاق الحب بالنبات والنوى بالشجر
وقيل المراد به الشق الذي في الحبوب والنوى اى خالقهما كذلك كما في قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها
وقيل الفلق بمعنى الخلق قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر يخرج الحي من الميت اى يخرج ما ينمو من
الحيوان مما لا ينمو من النطفة والحب والجملة مستانفة مبينة لما قبلها وقيل خبر ثان وقوله تعالى
ومخرج الميت كالنطفة والحب من الحي كالحيوان والنبات عطف على فالق لا على يخرج على الوجه الاول لان
اخراج الميت من الحي ليس من قبيل فلق الحب والنوى ذلكم القادر العظيم الشان هو الله المستحق للعبادة
وحده فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن عبادته الى غيره ولا سبيل اليه اصلا فالق الاصباح خبر آخر

لان المبتدا محذوف والاصباح مصدر سمي به الصبح وقرئ بفتح الهمزة على انه جمع صبح اى فالق عمود الفجر
عن بياض النهار وكشافه او فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش الذي يلي الصبح وقرئ فالق بالنصب على المدح
وجعل الليل سكنا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه من سكن اليه اذا اطمأن اليه استيناسا به
او يسكن فيه الخلق من قوله تعالى لتسكنوا فيه وقرئ جاعل الليل فانتصاب سكنا بفعل دل عليه جاعل
وقيل بنفسه على ان المراد الجعل المستمر في الازمنة المتجددة حسب تجددها لا الجعل الماضي لانه لما اضيف
الى الاول تعين نصبه للثاني لتعذر الاضافة بعد ذلك والشمس والقمر معطوفان على الليل وعلى القراءة
الاخيرة قيل معطوفان على محله والاحسن نصبهما بفعل مقدر وقد قرئا بالجر وبالرفع ايضا على الابتدا
والخبر محذوف اى مجعولان حسبانا اى على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات التي نيط بها العبادات
والمعاملات او محسوبان حسابا والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب
ذلك اشارة الى جعلهما كذلك وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته
اى وذلك التسيير البديع تقدير العزيز الغالب القاهر الذي لا يستعصي عليه شيء من الاشياء التي من
جملتها تسييرهما على الوجه المخصوص العليم بجميع المعلومات التي من جملتها ما في ذلك التسيير من المنافع
والمصالح المتعلقة بمعاش الخلق ومعادهم وهو الذي جعل لكم النجوم شروع في بيان نعمته تعالى في النيرين
الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى انشاها وابدعها لاجلكم فقوله تعالى لتهتدوا بها بدل
من المجرور باعادة العامل بدل اشتمال كما في قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
والتقدير جعل لكم النجوم لاهتدائكم لكن لا على ان غاية خلقها اهتداؤهم فقط بل على طريقة افراد بعض
منافعها وغاياتها بالذكر حسبما يقتضيه المقام ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا للجعل وهو بمعنى
التصيير اى جعلها كائنة لاهتدائكم في اسفاركم عند دخولكم المفاوز او البحار كما ينبئ عنه قوله تعالى في ظلمات
البر والبحر اضافتها اليهما للملابسة فان الحاجة الى الاهتداء بها انما يتحقق عند ذلك او في مشتبهات
الطرق عبر عنها بالظلمات على طريقة الاستعارة قد فصلنا الآيات اى بينا الايات المتلوة المذكورة
لنعمه التي هي النعمة من جملتها او الآيات التكوينية الدالة على شؤونه تعالى مفصلة لقوم يعلمون اى
معاني الآيات المذكورة ويعملون بموجبها او يتفكرون في الآيات التكوينية فيعلمون حقيقة الحال
وتخصيص التفصيل بهم مع عمومه للكل لانهم المنتفعون به وهو الذي انشاكم من نفس واحدة تذكير لنعمة
اخرى من نعمه تعالى دالة على عظيم قدرته ولطيف صنعه وحكمته اى انشاكم مع كثرتكم من نفس آدم
عليه السلام فمستقر ومستودع اى فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض واستيداع في الارحام
او تحت الارض او موضع استقرار واستيداع فيما ذكر والتعبير عن كونهم في الاصلاب او فوق الارض
بالاستقرار لانهما مقرهم الطبيعي كما ان التعبير عن كونهم في الارحام او تحت الارض بالاستيداع لما ان كلا منهما ليس
بمقرهم الطبيعي وقد حمل الاستيداع على كونهم في الاصلاب وليس بواضح وقرئ مستقر بكسر القاف
اى فمنكم مستقر بكسر القاف اى فمنكم مستقر ومنكم مستودع فان
الاستقرار منا بخلاف الاستيداع قد فصلنا الآيات المبينة لتفاصيل خلق البشر من هذه الاية
ونظائرها لقوم يفقهون غوامض الدقائق باستعمال الفطنة وتدقيق النظر فان لطائف صنع
الله عز وجل في اطوار تخليق بني آدم مما يحار في فهمه الالباب وهو السر في ايثار يفقهون على يعلمون
كما ورد في شان النجوم وهو الذي انزل من السماء ماء تذكير لنعمة اخرى من نعمه تعالى مبنية عن كمال
قدرته تعالى وسعة رحمته اى انزل من السحاب او من سمت السماء ماء خاصا هو المطر وتقديم الجار والمجرور
على المفعول الصريح لما مر مرارا فاخرجنا به التفت الى التكلم اظهارا لكمال العناية بشان ما انزل الماء
لاجله اى فاخرجنا بعظمتنا بذلك الماء مع وحدته نبات كل شيء من الاشياء التي من شانها النمو من
اصناف النجم والشجر انواعهما المختلفة حسبما يفصح عنه قوله تعالى تسقى بماء واحد ونفضل بعضها
على بعض في الاكل وقوله تعالى فاخرجنا منه خضرا شروع في تفصيل ما اجمل من الاخراج وقد بدئ بتفصيل
حال النجم اى فاخرجنا من النبات الذي لا ساق له شيئا غضا اخضر يقال شيء اخضر وخضر كاعور وعور
واكثر ما يستعمل الخضر فيما يكون خضرته خلقية وهو ما تشعب من اصل النبات الخارج لاستحضار الصورة
لما فيها من الغرابة اى نخرج منه من ذلك الخضر نخرج منه حبا متراكبا هو السنبل المنتظم للحبوب
المتراكبة بعضها فوق بعض على هيئة مخصوصة وقرئ يخرج منه حب متراكب وقوله تعالى ومن النخل شروع
في تفصيل حال الشجر اثر بيان حال النجم فقوله تعالى من النخل خبر مقدم وقوله تعالى من طلعها بدل منه باعادة
العامل كما في قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله الى آخره والطلع شيء يخرج
من النخل كانه نعلان مطبقان والحمل بينهما منضود وقوله تعالى قنوان مبتدا وحاصله من طلع النخل

النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه اى ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ
يخرج منه حب متراكبا كان قنوان عنده معطوفا على حب وقيل المعنى واخرجنا من النخل نخلا من
طلعها قنوان اى من النخل شىء من طلعها قنوان وهو جمع قنو وهو عنقود النخلة كصنو وصنوان
وقرئ بضم القاف كذئب وذؤبان وبفتحها ايضا على انه اسم جمع لان فعلان ليس من ابنية الجمع دانية سهلة
المجتنى قريبة من القاطف فانها وان كانت صغيرة ينالها القاعد تأتى بالثمر لا ينتظر الطول او ملتفة متقاربة
والاقتصار على ذكرها لدلالة على مقابلها كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر ولزيادة النعمة فيها وجنات
من اعناب عطف على نبات كل شىء اى واخرجنا جنات كائنة من اعناب وقرئ جنات بالرفع على
الابتداء اى ولكم او ثمة جنات وقد جوز عطفه على قنوان لانه قيل وحاصله اى ومخرجة من النخل قنوان وجنات
من نبات اعناب ولعل زيادة الجنات ههنا من غير اكتفاء بذكر الجنس كما فيما تقدم وما تأخر لما ان الانتفاع
بهذا الجنس لا يتأتى غالبا الا عند اجتماع طائفة من افراده والزيتون والرمان منصوبان على الاختصاص
لعزة هذين الصنفين عندهم او على العطف على نبات وقوله تعالى مشتبها وغير متشابه حال من الزيتون
اكتفاء به عن حال ما عطف عليه كما يكتفى بخبر المعطوف عليه من خبر المعطوف فى نحو قوله تعالى والله
ورسوله احق ان يرضوه وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك وقد جوز ان
يكون حالا من الرمان لقربه ويكون المحذوف حال الاول والمعنى بعضه متشابها وبعضه غير متشابه
فى الهيئة والمقدار واللون والطعم وغير ذلك من الاوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها
ومبدعها انظروا الى ثمره اذا اثمر اى انظروا اليه نظر اعتبار واستبصار اذا اخرج ثمره كيف يخرج ضئيلا
لا يكاد ينتفع به وقرئ الى ثمره وينعه اى والى حال نضجه كيف يصير الى كمال لائق به ويكون شيئا
جامعا لمنافع جمة والينع فى الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل جمع يانع كتاجر وتجر
وقرئ بالضم وهى لغة فيه وقرئ يانعه ان فى ذلكم اشارة الى ما امروا بالنظر اليه وما فى الاسم اشارة
من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد منزلته لآيات لقوم يؤمنون اى لآيات عظيمة
او كثيرة دالة على وجود القادر الحكيم ووحدته فان حدوث هاتيك الاجناس المختلفة والانواع
المتشعبة من اصل واحد وانتقالها من حال الى حال على نمط بديع يحار فى فهمه الالباب لا يكون الا
باحداث صانع يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه حكمته من الوجوه الممكنة على غيره ولا يعوقه عن ذلك
ضد يناويه او ند يقاومه وكذلك عقب بتوبيخ من اشرك به والرد عليه حيث قيل وجعلوا لله شركاء
اى جعلوا فى اعتقادهم لله الذى شأنه ما فصل فى تضاعيف هذه الآيات الجليلة شركاء الجن اى الملائكة
حيث عبدوهم وقالوا الملائكة بنات الله وسموا جنا لاجتنانهم تحقيرا لشأنهم بالنسبة الى مقام الالوهية
او الشياطين حيث اطاعوهم كما اطاعوا الله تعالى او عبدوا الاوثان بتسويلهم وتحريضهم او قالوا الله
خالق الخير وكل نافع والشيطان خالق الشر وكل ضار كما هو رأى الثنوية ومفعولا جعلوا قوله تعالى شركاء
الجن قدم عليه للنكتة المذكورة وقيل هما لله شركاء والجن بدل من شركاء مفسر له نص عليه الفراء وابو
اسحق ومنصوب بمضمر وقع جوابا عن سؤال مقدر نشأ من قوله تعالى وجعلوا لله شركاء كأنه قيل من جعلوه
شركاء لله تعالى وقرئ بالجر على ان الاضافة للتبيين وخلقهم حال من فاعل جعلوا بتقدير قد وبدونه على اختلاف
الرأيين مؤكد لما فى جعلهم ذلك من كمال القباحة والبطلان باعتبار علمهم بمضمونها اى وقد علموا انه تعالى خالقهم
خاصة وقيل الضمير للشركاء والحال انه تعالى خلق الجن فكيف يجعلون مخلوقه شريكا له تعالى وقرئ وخلقهم عطفا
على الجن اى وما يخلقونه من الاصنام او على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم الافك حيث نسبوه اليه تعالى
وخرقوا له اى افتعلوا وافتروا له يقال خلق الافك واختلقه وخرقه واخترقه بمعنى وقرئ وخرّقوا بالتشديد للتكثير
وقرئ وحرّفوا اى زوروا بنين وبنات فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت
طائفة من العرب الملائكة بنات الله بغير علم اى بحقيقة ما قالوه من خطأ او صواب بل رميا بقول عن عمى
وجهالة من غير فكر وروية او بغير علم بمرتبة ما قالوه وانه من الشناعة والبطلان بحيث لا يقادر قدره والباء
متعلقة بمحذوف هو حال من فاعل خرقوا او نعت لمصدر مؤكد له اى خرقوا ملتبسين بغير علم او خرقا كائنا
بغير علم سبحانه استئناف مسوق لتنزيهه عز وجل عما نسبوه اليه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التبعيد
عن السوء اعتقادا وقولا اى اعتقاد البعد عنه والحكم به من سبح فى الارض والماء اذا ابعد فيهما وامعن
ومنه فرس سبوح اى واسع الجرى وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه اى انزهه
عما لا يليق به عقدا وعملا تنزيها خاصا به حقيقا بشأنه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح
ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة
لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر

قدم ثانيهما على الاول لاستعظام ان يتخذ له سبحانه شريكا ما كائنا ما كان ولله متعلق بشركاء ح

كغفران

كغفران لانه سمع له فعل من الثلاثى كما ذكر فى القاموس اريد به التنزه التام والتباعد الكلى ففيه
مبالغة من حيث اسناد التنزه الى ذاته المقدسة اى تنزه بذاته تنزها لائقا به وهو الانسب بقوله سبحانه
وتعالى فانه معطوف على الفعل المضمر لا محالة ولما فى السبحان والتعالى من معنى التباعد قيل عما يصفون اى
متباعد عما يصفونه من ان له شريكا او ولدا بديع السموات والارض اى مبدعهما ومخترعهما بلا مثال يحتذيه
ولا قانون ينتحيه فان البديع كما يطلق على المبتدع يطلق على المبدع نص عليه ائمة اللغة كالصريخ بمعنى المصرخ
وقد جاء بدعه كمنعه بمعنى انشأه كابتدعه على ما ذكر فى القاموس وغيره ونظيره السميع بمعنى المسمع فى قوله
امن ريحانة الداعى السميع * يؤرقنى واصحابى هجوع ** وقيل من اضافة الصفة المشبهة الى الفاعل للتخفيف
بعد نصبه تشبيها لها باسم الفاعل كما هو المشهور اى بديع سمواته وارضه من بدع اذا كان على نمط عجيب
وشكل فائق وحسن رائق او الى الظرف كما فى قولهم ثبت الغدر بمعنى انه عديم النظير فيهما والاول هو الوجه
والمعنى انه تعالى مبدع لقطرى العالم العلوى والسفلى بلا مادة فاعل على هو الوجه والمعنى انه تعالى الاطلاق
منزه عن الانفعال بالمرة والوالد عنصر الولد منفعل بانتقال مادته عنه فكيف يمكن ان يكون له ولد وقرئ
بديع بالنصب على المدح وبالجر على انه بدل من الاسم الجليل او من الضمير المجرور فى سبحانه على رأى من يجيزه
وارتفاعه فى القراءة المشهورة على انه خبر مبتدأ محذوف او فاعل تعالى واظهاره فى موقع الاضمار لتعليل الحكم
وتوسيط الظرف بينه وبين الفعل للاهتمام ببيانه او مبتدأ خبره قوله تعالى انى يكون له ولد وهو على الاولين
جملة مستقلة مسوقة كما قبلها لبيان استحالة ما نسبوه اليه تعالى وتقرير تنزهه عنه وقوله تعالى ولم
تكن له صاحبة حال مؤكدة للاستحالة المذكورة فان انتفاء ان يكون له تعالى صاحبة مستلزم لانتفاء ان يكون
له ولد ضرورة استحالة وجود الولد بلا والدة وان امكن وجوده بلا والد وانتفاء الاول مما لا ريب فيه
لاحد فمن ضرورته انتفاء الثانى اى من اين او كيف يكون له ولد كما زعموا والحال انه ليس له على زعمهم صاحبة يكون
الولد منها وقرئ لم يكن بالتذكير للفصل او لان الاسم ضميره تعالى والخبر هو الظرف وصاحبة مرتفع
على الفاعلية لاعتماده على المبتدأ او الظرف خبر مقدم وصاحبة مبتدأ مؤخر والجملة خبر للكون وعلى هذا
الوجه يجوز ان يكون الاسم ضمير الشأن لصلاحية الجملة حينئذ لان تكون مفسرة لضمير الشأن لا على الوجه الاول
كما بين فى موضعه ان ضمير الشأن لا يفسر الا بجملة صريحة وقوله تعالى وخلق كل شىء اما جملة مستأنفة
اخرى سيقت لتحقيق ما ذكر من الاستحالة او حال اخرى مقررة لها اى انى يكون له ولد والحال انه خلق كل
شىء انتظمه التكوين والايجاد من الموجودات التى من جملتها ما سموه ولدا له تعالى فكيف يتصور ان
يكون المخلوق ولدا لخالقه وهو بكل شىء من شأنه ان يعلم كائنا ما كان مخلوقا او غير مخلوق كما ينبئ عنه ترك
الاضمار الى الاظهار عليم مبالغ فى العلم ازلا وابدا حسبما يعرب عنه العدول الى الجملة الاسمية فلا يخفى
عليه خافية مما كان وما سيكون من الذوات والصفات والاحوال التى من جملتها ما يجوز عليه تعالى وما لا
يجوز من المحالات التى ما زعموه فرد من افرادها والجملة استئناف مقرر لمضمون ما قبلها من الدلائل
القاطعة ببطلان مقالتهم الشنعاء التى اجترءوا عليها بغير علم ذلكم اشارة الى المنعوت بما ذكر من جلائل النعوت
وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته فى العظمة والخطاب للمشركين المعهودين
بطريق الالتفات وهو مبتدأ وقوله تعالى الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء اخبار اربعة مترادفة اى ذلك الموصوف
بتلك الصفات العظيمة هو الله المستحق للعبادة خاصة مالك امركم لا شريك له اصلا خالق كل شىء
مما كان ومما سيكون فلا تكرار اذ المعتبر فى عنوان الموضوع انما هو خالقيته لما كان فقط كما ينبئ عنه
صيغة الماضى وقيل الخبر هو الاول والبواقى ابدال وقيل الاسم الجليل بدل من المبتدأ والبواقى اخبار وقيل
يقدر لكل من الاخبار الثلاثة مبتدأ وقيل يجعل الكل بمنزلة اسم واحد وقوله تعالى فاعبدوه حكم مترتب
على مضمون الجملة فان من جمع هذه الصفات كان هو المستحق للعبادة خاصة وقوله تعالى وهو على كل شىء
وكيل عطف على الجملة المتقدمة اى وهو مع ما فصل من الصفات الجليلة متولى امور جميع مخلوقاته التى انتم
من جملتها فكلوا اموركم اليه وتوسلوا بعبادته الى نجاح مآربكم الدنيوية والاخروية لا تدركه الابصار
البصر حاسة النظر وقد تطلق على العين من حيث انها محلها وادراك الشىء عبارة عن الوصول اليه والاحاطة
به اى لا تصل اليه الابصار ولا تحيط به كما قال سعيد بن المسيب وقال عطاء كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة
به فلا متمسك فيه لمنكرى الرؤية على الاطلاق وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه ومقاتل لا تدركه الابصار
فى الدنيا وهو يرى فى الآخرة وهو يدرك الابصار ويجوز ان يكون تعليلا للحكمين السابقين على طريقة اللف
لا تدركه الابصار لانه اللطيف وهو يدرك الابصار لانه الخبير فيكون اللطيف مستعارا من مقابل الكثيف
لما لا يدرك بالحاسة ولا ينطبع فيها وقوله تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم استئناف وارد على لسان النبى
صلى الله عليه وسلم والبصائر جمع بصيرة وهى النور الذى تستبصر به النفس كما ان البصر نور به تبصر العين

اى يحيط بها علما اذ لا يخفى عليه خافية وهو اللطيف الخبير فيدرك ما لا تدركه الابصار صح

والمراد بها الآيات الواردة ههنا او جميع الآيات المنتظمة لها انتظاما اوليا ومن لابتداء الغاية مجازا سوا تعلقت بجاء او بمحذوف هو صفة لبصائر والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين لاظهار كمال اللطف بهم اى قد جاءكم من جهة مالككم ومبلغكم الى كمالكم اللائق بكم من الوحى الناطق بالحق والصواب ما هو كالبصائر للقلوب وقد جاءكم بصائر كائنة من ربكم فمن ابصر اى الحق بتلك البصائر وآمن به فلنفسه اى فلنفسه ابصر او فابصاره لنفسه لان نفعه مخصوص بها ومن عمى اى ومن لم يبصر الحق بعد ما ظهر له بتلك البصائر ظهورا بينا وضل عنه وانما عبر عنه بالعمى تقبيحا له وتنفيرا عنه فعليها اى فعليها عمى او فعماه عليها اى وباله عماه وما انا عليكم بحفيظ وانما انا منذر والله هو الذى يحفظ اعمالكم ويجازيكم عليها وكذلك نصرف الآيات اى مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعانى الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا ادنى منه وقوله تعالى وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على دلالة السياق عليه اى وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور واللام للعاقبة والواو اعتراضية وقيل هى عاطفة على علة محذوفة واللام متعلقة بنصرف اى مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا الى آخره وقيل اللام لام الامر وتنصره القراءة بسكون اللام كأنه قيل وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون فانه لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهذا امر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم ورد عليه بان ما بعده يأباه ومعنى درست قرأت وتعلمت وقرئ دارست اى دارست العلماء ودرست اى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة فى درست اى اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لاشتهارهم بالدراسة وقد جوز اسناد الفعل الى الآيات وهى فى الحقيقة لاهلها اى دارس اهل الآيات وحملتها محمدا صلى الله عليه وسلم وهم اهل الكتاب ودرس اى درس محمد ودارسات على هى دارسات اى قديمات او ذات درس كعيشة راضية وقوله تعالى ولنبينه عطف على ليقولوا واللام فى قوله تعالى لقوم يعلمون تعلقه بالتبيين وتخصيصه بهم لما انهم المنتفعون به قال ابن عباس اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد ووصفهم بالعلم للايذان بغاية جهل الاولين وخلوهم عن العلم بالمرة اتبع ما اوحى اليك من ربك لما حكى عن المشركين قدحهم فى تصريف الآيات عقب ذلك بامره عليه السلام بالثبات على ما هو عليه وبعدم الاعتداد بهم وباباطيلهم اى دم على ما انت عليه من اتباع ما اوحى اليك من الشرائع والاحكام التى عمدتها التوحيد وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من اظهار اللطف به ما لا يخفى وقوله لا اله الا هو اعتراض بين الامرين المتعاطفين مؤكد لايجاب اتباع الوحى لا سيما فى امر التوحيد وقد جوز ان يكون حالا من ربك اى منفردا فى الالوهية واعرض عن المشركين لا تحتفل بهم وبأقاويلهم الباطلة التى من جملتها ما حكى عنهم آنفا ومن جعله منسوخا باية السيف حمل الاعراض على ما يعم الكف عنهم ولو شاء الله اى عدم اشراكهم حسب ما هو القاعدة المستمرة فى حذف مفعول المشيئة من وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء ما اشركوا وهذا دليل على انه تعالى لا يريد ايمان الكافر لا بمعنى انه تعالى يمنعه عنه مع توجهه اليه بل بمعنى انه تعالى لا يريده منه لعدم صرف اختياره الجزئى الى الايمان واصراره على الكفر والجملة اعتراض مؤكد للاعراض وكذا قوله تعالى وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا مهيمنا من قبلنا تحفظ عليهم اعمالهم وكذا قوله تعالى وما انت عليهم بوكيل من جهتهم تقوم بامورهم وتدبر مصالحهم وعليهم فى الموضعين متعلق بما بعده قدم عليه للاهتمام به او لرعاية الفواصل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله اى لا تشتموهم من حيث عبادتهم لآلهتهم كأن تقولوا تبا لكم ولما تعبدونه مثلا فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق الى الباطل بان يقولوا لكم مثل قولكم لهم بغير علم اى بجهالة بالله تعالى وبما يجب ان يذكر به وقرئ عدوا يقال عدا عدوا وعدا وعدوانا روى انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبونها فنهوا عن ذلك لئلا يستتبع سبهم سبه سبحانه وتعالى وفيه ان الطاعات اذا ادت الى المعصية راجحة وجب تركها فان ما يؤدى الى الشر شر كذلك اى مثل ذلك التزيين القوى زينا لكل امة عملهم من الخير والشر باحداث ما يمكنهم منه ويحملهم عليه توفيقا وتخذيلا ويجوز ان يراد بكل امة امم الكفرة اذ الكلام فيهم وبعملهم شرهم وفسادهم والمشبه به تزيين سب الله تعالى لهم ثم الى ربهم مالك امرهم مرجعهم اى رجوعهم بالبعث بعد الموت فينبئهم من غير تأخير بما كانوا يعملون فى الدنيا على الاستمرار من السيئات المزينة لهم وهو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة سرية مبنية على حكمة ابية وهى ان كل ما يظهر فى هذه النشأة من الاعيان والاعراض فانما يظهر بصورة مستعارة مخالفة لصورته الحقيقية

التى بها يظهر فى النشأة الآخرة فان المعاصى سموم قاتلة قد برزت فى الدنيا بصورة تستحسنها نفوس العصاة كما نطقت به هذه الآية الكريمة وكذا الطاعة فانها مع كونها احسن المحاسن قد ظهرت عندهم بصورة مكروهة ولذلك قال عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فاعمال الكفرة قد برزت لهم فى هذه النشأة بصورة مزينة يستحسنها الغواة ويستحسنها الطغاة وستظهر فى النشأة الآخرة بصورها الحقيقية المنكرة الهائلة فعند ذلك يعرفون ان اعمالهم ماذا فعبر عن اظهارها بصورها الحقيقية بالاخبار بها لما ان كلا منهما سبب للعلم بحقيقتها كما هى فليتدبر قوله تعالى واقسموا بالله روى ان قريشا اقترحوا بعض آيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقوننى فقالوا نعم واقسموا لئن فعلت لنؤمنن جميعا فسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها طمعا فى ايمانهم فهم عليه السلام بالدعاء فنزلت فقوله تعالى جهد ايمانهم مصدر فى موقع الحال اى اقسموا بالله تعالى جاهدين فى ايمانهم لئن جاءتهم آية من مقترحاتهم او من جنس الآيات وهو الانسب بحالهم فى المكابرة والعناد وترامى امرهم فى العتو والعناد حيث كانوا لا يعدون ما يشاهدونه من المعجزات القاهرة من جنس الآيات ليؤمنن بها وما كان مرامهم فى ذلك الا التحكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلب المعجزة وعدم الاعتداد بما شاهدوا منه من البينات الحقيقية بان تقطع بها الارض وتسير بها الجبال قل انما الآيات عند الله اى امرها فى حكمه وقضائه خاصة يتصرف فيها حسب مشيئته المبنية على الحكم البالغة لا يتعلق بها ولا بشأن من شؤونها قدرة احد ولا مشيئة لا استقلالا ولا اشتراكا بوجه من الوجوه حتى يمكننى ان اتصدى لاستنزالها بالاستدعاء وهذا كما ترى سد لباب الاقتراح على ابلغ وجه واحسنه ببيان علو شأن الآيات وصعوبة منالها وتعاليها عن ان يكون عرضة للسؤال والاقتراح واما ما قيل من ان المعنى انما الآيات عند الله تعالى لا عندى فكيف اجيبكم اليها او آتيكم بها او هو القادر عليها لا انا حتى آتيكم بها فلا مناسبة له بالمقام كيف لا وليس مقترحهم مجيئها بغير قدرة الله تعالى وارادته حتى يجابوا بذلك وقوله تعالى وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون كلام مستأنف غير داخل تحت الامر مسوق من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية الى ما اشعر به الجواب السابق من عدم مجئ الآيات خوطب به المسلمون اما خاصة بطريق التلوين لما روى عنه عليه السلام من الهم بالدعاء وقد بين فيه ان ايمانهم فائتة وايمانهم مما لا يدخل تحت الوجود وان اجيب الى ما سألوه وما استفهامية انكارية لكن لا على ان مرجع الانكار هو وقوع المشعر به بل هو نفس الاشعار مع تحقق المشعر به فى نفسه اى واى شئ يعلمكم ان الآية التى يقترحونها اذا جاءت لا يؤمنون بل يبقون على ما كانوا عليه من الكفر والعناد لا يعلمون ذلك فتتمنون مجيئها طمعا فى ايمانهم فكأنه بسط عذر من جهة المسلمين فى تمنيهم نزول الآيات وقيل لا مزيدة فتوجه الانكار الى الاشعار والمشعر به جميعا اى اى شئ يعلمكم ايمانهم عند مجئ الآيات حتى تتمنوا مجيئها طمعا فى ايمانهم فيكون تخطية لرأى المسلمين وقيل ان بمعنى لعل يقال ادخل السوق انك تشترى اللحم وعندك وعلك ولعلك كلها بمعنى يقال ويؤيده انه قرئ لعلها اذا جاءت لا يؤمنون على ان الكلام قد تم قبله والمفعول الثانى ليشعركم محذوف كما فى قوله تعالى وما يدريك لعله يزكى والجملة استئناف لتعليل الانكار وتقريره اى اى شئ يعلمكم حالهم وما سيكون عند مجئ الآيات لعلها اذا جاءت لا يؤمنون بها فما لكم تتمنون مجيئها فان تمنيه انما يليق بما اذا كان ايمانهم محقق الوجود عند مجيئها لا مرجوا بعدمه وقرئ انها بالكسر على انه استئناف حسبما سبق مع زيادة تحقيق لعدم ايمانهم وقرئ لا تؤمنون بالفوقانية فالخطاب فى وما يشعركم للمشركين وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون فيرجع الانكار فيه الى المشركين على الاقسام المذكور مع جهلهم بحال قلوبهم عند مجئ الآيات وبكونها حينئذ كما هى الآن ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم لا يشعركم مقيد بما قيد به اى وما يشعركم انا نقلب افئدتهم عن ادراك الحق فلا يفقهونه وابصارهم عن اجتلائه فلا يبصرونه لكن لا مع توجيهها اليه واستعدادها لقبوله بل لكمال نبوها عنه واعراضها بالكلية ولذلك اخر ذكره عن ذكر عدم ايمانهم اشعارا باصالتهم فى الكفر وحسما لتوهم ان عدم ايمانهم ناشئ عن تقليبه تعالى مشاعرهم بطريق الاجبار كما لم يؤمنوا به اى بما جاء من الآيات اول مرة اى عند ورود الآيات السابقة والكاف فى محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف منصوب بلا يؤمنون وما مصدرية اى لا يؤمنون بل يكفرون كفرا كائنا ككفرهم اول مرة وتوسيط تقليب الافئدة والابصار بينهما لانه من متممات عدم ايمانهم ونذرهم عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم الاستفهام الانكارى مقيد بما قيد به مبين لما هو المراد بتقليب الافئدة والابصار معرب عن حقيقته بانه ليس على ظاهره بان يقلب الله سبحانه مشاعرهم عن الحق مع توجههم

اليه واستعدادهم له بطريق الاخبار بل بان يخليهم وشانهم بعد ما علم فساد استعدادهم وفرط نفورهم عن
الحق وعدم تاثير التلطف فيهم اصلا ونطبع على قلوبهم حسبما يقتضيه استعدادهم كما اشير اليه وقوله
تعالى في طغيانهم متعلق بنذرهم وقوله تعالى يعمهون حال من ضمير المنصوب اى ندعهم في طغيانهم متحيرين
لا نهديهم هداية المؤمنين او مفعول ثان لنذرهم اى نصيرهم عامهين وقرئ يقلب ويذرهم بالياء على اسنادهما
الى ضمير الجلالة وقرئ تقلب بالتاء والبناء للمفعول على اسناده الى افئدتهم ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
تصريح بما اشعر به قوله عز وجل وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون من الحكمة الداعية الى ترك
الاجابة الى ما اقترحوه من الآيات اثر بيان انها في حكمه تعالى وقضائه المبني على الحكم البالغة لا مدخل
لاحد في امرها بوجه من الوجوه وبيان لكذبهم في ايمانهم الفاجرة على ابلغ وجه وآكده اى ولو اننا
لم نقتصر على ايتاء ما اقترحوه ههنا من اية واحدة من الآيات بل نزلنا اليهم الملائكة كما سألوه بقولهم لوما
تأتينا بالملائكة وكلمهم الموتى وشهدوا بحقية الايمان بعد ان احييناهم حسبما اقترحوه بقولهم فاتوا بآبائنا
وحشرنا اى جمعنا عليهم كل شئ قبلا بضمتين وقيل بسكون الباء اى كفلاء بصحة الامر وصدق النبي صلى الله
عليه وسلم على انه جمع قبيل بمعنى الكفيل كرغيف ورغف وقضيب وقضب وهو الانسب لقوله
تعالى او تأتي بالله والملائكة قبيلا اى لو لم نقتصر على ما اقترحوه بل زدنا على ذلك بان احضرنا
لديهم كل شئ يتأتى منه الكفالة والشهادة بما ذكر لا فرادى بل بطريق المعية او جماعات على انه جمع
قبيل هو جمع قبيلة وهو الاوفق لعموم كل شئ وشموله للانواع والاصناف اى حشرنا كل شئ نوعا نوعا
وصنفا صنفا وفوجا فوجا وانتصابه على الحالية وجمعيته باعتبار الكل المجموعي للاجزاء لكل الافرادي او
مقابلة وعيانا او على انه مصدر كقبيلا وقد قرئ كذلك وانتصابه على الوجهين على انه مصدر في موقع
الحال وقد نقل عن المبرد وجماعة من اهل اللغة ان الاخير بمعنى الجهة كما في قولك لي قبل فلان حق وان
انتصابه على الظرفية ما كانوا ليؤمنوا اى ما صح وما استقام لهم الايمان لتماديهم في العصيان وغلوهم
في التمرد والطغيان واما سبق القضاء عليهم بالكفر فمن الاحكام المترتبة على ذلك حسبما ينبئ عنه قوله
عز وجل ونذرهم في طغيانهم يعمهون وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم الاحوال والالتفات
الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة ما كانوا ليؤمنوا مع اجتماع ما ذكر من الامور الموجبة
للايمان في حال من الاحوال الداعية اليه المتممة لموجباته المذكورة الا في حال مشيئته تعالى لايمانهم
او من اعم العلل اى ما كانوا ليؤمنوا لعلة من العلل المعدودة وغيرها الا لمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد
بالاستثناء بيان ان ايمانهم على خطر الوقوع بناء على كون مشيئته تعالى ايضا كذلك بل بيان استحالة
وقوعه بناء على استحالة وقوعها كأنه قيل ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله وهيهات ذلك وحاله
حالهم بدليل ما سبق من قوله تعالى ونقلب افئدتهم الآية وقوله عز وجل ولكن اكثرهم يجهلون
استدراك من مضمون الشرطية بعد ورود الاستثناء لا قبله ولا ريب في ان ذلك يجهلونه سواء
اريد بهم المسلمون وهو الظاهر او المقسمون لكن لا عدم ايمانهم بلا مشيئة الله تعالى كما هو اللازم من
حمل النظم الكريم على المعنى الاول فانه ليس مما يعتقده الاولون ولا مما يدعيه الآخرون بل انما هو
عدم ايمانهم لعدم مشيئته ايمانهم ومرجعه الى جهلهم بعدم مشيئته اياه فالمعنى ان حالهم كما شرح
ولكن اكثر المسلمين يجهلون عدم ايمانهم عند مجئ الآيات لجهلهم عدم مشيئته تعالى لايمانهم فيتمنون
مجيئها طمعا فيما لا يكون فالجملة مقررة لمضمون ما قوله تعالى وما يشعركم الى آخره فيقسمون
بالله جهد ايمانهم على ما لا يكاد يكون فالجملة على القراءة السابقة بيان لمبدأ خطاب المقسمين
ومناط اقسامهم وتقريرا له على قراءة لا تؤمنون بالتاء الفوقانية وكذا على قراءة وما يشعرهم انها اذا جاءت
لا يؤمنون وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا كلام مبتدأ مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
عما كان يشاهد من عداوة قريش له صلى الله عليه وسلم وما بنوا عليها مما لا خير فيه من الاقاويل والافعال
ببيان ان ذلك ليس مختصا بك بل هو امر ابتلي به كل من سبقك من الانبياء عليهم السلام ومحل الكاف
النصب على انه نعت لمصدر مؤكد لما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم مما قبله اى كما جعلنا لك عدوا
كما جعلنا لك عدوا او التقديم على الفعل للقصر المفيد للمبالغة والمعنى مثل ذلك الجعل الذي جعلنا
في حقك حيث جعلنا لك عدوا يضادونك ويضارونك ولا يؤمنون ويبغون لك الغوائل ويدبرون
في ابطال امرك مكايد جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا فعلوا بهم ما فعل بك اعداؤك لا جعلا انقص
منه وفيه دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بخلقه الله تعالى للابتلاء شياطين الانس والجن اى
مردة الفريقين على ان الاضافة بمعنى من البيانية وقيل هي اضافة الصفة الى الموصوف والاصل الانس
والجن الشياطين وقيل هي بمعنى اللام اى الشياطين للانس والتي للجن وهو بدل من عدوا والجعل متعد

الى

الى واحد او الى اثنين وهو اول مفعوليه قدم عليه الثاني مسارعة الى بيان العداوة واللام على
التقديرين متعلقة بالجعل او بمحذوف هو حال من عدوا وقوله تعالى يوحي بعضهم الى بعض كلام مستأنف
مسوق للبيان احكام عداوتهم وتحقيق وجه الشبه بين المشبه والمشبه به او حال من الشياطين او نعت
لعدوا وجمع الضمير باعتبار المعنى فانه عبارة عن الاعداء كما في قوله ۞ اذا انا لم انفع صديقي بوده ۞ فان
عدوي لم يضرهم بغضي ۞ والوحي عبارة عن الايماء والقول السريع اى يلقي ويوسوس شياطين الجن الى
شياطين الانس او بعض كل من الفريقين الى بعض آخر زخرف القول اى المموه منه المزين ظاهره الباطل
باطنه من زخرفه اذا زينه غرورا مفعول له ليوحي اى ليغروهم او مصدر في موقع الحال اى غارين او مصدر
مؤكد للفعل مقدر هو حال من فاعل يوحي اى يغرون غرورا ولو شاء ربك رجوع الى بيان الشؤون الجارية
بينه عليه الصلوة والسلام وبين قومه المفهومة من حكاية ما جرى بين الانبياء عليهم السلام وبين اممهم
كما ينبئ عنه الالتفات والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام المعربة عن كمال
اللطف في التسلية ولو شاء ربك عدم الامور المذكورة لا ايمانهم كما قيل فان القاعدة المستمرة ان مفعول
المشيئة انما يحذف عند وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وقوله تعالى ما فعلوه اى ما فعلوا
ما ذكر من عداوتك وايحاء بعضهم الى بعض منهم من زخارف الاقاويل الباطلة المتعلقة بامرك خاصة لا
بما يعمه وامور الانبياء عليهم السلام ايضا كما قيل فان قوله فذرهم وما يفترون صريح في ان المراد بهم
الكفرة المعاصرون له صلى الله عليه وسلم اى انما كان ما فعلوه من احكام عداوتك من فنون المفاسد
بمشيئته تعالى فاتركهم وافتراءهم او وما يفترونه من انواع المكايد فان لهم في ذلك عقوبات شديدة
ولك عواقب حميدة لابتناء مشيئته تعالى على الحكم البالغة البتة ولتصغى اليه اى الى زخرف
القول وهو على الوجه الاول علة اخرى للايحاء معطوفة على غرورا وما بينهما اعتراض وانما لم ينصب
لفقد شرطه اذ الغرور فعل الموحي وصغو الافئدة فعل الموحى اليه اى يوحي بعضهم الى بعض زخرف
القول ليغروهم به ولتميل اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة انما خص بالذكر عدم ايمانهم
بالآخرة دون ما عداها من الامور التي يجب الايمان بها وهم بها كافرون اشعارا بما هو المدار في صغو
افئدتهم الى ما يلقى اليهم فان لذات الآخرة محفوفة في هذه النشأة بالمكاره وآلامها مزينة بالشهوات
فالذين لا يؤمنون بها وباحوالها لا يدرون ان وراء تلك المكاره لذات ودون هذه الشهوات
آلاما وانما ينظرون الى ما بدا لهم في الدنيا بادي الرأي فهم مضطرون الى حب الشهوات التي من
جملتها مزخرفات الاقاويل ومموهات الاباطيل واما المؤمنون فحيث كانوا واقفين على حقيقة
الحال ناظرين الى عواقب الامور لم يتصور منهم الميل الى تلك المزخرفات لعلمهم ببطلانها ووخامة
عاقبتها واما على الوجهين الاخيرين فهو علة لفعل محذوف يدل عليه المقام ليكون ذلك جعلنا
ما جعلنا والمعتزلة جعلوا اللام لام العاقبة او لام القسم او لام الامر وضعفه في غاية الظهور
وليرضوه لانفسهم بعد ما مالت اليه افئدتهم وليقترفوا اى يكتسبوا بموجب ارتضائهم له ما هم مقترفون
له من القبائح التي لا يليق ذكرها افغير الله ابتغي حكما كلام مستأنف وارد على ارادة القول والهمزة
للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه الكلام اى قل لهم اأميل الى زخارف الشياطين فابتغي حكما
غير الله يحكم بيننا ويفصل المحق منا من المبطل وقيل ان مشركي قريش قالوا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما من احبار اليهود او من اساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في
كتابهم من امرك فنزلت واسناد الابتغاء المنكر الى نفسه عليه الصلوة والسلام لا الى المشركين كما في
قوله تعالى افغير دين الله يبغون مع انهم الباغون لاظهار كمال النصفة او لمراعاة قولهم اجعل بيننا
وبينك حكما وغير اما مفعول ابتغي وحكما حال منه واما بالعكس وايا ما كان فتقديمه على الفعل الذي
هو المعطوف بالهمزة حقيقة كما اشير اليه للايذان بان مدار الانكار هو ابتغاء غيره تعالى حكما لا مطلق
الابتغاء وقيل حكما ابلغ من حاكم واولى بالتمييز لما في غيره من الابهام لانه لا يطلق الا على العادل وعلى من تكرر منه الحكم بخلاف الحاكم وقوله
تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب جملة حالية مؤكدة للانكار ابتغاء غيره تعالى حكما ونسبة الانزال
الى المتحاكمين لاستمالتهم نحو المنزل واستنزالهم الى قبول حكمه بايهام قوة نسبته اليهم اى اغيره تعالى
ابتغي حكما والحال انه هو الذي انزل اليكم وانتم امية لا تدرون ما تأتون وما تذرون القرآن الناطق
بالحق والصواب الحقيق بان يخص به اسم الكتاب مفصلا اى مبينا فيه الحق والباطل والحلال والحرام
وغير ذلك من الاحكام بحيث لم يبق في امر الدين شئ من التخليط والابهام فاى حاجة بعد ذلك الى
الى الحكم وهذا كما ترى صريح في ان القرآن الكريم كاف في امر الدين من التخليط مغن عن غيره ببيانه
وتفصيله واما ان يكون لاعجازه دخل في ذلك كما قيل فلا وقوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون

انه منزل من ربك بالحق كلام مستأنف غير داخل تحت القول المقدر مسبوق من جهته تعالى بتحقيق حقية
الكتاب الذي نيط به امر الحكمية وتقرير كونه منزلا من عنده عز وجل بلسان ان الذين وثقوا بهم ورضوا
بحكميتهم حسبما نقله النفر من علما اليهود والنصارى عالمون بحقيقته وبنزوله من عنده تعالى وفي التعبير
عن التوراة والانجيل باسم الكتاب ايماء الى ما بينهما وبين القران من المجانسة المقتضية للاشتراك في
الحقية والنزول من عنده تعالى مع ما فيه من الايجاز وايراد الطائفتين بعنوان ايتا الكتاب للايذان
بانهم عالموه من جهة كتابهم بحيث وجدوه حسبما نعت فيه وعاينوه موافقا له في الاصول وما لا
يختلف من الفروع ومخبرا عما لا طريق الى معرفتها سوى الوحي والمراد بالموصول اما علما الفريقين
وهو الظاهر فالايتاء التفهيم بالفعل واما الكل وهم داخلون فيه دخولا اوليا فهو اعم من ذكر بمعنى
التفهيم بالقوة ولا ريب في ان الكل متمكنون من ذلك وقيل المراد مؤمنوا اهل الكتاب وقرئ ينزل
من الانزال والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام
والباء في قوله تعالى بالحق متعلق بمحذوف وقع حالا من الضمير المستكن في منزل اي ملتبسا بالحق فلا
تكونن من الممترين اي في انهم يعلمون ذلك لما لا تشاهد منهم اثار العلم واحكامه المعروفة فالفا لترتيب
النهي على الاخبار بعلم اهل الكتاب بشان القران او في انه منزل من ربك بالحق فيكون من باب التهييج
والالهاب لقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقيل الخطاب في الحقيقة للامة وان كان له عليه الصلوة
والسلام صورة وقيل الخطاب لكل واحد على معنى ان الادلة قد تعاضدت وتظاهرت فلا ينبغي
لاحد ان يمتري فيه والفا على هذه الوجوه لترتيب النهي على نفس علمهم بحال القران وتمت كلمة ربك
شروع في بيان كماله من حيث بيان اضافته اليه تعالى بكونه منزلا منه بالحق وتحقيق ذلك بعلم اهل
الكتاب به وانما عبر عنه بالكلمة لانها الاصل في الاتصاف بالصدق والعدل وبها يظهر الاثار من الحكم
وقرئ كلمات ربك صدقا وعدلا مصدران نصبا على الحال وقيل على التمييز وقيل على العلة وقوله تعالى
لا مبدل لكلماته اما استيناف مبين لفضلها على غيرها اثر بيان فضلها في نفسها واما حال اخرى من
فاعل تمت على ان الظاهر مغن عن الضمير الرابط والمعنى انها بلغت الغاية القاصية صدقا في الاخبار
والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل ولا بما هو مثله
فكيف يتصور ابتغا حكم غيره تعالى وهو السميع لكل ما يتعلق به السمع العليم بكل ما يمكن ان يعلم فيدخل
في ذلك اقوال المتحاكمين واحوالهم الظاهرة والباطنة دخولا اوليا وقيل المعنى لا احد يقدر على
ان يحرفها كما فعل بالتوراة فيكون ضمانا لها من الله عز وجل بالحفظ كقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون او لا نبي ولا كتاب بعدها ينسخها وان تطع اكثر من في الارض لما تحقق اختصاصه تعالى بالحكمية لاستقلاله
بما يوجبها من انزال الكتاب الكامل الفاصل بين الحق والباطل وتمام صدق كلامه وكمال عدالة احكامه وامتناع
وجود من يبدل شيئا منها واستبداده تعالى بالاحاطة التامة بجميع المسموعات والمعلومات عقب ذلك
ببيان ان الكفرة متصفون بنقائص تلك الكمالات من النقائص التي هي الضلال والاضلال واتباع الظنون
الفاسدة الناشئة من الجهل والكذب على الله سبحانه ابانة لكمال مباينة حالهم لما يرومونه وتحذيرا عن الركون
اليهم والعمل بارائهم والمراد بمن في الارض الناس وبالاكثر هم الكفار وقيل اهل مكة والارض ارضها اي ان تطعهم
بان جعلت منهم حكما يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه او عن الشريعة التي شرعها لعباده ان يتبعون
الا الظن وهو ظنهم ان اباهم كانوا على الحق فهم على اثارهم يهتدون او جهالاتهم واراؤهم الباطلة على ان المراد
بالظن ما يقابل العلم والجملة استيناف مبني على سؤال نشا من الشرطية كانه قيل كيف يضلون فقيل
لا يتبعون في امور دينهم الا الظن وان الظن لا يغني من الحق شيئا فيضلون ضلالا مبينا ولا ريب في ان الضال
المتصدي للارشاد انما يرشد غيره الى مسلك نفسه فهم ضالون مضلون وقوله تعالى وان هم الا يخرصون
عطف على ما قبله داخل في حكمه اي يكذبون على الله سبحانه فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة
الاوثان ذريعة اليه تعالى وتحليل الميتة وتحريم البحائر ونظائرها ويقدرون انهم على شيء وانى لهم ذلك
ومناط الخرص وحقيقته ما يقال عن ظن وتخمين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
تقرير لمضمون الشرطية وما بعدها وتأكيد لما يفيده من التحذير اي هو اعلم بالفريقين فاحذر ان تكون من
الاولين ومن موصولة او موصوفة في محل النصب لا بنفس اعلم فان افعل التفضيل لا ينصب الظاهر
في مثل هذه الصور بل بفعل دل عليه او استفهامية مرفوعة بالابتداء والخبر يضل والجملة معلق عنها
الفعل المقدر وقرئ يضل بضم اليا على ان من فاعل يضل ومفعوله محذوف ومحلها النصب بما ذكر من
الفعل المقدر اي هو اعلم يعلم من يضل الناس فيكون تأكيدا للتحذير عن طاعة الكفرة واما ان الفاعل هو
الله تعالى ومن منصوبة بما ذكر اي يعلم من يضله او مجرورة باضافة اعلم اليها اي اعلم المضلين من قوله تعالى

من

من يضل الله او من قولك اضللته اذا وجدته ضالا فلا يساعده السياق والتفضيل في العلم بكثرته
واحاطته بالوجوه التي يمكن تعلق العلم بها ولزومه وكونه بالذات لا بالغير فكلوا مما ذكر اسم الله عليه
امر مترتب على النهي عن اتباع المضلين الذين من جملة اضلالهم تحريم الحلال وتحليل الحرام وذلك انهم كانوا
يقولون للمسلمين انكم تعبدون الله فما قتله الله احق ان تاكلوه مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين كلوا مما ذكر اسمه
تعالى خاصة على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره فقط او مع اسمه تعالى او مات حتف انفه ان كنتم باياته
التي من جملتها الايات الواردة في هذا الشان مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله والاجتناب عما
حرمه وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه وما لكم ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه انكار لان يكون
لهم شيء يدعوهم الى الاجتناب عن اكل ما ذكر عليه اسم الله تعالى من البحائر والسوائب ونحوها وقوله تعالى
وقد فصل لكم الى اخره جملة حالية مؤكدة للانكار كما في قوله تعالى وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد
اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي سبب حاصل لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه او واي غرض يحملكم ان
لا تاكلوا ويمنعكم من اكله والحال انه قد فصل لكم ما حرم عليكم بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما
الى اخره فبقي ما عدا ذلك على الحل لا بقوله تعالى حرمت عليكم الميتة الى اخره لانها مدنية واما التاخر
في التلاوة فلا يوجب التاخر في النزول وقرئ الفعلان على البنا للمفعول وللفاعل والثاني للمفعول الا ما
اضطررتم اليه مما حرم فانه ايضا حلال حينئذ وان كثيرا اي من الكفار ليضلون الناس بتحريم الحلال وتحليل
الحرام كعمرو بن لحي واضرابه وقرئ يضلون باهوائهم الزايغة وشهواتهم الباطلة بغير علم مقتبس من الشريعة
مستند الى الوحي ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين لحدود الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر
الاثم وباطنه اي ما يعلن منها وما يسر او ما يعلن من الذنوب وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في
الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم اي يكتسبون من الظاهر والباطن سيجزون بما كانوا
يقترفون كائنا ما كان فلا بد من اجتنابهما والجملة تعليل للامر ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر
في تحريم متروك التسمية عمدا كان او نسيانا واليه ذهب داود وعن احمد بن حنبل مثله وقال مالك والشا
فعي بخلافه لقوله عليه السلام ذبيحة المسلم حلال وان لم يذكر اسم الله عليه وفرق ابو حنيفة رحمه
الله تعالى بين العمد والنسيان واوله بالميتة او بما ذكر عليه اسم غيره تعالى لقوله وانه لفسق فان الفسق
ما اهل به لغير الله والضمير لما ويجوز ان يكون للاكل المدلول عليه بلا تاكلوا والجملة مستأنفة وقيل حالية
وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم المراد بالشياطين ابليس وجنوده فايحاؤهم وسوستهم الى المشركين
وقيل مردة المجوس فايحاؤهم الى اوليائهم ما انهوا الى قريش بالكتاب ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يتبعون
امر الله ثم يزعمون ان ما يقتلونه حلال وما يقتله الله حرام ليجادلوكم اي بالوساوس الشيطانية
او بما نقل من اباطيل المجوس وهو يؤيد التاويل بالميتة وان اطعتموهم في استحلال الحرام وساعدتموهم
على اباطيلهم انكم لمشركون ضرورة ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك
به تعالى بل اثره عليه سبحانه او من كان ميتا وقرئ ميتا على الاصل فاحييناه تمثيل مسوق لتنفير المسلمين
عن طاعة المشركين اثر تحذيرهم عنها بالاشارة الى انهم مستضيئون بانوار الوحي الالهي والمشركون خائضون
في ظلمات الكفر والطغيان فكيف يعقل اطاعتهم لهم والهمزة للانكار والنفي والواو لعطف ما بعدها على الحياة
وما يليهم من القوى المدركة والمحركة وجعلنا له مع ذلك من الخارج نورا عظيما يمشي به اي بسببه والجملة
استيناف مبني على سؤال نشا من الكلام كانه قيل فماذا يصنع بذلك النور فقيل يمشي به في الناس اي
فيما بينهم امنا من جهتهم او صفة له كمن مثله اي صفته العجيبة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى في الظلمات خبره على
ان المراد بهما اللفظ او المعنى كما في قولك زيد صفته اسمر وهذه الجملة صلة لمن [illegible]
محذوف [illegible] ليس بخارج منها حال من المستكن في الظرف وقيل من الموصول لا يخارج
منها بحال وهذا كما ترى مثل اريد به من بقي في الضلالة بحيث لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من
نقي في الضلال [illegible] لا يفارقها اصلا كما ان الاول مثل اريد به من خلقه الله تعالى [illegible] وهداه
بالايات البينة الى طريق يسلكه كيف يشاء [illegible] من هذه المعاني بما يليق به من
الالفاظ الواردة في المثلين بطريق تشبيه بما يناسبه من معانيها فان الفاظ المثل باقية في معانيها الاصلية
بل على انه قد انتزعت من هيأة الموت المتعددة في كل واحد من جانبي المثلين هيأة على حدة وهيأة من الامور
المتعددة المذكورة في كل واحد من جانبي المثلين هيأة على حدة فشبهت بهما الاوليان ونزلتا منزلتهما فاستعمل
فيهما ما يدل على الاخريين بضرب من التجوز وقد اشير في تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الاية الى ان
التجوز قسم برأسه لا سبيل الجملة من باب الاستعارة حقيقوا الاستعارة التمثيلية من عبارات المتأخرين
نعم قد يجري ذلك على سنن الاستعارة بان لا يذكر المشبه كهذين المثلين ونظائرهما قد يجري على منهاج

التشبيه كما في قوله * وما الناس الا كالديار واهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع * كذلك اي مثل ذلك
التزيين البليغ زين من جهة الله عز وجل بطريق الخلق عند اهل السنة او من جهة الشياطين بطريق الزخرفة
والتسويل للكافرين التابعين للوساوس الشيطانية الآخذين بالمزخرفات التي يوحونها اليهم ما كانوا يعملون
مع استمرارهم ما استمروا على عمله من فنون الكفر والمعاصي التي من جملتها ما حكي عنهم من القبائح فانها لو لم
تكن مزينة لهم لما اصروا عليها ولما جادلوا بها الحق وقيل الآية نزلت في حمزة رضي الله تعالى عنه وابي جهل
وقيل في عمر او عمار رضي الله تعالى عنهما وابي جهل وكذلك قيل معناه كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها
ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية من سائر القرى اكابر مجرميها ليمكروا فيها ومفعولا جعلنا اكابر مجرميها
على تقديم المفعول الثاني والظرف لغو او هما الظرف واكابر على ان مجرميها بدل او مضاف اليه فان
افعل التفضيل اذا اضيف جاز الافراد والمطابقة ولذلك قرئ اكبر مجرميها وقيل اكابر مجرميها مفعول
له الاول والثاني ليمكروا فيها ولا يخفى ان اي معنى يراد من هذه المعاني لا بد ان يكون مشهود التحقق
عند الناس معهودا فيما بينهم حتى يصلح ان يصرف الاشارة عن سياق النظم الكريم ويوجه اليه ويجعل
مقياسا لنظائره باخراجه مخرج المصدر التشبيهي وظاهر ان ليس الامر كذلك ولا سبيل الى توجيههما
الى ما يفهم من قوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وان كان المراد بهم اهل مكة لان مآل المعنى
بعد اللتيا والتي كما جعلنا اعمال اهل مكة مزينة لهم جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها الى آخره فاذن الاوجه
ان ذلك اشارة الى الكفرة المعهودين باعتبار اتصافهم بصفاتهم والافراد باعتبار الفريق او المذكور
ومحل الكاف النصب على انه المفعول الثاني لجعلنا قدم عليه لافادة التخصيص كما في قوله تعالى كذلك
كنتم من قبل الآية والاول اكابر المجرمين اي جعلناهم متصفين بصفات المذكورين مزينا لهم اعمالهم
مصرين على الباطل مجادلين به الحق ليمكروا فيها اي ليفعلوا المكر فيها وهذه تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وقوله تعالى وما يمكرون الا بانفسهم اعتراض على سبيل الوعد لرسول الله صلى الله عليه
وسلم والوعيد للكفرة اي وما يحيق غائلة مكرهم الا بهم وما يشعرون حال من ضمير يمكرون مع اعتبار
ورود الاستثناء على النفي اي انما يمكرون بانفسهم والحال انهم ما يشعرون بذلك اصلا بل يزعمون
انهم يمكرون بغيرهم وقوله تعالى واذا جاءتهم آية رجوع الى بيان حال مجرمي اهل مكة بعد ما بين بطريق
التسلية ان حال غيرهم ايضا كذلك وان عاقبة مكر الكل ما ذكر من ان العظيمة المنقولة انما صدرت عنهم
لا عن سائر المجرمين اي اذا جاءتهم آية بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل
ما اوتي رسل الله قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حتى يوحى الينا ويأتينا جبريل عليه السلام فيخبرنا
ان محمدا صادق كما قالوا او تأتي بالله والملائكة قبيلا وعن الحسن البصري مثله وهو كما ترى صريح في ان
ما علق ايتاؤهم ما اوتي رسل الله عليهم السلام هو ايمانهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما انزل
اليه ايمانا حقيقيا كما هو المتبادر منه على الاطلاق على انه يستدعي ان يحمل ما اوتي رسل الله على مطلق
الوحي ومخاطبة جبريل عليه السلام في الجملة فان يصرف الرسالة في قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته
عن ظاهرها وتحمل على رسالة جبريل عليه السلام بالوحي المذكور ويراد بجعلها تبليغها الى المرسل اليه
لا وضعها في موضعها هو الذي هو الرسول ليتأتى كونه جوابا عن اقتراحهم وردا له بان يكون معنى الاقتراح
لن نؤمن بكون تلك الآية نازلة من عند الله تعالى الى الرسول حتى يأتينا جبريل بالذات عيانا كما يأتي
الرسل فيخبرنا بذلك ومعنى الرد الله اعلم من يليق بارسال جبريل عليه السلام اليه لامر من الامور
ايذانا بانهم بمعزل من استحقاق ذلك التشريف وفيه من التمحل ما لا يخفى وقال مقاتل نزلت في ابي جهل
حين قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى
به ولا نتبعه ابدا حتى يأتينا وحي كما يأتيه وقال الضحاك سأل كل واحد من القوم ان يخص بالرسالة
والوحي كما اخبر الله تعالى عنهم في قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة ولا يخفى ان كل واحد من
هذين القولين وان كان مناسبا للرد المذكور لكنه يقتضي ان يراد بالايمان المعلق بايتاء ما اوتي الرسل
مجرد تصديقهم برسالته صلى الله عليه وسلم في الجملة من غير شمول لكافة الناس وان تكون كلمة حتى في قول
اللعين حتى يأتينا وحي كما يأتيه الى آخره غاية لعدم الرضى لا لعدم الاتباع فانه مقرر على تقدير اتيان
الوحي وعدمه والمعنى لن نؤمن لك برسالته اصلا حتى نؤتى نحن من الوحي والنبوة مثل ما اوتي رسل
الله واما ما قيل من ان الوليد بن المغيرة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا لكنت
اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وولدا فنزلت فلا تعلق له بكلام المردود الا ان
يراد بالايمان المعلق بما ذكر مجرد الايمان بكون الآية النازلة وحيا صادقا والايمان نازلة اليه عليه
السلام فيكون المعنى واذا جاءتهم آية نازلة الى الرسول قالوا لن نؤمن بنزولها من عند الله حتى يكون نزولها

الينا

الينا لا اليه لانا نحن المستحقون دونه فان ملخص معنى قوله لو كانت النبوة حقا الى آخره لو كان ما تدعيه
من النبوة حقا لكنت انا النبي لا انت واذا لم يكن الامر كذلك فلست بحق وما له تعلق الا بتحقيقه
النبوة يكون نفسه نبيا ومثل ما اوتي نصب على انه نعت لمصدر محذوف وما مصدرية اي حتى نؤتى ايتاء
مثل ايتاء رسل الله واضافة الايتاء اليهم لانهم منكرون لايتائه عليه السلام وحيث نصب على
المفعولية توسعا لا لنفس اعلم لما عرفت من انه لا يعمل في الظاهر بل بفعل دل عليه اي هو اعلم يعلم الموضع
الذي يضعها فيه والمعنى ان منصب الرسالة ليس مما ينال بكثرة المال والولد وتعاضد الاسباب
والعدد وانما ينال بفضائل نفسانية يخص بها الله تعالى من يشاء من عباده ويجتبي لرسالاته سيصيب
الذين اجرموا استيناف آخر ناع عليهم ما سيلقونه من فنون الشر بعد ما بين حرمانهم مما املوه
والسين للتأكيد ووضع الموصول موضع الضمير لان الاشعار بان اصابة ما يصيبهم لاجرامهم المستتبع
لجميع الشرور والقبائح اي يصيبهم البتة مكان ما تمنوه وعلقوا به اطماعهم الفارغة من عزة النبوة
وشرف الرسالة صغار اي ذلة وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وعذاب شديد في الآخرة او في
الدنيا بما كانوا يمكرون اي بسبب مكرهم المستمر او بمقابلته وحيث كان هذا من معظم مواد مكرهم
بسببه فمن يرد الله ان يهديه اي يعرفه طريق الحق ويوفقه للايمان يشرح صدره للاسلام فيتسع
له وينفسح وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه
اشار صلى الله عليه وسلم حين سئل فقال نور يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح
فقالوا هل لذلك من امارة فقال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله
ومن يرد ان يضله اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره اليه يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث ينبو
عن قبول الحق فلا يكاد يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف وحرجا بكسر الراء اي شديد الضيق والاول
مصدر وصف به مبالغة كانما يصعد في السماء ما هذه مهيئة لدخول كان على الجملة الفعلية في السماء شبه
مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يكاد يقدر عليه فان صعود السماء مثل فيما هو خارج عن دائرة
الاستطاعة وفيه تنبيه على ان الايمان يمتنع منه كما يمتنع منه الصعود وقيل معناه كانما يتصاعد الى السماء نبوا
عن الحق وتباعدا في الهرب منه واصل يصعد يتصعد وقد قرئ به وقرئ يصاعد واصله يتصاعد
كذلك اي مثل ذلك الجعل الذي هو جعل الصدر حرجا على الوجه المذكور يجعل الله الرجس اي العذاب
او الخذلان قال مجاهد الرجس اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة على الذين لا يؤمنون اي عليهم ووضع
الموصول موضع الضمير للاشعار بان جعله تعالى معلل بما في حيز الصلة من كمال نبوهم عن الايمان واصرارهم
على الكفر وهذا اي البيان في الآخرة وهذا اي البيان الذي جاء به القرآن او الاسلام او ما سبق من التوفيق
والخذلان صراط ربك اي طريقه الذي ارتضاه او عادته وطريقته التي اقتضتها حكمته وفي التعرض
لعنوان الربوبية ايذان بان تقويم ذلك الصراط للتربية وافاضة الكمال لا عوج فيه او عادلا مطردا
وهو حال مؤكدة لقوله تعالى وهو الحق مصدقا والعامل فيها معنى الاشارة قد فصلنا الآيات بيناها
مفصلة لقوم يذكرون ما في تضاعيفها فيعلمون ان كل ما يحدث من الحوادث خيرا كان او شرا
فانما يحدث بقضاء الله تعالى وخلقه وانه عالم باحوال العباد حكيم عادل فيما يفعل وتخصيص القوم
المذكورين بالذكر لانهم المنتفعون بتفصيل الآيات لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلامة من كل
المكاره وهي الجنة عند ربهم اي في ضمانه او ذخيرة لهم عنده لا يعلم كنهها غيره تعالى وهو وليهم اي مولاهم
وناصرهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم الصالحة او متوليهم بجزائها يتولى ايصاله اليهم ويوم يحشرهم
جميعا منصوب بمضمر اما على المفعولية او الظرفية وقرئ بنون العظمة على الالتفات لتهويل الامر
والضمير المنصوب لمن يحشر من الثقلين اي واذكر يوم يحشر الثقلين قائلا يا معشر الجن او ويوم
يحشرهم نقول يا معشر الجن او ويوم يحشرهم ويقول يا معشر الجن يكون من الاحوال ما لا يساعده الوصف
لفظاعته والمعشر الجماعة والمراد بمعشر الجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اي من اغوائهم واضلالهم
او منهم بان جعلتموهم اتباعكم فحشروا معكم كقولهم استكثر الامير من الجنود وهذا بطريق التوبيخ
والتقريع وقال اولياؤهم اي الذين اطاعوهم من في قوله تعالى من الانس لبيان الجنس اولياؤهم
الذين هم من الانس او متعلقة بمحذوف هو حال من اولياؤهم اي كائنين من الانس ربنا استمتع بعضنا
ببعض انتفع الانس بالجن بان دلوهم على الشهوات وما يتوصل به اليها وقيل بان القوا اليهم من
الاراجيف والسحر والكهانة والجن بالانس بان اطاعوهم وحصلوا مرادهم بقبول ما القوه اليهم وقيل
استمتاع الانس بهم انهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز والمخاوف واستمتاعهم بالانس اعترافهم بانهم
قادرون على اجارتهم وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا وهو يوم القيمة قالوه اعترافا بما فعلوا من

طاعة الشياطين واتباع الهوى وتكذيب البعث واظهار الندامة عليها وتحسرا على حالهم وتسلا لما لهم ولعل الاقتصار على حكاية كلام الضالين للايذان ببيان المضلين قد افحموا بالمرة فلم يقدروا على التكلم اصلا قال استيناف مبني على سوال نشا من حكاية كلامهم كانه قيل فماذا قال الله تعالى حينئذ فقيل قال النار مثويكم اى منزلكم او ذات ثوائكم كما ان دار السلام مثوى المؤمنين خالدين فيها حال مثويكم ان جعل مصدرا ومعنى الاضافة ان جعل مكانا الا ما شاء الله قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه استثنى الله تعالى قوما سبق في علمه انهم يسلمون ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم وهذا مبني على الاستثناء ليس من المحكي وما بمعنى من وقيل المعنى الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض اوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم وقيل يفتح لهم في باب النار الى الجنة فيسرعون نحوه حتى اذا صاروا اليه سد عليهم الباب وعلى التقديرين في الاستثناء تهكم بهم وقيل الا ما شاء الله قبل الدخول كانه قيل النار مثويكم ابدا الا ما امهلكم ولا يخفى بعده ان ربك حكيم في افاعيله عليم باحوال الثقلين واعمالهم وبما يليق بها من الجزاء وكذلك اى مثل ما سبق من تمكين الجن من اغواء الانس واضلالهم نولي بعض الظالمين بعضا من الانس اخر منهم اى نجعلهم بحيث يتولونهم بالاغواء والاضلال او نجعل بعضهم قرناء بعض في العذاب كما كانوا كذلك في الدنيا عند اقتران ما يؤدي اليه من القبائح بما كانوا يكسبون بسبب ما كانوا مستمرين على كسبه من الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس شروع في حكاية ما سيكون من توبيخ المحشورين وتقريعهم بتفريطهم بما يتعلق بخاصة انفسهم اثر حكاية توبيخ معشر الجن باغواء الانس واضلالهم وبيان مال امرهم الم ياتكم في الدنيا رسل اى من عند الله عز وجل لكن لا على ان ياتي بكل رسول كل واحد من الامم بل على ان ياتي كل امة رسول خاص بها اى الم يات كل فريق منكم رسول معين وقوله تعالى منكم متعلق بمحذوف وقع صفة لرسل اى كائنة من جملتكم لكن لا على انهم من جنس واحد الفريقين معا بل من الانس خاصة وانما جعلوا منهما اما لتاكيد وجوب اتباعهم والايذان بتقاربهما ذاتا واتحادهما تكليفا وخطابا كانهما جنس واحد ولذلك تمكن احدهما من اضلال الاخر واما لان المراد بالرسل ما يعم رسل الرسل وقد ثبت ان الجن قد استمعوا القران وانذروا به قومهم حيث نطق به قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الى قوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وقوله تعالى يقصون عليكم اياتي صفة اخرى لرسل محققة لما هو المراد من ارسال الرسل من التبليغ والانذار وقد حمل ذلك بالنسبة الى الثقلين وينذرونكم بما في تضاعيفها من القوارع لقاء يومكم هذا يوم الحشر الذي قد عاينوا فيه ما اعد لهم من انواع العقوبات الهائلة قالوا استيناف مبني على سوال نشا من الكلام السابق كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ الشديد فقيل قالوا شهدنا على انفسنا اى باتيان الرسل وانذارهم ومقابلتهم اياهم بالكفر والتكذيب واستحقاقهم بسبب ذلك العذاب المخلد حسبما فصل في حكاية جوابهم عن سوال الخزنة النار حيث قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير وقد اجمل ههنا في الحكاية كما اجمل في حكاية جوابهم حيث قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا مع عطف عليه اعتراض لبيان ما اداهم في الدنيا الى ارتكابهم القبائح التي ارتكبوها والجاهم في الاخرة الى الاعتراف بالكفر واستيجاب العذاب وذم لهم اى بذلك اى واغتروا في الدنيا بالحياة الدنية واللذات الخسيسة الفانية واعرضوا عن النعيم المقيم الذي بشرت به الرسل واجترؤا على ارتكاب ما يجرهم الى العذاب المؤبد الذي انذروهم اياه وشهدوا في الاخرة على انفسهم انهم كانوا كافرين في الدنيا اى بالايات والنذر التي اتى بها الرسل على التفصيل المذكور انفا واضطروا الى الاستسلام لاشد العذاب كما ينبئ عنهم بقوله تعالى وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وفيه من تحسيرهم وتحذير السامعين عن مثل صنيعهم ما لا مزيد عليه ذلك اشارة الى ما ذكر من شهادتهم على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين وهو مبتدا خبره وقوله تعالى ذلك ان يهلك القرى بحذف اللام على ان مصدرية او مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف وقوله تعالى بظلم متعلق اما بمهلك اى بسبب ظلم او بمحذوف وقع حالا من القرى اى ملتبسة بظلم فان مدلا بسلطة اهلها الظلم ملابسة القرية له بواسطتهم واما كونه حالا من ربك او من ضميره في مهلك كما قيل فيأباه ان غفلة اهلها ماخوذة من معنى الظلم وحقيقته لا محالة فلا يحسن تقييده تعالى واهلها غافلون والمعنى ذلك ثابت لانتفاء كون ربك او لان الشان لم يكن ربك مهلك القرى بسبب اى ظلم فعلوه من افراد الظلم قبل ان ينهوا عنه وينبهوا على بطلانه برسول

وكتاب

وكتاب وان قضى به بديهة العقول بل رواعاقبة جبا باتهم اى لولا انتفا كونه تعالى معذبا لهم قبل ارسال الرسل وانزال الكتب لما امكن التوبيخ بما ذكر ولما شهدوا على انفسهم بالكفر واستيجاب العذاب ولا اعتذروا بعدم اتيان الرسل كما في قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى وانما علل ما ذكر بانتفا العذاب الدنيوي الذي هو اهلاك القرى قبل الانذار مع ان التقريب في تعليله بانتفاء مطلق التعذيب من غير بعث الرسل الخ على ما نطق به قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لبيان كمال نزاهته سبحانه وتعالى عن كلا التعذيبين الدنيوي والاخروي معا من غير انذار على ابلغ وجه واكده حيث اقتصر على نفي التعذيب الدنيوي تعالى ليثبت نفي التعذيب الاخروي عنه تعالى على الوجه البرهاني بطريق الاولوية فانه تعالى حيث لم يعذبهم بعذاب يسير منقطع بدون انذار فلان لا يعذبهم بعذاب شديد مخلد اولى ولو حمل بما ذكر من نفي التعذيب لا نصرف بحسب المقام الى ما فيه الكلام من نفي التعذيب الاخروي ونفي التعذيب الدنيوي غير متعرض له لا صريحا ولا دلالة ضرورة ان نفي الاعلى لا يدل على نفي الادنى ولان ترتيب التعذيب الدنيوي على الانذار عند عدم تاثر المنذرين منه معلوم مشاهد عند السامعين فيستدلون بذلك على ان التعذيب الاخروي كذلك ايضا لا فيتحرزون عن الاخلال بمواجب الانذار لذلك انحطاطه عن هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم الكريم واما جعل ذلك اشارة الى ارسال الرسل عليهم السلام وانذارهم وخبر المبتدا محذوف كما اطبق عليه الجمهور فبمعزل من مقتضى المقام والله سبحانه وتعالى اعلم ولكل اى من المكلفين من الثقلين درجات متفاوتة وطبقات متباينة مما عملوا من اعمالهم الصالحة كانت او سيئة وان اعمالهم درجات في انفسها او من جزاء اعمالهم فان كل جزاء مرتبة متعينة لهم او من اجل اعمالهم وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل من اعمالهم او قدر ما يستحقون بها من ثواب او عقاب وقرئ بالتاء تغليبا للخطاب على الغيبة وربك الغني مبتدا وخبر اى هو المعروف بالغنى عن كل ما سواه كائنا من كان وما كان فيدخل فيه غناه عن العباد وعن عبادتهم وفي التعرض لوصف الربوبية في الموضعين لا سيما في الثاني لكونه موضع الاضمار مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من اظهار اللطف به عليه السلام وتنزيه ساحته عن توهم شمول الوعيد الانتهائي ايضا ما لا يخفى وقوله تعالى ذو الرحمة خبر اخر وهو المبني والغني صفة اى يترحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم ويمهلهم على المعاصي وفيه تنبيه على ما سلف ذكره من ان الارسال ليس لنفعه بل لترحمه على العباد وتمهيد لقوله تعالى ان يشا يذهبكم ايها العصاة وفي تلوين الخطاب من تشديد الوعيد ما لا يخفى ويستخلف من بعدكم اى من بعد اذهابكم ما يشاء من الخلق وايثار ما على من لاظهار كمال الكبرياء واسقاطهم عن رتبة العقلاء كما انشاكم من ذرية قوم اخرين اى من نسل قوم اخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه ابقاكم ترحما عليكم وما في كما مصدرية ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي على غير المصدر فان يستخلف في معنى ينشئ كانه قيل وينشئ انشاء كائنا كانشائكم الى اخره ونعت لمصدر الفعل المذكور اى يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الى اخره او نعت لمصدر الفعل المذكور اى يستخلف استخلافا كائنا كانشائكم الى اخره والشرطية استيناف مقرر لمضمون ما قبلها من الغنى والرحمة انما توعدون اى الذي توعدونه من البعث وما يتفرع عليه من الامور الهائلة وصيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار التجددي لات لواقع لا محالة كقوله تعالى انما توعدون لواقع وايثاره عليه لبيان كمال سرعة وقوعه بتصويره بصورة طالب حثيث لا يفوته هارب حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما انتم بمعجزين اى بفائتين ذلك وان ركبتم في الهرب متن كل صعب وذلول كما ان ايثار صيغة الفاعل على المستقبل للايذان بكمال قرب الاتيان والمراد بيان دوام انتفا الاعجاز لا بيان انتفاء دوام الاعجاز فان الجملة الاسمية كما تدل على دوام الثبوت تدل بمعونة المقام اذا دخلها حرف النفي على دوام الانتفاء لا على انتفاء الدوام كما حقق في موضعه قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اثر ما بين لهم حالهم وما لهم بطريق الخطاب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين بان يواجههم بتشديد التهديد وتكرير الوعيد ويظهر لهم ما هو عليه من غاية التصلب في الدين ونهاية الوثوق بامره وعدم المبالاة بهم اى اعملوا على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن او على جهتكم وحالتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة وقرئ مكاناتكم والمعنى اثبتوا على كفركم ومعاداتكم اني عامل ما امرت به من الثبات على الاسلام والاستمرار على الاعمال الصالحة والمصابرة وايراد التهديد بصيغة الامر مبالغة في الوعيد كان المهدد لا يتاتى منه الا الشر كالذي امر به

بحيث لا يجد الى التفصي عنه سبيلا فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار سوق لتاكيد مضمون الجملة ده
والعلم عن فانى وامل اما استفهامية متعلق لفعل العلم محلها الرفع على الابتدا وتكون باسمها وخبرها
وهى مع خبرها فى محل نصب لسدها مسد مفعولى تعلمون اى فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة الحسنى
التى خلق الله تعالى هذه الدار لها واما موصولة فمحلها النصب على انها مفعول لتعلمون فسوف تعلمون
الذى له عاقبة الدار وفيه مع الانذار انصاف فى المقال وتنبيه على كمال وثوق المنذر بامره وقرى
باليا لان تانيث العاقبة غير حقيقى انه اى الشان لا يفلح الظالمون وضع الظلم موضع الكفر ايذانا بان
امتناع الفلاح مترتب على اى فرد كان من افراد الظلم فما ظنك بالكفر الذى هو اعظم افراده وجعلوا ده
وجعلوا شروع فى تقبيح اعمالهم الفظيعة بحكاية اقوالهم وافعالهم الشنيعة وهم مشركوا العرب كانوا
يعينون اشيا من حرث ونتاج لله تعالى واشيا منهما لالهتهم فاذا راوا ما جعلوا لله تعالى ذاكيا ناميا يزيد
فى نفسه خيرا رجعوا فجعلوه لالهتهم فاذا زكا ما جعلوه لالهتهم تركوه متعللين بان الله تعالى غنى وما ذاك
الا لحب الهتهم وايثارهم لها والجعل اما متعد الى واحد فالجاران فى قوله تعالى لله مما ذرا متعلقان به
ومن قوله تعالى من الحرث والانعام بيان لما وفيه تنبيه على فرط جهالتهم حيث اشركوا الخالق فى خلقه جمادا
لا يقدر على شى ثم رجحوه عليه بان جعلوا الزكى له اى عينوا له تعالى مما خلقه والانعام نصيبا يصرفونه
الى الضيفان والمساكين وتاخيره عن المجرورين لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
واما الى مفعولين اولهما مما ذرا على ان من تبعيضية اى جعلوا بعض ما خلقه نصيبا له وما قيل من ان
الاول نصيبا والثانى لله لا يساعده سداد المعنى وحكاية جعلهم له تعالى نصيبا يدل على انهم جعلوا
لشركائهم ايضا نصيبا يدل على انهم جعلوا الشركائهم نصيبا ايضا ولم يذكر اكتفا بقوله تعالى فقالوا هذا
لله بزعمهم وهذا لشركائنا وقرى بضم الزاى وهى لغة فيه وانما قيد به الاول للتنبيه على انه فى
الحقيقة ليس بجعل الله تعالى غير مستتبع لشى من الثواب كالتطوعات التى يبتغى بها وجه الله تعالى
لما قيل من انه للتنبيه على ان ذلك مما اخترعوه لم يامرهم الله به فان ذلك مستفاد من الجعل لذلك
لم يقيد به الثانى ويجوز ان يكون تمهيدا لما بعده لما معنى ان قولهم هذا لله مجرد زعم منهم لا يعملون بمقتضاه
الذى هو اختصاصه به تعالى فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم بيان
وتفصيل له اى فما عينوه لشركائهم لا يصرف الى الوجوه التى يصرف اليها ما عينوه لله تعالى من قرى ده
الضيفان والتصدق على المساكين وما عينوه لله تعالى اذا وجدوه ذاكيا يصرف الى الوجوه التى يصرف
اليها ما عينوه لله تعالى وقرى لالهتهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجرا على سدنتها ونحو
ذلك ساء ما يحكمون فيما فعلوا من ايثار الهتهم على الله تعالى وعملهم بما لم يشرع لهم
وما بمعنى الذى والتقدير ساء الذى يحكمون حكمهم وما قبله الخبر وحذف لدلالة يحكمون عليه وكذلك
ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة القربان بين الله تعالى وبين الهتهم ومثل ذلك التزيين
البليغ المعهود من الشياطين زين لكثير من المشركين قتل اولادهم بوادهم ونحرهم لالهتهم كان الرجل يحلف
فى الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وهو مشهود شركاؤهم اى اولياؤهم
من الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرى على البنا للمفعول ودفع
قتل وجر اولادهم ورفع شركائهم باضمار وقيل دل عليه زين كانه قيل زين لهم قتل اولادهم قيل ومن
زينه فقال زينه شركاؤهم ليردوهم اى يهلكوهم بالاغوا وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ما كانوا
عليه من دين اسماعيل عليه السلام او ما وجب عليهم ان يتدينوا به واللام للتعليل ان كان التزيين
من الشياطين وللعاقبة ان كان من السدنة ولو شاء الله اى عدم فعلهم ذلك ما فعلوه اى ما فعل
المشركون ما زين لهم من القتل والشركاء التزيين او الارداء واللبس او الفريقان جميع ذلك اجرا الضمير
مجرى اسم الاشارة فذرهم وما يفترون الفاء فصيحة اى اذا كان بمشية الله تعالى فدعهم وافتراءهم
اى وما يفترونه من الافك فيما شاء الله تعالى حكما بالغة انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين
وفيه من شدة الوعيد ما لا يخفى وقالوا حكاية لنوع اخر من انواع كفرهم هذه اشارة الى ما جعلوه
لالهتهم والتانيث للخبر وانعام وحرث حجر اى حرام فعل بمعنى مفعول يستوى فيه الواحد والكثير والذكر
والانثى لان اصله المصدر وكذلك وقع صفة لانعام وحرث وقرى حجر بالضم وبضمتين وحرج اى ضيق
واصله حرج وقيل هو مقلوب من حجر لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان من الرجال دون النسا
والجملة صفة اخرى لانعام وحرث بزعمهم متعلق بمحذوف هو حال من فاعل قالوا اى قالوه ملتبسين
بزعمهم الباطل من غير حجة وانعام خبر مبتدا محذوف والجملة معطوفة على قوله تعالى هذه انعام الى
اخره اى قالوا مشيرين الى طائفة اخرى من انعامهم وهذه انعام حرمت ظهورها يعنون بها البحاير

والسوايب

اى اولياؤهم من الجن او من السدنة وهو فاعل زين اخر عن الظرف والمفعول لما مر غير مرة وقرى على البنا للمفعول ودفع قتل وجرا اولادهم ودفع شركاؤهم باضمار وقيل دل عليه زين كانه قيل زين لهم قتل اولادهم قيل ومن زينه فقال زينهم شركاؤهم صح

والسوائب والحوامى وانعام اى وهذه انعام كذلك وقوله تعالى لا يذكرون اسم الله عليها صفة لانعام
لكنه غير واقع فى كلامهم المحكى كنظائره بل مسوق من جهته تعالى تعيينا للموصوف وتمييزا له عن غيره
كما فى قوله تعالى وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله على احد التفاسير كانه قيل وانعام ذبحت
على الاصنام فانها التى لا يذكر عليها اسم الله وانما يذكر عليها اسم الاصنام وقيل لا يحجون عليها فان
الحج لا يعرى عن ذكر الله تعالى وقال مجاهد كانت لهم طائفة من انعامهم لا يذكرون اسم الله عليها ولا
فى شان من شانها لا ان ركبوا ولا ان حلبوا ولا ان نتجوا ولا ان باعوا ولا ان حملوا افترا عليه نصب على
المصدر واما على ان ما قالوه تقول على الله تعالى واما على تقدير عامل من لفظه اى افتروا افترا والجار
متعلق بقالوا او بمحذوف هو صفة له لا بافترا لان المصدر موكد لا يعمل او على الحال من فاعل قالوا
اى مفترين او على العلة اى للافترا والجار متعلق به سيجزيهم بما كانوا يفترون اى بسببه او بدله وفى
ابهام الجزا من التهويل ما لا يخفى وقالوا حكاية لفن اخر من فنون كفرهم ما فى بطون هذه الانعام يعنون
اجنة البحاير والسوايب خالصة لذكورنا حلال لهم خاصة والتا للنقل الى الاسمية او للمبالغة
او لان الخالصة مصدر كالعاقبة وقع موقع الخالص مبالغة او بحذف المضاف اى ذو خالصة او
للتانيث بنا على ان ما عبارة على الاجنة والتذكير فى قوله تعالى ومحرم على ازواجنا اى جنس ازواجنا
وهى الاناث باعتبار اللفظ وفيه كما ترى حمل للنظم الكريم على خلاف المعهود الذى هو الحمل على اللفظ اولا
وعلى المعنى ثانيا كما فى قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم الى اخره ونظائره واما العكس
فقد قالوا انه لا يظهر له فى القران وهذا الحكم منهم ان ولد ذلك حيا وهو الظاهر المعتاد وان يكن ميتة
اى ان ولدت ميتة فهم اى الذكور والاناث فيه اى فيما فى بطون الانعام وقيل المراد بالميتة ما يعم
الذكر والانثى فغلب الاول على الثانى شركاء ياكلون منه جميعا وقرى خالصة بالنصب على انه مصدر
موكد والخبر لذكورنا او حال من الضمير الذى فى الظرف لا من الذى فى ذكورنا ولا من الذكور لانه لا يتقدم
على العامل المعنوى ولا على صاحبه المجرور وقرى خالصة بالرفع والاضافة الى الضمير على انه بدل
من ما او مبتدا ثان سيجزيهم وصفهم اى جزاء وصفهم الكذب على الله تعالى فى امر التحليل والتحريم من قوله
تعالى وتصف السنتهم الكذب انه حكيم عليم تعليل للوعيد بالجزا فان الحكيم العليم بما صدر عنهم لا يكاد يترك
جزاءهم الذى هو من مقتضيات الحكمة قد خسر الذين قتلوا اولادهم جواب قسم محذوف وقرى بالتشديد
وهم ربيعة ومضر واضرابهم من العرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبى والفقر اى خسروا دينهم
ودنياهم سفها بغير علم متعلق بقتلوا على انه علة له اى لخفة عقلهم وجهلهم بان الله تعالى هو الرزاق
لهم ولاولادهم او نصب على الحال ويؤيده انه قرى سفها او مصدر وحرموا ما رزقهم الله من البحاير
والسوايب ونحوها افترا على الله منصوب على احد الوجوه المذكورة واظهار الاسم الجليل فى موضع
الاضمار لاظهار كمال عتوهم وطغيانهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم وما كانوا مهتدين اليه وان
هدوا بفنون الهدايات او وما كانوا مهتدين من الاصل لسوء سيرتهم والجملة حينئذ اعتراض وعلى
الاول عطف على ضلوا وهو الذى انشا جنات معروشات تمهيد لما ياتى من تفصيل انواع الانعام
اى هو الذى انشاهن من غير شركة لاحد فى ذلك بوجه من الوجوه والمعروشات من الكرم والمرفوعات
على ما يحملها وغير معروشات وهى الملقيات على وجه الارض وقيل المعروشات ما غرسه الناس
وعرشوه وغير المعروشات ما نبت فى البراري والجبال والنخل والزرع عطف على جنات اى انشاهما
مختلفا اكله وقرى اكله بسكون الكاف اى ثمره الذى يوكل فى الهيئة والكيفية والضمير اما للنخل
والزرع داخل فى حكمه او للزرع والباقى فى مقيس عليه او للجميع على تقدير كل ذلك او كل واحد منهما
مختلفا حال مقدرة اذ ليس كذلك وقت الانشا والزيتون والرمان اى انشاهما وقوله تعالى متشابها
وغير متشابه نصب على الحالية اى متشابها بعضها بعضا فى اللون والهيئة والطعم ولا يتشابه بعضها
كلوا من ثمره اى من ثمر كل واحد من ذلك اذا اثمر وان لم يدرك ولم يينع بعد قيل فايدته رخصة
المالك فى الاكل منه قبل ادا حق الله تعالى واتوا حقه يوم حصاده اريد به ما كان يتصدق به يوم
الحصاد بطريق الوجوب من غير تعيين المقدار فانها نزلت بالمدينة والسورة مكية الا الزكوة ده
والاية مدنية والامر باتيانها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يوخر عن وقت الادا وليعلم ان
الوجوب بالادراك لا بالتصفية وقرى يوم حصاده بكسر الحا وهى لغة فيه ولا تسرفوا اى فى التصدق
كما روى عن ثابت بن قيس انه صرم خمسماية نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيا الى منزله
كقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط الاية انه لا يحب المسرفين اى لا يرضى اسرافهم ومن الانعام حمولة
وفرشا شروع فى تفصيل حال الانعام وابطال ما تقولوا على الله تعالى فى شانها بالتحريم والتحليل وهو عطف

على مفعول انشا او من متعلقة به اى وانشا من الانعام ما يحمل عليه الاثقال وما يفرش للذبح او ما يفرش المنسوج من شعره وصوفه ووبره وقيل الكبار الصالحة للحمل والصغار الدانية من الارض كانها مفروش عليها كلوا مما رزقكم الله ما عبارة عما ذكره من الحمولة والفرش ومن تبعيضية اى كلوا بعض ما رزقكم الله تعالى اى حلالا له وفيه تصريح بان انشاءها لاجلهم ومصلحتهم ولا تتبعوا في امر التحليل والتحريم بتقليد اسلافكم المجاوزين في ذلك من تلقا انفسهم المفترين على الله سبحانه خطوات الشيطان فان ذلك منهم باغوائه واستتباعه اياهم انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية ازواج الزوج ما معه اخر من جنسه يزاوجه ويحصل منهما النسل والمراد بها الانواع الاربعة وايرادها بهذا العنوان وهذا العدد تمهيد لما سبق له الكلام من الانكار المتعلق بتحريم كل واحد من الذكر والانثى وبما في بطنها وبدل من حمولة او فرشا منصوب بما نصبهما وجعله مفعولا لكلوا على ان قوله تعالى ولا تتبعوا الاية معترض بينهما او حالا من معنى مختلفة او متعددة يأباه جزالة النظم الكريم لظهور انه مسوق لتوضيح حال الانعام بتفصيلها اولا الى حمولة وفرش ثم تفصيلها الى ثمانية ازواج حاصلة من تفصيل الاول الى الابل والبقر والتفصيل الثاني الى الضان والمعز ثم تفصيل كل من الاقسام الاربعة الى الذكر والانثى كل ذلك لتحرير المواد التي تقولوا فيها عليه سبحانه وتعالى من الضان اثنين بدل من ثمانية ازواج منصوب بناصبه وهو العامل في من اى انشا من الضان زوجين الكبش والنعجة وقرى اثنان على الابتداء والضان اسم جنس كالابل وجمعه ضين كامير او جمع ضاين كتاجر وقرى بفتح الهمزة ومن المعز اثنين عطف على مثله شريك له في حكمه اى وانشا من المعز زوجين التيس والعنز وقرى بفتح العين وهو جمع ماعز كصاحب وصحب وحارس وحرس وقرى ومن المعزى وهذه الازواج الاربعة تفصيل للفرش ولعل تقديمها في التفصيل مع تاخر اصلها في الاجمال لكون هذين النوعين عرضة للاكل الذي هو معظم ما يتعلق به الحل والحرمة وهو السر في الاقتصار على الامر به في قوله تعالى كلوا مما رزقكم الله حلالا من غير تعرض للانتفاع بالحمل والركوب وغير ذلك مما حرموه في السائبة واخواتها قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تفصيل الانواع الانعام التي انشاها اى قل تبكيتا لهم واظهارا لانقطاعهم عن الجواب االذكرين من ذينك النوعين وهما الكبش والتيس حرم اى الله عز وجل كما تزعمون انه هو المحرم ام الانثيين وهما النعجة والعنز ونصب الذكرين والانثيين بحرم وهو مرجح عنهما بحسب المعنى فاذ توسط بينهما صورة وكذا قوله تعالى اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اى ام حملت اناث النوعين حرم ذكرا كان او انثى وقوله تعالى نبئوني بعلم الى اخره تكرير للالزام وتثنية للتبكيت والافحام اى اخبروني بامر معلوم من جهة الله تعالى من الكتاب او اخبار الانبياء عليهم السلام يدل على انه تعالى حرم شيئا مما ذكر او نبئوني تنبيه ملتبسة بعلم صادر عنه ان كنتم صادقين اى في دعوى التحريم عليه سبحانه وقوله تعالى ومن الابل اثنين عطف على قوله تعالى من الضان اثنين اى وانشا من الابل اثنين هما الجمل والناقة ومن البقر اثنين ذكرا وانثى قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين من ذينك النوعين والمعنى انكار ان الله سبحانه حرم عليهم شيئا من الانواع الاربعة واظهار كذبهم في ذلك وتفصيل ما ذكر من الذكور والاناث وما في بطونها للمبالغة في الرد عليهم بايراد الانكار على مادة من مواد افترائهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت تارة اخرى مسندين ذلك كله الى الله سبحانه وتعالى وانما عقب تفصيل الانواع الاربعة بان يقال الذكور حرم ام الاناث ام ما اشتملت عليه ارحام الاناث لما في التكرير والتثنية من المبالغة في التبكيت والالزام وقوله تعالى ام كنتم شهداء تكرير للافحام كقوله تعالى نبئوني بعلم وام منقطعة ومعنى الهمزة الانكار والتوبيخ ومعنى بل الاضراب من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه اخر اى بل اكنتم حاضرين شاهدين اذ وصاكم الله بهذا اى حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي فلا طريق لكم حسبما يعود اليه مذاهبكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع وفيه من تركيك عقولهم والتهكم بهم ما لا يخفى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم والمراد كبراؤهم المقررون لذلك او عمرو بن لحي بن قمعة وهو المؤسس لهذا الشر والكل لاشتراكهم في الافترا عليه سبحانه وتعالى اى فاى فريق اظلم ممن فريق افتروا الى اخره ولا يقدح في اظلمية الكل كون بعضهم مخترعين له وبعضهم مقتدين بهم والفا لترتيب ما بعدها على ما سبق من تبكيتهم واظهار كذبهم وافترائهم اى هو اظلم من كل ظالم وان كان المنفي صريحا الاظلمية دون المساواة كما مر غير مرة ليضل الناس متعلق بالافترا بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من فاعل افترى اى افترى عليه تعالى جاهلا بصدور التحريم

عنه تعالى او انما وصفوا بعدم العلم بذلك مع انهم عالمون بعدم صدوره عنه تعالى ايذانا بخروجهم في الظلم عن الحدود والنهايات فان من افترى عليه تعالى بغير علم بصدوره عنه تعالى مع احتمال الصدور عنه اذا كان اظلم من كل ظالم فما ظنك بمن افترى عليه تعالى وهو يعلم انه لم يصدر عنه ويجوز ان يكون حالا من فاعل يضل اى ملتبسا بغير علم بما يؤدي بهم ان الله لا يهدي القوم الظالمين كائنا من كان الى ما فيه صلاح حالهم عاجلا واجلا واذا كان هذا حال التصفين بالظلم في الجملة فما ظنك بمن هو اقصى غاياته قل امر لرسول صلى الله عليه وسلم بعد الزام المشركين وتبكيتهم وبيان ان ما يتقولونه في امر التحريم افترا بحيث لا اصل له قطعا بان يبين لهم ما حرمه عليهم في قوله لا اجد فيما اوحى الي محرما ايذانا بان مناط الحل والحرمة هو الوحي وانه عليه السلام قد تتبع جميع ما اوحي اليه وتفحص عن المحرمات ولم يجد غير ما فصل وفيه مبالغة في بيان انحصارها في ذلك ومحرما صفة لمحذوف اى لا اجد فيما تصفحت ما اوحي الي طعاما محرما من المطاعم التي حرموها على طاعم اى طاعم كان من ذكر او انثى رد على قوله محرم على ازواجنا وقوله تعالى يطعمه لزيادة التقرير الا ان يكون اى ذلك الطعام ميتة وقرى تكون بالتاء لتانيث الخبر وقرى ميتة بالرفع على ان كان تامة وقوله تعالى او دما مسفوحا عطف على ان مع ما في خبره اى لا وجود ميتة او دما مسفوحا اى مصبوبا كالدم التي في العروق لا كالطحال والكبد او لحم خنزير فانه اى لحم الخنزير رجس اى لحمه قذر لتعوده اكل النجاسة او خبيث او فسقا عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض مقرر لحرمته اهل لغير الله به صفة له موضحة اى ذبح على اسم الاصنام وانما سمى ذلك فسقا لتوغله في الفسق ويجوز ان يكون فسقا مفعولا له لاهل وهو عطف على يكون والمستكن راجع الى ما رجع اليه المستكن في يكون فمن اضطر اى اصابه الضرورة الداعية الى اكل الميتة بوجه من الوجوه المضطرة غير باغ في ذلك على مضطر اخر مثله ولا عاد قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم مبالغ في المغفرة والرحمة لا يؤاخذه بذلك وليس التقييد بالحال الاول لبيان انه لم يوجد القيد لتحققت الحرمة المبحوث عنها بل للتحذير من حرام اخر هو اخذه حق مضطر اخر فان من اخذ لحم الميتة من يد مضطر اخر فاكله فان حرمته ليست باعتبار كونه لحم الميتة بل باعتبار كونه حقا للمضطر الاخر فاما الحال الثانية فلتحقيق زوال الحرمة المبحوث عنها قطعا فان التجاوز عن القدر الذي يسد به الرمق حرام من حيث انه لحم الميتة وفي التعرض لوصفي المغفرة والرحمة ايذان بان المعصية باقية لكنه تعالى يغفر له ويرحمه والاية محكمة لانها تدل على انه عليه السلام لم يجد فيما اوحي اليه الى تلك الاية غيره ولا منافية بنافيه ورود التحريم بعد ذلك في شيء اخر فلا يصح الاستدلال بها على نسخ الكتاب بخبر الواحد ولا على الاشيا التي هي غيرها الا مع الاستصحاب وعلى الذين هادوا خاصة لا على من عداهم من الاولين والاخرين حرمنا كل ذي ظفر اى ما له اصبع من الابل والسباع والطيور وقيل كل ذي مخلب او حافر سمي الحافر ظفرا مجازا او المسبب عن الظلم هو تعميم التحريم حيث كان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا عم التحريم كلها وهي تحقيق لما سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون لسنا اول من حرمت عليهم وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهم حتى انتهى الامر الينا ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما لا لحومهما فانها باقية على الحل والشحوم الثروب وشحوم الكلى والاضافة لزيادة الربط الا ما حملت ظهورهما استثناء من الشحوم مخرج لما علق من الشحم بظهورهما عن حكم التحريم او الحوايا عطف على ظهورهما اى ما حملت الحوايا وهي جمع حاوية او حاويا كقاصعا وقواصع او حوية كسفينة وسفاين او ما اختلط بعظم عطف على ما حملت وهو شحم الالية واختلاطه بالعظم الصالة بعجب الذنب وقيل هو كل شحم متصل بالعظم من الاضلاع وغيرها ذلك اشارة الى الجزاء او التحريم فهو على الاول نصب على انه مصدر موكد لما بعده وعلى الثاني على انه مفعول ثان له اى ذلك التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم وقتلهم الانبيا بغير حق واكلهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل لقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وكانوا كلما اتوا بمعصية عوقبوا بتحريم شيء مما احل لهم وهم ينكرون ذلك ويدعون انها لم تزل محرمة على الامم فرد عليهم ذلك واكد بقوله تعالى وانا لصادقون اى في جميع اخبارنا التي من جملتها هذا الخبر ولقد الفمهم الحجر بقوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين روي انه عليه السلام لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا التوراة كيف وقد بين فيها جميع ما يحذرون او منع بيان فان كذبوك قيل الضمير لليهود لانهم اقرب ذكرا ولذكر المشركين بعد ذلك بعنوان الاشراك وقيل للمشركين فالمعنى الاول ان كذبتك اليهود في الحكم المذكور

واصروا على ما كانوا عليه من ادعاء قدم التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة لا يؤاخذكم بكل
ما تأتونه من المعاصي ويمهلكم على بعضها ولا يرد بأسه بالكلية عن القوم المجرمين فلا تنكروا ما
وقع منه تعالى من تحريم بعض الطيبات عليكم عقوبة وتشديدا وعلى الثاني فان كذبك المشركون
فيما فصل من احكام التحليل والتحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة للمطيعين وذو بأس شديد على المجرمين
فأقيم مقامه وقوله تعالى ولا يرد بأسه الى آخره لتضمنه التنبيه على نزول البأس عليهم مع الدلالة
على انه لاحق بهم البتة من غير صارف يصرفه عنهم اصلا سيقول الذين اشركوا حكاية لفن آخر من كفرهم
واخبار قبل وقوعه حسبما اخبر به كما يحكيه قوله تعالى عند وقوعه وقال الذين اشركوا لو شاء الله
ما عبدنا من دونه من شيء وصريح في انه من عند الله تعالى لو شاء الله ما اشركنا اي لو شاء خلاف ذلك
مشيئة ارتضاء لما فعلنا من الاشراك ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ارادوا به ان ما فعلوه حق مرضي عند
الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب هذه القبائح بارادة الله تعالى اياها منهم حتى ينتهض ذمهم به
دليلا للمعتزلة الا ترى الى قوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم اي مثل ما كذبك هؤلاء في انه تعالى
منع من الشرك ولم يحرم ما حرموه كذب متقدموهم الرسل فانه صريح فيما قلنا وعطف آباؤنا على الضمير
المتصل بلا حتى ذاقوا بأسنا الذي انزلنا عليهم بتكذيبهم قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج
به على ما زعمتم فتخرجوه لنا اي فتظهروه لنا ان تتبعون الا الظن اي ما تتبعون في ذلك الا الظن الباطل
بل فيما لهم عنه قطعي قل فلله الحجة البالغة اي البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والثبات
او بلغ بها صاحبها صحة دعواه والمراد بها الكتاب والرسول والبيان وهي من الحج بمعنى القصد كأنها
تقصد اثبات الحكم وتطلبه فلو شاء هدايتكم جميعا لهداكم اجمعين بالتوفيق لها والحمل عليها ولكن
لم يشأ هداية الكل بل هداية الصادقين منهم الى سلوك طريق الحق وضلال آخرين صرفوا اختيارهم الى
خلاف ذلك من صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم قل هلم شهداءكم اي احضروهم وهو اسم فعل لا ينصرف
على لغة اهل الحجاز وفعل يؤنث ويجمع على لغة بني تميم على رأي الجمهور وقد خالفهم البعض في فعليته
وليس بشيء واصله عند البصريين ها لم من لم اذا قصد حذفت الالف لتقدير السكون في اللام
فانه الاصل وعند الكوفيين هل ام فحذفت الهمزة بالقاء حركتها على اللام وهو بعيد لان هل لا
تدخل الامر ويكون متعديا كما في الآية ولازما كما في قوله تعالى هلم الينا الذين يشهدون ان مع الله
الهة اخرى ان الله حرم هذا وهم قدوتهم الذين ينصرون قولهم وانما امروا باستحضارهم لتلزمهم
الحجة ويظهر بانقطاعهم ضلالتهم وانه لا متمسك لهم كمن يقلدهم ولذلك قيد الشهداء باضافته الى
وصفهم بما يدل على انهم شهداء معروفون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم فان شهدوا بعدما حضروا
بان الله حرم هذا فلا تشهد معهم اي فلا تصدقهم فانه كذب بحت وافتراء صرف وبين لهم فساده فان تسليمه
منهم موافقة لهم في الشهادة الباطلة ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا من وضع المظهر مقام
المضمر للدلالة على من كذب بآيات الله تعالى وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير وان من اتبع الحجة
لا يكون الا مصدقا بها والذين لا يؤمنون بالآخرة كعبدة الاوثان عطف على الموصول الاول بطريق
عطف الصفة مع اتحاد الموصوف كما في قوله • الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
فان من يكذب بآياته تعالى لا يؤمن بالآخرة وبالعكس وهم بربهم يعدلون اي يجعلون له عدلا
لا عطف على لا يؤمنون والمعنى لا تتبع اهواء الذين يجمعون بين تكذيب آيات الله وبين الكفر بالآخرة
ومن الاشراك به سبحانه لكن لا على ان يكون مدار النهي المذكور بل على ان اولئك جامعون لها
متصفون بكلها قل تعالوا امر لما ظهر بطلان ما ادعوا من ان اشراكهم واشراك آبائهم وتحريم ما حرموه
بامر الله تعالى ومشيئته بظهور عجزهم عن اخراج شيء يتمسك به في ذلك واحجامهم عن شهادة يشهدون
بما ادعوا في امر التحريم بعد ما كلفوه مرة بعد اخرى تعجيزا لهم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يبين لهم من المحرمات ما يقتضي الحال بيانه على الاسلوب الحكيم ايذانا بان حقهم الاجتناب
عن هذه المحرمات واما الاطعمة المحرمة فقد بينت بقوله تعالى قل لا اجد الآية ويقال امر التعالي
والاصل فيه ان يقوله من في مكان عال لمن هو في اسفل منه ثم اتسع فيه بالتعميم كما ان الغنيمة
في الاصل اصابة الغنم من العدو ثم استعملت في اصابة كل ما يصاب منه اتساعا ثم في الفوز بكل
مطلب من غير مشقة اتل جواب الامر وقوله تعالى ما حرم ربكم منصوب به على ان ما موصولة
والعائد محذوف اي اقرأ الذي حرمه ربكم اي الآيات المشتملة عليه او مصدرية اي الآيات المشتملة
على تحريمه اي تحريم على انها استفهامية والجملة مفعول لاتل لان التلاوة من باب القول كانه
قيل اتل اي شيء حرم ربكم عليكم متعلق بحرم على كل حال وقيل باتل والاول انسب بمقام الاعتناء بايجاب

الانتها

الانتهاء عن المحرمات المذكورة وهو السر في التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم فان تذكير كونه
تعالى ربهم ومالكا لامرهم على الاطلاق من اقوى الدواعي الى انتهائهم عما نهاهم عنه اشد انتهاء ان في قوله تعالى
ان لا تشركوا به مفسرة لفعل التلاوة المعلق بما حرم ولا ناهية كما ينبئ عنه عطف ما بعده من الاوامر
والنواهي عليه وليس من ضرورة كون المعطوف عليه بل يكفي في ذلك كونها تفسيرا له باعتبار لوازمها التي
هي النواهي المتعلقة باضداد ما تعلقت به فان الامر بالشيء مستلزم للنهي عن ضده بل هو نهي عنه عند
البعض كان الاوامر ذكرت وقصد لوازمها فان عطف الاوامر على النواهي الواقعة بعد ان المفسرة لتلاوة
المحرمات مع القطع بان المأمور به لا يكون محرما دليل واضح على ان التحريم راجع الى الاضداد على الوجه
المذكور فكانه قيل اتل ما حرم ربكم ان لا تشركوا ولا تسيئوا الى الوالدين خلا انه قد اخرج مخرج الامر بالاحسان
اليهما بين النهيين المكتنفين له للمبالغة في ايجاب مراعاة حقوقهما فان مجرد ترك الاساءة اليهما غير كاف في قضاء
حقوقهما ولذلك عقب به النهي عن الاشراك الذي هو اعظم المحرمات واكبر الكبائر هاهنا وفي سائر
المواقع وقيل ان ناصبة ومحلها النصب بعليكم على انه للاغراء وقيل النصب على البدلية مما حرم وقيل
من عائدها المحذوف على ان لا زائدة وقيل الجر بتقدير اللام وقيل الرفع بتقدير المتلو ان لا تشركوا او
المحرم ان تشركوا بزيادة لا وقيل والذي عليه التعويل هو الاول [illegible] ان في اخراج المفسر على
صورة النهي مبالغة في بيان التحريم وقوله تعالى شيئا نصب على المصدرية او المفعولية اي لا
تشركوا به شيئا من الاشراك او شيئا من الاشياء وبالوالدين اي واحسنوا بهما احسانا وقد مر تحقيقه ولا
تقتلوا اولادكم تكليف متعلق بحقوق الاولاد عقب به التكليف المتعلق بحقوق الوالدين اي ولا تقتلوا
بالوأد من املاق اي من اجل فقر كما في قوله تعالى خشية املاق وقيل هذا في الفقر الناجز وذا في المتوقع
وقوله تعالى نحن نرزقكم واياهم استئناف لتعليل النهي وابطال سببية ما اتخذوه سببا لمباشرة المنهي عنه
وضمان منه تعالى لارزاقهم اي نحن نرزق الغني والفقير لا انتم فلا تخافوا الفقر بناء على عجزكم عن تحصيل الرزق
وقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة ولا تقربوا الفواحش كقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان
فاحشة الآية الا انه جيء هاهنا بصيغة الجمع قصدا الى النهي عن انواعها ولذلك ابدل عنها قوله ما ظهر
منها وما بطن اي ما يفعل منها علانية في الحوانيت كما هو دأب اراذلهم وما يفعل سرا باتخاذ الاخدان
كما هو عادة اشرافهم وتعليق النهي بقربانها اما للمبالغة في الزجر عنها لقوة الداعي اليها واما
لان قربانها داع الى مباشرتها وتوسيط النهي عنها بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن القتل مطلقا كما وقع
في سورة بني اسرائيل باعتبار انها مع كونها في نفسها جناية عظيمة في حكم قتل الاولاد فان اولاد الزنا في حكم
الاموات وقد قال عليه السلام في حق العزل ذلك الوأد الخفي ومن هاهنا تبين ان حمل الفواحش على الكبائر
مطلقا وتفسير ما ظهر منها وما بطن بما فسر به ظاهر الاثم وباطنه فيما سلف من قبيل الفصل بين الشجر
ولحائه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله اي حرم قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد فيخرج منها الحربي
وقوله تعالى الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تقتلوها في حال من الاحوال الا حال ملابستكم
بالحق الذي هو امر الشرع بقتلها وذلك بالكفر بعد الايمان والزنا بعد الاحصان وقتل النفس المعصومة
او من اعم الاسباب اي لا تقتلوها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق وهو ما ذكر او من اعم المصادر اي
لا تقتلوها قتلا ما الا قتلا كائنا بالحق وهو القتل باحد الامور
المذكورة ذلكم اشارة الى ما ذكر من التكاليف الشرعية وهو مبتدأ وقوله تعالى وصاكم به اي امركم به
امرا مؤكدا خبره والجملة استئناف جيء به تجديدا للعهد وتأكيدا لايجاب المحافظة على ما كلفوه ولما كانت
الامور المنهي عنها مما يقضي بديهة العقول بقبحها فصلت الآية الكريمة بقوله تعالى لعلكم تعقلون اي
تستعملون عقولكم التي تعقل نفوسكم وتحبسها عن مباشرة القبائح المذكورة ولا تقربوا مال اليتيم
توجيه النهي الى قربانه لما مر من المبالغة في النهي عن اكله ولاخراج القربان النافع عن حكم النهي بطريق الاستثناء
اي لا تتعرضوا له بوجه من الوجوه الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يكون من الحفظ والتنمية
ونحو ذلك والخطاب للاولياء والاوصياء لقوله تعالى حتى يبلغ اشده فانه غاية لما يفهم من الاستثناء لا
للنهي كأنه قيل احفظوه حتى يصير بالغا رشيدا فحينئذ سلموه اليه كما في قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا
فادفعوا اليهم اموالهم والاشد جمع شدة كنعمة وانعم او شد ككلب واكلب او مفرد كآنك
واوفوا الكيل والميزان بالقسط اي بالعدل والتسوية لا نكلف نفسا الا وسعها الا ما يسعها ولا يعسر عليها
وهو اعتراض جيء به عقيب الامر بالعدل للايذان بان مراعاة العدل كما هو عسير كأنه قيل عليكم بما في
وسعكم وما وراءه معفو عنكم واذا قلتم قولا في حكومة او شهادة او نحوهما فاعدلوا فيه ولو كان اي
المقول له او عليه ذا قربى منكم ولا تميلوا نحوهم اصلا وقد مر تحقيق معنى لو في مثل هذا الموضع مرارا

وبعهد الله اوفوا اى ماعهد اليكم من الامور المعدودة او اى عهد كان فيدخل فيه ماذكر دخولا اوليا او ما
عاهدتم الله عليه من الايمان والنذور وتقديمه للاعتنا بشانه ذلكم اشارة الى ما فصل من التكاليف
ومعنى البعد لما ذكر فيما قيل وصاكم به امركم به امرا موكدا لعلكم تذكرون تتذكرون ما فى تضاعيفه
وتعملون بمقتضاه وقرى بتشديد الذال وهذه احكام عشرة لا تختلف باختلاف الامم والاعصار عن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هذه ايات محكمات لم ينسخهن شى من جميع الكتب وهو محرمات على بنى ادم
كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذى نفس
كعب بيده ان هذه الايات لاول شى فى التوراة بسم الله الرحمن الرحيم قل تعالوا الايات وان هذا
صراطى اشارة الى ماذكر فى الايتين من الامر والنهى قاله مقاتل وقيل الى ماذكر فى السورة فانها
باسرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة وقرى صراطى بفتح اليا ومعنى اضافته الى
ضميره عليه السلام مستمرا على العمل بها وجاعاتها وقوله تعالى مستقيما حال موكدة ومحل انه ما فى حيز
الجر بحذف لام العلة ولان هذا صراطى مسلكى مستقيما فاتبعوه كقوله تعالى وان المساجد الله فلا تدعوا
مع الله احدا وتعليل اتباعه بكونه صراطه عليه السلام لا بكونه صراط الله تعالى مع انه فى نفسه
كذلك من حيث ان سلوكه عليه السلام داع فيه داع للخلق الى الاتباع اذ بذلك يتضح عندهم كونه
صراط الله عز وجل وقرى بكسر الهمزة على الاستيناف وقرى ان هذا من ان على ان اسمها الذى هو ضمير
الشان محذوف وقرى سراط وقرى هذا صراطى وهذا صراط ربكم وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل
الاديان المختلفة وطرق البدع والضلالات فتفرق بكم بحذف احد التائين والبا للتعدية اى فتفرقكم
حسب تفرقها ايادى سبا فهو كما ترى ابلغ من تفرقكم كما قيل من ان ذهب به لما فيه من الدلالة على
الاستصحاب ابلغ من اذهبه عن سبيله سبيل الله الذى لا عوج فيه ولا حرج وهو دين الاسلام الذى
ذكر بعض احكامه وقيل البرهان وفيه تنبيه على ان صراطه عليه السلام عين سبيل الله تعالى ذلكم
اشارة الى ما مر من اتباع سائر الرسل وصاكم به لعلكم تتقون اتباع سبيل الكفر والضلالة ثم اتينا موسى الكتاب
كلام مسوق من جهته تعالى تقريرا للوصية وتحقيقا لها وتمهيدا لما يعقبه من ذكر انزال القران المجيد كما
ينبىء عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى التكلم معطوف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام
كانه قيل بعد قوله تعالى ذلكم وصاكم به بطريق الاستيناف تصديقا له وتقريرا لمضمونه فعلنا ذلك
ثم اتينا الى اخره كما ان قوله تعالى ونطبع على قلوبهم معطوف على ما يدل عليه معنى اولم يهد الى اخره كانه
قيل يعقلون عن الهداية ونطبع الى اخره وما عطفه على وصاكم به ونظمه معه فى سلك مقول الكلام
الملقن كما اجمع عليه الجمهور فمما لا يليق بجزالة النظم الكريم فتدبر ثم للتراخى فى الاخبار كما فى قولك بلغنى ما
صنعت اليوم ثم ما صنعت بالامس اعجب او للتفاوت فى الرتبة كانه قيل ذلكم وصيكم به قديما وحديثا
ثم اعظم من ذلك ان اتينا موسى التوراة فان ايتاها مشتملة على الوصية المذكورة وغيرها اعظم من الوصية
بها فقط تماما للكرامة والنعمة على ما لقاالهما على انه مصدر من اتم بحذف الزوايد على الذى
احسن اى على من احسن القيام به كاينا من كان ويؤيده انه قرى على الذين احسنوا وتماما على المحسنين
او على الذى احسن تبليغه وهو موسى عليه السلام او تماما على احسنه موسى عليه السلام اى اجاده من
العلم والشرايع ان زيادة على علمه على وجه التتميم وقرى بالرفع على انه خبر محذوف اى على الذى هو احسن
دين وارضاه واتينا موسى الكتاب تماما اتماما ما كملا على احسن ما يكون عليه الكتب وتفصيلا لكل شى
وبيانا مفصلا لكل ما يحتاج اليه فى الدين وهو عطف على تماما ونصبهما اما على العلية او على المصدرية
كما اشير اليه او على الحالية وكذا قوله تعالى وهدى ورحمة وضمير لعلهم لبنى اسرائيل المدلول عليهم
بذكر موسى وايتا الكتاب والباء فى قوله بلقاء ربهم متعلقة بقوله تعالى يؤمنون قدمت عليه محافظة
على الفواصل قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كى يؤمنوا بالبعث ويصدقوا بالعذاب والثواب وهذا
الذى تليت عليكم اوامره ونواهيه اى القران كتاب عظيم الشان لا يقادر قدره وقوله تعالى انزلناه
مبارك اى كثير المنافع دينا ودنيا صفتان لكتاب وتقديم وصف الانزال مع كونه غير صريح لان الكلام
مع منكريه او خبران اخران له وسع الاشارة اى انزلناه مشتملا على فنون الفوايد الدينية والدنياوية
التى فصلت عليكم طايفة منها والفا فى قوله تعالى فاتبعوه لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان عظم
الشان الكتاب فى نفسه وكونه منزلا من جنابه عز وجل مستتبعا للمنافع الدينية والدنيوية موجب
لاتباعه اى ايجاب واتقوا مخالفته لعلكم ترحمون بواسطة اتباعه والعمل بموجبه ان تقولوا علة لا
لانزلناه المدلول عليه بالمذكور لا للمذكور لا لتنفسه للزوم الفصل بين العامل والمعمول باجنبى هو
مبارك وصفا كان او خبرا اى انزلناه لذلك كراهة ان تقولوا يوم القيمة لم تنزل علينا انما انزل الكتاب

كاينتين

الناطق بتلك الاحكام العامة لكل الامم على طائفتين من قبلنا وهما اليهود والنصارى وتخصيص الانزال
بكتابيهما لانهما الذى اشتهرا حينئذ فيما بين الكتب السماوية بالاشتمال على الاحكام لا سيما الاحكام المذكورة
وان كنا ان هى المخففة من ان واللام فارقت بينهما وبين النافية وضمير الشان محذوف ومرادهم
بذلك دفع على ما يرد عليهم من ان نزوله عليهما لا ينافى عموم احكامه فلولم تعملوا باحكامها العامة اى عن
كنا عن دراستهم لغافلين لا ندرى ما فى كتابهم انه لم يكن على لغتنا حتى نتلقى منه تلك الاحكام العامة ونحافظ
عليها وان لم يكن منزلا علينا وبهذا تبين ان معذرتهم هذه مع انهم غير مامورين بما فى الكتاب لا سيما على
الاحكام المذكورة المتناولة لكافة الامم كما ان قطع تلك المعذرة بانزال القران لاشتماله ايضا عليها لا
على سائر الشرايع والاحكام فقط ان تقولوا عطف على تقولوا وقرى كلاهما باليا على الالتفات من خطاب
فاتبعوا واتقوا لو انا انزل علينا الكتاب كما انزل عليهم لكنا اهدى منهم الى الحق الذى هو المقصد الاقصى
او الى ما فى تضاعيفه من جلايل الاحكام والشرايع ودقايقها لحدة اذهاننا وثقابة انهامنا ولذلك
تلقفنا فنون العلم كالقصص والاخبار والخطب والاشعار ونحو ذلك طرفا مع اننا اميون
وقوله تعالى فقد جاءكم متعلق بمحذوف ينبىء عنه الفا الفصيحة اما معلل به اى لا تعتذروا بذلك فقد
من المطابقة على تقدير نزول الكتاب عليكم قد حصل ما فرضتم وجاءكم بينة واى نبيه اى حجة واضحة لا
يكتنه كنهها وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءكم او بمحذوف هو صفة لبينة اى بينة كائنة منه تعالى وايا ما
كان ففيه مزدلالة على فضلها الاضافى الى ضميرهم من بين تاكيد لايجاب الاتباع وهدى ورحمة عطف
على بينة وتنوينها ايضا تفخيمى عبر عن القران بالبينة ايذانا بكمال تمكنهم من دراسته ثم بالهدى والرحمة
فمن اظلم لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان مجئ القران المشتمل على الهدى والرحمة موجب لغاية الظلمية
من تكذيب به اى واذا كان الامر كذلك فمن اظلم ممن كذب بايات الله وضع الموصول موضع ضميرهم
بطريق الالتفات تنصيصا على اتصافهم بما فى حيز الصلة والاشعار بعلة الحكم واسقاطا لهم عن رتبة
الخطاب وعبر عما جاءهم بايات الله تعالى تهويلا للامر وتنبيها على ان تكذيب اى اية كانت من اياته الغاية
كان فى الاظلمية فما ظنك بتكذيب القران المنطوى على الكل والمعنى انكار ان يكون احد اظلم ممن فعل
ذلك او مساويا له وان لم يكن سبك التركيب متعرضا لانكار المساواة ونفيها فاذا قيل من اكرم من فلان
او لا افضل منه فالمراد حتما بحكم العرف الفاشى والاستعمال المطرد انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل
وصدف عنها اى صرف الناس عنها فجمع بين الضلال والاضلال سنجزى الذين يصدفون الناس
عن اياتنا وعيد لهم ببيان جزا اضلالهم بحيث يفهم منه جزا ضلالهم ايضا ووضع الموصول موضع الضمير
لتحقيق مناط الجزاء سوء العذاب اى العذاب السيئ الشديد النكاية بما كانوا يصدفون اى بسبب ما كانوا
يفعلون الصدف والصرف على التجدد والاستمرار وهذا تصريح بما اشعر به اجرا الحكم على الموصول من عليه
ما فى حيز الصلة له هل ينظرون استيناف مسوق لبيان انه لا يتاتى منهم الايمان بانزال ما ذكر من البينات
والهدى وانهم لا يرعوون عن التمادى فى المكابرة واقتراح ما ينافى الحكمة التشريعية من الايات الملجئة وان
الايمان عند اتيانها مما لا فايدة له اصلا مبالغة فى التبليغ والانذار وازاحة العلل والاعذار اى
ما ينتظرون الا ان تاتيهم الملائكة اويأتى ربك حسبما اقترحوا بقولهم لولا انزل عليه ملك انزل
علينا الملائكة او نرى ربنا وبقولهم او تاتى بالله والملائكة قبيلا وبقولهم لولا انزل عليه ملك ونحو ذلك
او الا ان تاتيهم العذاب او يأتى امر ربك بالعذاب والانتظار محمول على التمثيل كما ذكر كما اقترحوا بقولهم
او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ونحو ذلك من عظايم الايات التى علقوا بها ايمانهم والتعبير عنها
بالبعض للتهويل والتفخيم كما ان اضافة الايات فى الموضعين الى اسم الرب المنبئ عن المالكية كلية لذلك
واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم للتشريف وقيل المراد بالملائكة ملائكة الموت وباتيانه
سبحانه وتعالى اتيان كل اياته بمعنى ايات القيامة والهلاك الكلى بقرينة ما بعده من اتيان بعض اياته
تعالى على ان المراد به اشراط الساعة هى الدخان ودابة الارض وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب
وخسف بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج وماجوج ونزول عيسى عليه
السلام ونار تخرج من عدن كما نطق به الحديث الشريف المشهور حيث لم يكن اتيان هذه الامور مما
ينتظرونه كاتيان ما اقترحوه من الايات فان تعليق ايمانهم باتيانها انتظار منهم له ظاهر حمل الانتظار
على التمثيل المبنى على نسبة حالهم على الاصرار فى الكفر والتمادى فى العناد الى ان تاتيهم تلك الامور الهايلة
التى لا بد لهم من الايمان عند مشاهدتها البتة بحال المنتظرين لها وانت خبير بان النظر فى النظم الكريم
بسياقه المبنى عن تماديهم فى تكذيبهم ايات الله تعالى وعدم الاعتداد بها وسياقه الناطق بعدم نفع الايمان
عند اتيان ما ينتظرونه يستدعى ان يحمل ذلك على امور هايلة مخصوصة اما بان يكون عبارة عما

فتحجبوا او عن عقوبات مترتبة على جناياتهم كاتيان ملائكة العذاب او اتيان امره تعالى بالعذاب واتيا
امره تعالى بالعذاب وهو الانسب لما سياتى من قوله تعالى قل انتظروا انا منتظرون واما حمله على ما ذكر
من اتيان ملائكة الموت واتيان كل ايات القيمة وظهور اشراط الساعة مع سهولة اتيانها لكل بوافق حوالها
عليهما على كل مؤمن وكافر فلا يساعده المقام على ان بعض اشراط الساعة ليس مما يسند به باب الايمان
والطاعة ثم يجوز بعض جمل الايات فى قوله عز وعلا يوم ياتى بعض ايات ربك على ما يعم مقترحاتهم
وغيرها من الدواهى العظام السالبة للاختيار الذى عليه يدور فلك التكليف فانه بمنزلة
الكبرى من الشكل الاول فيتم التقريب بدخول ما ينتظرونه فى ذلك دخولا اوليا ويوم منصوب
بقوله تعالى لا ينفع فان امتناع عمل ما بعد لا فيما قبلها عند وقوعها جواب القسم وقرئ يوم
بالرفع على الابتداء والخبر هو الجملة والعائد محذوف اى لا ينفع فيه نفسا من النفوس ايمانها حينئذ
لانكشاف الحال وكون الامر عيانا ومدار قبول الايمان ان يكون بالغيب كقوله تعالى فلم يك ينفعهم
ايمانهم لما راوا باسنا وقرئ لا تنفع بالتاء الفوقانية لاكتساب المعنى من ملابسة المضاف اليه
تانيثا وقوله تعالى لم تكن امنت من قبل اى من قبل اتيان بعض الايات صفة لنفسا فصل بينهما
بالفاعل لاشتمالها على ضمير الموصوف ولا ضير فيه لانه غير اجنبى منه لاشتراكهما فى العامل وقوله
تعالى او كسبت فى ايمانها خيرا عطف على امنت بايجاد الترديد على النفى المفيد لكفاية احد
النفيين فى عدم النفع والمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم تقدم ايمانها او قدمته ولم
تكسب فيه خيرا ومن ضرورية اشتراط النفع بتحقق الامرين اى الايمان المقدم او الخير المكسوب
فيه معا بمعنى ان النافع هو تحققهما والايمان الموخر لغو وتحصيل للحاصل لا انه هو النافع وتحققهما
شرط فى نفعه كما لو كان المقدم عين الموخر بالذات فان قولك لا ينفع الصوم والصدقة من لم يؤمن
قبلها معناه انهما ينفعان عند وقوعهما بعد الايمان قد استدل به اهل الاعتزال على عدم اعتبار
الايمان المجرد عن الاعمال وليس بناهض ضرورة صحة حمله على نفى الترديد المستلزم لعموم المفيد
بمنطوقه لاشتراط عدم النفع بعدم الامرين معا وبمفهومه لاشتراط النفع بتحقق احدهما
بطريق منع الخلو دون الانفصال الحقيقى فالمعنى انه لا ينفع الايمان حينئذ نفسا لم يصدر عنها
من قبل احد الامرين اما الايمان المجرد او الخير المكسوب فيه فيتحقق النفع بايهما كان حسبما نطق به
النصوص الكريمة من الايات والاحاديث وما قيل من ان عدم الايمان السابق مستلزم لعدم كسب
الخير فيه بالضرورة فيكون ذكره تكرارا بلا فايدة على ان الموجب للخلود فى النار هو العدم الاول
من غير ان يكون للثانى دخل ما فى ذلك قطعا فيكون ذكره بصدد بيان ما يوجب الخلود لغوا من
الكلام مبنى على توهم ان المقصود بوصف النفس بالعدمين المذكورين مجرد بيان ايجابهما للخلود فيها
وعدم نفع الايمان الحادث فى انجائها عنه وليس كذلك والا لكفى فى البيان ان يقال لا ينفع نفسا
ايمانها الحادث بل المقصود الاصلى من وصفها بذينك العدمين فى اثناء بيان عدم نفع الايمان الحادث
تحقيق ان موجب النفع احدى ملكتيهما اعنى الايمان السابق والخير المكسوب فيه بما ذكر من الطريقة
والترغيب فى تحصيل الخلود فى النار فيلغو لكن عدم الثانى كذلك وجوده مستقل فى ايجاب فى ضمن
التحذير من تركهما ولا سبيل الى ان يقال كما ان عدم الاول مستقل فى ايجاب الخلاص عنها فيكون ذكر الثانى
لغوا لما انه قياس مع الفارق كيف لا والخلود فيها امر لا يتصور فيه تعدد العلل واما الخلاص عنها
مع دخول الجنة فله مراتب بعضها مرتبة على نفس الايمان وبعضها على فروعه المتفاوتة كما وكيفا
وانما لم يقتصر على بيان ما يوجب اصل النفع وهو الايمان السابق مع انه المقابل لما لا يوجبه اصلا اعنى
الايمان الحادث بل قرن به ما يوجب النفع الزايد ايضا ارشادا الى تحرى الاعلى وتنبيها على كفاية
الادنى واقناطا للكفرة عما علقوا به اطماعهم الفارغة من اعمال البر التى عملوها فى الكفر من صلة
الارحام واعتاق الرقاب وفك العناة واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب
المكارم ببيان ان كل ذلك لغوبحت لابتنائه على غير اساس حسبما نطق به قوله تعالى والذين
كفروا اعمالهم كرماد اشتدت به الريح الاية ونحو ذلك من النصوص الكريمة وان الايمان الحادث كما
لا ينفعهم وحده لا ينفعهم بانضمام اعمالهم السابقة واللاحقة وذلك ان نقول المقصود بوصف النفس
بما ذكر من العدمين التعريض بحال الكفرة فى تمردهم وتفريطهم فى كل واحد من الامرين الواجبين
عليهم وان كان وجوب احدهما منوطا بالاخر كما فى قوله عز وعلا فلا صدق ولا صلى تسجيلا بكمال طغيانهم
وايذانا بتضاعيف عقابهم لما تقرر من ان الكفار مخاطبون بفروع الشرايع فى حق المواخذة كما
ينبى عنه قوله تعالى فويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة انا حققت هذا ووقفت على ان الاية

الكريمة احق بان تكون حجة على المعتزلة من ان تكون حجة لهم هذا وقد قيل انها من باب اللف التقديرى اى
لا ينفع نفسا ايمانها ولا كسبها فى الايمان لم تكن امنت من قبل او كسبت فيه خيرا وليس بواضح فان مبنى
اللف التقديرى ان يكون المقدر من متممات الكلام ومقتضيات المقام وقد يترك ذكره تعويلا
على دلالة الملفوظ عليه واقتضائه اياه كما مر فى تفسير قوله عز وعلا ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر
فسيحشرهم اليه جميعا فانه قد طوى فى المفصل ذكر حشر المؤمنين ثقة بانبا التفصيل عنه اعنى قوله
تعالى فاما الذين امنوا الاية ولا ريب فى ان ما قدر هاهنا ليس مما يستدعيه قوله تعالى او كسبت
فى ايمانها خيرا ولا هو من مقتضيات المقام لانه ليس مما وعدوه وعلقوه باتيان ما ذكر من الايات
كالايمان حتى يرد عليهم ببيان عدم نفعه اذ ذاك على ان ذلك مشعر بان لهم بعد ما اصابهم من ده
الدواهى ما اصابهم بقاء على السلامة وزمانا يتاتى منهم الكسب والعمل فيه وفيه من الاخلال
بمقام التهويل الخطب وتفظيع الحال ما لا يخفى وقد اجيب عن الاستدلال بالوجه اخر فتصادى
امتها اسقاط الاية الكريمة عن رتبة المعارضة للنصوص القطيعة المتون القوية الدلالة على
ما ذكر من كفاية الايمان المجرد عن العمل فى الانجاء من العذاب الخالد ولو بعد اللتيا والتى لما تقرر من
الظنى بمعزل عن معارضته القطعى قل لهم بعد بيان حقيقة الحال على وجه التهديد انتظروا ده
ما تنتظرونه من اتيان احد الامور الثلاثة لتروا اى شىء ينتظرون انا منتظرون لذلك لتشاهد
ما يحل بكم من سوء العاقبة وفيه تاكيد لكون المراد بما ينتظرونه اتيان ملائكة العذاب واتيان
امره تعالى بالعذاب كما اشير اليه وعدة ضمنية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بمعاينتهم
لما يحيق بالكفرة من العقاب ولعل ذلك هو الذى شاهدوه يوم بدر والله سبحانه اعلم ان الذين فرقوا
دينهم استئناف لبيان احوال الكتابيين اثر بيان حال المشركين اى بددوه وبعضوه فتمسك بكل بعض
منه فرقة منهم وقرئ فارقوا اى باينوا فان ترك بعضه وان كان باخذ بعض اخر منه ترك للكل ومفارقة
له وكانوا شيعا اى فرقا تشيع كل فرقة اماما لها قال عليه السلام افترقت اليهود على احدى وسبعين
فرقة كلهم فى النار الا واحدة وافترقت النصارى اثنين وسبعين فرقة كلهم فى الهاوية الا واحدة و
كانتا الواحدة من فرق كل من اهل الكتابين انما هو بالنظر الى العصر الماضى قبل النسخ واما بعده
فالكل فى الهاوية وان اختلفت اسباب دخولهم فمعنى قوله تعالى لست منهم فى شىء لست من البحث
عن تفرقهم والتعرض لمن يعاصرونك منهم بالمناقشة والمواخذة وقيل من قتالهم فى شىء سوى تبليغ
الرسالة واظهار شرايع الدين الحق الذى امرت بالدعوة اليه فيكون منسوخا باية السيف وقوله تعالى
انما امرهم الى الله تعليل للمذكور اى هو يتولى وحده امر اولهم واخرهم ويدبره كيف يشاء حسبما
تقتضيه الحكمة يواخذهم فى الدنيا متى شاء ويامر بقتالهم اذا اراد وقيل المفرقون اهل البدع والاهوا
الزايغة من هذه الامة ويرده انه عليه السلام مامور بمواخذتهم والاعتناء بان معنى لست منهم
فى شىء حينئذ انت برىء منهم ومن مذهبهم وهم برءاء منك يا باه التعليل المذكور ثم ينبئهم اى يوم القيمة
بما كانوا يفعلون عبر عن اظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة فى انهما سببان للعلم تنبيها على انهم كانوا
جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته اى يظهر لهم على رؤس الاشهاد ويعلمهم اى شىء شنيع كانوا
يفعلونه فى الدنيا على الاستمرار ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله
عشر امثالها استئناف مبين لمقادير اجزية العاملين وقد صدر ببيان اجزية المحسنين المدلول
عليهم بذكر اضدادهم قال عطاء ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يريد من عمل من المصدقين حسنة كتب
له عشر حسنات امثالها فضلا من الله عز وجل وقرئ عشر بالتنوين امثالها بالرفع على الوصف وهذا
اقل ما وعد من الاضعاف وقد جاء الوعد بسبعين وبسبعمائة وبغير حساب ولذلك قيل المراد بذكر
العشر بيان الكثرة لا الحصر فى العدد الخاص ومن جاء بالسيئة كائنا من كان من العاملين
فلا يجزى الا مثلها بحكم الوعد واحدة بواحدة وهم لا يظلمون بنقص الثواب وزيادة العقاب قل اننى
هدانى ربى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يبين لهم ما هو عليه من الدين الحق الذى يدعون
انهم عليه وقد فارقوه بالكلية وتصدير الجملة بحرف التحقيق لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها والتعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لمزيد تشريفه قل اولئك الذين اكرمنى
ربى بالوحى وبما نصب فى الافاق والانفس من الايات التكوينية الى صراط مستقيم موصل الى الحق وقوله
تعالى دينا بدل من محل الى صراط فان محله النصب كما فى قوله تعالى ويهديك صراطا مستقيما او مفعول لفعل
مضمر يدل عليه المذكور قيما مصدر نعت به مبالغة والقياس قوما كعوض فاعل لاعلال فعله ده
كالقيام وقرئ قيما وهو فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من المستقيم باعتبار الزنة وانه كان هو ابلغ

منه باعتبار الصيغة ملة ابراهيم عطف بيان لدينا حنيفا حال من ابراهيم اى مائلا عن الاديان الباطلة
وقوله تعالى وما كان من المشركين اعتراض مقرر لنزاهته عليه السلام عما عليه المفترون لدينه من
عقد وعمل اى ما كان منهم فى امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك ردا على الذين يدعون انهم
على ملته عليه السلام من اهل مكة واليهود المشركين بقولهم المسيح ابن الله قل ان صلاتى ونسكى
اعيد الامر لما ان المامور به متعلق بفروع الشرائع وما سبق باصولها اى عبادتى كلها وقيل وذبحى
بينه وبين الصلاة كما فى قوله تعالى فصل لربك وانحر وقيل صلاتى وحجى ونسكى ومحياى ومماتى لله
اى وما انا عليه فى حياتى واكون عليه عند موتى من الايمان والطاعات او طاعات الحياة والخيرات
المضافة الى الممات كالوصية والتدبير وقرئ ومحياى باسكان الياء اجراء للوصل مجرى الوقف لله رب
العالمين لا شريك له لا اشرك فيها غيره وبذلك اشارة الى الاخلاص وما فيه من معنى البعد للاشعار
بعلو رتبته وبعد منزلته فى الفضل اى بذلك الاخلاص امرت لا بشئ غيره وقوله تعالى وانا اول
المسلمين لبيان مسارعته عليه السلام الى الامتثال بما امر به وانما امر به ليس من خصائصه عليه السلام بل
الكل مامورون به ويقتدى به عليه السلام من اسلم منهم قل اغير الله ابغى ربا اخر فاشركه فى العبادة
وهو رب كل شئ جملة حالية مؤكدة للانكار اى والحال ان كل ما سواه مربوب له مثلى فكيف يتصور
ان يكون شريكا له فى المعبودية ولا تكسب كل نفس الا عليها كانوا يقولون للمسلمين اتبعوا سبيلنا
ولنحمل خطاياكم اما بمعنى ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم واما بمعنى لنحمل يوم القيمة ما كتب
عليكم من الخطايا فهذا رد له بالمعنى الاول اى لا يكون جناية نفس من النفوس الا عليها ومحال ان يكون
صدورها عن شخص وقرارها على شخص اخر حتى تأتى ما ذكرتم وقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
رد بالمعنى الثانى اى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى حتى يصح قولكم ثم الى ربكم مرجعكم تلوين للخطاب
وتوجيه له الى الكل لتأكيد الوعد وتشديد الوعيد اى الى مالك امركم رجوعكم يوم القيمة
فينبئكم يومئذ بما كنتم فيه تختلفون ببيان الرشد من الغى وتمييز المحق من المبطل وهو الذى جعلكم خلائف
الارض من حيث خلفتم الامم السالفة او يخلف بعضكم بعضا او جعلكم خلفاء الله تعالى فى ارضه
تتصرفون فيها على ان الخطاب عام ورفع بعضكم فى الشرف والغنى فوق بعض درجات كثيرة متفاوتة
ليبلوكم فيما آتاكم من المال والجاه اى ليعاملكم معاملة من يبتليكم لينظر ماذا تعملون من الشكر وضده
ان ربك تجريد الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع اضافة اسم الرب الى ضميره عليه السلام
لابراز مزيد اللطف به عليه السلام سريع العقاب اى عقابه سريع الاتيان لمن لم يراع حقوق ما
آتاه الله تعالى ولم يشكره لان كل ما هو آت قريب او سريع التمام عند ارادته تعالى لتعاليه عن استعمال المبادى
والآلات وانه لغفور رحيم لمن راعاها كما ينبغى وفى جعل خبر هذه الجملة من الصفات الذاتية الواردة على بناء
المبالغة مؤكدا باللام مع جعل خبر الاولى صفة جارية على غير من هى له من التنبيه على انه تعالى غفور
رحيم بالذات مبالغ فيهما فاعل للعقوبة بالعرض مسامح فيها ما لا يخفى والله سبحانه وتعالى اعلم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد
فمن قرأ سورة الانعام صلى الله عليه وله واستغفر له اولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام
يوما وليلة

بسم الله الرحمن الرحيم المص اما مسرود على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين فى فاتحة سورة
البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا
المص اى مسمى به والتقدير وتذكير اسم الاشارة مع تانيث المسمى لما ان الاشارة اليه من حيث انه
باعتبار كونه بصدد الذكر صار فى حكم الحاضر المشاهد وقوله عز وجل كتاب على الوجه الاول خبر
مبتدأ محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المؤلف من جنس هذه الحروف المبدوء بها السورة
كتاب الى اخره او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور المؤلف منه منزلة حضوره نفسه والمؤلف اى هذا
كتاب الى اخره وعلى الوجه الثانى ابانه على انه بحاله ببيان كونه فردا من افراد الكتب الالهية حائزا
جائز الكمالات المختصة بها وقد جوز كونه خبرا والمص مبتدأ اى المسمى بالمص كتاب وقد عرفت ما فيه
من ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه عند المخاطب واذ لا
عهد بالتسمية قبل تحققها الاخبار بها انزل اليك اى من جهته تعالى بنى الفعل للمفعول جريا على
سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن التصريح بالفاعل لغاية ظهور تعينه وهو السر فى ترك ذكر مبتدا

الانزال

الانزال كما فى قوله جل ذكره بلغ ما انزل اليك من ربك ونظائره والجملة صفة لكتاب مشرفة له ولمن
انزل عليه وجعله خبرا له على معنى كتاب عظيم الشان انزل اليك خلاف الاصل فلا يكن فى صدرك
حرج اى شك كما فى قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اليك خلا انه عبر عنه بما يلازمه من الحرج
فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما ان المتيقن يعتريه انشراحه وانفساحه مبالغة فى تنزيه
ساحته عليه السلام عما قد يقع من نسبته اليه فى ضمن النهى فانه من الاحوال القلبية اى يستحيل
اعتراؤها اياه عليه السلام وقد ما يقع من نسبته اليه فى ضمن النهى فعلى طريقة التهييج والالهاب
والمبالغة فى التنفير والتحذير بايهام ان ذلك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره
عنه اصلا فكيف يمكن ذلك منه والتنوين للتحقير والجار فى قوله تعالى منه متعلق بحرج يقال حرج
منه اى ضاق به صدره او بمحذوف وقع صفة له اى حرج كائن منه اى لا يكن فيه شك ما فى حقيته
او فى كونه كتابا منزلا اليك من عنده تعالى فالفاء على الاول لترتيب النهى او الانتهاء على مضمون الجملة
فان مما يوجب انتفاء الشك فيما ذكر بالكلية وحصول اليقين به قطعا واما على الثانى فهو لترتيب
ما ذكر على الاخبار بذلك لا على نفسه فتدبر وتوجيه النهى الى الحرج مع ان المراد نهيه عليه السلام
عنه اما لما مر من المبالغة فى تنزيهه عليه السلام عن الشك فيما ذكر فان النهى عن الشك مما يوهم
امكان صدور المنهى عنه واما المبالغة فى النهى فان وقوع الشك فى صدره عليه السلام سبب لاتصافه
عليه السلام به والنهى عن المسبب نهى عن السبب فيكون المآل نهيه عليه السلام عن تعاطى ما يورث
الحرج فتأمل وقيل الحرج على حقيقته اى لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة ان يكذبوك او ان تقصر
فى القيام بحقه فانه عليه السلام كان يخاف تكذيب قومه له واعراضهم عنه فكان يضيق صدره
من الاداء ولا ينبسط له فأمنه الله عز وجل ونهاه عن المبالاة بهم فالفاء حينئذ للترتيب على مضمون
الجملة او على الاخبار به فان كلا منهما موجب للاقدام على التبليغ وزوال الخوف قطعا وان كان ايجاب
الثانى بواسطة الاول وقوله تعالى لتنذر به اى بالكتاب المنزل متعلق بانزل وما بينهما اعتراض
توسط بينهما تقريرا لما قبله وتمهيدا لما بعده وحسما للتوهم ان مورد الشك هو الانزال للانذار
وقيل متعلق بالنهى فان انتفاء الشك فى كونه منزلا من عنده تعالى موجب للانذار به قطعا وكذا
انتفاء الخوف منهم او العلم بانه موفق للقيام بحقه موجب للتجاسر على ذلك وانت خبير بانه لا يتأتى
على التفسير الاول لان التعليل للشك عن النهى بما ذكر من الانذار والتذكير مع ابهامه لامكان
صدوره عليه السلام مشعر بان المنهى عنه ليس بمحذور لذاته بل لافضائه الى فوات الانذار
والتذكير قل من الايمان بان ذلكم معظم غايته ولا ريب فى فساده واما على التفسير الثانى فانما
يتأتى التعليل بالانذار لا بتذكير المؤمنين اذ ليس فيه شائبة خوف حتى يجعل غاية لانتفائه وقوله
تعالى وذكرى للمؤمنين فى حيز النصب باضمار فعله معطوفا على تنذر اى وتذكر المؤمنين تذكيرا والجر
عطفا على محل ان تنذر اى للانذار والتذكير وقيل فى حيز الرفع عطفا على كتاب او خبر لمبتدأ محذوف
وتخصيص التذكير بالمؤمنين للايذان باختصاص الانذار بالكفرة اى لتنذر به المشركين وتذكر المؤمنين
وتقديم الانذار لانه اهم بحسب المقام اتبعوا ما انزل اليكم كلام مستأنف خوطب به كافة المكلفين بطريق
التلوين وامروا باتباع ما امر النبى صلى الله عليه وسلم قبله بتبليغه بطريق الانذار والتذكير وجعله
منزلا اليهم بواسطة انزاله اليه عليه السلام اثر ذكر ما يصححه من الانذار والتذكير لتأكيد وجوب اتباعه
وقوله تعالى من ربكم متعلق بانزل على ان من لابتداء الغاية مجازا او بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره
فى الصلة وفى التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضمير المخاطبين مزيد لطف بهم وترغيب لهم فى الامتثال
بما امروا وتأكيد لوجوبه وحمل ما انزل على ما يعم السنة القولية والفعلية بعيد نعم يعمها حكمه بطريق
الدلالة لا بطريق العبارة ولما كان اتباع ما انزل الله تعالى اتباعا له تعالى عقب الامر بذلك بالنهى عن
اتباع غيره تعالى وقيل ولا تتبعوا من دونه اولياء اى من دون ربكم الذى انزل اليكم ما يهديكم الى الحق فمحله النصب على انه
حال من فاعل فعل النهى اى ولا تتبعوا متجاوزين الله تعالى اولياء من الجن والانس بان تقبلوا منهم ما يلقونه
اليكم بطريق الوسوسة والاغواء من الاباطيل ليضلوكم عن الحق ويحملوكم على البدع والاهواء الزائغة او من اولياء
قدم عليه لكونه نكرة اذ لو اخر عنه لكان صفة له اى اولياء كائنة غيره تعالى والضمير للموصول على حذف
المضاف اى ولا تتبعوا من دون ما انزل اباطيل اولياء كانه قيل ولا تتبعوا من دون دين ربكم دين
اولياء وقرئ ولا تبتغوا كما فى قوله تعالى ومن يبتغ غير الاسلام دينا وقوله تعالى قليلا ما تذكرون بحذف
احد التاءين وتخفيف الذال وقرئ بتشديدها على ادغام التاء المهموسة فى الذال المجهورة وقرئ يتذكرون
على صيغة الغيبة وقليلا نصب اما بما بعده على انه نعت لمصدر محذوف مقدم للقصر والزمان كذلك

كذلك محذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون لا كثيرا احيث لا
يتاثرون بذلك ولا تعملون بموجبه وتتركون دين الله تعالى وتتبعون غيره ويجوز ان يراد بالقلة العدم
كما قيل فى قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون والجملة اعتراض تذييلى مسوق لتقبيح حال المخاطبين والالتفات
على القراءة الاخرة للايذان باقتضا سوء حالهم فى عدم الامتثال بالامر والنهى صرف الخطاب عنهم وحكاية لا
جناياتهم لغيرهم بطريق المثابة وا ما نصب على انه حال من فاعل لا تتبعوا وما مصدرية مرتفعة به اى
لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا تذكركم على توجيه النهى الى المقيد فقط كما فى قوله تعالى لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى بل الى القيد والمقيد جميعا او تخصيصه بالذكر لمزيد تقبيح حالهم بجمعهم بين المنكرين وكم من
قرية اهلكناها شروع فى انذارهم بما جرى على الامم الماضية بسبب اعراضهم عن اتباع دين الله تعالى
واصرارهم على اتباع دين اوليائهم وكم خبرية للتكثير فى موضع رفع على الابتدا كما فى قولك زيد ضربته
والخبر هو الجملة بعدها ومن قرية تمييز والتمييز فى اهلكنا كما فى قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر والمراد
باهلاكها ارادة اهلاكها كما فى قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة اى اردنا اهلاكها فجاءها اى جاء اهلها باسنا
اى عذابنا بياتا مصدر بمعنى الفاعل واقع موقع الحال اى بائتين كقوم لوط او هم قائلون عطف عليه اى
قائلين من القيلولة نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت الواو من الحال المعطوفة على اختها استثقالا
لاجتماع العاطفين فان واو الحال حرف عطف قد استعيرت للوصل لا اكتفا بالضمير كما فى جاءنى زيد
هو فارس فانه غير فصيح وتخصيص الحالتين بالعذاب لما ان نزول المكروه عند الغفلة والدعة افظع
وحكايته للسامعين ازجر وادرع عن الاغترار باسباب الامن والراحة ووصف الكل بوصف البيات والقيلولة
مع ان بعض المهلكين بمعزل منهما لا سيما القيلولة للايذان بكمال غفلتهم وامنهم فما كان دعواهم اى دعاؤهم
واستغاثتهم ربهم او ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم اذ جاءهم باسنا عذابنا وعاينوا
امارته الا ان قالوا جميعا انا كنا ظالمين اى الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه من شهادتهم ببطلانه تحسرا
عليه وندامة وطمعا فى الخلاص وهيهات ولات حين نجاة فلنسئلن الذين ارسل اليهم بيان لعذابهم الاخروى
اثر بيان عذابهم الدنيوى خلا انه قد تعرض لبيان مبادى احوال المكلفين جميعا لكونه داخلا فى التهويل
والفاء لترتيب الاحوال الاخروية على الدنيوية ذكرا حسب ترتبها عليه وجودا اى لنسئلن الامم
قاطبة قائلين ماذا اجبتم المرسلين ولنسئلن الذين ارسل اليهم المرسلين عما اجيبوا قال الله تعالى يوم يجمع الله
الرسل فيقول ماذا اجبتم والمراد بالسؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والذى نفى بقوله تعالى ولا يسئل عن
ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول فى موقف الحساب والثانى فى موقف العقاب فلنقصن لا
عليهم اى على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك انت علام الغيوب او عليهم وعلى المرسل اليهم جميعا ما
كانوا عليه بعلم اى عالمين بظواهرهم وبواطنهم او بمعلومنا منهم وما كنا غائبين عنهم فى حال من الاحوال فيخفى
علينا شئ من احوالهم واعمالهم والجملة تذييل مقرر لما قبلها والوزن اى وزن الاعمال والتمييز بين لا
راجحها وخفيفها وجيدها ورديها ورفعه على الابتدا وقوله تعالى يومئذ خبره وقوله تعالى الحق صفته
اى والوزن الحق ثابت يوم اذ يكون السؤال والقص وقيل خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما ذلك الوزن
فقيل الحق اى العدل السوى وقرى القسط واختلف فى كيفية الوزن والجمهور على ان صحائف الاعمال
هى التى توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن
اعمالهم فتعترف بها السنتهم وجوارحهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت فى لا
صحائفهم فيقرؤنها فى موقف الحساب ويؤيده ما روى ان الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر له تسعة
وتسعون سجلا مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة فتطيش لا
السجلات وتثقل البطاقة وقيل توزن الاشخاص روى عنه عليه السلام انه ليأتى العظيم السمين
يوم القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقيل الوزن عبارة عن القضاء السوى والحكم العدل
وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من المتاخرين بناء على ان استعمال لفظ الوزن فى هذا
المعنى شائع فى اللغة والعرف بطريق الكناية قالوا ان الميزان انما يراد به التوصل الى معرفة مقادير
الشئ ومقادير اعمال العباد لا يمكن اظهارها بذلك لانها اعراض قد فنيت وعلى تقدير بقائها لا تقبل
الوزن وقيل ان الاعمال الظاهرة فى هذه النشاة بصورة عرضية تبرز فى النشاة الاخرة بصور جوهرية
مناسبة لها فى الحسن والقبح حتى ان الذنوب والمعاصى تتجسم هنالك وتتصور بصورة النار وعلى ذلك
حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون
فى بطونهم نارا وكذا قوله عليه الصلاة والسلام فى حق من يشرب فى انا الذهب والفضة انما
يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك الا ترى ان العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى

على

على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه يؤتى بالاعمال
الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع فى الميزان انتهى ان الحكم يوم
القيمة اما هو انه تعالى لحكيم منزه عن الجور فيكفيه حكمه تعالى بكيفيات الاعمال وكمياتها واما منكر
له فلا نسلم جميعا ان رجحان بعض الاعمال على بعض لخصوصيات راجعة الى ذوات تلك الاعمال بل
يسنده الى اظهار الله تعالى اياه على ذلك الوجه فما الفائدة فى الوزن اجيب بانه ينكشف الحال يومئذ
وتظهر جميع الاشياء بحقائقها على ما هى عليه وباوصافها واحوالها انفسها من الحسن والقبح وغير
ذلك وينخلع عن الصور المستعارة التى بها ظهرت فى الدنيا فلا يبقى لاحد ممن يشاهدها شبهة فى انها هى
التى كانت فى الدنيا بعينها وان كل واحد منها قد ظهر فى هذه النشاة بصورته الحقيقية المستتبعة لصفاتها
ولا يخطر بباله خلاف ذلك والله تعالى اعلم فمن ثقلت موازينه تفصيل للاحكام المترتبة على الوزن
والموازين اما جمع ميزان او جمع موزون على ان المراد به ماله وزن وقدر وهو الحسنات فان رجحان
احدهما مستلزم لرجحان الاخر اى فمن رجحت موازينه التى توزن بها حسناته او اعماله التى بها قدر
حسنة وعن الحسن البصرى وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيئات
ان يخف فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بثقل الموازين والجمعية باعتبار معناه كما ان جمع
الموازين لذلك وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضل والشرف هم المفلحون الفائزون بالنجاة والثواب وهم اما ضمير
فصل يفصل بين الخبر والصفة ويؤكد النسبة ويفيد اختصاص المسند بالمسند اليه او مبتدا خبره لا
المفلحون والجملة خبر لاولئك وتعريف المفلحون للدلالة على انهم الناس الذين هم المفلحون فى الاخرة
او اشارة الى ما يعرفه كل احد من حقيقة المفلحين وخصائصهم ومن خفت موازينه اى موازين اعماله
او اعماله التى لا وزن لها ولا اعتداد بها وهى اعماله السيئة فاولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بتلك
الصفة القبيحة والجمعية ومعنى البعد لما مر تعالى فى نظيره وهو مبتدا خبره الذين خسروا انفسهم اى
ضيعوا الفطرة السليمة التى فطروا عليها وقد ايدت بالايات البينة وقوله تعالى بما كانوا باياتنا يظلمون
متعلق بخسروا وما مصدرية وباياتنا متعلق بيظلمون على تضمين معنى التكذيب قدم عليه المراعاة لا
الفواصل والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرار الظلم فى الدنيا اى فاولئك الموصوفون
بخفة الموازين الذين خسروا انفسهم بسبب تكذيبهم المستمر باياتنا ظالمين ولقد مكناكم فى الارض لما
امر الله سبحانه اهل مكة بالاتباع اليهم ونهاهم عن اتباع غيره وهو لهم وخامة عاقبة بالاهلاك فى الدنيا
والعذاب المخلد فى الاخرة ذكرهم ما افاض عليهم من فنون النعم الموجبة للشكر تر غيبا فى الامتثال بالامر
والنهى اثر ترهيب اى جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها وجعلنا لكم
فيها معايش المعايش جمع معيشة وهو ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى
ذلك الوجه فى قراته اخذه ما ليا وعن ابن عامر انه همزه تشبيها له بصحائف ومدائن والجعل بمعنى الانشا
والابداع اى انشانا وابدعنا لمصالحكم ومنافعكم فيها اسبابا تعيشون بها وكلا الظرفين متعلق
به او بمحذوف وقع حالا من مفعوله المنكر اذ لو تاخر لكان صفة له وتقديمهما على المفعول مع انحطاط رتبتهما
التاخر عنه لما مر غير مرة من الاعتنا بشان المقدم والتشويق الى المؤخر فان النفس عند تاخره ما حقه
التقديم لا سيما عند كون المقدم مبينا عن منفعة للشامع تبقى مترقبة لورود المؤخر فان النفس عند
حرما حقه فضل تمكن واما التقديم اللام على فى فلانه المبنى عما ذكر من المنفعة والاعتنا بشانه اتم لا
والمسارعة الى ذكره اهم هذا وقد قيل ان الجعل متعد الى مفعولين ثانيهما احد الظرفين على انه مستقر قدم
على الاول والظرف الاخر اما لغو متعلق بالجعل او بالمحذوف الواقع حالا من المفعول الاول كما مر وانت
خبير بانه لا فائدة يعتد بها فى الاخبار بجعل المعايش حاصلة لهم او حاصلة فى الارض وقوله تعالى قليلا
ما تشكرون اى تلك النعمة تذييل مسوق لبيان حال المخاطبين وتحذيرهم وبقية الكلام فيه عين ما مر
فى تفسير قوله تعالى قليلا ما تذكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم تذكير لنعمة عظيمة فائضة على ادم
عليه السلام سارية الى ذريته موجب لشكرهم كافة عن ذكر ما وقع بعده من نعمة التمكين فى الارض
اما لانها فائضة على المخاطبين بالذات وهذه بالواسطة واما للايذان بان كلا منهما نعمة مستقلة مستوجبة
للشكر على حيالها فان رعاية الترتيب الوقوعى ربما يؤدى الى توهم عد الكل نعمة واحدة كما ذكر فى
قصة البقرة وتصدير الجملتين بالقسم وحرف التحقيق لاظهار كمال العناية بمضمونهما وانما نسب الخلق
والتصوير الى المخاطبين مع ان المراد خلق ادم عليه السلام وتصويره حتما توفية لمقام الامتنان
حقه وتاكيدا لوجوب الشكر عليهم بالرمز الى ان لهم حظا من خلقه عليه السلام وتصويره لما انهما

ليس من الخصائص المقصورة عليه السلام كسجود الملائكة عليهم السلام بل من الامور الشاملة لذريته
جميعاً اذ كل مخلوق في ضمن خلقه على نمطه ومصنوع على شاكلته فكانهم الذين تعلق به خلقه وتصويره
اي خلقنا اباكم آدم طيناً غير مصور ثم صورناه ابدع تصوير واحسن تقويم سار اليكم جميعاً ثم قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم صريح في انه ورد بعد خلقه عليه السلام وتسويته ونفخ الروح فيه امراً منجزاً
عن الامر المعلق الوارد فيه قبل ذلك بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين
وهو المراد بما حكي بقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل
وسورة الكهف وسورة طه من غير تعرض لوقته وكلمة ثم ههنا تقتضي تراخيه عن التصوير من غير
تعرض لما جرى بينهما من الامور وقد بينا في سورة البقرة ان ذلك ظهور فضل آدم عليه السلام بعد
المحاورة المسبوقة بالاخبار باستخلافه عليه السلام حسبما نطق به قوله عز وجل واذ قال ربك
للملائكة اني جاعل في الارض خليفة الى قوله وما كنتم تكتمون فان ذلك ايضاً من جملة ما نيط به الامر المعلق
عند حكاية الامر المنجز لا يستلزم عدم مسبوقيته به فان حكاية كلام واحد على اساليب مختلفة
يقتضيها المقام ليست بعزيزة في الكلام العزيز فلعله قد القي الى الملائكة عليهم السلام اولاً جميع ما
يتوقف عليه من معنى المنجز اجمالاً بان قيل مثلاً اني خالق بشراً من كذا وكذا وجاعل اياه خليفة في الارض
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقالوا عند ذلك ما قالوا ثم القي اليهم خبر الخلافة بعد تحقق الشرائط
المذكورة بان قيل اثر نفخ الروح اني جاعل هذا خليفة في الارض فهنالك ذكروا في حقه عليه السلام
ما ذكروا فايده الله تعالى بتعليم الاسماء فشاهدوا منه عليه السلام ما شاهدوا فعند ذلك ورد
الامر المنجز اعتناء بشأن المأمور به وايذاناً بوقته وقد حكي بعض الامور المذكورة في بعض المواطن
وبعضها في بعضها اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في موطن آخر والذي يرفع غشاوة الاشتباه عن البصائر
السليمة انما في سورة ص من قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة الآيات بدل من قوله اذ يختصمون فيما
قبله من قوله ما كان لي من علم بالملأ الاعلى اذ يختصمون اي بكلامهم عند الملائكة وآدم عليه السلام
وابليس حسبما اطبق عليه جمهور المفسرين وباختصامهم ما جرى بينهم في شأن الخلافة من التقاول الذي من
جملته وما صدر عنه عليه السلام من الانباء بالاسماء ومن قضية البدلية وقوع الاختصام المذكور
في تضاعيف ما شرح فيه مفصلاً من الامر المعلق به من الخلق والتسوية ونفخ الروح فيه وما
ترتب عليه من سجود الملائكة وعناد ابليس ولعنه واخراجه من بين الملائكة وما جرى بعده من الافعال
والاقوال واذ ليس تمام الاختصام بعد سجود الملائكة ومكابرة ابليس وطرده من البين لما عرفت من
انه احدى الخصمين كما انه ليس قبل الخلق ضرورة فانه بعد نفخ الروح وقبل السجود باحدى
الطريقتين المذكورتين والله تعالى اعلم اي الملائكة عليهم السلام بعد الامر من غير تلعثم الا ابليس استثناء
متصل لما انه كان جنياً مفرداً مغموراً بالوف من الملائكة متصفاً بصفاتهم فغلبوا عليه في فسجدوا ثم استثني
استثناء واحد منهم او لان من الملائكة جنساً يتوالدون يقال لهم الجن كما مر في سورة البقرة فقوله تعالى
لم يكن من الساجدين اي ممن سجد لآدم كلام مستأنف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم من الاستثناء
فان عدم السجود قد يكون للتأمل ثم يقع السجود وبه علم انه لم يقع قط وقيل منقطع فحينئذ يكون
متصلاً بما بعده اي لكن ابليس لم يكن من الساجدين قال استئناف مسوق للجواب عن سؤال نشأ من حكاية
عدم سجوده كانه قيل فماذا قال الله حينئذ وبه يظهر وجه الالتفات الى الغيبة اذ لا وجه لتقدير
السؤال على وجه المخاطبين وفيه فائدة اخرى هي الاشعار بعدم الحكي بالمخاطبين كما في حكاية الخلق والتصوير
ما منعك الا تسجد اي تسجد كما وقع في سورة ص ولا مزيدة مؤكدة لمعنى الفعل الذي دخلت عليه كما في
قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب منبهة على ان الموبخ ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مصروف
الى خلافه فالمعنى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك قيل فيه دلالة على ان مطلق الامر للوجوب والفور وفي
سورة الحجر يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وفي سورة ص ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على ان اللعين قد اوبخ في معصية واحدة بثلث معان مخالفة
الامر ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام
وقد وبخ حينئذ على كل واحدة منها لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاء بما ذكر في موطن
آخر اشعاراً بان كل واحدة منها كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ
رأساً في سورة البقرة وسورة بني اسرائيل وسورة الكهف وسورة طه قال استئناف كما سبق مبني على
سؤال نشأ من حكاية التوبيخ كانه قيل فماذا قال اللعين عند ذلك فقيل قال انا خير منه متجانفاً عن تطبيق
جوابه على السؤال بان يقول منعني كذا مدعياً لنفسه بطريق الاستئناف شيئاً بين الكلام الاستلزام

يمنعه من السجود على زعمه ومشعراً بان من شأنه هذا لا يحسن ان يسجد لمن دونه فكيف يحسن
ان يؤمر به كما ينبئ عنه ما في سورة الحجر من قوله لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون
فهو اول من اسس بنيان التكبر واخترع القول بالحسن والقبح العقليين وقوله تعالى خلقتني من نار
وخلقته من طين تعليل لما ادعاه من فضله عليه ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما هو من جهة
المادة والعنصر وزل عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي
اي بغير واسطة على وجه الاعتناء به وما من جهة الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي
وما من جهة الغاية فهو ملاك الامر ولذلك امر الملائكة بسجوده عليهم السلام حين ظهر لهم انه اعلم
منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره وفي الآية دليل على الكون والفساد
وان الشياطين اجسام كائنة ولعل اضافة خلق البشر الى الطين والشياطين الى النار باعتبار الجزء الغالب
قال استئناف كما سبق الفاء في قوله تعالى فاهبط منها لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من مخالفة الامر
وتعليله واباطيله واصراره على ذلك اي فاهبط من الجنة والاضمار قبل ذكرها لشهرة كونه من سكانها
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كانوا في عدن لا في جنة الخلد وقيل من زمرة الملائكة المعززين فان
الخروج من زمرتهم هبوط واي هبوط وفي سورة الحجر فاخرج منها واما ما قيل من ان المراد الهبوط من السماء
فيرده ان وسوسته لآدم عليه السلام كانت بعد هذا الطرد فلا بد ان يحمل على احد الوجهين قطعاً ويكون
وسوسته على الوجه الاول بطريق النداء من باب الجنة كما روي عن الحسن البصري وقوله تعالى فما يكون لك
اي فما يصح وما يستقيم لك ولا يليق بشأنك ان تتكبر فيها اي في الجنة او في زمرة الملائكة تعليل للامر
بالهبوط فان عدم صحة ان يتكبر فيها علة للامر المذكور فانها مكان المطيعين الخاشعين لا ان له فيه
على جواز التكبر في غيرها وفيه تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنة وانه تعالى انما طرده لا لمجرد عصيانه
وقوله تعالى فاخرج تأكيد للامر بالخروج بالهبوط متفرع على علته وقوله تعالى انك من الصاغرين تعليل
للامر بالخروج مشعر بانه لتكبره من الاذلاء واهل الهوان على الله تعالى وعلى اوليائه لتكبره وعن عمر
رضي الله تعالى عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه
الله الى الارض قال استئناف كما مر مبني على سؤال نشأ مما قبله كانه قيل فماذا قال اللعين بعد ما سمع هذا
الطرد المؤكد فقيل قال انظرني اي امهلني ولا تمتني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم وهو
وقت النفخة الثانية واراد اللعين بذلك ان يجد فسحة من اغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت
لاستحالته بعد البعث قال استئناف كما سلف انك من المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع
التعرض لشمول ما سأله للآخرين على وجه يشعر بان السائل تبع لهم في ذلك صريح في انه اخبار بالانظار
المقدر لهم ازلاً لا لانشاء انظار خاص به اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلباً لتأخير الموت اذ به
يتحقق كونه من جملتهم لا لتأخير العقوبة كما قيل اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلاً حسبما
تقتضيه الحكمة التكوينية الى الوقت فناء الخلائق وهو النفخة الاولى لا الى وقت
البعث الذي هو المسؤول وقد ترك التوقيت للايجاز ثقة بما وقع في سورة الحجر كما ترك ذكر النداء والفاء
في الاستنظار تعويلاً على ما ذكر فيها فقوله عز وجل رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين
الى يوم الوقت المعلوم وفي انظاره ابتلاء للعباد وتعريض للثواب فان قلت لا ريب في ان الكلام المحكي
عند صدوره عن المتكلم حالة مخصوصة يقتضي وروده على وجه النظام بحيث لو اخل بشيء
من ذلك سقط الكلام عن رتبة البلاغة البتة فان كلاماً لو احد الحكي على وجوه شتى ان اقتضى الحال
وروده على وجه معين من تلك الوجوه الواردة عند الحكاية فذلك الوجه هو المطابق لمقتضى الحال
والبالغ الى رتبة البلاغة دون ما عداه من الوجوه اذا تمهد هذا فنقول لا يخفى ان استنظار اللعين
انما صدر عنه مرة واحدة لا غير فمقامه ان اقتضى اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار على ما حاق به
من اللعن على نهج استدعاء الجنى في مقابلة الكسب كما هو المتبادر من قوله رب فانظرني حسبما حكي عنه في السورتين
فما حكي ههنا يكون بمعزل من المطابقة لمقتضى الحال فضلاً عن العروج الى معارج الاعجاز وان لم يقتض ذلك كان استنظاره
مقتضى لما ذكر من اظهار الضراعة وترتيب الاستنظار وقد طبق الكلام في تينك السورتين وفي كل
واحد من مقامي الحكاية والمحكي جميعاً حقه واما ههنا فحيث اقتضى مقام الحكاية مجرد الاخبار
بالاستنظار والانظار سيقت الحكاية على نهج الايجاز والاختصار من غير تعرض لبيان كيفية كل منهما
عند المخاطبة واما وان قلت فاذن لا يكون ذلك نقلاً للكلام على ما هو عليه ولا مطابقاً لمقتضى المقام
قلنا الذي يجب اعتباره في نقل الكلام انما هو اصل معناه ونفس مدلوله الذي يفيده واما كيفية افادته
له فليس مما يجب مراعاته عند النقل البتة بل قد تراعى حسب اقتضاء المقام ولا يقدح في الكلام

تجريدة عنها بل قد يراعى عند نقله كيفيات وخصوصيات لم يرعها المتكلم اصلا ولا يخل ذلك بكون
المنقول اصل المعنى الا ترى ان جميع المقالات المنقولة فى القرآن الكريم بكيفيات واعتبارات لا
يكاد يقدر على مراعاتها من تكلم حتما ولا لا يمكن صدور الكلام المعجز عن البشر فيما اذا كان المحكى كلامه
وما عدم مطابقته لمقتضى الحال فنشأه الغفلة عما يجب توفية مقتضاه من الاحوال فانه مما لا اثر
هو مقام الحكاية واما مقام وقوع المحكى فان كان مقتضاه موافقا لمقتضى مقام الحكاية فوفى كل واحد
من المقامين حقه كما فى سورة الحجر وسورة ص فان مقام الحكاية فيهما لما كان مقتضيا لبسط الكلام
وتفصيله من الكيفيات التى وقع عليها روعى حق المقامين معا واما فى هذه السورة الكريمة
بحيث اقتضى مقام الحكاية الايجاز روعى جانبه الا ترى ان المخاطب المحكى ان كان ممن لا يفهم الا اصل
المعنى وجب عن المتكلم ان يجرد كلامه على التاكيد وساير الخواص والمزايا التى يقتضيها المقام ويحاسطه
بما يناسبه الموجود لكنه مع ذلك يجب ان يقصد معنى فايدا يفهم مسامع اخى بليغ هو تجريد عن
الخواص رعاية لمقتضى الحال المخاطب فى الفهم ولذلك يرتقى كلامه عن رتبة اصوات الحيوانات كما
حقق فى مقامه فاذا وجب مراعاة مقام الحكاية مع افضايها الى تجريد الكلام عن الخواص والمبادلى
ترتقى بها الى رتبة الاعجاز لا سيما اذا وفى حق مقام وقوع المحكى فى السورتين الكريمتين وكان هذا الايجاز
مبنيا عليه وثقة به قال استيناف كما مثاله فبما اغويتنى الباء للقسم كما فى قوله تعالى فبعزتك لاغوينهم
فان اغواءه اياه اثر من آثار قدرته وعزته وحكم من احكام سلطانه تعالى مآل الاقسام بهما واحد فلعل
اللعين اقسم بهما جميعا فحكى تارة قسمه باحدهما واخرى بالاخرى والفاء لترتيب مضمون الجملة عليها
الانذار وما مصدرية اى فاقسم باغوائك اياى لاقعدن لهم او للسببية على ان الباء متعلقة بفعل القسم
المحذوف لا بقوله لاقعدن لهم كما فى الوجه الاول فان اللام تصد عن ذلك اى فبسبب اغوائك
اياى لاجلهم اقسم بعزتك لاقعدن لآدم وذريته ترصدا بهم كما يقعد القطاع للقطع على السابلة صراطك
المستقيم الموصل الى الجنة وهو دين الاسلام والتعود مجاز متفرع على الكناية وانتصابه على الظرفية
كما فى قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل على نزع الجار تقديره على صراطك كقولك ضرب زيدا
الظهر والبطن ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم اى من الجهات الاربع التى
يعتاد هجوم العدو منها مثل قصده اياهم للتسويل والاضلال من اى وجه تيسر باتيان العدو من الجهات
الاربع وكذلك لم يذكر الفوق والتحت وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما من بين ايديهم من قبل
الآخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيئاتهم وقيل من بين ايديهم
حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث يعلمون ولا يقدرون وعن ايمانهم وعن شمائلهم
بحيث يتيسر لهم ان يعلموا او يتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم ومن حيث لا يتيسر لهم
ذلك وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء والى الآخرين بحرف المجاوزة فان الآتى منهما كالمنحرف المتجافى عنهم المار على
عرضهم ونظيره جلست عن يمينه ولا تجد اكثرهم شاكرين اى مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد
صدق عليهم ابليس ظنه لما راى منه مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة
عليهم السلام قال استيناف كما سلف اخرج منها اى من الجنة او من السماء او من بين الملائكة
عليهم السلام مذؤوما اى مذموما من ذامه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول فى مسؤول او كمكول
فى مكيل من ذامه يذيمه مدحورا مطرودا لمن تبعك منهم اللام موطئة للقسم وجوابه لاملأن جهنم
منكم اجمعين وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن تبعك بكسر اللام على انه خبر لاملأن على معنى
لمن تبعك هذا الوعيد او علة لاخرج ولاملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم على تغليب
المخاطب ويا آدم اى وقلنا كما وقع فى سورة البقرة وتصدير الكلام بالنداء للتنبيه على الاهتمام بتلقى
المامور به وتخصيص الخطاب به عليه السلام للايذان باصالته فى تلقى الوحى وتعاطى المامور به
اسكن انت وزوجك الجنة هو من السكن الذى هو عبارة عن اللبث والاستقرار والاقامة لا من
السكون الذى هو ضد الحركة وانت ضمير اكد به المستكن فى اسكن ليصح العطف عليه والفاء فى قوله تعالى
فكلا من حيث شئتما لبيان المراد بما سبق فى سورة البقرة من قوله تعالى وكلا منها رغدا حيث شئتما من ان ذلك
كان جمعا بين الترتيب وقوله تعالى من حيث شئتما فى معنى منها حيث شئتما ولم يذكر هاهنا رغدا ثقة
بما ذكر هنالك وتوجيه الخطاب اليهما لتعميم التشريف والايذان بتساويهما فى مباشرة المامور به فان
حواء اسوة له عليه السلام فى حق الاكل بخلاف السكنى فانها تابعة فيه ولتعليق النهى بهما صريحا فى قوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة وقرئ هذى وهو الاصل لتصغيره على ذيا وها بدل من الياء فتكونا من الظالمين اما
جزم على العطف او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان اى فعل الوسوسة لاجلهما وتكلم لهما كلاما

متداكا

متداركا كما تكرر داو وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقد سبق بيان كيفية
وسوسته فى سورة البقرة ليبدى لهما اى ليظهر لهما واللام للعاقبة او للعرض على انه اراد بوسوسته
ان يسوءهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوءة وفيه دليل على ان كشف العورة فى الخلوة وعند
الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع ما ووري عنهما من سوآتهما ما غطى وستر عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها
من انفسهما ولا احدهما من الآخر وانما لم يقلب الواو المضمومة همزة كما قلبت فى اويصل تصغير واصل لان الواو
الثانية مدة وقرئ سوتهما بحذف الهمزة والقاء حركتها على الواو وبقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها
وقال عطف على وسوس بطريق البيان ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة اى عن اكلها الا ان تكونا ملكين الا كراهة
ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الذين لا يموتون او يخلدون فى الجنة وليس فيه دلالة على افضلية الملائكة
لما ان المعلوم ان الحقايق لا تنقلب وانما كانت رغبتهما فى ان يحصل لهما اوصاف الملائكة من القطوية والاستغناء
عن الاطعمة والاشربة وذلك بمعزل من الدلالة على الافضلية بالمعنى المتنازع فيه وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين
اى اقسم لهما وصيغة المبالغة للمبالغه وقيل اقسما له بالقبول او قيل قالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين
اى اقسم لهما وصيغة المبالغة للمبالغه وقيل اقسما له فجعل ذلك مقاسمة فدلاهما فانزلهما الى الاكل
من الشجرة وفيه تنبيه على انه اهبطهما بذلك من درجة عالية فان التدلية والادلاء ارسال الشئ من
الاعلى الى الاسفل بغرور بما غرهما به من القسم فانهما ظنا ان احدا لا يقسم بالله كاذبا او ملتبسين بغرور
فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما اى فلما وجدا طعمها اخذين فى الاكل منها اخذتهما العقوبة وشوم
المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما واختلف فى ان الشجرة كانت السنبلة او الكرم او
غيرهما وان اللباس كان نورا او ظفرا وطفقا يخصفان طفقا من افعال الشروع والتلبس كاخذ وجعل وانشا
وعلق ذهب وانبرى اى اخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة عليهما من ورق الجنة قيل كان ذلك
ورق التين وقرئ يخصفان اى يخصفان انفسهما ويخصفان من التخصيف ويخصفان اصله يختصفان وناداهما ربهما
الم انهكما بطريق العتاب والتوبيخ الم انهكما وهو تفسير النداء فلا محل له من الاعراب او معمول القول
محذوف اى وقال او قايلا الم انهكما عن تلكما الشجرة وما فى اسم الاشارة من معنى البعد لما انه اشارة الى
الشجرة التى نهى عن قربانها واقل لكما عطف على انهكما اى الم اقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين وهذا عتاب وتوبيخ
من الاغترار بقول العدو كما ان الاول عتاب فى مخالفة النهى قيل فيه دليل على ان مطلق النهى للتحريم ولكما متعلق
بعدو لما فيه من معنى الفعل او بمحذوف هو حال من عدو ولم يحك هذا القول هاهنا وقد حكى فى سورة
طه بقوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك الآية روى انه تعالى قال لآدم الم يكن فيما منحتك من شجر
الجنة مندوحة عن هذه الشجرة قال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال
فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث
وسقى وحصد وداس وذرى وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا انفسنا اى ضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج
من الجنة وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قالت المعتزلة لا تجوز المعاقبة عليها مع اجتناب الكباير وذلك حملوا قولهما
على عادات المقربين فى استعظام الصغير من السيئات واستصغار العظيم من الحسنات قال استيناف كما مر اهبطوا
خطاب لآدم وحواء وذريتهما او لهما ولابليس كرر الامر تبعا لهما ليعلم انهم قرناء ابدا واخبر عما قال
لهم مفرقا كما فى قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ولم يذكر هاهنا قبول توبتهما ثقة بما ذكر فى ساير
المواضع بعضكم لبعض عدو جملة حالية من فاعل اهبطوا اى متعادين ولكم فى الارض مستقر اى استقرار
او موضع استقرار ومتاع اى تمتع وانتفاع الى حين اى حين انقضاء آجالكم قال اعيد الاستيناف اما للايذان
ببعد ما بين اتصال ما بعده بما قبله كما فى قوله تعالى فما خطبكم ايها المرسلون اثر قوله تعالى قال ومن يقنط من رحمة
ربه الا الضالون وقوله تعالى قال ارايتك هذا الذى كرمت على بعد قوله تعالى ااسجد لمن خلقت طينا
واما للايذان بالاعتناء بمضمون ما بعده من قوله تعالى فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون اى
للجزاء كقوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى يا بنى آدم خطاب للناس كافة وايرادهم
بهذا العنوان مما لا يخفى سره قد انزلنا عليكم لباسا اى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية واسباب نازلة منها ونظيره
وانزل لكم من الانعام الآية وقوله تعالى وانزلنا الحديد يوارى سوآتكم التى قصد ابليس ابداءها من ابويكم
حتى اضطرهما الى خصف الاوراق وانتم مستغنون عن ذلك وروى ان العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة
ويقولون لا نطوف بثياب عصينا الله تعالى فيها فنزلت ولعل ذكر قصة آدم عليه السلام للايذان بان انكشاف
العورة اول سوء اصاب الانسان من قبل الشيطان وانه اغواهم فى ذلك كما اغوى ابويهم وريشا ولباسا
يتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اى تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب
وشعاب ولباس التقوى اى خشية الله تعالى وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء خبره جملة وذلك خير
او خبر وذلك صفته كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على

وهو تفسير النداء فلا محل له من الاعراب او معمول القول محذوف اى وقال او قايلا الم انهكما صح

ذلك ترشحا للكون من الفاسدين وهو دليل على ان الصغاير يعاقب عليها ان لم تغفر صح

لباس ذلك اى انزال اللباس من ايات الله دالة على عظيم فضله وعميم رحمته لعلهم يذكرون فيعرفون نعمته
او يتعظون فيتورعون عن القبايح يا بنى آدم تكرير النداء للايذان بكمال الاعتنا بمضمون ما صدر به وايراده
بهذا العنوان مما لا يخفى سببه لا يفتننكم الشيطان اى لا يوقعنكم فى الفتنة والمحنة بان يمنعكم من دخول
الجنة كما اخرج ابويكم من الجنة نعت لمصدر محذوف اى لا يفتننكم فتنة مثل اخراج ابويكم وقد
جوز ان يكون التقدير لا يخرجنكم بفتنته اخراجا مثل اخراجه لابويكم والنهى وان كان متوجها الى الشيطان
لكنه فى الحقيقة متوجه الى المخاطبين كما فى قولك لا ارينك ههنا وقد مر تحقيقه مرارا ينزع عنهما
لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل اخرج واسناد النزع اليه للتسبب وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة وقوله تعالى انه يراكم هو وقبيله اى جنوده وذريته استيناف لتعليل النهى وتاكيد
التحذير منه من حيث لا ترونهم من لابتداء غاية الروية وحيث ظرف لمكان انتفا الروية لا ترونهم
فى محل الجر باضافة الظرف اليه ورويتهم لنا من حيث لا نريهم لا يقتضى امتناع رويتنا لهم مطلقا
واستحالة تمثلهم لنا انا جعلنا الشياطين جمع قبيلة من جملته فجمع اولياء للذين لا يؤمنون انا جعلناهم
بما اوجبنا بينهم من التناسب او بارسالهم عليهم وتمكينهم من اغوايهم وحملهم على ما سولوا لهم اولياء اى قرناء
مسلطين عليهم والجملة تعليل اخر للنهى وتاكيد للتحذير اى تحذير واذا فعلوا فاحشة جملة مبتداة لا محل
لها من الاعراب وقد جوز عطفها على الصلة والفاحشة والفعلة المتناهية فى القبح والتاء لانها مجراة
على الموصوف المونث اى فعلة فاحشة او للنقل من الوصفية الى الاسمية والمراد بها عبادة الاصنام وكشف العورة فى
الطواف ونحوهما قالوا جوابا للناهين عنها وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها محتجين بامرين تقليد الابا
والافترا على الله سبحانه ولعل تقديم المقدم للايذان منهم فان اباءهم كانوا يفعلونها بامر الله تعالى بها
على ان ضمير امرنا لهم ولابايهم فح يظهر وجه الاعراض عن الاول فى رد مقالتهم بقوله تعالى ان الله لا يامر بالفحشاء
فان عادته جارية على الامر بمحاسن الاعمال والحث على مراضى الخصال ولا دلالة فيه على ان قبح الفعل بمعنى
ترتب الذم عليه عاجلا والعقاب اجلا عقلى فان المراد بالفحشاء ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه
العقل المستقيم وقيل هما جوابا لسؤالين مترتبين كانه قيل لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها اباءنا
فقيل لم فعلها اباؤكم فقالوا الله امرنا بها وعلى الوجهين يمنع التقليد اذا قام الدليل بخلافه مطلقا اتقولون
على الله ما لا تعلمون من تمام القول المامور به والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وتوجيه الانكار
والتوبيخ الى قوله تعالى ما لا يعلمون صدوره عنه تعالى مع ان بعضهم يعلمون انتفاءه تعالى اذ الانكار منكر للاسناد
ما علم عدم صدوره عنه اليه عز وجل اشد قبحا واحق بالانكار قل امر ربى بالقسط بيان لما امر به اثر
نفى ما اسند امره اليه تعالى من الامور المنهى عنها والقسط العدل وهو الوسط من كل شىء المتجافى
عن طرفى الافراط والتفريط واقيموا وجوهكم اى توجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها واقيموا
وجوهكم اى توجهوا نحو القبلة عند كل مسجد فى كل وقت سجود او مكان سجود وهو الصلاة او فى اى
مسجد حضرتكم الصلاة عنده ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم وادعوه واعبدوه مخلصين له
الدين اى طاعة فان مصيركم اليه بالاخرة كما بدأكم اى انشأكم ابتداء تعودون اى باعادته فيجازيكم على اعمالكم
وانما شبه الاعادة بالابتداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون وقيل حفاة
عراة غرلا تعودون اليه وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم فريقا هدى بان وفقهم للايمان وفريقا
حق عليهم الضلالة بمقتضى القضاء السابق التابع للمشية المبنية على الحكم البالغة وانتصابه بفعل مضمر
يفسره ما بعده اى وخذل فريقا انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل لخذلانه وتحقيق
لضلالتهم ويحسبون انهم مهتدون فيه دلالة على ان الكافر المخطى والمعاند سوآء فى استحقاق الذم والفارق
وان عجله على المعتصى فى النظر يا بنى ادم خذوا زينتكم اى ثيابكم لمواراة عوراتكم عند كل مسجد اى طواف
او صلاة ومن السنة ان ياخذ الرجل احسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة وكلوا
واشربوا مما طاب لكم روى ان بنى عامر كانوا فى ايام حجهم وهم المسلمون بمثله فنزلت ولا تسرفوا بتحريم الحلال
او بالتعدى الى الحرام او بالافراط فى الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ما شئت
ما اخطاتك خصلتان سرف ومخيلة فقال على بن الحسين وقد جمع الله الطب فى نصف الاية فقال
كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين اى لا يرتضى فعلهم قل من حرم زينة الله من الثياب وما
يتجمل به التى اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع
والطيبات من الرزق اى المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل فى المطاعم والملابس
وانواع التجملات الاباحة فى من انكارية قل هى للذين امنوا فى الحياة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم
فيها فبالتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحالية وقرئ بالرفع على انه خبر
بعد خبر كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اى مثل هذا التفصيل نفصل سائر الاحكام لقوم يعلمون

ما فى

ما فى تضاعيفها من المعانى الرايقة قل انما حرم ربى الفواحش اى ما تفاحش قبحه من الذنوب وقيل ما يتعلق منها
بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش اى جهرها وسرها والاثم وهو تعميم بعد تخصيص
وقيل هو شرب الخمر والبغى اى الظلم او الكبر افرد بالذكر للمبالغة فى الزجر عنه بغير الحق متعلق بالبغى موكد
له معنى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لا يدل عليه
برهان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون بالالحاد فى صفاته والافترا عليه كقولهم والله امرنا بها وتوجيه
التحريم الى قولهم عليه تعالى ما لا يعلمون عدم وقوعه وقد مر سره ولكل امة من الامم المهلكة اجل حد معين
من الزمان مضروب لمهلكهم فاذا جاء اجلهم ان جعل الضمير للامم المدلول عليها بكل امة واظهار الاجل مضافا
اليه لافادة المعنى المقصود الذى هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بواسطة اكتساب الاجل
بالاضافة عموما يفيد معنى الجمعية كانه قيل اذا جاء اجلهم بان يجىء كل واحدة من تلك الامم اجلها الخاص بها
وان جعل لكل امة خاصة كما هو الظاهر فالاظهار فى موقع الاضمار لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير
لافادة اكمل التمييز اى اذا جاء اجلها الخاص بها لا يستاخرون عن ذلك الاجل ساعة اى شيئا قليلا من الزمان فانها
مثل فى غاية القلة منه اى لا يتاخرون اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم وحرمانهم عن ذلك مع
طلبهم ولا يستقدمون اى ولا يتقدمون عليه وهو عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه
فى نفسه كالتاخر بل للمبالغة فى انتفاء التاخر بنظمه فى سلك المستحيل عقلا كما فى قوله سبحانه وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات
كافرا مع ظهور ان لا توبة له راسا قد نظم فى عدم القبول فى سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا
بتساوى وجود التوبة حينئذ وعدمها بالمرة وقيل المراد بالمجىء الدنو بحيث يمكن التقدم فى الجملة كمجىء اليوم
الذى ضرب لهلاكهم ساعة منه وليس بذاك وتقديم بيان الاستيخار لما ان المقصود بالذات بيان عدم
خلاصهم من العذاب واما ما فى قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون من سبق السبق فى الذكر
فلما ان المراد هنالك بيان سر تاخير اهلاكهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله تعالى ذرهم ياكلوا
ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم هنالك بيان انتفاء السبق يا بنى ادم تلوين للخطاب وتوجيه
له الى كافة الناس اهتماما بشان ما فى حيزه اما ياتينكم هى ان الشرطية ضمت اليها ما لتاكيد معنى الشرط
ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة وفيه تنبيه على ان ارسال الرسل امر جائز لا واجب عقلا
رسل منكم الجار متعلق بمحذوف هو صفة لرسل اى كائنون من جنسكم وقوله تعالى يقصون عليكم اياتى صفة
اخرى لرسل اى يبينون لكم احكامى وشرايعى وقوله تعالى فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جملة
شرطية وقعت جوابا للشرط اى فمن اتقى منكم التكذيب واصلح عمله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وكذا
قوله تعالى والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون اى والذين كذبوا
منكم باياتنا وايراد الاتقا فى الاول للايذان بان مدار الفلاح ليس مجرد عدم التكذيب بل هو الاتقا
والاجتناب عنه وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد فمن
اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته اى تقول عليه تعالى ما لم يقله او كذب ما قاله اى هو اظلم
من كل ظالم وقد مر تحقيقه مرارا اولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان افراد الفعلين
باعتبار لفظه وما فيه من معنى البعد للايذان بتماديهم فى سوء الحال اى اولئك الموصوفون بما ذكر من
الافترا او التكذيب ينالهم نصيبهم من الكتاب اى مما كتب لهم من الارزاق والاعمال وقيل الكتاب اللوح
اى مما اثبت لهم فيه ومن لابتداء الغاية متعلقة بمحذوف وقع حالا من نصيبهم اى ينالهم نصيبهم
كائنا من الكتاب وقيل نصيبهم من العذاب وسواد الوجه وزرقة العيون وسواد الوجه وزرقة
العيون وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كتب لمن يفترى على الله سواد الوجه قال الله تعالى ويوم القيمة
ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا اى ملك الموت واعوانه
يتوفونهم اى حال كونهم متوفين لارواحهم وهو يد الاول فانها حتى وان كانت هى التى يبتدأ بها الكلام لكنها
غاية لما قبلها فلا بد ان يكون نصيبهم مما يتمتعون به الى وفاتهم اى ينالهم نصيبهم من الكتاب الى ان
تاتيهم ملائكة الموت فاذا جاءتهم قالوا لهم اينما كنتم تدعون من دون الله اى اين الالهة التى كنتم
تعبدونها فى الدنيا وما وقعت موصولة باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة قالوا
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية سؤال الرسل كانه قيل فماذا قالوا عند ذلك فقيل
قالوا ضلوا عنا اى غابوا عنا لا ندرى مكانهم وشهدوا على انفسهم عطف على قالوا اى اعترفوا على انفسهم
انهم كانوا اى فى الدنيا كافرين عابدين لما لا يستحق العبادة اصلا حيث شاهدوا حالهم حاله وضلاله
ولعله اريد بوقت مجىء الرسل وحال التوفى كل ذلك الزمان بقاوا ان كان حدوثهما فى اوله فقط او قصد

بيان غاية سرعة وقوعه البعث والجزا كانهما حاصلان عند ابتدا الموت كما ينبئ عنه قوله عليه السلام من
مات فقد قامت قيامته والا فهذا السؤال والجواب وما ترتب عليهما من الامر بدخول النار وما
جرى بين اهلها من التلاعن والتقاول انما يكون بعد البعث لا محالة قال اى الله عز وجل يوم القيمة
بالذات او بواسطة الملائكة ادخلوا فى امم قد خلت من قبلكم اى كائنين فى جملة امم مصاحبين لهم من الجن
والانس يعنى كفار الامم الماضين فى النار متعلق بقوله ادخلوا كلما دخلت امة من الامم
السالفة واللاحقة فيها لعنت اختها التى ضلت بالاقتدا بها حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا
وتلاحقوا فى النار قالت اخريهم دخولا او منزلة وهم الاتباع لاوليهم اى لاجلهم اذ الخطاب مع الله تعالى
لا معهم ربنا هؤلاء اضلونا سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم فآتهم عذابا ضعفا اى مضاعفا من النار
لانهم ضلوا واضلوا قال لكل ضعف اما القادة فبما ذكر من الضلال والاضلال واما الاتباع فلكفرهم
وتقليدهم ولكن لا تعلمون اى ما لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء وقالت اوليهم اى مخاطبين لاخراهم
حين سمعوا جواب الله تعالى لهم فما كان لكم علينا من فضل اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا
واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب المعهود المضاعف بما كنتم تكسبون
من قول القادة ان الذين كذبوا بآياتنا مع وضوحها واستكبروا عنها اى عن الايمان بها والعمل بمقتضاها
لا تفتح لهم ابواب السماء اى لا تقبل ادعيتهم واعمالهم والتاء فى تفتح لتانيث الابواب والتشديد
لكثرتها وقرئ بالتخفيف وبالتخفيف والياء وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب على ان الفعل
للآيات وبالياء على انه لله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط اى حتى يدخل ما هو مثل
فى عظم الجرم فيما هو علم فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة مبالغة فى الاستبعاد وقرئ الجمل الغليظ من
القلب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وقرئ فى سم المخيط وهو الخياط اى ما يخاط به كالحزام
وكذلك اى ومثل ذلك الجزا الفظيع نجزى المجرمين اى جنس المجرمين وهم داخلون فى زمرتهم دخولا اوليا
لهم من جهنم مهاد اى فراش من تحتهم والتنوين للتفخيم ومن تجريدية ومن فوقهم غواش على الغا المحذوف
كما فى قوله تعالى وله الجوار المنشآت وكذلك اى ومثل ذلك الجزا الشديد نجزى الظالمين عبر عنهم
بالمجرمين تارة وبالظالمين اخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بكل واحد من ذينك الوصفين
القبيحين وذكر الجرم مع الحرمان عن دخول الجنة والظلم مع التعذيب بالنار للتنبيه على انه اعظم الجرائم
والجرائر والذين آمنوا اى بآياتنا او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه الآيات دخولا اوليا وقوله تعالى
وعملوا الصالحات اى الاعمال الصالحة التى شرعت بالآيات وهذا بمقابلة الاستكبار عنها لا نكلف
نفسا الا وسعها اعتراض وسط بين المبتدا الذى هو الموصول والخبر الذى هو جملة اولئك اصحاب الجنة
للترغيب فى اكتساب ما يؤدى الى النعيم المقيم ببيان سهولة مناله وتيسر تحصيله وقرئ لا تكلف
نفس واسم الاشارة مبتدا ثان واصحاب الجنة خبره والجملة خبر للمبتدا الاول او اسم الاشارة بدل من
المبتدا الاول الذى هو الموصول والخبر اصحاب الجنة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم فى
الفضل والشرف هم فيها خالدون حال من اصحاب الجنة وقد جوز كونه حالا من الجنة لاشتماله على ضميرها
والعامل معنى الاضافة او اللام المقدرة او خبر لاولئك على راى من يجوزه وفيها متعلق بخالدون
ونزعنا ما فى صدورهم من غل اى نخرج من قلوبهم اسباب الغل او نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا
التواد وصيغة الماضى للايذان بتحققه وتقرره وعن على رضى الله تعالى عنه انى لارجو ان اكون انا
وعثمان وطلحة والزبير منهم تجرى من تحتهم الانهار زيادة فى لذتهم وسرورهم والجملة حال من الضمير
فى صدورهم والعامل اما معنى الاضافة واما العامل فى المضاف اى حال من نزعنا وقيل هى مستانفة
للاخبار عن صفة احوالهم وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا اى لجزاؤه هذا وما كنا لنهتدى
اى لهذا المطلب الاعلى او المطلب الذى هذا من جملته لولا ان هدانا الله ووفقنا له واللام لتاكيد
النفى وجواب لولا محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ومفعول نهتدى وهدانا الثانى محذوف لظهور
المراد او لارادة التعميم كما اشير اليه والجملة مستانفة او حالية وقرئ ما كنا لنهتدى الى آخره بغير
واو على انها مبينة ومفسرة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق جواب قسم مقدر قالوه تبجحا واغتباطا
بما نالوه وابتهاجا بايمانهم بما جاءتهم الرسل عليهم السلام والباء فى قوله تعالى بالحق اما للتعدية
فهى متعلقة بجاءت او للملابسة فهى متعلقة بمقدر وقع حالا من الرسل والله لقد جاؤوا بالحق
لقد جاؤوا ملتبسين بالحق ونودوا اى نادتهم الملائكة ان تلكم الجنة ان مفسرة لما فى النداء من معنى القول
او مخففة من ان وضمير الشان محذوف ومعنى البعد فى اسم الاشارة اما لانهم نودوا عند رؤيتهم اياها
من مكان بعيد واما لرفع منزلتها وبعد رتبتها واما للاشعار بانها تلك الجنة التى وعدوها فى الدنيا

اورثتموها

اورثتموها بما كنتم تعملون فى الدنيا من الاعمال الصالحة اى اعطيتموها بسبب اعمالكم والجملة حال من الجنة
والعامل معنى الاشارة على ان تلكم الجنة مبتدا وخبر والجنة صفة والخبر اورثتموها ونادى اصحاب الجنة
اصحاب النار تبجحا بحالهم او شماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم لا لمجرد الاخبار بحالهم والاستخبار عن حال
مخاطبيهم ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا حيث نلنا هذا المنال الجليل فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا
حذف المفعول من الفعل الثانى اسقاطا لهم عن رتبة التشريف بالخطاب عند الوعد وقيل لان ما ساءهم
من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعده كالبعث والحساب ونعيم اهل الجنة فانهم قد وجدوا جميع
ذلك حقا وان لم يكن وعده مخصوصا بهم قالوا نعم اى وجدناه حقا وقرئ بكسر العين وهى لغة فيه فاذن
مؤذن قيل هو صاحب الصور بينهم اى بين الفريقين ان لعنة الله على الظالمين بان المخففة او المفسرة
وقرئ بان المشددة ونصب لعنة وقرئ ان بكسر الهمزة على ارادة القول او اجرا اذن مجرى قال الذين
يصدون عن سبيل الله صفة مقررة للظالمين او رفع على الذم او نصب عنه ويبغونها عوجا اى يبغون لها
عوجا بان يصفوها بالزيغ والميل عن الحق وهو ابعد شئ منهما والعوج بالكسر فى المعانى والاعيان
ما لم يكن منتصبا وبالفتح ما كان فى المنتصب كالرمح والحائط وهم بالآخرة كافرون غير معترفين وبينهما
حجاب اى بين الفريقين كقوله تعالى فضرب بينهم بسور او بين الجنة والنار ليمنع وصول اثر احداهما
الى الاخرى وعلى الاعراف اى على اعراف الحجاب واعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار
من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه بظهوره اعرف من غيره رجال طائفة من
الموحدين قصروا فى العمل فيجلسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله تعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت
درجاتهم كالانبيا والشهدا والاخيار والعلما من المؤمنين او ملائكة يرون فى صورة الرجال يعرفون كلا
بسيماهم من اهل الجنة واهل النار يعرفون بعلامتهم التى علم الله تعالى بها كبياض الوجه وسواده فعلا
من سام ابله اذا ارسلها فى المرعى معلمة او من وسم بالقلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام او بتعليم
الملائكة ونادوا اى رجال الاعراف اصحاب الجنة حين راوهم ان سلام عليكم بطريق الدعا والتحية او
بطريق الاخبار بنجاتهم من المكاره لم يدخلوها وهم يطمعون حال كونهم طامعين فى دخولها مترقبين
له اى لم يدخلوها وهم فى وقت عدم الدخول طامعون واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار اى
الى جهتهم وفى عدم التعرض لتعلق انظارهم باصحاب الجنة والتعبير عن تعلق ابصارهم باصحاب النار به
بالصرف اشعار بان التعلق الاول بطريق الرغبة والميل والثانى بخلافه قالوا متعوذين بالله
تعالى من سوء حالهم ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين اى فى النار ووصفهم بالظلم دون ما هم عليه
حينئذ من العذاب وسوء الحال الذى هو الموجب للدعا اشعار بان المحذور عندهم ليس نفس العذاب
فقط بل مع ما يوجبه ويؤدى اليه من الظلم ونادى اصحاب الاعراف كرر ذكرهم مع كفاية الاضمار
لزيادة التقرير رجالا من رؤسا الكفرة حين راوهم فيما بين اصحاب النار يعرفونهم بسيماهم الدالة
على سوء حالهم يومئذ وعلى رياستهم فى الدنيا قالوا بدل من نادى ما اغنى عنكم ما استفهامية للتوبيخ
والتقريع او نافية جمعكم اى اتباعكم واشياعكم او جمعكم للمال وما كنتم تستكبرون ما مصدرية اى
ما اغنى عنكم جمعكم واستكباركم المستمر عن قبول الحق او على الخلق وهو الانسب بما بعده وقرئ من
تستكثرون من الكثرة اى من الاموال والجنود اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة
قولهم للرجال والاشارة الى ضعفا المؤمنين الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون صريحا
انهم لا يدخلون الجنة او يفعلون ما ينبئ عن ذلك كما فى قوله او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من
زوال ادخلوا الجنة تلوين للخطاب وتوجيه له الى اولئك المذكورين اى ادخلوا الجنة على رغم انوفكم
لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون اى قيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله تعالى بعد ان حبسوا
وشاهدوا احوال الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا والاظهر ان لا يكون المراد باصحاب الاعراف
المقصرين فى العمل لان هذه المقالات وما تتفرع هى عليه من المعرفة لا يليق بمن لم يتعين حاله بعد
وقيل لما عيروا اصحاب النار اقسموا ان اصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فوق النار او مما رزقكم
الله من سائر الاشربة ليلائم الافاضة او من الاطعمة على ان الافاضة عبارة عن الاعطا بكثرة قالوا
استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قالوا فقيل قالوا ان الله حرمهما على الكافرين اى منعهما
منهم منعا كليا فلا سبيل الى ذلك قطعا الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والسائبة
ونحوهما والتصدية حول البيت والتوصيف اليهم الى ما لا يحسن ان يسمى الجد واللعب طلب
الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم الحيوة الدنيا بزخارفها العاجلة فاليوم ننساهم نفعل بهم
ما يفعل الناسى بالمنسى من عدم الاعتداد بهم وتركهم فى النار تركا كليا والفاء فى فاليوم فصيحة وقوله

تعالى كما نسوا لقاء يومهم هذا في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي ننساهم نسيانا مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا حيث لم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له وقوله تعالى وما كانوا باياتنا يجحدون عطف على ما نسوا اي وكما كانوا منكرين بانها من عند الله تعالى انكارا مستمرا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اي بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ والضمير للكفرة قاطبة والمراد بالكتاب الجنس او للمعاصرين منهم والكتاب هو القران على علم حال من فاعل فصلناه اي عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما او من مفعوله اي مشتملا على علم كثير وقرئ فضلناه على سائر الكتب عالمين بفضله هدى ورحمة حال من المفعول لقوم يؤمنون لانهم المغتنمون باثاره المقتبسون من انواره هل ينتظرون به الا ما يؤول اليه امره من تبين صدقه بظهور ما اخبر به من الوعد والوعيد هل ينظرون الا تاويله يوم يأتي تاويله يوم القيمة يقول الذين نسوه من قبل اي تركوه ترك المنسي من قبل اتيان تاويله قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم قد جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا اليوم ويدفعوا عنا العذاب او نرد اي هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا او لان او بمعنى الى ان فعلى الاول المسؤل احد الامرين اما الشفاعة لدفع العذاب او الرد الى الدنيا وعلى الثاني ان يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين او لامر واحد هو الرد فنعمل بالنصب على انه جواب الاستفهام الثاني وقرئ بالرفع اي فنحن نعمل غير الذي كنا نعمل اي في الدنيا قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم التي هي رأس مالهم الى الكفر والمعاصي وضل عنهم ما كانوا يفترون اي ظهر بطلان ما كانوا يفترونه من ان الاصنام شركاء لله تعالى وشفعاؤهم يوم القيمة ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام شروع في بيان مبدأ الفطرة اثر بيان معاد الكفرة اي ان خالقكم ومالككم الذي خلق الاجرام العلوية والسفلية في ستة اوقات كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في مقدار ستة ايام فان المتعارف ان اليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم تكن هي حينئذ وفي خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار واعتبار للنظار وحث على التاني في الامور ثم استوى على العرش اي استوى امره او استولى وعن اصحابنا ان الاستواء اعتبار النظار وحث على التاني في الامور على العرش صفة لله تعالى بلا كيف والمعنى انه تعالى استوى على العرش على الوجه الذي عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك يغشي الليل النهار اي يغطيه به ولم يذكر العكس للعلم به او لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ بنصب الليل ورفع النهار وقرئ بالتشديد للدلالة على التكرار يطلبه حثيثا اي يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف او حال من الفاعل بمعنى حاثا او من المفعول بمعنى محثوثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي خلقهن حال كونهن مسخرات بقضائه وتصريفه وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر الا له الخلق والامر فانه الموجد للكل والمتصرف فيه على الاطلاق تبارك الله رب العالمين اي تعالى بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية وتحقيق الاية الكريمة والله اعلم ان الكفرة كانوا متخذين اربابا فبين لهم ان المستحق للربوبية واحد هو الله تعالى لانه الذي له الخلق والامر فانه تعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالشمس والقمر والنجوم كما اشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين وعمد الى الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيئات المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متباينة الاثار والافعال واشار اليه بقوله تعالى وخلق الارض في يومين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين لما فصل في سورة السجدة ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على سريره فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالي والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم امر ان يدعوه مخلصين متذللين فقال ادعوا ربكم الذي قد عرفتم شؤونه الجليلة تضرعا وخفية اي ذوي تضرع وخفية فان الخفية دليل الاخلاص انه لا يحب المعتدين اي لا يحب دعاء المجاوزين لما امروا به في كل شيء فيدخل فيه الاعتداء في الدعاء دخولا اوليا وقد نبه على ان الداعي يجب ان لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء والصعود الى السماء وقيل هو الصياح في الدعاء والاسهاب فيه وعن النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها ببعث الانبياء وشرع

الاحكام وادعوه خوفا وطمعا اي ذوي خوف نظرا الى قصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع نظرا الى سعة رحمته ووفور فضله واحسانه ان رحمة الله قريب من المحسنين في كل شيء ومن الاحسان في الدعاء ان يكون مقرونا بالخوف والطمع وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الترحم او لانه صفة لمحذوف اي امر قريب او على تشبيهه بفعيل الذي هو بمعنى مفعول او الذي هو مصدر كالنقيض والصهيل او للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره او لاكتسابه التذكير من المضاف اليه كما ان المضاف يكتسي التانيث من المضاف اليه وهو الذي يرسل الرياح عطف على الجملة السابقة وقرئ الريح نشرا بتخفيف نشر جمع نشور اي مبشرات وقرئ بفتح النون على انه مصدر نشره بمعنى انشره او للبشارة وقرئ بشرا بالنون المضمومة جمع نشور اي ناشرات او مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان بين يدي رحمته قدام رحمته التي هي المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشيء يستقل سحابا ثقالا بالماء جمعه لانه بمعنى السحائب سقناه اي السحاب وافراد الضمير الى الماء وهو الظاهر واذا كان للبلد فالباء للالصاق في الاول والظرفية في الثاني واذا كان لغيره فهو للسببية فاخرجنا به من كل الثمرات اي من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه ونطريه بها بانواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس لعلكم تذكرون بطرح احد التائين اي تتذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا من غير شبهة والبلد الطيب اي الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بمشيته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه اوقعه في مقابلة قوله والذي خبث من البلاد كالسبخة والحرة لا يخرج الا نكدا قليلا عديم النفع ونصبه على الحال والتقدير والبلد الذي خبث لا يخرج نباته الا نكدا وقرئ نكدا على المصدر اي ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف كذلك اي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الايات اي نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله تعالى فيتفكرون فيها ويعتبرون بها وهذا كما ترى مثل لارسال الرسل عليهم السلام بالشرائع التي هي ماء حياة القلوب الى المكلفين المنقسمين الى المقتبسين من انوارها والمحرومين من مغانم اثارها وقد عقب ذلك بما يحققه ويقرره من قصص الامم الخالية بطريق الاستئناف فقيل لقد ارسلنا نوحا الى قومه وهو جواب قسم محذوف اي والله لقد ارسلنا الى اخره واطراد استعمال هذه اللام مع قد لكون مدخولها مظنة للتوقع الذي هو معنى قد فان الجملة القسمية انما تساق لتاكيد الجملة المقسم عليها ونوح هو ابن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس النبي عليهما السلام قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بعث عليه الصلاة والسلام على رأس اربعين سنة من عمره ولبث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين سنة فقال يا قوم اعبدوا الله اي اعبدوه وحده وترك التقييد به للايذان بانها العبادة حقيقة واما العبادة بالاشراك فليس من العبادة في شيء وقوله تعالى ما لكم من اله غيره اي مستحق للعبادة استئناف مسوق لتعليل العبادة المذكورة او الامر بها وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله الذي هو الرفع على الابتداء او الفاعلية وقرئ بالجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وحكم غير حكم الاسم الواقع بعد الا اي ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد وفي اله ان يجعل مبتدأ ولكم خبره او خبره محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اي ما لكم في الوجود او في العالم اله غير الله اني اخاف عليكم اي ان لم تعبدوه حسبما امرت به عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة او يوم الطوفان والجملة تعليل للعبادة ببيان الصارف عن تركها اثر تعليلها ببيان الداعي اليها ووصف اليوم بالعظم لبيان عظم ما يقع فيه وتكميل الانذار قال الملأ من قومه استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية قوله عليه السلام كانه قيل فماذا قالوا له عليه السلام في مقابلة نصحه فقيل قال الرؤساء من قومه والاشراف الذين يملؤن صدور المحافل بأجرامهم والقلوب بجلالهم وهيبتهم والابصار بجمالهم وابهتهم انا لنراك في ضلال مبين اي ذهاب عن طريق الحق والصواب والرؤية قلبية ومفعولاها الضمير والظرف مبين بين كونه ضلالا قال استئناف كما سبق يا قوم ناداهم باضافتهم اليه استمالة لقلوبهم نحو الحق ليس بي ضلالة اي شيء ما من الضلال قصد عليه السلام تحقيق الحق في نفي الضلال في نفسه ردا على الكفرة حيث بالغوا في اثباته له عليه السلام حيث جعلوه مستقرا في الضلال واضح كونه ضلالا وقوله تعالى ولكني رسول من رب العالمين استدراك مما قبله باعتبار ما يستلزمه من كونه في اقصى مراتب الهداية فان رسالة رب العالمين مستلزمة له لا محالة كانه قيل ليس بي شيء من الضلالة ولكني في الغاية القاصية من الهداية ومن لابتداء الغاية مجازا متعلقة بمحذوف هو صفة لرسول مؤكدة لما يفيده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي استئناف مسوق لتقرير رسالته وتفصيل

احكامها واحوالها وقيل صفة اخرى لرسول على طريقة • انا الذي سمتني امي حيدرة • وقرئ ابلغكم من
الابلاغ وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها ولتنوع معانيها او لان المراد بها ما اوحي اليه والى النبيين
من قبله عليهم السلام وتخصيص ربوبيته تعالى له عليه السلام بعد بيان عمومها للعالمين للاشعار
بعلة الحكم الذي هو تبليغ رسالته تعالى اليهم فان ربوبيته تعالى له عليه السلام من موجبات امتثاله
بامره تعالى بتبليغ رسالته تعالى اليهم وانصح لكم عطف على ابلغكم مبين لكيفية اداء الرسالة وزيادة اللام
مع تعدي النصح بنفسه للدلالة على امحاض النصيحة لهم فانها لمنفعتهم ومصلحتهم خاصة وصيغة المضارع
للدلالة على تجدد نصيحته لهم كما يعرب عنه قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا وقوله تعالى واعلم من الله
ما لا تعلمون عطف على ما قبله وتقرير لرسالته عليه السلام اي اعلم من جهة الله تعالى بالوحي ما لا
تعلمونه من الامور الآتية او اعلم من شؤونه عز وجل وقدرته القاهرة وبطشه الشديد على اعدائه
فان باسه لا يرد عن القوم المجرمين ما لا تعلمونه قيل كانوا لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا غافلين
لا يعلمون ما علمه نوح عليه السلام بالوحي او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم جواب ورد لما اكتفى عن ذكره
بقولهم انا لنراك في ضلال مبين من قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وقولهم لو شاء الله لانزل ملائكة والهمزة
للانكار والواو للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام كانه قيل استبعدتم وعجبتم من ان جاءكم ذكر اي
وحي او موعظة من مالك اموركم ومربيكم على رجل منكم اي على لسان رجل من جنسكم كقوله تعالى ما
وعدتنا على رسلك وقلتم لا يحمل ذلك ما قلتم من ان الله تعالى لو شاء لانزل ملائكة لينذركم عاقبة
الكفر والمعاصي ولتتقوا عطف على العلة الاولى مرتبة عليها ولعلكم ترحمون عطف على العلة الثانية
مرتبة عليها اي ولتتعلق بكم الرحمة بسبب تقواكم وفايدة حرف الترجي التنبيه على عزة المطلب وان
التقوى غير موجب للرحمة بل هي منوطة بفضل الله تعالى وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد على تقواه ولا
يامن عذاب الله عز وجل فكذبوه فتموا على تكذيبه في دعوى النبوة وما نزل عليه من الوحي الذي بلغه
اليهم وانذرهم بما في تضاعيفه واستمروا على ذلك هذه المدة المتطاولة بعد ما كرر عليه السلام عليهم
الدعوة مرارا فلم يزدهم دعاؤه الا فرارا حسبما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الآية
بما يسارعوا الذي يعقبه الانجاء والاغراق لا لمجرد التكذيب فانجيناه والذين معه من المومنين قيل كانوا
اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة ابناؤه الثلاثة وستة ممن آمن به وقوله تعالى في الفلك متعلق
بالاستقرار في الظرف اي والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه او بفعل الانجاء اي انجيناهم ويجوز ان يتعلق
بمحذوف وقع حالا من الموصول او من ضميره في الظرف واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي استمروا على تكذيبها وليس
المراد منهم الملأ المتصدين للجواب فقط بل كل من اصر على التكذيب منهم ومن اعقابهم وتقديم ذكر الانجاء
على الاغراق للمسارعة الى الاخبار به والايذان بسبق الرحمة التي هي مقتضى الذات وتقدمها على الغضب
الذي يظهر اثره بمقتضى جرايمهم انهم كانوا قوما عمين عمي القلوب غير مستبصرين قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما عميت قلوبهم عن معرفة التوحيد والنبوة والمعاد وقرئ عامين والاول ادل على الثبات والى
عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة نوح عليه السلام وهو الناصب لقوله
تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب لا في الدين كقولهم يا اخا العرب وقيل ان
العامل فيهما الفعل المذكور فيما سبق واخاهم معطوف على نوحا والاول هو الاولى وايا ما كان فلعل تقديم
المجرور ههنا على المفعول الصريح للحذر عن الاضمار قبل الذكر وشدك الى ذلك ما يأتي من قوله تعالى
ولوطا الى اخره فان قومه لما لم يعهدوا باسم معروف يقتضي الحال ذكره عليه السلام مضافا اليهم كما في
قصة عاد وثمود ومدين خولف في النظم الكريم بين قصته عليه السلام وبين القصص الثلاث وقوله
تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه
السلام وقيل هو من شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام ابن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم
افهم لكلامه واعرف بحاله في صدقه وامانته واقرب الى اتباعه قال استيناف مبني على سؤال نشأ من
حكاية ارساله عليه السلام اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله وحده كما يعرب
عنه قوله ما لكم من اله غيره فانه استيناف جار مجرى البيان للعبادة المامور بها والتعليل لها او
للامر بها كانه قيل خصوه بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس لكم اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله
باعتبار محله وقرئ بالجر حملا له على لفظه افلا تتقون انكار واستبعاد لعدم اتقائهم عذاب الله تعالى
بعد ما علموا ما حل بقوم نوح والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اتغفلون او لا تتفكرون
فلا تتقون فالتوبيخ على المعطوفين معا وفي سورة هود افلا تعقلون ولعله عليه السلام خاطبهم بكل
منهما وقد اكتفى بحكاية كل منهما في موطن عن حكايته في موطن آخر كما لم يذكر ههنا ما ذكر هنالك من قوله
تعالى ان انتم الا مفترون وقس على ذلك حال بقية ما ذكر وما لم يذكر من اجزاء القصة بل حال نظايره

في سائر القصص لا سيما في المحاورات الجارية في الاوقات المتعددة والله اعلم قال الملأ الذين كفروا
من قومه استيناف كما مر ووصف الملأ بالكفر اذ لم يكن كلهم على الكفر كملأ قوم نوح بل كان منهم من آمن
عليه السلام وكان يكتم ايمانه كمرثد بن سعد [illegible] انا لنراك في سفاهة اي
متمكنا في خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين آبائك [illegible] وانا لنظنك
من الكاذبين اي فيما ادعيت من الرسالة [illegible] قال يا قوم
[illegible] مع ما سمع منهم من الكلمة الشنعاء الموجبة لتغليظ القول والمسافهة بالسوء
ليس بي سفاهة اي شيء منها [illegible] ولكني رسول من رب العالمين [illegible]
باعتبار ما يستلزمه [illegible] الرشد والصدق [illegible]
الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك [illegible]
ما يكون من الرشد والصدق [illegible] الكذب [illegible] الغاية الثانية
بالفخامة [illegible] وقوله تعالى ابلغكم رسالات ربي [illegible]
وقيل صفة اخرى لرسول [illegible] الى العالمين وكذا في
جميع الرسالات كالذي مر في قصة نوح عليه السلام وقرئ ابلغكم من الابلاغ وانا لكم ناصح امين معروف
بالنصح والامانة مشهود بين الناس بذلك وانما جيء بالجملة الاسمية دلالة على الثبات والاستمرار وابلغ
بان من هذا حاله لا يحوم حوله شائبة السفاهة او الكذب او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم الكلام فيه
كالذي مر في قصة نوح عليه السلام على رجل منكم اي من جنسكم لينذركم ويحذركم عاقبة ما انتم عليه من
الكفر والمعاصي حتى نسبتموني الى السفاهة والكذب وفي اجابة الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه من نسبهم
بما لا خير فيه من امثال تلك الاباطيل بما حكي عنهم من المقالات الحقة المعربة عن نهاية الحلم والرزانة
وكمال الشفقة والرافة من الدلالة على حيازتهم القدح المعلى من مكارم الاخلاق ما لا يخفى مكانه واذكروا
اذ جعلكم خلفاء شروع في بيان ترتيب احكام النصح والامانة والانذار وتفصيلها واذ منصوب باذكروا
على المفعولية دون الظرفية وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت دون ما وقع فيه من الحوادث مع انها
المقصودة بالذات للمبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما فيه بالطريق البرهاني
ولان الوقت مشتمل عليها فاذا استحضر كانت هي حاضرة بتفاصيلها كانها مشاهدة عيانا ولعله معطوف
على مقدر كانه قيل لا تعجبوا من ذلك او تدبروا في امركم واذكروا وقت جعله تعالى اياكم خلفاء من بعد
قوم نوح اي في مساكنهم او في الارض بان جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل
عالج الى شحر عمان وزادكم في الخلق اي في الابداع والتصوير او في الناس بسطة قامة وقوة فانه لم يكن في
زمانهم مثلهم في عظم الاجرام قال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة القصير
ستون ذراعا فاذكروا آلاء الله التي انعم بها عليكم من فنون النعماء التي هذه من جملتها وهذا تكرير للتذكير
لزيادة التقرير وتعميم اثر تخصيص لعلكم تفلحون كي يؤديكم ذلك الى الشكر المؤدي الى النجاة من الكروب
والفوز بالمطلوب قالوا مجيبين عن تلك النصائح العظيمة اجئتنا لنعبد الله وحده اي لنخصه
بالعبادة ونذر ما كان يعبد آباؤنا انكروا عليه عليه السلام مجيئه لتخصيصه تعالى بالعبادة والاعراض
عن عبادة الاوثان انهماكا في التقليد وحبا لما الفوه ولعل اسلافهم عليه ومعنى المجيء اما مجيئه عليه
السلام من متعبده ومحل له واما من السماء على التهكم واما القصد الى الشيء مجازا كما يقال في مقابلة
ذهب يشتمني من غير ارادة معنى الذهاب فاتنا بما تعدنا من العذاب المدلول عليه بقوله تعالى افلا
تتقون ان كنت من الصادقين اي في الاخبار بنزول العذاب وجواب ان محذوف لدلالة المذكور عليه
اي فات به قال قد وقع عليكم اي وجب وحق او نزل من ربكم هذا بناء على تنزيل المتوقع منزلة
الواقع في قوله تعالى اتى امر الله من ربكم اي من جهته تعالى وتقديم الظرف الاول على الثاني مع ان
مبدأ الشيء متقدم على منتهاه للمسارعة الى بيان اصابة المكروه بهم وكذا تقديمهما على الفاعل الذي هو قوله
تعالى رجس مع ما فيه من التشويق الى المؤخر ولان فيه نوع طول بما عطف عليه من قوله تعالى وغضب
فربما يخل تقديمهما بتجاوب النظم الكريم والرجس العذاب من الارتجاس الذي هو الاضطراب والغضب
ارادة الانتقام وتنوينهما للتفخيم والتهويل اتجادلونني في اسماء عارية عن المسمى سميتموها اي سميتم بها
انتم وآباؤكم انكار لاستقباح انكارهم مجيئه عليه السلام داعيا لهم الى عبادة الله تعالى وحده وترك
عبادة الاصنام اي اتجادلونني في اسماء سميتموها آلهة ليست هي الا محض الاسماء من غير ان يكون فيها
من مصداق الالهية شيء وما لان المستحق للعبودية بالذات ليس الا من اوجد الكل وانها لو استحقت
لكان ذلك بجعل الله تعالى اما بانزال الآية او نصب حجة وكلاهما مستحيل وذلك قوله تعالى

من نزل الله من سلطان واذ ليس ذلك في حيز الامكان تحقق بطلان ما هم عليه فانتظروا مترتب على قوله
تعالى قد وقع عليكم اي فانتظروا ما تطلبونه بقولكم فاتنا بما تعدنا الى اخره اني معكم من المنتظرين لما
يحل بكم والفا في قوله تعالى فانجيناه فصيحة كما في قوله تعالى منا اي من جهتنا متعلق بمحذوف هو نعت
لرحمة موكد لفخامتها الذاتية المنفهمة من تنكيرها بالفخامة الاضافية وقطعنا دابر الذين كذبوا
باياتنا اي استاصلناهم بالكلية ودمرناهم عن اخرهم وما كانوا مؤمنين عطف على كذبوا داخل معه في حكم
الصلة اي اصروا على الكفر والتكذيب ولم يرعوا عن ذلك ابدا وتقديم حكاية الانجا على حكاية الاهلاك
قد مر سره وفيه تنبيه على ان مناط النجاة هو الايمان بالله تعالى وتصديق اياته كما ان مدار البوار
هو الكفر والتكذيب وقصتهم ان عادا قوم كانوا باليمن بالاحقاف وكان قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان
الى حضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صدا وصمود والهبا فبعث الله تعالى اليهم هودا نبيا وكان من
اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله تعالى عنهم القطر ثلث سنين
حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته الحرام مسلمهم ومشركهم
واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت
عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما
قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله
واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر ويغنيهم قينتان معاوية فلما راى طول مقامهم وذهولهم
باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء مقيمون عليه وكان يستحيي ان
يكلمهم خشية ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا
يدرون من قاله فقال معاوية • الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يسقينا غماما • فيسقي ارض
عاد ان عادا • قد امسوا ما يبينون الكلاما •• فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي
نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله تعالى سقيتم واظهر اسلامه فقال لمعاوية احبس عنا
مرثدا لا يقدم معنا فانه اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت
تسقيهم فانشا الله سحابات ثلاثا بيضا وحمرا وسودا ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك
ولقومك فقال اخترت السودا فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد يقال له المغيث فاستبشروا
بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة
فعبدوا الله تعالى فيها الى ان ماتوا والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق من قوله تعالى والى عاد
اخاهم هودا موافق له في تقديم المجرور على المنصوب وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر
ثمود بن عابر بن سام بن نوح عليه السلام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل
وقرى بالصرف بتاويل الحي وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز الى وادي القرى واخوهم صالح عليه
السلام هم من حيث النسب كهود عليه السلام فانه صالح بن عبيد بن اسف بن ماسخ بن عبيد بن
حاذر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله عليه السلام اليهم مظنة لان يسال ويقال فماذا قال لهم قيل
جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره وقد مر الكلام في نظائره
قد جاءتكم بينة اي اية ومعجزة ظاهرة شاهدة بنبوتي وهي من الالفاظ الجارية مجرى الابطح والابرق
في الاستغناء عن ذكر موصوفاتها حالة الافراد والجمع غالبا افرادا وجمعا ولذلك كانت كالحسنة
والسيئة سواها تاصحفت للاعمال او المثوبة والحالة من الخفا والشدة ولذلك اوليت العوامل
وقوله تعالى من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة كما مر وما اها له المحدثة الناقة وليس
هذا الكلام منه عليه السلام اول ما خاطبهم اثر دعوته الى التوحيد بل انما قاله بعد ما نصحهم
وذكرهم بنعم الله تعالى فلم يقبلوا كلامه وكذبوه الا ترى الى ما في سورة هود من قوله تعالى هو
انشاكم من الارض واستعمركم فيها الى اخر الايات روي انه لما اهلكت عاد عمرت ثمود بلادها
وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم
في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله سبحانه وتعالى
وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله تعالى اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من
اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله عز وجل فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم
وسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو
الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج

٤ فانجيناه اي فوقع ما وقع فانجيناه والذين معه اي في الدين برحمة اي عظيمة لا يقادر قدرها وقوله مع

معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في
ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت
البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن
ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء
جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم
فامن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها
ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت راسها في البئر فما ترفعها حتى تشرب
كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤا حتى يملؤا اوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت اذا وقع الحر تصيفت
بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم
الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امراتان عنيزة ام غنم وصدوف بنت المختار لما اضرت به من
مواشيهما وكانتا كثيرة المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة
فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه فانفجت الصخرة
بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث
ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله تعالى الى ارض
فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء
ورجفة من الارض فتقطعت قلوبهم فهلكوا وقوله تعالى هذه ناقة الله لكم اية استيناف مسوق لبيان
البينة واضافة الناقة الى الاسم الجليل لتعظيمها ولمجيئها من جهته تعالى بلا اسباب معهودة ووسائط
معتادة ولذلك كانت اية واي اية ولكم بيان لمن هي اية له وانتصاب اية على الحالية والعامل فيها
معنى الاشارة ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا من هذه او عطف بيان له او مبتدا ثانيا ولكم خبرا عاملا
في اية فذروها تفريع على كونها اية من ايات الله تعالى فان ذلك مما يوجب عدم التعرض لها تاكل في
ارض الله جواب الامر اي الناقة ناقة الله والارض ارض الله فاتركوها تاكل ما تاكل من ارض ربها
فليس لكم ان تحولوا بينها وبينها وقرى تاكل بالرفع على انه في موقع الحال اي اكلة فيها وعدم التعرض للشرب
اما للاكتفاء عنه بذكر الاكل او لتعميمه له ايضا كما في قوله • علفتها تبنا وماء باردا • وقد ذكر ذلك في
قوله تعالى لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها بسوء نهي عن المس الذي هو مقدمة الاصابة
بالسوء الشامل لانواع الاذية ونكر السوء مبالغة للنهي اي لا تتعرضوا لها بما يسوءها اصلا ولا تطردوها
ولا تريبوها اكراما لاية الله تعالى فياخذكم عذاب اليم جواب النهي ويروى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا
على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال عليه السلام لعلي رضي الله
تعالى عنه يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد عاد اي خلفاء في الارض او خلفاء لهم كما مر وبوأكم في الارض اي جعل لكم مباءة ومنزلا في ارض الحجر بين
الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا استيناف مبين لكيفية التبوئة اي تبنون في سهولها قصورا
رفيعة او تبنون من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر وتنحتون الجبال اي الصخر
وقرى تنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كما في قوله • ينباع من ذفرى غضوب جسرة •
والنحت نجر الشيء الصلب • فانتصاب الجبال على المفعولية وانتصاب قوله تعالى بيوتا على انها حال
مقدرة منها كما تقول خط هذا الثوب قميصا وقيل انتصاب الجبال على اسقاط الجار اي من الجبال وانتصاب
بيوتا على المفعولية وقد يجوز ان يضمن النحت معنى الاتخاذ فانتصابهما على المفعولية قيل كانوا يسكنون
السهول في الصيف والجبال في الشتا فاذكروا الاء الله التي انعم بها عليكم مما ذكر وجميع الاية التي هي
هذه من جملتها ولا تعثوا في الارض مفسدين فان حق الاية تعالى ان تشكر ولا تهمل ولا يغفل عنها فكيف
بالكفر والمعاصي والعثي في الارض بالفساد قال الملا الذين استكبروا من قومه اي عتوا وتكبروا
استيناف كما سلف وقرى بالواو عطفا على ما قبله من قوله تعالى قال يا قوم الى اخره واللام في قوله تعالى
للذين استضعفوا للتبليغ وقوله تعالى لمن امن منهم بدل من الموصوف باعادة العامل بدل الكل ان كان
ضمير منهم لقومه وبدل البعض ان كان للذين استضعفوا على ان من المستضعفين من لم يؤمن والاول هو الوجه
اذ لا داعي الى توجيه الخطاب اولا الى جميع المستضعفين مع ان المجاوبة مع المؤمنين منهم على ان الاستضعاف
مختص بالمؤمنين اي قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم اتعلمون ان صالحا مرسل من ربه
وانما قالوه بطريق الاستهزاء بهم قالوا انا بما ارسل به مؤمنون عدلوا عن الجواب الموافق لسؤالهم بان

يقول نعم او نعلم انه مرسل منه تعالى مسارعة الى تحقيق الحق واظهار ما لهم من الايمان الثابت المستمر
الذي ينبي عنه الجملة الاسمية وتنبيها على ان امر ارساله من الظهور بحيث ما لا ينبغي ان يسال عنه
وانما الحقيق بالسؤال عنه هو الايمان به قال الذين استكبروا اعيد الموصول مع صلته مع
كفاية الضمير ايذانا بانهم قد قالوا ما قالوه بطريق العتو والاستكبار انا بالذي آمنتم به كافرون
وانما لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون اظهارا لمخالفتهم اياهم وردا لمقالتهم فعقروا الناقة اي
نحروها اسند العقر الى الكل مع ان المباشر بعضهم للملابسة او لان ذلك لما كان برضاهم فكانه فعله
كلهم وفيه من تهويل الامر وتفظيعه بحيث اصابت غائلته الكل ما لا يخفى وعتوا عن امر ربهم اي عن
امتثاله وهو ما بلغهم صالح عليه السلام من الامر والنهي وقالوا مخاطبين له عليه السلام بطريق
التعجيز والافحام على زعمهم يا صالح ائتنا بما تعدنا اي من العذاب والاطلاق للعلم قطعا ان كنت من
المرسلين فان كونك من جملتهم يستدعي صدق ما تقول من الوعد والوعيد فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة
لكن لا اثر ما قالوا بل بعد ما جرى عليهم ما جرى من مبادي العذاب في الايام الثلاثة حسبما مر تفصيله
فاصبحوا في دارهم جاثمين خامدين لا حراك بهم واصل الجثوم اي تعود لاحراك بهم ولا يتسوون د
بنسبة قال ابو عبيدة الجثوم للناس والطير كالبروك للابل والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول
العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من شدة الاخذ و
سرعة البطش اللهم انا نعوذ بك من نزول سخطك وحلول غضبك وجاثمين خبر لاصبحوا والظرف
متعلق به بالذات وكونهم جاثمين قيدا تابعا له غير مقصود بالذات قيل حيث ذكرت الرجفة وحد
الدار وحيث ذكرت الصيحة جمعت لان الصيحة كانت من السماء فبلوغها اكثر وابلغ من الزلزلة
فقرن كل منهما بما هو الليق به فتولى عنهم اثر ما شاهد ما جرى عليهم تولي مغتم متحسر على ما فاتهم
من الايمان متحزنا عليهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم بالترغيب والترهيب
وبذلت فيكم وسعي ولكن لم تقبلوا مني ذلك وصيغة المضارع في قوله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين
حكاية حال ماضية اي شانكم الاستمرار على بغض الناصحين وعداوتهم وخاطبهم عليه السلام
بذلك خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل قليب بدر حيث قال انا وجدنا ما وعدنا
ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وقيل انما تولى عنهم قبل نزول العذاب بهم عند مشاهدته
عليه السلام لعلاماته تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم على ما هم عليه وروي ان عقرهم الناقة
كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي
فالتفت فراى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروي انه رجع بمن
معه فسكنوا ديارهم ولوطا منصوب بفعل مضمر معطوف على ما سبق وعدم التعرض للمرسل اليهم مع ان
على النعوت حسبما وقع فيما سبق وما لحق قد مر بيانه في قصة هود عليه السلام وهو لوط بن هاران
بن اخي ابراهيم عليهما السلام كان من ارض بابل من العراق مع عمه ابراهيم فهاجر الى الشام فنزل فلسطين
وانزل لوطا الاردن وهي كورة بالشام فارسله الله تعالى الى اهل سدوم وهو بلد بحمص وقوله
تعالى اذ قال لقومه منصوب بالمضمر المذكور اي ارسلنا لوطا الى قومه وقت قوله لهم الى اخره ولعل
تقييد ارساله عليه السلام بذلك لما ان ارساله اليهم لم يكن في اول وصوله اليهم وقيل بدل من
لوطا بدل اشتمال على ان انتصابه باذكر اي اذكر وقت قوله عليه السلام لقومه اتاتون الفاحشة
بطريق الانكار التوبيخي التقريعي اي اتفعلون تلك الفعلة المتناهية في القبح المتمادية في الشر
والسوء ما سبقكم بها ما عملها قبلكم على ان الباء للتعدية كما في قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة
من قولك سبقته بالكرة اي ضربتها قبله ومن في قوله تعالى من احد مزيدة لتاكيد النفي وتشديد
التوبيخ والتقريع فان مباشرة القبيح قبيح واختراعه اقبح ولقد انكر الله تعالى عليهم اولا اتيان
الفاحشة ثم وبخهم بانهم اول من عملها فان سبك النظم الكريم وان كان على نفي كونهم مسبوقين من
غير تعرض لكونهم سابقين لكن المراد انهم سابقون لكل من عداهم من العالمين وان كان ما في تحقيقه
مرادا في نحو قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا والجملة مسوقة جوابا عن سؤال مقدر كانه
قيل من جهتهم لم لا ناتيها فقيل بيانا للعلة واظهارا للزاجر ما سبقكم بها احد لغاية قبحها وسوء سبيلها
فكيف تفعلونها قال عمرو بن دينار ما نزى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط قال محمد بن اسحاق كانت
لهم ثمار وقرى لم يكن في الدنيا مثلها فقصدهم الناس فاذوهم فعرض لهم ابليس في صورة شيخ ان فعلتم
بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم قصدوهم فاصابوا غلمانا صباحا فاخبثوا فاستحكم
فيهم ذلك قال الحسن كانوا لا ينكحون ذلك الا بالغرباء وقال الكلبي اول من فعل بهم ذلك الفعل ابليس

الخبيث

الخبيث حيث تمثل لهم في صورة شاب جميل فدعاهم الى نفسه ثم عبثوا بذلك العمل انكم لتاتون الرجال
خبر مستانف لبيان تلك الفاحشة وقرئ بهمزتين صريحتين وبتليين الثانية بغير مد وبمد ايضا
على انه تاكيد للانكار السابق وتوبيخ التشديد للتوبيخ وفي زيادة ان واللام زيادة تقبيح وتقريع
كان ذلك امر لا يتحقق صدوره عن احد فيؤكد تاكيدا قويا وفي ايراد لفظ الرجال دون الغلمان والمراد
ان ونحوها مبالغة في التوبيخ وقوله تعالى شهوة مفعول له او مصدر في موقع الحال وفي التقييد بها
وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على ان العاقل ينبغي له ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء
النوع لا قضاء الشهوة ويجوز ان يكون المراد الانكار عليهم وتقريعهم على اشتهائهم تلك الفعلة الخبيثة
المكروهة كما ينبئ عنه قوله تعالى من دون النساء اي متجاوزين النساء اللاتي هن محال الاشتهاء كما ينبئ
عنه قوله تعالى هن اطهر لكم بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار المذكور الى الاخبار بحالهم التي
افضت بهم الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء او عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم
او عن محذوف اي لا عذر لكم فيه بل انتم عادتكم الاسراف وما كان جواب قومه اي المستكبرين منهم
المتولين للامر والنهي المتصدين للعقد والحل وقوله تعالى الا ان قالوا استثناء مفرغ من اعم الاشياء
اي ما كانوا جوابا من جهة قومه شيئا من الاشياء الا قولهم اي لبعضهم الاخرين المباشرين للامور معرضين
عن مخاطبته عليه السلام اخرجوهم اي لوطا ومن معه من اهله المؤمنين من قريتكم اي الا هذا القول
الذي يستحيل ان يكون جوابا لكلام لوط عليه السلام وقرئ برفع جواب على انه اسم كان والا ان قالوا
الخ خبرها وهو الاظهر وان كان الاول اقوى في الصناعة لان الاعرف احق بالاسمية واياما كان
فليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن مقالات لوط عليه السلام ومواعظه الا هذه المقالة
الباطلة كما هو المتبادر الى الافهام بل انه لم يصدر عنهم في المرة الاخيرة من مرات المحاورات الجارية
بينهم وبينه عليه السلام الا هذه الكلمة الشنيعة والا فقد صدر عنهم قبل ذلك كثير من الترهات
حسبما حكي عنهم في سائر السورة الكريمة وهذا هو الوجه في نظائره الواردة بطريق القصر وقوله
تعالى انهم اناس يتطهرون تعليل للامر بالاخراج ووصفهم بالتطهر للاستهزاء والسخرية بهم وبتطهرهم
من الفواحش والخبائث والافتخار بما هم فيه من القذارة كما هو ديدن الشطار والدعار فانجيناه
واهله اي المؤمنين منهم الا امراته استثناء من اهله فانها كانت تسر بالكفر كانت من الغابرين اي الباقين
في ديارهم الهالكين فيها والتذكير للتغليب ولبيان استحقاقها لما يستحقه المباشرون للفاحشة
والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا عن استثنائها عن حكم الانجاء كانه قيل فماذا كان حالها فقيل كانت
من الغابرين وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا من المطر عجيبا وقد بينه قوله تعالى وامطرنا عليهم حجارة من
سجيل قال ابو عبيدة مطر في الرحمة وامطر في العذاب وقال الراغب مطر في الخير وامطر في العذاب لكن الصحيح
ان امطرنا بمعنى ارسلنا عليهم ارسال المطر قيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام
والمدينة فامطر الله تعالى عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم
وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتى قضى
تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه وروي ان امراته التفتت نحو ديارها فاصابها حجر فماتت فانظر كيف كان
عاقبة المجرمين خطاب لكل من يتاتى منه التامل والنظر تعجيبا من حالهم وتحذيرا من اعمالهم والى مدين اخاهم شعيبا
عطف على قوله والى عاد اخاهم هودا وما عطف عليه وقد روعي هاهنا ما في المعطوف عليه من تقديم المجرور
على المنصوب اي وارسلنا اليهم وهم اولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام شعيب ابن ميكائيل ابن يشجر بن مدين
وقيل شعيب ابن ثويب بن مدين وقيل شعيب ابن مهرون بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم السلام
لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين مع كفرهم قال استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية
ارساله اليهم كانه قيل فماذا قال لهم فقيل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره مر تفسيره قد جاءتكم
بينة اي معجزة من ربكم متعلق بجاءتكم او بمحذوف هو صفة لبينة مؤكد لفخامته الذاتية المستفادة من تنكيره
بفخامته الاضافية اي بينة عظيمة ظاهرة كائنة من ربكم ومالك اموركم ولم يذكر معجزته عليه السلام في القرآن
العظيم كما لم يذكر اكثر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فيه فمنها ما روي من محاربة عصى موسى عليه السلام التنين
حين دفع اليه غنمه ومنها ولادة الغنم الدرع خاصة حين وعد ان يكون له الدرع من اولادها ومنها
وقوع عصى آدم على يده في المرة السبع كل ذلك قبل ان يستنبا موسى عليه السلام وقيل البينة مجيئه
عليه السلام كما في قوله تعالى يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اي حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما
عما اتاه الله تعالى من النبوة والحكمة واوفوا الكيل اي المكيال كما وقع في سورة هود ويؤيده قوله تعالى
والميزان فان المتبادر منه الآلة وان جاز كونه مصدرا كالميعاد وقيل آلة الكيل والوزن على الاضمار والقا

لترتب الامر على مجيء البينة ويجوز ان تكون عاطفة على اعبدوا فان عبادة الله تعالى موجبة للاجتناب عن
المناهي التي معظمها بعد الكفر البخس الذي كانوا يباشرونه ولا تبخسوا الناس اشياءهم التي يشترونها بها
معتمدين على تمامها اي شيء كانت واي مقدار كان فانهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل
كانوا مكاسين لا يدعون شيئا الا مكسوه قال زهير • افي كل اسواق العراق اتاوة • وفي كل ما باع امرؤ مكس درهم
• ولا تفسدوا في الارض بالكفر والمعاصي بعد اصلاحها بعد ما اصلح امرها واهلها الانبياء واتباعهم باجراء
الشرايع او اصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة في مكر الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى العمل بما امرهم
به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا او في الانسانية وحسن الاحدوثة وما يطلبونه من التكسب
والربح لان الناس اذا عرفوهم بالامانة رغبوا في معاملتهم ومتاجرتهم ان كنتم مؤمنين اي مصدقين لي
في قولي هذا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون اي بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان
واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام كانوا اذا راوا احدا يشرع في شيء منها منعوه وقيل كانوا
يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب لا يفتننك عن دينك ويتوعدون لمن آمن به وقيل
يقطعون الطريق وتصدون عن سبيل الله اي السبيل الذي قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا
لكل صراط ودلالة على عظم ما يصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه او الايمان بالله او بكل صراط على انه عبارة عن
طرق الدين وقوله تعالى من آمن به مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقيل
وتصدونهم وتوعدون مع ما عطف عليه حال من الضمير في تقعدوا وتبغونها اي وتطلبون سبيل الله عوجا بالقاء الشبه او
بوصفها للناس بانها معوجة وهي ابعد شيء من الاعوجاج واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم بالبركة في النسل
والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم الماضية كقوم نوح ومن بعدهم من عاد وثمود وامثالهم
واعتبروا بهم وان كان طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به من الشرايع والاحكام وطائفة لم يؤمنوا اي به ولم
يفعلوا الايمان فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد
للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه استيناف
مبني على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالوا بعدما سمعوا هذه المواعظ من شعيب عليه السلام
فقيل قال الاشراف من قومه المستكبرين متطاولين عليه عليه السلام غير مكتفين بمجرد الاستعصاء عليه
والامتناع من الطاعة بل بالغين من العتو والاستكبار الى ان قصدوا استتباعه عليه السلام فيما هم
فيه واتباعه المؤمنين واجترؤا على تكرار ما هم عليه بوعيد النفي وخاطبوه عليه السلام بذلك على طريقة
التوكيد القسمي لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا بنسبة الاخراج اليه عليه السلام اولا والى المؤمنين ثانيا
بعطفهم عليه على اصالته عليه السلام في الاخراج وتبعيتهم له فيه كما ينبئ عنه قوله تعالى معك فانه
متعلق بالاخراج لا بالايمان وتوسيط النداء باسمه العلمي بين المعطوفين لزيادة التقرير والتهديد الناشئة
عن غاية الوقاحة والطغيان اي والله لنخرجنك واتباعك من قريتنا بغضا لكم ودفعا لفتنتكم المترتبة
على المساكنة والجوار وقوله تعالى او لتعودن في ملتنا عطف على جواب القسم اي والله ليكونن احد
الامرين البتة على ان المقصود الاصلي هو العود وانما ذكر النفي والاجلاء لمحض القسر والالجاء كما يفصح
عنه عدم تعرضه عليه السلام لجواب الاخراج كانه قالوا لا ندعكم فيما بيننا حتى تدخلوا ملتنا وانما قاله
عليه السلام في خطاب الجمع مع استحالة كونه عليه السلام قبل ذلك في ملتهم انما هو بطريق تغليب
الواحد على الجماعة وانما لم يقولوا او لنعيدنكم على طريقة ما قبله لما ان مرادهم ان يعودوا اليها بصورة
الطواعية حذار الاخراج باختيار اهون الشرين لا اعادتهم بسائر وجوه الاكراه والتعذيب قال
استيناف كما سبق اي قال عليه السلام ردا لمقالتهم الباطلة وتكذيبا لهم في ايمانهم الفاجرة اولو كنا كارهين
على ان الهمزة لانكار الوقوع ونفيه لا لانكار الواقع واستقباحه كالتي في قوله تعالى اولو جئتك بشيء
مبين ويجوز ان يكون الاستفهام فيه باقيا على حاله وقد مر مرارا ان كلمة لو في مثل هذا المقام ليست
لبيان انتفاء الشيء في الزمن الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ بها جواب قد حذف تعويلا على دلالة
ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان
تحقق ما يفيده الكلام السابق بالذات او بالواسطة من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من
الاحوال مقارنة له على الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته او انتفائه
معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي
فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا تذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة
للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها
لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا الاجمال ظاهر في الخبر الموجب والمنفي والامر والنهي كما في قوله

جواد يعطي ولو كان فقيرا وبخيل لا يعطي وان كان غنيا وقولك احسن اليه ولو اساء اليك ولا تهنه ولو
اهانك لبقائه على حاله سالما عما ينفيه واما فيما نحن فيه ففيه نوع خفاء لتغيير بورود الانكار عليه
لكن الاصل في الكل واحد الا ان كلمة لو في الصور المذكورة متعلقة بنفس الفعل المذكور قبلها وان
ما يقصد بيان تحققه على كل حال هو نفس مدلوله من حيث مقارنته لمدلوله وان الجملة حال من
ضميره لا من ضمير المذكور كما فيما نحن فيه فان المقصود الاصلي انكار مدلوله من حيث مقارنته للحالة المذكورة واما
تقرير مقارنته لغيرها فلتوسيع الدائرة وان ما في حيز لو لا يقصد استبعاده في نفسه بل يقصد الاشعار
بانه امر مغفول لا انه اخرج مخرج الاستبعاد مبالغة في الانكار من جهة ان العود مما يكون عند كون
الكراهة امرا مستبعدا فكيف به عند كونها امرا محققا ومعاملة مع المخاطبين على معتقدهم لاستنزالهم
من رتبة العناد وليس المراد بالكراهة مجرد كراهة المؤمنين للعود في ملة الكفرة ابتداء حتى يقال انها
معلومة لهم فكيف تكون مستبعدة عندهم بل انما هي كراهتهم له بعد وعيد الاخراج الذي جعل قرينا
للقتل في قوله تعالى ولو انا كتبنا الاية فانهم كانوا يستبعدونها ويطمعون في انهم حينئذ يختارون العود
خشية الاخراج اذ رب مكروه يختار عند حلول ما هو اشد منه وافظع والتقدير انعود فيها لو لم نكن كارهين
غير مبالين بالاكراه والجملة في محل النصب على الحالية من ضمير الفعل المقدر حسبما اشير اليه اذ مآله
انعود فيها حال عدم الكراهة وحال الكراهة انكارا لما تفيده كلمتهم الشنيعة باطلاقها من العود على
اي حالة كانت غير انه اكتفى بذكر الحالة الثانية التي هي اشد الاحوال منافاة للعود واكثرها بعدا منه
تنبيها على انها هي الواقعة في نفس الامر وثقة باغنائها عن ذكر الاولى اغناء واضحا لان العود الذي تعلق به
الانكار حين تحقق مع الكراهة على ما يوجبه كلامهم فلان يتحقق مع عدمها اولى ان قلت النفي المستفاد
من الاستفهام الانكاري فيما نحن فيه بمنزلة صريح النفي ولا ريب في ان الاولوية هو الحكم الذي اريد بيان
تحققه على كل حال وذلك في مثال النفي عدم الاعطاء المستفاد من الفعل المنفي المذكور واما فيما نحن فيه
فهو نفس العود المستفاد من النفي المقدر اذ هو الذي يقتضيه الكلام السابق اعني قولهم لتعودن
واما الاستفهام فخارج عنه وارد عليه لابطال ما يفيده ونفي ما يقتضيه لا انه من تمامه كما في صورة
النفي وتوضيحه ان بين النفيين فرقا معنويا يختلف به احكامهما التي من جملتها ما ذكر من اعتبار الاولوية
في احدهما بالنسبة الى نفسه وفي الاخر بالنسبة الى متعلقه وكذلك لا تستقيم اقامة احدهما مقام
الاخر على وجه الكلية الا ترى انك لو قلت مكان انعود فيها الى آخره لا نعود فيها ولو كنا كارهين لاختل
المعنى اختلالا لان مدلوله الاول نفي العود المقيد بحال الكراهة ومدلول الثاني تقييد العود المنفي بها
وذلك لان حرف النفي يباشر نفس الفعل وينفيه وما ذكر بعده يرجع اليه من حيث هو منفي واما الاستفهام
فانما يباشر الفعل بما بعده لما ان دلالتها على الانكار والنفي ليست بدلالة وضعية كدلالة حرف النفي
حتى يتعلق معناها بنفس الفعل الذي يليها ويكون ما بعده راجعا اليه من حيث هو منفي بل هي دلالة
عقلية مستفادة من سياق الكلام فلا بد ان يكون ما يذكر بعد الفعل من موانعه ودواعي انكاره
ونفيه حتما ليكون قرينة صارفة للهمزة عن حقيقتها الى معنى الانكار والنفي ثم لما كان المقصود نفي الحكم
على كل حال مع الاقتصار على ذكر بعض منها مغن عن ذكر ما عداها لاستلزام تحققه معه تحققه مع غيره
بطريق الاولوية وكانت حال الكراهة عند كونها قيدا لنفس العود كذلك مغنيا عن ساير الاحوال
ضرورة ان تحقق العود في حال الكراهة مستلزم لتحققه في حال عدمها البتة وعند كونها قيدا لنفيه
بخلاف ذلك اي غير مغن عن ذكر غيرها ضرورة ان نفي العود في حال الكراهة مستلزم لنفيه في حال
الكراهة قطعا استقام الاول لافادته نفي العود في الحالتين مع الاقتصار على ما ذكر هو مغن عن ذكر
الاخرى ولم يستقم الثاني لعدم افادته اياه على الوجه الاول المذكور ان قيل فما وجه استقامتهما
جميعا عند ذكر المعطوفين معا حيث يصح ان يقال لا نعود فيها ولو لم نكن كارهين كما يصح ان يقال انعود فيها
لو لم نكن كارهين ولو كنا كارهين مع ان المقدر في حكم الملفوظ قلنا وجهها ان كلا منهما يفيد معنى صحيحا
في نفسه لا ان معنى احدهما عين معنى الاخر ومتلازمان متفقان في جميع الاحكام كيف لا ومدلول
الاول منتف في الحالتين ومدلول الثاني ان العود في الحالتين مع الاقتصار على ذكر حالة الكراهة على
عكس المعنى فانه مصحح لنفيه فيهما مع الاقتصار بحالة الارادة قد افترينا على الله كذبا اي كذبا عظيما
لا يقادر قدره ان عدنا في ملتكم التي هي الشرك شرط جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اي ان
عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فقد افترينا على الله كذبا بحيث نزعم حينئذ لله تعالى ندا
وليس كمثله شيء وانه قد تبين لنا ان ما كنا عليه من الاسلام باطل وان ما كنتم عليه من الكفر حق
واي افتراء اعظم من ذلك وقيل انه جواب قسم محذوف حذف عنه اللام والله قد افترينا الى آخره

وما يكون لنا اى وما يصح وما يستقيم لنا ان نعود فيها فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات الا ان
يشاء الله اى الا حال مشيئته تعالى لعودنا فيها وذلك مما لا يكاد يكون كما ينبئ عنه قوله تعالى ربنا فان
التعرض لعنوان ربوبيته تعالى لهم مما ينبئ عن استحالة مشيئته تعالى لارتدادهم قطعا وكذا قوله تعالى
بعد اذ نجانا الله منها فان تنجيته تعالى لهم منها من دلائل عدم مشيئته لعودهم فيها وقيل معناه الا ان
يشاء الله خذلاننا وقيل فيه دليل على ان الكفر بمشيئته تعالى وايا ما كان فليس المراد بذلك بيان ان العود
فيها فى حيز الامكان وخطر الوقوع بيانا على كون مشيئته تعالى كذلك بل بيان استحالة وقوعها كانه قيل
وما كان لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا وهيهات ذلك بدليل ما ذكر من موجبات عدم مشيئته تعالى
له وسع ربنا كل شىء علما فهو يحيط بكل ما كان وكل ما سيكون من الاشيا التى من جملتها احوال عباده
وعزائمهم ونياتهم وما هو اللائق بكل واحد منهم فمحال من لطفه ان يشاء عودنا فيها بعد ما نجانا منها مع
اعتصامنا به خاصة حسبما ينطق به قوله تعالى على الله توكلنا اى فى ان يثبتنا على ما نحن عليه من
الايمان ويتم علينا نعمته بانجائنا من الاشراك بالكلية واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار للمبالغة
فى التضرع والجؤار وقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق اعراض عن مقاولتهم اثر ما ظهر له
عليه السلام انهم من العتو والعناد بحيث لا يتصور منهم الايمان اصلا واقبال على الله تعالى بالدعاء
لفصل ما بينه وبينهم بما يليق بحال كل من الفريقين اى احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة اى اظهر
امرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه وانت خير الفاتحين
تذييل مقرر لمضمون ما قبله على المعنيين وقال الملأ الذين كفروا من قومه عطف على قال الملأ الذين
الى آخره ولعل هؤلاء غير اولئك المستكبرين ودونهم فى الرتبة شانهم الوساطة بينهم وبين العامة
والقيام باموره حسبما يراه المستكبرون ويجوز ان يكونوا عين الاولين وتغيير الصلة لما ان مدار قولهم
هذا هو الكفر كما ان مدار قولهم السابق هو الاستكبار اى قال اشرافهم الذين اصروا على الكفر بعد
بعد ان شاهدوا صلابة شعيب عليه السلام ومن معه من المؤمنين فى الايمان وخافوا ان يتبعوا
قومهم تثبيطا لهم عن الايمان به وتنفيرا لهم عنه على طريقة التوكيد القسمى والله لئن اتبعتم شعيبا
ودخلتم فى دينه وتركتم دين آبائكم انكم اذا لخاسرون اى فى الدين لاشترائكم الضلالة بهداكم او فى الدنيا
لفوات ما يحصل لكم بالبخس والتطفيف واذا حرف جواب وجزاء معترض بين اسم ان وخبرها والجملة
سادة مسد جوابى الشرط والقسم الذى وطأته اللام فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة وهكذا فى سورة
العنكبوت وفى سورة هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اى صيحة جبريل عليه السلام ولعلها من مبادى
الرجفة فاسند هلاكهم الى السبب القريب تارة والى البعيد اخرى فاصبحوا فى دارهم اى مدينتهم
وفى سورة هود فى ديارهم جاثمين اى ميتين لازمين لاماكنهم لا براح لهم منها الذين كذبوا شعيبا استئناف
لبيان ابتلائهم بشؤم قولهم فيما سبق لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا وعقوبتهم على
مقالتهم والموصول مبتدأ وخبره قوله تعالى كأن لم يغنوا فيها اى استؤصلوا بالمرة وصاروا كانهم لم يقيموا
بقريتهم اصلا اى عوقبوا بقولهم ذلك وصاروا هم المخرجين من القرية اخراجا لا دخول بعده ابدا وقوله
تعالى الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين استئناف آخر لبيان ابتلائهم بعقوبة قولهم الاخير واعادة
الموصول والصلة كما هى لزيادة التقرير والايذان بان ما ذكر فى حيز الصلة هو الذى استوجب العقوبتين
اى الذين كذبوه عليه السلام عوقبوا بمقالتهم الاخيرة فصاروا هم الخاسرين للدنيا والدين لا المتبعون
له عليه السلام وبهذا القصص اكتفى من التصريح بانجائه عليه السلام كما وقع فى سورة هود من قوله تعالى
ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربى ونصحت
لكم قاله عليه السلام بعد ما هلكوا تأسفا لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه ذلك فقال فكيف آسى
اى احزن حزنا شديدا على قوم كافرين مصرين على الكفر ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم او
قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت فى الابلاغ والانذار وبذلت وسعى فى
النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولى فكيف آسى عليكم وقرئ ايسى بامالتين وما ارسلنا فى قرية من نبى
اشارة اجمالية الى بيان احوال سائر الامم اثر بيان احوال الامم المذكورة تفصيلا ومن مزيدة
لتأكيد النفى والصفة مقدرة اى من نبى كذب او كذبه اهلها الا اخذنا اهلها استثناء مفرغ من اعم الاحوال
واخذنا فى محل النصب على انه حال من فاعل ارسلنا والفعل الماضى لا يقع بعد الا الا باحد شرطين اما تقدير قد كما
فى هذه الاية او مقارنته بقد كما فى قولك ما زيد الا قد قام اى ما ارسلنا فى قرية من القرى
المهلكة نبيا من الانبياء فى حال من الاحوال الا حال كوننا آخذين اهلها بالبأساء بالبؤس والفقر والضراء
بالضر والمرض لكن لا على معنى ان ابتداء الارسال مقارن للاخذ المذكور بل على انه مستتبع له غير منفك

عنه

منه بالدخول فى سلك المتبعين وتقريعهم عليه حسبما فعلت الامم المذكورة لعلهم يتضرعون
كى يتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة عن اكتافهم لقوله تعالى ولقد ارسلنا الى امم من
قبلك فاخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ثم بدلنا عطف على اخذنا داخل فى حكمه مكان
السيئة التى اصابتهم للغاية المذكورة الحسنة اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والمحنة الرخاء
والسعة لقوله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيئات حتى عفوا اى كثروا عددا وعددا من عفا النبات
اذا كثر وتكاثف وابطرتهم النعمة وقالوا غير واقفين على ان ما اصابهم من الامرين ابتلاء من الله
سبحانه قد مس آباءنا الضراء والسراء كما مسنا ذلك وما هو الا من عادة الدهر يعاقب فى الناس بين
الضراء والسراء من غير ان يكون هناك داعية تؤدى اليهما او تبعة تترتب عليهما ولعل تأخير السراء
للاشعار بانها تعقب الضراء فلا ضير فيها فاخذناهم اثر ذلك بغتة فجأة اثر الاخذ واقطعه وهم لا
يشعرون بذلك ولا يخطرون ببالهم شيئا من المكاره كقوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا الاية وليس
المراد بالاخذ بغتة اهلاكهم طرفة عين كاهلاك عاد وقوم لوط بل ما يعمه ويمضى بين الاخذ واتمام الاهلاك
ايام كعذاب ثمود ولو ان اهل القرى اى القرى المهلكة المدلول عليها بقوله فى قرية وقيل هى مكة وما حولها
من القرى وقيل جنس القرى المنتظمة لا ذكر منها انتظاما اوليا آمنوا بما اوحى الى انبيائهم معتبرين بما
جرى عليهم من الابتلاء بالضراء والسراء واتقوا اى الكفر والمعاصى واتقوا ما انذروا به على السنة الانبياء
ولم يصروا على ما فعلوا من القبائح ولم يحملوا ابتلاء الله تعالى على عادات الدهر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
وحدوا الله واتقوا الشرك لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب
مكان ما اصابهم من فنون العقوبات التى بعضها من السماء وبعضها من الارض وقيل المراد المطر والنبات
لفتحنا بالتشديد للتكثير ولكن كذبوا اى ولكن لم يؤمنوا ولم يتقوا وقد اكتفى بذكر الاول لاستلزامه الثانى
فاخذناهم بما كانوا يكسبون من انواع الكفر والمعاصى التى من جملتها قولهم قد مس آباءنا الخ وهذا الاخذ
عبارة عما فى قوله تعالى فاخذناهم بغتة لا عن الجدب والقحط كما قيل فانهما قد زالا بتبديل الحسنة مكان
السيئة افأمن اهل القرى اى اهل القرى المذكورة على وضع المظهر موضع المضمر للايذان بان مدار
التوبيخ امن كل طائفة ما اتاهم من البأس لا امن مجموع الامم فان كل طائفة منهم اصابهم بأس خاص لا يتعداهم
الى غيرهم كما سيأتى والهمزة لانكار الواقع واستقباحه لا لانكار الوقوع ونفيه كما قال ابو سامة وغيره
لقوله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون والفاء للعطف على اخذناهم وما بينهما اعتراض توسط بينهما
للمسارعة الى بيان الاخذ المذكور بما كسبته ايديهم والمعنى ابعد ذلك الاخذ امن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا
بياتا اى تبييتا او وقت بيات او مبيتا او مبيتين وهو فى الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت
كالسلام بمعنى التسليم وهم نائمون حال من ضميرهم البارز او المستتر فى بياتا اوامن اهل القرى انكار بعد
انكار للمبالغة فى التوبيخ والتشديد ولذلك لم يقل اوامن اهل القرى ان يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون
او ضحى وهم يلعبون وقرئ بسكون الواو على الترديد ان يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون اى ضحوة النهار
وهو فى الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت وهم يلعبون اى يلهون من فرط الغفلة او يشتغلون بما لا ينفعهم
كانهم يلعبون افأمنوا مكر الله تكرير للتنكيل لزيادة التقرير ومكر الله تعالى استعارة لاستدراجه
العبد واخذه من حيث لا يحتسب والمراد به اتيان بأسه تعالى فى الوقتين المذكورين ولذلك عطف الاول
والثالث بالفاء فان الانكار فيهما متوجه الى ترتب الامن على الاخذ المذكور واما الثانى فمن تتمة الاول
فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون اى الذين خسروا انفسهم واضاعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها
والاستعداد القريب المستفاد من النظر فى الآيات اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اى
يخلفون من خلا قبلهم من الامم المهلكة ويرثون ديارهم والمراد بهم اهل مكة ومن حولها وتعديته بفعل
الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم كانه قيل اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم الى آخره واما لانها
بمعنى التبيين والمفعول محذوف والفاعل على التقديرين هو جملة الشرطية اى اولم يبين لهم مآل امرهم
ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم اى ان الشأن لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وقرئ
نهد بنون العظمة فالجملة مفعوله ونطبع على قلوبهم عطف على ما يفهم من قوله تعالى اولم يهد كانه
قيل لا يهتدون او يغفلون عن الهداية او عن التفكر والتأمل او منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا
يجوز عطفه على اصبناهم على انه بمعنى طبعنا لافضائه الى نفى الطبع عنهم لانه فى سياق جواب لو فهم
لا يسمعون اى اخبار الامم المهلكة فضلا عن التدبر والنظر فيها والاغتنام بما فى تضاعيفها من الهدايات
تلك القرى جملة مستأنفة جارية مجرى الفذلكة لما قبلها من القصص مبنية على غاية غواية
الامم المذكورة وتماديهم فيما اتتهم الرسل بالمعجزات الباهرة تلك اشارة الى قرى الامم المهلكة على

اللام للعهد وهو مبتدا وقوله تعالى نقص عليك من انبائها خبره وصيغة المضارع للايذان بعدم
انقضاء القصة بعد ومن للتبعيض اى بعض اخبارها التى فيها عظة وتذكير وقيل تلك مبتدا والقرى
خبره وما بعده حال او خبر بعد خبر عند من يجوز كون الخبر الثانى جملة كما فى قوله تعالى فاذا هى حية تسعى
وتصدير الكلام بذكر القرى واضافة الانباء اليها مع ان المقصود من انباء اهلها والمقصود بيان احوالهم
حسبما يعرب عنه قوله تعالى ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات لما ان حكاية اهلاكهم بالمرة على وجه
الاستئصال بحيث يشمل اماكنهم ايضا بالخسف بها والرجفة وبقائها خاوية ومعطلة اهول وافظع والبا
فى قوله تعالى بالبينات متعلقة اما بالفعل المذكور على انها للتعدية واما بمحذوف وقع حالا من فاعله اى ملتبسين
بالبينات لكن لا بان تاتى كل رسول ببينة واحدة بل ببينات كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة
فان مراعاة انقسام الآحاد الى الآحاد انما هى بين الرسل وضمير الامم والجملة مستانفة مبينة لكمال عتوهم
وعنادهم اى وبالله لقد جاء كل امة من تلك الامم المهلكة رسولهم الخاص بهم بالمعجزات البينة الكثيرة
المتواردة عليهم الواضحة الدلالة على صحة رسالته الموجبة للايمان حتما وقوله تعالى فما كانوا ليؤمنوا
بيان لاستمرار عدم ايمانهم فى الزمان الماضى لا لعدم حدوث ايمانهم وترتيب حالهم هذه على مجئ الرسل
بالبينات بالفاء لان الاستمرار على فعل من الافعال بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان كان استمرارا
عليه فى الحقيقة لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث عن وعظه فلم يترتب وجوده عنه فلم يجب
واللام لتاكيد النفى اى فما صح وما استقام لقوم من اولئك الاقوام فى وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل
كان ذلك ممتنعا منهم الى ان لقوا ما لقوا لغاية عتوهم وشدة شكيمتهم فى الكفر والطغيان ثم ان كان المحكى
عنهم اخر حال كل قوم منهم فالمراد بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتى وبما
اشير اليه بقوله تعالى بما كذبوا من قبل تكذيبهم من لدن مجئ الرسل الى وقت الاصرار والعناد وانما جعل
ذلك مقصودا بالذات كالاول بل جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه وانما المحتاج الى البيان
عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التى كانت تضطرهم الى القبول
لو كانوا من اصحاب العقول والموصول الذى تعلق به الايمان والتكذيب سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع
التى جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكى جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم
المستمر من حين مجئ الرسل الى اخره وبما اشير اليه تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من جعل الموصول المذكور عبارة
عن اصول الشرائع التى اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذى اثير لاستحالة تبدلها
وتغيرها مثل ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجئ رسلهم انهم ما كانوا فى زمن الجاهلية بحيث
لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كانت كل امة من تلك الامم يتسامعون بها من بقايا من قبلهم فيكذبونها
ثم كانت حالتهم بعد مجئ رسلهم كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر
من الاصول لظهور حال الباقى بدلالة النص فانهم حين لم يؤمنوا بما اجمعت عليه كافة الرسل فلان لا يؤمنوا
بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما ان ما عليه يدور فلك العذاب والعقاب
هو التكذيب الواقع بعد الدعوة حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر
ما وقع قبلها بيانا لعراقتهم فى الكفر والتكذيب وعلى كلا التقديرين فالضمائر الثلاثة متوافقة فى المرجع
وقيل ضمير كذبوا راجع الى اسلافهم والمعنى فما كان الابناء ليؤمنوا بما كذب به الآباء ولا يخفى ما فيه من
التعسف وقيل المراد فما كانوا ليؤمنوا لو احييناهم بعد اهلاكهم ورددناهم الى دار التكليف بما كذبوا من قبل
كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل الباء للسببية وما مصدرية اى بسبب تعودهم تكذيب
الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل ولا يرد عليه ههنا ما ورد فى سورة يونس من مخالفة الجمهور بجعل ما
المصدرية من قبيل الاسماء كما هو راى الاخفش وابن السراج ليرجع اليه الضمير فى به لا لك او مثل ذلك
الطبع الشديد المحكم كذلك نطبع الله على قلوب الكافرين اى من المذكورين وغيرهم فلا يكاد يؤثر فيها
الآيات والنذر وفيه تحذير للسامعين واظهار الاسم الجليل بطريق الالتفات لتربية المهابة وادخال
الروعة وما وجدنا لاكثرهم اى اكثر الامم المذكورين واللام متعلقة بالوجدان كما فى قولك ما وجدت له
مالا اى ما صادفت له مالا ولا لقيته او بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى من عهد لانه فى الاصل صفة
للنكرة فلما قدمت عليها انتصبت حالا والاصل وما وجدنا عهدا كائنا لاكثرهم ومن مزيدة للاستغراق اى
وما وجدنا لاكثرهم من وفاء عهد فانهم نقضوا ما عاهدوا الله عليه عند مساس البأساء والضراء قائلين لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين وتخصيص هذا الشان باكثرهم ليس لان بعضهم كانوا يوفون بعهودهم
بل لان بعضهم كانوا لا ينقضون ولا يعهدون وقيل المراد بالعهد ما عهد الله تعالى اليهم فى الايمان بلا
والتقوى بنصب الآيات وانزال الحجج وقيل ما عاهدوا عند خطاب الست بربكم فالمراد باكثرهم كلهم وقيل

الضمير للناس والجملة اعتراض فان اكثرهم لا يوفون بالعهود وان وجدنا اكثرهم اى اكثر الامم
اى علمناهم كما فى قولك وجدت زيدا ذا حفاظ وقيل الاول كذلك ايضا وان مخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف
اى ان الشان محذوف اى ان الشان وجدناهم لفاسقين خارجين عن الطاعة الناقضين للعهود وعند
الكوفيين ان نافية واللام بمعنى الا اى ما وجدناهم الا فاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى اى ارسلناه من بعد
انقضاء وقائع الرسل المذكورين عليهم السلام او من بعد اهلاك الامم المحكية والتصريح بذلك مع دلالة
ثم على التراخى للايذان بان بعثه عليه السلام جرى على سنن السنة الالهية من ارسال الرسل تترى
وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر باياتنا
متعلق بمحذوف وقع حالا من مفعول بعثنا او صفة لمصدره اى بعثناه عليه السلام ملتبسا باياتنا او
بعثناه بعثا ملتبسا بها وهى الآيات التسع المفصلات التى هى العصا واليد البيضاء والسنون ونقص
الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم حسبما سياتى على التفصيل الى فرعون هو لقب
لكل ملك مصر من العمالقة كما ان كسرى لكل ملك فارس وقيصر لكل ملك الروم واسمه قابوس وقيل ا
الوليد بن مصعب بن الريان وملائه اى اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر مع عموم رسالته عليه
السلام لقومه كافة حيث كانوا جميعا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة الشنعاء
التى كان يدعيها الطاغية وتقبلها منه فئته الباغية لاصالتهم فى تدبير الامور واتباع غيرهم لهم
فى الورود والصدور فظلموا بها اى كفروا بها اجرى الظلم مجرى الكفر لكونهما من واد واحد وضمن معنى
الكفر او التكذيب اى ظلموا كافرين بها او مكذبين بها او كفروا بها مكان الايمان الذى من حقها لوضوحها
ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وقيل ظلموا انفسهم بسببها بان عرضوها للعذاب الخالد او ظلموا
الناس بصدهم عن الايمان بها والمراد به الاستمرار على الكفر بها الى ان لقوا من العذاب ما لقوا الى قوله
تعالى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين فكان ظلمهم بها مستتبع لتلك العاقبة الهائلة كذلك حكاية
ظلمهم بها مستتبع للامر بالنظر اليها وكيف خبر كان قدم على اسمها لاقتضائه الصدارة والجملة
فى حيز النصب باسقاط الخافض اى فانظر بعين عقلك الى كيفية ما فعلنا بهم ووضع المفسدين موضع
ضميرهم للايذان بان الظلم مستلزم للافساد وقال موسى كلام مبتدا مسوق لتفصيل ما اجمل فيما قبله
من كيفية اظهار الآيات وكيفية عاقبة المفسدين يا فرعون انى رسول اى اليك من رب العالمين على الوجه الذى
مر بيانه حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق جواب لما ينساق اليه الذهن من حكاية ظلمهم بالآيات من تكذيبه
اياه عليه السلام فى دعوى الرسالة وكان اصله حقيق على ان لا اقول الى اخره كما هو قراءة نافع فقلب لا من من
الالتباس كما فى قول من قال * وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * اولان ما لزمك فقد لزمته او للاغراق فى
الوصف بالصدق والمعنى واجب على القول الحق ان اكون انا قائله لا يرضى بمثلى ناطقا به او ضمن حقيق معنى
حريص او وضع على موضع الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده
قراءة ابى بالباء وقرئ حقيق ان لا اقول وقوله تعالى قد جئتكم ببينة من ربكم استئناف مقرر لما قبله
من كونه رسولا من رب العالمين وكونه حقيقا بقول الحق ولم يكن هذا القول منه عليه السلام وما بعده من
جواب فرعون اثر ما ذكر ههنا بل بعد ما جرى بينهما من المحاورة المحكية بقوله تعالى قال فمن ربكما الآيات
وقوله تعالى وما رب العالمين الآيات وقد طوى ههنا ذكره للايجاز ومن متعلقة اما [illegible] المؤكدة
لفخامتها الذاتية المستفادة من التنوين التفخيمى والاضافة اسم الرب الى المخاطبين بعد اضافته فيما قبله
الى العالمين لتاكيد وجوب الايمان بها فارسل معى بنى اسرائيل اى فخلهم حتى يذهبوا معى الى الارض المقدسة
التى هى وطن ابائهم وكان قد استعبدهم بعد انقراض الاسباط يستعملهم ويكلفهم الافاعيل الشاقة
فانقذهم الله تعالى بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل مصر فيه واليوم الذى دخله موسى عليه السلام
اربعمائة عام والفاء لترتيب الارسال والامر به على ما قبله من رسالته عليه السلام ومجيئه بالبينة قال
استئناف وقع جوابا عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال فرعون له عليه السلام حين قال له
ما قال فقيل قال ان كنت جئت باية اى من عند من ارسلك كما تدعيه فات بها اى فاحضرها عندى ليثبت بها رسالتك
ان كنت من الصادقين فى دعواك فان كونك من جملة المعروفين بالصدق يقتضى اظهار الآية لا محالة فالقى
عصاه فاذا هى ثعبان مبين اى ظاهر امره لا يشك فى كونه ثعبانا وهو الحية العظيمة وايثار الجملة الاسمية
للدلالة على كمال سرعة الانقلاب وثبات وصف الثعبانية فيها كانها فى الاصل كذلك روى انه لما القاها
صارت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور
القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا
فصاح فرعون يا موسى انشدك بالذى ارسلك خذه وانا اؤمن بك وارسل معك بنى اسرائيل فاخذه

فما عصا ونزع يده اى من جيبه او من تحت ابطه فاذا هى بيضاء للناظرين اى بيضا بياضا نورانيا خارجا عن
العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده فقال ما هذه فقال يدك
ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هى بيضاء للناظرين اى بيضا بياضا نورانيا خارجا
عن العادة يجتمع عليه النظارة تعجبا من امرها وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده فقال ما هذه فقال
يدك ثم ادخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هى بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعه شعاع
الشمس وكان عليه السلام آدم شديد الادمة وقيل بيضاء للناظرين اشعار بانها كانت بيضاء فى جبلتها قال الملأ
من قوم فرعون اى الاشراف منهم وهم اصحاب مشورته ان هذا لساحر عليم اى مبالغ فى علم السحر ماهر فيه
قالوه تصديقا لفرعون وتقريرا لكلامه فان هذا القول بعينه معزى فى سورة الشعراء اليه يريد ان يخرجكم
من ارضكم اى من ارض مصر فماذا تأمرون بفتح النون وما فى ماذا فى محل النصب على انه ثان لتأمرون بحذف
الجار والاول محذوف والتقدير باى شئ تأمرونى وهذا من كلام فرعون كما فى قوله تعالى ذلك ليعلم انى لم
اخنه بالغيب اى فاذا كان كذلك فماذا تشيرون على فى امره وقيل قال الملأ من قبله بطريق التبليغ الى
العامة فقوله تعالى قالوا ارجه واخاه على الاول وهو الاظهر حكاية لكلام الملأ الذين شاورهم فرعون
وعلى الثانى لكلام العامة الذين خاطبهم الملأ ويأباه الخطاب لفرعون وان المشاورة ليست من وظائفهم
اى اخره واخاه وعدم التعرض لظهور كونه معه حسبما ينادى به الآيات الاخر والمعنى اخر امرهما
وامكن بهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر شأنهما وقرئ ارجئه وارجه من ارجاه وارجاه وارسل
فى المدائن حاشرين قيل هى مدائن صعيد مصر وكانوا رؤساء السحرة ومهرتهم باقصى مدائن الصعيد وعن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم كانوا سبعين ساحرا قد اخذوا السحر من رجلين مجوسيين من اهل
نينوى مدينة يونس عليه السلام بالموصل ورد ذلك بان المجوسية ظهرت بزرادشت وهو انما جاء بعد
موسى عليه السلام يأتوك بكل ساحر عليم اى ماهر فى السحرة وقرئ بكل سحار عليم والجملة جواب الامر وجاء
السحرة فرعون بعد ما ارسل اليهم الحاشرين وانما لم يصرح به حسبما فى قوله تعالى فارسل فى المدائن حاشرين وانما
لم يصرح به حسبما فى قوله تعالى فارسل فى المدائن حاشرين للايذان بمسارعة فرعون الى الارسال ومبادرة
الحاشرين والسحرة الى الامتثال قالوا استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجئ السحرة كأنه قيل فماذا قالوا له
عند مجيئهم اياه فقيل قالوا مدلين بما عندهم واثقين بغلبتهم ان لنا لاجرا عظيما او بطريق الاستفهام
التقريرى بحذف الهمزة وقرئ باثباتها وقولهم ان كنا لمجرد تعيين ثبوت الاجر لا لترددهم فى الغلبة وتوسيط
الضمير وتحلية الخبر باللام والقصر اى ان كنا نحن الغالبين لا موسى قال نعم وقوله تعالى وانكم لمن المقربين
عطف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كأنه قال ان لكم لاجرا وانكم مع ذلك لمن المقربين للمبالغة
فى الترغيب وروى انه قال لهم تكونون اول من يدخل اول مجلسى وآخر من يخرج عنه قالوا استئناف
كما مر كأنه قيل فماذا فعلوا بعد ذلك فقيل قالوا متصدين لشأنهم مخاطبين لموسى عليه السلام يا موسى
اما ان تلقى ما تلقى اولا واما ان نكون نحن الملقين اى لما نلقى اولا او الفاعلين للالقاء اولا خيروه عليه
السلام بالبدء بالالقاء مراعاة للادب واظهارا للجلادة فانه لا يختلف حالهم بالتقديم والتأخير ولكن
كانت رغبتهم فى التقديم كما ينبئ عنه تغييرهم للنظم بتعريف الخبر وتوسيط ضمير الفصل وتأكيد ضمير
المتصل قال القوا غير مبال بامرهم اى القوا ما تلقون فلما القوا ما القوا سحروا اعين الناس بان
خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم اى بالغوا فى رهبتهم وجاؤا بسحر عظيم فى بابه روى انهم القوا
حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا واوحينا الى موسى ان الق
عصاك فاذا هى تلقف ما يأفكون الفاء فصيحة اى فالقاها فصارت حية فاذا هى الخ وانما حذف
للايذان بمسارعة موسى عليه السلام للالقاء وبغاية سرعة الانقلاب كأن لقفها لما يأفكون قد حصل
متصلا بالامر بالالقاء وصيغة الامر المضارع لاستحضار صورة اللقف الهائلة والافك الصرف
والقلب عن الوجه المعتاد وما موصولة او موصوفة والعائد محذوف اى ما يأفكونه ويزورونه او
مصدرية وهو مع الفعل بمعنى المفعول روى انه لما تلقفت ملء الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى
فرجعت عصا كما كانت واعدم الله تعالى بقدرته القاهرة تلك الاجرام العظام او فرقها
اجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق اى ثبت لظهور امره وبطل
ما كانوا يعملون اى ظهر بطلان ما كانوا مستمرين على عمله فغلبوا اى فرعون وقومه هنالك اى فى مجلسهم
وانقلبوا صاغرين اى صاروا اذلاء مبهوتين او رجعوا الى المدينة اذلاء مقهورين والاول هو الظاهر لقوله
تعالى والقى السحرة ساجدين فان ذلك كان بمحضر من فرعون قطعا اى خروا سجدا كأنما القاهم ملق لشدة
خرورهم كيف لا وقد بهرهم الحق واضطرهم الى ذلك قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون ابدلوا الثانى

من

ان كنا نحن الغالبين بطريق الاخبار بثبوت الاجر وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا اجر عظيم مع

من الاول لئلا يتوهم ان مرادهم فرعون عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال لما آمنت السحرة تبع موسى
من بنى اسرائيل ستمائة الف قال فرعون منكرا على السحرة موبخا لهم على ما فعلوه آمنتم به بهمزة واحدة
اما على الاخبار المحض المتضمن للتوبيخ او على الاستفهام التوبيخى بحذف الهمزة كما فى ان لنا لاجرا وقد
قرئ بتحقيق الهمزتين معا وبتحقيق الاولى وتسهيل الثانية بين بين اى آمنتم بالله تعالى قبل ان آذن
لكم اى بغير اذن لكم كما فى قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى لا ان الاذن منه ممكن فى ذلك
ان هذا لمكر مكرتموه يعنى انما صنعتموه ليس مما اقتضى الحال صدوره عنكم لقوة الدليل وظهور المعجزة
بل هو حيلة احتلتموها مع مواطأة موسى فى المدينة يعنى مصر قبل ان تخرجوا الى الميعاد روى ان
موسى عليه السلام وامير السحرة التقيا فقال الساحر له موسى ارأيتك ان غلبتك اتؤمن بى وتشهد
ان ما جئت به الحق فقال الساحر والله لئن غلبتنى لاؤمنن بك وفرعون يسمعها وهو الذى نشأ عنه
هذا القول لتخرجوا منها اهلها اى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل وهاتان شبهتان القاهما الى
اسماع عوام القبط عند معاينتهم لارتفاع اعلام المعجزة ومشاهدتهم لخضوع اعناق السحرة لها وعدم
تمالكهم من ان يؤمنوا ليمنعهم بهما عن الايمان بنبوة موسى عليه السلام باداء ان ايمان السحرة مبنى على المواضعة
بينهم وبين موسى وان غرضهم بذلك اخراج القوم من المدينة وابطال ملكهم ومعلوم ان مفارقة
الاوطان المألوفة والنعمة المعروفة مما لا يطاق به فجمع اللعين بين الشبهتين تثبيتا للقبط على ما هم عليه
وتهييجا لعداوتهم له عليه السلام ثم عقبهما بالوعيد ليريهم ان له قوة وقدرة على المدافعة فقال
فسوف تعلمون اى عاقبة ما فعلتم وهذا وعيد ساقه بطريق الاجمال للتهويل ثم عقبه بالتفصيل فقال
لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اى من كل شق طرفا ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم
قيل هو اول من سن ذلك فشرعه الله تعالى لقطاع الطريق تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله تعالى
محاربة لله ورسوله قالوا استئناف مسوق للجواب عن سؤال ينساق اليه الذهن كأنه قيل فماذا
قالت السحرة عند ما سمعوا وعيد فرعون هل تأثروا به او تصلبوا فيما هم فيه من الدين فقيل قالوا
ثابتين على ما احدثوا من الايمان انا الى ربنا منقلبون فيحكم بيننا وبينك وما تنقم منا اى وما تنكر وتعيب
منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المفاخر ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا
لمرضاتك ثم اعرضوا عن مخاطبته اظهارا لما فى قلوبهم من العزيمة على ما قالوا وتقريرا له ففزعوا الى الله
عز وجل فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اى افض علينا من الصبر ما يغمرنا كما يفرغ الماء او صب علينا ما يطهرنا
من اوضار الاوزار وادناس الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون وتوفنا مسلمين ثابتين على ما رزقتنا
من الاسلام غير مفتونين من الوعيد قيل فعل بهم ما اوعدهم به وقيل لم يقدر عليه لقوله تعالى انتما
ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ من قوم فرعون مخاطبين له بعد ما شاهدوا ما شاهدوا من امر موسى
عليه السلام أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض اى ارض مصر بتغيير الناس عليك وصرفهم عن
متابعتك ويذرك عطف على يفسدوا او جواب الاستفهام بالواو كما فى قول الحطيئة ألم اك جاركم
ويكون بينى وبينكم المودة والاخاء اى أيكون منك ترك موسى وتركه اياك وقرئ بالرفع عطفا
على أتذر او استئناف او حالا وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا ويذرك كقوله تعالى فاصدق واكن
وآلهتك ومعبوداتك قيل انه كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها
تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرئ والاهتك اى عبادتك قال مجيبا لهم سنقتل ابناءهم ونستحيى
نساءهم كما كنا نفعل بهم ذلك من قبل ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم انه المولود الذى
حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يديه وقرئ سنقتل بالتخفيف وانا فوقهم قاهرون كما كنا لم
تتغير حالنا اصلا وهم مقهورون تحت ايدينا كذلك قال موسى لقومه تسلية لهم وعدة بحسن العاقبة
حين سمعوا قول فرعون وتضجروا منه استعينوا بالله واصبروا على ما سمعتم من اقاويله الباطلة ان الارض
لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين اى ارض مصر وجنس الارض وهى داخلة فيها اوليا والصبر
من باب التقوى وقرئ والعاقبة بالنصب عطفا على اسم ان قالوا اى بنو اسرائيل اوذينا اى من جهة
فرعون من قبل ان تأتينا اى بالرسالة يعنون بذلك قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام وبعده
ومن بعد ما جئتنا اى رسولا يعنون به ما توعدهم به من اعادة القتل الابناء وسائر ما كانوا يفعلون بهم
لعداوة موسى عليه السلام من فنون الجور والظلم والعذاب واما ما كانوا يستعبدون به ويمتهنونهم فيه
من انواع الخدم والمهن كما قيل فليس بلحوقهم بواسطته عليه السلام فليس لذكره كثير ملابسة بالمقام قال
اى موسى عليه السلام لما رأى شدة جزعهم مما شاهدوه مسليا لهم بالتصريح بما لوح به فى قوله ان الارض
لله الخ عسى ربكم ان يهلك عدوكم الذى فعل بكم ما فعل وتوعدكم باعادته ويستخلفكم فى الارض اى

انا بالموت لا محالة منقلبون فسواء ان ذلك منقلبات اولا فلا نبالى بوعيدك او انا الى رحمة ربنا وثوابه منقلبون ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا الى لقاء الله تعالى او انا جميعا الى ربنا منقلبون مع

بجعلكم خلفا في الارض مصر فينظر كيف تعملون احسنا ام قبيحا فيجازيكم حسبما يظهر منكم من الاعمال وفيه تأكيد للتسلية وتحقيق للامر قيل لعل الاتيان بفعل الطمع لعدم الجزم منه عليه السلام بانهم هم المستخلفون باعيانهم او اولادهم فقد روي ان مصرا انما فتحت في زمن داود عليه السلام ولا يساعده قوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها فان المتبادر استخلاف انفس المستضعفين لا استخلاف اولادهم وانما مجيء فعل الطمع للجري على سنن الكبرياء ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين شروع في تفصيل مبادي الهلاك الموعود وايذان بانه تعالى لم يمهلهم بعد ذلك ولم يكونوا في خفض ودعة بل ترتبت اسباب هلاكهم فتحول من حال الى حال الى ان حل بهم عذاب الاستيصال وتصدير الجملة بالقسم لاظهار الاعتناء بمضمونها والسنين جمع سنة والمراد بها عام القحط وفيه لغتان اشهرهما اجراؤها مجرى المذكر السالم فيجمع فيرفع بالواو وينصب ويجر بالياء وتحذف نونه بالاضافة واللغة الثانية اجراء الاعراب على النون ولكن مع الياء خاصة اما باثبات نونها منونا او بحذف تنوينه قال الفراء هي في هذه اللغة مصروفة عند بني عامر وغير مصروفة عند بني تميم ووجه حذف التنوين التخفيف وحينئذ لا تحذف النون للاضافة وعلى ذلك جاء قول الشاعر ❊ وعاني من نجد فان سنينه ❊ لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا ❊ وجاء الحديث اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف وسنين كسنين يوسف باللغتين ونقص من الثمرات باصابة العاهات عن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اما السنون فكانت لباديتهم واهل ماشيتهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم لعلهم يذكرون كي يتذكروا ويتعظوا بذلك ويقفوا على ان ذلك لاجل معاصيهم وينزجروا عما هم عليه من العتو والعناد وقال الزجاج ان احوال الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز وجل وفي الرجوع اليه تعالى الا ترى الى قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وقد مر تحقيق القول في محل لعل وفي محلها في تفسير قوله تعالى لعلكم تتقون في اوائل سورة البقرة وقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة الى اخره بيان لعدم تذكرهم وتماديهم في الغي اي فاذا جاءتهم السعة والخصب وغيرهما من الخيرات قالوا لنا هذه اي لاجلنا واستحقاقنا لها وان تصبهم سيئة اي جدب وبلاء يطيروا بموسى ومن معه اي يتشاءموا بهم ويقولوا ما اصابتنا الا بشؤمهم وهذا كما ترى مشاهد لكمال قساوة قلوبهم ونهاية جهلهم وعنادهم فان الشدائد ترقق القلوب وتلين العرائك لا سيما بعد مشاهدة الايات وهم كانوا بحيث لم يؤثر فيهم شيء منها بل ازدادوا عتوا وعنادا وتعريف الحسنة وذكرها باداة التحقيق للايذان بكثرتها ووقوعها وتعلق الارادة بها بالذات ... وقوله تعالى الا انما طائرهم عند الله استئناف مسوق من قبله تعالى لرد مقالتهم الباطلة وتحقيق الحق في ذلك وتصديره بكلمة التنبيه لابراز كمال العناية بمضمونه اي ليس سبب خيرهم وشرهم الا عنده تعالى وهو حكمه ومشيئته المتضمنة للحكم والمصالح او ليس سبب شؤمهم وهو اعمالهم السيئة الا عنده تعالى اي مكتوبة لديه فانها التي ساقت اليهم ما يسوءهم لا ما عداها وقرئ انما طيرهم وهو اسم جمع طائر وقيل جمع له ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون مما حكي عنهم واسناد عدم العلم الى اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ان ما اصابهم من الخير والشر من جهة الله تعالى او يعلمون ان ما اصابهم من المصائب والبلايا ليس الا بما كسبت ايديهم ولكن لا يعملون بمقتضاه عنادا واستكبارا وقالوا شروع في بيان بعض اخر مما اخذ به ال فرعون من فنون العذاب التي هي في انفسها ايات بينات وعدم ارعوائهم مع ذلك عما كانوا عليه من الكفر والعناد اي قالوا بعد ما رأوا من شأن العصا والسنين ونقص الثمرات مهما تأتنا به كلمة مهما تستعمل للشرط والجزاء واصلها ما الجزائية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد كما ضمت الى اين في اينما تكونوا وان في اما تذهبن بك خلا ان الالف الاولى قلبت هاء حذرا من تكرير المتجانسين هذا هو الرأي السديد وقيل مه كلمة يصوت بها الكاف ضمت اليها ما الشرطية ومحلها الرفع بالابتداء او النصب بفعل يفسره ما بعدها اي اي شيء تحضر لدينا وقوله تعالى من اية بيان لمهما وتسميتهم اياها اية لمجاراتهم على رأي موسى عليه السلام واستهزائهم بها والاشعار بان عنوان كونها اية لا يؤثر فيهم وقوله تعالى لتسحرنا بها الى اخره اظهار لكمال الطغيان والغلو فيه وتسمية للارشاد الى الحق بالسحر وتسكير الابصار والضمير ان المجروران راجعان الى مهما وتذكير الاول لمراعاة جانب اللفظ لابهامه وتأنيث الثاني للمحافظة على جانب المعنى لتبيينه باية كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده فما نحن لك بمؤمنين بمصدقين لك ومؤمنين لنبوتك فارسلنا عليهم عقوبة لجرائمهم لا سيما لقولهم هذا الطوفان اي الماء الذي طاف بهم وغشي اماكنهم وحروثهم من مطر او سيل وقيل هو الجدري وقيل هو الموتان وقيل الطاعون والجراد والقمل قيل هو كبار القردان وقيل اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها والضفادع والدم روي انهم مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يستطيع ان يخرج احد من بيته

ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم ولم يدخل بيوت بني اسرائيل منه قطرة وهي في خلال بيوتهم وفاض الماء على ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والتصرف ودام ذلك سبعة ايام فقالوا له عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم فنبت من العشب والكلا ما لم يعهد قبله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكل زروعهم وثمارهم وابوابهم وسقوفهم وثيابهم ففزعوا اليه عليه السلام كما ذكر فخرج الى الصحراء واشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحي التي جاءت منها ولم يؤمنوا فسلط الله تعالى عليهم القمل فاكل ما ابقته الجراد وكان يقع في طعامهم ويدخل بين ثيابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه ثالثا فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر ثم ارسل الله تعالى عليهم الضفادع بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي والى افواههم عند التكلم ففزعوا اليه رابعا وتضرعوا فاخذ عليهم العهود فدعا فكشف الله تعالى عنهم فنقضوا العهد فارسل الله تعالى عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي والاسرائيلي على اناء فيكون ما يليه دما وما يلي الاسرائيلي ماء على حاله ويمص من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله تعالى عليهم الرعاف ايات حال من المنصوبات المذكورات مفصلات مبينات لا تشكل على عاقل انها ايات الله تعالى ونقمته وقيل مفرقات بعضها من بعض لامتحان احوالهم وكان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحدة اسبوعا وقيل انه عليه السلام لبث فيهم بعدما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الايات على مهل فاستكبروا اي عن الايمان بها وكانوا قوما مجرمين جملة معترضة مقررة لمضمون ما قبلها ولما وقع عليهم الرجز اي العذاب المذكور على التفصيل فاللام للجنس المنتظم لكل واحدة من الايات المفصلة اي كلما وقع عليهم عقوبة من تلك العقوبات قالوا في كل مرة يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بعهده عندك وهو النبوة او بالذي عهد اليك ان تدعوه به فيجيبك كما اجابك في اياتك وهو صلة لادع او حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك او متعلق بمحذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب بحق ما عندك او قسم اجيب بقوله تعالى لئن كشفت عنا الرجز الذي وقع علينا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل اي اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت الى اخره فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون بعده اي مهلكون اذا هم ينكثون جواب لما اي فلما كشفنا عنهم الرجز فاجؤوا النكث من غير تأمل وتوقف فانتقمنا منهم اي فاردنا ان ننتقم منهم لما اسلفوا من المعاصي والجرائم فان قوله تعالى فاغرقناهم عين الانتقام منهم فلا يصح دخول الفاء بينهما ويجوز ان يكون المراد مطلق الانتقام والفاء تفسيرية كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الى اخره في اليم في البحر الذي لا يدرك قعره وقيل في لجته بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين تعليل للاغراق اي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بايات الله تعالى واعراضهم عنها وعدم تفكرهم فيها بحيث صاروا كالغافلين عنها بالكلية والفاء وان دلت على ترتيب الاغراق على ما قبله من النكث لكنه صرح بالتعليل ايذانا بان مدار جميع ذلك تكذيبهم بايات الله تعالى واعراضهم عنها ليكون ذلك مزجرة للسامعين عن تكذيب الايات الظاهرة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعراض عنها واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون اي بالاستعباد وذبح الابناء والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على استمرار الاستضعاف وتجدده وهم بنو اسرائيل ذكروا بهذا العنوان اظهارا لكمال لطفه تعالى بهم وعظيم احسانه اليهم في رفعهم من حضيض المذلة الى اوج العزة مشارق الارض ومغاربها اي جانبيها الشرقي والغربي حيث ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا في اكنافها الشرقية والغربية كيف شاؤوا وقوله تعالى التي باركنا فيها اي بالخصب وسعة الارزاق صفة للمشارق والمغارب وقيل للارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى وهو وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض وفيه ضعف للفصل بين الصفة والموصوف بالمعطوف كما في قولك قام ام هند وابوها العاقلة وتمت كلمة ربك الحسنى وهو وعده تعالى اياهم بالنصر والتمكين كما ينبئ عنه قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين وقرئ كلمات لتعدد المواعيد ومعنى تمت مضت واستمرت على بني اسرائيل بما صبروا اي بسبب صبرهم على الشدائد التي كابدوها من جهة فرعون وقومه ودمرنا اي خربنا واهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والقصور اي ودمرنا الذي كان فرعون يصنعه على ان فرعون اسم كان ويصنع خبر مقدم والجملة الكونية صلة ما والعائد محذوف تقديره ودمرنا الذي كان يصنعه فرعون الى اخره اي صنعه والعدول الى صيغة

المنابع على هذين المقولين لاستحقاقا العقوبة وما كانوا يعرشون من الجنات او ما كانوا يرفعونه من البنيات
لصرح هامان ونحوه وقرئ يعرشون بضم الراء والكسر افصح وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله عز وجل وجاوزنا
ببني اسرائيل وشروع في ما احدثوه من الامور الشنيعة بعد ان انقذهم الله عز وجل من ملكة فرعون ومن
عليهم من النعم العظام الموجبة للشكر من الآيات الكبار وما يجري له ضمن الجبال تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم وايقاظ للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم وجاوزنا وقرئ جوزنا
بالتشديد وهو ايضا بمعنى جاز فعدى بالباء اي قطعنا بهم البحر روي انه عبر بهم موسى عليه السلام يوم
عاشوراء بعد ما اهلك الله تعالى فرعون فصاموا شكرا لله تعالى فاتوا اي مروا على قوم قيل كانوا من
لخم وقيل من العمالقة الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم يعكفون على اصنام لهم اي يواظبون
على عبادتها ويلازمونها وقرئ بكسر الكاف قال ابن جريج كانت اصنامهم تماثيل بقر وهو اول شان العجل
قالوا عند ما شاهدوا احوالهم يا موسى اجعل لنا الها مثالا نعبده كما لهم آلهة الكاف متعلقة بمحذوف
وقع صفة لالها وما موصولة ولهم صلتها وآلهة بدل من ما اي كالذي اجعل لنا الها كاينا كالذي استقر
هو لهم قال انكم قوم تجهلون تعجب عليه السلام من قولهم هذا بعد ما شاهدوا من الآية الكبرى
والمعجزة العظمى فوصفهم بالجهل المطلق اذ لا جهل اعظم مما ظهر منهم واكده بقوله ان هؤلاء يعني القوم
الذين يعبدون تلك التماثيل متبر اي مدمر مكسر ما هم فيه اي من الدين الباطل اي يتبر الله تعالى
ويهدم دينهم الذي هم عليه عن قريب ويحطم اصنامهم ويتركها رضاضا وانما جيء بالجملة الاسمية للدلالة
على التحقيق وباطل اي مضمحل بالكلية ما كانوا يعملون من عبادتها وان كان قصدهم بذلك التقرب
الى الله تعالى فانه كفر محض وليس هذا كما في قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
كما توهم فان المراد اعمال البر التي عملوها في الجاهلية فانها في انفسها حسنات لو قارنت الايمان لاستتبعت
اجورها وانما بطلت لمقارنتها الكفر وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم الخبر من الجملة الواقعة خبرا لها
وسم لعبدة الاوثان بانهم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم
عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها شروع في بيان شؤون الله تعالى الموجبة
لتخصيص العبادة به تعالى بعد بيان ان ما طلبوا عبادته مما لا يمكن طلبه اصلا لكونه هالكا باطلا ولذلك
وسط بينهما قال مع كون كل منهما كلام موسى عليه السلام والاستفهام للانكار والتعجب والتوبيخ وادخال
الهمزة على غير للايذان بان المنكر هو كون المبغي غيره تعالى لما انه لا اختصاص الانكار بغيره تعالى دون
انكار الاختصاص بغيره وانتصاب غير على انه مفعول ابغي بحذف اللام اي ابغي لكم اي اطلب لكم غير الله
تعالى والها اما تمييز او حال او على الحالية من الها وهو المفعول لابغي على ان الاصل ابغي لكم الها غير الله
فغير الله صفة لالها فلما قدمت صفة النكرة انتصبت حالا وهو فضلكم على العالمين اي والحال انه
تعالى خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على ما صنعوا من سوء المعاملة حيث قابلوا تخصيص
الله تعالى اياهم من بين امثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان عهدوا الى اخس شيء من مخلوقاته تعالى فجعلوه
شريكا له تعالى تبا لهم ولما يعبدون واذ انجيناكم تذكير لهم من جهته تعالى بنعمة الانجاء من ملكة فرعون
وقرئ انجيناكم من التنجية وقرئ انجاكم فيكون مسوقا من جهة موسى عليه السلام اي اذكروا وقت انجائنا
اياكم من آل فرعون من ملكتهم لا بمجرد تخليصكم من ايديهم وهم على حالهم في المكنة والقدرة بل باهلاكهم
بالكلية وقوله تعالى يسومونكم سوء العذاب من سامه خسفا اي اولاه اياه وكلفه اياه وهو اما استيناف
لبيان ما انجاهم منه او حال من المخاطبين او من آل فرعون او منهما معا لاشتماله على ضميريهما وقوله تعالى
يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم بدل من يسومونكم مبين ومفسر له وفي ذلكم اي الانجاء او سوء العذاب بلاء اي
نعمة او محنة من ربكم من مالك اموركم فان النعمة والمحنة كلتاهما منه سبحانه وتعالى عظيم لا يقادر قدره
وواعدنا موسى ثلاثين ليلة روي ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهم بمصر ان اهلك الله تعالى
عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما اهلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره
بصوم ثلاثين وهو شهر ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا
نشم من فيك رائحة المسك فامره الله تعالى بان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك ولذلك قوله
تعالى واتممناها بعشر وانما عبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور وقيل امره الله تعالى بان يصوم ثلاثين
يوما وان يعمل فيها بما يقربه الى الله ثم انزلت عليه التوراة في العشر الاواخر وكلم فيها وقد اجمل ذكر
الاربعين وفصله هاهنا وواعدنا بمعنى وعدنا وقد قرئ كذلك وقيل الصيغة على بابها بناء على ان نزل
قبول موسى عليه السلام منزلة الوعد وثلاثين مفعول ثان لواعدنا بحذف المضاف اي اتمام ثلاثين
ليلة فتم ميقات ربه اربعين ليلة اي بالغا اربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون حين توجه الى

المناجاة

المناجاة حسبما امره اخلفني اي كن خليفتي في قومي هذا قيمهم بما ياتون وما يذرون واصلح ما يحتاج
الى الاصلاح من امور دينهم او كن مصلحا ولا تتبع سبيل المفسدين اي لا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من
دعاك اليه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتناه واللام للاختصاص اي اختص مجيئه بميقاتنا
وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملائكة عليهم السلام وفيما روي انه عليه السلام كان يسمع ذلك
من كل جهة تنبيه على ان سماع كلامه عز وجل ليس من جنس كلام المحدثين قال رب ارني انظر اليك
اي ارني ذاتك بان تمكنني من رؤيتك او تتجلى لي فانظر اليك واراك وهو دليل على ان رؤيته تعالى
جائزة في الجملة لما ان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء لا سيما ما يقتضي الجهل بشؤون الله تعالى ولذلك
رده بقوله لن تراني دون لن اري ولن تنظر الي تنبيها على انه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد
في الرائي ولم يوجد فيه ذلك بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ارنا الله جهرة خطا اذ
لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها وان لا يتبع
سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها اشد خطا اذ لا
يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على انه لا يراه ابدا وان لا يراه غيره اصلا فضلا عن ان يدل على
استحالتها ودعوى الضرورة مكابرة او جهل بحقيقة الرؤية قال استيناف مبني على سؤال نشا من
الكلام كانه قيل فماذا قال رب العزة حين قال موسى عليه السلام ما قال فقيل لن تراني ولكن انظر
الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني استدراك لبيان انه لا يطيقها وفي تعليقها باستقرار
الجبل ايضا دليل على الجواز ضرورة ان المعلق بالممكن ممكن والجبل قيل هو جبل اردن فلما تجلى ربه للجبل
اي ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وامره وقيل اعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا
مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء اي ارضا مستوية ومنه ناقة دكاء
للتي لا سنام لها وقرئ دكا جمع دكاء اي قطعا وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما راه فلما افاق الافاقة
رجوع العقل والفهم الى الانسان بعد ذهابهما بسبب من الاسباب قال تعظيما لما شاهده
سبحانك اي تنزيها لك من ان اسالك شيئا بغير اذن منك قال يا موسى استيناف مسوق لتسليته
عليه السلام من عدم الاجابة الى سؤال الرؤية كانه قيل اني ان منعتك الرؤية فقد اعطيتك من النعم
ما لم اعط احدا من العالمين فاغتنمها وثابر على شكرها اني اصطفيتك اي اخترتك واتخذتك صفوة
وآثرتك على الناس اي المعاصرين لك وهارون وان كان نبيا كان مامورا باتباعه وما كان كليما
ولا صاحب شرع برسالاتي اي باسفار التوراة وقرئ برسالتي وبكلامي وبتكليمي اياك من غير واسطة
فخذ ما آتيتك اي اعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين اي ما اعطيت من جلائل النعم
قيل كان سؤال الرؤية يوم عرفة واعطاء التوراة يوم النحر وكتبنا له في الالواح من كل شيء اي مما
يحتاجون اليه من امور دينهم موعظة وتفصيلا لكل شيء بدل من الجار والمجرور اي كتبنا له كل شيء من
المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في عدد الالواح وفي جوهرها ومقدارها وكاتبها فقيل انها كانت عشرة
الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبرئيل عليه السلام وقيل من صخرة صماء
لينها الله فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة
وان طولها كان عشرة اذرع وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها
الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله
الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا [illegible] فخذها على اضمار
قول معطوف على كتبنا فقلنا خذها بقوة بجد وعزيمة وقيل هو بدل من قوله تعالى فخذ ما آتيتك
والضمير للالواح او لكل شيء لانه بمعنى الاشياء او للرسالة او للتوراة وامر قومك ياخذوا باحسنها
اي باحسن ما فيها كالعفو بالاضافة الى الاقتصاص [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

اسرائيل وكتب لهم حسبما ينطق به قوله عز وجل يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم
ومعنى الاراءة الادخال بطريق الايراث ويؤيده قراءة من قرأ سأورثكم بالثاء المثلثة كما في قوله
تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ سأوريكم بالثاء
المثلثة كما في قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض استئناف مسوق لتحذيرهم عن التكبر الموجب
لعدم التفكر في الآيات التي هي ما كتب في الواح التوراة من المواعظ والاحكام او ما يعمها وغيرها
من الآيات التكوينية التي من جملتها ما وعد اراءته من دار الفاسقين ومعنى صرفهم عنها الطبع
على قلوبهم بحيث لا يكادون يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها لاصرارهم على ما هم عليه من التكبر
والتجبر كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لاظهار الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ان في المؤخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف
النظم الجليل اي سأطبع على قلوب الذين يعدون انفسهم كبراء ويرون لهم على الخلق مزية وفضلا فلا
ينتفعون بآياتي التنزيلية والتكوينية ولا يغتنمون مغانم آثارها فلا تسلكوا مسلكهم لتكونوا
امثالهم وقيل المعنى سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون في ابطال ما رآه من الآيات
فأبى الله الا احقاق الحق وازهاق الباطل وعلى هذا فالانسب ان يراد بدار الفاسقين ارض الجبابرة
فانهم المتصفون بالفسق والتكبر في الارض وبإراءتها للمخاطبين ادخالهم الشام واسكانهم
في مساكنهم ومنازلهم حسبما نطق به قوله تعالى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ويكون
قوله تعالى سأصرف عن آياتي الى آخره جوابا عن سؤال مقدر ناشئ من الوعد بادخال الشام على ان المراد
بالآيات ما تلي آنفا ونظائره وبصرفهم عنها ازالتهم عن مقام معارضتها وممانعتها لوقوع اخبارها وظهور
احكامها وآثارها على يد موسى عليه السلام حين سار بعد التيه بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف
الروايتين الى اريحا ويوشع بن نون في مقدمته ففتحها واستقر بنو اسرائيل بالشام وملكوا مشارقها ومغاربها
كأنه قيل كيف يرى دارهم وهم فيها فقيل اني اهلكهم واعدل الى الصرف ليزداد وثوقه بالآيات واطمئنانه
بها وقوله تعالى بغير الحق اما صلة للتكبر اي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل وظلمهم المفرط او متعلق
بمحذوف هو حال من فاعله اي يتكبرون في الارض بغير الحق وقوله تعالى وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها عطف على
يتكبرون داخل معه في حكم الصلة والرؤية اما البصرية فالمراد بالآية ما شاهدوه تابعها او ما
يعمها وغيرها من المعجزات فالمراد برؤيتها مطلق المشاهدة المنتظمة للسماع والابصار اي وان شاهدوا
كل آية من الآيات لا يؤمنوا بها على عموم النفي اي كفروا بكل واحدة منها لعدم اجتلائهم اياها كما هي وهذه
كما ترى يؤيد كون الصرف بمعنى الطبع وقوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا عطف على ما قبله
داخل في حكمه اي لا يتوجهون الى الحق ولا يسلكون سبيله اصلا لاستيلاء الشيطنة عليهم ومطبوعيتهم على الانحراف
والزيغ وقرئ بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا
اي يختارونه لانفسهم مسلكا مستمرا لا يكادون يعدلون عنه لموافقته لاهوائهم الباطلة وافضائه
بهم الى شهواتهم ذلك اشارة الى ما ذكر من تكبرهم وعدم ايمانهم بشيء من الآيات واعراضهم عن سبيل
الرشد واقبالهم التام على سبيل الغي وهو مبتدأ خبره وقوله تعالى بانهم اي حاصل بسبب انهم كذبوا بآياتنا
على بطلان ما اتصفوا به من القبائح وعلى حقية اضدادها وكانوا عنها غافلين لا يتفكرون فيها والا لما
فعلوا ما فعلوا من الاباطيل ويجوز ان يكون اشارة الى ما ذكر من الصرف ولا يمنعه الاشعار بعلية ما في
حيز الصلة كيف لا وقد صح ان ذلك في قوله ذلك بما عصوا الآية يجوز ان يكون اشارة الى الذلة والمسكنة
والبوء بالغضب العظيم مع كون ذلك معللا بالكفر بآيات الله صريحا وقيل محل اسم الاشارة النصب على
المصدر اي سأصرفهم ذلك الصرف بسبب تكذيبهم بآياتنا وغفلتهم عنها والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة
اي وبلقاء الدار الآخرة من الجزاء ومحله الرفع على الابتداء وقوله تعالى حبطت اعمالهم خبره اي ظهر بطلان اعمالهم
التي كانوا عملوها من صلة الارحام واغاثة الملهوفين ونحو ذلك او حبطت بعد ما كانت مرجوة النفع
على تقدير ايمانهم بها هل يجزون اي لا يجزون الا ما كانوا يعملون اي الا جزاء ما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي
واتخذ قوم موسى من بعده اي من بعد ذهابه الى الطور من حليهم متعلق باتخذ كالجار الاول لاختلاف
معنيهما فان الاول للابتداء والثاني للتبعيض او للبيان او الثاني متعلق بمحذوف وقع حالا من عجلا
اذ لو تأخر لكان صفة له واضافة الحلي اليهم مع انها كانت للقبط لادنى الملابسة حيث كانوا استعاروها
من اربابها قبيل الغرق فبقيت في ايديهم واما انهم ملكوها بعد الغرق فذلك منوط بتملك بني اسرائيل
غنائم القبط مستأمنين فيما بينهم فلا يساعده قوله حملنا اوزارا من زينة القوم والحلي جمع حلي كثدي
وثدي وقرئ بكسر الحاء للاتباع لذلي وقرئ حليهم على الافراد وقوله تعالى عجلا مفعول

اتخذ

اتخذ اخر عن المجرور لما مر من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الكريم وقيل هو متعد الى اثنين بمعنى التصيير والمفعول الثاني محذوف اي الها وقوله جسدا بدل
من عجلا اي جثة ذا دم ولحم او جسدا من ذهب لا روح معه وقوله تعالى له خوار اي صوت بقر وقرئ بالجيم
والهمزة وهو الصياح نعت لعجلا روي ان السامري لما صاغ العجل القى في فمه ترابا من اثر فرس جبريل عليه
السلام وقد كان اخذه عند فلق البحر او عند توجهه الى الطور فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فيدخل
الريح في جوفه فيصوت والانسب بما في سورة طه هو الاول وانما نسب اتخاذه اليهم وهو فعله اما لانه
واحد منهم رضوا به فكأنهم فعلوه واما لان المراد باتخاذه اتخاذهم اياه الها لا صنعه واحداثه الم يروا
انه لا يكلمهم استئناف مسوق لتقريعهم وتشنيعهم وتركيك عقولهم وتسفيههم فيما اقدموا من المنكر الذي
هو اتخاذه الها اي الم يروا انه ليس فيه شيء من احكام الالوهية حيث لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا بوجه
من الوجوه فكيف اتخذوه الها وقوله تعالى اتخذوه فعلوا ذلك وكانوا ظالمين اي واضعين للاشياء في غير
مواضعها فلم يكن اول منكر فعلوه غاية الندم فان ذلك كناية عنه لان النادم المتحسر يعض يده غما فتصير يده
مسقوطا فيها وقرئ على البناء للفاعل بمعنى وقع العض فيها او اليد حقيقة وقال الزجاج معناه سقط
الندم في انفسهم اما بطريق الاستعارة بالكناية او بطريق التمثيل ورأوا انهم قد ضلوا باتخاذ العجل اي تبينوا
بحيث تيقنوا بذلك حتى كأنهم رأوه باعينهم وتقديم ذكر ندمهم على هذه الرؤية مع كونه متأخرا
عنها للمسارعة الى بيانه والاشعار بغاية سرعته كأنه سابق على الرؤية قالوا لئن لم يرحمنا ربنا
بانزال التوراة المكفرة ويغفر لنا ذنوبنا بالتجاوز عن خطيئتنا وتقديم الرحمة على المغفرة مع ان التخلية
حقها ان تقدم على التحلية اما للمسارعة الى المقصود الاصلي واما لان المراد بالرحمة مطلق ارادة
الخير بهم فهو مبدأ لانزال التوراة المكفرة لذنوبهم واللام في لئن موطئة للقسم كما اشير اليه وفي قوله
تعالى لنكونن من الخاسرين لجواب القسم وما حكي عنهم من الندامة والرؤية والقول وان كان بعد ما رجع
موسى عليه السلام اليهم كما تنطق به الآيات الواردة في سورة طه لكن اريد بتقديمه عليه حكاية
ما صدر عنهم من القول والفعل في موضع واحد ولما رجع موسى الى قومه شروع في بيان ما جرى من موسى
عليه السلام بعد رجوعه من الميقات اثر بيان ما وقع من قومه بعده وقوله تعالى غضبان اسفا
حالان من موسى عليه السلام او الثاني من المستكن في غضبان والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين
قال بئسما خلفتموني من بعدي اي بئسما فعلتم خلفي من بعد غيبتي حيث عبدتم العجل بعد ما رأيتم فعلي من
توحيد الله تعالى ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من حملكم على ذلك وكفكم عما طمحت نحوه
ابصاركم حيث قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف فالخطاب للعبدة
من السامري واشياعه او بئسما قمتم مقامي وراعيتم عهدي حيث لم تكفوا العبدة عما فعلوا فالخطاب
لهارون ومن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا الا
تتبعن افعصيت امري ويجوز ان يكون الخطاب للكل على ان المراد بالخلافة ما يعم الامرين المذكورين وما
نكرة موصوفة مفسرة لفاعل بئس المستكن فيه والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة
خلفتمونيها من بعد خلافتكم اعجلتم امر ربكم اي اتركتموه غير تام على تضمين عجل معنى سبق يقال عجل
عن الامر اذا تركه غير تام واعجلتم وعد ربكم الذي وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتي وغيرتم بعدي
كما غيرت الامم بعد انبيائهم والقى الالواح طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روي
ان التوراة كانت سبعة اسباع في سبعة الواح فلما القاها انكسرت فرفعت ستة اسباعها التي فيها تفصيل
كل شيء وبقي سبع كان فيه المواعظ والاحكام واخذ برأس اخيه بشعر رأسه عليهما السلام
يجره اليه حال من ضمير اخذ فعله عليه السلام توهما انه قصر في كفهم وهارون كان اكبر منه
عليهما السلام بثلاث سنين وكان حمولا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل قال اي هارون مخاطبا
لموسى عليهما السلام ابن ام بحذف حرف النداء وتخصيص الام بالذكر مع كونهما شقيقين لما ان حق الام
اعظم واحق بالمراعاة مع انها كانت مؤمنة وقد قاست فيه المخاوف والشدائد وقرئ بكسر الميم
باسقاط الياء تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء وقراءة الفتح لزيادة التخفيف او لتشبيهه بخمسة
عشر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني ازاحة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت
جهدي في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما يكون
سببا لشماتتهم بي ولا تجعلني مع القوم الظالمين اي معدودا في عدادهم بالمؤاخذة او بالنسبة الى
التقصير وهنا يؤيد كون الخطاب للكل ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال
استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية اعتذار هارون عليه السلام كأنه قيل فماذا قال موسى عليه السلام

والجملة اعتراضية تذييلية تكريرا اتخذوه التشنيع وترتيب الاعتراض عليه ولما سقط في ايديهم اي ندموا على ما فعلوا صح

لنفسه ليرضى اخاه ويظهر للشامتين رضاه لئلا تتم شماتتهم به ولاخيه للايذان بانه محتاج الى
الاستغفار حيث كان يجب عليه ان يقاتلهم وادخلنا في رحمتك بمزيد الانعام بعد غفران ما سلف منا
وانت ارحم الراحمين فلا غرو في انتظامنا في سلك رحمتك الواسعة في الدنيا والآخرة والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لما قبله ان الذين اتخذوا العجل اي استمروا على اتخاذه واستمروا على عبادته كالسامري واشياعه من الذين
اشربوه في قلوبهم كما يفصح عنه كون الموصول الثاني عبارة عن التائبين فان ذلك صريح في ان الموصول
الاول عبارة عن المصرين سينالهم اي في الآخرة غضب اي عظيم لا يقادر قدره مستتبع لفنون العقوبات
لما انهم ارتكبوا اعظم الجرائم واقبح الجرائر وقوله تعالى من ربهم اي مالكهم متعلق بينالهم او بمحذوف
هو نعت لغضب مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائن من ربهم
وذلة في الحيوة الدنيا هي ذلة الاغتراب التي تضرب بها الامثال والمسكنة المنتظمة لهم ولاولادهم جميعا
والذلة التي اختص بها السامري من الانفراد عن الناس والابتلاء بلا مساس ويروى ان بقاياهم اليوم
يقولون ذلك واذا مس احدهم احد غيرهم حما جميعا في الوقت واريد بما نالهم في حين السين مع منفيه
بطريق التغليب حال الاخلاف وقيل المراد بهم التائبون وبالغضب ما امروا به من قتل انفسهم واعتذر
عن السين بان ذلك حكاية لما اخبر الله تعالى به موسى عليه السلام حين اخبره بافتتانهم واتخاذهم العجل
بانه سينالهم غضب من ربهم وذلة فيكون سابقا على الغضب وانت خبير بان سياق النظم الكريم وسياقه
تابيان ذلك نبوا ظاهرا كيف لا وقوله تعالى وكذلك نجزي المفترين ينادي على خلافه فانهم شهد
تائبون فكيف يكون صنيعهم بعد ذلك بالافتراء وايضا ليس يجزي الله تعالى كل المفترين هذا الجزاء الذي
ظاهره قهر وباطنه لطف ورحمة وقيل المراد بهم ابناؤهم المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فان تعيير الابناء بافاعيل الآباء مشهور معروف منه تعالى واذ قتلتم نفسا الآية وقوله تعالى
واذ قلتم يا موسى الآية والمراد بالغضب الغضب الاخروي وبالذلة ما اصابهم من القتل والاجلاء
وضرب الجزية عليهم وقيل المراد بالموصول المتخذون حقيقة وبالضمير في ينالهم اخلافهم ولا ريب
في ان توسيط الحال مؤذن في تضاعيف بيان حال المتخذين من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه والذين
عملوا السيئات اي سيئة كانت ثم تابوا عن تلك السيئات من بعدها اي من بعد عملها وامنوا ايمانا صحيحا
خالصا واشتغلوا باقامة ما هو من مقتضياته من الاعمال الصالحة ولم يصروا على ما فعلوا كالطائفة
الاولى ان ربك من بعدها اي من بعد تلك التوبة المقرونة بالايمان لغفور للذنوب وان عظمت
وكثرت رحيم مبالغ في افاضة فنون الرحمة الدنيوية والاخروية والتعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميره عليه السلام للتشريف ولما سكت عن موسى الغضب شروع في بيان بقية الحكاية
اثر ما بين تحزب القوم الى مصر وتائب والاشارة الى مآل كل منهما اجمالا اي لما سكن عنه الغضب باعتذار
اخيه وتوبة القوم وهذا صريح في ان ما حكي عنهم من الندم وما يتفرع عليه كان بعد مجيء موسى عليه السلام
وفي هذا النظم الكريم من البلاغة والمبالغة بتنزيل الغضب الحامل له عليه السلام على ما صدر
منه من الفعل والقول منزلة الآمر المغري عليه بالتحكم والتشديد والتعبير عن سكونه
بالسكوت ما لا يخفى وقرئ سكن وسكت واسكت على ان الفاعل هو الله تعالى او اخوه او التائبون
اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها اي فيما نسخ فيها وكتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما
نسخ منها اي من الالواح المنكسرة هدى اي بيان للحق ورحمة للخلق بارشادهم الى ما فيه الخير والصلاح
للذين هم لربهم يرهبون اللام الاولى متعلقة بمحذوف هو صفة لرحمة اي كائنة لهم او هي لام الاجل اي هدى
ورحمة لاجلهم والثانية لتقوية عمل الفعل المؤخر كما في قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون او هي
ايضا لام العلة والمفعول محذوف اي يرهبون المعاصي لاجل ربهم لا للرياء والسمعة واختار موسى
قومه شروع في بيان كيفية استدعاء التوبة وكيفية وقوعها واختار يتعدى الى اثنين ثانيهما
مجرور بمن اي اختار من قومه بحذف الجار وايصال الفعل الى المجرور كما في قوله ٭ اختارك الناس
اذ رثت خلائقهم ٭ واعتل من كان يرجى عنده السول ٭ اي اختارك من الناس سبعين رجلا
مفعول اول لاختار اخر عن الثاني لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر لميقاتنا
الذي وقتناه بعد ما وقع من قومه ما وقع للاعتذار لا لميقات الكلام الذي ذكر قبل ذلك كما قيل قال السدي
امره الله تعالى ان يأتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه تعالى من عبادة العجل ووعدهم
موعدا فاختار عليه السلام من قومه سبعين رجلا وقال محمد بن اسحاق اختارهم ليتوبوا اليه تعالى
مما صنعوا ويسألوه التوبة على من تركوهم وراءهم من قومهم قالوا اختار عليه السلام من كل سبط ستة
حتى تنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال عليه السلام لمن قعد مثل اجر من خرج فقعد

كالب ويوشع وذهب مع الباقين وامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا ثيابهم فخرج بهم الى طور سينا
فلما دنوا من الجبل غشيه غمام ودخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تعالى وهو يكلم موسى يأمره
وينهاه حسبما يشاء وهو الامر بقتل انفسهم توبة فلما اخذتهم الرجفة مما اجترؤوا عليه من طلب الرؤية
فانه يروى انه لما انكشف الغمام اقبلوا الى موسى عليه السلام وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة فاخذتهم الرجفة اي الصاعقة او رجفة الجبل فصعقوا منها اي ماتوا ولعلهم ارادوا بقولهم
لن نؤمن لك لن نصدقك في ان الآمر بما سمعنا من الامر بقتل انفسهم هو الله تعالى حتى نراه وحيث
قاسوا رؤيته تعالى على سماع كلامه قياسا فاسدا فحين شاهد موسى عليه السلام تلك الحالة الهائلة
قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل اي حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا
اصرارهم عليها واياي ايضا حين فرطوا في النهي عن عبادة العجل وما فارقوا عبدته حين شاهدوا اصرارهم
عليها واياي ايضا حين طلبت منك رؤية اي لو شئت اهلكتنا بذنوبنا هكذا اراد به عليه السلام
تذكير العفو لاستجلاب العفو اللاحق فان الاعتراف بالذنب والشكر على النعمة مما يرتبط العتيد به
ويستجلب المزيد يعني انا كنا مستحقين للاهلاك ولم يكن من مانع الا مشيئتك اياه فحيث لطفت
بنا وعفوت عنا تلك الجرائم فلا غرو ان تعفو عنا هذه الجريمة ايضا وحمل الكلام على التمني يأباه قوله
تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا اي الذين لا يعلمون تفاصيل شؤونك ولا يثبتون في المداحض والهمزة
اما للانكار ودفع توقع الاهلاك ثقة بلطف الله عز وجل كما قاله ابن الانباري او للاستعطاف كما قاله المبرد
اي لا تهلكنا ان هي الا فتنتك استئناف مقرر لما قبله واعتذار عما صنعوا ببيان منشأ غلطهم اي ما الفتنة
التي وقع فيها السفهاء وقالوا بسببها ما قالوا من العظيمة الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك
حيث اسمعتهم كلامك فتنوا بذلك ولم يثبتوا فطمعوا فيما فوق ذلك تابعين للقياس الفاسد وقوله
تعالى تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء اما استئناف مبين لحكم الفتنة او حال من فتنتك اي حال كونها
مضلا بها الى اخره اي تضل بسببها من تشاء اضلاله فلا يهتدي الى التثبت وتهدي من تشاء هدايته الى الحق
فلا يتزلزل في امثالها فيقوى بها ايمانه انت ولينا القائم اي القائم بامورنا الدنيوية والاخروية
وناصرنا وحافظنا لا غير فاغفر لنا ما قارفناه من المعاصي وارحمنا الفاء لترتيب الدعاء على ما قبله من الولاية
كانه قيل من شأن الولي المغفرة والرحمة وقيل ان اقدامه عليه السلام على ان يقولوا ان هي الا فتنتك
الى اخره جرأة عظيمة فطلب من الله تعالى غفرانها والتجاوز عنها وارحمنا بافاضة اثار الرحمة الدنيوية
والاخروية علينا وانت خير الغافرين اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الدعاء وتخصيص المغفرة بالذكر
لانها الاهم بالمقام واكتب لنا اي عين لنا وقيل اوجب وحقق واثبت في هذه الدنيا حسنة اي نعمة
وعافية او خصلة حسنة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قبل وفادتنا وردنا بالمغفرة والرحمة
وفي الاخرة اي واكتب لنا فيها ايضا حسنة وهي المثوبة الحسنى والجنة انا هدنا اليك اي تبنا وانبنا
اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بكسر الهاء من هاد يهيد اذا
حركه وامآله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا انفسنا وامِلنا اليك ويجوز
ان تكون القراءة المشهورة على البناء للمفعول على لغة من يقول عود المريض مع كونها لغة ضعيفة مما لا
يليق بشأن التنزيل الجليل والجملة استئناف مسوق لتعليل الدعاء فان التوبة مما يوجب قبوله
بموجب الوعد المحتوم وتصديرها بحرف التحقيق لاظهار كمال النشاط والرغبة في التوبة والمعنى
انما تبنا ورجعنا عما صنعنا من المعصية العظيمة التي جئناك للاعتذار عنها وعما وقع هنا من
طلب الرؤية فبعيد من لطفك وفضلك ان لا تقبل توبة التائبين قيل لما اخذتهم الرجفة ماتوا
جميعا فاخذ موسى عليه السلام يتضرع الى الله تعالى حتى احياهم وقيل رجفوا وكادت تبين مفاصلهم
واشرفوا على الهلاك فخاف موسى عليه السلام فبكى فكشفها الله تعالى عنهم قال استئناف وقع جوابا
عن سؤال ينساق اليه الكلام كانه قيل فماذا قال الله تعالى عند دعاء موسى عليه السلام فقيل قال
عذابي اصيب به من اشاء لعله عز وجل حين جعل توبة عبدة العجل بقتلهم انفسهم ضمن موسى عليه
السلام دعاءه التخفيف والتيسير حيث قال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة اي خصلة حسنة عارية
عن المشقة والشدة فان في قتل انفسهم من العذاب ما لا يخفى فاجاب تعالى بان عذابي شأنه ان
اصيب به من اشاء تعذيبه من غير دخل لغيري فيه وهم ممن تناولته مشيئتي ولذلك جعلت توبتهم
مشوبة بالعذاب الدنيوي ورحمتي وسعت كل شيء اي شأنها ان تسع في الدنيا المؤمن والكافر بل كل
ما يدخل تحت المشيئة من المكلفين وغيرهم وقد نال قومك نصيب منها في ضمن العذاب الدنيوي
وفي نسبة الاصابة الى العذاب بصيغة المضارع ونسبة السعة الى الرحمة بصيغة الماضي ايذان

بان الرحمة مقتضى الذات واما العذاب فبمقتضى معاصى العباد والمشية معتبرة فى جانب الرحمة
ايضا وعدم التصريح بها للاشعار بغاية الظهور الا ترى الى قوله تعالى فساكتبها اى اثبتها واعينها
فانه متفرع على اعتبار المشية كانه قيل فاذا كان الامر كذلك اى كما ذكر من اصابة عذابى وسعة
رحمتى لكل من اشاء فساكتبها كتبة خاصة كائنة كما دعوت بقولك واكتب لنا فى هذه الى اخره اى ساكتبها خالصة
غير مشوبة بالعذاب الدنيوى للذين يتقون اى الكفر والمعاصى اما ابتداء او بعد ملابستهما وفيه
تعريض بقومه كانه قيل له لقومك لانهم غير متقين فيكفيهم ما قد دلهم من الرحمة وان كانت مقارنة
للعذاب الدنيوى ويؤتون الزكوة وفيه ايضا تعريض بهم حيث كانت الزكوة شاقة عليهم ولعل الصلاة
انما لم تذكر مع انافتها على سائر العبادات اكتفاء منها بالاتقاء الذى هو عبارة عن فعل الواجبات
باسرها وترك المنكرات عن اخرها وايراد ايتاء الزكوة لما مر من التعريض والذين هم باياتنا جميعا
يؤمنون ايمانا مستمرا من غير اخلال لشئ منها وفيه تعريض بهم وبكفرهم بالايات العظام التى جاء بها
موسى عليه السلام وما سيجئ بعد ذلك من الايات البينات كتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير
ذلك وتكرير الموصول مع ان المراد به عين ما اريد بالموصول الاول دون ان يقال ويؤمنون
باياتنا عطفا على يؤتون الزكوة كما عطف هو على يتقون لما اشير اليه من تقديم الجار والمجرور اى
هم بجميع اياتنا يؤمنون لا ببعضها دون بعض الذين يتبعون الرسول الذى يوحى اليه كتابا
مختصا به النبى اى صاحب المعجزة وقيل عنوان الرسالة بالنسبة اليه تعالى وعنوان النبوة بالنسبة الى
الامى الامى بضم الهمزة نسبة الى الام كانه باق على حالته التى ولد عليها من امه او الى امة العرب
كما قال عليه السلام انا امة امية لا نحسب ولا نكتب او الى ام القرى وقرئ بفتح الهمزة اى الذى لم يمارس
القراءة والكتابة وقد جمع مع ذلك علوم الاولين والاخرين والموصول بدل من الموصول الاول بدل
الكل او منصوب على المدح او مرفوع عليه اى اعنى الذين او هم الذين واما جعله مبتدأ على ان خبره
يأمرهم او اولئك هم المفلحون فغير سديد الذى يجدونه مكتوبا باسمه ونعوته بحيث لا يشكون
انه هو ولذلك عدل عن ان يقال يجدون اسمه او وصفه مكتوبا عندهم زيد هنا الزيادة التقرير
وان شانه عليه السلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم اصلا فى التوراة والانجيل قبل نزوله من قبيل ما
نحن فيه من ذكر النبى عليه الصلاة والسلام والقران المجيد قبل مجيئهما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
كلام مستأنف لا محل له من الاعراب قاله الزجاج متضمن لتفصيل احكام الرحمة التى وعد بها فيما سبق
بكتبها اجمالا فان ما بين فيه من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث
واسقاط التكاليف الشاقة كلها من اثار الرحمة الواسعة وقيل فى محل النصب على انه حال مقدرة
من مفعول يجدونه او من النبى او من المستكن فى مكتوبا او مفسر لمكتوبا او لما كتب ويحل لهم الطيبات
التى حرمت عليهم بشؤم ظلمهم ويحرم عليهم الخبائث اى يخفف عنهم ما كلفوه من التكاليف الشاقة
التى هى من قبيل ما كتب عليهم حينئذ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب
واحراق الغنائم وتحريم السبت وعن عطاء انه كانت بنو اسرائيل اذا قاموا يصلون لبسوا المسوح
وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى
السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم اصارهم واصل
الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه من الحراك فالذين امنوا به تعليم لكيفية اتباعه عليه السلام وبيان
لعلو رتبة متبعيه واغتنامهم مغانم الرحمة الواسعة فى الدارين اثر بيان نعوته الجليلة والاشارة
الى ارشاده عليه السلام اياهم بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر واحلال الطيبات وتحريم الخبائث اى
فالذين امنوا بنبوته واطاعوه فى اوامره ونواهيه وعزروه اى عظموه ووقروه واعانوه بمنع
اعدائه عنه وقرئ بالتخفيف واصله المنع ومنه التعزير ونصروه على اعدائه فى الدين واتبعوا
النور الذى انزل معه اى مع نبوته وهو القران عبر عنه بالنور المنبئ عن كونه ظاهرا بنفسه ومظهرا
لغيره او مظهرا للحقائق كاشفا عنها لمناسبة الاتباع ويجوز ان يكون الجار منه متعلقا باتبعوا اى
واتبعوا القران المنزل مع اتباعه عليه السلام بالعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او اتبعوا القران
مصاحبين له فى اتباعه اولئك اشارة الى المذكورين من حيث اتصافهم بما فصل من الصفات الفاضلة
للاشعار بعليتها للحكم وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم فى الفضل والشرف
اى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجليلة هم المفلحون اى هم الفائزون بالمطلوب الناجون عن
الكروب لا غيرهم من الامم فيدخل فيهم قوم موسى عليه السلام دخولا اوليا حيث لم ينجوا عما فى توراتهم
من المنقمة الهائلة وبه يتحقق التحقيق وبيان التوفيق والتطبيق بين دعائه عليه السلام وبين الجواب

لا بمجرد ما قيل من انه لما دعا لنفسه ولبنى اسرائيل اجيب بما هو منطبق على توبيخ بنى اسرائيل على استجازتهم
الرؤية على الله عز وجل وعلى كفرهم باياته العظام التى اجراها على يد موسى عليه السلام وعرض
بذلك فى قوله تعالى والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا
برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا بهم وترغيبا
فى اخلاص الايمان والعمل الصالح قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم لما حكى ما فى الكتابين من نعوت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرف من يتبعه من اهلهما ونيلهم لسعادة الدارين امر عليه
السلام ببيان ان تلك السعادة غير مختصة بهم بل شاملة لكل من يتبعه كائنا من كان ببيان عموم
رسالته للثقلين مع اختصاص رسالة سائر الرسل عليهم السلام باقوامهم وارسال موسى عليه
السلام الى فرعون وملائه بالايات التسع انما كان لامرهم بعبادة رب العالمين عز سلطانه
وترك العظيمة التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئة باغية وبارسال بنى اسرائيل من الاسر
والقسر والعمل باحكام التوراة مختص ببنى اسرائيل جميعا حال من الضمير فى اليكم الذى له ملك السموات
والارض منصوب او مرفوع على المدح او مجرور على انه صفة للجلالة وان حيل بينهما بما هو متعلق بما
اضيف اليه فانه فى حكم المتقدم عليه وقوله تعالى لا اله الا هو بيان لما قبله فان من ملك العالم
كان هو الاله لا غيره وقوله تعالى يحيى ويميت لزيادة تقرير الوهية والفاء فى قوله تعالى فامنوا
بالله ورسوله لتفريع الامر على ما تمهد وتقرر من رسالته عليه السلام وايراد نفسه عليه السلام
بعنوان الرسالة على طريقة الالتفات الى الغيبة للمبالغة فى ايجاب الامتثال بامره ووصف الرسول
بقوله النبى الامى لمدحه عليه السلام بهما ولزيادة تقرير امره وتحقيق انه المكتوب فى الكتابين
ووصفه بقوله تعالى الذى يؤمن بالله وكلماته اى ما انزل اليه والى سائر الرسل عليهم السلام من
كتبه ووحيه لحمل اهل الكتابين على الامتثال بما امروا به والتصريح بايمانه بالله تعالى للتنبيه
على ان الايمان به تعالى لا ينفك عن الايمان بكلماته ولا يتحقق الا به وقرئ وكلمته على ارادة الجنس
او القران تنبيها على ان المامور به هو الايمان به عليه السلام من حيث انزل عليه القران من حيثيته
احرى او على ان المراد بها عيسى بن مريم عليه السلام تعريضا لليهود وتنبيها على ان من لم يؤمن به لم يعتد
بايمانه واتبعوه اى فى كل ما ياتى وما يذر من امور الدين لعلكم تهتدون علة للفعلين او حال من فاعليهما اى
رجاء لاهتدائكم الى المطلوب او راجين له وفى تعليقه بهما ايذانا بان من صدقه ولم يتبعه بالتزام احكام شريعته
فهو بمعزل عن الاهتداء مستمر على الغى والضلالة ومن قوم موسى كلام مبتدأ مسوق لدفع ما عسى يوهمه
تخصيص كتبه الرحمة والتقوى والايمان بالايات بمتبعى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حرمان
اسلاف قوم موسى عليه السلام من كل خير وبيان ان كلهم ليسوا كما حكيت احوالهم منهم امة يهدون اى
الناس بالحق اى ملتبسين به او يهدونه بكلمة الحق وبه اى بالحق يعدلون اى فى الاحكام الجارية فيما بينهم وصيغة
المضارع فى الفعلين لحكاية الحال الماضية وقيل هم الذين امنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم ويأباه انه قد مر
ذكرهم فيما سلف وقيل ان بنى اسرائيل لما بالغوا فى العتو والطغيان حتى اجترؤا على قتل الانبياء عليهم السلام
تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله تعالى ان يفرق بينهم وبين اولئك الطاغين ففتح الله تعالى
لهم نفقا فى الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم اليوم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون
قبلتنا وقد ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم ان جبريل عليه السلام ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم
فقال لهم جبريل عليه السلام هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبى الامى فامنوا به وقالوا يا
رسول الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ منى عليه السلام فرد محمد على موسى السلام عليهما
السلام ثم اقرأهم عشر سور من القران نزلت بمكة ولم تكن نزلت يومئذ فريضة غير الصلاة والزكوة
وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت هذا وانت خبير بان تخصيصهم
بالهداية من بين قومه عليه السلام مع ان منهم من امن بجميع الشرائع لا يخلو عن بعد وقطعناهم اى
قوم موسى لا الامة المذكورة منهم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى اثنتى عشرة ثانى مفعولى قطع
لتضمنه معنى التصيير والتانيث للحمل على الامة والقطعة اى صيرناهم اثنتى عشرة امة او قطعة
متميزا بعضها من بعض او حال من مفعوله اى فرقناهم معدودين هذا العدد وقوله تعالى اسباطا
بدل منه ولذلك جمع او مميز له على ان كل واحدة من اثنتى عشرة قطعة اسباط وقرئ عشرة
بكسر الشين وقوله تعالى امما على الاول بدل بعد بدل او نعت لاسباطا وعلى الثانى بدل من اسباطا
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه حين استولى عليهم العطش فى التيه الذى وقعوا فيه بسوء
صنيعهم لا بمجرد استسقائهم اياه عليه السلام بل باستسقائه عليه السلام لهم لقوله تعالى واذ

واذ استسقى موسى لقومه تعالى ان اضرب بعصاك الحجر مضى لفعل الايحا وقد مر بيان شان الحجر في
تفسير سورة البقرة فانبجست عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام وقد حذف تعويلا على كمال
الظهور وايذانا بغاية مسارعته عليه السلام الى الامتثال واشعارا بعدم تاثير الضرب حقيقة وتنبيها
على كمال سرعة الانبجاس وهو الانفجار كانه قيل حصل الامر قبل تحقق الضرب كما في قوله تعالى اضرب
بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا بعدد الاسباط واما ما قيل من ان
ان التقدير فضرب فقد انبجست فغير حقيق بجلالة النظم التنزيلي وقرئ عشرة بكسر الشين وفتحها
قد علم كل اناس كل سبط عبر عنهم بذلك ايذانا بكثرة كل واحد من الاسباط مشربهم اي عينهم الخاصة بهم
وظللنا عليهم الغمام اي جعلناها بحيث تلقي عليهم ظلها تسير في التيه بسيرهم وتسكن باقامتهم وكان ينزل
بالليل عليهم عمود من نار يسيرون بضوئه وانزلنا عليهم المن والسلوى اي الترنجبين والسماني قيل كان ينزل
عليهم المن مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع وتبعث الجنوب عليهم السماني فيذبح الرجل منهم
منه ما يكفيه كلوا اي وقلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم اي مستلذاته وما موصولة كانت او
موصوفة عبارة عن المن والسلوى وما ظلمونا رجوع الى سنن الكلام الاول بعد حكاية خطابهم وهو
معطوف على جملة محذوفة للايجاز والاشعار بانه امر محقق غني عن التصريح به اي فظلموا بان
كفروا بتلك النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكن كانوا انفسهم يظلمون اولا يتخطاهم ضرره وتقديم
المفعول لافادة القصر الذي يقتضيه النفي السابق وفيه ضرب من التهكم بهم والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر واذ قيل لهم منصوب بمضمر خوطب به
النبي صلى الله عليه وسلم وايراد الفعل على البناء للمفعول مع استناده اليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع
في سورة البقرة من قوله تعالى واذ قلنا للجري على سنن الكبرياء والايذان بالغنى عن التصريح به
لتعين الفاعل وللتغيير النظم بالامر بالذكر للتشديد في التوبيخ اي اذكر لهم وقت قوله تعالى لاسلافهم
اسكنوا هذه القرية منصوبة على المفعولية يقال سكنت الدار وعلى الظرفية اتساعا وهو بيت
المقدس وقيل اريحا وهي قرية الجبارين وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة راسهم عوج بن
عنق وفي قوله اسكنوا ايذان بان المامور به في سورة البقرة هو الدخول على وجه السكنى والاقامة
ولذلك اكتفي به عن ذكر رغدا في قوله تعالى وكلوا منها اي من مطاعمها وثمارها على ان من تبعيضية او منها
على انها ابتدائية حيث شئتم اي من نواحيها من غير ان يزاحمكم فيها احد فان الاكل المستمر على هذا الوجه لا يكون
الا رغدا واسعا وعطف كلوا على اسكنوا بالواو لمقارنتهما زمانا بخلاف الدخول فانه مقدم على الاكل ولذلك
قيل هناك فكلوا سجدا متطامنين مخبتين او ساجدين شكرا على اخراجهم من التيه وتقديم الامر بالدخول
على الامر بالقول المذكور في سورة البقرة غير مخل بهذا الترتيب لان المامور به هو الجمع بين الفعلين من غير
اعتبار الترتيب بينهما ثم ان كان المراد بالقرية اريحا فقد روي انهم دخلوها حيث سار اليها موسى
بمن بقي من بني اسرائيل او بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها كما مر في سورة البقرة المائدة واما ان كان
بيت المقدس فقد روي انهم لم يدخلوه في حياة موسى عليه السلام وقيل المراد بالباب باب القبة التي
كانوا يصلون اليها نغفر لكم خطاياكم وقرئ خطاياكم كما في سورة البقرة وتغفر لكم خطيئاتكم وخطاياكم
وخطيئتكم على البناء للمفعول سنزيد المحسنين عدة بشيئين بالمغفرة وبالزيادة وطرح الواو ههنا لا يخل
بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير سؤال نشا من الاخبار بالغفران كانه قيل فماذا لهم بعد الغفران
فقيل سنزيد ولذلك لزيادة منهم زيادة بيان فبدل الذين ظلموا منهم بما امروا به من التوبة والاستغفار
حيث اعرضوا عنه ووضعوا موضعه قولا اخر مما لا خير فيه روي انهم دخلوه زاحفين على استاههم
وقالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا يعنون حنطة حمراء استخفافا بامر الله
عز وجل واستهزاء بموسى عليه السلام غير الذي قيل لهم نعت لقولا صرح بالمغايرة دلالة
التبديل عليها قطعا تحقيقا للمخالفة وتنصيصا على المغايرة من كل وجه فارسلنا عليهم اثر ما فعلوا
من غير تاخير وفي سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد من الارسال من فوق فيكون كالانزال
رجزا من السماء عذابا كائنا منها والمراد الطاعون روي انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة
وعشرون الفا بما كانوا يظلمون بسبب ظلمهم المستمر السابق واللاحق حسبما يفيده الجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل لا بسبب التبديل فقط كما يشعر به ترتيب الارسال عليه بالفاء والتصريح بهذا
التعليل لما ان الحكم ههنا مترتب على مضمر دون الموصول بالظلم كما في سورة البقرة واما التعليل
بالفسق بعد الاشعار بعلية الظلم فقد مر وجهه هناك والله تعالى اعلم واسألهم عطف على المقدر
في اذ قيل اي واسأل اليهود المعاصرين لك سؤال تقريع وتقرير بتقديم كفرهم وتجاوزهم لحدود الله

تعالى

وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة لذنوبنا وهي فعلة من الحط كالجلسة وادخلوا الباب اي باب القرية صح

تعالى واعلاما لهم بان ذلك مع كونه من علومهم الخفية التي لا يقف عليها الا من مارس كتبهم قد احاط
به النبي صلى الله عليه وسلم خبرا وان ليس ذلك بالتلقي من كتبهم لانه عليه السلام بمعزل من ذلك تعين
انه من جهة الوحي الصريح عن القرية اي عن خبرها وخبر ما وقع على اهلها من الداهية الدهياء وهي ايلة
قرية بين مدين والطور وقيل هي مدين وقيل طبرية والعرب يسمي المدينة قرية التي كانت حاضرة البحر
اي قريبة منه مشرفة على شاطئه اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حدود الله تعالى بالصيد يوم
السبت واذ ظرف للمضاف المحذوف او بدل منه وقيل ظرف لكانت او حاضرة وليس بذلك اذ لا فائدة
في تقييد الكون او الحضور بوقت العدوان وقرئ يعدون واصله يعتدون ويعدون من الاعداد حيث
كانوا يعدون الات الصيد يوم السبت وهم منهيون عن الاشتغال فيه بغير العبادة اذ تاتيهم حيتانهم ظرف
ليعدون او بدل بعد بدل والاول هو الاولى لان السؤال عن عدوانهم ادخل في التقريع والحيتان جمع حوت
قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها كنون ونينان لفظا ومعنى واضافتها اليهم للاشعار باختصاصها بهم لاستقلالها
بما لا يكاد يوجد في سائر افراد الجنس من الخواص الخارقة للعادة او لان المراد بها الحيتان الكائنة في تلك
الناحية وان ما ذكر من الامور وعدمه لاعتيادها احوالهم في عدم التعرض يوم السبت يوم سبتهم ظرف
لتاتيهم اي تاتيهم يوم تعظيمهم لامر السبت وهو مصدر سبتت اليهود اذا عظمت السبت بالتجرد للعبادة وقيل
اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم باحكام فيه ويؤيد الاول قراءة من قرا يوم اسباتهم وقوله تعالى شرعا
جمع شارع من شرع عليه اذا دنا واشرف وهو حال من حيتانهم اي تاتيهم يوم سبتهم ظاهرة على وجه الماء قريبة
من الساحل ويوم لا يسبتون اي لا يراعون امر السبت لكن لا بمجرد عدم المراعاة مع تحقق يوم السبت كما
هو المتبادر بل مع انتفائهما معا اي لا سبت ولا مراعاة كما في قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقرئ لا يسبتون
على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون في السبت ولا يدار عليهم حكم السبت ولا يؤمرون فيه بما امروا به
يوم السبت لا تاتيهم كما كانت تاتيهم يوم السبت حذرا من صيدهم وتغيير السبك حيث لم يقل ولا تاتيهم
يوم لا يسبتون لما ان الاخبار باتيانها يوم سبتهم مظنة ان يقال فماذا حالها يوم لا يسبتون لا تاتيهم
كذلك نبلوهم اي مثل ذلك البلاء العظيم العجيب الفظيع نعاملهم معاملة من يختبرهم ليظهر عدوانهم
ونؤاخذهم به وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها والتعجيب منها بما كانوا يفسقون
اي بسبب فسقهم المستمر المدلول عليه بالجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لكن لا في تلك المادة فان
فسقهم فيها لا يكون سببا للبلوى بل بسبب فسقهم المستمر في كل ما ياتون وما يذرون وقيل كذلك متصل
بما قبله اي لا تاتيهم مثل ما ياتيهم يوم سبتهم فالجملة بعده حينئذ استيناف مبني على السؤال عن حكمة اختلاف
حال الحيتان بالاتيان تارة وعدمه اخرى واذ قالت عطف على اذ يعدون مسوق لتماديهم في العدوان
وعدم انزجارهم عنه بعد العظات والانذارات امة منهم اي جماعة من صلحائهم الذين ركبوا في عظتهم
بين كل صعب وذلول حتى يئسوا من احتمال القبول لاخرين لا يقلعون عن التذكير رجاء للنفع والتاثير
مبالغة في الاعذار وطمعا في فائدة الانذار لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم بالكلية مطهر
الارض منهم او معذبهم عذابا شديدا دون الاستئصال بالمرة وقيل مهلكهم مخزيهم في الدنيا او معذبهم
في الاخرة لعدم اقلاعهم عما كانوا عليه من الفسق والطغيان والترديد لمنع الخلو دون منع الجمع فانهم
مهلكون في الدنيا معذبون في الاخرة وايثار صيغة اسم الفاعل مع ان كلا من الاهلاك والتعذيب مترقب
للدلالة على تحققهما وتقررهما البتة كانهما واقعان وانما قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينجع فيهم
او ترهيبا للقوم او سؤالا عن حكمة الوعظ ونفعه ولعلهم انما قالوه بمحضر من القوم حثا لهم
على الاتعاظ فان بت القول بهلاكهم وعذابهم مما يلقي في قلوبهم الخوف والخشية وقيل المراد طائفة من
الفرقة الهالكة اجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم وليس كذلك كما ستقف عليه قالوا اي الوعاظ
معذرة الى ربكم اي نعظهم معذرة اليه تعالى على انه مفعول له وهو الانسب بظاهر قوله لم تعظون او
نعتذر معذرة على انه مصدر لفعل محذوف وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا اي موعظتنا معذرة
اليه تعالى حتى لا ننسب الى نوع تفريط في النهي عن المنكر وفي اضافة الرب الى ضمير المخاطبين نوع تعريض
بالسائلين ولعلهم يتقون عطف على معذرة اي ورجاء لان يتقوا بعض التقاة وهذا صريح في ان القائلين
لم تعظون الى اخره ليسوا من الفرقة الهالكة والا لوجب الخطاب فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا
ما ذكرهم به صلحاؤهم ترك الناسي للشيء واعرضوا عنه اعراضا كليا بحيث لم يخطر ببالهم شيء من تلك المواعظ
اصلا انجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفريقان المذكوران واخراج انجائهم مخرج الجواب الذي حقه التي
على الشرط وهو نسيان المعتدين المستتبع لاهلاكهم لما انه ما في حيز الشرط شيئان النسيان والتذكير

كانه قيل فما ذكر المذكورين ولم يتذكر المعتدون انجينا الاولين واخذنا الاخرين واما تصدير الجواب بانجا
فلما مر مرارا من المسارعة الى بيان نجاتهم من اول الامر مع ما في المؤخر من نوع طول واخذنا الذين ظلموا بالاعتدا
ومخالفة الامر بعذاب بئيس اي شديد وزنا ومعنى من بؤس يبؤس بأسا اذا اشتد وقرئ بئيس على وزن فيعل بفتح
العين وكسرها وبئس كحذر وبئس على تخفيف ونقل حركتها الى الفا كالكبد وبيس بقلب الهمزة ياء كذيب في
ذئب وبيس كريس بقلب همزة بئس ياء او ادغام الياء فيها وبيس على تخفيف ليس كهين في هين وتنكير العذاب
للتفخيم والتهويل بما كانوا يفسقون متعلق باخذنا كما لنا الاولى ولا ضير فيه لاختلافهما معنى اي اخذناهم
بما ذكر من العذاب بسبب تماديهم في الفسق الذي هو الخروج عن الطاعة وهو الظلم والعدوان ايضا
واجرا الحكم على الموصول وان اشعر بعلية ما في حيز الصلة له لكنه صرح بالتعليل المذكور ايذانا بان العلة
هو الاستمرار على الظلم والعدوان مع اعتبار كون ذلك خروجا عن طاعة الله عز وجل لا نفس الظلم
والعدوان والا لما اخروا عن ابتداء المباشرة ساعة ولعله تعالى قد عذبهم بعذاب شديد دون الاستيصال
فلم يقلعوا عما كانوا عليه بل ازدادوا في البغي فمسخهم بعد ذلك لقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه اي تمردوا
وتكبروا وابوا ان يتركوا ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين صاغرين اذلاء بعداء عن الناس والمراد بالامر هو
الامر التكويني لا القولي وترتيب المسخ على العتو عن الانتهاء عما نهوا عنه للايذان بانه ليس لخصوصية الحوت
بل العمدة في ذلك هو مخالفة الامر والاستعصاء عليه تعالى وقيل المراد بالعذاب البئيس هو المسخ والجملة
الثانية تقرير للاولى روي ان اليهود امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت
وهو المعنى بقوله تعالى انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه فابتلوا به وحرم عليهم الصيد فيه وامروا
بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كانها المخاض لا يرى وجه الماء لكثرتها ولا تأتيهم في ساير الايام
فكانوا على ذلك برهة من الدهر فجاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا
سهلة الورود صعبة الصدور ففعلوا فجعلوا يسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج
منها ويأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم
الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلم يره عذابا اخذ في
يوم السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم استمروا على ذلك فصادوا واكلوا
وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث استمروا على النهي وثلث ملوا التذكير
وسئموه وقالوا للواعظين لم تعظون الى اخره وثلث باشروا الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون نحن لا
نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح
الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشانا فعلوا الجدار فنظروا
فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القردة انسابهم من الانس وهم لا يعرفونها فجعل
القرد ياتي نسيبه فيشم ثيابه فيبكي فيقول له نسيبه الم ننهكم فيقول القرد برأسه بلى ثم ماتوا عن
ثلاث وقيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وعن مجاهد مسخت قلوبهم وقال الحسن البصري
اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الاخرة هاه وايم الله ما حوت اخذه
قوم فاكلوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله تعالى جعل موعدا والساعة ادهى وامر واذ
تاذن ربك منصوب على المفعولية بمضمر معطوف على قوله تعالى جعل موعد عذاب الساعة ادهى وامر
واذ تاذن ربك واسألهم وتاذن بمعنى اذن كما ان توعد بمعنى اوعد او عزم فان العازم على الامر يحدث به
نفسه واجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله فلذلك اجيب بجوابه حيث قيل ليبعثن عليهم
الى يوم القيمة اي اذكر لهم وقت ايجابه تعالى على نفسه ان يسلط على اليهود البتة من يسومهم سوء العذاب
كالاذلال وضرب الجزية وغير ذلك من فنون العذاب وقد بعث الله عليهم بعد سليمان بخت نصر فخرب
ديارهم وقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس
حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر
ان ربك لسريع العقاب يعاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وامن منهم وقطعناهم اي فرقنا بني
اسرائيل في الارض وجعلنا كل فرقة منهم في قطر من اقطارها بحيث لا يخلو ناحية منها منهم تكملة لادبارهم
حتى لا يكون لهم شوكة وقوله تعالى امما اي مفعول ثان لقطعنا او حال من مفعوله منهم الصالحون صفة
لامما او بدل منه وهم الذين امنوا بالمدينة ومن يسير بسيرتهم ومنهم دون ذلك اي ناس دون ذلك
الوصف اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لا
لعلهم يرجعون عما كانوا فيه من الكفر والمعاصي فخلف من بعدهم من بعد المذكورين خلف اي بدل سوء مصدر

نعت

نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع في الشر والخلف بفتح اللام في الخير والمراد
به الذين كانوا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب اي التوراة من اسلافهم يقرؤنها
ويقفون على ما فيها ياخذون عرض هذا الادنى اي الدنيء وهو من الدنو او الدناءة والمراد به ما كانوا
ياخذونه في الرشا في الحكومات وعلى التحريف للكلام وقيل حال من واو ورثوا ويقولون سيغفر لنا
لا يؤاخذنا الله تعالى بذلك ويتجاوز عنه والجملة تحتمل العطف والحالية والفعل مسند الى الجار
والمجرور او مصدر ياخذون وان ياتهم عرض مثله ياخذوه حال من الضمير في لنا اي يرجون المغفرة
والحال انهم مصرون على الذنب عائدون الى مثله غير تائبين عنه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب
اي الميثاق الوارد في الكتاب ودرسوا ما فيه عطف على الم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير او
ورثوا وهو اعتراض والدار الاخرة خير للذين يتقون ما فعل هؤلاء افلا تعقلون فتعلموا ذلك فلا
تستبدلوا الادنى المؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد وقرئ بالياء وبالتاء لتلقات تشديد التوبيخ والذين
يمسكون بالكتاب اي يتمسكون به في امور دينهم يقال مسك بالشيء وتمسك به قال مجاهد هم الذين امنوا
من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى فلم يحرفوه ولم يكتموه
ولم يتخذوه ماكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقرئ من الامسال وقرئ تمسكوا واستمسكوا
موافقا لقوله تعالى واقاموا الصلاة ولعل التغيير في المشهور للدلالة على ان التمسك بالكتاب امر
مستمر في جميع الازمنة بخلاف اقامة الصلاة فانها مختصة باوقاتها وتخصيصها بالذكر من بين
ساير العبادات لانافتها عليها ومحل الموصول اما الجر نسقا على الذين يتقون وقوله افلا تعقلون
اعتراض مقرر لما قبله واما الرفع على الابتداء والخبر قوله تعالى انا لا نضيع اجر المصلحين اما الضمير
المحذوف كما راى جمهور البصريين والتقدير اجر المصلحين منهم واما الالف واللام كما هو راي
الكوفيين فانه في حكم مصلحيهم كما في قوله تعالى فان الجنة هي الماوى اي ماويهم وقوله تعالى انا لا نضيع
اجر اعتراض مقرر لما قبله واذ نتقنا الجبل فوقهم اي قلعناه من مكانه ورفعناه عليهم كانه ظلة
اي سقيفة وهي كل ما اظلك وظنوا اي تيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت في الجو ولانهم
كانوا يوعدون به واطلاق الظن في الحكاية لعدم وقوع متعلقه وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية
لثقلها فرفعه الله تعالى عليهم الطور وقيل لهم ان قبلتم ما فيها فبها والا ليقعن عليكم خذوا ما اتيناكم
اي وقلنا او قائلين خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزيمة على تحمل مشاقه وهو حال
من الواو واذكروا ما فيه بالعمل ولا تتركوه كالمنسي لعلكم تتقون بذلك قبايح الاعمال ورذايل الا
الاخلاق او راجين ان تنتظموا في سلك المتقين واذ اخذ ربك منصوب بمضمر معطوف على ما انتصب
به او نتقنا مسوق للاحتجاج على اليهود بتذكير الميثاق العام المنتظم للناس قاطبة بتعميمه اثر الاحتجاج
عليهم بتذكير ميثاق الطور وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر
بيانه مرارا اي واذكر لهم اخذ ربك من بني ادم الى ابهم النبي ولم يقل بنيا من كان نسله بعد نسل وسوى
من لم يولد له بسبب من الاسباب كالعقم وعدم التزوج والموت صغيرا ايثارا للاختصار على الاخراج
للايذان بالاعتناء بشان الموخوذ لما فيه من الانباء عن الاجتباء والاصطفاء وهو السبب في اسناده الى اسم
الرب بطريق الالتفات مع ما فيه من التمهيد والاستفهام الاتي واضافته الى ضميره عليه السلام للتشريف
وقوله تعالى من ظهورهم بدل من بني ادم بدل البعض من الكل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا
لمن امن منهم ومن في الموضعين ابتدائية وفيه مزيد تقرير لا تنبائه على البيان بعد الابهام والتفصيل
بعد الاجمال وتنبيه على ان الميثاق قد اخذ منهم وهم في اصلاب الابا ولم يستودعوا في الارحام لا
الامهات وقوله تعالى ذرياتهم مفعول اخذ اخر عن المفعول بواسطة الجار لاشتماله على ضمير راجع اليه
والمراعاة اصالته ومنشائيته ولما مر مرارا من التشويق الى المؤخر وقرئ ذريتهم والمراد بهم اولادهم
على العموم فيندرج فيهم اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اندراجا اوليا كما
اندرج اسلافهم في بني ادم لذلك وتخصيصهما باليهود سلفا وخلفا مع ان ما اريد بيانه من بديع لا
صنع الله عز وجل شامل للكافة مخل بفخامة التنزيل وجزالة التنزيل واشهدهم على انفسهم
اي اشهد كل واحدة من اولئك الذريات المأخوذين من ظهور ابائهم على نفسها لا على غيرها تقريرا لهم بربوبيته
التامة وما تستتبعه من العبودية على الاختصاص وغير ذلك من احكامها وقوله تعالى الست بربكم
على ارادة القول اي قائلا الست بربكم ومالك امركم ومربيكم على الاطلاق من غير ان يكون لاحد مدخل
في شان من شؤونكم فينتظم استحقاق المعبودية ويستلزم اختصاصه به تعالى قالوا استيناف مبني على
سؤال نشأ من الكلام كانه قيل فماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا بلى شهدنا اي على انفسنا بانك ربنا والهنا

لا رب لنا غيره كما ورد في الحديث الشريف وهذا تمثيل لخلقه تعالى اياهم جميعا في مبدأ الفطرة مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس المؤدية الى التوحيد والاسلام كما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة الحديث مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى اياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها تمكينا تاما وتعرضهم لها تعرضا قويا بهيئة منتزعة من حمله تعالى اياهم على الاعتراف بها بطريق الامر ومن مسارعتهم الى ذلك من غير تلعثم اصلا من غير ان يكون هناك اخذ واشهاد وسؤال وجواب كما في قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى ان تقولوا بالتاء على تلوين الخطاب وصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاصريه من اليهود تشديدا في الالزام او اليهم والى متقدميهم بطريق التغليب لكن لا من حيث انهم مخاطبون به بقوله تعالى الست بربكم فانه ليس من الكلام المحكي وقرئ بالياء على ان الضمير للذرية وايما كان فهو مفعول له لما قبله من الاخذ والاشهاد اي فعلنا ما فعلنا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة او يقولوا هم يوم القيمة عند ظهور الامر انا كنا عن هذا عن وحدانية الربوبية واحكامها غافلين لم ننبه عليه فانهم حيث جبلوا على ما ذكر من تهيئوا التام لتحقيق الحق والقوة القريبة من الفعل صاروا محجوجين عاجزين عن الاعتذار بذلك اذ لا سبيل لاحد الى انكار ما ذكر من خلقهم على الفطرة السليمة وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك آباؤنا عطف على تقولوا واو لمنع الخلو دون الجمع اي هم اخترعوا الاشراك وهم سنوه من قبل زماننا وكنا نحن ذرية من بعدهم لا نهتدي الى السبيل ولا نقدر على الاستدلال بالدليل افتهلكنا بما فعل المبطلون من آبائنا المضلين بعد ظهور انهم المجرمون ونحن عاجزون عن التدبير والاستبداد بالرأي او تؤاخذنا فتهلكنا الى آخره فان ما ذكر من استعدادهم الكامل يسد عليهم باب الاعتذار بهذا ايضا فان التقليد عند قيام الدلائل والقدرة على الاستدلال بها مما لا مساغ له اصلا هذا وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة كما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من انه لما خلق الله تعالى آدم مسح على ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيمة فقال الست بربكم قالوا بلى فنودي يومئذ جف القلم بما هو كائن الى يوم القيمة وقد روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه سئل عن الآية الكريمة فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال ان الله تعالى خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وليس المعنى انه تعالى اخرج الكل من ظهره عليه السلام بالذات بل اخرج من ظهره عليه السلام ابناءه الصلبية ومن ظهورهم ابناءهم الصلبية وهكذا الى آخر السلسلة لكن لما كان المظهر الاصلي ظهره عليه السلام وكان مساق الحديثين الشريفين بيان حال الفريقين اجمالا من غير ان يتعلق بذكر الوسائط غرض علمي نسب اخراج الكل اليه واما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان افادة الاعتذار باسناد الاشراك الى آبائهم اقتضى الحال نسبة اخراج كل واحد منهم الى ظهور آبائهم من غير تعرض لاخراج الابناء الصلبية لآدم عليه السلام من ظهره قطعا وعدم بيان الميثاق لاسقاط عذر الغفلة حسبما ينطق به قوله تعالى ان تقولوا يوم القيمة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انه غير رافع لغفلتهم في دار التكليف اذ لا فرد من افراد البشر يذكر ذلك نعم روي لكن لا بما قيل من ان الله عز وجل قد اوضح الدلائل على وحدانيته وصدق رسله فيما اخبروا به فمن انكره كان معاندا ناقضا للعهد ولزمته الحجة وبنسيانهم وعدم حفظهم لا يسقط الاحتجاج بعد اخبار المخبر الصادق بل بان قوله تعالى ان تقولوا الى آخره ليس مفعولا له لقوله تعالى واشهدهم وما يتفرع عليه من قولهم بلى شهدنا حتى يجب كون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظا لهم في الزامهم بل لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام والمعنى فعلنا ما فعلنا من الامر بذكر الميثاق وبيانه كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا ايها الكفرة يوم القيمة انا كنا غافلين عن ذلك الميثاق لم ننبه عليه في دار التكليف والا لعملنا بموجبه هذا على قراءة الجمهور واما على القراءة بالياء فهو مفعول له للنفي الامر المضمر العامل في اذ اخذ واذكر لهم الميثاق المأخوذ منهم فيما مضى لئلا يعتذروا يوم القيمة بالغفلة عنه او بتقليد الآباء هذا على تقدير كون شهدنا من كلام الذرية وهو الظاهر واما على تقدير كونه من كلامه تعالى فهو العامل في ان تقولوا ولا محذور اصلا اذ المعنى شهدنا قولكم هذا لئلا تقولوا يوم القيمة الى آخره لانا نردكم ونكذبكم حينئذ وكذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو شأن المشار اليه وبعد منزلته والكاف مفخمة مؤكدة لما افاده اسم الاشارة من الفخامة والتقديم على الفعل لافادة القصر ومحله النصب على المصدرية اي ذلك التفصيل البليغ المستتبع للمنافع

الجليلة

الجليلة نفصل الآيات المذكورة لا غير ذلك ولعلهم يرجعون ولكي يرجعوا عما هم عليه من الاصرار على الباطل وتقليد الآباء نفعل التفصيل المذكور قالوا والواو ابتدائية ويجوز ان تكون الثانية عاطفة على مقدر مترتب عليه على التفصيل اي وكذلك نفصل الآيات ليقفوا على ما فيها من المرغبات والزواجر وليرجعوا الى آخره واتل عليهم عطف على المضمر العامل في اذ اخذ وارد على نمطه في الاباء عن الحور بعد الكور والضلالة بعد الهدى اي واتل على اليهود نبأ الذي آتيناه آياتنا اي خبره الذي له شأن وخطر وهو احد علماء بني اسرائيل وقيل بلعم بن باعوراء او بلعام بن باعر من الكنعانيين اوتي علم بعض كتب الله تعالى وقيل امية بن ابي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم ان الله مرسل في ذلك الزمان رسولا ورجا ان يكون هو الرسول فلما بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به والاول هو الانسب بمقام توبيخ اليهود بهناتهم فانسلخ منها اي من تلك الآيات انسلاخ الجلد من الشاة ولم يخطرها بباله او خرج منها بان كفر بها ونبذها وراء ظهره اياما كان فالتعبير عنه بالانسلاخ المنبئ عن اتصال المحيط بالمحاط خلقة وعن عدم الملاقاة بينهما ابدا للايذان بكمال مباينته للآيات بعد ان كان بينهما كمال الاتصال فأتبعه الشيطان اي اتبعه حتى لحقه وادركه فصار قرينا له وهو المعنى على قراءة فاتبعه من الافتعال وفيه تلويح بانه اشد من الشيطان غواية او اتبعه خطواته فكان من الغاوين فصار من زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد ان كان من المهتدين روي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى فقال كيف ادعو على من معه الملائكة فلم يزالوا به حتى فعل فبقوا في التيه ويرده ان التيه كان لموسى عليه السلام روحا وراحة وانما عذب به بنو اسرائيل وقد كان ذلك بدعائه عليه السلام عليهم كما مر في سورة المائدة ولو شئنا كلام مستأنف مسوق لبيان مناط ما ذكر من انسلاخه من الآيات ووقوعه في مهاوي الغواية ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء على القاعدة المستمرة اي ولو شئنا رفعه لرفعناه اي الى المنازل العالية للابرار العالمين بتلك الآيات العاملين بموجبها لكن لا بمحض مشيئتنا من غير ان يكون له دخل في ذلك اصلا فانه مناف للحكمة التشريعية المؤسسة على تعليق الاجزية بالافعال الاختيارية للعباد بل مع مباشرته للعمل المؤدي الى الرفع بصرف اختياره الى تحصيله كما ينبئ عنه قوله تعالى بها اي بسبب تلك الآيات بان يعمل بموجبها فان اختياره وان لم يكن مؤثرا في حصوله ولا في ترتب الرفع عليه بل كلاهما بخلق الله تعالى لكن خلقه منوط بذلك البتة حسب جريان العادة الالهية وقد اشير الى ذلك في الاستدراك بان اسند ما يؤدي الى نقيض التالي اليه حيث قيل ولكنه اخلد الى الارض مع ان الاخلاد اليها ايضا مما لا يتحقق عند صرف اختياره اليه لا بخلقه تعالى كانه قيل ولو شئنا لرفعناه بمباشرته لسببه لرفعناه بسبب تلك الآيات التي هي اقوى اسباب الرفع ولكن لم نشأ لمباشرته بسبب نقيضه فتركناه في مكان من القاعدين ما ذكر في الاخير تعويلا على اشعار المذكور بالمطوي كما في قوله تعالى وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله تخصيص كل من المذكورين بمقامه للايذان بان الرفع من الله تعالى بالذات وتفضل محض عليه لا دخل فيه لفعله حقيقة كيف لا وجميع افعاله ومباديها من نعمه تعالى وتفضلاته وان نقيضه وان اصابه بسوء اختياره على موجب الوعيد بالارادة الذاتية له سبحانه وتعالى عما قيل في وجه ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر في الآية المذكورة وهو المعنى في جريان السنة القرآنية على اسناد الخير اليه تعالى واضافة الشر الى الغير كما في قوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين ونظائره والاخلاد الى الشيء الميل اليه مع الاطمئنان به والمراد بالارض الدنيا وقيل السفالة والمعنى ولكنه آثر الدنيا الدنية على المنازل السنية او الضعة والسفالة على الرفعة والجلالة واتبع هواه معرضا عن تلك الآيات الجليلة فانحط ابلغ انحطاط وارتد اسفل سافلين والى ذلك اشير بقوله تعالى فمثله كمثل الكلب لما انه اخس الحيوانات واسفلها وقد مثل حاله باخس احواله واذلها حيث قيل ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي فحاله التي هي مثل في الخسة كصفته في اذل احواله وهي حال دوام اللهث به في حالتي التعب والراحة فكانه قيل فتردى الى ما لا غاية وراءه في الخسة والدناءة وايثار الجملة الاسمية على الفعلية بان يقال فصار مثله كمثل الكلب الى آخره للايذان بدوام اتصافه بتلك الحالة الخسيسة وكمال استقراره واستمراره عليها والخطاب في فعلي الشرط لكل احد ممن له حظ من الخطاب فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله واللهث ادلاع اللسان بالتنفس الشديد فانه ادخل في اشاعة فظاعة حاله اذ هو في الحال المكروب دائم اللهث سواء هيجته وازعجته بالطرد العنيف او تركته على حاله فانه في الكلاب طبع لا يقدر على نفض الهواء المسخن وجلب الهواء البارد بسهولة لضعف قلبها وانقطاع فؤادها بخلاف سائر

الحيوانات فانها لا تحتاج الى التنفس الشديد ولا يلحقها الكرب والمضايقة الا عند التعب والاعيا
والشرطية مع اختها تفسير لما ابهم فى المثل وتفصيل لما اجمل فيه وتوضيح للتمثيل ببيان وجه الشبه لا محل
له من الاعراب على منهاج قوله تعالى خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون اثر قوله فى مثل عيسى عند الله كمثل آدم
وقيل هى فى محل النصب على الحالية من الكلب بناء على خروجهما من حقيقة الشرط وتحولهما الى معنى التسوية
حيث تحويل الاستفهام من المتنافيين اليه فى مثل قوله تعالى ءانذرتهم ام لم تنذرهم كانه قيل لاهثا فى
الحالتين واياما كان فالاظهر انه تشبيه للهيئة المنتزعة مما ذكر من حال الكلب وقيل لما دعا بلعام على
موسى خرج لسانه فتدلى على صدره وجعل يلهث كالكلب الى ان هلك ذلك اشارة الى ما ذكر من حالة
الخسيسة منسوبة الى الكلب او الى المنسلخ وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها فى الخسة
والدناءة اى المثل ذلك الشىء مثل القوم الذين كذبوا باياتنا وهم اليهود حيث اوتوا فى التوراة ما
اوتوا من نعوت النبى صلى الله عليه وسلم وذكر القرآن المعجز وما فيه فصدقوه وبشروا الناس باقتراب
مبعثه وكانوا يستفتحون به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة فاقصص القصص
القصص مصدر سمى به المفعول كالسلب واللام للعهد والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اى اذا
تحقق ان المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما اوحى اليك لعلهم يتفكرون
فيقفون على جلية الحال وينزجرون عما هم عليه من الكفر والضلال ويعلمون انك قد علمته من جهة
الوحى فيزدادوا ايقانا بك والجملة فى محل النصب على انها حال من ضمير المخاطب او على انها مفعول له اى
فاقصص القصص راجيا لتفكرهم او رجاء لتفكرهم ساء مثلا القوم استئناف مسوق لبيان كمال قبح
حال المكذبين بعد بيان كونه كحال الكلب والمنسلخ وساء بمعنى بئس وفاعلها مضمر فيها ومثلا تمييز
مفسر له والمخصوص بالذم قوله تعالى الذين كذبوا باياتنا وحيث وجب التصادق بينه وبين الفاعل
والتمييز وجب المصير الى تقدير مضاف اليه وهو الظاهر اى ساء مثلا مثل القوم او الى اخره والى التمييز
اى ساء اصحاب مثل القوم واعادة القوم موصوفا بالموصول مع كفاية الضمير بان يقال
ساء مثلا مثلهم للايذان بان مدار السوء ما فى حيز الصلة لربط قوله تعالى وانفسهم كانوا يظلمون
به فانه اما معطوف على كذبوا داخل معه فى حكم الصلة بمعنى جمعوا بين تكذيب ايات الله تعالى بعد
قيام الحجة عليها وعلمهم بها وبين ظلمهم لانفسهم خاصة او منقطع عنه بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا
انفسهم فان وباله لا يتخطاها واياما كان ففى يظلمون لمح الى ان تكذيبهم بالايات متضمن للظلم بها وان
ذلك ايضا معتبر فى القصر المستفاد من تقديم المفعول من يهدى الله فهو المهتدى لما امر النبى صلى الله
عليه وسلم بان يقص قصص المنسلخ على هؤلاء الضالين الذين مثلهم كمثله ليتفكروا فيه ويتركوا ما هم
عليه من الاخلاد الى الضلالة ويهتدوا الى الحق عقب ذلك بتحقيق ان الهداية والضلالة من جهة الله
عز وجل وانما الغفلة والتذكير من قبيل الوسائط العادية فى حصول الاهتداء من غير تأثير لها فيه سوى
كونها دواعى الى صرف العبد اختياره نحو تحصيله حسبما نيط به خلق الله تعالى اياه كسائر افعال العباد
فالمراد هنا بالهداية ما يوجب الاهتداء قطعا لكن لا لانها حقيقتها الدلالة الموصلة الى البغية البتة
بل لانها الفرد الكامل من حقيقة الهداية التى هى الدلالة الى ما يوصل الى البغية اى ما شانه الايصال
اليها كما سبق تحقيقه فى تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وليس المراد التى هى الدلالة الى ما يوصل الى البغية
مجرد الاخبار باهتداء من هداه الله تعالى حتى يتوهم عدم الافادة بحسب الظاهر لظهور استلزام هداية الله
تعالى للاهتداء ويحمل النظم الكريم على تعظيم شان الاهتداء والتنبيه على انه فى نفسه كمال جسيم ونفع
عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه بل هو قصر الاهتداء على من هداه الله تعالى حسبما يقتضيه تعريف
الخبر والمعنى من يهده الله بخلق فيه الاهتداء على الوجه المذكور فهو المهتدى لا غير كائنا من كان
ومن يضلل بان لم يخلق فيه الاهتداء بل خلق فيه الضلالة لصرف اختياره نحوها فاولئك الموصوفون
بالضلالة على الوجه المذكور هم الخاسرون اى الكاملون فى الخسران لا غير والافراد فى المهتدى نظرا الى
لفظ من وجمع الخاسرين نظرا الى معناها للايذان باتحاد منهاج الهدى وتفرق طرق الضلال ولقد ذرأنا
كلام مستأنف مقرر لمضمون ما قبله من طريق التذييل اى خلقنا لجهنم اى لدخولها والتعذيب بها
وتقديمه على قوله تعالى كثيرا اى خلقا كثيرا مع كونه مفعولا به لما فى توابعه من نوع طول يؤدى توسيطه
بينهما وتاخيره عنها الى الاخلال بجزالة النظم الكريم وقوله تعالى من الجن والانس فى الاتصاف بما
نحن فيه من الصفات واكثر الاعداد عددا واقدم خلقا والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الازلية
بالشقاوة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يؤدى الى ذلك بل لعلمه تعالى بانهم لا يصرفون
اختيارهم نحو الحق ابدا بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم من الايات

والنذر

والنذر فبهذا الاعتبار جعل خلقهم مغيا بها كما ان جميع الفريقين باعتبار استعدادهم الكامل الفطرى
للعبادة وتمكينهم التام منها جعل خلقهم مغيا بها كما نطق به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون وقوله تعالى لهم قلوب فى محل النصب على انه صفة اخرى لكثيرا وقوله تعالى لا يفقهون بها
فى محل الرفع على انه صفة لقلوب مؤكدة لما يفيده تنكيرها وابهامها من كونها غير معهودة مخالفة
لسائر افراد الجنس فاقدة لكمالها بالكلية لكن لا بحسب الفطرة حقيقة بل لانهم كانها خلقت غير قابلة
له كأنسا وكذا الحال فى اعينهم واذانهم وحذف المفعول للتعميم اى لهم قلوب ليس من شانها ان يفقهوا بها شيئا
مما من شانه ان يفقه فيدخل فيه ما يليق بالمقام من الحق ودلائله دخولا اوليا وتخصيصه بذلك
مخل بالافصاح عن كنه حالهم ولهم اعين لا يبصرون بها الكلام فيه كما فيما عطف هو عليه والمراد بالابصار
والسمع المنفيين ما يختص بالعقلاء من الادراك على ما هو وظيفة الثقلين لا ما يتناول مجرد الاحساس
بالشبح والصوت كما هو وظيفة الانعام اى لا يبصرون بها شيئا من المبصرات فيندرج فيه الشواهد
التكوينية الدالة على الحق اندراجا اوليا ولهم اذان لا يسمعون بها اى شيئا من المسموعات فيتناول
الايات التنزيلية تناولا اوليا واعادة الخبر فى الجملتين المعطوفتين مع انتظام الكلام بان يقال واعين
لا يبصرون بها واذان لا يسمعون بها من الشهادة بكمال رسوخهم فى الجهل والغواية ما لا يخفى اولئك
اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهم فى الضلال اى اولئك الموصوفون بالاوصاف المذكورة كالانعام اى فى انتفاء الشعور على
على الوجه المذكور اى فى ان مشاعرهم متوجهة الى اسباب التعيش مقصورة عليها بل هم اضل فانها
تدرك ما من شانها ان تدركه من المنافع والمضار فتجتهد فى جلبها وسلبها غاية جهدها مع كونها
بمعزل من الخلود وهؤلاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين المنافع والمضار بل يعكسون الامر فيتركون
النعيم المقيم ويقدمون على العذاب الخالد وقيل لانها تعرف صاحبها وتذكره وتطيعه وهؤلاء لا يعرفون
ربهم ولا يذكرونه ولا يطيعونه وفى الخبر كل شىء اطوع لله من ابن آدم اولئك المنعوتون بما هو من مثلية الانعام
والشرية منها هم الغافلون الكاملون فى الغفلة المستحقون لان يخص بهم الاسم لا يطلق على غيرهم كيف لا وانهم
لا يعرفون من شؤون الله عز وجل ولا من شؤون ما سواه شيئا فيشركون به وليس كمثله شىء وهو السميع
العليم اصنامهم التى هى اخس مخلوقاته تعالى ولله الاسماء الحسنى تنبيه للمؤمنين على كيفية ذكره تعالى وكيفية
المعاملة مع المخلين بذلك الغافلين عنه سبحانه وتعالى وعما يليق به من الامور وما يليق به اثر بيان غفلتهم
التامة وضلالتهم الطامة والحسنى تانيث الاحسن اى الاسماء التى هى احسن الاسماء واجلها لانبائها عن احسن
المعانى واشرفها فادعوه بها اى فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين يلحدون فى اسمائه الالحاد الميل
والانحراف يقال لحد والحد اذا مال عن القصد وقرئ يلحدون من الثلاثى اى يميلون فى شانها عن الحق الى الباطل
اما بان يسموه تعالى بما لا توقيف فيه او بما يوهم معنى فاسدا كما فى قول اهل البدو يا ابا المكارم يا ابيض
الوجه يا سخى ونحو ذلك فالمراد بالترك المأمور به الاجتناب عن ذلك وباسمائه ما اطلقوه عليه تعالى
او سموه به على زعمهم لا اسماؤه تعالى حقيقة وعلى ذلك يحمل ترك الاضمار بان يقال يلحدون فيها واما بان
يعدلوا عن تسميته تعالى ببعض اسمائه الكريمة كما قالوا وما الرحمن ما نعرف سوى رحمان اليمامة فالمراد بالترك
الاجتناب ايضا وبالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة فالمعنى سموه تعالى بجميع اسمائه الحسنى واجتنبوا اخراج
بعضها من البين واما بان يطلقوها على غيره تعالى كما سموا اصنامهم آلهة واما بان يشتقوا من بعضها اسماء
اصنامهم كما سموا اللات من الله والعزى من العزيز فالمراد بالاسماء اسماؤه تعالى حقيقة كما فى الوجه
الثانى والاظهار فى موقع الاضمار مع التجريد عن الوصف فى الكل للايذان بان الالحاد فى نفس الاسماء من
غير اعتبار الوصف وليس المراد بالترك حينئذ الاجتناب عن ذلك اذ لا يتوهم صدور مثل هذا الالحاد
عن المؤمنين ليؤمروا بتركه بل هو الاعراض عنهم وعدم المبالاة بما فعلوا ترقبا لنزول العقوبة بهم عن
قريب كما هو المتبادر من قوله تعالى سيجزون ما كانوا يعملون كانه استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من
الامر بعدم المبالاة والاعراض عن المجازاة كانه قيل لم لا نبالى بالالحاد ولا نتصدى لمجازاتهم فقيل لانه
سينزل بهم عقوبته ويتشفون بذلك عن قريب واما على الوجهين الاولين فالمعنى اجتنبوا الالحاد كيلا
يصيبكم ما اصابهم فانه سينزل بهم عقوبة الالحاد وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بيانا اجماليا
لحال من عدا المذكورين من الثقلين الموصوفين بما ذكر من الضلال والالحاد عن الحق ومحل الظرف الرفع على
انه مبتدأ اما باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف وما بعده خبره كما مر فى تفسير قوله تعالى ومن الناس الى اخره
اى وبعض من خلقنا او وبعض ممن خلقنا امة اى طائفة كثيرة يهدون الناس ملتبسين بالحق او يهدونهم
بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة وبالحق يحكمون فى الحكومات الجارية فيما بينهم ولا يجورون فيها عن النبى

صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى
امة الاية وعنه عليه السلام ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى وعنه لا تزال من امتي طائفة
على الحق الى ان ياتي امر الله وعنه لا تزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم
حتى ياتي امر الله وهم ظاهرون وفيه من الدلالة على صحة الاجماع ما لا يخفى والاقتصار على نعتهم بهداية النا
س للايذان بان اهتداءهم في انفسهم امر محقق غني عن التصريح به والذين كذبوا باياتنا شروع في تحقيق الحق
الذي به يهدي الهادون وبه يعدل العادلون وحمل الناس على الاهتداء به على وجه الترتيب ومحل الموصول
الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من الجملة الاستقبالية والاضافة الايات الى نون العظمة لتشريفها و
استعظام الاقدام على تكذيبها اي والذين كذبوا باياتنا التي هي معيار الحق ومصداق الصدق والعدل سنستدرجهم
اي سندنيهم البتة الى الهلاك شيئا فشيئا والاستدراج استفعال من درج اما بمعنى صعد ثم اتسع فيه فاستعمل
في كل نقل تدريجي سواء كان بطريق الصعود او الهبوط والاستقامة واما بمعنى مشى مشيا فشيئا
ضعيفا واما بمعنى طوى والاول هو الانسب بالمعنى المراد الذي هو النقل الى اعلى درجات المهالك ليبلغ
اقصى مراتب العقوبة والعذاب ثم استعير لطلب كل نقل تدريجي من حال الى حال من الاحوال الملائمة للمنتقل
الموافقة لهواه بحيث يزعم ان ذلك ترق في مراقي منافعه مع انه في الحقيقة ترد في مهاوي مصارعه
فاستدراجه سبحانه وتعالى اياهم ان يواتر عليهم النعم مع انهماكهم في الغي فيحسبوا انها لطف لهم منه تعالى
فيزدادوا بطرا وطغيانا لكن لا على ان المطلوب تدرجهم استدراجا كائنا من حيث لا يعلمون انه لذلك
بل يحسبون انه اثرة من الله عز وجل وتقريب منه وقيل لا يعلمون ما يراد بهم واملي لهم عطف على سنستدرجهم
غير داخل في الحسبان لما ان الاملاء الذي هو عبارة عن الامهال والاطالة ليس من الامور التدريجية
كالاستدراج الحاصل في نفسه شيئا فشيئا بل هو فعل يحصل دفعة وانما الحاصل بطريق التدريج اثاره
واحكامه لا نفسه كما يلوح به تغيير التعبير بتوحيد الضمير مع ما فيه من الافتنان المبني على مزيد الاعتنا
بمضمون الكلام لابتنائه على تجديد القصد والعظمة واما ان ذلك للاشعار بانه بمحض التقدير الالهي
والاستدراج بتوسيط المدبرات فمبناه دلالة نون العظمة على الشركة وانى ذلك والالتفات في
ايرادها في قوله تعالى لا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم الاية انما ايرادها في مثل هذه
الموارد بطريق الجريان على سنن الكبرياء ان كيدي متين تاكيد للوعيد وتقرير له اي قوي لا يدافع بقوة ولا
بحيلة والمراد به اما الاستدراج والاملاء مع نتيجتهما التي هي الاخذ الشديد على غرة فتسميته كيدا لما ان ظاهره
لطف وباطنه قهر واما نفس ذلك الاخذ فقط فالتسمية لكون مقدماته كذلك واما ان حقيقة الكيد
هو الاخذ على خفاء من غير ان يعتبر فيه اظهار خلاف ما ابطنه فمما لا تعويل عليه مع عدم مناسبته المقام
ضرورة استلزامه عدم اعتبار القيد المذكور حتما اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة كلام مبتدأ مسوق
لانكار عدم تفكرهم في شانه عليه السلام وجهلهم بحقيقة حاله الموجبة للايمان به وبما انزل عليه من
الايات التي كذبوا بها والهمزة للانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر يستدعيه سياق النظم
الكريم وسباقه واما استفهامية انكارية في محل الرفع بالابتداء والخبر بصاحبهم وما نافية اسمها جنة
وخبرها بصاحبهم والجنة من المصادر التي يراد بها الهيئة كالركبة والجلسة وتنكيرها للتقليل والتحقير
والجملة معلقة لفعل التفكر لكونه من افعال القلوب ومحلها على الوجهين النصب على نزع الجار اي
كذبوا بها ولم يتفكروا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقوله تعالى ان هو الا نذير مبين جملة مقررة لمضمون

ما قبلها ومبينة لحقيقة حاله صلى الله عليه وسلم على منهاج قوله ان هذا الا ملك كريم بعد قوله
تعالى ما هذا بشرا اي ما هو عليه السلام الا مبالغ في الانذار مظهر له غاية الاظهار ابرازا لكمال
الرأفة ومبالغة في الاعذار وقوله تعالى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض استئناف اخر مسوق
للانكار والتوبيخ باخلالهم بالتامل في الايات التكوينية المنصوبة في الافاق والانفس الشاهدة
بصحة مضمون الايات المنزلة اثر ما نعى عليهم اخلالهم في التفكر في شانه عليه السلام والهمزة لما ذكر من
الانكار والتعجيب والتوبيخ والواو للعطف على مقدر المذكور او على الجملة المنفية بلم والملكوت الملك
العظيم اي اكذبوا بها ولم يتفكروا فيما ذكر ولم ينظروا نظر تامل فيما يدل عليه السموات والارض من عظم الملك
وكمال القدرة وما خلق الله اي وفيما خلق فيهما على انه عطف على ملكوت وتخصيصه بهما لكمال
ظهور عظم الملك فيهما او في ملكوت ما خلق على انه عطف على السموات والارض والتعميم لاشتراك الكل
في الدلالة على عظم الملك في الحقيقة وعليه قوله تعالى فسبحان الذي بيده ملكوت كل شئ وقوله تعالى
من شئ بيان لما خلق مفيد لعدم اختصاص الدلالة المذكورة بجلائل المصنوعات دون دقائقها
والمعنى اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق فيهما من جليل ودقيق مما ينطلق عليه اسم الشئ
ليدلهم ذلك على العلم بوحدانيته تعالى وبسائر شؤونه التي ينطق بها تلك الايات فيؤمنوا بها لاتحادهما
في المدلول فان كل فرد من افراد الاكوان مما عز وهان دليل لائح على الصانع المجيد وسبيل واضح الى عالم
التوحيد وقوله تعالى وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من ان واسمها
ضمير الشان وخبرها عسى مع فاعلها الذي هو ان يكون واسم يكون ايضا ضمير الشان والخبر قد اقترب اجلهم
وقد جوز ان يكون اسم يكون اجلهم وخبرها قد اقترب على انها جملة من فعل وفاعل هو ضمير اجلهم لتقدمه
حكما وايا ما كان فمناط الانكار والتوبيخ تاخيرهم للنظر والتامل اي لعلهم يموتون عما قريب فما لهم لا يسارعون
الى التدبر في الايات التكوينية الشاهدة بما كذبوه من الايات القرانية وقد جوز ان يكون الاجل عبارة
عن الساعة والاضافة الى ضميرهم لملابستهم لها من جهة انكارهم لها وبحثهم عنها وقوله عز وجل فباي حديث
بعده يؤمنون قطع لاحتمال ايمانهم رأسا ونفي له بالكلية مرتب على ما ذكر من تكذيبهم بالايات واخلالهم
بالتفكر والنظر اي البالغة متعلقة بيؤمنون وضمير بعده للايات على حذف المضاف المفهوم من
كذبوا او التذكير باعتبار كونها قرانا او بتأويلها بالمذكور واجراء الضمير مجرى اسم الاشارة والمعنى كذبوا
بها ولم يتفكروا فيما يوجب تصديقها من احواله عليه السلام واحوال المصنوعات فباي حديث بعد
القران يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية في البيان وقيل هو انكار وتوبيخ وتبكيت لهم مترتب على اخلالهم
بالمسارعة الى التامل فيما ذكر كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقران قبل الفوت
فانهم وما ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا وقيل الضمير لاجلهم
والمعنى فباي حديث بعد انقضاء اجلهم يؤمنون وقيل للرسول الله صلى الله عليه وسلم على حذف مضاف
اي فباي حديث بعد حديثه يؤمنون وهو اصدق الناس وقوله تعالى من يضلل الله فلا هادي له استئناف
مقرر لما قبله مبني على الطبع على قلوبهم وقوله تعالى ويذرهم في طغيانهم بالياء والرفع على الاستئناف
اي وهو يذرهم وقرئ بنون العظمة على طريقة الالتفات اي ونحن نذرهم وقرئ بالياء والجزم عطفا على
محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم وقد قرئ بالجزم بالنون عن نافع وابي عمرو
في الشواذ وقوله تعالى يعمهون اي يترددون ويتحيرون حال من مفعول يذرهم وتوحيد الضمير في حيز النفي
نظرا الى اللفظ وجمعه في حيز الاثبات نظرا الى معناها للتنصيص على شمول النفي والاثبات للكل يسألونك
عن الساعة استئناف مسوق لبيان بعض احكام ضلالهم وطغيانهم اي عن القيامة وهي من الاسماء الغالبة
واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة او لسرعة ما فيها من الحساب او لانها ساعة من عند الله تعالى مع طولها
في نفسها قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك
امتحانا منهم مع علمهم انه تعالى قد استأثر بعلمها وقيل السائلون قريش وقوله تعالى ايان مرساها بفتح
الهمزة وقد قرئ بكسرها وهو ظرف زمان متضمن لمعنى الاستفهام ويليه المبتدأ والفعل المضارع دون
الماضي بخلاف متى حيث يليها قيل اشتقاقه من اي فعلان منه لان معناه اي وقت وهو من اويت الى الشئ
لان البعض اوى الى الكل متساندا اليه ومحله الرفع على انه خبر مقدم ومرساها مبتدأ مؤخر اي متى
ارساؤها اي اثباتها وتقريرها فانه مصدر ميمي من ارساه اذا اثبته واقره ولا يكاد يستعمل الا في الشئ
الثقيل كما في قوله تعالى والجبال ارساها ومنه مرساة السفن ومحل الجملة قيل الجر على البدلية من الساعة
والتحقيق ان محلها النصب بنزع الخافض لانها بدل من الجار والمجرور لا من المجرور فقط كانه قيل
يسألونك عن الساعة عن ايان مرساها وفي تعليق السؤال بنفس الساعة اولا وبوقت وقوعها ثانيا تنبيه على

ان المقصد الاصلي من السؤال نفسها باعتبار حلولها في وقتها المعين لا وقتها باعتبار كونه محلا لها وقد
سلك هذا المسلك في الجواب الملقن ايضا حيث اضيف العلم المطلوب بالسؤال الى ضميرها فالخبر
باختصاصها به عز وجل حيث قيل قل انما علمها اي علمها بالاعتبار المذكور عند ربي ولم يقل انما علم وقت
ارسائها ومن لم يتنبه لهذه النكتة حمل النظم الكريم على حذف المضاف والتعرض لعنوان الربوبية مع
الاضافة الى ضميره عليه السلام للايذان بان توفيقه عليه السلام للجواب على الوجه المذكور من
باب التربية والارشاد ومعنى كونه عنده تعالى خاصة انه تعالى قد استأثر به بحيث لم يخبر به
احد من ملك مقرب او نبي مرسل وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو بيان لاستمرار تلك الحالة الى
حين قيامها واقناط كلي عن اظهار امرها بطريق الاخبار من جهته تعالى او من جهة غيره لاقتضاء
الحكمة التشريعية اياه فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية كما ان اخفاء الاجل الخاص بالانسان
لذلك والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهر للناس امرها الذي تسألونني عنه الا هو بالذات من غير ان
يشعر به احد من المخلوقين فيتوسط في اظهاره لهم لكن لا بان يخبرهم بوقتها قبل مجيئه كما هو المسؤول بل
بان يقيمها فيشاهدوها عيانا كما يفصح عنه التجلية المنبئة عن الكشف التام المزيل للابهام بالكلية
وقوله تعالى لوقتها اي في وقتها قيد للتجلية بعد ورود الاستثناء عليها لا قبله كانه قيل لا يجليها الا
هو في وقتها الا انه قدم على الاستثناء للتنبيه من اول الامر على ان تجليتها ليست بطريق الاخبار بوقتها
بل باظهار عينها في وقتها الذي يسألون عنه وقوله تعالى ثقلت في السموات والارض استئناف
كما قبله مقرر لمضمون ما قبله اي كبرت وشقت على اهلها من الملائكة والثقلين كل منهم اهمه خفاؤها
وخروجها عن دائرة العقول وقيل عظمت عليهم حيث يشفقون فيها ويخافون شدائدها واهوالها وقيل
ثقلت فيهما اذ لا يطيقها منهما ومما فيهما شيء اصلا والاول هو الانسب بما قبله وبما بعده من قوله تعالى
لا تأتيكم الا بغتة فانه ايضا استئناف مقرر لمضمون ما قبله فلا بد من اعتبار الثقل من حيث الخفاء اي
لا تأتيكم الا فجأة على غفلة كما قال صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل
يسقي ماشيته والرجل يقوم بسلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه يسألونك كأنك حفي عنها
استئناف مسوق لبيان خطائهم في توجيه السؤال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بناء على زعمهم انه عليه
السلام عالم بالمسؤول عنه او ان العلم التشبيهية في محل النصب على انها حال من الكاف جيء بها بيانا
لما يدعوهم الى السؤال على زعمهم واشعارا بخطائهم في ذلك اي يسألونك مشبها حالك عندهم بحال
من هو حفي عنها اي مبالغ في العلم بها فعيل من حفي وحقيقته كأنك مبالغ في السؤال عنها فان ذلك في
حكم المبالغة في العلم بها لما ان من بالغ في السؤال عن الشيء والبحث عنه استحكم علمه به ومبنى التركيب
على المبالغة والاستقصاء ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل اي استئصاله والاحفاء في المسألة اي الالحاف
فيها وقيل عن متعلقه بيسألونك وقوله تعالى كأنك حفي معترض وصلة حفي محذوفة اي حفي بها وقد
قرئ كذلك وقيل هو من الحفاوة بمعنى البر والشفقة فان قريشا قالوا له عليه السلام ان بيننا وبينك
قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك كأنك حفي بهم تتحفى بهم فتخصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة
وتزوي امرها عن غيرهم ففيه تخطئة لهم من جهتين وقيل بمعنى فرح به والمعنى كأنك فرح بالسؤال عنها
تحبه مع انك تكرهه لما انه تعرض لحرم الغيب الذي استأثر الله عز وجل بعلمه قل انما علمها عند الله
امره عليه السلام باعادة الجواب الاول تأكيدا للحكم وتقريرا واشعارا بعلته على الطريقة البرهانية
بايراد اسم الذات المنبئ عن استتباعها لصفات الكمال التي من جملتها العلم وتمهيدا للتعريض بجهلهم بقوله
تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يعلمون ما ذكر من اختصاص علمها به تعالى فبعضهم ينكرونها
راسا فلا يعلمون شيئا مما ذكر قطعا وبعضهم يعلمون انها واقعة البتة ويزعمون انك واقف على وقت
وقوعها فيسألونك عنه جهلا وبعضهم يدعون ان العلم بذلك من مواجب الرسالة فيتخذون السؤال
عنه ذريعة الى القدح في رسالتك والمستثنى من هؤلاء هم الواقفون على جلية الحال من المؤمنين
واما السائلون عنها من اليهود بطريق الامتحان فهم منتظمون في سلك الجاهلين حيث لم يعملوا بعلمهم
وقوله تعالى قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا شروع في الجواب عن السؤال ببيان عجزه عن علمها اثر بيان
عجزه عن الكل عنه وابطال لزعمهم الذي بنوا عليه سؤالهم من كونه عليه السلام ممن يعلمها واعادة الامر
لاظهار كمال العناية بشأن الجواب والتنبيه على استقلاله ومغايرته للاول والتعرض لبيان عجزه عما ذكر
من النفع والضر لاثبات عجزه عن علمها بالطريق الاولى واللام متعلق باملك او بمحذوف وقع
حالا من نفعا اي لا اقدر لاجل نفسي على جلب نفع ما ولا على دفع ضر ما الا ما شاء الله ان املكه
من ذلك بان يلهمنيه فيمكنني منه ويقدرني عليه او لكن ما شاء الله من ذلك كائن فالاستثناء

منقطع

منقطع وهذا ابلغ في اظهار العجز ولو كنت اعلم الغيب اي جنس الغيب الذي من جملته ما بين الاشياء من
المناسبات المصححة عادة للسببية والمسببية ومن المباينات المستتبعة للممانعة والمدافعة لا
ستكثرت من الخير اي لحصلت كثيرا من الخير الذي نيط بتحصيله بالافعال الاختيارية للبشر بترتيب
اسبابه ودفع موانعه وما مسني السوء اي السوء الذي يمكن التفصي عنه والتوقي عن موجباته
والمدافعة بموانعه لا سوء ما فانه مما لا مدفع له ان انا الا نذير وبشير اي ما انا الا عبد مرسل
للانذار والبشارة شأني حيازة ما يتعلق بهما من العلوم الدينية والدنيوية لا الوقوف على الغيوب
التي لا علاقة بينها وبين الاحكام والشرائع وقد كشفت من امر الساعة ما يتعلق به الانذار من مجيئها
لا محالة واقترابها واما تعيين وقتها فليس مما يستدعيه الانذار بل هو مما يقدح فيه لما مر ان ابهامه
ادعى الى الانزجار عن المعاصي وتقديم النذير على البشير لما ان المقام مقام الانذار وقوله تعالى لقوم
يؤمنون اما متعلق بهما جميعا لانهم ينتفعون بالانذار كما ينتفعون بالبشارة واما بالبشير فقط وما يتعلق
بالنذير محذوف اي نذير للكافرين اي الباقين على الكفر وبشير لقوم يؤمنون اي في اي وقت
كان ففيه ترغيب الكفرة في احداث الايمان وتحذير عن الاصرار على الكفر والطغيان هو الذي خلقكم
استئناف سيق لبيان كمال عظم جناية الكفرة في جرائهم على الاشراك بتذكير مبادي احوالهم المنافية له
وايراد الموصول خبرا للتفخيم شأن المبتدا اي هو ذلك العظيم الشأن الذي خلقكم جميعا وحده من غير ان
يكون لغيره مدخل في ذلك بوجه من الوجوه من نفس واحدة هي آدم عليه السلام وهذا نوع تفصيل
لما اشير اليه في مطلع السورة الكريمة اشارة اجمالية من خلقهم وتصويرهم في ضمن خلق آدم وتصويره
وبيان لكيفيته وجعل عطف على خلقكم داخل في حكم الصلة ولا ضير في تقدمه عليه وجودا لما ان الواو
لا يستدعي الترتيب في الوجود منها اي من جنسها كما في قوله تعالى جعل لكم من انفسكم ازواجا او من جسدها
لما روي انه تعالى خلق حواء من ضلع من اضلاع آدم عليه السلام والاول هو الانسب اذ الجنسية هي
المؤدية الى الغاية الآتية لا الجزئية والجعل اما بمعنى التصيير فقوله تعالى زوجها مفعوله الاول والثاني
هو الظرف المقدم واما بمعنى الانشاء والظرف متعلق بجعل قدم على المفعول الصريح لما مر مرارا من
الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من المفعول والاول هو الاولى وقوله تعالى ليسكن
اليها علة غائية للجعل باعتبار تعلقه بمفعوله الثاني اي ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنانا مصححا للازدواج كما
يلوح به تذكير الضمير ويفصح عنه قوله تعالى فلما تغشاها اي جامعها حملت حملا خفيفا في مبادي الامر
فانه عند كونه نطفة او علقة او مضغة اخف عليها بالنسبة الى ما بعد ذلك من المراتب والتعرض
لذكر خفته للاشارة الى نعمته تعالى عليهم في انشائه تعالى اياهم متدرجين في اطوار الخلق من العدم الى
الوجود ومن الضعف الى القوة فمرت به اي فاستمرت به كما كانت قبل حيث قامت وقعدت واخذت
وتركت وعليه قراءة ابن عباس رضي الله عنهما وقرئ فمرت بالتخفيف وفارت من المور وهو المجيء والذهاب
او من المرية اي فظنت الحمل وارتابت به واما ما قيل من ان المعنى حملت حملا خفيفا اخف عليها ولم
تلق منه ما تلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذية ولم تستثقله كما يستثقلنه فمرت به اي
فمضت به الى ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق فيرده قوله تعالى فلما اثقلت ان معناه فلما صارت
ذات ثقل لكبر الولد في بطنها ولا ريب في ان الثقل بهذا المعنى ليس مقابلا للخفة بالمعنى المذكور
وانما يقابلها الكرب الذي لم تلقه حملها دعوا الله اي آدم وحواء عليهما السلام لما دهمهما امر لم
يعهداه ولم يعرفا ماله فاهتما به وتضرعا اليه عز وجل وقوله تعالى ربهما اي مالك امرهما الحقيق بان
يخص به الدعاء اشارة الى انهما قد صدرا به دعاءهما كما في قولهما ربنا ظلمنا انفسنا الآية متعلق الدعاء
محذوف تعويلا على شكر على سبيل التوكيد القسمي وقالا او قائلين لئن آتيتنا صالحا اي ولدا من جنسنا
سويا لنكونن نحن ومن يتناسل من ذريتنا من الشاكرين اي الراسخين في الشكر على نعمائك التي من جملتها
هذه النعمة وترتيب هذا الجواب على الشرط المذكور لما انهما قد علما ان ما علقا به دعاءهما من الولد
حينئذ لساني قد ادخلهم معيارا لهما ذاتا وصفة ووجوده مستتبع له كانهما قالا لئن آتيتنا وذريتنا
لوجوده وصلاحه مستلزم لصلاحهم فالدعاء في حقه متضمن للدعاء في حقهم ايضا لهما وكل من يتناسل
من ذريتهما فالوجه ظاهر وان تخصيص بان ينتظم الكل في سلك الدعاء اصالة باياه مقام المبالغة في الاعتناء
بشأن ما هما بصدده واما جعل ضمير لنكونن للكل فلا مجال وفيه لان توسيع دائرة الشكر غير مخل
بالاعتناء المذكور بل هو مؤكد له وايا ما كان فمعنى قوله فلما آتاهما صالحا لما آتاهما ما طلباه اصالة واستتباعا
من الولد وولد الولد ما تناسلوا فقوله تعالى جعلا اي جعل اولادهما له تعالى شركاء على حذف
المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ثقة بوضوح الامر وتعويلا على ما يعقبه من السياق البيان

وكذا الحال في قوله تعالى فيما آتيهما اي فيما آتى اولادهما من الاولاد حيث سموهم بعبد مناف وعبد العزى
ونحوهما وتخصيص اشراكهم بالذكر في مقام التوبيخ مع ان اشراكهم بالعبادة اغلظ منه جناية واقدم
وقوعا لما ان مساق النظم الكريم لبيان اخلالهم بالشكر في مقابلة نعمة الولد الصالح واول كفرهم في حقه
انما هو تسميتهم اياه بما ذكر وقرئ شركا اي شركة او ذوي شركة اي شركاء انه قيل ما ذكر من حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه انما يصار اليه فيما يكون للفعل ملابسة ما بالمضاف اليه بسرايته
اليه حقيقة او حكما وتتضمن نسبته اليه صورة مزية يقتضيها المقام كما في قوله تعالى واذ انجيناكم من
آل فرعون الآية فان الانجاء منهم مع ان تعلقه حقيقة او حكما ليس باخلاف اليهود قد نسب الى
اخلافهم بحكم سرايته اليهم توفية لمقام الامتنان حقه وكذا في قوله تعالى فلم تقتلون انبياء الله
الآية فان القتل حقيقة مع كونه من جنايات آبائهم قد اسند اليهم بحكم رضاهم به اداء لحق مقام
التوبيخ والتبكيت ولا ريب في انهما عليهما السلام بريئان من سراية الجعل المذكور اليهما بوجه من
الوجوه فما وجه اسناده اليهما صورة قلنا وجهه الايذان بتركهما الاولى حيث اقدما على نظم اولادهما
في سلك انفسهما والتزما شكرهم في ضمن شكرهما واقسما على ذلك قبل تعرف احوالهم ببيان ان اخلالهم
بالشكر الذي وعداه وعدا مؤكدا باليمين بمنزلة اخلالهما به بالذات في استيجاب الحنث والخلف مع
ما فيه من الاشعار بتضاعف جناياتهم ببيان انهم بجعلهم المذكور اوقعوهما في ورطة الحنث والخلف
وجعلوهما كانهما باشراه بالذات فجمعوا بين الجناية على الله تعالى والجناية عليهما عليهما السلام فتعالى الله عما
يشركون تنزيه فيه معنى التعجب والفاء لترتيبه على ما فصل من احكام قدرته تعالى وآثار نعمته الزاجرة
عن الشرك الداعية الى التوحيد وصيغة الجمع لما اشير اليه من تعين الفاعل وتنزيه آدم وحوا
عليهما السلام عن ذلك وما في عما اما مصدرية اي عن اشراكهم او موصولة او موصوفة اي عما يشركون
به سبحانه وتعالى والمراد باشراكهم اما تسميتهم المذكورة او مطلق اشراكهم المنتظم لها انتظاما
اوليا وقرئ تشركون بتاء الخطاب بطريق الالتفات وقيل الخطاب لآل قصي من قريش والمراد
بالنفس الواحدة نفس قصي فانهم خلقوا منه وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله
تعالى ولدا صالحا فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار وضمير
يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما واما ما قيل من انه لما حملت حوا اتاها ابليس في صورة رجل
فقال لها ما يدريك ما في بطنك لعله بهيمة او كلب او خنزير وما يدريك من اين يخرج فخافت من
ذلك فذكرته لآدم عليه السلام فاهمهما ذلك ثم عاد اليها وقال اني من الله تعالى بمنزلة فان دعوته
ان يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسمه حارثا في الملائكة
فقبلت فلما ولدت سمته عبد الحارث فمما لا تعويل عليه كيف لا وانه عليه السلام كان علما في
علم الاسما والمسميات فعدم علمه بابليس واسمه واتباعه في هذا الشان الخطير امر قريب من المحال
والله اعلم بحقيقة الحال ايشركون استئناف مسوق لتوبيخ كافة المشركين واستقباح اشراكهم
على الاطلاق وابطاله بالكلية ببيان شان ما اشركوه به سبحانه وتعالى وتفصيل احواله القاضية
ببطلان ما اعتقدوه في حقه اي ايشركون به تعالى ما لا يخلق شيئا اي لا يقدر على ان يخلق شيئا من
الاشيا اصلا ومن حق المعبود ان يكون خالقا لعابده لا محالة وقوله تعالى وهم يخلقون عطف على
ما لا يخلق وايراد الضميرين بجمع العقلا مع رجوعهما الى ما المعبر بها عن الاصنام انما هو بحسب اعتقادهم
فيها واجرائهم لها مجرى العقلا وتسميتهم لها آلهة وكذا حال سائر الضمائر الآتية ووصفها بنفي
الخالقية لابانة كمال منافاة حالها لما اعتقدوه في حقها واظهار غاية جهلهم فان اشراك ما لا يقدر
على خلق شيء ما بخالقه وخالق جميع الاشيا مما لا يمكن ان يسوغه من له عقل في الجملة وعدم التعرض
لخالقها للايذان بتعينه والاستغنا عن ذكره ولا يستطيعون لهم اي لعبدتهم اذا حزبهم امر مهم وخطب
ملم نصرا اي نصرا ما بجلب منفعة او دفع مضرة ولا انفسهم ينصرون اذا اعترتهم حادثة من الحوادث
اي لا يدفعون عن انفسهم وايراد النصر للمشاكلة وهذا بيان لعجزهم عن ايصال المنفعة الوجودية
اليهم والى انفسهم خلا انهم وصفوا هنالك بالمخلوقية لكونهم اهلا لها وههنا لم يوصفوا بالمنصورية
لانهم ليسوا اهلا وقوله تعالى وان تدعوهم الى الهدى بيان لعجزهم عما هو ادنى من النصر المنفي عنهم وايسر
وهو مجرد الدلالة على المطلوب والارشاد الى طريق حصوله من غير ان يحصله للطالب والخطاب
للمشركين بطريق الالتفات المنبئ عن مزيد الاعتنا بامر التوبيخ والتبكيت اي ان تدعوهم ايها
المشركون الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به المطالب او تنجون به عن المكاره لا يتبعوكم الى مرادكم
وطلبتكم وقرئ بالتخفيف وقوله تعالى سوا عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون استئناف مقرر

لمضمون

لمضمون ما قبله ومبين لكيفية عدم الاتباع اي مستو عليكم في عدم الافادة دعاؤكم لهم وسكوتكم البحت
فانه لا يتغير حالكم في الحالين كما لا يتغير حالهم بحكم الجمادية وقوله تعالى ام انتم صامتون جملة اسمية في
معنى الفعلية معطوفة على الفعلية لانها في قوة ام صمتم عدل عنها للمبالغة في عدم افادة الدعاء ببيان
مساواته للسكوت الدائم المستمر وما قيل من ان الخطاب للمسلمين والمعنى وان تدعوا المشركين الى الهدى
اي الاسلام لا يتبعوكم الى آخره مما لا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه اصلا على انه لو كان كذلك لقيل
عليهم مكان عليكم كما في قوله تعالى سوا عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم فان استوا الدعا وعدمه انما
هو بالنسبة الى المشركين لا بالنسبة الى الداعين فانهم فائزون بفضل الدعوة ان الذين تدعون من دون
الله تقرير لما قبله من عدم اتباعهم لهم اي ان الذين تعبدونهم من دونه تعالى من الاصنام وتسمونهم
آلهة عباد امثالكم اي مماثلة لكم لكن لا من كل وجه بل من حيث انها مملوكة لله عز وجل مسخرة لامره عاجزة
عن النفع والضر وتشبيهها بهم في ذلك مع كون عجزها ابين واظهر واقوى من عجزهم انما هو لاعترافهم
بعجز انفسهم وادعائهم لقدرتها عليهما اذ هو الذي يدعوهم الى عبادتها والاستعانة بها وقوله تعالى
فادعوهم فليستجيبوا لكم تحقيق لمضمون ما قبله بتعجيزهم وتبكيتهم اي فادعوهم في جلب نفع او كشف ضر
ان كنتم صادقين في زعمكم انهم قادرون على ما انتم عاجزون عنه وقوله تعالى الهم ارجل يمشون بها
الى آخره تبكيت مؤكد لما يفيده الامر التعجيزي من عدم الاستجابة ببيان فقدان الآلات بالكلية فان
الاستجابة من الهياكل الجسمانية انما تتصور اذا كان لها حياة وقوى محركة ومدركة وما ليس له شيء
من ذلك فهو بمعزل من الافاعيل بالمرة كانه قيل الهم هذه الآلات التي بها يتحقق الاستجابة حتى يمكن
استجابتهم لكم وقد وجه الانكار الى كل واحدة من هذه الآلات الاربع على حدة تكريرا للتبكيت وتثنية
للتقريع واشعارا بان انتفاء كل واحدة منها بحيالها كاف في الدلالة على استحالة الاستجابة ووصف
الارجل بالمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو الوصف وانما وجه الى الارجل لا الى الوصف بان يقال
ايمشون بارجلهم للمشي بها للايذان بان مدار الانكار هو لتحقيق انها حيث لم يظهر منها ما يظهر
منها ما يظهر من سائر الارجل فهي ليست بارجل في الحقيقة وكذا الكلام فيما بعده من الجوارح الثلث
الباقية وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم ايد يبطشون بها منقطعة وما فيها من الهمزة لما مر من التبكيت
والالزام وبل للاضراب المفيد للانتقال من فن من التبكيت بعد تمامه الى فن آخر منه لما ذكر من
المزايا والبطش الاخذ بقوة وقرئ يبطشون بضم الطا وهي لغة فيه والمعنى بل لهم ايد ياخذون بها
ما يريدون اخذه وتاخير هذا عما قبله لما ان المشي حالهم في انفسهم والبطش حالهم بالنسبة الى الغير
واما تقديمه على قوله ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها مع ان الكل سوا في انها
من احوالهم بالنسبة الى الغير فلمراعاة المقابلة بين الايدي والارجل ولان انتفا المشي والبطش اظهر
والتبكيت بذلك اقوى واما تقديم الاعين فلما انها اشهر من الآذان واظهر عينا واثرا هذا وقد قرئ
ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية اي ما الذين تدعون
من دونه تعالى عبادا امثالكم بل ادنى منكم فيكون قوله تعالى الهم الى آخره تقريرا لنفي المماثلة باثبات
القصور والنقصان قل ادعوا شركاءكم بعد ما بين ان شركاءهم لا يقدرون على شيء ما اصلا امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يناصبهم للمحاجة ويكر عليهم بالتبكيت والقام الحجر اي ادعوا
شركاءكم واستعينوا بهم علي ثم كيدون جميعا انتم وشركاؤكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه
من مبادئ الكيد والمكر فلا تنظرون اي فلا تمهلون في ساعة بعد ترتيب مقدمات الكيد فاني لا
ابالي بكم اصلا ان وليي الله الذي نزل الكتاب تعليل لعدم المبالاة المنفهم من السوق انفهاما
جليا ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للاشعار بدليل الولاية والاشارة الى علة اخرى لعدم
المبالاة كانه قيل لا ابالي بكم وبشركائكم لان وليي الله هو الذي نزل الكتاب الناطق بانه وليي وناصري
وبان شركاءكم لا يستطيعون نصر انفسهم فضلا عن نصركم وقوله تعالى وهو يتولى الصالحين تذييل
مقرر لمضمون ما قبله اي ومن عادته ان يتولى الصالحين من عباده وينصرهم ولا يخذلهم والذين تدعون
اي تعبدونهم من دونه تعالى او تدعونهم للاستعانة بهم علي حسبما امرتكم به لا يستطيعون نصركم
في امر من الامور او في خصوص الامر المذكور ولا انفسهم ينصرون اذا نابتهم نائبة وان
تدعوهم الى الهدى اي الى ان يهدوكم الى ما تحصلون به مقاصدكم على الاطلاق او في خصوص الكيد المعهود
لا يسمعوا اي دعاءكم فضلا عن المساعدة والامداد وهذا ابلغ من نفي الاتباع وقوله تعالى وتراهم
ينظرون اليك وهم لا يبصرون بيان لعجزهم عن الابصار بعد بيان عجزهم عن السمع وبه يتم التعليل فلا
تكرار اصلا والرؤية بصرية وقوله تعالى ينظرون اليك حال من المفعول والجملة الاسمية حال من

فاعل ينظرون اى وترى الاصنام رأى العين يشبهون الناظر اليك ويخيل اليك انهم ينظرون لما انهم مفعولها عينا مركبة بالجواهر المضيئة المتلألئة وصوروها بصورة من قلب حدقته الى الشيء الذى ينظر اليه والحال انهم غير قادرين على الابصار وتوحيد الضمير فى تريهم مع رجوعه الى المشركين لتوجيه الخطاب الى كل واحد منهم لا الى الكل من حيث هو كل كالخطابات السابقة تنبيها على ان رؤية الاصنام على الهيئة المذكورة لا تتسنى للكل معا بل لكل من يواجهها وقيل ضمير الفاعل فى تراهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وضمير المفعول على حاله وقيل للمشركين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى لا يسمعوا اى وترى المشركين ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك كما انت عليه وعن الحسن ان الخطاب فى قوله وان تدعوا للمؤمنين على ان التعليل قد تم عند قوله تعالى يبصرون اى وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الاسلام لا يلتفتون اليكم ثم خوطب به عليه السلام بطريق التجريد بانك تريهم ينظرون اليك والحال انهم لا يبصرونك حق الابصار تنبيها على ان ما فيه من شواهد النبوة ودلائل الرسالة من الجلاء بحيث لا يكاد يخفى على الناظر خذ العفو بعد ما بين باطيل المشركين وقبائحهم ما لا يطاق تحمله امر صلى الله عليه وسلم بمجامع مكارم الاخلاق التى من جملتها الاغضاء عنهم اى خذ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تكلفهم ما يشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد اى خذ العفو من المذنبين والفضل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكوة وامر بالعرف بالجميل المستحسن من الافعال فانها قريبة من قبول الناس من غير نكير واعرض عن الجاهلين من غير مماراة ولا مكافأة قيل انه لما نزلت سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام فقال لا ادرى حتى اسأل ثم رجع فقال يا محمد ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عن من ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله تعالى نبيه بمكارم الاخلاق وروى انه لما نزلت الاية الكريمة قال صلى الله عليه وسلم يا رب والغضب فنزل قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ والنسغ والنخس الغرز شبهت وسوسته للناس واغراؤه لهم على المعاصى بغرز السائق لما يسوقه واسناده الى النزغ من قبيل جد جده اى واما يحملنك من جهته وسوسة ما على خلاف ما امرت به من اعتراء غضب او نحوه فاستعذ بالله فالتجئ اليه تعالى من شره انه سميع يسمع استعاذتك قولا عليم يعلم تضرعك اليه قلبا فى ضمن القول او بدونه فيعصمك من شره وقد اريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب على نهج الاستعاذة كما فى قول الصديق رضى الله تعالى عنه ان لى شيطانا يعترينى ففيه زيادة تنفير عنه وفرط تحذير عن العمل بموجبه فى الامر بالاستعاذة بالله تعالى تهويل لامره وتنبيه على انه من القوائد الصعبة التى لا تتخلص من مضرتها الا بالالتجاء الى حرم عصمته عز وجل وقيل يعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه او سميع باقوال من اذاك عليم بافعاله فيجازيه عليها ان الذين اتقوا استئناف مقرر لما قبله ببيان ان ما امر به عليه السلام من الاستعاذة بالله عز وجل سنة مسلوكة للمتقين والاخلال بها ديدن الغاوين اى ان الذين اتصفوا بوقاية انفسهم عما يضرها اذا مسهم طائف من الشيطان ادنى لمة على ان تنوينه للتحقير وهو اسم فاعل من طاف يطوف كانها تطوف بهم وتدور حولهم لتوقعهم او من طاف به الخيال يطيف طيفا اى المر وقرئ طيف على انه مصدر او تخفيف من طيف من الواوى او اليائى كهين ولين واللام للشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره فيما سيأتى تذكروا اى الاستعاذة به تعالى والتوكل عليه فاذا هم بسبب ذلك التذكر مبصرون مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيحترزون عنها ولا يتبعونه واخوانهم اى اخوان الشياطين وهم المنهمكون يمدونهم فى الغى اى يكون الشيطان مددا لهم فيه ويعضدونهم بالتزيين والحمل عليه وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم كانهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء بالاتباع والامتثال ثم لا يقصرون اى لا يمسكون عن الاغواء حتى يردوهم بالكلية ويجوز ان يكون الضمير للاخوان اى لا يرعوون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له واذا لم تأتهم باية من القرآن عند تراخى الوحى او باية مما اقترحوه قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اى هلا جمعتها من تلقاء نفسك تقولا يريدون بذلك ان سائر الايات ايضا كذلك او هلا تلقيتها من ربك استدعاء قل ردا عليهم انما اتبع ما يوحى الى من ربى من غير ان يكون لى دخل ما فى ذلك اصلا على معنى تخصيص حاله عليه الصلاة والسلام باتباع ما يوحى اليه بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى نفس الفعل بالنسبة الى مقابله الذى كلفوه اياه عليه السلام لا على معنى تخصيص اتباعه عليه السلام بما يوحى اليه بتوجيه القصر الى المفعول بالقياس الى مفعول اخر كما هو السابق فى موارد الاستعمال وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الى منه تعالى وفى التعرض لوصف الربوبية المبينة على تأييده ما لا يخفى هذا اشارة الى القرآن الكريم الدال عليه ما يوحى بصائر من ربكم بمنزلة البصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب وقيل

حجج بينة وبراهين ومن متعلقة بمحذوف هو صفة لبصائر مفيدة لفخامتها اى بصائر كائنة منه تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم لتأكيد وجوب الايمان بها وقوله تعالى وهدى ورحمة عطف على بصائر وتقديم الظرف عليهما وتعقيبهما بقوله لقوم يؤمنون للايذان بان كون القرآن بمنزلة البصائر متحقق بالنسبة الى الكل وبه تقوم الحجة على الجميع واما كونه هدى ورحمة فمختص بالمؤمنين به اذ هم المقتبسون من انواره والمغتنمون من اثاره والجملة من تمام القول المأمور به واذا قرئ القرآن فاستمعوا له ارشاد الى طريق الفوز بما اشير اليه من المنافع الجليلة التى ينطوى عليها اى واذا تلى القرآن الذى ذكرت شؤونه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول وانصتوا اى واسكتوا فى خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع لعلكم ترحمون اى تفوزون بالرحمة التى هى اقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضى وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن فى الصلوة وغيرها وقيل معناه اذا تلى عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضى الله تعالى عنهم على انه فى استماع المؤتم وقد روى انهم كانوا يتكلمون فى الصلوة فامروا باستماع قراءة الامام والانصات له وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ فى المكتوبة وقرأ اصحابه رضى الله تعالى عنهم خلفه فنزلت واما خارج الصلوة فعامة العلماء على استحبابهما والاية امامن تمام القول المأمور به والاستئناف من جهته تعالى واذكر ربك فى نفسك على الاول عطف على قل وعلى الثانى فيه تجريد للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عام فى الاذكار كافة فان الاخفاء ادخل فى الاخلاص واقرب من الاجابة تضرعا وخيفة اى متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول اى ومتكلما كلاما دون الجهر فانه اقرب الى حسن التفكر بالغدو والاصال متعلق باذكر اى اذكره فى وقت الغدوات والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر اصل اى دخل فى الاصيل موافق للغدو ولا تكن من الغافلين عن ذكره تعالى ان الذين عند ربك وهم الملائكة عليهم الصلاة والسلام ومعنى كونهم عنده سبحانه وتعالى قربهم من رحمته وفضله لتوفرهم على طاعته تعالى ولا يستكبرون عن عبادته اى يؤدونها حسبما امروا به ويسبحونه اى ينزهونه عن كل ما لا يليق بكبريائه وله يسجدون اى يخصونه بغاية العبودية والتذلل لا يشركون به شيئا وهو تعريض بسائر المكلفين ولذلك شرع السجود عند قراءته عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم اية السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه عليه السلام من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيمة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيمة والحمد لله وحده

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال النفل الغنيمة سميت به لانها عطية من الله تعالى زائدة على ما هو اصل الاجر فى الجهاد من الثواب الاخروى ويطلق على ما يعطى بطريق التنفيل زيادة على السهم من المغنم وقرئ علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فى اللام روى ان المسلمين اختلفوا فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فيها للمهاجرين او للانصار ام لهم جميعا وقيل ان الشبان قد ابلوا يومئذ بلاء حسنا فقتلوا سبعين واسروا سبعين فقالوا نحن المقاتلون ولنا الغنائم وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها حتى قال سعد بن معاذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله ما منعنا ان نطلب ما طلب هؤلاء زيادة فى الاجر ولا جبن من العدو ولكن كرهنا ان نعرى مصافك فيعطف عليك خيل من المشركين فنزلت وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم قد شرط لمن كان له بلاء ان ينفله ولذلك فعل الشبان ما فعلوا من الاسر والقتل فسألوه عليه السلام ما شرط لهم فقال الشيوخ المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت والاول هو الظاهر لما ان السؤال استعلام لحكم الانفال بقضية كلمة عن لا استعطاء المغنم كما نطق به الوجه الاخير وادعاء زيادة عن تعسف ظاهر والاستدلال عليه بقراءة ابن مسعود وسعد بن ابى وقاص وعلى بن الحسين وزيد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وعكرمة وعطاء يسألونك الانفال لغى متنهض فان مبناها لما قالوا على الحذف والايصال كما يعرب عنه الجواب بقوله عز وجل قل الانفال لله والرسول اى حكمها مختص به تعالى يقسمها الرسول عليه السلام كيفما امر به من غير ان يدخل فيه رأى احد ولو كان السؤال استعطاء لما كان هذا جوابا له فان اختصاص حكم ما شرط لهم من الانفال بالله تعالى والرسول لا ينافى اعطاءها اياهم بل يحققه لانهم انما يسألونها بموجب شرط الرسول صلى الله

عليه وسلم الصادر عنه باذن الله تعالى لا بحكم سبق ايديهم اليها ونحو ذلك مما يخل بالاختصاص المذكور وحمل
الجواب على معنى ان الانفال بالمعنى المذكور مختصة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا حق فيها للمنفل كائنا
من كان مما لا سبيل اليه قطعا ضرورة ثبوت الاستحقاق بالتنفيل وادعاء ان ثبوته بدليل متاخر
التزام منهم لشيئين كبيرين النسخ من غير علم بالناسخ الاخير ولا مساغ للمصير الى ما ذهب اليه مجاهد
وعكرمة والسدي من ان الانفال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء بهذه الاية
فنسخت بقوله عز وجل فان لله خمسه وللرسول لما ان المراد بالانفال فيما قالوا هو المعنى الاول حسبما
نطق به قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء الاية على ان الحق انه لا نسخ حينئذ ايضا حسبما قاله عبد
الرحمن بن زيد بن اسلم بل بين في صدر السورة الكريمة اجمالا ان امرها مفوض الى الله ورسوله ثم بين
مصارفها وكيفية قسمتها على التفصيل وادعاء اقتصار هذا الحكم اعني الاختصاص برسول الله صلى الله
عليه وسلم على الانفال المشروطة يوم بدر بجعل اللام للعهد مع بقاء استحقاق المنفل في سائر الانفال
المشروطة يأباه مقام بيان الاحكام كما ينبئ عنه اظهار الانفال في موقع الاضمار على ان الجواب عن سؤال
الموعود ببيان كونه عليه السلام خاصة مما لا يليق بشانه الكريم اصلا وقد روي عن سعد بن ابي وقاص
انه قال قتل اخي عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه واعجبني فجئت به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال عليه
السلام هذا ليس لي ولا لك اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت
الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا سعد انك سألتني السيف وليس
لي وقد صار لي فاذهب فخذه وهذا كما ترى يقتضي عدم وقوع التنفيل يومئذ والا لكان سؤال السيف من
سعد بموجب شرطه عليه السلام ووعده لا بطريق الهبة المبتدأة وحمل ذلك من سعد على مراعاة الادب
مع كون سؤاله بموجب الشرط يرده رده عليه السلام قبل النزول وتعليله بقوله ليس هذا لي لاستحالة
ان يعد عليه السلام بما لا يقدر على انجازه واعطاؤه عليه السلام بعد النزول وترتيبه على قوله
وقد صار لي ضرورة ان مناط صيرورته له عليه السلام قوله تعالى الانفال لله والرسول والغرض ان المانع
من اعطاء المسؤول وهو منتف بالباب قوله عز وجل فاتقوا الله اي اذا كان امر الغنائم لله تعالى ولرسوله
فاتقوه في كل ما تأتون وما تذرون فيدخل فيه ما هم فيه دخولا اوليا ولو كان السؤال طلبا للمشروط لما
كان فيه محذور يجب اتقاؤه واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة وتعليل الحكم واصلحوا ذات بينكم بجعل
ما بينهم من الحال لملابستها التامة لبينهم صاحبة له كما جعلت الامور المضمرة في الصدور ذات الصدور
اي اصلحوا ما بينكم من الاحوال بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله تعالى وتفضل به عليكم وعن عبادة بن
الصامت نزلت فينا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله تعالى من
ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين عن السواء وكان في ذلك تقوى
الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم
بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض واطيعوا الله ورسوله بتسليم امره ونهيه
وتوسيط الامر باصلاح ذات البين بين الامر بالتقوى والامر بالطاعة لاظهار كمال العناية بالاصلاح بحسب
المقام وليندرج الامر به بعينه تحت الامر بالطاعة ان كنتم مؤمنين متعلق بالاوامر الثلاثة والجواب محذوف
ثقة بدلالة المذكور عليه او هو الجواب على الخلاف المشهور وايا ما كان فالمقصود تحقيق المعلق بناء على تحقق
المعلق به لتنشيط المخاطبين وحث لهم على المسارعة الى الامتثال والمراد بالايمان كماله اي ان كنتم على الايمان
فان كمال الايمان يدور على هذه الخصال الثلاث طاعة الاوامر واتقاء المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل
والاحسان انما المؤمنون جملة مستأنفة مسوقة لبيان من اريد بالمؤمنين بذكر اوصافهم الجليلة
المستتبعة لما ذكر من الخصال الثلاث وفيه مزيد ترغيب لهم في الامتثال بالاوامر المذكورة اي انما
الكاملون في الايمان المخلصون فيه الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم اي فزعت لمجرد ذكره من غير ان
يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وافعاله استعظاما لشانه الجليل وتهيبا منه وقيل هو الرجل يهم
بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بفتح الجيم وهي لغة وقرئ فرقت اي
خافت واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا اي يقينا وطمأنينة نفس فان تظاهر الادلة وتعاضد
الحجج والبراهين موجب لزيادة الاطمئنان وقوة اليقين وقيل ان نفس الايمان لا يقبل الزيادة والنقصان
وانما زيادته باعتبار زيادة المؤمن به فانه كلما نزلت اية صدق المؤمن بها فازداد ايمانا عددا واما
نفس التصديق فيقبل القوة وهي التي عبر عنها بالزيادة للفرق البين بين يقين الانبياء وارباب المكاشفات
ويقين احاد الامة وعليه مبنى ما قال علي رضي الله تعالى عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا

وكذا

وكذا بين ما قام عليه دليل واحد وما قامت عليه ادلة كثيرة وعلى ربهم مالكهم ومدبر امورهم خاصة يتوكلون
يفوضون امورهم لا الى احد سواه والجملة معطوفة على الصلة وقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة ومما
رزقناهم ينفقون مرفوع على انه نعت للموصول الاول او بدل منه او بيان له او منصوب على القطع
المبني على المدح ذكر اولا من اعمالهم الحسنة اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ثم عقب باعمال
الجوارح من الصلاة والصدقة اولئك اشارة الى من ذكرت صفاتهم الحميدة من حيث انهم متصفون بها وفيه
دلالة على انهم متميزون بذلك عمن عداهم اكمل تميز منتظمون بسببه في سلك الامور المشاهدة وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الشرف هم المؤمنون حقا لانهم حققوا ايمانهم بان
ضموا اليها ما فصل من افاضل الاعمال القلبية والقالبية وحقا صفة لمصدر محذوف اي اولئك هم المؤمنون ايمانا
حقا او مصدر مؤكد للجملة اي حق ذلك حقا كقولك هو عبد الله حقا لهم درجات من الكرامة والزلفى
وقيل درجات عالية في الجنة وهو اما جملة مبتدأة مبنية على سؤال نشأ من تعداد مناقبهم كانه قيل
ما لهم بمقابلة هذه الخصال فقيل لهم كذا وكذا او خبر ثان لاولئك وقوله تعالى عند ربهم اما متعلق بمحذوف
وقع صفة لدرجات مؤكدة لما افادها التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي كائنة عنده
تعالى او بما تعلق به الخبر اعني لهم من الاستقرار وفي اضافة الظرف الى الرب المضاف الى ضميرهم مزيد تشريف
ولطف لهم وايذان بان ما وعد لهم متيقن الثبوت والحصول مأمون الفوات ومغفرة لما فرط منهم ورزق كريم
لا ينقطع امده ولا ينتهي عدده وهو ما اعد لهم من نعيم الجنة كما اخرجك ربك من بيتك بالحق الكاف في محل
الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم في كراهتهم لما رأيت مع
كونه حقا كحالهم في كراهتهم لخروجك للحرب وهو حق او في محل النصب لما انه صفة لمصدر مقدر في قوله
تعالى الانفال لله اي الانفال ثبتت لله والرسول مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك
في المدينة او من المدينة اخراجا ملتبسا بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون اي والحال ان فريقا منهم كارهون
للخروج اما لنفرة الطبع عن القتال او لعدم الاستعداد وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام وفيها تجارة
عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل
مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجا النجا على كل صعب وذلول عيركم
اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت اخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت
لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت
مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبأوا
حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت
فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف
ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت
العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما
العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه فقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة
على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير فقالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا
يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله
تعالى عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك
رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله تعالى فانا معك حيث ما احببت
لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب
انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك
حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك كما نمنع ابناءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله
عليه وسلم ثم قال اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين ما بايعوه على العقبة
انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في يتخوف ان لا يكون الانصار ترى عليهم
نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال
قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على
السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته

لحقناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقا
ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال
سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم
وروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه
العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال ان الله وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك يجادلونك في الحق الذي هو تلقى النفير لايثارهم عليه تلقى العير استيناف او حال
ثانية اي اخرجك في حال مجادلتهم اياك ويجوز ان يكون حالا من الضمير في لكارهون وقوله تعالى بعد
ما تبين منصوب بيجادلونك وما مصدرية اي بعد تبين الحق لهم باعلامك انهم منصورون اينما توجهوا
ويقولون ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وكان ذلك لكراهتهم القتال كانما
يساقون الى الموت الكاف في محل النصب على الحالية من الضمير في لكارهون اي مشبهين بالذين يساقون بالعنف
والصغار الى القتل وهم ينظرون حال من ضمير يساقون اي والحال انهم ينظرون الى اسباب الموت ويشاهدونها
عيانا وما كانت هذه المرتبة من الخوف والجزع الا لقلة عددهم وعدم تاهبهم وكونهم رجالة روى انه لم
يكن فيهم الا فارسان واذ يعدكم الله احدى الطائفتين كلام مستانف مسوق لبيان جميل صنع الله عز
وجل بالمؤمنين مع ما بهم من قلة الحزم ودناءة الهمة وقصور الراي والخوف والجزع واذ منصوب على المفعولية
بمضمر خوطب به المؤمنون بطريق التلوين والالتفات واحدى الطائفتين مفعول ثان ليعدكم اي اذكروا
وقت وعد الله اياكم احدى الطائفتين وتذكير الوقت مع ان المقصود تذكير ما فيه من الحوادث لما مر مرارا
من المبالغة في ايجاب ذكرها لما ان ايجاب ذكر الوقت ايجاب لذكر ما وقع فيه بالطريق البرهاني ولان
الوقت مشتمل على ما وقع فيه من الحوادث بتفاصيلها فاذا استحضر كان ما وقع فيه حاضرا مفصلا كانه
مشاهد عيانا وقرئ يعدكم بسكون الدال تخفيفا وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية لاستحضار
صورتها وقوله تعالى انها لكم بدل اشتمال من احدى الطائفتين مبين لكيفية الوعد اي يعدكم ان احدى
الطائفتين كائنة لكم مختصة بكم مسخرة لكم تتسلطون عليها تسلط الملاك وتتصرفون فيهم كيف شئتم
وتودون عطف على يعدكم داخل تحت الامر بالذكر ان غير ذات الشوكة تكون لكم من الطائفتين لا ذات
الشوكة وهي النفير ورئيسهم ابو جهل وهم الف مقاتل وغير ذات الشوكة هي العير اذ لم يكن فيها الا اربعون
فارسا ورئيسهم ابو سفيان والتعبير عنهم بهذا العنوان للتنبيه على سبب ودادتهم لملاقاتهم وموجب
كراهتهم ونفرتهم من موافاة النفير والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك والشوك القنا شبهها
ويريد الله عطف على تودون منتظم معه في سلك التذكير ليظهر لهم لطف الله بهم مع دناءة هممهم وقصور
ارائهم اي اذكروا وقت وعده تعالى اياكم احدى الطائفتين وودادتكم لادناها وارادته تعالى لاعلاها
وقوله تعالى ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته اي باياته المنزلة في هذا الشان او باوامره للملائكة بالامداد
وبما قضى من اسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر وقرئ بكلمته ويقطع دابر الكافرين اي اخرهم ويستاصلهم
بالمرة والمعنى انتم تريدون سفساف الامور والله عز وجل يريد معاليها وما يرجع الى علو كلمة الحق وسمو رتبة
الدين وشتان بين المرادين وقوله تعالى ليحق الحق ويبطل الباطل جملة مستانفة سيقت لبيان الحكمة
الداعية الى اختيار ذات الشوكة ونصرهم عليها مع ارادتهم لغيرها واللام متعلقة بفعل مقدر مؤخر
عنها اي لهذه الغاية الجليلة فعل ما فعل لا لشيء اخر وليس فيه تكرار اذ الاول لبيان تفاوت ما بين الارادتين
وهذا لبيان الحكمة الداعية الى ما ذكر ومعنى احقاق الحق اظهار حقيقته لا جعله حقا بعد ان لم يكن كذلك وكذا
حال ابطال الباطل ولو كره المجرمون اي المشركون ذلك اي احقاق الحق واظهار حقيقته وابطال الباطل اذ
تستغيثون بدل من اذ يعدكم معمول لعامله فالمراد تذكير استمدادهم منه سبحانه وتعالى والتجائهم اليه
تعالى حين ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وامداده تعالى لهم حينئذ وقيل متعلق بقوله تعالى ليحق الحق
على الظرفية وما قيل ان قوله تعالى ليحق مستقبل لانه منصوب بان فلا يمكن عمله في اذ لانه ظرف لما
مضى ليس بشيء لان كونه مستقبلا انما هو بالنسبة الى زمان ما هو غاية له من الفعل المقدر لا بالنسبة
الى زمان الاستغاثة حتى لا يعمل فيه بل هما في وقت واحد وانما عبر عن زمانهما باذ نظرا الى زمان النزول
وصيغة الاستقبال في تستغيثون لحكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل متعلق بمضمر
مستانف اي اذكروا وقت استغاثتكم وذلك انهم لما علموا انه لا بد من القتال جعلوا يدعون الله
قائلين اي رب انصرنا على عدوك اغثنا يا غياث المستغيثين اغثنا وعن عمر رضي الله تعالى عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة وبضعة عشر فاستقبل القبلة
ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال

كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك
مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فاستجاب لكم عطف على تستغيثون داخل معه في حكم التذكير
لما عرفت ما هو وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة اني ممدكم اي باني فحذف الجار وسلط عليه الفعل
فنصب محله وقرئ بكسر الهمزة على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من
مقولة القول بالف من الملائكة مردفين اي جاعلين غيرهم من الملائكة رديفا لانفسهم والمراد بهم رؤساؤهم
المستتبعون لغيرهم وقد اكتفى ههنا بهذا البيان الاجمالي وبين في سورة آل عمران مقدار عددهم وقيل
معناه متبعين بعضهم بعض المؤمنين او انفسهم المؤمنين من اردفته اياه فردفه وقرئ مردفين
بفتح الدال متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش او ساقتهم وقرئ بكسر الراء وضمها وتشديد الدال
واصلها مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى الساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل
او بالضم على الاتباع وقرئ بالاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور
ان المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة او الساقة او وجوههم واعيانهم او من قاتل معهم واختلف
في مقاتلتهم وقد روي اخبار تدل على وقوعها وما جعله الله كلام مستانف لبيان ان الاسباب
الظاهرة بمعزل من التاثير وانما التاثير مختص به عز وجل ليثق به المؤمنون ولا يقنطوا من النصر عند
فقدان اسبابه والجعل متعد الى مفعول واحد هو الضمير العائد الى مصدر فعل مقدر يقتضيه
المقام اقتضاء ظاهرا مغنيا عن التصريح به كانه قيل فامدكم به وما جعل امدادكم بهم الا بشرى
وهو استثناء مفرغ من اعم العلل وما جعل امدادكم بانزال الملائكة عيانا لشيء من الاشياء الا للبشرى لكم
بانكم تنصرون ولتطمئن به اي بالامداد قلوبكم وتسكن اليه نفوسكم كما كانت السكينة لبني اسرائيل
كذلك فكلاهما مفعول له للجعل وقد نصب الاول لاجتماع شرائطه وبقي الثاني على حاله لفقدانها وقيل
للاشارة الى اصالته في العلية واهميته في نفسه كما قيل في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها
وزينة وفي قصر الامداد عليهما اشعار بعدم مباشرة الملائكة للقتال وانما كان امدادهم بتقوية قلوب
المباشرين وتكثير سوادهم ونحوه كما هو راي بعض السلف وقيل الجعل متعد الى اثنين ثانيهما الا بشرى
على انه استثناء من اعم المفاعيل اي وما جعله الله شيئا من الاشياء الا بشرى لكم فاللام في ولتطمئن متعلقة
بمحذوف مؤخر تقديره ولتطمئن به قلوبكم فعل ذلك لا لشيء اخر وما النصر اي حقيقة النصر على الاطلاق
الا من عند الله اي الا كائنا من عنده عز وجل من غير ان يكون فيه شركة من جهة الاسباب والعدد وانما
هو مظاهر له بطريق جريان السنة الالهية ان الله عزيز لا يغالب في حكمه ولا ينازع في اقضيته حكيم
يفعل كل ما يفعل حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تعليل لما قبلها متضمن للاشعار بان النصر
الواقع على الوجه المذكور من مقتضيات الحكم البالغة اذ يغشيكم النعاس اي يجعله غاشيا لكم ومحيطا
بكم وهو بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة اخرى وصيغة الاستقبال فيه وفيما عطف عليه لحكاية الحال
الماضية كما في تستغيثون او منصوب باضمار اذكروا وقيل هو متعلق بالنصر او بما في من عند الله من معنى
الفعل او بالجعل وليس بواضح وقرئ يغشيكم من الاغشاء بمعنى التغشية والفاعل في الوجهين هو الباري تعالى
وقرئ يغشاكم على اسناد الفعل الى النعاس وقوله تعالى امنة منه على القراءتين الاوليين منصوب على
العلية بفعل مترتب على الفعل المذكور اي يغشيكم النعاس فتنعسون امنا اي كائنا من الله تعالى
لا كلالا واعياء او على انه مصدر لفعل اخر كذلك اي فتامنون امنا كما في قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على
احد الوجهين وقيل منصوب بنفس الفعل المذكور وامنة بمعنى الايمان وعلى القراءة الاخيرة منصوب
على العلية بيغشاكم باعتبار المعنى فانه في حكم تنعسون او على انه مصدر لفعل مترتب عليه كما مر وقرئ
امنة كرحمة وهي لغة فيه وينزل عليكم من السماء ماء وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة فعند وروده يتمكن عندها
فضل تمكن وتقديم عليكم لما ان بيان كون التنزيل عليهم اهم من بيان كونه من السماء وقرئ بالتخفيف من
الانزال ليطهركم به اي من الحدث الاصغر والاكبر ويذهب عنكم رجز الشيطان الكلام في تقديم الجار والمجرور
كما مر اي المراد برجز الشيطان وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روي انهم نزلوا في كثيب اعفر
تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فتمثل لهم الشيطان فوسوس
اليهم وقال انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولو
كنتم على الحق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع اعناقكم مشوا
اليكم وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا فاشفقوا فانزل الله عز وجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى
الوادي فاغتسلوا وتوضؤوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه

الاقدام وذلك وسوسته الشيطان وطابت النفوس وقويت القلوب وذلك قوله تعالى وليربط على قلوبكم
اى يقويها بالثقة بلطف الله تعالى فيما بعد بمشاهدة طلايعه ويثبت به الاقدام ولا تسوخ فى الرمل
فالضمير للرمل كما ذكر ويجوز ان يكون للربط فان القلب اذا قوى وتمكن فيه الصبر والجراة لا تكاد تزل
القدم فى معارك الحروب وقوله تعالى اذ يوحى ربك الى الملئكة منصوب بمضمر مستانف خوطب به النبى
صلى الله عليه وسلم بطريق التجريد حسبما ينطق به الكاف لما ان المامور به مما لا يستطيعه غيره عليه
السلام فان الوحى المذكور قبل ظهوره بالوحى المتلو على لسانه عليه السلام ليس من النعم التى يعرف
عليها عامة الامة كساير النعم السابقة التى امروا بذكر وقتها بطريق الشكر وقيل منصوب بقوله
تعالى ويثبت به الاقدام فلا بد حينئذ من عود الضمير المجرور فيه الى الربط على القلوب ليكون
المعنى ويثبت اقدامكم بتقويته قلوبكم وقت ايحايه الى الملئكة وامره بتثبيتهم اياكم وهو وقت
القتال ولا يخفى ان تقييد التثبيت المذكور بوقت منهم عندهم ليس فيه مزيد فايدة واما
انتصابه على انه بدل ثالث من اذ يعدكم كما قيل فياباه تخصيص الخطاب به عليه السلام مع ما عرفت
من ان المامور به ليس من الوظايف العامة للكل كسايراخواته وفى التعرض لعنوان الربوبية
مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التنويه والتشريف ما لا يخفى والمعنى اذ اذكر وقت ايحايه
تعالى الى الملئكة انى معكم اى بالامداد والتوفيق فى امر التثبيت فهو مفعول يوحى وقرئ بالكسر على ارادة
القول واجراء الوحى مجراه وما شيع به نحو لكلمة من متبوعية الملئكة اعظم من حيث انهم المباشرون
للتثبيت صورة فلهم الاصالة من تلك الحيثية كما فى امثال قوله تعالى ان الله مع الصابرين والفا فى قوله
تعالى فثبتوا الذين امنوا لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان امداده تعالى اياهم من اقوى موجبات
التثبت واختلفوا فى كيفية التثبيت فقالت جماعة انما امروا بتثبيتهم بالبشارة وتكثير السواد ونحوهما
مما تقوى به قلوبهم وتصح عزايمهم ونياتهم ويتاكد جدهم فى القتال وهو الانسب بمعنى التثبيت وحقيقته
التى هى عبارة عن الحمل على الثبات فى موطن الحرب والجد فى مقاساة شدايد القتال وقد روى انه كان الملك
يتشبه بالرجل الذى يعرفونه بوجهه فياتى ويقول سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن
ويمشى بين الصفين ويقول ابشروا فان الله ناصركم وقال اخرون امروا بمحاربة اعدايهم وجعلوا قوله
تعالى سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب تفسيرا لقوله تعالى انى معكم فاضربوا الى اخره تفسيرا لقوله تعالى
فثبتوا مبينا لكيفية التثبيت وقد روى عن ابى داود المازنى رضى الله تعالى عنه وكان ممن شهد بدرا
انه قال اتبعت رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه فوقعت راسه بين يدى قبل ان يصل اليه سيفى وعن
سهل بن حنيف رضى الله تعالى عنه انه قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك
فتقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وانت خبير بان قتلهم الكفرة مع عدم ملايمة لمعنى تثبيت
المسلمين مما لا يتوقف على الامداد بالقاء الرعب فلا يتجه ترتيب الامر به عليه بالفا وقد اعتذر الاولون
بان قوله تعالى سالقى الى اخره ليس بتفسير لما ذكر بل يجوز ان يكون تلك اثر قوله تعالى فثبتوا الذين امنوا تلقينا
للملئكة ما يثبتونهم به كانه قيل قولوا لهم قولى سالقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا الى اخره
فالضاربون هم المؤمنون واما ما قيل من ان ذلك خطاب منه تعالى للمؤمنين بالذات على طريق التلوين
فمبناه توهم وروده قبل القتال وانى ذلك فى السورة الكريمة انما نزلت بعد تمام الوقعة وقوله تعالى
فوق الاعناق اى اعاليها التى هى المذابح والهامات واضربوا منهم كل بنان قيل البنان اطراف الاصابع من
اليدين والرجلين وقال ابو الهيثم البنان المفاصل وكل مفصل بنانة وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
وابن جريج والضحاك يعنى الاطراف اى اضربوهم فى جميع الاعضاء من اعاليها الى اسافلها وقيل المراد
بالبنان الادانى وبفوق الاعناق الاعالى والمعنى فاضربوا الصناديد والسفلة وتكرير الامر بالضرب
لمزيد التشديد والاعتناء بامره ومنهم متعلق به او بمحذوف وقع حالا مما بعده ذلك اشارة الى ما اصابهم
من العقاب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجته فى الشدة والفظاعة والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يليق بالخطاب ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بانهم
شاقوا الله ورسوله اى ذلك العقاب العظيم واقع عليهم بسبب مشاقتهم ومغالبتهم لمن لا سبيل
الى مغالبته واشتقاق المشاقة من الشق لما ان كلا من المشاقين فى شق خلاف شق الاخر كما ان اشتقاق
المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم اى الجانب لان كلا من المتعادين والمتخاصمين فى عدوة وخصم غير
عدوة الاخر وخصمه ومن يشاقق الله ورسوله الاظهار فى موضع الاضمار لتربية المهابة واظهار
كمال شناعة ما اجترءوا عليه والاشعار بعلة الحكم وقوله تعالى فان الله شديد العقاب اما نفس
الجزا قد حذف منه العايد الى من عند من يلتزمه اى شديد العقاب له او تعليل للجزا المحذوف اى

يعاقبه

يعاقبه الله فان الله شديد العقاب وايا ما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق
للسببية بالطريق البرهانى كانه قيل ذلك العقاب الشديد بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من
يشاقق الله ورسوله كاينا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم بسبب مشاقتهم لهما عقاب
شديد واما انه وعيد لهم بما اعد فى الاخرة بعد ما حاق بهم فى الدنيا كما قيل فيرده وما بعده من قوله
تعالى ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار فانه مع كونه المسوق للوعيد بما ذكر ناطق بكون المراد
بالعقاب المذكور ما اصابهم عاجلا فانه سواء جعل ذلك اشارة الى نفس العقاب او الى ما يفيده الشرطية
من ثبوت العقاب لهم اما على الاول فلان الاظهر ان محله النصب بمضمر يستدعيه قوله تعالى فذوقوه
والواو فى قوله تعالى وان للكافرين الى اخره بمعنى مع والمعنى باشروا ذلكم العقاب الذى اصابكم فذوقوه عاجلا
مع ان لكم عذاب النار اجلا فوضع الظاهر موضع الضمير لتوبيخهم بالكفر وتعليل الحكم به واما على الثانى
فلان الاقرب ان محله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى وان للكافرين الى اخره معطوف عليه
والمعنى حكم الله ذلكم اى ثبوت هذا العقاب عاجلا وثبوت عذاب النار اجلا وقوله تعالى فذوقوه اعتراض
وسط بين المعطوفين للتهديد والضمير على الاول لنفس المشار اليه وعلى الثانى لما فى ضمنه وقد ذكر
فى اعراب الاية الكريمة وجوه اخر مدارها الحمل على ان المراد بالعقاب ما اصابهم عاجلا والله تعالى
اعلم وقرئ بكسر ان على الاستيناف يا ايها الذين امنوا خطاب للمؤمنين بحكم كلى جار فيما سيقع من
الوقايع والحروب جئ به فى تضاعيف القصة اظهارا للاعتناء بشانه ومبالغة فى حثهم على المحافظة عليه
اذا لقيتم الذين كفروا زحفا الزحف الدبيب يقال زحف الصبى زحفا اذا دب على استه قليلا
قليلا سمى به الجيش الدهم المتوجه الى العدو لكثرته وتكاثفه يرى كانه يزحف وذلك لان الكل يرى
كجسم واحد متصل فيحس حركته بالقياس اليه فى غاية البطء وان كانت فى نفس الامر على غاية السرعة
قال قايلهم ● وارعن مثل الطود تحسب انهم ● وقوف لحاج والركاب ● وتهملج وانتصابه على انه حال من مفعول
لقيتم اى زاحفين نحوكم واما على انه مصدر مؤكد لفعل مضمر هو الحال منه اى يزحفون زحفا واما
كونه حالا من فاعله او منه ومن مفعوله معا كما قيل فياباه قوله تعالى فلا تولوهم الادبار اذ لا
معنى لتقييد النهى عن الادبار بتوجههم السابق الى العدو وبكثرتهم بل توجه العدو اليهم وكثرتهم
هو الداعى الى الادبار عادة والمحوج الى النهى وحمله على الاشعار بما سيكون منهم يوم حنين حيث
تولوا مدبرين وهم زحف من الزحف اثنا عشر الفا بعيد والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم
وانتم قليل فلا تولوهم ادباركم فضلا عن الفرار بل قابلوهم وقاتلوهم مع قلتكم فضلا عن ان تدانوهم
فى العدد او تساووهم ومن يولهم يومئذ اى يوم اللقاء دبره فضلا عن الفرار وقرئ بسكون الباء
الا متحرفا لقتال اما بالتوجه الى قتال طايفة اخرى اهم من هؤلاء واما بالفر للكر بان يخيل عدوه
انه منهزم ليغره ويخرجه من بين اعوانه ثم يعطف عليه وحده او مع من فى الكمين من اصحابه وهو باب
من خدع الحرب او متحيزا الى فئة اى متحازا الى جماعة اخرى من المؤمنين لينضم اليهم ثم يقاتل معهم العدو
عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ان سرية فر دوا وانا معهم فلما رجعوا الى المدينة استحيوا ودخلوا البيوت
فقلت يا رسول الله نحن الفارون فقال صلى الله عليه وسلم بل انتم العكارون وانا فيتكم وانهزم
رجل من القادسية فاتى المدينة الى عمر رضى الله عنه فقال يا امير المؤمنين هلكت فررت من الزحف
فقال رضى الله عنه انا فيتك وعند لا متنفل واله لكان مجيتون الا انه من جاز وانتصابهما على
الحالية واما الغرو لا عمل لهما واما على الاستثنا من المولين اى ومن يولهم دبره الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا
فقد باء اى رجع بغضب عظيم لا يقادر قدره ومن فى قوله تعالى من الله متعلقة بمحذوف هو صفة
لغضب مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة والهول بالفخامة الاضافية اى بغضب كاين منه تعالى
وماويه جهنم اى بدل ما اراد بفراره اى تادى اليه من مادى ينجيه من القتل وبئس المصير فى
ايقاع البوء فى موقع جواب الشرط الذى هو التولية مقرونا بذكر الماوى والمصير من الجزالة ما لا
مزيد عليه عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الفرار من الزحف من اكبر الكباير وهذا اذا لم يكن
العدو اكثر من الضعف لقوله تعالى الان خفف الله عنكم الاية وقيل الاية مخصوصة باهل بدر
والحاضرين معه فى الحرب فلم تقتلوهم رجوع الى بيان بقية احكام الوقعة واحوالها وتقرير لما سبق
منها والفا جواب شرط مقدر يستدعيه ما مر من ذكر امداده تعالى وامره بالتثبيت وغير ذلك اى اذا
كان الامر كذلك فلم تقتلوهم انتم بقوتكم وقدرتكم ولكن الله قتلهم بنصركم وتسليطكم عليهم والقا
الرعب فى قلوبهم وقيل ان يكون التقدير ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم على احد التاويلين لما روى
انهم لما انصرفوا من المعركة غالبين غانمين اقبلوا يتفاخرون يقولون قتلت واسرت وفعلت وتركت

فنزلت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين طلعت قريش من العقنقل هذه قريش جاءت بخيلائها
وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى اسئلك ما وعدتنى فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من
تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان قال لعلى رضى الله عنه اعطنى قبضة من حصباء الوادى فرمى بها فى وجوههم
وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينه فانهزموا وذلك قوله عز وجل بطريق تلوين الخطاب
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى تحقيقا لكون الرمى الظاهر على يديه عليه السلام حينئذ من افعاله
عز وجل وتجريد الفعل عن المفعول به لما ان المقصود الاصلى بيان حال الرمى نفيا واثباتا اذ هو الذى
ظهر منه ما ظهر وهو المنشأ لتغير المرمى به فى نفسه وتكثره الى حيث اصاب عينى كل واحد من اولئك الامة
الجمة شئ من ذلك اى وما فعلت انت يا محمد تلك الرمية المستتبعة لهذه الآثار العظيمة حقيقة حين
فعلتها صورة والا لكان اثرها من جنس آثار الافاعيل البشرية ولكن الله فعلها اى خلقها حين باشرتها
لكن لا على نهج عادته تعالى فى خلق افعال العباد بل على وجه غير معتاد ولذلك اثرت هذا التأثير الخارج
عن طوق البشر خارقة القوى والقدر فمدار اثباتها لله تعالى ونفيها عنه عليه السلام هو ان اثرها
من افعاله سبحانه وتعالى لا من افعاله عليه السلام وقرئ ولكن الله بالتخفيف والرفع فى المحلين
فى قوله تعالى وليبلى المؤمنين منه اى ليعطيهم من عنده تعالى بلاء حسنا اى جميلا غير مشوب بمقاساة
الشدائد والمكاره واللام اما متعلق بمحذوف متأخر فالواو اعتراضية اى وللاحسان اليهم بالنصر والغنيمة
فعل ما فعل لا لشئ غير ذلك مما لا يجديهم نفعا واما برمى فالواو للعطف على علة محذوفة اى ولكن
الله رمى ليمحق الكافرين وليبلى الى آخره وقوله تعالى ان الله سميع اى لدعائهم واستغاثتهم عليم اى
بنياتهم واحوالهم الداعية الى الاجابة تعليل للحكم ذلكم اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع على انه
خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى وان الله موهن كيد الكافرين بالاضافة معطوف عليه اى المقصد
ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم ومثل المشار اليه القتل والرمى او المبتدأ
الامر اى الامر ذلكم اى القتل فيكون قوله تعالى وان الله الاية من قبيل عطف البيان وقرئ موهن
بالتنوين مخففا ومشددا ونصب كيد الكافرين ان تستفتحوا خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم بهم
وذلك انهم حين ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واهدى
الفئتين واكرم الحزبين اى ان تستنصروا الاعلى الجندين فقد جاءكم الفتح حيث نصر اعلاهما وقد زعمتم
انكم الاعلى فالتهكم فى المجئ او فقد جاءكم الهزيمة والقهر فالتهكم فى نفس الفتح حيث وضع موضع
ما يقابله وان تنتهوا عما كنتم عليه من الحراب ومعاداة الرسول صلى الله عليه وسلم فهو اى
الانتهاء خير لكم اى من الحراب الذى ذقتم غائلته لما فيه من السلامة من القتل والاسر ومبنى اعتبار
اصل الخيرية فى المفضل عليه هو التهكم وان تعودوا اى الى حرابه عليه السلام نعد لما شاهدتموه
من الفتح ولن تغنى بالتاء الفوقانية وقرئ بالياء التحتانية لان تانيث الفئة غير حقيقى
وللفصل اى لن تدفع ابدا عنكم فئتكم جماعتكم التى تجمعونهم وتستغيثون بهم شيئا اى من الاغناء
او من المضار ولو كثرت جملة حالية وقد مر تحقيق وان الله مع المؤمنين اى ولان الله مع
المؤمنين كان ذلك او ولامر ان الله مع المؤمنين ويقرب منه بحسب المعنى قراءة الكسر على الاستئناف وقيل
الخطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل والرغبة عما يرغب فيه الرسول صلى الله عليه
وسلم فهو خير لكم من كل شئ لما انه مناط لنيل سعادة الدارين وان تعودوا اليه نعد عليكم الانكار وتهييج
العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فان الله مع الكاملين فى الايمان يا ايها الذين آمنوا
اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه بطرح احدى التائين وقرئ بادغامها عنه اى لا تتولوا عن الرسول فان المراد
هو الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعته تعالى للتمهيد والتنبيه على ان طاعته تعالى فى طاعة
رسوله عليه السلام من يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل الضمير للجهاد وقيل للامر الذى دل عليه
الطاعة وقوله تعالى وانتم تسمعون جملة حالية واردة لتاكيد وجوب الانتهاء عن التولى مطلقا كما فى قوله
تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون لا لتقييد النهى عنه بحال السماع كما فى قوله تعالى لا تقربوا الصلاة
وانتم سكارى اى لا تتولوا عنه والحال انكم تسمعون القرآن الناطق بوجوب طاعته والمواعظ والزواجر عن
مخالفته سماع فهم واذعان ولا تكونوا تقرير للنهى السابق وتحذير عن مخالفته بالتنبيه على انها مؤدية
الى انتظامهم فى سلك الكفرة بكون سماعهم كلا سماع اى لا تكونوا بمخالفة الامر والنهى كالذين قالوا سمعنا
بمجرد الادعاء من غير فهم واذعان كالكفرة والمنافقين الذين يدعون السماع وهم لا يسمعون حال من ضمير
قالوا اى قالوا ذلك والحال انهم لا يسمعون حيث لا يصدقون ما سمعوه ولا يفهمونه حق فهمه فكانهم
لا يسمعونه راسا ان شر الدواب استئناف مسوق لبيان كمال سوء حال المشبه بهم مبالغة فى التحذير وتقريرا

للنهى

للنهى اثر تقرير اى ان شر من يدب على الارض او شر البهائم عند الله اى فى حكمه وقضائه الصم الذين لا يسمعون
الحق البكم الذين لا ينطقون به وصفوا بالصمم والبكم لان ما خلق الله الاذن واللسان سماع الحق والنطق
به وحيث لم يوجد فيهم شئ من ذلك صاروا فاقدين للجارحتين راسا وتقديم الصم على البكم لما ان صممهم
متقدم على بكمهم فان السكوت عن النطق بالحق من فروع عدم سماعهم له كما ان النطق به من فروع سماعه
ثم وصفوا بعدم التعقل فقيل الذين لا يعقلون تحقيقا لكمال سوء حالهم فان الاصم الابكم اذا كان له عقل ربما
يفهم بعض الامور ويفهمه غيره بالاشارة ويهتدى بذلك الى بعض مطالبه واما اذا كان فاقدا للعقل ايضا
فهو الغاية فى الشر وسوء الحال وبذلك يظهر كونهم شر البهائم حيث ابطلوا ما به يمتازون عنها وبه يفضلون
على كثير من خلق الله عز وجل فصاروا اخس من كل خسيس ولو علم الله فيهم خيرا شيئا من جنس الخير الذى
من جملته صرف قواهم الى تحرى الحق واتباع الهدى لاسمعهم سماع تفهم وتدبر ولو وقفوا على حقيقة الرسول
عليه السلام واطاعوه وامنوا به ولكن لم يعلم فيهم شيئا من ذلك لخلوهم عنه بالمرة فلم يسمعهم كذلك
لخلوه عن الفائدة وخروجه عن الحكمة والى ذلك اشير بقوله تعالى ولو اسمعهم لتولوا اى لو اسمعهم سماع تفهم
وهم على هذه الحالة العادية عن الخير بالكلية لتولوا عما سمعوه من الحق ولم ينتفعوا به قط او ارتدوا بعد
ما صدقوه وصاروا كان لم يسمعوه اصلا وقوله تعالى وهم معرضون اما حال من ضمير تولوا اى لتولوا على
ادبارهم والحال انهم معرضون عما سمعوه بقلوبهم واما اعتراض تذييلى وهم قوم عادتهم الاعراض وقيل كانوا
يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم احى قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك فالمعنى
ولو اسمعهم كلام قصى الى آخره وقيل هم بنو عبد الدار بن قصى لم يسلم منهم الا مصعب بن عمير وسويد
ابن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمى عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه قاتلهم الله تعالى فقتلوا جميعا
باحد وكانوا اصحاب اللواء وعن ابن جريج انهم المنافقون وعن الحسن رحمه الله انهم اهل الكتاب يا ايها الذين
آمنوا تكرير للنداء مع وصف تبعث الايمان لتنشيط الى الاقبال على الامتثال بما يرد بعده من الاوامر
وتنبيههم على ان فيهم ما يوجب ذلك استجيبوا لله وللرسول بحسن الطاعة اذا دعاكم اى الرسول اذ هو المباشر
لدعوة الله تعالى لما يحييكم من العلوم الدينية التى هى مناط الحياة الابدية كما ان الجهل مدار الموت الحقيقى
او هى ماء حيوة القلوب كما ان الجهل موجب موتها وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كما
فى قوله تعالى ولكم فى القصاص حيوة روى انه عليه السلام مر على ابى بن كعب وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلوته
ثم جاء فقال عليه السلام ما منعك عن اجابتى قال كنت فى الصلوة قال الم تخبر فيما اوحى الى استجيبوا لله وللرسول
اذا دعاكم الى آخره واختلف فيه فقيل هذا من خصائص دعائه عليه السلام وقيل لان اجابته عليه
السلام لا تقطع الصلوة وقيل كان ذلك الدعاء لامر مهم لا يحتمل التاخير وللمصلى ان يقطع الصلوة لمثله
واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه تمثيل لغاية قربه تعالى من العبد كقوله تعالى ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد وتنبيه على انه تعالى مطلع من مكنونات القلوب على ما عسى يغفل عنه صاحبها او حث على
المبادرة على اخلاص القلوب وتصفيتها قبل ادراك المنية فانها حائلة بين المرء وقلبه او تصوير
وتخييل لتملكه على العبد قلبه بحيث يفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويحول بينه وبين الكفر ان اراد
سعادته ويبدله بالامن خوفا وبالذكر نسيانا وما اشبه ذلك من الامور المعترضة المفوتة للفرصة
وقرئ بين المر بتشديد الراء على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف وانه اى
الله عز وجل او الشان اليه تحشرون لا الى غيره فيجازيكم بحسب مراتب اعمالكم فسارعوا الى طاعة الله
تعالى وطاعة رسوله بالغوا فى الاستجابة لهما واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اى
لا تختص اصابتها بمن يباشر الظلم منكم بل يعمه وغيره كاقرار المنكر بين اظهرهم والتكاسل فى الجهاد
على ان قوله لا تصيبن الى آخره اما جواب الامر على معنى ان اصابتكم لا تصيبن الى آخره وفيه ان جواب الشرط
متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا
يحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لا تدخل المنفى فى غير القسم او للنهى على ارادة
القول كقول من قال حتى اذا جن الظلام واختلط جاءوا بمذق هل رأيت الذئب قط واما جواب
قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلف المعنى فيهما وقد جوز ان يكون نهيا عن التعرض للظلم بعد الامر
باتقاء الذنب فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى
الاخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على ان الظلم منكم اقبح منه من غيركم واعلموا ان الله شديد العقاب
ولذلك يصيب بالعذاب من لم يباشر سببه واذكروا اذ انتم قليل اى وقت كونكم قليلا فى العدد وايثار
الجملة الاسمية للدلالة على استمرار ما كانوا فيه من القلة وما يتبعها من الضعف والخوف وقوله تعالى
مستضعفون خبر ثان او صفة لقليل فى الارض اى فى ارض مكة تحت ايدى قريش والخطاب للمهاجرين

او تحت ايدى فارس والروم والخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء تحت ايدى الطاغين وقوله تعالى
تخافون ان يتخطفكم الناس خبر ثالث او صفة ثانية تعليل وصف بالجملة بعد ما وصف بالمفرد او حال
من المستكن في مستضعفون والمراد بالناس على الاول وهو الاظهر اما كفار قريش او كفار العرب لقربهم
منهم وشدة عداوتهم لهم وعلى الثاني فارس والروم واى ما ذكروا وقت قلتكم وذلتكم وهوانكم على الناس
وخوفكم من اختطافهم فآواكم الى المدينة او جعل لكم ماوى تحصنون يصفرون ويصفقون وقيل
كانوا يفعلون ذلك اذا اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يصلي يخلطون عليه ويرون انهم يصلون ايضا
فذوقوا العذاب اى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل ان تكون للعهد والمعهود
ائتنا بعذاب اليم بما كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله
نزلت في المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر او في ابي
سفيان استأجر ليوم احد الفين سوى من استجاش من العرب وانفق فيهم اربعين اوقية او في اصحاب العير
فانه لما اصيب قريش يوم بدر قيل لهم اعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك ثارنا منه ففعلوا
والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله فسينفقونها بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم في تلك الحال
وهو انفاق يوم بدر والثاني اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق يوم احد ويحتمل ان يراد بهما واحد
على ان مساق الاول لبيان الغرض من الانفاق ومساق الثاني لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد ثم تكون
عليهم حسرة ندما وغما لفواتها من غير حصول المقصود جعل ذاتها حسرة وهي عاقبة انفاقها مبالغة
ثم يغلبون آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك والذين كفروا اى ثبتوا على الكفر واصروا عليه
الى جهنم يحشرون اى يساقون لا الى غيرها ليميز الله الخبيث من الطيب اى الكافر من المؤمن والفساد من الصلاح
واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون وما انفقه المشركون في عداوته عليه السلام مما انفقه المسلمون في
نصرته واللام متعلقة بيحشرون او يغلبون وما انفقه المشركون في عداوته عليه السلام مما انفقه
المسلمون في نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرئ ليميز بالتشديد للمبالغة ويجعل
الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا اى يضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم فيجمعه او يضم
الى الكافر ما انفقه ليزيد به عذابه كمال الكافرين فيجعله في جهنم كله اولئك اشارة الى الخبيث هم
الخاسرون الكاملون في الخسران لانهم خسروا انفسهم واموالهم قل للذين كفروا هم ابو سفيان واصحابه اى قل لاجلهم
ان ينتهوا عما هم فيه من معاداة النبي صلى الله عليه وسلم بالدخول في الاسلام يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب وقرئ
يغفر لكم ونغفر لكم على البناء للفاعل وهو الله تعالى وان يعودوا الى قتاله فقد مضت سنة الاولين الذين
تحزبوا على الانبياء عليهم السلام من التدمير كما جرى على اهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك وقاتلوهم عطف على
قل وقد عمم الخطاب لزيادة ترغيب المؤمنين في القتال لتحقيق ما يتضمنه قوله تعالى فقد مضت سنة الاولين
من الوعيد حتى لا تكون فتنة اى لا يوجد منهم شرك ويكون الدين كله لله وتضمحل الاديان الباطلة اما
باهلاك اهلها جميعا او برجوعهم عنها خشية القتل فان انتهوا عن الكفر بقتالكم فان الله بما يعملون بصير
فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء والخطاب اى بما تعملون من الجهاد المخرج لهم الى الاسلام وتعليقه
بانتهائهم للدلالة على انهم يثابون بالسببية كما يثاب المباشرون بالمباشرة وان تولوا ولم ينتهوا عن ذلك فاعلموا
ان الله مولاكم ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم نعم المولى لا يضيع من تولاه ونعم النصير لا يغالب
من نصره واعلموا انما غنمتم عن الكلبي انها نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع بعد
بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على احد وعشرين شهرا من الهجرة وما موصولة والعائد محذوف
اى الذي اصبتموه من الكفار عنوة واصل الغنيمة اصابة الغنم من العدو ثم اتسع واطلق على كل ما اصيب
منهم كائنا ما كان وقوله تعالى من شيء بيان للموصول محله النصب على انه حال من عائد الموصول قصد به
الاعتناء بشان الغنيمة فان لا يشذ عنها شيء اى ما غنمتموه كائنا مما يقع عليه اسم الشيء حتى الخيط والمخيط
خلا ان سلب المقتول للقاتل اذا نفله الامام وان الاسارى يخير فيها الامام وكذلك الاراضي المغنومة
وقوله تعالى فان لله خمسه مبتدأ خبره محذوف اى فحق او فواجب ان لله تعالى خمسه وهذه الجملة خبر لان
ما الى آخره وقرئ بالكسر والاول آكد واقوى للايجاب لما فيه من تكرر الاسناد كانه قيل فلا بد من ثبات
الخمس ولا سبيل الى الاخلال به وقرئ فلله خمسه وقرئ خمسه بسكون الميم والجمهور على ان ذكر الله تعالى
للتعظيم كما في قوله تعالى والله ورسوله احق ان يرضوه وان المراد قسمة الخمس على المعطوفين عليه قوله تعالى
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين واعادة اللام في ذي القربى دون غيرهم من الاصناف الثلاثة
لدفع توهم اشتراكهم في سهم النبي صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم به عليه السلام وهم بنو هاشم وبنو
المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل لما روى عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله تعالى عنهما انهما قالا

لرسول

لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمزيد اتصالهم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك
الله منهم ارأيت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام
انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وكيفية
قسمتها عندنا انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم له عليه السلام وسهم
للمذكورين من ذوي قرباه وثلاثة اسهم للاصناف الثلاثة ويؤيده ما روى عن ابي بكر رضي الله تعالى عنه انه
منع بني هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطى فقيركم ويزوج ايمكم ويخدم من لا خادم له منكم فهو بمنزلة ابن
السبيل الغني لا يعطى من الصدقة شيئا وعن زيد بن علي مثله قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا نركب
منه البراذين وقيل سهم الرسول صلى الله عليه وسلم لولي الامر بعده واما عند الشافعي رحمه الله تعالى
فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه عليه السلام من مصالح
المسلمين كعدة الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم
للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد
الامام ان رأى قسمه بين هؤلاء وان رأى اعطاه بعضا منهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم
وتعلق ابو العالية بظاهر الآية الكريمة فقال يقسم ستة اسهم ويصرف سهم الله تعالى الى رتاج الكعبة لما
روى انه عليه السلام كان يأخذ منه قبضة فيجعلها لمصالح الكعبة ثم يقسم ما بقي على خمسة اسهم وقيل
سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول عليه السلام هذا شأن الخمس واما الاخماس الاربعة فتقسم
بين الغانمين للراجل سهم وللفارس سهمان عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وثلاثة اسهم عندهما قال القرطبي
لما بين الله تعالى حكم الخمس وسكت عن الباقي دل ذلك على انه ملك الغانمين وقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله
متعلق بمحذوف ينبئ عنه المذكور اى ان كنتم آمنتم به تعالى فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب به التقرب
الى الله تعالى فاقطعوا عنه اطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد مجرد العلم بذلك بل العلم
المشفوع بالعمل والطاعة لامره تعالى وما انزلنا عطف على الاسم الجليل اى ان كنتم آمنتم بالله وبما انزلناه
على عبدنا وقرئ عبدنا وهو اسم جمع اريد به الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون فان بعض ما نزل
نازل عليهم والمراد به الملائكة والفتح عليهم بالذات كما ستعرفه يوم الفرقان يوم التقى الجمعان يوم بدر سمي به لفرقه
بين الحق والباطل وهو منصوب بانزلنا عليه السلام يومئذ من الوحي والملائكة والفتح على ان المراد
بالانزال مجرد الايصال والتيسير فينتظم انتظاما حقيقيا وجعل الايمان بانزال هذه من موجبات العلم
بكون الخمس لله تعالى على الوجه المذكور من حيث ان الوحي ناطق بذلك وان الملائكة والفتح لما كانا من
جهته تعالى وجب ان يكون ما حصل بسببهما من الغنيمة مصروفة الى الجهات التي عينها الله تعالى
والله على كل شيء قدير يقدر على نصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم اذ انتم
بالعدوة الدنيا بدل ثان من يوم الفرقان والعدوة بالضم شط الوادي وكذا بالفتح والكسر وقد قرئ بهما وهم
بالعدوة القصوى اى البعدى من المدينة وهي تأنيث الاقصى وكان القياس قلب الواو ياء كالدنيا والعليا مع
كونهما من بنات الواو لكنها جاءت على الاصل كالقود وهو اكثر استعمالا من القصيا والركب اى العير
وقودها اسفل منكم اى في مكان اسفل من مكانكم يعني الساحل وهو نصب على الظرفية واقع موقع الخبر والجملة
حال من الظرف قبلها وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين
نفوسهم على ان لا يخلوا امر الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب
ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله تعالى ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد اى لو تواعدتم انتم وهم
القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم انتم في الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحقق ان ما اتفق لهم
من الفتح ليس الا صنعا من الله عز وجل خارقا للعادات فيزدادوا ايمانا وشكرا وتطمئن نفوسهم بفرض الخمس
ولكن جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد ليقضي الله امرا كان مفعولا حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه
وقهر اعدائه او مقدرا في الازل وقوله تعالى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة بدل منه او
متعلق بمفعولا اى ليموت من يموت عن بينة ويعيش من يعيش عن بينة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة
فان وقعة بدر من الآيات الواضحة او ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك
والحياة للكفر والايمان والمراد بمن هلك ومن حي المشارف للحياة والهلاك او من حاله في علم الله تعالى الهلاك
والحياة وقرئ ليهلك بالفتح ومن حيي بفك الادغام حملا على المستقبل وان الله لسميع عليم اى بكفر
من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد اذ يريكهم
الله في منامك قليلا منصوب باذكر او بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بعليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم في
عينك في رؤياك وهو ان تخبر به اصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم ولو اراكهم كثيرا لفشلتم اى

لجبنتم وهبتم الاقدام ولتنازعتم فى القتال وتفرقت اراؤكم فى الثبات والفرار ولكن الله سلم اى انعم
بالسلامة من الفشل والتنازع والله عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراة والجبن
والصبر والجزع ولذلك دبر ما دبر واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا منصوب بمضمر خوطب به النبى
بطريق التلوين والتعميم معطوف على المضمر السابق والضميران مفعولا نرى وقليلا حال من الثانى
والتعميم معطوف على المضمر وانما قللهم فى اعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لمن الى
جنبه اتراهم سبعين فقال اراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرويا الرسول صلى الله عليه وسلم ويقللكم
فى اعينهم حتى قال ابو جهل انما اصحاب محمد اكلة جزور وقللهم فى اعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا
يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى راوا مثليهم ليفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وهذه من عظائم ايات تلك الوقعة
فان البصر قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما ذلك بصد الله
تعالى الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى فى الشرائط ليقضى الله امرا كان مفعولا كرر لاختلاف
الفعل المعلل به اولان المراد بالامر ثمة الالتقا على الوجه المذكور وههنا اعزاز الاسلام واهله و
اذلال الكفر وحزبه والى الله ترجع الامور كلها يصرفها كيف يريد لا راد لامره ولا معقب لحكمه
وهو الحكيم المجيد يا ايها الذين امنوا تصدير الخطاب بحرف النداء والتنبيه اظهارا لكمال الاعتناء بمضمون ما بعده
اذا لقيتم فئة اى حاربتم جماعة من الكفرة وانما لم يصفوا بالكفر لظهور ان المؤمنين لا يحاربون الا الكفرة واللقا
بما غلب فى القتال فاثبتوا اى للقائهم فى مواطن الحرب واذكروا الله كثيرا اى فى تضاعيف القتال متمدين
منه مستعينين به مستظهرين بذكره مترقبين لنصره لعلكم تفلحون اى تفوزون بمرامكم وتظفرون بمرادكم
من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لا يشغله شىء عن ذكر الله تعالى وان يلتجى اليه عند
الشدائد ويقبل اليه بكليته فارغ البال وان قلبه لا ينفك عنه فى حال من الاحوال واطيعوا الله
ورسوله فى كل ما تأتون وما تذرون فيندرج فيه ما امروا به ههنا اندراجا اوليا ولا تنازعوا باختلاف
الاراء كما فعلتم ببدر واحد فتفشلوا جواب للنهى وقيل عطف عليه وتذهب ريحكم بالنصب على جواب
النهى وقرئ بالجزم على تقدير عطف فتفشلوا على النهى اى تذهب دولتكم وشوكتكم فانها مستعارة للدولة من حيث
انها فى تمشى امرها ونفاذه مشبهة فى هبوبها وجريانها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح
يبعثها الله تعالى وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور واصبروا على شدائد الحرب ان الله مع
الصابرين بالنصرة والكلاءة وما يفهم من كلمة مع من اصالتهم انما هى من حيث انهم المباشرون للصبر فهم متبوعون
من تلك الحيثية ومعيته تعالى انما هى من حيث الامداد والاعانة ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بعد ما امروا بما امروا به من احاسن الاعمال ونهوا عما يقابلها من قبائحها والمراد بهم اهل مكة حين
خرجوا لحماية العير بطرا اى فخرا واشرا ورئاء الناس ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما
بلغوا الجحفة اتاهم رسول ابى سفيان وقال ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى الا اظهارا لاثار نجدته فلقوا
ما لقوا حسبما ذكر فى اوائل السورة الكريمة فنهى المؤمنون ان يكونوا امثالهم بطرين مرائين وامروا بان
بالتقوى والاخلاص من حيث ان النهى عن الشىء مستلزم للامر بضده ويصدون عن سبيل الله عطف
على بطرا ان جعل مصدرا فى موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تاويل المصدر والله بما يعملون
محيط فيجازيهم عليه واذ زين لهم الشيطان اعمالهم منصوب بمضمر خوطب به النبى صلى الله
عليه وسلم بطريق التلوين اى واذكر وقت تزيين الشيطان اعمالهم فى معاداة المؤمنين وغيرها بان
وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم اى القى روعهم وخيل اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون
لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما يظنون انها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر
اهدى الفئتين وافضل الدينين ولكم خبر لا غالب او صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا
زيدا عندنا فلما تراءت الفئتان اى تلاقى الفريقان نكص على عقبيه رجع القهقرى اى بطل كيده وعاد
ما خيل اليهم انه مجيرهم سببا لهلاكهم وقال انى برىء منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله اى تبرا
منهم وخاف عليهم ويئس من حالهم لما راى امداد الله تعالى للمسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش
على المسير ذكرت ما بينهم وبين كنانة من الاحنة فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس فى صورة سراقة
بن مالك الكنانى وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى مجيركم فلما راى الملائكة تنزل نكص وكانت يده
فى يد الحارث بن هشام فقال له الى اين اتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى ارى ما لا ترون ودفع فى صدر
الحارث فانطلق فانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ما شعرت
بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وعلى هذا يحتمل ان يكون معنى قوله انى اخاف الله
ان يصيبنى بمكروه من الملائكة او يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذ راى فيه ما لم يره قبله

والاول

والاول ما قاله الحسن رضى الله عنه واختاره ابن بحر والله شديد العقاب يجوز ان يكون من كلامه او
مستانفا من جهة الله عز وجل اذ يقول المنافقون منصوب بزين او بنكص او لشديد العقاب والذين
فى قلوبهم مرض اى الذين لم تطمئن قلوبهم بالايمان بعد وبقى فيها نوع شبهة وقيل هم المشركون وقيل هم
المنافقون فى المدينة والعطف لتغاير الوصفين كما فى قوله • يا لهف زيابة للحارث • الصابح فالغانم
فالآيب • غر هؤلاء دينهم يعنون المؤمنين دينهم حتى تعرضوا لما لا طاقة لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر
الى زهاء الف ومن يتوكل على الله جواب لهم من جهته تعالى ورد لمقالتهم فان الله عزيز غالب لا يذل من
توكل عليه واستجار به وان قل حكيم يفعل بحكمته البالغة ما يستبعده العقول ويحار فى فهمه الباب
الفحول وجواب الشرط محذوف لدلالة المذكور عليه ولو ترى اى ولو رايت فان لو الامتناعية ترد
المضارع ماضيا كما ان ترد الماضى مضارعا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن
له حظ من الخطاب وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار وكلمة اذ فى قوله تعالى
اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة ظرف لترى والمفعول للاهتمام به وقيل محذوف اى ولو ترى الكفرة
او حال الكفرة حين يتوفاهم الملائكة ببدر وتقديم المفعول للاهتمام به وقيل الفاعل ضمير عايد الى الله عز
وجل والملائكة مبتدا وقوله تعالى يضربون وجوههم خبره والجملة حال من الموصول قد استغنى فيها بالضمير
عن الواو وهو على الاول حال منه او من الملائكة او منهما لاشتماله على ضميرهما وادبارهم اى واستاههم
او ما اقبل منهم وما ادبر من الاعضا وذوقوا عذاب الحريق على ارادة القول معطوفا على يضربون او حالا
من فاعله اى ويقولون او قائلين ذوقوا بشارة بعذاب الاخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما
ضربوا التهبت النار منها وجواب لو محذوف للايذان بخروجه عن حد البيان اى لرايت امرا
فظيعا لا يكاد يوصف ذلك اشارة الى ما ذكر من الضرب والعذاب وما فيه من معنى البعد للاشعار
بكونهما فى الغاية القاصية من الهول والفظاعة وهو مبتدا خبره بما قدمت ايديكم اى ذلك الضرب
والعذاب واقع بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى ومحل ان فى قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد
الرفع على انه خبر مبتدا محذوف اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده بغير ذنب من قبلهم والتعبير
عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اعتراض تذييلى
اهل السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه فى سورة ال عمران والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون
ما قبلها واما ما قيل من انها معطوفة على ما للدلالة على ان سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذ لولاه
لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فليس بسديد لما ان امكان تعذيبه تعالى لعبيده بغير ذنب بل وقوعه
لا ينافى كون تعذيب هؤلاء الكفرة المعينة بسبب ذنوبهم حتى يحتاج الى اعتبار عدمه معه نعم لو كان
المدعى كون جميع تعذيباته تعالى بسبب ذنوب المعذبين لاحتيج الى ذلك كداب ال فرعون فى محل الرفع
على انه خبر مبتدا محذوف والجملة استيناف مسوق لبيان ما حل بهم من العذاب بسبب كفرهم لا بشىء اخر
من جهة غيرهم بتشبيه حالهم بحال المعروفين بالاهلاك بسبب جرائمهم لزيادة تقبيح حالهم وللتنبيه على
ان ذلك سنة مطردة فيما بين الامم المهلكة اى شانهم الذى استمروا عليه مما فعلوا وفعل بهم من الاخذ
كداب ال فرعون المشهورين بقباحة الاعمال وفظاعة العذاب والنكال والذين من قبلهم اى من قبل ال
فرعون من الامم التى فعلوا من المعاصى ما فعلوا ولقوا من العقاب ما لقوا كقوم نوح عليه السلام وعاد
واضرابهم من اهل الكفرة والعناد وقوله تعالى كفروا بايات الله تفسير لدابهم الذى فعلوه والفاء لبيان
كونه من لوازم جناياتهم وتبعاتها المتفرعة عليها وقوله تعالى فاخذهم الله بذنوبهم لتاكيد ما افادة
الفاء من السببية مع الاشارة الى ان لهم مع كفرهم ذنوبا اخر لها دخل فى استتباع العقاب ويجوز ان يكون المراد
بذنوبهم معاصيهم المتفرعة على كفرهم فتكون الباء للملابسة اى فاخذهم ملتبسين بذنوبهم غير تائبين
عنها فدابهم جميع ما فعلوا وفعل بهم لا ما فعلوا فقط كما قيل قال ابن عباس رضى الله تعالى ان ال فرعون
ايقنوا ان موسى نبى الله فكذبوه لذلك جاء محمد عليه الصلوة والسلام بالصدق فكذبوه فانزل الله تعالى
بهم عقوبته كما انزل بال فرعون وجعل العذاب من جملة دابهم مع انه ليس مما يتصور مداومتهم عليه
واعتيادهم اياه كما هو المعتبر فى الكفر والمعاصى لتنزيله منزلة ذلك لما بينهما من الملابسة التامة وقوله
تعالى ان الله شديد العقاب اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من الاخذ وقوله تعالى ذلك الى اخره استيناف
مسوق لتعليل ما يفيده النظم الكريم من كون ما حل بهم من العذاب المنوط باعمالهم السيئة غير واقع بلا سابقة
ما يقتضيه وهو المشار اليه لا لنفس ما حل بهم من العذاب والانتقام كما قيل فانه مع كونه معللا بما ذكر
من كفرهم وذنوبهم لا يتصور تعليله بجريان عادته تعالى على عدم تغيير نعمته على قوم قبل تغييرهم حالهم
ولو اريد السبب ليس ما ذكر كما هو منطوق النظم الكريم بل ما يستفاد من مفهوم الغاية من جريان عادته

من بينهم من الكفرة وقيل هم اليهود وقيل هم المنافقون وقيل الجن لا تعلمونهم اي لا تعرفونهم باعيانهم ص

على الحالية من فاعل اعدوا اي مرهبين به او من الموصول او من عائدة المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه مرهبا به
عدو الله وعدوكم وهم كفار مكة خصوا بذلك من بين الكفار مع كون الكل كذلك لغاية عتوهم ومجاوزتهم
الحد في العداوة وآخرين من دونهم اي لا تعلمونهم كما هم عليه من العداوة وهو الانسب بقوله تعالى الله يعلمهم اي لا
غير ان اعيانهم معلومة لديه تعالى ايضا وما تنفقوا من شيء لاعداد القتال قل او جل في سبيل الله الذي او
ضحه الجهاد يوف اليكم اي جزاؤه كاملا وانتم لا تظلمون بترك الاثابة والتعبير عن تركها بالظلم مع ان
الاعمال غير موجبة للثواب حتى يكون تركه ظلما لبيان كمال نزاهته سبحانه عن ذلك بتصويره بصورة
ما يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى كما مر في تفسير
قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم وان جنحوا الجنوح الميل ومنه الجناح ويعدى باللام وبالى
اي ان مالوا للسلم اي للصلح بوقوع الرهبة في قلوبهم بمشاهدة ما بكم من الاستعداد واعتاد العتاد فاجنح لها
اي للسلم والتأنيث لحمله على نقيضه قال ○ السلم تأخذ منها ما رضيت به ○ والحرب يكفيك من انفاسها جرع ○
وقرئ فاجنح بضم النون وتوكل على الله ولا تخف ان يظهروا لك السلم وجوانحهم مطوية على المكر والكيد انه
تعالى هو السميع فيسمع ما يقولون في خلواتهم من مقالات الخداع العليم فيعلم نياتهم فيؤاخذهم بما يستحقونه
ويرد كيدهم في نحرهم والاية خاصة باليهود وقيل عامة نسختها اية السيف وان يريدوا ان يخدعوك باظهار
السلم وابطال الحراب فان حسبك الله اي فاعلم ان حسبك الله من شرورهم وناصرك عليهم هو الذي ايدك بنصره
تعليل لكفايته اياه عليه السلام بطريق الاستئناف فان تأييده تعالى فيما سلف على ما ذكر من الوجه
البعيد من الوقوع من دلائل تأييده تعالى فيما يأتي اي هو الذي ايدك بامداده من عنده بلا واسطة كقوله
تعالى وما النصر الا من عند الله او بالملائكة مع خرقه للعادات وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار والف
بين قلوبهم مع ما كان بينهم قبل ذلك من العصبية والضغينة والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأ
تلف فيهم قلبان حتى صاروا بتوفيقه تعالى كنفس واحدة وهذا من ابهر معجزاته عليه الصلاة والسلام ○
لو انفقت ما في الارض جميعا اي لتأليف ما بينهم ما الفت بين قلوبهم استئناف مقرر لما قبله ومبين لعزة
المطلب وصعوبة المأخذ اي تناهى التعادي فيما بينهم الى حد لو انفق منفق في
اصلاح ذات البين جميع ما في الارض من الاموال والذخائر لم يقدر على التأليف والاصلاح وذكر القلوب
للاشعار بان التأليف بينهما لا يتسنى وان امكن التأليف ظاهرا ولكن الله الف بينهم قلبا وقالبا بقدرته
الباهرة انه عزيز كامل القدرة والغلبة لا يستعصي عليه شيء مما يريده حكيم يعلم كيفية تسخير ما يريده
وقيل الاية في الاوس والخزرج كان بينهم احن لا امد لها ووقائع افنت ساداتهم واعاظمهم ودقت اعناقهم
وجماجمهم فانسى الله عز وجل جميع ذلك والف بينهم بالاسلام حتى تصافوا واصبحوا يرمون عن قوس واحدة
وصاروا انصارا يا ايها النبي شروع في بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام في جميع اموره وامور المؤمنين
او في الامور الواقعة بينهم وبين الكفرة كافة اثر بيان كفايته تعالى اياه عليه السلام في مادة خاصة
وتصدير الجملة بحرفي النداء والتنبيه للتنبيه على مزيد الاعتناء بمضمونها وايراده عليه السلام بعنوان النبوة
للاشعار بعليتها للحكم حسبك الله اي كافيك في جميع امورك او فيما بينك وبين الكفرة من الحراب
ومن اتبعك من المؤمنين في محل النصب على انه مفعول معه اي كفاك وكفى اتباعك الله ناصرا كما في قول
من قال فحسبك والضحاك عضب مهند ○ وقيل في محل الجر عطفا على الضمير كما هو راي الكوفيين اي كافيك
وكافيهم او في محل الرفع عطفا على اسم الله تعالى اي كفاك الله والمؤمنون والاية نزلت في البيداء في غزوة
بدر قبل القتال وقيل اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر
رضي الله تعالى عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس نزلت في اسلام عمر رضي الله تعالى عنهما يا ايها النبي
بعد ما بين كفايته اياهم بالنصر والامداد امر عليه السلام ببيان مادي تحقيقه وامداده وتكرير الخطاب
على الوجه المذكور لاظهار كمال الاعتناء بشان المأمور به حرض المؤمنين على القتال اي بالغ في حثهم عليه
وترغيبهم فيه بكل ما امكن من الامور المرغبة التي اعظمها تذكير وعده تعالى بالنصر وحكمه بكفايته تعالى
او بكفايتهم واصل التحريض الحرض وهو ما لا خير فيه ولا يعتد به قلت فالاوجه ان يجعل الحرض عبارة
عن ضعف القلب الذي هو من باب نهك المرض وقيل معنى تحريضهم تسميتهم حرضا بان يقال اني اراك
في هذا حرضا اي ممرضا فيه ليهيجه الى الاقدام وقرئ حرص بالصاد المهملة وهو واضح ان يكن منكم
عشرون صابرون يغلبوا مائتين وعد كريم منه تعالى بتغليب كل جماعة من المؤمنين على عشرة امثالهم على
طريق الاستئناف بعد الامر بتحريضهم وقوله تعالى وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا مع انفهام مضمونه
مما قبله لكون كل منهما عدة بتأييد الواحد على العشرة لزيادة التقرير المفيد لزيادة الاطمئنان على انه
قد يجري بين الجمعين القليلين ما لا يجري بين الجمعين الكثيرين مع ان التفاوت فيما بين كل من الجمعين القليلين

والكثيرين

والكثيرين على نسبة واحدة فتبين ان ذلك لا يتفاوت في الصورتين وقوله تعالى من الذين كفروا بيان
للالف وهذا القيد معتبر في المائتين ايضا وقد ترك ذكره تعويلا على ذكره ههنا كما ترك قيد الصبر ههنا
مع كونه معتبرا حتما ثقة بذكره هناك بانهم قوم لا يفقهون متعلق بيغلبوا اي بسبب انهم قوم جهلة
بالله واليوم الآخر لا يقاتلون احتسابا وامتثالا بامر الله تعالى واعلاء لكلمته وابتغاء لرضوانه كما
المؤمنون وانما يقاتلون للحمية الجاهلية واتباع خطوات الشيطان واثارة نائرة البغي والعدوان
فلا يستحقون الا القهر والخذلان واما ما قيل من ان من لا يؤمن بالله واليوم الآخر لا يؤمن بالمعاد فالسعادة
عنده ليست الا هذه الحياة الدنيوية فيشح بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب واقتحام موارد الخطوب
فيميل الى ما فيه السلامة فيفر فيغلب واما من اعتقد بان لا سعادة في هذه الحياة الفانية وانما
السعادة هي الحياة الباقية فلا يبالي بهذه الحياة الدنيا ولا يقيم لها وزنا فيقدم على الجهاد بقلب قوي
وعزم صحيح فيقوم الواحد من مثله مقام الكثير فكلام حق لكنه لا يلائم المقام الآن خفف الله
عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لما كان الموعد السابق متضمنا لايجاب مقاومة الواحد للعشرة وثباته لهم
كما نقل عن ابن جريج انه كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة وقد بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلثمائة راكب فهزمهم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه بعد
مدة فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا نزل التخفيف
والمراد بالضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين في الاحتياج الى القتال
لا الضعف في الدين كما قيل وقرئ ضعفاء وبضم الضاد وهي لغة فيه كالفقر والفقر والمكث والمكث
وقيل الضعف بالفتح ما في الراي والعقل وبالضم ما في البدن وقرئ ضعفا جمع ضعيف والمراد بعلمه
تعالى بضعفهم علمه تعالى به من حيث هو متحقق بالفعل لا علمه تعالى به مطلقا كيف لا وهو ثابت في
الازل وقوله تعالى فان تكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين تفسير للتخفيف وبيان لكيفيته وقرئ تكن
ههنا وفيما سبق بالتاء الفوقانية وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله اي بتسهيله وتيسيره وهذا
القيد معتبر فيما سبق من غلبة المائة المائتين والالف وغلبة العشرين المائتين كما ان قيد الصبر معتبر ههنا
وانما لم يذكر ثقة بما مر بقوله تعالى والله مع الصابرين فانه اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما
قبله والمراد بالمعية معية نصره وتأييده ولم يتعرض ههنا لحال الكفرة من الخذلان كما لم يتعرض هناك
لحال المؤمنين مع ان مدار الغلبة في الصورتين مجموع الامرين اعني نصر المؤمنين وخذلان الكفرة
اكتفاء بما ذكر في كل مقام عما ترك في المقام الآخر وما يشعر به كلمة مع من متبوعية مدخولها دالة على انهم
من حيث انهم المباشرون للصبر كما مر مرارا ما كان لنبي وقرئ للنبي على العهد والاول ابلغ لما فيه
من بيان ان ما يذكر سنة مطردة فيما بين الانبياء عليهم السلام اي ما صح وما استقام لنبي من
الانبياء عليهم السلام ان يكون له اسرى وقرئ بتأنيث الفعل واسارى حتى يثخن في الارض اي
يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل الكفرة ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض
والجرح اذا اثقله وجعله بحيث لا حراك به ولا براح واصله الثخانة التي هي الغلظ والكثافة وقرئ بالتشديد
للمبالغة تريدون عرض الدنيا استئناف مسوق للعتاب اي تريدون حطامها باخذكم الفداء وقرئ يريدون
بالياء والله يريد الآخرة اي يريد لكم ثواب الآخرة الذي لا مقدار عنده للدنيا وما فيها او يريد سبب
نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كما في قوله ○ اكل امرئ
تحسبين امرأ ○ ونار توقد بالليل نارا ○ والله عزيز يغلب اولياءه على اعدائه حكيم يعلم ما يليق
بكل حال ويخصه بها كما امر بالاثخان ونهى عن اخذ الفداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه وبين
المن بقوله تعالى فاما منا بعد واما فداء لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين اسيرا فيهم العباس وعقيل بن ابي طالب فاستشار فيهم فقال ابو بكر
قومك واهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر اضرب
اعناقهم فانهم ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من
فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال عليه السلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من
اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة فان مثلك يا ابا بكر مثل ابراهيم قال فمن
تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ديارا فخير اصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا هو وابو بكر
يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابكي على اصحابي في اخذهم
الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي انه عليه السلام قال

لو نزل عذاب من السماء لما نجا غير عمر وسعد بن معاذ ولو كان هو ممن اثنى بالاثخان لولا كتاب من الله
سبق اى لولا حكم منه تعالى سبق اثباته فى اللوح المحفوظ وهو ان لا يعاقب المخطئ فى اجتهاده او ان لا
يعذب اهل بدر او قوما لم يصرح لهم بالنهى واما ان الفدية التى اخذوها ستحل لهم فلا يصلح ان يعد من
موانع مساس العذاب فان الحل اللاحق لا يرفع حكم الحرمة السابقة كما فى الخمر مثلا لا يرفع حكم الاباحة السابقة
على انه قادح فى تهويل ما نعى عليهم من الاخذ الفدا لمسكم اى لاصابكم فيما اخذتم اى لاجل ما اخذتم من
الفدا عذاب عظيم لا يقادر قدره فكلوا مما غنمتم روى انهم امسكوا عن الغنائم فنزلت قالوا الفاء
الترتيب ما بعدها على سبب محذوف اى قد ابحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم والاظهر انها للعطف على
مقدر يقتضيه المقام اى دعوه وكلوا مما غنمتم وقيل ما عبارة عن الفدية فانها من جملة الغنائم
ويأباه سياق النظم الكريم وسياقه حلالا حال من المغنوم او صفة للمصدر اى اكلا حلالا وفائدته الترغيب
فى اكلها وقوله تعالى طيبا صفة لحلالا مفيدة لتأكيد الترغيب واتقوا الله اى فى مخالفة امره ونهيه
ان الله غفور رحيم فيغفر لكم ما فرط منكم من استباحة الفدا قبل ورود الاذن فيه ويرحمكم ويتوب
عليكم اذا اتقيتموه يا ايها النبى قل لمن فى ايديكم اى فى ملككم كأن ايديكم قابضة عليهم من الاسرى وقرئ
من الاسارى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا خلوص ايمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما اخذ منكم من الفدا وقرئ اخذ
على البناء للفاعل روى انها نزلت فى العباس كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفدى ابنى اخيه
عقيل بن ابى طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتنى اتكفف قريشا ما بقيت فقال له عليه السلام
فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت ما ادرى ما يصيبنى فى
وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس ما يدريك
فقال اخبرنى ربى قال العباس فانا اشهد انك صادق وانه لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله
لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى امرك فاما اذ اخبرتنى
بذلك فلا ريب قال العباس فابدلنى الله خيرا من ذلك لى الان عشرون عبدا وان ادناهم
ليضرب فى عشرين الفا واعطانى زمزم ما احب ان لى بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربى
يتأول به ما فى قوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم فانه وعد بالمغفرة مؤكد بما بعده من الاعتراض
تذييلى وان يريدوا خيانتك اى نقض ما بايعوك عليه من الاسلام وهذا كلام مسوق من جهته تعالى
لتسليته عليه السلام بطريق الوعد له والوعيد لهم فقد خانوا الله من قبل بكفرهم ونقض ما اخذ على
كل عاقل من ميثاقه فامكن منهم اى اقدرك عليهم حسبما رأيت يوم بدر فان اعادوا الخيانة فاعلم انه
سيمكنك منهم ايضا وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفدا والله عليم فيعلم ما فى نياتهم وما يستحقونه
من العقاب حكيم يفعل كل ما يفعله حسبما تقتضيه حكمته البالغة ان الذين امنوا وهاجروا هم المهاجرون
هاجروا اوطانهم حبا لله تعالى ولرسوله وجاهدوا باموالهم بان صرفوها الى الكراع والسلاح
وانفقوها على المحاويج وانفسهم بمباشرة القتال واقتحام المعارك والخوض فى المهالك فى سبيل الله
متعلق بجاهدوا قيد لنوعى الجهاد ولعل تقديم الاموال على الانفس لما ان المجاهدة بالاموال
اكثر وقوعا واتم دفعا للحاجة حيث لا يتصور المجاهدة بالنفس بلا مجاهدة بالمال والذين آووا ونصروا
هم الانصار آووا المهاجرين وانزلوهم منازلهم وبذلوا اليهم اموالهم وآثروهم على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة ونصروهم على اعدائهم اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من النعوت الفاضلة وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم فى الفضيلة وهو مبتدا وقوله تعالى بعضهم اما بدل
منه وقوله تعالى اولياء بعض خبره واما مبتدأ ثان واولياء بعض خبره والجملة خبر المبتدا الاول اى بعضهم
اولياء بعض فى الميراث وقد كان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب
حتى نسخ بقوله تعالى واولوا الارحام الاية وقيل فى النصرة والمظاهرة ويرده قوله تعالى فعليكم
النصر بعد نفى موالاتهم والذين امنوا ولم يهاجروا كسائر المؤمنين ما لكم من ولايتهم من شىء اى من
توليهم فى الميراث وان كانوا من اقرب اقاربكم حتى يهاجروا وقرئ بكسر الواو وكال التوسعة والترقية
ما ليس فى سيروا ونظائره وزيادة قوله عز وجل فى الارض لقصد التعميم لاقطارها من دار الاسلام
وغيرها والمراد اباحة ذلك لهم وتخليتهم وشانهم من الاستعداد للحرب او التحصين للاهل والمال وتحصيل
المهرب او غير ذلك لا تكليفهم بالسياحة فيها وتلوين الخطاب بصرفه على المسلمين وتوجيهه اليهم مع
حصول المقصود بصيغة الامر الغائب ايضا للمبالغة فى الاعلام بالاسهال لحسم مادة تعللهم بالغفلة
وقطعا لشافة اعتذارهم بعدم الاستعداد وايثار صيغة الامر مع فهم افادة ذلك المعنى بطريق
الاخبار ايضا كما يقال مثلا فلكم ان تسيحوا ونحو ذلك لاظهار كمال القوة والغلبة وعدم الاكتراث لهم

ولا

ولا استعدادهم فكان ذلك امر مطلوب منهم والفا لترتيب الامر بالسياحة وما يعقبه على ما يؤذن به
البراءة المذكورة من الحراب على ان الاول كما فى قوله تعالى قل سيروا فى الارض فانظروا الى اخره كانه قيل هذه
براءة موجبة لقتالكم فاسعوا فى تحصيل العدد والاسباب وبالغوا فى اعتاد الاعتاد من كل باب ابتدائه انتهى
واعلموا انكم بسياحتكم فى اقطار الارض فى العرض والطول وان ركبتم متن كل صعب وذلول غير معجزى
الله اى لا تفوتونه بالهرب والتحصن وان الله ووضع الاسم الجليل موضع المضمر لتربية المهابة وتهويل
الامر مخزى الكافرين اى مخزيكم ومذلكم فى الدنيا بالقتل والاسر والاخزاء هو الاذلال بما فيه فضيحة وعار
وفى الاخرة بالعذاب وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم بالكفر بعد وصفهم بالاشراك وللاشعار بان
علة الاخزاء هو كفرهم ويجوز ان يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولا اوليا والمراد
بالاشهر الحرم التى علق القتال بانسلاخها فقيل هى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون
من ذى الحجة ومحرم وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وجعلت حرما لحرمة قتالهم فيها او لتغليب
ذى الحجة والمحرم على البقية وقيل من عشر ذى القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى
ذلك الوقت للنسئ الذى كان فيهم ثم صار فى العام القابل فى ذى الحجة وذلك قوله عليه السلام ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض روى انه صلى الله عليه وسلم امر ابا بكر رضى الله عنه
على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضى الله تعالى عنه على العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له عليه
السلام لو بعثت بها الى ابى بكر فقال عليه السلام لا يؤدى عنى الا رجل منى وذلك لان عادة العرب ان لا
يتولى امر العهد والنقض على القبيلة الا رجل منها فلما دنا على سمع ابو بكر رضى الله تعالى عنهما الرغا
فوقف فقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال امير او مأمور قال مأمور
فمضيا فلما كان قبل يوم التروية خطب ابو بكر رضى الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على يوم النحر
عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم
ثلاثين واربعين اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل
الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده واذان من الله ورسوله اى اعلام منهما فعال بمعنى الافعال
كالعطاء بمعنى الاعطاء ورفعه كرفع براءة والجملة معطوفة على مثلها الى الناس اى كافة لان الاذان غير
مختص بقوم دون اخرين كالبراءة الخاصة بالناكثين بل هو شامل لعامة الكفرة وللمؤمنين ايضا يوم الحج الاكبر
هو يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله ولان الاعلام كان فيه لما روى انه عليه السلام وقف
يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله عليه السلام [illegible]
[illegible] ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر [illegible]
[illegible]
[illegible] ان الله بريء من المشركين [illegible] ورسوله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فان تبتم [illegible] فهو خير لكم [illegible] وان توليتم [illegible]
[illegible] فاعلموا انكم غير معجزى الله [illegible] وبشر الذين كفروا بعذاب اليم [illegible]
[illegible]
[illegible] الا الذين عاهدتم من المشركين [illegible]
[illegible] ثم لم ينقصوكم شيئا [illegible]
[illegible]
[illegible] فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم [illegible]
[illegible]
[illegible]

بن عباس رضى الله تعالى عنهما بقى لحى من بنى كنانة من عهدهم تسعة اشهر فاتم اليهم عهدهم ان الله يحب
المتقين تعليل لوجوب الامتثال وتنبيه على ان مراعاة حقوق العهد من باب التقوى وان التسوية بين الوفى
والغادر منافية لذلك وان كان المعاهد مشركا فاذا انسلخ اى انقضى استعير له من الانسلاخ الواقع بين الحيوان
وجلده والاغلب اسناده الى الجلد والمعنى اذا انقضى الاشهر الحرم وانفصلت عما كانت مشتملة عليه ساترة
له انفصال الجلد عن الشاة وانكشفت عنه انكشاف الحجاب عما وراءه كما ذكره ابو الهيثم من انه تعالى اهلكنا شهر
كذا ادخلنا فيه ولبسناه فنحن نزداد كل ليلة لباسا منه الى مضى نصفه ثم نسلخه من انفسنا جزءا فجزءا حتى
نسلخه من انفسنا كله فينسلخ وانشد ● اذا ما سلخت الشهر اهللت مثله ● كفى قاتلا سلخى الشهور واهلالى
● وتحقيقه ان الزمان محيط بما فيه من الزمانيات مشتملا عليه اشتمال الجلد للحيوان وكذا كل جزء من
اجزائه الممتدة من الايام والشهور والسنين فاذا مضى كانه انسلخ عما فيه وفيه مزيد لطف لما فيه من
التلويح بان تلك الاشهر كانت حرزا لاولئك المعاهدين عن غوائل ايدى المسلمين فنيط قتالهم بزوالها
والمراد بها اما ما مر من الاشهر الاربعة فقط ووضع المظهر موضع المضمر ليكون ذريعة الى وصفها
بالحرمة تاكيدا لما ينبئ عنه اباحة السياحة من حرمة التعرض لهم مع ما فيه من مزيد الاعتناء بشانها او
هى مع ما فهم من قوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم من تتمة مدة بقية لغير الناكثين فعلى الاول
يكون المراد بالمشركين فى قوله تعالى فاقتلوا المشركين الناكثين خاصة فلا يكون قتال الباقين مفهوما من
عبارة النص بل من دلالته وعلى الثانى مفهوما من العبارة الا انه يكون الانسلاخ وما نيط به من
القتال حينئذ شيئا لا دفعة واحدة كانه قيل فاذا تم ميقات كل طائفة فاقتلوهم وحملها على الاشهر المعهودة
الدائرة فى كل سنة لا يساعده النظم الكريم واما انه يستدعى بقاء حرمة القتال فيها اذ ليس فيما نزل بعد
ما ينسخها فلا اعتداد به لا لانها نسخت بقوله تعالى وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة كما توهم فانه رجم بالغيب
ان اريد ما فى سورة الانفال فانه نزل عقيب غزوة بدر وقد صح ان المراد بالذين كفروا فى قوله تعالى قل للذين
كفروا الى آخره ابو سفيان واصحابه وقد اسلم فى اواسط رمضان عام الفتح سنة ثمان وسورة التوبة انما
نزلت فى شوال سنة تسع وان اريد به ما فى سورة البقرة فانه ايضا نزل قبل الفتح فكيف ينسخ به ما نزل
بعده بل لان انعقاد الاجماع على انتساخها كاف فى الباب من غير حاجة الى كون سنده منقولا الينا وقد صح
ان النبى صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف لعشر بقين من المحرم حيث وجدتموهم من حل وحرم وخذوهم
اى ايسروهم والاخيذ الاسير واحصروهم اى قيدوهم او امنعوهم من التقلب فى البلاد قال ابن عباس رضى الله
تعالى عنهما حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد اى كل ممر ومجتاز يجتازون منه فى اسفارهم
وانتصابه على الظرفية اى ارصدوهم وارقبوهم حتى لا يمروا به وغايته على التفسير الثانى دفع احتمال
ان يراد بالحصر فان تابوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة تصديقا لتوبتهم وايمانهم واكتفى بذكرهما عن ذكر بقية
العبادات لكونهما رئيسى العبادات البدنية والمالية فخلوا سبيلهم فدعوهم وشانهم ولا تتعرضوا
اليهم بشىء مما ذكر ان الله غفور رحيم يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر ويثيبهم بايمانهم وطاعاتهم وهو
تعليل للامر وتحلية التسبيل وان احد شروع فى بيان حكم المتصدين لمبادى التوبة من سماع كلام
الله تعالى والوقوف على شعائر الدين اثر بيان حكم التائبين عن الكفر والمصرين عليه وهو مرتفع بشرط
مضمر يفسره الظاهر لا بالابتداء لان ان لا تدخل الا على الفعل من المشركين استجارك بعد انقضاء الاجل
المضروب اى سالك ان تؤمنه وتكون له جارا فاجره اى فامنه حتى يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع
حقيقة ما يدعى اليه والاقتصار على ذكر السماع لعدم الحاجة الى شىء آخر فى الفهم لكونهم من
اهل اللسن والفصاحة وحتى سواء كانت للغاية او للتعليل متعلقة بما عندها لا بقوله تعالى استجارك
لانه يؤدى الى اعمال الخفى فى المضمر وذلك مما لا يكاد يرتكب فى غير ضرورة الشعر كما فى قوله ● فلا والله
لا يلقى اناس ● فتى حتاك يا ابن ابى يزيد ● كذا قيل والاظهر ان تعلق الاجارة بسماع كلام الله تعالى باحد
الوجهين يستلزم تعلق الاجارة ايضا بذلك او بما فى معناه من امور الدين وما روى عن على رضى الله
تعالى عنه انه اتاه رجل من المشركين فقال ان اراد الرجل منا ان ياتى محمدا بعد انقضاء هذا الاجل
لسماع كلام الله تعالى او لحاجة هى الحاجة المتعلقة بالدين لا حاجاتها وغيرها من الحاجات الدنيوية
كما ينبئ عنه قوله ان ياتى محمدا فاما من ياتيه عليه السلام انما ياتيه للامور المتعلقة بالدين
ثم ابلغه بعد استماعه له ان لم يؤمن مامنه اى مسكنه الذى يامن فيه وهو دار قومه ذلك يعنى
الامر بالاجارة وابلاغ المامن بانهم بسبب انهم قوم لا يعلمون ما الاسلام وما حقيقته او قوم جهلة
فلا بد من اعطاء الامان حتى يفهموا الحق ولا يبقى معذرة اصلا كيف يكون للمشركين عهد شروع فى
تحقيق حقيقته ما سبق من البراءة واحكامها المتفرعة عليها وتبيين الحكمة الداعية الى ذلك كيف تكفرون

بالله

بالله تعالى الى آخره بل بمعنى انكار الوقوع ويكون من الكون التام وكيف فى محل النصب على التشبيه بالحال
او الظرف وقيل من الكون الناقص وكيف خبر يكون قدم على اسمه وهو عهد لاقتضائه الصدارة للمشركين متعلق
بمحذوف وقع حالا من عهد ولو كان صفة له او فيكون كما مر ويجوز ان الخبر للمشركين وعند كما ذكر ومتعلق
بالاستقرار الذى تعلق به للمشركين ويجوز ان يكون الخبر عند الله وللمشركين اما تبيين واما حال من عهد او
متعلق بيكون او بالاستقرار الذى تعلق به الخبر ولا يبالى بتقديم معمول الخبر ولا يبالى بتقديم معمول الخبر
على الاسم لكونه حرف جر وكيف على الوجهين الاخيرين نصب على التشبيه بالظرف والحال كما فى سورة
الكون التام وهو الاولى لان فى انكار ثبوت العهد من المبالغة ما ليس فى توجيهه الى ثبوته لان كل
موجود يجب ان يكون وجوده على الطريق البرهانى اى على اى حال او فى اى حال لوجد لهم عهد معتد به عند الله
وعند رسوله يستحق ان يراعى حقوقه ويحافظ عليه الى اتمام المدة ولا يتعرض لهم بحسبه قتلا واخذا واما
ان يأمنوا به من عذاب الآخرة كما قيل فلا سبيل الى اعتباره اصلا اذ لا مدخل للعهد فى ذلك الامن قطعا
وان كان مرعيا عند الله تعالى وعند رسوله كعهد غير الناكثين وتكرير كلمة عند للايذان بعدم الاعتداد
به عند كل منهما على حدة الا الذين عاهدتم استدراك من النفى المفهوم من الاستفهام المتبادر شموله لجميع
المتعاهدين اى لكن الذين عاهدتم عند المسجد الحرام وهم المستثنون فيما سلف والتعرض لكون المعاهدة
عند المسجد الحرام لزيادة بيان اصحابها والاشعار بسبب وكادتها ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله
عز وجل فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم والفاء لتضمن معنى الشرط وما اما مصدرية واما شرطية
منصوبة المحل على الظرفية الزمانية اى اى زمان استقاموا لكم فاستقيموا لهم فيه وقيل الاستثناء
متصل ومحله النصب على الاصل والجر على البدل من المشركين والمراد بهم الجنس لا المعهود وايا ما كان
فحكم الامر بالاستقامة ينتهى بانتهاء مدة العهد لان استقامتهم التى وقت بوقتها الاستقامة المامور بها
عبارة عن مراعاة حقوق العهد وبعد انقضاء مدته لا عهد ولا استقامة فصار عين الامر الوارد
فيما سلف حيث قيل فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم خلا انه قد صرح هاهنا بما لم يصرح به هنالك من كونه
معتبرا قطعا وهو تقييد الاتمام المامور به ببقائهم على ما كانوا عليه من الوفاء ان الله يحب المتقين
تعليل للامر بالاستقامة واشعار بان القيام بموجب العهد من احكام التقوى كما مر كيف تكرير لما مر
من ان يكون للمشركين عهد حقيق بالمراعاة عند الله سبحانه وتعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم واما
ما قيل من انه لاستبعاد ثباتهم على العهد فكما ترى لان ما يذكر بصدد التعليل للاستبعاد عين عدم ثباتهم
على العهد لانه شىء لا يستبعد عنه وانما اعيد الاستنكار والاستبعاد تاكيدا لهما وتمهيدا لتعداد العلل
الموجبة لهما [illegible]
[illegible] كونه معلوما كما فى قوله ● [illegible]
[illegible] ● فكيف [illegible] اى كيف يكون لهم عهد معتد به
عند الله تعالى وعند رسوله وان يظهروا عليكم اى يظفروا بكم لا يرقبوا فيكم
اى لم يراعوا فى شانكم [illegible]
الرعاية والمراقبة ابلغ منه [illegible] الا ولا ذمة [illegible]
وقيل قرابة [illegible]
مراعاة حقوق العهد على كل من المتعاهدين [illegible] فكيف
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا [illegible]
الدنيا [illegible]

اى عدلوا ونكبوا من صد صدودا وصرفوا غيرهم من صد صدا والفاء للدلالة على سببية الاشتراء لذلك
عن سبيله اى الدين الحق الذى لا محيد عنه والاضافة للتشريف او سبيل بيته الحرام حيث كانوا يصدون
الحجاج والعمار انهم ساء ما كانوا يعملون اى بئس ما كانوا يعملونه او عملهم المستمر والمخصوص بالذم محذوف
وقد جوز ان يكون كلمة ساء اجراها من التصرف لانها بمعنى قبح او متعدية والمفعول محذوف
اى ساءهم الذى يعملونه او عملهم وقوله عز وعلا لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة نعى عليهم عدم
مراعاة حقوق عهد المؤمنين على الاطلاق فلا تكرار وقيل هذا فى اليهود او فى الاعراب المذكورين
ومن يحذو حذوهم واما ما قيل من انه تفسير لقوله يعملون او دليل على ما هو مخصوص بالذم فتشعر
باختصاص الذم والسوء بعملهم هذا دون غيره واولئك الموصوفون بما عدد من الصفات السيئة هم
المعتدون المتجاوزون الغاية القصوى من الظلم والشرارة فان تابوا اى عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم
والفاء للايذان بان تقريعهم بما نعى عليهم من مساوى اعمالهم مزجرة عنها ومظنة للتوبة واقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة اى التزموها وعزموا على اقامتها فاخوانكم اى فهم اخوانكم وقوله تعالى فى الدين متعلق باخوانكم
لما فيه من معنى الفعل اى لهم ما لكم وعليهم ما عليكم فعاملوهم معاملة الاخوة وفيه من استمالتهم واستجلاب
قلوبهم ما لا مزيد عليه والاختلاف بين جواب هذه الشرطية وجواب التى مرت من قبل مع اتحاد الشرط
فيهما لان الاولى سيقت اثر الامر بالقتل ونظائره فوجب ان يكون جوابها امرا بخلافه ونفصل
الايات اى نبينها والمراد بها ما مر من الايات المتعلقة باحوال المشركين من الناكثين وغيرهم واحكامهم حالتى
الكفر والايمان واما جميع الايات فيندرج فيها تلك الايات اندراجا اوليا لقوم يعلمون اى ما فيها من
الاحكام او لقوم عالمين وهو اعتراض للحث على التامل فى الاحكام المندرجة فى تضاعيفها والمحافظة عليها
وان نكثوا عطف على قوله تعالى فان تابوا اى وان لم يفعلوا ذلك بل نقضوا ايمانهم من بعد عهدهم الموثق
بها واظهروا ما فى ضمائرهم من الشر واخرجوه من القول الى الفعل حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وان يظهروا عليكم
لا يرقبوا فيكم الاية فثبتوا على ما هم عليه من النكث لا انهم ارتدوا بعد الايمان كما قيل وطعنوا فى دينكم
قدحوا فيه بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام فقاتلوا ائمة الكفر اى فقاتلوهم وانما اوثر ما عليه النظم الكريم
للايذان بانهم صاروا بذلك ذوى رياسة وتقدم فى الكفر احقاء بالقتل والقتال وقيل المراد برؤسائهم
ورؤساؤهم وصناديدهم وتخصيصهم بالذكر اما لاهمية قتلهم غالبا يكون بعد قتل من دونهم وقرئ ائمة بتحقيق
الهمزتين على الاصل والافصح اخراج الثانية بين بين واما التصريح بالياء فلحن ظاهر عند القراء انهم لا ايمان لهم
اى على الحقيقة حيث لا يراعونها ولا يعدون نقضها محذورا وان اجروها على السنتهم وانما علق النفى بها لا بالنكث
فيما سلف لا بالعهد المؤكد بها لانها العمدة فى المواثيق وجعل الجملة تعليلا للامر بالقتال لا يساعده تعليقه
بالنكث والطعن لان حالهم فى ان لا ايمان حقيقة بعد النكث والطعن مع انه لا حاجة الى بيانه خلاف
الظاهر ولعل الاولى جعلها تعليلا لمضمون الشرط كانه قيل وان نكثوا ايمانهم وطعنوا اذ لا ايمان لهم حقيقة
حتى ينكثوها او لكن يراد القتال المامور به المستفاد من سياق الكلام كانه قيل فقاتلوهم الى ان يؤمنوا انهم
لا ايمان لهم حتى يعقد معهم عهد اخر وقرئ بكسر الهمزة على انه مصدر بمعنى اعطاء الامان اى لا سبيل الى ان
تعطوهم امانا بعد ذلك ابدا واما العكس كما قيل فلا وجه له لا شعاره بان معاهدتهم معنى على ثقة ان
يكون اعطاء الامان من قبلهم وذلك بين البطلان او بمعنى الاسلام فنفى كونه تعليلا للامر بالقتال او للامر
كما قيل النكث فى الطعن وان حمل على انتفائه فيما سياتى فلا بد من جعل الانتهاء غاية للقتال فيما سيجئ
فالوجه ان يجعل تعليلا لما ذكر من مضمون الشرط كانه قيل ان نكثوا وطعنوا وهو الظاهر من حالهم لانه
لا اسلام لهم حتى يرتدعوا عن نقض جنس ايمانهم وعن الطعن فى دينكم لعلهم ينتهون متعلق بقوله تعالى فقاتلوا
اى قاتلوهم ارادة ان ينتهوا اى ليكن غرضكم من القتال انتهاءهم عما هم عليه من الكفر وسائر العظائم التى
يرتكبونها لا ايصال الاذية بهم كما هو ديدن المؤذين الا تقاتلون الهمزة الداخلة على انتفاء مقاتلتهم
للانكار والتوبيخ يدل على تحضيضهم على المقاتلة بطريق حملهم على الاقرار بانتفائها كانه امر لا يمكن
ان يعترف به طائعا لكمال شناعته فيلجأون الى ذلك ولا يقدرون على الاقرار به فيختارون المقاتلة
قوما نكثوا ايمانهم التى حلفوها عند المعاهدة على ان لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة وهموا
باخراج الرسول من مكة حين تشاوروا بدار الندوة حسبما ذكر فى قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
فيكون نعيا عليهم خيانتهم القديمة وهم بدؤكم اول مرة وقيل هم اليهود ونكثوا عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم عام اولا بالكتاب المبين وتحداهم به فعدلوا عن المحاجة لعجزهم عنها الى المقاتلة او بدؤا
بقتال خزاعة حلفاء النبى صلى الله عليه وسلم لان اعانة بنى بكر عليهم قتال معهم اتخشونهم اى اتخشون
ان ينالكم منهم مكروه حتى تتركوا قتالهم وبخهم اولا بترك مقاتلتهم ثم وصفهم بما يوجب الرغبة فيها ويحقق

ان

ان مكان على تلك الصفات السيئة حقيق بان لا تترك مصادمته ويوبخ من فرط فيها فالله احق ان
تخشوه بمخالفة امره وترك قتال اعدائه ان كنتم مؤمنين فان قضية الايمان تخصيص الخشية
به تعالى وعدم المبالاة بمن سواه وفيه من التشديد ما لا يخفى قاتلوهم تجريد للامر بالقتال بعد
التوبيخ على تركه ووعد بنصرهم وتعذيب اعدائهم واخزائهم وتشجيع لهم يعذبهم الله بايديكم ويخزهم
قتلا واسرا وينصركم عليهم اى يجعلكم جميعا غالبين عليهم اجمعين ولذلك اخر عن التعذيب والاخزاء
ويشف صدور قوم مؤمنين ممن لم يشاهد القتال وهم خزاعة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى كثيرا فبعثوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يشكون اليه فقال عليه السلام ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم بما كابدوا
من المكاره والمكايد ولقد انجز الله سبحانه جميع ما وعدهم به على اجمل ما يكون فكان اخباره عليه
السلام بذلك قبل وقوعه معجزة عظيمة ويتوب الله على من يشاء كلام مستانف ينبئ عما سيكون من بعض
اهل مكة من التوبة المقبولة بحسب مشيئته تعالى المبنية على الحكم البالغة فكان كذلك حيث اسلم
ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ بالنصب باضمار ان ودخول التوبة فى جملة ما اجيب به الامر فى
امورهم وتوبتهم من الكفر والمعاصى والاختلاف فى وجه النسبة غير المشكل والله تعالى اعلم
والله ايثار اظهار الجلالة على الاضمار لتربية المهابة وادخال الروعة عليم لا يخفى عليه خافية حكيم
لا يفعل ولا يامر الا ما فيه حكمة ومصلحة ام حسبتم ام منقطعة جئ بها للدلالة على الانتقال عن التوبيخ
السابق الى اخر وما فيها من همزة الاستفهام الانكارى توبيخ لهم على الحسبان المذكور اى بل احسبتم ان تتركوا
على ما انتم عليه ولا تؤمروا بالجهاد ولا تبتلوا بما يمحصكم والخطاب اما لمن شق عليهم القتال من المؤمنين
او للمنافقين ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الواو حالية ولما للنفى مع التوقع والمراد من نفى العلم
نفى المعلوم بالطريق البرهانى اذ لو شم رائحة الوجود لعلم قطعا فلما لم يعلم لزم عدمه قطعا اى ام حسبتم
ان تتركوا والحال انه لم يتبين الخلص من المجاهدين منكم من غيرهم وما فى لما من التوقع منبه على ان ذلك
سيكون وفائدة التعبير عما ذكر من عدم التبيين بعدم علم الله تعالى ان المقصود هو التبيين من حيث كونه
متعلقا للعلم ومدارا للثواب وعدم التعرض لحال المقصرين لما ان ذلك بمعزل من الاندراج تحت ارادة
اكرم الاكرمين ولم يتخذوا عطف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة او حال من فاعله اى جاهدوا حال
كونهم غير متخذين من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة اى بطانة وصاحب سر وهو الذى تطلعه
على ما فى ضميرك من الاسرار الخفية من الولوج وهو الدخول ومن دون الله متعلق بالاتخاذ ان ابقى
على حاله او مفعول ثان له ان جعل بمعنى التصيير والله خبير بما تعملون اى بجميع اعمالكم وقرئ على
الغيبة وهو تذييل يزيح ما يتوهم من ظاهر قوله تعالى ولما يعلم الله الخ او حال من فاعله او مفعوله
والمعنى ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم والحال انه يعلم جميع اعمالكم لا يخفى عليه شئ منها ما كان
للمشركين اى ما صح وما استقام لهم على معنى نفى الوجود والتحقق لا نفى الجواز كما فى قوله تعالى اولئك
ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ما وقع وما تحقق لهم ان يعمروا عمارة معتدا بها مساجد الله
اى مسجد الحرام وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامرها او لان كل ناحية من نواحيه
المختلفة الجهات مسجد على حياله بخلاف سائر المساجد اذ ليس فى نواحيها اختلاف الجهة ويؤيده القراءة
بالتوحيد وقيل ما كان لهم ان يعمروا شيئا من المساجد فضلا عن المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس وياباه
انهم لا يتصدون لتعمير سائر المساجد ولا يفتخرون بذلك على انه مبنى على كون النفى بمعنى نفى الجواز
واللياقة دون النفى الوجودى شاهدين على انفسهم بالكفر اى باظهار اثار الشرك من نصب الاوثان
حول البيت والعبادة لها فان ذلك شهادة صريحة على انفسهم بالكفر وان ابوا ان يقولوا نحن كفار كما
نقل عن الحسن رحمه الله وهو حال من الضميرين فى يعمروا اى محال ان يكونوا ما سموه عمارة بيت الله مع ملابستهم
بما ينافيها ويحبطها من عبادة غيره تعالى فانها ليست من العمارة فى شئ واما ما قيل من ان المعنى ما استقام لهم
ان يجمعوا بين امرين متنافيين فانما يستدعى انتفاء احدهما لا بعينه لا انتفاء العمارة الذى هو المقصود روى
ان المهاجرين والانصار اقبلوا على اسارى بدر يعيرونهم بالشرك وطفق على رضى الله عنه يوبخ العباس بقتال
النبى صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له فى القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا
فقالوا اولكم محاسن قالوا نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقى الحجيج ونفك العانى فنزلت اولئك
الذين يدعون عمارة المسجد الحرام وما يضاهيها من اعمال البر مع ما بهم من الكفر حبطت اعمالهم التى
يفتخرون بها بما قارنها من الكفر فصارت هباء منثورا وفى النار هم خالدون لكفرهم ومعاصيهم وايراد الجملة
الاسمية للمبالغة فى الدلالة على الخلود والظرف متعلق بالخبر قدم عليه للاهتمام به ومراعاة الفاصلة

وكلتا الجملتين مستأنفة لتقرير النفي السابق الاولى من جهة نفي استتباع الثواب والثانية من جهة نفي دفع
العذاب انما يعمر مساجد الله الكلام في ايراد صيغة الجمع كما مر فيما مر خلا ان ارادة جميع المساجد وادرج
المسجد الحرام في ذلك غير مخالفة لمقتضى الحال فان الايجاب ليس كالسلب وقد قرئ بالافراد ايضا والمراد
هاهنا قصر تحقيق العمارة ووجودها على المؤمنين لا قصر جوازها ولياقتها اي انما يصح ويستقيم ان يعمرها
عمارة يعتد بها من آمن بالله وحده واليوم الآخر بما فيه من البعث والحساب والجزاء حسبما نطق به وأقام
الصلوة وآتى الزكوة على ما علم من الدين فيندرج فيه الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو
مندرج تحت الايمان بالله خاصة فان احد جزئي كلمة الشهادة علم للكل اي انما يعمرها من جمع هذه
الكمالات العلمية والعملية والمراد بعمارتها ما يعم مرمة ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتزيينها بالفرش
وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودراسة العلوم فيها ونحو ذلك وصيانتها مما لم تبن له كحديث
الدنيا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال
عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في ارضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر
في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور ان يكرم زائره وعنه عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله وقال
عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله تعالى عنه من اسرج
في مسجد سراجا لم تزل الملئكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه ولم يخش في امور الدين
الا الله فاعمل بموجب امره ونهيه غير آخذ له في الله لومة لائم ولا خشية ظالم فيندرج فيه عدم الخشية
ظالم فيندرج فيه عدم الخشية عند القتال ونحو ذلك واما الخوف الجبلي من الامور المخوفة فليس من
هذا الباب ولا مما يدخل تحت التكليف والخطاب وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي
تلك الخشية عنهم فعسى اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة ان يكونوا من المهتدين الى مباغيهم من
الجنة وما فيها من فنون المطالب العلية وابراز اهتدائهم مع ما بهم من الصفات السنية في معرض التوقع
لقطع اطماع الكفرة عن الوصول الى مواقف الاهتداء والانتفاع باعمالهم التي يحسبون انهم في ذلك محسنون
ولتوبيخهم بقطعهم بانهم مهتدون فان المؤمنين مع ما بهم من هذه الكمالات اذا كان امرهم دائرا بين لعل وعسى
فما بال الكفرة وهم هم واعمالهم اعمالهم وفيه لطف للمؤمنين وترغيب لهم في ترجيح جانب الخوف على جانب
الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام اي في الفضيلة وعلو الدرجة
كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله السقاية والعمارة مصدران لا يتصور تشبيههما بالاعيان
فلا بد من تقدير مضاف في احد الجانبين اي اجعلتم اهلهما كمن آمن بالله الى آخره ويؤيده قراءة من قرأ سقاة
الحاج وعمرة المسجد الحرام او اجعلتموهما كايمان من آمن الى آخره وعلى التقديرين فالخطاب اما للمشركين
على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الايمان بجانب المشبه به واما لبعض المؤمنين
المؤثرين السقاية والعمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد ونظائرهما وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان
عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني وبيان اعظمية درجتهم عند الله تعالى على وجه يشعر بعدم
حرمان الاولين بالكلية وجعل معنى التفضيل بالنسبة الى زعم الكفرة لا يجدي كثير نفع لما ان لم يشعر
بعدم حرمان الاولين بالكلية وجعل معنى التفضيل بالذات فليس له مشعر الحرمان ايضا اما على الاول
فهو توبيخ للمشركين ومدار انكار تشبيه انفسهم من اتصافهم بوصفيهم المذكورين مع قطع النظر عما هم
عليه من الشرك بالمؤمنين من حيث اتصافهم بالايمان والجهاد او على انكار تشبيه وصفيهم المذكورين
في حد ذاتهما مع الاغماض عن مقارنتهما الشرك بالايمان والجهاد واما اعتبار مقارنتهما له كما قيل فيأباه
المقام كيف لا وقد بين انحباط اعمالهم بذلك الاعتبار بالمرة وكونها بمنزلة العدم فتوبيخهم بعد ذلك
على تشبيهها بالايمان والجهاد ثم رد ذلك بما يشعر بعدم حرمانهم عن اصل الفضيلة بالكلية كما اشير
اليه مما لا يساعده النظم التنزيلي ولو اعتبر ذلك لما احتيج الى تقرير انكار التشبيه وتأكيده بنفي
اذ لا شيء اظهر بطلانا من تشبيه المعدوم بالموجود فالمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة في الفضيلة كمن
آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيله او اجعلتموهما في ذلك كالايمان والجهاد وشتان بينهما فان السقاية
والعمارة وان كانتا في انفسهما من اعمال البر والخير لكونهما وان خلتا عن القوادح بمعزل عن صلاحية ان يشبه
اهلهما باهل الايمان والجهاد او يشبه نفسهما بنفس الايمان والجهاد وذلك قوله عز وجل لا يستوون عند الله
اي لا يساوي الفريق الثاني من حيث اتصاف كل منهما بوصفيهما ومن ضرورته عدم التساوي بين الوصفين الاولين
وبين الآخرين لانه المدار في التفاوت بين الموصوفين ولكن اسناد عدم الاستواء الى الموصوفين لان الاهم بيان
تفاوتهم وتوجيه النفي هاهنا والانكار فيما سلف الى الاستواء والتشبيه مع ان دعوى المفتخرين بالسقاية
والعمارة من المشركين والمؤمنين انما هي الافضلية دون التساوي والتشابه للمبالغة في الرد عليهم

فان نفي التساوي والتشابه نفي الافضلية بالطريق الاولى والجملة استئناف لتقرير الانكار المذكور
وتأكيده او حال من مفعول الجعل والرابط هو الضمير كأنه قيل اسويتم بينهم حال كونهم متفاوتين عنده
تعالى وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين حكم عليهم بانهم مع ظلمهم بالاشراك ومعاداة الرسول
صلى الله عليه وسلم ظالمون في هذا الجعل غير مهتدين الى طريق معرفة الحق وتمييز الراجح من المرجوح وظلمهم
بوضع كل منهما موضع الآخر وفيه زيادة تقرير لعدم التساوي بينهم وقوله تعالى الذين آمنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم استئناف لبيان مراتب فضلهم اثر بيان عدم الاستواء وضلال
المشركين وظلمهم وزيادة الهجرة وتفصيل نوع الجهاد للايذان بان ذلك من لوازم الجهاد لانه اعتبر بطريق
التد ذاك اي لم يعتبر فيما سلف اي هم باعتبار اتصافهم بهذه الاوصاف في الجملة اعظم درجة عند الله
اي اعلى رتبة واكثر كرامة ممن لم يتصف بها كائنا من كان وان حاز جميع ما عداها من الكمالات التي من
جملتها السقاية والعمارة واولئك اي المنعوتون بتلك النعوت الفاضلة وما في اسم الاشارة من
معنى البعد للدلالة على بعد منزلتهم في الرفعة هم الفائزون المختصون بالفوز العظيم او بالفوز المطلق
كأن فوز من عداهم ليس بفوز بالنسبة الى فوزهم واما على الثاني فهو توبيخ لمن يؤثر السقاية والعمارة
من المؤمنين على الهجرة والجهاد روي ان عليا قال للعباس رضي الله تعالى عنه يا عم الا تهاجرون الا تلحقون
برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما
نزلت قال ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا وروى النعمان بن
بشير قال كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اسقي الحاج وقال
آخر ما ابالي ان لا اعمل عملا بعد ان اعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم فزجرهم عمر
رضي الله عنه وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا
صليتم استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفتم فيه ففعل فانزل الله عز وجل هذه الآية
والمعنى اجعلتم اهل السقاية والعمارة من المؤمنين في الفضيلة والرفعة كمن آمن بالله واليوم الآخر
وجاهد في سبيله او اجعلتموهما كالايمان والجهاد وانما لم يذكر الجهاد في جانب المشبه مع كونه معتبرا فيه قطعا
تعويلا على ظهور الامر واشعارا بان مدار انكار التشبيه هو السقاية والعمارة دون الايمان وانما لم
يترك ذكره في جانب المشبه به ايضا تقوية للانكار وتذكيرا لاسباب الرجحان ومبادي الافضلية
وايذانا بكمال التلازم بين الايمان وما تلاه ومعنى عدم الاستواء عند الله تعالى على هذا التقدير ظاهر
وكذا اعظمية درجة الفريق الثاني واما قوله تعالى والله لا يهدي القوم الظالمين فالمراد به عدم هدايته
تعالى لهم الى معرفة الراجح من المرجوح وظلمهم بوضع كل منهما موضع الآخر لا عدم الهداية مطلقا ولا
الظلم عموما والقصر في قوله تعالى واولئك هم الفائزون بالنسبة الى درجة الفريق الثاني او الى الفريق
المطلق ايضا كما مر والله اعلم يبشرهم ربهم وقرئ بالتخفيف ربهم برحمة عظيمة منه ورضوان كبير وجنات
عالية لهم فيها في تلك الجنات نعيم مقيم لا نفاد لها في التعرض لعنوان الربوبية تأكيد للتبشير وتربية
له خالدين فيها اي في الجنات ابدا تأكيد للخلود لزيادة توضيح المراد به ان قد يراد به المكث الطويل
ان الله عنده اجر عظيم لا قدر عنده لاجور الدنيا اي للاعمال التي في مقابلته والجملة استئناف وقع
تعليلا لما سبق يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء نهي لكل فرد من افراد المخاطبين عن
موالاة فرد من المشركين بقضية مقابلة الجمع بالجمع الموجبة لانقسام الآحاد الى الآحاد كما في قوله
عز وجل وما للظالمين من انصار لا عن موالاة طائفة منهم فان ذلك مفهوم دلالة لا عبارة والآية
نزلت في المهاجرين فانهم لما امروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وابناءنا وعشيرتنا وذهبت تجارتنا
وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه
او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم في ذلك وقيل نزلت في
التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهيا عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم
الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه
ان استحبوا الكفر اي اختاروه على الايمان واصروا عليه اصرارا لا يرجى معه الاقلاع عنه اصلا
وتعليق النهي عن الموالاة بذلك لما انها قبل ذلك ربما تؤدي بهم الى الاسلام بسبب شعورهم بمحاسن
الدين ومن يتولهم اي واحدا منهم كما اشير اليه وافراد الضمير في الفعل لمراعاة لفظ الموصول
وللايذان باستقلال كل واحد منهم في الاتصاف بالظلم لا ان المراد تولي فرد واحد وكلمة من في قوله تعالى
منكم للجنس لا للتبعيض فاولئك اي اولئك المتولون هم الظالمون بوضعهم الموالاة في غير موضعها
كأن ظلم غيرهم كلا ظلم عند ظلمهم قيل تلوين الخطاب وامر له صلى الله عليه وسلم بان يثبت المؤمنين

ويقوى عزايمهم عن الانتهاء عما نهوا عنه من موالاة الاباء والاخوة وبين هذا هو فيه وفيمن يجري مجراهم
من الابناء والازواج ويقطع علايقهم عن زخارف الدنيا وزينتها على وجه الترهيب والتوبيخ اي ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم لم يذكر الابناء والازواج فيما سلف لان موالاة الابناء والازواج
غير معتادة بخلاف المحبة وعشيرتكم اي اقرباؤكم مأخوذ من العشرة اي العشيرة وقيل من العشرة
فانهم جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرئ عشيراتكم وعشايركم واموال اقترفتموها اي
اكتسبتموها وانما وصفت بذلك ايماء الى عزتها عندهم لحصولها بكد اليمين وتجارة اي امتعة اشتريتموها
للتجارة والبيع تخشون كسادها بفوات وقت رواجها بغيبتكم عن مكة المعظمة في ايام الموسم
ومساكن ترضونها اي منازل تعجبكم الاقامة فيها من الدور والبساتين والتعرض للصفات المذكورة
للايذان بان اللوم على محبة ما ذكر من زينة الحياة الدنيا ليس لتناسي ما فيها من مبادي المحبة
وموجبات الرغبة فيها وانها مع ما لها من فنون المحاسن بمعزل عن ان تؤثر حبها على حبه تعالى
وحب رسوله صلى الله عليه وسلم كما في قوله عز وجل ما غرك بربك الكريم احب اليكم من الله ورسوله
بالحب الاختياري المستتبع لاثره الذي هو الملازمة وعدم المفارقة لا الحب الجبلي الذي لا يخلو عنه
البشر فانه غير داخل تحت التكليف الدائر على الطاقة وجهاد في سبيله نظم حبه في سلك حب الله عز
وجل وحب رسوله عليه السلام تنويها لشانه وتنبيها على انه مما يجب ان يحب فضلا عن ان يكره
وايذانا بان محبته واجبة راجعة الى محبتهما فان الجهاد عبارة عن قتال اعدائهما لاجل عداوتهم فمن
يحبهما يجب ان يحب قتال من لا يحبهما فتربصوا اي انتظروا حتى ياتي الله بامره قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما فتح مكة وقيل هي عقوبة عاجلة او اجلة والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن
الطاعة في موالاة المشركين اي القوم الفاسقين كافة فيدخل في زمرتهم هؤلاء دخولا اوليا اي لا
يرشدهم الى ما هو خير لهم وفي الاية الكريمة من الوعيد ما لا يكاد يتخلص منه الا من تداركه لطف من
ربه والله المستعان لقد نصركم الله الخطاب للمؤمنين خاصة في مواطن كثيرة من الحروب وهي مواقفها
ومقاماتها والمراد بها وقعات بدر وقريظة والنضير وخيبر وفتح مكة ويوم حنين عطف على محل
في مواطن بحذف المضاف في احدها اي وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ولعل التغيير
للايماء الى ما وقع فيه من قلة الثبات من اول الامر وقيل المراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين رضي الله
تعالى عنه وقيل يوم حنين منصوب بمضمر معطوف على نصركم اي ونصركم يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم بدل
من يوم حنين ولا منع فيه من عطفه على محل الظرف بناء على انه لم يكن في المعطوف عليه كثرة ولا اعجاب
اذ ليس في قضية العطف مشاركة المعطوفين فيما اضيف اليه المعطوف او منصوب باضمار اذكر وحنين
واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا عشرة الاف منهم ممن شهد فتح
مكة من المهاجرين والانصار والفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وكانوا اربعة الاف فيمن ضامهم
من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين اسمه سلمة بن سلامة الانصاري
لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون
وخلوا الذراري فاكب المسلمون على الغنائم فتنادى المشركون يا حماة السوء اذكروا الفضائح فتراجعوا
فادركت المسلمين كلمة الاعجاب فانكشفوا وذلك قوله عز وجل فلم تغن عنكم شيئا والاغناء اعطاء ما
يدفع به الحاجة اي لم تعطكم تلك الكثرة ما تدفعون به حاجتكم شيئا من الاغناء وضاقت عليكم الارض
بما رحبت اي برحبها وسعتها على ان ما مصدرية والباء بمعنى مع اي لا تجدون موضعا يطمئن اليه نفوسكم
من شدة الرعب ولا تثبتون فيه كمن لا يسعه مكانه ثم وليتم مدبرين روي انه بلغ فلهم مكة وبقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجام بغلته وابن عمه ابو سفيان
بن الحرث اخذ بركابه وهو يركض البغلة نحو المشركين وهو يقول • انا النبي لا كذب • انا ابن عبد المطلب •
روي انه عليه السلام كان يحمل على الكفار فيفرون ثم يحملون عليه فيقف فعل ذلك بضع عشرة
مرة قال العباس كنت الف البغلة لئلا تسرع به نحو المشركين وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق
على انه صلى الله عليه وسلم كان في الشجاعة ورباطة الجاش سباقا للغايات القاصية وما ذاك الا
لكونه مؤيدا من عند الله العزيز الحكيم فعند ذلك قال يا رب ايتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا
صح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا
عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك وذلك قوله تعالى ثم انزل الله سكينته على رسوله اي رحمته التي تسكن
بها القلوب وتطمئن اليها اطمئنانا كليا مستتبعا للنصر القريب واما مطلق السكينة فقد كانت حاصلة
له عليه السلام قبل ذلك ايضا وعلى المؤمنين عطف على رسوله وتوسيط الجار بينهما للدلالة على

ما

ما بينهما من التفاوت اي المؤمنين الذين انهزموا وقيل على الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم
او على الكل وهو الانسب ولا ضير في تحقق اصل السكينة في الثابتين من قبل والتعرض لوصف الايمان
للاشعار بعليته للانزال وانزل جنودا لم تروها اي بابصاركم كما يرى بعضكم بعضا وهم الملائكة عليهم
السلام عليهم البياض على خيول بلق فنظر النبي صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي
الوطيس فاخذ كفا من التراب فرمى به نحو المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم احد الا امتلات
به عيناه ثم قال عليه السلام انهزموا ورب الكعبة واختلفوا في عدد الملائكة يومئذ فقيل خمسة
الاف وقيل ثمانية الاف وقيل ستة عشر الفا وفي قتالهم ايضا فقيل قاتلوا وقيل لم يقاتلوا الا يوم
بدر وانما كان نزولهم لتقوية قلوب المؤمنين بالقاء الخواطر الحسنة وتاييدهم بذلك والقاء الرعب
في قلوب المشركين وقال سعيد بن المسيب حدثني رجل كان في المشركين يوم حنين قال لما كشفنا
المسلمين جعلنا نسوقهم فلما انتهينا الى صاحب البغلة الشهباء تلقانا رجال بيض الوجوه فقالوا
شاهت الوجوه ارجعوا فرجعنا فركبوا اكتافنا وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر والسبي وذلك
اي ما فعل بهم مما ذكر جزاء الكافرين لكفرهم في الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء ان يتوب
عليهم منهم لحكمة تقتضيه اي يوفقه للاسلام والله غفور يتجاوز عما سلف منهم من الكفر والمعاصي
رحيم يتفضل عليهم ويثيبهم روي ان ناسا منهم جاؤوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على
الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا
قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم ما لا يحصى فقال عليه السلام ان عندي
ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب
شيئا فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤونا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال
فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه ان يرده فشانه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا
علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه قالوا قد رضينا وسلمنا فقال عليه السلام انا لا ندري لعل
فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعوا اليه العرفاء انهم قد رضوا يا ايها الذين امنوا
انما المشركون نجس وصفوا بالمصدر مبالغة كانهم عين النجاسة وهم ذوو نجس لخبث باطنهم او لان معهم
الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن بن صالح من صافح مشركا توضا
واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم وهو تخفيف نجس
ككبد في كبد كانه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس فلا يقربوا
المسجد الحرام تفريع على نجاستهم وانما نهي عن القرب للمبالغة او للمنع عن دخول الحرم وهو مذهب
عطاء وقيل المراد به النهي عن الدخول مطلقا وقيل المراد المنع عن الحج والعمرة وهو مذهب ابي حنيفة
رحمه الله ويؤيده قوله عز وجل بعد عامهم هذا وهو عام تسعة من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله
عنه على الموسم ويدل عليه قول علي رضي الله تعالى عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا
مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عنده وعند الشافعي يمنعون
من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون من جميع المساجد ونهي المشركين ان يقربوه راجع
الى نهي المسلمين عن تمكينهم من ذلك وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه
ويعزلوا عن ذلك وان خفتم عيلة اي فقرا بسبب منعهم من الحج وانقطاع ما كانوا يجلبونه اليكم من
الارفاق والمكاسب وقرئ عائلة على انها مصدر كالعاقبة او حالا عائلة فسوف يغنيكم الله من فضله
من عطائه او من تفضله بوجه اخر فارسل الله تعالى السماء عليهم مدرارا واغزر بها خيرهم واكثر
ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما
خافوا فواته ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من اقطار الارض ان شاء ان يغنيكم
مشيئة تابعة للحكمة الداعية اليها وانما قيد ذلك لينقطع الامال الى الله تعالى ولان الاغناء ليس
مطردا بحسب الافراد والاحوال والاوقات ان الله عليم بمصالحكم حكيم فيما يعطي ويمنع قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله امر بقتال اهل الكتابين اثر امرهم بقتال المشركين ومنعهم من ان يحوموا
حول ما كانوا يفعلونه من الحج والعمرة غير خائفين من الفاقة المتوهمة من انقطاعهم وبنههم في
تضاعيف ذلك على بعض طرق الاغناء الموعود على الوجه الكلي وارشدهم الى سلوكه ابتغاء لفضله
واستنجازا لوعده والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للامر بالقتال
وبانتظامهم بسبب ذلك في سلك المشركين فان اليهود مثنية والنصارى مثلثة فهم بمعزل من ان يؤمنوا

بالله سبحانه وتعالى ولا باليوم الآخر فإن علمهم بأحوال الآخرة كلا علم فإيمانهم المبني عليه ليس بإيمان به
ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله أي ما ثبت تحريمه بالوحي متلوا وغير متلو وقيل المراد برسوله الرسول
الذي يزعمون اتباعه أي يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا ولا يدينون دين الحق الثابت الذي
هو ناسخ لسائر الأديان وهو دين الإسلام وقيل دين الله من الذين أوتوا الكتاب من التوراة والإنجيل
من بيانية لا تبعيضية حتى يكون بعضهم على خلاف ما نعت حتى يعطوا أي يقبلوا أن يعطوا الجزية أي
ما تقرر عليهم أن يعطوه مشتق من جازى دينه أي قضاه أو لأنهم يجزون بها من من عليهم بالإعفاء عن القتل
عن يد حال من الضمير في يعطوا أي عن يد مواتية مطيعة بمعنى منقادين أو من يدهم بمعنى مسلمين
بأيديهم غير باعثين بأيدي غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن غنى ولذلك لم تجب الجزية على
الفقير العاجز أو عن يد قاهرة عليهم أي بسبب يد عاجزين أذلاء أو عن إنعام عليهم فإن إبقاء مهجتهم
بما بذلوا من الجزية نعمة عظيمة عليهم أو من الجزية أي نقدا مسلمة عن يد إلى يد وغاية القتال ليست
نفس هذا الإعطاء بل قبوله كما أشير إليه وهم صاغرون أي أذلاء وذلك بأن يأتي بها بنفسه ماشيا
غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أد الجزية وإن كان يؤديها
وهي تؤخذ عند أبي حنيفة رحمه الله من أهل الكتاب مطلقا ومن مشركي العجم لا من مشركي العرب
وعند أبي يوسف رحمه الله لا تؤخذ من العربي كتابيا كان أو مشركا وتؤخذ من العجمي كتابيا كان
أو مشركا وعند الشافعي رحمه الله تؤخذ من أهل الكتاب عربيا وعجميا ولا تؤخذ من أهل الأوثان
مطلقا وذهب مالك والأوزاعي إلى أنها تؤخذ من جميع الكفار وأما المجوس فقد اتفقت الصحابة
على أخذ الجزية منهم لقوله عليه السلام سنوا بهم سنة أهل الكتاب وروي عن علي رضي الله عنه
أنه كان لهم كتاب يدرسونه فأصبحوا وقد أسري على كتابهم فرفع من بين أظهرهم واتفقوا على تحريم
ذبائحهم ومناكحتهم لقوله عليه السلام في آخر ما نقل من الحديث غير ناكحي نسائهم وآكلي ذبائحهم
ووقت الأخذ عند أبي حنيفة أول السنة وتسقط بالموت والإسلام ومقدارها على الفقير
المعتمل اثنا عشر درهما وعلى المتوسط وعشرون درهما وعلى الغني ثمانية وأربعون درهما ولا جزية
على فقير عاجز عن الكسب ولا على شيخ فان أو زمن أو صبي أو امرأة وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة
من كل واحد دينار غنيا كان أو فقيرا كان له كسب أو لم يكن وقالت اليهود جملة مبتدأة سيقت لتقرير
ما مر من عدم إيمان أهل الكتابين بالله سبحانه وتعالى وانتظامهم بذلك في سلك المشركين عزير ابن
الله مبتدأ وخبر وقرئ بغير تنوين على أنه اسم أعجمي كعازر وعيزار غير منصرف للعجمة والتعريف وأما
تعليله بالتقاء الساكنين أو بجعل الابن وصفا على أن الخبر محذوف فتعسف مستغنى عنه وقيل هو قول
قدمائهم ثم انقطع فحكى الله عنهم ذلك ولا عبرة بإنكار اليهود وقيل قول بعض من كان بالمدينة عن ابن
عباس رضي الله عنهما أنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ناس منهم وهم سلام بن مشكم ونعمان
بن أوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وهو الذي
قال إن الله فقير ونحن أغنياء وسبب هذا القول أن اليهود قتلوا الأنبياء عليهم السلام بعد موسى
عليه السلام فرفع الله تعالى عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الأرض
فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له أين تذهب قال أطلب العلم فحفظه التوراة فأملاها عليهم
عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام إلا لأنه ابنه قال
الإمام الكلبي لما قتل بخت نصر علماءهم جميعا وكان عزير إذ ذاك صغيرا فاستصغره ولم يقتله
فلما رجع بنو إسرائيل إلى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى عزيرا ليجدد لهم
التوراة ويكون آية بعدما أماته مائة عام يقال إنه أتاه ملك بإناء فيه ماء فسقاه فمثلت في صدره
فلما أتاهم فقال لهم إني عزير كذبوه فقالوا إن كنت كما تزعم فأمل علينا التوراة ففعل فقالوا إن الله
تعالى لم يقذف التوراة في قلب رجل إلا أنه ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما أن اليهود أضاعوا التوراة وعملوا بغير الحق فأنساهم الله تعالى التوراة ونسخها
من صدورهم فرفع التابوت فتضرع عزير إلى الله تعالى وابتهل إليه فعاد حفظ التوراة إلى
قلبه فأنذر قومه به ثم إن التابوت نزل فعرضوا ما تلاه عزير على ما فيه فوجدوه مثله
فقالوا ما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله هو أيضا قول بعضهم وإنما قالوه استحالة لأن
يكون ولد بغير أب أو لأن يفعل ما فعله من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى من لم يكن إلها ذلك إشارة
إلى ما صدر عنهم من العظيمتين وما فيه من معنى البعد للدلالة على بعد درجة المشار إليه في
الشناعة والفظاعة قولهم بأفواههم إما تأكيد لنسبة القول المذكور إليهم ونفي التجوز عنها أو إشعار

بانه

بأنه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل والموجود في الأفواه من غير أن يكون له مصداق
في الخارج يضاهئون أي يضاهي قولهم في الكفر والشناعة وقرئ يضاهئون قول الذين كفروا أي يشابه قولهم على حذف
المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه عند انقلابه مرفوعا قول الذين كفروا من قبل أي من قبلهم وهم
المشركون الذين يقولون الملائكة بنات الله أو اللات والعزى بنات الله لا قدماؤهم كما قيل
إذ لا تعدد في القول حتى يتأتى التشبيه وجعله بين قولهم عزير إلى آخره لأنه أقدم منهم وهو
أيضا كما ترى فإنه يستدعي اختصاص الرد والإبطال بذلك قولهم بأفواههم بقول النصارى قاتلهم
الله دعاء عليهم جميعا بالإهلاك فإن من قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم أنى يؤفكون كيف
يصرفون من الحق إلى الباطل والحال أنه لا سبيل له أصلا اتخذوا زيادة تقرير لما سلف من كفرهم بالله
تعالى أحبارهم وهم علماء اليهود واختلف في واحده قال الأصمعي لا أدري أهو حبر أم حبر وقال
أبو الهيثم بالفتح لا غير وكان الليث وابن السكيت يقولان حبر وحبر للعالم ذميا كان أو مسلما بعد
أن كان من أهل الكتاب ورهبانهم وهم علماء النصارى من أصحاب الصوامع أي اتخذ كل
واحد من الفريقين علماءهم أربابا من دون الله بأن أطاعوهم في تحريم ما أحله الله وتحليل ما
حرمه أو بالسجود لهم ونحوه تسمية اتباع الشيطان عبادة له في قوله تعالى يا أبت لا تعبد الشيطان
وقوله تعالى بل كانوا يعبدون الجن قال عدي بن حاتم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي
صليب من ذهب وكان إذ ذاك على دين الركوسية فريق من النصارى وهو يقرأ سورة براءة فقال
يا عدي اطرح هذا الوثن فطرحته فلما انتهى قوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون
الله قلت يا رسول الله لم يكونوا يعبدونهم فقال عليه الصلاة والسلام أليس يحرمون ما
أحل الله فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه فقلت بلى قال ذلك عبادتهم قال الربيع قلت لأبي
العالية كيف كانت تلك الربوبية في بني إسرائيل قال إنهم ربما وجدوا في كتاب الله تعالى ما يخالف
قول الأحبار وكانوا يأخذون بأقوالهم ويتركون حكم كتاب الله تعالى والمسيح ابن مريم عطف على رهبانهم
أي اتخذه النصارى ربا معبودا بعد ما قالوا إنه ابنه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وتخصيص الاتخاذ به
يشير إلى أن اليهود ما فعلوا ذلك بعزير وتأخيره في الذكر مع أن اتخاذهم له عليه السلام ربا معبودا
أقوى من مجرد الإطاعة في أمر التحليل والتحريم كما هو المراد باتخاذهم الأحبار والرهبان أربابا لأنه
مختص بالنصارى ونسبته عليه السلام إلى أمه من حيث دلالتها على مربوبيته المنافية للربوبية للإيذان
بكمال ركاكة رأيهم وقضاء عليهم بنهاية الجهل والحماقة وما أمروا أي والحال أن أولئك الكفرة ما أمروا في كتابهم
إلا ليعبدوا إلها واحدا عظيم الشأن هو الله سبحانه وتعالى ويطيعوا ما أمرهم ولا يطيعوا أمر غيره بخلافه
فإن ذلك مخل بعبادته تعالى فإن جميع الكتب السماوية متفقة على ذلك قاطبة وقد قال المسيح عليه
السلام إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وأما طاعة الرسول عليه السلام وسائر
من أمر الله تعالى بطاعته فهي في الحقيقة إطاعة الله عز وجل أو وما أمر الذين اتخذهم الكفرة أربابا من
المسيح والأحبار والرهبان إلا ليوحدوا الله تعالى فكيف يصح أن يكونوا أربابا وهم مأمورون مستعبدون
ولا يقدح في ذلك كون ربوبية الأحبار والرهبان بطريق الإطاعة فإن تخصيص العبادة به تعالى لا يتحقق
إلا بتخصيص الطاعة أيضا به تعالى وحيث لم يخصوها به تعالى لم يخصوا العبادة به تعالى لا إله إلا هو
صفة ثانية لإلها أو استئناف مقرر للتوحيد سبحانه عما يشركون تنزيه له عن الإشراك به في العبادة والطاعة يريدون
أن يطفئوا نور الله إطفاء النار عبارة عن إزالة لهبها الموجب لزوال نورها لا عن إزالة نورها كما قيل لكن لما
كان الغرض من إطفائها في الأغلب إزالة النور كالمصباح إزالة نورها جعل إطفاؤها عبارة عنها ثم
جعل مستعارا لذلك حتى كان عبارة عن مطلق إزالة النور وإن كان لغير النار والشمس وذلك إخفاء
إمكان الدلالة في نورها والمراد بنور الله سبحانه إما حجته النيرة الدالة على وحدانيته وتنزهه
عن الشركاء والأولاد أو السوانح التي من جملتها ما نحن فيه من الحلقة والحرمة بأفواههم بأقاويلهم
الباطلة الخارجة عنها من غير أن يكون لها مصداق تنطبق عليه أو أصل تستند إليه حسبما حكي عنهم
وقيل المراد به نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا وقد قيل مثلت حالهم فيما ذكر بحال من يريد طمس نور
عظيم منبث في الآفاق بنفخه ويأبى الله أي لا يريد إلا أن يتم نوره بإعلاء كلمة التوحيد وإعزاز دين الإسلام
وإنما صح الاستثناء المفرغ من الموجب لكونه بمعنى النفي كما أشير إليه لوقوعه في مقابلة قوله تعالى يريدون
وفيه من المبالغة والدلالة على الامتناع ما ليس في نفي الإرادة أي لا يريد شيئا من الأشياء إلا إتمام نوره
ولو كره الكافرون ذلك ولو كرهوا وعلى الحال قد حذف في المستثنى منه بقاؤه على ما كان عليه فضلا على
إطفائه في إظهار النور في مقابلة أفواههم مضافا إلى ضميره عز وجل زيادة اعتنائه وتشريف له على

تشريف واشعار بعلة الحكم ولو كره الكافرون جواب لو محذوف لدلالة ما قبله
عليه والجملة معطوفة على جملة قبلها مقدرة وكلتاهما في موقع الحال اي لا يريد الله الا اتمام نوره لو لم
يكره الكافرون ذلك ولو كرهوا اي على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى حذفا مطردا لدلالة الثانية
عليه دلالة واضحة لان الشيء اذا تحقق عند المانع فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذا السر يدور
ما في ان ولو الوصليتين من التأكيد وقد مر زيادة تحقيق هنا ما ارى هو الذي ارسل رسوله ملتبسا
بالهدى اي القرآن الذي هو هدى للمتقين ودين الحق على سائر الاديان بنسخه اياها حسبما تقتضيه الحكمة
بيان وتقرير لمضمون الجملة السابقة والكلام في قوله عز وعلا ولو كره المشركون للدلالة على انهم ضموا
الكفر بالرسول الى الكفر بالله يا ايها الذين آمنوا شروع في بيان حال الاحبار والرهبان في اغوائهم
لأرذالهم اثر بيان سوء حال الاتباع في اتخاذهم لهم اربابا يطيعونهم في الاوامر والنواهي واتباعهم لهم
فيما يأتون وما يذرون ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل يأخذونها بطريق
الرشوة لتغيير الاحكام والشرائع والتخفيف والمسامحة فيه وانما عبر عن ذلك بالاكل بناء على انه معظم
الغرض منه وتقبيحا لحالهم وتنفيرا للسامعين منهم ويصدون الناس عن سبيل الله عن دينه الاسلام او
عن المسلك المقرر في التوراة والانجيل الى ما افتروه وحرفوه بأخذ الرشى او يصدون عنه بانفسهم
بأكلهم الاموال بالباطل والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونهما ويحفظونهما سواء كان ذلك بالدفن
بعد وصفهم بما سبق من اخذ الرشى والبراطيل في الاباطيل واما غيرهم من المسلمين الكانزين غير المنفقين
وهو الانسب لقوله عز وجل ولا ينفقونها في سبيل الله فيكون نظمهم في قرن المرتشين من اهل الكتاب
تغليظا او للدلالة على كونهم اسوة لهم في استحقاق البشارة في العذاب الاليم فالمراد بالانفاق في سبيل الله
الزكوة لما روي انه لما نزلت كبر ذلك على المسلمين فذكر عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله
تعالى لم يفرض الزكوة الا ليطيب بها ما بقي من اموالكم ولقوله عليه السلام ما ادي زكوته فليس بكنز او
كوي بها وبنحوه فالمراد بها ما لم يؤد حقها لقوله عليه السلام ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي
منها حقها الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفائح من نار فتكوى بها جنبه وجبينه وظهره فبشرهم
بعذاب اليم خبر الموصول والفاء لتضمنه معنى الشرط ويجوز ان يكون الموصول منصوبا بفعل يفسره
فبشرهم يوم منصوب بعذاب اليم او بمضمر يدل عليه ذلك اي يعذبون او باذكر يحمى عليها في نار جهنم اي
يوم توقد النار ذات حمي شديد عليه واصله يحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار
واسند الفعل الى الجار تنبيها على ان المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى التذكير كما يقول رفعت
القصة الى الامير وان طرحت القصة قلت رفع الى الامير وانما قيل عليها والمذكور شيئان لان المراد
بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله تعالى عنه اربعة الاف وما دونها نفقة وما فوقها
كنز وكذا الكلام في قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير للاموال والكنوز فان الحكم عام وتخصيصهما
بالذكر لانهما قانون التمول والعمدة وتخصيصها بالذكر لدلالة على ان الذهب لذلك بل اولى
فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم لان جمعهم لها وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم
بالمطاعم الشهية والملابس البهية او لانهم ازوروا عن السائل واعرضوا عنه وولوه ظهورهم
او لانها اشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسية التي هي الدماغ والقلب
والكبد او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه هذا ما كنزتم
على ارادة القول لانفسكم لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها فذوقوا ما كنتم تكنزون
اي وبال كنزكم او ما تكنزونه وقرئ بضم النون ان عدة الشهور اي عددها عند الله اي في حكمه
وهو معمول لها لانها مصدر اثنا عشر خبر لان شهرا تمييز مؤكد كما في قولك عندي من الدنانير
عشرون دينارا والمراد الشهور القمرية اذ عليها يدور فلك الاحكام الشرعية في كتاب الله في اللوح
المحفوظ او فيما اثبته واوجبه وهو صفة اثني عشر شهرا اي اثنا عشر شهرا مثبتا في كتاب الله
وقوله عز وجل يوم خلق السموات والارض متعلق بما في الجار والمجرور من معنى الثبوت او بالكتاب
على انه مصدر والمعنى ان هذا امر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله تعالى الاجرام والحركات
والازمنة منها اي من تلك الشهور الاثني عشر اربعة حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم
خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو
الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه
من الحل والحرمة وعاد الحج الى ذي الحجة بعد ما كانوا ازالوه من محله بالنسيء الذي احدثوه في

الجاهلية

الشاذ وهو بين الادلام ليظهره اي رسوله على الدين كله اي على اهل الاديان كلهم او ليظهر الدين الحق صح

الجاهلية وقد وافقوه في حجة الوداع وكانت حجة ابي بكر رضي الله تعالى عنه قبلها في ذي القعدة ذلك
اي تحريم الاربعة الاشهر المعينة المعدودة وما في ذلك من معنى البعد لتفخيم المشار اليه الدين القيم
المستقيم دين ابراهيم عليه السلام واسمعيل عليه السلام وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما
وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويكرهون القتال فيها حتى انه لو لقي رجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا
رجب الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثوا النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن انفسكم بهتك حرمتهن وارتكاب
ما حرم فيهن والجمهور على ان حرمة القتال فيهن منسوخة وان الظلم ارتكاب المعاصي فيهن فانه اعظم
وزرا كارتكابها في الحرم وعن عطاء انه لا يحل للناس ان يغزوا في الحرم وفي الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما
نسخت ويؤيد الاول انه عليه الصلوة والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة
وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة اي جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن القتال
وقع موقع الحال واعلموا ان الله مع المتقين اي معكم بالنصر والامداد فيما تباشرونه من القتال وانما
وضع المظهر موضع المضمر مدحا لهم بالتقوى وحثا للقاصرين عليه وايذانا بانه المدار في النصر وقيل هي بشارة
وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم انما النسيء مصدر نسأه اذا اخره وقيل هو فعيل بمعنى مفعول من نسأه اي نسيا
وقرئ بهن جميعا وقرئ بقلب الهمزة ياء وتشديد الاولى فيهما اي كانوا اذا جاء شهر حرام وهم محاربون احلوه
وحرموا مكانه آخر حتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وربما زادوا في عدد الشهور بان يجعلوها
ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ويجعلوا اربعة اشهر من السنة حرما ولذلك نص على العدد
المعين في الكتاب والسنة اي انما تأخير حرمة شهر الى آخر زيادة في الكفر لانه تحليل ما حرمه الله وتحريم ما احله
الله فهو كفر آخر مضموم الى كفرهم يضل به الذين كفروا اضلالا على اضلالهم القديم وقرئ على البناء للفاعل
من الافعال على ان الفاعل الله سبحانه اي يخلق فيهم الضلال عند مباشرتهم لمباديه واسبابه وهو المعنى على
القراءة الاولى ايضا وقيل المضلون حرؤساؤهم والموصول عبارة عن اتباعهم وقرئ بفتح الياء والضاد
من ضل يضل وبفتح الياء وكسر الضاد يحلونه اي الشهر المؤخر عاما من الاعوام ويحرمونه مكانه شهرا حرام
مما اليس بحرام ويحرمونه اي يحافظون على حرمته كما كانت والتعبير عن ذلك بالتحريم باعتبار احلالهم له
في العام الماضي او لاسناده الى الهمهم كما سيجيء واما افراده بتعبيره عرض من اغراضهم قال الكلبي
اول من فعل ذلك رجل من كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان قائما على الناس بالموسم فاذا هم الناس بالصدور عن الموسم قام فيهم
وخطب ويقول الا ندعي ما قضيت وانا الذي لا اعاب ولا اجاب فيقول له المشركون لبيك ثم يسألونه ان ينسئهم شهرا
يغيرون فيه فيقول ان صفر العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار
وشدوا الازجة واغاروا وقيل هو جنادة بن عوف الكناني وكان مطاعا في الجاهلية كان يقوم على جمل
في الموسم فينادي باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في العام القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت
عليكم المحرم فحرموه وهو رجل من كنانة يقال له القلمس قال شاعرهم ومنا ناسئ الشهر القلمس وعن ابن عباس رضي
الله عنهما اول من سن النسيء عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف والجملتان تفسير للضلال او حال من الموصول والعامل
عمله ليواطئوا اي ليوافقوا عدة ما حرم الله من الاشهر الاربعة واللام متعلقة بالفعل الثاني او بما يدل عليه
مجموع الفعلين فيحلوا ما حرم الله بخصوصه من الاشهر المعينة زين لهم سوء اعمالهم وقرئ على البناء للفاعل وهو
الله سبحانه والمعنى جعل اعمالهم مشتهاة للطبع محبوبة للنفس وقيل خذلهم حتى حسبوا قبيح اعمالهم حسنا واستمروا
على ذلك والله لا يهدي القوم الكافرين هداية موصلة الى المطلوب البتة وانما يهديهم الى ما يوصل اليه
عند سلوكه وهم قد صدوا عنه بسوء اختيارهم فتاهوا في تيه الضلال يا ايها الذين آمنوا الحث للمؤمنين
وتحريض لهم على قتال الكفرة اثر بيان طرف من قبائحهم الموجبة كذلك ما لكم استفهام فيه معنى الانكار
والتوبيخ اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم بالادغام وتفاعلتم اصله تثاقلتم وقد قرئ كذلك اي اي
شيء حصل او حصل لكم او ما تصنعون حين قال لكم النبي صلى الله عليه وسلم انفروا اي اخرجوا الى الغزو في سبيل
الله متثاقلين على ان الفعل ماض لفظا مضارع معنى كانه قيل تتثاقلون فالعامل في الظرف الاستقرار
المقدر في لكم او معنى الفعل المدلول عليه بذلك ويجوز ان يعمل فيه ما اي ما لكم حين قيل لكم انفروا وقرئ اثاقلتم
على الاستفهام الانكار التوبيخي فالعامل في الظرف حينئذ اثاقلتم الى الارض متعلق
باثاقلتم على تضمينه معنى الميل والاخلاد اي اثاقلتم مائلين الى الدنيا وشهواتها الفانية عما قليل وكرهتم مشاق
الغزو ومتاعبه المستتبعة للراحة الخالدة كقوله تعالى اخلد الى الارض واتبع هواه او الى الاقامة بارضكم
ودياركم وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد المشقة وكثرة العدو وشق عليهم ذلك وقيل ما خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غزوة الا ورى بغيرها الا في غزوة تبوك فانه عليه الصلاة والسلام
بين لهم القصد فيها ليستعدوا لها ارضيتم بالحياة الدنيا وغرورها من الآخرة اي بدل الآخرة ونعيمها الدائم

فمتاع الحياة الدنيا اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير اي فما التمتع بها وبلذائذها في الآخرة اي في
جنب الآخرة الا قليل اي مستحقر لا يؤبه له وفي ترشيح الحياة الدنيا بما يؤذن بنفاستها ويستدعي الرغبة
فيه وتجريد الآخرة عن مثل ذلك مبالغة في بيان حقارة الدنيا ودناءتها وعظم شأن الآخرة وعلوها الا
تنفروا اي ان لا تنفروا الى ما استنفرتم اليه يعذبكم اي الله عز وجل عذابا اليما اي يهلككم بسبب فظيع هائل
كقحط ويستبدل بعد اهلاككم قوما غيركم وصفهم بالمغايرة لهم لتأكيد الوعيد والتشديد في التهديد
والدلالة على المغايرة في الوصفية والذاتية المستلزمة للاستئصال اي قوما مطيعين مؤثرين للآخرة
على الدنيا ليسوا من اولادكم ولا ارحامكم كاهل اليمن وابناء فارس وفيه من الدلالة على شدة السخط
ما لا يخفى ولا تضروه شيئا اي لا يقدح تثاقلكم في نصرة دينه اصلا فانه الغني عن كل شيء وفي كل شيء وقيل
الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان الله وعده بالنصرة والعصمة وكان وعده مفعولا لا محالة
والله على كل شيء قدير فيقدر على اهلاككم والاتيان بقوم آخرين الا تنصروه فقد نصره الله اي ان لم
تنصروه فسينصره الله الذي نصره منصورة عزوة كثيرة من هذه المرة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه
وان لم تنصروه فقد اوجب له النصرة حتى نصره في مثل ذلك الوقت فلن يخذله في غيره اذ اخرجه الذين
كفروا اي تسببوا لخروجه عليه السلام من ذلك حين هموا باخراجه ثاني اثنين حال من ضميره عليه
الصلاة والسلام وقرئ بسكون الياء على لغة من يجري الناقص مجرى المقصور في الاعراب اي احد اثنين
من غير اعتبار كونه عليه الصلاة والسلام ثانيا فان معنى قولهم ثالث ثلاثة ورابع اربعة ونحو ذلك
احد هذه الاعداد مطلقا لا الثالث والرابع ولذلك منع الجمهور ان ينصب ما بعده بان يقال ثالث
ثلاثة ورابع اربعة وقد مر في قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة من سورة المائدة
وجعله عليه الصلاة والسلام ثانيهما لتقديم الصديق امامه ودخوله في الغار اولا لكنسه وتسوية البناء
كما ذكر في الاخبار بمعزل مستغنى عنه اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان
متسع والغار ثقب في اعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا اذ يقول بدل
ثان او ظرف لثاني لصاحبه اي الصديق لا تحزن ان الله معنا بالعون والعصمة والمراد بالمعية الولاية
الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شائبة شيء من الحزن وما هو المشهور من اختصاص مع بالمتبوع
فالمراد بما فيه من المتبوعية هو المتبوعية في الامر المباشر روي ان المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق
ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله تعالى فقال
عليه السلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا في اسفله
والعنكبوت نسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون
حول الغار ولا يفطنون قد اخذ الله تعالى ابصارهم عنه وفيه من الدلالة على علو طبقة الصديق
رضي الله عنه ما لا يخفى فانزل الله سبحانه وتعالى سكينته امنته التي تسكن عندها
القلوب عليه على النبي صلى الله عليه وسلم فالمراد بها ما لا يحوم حوله شائبة الخوف اصلا او على صاحبه
اذ هو المنزعج واما النبي صلى الله عليه وسلم فكان على طمأنينة من امره وايده بجنود لم تروها عطف على
قوله تعالى فقد نصره الله عز وجل والجنود هم الملائكة النازلون يوم بدر والاحزاب وحنين وقيل
هم الملائكة انزلهم ليحرسوه في الغار ويأباه وصفهم بعدم رؤية المخاطبين لهم وقوله تعالى وجعل كلمة
الذين كفروا السفلى يعني الشرك او دعوة الكفر فان ذلك الجعل لا يتحقق بمجرد الانجاء بل بالقتل والاسر
ونحو ذلك وكلمة الله اي التوحيد او دعوة الاسلام هي العليا لا يدانيها شيء وتغيير الاسلوب
للدلالة على انها في نفسها كذلك لا يتبدل شأنها ولا يتغير حالها دون غيرها من الكلم ولذلك وسط
ضمير الفصل وقرئ بالنصب عطفا على كلمة الذين والله عزيز لا يغالب حكيم في حكمه وتدبيره انفروا
تجريد للامر بالنفور بعد التوبيخ على تركه والانكار للمساهلة فيه وقوله تعالى خفافا وثقالا حالان
من ضمير المخاطبين اي على اي حال كان من يسر او عسر حاصلين بسبب كان من الصحة والمرض او الغنى
والفقر او قلة العيال وكثرتهم وغير ذلك مما ينتظم مساعدة الاسباب وعدمها بعد الامكان والقدرة
في الجملة وما ذكر في تفسيرهما من قولهم خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه
او ركبانا ومشاة او شبانا او شيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا وليس لتخصيص الامر بهذين المتقابلين
بالارادة من غير مقارنة للباقي وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلي ان
انفر قال عليه الصلاة والسلام نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما نسخت بقوله تعالى ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله
ايجاب للجهاد بهما ان امكن وباحدهما عند امكانه واعواز الآخر حتى ان من ساعده النفس والمال

يجاهد بهما ومن ساعده المال دون النفس يغزي كانه من حاله على عكس حاله الى هذا ذهب كثير من العلماء
وقيل هو ايجاب للقسم الاول ذلكم اي ما ذكر من النفير والجهاد وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان
ببعد منزلته في الشرف خير لكم اي خير عظيم في نفسه او خير مما يبتغى تركه من الراحة والدعة وسعة العيش
والتمتع بالاموال والاولاد ان كنتم تعلمون اي تعلمون الخير علمتم انه خير او ان كنتم تعلمون انه خير اذ لا
احتمال لغير الصدق في اخبار الله تعالى فبادروا اليه لو كان صرف للخطاب عنهم وتوجيه له الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بتعديد ما صدر عنهم من الهنات قولا وفعلا على طريق المباثة وبيانا لدناءة
هممهم وسائر رذائلهم اي لو كان ما دعوا اليه هو عرضا قريبا العرض ما عرض لك من منافع الدنيا
اي لو كان ذلك غنما سهل المأخذ قريب المنال وسفرا قاصدا ذا قصد بين القريب والبعيد لاتبعوك
في النفير طمعا في الفوز بالغنيمة وتعليق الاتباع في كلا الامرين يدل على عدم تحققه عند توسط احدهما
فقط ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة الشاطة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين وسيحلفون
اي المتخلفون عن الغزو وقوله تعالى بالله اما متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد على
الوجهين اي سيحلفون بالله اعتذارا عند قفولك قائلين لو استطعنا او سيحلفون قائلين بالله لو استطعنا
الى آخره اي لو كان لنا استطاعة من جهة العدة او من جهة الصحة او من جهتهما جميعا وعلى التقديرين
فقوله تعالى لخرجنا معكم ساد مسد جوابي القسم والشرط جميعا اما على الثاني فظاهر واما على الاول
فلان تقديرهم لو استطعنا في قوة بالله لو استطعنا لانه بيان لقوله تعالى سيحلفون بالله وتصديق له والاخبار
بما سيكون منهم بعد القفول وقد وقع حسبما اخبر به من جملة المعجزات الباهرة وقرئ لو استطعنا بضم
الواو تشبيها لها بواو الجمع كما في قوله عز وجل فتمنوا الموت يهلكون انفسهم بدل من سيحلفون لان الحلف
الكاذب اهلاك للنفس ولذلك قال عليه الصلاة والسلام اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع
او حال من فاعله اي مهلكين انفسهم او من فاعل لخرجنا جيء به على طريقة الاخبار عنهم كانه قيل نهلك
انفسنا اي لخرجنا معكم مهلكين انفسنا كما في قولك حلف ليفعلن كان لافعلن والله يعلم انهم لكاذبون
اي في مضمون الشرطية وفيما ادعوا ضمنا من انتفاء تحقق المقدم حيث كانوا مستطيعين للخروج ولم يخرجوا
عفا الله عنك صريح في انه سبحانه وتعالى قد عفا عنه صلى الله عليه وسلم ما وقع عنه من الاذن
للمستأذنين عند التخلف معتذرين بعدم الاستطاعة وانه اعتمادا على ايمانهم ومواثيقهم لحلوده عن
المراحم من ترك الاولى والافضل الذي هو التأني والتوقف الى انجلاء الامر وانكشاف الحال وقوله تعالى
لم اذنت لهم اي لاي سبب اذنت لهم في التخلف حين استأذنوك بعللهم بيان لما اشير اليه بالعفو من ترك
الاولى واشارة الى انه ينبغي ان يكون اموره عليه الصلاة والسلام منوطة باسباب قوية موجبة لها
ومصححة وانما ابرزه في معرض التعلل والاعتذار شغوفا بالايمان كان بمعزل من كونه سببا للاذن قبل
ظهور صدقه وكلتا اللامين متعلقة بالاذن لاختلافهما في المعنى فان الاولى للتعليل والثانية للتبليغ
والضمير المجرور لجميع المستأذنين وتوجيه الانكار الى الاذن باعتبار شموله للكل وباعتبار تعلقه بكل فرد
لتحقيق عدم استطاعة بعضهم كما ينبئ عنه قوله تعالى حتى يتبين لك الذين صدقوا اي فيما اخبروا به عند
الاعتذار من عدم الاستطاعة من جهة المال او من جهة البدن او من جهتهما معا حسبما عن قولهم هنالك
وتعلم الكاذبين في ذلك فتعامل كلا من الفريقين بما يستحقه وهو بيان لذلك الاولى الافضل وتخصيصه له
عليه الصلاة والسلام عليه فان كلمة حتى سواء كانت بمعنى اللام او بمعنى الى لا يمكن تعلقها بقوله تعالى لم اذنت
لاستلزامه ان يكون اذنه عليه السلام لهم معللا او مغيا بالتبين والعلم ويكون توجه الاستفهام اليه
من تلك الحيثية وذلك بين الفساد بل بما يدل عليه ذلك كانه قيل لم سارعت الى الاذن لهم وهلا تأنيت
حتى ينجلي الامر كما هو قضية الحزم قال قتادة وعمرو بن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من الاسارى فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وتغيير
الاسلوب بان عبر عن الفريق الاول بالموصول الذي صلته فعل دال على الحدوث وعن الفريق الثاني باسم
الفاعل المفيد للدوام للايذان بان ما ظهر من الاولين صدق حادث في امر خاص غير مصحح لنظمهم في
مسلك الصادقين وان ما صدر من الآخرين وان كان كذبا حادثا متعلقا بامر خاص لكنه امر جار على
عادتهم المستمرة ناشئ عن رسوخهم في الكذب والتعبير عن ظهور الصدق بالتبين وعما يتعلق بالكذب
بالعلم لما هو المشهور من ان مدلول الخبر هو الصدق والكذب احتمال عقلي فظهور صدقه انما هو تبين
ذلك المدلول وانقطاع احتمال نقيضه بعد ما كان محتملا له احتمالا عقليا واما كذبه فامر حادث
لا دلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكون ظهوره تبينا له بل هو نقيض لمدلوله فما يتعلق به يكون علما

مستأنفا واسناده الى ضميره عليه الصلاة والسلام مع الى المعلوم مبنيا للفاعل للفعول مع اسناد التبين
الى الاولين لما ان المقصود هنا علمه عليه السلام بهم ومؤاخذتهم بموجبه بخلاف الاولين حيث لا مؤاخذة عليهم ولمن
تبينه لهذا قال حتى يتبين لك من صدق في عدده ممن كذب فيه واسناد التبين الى الاولين وتعليق العلم
بالآخرين مع ان مدار الاسناد والتعلق اولا وبالذات هو وصف الصدق والكذب كما اشير اليه لما ان القصد
هو العلم بوصفيهما ابتداء او باعتبار قيامهما بموصوفيهما هذا وفي تصدير فاتحة الخطاب ببشارة العفو
دون ما يوهم العقاب من مراعاة جانبه عليه الصلاة والسلام وتعهده بحسن المفاوضة ولطف
المراجعة ما لا يخفى على اولى الالباب قال سفيان بن عيينة انظروا الى هذا اللطف بدأ بالعفو ولقد
اخطأ واساء الادب وبئسما فعل فيما قال وكتب من زعم ان الكلام كناية عن الجناية وان معناه اخطأت
وبئسما فعلت هب انه كناية أليس ايثاره على التصريح بالجناية للتلطيف في الخطاب والتخفيف في العتاب
وهب ان العفو مستلزم للخطاب فهل هو مستلزم لكونه من القبح واستتباع اللائمة بحيث يصحح هذه
المرتبة من المشافهة بالسوء ويسوغ انشاء الاستقباح بكلمة بئسما المنبئة عن بلوغ القبح الى رتبة
يتعجب منها ولا يخفى انه لم يكن في خروجهم مصلحة للدين او منفعة للمسلمين بل كان فيه فساد وخبال
حسبما نطق به قوله تعالى لو خرجوا الى آخره وقد كرهه سبحانه وتعالى كما يفصح عنه قوله تعالى ولكن
كره الله انبعاثهم الآية نعم كان الاولى تأخير الاذن حتى يظهر كذبهم آثر ذي اثير ويفتضحوا على رؤوس
الاشهاد ولا يتمكنوا من التمتع بالعيش على الامن والدعة ولا يتسنى لهم الابتهاج فيما بينهم بانه عليه
السلام ما دام موه بالاكاذيب على انها لم ينلهم عيش وما قرب لهم يبين انهم لم يكونوا على امن واطمئنان
بل كانوا على خوف من ظهور امرهم وقد كان لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر تنبيه على
انه كان ينبغي ان يستدل باستيذانهم على حالهم ولا يؤذن لهم اي ليس من عادة المؤمنين ان يستأذنوك
في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وان الخلص منهم يبادرون اليه من غير توقف على اذن فضلا ان
يستأذنوك في التخلف وحيث استأذنك هؤلاء في التخلف كان ذلك مظنة للتأني في امرهم بل دليلا
على نفاقهم وقيل المستأذن فيه محذوف ومعنى قوله تعالى ان يجاهدوا اي كراهة ان يجاهدوا
ثم قيل المحذوف هو التخلف والمعنى لا يستأذنك المؤمنون في التخلف كراهة الجهاد فتوجه النفي الى
القيد وبه يمتاز المؤمن من المنافق وهو وان كان في نفسه امرا خفيا لا يوقف عليه بادئ الامر لكن
غاية احوالهم لما كانت منبئة عن ذلك جعل امرا ظاهرا معتدا وقيل هو الجهاد اي لا يستأذنك
المؤمنون في الجهاد كراهة له ان يجاهدوا بناء على ان الاستيذان في الجهاد ربما يكون لكراهته لا تخفى
ان الاستيذان في الشيء لكراهته مما لا يقع بل لا يعقل ولو سلم وقوعه فالاستيذان لعلة الكراهة مما
لا يمكن ان يجب التعامي عن الاستيذان لعلة الرغبة ولو سلم فالذي نفي عن المؤمنين يجب ان يثبت
للمنافقين وظاهر انهم لم يستأذنوا في الجهاد كراهة له بل انما استأذنوا في التخلف والله عليم
بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب وتقرير لمضمون ما سبق كأنه
قيل والله عليم بانهم كذلك واشعار بان ما صدر عنهم معلل بالتقوى انما يستأذنك اي في التخلف مطلقا
على الاول او لكراهة الجهاد على الثاني الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر تخصيص الايمان بهما في
الموضعين للايذان بان الباعث على الجهاد وبذل النفس والمال انما هو الايمان بهما اذ به يتبين للمؤمن
استبدال الحياة الابدية والنعيم المقيم بالحياة الفانية والمتاع المخلد وارتابت قلوبهم عطف
على الصلة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقيق الريب وتقرره فهم حال كونهم في ريبهم وشكهم
المستقر في قلوبهم يترددون اي يتحيرون فان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات دين المستبصر
والتعبير به مما لا يخفى حسن موقعه ولو ارادوا الخروج يدل على ان بعضهم قال عند الاعتذار كنا نريد
الخروج لكن لم نتهيأ له وقد قرب الرحيل بحيث لا يمكننا الاستعداد فقيل تكذيبا لهم لو ارادوه لاعدوا
له اي للخروج في وقته عدة اي اهبة من الزاد والراحلة والسلاح وغير ذلك مما لا بد منه في السفر

وقرئ عدة بحذف التاء والاضافة الى ضمير الخروج كما فعل بالعدة من قال واخلفوك عد الامر الذي واعدوك اي عدته صح

وقرئ عدته وقرئ اعدة بكسر العين وعدة بالاضافة ولكن كره الله انبعاثهم اي نهوضهم للخروج
قيل هو استدراك عما يفهم من مقدم الشرطية فان انتفاء ارادتهم الخروج يستلزم انتفاء خروجهم
وكراهة الله تعالى انبعاثهم يستلزم تثبطهم عن الخروج فكأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا والاتفاق
في المعنى لا يمنع الوقوع بين طرفي لكن بعد تحقق الاختلاف نفيا واثباتا في اللفظ كقولك ما احسن
الى زيد ولكن اساء والاظهر ان يكون استدراكا على نفس المقدم على نهج ما في الاقيسة الاستثنائية والمعنى
لو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن ما ارادوه لما انه تعالى كره انبعاثهم لما فيه من المفاسدة الخ

تبين فثبطهم اي حبسهم بالجبن والكسل فتثبطوا عنه ولم يستعدوا له وقيل اقعدوا مع القاعدين تمثيل
لالقاء الله تعالى كراهة الخروج في قلوبهم او الوسوسة الشيطان بالامر بالقعود او هو حكاية قول
بعضهم لبعض او هو اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود والمراد بالقاعدين اما المعذورون
او غيرهم واياما كان ففيه من الذم ما لا يخفى لو خرجوا فيكم بيان لسر كراهة الله تعالى لانبعاثهم اي لو خرجوا مخالطين
لكم ما زادوكم اي ما اورثوكم شيئا من الاشياء الا خبالا اي فسادا وشرا فالاستثناء مفرغ متصل وقيل
منقطع وليس بذلك ولاوضعوا خلالكم اي ولأسرعوا فيما بينكم بالنمائم والتضريب وافساد ذات
البين من وضع البعير وضعا اذا اسرع واوضعته انا
بينكم والجوادبه المبالغة في الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرئ ولاوفضوا من
رفضت الناقة اسرعت وارفضتها انا وقرئ ولاوفضوا اي اسرعوا يبغونكم الفتنة يحاولون
ان يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم وبالقاء الرعب في قلوبكم وافساد نياتكم والجملة حال من ضمير اوضعوا او
استئناف وفيكم سماعون لهم اي نمامون يسمعون حديثكم لاجل نقله اليهم او فيكم قوم ضعفة يسمعون
للمنافقين اي يطيعونهم والجملة حال من مفعول يبغونكم او من فاعله لاشتمالها على ضميريهما او مستأنفة ولعلهم
لم يكونوا في كثرة العدد وكيفية الفساد بحيث يخل مكانهم فيما بين المؤمنين بامر الجهاد اخلالا عظيما
ولم يكن فساد خروجهم معادلا لمنفعته ولذلك لم تقتض الحكمة عدم خروجهم فخرجوا مع المؤمنين ولكن
حيث كان انضمام المنافقين القاعدين اليهم مستتبعا لخلل كره الله انبعاثهم فلم يتيسر اجتماعهم فاندفع
فسادهم ووجه العتاب على الاذن في قعودهم مع تحققه لا محالة وتضمن خروجهم لمفاسد انهم لو
قعدوا بغير اذن منه عليه الصلاة والسلام لظهر نفاقهم فيما بين المسلمين من اول الامر ولم يقدروا على
مخالطتهم والسعي فيما بينهم بالاراجيف ولم يتيسر لهم التمتع بالعيش الى ان يظهر حالهم بقوارع الآيات
النازلة والله عليم بالظالمين علما محيطا بضمائرهم وظواهرهم فيما مضى وما يأتي منهم فيجازيهم ووضع
المظهر لتسجيل عليهم بالظلم والتشديد في الوعيد والاشعار بترتبه على الظلم ولعله شامل للفريقين
السماعين والقاعدين لقد ابتغوا الفتنة تشتيت شملك وتفريق اصحابك عنك من قبل اي يوم احد
حين انصرف عبد الله بن ابي ابن سلول المنافق بمن معه وقد تخلف بمن معه عن تبوك ايضا بعد ما خرج
النبي صلى الله عليه وسلم الى ذي جدة اسفل من ثنية الوداع وعن ابن جريج وقفوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا من المنافقين ليفتكوا به عليه الصلاة
والسلام فردهم الله تعالى خاسئين وقلبوا لك الامور تقليب الامر تصريفه من امر الى امر وترديده
لاجل التدبير والاجتهاد في المكر والحيلة يقال للرجل المتصرف في وجوه الحيل حول قلب اي اجالوا وادبروا
لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك حتى جاء الحق اي النصر والتأييد الالهي
وظهر امر الله غلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون والحال انهم كارهون لذلك اي على رغم منهم والآيتان
لتسلية الرسول عليه السلام والمؤمنين على تخلف المتخلفين وبيان ما ثبطهم الله تعالى لاجله وهتك
استارهم وكشف اسرارهم وازاحة اعذارهم تداركا لما عسى يفوت بالمبادرة الى الاذن وايذانا بان ما فات
بها ليس مما لا يمكن تلافيه تهوينا للخطب ومنهم من يقول ائذن لي في القعود ولا تفتني اي ولا توقعني
في الفتنة والمعصية والاثم بان لا تأذن لي يريد ان يتخلف لا محالة اذنت او لم تأذن فأذن لي حتى لا اقع بالمعصية
بالمخالفة او لا تلقني في الهلكة فاني ان خرجت معك هلك مالي وعيالي لعدم من يقوم بمصالحهم
وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم
ولكن اعينك بمالي فاتركني ولا تفتني من الفتنة من فتنته بمعنى افتنته الا في الفتنة اي في عينها ونفسها
واكمل افرادها الغني عن الوصف بالكمال الحقيق باختصاص اسم الجنس سقطوا لا في شيء مباين لها فضلا
عن ان يكون مهربا ومخلصا عنها وذلك بما فعلوا من العزيمة بالتخلف والجراءة على الاستيذان بهذه
الطريقة الشنيعة ومن القعود بالاذن المبني عليه وعلى الاعتذارات الكاذبة وقرئ سقط افراد الفعل
محافظة على لفظ من وفي تصدير الجملة بحرف التنبيه مع تقديم الظرف ايذان بانهم وقعوا فيها وهم
يحسبون انها منجى من الفتنة زعما منهم ان الفتنة انما هي التخلف بغير اذن وفي التعبير عنه بالسقوط
في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى اسفل سافلين
وقوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وعيد لهم على ما فعلوا معطوف على الجملة السابقة داخل تحت
التنبيه اي جامعة لهم يوم القيامة من كل جانب واتيان الجملة الاسمية للدلالة على الثبات والاستمرار
محيطة بهم الآن تنزيلا لما سيقع عن قريب منزلة الواقع او وضعا لاسباب الشيء موضعه فان مبادي
احاطتها اياهم من الكفر والمعاصي محيطة بهم الآن من جميع الجوانب ومن جملتها ما وقعوا فيه

من الفتنة وقيل تلك المبادى المستكلة بفنون الاعمال والاخلاق هي النار بعينها ولكن لا يظهر
ذلك في هذه النشاة وانما يظهر عند تشكلها بصورها الحقيقية في النشاة الاخرة والمراد بالكافرين اما
المنافقون والاتيان وضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالكفر والاشعار بانه معظم اسباب الاحوال
المذكورة واما جميع الكافرين الشاملين للمنافقين شمولا اوليا ان تصبك حسنة في بعض مغازيك
حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة اى تورثهم مساءة لفرط حسدهم وعداوتهم وان
تصبك في بعضها مصيبة من نوع شدة يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لارائهم قد اخذنا امرنا
اى تلافينا بما يهمنا من الامر يعنون به الاعتزال عن المسلمين والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة
وغير ذلك من امور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل اى من قبل اصابة المصيبة في وقت تداركه
يشيرون بذلك الى ان المعاملة المذكورة انما يروج عند الكفرة بوقوعها حال قوة الاسلام لا
بعد اصابة المصيبة ويتولوا عن مجلس الاجتماع والتحدث الى اهاليهم اى يعرضوا عن النبي صلى الله
عليه وسلم وهم فرحون بما صنعوا من اخذ الامر وبما اصابه عليه الصلوة والسلام والجملة حال
من الضمير في يقولوا ويتولوا لا في الاخير فقط لمقارنة الفرح لهما معا وايثار الجملة الاسمية للدلالة
على دوام السرور ولكناد المساءة الى الحسنة والمسرة الى انفسهم دون المصيبة بان قال وان تصبك
مصيبة تسؤهم بالايذان بخلاف حالهم الى عروض المساءة والمسرة بانهم في الاولى مضطرون وفي الثانية
مختارون قل بيانا لبطلان ما بنوا عليه مسرتهم من الاعتقاد لن يصيبنا ابدا وقرئ هل يصيبنا وهل
يصيبنا من فعل لانه واوى يقال صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب الا ما كتب الله لنا اى اثبته
لمصلحتنا الدنيوية والاخروية من النصرة عليكم او الشهادة المؤدية الى النعيم الدائم هو مولينا
ناصرنا ومتولى امورنا وعلى الله وحده فليتوكل المؤمنون التوكل التفويض الامر الى الله تعالى
والرضى بما فعلوا وان كان ذلك بعد ترتيب المبادى العادية والفا للدلالة على السببية والاصل
ليتوكل المؤمنون على الله قدم الظرف على الفعل لافادة القصر ثم ادخل الفا للدلالة على السببية
استدعائه تعالى للمتوكل كما في قوله تعالى واياى فارهبون والجملة ان كانت من تمام الكلام المامور
به فاظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار لاظهار التبرك والتلذذ به وان كانت مسوقة من قبله
تعالى امر للمؤمنين بالتوكل اثر امره صلى الله عليه وسلم بما ذكر فالاظهار فكذا اعادة الامر في قوله
تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين لانقطاع حكم الامر الاول في الثاني وان كان امر الغايب
واما على الوجه الاول فهى لابراز كمال العناية بشان المامور به والاشعار بينه وبين ما امر به
اولا من الفرق والسياق والتربص التمكث مع انتظار مجى شى خيرا كان او شرا والبا للتعدية واحد
التاءين محذوفة اى ما تنتظرون بنا الا احدى الحسنيين اى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما حسنى
العواقب وهما النصر والشهادة انفع مما يعدونه منفعة من النصر والغنيمة ونحن نتربص بكم احدى
السوأتين من العواقب اما ان يصيبكم الله بعذاب من عنده كما اصاب من قبلكم من الامم المهلكة والظرف
صفة عذاب ولذلك حذف عامله وجوبا او بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا الفا فصيحة اى
اذا كان الامر كذلك فتربصوا بنا ما هو عاقبتنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فاذا لقى كل منا
ومنكم بما يتربصه لا تشاهدون الا ما يسرنا ولا نشاهد الا ما يسوءكم قل انفقوا اموالكم في سبيل الله
تعالى طوعا او كرها مصدران وقعا موقع الفاعل اى طائعين او كارهين وهو امر في معنى الخبر كقوله
تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم والمعنى انفقتم طوعا او كرها لن يتقبل منكم وتم الكلام من سلك
الامر للمبالغة في بيان تساوى الامرين في عدم القبول كانهم امروا بان يمتحنوا الحال فينفقوا على الحالين
فينظروا هل يتقبل منهم فيشاهدوا عدم القبول وهو جواب في قول جد بن قيس ولكن اعينك بمالي
ونفى التقبل يحتمل ان يكون بمعنى عدم الاخذ منهم وان يكون بمعنى عدم الاثابة وهو قوله عز
وجل انكم كنتم قوما فاسقين اى عاتين متمردين تعليل لرد انفاقهم وما منعهم ان تقبل منهم
نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله استثنا من اعم الاشيا اى ما منعهم قبول نفقاتهم منهم شيء من الاشيا
الا كفرهم وقرئ يقبل على البناء للفاعل وهو الله تعالى ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى اى لا ياتونها
في حال من الاحوال الا حال كونهم متثاقلين ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا
يخافون على تركهما عقابا فقوله تبارك وتعالى طوعا اى من غير الزام من جهته عليه الصلوة والسلام
لا رغبة له وهو لنفي لتوسيع الدائرة فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج لهم ووبال
عليهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا بما يكابدون لجمعها
وحفظها من المتاعب ويقاسون فيها من الشدايد والمصايب وتزهق انفسهم وهم كافرون فيموتوا

كافرين

فيموتوا كافرين مستغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك لهم نقمة لا نعمة واصل الزهوق الخروج
بصعوبة ويحلفون بالله انهم لمنكم في الدين والاسلام وما هم منكم في ذلك ولكنهم قوم يفرقون يخافون
ان يفعل بهم ما يفعل بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية ويؤيدونه بالايمان الفاجرة لو يجدون ملجا
استيناف مقرر لمضمون ما سبق منهم من انهم ليسوا من المسلمين وان التجاءهم الى الانتماء اليهم انما هو
للتقية اضطرارا حتى انهم لو وجدوا غير ذلك ملجا اى مكانا حصينا يلجاون اليه من راس جبل
او قلعة او جزيرة واتيان صيغة الاستقبال في الشرط وان كان المعنى على الماضي لافادة عدم
استمرار الوجدان فان المضارع المنفى الواقع الموقع الماضي ليس نصا في افادة انتفاء استمرار
الفعل كما هو الظاهر بل يفيده استمرار انتفائه ايضا حسبما يقتضيه المقام فان معنى قولك
لو تحسن الى لشكرتك ان انتفاء الشكر بسبب استمرار لو انتفاء الاحسان لا انه بسبب انتفاء استمرار
الاحسان فان الشكر يتوقف على وجود الاحسان لا على استمراره كما حقق في موضعه او مغارات
اى غيرانا وكهوفا يخفون فيها انفسهم وقرئ بضم الميم من اغار الرجل اذا دخل الغور وقيل هو
متعد من غار اذا دخل الغور اى امكنة يغيرون فيها اشخاصهم واهليهم ويجوز ان يكون من اغار
الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب او مغارا او مدخلا اى نفقا يندرسون فيه وينجحرون وهو مفتعل
من الدخول ومندخلا من الادخال اى مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرئ مدخلا ومندخلا من اندخل
والاندخال لولوا اى صرفوا وجوههم واقبلوا وقرئ لوالوا اى لالتجاوا الى احدها ذكر اليه وهم
يجمحون اى يسرعون بحيث لا يردهم شى من الفرس الجموح وهو الذي لا يثنيه اللجام وفيه اشعار بكمال
عتوهم وطغيانهم وقرئ يجمزون بمعنى يجمحون ويشدون ومنه الجمازة ومنهم من يلمزك بكسر الميم
وقرئ بضمها اى يعيبك سرا وقرئ يلمزك في قسم الصدقات اى في شانها فان اعطوا منها
وقرئ يلامزك في الصدقات اى في قسم حطام الدنيا اى اذا اعطوا منها قدر ما يريدون رضوا
بما وقع من القسمة واستحسنوا وان لم يعطوا منها ذلك المقدار اذا هم يسخطون اى يفاجؤن السخط
واذا اثابت مناب فاء الجزاء وقيل نزلت هذه الآية الكريمة في ابى الجواظ المنافق حيث قال الا ترون
الى صاحبكم يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم انه يعدل وقيل في ابن ذى الخويصرة واسمه حرقوص
ابن زهير التميمي راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف
قلوب اهل مكة المشرفة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام
ويلك اذا لم اعدل فمن يعدل وقيل هم المؤلفة قلوبهم والاول هو الاظهر ولو انهم رضوا ما آتاهم الله
ورسوله اى اعطاهم الرسول عليه الصلاة والسلام من الصدقات طيبي النفوس وان قل وذكر الله
تعالى للتعظيم والتنبيه على ان ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بامره سبحانه وتعالى
وقالوا حسبنا الله اى كفانا فضله وصنيعه بنا وما قسم لنا سيؤتينا الله من فضله ورسوله بعد
هذا حسبما نرجو ونؤمل انا الى الله راغبون في ان يخولنا فضله والآية باسرها في حيز الشرط
والجواب محذوف بناء على ظهوره اى لكان خيرا لهم انما الصدقات شروع في تحقيق ما صنعه الرسول
عليه الصلاة والسلام من القسمة ببيان المصارف ورد لمقالة العالة انهم بمعزل من الاستحقاق اى جنس
الصدقات المشتملة على الانواع المختلفة للفقراء والمساكين اى مخصوصة بهؤلاء الاصناف
الثمانية الآتى ذكرها حين الصدقات الخ والآية الكريمة لا تتجاوزهم الى غيرهم كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم فيما
للذين لا علاقة بينها وبينهم يقولون فيها ما يقولونه وما سوغهم ان يتكلموا فيها وفي قاسمها والفقير
من له ادنى شيء والمسكين من لا شيء له هو المروى عن ابى حنيفة رضى الله عنه وقد قيل على العكس ولكل
منهما وجه يدل عليه والعاملين عليها الساعين في جمعها وتحصيلها والمؤلفة قلوبهم هم اصناف
فمنهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستالفهم ليسلموا فيرضخ لهم ومنهم قوم اسلموا
ونياتهم ضعيفة فيؤلف قلوبهم باجزال العطا كعيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن
مرداس ومنهم من يترقب باعطائهم اسلام نظائرهم ولعل الصنف الاول كان يعطيهم الرسول عليه
الصلاة والسلام من خمس الخمس الذى هو خالص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشيء منها على قتال
الكفار ومانعى الزكوة وقد سقط سهم هؤلاء بالاجماع لما ان ذلك كان لتكثير سواد الاسلام فلما
اعزه الله تعالى واعلى كلمته استغنى عن ذلك وفي الرقاب اى وللصرف في فك الرقاب بان يعان
المكاتبون بشيء منها على اداء نجومهم وقيل بان يفدى الاسارى وقيل بان يبتاع منها الرقاب فتعتق
واياما كان فالعدول عن اللام لعدم ذكر من يعتبر بعنوان مصحح للمالكية والاختصاص كالذين من قبلهم
للايذان لعدم مغايرتهم فيما اعطوا لهما في الوجهين الاولين ولعدم ثبوتة رأسا في الوجه الاخير
للاشعار برسوخهم في استحقاق الصدقة لما ان في الظرفية المبينة عن احاطتهم بها وكونهم محلها ومركزها

وبلا رمك مبالغة في الصدقات اى في شانها فان اعطوا منها
بيان لقساوتهم وانه لا منشأ له سوى حرصهم على ...

والغارمين اى الذين تدينوا لانفسهم فى غير معصية اذا لم يكن لهم نصاب فاضل عن ديونهم وكذلك
عند الشافعى رضى الله تعالى عنه من غرم لاصلاح ذات البين واطفاء النائرة بين القبيلين وان كانوا
اغنياء وفى سبيل الله اى فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل اى المسافر المنقطع عن ماله
وتغيير الظرف فى الاخيرين للايذان بزيادة فضلهما فى الاستحقاق او لما ذكر من ايرادهما بعنوان غير
مصحح للمالكية والاختصاص فهذه مصارف الصدقات وللمتصدق ان يدفع صدقته الى كل واحد
منهم وله ان يقتصر على صنف منهم لان اللام لبيان انهم مصارف لا تخرج عنهم لا لاثبات الاستحقاق
وقد روى ذلك عن عمر وابن عباس رضى الله عنهم وحذيفة وعند الشافعى لا يجوز الا ان يصرف
الى ثلاثة من تلك الاصناف المذكورة فريضة من الله مصدر مؤكد لما دل عليه صدر الآية
الكريمة اى فرض لهم الصدقات فريضة او حال من الضمير المستكن فى قوله للفقراء اى انما الصدقات
كائنة لهم حال كونها فريضة اى مفروضة والله عليم باحوال الناس ومراتب استحقاقهم حكيم لا
يفعل الا ما تقتضيه الحكمة من الامور الحسنة التى من جملتها سوق الحقوق الى مستحقيها ومنهم الذين
يؤذون النبى نزلت هذه الآية فى فرقة من المنافقين قالوا فى حقه عليه الصلاة والسلام ما لا ينبغى
فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ذلك فيقع بنا فقال الجلاس ابن سويد نقول ما شئنا ثم
نأتيه فينكر ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن سامعة وذلك قوله تعالى ويقولون
هو اذن يسمع كل ما قيل من غير ان يتدبر فيه ويميز بين ما يليق بالقبول لمساعدة امارات الصدق
له وبين ما لا يليق به وانما قالوه لانه عليه الصلاة والسلام كان لا يواجههم بسوء ما صنعوا
ويصفح عنهم حلما وكرما فحملوه على سلامة القلب وقالوا ما قالوا قل اذن خير لكم من قبيل رجل صدق
فى الدلالة على المبالغة فى الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يكون المراد
الاذن فى الخير فيما ينبغى سماعه وقبوله لا فى غير ذلك كما يدل عليه قراءة رحمة بالجر عطفا عليه اى
هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما فلا يقبله وقرئ اذن بسكون الذال فيهما وقرئ اذن خير على انه صفة
او خبر ثان وقوله عز وجل يؤمن بالله تفسير لكونه اذن خير لهم اى يصدق بالله تعالى لما قام عنده
من الادلة الموجبة له وكون ذلك خيرا للمخاطبين كما انه خير للعالمين مما لا يخفى ويؤمن للمؤمنين اى
يصدقهم لما علم فيهم من الخلوص واللام مزيدة للتفرقة بين الايمان المشهور وبين الايمان بمعنى التسليم والتصديق
كما فى قوله تعالى انؤمن لك وقوله تعالى فما آمن لموسى ورحمة عطف على اذن خير ورحمة بطريق اطلاق المصدر
على الفاعل للمبالغة للذين آمنوا منكم اى للذين اظهروا الايمان منكم حيث لم يقبله منهم لكن لا تصديقا لهم
فى ذلك بل رفقا بهم وترحما عليهم ولا يكشف اسرارهم ولا يهتك استارهم وكلمة الايمان لهم بصيغة الفعل
بعد نسبته الى المؤمنين بصيغة الفاعل المنبئة عن الرسوخ والاستمرار للايذان بان ايمانهم امر حادث
ماله من قرار وقرئ بالنصب على انها علة لفعل يدل عليه اذن بان ايمانهم امر حادث ماله من قرار وقرئ
بالنصب على انها علة لفعل دل عليه اذن خير اى ياذن لكم رحمة والذين يؤذون رسول الله بما نقل
من قولهم هو اذن ونحوه وفى صيغة الاستقبال المشعرة بترتب الوعيد على الاستمرار على ما هم عليه اشعار
بقبول توبتهم كما افصح عنه قوله تعالى فان يتوبوا يك خيرا لهم عما يخوضون عليه من اذية
الرسول عليه الصلاة والسلام كما ينبئ عنه بناء الحكم على الموصول عذاب اليم وهذا اعتراض مسوق من قبله
عز وجل على نهج الوعيد غير داخل تحت الخطاب وفى تكرير الاسناد باثبات العذاب الاليم لهم ثم جعل الجملة
خبرا للموصول ما لا يخفى من المبالغة وايراده صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة مضافا الى الاسم
الجليل لغاية التعظيم والتنبيه على ان اذيته راجعة الى جنابه عز وجل موجبة لكمال السخط والغضب
يحلفون بالله لكم الخطاب للمؤمنين خاصة وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن ثم ياتونهم فيعتذرون
اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالايمان ليعذروهم ويرضوا عنهم اى يحلفون لكم انهم ما قالوا ما نقل اليهم
مما يورث اذاة النبى صلى الله عليه وسلم اما التخلف عن الجهاد فليس بداخل فى هذا الاعتذار لعدم مواجهتهم
بذلك وانما اراد رضاهم بالتعليل مع ان عمدة اغراضهم ارضاء الرسول عليه الصلوة والسلام وقد قيل
عليه السلام ذلك منهم ولم يكذبهم للايذان بان ذلك بمعزل من ان يكون وسيلة الى رضاه عليه الصلاة
والسلام وانه عليه السلام انما لم يكذبهم رفقا بهم وسترا لعيوبهم لا عن رضى بما فعلوا كما اشير اليه
والله ورسوله احق ان يرضوه اى احق بالارضاء ويتبين ذلك اداء بالطاعة والمتابعات وايفاء حقوقه
عليه الصلاة والسلام فى باب الاجلال والاعظام مشهدا او مغيبا واماما او وراءه من الايمان الفاجرة
فانما يرضى بها من لا يعرف طريق علمه فى الاخبار الى ان يرى الحق ويمحق الباطل والجملة نصب على الحالية
من ضمير يحلفون اى يحلفون لكم لارضائكم والحال ان الله ورسوله احق بالارضاء منكم اى يعرضون عما يهمهم

ويجنبهم

ويجنبهم ويشتغلون بما لا يعنيهم وافراد الضمير فى يرضوه اما للايذان بان رضاه عليه الصلوة والسلام
مندرج تحت رضا الله تعالى وارضاؤه عليه الصلوة والسلام ارضاء له تبارك وتعالى لقوله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله الآية الكريمة واما لانه مستعار لاسم الاشارة الذى يشار به الى الواحد والمتعدد
بتاويل المذكور لانا نقول لولا الاستعارة لم يحسن التاويل لما ان الضمير لا يتعرض الا لذات ما يرجع اليه
من غير تعرض لوصف من اوصافه التى من جملتها الوصف المذكور به واما المتعرض لها فانما هو الاشارة تاو اما لانه
عائد الى رسوله والكلام جملتان حذف خبر الاولى لدلالة خبر الثانية عليه كما ذهب اليه سيبويه
رضى الله عنه • ومنه قول من قال • نحن بما عندنا وانت بما عندك • راض والرأى مختلف • او الى
الله على ان المذكور خبر الجملة الاولى وخبر الثانية محذوف كما هو رأى المبرد ان كانوا مؤمنين جوابه
محذوف تعويلا على دلالة ما سبق عليه اى ان كانوا مؤمنين فليرضوا الله ورسوله بما ذكر فانهما
احق بالارضاء الم يعلموا اى اولئك المنافقون والاستفهام للتوبيخ على ما قدموا عليه من العظيمة مع
علمهم بسوء عاقبتها وقرئ بالتاء على الالتفات لزيادة التقريع والتوبيخ اى الم تعلموا بما سمعتم من رسول
الله صلى الله عليه وسلم من فنون القوارع والانذارات انه اى الشأن من يحادد الله ورسوله المحادة
من الحد كالمشاقة من الشق والمعاداة من العدوة بمعنى الجانب فان كل واحد من مباشرى كل من الافعال المذكورة
فى محل غير محل صاحبه ومن شرطية جوابه قوله تعالى فان له نار جهنم على انه خبر محذوف اى فحق ان له نار
جهنم وقرئ بكسر الهمزة والجملة الشرطية فى محل الرفع على انها خبر لان وهى مع خبرها سادة مسد مفعولى
يعلموا وقيل المعنى فله وان تكرير الاولى تاكيدا لطول العهد لا من باب التاكيد اللفظى المانع للاولى
من العمل ودخول الفاء كما فى قوله من قال • لقد علم الحى اليمانون اننى • اذا قلت اما بعد انى خطيبها •• وقد
جوز ان يكون فان له معطوفا على انه وجواب الشرط محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان
له الخ ورد بان ذلك انما يجوز عند كون فعل الشرط ماضيا ومضارعا مجزوما بلم خالدا فيها حال مقدرة
من الضمير المجرور ان اعتبر فى الظرف ابتداء الاستقرار وحدوثه وان اعتبر مطلق الاستقرار فلا من ظاهر
ذلك اشير الى ما ذكر من العذاب الخالد وبذلك ايذانا ببعد درجته فى الهول والفظاعة الخزى العظيم الخزى
الذل والهوان المقارن للفضيحة والندامة وهى ثمرات نفاقهم حيث يفتضحون على رؤس الاشهاد بظهورها
ولحوق العذاب الخاص بهم والجملة تذييل لما سبق يحذر المنافقون ان تنزل عليهم فى شأنهم فان ما نزل فى حقهم
نازل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم من الاسرار الخفية فضلا عما كانوا يظهرونه فيما بينهم من اقاويل الكفر
والنفاق ومعنى تنبئتها اياهم بما فى قلوبهم مع انه معلوم لهم وان المحذور عندهم اطلاع المؤمنين على اسرارهم
لا اطلاع انفسهم عليها انها تذيع ما كانوا يخفونه من اسرارهم فينتشر فيما بين الناس فيسمعونها من افواه
الرجال مذاعة فكانها تخبرهم بها او المراد بالتنبئة المبالغة فى كون السورة مشتملة على اسرارهم كانها
تعلم باحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعى عليهم قبائحهم وقيل معنى يحذر ليحذر وقيل
الضميران الاولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ولا يبالى بالتفكيك عند ظهور الامر لتعوذ المعنى
اليه اى يحذر المنافقون ان تنزل على المؤمنين سورة تخبرهم بما فى قلوب المنافقين وتهتك عليهم
استارهم • قال ابو مسلم كان اظهار الحذر منهم بطريق الاستهزاء فانهم كانوا اذا سمعوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم يذكر كل شىء ويقول انه بطريق الوحى يكذبونه ويستهزؤن به فلذلك قيل
قل استهزؤا اى افعلوا الاستهزاء وهو امر تهديد ان الله مخرج اى مبرز من القوة الى الفعل او من الكمون الى
البروز ما تحذرون اى ما تحذرونه من انزال السورة ومن مخازيكم ومثالبكم المستكنة فى قلوبكم الفاضحة
على ملأ الناس والتاكيد لرد انكارهم لذلك لا لدفع ترددهم فى وقوع المحذور فانه ليس يحذرونه بطريق
الحقيقة ولئن سألتهم عما قالوا ليقولن انما كنا نخوض ونلعب روى انه عليه الصلوة والسلام كان يسير
فى غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يستهزؤن بالقرآن وبالرسول عليه الصلاة والسلام
ويقولون انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتح حصون الشام وقصورها هيهات هيهات فاطلع الله نبيه
على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبى الله لا والله ما كنا فى شىء من
امرك ولا من امر اصحابك ولكنا كنا فى شىء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل
غير ملتفت الى اعتذارهم ناعيا عليهم جناياتهم منزلا لهم منزلة المعترف بوقوع الاستهزاء موبخا لهم
على خطائهم موقع الاستهزاء ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن حيث عقب حرف التقرير بالمستهزأ به
فلا يستقيم ذلك الا بعد تحقق الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا بالاعتذار وهو عبارة عن محو اثر
الذنب فانه معلوم الكذب بين البطلان قد كفرتم اظهرتم الكفر بايذاء الرسول عليه الصلاة والسلام
والطعن فيه بعد ايمانكم بعد اظهاركم له ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم او لتجنبهم عن الايذاء

والاستهزاء وقرئ يعف على البنا للفعل الى الله سبحانه وتعالى وقرئ على البنا للمفعول بالاسناد الى الظرف
بتذكير الفعل وبتانيثه ايضا ذهابا الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة تعذب بنون التعظيم وقرئ بالتا
على البنا للفاعل وبالياء على البنا للمفعول مسند الى ما بعده طائفة بانهم كانوا مجرمين مصرين على
الاجرام وهم غير التائبين او مباشرين له وهم غير المجتنبين قال محمد بن اسحاق الذي عفي عنه هو رجل
واحد يحيى بن حمير الاشجعي لما نزلت هذه الاية الكريمة تاب عن نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع اية
تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول احد انا غسلت انا
كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف مصرعه غيره المنافقون والمنافقات
التعرض لاحوال الاناث للايذان بكمال عراقتهم في الكفر والنفاق بعضهم من بعض اي متشابهون بالنفاق
والبعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد بالشخص وقيل اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم
في حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله تعالى وما هم منكم وقوله تعالى يامرون بالمنكر اي بالكفر والمعاصي
وينهون عن المعروف اي عن الايمان والطاعة استيناف مقرر لمضمون ما سبق ومفصح عن مضادة حالهم
لحال المؤمنين او خبر ثان ويقبضون ايديهم اي عن المبرات والانفاق في سبيل الله تعالى فان قبض
اليد كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله وخذلهم والتعبير عنه
بالنسيان للمشاكلة ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسق الذي هو الخروج عن الطاعة
والانسلاخ من كل خير والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير كما في قوله تبارك وتعالى
وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار اي المجاهرين نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود فيها
هي حسبهم عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عقابها وعذابها ولعنهم الله اي ابعدهم من رحمته واهانهم وفي
اظهار الاسم الجليل من الايذان بشدة السخط ما لا يخفى ولهم عذاب مقيم اي نوع عذاب غير عذاب
النار دائم لا ينقطع ابدا ولهم عذاب في معنهم في الدنيا لا ينفك عنهم وهو ما يقاسونه من تعب
النفاق الذي هم منه في بلية دائمة لا يامنون ساعة من خوف الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على
اسرارهم كالذين من قبلكم التفات من الغيبة الى الخطاب للتشديد والكاف في محل الرفع على الخبرية اي
انتم مثل الذين من قبلكم المهلكة او في حيز النصب بفعل مقدر اي فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم كانوا
اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا تفسير وبيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم فاستمتعوا وتمتعوا وفي صيغة
الاستفعال ما ليس في التفعل من الاستزادة والاستدامة في التمتع بخلاقهم بنصيبهم من ملاذ الدنيا
واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير وهو ما قدر لصاحبه فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الكاف في محل النصب
على انه نعت لمصدر محذوف اي استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم بخلاقهم ● ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم
الخسيسة من الشهوات الفانية والتهائهم عن النظر في العواقب والعاقبة والتدبر في اللذائذ الحقيقية تمهيد لذم المخاطبين
بمشابهتهم اياهم واقتفائهم اثرهم وخضتم اي دخلتم في الباطل كالذي خاضوا اي كالذين باسقاط النون
او كالفوج الذي او كالخوض الذي خاضوه اولئك اشارة الى المتصفين بالاوصاف المعدودة من المشبهين
والمشبه بهم لا الى الفريق الاخير فقط فان ذلك يقتضي ان يكون حبوط اعمال المشبهين وخسرانهم مفهومين
ضمنا لا صريحا ويؤدي الى خلو التلوين الخطاب الى الغائبة والظاهر حينئذ اولئكم والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم او لكل من يصلح له الخطاب اي اولئك الموصوفون بما ذكر من الافعال الذميمة حبطت
اعمالهم ليس المراد بها اعمالهم المعهودة كما يشعر به التعبير عنهم باسم الاشارة فانها غنية عن البيان
بل اعمالهم التي كانوا يستحقون بها اجورا حسنة لو قارنت الايمان اي ضاعت وبطلت بالكلية ولم يترتب
عليها اثرها فيهما من السحت والنقمة وغير ذلك حسبما ينبئ عنه قوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا ه
وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون ليس ترتيبه على طريقة المثوبة والكرامة بل بطريق
الاستدراج واولئك اي الموصوفون بحبوط الاعمال في الدارين هم الخاسرون الكاملون في الخسران
في الدارين الجامعون لمبادئه ولما به طرا فانه قد ذهب رؤس اموالهم التي هي اعمالهم فيما ضيعوها ولم
ينفعهم قط ولو انها ذهبت فيما لا يعنيهم ولا ينفعهم لكفى به خسرانا وايراد اسم الاشارة في الموضعين
للاشعار بعلية الاوصاف المشار اليها للحبوط والخسران الم ياتهم اي المنافقين نبا الذين من قبلهم اي
خبرهم الذي له شان وهو ما فعلوا وما فعل بهم والاستفهام للتقرير والتحذير قوم نوح وعاد وثمود
وقوم ابراهيم واصحاب مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم اي انقلبت
بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين وائتفاكهن انقلاب احوالهن
من الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات استيناف لبيان نبائهم فما كان الله ليظلمهم الفاء للعطف على
مقدر يستجيب الكلام عليه ويستدعيه النظام اي فكذبوهم فاهلكهم الله وما ظلمهم بذلك بان

ما عليه النظم الكريم في تنزيه ساحة السبحان عن الظلم اي ما صح وما استقام له ان يظلمهم ولكن ظلموا
انفسهم من غير تعرض للظلم على الفاعل والجمع بين صيغة الماضي والمستقبل في قوله عز وجل ولكن كانوا انفسهم
يظلمون للدلالة على استمرار ظلمهم حيث لم يزالوا يعرضون انفسهم للعقاب بالكفر والتكذيب وتقديم المفعول
لمجرد الاهتمام به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم
موجبا للقصر فيكون كما في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر للظلم على الفاعل او
المفعول وسيجئ لهذا مزيد بيان في قوله سبحانه وتعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم
يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض بيان لحسن حال المؤمنين والمؤمنات حالا ومالا اثر
بيان قبح حال اضدادهم عاجلا واجلا والتعبير عن نسبة هؤلاء بعضهم الى بعض بالولاية وعن نسبة اولئك
غير الاولى بعبارة من للدلالة على ان نسبة هؤلاء بطريق الدينية المبنية على المعاقدة المستتبعة للاثار من
المعونة والنصرة وغير ذلك ونسبة اولئك بمقتضى الطبيعة والعادة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
اي حسب المعروف والمنكر المستطيل بكل خير وشر ويقيمون الصلوة فلا يزالون يذكرون الله تعالى فهو
في مقابلة قوله تعالى نسوا الله ويؤتون الزكوة بمقابلة قوله تعالى ويقبضون ايديهم ويطيعون الله ورسوله
اي في كل امر ونهي وهو بمقابلة وصف المنافقين بكمال الفسق والخروج عن الطاعة اولئك اشارة الى المؤمنين
والمؤمنات باعتبار اتصافهم بما سلف من الصفات الفاضلة وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد
درجتهم في الفضل اولئك سيرحمهم الله اي يفيض عليهم اثار
رحمته من التاييد والنصرة البتة فان السين مؤكدة للوقوع كما في قولك سانتقم منك ان الله عزيز
تعليل للوعد اي قوي قادر على اعزاز اوليائه وقهر اعدائه حكيم يبني احكامه على اساس الحكمة الباعثة
الى ايصال الحقوق من النعمة الى مستحقها من اهل الطاعة واهل المعصية وهذا وعد للمؤمنين متضمن لوعيد
المنافقين كما ان ما سبق في شان المنافقين من قوله فنسيهم وعيد لهم متضمن للوعد للمؤمنين فان منع لطفه
تعالى عنهم لطف في حق المؤمنين وعد الله المؤمنين والمؤمنات تفصيل لاثار رحمة الله تعالى الكلي
وبيان لذكر رحمة الدنيوية والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بعلية وصف الايمان
لحصول ما تعلق به الوعد وعدم التعرض لتكميلهم غير الامر بالمعروف وغير ذلك للايذان بانه
من لوازمه ومستتبعاته اي وعد كلا منهم وعدا شاملا لكل احد منهم على اختلاف طبقاتهم في مراتب الفضل كيفا
وكما جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بان كل احد منهم فانهن لها لا محالة ومساكن طيبة اي وعد
بعض الخواص الكمل منهم منازل تستطيبها النفوس ويطيب فيها العيش في الجنان مما قصور من اللؤلؤ
والزبرجد والياقوت الاحمر في جنات عدن اي اماكن الجنات واعلاها عن النبي عليه الصلاة والسلام
عدن دار الله لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء
يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ● وعن ابن عمر رضي الله عنه ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله
البروج والمروج وله خمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد
وعن ابن مسعود انها بطنان الجنة ووسطها فمدن على هذا وعلم فقيل هو بمعناه اللغوي اعني الاقامة
والخلود فمرجع العطف الى الاختلاف الوصف وتغايره فكانه وصفه اولا بانه من جنس ما هو ابهى
الاماكن المعروفة وعندهم من الجنات ذات الانهار الجارية ليميل اليه طباعهم اول ما يقرع اسماعهم ثم وصفه
بانه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التي لا يكاد يخلو عنها اماكن الدنيا وفيها ما تشتهي
الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بانه دار اقامة وثواب وثبات في جوار العليين لا يعتريهم فيها فناء ولا
تغير ثم وعدهم بما هو اعلى من ذلك كله فقال ورضوان من الله اي وشيء يسير من رضوان الله اكبر
اذ عليه يدور كل خير وسعادة وبه يناط نيل كل شرف وزيادة ولعل عدم نظمه في سلك
الوعود مع عزته في نفسه لانه متحقق في ضمن كل موعود ولانه مستمر في الدارين ● روي انه تبارك
وتعالى يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك
فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم
ابدا ذلك اشارة الى ما سبق ذكره وما فيه من معنى البعد درجته في العظمة والفخامة هو الفوز العظيم
دون ما يعده الناس فوزا من حظوظ الدنيا فانها مع قطع النظر عن فنائها وتغيرها وسمها وتكدرها
ليست بالنسبة الى ادنى شيء من نعيم الاخرة بمثابة جناح البعوض ● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ونعما قال من قال تالله لو
كانت الدنيا باجمعها تبقى علينا واتى رزقها رغدا لما كان من حق حر ان يذل بها فكيف وهي متاع يضمحل عند
يا ايها النبي جاهد الكفار اي المجاهرين منهم بالسيف والمنافقين بالحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم في ذلك

علمها اثر في الدنيا والاخرة بطريق المثوبة والكرامة
اما في الاخرة فظاهر واما في الدنيا فلانه ما يترتب صح

اي وشيء يسير من رضوان الله صح

ولا يأخذهم بهم رأفة قال عطا نسخت هذه الاية الكريمة كل شيء من العفو والصفح ومأويهم جهنم جملة
مستأنفة لبيان آجل امرهم اثر بيان عاجله وقيل حالية وبئس المصير تذييل لما قبله والمخصوص
بالذم محذوف يحلفون بالله ما قالوا استئناف لبيان ما صدر عنهم من الجرائم الموجبة لما امر به من الامر بالجهاد
والغلظة عليهم ودخولهم جهنم روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام في غزوة تبوك شهرين فنزل
عليه القران وعيب المنافقين المتخلفين فسمعه من كان منهم معه عليه الصلاة والسلام فقال الجلاس
ابن سويد لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال
عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك
تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل واتيان صيغة الاستقبال في يحلفون لاستحضار الصورة
او للدلالة على تكرير الحلف وصيغة الجمع في قالوا مع ان القائل هو الجلاس للايذان بان بقيتهم برضاهم
صاروا بمنزلة القائل ولقد قالوا كلمة الكفر هي ما حكي انفا والجملة مع ما عطف عليها اعتراض وكفروا
بعد اسلامهم اي اظهروا ما في قلوبهم من الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا هو الفتك
برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه توافق خمسة عشر على ان يدفعوه عليه الصلاة
والسلام عن راحلته اذا تسنم العقبة بالليل فكان عمار بن ياسر آخذا بخطام ناقته يقودها وحذيفة
بن اليمان يسوقها فبينما هم كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت
فاذا قوم ملثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على
الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي بن سلول وان لم يرض به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما نقموا اي وما انكروا وما عابوا او ما وجدوا ما يورث نقمتهم الا ان اغناهم الله ورسوله
من فضله سبحانه وتعالى وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في غاية
ما يكون من ضنك العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الف درهم فاستغنى والاستثناء مفرغ من اعم
المفاعيل او من اعم العلل اي وما انكروا شيئا من الاشياء الا اغناء الله تعالى اياهم او ما انكروا لعلة من
العلل الا لاغناء الله تعالى اياهم فان يتوبوا عما هم عليه من الكفر والنفاق يك خيرا لهم في الدارين قيل
لما تلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجلاس يا رسول الله قد عرض الله علي التوبة والله لقد
قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته وان يتولوا اي يستمروا على ما كانوا عليه من التولي والاعراض عن
الدين او اعرضوا عن التوبة بعد هذا العرض يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والنهب وغير ذلك
من صنوف العقوبات والاخرة بفنون العذاب بالنار وغيرها من افانين العقاب وما لهم في الارض مع سعتها
وتباعد اقطارها وكثرة اهلها المصححة لوجدان ما نفي بقوله عز وجل من ولي ولا نصير يبعدهم من العذاب
بالشفاعة او المدافعة ومنهم بيان لقبائح بعض اخر منهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن
لنؤتين الزكاة وغيرها من الصدقات ولنكونن من الصالحين قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد الحج وقرئ
بالنون الخفيفة فيهما قيل نزلت في حاطب بن ثعلبة اتى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول
الله ادع لي ان يرزقني الله مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي حقه خير من كثير لا تطيقه
فراجعه وقال والذي بعثك بالحق نبيا ونذيرا لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه قال
فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع
عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل انه كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال
يا ويح ثعلبة فبعث مصدقين لاخذ الصدقات واستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه
الصدقة واقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية
ما هذه الا اخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رايي وذلك قوله عز وجل فلما اتاهم من فضله بخلوا به
اي منعوا حق الله منه وتولوا اي اعرضوا عن طاعة الله سبحانه وتعالى فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله
عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك
فجعل التراب على رأسه فقال عليه الصلاة والسلام هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض عليه فجاء بها
الى ابي بكر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في خلافة عثمان وهم معرضون جملة معترضة وهم قوم
عادتهم الاعراض او حالية اي تولوا باجرامهم وهم معرضون بقلوبهم فاعقبهم اي جعل الله تعالى عاقبة
فعلهم ذلك نفاقا راسخا في قلوبهم الى يوم يلقونه اي يوم موتهم الذي يلقون الله تعالى عنده او يلقون
جزاء عملهم وهو يوم القيمة وقيل فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم ولا يبعد قوله عز وجل بما اخلفوا الله

رضي الله عنه وقيل نزلت فيه وفي سهل ابن [illegible] وجد بن قيس ومعتب بن قشير والاول هو الاشهر صح

ما وعدوه اي بسبب اخلافهم ما وعدوه تعالى من التصدق والصلاح وبما كانوا يكذبون اي بكونهم مستمرين
على الكذب في جميع المقالات التي من جملتها وعدهم المذكور وتخصيص الكذب يؤدي الى تخلية الجمع بين صيغتي
الماضي والمستقبل عن المزية فان نسبة الاعطاف المذكورة بالاخلاف والكذب يقتضي باسناده الى الله
تعالى اذ لا معنى لكونهما سببين لاعقاب البخل النفاق والتحقيق انه لما كانت الفاء الدالة على الترتيب والتفريع
منبئة عن ترتب اعقاب النفاق المخل على افعالهم المحكية عنهم من المعاهدة بالصدق والفلاح والبخل
والتولي والاعراض وفيها ما لا دخل له في الترتيب المذكور كالمعاهدة الخ بين ما في ذلك من الابهام مرة
بتعيين ما هو المدار في ذلك والله تعالى اعلم وقرئ بتشديد الدال الم يعلموا اي المنافقين او من عاهد
الله تعالى وقرئ بالتاء الفوقانية خطابا بالمؤمنين فالهمزة على الاول للانكار والتوبيخ والتهديد اي
الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم اي ما اسروه في انفسهم وما تناجوا فيما بينهم من المطاعن وتسمية
الصدقة جزية وغير ذلك مما لا خير فيه وسر تقديم السر على النجوى سيظهر في قوله تعالى وستردون
الى عالم الغيب والشهادة وان الله علام الغيوب فلا يخفى عليه شيء من الاشياء حتى اجترؤا على ما
اجترؤا عليه من العظائم واظهار اسم الجلالة في الموقعين لالقاء الروعة وتربية المهابة وفي اسناد
العلم المتعلق بسرهم ونجواهم الى الذات ثانيا بصيغة الفعل الدال على الحدوث والتجدد والعلم المتعلق
بالغيوب الكثيرة الدائمة بصيغة الاسم الدال على الدوام والمبالغة من الفخامة والجزالة ما
لا يخفى وعلى الثاني لتقرير علم المؤمنين بذلك وتنبيههم على انه تعالى مؤاخذهم ومجازيهم بما علم من
اعمالهم الذين يلمزون نصب او رفع على الذم ويجوز على البدلية من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ
بضم الميم وهي لغة اي يعيبون المطوعين اي المتطوعين المتبرعين من المؤمنين حال من المطوعين
وقوله تعالى في الصدقات متعلق بيلمزون روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الناس
على الصدقة فاتى عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من الذهب وقيل باربعة الاف درهم وقيل كان
له ثمانية الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف درهم فاقرضت ربي اربعة وامسكت لعيالي اربعة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله تعالى
له حتى صولحت تماضر رابعة نسائه عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من
تمر وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع
فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد
الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه
ليعطى من الصدقات فنزلت الاية والذين لا يجدون الا جهدهم عطف على المطوعين اي ويلمزون الذين
لا يجدون الا طاقتهم وقرئ بفتح الجيم وهو مصدر جهد في الامر اذا بالغ وقيل هو بالضم الطاقة وبالفتح
المشقة فيسخرون منهم عطف على يلمزون اي يهزؤن بهم والمراد بهم الفريق الثاني لا غير سخر الله منهم
اخبار بمجازاة الله تعالى اياهم على ما فعلوا من السخرية فالتعبير عنها بذلك للمشاكلة ولهم اي ثابت
لهم عذاب اليم التنوين للتهويل والتفخيم وايراد الجملة اسمية للدلالة على الاستمرار استغفر لهم او لا
تستغفر لهم الاخبار باستواء الامرين وتركه في استحالة المغفرة وتصويره بصورة الامر للمبالغة في
بيان استوائهما كانه عليه الصلاة والسلام امر بامتحان الحال بان يستغفر تارة ويتركه اخرى ليظهر له
جلية الامر كما ترى في قوله عز وجل قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم بيان لاستحالة المغفرة بعد المبالغة في الاستغفار اثر بيان الاستواء بينه وبين عدمه
روي ان عبد الله بن ابي وكان من المخلصين سال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض ابيه ان يستغفر له
ففعل عليه الصلاة والسلام فنزلت الاية فقال عليه الصلاة والسلام لازيدن عليها محافظة على ما هو الاصل من
ان ما وراء العدد حده مخالفة بخلاف حكم ما فوقها ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين
فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وقد شاع استعمال السبعة والسبعين
والسبعمائة في مطلق التكثير لاشتمال السبعة على جملة اقسام العدد فكانها العدد باسره وقيل هي اكمل
الاعداد لجمعها معانيها ولان الستة اول عدد تام لتعادل اجزائها الصحيحة اذ نصفها ثلثة وثلثها اثنان
وسدسها واحد وجملتها ستة وهي مع الواحد سبعة فكانت كاملة اذ لا مرتبة بعد التمام الا الكمال ثم
السبعون غاية الكمال اذ الاحاد غايتها العشرات والسبعمائة غاية الغايات ذلك اشارة الى
امتناع المغفرة لهم ولو بعد المبالغة في الاستغفار وليس ذلك الامتناع لعدم الاعتداد
باستغفارك بل بانهم اي بسبب انهم كفروا بالله ورسوله كفرا متجاوزا عن الحد كما يلوح به وصفهم
بالفسق في قوله عز وعلا والله لا يهدي القوم الفاسقين فان الفسق في كل شيء عبارة عن التمرد والتجاوز

عن جدوده اي لا يهديهم هداية موصلة الى القصد البتة لمخالفة ذلك الحكمة التي عليها يدور ذلك
التكوين والتشريع واما الهداية بمعنى الدلالة على ما توصل اليه فهي متحققة لا محالة ولكنهم بسوء
اختيارهم لم يقبلوها فوقعوا فيما وقعوا وهو تذييل مؤكد لما قبله من الحكم فان مغفرة الكافر بالاقلاع
بالاقلاع عن الكفر والاقبال الى الحق والتمسك فيه المطبوع عليه بمعزل من ذلك وفيه تنبيه على
عذر النبي عليه الصلاة والسلام في استغفاره لهم وهو عدم ياسه عن ايمانهم حيث لم يعلم انهم
مطبوعون على الغي والضلال اذ الممنوع هو الاستغفار لهم بعد تبين حالهم كما سيتلى من قوله عز وجل
فرح المخلفون اي الذين خلفهم النبي صلى الله عليه وسلم بالاذن لهم في القعود عند استيذانهم
او خلفهم الله تعالى بتثبيطه اياهم لما علم ما في ذلك من الحكمة الخفية او خلفهم كسلهم او نفاقهم
بمقعدهم متعلق بفرح اي قعودهم وتخلفهم عن الغزو خلاف رسول الله اي خلفه وبعد خروجه
حيث خرج ولم يخرجوا يقال اقام خلاف الحي اي بعدهم ظعنوا ولم يظعنوا ويؤيده قراءة من قرا خلف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتصابه على انه ظرف لمقعدهم اذ لا فايدة في تقييد فرحهم بذلك
وقيل هو بمعنى المخالفة ويعضده قراءة من قرا خلف رسول الله بضم الخاء وانتصابه على انه مفعول
له والعامل اما فرح فيفرحوا لاجل مخالفته عليه الصلاة والسلام بالقعود واما مقعدهم اي
فرحوا بقعودهم لاجل مخالفته عليه الصلاة والسلام او على انه حال والعامل احد المذكورين اي
فرحوا مخالفين له عليه الصلاة والسلام بالقعود او فرحوا بالقعود مخالفين له عليه الصلاة والسلام
وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله لا للدعة والخوض على طاعة الله تعالى تبارك
وتعالى فقط بل مع ما في قلوبهم من الكفر والنفاق وايثار احد الامرين قد يتحقق بادنى رجحان من
غير ان يبلغ الاخر مرتبة الكراهية وانما اوثر ما عليه النظم الكريم على ان يقال وكرهوا ان يخرجوا
الى الغزو ايذانا بان الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى مع كونه من اجل الرغائب واشرف المطالب التي
يجب ان يتنافس فيها المتنافسون قد كرهوه كما قد فرحوا باقبح القبايح الذي هو القعود خلاف
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اي لاخوانهم تثبيتا لهم على التخلف والقعود وتواصيا فيما
بينهم بالشر والفساد وللمومنين تثبيطا لهم عن الجهاد ونهيا عن المعروف واظهارا لبعض العلل الداعية لهم
الى ما فرحوا به من القعود فقد جمعوا ثلاث خلال من خصال الكفر والضلال الفرح بالقعود وكراهية
الجهاد وهي النفير عن ذلك لا تنفروا في الحر فانه لا يستطاع شدته قل ردا عليهم وتجهيلا لهم نار جهنم التي
ستدخلونها بما فعلتم اشد حرا مما تحذرون من الحر المعهود وتحذرون الناس منه فما لكم لا تحذرونها
وتعرضون انفسكم بلسان العفو وعلى النفير لو كانوا يفقهون اعتراض تذييل من جهته سبحانه وتعالى
غير داخل تحت القول المامور به مؤكد لمضمونه وجواب لو اما مقدر اي لو كانوا يفقهون انها
كذلك او كيف هي لما فعلوا ما فعلوا او لتاثروا بذلك واما غير منوي على ان لو لمجرد التمني
بمجرد التمني المنبي عن امتناع تحقق مدخولها اي لو كانوا من اهل الفطانة والفقه كما في قوله تعالى قل
انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون فليضحكوا قليلا
وليبكوا كثيرا اخبار عن عاقبة امرهم من الضحك القليل والبكاء الطويل المؤدي اليه
اعمالهم السيئة التي من جملتها ما ذكر من الفرح والفاء لسببية ما سبق للاخبار بما ذكر من الضحك والبكاء
لا لنفسهما اذ لا يتصور في الاول اصلا وقليلا وكثيرا منتصبان على المصدرية او الظرفية اي ضحكا
قليلا وبكاء كثيرا او زمانا قليلا وزمانا كثيرا واخراجه في صورة الامر للدلالة على تحتم وقوع المخبر به
فان امر الامر المطاع مما لا يكاد يتخلف عنه المامور به خلا ان المقصود افادة المعنى التبعية
هو وصف الاول بالقلة والثاني بالكثرة ان يكون كذلك مع الموصوف وقد روي ان اهل النفاق يبكون في النار
عمر الدنيا لا يرقا لهم دمع ولا يكتحلون بنوم ويجوز ان يكون الضحك كناية عن الفرح والبكاء عن الغم
وان تكون القلة عبارة عن العدم والكثرة عن الدوام جزاء بما كانوا يكسبون من فنون المعاصي
والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على الاستمرار التجددي ما داموا في الدنيا وهو مفعول
له للفعل الثاني اي ليبكوا جزاء او مصدر حذف ناصبه اي يجزون مما ذكر من البكاء جزاء بما كانوا
يكسبون من المعاصي المذكورة فان رجعك الله الفاء لتفريع الامر الاتي على ما بين من امورهم السيئة
من الرجوع المتعدي دون الرجوع اللازم اي فان ردك الله تعالى الى طائفة منهم اي الى المنافقين من المتخلفين
في المدينة فان تخلف بعضهم انما كان لعذر مع الاسلام واليمن او لان منهم المنافقين المتخلفين
ذهب بعضهم انما كان الموت او بالغيبة عن البلد او بالتوبة عن النفاق قال قتادة انهم كانوا اثني عشر رجلا
قيل منهم ما قيل فاستاذنوك للخروج معك الى غزوة اخرى بعد غزوتك هذه فقل اخراجا لهم عن

ديوان

عن ديوان الغزاة وابعادا لمحلهم من محتمل صحبتك قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا من الاعداء
وهو اخبار في معنى النهي للمبالغة وقد وقع كذلك انكم تعليل لما سلف اي لانكم رضيتم بالقعود اي عن
القعود عن الغزو وفرحتم بذلك اول مرة هي غزوة تبوك فاقعدوا الفا لتفريع الامر بالقعود بطريق
العقوبة على ما صدر عنهم من الرضاء بالقعود اي اذا رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا من بعد مع الخالفين
المتخلفين الذين ديدنهم القعود والتخلف دائما وقرئ مع الخلفين على القصر كما نحوا اسامهم وقبل المجاهدين
فادخم في تحرب الخالفين عقوبة لهم اي عقوبة وتلك اسم التفضيل المضاف الى المونث هو الاكثر الدائر
على الالسنة فانك لا تكاد تسمع قايلا يقول هي كبرى امراة او اولى مرة ولا تصل على احد منهم مات صفة
لاحد وانما جي بصيغة الماضي تنبيها على تحقق الوقوع لا محالة ابدا متعلق بالنهي اي لا تدع ولاته
تستغفر لهم ابدا ولا تقم على قبره اي لا تقف عليه للدفن ولا للزيادة ولا للدعا روي انه عليه الصلاة
والسلام كان يقوم على قبور الموتى فقيل ويدعوا لهم فلما مرض راس النفاق عبد الله بن ابي بن سلول
بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليا تينه فلما دخل عليه قال له عليه الصلاة والسلام اهلكك
حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لا لتوبيخني وسالة ان يكفنه في شعاره الذي
يلي جلده ويصلي عليه فلما مات دعاه ابنه وكان مسلما صالحا فاجابه عليه الصلاة والسلام
تسلية له ومراعاة لجانبه وارسل اليه قميصه فكفن فيه فلما هم بالصلاة او صلى نزلت وعن عمر
رضي الله عنه انه قال لما هلك عبد الله بن ابي ووضعنا ليصلي عليه فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت اتصلي على عدو الله القائل يوم كذا كذا وكذا والقائل يوم كذا كذا وكذا وعددت ايامه
الخبيثة فتبسم عليه الصلاة والسلام وصلى عليه ثم مشى وقام على حفرته حتى دفن فوالله ما لبث الا
يسيرا حتى انزل الله الاية ولا تصل على احد منهم مات ابدا الاية فما صلى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
على منافق ولا قام على قبره وانما لم ينه عن التكفين بقميصه عليه الصلاة والسلام لان الضنة به
بالقميص الذي كان البسه العباس رضي الله تعالى عنه حين اتي به يوم بدر والحبر مشهور انهم كفروا
بالله ورسوله تعليل للنهي على معنى ان الاستغفار للميت والوقوف على قبره انما يكون لاستصلاحه
وذلك مستحيل في حقهم لانهم استمروا على الكفر بالله ورسوله مدة حياتهم وماتوا وهم فاسقون اي
متمردون في الكفر خارجون عن حدوده كما يني من معنى الفسق ولا تعجبك اموالهم واولادهم تكرير
لما سبق وتقرير لمضمونه بالاخبار بوقوعه ويجوز ان يكون هذا في حق فريق غير الفريق الاول
ولعل ما الاموال في امثال هذه المواقع على الاولاد مع كونهم اعز منها اما لعموم مساس الحاجة اليها
بحسب الذات وبحسب الافراد والاوقات فانها مما لا بد لكل احد من الاباء والامهات والاولاد في
كل وقت وحين حتى ان من له اولاد ولا مال له فهو وولده في ضيق ونكال واما الاولاد فانما
يرغب فيهم من بلغ مبلغ الابوة واما لان المال مناط لبقاء النفس والاولاد لبقاء النوع واما لانها
اقدم في الوجود من الاولاد لان الاجزاء المنوية انما تحصل من الاغذية كما سياتي في سورة الكهف تم
انما يريد الله ان يعذبهم بها من الاموال والاولاد ان يعذبهم بها في الدنيا بسبب معاناتهم المشاق ومكابدة
الشدايد في شانها وتزهق انفسهم وهم كافرون اي فيموتوا كافرين باشتغالهم بالتمتع بها والالتهاء عن
النظر والتدبر في العواقب واذا انزلت سورة من القران ويجوز ان يراد بها بعضها ان امنوا بالله
ان مفسرة لما في الانزال من معنى القول والوحي او مصدرية حذف عنها الجار اي بان امنوا وجاهدوا
مع رسوله لاعزاز دينه واعلاء كلمته استاذنك اولوا الطول منهم اي ذوو الفضل والسعة والقدرة
على الجهاد بدنا ومالا وقالوا عطف تفسيري لاستاذنك مغن عن ذكر ما استاذنوا فيه يعني القعود
ذرنا نكن مع القاعدين اي الذين قعدوا عن الغزو لما بهم من عذر رضوا استئناف لبيان سوء صنيعهم
وعدم امتثالهم بكلا الامرين وان لم يرد والاول صريحا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء اللاتي من
شانهن القعود ولزوم البيوت جمع خالفة وقيل الخالفة من لا خير فيه وطبع على قلوبهم فهم بسبب
ذلك لا يفقهون ما في الايمان بالله وطاعته في اوامره ونواهيه واتباع رسوله صلى الله عليه
وسلم والجهاد من السعادة وما في اضداد ذلك من الشقاوة لكن الرسول والذين امنوا معه بالله تعالى
جاهدوا بعده بتاركه وتعالى وفيه ايذان بانهم ليسوا من الايمان بالله في شيء وان لم يعرضوا عنه
صريحا اعراضهم عن الجهاد باستيذانهم في القعود كقوله تعالى فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها
بكافرين واولئك المنعوتون بالاوصاف الجميلة لهم بواسطة الجهاد الخيرات المنوطة بالخيرات اي
منافع الدارين من النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الاخرة وقيل الحور كقوله تعالى
فيهن خيرات حسان الاية وهي جمع خيرة تخفيف خيرة واولئك هم المفلحون اي الفائزون بالمطلوب لا

لا من جانب نقصانا من الحظوظ الفانية اما قليل وتكرير اسم الاشارة للتنويه بشانهم ودلالة انهم اعد الله لهم
استئناف لبيان كونهم مفلحين اى هيأ لهم في الآخرة جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال
مقدرة من الضمير المجرور لقائل اعد ذلك اشارة الى ما فهم من اعداد الله تعالى الجنات المذكورة من
نيل الكرامة العظمى ذلك الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه وجاء المعذرون من عذر في الامر اذا قصر
فيه وانى وطن بحقيقته اذ توهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له اى المعتذرون بادغام التاء في الذال
ونقل حركتها الى العين وهو المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا لحن اذ التاء
لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والذال والصاد في المطوعين واذكروا واصدق وقيل اريد بهم المعتذرون
والمعتذرون اى الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله وهم منافقوا الاعراب الذين
لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر انهم كذبوا على الله ورسوله في ادعاء الايمان والطاعة سيصيب الذين
كفروا منهم اى من الاعراب ومن المعتذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره عذاب اليم بالقتل والاسر
في الدنيا والنار في الآخرة ليس على الضعفاء ولا على المرضى كالهرمى والزمنى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
لفقرهم كجهينة ومزينة وبني عذرة حرج اثم في التخلف اذا نصحوا لله ورسوله وهو عبارة عن الايمان بهما
والطاعة لهما في السر والعلن وتواليهما في السراء والضراء والحب فيهما والبغض فيهما كما يفعل الموالي
الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل استئناف مقرر لمضمون ما سبق اى ليس عليهم جناح ولا معاتبة
سبيل من مزيدة للتاكيد ووضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على انتظامهم بنصحهم لله ولرسوله في سلك
المحسنين او تعليل لنفي الحرج عنهم اى ما على المحسنين من سبيل وهم من جملتهم والله غفور رحيم تذييل مؤيد
لمضمون ما ذكر مشيرا الى ان بهم حاجة الى المغفرة وان كان تخلفهم بعذر ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم
عطف على المحسنين كما يؤذن به قوله عز وجل فيما سيأتي انما السبيل الآية وقيل عطف على الضعفاء وهم
البكاءون سبعة من الانصار معقل بن يسار وعلبة بن زيد اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم انتدبتنا للخروج
فاحملنا على الخفاف المرقوعات والنعال المخصوفة نغز معك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اجد
فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد ونعمان وقيل ابو موسى الاشعري واصحابه قلت لا اجد ما
احملكم عليه حال من الكاف في اتوك باضمار قد وما عبارة لما سألوه عليه الصلاة والسلام وغيره مما يحمل عادة
وفي ايثار لا اجد على ليس عندي من تلطيف الكلام وتطييب قلوب السائلين ما لا يخفى كانه عليه الصلاة والسلام
تطلب ما يسألونه على الاستمرار فلم يجده تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل بشدة من الدمع اى دمعا
فان من البيانية مع مجرورها في محل النصب على التمييز وهو ابلغ من تفيض دمعها لافادته ان العين بعينها صارت
دمعا فياضا والجملة حالية وقوله تعالى حزنا نصب على العلية او الحالية او المصدرية لفعل دل عليه ما قبله اى
تحزن حزنا لان الحزن يسند الى العين مجازا كالفيض او تولوا لها وحزنا او يحزنون حزنا فتكون هي مع الجملة حالا من
الضمير في تفيض الا يجدوا على حذف لام متعلقة بحزنا او بتفيض اى لئلا يجدوا ما ينفقون في شيء اما يحتاجون
اليه اذ لم يجدوه عندك انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستأذنونك في التخلف وهم اغنياء واجدون لاهبة
الغزو مع سلامتهم رضوا استئناف تعليلي لما سبق كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بان يكونوا مع
الخوالف الذين شأنهم الضعة والدناءة وطبع الله على قلوبهم اى خذلهم فغفلوا عن وخامة العاقبة فهم بسبب
ذلك لا يعلمون ابدا ما ذا يتبعه من غوائله وما يستتبعه لجلالة كما لم يعلموا انه عاجلا يعتذرون اليكم استئناف لبيان ما
يقصدونه عند القفول اليه روى انهم كانوا بضعة وثمانين رجلا فلما رجع عليه الصلاة والسلام جاؤوا
يعتذرون اليه بالباطل والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانهم كانوا يعتذرون اليهم ايضا لا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط اى يعتذرون اليكم في التخلف اذا رجعتم من الغزو منتهين اليهم وانما قال
الى المدينة ايذانا بان مدار الاعتذار هو الرجوع اليهم لا الرجوع الى المدينة فلعل منهم من بادر الى الاعتذار وقيل
الرجوع اليها قل تخصيص هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تعميم ما قبله لاصحابه ايضا لان الجواب
وظيفته عليه الصلاة والسلام واما اعتذارهم فكان شاملا للمسلمين بشمول الرجوع لهم لكل لا تعتذروا اى لا تفعلوا
الاعتذار كقوله تعالى قال اخسؤوا فيها ولا تكلمون او لا تعتذروا بما عندكم من المعاذير واما التعريض لعنوان كذبها
فلا يساعده قوله تعالى لن نؤمن لكم اى لن نصدقكم في ذلك ابدا فانه استئناف تعليل للنهي مبني على سؤال من قبلهم
متفرع على ادعاء الصدق في الاعتذار كانهم قالوا لم لا نعتذر فقيل لانا لا نصدقكم ابدا فيكون عبثا لا يترتب
عليه غرض المعتذر وقوله عز وجل قد نبأنا الله من اخباركم تعليل لانتفاء التصديق اى اعلمنا بالوحي اخباركم
المنافية للتصديق بما باشرتموه من الشر والفساد واضمرتموه في ضمائركم وما ستتموه للارادة في معرض الاعتذار
من الاكاذيب وجمع ضمير المتكلم في المؤمنين للمبالغة في حسم اطماعهم من التصديق رأسا ببيان عدم رواج اعتذارهم
عند احد من المؤمنين اصلا فان تصديق البعض لهم ربما يطمعهم في تصديق الرسول عليه الصلاة والسلام بواسطة

المصدقين

ومن الاعراب ثبوتهم شروع في بيان احوال منافقي الاعراب اثر بيان منافقي اهل المدينة والمعذرون منهم صح

بنو مقرن معقل وسويد والنعمان ... عبد الله بن كعب وسالم بن عمير وعبد الله بن مغفل صح

المصدقين للايذان بافتضاحهم بين المؤمنين كافة وسيرى الله عملكم فيما سيأتي اتتوبون اليه تبارك
وتعالى مما انتم فيه من النفاق ام تثبتون فكانه استتابة وامهال للتوبة وتقديم مفعول الرؤية على ما
عطف عليه من قوله تبارك وتعالى ورسوله للايذان باختلاف حال الرؤيتين وتفاوتهما وللاشعار
بان مدار الوعيد هو علمه عز وجل باعمالهم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة للجزاء بما ظهر منكم من
الاعمال ووضع المظهر موضع المضمر لتشديد الوعيد فان علمه تعالى بجميع اعمالهم الظاهرة والباطنة
واحاطته باحوالهم البادية والكامنة مما يوجب الزجر العظيم فينبئكم عند ردكم اليه ووقوفكم بين يديه
بما كنتم تعملون اى بما كنتم تعملونه في الدنيا على الاستمرار من الاعمال السيئة السابقة واللاحقة على ان ما
موصولة والعائد اليها محذوف او بعملكم المستمر على انها مصدرية والمراد بالتنبئة بذلك المجازاة به
وايثارها عليها لمراعاة ما سبق من قوله تعالى قد نبأنا الله فان المنبأ به الاخبار المتعلقة باعمالهم وللايذان
بانهم ما كانوا عالمين في الدنيا بحقيقة اعمالهم وانما يعلمونها حينئذ يومئذ سيحلفون بالله لكم تاكيد لمعاذيرهم
الكاذبة وتقرير لها والسين للتاكيد والمحلوف عليه محذوف يدل عليه الكلام وهو ما اعتذروا به من
الاكاذيب والجملة بدل من يعتذرون او بيان له اذا انقلبتم اى انصرفتم من الغزو اليهم ومعنى الانقلاب هو
الرجوع والانصراف مع زيادة معنى الوصول والاستيلاء وفائدة تقييد حلفهم به الايذان بانه ليس
لدفع ما خاطبهم النبي عليه الصلاة والسلام به من قوله تعالى لا تعتذروا الى آخره بل هو امر مبتدأ
لتعرضوا عنهم وتصفحوا عنهم صفح رضا فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم كما يفصح عنه قوله تعالى فاعرضوا عنهم
لكن لا اعراض رضا كما هو طلبهم بل اعراض اجتناب ومقت كما يعرب عنه قوله عز وجل انهم رجس فانه
صريح في ان المراد بالاعراض عنهم اما الاجتناب عنهم لما فيهم من الرجس الروحاني واما ترك استصلاحهم
بترك المعاتبة لان المقصود بها التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء ارجاس لا تقبل التطهير فلا يتعرض
لهم بها ومأواهم جهنم اما من تمام التعليل فان كونهم من اهل النار من دواعي الاجتناب عنهم ومن موجبات
ترك استصلاحهم باللوم والعتاب واما تعليل مستقل اى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا انتم
في ذلك جزاء نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر من لفظه وقع حالا اى يجزون جزاء او لمضمون الجملة السابقة
فانها مفيدة لمعنى المجازاة قطعا كانه قيل مجزيون جزاء بما كانوا يكسبون في الدنيا من فنون السيئات او على
انه مفعول له يحلفون لكم بدل مما سبق وعدم ذكر المحلوف به تعالى لترضوا عنهم بحلفهم وتستديموا عليهم ما
كنتم تفعلونه بهم فان ترضوا عنهم حسبما راموا وساعدتموهم في ذلك فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين
اى فان رضاكم عنهم لا يجديهم نفعا لان الله تعالى ساخط عليهم ولا اثر لرضاكم عند سخطه تبارك وتعالى
ووضع الفاسقين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالخروج عن الطاعة المستوجبة لما حل بهم من السخط
والايذان بشمول الحكم لمن شاركهم في ذلك والمراد به نهي المخاطبين عن الرضى عنهم والاغترار بمعاذيرهم
الكاذبة على ابلغ وجه وآكده فان الرضى عمن لا يرضى عنه الله تبارك وتعالى مما لا يكاد يصدر عن المؤمن
وقيل انما قال ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضى المؤمنين يقتضي رضى الله تعالى قيل هم جد بن قيس ومعتب
بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين منافقا قال النبي عليه الصلاة والسلام للمؤمنين حين قدم المدينة
لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب صيغة جمع
وليست بجمع للعرب قاله سيبويه لئلا يلزم كون الجمع اخص من الواحد فان العرب هو هذا الجيل الخاص
سواء سكن البوادي او القرى واما الاعراب فلا يطلق الا على من يسكن البوادي ولهذا نسب الى الاعراب
على لفظه فقيل اعرابي [illegible]
[illegible] اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لجفائهم وقسوة قلوبهم [illegible]
ونشأتهم في بعد من مشاهدة العلماء [illegible]
[illegible] ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله [illegible]
مشاهدة معجزاته ومعاينة ما ينزل عليه من الشرائع في تضاعيف الكتاب والسنة والله عليم باحوال
كل من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من العقاب والثواب ومن الاعراب شروع
في بيان تشعب جنس الاعراب الى فريقين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

يعني انفاده من يتخذ ما ينفق من المال الذي يعد ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به صورة مغرما
اي غرامة وخسرانا لازما اذ لا ينفقه احتسابا ورجاء لثواب الله تعالى ليكون له مغنما وانما ينفقه
رياء وتقية فهي غرامة محضة وما في صيغة الاتخاذ من معنى الاختيار والانتفاع بما يتخذ انما هو من
اعتبار غرض المنفق في الرياء والتقية لا باعتبار ذات النفقة اعني كونها غرامة ويتربص بكم الدوائر اصل
الدائرة ما يحيط بالشيء والمراد بها ما لا محيص عنه من مصائب الدهر اي ينتظر بكم دوائر الدهر ونوبه
ودوله ليذهب غلبتكم عليه فيتخلص مما ابتلي به عليهم دائرة السوء دعاء عليهم بنحو ما ارادوا بالمؤمنين
على نهج الاعتراض كقوله تعالى غلت ايديهم بعد قول اليهود ما قالوا والسوء مصدر ثم اطلق على
كل ضرر وشر واضيفت اليه الدائرة ذما كما يقال رجل سوء لان من دارت عليه يذمها وهي من باب
اضافة الموصوف الى صفته فوصفت في الاصل بالمصدر مبالغة ثم اضيفت الى صفتها كقوله تعالى
ما كان ابوك امرأ سوء الاية وقيل معنى الدائرة تقتضي معنى السوء فانما هي اضافة بيان وتأكيد كما قالوا
شمس النهار ولحيا رأسه وقرئ بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والله سميع بما يقولونه عند الانفاق
عليم بما يضمرونه من الامور الفاسدة التي من جملتها ان يتربصوا بكم الدوائر وفيه من شدة الوعيد
ما لا يخفى ومن الاعراب اي من جنسهم على الاطلاق من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ اي يأخذ لنفسه
على وجه الاصطفاء والادخار ما ينفق اي ينفقه في سبيل الله تعالى قربات اي ذرائع الحسنى والزلفى
بما بينهما من كمال الاختصاص جعل كانه نفس القربات والجمع باعتبار انواع القربات او افرادها وهي ثاني
مفعولي يتخذ وقوله تعالى عند الله صفتها او ظرف ليتخذ وصلوات الرسول اي وسائل اليها فانه عليه
الصلاة والسلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ولذلك سن للمصدق ان يدعو
للمتصدق عند اخذ صدقته لكن ليس له ان يصلي عليه كما فعله صلى الله عليه وسلم حين قال اللهم صل على
ال ابي اوفى فان ذلك منصبه وله ان يتفضل به على من يشاء والتعرض لوصف الايمان بالله واليوم
الاخر في الفريق الاخير مع ان مساق الكلام لبيان الفرق بين الفريقين في شأن اتخاذ ما ينفق حالا ومآلا
ومن ذكر اتخاذه ذريعة الى القربات والصلوات مغن عن التصريح بذلك لكمال العناية بايمانهم
وبيان اتصافهم به وزيادة الاعتناء بتحقق الفرق بين الفريقين من اول الامر واما الفريق الاول فاتصافهم بالكفر
والنفاق معلوم من سياق النظم الكريم صريحا الا انها قربة لهم شهادة لهم من جناب الله تعالى بصحة ما اعتقدوا
وتصديق لرجائهم والضمير لما ينفق والتأنيث باعتبار الخبر مع ما مر من تعدده باحد الوجهين والتنكير
للتفخيم المغني عن الجمع اي قربة عظيمة لا يكتنه كنهها وفي ايراد الجملة اسمية وتصديرها بحرفي التنبيه
والتحقيق من الجزالة ما لا يخفى والاقتصار على بيان كونها قربة لهم لانها الغاية القصوى وصلوات الرسول
من ذرائعها وقوله تبارك وتعالى سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة رحمته الواسعة بهم وتفسير
للقربة كما ان قوله تعالى والله سميع عليم وعيد للاولين عقيب الدعاء عليهم والسين للدلالة على تحقق ذلك
وتقرره البتة وقوله تعالى ان الله غفور رحيم تعليل لتحقق الوعد على نهج الاستئناف التحقيقي قيل هم في
عبد الله ذي البجادين وقومه وقيل في بني مقرن من مزينة وقيل في اسلم وغفار وجهينة وروى ابو
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيمة
من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان والسابقون الاولون من المهاجرين بيان لفضائل اشراف المسلمين
اثر بيان فضيلة طائفة منهم والمراد بهم الذين صلوا الى القبلتين او الذين شهدوا بدرا او الذين اسلموا
قبل الهجرة والانصار اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل بيعة العقبة
الثانية وكانوا سبعين رجلا والذين امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا
على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان اي متلبسين به والمراد به كل خصلة حسنة وهم اللاحقون
بالسابقين من الفريقين على ان من تبعيضية او الذين اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيمة فالمراد
بالسابقين جميع المهاجرين والانصار ومن بيانية رضي الله عنهم خبر المبتدأ اي رضي الله عنهم بقبول
طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه بما نالوه من نعماه المستتبع لجميع المطالب واعد لهم في الاخرة
جنات تجري تحتها الانهار وقرئ من تحتها كما في سائر المواقع خالدين فيها ابدا من غير انتهاء ذلك الفوز
العظيم الذي لا فوز وراءه وما في اسم الاشارة من معنى البعد لبيان بعد منزلتهم في مراتب الفضل وعظم
الدرجة من مؤمني الاعراب وممن حولكم من الاعراب شروع في بيان احوال منافقي اهل المدينة ومن
حولها من الاعراب بعد بيان حال اهل البادية منهم اي ممن حول اهل بلدتكم منافقون وهم جهينة ومزينة
واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حول اهل بلدتكم منافقون
وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على ممن حولكم ا

عطف

عطف مفرد على مفرد وقوله تعالى مردوا على النفاق اما جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة
لبيان غلوهم في النفاق اي تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب به وضري حتى لان
عليه ومهر فيه غير ان مرد لا يكاد يستعمل الا في الشر والتمرد على الوجهين الاولين شامل للفريقين حسب
شمول النفاق وعلى الوجه الاخير خاص بمنافقي اهل المدينة وهو الاظهر والانسب بذكر منافقي اهل
البادية اولا ثم ذكر منافقي الاعراب المجاورين للمدينة ثم ذكر منافقي اهل المدينة اهلها والله تعالى
اعلم وقوله تعالى لا تعلمهم بيان لتمردهم اي لا تعرفهم انت لكن لا باعيانهم واسمائهم وانسابهم بل
بعنوان نفاقهم يعني انهم بلغوا في المهارة في النفاق والتنوق في مراعاة التقية والتحامي عن مواقع التهم
الى مبلغ يخفى عليك حالهم مع ما انت عليه من علو الكعب وسمو الطبقة في كمال الفطنة وصدق الفراسة
وفي تعليق نفي العلم بهم مع انه متعلق بحالهم مبالغة في ذلك وايماء الى ان ما فيهم من صفة النفاق عريقة
ورسوخهم فيها ما دت بمنزلة ذاتياتهم او مشخصاتهم بحيث لا يعد من لا يعرفهم بتلك الصفة عالما بهم
وحمل عدم علمه عليه الصلاة والسلام بعد مجيء هذا البيان على انه عليه الصلاة والسلام يعلم انهم
منافقون لكن لا يعلمهم باعيانهم مع كونه خلاف الظاهر عاد بما ذكر من المبالغة وقوله تعالى نحن نعلمهم
تقرير لما سبق من مهارتهم في النفاق اي لا يقف على سرائرهم المركوزة في ضمائرهم الا من لا يخفى عليه
خافية لما هم عليه من شدة الاهتمام بابطان الكفر واظهار الاخلاص وفي تعليق العلم بهم مع ان المتعلق
بيان تعلقه بحالهم ما مر في تعليق نفيه بهم وقوله تعالى سنعذبهم وعيد لهم وتحقيق لعذابهم حسبما علم
الله فيهم من موجباته والسين للتأكيد مرتين قال ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قام خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان انك منافق فاخرج ناسا
وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني اما القتل واما عذاب القبر والاول هو القتل والثاني عذاب
القبر والاول اخذ الزكاة لما انهم يعدونها مغرما بحتا والثاني نهك الابدان واتعابها بالطاعة الفارغة
من الثواب ولعل تكرير عذابهم لما فيهم من الكفر المشفوع بالنفاق او النفاق المؤكد بالتمرد فيه ويجوز
ان يكون المراد بالمرتين مجرد التكثير كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد اخرى ثم يردون يوم
القيمة الى عذاب عظيم هو عذاب النار وفي تغيير السبك باسناد عذابهم السابق الى نون العظمة حسب اسناد
ما قبله من العلم واسناد ردهم الى العذاب اللاحق الى انفسهم ايذان باختلافهما حالا فان الاول
خاص بهم وقوعا وزمانا يتولاه سبحانه وتعالى والثاني شامل لعامة الكفرة وقوعا وزمانا وان اختلفت
طبقات عذابهم واخرون بيان لحال طائفة من المسلمين ضعيفة الهمم في امور الدين وهو عطف على منافقون
اي وممن حولكم ومن اهل المدينة قوم اخرون اعترفوا بذنوبهم التي هي تخلفهم عن الغزو وايثار
الدعة عليهم والرضى بسوء جوار المنافقين وندموا على ذلك ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة ولم
يخفوا ما صدر عنهم من الاعمال السيئة كما فعله من اعتاد اخفاء ما فيه وابراز ما فيه من المنافقين الذين
اعتذروا بما لا خير فيه من المعاذير المؤكدة بالايمان الفاجرة حسب ديدنهم المألوف وهم طائفة من المتخلفين
اوثقوا انفسهم على سواري المسجد عندما بلغهم ما نزل في المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فدخل المسجد وصلى ركعتين حسب عادته الكريمة فرآهم كذلك فسأل عن شأنهم فقيل انهم اقسموا ان لا
يحلوا انفسهم حتى تحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت الاية خلطوا عملا صالحا هو ما سبق
منهم من الاعمال الصالحة والخروج الى المغازي السابقة وغيرها وما لحق من الاعتراف بذنوبهم في التخلف
عن هذه المرة وندمهم وندامتهم على ذلك وتخصيصها بالاعتراف لا يناسب الخلط لا سيما على وجه يؤذن
بتوارد المختلطين وكون كل منهما مخلوطا ومخلوطا به كما يؤذن به تبديل الواو بالباء في قوله تعالى
واخر سيئا فان قولك خلطت الماء باللبن تقتضي ايراد الماء على اللبن دون العكس وقولك خلطت الماء
واللبن معناه ايقاع الخلط بينهما من غير دلالة على اختصاص احدهما بكونه مخلوطا به وترك تلك الدلالة
على جعل كل منهما متصفا بالوصفين جميعا وذلك مما لا يعتبر فيه بورود كل من العملين على الاخر مرة بعد اخرى
والمراد بالعمل السيء ما صدر عنهم من الاعمال السيئة اولا واخرا وهل الخلط الا التوبة والاثم وقيل الواو بمعنى
الباء كما في قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم عسى الله ان يتوب عليهم اي يقبل توبتهم المفهومة
من اعترافهم بذنوبهم ان الله غفور رحيم يتجاوز عن سيئات التائب ويتفضل عليه وهو التعليل لما يفيده
كلمة عسى من وجوب القبول فانها للاطماع الذي هو من اكرم الاكرمين ايجاب واي ايجاب خذ من اموالهم
صدقة روي انهم لما اطلقوا قالوا يا رسول الله عليك الصلوة والسلام هذه اموالنا التي خلفتنا عنك
فتصدق بها وطهرنا فقال عليه الصلاة والسلام ما امرت ان اخذ من اموالكم شيئا فنزلت الاية الكريمة
قيل ليست هي الصدقة المفروضة لكونها مأمورا بها ولما روي انه عليه الصلاة والسلام اخذ منهم الثلث

وترك لهم الثلثين فوقع ذلك بيانا لما في صدقة من الاجمال وما هي كفارة لذنوبهم حسبما ينبئ عنه قوله
تبارك وتعالى تطهرهم اي عما يتلطخوا به من اوصاف التخلف والخطاب والفعل مجزوم على انه جواب
للامر وقرئ بالرفع على انه حال من ضمير المخاطب في خذ او صفة لصدقة والتاء للخطاب او للصدقة
والعائد على الاول محذوف ثقة بما بعده وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتزكيهم بها باثبات الياء
وهو خبر المبتدا محذوف والجملة حال من الضمير في الامر او في جوابه اي وانت تزكيهم بها اي بتلك الصدقة
حسناتهم الى مراتب المخلصين واموالهم او تبالغ في تطهيرهم هذا على قراءة الجزم في تطهرهم واما على قراءة
الرفع فسواء جعل التاء للخطاب او للصدقة وكذا جعلت الجملة الاولى حالا من ضمير المخاطب او صفة
للصدقة وعلى الوجهين فالثانية عطف على الاولى حالا او صفة من غير حاجة الى تقدير المبتدا
التوجيه دخول الواو في الجملة الحالية وصل عليهم اي واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم ان
صلواتك وقرئ صلاتك مراعاة لتعدد المدعو لهم سكن لهم يسكن نفوسهم اليها وتطمئن قلوبهم بها
ويثقون بانه سبحانه وتعالى قبل توبتهم والجملة تعليل للامر بالصلاة عليهم والله سميع يسمع ما صدر
عنهم من الاعتراف بالذنب والتوبة والدعاء عليم بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم ومن الاخلاص
في التوبة والدعاء حيث دعاك لهم عليم بما يقتضيه الحكمة والجملة حينئذ تذييل للتعليل مقرر لمضمونه
وعلى الاول تذييل لما سبق من الايتين محتو لما فيهما الم يعلموا وقرئ بالتاء والضمير ما التائبين فهو
تحقيق لما سبق من قبول توبتهم وتطهير الصدقة وتزكيتها لهم وتقرير لذلك وتوطين لقلوبهم ببيان
ان المتولي لقبول توبتهم واخذ صدقاتهم هو الله تعالى وان تحمله الاخذ والتطهير والتزكية اليه
عليه الصلاة والسلام ام لم يعلموا اولئك التائبون ان الله هو يقبل التوبة الصحيحة الخالصة عن
عباده المخلصين فيها ويتجاوز عن سيئاتهم كما يفصح عنه كلمة عن والمراد بهم اما اولئك التائبون
ووضع المظهر في موضع المضمر للاشعار بعلية العبادة لقبولها واما كافة العباد وهم داخلون
في ذلك دخولا اوليا ويأخذ الصدقات اي يقبل صدقاتهم على ان اللام عوض عن المضاف اليه او جنس
الصدقات وما يتعلق بها من التطهير والتزكية وان كنت انت المباشر لها ظاهرا ومن تعظيم ما ذكر
ودفع شان النبي عليه الصلاة والسلام على نهج قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله
ما لا يخفى وان الله هو التواب الرحيم تاكيد لما عطف عليه وزيادة تقرير لما يقرره مع زيادة معنى
ليس فيه اي الم يعلموا ان الله هو المختص المستاثر ببلوغ الغاية القصوى من قبول التوبة والرحمة فان ذلك
سنة مستمرة له وشان دائم والجملتان في حيز النصب بيعلموا تسد كل واحدة منهما مسد مفعوليه ولما
عطف على قوله انما التائبين واما لغير التائبين من المؤمنين فقد روي انهم قالوا لما تيب على الاولين
هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت الاية اي يعلموا ما للتائبين
من الخصال الداعية الى التكرمة والتقريب والانتظام في سلك المؤمنين والتلقي بحسن القبول
والترغيب والمجالسة فهو ترغيب لهم في التوبة والصدقة وقوله تعالى وقل اعملوا زيادة ترغيب
فسيرى الله عملكم اي خيرا كان او شرا تعليل لما قبله وتاكيد للترغيب والترهيب والسين للتاكيد ورسوله
عطف على الاسم الجليل وتاخيره عن المفعول للاشعار بما بين الرؤيتين من التفاوت والمؤمنون في الخبر
لو ان رجلا عمل في صخرة لا باب لها ولا كوة لخرج عمله الى الناس كائنا ما كان والمعنى ان اعمالكم غير خافية
عليهم كما رايتم وتبين لكم ثم ان كان المراد بالرؤية معناها الحقيقي فالامر ظاهر وان اريد بها مآلها من
الجزاء خيرا او شرا فهو خاص بالدنيوي من اظهار المدح والثناء والذكر الجميل والاعزاز ونحو ذلك من
الاجزية واضدادها وستردون اي بعد الموت الى عالم الغيب والشهادة في وضع الظاهر موضع المضمر
من تهويل الامر وتربية المهابة ما لا يخفى ووجه تقديم الغيب في الذكر لسعة عالمه وزيادة خطره
على الشهادة غني عن البيان وقيل بالماخوذات الذاتية عن الحواس علل او كالعلل للموجودات المحسوسة
والعلم بالعلل علة للعلم بالمعلومات فوجب سبق العلم بالغيب على العلم بالشهادة وعن ابن عباس رضي
الله عنهما الغيب ما يسرونه من الاعمال والشهادة ما يظهرونه كقوله تعالى يعلم ما يسرون وما
يعلنون فالتقديم حينئذ لتحقيق ان نسبة علمه المحيط بالسر والعلن واحد على ابلغ وجه واكده او لايهام
ان علمه تعالى بما يسرونه اقدم منه بما يعلنونه كيف وعلمه سبحانه وتعالى بمعلوماته منزه عن
ان يكون بطريق حصول الصورة بل وجود كل شيء وتحققه في نفسه علم بالنسبة اليه تبارك
وتعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الامور البارزة والكامنة واما الامور التي بان ترتبة السر
متقدمة على رتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه القريبة او البعيدة مضمر قبل
ذلك في القلب فتعلق علمه تعالى به في حالته الاولى متقدم على تعلقه به في حالته الثانية

فينبئكم

فينبئكم عقيب الرد بما كنتم تعملون قبل ذلك في الدنيا والمراد بالتنبئة بذلك الجزاء بحسب انه خيرا
فخيرا وان شرا فشرا فهو وعد ووعيد واخرون عطف على اخرون قبله اي ومن المتخلفين من اهل المدينة
ومن حولها من الاعراب قوم اخرون غير المعترفين من المذكورين مرجون وقرئ مرجؤون من ارجيته وارجاته
اي اخرته ومنه المرجئة الذين لا يقطعون بقبول التوبة لامر الله في شانهم قال ابن عباس رضي الله
عنهما هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية لم يسارعوا الى التوبة والاعتذار كما فعل
ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الغم والجزع والندم على ما فعلوا فوقفهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى اصحابه ان يسلموا عليهم ويكلموهم وكانوا من اصحاب بدر فجروهم
والناس في شانهم على اختلاف فمن قائل هلكوا وقائل عسى الله ان يغفر لهم فصاروا عندهم مرجين لامر
الله اما يعذبهم ان بقوا على ما هم عليه من الحال وقيل ان اصروا على النفاق وليس بذلك فان المذكورين
ليسوا من المنافقين واما يتوب عليهم ان خلصت نيتهم وصحت توبتهم والجملة في محل النصب على الحالية
اي منهم هؤلاء اما معذبين واما متوبا عليهم وقيل اخرون مبتدا ومرجون صفته وهذه الجملة خبره
والله عليم باحوالهم حكيم فيما فعل بهم من الارجاء وما بعده وقرئ والله غفور رحيم والذين اتخذوا
مسجدا عطف على ما سبق اي ومنهم الذين او نصب على الذم وقرئ بغير واو لانها قصة على حيالها ضرارا
اي مضارة للمؤمنين وانتصابه على انه مفعول له او مفعول ثان لاتخذوا او على انه مصدر مؤكد
لفعل مقدر منصوب على الحالية اي يضارون بذلك ضرارا او على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع
حالا من ضمير اتخذوا اي مضارين للمؤمنين روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فيصلي لهم في مسجدهم فلما فعله عليه الصلاة والسلام حسدتهم
اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي
فيه ابو عامر الراهب اذا قدم الشام وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقد كان
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يفعل
ذلك الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن يومئذ ولى هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا
بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمد واصحابه من المدينة فبنوا
مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة
المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال عليه الصلاة والسلام اني على
جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله تعالى صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه
عليه الصلاة والسلام اتيان المسجد فنزلت الاية فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن
السكن ووحشي وقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعلوا وامر ان يتخذ
مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة وهلك ابو عامر الفاسق بالشام بقنسرين وكفرا وتقوية للكفر الذي
يضمرونه وتفريقا بين المؤمنين الذين كانوا يصلون في مسجد قبا مجتمعين فيغتص بهم فارادوا ان
يتفرقوا او تختلف كلمتهم وارصادا اعدادا وانتظارا وترقبا لمن حارب الله ورسوله وهو ابو عامر
الفاسق اي لاجله حتى يجيء فيصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل ان اتخذ حيث
كان قد نابذه قبل غزوة تبوك او يحارب اي حاربهما قبل اتخاذ هذا المسجد وليحلفن ان اردنا اي ما اردنا
ببنائه هذا المسجد الا الحسنى الا الخصلة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله تعالى والتوسعة على المصلين والارادة
الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون في حلفهم ذلك لا تقم للصلاة فيه ذلك المسجد حسبما دعوك اليه
ابدا لمسجد اسس اي بني اصله على التقوى يعني مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في ايام
مقامه بقبا وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وقيل هو مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد انه قال سالت النبي عليه الصلاة والسلام عن المسجد
الذي اسس على التقوى فاخذ حصيا فضرب بها الارض وقال هو مسجد مبتدا وما بعده صفته وقوله
تعالى من اول يوم اي من ايام تاسيسه متعلق باسس وقوله تعالى تبارك وتعالى احق ان تقوم فيه اي
للصلاة وذكر الله تعالى خبره وقوله فيه رجال الجملة مستانفة مبينة لاحقيته لقيامه عليه
الصلاة والسلام فيه من جهة الحال بعد بيان احقيته له من حيث المحل او صفة اخرى للمبتدا او حال
من الضمير في فيه وعلى كل حال ففيه تحقيق وتقرير لاستحقاق القيام فيه والمراد بكونه احق تقرر
كونه حقيقا اذ لا استحقاق في مسجد الضرار اساسا بما عبر عنه بصيغة التفضيل الفضله وكماله
في نفسه والافضلية في الاستحقاق المتناول لما يكون باعتبار زعم الباني ومن تابعه في الاعتقاد

وهو الانسب بما سياتي يحبون ان يتطهروا من المعاصي والخصال الذميمة لمرضاة الله تعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها والله يحب المتطهرين اي يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه ادنى المحب حبيبه قيل لما نزلت هذه الاية الكريمة مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال اامؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله عليك الصلاة والسلام انهم لمؤمنون وانا معهم فقال عليه الصلاة والسلام اترضون بالقضا قالوا نعم فقال عليه الصلاة والسلام اتصبرون على البلا فقالوا نعم قال اتشكرون في الرخا قالوا نعم فقال عليه الصلاة والسلام مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله تبارك وتعالى قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الغائط فقالوا نتبع الغائط الاحجار الثلثة ثم نتبع الاحجار الما فتلا النبي عليه الصلاة والسلام فيه رجال يحبون ان يتطهروا الاية وقرئ ان يتطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر عن النجاسات كلها وكانوا يتبعون الما اثر البول وعن الحسن رضي الله عنه هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن اخرهم افمن اسس بنيانه على بناء الفعل للفاعل ونصب بنيانه وقرئ على البنا للمفعول والرفع وقرئ اسس بنيانه على الاضافة جمع اساس واساس جمع وقرئ اساس بنيانه جمع اس ايضا اي بنيانه وهي جملة مستانفة مبينة لخيرية الرجال المذكورين من اهل مسجد الضرار والهمزة للانكار والفا للعطف على مقدر اي ابعد علم حالهم من اسس بنيانه دينه على تقوى من الله ورضوان اي على قاعدة محكمة هي التقوى من الله وابتغاء مرضاته بالطاعة والمراد بالتقوى درجتها الثانية التي هي التوقي من كل ما يوثم من فعل او ترك وقرئ تقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق دون التانيث خير امن اسس بنيانه ترك الاضمار للايذان باختلاف البنيانين ذاتا اختلافهما وصفا واضافة على شفا جرف هار الشفا الحرف والشفير والجرف ما جرفه السيل اي استاصله واحتفر ما تحته فبقي واهيا يريد الانهدام والهار الهائر المتصدع المشرف الى السقوط من هار يهور ويهار او هاير قدمت لامه على عينه فتهار كغاز وقيل حذفت عينه اعتباطا اي تغير موجب فجرى وجوه الاعراب على لامه فانهار به في نار جهنم مثل لما بنوا عليه امر دينهم في البطلان وسرعة الانطماس بما ذكر ثم رشح بانهياره في النار ووضع بمقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على امر يحفظه من النار ويوصله الى الرضوان ومقتضياته التي ادناها الجنة وتاسيس هذا على ما هو بصدد الوقوع في النار ساعة فساعة ثم مصيرهم اليها لا محالة واما الدلالة على ما يرشدهم اليه ان شئت تدبر ابه فهو متحقق بلا اشتباه لا يزال بنيانهم الذي بنوا البنيان مصدر اريد به المفعول ووصفه بالموصول الذي صلته فعله للايذان بكيفية بنائهم له وتاسيسه على اوهن قاعدة واوهى اساس وللاشعار بعلة الحكم اي لا يزال مسجدهم ذلك مبنيا ومهدوما ريبة في قلوبهم اي سبب ريبة وشك في الدين كانه نفس الريبة اما حال بنائه فظاهر لما ان اعتزالهم من المؤمنين واجتماعهم على مجمع على حياله يظهرون فيه ما في قلوبهم من اثار الكفر والنفاق ويدبرون فيه امور هم ويتشاورون في ذلك ويلقي بعضهم الى بعض ما سمعوا من اسرار المؤمنين مما يزيدهم ريبة وشكا في الدين واما حال هدمه فلما انه رسخ به ما كان في قلوبهم من الشر وتضاعفت اثاره واحكامه او سبب ريبة في امرهم حيث ضعفت قلوبهم ووهى اعتقادهم بخفا امرهم على المؤمنين لانهم اظهروا من امرهم بعد البنا اكثر مما كانوا يظهرونه قبل ذلك وقت اختلاطهم بالمؤمنين وساءت ظنونهم بانفسهم فلما هدم بنيانهم تضاعف ذلك الضعف وتحقق وصاروا مرتابين في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتركهم على ما كانوا عليه او يامر بقتلهم ونهب اموالهم وقال الكلبي معنى ريبة حسرة وندامة وقال السدي وحبيب والمبرد لا يزال هدم بنيانهم حزازة وغيظا في قلوبهم الا ان تقطع من التفعل بحذف احدى التائين اي الا ان تتقطع قلوبهم قطعا وتتفرق اجزا بحيث لا يبقى لها اثر قابلية ادراك واضمار وهو استثنا من اعم الاوقات او اعم الاحوال ومحله النصب على الظرفية اي لا يزال بنيانهم ريبة في كل الاوقات او كل الاحوال الا وقت تقطع قلوبهم او حال تقطع قلوبهم فحينئذ يسلون عنها واما ما دامت سالمة فان الريبة باقية فيها فهو تصوير لامتناع زوال الريبة عن قلوبهم ويجوز ان يكون المراد حقيقة تقطعها عند قتلهم او في القبور او في النار وقرئ تقطع على بناء المجهول من التفعيل وعلى البنا للفاعل منه على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم اي الا ان تقطع انت قلوبهم بالقتل وقرئ على البنا للمجهول من الثلاثي مذكرا ومؤنثا وقرئ الى ان تقطع قلوبهم والى ان تقطع قلوبهم على الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام

او كل احد ممن يصلح الى الخطاب وقيل الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم بجميع الاشيا التي من جملتها ما ذكر من احوالهم حكيم في جميع افعاله التي من جملتها امره الوارد في حقهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم ترغيب للمؤمنين والجهاد في بيان فضيلته اثر بيان حال المتخلفين عنه ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبر عن قبول الله تعالى من المؤمنين انفسهم واموالهم التي بذلوها في سبيله تعالى واثابته اياهم بمقابلتها الجنة بالشرى على طريقة الاستعارة والتبعية ثم جعل المبيع الذي هو العمدة والمقصود في العقد انفس المؤمنين واموالهم والثمن الذي هو الوسيلة في الصفقة الجنة ولم يجعل الامر على العكس بان يقال ان الله باع الجنة من المؤمنين بانفسهم واموالهم ليدل على ان المقصد في العقد هو الجنة وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الانفس والاموال وسيلة اليها ايذانا بتعلق كمال العناية بهم وباموالهم ثم انه لم يقل بالجنة بل قيل بان لهم الجنة مبالغة في تقرير وصول الثمن اليهم واختصاصه بهم كانه قيل بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم واما ما يقال من ان ذلك لمدح المؤمنين بانهم بذلوا انفسهم واموالهم بمجرد الوعد لكمال ثقتهم بوعده تعالى فان تمام الاستعارة موقوف على ذلك اذ لو قيل بالجنة لاحتمل كون الشرا حقيقة لانها صالحة للعوضية بخلاف الوعد بها فليس بشيء لان مناط دلالة تقريبا ما على النظم الكريم على الوعد ليس كونه جملة ظرفية مصدرة فان ذلك بمعزل من الدلالة على الاستقبال بل هو الجنة التي ليستحيل وجودها في الدنيا ولو سلم ذلك يكون الثمن الجنة الموعود لا الوعد بها يقاتلون في سبيل الله استيناف لكن لا لبيان ما لاجله الشرى ولا لبيان نفس الاشتري لان قتالهم في سبيل الله تعالى ليس باشترا الله تعالى منهم انفسهم واموالهم بل هو بدل لها في ذلك بل لبيان البيع الذي يستدعيه الاشترا المذكور كانه قيل كيف يبيعون انفسهم واموالهم بالجنة فقيل يقاتلون في سبيل الله وهو بذل لانفسهم واموالهم الى جهة الله تعالى وتعريض لها للهلاك وقوله تعالى فيقتلون ويقتلون بيان لكون القتال في سبيل الله تعالى بذلا للنفس وان المقاتل في سبيل الله باذل لها وان كانت سالمة غانمة فان الاسناد في الفعل ليس بطريق اشتراط الجمع بينهما ولا اشتراط الاتصاف باحدهما البتة بل بطريق وصف الكل بحال البعض فانه يتحقق القتال من الكل سوا وجد الفعلان او احدهما منهم او من بعضهم بل يتحقق ذلك وان لم يصدر منهم احدهما ايضا كما اذا وجد المضاربة ولم يوجد القتل من احد الجانبين او لم يوجد المضاربة ايضا فانه يتحقق الجهاد بمجرد العزيمة والنفير وتكثير السواد والتقديم حالة القاتلية على حالة المقتولية للايذان بعدم الفرق بينهما في كونهما مصداقا لكون القتال بذلا للنفس وقرئ بتقديم المبني للمفعول رعاية لكون الشهادة عريقة في الباب وايذانا بعدم مبالاتهم بالموت في سبيل الله تعالى بل بكونه احب اليهم من السلامة كما قيل في حقهم لا يفرحون اذا نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا لا يقع الطعن الا في نحورهم وما لهم عن حياض الموت تهليل وقيل في يقاتلون الى اخره معنى الامر كما في قوله تبارك وتعالى تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم وعدا عليه مصدر مؤكد لما يدل عليه كون الثمن مؤجلا حقا نعت لوعدا والظرف حال منه لانه لو تاخر لكان صفة له وقوله تعالى في التوراة والانجيل والقران متعلق بمحذوف وقع صفة لوعدا اي وعدا مثبتا في التوراة والانجيل كما هو مثبت في القران ومن اوفى بعهده من الله اعتراض مقرر لمضمون ما قبله من حقية الوعد على نهج المبالغة في كونه تبارك وتعالى اوفى بالعهد من كل واف فان اخلاف الميعاد مما لا يكاد يصدر عن كرام الخلق مع امكان صدوره عنهم فكيف جناب الخلاق الغني عن العالمين جل جلاله وسبك التركيب وان كان على انكار ان يكون احد اوفى بالعهد منه تعالى من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها لكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة ونفيها قطعا واذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل فاستبشروا التفات الى الخطاب تشريفا لهم على تشريف وزيادة لسرورهم على سرور والاستبشار اظهار السرور والسين فيه ليس للطلب كاستوقد واوقد والفا لترتيب الاستبشار او الامر به على ما قبله اي فاذا كان كذلك فسروا نهاية السرور وافرحوا غاية الفرح بما فزتم به من الجنة وانما قيل ببيعكم مع ان الابتهاج به باعتبار ادائه الى الجنة لان المراد ترغيبهم في الجهاد الذي عبر عنه بالبيع وانما لم يذكر العقد بعنوان الشرا لان ذلك من قبل الله تبارك وتعالى لا من قبلهم والترغيب انما يكون فيما صح من قبلهم وقوله تعالى الذي بايعتم به لزيادة تقرير بيعهم وللاشعار بكونه مغايرا لسائر البياعات فانه بيع الفاني بالباقي ولان كلا البدلين له سبحانه وتعالى عن الحسن رضي الله تعالى عنه انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها روي ان الانصار لما بايعوا النبي عليه الصلاة والسلام على العقبة قال

عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال عليه الصلاة والسلام اشترط لربي ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة
قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقراها قال كلام من
قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد وذلك اي الجنة
التي جعلت ثمنا بمقابلة ما بذلوا من انفسهم واموالهم هو الفوز العظيم الذي لا فوز اعظم منه وما في
ذلك من معنى البعد اشارة الى بعد منزلة المشار اليه وسمو رتبته في الكمال ويجوز ان يكون ذلك
اشارة الى البيع الذي امروا بالاستبشار به ويجعل كانه نفس العقد العظيم ويجعل فوزا في نفسه
فالجملة الاولى تذييل للاية الكريمة وعلى الثاني لقوله تبارك وتعالى فاستبشروا مقرر لمضمونه
التائبون رفع على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين كما تدل عليه القراءة بالياء نصبا
على المدح ويجوز ان يكون مجرورا على انه صفة الى المؤمنين وقد جوز الرفع على الابتداء والخبر محذوف
اي التائبون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا لقوله تبارك وتعالى وكلا وعد الله الحسنى ويجوز
ان يكون خبره قوله تبارك وتعالى العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر
على الحقيقة هم الجامعون لهذه النعوت الفاضلة اي المخلصون في عبادة الله تعالى الحامدون لنعمائه
ولما نابهم من السراء والضراء السائحون الصائمون لقوله عليه الصلاة والسلام سياحة امتي
الصوم شبه بها لانه عائق عن الشهوات او لانه رياضة نفسانية متوصل بها الى العثور على خفايا
الملك والملكوت وقيل هم السائحون في الجهاد وطلب العلم الراكعون الساجدون في الصلوة والناهون عن المنكر
عن الشرك والمعاصي والعطف فيه للدلالة على ان المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة واما قوله تعالى
والحافظون لحدود الله اي فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع عملا وحملا للناس عليه فلعله يتوهم اختصاصه
باحد الوجهين وبشر المؤمنين اي الموصوفين بالنعوت المذكورة ووضع المؤمنين موضع ضميرهم
للتنبيه على ان ملاك الامر هو الايمان وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتنبيه على انه يخرج
عن حد البيان وتخصيص الخطاب باللائق وان اظهارا لزيادة اعتنائه بما لهم من الترغيب والتسلية ما كان
للنبي والذين امنوا بالله وحده اي ما صح لهم في حكم الله عز وجل وحكمته وما استقام ان يستغفروا للمشركين
سبحانه ولو كانوا اي المشركين اولي قربى اي ذوي قرابة لهم وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه والجملة
معطوفة على جملة اخرى قبلها محذوفة حذفا مطردا كما بين في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظائره
روي انه عليه الصلاة والسلام قال لعمه ابي طالب لما حضرته الوفاة يا عم قل كلمة احاج لك بها
عند الله فابى فقال عليه الصلاة والسلام لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة
خرج الى الابواء فزار قبر امه ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي واستاذنته
في الاستغفار لها فلم ياذن لي وانزل الاية من بعد ما تبين لهم اي للنبي عليه الصلوة والسلام والمؤمنين
انهم اي المشركين اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر او نزل الوحي بانهم يموتون على ذلك وما كان استغفار ابراهيم
لابيه بقوله واغفر لابي اي بان توفقه الى الايمان وتهديه اليه كما يلوح به تعليله بقوله انه كان من الضالين
والجملة استيناف مسوق لتقرير ما سبق ودفع ما يتراءى بحسب الظاهر من المخالفة وقرئ وما استغفر
ابراهيم لابيه وقرئ وما يستغفر ابراهيم لابيه على حكاية الحال الماضية وقوله تبارك وتعالى الا عن موعدة
استثناء مفرغ من اعم العلل اي لم يكن استغفاره عليه الصلوة والسلام لابيه ناشئا عن شيء من الاشياء
الا عن موعدة وعدها ابراهيم عليه الصلاة والسلام اياه اي اباه وقد قرئ لذلك بقوله لاستغفرن
لك وقوله ساستغفر لك ربي الاية بناء على رجاء ايمانه لعدم تبين حقيقة امره والا لما وعدها اياه
كانه قيل وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة مبنية على عدم تبين امره كما ينبئ عنه قوله تعالى
فلما تبين له اي لابراهيم بان اوحي اليه انه مصر على الكفر غير مؤمن ابدا وقيل بانه مات على الكفر والاول
هو الانسب بقوله تبارك وتعالى انه عدو لله فان وصفه بالعداوة مما يابى حالة الموت تبرأ منه
اي تنزه عن الاستغفار له وتجانب كل التجانب وفيه من المبالغة ما ليس في تركه ونظائره ان ابراهيم
لاواه لكثير التاوه وهو كناية عن كمال الرافة ورقة القلب حليم صبور على الاذية والمحنة وهو استيناف
لبيان ما كان يدعوه عليه الصلاة والسلام الى ما صدر عنه من الاستغفار وفيه ايذان بان ابراهيم عليه
الصلاة والسلام تبرأ منه بعد التبين وهو في كمال رقة القلب والحلم فلا بد ان يكون غيره اكثر منه اجتنابا
وتبرؤا واما ان الاستغفار على التبين لو كان غير محظور لما استثني عن الاسوة به في قوله تبارك وتعالى
الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك فقد حقق في سورة مريم باذن الله تبارك وتعالى وما كان الله ليضل
قوما اي ليس من عادته ان يصفهم بالضلال عن طريق الحق ويجري عليهم احكامه بعد اذ هداهم للاسلام

حتى يتبين لهم بالوحي صريحا او دلالة ما يتقون اي ما يجب اتقاؤه من محظورات الدين فلا ينزجروا
عما نهوا عنه واما قبل ذلك فلا يسمى ما صدر عنهم ضلالا ولا يؤاخذون به فكانت تسلية للذين استغفروا
للمشركين قبل ذلك وفيه دليل على ان العاقل غير مكلف بما لا يستبد بمعرفته العقل ان الله بكل شيء عليم
تعليل لما سبق اي انه تبارك وتعالى عليم بجميع الاشياء التي من جملتها حاجتهم الى بيان قبح ما لا تستقل العقل
في معرفته فبين لهم ذلك كما فعل هنا ان الله له ملك السموات والارض من غير شريك له فيه وما لكم
من دون الله من ولي ولا نصير لما منعهم من الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وضمن ذلك التبري منهم
راسا بين لهم ان الله تعالى مالك كل موجود ومتولي اموره والغالب عليه ولا يتاتى لهم نصر ولا ولاية الا
منه تبارك وتعالى ليتوجهوا اليه بشراشرهم متبرئين عما سواه قاصدين الا اياه لقد تاب الله على النبي
قال ابن عباس هو العفو عن اذنه للمنافقين بالتخلف عنه والمهاجرين والانصار قيل هو في حق زلات سبقت
منهم يوم احد ويوم حنين وقيل المراد ذكر التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج اليها حتى النبي صلى الله
عليه وسلم لما صدر عنه في بعض الاحوال من ترك الاولى الذين اتبعوه ولم يتخلفوا عنه ولم يخلوا بامر من
اوامره في ساعة العسرة اي في وقتها والتعبير عنه بالساعة لزيادة تعيينه وهي حالهم في غزوة تبوك كانوا في
عسرة في الظهر يعتقب عشرة على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة
الزنخة وبلغت بهم الشدة الى ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء المتغير وفي
عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط
والضيقة الشديدة وصف المهاجرين والانصار بما ذكر من اتباعهم له صلى الله عليه وسلم في مثل هاتيك
المواقف من الشدة للمبالغة في بيان الحاجة الى التوبة فان ذلك حيث لم يغنهم عنها فلان لا يستغني
عنها غيرهم اولى واحرى من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم بيان لتناهي الشدة وبلوغها الى ما لا غاية
وراءها وهو اشراف بعضهم على ان يميلوا الى التخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي كاد ضمير الشان
او ضمير القوم الراجع اليه الضمير في منهم وقرئ بتانيث الفعل وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم
يعني المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة واضرابه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه يتاب عليهم
من اجل ما كابدوا من العسرة والمراد انه تاب عليهم لكيدودتهم انه بهم رؤوف رحيم استيناف تعليلي فان
صفة الرافة والرحمة من دواعي التوبة والعفو ويجوز كون الاول عبارة عن ازالة الضرر والثاني
عن ايصال المنفعة وان يكون احدهما للسوابق والاخرى للواحق وعلى الثلاثة الذين خلفوا اي وتاب
الله على الثلاثة الذين اخر امرهم عن امر ابي لبابة واصحابه حيث لم يقبل معذرتهم اولئك ولا ردت
ولم يقطع في شانهم بشيء الى ان نزل فيهم الوحي وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية
وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرئ خالفوا وقرئ على
المتخلفين والاول هو الانسب لان قوله تبارك وتعالى حتى اذا ضاقت عليهم الارض غاية للتخليف ولا
يناسبه الا المعنى الاول اي خلفوا واخر امرهم الى ان ضاقت عليهم الارض بما رحبت اي برحبها وسعتها
لاعراض الناس عنهم وانقطاعهم عن مخالطتهم وهو مثل للشدة في الحيرة كانه لا يستقر به قرار ولا
يطمئن له دار وضاقت عليهم انفسهم اي اذا رجعوا الى انفسهم لا يطمئنون بشيء لعلها من الاسى والشرود
واستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه اي علموا ان لا ملجا من سخطه تبارك
وتعالى الا الى استغفاره ثم تاب عليهم اي وفقهم الى التوبة ليتوبوا او انزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة
التوابين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ
في قبول التوبة كما وكيفا وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الالاء مع استحقاقهم
لافانين العقاب روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له
وكره مكانه فلحق به عليه الصلاة والسلام عن الحسن انه قال بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا
من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمارك اذهب فانت في سبيل الله
ولم يكن لاخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا خلفني الا الضن بك فلا جرم والله لاكابدن
الشدائد حتى الحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فتابط زاده ولحق به عليه الصلاة والسلام
قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا
به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر الرسول عليه الصلاة والسلام ماشيا فقال عليه الصلاة
والسلام لما راى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال عليه الصلاة والسلام رحم الله
ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة
حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل

الظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا
بخير فقام ورحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه
الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال عليه الصلاة والسلام كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرد على كعب المغضب بعدما ذكره فقال ياليت شعري ما خلف كعبا فقيل له
ما خلفه الا حسن برديه والنظر في عطفيه فقال عليه الصلاة والسلام ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى
عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكرت لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا
ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك
فخررت لله ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت
بعث البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد
وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول الي حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك
فلن انساها لطلحة رضي الله عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر
يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الاية الكريمة وعن ابي بكر الوراق انه
سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة
كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها الذين امنوا خطاب عام يندرج فيه التائبون اندراجا اوليا
وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك خاصة واتقوا الله في كل ما تأتون وتذرون فيدخل فيه
المعاملة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر المغازي دخولا اوليا وكونوا مع الصادقين في
ايمانهم وعهودهم او في دين الله تعالى نية وقولا وعملا او في كل شان من الشئون فيدخل ما ذكر ه
وتوبتهم وانابتهم فيكون المراد بهم حينئذ هؤلاء الثلاثة وامثالهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه
خطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار وانتظموا في سلكهم في الصدق وسائر
المحاسن وقرئ من الصادقين ما كان لاهل المدينة ما صح وما استقام لهم ومن حولهم من الاعراب كمزينة
وجهينة واشجع وغفار وامثالهم ان يتخلفوا عن رسول الله عند توجهه عليه الصلاة والسلام الى الغزو
ولا يرغبوا بانفسهم وقد جوز الجزم بانفسهم عن نفسه اي لا يصرفوها عن نفسه الكريمة ولا يصونوها
عما لا يصونه عنه نفسه بل يكابدوا معه ما يكابده من الاهوال والخطوب والكلام في معنى النهي وان
كان على صورة الخبر ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام من وجوب المشايعة بانهم بسبب انهم
لا يصيبهم ظمأ اي عطش يسير ولا نصب ولا تعب ولا مخمصة اي مجاعة ما الا يستباح عنده المحرمات
من مراتبها فان الظمأ والنصب الحسي من حيث لم يخلوا من الثواب فلان لا يخلوا ذلك منه اولى فلا
حاجة الى تاكيد النفي بتكرير كلمة لا على الاستقلال لكل واحد منهما بالفضيلة والاعتداد به في سبيل
الله واعلاء كلمته ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار اي لا يدوسون بارجلهم وحوافر خيولهم
واخفاف رواحلهم دوسا او مكانا يداسونه ولا ينالون من عدو نيلا مصدرا كالقتل والاسر والنهب
او مفعولا اي شيئا ينالونه الا كتب لهم به اي بكل واحد من الامور المعدودة عمل صالح وحسنة
مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل وقيل الى لفي والتنوين للتفخيم وكون المكتوب
عين ما فعلوه من الامور ولا يمنع دخول التائبين اختلاف العنوان كاف في ذلك ان الله لا يضيع
اجر المحسنين على احسانهم تعليل لما سلف من الكتب والمراد بالمحسنين اما المبحوث عنهم ووضع
المظهر مقام المضمر لمدحهم والشهادة عليهم بالانتظام في سلك المحسنين وان اعمالهم من قبيل
الاحسان والاشعار بعليته للماخذ للحكم واما جنس المحسنين وهم داخلون فيه دخولا اوليا ولا
ينفقون نفقة صغيرة ولو تمرة او علاقة سوط ولا كبيرة كما انفق عثمان رضي الله عنه والترتيب
باعتبار ما ذكر من كثرة الوقوع وقلته وتوسط التنصيص على استبداد كل منهما بالكتب والجزاء
لا لتاكيد النفي كما في قوله عز وجل ولا يقطعون اي لا يجتازون في مسيرهم واديا وهو في الاصل
كل منعرج من الجبال والاكام يكون منفذا للسيل اسم فاعل من ودى اذا سال ثم شاع في الارض على
الاطلاق الا كتب لهم اي اثبت لهم ذلك الذي فعلوه من الانفاق والقطع ليجزيهم الله بذلك
احسن ما كانوا يعملون احسن جزاء اعمالهم او جزاء احسن اعمالهم وما كان المؤمنون لينفروا كافة اي
ما صح وما استقام لهم ان ينفروا جميعا لنحو غزو او طلب علم كما لا يستقيم لهم ان يثبطوا جميعا فان ذلك
مخل بامر المعاش فلولا نفر فهلا نفر من كل فرقة اي طائفة كثيرة منهم كاهل بلدة او قبيلة عظيمة
طائفة اي جماعة قليلة ليتفقهوا في الدين اي يتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها ه
ولينذروا قومهم اي وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من ذلك ارشاد القوم وانذارهم اذا رجعوا

اليم

اليهم وتخصيصه بالذكر لانه اهم وفيه دليل على ان التفقه في الدين من فروض الكفاية وان يكون
غرضا لمتعلم الاستقامة والاقامة لا الترفع على العباد والتبسط في البلاد كما هو ديدن ابناء الزمان
والله المستعان لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا عما ينذرون واستدل به على ان اخبار الاحاد حجة
لان عموم كل فرقة تقتضي ان ينفر من كل ثلثة نفر واحد نفر يه طائفة الى التفقه لينذروا قومهم كي
يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد قيل للاية وجه اخر هو ان المؤمنين
لما سمعوا ما نزل في المتخلفين سارعوا الى النفير رغبة ورهبة وانقطعوا عن التفقه فامروا ان ينفر
من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذي هو الجهاد الاكبر
لان الجدال بالحجة هو الاصل والمقصود من البعثة فالضمير في ليتفقهوا ولينذروا للبواقي الفرق
بعد الطوائف النافرة للغزو وفي رجعوا للطوائف اي لينذروا البواقي من قومهم النافرين اذا رجعوا
اليهم بما حصلوا في ايام غيبتهم من العلوم يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا بقتال
الاقرب منهم فالاقرب كما امر عليه الصلاة والسلام اولا بانذار عشيرته فان الاقرب احق بالشفقة
والاستصلاح قيل هم اليهود حوالي المدينة كبني قريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا
يسكنون الشام وهو قريب من المدينة بالنسبة الى العراق وغيره وليجدوا فيكم غلظة اي شدة وصبرا
على القتال وقرئ بفتح الغين كسخط وبضمها وهما لغتان فيهما واعلموا ان الله مع المتقين بالعصمة
والنصرة والمراد بهم اما المخاطبون ووضع الظاهر موضع الضمير للتنصيص على ان الايمان والقتال
على الوجه المذكور من باب التقوى والشهادة بكونهم من زمرة المتقين واما الجنس وهم داخلون فيه
دخولا اوليا والمراد بالمعية الولاية الدائمة وقد ذكر وجه دخول مع المتبوع في قوله تبارك وتعالى
ان الله معنا واذا ما انزلت سورة من القران فمنهم اي من المنافقين من يقول لاخوانه لتثبيتهم على النفاق
ولعوام المؤمنين وضعفتهم وصدهم عن الايمان ايكم زادته هذه السورة ايمانا وقرئ بنصب ايكم على
تقدير فعل يفسره المذكور اي ايكم زادت زادته هذه الاية ايراد الزيادة مع انه لا ايمان فيهم اصلا
باعتبار اعتقاد المؤمنين حسبما نطق به قوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله الاية فاما
الذين امنوا جواب من جهته سبحانه وتعالى وتحقيق للحق وتعيين لحالهم عاجلا واجلا اي فاما الذين
امنوا بالله تعالى وبما جاء من عنده فزادتهم ايمانا بزيادة العلم اليقيني الحاصل من التدبر فيها والوقوف
على ما فيها من الحقائق وانضمام ايمانهم بها الى ايمانهم السابق وهم يستبشرون بنزولها وبما فيه من
المنافع الدينية والدنيوية واما الذين في قلوبهم مرض اي كفر وسوء عقيدة فزادتهم رجسا الى رجسهم
اي كفرا بها مضموما الى كفرهم بغيرها وعقائدهم الباطلة واخلاقهم الذميمة وماتوا وهم كافرون واستحكم
ذلك الى ان يموتوا عليه اولا يرون اي المنافقين وقرئ بالتاء على خطاب المؤمنين والهمزة للانكار والتوبيخ والعطف على مقدر اي الا ينظرون
ولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين والمراد مجرد التكثير لا بيان الوقوع
حسب العدد المعين اي يبتلون بافانين البليات من المرض والشدة وما يكتنفهم من الذنوب
والوقوف بين يدي رب العزة فيؤدي الى الايمان به تبارك وتعالى او بالجهاد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيعاينون ما ينزل عليه من الايات لا سيما القوارع الى ادلة الايمان الناعية
عليهم ما فيهم من القبائح المخزية لهم ثم لا يتوبون عطف على يرون داخل تحت الانكار والتوبيخ وكذا
قوله تبارك وتعالى ولا هم يذكرون والمعنى ولا يرون افتتانهم الموجب لايمانهم ثم لا يتوبون
عما هم عليه من النفاق ولا هم يتذكرون بتلك الفتن الموجبة للتذكر والتوبة وقرئ بالتاء
والخطاب للمؤمنين والهمزة للتعجب اي الا يرون ولا ينظرون احوالهم العجيبة التي هي افتتانهم على وجه
التتابع وعدم التنبيه لذلك فقوله تبارك وتعالى لا يتوبون وما عطف عليه معطوف على
يفتنون واذا ما انزلت سورة بيان لاحوالهم عند نزولها وهم في محفل تبليغ الوحي كما ان الاول بيان
لمقالاتهم وهم غائبون عنه نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية بها او غيظا لما
فيها من مخازيهم هل يراكم من احد اي قائلين هل يراكم احد من المسلمين لينصرفوا مظهرين انهم لا يصطبرون
على استماعه او يغلب عليهم الضحك فيفتضحوا او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال
لواذا يقولون هل يراكم من احد ان قمتم من المجلس وايراد ضمير الخطاب لبعث المخاطبين على الجد في انتهاز
الفرصة والتراخي باعيان ... ثم انصرفوا
عن محل الوحي خوفا من الافتضاح او غير ذلك ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم عن الايمان حسب
انصرافهم عن المجلس والجملة اخبارية او دعائية بانهم قوم لا يفقهون لسوء الفهم
او لعدم التدبر لقد جاءكم الخطاب للعرب رسول اي رسول عظيم الشان من انفسكم من جنسكم عربي

قريش مثلكم وقرئ بفتح الفاء اي اشرفكم وافضلكم عزيز عليه ما عنتم اي شاق شديد عليه عنتكم
ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب ماهنا من تباريح مطلوعنا المجانسة
حريص عليكم في ايمانكم وصلاح حالكم بالمؤمنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم قدم الابلغ منهما وهي الرافة
التي هي عبارة عن شدة الرحمة محافظة على الفواصل فان تولوا تلوين للخطاب وتوجيه الى النبي صلى
الله عليه وسلم تسلية له اي ان اعرضوا عن الايمان بك فقل حسبي الله فانه يكفيك ويعينك لا اله
الا هو استئناف مقرر لمضمون ما قبله عليه توكلت فلا ارجوا ولا اخاف الا منه وهو رب العرش العظيم
اي الملك العظيم او الجسم الاعظم الذي تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن ابي رضي الله عنه
ان اخر ما نزل هاتان الآيتان وعنه عليه الصلاة والسلام ما انزل القرآن علي الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا
سورة براءة وسورة قل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف من الملائكة عليهم الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم الر بتفخيم الراء المفتوحة وقرئ بالامالة اجراء للالف الاصلية مجرى
المنقلبة من الياء وقرئ بين بين وهو اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين
في فاتحة سورة البقرة فلا محل له من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع
على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذه السورة مسماة بالر وهو اظهر من الرفع على الابتداء لعدم سبق
العلم بالتسمية بعد فحقها الاخبار بها لا جعلها عنوان الموضوع لتوقفه على علم المخاطب بالانتساب
كما مر والاشارة اليها قبل جريان ذكرها لما انها باعتبار كونها على جناح الذكر وبصدده صارت في حكم
الحاضر كما يقال هذا ما اشترى فلان او النصب بتقدير فعل لائق بالمقام كما ذكر او اقرأ وكلمة تلك
اشارة اليها اما على تقدير كونها مسرودة على نمط التعديد فقد نزل حضور مادتها التي هي الحروف
المذكورة منزلة ذكرها فاشير اليها كانه قيل هذه الكلمات المؤلفة من جنس هذه الحروف المبسوطة
الآية واما على تقدير كونها اسما للسورة فقد نوهت بالاشارة اليها بعد تنويهها بتعيين اسمها او الامر
بذكرها او بقراءتها وما في اسم الاشارة من معنى البعد للتنبيه على بعد منزلتها في الفخامة ومحله الرفع
على انه مبتدأ خبره قوله تعالى آيات الكتاب وعلى تقدير كون الر مبتدأ فهو مبتدأ ثان او بدل من
الاول والمعنى هي آيات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمقصود بيان بعضيتها منه ووصفها
بما اشتهر اتصافه به من النعوت الفاضلة والصفات الكاملة والمراد بالكتاب اما جميع القرآن
العظيم وان لم يتم نزوله حينئذ اما باعتبار تعينه وتحققه في علم الله تعالى او في اللوح او باعتبار انه
انزل جملة الى السماء الدنيا كما هو المشهور فان فاتحة الكتاب كانت مسماة بهذا الاسم وبام القرآن في عهد
النبوة ولما تحصل المجموع الشخصي اذ ذاك فلا بد من ملاحظة كل من الكتاب والقرآن باحد الاعتبارات
المذكورة واما جميع القرآن النازل وقتئذ المتفاهم بين الناس اذ ذاك فانه كما يطلق على المجموع الشخصي
يطلق على مجموع ما نزل في كل عصر الا ترى الى ما روي عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال كان النبي
عليه الصلوة والسلام يجمع بين الرجلين من قتلى احد في ثوب واحد ثم يقول ايهم اكثر اخذا للقرآن فاذا
اشير له الى احدهما قدمه في اللحد فان ما يفهمه الناس من القرآن في ذلك الوقت ويحافظون على
التفاوت في اخذه انما هو المجموع النازل حينئذ من غير ملاحظة لتحقق المجموع الشخصي في علم الله
سبحانه وتعالى وفي اللوح ولا لنزوله جملة الى السماء الدنيا الحكيم ذو الحكمة وصف به لاشتماله
على فنون الحكم الباهرة ونطقه بها او هو من باب وصف الكلام بصفة صاحبه او من باب الاستعارة
المكنية المبنية على تشبيه الكتاب بالحكيم الناطق بالحكمة هذا وقد جعل الكتاب عبارة عن نفس السورة
عند بيان اسمها والامر بذكرها او بقراءتها وينبغي ان يكون المشار اليه حينئذ كل واحد منها
لا جميعها من حيث هو جميع لانه عين السورة فلا يكون للاضافة وجه ولا لتخصيص الوصف
بالمضاف اليه حكمة فلا يتأتى ما قصد من مدح المضاف بما للمضاف اليه من صفات الكمال ولان في
بيان اتصاف كل منها بالكمال من المبالغة ما ليس في بيان اتصاف الكل بذلك والمتبادر من الكتاب
عند الاطلاق وان كان كلا باحد الوجهين المذكورين لكن صحة اطلاقه على بعضه ايضا مما لا ريب
فيها والمعهود المشهور وان كان اتصاف الكل باحد الاعتبارين بما ذكر من نعوت الكمال الا ان شهرة
اتصاف كل سورة منه بما اتصف به الكل مما لا ينكر وعليه يدور تحقق مدح السورة بكونها بعضا
من القرآن الكريم اذ لولا ان بعضه منعوت بنعت كله داخل تحت حكمه لما انتفى ذلك وفيه ما لا يخفى

من

من التكلف والتعسف اكان للناس عجبا الهمزة لانكار تعجبهم ولتعجيب السامعين منه لكونه في غير
محله والمراد بالناس كفار مكة وانما عبر عنهم باسم الجنس من غير تعرض لكفرهم ثم انه مع المدار لتعجبهم
كما تعرض له في قوله عز وجل قال الكافرون الآية لتحقيق ما فيه الشركة بينهم وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتعيين مدار التعجب في زعمهم ثم تبيين خطئهم واظهار بطلان زعمهم بايراد الانكار والتعجب
واللام متعلقة بمحذوف وقع حالا من عجبا او قيل تعجبا على التوسع المشهور في الظروف وقيل
بالمصدر وان كان بمعنى اسم الفاعل او اسم المفعول جاز تقديم معموله وقيل متعلقة بكان وهو مبني على
دلالة كان الناقصة على الحدث ان اوحينا اسم كان قدم عليه خبرها اهتماما بشانه لانه مدار للانكار
والتعجب وتشويقا الى المؤخر فلان في الاسم ضرب تفصيل ففي مراعاة الاصل نوع اخلال بتجاوب اطراف
الكلام وقرئ برفع عجب على انه الاسم وهو نكرة والخبر ان اوحينا وهو معرفة لان ان مع الفعل في
تاويل المصدر المضاف الى المعرفة البتة والمختار حينئذ ان يجعل كان تامة وان اوحينا متعلقا
بعجب على حذف التعليل اي احدث للناس عجب لان اوحينا او من ان اوحينا او بدلا من عجب لكن
لا على توجيه الانكار والتعجيب الى حدوثه بل الى كونه عجبا فان كون الابدال في حكم تنحية المبدل
منه ليس معناه اهداره بالمرة وانما قيل للناس لا عند الناس للدلالة على انهم اتخذوه اعجوبة لهم
وفيه من زيادة تقبيح حالهم ما لا يخفى الى رجل منهم اي الى بشر من جنسهم كقولهم ابعث الله بشرا رسولا
ومن افنائهم من حيث المال لا من عظمائهم كقولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم
وكلا الوجهين من ظهور البطلان بحيث لا مزيد عليه اما الاول فلان بعث الملك انما يكون عند كون
المبعوث اليهم ملائكة كما قال سبحانه وتعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم
من السماء ملكا رسولا واما عامة البشر فهم بمعزل من استحقاق المفاوضة الملكية كيف لا وهي
منوطة بالتجانس والتناسب فبعث الملك اليهم مناف للحكمة التي عليها يدور فلك التكوين والتشريع
وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين
بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب
واما الثاني فلما ان مناط الاصطفاء للنبوة والرسالة هو التقدم في الاتصاف بما ذكر من النعوت
الجليلة والصفات الجميلة والسبق في احراز الفضائل العلية والكمالات وحيازة الملكات السنية جبلة
واكتسابا ولا ريب لاحد منهم في انه عليه الصلاة والسلام في ذلك الشأن في غاية الغايات القاصية
ونهاية النهايات النائية واما التقدم في الرياسة الدنيوية والسبق في نيل الحظوظ الدنية فلا
دخل له في ذلك قطعا بل له اخلال به غالبا قال عليه الصلاة والسلام لو كانت الدنيا تزن عند الله
جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء ان انذر الناس ان مصدرية يجوز كون صلتها امرا كما في
قوله تبارك وتعالى وان اقم وجهك وذلك لان الخبر والانشاء في الدلالة على المصدر سيان فيصلح
وقوع الامر والنهي صلة حسب وقوع الفعل فتجرد عند ذلك عن معناه الامر والنهي نحو تجرد
الصلة الفعلية عن معنى المضي والاستقبال ووجوب كون الصلة في الموصول الاسمي خبرية انما هو
للتوصل بها الى وصف المعارف بالجمل وهو المقصود في دلالة الانشاء على المصدر او مفسرة اذ الايحاء فيه
معنى القول وقد جوز كونها مخففة من المثقلة على حذف ضمير الشأن والقول من الخبر على المعنى ان الشأن
قولنا ان انذر الناس والمراد به جميع الناس كافة لا ما اريد بالاول وهو النكتة في ايثار الاظهار
على الاضمار دون كون عين الاول عند اعادة المعرفة ليس على الاطلاق وبشر الذين آمنوا بما اوحينا
وصدقوه ان لهم اي بان لهم قدم صدق اي سابقة ومنزلة رفيعة عند ربهم وانما عبر عنها بها اذ بها
يحصل السبق والوصول الى المنازل الرفيعة كما يعبر عن النعمة باليد لانها تعطى بها وقيل مقام صدق
والوجه ان الوصول الى المقام انما يحصل بالقدم واضافتها الى الصدق للدلالة على تحققها وثباتها
وللتنبيه على ان مدار نيل ما نالوه من المراتب العلية هو صدقهم فان التصديق لا ينفك عن
الصدق قال الكافرون هم المتعجبون ولو ادهم ههنا بعنوان الكفر مما لا حاجة الى ذكر سببه وترك
العاطف جار مجرى البيان للجملة التي دخلت عليها همزة الانكار وكونه استئنافا مبنيا على السؤال
كانه قيل ماذا صنعوا بعد التعجب هل بقوا على التردد والاستبعاد او قطعوا فيه بشيء فقيل قال
الكافرون على طريقة التوكيد ان هذا يعنون به ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب
الحكيم المنطوي على الانذار والتبشير لسحر مبين اي ظاهر وقرئ لساحر على ان الاشارة للرسول عليه
الصلاة والسلام وقرئ ما هذا الا سحر مبين وهذا اعتراف من حيث لا يشعرون بان ما عاينوه خارج عن
طوق البشر نازل من جانب خلاق القوى والقدر ولكنهم يسمونه بما قالوه تماديا في العناد كما هو ديدن

الخطاب المجموع ان ربكم كلام مستانف سيق لاظهار بطلان تعجبهم المذكور وما بنوا عليه من المقالة
الباطلة غب الاشارة اليه بالانكار والتعجب وتحقيق حقيقة ما تعجبوا منه وصحة ما انكروا
بالتنبيه الاجمالى على بعض ما يدل عليها من شؤون الخلق والتقدير واحوال التكوين والتدبير وتذكيرهم
الى معرفتها بادنى تذكير الى لاعترافهم به من غير نكير لقوله تبارك وتعالى قل من رب السموات
السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله قل فانى تؤفكون وقوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض
الى قوله ومن يدبر الامر فسيقولون الله اى ان ربكم ومالك امركم الذى تعجبون من ان يرسل
اليكم رجلا منكم بالانذار والتبشير وتعدون ما اوحى اليه من الكتاب الحكيم سحرا هو الله الذى خلق
السموات والارض وما فيها من اصول الكاينات فى ستة ايام اى فى ستة اوقات او فى مقدار ستة
ايام معهودة فان نفس اليوم الذى هو عبارة عن زمان كون الشمس فوق الارض مما لا يتصور تحققه
حين لا ارض ولا سماء وفى خلقها مدرجا مع القدرة التامة على ابداعها دفعة دليل على الاختيار
واعتبار للنظار وحث لهم على التانى فى الاحوال والاطوار واما تخصيص ذلك بالعدد المعين
فامر قد استاثر بعلم ما يستدعيه علام الغيوب جلت قدرته ودقت حكمته وايثار صيغة
الجمع فى السموات لما هو المشهور من الايذان بانها اجرام مختلفة الطباع متباينة الاثار والاحكام
ثم استوى على العرش العرش هو الجسم المحيط بساير الاجسام سمى به لارتفاعه وللتشبيه بسرير
الملك فان الامور والتدابير منه تنزل وقيل هو الملك ومعنى استوى ثم سبحانه علمه استيلاؤه
عليه او لاستواء امره وعن اصحابنا ان الاستواء على العرش صفة له سبحانه وتعالى بلا كيف والمعنى
انه سبحانه وتعالى استوى على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن التمكين والاستقرار وهذا
بيان لجلال ملكه وسلطانه بعد بيان عظمة شانه وسعة قدرته بما مر من خلق هاتيك الاجرام يدبر
الامر التدبير النظر فى ادبار الامور وعواقبها ليقع على الوجه المحمود والمراد هاهنا التقدير على
الوجه الاتم الاكمل والمراد بالملكوت السموات والارض والعرش وغير ذلك من الجزئيات الحادثة
شيئا فشيئا على اطوار شتى واحوال لا يكاد يحصى من المناسبات والمباينات فى الذوات والصفات والازمنة
والاوقات التى تقدر ما ذكر من امر الكاينات الذى ما تعجبوا منه من البعث والرجعة فرد من جملته
وشعبة من دوحته وتهيئة اسباب كل منها حدوثا وبقاء فى اوقاتها المعينة وترتيب غاياتها على الوجه اللائق
والنمط اللايق حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة والجملة فى محل النصب على انها حال من ضمير
استوى وقد جوز كونه خبرا ثانيا لان او مستانفة لا محل لها من الاعراب مبنية على سؤال نشا من
ذكر الاستواء على العرش المنبى عن اجرا احكام الملك وعلى كل حال فايثار صيغة المضارع للدلالة على تجدد
التدبير واستمراره وقوله عز وعلا ما من شفيع بيان لاستبداده سبحانه وتعالى فى التقدير والتدبير
ونفى للشفاعة على ابلغ الوجوه فان نفى جميع افراد الشفيع بمن الاستغراقية يستلزم نفى الشفاعة
على اتم الوجوه كما فى قوله تبارك وتعالى لا عاصم اليوم من امر الله وهذا بعد قوله يدبر الامر يجرى
قوله تعالى وهو يجير ولا يجار عليه عقيب قوله تعالى قل من بيده ملكوت كل شى وقوله تعالى الا من بعد
اذنه استثناء مفرغ من اعم الاوقات اى ما من شفيع يشفع لاحد فى وقت من الاوقات الا بعد اذنه
المبنى على الحكمة الباهرة وذلك عند كون الشفيع المصطفى للاختيار والمشفوع له ممن يليق بالشفاعة
كقوله تبارك وتعالى يوم يقوم الروح والملئكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا
وفيه من الدلالة على عظم جلاله سبحانه ما لا يخفى ذلكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اى ذلك
العظيم الشان المنعوت بما ذكر من نعوت الكمال التى عليها يدور استحقاق الالوهية الله وقوله تعالى
ربكم بيان له او بدل منه او خبر ثان لاسم الاشارة وهذا بعد بيان ان ربكم الله الذى خلق السموات
والارض الاية الكريمة لزيادة التقرير والمبالغة فى التذكير وللتفريع الامر بالعبادة عليه
بقوله تبارك وتعالى فاعبدوه وحده من غير ان تشركوا به شيئا من ملك او نبى فضلا عن جماد لا يبصر
ولا يسمع ولا يغنى ولا ينفع وامنوا بما انزل اليكم افلا تذكرون اى تتعظون ان الامر كما فصل افلا تتذكرون
ذلك حتى تقفوا على فساد ما انتم عليه فتدعوا عنه اليه لا الى احد سواه استقلالا او اشتراكا
مرجعكم بالبعث كما ينبئ عنه قوله تعالى جميعا فانه حال من الضمير المجرور لكونه فاعلا فى المعنى اى
اليه مرجعكم مجتمعين والجملة كالتعليل لوجوب العبادة وعد الله مصدر مؤكد لنفسه
لان قوله تبارك وتعالى اليه مرجعكم وعد منه سبحانه وتعالى بالبعث او لفعل مقدر اى وعد الله
وعدا وايا ما كان فهو دليل على ان المراد بالمرجع هو الرجوع بالبعث لا ذهابا بالموت بمعزل من الوعد كما انه
بمعزل من الاجتماع وقرئ بصيغة الفعل حقا مصدر اخر مؤكد لما دل عليه الاول انه يبدؤ الخلق

وقرئ

وقرئ يبدئ الخلق ثم يعيده وهو استيناف علل به وجوب المرجع اليه سبحانه وتعالى فان غاية البدء
والاعادة وهو جزاء المكلفين باعمالهم حسنة او سيئة وقرئ بالفتح اى لانه ويجوز كونه منصوبا
بما نصب وعد الله اى وعد الله وعد بدء الخلق ثم اعادته مرفوعا بما نصب حقا اى حق بدء الخلق
ليجزى الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط اى بالعدل وهو حال من فاعل يجزى اى ملتبسا بالعدل
او متعلق بيجزى اى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم وانما اجمل ذلك ايذانا بانه لا يفى به الحصر
او بقسطهم وعدلهم عند ايمانهم ومباشرتهم للاعمال الصالحة وهو الانسب بقوله عز وجل والذين
كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون فان معناه ويجزى الذين كفروا بسبب كفرهم وتكرير
الاسناد بجعل الجملة الظرفية خبرا للموصول لتقوية الحكم والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة
على مواظبتهم على الكفر وتغيير النظم الكريم للايذان بكمال استحقاقهم للعقاب وان التعذيب بمعزل
عن الانتظام فى سلك العلة الغائية للخلق بدءا واعادة وانما يحيق ذلك بالكفرة على موجب سوء
اختيارهم واما المقصود الاصلى من ذلك فهو الاثابة هو الذى جعل الشمس ضياء تنبيه على الاستدلال
بما مر من ابداع السموات والارض والاستواء على العرش وغير ذلك وبيان لبعض افراد التدبير الذى
اشير اليه اشارة اجمالية وارشاد الى انه حيث دبرت امورهم المتعلقة بمعاشهم هذا التدبير البديع
فلان يدبر مصالحهم المتعلقة بالمعاد بارسال الرسول عليه الصلاة والسلام وانزال الكتاب وتبيين
طرايق الهدى وتعيين مهاوى الردى اولى واحرى والجعل ان جعل بمعنى الانشاء والابداع فضياء حال من
مفعوله اى خلقها حال كونها ذات ضياء على حذف المضاف او ضياء محضا الى المبالغة وان جعل
بمعنى التصيير فهو مفعوله الثانى اى جعلها ضياء على احد الوجهين المذكورين لكن لا بمعنى انه كانت خالية
عن تلك الحالة بل ابدعها كذلك كما فى قولهم ضيق فم الركية ووسع اسفلها والضياء مصدر كقيام او جمع
ضوء كسياط وسوط وياؤه منقلبة من الواو لانكسار ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف بتقديم
اللام على العين والقمر نورا الكلام فيه كالكلام فيما مر فى الشمس والضياء اقوى من النور وقيل ما بالذات
ضوء وما بالعرض نور ففيه اشعار بان نوره مستفاد من الشمس وقدره اى قدر له وهيا منازل او قدر
مسيره فى منازل او قدره ذا منازل على تضمين التقدير معنى التصيير وتخصيص القمر بهذا التقدير لسرعة
سيره ومعاينة منازله وتعلق احكام الشريعة به وكونه عمدة فى تواريخ العرب وقد جعل الضمير
لكل منهما وهى ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر فى كل ليلة واحدا منها لا يتخطاه ولا يتقاصر منه على تقدير
مستويا يتفاوت يسيرا فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين فاذا كان فى اخر منازله دق
واستقوس ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص الشهر ويكون مقام الشمس فى كل ليلة منزلة منها ثلاثة
عشر يوما وهذه المنازل هى مواقع النجوم التى نسبت اليها العرب الانواء المستمطرة وهى الشرطان
والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجبهة والزبرة والصرفة والعوا
السماك والغفر والزبانى والاكليل والقلب والشولة والنعايم والبلدة سعد الذابح سعد بلع
سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو المؤخر الرشا وهو بطن الحوت لتعلموا
اما بتعاقب الليل والنهار المنوطين بطلوع الشمس وغروبها او باعتبار نزول كل منهما فى تلك المنازل
عدد السنين التى يتعلق بها غرض علمى لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اى حساب
الاوقات من الاشهر والايام والليالى وغير ذلك مما نيط به شىء من المصالح المذكورة وتخصيص
العدد بالسنين والحساب بالاوقات لما انه لم يعتبر فى السنين المعدودة معنى مغاير لمراتب الاعداد
كما اعتبر فى الاوقات المحسوبة وتحقيقه ان الحساب احصاء ماله كمية انفصالية بتكرير امثاله من
حيث يتحصل بطائفة معينة منها حد معين له اسم خاص وحكم مستقل كالسنة المتحصلة من اثنى عشر
شهرا قد يحصل كل من ذلك من ثلثين يوما قد يحصل كل من ذلك من اربع وعشرين ساعة
مثلا والعد مجرد احصائه بتكرير امثاله من غير اعتبار ان يتحصل بذلك شىء له كذلك ولما لم يعتبر
فى السنين المعدودة تحصل حد معين له اسم خاص غير اسامى مراتب الاعداد وحكم مستقل اضيف
اليها العدد وتحصل مراتب الاعداد من العشرات والمآت والالوف اعتبارى لا يجدى فى تحصيل
المعدود نفعا وحيث اعتبر فى الاوقات المحسوبة تحصل ما ذكر من المراتب التى لها اسامى خاصة
واحكام مستقلة علق بها الحساب المبنى على ذلك والسنة من حيث تحققها فى نفسها مما يتعلق به
الحساب وانما الذى يتعلق به العد طائفة منها وتعلقه فى ضمن ذلك بكل واحدة من تلك الطائفة
ليس من الحيثية المذكورة اعنى حيثية تحصلها من عدة اشهر قد تحصل كل منها من عدة ايام قد حصل
كل منها بطائفة من الساعات فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطائفة المعدودة

من غير ان يعتبر عنها شئ وغير ذلك وتقديم العدد على الحساب مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا
وعلما على العكس لان العلم المتعلق لعدد السنين علم اجمالي بما تعلق به الحساب تفصيلا وان لم يستحق
الجهة اولان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل امر اخر حسبما حقق انفا نازل من الحساب الذي اعتبر فيه
ذلك منزلة البسيط من المركب ما خلق الله ذلك اي ما ذكر من الشمس والقمر على ما حكى من الاحوال وفيه
ايذان بان معنى جعلهما على تلك الاحوال والحساب ليس الا خلقهما كذلك كما اشير اليه ولا تقدح في ذلك
ان استفادة القمر النور من الشمس امر حادث فان المراد بجعله نورا انما هو جعله بحيث يتصف بالنور
عند وجود شرائطه لا اتصافه به بالفعل الا بالحق استثناء مفرغ من اعم احوال الفاعل او المفعول
اي ما خلق ذلك ملتبسا بشئ من الاشياء الا ملتبسا بالحق مراعيا لمقتضى الحكمة البالغة او مراعى
فيه ذلك وهما اشير اليه اجمالا من العلم باحوال السنين والاوقات المنوط به امور معاملاتهم
وعباداتهم نفصل الايات اي الايات التكوينية المذكورة او جميع الايات المذكورة دخولا اوليا
او نفصل الايات التنزيلية المنبهة على ذلك وقرئ بنون العظمة لقوم يعلمون الحكمة في ابداع
الكائنات فيستدلون بذلك على شؤون مبدعها جل وعلا او يعلمون ما في تضاعيف الايات المنزلة
فيؤمنون بها وتخصيص التفصيل بهم لانهم المنتفعون به ان في اختلاف الليل والنهار تنبيه اخر
اجمالي على ما ذكر اي في تعاقبهما وكون كل منهما خلفة للاخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين
لحركات السموات وسكون الارض او في تفاوتهما في انفسهما بازدياد كل منهما بانتقاص الاخر
وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة او في اختلافهما
وتفاوتهما بحسب الامكنة اما في الطول والقصر فان البلاد القريبة من القطب الشمالي ايامها الصيفية
اطول ولياليها الصيفية اقصر من ايام البلاد البعيدة منه ولياليها واما في انفسهما فان كروية الارض
تقتضي ان يكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وما خلق الله في السموات والارض
من اصناف المصنوعات لايات عظيمة او كثيرة دالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته
وبالغ حكمته التي من جملتها مقتضياتها ما انكروه من ارسال الرسول عليه افضل الصلوة والسلام وانزال
الكتاب والبعث والجزاء لقوم يتقون خصهم بذلك لان الداعي الى النظر والتدبر انما هو تقوى الله تعالى
والحذر من العاقبة فهم الواقفون على ان جميع المخلوقات ايات دون غيرهم وكاين من اية في السموات والارض
يمرون عليها وهم عنها معرضون ان الذين لا يرجون لقاءنا بيان لمال امر من كفر بالبعث واعرض عن البينات
الدالة عليه بعد تحقيق ان مرجع الكل اليه تبارك وتعالى وانه يعيدهم ويجزيهم ثوابا وعقابا وتفصيل
بعض الايات الشاهدة بذلك والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع اليه بالبعث او لقاء الحساب كما في قوله
عز وعلا اني ظننت اني ملاق حسابيه وايا ما كان ففيه مع الالتفات الى ضمير الجلالة من تهويل الامر
ما لا يخفى والمراد بعدم الرجاء عدم التوقع مطلقا المنتظم لعدم الامل وعدم الخوف فان عدمهما لا
يستلزم عدم اعتقاد وقوع المامول والمخوف اي لا يتوقعون الرجوع الينا او لقاء حسابنا المؤدي
اما الى حسن الثواب او الى سوء العذاب فلا يأملون الاول ولا يخافون الثاني وقوله عز وجل ورضوا بالحيوة
الدنيا فانه معنى عن ايثار الادنى الخسيس على الاعلى النفيس كقوله تبارك وتعالى ارضيتم بالحيوة
الدنيا من الاخرة ولا سيما نوع الثاني واليه اشير بقوله تعالى واطمانوا بها اي سكنوا فيها سكون من لا
براح له منها امنين من ازعاج المزعجات غير مخطرين ببالهم ما يسوءهم من عذابنا وقيل المراد بالرجاء معناه
الحقيقي وباللقاء حسن اللقاء اي لا يأملون حسن لقائنا بالبعث والاحيا بالحيوة الابدية ورضوا بدلا منها
وبما فيها من فنون الكرامات السنية بالحياة الدنيا الدنية الفانية واطمانوا بها اي سكنوا اليها مكبين
عليها قاصرين مجامع هممهم على لذائذها وزخارفها من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم واتيان البا
الكلمة الى المبنية عن مجرد الوصول والانتهاء للايذان بتمام الملابسة ودوام المصاحبة والموانسة
وحمل الرجاء على الخوف فقط يأباه كلمة الرضا بالحيوة الدنيا فانها مبنية عما ذكر من ترك الاعلى واخذ الادنى
واختيار صيغة الماضي في الصلتين الاخريين للدلالة على التحقيق والتقرر كما ان اختيار صيغة المستقبل
في الاولى للايذان باستمرار عدم الرجاء والذين هم عن اياتنا المفصلة في صحائف الاكوان حسبما اشير الى بعضها
واياتنا المنزلة المنبهة على الاستشهاد بها المحققة معانيها في الدلالة على حقيقة ما لا يرجون من اللقا
المترتب على البعث وعلى بطلان ما رضوا به واطمانوا اليه من الحيوة الدنيا غافلون لا يتفكرون فيها
اصلا وان نبهوا عن ذلك ونكبوا بانواع القوارع لانهماكهم فيما يصدهم عنها من الاحوال المعدودة
وتكرير الموصول للتوسل به الى جعل صلته جملة اسمية منبئة عما هم عليه من استمرار الغفلة ودوامها
وتنزيل التغاير الوصفي منزلة التغاير الذاتي ايذانا بمغايرة الوصف الاخير للاولين واستقلاله

باستتباع

باستتباع العذاب بهذا واما ما قيل من ان العطف لما التغاير الوصفين والتنبيه على ان الوعيد على الجمع
بين الذهول عن الايات راسا والانهماك في الشهوات بحيث لا يخطر ببالهم الاخرة اصلا واما التغاير
الفريقين والمراد بالاولين من انكر البعث ولم ير الا الحيوة الدنيا وبالاخرين من الهاه حب العاجل عن التامل
في الاجل بكلمة مرتاعن السداد فتامل اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء ماويهم اي مسكنهم
ومقرهم الذي لا براح لهم منه النار لا بما اطمانوا بها من الحياة الدنيا ونعيمها بما كانوا يكسبون من الاعمال
القلبية المعدودة وما تستتبعه من اصناف المعاصي والسيئات او بكسبهم اياها والجمع بين صيغتي الماضي
والمستقبل للدلالة على استمرار التجدد والبا متعلقة بمضمون الجملة الاخيرة الواقعة خبرا عن
اسم الاشارة وهي مع خبره خبر لان في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ان الذين امنوا اي فعلوا
الايمان او امنوا بما يشهد به الايات التي غفل عنها الغافلون او بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه
ذلك اندراجا اوليا وعملوا الصالحات اي الاعمال الصالحة في نفسها اللائقة بالايمان وانما ترك ذكر
الموصوف لجريانها مجرى الاسما يهديهم ربهم اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم واشعارا
بعلة الهداية بايمانهم اي يهديهم بسبب ايمانهم الى ماويهم ومقصدهم وهي الجنة وانما لم يذكر ذكر الموصوف
لجريانه مجرى الاسما يهديهم ربهم اوثر الالتفات تشريفا لهم باضافة الرب اليهم ينذكي تعويلا على ظهورها
وانسياق النفس اليها لا سيما بملاحظة ما سبق من بيان ماوى الكفرة وما اودعوا اليه من اعمالهم الشنيعة
ومشاهدة ما لحق من التصريح والتلويح وفي النظم الكريم اشعار بان مجرد الايمان والعمل الصالح لا يكفي
في الوصول الى الجنة بل لا بد بعد ذلك من الهداية وان الكفر والمعاصي كافية في دخول النار ثم انه لا
نزاع في ان المراد بالايمان الذي جعل سببا لتلك الهداية هو ايمانهم الخاص المشفوع بالاعمال الصالحة لا الايمان
المجرد عنها اذ لا ما هو اعم منها الا ان ذلك بمعزل عن الدلالة على خلاف ما عليه اهل السنة والجماعة من ان
الايمان الخالي عن العمل الصالح يفضي الى الجنة في الجملة ولا يخلد صاحبه في النار فان منطوق الاية الكريمة
ان الايمان المقرون بالعمل الصالح سبب للهداية الى الجنة واما ان كل ما هو سبب لها يجب ان يكون كذلك
فلا دلالة لها ولا لغيرها قطعا كيف لا وقوله عز وجل الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم
الامن وهم مهتدون مناد بخلافه فان المراد بالظلم هو الشرك كما اطبق عليه المفسرون والمعنى لم يخلطوا
ايمانهم بشرك وان حمل على ظاهره ايضا يدخل في الاهتداء من امن ولم يعمل صالحا ثم مات قبل ان يظلم بفعل
غير امر او ترك واجب تجري من تحتها الانهار اي بين ايديهم كقوله وهذه الانهار تجري من تحتي او
تجري وهم على سرر مرفوعة وارائك مصفوفة والجملة مستانفة او خبر ثان لان او حال من مفعول
يهديهم على تقدير كون المهدي اليه ما يريدونه في الجنة كما قيل وقيل يهديهم الى ادراك الحقائق البديعة
بحسب القوة العملية كما قال عليه الصلاة والسلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم في
جنات النعيم خبر اخر وحال اخرى منه او من الانهار او متعلق بتجري او بيهدي فالمراد بالمهدي
اليه اما ما تشتهون في الجنة او ما يريدونه فيها دعواهم اي دعاؤهم وهو مبتدأ وهو فيها
متعلق به وقوله تعالى سبحانك اللهم خبره اي دعاؤهم هذا الكلام وهو معمول القول لا يجوز
اظهاره والمعنى اللهم انا نسبحك تسبيحا ولعلهم يقولونه عند ما عاينوا فيها من تعجيب اثار قدرته
تعالى ونتائج رحمته ورأفته ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر تقديسا لمقامه
تعالى عن شوائب العجز والنقصان وتنويها بوعده الكريم من ... وتحيتهم فيها التحية التكرمة
بالحالة الجليلة اصلها احياك الله حياة طيبة اي ما يحيي به بعضهم بعضا او تحية الملائكة اياهم كما في قوله
تبارك وتعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم او تحية الله تعالى لهم كما في قوله تعالى سلام
قولا من رب رحيم سلام اي سلام من كل مكروه واخر دعواهم اي وخاتمة دعائهم ان الحمد لله رب العالمين
اي ان يقولوا ذلك نعتا له تعالى بصفات الاكرام اثر نعته تعالى بصفات الجلال اي دعاؤهم منحصر فيما ذكر
اذ ليس لهم مطلب مترقب حتى ينظموه في سلك الدعوات وان هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله
على ان الضمير للشان كما في قوله ان هالك كل من يحفى وينتعل وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد
ولعل توسيط ذكر تحيتهم عند الحكاية بين دعائهم وخاتمته للتوسل الى ختم الحكاية بالتحميد تبركا مع ان التحية
ليست بأجنبية على الاطلاق ودعوى كونها عقيب الوقوع ايضا كذلك فان كانوا حين دخلوا الجنة
وعاينوا عظم الله تبارك وتعالى وكبريائه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة
عن الافات والفوز باصناف الكرامات او حياهم الله تعالى بذلك فحمدوه تعالى واثنوا عليه بما هو
اضافة الاخرى الى دعواهم وقد جوز ان يكون المراد بالدعاء العبادة كما قال تبارك وتعالى واعتزلكم
وما تدعون من دون الله الكريمة ايذانا بانه لا تكليف في الجنة اي ما عبادتهم الا ان يسبحوه ويحمدوه وليس ذلك

بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا ولا يساعده تعيين الخاتمة ولو يعجل الله للناس هم الذين لا يرجون
لقاء الله تعالى لانكارهم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزا اشير الى بعض من عظايم معاصيهم
المتفرعة على ذلك وهو استعجالهم بما اوعدوا به من العذاب تكذيبا واستهزاء وايرادهم باسم الجنس
لما ان تعجيل الخير لهم ليس دايرا على وصفهم المذكور اذ ليس كل ذلك بطريق الاستدراج اى لو يعجل الله
لهم الشر الذى كانوا يستعجلون به فانهم كانوا يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك وقوله تعالى استعجالهم بالخير نصب على انه مصدر
تشبيهى ووضع موضع مصدر ناصب دلالة على اعتبار الاستعجال فى جانب المشية كاعتبار التعجيل
فى جانب المشية كاعتبار التعجيل فى جانب المشية به واشعار بسرعة اجابته تعالى لهم حتى كان
استعجالهم بالخير نفس تعجيله لهم والتقدير ولو يعجل الله لهم الشر عند استعجالهم به تعجيلا مثل تعجيله
لهم الخير عند استعجالهم به فحذف ما حذف تعويلا على دلالة الباقى عليه لقضى اليهم اجلهم لادى اليهم الاجل
الذى عين لعذابهم واميتوا واهلكوا بالمرة وما امهلوا طرفة عين وفى ايثار صيغة المبنى للمفعول على
سنن الكبرياء وقرئ على البنا للفاعل كما قرئ لقضينا نواحتنا وصيغة الاستقبال فى الشرط وان كان
المعنى على المضى لافادة ان عدم قضا الاجل لاستمرار عدم التعجيل فان المضارع المنفى الواقع موقع
الماضى ليس ينفى فى افادة انتفا استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام
كما حقق فى موضعه واعلم انه لا بد لافادة فى الشرطية ان يكون التالى امرا مغايرا للمقدم فى نفسه
مترتبا عليه فى الوجود كما فى قوله عز وجل لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فان العنت اى الوقوع
فى المشقة والهلاك امر مغاير لطاعته عليه الصلاة والسلام لهم مترتب عليها فى الوجود او يكون
فردا كاملا من افراده ممتازا عن البقية بما يخصه كما فى الاجوبة المحذوفة فى مثل قوله تعالى ولو
ترى اذ المجرمون ونظايرها اى لرايت امرا هايلا فظيعا او نحو ذلك كما فى قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس
بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة اذا فنى الجواب بالاستيصال فانه فرد كامل من افراد مطلق المواخذة
قد عبر عنه بما لا مزيد عليه فى الدلالة على الشدة والفظاعة فحسن موقعه فى موقع التالى الى
المواخذة المطلقة واما ما نحن فيه من القضا فليس بامر مغاير لتعجيل الشر فى نفسه وهو ظاهر بل هو
اما نفسه او جزء منه كساير جزئياته من غير مزية له على البقية اذ لم يعتبر فى مفهومه ما ليس
فى مفهوم تعجيل الشر من الشدة والهول فلا يكون فى ترتيبه عليه وجودا وعدما مزيد فايدة مصححة
لجعله تاليا له فالحق ان المقدم ليس نفس التعجيل المذكور بل هو ارادته المستتبعة للقضا المذكور وجودا
وعدما كما فى قوله تعالى لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب اى لو يريد مؤاخذتهم فان تعجيل العذاب
لهم نفس المؤاخذة او جزء من جزئياتها غير ممتاز عن البقية فليس فى بيان ترتبه عليها وجودا وعدما
مزيد فايدة فانما الفايدة فى بيان ترتبه على ارادتها حسبما ذكروا ايضا فى ترتيب التالى على ارادة المقدم
ما ليس فى ترتيبه على نفسه من المبالغة وتهويل الامر للدلالة على الامور الدالة على ان الامور منوطة
بارادته تعالى المبنية على الحكم البالغة فنذر الذين لا يرجون لقاءنا بنون العظمة الدالة على التشديد
فى الوعيد وهو عطف على مقدر ينبئ عنه الشرطية كانه قيل لكن لا نفعل ذلك لما تقتضيه الحكمة
فنتركهم امهالا واستدراجا فى طغيانهم الذى هو عدم رجاء اللقاء وانكار البعث والجزاء وما يتفرع
على ذلك من اعمالهم السيئة ومقالاتهم الشنيعة يعمهون اى يترددون ويتحيرون وفى وضع الموصول
موضع الضمير نوع بيان للطغيان بما فى حيز الصلة واشعار بعليته للترك والاستدراج واذا مس
الانسان الضر اى اصابه جنس الضر من مرض وفقر وغيرهما من الشدايد اصابة يسيرة دعانا لكشفه
وازالته لجنبه حال من فاعل دعانا بشهادة ما عطف عليه من الحالين واللام بمعنى على كما فى قوله تعالى
يخرون للاذقان اى دعانا كاينا على جنبه اى مضطجعا او قاعدا او قائما اى فى جميع الاحوال لما ذكر
وما لم يذكر وتخصيص المعدودات بالذكر لعدم خلو الانسان عنها عادة او دعانا فى جميع احوال
مرضه على انه المراد بالضر خاصة مضطجعا عن القعود وقاعدا غير قادر على النهوض وقائما لا يستطيع
المشى فلما كشفنا عنه ضره الذى مسه دعانا حسبما ينبئ عنه الفا مر اى مضى على طريقته
التى كان ينتحيها قبل مساس الضر ونسى حالة الجهد والبلاء او مر عن موقف الضراعة والابتهال ونأى بجانبه
كان لم يدعنا اى كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان كما فى قوله كان لم يكن بين الحجون الى الصفا
والجملة التشبيهية فى محل النصب على الحالية من فاعل مر اى مر مشابها لمن لم يدعنا الى ضر اى الى كشف
ضر مسه وهذا وصف للجنس باعتبار حال بعض افراده ممن هو متصف بهذه الصفات كذلك
نصب على المصدرية وذلك اشارة الى مصدر الفعل الآتى وما فيه من معنى البعد للتفخيم والكاف

مقحمة

مقحمة للدلالة على زيادة فخامة المشار اليه اقحاما لا يكاد يترك فى لغة العرب ولا فى غيرها ومن
ذلك قولهم مثلك لا يبخل مكان انت لا تبخل اى مثل ذلك التزيين العجيب زين للمسرفين اى الموصوفين
بما ذكر من الصفات الذميمة واسرافهم ان الله تبارك وتعالى لما اعطاهم القوى والمشاعر ليصرفوها
الى مصارفها ويستعملوها فيما خلقت له من العلوم والاعمال الصالحة فلما صرفوها الى ما لا ينبغى وهى
راس مالهم فقد اتلفوها واسرفوا اسرافا ظاهرا والتزيين اما من جهة الله تبارك وتعالى على طريقة
التخلية والخذلان واما من الشيطان بالوسوسة والتسويل ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر والدعا
والانهماك فى الشهوات وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث ان فى كل منهما املاء للكفرة على طريقة
الاستدراج بعد الانقاذ من الشر المقدر فى الاولى ومن المضى المقدر فى الاخرى ولقد اهلكنا القرون
اى القرون الخالية مثل قوم نوح وعاد وامثالهم ومن فى قوله تبارك وتعالى من قبلكم متعلقة باهلكنا
اى اهلكناهم من قبل زمانكم والخطاب لاهل مكة على طريقة الالتفات للمبالغة فى تشديد التهديد
بعد تاييده بالتوكيد القسمى لما ظلموا ظرف للاهلاك اى اهلكناهم حين فعلوا الظلم بالتكذيب
والتمادى فى الغى والضلال من غير تاخير وقوله وجاءتهم رسلهم حال من ضمير ظلموا باضمار قد وقوله
تعالى بالبينات متعلق بجاءتهم على ان البا للتعدية او بمحذوف وقع حالا من رسلهم دالة على افراطهم
فى الظلم وتناهيهم فى المكابرة اى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالايات البينة الدالة على صدقهم
او ملتبسين بها حين لا مجال للتكذيب وقد جوز ان يكون قوله تعالى وجاءتهم عطفا على ظلموا فلا
محل له من الظرف اليه وليس الظلم منحصرا فى التكذيب حتى يحتاج الى الاعتذار بان الترتيب
الذكرى لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعى كما فى قوله تبارك وتعالى وما كانوا ليؤمنوا على ابلغ
وجه واكده فان اللام لتاكيد النفى اى وما صح وما استقام لهم ان يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان
الله تعالى اياهم لعلمه بان الالطاف لا تنجع فيهم والجملة على الاول عطف على ظلموا لانه اخبار باحداث
التكذيب وهذا بالاصرار عليه وعلى الثانى عطف على ما عطف عليه وقيل اعتراض بين الفعل وما يجرى
مجرى مصدره التشبيهى اعنى قوله كذلك فان الجزا المشار اليه عبارة عن مصدره اى مثل ذلك الجزا
الفظيع اى الاهلاك الشديد الذى هو الاستيصال بالمرة نجزى القوم المجرمين اى كل طائفة مجرمة
وفيه وعيد شديد وتهديد اكيد لاهل مكة لاشتراكهم لاولئك المهلكين فى الجرائم والجرائر التى هى
تكذيب الرسول والاصرار عليه وتقرير لمضمون ما سبق من قوله تبارك وتعالى ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير وقرئ بالياء على الالتفات الى الغيبة وقد جوز ان يكون المراد بالقوم المجرمين
اهل مكة المشرفة على طريقة وضع الظاهر موضع ضمير الخطاب ايذانا بانهم اعلام فى الاجرام ويأباه
كل الاباء قوله تبارك وتعالى ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم فانه صريح فى انه ابتدا تعرض لامورهم
وان ما بين فيه انه مبادى احوالهم لاختبار كيفيات اعمالهم على وجه يشعر باستمالتهم نحو الايمان والطاعة
فمحال ان يكون ذلك اثر بيان منتهى امورهم وخطابهم ببيت القول باهلاكهم لكمال اجرامهم والمعنى ثم
استخلفناكم فى الارض بعد اهلاك اولئك القرون التى تسمعون اخبارها وتشاهدون اثارها استخلاف
من يختبر لننظر اى لنعامل معاملة من ينظر كيف تعملون فهى استعارة تمثيلية وكيف منصوب على المصدر
بتعملون لا بننظر فان فيه معنى الاستفهام وهو مانع من تقدم عامله عليه اى اى عمل او على الحالية اى على اى
حال تعملون الاعمال اللائقة بالاستخلاف من اوصاف الحسن كقوله عز وعلا ليبلوكم ايكم احسن عملا وفيه رمز
اشعار بان المراد بالذات والمقصود الاصلى من الاستخلاف انما هو ظهور الكيفيات الحسنة للاعمال
الصالحة واما الاعمال السيئة فبمعزل من ان تصدر عنهم لا سيما بعد ما سمعوا اخبار القرون المهلكة
وشاهدوا اثارها فضلا عن ان ينتظم ظهورها فى سلك العلة الغائية للاستخلاف وقيل منصوب على انه
مفعول به اى اى عمل تعملون او خيرا ام شرا فيعاملكم بحسبه فلا يكون حينئذ استعارة لمعنى اى شى
واذا تتلى عليهم التفات من خطابهم الى الغيبة اعراضا عنهم وتوجيها للخطاب الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتعديد جناياتهم المضادة لما اريد منهم بالاستخلاف من تكذيب الرسول والكفر بالايات البينات
وغير ذلك كدأب من قبلهم من القرون المهلكة وصيغة المضارع للدلالة على تجدد جوابهم الاتى حسب
تجدد التلاوة اياتنا الدالة على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك والاضافة لتشريف المضاف
والترغيب فى الايمان به والترهيب عن تكذيبه بينات حال كونها واضحات الدلالة على ذلك وايراد
فعل التلاوة مبنيا الى المفعول مسندا الى الايات دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنائه للفاعل
للاشعار بعدم الحاجة الى تعيين التالى وللايذان بان كلامهم فى نفس المتلو دون التالى قال الذين لا
يرجون لقاءنا وضع الموصول موضع الضمير اشعارا بعلية ما فى حيز الصلة العظيمة المحكية عنهم وانهم انما

الاعراب عند سيبويه رحمه الله تعالى وعند غيره ومحله الجر لانه
معطوف على ما هو مجرور باضافة صح

اخبروا عنها لعدم خوفهم من عقابه تعالى يوم اللقا لانكارهم له ولما هو من بابه من البعث ووصفهم
بذلك اي قالوا لمن يتلوها عليهم وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما لم يذكر ايذانا بتعينه ائت
بقران غير هذا اشارة وبهذا الى القران الكريم المشتمل على تلك الايات لا الى نفسها فقط قصدا الى اخراج
الكل من البين اي ائت بكتاب اخر نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحساب والجزا وما نكرهه
من ذم الهتنا ومعايبها والوعيد على عبادتها او بدله بتغيير ترتيبه بان يجعل مكان الاية المشتملة على
ذلك اية اخرى خالية عنها وانما قالوه كيدا وطمعا في المساعدة ليتوسلوا به الى الالزام والاستهزا
به قل لهم ما يكون لي اي ما يصح وما يستقيم ولا يمكنني اصلا ان ابدله من تلقاء نفسي وهو مصدر
استعمل ظرفا وقرئ بفتح التاء وقصر الجواب ببيان امتناع ما اقترحوه على اقتراحهم الثاني للايذان
بان استحالة ما اقترحوه اولا من الظهور بحيث لا حاجة الى بيانها وان التصدي لذلك كونه نوعا
ربما يعد من قبيل المجاراة مع السفها اذ لا يصدر مثل ذلك الاقتراح عن العقلا ولان ما يدل على
استحالة الثاني يدل على استحالة الاول بطريق الاولى ان اتبع اي ما اتبع في شيء مما اتي واذر الا ما يوحى
الي من غير تغيير له في شيء اصلا على معنى قصر حاله عليه الصلاة والسلام على اتباع ما يوحى اليه
كما هو المتبادر من ظاهر العبارة كانه قيل ما افعل الا اتباع ما يوحى الي وقد مر تحقيق المقام
في سورة الانعام وهو تعليل لصدر الكلام فان من شانه اتباع الوحي على ما هو عليه لا يستبد بشيء
دونه قطعا وفيه جواب للنقض بنسخ بعض الايات ببعض ورد لما عرضوا به عليه الصلاة والسلام
بهذا السؤال من ان القران كلامه عليه الصلاة والسلام ولذلك قيد التبديل في الجواب
بقوله من تلقاء نفسي وسماه عصيانا عظيما بقوله تعالى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم فانه
تعليل لمضمون ما قبله من امتناع التبديل واقتصار امره عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحي
اي اني اخاف ان عصيته تعالى بتعاطي ما ليس لي من التبديل من تلقاء نفسي والاعراض عن اتباع الوحي
عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة الذي لا يرجونه وفيه اشعار بانهم استوجبوا بهذا الاقتراح
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه الصلاة والسلام لتهويل امر العصيان
واظهار كمال نزاهته عليه الصلاة والسلام عنه وايراد اليوم بالتنوين التفخيمي ووصفه بالعظمة
لتهويل ما فيه من العذاب وتفظيعه ولا مساغ لحمل مقترحهم على التبديل والاتيان بقران اخر من جهة
الوحي بنفسه قوله تعالى ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي بانه لا يتسهل لي ان ابدله بالاستدعا من
جهة الوحي ما اتبع الا ما يوحى الي من غير صنع ما من الاستدعا وغيره من قبلي لانه يرده التعليل المذكور
لكن لا لان المقترح حينئذ ليس فيه معصية اصلا كما توهم فان استدعا تبديل الايات النازلة حسبما
تقتضيه الحكمة التشريعية بعضها ببعض لا سيما بموجب اقتراح الكفرة مما لا ريب في كونه معصية بل
لانه ليس فيه معصية الاقتراح مع ان المقصود بما ذكر في التعليل الاشارة الى ما بعده من الايتين
الكريمتين فانه صريح في ان مقترحهم الاتيان بغير القران وتبديله بطريق الافترا وان زعمهم
في الاصل ايضا كذلك وقوله عز وجل قل لو شاء الله ما تلوته عليكم تحقيق لحقية القران الكريم وكونه
من عند الله تعالى اثر بيان بطلان ما اقترحوه من استحالة عبارة ودلالة وانما صدر بالامر المستقل
مع كونه داخلا تحت الامر السابق اظهارا لكمال الاعتنا بشانه وايذانا باستقلاله مفهوما وطلوبا فانه
برهان دال على كونه بامر الله تعالى ومشيئته كما سياتي وما سبق مجرد اخبار باستحالة ما اقترحوه ومفعولها
مضمون الجزا وانكى في تعلقها به غرابة كما في قوله • ولو شئت ان ابكي دما لبكيته • حيث لم يحذف
لفقدان الشرط الاخير ولان المستلزم للجزا اعني عدم تلاوته عليه الصلاة والسلام عليهم انما هو
مشيئته تعالى له لا مشيئة لغير القران الكريم والمعنى ان الامر كله منوط بمشيئته تعالى وليس لي منه
شيء قط ولو شاء عدم تلاوتي له عليكم لا بان شاء عدم تلاوتي له من تلقاء نفسي بان لم ينزله علي
ولم يامرني بتلاوته كما ينبئ عنه ايثار التلاوة على القراءة ما تلوته عليكم ولا ادريكم به اي ولا
اعلمكم به بواسطتي والتالي وهو عدم التلاوة والادرا منتف فينتفي المقدم اعني مشيئة عدم التلاوة
ولا يخفى انها مستلزمة لعدم مشيئة التلاوة فثبت ان تلاوته عليه الصلوة والسلام للقران
الكريم بمشيئته تعالى وامره وانما قيدنا الادرا بكونه بواسطته عليه الصلوة والسلام لان عدم
الاعلام مطلقا ليس من لوازم الشرط الذي هو مشيئة عدم تلاوته عليه الصلوة والسلام فلا يجوز
نظمه في سلك الجزا وفي اسناد عدم الادرا اليه تبارك وتعالى المنبئ عن اسناد الادرا اليه تعالى ايذانا
بان لا دخل له عليه الصلاة والسلام في ذلك حسبما يقتضيه المقام وقرئ ولادركم ولا ادراكم
بالهمزة فيهما على لغة من يقول اعطات وارضات في اعطيت وارضيت او على انه من الدرء بمعنى

الدفع

الدفع اي ولا جعلكم بتلاوته عليكم خصماء تدرؤنني بالجدال وقرئ ولا انذرتكم به وقرئ لادراكم
بلام الجواب اي لو شاء الله ما تلوته عليكم انا ولاعلمكم به على لسان غيري على معنى انه الحق الذي
لا محيص عنه لو لم ارسل به انا لارسل به غيري البتة او على معنى انه يمن على من يشاء فخصني
بهذه الكرامة فقد لبثت فيكم عمرا تعليل للملازمة المستلزمة لكون تلاوته بمشيئة الله
تعالى وامره حسبما بين انفا لكن لا بطريق الاستدلال عليها لعدم تلاوته فيما سبق بسبب مشيئة تعالى
اياه بل بطريق الاستشهاد عليها بما شاهدوا منه عليه الصلاة والسلام في تلك المدة الطويلة من
الامور الدالة على استحالة كون التلاوة من جهته عليه الصلاة والسلام بلا وحي وعمرا نصب على
التشبيه بظرف الزمان والمعنى قد اقمت فيما بينكم دهرا مديدا مقدار اربعين سنة تحفظون
تفاصيل احوالي طرا وتحيطون بها لا خبرا من قبله اي من قبل نزول القران لا اتعاطى شيئا مما يتعلق
به لا من حيث نظمه المعجز ولا من حيث معناه الكاشف عن اسرار الحقائق واحكام الشرائع افلا تعقلون
اي الا تلاحظون ذلك فلا تعقلون امتناع صدوره عن مثلي ووجوب كونه منزلا من عند الله
العزيز الحكيم وانه غير خاف على من يعقل بعقل سليم والحق الذي لا محيد عنه ان من له ادنى مسكة من العقل
اذا تامل في امره عليه الصلاة والسلام وانه نشا فيما بينهم هذا الدهر الطويل من غير مصاحبة
العلما في شان من الشؤون ولا مراجعة اليهم في فن من الفنون ولا مخالطة البلغا في المفاوضة والحوار
ولا خوض معهم في انشاء الخطب والاشعار ثم اتى بكتاب بهرت فصاحته كل فصيح فايق • وبذت
بلاغته كل بليغ رايق • علا نطقه كل منثور ومنظوم وحوى فحواه بدائع اصناف العلوم • كاشفا عن
اسرار الغيب من وراء استار الكمون • ناطقا باخبار ما قد كان وما سيكون • مصدقا لما بين يديه
من الكتب المنزلة • مهيمنا عليها في احكامه المجملة والمفصلة لا يبقى عنده شائبة اشتباه في انه وحي
منزل من عند الله تعالى هذا هو الذي اتفقت عليه كلمة الجمهور ولكن
الانسب ببيان الجواب فيما سلف على مجرد امتناع صدور التغيير والتبديل عنه عليه السلام لكونه
معصية موجبة للعذاب العظيم واقتصار حاله عليه الصلوة والسلام على اتباع الوحي وامتناع
الاستبداد بالراي من غير تعرض هناك ولا هاهنا لكون القران الكريم في نفسه امرا خارجا عن طوق البشر
ولا لكونه عليه الصلاة والسلام غير قادر على الاتيان بمثله ان يستشهد هاهنا على المطلب بما يلايم
ذلك من احواله المستمرة في تلك المدة المتطاولة من كمال نزاهته عليه الصلوة والسلام عما توهم
شائبة صدور الكذب والافترا عنه في حق احد كائنا من كان كما ينبئ عنه تعقيبه بتظليم المفتري
على الله تعالى والمعنى قد لبثت فيما بين ظهرانيكم قبل الوحي لا اتعرض لاحد قط بتحكم ولا جدال
ولا احوم حول مقام فيه شائبة شبهة فضلا عما فيه كذب او افترا الا تلاحظونه افلا تعقلون
ان من هذا شانه المطرد في هذا العهد البعيد مستحيل ان يفتري على الله عز وجل ويتحكم على كافة
الخلق بالاوامر والنواهي الموجبة لسلب الاموال وسفك الدما ونحو ذلك وان ما اتى به وحي
مبين تنزيل من رب العالمين وقوله عز وجل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا استفهام انكاري
معناه الجحد اي لا احد اظلم منه على معنى انه اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب مفيدا
لانكار ان يكون احد اظلم منه من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها فانه اذا قيل من افضل من فلان
او اعلم منه يفهم منه حتما انه افضل من كل فاضل واعلم من كل عالم وزيادة قوله تبارك وتعالى
كذبا مع ان الافترا لا يكون الا كذلك للايذان بان ما اضافوه اليه ضمنا وحملوه عليه الصلاة
والسلام عليه صريحا مع كونه افتراء على الله تعالى كذب في نفسه فرب افترا يكون كذبه
في الاسناد فقط كما اذا اسند ذنب زيد الى عمرو وهذا للمبالغة منه عليه الصلاة والسلام
في التفادي مما ذكر من الافترا على الله سبحانه وتعالى او كذب باياته فكفر بها وهذا تظليم للمشركين
بتكذيبهم للقران وحملهم على انه من جهته عليه الصلاة والسلام والفا لترتيب الكلام
على ما سبق من بيان كون القران الكريم بمشيئة الله تعالى وامره فلا محل لحمل الافترا على الافترا
باتخاذ الولد والشريك اي واذا كان الامر كذلك فمن افترى عليه تبارك وتعالى بان يختلق كلاما
فيقول هذا من عند الله او يبدل بعض اياته تعالى ببعض كما تجوزون ذلك في شاني وكذلك من
كذب باياته تعالى كما تفعلونه اظلم من كل ظالم انه الضمير للشان واقع اسما لان والخبر ما
يعقبه من الجملة ومدار وضعه موضعه ادعاء شهرته المغنية عن ذكره وفائدة تصدير الجملة به الايذان
بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره في الذهن فان الضمير لا يفهم منه من اول الامر
الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده عليه فضل تمكن فكانه

قيل ان الشان هذا اى لا يفلح المجرمون اى لا ينجون من محذور ولا يظفرون بمطلوب والمراد جنس المجرمين
فيندرج فيه المفترى والمكذب اندراجا اوليا ويعبدون من دون الله حكاية لجناية اخرى عنهم نشأت
عنها جنايتهم الاولى معطوفة على قوله تعالى واذا تتلى عليهم الاية عطف قصة على قصة ومن دون
متعلق بيعبدون ومحله النصب على الحالية من فاعله اى متجاوزين الله سبحانه وتعالى لا بمعنى ترك
عبادته بالكلية بل بمعنى عدم الاكتفاء بها وجعلها قرينا لعبادة الاصنام كما يفصح عنه سياق النظم
الكريم ما لا يضرهم ولا ينفعهم اى ما ليس من شانه الضر والنفع من الاصنام التى هى جمادات موصولة
او موصوفة وتقديم نفى الضر لان ادنى احكام العبادة دفع الضر الذى هو اول المنافع والعبادة
امر حادث مسبوق بالعدم الذى هو مظنة الضر فحيث لم تقدر الاصنام على الضر لم يوجد
لاحداث العبادة سبب وقيل لا يضرهم ان تركوا عبادتها ولا ينفعهم ان عبدوها كان اهل الطائف
يعبدون اللات واهل مكة عزى ومناة وهبل واسافا ونائلة ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله
عن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيمة تشفع لى اللات قيل انهم كانوا يعتقدون ان المتولى لكل اقليم
روح معين من ارواح الافلاك فتعينوا لذلك الروح صنما معينا من الاصنام واشتغلوا بعبادته
ومقصودهم ذلك الروح يكون عند الاله الاعظم مشتغلا بعبوديته وقيل انهم كانوا يعبدون
الكواكب فوضعوا لها اصناما معينة واشتغلوا بعبادتها قصدا الى عبادة الكواكب وقيل انهم وضعوا
طلسمات معينة على تلك الاصنام ثم تقربوا اليها وقيل انهم وضعوا هذه الاصنام على صور انبيائهم
واكابرهم وزعموا انهم متى اشتغلوا بعبادة هذه التماثيل فان اولئك الاكابر يشفعون لهم عند
الله تعالى قل تبكيتا لهم اتنبؤن الله بما لا يعلم اى اتخبرونه بما لا وجود له اصلا وهو كون الاصنام
شفعاؤهم عند الله تعالى اذ لولاه لعلمه علام الغيوب وفيه تقريع لهم وتهكم بهم وبما يدعونه
من المحال الذى لا يكاد يدخل تحت الصحة والامكان وقرئ اتنبؤنه بالتخفيف وقوله تبارك
وتعالى فى السموات ولا فى الارض حال من العائد المحذوف فى يعلم مؤكدة للنفى لان ما لا يوجد
فيهما فهو منتف عادة سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم المستلزم لتلك المقالة الباطلة او
عن شركائهم الذين يعتقدونهم شفعاء وهم عند الله تعالى وقرئ تشركون بتاء الخطاب على انه
من جملة القول المامور به وعلى الاول هو اعتراض تذييلى من جهته سبحانه وتعالى وما كان الناس
الا امة واحدة بيان لان التوحيد والاسلام ملة قديمة اجمعت عليها الامم قاطبة فطرة وتشريعا
وان الشرك وفروعه جهالات ابتدعها الغواة خلافا للجمهور شقا لعصا الجماعة وامالة
لاحادهم على الاتفاق على الضلال عند الفترة واختلافهم على ما كان منهم من الاتباع والاصرار
فيما لا احتمال له اى وما كان الناس كافة من اول الامر الا متفقين على الحق والتوحيد من غير
اختلاف وذلك من عهد ادم عليه الصلاة والسلام الى ان قتل قابيل هابيل وقيل الى زمن
ادريس وقيل الى زمن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل من حين الطوفان حين لم يذر الله من
الكافرين ديارا الى ان ظهر فيما بينهم الكفر وقيل من لدن ابراهيم عليه الصلاة والسلام الى ان اظهر عمرو بن
لحى عبادة الاصنام فالمراد بالناس العرب خاصة وهو الانسب بايراد الاية الكريمة اثر حكاية
ما حكى عنهم من الهنات وتنزيه ساحة الكبرياء عن ذلك فاختلفوا بان كفر بعضهم وثبت اخرون على
ما هم عليه فخالف كل من الفريقين الاخر لا ان كلا منهما احدث ملة على حدة من ملل الكفر مخالفة
لملة الاخر فان الكلام ليس فى ذلك الاختلاف اذ كل منهما مبطل حينئذ فلا يتصور ان يقضى بينهما
بابقاء المحق واهلاك المبطل والفاء التعقيبية لا تنافى امتداد زمان الاتفاق اذ المراد بيان
وقوع الاختلاف عقيب انصرام مدة الاتفاق لا عقيب حدوث الاتفاق ولولا كلمة سبقت من ربك
بتاخير القضاء بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بتمييز الحق عن الباطل بابقاء المحق واهلاك المبطل
وصيغة الاستقبال لحكاية الحال الماضية والدلالة على الاستمرار ويقولون حكاية لجناية اخرى
لهم معطوفة على قوله تبارك وتعالى ويعبدون وصيغة المضارع لاستحضار صورة مقالتهم الشنعاء
والدلالة على الاستمرار والقائلون اهل مكة لولا انزل عليه آية من ربه ارادوا آية من الايات
التى اقترحوها لما انهم لفرط العتو والفساد ونهاية التمادى فى المكابرة والعناد لم يعدوا البينات
النازلة عليه الصلوة والسلام من جنس الايات واقترحوا غيرها مع انه قد انزل عليه من الايات
الباهرة والمعجزات المتكاثرة ما يضطرهم الى الانقياد والقبول لو كانوا من ارباب العقول فقل
لهم فى الجواب انما الغيب لله اللام للاختصاص العلمى دون التكوينى فان الغيب والشهادة فى ذلك
الاختصاص سيان والمعنى ان ما اقترحتموه وزعمتم انه من لوازم النبوة وعلقتم ايمانكم بنزوله
من

من الغيوب المختصة بالله سبحانه لا وقوف لى عليه فانتظروا نزوله انى معكم من المنتظرين اى لما يفعل
الله بكم لاجترائكم على مثل هذه العظيمة من جحود الايات واقتراح غيرها وجعل الغيب عبارة عن
الصارف عن انزال الايات المقترحة يأباه ترتيب الامر بالانتظار على اختصاص الغيب به تبارك
وتعالى واذا اذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم اى خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم واسناد
المساس الى الضر بعد اسناد الاذاقة الى ضمير الجلالة من الاداب القرانية كما فى قوله تعالى واذا مرضت
فهو يشفين ونظائره قيل سلط الله تعالى على اهل مكة القحط سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا
فطفقوا يطعنون فى آياته تعالى ويعادون رسوله عليه الصلوة والسلام ويكيدونه وذلك قوله
تبارك وتعالى اذا لهم مكر فى اياتنا اى بالطعن فيها وعدم الاعتداد بها والاحتيال فى دفعها واذا الاولى
الشرطية والثانية جوابها كانه قيل فاجأوا وقوع المكر منهم وتنكير مكر للتفخيم وفى متعلقة بالاستقرار
الذى يتعلق به اللام قل الله اسرع مكرا اى اعجل عقوبة اى عذابه اسرع وصولا اليكم مما يأتى منكم
فى دفع الحق وتسمية العقوبة بالمكر لوقوعها فى مقابلة مكرهم وجودا او ذكرا ان رسلنا الذين هم
يحفظون اعمالكم والاضافة للتشريف يكتبون ما تمكرون اى مكركم او ما تمكرونه وهو تحقيق للانتقام
منهم وتنبيه على ان ما دبروا فى اخفائه غير خاف على الحفظة فضلا عن العليم الخبير وصيغة الاستقبال
فى الفعلين للدلالة على الاستمرار التجددى والجملة تعليل من جهته تبارك وتعالى لاسرعية مكره
سبحانه وتعالى غير داخل فى الكلام الملقن كقوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا فان كتابة الرسل لما
تمكرون من مبادى بطلان مكرهم وتخلف اثره عنه بالكلية وفيه من المبالغة ما لا يوصف وتلوين
الخطاب بصرفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم للتشديد والتوبيخ وقرئ على لفظ الغيبة فيكون
حينئذ تعليلا لما ذكر اولا من الامر هو الذى يسيركم كلام مستأنف مسوق لبيان جناية اخرى لهم مبنية على
ما مر انفا من اختلاف حالهم حسب اختلاف ما يعتريهم من السراء والضراء اى يمكنكم من السير تمكينا مستمرا
عند الملابسة به وقبلها فى البر مشاة وركبانا وقرئ ينشركم من النشر ومنه قوله تعالى فانتشروا
والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك اى السفن فانه جمع فلك على زنة اسد لا على وزن قفل
وغاية التسيير ليست ابتداء كونهم فيها بل مضمون الشرطية بتمامها كما ينبئ عنه ايثار الكون المؤذن
بالدوام على الركوب المشعر بالحدوث وجرين اى السفن بهم بالذين فيها والالتفات الى الغيبة للايذان
بما لهم من سوء الحال الموجب للاعراض عنهم كانه يذكر لغيرهم مساوى احوالهم ليتعجبهم منها ويستدعى منه
الانكار والتقبيح وقيل ليس فيه التفات بل معنى قوله تبارك وتعالى حتى اذا كنتم فى الفلك اذا كان
بعضكم فيها اذ الخطاب للكل ومنهم المسيرون فى البر فالضمير الغائب عائد الى ذلك المضاف المقدر
كما فى قوله تعالى او كظلمات فى بحر لجى يغشاه اى او كذى ظلمات يغشاه موج بريح طيبة لينة الهبوب موافقة
لمقصدهم وفرحوا بها بتلك الريح لطيبها وموافقتها جاءتها جواب اذا والضمير المنصوب للريح الطيبة اى
تلقتها واستولت عليها من طرف مخالف لها فان الهبوب على وفقها لا يسمى مجيئا للريح اخرى عادة بل هو تمتد
للريح الاولى وقيل للفلك والاول اظهر لاستلزام الثانى من غير عكس لان الهبوب على طريقة الريح اللينة
لا يعد مجيئا بالنسبة الى الفلك دون الريح اللينة مع انه لا يستتبع تلاطم الامواج الموجب لمجيئها من
كل مكان ولان التهويل فى بيان استيلائها على ما فرحوا بها وعلقوا بها حبال رجائهم اكثر ريح عاصف اى
ذات عصف وقيل العصوف مختص بالريح فلا حاجة الى التاريق وقيل لذا تذكر وجاءهم الموج فى الفلك
من كل مكان اى من امكنة مجئ الموج عادة ولا بعد فى مجيئه من جميع الجوانب ايضا اذ لا يجب ان يكون مجيئه
من جهة هبوب الريح فقط بل قد يكون من غيرها بحسب اسباب تتفق وظنوا انهم احيط بهم اى هلكوا فان
ذلك مثل فى الهلاك واصله احاطة العدو بالحى او سدت عليهم مسالك الخلاص دعوا الله بدل
من ظنوا بدل اشتمال لما بينهما من الملابسة والتلازم او استئناف مبنى على سؤال ينساق اليه الاذهان
كانه قيل فما صنعوا فقيل دعوا الله مخلصين له الدين من غير ان يشركوا به شيئا من الهتهم لا مخصصين
للدعاء به تبارك وتعالى فقط بل للعبادة ايضا فانهم بمجرد تخصيص الدعاء به تعالى لا يكونون مخلصين
له الدين لئن انجيتنا اللام موطئة للقسم على ارادة القول اى قائلين والله لئن انجيتنا من هذه الورطة
لنكونن البتة بعد ذلك ابدا من الشاكرين لنعمك التى من جملتها هذه النعمة المسؤولة وقيل الجملة مفعول
دعوا لان الدعاء من قبيل القول والاول هو الاولى لاستدعاء الثانى لاقتصار دعائهم على ذلك فقط وفى
قوله لنكونن من الشاكرين من المبالغة فى الدلالة على كونهم ثابتين فى الشكر مثابرين عليه منتظمين فى سلك
المعروفين بالشكر الراسخين فيه ما ليس فى ان يقال لنشكرن فلما انجاهم مما غشيهم من الكربة والفاء للدلالة
على سرعة الاجابة اذا هم يبغون فى الارض اى فاجأوا الفساد فيها وسارعوا اليه متراقين فى ذلك

متجاوزين عما كانوا عليه من حدود الغيب من قولهم بغى الجرح اذا ترامى في الفساد وزيادة في الارض
للدلالة على شمول بغيهم لاقطارها وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وقوله تبارك
وتعالى بغير الحق تاكيد لما يفيده البغي اذ معناه انه بغير الحق عندهم ايضا بان يكون ذلك ظلما ظاهرا
لا يخفى قبحه على احد كما في قوله تبارك وتعالى ويقتلون النبيين بغير الحق واما ما قيل من انه للاحتراز
عن البغي بحق كتخريب الغزاة ديار الكفرة وقطع اشجارهم واحراق زروعهم فلا يساعده النظم الكريم لابتنائه
على كون البغي بمعنى افساد صورة الشيء وابطال منفعته دون ما ذكر من المعنى اللائق بحال المفسدين
يا ايها الناس توجيه الخطاب الى اولئك الباغين للتشديد في التهديد والمبالغة في الوعيد انما
بغيكم الذي تتعاطونه وهو مبتدأ وقوله تعالى على انفسكم خبره اي عليكم في الحقيقة لا على الذين تبغون
عليهم وان ظن كذلك وقوله تبارك وتعالى متاع الحيوة الدنيا بيان لكون ما فيه من المنفعة العاجلة
شيئا غير معتد به سريع الزوال دائم الوبال وهو نصب على انه مصدر مؤكد لفعل مقدر بطريق
الاستئناف اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا وقيل على انه مصدر وقع موقع الحال اي متمتعين بالحياة
الدنيا والعامل هو الاستقرار الذي في الخبر لا نفس البغي لانه يؤدي الى الفصل بين المصدر ومعموله
بالخبر ولا يخبر عن الموصول الا بعد تمام صلته وانت خبير بانه ليس في تقييد كون بغيهم على انفسهم
بحال تمتعهم بالحياة الدنيا معنى يعتد به وقيل على انه ظرف زمان نحو مقدم الحاج اي زمن الحيوة
الدنيا ولا يخفى انه لا يدل على البغي بمعنى الطلب وجعل المصدر ايضا بمعناه مما يخل بجزالة النظم الكريم
لان الاستئناف لبيان سوء عاقبة ما حكي عنهم من البغي المفسر بالافساد المفرط اللائق بحالهم فاي
مناسبة بينه وبين البغي بمعنى الطلب وجعل الاول ايضا بمعناه مما يجب تنزيه ساحة التنزيل
عنه وقيل على انه مفعول له اي لاجل متاع الحيوة الدنيا والعامل ما ذكر من الاستقرار وفيه
ان المعلل بما ذكر نفس البغي لا كونه على انفسهم وقيل العامل فيه فعل مدلول عليه بالمصدر اي تبغون
لاجل متاع الحيوة الدنيا على ان الجملة مستأنفة وقيل على انه مفعول صريح للمصدر وعلى انفسكم ظرف
لغو متعلق به والمراد بالانفس الجنس والخبر محذوف لطول الكلام والتقدير انما بغيكم على ابناء جنسكم
متاع الحيوة الدنيا محذور او ظاهر الفساد ونحو ذلك وفيه ما مر من ابتنائه على ما يليق بالمقام
من كون البغي بمعنى الطلب نعم لو جعل نصبه على العلة اي انما بغيكم على ابناء جنسكم لاجل متاع الحيوة
الدنيا محذور كما اختاره بعضهم لكان الوجه في الجملة لكن الحق الذي تقتضيه جزالة التنزيل انما هو الاول
وقرئ متاع بالرفع على انه الخبر والظرف صلة للمصدر او خبر ثان او خبر لمبتدأ محذوف اي هو متاع
الاية كما في قوله عز وجل الا ساعة من نهار بلاغ اي هذا بلاغ فالمراد بانفسهم على الوجه الاول ابناء
جنسهم وانما عبر عنهم بذلك هزا لشفقتهم عليهم وحثا لهم على ترك ايثار التمتع المذكور على حقوقهم
ولا احتمال لحمل الجملة على الحقيقة لان كون بغيهم وبالا عليهم ليس بثابت عندهم حسبما تقتضيه ما حكي عنهم
ولو يخبر به لعد حتى يجعل من تتمة الكلام ويجعل كونه متاعا مقصود الافادة على ان عنوان كونه
وبالا عليهم قادح في كونه متاعا فضلا عن كونه من مبادي ثبوته للمبتدأ كما هو المتبادر من السوق
واما كون البغي على ابناء الجنس فمعلوم الثبوت عندهم ومتضمن لمبادي التمتع من اخذ المال
والاستيلاء على الناس وغير ذلك واما على الوجهين الاخيرين فلا موجب للعدول عن الحقيقة فان
المبتدأ اما نفس البغي او الضمير العائد اليه من حيث هو لا من حيث كونه وبالا عليهم في صورة كون
الظرف صلة الى المصدر قيد به وقرئ متاع الحيوة الدنيا اما نصب متاعا فعلى ما مر واما نصب
الحيوة فعلى انه بدل من متاعا بدل اشتمال وقيل على انه مفعول به لمتاعا اذ لم يكن انتصابه على
المصدرية لان المصدر مؤكد لا يعمل عن النبي عليه الصلوة والسلام انه قال لا تمكر ولا تعن ماكرا
ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وقال محمد بن كعب ثلاث من كن فيه
كن عليه البغي والنكث والمكر قال الله تبارك وتعالى انما بغيكم على انفسكم وما يمكرون الا بانفسهم
فمن نكث فانما ينكث على نفسه وعنه صلى الله عليه وسلم اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر
عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان يعجلهما الله تعالى في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن
عباس رضي الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغي ثم الينا مرجعكم عطف على ما مر من الجملة
المستأنفة المقدرة كانه قيل تتمتعون بالحيوة الدنيا ثم ترجعون الينا وانما عبر السبك الى الجملة الاسمية
مع تقديم الجار والمجرور للدلالة على الثبات والقصر فننبئكم بما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار
من البغي هو وعيد بالجزاء والعذاب كقول الرجل لمن يتوعده سأخبرك بما فعلت وفيه نكتة خفية
مبنية على حكمة الله وهي ان كل ما يظهر في هذه النشأة من الاعيان والاعراض انما تظهر بصورة

مغايرة لصورته الحقيقية التي بها يظهر في النشأة الاخرة فان المعاصي مثلا سموم قاتلة قد برزت
في الدنيا بصور تستحسنها نفوس العصاة وكذا الطاعة مع كونها احسن الاحاسن قد ظهرت عندهم
بصورة مكروهة ولذلك قال عليه الصلاة والسلام حفت الجنة بالمكاره والنار بالشهوات
فالبغي في هذه النشأة وان برز بصورة تشتهيها البغاة وتستحسنها الغواة لتمتعهم به من حيث
اخذ المال والتشفي من الاعداء ونحو ذلك لكن ليس بتمتع في الحقيقة بل هو تقنن من حيث لا يحتسبون
وانما يظهر لهم ذلك عند ابرازهم ما كانوا يعملونه من البغي بصورته الحقيقية المغايرة لما كانوا يشاهدونه
عليه ذلك من الصورة وهو المراد من التنبيه المذكورة والله سبحانه وتعالى اعلم انما مثل الحيوة الدنيا
كلام مستأنف سيق لبيان شان الحيوة الدنيا وقصر مدة التمتع بها وقرب زمان الرجوع الموعود
وقد شبه حالها العجيبة الشان البديعة المثال المنتظمة لغرابتها في سلك الامثال في سرعة
تقضيها وانصرام نعيمها غب اقبالها واغترار الناس بها بحال ما على الارض من انواع النبات
في زوال رونقها ونضارتها فجاة وذهابها حطاما لم يبق لها اثر اصلا بعد ما كانت غضة طرية قد
التفت بعضها ببعض وزينت الارض بالوانها وتقوت بعد ضعفها بحيث طمع الناس وظنوا انها
سلمت من الجوائح وليس المشبه به ما دخله الكاف كقوله تعالى كماء انزلناه من السماء فاختلط به
الارض بل ما يفهم من الكلام فانه من التشبيه المركب مما ياكل الناس والانعام من البقول
والزروع والحشيش حتى اذا اخذت الارض زخرفها جعلت الارض في تزينها بما عليها من اصناف
النباتات واشكالها والوانها المختلفة المونقة اخذة زخرفها على طريقة التمثيل بالعروس التي
قد اخذت من الوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت اصله تزينت فادغم وقرئ على الاصل
وقرئ وازينت كاغيلت من غير اعلال والمعنى صارت ذات زينة وادغم وقرئ على الاصل وقرئ
وازينت كاغيلت من غير وازيانت كابياضت وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من حصدها
ورفع غلتها اتاها امرنا جواب اذا اي ضرب زرعها ما يجتاحه من الافات والعاهات ليلا او نهارا
فجعلناها اي زرعها وسائر ما عليها حصيدا اي شبيها بما حصد من اصله كان لم تغن كان لم يغن زرعها
والمضاف محذوف للمبالغة وقرئ بتذكير الفعل بالامس اي فيما قبله بزمان قريب فان الامس مثل
في ذلك كانه قيل لم تغن انفا كذلك اي مثل ذلك التفصيل البديع نفصل الايات اي الايات
القرانية التي من جملتها هذه الايات المنبهة على احوال الحيوة الدنيا اي نوضحها ونبينها لقوم يتفكرون
في تضاعيفها ويقفون على معانيها وتخصيص تفصيلها بهم لانهم المنتفعون بها ويجوز ان يراد بالايات
ما ذكر في اثناء التمثيل من الكائنات والفاسدات وبتفصيلها تصريفها على الترتيب المحكي ايجادا
واعداما فانها ايات وعلامات يستدل بها من يتفكر فيها على احوال الحيوة الدنيا حالا ومالا والله يدعوا
الى دار السلام ترغيب للناس في الحيوة الاخروية الباقية اثر ترغيبهم عن الحيوة الدنيوية الفانية
اي يدعو الناس جميعا الى دار السلامة عن كل مكروه وافة وهي الجنة وانما ذكرت بهذا الاسم
لذكر الدنيا بما يقابله من كونها معرضا للافات او الى دار الله تعالى وتخصيص الاضافة التشريفية
بهذا الاسم الكريم للتنبيه على ذلك او الى دار يسلم الله تعالى والملائكة فيها من يدخلها او يسلم
بعضهم ويهدي من يشاء هدايته منهم الى صراط مستقيم موصل اليها وهو الاسلام والتزود بالتقوى
وفي تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على ان الامر غير الارادة وان من اتى على الضلالة
لم يرد الله رشده للذين احسنوا اي اعمالهم اي عملوها على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفي
المستلزم لحسنها الذاتي وقد فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه
فان لم تكن تراه فانه يراك الحسنى اي المثوبة الحسنى وزيادة اي وما يزيد على تلك المثوبة تفضلا لقوله
تعالى ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واكثر
وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة اللقاء ولا يرهق وجوههم اي لا
يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة اي اثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق اهل النار
او لا يرهقهم ما يوجب ذلك من الحزن وسوء الحال والتنكير للتحقير اي شيء منهما والجملة مستأنفة
لبيان امنهم من المكاره اثر بيان فوزهم بالمطالب والثاني وان اقتضى الاول الا انه ذكر لكمال
بما انعم الله برحمته تعالى وتقديم المفعول على الفاعل للاهتمام ببيان ان المصون من الرهق
اشرف اعضائهم وللتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مترقبة الى وروده
فعند وروده عليها يتمكن عندها فضل تمكن ولان في الفاعل ضرب تفصيل كما في قوله تبارك وتعالى
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقوله تبارك وتعالى وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين

اولئك اشارة الى المذكورين باعتبار اتصافهم بالصفات المذكورة وما في اسم الاشارة من معنى البعد
للايذان بعلو درجتهم وسمو طبقتهم اى اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت الجميلة الفائزون
بالثواب الناجون عن المكاره اصحاب الجنة هم فيها خالدون بلا زوال دائمون بلا انتقال والذين كسبوا
السيئات اى الشرك والمعاصي وهو مبتدأ بتقدير المضاف خبره قوله تبارك وتعالى جزاء سيئة بمثلها
اى جزاء الذين كسبوا السيئات ان يجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها كما يزاد في الحسنة
ولتغيير السبك لمراعاة ما بين الفريقين من كمال التنافي والتباين وايراد الكسب للايذان بان
ذلك انما هو لسوء صنيعهم وبسبب جنايتهم على انفسهم والموصول معطوف على الموصول الاول كانه قيل
وللذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها كقولك في الدار زيد والحجرة عمرو وفيه دلالة على ان
المراد بالزيادة الفضل وترهقهم ذلة واى ذلة كما ينبئ عنه التنوين التفخيمي وفي اسناد الرهق الى
انفسهم دون وجوههم ايذان بانها محيطة بهم غاشية لهم جميعا وقرئ يرهقهم ذلة بالياء
التحتانية ما لهم من الله من عاصم اى لا يعصمهم احد من سخط الله تبارك وتعالى وعذابه او ما لهم
من عنده تبارك وتعالى من يعصمهم كما يكون للمؤمنين وفي نفي العاصم من المبالغة في نفي العصمة ما لا
يخفى والجملة مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل لفرط
سوادها وظلمتها مظلما حال من الليل والعامل فيه اغشيت لانه العامل في قطعا وهو موصوف
بالجار والمجرور والعامل في الموصوف عامل في الصفة او معنى الفعل في من الليل وقرئ قطعا بسكون
الطاء وهو طائفة من الليل قال القائل: افتحي الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم
فيجوز كون مظلما صفة له او حالا وقرئ كانما تغشى وجوههم قطع من الليل مظلم والجملة كما قبلها
مستأنفة او حال من ضمير ترهقهم اولئك اى الموصوفون بما ذكر من الصفات الذميمة اصحاب النار
هم فيها خالدون وحيث كانت الاية الكريمة في حق الكفار بشهادة السياق والسباق لم يكن فيهما
تمسك للوعيدية ويوم نحشرهم كلام مستأنف مسوق لبيان بعض اخر من احوالهم الفظيعة
وتأخيره في الذكر مع تقدمه في الوجود على بعض احوالهم المحكية سابقا للايذان باستقلال كل من السابق
واللاحق بالاعتبار ولو روعي الترتيب الخارجي بعد المحكي ثانيا واحدا كما مر في قصة البقرة ولذلك فصل عما
قبله ويوم منصوب على المفعولية بمضمر اى انذرهم او ذكرهم وضمير نحشرهم لكلا الفريقين الذين
احسنوا والذين كسبوا السيئات لانه المتبادر من قوله تعالى جميعا ومن افراد الفريق الثاني
بالذكر في قوله تبارك وتعالى ثم نقول للذين اشركوا اى نقول للمشركين من بين سائر
ما اكتسبوه من السيئات لا بينا التوبيخ والتقريع عليه مع ما فيه من الايذان بكونه معظم جناياتهم
وعمدة سيئاتهم وقيل للفريق الثاني خاصة فيكون موضع الموصول موضع المضمر لذكر ما كانوا عليه
مكانكم نصب على انه في الاصل ظرف لفعل اقيم مقامه لا على انه اسم فعل وحركته حركة بناء كما هو
رأي الفارسي اى الزموه حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله لسده
مسده وشركاؤكم عطف عليه وقرئ بالنصب على ان الواو بمعنى مع فزيلنا من زلت الشيء
عن مكانه ازلته اى ازلته والتضعيف للتكثير لا للتعدية وهو قرئ فزايلنا بمعناه نحو كلمته
وكالمته وهو معطوف على نقول وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقيق الموجب لزيادة التوبيخ
والتحسير والفاء للدلالة على وقوع التنزيل ومباديه عقيب الخطاب من غير مهلة ايذانا بكمال
رخاوة ما بين الفريقين من العلاقة والوصلة اى فرقنا بينهم وقطعنا اقرانهم والوصل التي
كانت بينهم في الدنيا لكن لا من الجانبين بل من جانب العبدة فقط لعدم احتمال شمول الشركاء
للشياطين كما يجيء فحانت اطماعهم وانصرمت عرى اطماعهم وحصل لهم الياس الكلي من حصول ما كانوا
يرجونه من جهتهم والحال وان كانت معلومة لهم من حين الموت والابتلاء بالعذاب لكن هذه
المرتبة من اليقين انما حصلت عند المشاهدة والمشافهة وقيل المراد بالتزييل التفريق الحسي
اى فباعدنا بينهم بعد الجمع في الموقف وتبرئ شركائهم منهم ومن عبادتهم كما في قوله تبارك وتعالى
اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا قالوا وحينئذ فقوله تعالى وقال شركاؤهم
حالية بتقدير كلمة قد عند من يشترطها وبدونه عند غيره لا عاطفة كما في التفسير الاول
لاستدعاء المحاورة الحاضرة المنافية للمباعدة وليس في ترتيب التنزيل في هذا المعنى على الامر
بلزوم المكان ما في ترتيبه عليه بالمعنى الاول من النكتة المذكورة ليمصل لاجل رعايتها الى
تغيير الترتيب الخارجي فان المباعدة بعد المحاورة حتما واما قطع الاقران والعلائق فليس
كذلك بل ابتداؤه حاصل من حين الحشر بل بعض مراتبه حاصل قبله ايضا وانما الحاصل عند المحاورة

اقصاها

اقصاها كما اشير اليه فلا اعتداد بما في تقديمه من التعميم لا سيما مع رعاية ما ذكر من
النكتة وكونه لم يتناول جميع ما اريد من المحاورة فمراعاة تلك النكتة كافية الملائكة وعزير والمسيح
وغيرهم ممن عبدوه من اولي العلم ففيه تأييد الرجوع الضمير الى الكل وقولهم ما كنتم ايانا تعبدون
عبارة عن تبريهم من عبادتهم وانهم انما عبدوا في الحقيقة اهواءهم وشياطينهم الذين اغووهم
لانها الآمرة لهم بالاشراك دونهم كقولهم سبحانك انت ولينا من دونهم وقيل الاصنام ينطقها الله
الذي انطق كل شيء فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي كانوا يتوقعونها فكفى بالله شهيدا
بيننا وبينكم فانه العليم الخبير ان كنا عن عبادتكم لغافلين اى عن عبادتكم لنا وتركه للظهور
للايذان بكمال الغفلة عنها والغفلة عبارة عن عدم الارتضاء والا لم يعلمون الملائكة لعبادتهم
لهم غير ظاهر وهنا ينقطع احتمال كون المراد بالشركاء الشياطين كما قيل فان ارتضاءهم باشراكهم مما
لا ريب فيه وان لم يكونوا مجبرين لهم على ذلك وان مخففة من ان واللام فارقة هنالك اى في ذلك
المقام الدهش او في ذلك الموقف على استعارة ظرف المكان للزمان تبلوا اى تختبر وتذوق
كل نفس مؤمنة كانت او كافرة سعيدة او شقية ما اسلفت من العمل وتعاينه بكنهه
مستتبعا لآثاره من نفع او ضر او خير او شر واما ما علمت من حالها من حسن الموت والابتلاء
بالعقاب في البرزخ فامر مجمل وقرئ نبلو بنون العظمة ونصب كل وابدال ما منه اى نعاملها
معاملة من يبلوها ويتعرف احوالها من السعادة والشقاوة باختبار ما اسلفت من العمل ويجوز
ان يراد نصيب بالبلاء اى العذاب كل نفس عاصية بسبب ما اسلفت من الشر فيكون ما منصوبة
بنزع الخافض وقرئ تتلو اى تتبع لان عملها هو الذي يهديها الى طريق الجنة او الى طريق النار او تقرأ
في صحيفة اعمالها ما قدمت من خير او شر وردوا الضمير للذين اشركوا على انه معطوف على زيلنا
وما عطف عليه وقوله عز وجل هنالك تبلوا الاية اعتراض في اثناء الحكاية مقرر لمضمونها الى
الله اى الى جزائه وعقابه مولاهم ربهم الحق اى المتحقق الصادق الربوبية لا ما اتخذوه ربا
باطلا وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولهم الحمد لله اهل الحمد او على المصدر المؤكد وضل عنهم
وضاع اى ظهر ضياعه وضلاله لا انه كان قبل ذلك غير ضال او ضال في اعتقادهم ايضا ما كانوا
يفترون من ان الهتهم تشفع لهم او ما كانوا يدعون انها الهة هذا وجعل الضمير في ردوا للنفوس المدلول
عليها بكل نفس على انه معطوف على تبلوا وان العدول الى الماضي للدلالة على التحقيق والتقرر
وان ايثار صيغة الجمع للايذان بان ردهم الى الله تعالى يكون على طريقة الاجتماع لا يلائمه التعرض
لوصف الحقية في قوله تعالى مولاهم الحق فانه للتعريض بالمردودين حسبما اشير اليه ولئن اكتفي
به بالتعريض ببعضهم او حمل الحق على معنى العدل في الثواب والعقاب فقوله عز وجل وضل عنهم
ما كانوا يفترون مما لا مجال فيه للتدارك قطعا فان ما فيه من الضمائر الثلاثة للمشركين فيلزم
التفكيك حتما وتخصيص كل نفس بالنفوس المشركة مع عموم البلوى لكلتيهما يأباه مقام التهويل
المقام والله تعالى اعلم قل اى لاولئك المشركين الذين حكيت احوالهم وبين ما يؤدي اليه اعمالهم
احتجاجا على حقية التوحيد وبطلان ما هم عليه من الاشراك من يرزقكم من السماء والارض
اى منهما جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية او من كل واحدة منهما توسعة
عليكم وقيل من لبيان كلمة من على حذف المضاف اى من اهل السماء والارض امن يملك السمع والابصار
ام منقطعة وما فيها من كلمة بل للاضراب عن الاستفهام الاول لكن لا على طريقة الابطال
بل على وجه الانتقال وصرف الكلام عنه الى استفهام اخر تنبيها على كفايته فيما هو المقصود اى
من يستطيع خلقهما وتسويتهما على هذه الفطرة ومن يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالها
من ادنى شيء يصيبها ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اى من يحيي ويميت او من ينشئ
الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ومن يدبر الامر اى ومن يلي تدبير العالم جميعا وهو تعميم بعد تخصيص بعض
ما اندرج تحته من الامور الظاهرة بالذكر فسيقولون بلا تلعثم ولا تأخير الله اذ لا مجال للمكابرة
لغاية وضوحه والخبر محذوف اى الله يفعل ما ذكر من الافاعيل لا غيره فقل عند ذلك تبكيتا لهم
افلا تتقون لانكار عدم الاتقاء بمعنى انكار الواقع كما في اتضرب اباك لا بمعنى انكار الوقوع كما في اضرب
اى ألا تتقون والعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم فذلكم فذلكم لما تقدم اى ذلك الذي اعترفتم
باتصافه بالنعوت المذكورة وهو مبتدأ وقوله تبارك وتعالى الله خبره وقوله تعالى ربكم اى مالككم
ومتولي اموركم على الاطلاق بدل منه او بيان له وقوله تعالى الحق صفة له اى ربكم الثابت ربوبيته
والمتحقق الوهيته تحققا لا ريب فيه فماذا يجوز ان يكون الكل اسما واحدا قد غلب فيه الاستفهام

في تلتدعا تقلبه عليها ويجوز ان تكون حالية على
هذا التقدير ايضا والمراد بالشركاء قيل صح

على اسم الاشارة وان يكون ذا موصولا بمعنى الذى اى ما الذى فماذا بعد الحق اى غيره بطريق الاستعارة
واظهار الحق اما لان المراد به غير الاول واما لزيادة التقرير ومراعاة كمال المقابلة بينه وبين
الضلال والاستفهام انكارى بمعنى انكار الوقوع ونفيه اى ليس غير الحق الا الضلال الذى لا يختاره
احد فحيث ثبت ان عبادة من هو منعوت بما ذكر من النعوت الجليلة حق ظهر ان ما عداها من عبادة
الاصنام ضلال محض اذ لا واسطة بينهما وانما سميت ضلالا مع كونها من اعمال الجوارح باعتبار
ابتنائها على ما هو ضلال من الاعتقاد والرأى هذا على تقدير كون الحق عبارة عن التوحيد واما
على تقدير كونه عبارة عن الاول فالمراد بالضلال هو الاصنام لا عبادتها والمعنى فماذا بعد
الرب الحق الثابت ربوبيته الا الضلال اى الباطل الضائع المضمحل وانما سمى بالمصدر مبالغة كانه
نفس الضلال والضياع وهذا انسب لقوله تبارك وتعالى وضل عنهم ما كانوا يفترون على القضية
الثانية فانى تصرفون استفهام انكار بمعنى انكار الواقع واستبعاده والتعجب منه وفيه من
المبالغة ما ليس فى توجيه الانكار الى نفس الفعل لان كل موجود لا بد من ان يكون وجوده
على حال من الاحوال قطعا فاذا انتفى جميع احوال وجوده على الطريقة البرهانية [illegible] والفاء
لترتيب الانكار على ما قبله اى كيف تصرفون من الحق الذى لا محيد عنه وهو التوحيد الى الضلال
عن السبيل المستبين وهو الاشراك وعبادة الاصنام او من عبادة ربكم الحق الثابت ربوبيته الى
عبادة الباطل الذى سمعتم ضلاله وضياعه فى الاخرة وفى ايثار صيغة المبنى للمفعول ايذان بان
الانصراف من الحق الى الضلال انما تصدر عن العاقل بارادته وانما يقع عند وقوعه بالقسر من جهة
صارف خارجى كذلك اى كما حقت الربوبية لله تبارك وتعالى او كما انه ليس بعد الحق الا الضلال
او انهم مصروفون عن الحق حقت كلمة ربك وحكمه وقضاؤه على الذين فسقوا اى تمردوا فى الكفر
وخرجوا من اقصى حدوده انهم لا يؤمنون بدل من الكلمة او تعليل لحقيتها والمراد بها العدة
بالعذاب قل هل من شركائكم احتجاج اخر على حقيقة التوحيد وبطلان الاشراك باظهار كون
شركائهم بمعزل من استحقاق الالهية ببيان اختصاص خواصها من بدء الخلق واعادته به سبحانه وتعالى
وانما لم يعطف على ما قبله ايذانا باستقلاله فى اثبات المطلوب والسؤال للتبكيت والالزام وقد
جعلت عليه الاعادة وتحققها لوضوح مكانها وسطوع برهانها بمنزلة بدء الخلق فنظمت فى
سلكه حيث قيل من يبدأ الخلق ثم يعيده ايذانا بتلازمهما وجودا وعلما ليستلزم الاعتراف
به لان الاعتراف بها وان صدهم عن ذلك ما بهم من المكابرة والعناد ثم امر صلى الله عليه وسلم بان
يبين لهم من يفعل ذلك فقيل له قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده اى هو يفعلهما لا غير كائنا ما كان لا بان
ينوب عليه الصلاة والسلام عنهم فى ذلك كما قيل لان المقول المأمور به غير ما اريد منهم من الجواب وان
كان مستلزما له اذ ليس المسئول عنه من يبدأ الخلق ثم يعيده كما فى قوله تعالى قل من رب السموات
والارض قل الله حتى يكون القول المأمور به عين الجواب الذى اريد منهم ويكون عليه الصلاة والسلام
نائبا عنهم فى ذلك بل انما هو وجود من يفعل البدء والاعادة من شركائهم المطلوب منهم لا تعيينه
ثم امر النبى عليه الصلاة والسلام بان يضمنه مقالته ايذانا بتعينه وتحتمه واشعارا بانهم لا
يجترءون على التصريح به مخافة التبكيت وايقام الحجر لا مكابرة ولجاجا فتدبر واعادة الجملة فى الجواب
لتمامها غير محذوفة الخبر كما فى الجواب السابق لمزيد التأكيد والتحقيق فانى تؤفكون الافك الصرف
والقلب عن الشئ وقد يخص بالقلب عن الرأى وهو الانسب بالمقام اى كيف تقلبون من الحق
الى الباطل والكلام فيه كما ذكر فى تصرفون قل هل من شركائكم احتجاج على ما ذكر جئ به الزاما
لهم غب الزام واقحاما اثر اقحام وفصله عما قبله لما ذكر من الدلالة على استقلاله من يهدى الى الحق
اى بوجه من الوجوه فان ادنى مراتب العبودية هداية المعبود لعبدته الى ما فيه صلاح امرهم
واما تعيين طريق الهداية وتخصيصه بنصب الحجج وارسال الرسل والتوفيق للنظر والتدبر كما قيل
فمخل بما تقتضيه المقام من كمال التبكيت والالزام فان العجز عن الهداية على وجه خاص لا يستلزم
العجز عن مطلق الهداية وهدى كما يستعمل بكلمة الى لتضمنه معنى الانتهاء يستعمل باللام للدلالة على
ان المنتهى غاية الدلالة للهداية وانما لم يتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك استعمل بها ما اسند
الى الله تبارك وتعالى حيث قيل قل الله يهدى للحق اى يهدى له دون غيره وذلك بما ذكر من نصب
الادلة والحجج وارسال الرسل وانزال الكتب والتوفيق للنظر والتدبر وغير ذلك من فنون
الهدايات والكلام فى الامر بالسؤال والجواب كما مر فيما مر افمن يهدى الى الحق وهو الله عز وجل
احق ان يتبع امن لا يهدى بكسر الهاء واصله يهتدى فادغم وكسرت الهاء لالتقاء الساكنين وقرئ

بكسر

بكسر الياء واتباعا لها لحركة الهاء وقرئ بفتح الهاء نقلا لحركة الياء اليها اى لا يهتدى بنفسه فضلا
عن هداية غيره وفيه من المبالغة ما لا يخفى وانما نفى عنه الاهتداء مع ان المفهوم [illegible] نفى الهداية
لما ان نفيها مستتبع لنفيه غالبا فان من اهتدى الى الحق لا يخلو عن هداية غيره فى الجملة وادناها
كونه قدوة له بان يراه فيسلك مسلكه من حيث لا يدرى والفاء لترتيب الاستفهام على ما سبق
من تحقق هدايته تعالى صريحا وعدم هداية شركائهم المفهوم من القصر ومن عدم الجواب المنبئ
عن الجواب بالعدم فان ذلك مما يضطرهم الى الجواب الحق [illegible] لتوجيه الاستفهام الى الترتيب كما يقع
فى بعض المواقع فان ذلك مختص بما لا يكاد [illegible] فى قوله تبارك وتعالى [illegible]
[illegible] والهمزة متاخرة فى الجواب الاعتبار [illegible] تقديمها على
اقتضاء الصدارة كما هو رأى الجمهور [illegible] السؤال بكلمة اى [illegible] قوله
تبارك وتعالى فاى الفريقين احق [illegible]
الرسول عليه الصلاة والسلام [illegible] لا يهدى بمعنى لا يهتدى [illegible] اولا يهدى غيره
وصيغة التفضيل اما على حقيقتها والمفضل عليه محذوف كما اختاره مكى والتقدير افمن يهدى
[illegible] ان يتبع [illegible] الا ان يهدى [illegible] وما بمعنى حقيق كما اختاره ابو حيان
وايا ما كان فالاستفهام للانكار [illegible]
اى بان يتبع الا ان يهدى [illegible] من الاحوال الا حال ان يهدى [illegible]
الا حال [illegible] تعالى له الى الاهتداء او الى الهداية الغير وهذا حال اشراف شركائهم من الملائكة
والمسيح وعزير عليهما الصلاة والسلام وقيل المعنى لا يهتدى من الاوثان الى مكان فينتقل اليه
الا ان ينقل اليه او الا ان ينقله الله تبارك وتعالى من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه
وقرئ الا ان يهدى من التفعيل للمبالغة فما لكم اى اى شئ لكم فى اتخاذكم هؤلاء شركاء لله تعالى
والاستفهام للانكار التوبيخى وفيه تعجب من حالهم وقوله تعالى كيف تحكمون اى بما يقضى صريح العقل
ببطلانه انكار لحكمهم الباطل وتعجب منه وتشنيع لهم بذلك والفاء لترتيب كلا الانكارين على
ما ظهر من وجوب اتباع الهادى الى الحق ان قلت التبكيت بالاستفهام السابق انما يظهر فى حق من
يعكس جوابه الصحيح فيحكم باحقيته من لا يهدى الاتباع دون من يهدى وهم ليسوا حاكمين بعكس
جوابه الصحيح فيحكم باحقية شركائهم لذلك دون الله سبحانه وتعالى بل باستحقاقهما جميعا مع
رجحان جانبه تبارك وتعالى حيث يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قلت حكمهم باستحقاقه
تبارك وتعالى للاتباع بطريق الاشتراك حكم منهم لعدم استحقاقه تعالى لذلك بطريق الاستقلال
فصاروا حاكمين باستحقاق شركائهم له دون الله تبارك وتعالى من حيث لا يحتسبون وما يتبع
اكثرهم كلام مبتدأ غير داخل فى حيز الامر مسوق من قبله تبارك وتعالى لبيان عدم فهمهم لمضمون
ما افحمهم والقمهم الحجر من البرهان النير الموجب لاتباع الهادى الى الحق الداع عليهم ببطلان حكمهم
وعدم تأثرهم من ذلك لعدم اهتدائهم الى طريق العلم اصلا اى ما يتبع اكثرهم فى معتقداتهم ومحاوراتهم
الا ظنا واهيا من غير التفات الى فرد من افراد العلم فضلا عن ان تسلكوا مسالك الادلة الصحيحة
الهادية الى الحق المبنية على المقدمات اليقينية الحقة فتفهموا مضمونها وتقفوا على صحتها وبطلان
ما يخالفها من احكامهم الباطلة فيحصل التبكيت والالزام فالمراد بالاتباع مطلق الاعتقاد الشامل
لما يقارن القبول والانقياد وما لا يقارنه وبالقصر ما اشير اليه من ان لا يكون لهم فى اثنائه
اتباع لفرد من افراد العلم والتفاوت اليه ووجه تخصيص هذا الاتباع باكثرهم الاشعار بان بعضهم
قد يتبعون العلم فيقولون على حقيقة التوحيد وبطلان الشرك لكن لا يقبلونه مكابرة وعنادا فيجعل
بالنسبة اليهم التالى من البرهان المزبور وان لم يظهر معه وكونهم [illegible] كفرا واكثر عنادا بانى الفريق الاول
لا يقدح فيما نحن فيه من فحوى الكلام [illegible] من كون هؤلاء اسوء حالا من غيرهم اذ المعتبر سوء الحال من حيث
الفهم ولا يرد ذلك لا من حيث الفهم والادراك من حيث الكفر والعذاب واما ما يتبع اكثرهم مدة عمرهم
الا ظنا ولا يتركونه ابدا فان حرف النفى الداخل على المضارع يفيد استمرار النفى بحسب المقام فالمراد
بالاتيان حينئذ هو الاذعان والانقياد والقصر باعتبار الزمان ووجه تخصيص هذا الاتباع
باكثرهم مع مشاركة المعاندين لهم فى ذلك التلويح بما سيكون من بعضهم من اتباع الحق والتوبة كما يأتى
هنا وقيل المعنى وما يتبع اكثرهم فى اقرارهم بالله تبارك وتعالى الا ظنا غير مستند الى برهان عندهم
وقيل وما يتبع اكثرهم فى قولهم للاصنام انها الهة الا ظنا والمراد بالاكثر الجميع فتأمل وقيل الضمير فى اكثرهم
للناس فلا حاجة الى التكلف ان الظن لا يغنى من الحق من العلم اليقينى والاعتقاد الصحيح المطابق للواقع

شيئا من الاغناء ويجوز ان يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه والجملة استيناف لبيان شان الظن
وبطلانه وفيه دلالة على وجوب العلم في الاصول وعدم جواز الاكتفاء والتقليد ان الله عليم
بما يفعلون وعيد لهم على افعالهم القبيحة فيندرج تحتها ما حكى عنهم من الاعراض عن البراهين
القاطعة والاتباع للظنون الفاسدة اندراجا اوليا وقرئ تفعلون بالالتفات الى الخطاب
لتشديد الوعيد وما كان هذا القرآن شروع في بيان ردهم للقرآن الكريم اثر بيان ردهم
للادلة العقلية المندرجة في تضاعيفه اي وما صح وما استقام ان يكون هذا القرآن
المشحون بفنون الهدايات المستوجبة للاتباع التي من جملتها هاتيك الحجج البينة الناطقة بحقية
التوحيد وبطلان الشرك ان يفترى من دون الله اي افتراء من الخلق اي مفترى منهم سمي بالمصدر
مبالغة ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المشهورة على صدقها اي مصدقا كيف
لا وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد بصحتها ونصب بانه كان خبرا مقدرا وقد جوز كونه
علة لفعل محذوف تقديره لكن انزله الله تصديق وقرئ بالرفع على تقدير المبتدا اي ولكن هو تصديق
وتفصيل الكتاب عطف عليه نصبا ورفعا اي وتفصيل ما كتب واثبت من الحقائق والشرائع
لا ريب فيه خبر ثالث داخل في حكم الاستدراك اي منتفيا عنه الريب او حال من الكتاب وان
كان مضافا اليه فانه مفعول في المعنى او استيناف لا محل له من الاعراب من رب العالمين خبرا
اخر اي كائنا من رب العالمين او متعلق بتصديق او بتفصيل او بالفعل المعلل بهما ولا ريب
فيه اعتراض كما تقول زيد لا شك فيه كريم او حال من الكتاب او الضمير في فيه وساق
الاية الكريمة بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه ام يقولون افتراه اي بل ايقولون
افتراه محمد عليه الصلاة والسلام والهمزة لانكار الواقع واستبعاده قل تبكيتا لهم واظهارا
لبطلان مقالتهم الفاسدة ان كان الامر كما يقولون فاتوا بسورة مثله اي في البلاغة وحسن
الصناعات وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربية والفصاحة [illegible] مثله وادعوا
للمظاهرة والمعاونة من استطعتم دعاءه والاستعانة به من الهتكم الذين تزعمون انها ممدة لكم في
المهمات والملمات ومداركم الذين تلجؤن الى ارائهم في كل ما تأتون وما تذرون من دون
الله متعلق بادعوا ودون جار مجرى اداة الاستثناء وقد مر تفصيل في قوله تعالى وادعوا شهداءكم
من دون الله اي ادعوا سواه تعالى من استطعتم من خلقه فانه لا يقدر عليه احد واخراجه سبحانه
من حكم الدعاء للتنصيص على براءتهم منه تعالى وكونهم في عدوة المضادة والمشاقة لا لبيان استبداده
تعالى بالقدرة على ما كلفوه فان ذلك مما يوهم انهم لو دعوه تعالى لاجابهم اليه ان كنتم صادقين
اي في اني افتريته فان ذلك مستلزم لامكان الاتيان بمثله وهو ايضا مستلزم لقدرتكم عليه
والجواب محذوف لدلالة المذكور عليه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اضراب وانتقال عن اظهار بطلان
ما قالوا في حق القرآن العظيم بالتحدي الى اظهاره ببيان انه كلام ناشئ عن جهلهم بشانه الجليل
فما عبارة عن كله لا عما فيه من ذكر البعث والجزاء وما اتخذوا ثنيو من غير ان يتدبروا فيه ويقفوا على
ما في تضاعيفه من الشواهد الدالة على كونه كما وصف انفا ويعلموا انه ليس مما يمكن ان يكون
له نظير يقدر عليه المخلوق والتعبير عنه بما لم يحيطوا بعلمه دون ان يقال بل كذبوا به من غير ان
يحيطوا بعلمه او نحو ذلك للايذان بكمال جهلهم به وانهم لم يعلموا الا عنوان عدم العلم به
وبان تكذيبهم به انما هو بسبب عدم علمهم به لما ان ادارة الحكم على الموصول مشعرة بعلية ما في
حيز الصلة له ولما ياتهم تاويله عطف على الصلة او حال من الموصول اي ولم يقفوا بعد على
تاويله ولم تبلغ اذهانهم معاينة البالية المنبية عن علو شانه والتعبير بعدم اتيان التاويل
للاشعار بان تاويله متوجه الى الاذهان منساق اليها بنفسه اولما ياتهم بعد تاويل ما فيه
من الاخبار بالغيوب حتى يتبين انه صدق ام كذب والمعنى ان القرآن الكريم معجز من جهة النظم
والمعنى ومن جهة الاخبار بالغيب وهم قد فاجؤا بتكذيبه قبل ان يتدبروا نظمه ويتفكروا في معناه
او ينتظروا وقوع ما اخبر به من الامور المستقبلة ونفى اتيان التاويل بكلمة لما الدالة على
التوقع بعد نفي الاحاطة بعلمه بكلمة لم لتاكيد الذم وتشديد التشنيع فان الشناعة في تكذيب
الشيء قبل علمه المتوقع اتيانه احش منها في تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه
تكذيبه قبل علمه مطلقا والمعنى انه التوقع فلم يفعلوا واما ان المتوقع قد وقع بعد ما تم
عند ذلك ايضا على ما هم عليه اولا فلا تعرض له ههنا لان الاستبعاد لعدم انقطاع [illegible]
ان قولهم افتراه بتكذيب بعد التدبر ناشئ ومن عدم المتدبر كيف لا وهم لم يقولوا بعد التحري بل

قيله وادعا كونه مسبوقا بالتحدي الى الوارد في سورة البقرة يرده بانها مدنية وهذه مكية
واما الذي يدل عليه ما يتلى عليك من قوله تعالى ومنهم من يؤمن به ومنهم الاية الكريمة وقوله
تعالى كذلك الى اخره وصف حالهم المحكي وبيان لما يؤدي اليه من العقوبة اي مثل ذلك التكذيب
المبني على بادي الراي والمجازفة من غير تدبر وتامل كذب الذين من قبلهم اي فعلوا التكذيب او كذبوا
من المعجزات التي ظهرت على ايدي انبيائهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وهم الذين من قبلهم من
المكذبين وانما وضع المظهر موضع المضمر للايذان بكون التكذيب ظلما وبعليته لاصابة ما اصابهم
من سوء العاقبة وبدخول هؤلاء الظالمين في ذمتهم دخولا اوليا وقوله عز وجل
ومنهم الى اخره وصف لحالهم بعد اتيان التاويل المتوقع اذ حينئذ يمكن تنويعهم الى المؤمن به
وغير المؤمن ضرورة امتناع الايمان بشيء من غير علمه به واشتراك الكل في التكذيب والكفر به
قبل ذلك حسبما افاده قوله تبارك وتعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه اي ومن هؤلاء المكذبين
من يؤمن به عند الاحاطة بعلمه واتيان تاويله وظهور حقيقته بعد ما ضعوا في المعارضة ووجدوا
قواهم فيها فتقاصرت دونها او بعد ما شاهدوا وقوع ما اخبر به كما اخبر به مرارا ومعنى الايمان
به اما الاعتقاد بحقيقته فقط اي يصدق به في نفسه ويعلم انه حق ولكنه يعاند ويكابر وهؤلاء
هم الذين اشير بقصرهم اتباع الظن الى اكثرهم الى انهم يعلمون الحق ويتوصل الاتباع على معنى الاعتقاد
لا على ما يعم القبول والانقياد فقط الاول كما اشير اليه فيما سلف واما الايمان الحقيقي اي سيؤمن
به ويتوب عن الكفر وهم الذين اشير بالقصر المذكورة على التفسير الثاني الى انهم سيتبعون الحق
كما مر ومنهم من لا يؤمن به اي لا يصدق به في نفسه كما لا يصدق به ظاهرا لفرط غباوته المانعة
عن الاحاطة بعلمه كما ينبغي او لانه كان فوق مرتبة عدم الاحاطة به اصلا او لسخافة عقل واختلال
تمييزه وعجزه عن تخليص علومه عن معارضة الظنون والاوهام التي الفها فيبقى على ما كان عليه من
الشك وهذا القدر من الاحاطة واتيان التاويل كاف في مقابلة ما سبق من عدم الاحاطة بالمرة
وهاولاء هم الذين اريد فيما سلف بقوله تبارك وتعالى وما يتبع اكثرهم الا ظنا على التفسير الثاني
غير اذعان الى الحق والانقياد له وربك اعلم بالمفسدين اي بكلا الفريقين على الوجه الاول الا
بالمعاندين والشاكين وان كذبوك اي ان تموا على تكذيبك واصروا عليه حسبما اخبر عنهم بعد الزام
الحجة بالتحدي فقل لي عملي ولكم عملكم اي تبرأ منهم فقد اعذرت كقوله تبارك وتعالى فان عصوك فقل
اني بريء والمعنى لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا وتوحيد العمل المضاف اليهم باعتبار الا
تحاد النوعي ولمراعاة كمال المقابلة انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون تاكيد لما افاده لام
الاختصاص من عدم تعدي جزاء العمل الى غير عامله اي لا تؤاخذون بعملي ولا اؤاخذ بعملكم ولما فيه
ايهام المتاركة وعدم التعرض لهم قيل انه منسوخ باية السيف ومنهم من يستمعون اليك بيان
لكونهم مطبوعا على قلوبهم بحيث لا سبيل الى ايمانهم وانما جمع الضمير الراجع الى كلمة من رعاية لجانب
المعنى كما افرد فيما سيأتي محافظة على ظاهر اللفظ ولعل ذلك للايماء الى كثرة المستمعين بناء على عدم
توقف الاستماع على ما يتوقف عليه النظر من المقابلة وانتفاء الحجاب والظلمة اي ومنهم ناس يستمعون
اليك عند قراءتك القرآن الكريم وتعليمك الشرائع افانت تسمع الصم همزة الاستفهام الانكاري
والفاء عاطفة وليس الجمع بينهما لترتيب انكار الاسماع على الاستماع كما هو راي سيبويه والجمهور على ان
يجعل تقديم الهمزة على الفاء لاقتضائها الصدارة كما تقرر في موضعه بل لانكار ترتيبه عليه حسبما
هو المعتاد لكن لا بطريق العطف على الفعل المذكورة لادائه الى اختلال المعنى لانه ما صلة او
صفة وايا ما كان فالمعطوف عليه يستدعي دخول المعطوف في حيزه وتوجه الانكار اليه من تلك
الحيثية ولا ريب في فساده بل بطريق العطف على مقدر مفهوم من فحوى النظم كانه قيل ايستمعون
اليك فانت تسمعهم لا انكار الاستماعهم فانه امر محقق بل انكار الوقوع الاسماع عقيب ذلك
وترتيبه عليه حسب العادة الكلية بل نفيا لامكانه ايضا كما ينبئ عنه وضع الصم موضع
ضميرهم ووصفهم بعدم العقل بقوله عز وجل ولو كانوا لا يعقلون اي ولو انضم الى صممهم عدم
عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس اذا وصل الى صماخه صوت واما اذا اجتمع فقدان السمع
والعقل جميعا فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك ويعاين دلائل نبوتك الواضحة افانت اي
عقيب ذلك انت تهديهم وانما قيل تهدي العمي تحقيقا لانكار هدايتهم وابرازا لوقوعها في معرض
الاستحالة وقد اكد ذلك حيث قيل ولو كانوا لا يبصرون اي ولو انضم الى عدم البصر عدم
البصيرة فان المقصود من الابصار الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك هي البصيرة ولذلك

يحدث الاعمى المستبصر ويتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق فحيث اجتمع فيهم الحمق والعمى فقد انسد
عليهم باب الهدى وجواب لو في الجملتين محذوف لدلالة قوله تبارك وتعالى تسمع الصم وتهدي العمى عليه
وكل منهما معطوفة على جملة مقدرة مقابلة لها في المحوى كلتاهما في موضع الحال من مفعول الفعل
السابق اى افانت تسمع الصم لو كانوا يعقلون ولو كانوا لا يعقلون افانت تهدي العمى لو كانوا يبصرون
ولو كانوا لا يبصرون اى على كل حال مفروض وقد حذفت الاولى في الباب حذفا مطردا لدلالة الثانية
عليها دلالة واضحة فان الشيء اذا تحقق عند تحقق المانع او المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه او عند
تحقق المانع الضعيف اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في لو وان الوصليتين من التاكيد وقد مر من
الكلام في قوله تعالى ولو كره الكافرون ونظايره ان الله لا يظلم الناس شيئا اشارة الى ان ما حكي عنهم
من عدم اهتدائهم الى طريق الحق وتعطل مشاعرهم من الادراك ليس لامر مستند الى الله عز وجل من خلقهم
موفي المشاعر ونحو ذلك بل انما هو من قبلهم لا ينقصهم شيئا مما نيط به مصالحهم الدينية والدنيوية
وكمالاتهم الاولية والاخروية من مبادي ادراكهم واسباب علومهم من المشاعر الظاهرة والباطنة
والارشاد الى الحق بارسال الرسل وانزال الكتب بل يوفيهم ذلك من غير اخلال بشيء اصلا ولكن
الناس قرئ بالتخفيف ورفع الناس ووضع الظاهر موضع الضمير لزيادة تعيين وتقرير اى
لكنهم لعدم استعمال مشاعرهم فيما خلقت له واعراضهم عن قبول دعوة الحق وتكذيبهم للرسل والكتب
انفسهم يظلمون اى ينقصون ما ينقصون مما يخلون به من مبادي كمالهم وذرايع اهتدائهم وانما
يتاتى لما ان مورد الغرض انما هو قصر الظلم على انفسهم لا بيان ما يتعلق به الظلم والظلم والتعبير
عن فعلهم بالنقص مع كونه تفويتا بالكلية وابطالا بالمرة لمراعاة جانب قرينته وقوله عز وجل
انفسهم اما تاكيد للناس فيكون بمنزلة ضمير الفصل في قوله تعالى وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين
في قصر الظالمية عليهم واما مفعول ليظلمون حسبما وقع في ساير المواقع وتقديمه عليه لمجرد الاهتمام
به مع مراعاة الفاصلة من غير قصد الى قصر المظلومية عليهم على راي من لا يرى التقديم موجبا
للقصر فيكون كما في قوله سبحانه وتعالى وما ظلمناهم ولكن ظلموا انفسهم من غير قصر الظلم لا على الفاعل
ولا على المفعول واما على راي من يراه موجبا له فلعل ايثار قصرها دون قصر الظالمية عليهم
للمبالغة في بيان بطلان افعالهم وسخافة عقولهم لما ان اقبح الامرين عند اتحاد الفاعل والمفعول
واشنعهما انكارا عند العقل ونفرة لدى الطبع وارجحهما حذرا منه عند كل احد هي المظلومية
لا الظالمية على ان اقتصار الاول مستلزم لما تقتضيه ظاهر الحال من قصر الثانية عليهم ضرورة
انه اذا لم يظلم احدا من الناس الا نفسه يلزم ان لا يظلمه الا نفسه اذ لو ظلمه غيره يلزم ذلك
الغير ظالما لغير نفسه والمفروض ان لا يظلم احدا الا نفسه فاكتفى بالقصر الاول عن الثاني مع
رعاية ما ذكر من الفايدة وصيغة المضارع يفيد بحسب المقام قصر النفي لا نفي الاستمرار
الا ترى ان قولك ما زيدا ضربت يدل على اختصاص النفي لا على نفي الاختصاص وسياق الاية
الكريمة لالزام الحجة ويجوز ان يكون للوعيد فالمضارع المنفي للاستقبال والمثبت للاستمرار
والمعنى ان الله لا يظلمهم بتعذيبهم يوم القيمة شيئا من الظلم ولكنهم انفسهم يظلمون ظلما مستمرا
فان مباشرتهم للسيئات الموجبة للتعذيب عين ظلمهم لانفسهم وعلى الوجهين والاية الكريمة
تذييل لما سبق ويوم نحشرهم منصوب بمضمر وقرئ بالنون على الالتفات اى اذكر لهم او انذرهم
يوم نحشرهم كان لم يلبثوا اى كانهم لم يلبثوا الا ساعة من النهار اى شيئا قليلا منه فانها مثل في
غاية القلة وتخصيصها بالنهار لان ساعاته اعرف حالا من ساعات الليل والجملة في موقع الحال
من ضمير المفعول اى نحشرهم مشبهين في احوالهم الظاهرة للناس بمن لم يلبث في الدنيا ولم يتقلب
في نعيمها الا ذلك القدر اليسير فان من اقام بها دهرا او تمتع بمتاعها لا يخلو عن بعض اثار نعمة
واحكام بهجة منافية لما بهم من رثاثة الهيئة وسوء الحال او بمن لم يلبث في البرزخ الا ذلك
المقدار فغاية التقييد بيان كمال يسر الحشر بالنسبة الى قدرته تعالى ولو بعد دهر طويل
واظهار بطلان استبعادهم وانكارهم بقولهم ائنا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون ونحو ذلك
او بيان تمام الموافقة بين النشاتين في الاشكال والصور فان قلة اللبث في البرزخ من موجبات
عدم التبديل والتغيير فيكون قوله عز وجل يتعارفون بينهم بيانا وتقريرا له لان التعارف
مع طول العهد ينقلب تناكرا وعلى الاول يكون استينافا اى يعرف بعضهم بعضا كانهم لم يتفارقوا
الا قليلا وذلك اول ما خرجوا من القبور اذ هم حينئذ على ما كانوا عليه من الهيئة المتعارفة
فيما بينهم ثم ينقطع التعارف لشدة الاهوال المذهلة واعتراء الاحوال المعضلة المغيرة

للصور

للصور والاشكال المبدلة لها من حال الى حال قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله شهادة من الله
سبحانه وتعالى على خسرانهم وتعجيب منه وقيل حال من ضمير يتعارفون على ارادة القول
والتعبير عنهم بالموصول مع كون المقام مقام اضمار لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعلية
لما اصابهم والمراد بلقاء الله تعالى ان كان مطلق الحساب والجزا او حسن اللقا فالمراد بالخسران
الوضيعة والمعنى وضيعوا في تجارتهم ومعاملاتهم واشتروا الكفر بالايمان والضلال بالهدى وبمعنى قوله
تعالى وما كانوا مهتدين ما كانوا عارفين باحوال التجارة مهتدين لطرقها وان كان اللقا
فالخسار الهلاك والضلال اى قد ضلوا وهلكوا بتكذيبهم وما كانوا مهتدين الى طريق النجاة
واما نرينك اصله ان نرينك وما مزيدة لتاكيد معنى الشرط ومن ثمه اكد الفعل بالنون اى
نبصرنك بان نظهر بعض الذي نعدهم اى وعدناهم من العذاب ونعجله في حياتك فتراه والعدول
الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة او الدلالة على التجدد والاستمرار او نعدهم وعدا متجددا
حسبما تقتضيه الحكمة من انذار عقب انذار في تخصيص البعض بالذكر رمز الى العدة باراءة بعض
الموعود وقد اراه يوم بدر او نتوفينك قبل ذلك فالينا مرجعهم اى كيف ما دارت الحال اريناك
بعض ما وعدناهم او لا فالينا مرجعهم في الدنيا والاخرة فننجز ما وعدناهم البتة وقيل المذكور
جواب الشرط الثاني كانه قيل فالينا مرجعهم فنريكه في الاخرة وجواب الاول محذوف لظهوره
اى فذاك ثم الله شهيد على ما يفعلون من الافعال السيئة التي حكيت عنهم والمراد بالشهادة اما
مقتضاها ونتيجتها وهي معاقبته تعالى اياهم واما اقامتها واداؤها بانطاق الجوارح واظهار اسم
الجلالة لادخال الروعة وتربية المهابة وتاكيد التهديد وثم اى هنالك ولكل امة من
الامم الخالية رسول يبعث اليهم بشريعة خاصة مناسبة لاحوالهم ليدعوهم الى الحق فاذا جاء رسولهم
فبلغهم ما ارسل به فكذبوه وخالفوه قضي بينهم اى بين كل امة ورسولها بالقسط اى بالعدل
وحكم بنجاة الرسول والمؤمنين به وهلاك المكذبين كقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وهم لا يظلمون في ذلك القضا المستوجب لتعذيبهم لانه من نتايج اعمالهم او ولكل امة من الامم
يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
لقوله عز وجل وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد استعجالا لما وعدوا
من العذاب على طريقة الاستهزاء به والانكار حسبما يرشد اليه الجواب لا طلبا لتعيين وقت
مجيئه على وجه الالزام كما في سورة الملك ان كنتم صادقين اى فاتونا به والخطاب للرسول
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون عليهم الايات المتضمنة للوعد المذكور وجواب الشرط
محذوف اعتمادا على ما تقدمه حسبما حذف في مثل قوله تعالى فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين
فان الاستعجال في قوة الامر بالاتيان عجلة كانه قيل فليأتنا عجلة ان كنتم صادقين ولما فيه من اشعار
بكون اتيانه صلى الله عليه وسلم قيل قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا اى لا اقدر على شيء منهما
بوجه من الوجوه وتقديم الضر لما ان مساق النظم لاظهار العجز منه واما ذكر النفع فلتوسيع
الدائرة تكملة للعجز وما وقع في سورة الاعراف من تقديم النفع للاشعار باهميته والمقام مقامه
والمعنى انى لا املك شيئا من شئوني رشدا وايرادا مع ان ذلك اقرب حصولا فكيف املك شئونكم
حتى اتسبب في اتيان عذابكم الموعود الا ما شاء الله استثنا منقطع اى ولكن ما شاء الله كائن
وحمله على الاتصال ان يملكه اياه مقام النبئ عن ان يكون له عليه السلام مدخل في اتيان الوعد
فان ذلك يستدعي بيان كون المتنازع فيه مما لا يشاء الله ان يملكه عليه السلام وجعل ما عبارة
عن بعض الاحوال المعهودة المنوطة بالافعال الاختيارية المفوضة الى العباد على ان يكون المعنى
لا املك لنفسي شيئا من الضر والنفع الا ما شاء الله ان املكه منهما من الضر والنفع المترتبين على
افعالى الاختيارية كالضر والنفع المترتبين على الاكل والشرب عدما ووجودا تعسف ظاهر
وقوله تعالى لكل امة اجل بيان لما ابهم في الاستثنا وتقييد لما في القضا السابق من الاطلاق
المشعر بكون المقضي به امرا منجزا غير متوقف على شيء غير مجيء الرسول وتكذيب الامة اى لكل
امة امة من قضي بينهم وبين رسولهم اجل معين خاص بهم لا يتعدى الى امة اخرى مضروب لعذابهم
يحل بهم عند حلوله اذا جاء اجلهم اى حل الاجل عبارة عن حد معين من الزمان فمعنى مجيئه
ظاهر وان اريد به ما امتد اليه من الزمان فمجيئه عبارة عن انقضائه اذ هنالك يتحقق
مجيئه بتمامه والضمير ان جعل للامم المدلول عليها بكل امة فاظهار الاجل مضافا اليه لافادة
المعنى المقصود الذي هو بلوغ كل امة اجلها الخاص بها ومجيئه اياها بعينها من بين الامم بواسطة

اكتساب الاجل بالاضافة عموما يفيده معنى الجمعية كانه قيل اذا جاءهم اجالهم بان يجي كل واحدة من
تلك الامم اجلها الخاص بها او ان يجعل لكل امة اجل خاصة كما هو الظاهر والاظهار في موقع الاضمار
لزيادة التقرير والاضافة الى الضمير لافادة كمال التعيين اى اذا جاءها اجلها الخاص بها فلا
يستاخرون عن ذلك الاجل ساعة اى شيئا قليلا من الزمان فانها مثل في غاية القلة منه اى لا يتاخرون
عنه اصلا وصيغة الاستفعال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع طلبهم له ولا يستقدمون اى لا يتقدمون عليه وهو
عطف على يستاخرون لكن لا لبيان انتفاء التقدم مع امكانه في نفسه كالتاخر بل للمبالغة في انتفاء
التاخر بنظمه في سلك المستحيل عقلا كما في قوله سبحانه وتعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى
اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع ظهور ان لا
توبة له راسا قد نظم في عدم قبول التوبة في سلك من سوفها الى حضور الموت ايذانا بتساوي وجود
التوبة حينئذ وعدمها بالمرة كما مر في سورة الاعراف وقد جوز ان يراد بمجي الاجل دنوه بحيث يمكن
التقدم في الجملة كمجي اليوم الذي ضرب لهلاكهم ساعة معينة منه لكن ليس في تقييد عدم الاستئخار بدنوه
مزيد فائدة وتقديم بيان انتفاء الاستئخار على بيان انتفاء الاستقدام لان المقصود الاهم بيان عدم
خلاصهم من العذاب ولو ساعة وذلك بالتاخر واما ما في قوله تعالى ما تسبق من امة اجلها وما يستاخرون
من سبق السبق في الذكر فلما ان المراد هنالك بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله عز
وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر
هناك بيان سر تاخير عذابهم مع استحقاقهم له حسبما ينبئ عنه قوله عز وجل ذرهم ياكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون فالاهم اذ ذاك بيان انتفاء السبق كما ذكر هناك قل لهم فيما بينت كيفية
جريان سنة الله تعالى فيما بين الامم على الاطلاق ونبههم على ان عذابهم امر مقرر محتوم لا يتوقف الا
على مجي اجله المعلوم ايذانا بكمال دنوه وتنزيلا له منزلة اتيانه حقيقة ارايتم اى اخبروني ان اتاكم
عذابه الذي تستعجلون به بياتا اى وقت بيات واشتغال بالنوم او نهارا اى عند اشتغالكم بمشاغلكم
حسبما عين لكم من الاجل بمقتضى المشيئة التابعة للحكمة كما عين لساير الامم المهلكة وقوله عز وجل
ماذا يستعجلون منه المجرمون جواب الشرط بحذف الفاء كما في قولك ان اتيتك ماذا تطعمني والمجرمون موضع
موضع المضمر لتاكيد الانكار ببيان مباينة حالهم للاستعجال فان حق المجرمين ان يهلكوا فزعا من اتيان
العذاب فضلا عن استعجاله والجملة الشرطية متعلقة بارايتم والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه تعالى
اى شئ تستعجلون منه تعالى والشئ لا يمكن استعجاله بعد اتيانه والمراد به المبالغة في انكار استعجاله
باخراجه عن حيز الامكان وتنزيله في الاستحالة منزلة استعجاله بعد اتيانه بناء على تنزيل تقرر
اتيانه ودنوه منزلة اتيانه حقيقة كما اشير اليه وهذا الانكار منزلة النهي في قوله عز وعلا اتى امر الله
فلا تستعجلوه خلا ان التنزيل هناك صريح وهنا ضمني كما في قول من قال لغريمه الذي يتقاضاه حقه
ارايت ان اعطيتك حقك فماذا تطلب مني يريد المبالغة في انكار التقاضي بنظمه في سلك التقاضي
بعد الاعطاء بناء على تنزيل تقرره منزلة نفسه وقوله عز وجل اثم اذا ما وقع آمنتم به لانكار ايمانهم
بتنزيل العذاب بعد وقوعه حقيقة داخل مع قبله من انكار استعجالهم به بعد اتيانه حكما تحت القول
المامور به اى ابعد ما وقع العذاب وحل بكم حقيقة آمنتم به حين لا ينفعكم الايمان انكارا للتاخير
الى هذا الحد وايذانا باستتباعه للندم والحسرة ليقلعوا عما هم عليه من العناد ويتوجهوا نحو التدارك
قبل فوت الوقت فتقديم الظرف للقصر وقيل ماذا يستعجل منه متعلق بارايتم وجواب الشرط
محذوف اى تندموا على الاستعجال او تعرفوا خطاه والشرطية اعتراض وقيل مضمون الاستخبار
وقيل الجواب قوله تعالى ثم اذا ما وقع الى آخره والاستفهامية الاولى اعتراض والمعنى اخبروني ان
اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حتى لا ينفعكم الايمان ثم جئ بكلمة التراخي دلالة على استبعاد ثم
زيدت ثم الشرطية دلالة على استقلاله بالاستبعاد وعلى ان الاول كالتمهيد له وجئ باذا مؤكدا بما
تحقيقا لمعنى الوقوع وزيادة للتجهيل وانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لم ينفعهم الايمان البتة وقوله تعالى
آلآن استئناف من جهته تعالى غير داخل تحت القول الملقن مسوق لتقرير مضمون ما سبق على ارادة
القول اى قيل لهم عند ايمانهم بعد وقوع العذاب الان آمنتم به انكارا للتاخير وتوبيخا عليه
ببيان انه لم يكن لذلك لعدم سبق الانذار به ولا للتامل والتدبر في شانه ولا لشئ آخر مما
عسى يعد عذرا في التاخير بل كان ذلك على طريقة التكذيب والاستعجال به على وجه الاستهزاء
وقرئ الان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وقوله تعالى وقد كنتم به تستعجلون اى تكذيبا
واستهزاء جملة وقعت حالا من فاعل آمنتم المقدر لتشديد التوبيخ والتقريع وزيادة التنديم

والتحبير

والتحسير وتقديم الجار والمجرور على الفعل لمراعاة الفواصل دون القصر وقوله تعالى ثم قيل
الى آخره تاكيد للتوبيخ والعتاب بوعيد العذاب والعقاب وهو عطف على ما قدر قبل الان
للذين ظلموا اى وضعوا الكفر والتكذيب موضع الايمان والتصديق او ظلموا انفسهم بتعريضها
للعذاب والهلاك ووضع الموصول موضع الضمير لذمهم بما في حيز الصلة والاشعار بعليته لاصابة
ما اصابهم ذوقوا عذاب الخلد المولم على الدوام هل تجزون اليوم الا بما كنتم تكسبون في الدنيا من اصناف
الكفر والمعاصي التي من جملتها ما مر من الاستعجال ويستنبئونك اى يستخبرونك فيقولون على طريقة
الاستهزاء او الانكار احق هو احق خبر قدم على المبتدا الذي هو الضمير للاهتمام به ويؤيده قوله
تعالى انه الحق او مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر والجملة في موقع النصب بيستنبئونك وقرئ
الحق هو تعريضا بانه باطل كانه قيل اهو الحق لا الباطل او اهو الذي سميتموه الحق قل لهم غير ملتفت الى
استهزائهم معرضا عما قصدوا وبانيا للامر على اساس الحكمة اى وربي اى من حروف الايجاب بمعنى نعم في القسم
خاصة كما ان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة ولذلك يوصل بواوه انه اى العذاب الموعود لحق لثابت
البتة اكد الجواب باتم وجوه التاكيد حسب شدة انكارهم وقوته وقد زيد تقريرا وتحقيقا بقوله عز
شانه وما انتم بمعجزين اى بفائتين العذاب بالهرب وهو لاحق بكم لا محالة وهو اما معطوف على جواب
القسم او مستانف سيق لبيان عجزهم عن الخلاص مع ما فيه من التقرير المذكور ولو ان لكل نفس ظلمت اى
بالشرك او التعدي على الغير او غير ذلك من اصناف الظلم ولو مرة حسبما يفيده كون الصفة فعلا
ما في الارض اى ما في الدنيا من خزاينها واموالها ومنافعها قاطبة بما كثرت لافتدت به اى لجعلته
فدية لها من العذاب من افتداه بمعنى فداه واسروا اى النفوس المدلول عليها بكل نفس والعدول الى
صيغة الجمع مع تحقيق العموم في صورة الافراد ايضا لافادة تهويل الخطب بكون الاسرار بطريق
المعية والاجتماع وانما لم يراع ذلك فيما سبق لتحقيق ما يتوخى من فرض كون جميع ما في الارض لكل واحدة
من النفوس وايثار صيغة جمع المذكر لحمل لفظ النفس على الشخص او لتغليب ذكور مدلوله على
اناثه الندامة على ما فعلوا من الظلم اى اخفوها ولم يظهروها لكن لا للاصطبار والتجلد هيهات
ولات حين اصطبار بل لانهم بهتوا لما راوا العذاب اى عند معاينتهم من فظاعة الحال وشدة الاهوال
ما لم يكونوا يحتسبون فلم يقدروا على ان ينطقوا بشئ فلما بمعنى حين منصوب باسروا او حرف شرط
حذف جوابه لدلالة ما تقدم عليه وقيل اسرها رؤساؤهم ممن اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم
ولكن الامر اشد من ان يعتريهم هناك شئ غير خوف العذاب وقيل اسروا الندامة اخلصوها لان
اسرارها اخلاصها او لان سر الشئ خالصه حيث تخفى وتضن بها ففيه تهكم بهم وقيل اظهروا الندامة
من قولهم اسر الشئ واسره اذا اظهره وليس بذاك وقضي بينهم اى اوقع القضاء بين
الظالمين من المشركين وغيرهم من اصناف اهل الظلم بان اظهر الحق سواء كان من حقوق الله سبحانه
وتعالى او من حقوق العباد من الباطل وعومل اهل كل منهما بما يليق به بالقسط بالعدل وتخصيص
الظلم بالتعدي وحمل القضاء على اجراء الحكومة بين الظالمين والمظلومين من غير ان يجري من حال المشركين
وهم اظلم الظالمين لا يساعده المقام فان مقتضاه اما كون الظلم عبارة عن الشرك او عما يدخل فيه
دخولا اوليا وهم اى الظالمون لا يظلمون فيما فعل بهم من العذاب بل هو من مقتضيات ظلمهم ولوازمه
الضرورية الا ان لله ما في السموات والارض اى ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا عنهما متمكنا
فيهما وكلمة ما لتغليب غير العقلاء على العقلاء فهو تقرير لكمال قدرته سبحانه على جميع الاشياء وبيان
لاندراج الكل تحت ملكوته يتصرف فيه كيف ما يشاء ايجادا واعداما واثابة وعقابا الا ان
وعد الله اظهار الاسم الجليل لتفخيم شان الوعد والاشعار بعلة الحكم وهو اما بمعنى الموعود او جميع ما
وعد به كائنا ما كان فيندرج فيه العذاب الذي يستعجلونه وما ذكر في اثناء بيانه اندراجا اوليا
او بمعناه المصدري اى وعده بجميع ما ذكر فمعنى قوله تعالى حق على الاول ثابت واقع لا محالة وعلى الثاني
مطابق للواقع وتصدير الجملتين بحرفي التنبيه والتحقيق للتسجيل على تحقق مضمونهما المقرر لمضمون ما
سلف من الايات الكريمة والتنبيه على وجوب استحضاره والمحافظة عليه ولكن اكثرهم لقصور عقولهم
واستيلاء الغفلة عليهم والفهم بالاحوال المحسوسة المعتادة لا يعلمون ذلك فيقولون ما يقولون
ويفعلون ما يفعلون هو يحيي ويميت في الدنيا من غير دخل لاحد في ذلك واليه ترجعون في الآخرة
بالبعث والحشر يا ايها الناس التفات ورجوع الى خطابهم اثر تحقيق الحق وتنبيههم على قوله واتباعه
غب تحذيرهم من غوائل الضلال بما تلي عليهم من القوارع الناعية عليهم سوء عاقبتهم وايذان بان جميع
ذلك مسوق لمصالحهم ومنافعهم قد جاءتكم موعظة اى الوعظ او العظة التذكير بالعواقب سواء

بيان بالترجي والترهيب او بالاشتمال على الترغيب وكلمة من في قوله تعالى من ربكم ابتدائية متعلقة بجاءتكم او تبعيضية متعلقة بمحذوف وقع صفة لموعظة اي موعظة كائنة من مواعظ ربكم وفي التعرض لعنوان الربوبية من حسن الموقع ما لا يخفى وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين اي كتاب جامع لهذه الفوائد والمنافع فانه كاشف عن احوال الاعمال حسناتها وسيئاتها مرغب في الاولى ورادع عن الاخرى ومبين للمعارف الحقة التي هي شفاء لما في الصدور من الادواء القلبية كالجهل والشك والشرك والنفاق وغيرها من العقائد الزائغة وهاد الى طريق الحق واليقين بالارشاد الى الاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق والانفس وفي مجيئه رحمة للمؤمنين حيث نجوا به من ظلمات الكفر والضلال الى نور الايمان وتخلصوا من دركات النيران وارتقوا الى درجات الجنان والتنكير في الكل للتفخيم قل تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأمر الناس بان يغتنموا ما في مجيء القرآن العظيم من الفضل والرحمة بفضل الله وبرحمته اما ما في مجيء القرآن من الفضل والرحمة واما الجنس وهما داخلان فيه دخولا اوليا والباء متعلقة بمحذوف واصل الكلام ليفرحوا بفضل الله وبرحمته وتكرير الباء في برحمته للايذان باستقلالها في استيجاب الفرح ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لافادة القصر ثم ادخل عليه الفاء لافادة معنى السببية فصار بفضل الله وبرحمته فليفرحوا ثم قيل فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الاول لدلالة الثاني عليه والفاء الاولى جزائية والثانية للدلالة على السببية ثم حذف الشرط ومعنى البعد في اسم الاشارة للدلالة على بعد درجة فضل الله تعالى ورحمته ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا ويجوز ان تتعلق الباء بجاءتكم اي جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك اي فبمجيئها فليفرحوا وقرأ ابي فافرحوا وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه هو اي ما ذكر من فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا وقرئ تجمعون اي فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعون ايها المخاطبون قل ارأيتم اي اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما منصوبة المحل بما بعدها او بما قبلها واللام للدلالة على ان المراد بالرزق ما حل لهم وجعله منزلا لانه مقدر في السماء ومحصل هو وما يتوقف عليه وجودا وبقاء باسباب سماوية من المطر والكواكب في الانضاج والتلوين فجعلتم منه اي جعلتم بعضه حراما اي حكمتم بانه حرام وحلالا اي وجعلتم بعضه حلالا اي حكمتم بحله مع كون كله حلالا وذلك قوله هذه انعام وحرث حجر الآية وقولهم ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا ونحو ذلك وتقديم الحرام لظهور اثر الجعل فيه ودوران التوبيخ عليه قل تكرير لتأكيد الامر بالاستخبار آلله اذن لكم في ذلك الجعل فانتم فيه ممتثلون بامره تعالى ام على الله تفترون ام متصلة والاستفهام للتقرير والتبكيت لتحقق العلم بالشق الاخير قطعا كانه قيل ام لم يأذن لكم بل تفترون عليه سبحانه واظهار الاسم الجليل وتقديمه على الفعل للدلالة على كمال قبح افترائهم وتأكيد التبكيت اثر تأكيد مع مراعاة الفواصل ويجوز ان يكون الاستفهام للانكار وام منقطعة ومعنى بل فيها الاضراب والانتقال من التوبيخ والزجر بانكار الاذن الى ما يفيده همزتها من التوبيخ على الافتراء عليه سبحانه وتقريره وتقديم الجار والمجرور على هذا يجوز ان يكون للقصر كانه قيل بل اعلى الله تعالى خاصة تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب كلام مستأنف من قبله تعالى لبيان هول ما سيلقونه غير داخل تحت القول المأمور به والتعبير عنهم بالموصول في موقع الاضمار لقطع احتمال الشق الاول من الترديد والتسجيل عليهم بالافتراء وزيادة الكذب مع ان الافتراء لا يكون الا كذبا للاظهار كمال قبح ما افتعلوا وكونه كذبا في اعتقادهم ايضا وكلمة ما استفهامية وقعت مبتدأ وظن خبرها ومفعولاه محذوفان وقوله عز وجل يوم القيامة ظرف لنفس الظن اي اي شيء ظنهم في ذلك اليوم يوم عرض الافعال والاقوال والمجازاة عليها مثقالا بمثقال والمراد تهويله وتفظيعه بهول ما يتعلق به مما يصنع بهم يومئذ وقيل هو ظرف لما يتعلق به ظنهم اليوم من الامور التي ستقع يوم القيامة تنزيلا له وما فيه من الاحوال بكمال وضوح امره في التقرر والتحقق منزلة المسلم عندهم اي اي شيء ظنهم لما سيقع يوم القيامة ايحسبون انهم لا يسألون عن افترائهم ولا يجازون عليه او يجازون جزاء يسيرا ولاجل ذلك يفعلون ما يفعلون كلا انهم لفي اشد العذاب لان معصيتهم اشد المعاصي وقرئ على لفظ الماضي اي اي شيء ظن يوم القيامة وايراد صيغة الماضي لانه كائن فكأنه قد كان ان الله لذو فضل اي عظيم لا يكتنه كنهه على الناس اي جميعا حيث انعم عليهم بالعقل المميز بين الحق والباطل والحسن والقبيح ورحمهم بانزال الكتب وارسال الرسل وبين لهم الاسرار التي لا تستقل العقول في ادراكها

وارشدهم

وارشدهم الى ما يهمهم من امر المعاش والمعاد ولكن اكثرهم لا يشكرون تلك النعمة الجليلة فلا يصرفون قواهم ومشاعرهم الى ما خلقت له ولا يتبعون دليل العقل فيما يستبد به ولا دليل الشرع فيما لا يدرك الا به وقد تفضل عليهم ببيان ما سيلقونه يوم القيامة فلا يلتفتون اليه فيقعون فيما يقعون فهو تذييل لما سبق مقرر لمضمونه وما تكون في شأن اي في امر من شأنت شأنه اي قصدت قصده مصدر بمعنى المفعول وما تتلوا منه من قرآن الضمير للشأن والظرف صفة لمصدر محذوف اي تلاوة كائنة من الشأن اذ هي معظم شؤونه عليه السلام او للتنزيل والاضمار قبل الذكر لتفخيم شأنه ومن ابتدائية على الوجه الاول وبيانية او تبعيضية على الثالث ولا تعملون من عمل تعميم للخطاب اثر تخصيصه بمقتضى الكل وقد روعي في كل من المقامين ما يليق به حيث ذكر اولا من الاعمال ما فيه فخامة وجلالة وثانيا ما يتناول الجليل والحقير الا كنا عليكم شهودا استثناء مفرغ من اعم احوال المخاطبين بالافعال الثلاثة اي ما تلابسون بشيء منها في حال من الاحوال الا حال كوننا رقباء مطلعين عليه حافظين له اذ تفيضون فيه اي تخوضون وتندفعون فيه واصل الافاضة الاندفاع بكثرة او بقوة وحيث اريد بالافعال السابقة الحالة المستمرة الدائمة المقارنة للزمان الماضي ايضا اوثر في الاستثناء صيغة الماضي وفي الظرف كلمة اذ التي تفيد المضارع معنى الماضي وما يعزب عن ربك اي لا يبعد ولا يغيب عن علمه الشامل وفي التعرض لعنوان الربوبية من الاشعار باللطف ما لا يخفى وقرئ بكسر الزاي من مثقال ذرة كلمة من مزيدة لتأكيد النفي اي ما يعزب عنه ما يساوي في الثقل نملة صغيرة او هباء في الارض ولا في السماء اي في دائرة الوجود والامكان فان العامة لا تعرف سواهما ممكنا ليس في احدهما او متعلقا بهما وتقديم الارض لان الكلام في حال اهلها والمقصود اقامة البرهان على احاطة علمه تعالى بتفاصيلها وقوله تعالى ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في كتاب مبين كلام برأسه مقرر لما قبله ولا نافية للجنس واصغر اسمها وفي كتاب خبرها وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف او على محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا كانه قيل لا يعزب عن ربك شيء ولكن جميع الاشياء في كتاب مبين فكيف يعزب عنه شيء منها وقيل يجوز ان يكون الاستثناء متصلا ويعزب بمعنى يبين وتصد في المعنى لا يصدر عنه تعالى شيء الا وهو في كتاب مبين والمراد بالكتاب المبين اللوح المحفوظ الا ان اولياء الله بيان على وجه التبشير والوعد على ما هو نتيجة الاعمال المؤمنين وغاية لما ذكر قبله من كونه تعالى مهيمنا على نبيه عليه السلام وامته في كل ما يأتون وما يذرون واحاطة علمه سبحانه بجميع ما في السماء والارض وكون الكل مثبتا في الكتاب المبين بعد ما اشير الى فظاعة حال المفترين على الله تعالى يوم القيامة وما يعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرفي التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولي لغة القريب والمراد باولياء الله تعالى خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم لا خوف عليهم في الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكنهم لا يخافون ولا يحزنون ولا انه لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على النشاط والسرور كيف واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستقصارا للجد والسعي في اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص والمقربين والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعا لما مر مرارا من ان النفي وان دخل على نفس المضارع يفيد الاستمرار والدوام بحسب المقام وانما لا يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب في حصوله ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى واما ما عدا ذلك من الامور الدنيوية المترددة بين الحصول والفوات فهي بمعزل من الانتظام في سلك مقصدهم وجودا وعدما حتى يخافوا من حصول ضارها او يحزنوا بفوات نافعها وقوله عز وجل الذين آمنوا اي بكل ما جاء من عند الله تعالى وكانوا يتقون اي يقون انفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريقة الاستئناف المبني على السؤال ومحل الموصول الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف كانه قيل من اولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين عن كل شر وقيل محله النصب او الرفع على المدح او على انه وصف مادح للاولياء ولا يقدح في ذلك توسط الخبر والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة لما تحتها من مرتبة التوقي عن الشرك التي يفيدها الايمان ايضا ومرتبة التجنب عن

عن كل ما يوثم من فعل وترك اعني تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية
وهو التقوى الحقيقي المامور به في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته وبه يحصل
الشهود والحضور والقرب الذي عليه يدور اطلاق الاسم عليه وهكذا كان حال كله من دخل
معه عليه الصلاة والسلام تحت الخطاب بقوله عز وعلا ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا
خلا ان لهم في شان التبتل وتنزه درجات متفاوتة حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة
عليهم بموجب المشية المبنية على الحكم الابية اقصاها ما انتهى اليه همم الانبياء عليهم السلام حتى
جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق في عالم الارواح
ولا يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق بكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة
بالقدوة القدسية فلذلك اي الولاية هو التقوى المذكور فاولياء الله تعالى هم المؤمنون المتقون
ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله
تعالى والدعوة اليه ولا يخالفه ما قيل من انهم الذين يذكر الله برؤيتهم لما روي عن سعيد بن
جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم اي بسيمهم
واخباتهم وسكينتهم لما قيل من انهم المتحابون في الله لما روي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء
يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى قالوا يا رسول الله خبرنا من هم
وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها فوالله
ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن
الناس فان ما ذكر من حسن السمت والسكينة المذكورة لله تعالى والتحاب في الله سبحانه من الاحكام
الدينوية اللازمة للايمان والتقوى الاتيان التامة بهما الحقيقة بالتخصيص بالذكر لظهورها
وقربها من افهام الناس وقد اورد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا من ذلك حسبما يقتضيه مقام
الارشاد والتذكير ترغيبا للسائلين او غيرهم من الحاضرين فيما خصه بالذكر هنالك من احكامها
فلعل الحاضرين اولا كانوا محتاجين الى اصلاح الحال من جهة الاقوال والافعال والملابس ونحو
ذلك والحاضرين ثانيا مفتقرين الى تاليف قلوبهم وعطفها نحو المؤمنين الذين لا علاقة بينهم
وبينهم من جهة النسب والقرابة وتاكيد ما بينهم من الاخوة الدينية ببيان عظم شانها ورفعة مكانها
وحسن عاقبتها ليراعوا حقوقها وتحروا من لا تربوا فقهم في الدين من ذوي ارحامهم واما ما ذكر
من انه يغبطهم الانبياء فتصوير لحسن حالهم على طريقة التمثيل قال الكواشي هذا مبالغة والمعنى
لو فرض قوم بهذه الصفة لكانوا هؤلاء وقيل اولياء الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة
وجعل قوله عز وجل الذين امنوا وكانوا يتقون تفسيرا لتوليهم اياه تعالى وقوله عز وعلا لهم البشرى
في الحيوة الدنيا وفي الاخرة تفسيرا لتوليته اياهم تعالى ولا ريب في ان اعتبار القيد الاخير
في مفهوم الولاية غير مناسب لمقام ترغيب المؤمنين في تحصيلها والثبات عليها وبشارتهم
باثارها ونتايجها بل مخل بذلك اذ التحصيل انما يتعلق بالمقدور والاستبشار لا يحصل الا بما علم
وجود سببه والقيد المذكور ليس بمقدور لهم حتى يحصلوا الولاية بتحصيله ولا بمعلوم لهم عند حصوله
حتى يعرفوا احوال الولاية لهم ويستبشروا بما لها من اثارها بل التولي بالكرامة عين نتيجة الولاية
فاعتباره في عنوان الموضوع ثم الاخبار بعدم الخوف والحزن مما لا يليق بشان التنزيل الجليل فالذي
يقتضيه نظمه الكريم ان الاول تفسير للاوليا حسبما شرح والثاني بيان لما اولاهم من الولاية
تفضلا وكرامة من خيرات الدارين بعد بيان انجائهم من شرورهما ومكارههما والجملة مستانفة
كما سبق كانه قيل هل لهم وراء ذلك من نعمة وكرامة فقيل لهم ما يسرهم في الدارين وتقديم الاول
لما ان التخلية سابقة على التحلية مع ما فيه من مراعاة حق المقابلة بحسن حال المؤمنين وسوء
حال المفترين وتعجيل ادخال المسرة بتبشير الخلاص عن الاهوال وتوسيط البيان السابق بين بشارة
الخلاص عن المحذور وبشارة الفوز بالمطلوب لاظهار كمال العناية بتفسير الاوليا مع الايذان
بان انتفاء الخوف والحزن لا تقابلهم بما يودي الى من الاثابة والبشرى مصدر اريد به المبشر به
من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة وغير ذلك والاجلة الغنية عن البيان
واثار الابهام والاجمال للايذان بكونه وراء البيان والتفصيل والظرفان في موقع الحال منه
والعامل ما في الخبر من معنى الاستقرار اي لهم البشرى حال كونها في الحياة الدنيا وحال كونها في الاخرة
اي عاجله واجله او حال من الضمير المجرور اي حال كونهم في الحيوة الدنيا الى اخره ومن البشرى العاجلة

الثنا والحسن والذكر الجميل ومحبة الناس عن ابي ذر رضي الله تعالى عنه قلت يا رسول الله الرجل
يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال عليه السلام تلك عاجل بشرى المؤمن هذا وقد قيل البشرى
مصدر والظرفان متعلقان به اما البشرى في الدنيا فهي البشارات الواقعة للمؤمنين المتقين في
غير موضع من الكتاب المبين وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرويا الصالحة يراها المؤمن او ترى
له وعنه عليه الصلوة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطا لهم البشرى عند الموت
تاتيهم الملئكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملئكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا
بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملئكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون
من بياض وجوههم واعطاء الصحايف بايمانهم وما يقرون منها وغير ذلك من البشارات فتكون
هذه البشارة بما سيقع من البشرات العاجلة والاجلة المطلوبة لغاياتها لا لذواتها ولا يخفى ان
صرف البشارة الناجزة عن المقاصد بالذات الى وسايلها مما لا يساعده جلالة شان التنزيل الكريم
لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله التي من جملتها مواعيده الواردة لبشارة المؤمنين المتقين
فيدخل فيها البشارات الواردة هاهنا دخولا اوليا ويثبت امتناع الاختلاف فيها ثبوتا قطعيا
وعلى تقدير كون المراد بالبشرى الرويا الصالحة فالمراد بعدم تبديل كلماته تعالى ليس عدم الخلف بينها
وبين نتايجها الدنيوية والاخروية بل عدم الخلف بينها وبين ما دل على ثبوتها ووقوعها فيما ياتي
بطريق الوعد من قوله تعالى لهم البشرى فتدبر ذلك اشارة الى ما ذكر من ان لهم البشرى في الدارين
هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراه وفيه تفسير لما ابهم فيما سبق وهاتيك الجملة والتي قبلها اعتراض
لتحقيق المبشرية وتعظيم شانه وليس من شرطه ان يكون بعده كلام متصل بما قبله او هذه تذييل
والسابقة اعتراض ولا يحزنك قولهم تسلية لرسول صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من جهتهم من
الاذية الناشئة من مقالاتهم الموحشة وتبشير له عليه السلام بانه عز وجل ينصره ويعزه عليهم
اثر بيان ان له ولاتباعه امنا من كل محذور وفوزا بكل مطلوب وقرئ ولا يحزنك من احزن وهو
في الحقيقة نهي له عليه السلام عن الحزن كانه قيل لا تحزن بقولهم ولا تبال بتكذيبهم وتشاورهم في تدبير
هلاكك وابطال امرك وساير ما يتفوهون به في شانك مما لا خير فيه وانما وجه النهي الى قولهم
للمبالغة في نهيه عليه السلام عن الحزن لما ان النهي عن التاثير نهي عن التاثر باصله ونفي له بالمرة
وقد يوجه النهي الى اللازم والمراد هو النهي عن الملزوم كما في قولك لا اريتك هنا وتخصيص النهي عن
الحزن بالايراد مع شمول النفي السابق للخوف ايضا لما انه لم يكن فيه عليه السلام شائبة خوف حتى
ينهى عنه ولما كان ربما يحدث عليه السلام في بعض الاوقات نوع خوف فسلى عن ذلك بقوله تعالى
ان العزة تعليل للنهي على طريقة الاستئناف اي الغلبة والقهر لله جميعا اي في مملكته وسلطانه
لا يملك احد شيئا منها اصلا لا هم ولا غيرهم فهو يقهرهم ويعصمك منهم وينصرك عليهم وقد كان
لذلك اي من جملة البشريات العاجلة وقرئ بفتح ان على صريح التعليل او بدل من العزة هو السميع
العليم يسمع ما يقولون في حقك ويعلم ما يعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات
ومن في الارض اي العقلاء من الملئكة والثقلين وتخصيصهم بالذكر للايذان بعدم الحاجة الى التصريح
بغيرهم فانه مع شرفهم وعلو طبقتهم اذا كانوا عبيدا له سبحانه مقهورين تحت قدرته وملكته
فما عداهم من الموجودات اولى بذلك وهو مع ما فيه من التاكيد لما سبق من اختصاص العزة بالله
تعالى الموجب لسلوته عليه السلام وعدم مبالاته بالمشركين وبمقالاتهم تمهيد لما لحق من قوله
تعالى وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء وبرهان على بطلان ظنونهم واعمالهم المبنية
عليها وما اما نافية وشركاء مفعول يتبع ومفعول يدعون محذوف لظهوره اي ما يتبع الذين يدعون
من دون الله شركاء في الحقيقة وان سموها شركاء فاقتصر على احدهما لظهور دلالته على الاخر ويجوز
ان يكون المذكور مفعول يدعون ويكون مفعول يتبع محذوفا لانفهامه من قوله تعالى ان يتبعون الا
الظن اي وما يتبعون يقينا انما يتبعون ظنهم الباطل واما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله
ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اي وله شركاؤهم ببيان بطلان اتباعهم وفساد ما بنوا عليه من ظنهم شركاءهم
معبودين مع كونهم عبيدا له سبحانه واما استفهامية اي واي شيء يتبعون ان يتبعون الا الظن
اي الظن والخيال الباطل كقوله تعالى ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وقرئ تدعون بالتاء
فالاستفهام للتبكيت والتوبيخ كانه قيل واي شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملئكة والنبيين
تقريرا لكونهم متبعين لله تعالى مطيعين له وتوبيخا لهم على عدم اقتدائهم بهم في ذلك كقوله تعالى

اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقيل
ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبعه الملائكة والنبيون من الحق وان هم الا يخرصون
يكذبون فيما ينسبونه اليه سبحانه وتعالى ويحكمون حدوث انهم شركاء تقديرا باطلا هو الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا تنبيه على تفرده تعالى بالقدرة الكاملة والنعمة
الشاملة ليدلهم على توحده سبحانه باستحقاق العبادة وتقرير لما سلف من كون جميع الموجودات
الممكنة تحت قدرته وملكته المفصح عن اختصاص العزة به سبحانه والجعل ان كان بمعنى الابداع
والخلق فمبصرا حال والا فلكم مفعوله الثاني او هو حال كما في الوجه الاول والمفعول الثاني لتسكنوا فيه
او هو محذوف يدل عليه المفعول الثاني من الجملة الثانية كما ان العلة الغائية منها محذوفة اعتمادا
على ما في الاولى والتقدير هو الذي جعل لكم الليل مظلما لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتحركوا فيه
لمصالحكم كما سيجيء تفصيله في قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله الاية فحذف في كل واحد من الجانبين ما ذكر في الاخر اكتفاء بالمذكور عن المتروك
واسناد الابصار الى النهار مجازي كما للذي في نهاره صائم ان في ذلك اي في جعل كل منهما كما وصف
او فيهما وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلة المشار اليه وعلو رتبته لايات
اي عجيبة كثيرة وايات اخر غير ما ذكر لقوم يسمعون اي هذه الايات المتلوة ونظائرها المنبهة
على تلك الايات التكوينية الامرية بالتامل فيها سماع تدبر واعتبار فيعملون بمقتضاها وتخصيص
الايات بهم مع انها منصوبة لمصلحة الكل لانهم المنتفعون بها قالوا شروع في ذكر نوع اخر من اباطيلهم
وبيان لبطلانه اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه وتقديس له عما نسبوا اليه وتعجيب من كلمتهم الحمقاء
هو الغني على الاطلاق عن كل شيء في كل شيء وهو علة لتنزهه سبحانه وايذان بان اتخاذ الولد من احكام
الحاجة وقوله عز وجل له ما في السموات وما في الارض اي من العقلاء وغيرهم تقرير لغناه وتحقيق
لمالكيته تعالى لكل ما سواه وقوله تعالى ان عندكم من سلطان اي حجة بهذا اي بما ذكر من قولهم
الباطل توضيح لبطلانه بتحقيق سلامة ما اقيم من البرهان الساطع عن المعارض فمن في من سلطان
زائدة لتأكيد النفي وهو مبتدأ والظرف المقدم خبره او مرتفع على انه فاعل للظرف لاعتماده
على النفي وبهذا متعلق بسلطان لانه بمعنى الحجة والبرهان واما بمحذوف وقع صفة له واما
بما في عندكم من معنى الاستقرار كانه قيل ان عندكم في هذا القول من سلطان والالتفات الى الخطاب
لمزيد المبالغة في الالزام والافحام وتأكيد ما في قوله تعالى اتقولون على الله ما لا تعلمون من التوبيخ
والتقريع على جهلهم واختلاقهم وفيه تنبيه على ان كل مقالة لا دليل عليها فهي جهالة وان
العقائد لا بد لها من برهان قطعي وان التقليد بمعزل من الاعتداد به قل تلوين للخطاب وتوجيه
له الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليبين لهم سوء مغبتهم ووخامة عاقبتهم ان الذين يفترون
على الله الكذب اي في كل ما مر وغيره ويدخل فيه ما نحن بصدده من الافتراء بنسبة الولد والشريك
اليه سبحانه دخولا اوليا لا يفلحون اي لا ينجون من مكروه ولا يفوزون بمطلوب اصلا وتخصيص
عدم النجاة والفوز بما يندرج في ذلك من عدم النجاة من النار وعدم الفوز بالجنة لا يناسبه
مقام المبالغة في الزجر عن الافتراء عليه سبحانه وتعالى متاع في الدنيا كلام مستأنف سيق
لبيان ان ما يتراءى فيهم بحسب الظاهر من نيل المطالب والفوز بالحظوظ الدنيوية على الاطلاق
او في ضمن افترائهم بمعزل من ان يكون من جنس الفلاح كانه قيل كيف لا يفلحون وهم في غبطة
ونعيم فقيل هو متاع يسير في الدنيا وليس بفوز بالمطلوب ثم اشير الى انتفاء النجاة عن المكروه
ايضا بقوله عز وعلا ثم الينا مرجعهم اي بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
فيبقون في الشقاء المؤبد بسبب كفرهم المستمر او بكفرهم في الدنيا فاين هم من الفلاح وقيل المبتدا
المحذوف حياتهم او تقلبهم وقد قيل انه افتراؤهم ولا يخفى ان المتاع انما يطلق على ما يكون
مطبوعا عند النفس مرغوبا فيه في نفسه يتمتع وينتفع به وانما عدم الاعتداد به لسرعة
زواله ونفس الافتراء عليه سبحانه وتعالى اقبح القبائح عند النفس فضلا عن ان يكون مطبوعا
عندها وعده كذلك باعتبار اجرائه وحكم ما يؤدي اليه من رياستهم عليه مما لا وجه له فالوجه
ما ذكر اولا وليس ببعيد ما قيل ان المحذوف هو الخبر اي لهم متاع والاية اما مسوقة من
جهة الله سبحانه وتعالى لتحقيق عدم افلاحهم غير داخلة في الكلام على ان النبي صلى الله عليه
وسلم مأمور بنقله وحكايته عنه عز وجل واتل عليهم اي على المشركين من اهل مكة وغيرهم
لتحقيق ما سبق من انهم لا يفلحون وان ما يتمتعون به على جناح الفوات وانهم مشرفون على العذاب

الخالد نبأ نوح اي خبره الذي له شأن وخطر مع قومه الذين هم اضراب قومك في الكفر والعناد
ليتدبروا ما فيه من زوال ما تمتعوا به من النعيم وحلول عذاب الغرق الموصول بالعذاب المقيم
لينزجروا بذلك عما هم عليه من الكفر او تنكسر شكيمتهم او يعترف بعضهم بصحة نبوتك بان عرفوا
ان ما تتلوه موافقا لما ثبت عندهم من غير مخالفة بينهما اصلا مع علمهم بانك لم تسمع ذلك
من احد ليس الا بطريق الوحي وفيه من تقوية ما سبق من كون العزة لله سبحانه واختصاص العزة به
وانتفاء الخوف والحزن من اوليائه عز وعلا قاطبة وتشجيع النبي صلى الله عليه وسلم وحمله
على عدم المبالاة بهم وباقوالهم وافعالهم ما لا يخفى اذ قال معمول لنبأ او بدل منه بدل اشتمال
وايا ما كان فالمراد بعض نبأه عليه السلام لا كل ما جرى بينه وبين قومه واللام في قوله
تعالى لقومه للتبليغ يا قوم ان كان كبر اي عظم وشق عليكم مقامي اي نفسي كما يقال فعلته لمكان
فلان ومنه قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه اي خاف ربه او قيامي ومكثي بين ظهرانيكم مدة
طويلة او قيامي وتذكيري بايات الله فانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة يقومون على ارجلهم والجماعة
قعود ليظهر مقامهم ويسمع مقالهم فعلى الله توكلت جواب للشرط اي دمت على تخصيص التوكل
به تعالى ويجوز ان يراد به احداث مرتبة مخصوصة من مراتب التوكل فاجمعوا امركم عطف على
الجواب والفاء لترتيب الامر بالاجماع على التوكل لا لترتيب
نفس الاجماع عليه او هو الجواب وما سبق جملة اعتراضية والاجماع العزم وقيل هو متعد بنفسه
وقيل هو فيه حذف وايصال قال السدوسي اجمعت الامر افصح من اجمعت عليه وقال ابو
الهيثم اجمع امره جعله مجموعا بعد ما كان متفرقا وتفرقه انه يقول مرة افعل كذا واخرى افعل
كذا واذا عزم على امر واحد فقد جمعه اي جعله جميعا وشركاءكم بالنصب على ان الواو بمعنى
مع كما تدل عليه القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل تنزيلا للفصل منزلة التأكيد ولتناد
الاجماع اي الشركاء على طريقة التهكم وقيل انه عطف على امركم بحذف المضاف اي امر شركائكم
وقيل منصوب بفعل محذوف اي وادعوا شركاءكم وقد قرئ كذلك وقرئ فاجمعوا من الجمع اي
فاعزموا على امركم الذي تريدون بي من السعي في اهلاكي واحتشدوا فيه باي وجه يمكنكم ثم
لا يكن امركم ذلك عليكم غمة اي مستورا من غمه اذا ستره بل مكشوفا مشهورا تجاهرونني به فان
الستر انما يصار اليه لسد باب تدارك الخلاص بالهرب ونحوه فحيث ذلك في حقي لم يكن للستر وجه وانما خاطبهم
عليه السلام بذلك اظهارا لعدم المبالاة بهم وانهم لن يجدوا اليه سبيلا وثقة بالله سبحانه وبما
وعده من عصمته وكلاءته فكلمة ثم للتراخي في الرتبة واظهار الامر في موقع الاضمار لزيادة تقرير
تعقيبا ما تعلق الامر بالاظهار الذي يستلزمه النهي عن الستر والاسرار وقيل المراد بامرهم ما يعتريهم
من جهته عليه الصلاة والسلام من الحال الشديدة عليهم المكروهة لديهم والغمة الغم كالكربة
والكرب ثم للتراخي الزماني والمعنى لا يكن حالكم عليكم غمة وتخلصوا باهلاكي من ثقل مقامي وتذكيري ولا
يخفى انه لا يساعده قوله عز وجل ثم اقضوا الي ولا تنظرون اي ادوا الي اي احكموا ذلك الامر الذي
تريدون بي واوصلوه الي كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر اي ادوا الي ما هو حق عليكم عندكم من
اهلاكي كما يقضي الرجل غريمه فان توسيط ما يحصل بعد الاهلاك بين الامر بعزيمة مباديه وبين
الامر بقضائه من قبيل الفصل بين الشجر ولحائه وقرئ افضوا بالفاء اي انتهوا الي بشركم او ابرزوا
الي من افضى اذا خرج الى الفضاء فان توليتم الفاء لترتيب التولي على ما سبق فالمراد به اما الاستمرار عليه
واما احداث التولي المخصوص اي ان اعرضتم عن نصيحتي وتذكيري اثر ما شاهدتم مني مخايل الصحة ما اتوا
ولا دلائلها التي من جملتها ما ادعوتي اياكم جميعا الى تحقيق ما تريدون بي من السوء غير مبال بكم وبما
تأتي منكم واخلاءكم من الاجابة علما منكم بانه على الحق المبين مؤيد من عند الله العزيز فما سألتكم عليه
وعظي وتذكيري من اجر تؤدونه الي حتى يؤدي ذلك الى توليكم اما لاتهامكم اياي بالطمع والسؤال
واما لثقل دفع المسؤول عليكم او حتى يضر في توليكم المؤدي الى الحرمان فالاول لاظهار بطلان التولي
ببيان عدم ما يصححه والثاني لاظهار عدم مبالاته عليه السلام بوجوده وعدمه وعلى التقديرين
فالفاء الجزائية لسببية الشرط لاعلام مضمون الجزاء لا لنفسه والمعنى ان توليتم فاعلموا ان ليس
في ما يصح له ولا تأتي منه وقوله عز وجل ان اجري الا على الله بنظم المعنيين جميعا خلا انه على الاول
تأكيد وعلى الثاني تعليل لاستغنائه عليه السلام عنهم اي ما ثوابي على العظة والتذكير الا عليه
تعالى يثيبني به امنتم او توليتم وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا
ارجو غيره والمستسلمين لكل ما يصيبني من البلاء في طاعة الله تعالى فكذبوه فاصروا على ما هم

عليه من التكذيب بعد ما الزمهم الحجة وبين المحجة وحقق ان توليهم ليس له سبب غير التمرد
والعناد فلاجرم حقت عليهم كلمة العذاب فنجيناه ومن معه في الفلك وكانوا ثمانين وجعلنا
هم خلائف من الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا اي بالطوفان وتاخير ذكره عن ذكر الانجاء
والاستخلاف حسبما وقع في قوله عز وعلا ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا
واخذت الذين ظلموا الصيحة وغير ذلك من الايات الكريمة لاظهار كمال العناية بشان المقدم
ولتعجيل المسرة للسامعين وللايذان بسبق الرحمة التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب الذي
هو من مستتبعات جرائم المجرمين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تهويل لما جرى عليهم وتحذير
لمن كذب بالرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له صلى الله عليه وسلم ثم بعثنا اي ارسلنا من بعده
اي من بعد نوح عليه السلام رسلا التنكير للتفخيم ذاتا ووصفا اي رسلا كراما ذوي عدد كثير
الى قومهم اي الى اقوامهم لكن لا بان ارسلنا كل رسول منهم الى اقوام الكل او الى قوم ما اي قوم
كان بل بان ارسلنا كل رسول الى قومه خاصة مثل هود الى عاد وصالح الى ثمود وغير ذلك ممن قص
منهم ومن لم يقص فجاؤهم اي جاء كل رسول قومه المخصوص به بالبينات اي بالمعجزات
الواضحة الدالة على صدق ما قالوا والباء اما متعلقة بالفعل المذكور على انها للتعدية او بمحذوف
وقع حالا من ضمير جاؤا اي ملتبسين بالبينات لكن لا بان ياتي كل رسول ببينة واحدة بل ببينات
كثيرة خاصة به معينة له حسب اقتضاء الحكمة فان مراعاة انقسام الاحاد الى الاحاد انما هي
بين ضميري جاؤهم كما اشير اليه فما كانوا ليؤمنوا بيان لاستمرار عدم ايمانهم في الزمان الماضي
لا لعدم استمرار ايمانهم كما مر مثله في هذه السورة الكريمة غير مرة اي فما صح وما استقام
لقوم من اولئك الاقوام في وقت من الاوقات ان يؤمنوا بل كان ذلك ممتنعا منهم لشدة
شكيمتهم في الكفر والعناد ثم ان كان المحكي اخر حال كل قوم حسبما يدل عليه حكاية قوم نوح فالمراد
بعدم ايمانهم المذكور ههنا اصرارهم على ذلك بعد اللتيا والتي وبما اشير اليه في قوله عز وجل
بما كذبوا به من قبل تكذيبهم من حين مجيء الرسل الى زمان الاصرار والعناد وانما لم يجعل ذلك
مقصودا بالذات كالاول لحيث جعل صلة للموصول ايذانا بانه بين بنفسه غني عن البيان وانما
المحتاج الى ذلك عدم ايمانهم بعد تواتر البينات الظاهرة وتظاهر المعجزات الباهرة التي
كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من اصحاب العقول والموصول التي تعلق به الايمان والتكذيب
سلبا وايجابا عبارة عن جميع الشرائع التي جاء بها كل رسول اصولها وفروعها وان كان المحكي
جميع احوال كل قوم منهم فالمراد بما ذكر اولا كفرهم المستمر من حين مجيء الرسل الى اخره وبما اشير
اليه اخرا تكذيبهم قبل مجيئهم فلا بد من كون الموصول المذكور عبارة عن اصول الشرائع التي
اجمعت عليها الرسل قاطبة ودعوا اممهم اليها اثر ذي اثير لاستحالة تبدلها وتغيرها مثل
ملة التوحيد ولوازمها ومعنى تكذيبهم بها قبل مجيء رسلهم انهم ما كانوا في زمن الجاهلية
بحيث لم يسمعوا بكلمة التوحيد قط بل كان كل قوم من اولئك الاقوام يتسامعون بها من بقايا
من قبلهم كثمود من بقايا عاد وعاد من بقايا قوم نوح عليه السلام فكذبوها ثم كانت حالتهم بعد
مجيء الرسل كحالتهم قبل ذلك كان لم يبعث اليهم احد وتخصيص التكذيب وعدم الايمان بما ذكر
من الاصول لظهور حال الباقي بدلالة النص فانهم حيث لم يؤمنوا بما اجتمعت عليه كافة
الرسل فلان لا يؤمنوا بما تفرد به بعضهم اولى وعدم جعل هذا التكذيب مقصودا بالذات لما
انه ليس مما يدور عليه العذاب والعقاب عند التشريع بين هو التكذيب الواقع بعد الدعوة
حسبما يعرب عنه قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وانما ذكر ما وقع قبلها
بيانا لعراقتهم في الكفر والتكذيب وعلى التقديرين فالضماير الثلثة متوافقة في المرجع وقيل
ضمير كذبوا راجع الى قوم نوح عليه السلام فالمعنى فما كان قوم الرسل ليؤمنوا بما كذب به
قوم نوح ولا يخفى ما فيه من التعسف وقيل الباء للسببية اي بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم
عليه قبل بعثة الرسل ولا يخفى ان ذلك يؤدي الى مخالفة الجمهور من جعل ما المصدرية من قبيل
الاسماء كما هو راي الاخفش وابن السراج ليرجع اليها الضمير في به او ارجاعه الى الحق بادعاء كونه
مركوزا في الاذهان ما لا يخفى من التعسف كذلك اي مثل ذلك الطبع المحكم نطبع بنون العظمة
وقرئ بالياء على ان الضمير لله سبحانه وتعالى على قلوب المعتدين المتجاوزين عن الحدود المعهودة
في الكفر والعناد المتجافين عن قبول الحق وسلوك طريق الرشاد وذلك بخذلانهم وتخليتهم وشانهم
لانهماكهم في الغي والضلال وفي امثال هذا دلالة على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى ه

وكسب

العبد ثم بعثنا عطف على قوله تعالى ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم عطف قصة على قصة
من بعدهم اي من بعد اولئك الرسل عليهم السلام موسى وهرون خصت بعثتهما عليهما السلام
بالذكر ولم يكتف باندراجها فيما اشير اليه اشارة اجمالية من اخبار الرسل عليهم السلام
مع اقوامهم واوثر في ذلك منوب تفصيل ايذانا بخطر شان القصة وعظم وقعها كما في بناء نوح
عليه السلام الى فرعون وملائه اي اشراف قومه وتخصيصهم بالذكر لاصالتهم في اقامة
المصالح والمهمات ومراجعة الكل اليهم في النوازل والملمات باياتنا اي ملتبسين بها وهي الايات
المفصلات في الاعراف فاستكبروا عن اتباعها وذلك قول اللعين لموسى عليه السلام الم نربك
فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين الخ وكانوا قوما مجرمين اعتراض مقرر لمضمون ما قبله
اي كانوا معتادين لارتكاب الذنوب العظام فان الاجرام مؤذن بعظم الذنب ومنه الجرم
اي الجثة فلذلك اجترؤوا على ما اجترؤوا عليه من الاستهانة برسالة الله عز وجل والاستكبار
على الامتناع عن قبول الايات لا يساعده قوله عز وجل فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا لسحر
مبين فانه صريح في ان المراد بالاستكبار هو ما وقع منهم قبل مجيء الحق الذي سموه سحرا اعني العصا
واليد البيضاء كما ينبئ عنه سياق النظم الكريم وذلك اول ما اظهره عليه السلام من الايات
العظام والفاء فيه ايضا فصيحة معربة عما صرح به في مواضع اخر كانه قيل قال موسى قد جئتكم
ببينة من ربكم الى قوله تعالى فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
فلما جاءهم الحق من عندنا وعرفوه قالوا من فرط عتوهم وعنادهم ان هذا لسحر مبين اي ظاهر كونه
سحرا وفائق في بابه واضح فيما بين اضرابه وقرئ لساحر قال موسى استيناف مبني على سؤال ينساق
اليه الاذهان كانه قيل فماذا قال لهم موسى حينئذ فقيل قال على طريقة الاستيناف الانكاري
التوبيخي اتقولون للحق الذي هو ابعد شيء من السحر الذي هو الباطل البحت لما جاءكم اي حين مجيئه
اياكم ووقوفكم عليه او من اول الامر من غير تامل وتدبر وكلا الحالين مما ينافي القول المذكور
والمقول محذوف ثقة بدلالة ما قبله وما بعده عليه وايذانا بانه مما لا ينبغي ان يتفوه به
ولو على نهج الحكاية اي اتقولون ما تقولون من انه سحر يعني به انه مما لا يمكن ان يقوله قائل
ويتكلم به متكلم او القول بمعنى العيب والطعن من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول
اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونظيره الذكر في قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم الى اخره فيستغني عن
المفعول اي اتعيبونه وتطعنون فيه وعلى الوجهين فقوله عز وجل اسحر هذا انكار مستانف
من جهته عليه السلام لكونه سحرا وتكذيب لقولهم وتوبيخ لهم على ذلك اثر توبيخ وتجهيل بعد
تجهيل اما على الاول فظاهر واما على الثاني فوجه اي ايتاكم كونه سحرا ليس لكونه معيبا
بل نقيل مثلا فيه عيب احسبيا يقتضيه ظاهر الحال كالسابق التصريح بالرد عليهم وحكمه
ما عابوا به بعد المتنبه بالانكار السابق على ان ليس فيه شايبة عيب ما وهو مامعنى
القريب لزيادة تعيين المشار اليه واستحضار ما فيه من الصفات الدالة على كونه اية باهرة
من ايات الله المنادية على امتناع كونه سحرا اي اسحر هذا الذي امره واضح مكشوف وشانه مشاهد
معروف بحيث لا يرتاب فيه احد ممن له عين مبصرة والتقديم للخبر لانه محط الانكار ومصب الانكار
ولما استلزم كونه سحرا كون من اتى به ساحرا اكد الانكار السابق وما فيه من التوبيخ والتجهيل
بقوله عز وجل ولا يفلح الساحرون وهي جملة حالية من ضمير المخاطبين والرابط هو الواو بلا ضمير
كما في قولك جاء زيد والشمس طالعة اي اتقولون للحق انه سحر والحال انه لا يفلح فاعله اي لا يظفر بمطلوب ولا ينجو من مكروه فكيف يكون ما جاء به
من مثل موسى المؤيد من عند الله العزيز الحكيم الفائز بكل مطلب الناجي من كل محذور وقوله
تعالى اسحر هذا جملة معترضة بين الحال وصاحبها اكد بها الانكار السابق ببيان استحالة كونه سحرا
بالنظر الى ذاته قبل بيان استحالته بالنظر الى صدوره عنه عليه السلام ولا تجوزون ان يكون
الحق مقول القول على المعنى اجئتما بالسحر تطلبون به الفلاح ولا يفلح الساحرون فيما لا
يساعده النظم الكريم اصلا اما اولا فلان ما قالوا هو الحكم بانه سحر مبين ان يكون فيه دلالة
على ما تعسف فيه من المعنى بوجه من الوجوه فصرف جواب عليه السلام عن صريح ما خاطبوا
به الى ما لا يفهم منه اصلا مما يجب تنزيه النظم التنزيل عن مثاله واما ثانيا فلان
التعرض لعدم افلاح السحرة على الاطلاق من وظائف من يتمسك بالحق المبين دون الكفرة
المتشبثين باذيال بعض منهم في معارضته عليه السلام ولو كان ذلك من كلامهم لقالوا سب

تخصيص عدم الإفلاح بمن زعموه ساحراً بناء على غلبة من يأتون به من السحرة وأما ثانياً فلأن
قوله عز وجل قالوا أجئتنا الخ مسوق لبيان أنه عليه السلام ألقمهم الحجر فانقطعوا عن الإتيان
بكلام له تعلق بكلامه عليه السلام فضلاً عن الجواب الصحيح واضطروا إلى التشبث بذيل التقليد
الذي هو دأب كل عاجز محجوج وديدن كل معاند لجوج على أنه استئناف وقع جواباً عما قبله من كلامه
عليه السلام على طريقة قوله تعالى قال موسى إلى آخره حسبما أشير إليه كأنه قيل فماذا قالوا لموسى
عليه السلام عند ما قال لهم ما قال فقيل قالوا عاجزين عن المحاجة أجئتنا لتلفتنا أي لتصرفنا فإن
الفتل واللفت أخوان عما وجدنا عليه آباءنا أي من عبادة الأصنام ولا ريب في أن ذلك إنما يتسنى
بكون ما ذكر من تتمة كلامه عليه السلام على الوجه الذي شرح إذ على تقدير كونه محكياً من قبلهم
يكون جوابه عليه السلام مرخياً لهم عن التبكيت الملجئ لهم إلى العدول عن سنن المحاجة ولا ريب في
أنه لا علاقة بين قولهم أجئتنا إلى آخره وبين إنكاره عليه السلام لما حكى عنهم مصححة لكونه جواباً
عنه وتكون لكما الكبرياء أي الملك والتكبر على الناس باستتباعهم وقرئ ويكون بالياء التحتانية
وكلمة في قوله تعالى في الأرض أي أرض مصر متعلقة بتكون أو بالكبرياء أو بالاستقرار في لكما لوقوعه
خبراً أو بمحذوف وقع حالاً من الكبرياء أو من الضمير في لكما لتحمله إياه وما نحن لكما بمؤمنين أي
بمصدقين فيما جئتما به وتثنية الضمير في هذين الموضعين بعد إفراده فيما تقدم من المقامين
باعتبار شمول الكبرياء لهما عليهما السلام واستلزام التصديق لأحدهما التصديق للآخر ولما ألفت
والمجيء له خاصة حيث كانا من خصائص صاحب الشريعة أسند إلى موسى عليه السلام خاصة وقال فرعون
توحيد الفعل لأن الأمر هو ظاهر فرعون أي قال للملأ بأمر يترتب منه إلزامهما عليهما
السلام بالفعل بعد اليأس عن إلزامهما بالقول ائتوني بكل ساحر عليم بفنون السحر حاذق فيما
هو فيه وقرئ بكل سحار فلما جاء السحرة عطف على مقدر يستدعيه المقام قد حذف إيذاناً بسرعة
امتثالهم بأمر فرعون كما هو شأن الفاء الفصيحة في كل مقام أي فأتوا به فلما جاؤوا به قال لهم
موسى لكن لا في ابتداء مجيئهم بل بعد ما قالوا له عليه السلام ما حكى عنهم في السور الأخر من قولهم
إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين ونحو ذلك ألقوا ما أنتم ملقون أي ملقون له كائناً ما كان
من أصناف السحر فلما ألقوا ما ألقوا من العصي والحبال واسترهبوا الناس وجاؤوا بسحر عظيم
قال لهم موسى غير مكترث بهم وبما صنعوا ما جئتم به السحر ما موصولة وقعت مبتدأ والسحر
خبره أي الذي جئتم به هو السحر لا ما سماه فرعون وقومه من آيات الله سبحانه وتعالى
أو هو من جنس السحر يريهم أن حاله بين لا يعبأ به كأنه قال ما جئتم به مما لا ينبغي أن يجاب به وقرئ
السحر على الاستفهام فما استفهامية أي أي شيء جئتم به أهو السحر الذي يعرف حاله كل أحد ولا
يتصدى له عاقل وقرئ ما جئتم به سحر وقرئ ما أتيتم به سحر ولدلالتهما على معنى الثاني في
القراءة المشهورة أظهر إن الله سيبطله أي سيمحقه بالكلية بما يظهر على يدي من المعجزة فلا يبقى له
أثر أصلاً أو سيظهر بطلانه للناس والسين للتأكيد إن الله لا يصلح عمل المفسدين أي عمل جنس
المفسدين على الإطلاق فيدخل فيه السحرة دخولاً أولياً أو عملكم فيكون من باب وضع المظهر موضع
المضمر للتسجيل عليهم بأنه فساد والإشعار بعلة الحكم وليس المراد بعدم إصلاحه عدم جعل
فسادهم صلاحاً بل عدم إثباته وإتمامه أي لا يثبته ولا يكمله ولا يديمه بل يمحقه ويهلكه
ويسلط عليه الدمار والجملة تعليل لما سبق من قوله إن الله سيبطله والكل اعتراض تذييلي وفيه
دليل على أن السحر إفساد وتمويه لا حقيقة له ويحق الله الحق عطف على قوله سيبطله أي يثبته
ويقويه وإظهار الاسم الجليل في المقامين الأخيرين لإلقاء الروعة وتربية المهابة بكلماته
بأوامره وقضاياه وقرئ بكلمته ولو كره المجرمون ذلك والمراد بهم كل من اتصف بالإجرام من
السحرة وغيرهم فما آمن لموسى معطوف على مقدر قد فصل في مواضع أخر أي فألقى عصاه فإذا هي
تلقف ما يأفكون الخ وإنما لم يذكر تعويلاً على ذلك وإيثاراً للإيجاز وإيذاناً بأن قوله تعالى إن الله
سيبطله مما لا يحتمل الخلف أصلاً وجعله وعطفه على ذلك بالفاء مع كونه عدماً مستمراً من قبيل
ما في قوله تعالى فاتبعوا أمر فرعون وما في قولك وعظته فلم يتعظ وصحت به فلم ينزجر والسر
في ذلك أن الإتيان بالشيء بعد ورود ما يوجب الإقلاع عنه وإن كان استمراراً عليه لكنه
بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث أي فما آمن له عليه السلام مع مشاهدة تلك الآيات
القاهرة إلا ذرية من قومه أي إلا أولاد من أولاد قومه بني إسرائيل حيث دعا الآباء فلم
يجيبوه خوفاً من فرعون وأجابته طائفة من شبانهم وقيل الضمير لفرعون والذرية طائفة

من

من شبانهم وآمنوا به عليه السلام أو هو من آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وامرأته
وماشطته وهو بعيد على خوف أي كائنين على خوف عظيم من آل فرعون وملئهم الضمير لفرعون
والجمع لما هو المعتاد في ضمائر العظماء ولا يأباه بيان علوه في الفساد وعلوه في الشر والتسلط على العباد
أو لأن المراد به آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم أي على خوف من فرعون ومن أشراف
بني إسرائيل حيث كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم أن يفتنهم أي يعذبهم وهو
بدل اشتمال أو مفعول خوف فإن إعمال المصدر المنكر كثير كما في قوله عز وجل أو إطعام في يوم
ذي مسغبة يتيماً أو مفعول له بعد حذف اللام وإسناد الفعل إلى فرعون خاصة لأنه الآمر
بالتعذيب وإن فرعون لعال في الأرض لغالب في أرض مصر وإنه لمن المسرفين في الظلم والفساد
بالقتل وسفك الدماء أو في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء والجملتان اعتراض
تذييلي مؤكد لمضمون ما سبق وقال موسى لما رأى تخوف المؤمنين منه يا قوم إن كنتم آمنتم بالله أي
صدقتم به وبآياته فعليه توكلوا وبه ثقوا ولا تخافوا أحداً غيره فإنه كافيكم كل شر وضر إن كنتم
مسلمين مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فإن المعلق بالإيمان
وجوب التوكل عليه تعالى فإنه المقتضي له والمشروط بالإسلام وجوده فإنه لا يتحقق مع التخليط
ونظيره إن أحسن إليك زيد فأحسن إليه إن قدرت عليه فقالوا مجيبين له عليه السلام
من غير تلعثم في ذلك على الله توكلنا لأنهم كانوا مؤمنين مخلصين ثم دعوا ربهم قائلين ربنا
لا تجعلنا فتنة أي موقع فتنة للقوم الظالمين أي لا تسلطهم علينا حتى لما أصيبوا وقوله تعالى
يعذبونا ويفتنونا عن ديننا أو يفتتنوا بنا ويقولوا لو كان هؤلاء على الحق لما صح
ونجنا برحمتك من القوم الكافرين دعاء منهم بالإنجاء من سوء جوارهم وشؤم مصاحبتهم بعد الابتلاء
ولذلك عبر عنهم بالكفر بعد ما وصفوا بالظلم وفي ترتيب الدعاء على التوكل تلويح بأن الداعي حقه
أن يبني دعاءه على التوكل على الله تعالى وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا أن مفسرة لأن في الوحي
معنى القول أي اتخذا مباءة لقومكما بمصر بيوتاً تسكنون فيها وترجعون إليها للعبادة واجعلوا أنتما
وقومكما بيوتكم تلك قبلة مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فإن موسى
عليه السلام كان يصلي إليها وأقيموا الصلاة أي فيها أمروا بذلك في أول أمرهم لئلا يظهر عليهم
الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم وبشر المؤمنين بالنصرة في الدنيا إجابة لدعوتهم والجنة
في العقبى وإنما ثنى الضمير أولاً لأن التبوء للقوم واتخاذ المعابد مما يتولاه رؤساء القوم بتشاور
ثم جمع لأن اتخاذ البيوت مساجد والصلاة فيها مما يفعله كل أحد ثم وحد لأن بشارة الأمة وظيفة
صاحب الشريعة ووضع المؤمنين موضع ضمير القوم لمدحهم بالإيمان وللإشعار بأنه المدار
في التبشير وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة أي ما يتزين به من اللباس والمراكب
ونحوها وأموالاً أي أنواعاً كثيرة من المال في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك دعاء عليهم
بلفظ الأمر بما علم بممارسة أحوالهم أنه لا يكون غيره كقولك لعن الله إبليس وقيل اللام للعاقبة
وهي متعلقة بآتيت أو للعلة لأن إيتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولأنهم
لما جعلوها سبباً إلى الضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريراً للأول تأكيداً وتنبيهاً على
أن الغرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله تعالى ربنا اطمس على أموالهم الطمس المحق وقرئ بضم
الميم أي أهلكها واشدد على قلوبهم أي اجعلها قاسية واطبع عليها حتى لا تنشرح للإيمان كما هو قضية
شأنهم فلا يؤمنوا جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهي أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض
حتى يروا العذاب الأليم أي يعاينوه ويوقنوا به بحيث لا ينفعهم ذلك إذ ذاك قال قد أجيبت
دعوتكما يعني موسى وهارون عليهما السلام لأنه كان يؤمن كما يشعر به إضافة الرب إلى ضمير المتكلم
مع الغير في المواقع الثلاثة فاستقيما فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة وإلزام الحجة ولا تستعجلا
فإن ما طلبتماه كائن في وقته لا محالة روي أنه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة ولا تتبعان سبيل
الذين لا يعلمون أي بعادات الله سبحانه وتعالى في تعليق الأمور بالحكم والمصالح أو سبيل الجهلة
في الاستعجال أو عدم الوثوق بوعد الله تعالى وقرئ بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين
ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان أيضاً وجاوزنا ببني إسرائيل البحر هو من جاوز المكان إذا تخطاه
وخلفه والباء للتعدية أي جعلناهم مجاوزين البحر بأن جعلناه يبساً وحفظناهم حتى بلغوا
الشط وقرئ جوزنا وهو من التجويز المرادف للمجاوزة لا مما هو بمعنى التنفيذ كما وقع
في قول الأعشى كما جوز السكي في الباب فيتق والا لعيل وجعلنا بني إسرائيل في البحر ولهذا النظم
الكريم عن الإيذان بأن خلاصهم عن البحر بمقارنة العناية الإلهية لهم عند الجواز كما هو المشهور في الفرق

بغى انهبه وذهب به فاتبعهم يقال تبعته حتى اتبعته اذا كان سبقك فلحقته اى ادركهم ولحقهم
فرعون وجنوده حتى تراءت الفئتان وكاد يجتمع الجمعان بغيا وعدوا ظلما واعتداء اى باغين وعادين
او للبغى والعدو وقرئ وعدوا وذلك ان موسى عليه السلام خرج ببنى اسرائيل على حين غفلة
من فرعون فلما سمع به تبعهم حتى لحقهم ووصل الى الساحل وقد خرجوا من البحر ومسلكهم باق
على حاله يبسا فسلكه بجنوده جميعا فلما دخل اخرهم وهم اولهم بالخروج غشيهم من اليم ما غشيهم
حتى اذا ادركه الغرق اى لحقه والجملة قال امنت انه اى بانه والضمير للشان وقرئ انه على
الكسر بدلا من امنت وتفسيرا له لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل لم يقل كما قاله السحرة
امنا برب العالمين رب موسى وهرون بل عبر عنه تعالى بالموصول وجعل صلته ايمان بنى اسرائيل
به تعالى للاشعار برجوعه عند الاستعصار باتباعه كمن كان يستتبعهم طمعا فى القبول
والانتظام معهم فى سلك النجاة وانا من المسلمين اى الذين اسلموا نفوسهم لله اى جعلوها سالمة
خالصة له تعالى واراد بهم ما بنى اسرائيل خاصة واما الجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا
والجملة على الاول العطف على امنت وايثار الاسمية لادعاء الدوام والاستمرار وعلى الثانى يحتمل
الحالية ايضا من ضمير المتكلم اى امنت مخلصا لله منتظما فى سلك الراسخين فيه ولقد كرر المعنى
الواحد بثلث عبارات حرصا على القبول المفضى الى النجاة وهيهات هيهات بعد ما فات ما فات
واتى ما هو ات وقوله عز وجل الان مقول لقول مقدر معطوف على قال اى فقيل الان تؤمن الى قوله
تعالى اية حكاية لما جرى منه سبحانه من الغضب على المخذول ومقابلة ما اظهره بالرد على وجه
الانكار والتوبيخ على تاخيره وتقريعه بالعصيان والافساد وغير ذلك وفى حذف الفعل المذكور
وايراد الظرف المحكى صورة الانشاء من الدلالة على عظم السخط وشدة الغضب ما لا يخفى كما يفصح عنه ما
روى ان جبريل عليه السلام دس فاه عند ذلك بحال البحر وسده به فانه تاكيد للرد القولى بالرد
الفعلى ولا ينافيه تعليله بمخافة ادراك الرحمة فيما نقل انه قال النبى عليه السلام فلو رايتنى
يا محمد وانا اخذ من حال البحر فادسه فى فيه مخافة ان تدركه الرحمة اذ المراد بها الرحمة الدنيوية
اى النجاة التى هى طالبة المخذول وليس من ضرورة ادراكها صحة الايمان كما فى ايمان قوم يونس
عليه السلام حتى يلزم من كراهته ما لا يتصور فى شان جبرئيل عليه السلام من الرضا بالكفر اذ لا
استحالة فى ترتب هذه الرحمة على مجرد التفوه بكلمة الايمان وان كان ذلك فى حالة الياس والياء
فيحمل دسه عليه السلام على سد باب الاحتمال البعيد لكمال الغيظ وشدة الحرد فتدبر والله الموفق
وحق العامل فى الظرف ان يقدر موخرا ليتوجه الانكار والتوبيخ الى تاخير الايمان الى حد يمتنع
قبوله فيه اى الان تؤمن حين يئست من الحيوة وايقنت بالموت بقوله عز وعلا وقد عصيت قبل
حال من فاعل الفعل المقدر جئ به لتشديد التوبيخ والتقريع على تاخير الايمان الى هذا الان
ببيان انه لم يكن تاخيره لعدم بلوغ الدعوة اليه ولا للتامل والتدبر فى دلائله واياته ولا لشئ
اخر مما يعد عذرا فى التاخير بل كان ذلك على طريقة الرد والاستعصاء والافساد فان قوله تعالى
وكنت من المفسدين عطف على عصيت داخل فى حيز الحال اى وكنت من الضالين فى الضلال والاضلال
عن الايمان كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا
يفسدون وهذا عبارة عن فساده الراجع الى نفسه والسارى الى غيره من الظلم والتعدى وصد
بنى اسرائيل عن الايمان والاول عن عصيانه الخاص به فاليوم ننجيك اى نخرجك مما وقع فيه
قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا وفى التعبير عنه بالتنجية تلويح بان مراده بالايمان هو
النجاة كما مر وتهكم به اى نلقيك بناحية الساحل ببدنك فى موضع الحال اى على نجوة من الارض
ليراك بنو اسرائيل وقرئ ننجيك من الانجاء ننحيك بالحاء من التنحية اى نلقيك بناحية
الساحل ببدنك فى موضع الحال من ضمير المخاطب اى ننجيك ملابسا ببدنك فقط لا مع
روحك كما هو مطلوبك فهو تخييب له وحسم لاطماعه بالمرة او عاريا عن اللباس او كاملا
سويا او بدرعك كانت له درع من الذهب يعرف بها وقرئ بابدانك اى باجزاء بدنك كلها
كقولهم هوى باجرامه او بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك
علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان فى نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك حتى يروى انهم لم
يصدقوا موسى عليه السلام حين اخبرهم بغرقه الى ان عاينوه مطروحا على ممرهم من الساحل
او لمن ياتى بعدك من الامم اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا من الطغيان
او حجة تدلهم على ان الانسان وان بلغ الغاية القصوى من عظم الشان وعلو السلطان فهو مملوك

مقهور

مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك فعلا ماضيا اى لمن خلقك من الجبابرة وقرئ
لمن خلقك بالقاف اى لتكون لخالقك اية كسائر الايات فان افراده سبحانه اياك بالالقاء الى
الساحل دليل على انه قصد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة فى امرك وبرهان نير على كمال
علمه وقدرته وحكمته وارادته وهذا الوجه محتمل على القراءة المشهورة ايضا وفى تعليل تنجيته
بما ذكر ايذان بان هاليست لاعزازه او لفائدة اخرى عائدة اليه بل لكمال الاستهانة به وتفضيحه
على رؤس الاشهاد وزيادة تفظيع حاله كمن يقتل ثم يجر جسده فى الاسواق او يدار براسه فى البلاد
واللام الاولى متعلقة بننجيك والثانية بمحذوف وقع حالا من اية اى كائنة لمن خلفك وان كثيرا
من الناس عن اياتنا لغافلون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وهو اعتراض تذييلى جئ به عند
الحكاية تقريرا لمضمونها ولقد بوأنا بنى اسرائيل كلام مستانف سيق لبيان النعم
الفائضة عليهم اثر نعمة الانجاء على وجه الاجمال واخلالهم بشكرها واداء حقوقها اى اسكناهم
وانزلناهم بعد ما انجيناهم واهلكنا عدوهم مبوأ صدق اى منزلا صالحا مرضيا وهو الشام ومصر ملكوها
بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا فى نواحيها حسبما ينطق به قوله تعالى واورثنا القوم الذين
كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا ورزقناهم من الطيبات اى
اللذائذ فما اختلفوا فى امور دينهم حتى جاءهم العلم اى الا بعد ما جاءهم العلم بقراءتهم التورية
وعلمهم باحكامها او فى امر محمد عليه السلام الا من بعد ما علموا صدق نبوته وتظاهر معجزاته
فالمراد بالمختلفين اعقابهم الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ان ربك يقضى بينهم يوم
القيمة فيما كانوا فيه يختلفون فيميز بين المحق والمبطل بالاثابة والتعذيب فان كنت فى شك
اى فى شك ما يسير على الفرض والتقدير فان مضمون الشرطية انما هو تعليق شئ بشئ من غير
تعرض لامكان شئ منهما كيف لا وقد يكون كلاهما ممتنعا كقوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد
فانا اول العابدين وقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك ونظائرهما مما انزلنا اليك من القصص
التى من جملتها قصة فرعون وقومه واخبار بنى اسرائيل فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك
فان ذلك محقق عندهم ثابت فى كتبهم حسبما القينا اليك والمراد اظهار نبوته عليه السلام بشهادة
الاحبار حسبما هو المسطور فى كتبهم وان لم يكن اليه حاجة اصلا ووصف اهل الكتاب بالرسوخ فى
العلم بصحة نبوته عليه السلام او تهييجه عليه السلام مع زيادة تثبيته على ما هو عليه من اليقين
لا تجويز صدور الشك منه عليه السلام ولذلك قال عليه السلام لا اشك ولا اسال وقيل
المراد بالموصول مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وتميم الدارى وكعب واضرابهم وقيل الخطاب
للنبى عليه السلام والمراد امته او لكل من يسمع اى ان كنت ايها السامع فى شك مما انزلنا اليك
على لسان نبينا وفيه تنبيه على ان من خالجته شبهة فى الدين ينبغى ان يسارع الى حلها بالرجوع
الى اهل العلم وقرئ فسل الذين يقرؤن الكتب لقد جاءك الحق الذى لا محيد عنه ولا ريب فى
حقيته من ربك وظهر ذلك بالايات القاطعة التى لا يحوم حولها شائبة الارتياب وفى التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام من التشريف ما لا يخفى فلا تكونن من
الممترين بالتزلزل عما انت عليه من الجزم واليقين ودم على ذلك كما كنت من قبل ولا تكونن من
الذين كذبوا بايات الله من باب التهييج والالهاب والمراد به اعلام ان التكذيب من القبح
والمحذورية بحيث ينبغى ان ينهى عنه من لا يتصور امكان صدوره عنه فكيف بمن يمكن اتصافه
به وفيه قطع لاطماع الكفرة فتكون بذلك من الخاسرين انفسا واعمالا ان الذين حقت عليهم
شروع فى بيان سر اصرار الكفرة على ما هم عليه من الكفر والضلال اى ثبتت ووجبت بمقتضى
المشيئة المبنية على الحكمة البالغة كلمة ربك حكمه وقضاؤه بانهم يموتون على الكفر ويخلدون
فى النار كقوله تعالى ولكن حق القول منى لاملان جهنم الاية لا يؤمنون ابدا اذ لا كذب
لكلامه ولا انتقاض لقضائه اى لا يؤمنون ايمانا نافعا واقعا فى اوانه فيندرج فيهم المؤمنون
عند معاينة العذاب مثل فرعون باقيا عند الموت فيدخل فيهم المرتدون ولو جاءتهم كل اية
واضحة الدلول مقبولة لدى العقول حتى يروا العذاب الاليم لانه سبب ايمانهم وهو متعلق ارادته
تعالى به مفقود لكن فقدانه ليس لمنع منه سبحانه وتعالى مع استحقاقهم له بل لسوء اختيارهم
مع تمكينهم منه لتداركه فيكون الاستثناء الاتى بيانا لكون قوم يونس عليه السلام ممن لم
تحق عليه الكلمة لاهتدائهم الى التدارك فى وقته فلولا بمعنى هلا وقرئ لذلك اى فهلا
كانت قرية من القرى المهلكة امنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر ايمانها الى حين معاينته

كما فعل فرعون وقومه فنفعها ايمانها بان يقبله الله تعالى منها ويكشف بسببه العذاب عنها
الا قوم يونس استثنا منقطع اى لكن قوم يونس لما آمنوا اول ما رأوا امارة العذاب ولم يؤخروا
الى حلوله كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا بعد ما اظلهم وكاد يحل بهم ويجوز ان يكون
الجملة في معنى النفي كما يفصح عنه حرف التحضيض فيكون الاستثنا متصلا اذ المراد بالقرى
اهاليها كانه قيل ما آمنت طائفة من الامم العصية ايمانهم ويؤيده قراة الرفع على البدلية
ومتعناهم بمتاع الدنيا بعد كشف العذاب عنهم الى حين مقدر لهم في علم الله سبحانه وتعالى
روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا
فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس
عليه السلام اجلكم اربعين ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس
وثلثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود
سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا
بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج
واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان ذلك يوم
عاشورا يوم الجمعة وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتى ان
الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده الى صاحبه وقيل خرجوا الى شيخ من
بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى
ويا حي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا ان ذنوبنا قد عظمت
وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله ولو شاء ربك
لآمن من في الارض تحقيق لدوران ايمان كافة المكلفين ايمانا وجودا وعدما على قطب مشيته تعالى
مطلقا اثر بيان تبعيته لكفر الكفرة لكلماته ومفعول المشية محذوف لوجود ما يقتضيه من وقوعها
شرطا وكون مفعولها مضمون الجزا وان لا يكون في تعلقها به غرابة كما هو المشهور اي لو شاء سبحانه
وتعالى ايمان من في الارض من الثقلين كلهم بحيث لا يشذ عنهم احد جميعا مجتمعين على الايمان لا
يختلفون فيه لكنه لا يشاؤه لكونه مخالفا للحكمة التي بني عليها اساس التكوين والتشريع وفيه
دلالة على ان من شاء الله تعالى ايمانه يؤمن لا محالة افانت تكره الناس على ما لم يشاء الله تعالى
منهم حسبما ينبئ عنه حرف الامتناع في الشرطية والفا للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام
كانه قيل اربك لا يشاء ذلك فانت تكرههم حتى يكونوا مؤمنين فيكون الانكار متوجها الى
الترتيب الاكراه المذكور على عدم مشيته تعالى بناء على ان الهمزة متاخرة في الاعتبار وانما قدمت
لاقتضائها الصدارة كما هو راي الجمهور واياما كان فالمشية على اطلاقها اذ لا فائدة بل لا وجه
لاعتبار عدم مشية الالجاء خاصة في انكار ترتيب الاكراه عليه او ترتيب الانكار عليه وفي ايلاء
الاسم حرف الاستفهام ايذان بان الاكراه امر ممكن لكن الشان في المكره من هو وما هو الا هو
وحده لا يشاركه فيه لانه القادر على ان يفعل في قلوبهم ما يضطرهم الى الايمان وذلك
مستطاع للبشر وفيه ايذان باعتبار الالجاء في المشية كما اشير اليه وما كان لنفس بيان
لتبعية ايمان النفوس المؤمنة لمشيته تعالى وجودا بعد بيان الدوران الكلي عليها وجودا
وعدما اي ما صح وما استقام لنفس من النفوس التي علم الله تعالى انها تؤمن ان تؤمن
الا باذن الله اي بتسهيله ومنحه للالطاف وانما خصت النفوس بمن ذكر ليجعل من قبيل
قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله لان الاستثنا مفرغ من اعم الاحوال اي
ما كان لنفس ان تؤمن في حال من احوالها الا حال كونها ملابسة باذن الله تعالى فلا بد من
كون الايمان مما يؤول اليه حالها كما ان الموت حال لكل نفس بحيث لا محيص لها عنه فلا بد من
تخصيص النفس بما ذكر فان النفوس التي علم الله انها لا تؤمن ليس لها حال الايمان فيها حتى
يستثنى تلك الحال عن غيرها ويجعل الرجس اي الكفر بقرينة ما قبله عبر عنه بالرجس الذي
هو عبارة عن القبيح المستقذر المستكره لكونه علما في القبح والاستكراه وقيل هو العذاب
او الخذلان المودي اليه وقرئ بنون العظمة وقرئ بالزاي اي يجعل الكفر ويبقيه على الذين
لا يعقلون لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والايات ولا يعقلون دلائله واحكامه لما على قلوبهم
من الطبع فلا يحصل لهم الهداية التي عبر عنها بالاذن فيبقون ممنوين بقبائح الكفر والضلال
او مقهورين بالعذاب والنكال والجملة معطوفة على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم كانه قيل

فياذن

فياذن لهم بمنح الالطاف ويجعل الى آخره قل خطابا لاهل مكة بعثا لهم على التدبر في ملكوت السموات
والارض وما فيهما من تعاجيب الايات الانفسية والافاقية ليتضح لك انهم من الذين لا يعقلون
وحقت عليهم الكلمة انظروا اي تفكروا بنقل حركة الهمزة الى اللام ماذا في السموات والارض اي
اي شيء بديع فيهما من عجائب صنعه الدالة على وحدته وكمال قدرته على ان ماذا جعل بالتركيب
اسما واحدا مبنيا فيه الاستفهام على اسم الاشارة فهو مبتدأ خبره الظرف ويجوز ان يكون
ما مبتدأ وذا بمعنى الذي والظرف صلة والجملة خبر المبتدا وعلى التقديرين فالمبتدا والخبر في محل
النصب باسقاط الخافض وفعل النظر معلق بالاستفهام وما تغني اي وما تنفع وقرئ بالتذكير
الايات وهي التي عبر عنها بقوله تعالى ماذا في السموات والارض والنذر جمع نذير على انه فاعل
بمعنى منذر او على انه مصدر اي لا تنفع الايات والرسل المنذرون او الانذارات عن قوم لا
يؤمنون في علم الله سبحانه وحكمه فما نافية والجملة اما حالية او اعتراضية ويجوز كون ما استفهامية
انكارية في موضع النصب على المصدرية اي اي اغناء تغني الى آخره فالجملة اعتراضية فهل ينتظرون
اي مشركوا مكة واضرابهم الا مثل ايام الذين خلوا اي الا يوما مثل ايام الذين خلوا من قبلهم من
مشركي الامم الماضية اي مثل وقائعهم ونزول باس الله بهم اذ لا يستحقون غيره من قولهم ايام
العرب لوقائعها قل تهديدا لهم فانتظروا ما هو عاقبتكم اني معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجي رسلنا بالتشديد
وقرئ بالتخفيف وهو عطف على مقدر يدل عليه قوله مثل ايام الذين خلوا وما بينهما اعتراض جيء به
مسارعة الى التهديد ومبالغة في تشديد الوعيد كانه قيل اهلكنا الامم ثم نجينا رسلنا المرسلة
اليهم والذين آمنوا وصيغة الاستقبال لحكاية الاحوال الماضية لتهويل امرها باستحضار صورها
وتقديم حكاية الاهلاك على عكس ما في قوله تعالى فنجيناه ومن معه في الفلك الى آخره الواردة في مواقع
عديدة ليتصل به قوله عز وعلا كذلك اي مثل ذلك الانجا حقا علينا اعتراض بين العامل والمعمول
اي حق ذلك حقا وقيل بدل من المحذوف الذي ناب عنه كذلك اي انجاء مثل ذلك حقا والكاف متعلقة
بقوله تعالى ننج المؤمنين اي من كل شدة وعذاب والجملة تذييل لما قبلها مقرر لمضمونه والمراد بالمؤمنين
اما الجنس المتناول للرسل عليهم السلام وللاتباع واما الاتباع فقط وانما لم يذكر انجاء الرسل ايذانا
بعدم الحاجة اليه واياما كان ففيه تنبيه على ان مدار النجاة هو الايمان قل لجمهور المشركين يا ايها
الناس اوثر الخطاب باسم الجنس مصدرا بحرف التنبيه تعميما للتبليغ واظهارا لكمال العناية بشان ما
بلغ اليهم ان كنتم في شك من ديني الذي اتعبد الله عز وجل وادعوكم اليه ولم تعلموا ما هو وما صفته
فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله في وقت من الاوقات ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم ثم يفعل
بكم ما يفعل من فنون العذاب فاعلموا انه تخصيص العبادة به تعالى ورفض عبادة ما سواه من الاصنام
وغيرها مما تعبدونه جهلا وتقديم ترك عبادة الغير على عبادته تعالى لتقدم التخلية على التحلية كما في
كلمة التوحيد وللايذان بالمخالفة من اول الامر وان كنتم في شك من صحة ديني وسداده فاعلموا
ان خلاصته اخلاص العبادة لمن بيده الايجاد والاعدام دون ما هو بمعزل منهما من الاصنام فاعرضوها
على عقولكم واجيلوا فيها افكاركم وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا انه حق لا ريب فيه وفي تخصيص
التوفي بالذكر متعلقا بهم ما لا يخفى من التهديد والتعبير عما هم فيه بالشك مع كونهم قاطعين بعدم
الصحة للايذان بان اقصى ما يمكن عروضه للعاقل في هذا الباب هو الشك في صحته واما القطع
بعدمها فمما لا سبيل اليه او ان كنتم في شك من ثباتي على الدين فاعلموا اني لا اتركه ابدا وامرت ان اكون
من المؤمنين بما دل عليه العقل ونطق به الوحي وهو تصريح بان ما عليه من دين التوحيد ليس
بطريق العقل الصرف بل بالامداد السماوي والتوفيق الالهي وحذف حرف الجر من ان يجوز ان يكون
من باب الحذف المطرد مع ان وان وان يكون خاصا بفعل كما في قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
وان اقم وجهك للدين عطف على ان اكون خلا ان صلة ان محكية بصيغة الامر ولا ضير في ذلك لان
مناط جواز وصلها بصيغ الافعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والطلبية ووجوب
كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي انما هو للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف الا
بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك اي وامرت بالاستقامة بالدين والاستبداد فيه باداء الفرائض
المامور به والانتهاء عن المنهي عنه او باستقبال القبلة في الصلوة وعدم الالتفات الى اليمين والشمال
حنيفا حال من الدين او الوجه اي مائلا عن الاديان الباطلة ولا تكونن من المشركين عطف على اقم
داخل تحت الامر اي لا تكونن منهم اعتقادا ولا عملا وقوله عز وعلا ولا تدع عطف على قوله تعالى
قل يا ايها الناس غير داخل تحت الامر وقيل ما قبله من النهي والوجه هو الاول لان ما بعده من الجمل

الى آخر الآيتين متسقة لا يمكن فصل بعضها عن بعض كما ترى ووجه ولا وجه لاندراج الكل
تحت الامر وهو تأكيد النهي المذكور وتفصيل لما اجمل فيه اظهارا لكمال العناية بالامر وكشفا
عن وجه بطلان ما عليه المشركون اي لا تدع من دون الله استقلالا ولا اشتراكا
ما لا ينفعك ولا يضرك اذا دعوته بدفع مكروه وتقديم النفع على الضر عن بيان التسبب
فان فعلت اي ما نهيت عنه من دعاء ما لا ينفع ولا يضر كني به تنويها لشأنه عليه السلام وتنبيها
على رفعة مكانه من ان ينسب اليه عبادة غير الله سبحانه ولو في ضمن الجملة الشرطية فانك اذا
لمن الظالمين جزاء للشرط وجواب لسؤال من يسأل عن تبعة ما نهي عنه وان يمسسك الله بضر
تقريرا لما اورد في حيز الصلة من سلب النفع من الاصنام والتصوير لاختصاصه سبحانه وتعالى
فلا كاشف له عنك كائنا من كان وما كان الا هو وحده فثبت عدم كشف الاصنام بالطريق
البرهاني وهو بيان لعدم النفع برفع المكروه المستلزم لعدم النفع بجلب المحبوب استلزاما ظاهرا
فان دفع المكروه ادنى مراتب النفع فاذا انتفى انتفى النفع بجميع ... فلا راد لفضله الذي من جملته
ما اراد بك من الخير فهو دليل على جواب الشرط لا نفس الجواب وفيه ايذان بان فيضان الخير
منه تعالى بطريق التفضل من غير استحقاق عليه سبحانه وتعالى اي لا احد يقدر على رده كائنا ما كان
فيدخل فيه الاصنام دخولا اوليا وهو بيان لعدم ضرها بدفع المحبوب قبل وقوعه المستلزم لعدم
ضرها او بايقاع المكروه استلزاما جليا ولعل ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين
للايذان بان الخير مراد بالذات وان الضر انما مسه من يمسه لما يوجبه من الدواعي الخارجية لا
بالقصد الاولي او اريد معنى الفعلين في كل من الضر والخير وانه لا راد لما يريد منهما ولا مزيل لما
يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر في احدهما المس وفي الآخر الارادة ليدل بما ذكر في كل جانب
على ما ترك في الجانب الآخر على انه قد صرح بالاصابة حيث قيل يصيب به اظهارا لكمال العناية
بجانب الخير كما ينبئ عنه ترك الاستثناء فيه اي يصيب بفضله الواسع المنتظم لما اراد بك من الخير
وجعل الفضل عبارة عن ذلك الخير بعينه على ان يكون من باب وضع المضمر لما ذكر من الفائدة
يأباه قوله عز وجل من يشاء من عباده فان ذلك ينادي بعموم الفضل وقوله عز وعلا وهو الغفور
الرحيم تذييل لقوله تعالى يصيب به الى آخره لمضمونه والكل تذييل للشرطية الاخيرة محقق لمضمونها
قل مخاطبا لاولئك الكفرة بعد ما بلغتهم ما اوحي اليك يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم وهو
القرآن العظيم المشتمل على محاسن الاحكام التي من جملتها ما مر آنفا من اصول الدين واطلعتم على
ما في تضاعيفه من البينات والهدى ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان به والعمل بما في مطاويه
فانما يهتدي لنفسه اي منفعة اهتدائه لها خاصة ومن ضل بالكفر به والاعراض عنه فانما يضل
عليها اي فوبال الضلال مقصور عليها والمراد تنزيه ساحة الرسالة عن شائبة غرض عائد اليه عليه
السلام من جلب نفع او دفع ضر كما يلوح به اسناد المجيء الى الحق من غير اشعار بكون ذلك بواسطته
وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم واتبع ما يوحى اليك على نهج
التجدد والاستمرار من الحق المذكور المتأكد يوما فيوما وفي التعبير عن بلوغه اليهم بالمجيء واليه عليه
السلام بالوحي تنبيه على ما بين المرتبتين من التنائي واصبر على ما يعتريك من مشاق التبليغ حتى يحكم الله
بالنصرة عليهم بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر
واطلاعه على الظواهر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطاه الله من الاجر
عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق بفرعون والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الر محله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف وقيل على انه مبتدأ والاول
هو الاظهر كما اشير اليه في سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو
اذكر او اقرأ وعلى تقدير كونه اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر والا فلا محل له من الاعراب
مسرود على نمط التعديد حسبما فصل في اخواته وقوله تعالى كتاب خبر له على الوجه الثاني
ولمبتدأ محذوف على الوجوه الباقية احكمت آياته نظمت نظما متقنا لا يعتريه خلل بوجه من
الوجوه او جعلت حكيمة لانطوائها على جلائل الحكم البالغة ودقائقها او منعت من النسخ
بمعنى التغيير مطلقا او ايدت بالحجج القاطعة الدالة على كونها من عند الله عز وجل او على ثبوت

مدلولاتها فالمراد بالآيات جميعها او على حقيقة ما تشتمل عليه من الاحكام الشرعية فالمراد
بها بعضها المشتمل عليها كما ان نسبة الاحكام بالمنع من النسخ بمعنى تبديل الحكم الشرعي خاصة واما
تفسيره بالمنع من الفساد اخذا من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها حكمة لتمنعها من الجماح ففيه
ابهام ما لا يكاد يليق بشأن الآيات الكريمة من الداعي الى الفساد لولا المانع وفيه اسناد الاحكام
على الوجوه المذكورة الى آيات الكتاب دون نفسه لا سيما على الوجوه الشاملة لكل آية منه من
جنس الموقع والدلالة على كونه في اقصى غاية منه ما لا يخفى ثم فصلت اي جعلت فصولا من
الاحكام والدلائل والمواعظ والقصص ومفصلا فيها مهمات العباد في المعاش والمعاد على الاسناد
المجازي ان عدا التفسير بجعلها آية آية لا يساعده المقام لان ذلك من الاوصاف الاولية لها فلا يناسب
عطفه على احكامها بكلمة التراخي واما المعنيان الاولان فهما وان كانا مع الاحكام زمانا حيث لم
تنزل الآيات الا محكمة مفصلة لا انها احكمت او فصلت بعد ان لم تكن كذلك الا ان الفعلين من قبيل قولهم
سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل الا انهما حيث كانا من صفات الآيات باعتبار نسبة بعضها الى
بعض على وجه يستتبع احكاما مخصوصة وآثارا متعديها وبملاحظة مصالح العباد ناسب ان يشار
الى تراخي رتبتها عن رتبة الاحكام وان تحمل جعلها آية آية على معنى تفريق بعضها عن بعض يكون من هذا
القبيل الا انه ليس في مثابته في استتباع ما يستتبعه من الاحكام والآثار او فرقت في التنزيل
منجمة بحسب المصالح فان اريد تنزيلها المنجم بالفعل فالتراخي زماني وان اريد جعلها في نفسها
بحيث يكون نزولها منجما حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فهو رتبي لان ذلك وصف لازم لها
حقيق بان يترتب على وصف احكامها وقرئ احكمت آياته ثم فصلت على صيغة التكلم وعن عكرمة
والضحاك ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل من لدن حكيم خبير صفة للكتاب وصف بها بعدما
وصف باحكام آياته وتفصيلها الدالين على علو رتبته من حيث الذات بانه لجلالة شأنه من حيث
الاضافة او خبر بعد المبتدأ المذكور او المحذوف او صلة للفعلين على تنازعهما المفعول ثم اسناد الفاعل
بعنوان الحكمة البالغة والاحاطة بجلائلها ودقائقها منكرا بالتنكير التفخيمي وربطهما به لا على النهج
المعهود في اسناد الافاعيل الى فاعلها مع رعاية حسن الطباق من الدلالة والجلالة على فخامتهما
وكونهما على اكمل ما يكون ما لا يكتنه كنهه الا تعبدوا الا الله مفعول له حذف عنه اللام مع
فقدان الشرط اعني كونه فعلا لفاعل الفعل المعلل جريا على سنن القياس المطرد في حذف حرف
الجر مع ان المصدرية كانه قيل كتاب احكمت آياته ثم فصلت لئلا تعبدوا الا الله او لتتركوا
عبادة غير الله عز وجل وتتمحضوا في عبادته فان الاحكام والتفصيل على ما فصل من المعاني مما يدعوهم
الى الايمان والتوحيد وما يتفرع عليه من الطاعات قاطبة وقيل ان مفسرة لما في التفصيل من معنى القول
كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله انني لكم منه من جهة الله تعالى نذير انذركم عذابه ان لم تتركوا ما
انتم عليه من الكفر وعبادة غير الله تعالى وبشير ابشركم بثوابه ان آمنتم به وتمحضتم في عبادته ولما
ذكر شؤون الكتاب من احكام آياته وتفصيلها وكون ذلك من قبل الله تعالى وهو معظم ما نظم
في سلك الهداية او الامر من التوحيد وترك الاشراك وسط بينه وبين ما يليه اعني الاستغفار
والتوبة ذكر ان من نزل عليه ذلك الكتاب مرسل من عند الله تعالى لتبليغ احكامه وتشييعها
بالمؤيدات من الوعد والوعيد للايذان بان التوحيد في اقصى مراتب الاهمية حتى افرد بالذكر وابدى
بآية بالخطاب عقب الكتاب مع تلويح بانه كما لا يتحقق في نفسه الا مقارنا للعلم برسالته صلى الله عليه
وسلم كذلك في الذكر لا ينفك احدهما عن الآخر وقد روعي في سوق الخطاب بتقديم الانذار على التبشير
ما روعي في الكتاب من تقديم النفي على الاثبات والتخلية على التحلية ليتجاوب اطراف الكلام ويجوز
ان يكون قوله تعالى ان لا تعبدوا الا الله كلاما منقطعا عما قبله واردا على لسانه عليه
السلام اغراء لهم على اختصاصه تعالى بالعبادة كانه صلى الله عليه وسلم قال ترك عبادة غير الله اي
الزموه على معنى اتركوا عبادة غير الله تركا مستمرا انني لكم من جهته الله نذير وبشير او نذيرا
والتبشير في تنويع ما ذكر ما هو من تتماته على وجه يتضمن تفصيل ما اجمل في وصف البشير والنذير
فقيل وان استغفروا ربكم وهو معطوف على ان لا تعبدوا على ما ذكر من الوجهين فعلى الاول ان مصدرية
لجواز كون صلتها امرا او نهيا كما في قوله تعالى وان اقم وجهك للدين حنيفا لان مدار جواز كونها فعلا
انما هو دلالته على المصدر وهو موجود فيهما ووجوب كونها خبرية في صلة الموصول الاسمي انما هو
للتوصل الى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف بها الا اذا كانت خبرية واما الموصول الحرفي فليس

بالجملة وان يردك بخير متعلق لسبب الضد والولد
في حيز الصلة اي ان يرد ان يصيبك صح

لذلك ولما كان المخبر الانشائى الدالة على المصدر متواسا غ وقوع الامر والنهى صلة حسب مساغ وقوع الفعل فيتجرد عند ذلك عن معنى الامر والنهى نحو تجرد الصلة الفعلية عن معنى المضى والاستقبال ثم توبوا اليه عطف على استغفروا اى الكلام مرتبة كالكلام مرتبة والمعنى فعل ما فعل من الاحكام والتفصيل لتمحضوا الله تعالى بالعبادة وتطلبوا منه ستر ما فرط منكم من الشرك ثم ترجعوا اليه بالطاعة او تستمروا على ما انتم عليه من التوحيد والاستغفار وتستغفروا من الشرك وتتوبوا من المعاصى وعلى الثانى ان مفسرة اى قيل فى اثنائه ان مفسرة اى قيل فى اثنى تفصيل الايات لا تعبدوا الا الله واستغفروه ثم توبوا اليه والتعرض لوصف الربوبية تلقين للمخاطبين وارشاد لهم الى طريق الابتهال فى السؤال وترشيح لما يعقبه من التمتيع وايتاء الفضل بقوله يمتعكم متاعا حسنا اى يمتعكم تمتيعا وانتصابه على انه مصدر حذف عنه الزوائد كقوله تعالى انبتكم من الارض نباتا او على انه مفعول به وهو اسم لما يتمتع به من منافع الدنيا من الاموال والبنين وغير ذلك والمعنى يعيشكم عيشا مرضيا لا يفوتكم فيه شىء مما تشتهون ولا ينغصه شىء من المكدرات الى اجل مسمى مقدر عند الله عز وجل وهو اخر اعماركم ولما كان ذلك غاية لا يطمع وراءها طامح جرى التمتيع اليها مجرى التأبيد عادة ولا يهلككم بعذاب الاستيصال ويؤت كل ذى فضل فى الطاعة والعمل فضله جزاء فضله اما فى الدنيا او فى الاخرة وهذه تكملة لما اجمل من التمتيع الى اجل مسمى وتبيين لما عسى يعسر فهم حكمته من بعض ما يتفق فى الدنيا من تفاوت الحال بين العاملين فرب انسان له فضل طاعة وعمل لا يمتع فى الدنيا اكثر مما متع اخر دونه فى الفضل وربما يكون المفضول اكثر تمتيعا فقيل ويعط كل ذى فضل جزاء فضله اما فى الدنيا كما يتفق فى بعض المواد واما فى الاخرة وذلك مما لا مرد له وهذا ضرب تفصيل لما اجمل فيما سبق من البشارة ثم شرع فى الانذار فقيل وان تولوا اى تتولوا عما القى اليكم من التوحيد والاستغفار والتوبة وانما اخر عن البشارة جريا على سنن تقدم الرحمة على الغضب اولان العذاب قد علق بالتولى عما ذكر من التوحيد والاستغفار والتوبة وذلك يستدعى سابقة ذكره وقرئ تولوا من ولى فانى اخاف عليكم بموجب الشفقة والرأفة او اتوقع عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم فى قوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم اما لكونه كذلك فى نفسه او وصف بوصف ما يكون فيه وصف بالثقل فى قوله تعالى ثقلت فى السموات والارض وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى اكلوا الجيف وايا ما كان ففى اضافة العذاب اليه تهويل وتفظيع له الى الله مرجعكم رجوعكم بالموت ثم البعث للجزاء فى مثل ذلك اليوم لا الى غيره جميعا لا يتخلف منكم احد وهو على كل شىء قدير فيندرج تحت الكلية قدرته على اماتتكم ثم بعثكم وجزائكم فيعذبكم بافانين العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما القى اليهم فحوى الكتاب على لسان النبى صلى الله عليه وسلم وسيق اليهم ما ينبغى ان يساق من الترغيب والترهيب فى وقع فى ذهن السامع انهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذى تخر له صم الجبال هل قابلوه بالاقبال او تمادوا فيما كانوا عليه من الاعراض والضلال لتقبيل مصدرا بكلمة التنبيه اشعارا بان ما بعدها من هنات امر يجب ان يفهم ويتعجب منه الا انهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه اى يستمرون على ما كانوا عليه من التولى والاعراض لان من اعرض عن شىء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب للمقام وقد نحا نحوه العلامة الزمخشرى ولكن حيث لم يجعل التولى سببا للاستخفاء فى قوله عز وعلا ليستخفوا منه التجأ الى اضمار الارادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على اعراضهم وجعله فى تقدير المعنى اليه من قبيل الاضمار فى قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق اى فضرب فانفلق ولا يخفى ان السياق المذكور الى توسيط الارادة بين ثنى الصدور وبين الاستخفاء ليس كانسياقه الى توسيط الضرب بين الامر به وبين الانفلاق ولعل الاظهر ان معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والاعراض عن الحق وعداوة النبى صلى الله عليه وسلم بحيث يكون ذلك مستورا فيها كما يعطف الثياب على ما فيها من الاشياء المستورة وانما لم يذكر ذلك ايذانا بكونه او ايماء الى ان ظهوره مغن عن ذكره او ليذهب ذهن السامع الى ما لا يخفى فيه من الامور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذى القى اليهم دخولا اوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببا للاستخفاء ويؤيده ما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انها نزلت فى الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة

ويثنى

ويثنى فى قلبه قلبه ما يضادها وقال ابن شداد انها نزلت فى بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنه انما كان يصنع ما يصنع لانه لو رآه النبى صلى الله عليه وسلم لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدى ذلك الى ظهور ما فى قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنونى صدورهم بالياء والتاء من اثنونى فعوعل من الثنى كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لتثنونى وقرئ تثنون تفعوعل من الثن وهو ما هش من الكلام وضعف يريد مطاوعة صدورهم للثنى كما يثنى الهش من النبات او اراد ضعف ايمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ يثنوى بوزن ترعوى الا حين يستغشون ثيابهم اى يتغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد او حين ياوون الى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فان ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخى ستره ويحنى ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما فى قلبى يعلم ما يسرون اى يضمرون فى قلوبهم وما يعلنون اى يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه وانما قدم على العلن نعيا عليهم اول الامر ما صنعوا وايذانا بافتضاحهم ووقوع ما يحذرونه وتحقيقا للمساواة بين العلمين على ابلغ وجه فكان علمه بما يسرونه اقدم بما يعلنونه ونظيره قوله تعالى قل ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله حيث قدم فيه الاخفاء على الابداء على عكس ما وقع فى قوله تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله اذ لم يتعلق باشعار ان المحاسبة بما يخفونه اولى منها بما يبدونه غرض بل الامر بالعكس واما ههنا فقد تعلق باشعار كون تعلق علمه تعالى بما يسرونه اولى منه بما يعلنونه غرض مهم مع كونهما على السوية كيف لا وعلمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول الصورة بل وجود كل شىء فى نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفى هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما فى قوله تعالى واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون فحيث كان واردا بصدد الخطاب مع الملئكة عليهم السلام المتنزه مقامهم عن اقتضاء التأكيد والمبالغة فى الاخبار باحاطة علمه تعالى بالظاهر والباطن لم يسلك فيه ذلك المسلك مع انه وقع الغنية عنه بما قبله من قوله عز وجل انى اعلم غيب السموات والارض ويجوز ان يكون ذلك باعتبار ان مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شىء يعلن الا وهو او مباديه قبل ذلك مضمر فى القلب فيتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية انه عليم بذات الصدور تعليل لما سبق وتقرير له واقع موقع الكبرى من القياس وفى صيغة الفعيل وتحلية الصدور بلام الاستغراق والتعبير عن الضمائر بعنوان صاحبتها من البراعة ما لا يصفه الواصفون كأنه قيل انه مبالغ فى الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة فى صدورهم بحيث لا يفارقها اصلا وكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب من قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور والمعنى انه عليم بذات الصدور والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها غذاؤها اللائق بها من حيث الايصال اليها بطريق طبيعى او ارادى لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما جىء به على طريق الوجوب اعتبارا لسبق الوعد وتحقيقا لوصوله اليها البتة وحملا للمكلفين على الثقة به تعالى والاعراض عن اتعاب النفس فى طلبه ويعلم مستقرها محل قرارها فى الاصلاب ومستودعها موضعها فى الارحام وما يجرى مجراها من البيض ونحوها وانما خص كل من الاسمين بما خص به من المحلين لان النطفة بالنسبة الى الاصلاب فى حيزها الطبيعى ومنشئها الخلقى واما بالنسبة الى الارحام وما يجرى مجراها فهى مودعة فيها الى وقت معين او مسكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة ولعل تقديم محلها باعتبار حالتها الاخيرة لرعاية المناسبة بينها وبين عنوان كونها دابة فى الارض والمعنى ما من دابة فى الارض الا يرزقها الله تعالى حيث كانت من اماكنها يسوقه اليها ويعلم موادها المتخالفة المتدرجة فى مراتب الاستعدادات المتفاوتة المتطورة فى الاطوار المتباينة ومقارها المتنوعة ويفيض عليها فى كل مرتبة ما يليق بها من مبادى وجودها وكمالاتها المتفرعة عليه وقد فسر المستودع باماكنها فى الممات ولا يلائمه مقام التكفل بارزاقها كل من الدواب وروزقها ومستقرها ومستودعها فى كتاب مبين اى مثبت فى اللوح المحفوظ البين لمن ينظر فيه محيط بجميع احوال ما فى الارض من المخلوقات التى لا تكاد تحصى من مباديه فطريقها الى منتهاها اقتضى الحال التعرض لمبدأ خلق السموات والارض والحكمة الداعية الى ذلك فقيل وهو الذى خلق السموات والارض

في ستة ايام السموات في يومين والارض في يومين وما عليها من انواع الحيوان والنبات وغير ذلك
في يومين حسبما فصل في سورة حم السجدة لا يدل على خلق ما في الارض لكونه من تمادي خلقها وهو السر
في جعل زمان خلقه تتمة لزمان خلقها في قوله تعالى في اربعة ايام اي في تتمة اربعة ايام والمراد بالايام
الاوقات كما في قوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره اي في ستة اوقات او مقدار ستة ايام فان اليوم في المتعارف
زمان كون الشمس فوق الارض ولا يتصور ذلك حين لا ارض ولا سماء وفي خلقها مدرجا مع القدرة
التامة على خلقها دفعة دليل على انه قادر مختار وباعتبار للنظار وحث على التاني في الامور واما تخصيص
ذلك بالعدد المعين فامر استاثر بعلمه ما يقتضيه علام الغيوب جلت حكمته وايثار صيغة الجمع في السموات
لما هو المشهور من الاشارة الى كونها اجراما مختلفة الطباع ومتفاوتة الاثار والاحكام وكان عرشه قبل
خلقهما على الماء ليس تحته شيء غيره سواء كان بينهما فرجة او كان موضوعا على متنه كما ورد في الاثر فلا
دلالة فيه على امكان الخلا كيف لا ولو دل لدل على امكانه فقط ولا على كون الماء اول ما حدث في العالم بعد
العرش وانما يدل على ان خلقهما اقدم من خلق السموات والارض من غير تعرض للنسبة بينهما ليبلوكم متعلق بخلق
اي خلق السموات والارض وما فيهما من المخلوقات التي من جملتها انتم ورتب فيهما جميع ما تحتاجون اليه من
مبادي وجودكم واسباب معايشكم واودع في تضاعيفهما من تعاجيب الصنايع والعبر ما تستدلون به على
مطالبكم الدينية ليعاملكم معاملة من يبتليكم ايكم احسن عملا فيجازيكم بالثواب والعقاب غب ما يتبين
المحسن من المسيء وتتمايز درجات افراد كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم
المترتبة على انظارهم فيما نصب من الحجج والدلايل والامارات والمخايل ومراتب اعمالهم المتفرعة على ذلك فان
العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم
الله واسرع في طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا مخصوصا به فكما ان الاول اشرف من الثاني كذلك
الحال في عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذي اثير وانما طريقها التفكر
التفكر في بدايع صنايع الملك الخلاق والتدبر في اياته البينات المنصوبة في الانفس والافاق ولا طاعة
بدون فهم ما في مطاوي الكتاب الحكيم من الاوامر والنواهي وغير ذلك مما له مدخل في الباب وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له كل يوم مثل
عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر في امر الله عز وجل الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر
ان يعمل في اليوم بجوارحه مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اي تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعليق
المشهور الذي يقتضي عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار
عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجري مجراه بطريق التمثيل والاستعارة التبعية وايراد صيغة
التفضيل مع ان الابتلاء شامل للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن
فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصود الاصلي مما ذكر من ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرايع
انما هو ظهور كمال احسان المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه اللايقة واكمل الاساليب الرايقة
يوجب العمل بموجبه بحيث لا يحيد احد عن سننه المستبين بل يهتدي كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق
الايمان والطاعات وانما التفاوت بينهم في مراتبهما بحسب القوة والضعف والقوة الكائنة او ما دون
الاعراض عن ذلك والوقوع في مهاوي الضلال فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا ان ينتظم
ظهوره في سلك العلة الغائية لذلك الصنع البديع وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من
غير مصحح له ولا تقريب ولا يخفى ما فيه من الترغيب في الترقي الى معارج العلوم ومدارج الطاعات
والزجر عن مباشرة نقايضها والله تعالى اعلم ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت على ما يوجبه
قضية الابتلاء ليترتب عليه الجزاء المتفرع على ظهور مراتب الاعمال ليقولن الذين كفروا اي وجه
الخطاب في قوله تعالى ايكم الى جميع المكلفين فالموصول مع صلته للتخصيص اي ليقولن الكافرون منهم
فهو وارد على طريقة الذم ان هذا الا سحر مبين اي مثله في الخديعة والبطلان وهذا اشارة
الى القول المذكور او الى القران فان الاخبار عن كونهم مبعوثين وان لم يجب كونه بطريق الوحي
المتلو الا انهم عند سماعهم ذلك تخلصوا الى القران لانبائه عنه في كل موضع وكونه علما عندهم
في ذلك تعمدوا الى تكذيبه وتسميته سحرا تماديا منهم في العناد وتفاديا عن سنن الرشاد وقيل هو
اشارة الى نفس البعث ولا يلايمه التسمية بالسحر فانه انما يطلق على شيء موجود ظاهر لا اصل
له في الحقيقة ونفس البعث عندهم معدوم بحت وتعلق الاية الكريمة بما قبلها اما من حيث
ان البعث كما اشير اليه من تتمات الابتلاء المذكور فكانه قيل الامر كما ذكر ومع ذلك ان اخبرتهم
بمقدمة قليلة من مقدماته وقضية فردة من تتماته لا يتلعثمون في الرد ويعدون ذلك من

قيل

قبيل ما لا صحة له اصلا فضلا عن تصديق ما هذه من تتماته واما من حيث ان البعث خلق جديد
فكانه قيل وهو الذي خلق جميع المخلوقات ابتداء بهذه الحكمة البالغة ومع ذلك ان اخبرتهم بانه
يعيدهم تارة اخرى وهو اهون عليه يقولون ما يقولون فسبحان الله عما يصفون وقرا حمزة
والكسائي الا ساحر على ان الاشارة الى القائل او الى القران على اسلوب شعر شاعر وقرئ بالفتح
على تضمين قلت معنى ذكرت او على ان انك بمعنى علك في علك اي ولئن قلت لعلكم مبعوثون
على ان الرجاء والتوقع باعتبار حال المخاطبين ان توقعوا ذلك ولا تبتوا القول بانكاره او على
انه مجاراة معهم في الكلام على نهج المساعدة لئلا يسارعوا الى اللجاج والعناد ويتم قرع اسماعهم
بت القول بخلاف ما القوا عليه اباهم من انكار البعث ويكون ذلك ادعى لهم الى التامل والتدبر
وما فعلوه قاتلهم الله انى يؤفكون ولئن اخرنا عنهم العذاب المترتب على بعثهم او العذاب الموعود
في قوله تعالى وان تولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما انه قتل جبرئيل عليه السلام المستهزئين والظاهر ان المراد به العذاب الشامل
للكفرة دون ما يخص ببعض منهم على انه لم يكن موعودا يستعجل منه المجرمون الى امة معدودة
الى طائفة من الايام قليلة لان ما يحضره العذاب قليل ليقولن ما يحبسه اي اي شيء يمنعه من المجيء
وكانه يريده فيمنعه مانع وانما كانوا يقولونه بطريق الاستعجال استهزاء لقوله تعالى وحاق بهم ما كانوا
به يستهزؤن ومرادهم انكار المجيء والحبس راسا لا الاعتراف به والاستفسار عن حابسه الا يوم يأتيهم
ذلك ليس مصروفا محبوسا عنهم على معنى انه لا يرفعه رافع ابدا ان اريد به عذاب الاخرة او لا
يدفعه عنكم دافع بل هو واقع بكم ان اريد به عذاب الدنيا منصوب بخبر ليس مقدما واستدل
به البصريون على جواز تقديمه على ليس اذ المعمول مقدم على العامل تابع للعامل فلا يقع الا حيث
يقع متبوعه ورد بان الظرف يجوز فيه ما لا يجوز في غيره توسعا بانه قد يقدم المعمول حيث لا
يجوز تقدم العامل كما في قوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر واما السائل فلا تنهر فان اليتيم والسائل
مع كونهما منصوبين بالفعلين المجزومين قد تقدما على لا الناهية مع امتناع تقدم الفعلين
عليها قال ابو حيان وقد تتبعت جملة من دواوين العرب فلم اظفر بتقديم خبر ليس عليها ولا
بتقديم معموله الا ما دل عليه ظاهر هذه الاية الكريمة وقول الشاعر فيابى فما يزداد الا لجاجة
وكنت ابيا في الخنا لست اقدم وحاق بهم اي احاط بهم ما كانوا به يستهزؤن اي العذاب الذي كانوا
يستعجلون به استهزاء وفي التعبير عنه بالموصول تهويل لمكانه واشعار بعلية ما ورد في حيز الصلة
من استهزائهم من نزوله واحاطته والتعبير عنهما بالماضي لما دعاه الله تعالى في اخباره لانها في
تحققها وتيقنها بمنزلة الكاينة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شان المخبر وتقرير
وقوع المخبر به ما لا يخفى ولئن اذقنا الانسان منا رحمة اي اعطيناه نعمة من صحة وامن وجدة وغيرها
واوصلنا اليه بحيث يجد لذتها ثم نزعناها منه اي سلبناه اياها وايراد النزع للاشعار بشدة
تعلقها بها وحرصه عليها انه ليؤس شديد اليأس والقنوط من روح الله قطوع رجاءه من عود امثالها
عاجلا واجلا بفضل الله تعالى لقلة صبره وعدم توكله عليه وثقته به كفور عظيم الكفران
لما سلف من النعم وفيه اشارة الى ان النزع انما كان بسبب كفرانهم بما كانوا يتقلبون فيه من نعم
الله عز وجل وتاخيره عن وصف باسهم مع تقدمه عليه لرعاية الفواصل على ان الياس من فضل
الله سبحانه وتعالى وقطع الرجاء عن افاضة امثاله في العاجل وايصال اجره في الاجل من باب الكفر
للنعمة السالفة ايضا ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم ووجد بعد عدم وفرج
بعد شدة وفي التعبير عن ملابسة الرحمة والنعماء بالذوق الموذن بلذتهما وكونهما مما يرغب
فيه وعن ملابسة الضراء بالمس المشعر بكونهما في ادنى ما يطلق عليه اسم الملاقاة من مراتبها
واسناد الاول الى الله عز وجل دون الثاني ما لا يخفى من الجزالة والدلالة على ان مراده تعالى انما
هو ايصال الخير المرغوب فيه على احسن ما يكون وانه انما يريد بعباده اليسر دون العسر
وانما ينالهم ذلك بسوء اختيارهم نيله بيسير لما انما يلاحظوا البشرية من غير تاثير فاما انتزاع الرحمة
باعتبار لحوق النزع بها ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي تسوءني ولن يعتريني بعد
امثالها كما هو شان اولئك الاشرار فان الترقب لورود امثالها مما يكدر السرور وينغص
العيش انه لفرح بطر باتي بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما اوتي من النعم مشغول بذلك من
القيام بحقها واللام في الانسان اما للاستغراق الجنسي الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
فالاستثناء متصل او للعهد فمنقطع اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة

وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الفضل اى اولئك الموصوفون بتلك
الصفات الحميدة لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم وان جمت واجر ثواب لاعمالهم الحسنة كبير ووجه تعلق
الايات الثلث بما قبلهن من حيث ان اذاقة النعماء ومساس الضراء فصل من باب الابتلاء واقع موقع
التفصيل من الاجمال الواقع في قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا والمعنى ان كلا من اذاقة النعماء
ونزعها مع كونه ابتلاء للانسان ايشكر ام يكفر لا يهتدى الى سنن الصواب بل يحيد في كلتا
الحالتين عنه الى مهاوى الضلال فلا يظهر منه حسن عمل الا من الصابرين الصالحين او من حيث
ان انكارهم بالبعث واستهزاءهم بالعذاب بسبب بطرهم وفخرهم كانه قيل انما فعلوا ما فعلوا
لان طبيعة الانسان مجبولة على ذلك ولعلك تارك بعض ما يوحى اليك من البينات الدالة
على حقية نبوتك المنادية بكونها من عند الله عز وجل لمن له اذن واعية وضائق به صدرك اى
عارض لك احيانا ضيق صدر بتلاوته عليهم وتبليغه اليهم في اثناء الدعوة والمحاجة ان يقولوا لان يقولوا
تعاميا عن تلك البراهين التى لا تكاد تخفى صحتها على احد ممن له ادنى بصيرة وتماديا في العناد على
وجه الاقتراح لولا انزل عليه كنز مال خطير يدل على صدقه او جاء معه ملك يصدقه قيل
قاله عبد الله بن امية المخزومى وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رؤسا مكة قالوا يا محمد
اجعل لنا جبال مكة ذهبا ان كنت رسولا وقال اخرون ائتنا بالملائكة يشهدوا بنبوتك فقال
لا اقدر على ذلك فنزلت فكانه صلى الله عليه وسلم لما عاين اجتراءهم على اقتراح مثل هذه
العظائم غير قانعين بالايات الباهرة التى كانت تضطرهم الى القبول لو كانوا من ارباب العقول وشاهد
ركوبهم من المكابرة متن كل صعب وذلول مسارعين الى المقابلة بالتكذيب والاستهزاء وتسميتها
سحرا مثل حاله عليه السلام بحال من يتوقع منه ان يضيق صدره بتلاوة تلك الايات الساطعة
عليهم وتبليغها اليهم فحمل على الحذر منه بما في لعل من الاشفاق فقيل انما انت نذير ليس عليك
الا الانذار بما اوحى اليك غير مبال بما صدر عنهم من الرد والقبول والله على كل شئ وكيل يحفظ
احوالك واحوالهم فتوكل عليه في جميع امورك فانه فاعل بهم ما يليق بحالهم والاقتصار
على النذير في اقصى غاية من اصابة المحز ام يقولون افتراه اضراب بام المنقطعة عن ذكر ترك
اعتدادهم بما يوحى وتهاونهم به وعدم اقتناعهم بما فيه من المعجزات الظاهرة الدالة على كونه
من عند الله عز وجل على حقية نبوته صلى الله عليه وسلم وشروع في ذكر ارتكابهم لما هو اشد منه واعظم
وما فيها من معنى الهمزة للتوبيخ والانكار والتعجيب والضمير المستكن في افتراه للنبى صلى الله عليه وسلم
والبارز لما يوحى اى بل ايقولون افتراه وليس من عند الله قل ان كان الامر كما تقولون فاتوا انتم ايضا
بعشر سور مثله في البلاغة وحسن النظم وهو نعت لسور اى امثاله وتوحيده اما باعتبار مماثلة
كل واحدة منها او لان المطابقة ليست بشرط حتى يوصف المثنى بالمفرد كما في قوله انؤمن لبشرين مثلنا
او للايماء الى ان وجه الشبه ومدار المماثلة في الجميع شئ واحد هو المبالغة المؤدية الى مرتبة الاعجاز
وكان الجميع واحد مفتريات صفة اخرى لسور اخرت عن وصفها بالمماثلة لما يوحيه النظم من ان الصفة المقصودة
بالتكليف اذ بها يظهر عجزهم وقعودهم عن المعارضة واما وصف الافتراء فلا يتعلق به غرض يدور
عليه شئ في مقام التحدى وانما ذكر على نهج المساهلة وارخاء العنان ولانه لو عكس الترتيب لربما
توهم ان المراد هو المماثلة في الافتراء والمعنى فاتوا بعشر سور مماثلة في البلاغات مختلقات من عند
انفسكم ان صح انى اختلقته من عندى فانكم اقدر على ذلك منى لانكم عرب فصحاء بلغاء قد مارستم
فنون ذلك من الخطب والاشعار وحفظتم الوقائع والايام وزاولتم اساليب النظم والنثر
وادعوا للاستظهار في المعارضة من استطعتم دعاءه والاستعانة من الهتكم التى تزعمون انها ممدة
لكم في كل ما تاتون وتذرون والكهنة ومدارهكم الذين تلجؤن الى ارائهم في الملمات ليسعدوكم
فيها من دون الله متعلق بادعوا اى متجاوزين الله تعالى ان كنتم صادقين في انى افتريته فان ذلك
يستلزم امكان الاتيان بمثله وهو ايضا يستلزم قدرتكم عليه والجواب محذوف يدل عليه المذكور
فان لم يستجيبوا لكم اى فان لم يفعلوا ما كلفوه من الاتيان بمثله كقوله تعالى فان لم تفعلوا وانما عبر عنه
بالاستجابة ايماء الى انه صلى الله عليه وسلم لما كان امره لهم بالاتيان بمثله دعاء لهم الى امر
يريدون وقوعه والضمير في لكم للرسول عليه السلام والجمع للتعظيم كما في قوله من قال ٭ وان شئت
حرمت النساء سواكم ٭ او له وللمؤمنين لانهم اتباع له صلى الله عليه وسلم في الامر بالتحدى وفيه
تنبيه لطيف على ان حقهم ان لا ينفكوا عنه عليه السلام ويناصبوا معه لمعارضة المعاندين
كما كانوا يفعلونه في الجهاد وارشاد الى ان ذلك مما يفيد الرسوخ في الايمان والطمانينة في الايقان

ولذلك

ولذلك رتب عليه قوله عز وجل فاعلموا اى اعلموا حين ظهر لكم عجزهم عن المعارضة مع تهالكهم عليها
علما يقينيا متاخما لعين اليقين بحيث لا مجال معه لشائبة ريب بوجه من الوجوه كان ما عداه من
مراتب العلم ليس بعلم لكن لا للاشعار بانحطاط تلك المراتب بل بارتفاع هذه المرتبة وبه يتضح
سر ايراد كلمة الشك مع القطع بعدم الاستجابة فان تنزيل سائر المراتب منزلة العدم يستتبع
لتنزيل الجزم بعدم الاستجابة منزلة الشك فيه اى اثبتوا ودوموا على ما كنتم عليه من العلم انما انزل
ملتبسا بعلم الله المخصوص به بحيث لا تحوم حوله العقول والافهام مستبدا بخصائصه الاعجازية من
جهتى النظم الرائق والاخبار بالغيب وان لا اله الا هو اى واعلموا ايضا ان لا شريك له في الالوهية
واحكامها يقدر على ما لا يقدر عليه احد فهل انتم مسلمون اى مخلصون في الاسلام او ثابتون
عليه وهذا من باب التثبيت والترقية الى معارج اليقين ويجوز ان يكون الخطاب في الكل للمشركين
من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا تحت الامر بالتحدى والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم
اى فان لم يستجب لكم الهتكم وسائر من اليه تجارون في مهماتكم وملماتكم الى المعاونة والمظاهرة فاعلموا
ان ذلك خارج عن دائرة قدرة البشر وانه منزل من خالق القوى والقدر وفي ايراد كلمة الشك حينئذ
مع الجزم بعدم الاستجابة من حيث انه مسبوق بالدعاء المسبوق بعجزهم واضطرارهم فكانه قيل فان لم
يستجيبوا لكم عند التجائكم اليهم بعد ما اضطررتم الى ذلك وضاقت عليكم الحيل وعيت بكم العلل او من حيث
ان من يستمدون بهم اقوى منهم في اعتقادهم فاذا ظهر عجزهم بعدم استجابتهم وان كان ذلك قبل ظهور
عجز انفسهم يكون عجزهم اظهر واوضح واعلموا ايضا ان الهتكم بمعزل عن رتبة الشركة في الالوهية واحكامها
فهل انتم داخلون في الاسلام اذ لم يبق بعد شائبة شبهة في حقيقته وفي بطلان ما كنتم فيه من الشرك
فيدخل فيه الاذعان لكون القران من عند الله تعالى دخولا اوليا او منقادون للحق الذى هو كون القران
من عند الله تعالى وتاركون لما كنتم فيه من المكابرة والعناد وفي هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من
معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر واقناط من ان يجيرهم الهتهم من باس الله عز
سلطانه هذا والاول انسب لما سلف من قوله تعالى وضائق به صدرك ولما ياتى في قوله تعالى
فلا تك في مرية واشد ارتباطا بما يعقبه كما ستحيط به خبرا من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها اى
ما يزينها ويحسنها من الصحة والامن والسعة في الرزق وكثرة الاولاد والرياسة وغير ذلك والمراد
بالارادة ما يحصل عند مباشرة الاعمال لا مجرد الارادة القلبية لقوله تعالى نوف اليهم اعمالهم فيها
وادخال كان عليها للدلالة على استمرارها منهم من حيث لا يكادون يريدون الاخرة اصلا وليس
المراد باعمالهم اعمال كلهم فانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل احد ينال كل ما يهواه فان ذلك منوط
بالمشية الجارية على قضية الحكمة كما نطق به قوله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء
لمن نريد ولا كل اعمالهم بل بعضها الذى يترتب عليه الامور المذكورة بطريق الاجر والجزاء من اعمال البر
وقد اطلقت واريد بها ثمراتها فالمعنى نوصل اليهم ثمرات اعمالهم في الحياة الدنيا كاملة وقرئ يوف
على الاسناد الى الله عز وجل وتوف بالفوقانية على البناء للمفعول ورفع اعمالهم وقرئ نوفى بالتخفيف
والرفع لكون الشرط ماضيا كقوله ٭ وان اتاه خليل يوم مسغبة ٭ يقول لا غائب مالى ولا حرم
وهم فيها اى في الحياة الدنيا لا يبخسون اى لا ينقصون وانما عبر عن ذلك بالبخس الذى هو نقص الحق
مع انه ليس لهم شائبة حق فيما اوتوه كما عبر عن اعطائه بالتوفية التى هي اعطاء الحقوق مع ان
اعمالهم بمعزل من كونها مستوجبة لذلك بناء للامر على ظاهر الحال ومحافظة على صور الاعمال
ومبالغة في نفي النقص كان ذلك نقص لحقهم فلا يدخل تحت الوقوع والصدور عن الكريم اصلا
والمعنى انهم فيها خاصة لا ينقصون ثمرات اعمالهم واجورها نقصا كليا مطردا ولا يحرمونها حرمانا
كليا واما في الاخرة فهم في الحرمان المطلق والياس المحقق كما ينطق به قوله تعالى اولئك الخ
فانه اشارة الى المذكورين باعتبار ارادتهم الحياة الدنيا وزينتها او الموفون فيها ثمرات اعمالهم
من غير بخس الذين ليس لهم في الاخرة الا النار لان هممهم كانت مصروفة الى الدنيا واعمالهم
مقصورة على تحصيلها وقد اجتنوا ثمرتها ولم يكونوا يريدون شيئا اخر فلا جرم لم يكن لهم في الاخرة
الا النار وعذابها المخلد وحبط ما صنعوا فيها اى ظهر في الاخرة حبوط ما صنعوه من الاعمال التى
كانت تؤدى الى الثواب لو كانت معمولة للاخرة او حبط ما صنعوه في الدنيا من الاعمال البر اذ شرط
الاعتداد بها الاخلاص وباطل اى في نفسه ما كانوا يعملون في اثناء تحصيل المطالب الدنيوية
ولاجل ان الاول من شانه استتباع الثواب والاجر وان عدمه لعدم مقارنة الايمان والنية
الصحيحة وان الثانى ليس له جهة صالحة قط علق بالاول الحبوط المؤذن بسقوط اجره بصيغة الفعل

المنبئ عن الحدوث وبالثاني البطلان المفصح عن كونه بحيث لا طائل تحته اصلا بالاسمية الدالة
على كون ذلك وصفا لازما له ثابتا فيه وفي زيادة كان في الثاني نعت الاول ايماء الى ان صدور
اعمال البر منهم وان كان لغرض فاسد ليس في الاستمرار والدوام كصدور الاعمال التي هي من مقدمات
مطالبهم الدنية وقرئ وبطل على الفعل اي ظهر بطلانه حيث علم هناك ان ذلك وما يستتبعه
من الحظوظ الدنيوية مما لا طائل تحته او انقطع اثره الدنيوي فبطل مطلقا وقرئ باطلا على انه ما كانوا يعملون
على ان ما ابهامية او في معنى المصدر كقوله ولا خارجا من في زور كلام وعن انس رضي الله تعالى عنه
ان المراد بقوله تعالى من كان يريد الآية اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم
جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم ثم انت خبير بان ذلك انما كان بعد الهجرة والسورة مكية وقيل
هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك وهكذا لغيره ممن يعمل اعمال
البر لا لوجه الله تعالى فعلى هذا لا بد من تقييد قوله تعالى ليس لهم الا النار بان ليس لهم بسبب
اعمالهم الريائية الا ذلك والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ان المراد به مطلقا الكفرة بحيث
يندرج فيهم القادحون في القرآن العظيم اندراجا اوليا فانه عز وعلا لما امر نبيه صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين بان يزدادوا علما ويقينا بان القرآن منزل بعلم الله تعالى وبان لا قدرة لغيره على
شيء اصلا وهيجهم على الثبات على الاسلام والرسوخ فيه عند ظهور عجز الكفرة وما يدعون من
دون الله عن المعارضة وتبين انهم ليسوا على شيء اصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم
الموهمة لكونهم على شيء واصلا اقتضى الحال ان يتعرض لبعض شؤونهم الحالة الموهمة لكونهم على شيء
في الجملة من نيلهم الحظوظ العاجلة واستيلائهم على المطالب الدنيوية وبيان ان ذلك بمعزل عن الدلالة
عليه ولقد بين ذلك اي بيان ثم اعيد الترغيب فيما ذكر من الايمان بالقرآن والتوحيد والاسلام فقيل
افمن كان على بينة من ربه اي برهان نير عظيم الشان يدل على حقية ما رغب في الثبات عليه من الاسلام
وهو القرآن باعتباره او بتأويل البرهان وذكر الضمير الراجع اليها في قوله تعالى ويتلوه اي يتبعه
شاهد يشهد بكونه من عند الله تعالى وهو الاعجاز في نظمه المطرد في كل مقدار سورة منه او ما
وقع في بعض آياته من الاخبار بالغيب وكلاهما وصف تابع له شاهد بكونه من عند الله عز وجل
غيره انه على التقدير يكون في الكلام اشارة الى حال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في تمسكهم
بالقرآن عند تبين كونه منزلا بعلم الله بشهادة الاعجاز منه اي من القرآن غير خارج عنه او من جهة
الله تعالى فان كلا منهما وارد من جهته تعالى للشهادة ويجوز على هذا التقدير ان يراد بالشاهد
المعجزات الظاهرة على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ذلك ايضا من الشواهد التابعة
للقرآن الواردة من جهته تعالى فالمراد بمن في قوله تعالى افمن كان من اتصف بهذه الصفة الحميدة
فيدخل فيه المخاطبون بقوله فاعلموا فهل انتم دخولا اوليا وقيل هو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل
مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه وقيل المراد بالبينة دليل العقل وبالشاهد
القرآن والضمير في منه لله عز وجل والبينة القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل او لسان
النبي صلى الله عليه وسلم على ان الضمير له او المتلو والشاهد ملك يحفظه والاولى هو الاول
ولما كان المراد بتلو الشاهد للبرهان اقامة الشهادة بصحته وكونه من عند الله تعالى تابعا له
بحيث لا يفارقه في مشهد من المشاهد فان القرآن بينة باقية على وجه الدهر مع شاهدها الذي
يشهد بامره الى يوم القيمة عند كل مؤمن وجاحد عطف كتاب موسى في قوله عز قائلا ومن قبله
كتاب موسى على فاعله مع كونه مقدما عليه في النزول فكانه قيل افمن كان على بينة من ربه ويشهد
به شاهد منه وشاهد آخر من قبله هو كتاب موسى وانما قدم في الذكر المؤخر في النزول لكونه وصفا
لازما له غير مفارق عنه ولعراقته في وصف التلو والتنكير في بينة وشاهد للتفخيم اماما اي
مؤتما به في الدين ومقتدى وفي التعرض لهذا الوصف بصدد بيان تلو الكتاب ما لا يخفى من تفخيم
شان المتلو ورحمة اي نعمة عظيمة على من انزل اليهم ومن بعدهم الى يوم القيمة باعتبار احكامه
الباقية المؤيدة بالقرآن العظيم وهما حالان من الكتاب اولئك الموصوفون بتلك الصفة الحميدة
وهي الكون على بينة من الله ولما ان ذلك عبارة عن مطلق التمسك بها وقد يكون ذلك بطريق التقليد
لمن سلف من عظماء الدين من غير عثور على دقائق الحقائق وصفهم بانهم يؤمنون به اي يصدقونه
حق التصديق حسبما يشهد به الشواهد الحقة المعربة عن حقيته ومن يكفر به اي بالقرآن ولم يصدق
بتلك الشواهد الحقة من الاحزاب من اهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فالنار موعده يردها لا محالة حسبما نطق به قوله عز وعلا ليس لهم في الآخرة الا النار وفي جعلها
موعدا اشعار بان له فيها ما لا يوصف من افانين العذاب فلا تك في مرية منه اي في شك من امر
القرآن وكونه من عند الله عز وجل عما شهدت به الشواهد المذكورة وظهر فضل من تمسك به انه
الحق من ربك الذي يربيك في دينك ودنياك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك اما لقصور انظارهم
واختلال افكارهم واما لعنادهم واستكبارهم ومن في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه مبتدأ محذوف خبره
لاغناء الحال عن ذكره وتقديره افمن كان على بينة من ربه كاولئك الذين ذكرت اعمالهم وبين مصيرهم وما
لهم يعني ان بينهما تفاوتا عظيما بحيث لا يكاد يتراءى ناراهما وايراد الفاء بعد الهمزة لانكار ترتب
توهم المماثلة على ما ذكر من مغايرتهم وعدم منافاته كانه قيل ابعد ظهور حالهم في الدنيا والآخرة كما
وصف يتوهم المماثلة بينهم وبين من كان على احسن ما يكون في العاجل والآجل كما في قوله تعالى افاتخذتم
من دونه وليا اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء وقوله تعالى افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لا يليق
كقولهم الملائكة بنات الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقولهم لآلهتهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله يعني
انهم مع كفرهم بآيات الله تعالى مفترون عليه كذبا وهذا التركيب وان كان سبكه على انكار ان يكون
احد اظلم منهم من غير تعرض لانكار المساواة ونفيها ولكن المقصود به قصدا مطردا انكار المساواة
ونفيها فافادة انهم اظلم من كل ظالم كما ينبئ عنه ما سيتلى من قوله عز وجل لا جرم انهم في الآخرة هم
الاخسرون فاذا قيل من اكرم من فلان او لا افضل منه فالمراد منه حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من
كل فاضل اولئك الموصوفون بالظلم البالغ الذي هو الافتراء على الله تعالى وبهذه الاشارة حصلت
المغنية عن اسناد العرض الى اعمالهم واكتفي باسناده اليهم حيث قيل يعرضون لان عرضهم من تلك الحيثية
وبذلك العنوان عرض لاعمالهم على وجه ابلغ فان عرض العامل بعمله افظع من عرض عمله على ربهم
الحق وفيه ايماء الى بطلان رأيهم في اتخاذهم اربابا من دون الله عز وجل ويقول الاشهاد عند العرض من
الملائكة والنبيين او من جوارحهم وهو جمع شاهد وشهيد كاصحاب واشراف هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
بالافتراء عليه بان ذلك امر واضح غني عن الشهادة بوقوعه وانما المحتاج الى الشهادة تعيين من صدر عنه
ذلك فلذلك لا يقولون هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ويجوز ان يكون المراد بالاشهاد الحضار وهم جميع
اهل الموقف على ما قاله قتادة ومقاتل رضي الله تعالى عنهما ويكون قولهم هؤلاء الذين كذبوا على ربهم
ذما لهم بذلك لا شهادة عليهم كما يشعر به قوله ويقول دون ويشهد الى آخره وتوطئة لما يعقبه
من قوله عز وجل الا لعنة الله على الظالمين بالافتراء المذكور ويجوز ان يكون هذا الوجه الاول من كلام
الله عز وجل وفيه تهويل عظيم لما يحيق بهم من عاقبة ظلمهم اللهم انا نعوذ بك من الخزي على رؤوس
الاشهاد الذين يصدون اي كل من يقدرون على صده او يصدون الصدود عن سبيل الله عن دينه القويم
ويبغونها عوجا انحرافا اي يصفونها بذلك وهي ابعد منه او يبغون اهلها ان ينحرفوا عنها يقال
بغيتك خيرا او شرا اي طلبت لك وهذا شامل لتكذيبهم بالقرآن وقولهم انه ليس من عند الله
وهم بالآخرة هم كافرون اي يصفونها بالعوج والحال انهم كافرون بها لا انهم يؤمنون بها ويرون عوجا فيها
فيطلبون لها سبيلا سويا يهدون الناس اليه وتكرير الضمير لتأكيد كفرهم واختصاصهم كان كفر غيرهم ليس بشيء
عند كفرهم اولئك مع ما وصف من احوالهم الموجبة للتدمير لم يكونوا معجزين الله تعالى مغلبين بانفسهم
من اخذه لو اراد ذلك في الارض مع سعتها وان هربوا منها كل مهرب وما كان لهم من دون الله من اولياء
ينصرونهم من بأسه ولكن اخر ذلك لحكمة تقتضيه والجمع اما باعتبار افراد الكفرة كانه قيل وما كان لاحد
منهم من ولي او باعتبار تعدد ما كانوا يدعون من دون الله تعالى فيكون ذلك بيانا لحال آلهتهم من سقوطها
عن رتبة الولاية يضاعف لهم العذاب استئناف يتضمن حكمة تأخير المؤاخذة وقرأ ابن كثير ويعقوب وابن عامر
بالتشديد ما كانوا يستطيعون السمع لفرط تصامهم عن الحق وبغضهم له كانهم لا يقدرون على السمع ولما كان
قبح حالهم في عدم اذعانهم للقرآن الذي طريق تلقيه السمع اشد منه في عدم قبولهم لسائر الآيات
المنوطة بالابصار بالغ في نفي الاول عنهم حيث نفى عنهم الاستطاعة واكتفى في الثاني بنفي الابصار
فقال وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله المبسوطة في الانفس والآفاق وهو استئناف وقع
تعليلا لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان لما نفي من ولاية الآلهة فان ما لا يسمع ولا يبصر بمعزل
عن الولاية وقوله تعالى يضاعف لهم العذاب اعتراض وسط بينهما نعيا عليهم من اول الامر سوء العاقبة
اولئك المنعوتون بما ذكر من القبائح الذين خسروا انفسهم باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله
عن سلطانه وضل عنهم ما كانوا يفترون من الآلهة وشفاعتها او خسروا ما بذلوا وضاع عنهم ما حصلوا

فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة لا جرم فيه ثلثة اوجه الاول ان لا نافية لما سبق وجرم فعل بمعنى
حق وان مع ما في حيزه فاعله والمعنى لا ينفعهم ذلك الفعل لحق انهم في الاخرة هم الاخسرون وهذا مذهب
سيبويه والثاني جرم بمعنى كسب وما بعده مفعوله وفاعله ما دل عليه الكلام اى كسب ذلك خسر
انهم فالمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور خسرانهم والثالث لا جرم بمعنى لا بد اى لا بد انهم في الاخرة
هم الاخسرون واياما كان فمعناه انهم اخسر من كل ظالم وهذه الايات الكريمة كما ترى مقررة لما سبق
من انكار المماثلة بين من كان على بينة من ربه وبين من كان يريد الحيوة الدنيا ابلغ تقرير فانهم حيث كانوا
اظلم من كل ظالم واخسر من كل خاسر لم يتصور مماثلة بينهم وبين احد من الظلمة الاخسرين فما ظنك
بالمماثلة بينهم وبين من هو في اعلى مدارج الكمال ولما ذكر فريق الكفار واعمالهم وبين مصيرهم وما لهم
شرع في بيان حال اضدادهم اعني فريق المومنين وما يؤول اليه امره من العواقب الحميدة تكملة لما سلف
من محاسنهم المذكورة في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الاية ليتبين ما بينهما من التباين البين حالا
ومالا فقيل ان الذين امنوا اى بكل ما يجب ان يؤمن به فيندرج فيه تحته ما نحن بصدده من الايمان
بالقران الذي عبر عنه منه ما يؤدى الى ذلك في الانفس والافاق او فعلوا الايمان كما في يعطي اى بالكون
على بينة من الله وانما يحصل ذلك باستماع الوحي والتدبر فيه ومشاهدة ما يؤدى الى ذلك في الانفس
والافاق او فعلوا الايمان كما في يعطي ويمنع وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اى اطمانوا اليه
وانقطعوا الى عبادته بالخضوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومعنى اخبت دخل في
الخبت كانجد دخل في تهامة ونجد اولئك المنعوتون بتلك النعوت الجميلة اصحاب الجنة هم فيها خالدون
دايمون وبعد تباين حاليهما عقلا اريد بيان تباينهما حسا فقيل مثل الفريقين المذكورين اى حالهما
العجيب لان المثل لا يطلق الا على ما فيه غرابة من الاحوال والصفات كالاعمى والاصم والبصير
والسميع اى كحال هؤلاء فيكون ذواتهم كذواتهم والكلام وان امكن ان يحمل على تشبيه الفريق الاول
بالاعمى والاصم وفي قوله والسميع لعطف الصفة على الصفة كما في قول من قال الى الملك القرم وابن
الهمام ⚬ وليث الكتيبة في المزدحم ⚬ واياما كان فالظاهر ان المراد بالحال المدلول عليها بلفظ
المثل وهي التي يدور عليها امر التشبيه ما يلايم الاحوال المذكورة والمعتبرة في جانب المشبه به من
تعامي الفريق الاول عن مشاهدة ايات الله المنصوبة في العالم والنظر اليها بعين الاعتبار وتصاممهم
عن استماع ايات القران الكريم وتلقيها ههنا لكون الاعمى الاظهر في سوء الحال من الاصم ومن استعمال
الفريق الثاني كلا من ابصارهم واسماعهم فيما ذكر كما ينبغي المدلول عليه بما سبق من الايمان والعمل الصالح
والاخبات حسبما فسر به فيما مر فلا يكون التشبيه تمثيليا لا جميع الاحوال المعدودة لكل من
الفريقين مما ذكر وما يؤدى اليه من العذاب المضاعف والخسران البالغ في احدهما ومن النعيم المقيم
في الاخرة فان اعتبار ذلك ينزع الى كون التشبيه تمثيليا بان ينتزع من حال الفريق الاول في تصاممهم
وتعاميهم المذكورين ووقوعهم بسبب ذلك في العذاب المضاعف والخسران الذي لا خسران
فوقه هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن فقد مشعري البصر والسمع فتخبط في مسلكه فوقع في مهاوي
الردى ولم يجد الى مقصده سبيلا وينتزع من حال الفريق الثاني واستعمال مشاعرهم في ايات الله تعالى
حسبما ينبغي وفوزهم بدار الخلود هيئة فتشبه بهيئة منتزعة ممن له بصر وسمع يستعملهما في مهماته
فيهتدى الى سبيله وينال مرامه هل يستويان يعني الفريقين المذكورين والاستفهام انكاري مؤكد
لما سبق من انكار المماثلة في قوله عز وجل افمن كان على بينة الاية مثلا اى حالا
وصفة وهو تمييز من فاعل يستويان افلا تذكرون اى اتشكون في عدم الاستواء وما بينهما من
التباين او تغفلون عنه فلا تتذكرونه بالتامل فيما ضرب لكم من المثل فيكون الانكار واردا على
المعطوفين معا او اتسمعون هذا فلا تتذكرون فيكون راجعا الى عدم التذكر بعد تحقق ما يوجب وجوده وهو
المثل المضروب كما في قوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم فان الفاء هناك للانكار بعد
تحقق ما يوجب عدمه من علمهم بخلو الرسل قبل الرسول صلى الله عليه وسلم اى
افلا تعقلون التذكر او فلا تعقلون ومعنى الهمزة انكار عدم التذكر واستبعاد صدوره عن
المخاطبين وانه ليس مما يصح ان يقع لا من قبيل الانكار في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى
هل يستويان فان ذلك لنفي المماثلة ونفي الاستواء لما بين من فاتحة السورة الكريمة الى هذا المقام
انه كتاب محكم الايات مفصلها نازل في شان التوحيد وترك عبادة غير الله سبحانه وتعالى وان
الذي انزل عليه نذير وبشير من جهته تعالى وقوى في تضاعيف ذلك مدخل في تحقيق هذا الكلام
من الترغيب والترهيب والزام المعاندين بما يقارنه من الشواهد الحقة الدالة على كونه من

عند

عند الله تعالى وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم مما عراه من ضيق الصدر العارض له من افترا
حاتهم الشنيعة وتكذيبهم له وتسميتهم للقران تارة سحرا واخرى مفترى وتثبيته عليه السلام
والمؤمنين على التمسك به والعمل بموجبه على ابلغ وجه وابدع اسلوب شرع في تحقيق ما ذكر وتقرير
بذكر قصص الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين المشتملة على ما اشتمل عليه فاتحة السورة
الكريمة وليتاكد ذلك بطريقين احدهما ان ما امر به من التوحيد والفروع فروعه مما اطبق
عليه الانبياء قاطبة والثاني ان ذلك انما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحي فلا
يبقى في حقيقته كلام اصلا وليتسلى بما يشاهد من معاناة الرسل قبله من اممهم ومقاساتهم الشدايد
من جهتهم فقيل ولقد ارسلنا نوحا الى قومه الواو ابتدائية واللام جواب قسم محذوف وحرفه الباء
لا الواو كما في سورة الاعراف لئلا يجتمع واوان ولا يكاد تطلق هذه اللام الا مع قد لانها مظنة
التوقع وان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح هو ابن لملك ابن متوشلخ بن
ادريس عليهما السلام وهو اول نبي بعث بعده قال ابن عباس رضي الله عنهما بعث بعده قال
ابن عباس رضي الله عنهما بعث عليه السلام على راس اربعين من عمره ولبث يدعو قومه تسعماية
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين سنة وقال مقاتل بعث وهو ابن
ماية سنة وقيل هو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مايتين وخمسين سنة ومكث يدعو قومه تسعماية
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مايتين وخمسين سنة وكان عمره الفا واربعماية وخمسين سنة
اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم تعليل لموجب النهي وتصريح بالمحذور وتحقيق الانذار والمراد به يوم
القيمة او يوم الطوفان ووصفه بالاليم على الاسناد المجازي للمبالغة كما في نهاره صائم وهذه المقالة
وما في معناها مما قاله عليه السلام في اثناء الدعوة على ما عزي اليه في ساير السور لما لم تصدر عنه
عليه السلام في اثناء الدعوة على ما عزي اليه في ساير السور لما لم تصدر عنه عليه السلام مرة
واحدة بل كان يكررها عليهم في تلك المدة المتطاولة على ما نطق به قوله تعالى رب اني دعوت قومي
ليلا ونهارا الايات عطف على فعل الارسال المقارن لها او القول المقدر بعده جوابهم المتعين
لاحوال المومنين الذين اتبعوه عليه السلام بعد اللتيا والتي بالفاء التعقيبية فقيل فقال الملأ الذين
كفروا من قومه اى الاشراف منهم من قولهم فلان ملئ بكذا اى مطيق له لانهم مليئون بكفايات
الامور او لانهم ملؤا القلوب هيبة والمجالس ابهة او لانهم ملئوا بالاحلام والاراء الصائبة ووصفهم
بالكفر لذمهم والتسجيل عليهم بذلك من اول الامر لا لان بعضهم ليسوا كفرة ما نراك الا بشرا
مثلنا مرادهم ما انت الا بشر مثلنا ليس فيك مزية تخصك من دوننا بما تدعيه من النبوة ولو كان
كذلك لرايناه الا ان ذلك ان يحتمل ولكنا لا نراه وكذا الحال في قولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم
اراذلنا بادى الراى فانهما لا يعلمون من رؤية العين وقوله تعالى الا بشرا مثلنا حال من المفعول وكذا
قوله اتبعك في موضع الحال منه اما على حاله اى بتقدير قد عند من يشترط ذلك ويجوز ان يكون
من رؤية القلب وهو الظاهر فهما المفعول الثاني ومتعلق الاول في الراى بالمثلية لا بالبشرية فقط
وانما لم يثنوا القول بذلك مع جزمهم به واصرارهم عليه اداة بان ذلك لم يصدر عنهم جزافا ثم
بعد التامل والتدبر فيه ولذلك اقتصروا على ذكر الظن فيما ياتي وتعرفينا من اول الامر راى
المتبعين فكان قولهم وما نراك الخ جوابا عما يرد عليهم من انه عليه السلام ليس مثلهم حيث ما ينبئ
دلائل نبوته واغتنم اتباعه من له عين تبصر وقلب يدرك فزعموا ان هؤلاء اراذلنا واخساؤنا
وادانينا جمع ارذل فانه صار بالغلبة جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر او جمع ارذل جمع رذل
كالكالب والكلب يعنون انه لا عبرة باتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصالة راى وقد
كان ذلك منهم في بادى الراى اى ظاهره من غير تعمق من البدو او في اوله من البدء والياء مبدلة
من الهمزة لانكسار ما قبلها وقد قراه ابو عمرو بها وانتصابه على الظرفية على حذف المضاف اى
وقت حدوث بادى الراى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم مع كونهم اولى الالباب الراجحة
لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهر الحياة الدنيا كان الاشرف عندهم الاكثر منها حظا والارذل
من حرمها ولم يفقهوا ان ذلك لا يزن عند الله جناح بعوضة وان النعيم انما هو نعيم الاخرة
والاشرف من فاز به والارذل من حرمه نعوذ بالله تعالى من ذلك وما نرى لكم اى لك
ولمتبعيك فغلب المخاطب على الغائبين علينا من فضل يعنون ان اتباعهم لك لا يدل على نبوتك
ولا يجديكم فضيلة تستتبع اتباعنا لكم واقتصارهم ههنا على ذكر عدم رؤية الفضل بعد تصريحهم
بنذالتهم فيما سبق باعتبار حالهم السابق واللاحق ومرادهم انهم كانوا اراذل قبل اتباعهم لك ولا

نرى فيهم وفيك بعد الاتباع فضيلة علينا بل نظنكم كاذبين جميعا لكون كلامكم واحدا ودعواكم واحدة
او اياك في دعوى النبوة واياهم في التصديق واقتصارهم على الظن احتراز منهم عن نسبتهم الى
المجازفة ومجاراة منه عليه السلام بطريق الاراءة على نهج الانصاف قال يا قوم ارايتم اى
اخبرونى وفيه ايماء الى ركاكة رايهم المذكور ان كنت على بينة برهان ظاهر من ربى وشاهد
يشهد على صحة دعواى واتانى رحمة من عنده هى النبوة ويجوز ان يكون هى البينة نفسها جىء بها
ايذانا بانها مع كونها بينة من الله تعالى رحمة ونعمة عظيمة من عنده فوجه افراد الضمير في قوله
تعالى فعميت عليكم حينئذ ظاهر وان اريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فالافراد
لارادة كل واحدة منهما او لكون الضمير للبينة والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوة
او لتقدير فعل اخر بعد البينة ومعنى عميت اخفيت وقرئ عميت ومعناه خفيت وحقيقته ان
الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره وفي قراءة ابى فعماها
عليكم على الاسناد الى الله عز وجل انلزمكموها اى انكرهكم على الاهتداء بها وهو جواب ارايتم
وساد مساد جواب ارايتم وساد مسد جواب الشرط وقرأ ابو عمرو باخفاء حركة الميم وحيث
اجتمع ضميران منصوبان وقد قدم اعرفهما جاز في الثانى الوصل والفصل فوصل كما وصل في قوله
تعالى فسيكفيكهم الله وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا تتاملون فيها ومحصول الجواب اخبرونى
ان كنت على حجة ظاهرة الدلالة على صحة دعواى الا انها خافية عليكم غير مسلمة عندكم ايمكننا
ان نكرهكم على قبولها وانتم معرضون عنها غير متدبرين فيها اى لا يكون ذلك وظاهره مشعر
بصدوره عنه عليه السلام بطريق اظهار الياس عن الزامهم والقعود عن محاجتهم كقوله
ولا ينفعكم نصحى الى اخره لكنه محمول على ان مراده عليه السلام ردهم عن الاعراض وحثهم على التدبر
فيها بصرف الانكار الى الالزام حال كراهتهم لها لا الى الالزام مطلقا هذا ويجوز ان يكون
المراد بالبينة دليل العقل الذى هو ملاك الفضل وبحسبه يمتاز افراد البشر بعضها عن بعض
وبه يناط الكرامة عند الله عز وجل والاجتباء للرسالة وبالكون عليها التمسك به والثبات
عليه وبخفائها على الكفرة على ان يكون الضمير للبينة عدم ادراكهم لكونه عليه السلام عليها
وبالرحمة النبوة التى انكروا اختصاصه عليه السلام بها بين ظهرانيهم والمعنى انكم زعمتم
ان عهد النبوة لا يناله الا من له فضيلة على ساير الناس مستتبعة لاختصاصه به دونهم
اخبرونى ان امتزت منكم بزيادة مزية وحيازة فضيلة من ربى واتانى بحسبها نبوة من عنده
فخفيت عليكم تلك البينة ولم تصيبوها ولم تنالوها او لم تعلموا حيازتى لها وكونى عليها الى
الان حتى زعمتم انى مثلكم وهى متحققة في نفسها انلزمكم قبول النبوة السابقة لها والحال انكم
كارهون لذلك فيكون الاستفهام للحمل على الاقرار وهو الانسب بمقام المحاجة وحينئذ يكون
كلامه عليه السلام جوابا عن شبههم التى ادرجوها في خلال مقالهم من كونه عليه السلام بشرا
قصارى امره ان يكون مثلهم من غير فضل له عليهم وقطعا لشأفة اراءتهم الركيكة ويا قوم
لا اسئلكم عليه اى على ما قلته في اثناء دعوتكم مالا تؤدونه الى جزاء ايمانكم واتباعكم لى فيكون
ذلك اجرا لى في مقابلة اهتدائكم ان اجرى الا على الله الذى يثيبنى في الاخرة وفي التعبير عنه
حين نسب اليه بالمال ما لا يخفى من المزية وما انا بطارد الذين امنوا جواب عما لوحوا به
بقولهم وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا من انه لو اتبعه الاشراف لوافقوهم وان
اتباع الفقراء مانع لهم من ذلك كما صرحوا به في قولهم انؤمن لك واتبعك الارذلون فكان
ذلك التماسا منهم لطردهم وتعليقا لايمانهم به عليه السلام بذلك انفة من الانتظام
معهم في سلك واحد انهم ملاقوا ربهم تعليل لامتناعه عليه السلام عن طردهم اى انهم
فايزون في الاخرة بلقاء الله عز وجل كانه قيل لا اطردهم ولا ابعدهم عن مجلسى لانهم مقربون
في حضرة القدس والتعرض بوصف الربوبية لتربية وجوب رعايتهم وتحتم الامتناع عن
طردهم او مصدقون في الدنيا بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة
فكيف اطردهم وحمله على معنى انهم ملاقوه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان صحيح
ثابت كما ظهر لى او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء ايمانهم على بادى الراى من غير
نظر وتفكر وما على ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر
كما تزعمون يأباه الجزم بترتب غضب الله تعالى على طردهم كما سياتى وايضا انهم انما قالوا ان
اتباعهم لك انما هو بحسب بادى الراى بلا تامل وتفكر وهذا لا يصلح مدارا للطرد في الدنيا

ولا

ولا للمواخذة في الاخرة غايته ان لا يكونوا في مرتبة الموقنين وادعاء ان بناء الايمان على ظاهر الراى
يؤدى الى الرجوع عنه عند التامل فكانهم قالوا انهم اتبعوك بلا تامل فلا يثبتون على دينك بل
يرتدون عنه تعسف لا يخفى ولكنى اريكم قوما تجهلون بكل ما ينبغى ان يعلم ويدخل فيه جهلهم
بلقاء الله عز وعلا وبمنزلتهم عنده وباستيجاب طردهم لغضب الله كما سياتى وبركاكة رايهم
في التماس ذلك وتوقيف ايمانهم عليه انفة عن الانتظام معهم في سلك واحد وزعما منهم
ان الرذالة بالفقر والشرف بالغنى وايثار صيغة الفعل للدلالة على التجدد والاستمرار او
يتسافهون على المؤمنين بنسبتهم الى الخساسة ويا قوم من ينصرنى من الله بدفع حلول سخطه
على ان طردتهم فان ذلك امر لا مرد له لكون الطرد ظلما موجبا لحلول السخط قطعا وانما لم يصرح
به اشعارا بانه غنى عن البيان لاسيما غب ما قدم ما يلوح به من احوالهم كانه قيل من يدفع
عنى غضب الله تعالى ان طردتهم وهم بتلك المثابة من الكرامة والزلفى كما ينبئ عنه قوله تعالى
افلا تذكرون اى اتستمرون على ما انتم عليه من الجهل المذكور فلا تتذكرون ما ذكر من حالهم
حتى تعرفوا ان ما تاتونه بمعزل عن الصواب ولكون هذه العلة مستقلة بوجه مخصوص من ظاهر
الدلالة على وجوب الامتناع عن الطرد افردت عن التعليل السابق وصدرت بيا قوم ولا
اقول لكم حين ادعى النبوة عندى خزائن الله اى رزقه وامواله حتى تستدلوا بعدمها على
كذبى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين فان النبوة اعز من ان ينال باسباب
دنيوية ودعواها بمعزل من ادعاء المال والجاه ولا اعلم الغيب اى ولا ادعى في قولى انى لكم نذير
مبين انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم علم الغيب حتى تسارعوا الى الانكار والاستبعاد ولا اقول
لكم انى ملك حتى تقولوا ما نراك الا بشرا مثلنا فان البشرية ليست من موانع النبوة بل من
مباديها يعنى انكم اتخذتم فقدان هذه الامور الثلثة ذريعة الى تكذيبى والحال انى لا ادعى
شيئا من ذلك ولا الذى ادعيه يتعلق بشئ منها وانما يتعلق بالفضائل النفسانية التى
بها يتفاوت مقادير البشر ولا اقول مساعدة لكم كما تقولون للذين تزدرى اعينكم اى تحتقرهم
وتستحقرهم من زراه اذا عابه واسناد الازدراء الى اعينهم بالنظر الى قولهم وما نراك اتبعك
الا الذين هم اراذلنا واما للاشعار بان ذلك لقصور نظرهم ولو تدبروا في شانهم ما فعلوا
ذلك اى لا اقول في شان الذين استرذلتموهم لفقرهم من المؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا في
الدنيا او في الاخرة فعسى الله ان يؤتيهم خيرى الدارين ان قلت هذا القول ليس مما يتمسك
به الكفرة ولا مما يتوهمون صدوره عنه عليه السلام اصالة واستتباعا كادعاء الملكية وعلم
الغيب وحيازة الخزائن مما نفاه عليه السلام عن نفسه بطريق التبرى والتنزه عنه فما
وجه عطف نفيه على نفيها قلت متوجهة ان كلا النفيين رد لقياسهم الباطل الذى تمسكوا
به فيما سلف فانهم زعموا ان النبوة تستتبع الامور المذكورة وانها لا تتسنى ممن ليس على تلك
الصفات وان العثور على مكانها واغتنام مغانمها ليس من دأب الاراذل فاجاب عليه
السلام بنفى ذلك جميعا فكانه قال لا اقول وجود تلك الاشياء من مواجب النبوة ولا
عدم المال والجاه من موانع الخير الله اعلم بما في انفسهم من الايمان وانما اقتصر على نفى القول
المذكور مع انه عليه السلام جازم بان الله سبحانه وتعالى سيؤتيهم خيرا عظيما في الدارين
وانهم على يقين راسخ في الايمان جريا على سنن الانصاف مع القوم واكتفاء بمخالفة كلامهم
وارشادا لهم الى مسلك الهداية بان اللائق لكل احد ان لا يبت القول الا فيما يعلمه يقينا
ويبنى اموره على الشواهد الظاهرة ولا يجازف فيما ليس فيه على بينة ظاهرة انى اذا اى
اذا قلت ذلك لمن الظالمين لهم بحط مرتبتهم ونقص حقوقهم او من الظالمين لانفسهم بذلك
فان وباله راجع الى انفسهم وباله راجع الى انفسهم وفيه تعريض بانهم ظالمون في ازدرائهم
واسترذالهم وقيل اذا قلت شيئا مما ذكر من ادعاء الملكية وعلم الغيب وحيازة الخزائن
وهو بعيد لان تبعة تلك الاقوال معينة عن التعليل بلزوم الانتظام في زمرة الظالمين
قالوا يا نوح قد جادلتنا خاصمتنا فاكثرت جدالنا اى اطلته او اتيت بانواعه فان
اكثار الجدال متحقق بعد وقوع اصله فلذلك عطف عليه بالفاء او اردت ذلك فاكثرته
كما في قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله ولما الجمهم عليه السلام وابدى لهم بينات
واضحة المدلول وحججا تتلقاها العقول بالقبول والقمهم الحجر برد شبههم الباطلة ضاقت
عليهم الحيل وعيت بهم العلل وقالوا فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل او العذاب الذى

اشير اليه في قوله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم على تقدير ان لا يكون المراد باليوم يوم
القيمة ان كنت من الصادقين فيما تقول قال انما يأتيكم به الله ان شاء يعني ان ذلك ليس
موكولا الي ولا هو مما يدخل تحت قدرتي وانما يتولاه الله الذي كفرتم به وعصيتموه بان يأتيكم
به عاجلا واجلا ان تعلق به مشيئته التابعة للحكمة وفيه ما لا يخفى من تهويل الموعود فكانه
قيل الاتيان به امر خارج عن دائرة القوى البشرية وانما يفعله الله تعالى وما انتم بمعجزين
بالهرب او بالمدافعة كما تدافعونني في الكلام ولا ينفعكم نصحي النصح كلمة جامعة لكل ما
يدور عليه الخير من فعل او قول وحقيقته امحاض ارادة الخير والدلالة عليه ونقيضه
الغش وقيل هو اعلام موقع الغي ليتقى وموضع الرشد ليقتفى ان اردت ان انصح لكم
شرط حذف جوابه لدلالة ما سبق عليه والتقدير ان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم
نصحي وهذه الجملة دليل على ما حذف من جوابه قوله تعالى ان كان الله يريد ان يغويكم
والتقدير ان كان الله يريد ان يغويكم فان اردت ان انصح لكم لا ينفعكم نصحي هذا ما
ذهب اليه البصريون من عدم التقديم للجزا على الشرط واما ما ذهب اليه الكوفيون
من جوازه فقوله عز وعلا ولا ينفعكم نصحي جزا للشرط الاول والجملة جزا للشرط
واما ما ذهب اليه الكوفيون من جوازه فقوله عز وعلا الثاني وعلى التقديرين فالجزا
متعلق بالشرط الاول وتعلقه به معلق بالشرط الثاني وهذا الكلام متعلق بقولهم قد
جادلتنا فاكثرت جدالنا صدر عنه عليه السلام اظهارا للعجز عن الزامهم بالحجج والبينات
لتماديهم في العناد وابناء بانما سبق منه ليس بطريق الجدال والخصام بل بطريق النصيحة لهم
والشفقة عليهم وبانه لم يال جهدا في ارشادهم الى الحق وهدايتهم الى سبيله المستبين
وامحاض النصح لهم ولكن لا ينفعهم ذلك عند ارادة الله تعالى لاغوايهم وتقييد عدم نفع
النصح بارادته مع انه محقق لا محالة للايذان بان ذلك النصح منه مقارن للارادة
والاهتمام به ولتحقيق المقابلة بين ذلك وبين ما وقع بازائه من ارادته لاغوايهم وانما
اقتصر في ذلك على مجرد ارادته الاغوا دون نفسه حيث لم يقل ان كان الله يغويكم مبالغة
في بيان غلبة جنابه عز وجل حيث دل ذلك على ان نصحه المقارن للاهتمام به لا يجديهم
عند مجرد ارادة الله سبحانه لاغوايهم فكيف عند تحقيق ذلك وخلقه فيهم وزيادة كان
للاشعار بتقدم ارادته تعالى زمانا كتقدمه رتبة وللدلالة على تجددها واستمرارها
وانما قدم على هذا الكلام ما يتعلق بقولهم فاتنا بما تعدنا من قوله تعالى انما يأتيكم به
الله ان شاء ردا عليهم من اول الامر وتسجيلا عليهم بحلول العذاب مع ما فيه من اتصال
الجواب بالسؤال وفيه دليل على ان ارادته تعالى يصح تعلقها بالاغوا وان خلاف مراده
غير موقع وقيل معنى ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم وهلك هو ربكم
خالقكم ومالك امركم واليه ترجعون فيجازيكم على اعمالكم لا محالة ام يقولون افتراه قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يعني نوحا عليه السلام ومعناه بل ايقولون قوم نوح
ان نوحا افترى ما جاء به مسندا الى الله عز وجل قل يا نوح ان افتريته بالفرض البحت
فعلي اجرامي اثمي ووبال اجرامي وهو كسب الذنب وقرئ بلفظ الجمع وينصره ان فسره
الاولون بالثاني وانا بريء مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافترا الي فلا وجه لاعراضكم
عني ومعاداتكم لي وقال مقاتل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ومعناه بل ايقولون مشركوا
مكة افتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر نوح فكانه انما جيء به في تضاعيف القصة
عند سوق طرف منها تحقيقا لحقيقتها وتاكيدا لوقوعها وتشويقا للسامعين
الى استماعها لا سيما وقد قص منها طائفة متعلقة بما جرى بينه عليه السلام وبين
قومه من المحاجة وبقيت طائفة مستقلة متعلقة بعذابهم واوحي الى نوح انه
لن يؤمن من قومك اي المصرين على الكفر وهو اقناط له عليه السلام من ايمانهم واعلام
لكونه كالمحال الذي لا يصح توقعه الا من قد امن الا من وجد منه بان يتوقع من ايمانه
وهذا الاستثنا على طريقة قوله الا ما قد سلف فلا تبتئس بما كانوا يفعلون اي لا تحز
ن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما كانوا يتعاطونه من التكذيب والاستهزا والايذا في
هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام منهم واصنع الفلك
ملتبسا باعيننا اي بحفظنا وكلائتنا كان معه من الله عز وجل حفاظا وحراسا يكلاونه

باعينهم من التعدي من الكفرة من الزيغ في الصنعة ووحينا اليك كيف تصنعها وتعليمنا والهامنا عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله تعالى اليه ان يصنعها مثل جو
جو الطاير والامر للوجوب اذ لا سبيل الى صيانة الروح من الغرق الا به فيجب كوجوبها واللام اما
للعهد بان يحمل على ان هذا مسبوق بوحي الله تعالى اليه عليه السلام انه سيهلكهم بالغرق وينجيه
ومن معه بامره تعالى ووجه من شانه كيت وكيت واسمه كذا واما للجنس قيل صنعها عليه السلام
في سنتين وقيل في اربعماية سنة وكانت من خشب الساج وجعلت ثلثة بطون حمل في البطن الاول
الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وفي البطن الاعلى جنس البشر
هو ومن معه مع ما يحتاجون اليه من الزاد وحمل معه جسد ادم عليه السلام وقيل في الاول
الدواب والوحوش وفي الثاني الانس وفي الاعلى الطير قيل كان طولها ثلثماية ذراع وعرضها خمسماية
خمسون ذراعا وسمكها ثلثين وقال الحسن كان طولها الفا ومايتي ذراع وعرضها ستماية ذراع وقيل
ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق حتى
اتى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله اعلم
قال هذا كعب بن حام فضرب بعصاه فقال قم باذن الله تعالى فاذا هو قايم ينفض التراب عن راسه
وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام اهكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكني ظننت انها الساعة
فمن ثم شبت فقال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ومايتي ذراع وعرضها ستماية ذراع
وكانت ثلث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال عد باذن الله
تعالى كما كنت فعاد ترابا ولا تخاطبني في الذين ظلموا اي لا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع
عنهم وفيه من المبالغة ما ليس فيما لو قيل ولا تدعني فيهم وحيث كان فيه ما يلوح بما يستتبعه
اكد التعليل فقيل انهم مغرقون اي محكوم عليهم بالاغراق وقد مضى به القضا وجف القلم فلا سبيل
الى كفه ولزمتهم الحجة فلم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ومثلا للاخرين ويصنع الفلك حكاية
حال ماضية لاستحضار صورتها العجيبة وقيل تقديرها واخذ يصنع الفلك او قيل ايصنعها
فاقتصر على يصنع وايا ما كان ففيه ملايمة للاستمرار المفهوم من الجملة الواقعة حالا من ضميره
اعني قوله تعالى وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه استهزوا به لعمله السفينة اما لانهم ما
كانوا يعرفونها ولا كيفية استعمالها والانتفاع بها فتعجبوا من ذلك وسخروا منه واما لانه كان
يصنعها في برية بهما في ابعد موضع من الماء وفي وقت عزته عزة شديدة وكانوا يتضاحكون
ويقولون يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا وقيل لانه عليه السلام كان ينذرهم الغرق فلما
طال مكثه فيهم ولم يشاهدوا منه عينا ولا اثرا عدوه من باب المحال ثم لما راوا اشتغاله باسباب
الخلاص من ذلك فعلوا ما فعلوا ومدار الجميع انكار ان يكون لعمله عليه السلام عاقبة حميدة مع
ما فيه من تحمل المشاق العظيمة التي لا تكاد تطاق وكما له عليه السلام في ذلك قال ان تسخروا منا
مستجهلين لنا فيما نحن فيه فانا نسخر منكم اي نستجهلكم فيما انتم عليه واطلاق السخرية عليه للمشاكلة
وجمع الضمير في منا اما لان سخريتهم منه عليه السلام سخرية من المؤمنين ايضا ولانهم كانوا
يسخرون منهم ايضا الا انه اكتفى بذكر سخريتهم منه عليه السلام ولذلك تعرض الجميع للمجازاة
في قوله تعالى فانا نسخر منكم الى اخره فتكافأ الكلام من الجانبين وتعليق استجهاله عليه السلام
اياهم بما فعلوا من السخرية باعتبار ومشابهته عليه السلام اياهم بذلك والا فعدم استجهاله عليه السلام
اياهم جاهلين فيما يأتون ويذرون امر مطرد لا تعلق له بسخريتهم منهم لكنه عليه السلام لم يكن
ليتصدى لاظهاره جريا على نهج الاخلاق الحميدة وانما اظهره جزاء بما صنعوا بعد اللتيا والتي فان سخريتهم
كانت مستمرة ومتجددة حسب تجدد مرورهم عليه ولم يكن يجيبهم في كل مرة والا لقيل ويقول انا نسخر
منكم الخ بل انما جاوبهم بعد بلوغ اذاهم الغاية كما يؤذن به الاستيناف فكان سايلا سال فقال فما صنع
نوح عند بلوغهم منه هذا المبلغ فقيل قال ان تسخروا منا اي ان تنسبونا فيما نحن بصدده من
التاهب والمباشرة لاسباب الخلاص من العذاب الى الجهل وتسخروا منا لاجله فانا ننسبكم اليه فيما
انتم فيه من الاعراض عن استدفاعه بالايمان والطاعة ومن الاستمرار على الكفر والمعاصي والتعرض
لاسباب حلول سخط الله تعالى التي من جملتها استجهالكم ايانا وسخريتكم منا والتشبيه في قوله عز
وجل كما تسخرون اما في مجرد التحقق والوقوع او في التجدد والتكرر حسبما صدر عن ملاء عقيب ملاء
لا في الكيفيات والاحوال التي لا تليق بشان النبي عليه السلام فكلا الامرين واقع في الحال وقيل

نسخر منكم فى المستقبل سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق فى الدنيا والحرق فى الآخرة ولعل
مراده نعاملكم معاملة من يفعل ذلك لان نفس السخرية مما لا يكاد يليق بمنصب النبوة ومع
ذلك لا يسند اليه لانما الجزاء ذلك ليس مما لا يلايمه السخرية او لما يجرى مجراها فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه وهو عذاب الغرق ويحل عليه حلول الدين المؤجل عذاب مقيم هو عذاب
النار الدائم وهو مديد بليغ ومن عبارة عنهم وهى اما استفهامية فى حيز الرفع او موصولة
فى محل النصب بتعلمون وما فى حيزها ساد مسد مفعولين او مفعول واحد ان جعل العلم بمعنى
المعرفة ولما كان مدار سخريتهم استجهالهم اياه عليه السلام فى مكابدة المشاق الفادحة لدفع
ما لا يكاد يدخل تحت الصحة على زعمهم من الطوفان ومقاساة الشدايد فى بناء السفينة وكانوا
يعدونه عبثا قبل استجهالهم فسوف تعلمون من ياتيه العذاب بعنوان يعنى ان ما باشره ليس
فيه عذاب لاحق بى فسوف تعلمون من ياتيه العذاب ولقد اصاب العلم بعد استجهالهم محزه وفى وصفه
العذاب بالاخزاء المنافى للاستهزاء والسخرية من لحوق الخزى والعار عادة والتعرض لحلول العذاب
للمبالغة فى التهديد وتخصيصه بالمؤجل وايراد الاول بالاتيان فى الغاية الجزالة حتى اذا جاء
امرنا حتى هى التى يبتدا بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهى مع ذلك غاية لقوله ويصنع
وما بينهما حال من الضمير فيه وسخروا منه جواب كلما وقال استيناف على سؤال سائل كما ذكرناه
وقيل هو الجواب وسخروا منه بدل من مر او صفة للملاء وقد عرفت ان الحق هو الاول لان المقصود
بيان تناهيهم فى ايذائه عليه السلام وتحمله لاذيتهم لا مسارعته عليه السلام الى جوابهم كلما
وقع منهم ما يؤذيه من الكلام وفار التنور نبع الماء منه وارتفع بشدة كما يفور القدر
بغليانها والتنور تنور الخبز وهو قول الجمهور روى انه قيل لنوح عليه السلام اذا رايت الماء يفور
من التنور فاركب ومن معك فى السفينة فلما نبع الماء اخبرته امراته فركب وقيل كان تنور
آدم عليه السلام وكان من حجارة فصار الى نوح وانما نبع منه وهو ابعد شئ من الماء على
خرق العادة وكان فى الكوفة فى موضع مسجدها عن يمين الداخل بلى باب كندة وكان عمل السفينة
فى ذلك الموضع او فى الهند او فى السند او فى موضع بالشام يقال له عين وردة وعن ابن عباس
رضى الله عنهما وعكرمة والزهرى ان التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع فى الارض
اى اعلاه وعن على رضى الله قال التنور طلع الفجر قلنا احمل فيها اى فى السفينة وهو جواب اذا من كل
اى من كل نوع لا بد منه فى الارض زوجين الزوج ما له مشاكل من نوعه فالذكر زوج للانثى كما هو زوج
له وقد يطلق على مجموعهما فيقابل الفرد ولازالة ذلك الاحتمال قيل اثنين كل منهما زوج للاخر
وقرئ على الاضافة وانما قدم ذلك على اهله وساير المؤمنين لكونه عريقا فيما امر به من الحمل لانه
يحتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام فى تمييز بعضه من بعض وتعيين الازواج غاية
فانه روى انه عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه
السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه فى كل جنس فيقع الذكر فى يده اليمنى والانثى فى اليسرى
فيجعلها فى السفينة واما البشر فانما يدخل الفلك باختياره فيخف فيه معنى الحمل والانهما اعمل
مباشرة البشر وهم انما يدخلونها بعد حملهم اياها واهلك عطف على زوجين او على اثنين والمراد
امراته وبنوه ونساؤهم الا من سبق عليه القول منهم بانه من المغرقين بسبب ظلمهم فى قوله تعالى
ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا الاية والمراد به ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا كافرين والاستثناء
منقطع ان اريد بالاهل الاهل ايمانا وهو الظاهر كما ستعرفه او متصل ان اريد به الاهل قرابة
ويكفى فى صحة الاستثناء المعلومية عند المراجعة الى احوالهم والتفحص عن اعمالهم وجئ بعلى لكون السابق
ضارا لهم كما جئ باللام فيما هو نافع لهم فى قوله عز وجل ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
وقوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ومن امن من غيرهم وافراد الاهل منهم للاستثناء المذكور
وايثار صيغة الافراد فى امن محافظة على لفظ من للايذان بقلتهم كما اعرب عنه قوله عز قائلا
وما امن معه الا قليل قيل كانوا ثمانية نوح عليه السلام واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم
وعن ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وعنه ايضا انهم كانوا عشرة سوى نسائهم
وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية
وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء واعتبار المعية فى ايمانهم للايماء الى المعية فى مقر الامان
والنجاة وقال اى نوح عليه السلام لمن معه من المؤمنين كما ينبئ عنه قوله تعالى ان ربى لغفور رحيم
ولو رجع الضمير الى الله تعالى لناسب ان يقال ان ربكم ولعل ذلك بعد ادخال ما امر بحمله فى الفلك

من

من الازواج كانه قيل مجموع الا نعاج ا وادخلها فى الفلك وقال المؤمنين اركبوا فيها كما سياتى
بيانه فى قوله تعالى وهى تجرى بهم والركوب العلو على شئ متحرك ويتعدى بنفسه واستعماله ههنا
بكلمة فى ليس لان المامور به كونهم فى جوفها لا فوقها كما ظن فان اظهر الروايات انه عليه السلام
جعل الوحوش ونظايرها فى البطن الاسفل والانعام فى الاوسط وركب هو ومن معه فى الاعلى بل
لرعاية جانب المحلية والمكانية فى الفلك والسر فيه ان معنى الركوب العلو على شئ له حركة اما ارادية
كالحيوان او قسرية كالسفينة والعجلة ونحوهما فاذا استعمل فى الاول يوفر له حظ الاصل فيقال
ركبت الفرس وعليه قوله عز من قائل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وان استعمل فى الثانى يلوح
بمحلية المفعول بكلمة فى فيقال ركبت فى السفينة وعليه الاية الكريمة وقوله عز قائلا فاذا ركبوا
فى الفلك وقوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها بسم الله متعلق باركبوا حال
من فاعله اى اركبوا مسمين الله تعالى او قائلين بسم الله مجراها ومرساها نصب على الظرفية
اى وقت اجرائها وارسائها على انهما اسما زمان او مصدران كالاجراء والارساء بحذف الوقت
كقولك اتيتك خفوق النجم او اسماء مكان انتصابهما فى بسم الله من معنى الفعل او ارادة القول
ويجوز ان يكون بسم الله مجريها ومرسيها مستقلة من مبتدا وخبر فى موضع الحال من ضمير الفلك
اى اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله تعالى بمعنى التقدير لقوله تعالى ادخلوها خالدين وجملة
مقتضية على ان نوحا امرهم بالركوب فيها ثم اخبرهم بان اجراءها وارساءها باسم الله تعالى فيكون
كلامين له عليه السلام قيل كان عليه السلام اذا اراد ان يجريها يقول باسم الله فتجرى واذا
اراد ان يرسيها يقول باسم الله فترسوا ويجوز ان يكون الاسم مقحما كما فى قوله • الى الحول ثم اسم
السلام عليكما • ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اى بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها
على صيغة الفاعل مجرورى المحل صفتين لله عن اسمه ومجراها ومرساها بفتح الميم مصدرين او
زمانين او مكانين من جرى ورسا ان ربى لغفور للذنوب والخطايا رحيم لعباده ولذلك نجاكم
من هذه الطامة والداهية التامة ولولا ذلك لما فعله وفيه دلالة على ان نجاتهم ليست بسبب
استحقاقهم لها بل بمحض فضل الله سبحانه وتعالى وغفرانه ورحمته على ما عليه راى اهل السنة
وهى تجرى بهم متعلق بمحذوف دل عليه الامر بالركوب اى فركبوا فيها مسمين وهى تجرى ملتبسة
بهم فى موج كالجبال وهو ما ارتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة من ذلك كجبل فى ارتفاعها
وتراكمها وما قيل من ان الماء طبق ما بين السماء والارض وكانت السفينة تجرى فى جوفه كالحوت
فغير ثابت والمشهور انه علا شوامخ الجبال خمسة عشر ذراعا واربعين ذراعا ولئن صح ذلك
فهذا الجريان انما هو قبل ان يتفاقم الخطب كما يدل عليه قوله تعالى ونادى نوح ابنه فان ذلك
انما يتصور قبل ان ينقطع العلاقة بين السفينة والبر اذ حينئذ يمكن جريان ما جرى بين نوح
عليه السلام وبين ابنه من المفاوضة بالاستدعا الى السفينة والجواب بالاعتصام بالجبل
وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على ان الضمير لامرأته وكان ربيبه وما يقال من انه كان لغير
رشدة لقوله تعالى فخانتاهما فارتكاب عظيمة لا يقادر قدرها فان جناب الانبياء صلوات الله
تعالى عليهم وسلامه ارفع من ان يشار اليه باصبع الطعن وانما المراد بالخيانة الخيانة فى الدين
وقرئ ابناه على الندبة ولكونها حكاية سوغ حذف حرفها وانت خبير بانه لا يلايمه الاستدعا
الى السفينة فانه صريح فى انه لم يقع فى حياته باس بعد وكان فى معزل اى فى مكان عزل فيه
نفسه عن ابيه واخوته وقومه بحيث لم يتناوله الخطاب باركبوا واحتاج الى النداء المذكور
وقيل فى معزل من الكفار قد انفرد عنهم وظن نوح انه يريد مفارقتهم ولذلك دعاه الى السفينة
وقيل كان ينافق اباه فظن انه مؤمن وقيل كان يعلم انه كافر الى ذلك الوقت لكنه عليه السلام
ظن انه عند مشاهدة تلك الاهوال ينزجر عما كان عليه ويقبل الايمان وقيل لم يكن الذى تقدم
من قوله تعالى الا من سبق عليه القول نصا فى كون ابنه داخلا تحته بل كان كالمجمل فحملته شفقة
الابوة على ذلك يا بنى قرئ بفتح الياء اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة
وبالكسر اقتصارا عليه من الالف ياء الاضافة فى قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء
الساكنين لان الراء بعدها ساكنة اركب معنا قرا ابو عمرو والكسائى وحفص بادغام الباء
فى الميم لتقاربهما فى المخرج وانما اطلق الركوب عن ذكر الفلك لتعينها وللايذان بضيق المقام
حيث جال الجريض دون القريض مع اغناء المعية عن ذلك ولا تكن مع الكافرين اى فى المكان
وهو وجه الارض خارج الفلك لا فى الدين وان كان ذلك مما يوجبه كما يوجب ركوبه معه

عليه السلام مكونه معه فى الايمان لانه عليه السلام بصدد التحذير عن المهلكة فلا يلايمه
النهى عن الكفر قال ساوى الى جبل من الجبال يعصمنى بارتفاعه من الماء زعما منه ان ذلك
كساير المياه فى ازمنة السيول المعتادة التى ربما يتقى منها بالصعود الى الربى وانى له ذلك
السيل الربى وجهلا بان ذلك انما كان لاهلاك الكفرة وان لا محيص من ذلك سوى التجا الى
ملجاء المؤمنين فلذلك اراد عليه السلام ان يبين له حقيقة الحال ويصرفه عن ذلك الكفر
المحال وكان مقتضى الظاهر ان يجيب بما ينطبق على كلامه ويتعرض لنفى ما اثبته للجبل من كونه
عاصما له من الماء بان يقول لا يعصمك منه مفيد النفى وصف العصمة عنه فقط من غير تعرض
لنفيه عن غيره ولا لنفى الموصوف اصلا لكنه عليه السلام حيث قال لا عاصم اليوم من امر الله
سلك طريقة نفى الجنس المنتظم لنفى جميع افراد العاصم ذاتا وصفة كما فى قولهم ليس فيه داع
ولا مجيب اى احد للمبالغة فى نفى كون الجبل عاصما بالوجهين المذكورين وزاد اليوم للتنبيه
على انه ليس كساير الايام التى يقع فيها الوقايع وتلم فيها الملمات المعتادة التى ربما يتخلص
من ذلك بالالتجا الى بعض الاسباب العادية وعبر عن الماء فى محل اضماره بامر الله اى عذابه
الذى اشير اليه حيث قيل حتى اذا جاء امرنا تفخيما لشانه وتهويلا لامره وتنبيها لابنه على
خطايه فى تسميته ماء وتوهمه انه كساير المياه التى تنقضى منها بالهرب الى بعض المهارب
المعهودة وتعليلا للنفى المذكور فان امر الله لا يغالب وعذابه لا يرد وتمهيدا لحصر العصمة
فى جانب الله عز جاره بالاستثنا كانه قيل لا عاصم من امر الله الا هو وانما قيل الا من رحم
تفخيما لشانه الجليل بالابهام ثم التفسير وبالاجمال ثم التفصيل واشعارا بعلية رحمته
فى ذلك بموجب سبقها على غضبه وكل ذلك لكمال عنايته عليه السلام بتحقيق ما يتوخاه
من نجاة ابنه ببيان شان الداهية وقطع اطماعه الفارغة وصرفه عن التعلل بما لا يغنى منه
شيئا وارشاده الى العياذ بالمعاذ الحق عز حماه وقيل لا مكان يعصم من امر الله الا من كان من
رحمة الله وهو الفلك وقيل معنى لا عاصم لا ذا عصمة الا من رحمه الله تعالى وحال بينهما
الموج فكان من المغرقين اذ هو انما يتفرع على حيلولة الموج بينه عليه السلام وبين الجبل لانه
بمعزل من كونه عاصما وان لم يحل بينه وبين الملتجئ اليه موج وفيه دلالة على هلاك كساير
الكفرة على ابلغ وجه فكان ذلك امرا مقررا الوقوع غير مفتقر الى البيان وفى ايراد كان دون
صار مبالغة فى كونه منهم وقيل يا ارض ابلعى اى انشفى استعير له من افعال الحيوان ما
يناسبه للدلالة على ان ذلك ليس كالنشف المعتاد التدريجى ماءك اى ما على وجهك من ماء
الطوفان دون المياه المعهودة فيها من العيون والانهار وعبر عنه بالماء بعد ما عبر عنه فيما
سلف بامر الله تعالى لان المقام مقام النقص والتقليل لا مقام التفخيم والتهويل ويا سماء
اقلعى اى امسكى عن ارسال المطر يقال اقلعت السماء اذا انقطع مطرها واقلعت الحمى اى كفت وغيض
الماء اى نقص ما بين السماء والارض من الماء وقضى الامر اى انجز ما وعد الله تعالى نوحا من
اهلاك قومه وانجائه باهله او اتم الامر واستوت استقرت الفلك على الجودى هو جبل
بالموصل او بالشام او بامل روى انه عليه السلام ركب فى الفلك فى عاشر رجب ونزل عنها
فى عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة وقيل بعدا للقوم الظالمين اى هلاكا لهم
اى هلاكا لهم والتعرض لوصف الظلم للاشعار بعليته للهلاك ولتذكير ما سبق من قوله ولا
تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ولقد بلغت الاية الكريمة من مراتب الاعجاز قاصيتها
وملكت من غرر المزايا ناصيتها وقد تصدى لتفصيلها المهرة المتقنون ولعمرى ان ذلك فوق
ما يصفه الواصفون فحرى بنا ان نوجز الكلام فى هذا الباب ونفوض الامر الى تامل اولى الالباب
والله عنده علم الكتاب ونادى نوح ربه اى اراد ذلك بدليل الفا فى قوله تعالى فقال رب
ان ابنى من اهلى وقد وعدتنى انجاهم فى ضمن الامر بحملهم فى الفلك او المنادى على الحقيقة والفا
لتفصيل ما فيه من الاجمال وان وعدك الحق اى وعدك ذلك او ان كل وعد تعده حق لا
يتطرق اليه فيه خلف فيدخل فيه الوعد المعهود دخولا اوليا وانت احكم الحاكمين لانك
اعلمهم واعدلهم او انت اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع وهذا
الدعاء منه عليه السلام على طريقة دعاء ايوب عليه السلام اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت
ارحم الراحمين قال يا نوح لما كان دعاؤه عليه السلام بتذكير وعده جل ذكره مبنيا على كون
كنعان من اهله نفى اولا كونه منهم بقوله تعالى انه ليس من اهلك اى ليس منهم اصلا لان

مدار الاهلية هو القرابة الدينية ولا علاقة بين المؤمن والكافر او ليس من اهلك الذين امرتك
بحملهم فى الفلك لخروجه عنهم بالاستثنا وعلى التقديرين ليس هو من الذين وعد بانجايهم ثم علل
عدم كونه منهم على طريقة الاستيناف التحقيقى بقوله تعالى انه عمل غير صالح اصله انه ذو عمل
غير صالح اصله انه ذو عمل غير صالح فجعل نفسه العمل مبالغة كما فى قول الخنساء فانما هى اقبال
وادبار واشار غير صالح على فاسد اما لان الفاسد ربما يطلق على ما فسد ومن شانه الصلاح
فلا يكون نصا فيما هو من قبيل الفاسد المحض كالقتل والظلم واما للتلويح بان نجاة من نجا انما
هى لصلاحه وقرئ الكسائى ويعقوب انه عمل غير صالح اى عملا غير صالح ولما كان دعاؤه عليه السلام
مبنيا على ما ذكر من اعتقاد كون كنعان من اهله وقد نفى ذلك وحقق ببيان علته فرع على ذلك
النهى عن سؤال انجائه الا انه جىء بالنهى على وجه عام يندرج فيه ذلك اندراجا اوليا فقيل
فلا تسئلنى اى اذا وقفت على جلية الحال فلا تطلب منى ما ليس لك به علم اى مطلبا لا تعلم يقينا
ان حصوله صواب وموافق للحكمة على تقدير كون ما عبارة عن المسؤل الذى هو مفعول للسؤال
او طلبا لا تعلم انه صواب على تقدير كونه عبارة عن المصدر الذى هو مفعول مطلق فيكون النهى
واردا فى تصريحه فى كل من معلوم الفساد ومشتبه الحال ويجوز ان يكون المعنى ما ليس لك به علم
بانه صواب وغير صواب فيكون النهى واردا فى مشتبه الحال ويفهم منه حال معلوم الفساد بالطريق
الاولى وعلى التقديرين فهو عام يندرج تحته ما نحن فيه كما ذكرناه وهذا كما ترى صريح فى ان نداءه
عليه السلام ربه عز وعلا ليس استفسارا عن سبب عدم انجاء ابنه مع سبق وعده بانجاء اهله
وهو منهم كما قيل فان النهى عن استفسار ما لم يعلم غير موافق للحكمة اذ عدم العلم بالشئ الى
الاستفسار عنه لا الى تركه بل هو دعاء منه لانجاء ابنه حين حال الموج بينهما ولم يعلم بهلاكه بعد
اما بتقريبه الى الفلك بتلاطم الامواج او بتقريبها اليه وقيل او بانجائه بقلة الجبل وبايائه تذكير
الوعد فى الدعاء فانه مخصوص بالانجاء فى الفلك وقوله لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم ومجرد
حيلولة الموج بينهما لا تستوجب هلاكه فضلا عن العلم به لظهور امكان عصمة الله تعالى اياه
برحمته وقد وعد بانجاء اهله ولم يكن ابنه مجاهرا بالكفر كما ذكرناه حتى لا يجوز عليه السلام موقفه
الا لتجا الى الجبل ليس بنص فى الاصرار على الكفر لظهور جواز ان يكون ذلك لجهله باختصاص النجاة
فى الفلك وزعمه ان الجبل ايضا يجرى مجراه او لكراهة الاحتباس فى الفلك بل قوله ساوى الى جبل
يعصمنى من الماء بعد ما قال له نوح عليه السلام ولا تكن مع الكافرين ربما يطمعه عليه السلام
فى ايمانه حيث لم يقل اكن معهم او ساوى او يعصمنا فان افراد نفسه بنسبة الفعلين المذكورين
ربما يشعر بانفراده من الكافرين واعتزاله عنهم وامتثاله ببعض ما امره به نوح عليه السلام
لا انه عليه السلام لو تامل فى شانه حق التامل وتفحص عن احواله فى كل ما ياتى وما يذر لما اشتبه
عليه انه ليس بمؤمن وانه المستثنى من اهله ولذلك قيل انى اعظك ان تكون من الجاهلين فعبر عن
ترك الاولى من ملك وقرئ فلا تسئلنى بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء
قال رب انى اعوذ بك ان اسئلك اى اطلب منك من بعد ما ليس لى به علم اى مطلوبا لا اعلم ان
حصوله مقتضى الحكمة او طلبا لا اعلم انه صواب سواء كان معلوم الفساد او مشتبه الحال او لا اعلم
انه صواب او غير صواب على ما مر وهذه توبة منه عليه السلام مما وقع منه وانما لم يقل اعوذ بك
منه او من ذلك مبالغة فى التوبة واظهارا للرغبة والنشاط فيها وتبركا بذكر ما لقنه الله
تعالى وهو ابلغ من ان يقول اتوب اليك ان اسئلك لما فيه من الدلالة على كون امرا هايلا محذورا
لا محيص منه الا بالعوذ بالله تعالى وان قدرته قاصرة عن النجاة من المكاره الا بذلك والا
تغفر لى ما صدر عنى من السؤال المذكور وترحمنى بقبول توبتى اكن من الخاسرين اعمالا بسبب
ذلك فان الذهول عن شكر الله تعالى لا سيما عند وصول مثل هذه النعمة الجليلة التى هى هذه
النجاة وهلاك الاعداء والاشتغال بما لا يعنى خصوصا بمبادى خلاص من قيل فى شانه عمل غير
صالح والتضرع الى الله تعالى فى امره معاملة غير رابحة وخسران مبين وتاخير ذكر هذا النداء عن
حكاية الامر الوارد على الارض والسماء وما يتلوه من زوال وقضاء الامر واستواء الفلك
على الجودى والدعاء بالهلاك على الظالمين مع ان حقه ان يذكر عقيب قوله تعالى فكان من المغرقين
حسبما وقع فى الخارج اذ حينئذ يتصور الدعاء بالانجاء لا بعد العلم بالهلاك ليس لما قيل من
استقلاله لغرض هو جعل قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان لا يقدم فى الامور الدينية
الا صولية الا بعد اليقين قياسا على ما وقع فى قصة البقرة من تقديم ذكر الامر بذبحها على ذكر

القتيل الذي هو اول القصة وكان حقها ان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا
بقرة فاضربوه ببعضها كما قرر في موضعه فان تغيير الترتيب هنالك للدلالة على كمال سوء حال
اليهود وبتعديد جناياتهم المتنوعة وتثنية التقريع عليهم بكل نوع على حدة فقوله تعالى واذ
قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة الى اخره لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة
الى الامتثال وما يتبع ذلك وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا الخ للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه
من الامور العظيمة ولو قصت القصة على ترتيبها لفات الغرض الذي هو تثنية التقريع ولظن ان
المجموع تقريع واحد واما ما نحن فيه فليس مما يمكن ان يراعى فيه مثل تلك النكتة اصلا وما ذكر
من جعل القرابة الدينية غامرة القرابة النسبية الى اخره لا يفوت على تقدير سوق الكلام على
ترتيب الوقوع ايضا بل لان ذكر هذا النداء ايضا كما ترى مستدع لذكر ما مر من الجواب المستدعي لذكر
ما مر من توبته عليه السلام المودي ذكرها الى ذكر قبولها في ضمن الامر الوارد بنزوله عليه السلام
من الفلك بالسلام والبركات الفايضة عليه وعلى المومنين حسبما يجيء مفصلا ولا ريب في ان هذه
المعاني اخذ بعضها بحجزة بعض بحيث لا يكاد يفرق الايات الكريمة المنطوية عليها بعضها من بعض
وان ذلك انما يتم بتمام القصة ولا ريب ان ذلك انما يكون بتمام الطوفان فلا جرم اقتضى الحال
ذكر تمامها قبل هذا النداء وذلك انما يكون عند ذكر كون كنعان من المغرقين ولهذه النكتة ازداد
حسن موقع الايجاز البليغ وفيه فائدة اخرى هي التصريح بهلاكه من اول الامر ولو ذكر النداء الثاني
عقيب قوله فكان من المغرقين لربما توهم من اول الامر الى ان يرد قوله تعالى انه ليس من اهلك الخ
انه ينجو بدعائه عليه السلام فنص على هلاكه من اول الامر ثم ذكر الامر الوارد على الارض والسما
الذي هو عبارة عن تعلق الارادة الربانية الازلية بما ذكر من الغيض والاقلاع وبين بلوغ امر
الله محله وجريان قضائه ونفوذ حكمه عليهم بهلاك من هلك ونجاة من نجا بتمام الطوفان
واستواء الفلك على الجودي فقصت القصة الى هذه المرتبة وبين ذلك اي بيان ثم تعرض لما وقع
في تضاعيف ذلك مما جرى بين نوح وبين رب العزة جلت حكمته فذكر بعد توبته عليه السلام
بقبولها بقوله قيل يا نوح اهبط اي انزل من الفلك وقرئ بضم الباء بسلام ملتبسا بسلامة
من المكاره كائنة منا او بسلام وتحية منا عليك كما قال سلام على نوح في العالمين وبركات عليك
اي خيرات نامية في نسلك وما يقوم به معاشك ومعايشهم من انواع الارزاق وقرئ بركة
وهذا اعلام وبشارة من الله تعالى بقبول توبته وخلاصه من الخسران بفيضان انواع الخيرات
عليه في كل ما ياتي وما يذر وعلى امم ناشئة ممن معك متشعبة منهم فمن ابتدائية والمراد الامم
المؤمنة المتناسلة ممن معه الى يوم القيامة وامم سنمتعهم اي ومنهم على انه خبر محذوف لدلالة ما
سبق عليه فان ايراد الامم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرة يدل على ان بعض من يتشعب منهم ليسوا
على صفتهم يعني ليس كل من تشعب منهم مسلما او مباركا عليه بل امم منهم ممتعون في الدنيا معذبون في
الاخرة وعلى هذا لا يكون الكل ناشئين مع نوح عليه السلام مسلما عليهم ومباركا كما صرحوا بانهم كذلك
من كونهم مع نوح عليه السلام ومن كون ذريتهم كذلك بدلالة النص ويجوز ان يكون من بيانية
اي وعلى امم هم الذين معك وانما سموا امما لانهم متحزبة وجماعات متفرقة او لان جميع الامم انما
تشعبت منهم فحينئذ يكون المراد بالامم المشار اليهم في قوله تعالى وامم سنمتعهم بعض الامم المتشعبة
منهم وهي الامم الكافرة المتناسلة منهم الى يوم القيامة ويبقى امر الامم المؤمنة الناشئة منهم مبهما
غير متعرض له ولا مدلول عليه ومع ذلك ففي دلالة المذكور على خبره المحذوف خفاء لان من المذكورة
بيانية المحذوفة تبعيضية او ابتدائية فتامل ثم يمسهم اما في الاخرة او في الدنيا ايضا منا عذاب اليم
عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع
والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من
عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام وبالعذاب ما نزل بهم
تلك اشارة الى ما قص من قصة نوح عليه السلام واما كونها لتعظيمها في حكم البعيد او للدلالة على
بعد منزلتها وهي مبتدا خبره من انباء الغيب اي من جنسها اي ليست من قبيل سائر الانباء بل هي
نسيج وحدها متفردة عما عداها او بعضها نوحيها اليك خبر ثان والضمير لها اي موحاة اليك او
هو الخبر ومن انباء متعلق به فالتعبير بصيغة المضارع لاستحضار الصورة او حال من انباء الغيب
اي موحاة اليك وما كنت تعلمها انت ولا قومك خبر اخر اي مجهولة عند قومك من قبل هذا اي
من قبل ايحائنا اليك واخبارك بها او من قبل هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت

او

او حال من الهاء في نوحيها او الكاف في اليك اي جاهلا انت وقومك بها وفي ذكر جهلهم تنبيه على انه عليه
السلام لم يتلقه اذ لم يخالط غيرهم وانهم مع كثرتهم لما يعلموه فكيف يوخذ منهم فاصبر متفرع على الايحا
والعلم المستفاد منه المدلول عليه بقوله ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي واذ قد او
حيناها اليك او علمتها بذلك فاصبر على مشاق تبليغ الرسالة واذية قومك كما صبر نوح على ما
سمعته من انواع البلايا في هذه المدة المتطاولة وهذا ناظر الى ما سبق من قوله تعالى فلعلك تارك
بعض ما يوحى اليك الخ ان العاقبة بالظفر في الدنيا وبالفوز في الاخرة للمتقين كما شاهدونه في نوح عليه
السلام وقومه ولك فيه اسوة حسنة وهو تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليل للامر
بالصبر فان كون العاقبة الحميدة للمتقين وهو في اقصى درجات التقوى والمؤمنون كلهم متقون مما يسليه
عليه السلام ويهون عليه المطلوب ويذهب عنه ما عسى يعتريه من ضدها وعلى تقدير ان يراد بالتقوى
الدرجة الاولى منه اعني التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة
التقوى ويجوز ان يراد بالدرجة الثالثة منه وهو ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشرا
شره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله حق تقاته فان التقوى بهذا المعنى منطو على الصبر المذكور
فكانه قيل فاصبر فان العاقبة للصابرين والى عاد متعلق بمضمر معطوف على قوله تعالى ارسلنا في قصة
نوح وهو الناصب لقوله تعالى اخاهم اي وارسلنا الى عاد اخاهم اي واحدا منهم في النسب كقولهم يا اخا
العرب وتقديم المجرور على المنصوب ههنا للحذار عن الاضمار قبل الذكر وقيل متعلق بالفعل المذكور فيما
سبق واخاهم معطوف على نوحا وقد مر في سورة الاعراف وقوله تعالى هودا عطف بيان لاخاهم وكان
عليه السلام من جملتهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عوص بن ارم بن سام بن نوح
وقيل هو ابن شالخ بن ارفخشد بن سام ابن نوح بن عم ابي عاد وانما جعل منهم لانهم افهم لكلامه واعرف
لحاله وارغب في اقتفائه قال لما كان ذكر ارساله عليه السلام اليهم مظنة للسؤال عما قال لهم ودعاهم
اليه اجيب عنه بطريق الاستئناف فقيل قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده كما ينبئ عنه قوله تعالى ما لكم
من اله غيره فانه استئناف يجري مجرى البيان للعبادة المامور بها والتعليل للامر بها كانه قيل خصوه
بالعبادة ولا تشركوا به شيئا اذ ليس من اله سواه وغيره بالرفع صفة لاله باعتبار محله وقرئ
بالجر حملا على لفظه ان انتم ما انتم باتخاذكم الاصنام شركاء له او بقولكم ان الله امرنا بعبادتها الا مفترون
عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا يا قوم لا اسالكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني خاطب به كل
نبي قومه ازاحة لما عسى يتوهمونه وامحاضا للنصيحة فانها ما دامت مشوبة بالطمع بمعزل من التاثير وايراد
الموصول للتفخيم وجعل الصلة فعل الفطرة لكونه اقدم النعم الفائضة من جناب الله تعالى المستوجبة
للشكر الذي لا يتاتى الا بالجريان على موجب امره الغالب معرضا عن المطالب الدنيوية التي من جملتها
الاجر افلا تعقلون اي اتغفلون عن هذه القضية او لا تتفكرون فيها فلا تعقلونها او تجهلونها [illegible]
فلا تعقلون شيئا اصلا فان هذا مما لا ينبغي ان يخفى على احد من العقلاء ويا قوم استغفروا ربكم اي
اطلبوا مغفرته لما سلف منكم من الذنوب بالايمان والطاعة ثم توبوا اليه اي توسلوا اليه بالتوبة
وايضا التبري عن الغير انما يكون بعد الايمان بالله تعالى والرغبة فيما عنده يرسل السماء اي المطر
عليكم مدرارا اي كثير الدرور ويزدكم قوة مضافة ومنضمة الى قوتكم اي يضاعفها لكم وانما رغبهم
بكثرة المطر لانهم كانوا اصحاب الزروع وعمارات وقيل حبس الله تعالى عنهم القطر واعقم ارحام نسائهم
ثلث سنين فوعدهم عليه السلام كثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل على الايمان والتوبة ولا تتولوا
اي لا تعرضوا عما ادعوكم اليه مجرمين مصرين على ما كنتم عليه من الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي
بحجة تدل على صحة دعواك وانما قالوا لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من البينات المعاينة
لحصر وما نحن بتاركي الهتنا اي بتاركي عبادتها عن قولك اي صادرين عنه او صادرا تركنا عن ذلك
باسناد حال الوصف الى الموصوف ومعناه التعليل على ابلغ وجه لدلالته على كونه علة فاعلية ولا
يفيده الباء واللام وهذا كقولهم المنقول عنهم في سورة الاعراف اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما
كان يعبد اباؤنا وما نحن لك بمؤمنين اي بمصدقين في شيء مما تاتي وتذر فيندرج تحته ما دعاهم
اليه من التوحيد وترك عبادة الالهة وفيه من الدلالة على شدة الشكيمة وتماديهم في العتو
ما لا يخفى ان نقول الا اعتراك اي ما نقول الا قولنا اعتراك اي اصابك بعض الهتنا بسوء بجنون
لسبك اياها وصدك عن عبادتها وحطك لها عن رتبة الالوهية والمعبودية بما مر من قولك
ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون والتنكير في بسوء للتقليل كانهم لم يبالغوا في العتو كما ينبئ
عنه نسبة ذلك الى بعض الهتهم دون كلها والجملة مقول القول والا لغو لان الاستثناء مفرغ وهذا

الكلام مقررا لما مر من قولهم وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين فان اعتقادهم بكونه
عليه السلام كما قالوا وحاشاه عن ذلك يوجب عدم الاعتداد بقوله وعده من قبيل الخرافات فضلا
عن التصديق والعمل بمقتضاه يعنون انا لا نعتقد كلامك الا من قبيل ما لا يحتمل الصدق والكذب
من الهذيانات الصادرة عن المجانين فكيف نصدقه ونؤمن به ونعمل بموجبه ولقد صدقوا سلكوا في
طريقة المخالفة والعناد الى سبيل الترقي من الادنى الى الاعلى حيث اخبروا اولا عن عدم مجيئه عليه
السلام بالبينة مع احتمال كون ما جاء به عليه السلام وبقوله وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك
مع امكان تحقق ذلك بتصديقهم له عليه السلام في كلامه ثم نفوا تصديقهم له عليه السلام
بقولهم وما نحن لك بمؤمنين مع كون كلامه عليه السلام مما يقبل التصديق ثم نفوا عنه تلك
المرتبة ايضا حيث قالوا ما قالوا فقاتلهم الله انى يؤفكون قال اني اشهد الله واشهدوا اني برئ مما
تشركون من دونه اي من اشراككم من دون الله اي من غير ان ينزل به سلطانا كما قال في سورة الاعراف
اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان او مما تشركونه من الهة غير الله
اجاب به عن مقالتهم الحمقاء المبنية على اعتقاد كون الهتهم مما يضر وينفع وانها بمعزل من ذلك
ولما كان ما وقع ولا منه عليه السلام في حق الهتهم من كونها بمعزل عن الالوهية انما وقع في ضمن الامر
بعبادة الله تعالى واختصاصه بها وقد شق عليهم ذلك وعدوه مما يورث شينا حتى زعموا انها
نقيبه عليه السلام بسوء مجازاة لصنعه معها صرح عليه السلام بالحق وصدع به حين اخبر
ببراءته القديمة عنها بالجملة الاسمية المصدرة بان واشهد الله تعالى على ذلك امرهم بان يسمعوا
ذلك ويشهدوا به استهانة بهم ثم امرهم بالاجماع والاحتشاد مع الهتهم جميعا دون بعض منها
حسبما يشعر به قولهم بعض الهتنا والتعاون في الايصال الكيد اليه عليه السلام مرتبا مع نهيهم عن الامهال
والانظار في ذلك فقال فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اي ان صح ما لوحتم به من كون الهتكم مما يقدر على
افراد من ينال منها ويصد عن عبادتها ولو بطريق ضمني فاني برئ منها فكونوا انتم معها جميعا وباشروا
كيدي ثم لا تمهلوني ولا تسامحوني في ذلك فالفاء لتفريع الامر على زعمهم في قدرة الهتهم على ما قالوا
وعلى البراءة كليهما وهذا من اعظم المعجزات فانه عليه السلام كان رجلا مفردا بين الجم الغفير
والجمع الكثير من عتاة عاد الغلاظ الشداد وقد خاطبهم بما خاطبهم وحقر الهتهم وحثهم على
مباشرة مبادي المضادة وحثهم على التصدي لاسباب المعاندة فلم يقدروا على مباشرة شيء مما
كلفوه وظهر عجزهم عن ذلك ظهورا بينا كيف لا وقد التجا الى ركن رفيع منيع واعتصم بحبل
متين حيث قال اني توكلت على الله ربي وربكم يعني انكم وان بذلتم في مضارتي مجهودكم لا تقدرون
على شيء مما تريدون بي فاني متوكل على الله تعالى وانما جيء بلفظ الماضي لكونه ادل على الانشاء المناسب
للمقام وواثق بكلاءتي وحفظي عن غوائلكم وهو مالكي ومالككم لا يصدر عنكم شيء ولا يصيبني امر
الا بارادته ومشيئته ثم برهن عليه بقوله ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها اي الا هو مالك لها قادر
عليها يصرفها كيف يشاء غير مستعصية عليه فان الاخذ بالناصية تمثيل لذلك ان ربي على صراط
مستقيم تعليل لما يدل عليه التوكل من عدم قدرتهم على اضراره اي هو على الحق والعدل فلا يكاد
يسلطكم علي اذ لا يضيع عنده معتصم ولا تفتات عليه ظالم واقتصاره على اضافته الى نفسه اما
بطريق الاكتفاء لظهور المراد واما لان فايدة كونه تعالى مالكا لهم ايضا راجعة اليه عليه السلام
فان تولوا اي تتولوا بحذف احدى التائين اي ان تستمروا على ما كنتم عليه من التولي والاعراض
فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم اي لم اعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان بلغكم الحق فابيتم
الا التكذيب والجحود ويستخلف ربي قوما غيركم استيناف بالوعيد لهم بان الله تعالى يهلكهم ويستخلف
في ديارهم واموالهم قوما اخرين وعطف على الجواب بالفاء ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه بالجزم عطفا على الموضع كانه قيل فان تولوا يعذرني ويهلككم ويستخلف مكانكم اخرين
وفي اقتصاره اضافة الرب اليه عليه السلام رمز الى اللطف به والتدمير للمخاطبين ولا
تضرونه بتوليكم شيئا من الضرر لاستحالة ذلك عليه ومن جزم ويستخلف اسقط منه النون
ان ربي على كل شيء حفيظ اي رقيب مهيمن فلا يخفى عليه اعمالكم فيجازيكم بحسبها او حفيظ مستول
على كل شيء فكيف يضره شيء وهو الحافظ للكل ولما جاء امرنا اي نزل عذابنا وفي التعبير عنه بالامر
مضافا الى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يخفى من التفخيم كاينة منا وهي الايمان الذي انعمنا
به عليهم بالتوفيق له والهداية اليه ونجيناهم من عذاب غليظ اي كانت تلك التنجية تنجية من
عذاب غليظ وهي السموم التي كانت تدخل انوف الكفرة وتخرج من ادبارهم فتقطعهم اربا اربا وقيل

اريد

والتهويل اورد امرنا بالعذاب نجينا هودا
والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة
عظيمة من

اريد بالثانية عذاب الآخرة ولعذاب اشد منه واغلظ وهذه التنجية وان لم تكن مقيدة بمجيء
الامر لكن جيء بها تكملة للنعمة عليهم وتعريضا بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون
في الآخرة بالعذاب الغليظ وتلك عاد انث اسم الاشارة باعتبار القبيلة او لان الاشارة الى
قبورهم واثارهم جحدوا بايات ربهم كفروا بها بعد ما استيقنوها وعصوا رسله جمع الرسل مع انه
لم يرسل اليهم غير هود عليه السلام تفظيعا لحالهم واظهارا لكمال كفرهم وعنادهم ببيان ان عصيانهم
له عليه السلام عصيان لجميع الرسل السابقين واللاحقين لاتفاق كلمتهم على التوحيد لا نفرق
بين احد من رسله فيجوز ان يراد بالايات ما اتى به هود وغيره من الانبياء عليهم السلام وفيه زيادة
ملائمة لما تقدم من جميع الايات وما تاخر من قوله واتبعوا امر كل جبار عنيد من كبرائهم ورؤسائهم
الدعاة الى الضلال والى تكذيب الرسل فكانه قيل عصوا كل رسول وهذا الوصف ليس كما سبق من
جحود الايات وعصيان الرسل في الشمول لكل فرد منهم فان الاتباع للامر من اوصاف الاسافل دون
الرؤسا وعنيد فعيل من عند عندا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الهدى واطاعوا من دعاهم الى
الردى واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ابعادا عن الرحمة وعن كل خير اي جعلت اللعنة لازمة لهم وعبر عن ذلك
بالتبعية للمبالغة فكانها لا تفارقهم وان ذهبوا كل مذهب بل تدور معهم حيثما داروا ولوقوعه
في صحبة اتباعهم رؤساهم يعني انهم لما اتبعوهم اتبعوا ذلك جزاء لصنيعهم جزاء وفاقا ويوم القيمة
اي اتبعوا يوم القيمة ايضا لعنة وهي عذاب النار المخلد حذفت لدلالة الاولى عليها وللايذان بكون
كل من اللعنتين نوعا براسه لم يجتمعا في قرن واحد بان يقال واتبعوا في هذه الدنيا ويوم القيمة لعنة
كما في قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة ايذانا باختلاف نوعي الحسنتين فان المراد
بالحسنة الدنيوية نحو الصحة والكفاف والتوفيق للخير وبالحسنة الاخروية الثواب والرحمة الا ان
عادا كفروا ربهم اي بربهم او نعمة ربهم حملا له على نقيضه الذي هو الشكر او جحدوه الا بعدا لعاد
دعاء عليهم بالهلاك مع كونهم هالكين اي هلاكا تسجيلا عليهم باستحقاق الهلاك واستيجاب الدمار
وتكرير حرف التنبيه واعادة عاد للمبالغة في تفظيع حالهم والحث على الاعتبار بقصتهم قوم هود
عطف بيان لعاد فايدته التمييز عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد
بسبب ما جرى بينهم وبين هود عليه السلام وهم قومه والى ثمود اخاهم صالحا عطف على ما سبق
من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا وثمود قبيلة من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر ثمود بن
عابر بن ارم بن سام وقيل انما سموا بذلك لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وصالح عليه
السلام هو ابن عبيد بن اسف بن ماشخ بن عبيد بن حادر بن ثمود ولما كان الاخبار بارساله اليهم
مظنة لان يسال ويقال ما ذا قال لهم قيل جوابا عنه بطريق الاستيناف قال يا قوم اعبدوا الله اي وحده
وعلل ذلك بقوله ما لكم من اله غيره ثم زيد فيما يبعثهم على الايمان والتوحيد ويحثهم على زيادة
الاخلاص فيه بقوله هو انشاكم من الارض اي هو كونكم وخلقكم منها لا غيره قصر قلب او قصر
افراد فان خلق ادم عليه السلام منها خلق لجميع افراد البشر منها لما مر مرارا من ان خلقته عليه
السلام لم تكن مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على خلق جميع ذرياته التي ستوجد الى
يوم القيمة انطواء اجماليا وقيل ان خلق ادم عليه السلام وانشاء مواد النطف التي منها خلق
نسله من التراب انشاء لجميع الخلق من الارض فتدبر واستعمركم فيها اي عمركم واستبقاكم فيها او
من العمارة اي اقدركم على عمارتها وامركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى اعمركم فيها دياركم
ويرثها منكم بعد انصرام اعماركم او جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها
لغيركم فاستغفروه ثم توبوا اليه فان ما فصل من فنون الاحسان داع الى الاستغفار عما وقع منهم
من التفريط والتوبة عما كانوا يباشرونه من القبائح وقد زيد في بيان ما يوجب ذلك فقيل ان
ربي قريب اي قريب الرحمة لقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين مجيب لمن دعاه وساله
وقد روعي في النظم الكريم نكتة حيث قدم ذكر العلة الباعثة المتقدمة على الامر بالاستغفار
والتوبة واخر عنه ذكر الغاية المتاخرة عنهم في الوجود اعني الاجابة قالوا يا صالح قد كنت
فينا مرجوا اي كنا نرجو منك لما كنا نرى منك من دلائل السداد ومخائل الرشاد ان تكون لنا
سيدا ومستشارا في الامور وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا
وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه قبل هذا الذي باشرته من الدعوة
الى التوحيد وترك عبادة الالهة او قبل هذا الوقت فكانهم لم يكونوا الى الآن على ياس من
ذلك ولو بعد الدعوة الى الحق فالان قد انصرم عنك رجاؤنا وقرئ مرجوءا بالمد والهمز

انتهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا اى عبدوه والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية وانّنا
لفى شك مما تدعونا اليه من التوحيد وترك عبادة الاوثان وغير ذلك من الاستغفار
والتوبة مريب اى موقع فى الريبة من ارابه اى اوقعه فى الريبة اى قلق النفس وانتفاء
الطمأنينة او من اراب اذا كان ذا ريبة وايّهما كان فالاسناد مجازى والتنوين فيه وفى شك
للتفخيم قال يا قوم ارايتم اى اخبرونى ان كنت فى الحقيقة على بينة اى حجة ظاهرة وبرهان
وبصيرة من ربى مالكى ومتولى امرى واتانى منه من جهته رحمة نبوة وهذه الامور وان
كانت محققة الوقوع لكنها صدرت بكلمة الشك اعتبارا لحال المخاطبين ورعاية لحسن
المحاورة لاستنزالهم عن المكابرة فمن ينصرنى من الله اى منجيا من عذابه والعدول الى الاظهار
لزيادة التهويل والفا لترتيب انكار النصرة على ما سبق من ايتاء النبوة وكونه على بينة من
ربه على تقدير العصيان حسبما يعرب عنه قوله تعالى ان عصيته اى بالمساهلة فى تبليغ
الرسالة والمجاراة معكم فيما تأتون وما تذرون فان العصيان ممن ذلك شانه ابعد وا
المؤاخذة عليه الزم وانكار نصرته ادخل فما تزيدوننى اذن باستتباعكم اياى كما ينبئ عنه
قولهم قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اى لا تفيدوننى اذ لم يكن فيه اصل الخسران حتى تزيدوه
غير تخسير اى غير ان تجعلونى خاسرا بابطال اعمالى وتعريضى لسخط الله تعالى فما تزيدوننى
بما تقولون غير ان انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم لخاسرون فالزيادة على معناه والفا لترتيب
عدم الزيادة على انتفاء الناصر المفهوم من انكاره على تقدير العصيان مع تحقق ما ينفيه من كونه
عليه السلام على بينة من ربه وايتائه النبوة ويا قوم هذه ناقة الله الاضافة للتشريف
والتنبيه على انها مفارقة لسائر ما يجانسها من حيث الخلقة ومن حيث الخلق لكم اية معجزة دالة على
صدق نبوتى وهى حال من ناقة الله والعامل ما فى هذه من معنى الفعل ولكم حال من اية متقدمة
عليها لكونها نكرة ولو تأخرت لكانت صفة لها ويجوز ان تكون ناقة الله بدلا من هذه او
عطف بيان ولكم خبرا وعاملا فى اية فذروها تأكل فى ارض الله ترعى نباتها
وتشرب ماءها واضافة الارض الى الله عز وجل لتربية استحقاقها لذلك وتعليل الامر
بتركها وشأنها ولا تمسوها بسوء بولغ فى النهى عن التعرض لها بما يضرها حيث نهى عن المس
الذى هو من مبادى الاصابة ونكر السوء اى لا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من
السوء فضلا عن عقرها وقتلها فيأخذكم عذاب قريب اى قريب النزول روى انهم طلبوا منه
ان يخرج لهم من صخرة تسمى الكاثبة ناقة عشراء ومخترجة جوفاء وبراء وقالوا ان فعلت ذلك
صدقناك فاخذ صالح عليهم مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه
فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم
انتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع بن عمرو فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب
بن عمرو والحباب صاحب اوثانهم ورباب كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد
الماء غبا فما ترفع رأسها من البير حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ اوانيهم
فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه
فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق عليهم ذلك فعقروها قيل زينت عقرها لهم عنيزة ام غنم وصدقة
بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلثا فقال صالح لهم
ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فعقروها فقال لهم صالح تمتعوا اى عيشوا فى داركم اى فى منازلكم او فى الدنيا ثلثة ايام قيل قال لهم
تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ذلك
اشارة الى ما يدل عليه الامر بالتمتع ثلثة ايام من نزول العذاب عقيبها والمراد بما فيه من
من معنى البعد تفخيمه وعد غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله ٭ ويوم
شهدناه سليما وعامرا او غير مكذوب كان الواعد قال له اتى بك فان وفى به صدقه والا كذبه
او وعد غير مكذوب على انه مصدر كالمجلود والمعقود فلما جاء امرنا اى عذابنا او امرنا بنزوله
وفيه ما لا يخفى من التهويل نجينا صالحا والذين امنوا معه متعلق بنجينا او بامنوا برحمة بسبب
رحمة عظيمة منا وهى بالنسبة الى صالح النبوة والى المؤمنين الايمان كما هو او ملتبسين برحمة
ورأفة منا ومن خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة كقوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ
على معنى انه وكانت تلك التنجية تنجية من خزى يومئذ اى من ذله ومهانته او ذلهم وفضيحتهم

يوم

يوم القيمة كما فسر به العذاب الغليظ فيما سبق فيكون المعنى ونجيناهم من عذاب يوم القيمة بعد
تنجيتنا اياهم من عذاب الدنيا وعن نافع بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفى المعارج
فى قوله من عذاب يومئذ وقرئ بالتنوين ونصب يومئذ ان ربك الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم
هو القوى العزيز القادر على كل شيء والغالب عليه لا غيره ولكون الاخبار بتنجية الاولياء لا
سيما عند الانباء بحلول العذاب اهم ذكرها اولا ثم اخبر بهلاك الاعداء فقال واخذ الذين ظلموا
عدل عن المضمر الى المظهر تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بعليته لنزول العذاب بهم الصيحة اى
صيحة جبرائيل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل
شيء فى الارض فتقطعت قلوبهم فى صدورهم وفى سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة ولعلها
وقعت عقيب الصيحة المستتبعة لتموج الهواء فاصبحوا اى صاروا فى ديارهم اى فى بلادهم او
مساكنهم جاثمين هامدين موتى لا يتحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من
غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ
وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك قيل لما راوا العلامات التى بينها صالح من اصفرار
وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين
ولما كان ضحوة اليوم الرابع وهو يوم السبت تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فتقطعت
قلوبهم فهلكوا كان لم يغنوا اى كانهم لم يقيموا فيها فى بلادهم او فى مساكنهم وهو فى موضع الحال اى اصبحوا
جاثمين مماثلين لمن لم يوجد ولم يقم فى مقام قط الا ان ثمودا ومنع من منع المضمر لزيادة البيان
ونونه ابو بكر هنا وفى النجم وقرا حفص هنا وفى الفرقان والعنكبوت بغير تنوين كفروا ربهم صرح
بكفرهم مع كونه معلوما مما سبق من احوالهم تقبيحا لحالهم وتعليلا لاستحقاقهم بالدعاء عليهم بالبعد
والهلاك فى قوله تعالى الا بعدا لثمود وقرا الكسائى بالتنوين ولقد جاءت رسلنا ابراهيم وهم
الملئكة عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم جبرائيل عليه السلام وملكان وقيل هم جبرائيل وميكائيل
واسرافيل عليهم السلام وقال الضحاك كانوا تسعة وعن محمد بن كعب جبرائيل ومعه سبعة
وعن السدى احد عشر على صور الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل كانوا اثنى عشر ملكا عليهم
السلام وانما اسند اليهم مطلق المجيء بالبشرى دون الارسال لانهم لم يكونوا مرسلين اليه بل الى
قوم لوط لقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم لوط وانما جاؤه لداعية البشرى ولما كان المقصود فى
السورة الكريمة ذكر سوء صنيع الامم السالفة مع الرسل المرسلة اليهم ولحوق العذاب بهم
بسبب ذلك ولم يكن جميع قوم ابراهيم عليه السلام ممن لحق بهم العذاب بل انما لحق بقوم لوط
منهم خاصة غير الاسلوب المطرد فيما سبق من قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا
ثم رجع اليه حيث قيل والى مدين اخاهم شعيبا بالبشرى اى ملتبسين بها قيل هى مطلق البشرى
المنتظمة للبشارة بالولد من سارة لقوله تعالى فبشرناها باسحاق الاية وقوله وبشرناه بغلام
عليم وللبشارة بعدم لحوق الضرر به لقوله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى
لظهور تفرع المجادلة على مجيئها كما سياتى وقيل هى البشارة بهلاك قوم لوط وياباه مجادلته عليه
السلام فى شانهم والاظهر انها البشارة بالولد وسيعرف سر تفرع المجادلة على ذلك ولما كان
الاخبار بمجيئهم بالبشرى مظنة لسؤال السامع بانهم ما قالوا اجيب بانهم قالوا سلاما اى
سلمنا او نسلم عليك سلاما ويجوز ان يكون نصبه بقالوا اى قالوا قولا ذا سلام وذكروا سلاما
قال سلام اى عليكم سلام او وسلام عليكم حياهم باحسن من تحيتهم وقرئ سلم كحرم فى حرام وقرا ابن
ابى عبلة قال سلاما وعنه انه قرئ بالرفع فيهما فما لبث اى ابراهيم ان جاء بعجل اى فى المجيء به او ما
لبث مجيئه بعجل حنيذ اى مشوى بالرضف فى الاخدود وقيل سمين يقطر ودكه لقوله بعجل
سمين من حنذ الفرس اذا عرقته بالجلال فلما راى ايديهم لا تصل اليه لا يمدون اليه ايديهم للاكل
نكرهم يقال نكره وانكره واستنكره بمعنى وانما انكرهم لانهم كانوا اذا انزل بهم ضيف ولم ياكل من
طعامهم ظنوا انه لم يجئ بخير وقد روى انهم كانوا ينكتون بقداح كانت فى ايديهم فى اللحم ولا تصل اليه
ايديهم وهذا الانكار منه عليه السلام راجع الى فعلهم المذكور واما انكاره المتعلق بانفسهم فلا
تعلق له برؤيته عدم اكلهم وانما وقع ذلك عند رؤيته لهم لعدم كونهم من جنس ما كان يعهده
من الناس الا يرى الى قوله تعالى فى سورة الذاريات سلام قوم منكرون واوجس منهم اى
اوجس اى اضمر من جهتهم خيفة لما ظن ان نزولهم لامر انكره الله تعالى عليه او لتعذيب
قومه وانما اخر المفعول الصريح عن الظرف لان المراد الاخبار بانه عليه السلام اوجس من

جهتهم شيئا هو الخيفة لا انه اوجس الخيفة من جهتهم لا من جهة غيرهم وتحققه ان تاخير ما حقه التقديم يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن قالوا لا تخف ما قالوه بمجرد ما راوا منه مخايل الخوف ازالة له منه بعد اظهاره عليه السلام له قال تعالى في سورة الحجر قال انا منكم وجلون ولم يذكر ذلك هاهنا اكتفاء بذلك انا ارسلنا ظاهره انه استيناف في معنى التعليل للنهي المذكور كما ان قوله تعالى انا نبشرك تعليل لذلك فان ارسالهم الى قوم اخرين يوجب امنهم من الخوف اي ارسلنا بالعذاب الى قوم لوط خاصة الا انه ليس لذلك فان قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين صريح في انهم قالوه جوابا عن سؤالهم عليه السلام وقد اوجز الكلام اكتفاء بذلك وامراته قائمة وراء الستر بحيث تسمع محاورتهم او على رؤسهم للخدمة حسبما هو المعتاد والجملة حال من ضمير قالوا اي قالوه وهي قائمة تسمع مقالتهم فضحكت سرورا بزوال الخوف او بهلاك اهل الفساد او بهما جميعا وقيل بوقوع الامر حسبما كانت تقول فيما سلف فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني ارى ان العذاب نازل بهؤلاء القوم وقيل ضحكت حاضت ومنه ضحكت الشجرة اذا سال صمغها وهو بعيد وقرئ بفتح الحاء فبشرناها باسحاق اي عقبناه سرورها بسرور اتم منه على السنة رسلنا ومن وراء اسحاق يعقوب بالنصب على انه مفعول لما دل عليه قوله بشرناها اي وهبنا لها من وراء اسحق يعقوب وقرئ بالرفع على الابتداء خبره الظرف اي من بعد اسحق يعقوب مولود او موجود وكلا الاسمين داخل في البشارة كيحيى او كما وقع في الحكاية بعد ان ولد فسميا بذلك وتوجيه البشارة هنا اليها مع ان الاصل في ذلك ابراهيم عليه السلام وقد وجهت اليه حيث قيل لوا وبشرناه بغلام حليم وبشروه بغلام عليم للايذان بان ما بشر يكون منهما ولكونها عقيمة حريصة على الولد قالت استيناف وارد جوابا عن سؤال من سال وقال فما فعلت اذ بشرت بذلك فقيل قالت يا ويلتا اصل الويل الخزي ثم شاع في كل امر فظيع والالف مبدلة من ياء الاضافة كما في يا لهفا ويا عجبا وقرا الحسن على الاصل وامالها ابو عمرو وعاصم في رواية ومعناه يا ويلتي احضري فهذا اوان حضورك وقيل هي الف الندبة ويوقف عليها بهاء السكت ءالد وانا عجوز بنت تسعين او تسع وتسعين سنة وهذا اي الذي تشاهدونه بعلي اي زوجي واصل البعل القائم بالامر شيخا وكان ابن مائة وعشرين سنة ونصبه على الحال والعامل معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو شيخ او خبر بعد خبر او هو الخبر وبعلي بدل من اسم الاشارة او بيان له وكلتا الجملتين وقعت حالا من الضمير في الد لتقرير ما فيه من الاستبعاد وتعليله اي الد وكلانا على حالة منافية لذلك وانما قدمت بيان حالها على بيان حاله عليه السلام لان مباينة حالها لما ذكر من الولادة اكثر اذ ربما يولد للشيوخ من الشواب اما العجائز داء من عقام ولان البشارة متوجهة اليها صريحا ولان العكس في البيان ربما يوهم من اول الامر نسبة المانع عن الولادة الى جانب ابراهيم عليه السلام وفيه ما لا يخفى من المحذور واقتصارها الاستبعاد على ولادتها من غير تعرض لحال النافلة لانها المستبعد واما ولادة ولدها فلا يتعلق بها استبعاد ان هذا اي ما ذكر من حصول الولد من هرمين مثلنا لشيء عجيب بالنسبة الى سنة الله تعالى المسلوكة فيما بين عباده وهذه الجملة لتعليل الاستبعاد بطريق الاستيناف التحقيقي ومقصدها استعظام نعمة الله عليها في ضمن الاستعجاب العادي لا استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى قالوا اتعجبين من امر الله اي قدرته وحكمته او تكوينه او شانه انكروا عليها تعجبها من ذلك لانها كانت ناشئة في بيت النبوة ومهبط الوحي والايات ومظهر المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان حقها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء من امثال هذه الخوارق من لطائف الله سبحانه وتعالى الخفية ولطائف صنعه الفائضة على كل احد من يتعلق بذلك مشيئته الازلية لا سيما على اهل بيت النبوة التي من شانهم عند الله سبحانه وتعالى كما يباين سائر الناس وان تسبح الله تعالى وتحمده والى ذلك اشاروا بقوله تعالى رحمة الله التي وسعت كل شيء واستتبعت كل خير وانما اجملتها هبة الاولاد وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بني اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد اسمعيل عليه السلام عليكم اهل البيت نصب على المدح والاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وصرف الخطاب من صيغة الواحدة الى جمع المذكر لتعميم حكمه لابراهيم عليه السلام ايضا ليكون جوابهم لها ايضا ان خطر بباله مثل ما خطر ببالها والجملة كلام مستانف علل به انكار

وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة تشريفها وبركاته اي خيراته النامية المتكاثرة في كل باب التي من ص

تعجبها

تعجبها كانه قيل ليس المقام مقام التعجيب فان الله تعالى على كل شيء قدير ولستم يا اهل النبوة والكرامة والزلفى كسائر الطوائف بل رحمته المستتبعة لكل خير الواسعة لكل شيء وبركاته اي خيراته النامية الفائضة منه بواسطة تلك الرحمة الواسعة لازمة لكم لا تفارقكم انه حميد فاعل ما يوجب الحمد مجيد كثير الخير والاحسان الى عباده والجملة لتعليل ما سبق من قوله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم فلما ذهب عن ابراهيم الروع اي ما اوجس منهم من الخيفة واطمان قلبه بعرفانهم وعرفان سبب مجيئهم والفاء لربط بعض احوال ابراهيم عليه السلام ببعض غب انفصالها بما ليس باجنبي من كل وجه بل له مدخل تام في السياق وتاخير الفاعل عن الظرف لانه مصب الفائدة فان بتاخير ما حقه التقديم تبقى النفس منتظرة الى وروده فيتمكن فيها عند وروده اليها فضل تمكن وجاءته البشرى اي فسرت البشرى بقولهم لا تخف فسببية ذهاب الخوف ومجيء السرور للمجادلة المدلول عليها بقوله تعالى يجادلنا في قوم لوط اي يجادل رسلنا في شانهم وعدل الى صيغة الاستقبال لاستحضار صورتها او طفق يجادلنا ظاهرة واما ان فسرت ببشارة الولد او بما يعمهما فلعل سببيتها لها من حيث انها تفيد زيادة اطمئنان بسلامته وسلامة اهله كافة ومجادلته اياهم انه قال لهم حين قالوا له انا مهلكوا اهل هذه القرية ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله ان قيل المتبادر من هذا الكلام ان يكون ابراهيم عليه السلام قد علم انهم مرسلون لاهلاك قوم لوط قبل ذهاب الروع عن نفسه ولكن لم يقدر على مجادلتهم في شانهم لاشتغاله بشان نفسه فلما ذهب عنه الروع فرغ لها مع ان ذهاب الروع انما هو قبل العلم بذلك لقوله تعالى قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط قلنا كان لوط عليه السلام على شريعة ابراهيم عليه السلام وقومه مكلفين بها فلما راى من الملئكة ما راى خاف على نفسه وعلى كافة امته التي من جملتهم قوم لوط ولا ريب في تقدم هذا الخوف فهو اختصاص قوم لوط بالهلاك لا دخولهم تحت العموم فتامل الله الموفق ان ابراهيم لحليم غير عجول على الانتقام ممن اساء اليه اواه كثير التاوه على الذنوب والتاسف على الناس منيب راجع الى الله تعالى والمقصود بتعداد صفاته الجميلة المذكورة بيان ما حمله عليه السلام على ما صدر عنه من المجادلة يا ابراهيم اي قالت الملئكة يا ابراهيم اعرض عن هذا الجدال انه اي الشان قد جاء امر ربك اي قدره الجاري على وفق قضائه الازلي الذي هو عبارة عن الارادة الازلية والعناية الالهية المقتضية لنظام الموجودات على ترتيب خاص حسبما تعلقها بالاشياء في اوقاتها وهو المعبر عنه بالقدر وانهم اتيهم عذاب غير مردود لا بجدال ولا بدعاء ولا بغيرهما ولما جاءت رسلنا لوطا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انطلقوا من عند ابراهيم عليه السلام الى لوط عليه السلام وبين القريتين اربعة فراسخ ودخلوا عليه صفة غلمان مرد حسان الوجوه فلذلك سيء بهم اي ساء مجيئهم لظنه انهم اناس فخاف ان يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم وقرا نافع وابن عامر والكسائي وابو عمرو سيء وسيئت باشمام السين الضم روي ان الله تعالى قال للملئكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرها قال اشهد بالله انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امراته فاخبرت به قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا ما رايت مثل وجوههم قط وضاق بهم ذرعا اي ضاق بمكانهم صدره او وسعه وطاقته وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة والاحتيال فيه وقيل ضاقت نفسه عن هذا الحادث وذكر الذرع مثل وهو المساحة وكانه قدر البدن مجازا من اي ان بدنه ضاق قدره من احتمال ما وقع وقيل الذراع اسم للجارحة من المرفق الى الانامل والذرع مدها ومعنى ضيق الذرع في قوله تعالى ضاق بهم ذرعا قصرها كما ان معنى سعتها وبسطتها طولها ووجه التمثيل بذلك ان القصير الذرع اذا مدها ليتناول ما يتناوله الطويل الذرع تقاصر عنه وعجز عن تناوله فضرب مثلا للذي قصرت طاقته دون بلوغ الامر وقال هذا يوم عصيب شديد من عصبه اذا شده وجاءه اي لوطا وهو في بيته مع اضيافه وجاءه قومه يهرعون اليه اي يسرعون كانما يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من اضيافه والجملة حال من قومه وكذا قوله ومن قبل اي من قبل هذا الوقت كانوا يعملون السيئات اي جاءوا مسرعين والحال انهم كانوا منهمكين في عمل السيئات فضروا بها وتمرنوا فيها حتى لم يبق عندهم قباحتها ولذلك لم يستحيوا مما فعلوا من مجيئهم مسرعين مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن

من قبل ولا مجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لعدم مشروعيته فان تزويج المسلمات من الكفار كان
جائزا وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن الربيع
قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وايا ما كان فقد
اراد به وقاية ضيفه وذلك غاية الكرم وقيل ما كان ذلك القول منه مجرى على الحقيقة من
ارادة النكاح بل كان ذلك مبالغة في التواضع لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه
طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فينزجروا عما اقدموا عليه مع ظهور الامر
واستقرار العلم عنده وعندهم جميعا بان لا مناكحة بينهم وهو الانسب بقولهم لقد علمت ما لنا
في بناتك من حق كما ستقف عليه فاتقوا الله بترك الفواحش او بايثارهن عليهم ولا تخزون في
ضيفي اي لا تفضحوني في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل وجاره اخزاء له او لا تخجلوني من الخزاية
وهي الحياء اليس منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح قالوا معرضين
عما نصحهم به من الامر بتقوى الله تعالى والنهي عن اخزائه مجيبين عن اول كلامه لقد علمت ما لنا
في بناتك من حق مستشهدين بعلمه بذلك يعنون انك قد علمت ان لا سبيل الى المناكحة بيننا
وبينك وما عرضك الا عرضا سابريا ولا مطمع لنا في ذلك وانك لتعلم ما نريد من اتيان الذكران
ولما يئس عليه السلام من ارعوائهم عما هم عليه من الغي قال لو ان لي بكم قوة اي لفعلت بكم ما
فعلت وصنعت ما صنعت كقوله تعالى ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم
به الموتى او آوي الى ركن شديد عطف على ان لي بكم قوة لما فيه من معنى الفعل اي لو قويت
على دفعكم بنفسي او اويت الى ناصر عزيز قوي اتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل في الشدة والمنعة
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد روي انه
عليه السلام اغلق بابه دون اضيافه واخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوروا الجدار فلما رات
الملائكة ما على لوط من الكرب قالوا اي الرسل لما شاهدوا عجزه عن مدافعة قومه يا لوط انا
رسل ربك لن يصلوا اليك بضرر ولا مكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا
فاستاذن جبريل عليه السلام ربه رب العزة جل جلاله في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة
التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا
فضرب بجناحيه وجوههم فطمس اعينهم واعماهم كما قال عز وعلا فطمسنا اعينهم فصاروا لا
يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجا النجا فان في بيت لوط قوما سحرة فاسر باهلك بالقطع
من الاسراء وقرا ابن كثير ونافع بالوصل حيث جاء في القران من السرى والفا لترتيب الامر
والنهي من جنابه عز وجل اليه عليه السلام بقطع من الليل بطائفة منه ولا يلتفت منكم
اي لا يتخلف او لا ينظر الى وراءه احد منك ومن اهلك وانما نهوا عن ذلك ليجدوا في السير
فان من يلتفت الى ما وراءه لا يخلو عن ادنى وقفة او لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب
فيرقوا لهم الا امراتك استثناء من قوله تعالى فاسر باهلك ويؤيده انه قرئ فاسر باهلك
بقطع من الليل الا امراتك وقرئ بالرفع على البدل من احد فالالتفات بمعنى التخلف لا بمعنى
النظر الى الخلف كيلا يلزم التناقض بين القراءتين المتواترتين فان النصب يقتضي كونه
عليه السلام غير مامور بالاسراء بها والرفع كونه مامورا بذلك واعتذر بان مقتضى
الرفع انما هو مجرد كونها معهم وذلك لا يستدعي الامر بالاسراء بها حتى يلزم المناقضة لجواز
ان تسري هي بنفسها كما يروى انه عليه السلام لما اسرى باهله تبعتهم فلما سمعت هدة العذاب
التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وان يسري بها عليه السلام من غير امر بذلك
اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عليه السلام
من غير امر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها لا النهي عن الاسراء بها
حتى يكون عليه السلام من غير امر بذلك اذ موجب النصب انما هو عدم الامر بالاسراء بها
لا النهي عن الاسراء بها حتى يكون عليه السلام بالاسراء بها مخالفا للنهي لا يجدي نفعا لان انصراف
الاستثناء الى الالتفات يستدعي بقاء الاهل على العموم فيكون الاسراء بها مامورا به قطعا
وفي حمل الاهلية في احدى القراءتين على الاهلية الدينية وفي الاخرى على النسبية مع ان فيه في
ما لا يخفى من التحكم والاعتساف كر على ما فر منه من المناقضة فالاولى حينئذ جعل الاستثناء
على القراءتين من قوله لا يلتفت مثل الذي في قوله تعالى ما فعلوه الا قليل منهم فان ابن عامر
قراه بالنصب وان كان الافصح الرفع على البدل ولا بعد في كون اكثر القراء على غير الافصح

ولا

ولا يلزم من ذلك امرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه بطريق الاستصلاح ولذلك علله على
طريقة الاستئناف بقوله انه مصيبها ما اصابهم من العذاب وهو امطار الحجارة وان لم يصبها الخسف
والتمهيد في انه للشان وقوله تعالى مصيبها خبر وقوله ما اصابهم مبتدا والجملة خبر لان الذي
اسمه ضمير الشان وفيه ما لا يخفى من تفخيم شان ما اصابهم ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على
قراءة الرفع ان موعدهم الصبح اي موعد عذابهم وهلاكهم تعليل للامر بالاسراء والنهي عن الالتفات
المشعر بالحث على الاسراع اليس الصبح بقريب تاكيد للتعليل فان قرب الصبح داع الى الاسراع
في الاسراء للتباعد عن مواقع العذاب وروي انه قال للملائكة عليهم السلام متى موعد هلاكهم
قالوا الصبح قال اريد اسرع من ذلك فقالوا ذلك وانما جعل ميقات هلاكهم الصبح لانه وقت الدعة
والراحة فيكون حلول العذاب حينئذ افظع ولانه انسب بكون ذلك عبرة للناظرين فلما جاء
امرنا اي وقت عذابنا وموعده وهو الصبح جعلنا عاليها اي عالي قرى قوم لوط وهي التي عبر عنها
بالمؤتفكات وهي خمس مداين فيها اربعمائة الف الف سافلها اي قلبناها على تلك الهيئة وجعل
عاليها مفعولا اول للجعل وسافلها مفعولا ثانيا له وان تحقق القلب بالعكس ايضا لتهويل الامر
وتفظيع الخطب لان جعل عاليها الذي هو مقارهم ومساكنهم سافلها اشد عليهم واشق من جعل
سافلها عاليها وان كان مستلزما له روي انه جعل جبريل عليه السلام جناحه في اسفلها ثم رفعها
الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واسناد الجعل والامطار الى
ضميره سبحانه باعتبار انه المسبب ولتفخيم الامر وتهويل الخطب وامطرنا عليها على اهل المداين او
شذاذهم حجارة من سجيل من طين متحجر لقوله حجارة من طين واصله سنك كل فعرب وقيل هو من
اسجله اذا ارسله وادر عطيته والمعنى من مثل الشيء المرسل او مثل العطية في الادرار
من السجل اي مما كتب الله تعالى ان يعذبهم به وقيل اصله من سجين اي من جهنم فابدلت لامه
نونا منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه اثر بعض كقطار الامطار
مسومة معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة او بسيماء تتميز به عن حجارة الارض او باسم
من ترمى به عند ربك في خزائنه التي لا يتصرف فيها غيره عز وجل وما هي اي الحجارة الموصوفة
من الظالمين من كل ظالم ببعيد فانهم بسبب ظلمهم مستحقون لها وملابسون بها وفيه وعيد
شديد لاهل الظلم كافة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام
فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم الا وهو لعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير
للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم واسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على
تاويل الحجارة بالحجر او اجرائه على موصوف مذكر اي بشيء بعيد او بمكان بعيد فانها وان كانت
في السماء وهي في غاية البعد من الارض الا انها حين هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بهم فكانها
بمكان قريب منهم او لانه على زنة المصدر كالزفير والصهيل والمصادر يستوي في الوصف
بها المذكر والمؤنث والى مدين اي ولا ومدين ابن ابراهيم عليه السلام وجعل اسما
للقبيلة بالغلبة او اهل مدين وهو بلد بناه فسمي به اخاهم اي نسيبهم شعيبا وهو ابن ميكيل
ابن يشجر ابن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه والجملة معطوفة على قوله
تعالى والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى مدين شعيبا قال استئناف وقع جوابا عن سؤال
نشا عن صدر الكلام كانه قيل فماذا قال لهم فقيل كما قال من قبله من الرسل عليهم السلام
يا قوم اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا ما لكم من اله غيره تحقيق للتوحيد وتعليل للامر
به وبعدما امرهم بما هو ملاك امر الدين واول ما يجب على المكلفين نهاهم عن ترتيب مبادي
ما اعتادوه من البخس والتطفيف عادة مستمرة فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان كي تتوسلوا
بذلك الى بخس حقوق الناس اني اراكم بخير اي ملتبسين بثروة وسعة تغنيكم من ذلك او بنعمة
من الله تعالى حقها ان تقابل بغير ما تاتونه من المسامحة والتفضل على الناس شكرا عليها او
اراكم بخير فلا تزيلوه بما انتم عليه من الشر وهو على كل حال علة للنهي عقبت بعلة اخرى اعني
قوله عز وجل واني اخاف عليكم ان لم تنتهوا عن ذلك عذاب يوم محيط لا يشذ منه شاذ منكم
وقيل عذاب يوم مهلك من قوله تعالى واحيط بثمره واصله من احاطة العدو والمراد عذاب
يوم القيامة او عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهي حال العذاب على الاسناد
المجازي وفيه من المبالغة ما لا يخفى فان اليوم زمان يشتمل على ما وقع فيه من الحوادث
فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويجوز ان يكون

هذا تعليلا للامر والنهي جميعا ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط اى بالعدل من غير زيادة ولا
نقصان فان الزيادة في الكيل والوزن وان كان تفضلا مندوبا اليه لكنها في الآلة محظورة كالنقص
فلعل الزايد للاستعمال عند الاكتيال والناقص للاستعمال وقت الكيل وانما امر بتسويتهما وتعديلهما
صريحا بعد النهي عن نقصهما مبالغة على الحمل على الايفاء والمنع عن البخس وتنبيها على انه لا يكفيهم مجرد الكف
عن النقص والبخس بل يجب عليهم اصلاح ما افسدوه وجعلوه معيارا لظلمهم وقانونا لعدوانهم
ولا تبخسوا الناس بسبب نقصهما وعدم اعتدالهما اشياءهم التي تشترونها بهما وقد صرح بالنهي
عن البخس بعد ما علم ذلك في ضمن النهي عن نقص المعيار والامر بايفائه اهتماما بشانه وترغيبا في
ايفاء الحقوق بعد الترهيب والزجر عن نقصها ويجوز ان يكون المراد بايفاء المكيال والميزان الامر
بايفاء المكيلات والموزونات ويكون النهي عن البخس عاما للنقص في المقدار وغيره تعميما بعد
التخصيص كما في قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثي يعم بعض الحقوق وغيره من انواع
الفساد وقيل البخس المكث كاخذ العشور في المعاملات قال زهير بن ابي سلمى ۝ افي كل اسواق
العراق اتاوة ۝ وفي كل ما باع امرؤ مكث درهم ۝ والعثي في الارض السرقة وقطع الطريق والغارة
وفائدة الحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام من خرق السفينة وقتل
الغلام وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر اخرتكم ومصالح دينكم بقيت الله اى ما ابقاه
لكم من الحلال بعد التنزه عن تعاطي المحرمات خير لكم مما يجمعون بالبخس والتطفيف فان ذلك هباء
منثورا بل شر محض وان زعمتم ان فيه خيرا كقوله تعالى يمحق الله الربا ويربي الصدقات ان كنتم
مؤمنين بشرط ان تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان لا محالة
او ان كنتم مصدقين في مقالتي لكم وقيل البقية الطاعة كقوله عز وعلا والباقيات الصالحات
خير عند ربك وقرئ تقية الله بالفوقانية وهي تقواه عن المعاصي وما انا عليكم بحفيظ احفظكم
من القبايح او احفظ عليكم اعمالكم فاجازيكم وانما انا ناصح مبلغ من سوء المقتيم قالوا يا شعيب
اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا من الاوثان اجابوا بذلك امره عليه السلام اياهم
بعبادة الله تعالى وحده المتضمن لنهيهم عن عبادة الاصنام ولقد بالغوا في ذلك وبلغوا اقصى
مراتب الخلاعة والمجون والضلال حيث لم يكتفوا بانكار الوحي الامر بذلك حتى ادعوا ان لا امر به
من العقل واللب اصلا وانه من احكام الوسوسة وافاعيل المجانين عبادة الاوثان التي تو والجنون
وعلى ذلك بنوا استفهامهم بطريق الاستهزاء التي هي من نتايج الوسوسة وافاعيل المجانين عبادة
الاوثان التي توارثناها ابا عن جد وانما جعلوه عليه السلام مامورا مع ان الصادر عنه انما هو الامر
بعبادة الله تعالى وغير ذلك من الشرايع لانه عليه السلام لم يكن يامرهم بذلك من تلقاء
نفسه بل من جهة الوحي وانما كان يعلمهم بانه مامور بتبليغه اليهم وتخصيصهم باسناد الامر
الى الصلوة من بين ساير احكام النبوة لانه عليه السلام كان كثير الصلوة معروفا بذلك وكانوا اذا
راوه يصلي يتغامزون ويتضاحكون وكانت هي من بين ساير شعاير الدين ضحكة لهم وقرئ اصلوتك
او ان نفعل في اموالنا ما نشاء جواب عن امره عليه السلام بايفاء الحقوق ونهيه عن البخس والنقص
معطوف على ما اى او ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الاخذ او الاعطاء والزيادة والنقص
وقرئ بالتاء في الفعلين عطفا على مفعول تامرك اصلوتك تامرك ان تفعل انت في اموالنا ما تشاء
وتجويز العطف على ما قيل يستدعي ان يراد بالترك معنيان متخالفان والمراد بفعله عليه السلام
ايجاب الايفاء والعذاب في معاملاتهم لا نفس الابقاء فان ذلك ليس من افعاله عليه السلام بل من
افعالهم وانما لم يقل عطفا على ان نترك لان الترك ليس مامورا به على الحقيقة بل المامور به تكليفه
عليه السلام اياهم وامره بذلك والمعنى صلواتك تامرك ان تكلفنا ان نترك ما يعبد اباؤنا
وحمله على معنى اصلواتك تامرك بما ليس في وسعك وعهدتك من افاعيل غيرك ليكون ذلك
تعريضا منهم بركاكة رايه عليه السلام واستهزاء به من تلك الجهة يأباه دخول الهمزة على الصلوة
دون الامر ويستدعي ان يصدر عنه عليه السلام في اثناء الدعوة ما يدل على ذلك ابو حمه
وافي ذلك فتامل وقرئ بالنون في الاول والتاء في الثاني عطفا على ان نترك اى او ان تفعل نحن في
اموالنا عند المعاملة ما تشاء انت من التسوية والايفاء انك لانت الحليم الرشيد وصفوه
عليه السلام بالوصفين على طريقة التهكم فانما ارادوا بذلك وصفه بضديهما كقول الخزنة
ذق انك انت العزيز الكريم ويجوز ان يكون تعليلا لما سبق من استبعاد ما ذكروه على معنى انك
لانت الحليم الرشيد على زعمك واما وصفه بهما على الحقيقة فيأباه مقام الاستهزاء اللهم الا ان

يراد

يراد بالصلوة الدين كما قيل قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة اى حجة واضحة وبرهان نير عبر بهما عما
اتاه الله تعالى من النبوة والحكمة ردا على مقالتهم الشنعاء في جعلهم امره ونهيه غير مستندة الى سند
من ربي ومالك اموري وايراد حرف الشرط مع جزمه عليه السلام بكونه على ما عليه من البينات
والحجج لاعتبار حال المخاطبين ومراعاة حسن المحاورة معهم كما ذكرناه في نظايره ورزقني منه اى من
لدنه رزقا حسنا هو الحكمة والنبوة ايضا عبر عنهما بذلك تنبيها على انهما مع كونهما بينة رزق حسن
كيف لا وذلك مناط الحيوة الابدية له ولامته وجواب الشرط محذوف يدل عليه فحوى الكلام
اى تقولون في شاني ما تقولون والمعنى انكم نظمتموني في سلك السفهاء الغواة وعددتم ما صدر عني من
الاوامر والنواهي من قبيل ما لا يصح ان يتفوه به عاقل وجعلتموه من احكام الوسوسة والجنون واستهزأ
تم بي وبافعالي حتى قلتم ان ما امرتكم به من التوحيد وترك عبادة الاصنام والاجتناب عن البخس والتطفيف
مما يامر به امر العقل ويقضي به قاضي الفطنة وانما يامر به صلواتك التي هي من احكام الوسوسة والجنون
فاخبروني ان كنت من جهة ربي ومالك اموري ثابتا على النبوة والحكمة التي ليس وراءها غاية للكمال
ولا مطمح لطامح ورزقني بذلك رزقا حسنا اتقولون في شاني وشان افعالي ما تقولون مما لا خير فيه
ولا شر وراءه وهذا هو الجواب الذي يستدعيه السباق ويساعده النظم الكريم واما ما قيل من ان
المحذوف ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي او هل يسع لي مع هذا الانعام
الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية ان اخون في وحيه واخالفه في امره ونهيه فبمعزل من ذلك
وانما يناسب تقديره ان حمل كلامهم على الحقيقة واريد بالصلوة الدين على معنى ادينك يامرك ان
تكلفنا بترك عبادة الهتنا القديمة وترك التصرف المطلق في اموالنا وتخالفنا في ذلك وتشق عصانا
وهذا مما لا ينبغي ان يصدر عنك فانك انت المشهور بالحلم الفاضل والرشد الكامل فيما بيننا كما قالت
قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا مردودا على ذلك المعنى اجيب بما اجيبوا به وعلى هذا الوجه يكون
المراد بالرزق الحسن الحلال الذي اتاه الله تعالى والمعنى حينئذ اخبروني ان كنت نبيا من عند الله
تعالى ورزقني مالا حلالا استغني به عن العالمين ايصح ان اخالف امره واوافقكم فيما تاتون وما
تذرون وما اريد بنهيي اياكم عما انهاكم عنه من البخس والتطفيف ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه اى
اقصده بعد ما وليتم عنه واستبد به دونكم يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه
وخالفته عن كذا اذا كان الامر على العكس ان اريد اى ما اريد بما اباشره من الامر والنهي الا الاصلاح
الا ان اصلحكم بالنصيحة والموعظة ما استطعت اى مقدار ما استطعته من الاصلاح والتقييد
به للاحتراز عن الاكتفاء بالاصلاح والجملة لا عن ارادة ما ليس في وسعه منه وما توفيقي اى كوني
موفقا لتوفيق الحقه من اصلاحكم الا بالله اى بتاييده ومعونته بل الاصلاح من حيث الخلق
مستندا اليه سبحانه وانما انا من مباديه الظاهرة قاله عليه السلام تحقيقا للحق وازاحة لما عسى
يوهمه اسناد الاستطاعة اليه باداته من استبداده بذلك عليه توكلت في ذلك معرضا عما عداه
فانه القادر على كل مقدور وما عداه عاجز محض في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار
بمعزل عن رتبة الاستمداد به والاستظهار واليه انيب اى ارجع فيما انا بصدده ويجوز ان يكون
المراد وما كوني موفقا لاصابة الحق والثواب في كل ما اتي واذر الا بهدايته ومعونته عليه توكلت
وهو اشارة الى محض التوحيد الذاتي والفعلي واليه انيب اى عليه اقبل بشراشر نفسي في مجامع اموري
وايثار صيغة الاستقبال على الماضي الانسب للتقرر والتحقيق كما في التوكل لاستحضار الصورة
والدلالة على الاستمرار ولا يخفى ما في جوابه عليه السلام من مراعاة لطف المراجعة ورفق
الاستنزال والمحافظة على قواعد حسن المجاراة والمحاورة وتمهيد معاقد الحق بطلب التوفيق من
جناب الله عز وجل والاستعانة به في اموره وحسم اطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم
المبالاة بمعاداتهم واما تهديدهم بالرجوع الى الله تعالى للجزاء كما قيل فلا لان الانابة انما هي الرجوع
الاختياري بالفعل الى الله تعالى لا الرجوع الاضطراري للجزاء وما يعمه ويا قوم لا يجرمنكم اى
يكسبنكم من جرمته ذنبا مثل كسبته مالا شقاقي معاداتي واصلهما ان احد المتعادين يكون في عدوة
وشق والاخر في اخر ان يصيبكم مفعول ثان ليجرمنكم من الريح او قوم صالح من الصيحة والرجفة
وقرا ابن كثير بضم اليا من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اى كاسبا له وهو منقول من جرم
المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال فكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته
اياه فرق لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه في المعنى الا ان الاول اصح وادور على السنة
الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله ۝ لم يمنع الشرب

اى لا يكسبنكم معاداتكم الا ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح
من الغرق او قوم هود من

منها غيران نطقت * حمامة في غصون ذات اوقال * وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا للشقاق
عن كسب اصابة العذاب لكنه في الحقيقة نهي للكفرة عن مشاقته عليه السلام على الطف اسلوب
وابدعه كما مر في سورة المائدة عند قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الآية وما قوم
لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم من الامم المعدودة فاعتبروا بهم
فكانه انما غير اسلوب التحذير بهم ولم يصرح بما اصابهم بل اكتفى بذكر قربهم ايذانا بان ذلك
مغن عن ذكره لشهرته كونه منظوما في سمط ما ذكر من دواهي الامم المرقومة او ليسوا ببعيد
منكم في الكفر والمعاصي فلا يبعد ان يصيبكم مثل ما اصابهم وافراد البعيد مع تذكيره لان
المراد وما اهلاكهم على نية المضاف او ما هم بشيء بعيد لان المقصود افادة عدم بعدهم على
الاطلاق لا من حيث خصوصية كونهم قوما او ما هم في زمان بعيد ولا يبعد ان يكون ذلك *
لكونه على زنة المصادر كالنهيق والشهيق ولما انذرهم عليه السلام بسوء عاقبة صنيعهم
عقبه طمعا في ارعوائهم عما كانوا فيه يعمهون من طغيانهم بالحمل على الاستغفار والتوبة فقال
واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مر تفسير مثله في اول السورة ان ربي رحيم عظيم الرحمة للتائبين
ودود مبالغ في فعل ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من اللطف والاحسان وهذا تعليل للامر
بالاستغفار والتوبة وحث عليهما قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول الفقه معرفة
غرض المتكلم من كلامه اي ما نفهم مرادك وانما قالوه بعد ما سمعوا منه دلائل الحق المبين
على احسن وجه وابلغه وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل فلم يجدوا الى محاورته سبيلا
سوى الصدود عن منهاج العقل والسلوك الى سبيل الشقا كما هو ديدن المفحم المحجوج يقابل
البينات بالسب والابراق والارعاد فجعلوا كلامه المشتمل على فنون الحكم والمواعظ وانواع
العلوم والمعارف من قبيل ما لا يفهم معناه ولا يدرك فحواه وادمجوا في ضمن ذلك ان في
تضاعيفه ما يستوجب اقصى ما يكون من المواخذة والعقاب ولعل ذلك ما فيه من التحذير
من عواقب الامم السالفة ولذلك قالوا وانا لنراك فينا فيما بيننا ضعيفا لا قوة لك ولا
قدرة على شيء من الضر والنفع والايقاع والرفع ولولا رهطك لولا مراعاة جانبهم لا لخوفهم
بما نعوننا ويدافعوننا لرجمناك فان ممانعة الرهط وهو اسم للثلاثة الى السبعة او الى العشرة
لهم وهم الوف مؤلفة مما لا يكاد يتوهم وقد ايد ذلك بقوله عز وجل وما انت علينا بعزيز
مكرم محترم حتى نمتنع من رجمك وانما نكف عنه للمحافظة على حرمة رهطك الذين ثبتوا على
ديننا ولم يتبعوك دوننا وايلاء الضمير حرف النفي الى الفاعل دون الفعل لا سيما مع
قرينة قوله ولولا رهطك كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا وحيث
كان غرضهم من عظيمتهم هذه الى نفي ما فيه عليه السلام من القوة والعزة الربانية حسبما
يوجبه كونه على بينة من ربه مؤيدا من عنده ويقتضيه قضية طلب التوفيق منه والتوكل
عليه والانابة اليه والى اسقاط ذلك كله عن درجة الاعتداد به والاعتبار قال عليه السلام
في جوابهم يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله فان الاستهانة بمن لا يتعزز به عز وجل استهانة
بجنابه العزيز وانما انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة
رهطه لا اعزيتهم منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ
حيث انكر عليهم اعزية رهطه منه تعالى مع ان ما اثبتوه انما هو مطلق عزة رهطه لا اعزيتهم
منه عز وجل مع الاشتراك في اصل العزة لتثنية التقريع وتكرير التوبيخ حيث انكر عليهم
اولا ترجيح جنبة الرهط على جنبة الله تعالى وثانيا بنفي العزة بالمرة والمعنى ارهطي اعز
عليكم من الله فانه مما لا يكاد يصح والحال انكم لم تجعلوا له تعالى حظا من العزة اصلا *
واتخذتموه بسبب عدم اعتدادكم بمن لا يصدر الا بامره وراءكم ظهريا شيئا منبوذا وراء
الظهر منسيا لا يبالى به منسوب الى الظهر والكسر لتغيير النسب كالامسي في النسبة الى
الامس ان ربي بما تعملون من الاعمال السيئة التي من جملتها عدم مراعاتكم لجانبه محيط لا يخفى
عليه منها خافية وان جعلتموه منسيا فيجازيكم عليها ويحتمل ان يكون الانكار للرد والتكذيب
فانهم لما ادعوا انهم لا يكفون عن رجمه عليه السلام لقوته وعزته بل لمراعاة جانب
رهطه رد عليهم ذلك بانهم ما قدروا الله حق قدره العزيز ولم تراعوا جنابه القوي
فكيف تراعون جانب رهطي الاذلة ويا قوم اعملوا لما راى عليه السلام اصرارهم على الكفر
وانهم لا يرعوون عما هم عليه من المعاصي حتى اجترؤوا على العظيمة التي هي استهانة والعزيمة

على

على العظيمة التي هي استهانة به والعزيمة على رجمه لولا حرمة رهطه قال لهم على طريقة
التهديد اعملوا على مكانتكم اي على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وانما
قاله عليه السلام ردا لما ادعوا انهم اقوياء قادرون على رجمه وانه ضعيف فيما بينهم لا عزة
له او على ناحيتكم وجهتكم التي انتم عليها من قولهم مكان ومكانة كمقام ومقامة والمعنى اثبتوا على
ما انتم عليه من الكفر والمشاقة وسائر ما انتم عليه مما لا خير فيه وابذلوا جهدكم في مضادتي
وايقاع ما في نيتكم واخراج ما في امنيتكم من القوة الى الفعل اني عامل على مكانتي حسبما يؤيدني
الله ويوفقني بانواع التاييد والتوفيق سوف تعلمون لما هددهم عليه السلام بقوله اعملوا على
مكانتكم اني عامل كان مظنة ان يسال منهم سائل فيقول فما يكون بعد ذلك فقيل سوف
تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه وصف العذاب بالاخزاء تعريضا بما اوعدوه عليه السلام به من
الرجم فانه مع كونه عذابا فيه خزي ظاهر حيث لا يكون الا بجناية عظيمة توجبه ومن هو
كاذب عطف على من ياتيه لا انه قسيمه بل حيث اوعدوه بالرجم وكذبوه قيل سوف تعلمون من المعذب
والكاذب وانه تعريض بكذبهم في ادعائهم القوة والقدرة على رجمه عليه السلام وفي نسبته الى
الضعف والهوان وفي ادعائهم الابقاء عليه لرعاية جانب الرهط والاختلاف بين المعطوفين
بالفعلية والاسمية لان كذب الكاذب ليس بمترقب كاتيان العذاب بل انما المترقب ظهور الكذب
الكاذبون ليس بمترقب لاتيان العذاب بل انما المترقب ظهوره للكذب السابق المستمر ومن اما
استفهامية معلقة للعلم عن العمل كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه واينا كاذب
واما موصولة اي سوف تعرفون الذي ياتيه عذاب يخزيه والذي هو كاذب وارتقبوا وانتظروا
مآل ما اقول اني معكم رقيب منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم او المراقب كالعشير او المرتقب
كالرفيع وفي زيادة معكم اظهار منه عليه السلام لكمال الوثوق بامره ولما جاء امرنا اي عذابنا
كما ينبئ عنه قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه او وقته فان الارتقاب مؤذن
بذلك نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا وهي الايمان الذي وفقناهم له او برحمة كائنة
منا لهم وانما ذكر بالواو كما في قصة عاد لما انه لم يسبقه فيها ذكر وعد يجري مجرى السبب المقتضي
لدخول الفاء في معلوله كما في قصتي صالح ولوط فانه قد سبق هناك سابقة الوعد بقوله ذلك
وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح واخذت الذين ظلموا الصيحة عدل اليه عن الضمير
تسجيلا عليهم بالظلم واشعارا بان ما اخذهم انما اخذهم بسبب ظلمهم الذي فصل فيما سبق
فنونه الصيحة قيل صاح بهم جبرئيل عليه السلام فهلكوا وفي سورة الاعراف فاخذتهم الرجفة
وفي سورة العنكبوت فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة *
لتموج الهواء المفضي اليها كما مر فيما قبل فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين لازمين لاماكنهم لا براح
لهم منها ولما لم يجعل متعلق العلم في قوله تعالى سوف تعلمون من ياتيه عذاب الى آخره نفس مجيء
العذاب بل من يجيئه ذلك جعل مجيئه بعد ذلك امرا مسلم الوقوع غنيا عن الاخبار به حيث
جعل شرطا وجعل تنجية شعيب عليه السلام واهلاك الكفرة جوابا له ومقصود الافادة وانما
قدم تنجيته اهتماما بشانها وايذانا بسبق الرحمة التي هي مقتضى الربوبية على الغضب الذي يظهر
اثره بموجب جرائمهم كان لم يغنوا اي لم يقيموا فيها متصرفين في اطرافها متقلبين في اكنافها
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود العدول عن الاضمار الى الاظهار ليكون ادل على طغيانهم الذي
اداهم الى هذه المرتبة وليكون انسب بما شبه هلاكهم بهلاكهم اعني ثمود وانما شبه هلاكهم
بهلاكهم لانهما اهلكا بنوع من العذاب وهو الصيحة غير ان هؤلاء صيح بهم من فوقهم واولئك
من تحتهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب
الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر للمكسور ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي الايات
التسع المفصلات التي هي العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
ونقص الثمرات والانفس ومنهم من جعلهما اية واحدة وعد منها اظلال الجبل وليس كذلك
فانه لقبول احكام التوراة حين اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا من مفعول
ارسلنا او نعتا لمصدره المؤكد اي ارسلناه اباه بنو اسرائيل والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا
حال كونه ملتبسا باياتنا او ارسلناه ارسالا ملتبسا بها وسلطان مبين هو المعجزات الباهرة منها
او هو العصا والافراد بالذكر لاظهار شرفها لكونها ابهرها او المراد بالايات ما عداها او هما
عبارتان عن شيء واحد اي ارسلناه بالجامع بين كونه سلطانا له على نبوته واضحا في نفسه

او موضحا اياها من ابان لازما و متعديا او هو الغلبة والاستيلاء كقوله تعالى ونجعل لكما
سلطانا ويجوز ان يكون المراد ما بينه عليه السلام فى تضاعيف دعوته حين قال له
فرعون من ربكما فما بال القرون الاولى من الحقايق الرايقة والدقايق اللايقة وجعله عبارة
عن التوراة اوادراجها فى جملة الايات يرده قوله عز وجل الى فرعون وملائه فان نزولها
انما كان بعد مهلك فرعون وقومه قاطبة ليعمل بها بنى اسرائيل فيما ياتون وما يذرون
واما فرعون وقومه فانما كانوا مامورين بعبادة رب العالمين عز سلطانه وترك العظيمة
الشنعا التى كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فيته الباغية وبارسال بنى اسرائيل من
الاسر والقسر وتخصيص ملائه بالذكر مع عموم رسالته عليه السلام لقومه كافة
لاصالتهم فى الراى وتدبير الامور واتباع غيرهم لهم فى الورود والصدور وانما لم يصرح
بكفر فرعون بايات الله تعالى وانهماكه فيما كان عليه من الضلال والاضلال بل اقتصر على
ذكر شان ملائه فقيل فاتبعوا امر فرعون اى امره بالكفر بما جاء به موسى عليه السلام من
الحق المبين للايذان بوضوح حاله فكان كفره وامر ملائه بذلك امر محقق الوجود غير
محتاج الى الذكر صريحا وانما المحتاج الى ذلك شان ملائه المترددين بين هاد الى الحق
وداع الى الضلال فنعى عليهم سوء اختيارهم وايراد الفاء فى اتباعهم المترتب على امر فرعون
المبنى على كفره المسبوق بتبليغ الرسالة للاشعار بمفاجاتهم فى الاتباع ومسارعة فرعون
الى الكفر وامرهم به فكان ذلك كله لم يتراخ عن الارسال والتبليغ بل وقع جميع ذلك فى
وقت واحد فوقع اثر ذلك اتباعهم ويجوز ان يراد بامر فرعون شانه المشهور وطريقته
الزايغة فيكون معنى فاتبعوا فاستمروا على الاتباع والفاء مثل ما فى قولك وعظته فلم
يتعظ وصحت به فلم ينزجر فان الاتيان بالشىء بعد ورود ما يوجب الاقلاع عنه وان
كان استمرارا عليه لكنه بحسب العنوان فعل جديد وصنع حادث فتامل وترك الاضمار
لدفع توهم الرجوع الى موسى عليه السلام من اول الامر لزيادة تقبيح حال المتبعين فان فرعون
علم فى الفساد والافساد والضلال والاضلال فاتباعه لفرط الجهالة وعدم الاستبصار وكذا
الحال فى قوله تعالى وما امر فرعون برشيد الرشد ضد الغى وقد يراد به محمودية العاقبة
على الاول بمعنى الرشيد وذى الرشد حقيقة لغوية والاسناد مجازى وعلى الثانى مجاز
والاسناد حقيقى يقدم قومه جميعا من الاشراف وغيرهم يوم القيمة اى يتقدمهم من قدمه
بمعنى تقدمه وهو استيناف لبيان حاله فى الاخرة اى كما كان قدوة لهم فى الضلال كذلك
يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه او لتوضيح عدم صلاح امره وسوء عاقبته فاوردهم
النار اى يوردهم وايثار صيغة الماضى للدلالة على تحقيق الوقوع لا محالة شبه فرعون
بالفارط الذى يتقدم الواردة الى الماء واتباعه بالواردة والنار بالماء الذى يردونه ثم
قيل وبئس الورد المورود اى بئس الورد الذى يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين
العطش وتبريد الاكباد والنار على ضد ذلك واتبعوا اى الملاء الذين اتبعوا امر فرعون فى هذه
اى فى الدنيا لعنة عظيمة حيث يلعنهم من بعدهم من الامم الى يوم القيمة ويوم القيمة ايضا
حيث يلعنهم اهل الموقف قاطبة فهى تابعة لهم حيثما ساروا دايرة معهم اينما داروا فى
الموقف فكما اتبعوا فرعون اتبعتهم اللعنة فى الدارين جزاء وفاقا واكتفى ببيان حالهم الفظيع
وشانهم الشنيع عن بيان حال فرعون اذ حين كان حالهم هكذا فما ظنك بحال من اغواهم والقاهم
فى هذا الضلال البعيد وحيث كان شان الاتباع ان يكونوا اعوانا للمتبوع جعلت اللعنة رفدا
لهم على طريقة التهكم فقيل بئس الرفد المرفود اى بئس العون المعان وقد فسر الرفد بالعطا
ولا يلايمه المقام واصله ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف اى رفدهم وهى
اللعنة فى الدارين وكونه مرفودا من حيث ان كل لعنة منها معينة وممدة لصاحبتها ومؤيدة
لها ذلك اشارة الى ما قص من انباء الامم وبعده باعتبار تقضيه فى الذكر والخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا خبره من انباء القرى المهلكة بما جنته ايدى اهلها
نقصه عليك خبر بعد خبر اى ذلك النبا بعض انباء القرى مقصوص عليك منها اى من
تلك القرى قايم وحصيد اى ومنها حصيد حذف لدلالة الاول عليه ما بقى منها بالزرع
القايم على ساقه وما عفى وبطل بالحصيد والجملة مستانفة لا محل لها من الاعراب وما ظلمناهم
بان اهلكناهم ولكن ظلموا انفسهم بان جعلوها عرضة للهلاك باقتراف ما يوجبه فما اغنت عنهم

فما

فما نفعتهم ولا دفعت باس الله تعالى عنهم الهتهم التى يدعون اى يعبدونها من دون الله اوثر
صيغة المضارع حكاية للحال الماضية او دلالة على استمرار عبادتهم لها من شىء فى موضع
المصدر اى شيئا من الاغناء لما جاء امر ربك اى حين مجىء عذابه وهو منصوب باغنت وقرئ الهتهم
اللاتى ويدعون على البناء للمجهول وما زادوهم غير تتبيب اى اهلاك وتخسير فانهم انما اهلكوا
وخسروا بسبب عبادتهم لها وكذلك اى ومثل ذلك الاخذ الذى مر بيانه وهو فى محل الرفع على
الابتداء وخبره قوله تعالى اخذ ربك وقرئ اخذ ربك فمحل الكاف النصب على انه مصدر مؤكد
اذا اخذ القرى اى اهلها وانما اسند اليها للاشعار بسريان اثره اليها حسبما ذكر وقرئ اذ اخذ
وهى ظالمة حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما اقيمت مقامهم فى الاخذ اجريت الحال
عليها وفايدتها الاشعار بانهم انما اخذوا بظلمهم ليكون ذلك عبرة لكل ظالم ان اخذه اليم
شديد وجيع صعب على الماخوذ لا يرجى منه الخلاص وفيه ما لا يخفى من التهديد والتحذير ان فى
ذلك اى فى اخذه تعالى للامم المهلكة او فى قصصهم لاية لعبرة لمن خاف عذاب الاخرة فانه
المعتبر به حيث يستدل به بما حاق بهم من العذاب الشديد بسبب ما عملوا من السيئات على احوال
عذاب الاخرة واما من انكر الاخرة واحال فناء العالم وزعم ان ليس هو ولا شىء من احواله مستندا
الى الفاعل المختار وان ما يقع فيه من الحوادث فانما يقع لاسباب تقتضيه من اوضاع فلكية
تتفق فى بعض الاوقات لما ذكر فى المعاصى مقارنها الامم الهالكة فهو بمعزل من هذا الاعتبار
تبا لهم ولما لهم من الافكار ذلك اشارة الى يوم القيمة المدلول عليه بذكر الاخرة يوم مجموع
له الناس اى يجمع له الناس للمحاسبة والجزاء والتعبير للدلالة على ثبات معنى الجمع وتحقق وقوعه
لا محالة وعدم انفكاك الناس عنه فهو ابلغ من قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وذلك اى يوم
القيمة ملاحظة عنوان جمع الناس له يوم مشهود اى مشهود فيه حيث يشهد فيه اهل السموات
والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كما فى قوله ● فى محفل من نواصى الناس مشهود
● اى كثير شاهدوه ولو جعل النفس اليوم مشهودا لفات ما هو الغرض من تعظيم اليوم الملحوظ
بعنوانى الجمع والمشهود الا لاجل معدود الا لانقضاء مدة قليلة مضروبة حسبما تقتضيه
الحكمة يوم يات اى حين ذلك اليوم المؤخر بانقضاء اجله كقوله تعالى ان تاتيهم الساعة وقيل يوم
يات الجزاء الواقع فيه وقيل اى الله عز وجل فان المقام مقام تفخيم شان اليوم وقرئ باثبات
الياء على الاصل لا تكلم نفس اى لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب او شفاعة وهو العامل فى الظرف
او الانتهاء والمحذوف فى قوله تعالى الا لاجل معدود اى ينتهى الاجل يوم يات او المضمر المعهود
اعنى اذكر الا باذنه عن سلطانه فى التكلم كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا فى
موطن من مواطن ذلك اليوم وقوله عز وجل هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى
موقف اخر من مواقفه كما ان قوله سبحانه وتعالى يوم تاتى كل نفس تجادل عن نفسها فى اخر منها
والماذون فيه الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعذار الباطلة نعم قد يؤذن فيها ايضا لاظهار
بطلانها كما فى قول الكفرة والله ربنا ما كنا مشركين ونظايره فمنهم شقى وجبت له النار بموجب
الوعيد وسعيد اى ومنهم سعيد حذف الخبر لدلالة الاول عليه وهو من وجبت له الجنة
بمقتضى الوعد والضمير لاهل الموقف المدلول عليهم بقوله لا تكلم نفس اى الناس وتقديم
الشقى على السعيد لان المقام مقام التحذير والانذار فاما الذين شقوا اى سبقت لهم الشقاوة
ففى النار اى مستقرون فيها لهم فيها زفير وشهيق الزفير اخراج النفس والشهيق رده
واستعمالهما فى اول النهيق واخره قال الشماخ يصف حمار الوحش بعيد مدى التطريب اول
صوته ● زفير ويتلوه شهيق محشرج ● والمراد بهما وصف شدة كربهم وتشبيه حالهم
بحال من استولت على قلبه الحرارة وانحصر فيه روحه او تشبيه صراخهم باصوات الحمير
وقرئ شقوا بالضم والجملة مستانفة كان سايلا قال ما شانهم فيها فقيل لهم فيها كذا وكذا
او منصوبة المحل على الحالية من النار او من الضمير فى الجار والمجرور كقوله عز اسمه خالدين فيها
خلدا انه ان اريد حدوث كونهم فى النار فالحال مقدرة ما دامت السموات والارض اى
مدة دوامهما وهذا التوقيت عبارة عن التابيد ونفى الانقطاع بتا على منهاج قول العرب
ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وغير
ذلك من كلمات التابيد لا تعليق قرارهم فيها بدوام هذه السموات والارض فان النصوص
القاطعة دالة على تابيد قرارهم فيها وانقطاع دوامهما وان اريد التعليق فالمراد سموات

وتهويله وتمييزه عن غيره فان ساير الايام كذلك وما
نؤخره اى ذلك اليوم ص

الآخرة وأرضها كما يدل على ذلك النصوص كقوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات
وقوله تعالى وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء وجزم كل أحد بأن أهل الآخرة لا بد لهم من مظلة
ومقلة بأنه يكفي في تعليق دوام قرارهم فيها بدوامهما ولا حاجة إلى الوقوف على تفاصيل أحوالهما
وكيفياتهما إلا ما شاء ربك استثناء من الخلود على طريقة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة
الأولى وقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف وقوله حتى يلج الجمل في سم
الخياط غير أن استحالة الأمور المذكورة معلومة بحكم العقل واستحالة تعلق المشيئة بعدم الخلود معلومة
بحكم النقل يعني أنهم مستقرون في النار في جميع الأزمنة إلا في زمان مشيئة الله تعالى لعدم قرارهم
فيها وإذ لا إمكان لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا إمكان
لتلك المشيئة ولا لزمانها بحكم النصوص القاطعة الموجبة للخلود فلا إمكان لانتهاء مدة
قرارهم فيها ولدفع ما عسى يتوهم من كون استحالة تعلق مشيئة الله تعالى بعدم الخلود بطريق الوجوب
على الله تعالى قال إن ربك فعال لما يريد يعني أنه في تخليد الأشقياء في النار بحيث يستحيل وقوع
خلافه فعال بموجب إرادته قاض بمقتضى مشيئته الجارية على سنن حكمته الداعية إلى ترتيب
الأجزية على أفعال العباد والعدول من الإضمار إلى الإظهار لتربية المهابة وزيادة التقرير
وقيل هو استثناء من الخلود في عذاب النار فإنهم لا يخلدون فيه بل يعذبون بالزمهرير وبأنواع
أخر من العذاب وبما هو أغلظ منها كلها وهو سخط الله تعالى عليهم وخسؤه لهم وإهانته إياهم وأنت
تدري أنا وإن سلمنا أن المراد بالنار ليس مطلق دار العذاب المشتملة على أنواع العذاب بل نفس
النار فما خلا عذاب الزمهرير من تلك الأنواع مقارن لعذاب النار فلا مصداق في ذلك
للاستثناء ذلك أن تقول إنهم ليسوا بمخلدين في العذاب الجسماني الذي هو عذاب النار بل لهم من
أفانين العذاب ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى وهي العقوبات والآلام الروحانية التي لا
يقف عليها في هذه الحياة الدنيا المنغمسون في أحكام الطبيعة المقصور إدراكهم على ما ألفوا من
الأحوال الجسمانية وليس لهم استعداد لتلقي ما وراء ذلك من الأحوال الروحانية إذا
ألقي إليهم ولذلك لم يتعرض لبيانه واكتفي بهذه المرتبة الإجمالية المنبئة عن التهويل وهذه
العقوبات وإن كانت تعتريهم وهم في النار لكنهم ينسون بها عذاب النار ولا يحسون بها وهذه
المرتبة كافية في تحقيق معنى الاستثناء هذا وقد قيل إلا بمعنى سوى وهو أو فوق ما ذكر وقيل
ما بمعنى من على إرادة معنى الوصفية فالمعنى أن الذين شقوا في النار مقدرين الخلود فيها إلا الذين
شاء الله عدم خلودهم فيها وهم عصاة المؤمنين وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت
السموات والأرض من الكلام فيه كالكلام فيما سبق خلا أنه لم يذكر هاهنا أن لهم فيها بهجة وسرورا
كما ذكر في أهل النار من أن لهم فيها زفير وشهيق لأن المقام مقام التحذير والإنذار إلا ما شاء
ربك إن حمل على طريقة التعليق بالمحال فقوله سبحانه وتعالى عطاء غير مجذوذ نصب على المصدر
من معنى الجملة لأن قوله ففي الجنة خالدين فيها يقتضي إعطاء وإنعاما فكأنه قيل يعطيهم عطاء
وهو إما اسم مصدر هو الإعطاء أو مصدر بحذف الزوائد كقوله تعالى أنبتكم من الأرض نباتا
وإن حمل على ما أعد الله تعالى لعباده الصالحين من النعيم الروحاني الذي عبر عنه بما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو نصب على الحالية من المفعول المقدر للمشيئة أو تمييز فإنه
نسبة مشيئة الخروج إلى الله تعالى يحتمل أن يكون على جهة عطاء مجذوذ وعلى جهة عطاء غير مجذوذ
فهو رافع للإبهام عن النسبة قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي يشاء لأهل الجنة ولم يخبرنا
بالذي يشاء لأهل النار ويجوز أن يتعلق بكلا التعليقين أو بالأول دفعا لما يتوهم من ظاهر الاستثناء
من انقطاعه فلا تك في مرية أي في شك ما والفاء لترتيب النهي على ما قص من القصص وبين في
تضاعيفها من العواقب الدنيوية والأخروية مما يعبد هؤلاء أي من جهة عبادة هؤلاء
المشركين وسوء عاقبتها أو من حال ما يعبدونه من الأوثان في عدم نفعه لهم ولما كان مساق
النظم الكريم قبيل الشروع في القصص لبيان غاية سوء حال الكفرة وكمال حسن حال المؤمنين
وقد ضرب لهم فقيل مثل الفريقين كالأعمى والأصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا
أفلا تذكرون وقد قص عليه عقيب ذلك من أنباء الرسل السالفة مع قومهم المبعوثة إليهم
ما يتذكر به المتذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كونه في شك من مصير أمر هؤلاء
المشركين في العاجل والآجل ثم علل ذلك بطريق الاستئناف فقيل ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم
الذين قصت عليك قصصهم من قبل أي هم وآباؤهم سواء في الشرك ما يعبدون من عبادة إلا كعبادتهم

أو ما يعبدون شيئا إلا مثل ما عبدوه من الأوثان والعدول إلى صيغة المضارع لحكاية الحال
الماضية لاستحضار صورتها أو مثل ما كانوا يعبدونه فحذف كان لدلالة قوله من قبل عليه ولقد
بلغك ما لحق آباءهم فسيلحقهم مثل ذلك فإن تماثل الأسباب يقتضي تماثل المسببات وإنا لموفوهم
أي هؤلاء الكفرة نصيبهم أي حظهم المعين لهم حسب جرائمهم وجناياتهم من العذاب عاجلا وآجلا
كما وفينا آباءهم أنصباءهم المقدرة لهم أو من الرزق المقسوم لهم فيكون بيانا لوجه تأخر العذاب عنهم
مع تحقق ما يوجبه غير منقوص حال مؤكدة من النصيب كقوله تعالى ثم وليتم مدبرين وفائدته
دفع توهم التجوز وجعلها مقيدة له لدفع احتمال كونه منقوصا في حد نفسه مبني على الذهول عن
كون العامل هو التوفية فتأمل ولقد آتينا موسى الكتاب أي التوراة فاختلف فيه أي في شأنه
وكونه من عند الله تعالى فآمن به قوم وكفر به آخرون فلا تبال باختلاف قومك فيما آتيناك
من القرآن وقولهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وزعمهم أنك افتريته ولولا كلمة سبقت
من ربك وهي كلمة القضاء بإنظارهم إلى يوم القيمة على حسب الحكمة الداعية إلى ذلك لقضي بينهم
أي لأوقع القضاء بين المختلفين من قومك بإنزال العذاب الذي تستحقه المبطلون ليتميزوا به عن
المحقين وقيل بين قوم موسى وليس ذلك وإنهم أي وإن كفار قومك أريد به بعض من رجع
إليهم ضمير بينهم للأمن من الالتباس لفي شك عظيم منه أي من القرآن وإن لم يجر له ذكر فإن ذكر
إيتاء كتاب موسى ووقوع الاختلاف فيه لا سيما بصدد التسلية ينادي به نداء غير خفي مريب
موقع في الريبة وإن كلا التنوين عوض من المضاف إليه أي وإن كل المختلفين فيه المؤمنين منهم
والكافرين وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الإعمال اعتبارا للأصل لما ليوفينهم ربك
أعمالهم أي أجزية أعمالهم واللام الأولى موطئة للقسم والثانية جواب للقسم المحذوف
ولما من الجارة وما الموصولة أو الموصوفة وأصلها لمن ما فقلبت النون ميما للإدغام فاجتمع
ثلاث ميمات فحذف أولاهن والمعنى لمن الذين أو لمن خلق أو لمن فريق والله ليوفينهم ربك وقرئ
لما بالتخفيف على أن ما مزيدة للفصل بين اللامين والمعنى وإن جميعهم والله ليوفينهم الآية
وقرئ لما بالتنوين أي جميعا كقوله سبحانه أكلا لما وقرئ إن وإن كل لما ليوفينهم على أن إن
نافية ولما بمعنى إلا وقرئ به إنه بما يعملون أي بما يعمله كل فرد من المختلفين من الخير والشر خبير
بحيث لا يخفى عليه شيء من جلائله ودقائقه وهو تعليل لما سبق من توفية أجزية أعمالهم فإن
الإحاطة بتفاصيل أعمال الفريقين وما يستوجبه كل عمل بمقتضى الحكمة من الجزاء المخصوص يوجب
توفية كل ذي حق حقه إن خيرا فخير وإن شرا فشر فاستقم كما أمرت لما بين في تضاعيف القصص
المحكية عن الأمم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل وأشير إلى أن حال هؤلاء الكفرة
في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل أولئك المعذبين وأن نصيبهم من العذاب واصل
إليهم من غير نقص وأن تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه السلام للتوراة وأنه لولا
سبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة إلى يوم القيامة لفعل بهم
ما فعل بآبائهم من قبل وأنهم موفون نصيبهم غير منقوص وأن كل واحد من المؤمنين والكافرين
يوفى جزاء عمله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما أمر به في العقائد والأعمال
المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين ولا سيما الأعمال الخاصة به من تبليغ الأحكام الشرعية
والقيام بوظائف النبوة وتحمل أعباء الرسالة بحيث يدخل تحته ما أمر به فيما سبق من قوله
تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك الآية وبالجملة فهذا الأمر منتظم
لجميع محاسن الأحكام الأصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته
في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود
ومن تاب معك أي تاب من الشرك والكفر وشاركك في الإيمان وهو المعني بالمعية وهو معطوف
على المستكن في قوله فاستقم وحسن من غير تأكيد لمكان الفاصل القائم مقامه وفي الحقيقة هو
من عطف الجملة على الجملة إذ المعنى وليستقم من تاب معك وقيل هو منصوب على أنه مفعول
معه كما قاله أبو البقاء والمعنى استقم مصاحبا من تاب معك ولا تطغوا ولا تنحرفوا عما حد لكم
بإفراط أو تفريط فإن كلا طرفي قصد الأمور ذميم وإنما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز للحد
تغليظا أو تغليبا لحال سائر فإن كلا طرفي قصد الأمور ذميم وإنما سمي ذلك طغيانا وهو تجاوز
الحد تغليظا المؤمنين على حاله عليه السلام إنه بما تعملون بصير فيجازيكم على ذلك وهو تعليل
للأمر والنهي وفي الآية دلالة على وجوب اتباع المنصوص عليه من غير انحراف بمجرد الرأي

فانه طغيان وضلال واما العمل بمقتضى الاجتهاد التابع للعلل النصوص فذلك من باب الاستقامة
كما امر على موجب النصوص الامرة بالاجتهاد ولا تركنوا اى لا تميلوا ادنى ميل الى الذين ظلموا اى
الى الذين وجد منهم الظلم فى الجملة ومدار النهى هو الظلم والجمع باعتبار جميعه المخاطبين وما
وما قيل من ان ذلك للمبالغة فى النهى من حيث ان كونهم جماعة مظنة الرخصة فى مداهنتهم
انما يتم ان لو كان المراد النهى عن الركون اليهم من حيث انهم جماعة وليس كذلك فتمسكم بسبب
ذلك النار واذا كان حال الميل فى الجملة الى من وجد منه ظلم ما فى الافضاء الى مساس النار هكذا
فما ظنك بمن يميل الى الراسخين فى الظلم والعدوان ميلا عظيما ويتهالك على مصاحبتهم ومنادمتهم
ويلقى شراشره على مؤانستهم ومعاشرتهم ويبتهج بالتزى بزيهم ويمد عينيه الى زهرتهم
الفانية ويغبطهم بما اوتوا من القطوف الدانية وهى فى الحقيقة من الحبة طفيف ومن جناح
البعوض خفيف بمعزل من ان يميل اليه القلوب ضعف الطالب والمطلوب والاية ابلغ ما
يتصور فى النهى عن الظلم والتهديد اليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من
المؤمنين للتثبيت على الاستقامة التى هى العدل فان الميل الى احد طرفى الافراط والتفريط
ظلم على نفسه او على غيره وقرئ تركنوا على لغة تميم وتركنوا على صيغة البنا للمفعول من اركنه
وما لكم من دون الله من اولياء اى من انصار ينقذونكم من النار والجملة نصب على الحالية من قوله
فتمسكم النار ونفى الاولياء ليس بطريق نفى ان يكون لكل واحد منهم اولياء حتى يصدق مع ان
يكون له ولى بل لما كان لكم بطريق انقسام الاحاد على الاحاد لكن لا على معنى نفى استقلال لكل
منهم بنصير بل على معنى نفى ان يكون لواحد منهم نصير بقرينة المقام ثم لا تنصرون من جهة الله
سبحانه وتعالى اذ قد سبق فى حكمه ان يعذبكم بركونكم اليهم ولا يبقى عليكم وثم لتراخى رتبة
كونهم غير منصورين من جهته تعالى بعد ما اوعدهم بالعذاب واوجبه عليهم ويجوز ان يكون
منزلا منزلة الفا بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى بعد ما اوعدهم بالعذاب واوجبه
عليهم ويجوز ان يكون منزلا منزلة الفا بمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله تعالى معذبهم وان
غيره لا ينقذهم انتج انهم لا ينصرون واقم الصلوة طرفى النهار اى غدوة وعشية وانتصابه
على الظرفية لكونه مضافا الى الوقت وزلفا من الليل اى ساعات منه قريبة من النهار فانه
من ازلفه اذا قربه جمع زلفة عطف على طرفى النهار والمراد بصلوتيهما صلوة الغداة والعصر
وقيل الظهر موضع العصر لان ما بعد الزوال عشى وبصلوة الزلف المغرب والعشا وقرئ زلفا
بضمتين وضمة وسكون كيسر ويسر وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة ان الحسنات التى من جملتها
بل عمدتها ما امرت به من الصلوة يذهبن السيئات التى قلما يخلو منها البشر اى يكفرنها وفى الحديث
ان الصلوة الى الصلوة كفارة لما بينهما ما اجتنب الكبائر وقيل نزلت فى ابى اليسر الانصارى اذ
قبل امراة ثم ندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم
انتظر امر ربى فلما صلى صلاة العصر قال عليه السلام نعم اذهب فانها كفارة لما عملت او
يمنعن من اقترافها كقوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر ذلك اشارة الى قوله تعالى
فاستقم فما بعده وقيل الى القرآن ذكرى للذاكرين اى عظة للمتعظين واصبر على مشاق ما امرت به
فى تضاعيف الاوامر السابقة واما ما نهى عنه من الطغيان والركون الى الذين ظلموا فليس فى
الانتهاء عنه مشقة فلا وجه لتعميم الصبر له اللهم الا ان يراد به ما لا يكن عادة خلق البشر
عنه من ادنى ميل بحكم الطبيعة من الاستقامة المامور بها ومن يسير ميل بحكم البشرية الى من
وجد منه ظلم ما فان فى الاحتراز عن امثاله من المشقة ما لا يخفى فان الله لا يضيع اجر المحسنين
اى يوفيهم اجورهم من غير بخس اصلا وانما عبر عن ذلك بنفى الاضاعة مع ان عدم اعطا
الاجر ليس باضاعة حقيقة كيف لا والاعمال غير موجبة للثواب حتى يلزم من تخلفه عنها
ضياعها لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يمتنع صدوره عنه سبحانه
من القبائح وابراز الاثابة فى معرض الامور الواجبة عليه وانما عدل عن الضمير ليكون كالبرهان
على المقصود مع افادة فايدة عامة لكل من يتصف به وهو تعليل للامر بالصبر وفيه ايماء الى
ان الصبر على ما ذكر من باب الاحسان فلولا كان من القرون الكائنة من قبلكم على راى من جوز
حذف الموصول مع بعض صلته او كائنة من قبلكم اولوا بقية من الراى والعقل واولوا فضل
وخير وسميا بها لان الرجل انما يستبقى مما يخرجه عادة اجوده وافضله فصار مثلا فى الجودة
والفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم ومنه ما قيل فى الزوايا خبايا وفى الرجال

فضلا كان

بقايا

بقايا ويجوز ان يكون البقية بمعنى البقوى كالتقية من التقوى اى فهلا كان منهم ذووا ابقاء على
انفسهم وصيانة لها من سخط الله تعالى وعقابه يؤيده انه قرئ اولوا بقية وهى المرة من مصدر
بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره اى اولوا مراقبة وخشية من عذاب الله كانهم ينتظرون نزوله
لاشفاقهم ينهون عن الفساد فى الارض الواقع عنهم حسبما حكى عنهم الا قليلا ممن انجينا منهم استثناء
منقطع اى لكن قليلا منهم انجيناهم لكونهم على تلك الصفة على ان من للبيان لا للتبعيض لان
جميع الناجين ناهون ولا صحة للاتصال على ظاهر الكلام لانه يكون تخصيصا لاولى البقية عن النهى
المذكور الا للقليل من الناجين منهم كما اذا قلت هلا قرا قومك القران الا الصلحاء منهم مريدا
الاستثناء للصلحا من المحضضين على القراءة نعم يصح ذلك ان جعل استثناء من النفى اللازم للتحضيض
فكانه قيل ما كان من القرون اولوا بقية الا قليلا منهم لكن الرفع هو الافصح حينئذ على البدلية
واتبع الذين ظلموا بمباشرة الفساد وترك النهى عنه ما اترفوا فيه اى انعموا من الشهوات واهتموا
بتحصيلها اما المباشرون فظاهر واما المساهلون فلما لهم فى ذلك من نيل حظوظهم الفاسدة وقيل
المراد بهم تاركوا النهى وانت خبير بانه يلزم منه عدم دخول مباشرى الفساد فى الظلم والاجرام
عبادة وكانوا مجرمين اى كافرين فهو بيان لسبب استيصال الامم المهلكة وهو فشو الظلم
واتباع الهوى فيهم وشيوع ترك النهى عن المنكرات عن الكفر وقوله واتبع عطف مضمر دل
عليه الكلام اى لم ينهوا واتبع الخ فيكون العدول الى المظهر لادراج المباشرين معهم فى
الحكم والتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بعلية ذلك لما حاق بهم من العذاب او على استيناف
يترتب على قوله الا قليلا اى الا قليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا من مباشرى
الفساد وتاركى النهى عنه فيكون الاظهار مقتضى الظاهر وقوله وكانوا مجرمين عطف على اترفوا
اى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالاثام او اريد بالاجرام اغفالهم
للشكر او على اتبع اى اتبعوا شهواتهم وكانوا بذلك الاتباع مجرمين ويجوز ان يكون اعتراضا وتسجيلا
عليهم بانهم قوم مجرمين وقرئ واتبع اى اتبعوا جزاء ما اترفوا فتكون الواو للحال ويجوز ان يفسر
بالمشهورة ويعضده تقدم الانجاء وما كان ربك ليهلك القرى اى ما صح وما استقام بل
استحال فى الحكمة ان يهلك القرى التى اهلكها حسبما بلغك انباؤها ويعلم من ذلك حال باقيها من
القرى الظالمة واللام لتاكيد النفى وقوله بظلم اى ملتبسا به قيل هو حال من الفاعل اى ظالما
لها والتنكير للتفخيم والايذان بان اهلاك المصلحين ظلم عظيم والمراد تنزيه الله تعالى عن ذلك
بالكلية بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى والا فلا ظلم فيما فعله الله تعالى بعباده
كائنا ما كان لما تقرر من قاعدة اهل السنة وقد مر تفصيله فى سورة آل عمران عند قوله تعالى
وان الله ليس بظلام للعبيد وقوله تعالى واهلها مصلحون حال من المفعول والعامل عامله
ولكن لا باعتبار تقييده بما وقع حالا من فاعله اعنى بظلم لدلالته على تقييد نفى الاهلاك ظلما
بحال كون اهلها مصلحين ولا ريب فى فساده بل مطلقا عن ذلك وقيل المراد بالظلم الشرك
والباء للسببية اى لا يهلك القرى بسبب اشراك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم
ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر وذلك لفرط رحمته ومسامحته فى حقوقه تعالى ومن ذلك
قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العباد المفتقر على حقوق الله الغنى الحميد وقيل الملك يبقى مع
الظلم ... ان تدعن مقام النهى عن المنكرات التى اقبحها الاشراك بالله لا يابيه فان الشرك
داخل فى الفساد فى الارض دخولا اوليا ولذلك كان ينهى كل من الرسل الذين قصت انباؤهم
امته اولا عن الاشراك ثم عن ساير المعاصى التى كانوا يتعاطونها فالوجه حمل الظلم على مطلق
الفساد الشامل للشرك وغيره من اصناف المعاصى وحمل الاصلاح على اصلاحه والاقلاع عنه
بكون بعضهم متصدين للنهى عنه وبعضهم متوجهين الى الاتعاظ غير مصرين على ما هم عليه من
الشرك وغيره من انواع الفساد ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة مجمعة على الحق ودين
الاسلام بحيث لا يكاد يختلف فيه احد ولكن لم يشا ذلك فلم يكونوا متفقة على الحق ولا
يزالون مختلفين فى الحق وما يخالفون له كقوله تعالى الا من رحم ربك الا قوما قد هداهم الله
تعالى بفضله الى الحق فاتفقوا عليه ولم يختلفوا فيه اى لم يخالفوه وحمله على مطلق الاختلاف
الشامل لما يصدر من المحق والمبطل يأباه الاستثناء المذكور ولذلك اى لما ذكر من الاختلاف
خلقهم اى الذين بقوا بعد الثنا وهم المختلفون فاللام للعاقبة والرجع فالضمير لمن والتعريض
معناها او لهما معا فالضمير للناس كافة واللام مجاز عام لكلا المعنيين وتمت كلمة ربك

اى وعيده وقيل او قوله لاملئكة لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اى من عصاتهما اجمعين او منهما اجمعين لا من احدهما وكلا اى وكل بناء فالتنوين عوض عن المضاف اليه نقص عليك نخبرك به وقوله تعالى من انباء الرسل بيان لكلا وقوله تعالى ما نثبت به فؤادك بدل منه والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف فى كلا المفعول المطلق فى نقص اى كل اقتصاص اى كل اسلوب من اساليبه نقص عليك من انباء الرسل وقوله سبحانه وتعالى ما نثبت به فؤادك مفعول نقص وفايدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص من زيادة يقينه عليه السلام وطمانينة قلبه وثبات نفسه على اداء الرسالة واحتمال اذية الكفار بالوقوف على تفاصيل احوال الامم السالفة فى الضلال وما لقى الرسل من جهتهم فى مكابدة المشاق وجاءك فى هذه السورة الانباء المقصودة عليك الحق الذى لا محيد عنه وموعظة وذكرى للمؤمنين اى الجامع بين كونه حقا فى نفسه على باللام دون ما هو وصف له بالقياس الى غيره وتقديم الظرف اعنى فى هذه على الفاعل لان المقصود بيان منافع السورة والانباء المقصوصة فيها واشتمالها على ما ذكر من المنافع المفصلة لا بيان كون ذلك فيها لا فى غيرها ولان عند تاخير ما حقه التقديم تبقى النفس مترقبة اليه الى ورود فيتمكن فيها عند الورود فضل تمكن ولان فى الموخر نوع طول يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقل للذين لا يؤمنون بهذا الحق ولا يتعظون به ولا يتذكرون اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التى هى عدم الايمان انا عاملون على حالنا وهو الايمان به والاتعاظ والتذكر به وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما نزل بامثالكم من الكفرة ولله غيب السموات والارض واليه ترجع الامر كله فيرجع لا محالة امرك وامرهم اليه وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك والفاء لترتيب الامر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الامور كلها الى الله عز وجل فى تاخير الامر بالتوكل عن الامر بالعبادة اشعار بانه لا ينفع دونها وما ربك بغافل عما يعملون فيجازيكم بموجبه وقرئ تعملون على تغليب المخاطب اى انت وهم فيجازى كلا منك ومنهم بموجب الاستحقاق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة هود اعطى عشر حسنات بعدد من صدق كل واحد من الانبياء المعدودين عليهم السلام وبعدد من كذبهم وكان يوم القيمة من السعداء بفضل الله سبحانه وتعالى

بسم الله الرحمن الرحيم الر الكلام فيه وفى محله وفيما اريد بالاشارة والايات والكتاب فى قوله تعالى تلك ايات الكتاب عين ما سلف فى مطلع سورة يونس المبين من ابان بمعنى بان اى الظاهر امره فى كونه من عند الله تعالى وفى اعجازه بنوعيه لا سيما الاخبار عن الغيب او الواضح معانيه للعرب بحيث لا يشتبه عليهم حقايقه ولا يلتبس لديهم دقايقه لنزوله على لغتهم او بمعنى بين اى المبين لما فيه من الاحكام والشرايع وخفايا الملك والملكوت واسرار النشاتين فى الدارين وغير ذلك من الحكم والمعارف والقصص وعلى تقدير كون الكتاب عبارة عن السورة فانه ابانه عن قصة يوسف فانه قد روى ان احبار اليهود قالوا لرؤساء المشركين سلوا محمدا صلى الله عليه وسلم لماذا انتقل آل يعقوب عليه السلام من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام ففعلوا ذلك فيكون وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سياتى ولما وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سياتى ولما وصف الكتاب بالابانة من قبيل براعة الاستهلال لما سياتى ولما وصف الكتاب بما يدل على الشرف الاضافى قيل انا انزلناه اى الكتاب المنعوت بما ذكر من النعوت الجليلة فان كان عبارة عن الكل وهو الاظهر الانسب بقوله تعالى قرانا عربيا اذ هو المشهور بهذا الاسم المعروف بهذا النعت المتبادر الى الفهم عند الاطلاق فيهما فالامر ظاهر وان جعل عبارة عن السورة فتسميتها قرانا لما عرفته فيما سلف والسر فى ذلك انه اسم جنس فى الاصل يقع على الكل والبعض كالكتاب او لانه مصدر بمعنى المفعول اى انزلناه حال كونه مقروا بلغتكم لعلكم تعقلون اى لكى تفهموا معانيه طرا وتحيطوا وتحيطوا بما فيه من البدايع خبرا وتطلعوا على انه خارج عن طوق البشر منزل من عند خلاق القوى والقدر نحن نقص عليك اى نخبرك ونحدثك واشتقاقه من قص اثره اذا اتبعه لان من يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القران لانه يتبع ما حفظ منه اية بعد اية

احسن

احسن القصص اى احسن الاقتصاص منصبه على المصدرية وفيه مع بيان الواقع ايهام فى اختصاص اهل الكتاب من القبح والخلل وترك المفعول اما للاعتماد على انفهامه من قوله عز وجل بما اوحينا اى بايحائنا اليك هذا القران اى هذه السورة فان كونها موحاه منبئ عن كون ما فى ضمنها مقصوصا والتعرض لعنوان قرانيتها لتحقيق ان الاقتصاص ليس بطريق الالهام او الوحى غير المتلو ولما ظهر ان هو من سؤال المشركين بتلقين علماء اليهود واحسنيته لانه قد اقتص على ابدع الطرايق الرايقة واعجب الاساليب الفايقة اللايقة كما لا يكاد يخفى على من طالع القصة من كتب الاولين والاخرين وان كان لا يميز الغث من السمين ولا يفرق بين الشمال والحق اليمين وفى كلمة هذا ايماء الى مغايرة هذا القران لما فى قوله تعالى قرانا عربيا بان يكون المراد بذلك المجموع فتامل او نقص عليك احسن ما يقص من الانباء وهو قصة آل يعقوب عليه السلام على ان القصص فعل بمعنى المفعول كالبناء والخبر او مصدر سمى به المفعول كالخلق والصيد ونصب احسن على المفعولية واحسنيتها لتضمنها من الحكم والعبر ما لا كمال لحسنه وان كنت ان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الواقع اسما لها محذوف واللام فارقة والجملة خبر والمعنى وان الشان كنت من قبله من قبل ايحائنا اليك هذه السورة لمن الغافلين عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى والتعبير عن عدم العلم بالغفلة لاجلال شان النبى صلى الله عليه وسلم وان غفل عنه بعض الغافلين اذ قال يوسف نصب باضمار اذكر وشروع فى القصة انجازا للوعد باحسن الاقتصاص او بدل من احسن القصص على تقدير كونه مفعولا بدل الاشتمال لان اقتصاص الوقت المشتمل على المقصوص من حيث اشتماله عليه اقتصاص للمقصوص ويوسف اسم عبرى لا عربى لخلوه عن سبب اخر غير التعريف وفتح السين وكسرها على بعض القرات بناء على التلقب به لا على انه مضارع بنى للمفعول او الفاعل من اسف للشهادة المشهورة بعجمته لابيه يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وقد روى عنه عليه السلام ان الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ابت اصله يا ابى فعوض عن الياء تاء لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبت هاء فى الوقف على قراءة ابن كثير وابى عمرو ويعقوب وكسرتها لانها عوض من حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القران لانها حركة اصلها او لان الاصل يا ابتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما لم يجز يا ابتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الالفاظ المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وعدم تسكينها كاصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب انى رايت من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك تاويل رؤياى ولان الظاهر ان وقوع مثل هذه الامور البديعة فى عالم الشهادة لا يختص برؤية راء دون راء فيكون طامة كبرى لا يخفى على احد من الناس احد عشر كوكبا والشمس والقمر روى عن جابر رضى الله تعالى عنه ان يهوديا جاء الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال اخبرنى يا محمد عن النجوم الذى راهن يوسف عليه السلام فسكت النبى صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال عليه السلام ان اخبرتك بذلك هل تسلم قال نعم قال عليه الصلاة والسلام جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين راها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وانما اخر الشمس والقمر عن الكواكب لاظهار مزيتهما وشرفهما على سائر الطوالع بعطفهما عليها كما فى عطف جبريل وميكائيل على الملئكة عليهم السلام وقد جوز ان تكون الواو بمعنى مع اى رايت الكواكب مع الشمس والقمر ولا يبعد ان يكون ذلك الى تاخر ملاقاته عليه السلام لاخوته وعن وهب ان يوسف عليه السلام راى وهو ابن سبع سنين ان احد عشر عصا طوالا كانت مركوزة فى الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم راى وهو ابن ثنتى عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون سنة رايتهم لى ساجدين استيناف لبيان حالتهم التى راهم عليها كان سائلا سال فقال كيف رايتهم فاجاب بذلك وانما اجريت مجرى العقلاء فى الضمير لوصفها بوصف العقلاء اعنى السجود وتقديم الجار والمجرور لاظهار العناية والاهتمام بما هو

الامر بما في ضمنه من رعاية الفاصلة قال يا بني صغره للشفقة او لها او لصغر السن وهو ايضا استئناف
مبني على سؤال من قال فماذا قال يعقوب بعد سماع هذه الرؤية العجيبة ولما عرف يعقوب عليه السلام
من هذه الرؤيا ان يوسف سيبلغه تعالى مبلغا جليلا من الحكمة ويصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف
الدارين كما فعل بآبائه الكرام خاف عليه حسد الاخوة وبغيهم فقال صيانة لهم من ذلك وله من معاناة
المشاق ومقاساة الاحزان وان كان واثقا بان الله تعالى سيحقق ذلك لا محالة وطمعا في حصوله بلا
مشقة لا تقصص رؤياك هي ما في المنام كما ان الرؤية ما في اليقظة فرق بينهما بحرف التانيث كما في
القربى والقربة وحقيقتها ارتسام الصورة المنحدرة من افق المتخيلة الى الحس المشترك فتصير
مشاهدة ثم اذا كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالجزئية والكلية
استغنت الرؤيا عن التعبير ولا احتاجت اليه على اخوتك فيكيدوا نصب باضمار ان اى فيفعلوا لك
اى لاجلك ولاهلاكك كيدا متينا راسخا لا يقدر على التقصي عنه او خفيا عن فهمك لا تتصدى
لمدافعته وهذا اوفق بمقام التحذير وان كان يعقوب عليه السلام يعلم انهم ليسوا بقادرين على
تحويل ما دلت الرؤيا على وقوعه وهذا الاسلوب آكد من ان يقال فيكيدوك كيدا اذ ليس فيه
دلالة على كون نفس الفعل مقصود الايقاع وقد قيل انما جيء باللام لتضمينه معنى الاحتيال
المتعدي باللام ليفيد معنى التضمن والمضمن فيه للتاكيد اى فيحتالوا لك ولاهلاكك حيلة وكيدا
والمراد باخوته ههنا الذين يخشى غوائلهم ومكايدهم من بني علاته الاحد عشر وهم يهوذا وروبيل
وشمعون ولاوي وريالون ويشجر ودينه بنو يعقوب من ليا بنت خالته ودان ونفتالي وجاد واشر
بنوه من سريتين زلفه وبلهة وهؤلاء هم المشار اليهم بالكواكب الاحد عشر واما بنيامين الذي
هو شقيق يوسف عليه السلام وامهما راحيل التي تزوجها يعقوب عليه السلام بعد وفاة
اختها ليا او في حياتها اذ لم يكن جمع الاختين اذ ذاك محرما فليس بداخل تحت هذا النهي اذ لا يتوهم
مضرته ولا يخشى معرته ولم يكن معدودا معهم في الرؤيا اذ لم يكن معهم في السجود ليوسف والمراد
به نهيه عن اقتصاص الرؤيا عليهم كلا او بعضا ان الشيطان للانسان عدو مبين ظاهر العداوة
فلا يألوا جهدا في اغواء اخوتك واضلالهم وحملهم على ما لا خير فيه وهو استئناف كان يوسف
عليه السلام قال كيف يصدر عن اخوتي الناشئين في بيت النبوة فقيل ان الشيطان يحملهم على
ذلك ولما نبهه عليهما السلام على ان لرؤياه شأنا عظيما يستتبع منافع وحذره اشاعتها المؤدية الى
الى ان يحول اخوته بينها وبين ظهور آثارها وحصولها او بين وروده سبيل وصولها شرع في تعبيرها
وتاويلها على وجه اجمالي فقال وكذلك اى مثل ذلك الاجتباء البديع الذي شاهدت آثاره
في عالم المثال من سجود تلك الاجرام العلوية النيرة لك وبحسبه وعلى وفقه يجتبيك ربك
يختارك بجناب كبريائه ويستنبئك افتعال من جباه اذا جمعه ويصطفيك على اشراف الخلائق
وسراة الناس قاطبة ويبرز مصداق تلك الرؤيا في عالم الشهادة حسبما عاينته من غير قصور
والمراد بالتشبيه بيان المضاهاة والمتحققة بين الصور المرئية في عالم المثال وبين ما وقعت
هي في صورها واشباحها من الكائنات الظاهرة بحسبها في عالم الشهادة اى كما سخرت لك تلك
الاجرام العظام سيسخر لك وجوه الناس ونواصيهم مذعنين لطاعتك خاضعين لك على وجه
الاستكانة ومعاده بيان اطاعة ابويه واخوته له لكنه انما لم يصرح به حذرا من اذاعته
ويعلمك كلام مبتدا غير داخل تحت التشبيه اراد به عليه السلام تاكيد مقالته وتحقيقها
وتوطين نفس يوسف عليه السلام بما اخبر به على طريقة التعبير والتاويل كانه قال وهو يعلمك
من تاويل الاحاديث اى ذلك الجنس من العلوم او طرفا صالحا منه فتطلع على حقيقة ما اقول
ولا يخفى ما فيه من تاكيد ما سبق والبعث على تلقيه بالقبول والمراد بتاويل الاحاديث
تعبير الرؤيا اذ هي احاديث الملك ان كانت صادقة او احاديث النفس او الشيطان ان لم يكن
كذلك والاحاديث اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل لا جمع احدوثة وقيل كانهم
جمعوا حديثا على احدثة ثم جمعوا الجمع على احاديث كقطيع واقطعة واقاطيع وتسمية التعبير
تاويلا لانه جعل المرئي آيلا الى ما يذكره المعبر بصدد التعبير وراجعا اليه فكانه عليه
السلام اشار بذلك الى ما سيقع من يوسف عليه السلام من تعبيره لرؤيا صاحبي السجن
ورؤيا الملك وكون ذلك ذريعة الى ما يبلغه الله تعالى من الرياسة العظمى التي عبر عنها باتمام
النعمة وانما عرف يعقوب ذلك منه عليهما السلام من جهة الوحي او اراد كون هذه الخصلة
سببا لظهور امره عليه السلام على الاطلاق فيجوز حينئذ ان يكون معرفته عليه السلام

بذلك

بذلك بطريق الفراسة والاستدلال من الشواهد والدلائل والامارات والمخايل بان من وفقه
الله تعالى لمثل هذه الرؤيا لا بد من توفيقه لتعبيرها وتاويل امثالها وتمييز ما هو آفاقي منها مما
هو انفسي كيف لا وهي تدل على كمال تمكن نفسه عليه السلام في عالم الشهادة واقوى وقوفا على
النسب الواقعة بين الصور المعاينة في احد ذينك العالمين وبين الكائنات الظاهرة على وفقها
في العالم الآخر وان هذا الشان البديع لا بد ان يكون انموذجا لظهور امر من اتصف به ومدارا
لجريان احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام معجزة بها يظهر آثاره ويجري
احكامه فان لكل نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويتم نعمته عليك بان يضم الى النبوة المستفادة
من الاجتباء الملك ويجعله تتمة لها وتوسيط ذكر التعليم المذكور بينهما لكونه من لوازم النبوة
والاجتباء ولرعاية ترتيب الوجود الخارجي لما اشرنا اليه من كون اثره وسيلة الى تمام النعمة
ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه فيكون جميع النعم الواصلة اليه بحسبها مصداقا
لها تماما لتلك النعمة ويجوز ان يعد نفس الرؤيا من نعم الله تعالى عليه وعلى آل يعقوب وهم اهله من
بنيه وغيرهم فان رؤية يوسف عليه السلام اخوته كواكب يهتدى بانوارها من نعم الله تعالى
عليهم لدلالتها على مصير امرهم الى النبوة فيقع كل ما يخرج من القوة الى الفعل من كمالاتهم بحسب ذلك
تماما لتلك النعمة لا محالة واما اذا اريد بتمام النعمة الملك لكونه كذلك بالنسبة اليهم باعتبار
انهم يغتنمون آثاره من العز والجاه والمال كما اتمها على ابويك نصب على المصدرية اى ويتم نعمته
عليك اتماما كائنا كاتمام نعمته على ابويك وهي نعمة الرسالة والنبوة واتمامها على ابراهيم عليه
السلام باتخاذه خليلا وانجائه من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق وانجائه من الذبح وفدائه
بذبح عظيم باخراج يعقوب والاسباط من صلبه وكل ذلك نعمة جليلة وقعت تتمة لنعمة النبوة
ولا يجب في تحقيق التشبيه كون ذلك في جانب المشبه بل مثل ما وقع في جانب المشبه به مثل
ما وقع في جانب المشبه من كل وجه من قبل اى من قبل هذا الوقت او من قبلك ابراهيم واسحق
عطف بيان لابويك والتعبير عنهما بالاب مع كونهما ابا جده وابا ابيه للاشعار بكمال ارتباطه
بالانبياء الكرام عليهم السلام وتذكير معنى الولد سرابيه ليطمئن قلبه بما اخبر به في ضمن التعبير
الاجمالي لرؤياه والاقتصار في المشبه به على ذكر تمام النعمة من غير تعرض للاجتباء من باب
الاكتفاء فان اتمام النعمة يقتضي سابقة النعمة المستدعية للاجتباء لا محالة ان ربك استئناف
لتحقيق مضمون الجمل المذكورة اى يفعل ما ذكر لانه عليم بكل شيء فيعلم من يستحق الاجتباء وما
يتفرع عليه من التعليم المذكور واتمام النعمة العامة على الوجه المذكور حكيم فاعل لكل شيء
حسبما يقتضيه الحكمة والمصلحة فيفعل ما يفعل كما يفعل جريا على سنن علمه وحكمته والتعرض
لعنوان الربوبية في الموضعين لتربية تحقق وقوع ما ذكر من الافاعيل هذا وقد قيل في
تفسير الآية الكريمة اى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس
يجتبيك ربك للنبوة والملك او لامور عظام ويتم نعمته عليك بالنبوة او بان يصل نعمة الدنيا
بنعمة الآخرة حيث جعلهم في الدنيا انبياء وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلى في الجنة
كما اتمها على ابويك بالرسالة فتامل والله الهادي لقد كان في يوسف واخوته اى في قصتهم والمراد
بهم ههنا اما جميعهم فان بنيامين ايضا من القصة او بنو علاته المعدودون فيما سلف اذ عليهم
يدور رحاها آيات علامات عظيمة الشان دالة على قدرة الله تعالى القاهرة وحكمته الباهرة
للسائلين لكل من سأل عن قصتهم وعرفها او الطالبين للآيات المعتبرين بها فانهم الواقفون عليها
او المنتفعون بها دون من عداهم ممن اندرج تحت قوله تعالى وكاين من آية في السموات والارض
يمرون عليها وهم عنها معرضون فاخبرهم بذلك على ما هم عليه من غير سماع من احد ولا مما
رسة شيء من الكتب فالمراد بها اقتصاصها وجمع الآيات للاشعار بان اقتصاص كل طائفة
من القصة آية بينة كافية في الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم على نحو ما ذكر
في قوله تعالى مقام ابراهيم على تقدير كونه عطف بيان لقوله تعالى آيات بينات لا لما قيل
من انه لتعدد جهة الاعجاز لفظا ومعنى وقرأ ابن كثير آية وفي بعض المصاحف عبرة وقيل
انما قص الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم خبر يوسف وبغي اخوته عليه لما رأى من بغي
قومه عليه ليتاسى به اذ قالوا ليوسف واخوه اى شقيقه بنيامين وانما لم يذكر باسمه
تلويحا بان مدار المحبة اخوته ليوسف من الطرفين الا ترى انهم كيف اكتفوا باخراجه
يوسف من البين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف الى آخره احب الى ابينا منا ونحن

مع تعدد المبتدا لان افعل من كذا لا تفرق بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث
نعم اذا عرف وجب الفرق واذا اضيف جاز الامران وفايدة لام الابتدا في يوسف تحقيق مضمون
الجملة وتاكيده ونحن عصبة اي والحال انا جماعة قادرون على الحل والعقد احقاء بالمحبة والعصبة
والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم ان ابانا لفي ترجيحهما
علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية الامور بالصغر والقلة لفي ضلال
اي ذهاب عن طريق التعديل اللايق وتنزيل كل منا منزلته مبين ظاهر الحال روي انه كان
احب اليه لما يرى فيه من مخايل الخير وكانت اخوته يحسدونه فلما راى الرويا ضاعف له المحبة
بحيث لم يصبر عنه فتضاعف حسدهم حتى حملهم على مباشرة ما قص عنهم اقتلوا يوسف او
اطرحوه ارضا من جملة ما حكي بعد قوله اذ قالوا وقد قاله بعض منهم مخاطبا للباقين لـ
بقضية القضية فكانهم رضوا بها اذ روي ان القايل شمعون او دان والباقون كانوا راضين
الا من قال لا تقتلوا الى اخره فجعلوا كانهم القايلون وادرجوا تحت القول المسند الى الجميع
اذ قال له كل واحد منهم مخاطبا للبقية وهو ادل على مسارعتهم الى ذلك القول وتنكير
ارضا واخلاوها من الوصف للابهام اي ارضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران ولذلك
نصبت نصب الظروف المبهمة يخل بالجزم جواب للامر اي يخلص لكم وجه ابيكم فيقبل عليكم
بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يساهمكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير وجه ابيكم
فيقبل عليكم بكليته ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا يساهمكم في محبته احد فذكر الوجه لتصوير
معنى اقباله عليهم وتكونوا بالجزم عطفا على يخل او بالنصب على اضمار ان والواو بمعنى
مع مثل قوله تعالى وتكتموا الحق وايثار الخطاب في لكم وما بعده للمبالغة في حملهم على القبول
فان اعتناء المرء بشان نفسه واهتمامه بتحصيل منافعه اتم واكمل من بعده من بعد يوسف
او من بعد الفراغ من امره او قتله او طرحه قوما صالحين تايبين الى الله تعالى عما جنيتم
او صالحين مع ابيكم باصلاح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه او صالحين في امور دينكم بانتظامها
بعده بخلو وجه ابيكم قال قايل منهم هو يهوذا وكان احسنهم فيه رايا وهو الذي قال فلن
ابرح الارض الى اخره وقيل روبيل وهو استيناف مبني على سوال من سال اما اتفقوا على
ما عرض عليهم من خصلتي الضيم او خالفهم في ذلك احد فقيل قال قايل منهم لا تقتلوا
يوسف اظهره في مقام الاضمار استجلابا لشفقتهم عليه او استعظاما لقتله وهو هو فانه
يروى انه قال لهم القتل عظيم ولم يصرح بنهيهم عن الخصلة الاخرى واحاله على اولوية ما
عرضه عليهم بقوله والقوه في غيابة الجب اي في قعره وغوره سمي بها لغيبته عن عين الناظر
والجب البير الذي لم تطو بعد لانها ارض جبت جبا من غير ان يزاد على ذلك شيء وقرا
نافع في غيابات الجب في الموضعين وقرئ غيابات وغيبة يلتقطه ياخذه على وجه الصيانة
عن الضياع والتلف فان الالتقاط اخذ شيء مشرف على الضياع بعض السيارة اي بعض
طايفة تسير في الارض واللام في السيارة كما في الجب وما فيهما وفي البعض من الابهام لتحقيق
ما يتوخاه من ترويج كلامه بموافقته لغرضهم الذي هو تباعد يوسف عنهم بحيث لا
يدرى اثره ولا يروى خبره وقرئ تلتقطه على التانيث لان بعض السيارة سيارة كقوله ٭
كما شرقت صدر القناة من الدم ٭ ومنه قطعت بعض اصابعه ان كنتم فاعلين بمشورتي
لم يبت القول عليهم بل انما عرض عليهم ذلك تاليفا لقلبهم وتوجيها لهم الى رايه وحذرا
من نسبتهم له الى التحكم والافتيات او ان كنتم فاعلين ما ازمعتم عليه من ازالته من عند ابيه
لا محالة ولما كان هذا مظنة لسوال سايل يقول فما فعلوا بعد ذلك هل قبلوا ذلك
منه ام لا فاجيب بطريق الاستيناف على وجه ادرج في تضاعيفه قبولهم له بما سيجي
من قوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب فقيل قالوا يا ابانا خاطبوه بذلك تحريكا
لسلسلة النسب بينهم وبينه وتذكيرا لرابطة الاخوة بينهم وبين يوسف ٭
ليتسببوا بذلك الى استنزاله عليه السلام عن رايه في حفظه منهم لما احس منهم
بامارات الحسد والبغي فكانهم قالوا ما لك اي اي شيء لك لا تجعلنا امناء على يوسف
مع انك ابونا ونحن بنوك وهو اخونا وانا له لناصحون مريدون له الخير ومشفقون
عليه ليس فينا ما يخل بالنصيحة والمقة قط والقراة المشهورة بالادغام والاشمام وعن
نافع ترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام ارسله معنا غدا الى الصحرا يرتع اي يتسع

في

في اكل الفواكه ونحوها فان الرتع هو الاتساع في الملاذ ويلعب بالاستباق والتناضل ونظايرهما
مما يعد من باب التاهب للغزو وانما عبروا عن ذلك باللعب لكونه على هيئته تحقيقا لما راموه
من استصحاب يوسف عليه السلام بتصويرهم له بصورة ما يلايم حاله عليه السلام وقرئ
نرتع ونلعب بالنون وقرا ابن كثير نرتع ونلعب بالنون وقرا ابن كثير نرتع ونافع بالكسر
والبا فيه وفي نلعب وقرئ يرتع من ارتع ماشيته ويرتع بكسر العين ويلعب بالرفع على
الابتدا وانا له لحافظون من ان يناله مكروه اكدوا مقالتهم باصناف التاكيد من ايراد الجملة
الاسمية وتحليتها بان واللام واسناد الحفظ الى كلهم وتقديم له على الخبر احتيالا في تحصيل مقصدهم قال
استيناف مبني على سوال من يقول فماذا قال يعقوب عليه السلام فقيل قال اني ليحزنني اللام للابتدا
كما في قوله عز وجل ان ربك ليحكم بينهم ان تذهبوا به لشدة مفارقته علي وقلة صبري عنه ومع
ذلك واخاف ان ياكله الذيب لان الارض كانت مذابة والحزن الم القلب بفوت المحبوب ٭
والخوف انزعاج النفس لنزول المكروه ولذلك اسند الاول الى الذهاب به المفوت لاستمرار
مصاحبته وهو اصلته ليوسف والثاني الى ما يتوقع نزوله من اكل الذيب وقيل راى في
المنام انه قد عليه عليه السلام ذيب وكان يحذره فقال ذلك وقد لقنهم العلة ان البلا
موكل بالمنطق وقرا ابن كثير ونافع في رواية اليزيدي بالهمزة على الاصل وابو عمرو وقفا ٭
وعاصم وابن عامر وحمزة درجا وقيل اشتقاقه من تذابت الريح اذا هاجت من كل جانب وقال
الاصمعي انه من بالعكس وهو اظهر لفظا ومعنى وانتم عنه غافلون لاشتغالكم والتلعب او
لقلة اهتمامكم بحفظه قالوا لئن اكله الذيب ونحن عصبة اي والحال انا جماعة كثيرة جديرة
بان يعصب بنا الامور العظام وتكفى الخطوب باراينا وتدبيراتنا واللام الداخلة على الشرط
موطية للقسم وقوله انا اذا لخاسرون جواب مجزي عن الجزا اي لهالكون ضعفا وجبنا وعجزا او
مستحقون للهلاك اذ لا غناء عندنا ولا جدوى في حياتنا او مستحقون لان يدعى علينا بالخسار
والدمار ويقال خسرهم الله ودمرهم حيث اكل الذيب بعضهم وهم حضور وقيل ان لم يقدر
على حفظه وهو اعز شيء عندنا فقد هلكت مواشينا اذن وخسرناها وانما اقتصروا على
جواب خوف يعقوب عليه السلام من اكل الذيب لانه السبب القوي في المنع دون الحزن
لقصر مدته بناء على انهم ياتونه به عن قريب فلما ذهبوا به واجمعوا اي ازمعوا ان يجعلوه
مفعول لاجمعوا يقال اجمع الامر ومنه فاجمعوا امركم ولا يستعمل ذلك الا في الافعال التي
قويت الدواعي الى فعلها في غيابة الجب قيل هي بير بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين على
ثلثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام بكنعان التي هي من نواحي الاردن كان مدين
كذلك واما ما يقال من انها بير بيت المقدس فيرده التعليل بالتقاط السيارة ومجيئهم اباهم
عشاء ذلك اليوم فان بين منزل يعقوب عليه السلام وبين بيت المقدس مراحل وجواب
لما محذوف ايذانا بظهوره واشعارا بان تفصيله مما لا يحويه فلك العبارة ومجمله فعلوا
به من الاذية ما فعلوا روي انهم لما برزوا الى الصحرا اخذوا يوذونه ويضربونه حتى كادوا
يقتلونه فجعل يصيح ويستغيث فقال يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فاتوا به الى البير
فتعلق في ثيابهم فنزعوها من يده فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه
لما عزموا عليه من تلطيخه بالدم احتيالا لابيه فقال لاخوته ردوا علي قميصي اتوارى به
فقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تونسك فدلوه فيها فلما بلغ نصفها القوه
ليموت وكان في البير ما فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظنها
رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه فمنعهم يهوذا وكان ياتيه بالطعام كل يوم
ويروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وجرد عن ثيابه اتاه جبرئيل عليه السلام
بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب
في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاءه جبرئيل عليه السلام فاخرجه من التميمة فالبسه
اياه واوحينا اليه عند ذلك تبشيرا له بما يوول اليه امره وازالة لوحشته وايناسا
قيل كان ذلك قبل ادراكه كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا قال الحسن له
سبع عشرة سنة لتنبينهم بامرهم هذا اي لتتخلصن مما انت فيه من سوء الحال وضيق المجال
ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك وهم لا يشعرون بانك يوسف لتباين حالتك حالك هذا
وحالك يوميذ لعلو شانك وكبريا سلطانك وبعد حالك من اوهامهم وقيل لبعد

العهد المبدل للهيئات المغني للاشكال والاول ادخل في التسلية روي انهم حين دخلوا عليه ممتارين
فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا
الجام ان كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في
غيابت الجب وقلتم لابيكم اكله الذيب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون
بالايحاء على معنى انا انسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة التي اورثوه وهم لا يشعرون بذلك
ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم فقوله وهم
لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير وجاؤا اباهم عشاء اخر النهار وهو عشيا وهو تصغير عشي
وعشي بالضم والقصر جمع اعشى اي عشوا من البكا يبكون متباكين روي انه لما سمع يعقوب
عليه السلام بكاؤهم فزع وقال ما لكم يا بني واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
اي متسابقين في العدو والرمي وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتصال والتناضل
ونظايرهما وتركنا يوسف عند متاعنا اي ما نتمتع به من الثياب والازواد وغيرهما
فاكله الذيب عقيب ذلك من غير مضي زمان يعتد فيه التفقد والتعهد وحيث لا يكاد
يطرح المتاع عادة الا في مقام يؤمن فيه الغوائل لم يعد تركه عليه السلام من باب الغفلة
وترك الحفظ الملتزم لا سيما اذا لم يبرحوه ولم يغيبوا عنه فكانهم قالوا انا لم نقصر في محافظته
ولم نغفل عن مراقبته بل تركناه في مامننا ومجمعنا بمرأى منا لان ميدان السباق لا يكون عادة
الا بحيث يترآى غاياته وما فرقناه الا ساعة يسيرة بيننا وبينه مسافة قصيرة فكان ما
كان وما انت بمؤمن لنا في هذه المقالة الدالة على عدم تقصيرنا في امره ولو كنا عندك
وفي اعتقادك صادقين موصوفين بالصدق والشفقة لشدة محبتك ليوسف فكيف
وانت سيئ الظن بنا غير واثق بقولنا وكلمة لو في امثال هذه المواقع لبيان تحقق ما يفيده
الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له على
الاجمال بادخالها على ابعدها منه واشدها منافاة له ليظهر بثبوته وانتفائه معه ثبوته
وانتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع غيره من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء
متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك لا يذكر معه شيء من
ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة على نظيرتها المقابلة لها الشاملة
لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وقد مر تفصيله في سورة البقرة عند قوله تعالى
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي سورة الاعراف عند قوله اولو كنا
كارهين وجاؤا على قميصه محله النصب على الظرفية من قوله بدم اي جاؤا فوق قميصه بدم
كما يقول جاء على جماله باحمال او على الحالية منه والخلاف في تقدم الحال على المجرور فيما اذا لم
يكن الحال ظرفا كذب مصدر وصف به الدم مبالغة او مصدر بمعنى المفعول اي مكذوب
فيه او بمعنى ذي كذب اي ملابس للكذب وقرئ كذبا على انه حال من الضمير اي جاؤا كاذبين
او مفعول له وقرأت عائشة رضي الله تعالى عنها بغير المعجمة اي كدر وقيل طري قال ابن
جني اصله من الكذب وهو الفوف البياض الذي يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر
في قميصه روي انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه فلما سمع يعقوب
بخبر يوسف عليهما السلام صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه
وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رايت كاليوم ذيبا احلم من هذا اكل
ابني ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان في قميص يوسف عليه السلام ثلث ايات كان دليلا
ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف عليه السلام
حين قد من دبر قال استيناف مبني على سؤال فكانه قيل ما قال يعقوب هل صدقهم فيما
قالوا ام لا فقيل قال لم يكن ذلك بل سولت لكم انفسكم اي زينت وسهلت قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما والتسويل تقدير شيء في النفس مع الطمع في اتمامه قال الازهري
كان التسويل تفعيل من سؤال الانسان وهو امنيته التي يطلبها فتزين لطالبها الباطل
وغيره واصله مهموز وقيل من السول وهو الاسترخاء امرا من الامور منكرا لا يوصف
ولا يعرف فصبر جميل اي فامري صبر جميل او اجمل او امثل وفي الحديث الصبر الجميل الذي
لا شكوى فيه اي الى الخلق والا فقد قال يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى
الله وقيل سقط حاجباه على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا قال طول

الزمان

الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله عز وجل اليه يا يعقوب اتشكوني قال يا رب خطيئة فاغفرها
الى قراءة ابي فصبرا جميلا والله المستعان اي المطلوب منه المعونة وهو انشاء منه عدم د
للاستعانة المستمرة على ما تصفون على اظهار ما تصفون وبيان كونه كذبا واظهار سلامته فانه
علم في الكذب قال سبحانه وتعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون وهو الاليق بما سيجيء من قوله تعالى فصبر
جميل عسى الله ان ياتيني بهم جميعا وتفسير المستعان عليه باحتمال ما يصفون من هلاك يوسف والصبر
على الرزء فيه يأباه تكذيبه عليه السلام لهم وذلك لا يساعده الصيغة فانها قد غلبت في وصف الشيء بما
ليس فيه كما اشير اليه وجاءت شروع في بيان ما جرى على يوسف في الجب بعد الفراغ عن ذكر ما وقع بين اخوته
وبين ابيه والتعبير بالمجيء ليس بالنسبة الى مكانهم فان كنعان ليس بالجانب المصري من مدين بل الى مكان
يوسف وفي ايثاره على المرور او الاتيان او نحوهما ايماء الى كونه عليه السلام في الكرامة والزلفى عند
مليك مقتدر والظاهر ان الجب كان في الاثر الميثاء فان المتبادر من المجيء الى السيادة مطلقا في قوله عز
وجل وجاءت سيارة اي رفقة تسير من جهة مدين الى مصر وقوعه باعتبار سيرهم المعتاد وهو الذي
يقتضيه قوله تعالى فيما سلف يلتقطه بعض السيارة وقد قيل انه كان في قفرة بعيدة من العمران لم يكن
الا للرعاة فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه عليه السلام فارسلوا
واردهم الذي يرد الماء ويستقي لهم وكان ذلك مالك بن دعر الخزاعي وانما لم يذكر منتهى الارسال كما لم يذكر
المجيء اعني الجب للايذان بان ذلك معهود لا يضرب عنه الذكر صفحا فادلى دلوه اي ارسلها الى الجب ليملاها
لما عرفته فتدلى بها يوسف فخرج قال استيناف مبني على سؤال تقتضيه الحال يا بشرى هذا غلام كانه
نادى البشرى وقال تعالى فهذا اوانك حيث فاز بنعمة باردة واي نعمة مكان ما يوجد مياه من الماء
وقيل هو اسم صاحب له ناداه يعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يا بشراي واما فتحة الراء والكسر
وقرئ بين اللفظين وقرئ يا بشري بالادغام وهي لغة وبشراي على قصد الوقف واسروه اي
اخفاه الوارد واصحابه عن بقية الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له في الجب وقالوا لهم دفعه
الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان ياتيه كل يوم بطعام
فاتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلام ابق منا فاشتروه منهم
فسكت يوسف مخافة ان يقتلوه ولا يخفى ما فيه من البعد بضاعة نصب على الحالية اي اخفوه حال
كونه بضاعة اي متاعا للتجارة فانها قطعة من المال بضعت منه اي قطعت للتجارة والله عليم بما يعملون
وعيد لهم على ما صنعوا من جعلهم مثل يوسف وهو هو عرضة للابتذال بالبيع والشرا وما دبروا في ذلك
من الحيل اي باعوه والضمير للوارد واصحابه بثمن بخس زيف ناقص العيار دراهم بدل من ثمن اي لا دنانير
معدودة اي غير موزونة فهو بيان لقلته ونقصانه مقدارا بعد بيان نقصانه في نفسه اذ المعتاد فيما
لا يبلغ اربعين العد دون الوزن فعن ابن عباس رضي الله عنهما انها كانت عشرين درهما وعن السدي
انها كانت اثنين وعشرين درهما وكانوا اي البايعون فيه في يوسف من الزاهدين من الذين لا يرغبون فيما
بايديهم فلذلك باعوه بما ذكر من الثمن البخس وسبب ذلك انهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به
او غير واثق بامره يخاف ان يظهر له مستحق فينتزعه منه فيبيعه من اول مساوم او كسر ثمن ويجوز
ان يكون معنى شروه اشتروه من اخوته على ما حكي وهم غير راغبين في شراه خشية ذهاب مالهم لما
ظن فيه من الاباق والعدول عن صيغة الافتعال المنبئة عن الاعتداد لما مر من ان اخذهم اياه
كان بطريق البضاعة دون الاجتبا والاقتنا وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وبيان
لما زهدوا فيه ان جعلت موصولة كانه قيل في اي شيء زهدوا فقيل زهدوا فيه لان متعلق الصلة
لا يتقدم على الموصول وقال الذي اشتراه من مصر وهو العزيز الذي كان على خزائنه واسمه قطفير
او اطفير وبيان كونه من مصر لتربية ما يتفرع عليه من الامور مع الاشعار بكونه غير من اشتراه
من الملتقطين بما ذكر من الثمن البخس وكان الملك يومئذ الريان بن الوليد العمليقي ومات في
حيوة يوسف عليه السلام بعد ان آمن به فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه الى الاسلام
فابى وقيل كان الملك في ايامه فرعون موسى عليه السلام عاش اربعماية سنة لقوله عز وجل
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف عليه السلام
والاية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الابا واختلف في مقدار ما اشتراه به العزيز فقيل بعشرين
دينارا وزوجي نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه في السوق يعرضونه فترفعوا في ثمنه حتى بلغ
ثمنه وزنه مسكا ووزنه ورقا ووزنه حريرا فاشتراه قطفير بذلك المبلغ وكان سنه اذ ذاك
سبع عشرة سنة واقام في منزله مع ما مر عليه من مدة لبثه في السجن ثلث عشرة سنة واستوزره

الديان وهو ابن ثلثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلث وثلثين سنة وتوفي وهو ابن
مايه وعشرين سنة لامراته داعيل او ليخا وقيل اسمها هو الاول والثاني لقبها واللام متعلقة
بقال لا باشتراه اكرمي مثواه اجعلي محل اقامته كريما مرضيا والمعنى احسني تعهده عسى ان ينفعنا
في ضياعنا واموالنا ونستظهر به في مصالحنا او نتخذه ولدا اي نتبناه وكان ذلك لما تفرس فيه
من مخايل الرشد والنجابة ولذلك قيل افرس الناس ثلثة عزيز مصر وابنة شعيب التي قالت
يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضي الله تعالى عنهما وكذلك نصب على المصدرية وذا
اشارة الى ما يفهم من كلام العزيز وما فيه من معنى البعد لتفخيمه اي مثل ذلك التمكين البديع
مكنا ليوسف في الارض اي جعلنا له فيها مكانا يقال مكنه فيه اي اثبته ومكن له فيه اي
جعل له فيه مكانا ولتقاربهما وتلازمهما يستعمل كل منهما في محل الاخر قال عز وجل وكم اهلكنا
من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم اي ما لم نمكنكم فيها اي مكنا لهم في الارض الى اخره
والمعنى كما جعلنا له مثوى كريما في منزل العزيز او مكانا عليا في قلبه حتى امر امراته دون ساير
حواشيه باكرام مثواه جعلنا له مكانة رفيعة في ارض مصر ولعله عبارة عن جعله وجيها فيما بين
اهلها ومحببا في قلوبهم كافة كما في قلب العزيز لانه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قوله تعالى
ولنعلمه من تاويل الاحاديث انوفقه لتعبير بعض المنامات التي عمدتها رويا الملك وصاحبي
السجن كقوله تعالى ذلكما مما علمني ربي واو جعلناه معطوفا على غاية مقدرة ينساق اليها الكلام
ويستدعيها النظام كانه قيل ومثل ذلك التمكين ليوسف في الارض وجعلنا قلوب اهلها
كافة محال محبته ليترتب عليه ما يترتب مما جرى بينه وبين امراة العزيز ولنعلمه بعض تاويل
الاحاديث وهو تاويل الرويا المذكورة فيودي ذلك الى الرياسة العظمى ولعل ترك المعطوف
عليه للاشعار بعدم كونه مرادا بالذات وجعلناه علة لمعلل محذوف كانه قيل ولهذه الحكمة
البالغة فعلنا ذلك التمكين دون غيرها مما ليس عاقبة حميدة هذا ولا يخفى عليك ان الذي
عليه تدور هذه الامور انما هو التمكين في جانب العزيز واما التمكين في جانب الناس كافة
فتاديته الى ذلك انما هي باعتبار اشتماله على ذلك التمكين فاذن الحق ان يكون ذلك اشارة الى
المعنيد بقوله تعالى مكنا ليوسف على ان يكون هو عبارة عن التمكين في قلب العزيز او في منزله
وكون ذلك تمكينا في الارض بملابسة انه عزيز فيها لا عن تمكين اخر يشبه به كما هو في قوله تعالى
وكذلك جعلناكم امة وسطا من ان ذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور بعده لا الى جعل
اخر يقصد تشبيه هذا الجعل به فالكاف مقحم للدلالة على فخامة شان المشار اليه اقحاما لا يكاد
لا يكاد يترك في لغة العرب ولا في غيرها ومن ذلك قولهم مثلك لا يبخل وهكذا ينبغي ان يحقق
المقام واما التمكين بمعنى جعله ملكا يتصرف في ارض مصر بالامر والنهي فهو من اثار ذلك التعليم
ونتايجه المتفرعة عليه كما عرفته لا من مباديه المودية اليه فلا سبيل الى جعله غاية له وكم
يعهد منه عليه السلام في تضاعيف قصناياه العمل بموجب المنامات المنبهة على الحوادث قبل
وقوعها مهيئا مصححا لجعله غاية لولا يته من التدارك في امر السنين فانما هو عمل بموجب
الرويا السابقة المعهودة اللهم الا ان يراد بتعليم تاويل الاحاديث ما سبق من تفهيم غوامض
اسرار الكتب الالهية ودقايق سنن الانبيا عليهم السلام فيكون المعنى حينئذ مكنا له في ارض
مصر ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه معاني كتب الله تعالى واحكامها ودقايق سنن الانبيا فيقضي
بها فيما بين اهلها والتعليم الاجمالي لتلك المعاني والاحكام وان كان غير متاخر عن تمكينه
بذلك المعنى الا ان تعليم كل معنى شخصي يتفق في ضمن الحوادث والارشاد الى الحق في كل نازلة
من النوازل متاخر عن ذلك منصل لا يكون غاية له والله غالب على امره لا يستعصي عليه امر ولا
يمانعه شي بل انما امره لشي اذا اراده ان يقول له كن فيكون فيدخل في ذلك شؤونه المتعلقة
بيوسف دخولا اوليا او متول على امر يوسف لا يكله الى غيره وقد اريد به من الفتنة ما اريد
مرة غب مرة فلم يكن الا ما اراد الله له من العاقبة الحميدة ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الامر
لله كله فياتون ويذرون زعما منهم ان لهم من الامر شيئا وهم ذلك وان الامر كله لله عز وجل
او لا يعلمون لطائف صنعه وخفايا فضله ولما بلغ اشده اي منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن
الوقوف ما بين الثلثين الى الاربعين وقيل من الثمانية عشر الى الثلثين وقيل سن البلوغ الحلم والاول هو الانسب لقوله
آتيناه حكما حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل او حكما بين الناس وفقها ونبوة وعلما اي تفقها في الدين
وتنكيرهما للتفخيم اي حكما وعلما لا يكتنه كنههما ولا يقادر قدرهما او اتاه الله تعالى عنده كامل

قوله

قوله سواء لانا عبارة عن النبوة والحكم بين الناس او غيرهما جزا لعمله عليه السلام حيث قيل وكذلك
اي مثل ذلك الجزا العجيب نجزي المحسنين اي كل من يحسن في عمله فيجب ان يكون ذلك بعد انقضاء
اعماله الحسنة التي من جملتها معاناة الاحزان والشدايد وقد فسر العلم بعلم تاويل الاحاديث
ولا صحة له الا ان يخص بعلم تاويل رويا الملك فان ذلك حيث كان عند تناهي ايام البلاء صح ان
يعد ايتاؤه من جملة الجزا واما رويا صاحبي السجن فقد لبث عليه السلام بعد تعبيرها في السجن
بضع سنين وفي تعليق الجزا المذكور بالمحسنين اشعار بعلية الاحسان له وتنبيه على انه سبحانه
انما اتاه ما اتاه لكونه محسنا في اعماله متقيا في عنفوان امره هل جزاء الاحسان الا الاحسان
وراودته التي هو في بيتها رجوع الى شرح ماجرى عليه في منزل العزيز بعد ما امر امراته باكرام
مثواه وقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض الى هنا اعتراض جي به انموذجا للقصة
ليعلم السامع من اول الامر ان ما لقيه عليه السلام من الفتنة التي ستحكى بتفاصيلها له غاية
جميلة وعاقبة حميدة وانه عليه السلام محسن في جميع اعماله لم يصدر عنه في حالتي السراء
والضراء ما يخل بنزاهته ولا يخفى ان مدار حسن التخلص الى هذا الاعتراض قبل تمام الاية الكريمة
انما هو التمكين البالغ المفهوم من كلام العزيز فادراج الانجا السابق تحت الاشارة بذلك
في قوله تعالى وكذلك مكنا كما فعله الجمهور ناء من التقريب فتامل والمراودة المطالبة من راد يرود
اذا جاء وذهب لطلب شي ومنه الرايد لطالب الماء والكلا وهي مفاعلة من واحد نحو مطالبة
الداين ومماطلة المديون ومداواة الطبيب ونظايرهما مما يكون من احد الجانبين الفعل ومن
الاخر سببه فان هذه الافعال وان كانت صادرة من احد الجانبين لكن لما كانت اسبابها صادرة
عن الجانب الاخر جعلت كانها صادرة عنهما وهذا باب لطيف المسلك مبني على اعتبار دقيق
تحقيقه ان سبب الشي يقام مقامه ويطلق عليه اسمه كما في قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي
فان فعل البادي وان لم يكن جزاء لكن لكونه سببا للجزا اطلق عليه اسمه ولذلك ارادة القيام
الى الصلوة وارادة قراة القران حيث كانتا سببا للقيام والقراة عبر عنهما بهما فقيل اذا
قمتم الى الصلوة فاذا قرات القران وهذه مطردة مستمرة ولما كانت اسباب الافعال المذكورة
فيما نحن فيه صادرة عن الجانب المقابل لجانب فاعلها فان مطالبة الداين وكذا مداواة الطبيب
للمريض الذي هو من جانب المريض ولذلك مراودتها فيما نحن فيه لجمال يوسف عليه السلام
نزل صدورها عن محالها بمنزلة صدور مسبباتها التي هي تلك الافعال فبني الصيغة على ذلك
وروعي جانب الحقيقة بان اسند الفعل الى الفاعل واوقع على صاحب السبب فتامل ويجوز ان
يراد بصيغة المغالبة مجرد المبالغة وقيل الصيغة على بابها بمعنى انها طلبت منه الفعل وهو
منها الترك ويجوز ان يكون من الرويد وهو الرفق والتمحل وتعديتها بعن لتضمنها معنى المخادعة
فالمعنى خادعته عن نفسه اي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن شي لا يريد اخراجه عن يده
وهو يحتال ان ياخذه منه وهي عبارة عن التمحل في مواقعته اياها والعدول عن التصريح باسمها
للمحافظة على الستر او للاستهجان بذكره وايراد الموصول لتقرير المراودة فان كونه في
بيتها مما يدعو الى ذلك قيل لواحدة ما حملك على ما انت عليه مما لا خير فيه قالت قرب الوساد
وطول السواد ولاظهار كمال نزاهته عليه السلام فان عدم ميله اليها مع دوام مشاهدة
محاسنها واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملكتها ينادي بكونه عليه السلام في اعلى معارج العفة
والنزاهة وغلقت الابواب قيل كانت سبعة ولذلك جاء الفعل بصيغة التفعيل دون
الافعال وقيل للمبالغة في الايثاق والاحكام وقالت هيت لك قرئ بفتح الهاء وكسرها مع فتح
التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت بكسر الهاء كحيث اسم فعل معناه اقبل وبادر واللام
للبيان اي لك اقول هذا كما في هلم لك وقرئ هيت على صيغة الفعل بمعنى تهيات يقال
هاء يهيء كجاء يجيء اذا تهيا وهيت لك واللام صلة للفعل وقال معاذ الله اي اعوذ بالله
معاذا مما تدعونني اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل بانه منكر هاين
بل يجب ان يعاذ بالله تعالى منه وما ذاك الا لانه عليه السلام قد شاهده مما اراه الله تعالى
من البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء وقوله عز وجل
انه ربي احسن مثواي تعليل للامتناع ببعض الاسباب الخارجية مما عسى يكون والضمير
موثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتي الذي لا يكاد تقبله لما
سولته لها نفسها والضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعا شهرته المغنية عن ذكره

وفايدة تقدير الجملة به الايذان بفخامة مضمونها مع ما فيه من زيادة تقريره فى الذهن فان الضمير
لا يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده
له فضل تمكن فكانه ان الشان الخطير هذا وهو ربى اى سيدى العزيز احسن مثواى اى احسن تعهدى
حيث امرك باكرامى فكيف يمكن ان اسئ اليه بالخيانة فى حرمه وفى ارشادها الى رعاية حق
العزيز بالطف وجه وقيل الضمير لله عز وجل وربى خبر ان واحسن مثواى خبر ثان او هو الخبر
والاول بدل من الضمير والمعنى ان الحال هذا فكيف اعصيه بارتكاب تلك الفاحشة الكبيرة
وفيه تحذير لها عن عقاب الله عز وجل وعلى التقديرين ففى الاقتصار على ذكر هذه الحالة من غير
تعرض لاقتضاعها الامتناع عما دعته اليه ايذان بان هذه المرتبة من البيان كافية فى الدلالة
على استحالته وكونه مما لا يدخل تحت الوقوع اصلا وقوله تعالى انه لا يفلح الظالمون تعليل
للامتناع المذكور غب تعليل والفلاح الظفر وقيل البقا فى الخير ومعنى لا يفلح لا يدخل فيه كاصبح
واخواته والمراد بالظالمين كل من ظلم كاينا من كان فيدخل فى ذلك المجازون الاحسان
بالاساة والعصاة لامر الله تعالى دخولا اوليا وقيل الزناة لانهم ظالمون لانفسهم وللمجزى
باهله ولقد همت به مخالطته اذ الهم لا يتعلق بالاعيان اى قصدتها وعزمت عليها عزما
جازما لا يلويها عنه صارف بعد ما شرت مباديها وفعلت ما فعلت من المراودة وتغليق
الابواب ودعوته عليه السلام الى نفسها بقولها هيت لك ولعلها تصدت هنالك لافعال
اخر من بسط يدها اليه وقصد المعانقة وغير ذلك مما يضطره عليه السلام الى الهروب
نحو الباب والتاكيد لدفع ما عسى من احتمال اقلاعها عما كانت عليه بما فى مقالته عليه السلام
من الزواجر وهم بها بمخالطتها اى مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب وقرمه
ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا الا يرى الى ما سبق من
استعصامه المبنى على كمال كراهته له ونفرته عنه وحكمه بعدم افلاح الظالمين وهل هو
الا تسجيل باستحالة صدور همه منه عليه السلام تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم لمجرد وقوعه
فى صحبة همها فى الذكر بطريق المشاكلة لا لشبهه به كما قيل ولقد اشير الى تباينهما حيث لم يلزما
فى قرن واحد من التعبير بان قيل ولقد هما بالمخالطة او هم كل منهم بالاخر وصدر الاول
بما يقرر وجوده من التوكيد القسمى وعقب الثانى بما يعفوا اثره من قوله عز وجل لولا ان
راى برهان ربه اى حجته الباهرة الدالة على كمال قبح الزنا وسوء سبيله والمراد برؤيته لها
كمال ايقانه بها ومشاهدته لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين التى تتجلى هنالك
حقايق الاشيا بصورها الحقيقية وتتخلع عن صورها المستعارة التى بها تظهر فى هذه النشاة
على نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
وكان عليه السلام قد شاهد الزنا بموجب ذلك البرهان النير على ما هو عليه فى حد ذاته
اقبح ما يكون واوجب ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم بعدم
افلاح من يرتكبه لولا محذوف يدل عليه الكلام اى لولا مشاهدته برهان ربه
فى شان الزنا لجرى على موجب ميله الجبلى ولكنه حيث كان مشاهدا له من قبل استمر على ما هو
عليه من قضية البرهان وفايدته هذه الشرطية بيان ان امتناعه عليه السلام لم يكن
لعدم مساعدة من جهة الطبيعة بل لمحض العفة والنزاهة مع وفور الدواعى الداخلة
وترتب المقدمات الخارجية الموجبة لظهور الاحكام الطبيعية هذا وقد نص ايمة الصناعة
على ان لولا فى امثال هذه المواقع جار من حيث المعنى لا من حيث الصيغة مجرى التقييد للحكم
المطلق كما فى قوله تعالى ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها فلا يتحقق هنالك
هم اصلا وقد جوزوا ان يكون وهم بها جواب لولا جريا على قاعدة الكوفيين فى جواز التقديم
فالهم حينئذ على معناه الحقيقى فالمعنى لولا انه قد شاهد برهان ربه لهم بها كما همت به
ولكن حيث انتفى عدم المشاهدة بدليل استعصامه وما يتفرع عليه انتفى الهم راسا هذا
وقد فسر همه عليه السلام بانه حل الهميان وجلس مجلس الختان وبانه حل تكة سراويله
وقعد بين شعبها وروية للبرهان بانه سمع صوتا اياك واياك ها فلم يكترث ثم وثم الى
ان تمثل له يعقوب عليه السلام عاضا على انملته وقيل ضرب على صدره فخرجت شهوته
من انامله وقيل بدت كف فيما بينهما ليس فيها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم راى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا

فلم

فلم ينته ثم راى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فقال الله عز وجل لجبريل عليه
السلام ادرك عبدى قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل عليه السلام وهو يقول يا يوسف
اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب فى ديوان الانبياء وقيل راى تمثال العزيز وقيل ان كل ذلك
الا خرافات واباطيل تمجها الاذان وتردها العقول والاذهان ويل لمن لاكها ولفقها او سمعها
وصدقها كذلك الكاف منصوب المحل وذلك اشارة الى الاراءة المدلول عليها بقوله تعالى لولا
ان راى برهان ربه اى مثل ذلك التبصير والتعريف عرفناه برهاننا فيما قبل او الى التثبيت اللازم
له اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه لنصرف عنه السوء على الاطلاق فيدخل فيه خيانة السيد دخولا
اوليا والفحشاء والزنا لانه مفرط القبح وفيه اية بينة وحجة قاطعة على انه عليه السلام لم يقع منه
بهم بالمعصية ولا توجه اليها قط والا لقيل لنصرفه عن السوء والفحشاء وانما توجه اليه ذلك من
خارج فصرفه تعالى عنه بما فيه من موجبات العفة والعصمة فتامل وقرئ ليصرف على اسناد الصرف
الى ضمير الرب انه من عبادنا المخلصين تعليل لما سبق من مضمون الجملة بطريق التحقيق والمخلصون هم الذين
اخلصهم الله تعالى لطاعته بان عصمهم عما هو قادح فيها وقرئ على صيغة الفاعل وهم الذين اخلصوا
دينهم لله سبحانه وعلى كلا المعنيين فهو منتظم فى سلكهم داخل فى زمرتهم من اول امره بقضية الجملة
الاسمية لا ان ذلك حدث له بعد ان لم يكن كذلك فانحسم مادة احتمال صدور الهم بالسوء وقوله
كذلك الى اخره اعتراض جئ به بين المعطوفين تقريرا لنزاهته عليه السلام كقوله تعالى وكذلك
نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض والمعنى لقد همت به وابى هو واستبقا اى تسابقا الى
الباب البرانى الذى هو المخلص وكذلك وحد بعد الجمع فيما سلف وحذف حرف الجر او ضمن الفعل
الى المجرور نحو واذا كالوهم او وزنوهم او ضمن الاستباق معنى الابتدار واسناد السبق فى ضمن الاستباق اليهما
مع ان مرادها مجرد منع يوسف وذا لا يوجب الانتها الى الباب لانها لما راته يسرع الى الباب
ليتخلص منها اسرعت هى ايضا لتسبقه اليه وتمنعه عن الفتح والخروج او عبر عن اسراعها اثره
بذلك مبالغة وقدت قميصه من دبر اجتذبته من ورائه فانشق طولا وهو القد كما ان الشق
عرضا وهو القط وقد قيل فى وصف على كرم الله تعالى وجهه انه كان اذا اعتلى قد واذا اعترض
قط واسناد القد اليها خاصة مع ان لقوة يوسف ايضا دخلا فيه اما لانها الجزء الاخير للعلة
التامة واما للايذان بمبالغتها فى منعه عن الخروج وبذل مجهودها فى ذلك لفوت المحبوب او لخوف
الافتضاح والفيا سيدها اى صادفا زوجها وانما لم يقل سيدهما لان ملكه ليوسف عليه السلام صحيحا لم يعل
سيدهما قيل الفياه مقبلا وقيل كان جالسا مع ابن عم للمراة لدى الباب اى البرانى كما مر روى
كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب قالت
استيناف مبنى على سؤال سايل يقول فماذا كان حين الفيا العزيز عند الباب فقيل قالت ما جزاء من اراد
باهلك سوءا من الزنا ونحوه الا ان يسجن او عذاب اليم ما نافية اى ليس جزاؤه الا السجن او العذاب
الاليم قيل المراد به الضرب بالسياط او استفهامية اى اى شى جزاؤه الا السجن غيرنا ذلك او ذلك
ولقد اتت فى تلك الحالة التى تدهش فيها الفطن حيث شاهدها العزيز على تلك الهيئة المريبة
بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرية ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال واستنزال يوسف عن
رايه فى استعصايه عليها وعدم مواتاته على مرادها بالقاء الرعب فى قلبه من مكرها طمعا
فى مواقعته لها كرها عند ياسها عن ذلك اختيارا كما قالت ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن
وليكونا من الصاغرين ثم انها جعلت صدور الارادة المذكورة عن يوسف عليه السلام امرا
محققا مفروغا عنه غنيا عن الاخبار بوقوعه وان ما هى عليه من الافاعيل لاجل تحقيق
جزائها فهى تريد ايقاعه حسبما يقتضيه قانون الايالة وفى ابهام المريد تهويل لشان الجزا
المذكور بكونه قانونا مطردا فى حق كل احد كاينا من كان وفى ذكر نفسها بعنوان اهلية العزيز
اغراء له على تحقيق ما يتوخاه بحكم الغضب والحمية قال استيناف وجواب
عما يقال فماذا قال يوسف حينئذ فقيل قال هى راودتنى عن نفسى اى طالبتنى للمواتاة لا انى
اردت بها سوءا كما قالت وانما قاله عليه السلام لتنزيه نفسه عما اسند اليه من الخيانة
وعدم معرفة حق السيد ودفع ما عرضته له من الامرين وفى التعبير عنها بضمير الغيبة
دون الخطاب او اسم الاشارة مراعاة لحسن الادب مع الايمان الى الاعراض عنها وشهد شاهد
من اهلها قيل هو ابن عمها وقيل هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما
يرجع اليه الملك ويستشيره وقد جوزوا ان يكون بعض اهلها قد بصر بها من حيث لا تشعر

فاعضبه الله تعالى ليوسف عليه السلام بالشهادة له والقيام بالحق وانطق الله سبحانه وتعالى الشهادة
الى من هو من اهلها ليكون ادل على نزاهته عليه السلام وانفى التهمة وقيل كان الشاهد ابن خال لها صبيا
في المهد انطقه الله ببراءته وهو الاظهر لما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم
صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى عليه السلام رواه الحاكم عن ابي
هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وذكر كونه من اهلها لبيان الواقع اذ لا يختلف الحال في هذه
الصورة بين كون الشاهد من اهلها او من غيرهم ان كان قميصه قد من قبل اي ان علم انه قد من قبل
ونظيره ان احسنت الي فقد احسنت اليك فيما قبل فان معناه ان تمتن باحسانك الي فاعتد باحساني
السابق اليك فصدقت بتقدير قد لانها تقرب الماضي الى الحال اي فقد صدقت ولذا الحال في قوله
وكذبت وهي وان لم تصرح بانه عليه السلام اراد بها سوءا الا ان كلامها حيث كان واضح الدلالة
عليه اسند اليها الصدق والكذب بذلك الاعتبار فانهما كما يعرضان الكلام باعتبار منطوقه
يعرضان له باعتبار ما يستلزمه وبذلك الاعتبار يعتريان للانشاءات وهو من الكاذبين وهذه
الشرطية حيث لا ملازمة عقلية ولا عادية بين مقدمها وتاليها ليست من الشهادة في شيء
وانما ذكرت توسيعا للدائرة وارخاء للعنان الى جانب المرأة باجراء ما عسى يحتمله الحال في الجملة
بان يقع القد من قبل بمدافعتها له عليه السلام عن نفسها عند ارادته المخاطبة والتكشف
مجرى الظاهر الغالب تقريبا لما هو المقصود باقامة الشهادة اعني مضمون الشرطية الثانية
التي هي قوله عز وجل وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين الى التسليم والقبول
عند السامع لكونه اقرب الى الوقوع وادل على المطلوب وان لم يكن بين طرفيها ايضا ملازمة
وحكاية الشرطية بعد فعل الشهادة لكونها من قبيل الاقوال او بتقدير الاقوال اي شهد قائلا
الى اخره وتسميتها شهادة مع انه لا حكم فيها بالفعل بالصدق والكذب بتاديتها موادها بل لانها
شهادة على الحقيقة وحكم بصدقه وكذبها اما على تقدير كون الشاهد هو الصبي فظاهر وهو اخبار
بهما من قبل علام الغيوب والتصوير بصورة الشرطية الاولى بوجود مقدم الشرطية الثانية
ومن ضرورته الجزم بانتفاء تالي الاولى وبوقوع تالي الثانية فاذن هو اخبار بكذبها وصدقه
عليه السلام لكنه ساق شهادته مساقا مأمونا من الحرج والطعن حيث صورها بصورة الشرطية
المترددة ظاهرا بين نفعها ونفعه واما حقيقته فلا تردد فيها قطعا لان الشرطية الاولى
تعليق لصدقها بما يستحيل وجوده من قد القميص من قبل فيكون محالا لا محالة من ضرورته
تقرر كذبها والثانية تعليق لصدقه عليه السلام بامر محقق الوجود وهو القد من دبر فيكون
محققا البتة وهذا كما قيل فيمن قال لامرأة تزوجيني نفسك فقالت لي زوج فكذبها في ذلك
فقالت ان لم يكن لي زوج فقد زوجتك نفسي فقبل الرجل فاذا لا زوج لها فهو نكاح اذ تعليق
الشيء بامر محقق تنجيز له وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد
وبالفتح كانهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف للتانيث والعلمية وقرئ بسكون العين
فلما راى قميصه قد من دبر كانه لم يكن راى ذلك بعد او لم يتدبره فلما تنبه له وعلم حقيقة الحال
قال انه اي الامر الذي وقع فيه التشاجر وهو عبارة عن ارادة السوء التي اسندت الى يوسف
وتدبير عقوبته بقوله ما جزاء من اراد باهلك سوءا الى اخره لكن لا من حيث صدور تلك
الارادة والاسناد عنها بل مع قطع النظر عن ذلك لئلا يخلو قوله تعالى من كيدكن اي من جنس
حيلتكن ومكركن ايتها النساء لا من غيركن عن الافادة وتدبير العقوبة وان لم يكن تجريده
عن الاضافة اليها الا انها لما صورته بصورة الحق افاد الحكم بكونه من كيدهن افادة ظاهرة
فتامل وتعميم الخطاب للتنبيه على ان ذلك خلق لهن عريق • ولا تحسبا هندا لها الغدر وحدها
• سجية نفس كل غانية هند • وارجاع الضمير الى قوله ما جزاء من اراد باهلك سوءا فقط
عدول عن البحث عن اصل ما وقع فيه التنازع من ارادة السوء ممن هي الى البحث عن شعبة
من شعبه وجعله للسوء وللامر المعبر به عن طمعها في يوسف عليه السلام مرادا به الخبر فان
الكيد يستدعي ان يعتبر مع ذلك هنات اخر من قبلها مما اشرنا اليه ان كيدكن عظيم فانه
الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس وعن بعض العلماء انا اخاف من النساء ما لا اخاف
من الشيطان فانه تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم
ولان الشيطان يوسوس مسارقة وهن يواجهن به الرجال يوسف حذف منه حرف النداء
لقربه وكمال تفطنه للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله اعرض عن هذا اي عن هذا الامر

الامر وعن التحديث به واكتمه فقد ظهر صدقك ونزاهتك واستغفري انت يا هذه لذنبك
الذي صدر عنك وثبت عليك انك كنت بسبب ذلك من الخاطئين من جملة القوم المتعمدين
للذنب او من جنسهم يقال خطئ اذا اذنب عمدا وهو تعليل للامر بالاستغفار والتذكير لتغليب
المذكور على الاناث وكان العزيز رجلا حليما فاكتفى بهذا القدر من مؤاخذتها وقيل كان قليل
الغيرة وقال نسوة اي جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب
الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتانيثه غير
حقيقي كتانيث اللمة وهي اسم لجماعة النساء والشبه وهي اسم لجماعة الرجال ولذلك لم يلحق فعله
تاء التانيث في المدينة ظرف لقال اي اشعن الامر في مصر او صفة لنسوة امرأة العزيز اي
الملك تراود فتاها عن نفسه واضافتهن لها بذلك العنوان دون ان يصرحن باسمها او اسمه ليست
لقصد المبالغة في اشاعة الخبر بحكم ان النفوس الى سماع اخبار ذوي الاخطار اميل كما قيل
اذ ليس مرادهن تفضيح العزيز بل هو كقصد الاشباع في لومها بقولهن تراود فتاها اي
تطالبه بمواقعته لها وتتمحل في ذلك وتخادعه عن نفسه وقيل تطلب منه الفاحشة وايثارهن
لصيغة المضارع للدلالة على دوام المراودة والفتى من الناس الشاب واصله فتي كقولهم
فتيان والفتوة شاذة وجمعه فتية وفتيان ويستعار للمملوك وهو المراد هنا وفي الحديث
لا يقل احدكم عبدي وامتي وليقل فتاي او فتاتي وتعبيرهن عن يوسف عليه السلام بذلك
مضافا اليها لا الى العزيز الذي لا يستلزم الاضافة اليه الهوان بل ربما يشعر بنوع عزة
لابانة ما بينهما من التباين البين الناشئ عن المالكية والمملوكية وكل ذلك لتربية ما هو
من المبالغة والاشباع في اللوم فان من لا زوج لها من النساء او لها زوج دنيء قد تعذر في
مراودة الاخدان لا سيما ان كان فيهم علو الجناب واما التي لها زوج واي زوج عزيز مصر
فمراودتها لغيره لا سيما لعبدها الذي لا كفاءة بينها وبينه اصلا وتماديها في ذلك غاية الغي
ونهاية الضلال قد شغفها حبا اي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه او جلدة رقيقة يقال
لها لسان القلب حتى وصل الى فؤادها وقرئ قد شعفها بالعين من شعف البعير اذا هناه
فاحرقه بالقطران وعن الفهمانه عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الشغف حب دون ذلك
وكان الشعبي يقول الشغف حب والشعف جنون والجملة خبر ثان او حال من فاعل تراود ومن
مفعوله واياما كان فهو تكرير للوم وتاكيد للعذل ببيان اختلال احوالها القلبية كاحوالها
القالبية وجعلها تعليلا لدوام المراودة من حيث الا ينه مصير الى الاستدلال على الاصل ما لا
يخفى ومن الحمية ميل الى تمهيد العذر من قبلها وليس بذلك المقام وانتصاب حبا على التمييز
لنقله عن الفاعلية اذ الاصل قد شغفها حبه كما اشير اليه انا لنراها اي نعلمها علما متاخما
للمشاهدة والعيان فيما صنعت من المراودة والمحبة المفرطة مستقرة في ضلال عن طريق الرشد
والصواب او سنن العقل مبين واضح لا يخفى كونه ضلالا على احد او مظهر لامرها فيما بين الناس
فالجملة مقررة لمضمون الجملتين السابقتين المسوقتين للوم والتشنيع وتسجيل عليها بانها
في امرها على خطاء عظيم وايثار نعلم انها في ضلال مبين اشعارا بان ذلك الحكم غير صادر عنهن
مجازفة بل عن علم وراي مع التلويح بانهن متنزهات عن امثال ما هي عليه فلما سمعت بمكرهن
باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعاني وهو مقتها وتسميته
مكرا لكونه خفية منهن كمكر الماكر وان كان ظاهرا لغيرها وقيل استكتمتهن سرها فافشينه
عليها وقيل انما قلن ذلك لتريهن يوسف عليه السلام ارسلت اليهن تدعوهن قيل دعت
اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات واعتدت اي احضرت وهيأت لهن متكأ اي ما يتكئن
عليه من النمارق والوسائد او رتبت لهن مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون للطعام
والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهي الرجل ان ياكل متكئا وقيل متكأ طعاما من
قولهم اتكانا عند فلان اي طعمنا قال جميل • فظللنا بنعمة واتكانا • وشربنا الحلال من قلله
• وعن مجاهد متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتمد بالسكين عند القطع لان القاطع يتكئ
على المقطوع بالسكين وقرئ بغير همز وقرئ بالمد باشباع حركة الكاف كمنتزاح في منتزح
وينباع في ينبع وقرئ متكا وهو الاترج والشد • واهدت متكا لبني ابيها • تبيع بها العتيقة
الوقاح • او ما يقطع من متك الشيء اذا بتكه ومتكا من تكي اذا اتكى وآتت كل واحدة منهن
سكينا لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين ايديهن وقرب اليهن من اللحوم والفواكه

ونحوها وهن متكئات وعن منها غرضهن من ذلك ما سيقع من تقطيع ايديهن وقالت ليوسف
وهن مشغولات بمعالجة السكاكين واعمالها فيما بايديهن من الفواكه وامثالها والعطف بالواو
وربما يشعر بان قولها اخرج عليهن اى ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب امورهن ليتم غرضها من تحققهن
فلما رأينه عطف على مقدر يستدعيه الامر بالخروج وينسحب عليه الكلام فخرج عليهن فرأينه وانما
حذف تحقيقا لمفاجأة رؤيتهن كأنها تفوت عند ذكر خروجه عليهن كما حذف لتحقيق السرعة فى
قوله عز وجل فلما رآه مستقرا عنده بعد قوله انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك فيه ايذان
بسرعة امتثاله عليه السلام لامرها فيما لا يشاهد معصيته من الافاعيل اكبرنه عظمنه وهبن
حسنه الفائق وجماله الرائق فان فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة البدر على
ساير الكواكب عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة
البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس على الماء وقيل معنى اكبرن
حضن والهاء للسكت او ضمير راجع الى يوسف عليه السلام على حذف اللام اى حضن له من
شدة الشبق كما قال المتنبى • خف الله واستر ذا الجمال ببرقع • فان لحت حاضت فى الخدور
العواتق وقطعن ايديهن اى جرحنها بما فى ايديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات
جوارحهن عن منهاج الاختيار والاعتياد حتى لم يعلمن ما فعلن وفى التعبير عن الجرح بالقطع ما لا
يخفى من الدلالة على كثرة جرحهن ومع ذلك لم يبالين بذلك ولم يشعرن به وقلن حاش لله
تنزيها له سبحانه وتعالى عن صفات النقص والعجز وتعجبا من قدرته على مثل ذلك الصنع
البديع واصله حاشا كما قرأه ابو عمرو فى الدرج فحذفت الفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف
يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء فلا يستثنى به الا ما يكون موجبا للتنزيه فوضع
موضعه بمعنى حاشا لله تنزيه الله وبراءة الله وهى قراءة ابن مسعود واللام لبيان المنزه
والمبرأ كما فى سقيا لك والدليل على وضعه موضع المصدر قراءة ابى السمال حاشا بالتنوين
وقراءة ابى عمرو وحذف الاخيرة وقراءة الاعمش بحذف الاولى فان التصرف من خصائص الاسم
فيدل على تنزيله منزلته وعدم التنوين لمراعاة اصله كما فى قولك جلست من عن يمينه وقوله
غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير وقرئ حاش لله بسكون الشين اتباعا
لفتحة الالف فى الاسقاط وحاشا الاله وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله
ضمير يوسف اى صار فى ناحية من ان يقارف ما رمته به لله اى لطاعته او لمكانه او جانب
المعصية لاجل الله ما هذا بشرا على اعمال ما بمعنى ليس هى لغة اهل الحجاز وشاذ كما فى نفى الحال
وقرئ بشر على لغة تميم وبشرى اى بعبد مشترى لئيم نفين عنه البشرية لما شاهدن فيه من
الجمال العبقرى الذى لم يعهد مثاله فى البشر وقصرنه على الملكية بقولهن ان هذا الا ملك كريم
بناء على ما ركز فى العقول من ان لا حى احسن من الملك كما ركب فيها ان لا اقبح من الشيطان
ولذلك لا يزال يشبه بهما كل متناه فى الحسن والقبح وغرضهن وصفه باقصى مراتب الحسن والجمال
قالت فذلكن الفاء فصيحة والخطاب للنسوة والاشارة الى يوسف بالعنوان الذى وصفته به
الآن من الخروج فى الحسن والجمال عن المراتب البشرية والاقتصار على الملكية فاسم الاشارة
مبتدأ والموصول خبره والمعنى ان كان الامر كما قلتن فذلك الملك الكريم النائى عن المراتب
البشرية هو الذى لمتننى فيه اى عيرتننى فى الافتتان به حيث قلتن فى حقى بنسبتى الى العزيز
ووصفتن قدره بكونه من المماليك او بالعنوان الذى وصفته به فيما سبق بقولهن امرأة
العزيز عشقت عبدها الكنعانى فهو خبر لمبتدأ محذوف اى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى
صورتن فى انفسكن وقلتن فيه وفى ما قلتن فلان قد علمتن من هو وما قولكن فينا واما ما
يقال يعنى انكن لم تصورنه حق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتننى فى الافتتان به
فلا يلائم المقام فان مرادها بدعوتهن وتمهيد ما مهدته لهن تبكيتهن وتمهيد عذرها وتنديمهن
على ما صدر عنهن من اللوم وقد فعلت ذلك بما لا مزيد عليه وما ذكر من المقال فحقه
المتقدم قبل ظهور معذرته وقد قيل فى تعليل الملكية ان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق
والعصمة البالغة من الخواص الملكية وهو ايضا لا يلائم قولها فذلكن الذى لمتننى فيه
فان عنوان العصمة مما ينافى تمشية مرامها ثم بعد ما اقامت عليهن الحجة واوضحت لديهن
عذرها وقد اصابهن من قبله عليه السلام ما اصابها باحت لهن ببقية سرها فقالت ولقد
راودته عن نفسه حسبما قلتن وسمعتن فاستعصم امتنع طالبا للعصمة وهو بناء مبالغة

يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها كما فى
استمسك واستجمع الراى وفيه برهان نير على انه لم يصدر عنه عليه السلام شئ مخل باستعصامه
بقوله معاذ الله من الهم وغيره اعترفت لهن اولا بما كن يسمعنه من مراودتها له وكذبته اظهارا
لابتهاجها بذلك ثم زادت على ذلك انه اعرض عنها على ابلغ ما يكون ولم يمل اليها قط ثم زادت
عليه ايضا انها مستمرة على ما كانت عليه غير مرعوية عنه لا يلويها لوم العواذل ولا باعراض
الحبيب فقالت ولئن لم يفعل ما آمره اى امرى به فيما سيأتى كما لم يفعل فيما مضى فحذف الجار واوصل
الفعل الى الضمير ليوسف وعبرت عن مراودتها بالامر اظهارا لجريان حكومتها عليه واقتضاءه
للامتثال بامرها ليسجنن بالنون المثقلة آثرت بناء الفعل للمفعول جريا على رسم الملوك او ايها
ما لسرعة ترتيبه ذلك على عدم امتثاله لامرها كأنه لا يدخل بينهما فعل فاعل وليكونن
بالخفيفة من الصاغرين اى الاذلاء فى السجن وقد قرئ الفعلان بالتثقيل ولكن المشهورة اولى
لان النون كتبت فى المصحف الفا على حكم الوقف واللام الداخلة على حرف الشرط موطئة للقسم وجوابه
ساد مسد الجوابين ولقد اتيت بهذا الوعيد المنطوى على فنون التاكيد بمحضر منهن ليعلم يوسف
انها ليست فى امرها على خفية ولا خيفة من احد فتضيق عليه الحيل ويعيى به الحيل وينصحن له
ويرشدنه الى موافقتها ولما كان هذا الابراق والارعاد منها مظنة لسؤال سائل يقول فما
صنع يوسف حينئذ قيل قال مناجيا لربه عز سلطانه رب السجن الذى اوعدتنى بالالقاء فيه
وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر احب الى اى آثر عندى لان مشقة قليلة نافدة اثرها راحات
جليلة ابدية مما يدعوننى اليه من مواتاتها التى تؤدى الى الشقاء والعذاب الاليم وهذا الكلام
منه عليه السلام مبنى على ما مر من انكشاف الحقايق لديه وبروز كل منها بصورتها اللائقة بها
فصيغة التفضيل ليست على بابها اذ ليس له شائبة محبة لما دعته اليه وانما هو والسجن شران
اهونهما واقربهما الى الايثار السجن والتعبير عن الايثار بالمحبة لحسم مادة طمعها عن المساعدة
خوفا من الحبس والاقتصار على ذكر السجن من حيث ان الصغار من فروعه ومستتبعاته ولاسناد
الدعوة اليهن جميعا لان النسوة رغبنه فى مطاوعتها وخوفنه من مخالفتها وقيل دعونه الى
انفسهن وقيل انما ابتلى عليه السلام بالسجن لقوله هذا فلو كان الاولى به ان يسأل الله
تعالى العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يسأل الصبر والا تصرف
اى ان لم تصرف عنى كيدهن فى تحبيب ذلك الى وتحسينه لدى بان تثبتنى على ما انا عليه من
العصمة والعفة اصب اليهن اى امل الى اجابتهن او الى انفسهن على قضية الطبيعة وحكم
القوة الشهوية وهذا فزع منه عليه السلام الى الطاف الله تعالى جريا على سنن الانبياء
عليهم السلام والصالحين فى قصر نيل الخيرات والنجاة عن الشرور على جناب الله عز وجل وسلب
القوى والقدر عن انفسهم ومبالغة فى استدعاء لطفه فى صرف كيدهن باظهار ان لا طاقة له
بالمدافعة كقول المستغيث ادركنى والا هلكت لا انه يطلب الاجبار والالجاء الى العصمة
والعفة وفى نفسه داعية تدعوه الى هواهن واصب من الصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس
تصبوا اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ اصب اليهن من الصبابة وهى رقة الشوق واكن
من الجاهلين اى الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو والجاهل سواء او من السفهاء
بارتكاب ما يدعوننى اليه من القبائح لان الحكيم لا يفعل القبيح فاستجاب له ربه دعاءه الذى
تضمنه قوله والا تصرف عنى كيدهن الى آخره فان فيه استدعاء لصرف كيدهن على ابلغ وجه
والطفه كما مر وفى اسناد الاستجابة الى الرب مضافا اليه عليه السلام ما لا يخفى من اظهار
اللطف فصرف عنه كيدهن حسب دعائه وثبته على العصمة والعفة انه هو السميع لدعاء
المتضرعين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم اى ظهر للعزيز واصحابه المتصدين
للحل والعقد ريثما اكتفوا بامر يوسف بالكتمان والاعراض عن ذلك من بعد ما رأوا الآيات
الصارفة لهم عن ذلك البداء وهى الشواهد الدالة على براءته عليه السلام وفاعل بدا اما
مصدره او الراى من السياق او المصدر المدلول عليه بقوله ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء او راى
او سجنه المحتوم قائلين والله ليسجننه فالقسم المحذوف وجوابه معمول للقول المقدر حالا
من ضميرهم وما كان ذلك البداء الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه فى الذروة
والغارب وكان مطواعا لها تقوده حيث شاءت قال السدى انها قالت للعزيز ان هذا العبد
العبرانى قد فضحنى فى الناس يخبرهم بانى راودته عن نفسه واما ان تأذن لى فاخرج

فاعتذ وا الى الناس واما ان تحبسه فحبسه ولقد ارادت بذلك تحقيق وعيدها لتلين به
عريكته وينقاد لها قرونه لما انصرمت حبال رجائها عن استتباعه بعرض الجمال والترغيب
بنفسها وباعوانها وقرئ لتسجننه على صيغة الخطاب بان خاطب بعضهم العزيز ومن يليه او
العزيز وحده على وجه التعظيم او خاطب به العزيز ومن عنده من اصحاب الراى المباشر
للسجن والحبس حتى حين الى حين انقطاع قالة الناس وهذا بادى الراى عند العزيز وذويه
واما عندها فحتى يذلله السجن ويسخره لها ويحسب الناس انه المجرم وقرئ عتى حين بلغة
هذيل ودخل معه اى فى صحبته السجن فتيان من فتيان الملك وهما كيكه احدهما شرابيه
والاخر خبازه روى ان جماعة من اهل مصر ضمنوا لهما مالا ليسما الملك فى طعامه وشرابه فاجابهم
الى ذلك ثم ان الساقى نكل عن ذلك ومضى عليه الخباز فلما حضر الطعام قال الساقى لا تأكل ايها
الملك فان الخبز مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فالشراب مسموم فقال الملك
للساقى اشربه فشربه فلم يضره وقال للخباز كله فابى فجرب بدابة فهلكت فامر بحبسهما
فاتفق ان ادخلاهما معه وتأخير الفاعل عن المفعول لما مر غير مرة من الاهتمام بالمقدم
والتشويق الى المؤخر ليتمكن عند النفس حين وروده عليها فضل تمكن ونظيره تقديم
الظرف على المفعول الصريح فى قوله تعالى فاوجس فى نفسه خيفة موسى وما حين السجن عن الظرف
لايهام العكس ان يكون الظرف خبرا مقدما على المبتدا وتكون الجملة من فاعل دخل فتامل
قال احدهما استيناف مبنى على سؤال من يقول ما صنعا بعدما دخل معه السجن فاجيب
بانه قال احدهما وهو الشرابى انى ارانى اى رايتنى والتعبير بالمضارع لاستحضار الصورة
الماضية اعصر خمرا اى عنبا سماه بما يؤول اليه لكونه المقصود العصر وقيل الخمر بلغة
عمان اسم للعنب وفى قراءة ابن مسعود اعصر عنبا وقال الاخر وهو الخباز انى ارانى احمل
فوق رأسى خبزا تأخير المفعول عن الظرف لما مر انفا وقوله تأكل الطير منه اى تنهش
منه صفة للخبز او استيناف مبنى على السؤال نبئنا بتأويله بتأويل ما ذكر من الرؤيين
او ما رؤى باجراء الضمير مجرى ذلك بطريق الاستعارة فان اسم الاشارة يشار به الى
متعدد كما فى قوله • فيها خطوط من سواد وبلق • كانه فى الجلد توليع البهق • اى كان ذلك
والسر فى المصير الى اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة مع انه لا حاجة اليه بعد تأويل
المرجع بما ذكر او بما رؤى ان الضمير انما يتعرض لنفس المرجع من حيث هو من غير تعرض
لحال من احواله فلا يتسنى تأويله باحد الاعتبارين الا باجراء مجرى اسم الاشارة الذى
يدل على المشار اليه بالاعتبار الذى جرى عليه فى الكلام فتامل هذا اذا قالاه معا او
قاله احدهما من جهتهما معا واما اذا قاله كل منهما اثر ما قص ما رآه فالخطاب المذكور
ليس عبارة عنهما ولا عبارة احدهما من جهتهما ليتعدد المرجع بل عبارة كل منهما نبئنى
بتأويله مستفسرا لما رآه وصيغة المتكلم مع الغير واقعة فى الحكاية دون المحكى على
طريقة قوله عز وجل يا ايها الرسل كلوا من الطيبات كانهم لم يخاطبوا بذلك دفعة بل
خوطب كل منهم فى زمانه بصيغة مفردة خاصة به انا نراك تعليل لعرض رؤياهما
عليه واستفسارهما منه عليه السلام من المحسنين من الذين يجيدون عبارة الرؤيا
لما رأياه يقص بعض اهل السجن رؤياه فياولها له تأويلا حسنا او من العلما لما سمعاه يذكر
للناس ما يدل على علمه وفضله او من المحسنين الى اهل السجن اى فاحسن الينا بكشف غمتنا
ان كنت قادرا على ذلك روى انه عليه السلام كان اذا مرض منهم رجل قام عليه واذا ضاق
مكانه اوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم
وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا تؤجروا فقالوا بارك الله عليك ما احسن
وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف
بن صفى الله يعقوب بن ذبيح الله اسحاق بن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن
لو استطعت خليت سبيلك ولكنى احسن جوارك فكن فى اى بيوت السجن شئت وعن
الشعبى انهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابى انى ارانى فى بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلثة
عناقيد من عنب فقطعتها وعصرتها فى كاس الملك وسقيته وقال الخباز انى ارانى وفوق
رأسى ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تنهش منها قال لا يأتيكما طعام
ترزقانه فى منامكما هذا حسب عادتكما المطردة الا نبأتكما بتأويله استثناء مفرغ من اعم الاحوال

اعم الاحوال اى لا يأتيكما طعام فى حال من الاحوال الا نبأتكما بان بينت لكما هيئته وكيفيته
وسائر احواله فاذلك بالنسبة الى مطلق الطعام المبهم بمنزلة التأويل بالنظر الى ما روى
فى المنام وسببه واما بطريق المشاكلة حسبما وقع فى عبارتهما من قولهما نبئنا بتأويله
ولا يبعد ان يراد بالتأويل الشىء الايل لا المال فانه فى الاصل جعل شيئا ايلا الى شىء اخر
فكما يجوز ان يراد به الثانى يجوز ان يراد به الاول فالمعنى انبأتكما طعاما من صفته كيت وكيت
فيجده كذلك ومراده عليه السلام بذلك بيان كل ما يهمهما من الامور المترقبة قبل
وقوعهما وانما تخصيص الطعام بالذكر لكونه عريقا فى ذلك بحسب الحال مع ما فيه من مراعاة
حسن التخلص اليه مما استعبراه من الرؤيين المتعلقتين بالشراب والطعام وقد حصل
الضمير لما قصا من الرؤيين على معنى لا يأتيكما طعام ترزقانه حسب عادتكما الا اخبرتكما بتأويل
ما قصصتما على قبل ان يأتيكما ذلك الطعام الموقت مرادا به الاخبار بالاستعجال فى التنبيه
وانت خبير بان النظم الكريم ظاهر فى تعدد اتيان الطعام والاخبار بتأويله وتجددهما وان
المقام مقام اظهار فضله فى فنون العلوم بحيث يدخل فى ذلك تأويل رؤياهما دخولا اوليا
وانما لم يكتف عليه السلام بمجرد تأويل رؤياهما مع ان فيه دلالة على فضله لانهما لما نعتاه
عليه السلام بالانتظام فى سمط المحسنين وانهما قد علما ذلك حيث قالا انا نراك من المحسنين
توسم عليه السلام فيهما خيرا وقبولا وتوجها الى قبول الحق فاراد ان يخرج اثر ذى اثير عما فى
عهدته من دعوة الخلق الى الحق فمهد قبل الخوض فى ذلك مقدمة تزيدهما علما بعظم شأنه وثقة
بامره ووقوفا على طبقته فى بدائع العلوم ويتوسل بذلك الى تحقيق ما يتوخاه وقد تخلص
اليها من كلامهما فكانه قال تأويل ما قصصتماه على فى طرف الثمام حيث رايتما مثاله فى
المنام فانى ابين لكما كل جليل ودقيق من الامور المستقبلة وان لم يكن هناك مقدمة المنام
حتى ان الطعام الموظف الذى يأتيكما كل يوم ابينه لكما قبل اتيانه ثم اخبرهما بان علمه ذلك
ليس من قبيل علوم الكهنة والعرافين بل هو فضل الهى يؤتيه من يشاء ممن يصطفيه للنبوة فقال
قبل ان يأتيكما ذلكما اى ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات ومعنى البعد فى ذلك للاشارة
الى علو درجته وبعد منزلته مما علمنى ربى بالوحى والالهام اى بعض منه او من ذلك الجنس
الذى لا يحوم حول ادراكه العقول ولقد دلهما بذلك على ان له علوما جمة ما سمعاه قطعة من
جملتها وشعبة من دوحتها ثم بين ان نيل تلك الكرامة بسبب اتباعه ملة ابائه الانبياء العظام
وامتناعه عن الشرك فقال انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهو استيناف وقع جوابا عن سؤال
نشأ من قوله ذلكما مما علمنى ربى وتعليلا له للتعليم الواقع صلة للموصول التأديته الى معنى
انه مما علمنى ربى لهذا السبب دون غيره ولا لمضمون الجملة الخبرية لان ما ذكر بصدد التعليل
ليس بعلة لكون التأويل المذكور بعضا مما علمه ربه او لكونه من جنسه بل لنفس تعليم ما علمه
فكانه لما ذا علمك ربك تلك العلوم البديعة فقيل لانى تركت ملة الكفر اى دينهم الذى
اجتمعوا عليه من الشرك وعبادة الاوثان والمراد بتركها الامتناع عنها راسا كما يفصح عنه
قوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء لا يتركها بعد ملابستها وانما عبر عنه بذلك
لكونه ادخل بحسب الظاهر فى اقتدائهما به عليه السلام والتعبير عن كفرهم بالله تعالى بسلب
الايمان به للتنصيص على ان عبادتهم له تعالى مع عبادة الاوثان ليس بايمان به تعالى كما هو
زعمهم الباطل على ما مر فى قوله تعالى انه عمل غير صالح وهم بالاخرة وما فيها من الجزاء هم كافرون
على الخصوص دون غيرهم لافراطهم فى الكفر واتبعت ملة ابائى ابراهيم واسحق ويعقوب
يعنى انه انما حاز هذه الكمالات وفاز بتلك الكرامات بسبب انه اتبع ملة ابائه الكرام ولم
يتبع ملة قوم كفروا بالمبدإ والمعاد وانما قاله عليه السلام ترغيبا لصاحبيه فى الايمان
والتوحيد وتنفيرا لهما عما كانا عليه من الشرك والضلال وقدم ذكر تركه لملتهم على ذكر
اتباعه لملة لان التخلية متقدمة على التحلية ما كان اى ما صح وما استقام فضلا
عن الوقوع لنا معاشر الانبياء لقوة نفوسنا ووفور علومنا ان نشرك بالله من شىء
اى شىء كان من ملك او جنى او انسى فضلا عن الجماد البحت ذلك اى التوحيد المدلول عليه
بقوله ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء من فضل الله علينا اى ناشئ من تأييده لنا بالنبوة
وترشيحه ايانا لقيادة الامة وهدايتهم الى الحق وذلك مع كونه من موجبات التوحيد
ودواعيه نعمة جليلة وفضل عظيم علينا بالذات وعلى الناس كافة بواسطتنا وحيث عبر بذلك

عن ذلك العنوان عبر عن التوحيد الذي يوجبه بالشكر فقيل ولكن اكثر الناس لا يشكرون اي لا
يوحدون فان التوحيد مع كونه من اثار ما ذكر من التاييد شكر لله عز وجل على تلك النعمة
وانما وضع الظاهر موضع المضمر الراجع الى الناس لزيادة توضيح وبيان ولقطع توهم رجوعه
الى المجموع الموهم لعدم اختصاص غير الشاكر بالناس وقيل ذلك التوحيد من فضل الله علينا حيث نصب
لنا ادلة ننظر فيها ونستدل بها على الحق وقد نصب مثل تلك الادلة لساير الناس ايضا ولكن اكثرهم لا ينظرون
ولا يستدلون بها اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين ولك ان تقول ذلك التوحيد من
فضل الله علينا حيث اعطانا عقولا ومشاعر نستعملها في دلايل التوحيد التي مهدها في الانفس
والافاق وقد اعطى ساير الناس ايضا مثلها ولكن اكثرهم لا يشكرون اي لا يصرفون تلك القوى
والمشاعر الى ما خلقت هي له ولا يستعملونها فيما ذكر من ادلة التوحيد والافاقية والانفسية والعقلية والنقلية
يا صاحبي السجن اي يا صاحبي في السجن كما تقول يا سارق الليلة ناداهما بعنوان الصحبة في مدار
الاشجان ودار الاحزان التي تصفو فيها المودة وتخلص النصيحة ليقبلا عليه ويقبلا مقالته
وقد ضرب لهما مثلا يتضح به الحق عندهما حق اتضاح فقال ءارباب متفرقون لا ارتباط
بينهم ولا اتفاق يستعبدكما كل منهم حسبما اراد غير مراتب للاخرين مع عدم استقلاله في خير
كما امر الله المعبود بالحق الواحد المتفرد بالالوهية القهار الغالب الذي لا يغالبه احد وبعد
ما بينهما على فساد تعدد الارباب بين لهما سقوطها بالتمام عن درجة الاعتبار راسا فضلا عن
الالوهية فقال معمما للخطاب لهما ولمن على دينهما ما تعبدون من دونه اي من دون الله شيئا الا اسماء
فارغة لا مطابق لها في الخارج لان ما ليس فيه مصداق اطلاق الاسم عليه لا وجود له اصلا فكانت
عبادتهم لتلك الاسماء فقط سميتموها جعلتموها اسماء وانما لم يذكر المسميات تربية لما
يقتضيه المقام من اسقاطها عن مرتبة الوجود وايذانا بان تسميتهم في البطلان حيث كانت بلا
مسمى كعبادتهم حيث كانت بلا معبود انتم واباؤكم بمحض جهلكم وضلالتكم ما انزل الله بها
اي بتلك التسمية المستتبعة للعبادة من سلطان من حجة تدل على صحتها ان الحكم في امر العبادة
المتفرعة على تلك التسمية الا لله عز سلطانه لانه المستحق لها بالذات اذ هو الواجب بالذات
الموجد للكل والمالك لامره امر استيناف مبني على سؤال ناشيء من قوله ان الحكم الا لله فكانه
قيل فماذا حكم الله تعالى في هذا الشان فقيل امر على السنة الانبياء عليهم السلام ان لا تعبدوا
اي بان لا تعبدوا الا اياه حسبما يقضي به قضية العقل ايضا ذلك اي تخصيصه تعالى بالعبادة
الدين القيم الثابت المستقيم الذي تعاضدت عليه البراهين ولكن اكثر الناس لا يعلمون
اي لا يعلمون شيئا اصلا فيعبدون اسماء سموها من تلقاء انفسهم معرضين عن البرهان العقلي
والسلطان النقلي وبعد تحقيق الحق ودعوتهما اليه وبيانه لهما مقداره الرفيع ومرتبة علمه
الواسع شرع في تفسير ما استفسراه ولكونه بحثا مغايرا لما سبق فصله عنه بتكرير الخطاب
فقال يا صاحبي السجن اما احدكما وهو الشرابي وانما لم يعينه ثقة بدلالة التعبير وتوسلا
بذلك الى ابهام امر صاحبه حذار مشافهته بما يسوءه فيسقي ربه اي سيده خمرا روي انه
عليه السلام قال له ما رايت من الكرمة وحسنها الملك وحسن حالك عنده واما القضبان
الثلاثة فثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى ما كنت عليه وقرئ عكرمة فيسقى
ربه على البناء للمفعول اي يسقى ما يروى به واما الاخر فهو الخباز فيصلب فتاكل الطير
من راسه روي انه عليه السلام قال له ما رايت من السلال الثلاثة ثلاثة ايام تمضي ثم
تخرج فتقتل قضي اي تم واحكم الامر الذي فيه تستفتيان وهو ما رأياه من الرؤيين
قطعا لا ماله الذي هو عبارة عن نجاة احدهما وهلاك الاخر كما يوهمه اسناد القضاء اليه
يكون عند الحادثة لا في حكمها يقال استفتى الفقيه في الحادثة اي طالب منه بيان حكمها ولا
يقال استفتاه في حكمها وكذا الافتاء يقال افتى فلان في الواقعة الفلانية بكذا ولا يقال
افتى في حكمها او جوابها بكذا وانما هو علم في ذلك قوله تعالى يا ايها الملأ افتوني في رؤياي
ومعنى استفتائهما فيه طلبهما لتاويله بقولهما نبئنا بتاويله وانما عبر عن ذلك بالامر وعن
طلب تاويله بقولهما نبئنا بتاويله وانما عبر عن ذلك بالاستفتاء تهويلا لامره وتفخيما لشانه
اذ الاستفتاء انما يكون في النوازل المشكلة الحكم المبهمة الجواب وايثار صيغة الاستقبال مع
سبق استفتائهما في ذلك لانهما بصدده الى ان يقضي عليه السلام من الجواب وطره ولاسناد القضاء
اليه مع انه من احوال ماله لانه في الحقيقة عين ذلك المال وقد ظهر في عالم المثال بتلك

الصورة

الصورة واما الا توحيده مع تعدد رؤياهما فوارد على حسب ما وحداه في قولهما نبئنا بتاويله
لا لان الامر ما اتهما به وسجنا لاجله من سم الملك فانهما لم يستفتيا فيه ولا فيما هو صورته
بل فيما هو صورة لماله وعاقبته فتامل وانما اخبرهما عليه السلام بذلك تحقيقا لتعبيره
وتاكيدا له وقيل لما عبر رؤياهما جحدا وقالا ما راينا شيئا فاخبرهما ان ذلك كاين صدقتما
او كذبتما ولعل الجحود من الخباز اذ لا داعي الى جحود الشرابي الا ان يكون ذلك لمراعاة جانبه
وقال اي يوسف عليه السلام للذي ظن انه ناج منهما اوثر على صيغة المضارع مبالغة في
الدلالة على تحقيق النجاة حسبما يفيده قوله تعالى قضي الامر الذي فيه تستفتيان وهو السر
في ايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال للذي ظنه ناجيا منهما من مصاحبيه وانما ذكر بوصف
النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عنده الملك وعنوان التقرب المفهوم من التعبير المذكور
وان كان ادخل في ذلك ادعى الى تحقيق ما وصاه به لكنه ليس بوصف فارق يدور عليه الامتياز
بينه وبين صاحبه المذكور بوصف الهلاك والظان هو يوسف عليه السلام لا صاحبه لان
التوصية المذكورة لا تدور على ظن الناجي بل هو على ظن يوسف وهو بمعنى اليقين كما في قوله تعالى
ظننت اني ملاق حسابيه فان التعبير بالوحي كما ينبئ عنه قوله تعالى قضي الامر الى اخره وقيل هو
بمعناه والتعبير بالاجتهاد والحكم بقضاء الامر ايضا لاجتهادي اذكرني بما انا عليه من الحال
والصفة عند ربك سيدك وصفني له بصفتي التي شاهدتها فانساه الشيطان اي انسى الشرابي
بوسوسته والقائه في قلبه اشغالا تعوقه عن الذكر والا فالانساء في الحقيقة لله عز وجل والفاء
للسببية فان توصيته عليه السلام المتضمنة للاستعانة بغيره سبحانه وتعالى كانت باعثة
لما ذكر من الانساء ذكر ربه اي ذكر الشرابي له عليه السلام الملك والاضافة لادنى ملابسة
او ذكر اخباره ربه فلبث اي يوسف بسبب ذلك الانساء او القول في السجن بضع سنين البضع ما
بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع واكثر الاقاويل انه لبث فيه سبع سنين وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد
الخمس والاستعانة بالعباد وان كانت مرخصة لكن اللائق بمناصب الانبياء عليهم السلام الاخذ
بالعزايم وقال الملك اي الريان اني ارى رايت وايثار صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية سبع
بقرات سمان جمع سمين وسمينة ككرام في جمع كريم وكريمة ويقال رجال كرام ونسوة كرام يأكلهن
اي اكلهن والعدول الى المضارع لاستحضار الصورة تعجيبا والجملة حال من البقرات او صفة لها سبع
عجاف اي سبع بقرات عجاف وهي جمع عجفاء والقياس عجف لان فعلاء وافعل لا تجمع على فعال ولكن
عدل به عن القياس حملا لاحد النقيضين على الاخر وانما لم يقل سبع عجاف بالاضافة لان التمييز
موضوع لبيان الجنس والصفة ليست بصالحة لذلك فلا يقال ثلاثة ضخام واربعة غلاظ واما
قولك ثلاثة فرسان وخمسة ركبان فلجريان الفارس والراكب مجرى الاسماء روي انه راى سبع
بقرات سمان خرجن من نهر يابس وخرج عقيبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلعت العجاف
السمان وسبع سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر يابسات اي وسبع اخر يابسات قد ادركت
والتوت على الخضر حتى غلبتها على ما روي ولعل عدم التعرض لذكره للاكتفاء بما ذكر من حال
البقرات يا ايها الملأ خطاب للاشراف من العلماء والحكماء افتوني في رؤياي هذه اي عبروها وبينوا
حكمها وما تؤول اليه من العاقبة والتعبير عن التعبير بالافتاء لتشريفهم وتفخيم امر رؤياه
ان كنتم للرؤيا تعبرون اي تعلمون عبارة جنس الرؤيا علما مستمرا وهي الانتقال من الصور
الخيالية المشاهدة في المنام الى ما هي صور وامثلة لها من الامور الافاقية والانفسية
الواقعة في الخارج من العبر وهو المجاوزة تقول عبرت النهر اذا قطعته وجاوزته ونحوه
اولتها اي ذكرت مالها وعبرت الرؤيا عبارة اثبت من عبرتها تعبيرا والجمع بين الماضي والمستقبل
للدلالة على الاستمرار كما اشير اليه واللام للبيان او لتقوية العامل المؤخر لرعاية الفواصل
او لتضمين تعبرون معنى فعل متعد باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارتها ويجوز ان
يكون للرؤيا خبر كان كما يقال فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبرا اخر
قالوا استيناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال الملأ للملك فقيل قالوا هي اضغاث
احلام اي تخاليطها جمع ضغث وهو في الاصل ما جمع من اخلاط النبات وحزم ثم استعير لما تجمعه
القوة المتخيلة من احاديث النفس ووساوس الشيطان وتريها في المنام والاحلام جمع حلم
وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها والاضافة بمعنى من اي هي اضغاث من احلام اخرجوها من

جنس الرؤيا التي لها عاقبة تؤول اليها ويعتنى بامرها وجمعوها وهي رؤيا واحدة مبالغة
في وصفها بالبطلان كما في قولهم فلان يركب الخيل ويلبس العمائم لمن لا يملك الا فرسا واحدا وعمامة
متفردة او لتضمنها اشيا مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف والسنابل السبع
الخضر والاخر اليابسات فتامل حسن موقع الاضغاث مع السنابل فلله در شان التنزيل
وما نحن بتاويل الاحلام اي المنامات الباطلة التي لا اصل لها بعالمين لا لان لها تاويلا ولكن
لا نعلمه بل لانه لا تاويل لها وانما التاويل للمنامات الصادقة ويجوز ان يكون ذلك اعترافا منهم
لقصور علمهم وانهم ليسوا بنحارير في تاويل الاحلام مع ان لها تاويلا كما يشعر به عدولهم
عما وقع في كلام الملك من العبارة المعربة عن مجرد الانتقال من الدال الى المدلول حيث لم
يقولوا بتعبير الاحلام او عبارتها الى التاويل المنبئ عن التصرف والتكلف في ذلك لما بين الآيل
والمآل من البعد ويؤيده قوله عز وجل انا انبئكم بتاويله وقال الذي نجا منهما اي من صاحبي
يوسف وهو الشرابي وادكر بغير المعجمة وهو الفصيح وعن الحسن بالمعجمة اي تذكر يوسف عليه
عليه السلام وشؤونه التي شاهدها ووصيته بتقريب رؤيا الملك واشكال تاويلها على الملأ
بعد امة اي مدة طويلة وقرئ امة بالكسر وهي النعمة اي بعد ما انعم عليه بالنجاة وامه اي
نسيان والجملة حال من الموصول او من ضميره في الصلة وقيل معطوفة على نجا وليس بذاك لان
حق من الصفة والصلة ان يكون معلومة الانتساب الى الموصول والموصوف عند المخاطب كما
عند المتكلم ولذلك قيل ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد العلم بها صفات
وانت تدري ان تذكره بعد امة انما علم بهذه الاية والجملة فلا مجال لنظمه بعد نجاته المعلومة
قبل في سلك الصلة انا انبئكم بتاويله اي اخبركم به بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقا نفسي
ولذلك لم يقل انا افتيكم بها وعقبه بقوله فارسلون اي الى يوسف وانما لم يذكره لما سبق
من التذكر وما لحق من قوله يوسف ايها الصديق اي ارسل اليه فاتاه فقال يا يوسف ووصفه
بالمبالغة في الصدق حسبما شاهده وذاق احواله وجربها لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس
انواره فهو من باب براعة الاستهلال افتنا في سبع بقرات سمان ياكلهن سبع عجاف وسبع
سنبلات خضر واخر يابسات اي في رؤيا ذلك وانما لم يصرح به لوضوح مرامه بقرينة
ما سبق من معاملتهما او لدلالة مضمون الحادثة عليه حيث لا مكان لوقوعه في عالم الشهادة
اي بين لنا مآلها وحكمها وحيث عاين علو رتبته عليه السلام في الفضل عبر عن ذلك بالافتا
ولم يقل كما قال هو وصاحبه اولا نبئنا بتاويله وفي قوله افتنا مع انه المستفتي اشعار بان الرؤيا
ليست له بل لغيره ممن له ملابسة بامور العامة وانه في ذلك معبر وسفير كما اذن بذلك
حيث قال لعلي ارجع الى الناس اي الى الملك ومن عنده او الى اهل البلد ان كان السجن في الخارج
كما قيل فانبئهم بذلك لعلهم يعلمون ذلك ويعملون بمقتضاه او يعلمون فضلك ومكانك مع ما
انت فيه من الحال فتتخلص منه وانما لم يبت القول في ذلك مجاراة منه على نهج الادب واحترازا
عن المجازفة اذ لم يكن على ثقة من الرجوع فربما اخترم دونه لعل المنايا دون ما تعدا فؤلا من
علمهم بذلك فربما لم يعلموه قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا قال يوسف
عليه السلام في التاويل فقيل قال تزرعون سبع سنين دابا قرئ بفتح الهمزة وسكونها وكلاهما
مصدر داب في العمل اذا جد فيه وتعب وانتصابه على الحالية من فاعل تزرعون اي دائبين
او تدابون دابا على انه مصدر مؤكد لفعل هو الحال اول عليه السلام البقرات السمان
والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة فاخبرهم بانهم
يواظبون سبع سنين على الزراعة ويبالغون فيها اذ بذلك يتحقق الخصب الذي هو مصداق
البقرات السمان وتاويلها ودلهم في تضاعيف ذلك على امر نافع لهم فقال فما حصدتم
اي في كل سنة فذروه في سنبله ولا تذروه لئلا ياكله السوس كما هو شان غلال مصر
ونواحيها ولعله عليه السلام استدل على ذلك بالسنبلات الخضر وانما امرهم بذلك اذ لم
يكن معتادا فيما بينهم وحيث كانوا معتادين الزراعة لم يامرهم بها وجعلها امرا محقق الوقوع
وتاويلا للرؤيا مصداقا لما فيها من البقرات السمان الا قليلا مما تاكلون في تلك السنين وفيه
ارشاد منه عليه السلام لهم الى التقليل في الاكل والاقتصار على استثناء الماكول دون
البذر لكون ذلك معلوما من قوله تزرعون سبع سنين وبعد اتمام ما امرهم به شرع في بيان
بقية التاويل الذي يظهر منه حكمة الامر المذكور فقال ثم ياتي وهو عطف على تزرعون فلا

وجه

وجه لجعله بمعنى الامر حثا لهم على الجد والمبالغة في الزراعة على انه يحصل بالاختيار بذلك ايضا من
بعد ذلك اي من بعد السنين السبع المذكورات وانما لم يقل من بعدهن قصدا الى الاشارة الى
وصفهن فان الضمير ساكت عن اوصاف المرجع بالكلية سبع شداد اي سبع سنين صعاب على الناس
ياكلن ما قدمتم لهن من الحبوب المتروكة في سنابلها وفيه تنبيه على ان امره عليه السلام بذلك
كان لوقت الضرورة واسناد الاكل اليهن مع انه حال الناس فيهن مجازي كما في نهاره صائم وفيه
تلويح بانه تاويل لاكل العجاف السمان واللام في لهن ترشيح لذلك فكانه ما ادخر في السنابل من الحبوب
شيء قد هيئ وقدم لهن كالذي يقدم للنازل والا فهو في الحقيقة مقدم للناس فيهن الا قليلا مما
تحصنون تحرزون لبذور الزراعة ثم ياتي من بعد ذلك اي من بعد السنين الموصوفة بما ذكر من
الشدة واكل الغلال المدخرة عام لم يعبر عنه بالسنة تحاشيا عن المدلول الاصلي لها من عام القحط
وتنبيها من اول الامر على اختلاف الحال بينه وبين السوابق فيه يغاث الناس من الغيث اي يمطرون
يقال غيثت البلاد اذا مطرت في وقت الحاجة او من الغوث يقال اغاثنا الله تعالى اي امدنا برفع
المكاره حين اظلتنا وفيه يعصرون اي ما من شانه ان يعصر من العنب والقصب والزيتون والسمسم
ونحوها من الفواكه لكثرتها والتعرض لذكر العصر مع جواز الاكتفا عنه بذكر الغيث المستلزم
له عادة كما اكتفي به عن ذكر تصرفهم في الحبوب اما لان استلزام الغيث له ليس كاستلزامه الحبوب
اذ المذكورات يتوقف صلاحها على مبادي اخرى غير المطر واما لمراعاة جانب المستفتي باعتبار حالته
الخاصة به بشارة له وهي التي يدور عليها حسن موقع تغليبه على الناس في القراءة بالفوقانية
وقيل معنى يعصرون يحلبون الضروع وتكرير فيه اما للاشعار باختلاف اوقات ما يقع فيه من
الغيث واما لان المقام مقام تعداد منافع ذلك العام ولاجله قدم في الموضعين على الفعلين فان
المقصود الاصلي بيان انه يقع في ذلك العام هذا النفع وذاك النفع لا بيان انهما يقعان في ذلك
العام كما يفيده التاخير ويجوز ان يكون التقديم للقصر على معنى ان غيثهم وعصرهم في سائر السنين
بمنزلة العدم بالنسبة الى تمامهم ذلك وان يكون ذلك في الاخير لمراعاة الفواصل وفي الاول
لرعاية حاله وقرئ يعصرون على البنا للمفعول من عصره اذا انجاه وهو المناسب للاغاثة ويجوز ان
يكون المبني للفاعل ايضا منه كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون اي يغيثهم الله ويغيث
بعضهم بعضا وقيل معنى يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة اما بتضمين اعصرت معنى مطرت
وتعديته تعديته واما بحذف الجار وايصال الفعل على ان الاصل اعصرت عليهم واحكام هذا
العام المبارك ليست مستنبطة من رؤيا الملك وانما تلقاها عليه السلام من جهة الوحي
فبشرهم بها بعدما اول الرؤيا بما اول وامرهم بالتدبير اللائق في شانه ابانة لعلو كعبه
ورسوخ قدمه في الفضل وانه محيط بما لم يخطر ببال احد فضلا عما يرى في صورته في المنام
على نحو قوله لصاحبه عند استفتائهم في منامهما لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله
واتماما للنعمة عليهم حيث لم يساركه عليه السلام في العلم بوقوعها احد ولو برؤية ما
يدل عليها في المنام وقال الملك بعدما جاءه الشرابي بالتعبير وسمع منه ما سمع من فضله
وفطنته ائتوني به لما علم من علمه وفضله فلما جاءه اي يوسف الرسول ليستدعيه الى الملك قال
ارجع الى ربك اي سيدك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن اي فتشه عن
شانهن وانما لم يقل فاساله ان يفتش عن ذلك حثا للملك على الجد في التفتيش ليتبين براءته ويتضح
نزاهته اذ السؤال مما يهيج الانسان على الاهتمام في البحث للتفصي عما توجه اليه واما
الطلب فمما قد يتسامح فيه ويتساهل ولا يبالي به وانما لم يتعرض لامراة العزيز مع ما لقي منها
ما لقي من مقاساة الاحزان ومعاناة الاسجان محافظة على مواجب الحقوق واحترازا عن مكرها
حيث اعتقدها مقيمة في عدوة العداوة واما النسوة فقد كان يطمع في صدعهن بالحق وشهادتهن
باقرارها بانها راودته عن نفسه فاستعصم ولذلك اقتصر على وصفهن بتقطيع الايدي ولم يصرح
بمراودتهن له وقولهن اطع مولاتك واكتفى بالايماء الى ذلك بقوله ان ربي بكيدهن عليم مجاملة
معهن واحترازا عن سوء مقالتهن عند الملك وانتصابهن للخصومة مدافعة عن انفسهن متى سمعن
بنسبته لهن الى الفساد قال استئناف مبني على السؤال كانه قيل فما كان بعد ذلك فقيل قال
الملك اثر ما بلغه الرسول الخبر واحضرهن ما خطبكن اي شانكن وهو الامر الذي يحق لعظمه ان
يخاطب المرء فيه صاحبه اذ راودتن يوسف وخادعتنه عن نفسه ودعوتنه الى طاعة مولاته
هل وجدتن فيه شيئا من سوء وريبة قلن حاش لله تنزيها له وتعجبا من نزاهته وعفته ما علمنا

عليه من سوء بالغ في نفي جنس السوء عنه بالتنكير وزيادة من قالت امراة العزيز وكانت حاضرة
في المجلس وقيل اقبلت النسوة عليها يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها بما قالت لهن ولقد
راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما امره ليسجنن وليكونن من الصاغرين فاقرت قايلة
الان حصحص الحق اي ثبت واستقر وتبين وظهر بعد خفا قاله الخليل وقيل هو ماخوذ من الحصة وهي
القطعة من الجملة اي تبين حصة الحق من حصة الباطل كما يتبين حصص الاراضي وغيرها
وقيل بان وظهر من حص شعره اذا استاصله بحيث ظهرت بشرة راسه وقرى على البنا للمفعول
من حصحص البعير مباركه اي القاها في الارض للاناخة قال الشاعر ○ فحصحص في صم الصفا ثفناته
وناء بسلمى نواة ثم صمما ○ والمعنى اقر الحق في مقره ووضعه في موضعه ولم ترد بذلك مجرد ما ظهر
بشهادتهن من مطلق نزاهته عليه السلام فيما احاط به علمهن من غير تعرض لنزاهته في ساير
المواطن خصوصا فيما وقع فيه التشاجر ولا بحث عن حال نفسها وما صنعت في ذلك بل ارادت
ظهور ما هو متحقق في نفس الامر وثبوته من نزاهته عليه السلام في محل النزاع وخيانتها فقالت
انا راودته عن نفسه لا انه راودني عن نفسي وانه لمن الصادقين اي في قوله حين افتريت عليه هي
راودتني عن نفسي وارادت بالان زمان تكلمها بهذا الكلام لا زمان شهادتهن فتامل ايها المتصف
هل ترى فوق هذه المرتبة نزاهة حيث لم تتمالك الخصما من الشهادة بها والفضل ما شهدت به
الخصما وانما تصدى عليه السلام لتمهيد هذه المرتبة المقدمة قبل الخروج ليظهر براءة ساحته
عما قرن به لاسيما عند العزيز قبل ان يحل ما عقده كما يعرب عنه قوله عليه السلام لما رجع اليه
الرسول واخبره بكلام هن ذلك اي ذلك التثبت المودي الى ظهور حقيقة الحال ليعلم اي العزيز
اني لم اخنه في حرمته بما زعمه لا علما مطلقا فان ذلك لا يستدعي تقديم التفتيش على الخروج من
السجن بل قبل ما ذكر من نقض ما ابرمه ولعله لمراعاة حقوق السيادة لان المباشرة للخروج من
جنسه قبل ظهور بطلان ما جعله سببا له وان كان ذلك بامر الملك مما يوهم الافتيات على رايه
واما ان يكون ذلك ليلا يتمكن من تقبيح امره عند الملك بجلالة لا مقتضا ما اقتضاه فلا يليق بشانه
عليه السلام في الوثوق بامره والتوكل على ربه جل جلاله بالغيب اي بظهر الغيب وهو حال
من الفاعل او المفعول اي لم اخنه وانا غايب عنه او وهو غايب عني او ظرف اي بمكان الغيب
وراء الاستار والابواب المغلقة وايا ما كان فالمقصود بيان كمال نزاهته عن الخيانة وغاية اجتنابه
عنها عند تعاضد اسبابها وان الله اي وليعلم انه تعالى لا يهدي كيد الخائنين اي لا ينفذه ولا
يسدده فيزهقه او لا يهديهم في كيدهم ايقاعا للفعل على الكيد مبالغة كما في قوله تعالى يضاهون
قول الذين كفروا اي يضاهي هولهم في امرهم تعريض بامراته في خيانتها امانته حين ساعدها
على حسبه بعدما راوا الايات نزاهته عليه السلام ويجوز ان يكون ذلك لتاكيد امانته وانه لو كان
خائنا لما هدى الله عز وجل امره واحسن عاقبته وما ابرئ نفسي اي لا انزهها عن السوء قاله
عليه السلام هضما لنفسه الكريمة البرية عن كل شي وريب ومكانها عن التزكية والاعجاب
بحالها عند ظهور كمال نزاهتها على اسلوب قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر
وتحديثا بنعمة الله عز وجل عليه وابرازا لسره المكنون في شان افعال العباد اي لا انزهها
عن السوء من حيث هي هي ولا اسند هذه الفضيلة اليها بمقتضى طبعها من غير توفيق من الله
عز وعلا ان النفس البشرية التي من جملتها نفسي فهي بذاتها لامارة بالسوء مايلة الى
الى الشهوات مستعملة للقوى والالات في ○ انما ذلك بتوفيق الله تعالى وعصمته ورحمته
كما يفيده ○ الا ما رحم ربي اي من النفوس التي يعصمها عن الوقوع في المهالك ومن جملتها نفسي
او هي امارة بالسوء في كل وقت الا وقت رحمة ربي وعصمته لها وقيل الاستثناء منقطع اي
لكن رحمة ربي هي التي تصرف عنها السوء كما في قوله تعالى ولا هم ينقذون الا رحمة ان ربي
غفور رحيم عظيم المغفرة لما يعتري النفوس بموجب طباعها ومبالغ في الرحمة لها بعصمتها من
الجريان بمقتضى ذلك في ايثار الاظهار في مقام الاضمار مع التعريض لعنوان الربوبية لتربية
مبادي المغفرة والرحمة قيل ان هذا من كلام امراة العزيز والمعنى ذلك الذي قلت ليعلم
يوسف عليه السلام اني لم اخنه ولم اكذب عليه في حال الغيبة وجئت بما هو الحق الواقع
وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة ○ قلت فيما قلت وفعلت ما فعلت ان كل نفس لامارة
بالسوء الا ما رحم ربي اي الا نفسا رحمها الله تعالى بالعصمة كنفس يوسف ان ربي غفور
لمن استغفر لذنبه واعترف به رحيم له فعلى هذا يكون تانيه عليه السلام في الخروج عن

السجن لعدم رضاه عليه السلام بملاقاة الملك وامره بين بين ففعل ما فعل حتى يتبين نزاهته
وانه انما سجن بظلم عظيم مع ما له من الفضل ونباهة الشان ليتلقاه الملك بما يليق به من الاعظام
والاجلال وقد وقع وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي اجعله خالصا لنفسي وخاصا بي فلما كلمه اي فاتوا به
فحمله للايتان بسرعة الاتيان به فكانه لم يكن بين الامر باحضاره والخطاب له زمان اصلا والضمير المستكن
في كلمه ليوسف والبارز للملك اي فلما كلمه يوسف اثر ما اتاه فاستنطقه وشاهد منه ما شاهد قال انك
اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة رفيعة امين موتمن على كل ما تقبل اليوم ليس بمعيار لمدة المكانة والامانة
بل هو ان التكلم والمراد تحديد مبدئهما احتراز عن احتمال كونهما بعد حين روي انه عليه السلام لما جاءه
الرسول خرج من السجن ودعا لاهله واغتسل ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك
بخيرك من خيره واعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان فقال
لسان ابائي وكان الملك يعرف بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال احب ان اسمع
منك رؤياي فحكاها ونعت له البقرات والسنابل واماكنها على ما راها فاجلسه على السرير وفوض اليه
امره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه في منصبه وزوجه راعيل فوجدها عذراء وولدت له افرايم
وميشا ولعل ذلك انما كان بعد تعيينه عليه السلام لما عين له من امر الخزائن كما يعرب عنه قوله عز
وجل قال اجعلني على خزائن الارض اي ارض مصر اي ولني امرها من الايراد والصرف اني حفيظ لها عما
لا يستحقها عليم بوجوه التصرف فيها وفيه دليل على جواز طلب الولاية اذا كان الطالب ممن يقدر
على اقامة العدل واجراء احكام الشريعة وان كان من يد الجائر والكافر وعن مجاهد انه اسلم الملك
على يده عليه السلام ولعل ايثاره عليه السلام لتلك الولاية خاصة انما كان للقيام بما هو اهم
امور السلطنة اذ ذاك من تدبير امر السنين حسبما فصل في التاويل لكونه من فروع تلك الولاية
لا لمجرد عموم الفايدة وجسوم العايدة كما قيل وانما لم يذكر اجابة الملك الى ما ساله عليه السلام من
جعله على خزائن الارض ايذانا بان ذلك امر لا مرد له غني عن التصريح به لاسيما بعد تقديم ما يندرج
تحته احكام السلطنة بجملتها من قوله انك اليوم لدينا مكين امين وللتنبيه على ان كل ذلك من الله
عز وجل وانما الملك آلة في ذلك قيل وكذلك اي ومثل ذلك التمكين البديع مكنا ليوسف اي جعلنا له
مكانا في الارض اي ارض مصر روي انها كانت اربعين فرسخا في اربعين وفي التعبير عن الجعل المذكور بالتمكين
في الارض مسندا الى ضميره عز سلطانه من تشريفه عليه السلام والمبالغة في كمال ولايته والاشارة
الى حصول ذلك من اول الامر لا انه حصل بعد السؤال ما لا يخفى يتبوأ منها ينزل من بلادها حيث
يشاء ويتخذه مباءة وهو عبارة عن كمال قدرته على التصرف فيها ودخولها تحت ملكته وسلطانه
فكانها منزله يتصرف فيها كما يتصرف الرجل في منزله وقرا ابن كثير بالنون روي ان الملك توجه
وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال عليه
السلام اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا
لباس ابائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك
وفوض اليه الملك امره واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء وباع من اهل مصر في سني القحط
الطعام في السنة الاولى بالدنانير والدراهم وفي الثانية بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى
استرقهم جميعا فقالوا ما راينا كاليوم ملكا اجل واعظم منه ثم اعتقهم ورد اليهم املاكهم وكان
لا يبيع من احد من الممتازين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس نصيب برحمتنا بعطائنا في الدنيا
من الملك والغنى وغيرهما من النعم من نشاء بمقتضى الحكمة الداعية الى المشيئة ولا نضيع اجر المحسنين
بل نوفيه بكماله وفيه اشعار بان مدار المشيئة المذكورة احسان من نصيبه الرحمة المرقومة
وانها اجر له ولما وقع توهم انحصار ثمرات الاحسان فيما ذكر من الاجر العاجل قيل على سبيل التوكيد
ولاجر الاخرة اي اجرهم في الاخرة والاضافة للملابسة وهو النعيم المقيم الذي لا نفاد له خير لهم
اي للمحسنين المذكورين وانما وضع موضعه الموصول فقيل للذين امنوا وكانوا يتقون تنبيها على
ان المراد بالاحسان انما هو الايمان والمداومة على الثبات على التقوى المستفاد من صفتي الماضي والمستقبل
وجاء اخوة يوسف ممتارين لما اصاب ارض كنعان وبلاد الشام ما اصاب مصر وقد كان ارسلهم
يعقوب عليه السلام جميعا غير بنيامين فدخلوا عليه اي على يوسف وهو في مجلس ولايته
فعرفهم لقوة فهمه وعدم مباينة احوالهم السابقة لحالهم يومئذ لمفارقته اياهم وهم رجال وتشابه
هيئاتهم وزيهم في الحالين ولكون همته معقودة بهم وبمعرفة احوالهم لاسيما في زمن القحط وهم
له منكرون اي والحال انهم منكرون له لطول العهد وتباين ما بين حاليه وفهمهم حتى تعرفوا له وهم

حاليه عليه السلام في نفسه ومنزلته وزيه ولاعتقادهم هلاكه وحيث كان انكارهم له امرا
مستمرا في حالتي المحضر والمغيب اخبر عنه بالجملة الاسمية بخلاف عرفانه عليه السلام اياهم ولما جهزهم
بجهازهم اي اصلحهم بعدتهم من الزاد وما يحتاج اليه المسافرون واوقر ركائبهم بما جاءوا له من الميرة وقرئ
بكسر الجيم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لم يقل باخيكم مبالغة في اظهار عدم معرفته لهم ولعله عليه
السلام انما قال له لما قيل من انهم سالوه عليه السلام حملا زائدا على المعتاد لبنيامين فاعطاهم ذلك
وشرطهم ان ياتوا به ليعلم صدقهم او لما قيل من انه لما راوه وكلموه بالعبرية قال لهم من انتم فاني انكركم فقالوا نحن
قوم من اهل الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لهم لعلكم جئتم عيونا قالوا معاذ الله نحن
اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبيا اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثني عشر
فهلك منا واحد فقال لكم انتم هنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا هو عند ابيه يتسلى
به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم عيونا وان ما تقولون حق قالوا نحن ببلاد لا يعرفنا فيها
احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من
ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا فاصاب القرعة شمعون فخلفوه عنده ولا يساعده وروده الامر
بالاتيان به عند ولا الحث عليه بايفاء الكيل ولا الاحسان في الانزال ولا الاقتصار على منع الكيل
على تقدير عدم الاتيان به ولا جعل بضاعتهم في رحالهم لاجل رجوعهم ولا عدتهم بالاتيان به
بطريق المراودة ولا تعليلهم عند ابيهم ارسال اخيهم بمنع الكيل من غير ذكر الرسالة على ان ذكر
استيفاء شمعون لو وقع لكان ذلك طامة يشيب عندها الطفل وقال الا ترون اني اوفي الكيل
اتمه لكم وايثار صيغة الاستقبال مع كون هذا الكلام بعد التجهيز للدلالة على ان ذلك عادة له
مستمرة وانا خير المنزلين فيما يليق والحق ولذلك اخبر عنه بالجملة الاسمية ولم يقله عليه السلام
بطريق الامتنان بل لحثهم على تحقيق ما امرهم به والاقتصار في الكيل على ذكر الايفاء لان معاملته
عليه السلام معهم في ذلك كمعاملته مع غيرهم في مراعات مواجب العدل واما الضيافة
فليس للناس فيها حق فخصهم في ذلك بما شاء فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي من بعد فضلا عن
ايفائه ولا تقربون بدخول بلادي فضلا عن الاحسان في الانزال والضيافة وهو اما نهي او نفي
معطوف على محل الجزاء وفيه دليل على انهم كانوا على نية الامتيار مرة اخرى وان ذلك كان معلوما
له عليه السلام قالوا سنراود عنه اباه اي سنخادعه عنه ونحتال في انتزاعه من يده ونجتهد
في ذلك وفيه تنبيه على عزة المطلب وصعوبة مناله وانا لفاعلون ذلك غير مفرطين فيه
ولا متوانين او لقادرون عليه لا نتعانى به وقال يوسف لفتيانه غلمانه الكيالين جمع فتى
وقرئ لفتيته وهي جمع قلة له اجعلوا بضاعتهم في رحالهم فانه وكل بكل رحل رجلا يعبي فيه
بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وادما وانما فعله عليه السلام تفضلا عليهم
وخوفا من ان لا يكون عند ابيه ما يرجعون به مرة اخرى وكل ذلك لتحقيق ما يتوخاه من
رجوعهم باخيه كما يؤذن به قوله لعلهم يعرفونها اي يعرفون حق ردها والتكرم في ذلك
او لكي يعرفونها وهو ظاهر لتعلق بقوله اذا انقلبوا الى اهلهم فان معرفتهم لها مقيدة بذلك
لكن لا لان ابتداؤها حينئذ قيدت به لعلهم يرجعون حسبما امرتهم به فان التفضل عليهم باعطاء
البدلين لا سيما عند اعواز البضاعة من اقوى الدواعي الى الرجوع وما قيل انما فعله عليه
السلام لما لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخوته ثمنا فكلام حق في نفسه ولكن يأباه التعليل
المذكور واما ان علته لجعل المذكور للرجوع من حيث ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لانهم
لا يستحلون امساكها فمداره حسبانهم انها بقيت في رحالهم نسيانا وما ظاهر ان ذلك مما لا
يخطر ببال احد اصلا فان هيئة التعبية تنادي بان ذلك بطريق التفضل الا ترى انهم كيف
جزموا بذلك حين راوها وجعلوا ذلك دليلا على التفضلات السابقة كما ستحيط به خبرا
فلما رجعوا الى ابيهم قالوا قبل ان يشتغلوا بفتح المتاع يا ابانا منع منا الكيل اي فيما بعد وفيه
ما لا يخفى من الدلالة على كون الامتيار مرة بعد مرة معهودا فيما بينهم وبينه فارسل معنا
اخانا بنيامين الى مصر وفيه ايذان بان مدار المنع عدم كونه معهم نكتل بسببه من الطعام
ما نشاء وقرا حمزة والكسائي بالياء على اسناده الى الاخ لكونه سببا للاكتيال او يكتل لنفسه
مع اكتيالنا وانا له لحافظون من ان يصيبه مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على اخيه
يوسف من قبل وقد قلتم في حقه ايضا ما قلتم ثم فعلتم به ما فعلتم فلا اثق بكم ولا بحفظكم وانما افوض
الامر الى الله فالله خير حفيظا وقرئ حافظا وانتصابهما على التمييز والحالية على القراءة الاولى

توهم

توهم تقييد الخيرية بتلك الحالة فالله خير حفيظا وقرئ حافظا وانتصابهما على التمييز والحالية
على القراءة الاولى توهم الى وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين وهذا
كما ترى ميل منه عليه السلام الى الاذن والارسال لما فيه من المصلحة ولما فتحوا متاعهم وجدوا
بضاعتهم ردت اليهم اي تفضلا وقد علموا ذلك بما مر من دلالة الحال وقرئ بنقل حركة الدال
المدغمة الى الراء كما قيل وكيل قالوا استئناف مبني على السؤال كانه قيل ماذا قالوا حينئذ فقيل قالوا
لابيهم ولعله كان حاضرا عند الفتح يا ابانا ما نبغي اذا فسر البغي بالطلب فما اما استفهامية منصوبة به
فالمعنى ماذا نبغي وراء ما وصفنا لك من احسان الملك الينا وكرمه الداعي الى امتثال امره والمراجعة
اليه في الحوائج وقد كانوا اخبروه بذلك وقالوا له انا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان
رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته وقوله تعالى هذه بضاعتنا ردت الينا جملة مستانفة موضحة
لما دل عليه الانكار من بلوغ اللطف غايته كانهم قالوا كيف لا وهذه بضاعتنا ردها الينا تفضلا من حيث
لا ندري بعد ما من علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه ولم يريدوا به الاكتفاء بذلك
مطلقا والتقاعد عن طلب نظايره بل ارادوا الاكتفاء به في استيجاب الامتثال لامره والالتجاء اليه في
استجلاب المزيد كما اشرنا اليه وقوله تعالى ردت الينا حال من بضاعتنا والعامل معنى الاشارة و
ايثار صيغة البناء للمفعول للايذان بكمال الاحسان الناشئ عن كمال الاخفاء المفهوم من كمال غفلتهم
عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله وقوله عز وجل ونمير اهلنا اي نجلب اليهم الطعام من عند الملك
معطوف على مقدر ينسحب عليه رد البضاعة اي فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا من المكاره حسبما
وعدنا فما يصيبه من مكروه ونزداد اي بواسطته ولذلك وسط الاخبار بحفظه بين الاصل والمزيد
كيل بعير اي وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا على قضية التقسيط ذلك اي ما يحمله اباعرنا كيل يسير
اي مكيل قليل لا يقوم باودنا فهو استئناف وقع تعليلا لما سبق كانه قيل اي حاجة الى الازدياد فقيل ما
قبل او ذلك الكيل الزائد شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك او سهل عليه لا يتعاظمه او اي مطلب
نطلب من مهماتنا والجمل الواقعة بعده توضيح وبيان لما يشعر به الانكار من كونهم فائزين ببعض
المطالب او متمكنين من تحصيله فكانهم قالوا بضاعتنا حاضرة فنستظهر بها ونمير اهلنا ونحفظ اخانا فما
يصيبه شيء من المكاره ونزداد بسببه غير ما نكتاله لانفسنا كيل بعير فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي
وقرئ ما تبغي على خطاب يعقوب عليه السلام اي اي شيء تبغي وراء هذه المباغي المشتملة على سلامة
اخينا وسعة ذات ايدينا او وراء ما فعل بنا الملك من الاحسان داعيا الى التوجه اليه والجملة الاستئنافية
موضحة لذلك او اي شيء تبغي شاهدا على صدقنا فيما وصفنا لك من احسانه والجملة المذكورة عبارة
عن الشاهد المدلول عليه بفحوى الانكار وما نافية فالمعنى ما نبغي شيئا غير ما راينا من احسان الملك
الينا وكرمه الموجب لما ذكرنا والجملة المستانفة لبيان ما ادعوا من عدم البغي وقوله ونمير اهلنا عطف
على ما نبغي فيما ذكرنا من احسانه وتحصيل امثاله من ميرة اهلها وحفظ اخينا فان ذلك اهون شيء
بواسطة احسانه وقد جوز ان يكون كلاما اي جملة اعتراضية تذييلية على معنى وينبغي ان نمير اهلنا
وشبه ذلك بقولك سعيت في حاجة فلان ويجب ان اسعى وانت خبير بان شان الجمل التذييلية
ان تكون مؤكدة لمضمون الصدر ومقررة له كما في المثال المذكور وقولك فلان ينطق بالحق والحق
ابلج وان قوله ونمير الخ وان ساعدنا في حمله على معنى ينبغي ان نمير اهلنا بمعزل من ذلك او ما نبغي في الراي
وما نتعدى عن الصواب فيما نشير به عليك من ارسال اخينا معنا والجمل على الاخيرة تفصيل وبيان
لعدم بغيهم واصابة رايهم اي بضاعتنا حاضرة نستظهر بها ونمير اهلنا ونصنع كيت وكيت فتامل
قال لن ارسله معكم بعد ما عاينت منكم ما عاينت حتى تؤتون موثقا من الله اي ما اتوثق به من
جهة الله عز وجل وانما جعله موثقا منه تعالى لان توكيد العهود به ماذون فيه من جهته
تعالى فهو اذن فيه من جهته تعالى فهو اذن منه عز وعلا لتاتنني به جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا
بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم اي الا ان تغلبوا فلا تطيقوا به او الا ان تهلكوا واصله من احاطة العدو
فان من احاط به العدو فقد هلك غالبا وهو استثناء من اعم الاحوال او اعم العلل على تاويل الكلام
بالنفي الذي ينساق اليه لتاتنني به ولا تمتنعون منه في حال من الاحوال او لعلة من العلل الا حال
الاحاطة بكم او لعلة الاحاطة بكم ونظيره قولهم اقسمت عليك لما فعلت والا فعلت اي ما اريد
منك الا فعلك وقد جوز الاول بلا تاويل ايضا اي لتاتنني به على كل حال الا حال الاحاطة بكم
وانت تدري انه حيث لم يكن الاتيان به من الافعال الممتدة الشاملة للاحوال على سبيل المعية
كما في قولك لالزمنك الا ان تعطيني حقي ولم يكن مراده عليه السلام مقارنته على سبيل

البدل لما عدا الحال المستثناة كما اذا قلت • صل الا ان تكون محدثا • بل مجرد تحققه ووقوعه من
غير اخلال به كما في قولك لا حجرا العام الا ان احصى فان مرادك انما هو الاخبار بعدم منع
ما سوا حال الاحصار عن الحج لا الاخبار بمقارنته لتلك الاحوال على سبيل البدل كما هو د
مرادك مثال الصلوة كان اعتبار الاحوال معه من حيث عدم منعها منه قال المعنى الى
التاويل المذكور فلما اوتوه موثقهم عهدهم من الله حسبما اراد يعقوب عليه السلام د
قال الله على ما نقول اى على ما قلنا في اثنا طلب الموثق وايتايه من الجانبين وايثار صيغة د
الاستقبال لاستحضار صورته المودي الى تثبتهم ومحافظتهم على تذكره ومراقبته وكيل
مطلع رقيب يريد به عرض ثقته بالله تعالى وحثهم على مراعاة ميثاقهم وقال ناصحا لهم لما
ازمع على ارسالهم جميعا يا بني لا تدخلوا مصر من باب واحد نهاهم عن ذلك حذارا من اصابة
العين فانهم كانوا ذوي جمال وسارة حسنة وقد كانوا تجملوا في هذه الكرة اكثر مما في المرة الاولى
وقد اشتهروا في مصر بالكرامة والزلفى لدى الملك بخلاف التوبة الاولى فكانوا مظنة لد
نوكل ناظر • وطموح كل طامح واصابة العين بتقدير العزيز الحكيم • ليست مما ينكر وقد ورد عنه
عليه السلام ان العين حق وعنه عليه السلام ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر وقد
وقد كان صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما اعوذ بكلمات الله التامة
من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة وكان يقول كان ابوكما يعوذ بها اسماعيل واسحاق
عليهما السلام رواه البخاري في صحيحه وقد شهدت بذلك التجارب ولما لم يكن عدم الدخول
من باب واحد من نوع اجتماع تصحح لوقوع المحذور قال وادخلوا من ابواب متفرقة بيانا لما
هو المراد بالنهي المراد بالنهي المذكور وانما لم يكتف بهذا الامر مع كونه مستلزما له اظهارا
لكمال العناية به وايذانا بانه المراد بالنهي المذكور ولا تحقيق شيء وما اغني عنكم
اى لا انفعكم ولا ادفع عنكم بتدبيري من الله من شيء اى شيئا مما قضى عليكم فان الحذر لا يمنع
القدر ولم يرد به عليه السلام الغا الحذر بالمرة كيف لا وقد قال عز وعلا ولا تلقوا بايديكم
الى التهلكة وقال خذوا حذركم بل اراد بيان ما وصاهم به ليس مما يستوجب المراد لا محالة
بل هو تدبير في الجملة وانما التاثير وترتب المنفعة عليه من العزيز القدير وان ذلك ليس
بما فعه للقدر بل هو استعانة بالله تعالى وهرب منه اليه ان الحكم مطلقا الا لله لا يشاركه
احد ولا يمانعه شيء عليه لا على احد سواه توكلت في كل ما اتي وما اذر وفيه دلالة على ترتيب
الاسباب غير مخل بالتوكل وعليه دون غيره فليتوكل المتوكلون جمع بين الحرفين في عطف الجملة
على الجملة مع تقديم الصلة للاختصاص مفيدا بالواو عطف فعل غيره من تخصيص التوكل بالله
عز وجل على فعل نفسه والفا سببيه فعله لكونه نبيا لفعل غيره من المقتدين فيدخل فيهم
بنوه دخولا اوليا وفيه ما لا يخفى من حسن هدايتهم وارشادهم الى التوكل فيما هم بصدده
على الله عز وجل غير معتمدين بما وصاهم به من التدبير ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم من الابواب
المتفرقة من البلد قيل كانت له اربعة ابواب فدخلوا منها وانما اكتفى بذكر امتثالهم لامه الانتهاء
عما نهوا عنه ما كان يغني عنه ذلك الدخول يعني فيما سيأتي عند وقوع ما وقع عنهم عن الداخلين
لان المقصود به استدفاع الضرر عنهم والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل لتحقق المقارنة
الواجبة بين جواب لما ومدخوله فان عدم اغنائه بالفعل انما يتحقق عند نزول المحذور
لا وقت الدخول وانما المتحقق حينئذ ما افاده الجمع المذكور من عدم كون الدخول المذكور
مغنيا فيما سيأتي فتامل من الله من جهته من شيء اى شيئا مما قضاه عليهم مع كونه مظنة
لذلك في بادي الرأي حيث وصاهم به يعقوب عليه السلام وعملوا بموجبه وان تغن
بجدواه من فضل الله تعالى فليس المراد بيان سببية الدخول المذكور لعدم الاغنا
كما في قوله تعالى فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا فان مجيء النذير هناك سبب لزيادة
نفورهم بل بيان عدم سببيته للاغنا مع كونه متوقعة في بادي الرأي كما في قولك خلف ان
نفطح حتى عند حلول الاجل فلما حل لم يعطني شيئا فان المراد بيان عدم سببية حلول الاجل
للاعطا مع كونها موجوة بموجب الخلف لا بيان سببية لعدم الاعطا فالمال عدم ترتب
عدمه عليه ويجوز ان يراد ذلك ايضا بناء على ما ذكره عليه السلام في تضاعيف وصيته
من انه لا يغني عنهم من الله شيئا فكانه قيل ولما فعلوا ما وصاهم به لم يفد ذلك شيئا
ووقع الامر حسبما قال عليه السلام فلقوا ما لقوا فيكون من باب وقوع تمكن المتوقع

فتامل

فتامل الا حاجة الاستثنا منقطع اى ولكن حاجة وحزازة كاينة في نفس يعقوب قضاها اى
اظهرها ووصاهم بها دفعا للمخاطرة غير معتقد ان للتدبير تاثيرا في التغيير التقدير وقد جعل ضمير الفاعل
في قضاها للدخول فضمير حاجة في نفس يعقوب وهي ارادته ان يكون دخولهم من ابواب متفرقة د
فالمعنى ما كان ذلك الدخول يغني عنهم من جهة الله شيئا ولكن قضى حاجة حاصلة في نفس يعقوب بوقوعه
حسب ارادته فالاستثنا منقطع ايضا وعلى التقدير لم يكن للتدبير فايدة سوى دفع المخاطرة واما اصابة
العين فانها لم تقع لكونها غير مقدرة عليهم لا لانها اندفعت بذلك مع كونها مقتضية عليهم وانه لذو
علم جليل لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحي ونصب الادلة حيث لم يعتقد ان الحذر يدفع القدر وان التدبير
له حظ من التاثير حتى يتبين الخلل في رايه عند تخلف الاثر او حيث بت القول بانه لا يغني عنهم من الله
شيئا فكان الحال كما قال وفي تاكيد الجملة بان واللام وتنكير العلم وتعليله بالتعليم المسند الى ذاته سبحانه
من الدلالة على جلالة شانه يعقوب عليه السلام وعلو مرتبة علمه وفخامته ما لا يخفى ولكن اكثر
الناس لا يعلمون اسرار القدر ويزعمون انه يغني عنهم الحذر واما ما يقال من ان المعنى لا يعلمون د
ايجاب الحذر مع انه لا يغني شيئا من القدر فياباه مقام ما تخلف المطلوب على المبادي ولما دخلوا
على يوسف اوى اليه اخاه بنيامين في ضمه اليه في الطعام او في المنزل او فيهما روي انهم لما دخلوا
عليه قالوا له هذا اخونا قد جئناك به فقال لهم احسنتم وستجدون ذلك عندي فاكرمهم واضافهم
واجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف
بقي اخيكم فريدا واجلسه معه على مائدته وجعل يواكله ثم انزل كل اثنين منهم بيتا فقال لهذا الاثنان
معه فيكون معي فبات يوسف يضمه اليه ويشم رايحته حتى اصبح وساله عن والده فقال لي عشرة
بنين اشتققت اسماءهم من اسم اخ لي هلك فقال له اتحب ان اكون اخيك بدل اخيك الهالك
قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام عليه وعانقه وتعرف اليه
وعند ذلك قال اني انا اخوك يوسف فلا تبتئس اى فلا تحزن بما كانوا يعملون بنا فيما مضى فان الله تعالى
قد احسن الينا وجمعنا بخير لا تعلمهم بما اعلمتك قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وعن وهب انه لم
يتعرف اليه بل قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود ومعنى فلا تبتئس لا تحزن بما كنت تلقاه من الحسد
والاذى فقد امنتهم وروي انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت باغتمام والدي بي فاذا حبستك
يزداد غمه ولا سبيل الى ذلك الا ان اشهرك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك قال ادس صاعي
في رحلك ثم انادي عليك بانك سرقته ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك معهم قال افعل فلما جهزهم
بجهازهم جعل السقاية اى المشربة قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى
بها الدواب ويكال بها الحبوب وكانت من فضة وقيل من ذهب وقيل من فضة مموهة بالذهب
وقيل كانت اناء مستطيلة تشبه المكوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه يستعمله الاعاجم وقيل
كانت مرصعة بالجواهر في رحل اخيه بنيامين وقرئ وجعل على حذف جواب لما تقديره امهلهم حتى
انطلقوا ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير وهي الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اى تجيء د
وتذهب وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل مثل سقف
وسقف فعل به ما فعل بيض وعين والمراد اصحابها كما في قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله
اركبي روي انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا منزلا وقيل خرجوا من العمارة ثم امر بهم
فادركوا وقيل لهم انكم لسارقون هذا الخطاب ان كان بامر يوسف فلعله اريد بالسرقة اخذهم
له من ابيه ودخول بنيامين فيه بطريق التغليب والا فهو من قبل المؤذن بناء على زعمه
والاول هو الاظهر والاوفق بالسياق وقرئ انكم في سارقون بلا لام قالوا اى الاخوة واقبلوا
عليهم جملة حالية من ضمير قالوا جيء بها للدلالة على انزعاجهم بما سمعوا لمباينته حالهم ماذا تفقدون
اى تعدمون تقول فقدت الشيء اذا عدمته بان ضل منك لا بفعلك والمال ماذا ضاع عنكم وصيغة
المستقبل لاستحضار الصورة وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا وعلى التقديرين
فالعدول عما يقتضيه الظاهر من قولهم ماذا سرق منكم لبيان كمال نزاهتهم باظهار انه لم يسرق
منهم شيء فضلا ان يكونوا هم السارقين له وانما الممكن ان يضيع منهم شيء فيسالوا انه ماذا وفيه
ارشادهم الى مراعاة حسن والاحتراز عن المجازفة ونسبة البرادة الى ما لا خير فيه لا سيما
بطريق التوكيد فلذلك غيروا كلامهم حيث قالوا في جوابهم نفقد صواع الملك ولم يقولوا
سرقتموه او سرق وقرئ صاع وصوع بفتح الصاد وضمها وباهمال العين واعجامها من الصياغة
ثم قالوا ارشدية لما تلقوه من فعلهم وما رآه الاعتقاد انه انما نفى في رحلهم اتفاقا ولمن جاء به من
عند نفسه مظهرا له قبل التفتيش بها حمل بعير من الطعام جعلا له لا على نية تحقق الوعد بجرمهم

بامتناع وجود الشرط وعزمهم على ما لا يخفى من اخذ من وجد في رحله وانا به زعيم كفيل اوديه اليه وهو
قول المؤذن قالوا تالله للجمهور على ان التاء بدل من الواو وكذلك لا تدخل الا على الجلالة المعظمة او الترب
المضاف الى الكعبة او الرحمن في قول ضعيف ولو قلت تالرحيم لم يجز وقيل من الباء وقيل اصل بنفسها وايا ما
كان ففيه تعجب ولقد علمتم فيما جاءنا مطابقا للواقع ما جئنا لنفسد في الارض اي لنسرق فانه من اعظم
انواع الافساد او لنفسد فيها اي فساد كان نعزاوهان فضلا عما نسبتمونا اليه من السرقة ونفي المجيء
للافساد وان لم يكن مستلزما لما هو مقتضى المقام من نفي الافساد مطلقا لكنهم جعلوا المجيء الذي
يترتب عليه ذلك لكن بطريق الاتفاق مجيئا لغرض الافساد مفعولا لاجله ادعاء اظهارا لكمال قبحه
عندهم وتربة لاستحالة صدوره عنهم كما قيل في قوله تعالى ما يبدل القول لدي وما انا بظلام
للعبيد الدال بظاهره على نفي المبالغة في الظلم دون النفي الظلم في الجملة الذي هو مقتضى المقام من ان
المعنى اذا عذبت من لا يستحق التعذيب كنت ظلاما مفرطا في الظلم فكانهم قالوا ان صدر عنا افساد
كان مجيئنا لذلك مريدين به تقبيح حاله واظهارا لكمال نزاهتهم عنه يعنون انه قد شاع بينكم في كرة
مجيئنا ما نحن عليه وقد كانوا في غاية ما يكون من الديانة والصيانة فيما ياتون ويذرون حتى روى
انهم دخلوا مصر وافواه رواحلهم مكعومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد وكانوا مثابرين
على فنون الطاعات وعلمتم بذلك انه لا يصدر عنا افساده وما كنا سارقين اي ما كنا نوصف
بالسرقة قط وانما حكموا بعلمهم ذلك لان العلم باحوالهم الشاهدة يستلزم العلم باحوالهم الفائتة وانما
لم يكتفوا بنفي الامرين المذكورين بل استشهدوا بعلمهم ذلك الزاما للحجة عليهم وتحقيقا للتعجب المفهوم
من تاء القسم قالوا اي اصحاب يوسف عليه السلام فما جزاؤه الضمير للصواع على حذف المضاف
اي فما جزاء سرقته عندكم وفي شريعتكم ان كنتم كاذبين لا في دعوى البراءة عن السرقة فانهم صادقون فيما
يستلزمه ذلك من نفي كون الصواع فيه كما يؤذن فيه قوله عز وجل قالوا جزاؤه من وجد اي اخذ
من وجد الصواع في رحله حيث ذكر بعنوان الوجدان في الرحل دون عنوان السرقة وان كان ذلك
مستلزما لها في اعتقادهم المبني على قواعد عادية ولذلك اجابوا بما اجابوا فان الاخذ والاسترقاق
سنة انما هو جزاء السارق دون من وجد في يده مال غيره كيف ما كان فتأمل واحمل كلام كل
فريق على ما لا يزاحم رأيه فانه اقرب الى معنى الكيد وابعد من الافتراء وقوله فهو جزاؤه تقرير
لذلك الحكم اي فاخذه جزاؤه لقولك حق الضيف ان يكرم فهو حقه ويجوز ان يكون جزاؤه
مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد في
رحله فهو هو على ان الاول مبتدأ والثاني للظاهر الذي وضع موضعه كذلك اي مثل ذلك الجزاء
الاوفى نجزي الظالمين بالسرقة تأكيد للحكم المذكور غب تأكيد وبيان لقبح السرقة ولقد فعلوا
ذلك ثقة بكمال براءتهم عنها وهم عما فعل بهم غافلون فبدأ يوسف بعد ما رجعوا اليه للتفتيش
باوعيتهم باوعية الاخوة العشرة اي بتفتيشها قبل تفتيش وعاء اخيه بنيامين لنفي التهمة روي
انه لما بلغت التوبة الى وعائه قال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا تتركه حتى تنظر في
رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا ثم استخرجها اي السقاية او الصواع فانه يذكر ويؤنث
من وعاء اخيه لم يقل منه على رجع الضمير الى الوعاء او من وعائه على رجعه الى اخيه قصدا الى
زيادة كشف وبيان وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة كما في اشاح في وشاح كذلك نصب على المصدر
والكاف مقحمة للدلالة على فخامة المشار اليه وبذلك ما في معنى البعد اي مثل ذلك الكيد
العجيب وهو عبارة عن ارشاد الاخوة الى الافتاء المذكور باجرائه على السنتهم وبحملهم عليه
بواسطة المستفتين من حيث لم يحتسبوا فمعنى قوله عز وجل كدنا ليوسف صنعنا له ودبرنا
لاجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما تلوه فاللام ليست كما في
قوله تعالى فيكيدوا لك كيدا فانها داخلة على المتضرر على ما هو الاستعمال الشائع وقوله تعالى
ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه لا تفسير وبيان له
كانه قيل لماذا فعل فقيل لانه لم يكن ليأخذ اخاه بما فعله في دين الملك في امر السارق
اي في سلطانه قاله ابن عباس او في حكمه وقضائه قاله قتادة الا به لان جزاء السارق في دينه
انما كان ضربه وتغريمه ضعف ما اخذ دون الاسترقاق والاستعباد كما هو شريعة يعقوب
عليه السلام التي نسبها اليه في حال من الاحوال الا ان يشاء الله اي الا حال مشيئته التي هي
عبارة عن ارادته لذلك الكيد والا حال مشيئته للاخذ بذلك الوجه ويجوز ان يكون الكيد
عبارة عنه وهو مبادئه المؤدية اليه جميعا من ارشاد يوسف وقومه الى ما صدر عنهم من
الافعال والاقوال حسبما شرح مرتبا لكن لا على ان يكون القصر المستفاد من تقديم المجرور ماخوذا

بالنسبة الى غيره مطلقا على معنى مثل ذلك الكيد كدنا لا كيدا اخر اذ لا معنى لتعليله بعجز يوسف عليه
السلام عن اخذ اخيه في دين الملك في شان السارق قطعا اذ لا علاقة بين مطلق الكيد ودين الملك
في امر السارق اصلا بل بالنسبة الى بعضه على معنى مثل ذلك الكيد البالغ الى هذا الحد كدنا ولم نكتف
ببعض من ذلك لانه لم يكن ليأخذ اخاه في دين الملك به الا حال مشيئتنا له بايجاد ما يجري مجرى الجزء
الصوري من العلة التامة وهو ارشاد اخوته الى الافتاء المذكور وعلى هذا ينبغي ان يحمل القصر في تفسير
من فسر قوله تعالى كدنا ليوسف بقوله علمناه اياه واوحينا به اليه اي مثل ذلك التعليم المستتبع
لما شرح مرتبا علمناه دون بعض من ذلك فقط الى اخره وعلى كل حال فالاستثناء من اعم الاحوال
ويجوز ان يكون من اعم العلل والاسباب اي لم يكن ليأخذ اخاه لعلة من العلل او بسبب من الاسباب
الا لعلة مشيئته تعالى الا بسبب مشيئته تعالى وايا ما كان فهو متصل لان اخذ السارق اذا
كان ممن يرى ذلك ويعتقده دينا لا سيما عند رضاه وافتائه به ليس مخالفا لدين الملك وقد قيل
معنى الاستثناء الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك وانت تدري ان المراد بدينه ما عليه
حينئذ فتغييره مخل بالاتصال وارادة مطلق ما يتدين به اعم منه ومما يحدث تفضي الى كون
الاستثناء من قبيل التعليق بالمحال المقصود بيان عجز يوسف عليه السلام عن اخذ اخيه حينئذ ولم
يتعلق المشيئة بالجعل المذكور اذ ذاك وارادة يوسف بعجزه مطلقا تؤدي الى خلاف المراد فان
استثناء حال المشيئة المذكورة من احوال عجزه مما يشعر بعدم الحاجة الى الكيد المذكور قبله وقد
جوز الانقطاع اي لكن اخذه بمشيئة الله تعالى واذنه في دين غير دين الملك نرفع درجات
اي رتبا كثيرة عالية من العلم وانتصابها على المصدرية او الظرفية او على نزع الخافض اي الى درجات
والمفعول قوله تعالى من نشاء اي نشاء رفعه حسبما تقتضيه الحكمة وتستدعيه المصلحة كما رفعنا يوسف
وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك سنة مستمرة غير مختصة بهذه المادة والجملة مستأنفة لا
محل لها من الاعراب وفوق كل ذي علم من اولئك المرفوعين عليم لا ينالون شأوه واعلم انه ان جعل
الكيد عبارة عن المعنيين الاولين فالمراد برفع يوسف عليه السلام ما اعتبر فيه بالشرطية او الشرط
من ارشاده عليه السلام الى دس الصواع في رحل اخيه وما يتفرع عليه من المقدمات المرتبة
لاسترقاق اخيه مما يتم من قبله والمعنى ارشدنا اخوته الى الافتاء المذكور لانه لم يكن متمكنا من اخذ
اخيه بدونه وارشدنا كلا منهم ومن يوسف واصحابه الى ما صدر عنهم ولم نكتف بما تم من
قبل يوسف فقط لانه لم يكن متمكنا من اخذ اخيه بذلك فقوله نرفع درجات الى قوله تعالى عليم
توضيح لذلك على معنى ان الرفع المذكور لا يوجب تمام مرامه اذ ليس ذلك بحيث لا يعزب عن علمه
شيء بل انما نرفع حسب استعداده فوق كل واحد منهم عليم لا يتعدى قدر علمه ولا يكتنه كنهه
نرفع كلا منهم الى ما يليق به من معارج العلم ومدارجه وقد رفع يوسف الى ما يليق به من الدرجات
العالية وعلم ان ما حواه دائرة علمه لا يفي بمرامه فارشد اخوته الى الافتاء المذكور فكان ما كان
وكانه عليه السلام لم يكن على يقين من صدور الافتاء المذكور عن اخوته وان كان على طمع منه فان
ذلك الى الله عز وجل وجودا وعدما والتعرض لوصف العلم لتعيين جهة الفوقية وفي صيغة
المبالغة مع التنكير والالتفات الى الغيبة من الدلالة على فخامة شأنه عز وعلا وجلالة مقدار
علمه المحيط ما لا يخفى وان جعل عبارة عن ذلك التعليم المستتبع للافتاء المذكور فالرفع عبارة
عن ذلك التعليم والافتاء وان لم يكن داخلا تحت قدرته عليه السلام لكنه كان داخلا تحت علمه
بواسطة الوحي والتعليم والمعنى مثل ذلك التعليم البالغ الى هذا الحد علمناه ولم نقتصر على تعليم
ما عدا الافتاء الذي سيصدر عن اخوته اذ لم يكن متمكنا من اخذ اخيه الا بذلك فقوله نرفع
درجات من نشاء توضيح لقوله كدنا وبيان لان ذلك من باب الرفع الى الدرجات العلية من العلم
ومدح ليوسف برفعه اليها وقوله وفوق كل ذي علم عليم تذييل له اي نرفع درجات عالية من
العلم من نشاء رفعه وفوق كل منهم عليم هو اعلى درجة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فوق كل
عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله تعالى والمعنى ان اخوة يوسف كانوا علماء الا ان يوسف افضل منهم
وقرئ درجات من نشاء بالاضافة والاول انسب بالتذييل حيث نسب فيه الرفع الى من نسب اليه
الفوقية لا الى درجته ويجوز كون العليم في هذا التفسير ايضا عبارة عن الله عز وجل اي وفوق
كل من اولئك المرفوعين عليم يرفع كلا منهم الى درجته اللائقة به والله تعالى اعلم قالوا ان يسرق
يعنون بنيامين فقد سرق اخ له من قبل يريدون به يوسف عليه السلام وما جرى عليه من جهة
عمته على ما قيل من انها كانت تحضنه فلما شب اراد يعقوب عليه السلام انتزاعه منها وكانت

لا تقبر عنه ساعة وكانت لها منطقة ورثتها من ابيها اسحاق عليه السلام فاحتالت لاستبقاء يوسف
عليه السلام فعمدت الى المنطقة فحزمتها عليه من تحت ثيابه ثم قالت فقدت منطقة اسحاق
فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افعل به ما اشاء فخلاه
يعقوب عندها حتى ماتت وقيل كان اخذ فى صباه صنما لابى امه فكسره فالقاه فى الجيف وقيل دخل
كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه فاسرها يوسف اى اكن الحزازة الحاصلة
مما قالوا فى نفسه الا انه اسرها البعض اصحابه كما فى قوله تعالى واسررت لهم اسرارا ولم يبدها لهم
لا قولا ولا فعلا صفحا عنهم وحلما وهو تأكيد لما سبق قال اى فى نفسه وهو استيناف مبنى على سؤال
نشا من الاخبار بالاسرار المذكورة كانه قيل فماذا قال فى نفسه فى تضاعيف ذلك الاسرار فقيل قال
انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون اى عالم علما بالغا الى اقصى المراتب فان الامر ليس كما تصفون
من صدور السرقة منا بل انما هو افترا علينا فالصيغة لمجرد المبالغة لا لتفضيل علمه عز وجل
على علمهم كيف لا وليس لهم بذلك من علم قالوا عند ما شاهدوا مخايل اخذ بنيامين مستعطفين
يا ايها العزيز ان له ابا لم يريدوا بذلك الاخبار بان له اباه فان ذلك معلوم مما سبق وانما ارادوا
الاخبار بان له ابا شيخا كبيرا فى السن لا يكاد يستطيع فراقه وهو علالة يتسلى به عن شقيقه الهالك
فخذ احدنا مكانه فليس له عندك بمنزلته من المحبة والشفقة انا نراك من المحسنين الينا فاتمم
احسانك بهذه التتمة او المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك قال معاذ الله اى نعوذ بالله معاذا
من ان نأخذ فحذف الفعل واقيم مقامه المصدر مضافا الى المفعول به بعد حذف الجار الا من وجدنا
متاعنا عنده لان اخذنا له انما هو بقضية فتواكم فليس لنا الاخلال بموجبها وايثار صيغة التكلم مع
الغير مع كون الخطاب من جانب اخوته على التوحيد من باب السلوك الى سنن الملوك او
للاشعار بان الاخذ والاعطا ليس مما يستبد به بل هو منوط بآراء اولى الحل والعقد وايثار من
وجدنا متاعنا عنده دون من سرق متاعنا لتحقيق الحق والاحتراز عن الكذب فى الكلام مع تمام
المرام فانهم لا يحملون وجدان الصواع فى الرحل على محل غير السرقة انا اذا اى اذا اخذنا غير من وجد
متاعنا عنده ولو برضاه لظالمون فى مذهبكم وما لنا ذلك وهذا المعنى هو الذى اريد بالكلام
فاما الجواب ولا معنى باطن هو ان الله عز وجل انما امرنى بالوحى ان اخذ بنيامين لمصالح علمها الله
فى ذلك فلو اخذت غيره كنت ظالما وعاملا بخلاف الوحى فلما استيأسوا منه اى يئسوا من يوسف
واجابته لهم اشد يأس بدلالة صيغة الاستفعال وانما حصلت لهم هذه المرتبة من اليأس لما
شاهدوه من عوذه بالله مما طلبوه الدال على كون ذلك عنده فى اقصى مراتب الكراهة وانه
مما يجب ان يحترز عنه ويعاذ منه بالله عز وجل ومن تسميته ظلما بقوله انا اذا لظالمون خلصوا
اعتزلوا وانفردوا عن الناس نجيا اى ذوى نجوى على ان يكون بمعنى النجوى والتناجى او فوجا نجيا
على ان يكون بمعنى المناجى كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا
ويجوز ان يقال لهم نجى كما يقال لهم صديق لانه بزنة المصادر [illegible] قال كبيرهم فى السن
وهو روبيل او فى العقل وهو يهوذا او رئيسهم وهو شمعون الم تعلموا كانهم اجمعوا عند التناجى على
الانقلاب جملة ولم يرض به فقال منكرا عليهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله
عهدا يوثق به وهو حلفهم بالله تعالى وكونه من الله لاذنه فيه وكونه لحلف باذنه باسمه الكريم
ومن قبل اى من قبل هذا ما فرطتم فى يوسف قصرتم فى شانه ولم تحفظوا عهد ابيكم وقد قلتم وانا
له لناصحون وما مزيدة او مصدرية ومحل المصدر النصب عطفا مفعول تعلموا اى الم تعلموا اخذ
ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم السابق فى شان يوسف ولا ضير فى الفصل بين العاطف والمعطوف
بالظرف وقد جوز النصب عطفا على اسم ان فالخبر فى يوسف او من قبل على معنى الم تعلموا ان تفريطكم
السابق واقع فى شان يوسف وان تفريطكم الكاين او كاينا فى شان يوسف وقع من قبل وفيه ان
مقتضى المقام انما هو الاخبار بوقوع ذلك التفريط لا بكون تفريطهم السابق واقعا فى شان يوسف
كما هو مفاد الاول ولا بكون تفريطهم الكاين فى شان يوسف كما هو مفادة الاول واقعا من قبل
كما هو مفاد الثانى على ان الظرف المقطوع عن الاضافة لا يقع خبرا ولا صفة ولا صلة ولا حالا عند
البعض كما تقرر فى موضعه وقيل محله الرفع على الابتدا والخبر من قبل وفيه ما فيه وقيل ما موصولة
ومحلها على النصب او الرفع والحق هو النصب عطفا على مفعول تعلموا اى ما فرطتموه بمعنى قدمتموه
فى حقه من الخيانة واما النصب عطفا على اسم ان او الرفع على الابتدا فقد عرفت حاله فلن
ابرح الارض متفرع على ما ذكره وذكرهم اياهم من ميثاق ابيه وقوله لتأتننى به الا ان يحاط بكم

اى

اى فلن افارق ارض مصر جريا على قضية الميثاق حتى يأذن لى ابى فى البراح بالانصراف اليه وكان
ايمانهم كانت معقودة على عدم الرجوع بغير اذن يعقوب عليه السلام او يحكم الله لى بالخروج منها على
وجه لا يؤدى الى نقض الميثاق او بخلاص اخى بسبب من الاسباب روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال
روبيل ايها الملك لتردن الينا اخانا او لاصيحن صيحة لا تبقى بمصر حامل الا القت ولدها وقامت كل شعرة
فى جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لا يطاقون خلا انه اذا مس من غضب واحد منهم
سكن غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنبه فمسه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد بذرا من بذر
يعقوب وهو خير الحاكمين اذ لا يحكم الا بالحق والعدل ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق
على ظاهر الحال وقرى سرق اى نسب الى السرقة وما شهدنا عليه الا بما علمنا وشاهدنا ان الصواع
استخرج من وعائه وما كنا للغيب اى باطن الحال حافظين فما ندرى ان حقيقة الامر كما شاهدنا ام لا
او ما كنا عالمين اذ اعطيناك الموثق انه سيسرق او انا نبتلى بهذا الامر وانك تصاب به كما اصبت
بيوسف واسأل القرية التى كنا فيها اى مصر وقرية بقربها لحقهم المنادى عندها اى ارسل الى اهلها
واسألهم عن القصة والعير التى اقبلنا فيها اى اصحابها فان القصة معروفة فيما بينهم وكانوا قوما من
كنعان من جيران يعقوب وقيل من صنعا وانا لصادقون تأكيد فى محل القسم قال اى يعقوب عليه
السلام وهو استيناف مبنى على سؤال نشأ مما سبق فكأنه قيل فماذا كان عند قول المتوقف لاخوته ما كان
فقيل قال يعقوب عند ما رجعوا اليه فقالوا له ما قالوا واما اختلاف الادبان بان ساوعهم الى قوله
ورجوعهم الى ابيهم مسلم غنى عن البيان وانما المحتاج اليه جواب يجههم بل سولت اى زينت وسهلت
وهو اضراب لا عن تصريح كلامهم فانهم صادقون فى ذلك بل عما يتضمنه من ادعاء البراءة عن التسبب
فيما نزل به وانه لم يصدر عنهم ما يؤدى الى ذلك من قول او فعل كانه قيل لم يكن الامر كذلك بل زينت
لكم انفسكم امرا من الامور فاتيتموه يريد بذلك فتياهم باخذ السارق بسرقته فصبر جميل اى
فامرى صبر جميل او فصبر جميل اجمل عسى الله ان يأتينى بهم جميعا بيوسف واخيه والمتوقف بمصر
انه هو العليم بحالى وحالهم الحكيم الذى لم يبتلنى الا لحكمة بالغة وتولى اى اعرض عنهم كراهة لما سمع
منهم وقال يا اسفى على يوسف الاسف اشد الحزن والحسرة اضافه الى نفسه والالف بدل من الياء
نداه اى يا اسفا فقال فهذا اوانك وانما تأسف على يوسف مع ان الحادث مصيبة اخويه لان
رزأه كان قاعدة الرزايا عنده وان تقادم عهده اخذ بمجامع قلبه لا ينساه ولانه كان
واثقا بحياتهما عالما بمكانهما طامعا فى ايابهما واما يوسف فلم يكن فى شانه ما يحرك سلسلة رجائه
سوى رحمة الله تعالى وفضله وفى الخبر لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا امة
محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع بل قال ما قال
والتجانس بين لفظى الاسف ويوسف مما يزيد النظم الكريم بهجة كما فى قوله عز وجل وهم ينهون عنه
وينأون عنه وقوله اثاقلتم الى الارض ارضيتم وقوله يحسبون انهم يحسنون صنعا وقوله من سبأ بنبأ
يقين ونظايرها وابيضت عيناه من الحزن الموجب للبكاء فان العبرة اذا كثرت محقت سواد العين
وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمى بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا وروى انه ما جفت عينا
يعقوب من يوم فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض اكرم على الله عز وجل
من يعقوب عليه السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سأل جبرائيل عليه السلام ما
بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه
بالله ساعة قط وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند النوائب فان الكف عن ذلك مما لا يدخل تحت
التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم
وقال القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما
الذى لا يجوز ما يفعله الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الخدود والصدور وشق الجيوب وتمزيق الثياب
وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه بكى على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يا رسول الله
تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين احمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح
فهو كظيم مملو من الغيظ على اولاده ممسك له فى قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله
تعالى وهو مكظوم من كظم السقا اذا شده على ملئه او بمعنى فاعل لقوله والكاظمين الغيظ من
كظم الغيظ اذا تجرعه واصله كظم البعير جرته اذا ردها فى جوفه قالوا تالله تفتؤ اى لا تفتؤ
ولا تزال تذكر يوسف تفجعا عليه فحذف حرف النفى كما فى قوله ٭ فقلت يمين الله ابرح قاعدا ٭
لعدم الالتباس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات يكون على النفى البتة حتى تكون

مريضا مشفيا على الموت وقيل الحرض من اذابه هم او مرض وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا
يجمع والنعت منه بالكسر كدنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب وغرب او تكون من الهالكين اي الميتين
قال انما اشكوا بثي البث اصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره كأنهم
قالوا له ما قالوا بطريق التسلية والاشكاء فقال لهم اني لا اشكو ما بي اليكم والى غيركم حتى تتصدوا
للتسلي وانما اشكو همي وحزني الى الله تعالى ملتجئا الى جنابه متضرعا لدى بابه في دفعه وقرئ بفتحتين
وضمتين واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته فارجو ان يرحمني ويلطف بي ولا يخيب رجائي
او اعلم وحيا او الهاما من جهته ما لا تعلمون من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت عليه السلام
في المنام فسأله فقال هو حي وقيل علم من رؤيا يوسف عليه السلام انه سيخر له ابواه واخوته
سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا اي تعرفوا وهو تفعل من الحس وقرئ بالجيم من الجس وهو الطلب
اي تطلبوا من يوسف واخيه اي من خبرهما ولم يذكر الثالث لان غيبته اختيارية لا يعسر
ازالتها ولا تيأسوا من روح الله اي لا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ بضم الراء اي من رحمته
التي يحيي بها العباد وهذا ارشاد لهم الى بعض ما ابهم في قوله واعلم من الله ما لا تعلمون ثم حذرهم
عن ترك العمل بموجب نهيه بقوله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون لعدم علمهم
بالله تعالى وصفاته فان العارف لا يقنط في حال من الاحوال فلما دخلوا عليه اي على يوسف
بعدما رجعوا الى مصر بموجب امر ابيهم وانما لم يذكر ذلك ايذانا بمسارعتهم الى ما امروا
به واشعارا بان ذلك امر محقق لا يفتقر الى الذكر والبيان قالوا يا ايها العزيز اي الملك ال
القادر المتمنع مسنا واهلنا الضر الهزال من شدة الجوع وجئنا ببضاعة مزجاة مدفوعة
يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب
قيل كانت بضاعتهم من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق
المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة وانما قدموا ذلك ليكون ذريعة الى
اسعاف مرامهم ببعث الشفقة وهز العطف والرأفة وتحريك سلسلة الرحمة ثم قالوا
فاوف لنا الكيل اي اتممه لنا وتصدق علينا برد اخينا الينا قاله الضحاك وابن جريج وهو الانسب
بحالهم نظرا الى امر ابيهم وبالايفاء او بالمسامحة وقبول المزجاة او بالزيادة على ما يساويها لا
تعليلا وانما سموه تصدقا تواضعا ارادوا التصدق فوق ما يعطيهم بالثمن بناء على اختصاص
حرمة الصدقة بنبينا صلى الله عليه وسلم وانما لم يبدؤوا بما امروا به استجلابا بالشفقة والرأفة
ليبعثوا بما قدموا من رقة الحال رقة القلب والحنو على ان ما ساقوه كلام ذو وجهين فان قولهم
وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يحتمل الحمل على كل من المحملين فلعله عليه السلام حمله على المحمل
الاول ولذلك قال مجيبا عما عرضوا به وضمنوه كلامهم من طلب رد اخيهم قال هل علمتم ما
فعلتم بيوسف واخيه وكان الظاهر ان يتعرض لما فعلوا باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا به
باخيه فقط وانما تعرض لما فعلوا بيوسف لاشتراكهما في وقوع الفعل عليهما فان المراد بذلك
افرادهم له عن يوسف واذلاله بذلك حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز وذلة اي هل تبتم عن
ذلك بعد علمكم بقبحه فهو سؤال عن الملزوم والمراد لازمه اذ انتم جاهلون بقبحه فلذلك
اقدمتم على ذلك او جاهلون عاقبته وانما قاله نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى
عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا ويجوز ان يكون هذا الكلام منه عليه السلام منقطعا
عن كلامهم وتنبيها لهم على ما هو حقهم ووظيفتهم من الاعراض عن جميع المطالب والتمحض
في طلب بنيامين بل يجوز ان يقف عليه السلام بطريق الوحي او الالهام على وصية ابيه وارساله
اياهم للتحسس منه ومن اخيه فلما رآهم قد اشتغلوا عن ذلك قال ما قال وقيل اعطوه كتاب
يعقوب عليه السلام وقد كتب فيه من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم
خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه
ورمي به في النار فنجاه الله تعالى وجعلت النار له بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين على
قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى
البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم
كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته
وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع
من ولدك والسلام فلما قرأه لم يتمالك وعيل صبره وقال لهم ما قال وقيل لما قرأه بكى وكتب الجواب

امين

امين كما صبروا تظفر كما ظفروا قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك اكد بان واللام
قالوه استغرابا وتعجبا وقرئ انك بالايجاب وقيل عرفوه بروائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم
فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكان لسارة
ويعقوب مثلها وقرئ اءنك او انت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول
الاول لدلالة الثاني عليه وفيه زيادة استغراب قال انا يوسف جوابا عن مسألتهم وقد زاد عليه
قوله وهذا اخي اي من ابوي مبالغة في تعريف نفسه وتفخيما لشأن اخيه وتكملة لما افاده قوله هل
علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه حسبما يفيده قوله قد من الله علينا فكأنه قال هل علمتم ما فعلتم بنا من
التفريق والاذلال فانا يوسف وهذا اخي قد من الله علينا بالخلاص عما ابتلينا به والاجتماع بعد الفرقة والعزة
بعد الذلة والانس بعد الوحشة ولا يبعد ان يكون فيه اشارة الى الجواب عن طلبهم لرد بنيامين فانه
اخي لا اخوكم فلا وجه لطلبكم ثم علل ذلك بطريق الاستئناف التعليلي بقوله انه من يتق اي يفعل التقوى
في جميع احواله او يق نفسه عما يوجب سخط الله تعالى وعذابه ويصبر على المحن او على مشقة الطاعات
او عن المعاصي التي تستلذها النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين اي اجرهم وانما وضع المظهر موضع
المضمر تنبيها على ان المنعوتين بالتقوى والصبر موصوفون بالاحسان قالوا تالله لقد آثرك الله علينا
اختارك وفضلك علينا بما ذكرت من النعوت الجليلة وان كنا وان الشان كنا لخاطئين لمتعمدين للذنب
اذ فعلنا بك ما فعلنا ولذلك اعزك واذلنا وفيه اشعار بالتوبة والاستغفار ولذلك قال لا تثريب
اي لا عتب ولا تأنيب عليكم وهو تفعيل من الثرب وهو الشحم الغاشي للكرش ومعناه ازالته كما ان
التجليد ازالته كان التجليد ازالة الجلد والتقريع ازالة القرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال
فضرب مثلا للتقريع الذي يذهب بماء الوجه وقوله عز وعلا اليوم منصوب بالتثريب او بالمقدر
في الظرف اي لا اثرب عليكم اليوم او لا تثريب مستقر عليكم اليوم الذي هو مظنة له فما ظنكم بسائر الايام او
بقوله يغفر الله لكم لانه حينئذ صفح عن جريمتهم وعفى جريرتهم بما فعلوا من التوبة وهو ارحم الراحمين
يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب بالقبول ومن كرمه عليه السلام ان اخوته ارسلوا اليه انك
تدعونا الى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحيي منك بما فرط منا فيك فقال عليه السلام ان اهل مصر
وان ملكت فيهم كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد
شرفت بكم الان وعظمت في العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم اذهبوا بقميصي هذا
قيل هو الذي كان عليه حينئذ وقيل هو القميص المتوارث الذي كان في التعويذ امره جبريل عليه ال
السلام بارساله واوحى اليه ان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى الا عوفي فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا اي يكن
بصيرا او يأت الي بصيرا ويشهد له قوله واتوني باهلكم اجمعين اي بابي وغيره ممن ينتظمه لفظ الاهل جميعا
من النساء والذراري قيل انما حمل القميص يهوذا وقال انا احزنته بحمل القميص ملطخا بالدم اليه فـ
فافرحه كما احزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان وبينهما مسيرة ثمانين فرسخا ولما
فصلت العير خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه
وقرأ ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انفصل العير قال ابوهم يعقوب عليه السلام لمن عنده اني لاجد
ريح يوسف اوجده الله سبحانه بما عبق بالقميص من ريح يوسف من ثمانين فرسخا حين اقبل به يهوذا
لولا ان تفندون اي تنسبوني الى الفند وهو الخرف وانكار العقل وفساد الرأي من هرم يقال شيخ
مفند ولا يقال عجوز مفندة انها لم تكن في شبيبتها ذات رأي فتفند في كبرها وجواب لولا محذوف اي
لصدقتموني قالوا اي الحاضرون عنده تالله انك لفي ضلالك القديم لفي ذهابك عن الصواب قدما
في افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه وكان عندهم انه قد مات فلما ان جاء
البشير وهو يهوذا القاه اي القى البشير القميص على وجهه اي وجه يعقوب او القاه يعقوب على وجه
نفسه فارتد عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة قال الم اقل لكم يعني قوله اني لاجد ريح يوسف فالخطاب
لمن كان عنده بكنعان او قوله ولا تيأسوا من روح الله فالخطاب للبنين وهو الانسب بقوله
اني اعلم من الله ما لا تعلمون فان مدار النهي المذكور انما هو العلم الذي اوتي يعقوب من جهة الله سبحانه
وتعالى وعلى هذا يجوز ان يكون هذا مقول القول اي الم اقل لكم حين ارسلتكم الى مصر وامرتكم
بالتحسس ونهيتكم عن اليأس من روح الله تعالى اني اعلم من الله ما لا تعلمون من حياة يوسف روي انه
سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر قال ما اصنع بالملك على اي دين تركته قال على دين
الاسلام قال الان تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ومن حق من اعترف بذنبه
ان يصفح عنه ويستغفر له فكأنهم كانوا على ثقة من عفوه عليه السلام ولذلك اقتصروا على استدعاء

الاستغفار وادرجوا ذلك في الاستغفار قال سوف استغفر لكم ربي انه هو الغفور الرحيم وهذا مشعر
بعفوه قيل اخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتحرى به وقت الاجابة وقيل اخره الى ان
يستحل لهم من يوسف عليه السلام او يعلم ان الله قد عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويعضده انه
روي عنه انه استقبل القبلة قايما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين
سنة حتى بلغ جهدهم وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد اجاب دعوتك
في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة فان صح ثبتت نبوتهم وان ما صدر عنهم انما صدر قبل
الاستنبا وقيل الاستمداد على الدعا فقد روي انه كان يستغفر كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة
وقيل قام الى الصلوة في وقت السحر فلما فرغ رفع يديه فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة
صبري عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم فاوحى الله اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين فلما دخلوا
على يوسف روي انه وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتي راحلة ليتجهز اليه بمن معه فاستقبله يوسف
والملك في اربعة الاف من الجند والعظما واهل مصر باجمعهم فتلقوا يعقوب عليه السلام وهو يمشي
متوكيا على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا بل ولدك فلما لقيه
قال السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل قال له يوسف يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك
الم تعلم ان القيمة تجمعنا فقال بلى ولكني خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وقيل ان يعقوب
وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى ستماية
الف وخمسماية وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية الف الف ومائتي الف
اوى اليه ابويه اي اباه وخالته وتنزيلها منزلة الام كتنزيل العم منزلة الاب في قوله عز وجل واله
اباءك ابراهيم واسمعيل واسحاق او لان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد امه وقال الحسين وابن
اسحاق كانت امه في الحياة فلا حاجة الى التاويل ومعنى اوى اليه ضمهما اليه واعتنقهما فكانه عليه
السلام ضرب في الملتقى مضربا فنزل فيه فدخلوا عليه فاواهما فيه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله
امنين من الشدايد والمكاره قاطبة بالدخول على الامن ورفع ابويه عند نزولهم بمصر على العرش على
السرير تكرمة لهما فوق ما فعله لاخوته وخروا له اي ابواه واخوته سجدا تحية له فانه كان السجود
عندهم جاريا مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها من عادات الناس
الناشية في التعظيم والتوقير وقال ما كان ذلك الا انحناء دون تعفير الجباه ويأباه الخرور وقيل
خروا لاجله سجدا لله شكرا ويرده قوله تعالى وقال يا ابت هذا تاويل رءياي وقصصتها عليك من قبل
في زمن الصبا قد جعلها ربي حقا صدقا واقعا بعينه والاعتذار بجعل يوسف بمنزلة القبلة
وجعل اللام كما في قوله اليس اول من صلى لقبلتكم تعسف لا يخفى وتاخيره عن الرفع على العرش ليس
بنص في ذلك لان الترتيب الذكري لا يجب كونه على وفق الترتيب الوقوعي فلعل تاخيره عنه
ليتصل به ذكر كونه تعبير الرؤيا وما يتصل به من قوله وقد احسن بي المشهور استعمال الاحسان
بالى وقد يستعمل بالبا ايضا كما في قوله عز اسمه وبالوالدين احسانا وقيل هذا بتضمين لطف وهو
الاحسان الخفي كما يؤذن به قوله تعالى ان ربي لطيف لما يشا وفيه فايدة لا تخفى اي لطف بي محسنا الي
غير هذا الاحسان اذ اخرجني من السجن بعد ما ابتليت به ولم يصرح بقصة الجب حذرا من تثريب
اخوته لان الظاهر حضورهم لوقوع الكلام عقيب خرورهم سجدا واكتفا بما يتضمنه قوله
تعالى وجاء بكم من البدو اي البادية من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي اي افسد بيننا
بالاغوا واصله من نخس الرايض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه ولقد بالغ
عليه السلام في الاحسان حيث اسند ذلك الى الشيطان ان ربي لطيف لما يشا اي لطيف التدبير
لاجله رفيق حتى يجي على وجه الحكمة والصواب ما من صعب الا وهو بالنسبة الى تدبيره سهل انه
هو العليم بوجوه المصالح الحكيم الذي يفعل كل شي على قضية الحكمة روي ان يوسف اخذ بيد يعقوب
عليهما السلام فطاف في خزائنه فادخله في خزائن الورق والذهب وخزاين الحلي وخزاين الثياب
وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس قال يا بني ما اعقك عندك هذه القراطيس
وما كتبت الي ثماني مراحل قال امرني جبريل قال او ما تساله قال انت ابسط اليه مني فساله قال
جبريل تعالى امرني بذلك لقولك اخاف ان ياكله الذيب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب اقام معه
اربعا وعشرين سنة ثم مات واوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحاق فمضى بنفسه ودفنه
ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له تاقت نفسه
الى الملك الدايم الخالد فتمنى الموت فقال رب قد اتيتني من الملك اي بعضا منه عظيما وهو ملك

مصر

مصر وعلمتني من تاويل الاحاديث اي بعضا من ذلك لذلك ان اريد بتعليم تاويل الاحاديث تفهيم
غوامض اسرار الكتب الالهية ودقايق سنن الانبيا عليهم السلام فالترتيب ظاهر واما ان اريد به
تعليم تعبير الرؤى كما هو الظاهر فلعل تقديم ايتاء الملك عليه في الذكر لانه بمقام تعداد النعم الفايضة
عليه من الله سبحانه والملك اعرف في كونه نعمة من التعليم المذكور وان كان ذلك ايضا نعمة جليلة
في نفسه ولا يمكن تمشية هذا الاعتذار فيما سبق لان التعليم هنالك وارد على نهج العلة الغائية
للتمكين فانه محمول على معنى التمليك لزم تاخيره عنه واما الواقع ههنا فمجرد التاخير في الذكر والعطف
بحرف الواو ولا يستدعي ذلك الترتيب في الوجود فاطر السموات والارض مبدعهما وخالقهما انتصب
على انه صفة للمنادي او منادى اخر وصفه تعالى به بعد وصفه بالربوبية مبالغة في ترتيب مبادي
ما يعقبه من قوله انت وليي مالك اموري في الدنيا والاخرة او الذي يتولاني بالنعمة فيهما واذ قد
اتممت علي نعمة الدنيا توفني اي تبضني مسلما والحقني بالصالحين من ابائي او بعامة الصالحين في الرتبة
والكرامة فانما تتم النعمة بذلك قيل لما دعا توفاه الله عز وجل طيبا طاهرا فتخاصم اهل مصر في دفنه
وتشاحوا في ذلك حتى هموا بالقتال فرأوا ان يصنعوا له تابوتا من مرمر فجعلوه فيه ودفنوه في
النيل ليمر عليه ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا واحدا في التبرك وولد له افرايم وميشا وولد لافرايم
نون ولنون يوشع فتى موسى عليه السلام ولقد توارثت الفراعنة من العمالقة بعده مصر ولم يزل
بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وابايه الى ان بعث الله تعالى موسى عليه السلام ذلك
اشارة الى ما سبق من نبا يوسف وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الدلالة بعد منزلته او كونه
بالانقضاء في حكم البعيد والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدا خبره من انباء الغيب الذي
لا يحوم حوله احد وقوله نوحيه اليك خبر بعد خبر او حال من الضمير في الخبر ويجوز ان يكون ذلك
اسما موصولا ومن انباء الغيب صلته ويكون الخبر نوحيه اليك وما كنت لديهم يريد اخوة يوسف
اذ اجمعوا امرهم وهو جعلهم اياه في غيابة الجب وهم يمكرون ويبغون له الغوايل حتى تقف على ظواهر
اسرارهم وبواطنها وتطلع على سرايرهم طرا وتحيط بما لديهم خبرا وليس المراد مجرد نفي حضوره عليه
السلام في مشهد اجماعهم ومكرهم فقط بل في ساير المشاهد ايضا وانما تخصيصه بالذكر لكونه مطلع
القصة واخفى احوالها كما ينبئ عنه قوله وهم يمكرون والخطاب وان كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم لكن
المراد الزام المكذبين والمعنى ان ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك اذ لا سبيل الى معرفتك اياه سوى
ذلك اذ عدم سماعك ذلك من الغير وعدم مطالعتك الكتب امر لا يشك فيه المكذبون ايضا ولم
تكن بين ظهرانيهم عند وقوع الامر حتى تعرفه كما هو فتبلغه اليهم وفيه تهكم بالكفار كانهم يشكون
في ذلك فيدفع شكهم وفيه ايضا ايذان بان ما ذكر من النبا هو الحق المطابق للواقع وما ينقله اهل
الكتاب ليس على ما هو عليه يعني ان مثل هذا التحقيق بلا وحي لا يتصور الا بالحضور والمشاهدة
واذ ليس ذلك بالحضور فهو بالوحي ومثله قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم
يكفل مريم وقوله وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر وما اكثر الناس يريد به العموم
او اهل مكة ولو حرصت بمؤمنين اي على ايمانهم وبالغت في اظهار الايات القاطعة الدالة على صدقك
بمؤمنين لتصميمهم على الكفر واصرارهم على العناد روي ان اليهود وقريشا لما سالوا عن قصة يوسف
وعدوا ان يسلموا فلما اخبرهم بها على موافقة التورية فلم يسلموا احزن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل له
ذلك وما تسالهم عليه على الانباء او على القران من اجر من جعل كما يفعله حملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة
من الله تعالى للعالمين كافة لا ان ذلك مختص بهم وكاين من اية اي كاي عدد شئت من الايات
والعلامات الدالة على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته وحكمته غير ذلك هذه الاية
التي جيت بها في السموات والارض اي كاينة فيهما من الاجرام وساير ما في الارض من العجايب الفايتة
للحصر يمرون عليها اي يشاهدونها ولا يعبؤون بها وقرئ برفع الارض يمشون عليها فالمراد ما يرى
عليها من اثار الامم الهالكة وغير ذلك من الايات والعبر وهم عنها معرضون غير ناظرين اليها ولا
متفكرين فيها وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بوجوده وخالقيته الا وهم مشركون بعبادتهم لغيره
وباتخاذهم الاحبار والرهبان اربابا وبقولهم باتخاذه تعالى ولدا سبحانه وتعالى عن ذلك علوا
كبيرا او بالنور والظلمة وهي جملة حالية اي لا يؤمن اكثرهم الا في حال شركهم قيل نزلت الاية في اهل مكة
وقيل في المنافقين وقيل في اهل الكتاب افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله اي عقوبة تغشاهم
وتشملهم او تاتيهم الساعة بغتة فجاة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين
بها قل هذه سبيلي وهي الدعوة الى التوحيد والايمان بالاعلام وفسرها بقوله ادعو الى الله على بصيرة

بيان وحجة واضحة غير عميا وهو حال من الضمير في سبيلي والعامل فيها معنى الاشارة انا تاكيد للمستكن
في ادعوا على بصيرة لانه حال منه او مبتدا خبره على بصيرة ومن اتبعني عطف عليه وسبحان الله وما انا
من المشركين موكد لما سبق من الدعوة الى الله وما ارسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء الله
لانزل ملائكة يوحى اليهم كما اوحينا اليك وقرئ بالنون من اهل القرى لانهم اعلم واحلم واهل البوادي
فيهم الجهل والجفاء والقسوة افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين
بالرسل والايات فيحذروا تكذيبك ولدار الاخرة اي الساعة او الحيوة الاخرة خير للذين اتقوا الشرك
والمعاصي افلا تعقلون فتستعملوا عقولكم لتعرفوا خيريته دار الاخرة وقرئ بالياء على انه غير داخل تحت
قل حتى اذا استيئس الرسل غاية لمحذوف دل عليه السياق اي لا يغرنهم تماديهم فيما هم فيه من الدعة والرخا
فان من قبلهم قد امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا او من ايمانهم لانهماكهم في الكفر وتماديهم
في الطغيان من غير وازع وظنوا انهم قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون عليهم او كذبهم
رجاؤهم فانه يوصف بالصدق والكذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار
النصر من الله تعالى قد تطاولت وتمادت القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا جاءهم نصرنا فجاة
عن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا انهم قد خلفوا ما وعدهم الله من النصر فان صح ذلك عنه فلعله
اراد بالظن ما يخطر بالبال من شبه الوسوسة وحديث النفس وانما عبر عنه بالظن تهويلا للخطب
واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على الاخر فلا يتصور ذلك من احاد الامة فما ظنك بالانبيا عليهم
السلام وهم هم ومن اعلمهم بمعرفة شيون الله عز وجل وقيل الضميران للرسل اليهم
وقيل الاول لهم والثاني للرسل وقرئ بالتشديد اي ظن الرسل ان القوم كذبوهم فيما وعدوهم
وقرئ بالتخفيف على بناء الفاعل على ان الضميرين للرسل اي ظنوا انهم كذبوا عند قومهم فيما حدثوا به
لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا وعلى ان الاول لقومهم فنجي من نشاء هم الرسل والمؤمنون بهم
وقرئ فننجي على لفظ المستقبل بالتخفيف والتشديد وقرئ فنجا ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين
اذا نزل بهم وفيه بيان لمن تعلق بهم المشية لقد كان في قصصهم اي قصص الانبيا واممهم وينصره
قراءة من قرا بكسر القاف او قصص يوسف واخوته عبرة لاولي الالباب لذوي العقول المبراة
عن شوايب احكام الحس ما كان اي القران المدلول عليه بما سبق دلالة واضحة حديثا يفترى ولكن
كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي ولكن
هو تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء مما يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر ديني الا وهو
يستند الى القران بالذات او بوسط وهدى من الضلالة ورحمة بيان بها خير الدارين لقوم يؤمنون
اي يصدقونه لانهم المنتفعون به واما من عداهم فلا يهتدون بهديه ولا ينتفعون بجدواه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها وعلمها
اهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

بسم الله الرحمن الرحيم المر اسم للسورة ومحله اما الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذه السورة
مسماة بهذا الاسم وهو اظهر من الرفع على الابتدا اذ لم يسبق العلم بالتسمية كما مر مرارا وقوله تعالى
تلك على الوجه الاول مبتدا مستقل وعلى الوجه الثاني مبتدا ثان او بدل من الاول اشير به اليه ايذانا
بفخامته واما النصب بتقدير فعل يناسب المقام نحو اقرا واذكر فتلك المبتدا كما اذا جعل المر مسرودا
على نمط التعديد او بمعنى انا الله اعلم وارى على ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والخبر
على التقادير قوله تعالى ايات الكتاب اي الكتاب العجيب الكامل الغني عن الوصف به المعروف
بذلك من بين الكتب الحقيقي باختصاص اسم الكتاب فهو عبارة عن جميع القران او عن الجميع المنزل
حينئذ حسبما مر في مطلع سورة يونس عليه السلام اذ هو المتبادر من مطلق الكتاب المستغني عن
النعت وبه يظهر ما اريد من وصف الايات بوصف ما اضيف اليه من نعوت الكمال بخلاف
ما اذا جعل عبارة عن السورة فانها ليست بتلك المثابة من الشهرة في الاتصاف بذلك المعية
عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع وصفها اياتها فلا بد من تعليم جعل تلك اشارة
الى كل واحدة منها وفيه ما لا يخفى من التعسف الذي مر تفصيله في سورة يونس والذي انزل
اليك من ربك اي الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدها الحق الثابت المطابق للواقع

في

في كل ما نطق به الحقيقي بان يخص به الحقية لعراقته فيها وليس فيه ما يدل على ان ما عداه ليس بحق
اصلا على ان حقيته مستتبعة لحقية سائر الكتب السماوية لكونه مصدقا لما بين يديه ومهيمنا عليه
وفي التعبير عنه بالموصول واسناد الانزال اليه بصيغة المبني للمفعول والتعرض لوصف الربوبية مضافا
الى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة المنزل التابعة لجلالة شان المنزل وتشريف المنزل
اليه والايما الى وجه بناء الخبر ما لا يخفى ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك الحق المبين لاخلالهم بالنظر
والتامل فيه فعدم ايمانهم متعلق بعنوان حقيته لانه المرجع للتصديق والتكذيب لا بعنوان كونه منزلا
كما قيل ولانه وارد على طريقة الوصف دون الاخبار الله الذي رفع السموات اي خلقهن مرتفعات على
طريقة قولهم سبحان من كبر الفيل وصغر البعوض لا انه رفعها بعد ان لم يكن كذلك والجملة مبتدا وخبر
لقوله وهو الذي مد الارض بغير عمد اي بغير دعائم اي جمع عماد كاهاب واهب وهو ما يعمد به اي يسند
يقال عمدت الحائط اي ادعمته وقرئ عمد على جمع عمود بمعنى عماد كرسل ورسول وايراد صيغة الجمع لجمع
السموات لا لان المنفي عن كل واحدة منها عمد لا عماد ترونها استيناف استشهد به على ما ذكر من رفع
السموات بغير عمد وقيل صفة لعمد جي بها ايهاما لان لها عمدا غير مرئية هي قدرة الله سبحانه ثم استوى
اي استولى على العرش بالحفظ والتدبير او استوى امره وعن اصحابنا ان الاستوا على العرش صفة الله عز
وجل بلا كيف واياما كان فليس المراد به القصد الى ايجاد العرش وخلقه فلا حاجة الى جعله كلمة ثم
للتراخي في الرتبة وسخر الشمس والقمر ذللهما وجعلهما طائعين لما اريد منهما من الحركات وغيرها كل
من الشمس والقمر يجري حسبما اريد منهما لاجل مسمى لمدة معينة فيها تتم دورته كالسنة للشمس
والشهر للقمر فان كلا منهما يجري كل يوم على مقدار معين من المدارات اليومية او لمدة ينتهي فيها
حركاتهما وتخرج جميع ما اريد منهما من القوة الى الفعل او لغاية يتم عندها ذلك والجملة بيان لحكم تسخيرهما
يدبر بما صنع من الرفع والاستوا والتسخير اي يقضي ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة الامر امر
الخلق كله وامر ملكوته وربوبيته يفصل الايات الدالة على كمال قدرته وبالغ حكمته اي ياتي بها
مفصلة وهي ما ذكر من الافعال العجيبة وما يتلوها من الاوضاع الفلكية الحادثة شيئا فشيئا المستتبعة
للاثار الغريبة في السفليات على موجب التدبير والتقدير فالجملتان اما حالان من ضمير استوى وقوله
وسخر الشمس والقمر من تتمة الاستوا واما مفسرتان له والاولى حال منه والثانية من الضمير فيهما
او كلاهما من ضماير الافعال المذكورة وقوله كل يجري لاجل مسمى من تتمة التسخير او خبران من قوله الله خبر
بعد خبر والموصول صفة للمبتدا جي به للدلالة على تحقيق الخبر وتعظيم شانه كما في قول الفرزدق ان
الذي سمك السماء بنا لنا بيتا ۞ دعائمه اعز واطول ۞ لعلكم عند معاينتكم لها وعثوركم على تفاصيلها
بلقاء ربكم بملاقاته للجزاء توقنون فان من تدبرها حق التدبر ايقن ان من قدر على ابداع هذه الصنايع
البديعة على كل شيء قدير وان لهذه التدبيرات المتينة عواقب وغايات لا بد من وصولها وقد نسب
على السنة الانبياء عليهم السلام ان ذلك ابتلاء المكلفين ثم جزاؤهم حسب اعمالهم فاذا لا بد من الايقان
بالجزا ولما قرر الشواهد العلوية اردفها بذكر الدلائل السفلية فقال وهو الذي مد الارض اي
بسطها طولا وعرضا قال الاصم المد هو البسط الى ما لا يدرك منتهاه ففيه دلالة على بعد مداها
وسعة اقطارها وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت في احيازها من الرسو وهو ثبات الاجسام
الثقيلة ولم يذكر الموصوف لاغنا غلبة الوصف بها عن ذلك واعضاده بجعلها على جمع الفاعل في
فوارس وهو الك ونواكس انما هو في صفات العقلاء واما في غيرهم فلا يتاتى ذلك اصلا كما في قوله
تعالى اياما معدودات وقوله الحج اشهر معلومات الى غير ذلك فلا حاجة الى ان يجعل مفردها صفة
لجمع القلة اعني اجبلا ويعتبر في جمع الكثرة اعني جبالا لانتظامها الطائفة من جموع القلة وتنزيل
كل منها منزلة مفردها كما قيل على انه لا مجال لذلك فان جميعه كلتي صيغتي الجمعين انما هي باعتبار
الافراد التي تحتها لا باعتبار انتظام جمع القلة للافراد وجمع الكثرة لجموع القلة فكل منهما جمع
جبل لا ان جبالا جمع اجبل كما ان طوائف جمع طائفة ولا الى ان يلتجئ الى جعل الوصف المذكور
فالعليه في عداد الاسماء التي تجمع على فواعل كما ظن على انه لا وجه له لما ان الغلبة انما هي في الجمع
دون المفرد والتعبير عن الجبال بهذا العنوان لبيان تفرع قرار الارض على ثباتها وانهارا مجاري
واسعة والمراد ما يجري فيها من المواد من المياه وفي نظمها مع الجبال في سلك مفعولية فعل واحد اشارة
الى ان الجبال منشا للانهار وبيان لفايدة اخرى للجبال غير كونها حافظة للارض عن الاضطراب
المخل بثبات الاقدام وتقلب الحيوان متفرعة على تمكنه وتقلبه وهي تعيشه بالماء والكلا
ومن كل الثمرات متعلق بجعل في قوله عز وجل جعل فيها زوجين اثنين لئلا يفهم ان المراد بذلك

الشفعان اذ يطلق الزوج على المجموع ولكن اثنينيه اعتباريه اى جعل من كل نوع من انواع الثمرات الموجودة فى الدنيا صنفين وصنفين اما فى اللون كالابيض والاسود او فى الطعم كالحلو والحامض او فى القدر كالصغير والكبير او فى الكيفية كالحار والبارد وما اشبه ذلك ويجوز ان يتعلق بجعل الاول ويكون الثانى استينافا لبيان كيفية ذلك الجعل يغشى الليل والنهار استعارة تبعيه تمثيله مبنيه على تشبيه ازالة نور الجو بالظلمة بتغطية الاشياء الظاهرة بالاشيا اى يستر النهار ايضا ساتر لظلمة الليل الا ان الانسب بالليل ان يكون هو الغاشى وعدّ هذا فى تضاعيف الايات السفلية وان كان تعلقه بالايات العلوية ظاهرا باعتبار ان ظهوره فى الارض فان الليل انما هو ظلها وفيما فوق موقع ظلها لا ليل اصلا ولان الليل والنهار لهما تعلق بالثمرات من حيث العقله والانضاج على انهما ايضا زوجان متقابلان مثلها وقرئ يغشى من التغشية ان فى ذلك اى فيما ذكر من مد الارض وارسادها بالرواسى واجراء الانهار وخلق الثمرات واغشاء الليل والنهار وفى الاشارة بذلك تنبيه على عظم شان المشار اليه فى بابه لايات باهرة وفى اثار تلك الافاعيل البديعة جلت حكمة صانعها نوعا على معناها فان تلك الاثار مستقرة فى تلك الافاعيل منوطة بها ويجوز ان يشار المدلول عليها بتلك الافاعيل نوعى تجريديه لقوم يتفكرون فان التفكر فيها يودى الى الحكم بان تكون كل من ذلك على هذا النمط الرايق والاسلوب اللايق لا بد له من مكون قادر حكيم يفعل ما يشاء ويختار ما يريد لا معقب لحكمه وهو الحميد المجيد وفى الارض قطع جملة مستانفة مشتملة على طايفة اخرى من الايات اى بقاع كثيرة مختلفة فى الاوصاف فمن طيبه الى سبخة وكريمة الى زهيده وصلبه الى رخوه وغير ذلك متجاورات اى متلاصقات وفى بعض المصاحف قطعا متجاورات اى جعل فى الارض قطعا وجنات من اعناب اى بساتين كثيرة منها وزرع من كل نوع من انواع الحبوب وافراده لمراعاة اصله ولعل تقديم ذكر الجنات عليه مع كونه عمود المعاش بظهور حالها فى اختلاف فيها ومبانيه لساير ها ورسوخ ذلك فيها وتاخير قوله تعالى ونخيل ليلا يقع بينها وبين صفتها وهو قوله تعالى صنوان وغير صنوان فاصلة والصنوان اصله جمع صنو كقنوان وقنو وهى النخلة التى لها راسان او اصلهما واحد وقرئ بضم الصاد على لغة بنى تميم وقيس وقرئ جنات بالنصب عطفا على زوجين وبالجر على كل الثمرات فلعل عدم نظم قوله تعالى وفى الارض قطع متجاورات فى هذا السلك مع ان اختصاص كل من تلك القطع بما لها من الاحوال والصفات بمحض جعل الخالق الحكيم جلت قدرته حين مد الارض ودحاها للايماء الى كون تلك الاحوال صفات راسخة لتلك القطع وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات يسقى اى ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتانيث مراعاة للفظ والاول اوفق بقوله مر بيان اتحاد الكل فى حالة السقى بماء واحد لا اختلاف فى طبعه سوا كان السقى بماء الامطار او بماء الانهار ونفضل مع وجود اسباب التشابه بمحض قدرتنا واختيارنا بعضها على بعض اخر منها فى الاكل بما يحصل منها من الثمر والطعام وقرئ بالياء على بناء الفاعل ردا على يدبر ويفصل ويغشى وعلى بناء المفعول وفيه ما لا يخفى من الفخامة والدلالة على ان عدم احتمال اسناد الفعل الى فاعل اخر مغن عن بناء الفعل على الفاعل ان فى ذلك الذى فصل من احوال القطع والجنات لايات كثيرة عظيمة ظاهرة لقوم يعقلون يعملون على قضية عقولهم فان من عقل هذه الاحوال العجيبة لا يتلعثم فى الجزم بان من قدر على ابداع تلك القطع المتباينة المتجاورة وجعلها حدايق ذات بهجة قادر على اعادة ما ابداه بل هى اهون فى القياس وهذه الاحوال وان كانت هى الايات انفسها لا انها فيها الا انه قد جردت عنها امثالها مبالغة فى كونها اية نوعى تجريدية مثلها فى قوله تعالى لهم فيها دار الخلد والمشار اليه الاحوال الكلية والايات افرادها الحادثة شيئا فشيئا فى الان منه واحادها الواقعة فى الاقطار والامكنة المشاهدة لاهلها نوعى على معناها وحيث كانت دلالة هذه الاحوال على مدلولاتها اظهر مما سبق علق كونها ايات بمحض التعقل ولذلك لم يتعرض لغير تفضيل بعضها على بعض فى الاكل الظاهر لكل عاقل مع تحقق ذلك فى الخواص والكيفيات مما يتوقف العثور عليه على نوع تامل وتفكر كانه لا حاجة فى ذلك الى التفكر ايضا وفيه تعريض بان المشركين غير عاقلين وان تعجب يا محمد من شىء فعجب لا عجب منه حقيق بان يتعجب منه التعجب قولهم بعد مشاهدة ما يمد ذلك من الايات الشاهدة بانه تعالى على كل شىء قدير ائذا كنا ترابا على طريقة الاستفهام الانكارى المفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار وهو فى محل الرفع على البدلية من قولهم على انه بمعنى المفعول او فى محل النصب على المفعولية منه على انه مصدر فالعجب على الاول كلامهم وعلى الثانى تكلمهم بذلك والعامل فى اذا ما دل عليه قولهم ائنا لفى خلق جديد

وهو

وهو نبعث او نعاد وتقديم الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه اليه فى حالة منافية له وتكرير الهمزة فى قولهم ائنا لتاكيد الانكار وليس مدار انكارهم كونهم ثابتين فى الخلق الجديد بالفعل عند كونهم ترابا بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له وفيه من الدلالة على عتوهم وتماديهم فى النكير ما لا يخفى وقيل وان تعجب يا من ينظر فى هذه الايات من قدرة من هذه افعاله تازدد تعجبا ممن ينكر مع هذه الدلايل قدرته تعالى على البعث وهو اهون من هذه والانسب بقوله ويستعجلونك بالسيئة هو الاول وقوله فعجب خبر قدم على المبتدا للقصر والتسجيل من الاول الامر يكون قولهم ذلك امرا عجيبا ويجوز ان يكون مبتدا لكونه موصوفا بالوصف المقدر كما اشير اليه فالمعنى ان تعجب فالعجب الذى لا عجب وراءه قولهم هذا فاعجب منه على الاول فان تعجب فقولهم هذا عجب لا عجب فوقه اولئك مبتدا والموصول خبره اى اولئك المنكرون لقدرته تعالى على البعث ربما عاينوا ما فصل من الايات الباهرة الملجية لهم الى الايمان به لو كانوا يبصرون الذين كفروا بربهم وتمادوا فى ذلك فان انكارهم لقدرته عز وجل كفر به واولئك مبتدا خبره الاغلال فى اعناقهم اى مقيدون بقيود الضلال لا يرجى خلاصهم او مغلولون يوم القيمة واولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات اصحاب النار هم فيها خالدون لا ينفكون عنها وتوسيط ضمير الفصل لتخصيص الخلود بمنكرى البعث خاصة بالجمع المدلول عليه بقوله تعالى اولئك الذين كفروا بربهم ويستعجلونك بالسيئة بالعقوبة التى انذروها وذلك حين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم بالعذاب استهزاء منهم بانذاره قبل الحسنة اى العافية والاحسان اليهم بالامهال وقد خلت من قبلهم المثلات اى عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لا يعتبرون ولا يجوزون حلول مثلها بهم والجملة الحالية لبيان ركاكة رايهم فى الاستعجال بطريق الاستهزاء اى يستعجلونك بها مستهزئين بانذارك منكرين لوقوع ما انذرتهم اياه والحال انه قد مضت العقوبات النازلة على امثالهم من المكذبين المستهزئين والمثلة بوزن السمرة العقوبة سميت بها لما بينها وبين المعاقب عليه من المماثلة ومنه المثال للقصاص وقرئ المثلات بضمتين باتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات والمثلات جمع ركبة وركبات وان ربك لذو مغفرة عظيمة للناس على ظلمهم انفسهم بالذنوب والمعاصى ومحلها النصب على الحالية اى ظالمين والعامل فيه المغفرة والمعنى ان ربك لغفور للناس لا يعجل لهم العقوبة وان كانوا ظالمين بل يمهلهم بتاخيرها وان ربك لشديد العقاب يعاقب من يشاء منهم حين يشاء فتاخير ما استعجلوه ليس للاهمال وعنه عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا وهم المستعجلون ايضا وانما عدل عن الاضمار الى الموصول ذما لهم ونعيا عليهم كفرهم بايات الله تعالى التى تخر لها صم الجبال حيث لم يرفعوا لها راسا ولم يعدوها من جنس الايات وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه من ايات موسى وعيسى عليهم السلام عنادا ومكابرة والا فهى اى ذى اية انزلت عليه السلام مرتبة وبصيرة لاولى الالباب انما انت منذر مرسل للانذار من سوء عاقبة ما ياتون وما يذرون كدأب من قبلك من الرسل وليس عليك الا الاتيان بما يعلم به نبوتك وقد حصل ذلك بما لا مزيد عليه ولا حاجة الى الزامهم والقامهم الحجر بالاتيان بما اقترحوا من الايات ولكل قوم هاد معين لا بالذات بل بعنوان الهداية يعنى لكل قوم نبى مخصوص له هداية مخصوصة يقتضيها اقتضاء كل منهم بما يختص به حكم لا يعلمها الا الله تعالى او لكل قوم هاد عظيم الشان قادر على ذلك هو الله سبحانه وما عليك الا انذارهم فلا يهمنك عنادهم وانكارهم للايات المنزلة عليك وازدراؤهم بها ثم عقبه بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره المبنيين على الحكم والمصالح تنبيها على ان تخصيص كل قوم بنبى وكل نبى بجنس معين من الايات انما هو للحكم الداعية الى ذلك اظهار الكمال قدرته على هدايتهم لكن لا يهدى الا من تعلق بهدايته مشيته التابعة لحكم استاثر بعلمها فقال الله يعلم ما تحمل كل انثى اى حمله فما موصولة اى يعلم ما فى بطنها من حين العلوق الى زمن الولادة لا بعد تكامل الخلق فقط والعلم متعد الى واحد اى او شىء تحمل وعلى اى حال هو من الاحوال المتواردة عليه طورا فطورا فهى استفهاميه معلقة للعلم او حملها فهى مصدرية وما تغيض الارحام وما تزداد اى تنقصه وتزداده فى الجثة كالخديج والتام وفى المدة كالمولود فى اقل مدة الحمل والمولود فى اكثرها وفيما بينهما قيل ان الضحاك ولد فى سنتين وهرم بن حيان فى اربع ومن ذلك سمى هرما وفى العدد كالواحد فما فوقه يروى ان شريكا كان رابع اربعة او يعلم نقصها وازديادها لما فيها فالفعلان متعديان كما فى قوله تعالى وغيض الماء وقوله وازدادوا تسعا فقوله وتزداد كيل بعير او لازمان قد اسندا الى الارحام مجازا وهما لما فيها وكل شىء من الاشياء عنده بمقدار بقدر لا يمكن تجاوزه عنه كقوله انا كل شىء خلقناه بقدر فان كل شىء حادث من الاعيان

والاعراض له في كل مرتبة من مراتب التكوين ومباديها وقت معين وحال مخصوص لا يكاد يجاوزه والمراد
بالعندية الحضور العلمي بل العلم الحضوري فان تحقق الاشيا في انفسها اي مرتبة كانت من مراتب الوجود
والاستعداد لذلك علم لها بالنسبة الى الله عز وجل عالم الغيب اي الغائب عن الحس والشهادة اي الحاضر
له عبر عنهما بهما مبالغة وقيل اريد بالغيب المعدوم وبالشهادة الموجود وهو خبر مبتدا محذوف او
خبر بعد خبر وقرئ بالنصب على المدح وهذا كالدليل على ما قبله من قوله الله يعلم الى آخره الكبير
العظيم الشان الذي كل شي دونه المتعال المستعلي على كل شي بقدرته او المنزه عن نعوت المخلوقات
وبعد ما بين سبحانه انه عليم بجميع الاحوال الانسان في المراتب فطرته ومحيط بعالمي الغيب والشهادة
بين انه تعالى عالم بجميع ما ياتون وما يذرون من الافعال والاقوال وانه لا فرق بالنسبة اليه بين
السر والعلن فقال سوا منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به اظهره لغيره ومن هو مستخف
مبالغ في الاختفاء كانه مختفي بالليل وطالب للزيادة وسارب بارز براه كل احد بالنهار من سرب
سروبا اي برز وهو عطف على من هو مستخف او على مستخف ومن عبارة عن الاثنين كما في قوله
• فان عاهدتني لا تخونني • نكن مثل من يا ذيب يصطحبان • كانه قيل سوا منكم اثنان مستخف بالليل
وسارب بالنهار والاستوا وان اسند الى من اسر ومن جهر والى المستخفي والسارب لكنه في الحقيقة
مسند الى ما اسره وما جهر به والى المستخفي والسارب او الى الفاعل من حيث هو فاعل كما في
الاخيرين وتقديم الاسرار والاستخفا لاظهار كمال علمه تعالى فكانه بالتعليق بالخفيات اقدم منه
بالظواهر والافهي نسبته الى الكل سوا لما عرفته انفا له اي لكل من اسر او جهر والمستخفي والسارب
معقبات ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كان
بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه او اعتقب فادغمت التا في
القاف والتا للمبالغة والمراد بالمعقبات الجماعات وقرئ معاقيب جمع معقب ومعقبة على تعويض
اليا من احد القافين من بين يديه ومن خلفه من جميع جوانبه او من الاعمال ما قدم وما اخر يحفظونه
من امر الله من باسه حين اذنب بالاستمهال والاستغفار له او يحفظونه من المضار او يراقبون
احواله من اجل امر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى البا وقيل من امر الله صفة ثانية لمعقبات
وقيل المعقبات الحراس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه من قضاء الله تعالى ان الله لا
يغير ما بقوم من النعمة والعافية حتى يغيروا ما بانفسهم من الاعمال الصالحة او ملكاتها التي في فطرة
الله فطر الناس عليها الى اضدادها واذا اراد الله بقوم سوءا لسوء اختيارهم واستحقاقهم لذلك
فلا مرد له والعامل في اذا ما دل عليه الجواب وما لهم من دونه من وال يلي امرهم فيدفع عنهم السوء
الذي اراده الله بهم بما قدمت ايديهم من تغيير ما بهم وفيه دلالة على ان تخلف مراده تعالى محال
وايذان بانهم بما باشروه من انكار البعث واستعجال السيئة واقتراح الاية قد غيروا ما بانفسهم
من الفطرة واستحقوا لذلك حلول غضب الله تعالى وعذابه هو الذي يريكم البرق خوفا من
الصاعقة وطمعا في المطر ووجه تقديم الخوف على الطمع ظاهر لما ان المخوف عليه النفس والرزق
العتيد والمطموع فيه الرزق المترقب وقيل الخوف ايضا من المطر لكن الخائف منه غير الطامع فيه
كالمسافر والحراث وياباه الترتيب اللهم الا ان يتكلف ما اشير اليه من المخوف عتيد والمطموع فيه
مترقب وانتصابهما على المصدرية اي فتخافون خوفا وتطمعون طمعا او على الحالية من البرق او
على الحالية من المخاطبين باضمار ذوي او بجعل المصدر بمعنى المفعول او الفاعل مبالغة او
على العلية بتقدير المضاف اي ارادة خوف وطمع او بتاويل الاخافة والاطماع ليتحد فاعل
العلة والفعل المعلل واما جعل المعلل هي الروية التي يتضمنها الاراءة على طريقة قول النابغة فيه
حيث قال • وحلت بيوتي في يفاع ممنع • تخال به راعي الحمولة طائرا • حذارا على ان لا ينال معادي
ولا نسوتي حتى يمتن حرائرا • اي احللت بيوتي حذارا فلا سبيل اليه لان ما وقع في بعض العلة
الغائية لا سيما الخوف لا يصلح علة لرويتهم وينشئ السحاب الغمام المنسحب في الجو الثقال بالما
وهي جمع ثقيلة وصف بها السحاب لكونها اسم جنس في معنى الجمع والواحدة سحابة يقال سحابة
ثقيلة وسحاب ثقال كما يقال امراة كريمة ونسوة كرام ويسبح الرعد اي سامعوه من العباد الراجين
للمطر ملتبسين بحمده اي يضجون بسبحان الله والحمد لله واسناده الى الرعد لحمله لهم على ذلك او يسبح الرعد
نفسه على ان تسبيحه عبارة عن دلالته على وحدانيته تعالى وفضله المستوجب لحمده وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده واذا اشتد يقول اللهم لا تقتلنا
بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن علي كرم الله تعالى وجهه سبحان من سبحت له

وعن

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان اليهود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك
من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله تعالى
ليس بملك والملائكة اي ويسبح الملائكة من خيفته من هيبته واجلاله جل جلاله وقيل الضمير للرعد
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه بذلك وهم اي الكفرة المخاطبون في قوله تعالى هو الذي
يريكم البرق وقد التفت الى الغيبة ايذانا باسقاطهم عن درجة الخطاب واعراضا عنهم وتعديدا لجناياتهم
لدى كل من يستحق الخطاب كانه قيل هو الذي يفعل امثال هذه الافاعيل العجيبة من اراءة البرق وانشاء السحاب
الثقال وارسال الصواعق الدالة على كمال علمه وقدرته ويعقلها من يعقلها من المؤمنين او الرعد نفسه
او الملك الموكل به والملائكة ويعملون بموجب ذلك من التسبيح والحمد والخوف من هيبته تعالى والكفرة الذين
حكيت هناتهم مع ذلكم وصنايعهم وحماقة شانهم يجادلون في الله اي في شانه تعالى حيث يفعلون ما يفعلون
من انكار البعث واستعجال العذاب استهزا واقتراح الايات فالواو لعطف الجملة على ما قبلها من قوله تعالى هو الذي
يريكم البرق الى اخره وعلى قوله الله يعلم الى اخره واما العطف على قوله تعالى ويقول الذين كفروا كما قيل فلا
مجال له لان قوله تعالى الله يعلم الى اخره استيناف لبيان بطلان قولهم ذلك ونظايره من استعجال العذاب
وانكار البعث قاطع لعطف ما بعده على ما قبله وقيل الحال اي فيصيب بالصواعق من يشا وهم في الجدال
وقد اريد به ما اصاب اربد بن ربيعة اخا لبيد فانه اقبل مع عامر بن الطفيل الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يريدانه والغوائل فدخلا المسجد وهو عليه السلام جالس في نفر من الاصحاب رضي الله
تعالى عنهم فاستشرفوا الجمال عامر وكان من اجمل الناس وقد كان اوصى الى اربد انه اذا رايتني اكلمه فدر
عليه السلام من خلفه واضربه بالسيف فجعل يكلمه عليه السلام فدار اربد من خلفه فاخترط من
سيفه شبرا ثم حبسه الله تعالى فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فراى النبي صلى الله عليه وسلم الحال
فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله عز وجل على اربد صاعقة في يوم صحو صايف فاحرقته وولى
عامر هاربا فنزل في بيت امراة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه وتغير لونه فركب فرسه فجعل يركض
في الصحرا ويقول ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لئن اصحر لي محمد وصاحبه يعني ملك
الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه بجناحه فاذله في التراب فخرجت على ركبته في
الوقت غدة عظيمة فعاد الى بيت السلولية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم دعا
بفرسه فركبه فاجراه حتى مات على ظهره وقيل اريد به ما روي عن الحسن انه كان من طواغيت العرب فبعث
النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه الى الله عز وجل فقال اخبروني عن ما تدعونني اليه ما هو
ومم هو من ذهب ام من فضة ام من حديد ام من نحاس ام من در فاستعظموا مقالته فرجعوا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال عليه السلام ارجعوا اليه فرجعوا
اليه فما زاد الا بمقالته الاولى واخبث فرجعوا اليه عليه السلام واخبروه بما صنع فقال عليه السلام
ارجعوا اليه فرجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه اذ ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة
فاحترق الكافر فجاؤوا يسعون ليخبروه عليه السلام بالخبر فاستقبلهم الاصحاب فقالوا احترق صاحبكم
قالوا من اين علمتم قالوا اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو شديد المحال اي والحال انه شديد المماحلة
والمجادلة والمماكرة لاعدائه من محل اذا كاد وعرضه للاهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيل وقيل هو مفعال
من المحل بمعنى القوة وقيل فعل من الحول او الحيلة اعل على غير قياس ويعضده انه قرئ بفتح الميم على انه مفعل
من حال يحول اذا احتال ويجوز ان يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا في القوة والقدرة كقولهم فساعد الله
اشد وموساه احد له دعوة الحق اي الدعوة المستجابة الواقعة في محلها المجابة عنده وتعويها والاضافة
للايذان بملابستها الحق واختصاصها به وكونه بمعزل من شائبة البطلان والضياع والضلال كما يقال
كلمة الحق وقيل له دعوة سبحانه الدعوة اللائق بحضرته كما في قوله عليه السلام فمن كانت هجرته الى الله
ورسوله فهجرته الى الله ورسوله والتعويق لوصف الحقية لتوبيه معنى الاستجابة والاولى هو الاول
لقوله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال وتصليح الجملتين بما قبلهما من حيث ان اهلاك اربد وعامر مما
من الله تعالى اجابة لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما ان كانت الاية نزلت في شانهما ومن حيث
انه وعيد للكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديد لهم باجابة دعوته
عليهم والذين يدعون اي الاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف العايد من دونه من دون الله عز وجل
سبحانه لا يستجيبون لهم بشي من طلباتهم الا كباسط كفيه الى الما اي الا استجابة كاستجابة الماء لمن
يبسط كفيه اليه من بعيد فالاستجابة مصدر من المبني للفاعل على ما يقتضيه الفعل الظاهر اعني لا
يستجيبون ويجوز ان يكون من المبني للمفعول وجودا وعدما فكانه قيل لا يستجيبون لهم بشي فلا

راجع

يستجاب لهم استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه الى الماء كما في قوله: وعضة دهر يا ابن مروان لم
تدع من المال الا مسحتا او مجلف . اي لم يدع فلم يبق الا مسحت او مجلف ليبلغ اي الماء بنفسه من
غير ان يؤخذ بشيء من اناء ونحوه فاه وما هو اي الماء ببالغه ببالغ فيه ابدا لكونه جمادا لا يشعر
بعطشه ولا ببسط يده اليه فضلا عن الاستطاعة لما اراده من البلوغ الى فيه شبه حال المشركين
في عدم حصولهم في دعاء آلهتهم على شيء اصلا وركاكة رأيهم في ذلك بحال عطشان هائم لا يدري
ما يفعل قد بسط كفيه من بعيد الى الماء يبغي وصوله الى فيه من غير ملاحظة التشبيه في جميع
مفردات الاطراف فان الماء في نفسه شيء نافع بخلاف آلهتهم والمراد نفي الاستجابة رأسا الا انه
قد اخرج الكلام مخرج التهكم بهم فقيل لا يستجيبون لهم شيئا من الاستجابة كائنة في هذه الصورة
التي ليست فيها استجابة قطعا فهو في الحقيقة من باب التعليق بالمحال وقرئ تدعون بالتاء وكباسط
بالتنوين وما دعاء الكافرين الا في ضلال اي ذهاب وضياع وخسار ولله وحده يسجد يخضع وينقاد
لا لشيء آخر استقلالا ولا اشتراكا فالقصر ينتظم القلب والافراد من في السموات والارض من الملئكة
والثقلين طوعا وكرها اي طائعين وكارهين او انقياد طوع وكره او حال الطوع
والكره فان خضوع الكل لعظمة الله عز وجل وانقياده لاحداث ما اراده فيهم من احكام التكوين والاعدام
شاؤا او ابوا وعدم مداخلة حكم غيره بل غير حكمه تعالى في تلك الشئون مما لا يخفى على احد وظلالهم اي
تنقاد له تعالى ظلال من له ظل منهم اعني الانس حيث تتصرف على مشيئته وتتأتى لارادته في الامتداد
والتقلص والفيء والزوال بالغدو والآصال ظرف للسجود المقدر او حال من الظلال وتخصيص الوقتين
بالذكر مع ان انقيادها متحقق في جميع الاوقات لوضوح ظهور ذلك فيهما والغدو جمع غداة كقنى
في جمع قناة والآصال جمع اصيل وقيل جمع اصل جمع اصيل وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر
ويؤيده انه قرئ والايصال اي الدخول في الاصيل هذا وقد قيل ان المراد حقيقة السجود فان
الكفرة حال الاضطرار وهو المعني بقوله تعالى وكرها يخصون السجود به سبحانه قال تعالى واذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ولا يبعد ان يخلق الله تعالى في الظلال افهاما وعقولا
بها تسجد لله سبحانه كما خلقها للجبال حتى اشتغلت بالتسبيح وظهر فيها آثار التجلي كما قاله ابن الانباري
ويجوز ان يراد بسجودها ما يشاهد فيها من هيئة السجود تبعا لاصحابها وانت خبير بان اختصاص
سجود الكافر بحالة الضرورة والشدة بالله سبحانه لا يجدي فان سجودهم لاصنامهم حالة الرخاء
مخل بالقصر المستفاد من تقديم الجار والمجرور فالوجه حمل السجود على الانقياد لان تحقق انقياد
الكل في الابداع والاعدام له تعالى ادخل في التوبيخ على اتخاذ اولياء من دونه من تحقق سجودهم له
تعالى واختصاص وتخصيص انقياد العقلاء بالذكر مع كون غيرهم ايضا كذلك لانهم العمدة
وانقيادهم دليل انقياد غيرهم على انه بين ذلك بقوله عز وجل قل من رب السموات والارض
فانه لتحقيق ان خالقهما ومتولي امرهما مع ما فيهما على الاطلاق هو الله تعالى وقوله قل الله امر
بالجواب من قبله عليه السلام اشعارا بانه متعين للجوابية فهو والخصم في تقريره سواء او بحكاية
اعترافهم ايذانا بانه امر لا بد لهم من ذلك كانه قيل احد اعترافهم فبكتهم بما يلزمهم
من الحجة والقمهم الحجر او من تلقينهم ذلك ان يتلعثموا في الجواب حذرا من الالزام فانهم لا يتمالكون
اذ ذاك ولا يقدرون على انكاره قل الزاما لهم وتبكيتا أفاتخذتم لانفسكم والهمزة لانكار الواقع
كما في قولك أضربت اباك لا لانكار الوقوع كما في قوله أضرب زيدا اي والفاء للعطف على مقدر
بعد الهمزة اي أعلمتم ان ربهما هو الله الذي ينقاد لامره من فيهما كافة فاتخذتم من دونه اولياء
عاجزين لا يملكون لانفسهم نفعا يستجلبونه ولا ضرا يدفعونه عن انفسهم فضلا عن القدرة
على جلب النفع لغيرهم ودفع الضر عنه لا على ان يكون الانكار متوجها الى المعطوفين معا كما في
قوله تعالى افلا تعقلون اذا قدر المعطوف عليه الا تسمعون بل الى ترتيب الثاني على الاول مع وجوب
ان يترتب عليه نقيضه والمعنى أبعد ان علمتم ان ربهما هو الله عز وجل اتخذتم من دونه اولياء
عجزة والحال ان قضية العلم بذلك انما هو الاقتصار على توليه فعكستم الامر كما في قوله تعالى كان
من الجن ففسق عن امر ربه أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني وفي وصف الاولياء هاهنا بعدم
المالكية للنفع والضر ترشيح الانكار وتاكيد كتقييد الاتخاذ هنالك بالجملة الحالية اعني قوله
تعالى لكم عدو فان كلا منهما مما ينفي الاتخاذ المذكور ويؤكد انكاره قل تصويرا لآرائهم الركيكة
بصورة المحسوس هل يستوي الاعمى الذي هو المشرك الجاهل بالعبادة ومستحقها والبصير الذي
هو الموحد العالم بذلك او الاول عبارة عن المعبود الغافل والثاني اشارة الى المعبود العالم

بكل شيء ام هل تستوي الظلمات التي هي عبارة عن الكفر والضلال والنور الذي هو عبارة عن التوحيد
والايمان وقرئ بالياء ولما دل النظم الكريم على ان الكفرة فيما فعلوا من اتخاذ الاصنام اولياء من دون
الله سبحانه اولياء في الضلال المحض والخطأ البحت بحيث لا يخفى بطلانه على احد وانهم في ذلك كالاعمى
الذي لا يهتدي لشيء اصلا وليس لهم في ذلك شبهة تتخيل ان تكون منشأ لغلطهم وخطاياهم فضلا عن الحجة
اكد ذلك فقيل ام جعلوا لله اي بل أجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه سبحانه والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار
الواقع مع وقوعه وقوله خلقوا كخلقه هو الذي يتوجه اليه الانكار واما نفس الجعل فهو واقع لا
يتعلق به الانكار بهذا المعنى والمعنى انهم لم يجعلوا لله تعالى شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم
بسبب ذلك وقالوا هؤلاء خلقوا كخلقه تعالى فاستحقوا بذلك العبادة كما استحقها ليكون ذلك
منشأ لخطاياهم بل انما جعلوا له شركاء ما هو بمعزل من ذلك بالمرة وفيه ما لا يخفى من التهكم بهم
بوكالة رأيهم والتهكم بهم قل تحقيقا للحق وارشادا لهم اليه الله خالق كل شيء كائنا ما كان لا خالق سواه فيشاركه
في استحقاق العبادة وهو الواحد المتوحد بالالوهية المتفرد بالربوبية القهار لكل ما سواه فكيف
يتوهم ان يكون له شريك وبعد ما قيل المشرك والشرك بالاعمى والظلمات والموحد والتوحيد
بالبصير والنور مثل للحق الذي هو القرآن العظيم في فيضانه من جناب القدس على قلوب خالية
عنه متفاوتة الاستعداد وفي جريانه عليها ملاحظة وحفظا وعلى الالسنة مذاكرة وتلاوة في
نباته وفيها مع كونه ممدا لحياتها الروحانية وما يتلوها من الملكات السنية والاعمال المرضية
بالماء النازل من السماء السائل في اودية يابسة لم تجر عادتها بذلك سيلانا مقدرا بمقدار اقتضته
الحكمة في احياء الارض وما عليها الباقي فيها حسبما يدور عليه منافع الناس وفي كونه حلية يتحلى
به النفوس وتصل الى البهجة الابدية ومتاعا يتمتع به في المعاش والمعاد بالذهب والفضة
وسائر الفلزات التي يتخذ منها انواع الآلات والادوات وتبقى منتفعا بها مدة طويلة ومثل
الباطل الذي ابتلي به الكفرة لقصور نظرهم بما يظهر فيهما من غير مداخلة له فيهما واخلال بصفائهما
من الزبد الرابي فوقهما المضمحل سريعا فقيل انزل من السماء اي من جهتها ماء اي كثيرا او نوعا منه
وهو ماء المطر فسالت بذلك اودية واقعة في مواقعه لا جميع الاودية اذ الامطار لا تستوعب
الاقطار وهو جمع واد وهو منفرج بين جبال او تلال او آكام على السند كناد واندية وناج وانجية
قالوا وجهه ان فاعلا يجيء بمعنى فعيل كناصر ونصير وشاهد وشهيد وعالم وعليم وحيث جمع فعيل على افعلة
كجريب واجربة جمع فاعل ايضا على افعلة فان اريد بها ما يسيل فيها مجازا فاسناد السيلان اليها
حقيقي وان اريد معناها الحقيقي فالاسناد مجازي كما في جرى النهر واسناد التنكير بها على الاول لما
ان المشتقة والجريان لوضوح المماثلة بين شانها وشان ما مثل بها اشير اليه بقدرها اي سالت ملتبسة
بمقدارها الذي عينه الله تعالى واقتضته حكمته في نفع الناس او بمقدارها المتفاوت قلة وكثرة
بحسب تفاوت محالها صغرا وكبرا لا بكونها مالئة لها منطبقة عليها بل بمجرد قلتها بصغرها المستلزم
لقلة موارد الماء وكثرتها بكبرها المستدعي لكثرة الموارد فان مورد السيل الجاري في الوادي
الصغير اقل من موارد السيل الجاري في الوادي الكبير هذا ان اريد بالاودية ما يسيل فيها اما ان
اريد بها معناها الحقيقي فالمعنى سالت مياهها بقدرها فتلك الاودية على نحو ما عرفته آنفا او يراد
بضميرها مياهها بطريق الاستخدام ويراد بقدرها ما ذكر اولا من المعنيين فاحتمل السيل الجاري
في تلك الاودية اي حمل معه زبدا اي غثاء ورغوة وانما وصف ذلك بقوله تعالى رابيا اي عاليا
منتفخا فوقه بيانا لما اريد بالاحتمال المحتمل لكون المحمول غير طاف كالاشجار الثقيلة وانما لم يدفع
ذلك الاحتمال بان يقال فاحتمل السيل فوقه للايذان بان تلك الفوقية مقتضى شأن الزبد
لا من جهة المحتمل تحقيقا للمماثلة بينه وبين ما مثل به من الباطل الذي شأنه الظهور في بادي
الرأي من غير مداخلة في الحق ومما توقدون عليه في النار اي يفعلون الايقاد عليه كائنا في النار
والضمير للناس اضمر مع عدم سبق الذكر لظهوره وقرئ بالخطاب ابتغاء حلية او متاع اي لطلب
اتخاذ حلية وهي ما يتزين ويتجمل كالحلي المتخذة من الذهب والفضة او اتخاذ متاع وهو ما يتمتع
به من الاواني والادوات المتخذة من الرصاص والحديد وغير ذلك من الفلزات زبد خبث مثله
مثل ما ذكر من زبد الماء في كونه رابيا فوقه فقوله زبدا مبتدأ خبره الظرف المقدم ومن ابتدائية
دالة على مجرد كونه مبتدأ وناشئا منه لا تبعيضية معربة عن كونه بعضا منه كما قيل لاخلال
ذلك بالتمثيل وفي التعبير عن ذلك بالموصول والتعرض لما في حيز الصلة من ايقاد النار عليه
جرى على سنن الكبرياء باظهار التهاون به كما في قوله تعالى فاوقد لي يا هامان على الطين واشارة الى

كيفية حصول الزبد منه بذوبانه وفي زيادة في النار اشعار بالمبالغة في الاعتمال للاذابة
وحصول الزبد بكما اشير اليه وعدم التعرض لاخراجه من الارض لعدم دخل ذلك العنوان في
التمثيل كما ان لعنوان انزال الماء من السماء دخلا فيه حسبما فصل فيما سلف بل له اخلال بذلك كذلك
اى مثل ذلك الضرب البديع المشتمل على نكت رائقة يضرب الله الحق والباطل اى مثل الحق ومثل
الباطل والحذف للايذان بكمال التماثل بين الممثل والممثل به كان المثل المضروب عين الحق والباطل
وبعد تحقيق التمثيل مع الايماء في تضاعيف ذلك الى الوجوه المماثلة على ابدع وجه فالقها حسبما
اشير اليه في مواقعها بين عاقبة كل من الممثلين على وجه التمثيل مع التصريح ببعض ما به المماثلة
من الذهاب والبقاء تتمة للغرض من التمثيل من الحث على اتباع الحق الثابت والردع عن الباطل الزائل
فقيل فاما الزبد من كل منهما فيذهب جفاء اى مرميا به وتريجا لان المعنى واحد واما ما ينفع
الناس منهما كالماء الصافي والفلز الخالص فيمكث في الارض اما الماء فيثبت بعضه في
منافعه ويسلك بعضه في عروق الارض الى العيون والقنى والابار واما الفلز فيصاغ من
بعضه انواع الحلى ويتخذ من بعضه اصناف الالات والادوات فينتفع بكل من ذلك انواع الانتفا
عات مدة طويلة فالمراد بالمكث في الارض ما هو اعم من المكث في نفسها ومن البقاء في ايدى
المتقلبين فيها وتغيير ترتيب الكشف الواقع في الفذلكة الموافق للترتيب الواقع في التمثيل
لمراعات الملاءمة بين حالتي الذهاب والبقاء وبين ذكريهما فان المعتبر انما هو بقاء الثاني بعد
ذهاب الذاهب لا قبله كذلك يضرب الله اى مثل ذلك الضرب العجيب يضرب الامثال
في كل باب اظهارا لكمال اللطف والعناية في الارشاد والهداية وفيه تفخيم لشان هذا التمثيل وتاكيد
لقوله كذلك يضرب الله الحق والباطل اما باعتبار ابتناء هذا على التمثيل الاول او بجعل ذلك
اشارة اليهما جميعا وبعد ما بين شان كل من الحق والباطل حالا ومالا اكمل بيان شرع في بيان حال
اهل كل منهما مالا تكميلا للدعوة وترغيبا وترهيبا فقيل للذين استجابوا لربهم اذ دعاهم الى الحق
بفنون الدعوة التي من جملتها ضرب الامثال فانه الطف ذريعة الى تفهيم القلوب الغبية واقوى
وسيلة الى تسخير النفوس الابية كيف لا وهو تصوير المعقول بصورة المحسوس وابراز اوابد
المعاني في هيئة المانوس فاى دعوة اولى منه بالاستجابة والقبول الحسنى اى المثوبة الحسنى وهي
الجنة والذين لم يستجيبوا له وعاندوا الحق الجلي لو ان لهم ما في الارض من اصناف الاموال جميعا بحيث
لم يشذ منه شاذ في اقطارها او مجموعا غير متفرق بحسب الازمان ومثله معه لافتدوا به
اى بما في الارض ومثله معه جميعا ليتخلصوا عما بهم وفيه من تهويل ما يلقاهم ما لا يحيط به البيان
فالموصول مبتدا والشرطية كما هي خبره لكن لا على انها وضعت موضع السوءى فوقعت في مقابلة
الحسنى الواقعة في القرينة الاولى لمراعاة حسن المقابلة فصار كانه قيل وللذين لم يستجيبوا له السوءى
كما توهم فان الشرطية وان دلت على كمال سوء حالهم لكنها بمعزل من القيام مقام لفظ السوءى مصحوبا
باللام الداخلة على الموصول او ضميره وعليه يدور حصول المرام وانما الواقع في تلك المقابلة سوء
الحساب في قوله تعالى اولئك لهم سوء الحساب وحيث كان اسم الاشارة الواقع مبتدا في هذه الجملة
عبارة عن الموصول الواقع مبتدا في الجملة السابقة وكان خبرها اعنى الجملة الظرفية خبرا عن الموصول
في الحقيقة ومبينا لابهام مضمون الشرطية الواقعة خبرا عنه اولا ولذلك ترك العطف فصار
كانه قيل والذين لم يستجيبوا له لهم سوء الحساب وذلك في قوة ان يقال وللذين لم يستجيبوا له
سوء الحساب مع زيادة تاكيد فتم حسن المقابلة على ابلغ وجه واكمل ثم بين مؤدى ذلك فقيل
وماويهم اى مرجعهم جهنم وفيه نوع تاييد لتفسير الحسنى بالجنة وبئس المهاد اى المستقر
والمخصوص بالذم محذوف وقيل اللام في قوله للذين استجابوا لربهم متعلقة بقوله يضرب الله
الامثال اى الامثال الثلاثة وقوله الحسنى صفة لمصدر اى استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله
والذين لم يستجيبوا له معطوف على الموصول الاول وقوله لو ان لهم الى اخره كلام مستانف
مسوق لبيان ما اعد لغير المستجيبين من العذاب والمعنى كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين
المستجيبين والكافرين المعاندين اى هما مثلا الفريقين وانت خبير بان عنوان الاستجابة المستدعى
دخول اللام على من يقصد تذكيره بالمثل نعم قد يستعمل في هذا المعنى ايضا كما في قوله سبحانه ضرب الله
مثلا للمؤمنين للذين امنوا امراة فرعون ونظائره على ان بعض الامثال المضروبة لا سيما المثل الاخير
الموصول بالكلام ليس مثل الفريقين بل هو مثل للحق والباطل ولا يساغ لجعل الفريقين مضروبا لهم ايضا بان
يجعل في حكم ان يقال كذلك يضرب الله الامثال للناس اذ لا وجه حينئذ لتنويعهم الى المستجيبين

فتامل

فتامل افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك من القران الذي مثل بالماء والمنزل من السماء والابريز الخالص
في المنفعة والجدوى الحق الذي لا حق وراءه او الحق الذي اشير اليه بالامثال المضروبة فيستجيب له كمن
هو اعمى القلب لا يشاهده وهو نار على علم ولا يقدر قدره وهو في اقصى مراتب العلو والعظم فيبقى
حائرا في ظلمات الجهل وغياهب الضلال او لا يتذكر بما ضرب من الامثال لكن لا يعلم ذلك الا انه
اريد زيادة تقبيح حاله فعبر عنه بالاعمى وايراد الفاء بعد الهمزة لتوجيه الانكار الى ترتب توهم
المماثلة على ظهور حال كل منهما بما ضرب من الامثال وبين المصير والمال كانه قيل ابعد ما بين حال كل من
الفريقين وما لهما يتوهم المماثلة بينهما ثم استونف فقيل انما يتذكر بما ذكر من المذكورات فيقف على ما
بينهما من التفاوت والتنافي اولوا الالباب اى العقول الخالصة المبراة من مشايعة الالف ومعارضة الوهم
الذين يوفون بعهد الله بما عقدوا على انفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى وما عهد الله عليهم
في كتبه ولا ينقضون الميثاق ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم
وبين الله وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص وفيه تاكيد للاستمرار المفهوم من صيغة المستقبل
والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء المجمعين
على الحق من غير تفريق بين احد منهم ويندرج فيه مراعاة جميع حقوق الناس بل حقوق كل ما يتعلق
بهم من الهرة والدجاج ويخشون ربهم خشية جلال وهيبة فلا يعصونه فيما امر به ويخافون سوء الحساب
فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا فيه دلالة على كمال فظاعته حسبما ذكر فيما قيل والذين صبروا
على كل ما تكرهه النفس من الافعال والتروك ابتغاء وجه ربهم طلبا لرضاه خاصة من غير ان
ينظروا الى جانب الخلق رياء وسمعة ولا الى جانب النفس زينة وعجبا وحيث كان الصبر على الوجه
المذكور ملاك الامر في كل ما ذكر من الصلات السابقة واللاحقة اورد على صيغة الماضي اعتناء
بشانه ودلالة على وجوب تحققه فان ذلك مما لا بد منه اما في نفس الصلات كما في عدا الاولى والرابعة
والخامسة او في اظهار احكامها كما في الصلات الثلاث المذكورات فانها وان استغنت عن الصبر في
انفسها حيث لا مشقة على النفس في الاعتراف بالربوبية والخشية والخوف لكن اظهار احكامها والجرى
على موجبها غير خال عن الاحتياج اليه واقاموا الصلاة المفروضة وانفقوا مما رزقناهم اى بعضه
الذي يجب عليهم انفاقه سرا لمن لم يعرف بالمال او لمن لا يتهم بترك الزكوة او عند انفاقه
واعطائه من غيره المروءة من اخذه ظاهرا وعلانية لمن لم يكن كما ذكر او الاول في التطوع والثاني
في الفرض ويدرؤن بالحسنة السيئة اى يجازون الاساءة بالاحسان او يتبعون الحسنة السيئة
فتمحوها عن ابن عباس رضي الله عنهما يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم وعن الحسن
اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا
راوا منكرا امروا بتغييره وتقديم المجرور على المنصوب لاظهار كمال العناية بالحسنة اولئك
المنعوتون بالنعوت الجليلة والمحاسن الجميلة وهو مبتدا خبره الجملة الظرفية اعنى قوله لهم عقبى الدار
اى عاقبة الدنيا وما ينبغي ان يكون مال امر اهلها وهي الجنة وقيل الجار والمجرور خبر لاولئك وعقبى
الدار فاعل على الاستقرار واياما كان فليس فيه قصر حتى يرد ان بعض ما في حيز الصلة ليس من العزائم
التي يخل اخلالها بالوصول الى حسن العاقبة والجملة خبر للموصولات المتعاطفة صفات لاولى الالباب
على طريقة المدح من غير ان يقصد ان يكون للصلات المذكورة مدخل في التذكر جنات عدن بدل من عقبى
الدار او مبتدا خبره يدخلونها والعدن الاقامة ثم صار علما لجنة من الجنات اى جنات يقيمون فيها
وقيل هو بطنان الجنة ومن صلح من ابائهم جمع ابوى كل واحد منهم فكانه قيل من ابائهم وامهاتهم وازواجهم
وذرياتهم وهو عطف على المرفوع في يدخلونها وانما ساغ ذلك للفصل بالضمير الاخر او مفعول معه
والمعنى انه يلحق بهم من صلح من اهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم تعظيما لشانهم وهو دليل على ان
الدرجة تعلو بالشفاعة وان الموصوف بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة
والوصلة في دخول الجنة زيادة في انسهم وفي التقييد بالصلاح قطع للاطماع الفارغة لمن يتمسك بمجرد
حبل الانساب والملائكة يدخلون عليهم من كل باب من ابواب المنازل او من ابواب الفتوح والتحف
قائلين سلام عليكم بشارة لهم بدوام السلامة بما صبرتم متعلق بعليكم او بمحذوف اى هذه الكرامة
العظمى بما صبرتم او بسبب صبركم او بدل لما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه والمعنى لئن تعبتم في الدنيا
لقد استرحتم الساعة وتخصيص الصبر بالذكر من بين الصلات السابقة لما قدمناه من ان له دخلا في
كل منها ومزية زائدة من حيث انه ملاك الامر في كل منها وان شيئا منها لا يعتد به الا ان يكون
لابتغاء وجه الرب تعالى وتقدس فنعم عقبى الدار الجنة وقرئ بفتح النون والاصل نعم فسكن العين

بنقل حركتها الى النون تارة وبدونه اخرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ياتي قبور الشهدا
على راس كل حول فيقول سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وكذا عن الخلفا الاربعة رضوان الله
تعالى عنهم اجمعين والذين ينقضون عهد الله اريد بهم من يقابل الاولين ويعاندهم في الاتصاف بنقايض
صفاتهم من بعد ميثاقه من بعد ما اوثقوه به من الاعتراف والقبول ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
بجميع الانبيا المجمعين على الحق حيث يومنون ببعضهم ويكفرون ببعضهم ومن حقوق الارحام وموالاة
المؤمنين وغير ذلك مما لا يراعون حقوقه من الامور المعدودة فيما سلف وانما لا يتعرض لنفي الخشية
والخوف عنهم صريحا لدلالة النفي والقطع على ذلك واما عدم التعرض لنفي الصبر المذكور
فلانه انما عبر اعتبر تحققه في ضمن الحسنات المعدودة لنفي معتبرا بهن فلا وجه لنفيه عمن بينه
وبين الحسنات بعد المشرقين كما لا نفي لوجه الصلاة والزكوة عمن لا يحوم حول اصل الايمان بالله تعالى
فضلا عن فروع الشرايع وان اريد بالانفاق التطوع فنفيه مندرج تحت قطع ما امر الله تعالى
بوصله واما درء الحسنة بالسيئة فانتفاؤه عنهم ظاهر فيما سبق ولحق فان من يجازي احسانه
عز وجل بنقض العهد ومخالفة الامر ويباشر الفساد حسبما يحكيه قوله عز وجل ويفسدون
في الارض اي بالظلم وتهييج الفتن كيف يتصور منه مجازاة الاساءة بالاحسان على ان ذلك
يشعر بان له دخلا في العقوبة لا افضى الى العقوبة التي ينبي عنها قوله تعالى اولئك الى
اخره اي اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح لهم بسبب ذلك اللعنة اي الابعاد من رحمة الله تعالى
ولهم مع ذلك ولهم مع ذلك سوء الدار اي سوء عاقبة الدنيا او عذاب جهنم فانها دارهم لا دون
ترتيب الحكم على الموصول مشعر بعلية الصلة له ولا يخفى انه لا دخل له في ذلك على اكثر التفاسير
فان مجازاة السيئة بمثلها او دون فيها ودفع الكلام السيء بالحسن وكذا الاعطا عند المنع
والعفو عند الظلم والوصل عند القطع ليس مما يوجب تركه تبعة واما ما اعتبر اندراجه
تحت الصلة الثانية من الاخلال ببعض الحقوق المندوبة فلا ضير في ذلك لان اعتباره من
حيث انه من مستتبعات الاخلال بالفرايض بالكفر ببعض الانبياء وعقوق الوالدين وترك
ساير الحقوق الواجبة وتكرير لهم للتاكيد والايذان باختلافهما واستقلال كل منهما في الثبوت
الله يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشاء من عباده ويقدر اي يضيقه على من يشاء حسبما يقتضيه
الحكمة من غير ان يكون لاحد مدخل في ذلك ولا شعور بحكمته فربما يبسط للكافر املاء واستدراجا
وربما يضيق على المؤمن زيادة لاجره فلا يعتبر ببسطه للكافر كما لا يقنط بقدره المؤمن وفرحوا
اي اهل مكة فرح اشر وبطر لا فرح سرور بفضل الله تعالى بالحياة الدنيا وما بسط لهم من نعيمها
وما الحيوة الدنيا اي وما يتبعها من النعيم في الاخرة الا متاع الا شيء نذر يتمتع به كعجالة الراكب
وزاد الراعي والمعنى انهم رضوا بحظ الدنيا معرضين عن نعيم الاخرة والحال انه ما اشروا به كعجالة
في جنب ما اعرضوا عنه شيء قليل النفع سريع النفاد ويقول الذين كفروا اي اهل مكة وايثار
هذه الطريقة على الاضمار مع ظهور ارادتهم عقيب ذكر فرحهم بالحياة الدنيا لذمهم والتسجيل
عليهم بالكفر فيما حكي عنهم قبل من قولهم لولا انزل عليه اية من ربه فان ذلك في اقصى مراتب
المكابرة والعناد ومن شدة الشكيمة والغلو في الفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل اية
ويهدي اليه اي الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه
فان ذلك غير مختص بالمهتدين وفيه من تشنيعهم ما لا يوصف الى كان ما انزل اليه عليه السلام
من الايات العظام الباهرة ليس بانه حتى اقترحوا ما لا تقتضيه الحكمة من الايات المحسوسة التي
لا تبقى لاحد بعد ذلك طاقة بعدم القبول ولذلك امر في الجواب بقوله تعالى قل ان الله يضل من
يشاء اضلاله مشية تابعة للحكمة الداعية اليها اي يخلق فيه الضلال لصرفه اختياره الى تحصيله
ويدعه منهمكا فيه لعلمه بانه لا ينجع فيه اللطف ولا ينفعه الارشاد كمن كان على صفتكم في المكابرة
والعناد وشدة الشكيمة والغلو في الكفر والفساد فلا سبيل له الى الاهتداء ولو جاءته كل اية ويهدي اليه
الى جنابه العلي الكبير هداية موصلة اليه لا دلالة مطلقة على ما يوصل اليه فان ذلك غير مختص
بالمهتدين وفيه من تشنيعهم ما لا يوصف من اناب اقبل الى الحق وتامل في تضاعيف ما نزل من
دلايله الواضحة وحقيقة الانابة الدخول في نوبة الخير وايثار ايرادها في الصلة على ايراد المشية
الاولى من المكابرة وفيه حث للكفرة على الاقلاع عما هم عليه من العتو والعناد وايثار صيغة الماضي
للايماء الى استدعا الهداية السابقة الانابة كما ان ايثار صيغة المضارع في الصلة الاولى للدلالة على
استمرار المشية حسب استمرار مكابرتهم الذين امنوا بدل من اناب فان اريد بالهداية الهداية المستمرة

في جنب نعيم الاخرة من

فالامر

فالامر ظاهر لظهور كون الايمان موديا اليها وان اريد احداثها فالمراد بالذين امنوا الذين صاروا
امرهم الى الايمان كما في قوله تعالى هدى للمتقين اي الصايرين الى التقوى والا فالايمان لا يودي الى
الهداية نفسها او خبر مبتدا محذوف اي هم الذين امنوا او منصوب على المدح وتطمئن قلوبهم اي تستقر
وتسكن بذكر الله بكلامه المعجز الذي لا ريب فيه كقوله وهذا ذكر مبارك انزلناه وقوله انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون ويعلمون انه لا انه اعظم منه فيقترحوها والعدول الى صيغة المضارع
لافادة دوام الاطمئنان وتجدده حسب تجدد الايات وتعددها الا بذكر الله وحده تطمئن القلوب
دون غيره من الامور التي تميل اليها النفوس من الدنياويات وهذا ظاهر اما ساير المعجزات فالقصر
من حيث انها ليست من افادة الطمانينة بالنسبة الى من لم يشاهدها بمثابة القران المجيد فانه معجزة
باقية الى يوم القيمة يشاهدها كل احد وتطمئن بها القلوب كافة وفيه اشعار بان الكفرة ليست لهم قلوب
وافيدتهم هواء حيث لم يطمئنوا بذكر الله تعالى ولم يعدوه اية وهو اظهر الايات وابهرها وقيل تطمئن قلوبهم
بذكر رحمته ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله
او بذكر دلايله الدالة على وحدانيته او بذكره جل وعلا انسا به وتبتلا اليه فالمراد بالهداية دوامها
واستمرارها الذين امنوا وعملوا الصالحات بدل من القلوب على حذف المضاف بدل الكل حسبما رمزنا
اليه اي قلوب الذين وفيه ايماء الى ان الانسان انما هو القلب او مبتدا خبره الجملة الدعائية على التاويل
اعني قوله طوبى لهم او خبر مبتدا مضمر او نصب على المدح فطوبى لهم حال عاملها العقلان وطوبى مصدر
من طاب كبشرى وزلفى والواو منقلبة من اليا كموقن وموسر ومكونه الا عن اي طيبي لسلم اليا
والمعنى اصابوا خيرا ومحلها النصب كسقيا لك او الرفع على الابتداء وان كانت نكرة لكونها في معنى الدعاء
كسلام عليك يدل على ذلك القراءة في قوله تعالى وحسن ماب بالنصب والرفع واللام في لهم للبيان مثلها
في سقيا لك كذلك اي مثل ذلك الارسال العظيم الشان المصحوب بهذه المعجزة الباهرة ارسلناك
في امة قد خلت اي مضت من قبلها امم كثيرة قد ارسل اليهم رسل لتتلو لتقرا عليهم الذي اوحينا
اليك من الكتاب العظيم الشان ويهديهم الى الحق رحمة لهم وتقديم المجرور على المنصوب من قبيل
الابهام ثم البيان كما في قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك وفيه ما لا يخفى من ترقب النفس الى ما
سيرد وحسن قبولها له عند وروده عليها وهم اي والحال انهم يكفرون بالرحمن بالبليغ الرحمة الذي
وسعت كل شيء رحمته واحاطت به نعمته والعدول الى المظهر المتعرض لوصف الرحمة من حيث
ان الارسال ناشئ منها كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فلم يقدروه ولم يشكروا نعمه
لا سيما ما انعم به عليهم بارسال مثلك اليهم وانزال القران الذي هو مدار المنافع الدينية والدنيا
وبه عليهم وقيل نزلت في مشركي مكة حين امروا بالسجود فقالوا وما الرحمن قل هو اي الرحمن الذي به
واتكم معرفته ربي الرب في الاصل بمعنى المالك التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا ثم وصف
به مبالغة كالصوم والعدل وقيل هو نعت اي خالقي ومبلغي الى مراتب الكمال وايراده قيل قوله
لا اله الا هو اي لا مستحق للعبادة سواه تنبيه على ان استحقاق العبادة منوط بالربوبية وقيل ان ابا
جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعوا الهين
فنزلت ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الاية عليه توكلت في جميع اموري لا سيما في
النصرة عليكم لا على احد سواه واليه متاب اي توبتي كقوله تعالى واستغفر لذنبك امره عليه السلام
بذلك ابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وانها صفة الانبيا وبعثا للكفرة على الرجوع
عما هم عليه بابلغ وجه والطفه فانه عليه السلام حيث امر بها وهو منزه عن شائبة اقتراف ما يوجبها
من الذنب وان قل فتوبتهم وهم عاكفون على انواع الكفر والمعاصي مما لا بد منه اصلا وقد فسر
المتاب مطلقا بالرجوع فقيل مرجعي ومرجعكم وزيد فيحكم بيني وبينكم وقد قيل فيثيبني على مصابرتكم
فتامل ولو ان قرانا اي قرانا ما وهو اسم ان والخبر قوله تعالى سيرت به الجبال وجواب لو محذوف لدلالة
سياق الكلام اليه بحيث يتلقفه السامع من التالي والمقصود اما بيان عظم شان القران العظيم
وفساد راي الكفرة حيث لم يقدروا قدره العلي ولم يعدوه من قبيل الايات فاقترحوا غيره مما
اوتي موسى وعيسى عليهما السلام واما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال
والفساد فالمعنى على الاول لو ان قرانا سيرت به الجبال اي بانزاله او بتلاوته عليها وزعزعت عن مقارها
كما فعل ذلك بطور لموسى عليه السلام او قطعت به الارض اي شققت وجعلت انهارا
او عيونا كما فعل بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه او جعلت قطعا متصدعة او كلم به الموتى
اي بعد ان احيى بقراته عليها كما احييت لعيسى عليه السلام لكان ذلك هذا القران لكونه الغاية

القصوى في الانطوا على عجايب اثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى لو انزلنا هذا
القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله لا في الاعجاز اذ لا مدخل في هذه الاثار ولا في
التذكير والانذار والتخويف لاختصاصها بالعقلاء مع انه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار قبض
العقول اليها مخل بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور في المواضع الثلاثة على المرفوع لما مر غير مرة
من قصد الابهام ثم التفسير لزيادة التقرير لان بتقديم ما حقه التاخير تبقى النفس مستشرفة
ومترقبة الى المؤخر انه ماذا فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن وكلمة او في المواضع لمنع الخلو
لا لمنع الجمع واقتراحهم وان كان متعلقا بمجرد ظهور مثل هذه الافاعيل على يده عليه السلام
لا بظهورها بواسطة القران لكن ذلك حيث كان مبنيا على عدم اشتماله في زعمهم على الخوارق نيط
ظهورها به مبالغة في بيان اشتماله عليها وانه حقيق بان يكون مصدرا لكل خارق وابانة
لركاكة رايهم في شانه الرفيع كانه قيل لو ان ظهور امثال ما اقترحوه من مقتضيات الحكمة
لكان مظهرها هذا القران الذي لم يعدوه اية وفيه من تفخيم شانه العزيز ووصفهم بركاكة
العقل ما لا يخفى بل لله الامر جميعا اي له الامر الذي يدور عليه ذلك الاكوان وجودا وعدما
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لما يدعوا اليه من الحكم البالغة وهو اضراب عما تضمنته الشرطية
من معنى النفي لا بحسب منطوقه بل باعتبار موجبه ومؤداه اي لو ان قرانا فعل به ما ذكر لكان
ذلك هذا القران ولكن لم يفعل بل فعل ما عليه الشان الان لان الامر كله له وحده فالاضراب
ليس بمتوجه الى كون الامر لله سبحانه بل الى ما يؤدي اليه ذلك من كون الشان على ما كان لما
تقتضيه الحكمة من بناء التكليف على الاختيار افلم ييأس الذين امنوا اي فلم يعلموا على لغة هوازن
او قوم من النخع او على استعمال الناس في معنى العلم لتضمنه ويؤيده قراءة علي وابن عباس وجماعة
من الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين افلم يتبين بطريق التفسير والفا للعطف
على مقدر اي اغفلوا عن كون الامر جميعا لله تعالى فلم يعلموا ان لو يشاء الله على حذف ضمير الشان
وتخفيف ان لهدى الناس جميعا باظهار امثال تلك الاثار العظيمة فالانكار متوجه الى
المعطوفين جميعا او اعلموا كون الامر جميعا لله فلم يعلموا ما يوجبه ذلك العلم مما ذكر فهو متوجه
الى ترتب وقوع المعطوف على المعطوف عليه اي تخلف العلم الثاني على العلم الاول وعلى التقديرين
فالانكار انكار الوقوع كما في قوله تعالى الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا لانكار الواقع كما في قولك
المخلف الله حتى عصيته ثم ان لا مناط الانكار ليس عدم علمهم بمضمون الشرطية فقط بل
مع عدم علمهم بعدم تحقق مقدمها كانه قيل الم يعلموا ان الله تعالى لو شاء هدايتهم لهداهم
وانه لم يشاها وذلك لانهم كانوا يودون ان يظهر ما اقترحوا من الايات ليجتمعوا على الايمان
على التا في لو ان قرانا فعل به ما فصل من التعاجيب لما امنوا به كقوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى الاية فالاضطراب حينئذ متوجه الى ما سلف من اقتراحهم مع كونهم في العناد
على ما شرح اي فليس لهم ذلك بل لله الامر جميعا ان شاء اتى بما اقترحوا وان شاء لم يات به حسبما
يستدعيه داعية الحكمة من غير ان يكون لاحد عليه تحكم او اقتراح واليأس بمعنى القنوط اي الم يعلم
الذين امنوا حالهم هذه فلم يقنطوا من ايمانهم حتى احبوا ظهور مقترحاتهم فالانكار متوجه
الى وقوع المعطوف بعد المعطوف عليه اي الى تخلف القنوط عن العلم المذكور والانكار على التقديرين
انكار الواقع كما في قوله تعالى افلا تتقون ونظائره لا انكار الوقوع فان عدم قنوطهم منه مما
لا مرد له وقوله تعالى ان لو يشاء الله متعلق بمحذوف اي افلم ييأسوا من ايمانهم علما منهم او عالمين
بانه لو يشاء الله لهدى الناس وانه لم يشاء ذلك او بامنوا اي افلم يقنط الذين امنوا بان لو يشاء
الله لهدى الناس جميعا على معنى افلم ييأس من ايمانهم المؤمنون بمضمون الشرطية وبعدم
تحقق مقدمها المنفهم من مكابرتهم حسبما يحكيه كلمة لو فالوصف المذكور من دواعي انكار
ياسهم وقيل ان ابا جهل واضرابه قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا سير لنا بقرانك
الجبال عن مكة حتى تتسع لنا ونتخذ فيها البساتين والقطايع وقد سخرت لداود فلست باهون
على الله منه ان كنت نبيا كما زعمت او سخر لنا به الريح كما سخرت لسليمان عليه السلام لنتجر عليها
الى الشام فقد شق علينا قطع الطريق المشقة البعيدة او ابعث لنا رجلين او ثلثة
ممن مات من ابائنا فنزلت فمعنى تقطيع الارض حينئذ قطعها بالسير ولا حاجة الى الاعتذار في
اسناد الافاعيل المذكورة الى القران كما احتيج اليه في الوجهين الاولين وعلى كل فانه متعلق بما
قبله من قولهم وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وهو بالحقيقة دال على الوجه والتقدير

ولو

ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن والتذكير في كلم به
الموتى لتغليب المذكر من الموتى على غيره ولا يزال الذين كفروا من اهل مكة تصيبهم بما صنعوا اي
بسبب ما صنعوه من الكفر والتمادي فيه وعدم بيانه اما للقصد الى تهويله او استهجانه وهو تصريح
بما اشعر به الحكم عن الموصول من عليه الصلاة له مع ما في صنعة الصنع من الايذان برسوخهم
في ذلك قارعة داهية تقرعهم وتقلقهم وهو ما كان يصيبهم من انواع البلايا والمصايب من القتل
والاسر والسلب والنهب وتقديم المجرور على الفاعل لما مر مرارا من ارادة التفسير اثر الابهام
لزيادة التقرير والاحكام مع ما فيه من ساءه ان مدار الاصابة من جهتهم اثر ذي اثير او تحل
تلك القارعة قريبا اي مكانا قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شرارها شبهت
القارعة بالعدو المتوجه اليهم فاسند اليها الاصابة تارة والحلول اخرى ففيه استعارة بالكناية
وتخييل وترشيح حتى ياتي وعد الله اي موتهم او القيمة فان كلا منهما وعد محتوم لا مرد له وفيه
دلالة على ان ما يصيبهم عند ذلك من العذاب في غاية الشدة وان ما ذكر سابقا نفحة يسيرة
بالنسبة اليهم ثم حقق ذلك بقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد اي الوعد كالميلاد والميثاق بمعنى
الولادة والتوثقة لاستحالة ذلك على الله سبحانه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اراد بالقارعة
السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها وكانوا بين اغارة واختطاف وتخويف
بالهجوم عليهم في ديارهم فالاصابة والحلول حينئذ من احوالهم ويجوز على هذا ان يكون قوله تعالى او
تحل قريبا من دارهم خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم مرادا به حلوله الحديبية والمراد بوعد الله
ما وعد به من فتح مكة ولقد استهزئ برسل كثيرة خلت من قبلك فامليت للذين كفروا اي تركتهم ملاوة
من الزمان في امن ودعة كما يملي للبهيمة في المرعى وهذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي
من المشركين من التكذيب والاقتراح على طريقة الاستهزاء به ووعيد لهم والمعنى ان ذلك ليس
مختصا بك بل هو امر مطرد وقد فعل ذلك برسل كثيرة كاينة من قبلك فامهلت الذين فعلوه
بهم والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس لان المحل لهم غير المستهزئين بل لارادة الجمع بين
الوصفين اي فامليت للذين كفروا مع استهزائهم فقط ثم اخذتهم فكيف كان عقاب اي عقابي اياهم
وفيه من الدلالة على تناهي كيفيته في الشدة والفظاعة ما لا يخفى افمن هو قائم اي رقيب مهيمن على
كل نفس كاينة من كانت بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من ذلك بل يجازي كلا بعمله وهو الله
سبحانه والخبر محذوف اي كمن ليس كذلك انكارا لذلك وادخال الفاء لتوجيه الانكار الى توهم
المماثلة غب ما علم مما فعل تعالى بالمستهزئين من الاملاء المديد والاخذ الشديد ومن كون الامر
كله لله تعالى وكون هداية الناس جميعا منوطة بمشيئته تعالى ومن تواتر القوارع على الكفرة الى
ان ياتي وعد الله كانه قيل الامر كذلك افمن هذا شانه كما ليس في عداد الاشياء حتى تشركوه به
فالانكار متوجه الى ترتيب المعطوف اعني توهم المماثلة على المعطوف عليه المقدر اعني كون
الامر كما ذكر كما في قولك اتعلم الحق فلا تعمل به لا الى المعطوفين جميعا كما اذا قلت الا تعلمه فلا
وقوله تعالى وجعلوا لله شركاء جملة مستقلة جي بها للدلالة على الخبر او حالية اي افمن هذه
صفاته كمن ليس كذلك وقد جعلوا له شركاء لا شريكا واحدا او معطوفة على الخبر ان قدر ما يصلح
لذلك وقد جعلوا له شركاء اي افمن هذا شانه لم يوحدوه وجعلوا له شركاء ووضع المظهر موضع
المضمر للتنصيص على وحدانيته ذاتا واسما والتنبيه على اختصاصه باستحقاق العبادة مع ما فيه من
البيان بعد الابهام بايراده موصولا للدلالة على التفخيم وقوله تعالى قل سموهم تبكيت لهم اثر
تبكيت اي سموهم وماذا اسماؤهم او صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستاهلون
الشركة ام تنبئونه اي بل اتنبئون الله بما لا يعلم في الارض اي بشركاء مستحقين للعبادة لا يعلمهم
الله تعالى ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض وقرئ بالتخفيف ام بظاهر من القول
من غير ان يكون له معنى وحقيقة كتسمية الزنجي كافورا كقوله تعالى ذلك قولهم بافواههم وهذه
الاساليب البديعة التي وردت عليها الاية الكريمة منادية على انها خارجة عن قدرة البشر من
كلام خلاق القوى والقدر فتبارك الله رب العالمين بل زين للذين كفروا وضع الموصول
موضع المضمر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالكفر مكرهم تمويههم الاباطيل او كيدهم للاسلام بشركهم
وصدوا عن السبيل اي سبيل الحق من صده صدا وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال اليها وقرئ
بفتحها اي صدوا الناس او من صد صدودا ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلال لسوء اختياره
او يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى لهم عذاب شاق في الحياة الدنيا بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم

من المصايب فانها انما تصيبهم عقوبة على كفرهم ولعذاب الآخرة اشق من ذلك بالشدة والمدة
وما لهم من الله من عذابه المذكورين من واق من حافظ يعصمهم من ذلك فمن الاولى صلة للوقاية
والثانية مزيدة للتاكيد مثل الجنة اي صفتها العجيبة الشان التي في الغرابة كالمثل التي وعد المتقون
عن الكفر والمعاصي وهو مبتدا خبره محذوف عند سيبويه اي فيما قصصنا عليك مثل الجنة وقوله
تعالى تجري من تحتها الانهار تفسير لذلك المثل على انه حال من الضمير المحذوف من الصلة العايد
الى الجنة اي وعدها وهو الخبر عند غيره كقولك شان زيد ياتيه الناس ويعظمونه او على حذف
موصوف اي مثل الجنة جنة تجري الى آخره اكلها ثمرها دائم لا ينقطع وظلها ايضا كذلك لا تنسخه
الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا تلك الجنة المنعوتة بما ذكر عقبى الذين اتقوا الكفر والمعاصي اي
مآلهم ومنتهى امرهم وعقبى الكافرين النار لا غير وفيه ما لا يخفى من اطماع المتقين واقناط الكافرين
والذين آتيناهم الكتاب هم المسلمون من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهما ومن
آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلثون بالحبشة
يفرحون بما انزل اليك اذ هو الكتاب الموعود في التورية والانجيل ومن الاحزاب اي من احزابهم
وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة وهم نحو كعب بن الاشرف
والسيد والعاقب اسقفي نجران واتباعهما من ينكر بعضه وهو الشرايع الحادثة انشاء او
نسخا لا ما يوافق ما حرفوه والا لنعي عليهم من اول الامر مدار ذلك انما هو جنايات ايديهم
واما ما يوافق كتبهم فلم ينكروه وان لم يفرحوا به وقيل يجوز ان يراد بالموصول الاول عامتهم
فانهم ايضا يفرحون به لكونه مصدقا لكتبهم في الجملة فحينئذ يكون قوله تعالى ومن الاحزاب
الى آخره تتمة بمنزلة ان يقال ومنهم من ينكر بعضه قل الزاما لهم وردا لانكارهم انما امرت ان
اعبد الله ولا اشرك به اي شيئا فشيئا من الاشيا او لا افعل الاشراك به والمراد قصر الامر
بالعبادة على الله تعالى لا قصر الامر مطلقا على عبادته خاصة اي قل لهم انما امرت فيما انزل
الي بعبادة الله وتوحيده وظاهر انه لا سبيل لكم الى انكاره لاطباق جميع الانبياء والكتب على ذلك
كقوله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا فما لكم لا تشركون به عزيرا والمسيح وقرئ ولا اشرك به بالرفع على الاستيناف
اي وانا لا اشرك به اليه الى الله تعالى خاصة على النهج المذكور من التوحيد او الى ما امرت به
من التوحيد او الى ما امرت به من التوحيد ادعوا الناس لا الى غيره او لا الى شيء آخر مما
يطبق عليه الكتب الالهية والانبيا فما وجه انكاركم واليه الى الله تعالى وحده مآب مرجعي
مرجعي للجزاء وحيث كانت هذه الحجة الباهرة لازمة لهم لا يجدون عنها محيصا امر عليه السلام
بان يخاطبهم بذلك الزاما وتبكيتا لهم ثم شرع في رد انكارهم لفروع الشرايع الواردة
ابتداء او بدلا من الشرايع المنسوخة ببيان الحكمة في ذلك فقيل وكذلك انزلناه اي مثل ما انزل
اليك وذلك اشارة الى مصدر انزلناه وانزل اليك ومحله النصب على المصدرية اي مثل
ذلك الانزال البديع المنتظم للاصول المجمع عليها وفروع متشعبة الى موافقة ومخالفة
حسبما يقتضيه حكمة قضية للحكمة والمصلحة انزلناه حكما حاكما يحكم في القضايا والواقعات بالحق
او يحكم به كذلك والتعرض لذلك للاشارة الى ان ذلك احدى مواد المخالفة للكتب السابقة
مع ان ذلك مقتضى الحكمة اذ بذلك يسهل فهمه وادراك اعجازه والاقتصار على اشتمال الانزال
على اصول الديانات المجمع عليها حسبما مفيده كقوله تعالى قل انما امرت ان اعبد الله الى آخره
يا باه التعرض لاتباع اهوائهم وحديث المحو والاثبات وان لكل اجل كتاب فان المجمع عليه
لا يتصور فيه الاستتباع والاتباع ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها من تقرير الامور
المخالفة لما انزل اليك من الحق كالقبلة الى بيت المقدس بعد التحويل بعد ما جاءك من العلم
العظيم الشان القاضي من ذلك حكم العربي او العلم بمضمونه ما لك من الله من جنابه العزيز
والالتفات من التكلم الى الغيبة وايراد الاسم الجليل لتربية المهابة قال الازهري لا يكون هذا
حتى يكون معبودا وحتى يكون خالقا ورازقا ومدبرا من ولي يلي امرك وينصرك على من تبغيك
الغوائل ولا واق يقيك من مصارع السوء وحيث لم يستلزم نفي الناصر على العدو نفي
الواقي من نكايته ادخل على المعطوف حرف النفي للتاكيد كقولك ما لي دينار ولا درهم او ما لك
من باس الله من ناصر وواق لاتباعك اهواءهم وامثال هاتيك القوارع انما هي لقطع اطماع
الكفرة وتهييج المؤمنين على الثبات في الدين واللام في ولئن موطئة وما لك ساد مسد جوابي

العنوان مع انه نفسه ليس بحكم لتربية وجوب مراعاته وحتم المحافظة عليه عربيا مترجما بلسان العرب والتعرض لذلك م

الشرط

الشرط او القسم ولقد ارسلنا رسلا كثيرة كائنة من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية نساء واولادا
كما جعلنا لك وهو رد لما كانوا يعيبونه صلى الله عليه وسلم بالزواج والاولاد كما كانوا يقولون
مال هذا الرسول ياكل الطعام الى آخره وما كان لرسول منهم اي ما صح وما استقام ولم يكن في وسعه
ان ياتي باية مما اقترح عليها وحكم مما التمس منه الا باذن الله ومشيئته المبنية على الحكم والمصالح
التي عليها يدور امر الكاينات لا سيما مثل هذه الامور العظام والالتفات لما قدمناه ولتحقيق
مضمون الجملة بالايماء الى العلة لكل اجل اي لكل مدة ووقت من المدد والاوقات كتاب حكم معين
يكتب على العباد حسبما يقتضيه الحكمة فان الشرايع كلها لاصلاح احوالهم المتغيرة حسب تغير الاوقات
كاختلاف العلاج حسب اختلاف احوال المرضى بحسب الوقت يمحوا الله ما يشاء ويثبت بدله ما فيه
المصلحة او نفعه على حاله غير منسوخ او يثبت ما يشاء اثباته مطلقا اعم منهما ومن الانشاء ابتداء
او يمحو من ديوان الحفظة الذين ديدنهم كتبه كل قول وعمل ما يتعلق به الجزاء ويثبت الباقي او يمحو
الفاسدات من العالم الجسماني ويثبت الكاينات او يمحو الرزق ويزيد فيه او يمحو سيات التايب
ويثبت مكانها الحسنة او يمحو قرنا ويثبت آخرين او يمحو الاجل او السعادة والشقاوة وبه قال
ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما والقايلون به يتضرعون الى الله تعالى ان يجعلهم سعداء وهذا
رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم والانسب تعميم كل من المحو والاثبات ليشمل الكل ويدخل في
ذلك مواد الانكار دخولا اوليا وقرئ بالتشديد وعنده ام الكتاب اي اصله وهو اللوح المحفوظ
اذ ما من شيء من الذاهب والثابت الا وهو مكتوب فيه كما هو واما نرينك اصله ان نرك وما مزيدة
لتاكيد معنى الشرط ومن ثمة لحقت النون بالفعل بعض الذي نعدهم اي وعدناهم من انزال العذاب
عليهم والعدول الى صيغة المضارع لحكاية الحال الماضية او نعدهم وعدا متجددا حسب ما يقتضيه
الحكمة من انذار غب انذار وفي ايراد البعض رمز الى اراءة بعض الموعود او نتوفينك قبل
ذلك فانما عليك البلاغ اي تبليغ احكام الرسالة بتمامها لا تحقيق مضمون ما بلغته من الوعيد
الذي هو من جملتها وعلينا لا عليك الحساب محاسبة اعمالهم السيئة والمواخذة بها اي كيفما دارت
الحال اريناك بعض ما وعدناهم من العذاب الدنيوي او لم نركه فعلينا ذلك وما عليك الا تبليغ لا
الرسالة فلا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تاخره فان
ذلك لما نعلم من المصالح الخفية ثم طيب نفسه عليه السلام بطلوع تباشير الظفر فقال او لم يروا
استفهام انكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي انكروا نزول ما وعدناهم او شكوا
او لم ينظروا في ذلك ولم يروا انا ناتي الارض اي ارض الكفر ننقصها من اطرافها بان نفتحها على المسلمين
شيئا فشيئا ونلحقها بدار الاسلام ونذهب منها اهلها بالقتل والاسر والاجلاء اليس هذا من
ذلك ومثله قوله عز وجل سلطانه افلا يرون انا ناتي الارض اي ارض الكفر ننقصها من اطرافها افهم
الغالبون وقوله ننقصها حال من فاعل ناتي او من مفعوله وقرئ ننقصها بالتشديد وفي لفظ الاتيان
المؤذن بالاستيلاء والحكم واسناده الى العظيم من الفخامة ما لا يخفى كما في قوله عز وجل وقدمنا الى
ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا والله يحكم ما يشاء وقد حكم للاسلام بالعزة والاقبال
وعلى الكفر بالذلة والادبار حسبما يشاهد من المخايل والآثار والالتفات من التكلم الى الغيبة وبناء
الحكم على الاسم الجليل من الدلالة على الفخامة وتربية المهابة وتحقيق مضمون الخبر بالاشارة الى
العلة ما لا يخفى وهي جملة اعتراضية جيء بها التاكيد فحوى ما قبلها وقوله تعالى لا معقب لحكمه
اعتراض لبيان علو شان حكمه جل جلاله وقيل نصب على الحالية كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه
كما تقول جاء زيد لا عمامة على راسه اي حاسرا والمعقب من يكر على الشيء فيبطله وحقيقته من
يعقبه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب لا
وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم في الآخرة باتيان العذاب غب ما عذبهم بالقتل
والاسر والاجلاء حسبما يرى وقال ابن عباس رضي الله عنهما سريع الانتقام وقد مكر الذين
خلوا من قبلهم من قبل كفار مكة بانبيائهم وبالمؤمنين كما مكر هؤلاء وهذا تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم لانه لا عبرة بمكرهم بل ولا تاثير ولا وجود له في الحقيقة ولم يصرح بذلك
اكتفاء بدلالة القصر المستفاد من تعليله اعني قوله تعالى فلله المكر اي جنس المكر جميعا لا وجود
لمكرهم اصلا اذ هو عبارة عن ايصال المكروه الى الغير من حيث لا يشعر به وحيث كان جميع ما ياتون
وما يذرون بعلم الله تعالى وقدرته وانما لهم مجرد الكسب من غير فعل ولا تاثير حسبما بينه قوله
عز وجل يعلم ما تكسب كل نفس ومن قضيته عصمة اوليائه وعقاب الماكرين بهم توفية لكل

نفس جزا ما تكسبه ظهر ان ليس بمكرهم بالنسبة الى من مكر عليهم عين ولا اثر وان المكر كله لله
تعالى حيث يواخذهم بما كسبوا من فنون المعاصي التي من جملتها مكرهم من حيث لا يحتسبون او لله
المكر الذي باشروه جميعا لا لهم على معنى ان ذلك ليس مكرا منهم بالانبيا بل هو بعينه مكر من
الله تعالى بهم وهم لا يشعرون حيث لا يحيق المكر السئ الا باهله وسيعلم الكافر حين تقضى
مقتضى علمه فيوفى كل نفس جزا ما تكسبه لمن عقبى الدار اى العاقبة الحميدة من الفريقين وان
جهلوا ذلك يومئذ قيل السين لتاكيد وقوع ذلك وعلمهم به حينئذ وقرى سيعلم الكافر على
على ارادة الجنس وسيعلم الكافرون وسيعلم الكفر اى اهله وسيعلم الذين كفروا وسيعلم على صيغة
المجهول من الاعلام اى سيخبر ويقول الذين كفروا لست مرسلا قيل قاله رؤسا اليهود وصيغة
الاستقبال لاستحضار صورة كلمتهم الشنعا تعجيبا منها او بالدلالة على تجدد ذلك واستمراره منهم
قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه قد اظهر على رسالتي من الحجج القاطعة والبينات الساطعة ما فيه
مندوحة عن مشاهدة شاهد اخر ومن عنده علم الكتاب اى علم القران وما عليه من النظم
المعجز ومن هو من علما اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته عليه السلام في كتبهم والاية
مدنية بالاتفاق اى من عنده اللوح المحفوظ وهو الله سبحانه اى كفى شاهدا بيننا بالذي يستحق العبادة
فانه قد تحدى كتابه بالدعوة الى عبادته وايدني وبالذي يختص بعلم ما في اللوح من الاشيا الكائنة التي من جملتها
رسالتي وقرى ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب على الاول مرتفع بالظرف المعتمد على الموصول او مبتدا
خبره الظرف وهو متعين على الثاني ومن عنده علم الكتاب بالكسر وبنا المفعول ورفع الكتاب عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب
يكون الى يوم القيمة وبعث يوم القيمة من المؤمنين بعهد الله عز وجل سبحانه وتعالى والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الر من الكلام فيه وفي محله غير مرة وقوله تعالى كتاب
خبر له على تقدير كون الر مبتدا وللمبتدا مضمر على تقدير كونه خبر المبتدا محذوف اى مسرود على نمط
التعديد ويجوز ان يكون خبرا ثانيا لهذا المبتدا المحذوف وقوله تعالى انزلناه اليك صفة له وقوله
تعالى لتخرج الناس متعلق بانزلناه اى لتخرجهم كانه بما في تضاعيفه من البينات الواضحة المفصحة عن كونه
من عند الله عز وجل الكاشفة عن العقايد الحقة وقرى ليخرج الناس اى ليخرج به الناس من الظلمات
من عقايد الكفر والضلال التي كلها ظلمات محضه وجهالات صرفة الى النور الى الحق الذي هو نور
بحيث لكن لا كيف ما كان فانك لا تهدي من احببت بل باذن ربهم اى بتيسيره وتوفيقه ولا ذلك
منوطا باسا لهم الى الحق كما يفصح عنه قوله تعالى ويهدي اليه من اناب استعير له الاذن الذي هو
عبارة عن تسهيل الحجاب لمن يقصد الورود واضيف الى ضميرهم اسم الرب المفصح عن التربية عبارة عن
تبليغ الشئ الى كماله المتوجه اليه وشمول الاذن بهذا المعنى للكل واضح وعليه يدور كون الانزال
لاخراجهم جميعا وعدم تحقق الاذن بالفعل في بعضهم لعدم تحقق شرطه المستند الى سوء اختيارهم
غير مخل بذلك والباء متعلقة بتخرج او بمضمر وقع حالا من مفعوله اى ملتبسين باذن ربهم وجعله
حالا من فاعله ياباه اضافة الرب اليهم وحيث كان الخروج موضوعه في نفسه وايضاحه لغيره
موصلا الى الله عز وجل استعير له النور تارة والصراط اخرى فقيل الى صراط العزيز الحميد على وجه
الابدال بتكرير العامل كما في قوله تعالى للذين استضعفوا لمن امن منهم واحلال التبدل والبيان
بالاستعارة انما هو الحقيقة لا في المجاز كما في قوله سبحانه حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر وقيل
هو استيناف مبني على سوال كانه قيل الى اى نور فقيل الى صراط العزيز الحميد والاضافة الصراط اليه
تعالى لانه مقصده او المبين له وتخصيص الوصفين بالذكر للترغيب في سلوكه ببيان ما فيه من الامن
والعاقبة الحميدة الله بالجر عطف بيان للعزيز الحميد لجريانه مجرى الاعلام الغالبة بالاختصاص
بالمعبود بالحق كالنجم في الثريا وقرى بالرفع على هو الله اى العزيز الحميد الذي اضيف اليه الصراط
الذي له ملكا وملكا ما في السموات وما في الارض اى ما وجد فيهما داخلا فيهما او خارجا عنهما متمكنا
فيهما كما مر في اية الكرسي ففيه على القراتين البيان لكمال فخامة شان الصراط واظهار لتحتم سلوكه على
الناس قاطبه ويجوز الرفع على الابتدا بجعل الموصول خبر مبداه المعقول عن هذه النكتة وقوله
عز وجل وويل للكافرين وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل وهو نقيض

الوال

الوال وهو النجاة واصله النصب كسائر المصادر ثم رفع رفعها للدلالة على الثبات كسلام عليك
من عذاب شديد متعلق بويل على معنى يولولون ويضجون منه قايلين يا ويلاه لقوله تعالى دعوا
هنالك ثبورا الذين يستحبون الحياة الدنيا اى يوثرونها استفعال من المحبة فان المؤثر للشيء
على غيره كانه يطلب من نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من غيره على الاخرة اى الحياة
الاخروية الابدية ويصدون الناس عن سبيل الله التي بين شانها والاقتصار على الاضافة
الى الاسم الجليل المنطوي على كل وصف جميل لزوم الاختصار وهو من صده صدا وقرى يصدون
من اصد المنقول من صد صدودا اذا نكب وهو غير فصيح كاوقف فان في صده ووقفه مندوحة
عن تكليف النقل ويبغونها اى يبغون لها فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير اى يطلبون لها
عوجا اى زيغا واعوجاجا وهي ابعد شيء من ذلك اى يقولون لمن يريدون صده واضلاله
انها سبيل ناكبة وزايغة غير مستقيمة ومحل موصول هذه الصفات الجر على انه بدل من الكافرين
او صفة له فيعتبر كل وصف من اوصافهم بازاء ما يناسبه من المعاني المعتبرة من الصراط فالكفر
المبني عن الستر بازاء كونه نورا واستحباب الحيوة الدنيا الفانية المفصحة عن وخامة العاقبة
بمقابلة كون سلوكه محمود العاقبة والصد عنه بازاء كونه مامونا فيه من الدلالة على تماديهم
في الغي ما لا يخفى او النصب على الذم او الرفع على الابتدا والخبر قوله تعالى اولئك في ضلال بعيد
وعلى الاول الجملة مستانفة وقعت معللة لما سبق من لحوق الويل بهم تاكيدا لما اشعر به بناء الحكم
على الموصول اى اولئك الموصوفون بالقبائح المذكورة من استحباب الحيوة الدنيا على الاخرة
وصد الناس عن سبيل الله المستقيمة ووصفها بالاعوجاج وهي منه منزهة في ضلال عن طريق
الحق بعيد بالغ في ذلك غاية الغايات القاصية والبعد وان كان من احوال الضال الا انه
قد وصف به وصفه مجازا للمبالغة كجد جده وداهية دهيا ويجوز ان يكون المعنى في ضلال
ذي بعد او فيه بعد فان الضال قد يضل عن الطريق مكانا قريبا وقد يضل بعيدا او في جعل الضلال
محيطا بهم احاطة الظرف بما فيه ما لا يخفى من المبالغة وما ارسلنا اى في الامم الخالية من قبلك
كما ينبئ اجمالا من رسول الا ملتبسا بلسان قومه من ارسل اليهم من الامم المتفقة على لغة
سوا بعث فيهم اولا وقرى بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش وبلسن بضمتين وضمة وسكون
كعمد وعمد ليبين لهم ما امروا به فيتلقوه منه بيسر وسرعة ويعملوا بموجبه من غير حاجة الى
الترجمة ممن لم يؤمر به وحيث لم يكن مراعاة هذه القاعدة في شان سيدنا صلى الله عليه وسلم
وعليهم اجمعين لعموم بعثته الثقلين كافة على اختلاف لغاتهم وكان تعدد نظم الكتاب المنزل
اليه حسب تعدد السنة الامم ادعى الى التنازع واختلاف الكلمة وتطرق ايدي التحريف مع
ان استقلال بعض من ذلك بالاعجاز دون غيره مسه لقدح القادحين واتفاق الجميع فيه امر
قريب من الالجا وحصل البيان بالترجمة والتفسير اقتضت الحكمة اتحاد النظم المنبي عن العزة وجلالة
الشان المستتبع لفوايد غنية عن البيان على ان الحاجة الى الترجمة تتضاعف عند التعدد اذ لا
بد لكل امة من معرفة موافقة الكل ويحاذيه حذو القذة بالقذة من غير مخالفة ولو في خصلة
فذة وانما يتم ذلك بمن يترجم عن الكل واحدا او متعددا وفيه من التعذر ما لا يخفى الامتناع ثم
لما كان اشرف الاقوام واولاهم بدعوته عليه السلام قومه الذين بعث فيهم ولغتهم افضل
اللغات نزل الكتاب المبين بلسان عربي مبين وانتشرت احكامه فيما بين الامم اجمعين وقيل
الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانه تعالى انزل الكتب كلها عربية ثم ترجمها جبريل
عليه السلام او كل من نزل عليهم من الانبيا عليهم السلام بلسان من نزل عليهم ويرده قوله تعالى
ليبين لهم فانه ضمير القوم وظاهر ان جميع الكتب لم ينزل لتبيين العرب وفي رجعه الى قوم كل نبي
كانه قيل وما ارسلنا من رسول الا بلسان قوم محمد عليه السلام ليبين الرسول لقومه الذين
ارسل اليهم ما لا يخفى من التكلف فيضل الله من يشاء اضلاله اى يخلق فيه الضلال لمباشرة
اسبابه المودية اليه او يخذله ولا يلطف به لما يعلم انه لا ينجع فيه الالطاف ويهدي
بالتوفيق ومنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الانابة والاقبال الى الحق والالتفات
باسناد الفعلين الى الاسم الجليل المنطوي على الصفات لتفخيم شانهما وترشيح مناط كل منهما
والفا فصيحة مثلها في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق فكانه قيل فبينوه
لهم فاضل الله منهم من يشاء اضلاله لما لا يليق الا به وهدى من يشاء هدايته لاستحقاقه لها
والحذف للايذان بان مسارعة كل رسول الى ما امر به وجريان كل من اهل الخذلان والهداية

على سنته امر محقق غني عن الذكر والبيان والعدول الى صيغة الاستقبال لاستحضار الصورة
او للدلالة على التجدد والاستمرار حسب تجدد البيان من الرسل المتعاقبة عليهم السلام وتقديم
الاضلال على الهداية اما لانه ابقاء ما كان على ما كان والهداية انشاء ما لم يكن او للمبالغة في بيان
ان لا تأثير للتبيين والتذكير من قبل الرسل فان مدار الامر انما هو مشيئته تعالى بايهام ان
ترتب الضلالة على ذلك اسرع من ترتب الاهتداء وهذا محقق لما سلف من تقييد الاخراج من
الظلمات الى النور باذن الله تعالى وهو العزيز فلا يغالب في مشيئته الحكيم الذي لا يفعل شيئا
من الاضلال والهداية الا لحكمة بالغة وفيه ان ما فوض الى الرسل انما هو تبليغ الرسالة
وتبيين طريق الحق واما الهداية والارشاد اليه فذلك بيد الله سبحانه يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد ولقد ارسلنا موسى شروع في تفصيل بيان ما اجمل في قوله عز وجل وما
ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم الاية باياتنا اي ملتبسا بها وهي معجزاته التي
اظهرها لبني اسرائيل ان اخرج قومك بمعنى اي اخرج لان الارسال فيه معنى القول او بان
اخرج كما في قوله تعالى وان اقم وجهك فان صيغ الافعال في الدلالة على المصدر سواء وهو المدار
في صحة الوصل والمراد بذلك اخراج بني اسرائيل بعد مهلك فرعون من الظلمات من الكفر
والجهالات التي اداهم الى ان يقولوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الى النور الى الايمان بالله
وتوحيده وسائر ما امروا به وذكرهم بايام الله اي بنعمائه وبلائه كما ينبئ عنه قوله عليه
السلام اذكروا نعمة الله عليكم لكن لا بما جرى عليهم فقط بل عليهم ومن قبلهم من الامم في الايام
الخالية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم لا بايات او بايامه المنطوية على
ذلك كما يلوح به قوله اذ انجاكم والالتفات من التكلم الى الغيبة باضافة الايام الى الاسم
الجليل للايذان بفخامة شأنها والاشعار بعدم اختصاص ما فيها من المعاملة بالمخاطب وقوله
كما توهمه الاضافة الى ضمير المتكلم اي عظهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد وقيل
ايام الله وقائعه التي وقعت على الامم الدارجة ويرده ما تصدى له عليه السلام بصدد الامتثال
من التذكير بكل من السراء والضراء ما جرى عليهم وعلى غيرهم حسبما تلي عليك ان في ذلك اي في
التذكير بها او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لايات عظيمة او كثيرة دالة على وحدانية
الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته او في مجموع تلك النعماء والبلاء او في ايامها لايات عظيمة
او كثيرة دالة على وحدانية الله تعالى فهي على الاول عبارة عن الايام سواء اريد بها انفسها او
ما فيها من النعماء والبلاء ومعنى ظرفية التذكير لها كونه مناطا لظهورها وعلى الثالث عن
تلك النعماء والبلاء ومعنى الظرفية ظاهر واما على الثاني فعن كل واحدة من تلك النعماء
والبلاء والمشار اليه المجموع المشتمل عليها من حيث هو مجموع او كلمة في تجريدية مثلها
في قوله تعالى لهم فيها دار الخلد لكل صبار على بلائه شكور لنعمائه وقيل لكل مؤمن والتعبير
عنه بذلك للاشعار بان الصبر والشكر عنوان المؤمن اي لكل من يليق بكمال الصبر والشكر
والايمان ويصير امره اليهما لا لمن اتصف بهما بالفعل لانه تعليل للامر بالتذكير المذكور
السابق على التذكير المؤدي الى تلك المرتبة فان من تذكر ما افاض او نزل عليه او على من
قبله من النعماء والبلاء وتنبه لعاقبة الشكر والصبر والايمان لا يكاد يفارقها وتخصيص
الايات بهم لانهم المنتفعون بها لا لانها خافية عن غيرهم فان التبيين حاصل بالنسبة الى الكل
وتقديم الصبار على الشكور لتقدم متعلق الصبر اعني البلاء على متعلق الشكر اعني النعماء
وكون الشكر عاقبة الصبر واذ قال موسى لقومه شروع في بيان تصديه عليه السلام لما
امر به من التذكير للاخراج المذكور واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله
عليه وسلم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود التذكير بما وقع فيه من الحوادث قد مر سره
غير مرة اي اذكر لهم وقت قوله عليه السلام لقومه اذكروا نعمة الله عليكم بدأ عليه السلام
بالترغيب لانه عند النفس اقبل وهي اليه اميل والظرف متعلق بنفس النعمة ان جعلت
مصدرا او بمحذوف وقع حالا منها ان جعلت اسما اي اذكروا انعامه عليكم او اذكروا نعمته
كائنة عليكم وكذا كلمة اذ في قوله تعالى اذ انجاكم من آل فرعون اي اذكروا انعامه عليكم وقت
انجائه اياكم من آل فرعون او اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم وقت انجائه اياكم منهم او بدل
اشتمال من نعمة الله مرادا بها الانعام او العطية يسومونكم يبغونكم من سامه خسفا اذا اولاه
ظلما واصل السوم الذهاب في طلب الشيء سوء العذاب السوء مصدر ساء يسوء والمراد به

جنس

جنس العذاب السيء واستعبادهم واستعمالهم في الاعمال الشاقة والاستهانة بهم وغير ذلك مما
لا يحصر ونصبه على انه مفعول ليسومونكم ويذبحون ابناءكم المولودين فانما عطفه على يسومونكم
اخراجا له عن مرتبة العذاب المعتاد وانما فعلوا ذلك لان فرعون رأى في المنام او قال له الكهنة انه
سيولد منهم من يذهب بملكه فاجتهدوا في ذلك فلم يغن عنهم من قضاء الله شيئا ويستحيون نساءكم اي يبقونهن
في الحياة مع الذل والصغار ولذلك عد من جملة البلاء والجمل احوال من آل فرعون او من ضمير المخاطبين او منهما
جميعا لان فيها ضمير كل منهما وفي ذلكم اي فيما ذكر من افعالهم الفظيعة بلاء من ربكم اي ابتلاء منه لان البلاء عين
تلك الافعال اللهم الا ان يجعل في تجريدية ونسبته الى الله تعالى اما من حيث الخلق او الاقدار والتمكين عظيم
لا يطاق ويجوز ان يكون المشار اليه الانجاء من ذلك والبلاء الابتلاء بالنعمة وهو الانسب كما يلوح
به التعرض لوصف الربوبية وعلى الاول يكون ذلك باعتبار المآل الذي هو الانجاء او باعتبار ان بلاء المؤمن
تربية له واذ تاذن ربكم من جملة مقال موسى عليه السلام لقومه معطوف على نعمة الله اي اذكروا
نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم اي اذن ايذانا بليغا تنتفي عنده شائبة شبهة لما في صيغة التفعل
من معنى التكلف المحمول في حقه سبحانه على غايته التي هي الكمال وقيل هو معطوف على قوله تعالى اذ انجاكم
اي اذكروا نعمة الله تعالى في هذين الوقتين فان هذا التأذن ايضا نعمة من الله تعالى عليهم ينالون بها
خيري الدنيا والاخرة وفي قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى واذ قال ربكم ولقد ذكرهم عليه السلام
اولا بنعمائه تعالى عليهم صريحا وضمنه تذكير ما اصابهم قبل ذلك من الضراء ثم امرهم ثانيا بان ذكر ما جرى
من الله سبحانه وتعالى من الوعد بالزيادة على تقدير الشكر والوعيد بالعذاب على تقدير الكفر والمراد
بتذكير الاوقات تذكير ما وقع فيها من الحوادث مفصلة اذ هي محيطة بذلك فاذا ذكرت ذكر ما فيها
كانه مشاهد معاين لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء والهلاك لعدو وغير ذلك من
النعم والآلاء العامة للجمهور وقابلتموه بالايمان والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ذلك وغمطتموه
ان عذابي لشديد فعسى يصيبكم منه ما يصيبكم ومن عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد
فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز ان يكون المذكور تعليلا للجواب المحذوف اي لاعذبنكم واللام في الموضعين
موطئة للقسم وكل من الجوابين ساد مسد جوابي الشرط والقسم والجملة اما مفعول لتأذن لانه ضرب
من القول او لقول مقدر بعده كانه قيل واذ تاذن ربكم فقال لئن الخ وقال موسى ان تكفروا نعمة الله
تعالى ولم تشكروها انتم يا بني اسرائيل ومن في الارض من الخلائق جميعا فان الله لغني عن شكركم وشكر غيركم
حميد مستوجب للحمد بذاته لكثرة ما يوجبه من اياديه وان لم يحمده احد او محمود يحمده الملائكة بل كل ذرة
من ذرات العالم ناطقة بحمده والحمد حيثما كان بمقابلة النعمة وغيرها من الفضائل كان ادل على كماله
سبحانه وهو تعليل لما حذف من جواب ان اي ان تكفروا لم يرجع وباله الا عليكم فان الله تعالى لغني عن
شكر الشاكرين ولعله عليه السلام انما قاله عند ما عاين منهم دلائل العناد ومخايل الاصرار
على الكفر والفساد وتيقن انه لا ينفعهم الترغيب ولا التعريض بالترهيب او قاله غب تذكيرهم بما
ذكر من قول الله سبحانه عن سلطانه تحقيقا لمضمونه وتحذيرا لهم من الكفران ثم شرع في الترهيب
بتذكير ما جرى على الامم الخالية فقال الم ياتكم نبأ الذين من قبلكم ليتدبروا ما اصاب كل من حزبي
المؤمنين والكافرين فيقلعوا عما هم عليه من الشر وينيبوا الى الله تعالى وقيل هو ابتداء كلام من الله
سبحانه خطابا للكفرة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيختص تذكير موسى عليه السلام بما اختص
ببني اسرائيل من السراء والضراء والامر بالايام الجارية عليهم فقط وفيه ما لا يخفى من البعد
وايضا لا يظهر حينئذ وجه تخصيص تذكير الكفرة الذين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بما
اصاب اولئك المعدودين من ان غيرهم اسوة لهم في الخلق قبل هؤلاء قوم نوح بدل من الموصول
او عطف بيان وعاد معطوف على قوم نوح وثمود والذين من بعدهم اي من بعد هؤلاء المذكورين
عطف على قوم نوح وما عطف عليه وقوله تعالى لا يعلمهم الا الله اعتراض والموصول مبتدأ ولا
يعلمهم الى اخره خبره والجملة اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله سبحانه
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بين عدنان واسماعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه اذا قرأ هذه الاية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى
الله تعالى علمها عن العباد جاءتهم رسلهم استئناف لبيان نبائهم بالبينات بالمعجزات الظاهرة
والبينات الباهرة فبين كل رسول لامته طريق الحق وهداهم اليه ليخرجهم من الظلمات الى النور
فردوا ايديهم في افواههم مشيرين بذلك الى السنتهم وما يصدر عنها من المقالة اعتناء منهم

بشأنها وتنبيها للرسل على تلقيها والمحافظة عليها واقناطا لهم عن التصديق والايمان بالاعلام ان لا
جواب لهم سواه وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به اى على زعمكم وهى البينات التى اظهروها حجة
حجة على صحة رسالاتهم لقوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وماهم بالكفر بها الكفر بدلالتها
على صحة رسالاتهم او فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل لقوله تعالى عضوا عليكم الانامل
من الغيظ او وضعوها عليها تعجبا منه واستهزاء به كمن غلبه الضحك او اسكاتا للانبياء وامرا لهم
باطباق الافواه او ردوها فى افواه الانبياء عليهم السلام يمنعونهم من التكلم تحقيقا او تمثيلا
او جعلوا ايدا الانبياء فى افواههم تعجبا من عتوهم وعنادهم كما ينبئ عنه تعجبهم بقولهم افى الله شك
الى اخره وقيل الايدى بمعنى الايادى عبر بها عن مواعظهم ونصايحهم وشرايعهم التى هى مدار
النعم الدينية والدنياوية لانهم لما كذبوها فلم يقبلوها فكانهم ردوها الى حيث جاءت منه
وانا لفى شك عظيم مما تدعوننا اليه من الايمان بالله والتوحيد فلا يناف شكهم فى ذلك كفرهم
القطعى بما ارسل به الرسل من البينات فانهم كفروا بها قطعا حيث لم يعتدوا بها ولم يجعلوها
من جنس المعجزات ولذلك قالوا فاتونا بسلطان مبين وقرئ يدعونا بالادغام مريب موقع
فى الريبة من ارابه او ذى ريبة من اراب الرجل وهى قلق النفس وعدم اطمينانها بالشئ قالت
رسلهم استيناف مبنى على سؤال ينساق اليه المقال كانه قيل فماذا قالت لهم رسلهم فاجيب بانهم
قالوا منكرين عليهم ومتعجبين من مقالتهم الحمقا افى الله شك بادخال الهمزة على الظرف للايذان
بان مدار الانكار ليس نفس الشك بل وقوعه فيما لا يكاد يتوهم فيه الشك اصلا متعادين
على تطبيق الجواب على كلام الكفرة بان يقولوا انتم فى شك مريب من الله تعالى مبالغة فى التنزيه
ساحة السبحان عن شايبة الشك وتسجيلا عليهم بسخافة العقول اى افى شانه سبحانه من وجود
ووحدته ووجوب الايمان به وحده شك ما وهو اظهر من كل ظاهر واجلى من كل جلى حتى تكونوا
من قبله فى شك منه مريب وكما حيث كان مقصدهم الاقصى الدعوة الى الايمان والتوحيد
وكان اظهار البينات وسيلة الى ذلك لم يتعرضوا الجواب عن قول الكفرة انا كفرنا بما ارسلتم به
اقتصروا على بيان ما هو الغاية القصوى ثم عقبوا ذلك الانكار بما يوجبه من الشواهد الدالة
على انتفاء المنكر فقالوا فاطر السموات والارض اى مبدعهما وما فيهما من المصنوعات على نظام
انيق شاهد بتحقق ما انتم منه فى شك وهو صفة للاسم الجليل او بدل منه وشك مرتفع
بالظرف لاعتماده على الاستفهام وجعله مبتدأ على ان الظرف خبره يقتضى الى الفصل بين الموصوف
والصفة بما لا يجوز اعنى المبتدأ والفاعل ليس باجنبى من رافعه وقد جوز ذلك ايضا يدعوكم
الى الايمان برساله ايانا لا انا ندعوكم اليه من تلقاء انفسنا كما يوهمه قولكم مما تدعوننا اليه
ليغفر لكم بسببه او يدعوكم لاجل المغفرة كقولك دعوته لينصرنى من ذنوبكم اى بعضها وهو
ما عدا المظالم بينهم وبينه تعالى فان الاسلام يجب قيل هكذا وقع فى جميع القران وعد الكفرة
دون ما عد المؤمنين تفرقة بين الوعدين ولعل ذلك لما ان المغفرة حيث جاءت فى خطاب
الكفرة مرتبة على محض الايمان و فى شان المؤمنين وقيل المعنى ليغفر لكم بدلا من ذنوبكم ده
ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله تعالى وجعله منتهى اعماركم على تقدير الايمان قالوا
استيناف كما سبق ان انتم اى ما انتم الا بشر مثلنا من غير فضل يؤهلكم لما تدعوه من النبوة
تريدون صفة ثانية لبشر حملا على المعنى كقولهم بشر يهدوننا او كلام مستانف اى تريدون
بما تقصدون به من الدعوة والارشاد ان تصدونا بتخصيص العبادة بالله سبحانه عما كان
يعبد اباؤنا اى عن عبادة ما استمر اباؤنا على عبادته من غير شئ يوجبه والا فاتونا اى ان لم
يكن الامر كما قلنا بل كنتم رسلا من جهة الله تعالى كما تدعونه فاتونا بسلطان مبين يدل على
فضلكم واستحقاقكم لتلك المرتبة او على صحة ما تدعونه من النبوة حتى نترك ما لم نزل نعبده
ابا عن جد ولقد كانوا اتوهم من الايات الظاهرات والبينات الباهرة ما تخر له صم الجبال وكنهم
انما يقولون ما يقولون من العظائم مكابرة وعنادا وارادة لئن يوهموا ان ذلك ليس من جنس
ما ينطلق عليه السلطان المبين قالت رسلهم مجاراة لهم فى اول مقالتهم وانما قيل لاختصاص
الكلام بهم حيث ارادوا الزامهم بخلاف ما سلف من انكار وقوع الشك فى الله سبحانه فان ذلك
عام وان اختص به ما يعقبه ان نحن الا بشر مثلكم كما تقولون ولكن الله يمن بالنبوة على من يشاء من عباده
بعنوان ذلك عطية من الله تعالى يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان من غير داعية

توجيه

توجيه قالوا تواضعا وهضما للنفس او ما نحن من الملكية يعطيها من يشاء من عباده بمحض الفضل والامتنان
بل نحن بشر مثلكم فى الصورة او فى الدخول تحت الجنس ولكن الله يمن بالفضايل والاستعدادات
والكمالات على من يشاء والمن بها وما يشاء ذلك الا باستحقاقه لها وتلك الفضايل والاستعدادات
والكمالات هى التى يدور عليها فلك الاصطفا للنبوة وما كان وما صح وما استقام لنا ان ناتيكم بسلطان
اى بحجة من الحجج فضلا عن السلطان المبين بشئ من الاشياء وسبب من الاسباب الا باذن الله فانه امر
يتعلق بمشيته تعالى ان شاء كان والا فلا وعلى الله وحده دون ما عداه مطلقا فليتوكل المؤمنون
امر منهم للمؤمنين بالتوكل ومقصودهم حملا نفسهم عليه اثرذى اثير الا يرى الى قوله عز وجل
وما لنا اى اى عذر لنا ان لا نتوكل على الله اى فى ان لا نتوكل على الله والاظهار لاظهار النشاط ده
بالتوكل عليه والاستلذاذ بذكر اسمه تعالى وتعليل التوكل وقد هدانا اى والحال انه قد فعل
بنا ما يوجبه ويستدعيه حيث هدانا سبلنا اى ارشد كلا منا سبيله ومنهاجه الذى شرع له واوجب
عليه سلوكه فى الدين وحيث كانت اذية الكفار مما يوجب القلق والاضطراب القادح فى التوكل قالوا على
سبيل التوكيل القسمى مظهرين الكمال العزيمة ولنصبرن على ما اذيتمونا بالعناد واقتراح الايات وغير ذلك
مما لا خير فيه وعلى الله خاصة فليتوكل المتوكلون اى فليثبت المتوكلون على ما احدثوه من التوكل والمراد
هو المراد مطلق من ايجاب التوكل على انفسهم والمراد بالمتوكلين المؤمنون والتعبير عنهم بذلك لسبق
ذكر اتصافهم به ويجوز ان يراد وعليه فليتوكل كل من يتوكل دون غيره لعل هؤلاء القايلين بعض المتمردين
العاتين العالين فى الكفر من اولئك الامم المكابرة التى تتغلب مقالاتهم الشنيعة دون جميعهم كقوم
شعيب واصحابهم وكذلك لم يقل وقالوا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا لم يقنعوا ده
بعصيانهم الرسل ومعاندتهم للحق بعد ما راوا البينات الفائتة للحصر حتى اجتراوا على مثل هاتيك العظيمة
التى لا يكاد يحيط بها دائرة الامكان حلفوا على ان يكون احد الحالين والعود بمعنى مطلق الصيرورة او
باعتبار تغليب المؤمنين على الرسل وقد مر فى الاعراف وسياق فى الكهف فاوحى اليهم اى الى الرسل ربهم مالك
امرهم عند تناهى الكفرة الكفرة وبلوغهم من العتو الى غاية لا مطمع بعدها فى ايمانهم لنهلكن الظالمين
على اضمار القول او على اجراء الايحاد مجراه لكونه ضربا منه ولنسكننكم الارض اى ارضهم ودياره عقوبة
لهم بقولهم لنخرجنكم من ارضنا لقوله تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها من بعدهم اى من بعد اهلاكهم وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء واعتبارا لاوحى لقولهم خلف
زيد ليخرجن غدا ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اى ذلك
الامر محقق ثابت لمن خاف مقامى توقيفى وهو الموقف الذى يقف فيه العباد يوم يقوم الناس لرب
العالمين او قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل لفظ المقام مقحم وخاف وعيد بالعذاب او عذابى الموعود
للكفار والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين واستفتحوا اى استنصروا الله على اعدائهم كقوله
تعالى ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا وسألوه القضاء بينهم من الفتاحة وهى الحكومة كقوله
تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق فالضمير للرسل وقيل للكفرة وقيل للفريقين فانهم سألوا ان يهلك المحق
ويهلك المبطل وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ بلفظ الامر عطفا على لنهلكن الظالمين اى واوحى اليهم ربهم
لنهلكن وقال لهم استفتحوا وخاب اى خسر وهلك كل جبار عنيد متصف بضد ما اتصف به المتقون
اى فنصروا عند استفتاحهم وظفروا بما سألوا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم المعاندون فالخيبة
بمعنى مطلق الحرمان دون الحرمان عن المطلوب او ذلك باعتبار انهم كانوا يزعمون انهم على الحق واستفتح
الكفار على الرسل وخابوا ولم يفلحوا وانما قيل وخاب كل جبار عنيد ذما لهم وتسجيلا عليهم بالتجبر والعناد
لا ان بعضهم ليسوا كذلك وانه لم يصبهم الخيبة او استفتحوا جميعا فنصر الرسل واتجز لهم الوعد وخاب عات
متمرد فالخيبة بمعنى الحرمان عن الطلب وفى اسناد الخيبة الى كل منهم ما لا يخفى من المبالغة من ورائه
جهنم اى بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الاخرة وقيل من ورائه
حيوته وحقيقته ما توارى عنك ويسقى معطوف على مقدر جوابا عن سؤال سائل كانه قيل فماذا
يكون اذن فقيل يلقى فيها ويسقى من ماء مخصوص لا كالمياه المعهودة صديد وهو فتح او بعد محلط
بدم يسيل من الجرح قال مجاهد وغيره هو ما يسيل من اجساد اهل النار وهو عطف بيان لماء ابهم
اولا ثم بين بالصديد تهويلا لامره وتخصيصه بالذكر من بين عذابها يدل على شهد من اشد انواعه
يتجرعه قيل هو صفة لماء او حال منه والاظهر انه استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا يفعل به فقيل
يتجرعه اى يتكلف جرعه مرة بعد اخرى لغلبة العطش واستيلاء الحرارة عليه ولا يكاد يسيغه اى لا

وقال الذين كفروا س

يقارب ان يسيغه فضلا عن الاساغة بل يغص به فيشربه بعد اللتيا والتي جرعة غب جرعة فيطول
عذابه تارة بالحرارة والعطش واخرى بشربه على تلك الحال فان السوغ انحدار الشراب في الحلق
بسهولة وقبول نفس ونفيه لا يوجب نفي ما ذكر جميعا وقيل لا يكاد يدخله في جوفه وعبر عنه
بالاساغة لما انها المعهودة في الاشربة وهو حال من فاعل يتجرعه او من مفعوله او منهما جميعا ويأتيه الموت
اي اسبابه من الشدائد من كل مكان ويحيط به من جميع الجهات من كل مكان من جسده حتى من اصول شعره وابهام
رجله وما هو بميت اي والحال انه ليس بميت حقيقة كما هو الظاهر من مجيء اسبابه لا سيما من جميع الجهات حتى
لا يتألم بما غشيه من اصناف الموبقات ومن ورائه من بين يديه عذاب غليظ يستقبل كل وقت عذابا اشد
واشق مما كان قبله ففيه دفع ما يتوهم من الخفة بحسب الاعتياد كما في عذاب الدنيا وقيل هو الخلود في النار وقيل
هو حبس الانفاس وقيل المراد بالاستفتاح والخيبة استسقاء اهل مكة في سنيهم التي ارسلها الله تعالى عليهم
بدعوته صلى الله عليه وسلم وخيبتهم في ذلك وقد وعد لهم بدل ذلك صديد اهل النار مثل الذين
كفروا بربهم اي صفتهم وحالهم العجيبة الشان التي هي كالمثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره قوله تعالى
اعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مهتوك وماله منهوب او هو استيناف مبني على سؤال من
قال ما بال اعمالهم التي عملوها في وجوه البر من صلة الارحام واعتاق الرقاب وفداء الاسارى واغاثة
الملهوفين وقرى الاضياف وغير ذلك مما هو من باب المكارم حتى آل امرهم الى هذا المآل فاجيب بان
ذلك كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد الريح
وصف به زمانها مبالغة كقولك ليلة ساكرة وانما السكون لريحها شبهت صنايعهم المعدودة
لابتنائها على غير اساس من معرفة الله تعالى والايمان به والتوجه بها اليه تعالى برماد طيرته الريح العاصفة
او استيناف مسوق لبيان اعمالهم جملة مستأنفة مبنية على سؤال من يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كيت
وكيت سواء اريد بها صنايعهم او اعمالهم للاصنام معهم فقيل اعمالهم بدل من مثل الذين وقوله كرماد خبره
لا يقدرون اي يوم القيمة مما كسبوا من تلك الاعمال على شيء ما اي لا يرون له اثرا من ثواب او تخفيف عذاب
كدأب آل فرعون الرماد المذكور هو فذلكة التمثيل والاكتفاء ببيان عدم رؤية الاثر لاعمالهم للاصنام مع
ان لها عقوبات هائلة للتصريح ببطلان اعتقادهم وزعمهم انها شفعاء لهم عند الله تعالى وفيه
تهكم بهم ذلك اي ما دل عليه التمثيل دلالة واضحة من ضلالهم مع حسبانهم انهم على شيء هو الضلال
البعيد عن طريق الحق والصواب الم تر خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وقيل لكل احد
من الكفرة لقوله تعالى يذهبكم والرؤية رؤية القلب وقوله تعالى ان الله خلق السموات والارض
ساد مسد مفعوليها اي الم تعلم انه تعالى خلقهما بالحق ملتبسة بالحكمة والوجه الصحيح الذي
يحق ان تخلق عليه وقرئ خالق السموات والارض ان يشأ يذهبكم يعدمكم بالمرة ويأت بخلق
جديد اي يخلق بدلكم خلقا آخر مستأنفا لا علاقة بينكم وبينهم رتب قدرته تعالى على خلق
السموات والارض على هذا النمط البديع ارشادا الى طريق الاستدلال فان من قدر على خلق مثل
هاتيك الاجرام العظيمة كان على تبديل خلق احزنهم اقدر وكذلك قال وما ذلك اي اذهابهم
والاتيان بخلق جديد مكانكم على الله بعزيز بمتعذر او متعسر فانه قادر لذاته على جميع الممكنات
لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن هذا شأنه حقيق بان يؤمن به ويرجى ثوابه ويخشى عقابه
وبرزوا لله جميعا اي يبرزون يوم القيمة وايثار صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه
كما في قوله سبحانه ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار او لانه لا مضي ولا استقبال بالنسبة اليه
سبحانه والمراد بروزهم من قبورهم لامر الله تعالى ومحاسبته او لله على ظنهم فانهم كانوا
يظنون عند ارتكابهم الفواحش سرا انها تخفى على الله سبحانه فاذا كان يوم القيمة انكشفوا لله عند
انفسهم فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف والمراد ضعف الرأي وانما كتب
بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة للذين استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم
انا كنا في الدنيا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغيب في جمع غائب
او مصدر نعت به مبالغة او على اضمار اي ذوي تبع فهل انتم مغنون دافعون عنا والفاء
للدلالة على سببية الاتباع للاغناء والمراد التوبيخ والعتاب والتقريع وتبكيت من عذاب الله من
شيء من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول اي بعض
الشيء الذي هو عذاب الله تعالى ويجوز كونهما للتبعيض اي بعض شيء هو بعض عذاب الله والاعراب
كما سبق ويجوز ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اي فهل انتم مغنون عنا اغناء ما من النار

قالوا

قالوا اي المستكبرون جوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عما فعلوا بهم لو هدانا الله اي للايمان ووفقنا له
لهديناكم ولكن ضللنا فاضللناكم اي اخترنا لكم ما اخترناه لانفسنا او لو هدانا الله طريق النجاة من
العذاب لهديناكم واغنينا عنكم كما عرضناكم له ولكن سد دوننا طريق الخلاص ولات حين مناص سواء
علينا اجزعنا مما لقينا ام صبرنا على ذلك اي مستو علينا الجزع والصبر في عدم الانجاء والهمزة وام
للتأكيد التسوية كما في قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم ولذا اسند وهما في نسبوا
استواءهما الى ضمير المتكلم المنتظم للمخاطبين ايضا مبالغة في النهي عن التوبيخ باعلام انهم شركاؤهم
فيما ابتلوا به وتسلية لهم ويجوز ان يكون قوله سواء علينا الى آخره من كلام الفريقين على منوال
قوله تعالى ذلك ليعلم اني لم اخنه ويؤيده ما روي انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة فلا
ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك فلا ينفعهم فعند ذلك يقولون ذلك ولما كان
عتاب الاتباع من باب الجزع ذيلوا جوابهم ببيان ان لا جدوى في ذلك فقالوا ما لنا من محيص من منجى
ومهرب من العذاب من حاص الحمار اذا عدل بالفرار وهو اما اسم مكان كالمبيت والمصيف او مصدر
كالمغيب والمشيب وهو جملة مفسرة لاجمال ما فيه الاستواء فلا محل لها من الاعراب او حال مؤكدة او
بدل منه وقال الشيطان الذي اضل كلا الفريقين مخاطبا لهما عند ما عتبا به بما قال الاتباع للمستكبرين
لما قضي الامر اي احكم وفرغ منه وهو الحساب ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار خطيبا في محفل
الاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق اي وعدا من حقه ان ينجز فانجزه او وعدا انجزه وهو
الوعد بالبعث والجزاء ووعدتكم اي وعد الباطل وهو ان لا بعث ولا حساب ولئن كان فالاصنام
شفعاؤكم ولم يصرح ببطلانه لما دل عليه قوله فاخلفتكم اي موعدي على حذف المفعول الثاني
اي نقضته جعل خلف وعده كالاخلاف منه كانه كان قادرا على انجازه وانى له ذلك وما كان لي عليكم
من سلطان اي تسلط او حجة تدل على صدقي الا ان دعوتكم الا دعائي اياكم الى الغي وتسويله وهو وان
لم يكن من باب التسلط لكنه ابرزه في معرضه على طريقة تحية بينهم ضرب وجيع مبالغة في
نفي التسلط عن نفسه كانه قال انما يكون لي عليكم سلطان اذا كان مجرد الدعاء من بابه ويجوز كون
الاستثناء منقطعا فاستجبتم لي فاسرعتم اجابتي فلا تلوموني بوعدي اياكم حيث لم يكن ذلك
على طريقة القسر والالجاء كما يدل عليه الفاء وقرئ بالياء على طريقة الالتفات كما في قوله تعالى حتى
اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ولوموا انفسكم حيث استجبتم لي باختياركم حين دعوتكم بلا حجة ولا
دليل بمجرد تزيين وتسويل ولم تستجيبوا ربكم اذ دعاكم دعوة الحق المقرونة بالبينات والحجج وليس
مراده التنصل عن توجه اللائمة اليه بالمرة بل بيان انهم احق بها منه وليس فيه دلالة على استقلال
العبد في افعاله كما زعمت المعتزلة بل يكفي في ذلك ان يكون لقدرته الكاسبة التي عليها يدور
فلك التكليف مدخل فيه فانه سبحانه انما يخلق افعاله حينما يختاره وعليه يترتب السعادة
والشقاوة وما قيل من انه يستدعي ان يقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم
الكفر واجبركم عليه مبني على عدم الفرق بين مذهب اهل الحق وبين مسلك الجبرية ما انا
بمصرخكم اي بمغيثكم مما انتم فيه من العذاب وما انتم بمصرخي مما انا فيه وانما تعرض لذلك مع
انه لم يكن في حيز الاحتمال مبالغة في بيان عدم اغنائه اياهم وايذانا بانه ايضا مبتلى بمثل ما
ابتلوا به ومحتاج الى الاصراخ فكيف من اصراخ الغير وكذلك امر الجملة الاسمية فكأن ما مضى
كان جوابا منه عن توبيخهم وتقريعهم جميعا وهذا جواب عن استغاثتهم واستعانتهم به في
استدفاع ما دهمهم من العذاب وقرئ بكسر الياء اني كفرت اليوم بما اشركتموني من قبل
اي اشراككم اياي بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله تعالى ويوم القيمة يكفرون بشرككم يعني اني
اشراككم لي بالله سبحانه هو الذي يطمعكم في نصرتي لكم بان كان لكم علي حق حيث جعلتموني معبودا
وكنت اود ذلك وارغب فيه فاليوم كفرت بذلك ولم احمده ولم اقبله منكم بل تبرأت منه
ومنكم فلم يبق بيني وبينكم علاقة او كفرت من قبل حين ابيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه
وهو الله عز وجل كما في قوله سبحانه بمعنى الاعانة والاعانة سواء كان ذلك بالمدافعة او
الشفاعة واما جعله تعليلا لعدم اصراخهما حينئذ فلا وجه له اذ لا احتمال له حتى يحتاج الى التعليل
بدون التعليل عدم اصراخهم بكفره بزعم انهم بسبيل من ذلك ولولا المانع من جهته ان الظالمين
لهم عذاب اليم تتمة كلامه او ابتداء كلام من جهة الله عز وجل وفي حكاية امثاله لطف
للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا انفسهم ويتدبروا عواقبهم وادخل الذين آمنوا وعملوا

الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم اي بامره او بتوفيقه وهدايته
وفي التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار مزيد اللطف بهم وادخلهم
الملائكة عليهم السلام وقرئ على صيغة التكلم فيكون قوله تعالى باذن ربهم متعلقا بقوله تعالى تحيتهم
فيها سلام اي يحييهم الملائكة بالسلام باذن ربهم او الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقد علق بما
بعده من قوله تعالى الم تر كيف ضرب الله مثلا اي كيف اعتمده ووضعه في موضعه اللائق به كلمة طيبة
منصوب بمضمر اي جعل كلمة طيبة هي كلمة التوحيد او كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار
والتوبة والدعوة كشجرة طيبة اي حكم بانها مثلها لانه تعالى صيرها مثلها في الخارج وهو تفسير
لقوله تعالى ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان يكون
كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها او خبر مبتدا محذوف اي هي كشجرة وان يكون اول مفعولي ضرب
اجراء له مجرى جعل قد اخر عن ثانيهما اعني مثلا لئلا يبعد عن صفته التي هي كشجرة وقد قرئت
بالرفع على الابتداء اصلها ثابت اي ضارب بعروقه في الارض وقرأ انس ابن مالك رضي الله
عنه كشجرة طيبة ثابت اصلها وقراءة الجماعة اقوى سبكا وانسب بقوة بنيته اعني قوله تعالى وفرعها
اي اعلاها في السماء في جهة العلو ويجوز ان يراد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس عن الجمع تؤتي اكلها
تعطي ثمرها كل حين وقته الله تعالى لاثمارها باذن ربها بارادة خالقها والمراد بالشجرة اما النخلة
كما روي مرفوعا او شجرة في الجنة ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون لان في ضربها زيادة
افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني بصور المحسوسات ومثل كلمة خبيثة هي كلمة الكفر والدعا
اليه او تكذيب الحق او ما يعم الكل وكل كلمة قبيحة كشجرة خبيثة اي كمثل شجرة خبيثة
قيل هي كل شجرة لا يطيب ثمرها كالحنظل والكشوث ونحوهما وتغيير الاسلوب للدلالة على ان
ذلك غير مقصود الضرب والبيان وانما ذلك امر ظاهر يعرفه كل احد اجتثت استؤصلت
واخذت جثتها بالكلية من فوق الارض لكون عروقها قريبة منها ما لها من قرار استقرار عليها
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم وهو الكلمة
الطيبة التي ذكرت صفتها العجيبة في الحيوة الدنيا فلا يزالون عنه اذا افتتنوا في دينهم كزكريا
ويحيى وجرجيس وشمسون والذين فتنهم اصحاب الاخدود وفي الاخرة فلا يتلعثمون اذا
سئلوا عن معتقدهم في الموقف ولا يدهشهم اهوال القيمة او عند سؤال القبر وفيه انه عليه
السلام ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه
في قبره فيقولان من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد
صلى الله عليه وسلم فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت وهذا مثاله في الشجرة المذكورة اكلها كل حين قال الثعلبي في
تفسيره اخبرني ابو القاسم بن حبيب في سنة ست وثمانين وثلثمائة قال سمعت ابا الطيب
محمد بن علي الخياط يقول سمعت سهل بن عمار العتكي يقول رايت يزيد بن هارون في منامي
بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال اتاني في قبري ملكان فظان فقالا من ربك وما
دينك ومن نبيك فاخذت بلحيتي البيضاء فقلت المثلي يقال هذا وقد علمت الناس
جوابكما ثمانين سنة فذهبا ويضل الله الظالمين اي يخلق فيهم الضلال عن الحق تبعا للوثيقة
عليه حسبما ارادتهم واختيارهم والمراد بهم الكفرة بدليل مقابلتهم ووصفهم بالظلم اما
باعتبار وضعهم الشيء في غير موضعه واما باعتبار ظلمهم لانفسهم حيث بدلوا فطرة
الله التي فطر الناس عليها فلم يهتدوا الى القول الثابت او كل من ظلم نفسه بالاقتصار
على التقليد والاعراض عن البينات الواضحة فلا يثبتون في مواقف الفتن ولا يهتدى
الى الحق والمراد بالذين امنوا حينئذ المخلصون في الايمان الراسخون في الايقان [illegible]
التثبيت لكنه [illegible] كلمة التوحيد [illegible] تحت [illegible]
الشجرة الطيبة [illegible] ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض واضلال اخرين [illegible]
[illegible] سبحانه وتعالى [illegible] هو مبتدا [illegible] والاخر [illegible]
لرسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] صنيع الكفرة من الاباطيل التي [illegible]
[illegible] الى الذين بدلوا نعمة الله [illegible]
[illegible] كفرا [illegible]

مستدلين

مستدلين بها كفرا اهل مكة حيث خلقهم الله سبحانه واسكنهم حرمه الامن الذي يجبى اليه ثمرات
كل شيء وجعلهم قوام بيته وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين واسروا
وقتلوا يوم بدر وصاروا اذلاء مسلوبي النعمة باقين بالكفر بدلها وعن عمر رضي الله تعالى عنه هم الافجران
من قريش بنوا المغيرة وبنوا امية فكفيتموهم يوم بدر واما بنوا امية فمتعوا الى حين كانهما يتناولانه
ما سيتلى من قوله عز وجل قل تمتعوا الاية واحلوا قومهم الذين تابعوهم بارشادهم اياهم الى طريقة
الشرك والضلال وعدم التعرض لحلولهم لدلالة الاحلال عليه اذ فرع الحلول لقوله تعالى يقدم قومه
يوم القيمة فاوردهم النار دار البوار دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه جهنم عطف بيان لها وفي الابهام
ثم البيان ما لا يخفى من التهويل يصلونها حال منها او من قومهم اي داخلين فيها مقاسين لحرها او استئناف لبيان
كيفية الحلول ومفسر لفعل يقدر ناصبا لجهنم فالمراد بالاحلال المذكور حينئذ تعريضهم للهلاك بالقتل
والاسر لكن قوله تعالى قل تمتعوا فان مصيركم الى النار انسب بالتفسير الاول وبئس القرار على حذف
المخصوص بالذم اي بئس المقر جهنم او بئس القرار قرارهم فيها وفيه بيان ان حلولهم ومقامهم على وجه
الدوام وامهاله سبحانه وجعلوا عطف على احلوا وما عطف عليه داخل معهما في حيز الصلة وحكم التعجيب
اي جعلوا في اعتقادهم وحكمهم لله الفرد الصمد الذي ليس كمثله شيء وهو الواحد القهار اندادا اشباها
في التسمية او في العبادة ليضلوا قومهم الذين يشايعونهم حسبما ضلوا عن سبيله القويم الذي هو التوحيد
ويوقعوهم في ورطة الكفر والضلال لعل تغييرا لترتيب مع ان مقتضى ظاهر النظم ان يذكر كفرانهم
نعمة الله تعالى ثم كفرهم بذاته تعالى باتخاذ الانداد ثم اضلالهم لقومهم المودي الى احلالهم دار البوار
لعلية التعجيب في تكريره والايذان بان كل واحد من وضع الكفر موضع الشكر واحلال القوم دار
البوار واتخاذ الانداد للاضلال امر يقضي منه العجب ولو سيق النظم على نسق الوجود لربما فهم التعجيب
من مجموع الجنايات الثلاث كما في قصة البقرة وقرئ ليضلوا بالفتح واياما كان فليس ذلك غرضا حقيقيا لهم
من اتخاذ الانداد لكن لما كان ذلك نتيجة له شبه بالغرض وادخل عليه اللام بطريق الاستعارة التبعية
قل تهديدا لاولئك الضالين المضلين وبغيا عليهم وايذانا بانهم لشدة ابائهم قبول الحق وفرط انهماكهم في
الباطل وعدم ارعوائهم عن ذلك بحال احتابان يضرب عنهم صفحا ويعطف عنهم عنان العظة ويخلوا وشانهم
ولا ينهوا عنه بل يومروا بمباشرته مبالغة في التخلية والخذلان ومسارعة الى بيان عاقبته الوخيمة لا
ويقال لهم تمتعوا بما انتم عليه من الشهوات التي من جملتها كفران النعم العظام واستتباع الناس في عبادة
الاصنام فان مصيركم الى النار ليس الا فلا بد لكم من تعاطي ما يوجب ذلك ومقتضيه من احوالكم بل هي
في الحقيقة صورة لذلك خوطها ومثال له حسبما يلوح به قوله سبحانه واحلوا قومهم دار البوار الاخرة فهو
تعليل للامر المامور فيه من التهديد الشديد والوعيد الاكيد ما لا يوصف او قل لهم تصويرا لحالهم
وتعبيرا بالجحيم الى ذلك تمتعوا ايذانا بانهم لفرط انغماسهم في التمتع بما هم فيه من غير صارف يلويهم ولا
عاطف يثنيهم مامورون بذلك من قبل امر الشهوة مذعنون لحكمه منقادون له من كتاب مامور سالع
في طاعة امر مطاع فليس لقوله تعالى فان مصيركم الى النار حينئذ تعليلا للامر بل هو جواب شرط لا
ينسحب عليه الكلام كانه قيل هذه حالكم فان دمتم عليه فان مصيركم الى النار وفيه التهديد والوعيد
في الامر قل لعبادي الذين امنوا خصهم بالاضافة اليه تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لوظائف
العبودية الموفون بحقوقها وترك العاطف بين الامرين للايذان بتباين حاليهما باعتبار المقول تهديدا
وتشريفا والمقول ههنا محذوف دل عليه الجواب اي قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا الصلاة وينفقوا
مما رزقناهم اي يداوموا على ذلك وفيه ايذان بكمال مطاوعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم وغاية
مسارعتهم الى الامتثال باوامره وقد جوزوا ان يكون المقول يقيموا وينفقوا بحذف لام الامر
عنهما وانما حسن ذلك دون الحذف في قوله • محمد تفد نفسك كل نفس • اذا ما خفت من امر تبالا
لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا اقيموا وانفقوا قد اقيما مقامهما وليس بذلك سرا وعلانية منتصبا
على المصدرية من الامر المقدر لا من جواب الامر المذكور اي انفقوا انفاق سر وعلانية والاحب
في الانفاق اخفا المتطوع به واعلان الواجب والمراد حث المؤمنين على الشكر لنعم الله سبحانه
بالعبادة البدنية والمالية وترك التمتع بمتاع الدنيا والركون اليها كما هو صنيع الكفرة من قبل
ان ياتي يوم لا بيع فيه فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره او يفتدي به نفسه مع المبالغة في نفي العقد اذ انتفاء البيع يستلزم
انتفاء الشرا على ابلغ وجه وابتغاؤه ربما يتصور مع تحقق الايجاب من قبل البايع ولا خلال
ولا مخالة فيشفع له خليل او يسامحه بمال يفتدي به نفسه او من قبل ان ياتي يوم لا انتفاع فيه لما يحول
ابتغا عليه من البيع والمخالة ولا انتفاع بذلك وانما الانتفاع والارتفاق فيه بالانفاق لوجه الله

سبحانه والظاهر ان من متعلقة بانفقوا وتذكيرى اتيان ذلك اليوم لتاكيد مضمونه كما فى سورة البقرة من حيث ان كلا من فقدان الشفاعة وما يتداول به التقصير معاوضة وتبرعا وانقطاع اثار البيع والخلال الواقعين فى الدنيا وعدم الانتفاع بهما من اقوى الدواعى الى الاتيان بما يبقى عوايده ويدوم فوايده من الانفاق فى سبيل الله عزوجل ومن حيث ان ادخار المال وترك انفاقه انما يقع غالبا للتجارات والمهادات بحيث لا يمكن ذلك فى الاخرة فلا وجه لادخاره الى وقت الموت وتخصيص التاكيد بذلك لميل الطباع الى المال لكونها مجبولة على حبه والفتنة به ولا يبعد ان يكون تاكيد المضمون الامر باقامة الصلاة ايضا من حيث ان تركها كثيرا ما يكون بالاشتغال للبياعات والمخالات كما فى قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وقرى بالفتح فيهما على ارادة النفى العام ودلالة الرفع على ذلك باعتبار خطابى هو وقوعه فى جواب هل فيه بيع او خلال الله مبتدا خبره الذى خلق السموات وما فيها من الاجرام العلوية والارض وما فيها من انواع المخلوقات لما ذكر احوال الكافرين لنعم الله تعالى وامر المؤمنين باقامة مراسم الطاعة شكرا للنعمة شرع فى تفصيل ما يستوجب على كافة الانام المثابرة على الشكر والطاعة من النعم العظام والمنن الجسام حثا للمؤمنين عليها وتعريضا بالكفرة المخلين بالواجبين موضعها الكفر والمعاصى وفى جعل المبتدا الاسم الجليل والخبر الاسم الموصول بتلك الافاعيل العظيمة من خلق هذه الاجرام العظام وانزال الامطار واخراج الثمرات وما يتلوها من الاثار العجيبة ما لا يخفى من تربية المهابة والدلالة على قوة السلطان وانزل من السماء اى السحاب فان كل ما علاك سماء او من الفلك فان المطر منه يبتدى الى السحاب ومنه الى الارض على ما دلت عليه ظواهر النصوص او من اسباب سماوية تثير الاجزاء الرطبة من اعماق الارض الى الجو فينعقد سحابا ماطرا وايا ما كان فمن ابتدائية ماء اى نوعا منه هو المطر وتقديم المجرور على المنصوب اما باعتبار كونه مبدا التنزيل والتشريف كما فى قولك اعطاه السلطان من خزائنه مالا او لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاخرج به بذلك الماء من الثمرات المختلفة الالوان ما لا من صنيع الجموع يتجاور بعضها من بعض واما لانه اريد بمعنى ما جماعات الثمرة التى فى قولك ادركت ثمرة بستان فلان رزقا لكم تعيشون منه وهو بمعنى المرزوق شامل للمطعوم والملبوس مفعول لاخرج ومن للتبيين كقولك انفقت من الدراهم الفا ويجوز ان يكون من الثمرات مفعولا ورزقا حالا منه او مصدرا من اخرج لانه بمعنى رزقا وللتبعيض بدليل قوله تعالى فاخرجنا به ثمرات كانه قيل انزل من السماء بعض الماء فاخرج به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم اذ لم ينزل من السماء كل الماء ولا اخرج بالمطر كل الثمار ولا جعل كل الرزق ثمرا وخروج الثمرات وان كان بمشيئته عزوجل وقدرته لكن جرت عادته تعالى بافاضة صورها وكيفياتها على المواد الممتزجة من الماء والتراب اما واودع فى الماء قوة فاعلة وفى الارض قوة قابلة يتولد من اجتماعهما انواع الثمار وهو قادر على ايجاد الاشياء بلا اسباب ومواد كما ابدع نفوس الاسباب كذلك لما ان له تعالى فى انشائها مدرجا من طور الى طور صنايع وحكما يجددها لاولى الابصار عبرا وسكونا الى عظيم قدرته ليس ذلك فى ابداعها دفعة وقوله لكم صفة لقوله رزقا ان اريد به المرزوق ومفعول به ان اريد به المصدر كانه قيل رزقا اياكم وسخر لكم الفلك بان اقدركم على صنعها واستعمالها بما الهمكم كيفية ذلك لتجرى فى البحر جريانا تابعا لارادتكم بامره بمشيئته التى بها ينعقد كل شى وتخصيصه بالذكر للتنصيص على ان ذلك لجاذبية فى انه ليس بالعظام كما يومى اليه ذكرها عند البحر فتسخيرها جعلها معدة لانتفاع الناس حيث يتخذون منها جداول يسقون بها زروعهم وجناتهم وما اشبه ذلك وان اريد بها نفس الانهار فتسخيرها تيسيرها لهم وسخر لكم الشمس والقمر دائبين بان يسيرهما وادارتهما اصالة وخلافة واصلاحهما ما نيط بهما صلاحه من المكونات وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها ذكر سبحانه وتعالى انواع النعم الفائضة عليهم وابرز كل واحد منها فى جملة مستقلة تنويها بشانها وتنبيها على رفعة مكانها وتنصيصا على كون كل منها نعمة جليلة مستوجبة للشكر وفى التعبير عن التصريف المتعلق بما ذكر من الفلك والانهار والشمس والقمر والليل والنهار بالتسخير من الاشعار بما فيها من صعوبة الماخذ وعزة المنال والدلالة على عظمة السلطان وشدة المحال ما لا يخفى وتاخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدمه من الامور المعدودة مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة لاستتباع ذكرها الذكر الارض المستدعى لذكر انزال الماء منها اليها الموجب لذكر اخراج الرزق الذى من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والانهار

تيمن بمزاولة الاعمال واستعمال الادوات كما تراى من ظاهر الحال لا يسخركم الانهار والنايد بهما كليا ه العظيمة مص

او

او للتفادى عن توهم كون الكل الفى خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر نعمة واحدة كما فى سورة البقرة واتاكم من كل ما سألتموه اى اعطاكم بعض جميع ما سألتموه حسبما تقتضيه مشيته التابعة للحكمة والمصلحة لقوله سبحانه من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد او اتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه وينتظم به انتظام احوالكم على المقدار فكانكم سالتموه او طلبتموه بلسان الاستعداد او كل ما سالتموه على ان من للبيان وكلمة كل للتكثير كقولك فلان يعلم كل شىء واتاه كل الناس وعليه قوله عزوجل فتحنا عليهم ابواب كل شىء وقيل الاصل واتاكم من كل ما سالتموه وما لم تسالوه فحذف الثانى لدلالة ما ابقى على ما القى وقرى بتنوين كل على ان ما نافية ومحل ما سالتموه النصب على الحالية اى اتاكم من كل غير سائليه وان تعدوا نعمة الله التى انعم بها عليكم لا تحصوها لا تطيقوا حصرها ولو اجمالا فانها غير متناهية واصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد وضع حصاة ليحفظه بها فمعنى لا تحصوها لا تبلغون مرتبة يعتد بها من مراتبها فضلا عن بلوغ غايتها كيف لا وما من فرد من افراد الناس وان كان فى اقصى مراتب الفقر والافلاس ممنوا بافانين العنا مبتلى بانواع الرزايا فهو بحيث لو تاملته وجدته منقلبا فى نعم لا تحد ومنن لا تعد كانه قد اعطى كل ساعة واوان من النعم ما حواه حيطة الامكان وان كنت فى ريب من ذلك فقدر انه ملك ملك من اقطار العالم ودانت له كافة الامم واذعنت لطاعته السراة وخضعت لهيبته رقاب العتاة وفاز بكل مرام ونال كل منال وحاز جميع ما فى الدنيا من اصناف الاموال من غير ند يزاحمه ولا شريك يشاحه بل قدر ان ما فيها من بحر ومدن يواقيت غالية ونفايس درر ثم قدر انه قد وقع من فقد مطعوم او مشروب فى حالة بلغت نفسه الحلقوم فهل يشترى وهو فى تلك الحالة بجميع ما له من الملك والمال لقمة تنجيه عن رداه او شربة تروية من ظماه او يختار الهلاك فيذهب الاموال والاملاك بغير بدل يبقى عليه ولا نفع يعود عليه كلا بل يبذل كل ما تحويه اليدان كاينا ما كان وليس فى صفقته شائبة الخسران فان تلك اللقمة والشربة خير منها فى الدنيا بالف رتبة مع انهما فى طرف الثمام ينالهما متى شاء من الليالى والايام او قدر انه قد احتبس عليه النفس فلا دخل منه ما خرج ولا خرج منه ما ولج والحين قد حان واتاه الموت من كل مكان اما يعطى ذلك كله بمقابلة نفس واحد بل يعطى وهو لديه حامد فاذن هو خير من اموال الدنيا بجملتها ومطالبها باسرها مع انه قد اتيح له كل ان من انات الليالى والايام حال اليقظة والمنام هذا من الظهور والجلاء بحيث لا يكاد يخفى على احد من العقلاء وان رمت العثور على حقيقة الحق والوقوف على كل ما جل من السر ودق فاعلم ان الانسان بمقتضى حقيقته الممكنة بمعزل عن استحقاق الوجود وما يتبعه من الكمالات اللايقة والملكات الرايقة بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الالهية من العلاقة لما استقر له القرار ولا اطمانت به الدار الا فى مطمورة العدم والبوار ومهاوى الهلاك والدمار لكن يفيض عليه من الجناب الاقدس تعالى شانه وتقدس فى كل زمان يمضى وكل ان يمر وينقضى بانواع الفيوض المتعلقة بذاته ووجوده وساير صفاته الروحانية والنفسانية والجسمانية ما لا يحيط به نطاق التعبير ولا يعلمه الا العليم الخبير وتوضيحه انه كما لا يستحق الوجود ابتداء لا يستحقه بقاء وانما ذلك من جناب المبدا الاول عزوجل فكما لا يتصور وجوده ابتداء ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الاصلى لا يتصور بقاؤه على الوجود بعد تحققه بعلته ما لم ينسد عليه جميع انحاء عدمه الطارى لان الاستمرار والدوام من خصايص الوجود الواجبى وانت خبير بان ما يتوقف عليه وجوده من الامور الوجودية التى هى علله وشرايطه وان وجب كونها متناهية لوجوب تناهى ما دخل تحت الوجود لكن الامور العدمية التى لها دخل فى وجوده ليست كذلك اذ لا استحالة فى دخولها تحت الوجود فارتفاع تلك الموانع التى لا تتناهى اعنى بقاءها على العدم مع امكان وجودها فى انفسها فى ان من انات وجوده نعم غير متناهية حقيقة لا ادعاء وكذا الحال فى وجودات علله وشرايطه القريبة والبعيدة ابتداء وبقاء وكذا فى كمالاته التابعة لوجوده فاتضح انه يفيض عليه كل ان نعم لا يتناهى من وجوه شتى فسبحانك سبحانك ما اعظم سلطانك لا تلاحظك العيون بانظارها ولا تطالعك العقول بافكارها شانك لا يضاهى واحسانك لا يتناهى ونحن فى معرفتك حائرون وفى اقامة مراسم شكرك قاصرون نسالك الهداية الى مناهج معرفتك والتوفيق لاداء حقوق نعمتك لا نحصى ثناء عليك لا اله الا انت نستغفرك ونتوب اليك ان الانسان لظلوم يظلم النعمة باغفال شكرها او بوضعها فى غير موضعها او يظلم نفسه فى تعريضها

للحرمان كفار شديد الكفران وقيل ظلوم في الشدة يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع واللام
في الانسان للجنس ومصداق الحكم بالظلم والكفران بعض من وجد فيه من افراده ويدخل في ذلك الذين
بدلوا نعمة الله كفرا الى اخره دخولا اوليا واذ قال ابراهيم اى اذكر وقت قوله عليه السلام والمقصود
من تذكيره تذكير ما وقع فيه من مقالاته عليه السلام على منهج التفصيل والمراد به تاكيد ما
سلف من تعجيبه صلى الله عليه وسلم ببيان فن اخر من جنايا تهم حيث كفروا بالنعم الخاصة بهم
بعد ما كفروا بالنعم العامة وعصوا اباهم ابراهيم عليه السلام حيث اسكنهم بمكة شرفها الله
تعالى لاقامة الصلاة والاجتناب عن عبادة الاصنام والشكر لنعم الله تعالى وساله تعالى ان
يجعله بلدا امنا ويرزقهم من الثمرات ويهوى قلوب الناس اليه من كل اوب سحيق فاستجاب
الله سبحانه دعاءه وجعله حرما امنا يجبى اليه ثمرات كل شيء فكفروا بتلك النعم العظام
واستبدلوا بالبلد الحرام دار البوار وجعلوا لله تعالى اندادا وفعلوا ما فعلوا رب اجعل هذا
البلد يعنى مكة شرفها الله سبحانه امنا اى ذا امن وامنا اهله بحيث لا يخاف فيه على ما مر في
سورة البقرة والفرق بينه وبين ما فيها من قوله رب اجعل هذا بلدا امنا ان المسؤل هناك
البلدية والامن معا وهنا الامن فقط حيث جعل هو المفعول الثاني للجعل وجعل البلد صفة
للمفعول الاول وان حمل على تعدد السؤال فلعله عليه السلام سال اولا كلا الامرين فاستجيب له
في احدهما وتاخر الاخر الى وقته المقدر لما يقتضيه من الحكمة الداعية ثم كرر السؤال كما هو المعتاد
في الدعاء والابتهال او كان المسؤل اولا مجرد الامن المصحح للسكنى كما في ساير البلاد وقد اجيب
اليه وثانيا الامن المعهود او كان هو المسؤل فيهما وقد اجيب اليه ايضا لكن السؤال الثاني لاستدامة
والاقتصار على ذلك لانه المقصود الاصل او لان المعتاد في البلدية الاستمرار بعد التحقيق بخلاف
الامن وان حمل على وحدة السؤال وتكرر الحكاية كما هو المتبادر فالظاهر ان المسؤل كلا الامرين
وقد حكى اولا واقتصر هنا على حكاية سؤال الامن لا لمجرد ان نعمة الامن ادخل في استيجاب الشكر
فذكره انسب بمقام تقريع الكفرة على اغفاله كما قيل بل لان سؤال البلدية قد حكى بعبارة اخرى
وكان ذلك اول ما قدم عليه السلام مكة كما روى سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهم انه عليه السلام لما اسكن اسمعيل وهاجر هناك وعاد متوجها الى الشام تبعته هاجر
وجعلت تقول الى من تكلنا في هذا البلقع وهو لا يرد عليها جوابا حتى قالت الله امرك بهذا فقال
نعم قالت اذا لا يضيعنا فرضيت ومضى حتى اذا استوى على ثنية كداء اقبل على الوادى فقال
ربنا انى اسكنت الاية وانما فصل ما بينهما تنبيها على الامتنان وايذانا بان كلا منهما نعمة جليلة
مستتبعة لشكر كثير واجنبنى وبنى بعدنى واياهم ان نعبد الاصنام واجعلنا منه في جانب
بعيد اى ثبتنا على ما كنا عليه من التوحيد وملة الاسلام والبعد عن عبادة الاصنام وقرئ
اجنبنى من الافعال وهما لغة اهل نجد يقولون جنبنى شره وفيه دليل على ان عصمة الانبيا
عليهم السلام بتوفيق الله تعالى والظاهر ان المراد بنيه اولاده الصلبية فلا احتجاج به
لابن عيينة رضى الله تعالى عنه على ان احدا من اولاد اسمعيل عليه السلام لم يعبد الصنم
وانما كان لكل قوم حجر نصبوه وقالوا هو حجر والبيت حجر فكانوا يدورون به ويسمونه الدوار
فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت وليت شعرى كيف ذهب عليه ما في
القران العظيم من قوارع سجلت على قريش عبادة الاصنام على ان فيما ذكره كفاية على ما فى منه رب انهن
اى الاصنام اضللن كثيرا من الناس اى تسببن له لقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا وهو تعليل
لدعايه وانما صدره بالنداء اظهارا للاعتناء به ورغبته في استجابته فمن تبعنى فيما ادعوا اليه
من التوحيد وملة الاسلام فانه منى اى بعضى قال عليه السلام مبالغة في بيان اختصاصه
به او متصل بى لا ينفك عنى في امر الدين ومن عصانى اى لم يتبعنى والتعبير عنه بالعصيان
للايذان بانه عليه السلام مستمر على الدعوة وان عدم اتباع من لم يتبعه انما هو لعصيانه
لا لانه لم يتبعه انما هو لعصيانه لا لانه لم يبلغه الدعوة فانك غفور رحيم قادر على ان
تغفر له وترحمه ابتداء او بعد توبته وفيه ان كل ذنب فلله تعالى ان يغفره حتى الشرك الا ان الوعيد
قضى بالفرق بينه وبين غيره ربنا اثنى عليه السلام مضمنا للجماعات لا لما قيل من تقدم ذكره
وذكر بنيه والاولى عادة في قوله رب انهن الى اخره بل لان الدعاء المصدر به وما اورده بصدد
تمهيد مبادى اجابته من قوله انى اسكنت الاية متعلق بذريته فالتعرض لوصف ربوبيته
تعالى لهم ادخل في القبول واجابة المسؤل من ذريتى اى بعضهم او ذرية من ذريتى فحذف المفعول

وهو

وهو اسمعيل عليه السلام وما سيولد له فان اسكانه حيث كان على وجه الاطمئنان يتضمن لاسكانهم
روى ان هاجر ام اسمعيل كانت لسارة فوهبتها من ابراهيم عليه السلام فلما ولدت له اسمعيل
عليه السلام غارت عليهما فناشدته ان يخرجهما من عندها فاخرجهما الى ارض مكة فاظهر الله تعالى عين
زمزم بواد غير ذى زرع لا يكون فيه زرع اصلا وهو وادى مكة شرفها الله سبحانه عند بيتك
ظرف لاسكنت كقولك صليت بمكة عند الركن لا انه صفة لواد او بدل منه اذ المقصود اظهار كون
ذلك الاسكان مع فقدان مباديه بالمرة لمحض التقرب الى الله تعالى والالتجاء الى جواره الكريم
كما ينبئ عنه التعرض لعنوان بيته المحرم المؤذن بعز الملتجى وعصمته عن المكاره في قوله تعالى
المحرم حيث حرم التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة في كل عصر او منع منه
الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمى عتيقا وتسميته اذ ذاك بيتا ولم يكن له بناء وانما كان نشزا
مثل الرابية تاتيه السيول فتاخذ ذات اليمين وذات الشمال ليست باعتبار ما كان من قبل فان
تعدد بناء الكعبة المعظمة مما لا ريب فيه وانما الاختلاف في كمية عدده وقد ذكرناها في سورة
البقرة بفضل الله سبحانه ربنا ليقيموا الصلاة متوجهين اليه متبركين به وهو متعلق باسكنت
وتخصيصها بالذكر من بين ساير شعاير الدين لفضلها وتكرير النداء وتوسيطه لاظهار كمال
العناية باقامة الصلاة والاهتمام بعرض الغرض من اسكانهم بذلك الوادى البلقع وذلك
المقصود الاقصى والمطلب الاسنى وكل ذلك لتمهيد مبادى اجابة دعائه واعطاء مسؤله الذى
لا يتسنى ذلك المرام الا به ولذلك ادخل عليه الفاء فقال فاجعل افئدة من الناس من للتبعيض
ولذلك لو قال افئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم واما ما يدعيه من قوم لحجت
اليهود والنصارى فغير مناسب للمقام اذ المسؤل توجيه القلوب اليهم للمساكنة معهم لا
توجيهها الى البيت للحج والا لقيل تهوى اليه فانه عين الدعاء بالبلدية قد حكى بعبارة اخرى كما
مر اولا بتدا الغاية كقولك ٭ القلب منى سقيم ٭ اى افئدة ناس وقرئ افدة على القلب كادر
في ادور او على انه اسم فاعل من افدت الرحلة اى عجلت اى جماعات الناس وافده بطرح الهمزة
من الافئدة او على النعت من افد تهوى اليهم تسرع اليهم شوقا وودادا وقرئ على البناء للمفعول
من اهواه غيره وتهوى من باب علم اى تحب وتعديته بالى لتضمنه معنى الشوق والنزوع واول
اثار هذه الدعوة ما روى انه مرت رفقة من جرهم تريد الشام فراوا الطير تحوم على الجبل
فقالوا ان هذا الطاير العايف على الماء فاشرفوا فاذا هم بهاجر فقالوا لها ان شئت كنا معك
وانسناك والماء ماؤك فاذنت لهم وكانوا معها الى ان شب اسمعيل عليه السلام وماتت هاجر
فتزوج اسمعيل منهم كما هو المشهور وارزقهم اى ذريتى الذين اسكنتهم هناك او مع من ينحاز
اليهم من الناس وانما لم يخص الدعاء بالمؤمنين منهم كما في قوله وارزق اهله من الثمرات من امن منهم
بالله واليوم الاخر اكتفاء بذكر اقامة الصلاة من الثمرات من انواعها بان تجعل بقرب منه قرى
يحصل فيها ذلك او يجبى اليه من الاقطار الشاسعة وقد حصل كلاهما حتى انه يجتمع فيه الفواكه
الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الطايف
كانت في ارض فلسطين فلما دعا ابراهيم عليه السلام بهذه الدعوة رفعها الله تعالى ووضعها
حيث وضعها رزقا للحرم وعن الزهرى انه تعالى نقل قرية من قرى الشام فوضعها بالطايف
لدعوة ابراهيم عليه السلام لعلهم يشكرون تلك النعمة باقامة الصلاة واداء ساير مراسم
العبودية وقيل اللام في ليقيموا لام الامر والمراد امرهم باقامة الصلاة والدعاء من الله تعالى
بتوفيقهم لها ولا يناسبه الفاء في قوله تعالى فاجعل الى اخره وفي دعايه عليه السلام من مراعاة
حسن الادب والمحافظة على قوانين الضراعة وعرض الحاجة واستنزال الرحمة واستجلاب الرافة ما لا
يخفى فانه عليه السلام يذكر كون الوادى غير ذى زرع بين كمال افتقارهم الى المسؤل وبذكر كون
اسكانهم عند البيت المحرم اشار الى ان جوار الكريم يستوجب افاضة النعيم وبعرض كون ذلك
الاسكان مع كمال اعواز المرافق المعاش لمحض اقامة الصلاة واداء حقوق البيت مهد جميع
مبادى اجابة المسؤل ولذلك قرنت دعوته عليه السلام بحسن القبول ربنا انك تعلم ما
نخفى وما نعلن من الحاجات وغيرها والمراد بما نخفى ما يقابل ما نعلن سواء تعلق به الاخفاء اولا اى
تعلم ما نظهره فان علمه تعالى متعلق بما لا يخطر ببالنا مما فيه من الاحوال الخفية فضلا عن اخفايه
وتقديم ما نخفى على ما نعلن لتحقيق المساواة بينهما في تعلق العلم بهما على ابلغ وجه فكان تعلقه بما
يخفى اقدم منه بما يعلن او هو قبل ذلك خفى فتعلق علمه سبحانه بحالته الاولى اقدم من تعلقه

بحالته الثانية ومقصده عليه السلام من اظهار هذه الحاجات وما هو من مباديها وسمياتها
ليس لكونها غير معلومة لك بل انما هو لاظهار العبودية والتخشع لعظمتك والتذلل لعزتك
وعرض الافتقار الى ما عندك والاستعجال لنيل اياديك وتكرير النداء للمبالغة في الضراعة والابتهال
وضمير الجماعات لان المراد ليس مجرد علمه تعالى بسره وعلنه بل الجميع خفايا الملك والملكوت وقد
حققه بقوله على وجه الاعتراض وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لما انه العالم بالذات
فما من امر يدخل تحت الوجود كاينا ما كان في زمان من الازمان الا ووجوده في ذاته علم بالنسبة
اليه سبحانه وانما قال وما يخفى على الله الى اخره دون ان يقول ويعلم ما في السموات والارض تحقيقا
لما عناه بقوله تعالى تعلم ما نخفي من ان علمه تعالى بذلك ليس على وجه يكون فيه شائبة خفاء بالنسبة
الى علمه تعالى كما يكون ذلك بالنسبة الى علوم المخلوقات وكلمة في متعلقة بمحذوف وقع صفة
لشيء اي من شيء كاين فيهما اعم من ان يكون ذلك على وجه الاستقرار فيهما او على وجه الجزئية
منهما او بيخفى وتقديم الارض على السماء مع توسيط لا بينهما باعتبار القرب والبعد منا المستدعيين
للتفاوت بالنسبة الى علومنا والالتفات من الخطاب الى اسم الذات المستجمعة للصفات لتربية
المهابة والاشعار بعلة الحكم على نهج قوله تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير والايذان
بعمومه لانه ليس لشان يختص به او بمن يتعلق به بل شامل لجميع الاشياء فالمناسب ذكره تعالى
بعنوان مصحح لمبدأيه الكل وقيل هو من كلام الله عز وجل وارد بطريق الاعتراض لتصديقه عليه
السلام كقوله سبحانه وكذلك يفعلون ومن الاستغراق على الوجهين الحمد لله الذي وهب لي على
الكبر اي مع كبري ويأسي عن الولد قيد الهبة به استعظاما للنعمة واظهارا لما في الشكر اسماعيل واسحاق
يروى انه ولد له اسمعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحاق وهو ابن مائة واثنتي
عشرة سنة او مائة وسبع عشرة سنة ان ربي ومالك امري لسميع الدعاء لمجيبه من قولهم سمع الملك
كلامه اذا اعتد به وهي من ابنية المبالغة العاملة عمل الفعل اضيف الى مفعوله او فاعله باسناد
السماع الى دعاء الله تعالى مجازا وهو مع كونه من تتمة الحمد والشكر اذ هو وصف له تعالى بان ذلك
الجميل سنته المستمرة تعليل على طريقة التذييل للهبة المذكورة وفيه ايذان بتضاعف النعمة فيهما
حيث وقعت بعد الدعاء بقوله رب هب لي من الصالحين فاقترنت الهبة بقبول الدعوة وتوحيد
ضمير المتكلم لما ان نعمة الهبة فائضة عليه خاصة وهما من النعم لا من المنعم عليهم رب
اجعلني مقيم الصلاة سايرا عليها معدلا لها وتوحيد ضمير المتكلم مع شمول دعوته لذريته ايضا
حيث قال ومن ذريتي اي بعضهم من المذكورين اذ كان عقيب ومن يسير سيرتهما من ولدهما
للاشعار بانه المقتدى في ذلك وذريته اتباع له وان ذكرهم بطريق الاستطراد كما في قوله
ربنا اني اسكنت الى اخره فان اسكانه مع عدم تحققه بلا ملابسة لمن اسكنه انما هو مذكور
بطريق التمهيد للدعاء الذي هو مخصوص بذريته وانما خص هذا الدعاء ببعض ذريته لعلمه من جهة
الله تعالى ان بعضنا منهم لا يكون مقيم الصلاة لقوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا
امة مسلمة لك ربنا وتقبل دعاء اي دعائي هذا المتعلق بجعلي وجعل بعض ذريتي مقيمي الصلاة
ثابتين على ذلك مجتنبين عن عبادة الاصنام ولذلك جيء بضمير الجماعة ربنا اغفر لي اي ما فرط مني
من ترك الاولى في باب الدين وغير ذلك مما لا يسلم منه البشر ولو الذي وقري بالتوحيد ولا
يرى وهذا الاستغفار منه عليه السلام انما كان قبل تبين الامر له عليه السلام وقيل قبل تبين
الامر له عليه السلام وقيل اراد بهما ادم وحوا وقيل بشرط الاسلام ويرده قوله تعالى
الا قول ابراهيم الاية وقد مر في سورة التوبة نوع تحقيق للمقام وسياتي تمامه في سورة مريم
بفضل الله عز وجل وللمؤمنين كافة من ذريته وغيرهم للايذان باشتراك الكل في الدعاء بالمغفرة
جيء بضمير الجماعة يوم يقوم الحساب اي يثبت ويتحقق محاسبة اعمال المكلفين على وجه العدل
استعير له من ثبوت القائم على الرجل بالاستقامة ومنه قامت الحرب على ساق والمراد قوله
وقيل اسند اليه قيام اهله مجازا او حذف المضاف كما في واسأل القرية واعلم ان ما حكي عنه عليه
السلام من الادعية والاذكار وما يتعلق بها ليس بصادر عنه من الترتيب المحكي ولا على وجه
المعية بل صدر عنه في ازمنة متفرقة حكي مرتبا للدلالة على سوء حال الكفرة بعد ظهور امره في الملة
وارشاد الناس اليها والتضرع الى الله تعالى لمصالحهم الدينية والدنيوية ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد تثبيته على ما كان عليه من عدم
حسبانه عز وجل وكذلك نحو قوله تعالى ولا تكونن من المشركين ونظايره مع ما فيه من الايذان

بكونه

بكونه واجب الاحتراز عنه في الغاية حتى نهي عنه من لا يمكن تعاطيه او نهيه عليه السلام عن حسبانه
تعالى تاركا لعقابهم على طريقة العفو والتغيير عنه بذلك للمبالغة في النهي والايذان بان ذلك الحسبان بمنزلة
حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم اذ العلم بذلك مستوجب لعقابهم لا محالة فتركه لو كان لكان للغفلة عما يوجبه
من اعمالهم الخبيثة وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعد له اكيد ووعيد للكفرة وساير الظالمين
شديد او لكل احد ممن يستعجل عذابهم او يتوهم اهمالهم لجهل بصفاته تعالى او الاغترار بامهاله وقيل معناه
لا تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل عما عملوا بل معاملة من يحافظ على اعمالهم ويجازيهم بذلك
نقيرا وقطميرا والمراد بالظالمين اهل مكة ممن عدت مساويهم من تبديل نعمة الله تعالى كفرا واحلال قومهم
دار البوار واتخاذ الانداد كما يؤذن به التعرض لحكمة التاخير المبني عنه قوله تعالى قل تمتعوا الاية
او جنس الظالمين وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا انما يؤخرهم بمهلهم متمتعين بالحظوظ الدنيوية
ولا يعجل عقوبتهم حسبما يشاهدونه استيناف وقع تعليلا للنهي السابق اي دم على ما كنت عليه من
عدم حسبانه تعالى غافلا عن اعمالهم ولا تحزن بتاخير ما يستوجبونه من العذاب الاليم ان تاخيره
للتشديد والتغليظ او ولا تحسبنه تعالى تاركا لعقوبتهم لما ترى من تاخيرها انما ذلك لاجل عذاب او لا
تحسبنه تعالى يعاملهم معاملة الغافل ولا يؤاخذهم بما عملوا لا ترى من التاخير انما هو بهذه
الحكمة وقرئ بالنون وايقاع التاخير عليهم مع ان المؤخر انما هو عذابهم لتهويل الخطب وتفظيع الحال
ببيان انهم متوجهون الى العذاب مرصدون لامر ما انهم باقون باختيارهم وللدلالة على ان حقهم من
العذاب هو الاستيصال بالمرة وان لا يبقى منهم في الوجود عين ولا اثر وللايذان بان المؤخر له من جملة
العذاب وعنوانه ولو قيل انما يؤخر عذابهم الى اخره لما فهم ذلك ليوم هائل تشخص فيه الابصار
ترتفع ابصار اهل الموقف فيدخل في زمرتهم الكفرة المعهودة دخولا اوليا اي تبقى مفتوحة لا تتحرك
اجفانهم من هول ما يرونه اعتبار عدم قرارها في اماكنها اما باعتبار الارتفاع الحسي في جرم العين وامالة
بجعل الصيغة من شخص من بلد الى بلد وسار في ارتفاع مهطعين مسرعين الى الداعي مقبلين عليه بالخوف والذل
والخشوع او مقبلين بابصارهم عليه لا يقلعون عنه ولا يطرفون هيبة وخوفا وحيث كان ادامة النظر هنا
بالنظر الى الداعي قيل مقنعي رؤسهم اي رافعيها مع ادامة النظر من غير تفاوت الى شيء قاله العيني وابن عرفة
او ناكسيها ويقال اقنع رأسه اي طاطأها ونكسها فهو من الاضداد وهما حالان مما دل عليه الابصار من
اصحابها او الثاني حال متداخلة من الضمير في الاول واضافته غير حقيقية فلا ينافي في الحالية لا يرتد اليهم
طرفهم يرجع اليهم تحريك اجفانهم حسبما كان يرجع اليهم كل لحظة بل تبقى اعينهم مفتوحة لا تطرف او لا
ترجع اليهم اجفانهم التي الطرف فيكون اسناد الرجوع الى الطرف مجازيا وهو متن الحمق قال الفيروز
ابادي الطرف العين لا يجمع لانه مصدر في الاصل او اسم جامع للعين او لا يرجع نظرهم الى انفسهم فضلا
عن ان يرجع الى شيء اخر فيبقون مبهوتين وهو ايضا حال او بدل من مقنعي الى اخره او استيناف والمعنى
لا يزول ما اعتراهم من شخوص الابصار وتاخيره عما هو من تتمة من الاهطاع والاقناع مع ما بينه
وبين الشخوص المذكور من المناسبة لترتبة هذا المعنى وافئدتهم هواء خالية من العقل والفهم
لفرط الحيرة والدهشة كانها نفس الهواء الخالي عن كل شاغل ومنه قيل للجبان والاحمق قلبه هواء لا قوة ولا
رأي فيه واعتبار خلوها عن كل خير لا يناسب المقام وهذا ايضا حال عاملها لا يرتد مقيده لكون شخوص
ابصارهم وعدم ارتداد طرفهم بلا فهم ولا اختيار او جملة مستقلة وانذر الناس خطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد اعلامه انه تاخيرهم لماذا وامر له بانذارهم وتخويفهم منه والمراد بالناس
الكفار المعبر عنهم بالظالمين كما يقتضيه ظاهر اتيان العذاب والعدول اليه من الاضمار للاشعار
بان المراد بالانذار هو الزجر عما هم عليه من الظلم شفقة عليهم لا التخويف للانزعاج والايذاء
فالمناسب عدم ذكرهم بعنوان الظلم او الناس جميعا فان الانذار عام للفريقين كقوله تعالى انما
تنذر من اتبع الذكر والاتيان يعمهما من حيث كونهما في الموقف وان كان لحوقه بالكفار خاصة اي
انذرهم وخوفهم يوم ياتيهم العذاب المعهود اليوم الذي وصف به ما لا يوصف من الاوصاف
الهائلة اعني يوم القيمة وقيل هو يوم موتهم معذبين بالسكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى او يوم
هلاكهم بالعذاب العاجل ويأباه القصر السابق فيقول الذين ظلموا اي فيقولون والعدول عنه
الى ما عليه النظم الكريم للتسجيل عليهم بالظلم وللاشعار بان ما لقوه من الشدة انما هو لظلمهم وايثار
على صيغة الفاعل حسبما ذكر وللايذان بان الظلم في الجملة كاف في الافضاء الى ما ذكر من الاهوال من
غير حاجة الى الاستمرار عليه كما ينبئ عنه صيغة الفاعل وعلى تقدير كون المراد بالناس من يعم
المسلمين ايضا فالمعنى الذين ظلموا منهم وهم الكفار ويقول كل من ظلم بالشرك والتكذيب من المنذرين

وغيرهم من الامم الخالية فان اتيان العذاب يعمهم كما يشعر بذلك وعدهم باتباع الرسل ربنا اخرنا
وامهلنا الى اجل قريب الى امد وحد من الزمان قريب نجب دعوتك الى الدعوة اليك والى توحيدك
او دعوتك لنا على السنة الرسل ففيه ايما الى انهم صدقوهم في انهم مرسلون من عند الله تعالى ونتبع
الرسل فيما جاءونا به اي نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة الدعوة واتباع الرسل والجمع اما باعتبار
اتفاق الجميع على التوحيد وكون عصيانهم للرسل عليه السلام عصيانا لهم جميعا عليهم السلام واما
باعتبار ان الحكي كلام ظالمي الامم جميعا والمقصود بيان وعد كل امة باتباع رسولها اولم تكونوا
اقسمتم من قبل على اضمار القول معطوفا على فيقول اي فيقال لهم توبيخا وتبكيتا الم تؤخروا في الدنيا
ولم تكونوا اقسمتم اذ ذاك بالسنتكم بطرا واشرا وجهلا وسفها ما لكم من زوال مما انتم عليه من
التمتع بالحظوظ الدنيوية او بالسنة الحال حيث بنيتم مشيدا واملتم بعيدا ولم تحدثوا انفسكم بالانتقال
منها الى هذه الحالة وفيه اشعار بامتداد زمان التاخير وبعد مداه وما لكم من زوال من هذه الدار
الى دار اخرى للجزاء لقوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت وصيغة الخطاب
في جواب القسم لمراعاة حال الخطاب في اقسمتم كما في قوله حلف بالله لتخرجن وهو ادخل في تقسيم
التوبيخ من ان يقال ما لنا مراعاة لحال المقسم ذكر البيهقي عن محمد بن كعب القرظي رحمه الله انه
قال لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى في اربع منها فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها
ابدا يقولون ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل فيجيبهم
الله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا
اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا اقسمتم من قبل الاية ثم
يقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما
ضالين فيجيبهم الله تعالى اخسؤوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا ان هو الا زفير وشهيق
وعند ذلك انقطع رجاؤهم واقبل بعضهم ينبح في وجه بعض واطبقت عليهم جهنم اللهم بك نعوذ
وبكنفك نلوذ فرجا ربك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وسكنتم من السكنى بمعنى التبوء والاستيطان
وانما استعمل بكلمة في حيث قيل في مساكن الذين ظلموا انفسهم جريا على اصله لانه منقول عن مطلق
السكون الذي حقه التعدية بها او من السكون واللبث اي قررتم في مساكنهم مطمئنين سائرين
سيرتهم في الظلم بالكفر والمعاصي غير محدثين لانفسكم بما لقيه الاولون بسبب ما اجترحوا من
الموبقات وفي ايقاع الظلم على انفسهم بعد اطلاقه فيما سلف ايذان بان غائلة الظلم ايلة الى
صاحبه والمراد بهم اما جميع من تقدم من الامم الهالكة على تقدير اختصاص الاستماع والخطاب السابق
بالمنذرين واما اوايلهم من قوم نوح وهود على تقدير عموم ما لكل وهذا الخطاب ومن يتلوه باعتبار
حال اواخرهم وتبين لكم بمشاهدة الاثار وتواتر الاخبار كيف فعلنا بهم من الاهلاك والعقوبة
بما فعلوا من الظلم والفساد وكيف منصوب بما بعده من الفعل وليس الجملة فاعلا لتبين كما قاله
بعض الكوفيين بل فاعله ما دلت عليه من دلالة واضحة اي فعلنا العجيب بهم وفيه من المبالغة
ما ليس في ان يقال ما فعلنا بهم كما مر في قوله تعالى ليسجننه وقرئ ونبين وضربنا لكم الامثال
اي بينا لكم في القران العظيم على تقدير اختصاص الخطاب بالمنذرين او على السنة الانبياء عليهم
السلام على تقدير كونه بعمومه لجميع الظالمين صفات ما فعلوا وما فعل بهم من الامور التي
هي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم لتعتبروا بها وتقيسوا اعمالكم على اعمالهم وما لكم على مالهم
وتنتقلوا من حلول العذاب العاجل الى حلول العذاب الاجل فترتدعوا عما كنتم فيه من الكفر
والمعاصي او بينا لكم انكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب والجمل الثلث في موقع الحال من ضمير
اقسمتم اي اقسمتم بالخلود والحال انكم سكنتم في مساكن المهلكين بظلمهم وتبين لكم فعلنا بهم
وبينا لكم على حلية الحال بضرب الامثال وقوله عز وجل وقد مكروا مكرهم حال من الضمير الاول
في فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا وانما قدم عليه قوله تعالى وضربنا لكم الامثال لشدة
ارتباطه بما قبله اي فعلنا بهم او من الثاني او منهما جميعا ما فعلنا والحال انهم قد مكروا في
ابطال الحق وتقرير الباطل مكرهم العظيم الذي استفرغوا في عمله المجهود وجاوزوا فيه كل حد
معهود بحيث لا يقادر علمهم غيرهم فالمراد بيان تناهيهم في استحقاق ما فعلناه بهم او قد مكروا مكرهم
المذكور في ترتيب مبادي البقاء ومدافعة اسباب الزوال فالمقصود اظهار عجزهم واضمحلال
قدرتهم وحقارتها عند قدرة الله تعالى وعند الله مكرهم اي جزاء مكرهم الذي فعلوه على

ان

ان اخذه تعالى بهم على انه مضاف الى مفعوله وتسميته مكرا لكونه بمقابلة مكرهم وجودا وذكرا
ولكونه في صورة المكر في الاتيان من حيث لا يشعرون وعلى التقديرين فالمراد به ما افاده قوله عز
وجل كيف فعلنا بهم لا انه وعيد مستانف والجملة حال من الضمير في مكروا اي مكروا مكرهم وعند الله
جزاؤه او ما هو اعظم منه والمقصود بيان فساد رايهم حيث باشروا فعلا مع تحقق ما يوجب تركه
وان كان في العظم والشدة مكرهم لتزول منه الجبال اي وان كان مكرهم في غاية المتانة والشدة وعبر
عن ذلك بكونه مسوى ومعدا لازالة الجبال اي عن مقارها لكونه مثلا في ذلك والجملة المصدرة بان
الوصلية معطوفة على جملة مقدرة والمعنى وعند الله جزاء مكرهم او المكر الذي يحيق بهم ان لم يكن مكرهم
لتزول منه الجبال وان كان الى اخره وقد حذف ذلك حذفا مطردا لدلالة المذكور عليه دلالة واضحة
فان الشيء اذا تحقق عند وجود المانع القوي فلان يتحقق عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في
ان الوصلية من التاكيد المعنوي والجواب محذوف يدل عليه ما سبق وهو قوله تعالى وعند الله مكرهم
وقيل ان نافية واللام لتاكيد ها كما في قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم ويعضده قراءة ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه وما كان مكرهم فالجملة حينئذ حال من الضمير في مكروا لا من قوله تعالى وعند الله مكرهم
اي مكروا مكرهم والحال ان مكرهم لم يكن لتزول منه الجبال على انها عبارة عن اياته تعالى وشرايعه ومعجزاته
الظاهرة على ايدي الرسل السالفة عليهم السلام التي هي بمنزلة الجبال الراسيات في الرسوخ واما كونها عبارة
عن النبي صلى الله عليه وسلم وامر القران العظيم كما قيل فلا مجال له اذ الماكرون هم المهلكون لا الساكنون في
مساكنهم من المخاطبين وان خص الخطاب بالمنذرين وقيل هي مخففة من ان والمعنى انه كان مكرهم لتزول
منه ما هو كالجبال في الثبات مما ذكر من الايات والشرايع والمعجزات والجملة كما هي حال من ضمير مكروا
اي مكروا مكرهم المعهود ان الشان الايات والشرايع ما نعا من مباشرة المكر لا زالته وقد قرئ
الكسائي لتزول بفتح التاء على انها الفارقة والمعنى تعظيم مكرهم فالجملة حال من قوله تعالى وعند الله
مكرهم اي عنده تعالى جزاء مكرهم او المكر بهم والحال ان مكرهم بحيث تزول منه الجبال اي في غاية
الشدة وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وان كان مكرهم هذا هو الذي تقتضيه
النظم الكريم وينساق اليه الطبع السليم وقد قيل ان الضمير في مكروا للمنذرين والمراد بمكرهم ما افاده
قوله عز وجل واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية وغيره من انواع
مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل الوجه حينئذ ان يكون قوله تعالى وقد مكروا الى
اخره حالا من القول المقدر اي فيقال لهم ما يقال والحال انهم مع ما فعلوا من الاقسام المذكورة
مع ما ينافيه من السكون في مساكن المهلكين وتبين احوالهم وضرب الامثال قد مكروا مكرهم العظيم
ان لم يكن الصادر عنهم مجرد الاقسام الذي وعوا به بل اجترؤوا على مثل هذه العظيمة وقوله تعالى
وعند الله مكرهم حال من ضمير مكروا والجبال ان مكرهم ما كان لتزول منه هاتيك الشرايع والايات
التي هي في القوة كالجبال وعلى تقدير كونها مخففة من المثقلة واللام مكسورة تكون حالا منه ايضا
على ان معنى ان ذلك المكر العظيم منهم كان لهذا الغرض على معنى انه لم يكن يصح ان يكون منهم مكر ما
لذلك لما ان شان الشرايع اعظم من ان يمكر بها ماكر وعلى تقدير فتح اللام هو حال من قوله تعالى
وعند الله مكرهم كما ذكرنا من قبل فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله لم يرد به والله ع
سبحانه اعلم ما وعده بقوله تعالى انا لننصر رسلنا الاية وقوله كتب الله لاغلبن انا ورسلي كما قيل
فانه لا اختصاص له بالتعذيب لا سيما الاخروي بل ما سلف انفا من وعده بتعذيب الظالمين بقوله
تعالى انما يؤخرهم الاية كما ينفصح عنه الفاء الداخلة على النهي الذي اريد به تثبيته عليه السلام على ما
كان عليه من الثقة بالله تعالى والتيقن بانجاز وعده المذكور المقرون بالامر بانذارهم يوم
اتيان العذاب المتضمن لذكر تعذيب الامم السالفة بسبب كفرهم وعصيانهم رسلهم بعد ما وعدهم
بذلك كما فصلت قصة كل منهم في القران العظيم فكانه قيل واذ قد وعدناك بعذاب الظالمين يوم
القيمة واخبرناك بما يلقونه من الشدائد وبما يسالونه من الرد الى الدنيا وبما اجبناهم به وقرعناهم بعد
تاملهم في احوال من سبقهم من الامم الذين اهلكناهم بظلمهم بعد ما وعدنا رسلهم باهلاكهم فدم
على ما كنت عليه من اليقين بعدم اخلافنا رسلنا وعدنا ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع
ذو انتقام لاوليائه من اعدائه والجملة تعليل للنهي المذكور وتذييل له وحيث كان الوعد عبارة
عما ذكرنا من تعذيبهم خاصة لم يذيل بان يقال ان الله لا يخلف الميعاد بل تعرض لوصف العزة
والانتقام المشعرين بذلك والمراد بالانتقام ما اشير اليه بالفعل وعبر عنه بالمكر يوم تبدل
الارض غير الارض ظرف لمضمر مستانف ينسحب عليه النهي المذكور اي ينجزه يوما الى اخره او

معطوف عليه بنحو ما ترتقب يوم تبدل الارض غير الارض او لا نتقامه وهو يوم ياتيهم العذاب بعينه ولكن له احوال جمة تذكر كل منها بعنوان مخصوص والتقييد به مع عموم انتقامه للاوقات كلها للافصاح عما هو المقصود به من تعذيب الكفرة المؤخر الى ذلك اليوم بموجب الحكمة الداعية اليه وقيل بدل من يوم ياتيهم العذاب او نصب باذكر او باضمار لا يخلف وعده يوم تبدل الارض ومنه ايضا ما في الوجه الثالث من الحاجة الى الاعتبار ولا يجوزان ينتصب بقوله مخلف وعده لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده وقيل هو غير مانع لان قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام جملة اعتراضية فلا يبالى بها فاصلا واعلم ان التبديل قد يكون في الذات كما في بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله عز وجل بدلناهم جلودا غيرها وقد يكون في الصفات كما في قولك بدلت الحلقة خاتما اذا غيرت شكلها ومنه قوله تعالى يبدل الله سيئاتهم حسنات على بعض الاقوال والاية الكريمة ليست بنص في احد الوجهين فعن علي كرم الله تعالى وجهه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود يبدل الارض بارض كالفضة بيضاء نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل عليها خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها وانشد • وما الناس بالناس الذين عهدتهم • وما الدار بالدار التي كنت تعلم • وتبدل السموات بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا ويدل عليه ما روى ابو هريرة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا والسموات اي وتبدل السموات غير السموات حسبما مر من التفصيل وتقديم تبديل الارض لقربها منا ولكون تبديلها اعظم اثرا بالنسبة الينا وبرزوا اي الخلايق والظالمون المدلول عليهم بمعونة السياق والمراد بروزهم من اجداثهم التي في بطون الارض وظهورهم باعمالهم التي كانوا يعملونها سرا ويزعمون انها لا تظهر او يعملون عمل من يزعم ذلك ولعل اسناده اليهم مع انه لاعمالهم للايذان بتشكلهم باشكال تناسبها وهو معطوف على تبدل والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعه او حال من الارض بتقدير قد والرابط بينها وبين صاحبها الواو لله الواحد القهار للحساب والجزاء والتعرض للوصفين لتهويل الخطب وتربية المهابة واظهار بطلان الشرك وتحقيق الانتقام في ذلك اليوم على تقدير كونه ظرفا له وتحقيق اتيان العذاب الموعود على تقدير كونه بدلا من يوم ياتيهم العذاب فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا يضار ولا يعاد كان في غاية ما يكون من الشدة والصعوبة يوم ترى المجرمين عطف على برزوا والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار الصورة او للدلالة على الاستمرار واما البروز فهو دفعي لا استمرار فيه وعلى تقدير حالية برزوا فهو معطوف على تبدل ويجوز عطفه على عامل الظرف المقدر على تقدير كونه ينجزه يومئذ يوم اذ برزوا له عز وجل او يوم اذ تبدل الارض او اذ ينجزه وعده مقرنين قرن بعضهم مع بعض حسب اقترانهم في الجرائم والجرائر قد تقارنوا مع الشياطين الذين اغووهم او قرنوا مع ما اقترفوا من العقايد الزائغة والملكات الردية والاعمال السيئة غب تصور كل منها وتشكلها بما يناسبها من الصور الموحشة والاشكال الهايلة او قرنت ايديهم وارجلهم الى رقابهم وهو حال من المجرمين في الاصفاد في القيود او الاغلال وهو اما متعلق بقوله تعالى مقرنين او حال من ضميره او مصفدين سرابيلهم اي قمصانهم من قطران جملة من مبتدا وخبر محلها النصب على الحالية من المجرمين او من ضميره في مقرنين ورابطها الضمير فقط كما في كلمته فوه الى في او مستانفة والقطران ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنا به الابل الجربى فيحرق الجرب بما فيه من الحدة الشديدة وقد يصل حرارته الى الجوف وهو اسود منتن يتسرع فيه اشتعال النار يطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم الالوان الاربعة من العذاب لذعه وحرقه واسراع النار في جلودهم واللون الموحش والنتن على ان التفاوت بين وبين ما نشاهده منه اشتعالا مسميا بما في الاخرة فكل ما في الاخرة يعود ويكنه الواسع نعوذ ويحتمل ان يكون ذلك تمثيلا لما يحيط بجواهر النفس من الملكات الردية والهيئات الموحشة فتجلب اليها الالام والغموم بل وان يكون القطران المذكور بعينه ما لابسوه في هذه النشاة وجعلوه شعارا لهم من العقايد الباطلة والاعمال السيئة المستجلبة لفنون العذاب قد تجسدت في النشاة الاخرة بتلك الصورة المستتبعة لاشتداد العذاب عصمنا الله سبحانه عن ذلك بمنه ولطفه وقرئ من قطران اي نحاس مذاب متناه حره وتغشى وجوههم النار اي تعلوها وتحيط بها النار التي تمتد جسدهم المسربل بالقطران وتخصيص الوجوه بالحكم المذكور

مع عمومه لسائر اعضائهم لكونها اعز الاعضاء الظاهرة واشرفها كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب الى اخره ولكونها مجمع المشاعر والحواس التي خلقت لادراك الحق وقد اعرضوا عنه ولم يستعملوها في تدبره كما ان الفواد اشرف الاعضاء الباطنة ومحل المعرفة وقد ملؤها بالجهالات ولذلك قيل تطلع على الافئدة او لخلوها عن القطران المغني عن ذلك غشيان النار لها ولعل تخليتها عنه ليتعارفوا عند انكشاف اللهب احيانا ويتضاعف عذابهم بالخزي على رؤس الاشهاد وقرئ تغشى اي تتغشى بحذف احدى التائين والجملة نصب على الحالية لا على ان الواو حالية لانه مضارع مثبت بل على انها معطوفة على الحال قاله ابو البقا ليجزي الله متعلق بمضمر اي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة ما كسبت من انواع الكفر والمعاصي جزاء موافقا لعملها وفيه ايذان بان جزاءهم مناسب لاعمالهم او بقوله برزوا على تقدير كونه معطوفا على تبدل والضمير للخلق وقوله وترى المجرمين الى اخره اعتراض بين المتعلق والمتعلق به اي برزوا للحساب ليجزي الله كل نفس ما كسبت من خير او شر وقد اكتفى بذكر عقاب العصاة تعويلا على شهادة الحال لا سيما مع ملاحظة سبق الرحمة الواسعة ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان فيتمه في اعجل ما يكون من الزمان فيوفي الجزاء بحسبه او سريع المجيء يات عن قريب او سريع الانتقام كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى وهو سريع الحساب هذا اي ما ذكر من قوله سبحانه ولا تحسبن الله غافلا الى قوله سريع الحساب بلاغ كفاية في العظة والتذكير من غير حاجة الى ما انطوى عليه السورة الكريمة او كل القران العظيم من فنون العظات والقوارع للناس للكفار خاصة على تقدير اختصاص الانذار بهم في قوله تعالى وانذر الناس او لهم وللمؤمنين كافة على تقدير شموله لهم ايضا وان كان ما شرح مختصا بالظالمين ولينذروا به عطف على مقدر واللام متعلقة بالبلاغ اي كفاية لهم لان ينصحوا وينذروا به وهنا بلاغ لهم ليفهموه ولينذروا على ان البلاغ بمعنى التبليغ كما في قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ او متعلقة بمحذوف اي ولينذروا به انزل او تلي وقرئ لينذروا به من نذر بالشيء اذا علمه وحذره واستعد له وليعلموا بالتامل فيما فيه من الدلايل الواضحة التي هي اهلاك الامم واسكان اخرين مساكنهم وغيرهما مما سبق وحقق انما هو اله واحد لا شريك له وتقديم الانذار لانه الداعي الى التامل المؤدي الى ما هو غاية له من العلم المذكور والتذكر في قوله تعالى وليذكر اولوا الالباب اي ليتذكروا ما كانوا يعلمونه من قبل من التوحيد وغيره من شؤون الله عز وجل ومعاملته مع عباده فيرتدعوا عما يرديهم من الصفات التي يتصف بها الكفار ويتدرعون بما يحظيهم من العقايد الحقة والاعمال الصالحة وفي تخصيص التذكر باولي الالباب تلويح باختصاص العلم بالكفار ودلالة على ان المشار اليه بهذا ما ذكرنا من القوارع المسوقة لشانهم لا كل السورة المشتملة عليها وعلى ما يتعلق بالمؤمنين ايضا فان فيه ما يفيده فائدة جديدة وما يترتب من الاحكام بالنسبة الى الكفرة اصلا حادثا وبالنسبة الى اولي الالباب الثبات على ذلك حسبما اشير اليه عبر عن الاول بالعلم وعن الثاني بالتذكر وروعي ترتيب الوجود مع ما فيه من الختم بالحسنى والله سبحانه اعلم ختمنا الله بالسعادة والحسنى وارزقنا الفوز برضاته في الاولى والعقبى امين عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام ومن لم يعبد

بسم الله الرحمن الرحيم

الر قد مر الكلام فيه وفي محله وفي مطلع سورة الرعد واخواتها تلك اشارة اليه اي تلك السورة العظيمة الشان ايات الكتاب الكامل المعهود الغني عن الوصف به المشهور بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به على الاطلاق اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص فهو عبارة عن جميع القران او عن جميع المنزل اذ ذاك اذ هو المتسارع الى الفهم حينئذ عند الاطلاق وعليه يترتب فايدة وصف الايات بنعت ما اضيف اليه من نعوت الكمال لا على جعله عبارة عن السورة اذ هي في الاتصاف بذلك ليست بتلك المرتبة من الشهرة حتى يستغنى عن التصريح بالوصف على انها عبارة عن جميع اياتها فلا بد من جعل تلك اشارة الى كل واحدة منها وفيه من التكليف ما لا يخفى كما ذكر في سورة الرعد وقران اي قران عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام او لسبيل الرشد والغي او فارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ولقد فخم شانه العظيم مع ما جمع فيه من وصف الكتابية والقرانية عليه طريقتين احدهما اشتماله على صفات

على صفات كمال جنس الكتب الالهية فكانه كلها والثانية على طريقة كونه ممتازا عن غيره نسيج
وحده بديعا في بابه خارجا عن دائرة البيان واجرت الطريقة الثانية لما ان الاشارة الى امتيازه
عن غيره لاستقلاله باوصاف خاصة به من غير اشتمال على نعوت كمال سائر الكتب الكريمة وهكذا الكلام
في فاتحة سورة النمل خلا انه قدم فيها القران على الكتاب لما ستذكر هناك ولما بين كون هذه
السورة الكريمة بعضا من الكتاب والقران لتوجيه المخاطبين الى حسن تلقي ما فيها من الاحكام
والقصص والمواعظ شرع في بيان ما تضمنه فقيل ربما بضم الراء وتخفيف الباء المفتوحة وقرئ
بالتشديد وبفتح الراء مخففا وبزيادة التاء ايضا مخففا ومشددا ورب حرف جر لا يدخل الا على
الاسم وما كافة مصححة لدخوله على الفعل وحقه الدخول على الماضي ودخوله على قوله تعالى
يود الذين كفروا لما ان المترقب في اخباره تعالى كالماضي المقطوع في تحقق الوقوع فكانه قيل ربما
يود الذين كفروا والمراد كفرهم بالكتاب والقران وبكونه من عند الله تعالى لو كانوا مسلمين منقادين
لحكمه مذعنين لامره وفيه ايذان بان كفرهم انما كان بالجحود بعد ما علموا كونه من عند الله تعالى
وتلك الودادة يوم القيمة او عند موتهم او عند معاينة حالهم وحال المسلمين او عند رؤية
خروج عصاة المسلمين من النار روى ابو موسى الاشعري انه قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيمة واجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من اهل القبلة قال لهم الكفار
الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وقد صرتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب
فاخذنا بها فيغضب الله سبحانه لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من اهل القبلة في النار
فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين وروى مجاهد عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انه قال لا يزال الرب يرحم ويشفع اليه حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة
فعند ذلك يتمنون الاسلام والحق ان ذلك محمول على شدة ودادتهم واما نفس الودادة
فليست مختصة بوقت دون وقت بل هي مقررة مستمرة في كل ان يمر عليهم وان المراد بيان ذلك
على ما هو عليه من الكثرة وانما جيء بصيغة التقليل جريا على سنن العرب فيما يقصدون به الافراط
فيما يعكسون عنه تقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندي او لا
تعدم عندي فارسا وعنده مقانب جمة من الكتائب وقصده في ذلك التمادي في تكثير فرسانه
ولكنه يريد اظهار براءته من التزيد وابراز انه ممن يقلل لعلو الهمة كثير ما عنده فضلا عن
تكثير القليل وهذه طريقة انما تسلك اذا كان الامر من الوضوح بحيث لا يحوم حوله شائبة
ريب فيصار اليه هضما للحق فدل النظم الكريم على ودادة الكافرين للاسلام في كل ان من انات
اليوم الاخر وان ذلك من الظهور بحيث لا يشتبه على احد وكود دحي بكلام يدل على ضده وكان
على ان تلك الودادة مع كثرتها في نفسها مما يستقل بالنسبة الى جناب الكبرياء وهذا هو الموافق
لمقام بيان حقارة شان الكفار وعدم الاعتداد بما هم فيه من الكفر والتكذيب كما ينطق به قوله
تعالى ذرهم يأكلوا الاية او ذهابا الى الاشعار بان من شان العاقل اذا عن له امر يكون مظنون
الحمد قليلا ما يكون كذلك ان لا يفارقه ولا يفارق صدره فكيف اذا كان متيقن الحمد كما في قولهم
لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فان المقصود ليس بيان كون الندم
مرجو الوجود بلا تيقن به او قليل الوقوع بل التنبيه على ان العاقل لا يباشر ما يرجى فيه الندم
او يقل وقوعه فيه فكيف بقطعي الوقوع وانه يكفي قليل الندم في كونه حاجزا عن ذلك الفعل
فكيف كثيره والمقصود من سلوك هذه الطريقة اظهار الترفع والاستغناء عن التصريح بالغرض
بناء على ادعاء ظهوره فالمعنى لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم ان لا يفارقوه
فكيف وهم يودونه كل ان وهذا اوفق بمقام استثنائهم عما هم عليه من الكفر وهذان طريقان
متباينان مأتا ومقاما فمن ظنهما واحدا فقد نأى عن توفية المقام حقه ذرهم دعهم عن النهي عما هم
عليه بالتذكرة والنصيحة اذ لا سبيل الى ارعوائهم عن ذلك وبالغ في تخليتهم وشانهم بل مرهم
بتعاطي ما يتعاطونه يأكلوا ويتمتعوا بدنياهم وفي تقديم الاكل ايذان بان تمتعهم انما هو من قبيل تمتع
البهائم بالماكل والمشارب والمراد دوامهم على ذلك لا احداثه فانهم كانوا كذلك او تمتعهم بلا
استماع ما ننعى عليهم من القوادع والزواجر فان التمتع على ذلك الوجه امر حادث يصلح
ان يكون مترتبا على تخليتهم وشانهم ويلههم ويشغلهم عن اتباعك وعن التفكر فيما يصيرون اليه
او عن الايمان والطاعة فان الاكل والتمتع يفضيان الى ذلك الامل التمتع والتوقع لطول
الاعمار وبلوغ الاقطار واستقامة الاحوال وان لا يلقوا في العاقبة والمال الا خيرا فالافعال

الثلاثة

الثلاثة مجزومة على الجوابية للامر حسبما عرفت من تضمن الامر بالترك للامر بها على طريقة المجاز في
على ان يكون المراد بالافعال المرقومة مباشرتهم لها غافلين عن وخامة عاقبتها غير سامعين لسوء
مغبتها اصلا ولا ريب في ترتب ذلك على الامر بالترك فان النهي عما هم عليه من ارتكاب القبائح مما
يشوش عليهم تمتعهم وينغص عليهم عيشهم فامره عليه السلام بتركه ليستغرقوا فيما هم فيه من حظوظهم
فتدهمهم ما يدهمهم وهم عنه غافلون فسوف يعلمون سوء صنيعهم او وخامة عاقبته او حقيقة
الحال التي الجأتهم الى التمني المذكور حيث لم يعلموا ذلك من جهتك وهو مع كونه وعيدا ايما وعيد
وتهديدا غب تهديد تعليل للامر بالترك فان علمهم بذلك علة لترك النهي والنصيحة لهم وفيه الزام
الحجة ومبالغة في الانذار اذ لا يتحقق الامر بالضد الا بعد تكرر الانذار وتقرر الجحود والانكار
وكذلك ما يترتب عليه من الاكل والتمتع والالهاء وما اهلكنا شروع في بيان سر تأخير عذابهم
الى يوم القيمة وعدم نظمهم في سلك الامم الدارجة في تعجيل العذاب اي ما اهلكنا من قرية من القرى
ما يخسف بها وباهلها او باخلائها عن اهلها غب اهلاكهم كما فعل باخرين الا ولها
في ذلك الشان كتاب اي اجل مقدر مكتوب في اللوح واجب المراعاة بحيث لا يمكن تبديله لوقوعه
حسب الحكمة المقتضية له معلوم لا ينسى ولا يغفل عنه حتى يتصور التخلف عنه بالتقدم والتاخر
فكتاب مبتدأ خبره الظرف والجملة حال من قرية فانها لعمومها لا سيما بعد تأكيده بكلمة من في
حكم الموصوفة كما اشير اليه والمعنى ما اهلكنا قرية من القرى في حال من الاحوال الا حال ان يكون
لها كتاب اي اجل موقت لمهلكها قد كتبناه لا نهلكها قبل بلوغه معلوم لا يغفل عنه او صفة لكن لا
للقرية المذكورة بل للمقدرة التي هي بدل من المذكورة على المختار فيكون بمنزلة كونه صفة
للمذكورة اي ما اهلكنا من قرية من القرى الا قرية لها كتاب معلوم كما في قوله تعالى ليس لهم طعام
الا من ضريع لا يسمن فان قوله تعالى لا يسمن صفة لكن لا للطعام المذكور لانه انما يدل على انحصار
طعامهم الذي لا يسمن في الضريع وليس المراد ذلك بل للطعام المقدر بعد الا اي ليس لهم طعام من شيء
من الاشياء الا طعام لا يسمن فليس فيه فصل بين الموصوف والصفة بكلمة الا كما توهم واما توسط
الواو بينهما وان كان القياس عدمه فذلك ايذان بكمال التصاق بينهما من حيث ان الواو شأنها الجمع والربط
فان ما نحن فيه من الصفة اقوى لصوقا بالموصوف منها به في قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون
فان امتناع انفكاك الاهلاك عن الاجل المقدر عقلي وعن الانذار عادي جرى عليه السنة الالهية ولما بين
الامم المهلكة كان لكل منهم وقت معين لهلاكهم لم يكن الا حسبما كان مكتوبا في اللوح بين ان كل امة من الامم
منهم ومن غيرهم لها كتاب لا يمكن التقدم عليه ولا التاخر عنه فقيل ما تسبق من امة من الامم المهلكة وغيرهم
اجلها المكتوب في كتابها اي لا يجيء هلاكها قبل مجيء كتابها او لا تمضي امة قبل مضي اجلها فان السبق اذا كان
واقعا على زمان فمعناه المجاوزة والتخليف فاذا قلت سبق زيد عمرا فمعناه انه جازه وخلفه وراءه وان كان
واقعا على زماني كان الامر بالعكس والسر في ذلك ان الزمان يعتبر فيه الحركة والتوجه الى المتكلم فما سبقه
يتحقق قبل تحققه واما الزماني فانما يعتبر فيه الحركة والتوجه الى ما سياتي من الزمان فالسابق ما تقدم
الى المقصد وايراده بعنوان الاجل باعتبار ما يقتضيه من السبق كما ان ايراده بعنوان الكتاب المعلوم باعتبار
ما يوجبه من ان هلاك وما يستأخرون اي وما يتأخرون وصيغة الاستقبال للاشعار بعجزهم عن ذلك مع
طلبهم له وايثار صيغة المضارع في الفعلين بعد ما ذكر نفي الاهلاك بصيغة الماضي لان المقصود بيان
دوامهما واستمرارهما فيما بين الامم الماضية والباقية واسنادهما الى الامة بعد اسناد الاهلاك الى القرية
لما ان السبق والاستيخار حال الامة دون القرية مع ما في الامة من العموم لاهل تلك القرى وغيرهم ممن
اخرت عقوباتهم الى الاخرة وتأخير ذكر عدم تأخرهم عن ذكر عدم سبقهم مع كون المقام مقام المبالغة في
بيان تحقق عذابهم اما باعتبار تقدم السبق في الوجود واما باعتبار ان المراد بيان سر تأخير عذابهم مع استحقا
قهم لذلك وايراد الفعل على صيغة جمع المذكر للحمل على المعنى مع التغليب ولرعاية الفواصل ولذلك حذف
الجار والمجرور والجملة مبينة لما سبق والمعنى ان تأخير عذابهم الى يوم القيمة حسبما اشير اليه ببيان
ودادتهم للاسلام اذ ذاك بالامر بتركهم وشانهم الى ان يعلموا حقيقة الحال انما هو لتاخر اجلهم المقدر
لما يقتضيه من الحكم البالغة ومن جملتها ما علم الله تعالى من ايمان بعض من يخرج منهم الى يوم القيمة
وقالوا شروع في بيان كفرهم بمن انزل عليه الكتاب بعد بيان كفرهم بالكتاب وما يؤول اليه حالهم والقائلون
مشركوا مكة لغاية تماديهم في العتو والغي فان يا ايها الذي نزل عليه الذكر خاطبوا به رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا تسليما لذلك واعتقادا له بل استهزاء به عليه السلام واشعارا بعلة حكمهم الباطل
في قولهم انك لمجنون كما في قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعنون يا من يدعي مثل هذا

الامر البديع الخارق للعادات انك بسبب تلك الدعوى والشهادة ما يعتريك عند ما تدعي انه ينزل عليك
لجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم المقام الفاعل لان انكارهم متوجه الى كون النازل ذكرا من الله
لا الى كون المنزل عليه رسول الله بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى لولا انزل هذا
القران على رجل من القريتين عظيم فان الانكار هنالك متوجه الى كونه المنزل عليه رسول الله تعالى وايراد
الفعل على صيغة المجهول لايهام ان ذلك ليس بفعل له فاعل او لتوجيه الانكار الى كون التنزيل عليه لا الى
اسناده الى الفاعل لو ما تأتينا كلمة لو عند تركبها مع ما تفيد ما تفيده عند تركبها مع لا من معنى امتناع
الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض خلا انه عند ارادته لا يليها الا فعل ظاهرا او مضمرا وعند ارادة
المعنى الاول لا يليها الا اسم ظاهرا او مقدرا عند البصريين والمراد هاهنا هو الثاني اي هلا تأتينا
بالملائكة يشهدون بصحة نبوتك ويعضدونك في الدعوة كقوله تعالى لولا انزل عليه ملك فيكون
معه نذيرا او يعاقبوننا على التكذيب كما تأتي الامم المكذبة لرسلهم ان كنت من الصادقين في دعواك
فان قدرة الله على ذلك مما لا ريب فيه وكذا احتياجك اليه في تمشية امرك فانا لا نصدقك بدون
ذلك او ان كنت من جملة تلك الرسل الصادقين الذين عذبت اممهم المكذبة لهم ما ننزل الملائكة بالنون
على البناء للفعل والضمير للجلالة من التنزيل وقرئ من الانزال وقرئ تنزل مضارعا من التنزيل على صيغة
البناء للمفعول ومن التنزيل بحذف احدى التائين وماضيا منه ومن النزول من الثلاثي وهو كلام مسوق
الى النبي صلى الله عليه وسلم جوابا لهم عن مقالتهم المحكية وردا لاقتراحهم الباطل ولشدة استدعا
ذلك الجواب قدم رده على ما هو جواب عن اولها اعني قوله انا نحن نزلنا الذكر الاية كما فعل في قوله
تعالى قال انما يأتيكم به الله فانه مع كونه جوابا عن قولهم فأتنا بما تعدنا قد قدم على قوله ولا ينفعكم
نصحي الاية مع كونه جوابا عن اول كلامهم الذي هو قولهم يا نوح قد جادلتنا لما ذكر من شدة اقتضائه
للجواب وليكون احد الجوابين متصلا بالسؤال في العكس يلزم انفصال كل من الجوابين عن سؤاله
والعدول عن تطبيقه لظاهر كلامهم بصدد الاقتراح وهو ان ما يأتيهم به للايذان بانهم قد
اخطاوا في التعبير حسبما اخطاوا في الاقتراح وان الملائكة لعلو رتبتهم اعلى من ان ينسب اليهم
مطلق الاتيان الشامل للانتقال من احد الامكنة المتساوية الى الاخر منها بل من الاسفل الى الاعلى
وان يكون مقصد حركتهم اولئك الكفرة وان يدخلوا تحت ملكوت احد من البشر وانما الذي يليق
بشأنهم النزول من مقاماتهم العالية وكون ذلك بطريق التنزيل من الرب الجليل الا بالحق اي ملتبسا
بالوجه الذي يحق ملابسة التنزيل به مما تقتضيه الحكمة وتجري به السنة الالهية لقوله سبحانه وما
خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق والذي اقترحوه من التنزيل لاجل الشهادة لديهم وهم
هم ومنزلتهم في الحقارة والهوان منزلتهم مما لا يكاد يدخل تحت الصحة والحكمة اصلا فان ذلك من
باب التنزيل بالوحي الذي لا يكاد يفتح على غير الانبياء الكرام من افراد كمل المؤمنين فكيف على امثال
اولئك الكفرة اللئام وانما الذي يدخل في حقهم تحت الحكمة في الجملة هو التنزيل للتعذيب والاستئصال
كما فعل باضرابهم من الامم السالفة ولو فعل ذلك لاستؤصلوا بالمرة وما كانوا اذا منظرين جزاء
الشرط مقدر وفيه ايذان بانتاج مقدماتهم لنقيض مطلوبهم كما في قوله تعالى واذا لا يلبثون
خلافك الا قليلا قال صاحب النظم لفظة اذن مركبة من اذ وهو اسم بمعنى الحين تقول اتيتك اذ
جئتني اي حين جئتني ثم ضم اليه ان فصار اذ ان ثم استثقلوا الهمزة فحذفوها فمجيء لفظة ان دليل على اضمار
فعل بعدها والتقدير وما كانوا اذ ان كان ما طلبوه انتهى منظرين والمعنى لو نزلناهم ما كانوا مؤخرين
كذاب سائر الامم المكذبة المستهزئة ومع استحقاقهم لذلك قد جرى قلم القضاء بتأخير عذابهم الى يوم
القيمة حسبما اجمل وقوله تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل الى اخره وحال حائل الحكمة بينهم
وبين استيصالهم لتعلق العلم والارادة بازديادهم عذابا وبايمان بعض ذراريهم واما نظم ايمان بعضهم
في سمط الحكمة فيأباه بيان تماديهم في الكفر والفساد ولجاجهم في المكابرة والعناد وهذا هو الذي
يستدعيه اعجاز التنزيل الجليل واما ما قيل في تعليل عدم موافقة التنزيل للحكمة من انهم حينئذ
يكونوا مصدقين عن اضطرار او انه لا حكمة في ان تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا
او ان انزال الملائكة لا يكون الا بالحق وحصول الفائدة بانزالهم وقد علم الله تعالى من حال هؤلاء
الكفار انه لو انزل اليهم الملائكة لبقوا مصرين على كفرهم فيصير انزالهم عبثا باطلا ولا يكون حقا فمع اخلاله
بكلمة ذلك بقطيعة الباقي لا يلزم من فرض وقوع شيء من ذلك تعجيل العذاب الذي يفيده قوله
تعالى وما كانوا اذا منظرين هنا على تقدير كون اقتراحهم لاتيان الملائكة لاجل الشهادة اما على تقدير
كون ذلك لتعذيبهم فالمعنى انا ما ننزل الملائكة للتعذيب الا تنزيلا ملتبسا بالحق الذي تقتضيه الحكمة

وتستدعيه

وتستدعيه المصلحة حسبما بحيث لا محيد عنه ولو نزلناهم حسبما اقترحوا لما كان ذلك التنزيل ملتبسا
بالحق الذي تقتضيه الحكمة الموجبة لتأخير عذابهم الى يوم القيمة لا دفعا بهم بل تشديدا عليهم كما مر
من قبل وحيث كان في نسبة تنزيلهم للتعذيب الى عدم موافقته الحكمة نوع ايهام لعدم استحقاقهم التعذيب
عدل عما يقتضيه الظاهر الى ما عليه النظم الكريم فكأنه قيل لو نزلناهم ما كانوا منظرين وذلك غير موافق
للحكمة الموجبة لتأخير عذابهم لتشديد عقابهم وقيل المراد بالحق الوحي وقيل العذاب فتدبر انا نحن
نزلنا الذكر رد لانكارهم التنزيل واستهزائهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وتسلية له اي
نحن بعظيم شأننا وعلو جنابنا نزلنا ذلك الذكر الذي انكروه وانكروا نزوله عليك ونسبوك بذلك
الى الجنون وعموا منزله حيث بنوا الفعل للمفعول ايماء الى انه امر لا مصدر له وفعل لا فاعل له وانا له
لحافظون من كل ما لا يليق به فيدخل فيه تكذيبهم له واستهزاؤهم به دخولا اوليا فيكون وعيدا للمستهزئين
به واما الحفظ من مجرد التحريف والزيادة والنقص وامثالها فليس بمقتضى المقام فالوجه الحمل على الحفظ
من جميع ما يقدح فيه من الطعن فيه والمجادلة في حقيته ويجوز ان يراد حفظه بالاعجاز دليلا على التنزيل
من عنده تعالى اذ لو كان من عند غير الله لتطرق عليه الزيادة والنقص والاختلاف وفي سبك الجملتين
من الدلالة على كمال الكبرياء والجلالة وعلى فخامة شأن التنزيل ما لا يخفى وفي ايراد الثانية بالجملة الاسمية
دلالة على دوام الحفظ والله سبحانه اعلم وقيل الضمير المجرور للرسول صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى
والله يعصمك من الناس وتأخير هذا الكلام وان كان جوابا عن اول كلامهم الباطل ورد الما ذكرنا انفا
ولارتباطه بما يعقبه من قوله تعالى ولقد ارسلنا اي رسلا وانما لم يذكر لدلالة ما بعده عليه من قبلك
متعلق بارسلنا او بمحذوف هو نعت للمفعول المحذوف اي رسلا كائنة من قبلك في شيع الاولين اي فرقهم
واحزابهم جمع شيعة وهي الفرقة المتفقة على طريقة ومذهب من شاعه اذا تبعه واضافته الى الاولين
من اضافة الموصوف الى صفته عند الفراء ومن حذف الموصوف عند البصريين اي شيع الامم الاولين
ومعنى ارسالهم فيهم جعل كل منهم رسولا فيما بين طائفة منهم ليتابعوه في كل ما يأتي ويذر من امور الدين
وما يأتيهم من رسول المراد نفي اتيان كل رسول لشيعته الخاصة به لا نفي اتيان كل رسول لكل واحدة من
تلك الشيع جميعا او على سبيل البدل وصيغة الاستقبال لاستحضار الصورة على طريقة حكاية الحال
الماضية فان ما لا يدخل في الاغلب مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال
اي ما اتى شيعة من تلك الشيع رسول خاص بها الا كانوا به يستهزءون كما يفعله هؤلاء الكفرة والجملة
في محل النصب على انها حال مقدرة من ضمير المفعول في يأتيهم اذا كان المراد بالاتيان حدوثه او في
محل الرفع على انها صفة رسول فان محله الرفع على الفاعلية اي الا رسول كانوا به يستهزءون واما الجر
على انها صفة باعتبار لفظه فيفضي الى زيادة من الاستغراقية في الاثبات ويجوز ان يكون منصوبا
على الوصفية بان يقدر الموصوف منصوبا على الاستثناء وان كان المختار الرفع على البدلية وهذا كما ترى
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان هذه عادة الجهال مع الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحيث
كان الرسول مصحوبا بكتاب من عند الله تضمن ذكر استهزائهم بالكتاب وكذلك قيل كذلك اشارة الى
ما دل عليه الكلام السابق من القاء الوحي مقرونا بالاستهزاء اي مثل ذلك السلك الذي سلكناه في
قلوب اولئك المستهزئين برسلهم وبما جاءوا به من الكتب نسلكه اي الذكر في قلوب المجرمين اي اهل
مكة او جنس المجرمين فيدخلون فيه دخولا اوليا ومحله النصب على انه نعت لمصدر محذوف او حال
منه اي نسلكه سلكا مثل ذلك السلك او نسلك السلك حال كونه مثله اي مقرونا بالاستهزاء غير مقبول
لما يقتضيه الحكمة فانهم من اهل الخذلان ليس لهم استحقاق لقبول الحق وصيغة المضارع لكون المشبه به
مقدما في الوجود وهو السلك الواقع في الامم السالفة او للدلالة على استحضار الصورة والسلك
ادخال الشيء في اخر يقال سلكت الخيط في الابرة والرمح في المطعون لا يؤمنون به اي بالذكر حال من
الضمير في نسلكه اي غير مؤمن به او بيان للجملة السابقة فلا محل لها وقد جعل الضمير للاستهزاء فتعين
البيانية الا ان يجعل الضمير المجرور ايضا له على ان الباء للملابسة اي تلك الاستهزاء في قلوبهم حال
كونهم غير مؤمنين بملابسة والحال اما مقدرة او مقارنة للايذان بان كفرهم مقارن للالقاء كما في
قوله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقد خلت سنة الاولين اي قد مضت طريقتهم التي سنها الله
تعالى في اهلاكهم حين فعلوا ما فعلوا من التكذيب والاستهزاء وهو استيناف جيء به تكملة للتسلية
وتصريحا بالوعيد والتهديد ولو فتحنا عليهم اي على هؤلاء المقترحين المعاندين بابا من السماء اي بابا من
ما لها بابا من ابوابها المعهودة كما قيل ويسرنا لهم الرقي والصعود اليه فظلوا فيه في ذلك الباب يعرجون
بالة او بغيرها ويرون ما فيها من العجايب عيانا كما يفيده الظلول او فظل الملائكة الذين اقترحوا اتيانهم

يعرجون فى ذلك الباب وهم يرونه عيانا مستوضحين طول نهارهم لقالوا لفرط عنادهم وعلوهم فى المكابرة وتفاديهم عن قبول الحق انما سكرت ابصارنا اى سدت من الاحساس من السكر كما يدل عليه القراءة بالتخفيف او حيرت كما يعضده قراءة من قرا سكرت اى حارت بل نحن قوم مسحورون قد سحرنا محمد صلى الله عليه وسلم كما قالوا عند ظهور ساير الايات الباهرة وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على انهم يبتون القول بذلك وانما يرونه لا حقيقة له وانما هو امر خيل اليهم بالسحر وفى اسمية الجملة الثانية دلالة على دوام مضمونها وايرادها بعد تسكير الابصار لبيان انكارهم لغير ما يرونه فان عروج كل منهم الى السماء وان كان مرتبا لغيرهم فهو معلوم له بطريق الوجدان مع قطع النظر عن الابصار فهم يدعون ان ذلك نوع اخر من السحر غير تسكير الابصار ولقد جعلنا فى السماء بروجا قصورا ينزلها السيارات وهى البروج الاثنى عشر المشهورة المختلفة الهيات والخواص حسبما يدل عليه الرصد والتجربة مع اتفق عليه الجمهور من بساطة السماء والجعل ان جعل بمعنى الخلق والابداع وهو الظاهر فالجار متعلق به وان جعل بمعنى التصيير فهو مفعول ثان له متعلق بمحذوف اى جعلنا بروجا كائنة فى السماء وزيناها اى السماء بتلك البروج المختلفة الاشكال والكواكب سيارات كانت او ثوابت للناظرين اليها معتبرين ظاهرا او للمتفكرين المعتبرين المستدلين بذلك على قدرة مقدرها وحكمة مدبرها فترتيبها ترتيبها على نظام بديع مستتبع للاثار الحسنة وحفظناها من كل شيطان رجيم مرمى بالنجوم فلا يقدر ان يصعد اليها ويوسوس فى اهلها ويتصرف فيها ويقف على احوالها الا من استرق السمع محله النصب على الاستثنا المتصل ان فسر الحفظ بمنع الشياطين عن التعرض بها على الاطلاق والوقوف على ما فيها من الجملة او المنقطع ان فسر ذلك بالمنع دخولها والتصرف فيها عن ابن عباس رضى الله عنهما انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلث سموات ولما ولد النبى صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفهم اليسيرة من قطان السموات بما بينهم من المناسبة فى الجواهر وبالاستدلال من الاوضاع فاتبعه اى تبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر امره للمبصرين قال معمر قلت للزهرى اكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم وان النجم ينقض ويرمى الشياطين فيقتله او يخبله لئلا يعود الى استراق السمع ثم يعود الى مكانه قال افرايت قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد الاية قال غلظت وشدد امرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن فى شدة الحراسة كما بعد مبعثه عليه السلام قال ابن عباس رضى الله عنهما ان الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء الدنيا يسترقون السمع من الملئكة فيرمون بالكواكب فلا يخطى ابدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه وجنبه ويده حيث يشا الله ومنهم من يخبله فيصير غولا فيضل الناس فى البوادى قال القرطبى اختلفوا فى ان الشهاب هل يقتل ام لا قال ابن عباس يخرج ويحرق ويخبل ولا يقتل وقال الحسن وطائفة يقتل قال والاول اصح والارض مددناها بسطناها وهو بالنصب على الحذف على شريطة التفسير ولم يقرا بالرفع لرجحان النصب للعطف على الجملة الفعلية اعنى قوله تعالى ولقد جعلنا الى اخره وليوافق ما بعده اعنى قوله تعالى والقينا فيها رواسى اى جبالا ثوابت وقد مر بيانه فى اول الرعد وانبتنا فيها اى فى الارض او فيها وفى رواسيها من كل شيء موزون بميزان الحكمة ذاتا وصفة ومقدارا وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة وغيرهما او من كل شيء مستحسن مناسب او ما يوزن ويقدر من ابواب النعمة وجعلنا لكم فيها معايش ما تعيشون به من المطاعم والملابس وغيرها مما يتعلق به البقا وهو بتاء صريحة وقرى بالهمز تشبيها له بالشمايل ومن لستم له برازقين عطف على معايش او على محل لكم كانه قيل جعلنا لكم معايش وجعلنا لكم من لستم برازقيه من العيال والمماليك والخدم والدواب وما اشبهها على طريقة التغليب وذكرها بهذا العنوان لرد حسبانهم انهم يكفون مؤوناتهم ولتحقيق ان الله تعالى هو الذى يرزقهم واياهم او وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شيء ان للنفى ومن مزيدة للتاكيد وشيء فى محل الرفع على الابتدا اى ما من شيء من الاشيا الممكنة الا عندنا خزائنه الظرف خبر للمبتدا وخزائنه مرتفع به على انه فاعله لاعتماده او خبر له والجملة خبر للمبتدا الاول والخزائن جمع الخزانة وهى ما يحفظ فيه نفائس الاموال لا غير غلب فى العرف على ما للملوك والسلاطين من خزائن ارزاق الناس شبهت مقدوراته تعالى الغايبة للحصر المندرجة تحت قدرته الشاملة فى كونها مستورة عن علوم

العالمين ومصونة عن وصول ايديهم مع كمال افتقارهم اليها ورغبتهم فيها وكونها مهياة متاتية لايجاده وتكوينه بحيث متى تعلقت الارادة بوجودها وجدت بلا تاخر بنفائس الاموال المخزونة فى الخزائن السلطانية فذكر الخزائن على طريقة الاستعارة التخييلية وما ننزله او ما نوجد وما نكون شيئا من تلك الاشيا ملتبسا بشيء من الاشيا الا بقدر معلوم اى الا ملتبسا بمقدار معين تقتضيه الحكمة وتستدعيه المشية التابعة لها لا بما يقتضيه القدرة فان ذلك غير متناه فان تخصيص كل شيء ده بصفة معينة وقدر معين ووقت محدود دون ما عداه ذلك مع استوا الكل فى الامكان واستحقاق ده تعلق القدرة به لا بد له من حكمة تقتضى اختصاص كل من ذلك بما اختص به وهذا البيان سر عدم تكوين الاشيا على وجه الكثرة حسبما هو فى خزائن القدرة وهو اما عطف على مقدر اى ننزله وما ننزله الى اخره او حال مما سبق اى عندنا خزائن كل شيء والحال ان ما ننزله الا بقدر معلوم فالاول لبيان سعة القدرة والثانى لبيان بالغ الحكمة وحيث كان انشاء ذلك بطريق التفضل من العالم العلوى الى العالم السفلى كما فى قوله تعالى وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وكان ذلك بطريق التدريج عبر عنه بالتنزيل وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وارسلنا الرياح اى ارسلنا الرياح لواقح اى حوامل شبهت الريح التى تجىء بالخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبهت بالعقيم ما لا يكون كذلك او ملقحات بالشجر والسحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله ومختبط مما تطيح الطوائح اى المهلكات وقرى وارسلنا الريح على ارادة الجنس وانزلنا من السماء بعد ما انشانا بتلك الرياح سحابا ماطرا فاسقيناكموه اى جعلناه لكم سقيا وهو ابلغ من سقيناكموه لما فيه من الدلالة على جعل الماء معدا لهم ينتفعون به متى شاوا وما انتم له بخازنين نفى عنهم ما اثبته لجنابه بقوله وان من شيء الا عندنا خزائنه كانه قيل نحن القادرون على ايجاده وخزنه فى السحاب وانزاله وما انتم على ذلك بقادرين وقيل وما انتم بخازنين له بعد ما انزلناه فى الغدران والابيار والعيون بل نحن نخزنه فيها لنجعلها سقيا لكم مع ان طبيعة الماء مقتضى الغور وانا لنحن نحيى بايجاد الحيوة فى بعض الاجسام القابلة لها ونميت بازالتها عنها وقد يعم الاحيا والاماتة لما يشمل الحيوان والنبات وتقديم الضمير عن ذلك كما قيل فان النجاة جود دخول اللام التاكيد على ضمير الفصل كما فى قوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق بل لانه لم يقع بين اسمين ونحن الوارثون اى الباقون بعد فنا الخلق قاطبة المالكون للملك عند انقضاء زمان الملك المجازى الحاكمون فى الكل اولا واخرا وليس لهم الا التصرف الصورى والملك المجازى وفيه تنبيه على ان المتاخر ليس بوارث للمتقدم كما يترائى من ظاهر الحال ولقد علمنا المستقدمين منكم اى من تقدم منكم ولادة وموتا ولقد علمنا المستاخرين من تاخر ولادة وموتا او من خرج من اصلاب الاباء ومن لم يخرج بعد او من تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة ومن تاخر فى ذلك لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل عليها دليل وفى تكرير قوله تعالى ولقد علمنا ما لا يخفى من الدلالة على كمال التاكيد وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت فقيل ان امراة حسنا كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض الناس لئلا يراها وتاخر اخرون ليروها فنزلت والاول هو المناسب لما سبق وما يحق من قوله تعالى وان ربك هو يحشرهم للجزا وتوسيط ضمير العظمة للدلالة على انه هو القادر على حشرهم والمتولى له لا غير لانهم كانوا يستبعدون ذلك ويستنكرونه ويقولون من يحيى العظام وهى رميم اى هو يحشرهم لا غير وفى الالتفات والتعرض لعنوان الربوبية اشعار بعلة الحكم وفى الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد دلالة على اللطف به عليه السلام انه حكيم بالغ الحكمة متقن فى افعاله فانها عبارة عن العلم بحقائق الاشيا على ما هى عليه والاتيان بالافعال على ما ينبغى عليم وسع علمه كل شيء ولعل تقديم صفة الحكمة للايذان باقتضايها الحشر والجزا ولقد خلقنا الانسان اى هذا النوع بان خلقنا اصله واول فرد من افراده خلقا بديعا منطويا على الخلق ساير افراده انطواء اجماليا كما مر تحقيقه فى سورة الانعام من صلصال من طين يابس غير مطبوخ يصلصل اى يصوت عند نقره قيل اذا توهمت فى صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن من حماء من طين تغير واسود بطول مجاورة الماء وهو صفة لصلصال اى من صلصال كائن من حماء مسنون مصور من سنة الوجه وهى صورته او مصبوب من سن الماء صبه اى مفرغ على هيئة الانسان كما يفرغ الصور من الجواهر المذابة فى القوالب وقيل منتن فهو صفة لحماء وعلى الاولين حقه ان يكون صفة لصلصال وانما اخر عن حمائيتها على ان ابتدا مسنونيته ليس فى حال كونه صلصالا بل فى حال كونه حماء كانه سبحانه افرغ الحماء فصور من ذلك تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صوت

ثم غيره الى جوهر قيل وذلك الله احسن الخالقين والجان ابا الجن وقيل ابليس ويجوز ان يراد به الجنس
باسره مخلوقا منها وقرئ بالهمزة وانتصابه بفعل يفسره خلقناه وهو اقوى من الرفع للعطف
على الجملة كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من فرد واحد مخلوق من مادة واحدة
كان الجنس باسره مخلوقا منها من قبل خلق الانسان ومن هذا يظهر جواز كون المراد بالمستقدمين احد
الثقلين وبالمستاخرين الآخر والخطاب بقوله منكم للكل من نار السموم من نار الحر الشديد النافذ في
المسام ولا امتناع في خلق الحياة في الاجرام البسيطة كما لا امتناع في خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن
الاجساد المؤلفة التي غالب اجزائها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي غالب اجزائها الارضي وقوله عز
تعالى من نار باعتبار الغالب كقوله تعالى خلقكم من تراب وسياق الآية الكريمة كما هو للدلالة
على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التي يتوقف عليها
امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء واذ قال ربك نصب باضمار اذكر وتذكير الوقت لما مر
مرارا من انه ادخل في تذكير ما وقع فيه من الحوادث وفي التعرض لوصف الربوبية المنبئة عن
تبليغ الشيء الى كماله اللائق به شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عليه السلام اشعار بعلة الحكم
وتشريف له صلى الله عليه وسلم اذكر وقت قوله تعالى للملائكة اني خالق فيما سيأتي
وفيه ما ليس في صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير صارف يثنيه
ولا عاطف يلويه بشرا اي انسانا قيل ليس هذا عين العبارة الجارية وقت الخطاب بل الظاهر ان
يكون قد قيل لهم اني خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكن اقتصر عند الحكاية على الاسم وقيل جسما
كثيفا يلاقي ويباشر وقيل خلقا بادي البشرة ولا صوف ولا شعر من صلصال متعلق بخالق
او بمحذوف وقع صفة لمفعوله اي بشرا كائنا من صلصال كائن من حمإ مسنون تقدم تفسيره
ولا ينافي هذا ما في قوله تعالى في سورة ص من قوله بشرا من طين فان عدم التعرض عند الحكاية
لوصف الطين من التغير والاسوداد ولما ورد عليه من آثار التكوين لا يستلزم عدم التعرض له
لذلك عند وقوع المحكي غايته انه لم يتعرض له هناك اكتفاء بما شرح هنا فاذا سويته اي صورته
بالصورة البشرية او سويت اجزاءه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحي النفخ اجراء الريح الى
تجويف جسم صالح لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به
الحياة بالفعل على المادة القابلة لها اي فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التي
من امري فقعوا له امر من وقع يقع وفيه دليل على ان ليس المأمور به مجرد الانحناء كما قيل اي اسقطوا
له ساجدين تحية له وتعظيما او اسجدوا لله تعالى على انه عليه السلام بمنزلة القبلة حيث ظهر فيه
تعاجيب آثار قدرته تعالى وحكمته كقول حسان رضي الله تعالى عنه قال: اليس اول من صلى لقبلتكم
واعلم الناس بالقرآن والسنن. فسجد الملائكة اي فخلقه فسواه فنفخ فيه الروح فسجد الملائكة
كلهم بحيث لم يشذ منهم احد اجمعون بحيث لم يتاخر في ذلك احد منهم عن احد ولا اختصاص لافادة
هذا المعنى بالحالية بل يفيده التاكيد ايضا فان الاشتقاق الواضح يرشد الى ان فيه معنى الجمع والمعية
بحسب الوضع والاصل في الالفاظ في التنزيل على اكمل الاحوال الشيء ولا ريب في ان السجود اكمل اصناف
السجود ولكن شاع استعماله تاكيدا واقيم مقام كل في افادة معنى الاحاطة من غير نظر الى الكمال فاذا
فهمت الاحاطة من لفظ آخر لم يكن بد من مراعاة الاصل صونا للكلام عن الالغاء وقيل اكد بتا
كيدين مبالغة في التعميم هذا واما ان سجودهم هذا مترتب على ما حكي من الامر التعليقي كما يقتضيه
هذه الآية الكريمة والتي في سورة ص او على الامر التنجيزي كما يستدعيه ما في غيرهما
فقد خرجنا بفضل الله عز وجل عن عهدة تحقيقه في تفسير سورة البقرة الا ابليس استثناء متصل
اما لانه كان جنيا مفردا مغمورا بالالوف من الملائكة فعد منهم تغليبا واما لان من الملائكة جنسا يتوالدون
وهو منهم وقوله تعالى ابى ان يكون مع الساجدين استئناف مبين لكيفية عدم السجود المفهوم
من الاستثناء فان مطلق عدم السجود قد يكون مع التردد وبه علم انه مع الاباء والاستكبار
او منقطع فيتصل به ما بعده اي لكن ابليس ابى ان يكون معهم وفيه دلالة على كمال ركاكة رايه
حيث ادمج في معصيته الواحدة ثلاث معاص مخالفة الامر والاستكبار مع تحقير آدم عليه السلام
ومفارقة الجماعة والاباء عن الانتظام في سلك اولئك المقربين الكرام قال استئناف مبني على سؤال
من قال فماذا قال الله تعالى عند ذلك فقيل قال يا ابليس ما لك اي اي سبب لك لا اي غرض لك كما
قيل لقوله تعالى ان لا تكون في ان لا تكون مع الساجدين لآدم مع انهم هم ومنزلتهم في الشرف

منزلتهم

منزلتهم وما كان التوبيخ عند وقوعه لمجرد تخلفه عنهم بل لكل من المعاصي الثلاث المذكورة قال
تعالى في سورة الاعراف قال ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك وفي سورة ص قال يا ابليس ما منعك ان
تسجد لما خلقت بيدي ولكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر في موطن آخر واشعر بان كل واحدة
من تلك المعاصي الثلاث كافية في التوبيخ واظهار بطلان ما ارتكبه وقد تركت حكاية التوبيخ راسا في
سورة البقرة وفي سورة بني اسرائيل وسورة الكهف وطه قال اي ابليس وهو ايضا استئناف مبني على
السؤال الذي ينساق اليه الكلام لم اكن لاسجد اللام لتاكيد النفي اي ينافي حالي ولا يستقيم مني لاني مخلوق
من اشرف العناصر واعلاها ان اسجد لبشر اي جسم كثيف خلقته من صلصال من حمإ مسنون اقتصر هاهنا
على الاشارة الاجمالية الى ادعاء الخيرية وشرف المادة اكتفاء بما صرح به في قال انا خير منه خلقتني من نار
وخلقته من طين ولم يكتف اللعين بمجرد ذكر كونه عليه السلام من التراب الذي هو اخس العناصر واسفلها
بل تعرض لكونه مخلوقا منه في اخس احواله من كونه طينا متغيرا وقد اكتفى في سورة الاعراف وسورة
ص بما حكي عنه هاهنا فاقتصر على حكاية تعرضه لخلقه عليه السلام من طين وكذا في سورة بني اسرائيل
حيث قال ااسجد لمن خلقت طينا وفي جوابه دليل على ان قوله تعالى ما لك ليس استفسارا عن الغرض بل هو
استفسار عن السبب وفي عدوله عن تطبيق جوابه على السؤال رعوم للتفصي عن المناقضة وانى له ذلك كانه
قال لم امتنع عن امتثال الامر ولا عن الانتظام في سلك الملائكة بل عما لا يليق بشاني من الخضوع للمفضول
ولقد جرى خذله الله تعالى على سنن قياس عقيم وزل عنه ان ما يدور عليه فلك الفضل والكمال هو التحلي
بالمعارف الربانية والتخلي عن الملكات الردية التي اقبحها الكبر والاستعصاء على امر رب العالمين جل
جلاله قال فاخرج منها اي من زمرة الملائكة المعززين لا من السماوات وسوسته لآدم عليه السلام
في الجنة انما كانت بعد هذا الطرد وقوله تعالى فاهبط منها فما يكون ليس نصا في ذلك فان الخروج من بين
الملا الاعلى هبوط واي هبوط او من الجنة على ان وسوسته كانت بطريق النداء من بابها كما روي عن الحسن
البصري او بطريق المشافهة بعد ان احتال في دخولها او توسل اليه بالحية كما روي عن ابن عباس رضي
الله عنهما ولا ينافي هذا طرده على رؤوس الاشهاد لما يقتضيه من الحكم البالغة فانك رجيم مطرود من
كل خير وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وعيد يتضمن الجواب عن شبهته فان
من عارض النص بالقياس فهو رجيم ملعون وان عليك اللعنة الابعاد من الرحمة وحيث كان ذلك
من جهة الله سبحانه وان كان جاريا على السنة العباد قيل في سورة ص وان عليك لعنتي الى يوم الدين
الى يوم الجزاء والعقوبة وفيه اشعار بتاخير عقابه وجزائه اليه وان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء
لفعله وانما يتحقق ذلك يومئذ وفيه من التهويل ما لا يوصف وجعل ذلك اقصى امد اللعنة ليس لانها
تنقطع هنالك بل لانه ابعد غاية يضربها الناس لقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض
وحيث امكن كون تاخير العقوبة مع الموت كساير من اخرت عقوباتهم الى الآخرة من الكفرة طلب اللعين تاخير
موته كما حكي عنه بقوله تعالى قال رب فانظرني اي امهلني واخرني ولا تمتني والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب
عليه الكلام اي جعلتني رجيما فامهلني الى يوم يبعثون اي آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك
ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثاره وينجو من الموت لاستحالته بعد يوم البعث قال فانك من
المنظرين ورود الجواب بالجملة الاسمية مع التعرض لشمول ما ساله للآخرين على وجه يؤذن بكون السائل تبعا
لهم في ذلك دليل على انه اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء لانظار خاص به وقع اجابة الدعوة
لدعائه اي انك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما تقتضيه حكمة التكوين فالفاء ليست لربط نفس
الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار بالمذكور به كما في قوله: فان ترحم فانت لذاك اهل. فانه لا امكان
لجعل الفاء فيه لربط ما فيه تعالى من اهلية القديمة للرحمة بوقوع الرحمة الحادثة بل هي لربط الاخبار
بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها وان استنظاره كان طلبا لتاخير الموت اذ به يتحقق كونه من جملتهم
لا لتاخير العقوبة كما قيل ونظمه في ذلك في سلك من اخرت عقوبتهم الى الآخرة في علم الله تعالى
ممن سبق من الجن ولحق من الثقلين لا يلائم مقام الاستبعاد مع الحيوان ولان ذلك التاخير معلوم من اضافة
اليوم الى الدين مع اضافته في السؤال الى البعث كما عرفته وفي سورة الاعراف قال انظرني الى يوم يبعثون
قال انك من المنظرين بترك التوقيت والنداء والفاء في الاستنظار والانظار تعويلا على ما ذكر هاهنا
وفي سورة ص فان ايراد كلام واحد على اساليب متعددة غير عزيز في الكتاب العزيز واما ان كل اسلوب من اساليب
النظم الكريم لا بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكي عن اللعين انما صدر عنه مرة وكذا
جوابه لم يقع الا دفعة فمقام المحاورة ان اقتضى احد الاساليب المذكورة فهو المطابق لمقتضى الحال والبالغ
الى طبقة الاعجاز وما عداه قاصر عن رتبة البلاغة فضلا عن الارتقاء الى معارج الاعجاز وقد مر تحقيقه بتوفيق

الله تعالى فى سورة الاعراف الى يوم الوقت المعلوم وهو وقت النفخة الاولى التى يصعق عندها من فى
السموات ومن فى الارض الا من شاء الله تعالى ويجوز ان يكون المراد بالايام واحدا والاختلاف فى
العبارات لاختلاف الاعتبارات فالتعبير بيوم البعث لان غرض اللعين به يتحقق وبيوم الدين لما ذكر
من الجزاء وبيوم الوقت المعلوم لما ذكر ولا ستيثاره بعلمه فلعل كلا من هذه الثلثة جميعا وبعثهم وجزاؤهم
فى يوم واحد يموت اللعين فى اوله ويبعث فى اوساطه ويعاقب فى بقيته يروى ان بين موته وبعثه
اربعين سنة من سنى الدنيا مقدار ما بين النفختين ونقل عن الاحنف بن قيس رحمه الله تعالى انه
قال قدمت المدينة اريد امير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه فاذا انا بحلقة عظيمة وكعب الاحبار
فيها يحدث الناس وهو يقول لما حضر آدم عليه السلام الوفاة قال يا رب سيشمت بى عدوى ابليس
اذا رآنى ميتا وهو منظر الى يوم القيمة فاجيب ان يا آدم انك سترد الجنة ويؤخر اللعين الى النظرة ليذوق
الم الموت بعدد الاولين والآخرين ثم قال لملك الموت صف كيف تذيقه الموت فلما وصفه قال يا رب
حسبى فضج الناس وقالوا يا ابا اسحاق كيف ذلك فابى فالحوا فقال يقول الله سبحانه لملك الموت عقيب
النفخة الاولى قد جعلت فيك قوة اهل السموات السبع واهل الارضين السبع وانى البستك اليوم
اثواب السخط والغضب كلها فانزل بغضبى وسطوتى على رجيمى ابليس فاذقه الموت واحمل عليه مرارة
الاولين والآخرين من الثقلين اضعافا مضاعفة وليكن معك من الزبانية سبعون الفا قد امتلأوا غيظا
وغضبا وليكن مع كل منهم سلسلة من سلاسل جهنم وغل من اغلالها وانزع روحه المنتن بسبعين الف
كلاب من كلاليبها وناد مالكا ليفتح ابواب النيران فينزل ملك الموت بصورة لو نظر اليها اهل السموات
والارضين لماتوا بغتة من هولها فينتهى الى ابليس فيقول قف لى يا خبيث لاذيقنك الموت كم من عمر
ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو بملك الموت
كم من عمر ادركت وقرون اضللت وهذا هو الوقت المعلوم قال فيهرب اللعين الى المشرق فاذا هو
بملك الموت بين عينيه فيهرب الى المغرب فاذا هو به بين عينيه فيغوص البحار فتنزوى منه البحار فلا
تقبله فلا يزال يهرب فى الارض ولا محيص له ولا ملاذ ثم يقوم فى وسط الدنيا عند قبر آدم عليه
السلام ويتمرغ فى التراب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق حتى اذا كان فى الموضع الذى
اهبط فيه آدم عليه السلام وقد نصبت له الزبانية الكلاليب وصارت الارض كالجمرة احتوشته
الزبانية وطعنوه بالكلاليب ويبقى فى النزع والعذاب الى حيث يشاء الله تعالى ويقال لآدم
وحواء اطلعا اليوم الى عدوكما كيف يذوق الموت فيطلعان فينظران الى ما هو فيه من شدة العذاب
فيقولان ربنا اتممت علينا نعمتك قال رب بما اغويتنى الباء للقسم وما مصدرية والجواب لازينن لهم
اى اقسم باغوائك اياى لازينن لهم المعاصى فى الارض اى فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله تعالى
اخلد الى الارض واقسامه بعزة الله المفسرة بسلطانه وقهره لا ينافى اقسامه بهذا فانه فرع
من فروع تلك وقيل للسببية والمعنى بسبب تسبيبك لاغوائى اقسم لافعلن بهم مثل ما فعلت بى من التسبب
لاغوائهم بتزيين المعاصى وتسويل الاباطيل والمعتزلة اولوا الاغواء بالنسبة الى الغى او التسبب
له بامره اياه بالسجود لآدم عليه السلام او اعتذروا عن امهال الله تعالى وتسليطه له على اغواء بنى
آدم بانه تعالى قد علم منه وممن تبعه انهم يموتون على الكفر ويصيرون الى النار امهل ام لم يمهل وان
فى امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب ولاغوينهم اجمعين لاحملنهم على الغواية الا
عبادك منهم المخلصين الذين اخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدى وقرئ
بكسر اللام اى الذين اخلصوا نفوسهم لله عز وجل قال هذا صراط على مستقيم اى حق على ان اراعيه
مستقيم لا عوج فيه والاشارة الى ما تضمنه الاستثناء وهو تخلص المخلصين من اغوائه او الاخلاص على
معنى انه طريق يؤدى الى الوصول من غير اعوجاج وضلال والاظهر ان ذلك لما وقع فى عبارة ابليس
حيث قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم الآية وقرئ على من علو
الشرف ان عبادى وهم المشار اليهم ليس لك عليهم سلطان تسلط وتصرف بالاغواء الا من اتبعك من الغاوين
وفيه مع كونه تحقيقا لما قاله اللعين تفخيم لشان المخلصين وبيان لمنزلتهم ولانقطاع مخالب الاغواء
عنهم وان اغواءه للغاوين ليس بطريق السلطان بل بطريق اتباعهم له بسوء اختيارهم وان جهنم لموعدهم
اى موعد المتبعين او الغاوين والاول انسب فادخل فى الزجر عن اتباعه وفيه دلالة على ان جهنم
مكان الوعد وان الموعود مما لا يوصف فى الفظاعة اجمعين تاكيد للضمير او حال والعامل فيها الوعد ان جعل
مصدرا على تقدير المضاف او معنى الاضافة ان جعل اسم مكان لها سبعة ابواب يدخلون فيها لكثرتهم او سبع
طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى الغواية والمتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم السقر ثم

الجحيم

الجحيم ثم الهاوية لكل باب منهم من الاتباع او الغواة جزء مقسوم حزب معين مفرز من غيره حسبما
يقتضيه استعداده فاعلاها للموحدين والثانية لليهود والثالثة للنصارى والرابعة للصابئين
والخامسة للمجوس والسادسة للمشركين والسابعة للمنافقين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان
جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى
والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين ولعل حصرها فى السبع لانحصار المهلكات فى المحسوسات بالحواس
الخمس ومقتضيات القوة الشهوية والغضبية وقرئ بضم الزاء وبحذف الهمزة والقاء حركتها الى ما
قبلها مع تشديدها فى الوقف والوصل ومنهم حال من جزء او من ضميره فى الظرف لا فى مقسوم لان
الصفة لا تعمل فيما تقدم موصوفها ان المتقين من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة فى
جنات وعيون اى مستقرون فيها خالدين لكل واحد منهم جنة وعين او لكل منهم عدة منهما كقوله
تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ بكسر العين حيث وقع فى القرآن العظيم ادخلوها على ارادة القول
امرا من الله تعالى لهم بالدخول وقرئ ادخلوها امرا منه تعالى للملائكة بادخالهم وقرأ الحسن ادخلوها
مبنيا للمفعول على صيغة الماضى من الادخال بسلام ملتبسين اى سالمين او مسلمين عليكم آمنين من الآفات
والزوال ونزعنا ما فى صدورهم من غل اى حقد كان فى الدنيا وعن على رضى الله تعالى عنه ارجو ان اكون
وعثمان وطلحة والزبير رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اخوانا حال من الضمير فى قوله تعالى فى جنات
او من فاعل ادخلوها او من الضمير فى آمنين او الضمير المضاف اليه والعامل فيه معنى الاضافة وكذلك
قوله تعالى على سرر متقابلين ويجوز كونهما صفتين لاخوانا او حالا لانه بمعنى متصافين وكون الثانى
حالا او من المستكن فى الاول وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فهم متقابلون فى جميع احوالهم
لا يمسهم فيها نصب اى تعب بان لا يكون لهم فيها ما يوجبه من الكد وتحصيل ما لا بد لهم منه لحصول
كل ما يريدون من غير مزاولة عمل اصلا او بان لا يعتريهم ذلك وان باشروا الحركات العنيفة لكمال
قوتهم واستيناف او حال بعد حال او حال من الضمير فى متقابلين وما هم منها بمخرجين ابدا لان
تمام النعمة بالخلود نبئ عبادى وهم الذين عبر عنهم بالمتقين انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب
الاليم فذلكة لما سلف من الوعد والوعيد وتقرير له وفى ذكر المغفرة اشعار بان ليس المراد بالمتقين
من يتقى جميع الذنوب كبيرها وصغيرها وفى وصف ذاته تعالى بها وبالرحمة على وجه القصر دون
التعذيب ايذان بانهما مما يقتضيهما الذات وان العذاب انما يتحقق بما يوجبه من خارج ونبئهم عطف
على نبئ عبادى والمقصود اعتبارهم بما جرى على ابراهيم عليه السلام من البشرى فى تضاعيف الخوف وتلهم
حلول انتقامه تعالى من المجرمين وعلمهم بان عذاب الله هو العذاب الاليم عن ضيف ابراهيم عليه
السلام عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انهم جبريل عليه السلام وملكان معه وقال الضحاك
كانوا تسعة وعن السدى كانوا احد عشر على صورة الغلمان الوضاء وجوههم وعن مقاتل انهم كانوا اثنى
عشر ملكا عليهم السلام وانما لم يتعرض لعنوان رسالتهم لانهم لم يكونوا مرسلين الى ابراهيم عليه السلام
بل الى قوم لوط حسبما يأتى ذكره اذ دخلوا عليه نصب بفعل مضمر معطوف على نبئ اى اذكر وقت دخولهم
عليه او خبر مقدر مضاف الى ضيف ابراهيم اى خبر ضيف ابراهيم حين دخولهم عليه او بنفس ضيف
على انه مصدر فى الاصل فقالوا عند ذلك سلاما اى نسلم سلاما او سلمنا او سلمت سلاما قال انا منكم
وجلون اى خائفون فان الوجل اضطراب النفس لتوقع مكروه قاله عليه السلام حين امتنعوا من اكل
ما قربه اليهم من العجل حينئذ لما ان المعتاد عندهم انه اذا نزل بهم ضيف فلم يأكل من طعامهم ظنوا
انه لم يجئ لخير لا عند ابتداء دخولهم لقوله تعالى فلما رأى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم
خيفة فلا مجال لكون خوفه عليه السلام بسبب دخولهم بغير اذن ولا بغير وقت اذ لو كان كذلك
لاجابوا حينئذ بما اجابوا به ولم يقصد عليه السلام بتقريب الطعام اليهم وانما لم يذكر هاهنا اكتفاء
بما بين فى غير هذا الموضع الا يرى الى انه لم يذكر هاهنا رده عليه السلام سلامهم قالوا لا توجل
لا تخف وقرئ لا تاجل ولا توجل من اوجله اى اخافه ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله انا نبشرك
استيناف لتعليل النهى عن الوجل فان المبشر به لا يكاد يحوم حول ساحته خوف ولا حزن كيف لا
وهو بشارة منه ببقائه وبقاء اهله فى عافية وسلامة زمانا طويلا بغلام هو اسحاق عليه السلام
اكتفاء بما ذكر فى سورة هود عليم اذا بلغ وفى موضع بغلام حليم قال ابشرتمونى بذلك على ان مسنى الكبر
واثر فى تعجب عليه السلام فى مشاهدتهم من بشارتهم بالولد فى حالة منافية للولادة وزاد فى ذلك
فقال فبم تبشرون بغير شىء او بطريقه تبشرونى او باى شىء تبشرونى فان البشارة بما لا
يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شىء او باى طريقة تبشرونى وقرئ بتشديد النون المكسورة

على ادغام نون الجمع في نون الوقاية قالوا بشرناك بالحق اي بما يكون لا محالة او باليقين الذي لا لبس فيه او بطريقة هي حق وهو امر الله تعالى وقوله فلا تكن من القانطين من الايسين من ذلك فان الله تعالى
قادر على ان يخلق بشرا بغير ابوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وقرئ من القنطين وكان مقصده عليه
السلام استعظام نعمته تعالى عليه في ضمن التعجب العادي المبني على سنة الله تعالى فيما بين عباده لا
استبعاد ذلك بالنسبة الى قدرته سبحانه كما ينبئ عنه قول الملائكة فلا تكن من القانطين دون ان يقولوا
من الممترين ونحوه قال ومن يقنط استفهام انكاري اي لا يقنط من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق
المعرفة والصواب فلا يعرفون سعة رحمته وكمال علمه وقدرته كما قال يعقوب عليه السلام ولا تيأسوا
من روح الله الا القوم الكافرون ومراده نفي القنوط عن نفسه عليه السلام على ابلغ وجه اي ليس
بي قنوط من رحمة الله تعالى وانما الذي اقول لبيان منافاة حالي لفيضان تلك النعمة الجليلة على وفي
التعرض لوصف الربوبية والرحمة ما لا يخفى من الجزالة وقرئ بضم النون وبكسرها من قنط بالفتح
ولم تكن هذه المقاولة من الملائكة مع ابراهيم عليه السلام مخاصمة بل مع بشارة ايضا حسبما
شرح في سورة هود لم يذكر ذلك مهنا اكتفاء بما ذكر هنالك كما انه لم يذكر هذه هناك اكتفاء بما
ذكر مهنا قال اي ابراهيم عليه السلام وتوسيطه بين قوله فما خطبكم اي امركم وشانكم الخطير الذي
لاجله ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون صريح في ان بينهما مقالة مطوية لهم اشير به الى
مكانها كما في قوله تعالى اسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذي كرمت علي الاية فان قوله
الاخير ليس موصولا بقوله الاول بل هو مبني على قوله تعالى فاخرج منها فانك رجيم فان توسيط
قال بين قوليه للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره خطابه لهم عليهم
السلام بعنوان الرسالة بعد ما كان خطابه السابق مجردا عن ذلك مع تصديره بالفاء دليل على ان
مقالتهم المطوية كانت متضمنة لبيان ان مجيئهم ليس لمجرد البشارة بل لهم شان اخر لاجله ارسلوا
فكانه قال عليه السلام ان لم يكن شانكم مجرد البشارة فماذا هو فلا حاجة الى الالتجاء الى انه عليه
السلام علم بان كل المقصود ليس البشارة بسبب انهم كانوا ذوي عدد والبشارة لا تحتاج الى
عدد ولذلك اكتفى بالواحد في ذكريا عليه السلام ومريم ولا الى انه بشروه في تضاعيف الحال
لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدأوا بها فتأمل قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين هم قوم
لوط لكن وصفوا بالاجرام وجيء بهم بطريق التنكير ذما لهم واستهانة بهم الا ال لوط استثناء
متصل من الضمير في مجرمين اي الى قوم اجرموا جميعا الا ال لوط فالقول والارسال شاملان للمجرمين
وغيرهم والمعنى انا ارسلنا الى قوم اجرم كلهم الا ال لوط لنهلك الاولين وننجي الاخرين
ويدل عليه قوله تعالى انا لمنجوهم اي ال لوط وأله اجمعين اي مما يصيب القوم فانه استيناف للاخبار
بنجاتهم لعدم اجرامهم او لبيان ما فهم من الاستثناء من مطلق عدم شمول العذاب لهم فان ذلك قد
يكون بحالهم بين او لتعليله وان من تعلق بهم التنجية ينجي من شمول العذاب او منقطع من قوم فقوله
تعالى انا لمنجوهم متصل بال لوط جار مجرى خبر لكن وعلى هذا فقوله تعالى الا امراته استثناء من ال
لوط او من ضميرهم وعلى الاول خاصة لاختلاف الحكمين اللهم الا ان يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرئ
بالتخفيف قدرنا انها لمن الغابرين الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرئ قدرنا بالتخفيف وانما علق
فعل التقدير مع اختصاص ذلك بافعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز حمله على معنى قلنا لانه
بمعنى القضاء قول واصله جعل الشيء على مقدار غيره واسناد هم اياه الى انفسهم وهو فعل الله سبحانه
لما لهم من الزلفى والاختصاص فلما جاء ال لوط المرسلون شروع في بيان كيفية اهلاك المجرمين
وتنجية ال لوط حسبما اجمل في الاستثناء ثم فصل في التعليل نوع تفصيل ووضع المظهر موضع المضمر
للايذان بان مجيئهم لتحقيق ما ارسلوا به من الاهلاك والتنجية وليس المراد به ابتداء مجيئهم بل مطلق
كينونتهم عند ال لوط فان ما حكى عنه عليه السلام بقوله تعالى قال انكم قوم منكرون انما قاله عليه
السلام بعد اللتيا والتي حين ضاقت عليه الحيل وعيت به العلل لما لم يشاهد من المرسلين عند
مقاساته الشدائد ومعاناته المكايد من قومه الذين يريدون بهم ما يريدون ما هو المعهود والمعتاد
من الاعانة والامداد فيما يأتي ويذر في تخليصهم وتخليصهم انكار لخذلانهم له وترك نصرته في
مثل تلك المضايقة المعترية له بسببهم بحيث لم يكونوا مباشرين معه لاسباب المدافعة والممانعة
حتى الجأته الى ان قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد حسبما فصل في سورة هود لا انه قاله
عند ابتداء ورودهم له خوفا ان يطرقوه بشر كما قيل كيف لا وهم يجيبونه بقوله قالوا بل جئناك
بما كانوا فيه يمترون اي بالعذاب الذي كنت تتوعدهم فيمترون فيه ويكذبونك قد فسروا العصا

وبينوا له عليه السلام جلية الامر فاني يمكن ان يعتريه بعد ذلك المساءة وضيق الذرع وليست
كلمة بل اضرابا عما فهمه عليه السلام من ترك النصرة له والمعنى ما خذلناك وما خلينا بينك وبينهم
بل جئناك بما يدمرهم من العذاب الذي كانوا يكذبونك حين كنت تتوعدهم به ولعل تقديم هذه
المقالة على ما جرى بينه وبين اهل المدينة من المجادلة للمسارعة الى ذكر بشارة لوط عليه السلام
باهلاك قومه وتنجية اله عقيب ذكر بشارة ابراهيم عليه السلام بهما وحيث كان ذلك مستدعيا
لبيان كيفية النجاة وترتيب مباديها اشير الى ذلك اجمالا ثم ذكر ما فعل القوم وما فعل بهم ولم يبال
بتغيير الترتيب الوقوعي ثقة بمراعاته في مواقع اخر ونسبة المجيء بالعذاب اليه عليه السلام مع انه
نازل بالقوم بطريق تفويض امره اليه لا بطريق نزوله عليه كانهم جاؤوه به وفوضوا امره اليه
ليرسله عليهم حسبما كان يتوعدهم به واتيناك بالحق اي باليقين الذي لا مجالة فيه للامتراء فيه والشك
وهو عذابهم عبر عنه بذلك تنصيصا على نفي الامتراء عنه والمراد بالحق الاخبار بمجيء العذاب المذكور وقوله
تعالى وانا لصادقون تاكيد له اي اتيناك فيما قلنا بالخبر الحق اي المطابق للواقع وانا لصادقون في ذلك
الخبر او في كل كلام فيكون كالدليل على صدقهم فيه على الاول وتاكيدا اثر تاكيد وقوله تعالى فاسر
باهلك شروع في ترتيب مبادي النجاة اي اذهب بهم في الليل وقرئ بالوصل وكلاهما من السرى
وهو السير في الليل وقرئ فسر من السير بقطع من الليل بطائفة منه او من اخره قال افتح الباب
وانظر في النجوم كم علينا من قطع ليل بهيم وقيل هو بعد ما مضى منه شيء صالح واتبع ادبارهم
وكن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على احوالهم ولعل ايثار الاتباع على السوق مع انه المقصود
بالامر للمبالغة في ذلك اذ السوق ربما يكون بالتقديم على بعض مع التاخر عن بعض ويلزمه عادة
الغفلة عن حال المتاخر والالتفات المنهي عنه بقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد اي منك ومنهم احد
فيرى ما وراءه من الهول فلا يطيقه او يصيبه ما اصابهم او ولا ينصرف منكم ولا يتخلف لغرض فيصيبه
العذاب وقيل نهوا عن ذلك ليوطنوا انفسهم على المهاجرة او هو نهي عن ربط القلب بما خلفوه او
هو للاسراع في السير فان الملتفت قلما يخلو عن ادنى وقفة وعدم ذكر استثناء المراة عن الاسراء
او الالتفات لا يستدعي عدم وقوعه فان ذلك كما عرف مراد للاكتفاء بما ذكر من مواضع اخر وامضوا
حيث تؤمرون الى حيث امركم الله تعالى بالمضي اليه وهو الشام او مصر وحذف الصلتين على الاتساع
المشهور وايثار المضي الى ما ذكر على الوصول اليه واللحوق به للايذان باهمية النجاة ولمراعاة المناسبة
بينه وبين ما سلف من الغابرين وقضينا اي اوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم
يفسره ان دابر هؤلاء مقطوع على انه بدل منه وايثار اسم الاشارة على الضمير للدلالة على اتصافهم
بصفاتهم القبيحة التي هي مدار ثبوت الحكم اي دابرهم وللمجرمين وايراد صيغة المفاعيل لكونها
ادخل في الدلالة على الوقوع وفي لفظ القضاء والتعبير عن العذاب بالامر والاشارة اليه بذلك
وتاخيره عن الجار والمجرور وابهامه اولا ثم تفسيره ثانيا من الدلالة على فخامة الامر وفظاعته
ما لا يخفى وقرئ بالكسر على الاستيناف والمعنى انهم يستاصلون عن اخرهم حتى لا يبقى منهم احد
مصبحين داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء او من الضمير في مقطوع وجمعه للحمل على المعنى فان
دابر هؤلاء بمعنى مدبري هؤلاء وجاء اهل المدينة شروع في حكاية ما صدر عن القوم عند وقوفهم
على مكان الاضياف من الفعل والقول وما ترتب عليه بعد ما اشير الى ذلك اجمالا حسبما نبه عليه
اي جاؤوا اهل سدوم منزل لوط عليه السلام يستبشرون اي مستبشرين باضيافه عليه السلام
طمعا فيهم قال ان هؤلاء ضيفي الضيف حيث كان مصدرا في الاصل اطلق على الواحد المتعدد والمذكر
والمؤنث واطلاقه على الملائكة بحسب اعتقاده عليه السلام لكونهم في زي الضيف والتاكيد ليس
لانكارهم بذلك بل لتحقيق اتصالهم به واظهار اعتنائه بشانهم وتشمره لمراعاة حقوقهم وحمايتهم
عن السوء وكذلك قال فلا تفضحون اي عندهم بان تتعرضوا لهم بسوء فيعلموا انه ليس لي عندكم قدر
وحرمة او لا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه فقد اسيء اليه يقال فضحه فضحا وفضيحة
اذا اظهر من امره ما يلزمه العار واتقوا الله في مباشرتكم لما يسوءني ولا تخزون اي لا تذلوني ولا
تهينوني بالتعرض لمن اجرتهم بمثل تلك الفعلة الخبيثة وحيث كان التعرض لهم بعد ان نهاهم عليه
السلام عن ذلك بقوله فلا تفضحون اكثر تاثيرا في جانبه عليه السلام واجلب للعار اليه اذ
التعرض للجار قبل شعور المجير بذلك ربما يتسامح فيه واما بعد الشعور به والمناصبة لحمايته
والذب عنه فذلك اعظم العار عبر عليه السلام عما يعتريه من جهتهم بعد النهي المذكور بسبب
لجاجهم ومجاهرتهم لمخالفته بالخزي وامرهم بالتقوى الله في ذلك وانما لم يصرح بالنهي عن نفس تلك

الفاحشة كانه كان يعرف انه لا يفيدهم ذلك وقيل المراد تقوى الله تعالى في ركوب الفاحشة ولا
يساعده توسيطه بين النهيين عن امرين متعلقين بنفسه عليه السلام وكذلك قوله تعالى قالوا
اولم ننهك عن العالمين اى عن التعرض لهم بمنعهم عنا ومنعا فيهم والهمزة للانكار والواو للعطف على
مقدر اى الم نتقدم اليك ولم ننهك عن ذلك فانهم كانوا يتعرضون لكل احد من الغرباء بالسوء
وكان عليه السلام يمنعهم عن ذلك بقدر وسعه وكانوا قد نهوه عليه السلام عن ان يجير احدا
فكانهم قالوا ما ذكرت من الفضيحة والخزى انما جاءك من قبلك لا من قبلنا اذ لولا تعرضك لما
تصدى له لما اعتراك تلك الحالة ولما رآهم لا يقلعون عما هم عليه قال هؤلاء بناتي يعنى نساء القوم
فان نبي كل امة بمنزلة ابيهم او بناته حقيقة اى فتزوجوهن وقد كانوا من قبل يطلبونهن ولا
يجيبهم وعدم كفائتهم لا لعدم مشروعية المناكحة بين المسلمات والكفار وقد فصل ذلك في سورة
هود ان كنتم فاعلين اى قضاء الوطر او ما اقول لكم لعمرك قسم من الله تعالى بحيوة النبي عليه
السلام او من الملائكة بحياة لوط عليه السلام والتقدير لعمرك قسمي وهى لغة في العمر يختص به
القسم ايثارا للخفة لكثرة دورانه على الالسنة انهم لفى سكرتهم غوايتهم او شدة غلمتهم التي
ازالت عقولهم وتمييزهم بين الخطأ والصواب يعمهون يتحيرون ويتمادون فكيف يسمعون النصح
وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض فاخذتهم الصيحة اى الصيحة العظيمة الهائلة وقيل صيحة
جبرئيل عليه السلام مشرقين داخلين في وقت شروق الشمس فجعلنا عاليها سافلها عالي المدينة
او عاليها وهو المفعول الاول لجعلنا وقوله تعالى سافلها مفعول ثان وهو ادخل في الهول
والفظاعة من العكس كما مر وامطرنا عليهم في تضاعيف ذلك قبل تمام الانقلاب حجارة كائنة
من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب وقد فصل ذلك في سورة هود ان في ذلك اى فيما ذكر من
القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اى المتفكرين المتفرسين الذين
يتثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته وانها اى المدينة او القرى لبسبيل مقيم اى طريق
ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها ان في ذلك فيما ذكر من المدينة او القرى او في كونهما بمرأى
من الناس يشاهدونها في ذهابهم وايابهم لآية عظيمة للمؤمنين بالله ورسوله فانهم الذين
يعرفون ان ما حاق بهم من العذاب ترك ديارهم بلاقع انما حاق بهم لسوء صنيعهم واما غيرهم
فيحملون ذلك على الاتفاق او الاوضاع الفلكية وافراد الآية بعد جمعها فيما سبق لما ان المشاهد
ههنا بقية الآثار لا كل القصة كما في ما سلف وان كان ان مخففة من ان وضمير الشان الذي هو اسمها
محذوف واللام هي الفارقة وان الشان كان اصحاب الايكة وهم قوم شعيب عليه السلام والايكة
والليكة الشجرة الملتفة المتكاشفة وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا يسكنونها فبعثه الله تعالى
اليهم لظالمين متجاوزين عن الحد فانتقمنا منهم بالعذاب روى ان الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة
ايام ثم بعث سحابة فالتجأوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم منها نارا فاحرقتهم فهو
عذاب يوم الظلة وانهما يعني سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه عليه السلام كان مبعوثا
اليهما فذكر احدهما منبه على الآخر لبامام مبين لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به سمى به
الطريق ويطلق على البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به ولقد كذب اصحاب الحجر يعني ثمود
المرسلين صالحا فان من كذب واحدا من الانبياء فقد كذب الجميع لاتفاقهم على التوحيد والاصول التي
لا تختلف باختلاف الامم والاعصار وقيل المراد صالح ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون لخبيب
بن عبد الله بن الزبير واصحابه والحجر واد بين المدينة والشام كانوا يسكنونه وآتيناهم آياتنا وهي
الآيات المنزلة على نبيهم او المعجزات من الناقة وسقيها وشربها ودرها او الادلة المنصوبة لهم
فكانوا عنها معرضين اعراضا كليا بل كانوا معارضين لها حيث فعلوا بالناقة ما فعلوا وكانوا
ينحتون من الجبال بيوتا آمنين من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء الوثاقتها او من العذاب
لحسبانهم ان ذلك لجميعهم منه عن جابر رضي الله عنه انه قال مررنا مع رسول الله عليه السلام
على الحجر فقال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما
اصاب هؤلاء ثم زجر رسول الله عليه السلام راحلته فاسرع حتى خلفها فاخذتهم الصيحة
مصبحين وهكذا وقع في سورة هود وقيل صاح بهم جبرئيل عليه السلام وقيل اتتهم من السماء
صيحة فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وفي سورة
الاعراف فاخذتهم الرجفة اى الزلزلة ولعلها من روادف الصيحة المستتبعة لتموج الهواء
تموجا شديدا يفضي اليها كما مر في سورة هود فما اغنى عنهم ولم يدفع عنهم ما نزل بهم ما كانوا

يكسبون من بناء البيوت الوثيقة والاموال الوافرة والعدد المتكاثرة وفيه تهكم بهم والفاء
لترتيب عدم الاغناء الخاص بوقت نزول العذاب حسبما كانوا يرجونه لا عدم الاغناء المطلق
فانه امر مستمر وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق اى الا خلقا ملتبسا بالحق
والحكمة والمصلحة بحيث لا يلائم استمرار الفساد واستقرار الشرور ولذلك اقتضت الحكمة
اهلاك امثال هؤلاء دفعا لفسادهم وارشادا لمن بقى الى الصلاح او الا بسبب العدل والانصاف
يوم الجزاء على الاعمال كما ينبئ قوله تعالى وان الساعة لآتية فينتقم الله تعالى لك فيها ممن كذبك
فاصفح اى اعرض عنهم الصفح الجميل اعراضا جميلا وتحمل اذيتهم ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم
معاملة الصفوح الحليم وقيل هي منسوخة بآية السيف ان ربك الذي يبلغك الى غاية الكمال
هو الخلاق لك ولهم ولساير الموجودات على الاطلاق العليم باحوالك واحوالهم بتفاصيلها فلا
يخفى عليه شيء مما جرى بينك وبينهم فهو حقيق بان تكل جميع الامور اليه ليحكم بينكم او هو الذي
خلقكم وعلم تفاصيل احوالكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح فهو تعليل
للامر بالصفح على التقديرين وفي مصحف عثمان وابي رضي الله عنهما هو الخالق وهو صالح للقليل
والكثير والخلاق مختص بالكثير ولقد آتيناك سبعا سبع آيات وهي الفاتحة وعليه عمر وعلي وابن
مسعود وابو هريرة رضي الله عنهم والحسن وابو العالية ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير
وقتادة رضي الله عنهم وقيل سبع سور وهي الطوال التي سابعها الانفال والتوبة فانهما في حكم
سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل يونس والحواميم السبع وقيل الصحائف
السبع وهي الاسباع من المثاني بيان للسبع من التثنية وهي التكرير فان كان المراد الفاتحة
وهو الظاهر فتسميتها مثاني لتكرر قراءتها في الصلوة واما تكرر قراءتها في غير الصلوة كما قيل
فليس بحيث يكون مدارا للتسمية ولانها تثنى بما يقرأ بعدها في الصلوة واما تكرر نزولها
فلا يكون وجها للتسمية لانها كانت مسماة بهذا الاسم قبل نزولها الثاني اذ السورة مكية
بالاتفاق وان كان المراد غيرها فوجه كونها من المثاني ان كلا من ذلك يكرر قراءته والفاظه
او قصصه ومواعظه او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله تعالى وواحدتها مثناة او مثنية
صفة للآية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد
وغير ذلك ولما فيهما من الثناء على الله تعالى كانها تثنى عليه سبحانه بافعاله وصفاته الحسنى ويجوز
ان يراد بالمثاني القرآن لما ذكر او لانه مثني عليه بالاعجاز او كتب الله كلها فمن للتبعيض وعلى الاول
للبيان او القرآن العظيم ان اريد بالسبع الآيات والسور فمن عطف الكل على البعض او العام على
الخاص وان اريد به او كل القرآن فهو عطف احد الوصفين على الآخر كما في قوله الى الملك القرم وابن
الهمام وليث الكتائب في المزدحم اى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم لا تمدن
عينيك لا تطمح ببصرك طموح راغب ولا تدم نظرك الى ما متعنا به من زخارف الدنيا وزينتها
ومحاسنها وزهرتها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة فان ما في الدنيا من اصناف الاموال والذخائر
بالنسبة الى ما اوتيته مستحقر لا يعبأ به اصلا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه من اوتي القرآن
فرأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى انه وافت من بصرى
واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وساير
الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وانفقناها في سبيل الله تعالى
فقيل لهم قد اعطيتم سبع آيات وهي خير من هذه القوافل السبع ولا تحزن عليهم حيث لم يؤمنوا
ولم ينتظموا في سلك اتباعك لتتقوى بهم ضعفاء المسلمين وقيل انهم المتمتعون به
وبابه كلمة على فان تمتعهم به لا يكون مدار الحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين اى تواضع
لهم وارفق بهم والن جانبك لهم وطب نفسا من الايمان الاغنياء وقل اني انا النذير المبين اى المنذر
المظهر لنزول عذاب الله وحلوله كما انزلنا على المقتسمين قيل انه متعلق بقوله تعالى ولقد
آتيناك الى آخره اى انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب الذين جعلوا القرآن عضين اى
قسموه الى حق وباطل حيث قالوا عنادا وعدوانا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه
باطل مخالف لهما او قسموه لا نفسهم استهزاء حيث كان بعضهم سورة البقرة لي وبعضهم سورة
العمران لي وهكذا او قسموا ما قرأوا من كتبهم وحرفوه فاقروا ببعضه وكذبوا ببعضه فهو توسيط
قوله تعالى لا تمدن عينيك على ما مر اذ ما هو المراد بالكلام من التسلية وعقب ذلك بانه
جل المقام عن التشبيه فلقد اوتي عليه السلام ما لم يؤت احد قبله ولا بعده مثله وقيل

انه متعلق بقوله وقل انى انا النذير المبين فانه فى قوة الامر بالانذار كانه قيل انذر قريشا مثل ما انزلنا
على المقتسمين يعنى اليهود وهو ما جرى عليه قريظة والنضير بان جعل المتوقع كالواقع وقد وقع
كذلك وانت خبير بان ما يشبه به العذاب المنذر لا بد ان يكون محقق الوقوع معلوم الحال عند
المنذرين اذ به يتحقق فائدة التشبيه وهى تأكيد الانذار وتشديده وعذاب بنى قريظة والنضير
مع عدم وقوعه اذ ذاك لم يسبق به وعد ووعيد فهم منه فى غفلة محضة وشك مريب وتنزيل
المتوقع منزلة الواقع له موقع جليل من الاعجاز لكن اذا صادف مقاما يقتضيه كما فى قوله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا ونظائره على انه تخصيص الاقتسام باليهود بمجرد اختصاص العذاب المذكور
بهم مع شركتهم للنصارى فى الاقتسام المتفرع على الموافقة والمخالفة وفى الاقتسام بمعنى التحريف
الشامل للكتابين بل تخصيص العذاب المذكور بهم مع كونهم من نتائج الاقتسام تخصيص من غير
مخصص وقد جعل الموصول مفعولا اول لانذر اى انذر المعضين الذين يجزئون القران الى سحر
وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم
فقعد كل منهم فى مدخل لينفروا الناس عن الايمان برسول الله عليه السلام يقول بعضهم لا تغتروا
بالخارج منا فانه ساحر ويقول الاخر شاعر والاخر كذاب فاهلكهم الله تعالى يوم بدر وقبله
بافات وفيه مع ما فيه من الاشتراك ما سبق فى عدم كون العذاب الذى شبه به العذاب المنذر
واقعا ولا معلوما للمنذرين ولا موعود الوقوع انه لا داعى الى تخصيص وصف التعضية واخراج
المقتسمين من بينهم مع كونهم اسوة لهم فى ذلك فان وصفهم لرسول الله عليه السلام بما وصفوا
من السحر والشعر والكذب متفرع على وصفهم للقران بذلك وهل هو الا نفس التعضية ولا لاخراجهم
من حكم الانذار على ان ما نزل بهم من العذاب لم يكن من الشدة بحيث يشبه به عذاب غيرهم ولا مخصوصا
بهم بل عاما لكلا الفريقين وغيرهم مع ان بعض المنذرين كالوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن
المطلب قد هلكوا قبل ما هلك اكثر المقتسمين يوم بدر ولا الى تقديم المفعول الثانى على الاول كما ترى
وقيل انه وصف لمفعول النذير اقيم مقامه والمقتسمون هم القاعدون فى مداخل مكة كما حرر فيه
مع ما مر ان قوله تعالى كما انزلنا صريح فى انه من قول الله تعالى لا من قول الرسول عليه السلام ولا اعتذار
بان ذلك من باب ما يقول بعض خواص الملك امرنا بكذا وان كان الامر هو الملك حسبما سلف فى قوله
تعالى قدرنا انها لمن الغابرين تعسف لا يخفى وان اعمال الوصف الموصوف مما لم يجوزه البصريون
فلا بد من الهرب الى مسلك الكوفيين والمصير الى جعله مفعولا غير صريح اى انا النذير المبين
بعذاب مثل عذاب المقتسمين وقيل المراد بالمقتسمين الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا
فاهلكهم الله تعالى وانت تدرى ان عذابهم حيث كان متحققا ومعلوما للمنذرين حسبما نطق به القران
العظيم صالح لان يقع مشبها به للعذاب المنذر لكن الموصول المذكور عقيبه حيث لم يكن كونه صفته
للمقتسمين حينئذ فسر اجعلناه مفعولا اول للنذير او لما دل هو عليه من انذر فلا يكون للتعرض
لعنوان التعضية حين الصلة ولا لعنوان الاقتسام بالمعنى المذكور فى حين المفعول الثانى فائدة كما
ان ذلك انما يكون للاشعار بعلية الصلة والصفة للحكم الثابت للموصول والموصوف فلا يكون
هنالك وجه شبه يدور عليه تشبيه عذابهم بعذابهم خاصة لعدم اشتراكهم فى السبب فان المعضين
بمعزل من التقاسم على التبييت الذى هو السبب لهلاك اولئك كما ان اولئك بمعزل من التعضية
التى هى السبب لهلاك هؤلاء ولا علاقة بين الشيئين مفهوما ولا وجودا لتصحيح وقوع احدهما فى
جانب والاخر فى جانب واتفاق الفريقين على مطلق الاتفاق المفهوم من الاقتسام على الشئ المخصوص
الذى هو التبييت المدلول عليه بالتقاسم غير مفيد اذ لا دلالة لعنوان التعضية على ذلك وانما يدل
على اقتسام المداخل وجعل الموصول مبتدا على ان خبره الجملة القسمية لا يليق بجزالة التنزيل وجلالة
شانه الجليل اذا عرفت هذا فاعلم ان الاقرب من الاقوال المذكورة انه متعلق بالاول وان المراد
بالمقتسمين اهل الكتابين وان الموصول مع صلته صفة مبينة لكيفية اقتسامهم ومحل الكاف
النصب على المصدرية وحديث جلالة المقام عن التشبيه من لوازع النظم الجليل والمعنى لقد اتيناك
سبعا من المثانى والقران العظيم ايتاء لانزال الكتابين على اهلهما وعدم التعرض لذكر ما انزل عليهم
من الكتابين لان الغرض بيان المماثلة بين الايتاءين لا بين متعلقيهما والعدول عن تطبيق ما فى جانب
المشبه لما فى جانب المشبه به بان يقال كما اتينا على المقتسمين حسبما وقع فى قوله تعالى الذين اتيناهم
الكتاب الى اخره للتنبيه على ما بين الايتاءين من التفاوت فان الاول على وجه التكرمة والامتنان
فشتان بينه وبين الثانى ولا يقدح ذلك فى وقوعه مشبها به فان ذلك انما هو لمسلميته عندهم

وتقدم

وتقدم وجوده على المشبه زمانا لا لمزية تعود الى ذاته كما فى الصلوات الابراهيمية فان التشبيه فيها
ليس لكون رحمة الله تعالى الفائضة على ابراهيم عليه السلام واله اتم واكمل مما فاض على النبى
عليه السلام وانما ذلك للتقدم فى الوجود والتنصيص عليه فى القران العظيم فليس فى التشبيه
شائبة اشعار بافضلية المشبه به من المشبه فضلا عن ايهام افضليته مما تعلق به الثانى وانما
ذكروا بعنوان الاقتسام انكارا لاتصافهم به مع تحقق ما ينفيه من الانزال المذكور وايذانا
بانه كان من حقهم ان يؤمنوا بكله حسب ايمانهم بما انزل عليهم بحكم الاشتراك فى العلة والاتحاد
فى الحقيقة التى هى مطلق الوحى وتوسيط قوله تعالى لا تمدن الى اخره لكمال اتصاله بما هو المقصود من
بيان حال ما اوتى النبى عليه السلام ولقد بين اولا علو شانه ورفعة مكانه بحيث يستوجب
اغتباطه عليه السلام بمكانه واستغناؤه به عما سواه ثم نهى عن الالتفات الى زهرة الدنيا وعن
عن ايثارها لاهلها بالتمتع المنبئ عن كون شأن اهلها ثم عن الحزن بعدم ايمان المنهمكين فيها
وامر بمراعاة المؤمنين والاكتفاء بهم عن غيرهم وباظهار قيامه بمواجب الرسالة ومراسم النذارة
حسبما فصل فى تضاعيف ما اوتى من القران العظيم ثم رجع الى كيفية اتيانه على وجه اومئ فيه
ما ينزع سيه المنكرين ويستتر فيه من العناد من بيان مشاركته لما لا ريب لهم فى كونه وحيا صادقا
سامل والله عنده علم الكتاب هذا وقد قيل المعنى قل انى انا النذير المبين كما قد انزلنا فى الكتب
انك ستاتى نذيرا على ان المقتسمين اهل الكتاب يريد ان ما فى كما موصولة والمراد بالمشابهة المستفادة
من الكاف الموافقة وهى مع ما فى حيزها فى محل النصب على الحالية من مفعول قل اى قل هذا القول
حال كونه كما انزلنا على اهل الكتابين اى موافقا لذلك فالانسب حينئذ حمل الاقتسام على التحريف ليكون
وصفهم بذلك تعريضا بما فعلوا من تحريفهم وكتمانهم لنعت النبى عليه السلام وقوله تعالى عضين
جمع عضة وهى الفرقة اصلها عضوة فعلة من عضى الشاة تعضية اذا جعلها اعضاء وانما جمعت
جمع السلامة جبرا للمحذوف كسنين وعزين والتعبير عن تجزية القران بالتعضية التى هى تفريق الاعضاء
من ذى الروح المستلزم لازالة حياته وابطال اسمه دون مطلق التجزية والتفريق اللذين ربما يوجدان
فيما لا يضره التبعيض من المثليات للتنصيص على كمال قبح ما فعلوه بالقران العظيم وقيل هى فعلة
من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلسان قريش فنقصانها على الاول واو وعلى الثانى
هاء فوربك لنسألنهم اجمعين اى لنسألن يوم القيامة اصناف الكفرة من المقتسمين وغيرهم سؤال توبيخ
وتقريع عما كانوا يعملون فى الدنيا من قول وفعل وترك فيدخل فيه ما ذكر من الاقتسام والتعضية
دخولا اوليا ولنجزينهم بذلك الجزاء موفورا وفيه من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى والفاء
لترتيب الوعيد على اعمالهم التى ذكر بعضها وفى التعرض بوصف الربوبية مضافا اليه عليه السلام
اظهار اللطف به عليه السلام فاصدع بما تؤمر فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا او افرق
بين الحق والباطل واصله الابانة والتمييز وما مصدرية او موصولة والعائد محذوف اى بما تؤمر
به من الشرائع المودعة فى تضاعيف ما اوتيته من المثانى السبع والقران العظيم واعرض عن المشركين
اى لا تلتفت الى ما يقولون ولا تبال بهم ولا تهتم للانتقام منهم انا كفيناك المستهزئين بقمعهم
وتدميرهم قيل كانوا خمسة من اشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث بن قيس
بن الطلاطلة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى عليه السلام والاستهزاء
به فنزل جبريل عليه السلام مر به مستهزئا به فنزل جبريل عليه السلام فقال امرت ان اكفيكهم
فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه
فقطعه فمات واومى الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله
حتى صارت كالرحى فمات واشار الى عينى الاسود بن المطلب فعمى والى انف الحارث فامتخط قيحا فمات
والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل الشجرة فجعل ينطح راسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك
حتى مات الذين يجعلون مع الله الها اخر وصفهم بذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وتهوين للخطب عليه باعلام انهم لم يقتصروا على الاستهزاء عليه السلام بل اجترؤا العظيمة التى هى
الاشراك بالله سبحانه وتعالى فسوف يعلمون عاقبة ما يأتون ويذرون ولقد نعلم انك يضيق
صدرك بما يقولون من كلمات الشرك والطعن فى القران والاستهزاء بك وتحلية الجملة بالتأكيد
لافادة تحقيق ما تضمنه من التسلية وصيغة الاستقبال لافادة استمرار العلم حسب استمرار
متعلقه باستمرار ما يوجبه من اقوال الكفرة فسبح بحمد ربك فافزع الى الله تعالى فيما نابك من
ضيق الصدر والحرج بالتسبيح والتقديس ملتبسا بحمده وفى التعرض لعنوان الربوبية

مع الاضافة الى ضميره عليه السلام ما لا يخفى من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار
بعلته الحكم اعنى الامر بالتسبيح والحمد وكن من الساجدين اى المصلين يكفك ويكشف الغم عنك او فنزه
عما يقولون ملتبسا بحمده على ان هداك للحق المبين وعنه عليه السلام انه كان اذا حزنه امر فزع الى
الصلاة واعبد ربك دم على ما انت عليه من عبادته تعالى وايثار الاظهار بالعنوان السابق
انفا لتاكيد ما سبق من اظهار اللطف به عليه السلام والاشعار بعلة الامر بالعبادة حتى يأتيك
اليقين اى الموت فانه متيقن اللحوق بكل حى مخلوق واسناد الاتيان اليه للايذان بانه متوجه الى
الحى طالب للموصول اليه والمعنى دم على العبادة ما دمت حيا من غير اخلال بها لحظة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين
والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم اتى امر الله اى الساعة او ما يعمها وغيرها من القدر الموعود كالعزة عبر
عن ذلك بامر الله للتفخيم والتهويل وللايذان بان تحققه فى نفسه واتيانه منوط بحكمه النافذ
وقضائه الغالب واتيانه عبارة عن دنوه واقترابه على طريقة نظم التوقع فى سلك الواقع
او عن اتيان مباديه القريبة على نهج اسناد حال الاسباب الى المسببات وايا ما كان ففيه تنبيه
على كمال قربه من الوقوع واتصاله به وتكميل لحسن موقع التفريع فى قوله عز وجل فلا تستعجلوه
فان النهى عن استعجال الشىء وان صح تفريعه على قرب وقوعه او على وقوع اسبابه القريبة لكنه ليس
بمثابة تفريعه على وقوعه اذ بالوقوع يستحيل الاستعجال واسناد الاتيان بما ذكر من قرب وقوعه ووقوع
مباديه والخطاب للكفرة خاصة كما يدل عليه القراءة على صيغة نهى الغائب واستعجالهم وان كان
بطريق الاستهزاء لكنه حمل على الحقيقة ونهوا عنه بضرب من التهكم لا مع المؤمنين سواء اريد بامر
الله ما ذكر او العذاب الموعود للكفرة خاصة اما الاول فلانه لا يتصور من المؤمنين استعجال الساعة
وما يعمها وغيرها من العذاب حتى يعمهم النهى عنه واما الثانى فلان استعجالهم له بطريق الحقيقة واستعجال
الكفرة بطريق الاستهزاء كما عرفته فلا ينتظمهما صيغة واحدة والالتجاء الى ارادة معنى مجازى يعمهما
معا من غير ان يكون هناك رعاية نكتة سرية تعسف لا يليق بشأن التنزيل الجليل وما روى من
انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيمة قد قربت فامسكوا عن
بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما تأخرت قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم
فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت
اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فلما نزلت فلا تستعجلوه
اطمأنوا فليس فيه دلالة على عموم الخطاب كما قيل لا لما توهم من ان التصلية بالقاء بابه فانه بمعزل
من اباء حسبما تحققته بل لان مناط اطمئنانهم انما هو وقوفهم على ان المراد بالاتيان هو الاتيان
الادعائى لا الحقيقى الموجب لاستحالة الاستعجال المستلزم لانتفاع النهى عنه لما ان النهى عن الشىء
يقتضى امكانه فى الجملة ومدار ذلك الوقوف انما هو النهى عن الاستعجال المستلزم لامكانه المقتضى
لعدم وقوع المستعجل بعد ولا يختلف ذلك باختلاف المستعجل كائنا من كان بل فيه دلالة واضحة
على عدم العموم لان المراد بامر الله انما هو الساعة وقد عرفت استحالة صدور استعجالها عن المؤمنين
نعم يجوز تخصيص الخطاب بهم على تقدير كون امر الله عبارة عن العذاب الموعود للكفرة خاصة لكن
الذى يقتضيه الاعجاز التنزيلى انه خاص بالكفرة كما ستقف عليه ولما كان استعجالهم ذلك من
نتائج اشراكهم المستتبع لنسبة الله عز وجل الى ما لا يليق به من العجز والاحتياج الى الغير واعتقاد
ان احدا يعجزه عن انجاز وعده او امضاء وعيده وقد قالوا فى تضاعيفه ان صح مجىء العذاب فالاصنام
تخلصنا عنه بشفاعتهم رد ذلك فقيل بطريق الاستئناف سبحانه وتعالى عما يشركون اى تنزه وتقدس
بذاته وجل عن اشراكهم المؤدى الى صدور امثال هذه الاباطيل عنهم او عن ان يكون له شريك فيدفع ما
اراده بهم بوجه من الوجوه وصيغة الاستقبال للدلالة على تجدد اشراكهم واستمراره والالتفات
الى الغيبة للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم للاعراض عنهم وطرحهم عن رتبة الخطاب وحكاية شنائعهم
لغيرهم وعلى تقدير تخصيص الخطاب بالمؤمنين يفوت هذه النكتة كما يفوت ارتباط المنهى عنه بالمنزه
عنه وقرئ على صيغة الخطاب ينزل الملئكة بيان لتحتم التوحيد حسبما نبه عليه تنبيها اجماليا

ببيان تقدس جناب الكبرياء وتعاليه عن ان يحوم حوله شائبة ان يشاركه شىء فى شىء وابتدائنا به
دين اجمع عليه جمهور الانبياء عليهم السلام وامروا بدعوة الناس اليه مع الاشارة الى سر البعثة
والتشريع وكيفية القاء الوحى والتنبيه على طريق علم الرسول صلى الله عليه وسلم باتيان ما اوعدهم به
وباقترابه ازاحة لاستبعادهم اختصاصه عليه السلام بذلك واظهارا لبطلان رأيهم فى الاستعجال
والتكذيب وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بان ذلك عادة مستمرة له سبحانه والمراد بالملئكة اما
جبريل عليه السلام قال الواحدى يسمى الواحد بالجمع اذا كان رئيسا او هو ومن معه من حفظة الوحى
بامر الله تعالى وقرئ ينزل من الانزال وتنزل بحذف احدى التاءين وعلى صيغة المبنى للمفعول من التنزيل
بالروح اى بالوحى الذى من جملته القران على نهج الاستعارة فانه يحيى القلوب الميتة بالجهل او يقوم
فى الدين مقام الروح فى الجسد والباء متعلقة بالفعل او بما هو حال من مفعوله ملتبسين بالروح
من امره بيان للروح الذى اريد به الوحى فانه امر بالوحى او حال منه اى حال كونه ناشئا ومبتدأ منه
او صفة له على رأى من جوز حذف الموصول مع بعض صلته اى بالروح الكائن من امره الناشئ منه
او متعلق بينزل ومن للسببية كالباء مثل ما فى قوله تعالى مما خطاياهم اى تنزل بهم بامره على من يشاء من
عباده اى ينزلهم به عليهم لاختصاصهم بصفات تؤهلهم لذلك ان انذروا بدل من الروح اى ينزلهم
ملتبسين بان انذروا اى بهذا القول والمخاطبون به الانبياء الذين نزلت الملئكة عليهم عليهم السلام
والامر هو الله سبحانه والملئكة نقلة للامر كما يشعر به الباء فى المبدل منه وان اما مخففة من ان
وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف اى ينزلهم ملتبسين بان الشان اقول لكم انذروا او مفسرة على
ان تنزيل الملئكة بالوحى فيه معنى القول كانه قيل يقول بواسطة الملئكة لمن يشاء من عباده انذروا
فلا محل لها من الاعراب او مصدرية لجواز كون صلتها انشائية كما فى قوله تعالى وان اقم وجهك
حسبما ذكر فى اوائل سورة هود فمحلها الجر على البدلية ايضا والانذار الاعلام خلا انه مختص باعلام
المحذور من نذر بالشىء اذا علمه فحذره وانذره بالامر انذارا اى اعلمه وحذره وخوفه فى ابلاغه كذا
فى القاموس اى اعلموا الناس انه لا اله الا انا فالضمير للشان ومدار وضعه موضعه ادعى شهرته
المغنية عن التصريح به وفائدة تصدير الجملة به الايذان من اول الامر بفخامة مضمونها مع ما فيه
من زيادة تقرير له فى الذهن فان الضمير لا يفهم منه ابتداء الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا
لما يعقبه فيتمكن لديه عند وروده فضل تمكن كانه قيل انذروا ان الشان الخطير هذا وايراده
مضمونه عن المحذور ليس لذاته بل من حيث اتصاف المنذرين بما يضاده من الاشراك وذلك كاف
فى كون اعلامه انذارا وقوله سبحانه وتعالى فاتقون خطاب للمستعجلين على طريقة الالتفات والفاء
فصيحة اى اذا كان الامر كما ذكر من جريان عادته تعالى بتنزيل الملئكة على الانبياء عليهم السلام
وامرهم بان ينذروا الناس انه لا شريك له فى الالوهية فاتقون فى الاخلال بمضمونه ومباشرة
ما ينافيه من الاشراك وفروعه التى من جملتها الاستعجال والاستهزاء وبعد تمهيد الدليل
السمعى للتوحيد شرع فى تحرير الادلة العقلية فقيل خلق السموات والارض بالحق اى اوجدهما على
ما هما عليه من الوجه اللائق والنمط الانيق تعالى وتقدس بذاته لا سيما بافعاله التى من جملتها
ابداع هذه المخلوقين عما يشركون اى اشراكهم المعهود او عن شركة ما يشركونه من الباطل الذى لا يبدئ
ولا يعيد وبعد ما نبه على صنعه الكلى المنطوى على تفاصيل مخلوقاته شرع فى تعداد ما فيه من خلائقه
مبتدأ بافعاله المتعلق بالانفس فقال خلق الانسان اى هذا النوع غير الفرد الاول منه من نطفة
جماد لا حس له ولا حراك سيال لا يحفظ شكلا ولا وضعا فاذا هو بعد الخلق خصيم منطيق مجادل
عن نفسه مكافح للخصوم مبين لحجته لقن بها وهذا انسب بمقام الامتنان باعطاء القدرة على الاستدلال
بذلك على قدرته تعالى ووحدته او مخاصم لخالقه منكر له قائل من يحيى العظام وهى رميم وهذا انسب
بمقام تعداد هنات الكفرة روى ان ابى بن خلف الجمحى اتى النبى عليه السلام بعظم رميم فقال يا محمد
اترى الله تعالى يحيى هذا بعد ما قد رم فنزلت والانعام وهى الازواج الثمانية من الابل والبقر
والضأن والمعز وانتصابها بمضمر يفسره قوله تعالى خلقها او بالعطف على الانسان وما بعده بيان
ما خلق لاجله والذى بعده تفصيل لذلك وقوله لكم اما متعلق بخلقها وقوله فيها خبر مقدم
وقوله دفء مبتدأ وهو ما يدفأ به فيقى من البرد والجملة حال من المفعول او الظرف الاول
خبر للمبتدأ المذكور وفيها حال من دفء اذ لو تأخر لكان صفة ومنافع هى درها وركوبها وحملها والحراثة
بها وغير ذلك وانما عبر عنها بها ليتناول الكل مع انه الانسب بمقام الامتنان بالنعم وتقديم الدفء
على المنافع لرعاية اسلوب الترقى الى الاعلى ومنها تأكلون اى تأكلون ما يؤكل منها من اللحوم والشحوم

وغير ذلك وتغيير النظم للايماء الى انها لا تبقى عند الاكل كما في السابق ولا للاحتراز عن الدفء
والمنافع والجمال يحصل منها وهي باقية على حالها ولذلك جعلت محالا لها بخلاف الاكل وتقديم الظرف
للايذان بان الاكل منها هو المعتاد المعتمد في المعاش وان الاكل مما عداها من الدجاج والبط وصيد
البر والبحر من قبيل التفكه مع ان فيه مراعاة للفواصل ويحتمل ان يكون معنى الاكل منها اكل ما يحصل
بسببها فان الحبوب والثمار المأكولة تكتسب باكراء الابل وباثمان نتاجها والبانها وجلودها ولكم فيها
جمال اي زينة في اعين الناس ووجاهة عندهم حين تريحون ردها
من مراعيها الى مراحها بالعشي وحين تسرحون تخرجونها بالغداة من حظائرها الى مسارحها فالمفعول
محذوف من كلا الفعلين لرعاية الفواصل وتعيين الوقتين لان ما يدور عليه الجمال من تزيين الافنية
والاكناف بها وبتجاوب ثغائها ورغائها انما هو عند ورودها وصدورها في ذينك الوقتين واما
عند كونها في المراعي فينقطع اضافتها الحسية الى اربابها وعند كونها في الحظائر لا يراها راء ولا ينظر
اليها ناظر وتقديم الاراحة على التسريح لتقدم الورود على الصدور ولكونها اظهر منه في استتباع
ما ذكر من الجمال واتم في استجلاب الانس والبهجة اذ فيها حضور بعد غيبة واقبال بعد ادبار على احسن
ما يكون ملاء البطون متنعمة الضلوع حافلة الضروع وقرئ حينا تريحون وحينا تسرحون على
ان كلا الفعلين وصف لحينا بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه وتحمل اثقالكم جمع ثقل وهو متاع
المسافر وقيل اثقالكم اجرامكم الى بلد قال ابن عباس رضي الله عنه اريد به اليمن ومصر والشام
ولعله نظر الى انها متاجر اهل مكة وقال عكرمة اريد به مكة ولعله نظر الى ان اثقالهم
واحمالهم عند القفول من متاجرهم اكثر وحاجتهم الى الحمولة امس والظاهر انه عام لكل بلد لم تكونوا
بالغيه واصلين اليه بانفسكم مجردين عن الاثقال لولا الابل الا بشق الانفس فضلا عن استصحابها
معكم وقرئ بفتح الشين وهما لغتان بمعنى الكلفة والمشقة وقيل المفتوح مصدر من شق الامر
عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع والمكسور النصف كانه يذهب نصف القوة
لما يناله من الجهد فالاضافة الى الانفس مجازية او على تقدير مضاف اي الا بشق قوى الانفس
وهو استثناء مفرغ من اعم الاشياء اي لم تكونوا بالغيه بشيء من الاشياء الا بشق الانفس ولعل تغيير النظم
الكريم السابق الدال على كون الانعام مدارا للنعم السابقة الى الجملة الفعلية المفيدة لمجرد الحدوث
للاشعار بان هذه النعمة ليست في العموم بحسب المنشأ وبحسب المتعلق وفي الشمول للاوقات
والاطراد في الاحيان المعهودة بمثابة النعم السالفة فانها بحسب المنشأ خاصة بالابل وبحسب
المتعلق بالضاربين في الارض المتقلبين فيها للتجارة وغيرها في احايين غير مطردة واما سائر النعم
المعدودة فموجودة في جميع اصناف الانعام وعامة لكافة المخاطبين دائما او في عامة الاوقات
ان ربكم لرءوف رحيم ولذلك اسبغ عليكم هذه النعم الجليلة ويسر لكم الامور الشاقة والخيل هو
اسم جنس للفرس لا واحد له من لفظه كالابل وهو عطف على الانعام اي خلق الخيل والبغال والحمير
لتركبوها تعليل بمعظم منافعها والا فالانتفاع بها بالحمل ايضا مما لا ريب في تحققه وزينة عطف
على محل لتركبوها وتجريده عن اللام لكونه فعلا لفاعل الفعل المعلل دون الاول وتأخيره لان
الركوب اهم منه او مصدر لفعل محذوف اي وتتزينون بها زينة وقرئ بغير واو اي خلقها زينة
لتركبوها ويجوز ان يكون مصدرا واقعا موقع الحال من فاعل تركبوها او مفعوله اي متزينين
بها او متزينا بها ويخلق ما لا تعلمون اي يخلق في الدنيا غير ما عدد من اصناف النعم فيكم ولكم ما لا
تعلمون كنهه وكيفية خلقه فالعدول الى صيغة الاستقبال للدلالة على الاستمرار والتجدد او
لاستحضار الصورة او يخلق لكم في الجنة غير ما ذكر من النعم الدنيوية ما لا تعلمون اي ما ليس من شأنكم
ان تعلموه وهو ما اشير اليه بقوله عليه السلام حكاية عن الله عز وجل اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ويجوز ان يكون هذا اخبارا بانه
سبحانه وتعالى يخلق من الخلائق ما لا علم لنا به دلالة على قدرته الباهرة الموجبة للتوحيد كنعمته
الباطنة والظاهرة عن ابن عباس رضي الله عنه ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات
السبع والبحار السبعة يدخل فيه جبريل عليه السلام كل سحر فيغتسل فيزداد نورا الى نوره وجمالا
الى جماله وعظما الى عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع من ريشه كذا وكذا الف ملك
فيدخل منهم كل يوم سبعون الف ملك البيت المعمور وسبعون الف ملك الكعبة لا يعودون
اليه الى يوم القيمة وعلى الله قصد السبيل القصد مصدر بمعنى الفاعل يقال سبيل قصد وقاصد
اي مستقيم على طريق الاستعارة او على نهج اسناد حال سالكه اليه كانه يقصد الوجه الذي يؤمه

السالك

السالك لا يعدل عنه اي حقه عليه سبحانه وتعالى بموجب رحمته ووعده المحتوم بيان الطريق
المستقيم الموصل لمن يسلكه الى الحق الذي هو التوحيد بنصب الادلة وارسال الرسل وانزال الكتب
لدعوة الناس اليه او مصدر بمعنى الاقامة والتعديل قاله ابو البقاء اي عليه عز وجل تقويمها
وتعديلها اي جعلها بحيث يصل سالكها الى الحق لكن لا بعد ما كانت في نفسها منحرفة عنه بل ابتداء
كذلك على نهج قوله سبحانه وتعالى من صغر البعوض وكبر الفيل وحقيقته راجعة الى ما ذكر
من نصب الادلة وقد فعل ذلك حيث ابدع هذه البدائع التي كل واحد منها لاحب يهتدى
بمناره وعلم يستضاء بناره وارسل رسلا مبشرين ومنذرين وانزل عليهم كتبا من جملتها هذا الوحي
الناطق بحقيقة الحق الفاحص عن كل ما جل من الاسرار ودق الهادي الى سبيل الاستدلال
بتلك الادلة المفضية الى معالم الهدى المنجية عن غيابات الضلالة ومهاوي الردى الا ترى كيف
بين اولا تنزه جناب الكبرياء وتعاليه بحسب الذات عن ان يحوم حوله شائبة توهم الاشتراك
ثم اوضح شأن الوحي على الانبياء عليهم السلام وكيفية امرهم بانذار الناس ودعوتهم الى التوحيد
ونهيهم عن الاشتراك ثم كر على بيان تعاليه عن ذلك بحسب الافعال مرشدا الى طريقة الاستدلال
فبدأ بفعله المتعلق بمحيط العالم الجسماني ومركزه بقوله تعالى خلق السموات والارض تعالى
عما يشركون ثم فصل افعاله المتعلقة بما بينهما فبدأ بفعله المتعلق بانفس المخاطبين ثم ذكر ما
يتعلق بما لا بد لهم منه في معايشهم ثم بين قدرته على خلق ما لا يحيط به علم البشر بقوله ويخلق
ما لا تعلمون وكل ذلك كما ترى بيان سبيل التوحيد اي بيان وتعديل له ايما تعديل فالمراد
بالسبيل على الاول الجنس بدليل اضافة القصد اليه وقوله تعالى ومنها جائر في محل الرفع على الابتداء اما
باعتبار مضمونه واما بتقدير الموصوف كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك وقد مر في قوله تعالى ومن
الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر الى آخره اي بعض السبيل او بعض من السبيل فانها تؤنث
وتذكر جائر اي مائل عن الحق منحرف عنه لا يوصل سالكه اليه وهو طرق الضلال التي لا يكاد يحصى
عددها المندرج كلها تحت الجائر وعلى الثاني نفس السبيل المستقيم الضمير في منها راجع اليها بتقدير
المضاف اي ومن جنسها لما عرفت من ان التعديل للسبيل وتقويمها ابداعها ابتداء على وجه الاستقامة
والعدالة لا تقويمها بعد انحرافها واياما كان فليس في النظم الكريم تغيير الاسلوب رعاية لامر مطلق
كما قيل فان ذلك انما يكون فيما اقتضى الظاهر سبكا معينا ولكن يعدل عن ذلك لنكتة اهم منه كما في
قوله سبحانه وتعالى الذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين فان مقتضى الظاهر ان يقال
والذي يسقمني ويشفين ولكن عبر الى ما عليه النظم الكريم تفاديا عن اسناد ما تكرهه النفس اليه
سبحانه وليس المراد ببيان قصد السبيل مجرد اعلام انه مستقيم حتى يصح اسناد انه جائر اليه
تعالى فيحتاج الى الاعتذار عن عدمه ذلك على انه لو اريد ذلك لم يوجد لتغيير الاسلوب نكتة
وقد بين ذلك في مواضع غير معدودة بل المراد ما مر من نصب الادلة لهداية الناس اليه
ولا امكان لاسناد مثله اليه تعالى بالنسبة الى الطريق الجائر بان يقال وجائرها حتى يصرف
ذلك الاسناد منه تعالى الى غيره لنكتة تستدعيه ولا يتوهمه متوهم حتى تقتضي حاله
وقع ذلك بان يقال لا جائرها ثم يغير سبك النظم عن ذلك لداعية اقوى منه بل الجملة الظرفية
اعتراضية جيء بها لبيان الحاجة الى البيان والتعديل واظهار جلالة قدر النعمة في ذلك والمعنى
على الله تعالى بيان الطريق المستقيم الموصل الى الحق وتعديله بما ذكر من نصب الادلة ليسلكه
الناس باختيارهم ويصلوا الى المقصد وهذا هو الهداية المفسرة بالدلالة على ما يوصل الى المطلوب
لا الهداية المستلزمة للاهتداء البتة فان ذلك مما ليس بحق على الله تعالى لا بحسب ذاته
ولا بحسب رحمته بل هو مخل بحكمته حيث يستدعي تسوية المحسن والمسيء والمطيع والعاصي
بحسب الاستعداد واليه اشير بقوله ولو شاء لهداكم اجمعين اي ولو شاء ان يهديكم الى ما ذكر من
التوحيد هداية موصلة البتة مستلزمة لاهتدائكم اجمعين لفعل ذلك ولكن لم يشأه لان مشيئته
تابعة للحكمة الداعية اليها ولا حكمة في تلك المشيئة لما ان الذي عليه يدور فلك التكليف واليه
ينسحب الثواب والعقاب انما هو الاختيار الجزئي الذي عليه يترتب الاعمال التي بها نيط الجزاء
هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن الانتظام وقد فسر كون قصد السبيل عليه تعالى
بانتهائه اليه على نهج الاستقامة وايثار حرف الاستعلاء على اداة الانتهاء لتأكيد الاستقامة
على وجه تمثيلي من غير ان يكون هناك استعلاء لشيء عليه سبحانه وتعالى عنه علوا كبيرا كما في
قوله تعالى هذا صراط علي مستقيم فالقصد مصدر بمعنى الفاعل والمراد بالسبيل الجنس كما مر

وقوله تعالى ومنها جائر معطوف على الجملة الاولى والمعنى ان قصد السبيل واصل اليه تعالى
بالاستقامة وبعضها منحرف عنه ولو شاء لهداكم اجمعين الى الاول وانت خبير بان هذا حق في نفسه
ولكنه بمعزل عن نكتة موجبة لتوسيط بين ما سبق من ادلة التوحيد وبين ما لحق ولما بين
الطريق السمعي للتوحيد على وجه اجمالي وفصل بعض ادلته المتعلقة باحوال الحيوانات وعقب
ذلك ببيان السر الداعي اليه بعثا للمخاطبين على التامل فيما سبق وحثا على حسن التلقي لما لحق
اتبع ذلك ذكر ما يدل عليه من احوال النبات فقيل هو الذي انزل بقدرته الباهرة من السماء اي من
السحاب او من جانب السماء ماء اي نوعا منه وهو المطر وتاخيره عن المجرور لما مر مرارا من ان المقصد
هو الاخبار بانه انزل من السماء شيئا هو الماء لا انه انزل له من السماء والسر فيه ما سلف من ان عندنا
خير من ان عند تاخير ما حقه التقديم يبقى الذهن مترقبا مشتاقا اليه فيتمكن لديه عند وروده
عليه فضل تمكن لكم منه شراب اي ما تشربونه وهو اما مرتفع بالظرف الاول او مبتدا وهو
خبره والجملة صفة لماء والظرف الثاني نصب على الحالية من شراب ومن تبعيضية وليس في تقديمه
ايهام حصر المشروب فيه حتى يفتقر الى الاعتذار بانه لا باس به لان مياه العيون والابار
منه لقوله تعالى فسلكه ينابيع في الارض وقوله تعالى فاسكناه في الارض وقيل الظرف الاول
متعلق بانزل والثاني خبر لشراب والجملة صفة لماء وانت خبير بان ما فيه من توسيط المنصوب
بين المجرورين وتوسيط الثاني منهما بين الماء وصفته مما لا يليق بجزالة النظم التنزيل الجليل
ومنه شجر من ابتدائية اي ومنه يحصل شجر ترعاه المواشي والمراد به ما ينبت من الارض سواء
كان له ساق اولا او تبعيضية مجازا لانه لما كان سقيه من الماء جعل كانه منه كقوله
اسنمة الآبال في ربابه ● يعني المطر الذي ينبت به الكلأ الذي تأكله الابل فتسمن اسنمتها وفي
حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت يعني الكلأ فيه تسيمون ترعون من سامت
الماشية واسامها صاحبها واصلها السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات في الارض
ينبت اي الله عز وجل وقرئ بالنون لكم به بما انزل من السماء الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
بيان للنعم الفائضة عليهم من الارض بطريق الاستئناف وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على
التجدد والاستمرار وانها سنته الجارية على ممر الدهور او لاستحضار صورة الانبات وتقديم
الظرفين على المفعول الصريح لما مر آنفا مع ما في تقديم اولهما من الاهتمام به لادخال المسرة ابتداء
وتقديم الزرع على ما عداه لانه اصل الاغذية وعمود المعاش وتقديم الزيتون لما فيه من
الشرف من حيث انه ادام من وجه وفاكهة من وجه وتقديم النخيل على الاعناب لظهور اصالتها
وبقائها وجمع الاعناب للاشارة الى ما فيها من الاشتمال على الاصناف المختلفة وتخصيص الانواع
المعدودة بالذكر مع اندراجها تحت قوله ومن كل الثمرات للاشعار بفضلها وتقديم الشجر عليها
مع كونه غذاء للانعام لحصوله بغير صنع من البشر وللارشاد الى مكارم الاخلاق فان
مقتضاها ان يكون اهتمام الانسان بامر ما تحت يده اكمل من اهتمامه بامر نفسه او لان اكثر
المخاطبين من اصحاب المواشي ليس لهم زرع ولا نخيل وقيل المراد تقديم ما يسام لا تقديم علفه
فان غذاء حيوان للانسان وهو اشرف الاغذية وقرئ ينبت من الثلاثي مسند الى الزرع وما
عطف عليه ان في ذلك اي في انزال الماء وانبات ما فصل لآية عظيمة دالة على تفرده تعالى
بالالوهية لاشتماله على كمال العلم والقدرة والحكمة لقوم يتفكرون فان من تفكر في ان الحبة
والنواة تقع في الارض وتصل اليهما نداوة تنفذ فيهما فينشق اسفلها فيخرج منه عروق
تنبسط في اعماق الارض وينشق اعلاها وان كانت منتكسة في الوقوع ويخرج منه ساق فينمو
ويخرج منه الاوراق والازهار والحبوب والثمار المشتملة على اجسام مختلفة الاشكال والالوان
والخواص والطبائع وعلى نواة قابلة لتوليد الامثال على النمط المحرر لا الى نهاية مع اتحاد المواد
واستواء نسبة الطبائع السفلية والتاثيرات العلوية بالنسبة الى الكل علم ان من هذه افعاله
واثاره لا يمكن ان يشبهه شيء في شيء من صفات الكمال فضلا عن ان يشاركه اخس الاشياء في اخص
صفاته التي هي الالوهية واستحقاق العبادة تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحيث افتقر سلوك هذه
الطريقة الى ترتيب المقدمات الفكرية قطع الآية الكريمة بالتفكر وسخر لكم الليل والنهار يتعاقبان
خلفة لمنامكم ومعاشكم ولعقد الثمار وانضاجها والشمس والقمر يدأبان في سيرهما وانا
رتهما اصالة وخلافة واصلاحهما لما نيط بهما صلاحه من المكونات التي من جملتها ما فصل
واجمل كل ذلك لمصالحكم ومنافعكم وليس المراد بتسخيرها لهم تمكينهم في تصرفها كيف شاؤوا كما في قوله

تعالى

تعالى سبحان الذي سخر لنا هذا ونظائره بل هو تصريفه تعالى لها حسبما يترتب عليه منافعهم ومصالحهم
كان ذلك تسخيرا لهم وتصرفا من قبلهم حسب ارادتهم وفي التعبير عن ذلك التصريف بالتسخير ايماء الى ما في
المسخرات من صعوبة المأخذ بالنسبة الى المخاطبين وايثار صيغة الماضي للدلالة على ان ذلك امر واحد
مستمر وان تجددت اثاره والنجوم مسخرات بامره مبتدأ وخبر اي سائر النجوم في حركاتها واوضاعها من
التثليث والتربيع ونحوهما مسخرات لله تعالى او لما خلقهن له بارادته ومشيئته وحيث لم يكن عود منافع
النجوم اليهم في الظهور بمثابة ما قبلها من الملوين والقمرين ولم يصحب تسخيرها اليهم بارادة الاختصاص بل
ذكر على وجه يفيد كونها تحت ملكوته تعالى من غير دلالة على شيء آخر ولذلك عدل عن الجملة الفعلية
الدالة على الحدوث الى الاسمية المفيدة للدوام والاستمرار وقرئ برفع الشمس والقمر ايضا وقرئ بنصب
النجوم على انه مفعول اول لفعل مقدر ينبئ عنه الفعل المذكور ومسخرات مفعول ثان له اي وجعل النجوم
مسخرات بامره او على انه معطوف على المنصوبات ومسخرات حال من الكل والعامل ما في سخر من معنى نفع اي
نفعكم بها حال كونها مسخرات لله الذي خلقها ودبرها كيف شاء او لما خلقهن له بايجاده وتقديره او لحكمه
او مصدر ميمي جمع لاختلاف الانواع اي انواعا من التسخير وما قيل من ان فيه ايذانا بالجواب عما عسى يقال
ان المؤثر في تكوين النبات حركات الكواكب واوضاعها بان ذلك ان سلم فلا ريب في انها ايضا امور ممكنة
الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه الممكنة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود
دفعا للدور والتسلسل فمبناه حسبان ما ذكر ادلة على وجود الصانع تعالى وقدرته واختياره وانت تدري
ان ليس الامر كذلك فانه ليس مما ينازع فيه الخصم ولا يتلعثم في قبوله قال تعالى ولئن سألتهم من خلق
السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون وقال ولئن سألتهم من نزل من
السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله الآية وانما ذلك ادلة التوحيد من حيث ان من هذا
شانه لا يتوهم ان يشاركه شيء فضلا عن ان يشاركه الجماد في الالوهية ان في ذلك اي فيما ذكر من
التسخير المتعلق بما ذكر مجملا او مفصلا لآيات باهرة متكاثرة لقوم يعقلون وحيث كانت هذه الآثار
العلوية متعددة ودلالة ما فيها من عظيم القدرة والعلم والحكمة على الوحدانية اظهر جمع الآيات
وعلقت بمجرد العقل من غير حاجة الى التامل والتفكر ويجوز ان يكون المراد لقوم يعقلون ذلك فالمشار
اليه حينئذ تعاجيب الدقائق المودعة في العلويات المدلول عليها بالتسخير الذي لا يتصدى لمعرفتها
الا المهرة من اساطين علماء الحكمة ولا ريب في ان احتياجها الى التفكر اكثر وما ذرأ عطف على قوله تعالى
والنجوم رفعا ونصبا على انه مفعول لجعل اي وما خلق لكم في الارض من حيوان او نبات حال كونه
مختلفا الوانه اي اصنافه فان اختلافها غالبا يكون باختلاف اللون مسخرا لله تعالى او لما خلق له من
الخواص والاحوال والكيفيات او جعل ذلك مختلف الالوان اي الاصناف لتتمتعوا من ذلك باي صنف
شئتم وقد عطف على ما قبله من المنصوبات وعقب بان ذكر الخلق لهم مغن عن ذكر التسخير واعتذر بان
الاول لاستلزام الثاني لزوما عقليا لجواز ما خلق لهم عزيز المرام صعب المنال وقيل هو منصوب بفعل
مقدر اي خلق وانبت على ان قوله مختلفا الوانه حال من مفعوله ان في ذلك الذي ذكر من التسخيرات
ونحوها لآية بينة الدلالة على ان من هذا شانه واحد لا ند له ولا ضد لقوم يذكرون فان ذلك غير محتاج
الا الى تذكر ما عسى ان يغفل عنه من العلوم الضرورية واما ما يقال من ان اختلافها في الطباع
والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم فمداره ما لوحنا به من حسبان ما ذكر دليلا على اثبات
الصانع تعالى وقد عرفت حقيقة الحال فان ايراد ما يدل على اتصافه سبحانه وتعالى بما ذكر من صفات
الكمال ليس بطريق الاستدلال عليه بل من حيث ان ذلك من المقدمات المسلمة المحتج بها للاستدلال به على
ما يقتضيه ضرورة من وحدانيته تعالى واستحالة ان يشاركه شيء في الالوهية وهو الذي سخر البحر شروع
في تعداد النعم المتعلقة بالبحر اثر تفصيل النعم المتعلقة بالبر حيوانا ونباتا اي جعله بحيث تتمكنون من
الانتفاع به بالركوب والغوص والاصطياد لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك والتعبير عنه باللحم
مع كونه حيوانا للتلويح بانحصار الانتفاع به في الاكل ووصفه بالطراوة للاشعار بلطافته والتنبيه
على وجوب المسارعة الى اكله كيلا يتسارع اليه الفساد كما ينبئ عنه جعل البحر مبدأ اكله وللايذان
بكمال قدرته تعالى في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق ومن اطلاق اللحم عليه ذهب مالك والثوري الى
ان من حلف لا يأكل اللحم حنث باكله والجواب ان مبنى الايمان العرف ولا ريب في انه لا يفهم من
اللحم عند الاطلاق ولذلك لو امر خادمه بشراء اللحم فجاء بالسمك لم يكن ممتثلا بالامر الا يرى ان
الله تعالى سمى الكافر دابة حيث قال ان شر الدواب عند الله الذين كفروا ولا يحنث بركوبه من
حلف لا يركب دابة وتستخرجوا منه حلية كاللؤلؤ والمرجان تلبسونها عبر في مقام الامتنان عن

لبس نشأتهم بلبسهم لكونهن منهم او لكون لبسهن لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جوار فيه
مقبلة ومدبرة ومعترضة بريح واحدة تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل هو صوت
جرى الفلك ولتبتغوا عطف على تستخرجوا وما عطف هو عليه وما بينهما اعتراض لتمهيد مبادى
الابتغا ودفع توهم كونه باستخراج الحلية او على علة محذوفة اى لتنتفعوا ذكره الانبارى او
متعلقة بفعل محذوف اى وفعل ذلك لتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم
تشكرون اى تعرفون حقوق نعمه الجليلة فتقومون باداها بالطاعة والتوحيد ولعل تخصيص
هذه النعمة بالتعقيب بالشكر من حيث ان فيها قطعا لمسافة طويلة مع احمال ثقيلة فى مدة قليلة
من غير مزاولة اسباب السفر بل من غير حركة اصلا مع انها فى تضاعيف المهالك وعدم توسيط
الفوز بالمطالب بين الابتغا والشكر للايذان باستغنائه عن التصريح به وبحصولهما معا والقى فى
الارض رواسى اى جبالا ثوابت وقد مر تحقيقه فى اول سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميل
بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم فان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع
وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك او تتحرك بادنى سبب محرك فلما خلقت الجبال
تفاوتت خفافها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد وقيل لما خلق الله تعالى
الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ما هى بمقر احد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال
وانهارا اى وجعل فيها انهارا لان فى القى معنى الجعل وسبلا لعلكم تهتدون بها الى مقاصدكم وعلامات
معالم يستدل بها السابلة بالنهار من جبل ومنهل وريح وقد نقل ان جماعة يشمون التراب
ويتعرفون به الطرقات وبالنجم هم يهتدون بالليل فى البرارى والبحار حيث لا علامة غيره
والمراد بالنجم الجنس وقيل هو الثريا والفرقدان وبنات النعش والجدى وقرئ بضمتين وسكون
وهو جمع كرهن ورهن وقيل الاول بطريق حذف الواو من النجوم للتخفيف ولعل الضمير لقريش
فانهم كانوا كثيرى التردد للتجارة مشهورين بالاهتدا بالنجوم فى اسفارهم وصرف النظم عن سنن
الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون
فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم افمن يخلق هذه المصنوعات العظيمة ويفعل
هاتيك الافاعيل البديعة او يخلق كل شئ كمن لا يخلق شيئا اصلا وهو تبكيت للكفرة وابطال
لاشراكهم وعبادتهم للاصنام بانكار ما يستلزمه ذلك من المشابهة بينها وبينه سبحانه وتعالى بعد تعداد
ما يقتضى ذلك اقتضاء ظاهرا وتعقيب الهمزة بالفا لتوجيه الانكار الى ترتب توهم المشابهة المذكورة
على ما فصل من الامور العظيمة الظاهرة الاختصاص به تعالى المعلومة كذلك فيما بينهم حسبما
يؤذن ما تلوناه من قوله ولئن سألتهم الاية والاقتصار على ذكر الخلق من بينها لكونه اعظمها واظهرها
واستتباعه اياها او يكون كل منها خلقا مخصوصا اى ابعد ظهور اختصاصه تعالى ببدايته هذه
الشئون الواضحة الدلالة على وحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية واستبداده باستحقاق العبادة
يتصور المشابهة بينه وبين ما هو بمعزل من ذلك بالمرة كما فى قضية اشراككم ومدارها وان كان
على تشبيه غير الخالق بالخالق لكن التشبيه حيث كان نسبة تقوم بالمنتسبين اختير ما عليه النظم
الكريم مراعاة لحق سبق الملكة على العدم وتفاديا عن توسيطه عدمها بينها وبين جزئياتها ال
المفصلة قبلها وتنبيها على كمال قبح ما فعلوه من حيث ان ذلك ليس مجرد رفع الاصنام عن محلها
بل هو حط المنزلة الربوبية الى مرتبة الجمادات ولا ريب فى انه اقبح من الاول والمراد بمن لا
يخلق كل ما هذا شانه كائنا ما كان والتعبير عنه بما يختص بالعقلاء للمشاكلة او العقلا خاصة
ويعرف منه حال غيرهم بدلالة النص فان من يخلق حيث لم يكن كمن لا يخلق وهو من جملة العقلا
فما ظنك بالجماد واياما كان فدخول الاصنام فى حكم عدم المماثلة والمشابهة اما بطريق الاندراج
تحت الموصول العام واما بطريق الانفهام بدلالة النص على الطريقة البرهانية لا بانها هى
المرادة بالموصول خاصة افلا تذكرون اى الا تلاحظون فلا تتذكرون ذلك فانه لوضوحه
بحيث لا يفتقر الى شئ سوى التذكر وان تعدوا نعمة الله تذكير اجمالى لنعمه تعالى بعد تعداد
طائفة منها وكان الظاهر ايراده عقيبها تكملة لها على طريقة قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون
ولعل فصل ما بينهما بقوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق للمبادرة على الزام الحجة والقام الحجر
اثر تفصيل ما فصل من الافاعيل التى هى ادلة الوحدانية مع ما فيه من سر ستقف عليه ودلالتها
عليها وان لم تكن مقصورة على حيثية الخلق ضرورة ظهوره لدلالتها عليها من حيثية الانعام ايضا
لكنه حيث كانت من مستتبعات الحيثية الاولى استغنى عن التصريح بها ثم بين حالها بطريق الاجمال

اى

اى تعدوا نعمه الفائضة عليكم مما ذكر وما لم يذكر حسبما يعرب عنه قوله تعالى هو الذى خلق لكم
ما فى الارض جميعا لا تحصوها لا تطيقوا حصرها وضبط عددها ولو اجمالا فضلا عن القيام
بشكرها وقد خرجنا عن عهدة تحقيقه فى سورة ابراهيم بفضل الله سبحانه وتعالى ان الله
لغفور حيث يستر ما فرط منكم من كفرانها والاخلال بالقيام بحقوقها ولا يعاجلكم بالعقوبة على
ذلك رحيم حيث يفيضها عليكم مع استحقاقكم للقطع والحرمان بما تأتون وتذرون من اصناف
الكفر التى من جملتها عدم الفرق بين الخالق وغيره وكل من ذلك نعمة واى نعمة والجملة تعليل للحكم
بعدم الاحصا وتقديم وصف المغفرة على نعت الرحمة لتقدم التخلية على التحلية والله يعلم ما تسرون
تضمرونه من العقائد والاعمال وما تعلنون اى تظهرونه منها وحذف العائد لمراعاة الفواصل
اى يستوى بالنسبة الى علمه المحيط سركم وعلنكم وفيه من الوعيد والدلالة على اختصاصه
سبحانه وتعالى بنعوت الالهية ما لا يخفى وتقديم السر على العلن لما ذكرناه فى سورة البقرة من
من تحقيق المساواة بين علميه المتعلقين بهما على ابلغ وجه كان علمه تعالى بالسر اقدم منه بالعلن او لان
كل شئ يعلن فهو قبل ذلك مضمر فى القلب المتعلق علمه تعالى بحالته الاولى اقدم من تعلقه بحالته
الثانية والذين تدعون شروع فى تحقيق كون الاصنام بمعزل من استحقاق العبادة وتوضيحه
بحيث لا يبقى فيه شائبة ريب بتعديد صفاتها واحوالها المنافية لذلك منافاة ظاهرة وتلك
الاحوال وان كانت غنية عن البيان لكنها شرحت للتنبيه على كمال حماقة عبدتها وانهم لا يعرفون
ذلك الا بالتصريح اى والالهة الذين تعبدهم الكفار من دون الله سبحانه وتعالى وقرئ على صيغة
المبنى للمفعول وعلى الخطاب لا يخلقون شيئا من الاشيا اصلا اى ليس من شأنهم ذلك ولما لم يكن بين
الخالقية وبين المخلوقية تلازم بحسب المفهوم وان تلازما فى الصدق اثبت لهم ذلك صريحا فقيل
وهم يخلقون اى شأنهم ومقتضى ذاتهم المخلوقية لانها ذوات ممكنة مفتقرة فى ماهياتها ووجوداتها
الى الموجد وبناء الفعل للمفعول لتحقيق التضاد والمقابلة بين ما اثبت لهم وبين ما نفى عنهم من
وصفى المخلوقية والخالقية وللايذان بعدم الافتقار الى بيان الفاعل لظهور اختصاص الفعل بفاعله
جل جلاله ويجوز ان يجعل الخلق الثانى عبارة عن النحت والتصوير رعاية للمشاكلة بينه وبين الاول
ومبالغة فى كونهم مصنوعين لعبدتهم واعجز عنهم وايذانا بكمال ركاكة عقولهم حيث اشركوا
بخالقهم مخلوقهم واما جعل الاول ايضا عبارة عن ذلك كما فعل فلا وجه له اذ القدرة على مثل
ذلك الخلق ليست مما يدور عليه استحقاق العبادة اصلا ولما ان اثبات المخلوقية لهم غير مستدعى
لنفى الحياة عنهم لما ان بعض المخلوقين احيا صرح بذلك فقيل اموات وهو خبر ثان للموصول لا للضمير
كما قيل او خبر مبتدأ محذوف وحيث كان بعض الاموات مما يعتريه الحياة سابقا او لاحقا كاجساد
الحيوان والنطف التى ينشئها الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل غير احيا اى لا يعتريها
الحياة سابقا او لاحقا كاجساد الحيوان والنطف التى ينشئها الله تعالى حيوانا احترز عن ذلك فقيل غير
احياء اى لا يعتريها الحياة اصلا فهى اموات على الاطلاق واما قوله تعالى وما يشعرون ايان يبعثون
اى ما يشعر اولئك الالهة ايان يبعث عبدتهم فعلى طريقة التهكم بهم لان شعور الجماد بالامور الظاهرة
بديهى الاستحالة عند كل احد فكيف بما لا يعلمه الا العليم الخبير وفيه ايذان بان البعث من لوازم
التكليف وان معرفة وقته مما لا بد منه فى الالوهية الهكم اله واحد لا يشاركه شئ فى شئ وهو
تصريح بالمدعى وتخليص للنتيجة عقيب اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالاخرة واحوالها التى من جملتها
ما ذكر من البعث وما يعقبه من الجزا المستلزم لعقوبتهم ودلتهم قلوبهم منكرة للوحدانية جاحدة لها
او للايات الدالة عليها وهم مستكبرون عن الاعتراف بها او عن الايات الدالة عليها والفا للايذان
بان اصرارهم على الانكار واستمرارهم على الاستكبار وقع موقع النتيجة للدلائل الظاهرة والبراهين
الباهرة والمعنى انه قد ثبت بما قرر من الحجج والبينات اختصاص الالهية به سبحانه وتعالى فكان
من نتيجة ذلك اصرارهم على ما ذكر من الانكار والاستكبار وبناء الحكم المذكور على الموصول
للاشعار بكونه معللا بما فى حيز الصلة فان الكفر بالاخرة وبما فيها من البعث والجزا المتنوع الى
الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية يؤدى الى قصر النظر عن العاجل والاعراض عن الدلائل
السمعية والعقلية الموجب لانكارها وانكار مؤداها والاستكبار عن اتباع الرسول عليه السلام
وتصديقه واما الايمان بها وبما فيها فيدعوا لا محالة الى التامل فى الايات والدلائل رغبة ورهبة
فيورث ذلك يقينا بالوحدانية وخضوعا لامر الله تعالى لا جرم اى حقا قد مر تحقيقه فى سورة هود
ان الله يعلم ما يسرون من انكار قلوبهم وما يعلنون من استكبارهم وقولهم القرآن اساطير الاولين

وغير ذلك من قبايحهم فيجازيهم بذلك ان الله لا يحب المستكبرين تعليل لما تضمنه الكلام من
الوعيد اى لا يحب المستكبرين عن التوحيد او عن الايات الدالة عليها او لا يحب جنس المستكبرين
فكيف بمن استكبر عما ذكر واذا قيل لهم اى لاولئك المنكرين المستكبرين وهو بيان لاضلالهم غيره
بيان ضلالهم ماذا انزل ربكم القائل الوافدون عليهم او المسلمون او بعض منهم على طريق التهكم وما
ذا منصوب بما بعده او مرفوع اى اى شيء انزل او ما الذى انزله قالوا اساطير الاولين اى ما
تدعون نزوله والمنزل على طريق السخرية احاديث الاولين واباطيلهم وليس من الانزال فى شيء
وقيل هؤلاء القائلون المقتسمون الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله عليه
السلام عند سؤال وفود الحجاج عما انزل عليه السلام ليحملوا متعلق بقالوا اى قالوا ما قالوا
ليحملوا اوزارهم الخاصة بهم وهى اوزار ضلالهم كاملة لم يكفر منها شيء بنكبة اصابتهم فى الدنيا
كما يكفر بها اوزار المؤمنين يوم القيمة ظرف ليحملوا ومن اوزار الذين يضلونهم وبعض اوزار
من ضل باضلالهم وهو وزر الاضلال لانهما شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه فيتحاملان
الوزر واللام للتعليل فى نفس الامر من غير ان يكون غرضا وصيغة الاستقبال للدلالة على
استمرار الاضلال او باعتبار حال قولهم لا حال الحمل بغير علم حال من الفاعل اى يضلونهم غير عالمين
بان ما يدعون اليه طريق الضلال واما حمله على معنى غير عالمين بانهم يحملون يوم القيمة اوزار الضلال
والاضلال على ان يكون القائل فى الحائل قال او تأييده بما سيأتى من قوله تعالى واتيهم العذاب
من حيث لا يشعرون من حيث ان حمل ما ذكر من اوزار الضلال والاضلال من قبيل اتيان العذاب
من حيث لا يشعرون فيرده ان الحمل المذكورة انما هو يوم القيمة والعذاب المذكور انما هو
العذاب الدنيوى كما ستقف عليه او حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدة
التقييد بها الاشعار بان مكرهم لا يروج عند ذى لب وانما يتبعهم الاغبياء والجهلة والتنبيه على ان
جهلهم ذلك لا يكون عذرا اذ كان يجب عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق بالاتباع وبين المبطل
الا ساء ما يزرون اى ليس شيئا يزرونه ما ذكر قد مكر الذين من قبلهم وعيد لهم برجوع غائلة
مكرهم الى انفسهم كداب من قبلهم من الامم الخالية الذين اصابهم ما اصابهم من العذاب العاجل اى
قد سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله تعالى فاتى الله اى امره وحكمه بنيانهم وقرئ بيتهم
وبيوتهم من القواعد من جهة القواعد وهى الاساطين التى تعمده او اساسه فضعضعت
اركانه فخر عليهم السقف من فوقهم اى سقط عليهم سقف بنيانهم اذ لا يتصور له القيام بعد
تهدم القواعد شبهت حال اولئك الماكرين فى تسويتهم المكايد والمنصوبات التى ارادوا بها
الايقاع برسل الله سبحانه وفى ابطاله تعالى فى تلك الحيل والمكايد وجعل اياها اسبابا لهلاكهم
بحال قوم بنوا بنيانا وعمدوا بالاساطين فاتى ذلك من قبل اساطينه بان ضعضعت فسقط
عليهم السقف وهلكوا وقرئ فخر عليهم السقف بضمتين واتاهم العذاب اى الهلاك والدمار
من حيث لا يشعرون باتيانه منه بل يتوقعون اتيان مقابله مما يريدون ويشتهون والمعنى
ان هؤلاء الماكرين القائلين للقران العظيم اساطير الاولين سيأتيهم من العذاب مثل ما اتاهم
وهم لا يحتسبون والمراد به العذاب العاجل لقوله سبحانه وتعالى ثم يوم القيمة يخزيهم فانه عطف
على مقدر ينسحب عليه الكلام اى هذا الذى فصل من التمثيل من عذاب هؤلاء او ما هو اعم منه
ومما ذكر من عذاب اولئك جزاؤهم فى الدنيا ويوم القيمة يخزيهم اى يذلهم بعذاب الخزى على رؤس
الاشهاد واصل الخزى ذل يستحى منه وثم للدلالة على ما بين الجزائين من التفاوت مع ما يدل عليه من
التراخى الزمانى وتغيير السبك بتقديم الظرف ليس لقصر الخزى على يوم القيمة كما هو المتبادر
من تقديم الظروف على الفعل بل لان الاخبار بجزائهم فى الدنيا مؤذن بان لهم جزاء اخرويا فتبقى النفس
مترقبة الى وروده سائلة عنه بانه ماذا مع تيقنها بانه فى الاخرة فيساق الكلام على وجه يؤذن
بان المقصد بالذكر اخزاؤهم لا كونه يوم القيمة والضمير اما للمفترين فى حق القران الكريم او لهم
ولمن يشاكلهم من الماكرين كما اشير اليه وتخصيصه بهم يأباه السياق والسياق كما ستقف عليه
ويقول لهم تفضيحا فهو الى اخره بيان للاخزاء اين شركائى اضافتهم اليه سبحانه وتعالى لحكاية لاضافتهم
الكاذبة ففيه توبيخ اثر توبيخ مع استهزائهم الذين كنتم تشاقون فيهم اى تخاصمون الانبياء
والمؤمنين فى شأنهم بانهم شركاء حقا حين بينوا لكم بطلانها والمراد بالاستفهام استحضارها
للشفاعة والمدافعة على طريقة الاستهزاء والتبكيت والاستنساء عن مكانهم لا يوجب غيبتهم حقيقة
حتى يعتذر بانه يجوز ان يحال بينهم وبين عبدهم حينئذ ليتفقدوها فى ساعة علقوا بها الرجا فيها

او بانهم لما لم ينفعوهم فكانهم غيب بل يكفى فى ذلك عدم حضورهم بالعنوان الذى كانوا يزعمون انهم
متصفون من عنوان الالهية فليس هناك شركاء ولا ما كانوا على انه له ليفقد وليس ببديد
فانه قد تبين عندهم الامر حينئذ فرجعوا عن ذلك الزعم الباطل فكيف يتصور منهم التفقد وقرئ
بكسر النون اى تشاقوننى على ان مشاقة الانبياء والمؤمنين لاسيما فى شأن متعلق به سبحانه مشاقة
له عز وجل قال الذين اوتوا العلم من اهل الموقف وهم الانبياء والمؤمنون الذين اوتوا علما بدلائل
التوحيد وكانوا يدعونهم فى الدنيا الى التوحيد فيجادلونهم ويتكبرون عليهم اى يقولون توبيخا لهم
واظهارا للشماتة بهم وتقريرا لما كانوا يعظونهم وتحقيقا لما اوعدوهم به وايثار صيغة الماضى
للدلالة على تحققه وتحتم وقوعه حسبما هو المعتاد فى اخباره سبحانه وتعالى كقوله ونادى اصحاب
الجنة ونادى اصحاب الاعراف ان الخزى الفضيحة والذل والهوان اليوم منصوب بالخزى على راى
من يرى اعمال المصدر المعرف باللام او بالاستقرار فى الظرف وفيه فصل بين العامل
والمعمول بالمعطوف الا انه مغتفر فى الظرف وفيه فصل بين العامل والمعمول بالمعطوف الا انه
مغتفر فى الظرف وايراده للاشعار بانهم كانوا قبل ذلك فى عزة وشقاق والسوء العذاب
على الكافرين بالله تعالى وباياته وبرسوله الذين تتوفاهم الملئكة بتأنيث الفعل وقرئ بتذكيره
وبادغام التاء فى التاء والعدول الى صيغة المضارع لاستحضار صورة توفيهم اياهم لما فيها من الهول
والموصول فى محل الجر على انه نعت للكافرين او بدل منه او فى محل النصب او الرفع على الذم وقد
وفائدته تخصيص الخزى والسوء بمن استمر كفره الى حين الموت دون من امن منهم ولو فى اخر عمره
اى على الكافرين المستمرين على الكفر الى ان تتوفاهم الملئكة ظالمى انفسهم اى حال كونهم مستمرين
على الكفر فانه ظلم منهم لانفسهم واى ظلم حيث عرضوها للعذاب المخلد وبدلوا فطرة الله تبديلا
فالقوا السلم اى فيلقون والعدول الى صيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع وهو عطف على
قوله تعالى ويقول اين شركائى وما بينهما جملة اعتراضية جئ بها تحقيقا لما حاق بهم من الخزى على
رؤس الاشهاد اى فيسالمون ويتركون المشاقة وينزلون عما كانوا عليه فى الدنيا من الكبر وشدة
الشكيمة قائلين ما كنا نعمل فى الدنيا من سوء اى من شرك قالوه منكرين لصدوره عنهم كقولهم
والله ربنا ما كنا مشركين وانما عبروا عنه بالسوء اعتنا فابكونه شيئا لا انكارا لكونه كذلك مع
الاعتراف بصدوره عنهم ويجوز ان يكون تفسيرا للسلم على ان يكون المراد به الكلام الدال على الخزى
والسوء بلى رد عليهم من قبل اولى العلم واثبات لما نفوه اى بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فهو يجازيكم
عليه وهذا اوانه فادخلوا ابواب جهنم اى كل صنف بابه المعدله وقيل ابوابها اصناف عذابها
فالدخول عبارة عن الملابسة والمقاساة خالدين فيها ان اريد بالدخول حدوثه فالحال مقدرة
وان اريد مطلق الكون فيها ففى مقارنة فلبئس مثوى المتكبرين اى عن التوحيد كما قال تعالى قلوبهم
منكرة وهم مستكبرون وذكرهم بعنوان التكبر للاشعار بعليته لثوائهم فيها والمخصوص بالذم محذوف
اى جهنم وتاويل قولهم ما كنا نعمل من سوء بانا ما كنا عاملين ذلك فى اعتقادنا وما للمحافظة على ان
لا كذب ثمة يرده الرد المذكور وما فى سورة الانعام من قوله تعالى انظر كيف كذبوا على انفسهم
وقيل للذين اتقوا اى المؤمنين وصفوا بالتقوى اشعارا بان ما صدر عنهم من الجواب ناشئ من
التقوى ماذا انزل ربكم قالوا خيرا سلكوا فى الجواب مسلك السؤال من غير تلعثم ولا تقصير فى الصورة
المعنى اى انزل خيرا فانه جواب مطابق للسؤال سبكا وللواقع فى نفس الامر مضمونا واما الكفرة
فانهم خذلهم الله تعالى كما غيروا الجواب من نهج الحق الواقع الذى ليس له مرد واقع غيروا صورته وعدلوا
بها عن سنن السؤال حيث رفعوا الاساطير وما المامر من الكار النزول روى ان احياء العرب
كانوا يبعثون ايام الموسم من يأتيهم بخبر النبى عليه السلام فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون
وامروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومى دون ان
استطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب النبى عليه السلام ورضى عنهم فيخبرونه بحقيقة الحال
فهم الذين قالوا خيرا للذين احسنوا اى اعمالهم او فعلوا الاحسان فى هذه الدار الدنيا حسنة اى
مثوبة حسنة مكافاة لها ولدار الاخرة اى مثوبتهم فيها خير مما اوتوا فى الدنيا من المثوبة
او خير على الاطلاق فيجوز اسناد الخيرية الى نفس دار الاخرة ولنعم دار المتقين اى دار الاخرة
لدلالة ما سبق عليه وهذا كلام مبتدأ مدح الله تعالى به المتقين وعدهم بهم المحكى من جملة
احسانهم ووعدهم بذلك ثوابى الدنيا والاخرة فلا محل له من الاعراب او بدل من خيرا وتفسير له اى
انزل خيرا هو هذا الكلام الجامع قالوه ترغيبا للسائل جنات عدن خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ خبره محذوف

اي لهم جنات ويجوز ان يكون هو المخصوص بالمدح يدخلونها صفة لجنات على تقدير تنكير عدن وكذلك
تجري من تحتها الانهار او كلاهما حال على تقدير علميته لهم فيها في تلك الجنات ما يشاؤن الظرف الاول
خبر لما والثاني حال منه والعامل ما في الاول او متعلق به اي حاصل لهم فيها ما يشاؤن من انواع
المشتهيات وتقديمه للاحتراز عن توهم تعلقه بالمشية او لما مر مرارا من ان تأخير ما حقه التقديم
يوجب ترقب النفس اليه فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن كذلك مثل ذلك الجزاء الاوفى ه
يجزي الله المتقين اللام للجنس اي كل من يتقي الشرك والمعاصي ويدخل فيه المتقون المذكورون
دخولا اوليا ويكون فيه بعث لغيرهم على التقوى او للعهد فيكون فيه تحسير للكفرة الذين تتوفيهم
الملئكة نعت للمتقين وقوله تعالى طيبين اي طاهرين عن دنس الظلم لانفسهم حال من الضمير وفايدته
الايذان بان ملاك الامر في التقوى هو الطهارة عما ذكر الى وقت توفيهم ففيه حث للمؤمنين
على الاستمرار على ذلك ولغيرهم على تحصيله وقيل فرحين طيبين النفوس ببشارة الملئكة اياهم
بالجنة او طيبين بقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم الكلية الى جناب القدس يقولون حال من الملئكة
اي قايلين لهم سلام عليكم قال القرطبي رحمه الله اذا استدعيت نفس المؤمن جاءه ملك الموت
عليه السلام فقال السلام عليك يا ولي الله الله تعالى يقريك السلام وبشره بالجنة ادخلوا
الجنة اللام للعهد اي جنات عدن الى اخره ولذلك جردت عن النعت والمراد دخولهم لها في وقته
فان ذلك بشارة عظيمة وان تراخي المبشر به لا دخول القبر الذي هو روضة من رياضها اذ ليس في
البشارة به بدخول نفس الجنة بما كنتم تعملون بسبب ثباتكم على التقوى والطاعة او بالذي كنتم
كنتم تعملون من ذلك وقيل المراد بالتوفي التوفي للحشر لان الامر بالدخول حينئذ يتحقق هل ينظرون
اي ما ينتظر كفار مكة المار ذكرهم الا ان تأتيهم الملئكة لقبض ارواحهم بالعذاب جعلوا منتظرين
لذلك وشتان بينهم وبين انتظاره لانه يلحقهم البتة لحوق الامر المنتظر لمباشرتهم ه
لاسبابه الموجبة له المؤدية اليه فكانهم يقصدون اتيانه ويترصدون لوروده وقرئ
بتذكير الفعل او يأتي امر ربك التعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام
اشعار بان اتيانه للطف به عليه السلام وان كان عذابا عليهم والمراد به العذاب الدنيوي
لا القيمة لكن لا لان انتظارها يأبى مع انتظار اتيان الملئكة فلا يلايمه العطف باو لانهما ه
ليسا نصا في العناد اذ يجوز ان يعتبر منع الخلو ويراد بايرادها كفاية كل واحد من الامرين في
عذابهم بل لان قوله تعالى فيما سياتي ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم الاية صريح في ان المراد به
ما اصابهم من العذاب الدنيوي كذلك اي مثل ذلك الفعل من الشرك والظلم والتكذيب
والاستهزاء فعل الذين خلوا من قبلهم من الامم وما ظلمهم الله بما سيحل بهم من عذابهم ولكن كانوا
بما كانوا مستمرين عليه من القبائح الموجبة لذلك انفسهم يظلمون كان الظاهر ان يقال ولكن
كانوا هم الظالمين كما في سورة الزخرف لكنه اوثر ما عليه النظم الكريم لافادة ان غائلة ظلمهم
ايلة اليهم وعاقبته مقصورة عليهم مع استلزام اقتصار ظلم كل احد على نفسه من حيث
الوقوع اقتصاره من حيث الصدور وقد مر تحقيقه في سورة يونس فاصابهم عطف على قوله
تعالى فعل الذين من قبلهم وما بينهما اعتراض لبيان ان فعلهم ذلك ظلم لانفسهم سيئات ما عملوا
اي اجزية اعمالهم السيئة على طريقة تسمية المسبب باسم سببه ايذانا بفظاعته لا على حذف
المضاف فانه يوهم ان لهم اعمالا غير سيئاتهم وحاق بهم اي احاط بهم من الحيق الذي هو احاطة
الشر وهو ابلغ من الاصابة واقطع ما كانوا به يستهزؤن من العذاب وقال الذين اشركوا
اي اهل مكة وهو بيان لفن اخر من كفرهم وهو العدول عن الاضمار الى الموصول لتقريعهم بما في
حيز الصلة وذمهم بذلك من اول الامر لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء اي لو شاء
عدم عبادتنا لشيء غيره كما تقول ما عبدنا ذلك نحن ولا اباؤنا الذين نقتدي بهم في ديننا
ولا حرمنا من دونه من شيء من السوايب والبحاير وغيرها وانما قالوا ذلك تكذيبا للرسول
عليه السلام وطعنا في الرسالة راسا متمسكين بان ما شاء الله تعالى يجب وما لم يشأ يمتنع
فلو انه شاء ان نوحده ولا نشرك به شيئا ولا نحرم مما حرمنا شيئا كما تقوله الرسل
وينقلونه من جهة الله عز وجل لكان الامر كما شاء من التوحيد ونفي الاشراك وما يتبعهما وحيث
لم يكن كذلك ثبت انه لم يشأ شيئا من ذلك وانما يقوله الرسل من تلقاء انفسهم فاجيب عنه
بقوله عز وجل كذلك اي مثل ذلك الفعل الشنيع فعل الذين من قبلهم من الامم اي اشركوا
بالله وحرموا حله وردوا رسله وجادلوهم بالباطل حين نبهوهم على الخطأ وهدوهم الى الحق

فهل

فهل على الرسل الذين يبلغون رسالات الله عز وجل وعزايم امره ونهيه الا البلاغ المبين اي
ليست وظيفتهم الا تبليغ الرسالة تبليغا واضحا او موضحا وابانة طريق الحق واظهار احكام الوحي
التي من جملتها تحتم تعلق مشية الله تعالى باهتداء من صرف قدرته واختياره الى تحصيل الحق لقوله تعالى
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا واما الجاؤهم الى ذلك وتنفيذ قولهم عليهم شاؤا او ابوا كما هو مقتضى
استدلالهم فليس ذلك من وظيفتهم ولا من الحكمة التي عليها يدور امر التكليف في شيء حتى يستدل بعدم
ظهوره واثاره على عدم حقية الرسل او على عدم تعلق مشيته تعالى بذلك فان ما يترتب عليه الثواب
والعقاب من افعال العباد لا بد في تعلق المشية بوقوعه من مباشرتهم الاختيارية له وصرف اختيارهم
الجزئي الى تحصيله والا لكان الثواب والعقاب اضطراريين فالمعنى التعليل كانه قيل كذلك فعل اسلافهم
وذلك باطل فان الرسل ليس شانهم الا التبليغ لاوامر الله تعالى ونواهيه لا تحقيق مضمونها والجاء موجبها
على الناس قسرا والجاء وايراد كلمة على للايذان بانهم في ذلك مما موجبون او بان ما يبلغونه حق للناس عليهم
ايفاؤه وبهذا ظهر ان حمل قولهم لو شاء الله الى اخره على الاستهزاء لا يلايم الجواب والله تعالى اعلم ه
بالثواب ولقد بعثنا في كل امة رسولا تحقيق لكيفية تعلق مشيته تعالى بافعال العباد بعد بيان ان
الالجاء ليس من وظايف الرسالة ولا من باب المشية المتعلقة بما يدور عليه الثواب والعقاب من
الافعال الاختيارية لهم اي بعثنا في كل امة من الامم الخالية رسولا خاصا بهم ان اعبدوا الله يجوز
ان تكون مفسرة لما في البعث من معنى القول وان تكون مصدرية اي بعثنا بان اعبدوا الله وحده
واجتنبوا الطاغوت هو الشيطان وكل ما يدعوا الى الضلالة فمنهم اي من تلك الامم والفا فصيحة اي
فبلغوا ما بعثوا به من الامر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت فتفرقوا فمنهم من هدى الله
الى الحق الذي هو عبادته واجتناب الطاغوت بعد صرف قدرتهم واختيارهم الجزئي الى تحصيله ومنهم من
حقت عليه الضلالة اي وجبت وثبتت الى حين الموت لعناده واصراره عليها وعدم صرف قدرته
الى تحصيل الحق وتغيير الاسلوب للاشعار بان ذلك لسوء اختيارهم كقوله تعالى واذا مرضت
فهو يشفين فلم يكن كل من مشيئة الهداية وعدمها الا حسبما حصل منهم من التوجه الى الحق وعدمه
لا بطريق القسر والالجاء حتى يستدل بعدمهما على عدم تعلق مشيته تعالى بعبادتهم له تعالى وحده
فسيروا يا معشر قريش في الارض فانظروا في اكنافها كيف كان عاقبة المكذبين من عاد وثمود ومن
سار سيرتهم ممن حقت عليهم الضلالة لعلكم تعتبرون حين تشاهدون في منازلهم وديارهم اثار الهلاك
والعذاب وترتيب الامر بالسير على مجرد الاخبار بثبوت الضلالة عليهم من غير اخبار بحلول العذاب
للايذان بانه غني عن البيان وان ليس الخبر كالعيان وترتيب النظر على السير لما انه بعده وان ملاك
الامر في تلك العاقبة هو التكذيب والتعلل بانه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ان تحرص
خطاب للرسول عليه السلام وقرئ بفتح الراء وهي لغة على هداهم اي ان تطلب هدايتهم بجهدك
ان تحرص خطاب للرسول عليه السلام وقرئ فان الله لا يهدي من يضل اي فاعلم انه تعالى لا يخلق الهداية
جبرا وقسرا فيمن يخلق فيه الضلالة لسوء اختياره والمراد به قريش وانما وضع الموصول موضع الضمير
للتنصيص على انهم ممن حقت عليه الضلالة وللاشعار بعلة الحكم ويجوز ان يكون المذكور علة للجزاء المحذوف
اي ان تحرص على هداهم فلست بقادر على ذلك لان الله لا يهدي من يضله وهؤلاء من جملتهم وقرئ لا يهدي
على بناء المفعول اي لا يقدر احد على هداية من يضله الله تعالى وقرئ لا يهدي بفتح الهاء وادغام التاء
يهدي في الدال ويجوز ان يكون يهدي بمعنى يهتدي وقرئ يضل بفتح الياء وقرئ لا هادي لمن يضل
ولمن اضل وما لهم من ناصرين ينصرونهم في الهداية او يدفعون العذاب عنهم وصيغة الجمع في الناصرين باعتبار
الجمعية في الضمير فان مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الاحاد الى الاحاد لا لان المراد نفي طائفة من الناصرين
من كل منهم واقسموا بالله شروع في بيان فن اخر من اباطيلهم وهو انكارهم البعث جهد ايمانهم مصدر
في موقع الحال اي جاهدين في ايمانهم لا يبعث الله من يموت ولقد رد الله تعالى عليهم ابلغ رد بقوله عز
الحق بلى اي بلى يبعثهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى فان ذلك موعد من الله تعالى او للمحذوف
اي وعد بذلك وعدا عليه صفة لوعدا اي وعدا ثابتا عليه انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان
البعث من مقتضيات الحكمة حقا صفة اخرى له او نصب على المصدرية اي حق حقا ولكن اكثر الناس
لجهلهم بشيؤن شانه من العلم والقدرة والحكمة وغيرها من صفات الكمال وبما يجوز عليه وما
لا يجوز وعدم وقوفهم على سر التكوين والغاية القصوى منه وعلى ان البعث مما يقتضيه الحكمة
التي جرت عادته سبحانه وتعالى بمراعاتها لا يعلمون انه يبعثهم فيبتون القول بعدمه او انه وعد
عليه حق فيكذبونه قايلين لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين ليبين لهم

غاية لما دل عليه من البعث والضمير لمن يموت اذ التبيين يعم المؤمنين ايضا فانهم وان كانوا عالمين بذلك
لكنه عند معاينة حقيقة الحال يتضح الامر فيصل علمهم الى مرتبة عين اليقين اى ليبين لهم
بذلك وبما يحصل لهم من مشاهدة الاحوال كما هى ومعاينتها بصورها الحقيقية الشان الذى
يختلفون فيه من الحق الشامل لجميع ما خالفوه مما جاء به الشرع المبين ويدخل فيه البعث دخولا
اوليا وليعلم الذين كفروا بالله سبحانه وتعالى بالاشراك وانكار البعث وتكذيب وعده الحق
انهم كانوا كاذبين فى كل ما يقولون لا سيما فى قولهم لا يبعث الله من يموت او التعبير عن الحق
بالموصول للدلالة على فخامته وللاشعار بعلية ما ذكر فى حيز الصلة للتبيين وما عطف عليه
وجعلهما غاية للبعث المشار اليه باعتبار وروده فى معرض الرد على المخالفين وابطال مقالة المعاندين
المستدعى للتعرض لما يردعهم عن المخالفة ويلجئهم الى الاذعان للحق فان الكفرة اذا علموا ان
تحقيق البعث انما هو لتبيين انه حق وليعلموا انهم كاذبون فى انكاره كان ذلك ازجر لهم عن انكاره
وادعى الى الاعتراف به ضرورة انه يدل على صدق العزيمة على تحقيقه كما تقول لمن ينكر انك
تصلى لاصلين رغما لانفك واظهارا لكذبك ولان تكرر الغايات ادل على وقوع الفعل المغيا بها
والا فالغاية الاصلية للبعث باعتبار ذاته انما هو الجزاء الذى هو الغاية القصوى للخلق المغيا بمعرفته
عز وجل وعبادته وانما لم يذكر ذلك لتكرر ذكره فى مواضع اخر وشهرته وانما لم يدرج علم الكفار
بكذبهم تحت التبيين بان يقال وان الذين كفروا كانوا كاذبين بل جئ بصيغة العلم لان ذلك ليس مما
تعلق به التبيين الذى هو عبارة عن اظهار ما كان مبهما قبل ذلك بان يخبر به فيختلف فيه
كالبعث الذى نطق به القرآن فاختلف فيه المختلفون واما كذب الكافرين فليس من هذا القبيل
وانما تعلق به علم ضرورى حاصل لهم من قبل انفسهم وقد مر تحقيقه فى سورة التوبة عند قوله تعالى
حتى يتبين لك الذين صدقوا وانما خص الاسناد بهم حيث لم يقل ولتعلموا ان الكافرين الاية لان
علم المؤمنين بذلك حاصل قبل ذلك قطعا انما قولنا استئناف لبيان كيفية التكوين على الاطلاق
ابداء واعادة بعد التنبيه على آنية البعث ومنه يظهر كيفية فلما فيه وقولنا مبتداء وقوله
لشئ اى اى شئ كان مما عز وهان متعلق به على ان اللام للتبليغ كهى فى قولك قلت له قم فقام وجعلها
الزجاج سببية اى لاجل شئ وليس بواضح والتعبير عنه بذلك باعتبار وجوده عند تعلق مشيئته
تعالى به لا انه كان شيئا قبل ذلك اذا اردناه ظرف لقولنا اى وقت ارادتنا لوجوده ان نقول له كن خبر
للمبتدا فيكون اما عطف على مقدر يفصح عنه الفاء وينسحب عليه الكلام اى فنقول ذلك فيكون كقوله
تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون واما جواب لشرط محذوف اى فاذا قلنا ذلك فهو يكون وليس
هناك قول ولا مقول ولا امر ولا مأمور حتى يقال انه يلزم منه احد المحالين اما خطاب المعدوم
او تحصيل الحاصل او يقال ان ما يستدعيه امحاض قوله تعالى فى قوله تعالى وليس يلزم منه انحصار
اسباب التكوين فيه كما يفيده فى قوله تعالى وليس يلزم منه انحصار اسباب التكوين فيه كما يفيده
قوله تعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان المراد بالامر هو الشان الشامل للقول
والفعل ومن ضرورة انحصاره فى كلمة كن انحصار اسبابه على الاطلاق فيه بل انما هو تمثيل لسهولة
تأتى المقدورات حيث تعلق مشيئته تعالى بها وتصوير لسرعة حدوثها بما هو علم فى ذلك من
طاعة المأمور المطيع لامر الامر المطاع فالمعنى انما ايجادنا لشئ عند تعلق مشيئتنا به ان نوجده فى
اسرع ما يكون ولما عبر عنه بالامر الذى هو قول مخصوص وجب ان يعبر عن مطلق الايجاد بالقول المطلق
فتأمل وفى الاية الكريمة من الفخامة والجزالة ما يحار فيه العقول والالباب وقرئ بنصب
يكون عطفا على نقول او تشبيها له بجواب الامر والذين هاجروا فى الله اى فى شان الله تعالى ورضاه
وفى حقه ولوجهه من بعد ما ظلموا او لنعذبهم الذين ظلمهم اهل مكة من اصحاب رسول الله عليه السلام
واخرجوهم من ديارهم فهاجروا الى الحبشة ثم بوأهم الله تعالى المدينة حسبما وعد بقوله سبحانه وتعالى
لنبوئنهم فى الدنيا حسنة اى مباءة حسنة او تبوئة حسنة كما قال قتادة وهو الانسب لما هو المشهور
من كون السورة غير ثلث ايات من اخرها مكية واما ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنه من انها نزلت فى
صهيب وبلال وعمار وخباب وعابس وجبير وابى جندل بن سهيل اخذهم المشركون فجعلوا يعذبونهم
ليردوهم عن الاسلام فاما صهيب فقال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم
اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه ابو بكر رضى الله عنه قال ربح البيع يا صهيب وقال عمر رضى الله
عنه نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فانما يناسب ما حكى عنه الاصم من كون السورة مدنية
وما نقل عن قتادة من كون هذه الاية الى اخر السورة مدنية فيحمل ما نقلنا عنه من نزول الاية فى اصحاب

الهجرتين

الهجرتين على ان يكون نزولها بالمدينة بين الهجرتين واما جعل رسول الله عليه السلام من جملتهم فلا يساعده
نظم التنزيل ولا شانه الجليل وقرئ لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة او لنثوين لهم فى الدنيا منزلة حسنة
وهى الغلبة على ظالميهم من اهل مكة وعلى العرب قاطبة واهل الشرق والغرب كافة ولاجر الاخرة
اى اجر اعمالهم المذكورة فى الاخرة اكبر مما يعجل لهم فى الدنيا وعن عمر رضى الله عنه انه كان اذا اعطى
رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى فى الدنيا
وما ادخر فى الاخرة افضل لو كانوا يعلمون الضمير للكفار اى لو علموا ان الله تعالى يجمع لهؤلاء المهاجرين
خير الدارين لوافقوهم فى الدين وقيل للمهاجرين اى لو علموا ذلك لزادوا فى الاجتهاد ولما
تألموا لما اصابهم من المهاجرة وشدايدها الذين صبروا على الشدايد من اذية الكفار ومفارقة
الاهل والوطن وغير ذلك ومحله النصب او الرفع على المدح وعلى ربهم خاصة يتوكلون منقطعين
اليه تعالى معرضين عما سواه مفوضين اليه الامر كله والجملة اما معطوف على الصلة وتقديم
الجار والمجرور للدلالة على قصر التوكل على الله تعالى وصيغة الاستقبال للدلالة على دوام
التوكل او حال من ضمير صبروا وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم وقرئ بالياء مبنيا للمفعول
وهو رد لقريش حيث قالوا الله اجل من ان يكون له رسول من البشر كما هو مبنى قولهم لو شاء الله
ما عبدنا الى اخره اى جرت السنة الالهية حسبما اقتضته الحكمة بان لا يبعث للدعوة العامة
الا بشرا يوحى اليهم بواسطة الملك اوامره ونواهيه ليبلغوها الناس ولما كان المقصد من الخطاب
لرسول الله عليه السلام تنبيه الكفار على مضمونه صرف الخطاب اليهم فقيل فاسألوا اهل الذكر
اى اهل الكتاب او علماء الاخبار وكل من يذكر بعلم وتحقيق ليعلموكم ذلك ان كنتم لا تعلمون حذف
جوابه لدلالة ما قبله عليه وفيه دلالة على انه لم يرسل للدعوة العامة ملكا وقوله تعالى جاعل الملائكة
رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الرسل ولا امراة ولا صبيا ولا ينافيه نبوة عيسى عليه السلام
وهو فى المهد لانها اعم من الرسالة واشارة الجواب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بالبينات والزبر
بالمعجزات والكتب والباء متعلقة بمقدر وقع جوابا عن سؤال من قال بم ارسلوا فقيل ارسلوا بالبينات
والزبر او بما ارسلنا داخلا تحت الاستثناء مع رجالا عند من يجوزه اى ما ارسلنا الا رجالا بالبينات
كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط او على نية التقديم قبل اداة الاستثناء اى ما ارسلنا من قبلك بالبينات
والزبر الا رجالا عند من يجوز تأخير صلة ما قبل الا الى ما بعده او بما وقع صفة للمستثنى اى الا رجالا
ملتبسين بالبينات حتما او بنوحى على المفعولية او الحالية من القائم مقام فاعله وهو اليهم على ان قوله
تعالى فاسألوا اعتراض او بقوله لا تعلمون على ان الشرط للتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطنى
حقى وانزلنا اليك الذكر اى القرآن وانما سمى به لانه تذكير وتنبيه للغافلين لتبين للناس كافة ويدخل
فيهم اهل مكة دخولا اوليا ما نزل اليهم فى ذلك الذكر من الاحكام والشرايع وغير ذلك من احوال
القرون المهلكة بافانين العذاب حسب اعمالهم الموجبة لذلك على وجه التفصيل بيانا شافيا كما ينبئ
عنه صيغة التفعيل فى الفعلين لا سيما بعد وروده الثانى اولا على صيغة الافعال ولما كان التبيين
اعم من التصريح بالمقصود من الارشاد الى ما يدل عليه دخل تحته القياس على الاطلاق سواء كان فى
الاحكام الشرعية او غيرها ولعل قوله عز وجل ولعلهم يتفكرون اشارة الى ذلك اى ارادة ان يتاملوا
فيتنبهوا للحقائق وما فيه من العبر ويحترزوا عما يؤدى الى مثل ما اصاب الاولين من العذاب
افامن الذين مكروا السيئات هم اهل مكة الذين مكروا برسول الله عليه السلام وراموا صد اصحابه
عن الايمان عليهم الرضوان لا الذين احتالوا لهلاك الانبياء كما قيل ولا من يعم الفريقين لما ان
المراد تحذيرهم عن ان يصيبهم مثل ما اصاب اولئك من فنون العذاب المعدودة والسيئات نعت
لمصدر محذوف اى مكروا المكرات السيئات التى قصت عنهم او مفعول به للفعل المذكور على تضمينه
معنى العمل اى عملوا السيئات وقوله تعالى ان يخسف الله بهم الارض مفعول لامن والسيئات صفة
لما هو المفعول اى افامن الماكرون العقوبات السيئة وقوله ان يخسف الى اخره بدل من ذلك على كلها
فالفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه النظم الكريم اى انزلنا اليك الذكر لتبين لهم مضمونه الذى من
جملته انباء الامم المهلكة بفنون العذاب ويتفكروا فى ذلك ايم يتفكروا فامن الذين مكروا السيئات
ان يخسف بهم الارض كما فعل بقارون على توجيه الانكار الى المعطوفين معا او اتفكروا فامنوا على
توجيهه الى المعطوف على ان الامن بعد التفكر مما لا يكاد يفعله احد وقيل هو عطف على مقدر ينبئ عنه
الصلة اى امكروا فامن الذين مكروا الى اخره او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون باتيانه اى فى حالة
غفلتهم او من مأمنهم او من حيث يرجون اتيان ما يشتهون كما حكى فيما سلف عن الماكرين او ياخذهم

في تقلبهم اي في حالة تقلبهم في مسايرهم ومتاجرهم فما هم بمعجزين بممتنعين او فائتين بالهرب والفرار على
ما يوهمه حال التقلب والسير والفاء لتعليل الاخذ او لترتب عدم الاعجاز عليه دلالة على شدته
وفظاعته حسبما قال عليه السلام ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته وايراد الجملة الاسمية
للدلالة على دوام النفي لا نفي الدوام او ياخذهم على تخوف اي مخافة وحذر عن الهلاك والعذاب بان
يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياخذهم العذاب وهم متخوفون وحيث كانت حالتا التقلب والتخوف
مظنة للهرب عبر عن اصابة العذاب فيهما بالاخذ وعن اصابته حالة الغفلة المنبئة عن السكون
بالاتيان وقيل التخوف والتنقص قال قائلهم تخوف الرحل منها تامكا قردا ✿ كما تخوف عود النبعة
السفن ✿ اي ياخذهم على ان ينتقصهم شيئا بعد شيء في انفسهم واموالهم حتى يهلكوا والمراد بذكر
الاحوال الثلث بيان قدرة الله تعالى على اهلاكهم باي وجه كان لا الحصر فيها فان ربكم لرؤف رحيم
حيث لا يعاجلكم بالعقوبة ويحلم عليكم مع استحقاقكم لها اولم يروا استفهام انكاري وقرئ على صيغة
الخطاب والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم ينظروا ولم يروا متوجهين الى ما خلق
الله من شيء اي من كل شيء يتفيؤا ظلاله اي يرجع شيئا فشيئا حسبما يقتضيه ارادة الخالق تعالى فان
التفيؤ مطاوع الافاءة وقرئ بتانيث الفعل عن اليمين والشمائل اي المرئيا الاشيا التي لها ظلال
متفيئة عن ايمانها وشمائلها اي عن جانبي كل واحد منها استعير لهما ذلك من يمين الانسان وشماله
سجدا لله حال من الظلال كقوله تعالى وظلالهم بالغدو والاصال والمراد بسجودها تفيؤها على مشية
الله تعالى وتاتيها لارادته تعالى في امتدادها وتقلصها وغيرهما غير ممتنعة عليه فيما سخرها له
وقوله تعالى وهم داخرون اي صاغرون منقادون حال من الضمير في ظلاله والجمع باعتبار المعنى وايراد
الصيغة الخاصة بالعقلاء لما ان الدخور من خصائصهم والمعنى ترجع الظلال من جانب الى جانب بارتفاع
الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها فان لها كل يوم من ايام السنة محلا على مدار
معين من المدارات اليومية بتقدير العزيز العليم منقادة لما قدر لها من التفيؤ او واقعة على
الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والحال ان اصحابها من الاجرام داخرة منقادة لحكمه تعالى
ووصفها بالدخور مغن عن وصف ظلالها به او كلاهما حال من الضمير المشار اليه والمعنى ترجع
ظلال تلك الاجرام حال كونها منقادة لله تعالى داخرة فوصفها بهما مغن عن وصف ظلالها بهما ✿
ولعل المراد بالموصول الجمادات من الجبال والاشجار والاحجار التي لا يظهر لظلالها اثر سوى التفيؤ
بما ذكر من ارتفاع الشمس وانحدارها واختلاف مشارقها ومغاربها واما الحيوان فظله يتحرك
بتحركه وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقي لان الكواكب منه تظهر
آخذة في الارتفاع والسطوع وشماله وهو جانبه الغربي المقابل له فان الظلال في اول النهار
مبتدئ من الشرق واقعة على الربع الغربي من الارض وعند الزوال تبتدئ من الغرب واقعة
على الربع الشرقي منها وبعد ما بين سجود الظلال واصحابها من الاجرام السفلية الثابتة في احيازها
ودخورها له سبحانه وتعالى شرع في بيان سجود المخلوقات المتحركة بالارادة سواء كانت لها ظلال
اولا فقيل ولله يسجد اي له تعالى وحده يخضع وينقاد لا لشيء غيره استقلالا او اشتراكا فالقصر
ينتظم القلب والافراد الا ان الانسب بحال المخاطبين قصر الافراد كما يؤذن به قوله تعالى وقال
الله لا تتخذوا الهين اثنين ما في السموات قاطبة وما في الارض كائنا ما كان من دابة بيان لما في
الارض وتقديمه لقلته ولئلا يقع بين المبين والمبين فصل والافراد مع ان المراد الجميع لافادة
وضوح شمول السجود لكل فرد من الدواب قال الاخفش هو كقولك ما اتاني من رجل مثله وما
اتاني من الرجال مثله والملئكة عطف على ما في السموات عطف جبريل على الملئكة تعظيما واجلالا
او على ان يراد بما في السموات الخلق الذي يقال له الروح او يراد به ملئكة السموات وهم لا يستكبرون
عن عبادته عز وجل والمسجود له وتقديم الضمير ليس للقصر والجملة اما حال من فاعل يسجد
مسندا الى الملئكة او استئناف اخبر عنهم بذلك يخافون ربهم اي مالك امورهم وفيه تربية للمهابة
واشعار بعلية الحكم من فوقهم اي يخافونه جل وعلا خوف هيبة واجلال وهو فوقهم بالقهر
كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده او يخافون ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم والجملة حال من الضمير
في لا يستكبرون او بيان له وتقرير لان من يخاف الله سبحانه وتعالى لا يستكبرون عن عبادته ✿
ويفعلون ما يؤمرون اي يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات وايراد الفعل مبنيا للمفعول
جرى على سنن الجلالة وايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده الى غيره سبحانه
وفيه ان الملئكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعد ما بين ان جميع الموجودات يخضع

الخضوع

الخضوع والانقياد الطبيعي وما يجري مجراه من عبادة الملئكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد
اصلا بالله عز وجل اردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الاشراك فقيل وقال الله
عطف على قوله ولله يسجد واظهار الفاعل وتخصيصه لفظة الجلالة بالذكر للايذان بانه متعين ✿
للالوهية وانما المنهي عنه هو الاشراك به لا ان المنهي عنه هو الاشراك الشبه لان المنهي عنه مطلق اتخاذ
الهين بحيث يتحقق الانتهاء عنه برفض ايهما كان اي قال تعالى لجميع المكلفين لا تتخذوا الهين اثنين وانما
ذكر العدد مع ان صيغة التثنية مغنية عن ذلك دلالة على ان مساق النهي هي الاثنينية وانها
منافية للالوهية كما ان وصف الاله بالوحدة في قوله تعالى انما اله واحد للدلالة على ان المقصود
اثبات الوحدانية وانها من لوازم الالهية فاما سلم الثبوت له سبحانه وتعالى واليه اشير حيث
اسند القول وفيه التفات من التكلم الى الغيبة على راي من اكتفى في تحقيق الالتفات بكون الاسلوب
الملتفت عنه حق الكلام ولم يشترط سبق الذكر على ذلك الوجه فاياي فارهبون التفات من الغيبة
الى التكلم لتربية المهابة والقاء الرهبة في القلوب ولذلك قدم المفعول وكرر الفعل اي ان كنتم
راهبين شيئا فاياي فارهبون لا غيري فاني ذلك الواحد الذي يسجد له ما في السموات والارض
خلقا وملكا تقرير لعلة انقياد ما فيهما له سبحانه وتعالى خاصة وتحقيق لتخصيص الرهبة به تعالى
وتقديم الظرف لتقوية ما في اللام من معنى الاختصاص وكذا في قوله تعالى وله الدين اي الطاعة
والانقياد واصبا اي واجبا ثابتا لا يزول لما تقرر انه الاله وحده الحقيق بان يرهب وقيل
واصبا من الوصب اي وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء اي وله الجزاء الدائم بحيث لا ينقطع ثوابه
لمن آمن وعقابه لمن كفر افغير الله تتقون الهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه
السياق اي عقيب تقرر الشؤون المذكورة من تخصيص جميع الموجودات للسجود به تعالى وكون ذلك
كله له ونهيه عن اتخاذ الانداد وكون الدين له واصبا المستدعي ذلك لتخصيص التقوى به سبحانه غير الله
الذي شانه ما ذكر تتقون فتطيعون وما بكم اي اي شيء يلابسكم ويصاحبكم من نعمة اي نعمة كانت
فمن الله فهي من الله فما شرطية او موصولة متضمنة لمعنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول
فان ملابسة النعمة بهم سبب للاخبار بانها منه تعالى لا لكونها منه تعالى ثم اذا مسكم الضر مسا
يسيرا فاليه تجأرون تتضرعون في كشفه لا الى غيره والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة
قال الاعشى ✿ يراوح من صلوات المليك ✿ طورا سجودا وطورا جؤارا ✿ وقرئ تجرون بطرح الهمزة
والقاء حركتها الى ما قبلها وفي ذكر المساس المنبئ عن ادنى اصابة وايراده بالجملة الفعلية المعربة عن
العموم ما لا يخفى من الجزالة والفخامة ولعل ايراد اذا دون ان للتوسل به الى تحقق وقوع الجواب
ثم اذا كشف الضر عنكم وقرئ كاشف الضر وكلمة ثم ليست للدلالة على تمادي زمان مساس الضر
ووقوع الكشف بعد برهة مديدة بل للدلالة على تراخي رتبة ما يترتب عليه من مفاجاة الاشراك
المدلول عليها بقوله سبحانه وتعالى اذا فريق منكم بربهم يشركون فان ترتبها على ذلك في ابعد غاية
من الضلال ثم ان وجه الخطاب الى الناس جميعا فمن للتبعيض والفريق فريق الكفرة وان وجه الى
الكفرة فمن للبيان كانه قيل اذا فريق كافر وهم انتم ويجوز ان يكون فيهم من اعتبر وازدجر كقوله تعالى
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد فمن تبعيضية ايضا والتعرض لوصف الربوبية للايذان بكمال
قبح ما ارتكبوه من الاشراك والكفران ليكفروا بما آتيناهم من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم
في الشرك كفران النعمة وانكار كونها من الله عز وجل فتمتعوا امر تهديد والالتفات الى الخطاب
للايذان بتناهي السخط وقرئ بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا على ان يكون كفران النعمة ✿
والتمتع غرضا لهم من الاشراك ويجوز ان تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد فسوف تعلمون عاقبة
امركم وما ينزل بكم من العذاب وفيه وعيد اكيد منبئ عن اخذ شديد حيث لم يذكر المفعول
اشعارا بانه مما لا يوصف ويجعلون لعله عطف على ما سبق بحسب المعنى تعدادا لجناياتهم اي يفعلون
ما يفعلون من الجؤار الى الله تعالى عند مساس الضر ومن الاشراك به عند كشفه ويجعلون لما
لا يعلمون حقيقته وقدره من الخسيس للجمادات التي يتخذونها شركاء لله سبحانه وتعالى جهالة ✿
وسفاهة ويزعمون انها تنفعهم وتشفع لهم على ان ما موصولة والعائد اليها محذوف او لما لا علم
اصلا وليس من شانه ذلك فما موصولة ايضا والعائد اليها ما في الفعل من الضمير المستكن وصيغة
جمع العقلاء لكون ما عبارة عن الهتهم التي وصفوها بصفات العقلاء او مصدرية واللام للتعليل
اي لعدم علمهم والمجعول له محذوف للعلم بمكانه نصيبا مما رزقناهم من الزرع والانعام وغيرهما
تقربا اليها تالله لتسئلن سؤال تقريع وتوبيخ عما كنتم تفترون في الدنيا بانها آلهة حقيقة بان

يتقرب اليها وفى تصدير الجملة بالقسم وصرف الكلام من الغيبة الى الخطاب المبنى عن كمال الغضب
من شدة الوعيد ما لا يخفى ويجعلون لله البنات هم خزاعة وكنانة الذين يقولون الملئكة بنات
الله سبحانه تنزيه وتقديس له عز وجل عن مضمون قولهم ذلك او تعجب من جراتهم على التفوه
بمثل تلك العظيمة ولهم ما يشتهون من البنين ما مرفوعة المحل على انه مبتدا والظرف المقدم خبره
والجملة حالية وسبحانه اعتراض فى حاق موضعه وجعلها منصوبة بالعطف على البنات اى يجعلون
لانفسهم ما يشتهون من البنين يودى الى جعل الجعل بمعنى يعم الزعم والاختيار واذا بشر احدهم
بالانثى اى اخبر بولادتها ظل وجهه اى صار او دام النهار كله مسودا من الكابة والحياء من الناس
واسودا الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير وهو كظيم ممتلئ حنقا وغيظا يتوارى يستخفى
من القوم من سوء ما بشر به من اجل سوءه والتعبير عنها بما لاسقاطها عن درجة العقلاء ايمسكه
اى مترددا فى امره محدثا نفسه فى شانه ايمسكه على هون ذل وقرئ هوان ام يدسه فى التراب
بالواو والتذكير باعتبار لفظ ما وقرئ بالتانيث الاساء ما يحكمون حيث يجعلون ما هذا شانه
عند هم من الهون والحقارة لله المتعالى عن الصاحبة والولد والحال انهم يتحاشون عنه ويختارون
لانفسهم البنين فمدار الخطا جعلهم ذلك سبحانه وتعالى ويجوزان يكون مدار التعكس كقوله تعالى
تلك اذا قسمة ضيزى للذين لا يؤمنون بالاخرة ممن ذكرت قبائحهم مثل السوء صفة السوء الذى هو
كالمثل فى القبح وهى الحاجة الى الولد ليقوم مقامهم عند موتهم وايثار الذكور للاستظهار بهم
ووأد البنات لدفع العار وخشية الاملاق المنادى كل ذلك بالعجز والقصور والشح البالغ ووضع
الموصول موضع الضمير للاشعار بان مدار اتصافهم بتلك القبائح هو الكفر بالاخرة ولله
سبحانه وتعالى المثل الاعلى اى الصفة العجيبة الشان التى هى مثل فى العلو مطلقا وهو الوجوب الذاتى
والغنى المطلق والوجود الواسع والنزاهة عن صفات المخلوقين ويدخل فيه علوه تعالى عما قالوا
علوا كبيرا وهو العزيز المتفرد بكمال القدرة لا سيما على مواخذتهم بذنوبهم الحكيم الذى يفعل كل
ما يفعل بمقتضى الحكمة البالغة وهذا ايضا من جملة صفاته العجيبة تعالى ولو يؤاخذ الله الناس الكفار
بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم التى من القبائح قد تناهى الى امد لا غاية له ما ترك عليها اى ما ترك
عليها شيئا من دابة قط بل اهلكها بالكلية بشوم ظلم الظالمين كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر
الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله
كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن ادم او من دابة ظالمة وقيل لو اهلك الاباء لم تكن الابناء فيلزم
ان لا يكون فى الارض دابة لما انها مخلوقة لمنافع البشر لقوله سبحانه وتعالى هو الذى خلق لكم ما
فى الارض جميعا ولكن لا يؤاخذهم بذلك بل يؤخرهم الى اجل مسمى لا عمارهم او لعذابهم كى يتوالدوا
او يكثر عذابهم فاذا جاء اجلهم المسمى لا يستاخرون عن ذلك الاجل اى لا يتاخرون وصيغة الاستفعال
للاشعار بعجزهم عنه مع طلبهم له ساعة فذة وهى مثل فى قلة المدة ولا يستقدمون اى لا يتقدمون
وانما تعرض لذكره مع انه لا يتصور الاستقدام عند مجئ الاجل مبالغة فى بيان عدم الاستيخار
بنظمه فى سلك ما يمتنع كما فى قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر
احدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار فان من مات كافرا مع انه لا توبة
له راسا قد نظم فى سمط من لم تقبل توبته للايذان بانهما سيان فى ذلك وقد مر فى تفسير سورة
يونس ويجعلون لله اى يثبتون له سبحانه وينسبون اليه فى زعمهم ما يكرهون لانفسهم مما ذكر
وهو تكرير لما سبق تثنية للتقريع وتوطئة لقوله تعالى وتصف السنتهم الكذب اى يجعلون له
تعالى ما يجعلون ومع ذلك تصف السنتهم الكذب وهو ان لهم الحسنى العاقبة الحسنى عند الله
تعالى كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقرئ الكذب وهو جمع كذوب على انه
صفة الالسنة لا جرم رد لكلامهم ذلك واثبات لنقيضه اى حقا ان لهم مكان ما املوا
من الحسنى النار التى ليست وراء عذابها عذاب وهو علم فى السوء وانهم مفرطون اى مقدمون
اليها من افرطته اى قدمته فى طلب الماء وقيل منسيون من فرطت فلانا خلفى اذا خلفته ونسيته
وقرئ بالتشديد وفتح الراء من فرطته فى طلب الماء وبكسر الراء المشددة من التفريط فى الطاعات
وبكسر المخففة من الافراط فى المعاصى فلا يكونان حينئذ من احوالهم الاخروية كما عطف عليه
تالله لقد ارسلنا من قبلك تسلية لرسول الله عليه السلام عما يناله من جهالات الكفرة
ووعيد لهم اى ارسلنا اليهم رسلا فدعوهم الى الحق فلم يجيبوا الى ذلك فزين لهم الشيطان اعمالهم

القبيحة فعكفوا عليها مصرين فهو وليهم اى قرينهم وبئس القرين اليوم اى يوم زين لهم الشيطان
اعمالهم فيه على طريق حكاية الحال الماضية او فى الدنيا او يوم القيمة على طريقة حكاية الحال الاتية وهى
حال كونهم معذبين فى النار والولى بمعنى الناصر اى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره مبالغة
فى نفى الناصر عنهم ويجوز ان يكون الضمير عائدا الى مشركى قريش والمعنى زين للامم السالفة اعمالهم
فهو ولى هؤلاء لانهم منهم وان يكون على حذف المضاف اى ولى امثالهم ولهم فى الاخرة عذاب اليم
هو عذاب النار وما انزلنا عليك الكتاب اى القران الا لتبين استثناء مفرغ من اعم العلل اى
ما انزلناه عليك لعلة من العلل الا لتبين لهم اى للناس الذى اختلفوا فيه من التوحيد والقدر
والاحكام والافعال واحوال المعاد وهدى ورحمة معطوفان على محل لتبين اى للهداية والرحمة
لقوم يؤمنون وانما انتصابهما لكونهما اثرى فاعل الفعل المعلل بخلاف التبيين حيث لم ينتصب
لفقدان شرطه ولعل تقديمه عليهما لتقدمه فى الوجود وتخصيص كونهما هدى ورحمة بالمؤمنين
لانهم المغتنمون اثاره والله انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء حسبما مر وهذا
تكرير لما سبق تاكيدا لمضمونه وتوطئة لما يعقبه من ادلة التوحيد ماء نوعا خاصا من الماء هو
المطر وتقديم المجرور على المنصوب لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر فاحيى به الارض بما انبت
فيها من انواع النباتات بعد موتها اى بعد يبسها وما يفيده الفاء من التعقيب العادى لا ينافى
فيه ما بين المعطوفين من المهلة ان فى ذلك اى فى انزال الماء واحياء الارض الميتة به لاية واية
دالة على وحدته سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته لقوم يسمعون هذا التذكير ونظائره سماع
تفكر وتدبر فكان من ليس كذلك اصم وان لكم فى الانعام لعبرة عظيمة وانى عبرة تحار فى دركها
العقول وتهيم من فهمها الباب الفحول نسقيكم استيناف لبيان ما ابهم اولا من العبرة مما فى بطونه
اى بطون الانعام والتذكير هنا لمراعاة جانب اللفظ فانه اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى
المفردات المبنية على افعال كاكباش واخلاق كما ان تانيثه فى سورة المؤمنين لرعاية جانب
المعنى ومن جعله جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن ليس لجميعها اوله على المعنى فان المراد به
الجنس وقرئ بفتح النون هاهنا وفى سورة المؤمنين من بين فرث ودم لبنا الفرث فضالة ما
يبقى من العلف فى الكرش المنهضمة بعض الانهضام وكثيف ما يبقى فى المعا وعن ابن عباس رضى الله
عنه ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه
دما ولعل المراد به ان اوسطه يكون مادة اللبن واعلاه مادة الدم الذى يغذو البدن لانهما
تكونهما فى الكرش مما لا ريب فيه بل الكبد تجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله
وهو الفرث ثم يمسكها ريثما يهضمها فتحدث اخلاطا اربعة معها مائية فتميز القوة المميزة
تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين الصفراء والسوداء وتدفعها الى الكلية والمرارة
والطحال ثم توزع الباقى على الاعضاء بحسبها فتجرى على كل حقه على ما يليق به بتقدير العزيز الحكيم ثم ان
كان الحيوان انثى زاد اخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع
الزائد اولا لاجل الجنين الى الرحم فاذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض
لمجاورته لحومها الغددية البيض ويلذ طعمه فيصير لبنا ومن تدبر فى بدايع صنع الله تعالى
فيما ذكر من الاخلاط والالبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها وتسخير القوى
المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاعتراف بكمال علمه وقدرته وحكمته وتناهى
رافته ورحمته ومن الاولى تبعيضية لما ان اللبن بعض ما فى بطونه لانه مخلوق من بعض اجزاء
الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث حسبما فصل والثانية ابتدائية كقولك سقيت من
الحوض لان بين الفرث والدم مبدا الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم وتقديمه على المفعول لما مر مرارا
من ان تقديم ما حقه التاخير يبعث النفس شوقا الى المؤخر موجبا لفضل تمكنه عند وروده
عليها لا سيما اذا كان المقدم متضمنا لوصف مناف لوصف المؤخر كالذى نحن فيه فان بين وصفى
المقدم والمؤخر تنافيا وتباينا بحيث لا يتراءى نارهما فان ذلك مما يزيد الشوق والاستشراف
الى المؤخر كما فى قوله تعالى هذا الذى اخرج لكم من الشجر الاخضر نارا او حال من لبنا قدم عليه
لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة خالصا عن شائبة ما فى الدم والفرث من الاوصاف ببرزخ
من القدرة القاهرة الحاجزة عن بغى احدهما عليه مع كونهما متمكنين له سائغا للشاربين سهل
المرور فى حلقه قيل لم يغص احد باللبن وقرئ سيغا بالتشديد وبالتخفيف مثل هين وهين
ومن ثمرات النخيل والاعناب متعلق بما دل عليه الاسقاء من مطلق الاطعام المتنظم لاعطاء

المطعوم او المشروب فان اللبن مطعوم كما انه مشروب اى ونطعمكم من ثمرات النخيل ومن الاعناب اى من
عصيرهما وقوله تعالى تتخذون منه سكرا استينا فى لبيان كنه الاطعام وكشفه او بقوله تتخذون منه
وتاكيد الظرف للتاكيد او خبر للمبتدا محذوف صفته تتخذون اى من ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه
وحذف الموصوف انما كان فى الكلام كله من شايع نحو قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وتذكير الضمير
على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف اعنى العصير او لان المراد هو الجنس والكسر مصدر سمى به
الخمر وقيل هو النبيذ وقيل هو الطعام ورزقا حسنا كالتمر والدبس والزبيب والخل والاية ان كانت سابقة
النزول على تحريم الخمر فدالة على كرامتها والا فجامعة بين العتاب والمنة ان فى ذلك لاية باهرة لقوم
يعقلون يستعملون عقولهم فى الايات بالنظر والتامل واوحى ربك الى النحل اى الهمها وقذف فى قلوبها
وعلمها بوجه لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ بفتحتين ان اتخذى اى بان اتخذى على ان ان مصدرية ويجوز
ان يكون مفسرة لما فى الايحاء من معنى القول وتانيث الضمير مع ان النحل مذكر للحمل على المعنى ولانه جمع
نحلة والتانيث لغة اهل الحجاز من الجبال بيوتا اى اوكارا مع ما فيها من الخلايا وقرئ بيوتا بكسر الباء
ومن الشجر ومما يعرشون اى يعرشه الناس اى يرفعه من كرم او سقف وقيل المراد به ما يرفعه
الناس ويبنونه للنحل والمعنى اتخذى لنفسك بيوتا من الجبال والشجر اذا لم يكن لك ارباب والا فاتخذى
ما يعرشونه لك وايراد حرف التبعيض لما انها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل عرش ولا فى كل مكان منها
ثم كلى من كل الثمرات من كل ثمرة تشتهينها حلوها ومرها فاسلكى ما اكلت منها سبل ربك اى مسالكه
التى يراها بحيث يجعل فيها بقدرته القاهرة النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكى الطرق التى الهمك
فى عمل العسل او فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس ذلك جمع ذلول
وهو حال من السبل اى مذللة غير متواعرة ذللها الله سبحانه وسهلها لك او من الضمير فى اسلكى اى
اسلكى منقادة لما امرت به يخرج من بطونها استيناف عدل به عن خطاب النحل لبيان ما يظهر منها من
تعاجيب صنع الله تعالى التى هى موضع العبرة بعد ما امرت بما امرت به شراب اى عسل لانه مشروب
واحتج به بقوله تعالى على من زعم ان النحل تاكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى بطنها عسلا ثم تلقى
ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها اجزاء قليلة حلوة صغيرة متفرقة على الازهار واوراق
وتضعها فى بيوتها فاذا اجتمع فيها شئ كثير يكون عسلا فسر البطون بالافواه مختلف الوانه
ابيض واسود واحمر حسب اختلاف سن النحل والفصل او الذى اخذت منه العسل فيه شفاء للناس
اما بنفسه كما فى الامراض البلغمية او مع غيره كما فى ساير الامراض اذ قلما يكون معجون لا يكون فيه
عسل مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز كونه للتفخيم وعن قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى يشتكى بطنه فقال عليه السلام اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال
قد سقيته فما نفع فقال اذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فشفاه فبرئ
كانما انشط من عقال وقيل الضمير للقران او لما بين الله تعالى من احوال النحل وعن ابن مسعود رضى الله
عنه العسل شفاء لكل داء والقران شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفائين العسل والقران ان فى ذلك
الذكر ذكر من اى حيث اثار قدرة الله تعالى لاية عظيمة لقوم يتفكرون فان من تفكر فى اختصاص النحل
بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة المشتملة على حسن الصيغة وصحة القسمة التى لا يقدر
عليها حذاق المهندسين الا بالات دقيقة وادوات انيقة وانتظار دقيقة جزم قطعا بان له خالقا قادرا
حكيما يلهمها ذلك ويهديها اليه عز وجل والله خلقكم لما ذكر سبحانه تعالى من عجايب احوال ما ذكر
من الماء والنبات والانعام والنحل اشار الى بعض عجايب احوال البشر من اول عمره الى اخره وتطوراته
فيما بين ذلك وقد ضبطوا مراتب العمر فى اربع الاولى سن النشو والنما والثانية سن الوقوف وهى
سن الشباب والثالثة بين الانحطاط القليل وهى سن الكهولة والرابعة سن الانحطاط الكبير وهى
سن الشيخوخة ثم يتوفيكم حسبما تقتضيه مشية المبنية على حكم بالغة باجال مختلفة اطفالا وشبابا
وشيوخا ومنكم من يرد قبل توفيه اى يعاد الى ارذل العمر اى اخره واحقره وهو خمس وسبعون سنة
على ما روى عن على رضى الله عنه وتسعون سنة على ما نقل عن قتادة رضى الله عنه وقيل خمس
وتسعون وايثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للايذان بان بلوغه والوصول اليه رجوع فى
الحقيقة الى الضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق ولا عمر اسوء حالا من عمر
الهرم الذى يشبه الطفل فى نقصان العقل والقوة لكيلا يعلم من بعد علم شيئا من العلم او من المعلومات
او لكيلا يعلم شيئا بعد علم بذلك الشئ وقيل لئلا يعقل بعد عقله الاول شيئا ان الله عليم بمقادير
اعمالكم قدير على كل شئ يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت الاجال

ليس الا بتقدير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى
الطبايع لما بلغ التفاوت هذا المبلغ والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق اى جعلكم متفاوتين فيه فاعطا
منه افضل مما اعطا مماليككم فما الذين فضلوا فيه على غيرهم برادى رزقهم الذى رزقهم اياه على
ما ملكت ايمانهم على مماليكهم الذين هم شركاؤهم فى المخلوقية والمرزوقية فهم اى الملاك والمماليك فيه اى
فى الرزق سواء اى لا يردونه عليهم بحيث يساوونهم فى التصرف ويشاركونهم فى التدبير والفا
للدلالة على ترتب التساوى على الرد اى لا يردونه عليهم ردا مستتبعا للتساوى وانما يردون عليهم
منه شيئا يسيرا فحيث لا يرضون بمساواة مماليكهم لانفسهم وهم امثالهم فى البشرية والمخلوقية
لله عز سلطانه فى شئ لا يختص بهم بل يعمهم واياهم من الرزق الذى هو اسوة لهم فى استحقاقه فما بالهم
يشركون بالله سبحانه وتعالى فيما لا يليق الا به من الالوهية والمعبودية الخاصة بذاته تعالى لذاته
بعض مخلوقاته الذى هو بمعزل من درجة الاعتبار وهذا كما ترى مثل ضرب لكمال قباحة ما فعله
المشركون تقريعا عليهم كقوله هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء الاية افبنعمة
الله يجحدون حيث يفعلون ما يفعلون من الاشراك فان ذلك يقتضى ان يضيفوا نعم الله سبحانه
وتعالى الفايضة عليهم الى شركائهم ويجحدوا كونها من عنده تعالى وحيث انكروا هذه الحجج البالغة
بعدما انعم الله بها عليهم والباء لتضمين الجحود معنى الكفر نحو وجحدوا بها والفا للعطف على مقدر
وهى داخلة فى المعنى على الفعل اى يشركون به فيجحدون نعمته وقرئ تجحدون على الخطاب او ليس الموالى
برادى رزقهم على مماليكهم بل انا الذى ارزقهم واياهم فلا يحسبوا انهم يعطونهم شيئا وانما رزقى
اجرى معى على ايديهم فهم جميعا فى ذلك سواء لا مزيد لهم على مماليكهم الا يفهمون ذلك فيجحدون
نعمة الله فهو رد على زعم المفضلين او على فعلهم المؤذن بذلك او ما المفضلون برادى بعض فضلهم
على مماليكهم فيتساووا فى ذلك جميعا مع ان التفضيل ليس الا ليبلوهم ايشكرون ام يكفرون الا يعرفون
ذلك فيجحدون نعمة الله تعالى كانه قيل فلم يردونه عليهم والجملة الاسمية للدلالة على استمرارهم
على عدم الرد يحكى عن ابى ذر رضى الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم
فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رئى عبده بذلك والا رداؤه رداؤه وازاره ازاره
من غير تفاوت والله جعل لكم من انفسكم اى من جنسكم ازواجا لتأنسوا بها وتقيموا بذلك جميع
مصالحكم ويكون اولادكم امثالكم وقيل هو خلق حواء من ضلع ادم عليه السلام وجعل لكم من ازواجكم
وضع الظاهر موضع المضمر للايذان بان المراد جعل لكم منه من زوجه لا من زوج غيره بنين وبان
نتيجة الازدواج هو التوليد وحفدة جمع حافد وهو الذى يسرع فى الخدمة والطاعة ومنه قول
القانت واليك نسعى ونحفد اى جعل لكم خدما يسرعون فى خدمتكم وطاعتكم فقيل المراد بهم
اولاد الاولاد وقيل البنات عبر عنهن بذلك ايذانا بوجه المنة فانهن يخدمن فى البيوت اتم خدمة
وقيل اولاد المراة من الزوج الاول وقيل البنون والعطف لاختلاف الوصفين وقيل الاختان على
البنات وتاخير المنصوب فى الموضعين عن المجرور لما مر من التشويق وتقديم المجرور باللام على
المجرور بمن للايذان من اول الامر بعود منفعة الجعل اليهم امدادا للتشويق وتقوية له اى جعل
لمصلحتكم مما يناسبكم ازواجا وجعل لمنفعتكم من جهة مناسبة لكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات
من اللذايذ او من الحلالات ومن للتبعيض اذ المرزوق فى الدنيا انموذج لما فى الاخرة افبالباطل يؤمنون
وهو ان الاصنام تنفعهم وان البحاير ونحوها حرام والفا فى المعنى داخلة على الفعل وهى للعطف على
مقدر اى يكفرون بالله الذى شانه هذا فيؤمنون بالباطل او ابعد تحقق ما ذكر من نعم الله
تعالى بالباطل يؤمنون دون الله سبحانه وتعالى وبنعمة الله تعالى الفايضة عليهم مما ذكر ومما
لا يحيط به دايرة البيان هم يكفرون حيث يضيفونها الى الاصنام وتقديم الصلة على الفعل للاهتمام
او لايهام الاختصاص مبالغة او لرعاية الفواصل والالتفات الى الغيبة للايذان باستيجاب
حالهم للاعراض عنهم وصرف الخطاب الى غيرهم من السامعين تعجيبا لهم مما فعلوه ويعبدون من دون
الله لعله عطف على يكفرون داخل تحت الانكار التوبيخى اى ايكفرون بنعمة الله ويعبدون
من دونه ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ان جعل الرزق مصدرا فشيئا نصب
على المفعولية منه اى لا يقدر على ان يرزقهم شيئا لا من السموات مطرا ولا من الارض نباتا
وان جعل اسما للمرزوق فنصب على البدلية منه بمعنى قليلا ومن السموات والارض صفة لرزقا اى
كاينا منهما ويجوز كونه تاكيدا للا يملك اى لا يملك رزقا شيئا من الملك ولا يستطيعون ان يملكوه

اذلا استطاعة لهم رأسا لانها اموات لاحراك بها فالضمير للالهة ويجوز ان يكون للكفرة على معنى انهم
مع كونهم احياء متصرفين في الامور لا يستطيعون من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس له فلا
تضربوا لله الامثال الالتفات الى الخطاب للايذان بالاهتمام بشان النهي اي لا تشركوا به شيئا
والتعبير عن ذلك بضرب المثل للقصد الى النهي عن الاشراك به تعالى في شان من الشئون فان ضرب
المثل مبناه تشبيه حالة بحالة وقصة بقصة اي لا تشبهوا بشانه شيئا من الشئون واللام مثلها
في قوله تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون
لا مثلها في قوله تعالى واضرب لهم مثلا اصحاب القرية ونظائره والفاء للدلالة على ترتب النهي على
ما عدد من النعم الفائضة عليهم من جهته سبحانه وتعالى وكون ما يشركون به تعالى بمعزل من ان يملك
لهم من اقطار السموات والارض شيئا من رزق ما فضلا عما فصل من نعمة الخلق والتفضيل في الرزق
ونعمة الازواج والاولاد ان الله يعلم تعليل للنهي المذكور ووعيد على المنهي عنه اي انه تعالى يعلم
كنه ما تأتون وما تذرون وانه في غاية العظم والقبح وانتم لا تعلمون ذلك والا لما فعلتموه او انه
تعالى يعلم كنه الاشياء وانتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم وقفوا في مواقف الامتثال بما ورد عليكم من
الامر والنهي ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا
تعلمون ذلك فتقعون فيما تقعون فيه من مهاوي الردى والضلال ثم علمهم كيفية ضرب الامثال
في هذا الباب فقال ضرب الله مثلا اي ذكر واورد شيئا يستدل به على تباين الحال بين جنابه عز وجل
وبين ما اشركوا به وعلى تباعدهما بحيث ينادي بفساد ما ارتكبوه نداء جليا عبدا مملوكا لا يقدر على
شيء بدل من مثلا وتفسير له والمثل في الحقيقة حالته العارضة له من المملوكية والعجز التام وبحسبهما
ضرب نفسه مثلا ووصف العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر لاشتراكهما في كونهما عبيدا لله سبحانه وتعالى
وقد ادمج فيه ان الكل عبيد له تعالى وبعدم القدرة لتمييزه عن المكاتب والماذون اللذين لهما التصرف
في الجملة وفي ابهام المثل اولا ثم بيانه بما ذكر ما لا يخفى من الفخامة والجزالة ومن رزقناه من موصوفة
معطوفة على عبدا اي رزقناه بطريق الملك والالتفات الى التكلم للاشعار باختلاف حالي ضرب
المثل والرزق منا من جنابنا الكبير المتعال رزقا حسنا حلالا طيبا او مستحسنا عند الناس مرضيا
فهو ينفق منه تفضلا واحسانا والفاء لترتيب الانفاق على الرزق كانه قيل ومن رزقناه منا رزقا
حسنا فانفق وايثار ما عليه النظم الكريم من الجملة الاسمية الفعلية الخبر للدلالة على ثبات
الانفاق واستمراره التجددي سرا وجهرا اي حال السر والجهر او انفاق سر وجهر والمراد بيان عموم انفاقه
للاوقات وشمول انعامه لمن يجتنب عن قبوله جهرا والاشارة الى اصناف نعم الله تعالى الباطنة والظاهرة
وتقديم السر على الجهر للايذان بفضله عليه والعدول عن تطبيق القرينتين بان يقال وحرا مالكا للاموال مع
كونه اول على تباين الحال بينه وبين قسيمه لتوخي تحقيق الحق بان الاحرار ايضا تحت ربقة عبوديته سبحانه
وتعالى وان مالكيتهم لما يملكونه ليست الا بان يرزقهم الله تعالى اياه من غير ان يكون لهم مدخل في ذلك
مع محافظة المبالغة في الدلالة على ما قصد بالمثل من تباين الحال بين الممثلين فان العبد المملوك حيث لم
يكن مثل العبد المالك فما ظنك بالجماد ومالك الملك خلاق العالمين هل يستوون جمع الضمير للايذان
بان المراد بما ذكر من اتصف بالاوصاف المذكورة من الجنسين المذكورين لا فردان معينان منهما اي هل يستوي
العبيد والاحرار الموصوفون بما ذكر من الصفات مع ان الفريقين سيان في البشرية والمخلوقية لله
سبحانه وتعالى وان ما ينفقه الاحرار ليس مما لهم مدخل في ايجاده ولا في تملكه بل هو مما اعطاه الله تعالى
اياهم فحيث لم يستو الفريقان فما ظنكم برب العالمين حيث تشركون به ما لا ذليل اذل منه وهو الاصنام
الحمد لله اي كله له لانه مولى جميع النعم لا يستحقه احد غيره وان ظهرت على ايدي بعض الوسائط فضلا
عن استحقاق العبادة وفيه ارشاد الى ما هو الحق من ان ما يظهر على يد من ينفق فيما ذكر راجع الى الله
سبحانه وتعالى كما لوح به قوله تعالى ورزقناه بل اكثرهم لا يعلمون ما ذكر فيضيفون نعمه تعالى الى
غيره ويعبدونه لاجله ونفي العلم عن اكثرهم للاشعار بان بعضهم يعلمون ذلك وانما لا يعملون بموجبه
عنادا كقوله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون وضرب الله مثلا اي مثلا آخر
يدل على ما دل عليه المثل السابق على وجه اوضح واظهر وبعد ما ابهم ذلك لتتطلع النفس الى وروده
وترتقبه حتى يتمكن لديها عند وروده بين فقيل رجلين احدهما ابكم وهو من ولد اخرس لا يقدر
على شيء من الاشياء المتعلقة بنفسه او بغيره بحدس او فراسة لقلة فهمه وسوء ادراكه وهو كل
ثقل وعيال على مولاه على من يعوله ويلي امره وهذا بيان لعدم قدرته على اقامة مصالح نفسه

بعدد

بعد ذكر عدم قدرته على شيء مطلقا وقوله تعالى اينما يوجهه اي حيث يرسله مولاه في امر بيان لعدم
قدرته على اقامة مصالح مولاه ولو كانت مصلحة يسيرة وقرئ يوجه على البناء للمفعول وعلى صيغة الماضي
لا يأت بخير بنجح وكفاية مهم البتة هل يستوي هو مع ما فيه من الاوصاف المذكورة ومن يأمر بالعدل
اي من هو بمنطيق فهم ذو رأي وكفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الجامع لمجامع الفضائل
وهو في نفسه مع ما ذكر من نفعه العام للخاص والعام على صراط مستقيم ومقابله الصفات المذكورة
بهذين الوصفين لانهما في حق ما يقابلهما فان محصل الصفات المذكورة عدم استحقاق المأمورية
وملخص هذين استحقاق كمال الآمرية المستتبع لحيازة المحاسن باجمعها وتغيير الاسلوب حيث لم يقل
والآخر آمر بالعدل الآية لمراعاة الملاءمة بينه وبين ما هو القصد من بيان التباين بين القرينتين
واعلم ان كلا من الفعلين ليس المراد بهما حكاية ضرب الماضي بل المراد انشاؤه بما ذكر عقيبه ولا يبعد ان
يقال ان الله تعالى ضرب مثلا بخلق الفريقين على ما هما عليه وكان خلقتهما كذلك للاستدلال بعدم
تساويهما على امتناع التساوي بينه سبحانه وبين ما يشركون فيكون كل من الفعلين حكاية للضرب
الماضي ولله تعالى خاصة لا لاحد غيره استقلالا ولا اشتراكا غيب السموات والارض اي الامور
الغائبة عن علوم المخلوقين قاطبة بحيث لا سبيل لهم اليها لا مشاهدة ولا استدلالا ومعنى الاضافة
اليهما التعلق بهما اما باعتبار الوقوع فيهما حالا او مآلا واما باعتبار الغيبة عن اهلهما والمراد بيان
الاختصاص به تعالى من حيث المعلومية حسبما ينبئ عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية
وان كان الامر كذلك في نفس الامر وفيه اشعار بان علمه سبحانه حضوري فان تحقق الغيوب في
انفسها علم بالنسبة اليه تعالى ولذلك لم يقل ولله علم غيب السموات والارض وما امر الساعة
التي هي اعظم ما وقع فيه المماراة من الغيوب المتعلقة بهما من حيث غيبتها عن اهلهما وظهور آثارها
فيهما عند وقوعها فان وقتها وقوعها بعينه من الغيوب المختصة به سبحانه وان كان اتيانها من الغيوب
التي نصبت عليها الادلة اي ما شانها في سرعة المجيء الا كلمح البصر اي كرجع الطرف من اعلى الحدقة الى
اسفلها او هو اي بل امرها فيما ذكر اقرب من ذلك واسرع زمانا بان يقع في بعض من زمانه فان ذلك
وان قصر حركة آنية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هوية كذلك قابل للانقسام الى
ابعاض هي ازمنة ايضا بل في آن غير منقسم من ذلك الزمان وهو آن ابتداء تلك الحركة او ما امرها
الا كالشيء الذي يستقرب ويقال هو كلمح البصر او هو اقرب واياما كان فهو تمثيل لسرعة مجيئها حسبما عبر
عنها في فاتحة السورة الشريفة بالاتيان ان الله على كل شيء قدير ومن جملة الاشياء ان يجيء بها اسرع
ما يكون فهو قادر على ذلك او وما امر اقامة الساعة التي كنهها وكيفيتها من الغيوب الخاصة به سبحانه
وهي اماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين وتبديل صورة الاكوان اجمعين وقد انكرها
المنكرون وجعلوها من قبيل ما لا يدخل تحت الامكان في سرعة الوقوع وسهولة التأتي الا كلمح البصر
او هو اقرب على ما مر من الوجهين ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على ان ذلك لا محالة وقيل غيب
السموات والارض عبارة عن يوم القيمة بعينه لما ان علمه بخصوصه غائب عن اهلهما فوضع الساعة موضع
الضمير لتقوية مضمون الجملة والله اخرجكم من بطون امهاتكم عطف على قوله والله جعل لكم من انفسكم
ازواجا منتظم معه في سلك ادلة التوحيد من قوله تعالى والله انزل من السماء ماء وقوله تعالى والله
فضل بعضكم على بعض والامهات بضم الهمزة وقرئ بكسرها ايضا جمع الام مزيدت الهاء فيه كما زيدت
في اهراق من اراق وشذت زيادتها في الواحدة قال امهتي خندف والياس ابي لا تعلمون شيئا في موقع
الحال اي غير عالمين شيئا اصلا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة عطف على اخرجكم وليس فيه دلالة
على تأخير الجعل المذكور عن الاخراج لما ان مدلول الواو هو الجمع مطلقا لا الترتيب على ان اثر ذلك الجعل
لا يظهر قبل الاخراج اي جعل لكم هذه الاشياء آلات تحصلون بها العلم والمعرفة بان تحسوا بمشاعركم
جزئيات الاشياء وتدركوها بافئدتكم وتتنبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرر الاحساس
فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية والافئدة جمع فؤاد وهو وسط
القلب وهو من القلب كالقلب من الصدر وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة وتقديم
المجرور على المنصوب لما مر من الايذان من اول الامر بكون المجعول نافعا لهم وتشويق النفس الى المؤخر
ليتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لعلكم تشكرون كي تعرفوا ما انعم به عليكم طورا غب طور فتشكروه
وتقديم السمع على البصر لما انه طريق تلقي الوحي او لان ادراكه اقدم من ادراك البصر وافراده
باعتبار كونه مصدرا في الاصل الم يروا وقرئ بالتاء الى الطير جمع طائر اي الم ينظروا اليها مسخرات مذللات
للطيران بما خلق لها من اجنحة والاسباب المساعدة وفيه مبالغة من حيث ان معنى التسخير جعل الشيء

منقادًا لاحى يتصرف فيه كيف يشاء فكان مقتضى طبيعة الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران
وفيه تنبيه على ان الطيران ليس بمقتضى طبع الطير السقوط فسخرها الله تعالى للطيران وفيه تنبيه
على ان الطير ليس بمقتضى طبع الطير بل ذلك بتسخير الله تعالى فى جو السماء اى فى الهواء المتباعد من
الارض والسكاك واللوح ابعد منه واضافته الى السماء لما انه فى جانبيها من الناظر ولاظهار كمال
القدرة ما يمسكهن فى الجو حين قبض اجنحتهن الا الله عز وجل بقدرته الواسطة فان ثقل جسدها
ورقة قوام الهوا يقتضيان سقوطها ولا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها وهوا ما حال
من الضمير المستتر فى مسخرات او من الطير واما مستانفة ان فى ذلك الذى ذكر من تسخير الطيران
بان خلقها خلقة يتمكن بها منه بان جعل لها اجنحة خفيفة واذنابا كذلك وجعل اجسادها من
الخفة بحيث اذا بسطت اجنحتها واذنابها لا يطيق ثقلها الخرق ما تحتها من الهوا الرقيق القوام
وتخترق ما بين يديها من الهواء لانها لا تلاقيه بحجم كبير لايات ظاهرة لقوم يؤمنون اى من شانهم
ان يؤمنوا وانما خص ذلك بهم لانهم منتفعون به والله جعل لكم معطوف على ما مر وتقديم لكم على
ما ياتى من المجرور لما مر من الايذان من اول الامر بانه لمصلحتهم ومنفعتهم لتشويق النفس
الى المؤخر وقوله تعالى من بيوتكم اى من بيوتكم المعهودة التى تبيتون فيها من الحجر والمدر تبيين لذلك
المجعول المبهم فى الجملة وتاكيد لما سبق من التشريف سكنا فعل بمعنى مفعول اى موضعا تسكنون
فيه وقت اقامتكم او تسكنون اليه من غير ان ينتقل من مكانه اى جعل بعض بيوتكم بحيث تسكنون
اليه وتطمئنون به وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا اى بيوتا اخر مغايرة لبيوتكم المعهودة هى الخيام
والقباب والاخبية والفساطيط تستخفونها تجدونها خفيفة سهلة المأخذ يوم ظعنكم وقت
ترحالكم فى النقض والحمل النقل وقرئ بفتح العين ويوم اقامتكم وقت نزولكم فى الضرب والبنا
ومن اصوافها واوبارها واشعارها عطف على قوله تعالى من جلودها والضمائر للانعام على وجه
التنويع اى وجعل لكم من اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز اثاثا اى متاع البيت واصله الكثرة
والاجتماع ومنه شعر اثيث ومتاعا اى شيئا يتمتع به من البلى والقبا وقيل الى ان تموتوا والكلام
فى ترتيب المفاعيل مثل ما مر من قبل والله جعل لكم مما خلق من غير صنع من قبلكم ظلالا اشياء تستظلون
بها من الحر كالغمام والشجر والجبل وغيرها امتن سبحانه بذلك لما ان تلك الديار غالبة الحرارة وجعل
لكم من الجبال اكنانا مواضع تسكنون فيها من الكهوف والغيران والشروب والكلام فى الترتيب الواقع
بين المفاعيل كالذى مر غير مرة وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو كل ما يلبس اى جعل لكم ثيابا من القطن
والكتان والصوف وغيرها تقيكم الحر خصه بالذكر اكتفاء بذكر احد الضدين عن ذكر الاخر او لان
وقايته هى الاهم عندهم لما مر وسرابيل من الدروع والجواشن تقيكم باسكم اى البأس الذى يصل الى بعضكم
من بعض فى الحروب من الضرب والطعن ولقد من الله سبحانه علينا حسب ذكر جميع نعمه الفائضة
على جميع الطوائف فبدأ بما يخص المقيمين حيث قال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا ثم بما يخص
المسافرين ممن لهم قدرة على الخيام واضرابها حيث قال وجعل لكم من جلود الانعام الخ ثم بما يعم
من لا يقدر على ذلك ولا ياوى به الا الظلال حيث قال وجعل لكم مما خلق ظلالا الى اخره ثم بما لا بد
منه لاحد حيث قال وجعل لكم سرابيل الى اخره ثم بما لا غنى عنه فى الحروب حيث قال وسرابيل
تقيكم باسكم ثم قال كذلك اى مثل ذلك الاتمام البالغ يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون اى ارادة
ان تنظروا فيما اسبغ عليكم من النعم الظاهرة والباطنة والانفسية والافاقية فتعرفوا حق منعمها
فتؤمنوا به وحده وتذروا ما كنتم به تشركون وتنقادوا لامره وافراد النعمة اما لان المراد
بها المصدر او لاظهار ان ذلك بالنسبة الى جناب الكبرياء قليل وقرئ تسلموا من العذاب او من
الشرك وقليل من الجراح بلبس الدروع فان تولوا فعل ماض على طريقة الالتفات وصرف الخطاب
عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له اى فان اعرضوا عنه الاسلام ولم يقبلوا منك ما تلقى
اليهم من البينات والعبر والعظات فانما عليك البلاغ المبين اى فلا قصور من جهتك لان
وظيفتك هى البلاغ الموضح والواضح وقد فعلته بما لا مزيد عليه فهو من باب وضع السبب موضع
المسبب يعرفون نعمة الله استيناف لبيان ان توليهم واعراضهم عن الاسلام ليس لعدم معرفتهم بنعمة
الله تعالى اصلا فانهم يعرفونها ويعترفون انها من الله تعالى ثم ينكرونها بافعالهم حيث يعبدون غير
منعمها او بقولهم انها بشفاعة الهتنا او بسبب كذا وقيل نعمة الله تعالى نبوة محمد عليه السلام عرفوها
بالمعجزات كما يعرفون ابناءهم ثم انكروها عنادا ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة لان حق من عرف
النعمة الاعتراف بها لا الانكار واسناد المعرفة والانكار المتفرع عليها الى ضمير المشركين على الاطلاق

من

من باب اسناد حال البعض الى الكل كقولهم بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم فان بعضهم ليسوا
كذلك لقوله تعالى واكثرهم الكافرون اى المنكرون بقلوبهم غير المعترفين بما ذكر والحكم عليهم بمطلق الكفر
المؤذن بالكمال من حيث الكمية لا ينافى كمال الفرقة الاولى من حيث الكيفية هذا وقيل ذكر الاكثر اما لان
بعضهم لم يعرفوا الحق لنقصان العقل والتفريط فى النظر او لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف فتدبر
ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد لهم بالايمان والطاعة وعليهم بالكفر والعصيان وهو نبيها ثم لا يؤذن
للذين كفروا فى الاعتذار اذ لا عذر لهم وثم للدلالة على ان ابتلاءهم بالمنع عن الاعتذار المنبئ عن الاقناط
الكلى وهو ما يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اشد من ابتلائهم بشهادة الانبياء عليهم السلام ولا هم
يستعتبون يسترضون اى لا يقال لهم ارضوا ربهم اذ الاخرة دار الجزاء لا دار العمل وانتصاب
الظرف بمحذوف تقديره اذكروا وخوفهم يوم نبعث الى اخره او يوم نبعث يحيق بهم ما يحيق مما لا
لا يوصف وكذا قوله تعالى واذا رأى الذين ظلموا العذاب الذى يستوجبونه بظلمهم وهو عذاب جهنم
فلا يخفف عنهم ذلك ولا هم ينظرون اى يمهلون كقوله تعالى بل تاتيهم بغتة فتبهتهم واذا رأى الذين
اشركوا شركاءهم الذين كانوا يدعونهم فى الدنيا وهم الاوثان او الشياطين الذين شاركوهم فى الكفر
بالحمل عليه وقارنوهم فى الغى والضلال قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك اى
نعبدهم او نطيعهم ولعلهم قالوا ذلك طمعا فى توزيع العذاب بينهم كما ينبئ عنه قوله سبحانه وتعالى
فالقوا اى شركاؤهم اليهم القول انكم لكاذبون فان تكذيبهم اياهم فيما قالوا ليس الا للمدافعة والتخلص
عن غائلة مضمونه وانما كذبوهم وقد كانوا يعبدونهم ويطيعونهم لان الاوثان ما كانوا راضين بعبادتهم
لم تكن عبادة لهم كما قالت الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن هم الذين كانوا راضين بعبادتهم لا
نحن او كذبوهم فى تسميتهم شركاء والهة وتنزيها لله سبحانه وتعالى من الشريك والشياطين وكانوا
راضين بعبادتهم لهم لكنهم لم يكونوا حاملين لهم على وجه القسر والالجاء كما قال ابليس وما كان لى عليكم
من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لى فكانهم قالوا ما عبدتمونا حقيقة بل انما عبدتم اهواءكم والقوا
اى الذين اشركوا الى الله يومئذ السلم الاستسلام والانقياد لحكمه العزيز الغالب بعد الاستكبار
عنه فى الدنيا وضل عنهم اى ضاع وبطل ما كانوا يفترون من ان الله سبحانه وتعالى شركاء وانهم
ينصرونهم ويشفعون لهم وذلك حين كذبوهم وتبرؤا منهم الذين كفروا فى انفسهم وصدوا غيرهم
عن سبيل الله بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر زدناهم عذابا فوق العذاب الذى كانوا يستحقونه
بكفرهم قيل فى زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن فيجد صاحبها
حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة البرد الى النار
بما كانوا يفسدون متعلق بقوله زدناهم بسبب استمرارهم على الافساد وهو الصد المذكور
ويوم نبعث تكرير لما سبق تثنية للتهديد فى كل امة شهيدا عليهم اى نبيا من انفسهم من جنسهم قطعا
لمعذرتهم وفى قوله تعالى عليهم اشعار بان شهادة انبيائهم على الامم تكون بمحضر منهم وجئنا بك
ايثار لفظ المجى على البعث لكمال العناية بشانه عليه السلام وصيغة الماضى للدلالة على تحقق
الوقوع شهيدا على هؤلاء الامم وشهدائهم كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك
على هؤلاء شهيدا وقيل على امتك والعامل فى الظرف المحذوف كما مر والمراد به يوم القيمة
ونزلنا عليك الكتاب الكامل فى الكتابية الحقيق بان يخص باسم الجنس وهو اما استيناف او حال
بتقدير قد تبيانا بيانا بليغا لكل شىء يتعلق بامور الدين ومن جملة ذلك احوال الامم مع انبيائهم
فيكون كالدليل على كونه عليه السلام شهيدا عليهم وكذا من جملته ما اخبر به بهذه الاية الكريمة
من بعث الشهداء وبعثه عليه السلام شهيدا عليهم عليهم السلام والتبيان كالتلقاء فى كسر اوله
وكونه تبيانا لكل شىء من امور الدين باعتبار ان فيه نصا على بعضها واحالة لبعضها على السنة اى فامر
باتباع النبى عليه الصلاة والسلام وطاعته وقيل فيه وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع وقد رضى
رسول الله عليه الصلاة والسلام لامته باتباع اصحابه حيث قال اصحابى كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وقد اجتهدوا وقاسوا ووطئوا طرق الاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس مستندة الى
تبيان الكتاب ولم يضر ما فى البعض من الخفا فى كونه تبيانا فان المبالغة باعتبار الكمية دون
الكيفية كما قيل فى قوله تعالى وما انا بظلام للعبيد انه من قولك فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده
ومنه قوله سبحانه وما للظالمين من انصار وهدى ورحمة للعالمين فان حرمان الكفرة من مغانم
اثاره من تفريطهم لا من جهة الكتاب وبشرى للمسلمين خاصة او يكون كل ذلك خاصا بهم لانهم
المنتفعون بذلك ان الله يامر اى فيما نزله تبيانا لكل شىء وهدى وبشرى وايثار صيغة الاستقبا

فيه وفيما بعده لافادة التجدد والاستمرار بالعدل بمراعاة التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وهو
رأس الفضائل كلها يندرج تحته فضيلة القوة العقلية من الحكمة المتوسطة بين التهور والجبن في
الحكم الاعتقادية التوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
العدل هو التوحيد والقول بالكسب المتوسط بين الجبر والقدر ومن الحكم العملية التعبد باداء الواجبات
المتوسطة بين البطالة والترهب ومن الحكم الخلقية الجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان
اي الاتيان بما امر به على الوجه اللائق وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل او بحسب الكيفية
كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم والاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
وايتاء ذي القربى اي اعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص اثر تعميم اهتماما بشانه
وينهى عن الفحشاء الافراط في مشايعة القوة الشهوية كالزنا مثلا والمنكر ما ينكر شرعا او عقلا
من الافراط في اظهار القوة الغضبية والبغي الاستيلاء والاستعلاء على الناس والتجبر عليهم وهو
من آثار القوة الوهمية الشيطانية التي هي حاصلة من رذيلتي القوتين المذكورتين الشهوية
والغضبية وليس في حيز البشرية الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر عنه بواسطة
هذه القوى الثلاث وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي اجمع آية في القرآن للخير والشر
لو لم يكن فيه غير هذه الآية الكريمة لكفت في كونه تبيانا لكل شيء وهدى يعظكم بما يأمر وينهى
وهو اما استئناف واما حال من الضمير في الفعلين لعلكم تذكرون طلبا لان تتعظوا بذلك
واوفوا بعهد الله هو البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانها مبايعة لله سبحانه لقوله
تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله اذا عاهدتم اي حافظوا على حدود ما عاهدتم عليه
وبايعتم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنقضوا الايمان التي تحلفون بها عند المعاهدة
بعد توكيدها حسبما هو المعهود في اثناء العهد لا على ان يكون النهي مقيدا بالتوكيد مختصا به
وقد جعلتم الله عليكم كفيلا شاهدا رقيبا فان الكفيل يراعي حال المكفول به محافظة عليه ان الله
يعلم ما تفعلون من نقض الايمان والعهود فيجازيكم على ذلك ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض
كالتي نقضت غزلها اي ما غزلته مصدر بمعنى المفعول من بعد قوة متعلق بنقضت اي كالمرأة التي
نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا طاقات نكثت وانتصابه على الحالية من غزلها او على انه مفعول
لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح حال النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل
هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة
على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن تتخذون ايمانكم
دخلا بينكم حال من الضمير في لا تكونوا او في الجار والمجرور الواقع موقع الخبر اي مشابهين بامرأة شانها
هذا حال كونكم متخذين ايمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشيء ولم يكن منه
ان تكون امة بان تكون جماعة هي اربى اي ازيد عددا واوفر مالا من امة من جماعة اخرى اي لا تغدروا
القوم بكثرتكم وقلتهم او بكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا راوا شوكة في اعادي
شركائهم نقضوا عهدهم وحالفوا اعداءهم انما يبلوكم الله به بان تكون امة اربى من امة اي يعاملكم
بذلك معاملة من يختبركم لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله صلى الله عليه
وسلم ام تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم بحسب ظاهر الحال وليبينن لكم
يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون حين جازاكم باعمالكم ثوابا وعقابا ولو شاء الله مشيئة قسر
لجعلكم امة واحدة متفقة على الاسلام ولكن لا يشاء ذلك لكونه مزاحما لقضية الحكمة بل
يضل من يشاء اضلاله اي يخلق فيه الضلال حسبما يصرف اختياره الجزئي اليه ويهدي من يشاء هدايته
حسبما يصرف اختياره الى تحصيلها ولتسئلن جميعا يوم القيامة عما كنتم تعملون في الدنيا وهذا اشارة
الى ما لوح به من ان الكسب الذي عليه يدور امر الهداية والضلال ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم
تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في بيان قبح المنهي عنه وتمهيدا لقوله سبحانه
وتعالى فتزل قدم عن محجة الحق بعد ثبوتها عليها ورسوخها فيها بالايمان وافراد القدم وتنكيرها
بالايمان للايذان بان ذلك قدم واحدة اي قدم كانت عزت او هانت محذور عظيم فكيف
باقدام كثيرة وتذوقوا السوء اي العذاب الدنيوي بما صددتم بصدودكم او بصدكم غيركم
عن سبيل الله الذي ينتظم الوفاء بالعهود والايمان فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة
لغيره ولكم في الآخرة عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله اي لا تأخذوا بمقابلة عهده تعالى وبيعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم او باياته الناطقة بايجاب المحافظة على العهود والايمان ثمنا قليلا

اى

اي لا تستبدلوا بها عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون ضعفة المسلمين ويشترطون لهم على الارتداد
من حطام الدنيا ان ما عند الله عز وجل من النصر والتغنيم والثواب الاخروي هو خير لكم مما يعدونكم
ان كنتم تعلمون اي ان كنتم من اهل العلم والتمييز وهو تعليل للنهي على طريقة التحقيق كما ان قوله تعالى ما عندكم
تعليل الخيرية بطريق الاستئناف اي ما يتمتعون به من نعيم الدنيا وان جل بل الدنيا وما فيها ينفد
وان جم عدده وينقضي وان طال امده وما عند الله من خزائن رحمته الدنيوية والاخروية باق
لا نفاد له اما الاخروية فظاهرة واما الدنيوية فحيث كانت موصولة بالاخروية مستتبعة لها
فقد انتظمت في سمط الباقيات الصالحات وفي ايثار الاسم على صيغة المضارع من الدلالة على
الدوام ما لا يخفى وقوله تعالى ولنجزين بنون العظمة على طريقة الالتفات تكرير للوعد المستفاد
من قوله تعالى ان ما عند الله خير لكم على نهج التوكيد القسمي مبالغة في الحمل على الثبات في الدين والالتفات
عما يقتضيه ظاهر الحال من ان يقال ولنجزينكم اجركم باحسن ما كنتم تعملون للتوسل الى التعرض لاعمالهم
والاشعار بعليتها للجزاء اي والله لنجزين الذين صبروا على اذية المشركين ومشاق الاسلام التي من
جملتها الوفاء بالعهود والفقر وقرئ بالياء من غير التفات اجرهم مفعول ثان لنجزين اي لنعطينهم اجرهم
الخاص بهم بمقابلة صبرهم على ما منوا به من الامور المذكورة باحسن ما كانوا يعملون اي لنجزينهم بما كانوا
يعملونه من الصبر المذكور وانما اضيف اليه الاحسن للاشعار بكمال حسنه كما في قوله سبحانه وتعالى وحسن
ثواب الآخرة لا لافادة قصر الجزاء على الاحسن منه دون الحسن فان ذلك مما لا يخطر ببال احد لا سيما بعد قوله
تعالى اجرهم او لنجزينهم بحسب احسن افراد اعمالهم على معنى لنعطينهم بمقابلة الفرد الادنى من اعمالهم المذكورة
ما نعطيه بمقابلة الفرد الاعلى منها من الاجر الجزيل لا انا نعطي الاجر بحسب افرادها المتفاوتة في مراتب
الحسن بان نجزي الحسن منها بالاجر الحسن والاحسن بالاحسن وفيه ما لا يخفى من العدة الجميلة باغتفار
ما عسى يعتريهم في تضاعيف الصبر من بعض جزع ونظمه في سلك الصبر الجميل ولنجزينهم بجزاء احسن من
اعمالهم واما التفسير بما يترجح فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بما يترجح تركه ايضا كالمحرمات
والمكروهات دلالة على ان ذلك هو المدار للجزاء دون ما يستوي فعله وتركه كالمباحات فلا يساعده
مقام الحث على الثبات على ما هم عليه من الاعمال الحسنة المخصوصة والترغيب في تحصيل ثمراتها بل التعرض
لاخراج بعض اعمالهم من مدارية الجزاء من قبيل تحجير الرحمة الواسعة في مقام توسيع حماها من عمل
صالحا اي عملا صالحا اي عمل كان وبهذا شروع في تحريض كافة المؤمنين على كل عمل صالح غب ترتيب طائفة
منهم في الثبات على ما هم عليه من عمل صالح مخصوص دفعا لتوهم اختصاص الاجر الموفور بهم وبعددهم
المذكور وقوله تعالى من ذكر او انثى مبالغة في بيان شموله للكل وهو مؤمن قيده به اذ لا اعتداد باعمال
الكفرة في استحقاق الثواب او تخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
هباء منثورا وايثار ايراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه في سلك الصلة لافادة وجوب دوام
مقارنته للعمل الصالح فلنحيينه حياة طيبة في الدنيا يعيش عيشا طيبا اما ان كان موسرا فظاهر
واما ان كان معسرا فيطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم كالصائم يطيب
نهاره بملاحظة نعيم ليلة بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنا
بعيشه ولنجزينهم في الآخرة اجرهم باحسن ما كانوا يعملون حسبما تفعل بالصابرين فليس فيه شائبة
تكرار والجمع في الضمائر العائدة الى الموصول لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد فيما سلف لرعاية
جانب اللفظ وايثار ذلك على العكس لما ان وقوع الجزاء بطريق الاجتماع والمناسب للجمعية ووقوع
ما في حيز الصلة وما يترتب عليه بطريق الافتراق والتعاقب الملائم للافراد واذ قد انتهى الامر
الى ان مدار الجزاء المذكور هو صلاح العمل وحسنه رتب عليه بالفاء الارشاد الى ما به يحسن العمل
الصالح ويخلص من شوب الفساد فقيل فاذا قرأت القرآن اي اذا اردت قراءته عبر بها عن ارادتها
على طريقة اطلاق اسم المسبب على السبب ايذانا بان المراد هي الارادة المتصلة بالقراءة فاستعذ
بالله فاسأله عز جاره ان يعيذك من الشيطان الرجيم من وساوسه وخطراته لئلا يوسوسك
عند القراءة فان له همة بذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى
الشيطان في امنيته الآية وتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخصيص قراءة
القرآن من بين الاعمال الصالحة بالاستعاذة عند ارادتها للتنبيه على انها لغيره صلى الله عليه وسلم
وفي سائر الاعمال الصالحة اهم فانه صلى الله عليه وسلم فيما عدا القراءة من الاعمال الصالحة
والامر للندب وعند عطاء للوجوب وهذا مذهب الجمهور وقد اخذ بظاهر النظم الكريم
فاستعذ عقيب القراءة ابو هريرة رضي الله عنه ومالك وابن سيرين وداود وجمعة من القرا

وعن بن مسعود رضي الله عنه قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم فقال صلى الله عليه وسلم قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرانيه جبرئيل
عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ انه الضمير للشان او للشيطان ليس له سلطان تسلط
وولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون اى اليه يفوضون امورهم وبه يعوذون في كل ما ياتون
وما يذرون فان وسوسته لا تؤثر فيهم ودعوته غير مستجابة عندهم وايثار صيغة الماضي في الصلة
الاولى للدلالة على التحقق كما ان اختيار صيغة الاستقبال في الثانية لافادة الاستمرار التجددي
وفي التعرض لوصف الربوبية عدة كريمة باعاذة المتوكلين والجملة تعليل للامر بالاستعاذة او لجوابه
المنوي اى يعدل او بمحوه انما سلطانه اى تسلطه وولايته بدعوته المستتبعة للاستجابة لا سلطانه
بالقسر والالجاء فانه منتف عن الفريقين بقوله سبحانه وتعالى حكاية عنه وما كان لي عليكم من سلطان
الا ان دعوتكم فاستجبتم لي وقد افصح عنه قوله تعالى على الذين يتولونه اى يتخذونه وليا ويستجيبون
دعوته ويطيعونه فان المقسور بمعزل من ذلك والذين هم به سبحانه وتعالى مشركون او بسبب الشيطان
مشركون اذ هو الذي حملهم على الاشراك بالله سبحانه وقصر سلطانه عليهم غب نفيه عن المؤمنين
المتوكلين دليل على ان لا واسطة في الخارج بين التوكل على الله تعالى وبين الشيطان وان كان بينهما
واسطة في المفهوم وان من لم يتوكل عليه تعالى ينتظم في سلك من يتولى الشيطان من حيث لا يحتسب
اذ به يتم التعليل ففيه مبالغة في الحمل على التوكل والتحذير عن مقابلة وايثار الجملة الاسمية للدلالة
على الثبات وتكرير الموصول للاحتراز عن توهم كون الصلة الثانية حالية مفيدة لعدم دخول غير
المشركين من اولياء الشيطان تحت سلطانه وتقديم الاولى على الثانية التي هي بمقابلة الصلة الاولى
فيما سلف لرعاية المقارنة بينها وبين ما يقابلها من التوكل على الله تعالى ولو روعي الترتيب السابق
لانفصل كل من القرينتين عما يقابلها واذا بدلنا اية مكان اية اى اذا انزلنا اية من القران مكان اية
منه وجعلناها بدلا منها بان نسخنا الاولى بها والله اعلم بما ينزل اولا واخرا وبان كلا من ذلك ما نزلت
حيثما نزلت الا حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة فان لكل وقت مقتضى الاخر فكم من مصلحة في وقت تنقلب
في وقت اخر مفسدة وبالعكس لانقلاب الامور الداعية الى ذلك وما الشرائع الا مصالح للعباد في
المعاش والمعاد حسبما تدور المصالح والجملة اما معترضة لتوبيخ الكفرة والتنبيه على فساد
رايهم وفي الالتفات الى الغيبة مع اسناد الخبر الى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من
تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض او حالية قالوا اى الكفرة الجاهلون بحكمة النسخ انما انت مفتر اى متقول على الله تعالى تامر بشيء ثم بعد ذلك تنهى عنه
وحكاية هذا القول عنهم ههنا للايذان بان ذلك الكفرة ناشئة من نزغات الشيطان وانه
وليهم بل اكثرهم لا يعلمون اى لا يعلمون شيئا اصلا او لا يعلمون ان في النسخ حكما بالغة واسناد هذا
الحكم الى الاكثر لما ان منهم من يعلم ذلك وانما ينكر عنادا قل نزله اى القران المدلول عليه بالاية روح
القدس يعني جبرئيل عليه السلام اى الروح المطهر من الادناس البشرية واضافته الروح الى
القدس وهو الطهر كاضافة حاتم الى الجود حيث قيل حاتم الجود للمبالغة في ذلك الوصف كانه طبع
منه وفي صيغة التفعيل في الموضعين اشعار بان التدريج في الانزال مما تقتضيه الحكم البالغة من
ربك في اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم من الدلالة على تحقيق افاضة اثار الربوبية
عليه صلى الله عليه وسلم ما ليس في اضافته الى ياء المتكلم المبنية على التلقين المحض بالحق اى
ملتبسا بالحق الثابت الموافق للحكمة المقتضية له بحيث لا يفارقها انشاء ونسخا وفيه دلالة على
النسخ حق ليثبت الذين امنوا على الايمان بانه كلامه تعالى فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه
من رعاية المصالح بالحال رسخت عقائدهم واطمانت قلوبهم وقرئ ليثبت اى تثبيتا وهداية وبشرى من الافعال وهدى وبشرى للمسلمين المنقادين لحكمه تعالى وهما معطوفان على محل ليثبت
بشارة وفيه تعريض بحصول اضداد الامور المذكورة لمن سواهم من الكفار ولقد نعلم انهم يقولون
غير ما نقل عنهم من المقالة الشنعاء انما يعلمه اى القران بشر على طريق البت مع ظهور انه نزله
روح القدس عليه السلام وتحلية الجملة بفنون التاكيد لتحقيق ما يتضمنه من الوعيد وصيغة
الاستقبال لافادة استمرار العلم بحسب استمرار التجددي في متعلقه فانهم مستمرة على تفوه
تلك العظيمة يعنون بذلك جبرا الرومي غلام عامر بن الحضرمي وقيل جبرا ويسارا كانا يصنعان
السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع
ما يقرانه وقيل عايشا غلام حويطب بن عبد العزى قد اسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان
الفارسي وهو انما لم يصرح باسم من زعموا انه يعلمه مع كونه ادخل في دخول كذبهم للايذان بان
مدار خطابهم ليس نسبته صلى الله عليه وسلم للتعلم من شخص معين بل من البشر كائنا من كان مع

كونه

كونه صلى الله عليه وسلم معدنا لعلوم الاولين والاخرين لسان الذي يلحدون اليه اعجمي الالحاد
الامالة من لحد القبر انه ما حفره عن الاستقامة اعجمية عربية وقرئ بفتح اليا والحا بتعريف اللسان
وهذا القران الكريم لسان عربي مبين ذو بيان وفصاحة والجملتان مستانفتان لابطال طعنهم وتقريره
ان القران معجز بنظمه كما انه معجز بمعناه فان زعمتم ان بشرا يعلمه معناه فكيف يعلمه هذا النظم الذي
اعجز جميع اهل الدنيا والتشبث في اثناء الطعن باذيال امثال هذه الخرافات الركيكة دليل على كمال عجزهم
ان الذين لا يؤمنون بايات الله اى لا يصدقون انها من عند الله بل يقولون فيها ما يقولون يسمونها
تارة افتراء واخرى اساطير معلمة من البشر لا يهديهم الله الى الحق او الى سبيل النجاة هداية موصلة الى
المطلوب لما انهم لا يستحقون ذلك لسوء حالهم ولهم في الاخرة عذاب اليم وهذا تهديد لهم ووعيد
على ما هم عليه من الكفر بايات الله تعالى ونسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الافتراء والتعلم من
البشر بعد اماطة شبهتهم وطعنهم وقوله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله
رد لقولهم انما انت مفتر وقلب للامر عليهم ببيان انهم هم المفترون بعد رده بتحقيق انه منزل من
عند الله تعالى بواسطة روح القدس وانما وسط بينهما قوله تعالى ولقد نعلم الاية لما لا يخفى من شدة
اتصاله بالرد الاول والمعنى والله اعلم ان المفتري هو الذي يكذب بايات الله ويقول انه افتراء
ومعلم من البشر اى تكذيبها على الوجه المذكور هو الافتراء على الحقيقة لان حقيقة الكذب والحكم بان
ما هو كلامه تعالى ليس بكلامه تعالى في كونه كذبا وافتراء كالحكم بان ما ليس بكلامه تعالى كلامه
تعالى والتصريح بالكذب للمبالغة في بيان قبحه وصيغة المضارع لرعاية المطابقة بينه وبين ما هو عبارة
عنه اعني قوله لا يؤمنون وقيل المعنى انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن بايات الله لانه لا يترقب
عقابا عليه ليرتدع عنه واما من يؤمن بها ويخاف ما نطقت به من العقاب فلا يمكن ان يصدر عنه
افتراء البتة واولئك الموصوفون بما ذكر من عدم الايمان بايات الله هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون
في الكذب اذ لا كذب اعظم من تكذيب اياته تعالى والطعن فيها بامثال هاتيك الاباطيل والسر في ذلك ان
الكذب الساذج الذي هو عبارة عن الاخبار بعدم وقوع ما هو واقع في نفسه لا من بخلق الله تعالى او بوقوع
ما لم يقع لذلك مدافعة الله سبحانه في فعله فقط والتكذيب مدافعة له سبحانه وتعالى في فعله وقوله
المنبئ عنه معا او الذين عادتهم الكذب لا يزعهم عنه وازع من دين او مروة وقيل الكاذبون في قولهم
انما انت مفتر من كفر بالله اى تلفظ بكلمة الكفر من بعد ايمانه به تعالى وهو ابتداء كلام لبيان حال من كفر
بايات الله بعد ما امن بها بعد بيان حال من لم يؤمن بها راسا ومن موصولة ومحلها الرفع على الابتداء
والخبر محذوف لدلالة الجزاء الاتي عليه او هو لهما معا والنصب على الذم الا من اكره على ذلك بامر يخاف
على نفسه او على عضو من اعضائه وهو استثناء متصل من حكم الغضب والعذاب او الذم لان الكفر لغة يتم بالقول
كما اشير اليه وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان حال من المستثنى والعامل هو الكفر الواقع بالاكراه
لان مقارنة اطمئنان القلب بالايمان للاكراه لا يجدي نفعا وانما المجدي مقارنته للكفر الواقع به اى الا
من كفر باكراه والحال ان قلبه مطمئن بالايمان لم تتغير عقيدته وانما لم يصرح به ايماء الى
انه ليس بكفر حقيقة وفيه دليل على ان الايمان هو التصديق بالقلب ولكن من لم يكن كذلك من شرح بالكفر
صدرا اى اعتقده وطاب به نفسا فعليهم غضب عظيم لا يكتنه كنهه من الله اظهار الاسم الجليل لتربية
المهابة وتقوية تعظيم العذاب ولهم عذاب عظيم اذ لا جرم اعظم من جرمهم والجمع في الضميرين المجرورين
لمراعاة جانب المعنى كما ان الافراد في المستكن في الصلة لرعاية جانب اللفظ روي ان قريشا اكرهوا عمارا
وابويه ياسرا وسمية على الارتداد فاباه ابواه فربطوا سمية بين بعيرين ووجئت بحربة في قبلها وقالوا
انما اسلمت من قبل الرجال فقتلوها وقتلوا ياسرا وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فاعطاهم بلسانه
ما اكرهوه عليه فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز
التكلم بكلمة الكفر عند الاكراه الملجئ وان كان الافضل ان يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله ابواه وروي
ان مسيلمة الكذاب اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله
قال فما تقول في قال فانت ايضا فخلاه وقال للاخر ما تقول في محمد صلى الله عليه وسلم قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله قال فما تقول في قال انا اصم فعاد ثلاثا فاعاد جوابه
فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصته واما الثاني فقد صدع
بالحق ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى الوعيد المذكور بانهم بسبب انهم استحبوا
الحيوة الدنيا اثروها على الاخرة وان الله لا يهدي الى الايمان والى ما يوجب الثبات عليه هداية

قسوا لجا القوم الكافرين في علمه المحيط فلا يعصمهم عن الزيغ وما يؤدي اليه من الغضب والعذاب العظيم
ولو لا احد الامرين اما ايثار الحياة الدنيا على الاخرة واما عدم هداية سبحانه وتعالى للكافرين هداية
قسر بان اثروا الاخرة على الدنيا او بان هداهم الله تعالى هداية قسر لما كان ذلك لكن الثاني مخالف
للحكمة والاول مما لا يدخل تحت الوقوع واليه اشير بقوله تعالى اولئك اي اولئك الموصوفون بما
ذكر من القبائح الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم فابت عن ادراك الحق والتامل فيه
اولئك هم الغافلون اي الكاملون في الغفلة اذ لا غفلة اعظم من الغفلة عن تدبر العواقب لا جرم انهم
في الاخرة هم الخاسرون اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها الى ما لا يفضي الا الى العذاب ثم ان ربك للذين
هاجروا الى دار الاسلام وهم عمار واصحابه رضي الله عنهم اي لهم بالولاية والنصر لا عليهم كما يوجبه
ظاهر اعمالهم السابقة فالجار والمجرور خبر لان ويجوز ان خبرها محذوف لدلالة الخبر الاتي عليه ويجوز
ان يكون ذلك خبرا لها وتكون ان الثانية تاكيدا للاولى وثم للدلالة على تباعد رتبة حالهم الذي يفيدها
الاستثناء من مجرد الخروج عن حكم الغضب والعذاب بطريق الاشارة عن رتبة حال الكفرة من بعد ما فتنوا
اي عذبوا على الارتداد وتلفظوا بما يرضيهم مع اطمئنان قلوبهم بالايمان وقرئ على بناء الفاعل اي عذبوا
المؤمنين كالحضرمي اكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم اسلما وهاجرا ثم جاهدوا في سبيل الله تعالى وصبروا على
مشاق الجهاد ان ربك من بعدها من بعد المهاجرة والجهاد والصبر فهو تصريح بما اشعر به بناء الحكم على
الموصول من علية الصلة او من بعد الفتنة المذكورة فهو لبيان عدم اخلال ذلك بالحكم لغفور لما
فعلوه من قبل رحيم ينعم عليهم مجازاة على ما صنعوا من بعد وفي التعريض لعنوان الربوبية في الموضعين ايما
الى علة الحكم وفي اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم واشعار بان افاضة اثار الربوبية عليهم من
المغفرة والرحمة بواسطته صلى الله عليه وسلم وكونهم اتباعا له يوم تاتي كل نفس منصوب برحيم وما
عطف عليه او باذكر وهو يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العالمين تجادل عن نفسها عن ذاتها تسعى في خلاصها
في الاعتذار ولا يهمها شان غيرها فتقول نفسي نفسي وتوفى كل نفس اي تعطى وافيا كاملا ما عملت اي جزاءما
عملت بطريق اطلاق اسم السبب على المسبب اشعارا بكمال الاتصال بين الاجزية والاعمال وايثار الاظهار
على الاضمار لزيادة التقرير وللايذان باختلاف وقتي المجادلة والتوفية وان كانتا في يوم واحد
وهم لا يظلمون لا ينقصون اجورهم او لا يعاقبون بغير موجب ولا يزاد في عقابهم على ذنوبهم وضرب الله
مثلا قرية قيل ضرب المثل صنعه واعماله وقد مر تحقيقه في سورة البقرة ولا يتعدى الا الى مفعول
واحد وانما عدي الى الاثنين لتضمينه الجعل وتاخير قرية مع كونها مفعولا اول لئلا يحول المفعول
الثاني بينها وبين صفتها وما يترتب عليها اذ التخلص عن الكل بتجاوب اطراف النظم وتجاوبها ولان
تاخير ما حقه التقديم مما يورث النفس ترقبا لوروده وتشوقا اليه لا سيما اذا كان في المقدم ما يدعوا
اليه فان المثل مما يدعوا الى المحافظة على التفاصيل احوال ما هو مثل فيتمكن المتاخر عند وروده لها فضل
تمكن والقرية اما محققة في الغابرين واما مقدرة اي جعلها مثلا لاهل مكة خاصة او لكل قوم
انعم الله تعالى عليهم فابطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فبدل الله تعالى بنعمتهم نقمة ودخل فيهم اهل مكة
دخولا اوليا كانت امنة ذات امن من كل مخوف مطمئنة لا يزعج اهلها مزعج ياتيها رزقها اقوات اهلها
صفة ثانية لقرية وتغيير سبكها عن الصفة الاولى لما ان اتيان رزقها متجدد وكونها امنة مطمئنة
ثابت مستمر رغدا واسعا من كل مكان من نواحيها فكفرت اي كفر اهلها بانعم الله اي بنعمه جمع نعمة على
من ترك الاعتداد بالتاكد درع وادرع او جمع نعم كبوس وابوس والمراد بها نعمة الرزق والامن المستمر
وايثار جمع القلة للايذان بان كفران نعمة قليلة حيث اوجب هذا العذاب فما ظنك بكفران نعم كثيرة
فاذاقها الله اي اذاق اهلها لباس الجوع والخوف شبه اثر الجوع والخوف وضررهما المحيط بهم باللباس
الغاشي للابس فاستعير له اسمه واوقع عليه الاذاقة المستعارة لمطلق الايصال المنبئة عن
شدة الاصابة بما فيها من اجتماع ادراك الملامسة والذائقة على نهج التجريد فانها يسوغ استعمالها
في ذلك وكثرة جريانها على الالسنة جرت مجرى الحقيقة من احوال كقول كثير ٭ غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا
غلقت بضحكته رقاب المال ٭ فان الغمر مع كونه في الحقيقة من احوال الماء الكثير لما كان كثير الاستعمال
في المعروف المشبه بالماء الكثير جرى مجرى الحقيقة فصارت اضافته الى الرداء المستعار للمعروف تجريدا
او شبه اثرهما وضررهما من حيث الاحاطة بهم والكراهة لديهم تارة باللباس الغاشي للابس
المناسب للخوف بجامع الاحاطة واللزوم وتشبيه معقول بمحسوس فاستعير له اسمه استعارة
تصريحية واخرى بطعم المر والبشع الملائم للجوع الناشئ من فقد الرزق بجامع الكراهة فاومى
اليه بان اوقع عليه الاذاقة المستعارة للاتصال الضار المنبئة عن شدة الاصابة بما فيها من اجتماع

وادراكي الملامسة والذائقة وتقديم الجوع الناشئ مما ذكر من فقدان الرزق على الخوف المترتب على زوال
الامن المقدم فيما تقدم على اتيان الرزق وكونه انسب بالاذاقة والمراعاة المقارنة بينهما وبين اتيان
الرزق وقد روي بتقديم الخوف وبنصبه عطفا على المضاف واقامة له مقام مضاف محذوف واصله
ولباس الخوف بما كانوا يصنعون فيما قبل او على وجه الاستمرار وهو الكفران المذكور اسند ذلك الى اهل
القرية تحقيقا للامر بعد اسناد الكفران اليها وايقاع الاذاقة عليها ارادة للمبالغة وفي صيغة
الصنعة ايذان بان كفران النعمة صار صنعة راسخة لهم وسنة مسلوكة ولقد جاءهم من تتمة التمثيل
جيء بها لبيان ان ما فعلوه من كفران النعم لم يكن مزاحمة منهم لقضية العقل فقط بل كان ذلك معارضة
لحجة الله على الخلق ايضا ولقد جاءهم اي ولقد جاء اهل تلك القرية رسول منهم اي من جنسهم يعرفونه
باصله ونسبه فاخبرهم بوجوب الشكر على النعمة وانذرهم سوء عاقبة ما ياتون وما يذرون فكذبوه
في رسالته او في ما اخبرهم به مما ذكر فالفاء فصيحة وعدم ذكره للايذان بمفاجاتهم بالتكذيب من غير
تلعثم فاخذهم العذاب المستاصل لشافتهم غب ما ذاقوا نبذة من ذلك وهم ظالمون اي حال التباسهم
بما هم عليه من الظلم الذي هو كفران نعم الله تعالى وتكذيب رسوله صلى الله عليه وسلم غير مقلعين
عنه بما ذاقوا من مقدماته الزاجرة عنه وفيه دلالة على تماديهم في الكفر والعناد وتجاوزهم
في ذلك كل حد معتاد وترتيب العذاب على تكذيب الرسول جري على سنة الله تعالى حسبما يرشد
اليه سبحانه وتعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وبه تم التمثيل فان حال اهل مكة
سواء ضرب المثل لهم خاصة او لمن سار سيرتهم كافة محاذية لحال اهل تلك القرية حذو القذة
بالقذة من غير تفاوت بينهما ولو في خصلة فذة كيف لا وقد كانوا في حرم امن ويتخطف الناس
من حولهم وما يمر ببالهم طيف من الخوف وكان يجبى اليه ثمرات كل شيء ولقد جاءهم رسول منهم
اي رسول تحار في ادراك سمو رتبته العقول صلى الله عليه وسلم ما اختلف الدبور والقبول
فكفروا بانعم الله وكذبوا رسوله صلى الله عليه وسلم فاذاقهم الله لباس الجوع والخوف حيث اصابهم
بدعائه صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف ما اصابهم من جدب
شديد وازمة حصت كل شيء وحتى اضطرتهم الى اكل الجيف والكلاب الميتة والعظام المحرقة
والعلهز وهو الوبر المعالج بالدم وقد ضاقت عليهم الارض بما رحبت من سرايا رسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث كانوا يغيرون على مواشيهم وعيرهم وقوافلهم ثم اخذهم يوم بدر ما اخذهم من
العذاب هو الذي يقتضيه المقام ويستدعيه حسن النظام واما ما اجمع عليه اكثر اهل التفسير
من ان الضمير في قوله تعالى ولقد جاءهم لاهل مكة قد ذكر حالهم صريحا بعد ما ذكر مثلهم وان المراد
بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبالعذاب ما اصابهم من الجدب ووقعة بدر فبمعزل من التحقيق كيف
لا وقوله سبحانه وتعالى فكلوا مما رزقكم الله مفرع على نتيجة التمثيل وصدهم عما يؤدي الى مثل عاقبته ٭
والمعنى وانه قد استبان لكم حال من كفر بانعم الله وكذب رسوله صلى الله عليه وسلم وما حل بهم
بسبب ذلك من اللتيا والتي اولا واخرا فانتهوا عما انتم عليه من كفران النعم وتكذيب الرسول صلى
الله عليه وسلم كيلا يحل بكم مثل ما حل بهم واعرفوا حق نعم الله تعالى واطيعوا رسوله صلى الله
عليه وسلم في امره ونهيه وكلوا من رزق الله حال كونه حلالا طيبا وذروا ما تفترون من البحائر
ونحوها واشكروا نعمة الله واعرفوا حقها ولا تقابلوها بالكفران والفاء في المعنى داخلة على الامر
بالاكل لكون الاكل ذريعة فكانه قيل فاشكروا نعمة الله غب اكلها حلالا طيبا وقد ادرج فيها
النهي عن زعم الحرمة ولا ريب في ان هذا انما يتصور حين كان العذاب المستاصل موقعا بعد وقد
مهدت مباديه وبعد ما وقع فمن ذا الذي يحذر ومن ذا الذي يؤمر بالاكل وحمل قوله تعالى فاخذهم
العذاب وهم ظالمون على الاخبار بذلك قبل الوقوع يابا التصدي لاستصلاحهم بالامر والنهي
وتوجيه خطاب الامر بالاكل الى المؤمنين مع ان ما يتلوه من خطاب النهي متوجه الى الكفار كما
نقله الواحدي حيث قال فكلوا انتم يا معشر المؤمنين مما رزقكم الله من الغنائم مما يليق بشان
التنزيل الجليل ان كنتم اياه تعبدون اي تطيعون او ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة
الالهة عبادته تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به تعليل لحل
ما امرهم باكله مما رزقهم الله انما حرم هذه الاشياء دون ما تزعمون حرمته من البحائر والسوائب
ونحوها فمن اضطر مما اعتراه من الضرورة فتناول شيئا من ذلك غير باغ اي على مضطر اخر
ولا عاد اي متجاوز قدر الضرورة فان ربك غفور رحيم اي لا يؤاخذه بذلك فاقيم سببه
مقامه وفي التعرض لوصف الربوبية ايماء الى علة الحكم في الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم

اظهارا لكمال اللطف به صلى الله عليه وسلم وتصدير الجملة بانما لحصر المحرمات في الاجناس الاربعة
الا ما ضم اليه كالسباع والحمر الاهلية ثم اكد ذلك بالنهي عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال ولا
تقولوا لما تصف السنتكم اللام صلة مثل ما في قوله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات
اى لا تقولوا في شان ما تصفه السنتكم من البهايم بالحل والحرمة في قولكم ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير ترتب ذلك الوصف على ملاحظة وفكر فضلا عن
استناده الى وحي او قياس مبني عليه الكذب منتصب بلا تقولوا وقوله تعالى هذا حلال وهذا
حرام بدل منه ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اى لا تقولوا لما تصف السنتكم فتقول
هذا حلال وهذا حرام او ان يكون القول المقدر حالا من السنتهم اى قايلة هذا حلال الى اخره
ويجوز ان ينتصب ويتعلق هذا حلال الى اخره بلا تقولوا واللام للتعليل وما مصدرية اى لا تقولوا
هذا حلال وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اى لا تحلوا ولا تحرموا لمجرد وصف السنتكم الكذب
وتصويرها له بصورة مستحسنة وتزيينها بالمسامع كان السنتكم لكونها منشا للكذب
ومنبعا للزور شخص عالم بكنهه ومحيط بحقيقته يصفه للناس ويعرفه اوضح وصف وابين
تعريف على طريقة الاستعارة بالكناية كما يقال وجهه يصف الجمال وعينه تصف السحر وقوله
بالجر صفة لما مع مدخولها كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب وقوله تعالى بدم كذب
والمراد بالوصف وصفها البهايم با[لحل] والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة
للالسنة وبالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولهم كذب كذابا ذكره
ابن جني لتفتروا على الله الكذب فان مدار الحل والحرمة ليس الا امر الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة
ليس الا من الله تعالى فالحكم بالحل والحرمة اسناد للتحليل والتحريم الى الله تعالى من غير ان يكون ذلك
منه واللام لام العاقبة ان الذين يفترون على الله الكذب في امر من الامور لا يفلحون لا يفوزون
بمطالبهم التي ارتكبوا الافتراء للفوز بها متاع قليل خبر مبتدا محذوف اى منفعتهم فيما هم عليه من
افعال الجاهلية منفعة قليلة ولهم في الاخرة عذاب اليم لا يكتنه كنهه وعلى الذين هادوا خاصة
دون غيرهم من الاولين والاخرين حرمنا ما قصصنا عليك اى بقوله تعالى حرمنا كل ذى ظفر ومن
البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الاية من قبل متعلق بقصصنا او بحرمنا وهو تحقيق لما
سلف من حصر المحرمات فيما فصل بابطال ما يخالفه من فرية اليهود وتكذيبهم في ذلك فانهم كانوا يقولون
لسنا اول من حرمت عليه وانما كانت محرمة على نوح وابراهيم ومن بعدهما حتى انتهى الامر الينا وما
ظلمناهم بذلك التحريم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث فعلوا ما عوقبوا به حسبما نعى عليهم قوله
تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الاية ولقد القمهم الحجر بقوله تعالى كل
الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين روى انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك بهتوا ولم يجسروا ان يخرجوا
التوراة كيف وقد بين فيها ان تحريم ما حرم عليهم من الطيبات لظلمهم وبغيهم عقوبة وتشديدا اوضح
بيان وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة اى بسبب
جهالة او ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم
الافتراء على الله تعالى وغيره ثم تابوا من بعد ذلك اى من بعد ما عملوا والتصريح به مع دلالة ثم عليه
للتاكيد والمبالغة واصلحوا اى اصلحوا اعمالهم او دخلوا في الصلاح ان ربك من بعدها من بعد التوبة
لغفور لذلك السوء رحيم يثيب على طاعته تركا وفعلا وتكرير قوله تعالى ان ربك لتاكيد الوعد
واظهار كمال العناية بانجازه والتعرض لوصف الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم
مع ظهور الاثر في التائبين للايماء الى ان افاضة اثار الربوبية من المغفرة والرحمة بتوسطه صلى الله
عليه وسلم وكونهم من اتباعه كما اشير اليه فيما مر ان ابراهيم كان امة على حياله لحيازته من الفضائل
البشرية ما لا تكاد توجد الا متفرقة في امة جمة حسبما قيل ٭ ليس على الله بمستنكر ٭ ان يجمع العالم في
واحد ٭ وهو رئيس اهل التوحيد وقدوة اصحاب التحقيق جادل اهل الشرك والقمهم الحجر ببينات
باهرة لا تبقى ولا تذر وابطل مذاهبهم الزايغة بالبراهين القاطعة والحجج الدامغة او لانه
عليه الصلاة والسلام كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة
من امه اذا قصده او اقتدى به فان الناس كانوا يقصدونه ويقتدون بسيرته كقوله تعالى انى جاعلك
للناس اماما وايراد ذكره عليه السلام عقيب تزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة
وتحريم ما احله الله تعالى للايذان بان حقية دين الاسلام وبطلان الشرك وفروعه امر ثابت لا ريب

فيه

فيه قانتا لله مطيعا له قائما باوامره حنيفا مائلا عن كل دين باطل الى الحق غير زائل عنه بحال ولم يك من المشركين
في امر من امور دينهم اصلا وفرعا صرح بذلك مع ظهوره لا ردا على كفار قريش فقط في قولهم نحن على
ملة ابينا ابراهيم عليهم وعلى اليهود والمشركين بقولهم عزير ابن الله في افترائهم وادعائهم انه صلى الله عليه
وسلم كان على ما هم عليه كقوله سبحانه وتعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
وما كان من المشركين اذ به ينتظم ايراد التحريم والسبت سابقا ولاحقا شاكرا لانعمه صفة ثالثة لامة
وانما اوثرت صيغة جمع القلة للايذان بانه عليه السلام لا يخل بشكر النعمة القليلة فكيف بالكثيرة
وللتصريح بكونه عليه السلام على خلاف ما هم عليه من الكفران بانعم الله تعالى حسبما بين ذلك بضرب
المثل اجتباه للنبوة وهداه الى صراط مستقيم موصل اليه سبحانه هو ملة الاسلام وليست نتيجة
هذه الهداية مجرد اهتدائه عليه السلام بل مع ارشاده الخلق بمعونة قرينة الاجتباء واتيناه في الدنيا
حسنة حالة حسنة من الذكر الجميل والثناء فيما بين الناس قاطبة حتى انه ليس من اهل دين الا وهم يتولونه
وقيل من الخلة والنبوة وقيل قول المصلي منا كما صليت على ابراهيم والالتفات الى التكلم لاظهار كمال
الاعتناء بشانه وتفخيم مكانه عليه السلام وانه في الاخرة لمن الصالحين اصحاب الدرجات العالية
حسبما ساله بقوله والحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم
ثم اوحينا اليك مع علو طبقاتك وسمو رتبتك ان اتبع ملة ابراهيم الملة اسم لما شرعه الله تعالى
لعباده على لسان الانبياء عليهم السلام من امللت الكتاب اذا امليته وهو الدين بعينه لكن باعتبار
الطاعة له وتحقيقه ان الوضع الالهي مهما نسب الى من يوديه عن الله تعالى يسمى ملة ومهما نسب
الى من يقيمه ويعمل به يسمى دينا قال الراغب الفرق بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي عليه السلام
ولا تكاد توجد مضافة الى الله سبحانه وتعالى ولا الى احاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرايع
دون احادها والمراد بملته صلى الله عليه وسلم الاسلام الذي عبر عنه انفا بالصراط المستقيم
حنيفا حال من المضاف اليه لما ان المضاف لشدة اتصاله به عليه السلام جرى
منه مجرى البعض فعد بذلك من قبيل رايت وجه هند قايمة والمامور به الاتباع في الاصول دون
الشرايع المتبدلة بتبدل الاعصار وما في ثم من التراخي في الرتبة للايذان بان هذه الرتبة النعمة اجل
النعم الفايضة عليه صلى الله عليه وسلم وما كان من المشركين تكرير لما سبق لزيادة تاكيد وتقرير
لنزاهته عليه السلام عما هم عليه من عقد وعمل وقوله سبحانه وتعالى انما جعل السبت اى فرض تعظيمه
والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه تحقيق لذلك النفي الكلي وتوضيح له بابطال ما عسى يتوهم كونه
قادحا في كليته حسبما سلف في قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا الى اخره فان اليهود كانوا يدعون ان
السبت من شرايع الاسلام وان ابراهيم عليه السلام كان محافظا عليه اى ليس السبت من شرايع ابراهيم
وشعاير ملته التي امرت باتباعها حتى تكون بينه عليه السلام وبين بعض المشركين علاقة في الجملة وانما
شرع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بعد مدة طويلة وايراد الفعل مبنيا للمفعول جري على سنن الكبريا
والايذان بعدم الحاجة الى التصريح بالفاعل لاستحالة الاسناد الى الغير وقد قرئ على البناء للفاعل وانما
عبر عن ذلك بالجعل موصولا بكلمة على وعنهم بالاسم الموصول باختلافهم فقيل انما جعل السبت على
الذين اختلفوا فيه للايذان بتضمنه للتشديد وانه من باب المودي الى العذاب وبكونه معللا باختلافهم في شانه
قبل الوقوع ايثارا له على ما امر الله تعالى به واختيارا للعكس لكن لا باعتبار حاله منشا للاختلاف من
الطرف المخالف للحق وذلك ان موسى عليه السلام امر اليهود ان يجعلوا في الاسبوع يوما واحدا للعبادة
وان يكون ذلك يوم الجمعة فابوا عليه وقالوا نريد اليوم الذي فرغ الله تعالى فيه من خلق السموات والارض
وهو السبت الا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فاذن الله تعالى في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع
امر الله تعالى الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله
تعالى قردة دون اولئك المطيعين وان ربك ليحكم بينهم اى بين الفريقين المختلفين فيه يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون ان يفصل ما بينهما من الخصومة والاختلاف فيجازى كل فريق بما يستحقه من
الثواب والعقاب وفيه ايماء الى ان ما وقع في الدنيا من مسخ احد الفريقين وانجاء الاخر بالنسبة
الى ما سيقع في الاخرة شيء لا يعتد به هذا هو الذي يستدعيه الاعجاز التنزيلي وقد قيل المعنى انما
جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه اى احلوا الصيد فيه تارة وحرموه اخرى ووجه
ايراده ههنا بانه من تحريم حسبما امر الله سبحانه وتعالى به وفسر الحكم بينهم بالمجازاة في اختلاف افعالهم
بالاحلال تارة والتحريم اخرى ووجه ايراده ههنا بانه اريد به انذار المشركين من سخط الله تعالى على
العصاة والمخالفين لاوامره كضرب المثل بالقرية التي كفرت بانعم الله تعالى ولا ريب في ان كلمة بينهم

تحكم بان المراد بالحكم هو فصل ما بين الفريقين من الاختلاف وان توسيط حديث المسخ للانذار
المذكور بين حكاية امر النبي صلى الله عليه وسلم باتباع ملة ابراهيم عليه السلام وبين امره
صلى الله عليه وسلم بالدعوة اليها من قبيل الفصل بين الشجر ولحايه فتامل ادع اى من بعثت
من بعثت اليهم قاطبة فحذف المفعول للتعميم او فعل الدعوة كما فى قولهم يعطى ويمنع اى يفعل الاعطا
والمنع فحذف للقصد الى ايجاد نفس الفعل اشعارا بان عموم الدعوة غنى عن البيان وانما المقصد
الامر بايجادها على وجه مخصوص الى سبيل ربك الى الاسلام الذى عبر عنه تارة بالصراط المستقيم
واخرى بملة ابراهيم عليه السلام وفى التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية والتبليغ
الشئ الى كماله اللائق شيئا فشيئا مع اضافة الرب الى ضميره عليه السلام فى مقام الامر بدعوة
الامة على الوجه الحكيم وتكميلهم باحكام الشريعة الشريفة من الدلالة على اظهار اللطف به
صلى الله عليه وسلم والايما الى وجه بناء الحكم ما لا يخفى بالحكمة اى بالمقالة الحكمة الصحيحة
وهو الدليل على الموضح للحق المزيح للشبهة والموعظة الحسنة اى الخطابية المقنعة والعبر النافعة
على وجه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين
للحقائق والثانية لدعوة عوامهم ويجوز ان يكون المراد بهما القران المجيد فانه جامع لكلا
الوصفين وجادلهم اى ناظر معاندهم بالتى هى احسن بالطريقة التى هى احسن طرق المجادلة من
المناظرة من الرفق واللين واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدمات المشهورة تسكينا لسمعهم
واطفا للهيبة كما فعله الخليل عليه السلام ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين الذى
امرك بدعوة الخلق اليه واعرض عن قبول الحق بعد ما عاين ما عاين من الحكم والمواعظ والعبر وهو اعلم
بالمهتدين اليه بذلك هو تعليل لما ذكر من الامرين والمعنى والله تعالى اعلم اسلك فى الدعوة
والمناظرة الطريقة المذكورة فانه تعالى هو اعلم بحال من لا يرعوى عن الضلال بموجب استعداده
المكتسب وبحال من يصير امره الى الاهتدا لما فيه من خير جبلى فما شرعه لك فى الدعوة هو الذى
تقتضيه الحكمة فانه كاف فى هداية المهتدين وازالة عذر الضالين او ما عليك الا ما ذكر من الدعوة
والمجادلة بالاحسن واما حصول الهداية او الضلالة والمجازاة عليهما فالى الله سبحانه اذ هو اعلم
بمن يبقى على الضلال وبمن يهتدى اليه فيجازى كل منهما بما يستحقه وتقديم الضالين لما ان مساق الكلام
لهم وايراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما انه تغيير لفطرة الله التى فطر الناس عليها
عن الدعوة وكذلك امر عارض بخلاف الاهتدا الذى هو عبارة عن الثبات على الفطرة والجريان على
موجب الدعوة ولذلك جئ به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات وتكرير هو اعلم للتاكيد وللاشعار
بتباين حال المعلومين وما لهما من العقاب والثواب وبعد ما امره صلى الله عليه وسلم فيما
يختص به من شان الدعوة بما امره من الوجه اللائق عقبه بخطاب شامل له ولمن سايعه فيما يعم
الكل فقال وان عاقبتم اى ان اردتم المعاقبة على طريق قول الطبيب للحميان اكلت فكل قليلا فعاقبوا
بمثل ما عوقبتم به اى بمثل ما فعل بكم وقد عبر عنه بالعقاب على طريقة اسم المسبب على السبب نحو
كما تدين تدان او على نهج المشاكلة والمقصود ايجاب مراعاة العدل مع ان يناصبهم من غير تجاوز حين
ما ان الجدال الى القتال وادى النزاع الى القراع فان الدعوة المامور بها لا تكاد تنفك عن ذلك كيف
لا وهى موجبة لصرف الوجه عن القبلة المعبودة وادخال الاعناق فى قلادة غير معهودة قاضية
عليهم بفساد ما ياتون وما يذرون وبطلان دين استمرت عليه اباؤهم الاولون وقد ضاقت عليهم
الحيل وعيت بهم العلل وسدت عليهم طرق المحاجة والمناظرة وارتجت دونهم ابواب المباحثة والمحاورة
وقيل انه صلى الله عليه وسلم لما راى حمزة يوم احد قد مثل به قال لئن اظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين
مكانك فنزلت فكفرت عن يمينه وكف عما اراده وقرئ وان عوقبتم فعقبوا اى وان قفيتم
بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم غيره متجاوزين منه والامر وان دل على اباحة المماثلة فى المثلة
من غير تجاوز لكن فى تقييده بقوله وان عاقبتم حث على العفو تعريضا وقد صرح به على الوجه الاكد
فقيل ولئن صبرتم اى عن المعاقبة بالمثل لهو اى لصبركم ذلك خير لكم من الانتصار بالمعاقبة وانما
قيل للصابرين مدحا لهم وثناء عليهم بالصبر او وصفا لهم بصفة تحصل لهم عند ترك المعاقبة ويجوز
عود الضمير الى مطلق الصبر المدلول عليه بالفعل فيدخل فيه صبرهم كدخول انفسهم فى جنس
الصابرين دخولا اوليا ثم امر صلى الله عليه وسلم بما ندب اليه غيره تعريضا للصبر لانه اولى الناس
بعزائم الامور لزيادة علمه بشئونه سبحانه ووفور وثوقه به فقيل فاصبر اى على ما اصابك
من اعم الاشيا اى وما صبرك ملابسا و مصحوبا بالشئ من الاشيا الا بالله اى بذكره ولاستغراق

فى

فى مراقبة شؤونه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسلية صلى الله عليه وسلم وتهوين مشاق الصبر
عليه وتشريفه بما لا مزيد عليه او الا بتثبيته على حكم بالغة مستتبعة لعواقب حميدة فالتسلية من حيث
اشتماله على غايات جميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهى من حيث تسهيله وتيسيره فقط ولا تحزن
عليهم اى على الكافرين بوقوع الياس من ايمانهم بك ومتابعتهم لك نحو فلا تاس على القوم الكافرين وقيل
على المؤمنين وما فعل بهم والاول هو الانسب بجزالة النظم ولا تك فى ضيق بالفتح وقرئ بالكسر وهما
لغتان فى القول والقيل اى لا تكن فى ضيق صدر وحرج ويجوز كون الاول تخفيف ضيق كهين من هين اى فى امر
ضيق مما يمكرون اى مكرهم بك مستقبلا فالاول نهى عن التالم بمطلوب من قبله فات والثانى عن التالم
بمحذوف من جهتهم ات والنهى عنهما مع انتفائهما من لوازم الصبر المامور به لا سيما على الوجه الاول
لزيادة التاكيد واظهار كمال العناية بالتسلية والا فهل يخطر ببال من توجه الى الله سبحانه وتعالى فى
بغيا اتى نفسه متنزها عن كل ما سواه من الشواغل شئ من مطلوب فينهى عن الحزن بفواته او بمحذور
فيكف عن الخوف من وقوعه ان الله مع الذين اتقوا تعليل لما سبق من الامر والنهى والمراد بالمعية
الولاية الدائمة التى لا يحوم حول صاحبها شائبة شئ من الجزع والخوف والحزن وضيق الصدر وما
يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين انما هى من حيث انهم المباشرون للتقوى وكذا الحال
فى قوله سبحانه ان الله مع الصابرين ونظائره كافة والمراد بالتقوى المرتبة الثالثة منه الجامعة
لما تحتها من رتبة التوقى عن الشرك ورتبة التجنب عن كل ما يوثم من فعل وترك اعنى التنزه
عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بشراشر نفسه او هو التقى الحقيق المورث لولايته
تعالى المقرونة ببشارة قوله سبحانه وتعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والمعنى
ان الله ولى الذين يتبتلون اليه بالكلية ويتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم
شئ من مطلوب او محذوف فضلا عن الحزن بفواته او الخوف من وقوعه وهو المعنى بما به الصبر
المامور به حسبما اشير اليه وبه يحصل التقريب ويتم تعليل كما فى قوله تعالى فاصبر ان العاقبة
للمتقين الى ان احد التفسيرين كاحقوق فى مقامه والانجرد التوقى عن المعاصى لا يكون مدار
النهى عن العزايم الرحض فى تركها فكيف بالصبر المشار اليه وانما مداره المعنى المذكور فكانه قيل
ان الله مع الذين صبروا وانما اوثر ما عليه النظم الكريم مبالغة فى الحث على الصبر بالتنبيه على انه
من خصايص اجل النعوت الجليلة وروادفه كما ان قوله تعالى والذين هم محسنون للاشعار بانه من باب
الاحسان الذى يتنافس فيه المتنافسون على ما فعل لك حيث قيل واصبر فان الله لا يضيع اجر
المحسنين وقد نبه على ان كلا من الصبر والتقوى من قبيل الاحسان فى قوله تعالى انه من يتق
ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذى
هو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى وقد فسره عم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين فى ولايته سبحانه من غير ان
يكون احدهما تتمة للاخرى وايراد الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية
لافادة كون مضمونها شيمة راسخة لهم والتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية متقدمة
من التحلية والمراد بالموصولين اما جنس المتقين والمحسنين وهو عم داخل فى زمرتهم دخولا
اوليا واما هو عم ومن شايعه عبر عنهم بذلك مدحا لهم وثناء عليهم بالنعتين الجميلين وفيه رمز
الى ان صنيعه عم مستتبع لاقتداء الامة به كقول من قال لابن عباس رضى الله تعالى عنهما عند
التعزية اصبر نكن بك صابرين فانما صبر الرعية عند صبر الراس عن حرم بن حيان انه
قيل له حين الاحتضار اوص وقال انما الوصية من المال واوصيكم بخواتيم سورة النحل عن
النبى عم من قرا سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما انعم عليه فى دار الدنيا فى يوم تلاها
او ليلة كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذى اسرى بعبده سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل
وحيث كان المسمى معنى لا عينا وجنسا لا شخصا لم تكن اضافته من قبيل ما فى زيد المعارك او ما هو
علم وانتصابه بفعل متروك الاظهار تقديره اسبح الله سبحان الى اخره وفيه ما لا يخفى من الدلالة
على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو الذهاب والابعاد فى الارض ومنه فرس سبوح

اى طلع الجرى ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة
لا سيما وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة مقامه مقام المصدر مع الفعل • وقيل هو
مصدر كغفران بمعنى التنزه ففيه مبالغة من حيث اضافة التنزه الى ذاته المقدسة ومناسبة
تامة بين المحذوف وبين ما عطف عليه فى قوله تعالى سبحانه وتعالى كانه قيل تنزه بذاته وتعالى الاسرى
السير بالليل خاصة كالسرى وقوله تعالى ليلا لافادة قلة زمان الاسرى بما فيه من التنكير الدال على
البعضية من حيث الاجزاء دلالته على البعضية من حيث الافراد فان قولك سرت ليلا كما
يفيد بعضيته زمان سيرك من الليالى يفيد بعضيته من فرد واحد منها بخلاف ما اذا قلت سرت
الليالى فانه يفيد استيعاب السير له جميعا فيكون معيارا للسير لا ظرفا له ويؤيده قراءة من الليل اى
بعضه • وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عليه السلام فى عبادته سبحانه وبلوغه فى ذلك غاية
الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به اضافة الاسرى ومنتهاه • واضافة
التنزه او المتنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة للمضاف فان ذلك من ادلة كمال
قدرته وبالغ حكمته ونهاية تنزهه عن صفات المخلوقين من المسجد الحرام اختلف فى مبدأ الاسرى فقيل
هو المسجد الحرام بعينه • وهو الظاهر فانه روى عنه عم انه قال بينا انا فى المسجد الحرام فى
الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتانى جبريل عليه السلام بالبراق • وقيل دار ام هانى
بنت ابى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به او لان الحرم كله مسجد فانه
روى عن ابن عباس انه عم كان نائما فى بيت ام هانى بعد صلاة العشاء فكان ما كان فقصه عليها
فلما قام ليخرج الى المسجد تشبثت بثوبه عم لتمنعه خشية ان يكذبه القوم قال عم وان
كذبونى فلما خرج جلس اليه ابو جهل فاخبره عم بحديث الاسرى فقال ابو جهل يا معشر كعب
بن لؤى بن غالب هلموا فحدثهم فمنهم مصفق وواضع يديه على رأسه تعجبا وانكارا وارتد
رجال ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال ان كان قال ذلك
لقد صدق قالوا اتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمى الصديق وكان فيهم
من يعرف بيت المقدس فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته
لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم
يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم
هذه والله الشمس قد اشرقت هذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم
يؤمنوا قاتلهم الله انى يؤفكون • واختلف فى وقته ايضا فقيل كان قبل الهجرة بسنة • وعن انس والحسن
انه كان قبل البعثة واختلف ايضا انه فى اليقظة او فى المنام فعن الحسن • انه كان فى المنام واكثر
الاقاويل بخلافه والحق انه كان فى المنام قبل البعثة وفى اليقظة بعدها واختلف ايضا انه كان جسمانيا
او روحانيا • فعن عائشة رضى الله تعالى عنها انها قالت ما فقد جسد رسول الله عم ولكن
عرج بروحه • وعن معاوية انه قال انما عرج بروحه والحق انه كان جسمانيا على ما ينبئ عنه
التصدير بالتنزه وما فى ضمنه من التعجب فان الروحانى ليس فى الاستبعاد والاستنكار به
وخرق العادة بهذه المثابة ولذلك تعجب منه قريش واحالوه ولا استحالة فيه فانه قد ثبت
فى الهندسة ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل
يصل الى طرفها الاعلى بحركة فلكها الاعظم مع مقاومة فلكها لها فى اقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام
متساوية فى قبول الاعراض التى من جملتها الحركة وان الله سبحانه قادر على ما يحيط به حيطة الامكان
فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة بل اسرع منها فى جسد النبى عم او فيما يحمله ولو لم يكن
مستبعدا لم يكن معجزة الى المسجد الاقصى اى بيت المقدس سمى به اذ لم يكن حينئذ وراءه مسجد
وفى ذلك من تربية معنى التنزيه والتعجب ما لا يخفى الذى باركنا حوله لبركات الدين
والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام لنريه غاية للاسرى
من آياتنا العظيمة التى من جملتها ذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ولا يقدح فى ذلك كونه قبل
الوصول الى المقصد ومشاهدة بيت المقدس وتمثيل الانبياء له ووقوفه على مقاماتهم العلية عم
والالتفات الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء انه هو السميع
لاقواله عم بلا اذن البصير بافعاله بلا بصر حسبما يؤذن به القصر فيكرمه ويقربه
بحسب ذلك وفيه ايماء الى ان الاسرى المذكور ليس الا لتكرمته عم ورفع منزلته لا
للاحاطة باقواله وافعاله الحاصلة من غير حاجة الى التقريب والالتفات الى الغيبة

لترتيبه

لترتيبه المهابة وآتينا موسى الكتاب وجعلناه اى التوراة وفيه ايماء الى دعوته عليه السلام الى الطور
وما وقع فيه من المناجاة جمعا بين الامرين المتحدين فى المعنى ولم يذكرها هنا العروج بالنبى صلى الله عليه
وسلم الى السماء وما كان فيه مما لا يكتنه كنهه حسبما نطقت به سورة النجم تقريبا للاسرى الى قبول
السامعين اى آتيناه التوراة بعدما اسرينا به الى الطور هدى اى ذلك الكتاب لبنى اسرائيل يهتدون بما فى
مطاويه الا تتخذوا اى بان لا تتخذوا من دونى وكيلا اى ربا تكلون اليه اموركم والافراد الى ان فعيلا مفرد
فى اللفظ فى المعنى ذرية من حملنا مع نوح نصب على الاختصاص او النداء على قراءة النهى والمراد تأكيد الحمل على
التذكير التوحيد بتذكير انعامه تعالى عليهم فى ضمن انجاء آبائهم من الغرق فى سفينة نوح عليه السلام او على
انه احد مفعولى لا تتخذوا على قراءة النفى ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله تعالى ولا يأمركم ان تتخذوا
الملائكة والنبيين اربابا وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف او بدل من واو لا تتخذوا بابطال الظاهر
من ضمير المخاطب كما هو مذهب بعض البغاددة وقرئ ذرية بكسر الذال انه اى ان نوحا عليه السلام
كان عبدا شكورا كثير الشكر فى مجامع حالاته وفيه ايذان بان انجاء من معه كان ببركة شكره عليه السلام
وحث للذرية على الاقتداء به وزجر لهم عن الشرك الذى هو اعظم مراتب الكفر وقيل الضمير لموسى
عليه السلام وقضينا اى انهينا واحكمنا منزلين الى بنى اسرائيل اى موحين اليهم فى الكتاب اى فى التوراة
فان الانزال والوحى الى موسى عليه السلام انزال ووحى اليهم لتفسدن فى الارض جواب قسم محذوف ويجوز
اجراء القضاء المجرى المحتوم مجرى القسم كانه قيل واقسمنا لتفسدن مرتين مصدر والعامل فيه من غير جنسه
اولاهما مخالفة حكم التوراة وقتل شعيا عليه السلام وقيل ارميا حين انذرهم سخط الله تعالى
والثانية قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام ولتعلن علوا كبيرا لتستكبرن عن طاعة الله سبحانه
وتعالى او لتظلمن الناس بالظلم والعدوان ولتفرطن فى ذلك افراطا مجاوزا للحدود فاذا جاء وعد اولاهما
اى اولى كرتى الافساد اى حان وقت حلول العقاب الموعود بعثنا عليكم لمؤاخذتكم بجناياتكم عبادا لنا وقرئ
عبيدا لنا اولى بأس شديد ذوى قوة وبطش فى الحروب هم سنحاريب من اهل نينوى وجنوده وقيل بخت نصر
عامل لهراسب وقيل جالوت فجاسوا اى ترددوا للطلب بالفساد وقرئ بالحاء والمعنى واحد وقرئ وجوسوا
خلال الديار فى اوساطها للقتل والغارة وقرئ خلل الديار فقتلوا علماءهم وكبارهم واحرقوا التوراة
وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا وذلك من قبيل توليه بعض الظالمين بعضا مما جرت به السنة
الالهية وكان وعدا مفعولا لابد مما له بحيث لا صارف عنه ولا مبدل ثم رددنا لكم الكرة اى الدولة والغلبة
عليهم على الذين فعلوا بكم ما فعلوا بعد مائة سنة حين قبلتم ورجعتم
بنى اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وذلك انه لما ورث بهمن بن
اسفنديار الملك من جده كشتاسف بن لهراسف القى الله تعالى فى قلبه الشفقة عليهم فرد اساراهم الى الشام
وملك عليهم دانيال عليه السلام فاستولوا على من كان فيها من اتباع بخت نصر وقيل هى قتل داود عليه
السلام جالوت وامددناكم باموال كثيرة بعدما نهبت اموالكم وبنين بعد ما نهبت اموالكم وبنين بعد
ما سبيت اولادكم وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم من قبل او من عدوكم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه
وقيل جمع نفر وهم القوم المجتمعون للذهاب الى العدو كالعبيد والمعيز ان احسنتم اعمالكم سواء كانت
لازمة لانفسكم او متعدية الى الغير اى عملتموها على الوجه اللائق ولا يتصور ذلك الا بعد ان تكون
الاعمال الصالحة فى انفسها وان فعلتم الاحسان احسنتم لانفسكم لان ثوابها لها وان اسأتم اعمالكم بان عملتموها
لا على الوجه اللائق ويلزمه السوء الذاتى او فعلتم الاساءة فلها اذ عليها وبالها وعن على كرم الله وجهه
ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاهما فاذا جاء وعد الآخرة حان وقت ما وعد من عقوبة المرة
الآخرة ليسوءوا وجوهكم متعلق بفعل حذف لدلالة ما سبق عليه اى بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ليجعلوا آثار
المساءة والكآبة بادية فى وجوهكم كقوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء على ان الضمير لله
تعالى او للوعد او للبعث ولنسوءن بنون العظمة فى قراءة على رضى الله عنه لنسوءن على انه جواب اذا وقرئ
لنسوءن بالنون الخفيفة وليسوءن واللام فى قوله عز وجل وليدخلوا المسجد عطف على ليسوءوا متعلق
بما تعلق هو به كما دخلوه اول مرة وليتبروا اى يهلكوا ما علوا ما غلبوه واستولوا عليه او مدة علوهم
تتبيرا فظيعا بان سلط الله عليهم الفرس فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز
وقيل جردوس وقيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم
قربان لم يقبل منا فقال لم تصدقونى فقتل على ذلك الوفا فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى
ما تركت منكم احدا ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما اصاب قومك لاجلك فاهدأ باذن الله
تعالى قبل ان لا ابقى منهم احدا فهدأ عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الآخرة ان تبتم توبة اخرى

واترجيهم عما كنتم عليه السلام من المعاصي وان عدتم الى ما كنتم عليه من الفساد مرة اخرى الى عقوبتكم
ولقد عادوا فاعاد الله سبحانه عليهما النقمة بان سلط الله عليهم الاكاسرة ففعلوا ما فعلوا من ضرب
الاتاوة ونحو ذلك • وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يد وهم
صاغرون وعن قتادة مثله وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اى محبسا لا يستطيعون الخروج منها ابد الابدين
وقيل بساطا كما يبسط الحصير وانما عدل عن ان يقال وجعلنا جهنم لكم تسجيلا على كفرهم بالعود وذم لهم بذلك
واشعارا بعلة الحكم ان هذا القران الذى اتيناك يهدى اى الناس كافة لا فرقة مخصوصة منهم كالكتاب
الكتاب الذى اتيناه موسى للتى للطريقة التى هى اقوم اى اقوم الطرايق واشدها اعنى ملة الاسلام
والتوحيد وترك ذكرها ليس بقصد التعميم بها والحالة او للخصلة ونحوها مما يعبر به عن القصد المذكور
بل للايذان بالغنى عن التصريح بها لغاية ظهورها لا سيما بعد ذكر الهداية التى من ذواد فها والمراد بهدايته
لها كونه بحيث يهتدى اليها من يتمسك به لا تحصيل الاهتدا بالفعل فانه مخصوص بالمؤمنين حينئذ
ويبشر المؤمنين اى بما فى تضاعيفه من الاحكام والشرايع وقرئ بالتخفيف الذين يعملون الصالحات التى
شرحت فيه ان لهم اى بان لهم بمقابلة تلك الاعمال اجرا كبيرا بحسب الذات وبحسب التضعيف عشر
مرات وان الذين لا يؤمنون بالاخرة واحكامها المشروحة فيه من البعث والحساب والجزاء وتخصيصها
بالذكر من بين ساير ما كفروا به لكونها معظم ما امروا بالايمان به والمراعات التناسب بين اعمالهم
وجزيناتها الذى انبا عنه قوله تعالى اعتدنا لهم عذابا اليما وهو عذاب جهنم اى اعتدنا لهم فيما كفروا به
وانكروا وجوده من الاخرة عذابا اليما وهو ابلغ فى الزجر لما ان اتيان العذاب من حيث لا يحتسب
اقطع وافزع والجملة معطوفة على جملة يبشر باضمار يخبر وعلى قوله تعالى ان لهم داخلة تحت التبشير
المراد به مجازا مطلق الاخبار المنتظم للاخبار بالخبر السار وبالنبا الضار حقيقة فيكون ذلك
بيانا لهداية القران بالترغيب والترهيب ويجوز كون التبشير بمعناه والمراد تبشير المؤمنين ببشارتين
ثوابهم وعقاب اعدايهم وقوله تعالى ويدع الانسان بالشر بيان لحال المهتدي اثر حال الهادى
واظهار لما بينهما من التباين والمراد بالانسان الجنس اسند اليه حال بعض افراده وحكى عنه حالة فى
بعض احيانه فالمعنى على الاول ان القران يدعو الانسان الى الخير الذى لا خير فوقه من الاجر الكبير
ويحذره من الشر الذى لا شر وراءه من العذاب الاليم وهو اى بعض منه والكافر يدعو لنفسه بما هو الشر
من العذاب المذكور اما بلسانه حقيقة كدأب من قال منهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر
علينا حجارة من السماء او ايتنا بعذاب اليم ومن قال فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين الى غير ذلك
مما حكى عنهم واما باعمالهم السيئة المفضية اليه الموجبة له مجازا كما هو الذين كانهم دعاه بالخير اى
مثل دعايه بالخير المذكور فرضا لا تحقيقا فانه بمعزل من الدعا به وفيه رمز الى انه اللايق بحاله وكان
الانسان اى من اسند اليه الدعا المذكور من افراده عجولا يسارع الى طلب كل ما يخطر بباله متعاميا عن
ضرره او مبالغا فى العجلة يستعجل العذاب وهو اتيه لا محالة بقية نوع تهكم به وعلى تقدير حمل الدعا
على اعمالهم بحمل العجولية على اللجاج والتمادى فى استيجاب العذاب بتلك الاعمال وعلى الثانى ان القران
يدعو الانسان الى ما هو خير وهو فى بعض احيانه كما عند الغضب يدعه ويدعو الله تعالى لنفسه واهله
وماله بما هو شر وكان الانسان بحسب جبلته عجولا ضجرا لا يتانى الى ان يزول عنه ما يعتريه • روى انه
صلى الله عليه وسلم دفع الى سودة اسيرا فارخت كتافه رحمة لانينه بالليل لاجل القد فهرب فلما
اخبر به النبى صلى الله عليه وسلم قال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة فقال
صلى الله عليه وسلم انى سالت الله تعالى ان لا يجعل دعاى على من لا يستحق من اهلى عذابا ورحمة بل يدعوا
بما هو شر وهو يحسبه خيرا وكان الانسان عجولا غير متبصر لا يتدبر فى اموره حق التدبر ليستحق
ما هو خير حقيقى بالدعا به وما هو شر جدير بالاستعاذة منه وجعلنا الليل والنهار ايتين شروع فى
بيان بعض وجوه ما ذكر من الهداية بالارشاد الى مسلك الاستدلال بالايات والدلايل الافاقية
التى كل واحدة برهان نير لا ريب فيه ومنهاج بين لا يضل من ينتحيه فان الجعل المذكور وما عطف
عليه من محو اية الليل وجعل اية النهار مبصرة وان كانت من الهدايات التكوينية لكن الاخبار
بذلك من الهدايات القرانية المنبهة على تلك الهدايات وتقديم الليل لمراعاة الترتيب الوجودى
اذ به ينسلخ النهار وفيه يظهر غرر الشهور ولو ان الليلة اضيفت الى ما قبلها من النهار لكانت
من شهر وصاحبها من شهر اخر ولترتيب غاية النهار عليها بلا واسطة اى جعلنا الملوين بهياتهما
وتعاقبهما واختلافهما فى الطول والقصر على وتيرة عجيبة تحتار فى فهمها العقول ايتان تدلان على
ان لهما صانعا حكيما قادرا عليما وتهديان الى ما هدى اليه القران الكريم من ملة الاسلام والتوحيد

فمحونا اية الليل الاضافة اما بيانية كما فى اضافة العدد اى محونا الاية التى هى الليل وفايدتها تحقيق
مضمون الجملة الاولى السابقة ومحونا جعلها ممحوة الضوء مطموسة لكن لا بعد ان لم يكن كذلك بل
ابدعها على ذلك كما فى قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اى انشاهما كذلك والفا تفسيرية لان المحو
المذكور وما عطف عليه ليسا مما يحصل عقيب جعل الجديدين ايتين بل هما من جملة ذلك الجعل ومتمماته
وجعلنا اية النهار اى الاية التى هى النهار على نحو ما مر مبصرة مضيئة يبصر فيها الاشياء وصفا لها
بحال اهلها او مبصرة للناس من ابصره فبصره • واما حقيقته اية الليل والنهار نيراهما ومحو القمر
اما خلقه مطموس النور فى نفسه فالفا كما ذكروا ما يقصر استفادة من الشمس شيئا فشيئا الى
المحق على ما هو معنى المحو والفا للتعقيب وجعل الشمس مبصرة ابداعها مضية بالذات ذات اشعة
تظهر بها الاشيا المظلمة لتبتغوا متعلق بقوله تعالى وجعلنا اية النهار كما اشير اليه اى وجعلناها
مضية لتطلبوا لانفسكم فى بياض النهار فضلا من ربكم اى رزقا لا تتسنى ذلك فى الليل وفى التعبير
عن الرزق بالفضل • وعن الكسب بالابتغا والتعرض بصفة الربوبية المنبية عن التبليغ الى الكمال
شيئا فشيئا دلالة على ان ليس للعبد فى تحصيل الرزق تاثير سوى الطلب وانما الاعطا الى الله سبحانه
لا بطريق الوجوب عليه بل تفضلا بحكم الربوبية ولتعلموا متعلق بكلا الفعلين اعنى محو اية الليل
وجعلنا اية النهار مبصرة لا باحدهما فقط اذ لا يكون ذلك بانفراده مدارا للعلم المذكور اى لتعلموا باتفاق
الجديدين او نيريهما ذاتا من حيث الاظلام والاضاءة مع تعاقبهما او حركتيهما واوضاعهما وساير احوالهما
عدد السنين التى يتعلق بها غرض علمى لاقامة مصالحكم الدينية والدنيوية والحساب اى الحساب المتعلق
بما فى ضمنها من الاوقات اى الاشهر والايام والليالى وغير ذلك مما نيط به شىء من المصالح المذكورة ونفس
السنة من حيث تحققها مما ينتظمه الحساب • وانما الذى تعلق به العد طايفة منها وتعلقه فى ضمن ذلك
كل واحدة منها ليس من الحقيقة المذكورة اعنى حيثية تحققها وتحصلها من عدة اشهر وتحصل كل
واحدة منها من عدة ايام قد حصل كل واحدة منها من عدة ايام قد حصل كل واحدة منها بطايفة من الساعة
مثلا فان ذلك وظيفة الحساب بل من حيث انها فرد من تلك الطايفة المعدودة بعدها اى جنسها من غير ان
يعتبر فى ذلك تحصيل شىء معين وتحقيقه ما مر فى سورة يونس من ان الحساب احصاء ما له كمية منفصلة بتكرير
امثاله من حيث يتحصل بطايفة معينة منها حد معين منه له اسم خاص وحكم مستقل اضيف اليه العدد
وعلق الحساب باعدادها مما اعتبر فيه تحصل مراتب معينة لها اسام خاصة واحكام مستقلة وتحصل مراتب
الاعداد من العشرات والمات والالوف اعتباري لا يجدى فى تحصل المعدودات وتقديم العدد على الحساب
مع ان الترتيب بين متعلقيهما وجودا على العكس لان العلم المتعلق بعدد السنين علم اجمالى بما تعلق به الحساب
تفصيلا ولان العدد من حيث انه لم يعتبر فيه تحصل شىء حسب ما ذكرنا نازل من الحساب المعتبر فيه ذلك
منزلة البسيط من المركب او لان العلم بالاول اقصى المراتب فكان جديرا بالتقديم فى مقام الامتنان
والله سبحانه اعلم وكل شىء تفتقرون اليه فى المعاش والمعاد بالاول اقصى المراتب فكان جديرا به
بالتقديم سوى ما ذكر من جعل الليل والنهار ايتين وما يتبعه من المنافع الدينية والدنيوية وهو
منصوب بفعل يفسره قوله تعالى فصلناه تفصيلا اى بيناه فى القران الكريم بيانا بليغا لا التباس معه
كقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء فظهر كونه هاديا للتى هى اقوم ظهورا بينا وكل انسان
مكلف الزمناه طايره اى عمله الصادر عنه باختياره حسبما قدر له كانه طار اليه من عش الغيب ووكر
القدر او ما وقع له فى القسمة الازلية الواقعة حسب استحقاقه من العلم الالهى من قولهم طار له سهم
كذا فى عنقه تصوير لشدة اللزوم وكمال الارتباط اى الزمناه عمله بحيث لا يفارقه ابدا بل يلزمه لزوم
القلادة او الغل للعنق لا ينفك عنه بحال وقرئ بسكون النون ونخرج له بنون العظمة وقد قرئ
بالياء مبنيا للفاعل على ان الضمير لله عز وجل وللمفعول والضمير للطاير كما قراة يخرج من الخروج يوم
القيمة والبعث للحساب كتابا مسطورا فيه مما ذكر من عمله تفسير او قطمير او هو مفعول لنخرج على
القرائتين الاوليين او حال من المفعول المحذوف الراجع الى الطاير وعلى الاخريين حال من المستتر فى
الفعل من ضمير الطاير يلقاه اى تلقى الانسان او يلقاه الانسان منشورا وهما صفتان للكتاب فالاول
صفة والثانى حال منها وقرئ يلقاه من لقيته كذا اى يلقى الانسان اياه • قال الحسن بسطت لك صحيفة
ووكل بك ملكان فهما عن يمينك وعن شمالك فاما الذى عن يسارك فيحفظ سياتك حتى اذا مت طويت
صحيفتك وجعلت معك فى قبرك حتى يخرج لك يوم القيمة اقرأ كتابك اى قايلين لك ذلك عن قتادة
يقرأ ذلك اليوم من لم يكن فى الدنيا قاريا • وقيل المراد بالكتاب نفسه المنتقشة باثار اعماله فان
كل عمل يصدر من الانسان خيرا او شرا يحدث منه فى جوهر روحه امر مخصوص الا انه يخفى ما دام

مادام الروح متعلقا بالبدن مستغلا بواردات الحواس والقوى فاذا انقطعت علاقته عن البدن قامت
قيامته لان النفس كانت ساكنة مستمرة في الجسد وعند ذلك قامت وتوجهت نحو الصعود الى العالم
العلوى فيزول الغطاء وتنكشف الاحوال ويظهر على لوح النفس نقش كل شيء عمله في مدة عمره وهذا معنى
الكتابة والقراءة كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا بمتيز وعلى ملته لانه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى
الصارب من حسب عليه كذا او بمعنى الكاف وضع موضع الشهيد لانه يكفي المدعى ما اهمه ويذكره
لان ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال مبنى على تاويل النفس بالشخص على انها عبارة عن
نفس الذكر كقوله جيله بن حزب • يا نفس انك باللذات مسرور • فاذكر فهل ينفعك اليوم
تذكيري من اهتدى فانما يهتدى لنفسه فذلكة لما قدم من بيان كون القرآن هاديا لاقوم الطريق
ولزوم الاعمال لاصحابها اى من اهتدى بهدايته وعمل بما في تضاعيفه من الاحكام وانتهى عما نهاه
عنه فانما يقول فتعود منفعة اهتدايه الى نفسه لا يتخطاه الى غيره ممن لا يهتدى ومن ضل عن الطريقة
التى يهديه اليها فانما يضل عليها اى فانما وبال ضلاله عليها لا على من عداه ممن يباشره حتى يمكن
مفارقة العمل صاحبه ولا تزر وازرة وزر اخرى تأكيد للجملة الثانية اى لا تحمل نفس حاملة
للوزر وزر نفس اخرى حتى يمكن تخلص النفس الثانية عن وزرها ويختل بين العامل وعمله من التلازم
بل انما تحمل كل منهما وزرها وقد تحقيق لمعنى قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه واما
ما يدل عليه قوله عز وجل من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة
يكن له كفل منها وقوله تعالى ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم
من حمل الغير وزر الغير وانتفاعه بحسنه وتضرره بسيئة فانجزا الحسنة والسيئة لذلك جزا الضلال
مقصور على الضالين وما يحمله المضلون انما هو جزا الاضلال وانما خص التاكيد بالجملة الثانية
قطعا للاطماع الفارغة حيث كانوا يزعمون انهم ان لم يكونوا على الحق فالتبعة على اسلافهم الذين
قلدوهم وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا بيان للعنايات الربانية اثر بيان اختصاص اثار الهداية
والضلال باصحابها وعدم حرمان المهتدى من ثمرات هدايته وعدم مؤاخذة النفس بجناية غيرها اى
وما صح وما استقام منا بل استحال في سنتنا المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمنا الماضي وقضا
ينا السابق ان نعذب احدا من اهل الضلال لم والاوزار اكتفا بقضية العقل حتى نبعث اليهم رسولا
يهديهم الى الحق ويردعهم عن الضلال ويقيم الحجج ويمهد الشرايع حسبما في تضاعيف الكتاب المنزل عليه
والمراد بالعذاب المنفى ما عذاب الاستيصال كما قال الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه الله وهو
المناسب لما بعده او الجنس الشامل للدنيوى والاخروى وهو من افراده اياما كان فالبعث غاية
لعدم صحة وقوعه في وقته المقدر له لا لعدم وقوعه مطلقا كيف لا والاخروى لا يمكن وقوعه
بعد البعث والدنيوى ايضا لا يحصل الا بعد تحقق ما يوجبه من الفسق والعصيان الا ترى الى قوم نوح
كيف تاخر عنهم ما حل بهم الفاسنة وقوله تعالى واذا اردنا ان نهلك قرية بيان لكيفية وقوع
العذاب بعد البعثة التى جعلت غاية لعدم صحته وليس المراد بالارادة تحققها بالفعل اذ لا
يتخلف عنه المراد والارادة الازلية المتعلقة بوقوع المراد في وقته المقدر اذ لا يقارنه الجزا
الاتى بل دنوا وقتها كما في قوله تعالى اتى امر الله اى واذا دنا تعلق ارادتنا باهلاك قرية بان
نعذب اهلها بما ذكرنا من عذاب الاستيصال بما لهم من الظلم والمعاصى دنوا تقتضيه الحكمة من غير
ان يكون له حد معين امرنا بواسطة الرسول المبعوث الى اهلها مترفيها متنعميها وجبابرتها وملوكها
خصهم بالذكر مع توجه الامر الى الكل لانهم الاصول في الخطاب والباقى اتباع لهم ولان توجه الامر
اليهم اكد وعدم التعرض للمأمور به اما للظهور وان المراد الى الكل لانهم الاصول به الحق والخير ان
الله لا يامر بالفحشاء لا سيما بعد ذكر هداية القرآن لما يهدى اليه واما لان المراد وجد منا الامر
كما يقال فلان يعطى ويمنع ففسقوا فيها اى خرجوا عن الطاعة وتمردوا فحق عليها القول اى كلمة العذاب
السابق بحلوله او بظهور معاصيهم او بانهماكهم فيها فدمرناها بتدمير اهلها تدميرا لا يكتنه
كنهه ولا يوصف هذا هو المناسب لما سبق وقيل الامر مجاز من الحمل على الفسق والتسبب له بان صب
عليهم ما ابطرهم وافضى بهم الى الفسوق وقيل هو بمعنى التكثير يقال امرت الشيء فامر اى كثرته
فكثر • وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اى كثيرة النتاج ويعضده قراءة امرنا
وامرنا من الافعال والتفعيل وقد جعلتا من الامارة اى جعلناهم امراء وكل ذلك لا يساعده مقام
الزجر عن الضلال والحث على الاهتدا فان مؤدى ذلك ان طغيانهم منوط بارادة الله سبحانه وانعامه
عليهم بنعم وافرة ابطرتهم وحملتهم على الفسق حملا حقيقيا بان يعبر عنه بالامر به وكم اهلكنا

اى

اى وكثيرا ما اهلكنا من القرون بيان لكم وتمييز لهم والقرن مدة من الزمان يخترم فيها القوم وهى
عشرون او ثلاثون او اربعون او ثمانون او ماية وقد ايد ذلك ما انه صلى الله عليه وسلم دعا لرجل
فقال عش قرنا فعاش ماية سنة او ماية وعشرون من بعد نوح من بعد زمنه عليه السلام كعاد وثمود
ومن بعدهم ممن قصت احوالهم في القرآن العظيم ومن لم يقص وعدم نظم قومه عليه السلام دمنا الى
ذكرهم وكفى بربك اى وكفى ربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يحيط بظواهرها وبواطنها فيعاقب عليها
وتقديم الخبير لتقدم متعلقه من الاعتقادات والنيات التى هى مبادى الاعمال الظاهرة او لعمومه
حيث يتعلق بغير المبصرات ايضا وفيه اشارة الى ان البعث والامر وما يتلوها من فسقهم ليس
لتحصيل العلم بما صدر عنهم من الذنوب فان ذلك حاصل قبل ذلك وانما هو لقطع الاعذار والزام
الحجة من كل وجه من كان يريد باعماله التى يعملها سواء كان ترتب المراد عليها بطريق الجزاء كاعمال البر
وبطريق ترتب المعلولات على العلل كالاسباب او باعمال الاخرة فالمراد بالمريد على الاول الكفرة
واكثر الفسقة وعلى الثانى اهل الربا والنفاق والمهاجر للدنيا والمجاهد لمحض الغنيمة العاجلة
فقط من غير ان يريد معها الاخرة كما ينبئ عنه الاستمرار المستفاد من زيادة كان هاهنا مع
الاقتصار على مطلق الارادة في قسيمه والمراد بالعاجلة الدار الدنيا وبارادتها ارادة ما فيها
من فنون مطالبها لقوله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها ويجوز ان يراد الحياة العاجلة
لقوله عز وجل من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها لكن الاول انسب لقوله تعالى عجلنا له فيها اى في تلك
العاجلة فان الحياة واستمرارها من جملة ما عجل له فالانسب بذلك كلمة من كما في قوله تعالى ومن يرد ثواب
الدنيا نؤته منها ما نشاء اى ما نشاء تعجيله له من نعيمها لا كل ما يريد لمن نريد تعجيل ما نشاء له وهو بدل
من الضمير في له باعادة الجار بدل البعض فانه راجع الى الموصول المبنى عن الكثرة وقرئ لمن يشاء على ان
الضمير لله سبحانه وقيل هو لمن فيكون مخصوصا بمن اراد به ذلك وهو واحد من الدهما وتقييد المعجل
والمعجل له بما ذكر من المشية والارادة لما ان الحكمة التى يدور عليها فلك التكوين لا تقتضى وصول
كل طالب الى مرامه ولا استيفاء كل واصل لما يطلبه بتمامه واما ما يترأى من قوله تعالى من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون من نيل كل مؤمل لجميع اماله
ووصول كل عامل الى نتيجة عمله فقد اشير الى تحقيق القول فيه في سورة هود بفضل الله تعالى ثم
جعلنا له مكان ما عجلنا له جهنم وما فيها من اصناف العذاب يصليها يدخلها وهو حال من الضمير
المجرور او من جهنم او استيناف مذموما مدحورا مطرودا من رحمة الله تعالى • وقيل الاية في المنافقين
كانوا يراءون المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنايم ونحوها ويأباه ما يقال
ان السورة مكية سوى ايات معينة ومن اراد باعماله الاخرة الدار الاخرة وما فيها من النعيم
المقيم وسعى لها سعيها اى السعى اللائق بها وهو الاتيان بما امروا والانتهاء عما نهوا لا التقرب بما يخترعون
بارائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص وهو مؤمن ايمانا صحيحا لا يخالطه شيء قادح فيه
وايراد الايمان بالجملة الحالية للدلالة على اشتراط مقارنته لما ذكر في حيز الصلة فاولئك اشارة الى
الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما في ذلك من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد منزلتهم
والجمعية لمراعاة جانب المعنى ايماء الى ان الاثابة المفهومية من الخبر تقع على وجه الاجتماع اى
اولئك الجامعون لما مر من الخصال الحميدة اعنى ارادة الاخرة والسعى الجميل لها والايمان كان
سعيهم مشكورا مقبولا عند الله تعالى احسن القبول مثابا عليه وفي تعليق الشكر به بالسعى
دون قرينة اشعار بانه العمدة فيها كلا التنوين عوض عن المضاف اليه اى كل واحد من الفريقين
لا الفريق الاخير المريد للحق بالاشعار فقط نمد اى نزيد مرة بعد اخرى بحيث يكون
الانف مددا للسالف ما به الامداد ما عجل لاحدهما من العطايا العاجلة ما اعد للاخر من
العطايا الاجلة المشار اليها بمشكورية السعى وانما لم يصرح به تعويلا على ما سبق تصريحا وتلويحا
واتكالا على ما لحق عبارة واشارة كما ستقف عليه وقوله تعالى هؤلاء وبدل من كلا وهؤلاء عطف
عليه اى نمد هؤلاء المعجل لهم وهؤلاء المشكور سعيهم فان الاشارة متعرضة لذات المضاف
اليه بما له من العنوان لا للذات فقط كالاضمار ففيه تذكير لما به الامداد وتعيين للمضاف
اليه المحذوف دفعا لتوهم كونه افرادا لفريق الاخير وتاكيدا للقصر المستفاد من تقديم المفعول
وقوله تعالى من عطاء ربك اى من معطاه والعمل بل بمحض التفضيل وما كان عطاء ربك اى
دنيويا كان او اخرويا وانما اظهر لتزيد الاعتنا بشانه والاشعار بعليته للحكم محظورا
ممنوعا عمن يريده بل هو فايض على من قدر له بموجب المشية المبنية على الحكمة وان وجد منه

ما يقتضيه الحظر الحاضر وهو في معنى التعليل لشمول الامداد للفريقين والتعرض لعنوان الربوبية
في الموضعين للاشعار بمبدأيتها لما ذكر من الامداد وعدم الحظر انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض
كيف في محل النصب بفضلنا على الحالية والمراد توضيح ما مر من الامداد وعدم محظورية العطا
بالتنبيه على استحضار مراتب احد العطائين والاستدلال بها على مراتب الاخرى اى انظر بنظر الاعتبار
كيف فضلنا بعضهم على بعض فيما امددناهم به من العطايا العاجلة فمن وضيع ورفيع وظالع
وضليع ومالك ومملوك وموسر وصعلوك تعرف بذلك مراتب العطايا الآجلة ودرجات
تفاضل اهلها على طريقة الاستشهاد بحال الادنى على حال الاعلى كما افصح عنه قوله تعالى وللآخرة
اى وما فيها اكبر من الدنيا وقرئ اكثر اكبر درجات واكبر تفضيلا لان التفاوت فيها بالجنة
ودرجاتها العالية لا يقادر قدرها ولا يكتنه كنهها كيف لا وقد عبر عنه بما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر هذا ويجوز ان يراد بها به الامداد العطايا العاجلة فقط ويحمل
القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الاول فان تخصيص ارادتهم لها ووصولهم
اليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثاني ارادة ووصولا مما يوهم اختصاصها
بالاولين فالمعنى كل واحد من الفريقين ممد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا ارادته لها فقط
من الفريق الاول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظورا من احد ممن يريده
وممن يريد غيره انظر كيف فضلنا ذلك العطا بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة
الآية واعتبار عدم المحظورية بالنسبة الى الفريق الاول تحقيقا لشمول الامداد له كما فعله الجمهور
قالوا لا يمنعه من عاص لعصيانه يقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي
بالفريق الثاني مع انه لم يسبق في الكلام ما يوهم ثبوته له فضلا عن ايهام اختصاصه لا تجعل
مع الله الها آخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به امته وهو من باب التهييج والالهاب
او لكل احد ممن يصلح للخطاب فتقعد بالنصب جوابا للنهي والقعود بمعنى الصيرورة من قولهم شحذ
الشفرة حتى قعدت كأنها حربة او بمعنى العجز من قعد فيه اى عجز عنه مذموما مخذولا خبران او حالان
جامعان اى جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى وفيه اشعار
بان الموحد جامع بين المدح والنصرة وقضى ربك اى امر امرا مبرما وقرئ واوصى ربك ووصى ربك
الا تعبدوا اى بان لا تعبدوا الا اياه على ان ان مصدرية ولا نافية او لا تعبدوا على انها مفسرة
ولا ناهية لان العبادة غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو
كالتفصيل للسعي للآخرة وبالوالدين اى وبان تحسنوا بهما او واحسنوا بهما احسانا لانهما السبب
الظاهر للوجود والتعيش اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اما مركبة من ان الشرطية
وما المزيدة لتأكيدها ولذلك دخل الفعل نون التأكيد ومعنى عندك في كنفك وكفالتك و
تقديمه على المفعول مع ان حقه التأخير عنه للتشويق الى ما بعده فانه مدار تضاعف الرعاية
والاحسان واحدهما فاعل للفعل وتأخيره عن الظرف والمفعول لئلا يطول الكلام به وبما عطف
عليه • وقرئ يبلغان فاحدهما بدل من ضمير التثنية وكلاهما عطف عليه ولا سبيل الى جعل كلاهما
تأكيدا للضمير وتوحيد ضمير الخطاب في عندك وفيما بعده مع ان المخاطب على الجمع احترازا عن
التباس المراد فان المقصود نهي كل احد عن تأفيف والديه ونهرهما ولو قوبل الجمع بالجمع او
بالتثنية لم يحصل هذا المرام فلا تقل لهما اى لواحد منهما حالتي الانفراد والاجتماع اف وهو
صوت ينبئ عن تضجر او اسم فعل هو اتضجر وقرئ بالكسر بلا تنوين وبالفتح والضم منونا وغير منون
اى لا تتضجر بما يستقذر منهما او تستثقل من مؤنتهما وبهذا النهي يفهم النهي عن سائر ما يؤذيهما
بدلالة النص وقد خص بالذكر بعضه اظهارا للاعتناء بشأنه فقيل ولا تنهرهما اى لا تزجرهما
عما لا يعجبك باغلاظ قيل النهي والنهر والنهم اخوات وقل لهما بدل التأفيف والنهر قولا كريما
ذا كرم او هو وصف له بوصف صاحبه اى قولا صادرا عن كرم ولطف وهذا القول الجميل الذي
يقتضيه حسن الادب ويستدعيه النزول على المروءة مثل ان يقولوا يا ابتاه ويا اماه كدأب
ابراهيم عليه السلام اذ قال يا ابت مع ما به من الكفر ولا يدعوهما باسمائهما فانه من سوء الادب
وديدن الدعار وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال الا تقوم الى خدمتهما عن كسل
وقيل ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر اليهما شزرا ولا تنظر اليهما شزرا ولا يريا منك مخالفة
في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ما عاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما
فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه واخفض لهما جناح الذل

عبادة

عبارة الانة الجانب والتواضع والتذلل لهما فان اعزازهما لا يكون الا بذلك فكأنه قيل واخفض
لهما جناحك الذليل او جعل لذله جناحا كما جعل في قوله • وغداة ريح قد كشفت وقرة • اذ اصبحت بيد
الشمال زمامها • للغداة زماما وللشمال يدا تشبيها بطائر يخفض جناحه لافراخه تربية لها وشفقة
عليها • واما جعل خفض الجناح عبارة عن ترك الطيران كما فعله القفال فلا يناسب المقام من الرحمة
من فرط رحمتك وعطفك عليهما ورقتك لهما لافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما
ولا تكتف برحمتك الفانية بل ادعوا الله تعالى برحمته الواسعة الباقية وقل رب ارحمهما برحمتك
الدنيوية والاخروية التي من جملتها الهداية الى الاسلام فلا ينافي ذلك كفرهما كما ربياني الكاف في
محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اى رحمة مثل تربيتهما ومثل رحمتهما لي على ان التربية رحمة ويجوز
ان يكون لهما الرحمة والتربية معا وقد ذكر احدهما في احد الجانبين والآخر في الآخر كما يلوح به التعرض
لعنوان الربوبية في مطلع الدعاء كأنه قيل رب ارحمهما وربهما كما رحماني وربياني صغيرا ويجوز ان
تكون الكاف للتعليل اى لاجل تربيتهما لي كقوله تعالى واذكروه كما هداكم ولقد بالغ عز وجل في التوصية
بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده سبحانه ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق
الامر في باب مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تتفلت من متضجر مع ما له من موجبات الضجر
مما لا يكاد يدخل تحت الحصر وختمها بان جعل رحمته التي وسعت كل شيء مشبهة بتربيتهما وعن النبي
صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى في رضى الوالدين وسخطه في سخطهما وروى
يفعل البار ما يشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ما يشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة •
وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابوي بلغا من الكبر انى الي منهما ما وليا مني في الصغر
فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وانت تفعل ذلك وانت
تريد موتهما • وروى ان شيخا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان ابني هذا له مال كثير وانه لا
ينفق علي من ماله فنزل جبريل عليه السلام وقال ان هذا الشيخ قد انشأ في نفسه ابياتا ما
قرع سمع بمثلها فاستنشدها فانشدها الشيخ فقال • غذوتك مولودا وعلتك يافعا • تعل بما
اجني عليك وتنهل • اذا ليلة ضافتك بالسقم لم ابت • لسقمك الا باكيا اتململ • كأني انا المطروق
دونك بالذي • طرقت به دوني وعيني تهمل • فلما بلغت السن والغاية التي • اليها مدى ما كنت
فيك اؤمل • جعلت جزائي غلظة وفظاظة • كأنك انت المنعم المتفضل • فليتك اذ لم ترع حق
ابوتي • فعلت كما الجار المجاور يفعل • وقال انت ومالك لابيك ربكم اعلم بما في نفوسكم من البر
والعقوق ان تكونوا صالحين قاصدين الصلاح والبر دون العقوق والفساد فانه تعالى كان
للاوابين اى الرجاعين اليه تعالى عما فرط منهم مما لا يكاد يخلو عنه البشر غفورا لما وقع منهم من
لما وقع منهم من نوع تقصير او اذية فعلية او قولية وفيه ما لا يخفى من التشديد في الامر بمراعاة
حقوقهما ويجوز ان يكون عاما لكل تائب فيدخل فيه الجاني على ابويه دخولا اوليا وآت ذا القربى
اى ذا القرابة حقه توصية بالاقارب اثر التوصية بالوالدين ولعل المراد بهم المحارم وبحقهم
النفقة كما ينبئ عنه قوله تعالى والمسكين وابن السبيل فان المأمور به في حقهما المواساة المالية لا
محالة اى وآتهما حقهما مما كان مفترضا بمكة بمنزلة الزكاة وكذا النهي عن التبذير وعن الافراط في القبض
والبسط فان الكل من التصرفات المالية ولا تبذر تبذيرا نهي عن صرف المال الى من سواهم ممن لا
يستحقه فان التبذير تفريق في غير موضعه مأخوذ من تبذير الحبات والقائها كيفما كان من غير
تعهد لمواقعه لا عن الاكثار في صرفه عليهم والا لناسبه الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه
اليهم والا لناسبه الاسراف الذي هو تجاوز الحد في صرفه وقد نهي عنه بقوله تعالى ولا تبسطها
وكلاهما مذموم ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين تعليل للنهي عن التبذير ببيان انه يجعل صاحبه
ملزوزا في قرن الشياطين والمراد بالاخوة المماثلة التامة في كل ما لا خير فيه من صفات السوء التي
من جملتها التبذير اى كانوا بما فعلوا من التبذير امثال الشياطين او الصداقة والملازمة اى كانوا
اصدقاءهم واتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي فانهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون
عليها ويبذرون اموالهم في السمعة وسائر ما لا خير فيه من الملاهي والمناهي او المقارنة اى قرناءهم
في النار على سبيل الوعيد وكان الشيطان لربه كفورا من تتمة التعليل اى مبالغا في كفران النعمة
تعالى لان شأنه ان يصرف جميع ما اعطاه الله تعالى من القوى والقدر الى غير ما خلقت هي له
من انواع المعاصي والافساد في الارض واضلال الناس وحملهم على الكفر بالله تعالى وكفران
نعمه الفائضة عليهم وصرفها الى غير ما امر الله تعالى به وتخصيص هذا الوصف بالذكر من بين

سائرا وضاقة القبيحة للايذان بان التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى الى غير مصرفها
من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو عبارة عن صرفها الى ما خلقت له والتعرض لوصف
الربوبية للاشعار بكمال عتوه فان كفران نعمة الرب مع كون الربوبية من اقوى الدواعي الى شكرها
غاية الكفران ونهاية الضلال والطغيان واما تعرضن عنهم اى ان اعرض عنهم امر اضطرك الى
ان تعرض عن اولئك المستحقين ابتغاء رحمة من ربك اى لفقد رزق من ربك اقامة للمسبب
مقام السبب فان الفقد سبب للابتغاء ترجوها من الله تعالى لتعطيهم وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده اعرض عن السائل وسكت حياء فامر بتعهدهم بالقول الجميل
لئلا تعتريهم الوحشة بسكوته صلى الله عليه وسلم فقيل فقل لهم قولا ميسورا سهلا لينا وعدهم
وعدا جميلا من يسر الامر نحو سعد وقيل اى قل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر
عليهم فقرهم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط تمثيل لمنع الشحيح
واسراف المبذر زجرا لهما عنهما وحملا على ما بينهما من الاقتصاد كلا طرفي قصد الامور ذميم وحيث
كان قبح الشح واسراف مقارنا له معلوما من اول الامر روعي في ذلك من التصوير باقبح الصور
ولما كان غاية الاسراف في آخره بين اثره في قبيحه فقيل فتقعد ملوما اى فتصير ملوما عند الله
وعند نفسك اذا اصبحت وندمت على ما فعلت محسورا نادما او منقطعا بك لا شيء عندك
من حسره السفر اذا بلغ منه وما قيل من انه روي عن جابر رضي الله تعالى عنه انه قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا اذ اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه
وسلم من ساعة فعد الينا فذهب الى امه فقالت له قل ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك
فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظر فلم
يخرج للصلاة فنزلت فيأباه ان السورة مكية ايات في اخرها وكذا ما قيل انه صلى الله عليه وسلم
اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وكذا عيينة بن حصن الفزاري فجاء عباس بن مرداس فانشأ
يقول • اتجعل نهبي ونهب العبيد • بين عيينة والاقرع • وما كان حصن ولا حابس • يفوقان مرداس
في مجمع • وما كنت دون امرئ منهما • ومن تضع اليوم لا يرفع • فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ابا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل وكانوا جميعا من المؤلفة القلوب فنزلت
ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر تعليل لما مر اى يوسعه على بعض ويضيقه على آخرين
حسبما تتعلق به مشيئته التابعة للحكمة فليس ما يرهقك من الاضاقة التي تحوجك الى الاعراض
عن السائلين او معلوما في يدك اذا بسطتها كل البسط الا لمصلحتك انه كان بعباده خبيرا
بصيرا تعليل لما سبق اى يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز ان يراد
ان البسط والقبض من امر الله العالم بالسرائر والظواهر الذي بيده خزائن السموات والارض
واما العباد فعليهم ان يقتصدوا وان يجاد انه تعالى يبسط ويقدر حسب مشيئته فلا يبسطوا
على من قدر عليه رزقه وان يكون تمهيدا لقوله ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اى مخافة
فقر وقرئ بكسر الخاء كانوا يئدون بناتهم مخافة الفقر فنهوا عن ذلك نحن نرزقهم واياكم لا انتم
فلا تخافوا الفاقة بناء على علمكم بعجزكم عن تحصيل رزقهم وهو ضمان لرزقهم وتعليل للنهي
المذكور بابطال موجبه في زعمهم وتقديم ضمير الاولاد على المخاطبين على عكس ما وقع في
سورة الانعام للاشعار باصالتهم في افاضة الرزق او لان الباعث على القتل هناك
الاملاق الناجز ولذلك قيل من املاق وههنا الاملاق المتوقع ولذلك قيل خشية املاق
فكانه قيل نرزقهم من غير ان ينقص من رزقكم شيء فيعتريكم ما تخشونه واياكم ايضا رزقا
الى رزقكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا تعليل اخر ببيان ان المنهي عنه في نفسه منكر عظيم والخطأ
الذنب والاثم يقال خطئ خطأ واثم اثما وقرئ بالفتح والسكون وبفتحتين بمعناه كالحذر
وقيل بمعنى ضد الصواب وبكسر الخاء والمد وبفتحها مع المد وبفتحها وحذف الهمزة وبكسرها
كذلك ولا تقربوا الزنا بمباشرة مباديه القريبة او البعيدة فضلا عن مباشرته وانما نهى
عن قربانه على خلاف ما سبق ولحق من القتل للمبالغة في النهي عن نفسه ولان قربانه داع الى
مباشرته وتوسيطه النهي عنه بين النهي عن قتل الاولاد والنهي عن قتل النفس المحرمة على
الاطلاق باعتبار انه قتل للاولاد لما انه تضييع للانساب فان من لم يثبت نسبه ميت حكما
انه كان فاحشة فعلة ظاهرة القبح متجاوزة عن الحد وساء سبيلا اى بئس طريقا طريقه فانه
غصب الابضاع المؤدي الى اختلال امر الانساب وهيجان الفتن كيف لا وقد قال صلى الله عليه

وسلم اذا زنى العبد خرج منه الايمان فكان على رأسه مثل الظلة فاذا انقطع رجع اليه وقال صلى الله
عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وعن حذيفة رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم
قال اياكم والزنى فان فيه ست خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما التي في الدنيا فذهاب
البهاء ودوام الفقر وقصر العمر • واما التي في الآخرة فسخط الله تعالى وسوء الحساب والخلود في النار
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق قتلها بان عصمها بالاسلام او بالعهد الا بالحق الا باحدى
ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل نفس معصومة عمدا فالاستثناء مفرغ اى لا تقتلوها بسبب
من الاسباب الا بسبب الحق او ملتبسين بشيء من الاشياء • ويجوز ان يكون نعتا لمصدر محذوف اى
لا تقتلوها قتلا ملتبسا بالحق ومن قتل مظلوما بغير حق يوجب قتله او يبيحه للقاتل حتى انه لا يعتبر
اباحته الغير القاتل فان من عليه القصاص اذا قتله غير من له القصاص يقتص له ولا يفيده قول
الولي انا امرته بذلك ان لم يكن الامر ظاهرا فقد جعلنا لوليه لمن يلي امره من الوارث او السلطان
عند عدم الوارث سلطانا تسلطا واستيلاء على القاتل مؤاخذة بالقصاص او بالدية حسبما تقتضيه
جنايته او حجة غالبة فلا يسرف وقرئ لا تسرف في القتل اى لا يسرف الولي في امر القتل بان يتجاوز
الحد المشروع بان يزيد عليه المثلة او بان يقتل غير القاتل او من اقاربه او بان يقتل الاثنين مكان
الواحد كما يفعله اهل الجاهلية او بان يقتل القاتل في مادة الدية وقرئ بصيغة النفي مبالغة
في افادة معنى النهي انه كان منصورا تعليل للنهي والضمير للولي على معنى انه تعالى نصره بان اوجب
له القصاص او الدية وامر الحكام بمعونته في استيفاء حقه فلا يبغ ما وراء حقه ولا يستبد عليه ولا
يخرج من دائرة امر الناصر او للمقتول ظلما على انه تعالى نصره لما ذكر فلا يسرف وليه في شأنه او للذي
يقتله الولي ظلما واسرافا ووجه التعليل ظاهر وعن مجاهد ان الضمير في لا يسرف للقاتل الاول
ويعضده قراءة فلا تسرفوا والضميران في التعليل عائدان الى الولي والمقتول فالمراد باسرافه حينئذ
اسراف القاتل على نفسه لتعريضها للهلاك العاجل والآجل لا الاسراف وتجاوز الحد في القتل
اى لا يسرف على نفسه في شأن القتل اى لا يسرف عليها كما في قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
ولا تقربوا مال اليتيم نهي عن قربانه لما ذكر من المبالغة في النهي عن التعرض له ومن افضائه اليه
وللتوصل الى الاستثناء بقوله تعالى الا بالتي هي احسن الا بالخصلة والطريقة التي هي احسن الخصال
والطرائق وهي حفظه واستثماره حتى يبلغ اشده غاية لجواز التصرف على الوجه الاحسن المدلول
عليه بالاستثناء لا للوجه المذكور فقط واوفوا بالعهد سواء جرى بينكم وبين ربكم او بينكم وبين
غيركم من الناس والايفاء بالعهد والوفاء به هو القيام بمقتضاه والمحافظة عليه ولا يكاد يستعمل
الا بالياء فرقا بينه وبين الايفاء الحسي كالكيل والوزن ان العهد كان اظهر في مقام الاضمار اظهارا
لكمال العناية بشأنه او لان المراد مطلق العهد المنتظم للعهد المعهود مسؤولا اى مسؤولا فيه على حذف الجار
وجعل الضمير بعد انقلابه مرفوعا مستكنا في اسم المفعول كقوله تعالى وذلك يوم مشهود ونظيره
ما في قوله تعالى تلك آيات الكتاب الحكيم على ان اصله الحكيم قائله فحذف المضاف وجعل الضمير مستكنا
في الحكيم بعد انقلابه مرفوعا ويجوز ان يكون تخييلا كانه قيل للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا
للناكث كما يقال للموؤدة بأي ذنب قتلت واوفوا الكيل اى اتموه ولا تخسروه اذا كلتم كيلكم للمشترين
وتقييد الامر بذلك لما ان التطفيف هناك يكون تخييلا كانه قيل للعهد ثم نكثت وهلا وفي بك
تبكيتا للناكث كما يقال واما وقت الاكتيال على الناس فلا حاجة الى الامر بالتعديل قال تعالى اذا
اكتالوا على الناس يستوفون الاية وزنوا بالقسطاس هو القرسطون وقيل هو ميزان صغيرا كان او كبيرا
رومي معرب ولا يقدح ذلك في عربية القرآن لانتظام المعربات في سلك الكلم العربية وقرئ بضم
القاف المستقيم اى العدل المستوي ولعل الاكتفاء باستقامته عن الامر بايفاء الوزن لما ان عند
استقامته لا يتصور الجور غالبا بخلاف الكيل فانه كثيرا ما يقع التطفيف مع استقامة الآلة كما
ان الاكتفاء بايفاء الكيل عن الامر بتعديله لما ان ايفاءه لا يتصور بدون تعديل المكيال وقد امر بتقويمهما
ايضا كما في قوله تعالى واوفوا المكيال والميزان بالقسط ذلك اى ايفاء الكيل والوزن بالميزان خير
في الدنيا اذ هو امانة توجب الرغبة في معاملته والذكر الجميل بين الناس واحسن تأويلا
عاقبة تفعيل من آل اذا رجع والمراد ما يؤول اليه ولا تقف ولا تتبع من قفا اثره اذا تبعه
وقرئ ولا تقف من قاف اثره اى قفاه ومنه القافة في جميع القائف ما ليس لك به علم اى لا
تكن في اتباع ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده واحتج
به من منع اتباع الظن وجوابه ان المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند قطعيا كان

او ظنيا واستعماله في هذا المعنى مما لا ينكر شيوعه وقيل به مخصوص بالعقايد وقيل بالرمي وشهادة الزور ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله تعالى في ردغة الخبال حتى ياتي بالمخرج ومنه قول الكميت ● ولا ارمي البرئ بغير ذنب ● ولا اقفو الحواصن ان رمينا ان السمع والبصر والفؤاد ● وقرئ بفتح الفاء والواو المقلوبة من الهمزة عند ضم الفاء كل اولئك اي كل واحد من تلك الاعضا فاجريت مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن احوالها شاهدة على اصحابها هذا وان اولا وان غلب في العقلاء لكنه من انه اسم جمع لذا الذي يعم القبيلين جا لغيرهم ايضا قال ● ذم المنازل بعد منزلة اللوى ● والعيش بعد اولئك الايام كان مسؤلا اي كان كل من تلك الاعضا مسؤلا عن نفسه على انه اسم كان ضمير يرجع الى كل وكذا الضمير المجرور وقد يجوز ان يكون الاسم ضميرا الثاني بطريق الالتفات اذ الظاهر ان يقال مسؤلا وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد اسند اليه مسؤلا معللا بان الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدا وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه ولكن النحاس حكى الاجماع على عدم جواز تقدم القايم مقام الفاعل اذا كان جارا او مجرورا ويجوز ان يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنا كما ذكرنا في قوله تعالى يوم مشهود ويجوز ان يكون مسؤلا مسندا الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب ● وسال ابن جني ابا علي عن قولهم فيك يرغب الرغبة بمعنى تفعل الرغبة كما في قولهم يعطي ويمنع ان يفعل الاعطا والمنع ويجوز ان يكون اسم كان او فاعله ضمير كل بحذف المضاف اي كان صاحبه عنه مسؤلا صاحبه ولا تمش في الارض لزيادة التقرير والاشعار بان المشي عليها مما لا يليق بالمرح مرحا تكبرا وبطرا واختيالا وهو مصدر وقع موقع الحال اي ذا مرح او تمرح مرحا وقرئ بالكسر انك لن تخرق الارض تعليل للنهي وفيه تهكم بالمختال وايذان بان ذلك مفاخرة مع الارض وتكبر عليها اي لن تخرق الارض بدوسك وشدة وطاتك وقرئ بضم الراء ولن تبلغ الجبال التي هي بعض اجزاء الارض طولا حتى يمكنك ان تتكبر عليها اذ التكبر انما يكون بكثرة القوة وعظم الجثة وكلاهما مفقود وعليه تعريض بما عليه المختال من رفع راسه ومشيه على صدور قدميه كل ذلك اشارة الى ما علم في تضاعيف ذكر الاوامر والنواهي من الخصال الخمس والعشرين كان سيئه الذي نهي عنه وهو اثنا عشر خصلة عند ربك مكروها غير مرضي او غير مراد بالارادة الاولية لا غير مراد مطلقا لقيام الادلة القاطعة على ان جميع الاشيا واقعة بارادته سبحانه وهو تتمة لجميع الامور المنهي عنها جميعا ووصف ذلك بمطلق الكراهة مع ان البعض من الكباير للايذان بان مجرد الكراهة عنده تعالى كافية في وجوب الانتهاء عن ذلك وتوجيه الاشارة الى الكل ثم تعيين البعض دون ان توجيهها اليه ابتدا لان البعض المذكور ليس بمذكور جملة بل على وجه الاختلاط وفيه اشعار بكون ما عداه مرضيا عنده تعالى وانما لم يصرح بذلك ايذانا بالغنى عنه ● وقيل الاضافة بيانية كما في اية الليل واية النهار وقرئ سيئة على انه خبر كان وذلك اشارة الى ما نهي عنه من الامور المذكورة ومكروها بدل من سيئة او صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيئا وقد قرئ به او مجرى على موصوف مذكر اي امرا مكروها او جرى مجرى الاسماء زال عنه معنى الوصفية ويجوز كونه حالا من المستكن في كان في الظرف على انه صفة سيئة وقرئ سيئاته ذلك اي الذي تقدم من التكاليف المفصلة مما اوحى اليك ربك اي بعض منه او من جنسه من الحكمة التي هي علم الشرايع او معرفة الحق لذاته والعمل به او من الاحكام المحكمة التي لا يتطرق اليها النسخ والفساد وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان هذه الايات الثمانية عشر كانت في الواح موسى عليه السلام اولها لا تجعل مع الله الها اخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر ايات في التوراة ومن اما متعلقة باوحي على انها تبعيضية او ابتدائية واما بمحذوف وقع حالا من الموصول او من عايده المحذوف في الصلة اي كاينا من الحكمة واما بدل من الموصول باعادة الجار ولا تجعل مع الله الها اخر الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد غيره ممن يتصور منه صدور المنهي عنه وقد كرر للتنبيه على ان التوحيد مبدا الامر ومنتهاه وانه راس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لا ينفعه علومه وحكمته وان بذ فيها اساطين الحكما وحك بيافوخه عنان السماء وقد رتب عليه ما هو عايدة الاشيا اولا حيث قيل فتقعد مذموما مخذولا ورتب عليه هاهنا نتيجة في العقبى فقيل فتلقى في جهنم ملوما من جهة نفسك ومن جهة غيرك مدحورا

مبعدا

مبعدا من رحمة الله تعالى وفي ايراد الالقا مبنيا للمفعول جريا على سنن الكبريا وازدرا بالمشرك وجعل له من قبيل خشبة ياخذها اخذ بكفه فيطرحها في التنور افاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملئكة اناثا خطاب للقائلين بان الملئكة بنات الله سبحانه والاصفا بالشيء جعله خالصا والهمزة للانكار والفا للعطف على مقدر يفسره المذكور اي افضلكم على جنابه فخصكم بافضل الاولاد على وجه الخلوص واثر لذاته اخسها وادناها كما في قوله سبحانه الكم الذكر وله الانثى وقوله تعالى ام له البنات ولكم البنون والتعرض هاهنا بالتعرض لعنوان الربوبية تشديد للنكير وتأكيده واشير بذلك بذكر الملئكة عليهم السلام وبايراد الاناث مكان البنات الى كفرة لهم آخر وهو وصفهم لهم عليهم السلام بالانوثة التي هي اخس صفات الحيوان كقوله تعالى وجعلوا الملئكة الذين هم عباد الرحمن اناثا انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم انكم لتقولون بمقتضى مذهبكم الباطل الذي هو اضافة الولد اليه سبحانه قولا عظيما لا يقادر قدره في استتباع الاثم وخرقه لقضايا العقول بحيث لا يجترئ عليه احد حيث يجعلونه تعالى من قبيل الاجسام المتجانسة السريعة الزوال وليس كمثله شيء وهو الواحد القهار الباقي بذاته ثم تضيفون اليه ما تكرهون من احسن الاولاد وتفضلون عليه انفسكم بالبنين ثم تصفون الملئكة الذين هم من اشرف الخلايق بالانوثة التي هي اخس الاولاد وتفضلون عليه انفسكم واوصاف الحيوانات فيا لها من خلة ما اقبحها وكفوة ما اشنعها وافظعها ولقد صرفنا هذا المعنى وكررناه في هذا القران على وجوه من التصريف في مواضع منه وانما ترك الضمير تعويلا على الظهور وقرئ بالتخفيف ليذكروا ما فيه ويقفوا على بطلان ما يقولون والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضا الحال ان يعرض عنهم ويحكى للسامعين هناتهم ● وقرئ بالتخفيف من الذكر بمعنى التذكر ويجوز ان يراد بهذا القران ما نطق ببطلان مقالتهم المذكورة من الايات الكريمة الواردة على اساليب مختلفة ومعنى التصريف فيه جعله مكانا له اي اوقعنا فيه التصريف كقوله ● يجرح في عراقيبها نصلي ● وقد جوز ان يراد به ابطال اضافته اليه تعالى البنات وانت تعلم ان ابطالها من اثار القران وتتابعها وما يزيدهم اي والحال انه ما يزيدهم ذلك التصريف البالغ الا نفورا عن الحق واعراضا عنه عن التذكر المودي الى معرفة بطلان ما هم عليه من القبايح قل في اظهار بطلان ذلك من جهة اخرى لو كان معه تعالى الهة كما تقولون اي المشركون قاطبة وقرئ بالتاء خطابا لهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم والكاف في محل النصب على انه نعت لمصدر محذوف اي كونا مشابها لما يقولون فالمراد بالمشابهة الموافقة والمطابقة اذا لابتغوا جوابا عن مقالتهم الشنعا وجزا للو اي لطلبوا الى ذي العرش اي الى من له الملك والربوبية على الاطلاق سبيلا بالمغالبة والممانعة كما هو ديدن الملوك بعضهم مع بعض على طريقة قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ● وقيل بالتقرب اليه تعالى كقوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة والاول هو الاظهر الانسب لقوله سبحانه فانه صريح في ان المراد بيان انه يلزم مما يقولونه محذور عظيم من حيث لا يحتسبون واما ابتغا السبيل اليه تعالى بالتقرب فليس مما يختص بهذا التقدير ولا هو مما يلزمهم من حيث لا يشعرون بل هو امر يعتقدونه راسا اي يتنزه بذاته تنزها حقيقا به وتعالى متباعدا عما يقولون من العظيمة التي هي ان يكون معه الهة وان يكون له بنات علوا تعاليا كقوله تعالى والله انبتكم من الارض نباتا كبيرا لا غاية وراءه كيف لا وانه سبحانه وتعالى في اقصى غايات الوجود وهو الوجوب الذاتي وما يقولونه من ان له تعالى شركا واولادا في ابعد مراتب العدم اعني الامتناع لا لانه تعالى في اعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود لذاته واتخاذ الولد من ادنى مراتبه فانه من خواص ما يمتنع بقاؤه كما قيل فان ما يقولونه ليس مجرد اتخاذ الولد بل اتخاذه تعالى له وان يكون معه الهة ولا ريب في ان ذلك ليس بداخل في حد الامكان فضلا عن دخوله تحت الوجود وكونه من ادنى مراتب الوجود انما هو بالنسبة الى من شانه ذلك تسبح بالفوقانية وقرئ بالتحتانية وقيل سبحت له السموات السبع والارض ومن فيهن من الملئكة والثقلين على ان المراد بالتسبيح معنى منتظم لما ينطق به لسان المقال ولسان الحال بطريق عموم المجاز وان من شيء من الاشيا حيوانا كان او نباتا او جمادا الا يسبح ملتبسا بحمده اي ينزهه تعالى بلسان الحال عما لا يليق بذاته الاقدس من لوازم الامكان ولواحق الحدوث اذ ما من موجود الا وهو بامكانه وحدوثه يدل دلالة واضحة على ان له صانعا عليما قادرا حكيما واجبا لذاته قطعا للسلسلة ولكن لا تفقهون تسبيحهم ايها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذي به يفهم ذلك وقرئ لا يفقهون على صيغة المبني للمفعول من باب التفعيل

انه كان حليما ولذلك لم يعاجلكم بالعقوبة مع ما انتم عليه من موجباتها من الاعراض عن التدبر
في الدلائل الواضحة الدالة على التوحيد والانهماك في الكفر والاشراك غفورا لمن تاب منكم واذا
قرأت القرآن الناطق بالتسبيح والتنزيه ودعوتهم الى العمل بما فيه من التوحيد ورفض الشرك
وغير ذلك من الشرائع جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة اوثر الموصول على الضمير ذما لهم بما في حيز الصلة وانما خص بالذكر كفرهم بالآخرة من بين سائر
ما كفروا به من التوحيد ونحوه دلالة على انها معظم ما امروا بالايمان به في القرآن وتمهيد لما سينقل
عنهم من انكار البعث واستعجاله ونحو ذلك حجابا يحجبهم من ان يدركوك على ما انت عليه من النبوة
ويفهموا قدرك الجليل ولذلك اجترؤوا على تفوه العظيمة التي هي قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا
وحمل الحجاب على ما روي عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله تعالى عنه من انه لما نزلت سورة تبت اقبلت
العوراء ام جميل امرأة ابي لهب وفي يدها فهر والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد في المسجد ومعه ابو
بكر رضي الله تعالى عنه فلما رآها قال يا رسول الله لقد اقبلت هذه واخاف ان تراك فقال
صلى الله عليه وسلم انها لن تراني وقرأ قرآنا فوقفت على ابي بكر رضي الله تعالى عنه ولم تر رسول الله
صلى الله عليه وسلم مما لا يقبله الذوق السليم ولا يساعده النظم الكريم مستورا ذا ستر كما في قولهم
سيل مفعم اي مستورا عن الحس بمعنى غير حسي او مستورا في نفسه بحجاب آخر او مستورا كونه حجابا
حيث لا يدرون انهم لا يدرون وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية كثيرة جمع كنان ان يفقهوه
مفعول لاجله اي كراهة ان يفقهوه ومفعول لما دل عليه الكلام اي منعناهم ان يقفوا على كنهه ويعرفوا
انه من عند الله تعالى وفي آذانهم وقرا صمما وثقلا مانعا من سماعه اللائق به وهذه تمثيلات
معربة عن كمال جهلهم بشؤون النبي صلى الله عليه وسلم وفرط نبو قلوبهم عن فهم القرآن الكريم
ومج اسماعهم له جيء بها بيانا لعدم فقههم لتسبيح لسان المقال اثر بيان عدم فقههم لتسبيح لسان
الحال وايذانا بان هذا التسبيح من الظهور بحيث لا يتصور عدم فهمه الا لمانع قوي يعتري مشاعرهم
فيبطلها وتنبيها على ان حالهم هذه اقبح من السابق لا حكاية لما قالوه قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي
آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كيف لا وقد قصدوا بذلك الاخبار بما اعتقدوه في حق القرآن والنبي
صلى الله عليه وسلم جهلا من اتصافهما باوصاف مانعة من التصديق والايمان بكون القرآن سحرا
وشعرا واساطير وقس عليه حال النبي صلى الله عليه وسلم لا الاخبار بان هناك امرا وراء ما ادركوه
مما لا يكاد يلائم المقام واذا ذكرت ربك في القرآن وحده واحدا غير مشفوع به آلهتهم وهو مصدر
وقع موقع الحال صلة يحد وحده ولوا على ادبارهم اي هربوا ونفروا نفورا اي ولوا نافرين نحن اعلم
بما يستمعون ملتبسين به من اللغو والاستخفاف والهزو بك وبالقرآن يروى انه كان يقوم عن يمينه
صلى الله عليه وسلم رجلان من عبد الدار وعن يساره رجلان فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه
بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم وفائدته تاكيد الوعيد بالاخبار بانه كما يقع الاستماع
المزبور منهم يتعلق به العلم لا ان العلم يستفاد من هناك وكذا قوله تعالى واذ هم نجوى لكن من حيث
تعلقه بما به التناجي المدلول عليه بسياق النظم والمعنى نحن اعلم بالذي يستمعون ملتبسين به مما
لا خير فيه من الامور المذكورة وبالذي يتناجون به فيما بينهم والاول ظرف لما يستمعون والثاني
يتناجون والمعنى نحن اعلم بما به الاستماع وقت استماعهم من غير تاخير وبما به التناجي وقت
تناجيهم ونجوى مرفوع على الخبرية بتقدير المضاف اي ذووا نجوى او هو جمع نجي كقتلى جمع قتيل
اي متناجون اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم وفيه دليل على ان ما يتناجون به غير ما يستمعون
وانما وضع الظالمون موضع الضمير اشعارا بانهم في ذلك ظالمون مجاوزون الحد اي يقول كل منهم
للآخرين عند تناجيهم ان تتبعون اي ما تتبعون ان وجدتم الاتباع فرضا او ما تتبعون باللهو
والهزو الا رجلا مسحورا اي سحر فجن او رجلا ذا سحر اي رئة يتنفس اي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا
لك الامثال اي مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون فضلوا في جميع ذلك عن منهاج المحاجة فلا
يستطيعون سبيلا الى طعن يمكن ان يقبله احد فيتهافتون ويخبطون كما يأتون بما لا يرتاب في
بطلانه احد او الى سبيل الحق والرشاد وفيه من الوعيد وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم
ما لا يخفى وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا استفهام انكاري مفيد لكمال الاستبعاد والاستنكار
للبعث بعد ما آل الحال هذا المآل لما بين غضاضة الحي ويبوسة الرميم من التنافي كان استحالة
الامرين من الظهور بحيث لا يقدر المخاطب على التكلم به والرفات ما بولغ في دقه وتفتيته
وقال الفراء هو التراب وهو قول مجاهد وقيل هو الحطام واذا متمحضة للظرفية وهو الاظهر

والعامل

والعامل فيها ما دل عليه قوله تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة واللام لا يعمل فيما
قبلها وهو نبعث او نعاد وهو المرجع للانكار وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيصه به فانهم منكرون
للاحياء بعد الموت وان كان البدن على حالة بل لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه اليه في حالة
منافية له وتكرير الهمزة في قولهم ائنا لتأكيد النكير وتحلية الجملة بان واللام لتاكيد عسى يتوهم من
ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون ونظائره
على رأي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار انكارهم
كونهم ثابتين في المبعوثية بالفعل في حال كونهم عظاما ورفاتا كما يتراءى من ظاهر الجملة الاسمية بل كونهم
بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم
في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه خلقا جديدا نصب على المصدر من غير لفظه لا
او الحالية على ان الخلق بمعنى المخلوق قل جوابا لهم وتقريعا كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما
يكبر في صدوركم اي يعظم عندكم عن قبول الحياة لكمال المباينة والمنافاة بينها وبينه فانكم مبعوثون
ومعادون لا محالة فسيقولون من يعيدنا مع ما بيننا وبين الاعادة من مثل هذه المباعدة والمباينة
قل لهم تحقيقا للحق وازاحة للاستبعاد وارشادا لهم الى طريقة الاستدلال الذي يعيدكم القادر
العظيم الذي فطركم اخترعكم اول مرة من غير مثال يحتذيه ولا اسلوب ينتحيه وكنتم ترابا ما شم رائحة
الحياة اليس الذي يقدر على ان يعيد العظام البالية الى حالتها المعهودة بلى انه على كل شيء قدير
فسينغضون اليك رؤوسهم اي سيحركونها نحوك تعجبا وانكارا ويقولون استهزاء متى هو اي ما ذكرته
من الاعادة قل لهم عسى ان يكون ذلك قريبا نصب على انه خبر ليكون او ظرف على ان كان تامة اي
ان يقع في زمان قريب ومحل ان مع ما في حيزها نصب على انه خبر لعسى وهي ناقصة واسمها ضمير
عائد الى ما عاد اليه هو اي عسى البعث ان يكون قريبا او وقوعه في زمان قريب يوم يدعوكم
منصوب بفعل مضمر اي اذكر او على انه بدل من قريبا او على انه ظرف ليكون تامة بالاتفاق
او ناقصة عند من يجوز اعمال الناقصة في الظروف او مضمر المصدر المستكن في عسى ان يكون اعني
البعث عند من يجوز اعمال ضمير المصدر كما في قوله وما الحرب الا ما علمتم وذقتم وما هو
عنها بالحديث المرجم فهو ضمير المصدر وقد تعلق به ما بعده من الجار فتستجيبون اي يوم يبعثكم
فتبعثون وقد استعير لهما الدعاء والاجابة بكمال سهولة التأتي بان المقصود الاحضار للمحاسبة
والجزاء بحمده حال من ضمير تستجيبون اي منقادين له حامدين لما فعل بكم مستعجبين او حامدين
له على كمال قدرته عند مشاهدة آثارها ومعاينة احكامها وتظنون عطف على تستجيبون اي تظنون
عند ما ترون من الامور الهائلة ان لبثتم اي ما لبثتم في القبور الا قليلا كالذي مر على قرية او ما
لبثتم في الدنيا وقل لعبادي اي المؤمنين يقولوا عند محاورتهم مع المشركين التي اي الكلمة التي هي احسن
ولا يخاشنوهم كقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد
ويهيج الشر والمراء ويغري بعضهم على بعض لتقع بينهم المشاقة والمشارة والمعاودة والمضارة فلعل
ذلك يؤدي الى تأكيد العناد وتمادي الفساد ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا فهو تعليل لما
سبق من ان الشيطان ينزغ بينهم ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم بالتوفيق للايمان وان يشأ يعذبكم بالاماتة
على الكفر وهذا تفسير التي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا
تصرحوا بانهم من اهل النار فانه مما يهيجهم على الشر مع ان العاقبة مما لا يعلمه الا الله سبحانه فعسى
يهديهم الى الايمان وما ارسلناك عليهم وكيلا موكولا اليك امورهم تقسرهم على الايمان وانما ارسلناك
بشيرا ونذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمداراة والاحتمال وترك المحاقة والمشاقة وذلك قبل
نزول آية السيف وقيل نزل في عمر رضي الله عنه شتمه رجل فامر بالعفو وقيل افرط اذية المشركين
بالمؤمنين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التي هي احسن ان يقولوا يهديكم
الله يرحمكم الله وربك اعلم بمن في السموات والارض وتفاصيل احوالهم الظاهرة والكامنة التي
بها يستأهلون الاصطفاء والاجتباء فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء ممن يستحقه وهو رد عليهم
اذ قالوا بعيد ان يكون يتيم ابي طالب نبيا وان يكون العراة الجوع اصحابه دون ان يكون ذلك من
الاكابر والصناديد وذكر من في السموات لابطال قولهم لولا انزل علينا الملائكة وذكر من في الارض
قولهم لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض بالفضائل
النفسانية والتنزه عن العلائق الجسمانية بكثرة الاموال والاتباع وآتينا داود زبورا بيان
لحيثية تفضيله عليه السلام فان ذلك ايتاء الزبور لا ايتاء الملك والسلطنة وفيه ايذان بتفضيل

النبي صلى الله عليه وسلم نعوته الجليلة وكونه خاتم النبيين مسطورة في الزبور وان المراد بعباد الله
الصالحين في قوله تعالى ان الارض يرثها عبادي الصالحون النبي صلى الله عليه وسلم وتعريف الزبور
تارة وتنكيره اخرى اما لانه في الاصل فعول كالحلوب مصدر بمعناه كالقبول واما لان المراد بيناداود
زبورا من الزبر وبعضا من الزبور فيه ذكره صلى الله عليه وسلم وقرئ بضم الزاي على انه جمع زبر
بمعنى مزبورا قل ادعوا الذين زعمتم انها آلهة من دونه تعالى من الملئكة والمسيح وغيرهم فلا يملكون
فلا يستطيعون كشف الضر عنكم بالمرة كالمرض والفقر والقحط ونحو ذلك ولا تحويلا اي ولا
تحويله الى غيركم اولئك الذين يدعون اي اولئك الآلهة الذين يدعوهم المشركون من المذكورين
يبتغون يطلبون لا نفسهم الى ربهم ومالكهم الوسيلة القربة بالطاعة والعبادة ايهم
اقرب بدل من فاعل يبتغون واي موصولة اي يبتغي من هو اقرب اليه تعالى الوسيلة فكيف بمن دونه
او ضمن الابتغا معنى الحرص فكانه قيل يحرصون ايهم يكون اقرب اليه تعالى بالطاعة والعبادة
ويرجون رحمته بها ويخافون عذابه بتركها كساير العباد فاين هم من كشف الضر عن الآلهة
ان عذاب ربك كان محذورا حقيقا بان يحذره كل واحد حتى الملئكة والرسل عليهم السلام وهو
تعليل لقوله تعالى ويخافون عذابه وتخصيصه بالتعليل لما ان المقام مقام التحذير من العذاب
فان بينهم وبين العذاب بونا بعيدا وان من قرية بيان لتحتم حلول عذابه بمن لا يحذره اثر بيان
انه حقيق بالحذر وان اساطين الخلق من الملئكة والنبيين عليهم السلام على حذر من ذلك وكلمة
ان نافية ومن استغراقية والمراد بالقرية القرية الكافرة اي ما من قرية من قرى الكفار الا نحن
مهلكوها اي مخربوها البتة وبالخسف بها او باهلاك اهلها بالمرة لما ارتكبوا من عظايم الموبقات
المستوجبة لذلك في صيغة الفاعل وان كانت بمعنى المستقبل ما ليس من الدلالة على التحقق
والتقرر وانما قيل قبل يوم القيمة لان الاهلاك يومئذ غير مختص بالقرى الكافرة ولا هو بطريق
العقوبة وانما هو لانقضا عمر الدنيا او معذبوها اي معذبوا اهلها على الاسناد المجازي عذابا
شديدا بالقتل والسبي ونحوهما من البلايا الدنيوية فقط بما لا يكتنه كنهه من فنون العقوبات
الاخروية ايضا حسبما يفصح عنه اطلاق التعذيب عما قيد به الاهلاك من قبلية يوم القيمة
كيف لا وكثير من القرى العاتية قد اخرت عقوبتها الى يوم القيمة كان ذلك الذي ذكر
من الاهلاك والتعذيب في الكتاب اي اللوح المحفوظ مسطورا مكتوبا لم يغادر منه شئ الا بين
فيه بكيفياته واسبابه الموجبة له ووقته المضروب له هذا وقد قيل الهلاك للقرى الصالحة
والعذاب للطالحة • وعن مقاتل وجدت في كتاب الضحاك بن مزاحم في تفسيرها اما مكة فيخربها
الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف
• واما خراسان فهلاكها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا • وقال الحافظ ابو عمرو الداني في كتاب
الفتن انه روي عن وهب بن منبه ان الجزيرة امنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وارمينية امنة
حتى تخرب مصر ومصر امنة حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت
الملحمة الكبرى فتحت قسطنطينية على يدي رجل من بني هاشم • وخراب الاندلس من قبل الزنج
وخراب افريقية من قبل الاندلس • وخراب مصر من انقطاع النيل • واختلاف الجيوش فيها •
وخراب العراق من الجوع • وخراب الكوفة مثل من قبل عدو من ورائهم يحصرهم حتى لا يستطيعون
ان يشربوا من الفرات قطرة • وخراب البصرة من قبل الغرق وخراب الايلة من قبل عدو يحصرهم
براو بحرا • وخراب الري من الفرات قطرة • وخراب خراسان من قبل التبت • وخراب التبت من قبل
الصين • وخراب الهند واليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من الحبشة وخراب المدينة
وقد اخرجه الاخرى من هذا الوجه وانت خبير بان تعميم القرية لا يساعده السباق والسياق
وما منعنا ان نرسل بالآيات اي الآيات التي اقترحها قريش من احيا الموتى وقلب الصفا ذهبا
ونحو ذلك الا ان كذب بها الا ولون استثنا من اعم الاشيا اي وما منعنا ارسالها شيئا من الاشيا
الا تكذيب الاولين بها حين جاءتهم باقتراحهم وعدم ارساله تعالى بها وان كان بمشيته المبنية على
الحكم البالغة لا لمنع مانع عن ذلك التكذيب او غيره لاستحالة العجز عليه تعالى لكن تكذيبهم المذكور
بواسطة استتباعه لاستيصالهم بحكم السنة الالهية واستلزامه لتكذيب الآخرين بحكم الاشتراك
في العتو والعناد وافضاءه الى ان يحل بهم مثل ما حل بهم بحكم الشركة في الجريرة لما كان منافيا
لارسال ما اقترحوه من الآيات لتعين التكذيب المستدعي للاستيصال المخالف لما جرى به
قلم القضا من تاخير عقوبات هذه الامة الى الآخرة لحكم باهرة من جملتها ما يتوهم من ايمان

بعض

بعض اعقابهم عبر عن ذلك المنافاة بالمنع على نهج الاستعارة ايذانا بتعاضد مبادي الارسال لاكما
زعموا من عدم ارادته تعالى لتاييده صلى الله عليه وسلم بالمعجزات وهو السر في الارسال على
الابتلا لما فيه من الاشعار بتداعي الآيات الى النزول لولا ان تمسكها ابدا التقدير وحاصله ما المنع
الى تقدير تكذيب الاولين لاعلمه تعالى بما سيكون من الآخرين كما في قوله تعالى ولو علم الله فيهم
خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون لاقامة الحجة عليهم بابدان الانموذج والالزام
بان مدار عدم الاجابة الى ايتا مقترحهم ليس الا صنيعهم واتينا ثمود الناقة عطف على ما يفصح عنه
النظم الكريم كانه قيل وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون حيث اتيناهم ما اقترحوه من
الآيات الباهرة فكذبوها واتينا باقتراحهم ثمود الناقة مبصرة على صيغة الفاعل اي بينة ذات ابصار
وبصاير يدركها الناس او اسند اليها حال من يشاهدها مجازا او جاعلتهم ذوي بصاير من ابصره جعله بصيرا
وقرئ على صيغة المفعول وبفتح الميم والصاد وهي بنصب على الحالية • وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف
فظلموا بها فكفروا بها ظالمين لم يكتفوا بمجرد الكفر بها بل فعلوا بها ما فعلوا من العقر وظلموا انفسهم
وعرضوها للهلاك بسبب عقرها ولعل تخصيصها بالذكر لما ان ثمود عرب مثلهم وان لهم من العلم
بحالهم ما لا مزيد عليه حيث يشاهدون هلاكهم وردوا وصدروا ولانها من جهة انها حيوان لا
اخرج من الحجارة اوضح دليل على تحقيق مضمون قوله تعالى قل كونوا حجارة او حديدا وما نرسل بالآيات
المقترحة الا تخويفا لمن ارسلت هي عليهم مما يعقبها من العذاب المستاصل كالطليعة له وحيث لم
يخافوا ذلك فعل بهم مثل ما فعل فلا محل للجملة حينئذ من الاعراب • ويجوز ان يكون حالا من ضمير ظلموا
اي فظلموا بها ولم يخافوا عاقبته والحال انا نرسل بالآيات التي هي من جملتها الا تخويفا من العذاب الذي
يعقبها فنزل بهم ما نزل واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس اي علما كما نقله الامام الثعلبي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما فلا يخفى عليه شئ من افعالهم الماضية والمستقبلة من الكفر والتكذيب في قوله
تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس الى آخر الآية تنبيه على تحققها بالاستدلال
عليها بما صدر عنهم حين بعض الآيات لاشتراك الكل في كونها امورا خارقة للعادة من جناب الله تعالى
لتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فتكذيبهم لبعضها مستلزم لتكذيب الباقي كما ان تكذيب الآخرين
بغير المقترحة يدل على تكذيبهم بالآيات المقترحة به والمراد بالرؤيا ما عاينه صلى الله عليه وسلم
ليلة المعراج من عجايب الارض والسما حسبما ذكر في فاتحة السورة الكريمة والتعبير عن ذلك بالرؤيا
اما لانه لا فرق بينها وبين الرؤية او لانها وقعت بالليل او بدون الكفرة قالوا لعلها رؤيا اي وما
جعلنا الرؤيا التي اريناك عيانا مع كونها آية عظيمة واية آية حقيقة بان لا يتلعثم في تصديقها احد
ممن له ادنى بصيرة الا فتنة افتتن بها الناس حتى ارتد بعضهم والشجرة الملعونة في القرآن عطف
على الرؤيا والمراد بلعنها فيه لعن طاعميها بطريق الاسناد المجازي وابعادها عن الرحمة فانها تنبت في
اصل الجحيم في ابعد مكان من الرحمة او وما جعلناها الا فتنة لهم حيث انكروا ذلك وقالوا ان محمدا
يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر لقد ضلوا في ذلك ضلالا بعيدا حيث كابروا قضية
عقولهم فانهم يرون النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد المحماة فلا تضرها ويشاهدون المناديل المتخذة
من وبر السمندل تلقى في النار فلا تؤثر فيها ويرون ان في كل شجر نارا وقرئ بالرفع على حذف الخبر كانه
قيل والشجرة الملعونة في القرآن كذلك ونخوفهم بذلك ونظايرها من الآيات فان الكل للتخويف
وايثار صيغة الاستقبال للدلالة على التجدد والاستمرار فما يزيدهم التخويف الا طغيانا كبيرا
متجاوزا عن الحد فلو انا ارسلنا بما اقترحوه من الآيات لفعلوا بها ما فعلوا بنظايرها وفعل بهم ما فعل
باشياعهم وقد قضينا بتاخير العقوبة العامة لهذه الامة الى الطامة الكبرى هذا هو الذي يستدعيه
النظم الكريم وقد حمل اكثر المفسرين الاحاطة على الاحاطة بالقدرة التسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عما عسى يعتريه من عدم الاجابة الى انزال الآيات التي اقترحوها لان انزالها ليس
بمصلحة من نوع حزن من طعن الكفرة حيث كانوا يقولون لو كنت رسولا حقا لاتيت بهذه المعجزات
كما اتى بها موسى وغيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام فكانه قيل وقت قولنا لك ان ربك
اللطيف قد احاط بالناس فهم في قبضة قدرته لا يقدرون على الخروج من مشيته فهو يحفظك منهم
فلا تهتم بهم وامض لما امرتك به من تبليغ الرسالة الا ترى ان الرؤيا التي اريناك من قبل جعلناها
فتنة للناس مورثة للشبهة مع انها ما اورثت ضعفا لامرك وفتورا في حالك وقد فسر الاحاطة
باهلاك قريش يوم بدر وانما عبر عنه بالماضي مع كونه منتظرا حسبما ينبئ عنه قوله تعالى سيهزم
الجمع ويولون الدبر وقوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وغير ذلك جريا على

عادته سبحانه في اخباره وأولت الرؤيا بما رآه صلى الله عليه وسلم في المنام من مصارعهم حالا روي انه صلى الله عليه وسلم لما ورد بدرا قال والله كاني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش فاستسخروا منه وبما رآه صلى الله عليه وسلم انه سيدخل مكة واخبر به اصحابه فتوجه اليها فصده المشركون عام الحديبية واعتذر عن كون ما ذكر بدريا بانه يجوز ان يكون الوحي باهلاكهم وكذا الرؤيا واقعا بمكة وذكروا الرؤيا وتعيين المصارع واقعين بعد الهجرة وانت خبير بانه يلزم منه ان يكون افتتان الناس بذلك واقعا بعد اذ ذياهم طغيانا متوقعا غير واقع عند نزول الاية وقد قيل الرؤيا ما رآه صلى الله عليه وسلم في وقعة بدر من مضمون قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولا ريب في ان تلك الرؤيا مع وقوعها في المدينة ما جعلت فتنة للناس واذ قلنا للملئكة بتذكير لما جرى منه تعالى من الامر ومن الملئكة من الامتثال والطاعة من غير تردد وتحقيق لمضمون ما سبق من قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا ويعلم من حال الملئكة حال غيرهم من عيسى وعزير عليهما السلام من ابتغاء الوسيلة ورجاء الرحمة ومخافة العذاب ومن حال ابليس من يعاند الحق ويخالف الهوى اي واذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لادم تحية وتكريما لما له من الفضائل المستوجبة لذلك فسجدوا له من غير تلعثم امتثالا للامر وتحقيقه صلى الله عليه وسلم الا ابليس وكان داخلا في زمرتهم مندرجا تحت الامر بالسجود قال عند ما وبخ بقوله عز سلطانه يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين وقوله ما منعك الا تسجد اذ امرتك وقوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي كما اشير اليه في سورة الحجر اأسجد وانا مخلوق من العنصر العالي لما خلقت طينا نصب على نزع الخافض اي من طين او حال من الراجع الى الموصول اي خلقته وهو طين او نفس الموصول اي اسجد له واصله طين والتعبير عنه صلى الله عليه وسلم بالموصول تعليل لانكاره بما في حيز الصلة قال اي ابليس لكن لا عقيب كلامه المحكي بل بعد الانظار المترتب على استنظاره المتفرع على الامر بخروجه من بين الملأ الاعلى باللعن المؤبد وانما لم يصرح بذلك اكتفاء بما ذكر في مواضع اخر فان توسيط قال بين كلامي اللعين للايذان بعدم اتصال الثاني بالاول وعدم ابتنائه عليه بل على غيره بل على قوله تعالى قال فما خطبكم بعد وقوله ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف لتاكيد الخطاب لا محل لها من الاعراب وهذا مفعول اول والموصول صفته والثاني محذوف لدلالة الصلة عليه اي اخبرني عن هذا الذي كرمته علي بان امرتني بالسجود له لم كرمته علي وقيل هذا مبتدأ محذوف عنه حرف الاستفهام والموصول مع صلته صفته ومقصود الاستصغار الاستحقار اي اخبرني هذا من كرمته علي وقيل معنى ارايتك اتاملت كان المتكلم ينبه المخاطب على استحضار ما يخاطبه به عقيبه لئن اخرتني حيا الى يوم القيمة كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجواب قوله لاحتنكن ذريته اي لاستاصلنهم من قولهم احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها اكلا او لاقودنهم حيث ما شئت ولاستولين عليهم استيلاء قويا من قولهم حنكت الدابة او احتنكتها فاذا جعلت في حنكها الاسفل حبلا تقودها به وهذا كقوله لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين وانما علم تيسر ذلك الطلب له تلقيا من جهة الملئكة عليهم السلام او استنباطا من قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء او تفرسا من خلقته الا قليلا منهم وهم المخلصون الذين عصمهم الله تعالى قال اذهب اي امض لشأنك الذي اخترته وهو طرد له وتخلية بينه وبين ما سولت له نفسه فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم اي جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب رعاية لحق المتبوعية جزاء موفورا اي جزاء مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه فرة اي وفر وهو نصب على انه مصدر مؤكد لما في قوله فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او للفعل المقدر او حال موطئة لقوله موفورا واستفزز اي استخف من استطعت منهم اي تستفزه بصوتك بدعائك الى الفساد واجلب عليهم اي صح عليهم من الجلبة وهي الصياح بخيلك ورجلك اي باعوانك وانصارك من راكب وراجل من اهل العبث والفساد قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وقتادة ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فما كان من راكب يقاتل في معصية الله فهو من خيل ابليس وما كان من راجل يقاتل في معصية الله فهو من رجل ابليس والخيل الخيالة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا خيل الله اركبي والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب وقرئ بكسر الجيم وهي قراءة حفص على انه فعل بمعنى فاعل كتعب وتاعب ونعمة مثل حدث وحدث وندس وندس ونظايرهما اي جمعك الراجل ليطابق الخيل

وقرئ رجالك ورجالك ويجوز ان يكون استفزازه بصوته واجلابه بخيله ورجله تمثيلا لتسلطه على من يغويه فكانه مغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا تزعجهم من اماكنهم وتقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خياله ورجاله حتى استاصلهم وشاركهم في الاموال بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغي والاولاد بالحث على التوصل اليهم بالاسباب المحرمة والاشراك كتسميتهم بعبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزايغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة وعدهم المواعيد الباطلة كشفاعة الالهة والاتكال على كرامة الاباء وتاخير التوبة بتطويل الامل وما يعدهم الشيطان الا غرورا اعتراض لبيان شأن مواعيده والالتفات الى الغيبة لتقوية معنى الاعتراض مع ما فيه من صرف الكلام عن خطابه وبيان شأنه للناس من الاشعار بعلية شيطنته للغرور وهو تزيين الخطا بما يوهم انه صواب ان عبادي الاضافة للتشريف وهم المخلصون وفيه ان من تبعه ليس منهم فان الاضافة اليه لثبوت الحكم في قوله تعالى ليس لك عليهم سلطان اي تسلط وقدرة على اغوائهم كقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون وكفى بربك وكيلا لهم يتوكلون عليه ويعتمدون به في الخلاص عن اغوايك والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن المالكية المطلقة والتصرف الكلي مع الاضافة الى ضمير ابليس للاشعار بكيفية كفايته تعالى عن سلب قدرته على اغوائهم ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر مبتدأ وخبر والازجاء السوق حالا بعد حال اي هو القادر الحكيم الذي يسوق لنا فعكم الفلك ويجريها في البحر لتبتغوا من فضله من رزقه الذي هو فضل من قبله او من الريح الذي هو معطيه ومن مزيدة او تبعيضية وهذا تذكير لبعض النعم التي هي دلائل التوحيد وتمهيد لذكر توحيدهم عند مساس الضر تكلم لما مر من قوله تعالى فلا يملكون الاية انه كان بكم ازلا وابدا رحيما حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما يعسر من مباديه وهذا تذييل فيه تعليل لما سبق من الازجاء لابتغاء الفضل وصيغة الرحيم للدلالة على ان المراد بالرحمة الرحمة الدنيوية العاجلة المنقسمة الى الجليلة والحقيرة واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق فيه ضل من تدعون اي ذهب عن خواطركم ما كنتم تدعون من دون الله من الملئكة او المسيح وغيرهم الا اياه وحده من غير ان يخطر ببالكم احد منهم وتدعون لكشفه استقلالا او اشتراكا وضل من تدعونه عن اغاثتكم وانقاذكم ولم يقدر على ذلك الا الله على الاستثناء المنقطع فلما نجاكم من الغرق واوصلكم الى البر اعرضتم عن التوحيد او توسعتم في كفران النعمة وكان الانسان كفورا كالتعليل لما سبق من الاعراض افامنتم الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره انجوتم فامنتم ان يخسف بكم جانب البر الذي هو مأمنكم اي يقلبه ملتبسا بكم او بسبب كونكم فيه وفي ذكر الجانب تنبيه على تساوي الجوانب والجهات بالنسبة الى قدرته سبحانه وتعالى وقهره وسلطانه وقرئ بنون العظمة او يرسل عليكم من فوقكم وقرئ بالنون حاصبا ريحا ترمي بالحصباء ثم لا تجدوا لكم وكيلا يحفظكم من ذلك او يصرفه عنكم فانه لا راد لامره الغالب ام امنتم ان يعيدكم فيه في البحر اوثرت كلمة في على كلمة الى المنبئة عن مجرد الانتهاء للدلالة على استقرارهم فيه تارة اخرى باسناد الاعادة اليه تعالى مع ان العود باختيارهم باعتبار خلق الدواعي الملجئة لهم الى ذلك وفيه ايماء الى ذلك كمال شدة هول ما لاقوه في التارة الاولى بحيث لولا الاعادة لما عادوا فيرسل عليكم وانتم في البحر وقرئ بالنون قاصفا من الريح وهي التي لا تمر بشيء الا كسرته وجعلته كالرميم او التي تمر بصوت وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر فيغرقكم بعد كسر فلككم كما ينبئ عنه عنوان العصف وقرئ بالنون وبالتاء على الاسناد الى ضمير الريح بما كفرتم بسبب كفرانكم لنعمة الانجاء ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا اي مطالبا يطالبنا بما فعلنا وتركا للثأر من جهتنا كقوله سبحانه وتعالى ولا يخاف عقباها ولقد كرمنا بني ادم قاطبة تكريما شاملا لبرهم وفاجرهم اي كرمناهم بالصورة والقامة المتعدلة والتسلط على ما في الارض والتمتع به والتمكن من الصناعة وغير ذلك مما لا يكاد يحيط به نطاق العبارة ومن جملته ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده وما قيل من شركة القردة له في ذلك مبني على عدم الفرق بين اليد والرجل فانه متناول له برجله التي يطاء بها القاذورات لا بيده وحملناهم في البر والبحر على الدواب والسفن من حملته اذا جعلت له ما يركبه وليس من المخلوقات شيء كذلك وقيل حملناهم فيهما حيث لم يخسف بهم الارض ولم نغرقهم بالماء وانت خبير بان الاول هو الانسب بالتكريم اذ جميع الحيوانات كذلك ورزقناهم من الطيبات اي فنون النعم وضروب المستلذات مما يحصل بصنعهم وبغير صنعهم وفضلناهم في العلوم والادراكات بما ركبنا فيهم من القوى المدركة التي يتميز بها الحق من الباطل والحسن من القبيح على كثير ممن خلقنا وهم

من عدا الملئكة عليهم السلام تفضيلا عظيما فحق عليهم ان يشكروا هذه النعم ولا يكفروها د
ويستعملوا قواهم في تحصيل العقائد الحقة ويرفضوا ما هم عليه من الشرك الذي لا يقبله احد ممن
له ادنى تمييز فضلا عمن فضل على من عدا الملاء الاعلى الذين هم العقول المحضة وانما استثنى جنس
الملئكة من هذا التفاضيل لان علومهم دائمة عارية عن الخطا والخلل وليس فيه دلالة على افضليتهم د
بالمعنى المتنازع فيه فان المراد بيان التفضيل في امر مشترك بين جميع افراد البشر صالحهم وطالحهم ولا
يمكن ان يكون ذلك هو الفضل في عظم الدرجة وزيادة القربة عند الله سبحانه وتعالى ان قيل اي حاجة
الى تعيين ما فيه التفضيل بعد بيان ما هو المراد بالمفضلين فان استثنا الملئكة عليهم السلام من تفضيل
جميع افراد البشر عليهم لا يستلزم استثناهم من تفضل بعض افراده عليهم قلنا لا بد من تعيينه اليه
اذ ليس من الافراد الفاجرة للبشر احد يفضل على احد من المخلوقات فيما هو المتنازع فيه اصلا بل هم
ادنى من كل وضيع حسبما ينبئ عنه قوله تعالى اوليك كالانعام بل هم اضل سبيلا وقوله تعالى ان شر الدواب
عند الله الذين كفروا يوم ندعوا نصب على المفعولية باضمار اذكر او ظرف لما دل عليه قوله تعالى ولا
تظلمون وقرئ بالتاء على البناء للفاعل وللمفعول وندعوا بقلب الالف واوا على لغة من يقول في
افعى افعو وقد جوز كون الواو علامة للجمع كما في قوله تعالى واسروا النجوى او ضميره وكل بدلا منه
والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وقد يكتفى بتقديره كما في يدعى
كل اناس من بني ادم الذين فعلنا بهم في الدنيا ما فعلنا من التكريم والتفضيل وهذا شروع في بيان تفاوت
احوالهم في الاخرة بحسب احوالهم واعمالهم في الدنيا بامامهم اي بمن ايتموا به من نبي او مقدم في
الدين وكتاب او دين وقيل بكتاب اعمالهم التي قدموها فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اهل دين
كذا يا اهل كتاب كذا وقيل الامام جمع ام كخف وخفاف والحكمة في دعوتهم بامهاتهم اجلال عيسى عليه
الصلاة والسلام وتشريف الحسنين رضي الله عنهما والستر على اولاد الزنى فمن اوتي يومئذ من اولئك
المدعوين كتابه صحيفة اعماله بيمينه ابانة لخطر الكتاب الموتى وتشريفا لصاحبه وتبشيرا له
من اول الامر بما في مطاويه فاولئك اشارة الى من باعتبار معناه ايذانا بانهم حزب مجتمعون على
شان جليل او اشعارا بان قراءتهم لكتبهم تكون على وجه الاجتماع لا على وجه الانفراد كما في حال
الدنيا وما فيه من الدلالة على البعد للاشعار برفعة درجاتهم اي اولئك المختصون بتلك
الكرامة التي يشعر بها الايتا المذكور يقرؤون كتابهم الذي اوتوه على الوجه المبين تبجحا بما سطر فيه
الحسنات المستتبعة لفنون الكرامات ولا يظلمون اي لا ينقصون من اجور اعمالهم المرتسمة في كتبهم بل
يؤتونها مضاعفة فتيلا اي قدر فتيل وهو القشرة التي في شق النواة او ادنى شيء فان الفتيل مثل في
القلة والحقارة ومن كان من المدعوين المذكورين في هذه الدنيا التي فعل بهم فيها ما فعل من فنون
التكريم والتفضيل اعمى فاقد البصيرة لا يهتدي الى رشده ولا يعرف ما اوليناه من نعمة التكرمة
والتفضيل فضلا عن شكرها والقيام بحقوقها ولا يستعمل ما اودعنا فيه من العقول والقوى فيما
خلقن له من العلوم والمعارف الحقة فهو في الاخرة التي عبر عنها بيوم ندعوا اعمى كذلك اذ لا يهتدي
الى ما ينجيه ولا يظفر بما يجديه لان العمى الاول موجب للثاني وقد جوز كون الثاني بمعنى د
التفضيل على ان عماه في الاخرة اشد من عماه في الدنيا وكذلك قرا ابو بكر وعمرو الاول مما لا والثاني
مفخما واضل سبيلا اي من الاعمى لزوال الاستعداد الممكن وتعطل الالات بالكلية وهذا بعينه هو
الذي اوتي كتابه بشماله بدلالة حال ما سبق من الفريق المقابل له ولعل العدول عن ذكره بذلك
العنوان مع انه الذي يستدعيه حسن المقابلة حسبما هو الواقع في سورة الحاقة وسورة الانشقاق
للايذان بالعلة الموجبة له كما في قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بعد قوله فاما ان كان
من اصحاب اليمين وللرمز الى علة حال الفريق الاول وقد ذكر في احد الجانبين المسبب وفي الاخر
السبب ودل بالمذكور في كل منهما على المتروك في الاخر تعويلا على شهادة العقل كما في قوله عز وعلا وان
يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله وان كادوا ليفتنونك نزلت في
ثقيف اذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لا ندخل في امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر
ولا نحشر ولا نجبي في صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات
سنة وان تحرم وادينا كما حرمت مكة فاذا قالت العرب لم فعلت فقل ان الله امرني بذلك وقيل
في قريش حيث قالوا اية رحمة اية عذاب اية رحمة او قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بالهتنا
وان مخففة من المشددة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف واللام هي الفارقة بينها وبين النافية
اي ان الشان قاربوا ان يفتنوك اي يخدعوك فاتنين عن الذي اوحينا اليك من اوامرنا ونواهينا ووعدنا

ووعيدنا

ووعيدنا لتفتري علينا غيره لتقول علينا غير الذي اوحينا اليك مما اقترحته ثقيف او قريش حسبما
نقل واذا لاتخذوك خليلا اي لو اتبعت اهواءهم لكنت لهم وليا وخرجت من ولايتي ولولا ان ثبتناك
على ما انت عليه من الحق بعصمتنا لك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا من الركون الذي هو ادنى ميل اي
لولا تثبيتنا لك لقاربت ان تميل اليهم شيئا يسيرا من الميل اليسير لقوة خدعهم وشدة احتيالهم
لكن ادركتك العصمة فمنعتك من ان تقرب من ادنى مراتب الركون اليهم فضلا عن نفس الركون
وهذا صريح في انه صلى الله عليه وسلم ما هم باجابتهم مع قوة الداعي اليها ودليل على ان العصمة
بتوفيق الله تعالى وعنايته اذا لاذقناك اي لو قاربت ان تركن اليهم ادنى ركنة لاذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات اي عذاب الدنيا وعذاب الاخرة ضعف ما يعذب به في الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان
خطا الخطير خطير وكان اصل الكلام عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات بمعنى مضاعفا
ثم حذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه ثم اضيفت اضافة موصوفها وقيل الضعف من اسما
العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الاخرة وبضعف الممات عذاب القبر ثم لا تجد لك علينا
نصيرا يدفع عنك العذاب وان كادوا الكلام فيه كما في الاول اي كاد اهل مكة ليستفزونك اي
يزعجونك بعداوتهم ومكرهم من الارض اي الارض التي انت فيها وهي ارض مكة ليخرجوك منها
واذا لا يلبثون بالرفع عطفا على خبر كاد وقرئ لا يلبثوا بالنصب باعمال اذا على ان الجملة معطوفة
ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك وقرئ لا يلبثوا بالنصب خلفك الا قليلا الا زمانا قليلا
وقد كان كذلك فانهم اهلكوا ببدر بعد هجرته عليه الصلاة والسلام وقيل نزلت الاية في اليهود
حيث حسدوا مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبيا عليهم السلام
فان كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن لك فوقع ذلك في قلبه صلى الله عليه وسلم فخرج مرحلة فنزلت
فرجع ثم قتل منهم بنو قريظة واجلي بنو النضير بقليل سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب
على المصدرية اي سن الله تعالى سنة وهي ان يهلك كل امة اخرجت رسولهم من بين اظهرهم
فالسنة لله تعالى واضافتها الى الرسل لانها سنت لاجلهم على ما ينطق به قوله عز وجل ولا
تجد لسنتنا تحويلا اي تغييرا اقم الصلوة لدلوك الشمس لزوالها كما ينبئ عنه قوله تعالى صلى الله
عليه وسلم اتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك
لان من نظر اليها حينئذ يدلك عينيه وقيل لغروبها من دلكت الشمس اي غربت وقيل اصل الدلوك
الميل فينتظم كلا المعنيين واللام للتاقيت مثلها في قولك لثلاث خلون الى غسق الليل الى اجتماع
ظلمته وهو وقت صلاة العشا وليس المراد اقامتها فيما بين الوقتين على وجه الاستمرار بل اقامة
كل صلاة في وقتها الذي عين لها ببيان جبريل عليه السلام كما ان اعداد ركعات كل صلاة موكولة
الى بيانه عليه السلام ولعل الاكتفا ببيان المبدا والمنتهى في اوقات الصلوات من غير فصل بينها
لان الانسان فيما بين هذه الاوقات على اليقظة فبعضها متصل ببعض بخلاف اول وقت العشا
والفجر فانه باشتغاله فيما بينهما بالنوم ينقطع احدهما عن الاخر ولذلك وقت الفجر عن ساير
الاوقات وقيل المراد بالصلاة صلوة المغرب والتحديد المذكور بيان لمبدايه ومنتهاه واستدل
به على امتداد وقته الى غروب الشفق فقيل وقران الفجر اي صلاة الفجر بالنصب عطفا على مفعول
اقم او على الاغرا قاله الزجاج وانما سميت قرانا لانه ركنها كما سمي ركوعا وسجودا واستدل به على
الركنية ولكن دلالته على ذلك الجواز كون مدار التجوز كون القراة مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراة
في صلاة الفجر لدل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفيما عداها دلالة ويجوز ان يكون وقران
الفجر حثا على تطويل القراة في صلاة الفجر ان قران الفجر اظهر في مقام الاضمار ابانة لمزيد الاهتمام
به كان مشهودا يشهده ملئكة الليل وملئكة النهار وشواهد القدرة من تبدل الضيا بالظلمة
والانتباه بالنوم الذي هو اخو الموت او يشهده كثير من المصلين او من حقه ان يشهده الجم الغفير والاية
على التفسير الدلوك بالزوال جامعة للصلوات الخمس وعلى تفسيره بالغروب لما عدا الظهر والعصر
ومن الليل قيل هو نصب على الاغرا اي الزم بعض الليل وقيل المعنى به فانه لا يجدي نفعا كون
معناها التبعيض فان واو مع معناها التبعيض ليست اسما بالاجماع وان كانت بمعنى الاسم الصريح
بل هو منصوب على الظرفية بمضمر اي قم بعض الليل فتهجد به اي ازل والق الهجود اي النوم فان
صيغة التفعل تجي للازالة كالتحرج والتحنث والتاثم ونظايرها والضمير المجرور للقران من حيث
هو لا بقيد اضافته الى الفجر او للبعض المفهوم من قوله تعالى من الليل اي تهجد في ذلك البعض
على ان البا بمعنى في وقيل منصوب بتهجد اي تهجد بالقران بعض الليل على طريقة واياي فارهبون نافلة لك

فريضة زائدة على الصلوات الخمس المفروضة خاصة بك دون الامة ولعله هو الوجه في تاخير
ذكرها عن ذكر صلوة الفجر مع تقدم وقتها على وقتها او تطوعا لكن لكونها زيادة على الفرايض بل
لكونها زيادة صلى الله عليه وسلم في الدرجات على ما قال مجاهد والسدي فانه صلى الله عليه
وسلم مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فيكون تطوعه زيادة في درجاته بخلاف من عداه من
الامة فان تطوعهم لتكفير ذنوبهم وتدارك الخلل الواقع في فرايضهم وانتصابها اما على المصدرية
بتقدير تتنفل او بجعل تهجد بمعناه اي يجعل نافلة تهجد فان ذلك عبارة زائدة واما على الحالية من
الضمير الراجع الى القران اي حال كونها صلاة نافلة واما على المفعولية لتهجد اذا جعل بمعنى جعل
وجعل الضمير المجرد للبعض اي فصل في ذلك البعض نافلة لك عسى ان يبعثك ربك الذي يبلغك
الى كمالك اللايق بك من بعد النوم الاكبر كما انبعثت من النوم الذي هو الموت الاصغر بالصلاة
والعبادة مقاما نصب على الظرفية على اضمار فيقيمك او تضمين البعث معنى الاقامة اذ لا بد
من ان يكون العامل في مثل هذا الظرف فعلا فيه معنى الاستقرار ويجوز ان يكون حالا بتقدير
مضاف اي يبعثك ذا مقام محمودا عندك وعند جميع الناس وفيه تهوين لمشقة قيام الليل وروى
ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المقام المحمود المقام الذي اشفع
لامتي وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقاما يحمدك فيه الاولون والاخرون وتشرف فيه على جميع
الخلايق تسال فتعطى وتشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن حذيفة رضي الله عنه
يجمع الناس في صعيد واحد فلا يتكلم فيه فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك
وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك لا ملجا
ولا منجا منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت وقل رب ادخلني اي القبر مدخل
صدق اي ادخالا مرضيا واخرجني اي منه عند البعث مخرج صدق اي اخراجا مرضيا ملقى
بالكرامة فهو تلقين للدعا بما وعده من البعث المقرون بالاقامة المعهودة التي لا كرامة فوقها
وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج من مكة وتغيير ترتيب الوجود لكون الادخال هو المقصد
وقيل ادخاله صلى الله عليه وسلم مكة ظاهرا عليها واخراجه منها امنا من المشركين وقيل ادخاله
الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من اعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل
ادخاله في كل ما يلابسه من مكان او امر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى ادخلني
فادخل دخولا واخرجني فاخرج خروجا كقوله • وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع من المال الا مسحت او مجلف
• اي لم تدع فلم تبق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اي اجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة
تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا ناصرا للاسلام مظهرا له على الكفر فاجيب دعوته صلى الله
عليه وسلم بقوله عز وعلا والله يعصمك من الناس الا ان حزب الله هم الغالبون ليظهره على
الدين كله ليستخلفنهم في الارض وقل جاء الحق اي الاسلام والوحي الثابت الراسخ وزهق الباطل
اي ذهب وهلك الشرك والكفر وتسويلات الشيطان من زهق روحه اذا خرج ان الباطل كان
مكان كان زهوقا اي شانه ان يكون مضمحلا غير ثابت وهو عدة كريمة باجابة الدعا بالسلطان
النصير الذي تعقبه عن ابن مسعود رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم دخل مكة يوم الفتح وحول
البيت ثلاثماية وستون صنما فجعل ينكت بمخصرة كانت بيده في عين واحد واحد فيقول جاء الحق
وزهق الباطل فينكب لوجهه حتى القى جميعها وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال
يا علي ارم به فصعد فرمى به فكسره وننزل من القران وقرئ ننزل من الانزال ما هو شفاء لما في
الصدور من ادواء الريب واسقام الاوهام ورحمة للمؤمنين به العاملين بما في تضاعيفه اي ما هو في
تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدوا الشافي للمرضى ومن بيانية قدمت على المبين اعتناء فان
كل القران كذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله او تبعيضية
لكن لا بمعنى ان بعضه ليس كذلك بل بمعنى انا ننزل منه في كل نوبة ما تستدعيه الحكمة نزوله
حينئذ فيقع ذلك فيمن نزل عليهم بسبب موافقته لاحوالهم الداعية الى نزوله موقع الدوا
الشافي المصادف لابانه من المرضى المحتاجين اليه بحسب الحال من غير تقديم ولا تاخير فكل بعض منه
متصف بالشفا لكن لا في كل حين بل عند تنزيله وتحقيق التبعيض باعتبار الشفا الجسماني كما في الفاتحة
وايات الشفا لا يساعده قوله سبحانه وتعالى ولا يزيد الظالمين الا خسارا اي لا يزيد القران
كله او كل بعض منه الكافرين المكذبين به الواضعين للاشيا في غير مواضعها مع كونه في نفسه
شفاء من الاسقام الا خسارا اي هلاكا بكفرهم وتكذيبهم لا نقصانا كما قيل فان ما بهم من داء

الكفر

الكفر والضلال حقيق بان يعبر عنه بالهلاك لا بالنقصان المنبئ عن حصول بعض مبادي الاسلام فيهم
وزيادتهم في مراتب الهلاك من حيث انهم كلما جددوا الكفر والتكذيب بالايات النازلة تدريجا
ازدادوا بذلك هلاكا وفيه ايماء الى ان ما بالمؤمنين من الشبه والشكوك المعترية لهم في اثناء الاهتدا
والاسترشاد بمنزلة الامراض وما بالكفرة من الجهل والعناد بمنزلة الموت والهلاك واسناد الزيادة
المذكورة الى القران مع انهم هم المزدادون في ذلك بسوء صنيعهم باعتبار كونه سببا لذلك وفيه
تعجيب من امره حيث يكون مدارا للشفا والهلاك واذا انعمنا على الانسان بالصحة والنعمة اعرض عن
ذكرنا فضلا عن القيام بموجب الشكر ونأى تباعد عن طاعتنا بجانبه الناس عن الجانب ان يلوي عن
الشيء عطفه لانه من ديدن المستكبرين واذا مسه الشر من فقر او مرض او نازلة من النوازل
وفي اسناد المساس الى الشر بعد اسناد الانعام الى ضمير الجلالة ايذان بان الخير مراد بالذات والشر
ليس كذلك كان يؤوسا شديد الياس من روحنا وهذا وصف للجنس باعتبار بعض افراده ممن هو
على هذه الصفة ولا ينافيه قوله تعالى واذا مسه الشر فذو دعاء عريض ونظايره فان ذلك شان
بعض اخرين منهم وقيل اريد به الوليد بن المغيرة وقرئ ناء اما على القلب كما يقال راء في راى
واما على انه بمعنى نهض قل كل اي كل واحد منكم ممن هو على خلافكم يعمل عمله على شاكلته طريقته
التي تشاكل حاله في الهدى والضلال او جوهر روحه واحواله التابعة لمزاج بدنه فربكم الذي ابدعكم
على هذه الطبايع المتخالفة اعلم بمن هو اهدى سبيلا اي اسد طريقا وابين منهاجا وقد فسرت
الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين ويسئلونك عن الروح الظاهر ان السؤال كان عن حقيقة الروح
الذي هو مدبر البدن الانساني ومبدا حياته روي ان اليهود قالوا لقريش سلوه عن اصحاب
الكهف وعن ذي القرنين وعن الروح فان اجاب عنها جميعا او سكت فليس بنبي وان اجاب في بعض وسكت
عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم في التوراة قل الروح اظهر في مقام الاضمار
لكمال الاعتنا بشانه من امر ربي كلمة من بيانية والامر بمعنى الشان والاضافة للاختصاص العلمي لا الايجادي
لاشتراك الكل فيه وفيها من تشريف المضاف ما لا يخفى كما في الاضافة الثانية من تشريف المضاف اليه اي
هو من جنس ما استاثر الله تعالى بعلمه من الاسرار الخفية التي لا يكاد يحوم حولها عقول البشر وما اوتيتم من
العلم الا قليلا لا يمكن تعلقه بامثال ذلك روي انه صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا انحن مختصون
بهذا الخطاب فقال صلى الله عليه وسلم بل نحن وانتم فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرا كثيرا وتارة تقول هذا فنزلت ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية وما قالوا
ذلك الا لقصور عقولهم فان الحكمة الانسانية ان يعلم من الخير ما تسعه الطاقة البشرية بل ما ينتظم به المعاش
والمعاد وذلك بالاضافة الى ما لا نهاية له من معلوماته سبحانه وتعالى قليل ينال به خير كثير في نفسه او
بالنسبة الى الانسان او هو من الابداعيات الكاينات بمحض الامر التكويني من غير تحصل من مادة وتولد
من اصل كاعضاء الجسد حتى يمكن تعريفه ببعض مباديه وماله انه من عالم الامر لا من عالم الخلق وليس هذا
من قبيل قوله سبحانه وتعالى انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان ذلك عبارة عن سرعة
التكوين سوا كان الكاين من عالم الامر او من عالم الخلق وفيه تنبيه على انه مما لا يحيط بكنهه دائرة البشر
وانما الممكن هو القدر الاجمالي المندرج تحت ما استثني بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا اي
الا علما قليلا تستفيدونه من طرق الحواس فان تعقل المعارف النظرية انما هو من احساس الجزئيات ولذلك
قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل اكثر الاشيا لا يدركه الحس ولا شيا من احواله التي يدور عليها
معرفة ذاته واما حمل ما ذكر على السؤال عن قدمه وحدوثه وجعل الجواب اخبارا بحدوثه اي كاين
بتكوينه حادث باحداثه بالامر التكويني مع عدم ملايمته بحال السايلين لا يساعده التعرض لبيان
قلة علمهم حينئذ وقد اخبر عنه وقيل المراد بالروح خلق عظيم روحاني اعظم من الملك وقيل جبريل
عليه السلام وقيل القران ومعنى من امر ربي من وحيه وكلامه لا من كلام البشر ولئن شئنا لنذهبن
بالذي اوحينا اليك من القران الذي هو شفاء ورحمة للمؤمنين ومنبع للعلوم التي اوتيتموها وثبتناك
عليه حين كادوا يفتنونك عنه ولولاه لكدت تركن اليهم شيئا قليلا وانما عبر عنه بالموصول تفخيما
لشانه ووصفا له بما في حيز الصلة ابتداء اعلاما بحاله من اول الامر وبانه ليس من قبيل كلام
المخلوق واللام موطية للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزا الشرط وبذلك حسن حذف
مفعول المشية والمراد بالذهاب به المحو من المصاحف والصدور وهو ابلغ من الاذهاب عن ابن
مسعود رضي الله عنه ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة واخر ما تفقدون الصلاة وليصلين

قوم ولا بين لهم وان هذا القران تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه
في قلوبنا واثبتناه في مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس
منه فقرا ترفع المصاحف وينزع ما في الصدور ثم لا تجد لك به اي بالقران علينا وكيلا من يتوكل
علينا استرداده مسطورا محفوظا الا رحمة من ربك فانها ان نالتك لعلها تسترده عليك ويجوز
ان يكون استثناء منقطعا بمعنى لكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه
بعد المنة بتنزيله وترغيبا في المحافظة على اداء حقوقه وتحذيرا من ان لا يقدر قدره الجليل ويغفل
في القيام بشكره وهو اجل النعم واعظمها ان فضله كان عليك كبيرا كارسالك وانزال الكتاب عليك
وابقائه في حفظك وغير ذلك قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة
شانه الجليل بل يزعمون انه من كلام البشر لئن اجتمعت الانس والجن اي اتفقوا على ان يأتوا بمثل
هذا القران المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى
وتخصيص الثقلين بالذكر لان المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما لا لان غيرهما
قادر على المعارضة لا يأتون بمثله اوثر الاظهار على ايراد الضمير الراجع الى المثل المذكور احترازا
من ان يتوهم ان له مثلا معينا وايذانا بان المراد نفي الاتيان بمثل ما اي لا يأتون بكلام مماثل له
فيما ذكر من الصفات البديعة وفيهم العرب العاربة ارباب البراعة والبيان وهو جواب
للقسم الذي ينبئ عنه اللام الموطئة وساد مسد جواب الشرط ولولا هي لكان جوابا له بغير جزم
لكون الشرط ماضيا كما في قوله ۞ وان اتاه خليل يوم مسألة ۞ يقول لا غائب مالي ولا حرم ۞
وحيث كان المراد بالاجتماع على الاتيان بمثل هذا القران مطلق الاتفاق على ذلك سواء كان التصدي
للمعارضة من كل واحد منهم على الانفراد او من المجموع بان يتالبوا على تلفيق كلام واحد بتلاحق الافكار
وتعاضد الانظار قيل ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا اي في تحقيق ما يتوخونه من الاتيان بمثله وهو
عطف على مقدر اي لا يأتون بمثله لو لم يكن بعضهم ظهيرا للبعض ولو كان الخ وقد حذف المعطوف
عليه حذفا مطردا لدلالة المعطوف عليه دلالة واضحة فان الاتيان بمثل حيث انتفى عند التظاهر
فلان ينتفي عند عدمه اولى وعلى هذه النكتة يدور ما في ان ولو الوصليتين من التاكيد كما مر غير
مرة ومحله النصب على الحالية حسبما عطف عليه اي لا يأتون بمثله على كل حال مفروض ولو في هذه
الحال المنافية لعدم الاتيان به فضلا عن غيرها وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في روم تبديل
بعض اياته ببعض ولا مساغ لكون الاية تقريرا لما قبلها من قوله تعالى ثم لا تجد لك علينا وكيلا كما
قيل لكن الاتيان بمثله اصعب من استرداد عينه ونفي الشيء انما يقرر نفي ما دونه لا نفي ما فوقه فان
اصعبية الاسترداد بغير امره تعالى من الاتيان بمثله مما لا شبهة فيه بل لان الجملة القسمية ليست
مسوقة الى النبي صلى الله عليه وسلم بل الى المكابرين من قبله صلى الله عليه وسلم ولقد صرفنا كررنا
ورددنا على انحاء مختلفة توجب زيادة تقرير وبيان ورسوخ واطمئنان للناس في هذا القران المنعوت
بما ذكر من النعوت الفائقة من كل مثل من كل معنى بديع هو في الحسن والغرابة واستجلاب النفس
كالمثل ليتلقوه بالقبول فابى اكثر الناس اوثر الاظهار على الاضمار توكيدا وتوضيحا الا كفورا
اي الا جحودا وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب مع انه لا يصح ضربت الا زيدا لانه متاول بالنفي كانه
قيل ما قبل اكثرهم الا كفورا وفيه من المبالغة ما ليس في ابوا الايمان لان فيه دلالة على انهم لم يرضوا
بخصلة سوى الكفور من الايمان والتوقف في الامر ونحو ذلك بالغوا في عدم الرضا حتى بلغوا مرتبة
الاباء وقالوا عند ظهور عجزهم ووضوح مغلوبيتهم بالاعجاز التنزيل وغيره من المعجزات الباهرة
متعللين بما لا يمكن في العادة وجوده ولا تقتضي الحكمة وقوعه من الامور كما هو ديدن المبهوت
المحجوج لن نؤمن لك حتى تفجر وقرئ بالتشديد لنا من الارض ارض مكة ينبوعا عينا لا ينضب ماؤها
يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر او تكون لك جنة اي بستان يستر اشجاره ما تحتها
من العرصة من نخيل وعنب فتفجر الانهار اي تجريها بقوة خلالها تفجيرا كثيرا والمراد اما اجراء الانهار خلالها
عند سقيها او ادامة اجرائها كما ينبئ عنه الفاء لا ابتداؤه او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا جمع
كسفة وقطعة وقطع لفظا ومعنى وقرئ بالسكون كسدرة وسدر وهو حال من السماء والكاف في كما في
محل النصب على انه صفة مصدر محذوف اي اسقاطا مماثلا لما زعمت يعنون بذلك قوله تعالى او
تسقط السماء عليهم كسفا من السماء او تاتي بالله والملائكة قبيلا اي مقابلا كالعشير والمعاشر او كفيلا
يشهد بصحة ما تدعيه وهو حال من الجلالة وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها اي والملائكة قبيلا كما

حذف

حذف الخبر في قوله ۞ فاني وقيار بها لغريب ۞ او جماعة فيكون حالا من الملائكة او يكون لك بيت من زخرف
من ذهب وقد قرئ به واصله الزينة او ترقى في السماء اي في معارجها فحذف المضاف يقال رقى في
السلم وفي الدرجة ولن نؤمن لرقيك اي لاجل رقيك فيها وحده او لن نصدق رقيك فيها حتى تنزل
منها علينا كتابا فيه تصديقك نقرؤه نحن من غير ان يتلقى من قبلك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال
عبد الله بن ابي امية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وانا انظر حتى تاتيها وتاتي معك
بصك منشور معه اربعة من الملائكة يشهدون انك كما تقول وما كانوا يقصدون بهاتيك الاقترا
حات الباطلة الا العناد واللجاج ولو انهم اوتوا اضعاف ما اقترحوا من الايات ما زادهم ذلك
الا مكابرة والا فقد كان يكفيهم بعض ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال قل تعجبا من
الجبال قل تعجبا من شدة شكيمتهم وتنزيها لساحة السبحان عما لا يكاد يليق بها من مثل هذه الاقتراحات
الشنيعة التي تكاد السموات يتفطرن منها او عن طلبك وتنزيها عن بطلان ما قالوه سبحان ربي
وقرئ قال سبحان ربي هل كنت الا بشرا لا ملكا حتى يتصور الرقي مني في السماء ونحوه رسولا مامورا
من قبل ربي بتبليغ الرسالة من غير ان يكون لي خيرة في الامر كساير الرسل وكانوا لا ياتون قومهم الا
بما يظهره الله على ايديهم حسبما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات لهم ولا لهم ان يتحكموا على
الله بشيء منها وقوله بشرا خبر الكتب ورسولا صفته وما منع الناس اي الذين حكيت اباطيلهم
ان يؤمنوا مفعول ثان لمنع وقوله اذ جاءهم الهدى اي الوحي ظرف لمنع او يؤمنوا اي وما منعهم وقت
مجيء الوحي المقرون بالمعجزات المستدعية للايمان ان يؤمنوا بالقران وبنبوتك او ما منعهم ان
يؤمنوا بذلك وقت مجيء ما ذكر الا ان قالوا في محل الرفع على انه فاعل منع الا قولهم ابعث الله
بشرا رسولا منكرين ان يكون رسول الله من جنس البشر وليس المراد ان هذا القول صدر عن
بعضهم فمنع بعضا اخر منهم بل المانع هو الاعتقاد الشامل للكل المستتبع لهذا القول منهم وانما
عبر بالقول ايذانا بانه اول قول يقولونه بافواههم من غير ان يكون له مفهوم ومصداق وحصر
المانع من الايمان فيما ذكر مع ان لهم موانع شتى لما انه معظمها او لما انه هو المانع بحسب الحال اعني
عند سماع الجواب بقوله تعالى هل كنت الا بشرا رسولا اذ هو الذي يتشبثون به حينئذ من غير
ان يخطر ببالهم شبهة اخرى من شبههم الواهية وفيه ايذان بكمال عنادهم حيث يشير الى ان الجواب
المذكور مع كونه حاسما لمواد شبههم ملجيا الى الايمان يعكسون الامر ويجعلونه منشا لمنعه قل لهم
اولا من قبلنا تبيينا للحكمة وتحقيقا للحق المزيح للريب لو كان اي لو وجد واستقر في الارض بدل البشر ملائكة
يمشون مطمئنين قاطنين فيها من غير ان يعرجوا في السماء ويعلموا ما يوجب ان يعلم لنزلنا عليهم من السماء
ملكا رسولا يهديهم الى الحق ويرشدهم الى الخير لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه واما عامة البشر
فهم بمعزل من استحقاق مفاوضة الملائكة كيف وهي منوطة بالتناسب والتجانس فبعث الملك
اليهم مزاحم للحكمة التي عليها مبنى التكوين والتشريع وانما يبعث الملك من بينهم الى الخواص المختصين
بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتعلقين بكلا العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من
جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى ملكا يحتمل ان يكون حالا من رسولا وان يكون موصوفا به وكذلك
بشرا في قوله ابعث الله بشرا رسولا قل لهم ثانيا من جهتك بعد ما قلت لهم من قبلنا ما قلت وبينت
لهم ما تقتضيه الحكمة في البعثة ولم يرفعوا اليه راسا كفى بالله وحده شهيدا على اني اديت ما علي من مواجب
الرسالة اكمل اداء وانكم فعلتم من التكذيب والعناد وتوجيه الشهادة الى كونه صلى الله عليه وسلم
رسولا باظهار المعجزة على وفق دعواه كما اختير لا يساعده قوله تعالى بيني وبينكم وما بعده من التعليل
وانما لم يقل بيننا تحقيقا للمفارقة وابانة للمباينة وشهيدا حال او تمييز انه كان بعباده من الرسل
والمرسل اليهم خبيرا بصيرا محيطا بظواهر احوالهم وبواطنها فيجازيهم على ذلك وهو تعليل للكفاية
وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار ومن يهد الله كلام مبتدا يفصل ما اشار
اليه الكلام السابق من مجازاة العباد اشارة اجمالية اي من يهده الله الى الحق بما جاء من قبله من الهدى
فهو المهتدي اليه والى ما يؤدي اليه من الثواب او المهتدي الى كل مطلوب ومن يضلل اي يخلق
فيه الضلال بسوء اختياره كهؤلاء المعاندين فلن تجد لهم اوثر ضمير الجماعة اعتبارا للمعنى من غب
ما اوثر في مقابلة الافراد نظرا الى لفظها تلويحا بوحدة طريق الحق وقلة سالكيه وتعدد سبل
الضلال وكثرة الضلال اولياء من دونه من دون الله تعالى اي انصارا يهدونهم الى طريق الحق او الى
طريق يوصلهم الى مطالبهم الدنيوية والاخروية او الى طريق النجاة من العذاب الذي يستدعيه ضلالهم
على معنى لن تجد لاحد منهم وليا على ما تقتضيه قضية مقابلة الجمع بالجمع من انقسام الاحاد الى الاحاد

ويحشرهم التفات من الغيبة الى التكلم ايذانا بكمال الاعتنا بامر الحشر يوم القيمة على وجوههم حال من
الضمير المنصوب اى كائنين عليها سحبا كقوله تعالى يوم يسحبون فى النار على وجوههم او مشيا فقد روى
انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم الى اقدامهم
قادر على ان يمشيهم على وجوههم عميا حال من الضمير المجعول فى الحال السابقة وبكما وصما لا يبصرون
ما يقر اعينهم ولا ينطقون ما يقبل منهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم لما قد كانوا فى الدنيا لا يستبصرون
بالايات والعبر ولا ينطقون بالحق ولا يسمعونه ويجوز ان يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار
مؤفى القوى والحواس وان يحشروا كذلك ثم يعاد اليهم قواهم وحواسهم فان ادراكاتهم بهذه المشاعر
فى بعض المواطن مما لا ريب فيه مأويهم جهنم اما حال او استيناف وكذا قوله تعالى كلما خبت زدناهم
سعيرا اى كلما سكن لهبها بان اكلت جلودهم ولحومهم ولم يبق فيهم ما تتعلق به النار
وتحرقه زدناهم توقدا بان بدلناهم جلودا غيرها فعادت ملتهبة مستعرة ولعل ذلك عقوبة لهم على
انكارهم الاعادة بعد الفنا بتكريرها مرة بعد اخرى ليروها عيانا حيث لم يعلموها برهانا كما ينفصح عنه قوله
تعالى ذلك اى ذلك العذاب جزاؤهم بانهم اى بسبب انهم كفروا باياتنا العقلية والنقلية الدالة على
صحة الاعادة دلالة واضحة فذلك مبتدأ وجزاؤهم خبره ويجوز ان يكون مبتدأ ثانيا وبانهم خبره والجملة
خبر لذلك وان يكون جزاؤهم بدلا من ذلك او بيانا له والخبر هو الظرف وقالوا منكرين اشد الانكار
ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اما مصدر مؤكد من غير لفظه اى لمبعوثون بعثا
جديدا واما حال اى مخلوقين مستأنفين اولم يروا اى الم يتفكروا ولم يعلموا ان الله الذى خلق السموات
والارض من غير مادة مع عظمهما قادر على ان يخلق مثلهم فى الصغر على ان المثل مقحم والمراد بالخلق
الاعادة كما عبر عنها بذلك حيث قيل خلقا جديدا وجعل لهم اجلا لا ريب فيه عطف على اولم يروا فانه
فى قوة قد راوا والمعنى قد علموا ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على ان يخلق امثالهم
من الانس وجعل لهم ولبعثهم اجلا محققا لا ريب فيه هو يوم القيمة فابى الظالمون وضع موضع
الضمير تسجيلا عليهم بالظلم وتجاوز الحد بالمرة الا كفورا اى جحودا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربى
خزائن رزقه التى افاضها على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كقوله حاتم لو ذات
سوار لطمتنى وفائدة ذلك المبالغة والدلالة على الاختصاص اذا لامسكتم لبخلتم خشية الانفاق مخافة
النفاد بالانفاق اذ ليس فى الدنيا احد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو اثر غيره بشىء فانما يؤثره بعوض
يفوقه فاذا هو بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكان الانسان قتورا مبالغا فى البخل لان مبنى امره
على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض بما يبذله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات
واضحة الدلالة على نبوته وصحة ما جاء به من عند الله وهى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع
والدم والطوفان والسنون ونقص الثمرات وقيل انفجار الماء من الحجر ونتق الطور على بنى اسرائيل وانفلاق
البحر بدل الثلاث الاخيرة ويأباه ان هذه الثلث لم تكن متنزلة اذ ذاك والاوليين لا تعلق لهما
بفرعون وانما اوتيهما بنو اسرائيل وعن صفوان بن عسال ان يهوديا سال النبى صلى الله عليه وسلم
عنها فقال ان لا تشركوا به شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا
بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا
من الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله صلى الله عليه
وسلم ولا يساعده ايضا ما ذكر ولعل جوابه صلى الله عليه وسلم بذلك لما انه المهم للسائل
وقبوله لما انه كان فى التورية مسطورا وقد علم انه ما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا من
جهة الوحى فسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم وقرئ فسأل اى فقلنا له سلهم من فرعون وقل له ارسل معى بنى
اسرائيل او سلهم عن ايمانهم او عن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك ويؤيده قراءة رسول الله
صلى الله عليه وسلم على صيغة الماضى وقيل الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم فقال له فرعون
الفاء فصيحة اى فاظهر عند فرعون ما اتيناه من الايات البينات وبلغه ما ارسل به فقال له فرعون
انى لاظنك يا موسى مسحورا سحرت فتخبط عقلك قال لقد علمت ما انزل هؤلاء يعنى الايات التى
اظهرها الا رب السموات والارض خالقهما ومدبرهما والغرض منه التعريض لربوبيته تعالى لهما اللذين بانه
لا يقدر على ايتا مثل هاتيك الايات العظام الا خالقهما ومدبرهما بصائر حال من الايات اى بينات
مكشوفات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وتكابر نحو وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ومن ضرورة
ذلك العلم بانه صلى الله عليه وسلم على كمال رصانة العقل فضلا عن توهم المسحورية وقرئ علمت
على صيغة التكلم اى لقد علمته بتعين ان هذه الايات الباهرة انزلها الله عن سلطانه فكيف يتوهم

ان

ان يحوم حولى سحر وانى لاظنك يا فرعون مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ما ثبرك
عن هذا اى ما صرفك او هالكا ولقد قارع عليه السلام ظنه بظنه وشتان بينهما كيف لا وظن فرعون افك
مبين وظنه عليه السلام يتاخم اليقين فاراد اى فرعون ان يستفزهم ان يستخفهم وينفيهم من الارض
من ارض مصر او من الارض مطلقا بالقتل كقوله سنقتل ابناءهم ونستحيى نساءهم فاغرقناه ومن معه جميعا
فعكسنا عليه مكره واستفززناه وقومه بالاغراق وقلنا من بعده من بعد اغراقهم لبنى اسرائيل اسكنوا
الارض التى اراد ان يستفزكم فاذا جاء وعد الاخرة الكرة الاخرة او الحياة او الساعة والدار الاخرة اى
قيام القيمة جئنا بكم لفيفا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف
الجماعة من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى وما نميز سعداءكم من اشقيائكم واللفيف الجماعة
من قبائل شتى وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى ما انزل القران الا ملتبسا بالحق المقتضى انزاله وما نزل
الا ملتبسا بالحق الذى اشتمل عليه او ما انزلناه من السماء الا محفوظا وما نزل على الرسول الا محفوظا من
تخليط الشياطين ولعل المراد بيان عدم اعتراء البطلان له اول الامر واخره وما ارسلناك الا مبشرا
للمطيع بالثواب ونذيرا للعاصى من العقاب وهو تحقيق لحقية بعثه صلى الله عليه وسلم اثر انزال القران
وقرانا منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى فرقناه وقرئ بالتشديد لدلالة على كثرة نجومه لتقرأه على الناس
على مكث على مهل وتثبت فانه ايسر للحفظ واعون على الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه ونزلناه تنزيلا
حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة ويقع من الحوادث والواقعات قل للذين كفروا امنوا به ولا تؤمنوا
فان ايمانكم لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا ان الذين اوتوا العلم من قبله اى العلماء الذين
قرؤا الكتب السالفة من قبل تنزيله وعرفوا حقيقة الوحى وامارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين
الحق والباطل والمحق والمبطل او راوا فيها نعتك ونعت ما انزل اليك اذا يتلى اى القران عليهم يخرون
للاذقان اى يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لامر الله تعالى او شكرا لانجاز ما وعد به فى تلك
الكتب من بعثتك وتخصيص الاذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل اذ حينئذ يتحقق الخرور عليها
وايثار اللام للدلالة على اختصاص الخرور بها كما فى قوله ٭ فخر صريعا لليدين وللفم ٭ وهو تعليل لما
يفهم من قوله تعالى امنوا به او لا تؤمنوا من عدم المبالاة بذلك اى ان لم تؤمنوا به فقد امن به
احسن ايمانا من هو خير منكم ويجوز ان يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه
كانه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم ويقولون فى سجودهم سبحان
ربنا عما يفعله الكفرة من التكذيب وعن خلف وعده ان كان وعد ربنا لمفعولا ان مخففة من المثقلة
واللام فارقة اى ان الشان هذا ويخرون للاذقان يبكون كرر الخرور للاذقان لاختلاف السبب فان
الاول لتعظيم امر الله تعالى او الشكر لانجاز الوعد والثانى لما اثر فيهم من مواعظ القران حال كونهم باكين
من خشية الله ويزيدهم اى القران بسماعهم خشوعا كما يزيدهم علما ويقينا بالله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا
الرحمن نزل حين سمع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا عن عبادة
الهين وهو يدعو الها اخر وقالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثره الله فى التورية والمراد على الاول
هو التسوية بين اللفظين بانهما عبارتان عن ذات واحدة وان اختلف الاعتبار والتوحيد انما هو للذات
الذى هو المعبود وعلى الثانى انهما سيان فى حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو الاوفق لقوله
تعالى ايا ما تدعوا والدعاء بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف اولهما استغناء عنه واو
للتخيير والتنوين فى ايا عوض من المضاف اليه وما مزيدة لتاكيد ما فى اى من الابهام والضمير فى فله للمسمى
لان التسمية له لا للاسم وكان اصل الكلام ايا ما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى
للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه اذ حسن جميع اسمائه يستدعى حسن ذينك الاسمين وكونها
حسنى لدلالتها على صفات الكمال من الجلال والجمال والاكرام ولا تجهر بصلاتك اى بقراءة صلاتك بحيث
تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها ولا تخافت بها اى بقراءتها بحيث لا تسمع من
خلفك من المؤمنين وابتغ بين ذلك اى بين الجهر والمخافتة على الوجه المذكور سبيلا امرا وسطا
قصدا فان خير الامور اوسطها والتعبير عن ذلك بالسبيل باعتبار انه امر يتوجه اليه المتوجهون
ويؤمه المقتدون ويوصلهم الى المطلوب وروى ان ابا بكر رضى الله عنه كان يخفت ويقول اناجى
ربى وقد علم حاجتى وعمر رضى الله عنه كان يجهر بها ويقول اطرد الشيطان واوقظ الوسنان فلما
نزلت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل المعنى
لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها باسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالمخافتة نهارا والجهر ليلا وقيل
بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى انها منسوخة بقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقل الحمد

لله الذى لم يتخذ ولدا كما زعم اليهود والنصارى وبنوا مليح حيث قالوا عزير بن الله والمسيح بن الله والملئكة بنات الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم يكن له شريك فى الملك اى الالوهية كما تقول الثنوية القايلون بتعدد الالهة ولم يكن له ولى من الذل ناصر ومانع منه لاعتزازه به او لم يوال احدا من اجل مذلة ليدفعها به ونفى التعرض فى اثناء الحمد لهذه الصفة الجليلة ايذان بان المستحق للحمد من هذه نعوته دون غيره اذ بذلك يتم الكمال والقدرة التامة على الايجاد وما يتفرع عليه من افاضة انواع النعم وما عداه ناقص مملوك نعمة منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله تعالى وكبره تكبيرا وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ فى التنزيه والتمجيد واجتهد فى الطاعة والتحميد ينبغى ان يعترف بالقصور فى ذلك روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا افصح الغلام من بنى المطلب علمه هذه الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة بنى اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار فى الجنة والقنطار الف اوقية ومائتا اوقية والحمد لله سبحانه

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب اى الكتاب الكامل الغنى عن الوصف بالكمال المعروف بذلك من بين الكتب الحقيق باختصاص اسم الكتاب به وهو عبارة عن جميع القران او عن الجميع المنزل حينئذ كما مر مرارا فى صفة تعالى بالموصول اشعار بعلية ما فى حيز الصلة لاستحقاق الحمد وايذان بعظم شان التنزيل الجليل كيف لا وعليه يدور فلك سعادة الدارين وفى التعبير عن الرسول صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه صلى الله عليه وسلم بالعبد مضافا الى ضمير الجلالة تنبيه على بلوغه صلى الله عليه وسلم الى اعلا معارج العباد وتشريف له اى تشريف واشعار بان شان الرسول بان يكون عبدا للمرسل لا كما زعمت النصارى فى حق عيسى عليه السلام وتاخير المفعول الصريح عن الجار والمجرور مع ان حقه التقديم عليه ليتصل به قوله تعالى ولم يجعل له عوجا اى شيئا من العوج بنوع اختلال فى النظم وتناف فى المعنى او انحراف فى الدعوة الى الحق وهو فى المعانى كالعوج فى الاعيان واما قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا امتا مع كون الجبال من الاعيان فللدلالة على انتفاء ما لا يدرك من العوج بحاسة البصر بل انما يوقف عليه بالبصيرة بواسطة استعمال المقاييس الهندسية ولما كان ذلك مما لا يشعر به بالمشاعر الظاهرة عد من قبيل ما فى المعانى وقيل الفتح فى اعوجاج المنتصب كالعود والحايط والكسر فى اعوجاج غيره عينا كان او معنى قيما بالمصالح الدينية والدنيوية للعباد على ما ينبئ عنه ما بعده من الانذار والتبشير فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال او على ما قبله من الكتب السماوية شاهدا بصحتها ومهيمنا عليها او متناهيا فى الاستقامة فيكون تاكيدا لما دل عليه نفى العوج مع كونه من شانه وانتصابه على تقدير كون الجملة المتقدمة معطوفة على الصلة بمضمر ينبئ عنه نفى العوج تقديره جعله قيما واما على تقدير كونها حالية فهو على الحالية من الكتاب اذ لا فصل حينئذ بين ابعاض المعطوف عليه بالمعطوف وقرئ قيما لينذر متعلق بانزل والفاعل ضمير الجلالة كما فى الفعلين المعطوفين عليه والاطلاق على ذكر المفعول الاول للايذان بان ما سيق له الكلام هو المفعول الثانى فان الاول ظاهر لا حاجة الى ذكره اى انزل الكتاب لينذر ما فيه الذين كفروا به باسا اى عذابا شديدا من لدنه اى صادرا من عنده نازلا من قبله بمقابلة كفرهم وتكذيبهم وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع ويبشر بالتشديد وقرئ بالتخفيف المؤمنين اى المصدقين به الذين يعملون الصالحات الاعمال الصالحة التى بينت فى تضاعيفه وايثار صيغة الاستقبال فى الصلة للاشعار بتجدد الاعمال الصالحة واستمرارها واجراء الموصول على موصوفه المذكور لما ان مدار قبول الاعمال هو الايمان ان لهم اى بان لهم بمقابلة ايمانهم واعمالهم المذكورة اجرا حسنا هو الجنة وما فيها من المثوبات الحسنى ماكثين حال من الضمير المجرور فى لهم فيه اى فى ذلك الاجر ابدا من غير انتهاء اى خالدين فيه وهو منصوب على الظرفية لماكثين وتقديم الانذار على التبشير لاظهار كمال العناية بزجر الكفار عما هم عليه من مراعاة تقديم التخلية على التحلية وتكرير الانذار بقوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا متعلقا بفرقة خاصة ممن عمه الانذار السابق من مستحقى الباس الشديد للايذان بكمال فظاعة حالهم لغاية شناعة كفرهم وضلالهم اى وينذر من بين ساير هؤلاء المتفوهين بمثل هاتيك العظيمة خاصة وهم كفار العرب الذين يقولون الملئكة بنات الله تعالى واليهود القايلون عزير بن الله تعالى والنصارى القايلين المسيح بن الله وترك اجراء الموصول على الموصوف كما قيل فى قوله تعالى ويبشر المؤمنين للايذان بكفاية ما فى حيز الصلة فى الكفر

على اقبح الوجوه وايثار صيغة الماضى فى الصلة للدلالة على تحقق صدور تلك الكلمة القبيحة عنهم فيما فيما سبق وجعل المحذوف المفعول فيما سلف عبارة من هذه الطايفة تؤدى الى خروج ساير اصناف الكفرة عن الانذار والوعيد وتعميم الانذار هنالك للمؤمنين ايضا بحمله على معنى مجرد الاخبار بالخبر السار من غير اعتبار حلول الباس الشديد على من عدا هذه الفرقة ويجوز ان يكون الفاعل فى الافعال الثلاثة ضمير الكتاب او ضمير الرسول صلى الله عليه وسلم ما لهم به اى باتخاذه سبحانه وتعالى ولدا من علم مرفوع على الابتدا والفاعلية لاعتماد الظرف ومن مزيدة لتاكيد النفى والجملة حالية او استينافية لبيان حالهم فى مقالهم بذلك شىء من علم اصلا لاخلالهم بطريق مع تحقق العلوم او امكانه بل لاستحالته فى نفسه ولا لابائهم الذين قالوا ذلك فتاهوا جميعا فى تيه الغى والضلالة وما لهم علم بما قالوه اهو صواب ام خطا بل انما قالوه رميا عن عمى وجهالة من غير فكر وروية كما فى قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات بغير علم او بحقيقته ما قالوه وبعظم رتبته فى الشناعة كما فى قوله تعالى وقالوا اتخذ الله الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الايات وهو الانسب بقوله تعالى كبرت كلمة اى عظمت مقالتهم هذه بالكفر والافتراء لما فيها من نسبة سبحانه وتعالى الى ما لا يكاد يليق بجناب كبريائه والفاعل فى كبرت اما ضمير المقالة المدلول عليها بقالوا وكلمة نصب على التمييز او ضمير مبهم يفسره ما بعده من النكرة المنصوبة التمييز كبئس رجلا والمخصوص بالذم محذوف تقديره كبرت هى كلمة خارجة من افواههم وقرئ كبرت باسكان الباء مع اشباع الضمة وقرئ كلمة بالرفع تخرج من افواههم صفة للكلمة مفيدة لاستعظام اجترائهم على التفوه بها والخروج اليها مع ان الخارج هو الهواء المتكيف بكيفية الصوت لملابسة بها ان يقولون ما يقولون فى ذلك الشان الا كذبا لا يكاد يدخل تحت امكان الصدق اصلا والضمير لهم ولابائهم مثل حاله صلى الله عليه وسلم فى شدة الوجد على الاعراض القوم وتوليهم عن الايمان بالقرآن بكمال التحسر عليهم بحال من يتوقع منه اهلاك نفسه اثر فوت ما يحبه عند مفارقة احبته تاسفا على مفارقتهم وتلهفا على مهاجرتهم فقيل على طريقة التمثيل حملا له صلى الله عليه وسلم على الحذر والاشفاق من ذلك فلعلك باخع اى مهلك نفسك على اثارهم غما ووجدا على فراقهم وقرئ بالاضافة ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اى القرآن الذى عبر عنه فى صدر السورة بالكتاب وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه وقرئ بان المفتوحة اى لان لم يؤمنوا فاعمال باخع بحمله على حكاية حال ماضية لاستحضار الصورة كما فى قوله عز وجل باسط ذراعيه اسفا مفعول له لباخع اى لفرط الحزن والغضب او حال بما فيه من الضمير اى متاسفا عليهم ويجوز حمل النظم الكريم على الاستعارة التبعية بجعل النسبة بين اجزاء الطرفين لا بين الهيئتين المنتزعتين منهما كما فى التمثيل وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى ختم الله على قلوبهم انا جعلنا ما على الارض استيناف وتعليل لما فى لعل من معنى الاشفاق اى انا جعلنا ما عليها مما يعد من وجه اليه التكليف من الزخارف حيوانا كان او نباتا او معدنا كقوله تعالى هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا زينة مفعول ثان للجعل ان حمل على معنى التصيير او حال ان حمل على معنى الابداع واللام فى لها اما متعلقة بزينة او بمحذوف هو صفة لها اى كاينة لها اى ليتمتع بها الناظرون من المكلفين وينتفعوا بها نظرا واعتدادا فان الحيات والعقارب من حيث تذكيرهما لعذاب الاخرة من قبيل المنافع وينتفعوا بها بل كل حادث داخل تحت الزينة من حيث دلالته على وجود الصانع ووحدته فان الازواج والاولاد ايضا من زينة الحياة الدنيا بل اعظمها ولا يمنع ذلك كونهم من جملة المكلفين فانهم من جهة انتسابهم الى اصحابهم داخلون تحت الزينة ومن جهة كونهم مكلفين داخلون تحت الابتلاء لنبلوهم متعلق بجعلنا اى جعلنا ما جعلنا لنعاملهم معاملة من يختبرهم ايهم احسن عملا فيها فنجزيهم بالثواب والعقاب فيما نجزيهم حسبما يبين المحسن من المسيء وامتازت طبقات افراد كل من الفريقين حسب امتياز مراتب علومهم المترتبة على انظارهم وتفاوت درجات اعمالهم المتفرعة على ذلك كما ذكرناه فى مطلع سورة هود واى اما استفهامية مرفوعة بالابتداء واحسن خبرها والجملة فى محل النصب معلقة بفعل البلوى لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالسؤال والنظر ولذلك اجرى مجراه بطريق التمثيل او الاستعارة التبعية واما موصولة بمعنى الذى واحسن خبر مبتداء مضمر والجملة صلة لها وهى فى حيز النصب بدلا من مفعول لنبلوهم والتقدير لنبلو الذى هو احسن عملا فحينئذ يحتمل ان تكون الضمة فى ايهم للبناء كما فى قوله عز وجل ثم لننزعن من كل شيعة ايهم اشد على الرحمن عتيا على احد الاقوال لتحقق شرط البناء الذى هو الاضافة لفظا وحذف صدر الصلة وان يكون للاعراب لان ما ذكر شرط لجواز البناء لا لوجوبه وحسن العمل الزهد فيها وعدم الاغترار بها والقناعة باليسير منها وصرفها على ما ينبغى والتامل فى

شانها وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما اذن له الشرع على ما ينبغي والتامل في شانها
وجعلها ذريعة الى معرفة خالقها والتمتع بها حسبما وادا حقوقها والشكر لها لا اتخذها وسيلة الى
الشهوات والاعراض الفاسدة كما يفعله الكفرة واصحاب الاهواء وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل
للفريقين باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح ايضا لا الى الحسن والاحسن فقط للاشعار بان
الغاية الاصلية للجعل المذكور انما هو ظهور كمال احسان المحسنين على ما حقق في تفسير قوله تعالى ليبلوكم
ايكم احسن عملا وانا لجاعلون فيما سياتي عند تناهي عمر الدنيا ما عليها من المخلوقات قاطبة في افنائها
بالكلية وانما اظهر في مقام الاضمار لزيادة التقرير او لادراج المكلفين فيه صعيدا مفعول ثان للجعل
والصعيد التراب او وجه الارض قالوا ابو عبيدة هو المستوي من الارض وقال الزجاج هو الطريق
الذي لا نبات فيه جرزا ترابا لا نبات فيه بعد ما كان يتعجب من بهجته النظار وتتشرف بمشاهدته
الابصار يقال ارض جرز لا نبات فيها وسنة جرز لا مطر فيها قال الفراء جرزت الارض فهي مجروزة
اي ذهب نباتها بقحط او جراد ويقال جرزها الجراد والشاة والابل اذا اكلت ما عليها وهذه الجملة
لتكميل ما في السابقة من التعليل والمعنى لا تحزن مما عاينت من القوم من تكذيب ما انزلنا عليك من
الكتاب فانا قد جعلنا ما على الارض من فنون الاشياء زينة لها لنختبر اعمالهم فنجازيهم بحسبها وانا
لمفنون جميع ذلك عن قريب ومجازون لهم بحسب اعمالهم ام حسبت الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم والمراد انكار حسبان امته وام منقطعة مقدرة ببل التي هي للانتقال من حديث
الى حديث لا للابطال وبهمزة الاستفهام عند الجمهور وببل وحدها عند غيرهم اي بل احسبت ان
اصحاب الكهف والرقيم كانوا في بقائهم على الحياة مدة طويلة من الدهر من اياتنا من بين اياتنا
التي من جملتها ما ذكرناه من جعل ما على الارض زينة لها للحكمة المشار اليها ثم جعل ذلك كله صعيدا جرزا
كان لم تغن بالامس عجبا اي اية ذات عجب وصفا له مع منع المضاف او وصفا لذلك بالمصدر مبالغة
وخبر كانوا ومن اياتنا حال منه والمعنى ان قصتهم وان كانت خارقة للعادات ليست بعجيبة بالنسبة
الى سائر الايات التي من جملتها ما ذكر من تعاجيب خلق الله تعالى بل هي عندها كالنزر الحقير والكهف
الغار الواسع في الجبل والرقيم مجاورا ● وصيد موا القوم في الكهف هملة ● وقيل هو لوح رصاصي وحجر
رقمت فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل هو الوادي الذي فيه الكهف فهو من رقمة الوادي
اي جانبه وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وايلة دون فلسطين وقيل اصحاب الرقيم
اخرون وكانوا ثلثة انطبق عليهم الغار فنجوا بذكر كل منهم احسن عمله على ما فصل من الصحيحين اذ
اوى ظرف تعجبا لا لحسبت او مفعول لاذكر اي حين التجا الفتية اصحاب الكهف اوثر الاظهار على
الاضمار لتحقيق ما كانوا عليه في انفسهم في حال الفتوة فانهم كانوا فتية من اشراف الروم ارادهم
دقيانوس على الشرك هربوا منه بدينهم ولذن صاحبية الكهف من فروع التجائهم الى الكهف فلا
يناسب اعتبارها معهم قيل بيانه الى الكهف يجيلهم بجلوس واتخذوه ماوى فقالوا ربنا اتنا من
لدنك من خزائن رحمتك الخاصة المكنونة عن عيون اهل العادات في ابتدائية متعلقة باتنا او بمحذوف
وقع حالا من مفعوله الثاني قدمت عليه لكونه نكرة ولو تاخرت لكانت صفة له اي اتنا كائنة من
لدنك رحمة خاصة تستوجب المغفرة والرزق والامن من الاعداء وهي لنا من امرنا الذي نحن عليه
من مهاجرة الكفار والمثابرة على طاعتك واصل التهيئة احداث هيئة الشيء اي اصلح ورتب واتمم لنا
من امرنا رشدا اصابة للطريق الموصل الى المطلوب واهتداء اليه وكلا الجارين متعلق بهيئ لاختلافهما
في المعنى وتقديم المجرورين على المفعول الصريح لاظهار الاعتناء بهما وابراز الرغبة في المؤخر بتقديم احواله
فان تاخير ما حقه التقديم عما هو من احواله المرغبة فيه كما يورث شوق السامع الى وروده ينبئ عن
كمال رغبة المتكلم فيه واعتنائه بحصوله لا محالة وكذا الكلام في تقديم قوله تعالى من لدنك على
تقدير تعلقه باتنا وتقديم لنا على من لدنك للايذان من اول الامر بكون المسؤول مرغوبا فيه لديهم او
اجعل امرنا رشدا كله على ان من تجريدية مثلها في قولك رايت منك اسدا فضربنا على اذانهم اي
انمناهم على طريقة التمثيل المبني على تشبيه الانامة الثقيلة المانعة عن وصول الاصوات الى الاذان
بضرب الحجاب عليها وتخصيص الاذان بالذكر مع اشتراك سائر المشاعر لها في الحجب على الشعور عند النوم
لما ان المحتاج الى الحجب عادة هي الطريقة للتيقظ غالبا لا سيما عند انفراد النائم واعتزاله عن الخلق
وقيل الضرب على الاذن كناية عن الانامة الثقيلة وحمله على تعطيلها كما في قولهم ضرب الامير على يد الرعية
اي منعهم من التصرف مع عدم ملايمته لما سياتي من البعث لا يدل على النوم مع انه المراد قطعا والفاء في
ضربنا كما في قوله عز وجل فاستجبنا له بعد قوله تعالى اذ نادى فان الضرب المذكورة وما ترتب عليه

من

من التقليب ذات اليمين وذات الشمال والبعثة وغير ذلك ايتاء رحمة لدنية خاصة من ابصار والتمكين
بالاسباب العادية الاستجابة لدعوتهم في الكهف ظرف مكان لضربنا سنين ظرف زمان له باعتبار
بقائه لا ابتدائه عددا اي ذوات عدد او تعد عددا على انه مصدر او معدودة على انه بمعنى المفعول
ووصف السنين بذلك اما للتكثير وهو الانسب باظهار كمال القدرة او للتقليل وهو الاليق بمقام انكار
كون القصة عجبا من بين سائر الايات العجيبة فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده عز وجل ثم بعثناهم اي
ايقظناهم من تلك النومة الثقيلة الشبيهة بالموت لنعلم بنون العظمة وقرئ بالياء مبنيا للفاعل بطريق
الالتفات وايا ما كان فهو غاية للبعث لكن لا بجعل العلم مجازا من الاظهار والتمييز او بحمله على ما يصح
وقوعه غاية للبعث الحادث من العلم الحالي الذي يتعلق به الجزاء كما في قوله تعالى الا لنعلم من يتبع الرسول
ممن ينقلب على عقبيه وقوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا ونظائرهما التي يتحقق فيها العلم بتحقق
متعلقه قطعا فان تحويل القبلة قد يترتب عليه تحزب الناس الى منقلب ومتبع وكذا مداولة الايام
بين الناس ترتب عليه تحزبهم الى الثابت على الايمان والمتزلزل فيه وتعلق بكل من الفريقين العلم
الحالي والاظهار والتمييز واما بعث هؤلاء فلم يترتب على تفرقهم الى المحصي وغيره حتى يتعلق بهما العلم
تقديرا غير مصيب ومفوض الى العلم الرباني وليس شيء منهما من الاحصاء في شيء بل يحمل النظم الكريم
على التمثيل المبني على جعل العلم عبارة عن الاختبار مجازا بطريق اطلاق اسم المسبب وليس من ضرورة
الاختبار صدور الفعل المختبر به قطعا بل قد يكون لاظهار عجزه منه على سنن التكاليف التعجيزية
كقوله تعالى فات بها من المغرب وهو المراد ها هنا فالمعنى بعثناهم لنعاملهم معاملة من يختبرهم اي
الحزبين اي الفريقين المختلفين في مدة لبثهم بالتقدير والتفويض كما سياتي احصى اي ضبط لما لبثوا اي
للبثهم امدا اي غاية فيظهر لهم عجزهم ويفوضوا ذلك الى العليم الخبير ويتعرفوا احوالهم وما صنع الله تعالى بهم
من حفظ ابدانهم فيزدادوا يقينا بكمال قدرته وعلمه ويستبصروا به امر البعث ويكون ذلك لطفا
لمؤمني زمانهم واية بينة لكفارهم وقد اقتصر هنا من تلك الغايات الجليلة على ذكر مبدئها الصادر
عنه عز وجل وفيما سياتي على ما صدر عنهم من التساؤل المؤدي اليها وهذا ادنى من تصوير التمثيل بان يقال
بعثناهم بعث من يريد ان يعلم الى اخره حسبما وقع في تفسير قوله تعالى وليعلم الله الذين امنوا على
احد الوجوه حيث حمل على معنى فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت على الايمان من غير الثابت اذ
ربما يتوهم منه استلزام الارادة لتحقق المراد فيعود المحذور فيصار الى جعل ارادة العلم عبارة
عن الاختبار فاختير ما اختير هنا وقد قرئ ليعلم مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل من الاعلام على ان المفعول
الاول محذوف والجملة المصدرة باي في موقع المفعول الثاني فقط ان جعل العلم عرفانيا او في موقع المفعولين
ان جعل يقينيا اي ليعلم الله الناس اي الحزبين احصى الى اخره وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان احد الحزبين الفتية والاخر الملوك الذين تداولوا المدينة ملكا بعد ملك وقيل كلاهما من غيرهم
والاول هو الاظهر فان اللام للعهد ولا عهد لغيرهم لا من بمعنى المدى كالغاية في قولهم ابتداء الغاية
وانتهاء الغاية وهو مفعول لاحصى والجار والمجرور حال منه قدمت عليه لكونه نكرة وليس معنى احصاء
تلك المدة ضبطها من حيث كميتها المتصلة الذاتية فانه لا يسمى احصاء بل ضبطها من حيث كميتها المنفصلة
العارضة لها باعتبار قسمتها الى السنين وبلوغها من تلك الحيثية الى مراتب الاعداد على ما يرشدك
اليه كون تلك المدة عبارة عما سبق من السنين ويجوز ان يراد بالامد معناه الوضعي بتقدير المضاف اي لزمنة
لبثهم وبدونه ايضا فان اللبث عبارة عن الكون المستمر المنطبق على الزمان المذكور فاعتبار الامتداد
العارض له بسبب يكون له امد لا محالة لكن ليس المراد به ما يقع عليه غاية ومنتهى لذلك الكون
المستمر باعتبار كميته المتصلة العارضة له بسبب انطباقه على الزمان الممتد بالذات وهو ان انبعاثهم
من نومهم فان معرفته من تلك الحيثية لا يخفى على احد ولا تسمى احصاء بل باعتبار كميته المنفصلة
العارضة له بسبب عروضها لما انها المنطبق هو عليه باعتبار انقسامه الى السنين ووصوله الى
مرتبة معينة من مراتب العدد كما حقق في الصورة الاولى والفرق بين الاعتبارين ان ما تعلق به
الاحصاء في الصورة السابقة نفس المدة المنقسمة الى السنين فهو مجموع ثلثمائة وتسع سنين
وفي الصورة الاخيرة منتهى تلك المدة المنقسمة اليها اعني السنة التاسعة بعد الثلثمائة وتعلق
الاحصاء بالامد بالمعنى الاول ظاهر وانما تعلقه بالمعنى الثاني فيتعلق انتظامه لا محته مراتب
العدد واشتماله عليها هذا على تقدير كون ما في قوله تعالى لما لبثوا مصدرية ويجوز ان يكون موصولة
حذف عائدها من الصلة اي للذي لبثوا فيه من الزمان الذي عبر عنه فيما قبل بسنين عددا فامدا
بمعناه الوضعي على ما تحققه وقيل اللام مزيدة والموصول مفعول وامدا نصب على التمييز واما ما

قيل من احصى اسم تفضيل الا انه الموافق فعلا ما ضيا يشعر بانه غاية لما وقع في ساير الايات الكريمة عنوانهم احسن عملا ايهم اقرب لكم نفعا الى غير ذلك مما لا يحصى ولان كونه فعلا ماضيا يشعر بانه غاية البعث هو العلم بالاعصاء المتقدم على البعث بالاحصا المتاخر عنه وليس كذلك وادعا ان معنى افعل التفضيل من المزيد عليه غير قياسي موقوع بانه عند سيبويه قياسي مطلقا وعند ابن عصفور فيما ليست همزته للنقل ولا ريب في ان ما نحن فيه من ذلك القيد وامتناع عمله انما هو في غير التمييز من المعمولات واما ان بالتمييز يجب كونه فاعلا في المعنى فلم لا يجوز ان يمنعه بصحة ان يقال ايهم احفظ لهذا الشعر وزنا وتقطيعا او يقال ان العامل في امدا افعل محذوف يدل عليه المذكور اى يحصى لما لبثوا امدا كما في قوله • واضرب منا بالسيوف القوانسا • وحديث المرفوع في المذكور المحذوف بلا فايدة ومدفوع بما اشير اليه من قاعدة الموافقة للنظاير مع ما فيه من الاعتساف والخلل بمعزل من السداد لان مؤداه ان يكون المقصود بالاختيار اظهار فضل الحزبين وتمييزه عن الادنى مع تحقق اصل الاحصا فيما ومن البين ان لا يتحقق اصل الاحصا فيهما ومن البين ان لا يتحقق له اصلا وان المقصود بالاختبار اظهار عجزا الكل عنه راسا فهو فعل ماض قطعا وتوهم ايضا انه بانه غاية البعث هو العلم بالاحصا المتقدم عليه مردود بان صيغة الماضي باعتبار حال الحكاية الله والله تعالى اعلم نحن نقص عليك شروع في تفصيل ما اجمل فيما سلف من قوله تعالى اذ اوى الفتية الى اخره اى نحن نخبرك بتفاصيل اخبارهم وقد مر بيان اشتقاقه في مطلع سورة يوسف عليه السلام نبأهم النبأ الخبر الذي هو له شان وخطر بالحق اما صفة لمصدر محذوف او حال من ضمير نقص او من نبائهم او صفة له على راى من يرى حذف الموصول مع بعض صلته اى نقص قصصا ملتبسا بالحق او نقصه ملتبسين به او نقص نبأهم ملتبسا به ونبأهم حسبما ذكره محمد بن يسار انه قد مرج اهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم فعبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وكان ممن بالغ في ذلك وعتا عتوا كبيرا دقيانوس فانه علا فيه علوا شديدا فجاس خلال الديار والبلاد بالعبث والفساد وقتل من خالفه من المتمسكين بدين المسيح عليه السلام وكان يتتبع الناس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فمن رغب في الحياة الدنيا الدنية يصنع ما يصنع ومن اثر عليها الحياة الابدية قتله وقطع راسه وعلقها على سور المدينة وابوابها فلما راى الفتية ذلك وكانوا عظما اهل مدينتهم وقيل كانوا من خواص الملك قاموا فتضرعوا الى الله عز وجل واشتغلوا بالصلاة والدعا فبينما هم كذلك اذ دخل عليهم اعوان الجبار فاحضروهم بين يديه فقال لهم ما قال وخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان فقالوا ان لنا الها ملء السموات والارض عظمته وجبروته لن ندعوا من دونه احدا ولن نقر لما تدعونا اليه ابدا فاقض ما انت قاض فامر فنزع ما عليهم من الثياب الفاخرة واخرجهم من عنده وخرج هو الى مدينة نينوى لبعض شانه وامهلهم الى رجوعه ليتاملوا في امرهم فان تبعوه والا فعل بهم ما فعل بساير المسلمين فاتفقت الفتية على الفرار بالدين والالتجا الى الكهف الحصين فاخذ كل منهم من بيت ابيه شيئا فتصدقوا ببعضه وتزودوا بالباقي فاووا الى الكهف فجعلوا يصلون فيه اناء الليل واطراف النهار ويبتهلون الى الله سبحانه بالانين والجوار وفوضوا امر نفقتهم الى تمليخا فكانوا اذا اصبحوا يضع عنه ثيابه الحسان ويلبس ثياب المساكين ويدخل المدينة ويشترى ما اهمهم ويتجسس ما فيها من الاخبار ويعود الى اصحابه فلبثوا على ذلك الى ان قدم الجبار المدينة فطلبهم واحضر اباهم فاعتذروا بانهم عصوهم ونهبوا اموالهم وبذروها في الاسواق فلما راى تمليخا ما راى من الهول رجع وهو يبكى ومعه قليل من الزاد فاخبرهم بما شاهده من الهول ففزعوا الى الله عز وجل وخروا له سجدا ثم رفعوا رؤسهم فخرج دقيانوس في طلبهم بخيله ورجله فوجدهم قد دخلوا الكهف فامر باخراجهم فلم يطق احد ان يدخله فلما ضاق بهم ذرعا قال قايل منهم اليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف ودعهم يموت جوعا وعطشا وليكن كهفهم قبرا لهم ففعل ثم كان من شانهم ما قص الله عز وجل عنهم انهم فتية استيناف تحقيقي مبنى على تقدير السوال من قبل المخاطب والفتية جمع قلة للفتى كالصبية للصبى امنوا بربهم اوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم والمراعاة ما صدر عنهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وزدناهم هدى بان ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين واظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم وربطنا على قلوبهم اى قويناها حتى اقتحموا مضايق الصبر على هجر الاهل والاوطان والنعيم والاخوان واجترءوا على الصدع بالحق من غير خوف وحذار والرد على دقيانوس الجبار

اذقاموا

اذ قاموا منصوب بربطنا والمراد بقيامهم انتصابهم لاظهار شعار الدين قال مجاهد خرجوا من المدينة فاجتمعوا على غير ميعاد فقال اكبرهم انى لاجد في نفسى شيئا ان ربى رب السموات والارض فقالوا نحن ايضا كذلك فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض فمنوا اذعواهم ما تحقق فحواها ويعقبها بمقتضاها فان ربوبيته عز وجل لهما تقتضى ربوبيته لما فيهما اى اقتضا قيل المراد قيامهم بين يدى الجبار من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الاصنام فحينئذ يكون ما ياتى من قوله تعالى هؤلاء الى اخره منقطعا عما قبله صادرا عنهم بعد خروجهم من عنده لن ندعوا نعبد ابدا من دونه الها معبودا اخر لا استقلالا ولا اشتراكا والعدول عن ان يقال ربا للتنصيص على رد المخالفين حيث كانوا يسمون اصنامهم الهة وللاشعار بان مدار العبادة وصف الالوهية للايذان بان ربوبيته تعالى بطريق الالوهية لا بطريق المالكية لقد قلنا اذا شططا اى قولا ذا شطط اى تجاوز عن الحد او قولا على انه عين الشطط على انه وصف بالمصدر مبالغة ثم اقتصر على الوصف مبالغة على مبالغة وحيث كانت العبادة مستلزمة للقول لما انها لا تعرى عن الاعتراف بالوهية تعالى والتضرع اليه قيل لقد قلنا اذا جواب وجزا اى لو دعونا من دونه الها والله لقد قلنا قولا خارجا عن حد العقول مفرطا في الظلم هؤلاء هو مبتدا وفي اسم الاشارة تحقير لهم قومنا عطف بيان له اتخذوا من دونه الهة خبره وفيه معنى الانكار لولا ياتون تحضيض فيه معنى الانكار والتعجيز هلا ياتون عليهم على الوهيتهم او على صحة اتخاذهم لها الهة بسلطان بين بحجة ظاهرة الدلالة على مدعاهم وهو تبكيت لهم والمقام محض فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا بنسبة الشريك اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا والمعنى انه اظلم كما مر تحقيقه في سورة هود واذ اعتزلتموهم اى فارقتموهم في الاعتقاد واردتم الاعتزال الجسماني وما يعبدون الا الله عطف على الضمير المنصوب وما موصولة او مصدرية اى واذ اعتزلتموهم ومعبوديهم الا الله اى وعبادتهم الا عبادة الله وعلى التقديرين فالاستثنا متصل على تقدير كونهم مشركين كاهل مكة ومنقطع على تقدير تمحضهم في عبادة الاوثان ويجوز كون ما نافية على انه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه فاووا اى التجئوا الى الكهف عن الفراهو جواب اذ كما تقول اذ فعلت فافعل كذا وقيل هو دليل على جوابه اى اذ اعتزلتموهم اعتزالا اعتقاديا فاعتزلوهم اعتزالا جسمانيا واذا اردتم اعتزالهم فافعلوا ذلك بالالتجا الى الكهف ينشر لكم يبسط لكم ويوسع عليكم ربكم مالك امركم من رحمته في الدارين ويهيئ لكم يسهل لكم من امركم الذى انتم بصدده من الفرار بالدين مرفقا ما ترتفقون وتنتفعون به وقرئ بفتح الميم وكسر الفا مصدر كالمرجع وتقديم لكم في الموضعين فيما مر مرارا من الايذان من اول الامر بكون المؤخر من منافعهم والتشويق الى وروده وترى الشمس بيان لحالهم بعد ما اووا الى الكهف ولم يصرح به ايذانا بعدم الحاجة اليه لظهور جريانهم على موجب الامر به لكونه صادرا عن راى صايب وتعويلا على ما سلف من قوله سبحانه وتعالى اذ اوى الفتية الى الكهف وما لحق من اضافة الكهف اليهم وكونهم في فجوة منه والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح للخطاب له وليس المراد به الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكون الكهف يكون بحيث لو رايته ترى الشمس اذا طلعت تزاور اى تتزاور وتتنحى بحذف احدى التائين وقرئ بادغام التاء في الزاى تزور كتحمر وتزوار كتحمار وتزوئ وكلها من الزور وهو الميل عن كهفهم الذى اووا اليه فالاضافة لادنى ملابسة ذات اليمين اى جهة ذات اليمين الكهف عند توجه الداخل الى قعره اى جانبه الذى يلى المغرب فلا يقع عليهم شعاعها فيؤذيهم واذا غربت تراها عند غروبها تقرضهم اى تقطعهم من القطيعة والصرم ولا تقربهم ذات الشمال اى جهة ذات شمال الكهف اى جانبه الذى يلى المشرق وكان ذلك بتصريف الله سبحانه وتعالى على منهاج خرق العادة كرامة لهم وقوله تعالى وهم في فجوة منه جملته حالية مبينة لكون ذلك امرا بديعا اى تراها تميل عنهم يمينا وشمالا ولا تحوم حولهم مع انهم في متسع من الكهف معرض لاصابتها لولا ان صرفها عنهم يد التقدير ذلك اى ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتى الغروب والطلوع مع كونهم في موقع شعاعها من ايات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقية التوحيد وكرامة اهله عنده سبحانه وتعالى وهذا قبل ان سد دقيانوس باب الكهف وقيل كان باب الكهف شماليا مستقبل بنات نعش واقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق راس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مدارة تطلع مايلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى الغرب وتغرب محاذيه لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جنبيه وتحلل عفونته وتعدل هواه ولا يقع عليهم فيؤذى اجسادهم وتبلى ثيابهم ولعل ميل الباب الى جانب الغرب كان اكثر ولذلك اوقع التزاور على كهفهم

ثم كلا ظا لمعان بلا نسبات الكلام النظم على سبك
ايكومه من غير تعرض قائدنكار دمساماه ه

والقرض على انفسهم فلذلك حينئذ اشارة الى ايوائهم الى الكهف هذا شانه وما جعله اشارة الى حفظ الله
سبحانه وتعالى اياهم في ذلك الكهف تلك المدة الطويلة او الى اطلاعه سبحانه وتعالى الرسول صلى الله عليه
وسلم على اخبارهم فلا يساعده ايراده في تضاعيف القصة من يهد الله الى الحق بالتوفيق فهو المهتدي الذي
اصاب الفلاح والمراد ما اثنا عليهم والشهادة لهم بالتثبت على ان امثال هذه الاية كثيرة وكون
المنتفع بها من وفقه الله تعالى للاستبصار بها ومن يضلل اي يخلق فيه الضلال لصرف اختياره عليه
فلن تجد له ابدا وان بالغت في التتبع والاستقصا وليا ناصرا مرشدا يهديه الى ما ذكر من الفلاح
لاستحالة وجوده في نفسه لا انك لا تجده مع وجوده او امكانه وتحسبهم بفتح السين وقرئ به
بكسرها ايضا والخطاب فيه كما سبق ايقاظا جمع يقظ بكسر القاف وفتحها وهو اليقظان ومدار
الحسبان انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقيل كثرة تقلبهم ولا يلايمه قوله تعالى ونقلبهم وهم رقود
اي نيام وهو تقرير لما لم يذكر فيما سلف اعتمادا على ذكره السابق من الضرب على اذانهم ونقلبهم في
رقدتهم ذات اليمين نصب على الظرفية اي جهة يلي ايمانهم وذات الشمال اي جهة يلي شمايلهم كيلا
تاكل الارض ما يليها من ابدانهم قال ابن عباس رضي الله عنهما لو لم يقلبوا لاكلتهم الارض قيل لهم
تقلبتان في السنة وقيل تقلبة واحدة يوم عاشورا وقيل في كل تسع سنين وقرئ يقلبهم وكلبهم
قيل هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع فانطقه الله تعالى فقال لا تخشوا جانبي
فاني احب احبا الله فناموا حتى احرسكم وقيل هو كلب راع تبعهم على دينهم ويؤيده قراة كالبهم
اذ الظاهر لحوقه بهم وقيل هو كلب صيد احدهم او غنمه واختلف في لونه فقيل كان انمر وقيل
كان اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك وقيل كان اسمه قطمير وقيل باذن وقيل تتود وقيل قطمورت
وقيل تود قال خالد بن معدان ليس له في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم وقيل لم يكن
ذلك من جنس الكلاب بل كان اسدا باسط ذراعيه حكاية حال ماضية ولذلك اعمل اسم الفاعل
وعند الكسائي وهشام وابي جعفر من البصريين يجوز اعماله مطلقا والذراع من المرفق الى راس
الاصابع الوسطى بالوصيد اي بموضع الباب من الكهف لو اطلعت عليهم اي لو عاينتهم وشاهدتهم
واصل الاطلاع الاشراف على الشيء بالمعاينة والمشاهدة وقرئ بضم الواو لوليت منهم فرارا هربا
مما لو عاينتهم وشاهدت منهم وهو اما نصب على المصدرية من معنى ما قبله اذ التولية والفرار من واد
واحد واما على الحالية بجعل المصدر بمعنى الفاعل اي فارا او بجعل الفاعل مصدرا مبالغة كما في قوله
فانما هي اقبال وادبار واما على انه مفعول له ولمليت منهم رعبا وقرئ بضم العين اي خوفا يملا
الصدر ويرعبه وهو اما مفعول ثان او تمييز وذلك لما البسهم الله عز وجل من الهيبة والهيئة
كانت اعينهم مفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان يتكلم وقيل لطول اظفارهم وشعورهم ولا يساعده
قولهم لبثنا يوما او بعض يوم وقوله ولا يشعرن بكم احدا فان الظاهر من ذلك عدم اختلاف احوالهم
في انفسهم وقيل لعظم اجرامهم ولعل تاخير هذا من ذكر التولية للايذان باستقلال كل منهما
في الترتيب على الاطلاع اذ لو روعي ترتيب الوجود لتبادر الى الفهم ترتب المجموع من حيث هو عليه
وللاشعار بعدم زوال الرعب بالفرار كما هو المعتاد عن معوية لما غزا الروم فمر بالكهف قال
لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنهما ليس ذلك لك قد منع الله
تعالى من هو خير منك حيث قال لو اطلعت عليهم الاية قال معوية لا انتهي حتى اعلم علمهم فبعث
ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فاحرقتهم وقرئ بالتشديد
اللام على التكثير وبابدال الهمزة يا مع التخفيف والتشديد وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم وحفظنا
اجسامهم من البلى والتحلل اية دالة على كمال قدرتنا بعثناهم من النوم ليتسالوا بينهم اي ليسال
بعضهم بعضا فيترتب عليه ما فصل من الحكم البالغة وجعله غاية للبعث المعلل فيما سبق بالاختبار
من حيث انه من احكامه المترتبة عليه والاقتصار على ذكره لاستتباعه لساير اثاره قال
استيناف لبيان تسالهم قائل منهم هو رئيسهم واسمه مكسلمينا كم لبثتم في منامكم لعله قاله لما راى
من مخالفة حالهم لما هو المعتاد في الجملة قالوا اي بعضهم لبثنا يوما او بعض يوم قيل انما قالوه لما
انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم اخر النهار فقالوا لبثنا يوما او بعض يوم وقيل انما
قالوه لما انهم دخلوا الكهف غدوة فلما راوا ان الشمس لم تغرب بعد قالوا او بعض يوم وكان
ذلك بنا على الظن الغالب فلم يعزوا الى الكذب قالوا اي بعض اخر منهم لما سنح لهم من الادلة
او بالهام من الله سبحانه وتعالى ربكم اعلم بما لبثتم اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله
سبحانه وتعالى ربكم اعلم بما لبثتم اي انتم لا تعلمون مدة لبثكم وانما يعلمها الله سبحانه وتعالى وهذا

رد منهم على الاولين باجمل ما يكون من مراعات حسن الادب وبه يتحقق التحزب الى الحزبين المعهودين
فيما سبق وقد قيل القايلون جميعهم ولكن في حالتين ولا يساعده النظم الكريم فان الاستيناف
في الحكاية والخطاب والمحكي تقتضي بان الكلام جار على منهاج المحاورة والا لقيل ثم قالوا ربنا اعلم بما
لبثنا فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة قالوه اعراضا عن التعمق في البحث واقبالا على ما يهمهم
بحسب الحال كما ينبي عنه الفاء والورق الفضة مضروبة او غير مضروبة ووصفها باسم الاشارة
يشعر بان القايل ناولها بعض اصحابه ليشتري قوت يومهم ذلك وقرئ بسكون الراء وبادغام القاف
في الكاف وبكسر الواو وبسكون الراء مع الادغام وحملهم لها دليل على ان التزود لا ينافي التوكل على الله
تعالى فلينظر ايها اي اهلها ازكى اجل واطيب او اكثر وارخص طعاما فلياتكم برزق منه اي من
ذلك الازكى طعاما وليتلطف وليتكلف اللطف في المعاملة كيلا يغبن او في الاستخفا لئلا يعرف
ولا يشعرن بكم احدا من اهل المدينة فانه يستدعي شيوع اخباركم اي لا يفعلن ما يؤدي الى ذلك فالنهي
على الاول تاسيس وعلى الثاني تاكيد للامر بالتلطف انهم تعليل لما سبق من الامر والنهي اي ليبالغ
في التلطف وعدم الاشعار لانهم ان يظهروا عليكم اي يطلعوا عليكم او يظفروا بكم والضمير للاهل
المقدر في ايها يرجموكم اي ان ثبتم على ما انتم عليه او يعيدوكم في ملتهم اي يصيروكم اليها ويدخلوكم فيها
كرها من العود بمعنى الصيرورة لقوله تعالى او لتعودن في ملتنا وقيل كانوا اولا على دينهم وايثار
كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار الذي هو اشد شي عندهم كراهة وتقديم احتمال الرجم على
احتمال الاعادة لان الظاهر من حالهم هو الثبات على الدين او المودي اليه وضمير الخطاب في المواضع
الاربعة للمبالغة في حمل المبعوث على الاستخفا وحث الباقين على الاهتمام بالتوصيه فان امحاض النصح
ادخل في القبول واهتمام الانسان بشان نفسه اكثر وارفق ولن تفلحوا اذا ابدا اي ان دخلتم فيها ولو
بالكره والا لجا لن تفوزوا بخير ابدا لا في الدنيا ولا في الاخرة وفيه من التشديد في التحريم ما لا يخفى
وكذلك اي وكما انمناهم وبعثناهم لما مر من ازديادهم في مراتب اليقين اعثرنا اي اطلعنا الناس عليهم
ليعلموا اي الذين اعثرناهم عليهم بما عاينوا من احوالهم العجيبة ان وعد الله اي وعده بالبعث او موعوده
الذي هو البعث اذ ان كل وعده او كل موعوده ويدخل فيه وعده بالبعث والبعث الموعود دخولا
اوليا حق صادق لا خلف فيه او ثابت لا مرد له لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث وان
الساعة اي القيامة التي هي عبارة عن وقت بعث الخلايق جميعا للحساب والجزا لا ريب فيها لا شك في
قيامها قال من شاهد انه جل وعلا توفى نفوسهم وامسكها ثلثماية وكثر حافظا ابدانها من التحلل
والتفتت ثم ارسلها اليها لا يبقى له سابقة شك في ان وعده تعالى حق وانه يبعث من في القبور فيرد
اليهم ارواحهم فيحاسبهم ويجازيهم بحسب اعمالهم اذ يتنازعون ظرف لقوله اعثرنا عليه قدم عليه الغاية
اظهارا لكمال العناية بذكرها لا لقوله ليعلموا كما قيل لدلالته على ان التنازع يحدث بعد الاعثار
وليس كذلك اي اعثرنا عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ليرتفع الخلاف ويتبين الحق قيل المتنازع
فيه امر دينهم حيث كانوا مختلفين في البعث فمن مقربه وجاحد له وقايل يقول تبعث الارواح
دون الاجساد واخر يقول يبعثهما معا قيل كان ملك المدينة يومئذ رجلا صالحا مؤمنا وقد اختلف
اهل مملكته في البعث حسبما فصل فدخل الملك بيته واغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسال
ربه ان يظهر الحق فالقى الله عز وجل في نفس رجل من رعيانهم فهدم ما سد به دقيانوس باب الكهف
ليتخذه حظيرة لغنمه فعند ذلك بعثهم الله تعالى فجرى بينهم من التقاول ما جرى روي ان المبعوث
لما دخل المدينة اخرج الدرهم ليشتري به الطعام وكان على ضرب دقيانوس فاتهموه انه وجد كنزا
فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فقال بعضهم ان اباءنا اخبرونا ان فتية فروا بدينهم من
دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك واهل المدينة من مسلم وكافر وابصروهم وكلموهم ثم قالت
الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الانس والجن ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا
فالقى الملك عليهم ثيابه وجعل لكل واحد منهم تابوتا من ذهب فراهم في المنام كارهين للذهب فجعلها من
الساج وبنى على باب الكهف مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى ادخل اولا لئلا
يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثمة مسجدا وقيل المتنازع فيه امر الفتية قيل بعضهم
اي اعثرنا عليهم حين يتذاكرون بينهم امرهم وما جرى بينهم وبين دقيانوس من الاحوال ويتلقون ذلك
من الاساطير وافواه الرجال وعلى التقديرين فالفاء في قوله عز وجل فقالوا فصيحة اي اعثرناهم
عليهم فرادوا وماتوا فقالوا اي قال بعضهم ابنوا عليهم اي على باب كهفهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم
الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها وقوله تعالى ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم لما راوا

عدم اهتدائهم الى حقيقة حالهم من حيث العدد ومن حيث اللبث فى الكهف قالوا ذلك تفويضا للامر
الى علام الغيوب او من كلام الله سبحانه وتعالى ردا لقول الخائضين فى حديثهم من اوليك المتنازعين
وقيل هو امرهم وتدبيرهم عند وفاتهم او شانهم فى الموت والنوم حيث اختلفوا فى انهم ماتوا او
ناموا كما فى اول مرة فاذ حينئذ متعلق بقوله تعالى قال الذين غلبوا على امرهم وهم الملك والمسلمون
لنتخذن عليهم مسجدا وقوله تعالى فقالوا معطوف على يتنازعون وايثار صيغة الماضى للدلالة على
ان هذا القول مما يستمر ويتجدد كالتنازع وقيل متعلق باذكر مضمرا واو اما متعلقة باعثرنا فيأباه
ان اعثارهم ليس فى زمان تنازعهم فيما ذكر بل قبله وحيث وقت التنازع ممتدا يقع فى بعضه
الاعثار وفى بعضه التنازع تعسف لا يخفى مع انه لا صافة له الى التنازع وهو موجز فى الوقوع
سيقولون الضمير فى الافعال الثلاثة للخائضين فى قصتهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من
من اهل الكتاب والمسلمين لكن لا على وجه اسناد كل منها الى كلهم بل الى بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم
اى هم ثلاثة رابعهم كلبهم اى هم ثلاثة اشخاص رابعهم اى جاعلهم اربعة بانضمامه اليهم كلبهم قيل
قالت اليهود وقيل قاله السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا وقرئ ثلاثه بادغام التاء
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم قيل قالته النصارى او العاقب منهم وكان نسطوريا رجما
بالغيب رميا بالخبر الخفى الذى لا مطلع عليه او ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانتصابه
على الحالية من الضمير فى الفعلين جميعا اى راجمين او على المصدرية منهما فان الرجم والقول واحد
او من محذوف مستأنف او واقع موقع الحال من ضميرى الفعلين معا اى يرجمون رجما وعدم ايراد
السين للاكتفاء بعطفه على ما فيه ذلك ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم هو ما تقوله المسلمون
بطريق التلقى من هذا الوحى وما فيه مما يرشدهم الى ذلك من عدم نظمه فى سلك الرجم بالغيب
وتغيير سبكه بزيادة الواو المفيدة لزيادة وكادة النسبة فيما بين طرفيها لا يوحى امر كما قيل
قل تحقيقا للحق وردا على الاولين ربى اعلم اى اقوى علما بعدتهم بعد دهم ما يعلمهم اى ما يعلمهم
عدتهم او ما يعلمهم فضلا عن العلم بعددهم الا قليل من الناس قد وفقهم الله تعالى للاستشهاد
بتلك الشواهد قال ابن عباس رضى الله عنهما حيث وقعت الواو انقطعت العدة وعليه مدار
قوله رضى الله عنه انا من ذلك القليل ولو كان فى ذلك وفى اخر ما خفى عليه ولما احتاج الى
الاستشهاد بالواو ولكان المسلمون اسوة له فى العلم بذلك وعن على كرم الله وجهه انه سبعة
نفر اسماوهم يمليخا ومكشلينا ومشلينيا هولاء اصحاب يمين الملك وكان يساره مرنوش ودبرنوش
وشاذنوش وكان يستشير هولاء الستة فى امره والسابع الراعى الذى وافقهم حين هربوا من ملكهم
دقيانوس واسمه كفشيططيوس فلا تمار الفاء لتفريع النهى على ما قبله اى اذا عرفت جهل اصحاب
القولين الاولين فلا تجادلهم فيهم فى شان الفتية الا مراء ظاهرا قدر ما تعرض له الوحى من
وصفهم بالرجم بالغيب وعدم العلم على الوجه الاجمالى وتفويض العلم الى الله من غير تصريح ...
وتقطيع لهم فانه مما يخل بمكارم الاخلاق ولا تستفت فيهم فى شانهم منهم من الخائضين احدا
فان فيما قص عليك لمندوحة عن ذلك مع انه لا علم لهم بذلك وقال العطا الا قليل من اهل الكتاب
فالضماير الثلاثة فى الافعال الثلاثة لهم وما ذكر من الشواهد لارشاد المؤمنين الى صحة القول
الثالث وفيه محيص عما فى الاول ائك من التكليف فى جعل احد الا قوال المحكية المنظومة فى سمط
واحد ناشيئا من الحكاية مع كون الاخرين بخلافه ووضوح فى سبب حذف المفعول فى لا تمار هم
والمعنى حينئذ واذ قد وقفت على انهم كلهم ليسوا على خطا فى ذلك فلا تجادلهم الا جدالا ظاهرا
نطق به الوحى المبين من غير تجهيل بجميعهم فان فيهم مصيبا وان قل والنهى عن الاستفتاء لدفع
ما عسى يتوهم من احتمال الجواز او احتمال الوقوع بناء على اصابة بعضهم فالمعنى لا ترجع اليهم فى
شان الفتية ولا تصدق القول الثالث من صدوره عنهم بل من حيث التلقى من الوحى ولا تقولن
لشئ اى لاجل شئ تعزم عليه انى فاعل ذلك الشئ غدا اى فيما يستقبل من الزمان مطلقا فيدخل
فيه الغد دخولا اوليا فانه نزل حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف
وذى القرنين فسالوه صلى الله عليه وسلم فقال ائتونى غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحى
حتى شق عليه وكذبته قريش وما قيل من ان المدلول من العبارة هو الغد وما بعد ذلك
مفهوم بدلالة النص يرده ان ما بعده ليس بمعناه فى مناط النهى فان وسعة المجال دليل القدرة
فليتأمل الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من النهى اى لا تقولن ذلك فى حال من الاحوال الا حال
ملابسة بمشيته تعالى على الوجه المعتاد وهو ان يقال ان شاء الله او فى وقت من الاوقات الا ان يشاء

الله او فى وقت من الاوقات ان يشاء الله ان تقوله مطلقا لا مشيته اذا فان النسيان ايضا بمشيته
تعالى ولا مساغ لتعليقه بفاعل لعدم سداد استثناء اقتران المشية بالفعل ومنافاة استثناء
اعتراضا النهى وقيل الاستثناء جار مجرى التابيد كانه قيل لا تقولنه ابدا كقوله تعالى وما كان لنا ان
نعود فيها الا ان يشاء الله واذكر ربك بقولك ان شاء الله متداركا له اذا نسيت اذ فرط منك
نسيان ثم ذكرته عن ابن عباس رضى الله عنهما ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوزنا خير الاستثناء
وعامة الفقهاء على خلافه اذ لو صح ذلك لما تقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب
قال القرطبى هذا فى تداركه للتبرك والتخلص عن الاثم واما الاستثناء المغير للاسم فلا يكون الا متصلا
ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه
اى واذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما امرك به ليبعثك ذلك على التدارك واذكر اذا اعتراك
النسيان ليذكرك المنسى وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها وقل عسى ان يهدين ربى لان يوفقنى
لاقرب من هذا اى لشئ اقرب واظهر من نبأ اصحاب الكهف من الايات والدلائل الدالة على نبوتى
رشدا ارشادا للناس ودلالة على ذلك وقد فعل عز وجل ذلك حتى اتاه من البينات ما هو اعظم من
ذلك وابين كقصص الانبياء المتباعد ايامهم والحوادث النازلة فى الاعصار المستقبلة الى قيام
الساعة ولاقرب رشدا وادنى خيرا من المنسى ولبثوا فى كهفهم احياء مضروبا على اذانهم ثلاث مائة
سنين وازدادوا تسعا وهى جملة مبينة مستأنفة لما اجمل فيما سلف واشير الى عزة مناله وقيل انه
حكاية كلام اهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم وقال بعضهم هكذا وبعضهم
ثلاثمائة وروى عن على رضى الله عنه انه قال عند اهل الكتاب انهم لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية
والله تعالى ذكر السنة القمرية والتفاوت بينهما فى كل مائة سنة ثلاث سنين فيكون ثلاثمائة وثلاث
سنين عطف بيان لثلاثمائة وقيل بدل وقرئ بالاضافة ووضعا للجمع موضع المفرد ومما يحسنه
هاهنا ان علامة الجمع فيه جبر لما حذف فى الواحد وان الاصل فى العدد اضافة الى الجمع قل الله اعلم
بما لبثوا له غيب السموات والارض اى ما غاب فيهما وخفى من احوال اهلهما واللام للاختصاص العلمى دون
بالغيب ابصر به واسمع دل بصيغة التعجب على ان شان علمه سبحانه بالمبصرات والمسموعات خارج عما
عليه ادراك المدركين لا يحجبه شئ ولا يحول حوله حائل ولا يتفاوت بالنسبة اليه اللطيف والكثيف
والصغير والكبير والخفى والجلى والهاء ضمير الجلالة ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة وكان اصله ابصر
اى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر للانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له او لزيادة الباء كما
فى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل احد والباء مزيدة وان كانت
الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ولعل تقديم امر ابصاره تعالى لما ان الذى نحن بصدده
من قبيل المبصرات ما لهم لاهل السموات والارض من دونه تعالى من ولى يتولى امورهم وينصرهم
استقلالا ولا يشرك فى حكمه فى قضائه او فى علم الغيب احدا منهم ولا يجعل فيه مدخلا وهو كما
ترى ابلغ فى نفى الشريك من ان يقال من ولى ولا شريك وقرئ على صيغة نهى الحاضر على نفى الخطاب
لكل احد لما دل عليه انتظام القران الكريم القصة اصحاب الكهف من حيث انها بالنسبة الى النبى
صلى الله عليه وسلم من الغيبيات على انه وحى معجز امره صلى الله عليه وسلم بالمداومة على دراسته
فقال واتل ما اوحى اليك من كتاب ربك ولا تسمع لقولهم ائت بقران غير هذا او بدله لا مبدل
لكلماته لا قادر على تبديله وتغييره غيره ولن تجد ابدا الدهر وان بالغت فى الطلب من دونه ملتحدا
ملجا يعول عليه عند الملمات ملمة واصبر نفسك احبسها وثبتها مصاحبة مع الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشى اى دايبين على الدعاء فى جميع الاوقات وقيل فى طرفى النهار وقرئ بالغدوة
على ان ادخال اللام عليها وهى علم فى الاغلب على تاويل التنكير والمراد بهم فقراء المؤمنين مثل صهيب
وعمار وخبيب وعمو هم وقيل اصحاب الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء
الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هذه الموالى الذين كان ريحهم ريح الضان حتى نجالسك
كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل الامر
بما فى حيز الصلة من الخصلة الداعية الى ادامة الصحبة يريدون بدعائهم ذلك وجهه حال من
المستكن فى يدعون اى مريدين لرضاه تعالى وطاعته ولا تعد عيناك عنهم اى لا يجاوزهم نظرك
الى غيرهم من عداه اى جاوزه واستعماله بعن لتضمينه معنى النبوة ولا تصرف عيناك النظر عنهم
من عدوته عن الامر اى صرفته عنه على ان المفعول محذوف لظهوره وقرئ ولا تعد عينيك ولا
من الاعداء والتعدية والمراد نهيه صلى الله عليه وسلم عن الازدراء بهم لرثاثة زيهم طموحا الى

ذي الاغنيا تريد زينة الحياة الدنيا اي تطلب مجالسة الاشراف والاغنيا واصحاب الدنيا وهي
حال من الكاف على الوجه الاول من القراة المشهورة ومن الفاعل على الوجه الثاني منها وضمير
تريد للعينين والاسناد الاول الارادة اليه مجاز وتوحيده للتلازم كما في قوله * لمن رحلوقة زل
بها العينان تنهل * ومن المستكن في الفعل على القراتين الاخريين ولا تطع في تنحية الفقرا عن
مجلسك من اغفلنا قلبه اي جعلناه غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة ووجدناه غافلا كقولك
اجبنته وابخلته اذا وجدته كذلك او هو من اغفل ابله اي لم نسمه بالذكر عن ذكرنا كاوليك
الذين يدعونك الى طرد الفقرا عن مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المومنون
من الدعاء في مجامع الاوقات وفيه تنبيه على ان الباعث له الى ذلك الدعا غفلة قلبه عن جناب
الله سبحانه وتعالى وجهته وانهماكه في الحساب حتى خفي عليه ان الشرف بتحلية النفس لا بزينة الجسد
وقرئ اغفلنا قلبه على اسناد الفعل الى القلب اي حسبنا غافلين عن ذكرنا اياه بالمواخذة من
اغفلته اذا وجدته غافلا واتبع هواه وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا او متقدما للحق والصواب
نابذا له وراء ظهره من قولهم فرس فرط اي متقدم للخيل او هو بمعنى الافراط والتفريط فان
الغفلة عن ذكره تعالى تودي الى اتباع الهوا المودي الى التجاوز والتباعد عن الحق والصواب والتعبير
عنهم بالموصول للايذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الاطاعة وقل لاوليك الغافلين المتبعين
هواهم الحق من ربكم اي ما اوحي الي الحق لا غير كاينا من ربكم او الحق المعهود من جهة ربكم لا من جهة
يتصور فيه التبديل او يمكن التردد في اتباعه وقوله تعالى فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر اما
من تمام القول المامور به والفا لترتيب ما بعدها على ما قبلها بطريق التهديد لا لتربيته عليه
كما في قوله تعالى هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب وقوله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
اي عقيب تحقق انما اوحي الي حق لا ريب فيه او ان ذلك الحق من جهة ربكم من شاء ان يومن به
فليومن كساير المومنين ولا يتعلل بما لا يكاد يصلح للتعليل ومن شاء ان يكفر به فليفعل وفيه من
التهديد على الامر لا على مضمون المامور به والمعنى قل لهم ذلك وبعد ذلك من شاء ان يومن به او
ان يصدقك فيه فليومن ومن شاء ان يكفر به وان يكذبك فيه فليفعل فقوله تعالى انا اعتدنا
وعيد شديد وتاكيد للتهديد والتعليل لما يفهم من الزجر عن الكفر ولما يفهم من ظاهر التخيير
من عدم المبالاة بكفرهم وقلة الاهتمام بزجرهم عنه فان اعداد جزائه من دواعي الاملاء والامهال
على الوجه الاول هو تعليل للامر بما ذكر من التخيير التهديدي اي قل لهم ذلك انا اعتدنا للظالمين
اي هيانا للكافرين بالحق بعد ما جاء من الله سبحانه وتعالى والتعبير عنهم بالظالمين للتنبيه على ان
مشية الكفر واختياره تجوز عن الحد ووضع الشي في غير موضعه نارا عظيمة عجيبة احاط بهم اي يحيط
بهم وايثار صيغة الماضي للدلالة على التحقق سرادقها اي فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار
وقيل السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار وان
يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل كالحديد المذاب وقيل كدردي الزيت وهو على طريقة
قوله فاعتبوا بالصيلم يشوي الوجوه اذا قدم ليشرب انشوى الوجه لحرارته عن النبي صلى الله عليه
وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه بيس الشراب ذلك وساءت النار
مرتفقا متكا واصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وانى ذلك في النار وانما هو بمقابلة قوله
تعالى وحسنت مرتفقا ان الذين امنوا في محل التعليل للحث على الايمان المنفهم من التخيير كانه قيل
وللذين امنوا بالحق الذي اوحي اليك وعملوا الصالحات حسبما بين في تضاعيفه انا لا نضيع اجر
من احسن عملا خبر ان الاولى هي الثانية مع ما في حيزها والراجع محذوف اي من احسن منهم
عملا او مستغنى عنه كما في قولك نعم الرجل زيد او واقع موقعه الظاهر فانه من احسن عملا في الحقيقة
هو الذي امن وعمل الصالحات اوليك المنعوتون بالنعوت الجليلة لهم جنات عدن تجري من تحتها
الانهار استيناف لبيان الاجر او هو الخبر وما بينهما اعتراض وهو خبر بعد خبر يحلون فيها من اساور
من ذهب من الاولى ابتدائية والثانية بيانية صفة لاساور والتنكير للتفخيم وهو جمع اسورة
او اسوار جمع سوار ويلبسون ثيابا خضرا خصت الخضرة بثيابهم لانها احسن الالوان واكثرها
طراوة من سندس واستبرق اي مما رق من الديباج وما غلظ بين النوعين للدلالة على ان فيها ما
تشتهي الانفس وتلذ الاعين متكين فيها على الارايك على السرر على ما هو شان المتنعمين نعم الثواب
ذلك وحسنت اي الارايك مرتفقا اي متكا واضرب لهم اي للفريقين الكافر والمومن مثلا رجلين
مفعول لان لاضرب اولهما ثانيهما لانه المحتاج الى التفصيل والبيان اي اضرب للكافرين والمومنين

لامن

لا من حيث احوالهما المستفادة مما ذكر انفا من ان للاولين في الاخرة كذا وللاخرين كذا بل من حيث
عصيان الاولين مع تقلبهم في نعم الله وطاعة الاخرين مع مكابدتهم مشاق الفقر حال رجلين
مقدرين او محققين هما اخوان من بني اسرائيل شريكان كافر اسمه قطروس ومومن اسمه يهوذا
اقتسما ثمانية الاف فاشترى الكافر بنصيبه ضياعا وعقارا وصرف المومن نصيبه الى وجوه المبار
فال امرهما الى ما حكاه الله تعالى وقيل هما اخوان من بني مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومسلم
وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد ومسلم وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد زوج ام
سلمة رضي الله عنهما اولا جعلنا لاحدهما وهو الكافر جنتين بساتين من اعناب من كروم متنوعة
والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة لرجلين وحففناهما بنخل اي جعلنا النخل محيطة بهما مونقا بهما
كرومهما يقال حفه القوم اذا طافوا وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فيزيده الباء مفعولا
اخر كقولك غشيته به وجعلنا بينهما وسطهما زرعا ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه
متواصل العمارة على الهيئة الرايقة والوضع الانيق كلتا الجنتين اتت اكلها ثمرها وبلغ مبلغا
صالحا للاكل وقرئ بسكون الكاف وقرئ كل الجنتين اي ثمره ولم تظلم منه لم تنقص منه اكلها شيئا
يعهد ذلك في ساير البساتين فان الثمار غالبا تكثر في عام وتقل في اخر وكذا بعض الاشجار تاتي بالثمر
في بعض الاعوام دون بعض وفجرنا خلالهما فيما بين كل من الجنتين نهرا على حدة ليدوم شربهما ويزيد
بهاؤهما وقرئ بالتخفيف ولعل تاخير ذكر تفجير النهر عن ذكر ايتا الاكل لا يتوقف على السقي لقوله
تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وكان له لصاحب الجنتين ثمر انواع من المال غير الجنتين من ثمر
ماله اذا كثره قال ابن عباس رضي الله عنهما هو جميع المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك
وقال مجاهد هو الذهب والفضة خاصة فقال لصاحبه المومن وهو اي القايل يحاوره اي صاحبه
المومن او ان عاد العكس اي يراجعه في الكلام من حال اذا رجع انا اكثر منك مالا واعز نفرا حشما واعوانا
او اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه ودخل جنته التي شرحت احوالها وعددها وصفاتها
وحياتها وتوحيدها اما لعدم تعلق الغرض بتعددها واما لاتصال احدهما بالاخرى اما لان الدخول
يكون في واحدة فهو ظالم لنفسه صار بها بالعجب والكفر قال استيناف مبني على سؤال نشا من ذكر
دخول جنته حال ظلمه لنفسه كانه قيل فماذا قال اذ ذاك فقيل قال ما اظن ان تبيد هذه الجنة
اي تفنى ابدا لطول امله وتمادي غفلته واغتراره بمهلته ولعله انما قاله بمقابلة موعظة صاحبه
وتذكيره بفنا جنته ونهيه عن الاغترار بها وامره بتحصيل الباقيات الصالحات وما اظن الساعة
قايمة كاينة فيما سياتي ولين رددت بالبعث عند قيامها كما تقوله الى ربي لاجدن يومئذ خيرا منها
اي من هذه الجنة وقرئ منهما اي من الجنتين منقلبا مرجعا وعاقبة ومدار هذا الطمع واليمين الفاجرة
اعتقاده انه تعالى انما اولاه ما اولاه في الدنيا لاستحقاقه الذاتي وكرامته عليه سبحانه ولم يدر ان
ذلك استدراج قال له صاحبه استيناف كما سبق وهو يحاوره جملة حالية كما مر فايدتها التنبيه
من اول الامر على ان ما يتلوه كلام معتنى بشانه مسوق للمحاورة اكفرت حيث قلت ما اظن الساعة
قايمة بالذي خلقك اي في ضمن خلق اصله من تراب فان خلق ادم عليه السلام منه متضمن لخلقه
منه لما ان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم يكن فطرته الشريفة مقصورة
على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة ساير افراد البشر انطواء اجماليا مستتبعا لجريان
اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه لانه اصل مادته اذ به
يحصل الغذاء الذي يحصل النطفة فتدبر ثم من نطفة هي مادتك القريبة فالمخلوق واحد
والمبدا متعدد ثم سواك رجلا اي عدلك وكملك انسانا ذكرا او صيرك رجلا والتعبير عنه
تعالى بالموصول للاشعار بعلية ما في حيز الصلة لانكار الكفر والتلويح بدليل البعث الذي
نطق به قوله عز من قائل يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب
الى اخره لكنا هو الله ربي اصله لكن انا وقد قرئ كذلك فحذفت الهمزة فتلاقت النونات
فكان الادغام وهو ضمير الشان وهو مبتدا خبره الله ربي وتلك الجملة خبر انا والعايد منها اليه
الضمير وقرئ باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وفي الوقف خاصة وقرئ لكنه بالها
ولكن بطرح انا ولكن انا لا اله الا هو ربي ومدار الاستدراك قوله تعالى اكفرت كانه قال
انت كافر لكنني مومن موحد ولا اشرك بربي احدا فيه ايذان بان كفره كان بطريق الاشراك
ولولا اذ دخلت جنتك قلت اي هلا قلت عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه
للايذان بتحتم القول في ان الدخول من غير ريب لا لقصر ما دخلتها ما شاء الله اي الامر

ماشاء الله او ما شاء الله كاين على ان ما موصولة مرفوعة المحل واى شىء شاء الله كان على انها شرطية
منصوبة والجواب محذوف والمراد تخصيصه على الاعتراف بانها وما فيها بمشية الله تعالى ان شاء
ابقاها وان شاء افناها لا قوة الا بالله اى هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبان ما تيسر لك من عمارتها
وتدبيرها انما هو بمعونته تعالى واقداره عن النبى صلى الله عليه وسلم من راى شيئا فاعجبه فقال
ماشاء الله لا قوة الا بالله لم يضره ان ترن انا اقل منك مالا وولدا انا اما مؤكد لياء المتكلم او ضمير
فصل بين مفعولى الرؤية ان جعلت علمية واقل ثانيهما وحال ان جعلت بصرية فيكون انا حينئذ
تاكيدا لا غير لان شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدا والخبر اما اصلا المبتدا والخبر و
وقرئ اقل بالرفع خبرا لانا والجملة مفعول ثان للرؤية او حال وفى قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر
النفر بالولد فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى ان ترن افقر منك
فانا اتوقع من صنع الله سبحانه وتعالى ان يقلب ما بى وبك من الفقر والغنى فيرزقنى لايمانى
جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر
بمعنى الحساب وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامى جمع حسبانة وهو الصواعق ومساعدة النظم
الكريم فما سياق الاولين اكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا مصدرا اريد به المفعول مبالغة
اى ارضا ملساء يزلق عليها لاستيصال ما عليها من ابناء والشجر والنبات ويصبح عطف على قوله تعالى
فتصبح على الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا اى غائرا فى الارض اطلق عليه المصدر مبالغة
فلن تستطيع له طلبا اى للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده واحيط بثمره اهلك امواله
المعهودة من جنتيه وما فيهما واصله من احاطة العدو وهو عطف على مقدر كانه قيل فوقع ما توقع
من المحذور واهلك امواله وانما حذف لدلالة السباق والسياق عليه كما فى المعطوف عليه بالفاء
الفصيحة فاصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كانه قيل فاصبح يندم على ما انفق
فيها اى فى عمارتها من المال ولعل تخصيص الندم به دون ما هلك الان من الجنة لما انه دون ما
يكون على الافعال الاختيارية ولان ما انفق فى عمارتها كان مما يمكن صيانته عن طوارق الحدثان
وقد صرفه عن مصالحها رجاء ان يتمتع بها اكثر مما يتمتع به وكان يرى انه لا تنالها ايدى الردى
ولذلك قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا فلما ظهر له انها مما يعتريه الهلاك ندم على ما صنع بناء
على الزعم الفاسد من انفاق ما يمكن ادخاره فى مثل هذا الشىء السريع الزوال وهى اى الجنة من الاعناب
المحفوفة بنخل خاوية ساقطة على عروشها اى دعائمها المصنوعة للكروم لسقوطها قبل سقوطها
وتخصيص حالها بالذكر دون النخل والزرع اما لانها العمدة وهما من متمماتها واما لان ذكر هلاكها
مغن عن ذكر هلاك الباقى لانها حيث هلكت وهى مشيدة بعروشها فهلاك ما عداها بالطريق الاولى
واما لان الانفاق فى عمارتها اكثر وقيل ارسل الله تعالى عليها نارا فاحرقتها وغار ماؤها
ويقول عطف على يقلب او حال من ضميره اى وهو يقول يا ليتنى لم اشرك بربى احدا كانه تذكر موعظة
اخيه وعلم انه انما اتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا لم يصبه ما اصابه قيل ويحتمل ان يكون ذلك
توبة من الشرك وندما على ما فرط منه ولم تكن له وقرئ بالياء التحتانية فئة ينصرونه يقدرون
على نصره بدفع الاهلاك او على رد المهلك او على الاتيان بمثله وجمع الضمير باعتبار المعنى كما
فى قوله عز وعلا يرونهم مثليهم من دون الله فانه القادر على ذلك وحده وما كان فى نفسه
منتصرا ممتنعا بقوته عن انتقامه سبحانه وتعالى هنالك فى ذلك المقام وفى تلك الحال الولاية
لله الحق اى النصرة له وحده لا يقدر عليها احد فهو تقرير لما قبله او ينصر فيها اولياءه
المؤمنين على الكفرة كما نصر بما فعل بالكافر اخاه المؤمن ويعضده قوله تعالى هو خير ثوابا وخير عقبا
اى لاوليائه وقرئ الولاية بكسر الواو ومعناها الملك والسلطان اى هنالك السلطان له عز
وجل لا يغالب ولا يمتنع منه او لا يعبد كقوله تعالى اذا ركبوا فى الفلك دعوا الله مخلصين له
الدين ليكون تنبيها على ان قوله يا ليتنى لم اشرك الى اخره كان عن اضطرار وجزع عادها على اسلوب
قوله تعالى الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين وقيل هنالك اشارة الى الاخرة كقوله
تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقرئ بالرفع الحق على انه صفة للولاية ونصبه على
انه مصدر مؤكد وقرئ عقبا بضم القاف وعقبى كرجعى والكل بمعنى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا
اى واذكر لهم ما يشبهها فى زهرتها ونضارتها وسرعة زوالها لئلا يطمئنوا بها ولا يعكفوا عليها
ولا يضربوا عن الاخرة صفحا بالمرة او بين لهم صفتها العجيبة التى هى فى الغرابة كالمثل كماء
استيناف لبيان المثل اى هى كماء انزلناه من السماء ويجوز كونه مفعولا ثانيا لاضرب على انه

بمعنى

بمعنى صير فاختلط به اشتبك بسببه نبات الارض فالتف وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه
او نجع الماء فى النبات حتى روى ورف فمقتضى الظاهر حينئذ فاختلط بنبات الارض وايثار ما عليه
النظم الكريم عليه للمبالغة فى الكثرة فان كلا من المختلطين موصوف بصفة صاحبه فاصبح
ذلك النبات الملتف اثر بهجته ورفيفها هشيما مهشوما مكسورا تذروه الرياح تفرقه وقرئ
تذريه من اذراه وتذروه الريح وليس المشبه به نفس الماء بل هو الهيئة المنتزعة من الجملة وهى
حال النبات المنبت بالماء اخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح كان لم يغن بالامس وكان الله على
كل شىء من الاشياء التى من جملتها الانشاء والافناء مقتدرا قادرا على الكمال المال والبنون زينة
الحياة الدنيا بيان لشان ما كانوا يفتخرون به من محسنات الحياة الدنيا كما قال الاخ الكافر انا اكثر منك
مالا واعز نفرا اثر بيان شان نفسها بما مر من المثل وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه
كما فى الاية المحكية انفا وقوله تعالى وامددناكم باموال وبنين وغير ذلك من الايات الكريمة
لعراقته فيما نيط به من الزينة والامداد وغير ذلك وعمومه بالنسبة الى الافراد والاوقات
فانه زينة وممد لكل احد من الاباء والبنين فى كل وقت وحين واما البنون فزينتهم وامدادهم
انما يكون بالنسبة الى من بلغ مبلغ الابوة ولان المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولان
الحاجة اليه امس من الحاجة اليهم ولانه اقدم منهم فى الوجود ولانه زينة بدونهم من غير عكس فان
من له بنون بلا مال فهو فى ضيق حال ونكال وافراد الزينة مع انها مسندة الى الاثنين لما انها
مصدر فى الاصل اطلق على المفعول مبالغة كانهما نفس الزينة والمعنى ان ما تفتخرون به من المال
والبنين شىء يتزين به فى الحياة الدنيا وقد علم شانها فى سرعة الزوال وقرب الاضمحلال فكيف بما هو
من اوصافها التى شانها ان تزول قبل زوالها والباقيات الصالحات هى اعمال الخير وقيل هى الصلوات الخمس
وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقيل كل ما اريد به وجه الله تعالى وعلى كل تقدير
يدخل فيه اعمال فقراء المؤمنين الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه دخولا اوليا
اما صلاحها فظاهر واما بقاؤها فبقاء عوائدها عند فناء كل ما تطمح اليه النفس من حظوظ الدنيا
خير اى مما نعت شانه من المال والبنين واخراج بقاء تلك الاعمال وصلاحها مخرج المفروغ عنها مع ان
حقهما ان يكونا مقصودى الافادة لاسيما فى مقابلة اثبات الفناء لما يقابلها من المال والبنين على طريقة
قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق للايذان بان بقاءها امر محقق لا حاجة الى بيانه بل لفظ
الباقيات اسم لها لا وصف ولذلك لم يذكر الموصوف وانما الذى يحتاج الى التعرض له خيريتها عند ربك
اى فى الاخرة وهو بيان لما يظهر فيه اثار خيريتها بمنزلة اضافة الزينة الى الحياة الدنيا لا لافضليتها من
المال والبنين مع مشاركة الكل فى الاصل اذ لا مشاركة لهما فى الخيرية فى الاخرة ثوابا عائدة تعود الى
صاحبها وخير املا حيث ينال بها صاحبها فى الاخرة كل ما كان يؤمله فى الدنيا واما ما مر من المال والبنين
فليس لصاحبه امل ينال له وتكرير خير للاشعار باختلاف جهتى الخيرية والمبالغة فيها ويوم نسير
الجبال منصوب بمضمر اى اذكر حين نقلعها من اماكنها ونسيرها فى الجو على هيئاتها كما ينبئ عنه قوله عز وجل
وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب اى نسير اجزاءها بعد ان نجعلها هباء منبثا والمراد
بتذكيره تحذير المشركين مما فيه من الدواهى وقيل هو معطوف على ما قبله من قوله تعالى عند ربك
اى الباقيات الصالحات خير عند الله ويوم القيمة وقرئ يسير على صيغة البناء للمفعول من التفعيل
جريا على سنن الكبرياء وايذانا بالاستغناء عن الاسناد الى الفاعل لتعينه وقرئ تسير وترى الارض
اى جميع جوانبها والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يتاتى منه الرؤية وقرئ
ترى على صيغة البناء للمفعول بارزة اما بروز ما تحت الجبال بحول بينه وبين الناظر قبل ذلك
فالان اضحى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وحشرناهم جمعناهم الى الموقف من كل اوب
وايثار صيغة الماضى بعد نسير وترى للدلالة على تحقق الحشر المتفرع على البعث الذى يكون المنكرون
وعليه يدور امر الجزاء وكذا الكلام فيما عطف عليه منفيا وموجبا وقيل هو للدلالة على ان
حشرهم قبل التسيير والبروز ليعاينوا تلك الاهوال كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك فلم نغادر
لم نترك منهم احدا يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر الذى هو ترك الوفاء والغدير
الذى هو ما يتركه السيل فى الارض الغائرة وقرئ بالتاء الفوقانية على اسناد الفعل الى ضمير
الارض كما فى قوله تعالى والقت ما فيها وتخلت وعرضوا على ربك شبهت حالتهم هذه بحالة جند
عرضوا على السلطان ليامر فيهم بما يامر وفى الالتفات الى الغيبة وبناء الفعل للمفعول مع التعرض
لعنوان الربوبية والاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تربية المهابة والجرى على سنن الكبرياء

واظهارا للطف به صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى صفا اى غير متفرقين ولا مختلطين فلا تعرض فيه
لوحدة الصف وتعدده وقد ورد فى الحديث الصحيح يجمع الله الاولين والاخرين فى صعيد واحد
صفوفا ولقد جئتمونا على اضمار القول على وجه يكون حالا من ضمير عرضوا اى مقولا لهم او عاملا فى الظرف
عاملا فى الظرف مع انه خاص التعلق بما قبله من العرض والحشر وقد تسير الجبال وبرزنا الارض
كما خلقناكم نعت لمصدر مقدر اى مجيئا كائنا كمجيئكم عند خلقناكم اول مرة او حال من ضمير جئتمونا اى
كائنين كما خلقناكم اول مرة حفاة عراة غرلا او ما معكم شيئا مما تفتخرون به من الاموال والانصار
كقوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم بل زعمتم
الن نجعل لكم موعدا اضرب وانتقال من كلام الى كلام كلاهما للتوبيخ والتقريع اى زعمتم فى الدنيا
انه لن نجعل لكم ابدا وقتا ننجز فيه ما وعدناه من البعث وما يتبعه وان مخففة من المثقلة فصل
بحرف النفى بينها وبين خبرها لكونه جملة فعلية متصرفة غير دعائية والظرف انه مفعول ثان
للجعل وهو بمعنى التصيير والاول هو موعدا وحال من موعدا وهو بمعنى الخلق والابداع ووضع
الكتاب عطف على عرضوا داخل تحت الامور الهائلة التى اريد تذكير ها بتذكير وقتها واورد فيه
ما ورد فى امثاله من صيغة الماضى دلالة على التقرر ايضا اى وضع صحايف الاعمال وايثار الافراد
للاكتفاء بالجنس والمراد بوضعها اما وضعها فى ايدى اصحابها يمينا وشمالا واما فى الميزان فترى
المجرمين قاطبة فيدخل فيهم الكفرة المنكرون للبعث دخولا اوليا مشفقين خائفين مما فيه من
الجرائم والذنوب ويقولون عند وقوفهم على ما فى تضاعيفه نقيرا او قطميرا يا ويلتنا منادين
لهلكتهم التى هلكوها من بين الهلكات مستدعين لها ليهلكوا ولا يروا هول ما لاقوه اى يا ويلتنا
احضرى فهذا اوان حضورك مال هذا الكتاب اى اى شئ له وقوله تعالى لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصيها اى حواها وضبطها جملة حالية محققة لما فى الجملة الاستفهامية من التعجب
او استئنافية على سؤال نشاء من التعجب كانه قيل ما شانه حتى يتعجب منه فقيل لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا فى الدنيا من السيئات او جزاء ما عملوا حاضرا مسطورا عتيدا ولا يظلم ربك
احدا فيكتب ما لم يعمل من السيئات او يزيد فى عقابه المستحق فيكون
اظهارا لعدالته العلم الاذلى واذ قلنا للملئكة اذ اذكر وقت قولنا لهم اسجدوا لادم سجود تحية
وتكريم وقد مر تفصيله فسجدوا جميعا امتثالا بالامر الا ابليس فانه لم يسجد ابى واستكبر وقوله
تعالى كان من الجن كلام مستأنف سيق مساق التعليل لما يفيده استثناء اللعين من الساجدين كانه
قيل ما له لم يسجد فضلا فقيل كان اصله جنيا ففسق عن امر ربه اى خرج عن طاعته كما ينبئ عنه
الفاء وصار فاسقا كافرا بسبب امر الله تعالى اذ لولاه لما ابى والتعرض لوصف الربوبية النافية
للفسق لبيان كمال قبح ما فعله والمراد بتذكير قصته تشديدا لنكير على المتكبرين المفتخرين بانسابهم
واموالهم المستنكفين عن الانتظام فى سلك فقراء المؤمنين ببيان ان ذلك من صنيع ابليس وانهم
فى ذلك ما بعون لتسويله كما ينبئ عنه قوله افتتخذونه الى اخره فان الهمزة للانكار والتعجب
والفاء للتعقيب اى عقيب علمكم بصدور تلك القبايح عنه تتخذونه وذريته اى اولاده
او اتباعه جعلوا ذريته مجازا قال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنوا ادم وقيل يدخل ذنبه فى دبره
فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة من الشياطين اولياء من دونى فتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى
وهم اى والحال ان ابليس وذريته لكم عدو اى اعداء كما فى قوله تعالى فانهم عدو لى الا رب العالمين
وقوله تعالى هم العدو وانما فعل به ذلك تشبيها له بالمصادر نحو القبول والولوع وتقييد
الاتخاذ بالجملة الحالية لتاكيد الانكار وتشديده فان مضمونها مانع من وقوع الاتخاذ ومناف
له قطعا بئس للظالمين اى الواضعين للشئ فى غير موضعه بدلا من الله سبحانه وتعالى ابليس
وذريته وفى الالتفات الى الغيبة مع وضع الظالمين موضع الضمير للايذان بكمال السخط والاشارة
الى ان ما فعلوه ظلم قبيح ما لا يخفى ما اشهدتهم استئناف مسوق لبيان عدم استحقاقهم للاتخاذ المذكور
فى انفسهم بعد بيان الصوارف عنه ذلك من خيانته الحتد والفسق والعداوة اى ما احضرت
ابليس وذريته خلق السموات والارض حيث خلقتهما قبل خلقهم ولا خلق انفسهم اى ولا اشهدت
بعضهم خلق بعض كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم هذا ما اجمع عليه الجمهور وهذا رام من تفكيك
الضميرين ومحافظة على ظاهر لفظ الانفس ولك ان ترجع الضمير الثانى الى الظالمين وتلتزم رد
التفكيك بناء على عود المعنى اليه فان نفى اشهاد الشياطين خلق الذين يتولونهم هو الذى يدور
عليه انكار اتخاذهم اولياء بناء على ان ادنى ما يصح التولى حضور الولى خلق المتولى وحيث لا حضور
ولا مصحح للتولى قطعا واما نفى اشهاد بعض منهم فليس من مدارية الانكار المذكور فى شئ على ان

اشهاد

اشهاد بعضهم خلق ان بعض ان كان مصححا لتوالى الشواهد بناء على دلالته على كماله باعتبار ان له مدخلا فى
خلق المشهود بالجملة فهو مخل بتولى المشهود بناء على قصوره ممن شهد خلقه فلا يكون نفى الاشهاد المذكور
تمحضا فى نفى الكمال المصحح للتولى عن المخل وهو المناط للانكار المذكور وما كنت متخذ المضلين اى متخذهم
وانما وضع موضعه المظهر ذما لهم وتسجيلا عليهم بالاضلال وتاكيد الما سبق من انكار اتخاذهم
اولياء عضدا اعوانا فى شان الخلق او فى شان من شؤونى حتى يتوهم شركتهم فى التولى بناء على الشركة
فى بعض احكام الربوبية وفيه تهكم بهم وايذان بكمال ركاكة عقولهم وسخافة ارائهم حيث لا يفهمون
هذا الامر الجلى الذى لا يكاد يشتبه على البلد والصبيان فيحتاجون الى التصريح به وايثار نفى الاشهاد
على نفى شهودهم ونفى اتخاذهم اعوانا على نفى كونهم كذلك للاشعار بانهم مقهورون تحت قدرته
تعالى تابعين لمشيته وارادته فيهموا انهم بمعزل من استحقاق الشهود ذوا المعونة من تلقاء
انفسهم من غير احضار واتخاذ وانما قصارى ما يتوهم فى شانهم ان يبلغوا ذلك المبلغ بامر الله
عز وجل ولم يكد ذلك يكون وقيل الضمير للمشركين والمعنى ما اشهدتهم خلق ذلك وما اطلعتهم
على اسرار التكوين وما اخصصتهم بفضايل لا يحويها غيرهم حتى يكونوا قدوة للناس فيؤمنوا
بايمانهم كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لا ينبغى لى ان اعتضد
بالمضلين ويعضده القراءة بفتح التاء خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ما صح لك
الاعتضاد بهم ووصفهم بالاضلال لتعليل نفى الاتخاذ وقرئ متخذا المضلين على الاصل وقرئ
عضدا بضم العين وسكون الضاد وبفتح سكون بالتخفيف وبضمتين بالاتباع وبفتحتين على انه
جمع عاضد كخدم وخادم وروا صل ويوم يقول اى الله عز وجل للكافرين توبيخا وتعجيزا وقرئ بنون
العظمة نادوا شركائى الذين زعمتم انهم شفعاؤكم ليشفعوا لكم والمراد بهم كل ما عبد من
دونه تعالى وقيل ابليس وذريته فدعوهم اى نادوهم للاستغاثة وفيه بيان لكمال اعتنائهم
باعانتهم على طريقة الشفاعة اذ معلوم ان لا طريقة الى المدافعة فلم يستجيبوا لهم فلم يعينوهم
اذ لا امكان لذلك وفى ايراده مع ظهوره تهكم بهم وايذان بانهم فى الحماقة بحيث لا يفهمونه الا
بالتصريح به وجعلنا بينهم بين الداعين والمدعوين موبقا اسم مكان او مصدر من وبق وبوقا
كوثب وثوبا او وبق وبقا كفرح فرحا اذا هلك اى مهلكا يشتركون فيه وهو النار او عداوة
هى فى الشدة نفس الهلاك كقول عمر رضى الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقيل
البين الوصل وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا فى الاخرة ويجوز ان يكون المراد بالشركاء الملئكة
وعزيرا او عيسى عليه السلام مريم وبالموبق البرزخ البعيد اى جعلنا بينهم امدا بعيدا يهلك
فيه الاشواط لفرط بعده لانهم فى قعر جهنم وهم فى اعلى الجنان ورأى المجرمون النار وضع
المظهر مقام المضمر تصريحا باجرامهم وذما لهم بذلك فظنوا اى فايقنوا انهم مواقعوها
مخالطوها واقعون فيها او ظنوا اذا رأوها من مكان بعيد انهم مواقعوها الساعة ولم يجدوا
عنها مصرفا انصرافا او معدلا ولا ينصرفون اليه ولقد صرفنا اى كررنا واوردنا على
وجوه كثيرة من النظم فى هذا القران للناس لمصلحتهم ومنفعتهم من كل مثل من جملته ما مر من
مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا او من كل نوع من انواع المعانى البديعة الداعية الى الايمان
التى هى فى الغرابة والحسن استجلاب النفس كالمثل ليتلقوه بالقبول فلم يفعلوه وكان الانسان
بحسب جبلته اكثر شئ جدلا اى اكثر الاشياء التى يتاتى منها الجدل وهو هاهنا شدة
الخصومة بالباطل والمماراة من الجدال الذى هو الفتل والمجادلة الملازمة لان كلا من المجادلين
يلتوى على صاحبه وانتصابه على التمييز والمعنى ان جدله اكثر من كل مجادل وما منع الناس اى
اهل مكة الذين حكيت اباطيلهم ان يؤمنوا من ان يؤمنوا بالله تعالى بترك ما هم عليه من الاشراك
اذ جاءهم الهدى اى القران العظيم الهادى الى الايمان وبما فيه من فنون المعانى الموجبة له
ويستغفروا ربهم عما فرط منهم من انواع الذنوب التى من جملتها مجادلتهم الحق بالباطل
الا ان تاتيهم بغتة الا ولين الا طلب اتيان سنتهم او الا انتظار اتيانها او الى تقليره فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وسنتهم الاستيصال او ياتيهم العذاب اى عذاب الاخرة
قبلا اى انواعا جمع قبيل او عيانا كما فى قراءة قبلا بكسر القاف وفتح الباء وقرئ بفتحتين اى
مستقبلا يقال لقيته قبلا وقبلا وقبلا وانتصابه على الحالية من الضمير او العذاب والمعنى
ان ما تضمنه القران الكريم من الامور المستوجبة للايمان بحيث لو لم يكن مثل هذه الحكمة
القوية لما امتنع الناس من الايمان وان كانوا مجبولين على الجدل المفرط وما نرسل المرسلين

الا ملتبسين بحال من الاحوال الا حال كونهم مبشرين للمؤمنين بالثواب ومنذرين للعصاة بالعقاب
ويجادل الذين كفروا بالباطل باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة اصحاب الكهف
ونحوها تعنتا ليدحضوا به اى بالجدال الحق اى ليزيلوه عن مركزه ويبطلوه من ادحاض القدم وهو
ازلاقها وهو قولهم للرسل عليهم السلام ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة ونحوهما
واتخذوا اياتي التي تخر لها صم الجبال وما انذروا اى من القوارع الناعية عليهم العقاب والعذاب
او انذارهم هزوا اى استهزاء وقرئ بسكون الزاي وهو ما يستهزأ به ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه وهو
القران العظيم فاعرض عنها ولم يتدبرها ولم يتذكر بها وهذا السبك وان كان مدلوله الوضعي نفي الا
ظلمية على ما في حيز الصلة من الاعراض عن القران للاشعار بان ظلم من يجادل فيه ويتخذه هزوا خارج عن الحد
ونسي ما قدمت يداه اى عمله من الكفر والمعاصي من جملتها ما ذكر من المجادلة بالباطل والاستهزاء بالحق ولم
يتفكر في عاقبتها انا جعلنا على قلوبهم اكنة اغطية كثيرة جمع كنان وهو تعليل لاعراضهم ونسيانهم
بانهم مطبوع على قلوبهم ان يفقهوه مفعول لما دل عليه الكلام اى منعناهم ان يفقهوه على كنهه ومفعول
له اى كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم اى جعلنا فيها وقرا ثقلا يمنعهم من استماعه وان تدعهم الى الهدى
فلن يهتدوا اذا ابدا اى فلم يكن منهم اهتداء البتة مدة التكليف واذا جزاء للشرط وجواب عن سؤال النبي
صلى الله عليه وسلم المدلول عليه بكمال عنايته باسلامهم كانه قال صلى الله عليه وسلم مالي لا ادعوهم
فقيل ان تدعهم الى اخره وجمع الضمير الراجع الى الموصول في هذه المواضع الخمسة باعتبار معناه كما ان
افراده في المواطن الخمسة المتقدمة باعتبار لفظه وربك مبتدا وقوله تعالى الغفور وقوله تعالى ذو الرحمة
اى الموصوف بها خبر بعد خبر وايراد المغفرة على صيغة المبالغة دون الرحمة للتنبيه على كثرة الذنوب
ولان المغفرة ترك المضار وهو سبحانه قادر على ترك ما لا يتناهى من العذاب واما الرحمة فهي فعل وايجاد
ولا يدخل تحت الوجود الا ما يتناهى وتقديم الوصف الاول لان التخلية قبل التحلية لانه اهم بحسب الحال
اذ المقام مقام بيان تناهي وتقديم الوصف الاول لان تاخير العقوبة عنهم بعد استيجابهم لها كما
يعرب عنه قوله عز وجل لو يؤاخذهم اى لو يريد مؤاخذتهم بما كسبوا من المعاصي التي من جملتها
ما حكي عنهم من مجادلتهم بالباطل واعراضهم عن ايات ربهم وعدم المبالاة بما اجترحوا من الموبقات
لعجل لهم العذاب لاستيجاب اعمالهم لذلك وايثار المؤاخذة المبنية عن شدة الاخذ بسرعة
على التعذيب والعقوبة ونحوهما للايذان بان النفي المستفاد من مقدم الشرطية متعلق بوصف السرعة
كما ينبئ عنه تاليها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان انتفاء تعجيل العذاب
لهم بسبب استمرار عدم ارادة المؤاخذة فان المضارع الواقع موقع الماضي يفيد استمرار انتفاء الفعل
فيما مضى كما حقق في موضعه بل لهم موعد اسم زمان وهو يوم بدر او يوم القيمة والجملة معطوفة
على مقدر كانه قيل لكنهم ليسوا مؤاخذين بغتة لن يجدوا البتة من دونه موئلا منجى او ملجا
يقال وال اليه اى لجا اليه وتلك القرى اى قرى عاد وثمود واضرابهما وهو مبتدا على تقدير المضاف
واهل تلك القرى خبره قوله تعالى اهلكناهم او مفعول مضمر مفسر به لما ظلموا اى وقت ظلمهم كما
فعلت قريش بما حكي عنهم من القبائح وترك المفعول اما لتعميم الظلم او لتنزيله منزلة اللازم اى لما
فعلوا الظلم ولما اما حرف كما قال ابن عصفور واما ظرف استعمل للتعليل وليس المراد الوقت المعين
الذي عملوا فيه الظلم بل زمان ممتد من ابتداء الظلم الى اخره وجعلنا لمهلكهم اى لهلاكهم موعدا اى
وقتا معينا لا يحيدون عنه ذلك وذلك استشهاد على ما فعل بقريش من تعيين الموعد ليتنبهوا لذلك
ولا يغتروا بتاخير العذاب وقرئ بضم الميم وفتح اللام اى لاهلاكهم وبفتحهما واذ قال موسى منصوب
باضمار فعل اى اذكر وقت قوله صلى الله عليه وسلم لفتاه هو يوشع بن نون بن افرايم بن يوسف
عليه السلام وسمي فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يتعلم منه او سمي التلميذ فتى وان كان شيخا
ولعل المراد بتذكيره عقيب بيان ان لكل امة موعدا تذكير ما في القصة من موعد الملاقاة مع ما
فيها من سائر المنافع الجليلة لا ابرح من برح الناقص كزال يزال اى لا ازال اسير فحذف الخبر اعتمادا
الى قرينة الحال اذ كان ذلك عند التوجه الى السفر واتكالا على ما يعقبه من قوله تعالى حتى ابلغ اذ
ذلك غاية تستدعي ذا غاية فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا مستكنا والفعل من صيغة
الغيبة الى التكلم ويجوز ان يكون من برح التام كزال يزول اى لا افارق ما انا بصدده حتى ابلغ مجمع
البحرين هو ملتقى بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل هما الكر والرس بارمينية وقيل افريقية
وقرئ بكسر الميم كمشرق او امضي حقبا اسير زمانا طويلا اتيقن معه فوات المطلب والحقب الدهر او
ثمانون سنة وكان منشأ هذه العزيمة عن موسى عليه السلام لما ظهر على مصر مع بني اسرائيل

و

واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة
بديعة رقت منها القلوب وذرفت العيون فقالوا له من اعلم الناس قال انا فعتب الله تعالى عليه
اذ لم يرد العلم اليه عز وجل فاوحى اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام
وكان في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام
موسى وقيل ان موسى عليه السلام سال ربه اى عبادك احب اليك قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه
عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فدلني
عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يا رب كيف لي به قال تاخذ حوتا في
مكتل فحيث ما فقدته فهو هناك فاخذ حوتا فجعله في مكتل فقال لفتاه اذا فقدت الحوت
فاخبرني فذهبا يمشيان فلما بلغا الفاء فصيحة كما اشير اليه مجمع بينهما اى مجمع البحرين وبينهما ظرف
اضيف اليه اتساعا او بمعنى الوصل نسيا حوتهما الذي جعل فقده امارة وجدان المطلوب
اى نسيا تفقد امره وما يكون منه وقيل نسي يوشع ان يقدمه وموسى عليه السلام ان يامره
فيه بشيء روي انهما لما بلغا مجمع البحرين وفيه الصخرة وعين الحياة التي لا يصيب ماؤها ميتا
الا حيي ووضعا رؤوسهما على الصخرة فناما فلما اصاب الحوت برد الماء وروحه عاش وقد كان اكلا منه
وكان ذلك بعد ما استيقظ يوشع عليه السلام وقيل توضا يوشع عليه السلام من تلك العين
فانتضح الماء على الحوت فعاش فوقع في الماء فاتخذ سبيله في البحر سربا مسلكا كالسرب وهو النفق
قيل امسك الله عز وجل جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه معجزة لموسى او الخضر عليهما السلام
وانتصابه سربا على انه مفعول ثان وفي البحر حال منه اى من السبيل ويجوز ان يتعلق باتخذ فلما
جاوزا اى مجمع البحرين الذي جعل موعدا للملاقاة قيل انطلقا وسارا الليلة والغد الى الظهر والقي
على موسى عليه السلام الجوع فعند ذلك قال لفتاه اتنا غداءنا اى ما نتغدى به وهو الحوت كما ينبئ
عنه الجواب لقد لقينا من سفرنا هذا اشارة الى ما سارا بعد مجاوزة الموعد نصبا تعبا واعياء
قيل لم ينصب ولم يجع قبل ذلك والجملة في محل التعليل للامر باتيان الغداء اما باعتبار ان النصب انما
يعتري بسبب الضعف الناشئ عن الجوع واما باعتبار ما في اثناء التغدي من استراحة ما قال
اى فتاه عليهما السلام ارايت اذ اوينا الى الصخرة اى التجانا اليها واقمنا عندها وذكر الالتجاء اليها
مع ان المذكور فيما سبق بلوغ مجمع البحرين لزيادة تعيين محل الحادث فان المجمع محل متسع
لا يمكن تحقيق المراد المذكور بنسبة الحادثة اليه ولتمهيد العذر فان الالتجاء اليها والنوم
عندها مما يؤدي الى النسيان عادة والرؤية مستعارة للمعرفة التامة والمشاهدة الكاملة ومراده
بالاستفهام تعجيب موسى عليه السلام مما اعتراه هناك من النسيان مع كون ما شاهده من
العظائم التي لا تكاد تنسى وقد جعل فقده علامة لوجدان المطلوب وهذا اسلوب معتاد فيما
بين الناس يقول احدهم لصاحبه اذا نابه خطب ارايت ما نابني يريد بذلك تهويله وتعجيب
صاحبه منه وانه مما لا يعهد وقوعه لا استخباره عن ذلك كما قيل والمفعول محذوف اعتمادا
على ما يدل عليه من قوله عز وجل فاني نسيت الحوت وفيه تاكيد للتعجيب وتربية الاستعظام
المنسي وايقاع النسيان على اسم الحوت دون ضمير الغداء مع انه المامور باتيانه للتنبيه من اول
الامر على انه ليس من قبيل نسيان المسافر زاده في المنزل وان ما شاهده ليس من قبيل الاحوال
المتعلقة بالغداء من حيث هو غداء وطعام بل من حيث هو حوت كسائر الحيتان مع زيادة اى نسيت
ان اذكر لك امره وما شاهدت منه من الامور العجيبة وما انسانيه الا الشيطان بوسوسته
الشاغلة عن ذلك وقوله تعالى ان اذكره بدل اشتمال من الضمير اى ما انساني ان اذكره لك وفي
تعليق الانساء بضمير الحوت اولا وبذكره ثانيا على طريق ابدال المبني عن تنحية المبدل منه اشارة الى
ان متعلق النسيان ايضا ليس نفس الحوت بل ذكر امره وقرئ ان اذكره وايثار ان اذكره على المصدر
للمبالغة فان مدلوله نفس الحدث عند وقوعه والحال وان كانت غريبة لا يعهد نسيانها لكنه لما
تعود بمشاهدة امثالها عند موسى عليه السلام والفها قل اهتمامه بالمحافظة عليها واتخذ سبيله
في البحر عجبا بيان لطرف من امر الحوت مبني عن طرف اخر منه وما بينهما اعتراض قدم عليه للاعتناء
بالاعتذار كانه قيل حيي واضطرب ووقع في البحر واتخذ سبيله فيه سبيلا عجبا فعجبا ثاني مفعولي
اتخذ والظرف حال من اولهما او ثانيهما وهو المفعول الثاني وعجبا صفة مصدر محذوف اى اتخاذا
عجبا وهو كون مسلكه كالطاق والسرب او مصدر فعل محذوف اى اتعجب منه عجبا وقد قيل
انه من كلام موسى عليه السلام وليس بذاك قال اى موسى عليه السلام ذلك الذي ذكرت من

امر الحوت ما كنا نبغ وقرئ باثبات اليا والضمير العايد الى الموصول محذوف اصله نبغيه اى نطلبه
لكونه امارة للفوز بالمرام فارتدا اى رجعا على اثارهما طريقهما الذى جاءا منه قصصا يقصان
قصصا اى يتبعان اثارهما اتباعا مقتفيين حتى اتيا الصخرة فوجدا عبدا من عبادنا التنكير للتفخيم
والاضافة للتشريف والجمهور على انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس
عليهم السلام اتيناه رحمة من عندنا هى الوحى والنبوة كما يشعر به تنكير الرحمة واختصاصها بجناب
الكبريا وعلمناه من لدنا علما خاصا لا يكتنه كنهه ولا يقادر قدره وهو علم الغيوب قال له موسى
استيناف مبنى على سؤال نشا من السياق كانه قيل فماذا جرى بينهما من الكلام فقيل قال له موسى
هل اتبعك على ان تعلمنى استيذانا منه فى اتباعه على وجه التعلم مما علمت رشدا اى علما ذا رشد ارشد
به فى دينى والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين وهو مفعول تعلمنى ومفعول علمت محذوف وكلاهما
منقول من علم المتعدى الى مفعول واحد ويجوز كونه علة لاتبعك او مصدرا باضمار فعله ولا
ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من اخر ما لا تعلق له باحكام شريعته من اسرار العلوم
الخفية ولقد راعى فى سوق الكلام غاية التواضع معه عليهما السلام قال اى الخضر انك
لن تستطيع معى صبرا نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجه التاكيد كانه مما لا يصح ولا يستقيم
وعلله بقوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ايذانا بانه يتولى امورا خفية المدار منكرة الظواهر
والرجل الصالح لا سيما صاحب الشريعة لا يتمالك ان يشمئز عند مشاهدتها وفى صحيح البخارى
قال لموسى انى على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وانت على علم من علم الله علمكه الله لا اعلمه
وخبرا تمييز اى لم يحط به خبرك قال موسى عليه السلام ستجدنى ان شاء الله صابرا معك غير معترض
عليك وتوسيط الاستثنا بين مفعولى الوجدان لكمال الاعتنا بالتيمن ولئلا يتوهم تعلقه بالصبر
ولا اعصى لك امرا عطف على صابرا اى ستجدنى صابرا وغير عاص وفى عد هذا الوجدان من المبالغة ما
ليس فى الوعد بنفس الصبر وترك العصيان او على ستجدنى فلا محل له من الاعراب والاول هو الاولى
لما عرفته ولظهور تعلقه بالاستثنا حينئذ وفيه دليل على ان افعال العباد بمشية الله تعالى
قال فان اتبعتنى اذن له فى الاتباع بعد اللتيا والتى فلا تسالنى عن شئ من افعالى فلا تفاتحنى بالسؤال
عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض حتى احدث لك منه ذكرا اى حتى ابتدا ببيانه وفيه ايذان
بان ما صدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من ادب المتعلم مع العالم والتابع مع
المطبوع وقرئ فلا تسالنى بالنون المثقلة فانطلقا اى موسى والخضر عليهما السلام على الساحل يطلبان
السفينة واما يوشع فقد صرفه موسى عليه السلام الى بنى اسرائيل قيل انهما مرت بهما سفينة فكلما
اهلها فعرفوا الخضر فحملوهما بغير نول حتى اذا ركبا فى السفينة استعمال الركوب فى امثال هذه
المواقع بكلمة فى مع تجريده عنها فى مثل قوله عز وجل لتركبوها وزينة على ما تقتضيه تعديته بنفسه
الى المشار اليه فى قوله تعالى وقال اركبوا فيها لما قيل من ان فى ركوبها معنى الدخول خرقها قيل
خرقها بعد ما لججت اخذ فاسا فقطع من الواحها لوحين مما يلى الماء فعند ذلك قال موسى
اخرقتها لتغرق اهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد من التغريق اهلها من الثلاثى لقد جئت اى
اتيت وفعلت شيئا امرا اى عظيما هائلا من امر الامر اذا عظم قيل الاصل امر فخفف قال
اى الخضر الم اقل انك لن تستطيع معى صبرا تذكير لما قاله قبل وتحقيق لمضمونه متضمن للانكار
على عدم الوفا بوعده قال لا تؤاخذنى بما نسيت بنسيانى او بالذى نسيته او شئ نسيته وهو
وصيته بان لا يساله عن حكمة ما صدر عنه من الافعال الخفية الاسباب قبل بيانه اراد انه نسى
وصيته ولا مؤاخذة على الناسى كما روى فى صحيح البخارى من ان الاول كان من موسى نسيانا او
اخرج الكلام فى معرض النهى عن المؤاخذة بالنسيان يوهم انه قد نسى ليبسط عذره فى الانكار وهو
من معاريض الكلام التى يتقى بها الكذب مع التوصل الى الغرض او اراد بالنسيان الترك اى لا تؤاخذنى
بما تركت من وصيتك اول مرة ولا ترهقنى اى لا تغشنى ولا تحملنى من امرى وهو اتباعه اياه عسرا
اى لا تعسر على متابعتك ويسرها على بالاغضا وترك المناقشة وقرئ عسرا بضمتين فانطلقا
الفا فصيحة اى فقبل عذره فخرجا من السفينة فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قيل كان
يلعب مع الغلمان ففتل عنقه وقيل ضرب براسه الحائط وقيل اضجعه فذبحه بالسكين قال اى
موسى عليه السلام اقتلت نفسا زكية طاهرة عن الذنوب وقيل زاكية بغير نفس اى بغير قتل نفس
محرمة وتخصيص نفى هذا المبيح بالذكر من بين سائر المبيحات من الكفر بعد الايمان والزنا بعد
الاحصان لانه الاقرب الى الوقوع نظرا الى حال الغلام ولعل تغيير النظم الكريم بجعل ما صدر عن

عن الخضر عليه السلام هاهنا من جملة الشرط وابراز ما صدر عن موسى عليه السلام فى معرض الجزاء
المقصود افادته مع ان الحقيق بذلك انما هو ما صدر عن الخضر عليه السلام من الخوارق البديعة
لاستشراف النفس المتعشقة الى ورود خبرها لقلة وقوعها فى نفس الامر وندرة وصول خبرها الى
الاذهان ولذلك روعيت تلك النكتة فى الشرطية الاولى لما ان صدور الخوارق منه عليه السلام
خرج بوقوعه من مخرج العادة فانصرفت النفس مترقبة الى ترقب احوال موسى عليه السلام هل
يحافظ على مراعات شرطه بموجب وعده الاكيد عند مشاهدة خارق اخر او يسارع الى المناقشة
كما فى المرة الاولى فكان المقصود افادة ما صدر عنه عليه السلام ففعل ما فعل لله در شان
التنزيل واما ما قيل من ان القتل اقبح والاعتراض عليه ادخل فكان جديرا بان يجعل عمدة فى الكلام
فليس من دفع الشبهة فى شئ بل هو مؤكد لها فان كون القتل اقبح من مبادى قلة صدوره عن المؤمن
العاقل وندرة وصول خبره الى الاسماع وذلك مما يستدعى جعله مقصودا بالذات وكون الاعتراض
عليه ادخل من موجبات كثرة صدوره عن كل عاقل وذلك مما لا يقتضى جعله كذلك لقد جئت شيئا نكرا
قيل معناه انكر من الاول اذ لا يمكن تداركه كما يمكن تدارك الاول بالسد ونحوه وقيل
الامر اعظم من النكر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة قال الم اقل لك انك لن
تستطيع معى صبرا زيد لك لزيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية وقلة التثبت والصبر لما
تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعوا بالتذكير حتى زاد فى النكير فى المرة الثانية قال اى
موسى عليه السلام ان سالتك عن شئ بعدها اى بعد هذه المرة فلا تصاحبنى وقرئ من الافعال
اى لا تجعلنى صاحبك قد بلغت من لدنى عذرا اى قد اعذرت من قبلى عذرا حيث خالفتك ثلاث
مرات عن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله اخى موسى استحيى فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لا
بصر اعجب الاعاجيب وقرئ لدنى بتخفيف النون وقرئ بسكون الدال كعضد فى عضد فانطلقا
حتى اذا اتيا اهل قرية هى انطاكية وقيل ايلة وهى ابعد ارض الله من السماء وقيل برقة وقيل هى
بلدة باندلس عن النبى صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التى لا يضاف فيها
الضيف ولا يعرف لابن السبيل حقه وقوله تعالى استطعما اهلها فى محل الجر على انه صفة لقرية
ولعل العدول عن استطعماهم على ان يكون صفة للاهل لزيادة تشنيعهم على سوء صنيعهم
فان الاباء من الضيافة وهم اهلها قاطنون بها اقبح واشنع روى انهما طافا فى القرية فاستطعماهم
فلم يطعموهما واستضافاهم فابوا ان يضيفوهما بالتشديد وقرئ بالتخفيف من الاضافة يقال
ضافه اذا كان له ضيفا واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفا له وحقيقة ضاف مال اليه من ضاف
السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض اى يريد ان يسقط
فاستعيرت الارادة للمشارفة للدلالة على المبالغة فى ذلك والانقضاض الاسراع فى السقوط
وهو انفعال من القض يقال قضضته فانقض ومنه انقضاض الطير والكوكب لسقوطه بسرعة
وقيل هو افعال من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاض من انقاضت
السن اذا انشقت طولا فاقامه قيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه وقيل اقامه بعمود عمده
به قيل كان سمكه مائة ذراع قال لو شئت لتخذت عليه اجرا تحريضا له على اخذ الجعل لينتعشا به او
تعريضا بانه فضول لما فى لو من النفى كانه لما راى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم
يتمالك من الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين
وقرئ بادغام الذال فى التاء قال اى الخضر عليه السلام هذا فراق بينى وبينك على اضافة المصدر
الى الظرف اتساعا وقد قرئ على الاصل والمشار اليه اما نفس الفراق كما فى هذا اخوك او الوقت
الحاضر اى هذا الوقت وقت فراق بينى وبينك او السؤال الثالث اى هذا سبب ذلك الفراق
حسبما هو الموعود سانبئك السين للتاكيد لعدم تراخى التنبئة بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
التاويل رجع الشئ الى ماله والمراد به هاهنا المال والعاقبة اذ هو المنبا دون التاويل وهو خلاص
السفينة من اليد العادية وخلاص ابوى الغلام من شره مع الفوز بالبدل الاحسن واستخراج
اليتيمين للكنز وفى جعل صلة الموصول عدم استطاعة موسى عليه السلام للصبر دون ان يقال
بتاويل ما فعلت او بتاويل ما رايت ونحوهما نوع تعريض به عليه السلام وعتاب اما السفينة
التى خرقتها فكانت لمساكين لضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة اخوة
خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر واسناد العمل الى الكل حينئذ انما هو بطريق التغليب او لان
عمل الوكلا بمنزلة عمل الموكلين فاردت ان اعيبها اى اجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك وقد

اى امامهم وقد قرئ به او خلفهم وكان رجوعهم عليه لا محالة واسمه جلندى بن كركر وقيل منوله
من جلندى الازدى يأخذ كل سفينة اى صالحة وقد قرئ كذلك غصبا من اصحابها وانتصابه
على انه مصدر مبين لنوع الاخذ ولعل تفريع ارادة تعييب السفينة على مسكنة اصحابها قبل بيان
خوف الغصب مع ان مدارها كلا الامرين للاعتنا بشانها اذ هي المحتاجة الى التاويل وللايذان
بان الاقوى في المدارية هو الامر الاول ولذلك لم يبال بتخليص سفن ساير الناس مع تحقق خوف
الغصب في حقهم ايضا ولان في التاخير فصلا بين السفينة وضميرها مع توهم رجوعه الى الاقرب
واما الغلام الذى قتلته فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفرانه او بكفره اشعارا بعدم الحاجة الى
الذكر لظهوره فخشينا ان يرهقهما فخفنا ان يغشي الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما
بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما اذيته ويضلهما فيرتدا بسببه وانما خشي الخضر عليه السلام
منه ذلك لان الله سبحانه وتعالى اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وقرئ فخاف ربك اى كره سبحانه
كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان تكون القراءة المشهورة على حكاية بمعنى فكرهنا
كقوله تعالى لاهب لك فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه بان يرزقهما بدله ولدا خيرا منه وفي
التعرض لعنوان الربوبية والاضافة اليهما ما لا يخفى من الدلالة على ارادة وصول الخير اليهما
زكاة طهارة من الذنوب والاخلاق الردية واقرب رحما اى رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية
تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه امة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل ابدلهما
ابنا مؤمنا مثلهما وقرئ يبدلهما بالتشديد وقرئ رحما بضم الحاء ايضا وانتصابه على التمييز مثل
زكاة واما الجدار المعهود فكان لغلامين يتيمين في المدينة هي القرية المذكورة فيما سبق ولعل التعبير
عنها بالمدينة لاظهار نوع الاعتداد بها لاعتداد ما فيها من اليتيمين وابيهما الصالح قيل اسماهما
اصرم وصريم واسم المقتول حيسون وكان تحته كنز لهما من فضة وذهب كما روى مرفوعا والذم على
كنزهما في قوله تعالى عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدي زكاتهما وساير حقوقهما
وقيل لوح من ذهب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف
فيها علم وكان ابوهما صالحا تنبيه على ان سعيه في ذلك كان لصلاحه فيه بينهما وبين الاب الذي حفظا فيه
سبعة ابا فاراد ربك اى مالكك ومدبر امورك ففي اضافة الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم دون
ضميرهما تنبيه له عليه السلام على تحتم كمال الانقياد والاستسلام لارادته سبحانه وتعالى ووجوب
الاحتراز عن المناقشة فيما وقع بحسبها من الامور المذكورة ان يبلغا اشدهما اى حلمهما وكمال رايهما
ويستخرجا كنزهما من تحت الجدار ولولا اني اقمته لانقض وخرج الكنز من تحته قبل اقتدارهما على
حفظ المال وتنميته وضاع بالكلية رحمة من ربك مصدر في موقع الحال اى مرحومين منه عز
وجل او مفعول له او مصدر موكد لاراد فان ارادة الخير رحمة وقيل متعلق بمضمر اى فعلت ما فعلت
من الامور التي شاهدتها رحمة من ربك ويعضده اضافة الرب الى ضمير المخاطب دون ضميرهما فيكون
قوله عز وعلا وما فعلته عن امري اى عن رايي واجتهادي تاكيدا لذلك ذلك اشارة الى العواقب المنظومة
في سلك البيان وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتها في الفخامة تاويل ما لم تسطع فحذف
التاء للتخفيف عليه صبرا من الامور التي رايتها اى مآله وعاقبته فيكون انجاز التنبيه الموعود الى
البيان نفسه فيكون التاويل بمعناه وعلى كل حال فهو تذكرة لما تقدم وفي جعل الصلة غير
ما مر تكرير للتنكير وتشديد للعقاب تنبيه اختلفوا في حياة الخضر فقيل انه حي وسببه انه كان على
مقدمة ذي القرنين فلما دخل الظلمات اصاب الخضر عين الحياة فنزل واغتسل منها وشرب من
مايها واخطاؤا القرنين الطريق فعاد قالوا والياس ايضا في الحياة يلتقيان كل سنة بالموسم
وقيل انه ميت لما ان روى ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى العشاء ذات ليلة ثم قال ارايتكم
ليلتكم هذه فان راس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد ولو كان الخضر حينئذ
حيا لما عاش بعد مائة عام روى ان موسى عليه السلام لما اراد ان يفارقه قال له اوصني قال
لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به ويسئلونك عن ذي القرنين هم اليهود سالوه على وجه
الامتحان او سأله قريش بتلقينهم وصيغة الاستقبال للدلالة على استمرارهم على ذلك الى ورود الجواب
وهو ذو القرنين الاكبر اسمه الاسكندر بن فيلقوس اليوناني وقال ابن اسحاق اسمه مرزبان
بن مردبه من ولد يافث بن نوح عليه السلام وكان اسود وقيل اسمه عبد الله بن الضحاك وقيل
مصعب بن عبد الله بن قينان بن منصور بن عبد الله بن الازد بن عون بن زيد بن كهلان بن سبا بن

يعرب

يعرب بن قحطان وقال السهيلي قيل فيه ان اسمه مرزبان بن مدركه ذكره ابن هشام وهو اول التابعة
وقيل انه افريدون بن النعمان الذي قتل الضحاك وذكر ابو الريحان البيروني في كتابه المسمى بالاثار
الباقية عن القرون الخالية ان ذا القرنين هو ابو كرب سمي بن عمير بن افريقيس
الحميري وان ملكه بلغ مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال قد كان
ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الارض غير مفند بلغ المشارق والمغارب يبتغي اسباب
امر من حكيم مرشد وجعل هذا القول اقرب لان الاذواء كانوا من اليمن كذي المنار وذي نواس وذي
النون وذي رعين وذي يزن وذي جدن قال الامام الرازي والاول هو الظاهر لان من بلغ ملكه من
السعة والقوة الى الغاية التي نطق بها التنزيل الجليل انما هو الاسكندر اليوناني كما تشهد به كتب
التواريخ يروى انه لما مات ابوه جمع ملك الروم بعد ان كان طوايف ثم قصد ملك العرب
وقهرهم ثم امعن الى البحر الاخضر ثم عاد الى مصر فبنى الاسكندرية وسماها باسمه ودخل الشام وقصد
بني اسرائيل وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه ثم انعطف الى ارمينية وباب الابواب ودانت له
العراقيون والقبط والبربر ثم توجه الى نحو دارا بن دارا وهزمه مرارا الى ان قتله صاحب حرسه
واستولى على ممالك الفرس وقصد الهند وفتحه وبنى مدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام
ثم قصد الصين وغزا الامم البعيدة ورجع الى خراسان وبنى بها مداين كثيرة ورجع الى العراق ومرض
بشهرزور ومات انتهى كلام الامام ورووا ان اهل النجوم قالوا له لا تموت الا على ارض من حديد
وتحت سما من خشب وكان يدفن كنوز كل بلدة فيها ويدون ذلك بصفته وموضعه فبلغ بابل فرعف
وسقط عن دابته فبسطت له دروع فنام عليها فاذته الشمس فاظلوه بترس فنظر فقال هذه ارض
من حديد وسما من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن الف وستماية سنة وقيل ثلاثة الاف سنة قال
ابن كثير وهذا غريب واغرب منه ما قال ابن عساكر من انه بلغني انه عاش ستا وثلثين سنة او اثنتين
وثلثين سنة وانه كان بعد داود وسليمان عليهما السلام فان ذلك لا ينطبق الا على ذي القرنين الثاني
كما سنذكره قلت وكذا ما ذكره الامام من قصد بني اسرائيل وورود بيت المقدس والذبح في مذبحه
فانه مما لا يكاد يتاتى نسبته الى الاول واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه وولايته فقيل انه
كان نبيا لقوله تعالى انا مكنا له في الارض وظاهره انه متناول للتمكين في الدين وكماله بالنبوة ولقوله
تعالى واتيناه من كل شيء سببا ومن جملة الاشيا النبوة ولقوله تعالى قلنا يا ذا القرنين ونحو ذلك
وقيل انه كان ملكا لما روي ان عمر رضي الله عنه سمع رجلا يقول الاخيار ذا القرنين فقال اللهم
غفرا اما رضيتم ان تتسموا باسما الانبيا حتى تسميتم باسما الملائكة قال ابن كثير والصحيح انه ما كان نبيا
ولا ملكا وانما كان ملكا صالحا عادلا ملك الاقاليم وقهر اهلها من الملوك وغيرهم ودانت له البلاد
وانه كان داعيا الى الله تعالى سايرا في الخلق بالمعدلة التامة والسلطان المؤيد المنصور وكان الخضر على
يدي ابراهيم الخليل عليه السلام وطاف معه بالكعبة هو واسمعيل وروى انه حج ماشيا فلما سمع ابراهيم
عليه السلام بقدومه تلقاه ودعا له واوصاه بوصايا ويقال انه اتي بفرس ليركب فقال لا اركب
في بلد فيه الخليل فعند ذلك سخر له السحاب وطوى له الاسباب وبشره ابراهيم عليه السلام بذلك
فكانت السحاب تحمله وعساكره وجميع الاتهم اذا ارادوا غزوة قوم قال ابو الطفيل سئل عنه علي
كرم الله وجهه اكان نبيا ام ملكا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا لكن كان عبدا احب الله فاحبه وناصح
الله فنصحه سخر له السحاب ومد له الاسباب واختلف في وجه تسميته بذي القرنين فقيل انه بلغ
قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك الروم وفارس وقيل الروم والترك وقيل لانه كان
في راسه او في تاجه ما يشبه القرنين وقيل انه كانت له ذوابتان وقيل لانه كانت صفحتا راسه
من النحاس وقيل لانه دعا الناس الى الله عز وجل فضرب بقرنه الايمن فمات ثم بعثه الله تعالى
فضرب بقرنه الايسر فمات ثم بعثه الله تعالى وقيل لانه راى في منامه انه صعد الفلك فاخذ
بقرني الشمس وقيل لانه انقرض في عهده قرنان وقيل لانه سخر له الظلمة فاذا سرى يهديه النور
من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل لقب به لشجاعته هذا واما ذو القرنين الثاني فقد
قال ابن كثير انه الاسكندر بن فيلبس بن مصريم بن هرمس بن ميطون بن رومي بن لنطي بن يونان بن
يافث بن يونه بن شرخون بن رومة بن ثونط بن نوفيل بن رومي بن الاصفر بن اليفز بن العيص بن
اسحاق بن ابراهيم الخليل عليه السلام كذا نسبه ابن عساكر المقدوني اليوناني المصري باني
الاسكندرية الذي يؤرخ بايامه الروم وكان متاخرا عن الاول بدهر طويل اكثر من الفي سنة
كان هذا قبل المسيح عليه السلام بنحو من ثلثماية سنة وكان وزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وهو

الذي قتل دارا بن دارا واذل ملوك الفرس ووطئ ارضهم ثم قال وانما بينا هذا لان كثيرا من الناس
يعتقدوا انهما واحد وان المذكور في القرآن العظيم هو المتاخر ليقع بذلك خطأ كبيرا وفسادا
كثيرا كيف لا والاول كان عبدا صالحا مؤمنا وملكا عادلا ووزيره الخضر عليه السلام وقد قيل
انه كان نبيا واما الثاني فقد كان كافرا ووزيره ارسطاطاليس الفيلسوف وقد كان ما بينهما من
الزمان كثر من الفي سنة فاين هذا من ذلك انتهى قلت المقدوني نسبة الى بلدة من بلاد الروم
عن قرب دار السلطنة السنية قسطنطينية المحمية لا زالت مشحونة بالشعائر الدينية بينهما
من المسافة مسيرة خمسة عشر يوما او نحو ذلك عند مدينة سيروز اسمها بلغة اليونانيين
مقدونيا كانت سرير ملك هذا الاسكندر وهي اليوم بلقع لا يقيم بها احد ولكن فيها علائم تحكي
كمال عظمتها في عهد عمرانها ونهاية شوكة واليها وسلطانها عند ما ايتها القفول عن بعض المغازي
السلطانية فعاينت فيها من تعاجيب الاثار ما فيه عبرة لاولي الابصار قل لهم في الجواب سأتلوا
عليكم اي سأذكر لكم منه اي من ذي القرنين ذكرا اي نبأ متلوا وحيث كان ذلك بطريق الوحي المتلو
حكاية عن جهة الله عز وجل قيل سأتلوا في شأنه اي سأتلوا من جهته تعالى ذكرا اي نبأ مذكورا
اي قرآنا والسين للتاكيد والدلالة على التحقق المناسب لمقام تأييده عليه السلام وتصديقه
بانجاز وعده اي لا اترك التلاوة البتة كما في قوله من قال ● سأشكر عمرا ان تراخت منيتي ●
ايادي لم تمنن وان هي جلت ● لا للدلالة على ان التلاوة ستقع فيما يستقبل كما قيل لان هذه الاية
ما نزلت بانفرادها قبل الوحي بتمام القصة قبل الوحي بتمامها بل موصولة بما بعدها ريثما سألوه
صلى الله عليه وسلم عنه وعن الروح وعن اصحاب الكهف فقال لهم ائتوني غدا اخبركم فابطأ عليه
الوحي خمسة عشر يوما او اربعين كما ذكر فيما سلف وقوله عز وجل انا مكنا له في الارض شروع
في تلاوة الذكر المعهود حسبما هو الموعود والتمكين ها هنا الاقدار وتمهيد الاسباب يقال مكنه ومكن
له ومعنى الاول جعله قادرا وقويا ومعنى الثاني جعل له قوة وقدرة ولتلازمهما في الوجود
وتقاربهما في المعنى يستعمل كل منهما في محل الاخر كما في قوله عز وجل مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم
اي جعلناهم قادرين من حيث القوى والاسباب والالات على انواع التصرفات فيها ما لم نجعلكم
من المال والقوة والسعة في المال والاستظهار بالعدد والاسباب فكانه قيل ما لم نمكنكم فيها
اي ما لم نجعلكم قادرين على ذلك فيها او مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وهكذا اذا كان التمكين
ماخوذا من المكان بناء على توهم ميم اصلية كما اشير اليه في سورة يوسف عليه السلام والمعنى
انا جعلنا له مكنة وقدرة على التصرف في الارض من حيث التدبير والرأي والاسباب حيث سخر له
السحاب ومد له في الاسباب وبسط له النور وكان الليل والنهار عليه سواء وسهل عليه السير في
الارض وذلل له طرقها واتيناه من كل شيء اراده من مهمات ملكه ومقاصده المتعلقة بسلطانه
سببا اي طريقا يوصله اليه وهو كل ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة فاتبع سببا
بالقطع اي فاراد بلوغ المغرب ابتداء لمراعاة الحركة الشمسية وقرئ فاتبع من الافتعال والفرقان
الاول فيه معنى الادراك والاسراع دون الثاني حتى اذا بلغ مغرب الشمس اي منتهى الارض من جهة
المغرب من حيث لا يتمكن احد من مجاوزته ووقف على ساحل البحر المحيط الغربي الذي يقال له او
قيانوس الذي فيه الجزائر المسميات بالخالدات التي هي مبدأ الاطوال على احد القولين وجدها
اي الشمس تغرب في عين حمئة اي ذات حمأة وهي الطين الاسود من حميت البئر اذا كثرت حمأتها
وقرئ حامية اي حارة روي ان معوية رضي الله عنه قرأ حامية وعنده ابن عباس رضي الله عنهما
فقال حمئة فقال معوية لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأ قال كما يقرأ امير المؤمنين ثم وجه
الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال في ماء وطين وروي في ثأط فوافق قول ابن عباس
رضي الله عنهما وليس بينهما منافاة قطعية لجواز كون العين جامعة بين الوصفين وكون اليا
في الثانية منقلبة من الهمزة لانكسار ما قبلها واما رجوع معاوية الى قول ابن عباس رضي الله
عنه بما سمعه من كعب مع ان قراءته ايضا مسموعة قطعا فلكون قراءة ابن عباس قطعية في مدلولها
وقراءته محتملة ولعله لما بلغ ساحل المحيط راها كذلك اذ ليس في مطمح بصره غير الماء كما يلوح به قوله
تعالى وجدها تغرب ووجد عندها عند تلك العين قوما قيل كان لباسهم جلود الوحوش وطعامهم
ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الايمان وذلك قوله تعالى
قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب بالقتل من اول الامر واما ان تتخذ فيهم حسنا اي امرا ذا حسن على
حذف المضاف او على طريقة اطلاق المصدر على موصوفه مبالغة وذلك بالدعوة الى الاسلام

والارشاد الى الشرائع وقيل ان مع صلته اما في الرفع على الابتداء والخبرية واما النصب على المفعولية
اي اما تعذيبك واقع او اما امرك تعذيبك او اما تفعل تعذيبك وهكذا الحال في الاتخاذ من لم يقل
بنبوته قال كان الخطاب بواسطة نبي في ذلك العصر او كان ذلك الهاما لا وحيا بعد ان كان ذلك بالتخيير
موافقا لشريعة ذلك النبي قال اي ذو القرنين لذلك النبي او لمن عنده من خواصه بعد ما تلقى
امره تعالى مختارا للشق الاخير اما من ظلم اي نفسه ولم يقبل دعوتي واصر على ما كان عليه من الظلم الذي
هو الشرك فسوف نعذبه بالقتل وعن قتادة انه كان يطبخ من كفر في القدور ومن اطاعه وكساه ثم
يرد الى ربه في الاخرة فيعذبه فيها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وهو عذاب النار وفيه دلالة ظاهرة
على ان الخطاب لم يكن بطريق الوحي اليه وان مقاولته كانت مع النبي او مع من عنده من اهل
مشورته واما من آمن بموجب دعوتي وعمل عملا صالحا حسبما يقتضيه الايمان فله في الدارين
جزاء الحسنى اي فله المثوبة الحسنى او الفعلة الحسنى او الجنة جزاء على انه مصدر مؤكد لمضمون
الجملة قدم على المبتدأ اعتناء به او منصوب بمضمر اي نجزي بها جزاء والجملة حالية او معترضة بين
المبتدأ والخبر المتقدم عليه او حال اي مجزيا بها او تمييز وقرئ منصوبا غير منون على انه سقط
تنوينه لالتقاء الساكنين ومرفوعا منونا على انه المبتدأ والحسنى بدل له والخبر الجار والمجرور وقيل
خير بين القتل والاسر والجواب من باب الاسلوب الحكيم لان الظاهر التخيير بينهما وهم كفار فقال
اما الكافر فيراعى في حقه قوة الاسلام واما المؤمن فلا يتعرض له الا بما يجب ويجوز ان يكون اما
للتوزيع دون التخيير اي ليكن شانك معهم اما التعذيب واما الاحسان فالاول لمن بقي على حاله والثاني
لمن تاب وسنقول له من امرنا اي مما نامر به يسرا اي سهلا متيسرا غير شاق وتقديره ذا يسر او اطلق
عليه المصدر مبالغة وقرئ بضمتين ثم اتبع سببا اي طريقا راجعا من مغرب الشمس موصلا الى مشرقها
حتى اذا بلغ مطلع الشمس يعني الموضع الذي تطلع عليه الشمس اولا من معمورة الارض وقرئ بفتح
اللام على تقدير مضاف اي مكان طلوع الشمس فانه مصدر قيل بلغه في اثني عشر سنة وقيل في اقل من
ذلك بناء على ما ذكر من انه سخر له السحاب او طوي له الاسباب وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من
دونها سترا من اللباس والبناء قيل هم الزنج وعن كعب ان ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب
فاذا طلعت الشمس دخلوا الاسراب او البحر فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت
حتى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء فقالوا بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم
يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعي صاحب يعرف لسانهم فقالوا جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس
على الماء واذا هو فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر يصطادون
السمك ويطرحونه في الشمس فينضج لهم وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع
الشمس اكثر من جميع اهل الارض كذلك اي امر ذي القرنين كما وصفناه لك في رفعة المحل وبسطة
الملك او امره فيهم كامره في اهل المغرب من التخيير والاختيار ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف
لوجد او نجعل او صفة قوم اي على قوم مثل ذلك القبيل الذي تغرب عليهم الشمس في الكفر
والحكم او سترا مثل ستركم من اللباس والجبال والاكنان وغير ذلك وقد احطنا بما لديه من
الاسباب والعدد والعساكر خبرا يعني ان ذلك من الكثرة بحيث لا يحيط به الا علم اللطيف الخبير
هذا على الوجه الاول واما على الوجوه الباقية فالمراد بما لديه ما يتناول ما جرى عليه وما
صدر عنه وما لاقاه فتامل ثم اتبع سببا اي طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب اخذا من الجنوب
الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين بين الجبلين اللذين سد ما بينهما وهو منقطع ارض الترك مما
يلي المشرق لا جبلا ارمينية واذربيجان كما توهم وقرئ بالضم قيل ما كان من خلق الله تعالى فهو
مضموم وما كان من عمل الخلق فهو مفتوح وانتصابه بين على المفعولية لانه مبلوغ وهو من الظرف
الذي يستعمل اسما ايضا كما ارتفع في قوله تعالى لقد تقطع بينكم والجر في قوله تعالى فراق بيني وبينك
وجد من دونهما اي من ورائهما مجاوزا عنهما قوما اي امة من الناس لا يكادون يفقهون قولا لا
لغرابة لغتهم وقلة فطنتهم وقرئ من باب الافعال اي لا يفهمون السامع كلامهم واختلفوا
في انهم من اي الاقوام فقال الضحاك هم جيل من الترك وقال السدي الترك سرية من يأجوج ومأ
جوج خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقيت خارجة فجميع الترك منهم وعن قتادة انهم
اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة منهم وبقيت قبيلة واحدة
فسموا الترك لانهم تركوا خارجين قال اهل التاريخ اولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث
فسام ابو العرب والعجم والروم وحام ابو الحبشة والزنج والنوبة ويافث ابو الخزر والترك والصقالبة

ويأجوج ومأجوج قالوا اي بواسطة مترجمهم او بالذات على ان يكون فهم ذي القرنين كلامهم وافهام
كلامه اياهم من جملة ما آتاه الله تعالى من الاسباب يا ذا القرنين ان يأجوج ومأجوج قد ذكرنا انهما
من اولاد يافث بن نوح عليه السلام وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل واختلف في صفاتهم
فقيل في غاية صغر الجثة وقصر القامة لا يزيد قدرهم على شبر واحد وقيل في نهاية عظم الجسم وطول
القامة يبلغ قدرهم نحو مائة وعشرين ذراعا وفيهم من عرضه كذلك وقيل لهم مخالب واضراس مثل
السباع وهما اسمان اعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من اج الظليم اذا اسرع واصلهما الهمز كما
قرأ عاصم وقد قرئ بغير همزة ومنع صرفهما للتعريف والتأنيث مفسدون في الارض اي في ارضنا
بالقتل والتخريب واتلاف الزرع قيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركوا اخضر الا اكلوه ولا
يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون الناس ايضا فهل نجعل لك خرجا اي جعلا من اموالنا والفا
لتفريع العرض على افسادهم في الارض وقرئ خراجا وكلاهما واحد كالنول والنوال وقيل
الخرج ما تبرعت به والخراج ما لزمك اداؤه على ان تجعل بيننا وبينهم سدا وقرئ بضم قال ما مكني
بالادغام وقرئ بالفك اي ما مكني فيه ربي وجعلني فيه مكينا قادرا من الملك والمال وسائر الاسباب
خير اي مما تريدون ان تبذلوه الي من الخراج فلا حاجة بي اليه فاعينوني بقوة اي بفعلة وصناع
يحسنون البناء والعمل وبالآلات لا بد منها في البناء والفاء لتفريع الامر بالاعانة على خيرية ما مكنه
الله تعالى فيه من مالهم او على عدم قبول خرجهم اجعل جواب للامر بينكم وبينهم تقديم اضافة
الظرف الى ضمير المخاطبين على اضافته الى ضمير يأجوج ومأجوج لاظهار كمال العناية بمصالحهم كما راعوا
في قولهم بيننا وبينهم ردما حاجزا حصينا وبرزخا متينا وهو اكبر من السد واوثق يقال ثوب مردم
اي فيه رقاع فوق رقاع وهذا اسعاف بمرامهم فوق ما يرجونه آتوني زبر الحديد جمع زبرة كغرف في
غرفة وهي القطعة الكبيرة وهذا لا ينافي رد خراجهم لان المأمور به الايتاء بالثمن او المناولة
كما ينبئ عنه القراءة بوصل الهمزة اي جيئوني بزبر الحديد على حذف الباء كما في امرتك الخير ولان ايتاء
الآلة من قبيل الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل ولعل تخصيص الامر بالايتاء بها دون سائر الآلات
من الصخور والحطب ونحوهما لما ان الحاجة اليها امس اذ هي الركن في السد ووجودها اعز قيل حفر
الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب
والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما وكان مائة فرسخ وذلك قوله عز وجل حتى اذا ساوى بين
الصدفين اي آتوه اياها فاخذ يبني شيئا فشيئا حتى اذا جعل ما بين ناحيتي الجبلين من البنيان مساويا
لهما في السمك على النهج المحكي قيل كان ارتفاعه مائتي ذراع وعرضه خمسين ذراعا وقرئ سوى من
التسوية وسووي على البناء للمجهول قال للعملة انفخوا اي بالكيران في الحديد المبني ففعلوا حتى اذا جعله
اي المنفوخ فيه نارا اي كالنار في الحرارة والهيئة واسناد الجعل المذكور الى ذي القرنين مع انه فعل
الفعلة للتنبيه على انه العمدة في ذلك وهم بمنزلة الآلة قال للذين يتولون امر النحاس من الاذابة
ونحوها آتوني افرغ عليه قطرا اي نحاسا مذابا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
وقرئ بالوصل اي جيئوني كانه يستدعيهم للاعانة باليد عند الافراغ واسناد الافراغ الى نفسه
للسر الذي وقفت عليه آنفا وكذا الكلام في قوله تعالى ساوى وقوله تعالى جعل فما اسطاعوا
بحذف تاء الافتعال تخفيفا وحذرا عن تلاقي المتقاربين وقرئ بالادغام وفيه جمع بين الساكنين
على غير حده وقرئ بقلب السين صادا والفاء فصيحة اي فعلوا ما امروا به من ايتاء القطر او الاتيان
فافرغه عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار صلدا فجاء يأجوج ومأجوج فقصدوا ان يعلوه
وينقبوه فما استطاعوا ان يظهروه اي يعلوه ويرقوه لارتفاعه وملاسته وما استطاعوا له نقبا
لصلابته وثخانته وهذه معجزة عظيمة لان تلك الزبر الكثيرة اذا اثرت فيه حرارة النار لا يقدر
الحيوان على ان يحوم حولها فضلا عن النفخ فيها الى ان تكون كالنار او عن افراغ القطر عليها فكانه سبحانه
وتعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن ابدان اولئك المباشرين للاعمال فكان ما كان والله على
كل شيء قدير وقيل بناه من الصخور مرتبطا بعضه ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في
تجاويفها بحيث لم يبق هناك فرجة اصلا قال اي ذو القرنين لمن عنده من اهل تلك الديار وغيرهم
هذا اشارة الى السد وقيل الى تمكينه من بنائه والفضل للمتقدم اي هذا الذي ظهر على يدي وحصل
بمباشرتي من السد الذي شأنه ما ذكر من المتانة وصعوبة المنال رحمة اي اثر رحمة عظيمة عبر عنه
بها مبالغة من ربي على كافة العباد لا سيما على مجاوريه وفيه ايذان بانه ليس من قبيل الآثار الحاصلة
بمباشرة الخلق عادة بل هو احسان الهي محض وان ظهر بمباشرتي والتعرض لوصف الربوبية لتربية معنى

الرحمة

الرحمة فاذا جاء وعد ربي مصدر بمعنى المفعول وهو يوم القيامة لا خروج يأجوج ومأجوج كما قيل اذ لا
يساعده النظم الكريم والمراد بمجيئه ما ينتظم مجيئه ومجيء مباديه من خروجهم وخروج الدجال
ونزول عيسى عليه السلام ونحو ذلك لا دنو وقوعه فقط كما قيل فان بعض الامور التي تحكى تقع بعد
مجيئه جعله اي السد المشار اليه مع متانته ورصانته وفيه من الجزالة ما ليس في توجيه
الاشارة السابقة الى التمكين المذكور دكا اي ارضا مستوية وقرئ دكاء اي مدكوكا مستويا بالارض
وكل ما انبسط بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وهذا الجعل وقت
مجيء الوعد بمجيء بعض مباديه وفيه بيان لعظم قدرته عز وجل بعد بيان سعة رحمته وكان وعد ربي
اي وعده المعهود او كل ما وعد به فيدخل فيه ذلك دخولا اوليا حقا ثابتا لا محالة واقعا البتة
وهذه الجملة تذييل من ذي القرنين لما ذكره من الجملة الشرطية ومقرر لمضمونها وهو آخر ما حكي من قصته
وهو قوله عز وجل وتركنا بعضهم كلام مسوق من جنابه تعالى معطوف على قوله تعالى جعله دكا ومحقق
لمضمونه اي جعلنا بعض الخلائق يومئذ اي يوم جاء الوعد بمجيء بعض مباديه يموج في بعض آخر منهم يضطربون
اضطراب امواج البحر ويختلط انسهم وجنهم حيارى من شدة الهول ولعل ذلك قبل النفخة الاولى
وتركنا بعض يأجوج ومأجوج يموج في بعض آخر منهم حين يخرجون من السد مزدحمين في البلاد روي
انهم يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس
ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله عز وجل نغفا وهو دود يكون في
انوف الغنم في اقفائهم فيدخل آذانهم فيموتون موت نفس واحدة فيرسل الله تعالى عليهم طيرا
فتلقيهم في البحر ثم يرسل مطرا فيغسل الارض ويطهرها من نتنهم حتى يتركها كالزلفة ثم يوضع فيها
البركة وذلك بعد نزول المسيح عليه السلام وقتل الدجال ونفخ في الصور هي النفخة يقتضيه الفاء
في قوله فجمعناهم ولعل عدم التعرض لذكر النفخة الاولى لانها داهية عامة ليس فيها حالة مختصة
بالكفار ولئلا يقع الفصل بين ما يقع في النشأة الاولى من الاحوال والاهوال وبين ما يقع منها
في النشأة الآخرة اي جمعنا الخلائق بعد ما تفرقت اوصالهم وتمزقت اجسادهم في صعيد واحد للحساب
والجزاء جمعا اي جمعا عجيبا لا يكتنه كنهه وعرضنا جهنم اظهرناها وابرزناها يومئذ اي يوم اذ جمعنا
الخلائق كافة للكافرين منهم حيث جعلناها بحيث يرونها ويسمعون لها تغيظا وزفيرا عرضا فظيعا
هائلا لا يقادر قدره وتخصيص العرض بهم مع انها بمرأى من اهل الجمع قاطبة لان ذلك لاجلهم خاصة
الذين كانت اعينهم وهم في الدنيا في غطاء كثيف وغشاوة غليظة محاطة بذلك من جميع الجوانب
عن ذكري عن الآيات المؤدية لاولي الابصار المتدبرين فيها الى ذكري بالتوحيد والتمجيد او كانت
اعين بصائرهم في غطاء عن ذكري على وجه يليق بشأني او عن القرآن الكريم وكانوا مع ذلك لا يستطيعون
لفرط تصامهم عن الحق وكمال عداوتهم للرسول صلى الله عليه وسلم سمعا استماعا للذكر وكلامي الحق
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا تمثيل لاعراضهم عن الادلة السمعية كما ان الاول
تصوير لتعاميهم عن الآيات المشاهدة بالابصار والموصول نعت للكافرين او بدل منه او بيان نعي به
لذمهم بما في حيز الصلة وللاشعار بعليته لاصابة ما اصابهم من عرض جهنم لهم فان ذلك انما هو لعدم
استعمال مشاعرهم فيما عرض لهم في الدنيا من الآيات واعراضهم عنها مع كونها اسبابا منجية عما ابتلوا
به في الآخرة افحسب الذين كفروا اي كفروا بي كما يعرب عنه قوله تعالى عبادي والحسبان بمعنى الظن
وقد قرئ افظن والهمزة للانكار والتوبيخ على معنى انكار الواقع واستقباحه كما في قولك اضربت
اباك لا انكار الوقوع كما في قوله اضرب ابي والفاء للعطف على مقدر يفصح عنه الصلة على وجه الانكار
والتوبيخ الى المعطوفين جميعا كما اذا قدر المعطوف عليه في قوله تعالى افلا تعقلون منفيا اي الا تسمعون
فلا تعقلون لا الى المعطوف فقط كما اذا قدر مثبتا اي تسمعون فلا تعقلون والمعنى كفروا بي مع جلالة
شأني فحسبوا ان يتخذوا عبادي من دوني من الملائكة وعيسى وعزير عليهم السلام وهم تحت سلطاني
وملكوتي اولياء معبودين ينصرونهم من بأسي وما قيل من انها للعطف على ما قبلها من قوله تعالى
كانت الى آخره وكانوا الى آخره دلالة على ان الحسبان ناشئ من التعامي والتصام وادخل عليها همزة
الانكار ذما على ذم وقطعا له عن المعطوف عليهما لفظا لا معنى للايذان بالاستقلال المؤكد للذم
يأباه ترك الاضمار والتعرض لوصف آخر غير التعامي والتصام على انهما اخرجا مخرج الاحوال
الجبلية لهم ولم يذكر من حيث انهما من الافاعيل الاختيارية الحادثة بحسب نفسهم ليتفرع عليه
عليهما وايضا فانه دين قديم لهم لا يمكن جعله ناشئا عن تصامهم عن كلام الله عز وجل وتخصيص
الانكار بحسبانهم المتفرع عن ذلك تعسف لا يخفى وما في حيز صلة ان ساد مسد مفعولي حسب

كما فى قوله تعالى وحسبوا ان لا تكون فتنة اى افحسبوا انهم يتخذونهم اولياء على معنى ان ذلك ليس من
الاتخاذ فى شىء لما انه انما يكون من الجانبين وهم عليهم السلام منزهون عن ولايتهم بالمرة لقولهم سبحانك
انت ولينا من دونهم وقيل مفعوله الثانى محذوف اى افحسبوا اتخاذهم نافعا لهم والوجه هو الاول لان
فى هذا تسليما لنفس الاتخاذ واعتدادا به فى الجملة وقرئ افحسب الذين كفروا اى افحسبهم وكافيهم ان يتخذوهم
اولياء على الابتداء والخبر او الفعل والفاعل وان النعت اذا اعتمد الهمزة ساوى الفعل فى العمل فالهمزة
حينئذ بمعنى انكار الوقوع انا اعتدنا جهنم اى هيأناها للكافرين المعهودين عدل عن الاضمار ذما لهم
واشعارا بان ذلك الاعتداد بسبب كفرهم المتضمن لحسبانهم الباطل نزلا اى شيئا يتمتعون به عند
ورودهم وهو ما يقام للنزيل اى الضيف مما حضر من الطعام وفيه تخطئة لهم فى حسبانهم وتهكم بهم
حيث كان اتخاذهم اياهم اولياء من قبيل اعتداد العتاد واعداد الزاد ليوم المعاد فكانه قيل
اعتدنا لهم مكان ما اعدوا لانفسهم من العدة والذخر جهنم عدة وفى ايراد النزل ايماء الى ان لهم
وراء جهنم من العذاب ما هى انموذج له وقيل النزل موضع النزول ولذلك فسره ابن عباس
رضى الله عنهما بالمثوى قل هل ننبئكم الخطاب الثانى للكفرة على وجه التوبيخ والجمع فى صيغة المتكلم
لتعيينه من اول الامر والايذان بمعلومية النبأ للمؤمنين ايضا بالاخسرين اعمالا نصب على
التمييز والجمع للايذان بتنوعها وهذا بيان لحال الكفرة باعتبار ما صدر عنهم من الاعمال الحسنة
فى انفسها وفى حسبانهم ايضا حيث كانوا معجبين بها واثقين بنيل ثوابها ومشاهدة آثارها غب بيان
حالهم باعتبار اعمالهم السيئة فى انفسها مع كونها حسنة فى حسبانهم الذين ضل سعيهم فى اقامة تلك
الاعمال ضاع وبطل بالكلية فى الحياة الدنيا متعلق بالسعى لا بالضلال لان بطلان سعيهم غير مختص
بالدنيا قيل المراد بهم اهل الكتابين قاله ابن عباس وسعد بن ابى وقاص ومجاهد ويدخل فى الاعمال
حينئذ ما عملوه من الاحكام المنسوخة المتعلقة بالعبادات وقيل الرهبانية الذين يحبسون
انفسهم فى الصوامع ويحملونها على الرياضات الشاقة ولعله ما يعمهم وغيرهم من الكفرة ومحل الموصول
الرفع على انه خبر مبتدأ محذوف لانه جواب للسؤال كانه قيل من هم فقيل الذين الى آخره وجعله
مجرورا على انه نعت للاخسرين او بدل منه او منصوبا على الذم على ان الجواب ما سياتى من قوله تعالى
اولئك الاية يأباه ان صدره ليس منبئا عن خسران الاعمال وضلال السعى كما يستدعيه مقام
الجواب والتفريع الاول وان دل على حبوطها لكنه ساكت عن ابتنا ما هو العمدة فى تحقيق معنى الخسران
من الوثوق بترتب الربح واعتقاد النفع فيما صنعوا على ان التفريع الثانى مما يقطع ذلك الاحتمال
راسا اذ لا مجال لادراجه تحت قضية نون العظمة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا الاحسان الاتيان
بالاعمال على الوجه اللائق وهو حسنها الوصفى المستلزم لحسنها الذاتى يحسبون انهم يعملون
ذلك على الوجه اللائق وذلك لاعجابهم باعمالهم التى سعوا فى اقامتها وكابدوا فى تحصيلها والجملة
حال من فاعل ضل اى بطل سعيهم المذكور والحال انهم يحسبون انهم يحسنون فى ذلك وينتفعون
بآثاره او من المضاف اليه لكونه فى محل الرفع نحو قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا اى بطل سعيهم
والحال انهم الى آخره والفرق بينهما ان المقارن لحال حسبانهم المذكور فى الاول ضلال سعيهم
وتعينهم بحيث ينطق التعريف غير المخاطبين غير داخل تحت الامر اولئك المنعوتون بما ذكر
من ضلال السعى مع الحسبان المزبور الذين كفروا بآيات ربهم بدلائله الداعية الى التوحيد
عقلا ونقلا والتعرض لعنوان الربوبية لزيادة تقبيح حالهم فى الكفر المذكور ولقائه بالبعث
وما يتبعه من امور الاخرة على ما هى عليه فحبطت لذلك اعمالهم المعهودة حبوطا كليا فلا نقيم لهم
اى لاولئك الموصوفين بما ذكر من حبوط الاعمال وقرئ بالياء يوم القيمة وزنا اى فنزدريهم
ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا لان مداره الاعمال الصالحة وقد حبطت بالمرة وحيث كان هذا
الازدراء من عواقب حبوط الاعمال عطف عليه بطريق التفريع واما ما هو من اجزية الكفر
فسيجيء بعد ذلك او لا نضع لاجل وزن اعمالهم ميزانا لانه انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات
من الموحدين ليتميز به مقادير الطاعات والمعاصى ليترتب عليه التكفير وعدمه لان ذلك
فى الموحدين بطريق الكمية واما الكفر فاحباطه للحسنات بحسب الكيفية فلا يوضع لهم
الميزان قطعا وذلك بيان لمآل كفرهم وساير معاصيهم اثر بيان مآل اعمالهم المحبطة بذلك الامر
ذلك قوله عز وجل جزاؤهم جهنم جملة مبينة له او ذلك المبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف
اى جزاؤهم به او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر بما كفروا تصريح بان ما ذكر جزاء الكفر
هو المتضمن لساير القبائح التى ابتنا عنها قوله تعالى واتخذوا آياتى ورسلى هزوا اى مهزوا بهما

فانهم

فانهم لم يقتنعوا بمجرد الكفر بالآيات والرسل بل كذبوا وارتكبوا مثل تلك العظيمة ايضا ان الذين
آمنوا بيان بطريق الوعد لمآل الذين اتصفوا باضداد ما اتصفت به الكفرة اثر بيان ما لهم بطريق
الوعد لمآل الذين اتصفوا باضداد ما اتصفت به الكفرة اثر بيان ما لهم بطريق الوعيد اى آمنوا
بآيات ربهم ولقائه وعملوا الصالحات من الاعمال كانت لهم فيما سبق من حكم الله تعالى ووعده
وفيه ايماء الى ان اثر الرحمة يصل اليهم بمقتضى الرأفة الازلية بخلاف ما مر من جعل جهنم للكافرين
نزلا فانه بموجب ما حدث من سوء اختيارهم جنات الفردوس عن مجاهد ان الفردوس هو البستان
بالرومية وقال عكرمة هو الجنة بالحبشية وقال الضحاك هى الجنة الملتفة الاشجار وقيل هى الجنة
التى تنبت ضروبا من النبات وقيل هى الجنة من الكرم خاصة وقيل ما كان غالبه كرما وقال المبرد
هو فيما سمعت من العرب الشجر الملتف والاغلب عليه ان يكون من العنب وعن كعب انه ليس فى
الجنان اعلى من جنة الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وعن رسول الله
صلى الله عليه فى الجنة مائة درجة بين كل درجة مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها وفيها
الانهار الاربعة فاذا سألتم الله تعالى فسلوه الفردوس فان فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار
الجنة نزلا خبر كان والجار والمجرور متعلق بمحذوف على انه حال من نزلا او على انه بيان او حال من
جنات الفردوس والخبر هو الجار والمجرور فان جعل النزل بمعنى ما يهيأ للنازل فالمعنى كانت لهم
ثمار جنات الفردوس نزلا وجعلت نفس الجنات نزلا مبالغة فى الاكرام وفيه ايذان بانها عندما
اعد الله لهم على ما جرى على لسان النبوة من قوله اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر بمنزلة النزل بالنسبة الى الضيافة وان جعل بمعنى المنزل فالمعنى ظاهر
خالدين فيها نصب على الحالية لا يبغون عنها حولا مصدر كالعوج والصغر اى لا يطلبون تحولا عنها
اذ لا يتصور ان يكون شىء اعز عندهم وارفع منها حتى تنازعهم اليه انفسهم وتطمح نحوه ابصارهم ويجوز
ان يراد نفى التحول وتأكيد الخلود والجملة حال من صاحب خالدين او من ضميره فيه فتكون حالا
متداخلة قل لو كان البحر اى جنس البحر مدادا وهو ما تمد به الدواة من الحبر لكلمات ربى لتحرير كلمات
علمه وحكمته التى من جملتها ما ذكر من الآيات الداعية الى التوحيد المحذورة من الاشراك لنفد البحر
مع كثرته ولم يبق منه شىء لتناهيه قبل ان تنفد وقرئ بالياء والمعنى من غير ان تنفد كلمات ربى
لعدم تناهيها فلا دلالة للكلام على نفادها بعد نفاد البحر وفى اضافة الكلمات الى اسم الرب المضاف
الى ضميره صلى الله عليه وسلم فى الموضعين من تفخيم المضاف وتشريف المضاف اليه ما لا يخفى واظهار
البحر والكلمات فى موضع الاضمار لزيادة التقرير ولو جئنا كلام من جهته تعالى غير داخل فى الكلام
الملقن جيء به لتحقيق مضمونه وتصديق مدلوله مع زيادة مبالغة وتأكيد والواو لعطف الجملة
على نظيرتها المستأنفة المقابلة لها المحذوفة لدلالة المذكورة عليها دلالة واضحة اى لنفد البحر
من غير نفاد كلماته تعالى لو لم نجئ بمثله مددا ولو جئنا بقدرتنا الباهرة بمثله مددا عونا وزيادة
لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل تحت الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا لقيام
الادلة القاطعة على تناهى الابعاد وقرئ مدادا جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب وقرئ مدادا قل
لهم بعد ما بينت لهم شأن كلماته تعالى انما انا بشر مثلكم لا ادعى الاحاطة بكلماته التامة يوحى الى
من تلك الكلمات انما الهكم اله واحد لا شريك له فى الخلق ولا فى ساير احكام الالوهية وانما
تميزت عنكم بذلك فمن كان يرجو لقاء ربه الرجاء توقع وصول الخير فى المستقبل والمراد بلقائه تعالى
امنه وادخال الماضى على المستقبل للدلالة على ان اللائق بحال المؤمن الاستمرار والاستدامة
على رجا لقائه تعالى فليعمل لتحصيل تلك الطلبة العزيزة عملا صالحا فى نفسه لائقا بذلك المرجو
كما فعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يشرك بعبادة ربه احدا اشراكا جليا كما فعله الذين
كفروا بآيات ربهم ولقائه ولا اشراكا خفيا كما يفعله اهل الرياء ومن يطلب به اجرا وايثار وضع
المظهر موضع المضمر فى الموضعين مع التعرض لعنوان الربوبية لزيادة التقرير وللاشعار
بعلية العنوان للامر والنهى ووجوب الامتثال فعلا وتركا نعوى ان الربوبية لزيادة التقرير
وللاشعار بعلية العنوان ان جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعمل العمل
لله تعالى فاذا اطلع عليه سرنى فقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يقبل ما شورك فيه
فنزلت تصديقا له وروى انه صلى الله عليه وسلم قال له لك اجران اجر السر واجر
العلانية وذلك اذا قصد ان يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قيل
وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها
كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة

حتى ذلك النور ملئكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلالا من
مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص بامالة الها والياء واظهار الدال وقرئ بفتح الهاء وامالة
وبتفخيمها وباخفا النون قبل الصاد لتقاربهما وقد سلف ان ما لا يكون من هذه الفواتح مفردة
ولا موازنة لمفرد فطريق التلفظ بها الحكاية فقط ساكنة الاعجاز على الوقف سوا جعلت اسما
للسورة او مسرودة على نمط التعديد وان لزمها التقا الساكنين لكونه مغتفرا في باب الوقف
قطعا فحق هذه الفاتحة الكريمة ان يوقف عليها حيا على الاصل وقرئ بادغام الدال فيما بعدها
لتقاربهما في المخرج فان جعلت اسما للسورة على ما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع اما على انه خبر
لمبتدا محذوف والتقدير هذا كهيعص اى مسمى به وانما صحت الاشارة اليه مع عدم جريان
ذكره لانه باعتبار كونه على جناح الذكر صار في حكم الحاضر المشاهد كما يقال هذا ما اشترى فلان
او على انه مبتدا خبره ذكر رحمة ربك اى المسمى به ذكر رحمة ربك الى اخره فان ذكرها لما كان مطلع
السورة الكريمة ومعظم ما انطوت هي عليه جعلت كانها نفس ذكرها والاول هو الاولى لان ما
يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون معلوم الانتساب اليه عند المخاطب به واذ لا علم بالتسمية
من قبل فحقها الاخبار كما في الوجه الاول وان جعلت مسرودة على نمط التعديد حسبما جنح اليه
اهل التحقيق فذكر الى اخره خبر محذوف هو ما ينبئ عنه تعديد الحروف كانه قيل المولف من جنس هذه
الحروف المبسوطة مرادا به السورة ذكر رحمة الى اخره او اسم اشارة اشير به اليه تنزيلا لحضور
المادة منزلة المولف منها اى هذا ذكر رحمة الى اخره وقيل هو مبتدا قد حذف خبره اى فيما يتلى عليك
ذكرها وقرئ ذكر رحمة ربك على صيغة الماضي من التذكير اى هذا المتلو ذكرها وقرئ ذكر على صيغة
الامر والتعرض لوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم
للايذان بان تنزيل السورة عليه عليه السلام تكميل له عليه السلام عبده مفعول لرحمة ربك على
انها مفعول اما اضيف اليها وقيل لذكر على انه مصدر اضيف الى فاعله على الاتساع ومعنى ذكر الرحمة
بلوغها واصابتها كما يقال ذكرني معروف فلان اى بلغني وقوله عز وجل زكريا بدل منه او عطف بيان
له اذ نادى ربه نداء خفيا ظرف لرحمة ربك وقيل لذكر على انه مضاف الى فاعله اتساعا على الوجه الاول
لفساد المعنى وقيل هو بدل اشتمال من زكريا كما في قوله واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلها
ولقد راعى عليه السلام حسن الادب في اخفاء دعائه فانه مع كونه بالنسبة اليه عز وجل كالجهر
ادخل في الاخلاص وابعد من الريا واقرب الى الخلاص عن لائمة الناس على طلب الولد لتوقفه على
مبادي لا يليق به تعاطيها في اوان الكبر والشيخوخة وعن غائلة مواليه الذين كان يخافهم وقيل كان
ذلك منه عليه السلام لضعفه الهرم قال رب انى وهن العظم منى سنة حينئذ ستين وقيل خمسا وستين وقيل سبعين وقيل
ثمانين وقيل اكثر منها كما مر في تفسير سورة آل عمران قال الجملة مفسرة لنادى لا محل لها من الاعراب
رب انى وهن العظم منى اسناد الوهن الى العظم لما انه عماد البدن ودعائم الجسد فاذا اصابه الضعف
والرخاوة اصاب كله او لانه اشد اجزائه صلابة وقواما واقلها تاثرا من العلل فاذا وهن كان
ما وراه اوهن وافراده للقصد الى الجنس المنبئ عن شمول الوهن لكل فرد من افراده ومنى متعلق بمحذوف
هو حال من العظم وقرئ وهن بكسر الهاء وبضمها ايضا وتاكيد الجملة لابراز كمال الاعتنا بتحقيق
مضمونها واشتعل الراس شيبا شبه عليه السلام الشيب في البياض والانارة بشواظ النار
وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعالها ثم اخرجه مخرج الاستعارة الى
محل الشعر ومنبته واخرجه مخرج التمييز واطلق الراس اكتفا بما قيد به العظم وفيه من فنون البلاغة
وكمال الجزالة ما لا يخفى حيث كان الاصل اشتعل بيته نارا بالنسبة الى اشتعل النار في بيته ولزيادة
تقريره بالاجمال اولا والتفصيل ثانيا ولمزيد تفخيم بالتنكير وقرئ بادغام السين في الشين ولم اكن
بدعائك رب شقيا اى ولم اكن بدعائي اياك خائبا في وقت من اوقات هذا العمر الطويل بل كلما دعوتك
استجبت لى والجملة معطوفة على ما قبلها او حال من ضمير المتكلم اذ المعنى واشتعل راسي شيبا وهذا
توسل منه عليه السلام بما سلف منه من الاستجابة عند كل دعوة واثر تمهيد ما يستدعي الرحمة
ويجلبه ابدا لا سيما عند اضطراره وشدة افتقاره والتعرض في الموضعين لوصف الربوبية المنبئة
عن الاضافة ما فيه صلاح المربوب مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لا سيما توسيطه بين كان وخبرها

لتحريك سلسلة الاجابة بالمبالغة في التعرض ولذلك قيل اذا اراد العبد ان يستجاب له دعاه
فليدع الله تعالى بما يناسبه من اسمائه وصفاته واني خفت الموالي من ورائي عطف على قوله تعالى
انى وهن مترتب مضمونه فان ضعف القوى وكبر السن من مبادي خوفه عليه السلام من يلي امره
بعد موته ومواليه بنو عمه وكانوا اشرار بني اسرائيل فخاف ان لا يحسنوا خلافته في امته ويبدلوا
عليهم دينهم وقوله من ورائي اى بعد موتى متعلق بمحذوف ينساق اليه الذهن اى فعل الموالي من بعدي
او جور الموالي وقد قرئ كذلك او بما في الموالي من معنى الولاية اى خفت الذين يلون الامر من ورائي
لا بخفت لفساد المعنى وقرئ وراى بالقصر وفتح الياء وقرئ خفت الموالي من ورائي اى قلوا وعجزوا
عن القيام بامور الدين بعدي او خفت الموالي القادرون على اقامة مراسم الملة ومصالح الامة من
خف القوم اى ارتحلوا مسرعين اى درجوا قدامي ولم اودرجوا قدامي ولم يبق منهم تقوى واعتضاد
فالظرف حينئذ متعلق بخفت وكانت امرأتي عاقرا لا تلد من حين شبابها فهب لى من لدنك كلا الجارين
متعلق بهب لاختلاف معنيهما فاللام صلة له ومن لابتدا الغاية وتقديم الاول لكون مدلوله
اهم عنده ويجوز تعلق الثاني بمحذوف وقع حالا من المفعول ولدن في الاصل ظرف بمعنى اول غاية زمانا
او مكانا او غيرهما من الذوات وقد مر تفصيله في اوائل سورة آل عمران اى اعطني من محض فضلك
الواسع وقدرتك الباهرة بطريق الاختراع لا بواسطة الاسباب العادية وليا اى ولدا من صلبي
وتأخيره عن الجارين لاظهار كمال الاعتنا بكونه هبة له على ذلك الوجه البديع مع ما فيه من التشويق
الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فعند وروده لها يتمكن عندها
فضل تمكن ولان فيه نوع طول بما بعده من الوصف فتاخيرهما عن الحل وتوسيطهما بين الموصوف
والصفة مما لا يليق بجزالة النظم الكريم والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان ما ذكره عليه السلام
من كبر السن وضعف القوى وعقر المراة موجب لانقطاع رجائه عليه السلام عن حصول الولد
بتوسط الاسباب العادية واستيهابه على الوجه الخارق للعادة ولا يقدح في ذلك ان يكون هناك
داع اخر الى الاقبال على الدعا المذكور من مشاهدته عليه السلام للخوارق الظاهرة في حق مريم كما
يعرب عنه قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه الاية وعدم ذكره ههنا للتعويل على ذكره هنالك كما ان عدم ذكر
مقدمة الدعا هنالك للاكتفا بذكرها ههنا فان الاكتفا بما ذكر في موطن عما ترك في موطن اخر من النكت
التنزيلية وقوله تعالى يرثني صفة لوليا وقرئ هو وما عطف عليه بالجزم جوابا للدعا اى يرثني
من حيث العلم والدين والنبوة فان الانبيا عليهم السلام لا يورثون المال قال عليه السلام نحن معاشر
الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة وقيل يرثني الحبورة وكان عليه السلام حبرا ويرث من آل يعقوب يقال
ورثه وورث منه لغتان وآل الرجل خاصته امر مريم اى يرث منهم الملك وقيل هو يعقوب بن اسحق
بن ابراهيم عليهم السلام وقال الكلبي ومقاتل هو يعقوب بن ماثان اخو عمران بن ماثان من نسل سليمان
عليه السلام وكان آل يعقوب اخوال يحيى بن زكريا قال الكلبي كان بنو ماثان رؤس بني اسرائيل اى
مريم وملوكهم وكان زكريا رئيس الاحبار يومئذ فاراد ان يرثه ولده حبورته ويرث من بني ماثان
ملكهم وقرئ ويرث وارث آل يعقوب على انه حال من المستكن في يرث وقرئ او يرث آل يعقوب
بالتصغير ففيه ايما الى وراثته عليه السلام لما يرثه في حال صغره وقرئ وارث من آل يعقوب على
انه فاعل يرثني على طريقة التجريد اى يرثني به وارث وقيل من للتبعيض اذ لم يكن كل آل يعقوب
عليه السلام انبيا ولا علما واجعله رب رضيا مرضيا عندك قولا وفعلا وتوسيط رب بين مفعولي
الجعل للمبالغة في الاعتنا بشان ما يستدعيه يا زكريا على ارادة القول اى قال تعالى يا زكريا انا
نبشرك بغلام اسمه يحيى لكن لا بان لا يخاطبه عليه السلام بذلك بالذات بل بواسطة الملك على ان
يحكيه له عليه السلام هذه العبارة عنه عز وجل على نهج قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا الاية
وقد مر تحقيقه في سورة آل عمران وهذا جواب لندائه عليه السلام ووعد باجابة دعائه لكن
لا كلا كما هو المتبادر من قوله تعالى فاستجبنا له ووهبنا له يحيى الى اخره بل بعضها حسبما تقتضيه السنة
الالهية المبنية على الحكم البالغة فان الانبيا عليهم السلام وان كانوا مستجابي الدعوة لكنهم ليسوا
كذلك في جميع الدعوات الا ترى الى دعوة ابراهيم عليه السلام في حق ابيه والى دعوة النبي صلى الله عليه
وسلم حيث قال وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها وقد كان من قضائه عز وعلا ان يهب
يحيى نبيا مرضيا ولا يرثه فاستجيب دعاه في الاول دون الثاني حيث قتل قبل موت ابيه عليهما
السلام على ما هو المشهور وقيل بقي بعده برهة فلا اشكال حينئذ وفي تعيين اسمه عليه السلام تاكيد
للوعد وتشريف له عليه السلام وفي تخصيصه به حسبما يعرب عنه قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا

اى شريكا له فى الاسم حيث لم يسم احدا قبله بيحيى مزيد تشريف وتفخيم له عليه السلام فان التسمية
بالاسامى البديعة الممتازة عن اسماء سائر الناس تنويه بالمسمى لا محالة وقيل سميا شبيها فى
الفضل والكمال كما فى قوله تعالى هل تعلم له سميا فان المتشاركين فى الوصف بمنزلة المتشاركين فى الاسم
قالوا لم يكن له عليه السلام مثل فى انه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية وانه ولد من شيخ فان
وعجوز عاقر وانه كان حصورا فيكون هذا اجمالا لما نزل من قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله وسيدا
وحصورا ونبيا من الصالحين والاظهر انه اسم اعجمى وان كان عربيا فهو منقول عن الفعل كيعمر ويعيش
قيل سمى به لانه حيى به رحم الله امه وحيى دين الله تعالى بدعوته قال استيناف مبنى على السؤال كانه
قيل فماذا قال عليه السلام حينئذ فقيل قال رب ناداه تعالى بالذات مع وصول خطابه تعالى
اليه بتوسيط الملك للمبالغة فى التضرع والمناجاة والجد فى التبتل اليه تعالى والاحتراز عما عسى يوهم
خطابه للملك من توهم ان علمه تعالى بما يصدر عنه متوسط على توقفه كما ان علم البشر بما يصدر
عنه سبحانه وتعالى متوقف على ذلك فى عامة الاوقات انى يكون لى غلام كلمة انى بمعنى كيف اى من
اين وكان اما تامة وانى واللام متعلقان بها وتقديم الجار على الفاعل لما مر مرارا من الاعتنا بما
قدم والتشويق الى الموخر اى كيف او من اين يحدث لى غلام ويجوز ان يتعلق اللام بمحذوف وقع حالا
من غلام اذ لو تاخر لكان صفة له اى انى يحدث كاينا لى غلام اذ لو تاخر لكان صفة له اى انى يحدث
كائنا لى او هو الخبر وانى نصب على الظرفية وقوله تعالى وكانت امرأتى عاقرا حال من ضمير المتكلم
بتقدير قد وكذا قوله تعالى وقد بلغت من الكبر عتيا حال منه مؤكد للاستبعاد اثر تأكيد
اى كانت امرأتى عاقرا لم تلد فى شبابها وشبابى فكيف وهى الان عجوز وقد بلغت انا من اجل كبر
السن جساوة وتحولا فى المفاصل والعظام وبلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا من عتا
يعتو واصله عتو كقعود فاستثقل توالى الضمتين والواوين فكسرت التا فانقلبت الاولى ياء
لسكونها وانكسار ما قبلها ثم قلبت الثانية ايضا لاجتماع الواو والياء وسبق احديهما بالسكون
وكسرت العين اتباعا لما بعدها وقرئ بضمها ولعل البداية ههنا بذكر حال امرأته على عكس
ما فى سورة آل عمران لما انه قد ذكر حاله فى تضاعيف دعائه وانما المذكور ههنا بلوغه اقصى
مراتب الكبر تتمة لما ذكر قبل واما هنالك فلم يسبق فى الدعا ذكر حاله فلذلك قدمه على ذكر حال
امرأته لما ان المسارعة الى بيان قصور شانه انسب وانما قاله عليه السلام مع سبق دعائه عليه
السلام بذلك وقوة يقينه بقدرة الله عز وجل لاسيما بعد مشاهدته للشواهد المذكورة فى
سورة آل عمران استعظاما لقدرة الله تعالى وتعجبا منها واعتدادا بنعمته تعالى عليه فى ذلك باظهار
انه من محض لطف الله عز وجل وفضله مع كونه فى نفسه من الامور المستحيلة عادة لا استبعادا
له وقيل انما قاله ليجاب بما اجيب به فيزداد المؤمنون ايقانا ويرتدع المبطلون وقيل كان ذلك منه
عليه السلام استفهاما عن كيفية حدوثه وقيل كان ذلك بطريق الاستبعاد حيث كان بين الدعا
والبشارة ستون سنة كان قد نسى دعاه وهو بعيد قال استيناف كما مر مبنى على سؤال نشا مما سلف
والكاف فى قوله تعالى كذلك قال ربك مقحمة كما فى مثلك لا يبخل محلها اما النصب على انه مصدر
تشبيهى لقال الثانى وذلك اشارة الى مصدره الذى هو عبارة عن الوعد السابق لا الى قول
اخر شبه هذا به وقد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله تعالى
هو على هين جملة مقررة للوعد المذكور دالة على انجازه داخلة فى حيز قال الاول كانه قيل قال
الله عز وجل مثل ذلك القول البديع قلت اى مثل ذلك الوعد الخارق للعادة وعدت هو على
خاصة هين وان كان فى العادة مستحيلا وقرئ هو على هين والجملة حينئذ حال من ربك والياء عبارة
من ضميره كما ستعرفه او اعتراض وعلى كل حال فهى مؤكدة ومقررة لما قبلها ثم اخرج القول الثانى
مخرج الالتفات جريا على سنن الكبريا لتربية المهابة وادخال الروعة كقول الخلفا امير المؤمنين
يرسم لك مكان انا ارسم ثم اسند الى اسم الرب المضاف الى ضميره عليه السلام تشريفا له واشعارا
بعلة الحكم فان تذكير جريان احكام ربوبيته تعالى عليه عليه السلام من ايجاده من العدم
وتصويره فى اطوار الخلق من حال الى حال شيئا فشيئا الى ان يبلغ كماله اللائق به مما يقلع اساس
استبعاده عليه السلام لحصول الموعود ويورثه عليه السلام الاطمينان بانجازه لا محالة ثم التفت
من ضمير الغائب العايد الى الرب الى ياء العظمة ايذانا بان مدار كونه هينا عليه سبحانه هو القدرة
الذاتية لا ربوبيته تعالى له عليه السلام خاصة وتمهيدا لما يعقبه وقيل ذلك اشارة الى مبهم
يفسره قوله تعالى هو على هين على طريقة قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء

مقطوع

مقطوع مصبحين ولا يخرج هذا الوجه على القراءة بالواو ولانها لا تدخل بين المفسر والمفسر واما الرفع
على انه خبر مبتدا محذوف وذلك اشارة الى ما تقدم من وعده اى قال عز وعلا الامر كما وعدت
وهو واقع لا محالة وقوله تعالى قال ربك الى اخره استيناف مقرر بمضمونه للجملة المحكية على القراءة الثانية
معطوفة على المحكية الاولى او حال من المستكن فى الجار والمجرور وايا ما كان فتوسط قال بينهما مشعر
بمزيد الاعتنا بكل منهما او الكلام فى اسناد القول الى الرب ثم الالتفات الى التكلم كالذى مر انفا وقيل
ذلك اشارة الى ما قاله زكريا عليه السلام اى قال تعالى قال ربك الى اخره استيناف مسوق لا مر
كما قلت تصديقا له فيما حكاه من الحالة المباينة للولادة فى نفسه وفى امرأته وقوله تعالى قال ربك
الى اخره استيناف مسوق لازالة استبعاد بعد تقريره اى قال تعالى مع بعده فى نفسه على هين والقراءة
الثانية ادخل فى افادة هذا المعنى على ان الواو للعطف واما جعلها للحال فيخل بسداد المعنى لان مآله تقرير
صعوبته حال سهولته عليه تعالى مع ان المقصود بيان سهولته عليه سبحانه وتعالى مع صعوبته فى
نفسه وقوله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا جملة مستانفة مقررة لما قبلها والمراد به
ابتدا خلق البشر وهو الواقع اثر العدم المحض لا ما كان بعد ذلك بطريق التوالد المعتاد وانما لم
ينسب ذلك الى آدم عليه السلام وهو المخلوق من العدم حقيقة بان يقال وقد خلقت اباك آدم
من قبل ولم يك شيئا مع كفايته فى ازالة الاستبعاد بقياس حال ما بشر به على حاله عليه السلام لتاكيد
الاحتجاج وتوضيح منهاج القياس حيث نبه على ان كل فرد من افراد البشر له حظ من انشائه عليه
السلام من العدم اذ لم يكن فطرته البديعة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة
سائر آحاد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لجريان آثارها على الكل فكان ابداعه عليه السلام على ذلك
الوجه ابداعا لكل احد من فروعه كذلك ولما كان خلقه عليه السلام على هذا النمط السارى الى جميع
افراد ذريته ابدع من ان يكون ذلك مقصورا على نفسه كما هو المفهوم من نسبة الخلق المذكور اليه وادل
على عظم قدرته تعالى وكمال علمه وحكمته وكان عدم زكريا حينئذ اظهر عنده واجلى وكان حاله اولى بان
يكون معيارا لحال ما بشر به نسب الخلق المذكور اليه كما نسب الخلق والتصوير الى المخاطبين فى قوله تعالى
ولقد خلقناكم ثم صورناكم شيئا اصلا بل عدما بحتا ونفيا صرفا وهذا واما حمل الشئ على المعتد به اى
لم تك شيئا معتدا به فيأباه المقام ويرده نظم الكلام وقرئ خلقناك قال رب اجعل لى آية اى علامة تدلنى
على تحقق المسئول ووقوع الحبل ولم يكن هذا السؤال منه عليه السلام لتاكيد البشارة وتحقيقها
كما قيل فان ذلك مما لا يليق بمنصب الرسالة وانما كان ذلك لتعريفه وقت العلوق حيث كانت البشارة
مطلقة عن تعيينه وهو امر خفى لا يوقف عليه فاراد ان يطلعه الله عليه ليتلقى تلك النعمة الجليلة
بالشكر من حين حدوثها ولا يؤخره الى ان تظهر ظهورا معتادا وقد مرت الاشارة فى تفسير سورة آل عمران
الا ان هذا السؤال ينبغى ان يكون بعد ما مضى بعد البشارة برهة من الزمان لما روى ان يحيى كان اكبر
من عيسى عليه السلام بستة اشهر او بثلاث سنين ولا ريب فى ان دعا زكريا عليه السلام كان فى صغر
مريم لقوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وهى انما ولدت عيسى عليه السلام وهى بنت عشر سنين او بنت
ثلاث عشرة سنة والجعل ابداعى واللام متعلقة به وتقديمها على المفعول به لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم
والتشويق الى الموخر او بمحذوف وقع حالا من آية اذ لو تاخر لكان صفة لها وقيل بمعنى التصيير المستدعى
لمفعولين اولهما آية وثانيهما الظرف وتقديمه لانه مسوغ لكون آية مبتدا عند انحلال الجملة الى مبتدا وخبر
سوى تقديم الظرف فلا يتغير حالهما بعد ورود الناسخ قال آيتك الا تكلم الناس اى ان لا تقدر على ان
تكلمهم بكلام الناس مع القدرة على الذكر والتسبيح ثلاث ليال مع ايامهن للتصريح بها فى سورة آل
عمران سويا حال من فاعل تكلم مفيد لكون انتفا التكلم بطريق الاضطرار دون الاختيار اى تمنع الكلام فلا
تطيق به حال كونك سوى الخلق سليم الجوارح ما بك شائبة بكم ولا خرس فخرج على قومه من المحراب اى
من المصلى او من الغرفة وكانوا من وراء المحراب ينتظرونه ان يفتح لهم الباب فيدخلوه فيصلوا اذ خرج
عليهم متغيرا لونه فانكروه وقالوا ما لك فاوحى اليهم اى اومى اليهم لقوله تعالى الا رمزا وقيل كتب
على الارض وان فى قوله تعالى ان سبحوا اما مفسرة لاوحى او مصدرية والمعنى اى صلوا او بان صلوا
بكرة وعشيا هما ظرفا زمان للتسبيح عن ابى العالية ان المراد بهما صلاة الفجر وصلاة العصر
او نزهوا ربكم طرفى النهار ولعله كان مأمورا بان يسبح شكرا وان يأمر قومه بذلك يا يحيى استيناف
طوى قبله جمل كثيرة مسارعة الى الانباء بانجاز الوعد الكريم اى قلنا يا يحيى خذ الكتاب اى التوراة
بقوة اى بجد واستظهار بالتوفيق وآتيناه الحكم صبيا قال ابن عباس رضى الله عنهما الحكم النبوة
استنبأه وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والفقه فى الدين روى انه دعاه

المتبيان الى اللعب فقال ما للعب خلقنا وحنانا من لدنا عطف على الحكم وتنويه التفخيم وهو التحلى والاستينا في
ومن متعلقة بمحذوف وقع صفة له موكدة لما افادة التنوين من الفخامة الذاتية من الفخامة الاضافية
اى وآتيناه رحمة عظيمة عليه كاينة من جنابنا او رحمة في قلبه وشفقة على ابويه وغيرهما وزكاة
اى طهارة من الذنوب او صدقة تصدق بها على ابويه او وفقناه للتصديق على الناس وكان تقيا مطيعا
متجنبا من المعاصي وبرا بوالديه عطف على تقيا اى بارا بهما لطيفا بهما محسنا اليهما ولم يكن جبارا عصيا متكبرا
عاقا لهما او عاصيا لربه وسلام عليه من الله عز وجل يوم ولد من ان يناله الشيطان بما ينال به بني
آدم ويوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من هول القيامة وعذاب النار واذكر في الكتاب
كلام مستانف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بذكر قصة مريم اثر قصة زكريا لما بينهما من كمال
الاشتباك والمراد بالكتاب السورة الكريمة لا القرآن اذ هي التي صدرت بقصة زكريا المستتبعة لذكر
قصتها وقصص الانبيا المذكورين فيها اى واذكر للناس مريم اى نبأها فان الذكر لا يتعلق بالاعيان
وقوله تعالى اذ انتبذت ظرف لذلك المضاف لكن لا على ان يكون المامور به ذكر نبأها عند انتباذها
فقط بل كل ما عطف عليه وحكى بعده بطريق الاستيناف داخل في حيز الظرف متمم للنبأ وقيل بدل
اشتمال من مريم على ان المراد بها نبأها فان الظروف مشتملة على ما فيها وقيل بدل الكل على ان المراد بالظرف
ما وقع فيه وقيل اذ بمعنى المصدرية كما في قولك اكرمتك اذ لم تكرمني اى لئن لم تكرمني فهو بدل
اشتمال لا محالة وقوله تعالى من اهلها متعلق بانتبذت وقوله تعالى مكانا شرقيا مفعول باعتبار
ما في ضمنه من معنى الاتيان المرتب وجودا واعتبارا على اصل معناه العامل في الجار والمجرور وهو السر
في تاخيره عنه اى اعتزلت وانفردت منهم واتت مكانا شرقيا من بيت المقدس او من دارها لتتخلى
هنالك للعبادة وقيل قعدت في مشربة لتغتسل من الحيض محتجبة بحائط او بشىء يسترها وذلك
قوله تعالى فاتخذت من دونهم حجابا وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها
واذا طهرت عادت الى المسجد فبيناهي في مغتسلها اتاها الملك عليه السلام في صورة آدمي
شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا اى جبريل عليه
عليه السلام عبر عنه بذلك توفية للمقام وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه روح العباد الذي
هو عدة المقربين في قوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوى
الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل في صورة ترب لها اسمه
يوسف من خدمة بيت المقدس وذلك لتستانس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي اليها من كلماته تعالى
اذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته واما ما قيل من ان ذلك لتهيج
شهوتها فتنحدر نطفتها الى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه
قوله تعالى قالت اني اعوذ بالرحمن منك فانه شاهد عدل بانه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما اليه
فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على اقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق
والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره
تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما
دهمها وقوله تعالى ان كنت تقيا تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة السياق عليه اى فاني عائذة به او فتتعوذ بتعويذي او فلا تتعرض لي قال انما انا رسول
ربك يريد عليه السلام اني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذي
استعذت به لاهب لك غلاما اى لاكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز ان يكون ذلك
حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرها
لتشريفها وتسليتها والاشعار بعلة الحكم فان هبة الغلام لها من احكام تربيتها وفي بعض المصاحف
امرني ان اهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير اى مترقيا من سن الى سن على الخير
والصلاح قالت اني يكون لي غلام كما وصفت ولم يمسسني بشر اى والحال انه لم يباشرني بالنكاح رجل
وانما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادي الولادة ولم اك بغيا عطف على لم يمسسني داخل
معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح اى ولم اكن فاجرة تبغي الرجال
وهي مفعول بمعنى الفاعل اصلها بغوي فادغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت الغين اتباعا
وقيل فعيل بمعنى الفاعل ولو كان فعيلا بمعنى الفاعل لقيل بغيا كما يقال امرأة نهوء عن المنكر وانما لم يلحقه التاء لانها من باب
النسب كطالق او بمعنى المفعول اى يبغيها الفجور بها قال اى الملك تقريرا لمقالته وتحقيقا لها
كذلك اى الامر كما قلت لك وقوله تعالى قال ربك الى آخره استيناف مقرر له اى قال ربك الذي

ارسلني

ارسلني اليك هو اى ما ذكرت لك من هبة الغلام من غير ان يمسك بشر على خاصة هين وان كان
مستحيلا عادة لما اني لا احتاج الى الاسباب والوسائط وقوله تعالى ولنجعله آية للناس اى علامة
لعلة محذوفة اى ولنجعل وهب الغلام آية لهم وبرهانا يستدلون به على كمال قدرتنا فعلنا
ذلك او معطوف على علة اخرى مضمرة اى لنبين به عظيم قدرتنا ولنجعله آية الى آخره والواو
على الاول اعتراضية والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الجلالة ورحمة عظيمة كائنة منا
عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بارشاده وكان ذلك امرا مقضيا محكما قد تعلق به قضاؤنا
الازلي او قدر وسطر في اللوح لا بد من جريانه عليك البتة او كان امرا حقيقا بان يقضى
ويفعل لتضمنه حكما بالغة فحملته بان نفخ جبريل عليه السلام في درعها فدخلت النفخة في جوفها
قيل انه عليه السلام رفع درعها فنفخ في جيبه فحملت وقيل نفخ عن بعد فوصل الريح اليها
فحملت في الحال وقيل ان النفخة كانت في فيها وكانت مدة حملها سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش
اشهر ولم يعش مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثمانية اشهر ولم يعش
مولود وضع لثمانية اشهر غيره وقيل تسعة اشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة كما حملت
وضعته وسنها حينئذ ثلاث عشرة سنة وقيل عشر سنين وقد حاضت حيضتين فانتبذت به
اى فاعتزلت وهو في بطنها كما في قوله • تدوس بنا الجماجم والتريبا • فالجار والمجرور في حيز النصب
على الحالية اى فانتبذت ملتبسة به مكانا قصيا بعيدا من اهلها وراء الجبل وقيل اقصى الدار
وهو الانسب بقصر مدة الحمل فاجاءها المخاض اى الجاها وهو في الاصل منقول من جاء لكنه
لم يستعمل في غيره كاعطى وقرئ المخاض بكسر الميم وكلاهما مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد
في بطنها للخروج الى جذع النخلة لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وهو ما بين العراق
والغصن وكانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف اما للجنس او
للعهد اذ لم يكن ثمة غيرها وكانت كالمتعالم عند الناس ولعله تعالى الهمها ذلك ليريها
من آياتها ما يسكن روعتها ويطعمها الرطب الذي هو خرسة النفساء الموافقة لها قالت يا ليتني
مت بكسر الميم من مات يمات كخفت وقرئ بضمها من مات يموت قبل هذا الذي لقيت منه
ما لقيت وانما قالته مع انها كانت تعلم ما جرى بينها وبين جبريل عليه السلام من الوعد الكريم
استحياء من الناس وخوفا من لائمتهم او حذرا من وقوع الناس في المعصية بما تكلموا فيها او جريا
على سنن الصالحين عند اشتداد الامر عليهم كما روي عن عمر رضي الله عنه انه اخذ تبنة من الارض
فقال يا ليتني هذه التبنة ولم اك شيئا وعن بلال انه قال ليت بلالا لم تلده امه وكنت
نسيا اى شيئا تافها شانه ان ينسى ولا يعتد به اصلا وقرئ بالكسر وهما لغتان في ذلك كالوتر
والوتر وقيل هو بالكسر اسم لما ينسى كالنقض اسم لما ينقض وبالفتح مصدر سمي به المفعول
مبالغة وقرئ بهما مهموزا من نسأت اللبن اذا صببت عليه الماء فصار مستهلكا فيه وقرئ نسا
كعصا منسيا لا يخطر ببال احد من الناس وهو نعت للمبالغة وقرئ بكسر الميم اتباعا للسين
فناداها اى جبريل عليه السلام من تحتها قيل انه كان يقبل الولد وقيل من تحتها اى من مكان
اسفل منها تحت الاكمة وقيل من تحت النخلة وقيل ناداها عيسى عليه السلام وقرئ فخاطبها
من تحتها بفتح الميم ان لا تحزني اى لا تحزني على ان ان مفسرة او بان لا تحزني على ان مصدرية قد حذف
عنها الجار قد جعل ربك تحتك اى بمكان اسفل منك وقيل تحت امرك ان امرته بالجري جرى وان
امرته بالامساك امسك سريا نهرا صغيرا حسبما روي مرفوعا قال ابن عباس رضي الله عنهما ان
جبريل عليه السلام ضرب برجله الارض فظهرت ماء عين عذب فجرى جدولا وقيل فعله
عيسى عليه السلام وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله عز وجل فيه الماء حينئذ كما فعل مثله
بالنخلة فانها كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا ورق فضلا عن الثمر وكان الوقت شتاء فجعل الله
لها اذ ذاك رأسا وخوصا وثمرا وقيل كان هناك ماء جار والاول هو الموافق لمقام بيان ظهور
الخوارق والمتبادر من النظم الكريم وقيل سريا سيدا نبيلا رفيع الشان جليلا وهو عيسى عليه
السلام فالتنوين للتفخيم والجملة تعليل للانتفاء الحزن المفهوم من النهي عنه والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميرها لتشريفها وتاكيد التعليل وتكميل التسلية وهزي اليك
تحريكه الى الجهات المتقابلة تحريكا عنيفا متداركا والمراد هاهنا ما كان منه بطريق الجذب
والدفع لقوله تعالى اليك اى الى جهتك والباء في قوله عز وعلا بجذع النخلة صلة للتاكيد
كما في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة الى آخره قال الفراء تقول العرب هزه وهز به

واخذ الخطام او لصاق الفعل بمدلولها اى افعلى الهز بجذعها او هزى الثمرة بهزه وقيل هى متعلقة
بمحذوف وقع حالا من مفعول الهز اى هزى عليك الرطب كائنا بجذعها تساقط اى تسقط النخلة
عليك اسقاطا متواترا من الاسقاط بالتاء والياء وتساقط باظهار التائين وتساقط بطرح
الثانية وتساقط بادغامها فى السين ويساقط بالياء كذلك وتسقط ويسقط من السقوط على
ان التاء للنخلة والياء للجذع وقوله تعالى رطبا على القراءات الثلاث الاول مفعول وعلى الست
الباقى تمييز وقوله تعالى جنيا صفة له وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول اى رطبا جنيا
اى صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل اى طريا وقرئ جنيا بكسر الجيم للاتباع فكلى واشربى اى من ذلك
الرطب وماء السرى او من الرطب وعصيره وقرئ عينا طيبى نفسك وارفضى عنها ما احزنك
واهمك فانه تعالى قد نزه ساحتك عما اختلج فى صدور المتعبدين بالاحكام العادية بان
اظهر لهم من البسائط العنصرية والمركبات النباتية ما يخرق العادات التكوينية ويرشدهم
الى الوقوف على سريرة امرك وقرئ بكسر القاف وهى لغة نجد واشتقاقه من القرار فان العين
اذا رأت ما يسر النفس سكنت اليه من النظر الى غيره او من القر فان دمعة السرور باردة
ودمعة الحزن حارة ولذلك يقال قرة العين للمحبوب وسخنتها للمكروه فاما ترين من البشر احدا
اى ادميا كائنا من كان وقرئ ترئن على لغة من يقول لبأت بالحج لما بين الهمزة والياء من التآخى
فقولى له ان استنطقك انى نذرت للرحمن صوما اى صمتا وقد قرئ كذلك او صياما بالسكوت
فلن اكلم اليوم انسيا اى بعد ان اخبرتكم بنذرى وانما اكلم الملائكة واناجى ربى وقيل
امرت بان تخبر بنذرها بالاشارة وهو الاظهر قال الفراء العرب تسمى كل ما وصل الى الانسان
كلاما باى طريق وصل ما لم يؤكد بالمصدر فاذا اكد لم يكن الا حقيقة الكلام وانما امرت
بذلك كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم والاكتفاء بكلام عيسى عليه السلام فانه نص قاطع
فى قطع الطعن فاتت به قومها اى جاءتهم مع ولدها راجعة اليهم عند ما طهرت من نفاسها تحمله
اى حاملة له قالوا مستنكرين لها يا مريم لقد جئت اى فعلت شيئا فريا اى عظيما بديعا منكرا من
فرى الجلد اى قطعه او جئت مجيئا عجيبا عبر عنه بالشئ تحقيقا للاستغراب يا اخت هرون
استئناف لتجديد التعيير وتأكيد التوبيخ عنوا به هرون النبى عليه السلام وكانت من اعقاب من
كان معه فى الطبقة الاخرى وقيل كانت من نسله وكان بينهما الف سنة وقيل هو رجل صالح او
طالح كان فى زمانهم شبهوها به اى كنت عندنا مثله فى الصلاح او سموها به ما كان ابوك
امرأ سوء وما كانت امك بغيا تقرير لكون ما جاءت به فريا منكرا وتنبيه على ان ارتكاب
الفواحش من اولاد الصالحين افحش فاشارت اليه اى الى عيسى عليه السلام ان كلموه والظاهر
انها بينت حينئذ نذرها وانها بمعزل من محاورة الانس حسبما امرت ففيه دلالة على ان
المأمور به بيان نذرها بالاشارة لا بالعبارة والجمع بينهما مما لا عهد به قالوا منكرين لجوابها
كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ولم نعهد فيما سلف صبيا يكلمه عاقل وكان لايقاع مضمون
الجملة فى زمان ماض مبهم صالح لقريبه وبعيده وهو هاهنا لقريبه خاصة بدليل انه مسوق
للتعجب وقيل هى زائدة والظرف صلة من وصبيا حال من المستكن فيه او هى تامة او دائمة كما
فى قوله تعالى وكان الله عليما حكيما قال استئناف مبنى على سؤال نشأ من سياق النظم الكريم
فماذا كان بعد ذلك فقيل قال عيسى عليه السلام انى عبد الله انطقه الله عز وجل بذلك
اولا تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليهما السلام
وعن السدى رضى الله عنه لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا مما فعلت
وروى انه عليه الصلاة والسلام كان يرضع فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه
واتكأ على يساره واشار بسبابته فقال ما قال الى اخره وقيل كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ
مبلغا يتكلم فيه الصبيان اتانى الكتاب اى الانجيل وجعلنى نبيا وجعلنى مع ذلك مباركا
نفاعا معلما للخير والتعبير بلفظ الماضى فى الافعال الثلاثة اما باعتبار ما سبق فى القضاء المحتوم
او بجعل ما فى شرف الوقوع لا محالة واقعا قيل اكمل الله عقله واستنبأه طفلا اينما كنت
اى حيثما كنت واوصانى بالصلاة اى امرنى بها امرا مؤكدا والزكاة زكاة المال ان ملكته او
بتطهير النفس عن الرذائل ما دمت حيا فى الدنيا وبرا بوالدتى عطف على مباركا اى جعلنى
بارا بها وقرئ بالكسر على انه مصدر وصف به مبالغة او منصوب بفعل دل عليه اوصانى
اى وكلفنى برا ويؤيده القراءة بالكسر والجر عطفا على الصلاة والزكاة والتنكير للتفخيم ولم

يجعلنى

يجعلنى جبارا شقيا عند الله تعالى لفرط تكبره والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم
ابعث حيا كما هو على يحيى على ان التعريف للعهد والاظهر انه للجنس والتعريض باللعن على اعدائه فان
اثبات جنس السلام لنفسه تعريض باثبات ضده لاضداده كما فى قوله تعالى والسلام على من اتبع
الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى ذلك اشارة الى من فصلت نعوته الجليلة وما
فيه من معنى البعد للدلالة على علو رتبته وبعد منزلته وامتيازه بتلك المناقب الحميدة عن
غيره ونزوله منزلة المشاهد المحسوس عيسى بن مريم لا ما يصفه النصارى وهو تكذيب لهم فيما
يزعمونه على الوجه الابلغ والمنهاج البرهانى حيث جعله موصوفا باضداد ما يصفونه قول
الحق بالنصب على انه مصدر مؤكد لقال انى عبد الله الى اخره وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف اى هو قول الحق الذى لا ريب
فيه والاضافة للبيان والضمير للكلام السابق او لتمام القصة وقيل صفة عيسى او بدل او خبر
ثان ومعناه كلمة الله وقرئ قال الحق وقول الحق والقول والقال فى معنى واحد الذى فيه يمترون اى
يشكون او يتنازعون فيقول اليهود ساحر والنصارى ابن الله سبحانه وتعالى وقرئ بتاء الخطاب
ما كان لله اى ما صح وما استقام له تعالى ان يتخذ من ولد سبحانه تكذيب للنصارى وتنزيه له
تعالى عما بهتوه وقوله تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تبكيت لهم ببيان ان شأنه
تعالى اذا قضى امرا من الامور ان تعلق به ارادته فيكون حينئذ بلا تأخير فمن يكون هذا شأنه
كيف يتوهم ان يكون له ولد وقرئ فيكون بالنصب على الجواب وقوله تعالى وان الله ربى وربكم
فاعبدوه من تمام كلام عيسى قيل هو عطف على قوله انى عبد الله داخل تحت القول وقد قرئ بغير
واو وقرئ بفتح الهمزة على حذف اللام اى ولانه تعالى ربى وربكم فاعبدوه كقوله تعالى وان
المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وقيل معطوف على الصلاة هذا اى الذى ذكرته من التوحيد
صراط مستقيم لا يضل سالكه والفاء فى قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم لترتيب ما بعدها
على ما قبلها تنبيها على سوء صنيعهم بجعلهم ما يوجب الاتفاق منشأ للاختلاف فان ما حكى من قول
عيسى عليه السلام مع كونه نصوصا قاطعة فى كونه عبده ورسوله فاختلف الاحزاب من بينهم
قد اختلف اليهود والنصارى بالتفريط والافراط وفرق النصارى فقالت النسطورية هو ابن
الله وقالت اليعقوبية هو الله هبط الى الارض ثم صعد الى السماء تعالى عن ذلك علوا كبيرا
وقالت الملكانية هو عبد الله ونبيه فويل للذين كفروا وهم المختلفون عبر عنهم بالموصول ايذانا
بكفرهم جميعا واشعارا بعلة الحكم من مشهد يوم عظيم اى من شهود يوم عظيم الهول والحساب والجزاء وهو
يوم القيمة او من وقت شهوده او من مكان الشهود فيه او من شهادة ذلك اليوم عليهم وهو ان
يشهد عليهم الملائكة والانبياء عليهم السلام والسنتهم وايديهم وارجلهم وسائر ارابهم
بالكفر والفسوق او من وقت الشهادة او من مكانها وقيل هو ما شهدوا به فى حق عيسى وامه
اسمع بهم وابصر تعجب من شدة سمعهم وابصارهم يومئذ ومعناه ان اسماعهم وابصارهم يوم
يأتوننا للحساب والجزاء اى يوم القيمة جدير بان يتعجب منهما بعد ان كانوا فى الدنيا صما عميا او
تهديد بما سيسمعون ويبصرون يومئذ وقيل امر بان يسمعهم ويبصرهم مواعيد ذلك اليوم وما
يحيق بهم فيه والجار والمجرور على الاول فى موقع الرفع وعلى الثانى فى حيز النصب لكن الظالمون
اليوم اى فى الدنيا فى ضلال مبين لا يدرك غايته حيث اغفلوا الاستماع والنظر بالكلية ووضع
الظالمين موضع المضمر للايذان بانهم فى ذلك ظالمون لانفسهم وانذرهم يوم الحسرة اى يوم
يتحسر الناس قاطبة اما المسئ فعلى اساءته واما المحسن فعلى قلة احسانه اذ قضى الامر اى فرغ من
الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك
فقال حين يجاء بالموت على صورة كبش املح فيذبح والفريقان ينظرون فينادى يا اهل الجنة خلود
فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت فيزداد اهل الجنة فرحا الى فرح واهل النار غما الى غم
واذ بدل من يوم الحسرة او ظرف للحسرة فان المصدر المعرف باللام يعمل فى المفعول الصريح عند
بعضهم فكيف بالظرف وهم فى غفلة اى عما يفعل بهم فى الاخرة وهم لا يؤمنون وهما جملتان
حاليتان من الضمير المستتر فى قوله تعالى فى ضلال مبين اى مستقرون فى ذلك وهم فى تينك الحالتين
وما بينهما اعتراض او من مفعول انذرهم اى انذرهم غافلين غير مؤمنين فتكون حالا متضمنة بمعنى
التعليل انا نحن نرث الارض ومن عليها لا يبقى لاحد غيرنا عليها وعليهم ملك ولا ملك او نتوفى
الارض ومن عليها بالافناء والاهلاك توفى الوارث لارثه والينا يرجعون اى يردون للجزاء لا

الى غيرنا استقلالا او اشتراكا واذكر عطف على اتل ذكرهم في الكتاب اى في السورة او في القران اى
اتل على الناس قصته وبلغها اياهم لقوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم فانهم ينتمون اليه عليه
السلام فعساهم باستماع قصته يقلعون عما هم فيه من القبايح انه كان صديقا ملازما للصدق
في كل ما يأتي ويذر او كثير التصديق لكثرة ما صدق به من غيوب الله تعالى وآياته ورسله
والجملة استيناف مسوق لتعليل موجب الامر فان وصفه عليه السلام بذلك من دواعي
ذكره نبيا خبر اخر لكان مقيد للاول مخصص له كما ينبئ عنه قوله تعالى من النبيين والصديقين
الاية اى كان جامعا بين الصديقية والنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز عن
توهم تخصيص الصديقية بالنبوة ولعل هذا الترتيب للمبالغة في الاحتراز فان كل نبي صديق
اذ قال بدل اشتمال من ابراهيم وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله او متعلق بكان او نبيا وتعليق
الذكر بالاوقات مع ان المقصود تذكير ما وقع فيها من الحوادث قد مر سره مرارا اى كان
جامعا بين الاثرتين حين قال لابيه آزر متلطفا في الدعوة مستميلا له يا ابت اى يا ابي فان
التاء عوض من ياء الاضافة ولذلك لا يجتمعان وقد قيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء
لم تعبد ما لا يسمع ثناءك عليه عند عبادتك وجوارك اليه ولا يبصر خضوعك وخشوعك
بين يديه او لا يسمع ولا يبصر شيئا من المسموعات والمبصرات فيدخل ذلك ما ذكر دخولا
اوليا ولا يغني اى لا يقدر على ان يغني عنك شيئا في جلب نفع او دفع ضر ولقد سلك عليه
السلام في دعوته احسن منهاج واحتج عليه ابدع احتجاج بحسن ادب وخلق جميل لئلا يركب
متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف
به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويأبى الركون اليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية مع انها
لا تحق الا لمن له الاستغناء التام والانعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المعاقب ونبه على
ان العاقل يجب ان يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا
بصيرا قادرا على النفع والضر مطيقا بايصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل
السليم من عبادته وان كان اشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة
الواجبة فما ظنك بجماد مصنوع من حجر او شجر ليس له من اوصاف الاحياء عين ولا اثر ثم دعاه
الى ان يتبعه ليهديه الى الحق المبين لما انه لم يكن محظوظا من العلم الالهي مستقلا بالنظر السوي
مصدرا لدعوته لما مر من الاشتمال والاستعطاف قال يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم يأتك
ولم يسم اياه بالجهل المفرط وان كان في اقصاه ولا نفسه بالعلم الفائق وان كان كذلك بل ابرز
نفسه في صورة رفيق له اعرف باحوال ما سلكاه من الطريق فاستماله برفق حيث قال فاتبعني
اهدك صراطا سويا اى مستقيما موصلا الى اسنى المطالب منجيا عن الضلال المؤدي الى مهاوي
الردى والمعاطب ثم ثبطه عما كان عليه بتصويره بصورة يستنكرها كل عاقل ببيان انه مع عرائه
عن النفع بالمرة مستجلب لضرر عظيم فانه في الحقيقة عبادة الشيطان لما انه الآمر به فقال
يا ابت لا تعبد الشيطان فان عبادتك للاصنام عبادة له اذ هو الذي يسولها لك ويغريك
عليها وقوله ان الشيطان كان للرحمن عصيا تعليل لموجب النهي وتأكيد له ببيان انه مستعص
على ربك الذي انعم عليك بفنون النعم ولا ريب في ان المطيع للعاصي عاص وكل من هو عاص حقيق
بان يسترد منه النعم وينتقم منه والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاقتصار
على ذكر عصيانه من بين جناياته لانه ملاكها او لانه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام
وذريته فتذكيره داع لابيه الى الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية
لاظهار كمال شناعة عصيانه قوله تعالى يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن تحذير من
تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من
العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما افادة التنكير من الفخامة
الاضافية واظهار الرحمن للاشعار بان وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله
عز وجل ما غرك بربك الكريم فتكون للشيطان وليا اى قرينا له في اللعن المخلد وذكر الخوف
للمجاملة وابراز الاعتناء بامره قال استيناف مبني على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل
فماذا قال ابوه عند ما سمع منه عليه السلام هذه النصايح الواجبة القبول فقيل قال
مصرا على عناده اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم اى معرض ومنصرف انت عنها بتوجيه الانكار
الى نفس الرغبة مع الضرب من التعجب كان الرغبة عنها مما لا يصدر عن العاقل فضلا عن

ترغيب

ترغيب الغير عنها وقوله تعالى لئن لم تنته لارجمنك تهديد وتحذير عما كان عليه من العظة
والتذكير اى والله لئن لم تنته عما كنت عليه من النهي عن عبادتها لارجمنك بالحجارة وقيل باللسان
واهجرني اى فاحذرني واتركني مليا اى زمانا طويلا او مليا بالذهاب مطيقا به قال استيناف
كما سبق سلام عليك توديع ومتاركة على طريقة مقابلة السيئة بالحسنة اى لا اصيبك بمكروه
بعد ولا اشافهك بما يؤذيك ولكن سأستغفر لك ربي اى استدعيه ان يغفر لك بان يوفقك
للتوبة ويهديك الى الايمان كما يلوح به تعليل قوله تعالى واغفر لابي بقوله تعالى انه كان من
الضالين والاستغفار بهذا المعنى للكافر قبل تبين انه يموت على الكفر مما لا ريب في جوازه وانما
المحذور استدعاء المغفرة له مع بقائه على الكفر فانه مما لا مساغ له عقلا ولا نقلا واما الاستغفار
له بعد موته على الكفر فلا يأباه قضية العقل وانما الذي يمنعه السمع الا ترى الى انه صلى الله
عليه وسلم قال لعمه ابي طالب لا ازال استغفر لك ما لم انه عنه فنزل قوله تعالى ما كان للنبي
والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين الاية ولا اشتباه في ان هذا الوعد من ابراهيم عليه السلام
وكذا قوله لاستغفرن لك وما ترتب عليهما من قوله تعالى واغفر لابي الاية انما كان قبل انقطاع
رجائه عن ايمانه لعدم تبين امره لقوله تعالى الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لا يقدح
في جوازه لكن لا لان ذلك كان قبل وجود النهي اى الموعدة وعدها اياه كما قيل لما ان النهي انما
ورد في شان الاستغفار بعد تبين الامر وقد كان استغفاره عليه السلام قبل التبين فلم يكن
يتناوله النهي اصلا وان الوعد بالمحظور لا يرفع حظره بل ان المراد بما يؤتسى به ما يجب الائتساء
به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بقوله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة لمن كان
يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فان استثناؤه عن ذلك انما يفيد
عدم وجوب استدعاء الايمان للكافر المرجو ايمانه وقد انقطع ذلك عند ورود الاستثناء وذلك مما
لا يرتاب فيه احد من العقلاء واما عدم جوازه قبل تبين الامر فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا وتوجيه
الاستثناء الى العدة بالاستغفار لا الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الاية لانها كانت هي الحاملة له
عليه السلام وتخصيص تلك العدة بالذكر دون ما وقع ههنا لورودها على نهج التأكيد القسمي
واما جعل الاستغفار دائرا عليها وترتيب التبري على التبين الامر فقد مر تحقيقه في تفسير سورة
التوبة وقوله تعالى انه كان بي حفيا اى بليغا في البر والالطاف تعليل لمضمون ما قبله واعتزلكم اى
اتباعد عنك وعن قومك وما تدعون من دون الله بالمهاجرة بديني حيث لم تؤثر فيكم نصايحي وادعوا
ربي اعبده وحده وقد جوز ان يراد به دعاؤه المذكور في سورة الشعراء ولا يبعد ان يراد به استدعاء
الولد ايضا بقوله تعالى رب هب لي من الصالحين حسبما يساعده السباق والسياق عسى
ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اى خائبا ضايع السعي فيه تعريض بشقاوتهم في عبادة آلهتهم وفي تصدير
الكلام بعسى من اظهار التواضع ومراعاة حسن الادب والتنبيه على حقيقة الحق من ان الاجابة
والاثابة بطريق التفضل منه عز وجل لا بطريق الوجوب وان العبرة بالخاتمة وذلك من الغيوب
المختصة بالعليم الخبير ما لا يخفى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله بالمهاجرة الى الشام
وهبنا له اسحق ويعقوب بدل من فارقهم من اقربائه الكفرة لكن لا عقيب المهاجرة فان المشهور
ان الموهوب حينئذ اسمعيل عليه السلام لقوله تعالى فبشرناه بغلام حليم اثر دعائه بقوله رب
هب لي من الصالحين ولعل ترتيب هبتهما على اعتزاله ههنا لبيان كمال عظم النعم التي اعطاه الله تعالى
تعالى اياه بمقابلة من اعتزلهم من الاهل والاقرباء فانهما شجرتا الانبياء لهما اولاد واحفاد اولو شان
خطير وذوو اعداد كثير هذا وقد روي انه عليه السلام لما قصد الشام اتى اولا حران وتزوج
بسارة وولدت له اسحق وولد لاسحاق يعقوب والاول هو الاقرب الاظهر وكلا
اى كل واحد منهما او منهم وهو مفعول اول لقوله تعالى جعلنا نبيا قدم عليه للتخصيص لكن لا
بالنسبة الى من عداهم بل بالنسبة الى بعضهم اى كل واحد منهم جعلنا نبيا لا بعضهم دون
بعض ووهبنا لهم من رحمتنا هي النبوة وذكرها بعد جعلهم انبياء للايذان بانها عامة لكل خير
ديني ودنيوي اوتوه ما لم يؤت احد من العالمين وجعلنا لهم لسان صدق عليا يفتخر بهم الناس
ويثنون عليهم استجابة لدعوته بقوله تعالى واجعل لي لسان صدق في الآخرين والمراد باللسان
ما يوجد به من الكلام ولسان العرب لغتهم واضافته الى الصدق ووصفه بالعلو للدلالة
على انهم احقاء بما يثنون عليهم وان محامدهم لا تخفى على تباعد الاعصار وتبدل الدول
وتحول الملك والملل واذكر في الكتاب موسى قدم ذكره على ذكر اسمعيل عليه السلام لئلا

ينفصل عن ذكر يعقوب عليهم السلام انه كان مخلصا موحدا اخلص عبادته عن الشرك والريا واسلم
وجهه لله تعالى واخلص نفسه عما سواه وقرئ مخلصا على ان الله تعالى اخلصه وكان رسولا نبيا
ارسله الله تعالى الى الخلق فانبأهم عنه ولذلك قدم رسولا مع كونه اخص واعلى وناديناه
من جانب الطور الايمن الطور جبل بين مصر ومدين والايمن صفة للجانب اى ناديناه من ناحيته
اليمنى من اليمين وهى التى تلى يمين موسى عليه السلام او من جانبه الميمون من اليمن ومعنى ندايه منه
انه تمثل له الكلام من تلك الجهة وقربناه نجيا تقريب تشريف مثل حاله عليه السلام بحال
من قربه الملك لمناجاته واصطفاه لمصاحبته ونجيا اى مناجيا حال من احد الضميرين يرده
ناديناه اى قربناه وقيل مرتفعا لما روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صريف القلم ،
ووهبنا له من رحمتنا اى من اجل رافتنا ورحمتنا او بعض رحمتنا اخاه اى معاضدة اخيه
وموازرته اجابة لدعوته بقوله واجعل لى وزيرا من اهلى هارون اخى لا نفسه لانه كان اكبر
منه عليهما السلام وهو على الاول مفعول لوهبنا وعلى الثانى بدل وقوله تعالى هرون عطف
بيان له وقوله تعالى نبيا حال منه واذكر فى الكتاب اسماعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه
واخيه لابراز كمال الاعتنا بامره لكمال شهرته به وناهيك انه وعد الصبر على الذبح بقوله
ان شاء الله صابرا فوفى وكان رسولا نبيا فيه دلالة على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب
شريعة فان اولاد ابراهيم عليه السلام كانوا على شريعة وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة
اشتغالا بالاهم وهو ان يقبل الرجل بالتكميل على نفسه وعلى من هو اقرب الناس اليه قال تعالى
وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك بالصلاة والزكاة قوا انفسكم واهليكم نارا وقصدا الى تكميل
الكل بتكميلهم لانهم قدوة يؤتسى بهم وقيل اهله امته فان الانبيا عليهم السلام ابا الامم
وكان عند ربه مرضيا لاتصافه بالنعوت الجليلة التى من جملتها ما ذكر من خصاله الحميدة واذكر
فى الكتاب ادريس وهو سبط شيث وجد ابى نوح فانه نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو
ادريس عليهم السلام وهو اشتقاقه من الدرس يرده منع صرفه لا يبعد ان يكون معناه فى
تلك اللغة قريبا من ذلك فلقب به لكثرة دراسته روى انه تعالى انزل عليه ثلثين صحيفة
وانه اول من خط بالقلم ونظر فى علم النجوم والحساب انه كان صديقا ملازما للصدق فى جميع
احواله نبيا خبر لكان مخصص للاول اذ ليس كل صديق نبيا ورفعناه مكانا عليا هو شرف النبوة
والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل فى الدنيا كما فى قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك
وقيل الجنة وقيل السما السادسة او الرابعة روى عن كعب وغيره فى سبب رفع ادريس عليه
السلام انه سار ذات يوم فى حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب قد مشيت بها يوما فكيف
اصابنى ما اصابنى فكيف من يحملها مسيرة خمسماية عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها
وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب ما الذى قضيت
فيه قال ان عبدى ادريس سالنى ان اخفف عنك حملها وحرها قال يا رب اجعل بينى وبينه خلة
فاذن الله تعالى له فرفعه الى السما اولئك اشارة الى المذكورين فى السورة المذكورة وما فيه
من معنى البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم فى الفضل وهو مبتدا وقوله تعالى الذين
انعم الله عليهم صفته اى انعم عليهم بفنون النعم الدينية والدنيوية حسبما اشير اليه مجملا
وقوله تعالى من النبيين بيان للموصول وقوله تعالى من ذرية ادم بدل منه باعادة الجار ويجوز
ان يكون كلمة من فيه للتبعيض لان المنعم عليهم اعم من الانبيا واخص من الذرية وممن حملنا مع نوح
اى ومن ذريته من حملنا معه خصوصا وهم ما عدا ادريس عليه السلام فان ابراهيم كان من ذرية
سام بن نوح ومن ذرية ابراهيم وهم الباقون واسرائيل عطف على ابراهيم اى ومن ذرية اسرائيل وكان
منهم موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وفيه دليل على ان اولاد البنات من الذرية وممن هدينا
واجتبينا اى ومن جملة من هديناهم الى الحق واجتبيناهم للنبوة والكرامة وقوله تعالى اذا تتلى عليهم
ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا خبر لاوليك ويجوز ان يكون الخبر هو الموصول وهذا استئناف مسوق
لبيان خشيتهم من الله تعالى واخباتهم له مع ما لهم من علو الرتبة وسمو الطبقة فى شرف النسب
وكمال النفس والزلفى من الله عز سلطانه وسجدا وبكيا حالان من ضمير خروا اى ساجدين باكين
عن النبى صلى الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا والبكى جمع باك كالسجود
جمع ساجد واصله بكوى فاجتمع الواو واليا وسبقت احدهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت
اليا فى اليا وحركات الكاف بالكسر المجانس لليا وقرئ تتلى باليا التحتانية لان التانيث غير حقيقى

مستقلا وقوله تعالى انه كان صادق الوعد تعليل لموجب الامر وايراده عليه السلام بهذا الوصف

وقرى

وقرئ بكيا بكسر الباء للاتباع قالوا ينبغى ان يدعو الساجد فى سجدته بما يليق بها فيها ههنا يقول اللهم اجعلنى
من عبادك المنعم عليهم المهديين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك • وفى اية الاسرى يقول
اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك • وفى اية تنزيل السجدة يقول اللهم اجعلنى من الساجدين
لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك فخلف من بعدهم خلف يقال
يعقب الخير خلف بفتح اللام وبعقب السوء خلف بالسكون اى فعقبهم وجاء بعدهم عقب سوء اضاعوا
الصلاة وقرئ الصلوات وتركوها او اخروها عن وقتها واتبعوا الشهوات من شرب الخمر واستحلال
نكاح الاخت من الاب والانهماك فى فنون المعاصى وعن على رضى الله تعالى عنه هم من بنى المشيد
وركب المنظور ولبس المشهور فسوف يلقون غيا اى شرا فان كل شر عند العرب غى وكل خير رشاد
كقوله • فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم على الغى لايما • وعن الضحاك جزاء غى كقوله تعالى
يلق اثاما اى جزاء اثام اى غيا عن طريق الجنة وقيل غى واد فى جهنم تستعيذ منه اوديتها وقوله
تعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا يدل على ان الاية فى حق الكفرة فاولئك اشارة الى الموصول
باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا اى فاولئك المنعوتون
بالتوبة والايمان والعمل الصالح يدخلون الجنة بموجب الوعد المحتوم وقرئ فيه يدخلون على
البنا للمفعول ولا يظلمون شيئا اى لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا او لا ينقصون شيئا من
النقص وفيه تنبيه على ان كفرهم السابق لا يضرهم ولا ينقص اجورهم جنات عدن بدل من الجنة
بدل البعض لاشتمالها عليها وما بينهما اعتراض ونصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر لمبتدا
محذوف اى هى او تلك جنات الى اخره او مبتدا خبره التى وعد الى اخره وقرئ جنة عدن نصبا
او رفعا وعدن نصبا ورفعا وعدن علم بمعنى العدن وهو الاقامة كما ان فينته وسحر واسس
فيمن لم يصرفها اعلام لمعانى الفينة وهى الساعة التى انت فيها والسحر والامس فجرى كذلك
مجرى العدن او هو علم الارض الجنة خاصة لولا ذلك لما ساغ ابدال ما اضيف اليه من الجنة بلا
وصف عند غير البصريين ولا وصفه بقوله تعالى التى وعد الرحمن عباده وجعله بدلا منه خلاف
الظاهر وان الموصول فى حكم المشتق وقد نصوا على ان البدل بالمشتق ضعيف والتعرض الى الرحمة
للايذان بان وعدها وانجازه لكمال سعة رحمته تعالى والبا فى قوله تعالى بالغيب متعلقة بمضمر
هو حال من المضمر العايد الى الجنات او من عباده اى وعدها اياهم بسبب ايمانهم انه كان وعده اى
موعوده كاينا ما كان فيدخل فيه الجنات الموعودة دخولا اوليا ولما كانت هى مثابة يرجع اليها
قيل ماتيا اى ياتيه من وعد له لا محالة بغير خلف وقيل هو مفعول بمعنى فاعل وقيل ماتيا اى مفعولا
منجزا من اتى اليه احسانا فعله لا يسمعون فيها لغوا اى فضول كلام مما لا طايل تحته وهو كناية
عن عدم صدور اللغو عن اهلها وفيه تنبيه على ان اللغو مما ينبغى ان يجتنب فى هذه الدار ما امكن
الا سلاما استثنا منقطع اى لكن يسمعون تسليم الملئكة عليهم او تسليم بعضهم على بعض او متصل
بطريق التعليق بالمحال اى لا يسمعون لغوا ما الا سلاما فحيث استحال كون السلام لغوا استحال
سماعهم له بالكلية كما فى قوله • ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب
او على انه معناه الدعا بالسلامة وهم اغنيا عنه فهو من باب اللغو ظاهرا وانما فايدته الاكرام
وقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وارد على عادة المتنعمين فى هذه الدار وقيل المراد دوام
رزقهم ودروره والا فليس فيها بكرة وعشى تلك الجنة مبتدا وخبر جىء به لتعظيم شان الجنة
وتعيين اهلها فان ما فى اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتها وعلو رتبتها التى نورث
اى نورثها من عبادنا من كان تقيا اى نبقيها عليهم بتقواهم ونمتعهم بها كما نبقى على الوارث مال
مورثه ونمتعه والوراثة اقوى ما يستعمل فى التملك والاستحقاق من الالفاظ من حيث انها لا
تعقب بفسخ ولا استرجاع ولا ابطال • وقيل نورث المتقين من الجنة المساكن التى كانت لاهل
النار لو امنوا واطاعوا زيادة فى كرامتهم وقرئ نورث بالتشديد وما نتنزل الا بامر ربك حكاية
لقول جبريل عليه السلام حين استبطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن اصحاب الكهف
وذى القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فابطا عليه اربعين يوما او خمسة عشر
فشق ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه ثم نزل ببيان ذلك فانزل الله
عز وجل هذه الاية وسورة الضحى والتنزل النزول على مهل لانه مطاوع للتنزيل وقد يطلق على
مطلق النزول كما يطلق التنزيل على الانزال والمعنى وما ننزل وقتا غب وقت الا بامر الله تعالى على
ما تقتضيه حكمته وقرئ وما يتنزل باليا والضمير للوحى له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك

وهو ما نحن فيه من الاماكن والازمنة ولا ينتقل من مكان الى مكان ولا ننتقل في زمان دون زمان الا بامره ومشيته وما كان ربك نسيا اي تاركا لك يعني ان عدم التنزل لم يكن لعدم الامر به الا لحكمة بالغة فيه ولم يكن لتركه تعالى لك وتوديعه اياك كما زعمت الكفرة وفي اعادة اسم الرب المعرب عن التبليغ الى الكمال اللايق مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تشريفه والاشعار بعلة الحكم ما لا يخفى وقيل اول الاية حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة مخاطبا بعضهم بعضا بطريق التبجح والابتهاج والمعنى وما تتنزل الجنة الا بامر الله ولطفه وهو مالك الامور كلها سافلها ومترقبها وحاضرها فما وجدناه وما نجده من لطفه وفضله وقوله تعالى وما كان ربك نسيا تقرير لقولهم من جهة الله تعالى اي وما كان ناسيا لاعمال العاملين وما وعدهم من الثواب عليها وقوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما بيان لاستحالة النسيان عليه تعالى فان من بيده ملكوت السموات والارض كيف يتصور ان يحوم حول ساحة سبحانه الغفلة والنسيان وهو خبر مبتدا محذوف او بدل من ربك والفا في قوله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته لترتيب ما بعدها من موجب الامرين على ما قبلها من كونه تعالى رب السموات والارض وما بينهما وقيل من كونه تعالى غير تارك له صلى الله عليه وسلم او غير ناسي اعمال العاملين والمعنى فحين عرفته تعالى بما ذكر من الربوبية الكاملة فاعبده الى اخره فان ايجاب معرفته لذلك بعبادته مما لا ريب فيها وحين عرفت انه تعالى لا ينساك او لا ينسى اعمال العاملين كاينا من كان فاقبل على عبادته فاصطبر على مشاقها ولا تحزن بابطا الوحي وهزو الكفرة فانه يراقبك ويراعيك ويلطف بك في الدنيا والاخرة وتعديه الاصطبار باللام لا بحرف الاستعلا كما في قوله تعالى واصطبر عليها لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما تورد عليه من الشدايد والمشاق كقولك للمبارز اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يرد عليك من شداته هل تعلم له سميا السمي هو الشريك في الاسم والظاهر ان يراد به الشريك في اسم خاص قد عبر به عنه تعالى بذلك وهو رب السموات والارض وما بينهما والمراد بانكار العلم نفيه على ابلغ وجه واكده والجملة تقرير لما افاده من علة ربوبيته العامة لوجوب عبادته بل لوجوب تخصيصها به تعالى بتبيان استقلاله عز وجل بذلك الاسم وانتفا اطلاقه على الغير بالكلية حقا او باطلا وقيل المراد هو الشريك في اسم الجليل فان المشركين مع غلوهم في المكابرة لم يسموا الصنم بالجلالة اصلا وقيل هو الشريك في اسم الاله والمراد بالتسمية التسمية على الحق فالمعنى هل تعلم شيا يسمى بالاستحقاق الها واما التسمية على الباطل فهي كلا تسمية فتقرير الجملة لوجوب العبادة حينئذ باعتبار ما في الاسمين الكريمين من الاشعار باستحقاق العبادة ويقول الانسان المراد به اما الجنس باسره واسناد القول الى الكل لوجود القول فيما بينهم وان لم يقله الجميع كما يقال بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل واحد منهم واما البعض المعهود منهم وهم الكفرة او ابي بن خلف اخذ عظاما بالية ففتها فقال يزعم محمد انا نبعث بعد ما نموت ونصير الى هذه الحالة اي يقول بطريق الانكار والاستبعاد ائذا ما مت لسوف اخرج حيا اي ابعث من الارض او من حال الموت وتقديم الظرف وايلاوه حرف الانكار لما ان المنكر كون ما بعد الموت وقت الحياة وانتصابه بفعل دل عليه اخرج لا به فان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها وهي ههنا مخلصة للتوكيد مجردة عن معنى الحال كما خلصت الهمزة واللام للتعريف في يا الله فساغ اقترانها بحرف الاستقبال وقرى اذا ما مت بهمزة واحدة مكسورة على الخبر ولا يذكر الانسان من الذكر الذي يراد به التفكر والاظهار في موضع الاضمار لزيادة التقرير والاشعار بان الانسانية من دواعي التفكر فيما جرى عليه من شؤون التكوين المنجية بالقلع عن القول المذكور وهو السر في اسناده الى الجنس او الى الفرد بذلك العنوان والهمزة للانكار التوبيخي والواو لعطف الجملة المنفية على مقدر يدل عليه اي ايقول ذلك ولا يذكر انا خلقناه من قبل اي من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقايه ولم يك شيئا اي والحال انه لم يكن حينئذ شيئا اصلا فحيث خلقناه وهو في تلك الحالة المنافية للخلق بالكلية مع كونه ابعد من الوقوع فلان نبعثه بجمع المواد المتفرقة وايجاد مثل ما كان من الاعراض اولى فما له لا يذكره فيقع فيما يقع فيه من النكير وقرى يذكر ويتذكر على الاصل فوربك اقسم باسمه عزت اسماؤه مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتحقيق الامر بالاشعار بعلته وتفخيم في شانه صلى الله عليه وسلم ورفع منزلته لنحشرنهم لنجمعن القايلين بالسوق الى المحشر بعد ما

احرجناهم

اخرجناهم من الارض احيا ففيه اثبات للبعث بالطريق البرهاني على ابلغ وجه واكده كانه امر واضح غني عن التصريح به وانما المحتاج الى البيان ما بعد ذلك من الاهوال والشياطين معطوف على الضمير المنصوب او مفعول معه روي ان الكفرة يحشرون مع قرنايهم من الشياطين التي كانت تغويهم كل منهم مع شيطانه في سلسلة وهو وان كان مختصا بهم لكن ساغ نسبته الى الجنس باعتبار انهم لما حشروا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا معهم جميعا كما ساغ نسبة القول المحكي اليه مع كون القايل بعض افراده ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ليرى السعدا ما نجاهم الله تعالى منه فيزدادوا غبطة وسرورا وينال الاشقيا ما ادخروا لمعادهم عدة ويزدادوا غيظا من رجوع السعدا عنهم الى دار الثواب وشماتتهم به والجثي جمع جاث من جثي اذا قعد على ركبته واصله جثوو بواوين فاستثقل اجتماعهما بعد ضمتين فكسرت التا فانقلبت الواو الاولى يا لسكونها وانكسار ما قبلها فاجتمعت واو ويا وسبقت احديهما بالسكون فقلبت الواو يا وادغمت فيها اليا الاولى وكسرت الجيم اتباعا لما بعدها وقرى بضمها ونصبه على الحالية من الضمير البارز اي لنحضرنهم حول جهنم جاثين ثمة على ركبهم لما يدهمهم من هول المطلع او لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب والعقاب فان اهل الموقف جاثون كما ينطق به قوله تعالى وترى كل امة جاثية على ما هو المعتاد في مواقف التقاول وان كان المراد بالانسان الكفرة فلعلهم يساقون من الموقف الى شاطي جهنم جثاة اهانة بهم او لعجزهم عن القيام لما اعتراهم من الشدة ثم لننزعن من كل شيعة اي من كل امة شاعت دينا من الاديان ايهم اشد على الرحمن عتيا اي من كان منهم اعصى واعتى فنطرحهم فيها وفي ذكر الاشد تنبيه على انه تعالى يعفو عن بعض من اهل العصيان وعلى تقدير تفسير الانسان بالكفرة فالمعنى انا نميز من طايفة اعصاهم واعتاهم فاعتاهم فنطرحهم في النار على الترتيب او ندخل كلا منهم طبقتها اللايقة بهم وايهم مبني على الضم عند سيبويه لان حقه ان يبنى كساير الموصولات لكنه اعرب حملا على كل وبعض للزوم الاضافة واذا حذف صدر صلته ازداد نقصه فصار الى حقه منصوب المحل بننزعن ولذلك قرى منصوبا ومرفوع عند غيره بالابتدا على انه استفهام وخبره اشد والجملة محكية والتقدير لننزعن من كل شيعة الذين يقال لهم ايهم اشد او معلق عنها لننزعن لتضمنه معنى التمييز او لننزعن بعض كل شيعة لقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا وعلى للبيان فتتعلق بمحذوف كان سايلا قال على من عتوا فقيل على الرحمن او متعلق بافعل وكذا البا في قوله تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي هم اولى بصليها وصليهم اولى بالنار وهم المنتزعون ويجوز ان يراد بهم وباشدهم عتيا رؤسا الشيع فان عذابهم مضاعف لضلالهم واضلالهم فالصلي كالعتي صيغة واعلالا وبضم الصاد وان منكم التفات لاظهار مزيد الاعتنا بمضمون الكلام وقيل هو خطاب للناس من غير التفات الى المذكور ويؤيد الاول انه قرى وان منهم اي ما منكم ايها الانسان الا واردها اي واصلها وحاضر دونها يمر بها المؤمنون وهي خامدة وتنهار بغيرهم وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم سئل عنه فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس قد وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي خامدة واما قوله تعالى اولئك عنها مبعدون فالمراد به الابعاد عن عذابها وقيل ورودها الجواز على الصراط الممدود عليها كان ورودهم اياها على ربك حتما مقضيا اي امرا محتوما اوجبه الله تعالى على ذاته وقضى انه لا بد من وقوعه البتة وقيل اقسم عليه ثم ننجي الذين اتقوا الكفر والمعاصي مما كانوا عليه من حال الجثو على الركب على الوجه الذي سلف فيساقون الى الجنة وقرى ننجي بالتخفيف ونجي على البنا للمفعول وقرى ثمة ننجي بفتح الثا اي هناك ننجيهم ونذر الظالمين بالكفر والمعاصي فيها جثيا منهارا بهم كما كانوا قبل وفيه دليل على ان المراد بالورود الجثو حواليها وان المؤمنين يفارقون الكفرة بعد تجاثيهم حولها ويلقى الكفرة فيها على هيئاتهم وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا الاية الى اخرها حكاية لما قالوا عند سماع الايات الناعية عليهم بفظاعة حالهم ووخامة مالهم اي واذا تتلى عليهم على المشركين اياتنا التي من جملتها هاتيك الايات الناطقة بحسن حال المؤمنين وسو حال الكفرة وقوله تعالى بينات اي مرتلات الالفاظ مبينات المعاني بنفسها او ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم او بينات حال مؤكدة من اياتنا قال الذين كفروا اي قالوا ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه على انهم قالوا ما قالوه كافرين بما يتلى عليهم رادين له او قال الذين مردوا منهم على الكفر ومرنوا على العتو والعناد وهم النضر بن الحرث واتباعه الفجرة واللام

في قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اى قالوا لاجلهم وفي حقهم
والاول هو الاولى لان قولهم ليس في حق المؤمنين فقط كما ينطق به قوله تعالى اى الفريقين
اى المؤمنين والكافرين كأنهم قالوا اينا خير نحن وانتم مقاما اى مكانا وقرئ بضم الميم اى موضع
اقامة ومنزل واحسن نديا اى مجلسا ومجتمعا يروى انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنونها
ويتطيبون ويتزينون بالزين الفاخرة ثم يقولون كذلك لفقراء المؤمنين يريدون بذلك ان
حسن حالهم واحسنهم منالا مما لا يعقل الا لكرامتهم على الله سبحانه وزلفاهم
عنده وهو المعيار على الفضل والنقصان والرفعة والضعة وان من ضرورته ان المؤمنين به
تعالى لقصور حظهم العاجل وما هذا القياس العقيم والرأى السقيم الا لكونهم جهلة لا يعلمون
الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرد عليهم ذلك من جهته بقوله وكم اهلكنا
قبلهم من قرن هم احسن اثاثا ورئيا اى كثيرا من القرون التى كانوا افضل منهم فيما يفتخرون به من
الحظوظ الدنيوية كعاد وثمود واضرابهم من الامم العاتية قبل هؤلاء اهلكناهم بفنون العذاب
ولو كان ما آتيناهم لكرامتهم علينا لما فعلنا بهم ما فعلنا وفيه من التهديد والوعيد ما لا يخفى
كانه قيل فلينتظر هؤلاء ايضا مثل ذلك فكم مفعول اهلكنا ومن قرن بيان لابهامها واهل كل
عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم ماخوذ من قرن الدابة وهو مقدمها وقوله تعالى هم
احسن اثاثا ورئيا في حيز النصب على انه صفة لكم واثاثا تمييز للنسبة وهو متاع البيت وقيل هو
ما جد منه والخرثي ما لبس منه ورث والرئي المنظر فعل من الرؤية لما يرى كالطحن لما يطحن
وقرئ ريا على قلب الهمزة ياء وادغامها او على انها من الري وهو النعمة والترفه وقرئ ريئا على
القلب وريا بحذف الهمزة وزيا بالزاى المعجمة من الزى وهو الجمع فانه عبارة عن المحاسن المجموعة
قل من كان في الضلالة لما بين عاقبة امر الامم المهلكة مع ما كان لهم من التمتع بفنون الحظوظ
العاجلة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يجيب هؤلاء المفتخرين بما لهم من الحظوظ ببيان
مال امر الفريقين اما على وجه كلي متناول لهم ولغيرهم من المتمكنين في اللذة الفانية المنتحين بها
على ان من على عمومها واما على وجه خاص بهم على انها عبارة عنهم من المتمكنين في اللذة ووصفهم
بالتمكن لذمهم والاشعار بعلة الحكم اى من كان مستقرا في الضلالة مغمورا بالجهل والغفلة عن
عواقب الامور فليمدد له الرحمن مدا اى يمد له ويمهله بطول العمر واعطاء المال والتمكين من
التصرفات واخراجه على صيغة الامر للايذان بان ذلك مما ينبغى ان يفعله بموجب الحكمة لقطع
المعاذير كما ينبئ عنه قوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او للاستدراج كما ينطق
به قوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقيل المراد به الدعاء بالمد والتنفيس واعتبار الاستقرار
في الضلالة لما ان المد لا يكون الا للمصرين عليها اذ رب ضال يهديه الله عز وجل والتعرض لعنوان
الرحمانية لما ان المد من احكام الرحمة الدنيوية وقوله تعالى حتى اذا رأوا ما يوعدون غاية
للمد الممتد لا لقول المفتخرين كما قيل اذ ليس فيه امتداد بحسب الظاهر اللذات وهو ظاهر
والاستمرار بحسب التكرار لو وقع في حيز جواب اذا وجمع الضمير في الفعلين باعتبار معنى
من كما ان الافراد في الضميرين الاولين باعتبار لفظها وقوله تعالى اما العذاب واما الساعة
تفصيل للموعود بدل منه على سبيل البدل فانه اما العذاب الدنيوي بغلبة المسلمين
واستيلائهم عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واما يوم القيمة وما ينالهم فيه من الخزي والنكال
على طريقة منع الخلو دون منع الجمع فان العذاب الاخروي لا ينفك عنهم بحال وقوله تعالى
فسيعلمون جواب الشرط والجملة محكية بعد حتى اى حتى اذا عاينوا ما يوعدون من العذاب
الدنيوي والاخروي فقط فسيعلمون حينئذ من هو شر مكانا من الفريقين بان يشاهدوا الامر
على عكس ما كانوا يقدرونه فيعلمون انهم شر مكانا لا خير مقاما واضعف جندا اى فئة
وانصارا لا احسن نديا كما كانوا يدعونه وليس المراد ان له ثمة جندا ضعفاء كلا ولم يكن له
فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا وانما ذكر ذلك ردا لما كانوا يزعمون ان لهم
اعوانا من الاعيان وانصارا من الاخيار ويفتخرون بذلك في الاندية والمحافل ويزيد الله
الذين اهتدوا هدى كلام مستأنف سيق لبيان حال المهتدين اثر بيان حال الضالين وقيل
عطف على فليمدد لانه في معنى الخبر حسبما عرفته كانه قيل من كان في الضلالة يمده الله
ويزيد المهتدين هداية كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل عطف على الشرطية
المحكية بعد القول كانه لما بين ان امهال الكافر وتمتيعه بالحياة ليس لفضله عقب ذلك

ان قصور حظ المؤمن منها ليس لنقصه بل لانه تعالى اراد به ما هو خير من ذلك وقوله تعالى والباقيات
الصالحات خير على تقدير الاستيناف والعطف كلام مستأنف وارد من جهته تعالى لبيان فضل
اعمال المهتدين غير داخل في حيز الكلام الملقن لقوله تعالى عند ربك اى الطاعة التى تبقى فوائدها
وتدوم عوائدها ومن جملتها ما قيل من الصلوات الخمس وما قيل من قول سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر خير عند الله تعالى والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره ه
لتشريفه صلى الله عليه وسلم ثوابا اى عائدة مما يتمتع به الكفرة من النعم المخدجة الفانية التى
يفتخرون بها لا سيما ومالها النعيم المقيم ومال هذه الحسرة السرمدية والعذاب الاليم كما اشير
اليه بقوله تعالى وخير مردا اى مرجعا وعاقبة وتكرير الخير لمزيد الاعتناء ببيان الخيرية وتأكيد لها
وفي التفضيل مع ان ما للكفرة بمعزل من ان يكون له خيرية في العاقبة تهكم بهم افرأيت الذى كفر باياتنا
اى باياتنا التى من جملتها ايات البعث نزلت في العاص بن وائل كان لخباب بن الارت عليه مال فاقتضاه
فقال لا حتى تكفر بمحمد قال لا والله لا اكفر به حيا ولا ميتا ولا حين بعثت قال فاذا بعثت جئنى فيكون
ثمة لى مال وولد فاعطيك وفي رواية قال لا اكفر به حتى يميتك ثم يبعثك فقال انى لميت ثم مبعوث
قال نعم قال دعنى حتى اموت وابعث فاوتى مالا وولدا فاقضيك فنزلت فالهمزة للتعجيب من حاله
والايذان بانها من الغرابة والشناعة بحيث يجب ان ترى ويقضى منها العجب ومن فرق بين الم
تر وارأيت بعد بيان اشتراكهما في الاستعمال لقصد التعجيب بان الاول تعلق بمثل المتعجب منه فيقال
ارأيت مثل الذى صنع كذا بمعنى انظر اليه فتعجب من حاله والثانى تعلق بمثل التعجب انه من الغرابة
بحيث لا يرى له مثل فقد حقق شيئا وغابت عنه اشياء وكأنه ذهب عليه قوله عز وجل ارأيت
الذى يكذب بالدين والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى انظرت فرأيت الذى كفر باياتنا
الباهرة التى حقها ان يؤمن بها كل من يشاهدها وقال مستهزئا بها مصدرا لكلامه باليمين الفاجرة
والله لاوتين في الآخرة مالا وولدا اى انظر اليه فتعجب من حالته البديعة وجراءته الشنيعة هذا
هو الذى يستدعيه جزالة النظم الكريم وقد قيل ان ارأيت بمعنى اخبر بقصة هذا الكافر عقيب
هذا الكافر عقيب حديث اولئك الذين قالوا اى الفريقين خير مقاما الاية وانت خبير بان المشهور
استعمال ارأيت في معنى اخبر في طريق الاستفهام جاريا على اصله او مخرجا الى ما يناسبه من المعاني لا
بطريق الامر بالاخبار لغيره وقرئ ولدا على انه جمع ولد كاسد جمع اسد او على انه لغة فيه كالعرب
والعرب وقوله تعالى اطلع الغيب رد لكلمته الشنعاء واظهار لبطلانها اثر ما اشير اليه بالتعجيب
منها اى قد بلغ من عظمة الشأن الى ان ارتقى الى علم الغيب الذى استأثر به العليم الخبير حتى ادعى
ان يؤتى في الآخرة مالا وولدا واقسم عليه ام اتخذ عند الرحمن عهدا بذلك فانه لا يتوصل الى العلم
به الا باحد هذين الطريقين والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بعلية الرحمة لايتاء ما يدعيه
وقيل العهد كلمة الشهادة وقيل العمل الصالح فان وعده تعالى بالثواب عليهما كالعهد وهذا مجاراة
مع اللعين بحسب منطوق مقاله كما ان كلامه مع جنب كذلك وقوله تعالى كلا ردع له عن
التفوه بتلك العظيمة وتنبيه على خطائه سنكتب ما يقول اى سنظهر انا كتبنا قوله كقوله • اذا ما
انتسبنا لم تلدنى لئيمة • اى تبين ان لم تلدنى لئيمة • اى يتبين انى لم تلدنى لئيمة او سننتقم منه انتقام
من كتب جريمة الجانى وحفظها عليه فان نفس الكتبة لا تكاد تتراخى عن جريمة المجرم سبب لعقوبته
قطعا ونمد له من العذاب مدا مكان ما يدعيه لنفسه من الامداد بالمال والولد اى نطول
له من العذاب ما يستحقه ونزيد عذابه ونضاعف له لكفره وافترائه على الله سبحانه
وتعالى واستهزائه باياته العظام ولذلك اكد بالمصدر دلالة على فرط الغضب ونرثه
بموته ما يقول اى مسمى ما يقول ومصداقه وهو ما اوتيه في الدنيا من المال والولد وفيه
ايذان بانه ليس لما يقول مصداق موجود سوى ما ذكر اى ننزع عنه ما آتيناه يوم القيمة
فردا لا يصحبه مال ولا ولد كان له في الدنيا فضلا ان يؤتى ثمة زائدا وقيل نزوى عنه ما زعم
ان يناله في الآخرة ونعطيه من يستحقه ويأباه معنى الارث وقيل المراد بما يقول نفس
القول المذكور لا مسماه والمعنى انما يقول هذا القول ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه
وبين ان يقوله ويأتينا رافضا له منفردا عنه وانت خبير بان ذلك مبنى على ان صدور القول
المذكور عنه بطريق الاعتقاد وانه مستمر على التفوه به راج لوقوع مضمونه ولا ريب في ان
ذلك مستحيل ممن كفر بالبعث وانما قال ما قاله بطريق الاستهزاء وتعليق اوادينه بالمحال
واتخذوا من دون الله آلهة حكاية عامة للكل مستتبعة لضد ما يرجون ترتبه عليها

ويأتينا

اثر حكاية مقالة الكفرة في المتبوع واستتباعها بالنقيض مضمونها اى اتخذوا الاصنام آلهة متجاوزين الله تعالى ليكونوا لهم عزا اى ليتعززوا بهم بان يكونوا لهم وصلة اليه عز وجل وشفعاء عنده كلا ردع لهم عن ذلك الاعتقاد الباطل وانكار لوقوع ما علقوا به اطماعهم الفارغة سيكفرون بعبادتهم اى ستجحد الآلهة بعبادتهم لها بان ينطقها الله تعالى وتقول ما عبدتمونا او سينكر الكفرة حين شاهدوا سوء عاقبة كفرهم عبادتهم لها كما في قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين ومعنى قوله تعالى ويكونون عليهم ضدا على الاول يكون الآلهة التى كانوا يرجون ان يكون لهم عزا على الاول يكون الآلهة التى كانوا يرجون ان يكون لهم عزا ضد العز اى ذلا وهوانا او يكون عونا عليهم وآلة لعذابهم حيث يجعل وقود النار وحصب جهنم او حيث كانت عبادتهم لها سببا لعذابهم واطلاق الضد على العون لما ان عون الرجل يضاد عدوه وينافيه واعانته له عليه وعلى الثانى يكون الكفرة ضدا واعداء للآلهة كافرين بها بعد ان كانوا يحبونها كحب الله ويعبدونها وتوحيد الضد لوحدة المعنى الذى عليه مضادتهم فانهم بذلك كشئ واحد كما فى قوله صلى الله عليه وسلم وهم يد على من سواهم وقرئ كلا بفتح الكاف والتنوين على قلب الالف نونا فى الوقف قلب الف الاطلاق فى قوله • اقلى اللوم عاذل والعتابن • وقولى ان اصبت فقد اصابن • او على معنى كل هذا الرأى كلا على اضمار فعل يفسره ما بعده اى سيجحدون كلا سيكفرون الى آخره انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما نطقت به الآيات الكريمة السالفة وحكت على هؤلاء الكفرة الغواة والمردة العتاة من فنون القبائح من الاقاويل والافاعيل والتمادى فى الغى والانهماك فى الضلال والافراد فى العناد والتصميم على الكفر من غير صارف يلويهم ولا عاطف يثنيهم والاجماع على موافقة الحق بعد اتضاحه وانتفاء الشك عنه بالكلية وتنبيه على ان جميع ذلك منهم باضلال الشياطين واغوائهم لا لان له مسوغا ما فى الجملة ومعنى ارسال الشياطين عليهم اما تسليطهم عليهم وتمكينهم من اضلالهم واما تقييضهم لهم وليس المراد تعجيبه صلى الله عليه وسلم من ارسالهم عليهم كما يوهمه تعليق الرؤية به بل مما ذكر من احوال الكفرة من حيث كونها من آثار اغواء الشياطين كما ينبئ عنه قوله تعالى تؤزهم ازا فانه اما حال مقدرة من الشياطين او استيناف وقع جوابا عما نشأ من صدر الكلام كانه قيل ماذا تفعل الشياطين بهم حينئذ فقيل تؤزهم اى تغريهم وتهيجهم على المعاصى تهييجا شديدا بانواع الوساوس والتسويلات فان الازّ والهزّ والاستفزاز اخوات معناها شدة الازعاج فلا تعجل عليهم اى بان يهلكوا حسبما تقتضيه جناياتهم ويبيدوا عن آخرهم وتطهر الارض من فسادتهم والفاء للاشعار بان كون ما قبلها مظنة لوقوع المنهى عنه محوجة الى النهى كما فى قوله تعالى انما نعد لهم عدا تعليل لموجب النهى ببيان اقتراب هلاكهم اى لا تستعجلوا بهلاكهم فانه لم يبق لهم الا ايام وانفاس نعدها عدا يوم نحشر المتقين منصوب على الظرفية بفعل مؤخر قد حذف للاشعار بضيق العبارة عن حصره وشرحه ولكمال فظاعة ما يقع فيه من الطامة التامة والدواهى العامة كانه قيل يوم نحشر المتقين اى نجمعهم الى الرحمن الى ربهم الذى يغمرهم برحمته الواسعة وفدا وافدين عليه كما تفد الوفود على الملوك منتظرين لكراماتهم وانعامهم ونسوق المجرمين كما تساق البهائم الى جهنم وردا عطاشا فان من يرد الماء لا يرده الا لعطش او كالدواب التى ترد الماء نفعل بالفريقين من الافعال ما لا يفى ببيانه نطاق المقال وقيل منصوب على المفعولية بمضمر مقدم خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم اى اذكر لهم بطريق الترغيب يوم نحشر الى آخره وقيل على الظرفية لقوله تعالى لا يملكون الشفاعة والذى يقتضيه مقام التهويل ويستدعيه جزالة التنزيل ان ينتصب باحد الوجهين الاولين ويكون هذا استئنافا مبينا لبعض ما فيه من الامور الدالة على هوله وضميره عائد الى العباد المدلول عليهم بذكر الفريقين لانحصارهم فيهما وقيل الى المتقين خاصة وقيل الى المجرمين من الكفرة واهل الاسلام والشفاعة على الاولين مصدر من المبنى للفاعل وعلى الثالث ينبغى ان يكون مصدرا من المبنى للمفعول وقوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا على الاول استثناء متصل من لا يملكون ومحل المستثنى اما الرفع على البدل او النصب على اصل الاستثناء والمعنى لا يملك العباد ان يشفعوا لغيرهم الا من استعد له بالتحلى بالايمان والتقوى او من امر بذلك من قولهم عهد الامير الى فلان بكذا اذا امره به فيكون ترغيبا للناس فى تحصيل الايمان والتقوى المؤدى الى نيل هذه الرتبة وعلى الثانى استثناء

من الشفاعة على حذف المضاف والمستثنى منصوب على البدل او على اصل الاستثناء اى لا يملك المتقون الشفاعة الا شفاعة من اتخذ العهد بالاسلام فيكون ترغيبا فى الاسلام وعلى الثالث استثناء من لا يملكون ايضا والمستثنى مرفوع على البدل او منصوب على الاصل والمعنى لا يملك المجرمون ان يشفع لهم الا من كان مسلما وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية لجناية اليهود والنصارى ومن يزعم من العرب ان الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا اثر حكاية عبدة الاصنام بطريق عطف القصة على القصة وقوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا رد لمقالتهم الباطلة وتهويل لامرها بطريق الالتفات المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة والاد بالكسر والفتح العظيم المنكر والادة الشدة وادنى الامر وآدنى اثقلنى وعظم على اى فعلتم امرا منكرا شديدا لا يقادر قدره فان جاء واتى يستعملان فى معنى فعل فيعديان تعديته وقوله تعالى تكاد السموات الى آخره صفة لادا او استيناف ببيان عظم شانه فى الشدة والهول وقرئ يكاد بالتذكير يتفطرن منه يتشققن مرة بعد اخرى من عظم ذلك الامر وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لان تفعل مطاوع فعل ولان اصل التفعل التكلف وتنشق الارض اى وتكاد تنشق الارض وتخر الجبال اى تسقط وتهد هدا وقوله تعالى هدا مصدر مؤكد لمحذوف هو حال من الجبال اى تهد هدا او مصدر من المبنى للمفعول مؤكد لتخر على غير المصدر لانه جمع بمعنى التهدم والخرور كانه قيل وتخر الجبال خرورا او مصدر بمعنى المفعول منصوب على الحالية اى مهدودة او مفعول له اى لانها تهد وهذا تقرير لكونه ادا والمعنى ان هول تلك الكلمة الشنعاء وعظمها بحيث لو تصورت بصورة محسوسة لا تطيق بها هاتيك الاجرام العظام وتفتتت من شدتها او ان فظاعتها فى استجلاب الغضب واستيجاب السخط بحيث لولا حلمه تعالى لخرب العالم وبددت قوائمه غضبا على من تفوه بها ان دعوا للرحمن ولدا منصوب على حذف اللام متعلق بتكاد او مجرور باضمارها اى تكاد السموات يتفطرن والارض تنشق والجبال تخر لان دعوا له سبحانه ولدا وقيل اللام متعلقة بهدا وقيل الجملة بدل من الضمير المجرور فى منه كما فى قوله • على جوده لضن بالماء حاتم • وقيل خبر مبتدأ محذوف اى الموجب لذلك ان دعوا الى آخره وقيل فاعل هدا اى هدها دعاء الولد والاولى هو الاول ودعوا من دعا بمعنى سمى المتعدى لمفعولين وقد اقتصر على ثانيهما ليتناول كل ما دعى له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذى مطاوعه ادعى الى فلان اى انتسب اليه وقوله تعالى وما ينبغى للرحمن ان يتخذ ولدا حال من فاعل قالوا او دعوا مقررة لبطلان مقالتهم واستحالة تحقق مضمونها اى قالوا اتخذ الرحمن ولدا او ان دعوا للرحمن ولدا والحال انه ما يليق به تعالى اتخاذ الولد ولا يتطلب له لو طلب مثلا لاستحالته فى نفسه ووضع الرحمن موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم بالتنبيه على ان كل ما سواه تعالى اما نعمة او منعم عليه فكيف يتسنى ان يجانس من هو مبدأ النعم ومولى اصولها وفروعها حتى يتوهم ان يتخذه ولدا وقد صرح به قوله عز وجل ان كل من فى السموات والارض اى ما منهم احد من الملائكة والثقلين الا آتى الرحمن عبدا الا وهو مملوك له يأوى اليه بالعبودية والانقياد وقرئ آت الرحمن على الاصل لقد احصاهم اى حصرهم واحاط بهم بحيث لا يكاد يخرج منهم احد من حيطة علمه وقبضة قدرته وملكوته وعدهم عدا اى عد اشخاصهم وانفاسهم وآجالهم وكل شئ عنده بمقدار وكلهم آتيه يوم القيمة فردا اى كل واحد منهم آت اياه تعالى منفردا من الاتباع والانصار وفى صيغة الفاعل من الدلالة على اتيانهم لذلك البتة ما ليس فى صيغة المضارع لو قيل يأتيه فاذا كان شانه تعالى وشانهم كما ذكر فانى يتوهم احتمال ان يتخذ شيئا منهم ولدا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لما فصلت قبائح احوال الكفرة عقب ذلك بذكر محاسن احوال المؤمنين فقال سيجعل لهم الرحمن ودا اى سيحدث لهم فى القلوب مودة من غير تعرض منهم لاسبابها سوى ما لهم من الايمان والعمل الصالح والتعرض لعنوان الرحمانية لما ان الموعود من آثارها وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا احب الله عبدا يقول لجبريل عليه السلام انى احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له المحبة فى الارض والسين لان السورة مكية وكانوا اذ ذاك ممقوتين بين الكفرة فوعدهم ذلك ثم انجزه حين جاء الاسلام او لان الموعود فى القيمة حين تعرض حسناتهم على رؤس الاشهاد فينزع ما فى صدورهم من الغل الذى كان فى الدنيا ولعل افرادهذا بالوعد من بين ما سيؤتون يوم القيمة من الكرامات السنية لما ان الكفرة سيقع منهم يومئذ تباغض وتضاد وتقاطع وتلاعن فانما يسرناه اى القرآن بلسانك بان انزلناه على لغتك

والباء بمعنى على وقيل لمن التيسير معنى الانزال اى يسرناه القرآن منزلين له بلغتك والفاء لتعليل
امر ينساق اليه النظم الكريم كانه قيل بعد ايحاء هذه السورة الكريمة بلّغ هذا المنزل او بشّر به
وانذر فانما يسرناه بلسانك العربي المبين لتبشر به المتقين اى الصائرين الى التقوى بامتثال
ما فيه من الامر والنهي وتنذر به قوما لدا لا يؤمنون به لجاجا وعنادا واللد جمع الالد وهو
الشديد الخصومة اللجوج المعاند وقوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن وعد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم في ضمن وعيد الكفرة بالاهلاك وحث له صلى الله عليه وسلم على الانذار
اى قرنا كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء المعاندين وقوله تعالى هل تحس منهم من احد استيناف مقرر
لمضمون ما قبله اى هل تشعر باحد منهم وترى او تسمع لهم ركزا اى صوتا خفيا واصل التركيب
هو الخفاء ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض والركاز المال المدفون والمخفي والمعنى
اهلكناهم بالكلية واستاصلناهم بحيث لا يرى منهم احد ولا يسمع لهم صوت خفا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق
به ويحيى ومريم وعيسى وسائر الانبياء المذكورين فيها وبعدد من دعا الله تعالى ومن لم يدع

بسم الله الرحمن الرحيم طه فخمها قالون وابن كثير وابن عامر وحفص ويعقوب على الاصل والطا
وحده ابو عمرو وورش لاستعلائه واما لهما الباقون وهو من الفواتح التي يصدر بها السور
الكريمة وعليه جمهور المتقنين وقيل معناه يا رجل وهو مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما والحسن
ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة والكلبي على انه عند سعيد على اللغة النبطية وعند علي
السريانية وعند عكرمة على الحبشية وعند الكلبي على لغة عك وقيل عكل وهي لغة يمانية قالوا
ان صح فلعل اصله يا هذا فتصرفوا فيه بقلب الياء طاء وحذف ذا من هذا ومما استشهد به من
قول الشاعر ۞ ان السفاهة طه من خلائقكم ۞ لا قدس الله اخلاق الملاعين ۞ ليس بنص في ذلك
لجواز كونه قسما كما في حم لا ينصرون وقد جوز ان يكون الاصل طأ بصيغة الامر من الوطء
فقلبت الهمزة في يطأ الفا لانفتاح ما قبلها كما في قوله من قال ۞ لا هناك المرتع ۞ وها ضمير الارض
على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم بان يطأ الارض بقدميه لما كان يقوم في تهجده
على احدى رجليه مبالغة في المجاهدة ولكن يأباه كتابتهما على صورة الحرف كما يأباه التفسير بيا رجل
فان الكتابة على صورة الحرف مع كون التلفظ او قلبت الهمزة في يطأ الفا كما مر ثم بني منه الامر
والحقت به هاء السكت واما على انه اكتفى في التلفظ بشطري الاسمين واقيما مقامهما في الدلالة على
المسميين فكانهما اسماؤهما الدالان عليهما وعلى هذا ينبغي ان يحمل قول من قال او اكتفى بشطري
الكلمتين وعبر عنهما باسمهما والا فالشطران لم يذكرا من حيث انهما مسميان لاسميهما الدالين تحقيقا
معبرا عنهما بل من حيث انهما جزآن لهما وقد اكتفى بذكرهما عن ذكرهما ولذلك وقع التلفظ
بانفسهما بان يراد بضميري التثنية في الموضعين الشطران من حيث هما مسميان لا من حيث هما
جزآن للاسمين ويراد باسميهما الشطران من حيث هما قائمان مقام الاسمين فالمعنى اكتفى من حيث
في مسميات بهما من في التلفظ بشطري الكلمتين اى الاسمين فعبر عنهما اى عن الشطرين من حيث
هما قائمان مقام الاسمين واما حمله على معنى انه اكتفى في الكتابة بشطري الكلمتين يعني اعلى
تقدير كونه امرا وكونه حرف نداء وهما على تقدير كونهما كناية عن الارض وكونها حرف تنبيه
وعبر عن ذينك الشطرين في التلفظ باسمهما فبين البطلان كيف وطأ وها على ما ذكر من
التقادير ليسا باسمين للحرفين المذكورين بل الاول امر وحرف نداء والثاني ضمير الارض وحرف
تنبيه على ان كتابة صورة الحرف والتلفظ بغيره من خواص حروف المعجم كما مر فالحق ما سلف
من انهما من الفواتح اما مسرودة على نمط التعديد باحد الوجهين المذكورين في مطلع سورة
البقرة ولا محل لها من الاعراب وكذا ما بعدها من قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى
فانه استيناف مسوق لتسلية صلى الله عليه وسلم مما كان يعتريه من جهة المشركين من التعب
فان الشقاء شايع في ذلك المعنى ومنه اشقى من رايض مهر اى ما انزلناه عليك لتتعب
بالمبالغة في مكابدة الشدائد في مقاولة العتاة ومحاورة الطغاة وفرط التاسف على كفرهم
به والتحسر على ان يؤمنوا لقوله عز وجل فلعلك باخع نفسك على آثارهم الاية للتبليغ والتذكير

وقد

وقد فعلت عليك ان لم يؤمنوا به بعد ذلك او لصرفه صلى الله عليه وسلم عما كان عليه من المبالغة
في المجاهدة كما روي انه صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقال له جبريل عليه
السلام ابق على نفسك فان لها عليك حقا اى ما انزلناه عليك لتتعب بنهك نفسك وحملها على
الرياضات الشاقة والشدائد الفادحة وما بعثت الا بالحنيفية السمحة وقيل ان ابا جهل والنضر
بن الحارث قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك شقي حيث تركت دين ابائك وان القرآن
نزل عليك لتشقى فرد ذلك فانا ما انزلناه عليك كما قالوا والاول هو الانسب كما يشهد به الاستثناء الآتي هذا
واما اسم للقرآن محله الرفع على انه مبتدأ ما بعده خبره والقرآن ظاهر اوقع موقع العائد الى المبتدأ كانه
قيل القرآن ما انزلناه عليك لتشقى او النصب على اضمار فعل القسم او الجر بتقدير حرفه وما بعده جوابه
وعلى هذين الوجهين يجوز ان يكون اسما للسورة ايضا بخلاف الوجه الاول فانه لا يتسنى على ذلك التقدير
لكن لا لان المبتدأ يبقى حينئذ بلا عائد ولا قائم مقامه فان القرآن صادق على السورة لا محالة اما بطريق
الاتحاد بان يراد به القدر المشترك بين الكل والبعض او باعتبار الاندراج ان اريد به الكل لان نفي كون
انزاله للشقاء يستدعي سبق وقوع الشقاء مترتبا على انزاله قطعا اما بحسب الحقيقة كما اريد به معنى
التعب او بحسب زعم الكفرة كما لو اريد به ضد السعادة ولا ريب في ان ذلك انما يتصور في انزال
ما انزل من قبل واما انزال السورة الكريمة فليس مما يمكن ترتب الشقاء السابق عليه حتى يتصدى
لنفيه منه اما باعتبار الاتحاد فظاهر واما باعتبار الاندراج فلان ما لها ان يقال هذه السورة
ما انزلنا القرآن المشتمل عليها لتشقى ولا يخفى ان جعلها مخبرا عنها مع انها لا دخل لها في الشقاء
السابق اصلا مما لا يليق بشأن التنزيل الجليل وقوله تعالى الا تذكرة نصب على انه مفعول له لانزلنا
لكن من حيث انه معلل بالشقاء على معنى انزلنا عليك القرآن لتتعب بتبليغه الا تذكرة الا ابتكوك
ما ضربتك للتاديب ۞ الا اشفاقا قالوا انه يجب في مثاله ان يكون بين العلتين ملابسة بالسببية
حتما كما في المثال المذكور وفي قولك ما شافهتك بالسوء لتتاذى الا زجرا لغيرك فان التاديب
في الاول مسبب عن الاشفاق والتاذي في الثاني سبب لزجر الغير وقد عرفت ما بين الشقاء والتذكرة
من التنافي ولا يجدي ان يراد به التعب في الجملة الجامع للتذكرة لظهور ان ملابسة بينهما بما ذكر من السببية
والمسببية وانما يتصور ذلك ان لو قيل مكان الا تذكرة الا تكثير الثواب فان الاجر بقدر التعب
ولا من حيث انه بدل من محل لتشقى كما في قوله ما فعلوه الا قليل لوجوب المجانسة بين البدلين وقد
عرفت حالهما بل من حيث انه معطوف عليه بحسب المعنى بعد نفيه بطريق الاستيناف الاستدراك
المستفاد من الاستثناء منقطع كانه قيل ما انزلنا عليك القرآن لتتعب في تبليغه ولكن تذكرة
لمن يخشى وقد جرد التذكرة عن اللام لكونها فعلا لفاعل الفعل المعلل اى لمن شانه ان يخشى الله
عز وعلا ويتاثر بالانذار لرقة قلبه ولين عريكته او لمن علم الله تعالى ان يخشى بالتخويف وتخصيصها
بهم مع عموم التذكرة والتبليغ لانهم المنتفعون بها وقوله تعالى تنزيلا مصدر مؤكد لمضمر مستانف
مقرر لما قبله اى نزل تنزيلا او لما تفيده الجملة الاستثنائية فانها متضمنة لان يقال انزلناه
للتذكرة والاول هو الانسب لما بعده من الالتفات او منصوب على المدح والاختصاص وقيل هو
منصوب بيخشى على المفعولية اى يخشى تنزيلا من الله تعالى وانت خبير بان تعليق الخشية ونظائرها
بمطلق التنزيل غير معهود نعم قد يعلق ذلك ببعض اجزائه المشتملة على الوعيد ونظائرها كما في قوله
تعالى يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم وقيل هو بدل من تذكرة لكن لا
على انه مفعول له لانزلنا اذ لا يعلل الشيء بنفسه ولا بنوعه بل على انه مصدر بمعنى الفاعل واقع
موقع الحال من الكاف في عليك او من القرآن ولا ساغ له الا ان يكون قيدا لانزلنا بعد تقييده بالقيد
الاول وقد عرفت حاله فيما سلف وقرئ تنزيل على انه خبر مبتدأ محذوف ومن في قوله تعالى ممن
خلق الارض والسموات العلى متعلق بتنزيلا او بمضمر هو صفة له مؤكدة لما في تنكيره من
الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية ونسبة التنزيل الى الموصول بطريق الالتفات الى الغيبة
بعد نسبته الى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الافعال والصفات اثر بيانها بحسب
الذات بطريق الابهام ثم التفسير لزيادة تحقيق وتقرير وتخصيص خلقهما بالذكر مع ان المراد
خلقهما بجميع ما يتعلق بهما كما يفصح عنه قوله تعالى ما في السموات وما في الارض الاية لاصالتهما
واستتباعهما لما عداهما وتقديم الارض لكونه اقرب الى الحس واظهر عنده ووصف السموات العلى
وهو جمع العليا تانيث الاعلى لتاكيد الفخامة مع ما فيه من مراعاة الفواصل وكل ذلك الى
قوله تعالى له الاسماء الحسنى مسوق لتعظيم شان المنزل عز وجل المستتبع لتعظيم المنزل الداعي

الى تربية المهابة وادخال الروعة المودية الى استنزال المتمردين عن رتبة العتو والطغيان والتمايل
بحو الخشية المفضية الى التذكرة والايمان الرحمن رفع على المدح اى هو الرحمن وقد عرفت فى صدر
سورة البقرة ان المرفوع مدحا فى حكم الصفة الجارية على ما قبله وان لم يكن تابعا له فى الاعراب
وكذلك المنصوب اختصاصا حذف المبتدا ليكون فى صورة متعلق من متعلقاته وقد قرئ بالجر على انه صفة
صريحة للموصول وما قيل من ان الاسما الناقصة لا يوصف منها الا الذى وحده مذهب الكوفيين
وايا ما كان فوصفه بالرحمانية اثر وصفه بخالق السموات والارض للاشعار بان خلقهما من
من اثار رحمته تعالى كما ان قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما الرحمن للايذان بان
ربوبيته تعالى بطريق الرحمة وفيه اشارة الى ان تنزيل القران ايضا من احكام رحمته كما ينبئ
عنه قوله عز وجل الرحمن علم القران او رفع على الابتدا واللام للعهد والاشارة الى الموصوف
والجر وقوله تعالى على العرش استوى وجعل الرحمة عنوان الموضوع الذى شانه ان يكون معلوم
الثبوت للموضوع عند المخاطب للايذان بان ذلك امر بين لا سترة به غنى عن الاخبار به
صريحا وعلى متعلقة باستوى وقدمت عليه لمراعاة الفواصل والجار والمجرور على الاول خبر مبتدا
محذوف كما فى قراة الجر وقد جوز ان يكون خبرا بعد خبر والاستوا على العرش مجاز عن الملك والسلطان
متفرع على الكناية فيمن يجوز عليه القعود على السرير يقال استوى فلان على سرير الملك ويراد به
ملك وان لم يقعد على السرير اصلا والمراد بيان تعلق ارادته الشريفة بايجاد الكاينات وتدبير
امرها وقوله تعالى له ما فى السموات وما فى الارض سوا كان ذلك بالجزئية منهما او بالحلول
فيهما وما بينهما من الموجودات الكاينة فى الجو دايما كالهوا والسحاب والتى كالطير اى وحده دون
غيره لا شركة ولا استقلالا لا كل ما ذكر ملكا وتصرفا واحيا واماتة وايجادا واعداما وما تحت
الثرى اى ما وراء التراب وذكره مع دخوله تحت ما فى الارض لزيادة التقرير روى عن محمد
بن كعب انه قال ما تحت الارضين السبع وعن السدى ان الثرى هو الصخرة التى عليها الارض
السابعة وان تجهر بالقول بيان لاحاطة علمه تعالى بجميع الاشيا اثر بيان سلطنته وشمول
قدرته لجميع الكاينات اى وان تجهر بذكره تعالى ودعايه فاعلم انه تعالى غنى عن جهرك فانه
يعلم السر واخفى اى ما اسررته الى غيرك وشيء اخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك من غير
ان تتفوه به اصلا او ما اسررته لنفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيما فيما ياتى وتنكيره
للمبالغة فى الخفا وهذا اما نهى عن الجهر لقوله تعالى واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر
من القول واما ارشاد للعباد الى ان الجهر ليس لاسماعه سبحانه وتعالى بل لغرض اخر من تصوير
النفس بالذكر وتثبيته فيها ومنعه من الاشتغال بغيره وقطع الوسوسة عنها وهضمها
بالتضرع والجوار وقوله تعالى الله خبر مبتدا محذوف والجملة استئناف مسوق لبيان ان ما ذكر
من صفات الكمال موصوفها ذلك المنعوت بالحق اى ذلك المنعوت بما ذكر من النعوت
من النعوت الجليلة الله عز وجل وقوله تعالى لا اله الا هو تحقيق للحق وتصريح بما تضمنه ما قبله
من اختصاص الالوهية به سبحانه فانه ما اسند اليه تعالى من خلق لجميع الموجودات والرحمانية
والمالكية والعالمية اسماوه وصفاته من غير تعدد فى ذاته تعالى فانه روى ان المشركين
حين سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يقول يا الله يا رحمن قالوا ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو
الها اخر والحسنى تانيث الاحسن يوصف به الواحدة المونثة والجمع من المذكر كما رب اخرى
واياتنا الكبرى وهل اتيك حديث موسى استيناف مسوق لتقرير امر التوحيد الذى اليه انتهى
مساق الحديث وبيان انه امر مستمر فيما بين الانبيا كابرا عن كابر خوطب به موسى عليه السلام
حيث قيل له اننى انا الله لا اله الا انا وبه ختم صلى الله عليه وسلم مقاله حيث قال انما الهكم
الله الذى لا اله الا هو واما ما قيل من ان ذلك ترغيب النبى صلى الله عليه وسلم فى الايتساء
بموسى عليه السلام فى تحمل اعباء النبوة والصبر على مقاساة الخطوب فى تبليغ احكام الرسالة
فيا باه ان مساق النظم الكريم لصرفه صلى الله عليه وسلم عن اقتحام المشاق وقوله تعالى
اذ راى نارا ظرف للحديث وقيل لمضمر موخر اى رأى نارا كان كيت وكيت وقيل مفعول لمضمر
مقدم اى اذكر وقت رؤيته نارا روى انه عليه السلام استاذن شعيبا عليه السلام فى
الخروج الى امه واخيه فخرج باهله واخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى
وادى طوى وهو بالجانب الغربى من الطور ولد له ولد فى ليلة مظلمة شاتية مثلجة وكانت
ليلة الجمعة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ما عنده وقدح فصلد زنده فبينما

هو

تعظيم العلم الذاتى ملا فيما يقتضيه اقتضاء بينا
قوله تعالى له الاسماء الحسنى بان كل من ما ذكر من
الخالقية والرحمانية والمالكية من

هو فى ذلك اذ راى نارا على يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اى اقيموا مكانكم
امرهم عليه السلام بذلك لئلا يتبعوه فيما عزم عليه من الذهاب الى النار كما هو المعتاد لا لئلا
ينتقلوا الى موضع اخر فانه مما لا يخطر بالبال والخطاب للمراة والولد والخادم وقيل لها وما الجمع
اما الظاهر لفظ الاهل او للتفخيم كما فى قوله من قال وان شئت حرمت النسا سواكم انى انست نارا
اى ابصرتها ابصارا بينا لا شبهة فيه وقيل الايناس خاص بابصار ما يونس به والجملة تعليل للامر
والماموريه لعلى اتيكم منها اى اجيئكم منها من النار بقبس اى بشعلة مقتبسة من معظم النار
وهى المرادة بالجذوة فى صورة القصص والشهاب القبس او اجد على النار هدى هاديا يدلنى
على الطريق على انه مصدر سمى به الفاعل مبالغة او حذف منه المضاف اى ذا هداية على انه
اذا وجد الهادى فقد وجد الهدى وقيل هاديا يهدينى الى ابواب الدين فان افكار الابرار مغمورة
بالهمة الدينية فى عامة احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والاول هو الاظهر لان مساق النظم
الكريم لتسلية اهله وقد نص عليه فى صورة القصص حيث قيل لعلى اتيكم منها بخبر او جذوة
الاية وكلمة او فى الموضعين لمنع الخلو دون منع الجمع ومنع الاستعلا فى قوله تعالى على النار ان
اهل النار يستعلون المكان القريب منها او لانهم عند الاصطلا بها قياما وقعودا فيشرفون
عليها ولما كان الاتيان بهما متوقعا غير محقق الوقوع صدر الجملة بكلمة الترجى وهى ما ملة
لفعل قد حذف ثقة بما يدل عليه من الامر بالمكث والاخبار بايناس النار وتفاديا عن
التصريح بما يوحشهم اى فاذهب اليها لاتيكم او كى اتيكم راجيا ان اتيكم منها بقبس الاية وقد مر
تحقيقه ذلك تفصيلا فى تفسير قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من
قبلكم لعلكم تتقون فلما اتاها اى النار التى انسها قال ابن عباس رضى الله عنهما راى شجرة خضرا
طافت بها من اسفلها الى اعلاها نارا بيضا تتقد كاضوا ما يكون فوقف متعجبا من شدة ضوئها
وخضرة الشجرة فلا النار تغير خضرتها ولا كثرة ما الشجرة يغير ضوءها قالوا النار اربعة اصناف
صنف ياكل ولا يشرب وهى نار الدنيا وصنف يشرب ولا ياكل وهى نار الشجر الاخضر وصنف
ياكل ويشرب وهى نار جهنم وصنف لا ياكل ولا يشرب وهى نار موسى عليه الصلاة والسلام
وقالوا ايضا هى اربعة انواع نوع له نور واحراق وهى نار الدنيا ونوع لا نور له ولا احراق وهى
نار الاشجار ونوع له نور بلا احراق وهى نار موسى عليه السلام ونوع له احراق بلا نور وهى
نار الجحيم روى ان الشجرة كانت عوسجة وقيل كانت سمرة نودى يا موسى اى نودى فقيل يا موسى
انى انا ربك وهو مل النداء معاملة القول لكونه ضربا منه وقرئ بالفتح اى بانى وتكرير الضمير
لتاكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى يا موسى قال عليه السلام
من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك فوسوس اليه ابليس لعلك تسمع كلام شيطان فقال انى عرفت
انه كلام الله تعالى بانى اسمعه من جميع الجهات بجميع الاعضا قلت وذلك لان سماع ما ليس
من شانه ذلك من الاعضاء ليس الا من اثار قدرة الخلاق العليم تعالى وتقدس وقيل تلقى عليه
السلام كلام رب العزة تلقيا روحانيا ثم تمثل ذلك لبدنه وانتقل الى الحس المشترك فانتقش
به من غير اختصاص بعضو وجهة فاخلع نعليك امره عليه السلام بذلك لان الحفوة ابلغ فى
التواضع وحسن الادب ولذلك كان السلف الصالحون يطوفون بالكعبة حافين وقيل ليباشر
الوادى بقدميه تبركا به وقيل لما ان نعليه كان من جلد حمار غير مدبوغ وقيل معناه فرغ
قلبك من الاهل والمال والفا لترتيب الامر على ما قبلها فان ربوبيته تعالى عليه السلام
من موجبات الامر ودواعيه وقوله تعالى انك بالوادى المقدس تعليل لوجوب الخلع المامور به
وبيان لسبب ورود الامر بذلك من شرف البقعة وقد سها روى انه عليه السلام خلعهما
والقاهما وراء الوادى طوى بضم الطاء غير منون وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه
اوله بالمكان دون البقعة وقيل هو كثنى من الطى مصدر لنودى او المقدس اى نودى نداءين او
قدس مرة بعد اخرى وانا اخترتك اى اصطفيتك للنبوة والرسالة وقرئ وانا اخترناك
بالفتح والكسر والفا فى قوله تعالى فاستمع لترتيب الامر بما قبله والمامور به واللام فى قوله تعالى
لما يوحى متعلقة باستمع وما موصولة او مصدرية اى فاستمع للذى يوحى اليك او للوحى
لا باخترتك كما قيل لكن لما قيل انه من باب التنازع واعمال الاول فلا بد حينئذ من اعادة
الضمير مع الثانى بل لان قوله تعالى اننى انا الله لا اله الا انا بدل ما يوحى ولا ريب فى ان
اختياره عليه السلام ليس لهذا الوحى فقط والفا فى قوله تعالى فاعبدنى لترتيب المامور به

على ما قبلها فان اختصاص الالوهية به سبحانه وتعالى من موجبات تخصيص العبادة به عز وجل
واقم الصلوة خصت الصلاة بالذكر وافردت بالامر مع اندراجها في الامر بالعبادة لفضلها
وانافتها على ساير العبادات بما ينطت به من ذكر المعبود وشغل القلب واللسان بذكره وذلك
قوله تعالى لذكرى اى لتذكرني فان ذكرى كما ينبغي لا يتحقق الا في ضمن العبادة والصلاة او
لتذكرني فيها لاشتمالها على الاذكار او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى او لاخلاص ذكرى
وابتغاء وجهى لا تراءى بها ولا تقصد بها غرضا اخر او لتكون ذاكرا الى غير ناس اياها وامري بها
في الكتب او لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل لاوقات ذكرى وهي مواقيت الصلاة او لذكر
صلاة لما روى انه صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها
لان الله تعالى يقول واقم الصلاة لذكرى وقرئ للذكرى بالف التانيث وللذكرى معرفا والذكر
بالتعريف والتنكير وقوله تعالى ان الساعة اتية تعليل لوجوب العبادة واقامة الصلاة
اى كائنة لا محالة وانما عبر عن ذلك بالاتيان تحقيقا لحصولها بابرازها في معرض امر محقق
متوجه نحو المخاطبين اكاد اخفيها اى لا اظهرها بان اقول انها اتية ولولا ان في ذلك الاخبار
بذلك من اللطف وقطع الاعذار لما فعلت او اكاد اظهرها بايقاعها من اخفاه اذا اظهره
بسبب اخفائه ويؤيده القراءة بفتح الهمزة من خفاه بمعنى اظهره وقيل اخفاه من الاضداد
يجي بمعنى الاظهار والستر في قوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى متعلق باتية وما بينهما
اعتراض او باخفيها على المعنى الاخير وما مصدرية اى لتجزى بسعيها في تحصيل ما ذكر من الامور
المخصوص بها وتخصيصه في معرض الغاية لاتيانها مع انه تجزى كل نفس بما صدر عنها سواء
كان سعيا فيما ذكر او تقاعدا عنه بالمرة وسعيا في تحصيل ما يضاده للايذان بان المراد بالذات
من اتيانها هو الاثابة بالعبادة واما العقاب بتركها فمن مقتضيات سوء اختيار العصاة
وبان المامور به في قوة الوجوب والساعة في شدة الهول والفظاعة بحيث يجبان على كل نفس
ان تسعى في الامتثال بالامر وتجد في تحصيل ما ينجيها من الطاعة وتحترز عن اقتراف ما يرديها
من المعاصي وعليه مدار الامر في قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام
وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا فان الابتلاء مع شموله لكافة المكلفين باعتبار
اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط قد علق بالاخرين لما ذكر من
ان المقصود الاصلي من ابداع تلك البدايع على ذلك النمط الرايع انما هو ظهور كمال احسان
المحسنين وان ذلك لكونه على اتم الوجوه الرايقة واكمل الانحاء اللايقة موجب للعمل بموجبه
لا يحيد احد عن سننه المبين بل يهتدى كل فرد الى ما يرشد اليه من مطلق الايمان والطاعة
وانما التفاوت بينهم في مراتبها بحسب القوة والضعف واما الاعراض عن ذلك والوقوع في
مهاوى الضلال فبمعزل من الوقوع فضلا عن ان ينتظم في سلك الغاية لذلك الصنع البديع
وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ومسوغ هذا ويجوز ان يراد بالسعي
مطلق العمل فلا يصدنك عنها اى عن ذكر الساعة ومراقبتها وقيل عن تصديقها والاول
هو اللايق بشان موسى عليه السلام وان كان النهي بطريق التهييج والالهاب وتعليق الحكم
والجزم على قوله تعالى من لا يؤمن بها لما مر مرارا من ان الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى النفس مستشرفة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن ولان
في المؤخر نوع طول ربما يخل تقديمه بتجاذب النظم الكريم وهذا وان كان بحسب الظاهر نهيا
للكافرين عن صد موسى عليه السلام عن الساعة لكنه في الحقيقة نهى له عليه السلام عن الانصداد
على ابلغ وجه واكده فان النهي عن اسباب الشيء ومباديه المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهاني
وابطال للسببية عن اصلها كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم فان صد الكافر حيث كان سببا
لانصداده عليه السلام كان النهي عنه نهيا باصله وموجبه وابطالا له بالكلية ويجوز ان
يكون من باب النهي عن المسبب وارادة النهي عن السبب وارادة على ان يراد نهيه عليه السلام
على اظهار لين الجانب للكفرة فان ذلك سبب لصدهم اياه عليه السلام كما في قوله لا ارينك
ههنا فان المراد به النهي عن المخاطب عن الحضور لديه الموجب لرؤيته واتبع هواه اى
ما تهواه نفسه من اللذات الحسية الفانية فتردى اى فتهلك فان الاغفال عنها وعن تحصيل
ما ينجي عن اهوالها مستتبع للهلاك لا محالة وهو في محل النصب على جواب النهي او في محل الرفع
على انه خبر مبتدا محذوف اى فانت تردى وما تلك بيمينك يا موسى شروع في حكاية ما خلف

عليه

ما خلف عليه السلام من الامور المتعلقة بالحق اثر حكاية ما امر به من الشؤون الخاصة بنفسه
فما استفهامية في حيز الرفع بالابتداء وتلك خبره او بالعكس وهو ادخل بحسب المعنى وهو اوفق
بالجواب وبيمينك متعلق بمضمر وقع حالا اى وما تلك قارة او ماخوذة بيمينك والعامل معنى
الاشارة كما في قوله عز وعلا وهذا بعلى شيخا وقيل تلك موصولة اى ما التي هي بيمينك وايا ما
كان فالاستفهام ايقاظ وتنبيه له عليه السلام على ما سيبدو له من التعاجيب وتكرير النداء
لزيادة التانيس والتنبيه قال هي عصاى نسبها الى نفسه تحقيقا لوجه كونها بيمينه وتمهيدا لما
يعقبه من الافاعيل المنسوبة اليه عليه السلام وقرئ عصى على لغة هذيل اتوكأ عليها
اى اعتمد عليها عند الاعيا او الوقوف على راس القطيع واهش بها اى اخبط الورق واسقط
على غنمى وقرئ اهس بكسر الهاء وكلاهما من هش الخبز يهش اذا انكسر لهشاشته وقرئ بالسين
غير المعجمة وهو زجر الغنم وتعديته بعلى لتضمين معنى الانتهاء والاقبال اى اجرها منحيا ومقبلا
عليها ولى فيها مارب اخرى اى حاجات اخر من هذا الباب مثل ما روى انه عليه السلام كان
اذا سار القاها على عاتقه فيعلق بها ادواته من القوس والكنانة والحلاب ونحوها واذا كان
في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل به واذا قصر الرشاء
وصله بها واذا تعرضت السباع لغنمه قاتل بها قيل ومن جملة المارب انها كانت ذات شعبتين
ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن واذا اراد كسره لواه بالشعبتين وكانه عليه السلام
فهم ان المقصود من السؤال بيان حقيقتها وتفصيل منافعها بطريق الاستقصاء حتى اذا ظهرت
على خلاف تلك الحقيقة وبدت منها خواص بديعة علم انها ايات باهرة ومعجزات قاهرة
احدثها الله تعالى وليست من الخواص المترتبة عليها فذكر حقيقتها ومنافعها على التفصيل
والاجمال على معنى انها من جنس العصا مستتبعة لمنافع بنات جنسها ليطابق جوابه الغرض
الذى فهمه من سؤال العليم الخبير قال القها يا موسى لترى من شانها ما لم يخطر ببالك من
الامور تكرير النداء لتاكيد التنبيه فالقاها على الارض فاذا هي حية تسعى روى انه عليه
السلام حين القاها انقلبت حية صفراء في غلظ العصا ثم انتفخت وعظمت فلذلك شبهت بالجان
تارة وسميت ثعبانا اخرى وعبر عنها ههنا بالاسم العام للحالين وقيل قد انقلبت من اول
الامر ثعبانا وهو الاليق بالمقام كما يفصح عنه قوله عز وجل فاذا هي ثعبان مبين وانما شبهت
بالجان في الجلادة وسرعة الحركة لا في صغر الجثة وقوله تعالى تسعى اما صفة لحية او خبر ثان عند
من يجوزه قال استيناف كما سبق خذها ولا تخف مشاهدة الاحوال والمخاوف من
الفزع والنفار وفي عطف الامر على النهي اشعار بان عدم المنهي عنه مقصود لذاته لا
لتحقيق المامور به فقط وقوله تعالى سنعيدها سيرتها الاولى مع كونه استينافا مسوقا
لتعليل الامتثال بالامرين فان اعادتها الى ما كانت عليه من موجبات اخذها وعدم
الخوف منها عدة كريمة باظهار معجزة اخرى على يده عليه السلام وايذان بكونها مسخرة له
عليه السلام ليكون على طمانينة من امره ولا يعتريه شائبة تزلزل عند محاجة فرعون اى
سنعيدها الى حالتها الاولى التى هي الهيئة العصوية قيل بلغ عليه السلام عند ذلك من
الثقة وعدم الخوف الى حيث كان يدخل يده في فمها وياخذ بلحييها والسيرة فعلة من السير
تجوز بها للطريقة والهيئة وانتصابها على نزع الخافض اى الى سيرتها او على ان اعاد منقول
من عاده بمعنى عاد اليه او على الظرفية او سنعيدها او على تقدير فعلها اى ايقاعها حالا من
المفعول اى سنعيدها عصا كما كانت من قبل تسير سيرتها الاولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل
واضمم يدك الى جناحك امر عليه السلام بذلك بعد ما اخذ الحية وانقلبت عصا كما كانت اى
ادخلها تحت عضدك فان جناحى الانسان جنباه كما ان جناحي العسكر ناحيتاه مستعار من
جناحى الطير وقد سميا جناحين لانه يجنحهما اى يميلهما عند الطيران وقوله تعالى تخرج جواب
الامر وقوله تعالى بيضاء حال من الضمير فيه وقوله تعالى من غير سوء متعلق بمحذوف
وهو حال من الضمير في بيضاء او كائنة من غير عيب وقبح كنى به عن البرص كما كنى بالسوءة
عن العورة لما ان الطباع تعافه وتنفر عنه روى انه عليه السلام كان ادم فاخرج يده
من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر اية اخرى اى معجزة اخرى غير
العصا وانتصابها على الحالية اما من الضمير في تخرج على انها بدل من الحال الاولى واما من
الضمير في بيضاء وقيل من الضمير في الجار والمجرور وقيل هي منصوبة بفعل مضمر نحو هذا

ودونك وقوله تعالى لنريك من اياتنا الكبرى متعلق بمضمر ينساق اليه النظم الكريم كانه
قيل فعلنا ما فعلنا من الامرين لاظهار لنريك بذلك بعض اياتنا الكبرى على ان الكبرى صفة
لاياتنا او نريك بذلك من اياتنا ما هي كبرى على ان الكبرى مفعول ثان كبرى اية اي دللنا
بها لنريك الى اخره او بقوله تعالى واضمم بقوله تخرج او بما قدر من حذو ونك كما قال بكل
من ذلك قائل فيودى الى عراية العصا عن وصف الكبر فتدبر اذهب الى فرعون تخلص لى ما هو
القصد من تمهيد المقدمات السالفة فصله عما قبله من الاوامر يذانا باصالته اي اذهب
اليه بما رايته من الايات الكبرى وادعه الى عبادتى وحذره نقمتى وقوله تعالى انه طغى تعليل
للامر او الوجوب المأمور به اي جاوز الحد فى التكبر والعتو والتجبر حتى تجاوز على العظمة التى
هى دعوى الربوبية قال استيناف على سؤال مبنى ينساق اليه الذهن كانه قيل فماذا قال عليه
عليه السلام حين امر بهذا الامر الخطير والخطب العسير فقيل قال مستعينا بربه عز وجل
رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى لما امر بما امر به من الخطب الجليل تضرع الى ربه عز وجل
واظهر عجزه بقوله ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى وسؤاله تعالى ان يوسع صدره ويفسح
قلبه ويجعله عليما بشؤون الحق واحوال الخلق حليما حمولا يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد
والمكاره بجميل الصبر وحسن الثبات ويتلقاها بصدر فسيح وجاش رابط وان يسهل عليه
مع ذلك امره الذى هو اجل الامور واعظمها واصعب الخطوب واهولها بتوفيق الاسباب
ودفع الموانع وفى زيادة كلمة لى مع انتظام الكلام بدونها تأكيد لطلب الشرح والتيسير
بابهام المشروح والميسر اولا وتفسيرهما ثانيا وفى تقديمها وتكريرها اظهار مزيد اعتنا
بشان كل من المطلوبين وفضل اهتمام بتلك عاحصول لهما له واختصاصهما به واحلل عقدة
من لسانى روى انه كان فى لسانه عليه السلام رتة من جمرة ادخلها فاه فى صغره وذلك
ان فرعون حمله ذات يوم فاخذ لحيته فنتفها لما كان فيها من الجواهر فغضب وامر بقتله
فقالت اسية انه صبى لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضر بين يديه فاخذ الجمرة فوضعها فى
فيه قيل واحترقت يده فاجتهد فرعون فى علاجها فلم تبرأ ثم لما دعاه قال الى اى رب تدعونى
قال الى الذى ابرأ يدى وقد عجزت عنها واختلف فى زوال العقدة بكمالها فمن قال به تمسك
بقوله تعالى قد اوتيت سؤلك ومن لم يقل به احتج بقوله تعالى هو افصح منى وهو قوله تعالى
ولا يكاد يبين واجاب عن الاول بانه لم يسأل حل عقدة لسانه بالكلية بل حل عقدة تمنع
الافهام ولذلك نكرها ووصفها بقوله من لسانى اى عقدة كائنة من عقد لسانى وجعل قوله
تعالى يفقهوا قولى جواب الامر وغرضا من الدعاء فبحلها فى الجملة يتحقق ايتاء سؤله عليه السلام
والحق ان ما ذكر لا يدل على بقائها اصلا بل يستدعى عدم البقاء لان الافصحية توجب ثبوت اصل
الفصاحة فى المفضول ايضا وذلك مناف للعقدة راسا واما قوله تعالى ولا يكاد يبين فمن
باب غلو اللعين فى العتو والطغيان والا لدل على عدم زوالها اصلا وتنكيرها انما يفيد
قلتها فى نفسها لا قلتها باعتبار كونها بعضا من الكثير وتعلق كلمة من فى قوله تعالى من لسانى
بمحذوف هو صفة لها ليس بمقطوع به بل الظاهر تعلقها بنفس الفعل فان المحلول اذا كان
متعلقا بشىء ومتصلا به فكما يتعلق بذلك الشىء ايضا باعتبار ازالته عنه او ابتداء حصوله
منه واجعل لى وزيرا من اهلى هرون اخى اى موازرا يعاوننى فى تحمل اعباء ما كلفته على ان
اشتقاقه من الوزر الذى هو الثقل او ملجأ اعتصم برايه على انه من الوزر وهو الملجأ وقيل
اصله ازير من الازر بمعنى القوة فعيل بمعنى فاعل كالجليس والعشير قلبت همزته واوا كقلبها
فى موازر ونصبه على انه مفعول ثان لاجعل قدم على الاول الذى هو قوله تعالى هرون اعتناء
بشان الوزارة ولى صلة للجعل او متعلق بمحذوف هو حال من وزيرا اذ هو صفة له فى الاصل
ومن اهلى اما صفة لوزيرا او صلة لاجعل وقيل مفعولاه لى وزيرا وهرون عطف بيان
اخر وقيل هما وزيرا من اهلى ولى تبيين كما فى قوله تعالى ولم يكن له كفوا احد ورد بان شرط
المفعولين فى باب النواسخ صحة انعقاد الجملة الاسمية ولا مساغ لجعل وزيرا مبتدأ والخبر
عنه بما بعده اشدد به ازرى واشركه فى امرى كلاهما على صيغة الدعاء اى احكم به قوتى
واجعله شريكى فى امر الرسالة حتى نتعاون على ادائها كما ينبغى وفصل الاول عن الدعاء السابق
لكمال الاتصال بينهما فان شد الازر عبارة عن جعله وزيرا واما الاشراك فى الامر فحيث كان
من احكام الوزارة توسط بينهما العاطف كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا غاية للادعية

الثلاثة الاخيرة فان فعل كل واحد منهما من التسبيح والذكر مع كونه مكثرا لفعل الاخر ومضاعف
له بسبب انضمامه اليه مكثر له فى نفسه اى ضا بسبب تقويته وتاييده اذ ليس المراد بالتسبيح
والذكر ما يكون منهما بالقلب او فى الخلوات حتى لا يتفاوت حاله عند التعدد والانفراد بل ما يكون
منهما فى تضاعيف اداء الرسالة ودعوة المردة العتاة الى الحق وذلك مما لا ريب فى اختلاف
حاله فى حالتى التعدد والانفراد فان كلا منهما يصدر عنه بتاييد الاخر من اظهار الحق ما لا يصدر
عنه مثله حال الانفراد وكثيرا فى الموضعين نعت لمصدر محذوف اى زمانا محذوف اى ننزهك
عما لا يليق بك من الصفات والافعال التى من جملتها ما يدعيه فرعون الطاغية ويقبله منه فئته
الباغية من ادعاء الشركة فى الالوهية ونصفك بما يليق بك من صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال تنزيها
كثيرا او زمانا كثيرا من جملته زمان دعوة فرعون واوان المحاجة معه واما ما قيل من ان المعنى كى نصلى
لك كثيرا ونحمدك ونثنى عليك فلا يساعده المقام انك كنت بنا بصيرا اى عالما باحوالنا وبان ما دعوتك
به مما يصلحنا ويفيدنا فى تحقيق ما كلفته من اقامة مراسم الرسالة وبان هارون نعم الردء فى اداء ما
امرت به والباء متعلقة ببصيرا قدمت عليه لمراعاة الفواصل قال قد اوتيت سؤلك اى اعطيت سؤلك
فعل بمعنى مفعول كالخبز والاكل بمعنى المخبوز والماكول والايتاء عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوقوع
تلك المطالب وحصولها له عليه السلام البتة وتقديره اياها حتما فكلها حاصلة له عليه السلام
وان كان وقوع بعضها بالفعل مترتبا بعد كتيسير الامر وشدة الازر وباعتباره قيل سنشد
عضدك باخيك وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام بشرف الخطاب اثر تشريفه بقبول
الدعاء وقوله تعالى ولقد مننا عليك كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله وزيادة توطين نفس موسى
عليه السلام بالقبول ببيان انه تعالى حيث انعم عليه بتلك النعم التامة من غير سابقة دعاء منه
وطلب فلان ينعم عليه بمثلها وهو طالب له وداع اولى واحرى وتصديره بالقسم لكمال الاعتناء بذلك
اى وبالله لقد انعمنا مرة اخرى اى فى وقت غير هذا الوقت لا ان ذلك مؤخر عن هذا فان اخرى
تانيث اخر بمعنى غير والمرة فى الاصل اسم للمرور الواحد ثم اطلق على كل فعلة واحدة من الفعلات متعدية
كانت او لازمة ثم شاع فى كل فرد واحد من افراد ما له افراد متجددة فصار علما فى ذلك حتى جعل معيارا
لما فى ذلك معناه من سائر الاشياء فقيل هذا بناء المرة ويقرب منها الكرة والتارة والدفعة والمراد بها
ههنا الوقت الممتد الذى وقع فيه ما سياتى ذكره من المنن العظيمة الكثيرة وقوله تعالى اذ اوحينا
الى امك ما يوحى ظرف لمننا والمراد بالايحاء على لسان نبى فى وقتها لقوله تعالى واذ اوحيت الى
الحواريين الاية واما الايحاء بواسطة الملك لا على وجه النبوة كما اوحى الى مريم واما الالهام كما فى قوله
تعالى واوحى ربك الى النحل واما الاراءة فى المنام والمراد بما يوحى ما سياتى من الامر بقذفه فى التابوت
وقذفه فى البحر ابهم ولا تهويلا له وتفخيما لشانه ثم فسر ليكون اوقع عند النفس وقيل معناه ما
ينبغى ان يوحى ولا يخل به لعظم شانه وفرط الاهتمام به وقيل ما لا يعلم الا بالوحى وفيه انه لا
يلائم المعنيين الاخيرين للوحى اذ لا تاخير لتفخيم لشانه فى ان يكون مما لا يعلم الا بالالهام او بالاراءة فى
المنام وان فى قوله تعالى ان اقذفيه فى التابوت مفسرة لان الوحى من باب القول او مصدرية حذف
منها الباء اى بان اقذفيه ومعنى القذف ههنا الوضع وما فى قوله تعالى فاقذفيه فى اليم الطرح كان
القاء البحر اياه بالساحل امرا واجب الوقوع لتعلق الارادة بالرؤية به جعل البحر كانه ذو تمييز مطيع
امر بذلك واخرج الجواب مخرج الامر والضماير كلها لموسى عليه السلام والمقذوف فى البحر والملقى
بالساحل وان كان هو التابوت اصالة لكن لما كان المقصود بالذات ما فيه جعل التابوت تبعا له فى ذلك
ياخذه عدو لى وعدو له جواب للامر بالقاء وتكرير العدو للمبالغة والتصريح بالامر والاشعار
بان عداوته له مع تحققها لا تؤثر فيه ولا تضره بل تؤدى الى المحبة فان الامر بما هو سبب الهلاك
صورة من قذفه فى البحر ووقوعه فى يد عدو الله تعالى وعدوه مشعر بان هناك لطفا خفيا مندرجا
تحت قهر صورى وقيل الاول باعتبار الواقع والثانى باعتبار المتوقع وليس المراد بالساحل نفس
الشاطئ بل ما يقابل الوسط وهو ما يلى الساحل من البحر بحيث يجرى ماؤه الى نهر فرعون لما روى
انها جعلت فى التابوت قطنا ووضعته فيه ثم قيرته والقته فى اليم وكان يشرع منه الى بستان
فرعون نهر فدفعه الماء اليه فاداه الى بركة فى البستان وكان فرعون جالسا ثمة مع اسية بنت
مزاحم فامر به فاخرج ففتح فاذا هو صبى اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يكاد يتمالك
الصبر عنه وذلك قوله تعالى والقيت عليك محبة منى كلمة من متعلقة بمحذوف هو صفة لمحبة
مؤكدة لما فى تنكيرها من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اى محبة عظيمة كائنة منى قد زرعتها

في القلوب بحيث لا يكاد يصبر عنك من رآك ولذلك احبك عدو الله وعدوه وقيل من متعلقة بالقيت
اي احببتك ومن احبه الله تعالى احبته القلوب لا محالة وقوله تعالى ولتصنع على عيني متعلق بالقيت
معطوف على علة له مضمرة اي ليتعطف عليك ولتربى بالحنو والشفقة بمراقبتي وحفظي او بمعنى
موخر وهو عبارة عما قبله من القاء المحبة والجملة مبتداة اي ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقرئ
ولتصنع على صيغة الامر بسكون اللام وكسرها وقرئ بفتح التاء والنصب اي وليكون عملك على
عين مني لئلا تخالف به عن امري اذ تمشي اختك ظرف لتصنع على ان المراد به وقت وقع فيه مشيها
الى بيت فرعون وما ترتب عليه من القول والرجع الى امها وتربيتها له بالبر والحنو وهو المصداق لقوله
تعالى ولتصنع على عيني اذ لا شفقة اعظم من شفقة الام وصنعها على موجب مراعاته تعالى وقيل هو
بدل من اذ اوحينا على ان المراد به زمان متسع متباعد الاطراف وهو الانسب بما سياتي من قوله تعالى
فنجيناه من الغم فان جميع ذلك من المنن الالهية وتعلق بشيء منها بالصنع المذكور واما كونه ظرفا
لالقيت كما جوز فربما يوهم ان القاء المحبة لم يحصل قبل ذلك ولا ريب في ان معظم اثار القائها ظهر
عند فتح التابوت فتقول اي لفرعون واسية حين راتهما يطلبان له عليه السلام مرضعة يقبل
ثديها وكان لا يقبل ثديا وصيغة المضارع في الفعلين لحكاية الحال الماضية هل ادلكم على من يكفله
اي يضمه على نفسه ويربيه وذلك انما يكون بقبوله ثديها روي انه فشا الخبر بمصر ان آل فرعون
اخذوا غلاما في النيل لا يرتضع ثدي امرأة واضطروا الى تتبع النساء فخرجت اخته مريم لتعرف خبره
فجاءتهم متنكرة فقالت ما قالت وقالوا ما قالوا فاجابت بانه يقبل ثديها فالفاء في قوله تعالى
فرجعناك الى امك فصيحة معربة عن محذوف قبلها تعطف عليه ما بعدها اي فقالوا دلينا عليها فجاءت
بامك فرجعناك اليها كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن اي لا يطرأ عليها الحزن لفراقك بعد ذلك
والا فزوال الحزن مقدم على السرور المعبر عنه بقرة العين فان التخلية متقدمة على التحلية وقيل
ولا تحزن انت بفقد اشفاقها وقتلت نفسا هي نفس القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فنجيناك
من الغم اي غم قتله خوفا من عقاب الله تعالى بالمغفرة ومن اقتصاص فرعون بالانجاء منه بالمهاجرة
الى مدين وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء او فتونا من الابتلاء على انه جمع فتن او فتنة على ترك
الاعتداد بالتاء كحجوز في حجزة وبدور في بدرة اي خلصناك مرة بعد اخرى وهو اجمال ما ناله في سفره من الهجرة
عن الوطن ومفارقة الالاف والمشي راجلا وفقد الزاد وقد روي ان سعيد بن جبير سال عنه ابن
عباس فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير
والقته امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت
غنمه في ليلة مظلمة وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير ولكن الذي يقتضيه النظم
الكريم ان لا تعد اجارة نفسه وما بعدها من تلك الفتون ضرورة ان المراد بها ما وقع قبل وصوله
عليه السلام الى مدين بقضية الفاء في قوله تعالى فلبثت سنين في اهل مدين اذ لا ريب في ان الاجارة
المذكورة وما بعدها مما وقع بعد الوصول اليهم وقد انطوى بذكر لبثه عليه السلام فيهم دون
وصوله اليهم الى جميع ما قاساه عليه السلام في تضاعيف تلك السنين العشر من فنون الشدائد
والمكاره التي كل واحدة منها فتنة واي فتنة ومدين بلد شعيب عليه السلام على ثمان مراحل
من مصر ثم جئت اي الى المكان الذي اونس فيه النار ووقع فيه النداء والجواب وكلمة التراخي للايذان بان
مجيئه عليه السلام كان بعد اللتيا والتي من ضلال الطريق وتفرق الغنم في الليلة المظلمة الشاتية
وغير ذلك على قدر اي على تقدير قدرته لان اكلمك واستنبئك في وقت عينته لذلك فما جئت
الا على ذلك القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه من الانبياء
عليهم السلام وهو راس اربعين سنة وقوله تعالى يا موسى تشريف له عليه السلام وتنبيه على
انتهاء الحكاية التي هي تفصيل المرة الاخرى التي وقعت قبل المرة المحكية اولا وقوله تعالى واصطنعتك
لنفسي تذكير لقوله تعالى وانا اخترتك وتمهيد لارساله عليه السلام الى فرعون مؤيدا باخيه
حسبما استدعاه تذكير المنن السالفة السابقة تاكيد الوثوق عليه السلام بحصول نظائرها
اللاحقة وهذا تمثيل لما خوله عز وجل من الكرامة العظمى بتقريب الملك بعض خواصه واصطناعه
لنفسه وترشيحه لبعض اموره الجليلة والعدول عن نون العظمة الواقعة في قوله تعالى وفتناك
ونظيريه السابقين تمهيد افراد لفظ النفس اللائق بالمقام فانه ادخل في تحقيق معنى الاصطناع
والاستخلاص اي اصطنعتك برسالاتي وبكلامي وقوله تعالى اذهب انت واخوك اي وليذهب
اخوك حسبما استدعيت استئناف مسوق لبيان ما هو المقصود بالاصطناع بآياتي اي بمعجزاتي التي

اريتكما

اريتكما من اليد والعصا فانهما وان كانتا اثنتين لكن في كل منهما ايات شتى كما في قوله تعالى فيه ايات
بينات مقام ابراهيم فان انقلاب العصا حيوانا اية وكونها ثعبانا عظيما لا يقدر قدره اية اخرى
وسرعة حركته مع عظم جرمه اية اخرى وكونه مع ذلك مسخرا له عليه السلام بحيث كان يدخل
يده في فمه فلا يضره اية اخرى ثم انقلابها عصا اية اخرى وكذلك اليد فان بياضها في نفسه اية
وشعاعها اية ثم رجوعها الى حالتها الاولى اية اخرى والباء للمصاحبة لا للتعدية اذ المراد ذهابهما
الى فرعون ملتبسين بالايات متمسكين بها في اجراء احكام الرسالة واكمال امر الدعوة لا مجرد اذهابها
وايصالها اليه ولا تنيا لا تفترا ولا تقصرا وقرئ لا تنيا بكسر التاء للاتباع في ذكري بما يليق بي من
الصفات الجليلة والافعال الجميلة عند تبليغ رسالتي والدعاء الي وقيل المعنى لا تنيا في تبليغ رسالتي
فان الذكر يقع على جميع العبادات وهو اجلها واعظمها وقيل لا تنسياني حيث تقلبتما واستمدا به
العون والتأييد واعلما ان امرا من الامور لا يتأتى ولا يتسنى الا بذكري اذهبا الى فرعون جمعهما
في صيغة امر الحاضر مع غيبة هرون اذ ذاك للتغليب وكذا الحال في صيغة النهي روي انه اوحي الى
هارون وهو بمصر ان يتلقى موسى عليه السلام وقيل سمع باقباله فتلقاه انه طغى تعليل لموجب
الامر والفاء في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لترتيب ما بعدها على طغيانه فان تليين القول مما يكسر
سورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تعنفا في قولكما وقيل القول
اللين مثل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فانها دعوة في صورة عرض ومشورة ويرده ما
سيجيء من قوله تعالى فقولا انا رسولا ربك الاية وقيل كنياه وكان له ثلاث كنى ابو العباس وابو
الوليد وابو مرة وقيل عداه شبابا لا يهرم ويبقى له لذة المشرب والمطعم والمنكح وملكا لا ينزع
الا بالموت وقرئ لينا لعله يتذكر بما بلغتماه من ذكري ويرغب فيما رغبتماه فيه او يخشى عقابي
ومحل الجملة النصب على الحال من ضمير التثنية اي فقولا له قولا لينا راجين ان يتذكر او يخشى وكلمة
او لمنع الخلو اي باشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر له ولا يخيب وهو يجتهد بطوقه
ويحتشد باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بحاله الزام الحجة وقطع المعذرة قالا
ربنا اسند القول اليهما مع ان القائل حقيقة هو موسى عليه السلام بطريق التغليب ايذانا
باصالته في كل قول وفعل وتبعية هارون عليه السلام معه عند نزول الاية كما في قوله تعالى يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات فان هذا الخطاب قد حكي بصيغة الجمع مع ان كلا من المخاطبين لم يخاطب
الا بطريق الانفراد ضرورة استحالة اجتماعهم في الوجود فكيف باجتماعهم في الخطاب اننا نخاف
ان يفرط علينا اي يعجل علينا بالعقوبة ولا يصبر الى تمام الدعوة واظهار المعجزة من فرط اذا تقدم
ومنه الفارط وفرس فارط يسبق الخيل وقرئ يفرط من افرطه اذا حمله على العجلة اي نخاف ان يحمله
حامل من الاستكبار او الخوف على الملك او غيرهما على المعاجلة والعقاب او ان يطغى ان يزداد
طغيانا الى ان يقول في شانك ما لا ينبغي لكمال جراءته وقساوته واطلاقه من حسن الادب واظهار
كلمة ان مع سداد المعنى بدونه لاظهار كمال الاعتناء بالامر والاشعار بتحقيق الخوف من كل منهما قال
استئناف مبني على السؤال الناشئ من النظم الكريم ولعل اسناد الفعل الى ضمير الغيبة للاشعار
بانتقال الكلام من مساق الى مساق اخر فان ما قبله من الافعال الواردة على صيغة التكلم لموسى عليه
السلام بخلاف ما سيأتي من قوله تعالى قلنا لا تخف انك انت الاعلى فان ما قبله ايضا وارد بطريق
الحكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانه قيل فماذا قال لهما ربهما عند تضرعهما اليه فقيل قال
لا تخافا انني معكما مما توهمتما من الامرين وقوله تعالى انني معكما تعليل لموجب النهي ومزيد تسلية
لهما والمراد بالمعية كمال الحفظ والنصرة كما ينبئ عنه قوله تعالى اسمع وارى اي ما يجري بينكما وبينه
من قول او فعل فافعل في كل حال بما يليق بها من دفع شر وجلب خير ونفع ويجوز ان لا يقدر
شيء على معنى انني حافظكما سميعا بصيرا والحافظ الناصر اذا كان كذلك فقد تم وبلغت النصرة غايتها
فأتياه امر باتيانه الذي هو عبارة عن الوصول اليه بعد ما امر بالذهاب اليه فلا تكرار وهو عطف
على لا تخافا باعتبار تعليله بما بعده فقولا انا رسولا ربك امر بذلك تحقيقا للحق من اول الامر
ليعرف الطاغية شانهما ويبني جوابه عليه وكذا التعرض لربوبيته تعالى له والفاء في قوله تعالى فارسل
معنا بني اسرائيل لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان كونهما رسولي ربه مما يوجب ارسالهم معهما والمراد بالارسال
اطلاقهم من الاسر واخراجهم من تحت يده العادية لا تكليفهم ان يذهبوا معهما الى الشام
كما ينبئ عنه قوله تعالى ولا تعذبهم اي بابقائهم على ما كانوا عليه من العذاب فانهم كانوا تحت ملكة
القبط يستعملونهم ويستخدمونهم في الاعمال الصعبة الفادحة من الحفر ونقل الاحجار وغيرهما

من الامور الشاقة ويقتلون ذكور اولادهم عاما دون عام ويستخدمون نساءهم وتوسيط حكم الارسال
بين بيان رسالتهما وبين ذكر المجيء باية دالة على صحتها لاظهار الاعتناء به مع ما فيه من تهوين الامر
على فرعون فان ارسالهم معهما من غير تعرض لنفسه وقومه بفنون التكاليف الشاقة كما هو حكم الرسالة
عادة ليس مما يشق عليه كل المشقة ولان في بيان مجيء الاية نوع طول كما ترى فتأخير ذلك عنه مخل بتجاوب
اطراف النظم الكريم واما ما قيل من ان ذلك دليل على ان تخليص المؤمنين من الكفرة اهم من دعوتهم الى
الايمان فكلا قد جئناك باية من ربك تقرير لما تضمنه الكلام السابق من دعوى الرسالة وتعليل
لوجوب الارسال فان مجيئهما بالاية من جهته تعالى مما يحقق رسالتهما ويقررها ويوجب الامتثال
بامرهما واظهار اسم الرب في موضع الاضمار مع الاضافة الى ضمير المخاطب لتأكيد ما ذكر من
التقرير والتعليل وتوحيد الاية مع تعددها لان المراد اثبات الدعوى ببرهانها لا بيان تعدد
الحجة وكذلك قوله تعالى قد جئتكم ببينة وقوله تعالى اولو جئتك بشيء مبين واما قوله تعالى
فأت باية ان كنت من الصادقين فالظاهر ان المراد بها اية من الايات والسلام المستتبع لسلامة
الدارين من الله تعالى والملائكة وغيرهم من المسلمين على من اتبع الهدى بتصديق ايات الله تعالى
الهادية الى الحق وفيه من ترغيبه في اتباعهما على الطف وجه ما لا يخفى انا قد اوحي الينا من
جهة ربنا ان العذاب الدنيوي والاخروي على من كذب اي باياته تعالى وتولى اي اعرض عن قبولها
وفيه من التلطيف في الوعيد حيث لم يصرح بحلول العذاب به ما لا مزيد عليه قال اي فرعون
بعد ما اتياه وبلغاه ما امرا به وانما طوى ذكره للايجاز والاشعار بانهما كما امرا بذلك تسارعا
الى الامتثال به من غير تلعثم وبان ذلك من الظهور بحيث لا حاجة الى التصريح به فمن ربكما يا موسى
لم يضف الرب الى نفسه ولو بطريق حكاية ما في قوله تعالى انا رسولا ربك وقوله تعالى قد جئناك
باية من ربك لغاية عتوه ونهاية طغيانه بل اضافه اليهما لان المرسل لابد ان يكون ربا للرسول او لانهما
قد صرحا بربوبيته تعالى للكل بان قالا انا رسول رب العالمين كما وقع في سورة الشعراء
والاقتصار ههنا على ذكر ربوبيته تعالى لفرعون لكفايته فيما هو المقصود والفاء لترتيب السؤال
على ما سبق من كونهما رسولي ربهما اي اذا كنتما رسولي ربكما فاخبرا من ربكما الذي ارسلكما وتخصيص موسى
عليه السلام مع توجيه الخطاب اليهما لما انه الاصل في الرسالة وهرون وزيره واما ما قيل من ان ذلك
لانه عرف انه عليه السلام رباه في حجره فاراد ان يفحمه فيرده ما شاهده منه عليه السلام من حسن البيان
القاطع لذلك الطمع الفارغ واما قوله ولا يكاد يبين فمن غلوه في الخبث والدعارة كما مر قال اي موسى
عليه السلام مجيبا له ربنا اما مبتدأ وقوله تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه خبره او هو خبر لمبتدأ
محذوف والموصول صفته واياما كان فلم يريد بالضمير المتكلم انفسهما حسبما ورد اللعين بل
لجميع المخلوقات تحقيقا للحق وردا عليه كما يفصح عنه ما في حيز الصلة اي هو ربنا الذي اعطى كل شيء
من الاشياء خلقه اي صورته وشكله اللائق بما نيط به من الخواص والمنافع او اعطى مخلوقاته كل شيء
يحتاجون اليه ويرتفقون به وتقديم المفعول الثاني للاهتمام به او اعطى كل حيوان نظيره في الخلق والصورة
حيث زوج الحصان بالحجر والبعير بالناقة والرجل بالمرأة ولم يزوج شيئا من ذلك بخلاف جنسه
وقرئ خلقه على صيغة الماضي على ان الجملة صفة للمضاف او المضاف اليه وحذف المفعول الثاني
اما للاقتصار او للاهتمام على الاول اي كل شيء خلقه الله تعالى ما يحتاج اليه ثم هدى الى طريق الانتفاع
والارتفاق بما اعطاه وعرفه كيف يتوصل الى بقائه وكماله اما اختيارا كما في الحيوانات او طبعا كما في
الجمادات والقوى الطبيعية والنباتية والحيوانية ولما كان الخلق الذي هو عبارة عن تركيب الاجزاء
وتسوية الاجسام متقدما على الهداية التي هي عبارة عن ابداع القوى المحركة
المبدعة والمدركة في تلك الاجسام وسط بينهما كلمة التراخي ولقد ساق عليه السلام جوابه على نمط
رائق واسلوب لائق حيث بين انه تعالى عالم قادر بالذات خالق لجميع الاشياء منعم عليها بجميع ما يليق
بها بطريق التفضل وضمنه ان ارساله تعالى اياه الى الطاغية من جملة هداياته تعالى اياه بعد
ان هداه الله تعالى الى الحق بالهدايات التكوينية حيث ركب فيه العقل وسائر المشاعر والآلات
الظاهرة والباطنة قال فما بال القرون الاولى لما شاهد اللعين ما نظمه عليه السلام في سلك
الاستدلال من البرهان النير على الطراز الرائع خاف ان يظهر للناس حقية مقالاته عليه السلام
وبطلان خرافات نفسه ظهورا بينا اراد ان يصرفه عليه السلام عن سننه الى ما لا يعنيه من الامور
التي لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات ويشغله عما هو بصدده عسى يظهر فيه نوع غفلة فيتسلق
بذلك الى ان يدعي بين يدي قومه نوع معرفة فقال ما حال القرون الماضية والامم الخالية

وماذا

وماذا جرى عليهم من الحوادث المفصلة فاجاب عليه السلام بان العلم باحوالهم مفصلا مما لا ملابسة
له بمنصب الرسالة وانما علمها عند الله تعالى واما ما قيل من انه سأل عن حال من خلا من القرون وعن
شقاوة من شقي منهم وسعادة من سعد فاباه قوله تعالى قال علمها عند ربي فان معناه انه من الغيوب
التي لا يعلمها الا الله تعالى وانما انا عبد لا اعلم منها الا ما علمنيه من الامور المتعلقة بما ارسلت به
ولو كان المسؤول عنه ما ذكر من الشقاوة لاجيب ببيان ان من اتبع الهدى منهم فقد سلم ومن تولى
فقد عذب حسبما نطق به قوله تعالى والسلام الايتين في كتاب اي مثبت في اللوح المحفوظ بتفاصيله
ويجوز ان يكون ذلك تمثيلا لتمكنه وتقرره في علم الله عز وجل بما استحفظه العالم وقيده بالكتبة
كما يلوح به قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يخطئ ابتداء ولا يذهب عليه بقاء بل هو ثابت ابدا
فانهما محالان عليه سبحانه وعلى الاول لبيان ان اثباته في اللوح ليس لحاجته اليه ابتداء واظهار ربي
في موضع الاضمار للتلذذ بذكره ولزيادة التقرير والاشعار بعلة الحكم فان الربوبية مما يقتضي عدم
الضلال والنسيان حتما ولقد اجاب عليه السلام عن السؤال بجواب عبقري بديع حيث كشف عن
حقيقة الحق بحجابها مع انه لم يخرج عما كان بصدده من بيان شؤونه تعالى ثم تخلص اليه حيث كشف
قال بطريق الحكاية عن الله عز وجل لما سيأتي من الالتفات الذي جعل لكم الارض مهادا على ان الموصول
اما مرفوع على المدح او منصوب عليه او خبر مبتدأ محذوف اي جعلها لكم كالمهد تتمهدونها او ذات
مهد وهو مصدر سمي به المفعول وقرئ مهادا وهو اسم لما يمهد كالفراش او جمع مهد اي جعل كل
موضع منها مهدا لكل واحد منكم وسلك لكم فيها سبلا اي حصل لكم طرقا ووسطها بين الجبال والاودية
والبراري تسلكونها من قطر الى قطر لتقضوا منها مآربكم وتنتفعوا بمنافعها ومرافقها وانزل من السماء
ماء هو المطر فاخرجنا به اي بذلك الماء وهو عطف على انزل داخل تحت الحكاية وانما التفت للتكلم للتنبيه
على ظهور ما فيه من الدلالة على كمال القدرة والحكمة والايذان بانه لا يتأتى الا من قادر مطاع عظيم
الشان ينقاد لامره وتذعن لمشيئته الاشياء المختلفة كما في قوله تعالى ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا
به ثمرات مختلفا الوانها وقوله تعالى امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا
به حدائق ذات بهجة خلا ان ما قيل الالتفات هنا لا صريح كلامه تعالى واما ههنا فحكاية منه تعالى
وجعل قوله تعالى فاخرجنا به هو المحكي مع كون ما قبله كلام موسى عليه السلام خلاف الظاهر مع
انه يفوت حينئذ الالتفات لعدم الاتحاد المتكلم ازواجا اصنافا سميت بذلك لازدواجها واقتران
بعضها ببعض من نبات بيان او صفة لازواجا اي كائنة من نبات وكذا قوله تعالى شتى اي متفرقة جمع
شتيت ويجوز ان يكون صفة لازواجا اي كائنة من نبات لشتات لما انه في الاصل مصدر يستوي
فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة في الطعم والرائحة والشكل والنفع بعضها صالح للناس على
اختلاف وجوه الصلاح وبعضها للبهائم فان من تمام نعمته تعالى ان ارزاق عباده لما كان تحصيلها بعمل
الانعام جعل علفها مما يفضل من حاجاتهم ولا يليق بكونه طعاما لهم وقوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم
حال من ضمير فاخرجنا على ارادة القول اي اخرجنا منها اصناف النبات قائلين كلوا وارعوا انعامكم
اي معديها لانتفاعكم بالذات او بالواسطة اذنين في ذلك ان في ذلك اشارة الى ما ذكر من شؤونه تعالى
وانعامه وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الكمال والتنكير في قوله تعالى
لايات للتفخيم كما وكيفا اي لايات جليلة كثيرة واضحة الدلالة على شؤون الله تعالى في ذاته وصفاته
وافعاله وعلى صحة نبوة موسى وهرون عليهما السلام لاولي النهى جمع نهية سمي بها العقل لنهيه عن
اتباع الباطل وارتكاب القبيح كما سمي بالعقل والحجر لعقله وحجره عن ذلك اي لذوي العقول الناهية
عن الاباطيل التي من جملتها ما تدعيه الطاغية وتقبله منه فئته الباغية وتخصيص كونها ايات
بهم مع انها ايات للعالمين باعتبار انهم المنتفعون بها منها خلقناكم اي في ضمن خلق ابيكم ادم عليه
السلام منها فان كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه اذ لم تكن فطرته البديعة مقصورة
على نفسه عليه السلام بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا
لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام منها خلقا للكل منها وقيل المعنى خلقنا ابدانكم
من النطفة المتولدة من الاغذية المتولدة من الارض بوسائط وقيل ان الملك الموكل بالرحم يأخذ من تربة
المكان الذي يدفن فيه المولود فيذرها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة وفيها نعيدكم بالاماتة
وتفريق الاجزاء وايثار كلمة في على كلمة الى للدلالة على الاستقرار المديد فيها ومنها نخرجكم تارة
اخرى بتأليف اجزائكم المتفتتة المختلطة بالتراب على الهيئة السابقة ورد الارواح اليها وكون هذا
الاخراج تارة اخرى باعتبار ان خلقهم من الارض اخراج لهم منها وان لم يكن على نهج التارة الثانية

والتارة في الاصل اسم للتور الواحد وهو الجريان ثم اطلق على فعله واحدة من الفعلات المتجددة كما
هو معنى المرة ولقد اريناه حكاية اجمالية لما جرى بين موسى عليه السلام وبين فرعون اثر حكاية
ما ذكره عليه السلام بحذافيره نهاية الداعية له الى قبول الحق والانقياد له وتصديرها
بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها واسناد الاراءة الى نون العظمة نظرا الى الحقيقة او الى موسى
نظرا الى الظاهر لتهويل امر الايات وتفخيم شانها واظهار كمال شناعة اللعين وتماديه في العناد
والمكابرة اى وبالله لقد بصرناه فرعون وعرفناه اياتنا حين قال لموسى عليه السلام ان كنت
من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين وصيغة
الجمع مع كونهما اثنتين باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع الامور التي كل منها اية بينة لقوم يعلمون
حسبما بين في تفسير قوله تعالى اذهب انت واخوك باياتي وقد ظهر عند فرعون امور اخر كل واحدة
منها داهية دهياء فانه روى انه عليه السلام لما القاها انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر وتوجه نحو فرعون
فهرب واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا من قومه فصاح
فرعون يا موسى انشدك بالذي ارسلك الا اخذته فاخذه فعاد عصا وروى انها انقلبت حية
ارتفعت في السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت
وفرعون يقول يا موسى الى اخره ونزع يده من جيبه فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا خارجا عن حد العادات
قد غلب شعاعها شعاع الشمس يجتمع عليه النظارة تعجبا من امره ففي تضاعيف كل من الايتين
ايات جمة لكنها لما كانت غير مذكورة صريحا اكدت بقوله تعالى كلها كانه قيل اريناه اياتنا
بجميع مستتبعاتها وتفاصيلها قصدا الى بيان انه لم يبق له في ذلك عذر ما ولا مساغ بعد بقية الايات
التسع منها لما انها قد ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على مهل في نحو من عشرين
سنة كما مر في تفسير سورة الاعراف ولا ريب في ان امر السحرة مترتب بعد هذا وابعد من ذلك ان يعد
منها ما جعل لاهلاكهم لا لدعائهم الى الايمان من فلق البحر وما ظهر بعد مهلكه من الايات الظاهرة
لبني اسرائيل من نتق الجبل والحجر سواء اريد به الحجر الذي فر بثوبه او الذي انفجرت منه العيون وكذا
ان يعد منها الايات الظاهرة على ايدي الانبياء عليهم السلام بناء على ان حكايته عليه السلام اياها
لفرعون في حكم اظهارها بين يديه وارادته اياها لاستحالة الكذب عليه السلام فان حكايته
اياها لفرعون مما لم يجر ذكرها ههنا على ان ما سياتي من حمل ما اظهره ولولا ذلك لجاز حمل ما فعله
عليه السلام من افعاله من غير تردد ولا تاخير مع يشاهد ما في يده من الشواهد الناطقة
بصدقه جحودا وعنادا وابى الايمان والطاعات لعتوه واستكباره وقيل كذب بالايات جميعا
وابى ان يقبل شيئا منها او ابى قبول الحق وقوله تعالى قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى
استيناف مبين لكيفية تكذيبه وابائه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وادعائه امرا محالا
والمجيء اما على حقيقة او بمعنى الاقبال على الامر والتصدي له اى اجئتنا من مكانك الذي كنت فيه
بعد ما غبت عنا او اقبلت علينا لتخرجنا من مصر بما اظهرته من السحر فان ذلك مما لا يصدر
عن العاقل لكونه من باب محاولة المحال وانما قاله لحمل قومه على غاية المقت لموسى عليه السلام
بابراز ان مراده عليه السلام ليس مجرد انجاء بني اسرائيل من ايديهم بل اخراج القبط من وطنهم
وحيازة اموالهم واملاكهم بالكلية حتى لا يتوجه الى اتباعه احد ويبالغوا في المدافعة والمخاصمة
وسمى ما اظهره عليه السلام من المعجزة الباهرة سحرا لتجسيرهم على المقابلة ثم ادعى انه يعارضه
بمثل ما اوتيه عليه السلام فقال فلنأتينك بسحر مثله الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها
واللام جواب قسم محذوف كانه قيل اذا كان كذلك فوالله لنأتينك بسحر مثل سحرك
فاجعل بيننا وبينك موعدا اى وعدا كما ينبئ عنه وصفه بقوله تعالى لا نخلفه فانه المناسب
لا المكان والزمان اى لا نخلف ذلك الوعد نحن ولا انت وانما فوض اللعين امر الوعد الى
موسى عليه السلام للاحتراز عن نسبته الى ضعف القلب وضيق المجال واظهار الجلادة واراءة
انه متمكن من تهيئة اسباب المعارضة وترتيب آلات المغالبة طال الامر ام قصر كما ان تقديم
ضميره على ضمير موسى عليه السلام وتوسيط كلمة النفي بينهما للايذان بمسارعته
الى عدم الاخلاف وان عدم اخلافه لا يوجب عدم اخلافه عليه السلام ولذلك اكد
النفي بتكرير حرفه وانتصاب مكانا سوى بفعل يدل عليه المصدر لا به فانه موصوف
او بانه بدل من موعدا على تقدير مكان مكان مضافا اليه فحينئذ يكون مطابقة الجواب

تعالى الدالة على اختصاصه بالربوبية ولحكامه من جملة الايات فكذب موسى عليه السلام ص

في

في قوله تعالى قال موعدكم يوم الزينة من حيث المعنى فان يوم الزينة يدل على مكان مشتهر باجتماع
الناس فيه يومئذ او باضمار مثل مكان موعدكم مكان يوم الزينة كما هو على الاول او وعدكم وعد يوم
الزينة وقرئ يوم بالنصب وهو ظاهر في ان المراد به المصدر ومعنى سوى منتصفا تستوى
فيه مسافته الينا واليك وهو في النعت كقولهم قوم عدى في الشذوذ وقرئ بكسر السين
قيل يوم الزينة يوم عاشوراء او يوم النيروز او يوم عيد كان لهم في كل عام وانما عينه عليه
السلام بالتعيين لاظهار كمال قوته وكونه على ثقة من امره وعدم مبالاته بهم لما ان ذلك اليوم
وقت ظهور الحق وزهوق الباطل في يوم مشهود على رؤس الاشهاد ويشيع ذلك فيما بين كل حاضر
وباد وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم او الزينة وقرئ على البناء للفاعل بالتاء على خطاب فرعون
وبالياء على ان الضمير له على سنن الملوك او اليوم فتولى فرعون اى انصرف عن المجلس فجمع كيده
اى ما يكيد به من السحرة وادواتهم ثم اتى الموعد ومعه ما جمعه من كيده وفي كلمة التراخي ايماء الى
انه لم يسارع اليه بل اتاه بعد لاى وتلعثم وقوله تعالى قال لهم موسى الى اخره بطريق الاستيناف
المبني على السؤال يقتضي بان المترقب من احواله عليه السلام حينئذ والمحتاج الى السؤال والبيان
ليس الا ما صدر عنه عليه السلام من الكلام واما اتيانه اولا فامر محقق يغني عن التصريح به
كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام عند اتيان فرعون بمن جمعه من السحرة فقيل قال لهم بطريق
النصيحة ويلكم لا تفتروا على الله كذبا بان تدعوا اياته التي ستظهر على يدي سحرا كما فعل فرعون
فيسحتكم اى يستأصلكم بسببه بعذاب هائل لا يقادر قدره وقرئ يسحتكم من الثلاثي على لغة
اهل الحجاز والاسحات لغة بني تميم ونجد وقد خاب من افترى اى على الله كائنا من كان باى وجه
كان فيدخل فيه الافتراء المنهي عنه دخولا اوليا او قد خاب فرعون المفترى فلا تكونوا مثله
في الخيبة والجملة مقررة لمضمون ما قبلها فتنازعوا امرهم بينهم اى السحرة حين سمعوا كلامه
عليه السلام كان ذلك غاظهم وتجاذبوا اهداب القول في ذلك واسروا النجوى اى عن موسى
عليه السلام لئلا يقف عليه فيدافعه وكان نجواهم ما نطق به قوله تعالى قالوا اى بطريق التناجي
والاسرار ان هذان لساحران الى اخره فانه تفسير له ونتيجة تنازعهم وخلاصة ما استقرت
عليه اراؤهم بعد التناظر والتشاور وان مخففة من ان قد اهملت عن العمل واللام فارقة
وقرئ بتشديد نون هذان وقيل هي نافية واللام بمعنى الا اى ما هذان الا ساحران وقرئ
ان بالتشديد وهذان اسمها على لغة بلحارث بن كعب فانهم يعربون التثنية تقديرا وقيل
اسمها ضمير الشان المحذوف وهذان لساحران خبرها وقيل ان بمعنى نعم وما بعدها جملة من
مبتدا وخبر وفيهما ان اللام لا تدخل خبر المبتدا وقيل اصله انه هذان لهما ساحران فحذف الضمير
وفيه ان المؤكد باللام لا يليق به الحذف وقرئ ان هذين لساحران وهي قراءة واضحة يريدان
ان يخرجاكم من ارضكم اى ارض مصر بالاستيلاء عليها بسحرهما الذي اظهراه من قبل ويذهبا
بطريقتكم المثلى اى بمذهبكم الذي هو افضل المذاهب وامثلها باظهار مذهبهما واعلاء دينهما
يريدون به ما كان عليه قوم فرعون لا طريقة السحر فانهم ما كانوا يعتقدونه دينا وقيل
ارادوا اهل طريقتكم وهم بنو اسرائيل لقول موسى عليه السلام ارسل معنا بني اسرائيل وكانوا
ارباب علم فيما بينهم ويأباه ان اخراجهم من ارضهم انما يكون بالاستيلاء عليها تمكنا وتصرفا
فكيف يتصور حينئذ نقل بني اسرائيل الى الشام وحمل الاخراج على اخراج بني اسرائيل منها مع
بقاء قوم فرعون على حالهم مما يجب تنزيه التنزيل عن امثاله على ان هذه المقالة منهم للاغراء
بالمبالغة في المغالبة والاهتمام بالمناصبة فلا بد ان يكون الانذار والتحذير باشد المكاره
واشقها عليهم ولا ريب في ان اخراج بني اسرائيل من بينهم والذهاب بهم الى الشام وهم
آمنون في ديارهم ليس فيه كثير محذور وقيل الطريقة اسم لوجوه القوم واشرافهم
لما انهم قدوة لغيرهم ولا يخفى ان تخصيص الاذهاب بهم مما لا مزية فيه وقوله تعالى
فاجمعوا كيدكم تصريح بالمطلوب اثر تمهيد المقدمات والفاء فصيحة اى اذا كان الامر كما
ذكر من كونهما ساحرين يريدان بكم ما ذكر من الاذهاب والاخراج فاجمعوا كيدكم واجعلوه
مجمعا عليه بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم وارموا عن قوس واحدة وقرئ فاجمعوا من الجمع
ويعضده قوله تعالى فجمع كيده اى ادوات سحركم ورتبوها كما ينبغي ثم ائتوا صفا اى مصطفين
امروا بذلك لانه اهيب في صدور الرائين وادخل في استجلاب الرهبة من المشاهدين
قيل كانوا سبعين الفا مع كل منهم حبل وعصا واقبلوا عليه اقبالة واحدة وقيل كانوا اثنين

وسبعين ساحرا اثنان من القبط والباقي من بني اسرائيل وقيل تسعماية وثلاثمائة من الفرس
وثلاثماية من الاسكندرية وقيل خمسة عشر الفا وقيل بضعة وثلثين الفا والله اعلم ولعل
الموعود كان متسعا خاطبهم موسى عليه السلام بما ذكر في قطر من اقطاره وتنازعوا امرهم في
الاعيا دا والصلوات ووجه صحته ان يكون علما لموضع معين من المكان الموعود وامّا ارادة
من المصليات بعد تعين المكان الموعود فلا مساغ لها قطعا وقوله تعالى وقد افلح اليوم من استعلى
اعتراض تذييلي من قبلهم مؤكد لما قبله من الامرين اى قد فاز بالمطلوب من غلب يريدون به
بالمطلوب ما وعدهم فرعون من الاجر والتقريب حسبما نطق به قوله تعالى نعم وانكم لمن
المقربين وبمن غلب انفسهم جميعا على طريقة قولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون او من غلب
منهم حثا لهم على بذل المجهود في المغالبة هذا هو اللائق بتجاذب اطراف النظم الكريم وقد قيل
كان نجواهم ان قالوا حين سمعوا مقاولة موسى عليه السلام ما هذا يقول ساحر وقيل كان
ذلك ان قالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل ذلك قولهم ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان
من السماء فله امر فتكون اسرارهم حينئذ من فرعون وملائه ويجعل قولهم ان هذان لساحران
الى اخره على انهم اختلفوا فيما بينهم على الاقاويل المذكورة ثم رجعوا عن ذلك بعد التنازع والتناظر
واستقرت اراؤهم على ذلك وابوا الا المناصبة للمعارضة وما جعل ضمير قالوا لفرعون وملائه على ان
قالوا ذلك للسحرة ردا لهم عن الاختلاف وامرهم بالاجماع والازماع والاظهار الجلادة بالاتيان
على وجه الاصطفاف فمما لا جزالة النظم الكريم كما يشهد به الذوق السليم قالوا استيناف على سؤال
ناشئ من حكاية جرى بين السحرة من المقاولة كانه قيل فماذا فعلوا بعد ما قالوا فقيل قالوا يا موسى
وانى لم يشعر من اجماعهم واتيانهم بطريق الاصطفاف اشعارا بظهورامرهما وعنايتهما من البيان اما
ان تلقى اى ما تلقيه اولا على ان المفعول محذوف لظهوره او تفعل الالقاء اولا على ان الفعل منزلا
منزلة اللازم واما ان نكون اول من القى ما يلقيه او اول من يفعل الالقاء اولا على ان الفعل
منزلا منزلة اللازم واما ان تكون اول من القى ما يلقيه او اول من يفعل الالقاء وتخييرهم عليه
السلام بما ذكر مراعاة الادب لمراوا منه عليه السلام ما داوا من مخايل الخير ورزانة الراى
واظهارا للجلادة بارادة انه لا يختلف حالهم بالتقديم والتاخير وان مع ما في خبرها منصوب بفعل
مضمر او مرفوع بخبرية مبتدا محذوف اى اختر القائك اولا او القانا او الامر اما القائك او القانا
قال استيناف كما سبق من حكاية تخيير السحرة اياه عليه السلام كما فماذا قال عليه السلام فقيل قال
بل القوا انتم اولا للادب باحسن من ادبهم حيث بت القول بالقائهم اولا واظهارا لعدم المبالات
بسحرهم ومساعدة لما اوهموا من الميل الى مقابلة البدو ليبرزوا ما معهم ويستفرغوا اقصى جهدهم
ويستنفدوا قصارى وسعهم ثم يظهر الله عز وجل سلطانه فيقذف بالحق على الباطل فيدمغه
علما انه سيظهر بيده بتلقف ما يصنعون من مكايد السحر فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى الفا فصيحة معربة عن مسارعتهم الى الالقاء كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفلق
اى فالقوا فاذا حبالهم وهي للمفاجاة والتحقيق انها ظرفية تستدعي متعلقا ينصبها وجملة تضاف
اليها لكن خصت بكون متعلقها فعل المفاجاة والجملة ابتدائية والمعنى فالقوا ففاجا موسى
وقت ان يخيل اليه سعي حبالهم وعصيهم من سحرهم وذلك انهم كانوا لطخوها بالزيبق فلما ضربت
عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيل اليه انها تتحرك وقرئ تخيل بالتاء على اسناده الى ضمير
الحبال والعصا وابدال انها تسعى صفة بدل اشتمال وقرئ تخيل بالتاء على اسناده اليه تعالى
وقرئ تخيل بحذف احدى التائين من تتخيل فاوجس في نفسه خيفة موسى اى اضمر فيها بعض خوف
من مفاجاته بمقتضى البشرية المجبولة على النفرة من الحيات والاحتراز عن ضررها وتاخير الفاعل
لمراعات الفواصل قلنا لا تخف اى مما توهمت انك انت الاعلى تعليل لما يوجبه النهي من الانتهاء عن
الخوف وتقرير لغلبته على ابلغ وجه واكده كما يعرب عنه الاستيناف وحرف التحقيق وتكرير الضمير
وتعريف الخبر ولفظ العلو المنبئ عن الغلبة الظاهرة وصيغة التفضيل والق ما في يمينك اى عصاك
كما وقع في سورة الاعراف وانما اوثر الابهام تهويلا لامرها وتفخيما لشانها وايذانا بانها ليست
من جنس العصي المعهودة المستتبعة للاثار المعتادة بل خارجة عن حدود سائر افراد الجنس
مبهمة الكنه مستتبعة لاثار غريبة وعدم مراعات هذه النكتة عند حكاية الامر في موضع
اخر لا يستدعي عدم مراعاتها عند وقوع المحكي عنه وحمل هذا على التحقير بان يراد لا تبال
بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الذي في يدك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها مع وحدته

وكثرتها

وكثرتها وصغره وعظمها ياباه ظهور حالها فيما مر مرتين على ان ذلك المعنى انما يليق بالوصف
وهي على هيئتها الاصلية وقد كان منها ما كان في قوله تعالى تلقف ما صنعوا بالجزم جوابا للامر من
لقفه اذا ابتلعه والتقمه بسرعة والتانيث لكون ما عبارة عن العصا اى تبتلع ما صنعوه من الحبال
والعصا التي يخيل اليك سعيها وخفتها والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير والايذان بالتمويه والتزوير
وقرئ تلقف بتشديد القاف واسقاط احدى التائين من تتلقف وقرئ بالرفع على الحال او الاستيناف
والجملة الامرية معطوفة على النهي متممة بما في خبرها التعليل موجبة ببيان كيفية غلبته عليه السلام
وعلوه فان ابتلاع عصاه لا باطيلهم التي منها اوجس في نفسه ما اوجس مما يقلع مادته بالكلية وهذا
كما ترى صريح في ان خوفه عليه السلام لم يكن مما ذكر من معالجة الشك للناس وعدم اتباعهم له
عليه السلام والا لعلل بما يزيله من الوعد بما يوجب ايمانهم واتباعهم له عليه السلام وقوله
تعالى انما صنعوا الى اخره تعليل لقوله تلقف ما صنعوا وما اما موصولة او موصوفة اى ان الذي
صنعوه او ان شيئا صنعوه كيد ساحر بالرفع على انه خبر لان اى كيد جنس الساحر وتنكيره للتوسل
به الى تنكير ما اضيف للتحقير وقرئ بالنصب على انه مفعول صنعوا وما كافة وقرئ كيد سحر على ان
الاضافة للبيان كما في قفه او على معنى ذي سحر او على تسمية الساحر سحرا مبالغة وقوله تعالى ولا
يفلح الساحر اى هذا الجنس حيث اتى اى حيث كان واين اقبل من تمام التعليل وكون التعرض لشان العصا
وكونها معجزة الهية مع ما في ذلك من تقوية التعليل للايذان بظهور امرها والفا في قوله تعالى
فالقي السحرة سجدا كما سلف فصيحة معربة عن محذوفين ينساق اليهما النظم الكريم غنيين عن التصريح
بهما لعدم احتمال تردد موسى عليه السلام في الامتثال بالامر واستحالة عدم وقوع اللقف
الموعود اى فالقاه عليه السلام فوقع ما وقع من اللقف فالقي السحرة سجدا لما تيقنوا ان ذلك
ليس من باب السحر وانما هي اية من ايات الله عز وجل روي ان رئيسهم قال كنا نغلب الناس وكانت
الالات تبقى علينا فلو كان هذا سحرا فاين ما القينا من الايات فاستدل بتغير احوال الاجسام على
الصانع القادر العالم وبظهور ذلك على يد موسى عليه السلام على صحة رسالته لا جرم القاهم
ما شاهدوه على وجوههم وتابوا وامنوا واتوا بما هو غاية الخضوع وقيل لم يرفعوا رؤسهم او الجنة
والنار وراوا الثواب والعقاب وعن عكرمة لما خروا سجدا اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم في الجنة ولا
ينافيه قولهم انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا الى اخره لان كون تلك المنازل منازلهم باعتبار صدور
هذا القول عنهم قالوا استيناف كما مر غير مرة امنا برب هرون وموسى تاخير موسى عند حكاية كلامهم
لرعاية الفواصل وقد جوز ان يكون ترتيب كلامهم ايضا هكذا اما لكبر سن هرون عليه السلام
واما للمبالغة في الاحتراز عن التوهم الباطل من جهة فرعون وقومه حيث كان فرعون ربى موسى
عليه السلام في صغره فلو قدموا موسى عليه السلام لربما توهم اللعين وقومه من اول الامر ان
مرادهم فرعون قال فرعون للسحرة امنتم له اى لموسى عليه السلام واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع
وقرئ على الاستفهام التوبيخي قبل ان اذن لكم اى من غير ان اذن لكم في الايمان له كما في قوله تعالى
لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان اذنه لهم في ذلك واقع بعد او متوقع انه يعني موسى
عليه السلام لكبيركم اى في فنكم واعلمكم به واستاذكم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم او
فعلكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم وهذه شبهة زورها اللعين والقاها على قومه واراهم ان
امر الايمان منوط باذنه فلما كان ايمانهم بغير اذنه لم يكن معتدا به وانهم من تلامذته عليه السلام
فلا عبرة بما اظهره كما لا عبرة بما اظهروه وذلك لما اعتراه من الخوف من اقتداء الناس بالسحرة في الايمان
بالله تعالى ثم اقبل عليهم بالوعيد المؤكد حيث قال فلاقطعن اي فوالله لاقطعن ايديكم وارجلكم من
خلاف اى اليد اليمنى والرجل اليسرى ومن ابتدائية كان القطع ابتدا من مخالفة العضو للعضو
فان المبتدا من المعروض مبتدئ من العارض ايضا وهي مع مجرورها في حيز النصب على الحالية اى
لاقطعنها مختلفات تعيين تلك الحال للايذان بتحقيق الامر وايقاعه لا محالة بتعيين كيفيته المعهودة
في باب السياسة لا لانه لا قطع من غيرها ولاصلبنكم في جذوع النخل اى عليها وايثار كلمة في للدلالة
على بقائهم عليها زمانا مديدا تشبيها لاستمرارهم عليها باستقرار الظروف في الظرف المشتمل
عليه قالوا اول من صلب وصيغة التفعيل في الفعلين للتكثير وقرئتا بالتخفيف ولتعلمن اينا
يريد به نفسه وموسى عليه السلام لقوله تعالى والهزية لانه لم يكن من التعذيب في شيء واما
لارادة ان ايمانهم لم يكن عن مشاهدة المعجزة ومعاينة البرهان بل كان من خوف من قبل موسى
عليه السلام حيث راوا ابتلاء عصاه لحبالهم وعصيهم فخافوا على انفسهم ايضا وقيل يريد به رب

موسى الذى امنوا به لقولهم امنا برب هارون وموسى اشد عذابا وابقى اى ادوم قالوا غير
مكترثين بوعيده لن نؤثرك لن نختارك بالايمان والاتباع على ما جاءنا من الله تعالى على يد موسى
عليه السلام من البينات من المعجزات الظاهرة فان ما ظهر بيده عليه السلام من العصا كان
مشتملة على معجزات جمة كما مر تحقيقه فيما سلف فانهم كانوا عارفين بجلائلها ودقائقها والذى فطرنا
اى خلقنا وسائر المخلوقات وهو عطف على ما جاءنا وتاخيره لان ما فى ضمنه اية عقلية ونظرية وما
شاهدوه اية حسية ظاهرة وايراده تعالى بعنوان فاطريته تعالى لهم للاشعار بعلة الحكم فان
خالقيته تعالى لهم وكون فرعون من جملة مخلوقاته مما يوجب عدم ايثارهم له عليه سبحانه وتعالى
وهذا جواب منهم لتوبيخ فرعون بعد قوله امنتم له قبل ان اذن لكم وقيل هو قسم محذوف الجواب
لدلالة المذكور عليه اى وحق الذى فطرنا لا نؤثرك الى اخره ولا مساغ لكون المذكور جوابا
له عند من يجوز تقديمه لما ان القسم لا يجاب بلن الا على شذوذ وقوله تعالى فاقض ما انت قاض
جواب عن تهديده بقوله لاقطعن الى اخره اى فاصنع ما انت صانعه او فاحكم ما انت حاكم به
وقوله تعالى انما تقضى هذه الحياة الدنيا مع ما بعده تعليل لعدم المبالاة المستفادة مما سبق من
الامر بالقضاء اى انما تصنع ما تهواه او تحكم بما تراه فى هذه الدنيا فحسب وما لنا من رغبة فى عذبها
ولا رهبة فى عذابها انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا التى اقترفناها من الكفر والمعاصى ولا يؤاخذنا
بها فى الدار الاخرة لا ليمتعنا بتلك الحياة الفانية حتى نتاثر بما اوعدتنا به من القطع والصلب
وقوله تعالى وما اكرهتنا عليه من السحر عطف على خطايانا اى ويغفر لنا السحر الذى عملناه فى
معارضة موسى عليه السلام باكراهك وحشرك ايانا من المدائن القاصية خصوه بالذكر مع
اندراجه فى خطايانا اظهارا لغاية تغربهم عنه ورغبتهم فى مغفرته وذكر الاكراه للايذان بانه
مما يوجب ان يفردوا بالاستغفار منه مع صدوره عنهم بالاكراه وفيه نوع اعتذار لاستجلاب
المغفرة وقيل اراد به الاكراه على تعلم السحر حيث روى انهم كانوا اثنين وسبعين اثنان
منهم من القبط والباقى من بنى اسرائيل وكان فرعون اكرههم على تعلم السحر وقيل انه اكرههم على
المعارضة حيث روى انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نائما ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا
بسحر فان الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان يعارضوه وياباه تصديهم للمعارضة على الرغبة
والنشاط كما يعرب عنه قولهم ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين وقولهم بعزة فرعون انا لنحن الغالبون
والله خير اى فى ذاته انه الى اخر الشرطيتين تعليل من جهتهم لكونه تعالى خيرا وابقى جزاء وتحقيق له
وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشان للتنبيه على فخامة مضمونهما فان مناط وضع الضمير
موضعه ادعاء شهرته المغنية وابطال لما ادعاه فرعون وتصديرهما بضمير الشان للتنبيه على فخامة
مضمونهما لان مناط وضع الضمير موضعه عن ذكره مع ما فيه من زيادة التقرير فان الضمير لا
يفهم منه من اول الامر الا شان مبهم له خطر فيبقى الذهن مترقبا لما يعقبه فيتمكن عند وروده
له فضل تمكن كانه قيل ان الشان الخطير هذا اى قوله تعالى من يات ربه مجرما بان مات على الكفر
والمعاصى فان له جهنم لا يموت فيها فينتهى عذابه وهذا تحقيق لكون عذابه ابقى ولا يحيى حياة
ينتفع بها ومن ياته مؤمنا به تعالى وبما جاء من عنده من المعجزات من جملتها ما شاهدناه قد عمل
الصالحات الصالحة كالحسنة جارية مجرى الاسم ولذلك لا تذكر غالبا مع الموصوف وهى كل ما
استقام من الاعمال بدليل العقل والنقل فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان
الافراد فى الفعلين السابقين باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو درجتهم وبعد
منزلتهم اى فاولئك المؤمنون العاملون للصالحات لهم بسبب ايمانهم واعمالهم الصالحة الـ
الدرجات العلى اى المنازل الرفيعة وليس فيه ما يدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل
الصالح فى استتباع الثواب لان ما نيط بالايمان المقرون بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات
العلى لا بالثواب مطلقا وهو المتشاجر فيه جنات عدن بدل من الدرجات العلى او بيان وقد
مر ان عدنا علم لمعنى الاقامة او لارض الجنة فقوله تعالى تجرى من تحتها الانهار حال من الجنات وقوله
تعالى خالدين فيها حال من الضمير فى لهم والعامل معنى الاستقرار او الاشارة وذلك اشارة
الى ما اتيح لهم من الفوز بما ذكر من الدرجات العلى ومعنى البعد لما مر من التفخيم جزاء من تزكى
اى تطهر من دنس الكفر والمعاصى بما ذكر من الاعمال الصالحة وهذا تحقيق لكون ثوابه تعالى ابقى
وتقديم ذكر حال المجرم للمسارعة الى بيان اشدية عذابه ودوامه ردا على ما ادعاه فرعون اينا
اشد عذابا وابقى هذا وقد قيل هذه الايات الثلاث ابتداء كلام من الله عز وجل وكالواليس

وهو ناظر الى قولهم والذى فطرنا وابقى اى جزاء ثوابا ان
او عذابا او غير معذبا وابقى عذابا او قوله تعالى من

فى القران ان فرعون فعل باولئك المؤمنين ما اوعدهم ولم يثبت فى الاخبار ولقد اوحينا الى موسى
حكاية اجمالية لما انتهى اليه امر فرعون وقومه وقد طوى فى البين ذكر ما جرى عليهم من الايات
المفصلات الظاهرة على يد موسى عليه السلام بعدما غلب السحرة فى نحو من عشرين سنة حسبما فصل
فى سورة الاعراف وتصديرها بالقسم لابراز كمال العناية بمضمونها فان فى قوله تعالى ان اسر بعبادى
اما مفسرة لان الوحى فيه معنى القول او مصدرية حذف عنها الجار والتعبير عنهم بعنوان
كونهم عبادا له تعالى لاظهار الرحمة والاعتناء بامرهم والتنبيه على غاية قبح صنع فرعون بهم حيث
استعبدهم وهم عباده عز وجل وفعل بهم من فنون الظلم ما فعل ولقد اوحينا اليه عليه السلام
اى سر بعبادى الذين ارسلتك لاستنقاذهم من ملكة فرعون اى سر بهم من مصر ليلا فاضرب لهم
اى فاجعل او فاتخذ لهم طريقا فى البحر يبسا اى يابسا على انه مصدر وصف به الفاعل مبالغة وقرئ
يبسا وهو اما مخفف منه او وصف كصعب او جمع يابس كصحب وصف به الفاعل مبالغة او لتعدده
حسب تعدد الاسباط لا تخاف دركا حال من المامور اى امنا من ان يدرككم العدو او صفة اخرى
لطريقا والعائد محذوف وقرئ لا تخف جوابا للامر ولا تخشى عطف على تخف داخل فى حكمه اى ولا
تخشى الغرق وعلى قراءة الجزم استئناف اى وانت لا تخشى او عطف عليه والالف للاطلاق كما فى قوله
تعالى وتظنون بالله الظنونا وتقديم نفى الخوف المذكور للمسارعة الى ازاحة ما كانوا عليه من الخوف
العظيم حيث قالوا انا لمدركون فاتبعهم فرعون بجنوده اى تبعهم ومعه جنوده حتى لحقوهم يقال
اتبعتهم اى تبعتهم وذلك اذا كانوا سبقوك فلحقتهم ويؤيده انه قرئ فاتبعهم من الافتعال
وقيل المعنى اتبعهم فرعون نفسه فحذف المفعول الثانى وقيل الباء زائدة والمعنى فاتبعهم فرعون
جنوده اى ساقهم خلفهم وايا ما كان فالفاء فصيحة معربة عن مضمر قد طوى ذكره ثقة بغاية ظهوره
وايذانا بكمال مسارعة موسى عليه السلام الى الامتثال بالامر اى ففعل ما امر به من الاسراء بهم وضرب
الطريق وسلوكه فاتبعهم فرعون بجنوده برا وبحرا روى ان موسى عليه السلام خرج بهم اول الليل وكانوا
ستمائة وسبعين الفا فاخبر فرعون بذلك فاتبعهم بعساكره وكانت مقدمته سبعمائة الف فقص اثرهم
فلحقهم بحيث تراءى الجمعان فعند ذلك ضرب عليه السلام بعصاه البحر فانفلق على اثنى عشر فرقا كل فرق
كالطود العظيم فعبر موسى عليه السلام بمن معه من الاسباط سالمين وتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم
من اليم ما غشيهم اى علاهم منه وغمرهم ما غمرهم من الامر الهائل الذى لا يقادر قدره ولا يبلغ
كنهه وقيل غشيهم ما سمعت قصته وليس بذاك فان مدار التهويل والتفخيم خروجه عن حدود الفهم
والوصف لا سماع قصته وقرئ فغشاهم من اليم ما غشاهم اى غطاهم ما غطاهم والفاعل هو الله عز وجل
وما غشاهم وقيل هو فرعون لانه هو الذى ورطهم للهلكة وياباه الاظهار فى قوله تعالى واضل فرعون
قومه اى سلك بهم مسلكا اداهم الى الخيبة والخسران فى الدين والدنيا معا حيث ماتوا على الكفر بالعذاب
الهائل الدنيوى المتصل بالعذاب الخالد الاخروى وقوله تعالى وما هدى اى ما ارشدهم قط الى طريق
موصل الى مطلب من المطالب الدينية والدنيوية تقرير لاضلاله وتاكيد له اذ رب مضل قد يرشد
من يضله الى بعض مطالبه وفيه نوع تهكم به فى قوله تعالى وما اهديكم الا سبيل الرشاد فان نفى الهداية من
شخص مشعر بكونه ممن يتصور منه الهداية فى الجملة وذلك انما يتصور فى حقه بطريق التهكم وحمل الاضلال
والهداية على ما يختص بالدينى وجعلهما عبارة عن الاضلال فى البحر والانجاء منه مما لا يقبله العقل السليم
يا بنى اسرائيل حكاية لما خاطبهم الله تعالى بعد اغراق فرعون وقومه وانجائهم منهم لكن لا عقيب ذلك
بل بعد ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم لكن لا عقيب ذلك بل بعد ما افاض عليهم من فنون
النعم الدينية والدنيوية ما افاض وقيل هو انشاء خطاب للذين كانوا منهم فى عهد النبى صلى الله عليه
وسلم على معنى انه تعالى قد من عليهم بما فعل بابائهم اصالة وبهم تبعا ويرده ما سياتى من قوله تعالى
وما اعجلك الاية ضرورة استحالة حمله على الانشاء فالوجه هو الحكاية بتقدير قلنا عطفا على اوحينا اى
وقلنا يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم فرعون وقومه حيث كانوا يبغونكم الغوائل ويسومونكم سوء
العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وقرئ نجيتكم وواعدناكم جانب الطور الايمن بالنصب
على انه صفة للمضاف وقرئ بالجر للجوار اى واعدناكم بواسطة نبيكم اتيان جانبه الايمن نظرا الى
السالك من مصر الى الشام اى اتيان موسى عليه السلام نظرا الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها
اليهم وقرئ للمناجاة وانزال التوراة عليه ونسبت المواعدة اليهم مع كونها لموسى عليه السلام نظرا
الى ملابستها اياهم وسراية منفعتها اليهم وقرئ واعدتكم ووعدناكم ونزلنا عليكم المن والسلوى اى
الترنجبين والسمانى حيث كان ينزل عليهم المن وهم فى التيه مثل الثلج من الفجر الى الطلوع لكل انسان صاع

ويبعث الجنوب عليهم السما في فيذبح الرجل منهم ما يكفيه كما مر مرارا كلوا جملة مستانفة مسوقة
لبيان اباحة ما ذكر لهم واتمام النعمة عليهم من طيبات ما رزقناكم من لذائذه او حلالاته وقرئ
رزقتكم وفي البدء بنعمة الانجاء ثم بالنعمة الدينية ثم بالنعمة الدنيوية من حسن النظم ولطف الترتيب
ما لا يخفى ولا تطغوا فيه اي فيما رزقناكم في الاخلال بشكره والتعدي لما حد لكم فيه كالسرف والبطر
والمنع من المستحق فيحل عليكم غضبي جواب للنهي اي عقوبتي وتجب لكم من حل الدين اذا وجب اداؤه
ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي تردى وهلك وقيل وقع في الهاوية وقرئ فيحل بضم الحاء من حل يحل
واني لغفار لمن تاب من الشرك والمعاصي التي من جملتها الطغيان فيما ذكر وامن بما يجب الايمان
به وعمل صالحا مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن وقع منه الطغيان فيما ذكر وحث

وامن بما يجب الايمان به وعمل صالحا اي عملا صالحا
مستقيما عند الشرع والعقل وفيه ترغيب لمن
وقع منه الطغيان فيما ص

على التوبة والايمان وقوله تعالى ثم اهتدى اي استقام على الهدى اشارة الى الهدى الى من لم يستمر
عليه بعد من الغفران وثم للتراخي الرتبي وما اعجلك عن قومك يا موسى حكاية لما جرى بينه
تعالى وبين موسى عليه السلام من الكلام عند ابتدا موافاته الميقات بموجب المواعدة المذكورة
اي وقلنا له اي شيء اعجلك منفردا عن قومك وهذا كما ترى سؤال عن سبب تقدمه على النقبا مسوق
لانكار انفراده عنهم لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل اغفالهم وعدم الاعتداد بهم مع كونه مامورا
باستصحابهم واحضارهم معه لا لانكار نفس العجلة الصادرة عنه عليه السلام لكونها نقيصة
منافية للحزم اللائق باولي العزم ولذلك اجاب عليه السلام بنفي الانفراد والمنافي للاستصحاب
والمعية حيث قال هم اولاء على اثري يعني انهم معي وانما سبقتهم بخطى يسيرة ظننت انها لا تخل
بالمعية ولا تقدح في الاستصحاب فان ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصلا وبعد ما ذكر
عليه السلام ان تقدمه ذلك ليس لامر يتكره ذكر انه لامر مرضي حيث قال وعجلت اليك
رب لترضى فان المسارعة الى الامتثال باوامرك والاعتناء بالوفا بعهدك وزيادة رب لمزيد الضراعة
والابتهال رغبة في قبول العذر قال استئناف مبني على سؤال نشا من حكاية اعتذاره عليه
السلام وهو السر في وروده على صورة الغايب لا انه التفات من التكلم الى الغيبة لما ان المقدر
فيما سبق من الموضعين على صيغة التكلم كانه قيل من جهة السامعين فماذا قال ربه حينئذ فقيل قال
فانا قد فتنا قومك من بعدك اي ابتليناهم بعبادة العجل من بعد ذهابك من بينهم وهم الذين
خلفتهم مع هرون عليه السلام وكانوا ستماية الف ما نجا منهم من عبادة العجل من بعد ذهابك
من بينهم وهم الذين خلفتهم مع هرون الا اثنا عشر الفا لترتيب الاخبار بما ذكر من الابتلا
على اخبار موسى عليه السلام بعجلته لكن لا لان الاخبار بها سبب موجب للاخبار به بل لما بينهما
من المناسبة المصححة للانتقال من احدهما الى الاخر من حيث ان مدار الابتلا المذكور عجلة بالقوم
فانه روي انهم اقاموا على ما وصى به موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه فحسبوها
مع اياما اربعين وقالوا قد اكملنا العدة وليس من موسى عين ولا اثر واضلهم السامري
حيث كان هو المدبر في الفتنة فقال لهم انما اخلف موسى عليه السلام عشرين ليلة بعد ذهابه
ميعادكم لما معكم من حلي القوم وهو حرام عليكم فكان من امر العجل ما كان فاخباره تعالى بوقوع
هذه الفتنة عند قدومه عليه السلام اما باعتبار تحققها في علمه ومشيته واما بطريق التعبير
عن المتوقع بالواقع كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونظايره او لان السامري كان قد عزم
على ايقاع الفتنة عند ذهاب موسى عليه السلام وتصدى لترتيب مباديها فكانت الفتنة واقعة
عند الاخبار بها وقرئ واضلهم السامري على صيغة التفضيل اي اشدهم ضلالا لانه ضال ومضل
والسامري منسوب الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل كان علجا من كرمان وقيل من اهل
باجرما واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فرجع
موسى الى قومه هي باعتبار الرجوع المستفاد من قوله تعالى غضبان اسفا لا باعتبار نفسه وان
كانت داخلة عليه حقيقة فان كون الرجوع بعد تمام الاربعين امر مقرر مشهور لا يذهب الوهم
لكونه عند الاخبار بالفتنة كما قلت شابت الحجاج ودعوت لهم بالسلامة ونجوا سالمين فان
احدا لا يرتاب في ان المراد رجوعهم المعتاد لا رجوعهم اثر الدعا وان سببية الدعا باعتبار
وصف السلامة لا باعتبار وصف الرجوع والاسف الشديد الغضب وقيل الحزين قال استئناف
مبني على سؤال ناشئ من حكاية رجوعه كذلك كانه قيل فماذا فعل بهم فقيل قال يا قوم الم يعدكم
ربكم وعدا حسنا بان يعطيكم التوراة فيها ما فيها من النور والهدى والهمزة لانكار عدم الوعد
ونفيه وتقرير وجوده على ابلغ وجه واكده اي وعدكم بحيث لا سبيل لكم الى انكاره والفا في قوله تعالى

افطال

افطال عليكم العهد اي الزمان للعطف على مقدر والهمزة لانكار المعطوف ونفيه فقط اي اوعدتكم ذلك
فطال زمانا لانجازه فاخطاتم بسببه ام اردتم ان يحل اي يجب عليكم غضب شديد لا يقادر قدره
كاين من ربكم اي من مالك امركم على الاطلاق فاخلفتم موعدي اي وعدكم اياي بالثبات على ما امرتكم به
الى ان ارجع من الميقات على اضافة المصدر الى مفعوله للقصد الى زيادة تقبيح حالهم فان اخلافهم
الوعد الجاري فيما بينهم وبينه عليه السلام من حيث اضافته اليه عليه السلام اشنع منه من
حيث اضافته اليهم والفا لترتيب ما بعدها على كل واحد من شقي الترديد على سبيل البدل كانه
قيل انسيتم الوعد بطريق العهد فاخلفتموه خطا ام اردتم حلول الغضب عليكم فاخلفتموه عمدا
واما جعل الموعد مضافا الى فاعله وحمل اطلاقه على معنى وجدان الخلف فيه اي فوجدتم الخلف في
موعدي لكم بالعود بعد الاربعين فمما لا يساعده السباق ولا السياق اصلا قالوا ما اخلفنا موعدك
اي وعدنا اياك الثبات على ما امرتنا به وايثاره على ان يقال موعدنا على اضافة المصدر الى فاعله
لما مر انفا بملكنا اي بان ملكنا امورنا يعنون انا لو خلينا وامورنا ولم يسول لنا السامري ما سوله
مع مساعدة بعض الاحوال لما اخلفناه وقرئ بملكنا بكسر الميم وضمها والكل لغات في مصدر ملكت
الشيء ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشا الخطا
وقرئ حملنا بالتخفيف اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم حين هممنا بالخروج من مصر
باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها اليهم عند الخروج مخافة ان يقفوا
على امرهم وقيل هي ما القاه البحر على الساحل بعد اغراقهم فاخذوها ولعل تسميتهم لها اوزارا لانها
تبعات واثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذ فقذفناها اي في النار رجاء للخلاص عن ذنبها فكذلك
اي فمثل ذلك القذف القى السامري اي ما كان معه منها وقد كان اراهم انه ايضا يلقي ما كان معه
من الحلي فقالوا ما قالوا على زعمهم وانما كان الذي القاه التربة التي اخذها من اثر الرسول كما ياتي
روي انه قال لهم انما تاخر موسى عنكم لما معكم من الاوزار فالراي ان نحفر حفيرة ونسجر فيها نارا
ونقذف فيها كل ما معنا ففعلوا فاخرج اي السامري لهم للقائلين عجلا من تلك الحلي المذابة وتاخيره
مع كونه مفعولا صريحا عن الجار والمجرور لما مر مرارا من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر
مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم فان قوله تعالى جسدا اي جثة ذا دم
ولحم او جسدا من ذهب لا روح له بدل منه وقوله تعالى له خوار اي صوت عجل نعت له فقالوا اي
السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى فنسي اي غفل عنه وذهب يطلبه في
الطور وهذا حكاية لنتيجة فتنة السامري فعلا وقولا من جهته تعالى قصدا الى زيادة تقريرها ثم
ترتيب الانكار عليها لا من جهة القائلين والا لقيل فاخرج لنا والحمل على ان عدولهم الى ضمير الغيبة
لبيان الاخراج والقول المذكورين للكل لا للعبدة فقط خلاف الظاهر مع انه مخل باعتذارهم فان
مخالفة بعضهم للسامري وعدم افتتانهم بعد ذلك اعظم جناية واكثر شناعة واما ما قيل من ان
المعتذرين هم الذين لم يعبدوا العجل وان نسبة الاخلاف الى انفسهم وهم براء منه من قبيل قولهم
بنو فلان قتلوا فلانا مع ان القاتل واحد منهم كانهم قالوا ما وجد الاخلاف فيما بيننا بامر كنا
نملكه بل تمكنت الشبهة في قلوب العبدة حيث فعل السامري ما فعل فاخرج لهم ما اخرج وقال
ما قال فلم نقدر على صرفهم عن ذلك ولم نفارقهم مخافة ازدياد الفتنة فيقضي بفساده سياق
النظم الكريم وسياقه وقوله تعالى افلا يرون الى اخره انكار وتوبيخ من جهته تعالى لحال الضالين
والمضلين جميعا وتسفيه لهم فيما اقدموا عليه من المنكر الذي لا يشتبه بطلانه واستحالته على احد
وهو اتخاذه الها والفا للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الا يتفكرون فلا يعلمون ان لا يرجع اليهم
قولا اي انه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا فكيف يتوهمون انه اله وقرئ يرجع
بالنصب فالرؤية حينئذ بصرية فان ان الناصبة لا تقع بعد افعال اليقين اي الا ينظرون فلا
يبصرون عدم رجعه اليهم قولا من الاقوال وتعليق الابصار بما ذكر مع كونه امرا عدميا للتنبيه
على كمال ظهوره المستدعي لمزيد تشنيعهم وتركيك عقولهم وقوله تعالى ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا
عطف على لا يرجع داخل معه في حيز الرؤية اي افلا يرون انه لا يقدر على ان يدفع عنهم ضرا او
يجلب لهم نفعا او لا يقدر على ان يضرهم ان لم يعبدوه او لا ينفعهم ان عبدوه ولقد قال لهم هرون
من قبل جملة قسمية مؤكدة لما قبلها من الانكار والتشنيع ببيان عتوهم واستعصائهم على الرسول
اثر بيان مكابرتهم لقضية العقول اي وبالله لقد نصح لهم هرون ونبههم على كنه الامر من قبل
رجوع موسى عليه السلام اليهم وخطابه اياهم بما ذكر من المقالات وقيل من قبل قول السامري

كانه عليه السلام اول ما ابصره حين طلع من الحضرة توهم منهم الافتتان به فسارع الى تحذيرهم
وقال لهم يا قوم انما فتنتم به اى اوقعتم فى الفتنة بالعجل او اضللتم به على توجيه القصر المستفاد
من كلمة انما الى نفس الفعل بالقياس الى قيد اخر على معنى انما فعل بكم الفتنة لا الارشاد الى الحق لا
على معنى انما فتنتم بالعجل لا بغيره وقوله تعالى وان ربكم الرحمن بكسر ان عطفا على انما ارشاد لهم الى الحق
اثر زجرهم عن الباطل اى ان ربكم المستحق للعبادة هو الرحمن لا غيره والفاء فى قوله تعالى فاتبعونى
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من مضمون الجملتين اى اذا كان الامر كذلك فاتبعونى فى الثبات على
الدين واطيعوا امرى هذا واتركوا عبادة ما عرفتم شانه قالوا فى جواب هرون عليه السلام لن
نبرح عليه على العجل وعبادته عاكفين مقيمين حتى يرجع الينا موسى جعلوا رجوعه عليه السلام
اليهم غاية لعكوفهم على عبادة العجل لكن لا على طريق الوعد بتركها عند رجوعه عليه السلام بل
بطريق التعلل والتسويف وقد دسوا تحت ذلك انه عليه السلام لا يرجع بشيء مبين تعويلا على
مقالة السامرى روى انهم لما قالوه اعتزلهم هرون عليه السلام فى اثنى عشر الفا وهم الذين
لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى عليه السلام سمع الصياح وكانوا يرقصون حول العجل قال
للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فقال لهم ما قال وسمع منهم ما قالوا وقوله تعالى
قال استيناف مبنى على سؤال نشاء من حكاية جوابهم لهرون عليه السلام كانه قيل فماذا قال
موسى لهرون حين سمع جوابهم له وهل رضى بسكوته بعدما شاهد منهم فقيل قال له وهو
مغتاظ قد اخذ بلحيته وبرأسه يا هرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا بعبادة العجل وبلغوا من
المكابرة الى ان شافهوك بتلك المقالة الشنعاء ان لا تتبعنى اى ان تتبعنى على ان لا مزيدة
وهو مفعول ثان لمنع وعامل فى اذا اى اى شيء منعك حين رؤيتك لضلالهم من ان تتبعنى فى الغضب
لله تعالى والمقاتلة مع من كفر به وقيل المعنى ما حملك على ان لا تتبعنى فان المنع عن الشيء مستلزم
للحمل على مقابله وقيل ما منعك ان تلحقنى وتخبرنى بضلالهم فتكون مفارقتك مزجرة لهم وفيه
ان نصائح هرون عليه السلام حيث لم تزجرهم عما كانوا عليه فلان لا تزجرهم مفارقته اياهم
عنه اولى والاعتذار بانهم اذا علموا بانه يلحقه ويخبره عليهما السلام بالقصة يخافون رجوع
موسى عليه السلام افعصيت امرى اى بالصلابة فى الدين والمحاماة عليه فان قوله له عليهما السلام
اخلفنى يتضمن للامر بهما حتما فان الخلافة لا تتحقق الا بهما لفتنى فعصيت امرى قال يبنؤم
خص الام بالاضافة استعطافا وترقيقا لقلبه لا لما قيل من انه كان اخاه لام فان
الجمهور على انهما كانا شقيقين لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى اى لا بشعر راسى روى انه عليه السلام
اخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله من شدة غيظه وفرط غضبه لله تعالى وكان عليه
السلام حديدا متصلبا فى كل شيء فلم يتمالك حين راهم يعبدون العجل ففعل ما فعل وقوله تعالى
انى خشيت الى اخره استيناف سيق لتعليل موجب النهى ببيان الداعى الى ترك المقاتلة وتحقيق
انه غير عاص لامره بل ممتثل له اى انى خشيت لو قاتلت بعضهم ببعض وتفانوا وتفرقوا
ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل برايك مع كونهم ابنا واحد كما ينبئ عنه ذكرهم بذلك العنوان
دون القوم ونحوه واراد عليه السلام بالتفريق ما يستتبعه القتال من التفريق الذى لا
يرجى بعده الاجتماع ولم ترقب قولى يريد به قوله تعالى عليه السلام اخلفنى فى قومى واصلح
الى اخره يعنى انى رايت ان الاصلاح فى حفظ الدماء والمداراة معهم الى ان ترجع اليهم فلذلك
استانيتك لتكون انت المتدارك للامر حسبما رايت لا سيما وقد كانوا فى غاية القوة ونحن على
القلة والضعف كما يعرب عنه قوله تعالى ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى قال استيناف
وقع جوابا عما نشاء من حكاية ما سلف من اعتذار القوم باسناد الفساد الى السامرى واعتذار
هرون عليه السلام كانه قيل فماذا صنع موسى عليه السلام بعد سماع ما حكى من الاعتذارين
واستقرار اصل الفتنة على السامرى فقيل قال موبخا له هذا شانهم فما خطبك يا سامرى اى
ما شانك وما مطلوبك مما فعلت خاطبه عليه السلام بذلك ليظهر للناس بطلان كيده
باعترافه ويفعل به وبما صنعه من العقاب ما يكون نكالا للمفتونين به ولمن خلفهم من الامم
قال اى السامرى مجيبا له عليه السلام بصرت بما لم يبصروا به بضم الصاد فيهما وقرئ بكسرها
فى الاول وفتحها فى الثانى وقوله تعالى بالتاء على الوجهين على خطاب موسى عليه السلام وقومه
اى علمت ما لم يعلمه القوم وفطنت لما لم يفطنوا له ورايت ما لم يروه وهو الانسب بما
سياتى من قوله وكذلك سولت لى نفسى لا سيما على القراءة بالخطاب فان ادعاء ما لم يعلمه موسى

موسى عليه السلام جراءة عظيمة لا تليق بشانه ولا بمقابله بخلاف ادعاء رؤية ما لم يروا عليه
السلام فانها مما يقع بحسب ما يتفق وقد كان راى ان جبريل عليه السلام جاء راكبا فرسا وكان
كلما وقع الفرس يديه ورجليه على الطريق اليبس يخرج من تحته النبات فى الحال فعرف ان له شانا
فاخذ من موطئه حفنة وذلك قوله تعالى فقبضت قبضة من اثر الرسول وقرئ من اثر فرس الرسول
اى من تربة موطئ فرس الملك الذى ارسل اليك ليذهب بك الى الطور ولعل ذكره بعنوان الرسالة
للاشعار بوقوفه على ما لم يقف عليه القوم من الاسرار الالهية تأكيدا لما صدر به مقالته والتنبيه
على وقت اخذ ما اخذه والقبضة المرة من القبض اطلقت على المقبوض مرة وقرئ بضم القاف
وهو اسم المقبوض كالغرفة والمضغة وقرئ فقبصت قبصة بالصاد المهملة والاول للاخذ
بجميع الكف والثانى باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم وكذلك اى فى الحال المذكورة ثم كان مثلا
سولت لى نفسى اى فعلته من القبض والنبذ فقوله تعالى وذلك اشارة الى مصدر الفعل المذكور
بعده ومحل كذلك فى الاصل النصب على انه مصدر تشبيهى اى نعت لمصدر محذوف والتقدير
سولت لى نفسى تسويلا كائنا مثل ذلك التسويل فقدم على الفعل لافادة القصر واعتبرت الكاف
مقحمة لافادة القصر واعتبرت تأكيد ما افاده اسم الاشارة من الفخامة فصار نفس المصدر
المؤكد لا نعتا له اى ذلك التسويل البديع زينت لى نفسى ما فعلته لا تزيينا ادنى منه ولذلك
فعلته وحاصل جوابه ان ما فعله انما صدر عنه بمحض اتباع هوى النفس الامارة بالسوء
واغوائها لا بشيء اخر من البرهان العقلى والالهام الالهى فعند ذلك قال عليه السلام فاذهب
اى من بين الناس وقوله تعالى فان لك فى الحياة الى اخره تعليل لموجب الامر وفى متعلقة بالاستقرار
فى ذلك اى ثابت لك فى الحياة او بمحذوف وقع حالا من الكاف والعامل معنى الاستقرار فى الظرف
المذكور لاعتماده على ما هو مبتدا معنى لا بقوله تعالى ان تقول لا مساس لمكان ان اى ثابت لك
كائنا فى الحياة الدنيا اى مدة حياتك ان تفارقهم مفارقة كلية لكن لا بحسب الاختيار بموجب
التكليف بل بحسب الاضطرار الملجئ اليها وذلك انه تعالى رماه بداء عقام لا يكاد يمس احدا
او يمسه احد كائنا من كان الا حم من ساعته حمى شديدة فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح
باقصى صوته لا مساس وحرم عليهم ملاقاته ومواجهته ومكالمته ومبايعته وغيرهما
مما يعتاد جريانه فيما بين الناس من المعاملات وصار فيما بين الناس اوحش من القاتل اللاجى
الى الحرم ومن الوحشى النافر فى البرية ويقال ان قومه باق فيهم تلك الحالة الى اليوم وقرئ
لا مساس كفجار وهو علم للمسبة ولعل السر فى مقابلة جنايته بتلك العقوبة خاصة ما بينهما
من مناسبة التضاد فانه لما انشأ الفتنة بما كانت ملابسته سببا لحياة الموات عوقب بما
يضاده حيث جعلت ملابسته سببا للحمى التى من اسباب موت الاحياء وان لك موعدا اى فى
الاخرة لن تخلفه اى لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجز ذلك لك البتة بعد ما عاقبك فى
الدنيا وقرئ بكسر اللام والاظهر انه من اخلفت المواعد اى وجدته خلفا وقرئ بالنون
على حكاية قول الله عز وجل وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا اى ظللت مقيما على عبادته
فحذفت اللام الاولى تخفيفا وقرئ بكسر الظاء بنقل حركة اللام اليها لنحرقنه جواب قسم
محذوف اى بالنار ويؤيده قراءة لنحرقنه من الاحراق وقيل بالمبرد على انه مبالغة فى حرق اذا
برد بالمبرد ويعضده قراءة لنحرقنه ثم لننسفنه اى لنذرينه وقرئ بضم السين فى اليم رمادا
ومبرودا كانه هباء نسفا بحيث لا يبقى منه عين ولا اثر ولقد فعل عليه السلام ذلك كله حينئذ
كما يشهد به الامر بالنظر وانما لم يصرح به تنبيها على كمال ظهوره واستحالة الخلف فى وعده المؤكد
باليمين انما الهكم الله استيناف مسوق لتحقيق الحق اثر ابطال الباطل بتلوين الخطاب وتوجيهه
الى الكل اى انما معبودكم المستحق للعبادة الله الذى لا اله فى الوجود لشيء من الاشياء الا هو
وحده من غير ان يشاركه شيء من الاشياء بوجه من الوجوه التى من جملتها احكام الالوهية وقرئ
الله لا اله الا هو الرحمن رب العرش وقوله تعالى وسع كل شيء علما من شانه ان يعلم بدل من
الصلة كانه قيل انما الهكم الذى وسع كل شيء علما لا غيره كائنا ما كان فيدخل فيه العجل دخولا
اوليا وقرئ وسع بالتشديد فيكون انتصاب علما على المفعولية لانه على القراءة الاولى فاعل
حقيقة وبنقل الفعل الى التعدية الى المفعولين صار الفاعل مفعولا اول كانه قيل وسع
علمه كل شيء وبه تم حديث موسى عليه السلام المذكور لتقرير امر التوحيد حسبما نطقت به
خاتمته كذلك نقص عليك كلام مستأنف خوطب به النبى صلى الله عليه وسلم بطريق الوعد الجميل

بتنزيل امثال ما مر من ابناء الامم السالفة وذلك اشارة الى اقتصاص حديث موسى عليه
السلام وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته في الفضل ومحل الكاف النصب
على انه نعت لمصدر مقدر اى نقص عليك من انباء ما قد سبق من الحوادث الماضية الجارية
على الامم الخالية قصصا مثل ذلك قصص المار والتقديم للقصر المفيد لزيادة التعيين ومن في قوله تعالى
من انباء في حيز النصب اما على انه مفعول نقص باعتبار مضمونه واما على انه متعلق بمحذوف
هو صفة للمفعول كما في قوله تعالى ومنا دون ذلك اى جمع دون ذلك والمعنى نقص عليك
بعض انباء ما قد سبق وقد مر تحقيقه في تفسير قوله تعالى ومن الناس من يقول الى اخر ما مر لما مر مرارا
من الاعتنا بالمقدم والتشويق الى المؤخر اى مثل ذلك القص البديع الذي سمعته نقص عليك
ما ذكر من الانباء لا قصا ناقصا منه تبصرة لك وتوفيرا لعلمك وتكثيرا لمعجزاتك وتذكيرا
للمستبصرين من امتك وقد اتيناك من لدنا ذكرا اى كتابا منطويا على هذه الاقاصيص والاخبار
حقيقا بالتفكر والاعتبار وكلمة من متعلقة باتيناك وتنكير ذكرا للتفخيم وتاخيره عن الجار والمجرور
لما ان مرجع الافادة في الجملة كون المؤتى من لدنه تعالى ذكرا عظيما وقرانا كريما جامعا لكل كمال
لا كون ذلك الذكر مؤتى من لدنه عز وجل مع ما فيه من نوع طول بما بعده من الصفة فتقديمه
يذهب برونق النظم الكريم من اعرض عنه عن ذلك الذكر العظيم الشان المستتبع لسعادة الدارين
وقيل من الله عز وجل من اما شرطية او موصولة واياما كانت فالجملة صفة لذكرا فانه المعرض
عنه يحمل يوم القيمة وزرا اى عقوبة ثقيلة فادحة على كفره وساير ذنوبه وتسميتها وزرا اما
تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره او لانها
جزاء الوزر وهو الاثم والاول هو الانسب بما سياتي من تسميتها حملا وقوله تعالى خالدين فيه
اى في الوزر او في احتماله المستمر حال من المستكن في يحمل والجمع بالنظر الى معنى من لما ان
الخلود في النار مما يتحقق حال اجتماع اهلها كما ان الافراد فيما سبق من الضماير الثلاثة بالنظر
الى لفظها وساء لهم يوم القيمة حملا اى بئس لهم ففيه ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص بالذم
محذوف اى ساء حملا وزرهم واللام للبيان كما في هيت لك كانه قيل لمن يقال هذا فاجيب لهم
واعادة يوم القيمة لزيادة التقرير وتهويل الامر يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة
او منصوب باضمار اذكر او ظرف لمضمر قد حذف للايذان بضيق العبارة عن حصره وبيانه
حسبما في تفسير قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقرئ
ننفخ بالنون على اسناد النفخ الى الامر به تعظيما له وبالياء المفتوحة على ان ضميره لله تعالى
او لاسرافيل عليه السلام وان لم يجر ذكره لشهرته ونحشر المجرمين يومئذ اى يوم اذ ينفخ
في الصور وذكره صريحا مع تعين ان الحشر لا يكون الا يومئذ للتهويل وقرئ ويحشر المجرمون
زرقا اى حال كونهم زرق العيون وانما جعلوا كذلك لان الزرقة اسوأ الوان العين وابغضها
الى العرب فان الروم الذين كانوا اعدى عدوهم زرق العيون ولذلك قالوا في صفة العدو
اسود الكبد واصهب السبال وازرق العين وعميا لان حدقة الاعمى تزرق وقوله تعالى
يتخافتون بينهم اى يخفضون اصواتهم ويخفونها لما يملأ صدورهم من الرعب والهول استئناف
بيان ما ياتون وما يذرون حينئذ او حال اخرى من المجرمين اى يقول بعضهم لبعض بطريق
المخافتة ان لبثتم اى ما لبثتم في الدنيا الا عشرا اى عشر ليال استقصارا لمدة لبثهم فيها
لزوالها او لاستطالهم مدة الاخرة او لتاسفهم عليها لما عاينوا الشدائد وايقنوا انهم
استحقوها على اضاعتها في قضاء الاوطار واتباع الشهوات وفي العشر وهو الانسب بحالهم
فانهم حين يشاهدون البعث الذي كانوا ينكرونه في الدنيا ويعدونه من قبيل المحالات لا يتما
لكون من ان يقولوا ذلك اعترافا به وتحقيقا لسرعة وقوعه كانهم قالوا قد بعثتم وما لبثتم
في القبر الا مدة يسيرة والا فحالهم اقطع من ان تمكنهم من الاشتغال بتذكر ايام النعمة
والسرور واستقصارها والتاسف عليها نحن اعلم بما يقولون وهو مدة لبثهم اذ يقول
امثلهم طريقة اى اعدلهم رايا وعملا ان لبثتم الا يوما ونسبة هذا القول الى امثلهم
استرجاع منه تعالى له لكن لا لكونه اقرب الى الصدق بل لكونه ادل على شدة الهول
ويسئلونك عن الجبال اى عن حالها او مالها وقد سال عنه رجل من ثقيف وقيل مشركوا مكة على طريق
الاستهزاء فقل ينسفها ربي نسفا اى يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها والفا للمسارعة
الى الزام السائلين فيذرها الضمير اما للجبال باعتبار اجزائها السافلة الباقية بعد النسف وهي

مقادها

مقادها ومراكزها اى فيذر ما انبسط منها وساوى سطحه سطح اجزاء الارض بعد نسف ما علا
منها ونشز واما للارض المدلول عليها بقرينة الحال لانها الباقية بعد نسف الجبال وعلى التقديرين
يذر الكل قاعا صفصفا لان الجبال اذا سويت وجعل سطحها مساويا لسطح ساير اجزاء الارض فقد
جعل الكل سطحا واحدا والقاع قيل المنكشف من الارض وقيل المستوى الصلب منها وقيل
ما لا نبات فيه ولا بناء والصفصف الارض المستوية الملساء كان اجزاءه صف واحد من كل جهة
وانتصاب قاعا على الحالية من الضمير المنصوب او هو مفعول ثان ليذر على تضمين معنى التصيير
وصفصفا اما حال ثانية او بدل من المفعول الثاني وقوله تعالى لا ترى فيها اى في مقار الجبال
او في الارض على ما مر من التفصيل عوجا بكسر العين اى اعوجاجا ما كانه لغاية خفائه من قبيل
ما في المعاني اى لا تدركه ان تاملت بالمقاييس الهندسية ولا امتا اى نتوا يسيرا استئناف
مبين لكيفية ما سبق من القاع الصفصف او حال اخرى او صفة لقاعا والخطاب لكل احد
ممن يتاتى منه الرؤية وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام
بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من طول ربما يخل تقديمه بتجاذب اطراف النظم الكريم
يومئذ اى يوم اذ نسفت الجبال على اضافة اليوم الى وقت النسف وهو ظرف لقوله تعالى
يتبعون الداعي وقيل بدل من يوم القيمة وليس بذاك اى يتبع الناس داعي الله عز وجل الى
المحشر وهو اسرافيل عليه السلام يدعو الناس عند النفخة الثانية قائما على صخرة بيت المقدس
ويقول ايتها العظام النخرة والاوصال المتفرقة واللحوم المتمزقة قومي الى عرض الرحمن
فيقبلون من كل اوب الى صوبه لا عوج له لا يعوج له مدعو ولا يعدل عنه وخشعت الاصوات
للرحمن اى خفضت لهيبته فلا تسمع الا همسا اى صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف
الابل وقد فسر الهمس بخفق اقدامهم ونقلها الى المحشر يومئذ اى يوم اذ يقع ما ذكر من
الامور الهائلة لا تنفع الشفاعة من الشفعاء احدا الا من اذن له الرحمن اى يشفع له ورضي
له قولا اى ورضي لاجله قول الشافع في شانه ورضي قوله لاجله وفي شانه واما من عداه فلا
تكاد تنفعه وان فرض صدورها عن الشفعاء المتصدين للشفاعة للناس كقوله تعالى فما تنفعهم
شفاعة الشافعين فالاستثناء كما ترى من اعم المفاعيل واما كونه استثناء من الشفاعة على معنى
لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن ان يشفع لغيره كما جوزوه فلا سبيل اليه لان حكم
الشفاعة ممن لا يؤذن له ان يملكها ولا يتصدى لها عنه اصلا كما في قوله تعالى لا يملكون الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى فالاخبار عنها بمجرد عدم
نفعها للمشفوع له ربما يوهم امكان صدورها ممن لم يؤذن له مع اخلاله بمقتضى تهويل مقام اليوم
وقوله تعالى ولا يقبل منها شفاعة فمعناه عدم الاذن في الشفاعة لا عدم قبولها بعد وقوعها
يعلم ما بين ايديهم اى ما تقدمهم من الاحوال وقيل من امر الدنيا وما خلفهم وما بعدهم مما يستقبلونه
وقيل من امر الاخرة ولا يحيطون به علما اى لا يحيط علومهم بمعلوماته تعالى وقيل بذاته من
حيث اتصافه بصفات الكمال التي من جملتها العلم الشامل وقيل الضمير لاحد الموصولين او لمجموعهما
فانهم لا يعلمون جميع ذلك ولا تفصيل ما علموا منه وعنت الوجوه للحي القيوم اى ذلت وخضعت
خضوع العناة اى الاسارى في يد الملك القهار ولعلها وجوه المجرمين لقوله تعالى سيئت
وجوه الذين كفروا ويؤيده قوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس رضي الله عنهما
خسر من اشرك بالله ولم يتب وهو استئناف لبيان ما لاجله عنت وجوههم او اعتراض كانه
قيل خابوا وخسروا وقيل حال من الوجوه ومن عبارة عنها مغنية عن ضميرها وقيل الوجوه على
العموم فالمعنى حينئذ وقد خاب من حمل منهم ظلما فقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات الى اخره
قسيم لقوله تعالى وقد خاب من حمل ظلما لا لقوله تعالى ومن يعمل من الصلحات وعنت الوجوه
الى اخره كما انه كذلك على الوجه الاول اى ومن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات
على احد الوجهين المذكورين في تفسير قوله تعالى من انباء ما قد سبق وهو مؤمن فان الايمان
شرط في صحة الطاعة وقبول الحسنات فلا يخاف ظلما اى منع ثواب مستحق بموجب الوعد
ولا هضما ولا كسرا منه بنقص ولا يخاف جزاء ظلم وهضم اذ لم يصدر عنه ظلم ولا هضم
حتى يخافهما وقرئ فلا يخف على النهي وكذلك عطف على كذلك نقص وذلك اشارة الى انزال ما
سبق من الايات المتضمنة للوعيد المنبئة عما سيقع من احوال القيامة واهوالها اى مثل
ذلك الانزال انزلناه اى القران كله واضماره من غير سبق ذكره للايذان بنباهة شانه

وكونه مركوزا فى العقول حاضرا فى الاذهان قرانا عربيا ليفهمه العرب ويقفوا على ما فيه من النظم
المعجز الدال على كونه خارجا عن طوق البشر نازلا من عند خلاق القوى والقدر وصرفنا فيه من الوعيد
اى كررنا فيه بعض الوعيد او بعضا من الوعيد حسبما اشير اليه انفا لعلهم يتقون اى كى يتقوا
الكفر والمعاصى بالفعل او يحدث لهم ذكرا اتعاظا واعتبارا مؤديا بالاخرة الى الاتقاء فتعالى
الله استعظام له تعالى ولشؤونه التى يصرف عليها عباده من الاوامر والنواهى والوعيد والوعد
وغير ذلك اى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين فى ذاته وصفاته واحواله وافعاله الملك
النافذ امره ونهيه الحقيق بان يرجى وعده ويخشى وعيده الحق فى ملكوته والوهيته لذاته او
الثابت فى ذاته وصفاته ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه اى يتم وحيه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا القى جبريل عليه السلام الوحى يتبعه عند تلفظ كل حرف وكل كلمة
لكمال اعتنائه بالتلقى والحفظ فنهى عن ذلك اثر ذكر الانزال بطريق الاستطراد لما ان استقرار
الالفاظ فى الاذهان تابع لاستقرار معانيها فيها وربما يشغل التلفظ بكلمة عن سماع ما بعدها
وامر باستفاضة العلم واستزادته منه تعالى فقيل وقل اى فى نفسك رب زدنى علما اى سل الله
عز وجل زيادة العلم فانه الموصل الى طلبتك دون الاستعجال وقيل انه نهى عن تبليغ ما كان
مجملا قبل ان ياتى بيانه وليس بذلك فان تبليغ المجمل وتلاوته قبل البيان مما لا ريب فى صحته
ومشروعيته ولقد عهدنا الى ادم كلام مستانف مسوق لتقرير ما علق من تصريف الوعيد فى
القران وبيان ان اساس بنى ادم على العصيان وعرقه راسخ فى النسيان مع ما فيه من انجاز الموعود
فى قوله تعالى كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق يقال عهد اليه الملك وعزم عليه واوعز
اليه وتقدم اليه اذا امره ووصاه والمعهود محذوف يدل عليه ما بعده واللام جواب قسم
محذوف اى واقسم اى وبالله او وتالله امرناه ووصيناه من قبل اى من قبل هذا الزمان فنسى
اى العهود ولم يعتن به حتى غفل عنه او تركه ترك المنهى عنه وقرئ فنسى اى نساه الشيطان
ولم نجد له عزما تصميم راى وثبات قدم فى الامور اذ لو كان كذلك لما ازله الشيطان ولما استطاع
تغريره وقد كان ذلك منه عليه السلام فى بداء امره من قبل ان يجرب الامور ويتولى حارها
وقارها ويذوق شريها واريها عن النبى صلى الله عليه وسلم لو وزنت احلام بنى ادم بحلم
ادم لرجح حلمه وقد قال الله تعالى ولم نجد له عزما وقيل عزما على الذنب فانه اخطا ولم
يتعمد وقوله تعالى ولم نجد ان كان من الوجود العلمى فله عزما مفعولاه قدم الثانى على الاول
لكونه ظرفا وان كان من الوجود المقابل للعدم وهو الانسب لان مصب الفائدة هو المفعول
وليس فى الاخبار بكون العزم المعدوم له مزيد مزية فله متعلق به قدم على مفعوله لما
مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر او بمحذوف هو حال من مفعوله المنكر كانه
قيل ولم نصادف له عزما وقوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم شروع فى بيان المعهود
وكيفية ظهور نسيانه وفقدان العزم منه واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبى صلى الله
عليه وسلم اى واذكر وقت قولنا لهم وتعليق الذكر بالوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع
فيه من الحوادث بطريق البرهان ولان الوقت مشتمل على تفاصيل الامور الواقعة فيه فالامر
بذكره امر بذكر تفاصيل ما وقع فيه بالطريق البرهانى ولان الوقت مشتمل على اعيان الحوادث
فاذا ذكر صارت الحوادث كانها موجودة فى ذهن المخاطب بوجوداتها العينية اى اذكر ما وقع فى
ذلك الوقت منا ومنه حتى يتبين لك نسيانه وفقدان عزمه فسجدوا الا ابليس قد سبق
الكلام فيه مرارا ابى جملة مستانفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ من الاخبار بعدم سجوده
كانه قيل ما باله لم يسجد فقيل ابى ومفعول ابى اما محذوف اى ابى السجود كما فى قوله تعالى
ابى ان يكون مع الساجدين او غير منوى راسا بتنزيله منزلة اللازم اى فعل الاباء واظهره
فقلنا عقيب ذلك اعتناء بنصحه يا ادم ان هذا الذى رايت ما فعل عدو لك ولزوجك فلا
يخرجنكما اى لا يكونن سببا لاخراجكما من الجنة والمراد نهيهما عن ان يكونا بحيث يتسبب الشيطان
الى اخراجهما منها بالطريق البرهانى كما فى قولك لا ارينك هاهنا والفاء لترتيب موجب
النهى على عداوته لهما او على الاخبار بها فتشقى جواب للنهى واسناد الشقاء اليه خاصة بعد مع ما
فيه من مراعاة الفواصل وقيل المراد بالشقاء التعب فى تحصيل مبادى المعاش وذلك من
وظائف الرجال ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمؤا فيها ولا تضحى
تعليل لما يوجبه النهى فان اجتماع اسباب الراحة فيها مما يوجب المبالغة فى الاهتمام بتحصيل

مبادى

مبادى البقاء فيها والجد فى الانتهاء عما يؤدى الى الخروج عنها فالعدول عن التصريح بان له عليه
السلام فيها تمتعا بفنون النعم من المآكل والمشارب وتمتعا باصناف الملابس البهية والمساكن
المرضية مع ان فيه من الترغيب فى البقاء فيها ما لا يخفى الى ما ذكر من نفى نقائضها التى هى
الجوع والعطش والعرى والضحو لتذكير تلك الامور المنكرة والتنبيه على ما فيها من انواع
الشقوة التى حذره عنها ليبالغ فى التحامى عن السبب المؤدى اليها على ان الترغيب قد حصل
بما سوغ له من التمتع بجميع ما فيها سوى ما استثنى من الشجرة حسبما ينطق به قوله تعالى ويا
ادم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما وقد طوى ذكره ههنا اكتفاء بما ذكر فى موضع
اخر واقتصر على ما ذكر من الترغيب المتضمن للترهيب ومعنى ان لا تجوع فيها الى اخره ان لا
يصيبه شئ من الامور الاربعة اصلا فان الشبع والرى والكسوة والكن قد يحصل بعد عروض
اضدادها باعواز الطعام والشراب واللباس والمسكن وليس الامر فيها كذلك بل كل ما وقع
فيها شهوة وميل الى شئ من الامور المذكورة تمتع به من غير ان يصل الى حد الضرورة ووجه
افراده عليه السلام بما ذكر ما مر انفا وفصل الظما عن الجوع فى الذكر مع تجانسهما وتقارنهما
فى الذكر عادة وكذا حال العرى والضحو المتجانسين لتوفية مقام الامتنان حقه بالاشارة الى
ان نفى كل واحد من تلك الامور نعمة على حيالها ولو جمع بين الجوع والظما لربما توهم ان نفيهما
نعمة واحدة وكذا الحال فى الجمع بين العرى والضحو على منهاج قصة البقرة ولزيادة التقرير ما
بالتنبيه على ان نفى كل واحد من الامور المذكورة مقصودة بالذات مذكورة بالاصالة لا ان
نفى بعضها مذكور بطريق الاستطراد والتبعية لنفى بعض اخر كما عسى يتوهم لو جمع بين كل من
المتجانسين وقرئ انك بالكسر والجمهور بالفتح بالعطف على ان لا تجوع وصحة وقوع الجملة المصدرة
بان المفتوحة اسما للمكسورة والمشاركة لها فى افادة التحقيق مع امتناع وقوعها خبرا لها لما
ان المحذور اجتماع حرفى التحقيق فى مادة واحدة ولا اجتماع فيما نحن فيه لاختلاف مناط التحقق
فيهما فى حيزيهما بخلاف ما لو وقعت خبرا لها فان اتحاد المناط حينئذ مما لا ريب فيه بيانه ان
كل واحدة من المكسورة والمفتوحة موضوعة لتحقيق مضمون الجملة الخبرية المنعقدة من اسمها
وخبرها ولا يخفى ان مرجع خبريتها ما فيها من الحكم الايجابى والسلبى وان مناط ذلك الحكم خبرها
لا اسمها فمدلول كل منهما تحقيق ثبوت خبرها لاسمها لا ثبوت اسمها فى نفسه فاللازم من وقوع
الجملة المصدرة بالمفتوحة اسما للمكسورة تحقيق ثبوت خبرها لتلك الجملة المؤولة بالمصدر واما
تحقيق ثبوتها فى نفسها فهو مدلول المفتوحة حتما فلم يلزم اجتماع حرفى التحقيق فى مادة
واحدة قطعا وانما لم يجوزوا ان يقال ان ان زيدا قائم حق مع اختلافهما بل شرطوا الفصل بالخبر
كقولنا ان عندى ان زيدا قائم للتجافى عن صورة الاجتماع والواو العاطفة وان كانت نائبة
عن المكسورة التى يمتنع دخولها على المفتوحة اجتماع حرفى التحقيق اصلا فالمعنى ان لك عدم الجوع
وعدم العرى وعدم الظما خلا انه لم يقتصر على بيان ان الثابت له عليه السلام عدم الظما والضحو
مطلقا كما فعل مثله فى المعطوف عليه بل قصد بيان ان الثابت له عليه السلام تحقيق عدمهما
فوضع موضع الحرف المصدرى الحرف المفيدة له كانه قيل ان لك فيها عدم ظمائك على التحقيق
فوسوس اليه الشيطان اى انهى اليه وسوسته او اسرها اليه قال اما بدل من وسوس او استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ منه كانه قيل فماذا قال فى وسوسته فقيل قال يا ادم هل ادلك على شجرة
الخلد اى شجرة من اكل منها خلد ولم يمت اصلا سواء كان على حاله او بان يكون ملكا كقوله تعالى الا ان
تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وملك لا يبلى اى لا يزول ولا يختل بوجه من الوجوه فاكلا منها
فبدت لهما سوآتهما قال ابن عباس رضى الله عنهما عريا عن النور الذى كان الله تعالى البسهما حتى
بدت فروجهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قد مر تفسيره فى سورة الاعراف وعصى ادم
ربه بما ذكر من اكل الشجرة فغوى ضل عن مطلوبه الذى هو الخلود او عن الرشد حيث اغتر بقول
العدو وقرئ فغوى من غوى الفصيل اذا اتخم من اللبن وفى وصفه عليه السلام بالعصيان والغواية
مع صغر زلته تعظيم لها وزجر بليغ لاولاده عن امثالها ثم اجتباه ربه اى اصطفاه وقربه اليه
بالحمل على التوبة والتوفيق لها من اجتبى الشئ اى بمعنى جباه لنفسه اى جمعه كقولك اجتمعته او
من جنى الى كذا فاجتبيته مثل جليت على العروس فاجتليتها واصل الكلمة الجمع وفى التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام مزيد تشريف له عليه السلام فتاب عليه اى قبل
توبته حين تاب هو وزوجته قائلين ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين

واقباله عليه السلام بالاجتبا وقبول التوبة قدم موجبه وهدى اى الى الثبات على التوبة
والتمسك باسباب العصمة قال استيناف مبنى على سؤال نشا من الاخبار بانه تعالى قبل توبته
وهداه كانه قيل فما اذا امره الله تعالى بعد ذلك فقيل قال له ولزوجته اهبطا منها جميعا اى
انزلا من الجنة الى الارض وقوله تعالى بعضكم لبعض عدو حال من ضمير المخاطب فى اهبطا والجمع لما
انهما اصل الذرية ومنشا الاولاد اى متعادين فى امر المعاش كما عليه الناس من التجاذب
فاما ياتينكم منى هدى فمن تبع هداى وضع الظاهر موضع المضمر مع الاضافة الى ضميره تعالى
لتشريفه والمبالغة فى ايجاب اتباعه فلا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الاخرة ومن اعرض عن ذكرى
اى عن الهدى الذاكر لى والداعى الى فان له فى الدنيا معيشة ضنكا ضيقا مصدر وصف به ولذلك
يستوى فيه المذكر والمؤنث وقرئ ضنكى كسكرى وذلك لان مجامع همته ومطامح نظره
مقصورة على اعراض الدنيا وهو متهالك على ازديادها وخائف من انتقاصها بخلاف المؤمن
الطالب للاخرة مع انه قد يضيق الله تعالى بشوم الكفر ويوسع ببركة الايمان كما قال تعالى
وضربت عليهم الذلة والمسكنة وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات
من السماء والارض وقال ولو ان اهل الكتاب امنوا واتقوا الى قوله تعالى لاكلوا من فوقهم
ومن تحت ارجلهم وقيل هو الضريع والزقوم فى النار وقيل عذاب القبر ونحشره وقرئ
بسكون الهاء على لفظ الوقف وبالجزم عطفا على محل فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط
يوم القيمة اعمى فاقد البصر كما فى قوله تعالى ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما
لا اعمى عن الحجة كما قيل قال استيناف كما مر رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا اى فى الدنيا
وقرئ بالامالة فى الموضعين وفى الاول فقط لكونه جديرا بالتغيير لكونه راس الاية ومحل
الوقف قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك ومثل ذلك النسيان الذى كنت فعلته
فى الدنيا اليوم تنسى تترك فى العمى والعذاب جزاء وفاقا لكن لا الى الابد كما قيل بل الى ما شاء الله
تعالى ثم يزيله عنه فيرى اهل القيمة ويشاهد مقعده من النار ويكون ذلك له عذابا فوق
العذاب وكذا البكم والصمم يزيلهما الله تعالى عنهم اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا وكذلك
اى مثل ذلك الجزاء الموافق للجناية نجزى من اسرف بالانهماك فى الشهوات ولم يؤمن بايات
ربه بل كذب بها واعرض عنها ولعذاب الاخرة على الاطلاق او وعذاب النار اشد وابقى اى من
ضنك العيش او منه ومن الحشر على العمى افلم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون كلام
مستانف مسوق لتقرير ما قبله من قوله تعالى وكذلك نجزى الاية والهمزة للانكار التوبيخى
والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام واستعمال الهداية باللام اما لتنزيلها منزلة اللازم
فلا حاجة الى المفعول او لانها بمعنى التبيين والمفعول محذوف واياما كان فالفاعل هو الجملة
بمضمونها ومعناها وضمير لهم للمشركين المعاصرين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
اغفلوا فلم يفعل الهداية لهم او فلم يبين لهم مال امرهم كثرة اهلاكنا للقرون الاولى وقد
مر فى قوله عز وجل اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها الاية وقيل الفاعل الضمير
العايد الى الله عز وجل ويؤيده القراءة بالنون العظمة وقوله تعالى اهلكنا الى اخره اما انه
معلق للفعل ساد مسد مفعوله او مفسر لمفعوله المحذوف وهكذا قيل والاوجه ان لا يلاحظ
له مفعول كانه افلم يفعل الله تعالى لهم الهداية ثم قيل بطريق الالتفات كم اهلكنا الى اخره بيانا
لتلك الهداية ومن القرون فى محل النصب على انه وصف لمميز كم اى كم قرنا كائنا من القرون
وهو قوله تعالى يمشون فى مساكنهم حال من القرون او مفعول اى اهلكناهم وهم فى حال امن
وتقلب فى ديارهم او من الضمير فى لهم مؤكد للانكار والعامل يهد والمعنى افلم يهد لهم اهلاكنا
للقرون السالفة من اصحاب الحجر وثمود وقريات قوم لوط حال كونهم ماشين فى مساكنهم
اذا سافروا الى الشام لاثار هلاكهم مع ان ذلك مما يوجب ان يهتدوا الى الحق فيعتبروا لئلا
يحل بهم مثل ما حل باولئك وقرئ يمشون على البناء للمفعول اى يمكنون من المشى ان فى ذلك
تعليل للانكار وتقرير للهداية مع عدم اهتدائهم وذلك اشارة الى مضمون قوله تعالى
كم اهلكنا الى اخره وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد منزلته وعلو شانه فى بابه لايات كثيرة
عظيمة واضحات الدلالة على الحق فاذا هو هاد وايما هاد ويجوز ان تكون كلمة فى تجريدية فافهم
لاولى النهى لذوى العقول الناهية عن القبائح التى من اقبحها ما يتعاطاه كفار مكة من الكفر
بايات الله تعالى والتعامى عنها وغير ذلك من فنون المعاصى وفيه دلالة على ان مضمون الجملة هو

الفاعل

الفاعل لا المفعول وقوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك كلام مستانف مسوق لبيان حكمة
وقوع ما يشعر به قوله تعالى افلم يهد لهم الاية من ان يصيبهم مثل ما اصاب القرون المهلكة
اى ولولا الكلمة السابقة وهى العدة بتاخير عذاب هذه الامة الى الاخرة لحكمة مقتضية ومصلحة
مستدعية لكان عقاب جناياتهم لزاما اى لازما لهؤلاء الكفرة بحيث لا يتاخرون عن جناياتهم
ساعة لزوم ما نزل باولئك الغابرين وفى التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره
عليه السلام تلويح بان ذلك التاخير لتشريفه عليه السلام كما ينبئ عنه قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم واللزام اما مصدر لازم وصف به مبالغة واما فعال بمعنى مفعل جعل آلة للزوم لفرط لزومه
كما يقال لزاز خصم واجل مسمى عطف على كلمة اى ولولا اجل مسمى لاعمارهم او لعذابهم وهو يوم القيمة او يوم
بدر لما تاخر عذابهم اصلا وفصله عما عطف عليه للمسارعة الى بيان جواب لولا وللاشعار باستقلال
كل منهما بنفى لزوم العذاب ومراعاة فواصل الاى الكريمة وقد جوز عطفه على المستكن فى كان العايد
الى الاخذ العاجل المفهوم من السياق تنزيلا للفصل بالخبر منزلة التاكيد اى لكان الاخذ العاجل
واجل مسمى لازمين لهم كداب عاد وثمود واضرابهم ولم ينفرد الاجل المسمى دون الاخذ العاجل
فاصبر على ما يقولون اى اذا كان الامر على ما ذكر من ان تاخير عذابهم ليس باهمال بل امهال وانه لازم
لهم البتة فاصبر على ما يقولون من كلمات الكفر فان علمه صلى الله عليه وسلم بانهم معذبون لا محالة مما
يسليه ويحمله على الصبر وسبح ملتبسا بحمد ربك اى صل وانت حامد لربك الذى يبلغك الى كمالك
على هدايته وتوفيقه او نزهه تعالى عما ينسبونه اليه مما لا يليق بشانه حامدا له على ما
ميزك بالهدى معترفا بانه مولى النعم كلها والاول هو الاظهر المناسب لقوله تعالى قبل طلوع
الشمس الى اخره فان توقيت التنزيه غير معهود فالمراد صلاة الفجر وقبل غروبها يعنى صلوة الظهر
والعصر لانهما قبل غروبها بعد زوالها وجمعهما لمناسبة قوله تعالى قبل طلوع الشمس وقبل صلاة
العصر ومن اناء الليل اى من ساعاته جمع انى بالكسر والقصر واناء بالفتح والمد فسبح اى فصل والمراد
به المغرب والعشاء وتقديم الوقت فيهما لاختصاصهما بمزيد الفضل فان القلب فيهما اجمع
والنفس الى الاستراحة اميل فتكون العبادة فيهما اشق ولذلك قال تعالى ان ناشئة الليل هى
اشد وطأ واقوم قيلا واطراف النهار تكرير لصلاتى الفجر والمغرب ايذانا باختصاصهما بمزيد
مزية ومجيئه بلفظ الجمع لامن الالباس كقولك من قال ظهورهما مثل ظهور الترسين او امر بصلاة
الظهر فانه نهاية النصف الاول من النهار وبداية النصف الاخير وجمعه باعتبار النصفين او لان
النهار جنس او امر بالتطوع فى اجزاء النهار لعلك ترضى متعلق بسبح اى سبح فى هذه الاوقات
رجاء ان تنال عنده تعالى ما ترضى به نفسك وقرئ ترضى على صيغة البناء للمفعول من ارضى اى يرضيك
ربك ولا تمدن عينيك اى لا تطل نظرهما بطريق الرغبة والميل الى ما متعنا به من زخارف الدنيا
وقوله تعالى ازواجا منهم اى اصنافا من الكفرة مفعول متعنا قدم عليه الجار والمجرور للاعتناء به
او حال من الضمير والمفعول منهم اى الى الذى متعنا به وهو اصناف وانواع بعضهم على انه معنى
من التبعيضية او بعضا منهم على حذف الموصوف كما مر مرارا زهرة الحيوة الدنيا منصوب بمحذوف
يدل عليه متعنا اى اعطينا او به على تضمين معناه او بالبدلية من محل به او من ازواجا بتقدير
مضاف او بدونه او بالذم وهى الزينة والبهجة وقرئ زهرة بفتح الهاء وهى لغة كالجهرة فى الجهر
او جمع زاهر وصف لهم بانهم زاهروا الدنيا لتنعمهم وبهاء زيهم بخلاف ما عليه المؤمنون
الزهاد لنفتنهم فيه متعلق بمتعنا جيء به للتنفير عنه ببيان سوء عاقبته مآلا اثر بيان بهجته
حالا اى لنعاملهم معاملة من يبتليهم ويختبرهم فيه او لنعذبهم فى الاخرة بسببه ورزق
ربك اى ما ادخر لك فى الاخرة او ما رزقك فى الدنيا من النبوة والهدى خير مما منحهم فى الدنيا
لانه مع كونه فى نفسه اجل ما يتنافس فيه المتنافسون مامون الغائلة بخلاف ما منحوه
وابقى فانه لا يكاد ينقطع نفسه او اثره ابدا كما عليه زهرة الدنيا وامر اهلك بالصلاة امر
صلى الله عليه وسلم بان يامر اهل بيته او التابعين له من امته بالصلاة بعد ما امر هو بها
ليتعاونوا على الاستعانة على خصاصتهم ولا يهتموا بامر المعيشة ولا يلتفتوا لفت ارباب الثروة
واصطبر عليها وثابر عليها غير مشتغل بامر المعاش لا نسألك رزقا اى لا نكلفك ان ترزق
نفسك ولا اهلك نحن نرزقك واياهم ففرغ بالك لامر الاخرة والعاقبة الحميدة للتقوى اى
لاهل التقوى على حذف واقامة المضاف اليه مقامه تنبيها على ان ملاك الامر هو التقوى روى انه
صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله ضر امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية وقالوا لولا ياتينا

باية مزدبه حكاية لبعض اقاويلهم الباطلة التي رموا النبي صلى الله عليه وسلم بالصبر عليها اى هلا
يأتينا باية تدل على صدقه في دعوى النبوة او باية مما اقترحوها بلغوا من المكابرة والعناد
الى حيث مايعدوا ما شاهدوا من المعجزات التي تخر لها صم الجبال من قبيل الايات حتى اجتروا
واعلى التفوه بهذه العظيمة الشنعا وقوله تعالى اولم تاتيهم بينة ما في الصحف الاولى اى
انكار لاتيان القران الكريم التي هي ام الايات ورأس المعجزات واعظمها وابقاها لان حقيقة
المعجزة اختصاص مدعي النبوة بنوع من الامور الخارقة للعادات اى امر كان ولا ريب في
ان العلم اجل الامور واعلاها اذ هو اصل الاعمال ومبدا الافعال ولقد ظهر مع حيازته
لجميع علوم الاولين والاخرين على يد امي لم يمارس شيئا من العلوم ولم يدارس احدا من اهلها
اصلا فاى معجزة تراد بعد وروده اى اية ترام مع وجوده وفي ايراده بعنوان كونه بينة لما في
الصحف الاولى من التوراة والانجيل وساير الكتب السماوية اى شاهدا بحقية ما فيها من العقايد
الحقة واصول الاحكام التي اجمعت عليها كافة الرسل وبصحة ما تنطق به من انباء الامم من حيث انه
غني باعجازه عما يشهد بحقيته حقيق باثبات حقية غيره مما لا يخفى من تنويه شانه وانارة برهانه
ومزيد تقرير وتحقيق لاتيانه واسناد الاتيان اليه مع جعلهم اياه ما يأتى به للتنبيه على اصالته فيه مع
ما فيه من المناسبة للتنبيه والهمزة لانكار الوقوع والواو للعطف على تقدير يقتضيه المقام كانه قيل
الم ياتهم ساير الايات ولم تاتهم خاصة بينة ما في الصحف الاولى تقريرا لاتيانه وايذانا بانه من
الوضوح بحيث لا يتاتى منهم انكاره اصلا وان اجترؤا على انكار ساير الايات مكابرة وعنادا وقرئ
اولم ياتهم بالياء التحتانية وقرئ الصحف بالسكون تخفيفا وقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب
الى اخر الاية الجملة مستانفة سيقت لتقرير ما قبلها من كون القران اية بينة لا يمكن انكارها
ببيان انهم يعترفون بها يوم القيمة والمعنى لو انا اهلكناهم في الدنيا بعذاب مستاصل من قبله
متعلق باهلكنا او بمحذوف هو صفة لعذاب اى بعذاب كاين من قبل اتيان البينة او من قبل محمد صلى
صلى الله عليه وسلم لقالوا اى يوم القيمة ربنا لولا ارسلت الينا في الدنيا رسولا مع كتاب
فنتبع اياتك التي جاءنا بها من قبل ان نذل بالعذاب في الدنيا ونخزى بدخول النار اليوم ولكنا لم
نهلكهم قبل اتيانها فانقطعت معذرتهم فعند ذلك قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل
الله من شيء قل لاولئك الكفرة المتمردين كل اى كل واحد منا ومنكم متربص منتظر لما يؤل اليه
امرنا وامركم فتربصوا وقرئ فتمتعوا فستعلمون عن قريب من اصحاب الصراط السوى اى المستقيم
وقرئ السواء اى الوسط الجيد وقرئ السوءى والسوى تصغير السوء ومن اهتدى من الضلالة ومن
في الموضعين استفهامية محلها الرفع بالابتداء خبرها ما بعدها والجملة سادة مسد مفعولي
العلم ومفعوله ويجوز كون الثانية موصولة بخلاف الاولى لعدم العايد فيكون معطوفة
على محل الجملة الاستفهامية المعلق عنها الفعل على ان العلم بمعنى المعرفة او على اصحاب او على
الصراط وقيل العايد في الاولى محذوف والتقدير منهم اصحاب الصراط عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا
سورة طه اعطي يوم القيمة ثواب المهاجرين والانصار وقال لا يقرأ اهل الجنة من القران الا سورة طه ويس والله

بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم مناسبة هذه الفاتحة الكريمة لما قبلها
من الخاتمة الشريفة غنية عن البيان قال ابن عباس رضي الله عنهما والمراد بالناس المشركون وهو الذي
ينفسح عنه ما بعده والمراد باقتراب حسابهم اقترابه من اقتراب الساعة واسناد الاقتراب اليه لا الى
الساعة مع استتباعها له لساير ما فيها من الاحوال والاهوال الفظيعة لانسياق الكلام الى بيان غفلتهم
عنه واعراضهم عما يذكرهم ذلك واللام متعلقة بالفعل وتقديمها على الفاعل للمسارعة الى ادخال
الروعة فان نسبة الاقتراب اليهم من اول الامر مما يسوءهم ويورثهم رهبة وانزعاجا
من المقترب كما ان تقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح في قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض لتعجيل
المسرة لما ان بيان كون الخلق لاجل المخاطبين مما يسرهم ويزيدهم رغبة فيما خلق لهم وشوقا اليه وجعلها
تاكيدا للاضافة على ان الاصل المتعارف فيما بين الاوساط اقترب حساب الناس ثم اقترب للناس الحساب
ثم اقترب للناس حسابهم مع انه تعسف تام بمعزل عما يقتضيه المقام وانما الذي يستدعيه حسن النظام
ما قدمناه والمعنى دنى منهم حساب اعمالهم السيئة الموجبة للعقاب وفي اسناد الاقتراب المنبي على

مخصوصين من افراد الجنس متاهلين للاصطفاء والارسال نوحي اليهم بواسطة الملك ما يوحى
من الشرايع والاحكام وغيرها من القصص والاخبار كما نوحي اليك في غير فرق بينهما في
حقيقة الوحي وحقيقة مدلوله حسبما يحكيه قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين الى قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما كما لا فرق بينك وبينهم من البشرية فما لهم لا
يفهمون انك لست بدعا من الرسل ان ما اوحي اليك ليس مخالفا لما اوحي اليهم فيقولون ما يقولون
وقرئ يوحى اليهم بالياء على صيغة المبني للمفعول جريا على سنن الكبرياء وايذانا بتعين الفاعل
وقوله تعالى فسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون تلوين للخطاب وتوجيه الى الكفرة لتبكيتهم
واستنزالهم عن رتبة الاستبعاد والنكير اثر تخصيص الحق على طريقة الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لانه الحقيق بالخطاب في امثال تلك الحقايق الانيقة واما الوقوف عليها بالاستخبار
من الغير فهو من وظايف العوام والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها وجواب الشرط محذوف
ثقة بدلالة المذكور عليها اى ان كنتم لا تعلمون ما ذكر فاسالوا ايها الجهلة اهل الكتاب الواقفين
على احوال الرسل السالفة عليهم الصلاة والسلام لتزول شبهتكم امروا بذلك لان اخبار هم
الجم الغفير يوجب العلم لاسيما وهم كانوا يشايعون المشركين في عداوته صلى الله عليه وسلم
ففيه من الدلالة على كمال وضوح الامر وقوة شان النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وما
جعلناهم جسدا بيان لكون الرسل عليهم السلام اسوة لساير افراد الجنس في احكام الطبيعة
البشرية اثر بيان كونهم اسوة لهم في نفس البشرية والجسد الجسم الانسان والجن والملئكة
ونصبه اما على مفعول ثان للجعل لكن لا بمعنى جعله جسدا بعد ان لم يكن كذلك كما هو المشهود
من معنى التصيير بل بمعنى جعله كذلك ابتداء على طريقة قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر
الفيل كما في قوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة وما حال من الضمير والجعل ابداعي
وافراده لارادة الجنس المنتظم الكثير ايضا وقيل بتقدير المضاف اى ذوي جسد وقوله
تعالى لا ياكلون الطعام صفة له اى وما جعلناهم مستغنيا عن الاكل والشرب بل محتاجا
الى ذلك لتحصيل بدل ما يتحلل منه وما كانوا خالدين لان حال التحلل هو الفناء لا محالة وفي ايثار ما كانوا على
ما جعلناهم تنبيه على ان عدم الخلود مقتضى جبلتهم التي اشير اليها بقوله تعالى وما جعلناهم الى اخره لا
بالجعل مستانفة المراد بالخلود اما المكث المديد كما هو شان الملئكة والابدية وهم معتقدون انهم لا يموتون
والمعنى جعلناهم اجسادا متعدية صايرة الى الموت بالاخرة على حسب اجالهم لا ملئكة ولا اجسادا
مستغنية عن الاغذية مصونة عن التحلل كالملئكة فلم يكن لها خلود كخلودهم فالجملة مقررة لما قبلها من
كون الرسل السالفة عليهم السلام بشرا الا مكا مع ما في ذلك من الرد على قولهم ما لهذا الرسل ياكل
الطعام وقوله تعالى ثم صدقناهم الوعد عطف على ما يفهم من حكاية وحيه تعالى اليهم على الاستمرار
التجددي كانه قيل اوحينا اليهم ما اوحينا ثم صدقناهم في الوعد الذي وعدناهم في تضاعيف الوحي
باهلاك اعدايهم فانجيناهم ومن نشاء من المؤمنين وغيرهم ممن يستدعي الحكمة ابقاءه كمن سيؤمن هو او
بعض فروعه بالاخرة وهو السر في حماية العرب من عذاب الاستيصال واهلكنا المسرفين اى المجاوزين
للحدود في الكفر والمعاصي لقد انزلنا اليكم كلام مستانف مسوق لتحقيق حقية القران العظيم الذي
ذكر في صدر السورة الكريمة اعراض الناس عما ياتيهم من اياته واستهزاؤهم به وتسميتهم تارة
سحرا وتارة اضغاث احلام واخرى مفترى وشعرا وبيان علو رتبته اثر تحقيق رسالته صلى الله
عليه وسلم ببيان انه كساير الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وقد صدر بالتوكيد القسمي
اظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وايذانا بكون المخاطبين في اقصى مراتب النكير اى والله لقد انزلنا
اليكم يا معشر قريش كتابا عظيم الشان نير البرهان وقوله تعالى فيه ذكركم صفة لكتابا
موكدة لما افاده التنكير التفخيمي من كونه جليل القدر جميل الاثار مستجلب لهم منافع جليلة اى
فيه شرفكم وصيتكم كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وقيل ما تحتاجون اليه في اموردينكم
ودنياكم وقيل فيه ما تطلبون به حسن الذكر من مكارم الاخلاق وقيل فيه موعظتكم وهو الانسب
لسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى افلا تعقلون انكار وتوبيخ فيه بعث لهم على التدبر في
امر الكتاب والتامل فيما في تضاعيفه من فنون المواعظ والزواجر التي من جملتها القوارع السابقة
واللاحقة والفاء للعطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اى الا تتفكرون فلا تعقلون ان الامر كذلك
او لا تعقلون شيئا من الاشياء التي من جملتها ما ذكر وقوله تعالى وكم قصمنا من قرية نوع تفصيل
لاجمال وقوله تعالى واهلكنا المسرفين وبيان لكيفية اهلاكهم وسببه وتنبيه على كثرتهم وكم

التوحيد بنحوهم على الحساب مع امكان العكس بان يعتبر التوحيد والاقبال من جهتهم بنحوه من تفخيم
شانه وتهويل امره ما لا يخفى لما فيه من تصويره بصورة شيء مقبل عليهم لا يزال يطلبهم ويصيبهم
لا محالة ومعنى اقترابه لهم تقاربه ودنوه منهم بعد بعده عنهم فانه في كل ساعة من ساعات الزمان
اقرب اليهم منه في الساعة السابقة هذا واما الاعتذار بان قربه بالاضافة الى ما مضى من الزمان او
بالنسبة الى الله عز وجل او باعتبار ان كل ات قريب فلا تعلق له بما نحن فيه من الاقتراب المستفاد من صيغة
الماضي ولا حاجة اليه في تحقيق اصل معناه نعم قد يفهم منه عرفا كونه قريبا في نفسه ايضا فيصار
حينئذ الى التوجيه بالوجه الاول دون الاخيرين اما الثاني فلا سبيل الى اعتباره ههنا لان قربه
بالنسبة اليه تعالى مما لا يتصور فيه التجدد والتفاوت حتما فانما اعتباره في قوله تعالى لعل الساعة
قريب ونظايره مما لا دلالة له على الحدوث واما الثالث فلا دلالة فيه على القرب حقيقة ولو بالنسبة الى
شيء واخر وهم في غفلة اي في غفلة تامة منه ساهون عنه بالمرة لا انهم غير مبالين به مع اعترافهم
باتيانه بل منكرون له كافرون مع اقتضاء عقولهم ان الاعمال لا بد لها من الجزاء معرضون اي عن الايات
والنذر المنبهة لهم عن سنة الغفلة وهما خبران للضمير وحيث كانت الغفلة امرا جبليا لهم جعل الخبر
الاول ظرفا منبئا عن الاستقرار بخلاف الاعراض والجملة حال من الناس وقد جوز كون الظرف حالا
من المستكن في معرضون وما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث طائفة نازلة من القران تذكرهم ذلك اكمل تذكير
وتنبههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر ومن في قوله تعالى من ربهم لابتداء الغاية مجازا
متعلقة بياتيهم او بمحذوف هو صفة لذكر وايا ما كان ففيه دلالة على فضله وشرفه وكمال شناعة
ما فعلوا به والتعرض لعنوان الربوبية لتشديد التشنيع محدث بالجر صفة لذكر وقرئ بالرفع
حملا على محله اي محدث تنزيله بحسب اقتضاء الحكمة وقوله تعالى الا استمعوه استثناء مفرغ محله
النصب على انه حال من مفعول ياتيهم باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور وقوله تعالى وهم
يلعبون حال من فاعل استمعوه وقوله تعالى لاهية قلوبهم اما حال اخرى منه او من واو يلعبون
والمعنى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث في حال من الاحوال الا حال استماعهم اياه لاعبين مستهزئين
به لاهين عنه او لاعبين به حال كون قلوبهم لاهية عنه لتناهي غفلتهم وفرط اعراضهم عن النظر
في الامور والتفكر في العواقب وقرئ لاهية بالرفع على انه خبر بعد خبر واسروا النجوى كلام
مستانف مسوق لبيان جناية خاصة اثر حكاية جناياتهم المعتادة والنجوى اسم من التناجي
ومعنى اسرارها مع انها لا تكون الا سرا انهم بالغوا في اخفائها او اسروا نفس التناجي بحيث لم
يشعر احد بانهم متناجون وقوله تعالى الذين ظلموا بدل من واو اسروا منبئ على كونهم موصوفين
بالظلم الفاحش فيما اسروا به وهو مبتدا خبره اسروا النجوى قدم عليه اهتماما به والمعنى
هم اسروا النجوى فوضع الموصول موضع الضمير تسجيلا على فعلهم بكونه ظلما او منصوب على
الذم وقوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم الى اخره في حيز النصب على انه مفعول القول مضمر
هو جواب عن سؤال نشا مما قبله كانه قيل ماذا قالوا في نجواهم فقيل قالوا هل هذا الى اخره
او بدل من اسروا او معطوف عليه او على انه بدل من النجوى اي اسروا هذا الحديث وهل بمعنى
النفي والهمزة في قوله تعالى افتاتون السحر للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقوله
تعالى وانتم تبصرون حال من فاعل تاتون مقررة للانكار ومؤكدة للاستبعاد والمعنى ما هذا الا بشر
مثلكم اي من جنسكم وما اتى به سحر تعلمون ذلك افتاتونه وتحضرونه على وجه الاذعان وانتم
تعاينون انه سحر قالوه بناء على ما ارتكز في اعتقادهم الزايغ ان الرسول لا يكون الا ملكا وان
كل ما يظهر على يد البشر من الخوارق من قبيل السحر وجهل منهم ان ارسال البشر الى عامة البشر
هو الذي يقتضيه الحكمة التشريعية قاتلهم الله انى يؤفكون وانما اسروا ذلك لانه كان على طريق
توثيق العهد وترتيب مبادي الشر والفساد وتمهيد مقدمات المكر والكيد في هدم امر
النبوة واطفاء نور الدين والله متم نوره ولو كره المشركون قل ربي يعلم القول في السماء والارض
حكاية من جهته تعالى لما قال عليه السلام بعدما اوحي اليه احوالهم واقوالهم بيانا لظهور امرهم
وانكشاف سرهم وايثار القول المنتظم للسر والجهر على السر لاثبات علمه تعالى بالسر على نهج البرهان
مع ما فيه من الايذان بان علمه تعالى للسر والجهر على وتيرة واحدة لا تفاوت بينهما بالجلاء والخفاء
قطعا كما في علوم الخلق وقرئ قل ربي الى اخره وقوله تعالى في السماء والارض متعلق بمحذوف
وقع حالا من القول اي كائنا في السماء والارض وقوله تعالى وهو السميع العليم اي المبالغ في
العلم بالمسموعات والمعلومات التي من جملتها ما قبله متضمن للوعيد بل قالوا اضغاث احلام

خبرية مفيدة للتكثير محلها النصب على انه مفعول لقصمنا وكم من قرية تمييز وفي لفظ القصم الذي
هو عبارة عن الكسر بابانة اجزاء المكسور وازالة تاليفها بالكلية من الدلالة على قوة الغضب وشدة
السخط ما لا يخفى وقوله تعالى كانت ظالمة في محل الجر على انها صفة لقرية بتقدير مضاف ينبئ عنه
الضمير الاتي اي وكثيرا قصمنا من اهل قرية كانوا ظالمين بايات الله تعالى كافرين بها كدابكم وانشانا
بعدها اي بعد اهلاكها قوما اخرين اي ليسوا منهم نسبا ولا دينا ففيه تنبيه على استيصال
الاولين وقطع دابرهم بالكلية وهو السر في تقديم حكاية انشاء هؤلاء على حكاية مبادي اهلاك
اولئك بقوله تعالى فلما احسوا باسنا اي ادركوا عذابنا الشديد ادراكا تاما كانه ادراك
المشاهد المحسوس اذا هم منها يركضون يهربون مسرعين راكضين دوابهم او مشبهين بهم في فرط الاسراع
لا تركضوا اي قيل لهم بلسان الحال او بلسان المقال من الملك او ممن ثمة من المؤمنين بطريق الاستهزاء
والتوبيخ وارجعوا الى ما اترفتم فيه من التنعم والتلذذ والاتراف ابطار النعمة ومساكنكم
التي كنتم تفتخرون بها لعلكم تسالون تقصدون للسؤال والتشاور والتدبير في المهمات والنوازل
او تسالون اذا رؤيت مساكنكم خالية وتسالون اين اصحابها او يسالكم الوافدون نوالكم على انهم
كانوا اسخياء ينفقون اموالهم رياء او بخلاء فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم قالوا لما يئسوا من الخلاص
بالهرب وايقنوا بنزول العذاب يا ويلنا اي هلاكنا انا كنا ظالمين اي مستوجبين للعذاب وهذا اعتراف
منهم بالظلم باستتباعه العذاب وندم عليه حين لم ينفعهم ذلك فما زالت تلك دعواهم اي
فما زالوا يرددون تلك الكلمة وتسميتها دعوة لان المولول كانه يدعو الويل فهذا اوانك حتى
جعلناهم حصيدا اي مثل الحصيد وهو المحصود من الزرع والنبت ولذلك لم يجمع خامدين ميتين
من خمدت النار اذا طفئت وهو مع حصيدا في حيز المفعول الثاني للجعل كقولك جعلته حلوا حامضا
والمعنى جعلناهم لمماثلة الحصيد والخمود او حال من الضمير المنصوب في جعلناهم او من المستكن في حصيدا
او صفة لحصيد لتعدده معنى لانه في حكم جعلناهم امثال الحصيد وما خلقنا السموات والارض
اشارة اجمالية الى ان تكوين العالم وابداع بني ادم مؤسس على قواعد الحكم البالغة المستتبعة
للغايات الجليلة والتنبيه على ان ما حكي من العذاب الهائل والعقاب النازل باهل القرى من مقتضيات
تلك الحكم ومتفرع حسب اقتضاء اعمالهم اياه وان للمخاطبين المقتدين بآثارهم ذنوبا مثل ذنوبهم
اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات التي لا تحصى اجناسها وافرادها ولا تحصر انواعها واحادها
على هذا النمط البديع والاسلوب المنيع خالية عن الحكم والمصالح وانما عبر عن ذلك باللعب واللهو
حيث قيل لاعبين لبيان كمال تنزهه تعالى عن الخلق الخالي عن الحكمة بتصويره بصورة ما لا يرتاب
احد في استحالة صدوره عنه سبحانه بل انما خلقناهما وما بينهما ليكون مبدأ لوجود الانسان وسببا
لمعاشه ودليلا يقوده الى تحصيل معرفتنا التي هي الغاية القصوى بواسطة طاعتنا وعبادتنا كما
ينطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم
احسن عملا وقوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا
استيناف مقرر لما قبله من انتفاء اللعب واللهو اي لو اردنا ان نتخذ ما يتلهى به ويلعب لاتخذناه
من لدنا اي من جهة قدرتنا او من عندنا مما يليق بشاننا من المجردات لا من الاجسام المرفوعة
والاجرام الموضوعة كديدن الجبابرة في رفع العروش وتحسينها وتسوية الفروش وتزيينها لكن
يستحيل ارادتنا له لمنافاته للحكمة فيستحيل اتخاذنا له قطعا وهو قوله تعالى ان كنا فاعلين جواب
محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه ان كنا فاعلين لاتخذناه وقيل ان نافية اي ما كنا فاعلين
اي لاتخذنا اللهو لعدم ارادتنا اياه فيكون بيانا لانتفاء التالي وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل
الزوجة والمراد الرد على النصارى ولا يخفى ما بعده بل نقذف بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ
اللهو بل عن ارادته كانه قيل لكنا لا نريده بل شاننا ان نغلب الحق الذي من جملته الجد على الباطل
الذي من قبيله اللهو وتخصيص شانه هذا من بين سائر شؤونه تعالى بالذكر للتخلص الى ما
سياتي من الوعيد فيدمغه اي يمحقه بالكلية كما فعلنا باهل القرى المحكية وقد استعير لايراد الحق
على الباطل القذف الذي هو الرمي الشديد بالجرم الصلب كالصخرة ولمحقه للباطل الدمغ الذي
هو كسر الشيء الرخو الاجوف وهو الدماغ بحيث يشق غشاؤه المؤدي الى زهوق الروح تصويرا له بذلك
فيدمغه بالنصب وهو ضعيف وقرئ فيدمغه بضم الميم فاذا هو زاهق اي ذاهب بالكلية وفي
اذا الفجائية والجملة الاسمية من الدلالة على كمال المسارعة في الذهاب والبطلان ما لا يخفى كانه
زاهق من الاصل ولكم الويل مما تصفون وعيد لقريش بان لهم ايضا مثل ما لاولئك من العذاب

والعقاب

اضراب من جهته تعالى انتقال من حكاية قولهم السابق الى حكاية قول اخر معطوف مضطرب في مضمار
البطلان اى لم يقتصروا على ان يقولوا في حقه عليه الصلاة والسلام هل هذا الا بشر وحق ما ظهر
على يده من القران الكريم انه سحر بل قالوا تخاليط الاحلام ثم اضربوا عنه فقالوا بل افتراه من تلقاء
نفسه من غير ان يكون له اصل او شبهة اصل ثم قالوا بل هو شاعر وما اتى به شعر يخيل الى السامع
معانى لا حقيقة لها وهكذا شان المبطل المحجوج متحير لا يزال يتردد بين باطل وابطل ويتذبذب
بين فاسد وافسد فالاضراب الاول كما ترى من جهته تعالى والثاني والثالث من قبلهم وقد
قيل الكل من قبلهم حيث اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط احلام ثم الى انه كلام مفترى
ثم الى انه قول شاعر ولا ريب في انه كان ينبغي حينئذ ان يقال بل قالوا اضغاث احلام والاعتذار
بان بل قالوا لقول لقولوا المضمر قبل قوله تعالى هل هذا الا بشر مثلكم الى اخره كانه قيل واسروا
النجوى قالوا هل هذا الى قوله بل اضغاث احلام وانما صرح بقالوا بعد بل لبعد العهد مما يجب
تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله فليأتنا باية جواب شرط محذوف يفصح عنه السياق كانه
قيل وان لم يكن كما قلنا بل كان رسولا من الله فليأتنا باية كما ارسل الاولون اى مثل الاية التي
ارسل بها الاولون كاليد والعصا ونظائرهما حتى نؤمن به فما موصولة محل الكاف الجر على انه صفة
لاية ويجوز ان تكون مصدرية فالكاف منصوبة على انها مصدر تشبيهي اى نعت لمصدر محذوف
اى فليأتنا باية اتيانا كائنا مثل ارسال الاولين بها وصحة التشبيه من حيث ان الاتيان بالاية من
فروع الارسال بها اى مثل اتيان مترتب على الارسال ويجوز ان يحمل النظم الكريم على انه اريد
كل واحد من الاتيان والارسال في كل واحد من طرفي التشبيه لكنه ترك في جانب المشبه
ذكر الارسال وفي جانب المشبه به ذكر الاتيان اكتفاء بما ذكر في كل موطن عما ترك في الموطن
الاخر حسبما مر في اخر سورة يونس عليه السلام ما امنت قبلهم من قرية كلام مستانف
مسوق لتكذيبهم فيما ينبئ عنه خاتمة مقالهم من الوعد الضمني بالايمان كما اشير اليه وبيان
انهم في اقتراح تلك الايات كالباحث عن حتفه بظلفه وان في ترك الاجابة اليه ابقاء عليهم
كيف لا ولو اعطوا ما اقترحوا مع عدم ايمانهم قطعا لوجب استئصالهم لجريان سنة الله عز وجل
في الامم السالفة على ان المقترحين اذا اعطوا ما اقترحوه ثم لم يؤمنوا نزل بهم عذاب الاستئصال
لا محالة وقد سبقت كلمة الحق منه تعالى ان هذه الامة لا يعذبون بعذاب الاستئصال
فقوله تعالى من قرية اى من اهل قرية والهمزة في قوله تعالى افهم لا يؤمنون لانكار الوقوع
والفاء للعطف اما على مقدر دخلته الهمزة فافادت انكار وقوع ايمانهم ونفيه عقيب
عدم ايمان الاولين فالمعنى انه لم تؤمن امة من الامم المهلكة عند اعطاء ما اقترحوه
من الايات اهم لم يؤمنوا فهم لا يؤمنون لو اجيبوا الى ما سألوا واعطوا ما اقترحوا مع
كونهم اعتى منهم والمعنى واما على ما امنت على ان الفاء متقدمة على الهمزة في الاعتبار مفيدة
لترتيب انكار وقوع ايمانهم على عدم ايمان الاولين وانما قدمت عليها الهمزة لاقتضائها
الصدارة كما هو راى الجمهور وقوله عز وجل وما ارسلنا قبلك الا رجالا جواب لقولهم هل
هذا الا بشر الى اخره متضمن لرد ما دسوا تحت قولهم كما ارسل الاولون من التعريض لعدم كونه
صلى الله عليه وسلم مثل اولئك الرسل صلوات الله عليهم اجمعين ولذلك قدم عليه جواب
قولهم فليأتنا باية ولانهم قالوا ذلك بطريق التعجيز فلا بد من المسارعة الى رده وابطاله كما
مر في تفسير قوله تعالى قل انما يأتيكم به الله ان شاء وما انتم بمعجزين وقوله تعالى ما ننزل
الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين ولان في هذا الجواب نوع بسط يخل تقديمه بتجاوب
اطراف النظم الكريم والحق ان ما اتخذوه سببا للتكذيب موجب للتصديق في الحقيقة لان مقتضى
الحكمة ان يرسل الى البشر البشر لا الملك الملك حسبما ينطق به قوله تعالى قل لو كان في الارض
ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا فان عامة البشر بمعزل من استحقاق
المفاوضة الملكية لتوقفها على التناسب بين المفيض والمستفيض فبعث الملك اليهم مزاحم
للحكمة التي يدور عليها فلك التكوين والتشريع وانما الذي تقتضيه الحكمة ان يبعث الملك
منهم الى الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالارواح القدسية المتعلقين بكلا
العالمين الروحاني والجسماني ليتلقوا من جانب ويلقوا الى جانب وقوله تعالى نوحي اليهم استئناف
مبين لكيفية الارسال وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية المستمرة وحذف المفعول
لعدم القصد الى خصوصية والمعنى وما ارسلنا الى الامم قبل ارسالك اليهم الا رجالا

مخصوصين

من العقاب ومن تعليلية متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به الخبر او بمحذوف هو حال من الويل
او من ضميره في الخبر وما اما مصدرية او موصوفة اى واستقر لكم الويل اى من اجل وصفكم له
سبحانه بما لا يليق بشانه الجليل او بالذي تصفونه او بشيء تصفونه من الولد او كائنا مما تصفونه
من الولد او كائنا مما تصفونه تعالى به وله من في السموات والارض استئناف مقرر لما قبله من
خلقه تعالى لجميع مخلوقاته على حكمة بالغة ونظام كامل وانه تعالى يحق الحق ويزهق الباطل اى له
تعالى خاصة جميع المخلوقات خلقا وملكا وتصرفا وتدبيرا واحياء واماتة وتعذيبا واثابة من غير
ان يكون لاحد دخل ما استقلالا او استتباعا ومن عنده وهم الملائكة عليهم السلام عبر عنهم
بمن في السموات تنزيلا لهم لكرامتهم عليه عز وعلا وزلفاهم عنده منزلة المقربين عند الملوك
بطريق التمثيل وهو مبتدأ خبره لا يستكبرون عن عبادته اى لا يتعظمون عنها ولا يعدون انفسهم
كبيرا ولا يستحسرون لا يكلون ولا يعيون وصيغة الاستفعال المنبئة عن المبالغة في الحسور
للتنبيه على ان عباداتهم بثقلها ودوامها حقيقة بان يستحسر منها ومع ذلك لا يستحسرون لا لافادة
نفي المبالغة في الحسور مع ثبوت اصله في الجملة كما ان نفي الظلامية في قوله تعالى وما انا بظلام
للعبيد لافادة كثرة الظلم المفروض تعلقه بالعبيد لا لافادة نفي المبالغة في الظلم مع ثبوت
اصل الظلم في الجملة وقيل من عنده معطوف على من الاولى وافرادهم بالذكر مع دخولهم في من
في السموات والارض للتعظيم كما في قوله تعالى وجبريل وميكائيل فقوله لا يستكبرون حينئذ
حال من الثانية يسبحون الليل والنهار اى ينزهونه في جميع الاوقات ويعظمونه ويمجدونه دائما
وهو استئناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله كانه قيل ماذا يصنعون في عباداتهم وكيف يعبدون
فقيل يسبحون الى اخره او حال من فاعل يستحسرون وقوله تعالى لا يفترون اى لا يتخلل تسبيحهم
فترة اصلا بفراغ او بشغل اخر ام اتخذوا الهة حكاية لجناية اخرى من جناياتهم بطريق الاضراب
والانتقال من فن الى فن اخر من التوبيخ اثر تحقيق الحق ببيان انه تعالى خلق جميع المخلوقات على
منهاج الحكمة وانهم قاطبة تحت ملكوته وقهره وان عباده مذعنون لطاعته ومثابرون
على عبادته ومنزهون له عن كل ما لا يليق بشأنه من الامور التي من جملتها الانداد ومعنى الهمزة
في ام المنقطعة انكار الوقوع لا انكار الواقع وقوله تعالى من الارض متعلق باتخذوا او بمحذوف هو
صفة لالهة واياما كان فالمراد هو التحقير لا التخصيص وقوله تعالى هم ينشرون اى يبعثون الموتى
صفة لالهة وهو الذي يدور عليه الانكار والتجهيل والتشنيع لا نفس الاتخاذ فانه واقع لا محالة
اى بل اتخذوا الهة من الارض هم خاصة مع حقارتهم وجماديتهم ينشرون الموتى كلا فان ما اتخذوها
الهة بمعزل من ذلك وهم وان لم يقولوا بذلك صريحا لكنهم حيث ادعوا لها الالهية فكانهم ادعوا
لها الانشار ضرورة انه من الخصائص الالهية حتما ومعنى التخصيص في تقديم الضمير
ما اشير اليه من التنبيه على كمال مباينة حالهم للانشار الموجبة لمزيد الانكار كما في قوله تعالى ابالله
واياته كنتم تستهزؤن فان تقديم الجار والمجرور للتنبيه على كمال مباينة امره تعالى لان يستهزأ
فيه ويستهزأ به ويجوز ان يجعل ذلك من مستتبعات ادعائهم الباطل فان الالوهية مقتضية
للاستقلال بالابداء والاعادة فحيث ادعوا للاصنام الالهية فكانهم ادعوا لها الاستقلال
بالانشار كما انهم جعلوا مدعين لاصل الانشار لو كان فيهما الهة الا الله ابطال التعدد باقامة البرهان
على انتفائه بل على استحالته وايراد الجمع لوروده اثر انكار اتخاذ الالهة لا لان للجمعية مدخلا
في الاستلزام وكذا فرض كونهما فيهما والا بمعنى غير على انها صفة الالهة ولا مساغ للاستثناء لاستحالة
شمول ما قبلها لما بعدها وافضائه الى فساد المعنى لدلالته حينئذ على ان الفساد لكونها فيهما بدونه
تعالى ولا للرفع على البدل لانه متفرع على الاستثناء ومشروط بان يكون في كلام غير موجب اى لو كان في السموات
والارض الهة غير الله كما هو اعتقادهم الباطل لفسدتا اى لبطلتا بما فيهما جميعا وحيث انتفى التالي
علم انتفاء المقدم قطعا بيان الملازمة ان الالهية مستلزمة للقدرة على الاستبداد بالتصرف فيهما
على الاطلاق تغييرا وتبديلا وايجادا واعداما واحياء واماتة فبقاؤهما على ما هما عليه اما بتأثير
كل منهما وهو محال لاستحالة وقوع المعلول المعين بعلل متعددة واما بتأثير واحد منها فالبواقي
بمعزل من الالهية والاظهر ان البرهان يقتضي باستحالة التعدد على الاطلاق فانه لو تعدد الاله فان توافقت
في المراد تطاردت عليه القدر وان تخالفت تعاوقت فلا يوجد موجود اصلا وحيث انتفى التالي
تعين انتفاء المقدم معا والفاء في قوله تعالى فسبحان الله لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ثبوت الوحدانية
بالبرهان اى فسبحوه سبحانه التسبيح اللائق به ولتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى

رب العرش صفة للاسم الجليل المؤكد لما تنزيهه عز وجل عما يصفون متعلق بالتسبيح اى فسبحوه عما
يصفونه من ان يكون من دونه آلهة لا يسئل عما يفعل استئناف ببيان انه تعالى لقوة عظمته وعزة
سلطانه القاهر بحيث ليس لاحد من مخلوقاته ان يناقشه ويسأله عما يفعل من افعاله اثر بيان
ان ليس له شريك فى الالهية وهم اى العباد يسئلون عما يفعلون نقيرا وقطميرا لانهم مملوكون له
تعالى مستعبدون وفيه وعيد للكفرة ام اتخذوا من دونه آلهة اضراب وانتقال من اظهار بطلان
كون ما اتخذوه آلهة حقيقة باظهار خلوها عن خصائص الالهية التى من جملتها الانشاء واقامة
البرهان القاطع على استحالة تعدد الاله على الاطلاق وتفرده سبحانه بالالوهية الى اظهار بطلان
اتخاذهم تلك الآلهة مع عرائها عن تلك الخصائص بالمرة شركاء لله عز سلطانه وتبكيتهم بالجائهم
الى اقامة البرهان على دعواهم الباطلة وتحقيق ان جميع الكتب السماوية ناطقة بحقية التوحيد
وبطلان الاشراك والهمزة لانكار الاتخاذ المذكور واستقباحه واستعظامه ومن متعلقة
باتخذوا والمعنى بل اتخذوا متجاوزين اياه تعالى مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية
آلهة مع ظهور شؤونه الجليلة الموجبة لتفرده بالالوهية آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية
آلهة مع ظهور خلوهم عن خواص الالوهية بالكلية قل لهم بطريق التبكيت والقام الحجر هاتوا برهانكم
على ما تدعونه من جهة العقل او النقل فانه لا صحة لقول لا دليل عليه فى الامور الدينية لا سيما
فى مثل هذا الشأن الخطير وما فى اضافة البرهان الى ضميرهم من الاشعار بان لهم برهانا ضرب من التهكم
بهم وقوله تعالى هذا ذكر من معى وذكر من قبلى انارة لبرهانه واشارة الى انه مما نطقت به الكتب
الالهية قاطبة وشهدت به السنة الرسل المتقدمة كافة وزيادة تهييج لهم على اقامة البرهان
لاظهار كمال عجزهم اى هذا الوحى الوارد فى شأن التوحيد المتضمن للبرهان القاطع العقلى ذكر
من امتى اى عظتهم وذكر الامم السالفة قد اقمته فاقيموا انتم ايضا برهانكم وقيل المعنى هذا كتاب
انزل على امتى وهذا كتاب على امم الانبياء عليهم السلام من الكتب الثلاثة والصحف
فراجعوها وانظروا هل فى واحد منها غير الامر بالتوحيد والنهى عن الاشراك ففيه تبكيت لهم
متضمن لاثبات نقيض مدعاهم وقرئ بالتنوين والاعمال كقوله تعالى او اطعام فى يوم ذى
مسغبة يتيما ذا مقربة ومن الجارة على ان مع اسم هو ظرف كقبل وبعد كقوله تعالى بل اكثرهم لا يعلمون
الحق اضراب من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن وانتقال من الامر بتبكيتهم بمطالبة البرهان
الى بيان انه لا ينجع فيهم المحاجة باظهار حقية الحق وبطلان الباطل فان اكثرهم لا يفهمون الحق ولا
يميزون بينه وبين الباطل فهم لاجل ذلك معرضون اى مستمرون على الاعراض عن التوحيد واتباع
الرسول لا يرعوون عما هم عليه من الغى والضلال وان كررت عليهم البينات والحجج او معرضون عما
القى عليهم من البراهين العقلية والنقلية وقرئ الحق بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وسط
بين السبب والمسبب تأكيدا للسببية وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه
انه لا اله الا انا فاعبدون استئناف مقرر لما اجمل فيما قبله من كون التوحيد مما نطقت به الكتب الالهية
واجمعت عليه الرسل عليهم السلام وقرئ يوحى على صيغة الغائب مبنيا للمفعول وايا ما كان
فصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضارا لصورة الوحى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا حكاية
لجناية فريق من المشركين جىء بها لاظهار بطلانها وبيان تنزهه تعالى عن ذلك اثر بيان تنزهه سبحانه
عن الشركاء على الاطلاق وهم حى من خزاعة يقولون الملائكة بنات الله تعالى ونقل الواحدى ان قريشا
وبعض اجناس العرب جهينة وخزاعة وبنى سلمة وبنى مليح يقولون ذلك والتعرض لعنوان
الرحمانية المنبئة عن كون جميع ما سواه تعالى مربوبا له نعمة او منعما عليه لابراز كمال شناعة
مقالتهم الباطلة سبحانه اى تنزه بالذات تنزهه اللائق به على ان السبحان مصدر من سبح اى بعد
واسبحه تسبيحه على انه علم للتسبيح وهو مقول على السنة العباد او سبحوه تسبيحه وقوله تعالى
بل عباد اضراب وابطال لما قالوه كأنه قيل ليست الملائكة كما قالوا بل هم عباد له تعالى مكرمون مقربون
عنده وقرئ مكرمون بالتشديد وفيه تنبيه على منشأ غلط القوم وقوله تعالى لا يسبقونه
بالقول صفة اخرى لعباد منبئة عن كمال طاعتهم وانقيادهم لامره تعالى اى لا يقولون شيئا
حتى يقوله تعالى او يأمرهم به واصله لا يسبق قولهم قوله تعالى فاسند السبق اليه منسوبا اليه تعالى
تنزيلا لسبق قولهم قوله تعالى منزلة سبقهم اياه تعالى لمزيد تنزيههم عن ذلك وللتنبيه على
غاية استهجان السبق المعرض به للذين يقولون ما لا يقوله تعالى وجعل القول محلا للسبق
وآلة له ثم انيب اللام عن الاضافة للاختصار والتجافى عن التكرار وقرئ لا يسبقونه بضم الباء

من

من سبقته اسبقه وفيه مزيد استهجان للسبق والاشعار بان من سبق قوله تعالى فقد تصدى
لمغالبته فى السبق وسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما نفى عنهم ببيان ان
ذلك عندهم بمنزلة الغلبة فى السبق فسبقه فغلبه والعياذ بالله تعالى وزيادة تنزيه لهم عما
نفى عنهم ببيان ان ذلك عندهم بمنزلة الغلبة بعد المغالبة فانى يتوهم صدوره عنهم وهم بامره
يعملون بيان لتبعيتهم له تعالى فى الاعمال اثر بيان تبعيتهم له تعالى فى الاقوال فان نفى سبقهم له
تعالى بالقول عن عبادة عن تبعيتهم له تعالى كانه قيل هم بامره تعالى كانه قيل هم بامره يقولون
وبامره يعملون لا بغير امره اصلا فان القصر المستفاد من تقديم الجار معتبر بالنسبة الى غير امره
لا الى امر غيره يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم استئناف وقع تعليلا لما قبله وتمهيدا لما بعده فانه
لعلمهم باحاطته تعالى بما قدموا واخروا من الاقوال والاعمال لا يزالون يراقبون احوالهم فلا يقدمون
على قول او عمل بغير امره تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى ان يشفع له مهابة منه تعالى وهم مع
ذلك من خشيته عز وجل مشفقون مرتعدون واصل الخشية الخوف مع التعظيم ولذلك خص بها
العلماء والاشفاق الخوف مع الاعتناء فعند تعديته بمن يكون معنى الخوف فيه اظهر وعند تعديته
بعلى ينعكس الامر ومن يقل منهم اى من الملائكة اذ الكلام فيهم وفى كونهم بمعزل مما قالوا فى حقهم
انى اله من دونه متجاوزا اياه تعالى فذلك الذى فرض قوله فرض محال نجزيه جهنم كسائر
المجرمين ولا يغنى عنهم ما ذكر من صفاتهم السنية وافعالهم المرضية وفيه من الدلالة على
قوة ملكوته تعالى وعزة جبروته واستحالة كون الملائكة بحيث يتوهم فى حقهم ما توهمه اولئك
اولئك الكفرة ما لا يخفى كذلك نجزى الظالمين مصدر تشبيهى مؤكد لمضمون ما قبله اى مثل
ذلك الجزاء الفظيع نجزى الذين يضعون الاشياء فى غير مواضعها ويتعدون اطوارهم والقصر
المستفاد من التقديم معتبر بالنسبة الى النقصان دون الزيادة اى لا جزاء انقص منه اولم ير الذين
كفروا تجهيل لهم بتقصيرهم فى التدبر فى الآيات التكوينية الدالة على استقلاله تعالى بالالوهية
وكون جميع ما سواه مقهورا تحت ملكوته والهمزة للانكار والواو للعطف على مقدر وقرئ بغير
واو والرؤية قلبية اى الم يتفكروا ولم يعلموا ان السموات والارض كانتا اى جماعتا السموات
والارضين كما فى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا رتقا الرتق الضم والالتحام
والمعنى اما على حذف المضاف او هو بمعنى المفعول اى كانتا ذواتى رتق او مرتوقتين وقرئ رتقا
اى شيئا رتقا اى مرتوقا ففتقناهما قال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عكرمة والحسن البصرى
وقتادة وسعيد بن جبير كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما ورفع السماء الى
حيث هى واقر الارض وقال كعب خلق الله تعالى السموات والارض ملتصقتين ثم خلق ريحا
فتوسطهما ففتقهما وعن الحسن خلق الله تعالى الارض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر
عليها دخان ملتصق بها ثم اصعد الدخان وخلق السموات منه وامسك الفهر فى موضعها
وبسط منها الارض وذلك كانتا رتقا ففتقناهما وقال مجاهد والسدى كانت السموات مرتتقة
طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الارض كانت مرتتقة ففتقها فجعلها سبع
ارضين وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عطاء وعليه اكثر المفسرين ان السموات كانت
رتقا مستوية صلبة لا تمطر والارض لا تنبت ففتق السماء بالمطر والارض بالنبات فيكون
المراد بالسموات السماء الدنيا والجمع باعتبار الآفاق او السموات جميعا على ان لها مدخلا فى
الامطار وعلم الكفرة بالرتق والفتق بهذا المعنى مما لا سترة به واما بالمعانى الاول فهم وان لم
يعلموها لكنهم متمكنون من علمهما اما بطريق النظر والتفكر فان الفتق عارض مفتقر الى مؤثر
قديم واما بالاستفسار من العلماء ومطالعة الكتب وجعلنا من الماء كل شىء حى اى خلقناه من
الماء الحيوان كقوله والله خلق كل دابة من ماء وذلك لانه من اعظم مواده او لفرط احتياجه
اليه وانتفاعه به او صيرنا كل شىء حى من الماء اى بسبب منه لا بد له من ذلك وتقديم المفعول
الثانى للاهتمام به لا لمجرد ان المفعولين فى الاصل مبتدأ وخبر وحق الخبر عند كونه ظرفا ان يتقدم
على المبتدأ فان ذلك مصحح لا مرجح وقرئ حيا على انه صفة كل او مفعول ثان والظرف كما فى
الوجه الاول قدم على المفعول للاهتمام به والتشويق الى المؤخر افلا يؤمنون انكار لعدم
ايمانهم بالله تعالى وحده مع ظهور ما يوجبه حتما من الآفات الآفاقية والانفسية الدالة
على تفرده عز وجل بالالوهية وعلى كون ما سواه من مخلوقاته مقهورة تحت ملكوته وقدرته

والفا للعطف على مقدر يستدعيه الانكار السابق اى يعلمون ذلك فلا يؤمنون وجعلنا فى الارض
رواسى اى جبالا ثوابت اى جمع راسية من رسا الشىء اذا ثبت ورسخ ووصفه جمع المذكر بجمع
المونث فى غير العقلاء مما لا ريب فى صحته كقوله تعالى اشهر معلومات وايام معدودات
ان تميد بهم اى كراهة ان تتحرك وتضطرب بهم لئلا تميد بهم بحذف اللام ولا لعدم الالباس
وجعلنا فيها اى فى الارض وتكرير الفعل لاختلاف المجعولين ولتوفية مقام الامتنان حقه وفى
الرواسى لانها المحتاجة الى الطرق فجاجا مسالك وسعة وانما قدم على قوله تعالى سبلا وهو
وصف له ليصير حالا فيفيد انه تعالى حين خلقها كذلك او ليبدل منها سبلا فيدل ضمنا على انه
خلقها ووسعها للسابلة مع ما فيه من التوكيد لعلهم يهتدون اى الى مصالحهم ومهامهم وجعلنا السماء
سقفا محفوظا من الوقوع بقدرتنا القاهرة او من الفساد والانحلال الى الوقت المعلوم بمشيتنا
او من استراق السمع بالشهب وهم عن اياتها الدالة على وحدانيته تعالى وحكمته وقدرته وارادته
التى بعضها محسوس وبعضها معلوم بالبحث عنه فى علمى الطبيعة والهيئة معرضون لا يتدبرون
فيها فيبقون على ما هم عليه من الكفر والضلال وقوله تعالى وهو الذى خلق الليل والنهار
والشمس والقمر اللذين هما ايتان بيان لبعض تلك الايات التى هم عنها معرضون بطريق الالتفات
الموجب لتأكيد الاعتنا بفحوى الكلام اى هو الذى خلقهن وحده كل اى كل واحد منهما على ان التنوين
عوض المضاف اليه فى فلك يسبحون اى يجرون فى سطح الفلك كالسبح فى الماء والمراد بالفلك الجنس
كقولك كساهم الخليفة حلة والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهم بها لعدم اللبس
والضمير لهما والجمع باعتبار المطالع وجعل الضمير واو العقلاء لان السباحة فعلهم وما جعلنا لبشر
من قبلك الخلد اى فى الدنيا لكونه مخالفا للحكمة التكوينية والتشريعية افان مت بمقتضى حكمتنا
فهم الخالدون نزلت حين قالوا نتربص به ريب المنون والفا لتعليق الشرطية بما قبلها والهمزة
لانكار مضمونها بعد تقرر القاعدة الكلية النافية لذلك بالمرة والمراد بانكار خلودهم ونفيه
انكار ما هو مدار له وجودا وعدما من شماتتهم بموته صلى الله عليه وسلم فان الشماتة
بما يعتريه ايضا مما لا ينبغى ان يصدر عن العاقل كأنه قيل افائن مت فهم الخالدون حتى يشمتوا
بموتك وقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت اى ذائقة مرارة مفارقة جسدها برهان على ما انكر
من خلودهم ونبلوكم الخطاب اما للناس كافة بطريق التلوين او للكفرة بطريق الالتفات اى نعاملكم
معاملة من يبلوكم بالشر والخير بالبلايا والنعم هل تصبرون وتشكرون اولا فتنة مصدر
موكد لنبلوكم من غير لفظه والينا ترجعون اى الى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا فنجازيكم حسبما
يظهر منكم من الاعمال فهو على الاول وعد ووعيد وعلى الثانى وعيد محض وفيه ايما الى ان
المقصود من هذه الحياة الدنيا الابتلاء والتعريض للثواب والعقاب وقرئ يرجعون بالواو على
الالتفات واذا راك الذين كفروا اى المشركون ان يتخذونك الا هزوا اى ما يتخذونك الا مهزوا
به على معنى قصر معاملتهم معه صلى الله عليه وسلم على اتخاذهم اياه هزوا لا على معنى قصر اتخاذهم على الهزو كما هو المتبادر كأنه قيل ما يفعلون
بك الا اتخاذك هزوا وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى اهذا الذى يذكر الهتكم
على ارادة القول اى يقولون او قايلين ذلك اى يذكرهم بسوء كما فى قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم
الاخرة وقوله تعالى وهم بذكر الرحمن هم كافرون فى حيز النصب على الحالية من ضمير القول المقدر
والمعنى انهم يعيبون عليه صلى الله عليه وسلم ان يذكر الهتهم التى لا تضر ولا تنفع بالسوء
والحال انهم بذكر الرحمن المنعم عليهم بما يليق به من التوحيد او بارشاد الخلق بارسال الرسول
وانزال الكتب او بالقران الكافرون فهم احقا بالعيب والانكار فالضمير الاول مبتدأ خبره
كافرون وبذكر الرحمن والضمير الثانى تأكيد لفظى للاول فوقع الفصل بين العامل ومعموله
بالمؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالمعمول خلق الانسان من عجل جعل لفرط استعجاله وقلة صبره
كأنه مخلوق منه تنزيلا لما طبع عليه من الاخلاق منزلة ما طبع عليه من الاركان ايذانا
بغاية لزومه له وعدم انفكاكه عنه ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستعجاله بالوعيد روى انها
نزلت فى النضر بن الحارث حين استعجل العذاب بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
فامطر الاية عن ابن عباس المراد بالانسان ادم عليه السلام وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ
فيه اراد ان يقوم وروى انه لما دخل الروح فى عينه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى
الطعام وقيل خلقه الله تعالى اخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع فى خلقه قبل غيبتها

خا

فالمعنى خلق الانسان خلقا كأنه شيئا من عجل فذكره لبيان انه من دواعى عجلته فى الامور والاظهر ان
المراد به الجنس وان كان خلقه عليه السلام سارئا الى اولاده وقيل العجل الطين بلغة حمير ولا تقريب
له هنا وقوله تعالى ساريكم اياتى تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المستعجلين
بطريق التهديد والوعيد اى ساريكم نقماتى فى الاخرة كعذاب النار وغيره فلا تستعجلون بالاتيان
بها والنهى عما جبلت عليه نفوسهم ليقعدوها عن مرادها ويقولون متى هذا الوعد اى وقت مجى
الساعة التى كانوا يوعدون وانما كانوا يقولون استعجالا لمجيئه بطريق الاستهزاء والانكار كما
يرشد اليه الجواب لا طلبا للتعيين وفيه بطريق الالزام كما فى سورة الملك ان كنتم صادقين
اى فى وعدكم بانه ياتينا والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الذين يتلون الايات
الكريمة المنبئة عن مجى الساعة وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه حسبما
حذف فى مثل قوله تعالى فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين فان قولهم متى هذا الوعد استبطا
منهم للموعود وطلب لاتيانه بطريق العجلة فان ذلك فى قوة الامر بالاتيان عجلة كأنه قيل
فليأتنا بسرعة ان كنتم صادقين لو يعلم الذين كفروا استيناف مسوق لبيان شدة هول ما
يستعجلونه وفظاعة ما فيه من العذاب فى انهم انما يستعجلونه لجهلهم بشانه وايثار صيغة
المضارع فى الشرط وان كان المعنى على المضى لافادة استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما فى
قولك لو تحسن الى لشكرتك فان المعنى ان انتفاء الشكر لاستمرار انتفاء الاحسان لا لانتفاء
استمرار الاحسان ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما فى حيز الصلة على علة استعجالهم
وقوله تعالى حين لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم مفعول يعلم وهو عبارة عن الوقت
الموعود الذى كانوا يستعجلونه واضافته الى الجملة الجارية مجرى الصفة التى حقها ان تكون معلومة
الانتساب الى الموصوف عند المخاطب ايضا مع انكار الكفرة بذلك للايذان بانه من الظهور
بحيث لا حاجة الى الاخبار به وانما حقه الانتظام فى سلك المسلمات المفروغ عنها وجواب
لو محذوف اى ولو لم يستمر عدم علمهم بالوقت الذى يستعجلونه بقولهم متى هذا الوعد من الحين
الذى يحيط بهم النار فيه من كل جانب وتخصيص الوجوه والظهور بالذكر بمعنى القدام والخلف
لكونهما اشهر الجوانب فى استلزام الاحاطة بهما لكن لا يقدرون على دفعها بانفسهم من جانب
من جوانبهم ولا هم ينصرون من جهة الغير فى دفعها الى اخره لما فعلوا من الاستعجال ويجوز ان
يكون يعلم متروك المفعول منزلا منزلة اللازم اى لو كان لهم علم لما فعلوه وقوله تعالى
حين الى اخره استيناف مقرر لجهلهم مبين لاستمراره الى ذلك الوقت كأنه قيل حين يرون
ما يرون يعلمون حقيقة الحال بل تأتيهم عطف على لا يكفون اى لا يكفونها بل تأتيهم اى العدة او
النار او الساعة بغتة فجأة فتبهتهم اى تغلبهم وتحيرهم وقرئ الفعلان بالتذكير على ان الضمير للوعد
او الحين وكذا الحال فى قوله تعالى فلا يستطيعون ردها عنهم بالكلية ولا هم ينظرون اى يمهلون
يستريحوا طرفة عين وفيه تذكير لامهالهم فى الدنيا ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عن استهزائهم به صلى الله عليه وسلم فى ضمن الاستعجال وعدة ضمنية
بانه يصيبهم مثل ما اصاب المستهزئين بالرسل السالفة عليهم السلام وتصديرها بالقسم لزيادة
تحقيق مضمونها وتنوين الرسل للتفخيم والتكثير ومن متعلقة بمحذوف هو صفة له اى وبالله
لقد استهزئ برسل اولى شان خطير وذوى عدد كثير من زمان قبل زمانك على حذف المضاف
اليه مقامها فحاق اى احاط عقيب ذلك او نزل او حال او نحو ذلك فان معناه يدور على الشمول
واللزوم ولا يكاد يستعمل الا فى الشر والحيق ما يشتمل على الانسان من مكروه فعله وقوله تعالى
بالذين سخروا منهم اى من اولئك الرسل عليهم السلام متعلق بحاق وتقديمه على فاعله الذى هو
قوله تعالى ما كانوا به يستهزئون للمسارعة الى بيان لحوق الشر بهم وما اما موصولة مفيدة
للتهويل والضمير المجرور عايد اليها والجار متعلق بالفعل وتقديمه عليه لرعاية الفواصل
اى فاحاط بهم الذى كانوا به يستهزئون من حيث اهلكوا لاجله واما مصدرية فالضمير راجع
حينئذ الى جنس الرسول المدلول عليه بالجمع كما قالوا ولعل ايثاره على الجمع للتنبيه على انه
يحيق بهم جزاء استهزائهم بكل واحد واحد منهم عليهم السلام لا جزاء استهزائهم بكلهم من حيث
هو كل فقط اى فنزل بهم جزاء استهزائهم على وضع السبب اثباتا لكمال الملابسة بينهما او عين
استهزائهم ان اريد بذلك العذاب الاخروى بناء على تجسم الاعمال فان الاعمال الظاهرة فى هذه النشاة
بصورة عرضية تبرز فى النشاة الاخرة بصورة جوهرية مناسبة لها فى الحسن والقبح وعلى ذلك

بين الورى وقد مر تفصيله في سورة الاعراف وفي قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم الاية الى اخرها
قل خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اثر تسلية بما ذكر من مصير امرهم الى الهلاك وامر له
صلى الله عليه وسلم بان يقول لاولئك المستهزئين بطريق التقريع والتبكيت من يكلؤكم اي يحفظكم
بالليل والنهار من الرحمن اي من بأسه الذي تستحقون نزوله ليلا ونهارا وتقديم الليل لما ان
الدواهي اكثر فيه وقوعا واشد وقعا وفي التعرض لعنوان الرحمانية ايذان بان كالئهم ليس الا رحمته
العامة وبعد ما امر صلى الله عليه وسلم بما ذكر من السؤال على الوجه المذكور حسبما يقتضيه
حالهم بانهم بحيث لولا ان الله تعالى يحفظهم في الملوين يحل بهم فنون الآفات فهم احقاء بان يكلفوا
الاعتراف بذلك فيوبخوا على ما هم عليه من الاشراك اضرب عن ذلك بقوله تعالى بل هم عن ذكر
ربهم معرضون ببيان ان لهم حالا اخرى مقتضية لصرف الخطاب عنهم هي انهم لا يخطرون ذكره تعالى
ببالهم فضلا ان يخافوا بأسه ويعدوا ما كانوا عليه من الامن والدعة حفظا وكلاءة حتى يسألوا
عن الكالئ على طريقة قول من قال • عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار • ماذا تحيون من نؤي واحجار
وفي تعليق الاعراض بذكره تعالى وايراد اسم الرب المضاف الى ضميرهم المنبئ عن كونهم تحت
ملكوته وتدبيره وتربيته تعالى من الدلالة على كونهم في الغاية القاصية من الضلالة والغي
ما لا يخفى وكلمة ام في قوله تعالى ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب
والانتقال عما قبله من بيان ان جهلهم بحفظه تعالى اياهم لعدم خوفهم الناشئ عن اعراضهم عن ذكر
ربهم بالكلية الى توبيخهم باعتمادهم على آلهتهم واسنادهم الحفظ اليها والهمزة للانكار اي ان يكون لهم
آلهة تقدر على ذلك والمعنى بل الهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا من عذاب كائن من
عندنا فهم معولون عليها واثقون بحفظها وفي توجيه الانكار والنفي الى وجود الآلهة الموصوفة
بما ذكر من المنع لا الى نفس الصفة بان يقال ام تمنعهم آلهتهم الخ من الدلالة على سقوطها
عن مرتبة الوجود فضلا عن رتبة المنع ما لا يخفى وقوله عز وعلا لا يستطيعون نصر انفسهم
ولا هم منا يصحبون استئناف مقرر لما قبله من الانكار وموضح لبطلان اعتقادهم اي هم
لا يستطيعون نصر انفسهم ولا يصحبون بالنصر من جهتنا فكيف يتوهم ان ينصروا غيرهم وقوله تعالى
بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر اضراب عما توهموه ذلك وهو انه تعالى متعهم
بالحياة الدنيا وامهلهم حتى طالت اعمارهم فحسبوا ان لا يزالوا كذلك وانه بسبب ما هم عليه
ولذلك عقب بما يدل على انه طمع فارغ وامل كاذب حيث قيل افلا يرون اي لا ينظرون فلا يرون
انا نأتي الارض اي ارض الكفرة ننقصها من اطرافها فكيف يتوهمون انهم ناجون من بأسنا وهو
تمثيل وتصوير لما يخربه الله تعالى من ديارهم على ايدي المسلمين ويضيفها الى دار الاسلام افهم الغالبون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والفاء لانكار ترتيب الغالبية على ما ذكر من نقص
ارض الكفرة بتسليط المسلمين عليها كانه قيل ابعد ظهور ما ذكر ورؤيتهم له يتوهم غلبتهم كما في
في قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه وقوله تعالى قل افاتخذتم من دونه اولياء وفي التعريف تعريض
بان المسلمين هم المتعينون للغلبة المعروفون بها قل انما انذركم بعد ما بين من جهته تعالى غاية
هول ما يستعجله المستعجلون ونهاية سوء حالهم عند اتيانه ونعى عليهم جهلهم بذلك واعراضهم
عن ذكر ربهم الذي يكلؤهم من طوارق الليل والنهار وغير ذلك من مساوي احوالهم امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم انما انذركم ما تستعجلونه من الساعة بالوحي الصادق
الناطق باتيانها وفظاعة ما فيها من الاحوال اي انما شأني ان انذركم بالاخبار بذلك لا بالاتيان
بها فانه مزاحم للحكمة التكوينية والتشريعية اذ الايمان برهاني لا عيان وقوله تعالى ولا يسمع
الصم الدعاء اما من تتمة الكلام الملقن تذييل له بطريق الاعتراض قد امر صلى الله عليه وسلم
بان يقوله لهم توبيخا وتقريعا وتسجيلا عليهم بكمال الجهل والعناد واللام للجنس المنتظم للمخاطبين
انتظاما اوليا او للعهد فوضع المظهر موضع المضمر للتسجيل عليهم بالتصام وتقييد نفي السماع
بقوله تعالى اذا ما ينذرون مع ان الصم لا يسمعون الكلام انذارا كان او تبشيرا لبيان كمال
شدة الصمم كما ان ايثار الدعاء الذي هو عبارة عن الصوت والنداء على الكلام لذلك فان النداء
عادة يكون باصوات عالية مكررة مقارنة لهيئات دالة عليه فاذا لم يسمعوها يكون صممهم
في غاية لا غاية وراءها واما من جهته تعالى على طريقة قوله تعالى بل هم عن ذكر ربهم معرضون
ويؤيده القراءة على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم من الاسماع بنصب الصم والدعاء كأنه
قيل قل لهم ذلك وانت بمعزل من اسماعهم وقرئ بالياء ايضا على ان الفاعل هو صلى الله عليه وسلم

وقرئ

وقرئ على البناء للمفعول اي لا يقدر احد على اسماع الصم وقوله تعالى ولئن مستهم نفحة من عذاب
ربك بيان لسرعة تأثرهم من مجيء نفس العذاب اثر بيان عدم تأثرهم من مجيء خبره على نهج التوكيد
القسمي اي وبالله لئن اصابهم ادنى اصابة اي في شيء من عذابه تعالى كما ينبئ عنه المس والنفحة بجوهرها
وبنائها فان اصل النفحة هبوب رائحة الشيء ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين ليدعون على انفسهم
بالويل والهلاك ويعترفن عليها بالظلم وقوله تعالى ونضع الموازين القسط بيان لما سيقع عند
اتيان ما انذروه اي نقيم الموازين العادلة التي توزن بها صحائف الاعمال وقيل وضع الموازين
تمثيل لارصاد الحساب والجزاء على حسب الاعمال وقد مر تفصيل ما فيه من الكلام في سورة الاعراف
وافراد القسط لانه مصدر وصف به مبالغة ليوم القيمة التي كانوا يستعجلونها اي لجزائه او لاجل
اهله او فيه كما في قولك • جئت لخمس خلون من الشهر • فلا تظلم نفس من النفوس شيئا حقا من حقوقها
او شيئا من الظلم بل يوفى كل ذي حق حقه ان خيرا فخير وان شرا فشر والفاء لترتيب انتفاء الظلم على وضع الموازين
وان كان اي العمل المدلول عليه بوضع الموازين مثقال حبة من خردل اي مقدار حبة كائنة من خردل
اي وان كان في غاية القلة والحقارة فان حبة الخردل مثل في الصغر وقرئ مثقال حبة بالرفع على ان
كان تامة اتينا بها اي احضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن وتانيث الضمير لاضافة
الى الحبة وقرئ آتينا بها اي جازينا بها من الايتاء بمعنى المجازاة والمكافأة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم
بالجزاء وقرئ اثبنا من الثواب بها وكفى بنا حاسبين اذ لا مزيد على علمنا وعدلنا ولقد آتينا موسى وهارون
الفرقان وضياء وذكرا للمتقين نوع تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي
اليهم الى قوله تعالى واهلكنا المسرفين واشارة الى كيفية انجائهم واهلاك اعدائهم وتصديره
بالتأكيد القسمي لاظهار كمال الاعتناء بمضمونه والمراد بالفرقان هو التوراة وكذا بالضياء وبالذكر اي
وبالله لقد آتيناهما وحيا ساطعا وكتابا جامعا بين كونه فارقا بين الحق والباطل وضياء يستضاء به في ظلمات
الجهل والغواية وذكرا يتعظ به الناس وتخصيص المتقين بالذكر لانهم المستضيئون بانواره المنتفعون
لمغانم آثاره وذكر ما يحتاجون اليه من الشرائع والاحكام وقيل الفرقان النصر وقيل فلق البحر والاول
هو اللائق بمساق النظم الكريم فانه لتحقيق امر القرآن المشارك لسائر الكتب الالهية لا سيما التوراة
فيما ذكر من الصفات ولان فلق البحر هو الذي اقترح الكفرة مثله بقولهم فليأتنا بآية كما ارسل الاولون
وقرئ ضياء بغير واو على انه حال من الفرقان وقوله تعالى الذين يخشون ربهم اي عذابه مجرور المحل
على انه صفة مادحة للمتقين او بدل او بيان او منصوب او مرفوع على المدح بالغيب حال من الفاعل او المفعول
اي يخشون عذابه تعالى وهو غائب عنهم غير مشاهد لهم ففيه تعريض بالكفرة حيث لا يتأثرون
بالانذار ما لم يشاهدوا ما انذروه وقيل من الفاعل وهم من الساعة مشفقون اي خائفون منها بطريق
الاعتناء وتقديم الجار لمراعاة الفواصل وتخصيص اشفاقهم منها بالذكر بعد وصفهم بالخشية على
الاطلاق للايذان بكونها معظم المخوفات وللتنصيص على اتصافهم بضد ما اتصف به المستعجلون
وايثار الجملة الاسمية للدلالة على ثبات الاشفاق ودوامه وهذا اي القرآن الكريم اشير اليه بهذا ايذانا
بغاية وضوح امره ذكر يتذكر به من تذكر وصف بالوصف الذي وصف به التوراة لمناسبة المقام
وموافقته لما مر في صدر السورة الكريمة مبارك كثير الخير غزير النفع يتبرك به انزلناه اما
صفة ثانية لذكر او خبر آخر افانتم له منكرون انكار لانكارهم بعد ظهور كون انزاله كايتاء التوراة
كانه قيل ابعد ان علمتم ان شأنه كشأن التوراة في الايتاء والايحاء انتم منكرون لكونه منزلا من عندنا
فان ذلك بعد ملاحظة حال التوراة مما لا مساغ له اصلا ولقد آتينا ابراهيم رشده اي الرشد
اللائق به وبامثاله من الرسل الكبار وهو الاهتداء الكامل المستند الى الهداية الخاصة الحاصلة بالوحي
والاقتدار على اصلاح الامة باستعمال النواميس الالهية وقرئ رشده وهما لغتان [illegible]
وقيل من قبل استنبائه وقيل بلوغه وكنا به عالمين اي بانه اهل لما آتيناه وفيه من
الدليل على انه تعالى عالم بالجزئيات مختار في افعاله ما لا يخفى اذ قال لابيه وقومه ظرف لما آتيناه على
انه وقت متسع وقع فيه الايتاء وما ترتب عليه من اقواله وافعاله وقيل مفعول لمضمر مستأنف
وقع تعليلا لما قبله اي اذكر وقت الايتاء وما ترتب عليه من افعاله واقواله ما هذه التماثيل التي انتم لها
عاكفون لتقف على كمال رشده وغاية فضله والتمثال اسم لشيء مصنوع مشبها بخلق من خلق الله
تعالى وهذا تجاهل منه عليه السلام حيث سألهم عن اسمائها التي يطلب بها بيان الحقيقة او شرح
الاسم مع انه لا يعرف انها ماذا مع احاطته بان حقيقتها حجر او شجر اتخذوها معبودا وعبر عن
عبادتهم لها بمطلق العكوف الذي هو عبارة عن اللزوم والاستمرار على الشيء لغرض من الاغراض قصدا

الى تحقيرها واذلالها وتوبيخا لهم على اذلالها واللام فيها للاختصاص دون التعدية والاولى بجلها على
والمعنى انهم فاعلون العكوف لها وقد جوز تضمين العكوف معنى العبادة كما ينبئ عنه قوله تعالى
قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين اجابوا بذلك لما انه ما سوله صلى الله عليه وسلم الاستفسار عن
سبب عبادتهم لها كما ينبئ عنه وصفه عليه السلام اياهم بالعكوف لها كانه عليه السلام قال ماهي
هل تستحق ما تصنعون من العكوف عليها فلما لم يكن لهم ملجاء يعتد به التجاؤا الى التقليد فابطله
عليه السلام على طريقة التوكيد القسمي حيث قال لقد كنتم انتم واباؤكم الذين سنوا لكم هذه
السنة الباطلة في ضلال عجيب لا يقادر قدره مبين اي ظاهر بين بحيث لا يخفى على احد من العقلاء كونه
كذلك ومعنى كنتم مطلقا استقرارهم على الضلال لا استقرارهم الماضي الحاصل قبل زمان الخطاب المتناول
لهم ولابائهم اي والله لقد كنتم مستقرين على ضلال عظيم ظاهر لعدم استناده الى دليل والتقليد
انما يجوز فيما يحتمل الحقيقة في الجملة قالوا لما سمعوا مقالته عليه السلام استبعادا لكلامه لكونهم على
عليه ضلالا وتعجبا من تضليله عليه السلام اياهم بطريق التوكيد القسمي وترددا في كون ذلك
منه عليه السلام على وجه الجد اجئتنا بالحق اي بالجد ام انت من اللاعبين فتقول ما تقول على وجه
المداعبة والمزاح وفي ايراد الشق الاخير بالجملة الاسمية الدالة على الثبات ايذان برجحانه عندهم
قال عليه السلام مضربا عما بنوا عليه مقالتهم من اعتقاد كونها اربابا لهم كما يفصح عنه قولهم نعبد
اصناما فنظل لها عاكفين كانه قيل ليس الامر كذلك بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن
وقيل هو اضراب عن كونه لاعبا باقامة البرهان على ما ادعاه وضمير هن للسموات والارض وصفه تعالى
بايجاده اياهن وصفه تعالى بربوبيته تعالى لهن تحقيقا للحق وتنبيها على ان ما لا يكون كذلك بمعزل
من الربوبية اي انشاهن بما فيهن من المخلوقات التي من جملتها انتم واباؤكم وما تعبدونه من غير مثال
يحتذى به ولا قانون ينتحيه وجعل الضمير الى التماثيل ادخل في تضليلهم واظهر في الزام الحجة عليهم
لما فيه من التصريح المغني عن التامل في كون ما يعبدونه من جملة المخلوقات وانا على ذلكم اي الذي
ذكرته من كون ربكم رب السموات والارض فقط دون ما عداه كائنا ما كان من الشاهدين اي العالمين
على سبيل الحقيقة المبرهنين عليه فان الشاهد على الشيء من تحققه وحققه وشهادته على ذلك ادلاؤه
بالحجة عليه واثباته بها كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه وتالله وقرئ بالباء وهو الاصل
والتاء بدل من الواو التي هي بدل من الاصل وفيها تعجب لاكيدن اصنامكم اي لاجتهدن في كسرها وفيه ايذان بصعوبة
الانتهاء وتوقفه على استعمال الحيل وانما قاله عليه السلام سرا وقيل سمعه رجل واحد بعد ان تولوا
مدبرين من عبادتها الى عيدكم وقرئ تولوا من التولي بحذف احدى التائين ويعضدها قوله تعالى
فتولوا عنه مدبرين والفاء في قوله تعالى فجعلهم فصيحة اي فولوا فجعلهم جذاذا اي قطاعا فعال
بمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع كالحطام من الحطم الذي هو الكسر وقرئ بالكسر وهي لغة او جمع
جذيذ كخفيف وخفاف وقرئ بالفتح وجذذا جمع جذيد وجذذ جمع جذة روي ان آزر خرج
في يوم عيد لهم فبدؤا ببيت الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفا وثم صنم عظيم مستقبل الباب
وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفاس كان في يده ولم يبق الا الكبير
وعلق الفاس في عنقه وذلك قوله تعالى الا كبيرا لهم اي للاصنام لعلهم اليه اي الى ابراهيم
عليه السلام يرجعون فيحاجهم بما ياتي فيحجهم ويبكتهم وقيل يرجعون الى الكبير فيسالونه
عن الكاسر لان من شان المعبود ان يرجع اليه في الملمات وقيل يرجعون الى الله تعالى وتوحيده
الى عند تحققهم عجز الهتهم عن دفع ما يصيبهم وعن الاضرار بمن كسرهم قالوا اي حين رجعوا من
عندهم وراوا ما فعل من فعل هذا بالهتنا على طريقة الانكار والتوبيخ والتشنيع وانما عبروا عنها
بالاكتفاء بذكرها ولم يشيروا اليها بهولاء وهي بين ايديهم مبالغة في التشنيع وقوله تعالى انه لمن الظالمين
استيناف مقرر لما قبله وقيل من موصولة وهذه الجملة في حيز الرفع على انها خبرها والمعنى الذي
فعل هذا الكسر والحطم بالهتنا انه معدود من جملة الظلمة اما لجراته على اهانتها وهي حقيقة
بالاعظام او لافراطه في الكسر والحطم وتماديه في الاستهانة بها وتعريض نفسه للهلكة قالوا
اي بعض منهم مجيبين للسائلين سمعنا فتى يذكرهم اي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها وقوله تعالى
يذكرهم اما مفعول ثان لسمع لتعلقه بالعين او صفة لفتى مصححة لتعلقه به هذا ان كان القايلون
سمعوه عليه السلام بالذات يذكرهم وان كانوا قد سمعوا من الناس انه عليه السلام يذكرهم
بسوء فلا حاجة الى المصحح يقال له ابراهيم صفة اخرى لفتى اي يطلق عليه هذا الاسم قالوا اي
السائلون فاتوا به على اعين الناس اي بمراى منهم بحيث يكون نصب اعينهم في مكان من تعلو لا

يكاد

يكاد يخفى على احد لعلهم يشهدون اي يحضرون عقوبتنا له وقيل لعلهم يشهدون بفعله او بقوله
ذلك فالضمير حينئذ ليس للناس بل لبعض منهم مبهم او معهود قالوا استيناف مبني على سؤال
نشاء من حكاية قولهم كانه قيل فماذا فعلوا به بعد ذلك هل اتوا به اولا فقيل قالوا انت
فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم اقتصارا على حكاية مخاطبتهم اياه عليه السلام للتنبيه على انا تيانهم
به ومسارعتهم الى ذلك امر محقق غني عن البيان قال بل فعله كبيرهم هذا مشيرا الى الذي
بكسره سلك عليه السلام مسلكا تعريضيا يؤديه الى مقصده الذي هو الزامهم الحجة على الطف وجه
واحسنه بحملهم على التامل في شان الهتهم مع ما فيه من التوقي من الكذب حيث ابرز الكبير
قولا في معرض المباشر للفعل باسناده اليه كما ابرزه في ذلك المعرض فعلا بجعل الفاس في عنقه وقد قصد
اسناده اليه بطريق التسبيب حيث كانت تلك الاصنام غاظته عليه السلام حيث ابصرها
مصطفة مرتبة للعبادة من دون الله سبحانه وتعالى وكان غيظ كبيرها اكبر واشد حسب زيادة
تعظيمهم له فاسند الفعل اليه باعتبار انه الحامل عليه وقيل هو حكاية لما يعود الى تجويزه مذهبهم
كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر على ما هو اشد من
ذلك ويحكى انه عليه السلام قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه هذه الصغار وهو
اكبر منها فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم لاشراكهم بعبادته
الاصنام واما ما قيل من انه عليه السلام لم يقصد نسبة الفعل الصادر عنه الى الصنم بل انما
قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضي يبلغ فيه غرضه من الزامهم الحجة وتبكيتهم
ومثل ذلك بما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتبته بخط رشيق وانت شهير بحسن الخط انت كتبت هذا فقلت
له انت كتبته كان قصدك تقريره الكتابة لنفسك مع الاستهزاء بالسائل وتجهيله في السؤال
لا بتنائه على صدورها عن غيرك محتمل عنده مع استحالته عنده لشهرة لاريب في ان ما اراده عليه
السلام من اسناد الكسر الى الصنم ليس مجرد تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال
صدوره عن الغير عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو التامل في احوال اصنامهم كما
ينبئ عنه قوله تعالى فاسالوهم ان كانوا ينطقون اي ان كانوا ممن يمكن ان ينطقوا وانما لم يقل عليه
السلام ان كانوا يسمعون او يعقلون مع ان السؤال موقوف على السمع والعقل ايضا لما ان
نتيجة السؤال الجواب وان عدم نطقهم اظهر وتبكيتهم بذلك ادخل وقد حصل ذلك اولا
حسبما نطق به قوله تعالى فرجعوا الى انفسهم اي راجعوا عقولهم وتذكروا ان من لا يقدر على دفع
المضرة عن نفسه ولا على الاضرار بمن كسره بوجه من الوجوه يستحيل ان يقدر على دفع مضرة
عن غيره او جلب منفعة له فكيف يستحق ان يكون معبودا فقالوا اي قال بعضهم لبعض فيما بينهم
انكم انتم الظالمون اي بهذا السؤال لانه كان على طريقة التوبيخ المستتبع للمؤاخذة او بعبادة
الاصنام لا من ظلمتموه بقولكم انه لمن الظالمين اي بهذا السؤال لانه كان نعبادتها لا من كسرها ثم نكسوا
على رؤسهم اي انقلبوا الى المجادلة بعد ما استقاموا بالمراجعة شبه عودهم الى الباطل بصيرورة
اسفل الشيء اعلاه وقرئ نكسوا بالتشديد ونكسوا على البناء للفاعل اي نكسوا انفسهم لقد علمت ما
هؤلاء ينطقون على ارادة القول قائلين والله لقد علمت ان ليس من شانهم النطق فكيف تامرنا
بسؤالهم على ان لما لاستمرار النفي لا لنفي استمراره كما يوهمه صيغة المضارع قال مبكتا لهم
اتعبدون اي اتعلمون ذلك فتعبدون من دون الله اي متجاوزين عبادته تعالى ما لا ينفعكم شيئا
من النفع ولا يضركم فان العلم بالحالة المنافية للالوهية مما يوجب الاجتناب عن عبادته قطعا
اف لكم ولما تعبدون من دون الله تضجر منه عليه السلام من اصرارهم على الباطل البين واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لمزيد استقباح ما فعلوا واف صوت المتضجر ومعناه قبحا ونتنا
واللام لبيان المتاف له افلا تعقلون اي الا تتفكرون فلا تعقلون قبح صنيعكم قالوا اي قال بعضهم لبعض
لما عجزوا من المحاجة وضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل وهكذا ديدن المبطل المحجوج اذا بهتته
بالحجة القاطعة وافتضح لا يبقى له مفزع الا المناصبة حرقوه فانه اشد العقوبات وانصروا
الهتكم بالانتقام لها ان كنتم فاعلين اي للنصر او لشيء يعتد به قيل القائل نمرود بن كنعان بن
السنجاريب ابن نمرود بن كوش ابن حام بن نوح وقيل رجل من اكراد فارس اسمه هيون وقيل هيزر خسفت
به الارض روي انهم لما اجمعوا على احراقه عليه السلام بنوا له حظيرة بكوثى قرية من قرى الانباط
وذلك قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم فجمعوا له صلاب الحطب من اصناف الخشب
مدة اربعين يوما فاوقدوا نارا عظيمة لا يكاد يحوم حولها احد حتى ان كانت الطير لتمر بها وهي

في اقصى الجو فيحترق من شدة وهجها ولم يكد احد يحوم حولها فلم يعلموا كيف يلقونه عليه السلام
فيها فاتى ابليس وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد فخسف به الارض
فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فوضعوه فيه مغلولا فرموا به فيها فقال
له جبرئيل عليه السلام هل لك حاجة قال اما اليك فلا قال فاسئل ربك قال حسبي من سؤالي
علمه بحالي فجعل الله تعالى ببركة قوله الحظيرة روضة وذلك قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا وسلاما
على ابراهيم اى كوني ذات برد وسلام اى ابردي بردا غير ضار وفيه مبالغات جعل النار المسخرة
لقدرته تعالى ماخوذة مطاوعة واقامة كوني ذات برد مقام ابردي ثم حذف المضاف اليه
مقامه وقيل نصب سلاما بفعله اى وسلمنا سلاما عليه روي ان الملائكة اخذوا بضبعي ابراهيم
واقعدوه على الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ونرجس ولم تحرق النار منه الا وثاقه وروي
انه عليه السلام مكث فيها اربعين يوما او خمسين يوما وقال ما كنت اطيب عيشا مني اذ
كنت فيها قال ابن يسار وبعث الله تعالى ملك الظل فقعد الى جنبه يؤنسه فنظر نمرود من صرحه
فاشرف عليه فرآه جالسا في روضة مونقة ومعه جليس على احسن ما يكون من الهيئة والنار
محيطة به فناداه يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال قم فاخرج فقام يمشي فخرج
منها فاستقبله نمرود فعظمه وقال من الرجل الذي رأيت معك قال ذلك ملك الظل
ارسله ربي ليؤنسني فقال اني مقرب الى ربك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك
فقال عليه السلام لا يقبل الله منك ما دمت على دينك هذا قال لا استطيع ترك ملكي ولكن
سوف اذبح له اربعة آلاف بقرة فذبحها وكف عن ابراهيم عليه السلام وكان اذ ذاك ابن ستة
عشر سنة وهذا كما ترى من ابدع المعجزات فان انقلاب النار هواء طيبا وان لم يكن بدعا من قدرة
الله عز وجل لكن وقوع ذلك على تلك الهيئة مما يخرق العادات وقيل كانت النار بحالها لكنه
تعالى رفع عنه عليه السلام اذاها كما تراه في السمندل كما يشعر به ظاهر قوله تعالى وارادوا به
كيدا مكرا عظيما في الاضرار به فجعلناهم الاخسرين اى اخسر من كل خاسر حيث عاد سعيهم في اطفاء
نور الحق برهانا قاطعا على انه عليه السلام على الحق وهم على الباطل وموجبا لارتفاع درجته ؞
واستحقاقهم لاشد العذاب ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين اى من العراق الى الشام
وبركاته العامة ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت في العالمين شرايعهم التي هي مبادي الكمالات
والخيرات الدينية والدنيوية وقيل كثرة النعم والخصب الغالب روي انه عليه السلام نزل
بفلسطين ولوط عليه السلام بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة اى عطية فهي حال منهما او ولد ولد او زيادة على ما سأل وهو اسحق فتختص بيعقوب نافلة
اى عطية فهي حال منهما او ولد ولد ولا لبس فيه للقرينة الظاهرة وكلا اى كل واحد من هؤلاء
الاربعة لا بعضهم دون بعض جعلنا صالحين اى بان وفقناهم للصلاح في الدين والدنيا فصاروا
كاملين وجعلناهم ائمة يقتدى بهم في امور الدين اجابة لدعائه عليه السلام بقوله ومن ذريتي
يهدون اى الامة الى الحق بامرنا لهم بذلك وارسالنا اياهم حتى صاروا مكملين واوحينا اليهم فعل
الخيرات ليحثوهم عليه فيتم كمالهم بانضمام العمل الى العلم واصله ان تفعل الخيرات ثم فعلا الخيرات
وكذا قوله تعالى واقام الصلوة وايتاء الزكوة وهو من عطف الخاص على العام دلالة على فضله
وانافته وحذفت تاء الاقامة المعوضة من احدى الالفين لقيام المضاف اليه مقامه وكانوا لنا
خاصة دون غيرنا عابدين لا يخطر ببالهم غيرنا دينا ولوطا قيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله
تعالى آتيناه اى وآتينا لوطا وقيل باذكر حكما اى حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم بالحق وعلما بما
ينبغي علمه للانبياء عليهم السلام ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث اى اللواطة وصفت
بصفة اهلها واسندت اليها على حذف المضاف واقامتها مقامه كما يؤذن به قوله تعالى انهم كانوا
قوم سوء فاسقين فانه كالتعليل له وادخلناه في رحمتنا اى في اهل رحمتنا او في جنتنا انه من الصالحين
الذين سبقت لهم منا الحسنى ونوحا اى اذكر نوحا اى خبره وقوله تعالى اذ نادى اى دعا الله تعالى
على قومه بالهلاك ظرف للمضاف المقدر اى اذكر نبأه الواقع وقت دعائه من قبل اى من قبل هؤلاء
المذكورين فاستجبنا له اى دعاءه الذي من جملته قوله تعالى اني مغلوب فانتصر فنجيناه واهله
من الكرب العظيم وهو الطوفان وقيل اذية قومه واصل الكرب الغم الشديد ونصرناه نصرا
مستتبعا للانتقام والانتصار ولذلك قيل من القوم الذين كذبوا باياتنا وحمله على فانتصر بانه
ما ذكر من دعائه عليه السلام فان ظاهره يوجب اسناد الانتصار اليه تعالى مع ما فيه من تهويل

الامى

الامر وقوله تعالى انهم كانوا قوم سوء تعليل لما قبله وتمهيد لما بعده من قوله تعالى فاغرقناهم
اجمعين فان الاصرار على تكذيب الحق والانهماك في الشر والفساد مما يوجب الاهلاك قطعا
وداود وسليمان اما عطف على نوحا معمول لعامله واما مفعول لمضمر معطوف على ذلك العامل بتقدير المضاف
وقوله تعالى اذ يحكمان ظرف لذلك المضاف المقدر وصيغة المضارع حكاية للحال الماضية لاستحضار
صورتها اى اذكر خبرهما وقت حكمهما في الحرث اى في الزرع والكرم المتدلي عناقيده كما قيل وبدل
اشتمال منهما وقوله تعالى اذ نفشت اى تفرقت وانتشرت فيه غنم القوم ليلا بلا راع فرعته
وافسدته ظرف للحكم وكنا لحكمهم اى لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما فان الاضافة لمجرد الاختصاص
المنتظم لاختصاص القيام واختصاص الوقوع وقرئ لحكمهما شاهدين حاضرين علما اعتراض
مقرر للحكم ومفيد لمزيد الاعتناء بشانه ففهمناها سليمان عطف على يحكمان فانه في حكم الماضي وقرئ
فافهمناها والضمير للحكومة والفتيا روي انه دخل على داود عليه السلام رجلان فقال احدهما
ان غنم هذا دخلت في حرثي ليلا فافسدته فقضى له بالغنم بحرثه فخرجا فمرا على سليمان عليه السلام
فاخبراه بذلك فقال غير هذا ارفق بالفريقين فسمعه داود فدعاه فقال له بحق النبوة والابوة
الا اخبرتني بالذي ارفق بالفريقين فقال ارى ان تدفع الغنم لصاحب الارض لينتفع بدرها ونسلها
وصوفها والحرث الى ارباب الغنم ليقوموا عليه حتى يعود الى ما كان ثم ترادا فقال القضاء ما قضيت وامضى
الحكم بذلك والذي عندي ان حكمهما عليهما السلام كان بالاجتهاد فان قول سليمان عليه السلام
لا يظهر ما عنده بل وجب عليه ان يظهره بداود وحرم عليه كتمه ومن ضرورته ان يكون القضاء السابق
ايضا كذلك ضرورة استحالة نقض حكم النص بالاجتهاد بل اقول والله تعالى اعلم ان راى سليمان
عليه السلام هو استحسان كما ينبئ عنه قوله تعالى ارفق بالفريقين وراى داود عليه السلام هو قياس
كما ان العبد اذا جنى على النفس يدفع الى المولى عند ابي حنيفة الى المجني عليه او يفديه ويبيعه في ذلك
او يفديه عند الشافعي وقد روي انه لم يكن بين قيمة الحرث وبين قيمة الغنم تفاوت واما سليمان
عليه السلام فقد استحسن حيث جعل الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول
ملك المالك من الغنم واوجب على صاحب الغنم ان يعمل في الحرث الى ان يزول الضرر الذي اتاه من
قبله كما قال اصحاب الشافعي رضي الله تعالى عنهم فيمن غصب عبدا فابق منه فانه يضمن القيمة ؞
فينتفع بها المغصوب منه بازاء ما فوته الغاصب من المنافع فاذا ظهر الابق ترادا وفي قوله تعالى ؞
ففهمناها سليمان دليل على رجحان قوله ورجوع داود عليه السلام اليه مع ان الحكم المبني على
الاجتهاد لا ينقض باجتهاد اخر وان كان اقوى منه كان ذلك من خصائص شريعتنا على انه ورد في
الاخبار ان داود عليه السلام لم يكن بت الحكم في ذلك حتى سمع من سليمان ما سمع واما حكم المسئلة
في شريعتنا فعند ابي حنيفة رحمه الله تعالى لا ضمان ان لم يكن معها سائق او قائد وعند الشافعي
رحمه الله يجب الضمان ليلا لا نهارا وقوله تعالى وكلا اتينا حكما وعلما لدفع ما عسى يتوهم من تخصيص
سليمان عليه السلام بالتفهيم من عدم كون حكم داود عليه السلام حكما شرعيا اى وكل واحد ؞
منهما اتيناه حكما وعلما كثيرا لا سليمان وحده وهذا انما يدل على ان خطأ المجتهد لا يقدح في كونه
مجتهدا • وقيل يدل على ان كل مجتهد مصيب وهو مخالف لقوله تعالى ففهمناها سليمان لاظهار ما
تفضل عليه في صغره فانه عليه السلام كان حينئذ ابن احدى وعشرين سنة وسخرنا مع داود الجبال
شروع في بيان ما يختص بكل منهما من كرامته تعالى اثر بيان كرامته العامة لهما يسبحن اى يقدسن
الله عز وجل معه بصوت يتمثل له او بخلق الله تعالى فيهما الكلام وقيل يسرن معه من السباحة
وهو حال من الجبال او استيناف مبين بكيفية التسخير وقيل بالتسبيح وهو بعيد والطير عطف
على الجبال او مفعول معه وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف اى والطير مسخرات وقيل ؞
العطف على الضمير في يسبحن وفيه ضعف لعدم التاكيد والفصل وكنا فاعلين اى من شاننا ان
نفعل امثاله فليس ذلك ببديع منا وان كان بديعا عندكم وعلمناه صنعة لبوس اى عمل الدرع
وهو في الاصل اللباس قال قائلهم • البس لكل حالة لبوسها • اما نعيمها واما بوسها • وقيل كانت
صفائح فحلقها وسردها لكم متعلق بعلمنا او بمحذوف هو صفة لبوس لتحصنكم اللبوس بتاويل
الدرع وقرئ بالتذكير على ان الضمير لداود عليه السلام او لللبوس وقرئ بنون العظمة وهو
بدل اشتمال من لكم باعادة الجار مبين لكيفية الاختصاص والمنفعة المستفادة من لام لكم
من باسكم قيل من حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم فهل انتم شاكرون امر وارد على صورة
الاستفهام للمبالغة او التقريع ولسليمان الريح اى وسخرنا له الريح وايراد اللام هاهنا

دون الاول على ما بين التسخيرين من التفاوت فان تسخير ما سخرناه عليه السلام من الريح وغيرها كان بطريق الانقياد الكلي له والامتثال بامره ونهيه والمقهورية تحت ملكوته واما تسخير الجبال والطير لداود عليه السلام فلم يكن بهذه المثابة بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله عز وجل عاصفة حال من الريح والعامل فيها الفعل المقدر اى وسخرنا له الريح حال كونها شديدة الهبوب انها كانت تعمل بكرسيه في مدة يسيرة من الزمان كما قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وكانت رخاء في نفسها طيبة وقيل كانت رخاء تارة وعاصفة اخرى حسب ارادته عليه السلام وقرئ الريح بالرفع على الابتداء والخبر هو الظرف المقدم وعاصفة حينئذ حال من ضمير المبتدا في الخبر والعامل ما فيه معنى الاستقرار وقرئ الرياح تجري بامره بمشيئته حال ثانية او بدل من الاولى او حال من ضميرها الى الارض التي باركنا فيها وهي الشام رواحا بعد ما سارت به منه بكرة قال الكلبي كان سليمان عليه السلام وقومه يركبون عليها من اصطخر الى الشام والى حيث شاء ثم يعود الى منزله وكنا بكل شيء عالمين فنجريه حسبما تقتضيه الحكمة ومن الشياطين اى وسخرنا له من الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له من نفايسها وقيل من رفع على الابتداء وخبره ما قبله والاول هو الاظهر ويعملون له عملا دون ذلك اى غير ما ذكر من بناء المدن والقصور واختراع الصنايع الغريبة لقوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية وهؤلاء اما الفرقة الاولى او غيرها لعموم كلمة من كانه قيل ومن يعملون وجمع الضمير الراجع اليها باعتبار معناها بعد ما روعي جانبه بقوله تعالى وكنا لهم حافظين اى من ان يزيغوا عن امره اى يفسدوا على ما هو مقتضى جبلتهم قيل وكل بهم جمعا من الملائكة وجمعا من مؤمني الجن وقال الزجاج كان يحفظهم من ان يفسدوا ما عملوا وكان دابهم ان يفسدوا بالليل ما عملوه بالنهار وايوب الكلام فيه كما مر في قوله تعالى وداود وسليمان اى واذكر خبر ايوب اذ نادى ربه اى باني اى مسني الضر وقرئ بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر شايع في كل ضرر وبالضم خاص بما في النفس من مرض وهزال ونحوهما وانت ارحم الراحمين وصفه تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر نفسه بما يوجبها واكتفى به عن عرض المطلب لطفا في السؤال وكان عليه السلام روميا من ولد عيص بن اسحاق استنباه الله تعالى وكثر اهله وماله فابتلاه الله تعالى بهلاك اولاده بهدم بيت عليهم وذهاب امواله والمرض في بدنه ثماني عشرة سنة او ثلاث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات روي ان امراته ماصر بنت ميشا بن يوسف عليه السلام او رحمة بنت افرائيم بن يوسف قالت له يوما دعوت الله تعالى فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وروي ان ابليس اتاها على هيئة عظيمة فقال انا اله الارض فعلت بزوجك ما فعلت لانه تركني وعبد اله السماء فلو سجد لي سجدة لرددت عليه وعليك جميع ما اخذته منكما وفي رواية لو سجدت لي سجدة لرجعت المال والولد وعافيت زوجك فرجعت الى ايوب وكان يلقى في الكناسة لا يقرب منه احد فاخبرته بالقصة فقال عليه السلام كانك افتتنت بقول اللعين لئن عافاني الله عز وجل لاضربنك مائة سوط وحرام علي ان اذوق بعد هذا شيئا من طعامك وشرابك فطردها فبقي طريحا في الكناسة لا يحوم حوله احد من الناس فعند ذلك خر ساجدا فقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل له ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك فركض فنبعت من تحته عين ماء فاغتسل منها فلم يبق في ظاهر بدنه دابة الا سقطت ولا جراحة الا برئت ثم ركض مرة اخرى فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء الا خرج وعاد صحيحا ورجع الى شبابه وجماله ثم كسي حلة وذلك قوله تعالى فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر فلما قام جعل يلتفت فلا يرى شيئا مما كان فيه من الاهل والمال الا وقد ضاعفه الله تعالى وذلك قوله تعالى واتيناه اهله ومثلهم معهم وقيل كان ذلك بان ولد له ضعف ما كان ثم ان امراته قالت في نفسها هب انه طردني افاتركه حتى يموت جوعا وتاكله السباع لارجعن اليه فلما رجعت ما رات تلك الكناسة ولا تلك الحال وقد تغيرت تلك الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وهابت صاحب الحلة ان تاتيه وتسال منه فارسل اليها ايوب ودعاها فقال لها ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك المبتلى الذي كان ملقى على الكناسة قال لها ما كان منك فبكت وقالت انه بعلي فقال اتعرفينه اذا رايتيه قالت فهل يخفى علي فتبسم فقال انا ذلك فعرفته بضحكه فاعتنقته رحمة من عندنا وذكرى للعابدين اى اتيناه ما ذكر لرحمتنا ايوب وتذكيرا لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر فيثابوا كما اثيب او لرحمتنا العابدين الذين من

جملتهم

من جملتهم ايوب وذكرنا اياهم بالاحسان وعدم نسياننا لهم واسمعيل وادريس وذا الكفل اى واذكرهم وذو الكفل الياس وقيل يوشع بن نون وقيل زكريا سمي به لانه كان ذا حظ من الله تعالى او تكفل منه او ضعف عمل انبياء زمانه وثوابهم فان الكفل يجيء بمعنى النصيب والكفالة والضعف كل اى كل واحد من هؤلاء من الصابرين اى على مشاق التكاليف وشدائد النوب والجملة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الامر بذكرهم وادخلناهم في رحمتنا اى في النبوة او في نعمة الاخرة انهم من الصالحين اى الكاملين في الصلاح وهم الانبياء عليهم السلام فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون اى واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام اذ ذهب مغاضبا اى مغاضبا لقومه لما برم من طول دعوته اياهم وشدة شكيمتهم وتمادي اصرارهم مهاجرا عنهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب فلم ياتهم ولم يعرف الحال فظن انه كذبهم فغضب من ذلك وهو من بناء المغالبة او لانه اغضبهم بالمهاجرة لخوفهم لحوق العذاب عندها وقرئ مغضبا فظن ان لن نقدر عليه اى لن نضيق عليه او لن نقضي عليه بالعقوبة من القدر ويؤيده انه قرئ مشددا اى لن نعمل فيه قدرتنا وقيل هو تمثيل لحاله بحال من يظن ان لن نقدر عليه اى نعامله معاملة من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده اى نعامله معاملة من يظن ان لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامرنا كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده اى نعامله معاملة من يحسب ذلك وقيل خطرة شيطانية سبقت الى وهمه فسميت ظنا للمبالغة وقرئ بالياء مخففا مشددا مبنيا للفاعل ومبنيا للمفعول فنادى الفاء فصيحة اى كان ما كان من المساهمة والتقام الحوت فنادى في الظلمات اى في الظلمة الشديدة المتكاثفة او في ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمتي البحر والليل ان لا اله الا انت اى بانه لا اله الا انت على ان ان مخففة من ان وضمير الشان محذوف او اى لا اله الا انت على انها مفسرة سبحانك اي انزهك تنزيها لائقا بك من ان يعجزك شيء او ان يكون ابتلائي بهذا بغير سبب من جهتي اني كنت من الظالمين لانفسهم بتعريضها للهلكة حيث بادرت الى المهاجرة فاستجبنا له اى دعاءه الذي دعاه في ضمن الاعتراف بالذنب على الطف وجه واحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له ونجيناه من الغم بان قذفه الحوت الى الساحل بعد اربع ساعات كان فيها في بطنه وقيل بعد ثلاثة ايام وقيل الغم غم الالتقام وقيل الخطيئة وكذلك اى مثل ذلك الانجاء الكامل ننجي المؤمنين من غموم دعوا الله تعالى فيها بالاخلاص لا انجاء ادنى منه وفي الامام نجي على البناء للمفعول فلذلك اخفى الجماعات النون الثانية فانها تخفى مع حروف الفم وقرئ بتشديد الجيم فانه اصله ننجي فحذفت الثانية كما حذفت التاء في تظاهرون وهي وان كانت فاء فحذفها اوقع من حذف حرف المضارعة التي لمعنى ولا يقدح اختلاف حركتي النونين فان الداعي الى الحذف اجتماع المثلين مع تعذر الادغام وامتناع الحذف في تتجافى لخوف اللبس وقيل هو ماض مجهول اسند الى ضمير المصدر وسكن اخره تخفيفا ورد بانه لا يسند الى المصدر والمفعول مذكور والماضي لا يسكن اخره وزكريا اى واذكر خبره اذ نادى ربه وقال رب لا تذرني فردا اى وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فحسبي انت ان لم ترزقني وارثا فاستجبنا له اى دعاءه ووهبنا له يحيى وقد مر بيان كيفية الاستجابة والهبة في سورة مريم واصلحنا له زوجه اى اصلحناها للولادة بعد عقرها او اصلحناها للمعاشرة بتحسين خلقها وكانت حردة وقوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات تعليل لما فصل من فنون احسانه تعالى المتعلقة بالانبياء المذكورين اى كانوا يبادرون في وجوه الخيرات مع ثباتهم واستقرارهم في اصل الخير وهو السر في ايثار كلمة في على كلمة الى المشعرة بخلاف المقصود من كونهم خارجين عن اصل الخيرات متوجهين اليها كما في قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة ويدعوننا رغبا ورهبا ذوي رغب ورهب او راغبين في الثواب راجين للاجابة او في الطاعة وخايفين العقاب او المعصية او للرغب والرهب وكانوا لنا خاشعين مخبتين متضرعين او دايمي الوجل والمعنى انهم قالوا من الله تعالى ما نالوا بسبب اتصافهم بهذه الخصال الحميدة والتي احصنت فرجها اى اذكر خبر التي احصنته على الاطلاق من الحلال والحرام والتعبير عنها بالموصول لتفخيم شانها وتنزيهها عما زعموا في حقها اثر ذي اثير فنفخنا فيها اى احيينا عيسى في جوفها من روحنا من الروح الذي هو من امرنا وقيل فعلنا النفخ فيها من جهة روحنا جبريل عليه السلام وجعلناها وابنها اى قصتهما او حالهما اية للعالمين فان من تامل

فان صلاحهم معصوم من كدر الفساد وذا النون
اى واذكر صاحب الحوت وهو يونس عليه السلام

حقهما تحقق بكمال قدرته عز وجل فالمراد بالاية ما حصل بهما من الاية التامة مع ان كلا باياتٍ
كل واحد منهما من الايات المستقلة وقيل المعنى وجعلناها اية وابنها اية فحذفت الاولى للدلالة
عليها ان هذه اي ملة التوحيد والاسلام المشار اليها بهذه تنبيها على كمال ظهور امرها في الصحة
والسداد امتكم اي ملتكم التي يجب ان تحافظوا على حدودها وتراعوا حقوقها ولا تخلوا بشيء منها
والخطاب للناس قاطبة امة واحدة نصب على الحالية من امتكم اي غير مختلفة فيما بين الانبياء عليهم
السلام اذ لا مشاركة لغيرها في صحة الاتباع ولا احتمال لتبدلها وتغيرها كفروع الشرايع
المتبدلة حسب تبدل الامم والاعصار وقرئ امتكم بالنصب على البدلية من اسم ان وامة واحدة
بالرفع على الخبرية وقرئتا بالرفع وانا ربكم لا اله غيري فاعبدون خاصة لا غير وقوله تعالى وتقطعوا
امرهم بينهم التفات الى الغيبة لتنعي عليهم ما افسدوه من التفرق في الدين وجعل امره قطعا
موزعة وينهى قبايح افعالهم الى الاخرين كانه قيل الا ترون عظم ما ارتكب هؤلاء في دين الله
الذي اجمعت عليه كافة الانبياء كل اي كل واحد من الفرق المتقطعة وكل واحد من احاد كل
واحدة من تلك الفرق الينا راجعون بالبعث لا الى غيرنا فنجازيهم حينئذ بحسب اعمالهم
وايراد اسم الفاعل للدلالة على الثبات والتحقيق وقوله تعالى فمن يعمل من الصالحات الى
اخره تفصيل للجزاء اي فمن يعمل بعض الصالحات او بعضا من الصالحات وهو مؤمن بالله
ورسله فلا كفران لسعيه اي لا حرمان لثواب عمله ذلك عبر عن ذلك بالكفران الذي هو
ستر النعمة وجحودها لبيان كمال نزاهته تعالى عنه بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره
عنه تعالى من القبايح وابراز الاثابة في معرض الامور الواجبة عليه تعالى ونفي الجنس
للمبالغة في التنزيه وعبر عن العمل بالسعي لاظهار الاعتداد به وانا له اي لسعيه كاتبون
مثبتون في صحايف اعمالهم لا نغادر من ذلك شيئا وحرام على قرية اي ممتنع على اهلها
غير متصور منهم وقرئ حرم وهي لغة كالحل والحلال اهلكناها قدرنا هلاكها او حكمنا
به لطغيانهم وعتوهم وقوله تعالى انهم لا يرجعون في حيز الرفع على انه مبتدا خبره حرام او
فاعل له ساد مسد خبره والجملة لتقرير مضمون ما قبلها من قوله تعالى كل الينا راجعون وما
في ان من معنى التحقيق معتبر في النفي المستفاد من حرام لا في المنفي اي ممتنع البتة عدم رجوعهم
الينا للجزاء لا ان عدم رجوعهم المحقق ممتنع وتخصيص امتناع عدم رجوعهم بالذكر مع شمول
الامتناع لعدم رجوع الكل حسبما نطق به قوله تعالى كل الينا راجعون لانهم المنكرون
للبعث والرجوع دون غيرهم وقيل ممتنع رجوعهم الى التوبة على ان لا صلة وقرئ انهم لا
يرجعون بالكسر على انه استيناف تعليل لما قبله فحرام خبر مبتدا محذوف اي حرام عليها
ذلك وهو ما ذكر في الاية السابقة من العمل الصالح المشفوع بالايمان والسعي المشكور ثم علل
بقوله تعالى انهم لا يرجعون عما هم عليه من الكفر فكيف لا يمتنع ذلك ويجوز حمل المفتوحة
ايضا على هذا المعنى بحذف اللام منها اي لانهم لا يرجعون وحتى في قوله تعالى حتى اذا فتحت
ياجوج وماجوج الى اخره هي التي يحكى بعدها الكلام وهي على الاول غاية لما يدل عليه ما
قبلها كانه قيل يستمرون على ما هم عليه من الهلاك حتى اذا قامت القيامة يرجعون الينا ويقولون
يا ويلنا الى اخره وعلى الثاني غاية للحرمة اي يستمر امتناع رجوعهم الى التوبة حتى اذا قامت
القيامة يرجعون اليها حين لا تنفعهم التوبة وعلى الثالث غاية لعدم الرجوع عن الكفر اي
لا يرجعون عنه حتى اذا قامت القيامة يرجعون عنه حين لا ينفعهم الرجوع وياجوج وماجوج
قبيلتان من الانس قالوا الناس عشرة اجزاء تسعة منها ياجوج وماجوج والمراد بفتحها فتح
سدها على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وقرئ فتحت بالتشديد وهم اي ياجوج
وماجوج وقيل الناس من كل حدب اي نشز من الارض وقرئ جدث وهو القبر ينسلون
اي يسرعون واصله مقاربة الخطو مع الاسراع وقرئ بضم السين واقترب الوعد الحق عطف
على فتحت والمراد ما بعد النفخة الثانية من البعث والحساب والجزاء لا النفخة الاولى فاذا هي
شاخصة ابصار الذين كفروا جواب الشرط واذا للمفاجاة تسد مسد الفاء الجزائية كما في قوله
تعالى اذا هم يقنطون فاذا دخلتها الفاء تظاهرت على وصل الجزاء بالشرط والضمير للقصة او مبهم
يفسره ما بعده يا ويلنا على تقدير قول وقع حالا من الموصول اي يقولون يا ويلنا تعالى فهذا ا
ان حضورك وقيل هو الجواب للشرط قد كنا في غفلة تامة من هذا الذي دهمنا من البعث

والرجوع

والرجوع اليه تعالى للجزاء ولم نعلم انه حق بل كنا ظالمين اضراب عما قبله من وصف انفسهم بالغفلة
اي لم نكن غافلين عنه حيث نبهنا عليه بالايات والنذر بل كنا ظالمين بتلك الايات والنذر مكذبين
لها او ظالمين لانفسنا بتعريضها للعذاب الخالد بالتكذيب وقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله
خطاب لكفار مكة وتصريح بمال امرهم مع كونه معلوما مما سبق على وجه الاجمال مبالغة في الانذار
وازاحة للاعذار وما يعبدون عبارة عن اصنامهم لانهم الذين يعبدونها كما يفصح عنه كلمة ما وقد روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تلا الاية قال له ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة اليست
اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح الملائكة رد عليه بقوله عليه السلام ما
اجهلك بلغة قومك اما فهمت ان ما لما لا يعقل ولا يعارضه ما روي انه صلى الله عليه وسلم
رده بقوله بل هم عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك ولا ما روي ان ابن الزبعرى قال هذا شيء لالهتنا
خاصة ولكل من عبد من دون الله تعالى اذ ليس شيئا منهما نصا في عموم كلمة ما كما ان الاول نص في
خصوصها وشمول حكم النص لا يقتضي شموله بطريق العبارة بل يكفي في ذلك شمولهم بطريق دلالة النص
بجامع الشركة في المعبودية من دون الله تعالى فلعله صلى الله عليه وسلم بعد ما بين مدلول النظم
الكريم بما ذكر وعدم دخول المذكورين في حكمه بطريق العبارة بين عدم دخولهم فيه بطريق الدلالة
ايضا تاكيدا للرد والالزام وتكريرا للتبكيت والافحام لكن لا باعتبار كونهم معبودين لهم كما هو
زعمهم فان اخراج بعض المعبودين عن حكم مبني على الغضب على العبدة والمعبودين مما يوهم
الرخصة في عبادته في الجملة بل بتحقيق الحق وبيان انهم ليسوا من المعبودية في شيء حتى يتوهم دخولهم
في الحكم المذكور ولا بموجب شركتهم للاصنام في المعبودية من دون الله تعالى وانما تعبدهم
الشياطين التي امرتهم بعبادتهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا
يعبدون الجن الاية فهم داخلون في الحكم المذكور لاشتراكهم الاصنام في المعبودية من دون الله
تعالى دون المذكورين عليهم السلام وهذا هو الوجه في التوفيق بين الاخبار المذكورة واما
تعميم كلمة ما للعقلاء ايضا وجعل ما سياتي من قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى اخره بيانا
للتجوز او التخصيص فمما لا يساعده السباق والسياق كما يشهد به الذوق السليم والحصب ما يرمى
ويهيج به النار من حصبه اذا رماه بالحصباء وقرئ بسكون الصاد وصفا له بالمصدر مبالغة انتم لها
واردون استيناف او بدل من حصب جهنم واللام معوضة من على للدلالة على الاختصاص وان
ورودهم لاجلها والخطاب لهم ولما يعبدون تغليبا لو كان هؤلاء اي اصنامهم الهة كما يزعمون
ما وردوها وحيث تبين ورودهم اياها تعين امتناع كونها الهة بالضرورة وهذا كما ترى صريح
في ان المراد بما يعبدون هي الاصنام لان المراد اثبات نقيض ما يدعونه وهم انما يدعون الهية
الشياطين حتى يحتج بورودها النار على عدم الهيتها واما ما وقع في الحديث الشريف فقد وقع
بطريق التكملة لما يحتاج اليه الكلام عند بيان ما ينطق له النظم الكريم بطريق العبارة حيث
سال ابن الزبعرى عن حال سائر المعبودين وكان الاقتصار على الجواب الاول مما يوهم الرخصة
في عبادتهم في الجملة لانهم المعبودون عنده واجيب ببيان ان المعبودين هم الشياطين وانهم
داخلون في حكم النص وكل فيها خالدون لهم فيها زفير اي انين وتنفس شديد وهو مع كونه من
افعال العبدة اضيف الى الكل للتغليب ويجوز ان يكون الضمير للعبدة لعدم الالتباس وكذا في
قوله تعالى وهم فيها لا يسمعون اي لا يسمع بعضهم زفير بعض لشدة الهول وفظاعة العذاب
وقيل لا يسمعون ما يسرهم من الكلام ان الذين سبقت لهم منا الحسنى شروع في بيان حال
وايراد الترغيب مع الترهيب اي سبقت لهم منا في التقدير الخصلة الحسنى التي هي احسن الخصال
وهي السعادة وقيل التوفيق او سبقت لهم كلمتنا بالبشرى بالثواب على الطاعة وهو الاظهر لا دخل
في الحمل عليها لان الاوليين مع حقيتهما ليس من مقدورات المكلفين فالجملة مع ما بعدها تفصيل
لما اجمل في قوله تعالى فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وانا له كاتبون كما ان
ما قبلها من قوله تعالى انكم وما تعبدون الى اخره تفصيل لما اجمل في قوله تعالى وحرام الى اخره
اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجتهم
وبعد منزلتهم في الشرف والفضل اي اولئك المنعوتون بما ذكر من النعت الجميل عنها اي عن جهنم مبعدون
لانهم في الجنة وشتان بينها وبين النار وعما روي ان عليا رضي الله عنه خطب يوما فقرا هذه الاية ثم قال
انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وابو عبيدة بن الجراح
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه يقول لا يسمعون حسيسها [illegible]

في كون الموصول عبارة عن طائفة مخصوصة والحسيس صوت يحس به اي لا يسمعون صوتها الخفي
سمعا ضعيفا كما هو المعهود عند كون المصوت بعيدا وان كان صوته في غاية الشدة آذانهم لا يسمعون
صوتها الخفي في نفسه فقط والجملة بدل من مبعدون او حال من ضميره مسوقه للمبالغة في انقاذهم عنها
وقوله تعالى وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون بيان لفوزهم بالمطالب اثر بيان خلاصهم عن المهالك والمعاطب
اي دائمون في غاية التنعم وتقديم الظرف للقصر والاهتمام به وقوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر بيان
لنجاتهم من الافزاع بالكلية بعد بيان نجاتهم من النار لانهم اذا لم يحزنهم الاكبر الافزاع لا يحزنهم ما عداه
بالضرورة عن الحسن رضي الله عنه انه الانصراف الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل
حين يذبح الموت في صورة كبش املح وقيل النفخة الآخرة لقوله تعالى ففزع من في السموات ومن
في الارض وليس بذاك فان الآمن من ذلك الفزع من استثناه الله بقوله تعالى الا من شاء الله لا
جميع المؤمنين الموصوفين بالاعمال الصالحة على ان الاكثرين على ان ذلك في النفخة الاولى دون
الآخرة كما سيأتي في سورة النمل وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم مهنئين لهم هذا يومكم على ارادة القول
اي قائلين هذا اليوم يومكم الذي كنتم توعدون في الدنيا وتبشرون بما فيه من فنون المثوبات والاعمال
الصالحات لا من ذكر من المسيح وعزير والملائكة عليهم السلام خاصة كما قيل يوم نطوي السماء بنون
العظمة منصوب باذكر وقيل ظرف لقوله تعالى لا يحزنهم الفزع وقيل بتتلقاهم وقيل حال مقدرة
من الضمير المحذوف في توعدون والطي ضد النشر وقيل ظرف لقوله تعالى المحو وقيل يطوى بالياء
والتاء والبناء للمفعول كطي السجل وهي الصحيفة اي طيا كطي الطومار وقرئ السجل بلفظ الدلو وبكسر
والسجل على وزن العتل وهما اللغتان واللام في قوله تعالى للكتب متعلقة بمحذوف هو حال من السجل
كائنا للكتب او الكائن للكتب فان الكتب عبارة عن الصحائف وما كتب فيها فسجلها بعض اجزائها
وبه يتعلق الطي حقيقة وقرئ للكتاب وهو اما مصدر واللام للتعليل اي كما يطوى الطومار
للكتابة او اسم كالامام فاللام كما ذكر اولا وقيل السجل اسم ملك يطوي كتب اعمال بني آدم
اذا رفعت اليه وقيل السجل هو كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدأنا اول خلق نعيده اي نعيد ما خلقناه
مبتدأ اعادة مثل بدئنا اياه في كونهما ايجادا بعد العدم او جمعا من الاجزاء المبددة والمقصود
بيان صحة الاعادة بالقياس على المبدأ لشمول الامكان الذاتي المصحح للمقدورية وتناول القدرة لهما
على السواء وما كافة او مصدرية اول مفعول لبدأنا او لفعل تفسره نعيده او موصولة والكاف
متعلقة بمحذوف يفسره نعيده اي نعيد مثل الذي بدأنا واول خلق ظرف لبدأنا او حال من ضمير
الموصول المحذوف وعدا مصدر مؤكد لفعله ومقرر لنعيده او منتصب لانه عدة بالاعادة علينا
اي علينا انجازه انا كنا فاعلين لما ذكرنا لا محالة ولقد كتبنا في الزبور هو كتاب داود عليه السلام
وقيل اسم لجنس ما انزل على الانبياء عليهم السلام من بعد الذكر اي التوراة وقيل اللوح المحفوظ
اي وبالله لقد كتبنا في كتاب داود بعد ما كتبنا في التوراة او كتبنا في جميع الكتب المنزلة بعد ما
كتبنا واثبتنا في اللوح المحفوظ ان الارض يرثها عبادي الصالحون اي عامة المؤمنين بعد اجلاء
الكفار وهذا وعد منه تعالى باظهار الدين واعزاز اهله وعن ابن عباس رضي الله عنهما المراد
ارض الجنة كما ينبئ عنه قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ
من الجنة حيث نشاء وقيل الارض المقدسة ترثها امة محمد صلى الله عليه وسلم ان في هذا اي فيما ذكر في السورة
الكريمة من الاخبار والمواعظ البالغة والوعد والوعيد والقاطعة الدالة على التوحيد وصحة
النبوة لبلاغا اي لكفاية او لسبب بلوغ الى البغية لقوم عابدين او لقوم همهم العبادة دون
العادة وما ارسلناك بما ذكر وبامثاله من الشرائع والاحكام وغير ذلك من الامور التي هي
مناط السعادة في الدارين الا رحمة للعالمين هو في حيز النصب على انه استثناء من اعم العلل
او من اعم الاحوال اي وما ارسلناك بما ذكر لعلة من العلل الا لرحمتنا الواسعة للعالمين قاطبة او ما
ارسلناك في حال من الاحوال الا حال كونك رحمة لهم فانما بعثت به سببا لسعادة العالمين
الدارين ومنشأ لانتظام مصالحهم في النشأتين ومن لم يغتنم مغانم آثاره فانما فرط في نفسه وحرمه
لا انه تعالى حرمه مما يسعده وقيل كونه رحمة في حق الكفار امنهم من الخسف والمسخ والاستيصال
حسبما ينطق به قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم قل انما يوحى الي انما الهكم اله واحد
اي ما يوحى الي الا انه لا اله الا اله واحد لانه المقصود الاصلي من البعثة واما ما عداه من الاحكام
المتفرعة عليه فانما الاولى لقصر الحكم على الشيء كقولك انما يقوم زيد اي ما يقوم الا زيد والثانية
لقصر الشيء على الحكم كقولك انما زيد قائم اي ليس له الا صفة القيام فهل انتم مسلمون اي مخلصون

مخلصون للعبادة لله تعالى مخصوصون لها بية تعالى والفاء للدلالة على ان ما قبلها موجب لما بعدها
قالوا فيه دلالة على ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع فان تولوا عن الاسلام ولم يلتفتوا
الى ما يوجبه من الوحي فقل لهم آذنتكم اي اعلمتكم ما امرت به او حربي لكم على سواء كائنين على سواء في
الاعلام به لم اطوه عن احد منكم او مستوين به انا وانتم في العلم بما اعلمتكم به او في المعاداة او ايذانا
على سواء وقيل اعلمتكم اني على سواء اي عدل واستقامة راي بالبرهان النير وان ادري اي ما ادري
اقريب ام بعيد ما توعدون من غلبة المسلمين وظهور الدين او الحشر مع كونه آتيا لا محالة انه يعلم
الجهر من القول اي ما تجاهرون به من الطعن في الاسلام وتكذيب الآيات التي من جملتها ما نطق به مجيء
الموعود ويعلم ما تكتمون من الاحن والاحقاد للمسلمين فيجازيكم عليه نقيرا وقطميرا وان ادري
لعله فتنة لكم اي ما ادري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة في افتتانكم او امتحان لكم لينظر
كيف تعملون ومتاع الى حين اي وتمتيع لكم الى اجل مقدر تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة ليكون
ذلك حجة عليكم قال رب احكم بالحق حكاية لدعائه صلى الله عليه وسلم وقرئ قل رب على صيغة الامر اي اقض بيننا
وبين اهل مكة بالعدل المقتضي لتعجيل العذاب والتشديد عليهم وقد استجيب دعاؤه صلى الله عليه وسلم حيث عذبوا
ببدر اي تعذيب وقرئ رب احكم بضم الباء ورب احكم على صيغة التفضيل ورب احكم من الاحكام
وربنا الرحمن مبتدأ وخبر اي كثير الرحمة على عباده وقوله تعالى المستعان اي المطلوب المعونة خبر
للمبتدأ واضافة الرب فيما سبق الى ضميره صلى الله عليه وسلم خاصة لما ان الدعاء من الوظائف الخاصة له على ما
تصفون من الحال فانهم كانوا يقولون ان الشوكة تكون لهم وان راية الاسلام تخفق ثم تركد وان المتوعد
به لو كان حقا لنزل بهم الى غير ذلك مما لا خير فيه فاستجاب الله عز وجل دعوة رسوله صلى الله عليه وسلم
فخيب آمالهم وغير احوالهم ونصر اولياءه عليهم فاصابهم يوم بدر ما اصابهم والجملة اعتراض
تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وقرئ يصفون بالياء التحتانية وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ اقترب حاسبه
الله تعالى حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم خطاب يعم حكمه
المكلفين عند النزول ومن سينتظم في سلكهم بعد من الموجودين القاصرين عن رتبة التكليف
والحادثين بعد ذلك الى يوم القيمة وان كان خطاب المشافهة مختصا بالفريق الاول على الوجه
الذي مر تقريره في مطلع سورة النساء ولفظ الناس ينتظم الذكور والاناث حقيقة واما
صيغة جمع المذكر في اتقوا فواردة على نهج التغليب لعدم تناولها الاناث حقيقة الا عند الحنابلة م
والمأمور به مطلق التقوى الذي هو التجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك ويندرج فيه الايمان
بالله واليوم الآخر حسبما ورد به الشرع اندراجا اوليا والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة
عن المالكية والتربية مع اضافة الى ضمير المخاطبين لتأييد الامر وتأكيد ايجاب الامتثال به
ترهيبا وترغيبا اي احذروا عقوبة مالك اموركم ومربيكم وقوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم
تعليل لموجب الامر بذكر بعض عقوباته الهائلة فان ملاحظة عظمها وهولها وفظاعتها مما هي من
مباديه ومقدماته من الاهوال والاحوال التي لا ملجأ منها سوى التدرع بلباس التقوى
مما يوجب مزيد الاعتناء بملابسته وملازمته لا محالة والزلزلة التحريك الشديد والازعاج العنيف
بطريق التكرير بحيث يزيل الاشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها واضافتها الى الساعة او
بتقدير اما اضافة المصدر الى فاعله على المجاز الحكمي كأنها هي التي تزلزل الاشياء واضافته الى
الظرف اما باجرائه مجرى المفعول به اتساعا او بتقدير في كما في قوله تعالى بل مكر الليل والنهار
وهي الزلزلة المذكورة في قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها عن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن ابن
عباس زلزلة الساعة قيامها وعن علقمة والشعبي انها تكون قبل طلوع الشمس من مغربها
فاضافتها الى الساعة حينئذ لكونها من اشراطها وفي التعبير عنها بالشيء ايذان بان العقول
قاصرة عن ادراك كنهها والعبارة ضيقة لا تحيط بها الا على وجه الابهام وقوله تعالى يوم ترونها
منتصب بما بعده قدم عليه اهتماما به والضمير اي تغفل وتذهب مع دهشتها عما هي ليست
ارضعته من طفلها الذي القمته ثديها والتعبير عنه بما دون من لتأييد الذهول وكونه بحيث لا
يخطر ببالها انه ماذا لا انها تعرف شيئه ولكن لا تدري من هو بخصوصه وقيل ما مصدرية اي

من زلزلة اي وقت زوال تكم ايا ما مشاهدين لها لعظمها
تنصب بما مر منعها اي مباشرة للارضاع عما ارضعت م

تذهل عن ارضاعها والاول ادل على شدة الهول وكمال الانزعاج وقرئ يذهل من الاذهال مبنيا للفاعل
مع نصب كل اى تذهلها الزلزلة وتضع كل ذات حمل حملها اى تلقى جنينها لغير تمام كما ان المرضعة
تذهل عن ولدها لغير رضاع وهذا ظاهر على قول علقمة والشعبي ما على ما روى عن ابن عباس فقد قيل
انه تمثيل لتهويل الامر وفيه ان الامر حينئذ اشد من ذلك واعظم واهول مما وصف وامر وقيل
ان ذلك يكون عند النفخة الثانية فانهم يقومون على ما صعقوا فى النفخة الاولى فتقوم المرضعة
على ارضاعها والحامل على حملها ولا ريب فى ان قيام الناس من قبورهم بعد النفخة الثانية لا قبلها
حتى يتصور ما ذكر وترى الناس بفتح التاء والراء على خطاب كل احد من المخاطبين برؤية الزلزلة
والاختلاف بالجمعية والافراد لان المرئى فى الاول هى الزلزلة التى يشاهدها الجميع وفى الثانى
حال من عدا المخاطب منهم فلا بد من افراد المخاطب على وجه يعم كل احد منهم لكن من غير اعتبار اتصافه
بتلك الحالة فان المراد بيان تأثير الزلزلة فى المرئى لا فى الرائى باختلاف مشاعره لان مداره حيثية
رؤيته للزلزلة لا لغيرها كانه قيل وتصير الناس سكارى الخ وانما اوثر عليه ما فى التنزيل
للايذان بكمال ظهور تلك الحالة فيهم وبلوغها من الجلاء الى حد لا يكاد يخفى على احد اى يراهم كل احد
سكارى اى كأنهم سكارى وما هم بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فيرهقهم هوله
ويطير عقولهم وقرئ بضم التاء وفتح الراء مسندا الى المخاطب من اريتك قائما والناس منصوب
اى تظنهم سكارى وقرئ برفع الناس على اسناد الفعل المجهول اليه والتأنيث على تأويل الجماعات
وقرئ بضم التاء وكسر الراء اى ترى الزلزلة الخلق جميع الناس سكارى وقرئ سكرى وسكرى كعطشى
وجوعى اجراء للسكر مجرى العلل ومن الناس كلام مبتدأ جيء به اثر بيان عظم شأن الساعة المنبئة
عن البعث بيانا لحال بعض المنكرين لها ومحل الجار الرفع او بتقدير ما يتعلق به كما مر مرارا اى وبعض
الناس اى وبعض كائن من الناس من يجادل فى الله اى فى شأنه تعالى ويقول فيه ما لا خير فيه من
الاباطيل وقوله تعالى بغير علم حال من ضمير يجادل موضحة لما يشعر به المجادلة من الجهل اى ملابسا
بغير علم روى انها نزلت فى النضر بن الحارث كان جدلا يقول الملائكة بنات الله والقران اساطير
الاولين ولا بعث بعد الموت وهى عامة له ولاضرابه من العتاة المتمردين ويتبع اى فيما يتعاطاه
من المجادلة اى فى كل ما ياتى وما يذر من الامور الباطلة التى من جملتها ذلك كل شيطان مريد عات
متمرد فى الفساد واصله العرى المنبئ عن التملص له كالتمرد ولعله ماخوذ من تجرد المصارعين عند
المصارعة قال الزجاج المريد والمارد المرتفع الاملس والمراد اما رؤساء الكفرة الذين يدعون
من دونهم الى الكفر واما ابليس وجنوده وقوله تعالى كتب عليه اى على الشيطان صفة اخرى له
انه فاعل كتب والضمير للشان اى رقم به الظهور وذلك من حاله ان الشأن من تولاه اى اتخذه
وليا وتبعه فانه يضله بالفتح على انه خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط ان جعلت من شرطية
وخبر لها ان جعلت موصولة متضمنة لمعنى الشرط اى من تولاه فشأنه انه يضله عن طريق الجنة او
طريق الحق انه يضله قطعا وقيل فانه يضله على انه وفيه من التعسف ما لا يخفى وقيل مما لا يخفوا عن
التمحل والتاويل وقرئ فانه بالكسر على انه خبر لمن او جواب لها وقرئ بالكسر فيهما على حكاية المكتوب
كما هو مثل ما فى قولك كتب ان الله يأمر بالعدل والاحسان او على اضمار القول او تضمين الكتب معناه
على رأى من يراه ويهديه الى عذاب السعير بحمله على مباشرة ما يؤدى اليه من السيئات يا ايها الناس
اثر ما حكى احوال المجادلين بغير علم واشير الى ما يؤول اليه امرهم اقيمت الحجة الدالة على تحقيق ما جادلوا
فيه من البعث ان كنتم فى ريب من البعث من امكانه وكونه مقدورا له تعالى او من وقوعه وقرئ
من البعث بالتحريك كالجلب فى الجلب والتعبير عن اعتقادهم فى حقه بالريب مع التنكير المنبئ عن القلة
مع انهم جازمون باستحالته وايراد كلمة الشك مع تقرر حالهم فى ذلك وايثار ما عليه النظم الكريم
على ان يقال ان ارتبتم فى البعث قد مر تحقيقه فى تفسير قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا
فانا خلقناكم اى فانظروا فى خلقكم ليزول ريبكم فانا خلقناكم اى خلقنا كل فرد منكم من تراب فى ضمن خلق ادم
منه خلقا اجماليا فان خلق كل فرد من افراد البشر له حظ من خلقه عليه السلام اذ لم تكن فطرته
الشريفة مقصورة على نفسه بل كانت انموذجا منطويا على فطرة سائر افراد الجنس انطواء اجماليا
مستتبعا لجريان اثارها على الكل فكان خلقه عليه السلام من التراب خلقا للكل منه كما مر تحقيقه
مرارا ثم من نطفة اى ثم خلقناكم خلقا تفصيليا من نطفة اى منى من النطف الذى هو الصب ثم من علقة
اى قطعة من الدم جامدة متكونة من المنى ثم من مضغة اى قطعة من اللحم متكونة من العلقة وهى
فى الاصل مقدار ما يمضغ مخلقة بالجر صفة مضغة اى مستبينة الخلق مصورة وغير مخلقة اى لم

لستين

تستبين خلقها وصورتها بعد والمراد تفصيل حال المضغة وكونها اولا قطعة لم يظهر فيها من الاعضاء شيء
ظهرت بعد ذلك شيئا فشيئا وكان مقتضى الترتيب السابق المبنى على التدرج من المبادى البعيدة الى
القريبة ان يقدم غير المخلقة على المخلقة وانما اخرت عنها لانها عدم الملكة هذا وقد فسرناه بالمسواة
وغير المسواة وبالتامة وبالساقطة وليس بذاك وفى جعل كل واحدة من هذه المراتب مبدأ لخلقهم لا لخلق
ما بعدها من المراتب كما فى قوله تعالى وكسرا لسورة استبعادهم لنبين لكم بذلك ما لا تحصيه العبارة من
الحقائق والدقائق التى من جملتها اساس البعث فان من تأمل فيما ذكر من الخلق التدريجى تأملا حقيقيا جزم
جزما ضروريا بان من قدر على خلق البشر اولا من تراب لم يشم رائحة الحياة قطعا وانشائه على وجه مصحح
لتوليد مثله مرة بعد اخرى بتصريفه فى اطوار الخلقة من حال الى حال مع ما بين تلك الاطوار والاحوال
من المخالفة والتباين فهو قادر على اعادته بل هو اهون فى القياس نظرا الى الفاعل والقابل وقرئ
ليبين بطريق الالتفات وقوله تعالى ونقر فى الارحام ما نشاء استئناف مسوق لبيان حالهم
بعد تمام خلقهم وعدم نظمه هنا وما عطف عليه فى سلك الخلق المعلل بالتبيين مع كونهما
من متماته ومن مبادى التبيين ايضا لما ان دلالة الاول على كمال قدرته تعالى بل جميع المقدورات التى
من جملتها البعث المبحوث عنه اجلى واظهر اى ونحن نقر فى الارحام بعد ذلك ما نشاء اى نقره فيها
الى اجل مسمى هو وقت الوضع وادناه ستة اشهر واقصاه سنتان وقيل اربع سنين وفيه اشارة الى ان
بعض ما فى الارحام لا يشاء الله تعالى اقراره فيها بعد تكامل خلقته فتسقطه والتعرض لذلك
لا يناسب المقام لان الكلام فيما جرى عليه اطوار الخلق وهذا صريح فى ان المراد بغير المخلقة ليس من
ولدنا قصا او معيبا وان ما فصل ههنا هى الاطوار المتواردة على المولود قبل الولادة وقرئ يقر
بالياء ونقر ويقر بضم القاف من قررت المال اذا صببته ثم نخرجكم اى من بطون امهاتكم بعد اقراركم فيها
عند تمام الاجل المسمى طفلا اى حال كونكم اطفالا والافراد باعتبار كل واحد منهم او بارادة الجنس
المنتظم للواحد والمتعدد وقرئ يخرجكم بالياء وقوله تعالى ثم لتبلغوا اشدكم علة لنخرجكم معطوف
فة على علة اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم نخرجكم لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم فى القوة
والعقل والتمييز وقيل التقدير ثم نمهلكم لتبلغوا الى اخره وما قيل انه معطوف على نبين مثلهما والمعنى
خلقناكم على التدريج المذكور لغايتين مترتبتين عليه احدهما ان نبين شئوننا والثانية ان نقركم
فى الارحام ثم نخرجكم صغارا ثم لتبلغوا اشدكم وتقديم التبيين على ما بعده مع ان حصوله بالفعل
بعض الكل للايذان بان غاية الغايات ومقصود بالذات واعادة الكلام ههنا مع تجريد الاولين
عنها للاشعار باصالته فى الغرضية بالنسبة اليهما اذ عليه يدور التكليف المؤدى الى السعادة
والشقاوة وايثار البلوغ مسندا الى ضمير المخاطبين على التبليغ مسندا اليه تعالى كالافعال السابقة
لانه المناسب لبيان حال اتصافهم بالكمال واستقلالهم بمبدئية الاثار والافعال والاشد من
الفاظ الجموع التى لم يستعمل لها واحد كالاسد والقتود وكأنها شدة فى غير شيء فبنيت
على لفظ الجمع ومنكم من يتوفى اى بعد بلوغ الاشد او قبله وقرئ يتوفى مبنيا للفاعل اى يتوفاه الله تعالى
ومنكم من يرد الى ارذل العمر وهو الهرم والخرف وقرئ بسكون الميم وايراد الرد والتوفى على صيغة
المفعول الجارى على سنن الكبرياء بتعيين الفاعل لكيلا يعلم من بعد علم اى علم كثير شيئا اى شيئا
من الاشياء او شيئا من العلم مبالغة فى انتقاص علمه وانتكاس حاله اى ليعود الى ما كان عليه فى
اول الطفولية من ضعف البنية وسخافة العقل وقلة الفهم فينسى ما علمه وينكر ما عرفه ويعجز عما
قدر عليه وفيه من التنبيه على صحة البعث ما لا يخفى وترى الارض هامدة حجة اخرى على صحة البعث
والخطاب لكل احد ممن يتأتى منه الرؤية وصيغة المضارع للدلالة على التجدد والاستمرار وهى بصرية
وهامدة حال من الارض اى ميتة يابسة من همدت النار اذا صارت رمادا فاذا انزلنا عليها الماء اى المطر
اهتزت تحركت بالنبات وربت انتفخت وازدادت وقرئ ربأت اى ارتفعت وانبتت من كل زوج
اى صنف بهيج حسن رائق يسر ناظره ذلك بان الله هو الحق كلام مستأنف جيء به اثر تحقيق حقية البعث
واقامة البرهان عليه من العالمين الانسانى والنباتى لبيان ان ذلك من اثار الوهيته تعالى واحكام
شئونه الذاتية والوصفية والفعلية وان ما يكون من وجوده بل امكانه من اتيان الساعة والبعث
من اسباب تلك الاثار العجيبة التى يشاهدونها فى الانفس والافاق ومبادى صدورها وفيه
من الايذان بقوة الدليل واصالة المدلول فى التحقق واظهار بطلان انكاره ما لا يخفى فان انكار
تحقق السبب مع الجزم بتحقق المسبب مما يقضى ببطلانه بديهة العقول والمراد بالحق هو الثابت
الذى يحق ثبوته لا محالة لكونه لذاته لا الثابت مطلقا وذلك اشارة الى ما ذكر من خلق الانسان

متعلق بخلقنا وترك المفعول لتفخيمه كما وكيفا
اى خلقناكم على هذا النمط البديع لنبين لكم ص

على اطوار مختلفة وتصرفه في احوال متباينة واحيا الارض بعد موتها وما فيه من معنى البعد
للايذان ببعد منزلته في الكمال وهو مبتدا خبره الجار والمجرور اى ذلك الصنع البديع حاصل بسبب
انه تعالى هو الحق وحده في ذاته وصفاته وافعاله المحقق لما سواه من الاشيا وانه يحيى الموتى اى شانه
وعادته احياؤها وحاصله انه تعالى قادر على احيائها بدا واعادة والا لما احيى النطفة والارض الميتة
مرارا وما يفيده صيغة المضارع من التجدد انما هو باعتبار تعلق القدرة ومتعلقها الا باعتبار نفسها
وانه على كل شىء قدير اى مبالغ في القدرة والا لما اوجد هذه الموجودات الفائتة للحصر التى من جملتها
ما ذكر واما الاستدلال على ذلك بان قدرته تعالى لذاته الذى نسبته الى الكل سواء فلما دلت
المشاهدة على قدرته على احيا بعض الاموات لزم اقتداره على احيا كلها فمنشاؤه العقول بما يتوله
النظم الكريم من بيان كون اثار الخاصة المذكورة من فروع القدرة العامة التامة ومسبباتها
وتخصيص احياء الموتى بالذكر مع كونه من جملة الاشيا المقدور عليها للتصريح بما فيه النزاع
والدفع في نحور المنكرين وتقديمه لايذان الاعتنا به وان الساعة اتية اى فيما سياتى وايثار
صيغة الفاعل على الفعل للدلالة على تحقق اتيانها وتقرره البتة لاقتضاء الحكمة اياه لا محالة
وتعليله بان التعبير من مقدمات الانقضاء مع طلايعه مبنى على ما ذكر من المعقول وقوله تعالى
لا ريب فيها اما خبر ثان لان او حال من ضمير الساعة في الخبر ومعنى النفى الريب منها انها في ظهور
امرها ووضوح دلايلها التكوينية والتنزيلية بحيث ليس فيها مظنة ان يرتاب في اتيانها
حسبما مر في مطلع سورة البقرة والجملة عطف على المجرور بالبا كما قبلها من الجملتين داخلة مثلهما في
حيز السببية وكذا قوله عز وجل وان الله يبعث من في القبور لكن لا من حيث ان اتيان الساعة
وبعث الموتى مؤثران فيما ذكر من افاعيله تعالى تاثير القدرة فيهما بل من حيث ان كلا منهما سبب
داع له عز وعلا بموجب رافته بالعباد المبنية على الحكم البالغة الى ما ذكر من خلقهم واحيا الارض
الميتة على نمط بديع صالح للاستشهاد به على امكانهما ليتاملوا في ذلك ويستدلوا به على وقوعهما
لا محالة ويصدقوا بما ينطق بهما من الوحى المبين وينالوا به السعادة الابدية ولولا ذلك لما فعل
تعالى ما فعل بل لما خلق العالم راسا وهذا كما ترى من احكام حقيقته تعالى في افعاله وابتنائها على الحكم الباهرة
كما ان ما قبله من احكام حقيقته تعالى في صفاته وكونها في غاية الكمال وقد جعل اتيان الساعة وبعث
من في القبور لكونهما من روادف الحكمة كناية عن كونه تعالى حكيما كانه قيل ذلك بسبب انه تعالى قادر
على احياء الموتى وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفى
بما وعد وانت خبير بان ماله الاستدلال بحكمته تعالى على اتيان الساعة والبعث وليس الكلام
في ذلك بل انما هو في سببيتهما لما مر من خلق الانسان واحياء الارض المتامل وكن على الحق المبين وقيل
قوله تعالى ان الساعة اتية ليس معطوفا على المجرور بالباء ولا داخلا في حيز السببية بل هو خبر
والمبتداء محذوف لفهم المعنى والتقدير والامر وان الساعة اتية وان الثانية معطوفة على الاولى
وقيل المعنى ذلك لتعلموا ان الله هو الحق الى يتلى ومن الناس من يجادل في الله هو ابو جهل بن هشام
حسبما روى عن ابن عباس وقيل هو من يتصدى لاضلال الناس واغوائهم كائنا من كان الاولى
يقلدهم على ان الشيطان عبارة عن المضل المغوى على الاطلاق بغير علم متعلق بمحذوف وقع حالا من
ضمير يجادل اى كائنا بغير علم والمراد بالعلم العلم الضرورى كما ان المراد بالهدى في قوله تعالى ولا هدى
هو الاستدلال والنظر الصحيح الهادى الى المعرفة ولا كتاب منير وحى مظهر للحق اى يجادل
في شانه تعالى من غير تمسك بمقدمة ضرورية ولا بحجة نظرية ولا ببرهان سمعى كما في قوله تعالى
ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وما ليس لهم به علم واما ما قيل من ان المراد به المجادل
الاول والتكرير للتاكيد والتمهيد لما بعده من بيان انه لا سند له من استدلال او وحى فلا
يساعده النظم الكريم كيف لا وان وصفه باتباع كل شيطان موصوف بما ذكر يغنى عن وصفه بالغواية
عن الدليل العقلى والسمعى ثانى عطفه حال اخرى من فاعل يجادل اى عاطفا لجانبه وطاويا كشحه
معرضا مستكبرا فان ثنى العطف كناية عن التكبر وقرئ بفتح العين اى مانعا لتعطفه ليضل عن
سبيل الله متعلق بيجادل فان غرضه الاضلال عنه وان لم يعترف بانه اضلال والمراد اما
الاخراج من الهدى الى الضلال فالمفعول من يجادله من المؤمنين او الناس جميعا بتغليب
المؤمنين على غيرهم واما التثبيت على الضلال والزيادة عليه مجازا فالمفعول هم الكفرة خاصة
وقرئ بفتح الياء وجعل ضلاله غاية لجداله من حيث ان المراد به الضلال المبين الذى لا هدى
له بعده مع تمكنه منها قبل ذلك له في الدنيا خزى جملة مستانفة مسوقة لبيان نتيجة

نتيجة ما سلكه من الطريقة اى يثبت له في الدنيا بسبب ما فعله خزى وهو ما اصابه يوم
بدر من القتل والصغار ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق اى النار المحرقة ذلك اى ما ذكر
من العذاب الدنيوى والاخروى وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في الغاية القاصية
من الهول والفظاعة وهو مبتداء خبره قوله تعالى بما قدمت يداك اى بسبب ما اقترفته من
الكفر والمعاصى واسناده الى يديه لما ان الاكتساب عادة يكون بالايدى والالتفات لتاكيد
الوعيد والتشديد به التهديد ومحل ان في قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد الرفع على انه
خبر مبتداء محذوف اى والامر انه تعالى ليس بمعذب لعبيده من غير ذنب من قبلهم والتعبير
عن ذلك بنفى الظلم مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم قطعا على ما تقرر من قاعدة اهل
السنة فضلا عن كونه ظلما بالغا قد مر تحقيقه في سورة ال عمران والجملة اعتراض تذييلى مقرر
لمضمون ما قبلها واما ما قيل من ان محل ان هو الجر بالعطف على ما قدمت فقد عرفت حاله في
سورة الانفال ومن الناس من يعبد الله على حرف شروع في بيان حال المذبذبين اى بيان حال
الجاهرين اى ومنهم من يعبده تعالى على طرف من الدين لا ثبات له فيه كالذى ينحرف الى طرف الجيش
فان احس بظفر وغنيمة قر والا فر فان اصابه خير اى دنيوى من الصحة والسعة اطمان به اى ثبت على
ما كان عليه ظاهرا لا انه اطمان به اطمينان المؤمنين الذين لا يلويهم عنه صارف ولا يثنيهم
عاطف وان اصابته فتنة اى شىء يفتتن به من مكروه يعتريه في نفسه او اهله او
ماله انقلب على وجهه روى انها نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه
ونتجت فرسه مهرا سويا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ
دخلت في ديني هذا الا خيرا واطمان وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن
ابى سعيد رضى الله عنه ان يهوديا اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبى عليه
السلام فقال اقلنى فقال عليه السلام ان الاسلام لا يقال فنزلت في المؤلفة قلوبهم خسر
الدنيا والاخرة فقدهما وضيعهما بذهاب عصمته وحبوط عمله بالارتداد وقرئ خاسر بالنصب
على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير تنصيصا على خسرانه او على انه
خبر مبتداء محذوف ذلك اى ما ذكر من الخسران وما فيه من معنى البعد للايذان بكونه في غاية
ما يكون هو الخسران المبين الواضح كونه خسرانا مثله يدعو من دون الله استيناف مبين لعظم
الخسران اى يعبد متجاوزا عبادة الله تعالى ما لا يضره اذا لم يعبده وما لا ينفعه اى عبده اى
جمادا ليس من شانه الضر والنفع كما يلوح به تكرير كلمة ما ذلك الدعاء هو الضلال البعيد
عن الحق والهدى مستعار من ضلال من ابعد في التيه ضالا عن الطريق يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه
استيناف مسوق لبيان مال دعائه المذكور وتقرير كونه ضلالا بعيدا مع ازاحة ما عسى يتوهم
من نفى الضرر عن معبوده بطريق المباشرة نفيه عنه بطريق التسبيب ايضا فالدعاء بمعنى القول
واللام داخلة على الجملة الواقعة مقولا له ومن مبتداء وضره مبتداء ثان وخبره اقرب والجملة صلة للمبتداء الاول
وقوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير جواب القسم مقدر وهو وجوابه خبر للمبتداء الاول وايثار من على
ما مع كون معبوده جمادا وايراد صيغة التفضيل مع خلوه عن النفع بالمرة للمبالغة في تقبيح حاله والامعان
في ذمه اى يقول ذلك الكافر يوم القيمة بدعاء وصراخ حين يرى تضرره بمعبوده ودخوله النار بسببه ولا يرى
منه اثر النفع اصلا لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس الناصر هو ولبئس الصاحب هو فكيف بما هو ضرر
محض عار عن النفع بالكلية ويجوز ان يكون يدعو الثانى اعادة للاول لا تاكيدا له فقط بل تمهيدا لما
بعقبه من بيان سوء حال معبوده اثر بيان سوء حال عبادته بقوله تعالى ذلك هو الضلال البعيد كانه قيل
من جهته تعالى بعض ذكر عبادته لما لا يضره ولا ينفعه يدعو ذلك ثم قيل لمن ضره اقرب من نفعه والله لبئس
المولى ولبئس العشير وكلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به وقيل اللام زايدة ومن مفعول يدعو ويؤيده
القراءة بغير لام اى يعبد من ضره اقرب من نفعه وايراد كلمة من وصيغة التفضيل للتهكم به ايضا والجملة
القسمية مستانفة ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات استيناف جئ به لبيان كمال حسن
حال المؤمنين العابدين له تعالى بان الله يتفضل عليهم بالا غاية وراءه من اجل المنافع واعظم الخيرات
اثر بيان غاية سوء حال الكفرة وما لهم من فريقى المجاهدين والمذبذبين وان معبودهم لا يجديهم شيئا من
النفع بل يضرهم مضرة عظيمة وانهم يعترفون بسوء ولايته وعشرته ويذمونه مذمة تامة وقوله
تعالى تجرى من تحتها الانهار صفة لجنات فان اريد بها الاشجار المتكاثفة الساترة لما تحتها فجريان
الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها الارض فلا بد من تقدير مضاف اى من تحت اشجارها وان

جعلت عبارة عن مجموع الارض والاشجار فاعتبار الحتية بالنظر الى الجزء الظاهر المصحح لاطلاق اسم
الجنة على الكل كما مر تفصيله فى اوائل سورة البقرة وقوله تعالى ان الله يفعل ما يريد تعليل لما قبله وتقرير له
بطريق التحقيق اى يفعل البتة كل ما يريده من الافعال المتقنة اللائقة المبنية على الحكم الرائقة التى من جملتها اثابة
من امن به وبرسوله عليه السلام وعقاب من اشرك به وكذب برسوله عليه السلام ولما كان هذا من
اثار نصرته تعالى له عليه السلام عقب بقوله عز وعلا من كان يظن ان لن ينصره الله فى الدنيا
والاخرة تحقيقا لها وتقريرا لثبوتها على ابلغ وجه واكده وفيه ايجاز بارع واختصار رائع والمعنى ان الله
تعالى ناصر لرسوله صلى الله عليه وسلم لرسوله فى الدنيا والاخرة لا محالة من غير صارف يلويه ولا
عاطف يثنيه فمن كان يغيظه ذلك من اعاديه وحساده ويظن ان لن يفعله تعالى بسبب مدافعته بعض
الامور ومباشرة ما يرده من المكايد فليبالغ فى استفراغ المجهود وليجاوز فى الجد كل حد معهود
فقصارى امره وعاقبة مكره ان يختنق خنقا مما يرى من ضلال مساعيه وعدم انتاج مقدماته
ومباديه فليمدد بسبب الى السماء فليمدد حبلا الى سقف بيته ثم ليقطع اى ليختنق من قطع اذا
اختنق لانه يقطع نفسه بحبس مجاريه وقيل ليقطع الحبل بعد الاختناق على ان المراد به فرض
القطع وتقديره على ان المراد بالنظر فى قوله تعالى فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ تقدير
النظر وتصويره اى فليصور فى نفسه النظر هل يذهبن كيده ذلك الذى هو اقصى ما انتهت اليه
قدرته فى باب المضادة والمضارة ما يغيظه من النصر كلا ويجوز ان يراد فلينظر الان انه ان
فعل ذلك هل يذهب ما يغيظه وقيل المعنى فليمدد حبلا الى السماء المظلة وليصعد عليه ثم ليقطع
الوحى وقيل ليقطع المسافة حتى يبلغ عنانها فيجتهد فى دفعه ويأباه ان مساق النظم الكريم وبناء
الامور المفروضة على تقدير وقوعها وتحققها بمعزل من اذهاب ما يغيظ من البين ان لا معنى
لفرض وقوع الامور الممتنعة وترتيب الامر بالنظر عليه لا سيما قطع الوحى فان فرض وقوعه
مخل بالمرام قطعا وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم على المشركين يستبطئون ما وعد
الله رسوله صلى الله عليه وسلم من النصر واخرون من المشركين يريدون اتباعه صلى الله عليه وسلم
يخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق فالمعنى ان الارزاق بيد الله تعالى
لا تنال الا بمشيئته فلا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله تعالى رازقه ولم يصبر ولم يستسلم
فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا وكذلك اى مثل
ذلك الانزال البديع المنطوى على الحكم البالغة انزلناه اى القران الكريم كله وقوله تعالى ايات
بينات اى واضحات الدلالة على معانيها الرائقة حال من الضمير المنصوب مبينة لما اشير اليه بذلك
وان الله يهدى به ابتداء او يثبت على الهدى او يزيده فيه من يريد هدايته او تثبيته او زيادة فيها
ومحل الجملة اما الجر على صفة اللام المتعلق بمحذوف مؤخر اى ولان الله يهدى من يريد انزله كذلك
او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى والامر ان الله تعالى يهدى من يريد هدايته ان الذين امنوا اى
بما ذكر من الايات البينات بهداية الله تعالى او بكل ما يجب ان يؤمن به فيدخل فيه ما ذكر دخولا
اوليا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس والقمر
وقيل هم قوم من النصارى اعتزلوا عنهم ولبسوا المسوح وقيل اخذوا من دين النصارى شيئا ومن
دين اليهود شيئا وهم القائلون بان للعالم اصلين نورا وظلمة والذين اشركوا هم عبدة الاصنام وقوله
تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة فى حيز الرفع على انه خبر لان السابقة وتصدير طرفى الجملتين
بحرف التحقيق لزيادة التقرير والتاكيد اى يقضى بين المؤمنين وبين الفرق الخمس المتفقة على ملة
الكفر باظهار المحق من المبطل وتوفية كل منهما حقه من الجزاء باثابة الاول وعقاب الثانى بحسب
استحقاق افراد كل منهما وقوله تعالى ان الله على كل شىء شهيد تعليل لما قبله من الفصل اى عالم بكل شىء
من الاشياء مراقب لاحواله ومن قضية الاحاطة بتفاصيل ما صدر عن كل فرد من افراد الفرق
المذكورة واجزاء اجزائه اللائق به عليه وقوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من فى السموات ومن فى
الارض الى اخره لما بيان يوجب الفصل المذكور من اعمال الفرق المذكورة مع الاشارة الى كيفيته
وكونه بطريق التعذيب والاثابة والاكرام والاهانة اثر ما يوجبه من كونه تعالى شهيدا على جميع
الاشياء التى من جملتها احوالهم وافعالهم والمراد بالروية العلم عبر عنه بها اشعارا بظهور المعلوم
والخطاب لكل احد ممن يتاتى منه الروية بناء على انه من الجلاء بحيث لا يخفى على احد والمراد بالسجود
هو الانقياد التام لتدبيره تعالى بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهه باكمل افعال المكلف فى
باب الطاعة ايذانا بكونه فى اقصى مراتب التسخر والتذلل لا سجود الطاعة الخاصة بالعقلاء سواء

جعلت

جعلت كلمة من عامة لغيرهم ايضا وهو الانسب بالمقام وفائدته شمول الحكم لكل ما فيهما بطريق
القرار فيهما او بطريق الجزئية منهما فيكون قوله تعالى والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
افرادا لها بالذكر لشهرتها واستبعاد ذلك منها عادة او جعلت خاصة بالعقلاء لعدم شمول
سجود الطاعات لكلهم حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وكثير من الناس فانه مرتفع بفعل مضمر يدل
عليه المذكور اى ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة وعبادة من قضيته انتفاء ذلك عن بعضهم
وقيل هو مرفوع على الابتداء وخبره نعته يدل لدلالة خبره قسيمه عليه نحو حق له الثواب والاول
هو الاولى لما فيه من الترغيب فى السجود والطاعة وقد جوز ان يكون من الناس خبرا له اى من
الناس الذين هم على الحقيقة وهم الصالحون المتقون وان يكون قوله تعالى وكثير معطوفا على
كثير للايذان بغاية الكثرة ثم يخبر عنهم بغاية استحقاق العذاب كانه قيل وكثير من الناس حق
عليه العذاب اى بكفره واستعصائه وقرئ حق بالضم وحقا اى حق عليه العذاب حقا
ومن يهن الله بان كتب عليه الشقاوة حسبما علمه من صرف اختياره الى الشر فما له من مكرم
يكرمه بالسعادة وقرئ بفتح الراء على انه مصدر ميمى ان الله يفعل ما يشاء من الاشياء التى من
جملتها الاكرام والاهانة هذان تعيين لطرفى الخصام وازاحة لما عسى يتبادر الى الوهم من كونه
بين كل واحدة من الفرق الست وبين البواقى وتحرير المحلة اى فريق المؤمنين وفريق الكفرة
المنقسم الى الفرق الخمس خصمان اى فريقان مختصمان وانما قيل اختصموا فى ربهم حملا على المعنى اى
اختصموا فى شانه عز وجل وقيل فى دينه وقيل فى ذاته وصفاته والكل من شؤونه تعالى فان اعتقاد
كل من الفريقين بحقية ما هو عليه وبطلان ما عليه صاحبه وبناء اقواله وافعاله عليه خصومة
للفريق الاخر وان لم يجر بينهما التحاور والخصام وقيل تخاصمت اليهود والمؤمنون فقالت اليهود
نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم ثم كفرتم به حسدا فنزلت فالذين كفروا
تفصيل لما اجمل فى قوله تعالى يفصل بينهم يوم القيمة قطعت لهم اى قدرت على مقادير جثثهم
وقرئ بالتخفيف ثياب من نار اى نيران هائلة تحيط بهم احاطة الثياب بلابسها يصب من فوق
رؤسهم الحميم اى الماء الحار الذى انتهت حرارته قال ابن عباس رضى الله عنهما لو قطرت قطرة
منها على جبال الدنيا لاذابتها والجملة مستأنفة او خبر ثان للموصول او حال من ضمير لهم يصهر به اى
يذاب ما فى بطونهم من الامعاء والاحشاء وقرئ بتشديد الهاء والجلود عطف على ما وتاخيره عنه
بالمراعات الفواصل او للاشعار بغاية شدة الحرارة بايهام ان تأثيرها فى الباطن اقدم من
تأثيرها فى الظاهر مع انها ملابستها على العكس والجملة حال من الحميم ولهم للكفرة اى لتعذيبهم ولهم
مقامع من حديد جمع مقمعة وهى الة القمع كلما ارادوا ان يخرجوا منها اى اشرفوا على الخروج من
النار ودنوا منها حسبما روى انها تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا فى اعلاها ضربوا
بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا من غم اى من غم شديد من غمومها وهو بدل اشتمال من الهاء
باعادة الجار او مفعول له للخروج اعيدوا فيها اى فى قعرها بان
ردوا من اعاليها الى اسافلها من غير ان يخرجوا منها وذوقوا على تقدير قول معطوف على اعيدوا
اى وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق اى الغليظ من النار المنتشر العظيم الاهلاك ان الله يدخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار بيان لحسن حال المؤمنين اثر بيان سوء
حال الكفرة وقد غير الاسلوب فيه باسناد الادخال الى الله عز وجل وتصدير الجملة بحرف التحقيق
ايذانا بكمال مباينة حالهم لحال الكفرة واظهارا لمزيد العناية بامر المؤمنين ودلالة على تحقق مضمون
الكلام يحلون فيها على البناء للمفعول بالتشديد من التحلية وقرئ بالتخفيف من الاحلاء بمعنى الالباس
اى يحليهم الملائكة بامره تعالى وقرئ يحلون من حليت المراة اذا صارت ذات حلى ومن فى قوله تعالى من اساور
للتبعيض اى بعض اساور وهو جمع اسورة جمع سوار وقيل للبيان لما ان ذكر التحلية مما ينبئ عن
الحلى المبهم وقيل زائدة وقيل نعت لمفعول محذوف ليحلون فانه بمعنى يلبسون من ذهب بيان
للاساور ولؤلؤا عطف على محل من اساور وقرئ لؤلؤ ولوليا بقلب الهمزة الثانية ولوليا بقلبهما ياء بعد
قلبهما واوا ولوليا بقلبها ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب حيث لم يقل ويلبسون فيها حريرا
لكن للدلالة على ان الحرير لباسهم المعتاد او لمجرد المحافظة على هيئة الفواصل بل للدلالة
بان ثبوت اللباس لهم امر محقق غنى عن البيان اذ لا يمكن عراؤهم عنه وانما المحتاج الى البيان ان
لباسهم ماذا بخلاف الاساور واللؤلؤ فانها ليست من اللوازم الضرورية فجعل بيان تحليتهم بها
مقصودا بالذات ولعل هذا هو الباعث الى تقديم بيان التحلية على بيان حال اللباس وهدوا

الى صراط الحميد اى المحمود نفسه او عاقبته وهى الجنة ووجه تأخيره عن ذكر الهداية الى
القول المذكور المتأخر عن دخول الجنة التأخر عن الهداية الى طريقها الى رعاية الفواصل وقيل المراد
بالحميد الحق المستحق لذاته لغاية الحمد وهو الله عز وجل وصراطه الاسلام ووجه التأخير حينئذ
ان ذكر الحمد لذاته يستدعى ذكر المحمود ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ليس المراد به حالا ولا
استقبالا وانما المراد استمرار الصد ولذلك حسن عطفه على الماضى كما فى قوله تعالى الذين آمنوا
وتطمئن قلوبهم بذكر الله وقيل هو حال من فاعل كفروا اى وهم يصدون وخبر ان محذوف لدلالة
آخر الاية الكريمة عليه فان من الحد فى الحرم حيث عوقب بالعذاب الاليم فلان يعاقب من جمع اليه
الكفر والصد عن سبيل الله باشد من ذلك احق واولى والمسجد الحرام عطف على سبيل قيل المراد به
مكة بدليل وصفه بقوله تعالى الذى جعلناه للناس اى كائنا من كان من غير فرق بين مكى وآفاقى
سواء العاكف فيه والباد اى المقيم والطارئ وسواء اى مستويا مفعول ثان لجعلناه والعاكف مرتفع
به واللام متعلق به ظرف له وفايدة وصف المسجد الحرام بذلك زيادة تشنيع الصادين عنه
وقرئ سواء بالرفع على انه خبر مقدم والعاكف مبتدا والجملة مفعول ثان لجعل وقرئ العاكف
بالجر على انه بدل من الناس ومن يرد فيه مما ترك مفعوله ليتناول كل متناول كانه قيل ومن
يرد فيه مرادا ما بالحاد بعدل عن القصد بظلم بغير حق وهما حالان مترادفان او الثانى بدل من
الاول باعادة الجار او صلة اى ملحدا بسبب الظلم كالاشراك واقتراف الآثام نذقه من عذاب
اليم جواب لمن واذ بوأنا اى يقال بوأه منزلا اى انزله فيه ولما لزمه جعل الثانى مباءة للاول قيل
لابراهيم مكان البيت وعليه مبنى قول ابن عباس رضى الله عنهما جعلناه اى اذكر وقت جعلنا مكان
البيت مباءة له عليه السلام اى مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة وتوجيه الامر بالذكر الى
الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه غير مرة وقيل اللام زائدة
ومكان ظرف كما فى الاصل الاستعمال اى انزلناه فيه قيل رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان
من ياقوتة حمراء فاعلم الله ابراهيم عليه السلام مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله
فبناه على اسه القديم روى ان الكعبة الشريفة الكريمة بنيت خمس مرات احدها بناء الملائكة
وكانت من ياقوتة حمراء ثم رفعت ايام الطوفان والثانية بناء ابراهيم عليه السلام والثالثة بناء
قريش فى الجاهلية وقد حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا البناء والرابعة بناء ابن الزبير
رحمه الله تعالى والخامسة بناء الحجاج وقد اوردنا ما فى هذا الشان من الاقاويل فى تفسير قوله تعالى
واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وان فى قوله تعالى ان لا تشرك بى شيئا مفسرة لبوأنا من حيث
انه متضمن لمعنى تعبدنا لان التبوئة للعبادة او مصدرية موصولة بالنهى وقد مر تحقيقه فى
اوايل سورة هود اى فعلنا ذلك لئلا تشرك بى فى العبادة شيئا وطهر بيتى للطائفين
والقائمين والركع السجود اى طهر بيتى من الاوثان والاقذار لمن يطوف به ويصلى فيه ولعل التعبير
عن الصلاة باركانها للدلالة على ان كل واحد منها مستقل باقتضاء ذلك فكيف وقد اجتمعت
وقرئ يشرك بالياء واذن فى الناس بالحج اى ناد فيهم وقرئ آذن بالحج بدعوة الحج والامر به روى
انه عليه السلام صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم فاسمعه الله تعالى من فى اصلاب
الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه تعالى ان يحج وقيل الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم امر بذلك فى حجة الوداع ويأباه كون السورة مكية يأتوك جواب
للامر رجالا اى مشاة جمع راجل كقيام جمع قايم وقرئ بضم الراء وتخفيف الجيم وتشديده
ورجالى كعجالى وعلى كل ضامر عطف على رجالا اى وركبانا على كل بعير مهزول اتعبه بعد الشقة
فهزله او زاد هزاله يأتين صفة لضامر محمولة على المعنى وقرئ يأتون على انه صفة للرجال
والركبان او استيناف فيكون الضمير للناس من كل فج طريق عميق بعيد وقرئ معيق
يقال بئر بعيدة العمق وبعيدة المعق بمعنى كالجذب والجبذ ليشهدوا متعلق بيأتوك لا باذن اى
ليحضروا منافع عظيمة الخطر كثيرة العدد او نوعا من المنافع الدينية والدنيوية المختصة بهذه
العبادة واللام فى قوله تعالى لهم متعلق بمحذوف هو صفة لمنافع اى منافع كائنة لهم ويذكروا اسم
الله عند هذا الهدايا والضحايا وذبحها وفى جعله غاية للاتيان ايذانا بانه الغاية القصوى دون
غيره وقيل هو كناية عن الذبح لانه لا ينفك عنه فى ايام معلومات هى ايام النحر كما ينبئ عنه
عنه قوله تعالى على ما رزقهم من بهيمة الانعام فان المراد بالذكر ما وقع عند الذبح وقيل هى عشر
ذى الحجة وقد علق الفعل بالرزق وبين البهيمة تحريضا على التقرب وتنبيها على الذكر فكلوا منها

التفات الى الخطاب والفاء فصيحة عاطفة لمدخولها على مقدر قد حذف للاشعار بانه امر محقق غير محتاج
الى التصريح به كما فى قوله تعالى فانفجرت اى فاذكروا اسم الله تعالى على ضحاياكم فكلوا من لحومها والامر
للاباحة وازاحة ما كانت عليه اهل الجاهلية من التحرج فيه او للندب الى مواساة الفقراء ومساواتهم
واطعموا البائس الذى اصابه بؤس وشدة الفقير المحتاج وهذا الامر للوجوب وقد قيل به فى الاول
ثم ليقضوا تفثهم اى ليؤدوا ازالة وسخهم اى ليحكموها بقص الشارب والاظفار ونتف الابط
والاستحداد عند الاحلال وليوفوا نذورهم ما ينذرون من البر فى حجهم وقيل مواجب الحج وقرئ
بفتح الواو وتشديد الفاء وليطوفوا طواف الركن الذى به يتم التحلل فانه قرينة قضاء التفث
وقيل طواف الوداع بالبيت العتيق اى القديم فانه اول بيت وضع للناس او المعتق من تسلط الجبابرة
فكم من جبار سار اليه ليهدمه فعصمه الله عز وجل واما الحجاج الثقفى فانما قصد اخراج
ابن الزبير رضى الله تعالى عنهما منه لا التسليط عليه ذلك اى الامر ذلك وهذا وامثاله يطلق للفصل
بين الكلامين او الوجهين كلام واحد ومن يعظم حرمات الله اى احكامه وسائر ما لا يحل هتكه للعلم
بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه وقيل الحرم فهو خير له عند ربه اى فى الآخرة والتعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره لتشريفه والاشعار لعلة الحكم واحلت لكم الانعام وهى الازواج
الثمانية على الاطلاق بقوله تعالى الا ما يتلى عليكم اى الا ما يتلى عليكم آية تحريمه استثناء متصل فيما
على ان ما عبارة عما حرم منها لعارض كالميتة وما اهل به لغير الله تعالى والجملة اعتراض به
تقريرا لما قبله من الامر بالاكل والاطعام ودفعا لما عسى يتوهم ان الاحرام يحرم به كما يحرم الصيد
وعدم الاكتفاء ببيان عدم كونها من ذلك القبيل بحل الانعام على ما ذكر من الضحايا والهدايا المعهودة
خاصة لئلا يحتاج الى الاستثناء المذكور اذ ليس فيها ما حرم لعارض قطعا لمراعات حسن التخلص
الى ما بعده من قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان فانه مترتب على ما يفيده قوله تعالى ومن
يعظم حرمات الله من وجوب مراعاتها والاجتناب عن هتكها ولما كان بيان حل الانعام من دواعى
التعاطى لا من دواعى الاجتناب عقب بما يوجب الاجتناب عنه من المحرمات ثم امر بالاجتناب عما هو
اقصى الحرمات كانه قيل ومن يعظم حرمات الله فهو خير له والانعام ليست من الحرمات فانها محللة
لكم الا ما يتلى عليكم آية تحريمه فانه مما يوجب الاجتناب عنه فاجتنبوا ما هو معظم الامور التى يجب
الاجتناب عنها وقوله تعالى واجتنبوا قول الزور تعميم بعد تخصيص فان عبادة الاوثان رأس الزور
كانه لما حث على تعظيم الحرمات اتبع ذلك ردا لما كانت الكفرة عليه من تحريم البحائر والسوائب
ونحوهما والافتراء على الله سبحانه بانه حكم بذلك وقيل شهادة الزور لما روى انه صلى الله عليه
وسلم قال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله تعالى ثلاثا وتلا هذه الآية والزور من الزور وهو
الانحراف كالافك الماخوذ من الافك الذى هو القلب والصرف فان الكذب محرف منصرف عن
الواقع وقيل هو قول اهل الجاهلية فى تلبيتهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما
ملك حنفاء لله مائلين عن كل دين زائغ الى الدين الحق مخلصين لله تعالى غير مشركين به اى شيئا من
الاشياء فيدخل فى ذلك الاوثان دخولا اوليا وهما حالان من واو فاجتنبوا ومن يشرك بالله
جملة مبتدأة مؤكدة لما قبلها من الاجتناب من الاشراك واظهار الاسم الجليل لاظهار كمال قبح الاشراك
وقرئ فتخطفه الاشراك فكانما خر من السماء لانه سقط من اوج الايمان الى حضيض الكفر
فتخطفه الطير فان الاهواء الردية توزع افكاره وقرئ فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء
وبكسرها للاتباع وكسرهما واصلهما تختطفه او تهوى به الريح اى تسقطه وتقذفه فى مكان
سحيق بعيد فان الشيطان قد طوح به فى الضلالة والتحيير كما فى وكصيب او للتنويع ويجوز
ان يكون من باب التشبيه المركب فيكون المعنى ومن يشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا
شبيها باهلاك احد الهالكين ذلك اى الامر ذلك اى امتثلوا ذلك ومن يعظم شعائر الله اى الهدايا
فانها من معالم الحج وشعائره تعالى كما ينبئ عنه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله وهو الاوفق
لما بعده وتعظيمها اعتقاد ان التقرب بها من اجل القربات وان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان
روى انه صلى الله عليه وسلم اهدى مائة بدنة فيها جمل لابى جهل فى انفه برة من ذهب وان
عمر رضى الله تعالى عنه اهدى نجيبة طلبت منه بثلثمائة دينار فانها اى فان تعظيمها من تقوى
القلوب فحذفت هذه المضافات والعايد الى من او فان تعظيمها ناشئ من تقوى القلوب وتخصيصها
بالاضافة لانها مراكز التقوى التى اذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر اثرها فى سائر
الاعضاء لكم فيها اى فى الهدايا منافع هى درها ونسلها وصوفها وظهرها الى اجل مسمى هو وقت

هو وقت نحرها والتصدق بلحمها والاكل منه ثم محلها اي وجوب نحرها او وقت نحرها منتهية
الى البيت العتيق اى الى ما يليه من الحرم وثم للتراخي الزماني او الرتبي اى لكم فيها منافع دنيوية الى وقت
نحرها ثم منافع دينية اعظمها في النفع محلها اى وجوب نحرها الى البيت العتيق اى منتهية اليه
هذا • وقد قيل المراد بالشعائر مناسك الحج ومعالمه والمعنى لكم فيها منافع بالاجر والثواب في
قضاء المناسك واقامة شعائر الحج الى اجل مسمى هو انقضاء ايام الحج • ثم محلها اى محل الناس من
احرامهم الى البيت العتيق اى منته اليه اى بان يطوفوا به طواف الزيارة يوم النحر بعد قضاء
المناسك واضافة المحل اليها لادنى ملابسة ولكل امة اى لكل اهل دين جعلنا منسكا اى
متعبدا وقربانا يتقربون به الى الله عز وجل وقرئ بكسر السين اى موضع نسك وتقديم الجار والمجرور
على الفعل للتخصيص اى لكل امة من الامم جعلنا منسكا لا لبعض منهم دون بعض ليذكروا اسم
الله خاصة دون غيره ويجعلون نسكهم لوجهه الكريم علل الجعل به تنبيها على ان المقصود الاصلي
من المناسك تذكر المعبود على ما رزقهم من بهيمة الانعام عند ذبحها وفيه تنبيه على ان
القربان يجب ان يكون من الانعام والخطاب في قوله تعالى فالهكم اله واحد للكل تغليبا والفاء
لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان جعله تعالى لكل امة من الامم منسكا مما يدل على وحدانيته
تعالى وانما قيل اله واحد ولم يقل واحد لما ان المراد بيان انه تعالى واحد في ذاته كما انه واحد في
الهيته للكل والفاء في قوله تعالى فله اسلموا لترتيب ما بعدها من الامر بالاسلام على وحدانيته
تعالى وتقديم الجار والمجرور على الامر للقصر اى فاذا كان الهكم الها واحدا فاخلصوا له التقرب
او الذكر واجعلوه لوجهه خاصة ولا تشوبوه بالشرك وبشر المخبتين تجريد الخطاب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم اى المتواضعين او المخلصين فان الاخبات من الوظائف
الخاصة بهم الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم منه تعالى لاشراق اشعة جلاله عليها •
والصابرين على ما اصابهم من مشاق التكاليف ومؤنات النوائب والمقيمي الصلاة في اوقاتها وقرئ
بنصب الصلاة على تقدير النون وقرئ والمقيمين الصلوة على الاصل ومما رزقناهم ينفقون في
وجوه الخيرات والبدن بضم الباء وسكون الدال وقرئ بضمهما وهما جمع بدنة • وقيل الاصل ضم
الدال كخشب وخشبة والسكون تخفيف منه وقرئ بتشديد النون على لغة الوقف وانما سميت
بها الابل لعظم بدنها ماخوذ من بدن بدانة وحيث شاركها البقرة في الاجزاء عن سبعة بقوله
صلى الله عليه وسلم البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة جعلا في الشريعة جنسا واحدا •
وانتصابه بمضمر يفسره جعلناها لكم وقرئ بالرفع على انه مبتدأ وقوله تعالى من شعائر الله اى
من اعلام دينه التي شرعها الله تعالى مفعول ثان للجعل ولكم ظرف لغو متعلق به وقوله
تعالى لكم فيها خير اى منافع دينية ودنيوية جملة مستانفة مقررة لما قبلها فاذكروا اسم الله
عليها بان تقولوا عند ذبحها الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف اى
قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرئ صوافن من صفن الفرس اذا قام على ثلاث وعلى طرف
سنبك الرابعة لان البدنة تعقل احدى يديها فتقوم على ثلاث وقرئ صوافنا بابدال التنوين
من حرف الاطلاق عند الوقف وقرئ صوافي اى خوالص لوجه الله عز وجل وصواف على لغة من
يسكن الياء على الاطلاق كما في قوله • لعلي ارى باق على الحدثان • فاذا وجبت جنوبها سقطت على
الارض وهي كناية عن الموت فكلوا منها واطعموا القانع اى الراضي بما عنده وبما يعطى من غير
مسالة ويؤيده انه قرئ القنع او السائل من قنع اليه قنوعا اذا خضع له في السؤال والمعتر
اى المتعرض للسؤال وقرئ المعتري يقال عره وعراه واعتره واعتراه كذلك مثل ذلك التسخير
البديع المفهوم من قوله تعالى صواف سخرناها لكم مع كمال عظمها ونهاية قوتها فلا تستعصي
عليكم حتى تاخذونها منقادة فتعقلونها وتحبسونها صافة قوائمها ثم تطعنون في لباتها لعلكم
تشكرون لتشكروا انعامنا عليكم بالتقرب والاخلاص لن ينال الله اى لن يبلغ مرضاته ولن يقع
موقع القبول لحومها المتصدق بها ولا دماؤها المهراقة بالنحر من حيث انها لحوم ودماء
ولكن يناله التقوى منكم ولكن يصيبه تقوى قلوبكم التي تدعوكم الى الامتثال بامره تعالى وتعظيمه
والتقرب اليه والاخلاص له وقيل كان اهل الجاهلية يلطخون الكعبة بدمائها فهم به
المسلمون فنزلت كذلك سخرها لكم تكرير للتذكير وللتعليل بقوله لتكبروا الله اى لتعرفوا
عظمته باقتداره على ما لا يقدر عليه غيره فتوحدوه بالكبرياء وقيل هو التكبير عند الاحلال والذبح
على ما هداكم اى ارشدكم الى طريق تسخيرها وكيفية التقرب بها وما مصدرية او موصولة اى

على

على هدايته اياكم او على ما هداكم اليه وعلى متعلقة بتكبروا لتضمنه معنى الشكر وبشر المحسنين
اى المخلصين في كل ما ياتون وما يذرون في امور دينهم ان الله يدافع عن الذين امنوا كلام
مستانف مسوق لتوطين قلوب المؤمنين ببيان ان الله تعالى ناصرهم على اعدائهم بحيث لا يقدرون
على صدهم عن الحج ليتفرغوا الى اداء مناسكه وتصديره بكلمة التحقيق لابراز الاعتناء التام بمضمونه
وصيغة المفاعلة اما للمبالغة او للدلالة على تكرر الدفع فانها قد تجرد عن وقوع الفعل المتكرر
من الجانبين فيبقى تكرره كما في الممارسة اى يبالغ في دفع غائلة المشركين وضررهم الذي من جملته
الصد عن سبيل الله مبالغة من يغالب فيه او يدفعها عنهم مرة بعد اخرى حسبما تجدد منهم
القصد الى الاضرار بالمسلمين كما في قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله وقرئ
يدفع والمفعول محذوف وقوله تعالى ان الله لا يحب كل خوان كفور تعليل لما في ضمن الوعد
الكريم من الوعيد للمشركين والايذان بان دفعهم بطريق القهر والخزي ونفي المحبة كناية عن البغض
اى ان الله يبغض كل خوان في امانته تعالى وهي اوامره ونواهيه او في جميع الامانات التي •
معظمها كفور لنعمته وصيغة المبالغة فيهما لبيان انهم كذلك لا لتقييد البغض بغاية الجناية
واكتفى او للمبالغة في نفي المحبة على اعتبار النفي اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا اذن اى رخص
وقرئ على البناء للفاعل اى على اعتبار النفي اولا وايراد معنى المبالغة ثانيا للذين يقاتلون اى
يقاتلهم المشركون والماذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فان مقاتلة المشركين •
اياهم دالة لا لة نهيه وقرئ على صيغة المبني للفاعل اى يريدون ان يقاتلوا المشركين اياهم دالة
على مقاتلتهم اياهم فيما سياتي ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف اظهر بانهم ظلموا اى بسبب
انهم ظلموا وهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا ياتونه
صلى الله عليه وسلم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجروا فنزلت وهي اول اية انزلت في
القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين اية وان الله على نصرهم لقدير وعد لهم بالنصر وتاكيد
لما مر من العدة الكريمة بالدفع وتصريح بان المراد به ليس مجرد تخليصهم من ايدي المشركين
بل تغليبهم واظهارهم عليهم والاخبار بقدرته تعالى على نصرهم وارد على سنن الكبرياء وتاكيده
بكلمة التحقيق واللام لمزيد تحقيق مضمونه وزيادة توطين نفوس المؤمنين وقوله تعالى الذين
اخرجوا من ديارهم في حيز الجر على انه صفة للموصول الاول او بيان له او بدل منه او في محل
النصب على المدح او في محل الرفع باضمار مبتداء والجملة مرفوعة على المدح والمراد بديارهم
مكة المعظمة بغير حق متعلق باخرجوا اى اخرجوا بغير ما يوجب اخراجهم وقوله تعالى
الا ان يقولوا ربنا الله بدل من حق اى بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون
موجبا للاقرار والتمكين دون الاخراج والتسيير لكن لا على الظاهر بل على طريقة قول النابغة •
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتائب • وقيل الاستثناء منقطع ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض بتسليط المؤمنين على الكافرين في كل عصر وزمان وقرئ
دفاع لهدمت لخربت باستيلاء المشركين على اهل الملل وقرئ هدمت بالتخفيف صوامع
للرهبان وبيع للنصارى وصلوات اى كنائس لليهود سميت بها لانها يصلى فيها وقيل
اصلها صلوتا بالعبرية فعربت ومساجد للمسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا اى ذكرا كثيرا او
وقتا كثيرا صفة مادحة للمساجد خصت بها دلالة على فضلها وفضل اهلها وقيل صفة للاربع
وليس كذلك فان بيان ذكر الله عز وجل في الصوامع والبيع والكنائس بعد انتساخ شرعيتها
مما لا يقتضيه المقام ولا ترتضيه الافهام ولينصرن الله من ينصره اى وبالله لينصرن الله
من ينصر اولياءه او من ينصر دينه ولقد انجز الله عز وجل وعده حيث سلط المهاجرين والانصار
على صناديد العرب واكاسرة العجم وقياصرة الروم واورثهم ارضهم وديارهم ان الله لقوي
على كل ما يريده من مواجبه التي من جملتها نصرهم عزيز لا يمانعه شيء ولا يدافعه الذين
ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وصف
من الله عز وجل للذين اخرجوا من ديارهم بما سيكون منهم من حسن السيرة عند تمكينه تعالى
اياهم في الارض واعطائه اياهم زمام الاحكام منبئ عن عدة كريمة على ابلغ وجه والطفه
وعن عثمان رضي الله تعالى عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد انه تعالى اثنى عليهم قبل ان
يحدثوا من الخير ما احدثوا قالوا وفيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين لانه تعالى لم يعط
التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لاحظ في ذلك للانصار والطلقاء

وعن الحسن رضي الله تعالى عنه هم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين بدل من قوله من ينصره
ولله عاقبة الامور فان مرجعها الى حكمه وتدبيره وفيه تاكيد للوعد باظهار اوليائه
واعلاء كلمته وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم متضمنة
للوعد الكريم باهلاك من يعاديه من الكفرة وتعيين لكيفية نصره تعالى له الموعود بقوله تعالى
ولينصرن الله من ينصره وبيان لرجوع عاقبة الامور اليه تعالى وصيغة المضارع في الشرط مع
تحقق التكذيب لما ان المقصود تسلية صلى الله عليه وسلم عما يترتب على التكذيب من الحزن المتوقع
اي وان تحزن على تكذيبهم اياك فاعلم انك لست باوحدي في ذلك فقد كذبت قبل تكذيب قومك
اياك قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين اي رسلهم من ذكر ومن لم
يذكر وانما حذف لكمال ظهور المراد ولان المراد تهويل الفعل اي فعلت التكذيب قوم نوح الخ
وكذب موسى غير النظم الكريم بذكر المفعول وبناء الفعل له لان قومه بنو اسرائيل ولم يكذبوه
وانما كذبته القبط لما ان ذلك بما يقتضي عدم ذكرهم بعنوان كونهم قوم موسى لا بعنوان اخر
على ان بني اسرائيل ايضا قد كذبوه مرة بعد اخرى حسبما ينطق عليه قوله تعالى لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة ونحو ذلك من الآيات الكريمة بل للايذان بان تكذيبهم له كان في غاية الشناعة لكون
اياته في كمال الوضوح وقوله تعالى فامليت للكافرين اي امهلتهم حتى انصرمت حبال اجالهم
والفاء لترتيب امهال كل فريق من فرق المكذبين على تكذيب ذلك الفريق لا لترتيب الامهال
على تكذيب الكل ووضع الظاهر موضع الضمير العائد الى المكذبين لذمهم بالكفر والتصريح
بتكذيب موسى عليه السلام حيث لم يذكروا فيما قبل صريحا ثم اخذتهم اي اخذت كل فريق من
فرق المكذبين بعد انقضاء مدة املائه وامهاله فكيف كان نكير اي انكاري عليهم باهلاكهم اي
فكان ذلك في غاية ما يكون من الهول والفظاعة وقوله تعالى فكأين من قرية منصوب بمضمر
يفسره قوله تعالى اهلكناها اي فاهلكنا كثيرا من القرى باهلاك اهلها والجملة بدل من قوله تعالى
فكيف كان نكير او مرفوع على الابتداء واهلكناها خبره اي وكثير من القرى اهلكناها وقرئ اهلكتها
على وفق قوله تعالى فامليت ثم اخذتهم فكيف كان نكير وهي ظالمة جملة حالية من مفعول اهلكناها
وقوله تعالى فهي خاوية عطف على اهلكناها لا على وهي ظالمة لانها حال والاهلاك ليس في حال
خوائها فلا محل لها من الاعراب كالمعطوف عليه وعلى الثاني في محل الرفع لعطفه على الخبر
والخواء بمعنى السقوط من خوى النجم اذا سقط فالمعنى فهي ساقطة حيطانها على عروشها اي
سقوفها بان تعطل بنيانها فخرت سقوفها ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق السقوف
واسناد السقوط على العروش اليها لتنزيل الحيطان منزلة كل البنيان لكونها عمدة فيه واما
بمعنى مع ويجوز على عروشها خبرا بعد خبر اي فهي خالية وهي على عروشها اي قائمة مشرفة على
عروشها ولذا متهافتون على بمعنى مع ويجوز على عروشها خبرا بعد خبر اي فهي خالية وهو على
عروشها على معنى ان السقوف سقطت على الارض وبقيت الحيطان قائمة فهي مشرفة على السقوف
الساقطة واسناد الاشراف الى الكل مع كونه حال الحيطان لما مر انفا وبئر معطلة عطف على
على قرية اي وكم بئر عامرة في البوادي تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها وقرئ بالتخفيف من اعطله
بمعنى عطله وقصر مشيد مرفوع البنيان او مجصص اخليناه وهذا يؤيد كون معنى خاوية على
عروشها خالية مع بقاء عروشها وقيل المراد بالبئر بئر بسفح جبل بحضرموت وبالقصر قصر
مشرف على قلته كانا لقوم حنظلة بن صفوان من بقايا قوم صالح عليه السلام فقتلوه
فاهلكهم الله تعالى وعطلهما افلم يسيروا في الارض حث لهم على ان يسافروا ليروا مصارع المهلكين
فيعتبروا وهم وان كانوا قد سافروا فيها ولكنهم حيث لم يسافروا للاعتبار جعلوا غير
مسافرين فحثوا على ذلك والفاء لعطف ما بعدها على مقدر يقتضيه المقام اي اغفلوا فلم يسيروا
فيها فتكون لهم بسبب ما شاهدوه من مواد الاعتبار ومظان الاستبصار قلوب يعقلون بها
ما يجب ان يعقل من التوحيد او اذان يسمعون بها ما يجب ان يسمع من الوحي او من اخبار الامم
المهلكة ممن يجاورهم من الناس فانهم اعرف منهم بحالهم فانها لا تعمى الابصار الضمير للقصة
او مبهم يفسره الابصار وفي تعمى ضمير راجع اليه وقد اقيم الظاهر مقامه ولكن تعمى القلوب في
الصدور اي ليس الخلل في مشاعرهم وانما هو في عقولهم باتباع الهوى والانهماك في الغفلة
وذكر الصدور للتاكيد ونفي توهم التجوز فضل التنبيه على ان العمى الحقيقي ليس المتعارف
الذي يختص بالبصر قيل لما نزل قوله تعالى ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى قال

ابن ام مكتوم يا رسول الله انا في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى ويستعجلونك بالعذاب كانوا منكرين
لمجيء العذاب المتوعد به اشد الانكار وانما كانوا يستعجلون به استهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم
وتعجيزا له على زعمهم فحكى عنهم ذلك بطريق التخطئة والاستنكار وقوله تعالى ولن يخلف الله
وعده اما جملة حالية جيء بها لبيان بطلان انكارهم لمجيئه في ضمن استعجالهم به واظهار خطائهم فيه
كانه قيل كيف تنكرون مجيء العذاب الموعود والحال انه تعالى لا يخلف وعده ابدا وقد سبق الوعد
فلا بد من مجيئه حتما او اعتراضية مبينة لما ذكر وقوله تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون
جملة مستأنفة ان كانت الاولى حالية ومعطوفة عليها ان كانت اعتراضية سيقت لبيان خطائهم
في الاستعجال المذكور ببيان كمال سعة ساحة حلمه تعالى ووقاره واظهار غاية ضيق عطنهم المستتبع
لكون المدة القصيرة عنده تعالى مدة طويلة عنده حسبما ينطق به قوله تعالى انهم يرونه بعيدا
ونراه قريبا ولذلك يرون مجيئه بعيدا ويتخذونه ذريعة الى انكاره ويجترئون على الاستعجال
ولا يدرون ان معيار تقدير الامور كلها وقوعا واخبارا ما عنده تعالى من المقدار وقرئ يعدون
على صيغة الغيبة اي يعده المستعجلون اوفق بهذا المعنى وقد جعل الخطاب في القراءة المشهورة لهم
ايضا بطريق الالتفات لكن الظاهر انه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين
وقيل المراد بوعده تعالى ما جعل لهلاك كل امة من موعد معين واجل مسمى كما في قوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب فتكون الجملة الاولى حالية كانت او اعتراضية مبينة
لبطلان الاستعجال به ببيان استحالة مجيئه قبل وقته الموعود والجملة الاخيرة بيانا لبطلانه
ببيان ابتنائه على استطالة ما هو قصير عنده تعالى على الوجه الذي مر بيانه فلا يكون في
النظم الكريم حينئذ تعرض لانكارهم الذي دسوه تحت الاستعجال بل يكون الجواب مبنيا على ظاهر
مقالهم ويكتفى في رد انكارهم ببيان عاقبة من قبلهم من امثالهم وهذا وجعل المستعجل به على
عذاب الاخرة وجعل اليوم عبارة عن العذاب المستطال لشدته او عن الايام الاخرة الطويلة
حقيقة او المستطالة لشدة عذابها مما لا يساعده سياق النظم الكريم ولا سياقه فان كلا منهما ناطق
بان المراد هو العذاب الدنيوي وان الزمان الممتد هو الذي مر عليهم قبل حلوله بطريق الاملاء
والامهال لا الزمان المقارن له الا ترى الى قوله تعالى وكاين من قرية الى اخره فانه كما سلف من
قوله تعالى فامليت للكافرين ثم اخذتهم صريح في ان المراد هو الاخذ العاجل الشديد بعد الاملاء
المديد اي وكم من اهل قرية فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه في الاعراب ورجع الضمائر
والاحكام مبالغة في التعميم والتهويل امليت لها كما امليت لهؤلاء حالية مفيدة لكمال حلمه تعالى ومشعرة
بطريق التعريض بظلم المستعجلين اي امليت لها والحال انها ظالمة مستوجبة لتعجيل العقوبة كهؤلاء
وهي ظالمة بالعذاب والنكال بعد طول الاملاء والامهال وقوله تعالى والى المصير اعتراض
تذييلي مقرر لما قبله ومصرح بما افادة ذلك بطريق التعريض من ان مال امر المستعجلين ايضا
ما ذكر من الاخذ الوبيل اي الى حكمي مرجع الكل جميعا لا الى احد غيري لا استقلالا ولا شركة فافعل
بهم ما افعل مما يليق باعمالهم قل يا ايها الناس انما انا لكم نذير مبين انذركم انذارا بينا بما اوحي
من انباء الامم المهلكة من غير ان يكون لي دخل في اتيان ما توعدونه من العذاب حتى تستعجلوني
به وفي الاقتصار على الانذار مع بيان حال الفريقين بعده لما اشير اليه من ان مساق الحديث
للمشركين وعقابهم وانما ذكر المؤمنون وثوابهم زيادة في غيظهم فالذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة لما بدر منهم من الذنوب ورزق كريم هي الجنة والكريم من كل نوع ما يجمع فضائله ويحوز كمالاته
والذين سعوا في اياتنا معاجزين اي سابقين او مسابقين في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم
للاسلام يتم لهم واصله من عاجزه فعجزه واعجزه اذا سابقه فسبقه لان كلا من المتسابقين يريد
اعجاز الاخر عن اللحاق به وقرئ معجزين اي مثبطين الناس عن الايمان على انه حال مقدرة اولئك
الموصوفون بما ذكر من السعي والمعاجزة اصحاب الجحيم اي ملازموا النار الموقدة وقيل هو اسم دركة
من دركاتها وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول من بعثه الله تعالى بشريعة جديدة
يدعو الناس اليها والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شريعة سابقة كانبياء بني اسرائيل الذين كانوا
بين موسى وعيسى عليهما السلام ولذلك شبه صلى الله عليه وسلم علماء امته بهم فالنبي اعم
من الرسول ويدل عليه انه صلى الله عليه وسلم سئل عن الانبياء فقال مائة الف واربعة
وعشرون الفا وفي رواية وعشرين الف فقيل فكم الرسل منهم فقال ثلاثمائة وثلاثة عشر جما
غفيرا وقيل الرسول من جمع الى المعجزة كتابا منزلا عليه والنبي غير الرسول من لا كتاب له

وقيل الرسول من يأتيه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى اي هيأ
في نفسه ما يهواه القى الشيطان في امنيته في تشهيته ما يوجب اشتغاله بالدنيا كما قال صلى الله
عليه وسلم وانه ليغان على قلبي فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة فينسخ الله ما يلقي الشيطان
فيبطله ويذهب بعصمته عن الركون اليه وارشاده الى ما يزيحه ثم يحكم الله آياته اي يثبت
آياته الداعية الى الاستغراق في شؤون الحق وصيغة المضارع في الفعلين للدلالة على الاستمرار
التجددي واظهار الجلالة في موقع الاضمار لزيادة التقرير والايذان بان الالوهية من موجبات
احكام آياته الباهرة والله عليم مبالغ في العلم بكل ما من شأنه ان يعلم ومن جملته ما صدر عن
العباد من قول وفعل عمدا او خطأ حكيم في كل ما يفعل والاظهار ههنا ايضا لما ذكر مع ما فيه من
تأكيد استقلال الاعتراض التذييلي قيل حدث نفسه بزوال المسكنة وقيل تمنى لحرصه على ايمان
قومه ان ينزل عليه ما يقربهم اليه واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم فنزلت عليه سورة النجم
فاخذ يقرؤها فلما قرأ ومناة الثالثة الاخرى وسوس اليه الشيطان حتى سبق لسانه
سهوا الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ففرح به المشركون حتى تابعوه بالسجود
لما سجد في آخرها بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك الا سجد ثم نبهه جبريل عليه السلام
فاغتم به فعزاه الله عز وجل بهذه الآية وهو مردود عند المحققين ولئن صح فابتلاء يتميز به
الثابت على الايمان عن المتزلزل وقيل تمنى بمعنى قرأ كقوله ٭ تمنى كتاب الله اول ليله ٭ تمني داود
الزبور على رسل ٭ وامنيته قراءته والقاء الشيطان فيها ان يتكلم بذلك رافعا صوته بحيث ظن
السامعون انه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقد رد بانه ايضا يخل بالوثوق بالقرآن
ولا يندفع بقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته لانه ايضا يحتمله وفي الآية
دلالة على جواز السهو من الانبياء عليهم السلام وتطرق الوسوسة اليهم ليجعل ما يلقي الشيطان
علة لما ينبئ عنه ما ذكر من القاء الشيطان من تمكينه تعالى اياه من ذلك في حق النبي صلى الله عليه
وسلم خاصة كما يعرب عنه سياق النظم الكريم لما ان تمكينه تعالى اياه من الالقاء في حق سائر الانبياء
عليهم السلام لا يمكن تعليله بما سيأتي وفيه دلالة على ان ما يلقيه امر ظاهر يعرفه المحق والمبطل
فتنة للذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق كما في قوله تعالى في قلوبهم مرض من الادنية والقاسية
قلوبهم اي المشركون وان الظالمين اي الفريقين المذكورين فوضع الظاهر موضع ضميرهم
تسجيلا عليهم بالظلم مع ما وصفوا به من المرض والقساوة لفي شقاق بعيد اي عداوة شديدة
ومخالفة تامة ووصف الشقاق بالبعد مع ان الموصوف به حقيقة هو معروضه للمبالغة ٭
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله وليعلم الذين اوتوا العلم انه اي القرآن الحق من ربك
اي هو الحق النازل من عنده تعالى وقيل ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق المتضمن
للحكمة البالغة والغاية الجميلة لانه مما جرت به عادته في جنس الانس من لدن آدم عليه السلام
فحينئذ لا حاجة الى تخصيص التمكين بما سبق بالالقاء في حقه عليه السلام لكن يأباه قوله صلى الله
عليه وسلم فيؤمنوا به اي بالقرآن اي يثبتوا على الايمان او يزدادوا ايمانا برد ما يلقي الشيطان
فتخبت له قلوبهم بالانقياد والخشية والاذعان لما فيه من الاوامر والنواهي والرجع الضمير
لا سيما الثاني الى تمكين الشيطان من الالقاء مما لا وجه له وان الله لهاد الذين آمنوا اي في
الامور الدينية خصوصا في المداحض والمشكلات التي من جملتها ما ذكر الى صراط مستقيم
هو النظر الصحيح الموصل الى الحق الصريح والجملة اعتراض مقرر لما قبله ولا يزال الذين كفروا
في مرية اي في شك وجدال منه اي من القرآن وقيل من الرسول صلى الله عليه وسلم والاول
هو الاظهر لشهادة ما سبق من قوله تعالى ثم يحكم الله آياته وقوله تعالى انه الحق من ربك ٭
فيؤمنوا به وما لحق من قوله تعالى وكذبوا بآياتنا ٭ واما تجويز كون الضمير لما القى الشيطان
في امنيته فمما لا امتناع له لان ذلك ليس من مريتهم التي تستمر الى الامد المذكور بل انما هي
مريتهم في شأن القرآن ولا يجدي حمل من على التسبيب دون الابتدائية لما ان مريتهم المستمرة كما
انها ليست مبتدأة منه ليست ناشئة منه ضرورة انها مستمرة منهم من لدن نزول القرآن الكريم
حتى تأتيهم الساعة اي القيامة نفسها كما يؤذن به قوله تعالى بغتة ٭ اي فجأة فانها الموصوفة
بالاتيان كذلك لا اشراطها وقيل الموت او يأتيهم عذاب يوم عقيم اي يوم لا يوم بعده كأن كل
يوم يلد ما بعده من الايام فما لا يوم بعده يكون عقيما والمراد به الساعة ايضا كأنه قيل او
يأتيهم عذابها فوضع ذلك موضع ضميرها لمزيد التهويل ولا سبيل لحمل الساعة على اشراطها

لما عرفته ٭ واما ما قيل من انه المراد يوم حرب يقتلون فيه كيوم بدر سمي به لان اولاد النساء
يقتلون فيه فيصرن كأنهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين ابناء الحرب فاذا اقتلوا صارت عقيما اي ثكلى
فوصف اليوم بوصفها اتساعا او لانه لا خير لهم فيه ومنه الريح العقيم لما لم ينشئ مطرا ولم
يلقح شجرا او لانه لا مثل له لقتال الملائكة عليهم السلام فيه فمما لا يساعده سياق النظم الكريم
اصلا كيف لا وان تخصيص الملك والتصرف الكلي فيه بالله عز وجل ثم بيان ما يقع فيه من حكمه
تعالى بين الفريقين بالثواب والعذاب الاخرويين يقضي بان المراد به يوم القيمة قطعا يقينا
لا ريب فيه الملك اي السلطان القاهر والاستيلاء التام والتصرف على الاطلاق يومئذ لله
وحده بلا شريك اصلا بحيث لا يكون فيه لاحد تصرف من التصرفات في امر من الامور لا حقيقة
ولا مجازا ولا صورة ولا معنى كما في الدنيا فان للبعض فيها تصرفا صوريا في الجملة وليس التنوين نائبا
عما يدل عليه الغاية من زوال مريتهم كما قيل ولا عن ما يستلزمه ذلك من ايمانهم كما قيل لان
القيد المعتبر مع اليوم حيث وسط بين طرفي الجملة بحيث لا بد ان يكون مدارا لحكمها اعني كون الملك
لله عز وجل وما يتفرع عليه من الاثابة والتعذيب ولا ريب في ان ايمانهم وزوال مريتهم ليس
مما له تعلق بما ذكر فضلا عن المدارية له فلا سبيل الى اعتبار شيء منهما مع اليوم قطعا واما الذي
يدور عليه ما ذكر اتيان الساعة التي هي منتهى تصرفات الخلق ومبدأ ظهور احكام الملك الحق جل
جلاله فاذا هو نائب عن نفس الجملة الواقعة غاية لمريتهم فالمعنى الملك يوم اذ تأتيهم الساعة
او عذابها لله تعالى وقوله تعالى يحكم بينهم جملة مستأنفة وقعت جوابا عن سؤال نشأ عن
الاخبار بكون الملك يومئذ لله كأنه قيل فماذا يصنع بهم حينئذ فقيل يحكم بين الفريقين ٭
المؤمنين به والمماترين فيه بالمجازاة وقوله تعالى فالذين آمنوا الى آخره تفسير للحكم
المذكور وتفصيل له اي فالذين آمنوا بالقرآن الكريم ولم يماروا فيه وعملوا الصالحات امتثالا بما
امروا في تضاعيفه في جنات النعيم اي مستقرون فيها والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اي اصروا على
ذلك واستمروا فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر والتكذيب
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك الموصوفون بما ذكر
من الكفر والتكذيب وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الشر والفساد اي اولئك
الموصوفين بما ذكر من الكفر والتكذيب وهو مبتدأ وقوله تعالى لهم عذاب مهين جملة اسمية من
مبتدأ وخبر مقدم عليه وقعت خبرا لاولئك اي لهم خبر لاولئك وعذاب مرتفع على الفاعلية
في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدأ واولئك مع خبره على الوجهين خبر للموصول وتصديره بالفاء
للدلالة على ان تعذيب الكفار بسبب اعمالهم السيئة كما ان تجريد خبر الموصول الاول عنها للايذان
بان اثابة المؤمنين بطريق [illegible] لا لايجاب الاعمال الصالحة اياها وقوله تعالى مهين صفة
لعذاب مؤكدة لما افادة التنوين من الفخامة وفيه من المبالغة من وجوه شتى ما لا يخفى والذين
هاجروا في سبيل الله اي في الجهاد حسبما يلوح به قوله تعالى ثم قتلوا او ماتوا اي في تضاعيف ٭
المهاجرة ومحل الموصول الرفع على الابتداء وقوله تعالى ليرزقنهم الله جواب لقسم محذوف ٭
والجملة خبره ومن منع وقوع الجملة القسمية وجوابها خبرا للمبتدأ يضمر قولا هو الخبر والجملة ٭
محكية به وقوله تعالى رزقا حسنا اما مفعول ثان على انه من باب الرعي والذبح اي مرزوقا او
مصدر مؤكد والمراد به ما لا ينقطع ابدا من نعيم الجنة وانما سوى بينهما في الوعد لاستوائهما في
القصد واصل العمل على ان مراتب الحسن متفاوتة فيجوز تفاوت حال المرزوقين حسب تفاوت
الارزاق الحسنة ٭ وروي ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله هؤلاء الذين قتلوا
في سبيل الله قد علمنا ما اعطاهم الله تعالى من الخير ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا
معك فنزلت وقيل نزلت في طوائف خرجوا من مكة الى المدينة للهجرة فتبعهم المشركون فقاتلوهم
وان الله لهو خير الرازقين فانه يرزق بغير حساب مع ان ما يرزقه لا يقدر عليه احد غيره ٭
والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله وقوله تعالى ليدخلنهم مدخلا يرضونه بدل من قوله تعالى
ليرزقنهم الله او استئناف مقرر لمضمونه ومدخلا اما اسم مكان اريد به الجنة فهو مفعول ثان
او مصدر ميمي اي ادخالا او مصدر اكد به فعله ٭ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انما قيل يرضونه لما انهم يرون
فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فيرضونه وان الله لعليم باحوالهم واحوال
معاديهم حليم لا يعاجلهم بالعقوبة ذلك خبر مبتدأ محذوف اي الامر ذلك والجملة لتقرير ما قبله
والتنبيه على ان ما بعده اي الامر ذلك كلام مستأنف ومن عاقب بمثل ما عوقب به اي لم يزد

في الاقتصاص وانما سمي الابتداء بالعقاب الذي هو الجزاء الحسابية للمشاكلة او لكونه سببا له ثم بغي عليه
بالمعاودة الى العقوبة لينصرنه الله على من بغى عليه لا محالة ان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو
والغفران فيعفوا عن المنتصر ويغفر له ما صدر عنه من ترجيح الانتقام على العفو والصبر والمغفرة
فانه تعالى قادر على العقوبة اذ لا يوصف بالعفو الا القادر على ضده ذلك اشارة الى النصر وما فيه
من معنى البعد للايذان بعلو رتبته ومحله الرفع على الابتداء خبره قوله تعالى بان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل اي بسبب انه تعالى من شانه وسنته تغليب بعض مخلوقاته على بعض
والمداولة بين الاشياء المتضادة وعبر عن ذلك بادخال احد الملوين في الاخر بان يزيد فيه ما ينتقص
عن الاخر وبتحصيل احدهما في مكان الاخر لكونه اظهر المواد واوضحها وان الله سميع بكل المسموعات
التي من جملتها قول المعاقب بصير بجميع المبصرات ومن جملتها افعاله ذلك اي الاتصاف بما ذكر من كمال
القدرة والعلم وما فيه من معنى البعد لما مر انفا وهو مبتدا خبره قوله تعالى بان الله هو الحق
الواجب لذاته الثابت في نفسه وصفاته وافعاله وحده فان وجوب وجوده ووحدته يقتضيان
كونه مبدا لكل ما يوجد من الموجودات عالما بكل المعلومات او الثابت الالهية فلا يصلح لها
الا من كان عالما قادرا وان ما يدعون من دونه الها وقرئ على البناء للمفعول على ان الواو لما فانه
عبارة عن الالهة وقرئ بالياء على خطاب المشركين هو الباطل اي المعدوم في حد ذاته او الباطل
الهيته وان الله هو العلي على جميع الاشياء الكبير عن ان يكون له شريك لا شيء اعلى منه شانا واكبر
سلطانا الم تر ان الله انزل من السماء ماء استفهام تقرير كما ينبئ عنه الرفع في قوله تعالى
فتصبح الارض مخضرة بالعطف على انزل وايثار صيغة الاستقبال للاشعار بتجدد اثر الانزال
واستمراره او لاستحضار صورة الاخضرار ان الله لطيف يصل لطفه او علمه الى كل ما جل ودق
خبير بما يليق من التدابير الحسنة ظاهرا وباطنا له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وتصرفا
وان الله لهو الغني عن كل شيء الحميد المستوجب للحمد بصفاته وافعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
اي جعل ما فيها من الاشياء مذللة لكم معدة لمنافعكم تتصرفون فيها كيف شئتم فلا اصلب من الحجر
ولا اشد من الحديد ولا اهيب من النار وهي مسخرة لكم وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح
لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر والفلك عطف على ما او على
اسم ان وقرئ بالرفع على الابتداء تجري في البحر بامره حال من الفلك على الاول وخبر على الاخير
ويمسك السماء ان تقع على الارض اي من ان تقع او كراهة ان تقع بان خلقها على صورة متداعية الى
الاستمساك الا باذنه اي بمشيئته وذلك يوم القيمة وفيه رد لاستمساكها بذاتها فانها مساوية
في الجسمية فانها مساوية في الجسمية لسائر الاجسام القابلة للميل اليها فتقبله كقبول غيرها
ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث هيا لهم اسباب معاشهم وفتح عليهم ابواب المنافع واوضح لهم
مناهج الاستدلال بالايات التكوينية والتنزيلية وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا عناصر
ونطفا حسبما فصل في مطلع السورة الكريمة ثم يميتكم عند مجيء اجالكم ثم يحييكم عند البعث ان
الانسان لكفور اي جحود للنعم مع ظهورها وهذا وصف للجنس بوصف بعض افراده لكل امة
كلام مستأنف جيء به لزجر معاصريه صلى الله عليه وسلم من اهل الاديان السماوية عن منازعته
صلى الله عليه وسلم ببيان حال ما تمسكوا به من الشرائع واظهار خطائهم في النظر اي لكل امة
معينة من الامم الخالية والباقية جعلنا منسكا اي وضعنا وعينا منسكا خاصة لا لامة اخرى
منهم على معنى عينا كل شريعة لامة معينة من الامم بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها
الى شريعة اخرى لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى هم ناسكوه صفة لمنسكا مؤكدة للقصر
المستفاد من تقديم الجار والمجرور على الفعل والضمير لكل امة باعتبار خصوصها اي تلك الامة
المعينة ناسكوه والعاملون به لا امة اخرى فالامة التي كانت من مبعث موسى الى مبعث
عيسى عليهما السلام منسكهم التورية هم ناسكوها والعاملون به لا غيرهم واما الامة الموجودة
عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم من الموجودين الى يوم القيمة فهم امة واحدة
منسكهم الفرقان ليس الا كما مر من قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والفاء في قوله
تعالى فلا ينازعنك في الامر لترتيب النهي على ما قبلها فان تعيينه تعالى لكل امة من الامم من جملتهم
هذه الامة شريعة مستقلة بحيث لا تتخطى امة منهم شريعتها المعينة لها موجب لطاعة هؤلاء
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم منازعتهم اياه في امر الدين زعما منهم ان شريعتهم ما عين لاباءهم
الاولين من التورية والانجيل فانهما شريعتان لمن مضى من الامم قبل انتساخهما وهؤلاء امة

مستقلة

مستقلة منسكهم القران المجيد فحسب والنهي اما على حقيقته او كناية عن نهيه صلى الله
عليه وسلم عن الالتفات الى نزاعهم المبني على زعمهم المذكور واما جعله عبارة عن نهيه عليه
الصلاة والسلام عن منازعتهم فلا يساعده المقام وقرئ فلا ينزعنك على تهييجه عليه
الصلاة والسلام والمبالغة في تثبيته وايا ما كان فمحل النزاع ما ذكرناه وتخصيصه بامر النسايك
وجعله عبارة عن قول الخزاعيين وغيرهم للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله
الله تعالى مما لا سبيل اليه اصلا كيف لا وانه يستدعي ان يكون في اهل الميتة وسائر ما يدعونه
من الاباطيل من جملة المناسك التي جعلها الله تعالى لبعض الامم ولا يرتاب في بطلانه عاقل وادع
اي فادعهم او وادع الناس كافة على انهم لا يخلون فيهم دخولا اوليا الى ربك الى توحيده وعبادته
حسبما بين لهم في منسكهم وشريعتهم انك لعلى هدى مستقيم اي طريق موصل الى الحق سوي
والمراد به اما الدين او الشريعة او ادلتهما وان جادلوك بعد ظهور الحق بما ذكر من التحقيق
ولزوم الحجة عليهم فقل لهم على سبيل الوعيد الله اعلم بما تعملون من الاباطيل التي من جملتها المجادلة
الله يحكم بينكم يفصل بين المؤمنين منكم والكافرين يوم القيمة بالثواب والعقاب كما فصل
في الدنيا بالحجج والايات فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم استيناف مقرر لمضمون ما
قبله والاستفهام للتقرير اي قد علمت ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه شيء
من الاشياء التي من جملتها ما يقولونه الكفرة او يعملونه ان ذلك اي ما في السماء والارض في كتاب
هو اللوح اي الحكم بينكم على الله يسير فان علمه وقدرته مقتضى ذاته فلا يخفى عليه شيء من الاشياء
ولا يستعصي عليه مقدور ويعبدون من دون الله حكاية لبعض اباطيل المشركين واحوالهم
الدالة على كمال سخافة عقولهم وركاكة ارائهم حيث بنوا امر دينهم على غير مبنى من دليل سمعي او
عقلي واعرضوا عما القي عليهم من سلطان بين هو اساس الدين وقاعدته اشد اعراض اي
تعبدون متجاوزين عبادة الله ما لم ينزل به اي بجواز عبادته سلطانا اي حجة وما ليس لهم به اي
بجواز عبادته علم من ضرورة العقل او استدلاله وما للظالمين اي الذين ارتكبوا مثل هذا الظلم
العظيم الذي يقضي ببطلانه بديهة العقول من نصير يساعدهم في مذهبهم وتقرير رايهم
او يدفع العذاب الذي يحق بهم بسبب ظلمهم واذا تتلى عليهم اياتنا عطف على يعبدون وما
بينهما اعتراض وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار التجددي بينات اي حال كونها واضحات
الدلائل على العقائد الحقة والاحكام الصادقة او على بطلان ما هم عليه من عبادة الاصنام او على
من عند الله عز وجل تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام او الفظيع
من التجهم والبسور او الشر الذي يقصدونه بظهور مخايله من الاوضاع والهيئات وهو الانسب
بقوله يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا اي يثبون ويبطشون بهم من فرط الغيظ
والغضب لاباطيل اخذوها تقليدا وهل جهالة اعظم واطم من ان يعبدوا ما لا يوجد صحة عبادته
شيئا ما اصلا بل يقضي ببطلانها العقل والنقل ويظهروا لمن يهديهم الى الحق المبين بالسلطان
المبين مثل هذا المنكر الشنيع كلا وهلا وضع الذين كفروا موضع الضمير قل ردا عليهم واقناطا
عما يقصدونه من الاضرار بالمسلمين افانبئكم اي اخاطبكم فاخبركم بشر من ذلكم الذي فيكم من
غيظكم على التالين وسطوتكم بهم او مما تبغونهم من الغوائل او مما اصابكم من الضجر بسبب ما
تلوه عليكم النار اي هو النار على انه جواب لسؤال مقدر كانه قيل ما هو وقيل مبتدا خبره قوله
تعالى وعدها الله الذين كفروا وقرئ النار بالنصب على الاختصاص وبالجر بدلا من شر فتكون
الجملة الفعلية استينافا كما على الوجه الاول او حالا من النار باضمار قد وبئس المصير اي النار
يا ايها الناس ضرب مثل اي بين لكم حال مستغربة او قصة بديعة رائعة حقيقة بان تسمى
مثلا وتسير في الامصار والاعصار او جعل الله مثل اي مثل في استحقاق العبادة او اريد بذلك
ما حكي عنهم من عبادتهم للاصنام فاستمعوا له اي للمثل نفسه استماع تدبر وتفكر او فاستمعوا
لاجله ما اقول فقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله الى اخره بيان للمثل نفسه استماع
تدبر وتفكر او فاستمعوا لاجله ما اقول في قوله تعالى وتفسير على الاول وتعليل لبطلان جعلهم
الاصنام مثلا لله سبحانه وتعالى في استحقاق العبادة على الثاني وقرئ بالياء الغيبة مبنيا للفاعل
ومبنيا للمفعول والراجع الى الموصول على الاولين محذوف لن يخلقوا ذبابا اي لن يقدروا على
خلقه ابدا مع صغره وحقارته فان لن بما فيها من تاكيد النفي دالة على منافاة ما بين النفي والمنفي
عنه ولو اجتمعوا له اي لخلقه وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله والجملة معطوفة على شرطية اخرى

محذوفة ثقة بدلالة هذه عليها اى لو لم يجتمعوا عليه لن يخلقوه ولو اجتمعوا له لن يخلقوه كما مر
تحقيقه مرارا وهما فى موضع الحال كانه قيل لن يخلقوا ذبابا على كل حال وان يسلبهم الذباب شيئا
بيان لعجزهم عن الامتناع عما يفعل بهم الذباب بعد بيان عجزهم عن خلقه اى ان يأخذ الذباب منهم
شيئا لا يستنقذوه منه مع غاية ضعفه ولو جهلوا غاية التجهيل فى اشراكهم بالله القادر على
جميع المقدورات المتفرد بايجاد كافة الموجودات تماثيل هى اعجز الاشيا وبين ذلك بانها لا تقدر
على اقل الاحيا واذلها ولو اتفقوا عليه بل لا يقوى على مقاومة هذا الاقل الاذل ويعجز عن ذبه عن
نفسها واستنقاد ما يختطفه منها قيل كانوا يطلبونها بالطيب والعسل ويغلقون عليها الابواب
فيدخل الذباب من الكوى فياكله ضعف الطالب والمطلوب اى عابد الصنم والذباب كانه
تطلب منه ويستنقذ منه ما يسلبه ولو حققت وجدت الصنم اعجز من الذباب بدرجات وعابده
اجهل من كل جاهل واضل من كل ضال ما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته حيث اشركوا
به وسموا باسمه ما هو ابعد الاشيا عن مناسبته ان الله لقوى على خلق الممكنات باسرها وافنا
الموجودات عن اخرها عزيز غالب على جميع الاشيا وقد عرفت حال الهتهم المقهورة لاذلها
العجزة عن اقلها والجملة تعليل لما قبلها من نفى معرفتهم له تعالى الله يصطفى من الملئكة رسلا
يتوسطون بينه تعالى وبين الانبيا عليهم السلام بالوحى ومن الناس وهم المختصون بالنفوس
الزكية المؤيدون بالقوة القدسية المتعلقون بكلا العالمين الروحانى والجسمانى يتلقون من
جانب ويلقون الى جانب ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق فيدعونهم
اليه تعالى بما انزل عليهم ويعلمونهم شرايعه واحكامه كانه تعالى لما قرر وحدانيته فى الا
لوهية ونفى ان يشاركه فيها شئ من الاشيا بين ان له عبادا مصطفين للرسالة يتوسل باجابتهم
والاقتدا بهم الى عبادته عز وجل وهو اعلى الدرجات واقصى الغايات لمن عداه من الموجودات
تقريرا للنبوة وتزييفا لقولهم لو شاء الله لانزل ملئكة وقولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى وقولهم الملئكة بنات الله ونحو ذلك من الاباطيل ان الله سميع بصير عليم بجميع المسموعات
والمبصرات فلا يخفى عليه شئ من الاقوال والافعال يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم والى الله
ترجع الامور لا الى غيره لا اشتراكا ولا استقلالا يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اى
فى صلوتكم امرهم بهما لما انهم ما كانوا يفعلونهما اول الاسلام او صلوا عبر عن الصلوة بهما لا
نهما اعظم اركانها او اخضعوا لله تعالى وخروا له سجدا واعبدوا ربكم بسائر ما تعبدكم به
وافعلوا الخير وتحروا ما هو خير واصلح فى كل ما تاتون وما تذرون كنوافل الطاعات
وصلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذه كلها وانتم راجون بها
الفلاح غير مستيقنين له واثقين باعمالكم والاية اى سجدة عند الشافعى رحمه الله لظاهر
ما فيها من الامر بالسجود لقوله صلى الله عليه وسلم فضلت سورة الحج بسجدتين من لم يسجدهما
فلا يقراها وجاهدوا فى الله اى لله تعالى ولاجل اعزاز دينه الظاهرة كاهل الزيغ والباطنة
كالهوى والنفس وعنه عليه الصلوة والسلام انه رجع من غزوة تبوك فقال رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر حق جهاده اى جهادا فيه حقا خالصا لوجهه فعكس واضيف الحق
الى الجهاد الى الضمير اتساعا او لانه مختص به تعالى من حيث انه مفعول لوجهه من اجله هو اجتبيكم
اى هو اختاركم لدينه ونصرته لا غيره وفيه تنبيه على ما يقتضى الجهاد ويدعوا اليه وما
جعل عليكم فى الدين من حرج اى ضيق بتكليف ما يشق عليكم اقامته اشارة الى انه لا مانع
لهم عنه ولا عذر لهم فى تركه او الى الرخصة فى اغفال بعض ما امرهم به حيث يشق عليهم لقوله
تعالى عليه الصلوة والسلام اذا امرتكم بشئ فاتوا منه ما استطعتم وقيل ذلك بان جعل
لهم من كل ذنب مخرجا بان رخص لهم فى المضايق وفتح عليهم باب التوبة وسوغ لهم الكفارات
فى حقوقه والاروش والديات فى حقوق العباد ملة ابيكم ابراهيم نصب على المصدر بفعل دل
عليه مضمون ما قبله بحذف المضاف اى وسع عليكم دينكم توسعة ملة ابيكم او على الاغرا
او على الاختصاص وانما جعله اباهم لانه ابو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كالاب لامته
من حيث انه سبب حياتهم الابدية ووجودهم على الوجه المعتد به فى الاخرة او لان اكثر العرب
كانوا من ذريته عليه الصلوة والسلام فغلبوا على غيرهم هو سماكم المسلمين من قبل فى الكتب
المتقدمة وفى هذا اى فى القران والضمير لله تعالى ويؤيده انه قرئ الله سماكم او لابراهيم
وتسميتهم بالمسلمين فى القران وان لم يكن منه صلى الله عليه وسلم كانت بسبب تسمية من قبل

مستقلة

فى

فى قوله تعالى ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقيل فى هذا تقريره فى هذا بيان عنى تسميته اياكم مسلمين
ليكون الرسول يوم القيمة متعلق بسماكم شهيدا عليكم بانه بلغكم فيدل على قبول شهادته لنفسه
اعتمادا على عصمته او بطاعة من اطاع وعصيان من عصى وتكونوا شهدا على الناس بتبليغ الرسل
اليهم فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة اى فتقربوا الى الله تعالى بانواع الطاعة وتخصيصهما بالذكر
لانافتهما وفضلهما واعتصموا بالله اى ثقوا به فى مجامع اموركم ولا تطلبوا الاعانة والنصرة الا منه
هو موليكم ناصركم ومتولى اموركم فنعم المولى ونعم النصير اذ لا مثل له فى الولاية والنصرة بل لا مولى
ولا نصير فى الحقيقة سواه عز وجل عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحج اعطى من الاجر
كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقى والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون الفلاح الفوز بالمرام والنجاة عن المكروه وقيل البقا
فى الخير والافلاح الدخول فى ذلك كالابشار الذى هو الدخول فى البشارة وقد يجئ متعديا بمعنى
الادخال فيه وعليه قراءة من قرا على البنا للمفعول وكلمة قد ههنا لافادة ثبوت ما كان متوقع
الثبوت من قبل لا لتقريب الاخبار به ضرورة ان المتوقع من حال المؤمنين ثبوت الفلاح لهم
وان ايمانهم وما تفرع عليه من اعمالهم الصالحة من دواعى الفلاح بموجب الوعد الكريم فلا
انه اريد بالافلاح حقيقة الدخول فى الفلاح الذى لا يتحقق فى الاخرة فالاخبار به عن
صيغة الماضى للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت وان اريد به كونهم بحال
تستتبعه البتة فصيغة الماضى فى محلها وقرئ افلحوا على الابهام والتفسير او على لغة اكلونى
البراغيث وفيه افلح بضمة اكتفى بها عن الواو كما فى قول من قال ولو ان الاطبا كان حولى والمراد
بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة
والبعث والجزا ونظائرها فقوله تعالى الذين هم فى صلاتهم خاشعون وما عطف عليه صفات
مخصصة لهم واما الاتون بفروعه ايضا كما ينبئ عنه اضافة الصلوة اليهم فهى صفات
موضحة او مادحة لهم حسب اعتبار ما ذكر فى حيز الصلة من المعانى مع الايمان اجمالا وتفصيلا
كما مر فى اوايل سورة البقرة والخشوع الخوف والتذلل اى خائفون من الله عز وجل متذللون
له ملزمون ابصارهم مساجدهم روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء
فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه راى مصليا يعبث بلحيته فقال لو خشع قلب هذا
خشعت جوارحه والذين هم عن اللغو اى عما لا يعنيهم من الاقوال والافعال معرضون اى
اى فى عامة اوقاتهم كما ينبئ عنه الاسم الدال على الاستمرار فيدخل فى ذلك اعراضهم عنه لا
مجرد الاشتغال بالجد فى امور الدين كما قيل فان ذلك ربما يوهم ان لا يكون فى اللغو نفسه
ما يزجرهم عن تعاطيه وهو ابلغ من ان يقال لا يلهون من وجوه جعل الجملة اسمية وبنا الحكم على الضمير
والتعبير عنه بالاسم وتقديم الصلة عليه واقامة الاعراض مقام الترك ليدل على تباعدهم عنه
راسا مباشرة وتسببا وميلا وحضورا فان اصله ان يكون فى عرض غيره والذين هم للزكوة فاعلون
وصفهم بذلك بعد وصفهم بالخشوع فى الصلوة للدلالة على انهم بلغوا الغايات القاصية
من القيام بالطاعات البدنية والمالية والتجنب عن المحرمات وساير ما توجب المروة
اجتنابه وتوسيط حديث الاعراض بينهما لكمال ملابسته بالخشوع فى الصلوة والزكوة مصدر
لانه الامر الصادر عن الفاعل لا المحل الذى هو موقعه ومعنى الفعل قد مر تحقيقه فى تفسير قوله
تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ويجوز ان يراد بها العين على تقدير المضاف والذين هم لفروجهم
حافظون ممسكون لها فالاستثنا فى قوله تعالى الا على ازواجهم من نفى الارسال الذى ينبئ عنه
الحفظ اى لا يرسلونها على احد الا على ازواجهم وفيه ايذان بان قوتهم الشهوية داعية لهم
الى ما لا يخفى وانهم حافظون لها من استيفا مقتضاها وبذلك يتحقق كمال العفة ويجوز ان يكون
على بمعنى من واليه ذهب الفرا كما فى قوله تعالى اذا اكتالوا على الناس اى حافظون لها من كل واحد
الا من ازواجهم وقيل متعلقة بمحذوف وقع حالا من ضميرها حافظون اى حافظون لها فى
جميع الاحوال الا حال كونهم والين او قوامين على ازواجهم وقيل بمحذوف يدل عليه غير ملومين
كانه قيل يلامون على كل مباشر الا على ما اطلق لهم فانهم غير ملومين وحمل الحفظ على العفة

عليهن ليكون المعنى حافظين فروجهم على الازواج لا يتعداهن ثم يقال غير حافظين الا عليهن
تأكيدا على تأكيد تكلف على تكلف او ما ملكت ايمانهم اي سراريهم فيمن عبر بما اجراء لهن لمملوكيتهن
مجرى غير العقلاء او لانوثتهن المنبئة عن القصور وقوله تعالى فانهم غير ملومين على عدم
حفظها فيهن فمن ابتغى وراء ذلك الذي ذكر من الحد المتسع وهو اربع من الحرائر وما شاء من
الاماء فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان المتناهون فيه وليس فيه ما يدل لحتما
على تحريم المتعة حسبما نقل عن القاسم بن محمد فانه قال انها ليست زوجة له فوجب ان لا تحل له
اما انها ليست بزوجة له فانهما لا يتوارثان بالاجماع ولو كانت زوجة له لحصل التوارث لقوله
تعالى ولكم نصف ما ترك ازواجكم فوجب ان لا تحل لقوله تعالى الا على ازواجهم لانا نمنع انهم لا يقولون
انها زوجة في الجملة واما ان كل زوجة ترث فهم لا يسلمونها • واما ما قيل من انه ان اريد
لو كانت زوجة حال الحياة لم يفد وان اريد بعد الموت فالملازمة ممنوعة فليس له معنى
محصل نعم لو عكس لكان له وجه والذين هم لاماناتهم وعهدهم لما يؤتمنون عليه ويعاهدون
من جهة الحق او الخلق راعون اي قائمون عليها حافظون لها على وجه الاصلاح وقرئ لامانتهم
والذين هم على صلواتهم المفروضة عليهم يحافظون يواظبون عليها ويؤدونها في اوقاتها
ولفظ الفعل فيه لما في الصلاة من التجدد والتكرر وهو السر في جمعها وليس فيه
تكرير لما ان الخشوع في الصلاة غير المحافظة عليها وفي فصلهما ايذان بان كلا منهما فضيلة
مستقلة على حيالها ولو قرنا في الذكر لربما توهم ان مجموع الخشوع والمحافظة فضيلة واحدة
اولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار اتصافهم بما ذكر من الصفات وايثارها على الاضمار للاشعار
بامتيازهم بها عن غيرهم ونزولهم منزلة المشار اليه حسا وما فيه من معنى البعد للايذان
بعلو طبقتهم وبعد درجتهم في الفضل والشرف اي اولئك المنعوتون بالنعوت الجليلة المذكورة
هم الوارثون اي الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ممن ورث غايب الاموال والذخاير
وكرايمها الذين يرثون الفردوس بيان لما يرثونه وتعيين للوراثة بعد اطلاقها وتفخيم لها
بعد ابهامها تفخيما لها ورفعا لمحلها وهي استعارة لاستحقاقهم الفردوس باعمالهم حسبما يقتضيه
الوعد الكريم للمبالغة فيه • وقيل انهم يرثون من الكفار منازلهم فيها حيث فوتوها على
انفسهم لانه تعالى خلق لكل انسان منزلا في الجنة ومنزلا في النار هم فيها اي الفردوس والتانيث
لانه اسم للجنة او لطبقتها العليا وهو البستان الجامع لاصناف الثمر • روي انه تعالى بنى جنة
الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة
من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة وجيد الريحان خالدون لا يخرجون منها ابدا
والجملة اما مستأنفة مقررة لما قبلها واما حال مقدرة من فاعل يرثون او مفعوله اذ فيها ذكر
كل منهما ومعنى الخلود انهم لا يموتون ولا يخرجون منها ولقد خلقنا الانسان شروع في بيان مبدأ
خلق الانسان وتقلبه في اطوار الخلقة وادوار الفطرة بيانا اجماليا اثر بيان حال بعض افراده
السعداء واللام جواب قسم والواو ابتدائية وقيل عاطفة على ما قبلها والمراد بالانسان
الجنس اي وبالله لقد خلقنا جنس الانسان في ضمن خلق ادم عليه السلام خلقا اجماليا
حسبما تحققته في سورة الحج وغيرها واما كونه مخلوقا من سلالات جعلت نطفا بعد ادوار
واطوار فبعيد من سلالة السلالة ما سل من الشيء واستخرج منه فان فعالة اسم لما يحصل
من الفعل فتارة يكون مقصودا منه كالخلاصة واخرى غير مقصودة منه كالقلامة
والكناسة والسلالة من قبيل الاول فانها مقصودة بالسل ومن ابتدائية متعلقة بالخلق
وما في قوله تعالى • من طين بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسلالة اي خلقناه من سلالة
كائنة من طين ويجوز ان تتعلق بسلالة على انها بمعنى مسلولة فهي ابتدائية كالاولى • وقيل المراد
بالانسان ادم عليه السلام فانه الذي خلق من صفوة سلت من الطين وقد وقعت على التحقيق
ثم جعلناه اي الجنس باعتبار افراده المغايرة لادم عليه السلام او جعلنا نسله على حذف المضاف
ان اريد بالانسان ادم عليه السلام او جعلنا نسله على حذف المضاف ان اريد بالانسان
ادم عليه السلام نطفة بان خلقناه منها او ثم جعلنا السلالة نطفة والتذكير بتأويل الجوهر او
المسلول او الماء في قرار اي مستقر وهو الرحم عبر عنها بالقرار الذي هو مصدر مبالغة وقوله
تعالى مكين وصف لها بصفة ما استقر فيها مثل طريق سائر او بمكانتها في نفسها فانها مكنت
بحيث هي واحرزت ثم خلقنا النطفة علقة اي دما جامدا بان احلنا النطفة البيضاء علقة حمراء

فخلقنا العلقة مضغة اي قطعة لحم لا استبانة ولا تمايز فيها فخلقنا المضغة اي غالبها ومعظمها
او كلها عظاما بان صلبناها وجعلناها عمودا للبدن على هيئات واوضاع مخصوصة تقتضيها
الحكمة فكسونا العظام المعهودة لحما من بقية المضغة او مما انبتنا عليها بقدرتنا
مما يصل اليها اي كسونا كل عظم من تلك العظام ما يليق به من اللحم على مقدار لائق به وهيئة
مناسبة له واختلاف العواطف للتنبيه على تفاوت الاستحالات وجمع العظام لاختلافها وقرئ
على التوحيد فيهما اكتفاء بالجنس وبتوحيد الاول فقط وبتوحيد الثاني فحسب ثم انشاناه خلقا اخر
هي صورة البدن او الروح او القوى بنفخه فيه او المجموع وثم لكمال التفاوت بين الخلقين واحتج به
ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه على ان من غصب بيضة وفرخت عنده لزمه ضمان البيضة لا
الفرخ لانه خلق اخر فتبارك الله فتعالى شانه في علمه الشامل وقدرته الباهرة والالتفات
الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال الروعة والاشعار بان ما ذكر من الافعال العجيبة من
احكام الالوهية والايذان بان حق كل من سمع ما فصل من اثار قدرته عز وعلا او لاحظه ان يسارع
الى التكلم به اجلالا واعظاما لشؤونه تعالى احسن الخالقين بدل من الجلالة وقيل نعت له بناء على ان
الاضافة ليست محضة وقيل خبر مبتدا محذوف اي هو احسن الخالقين خلقا اي المقدرين تقديرا حذف
المميز لدلالة الخالقين عليه كما حذف ما دل فيه في قوله تعالى اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة عليه
اي احسن الخالقين خلقا فالحسن للخلق • وقيل نظيره صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال اي جميل فعله
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن • روي ان عبد الله بن ابي سرح
كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي فلما انتهى عليه الصلاة والسلام الى قوله خلقا اخر
سارع عبد الله النطق به قبل املائه فقال صلى الله عليه وسلم اكتب هكذا انزلت فشك عبد الله
فقال ان كان محمد يوحى اليه فانا كذلك فلحق بمكة كافرا ثم اسلم يوم الفتح وقيل مات على كفره وروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال لما نزلت هذه الاية قال عمر رضي الله عنه
فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا نزلت يا عمر فكان عمر رضي الله
عنه يفتخر بذلك ويقول وافقت ربي في اربع في الصلاة خلف المقام وضرب الحجاب على النسوة وقولي
لهن او ليبدلنه الله خيرا منكن فنزل قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الاية والرابع فتبارك الله
احسن الخالقين انظر كيف وقعت هذه الواقعة سببا لسعادة عمر رضي الله تعالى عنه وشقاوة ابن ابي سرح
حسبما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا لا يقال فقد تكلم البشر ابتداء بمثل نظم القران وذلك قادح
في اعجازه لما ان الخارج عن قدرة البشر ما كان مقدار اقصر السور على ان اعجاز هذه الاية الكريمة منوط
بما قبلها كما تعرب عنه الفاء فانها اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ثم انكم بعد ذلك اي بعد ما ذكر من
الامور العجيبة حسبما ينبئ عنه ما في اسم الاشارة من معنى البعد المشعر بعلو رتبة
المشار اليه في الفضل والكمال وكونه بذلك مميزا منزلا منزلة الامور الحسية لميتون لصائرون
الى الموت لا محالة كما تؤذن به صيغة النعت الدالة على الثبوت دون الحدوث الذي يفيده صيغة
الفاعل وقد قرئ لمائتون ثم انكم يوم القيامة اي عند النفخة الثانية تبعثون من قبوركم للحساب
والمجازاة بالثواب والعقاب ولقد خلقنا فوقكم بيان لخلق ما يحتاج اليه بقاؤهم اثر بيان خلقهم اي خلقناه
في جهة العلو من غير اعتبار فوقيتها لهم لان تلك النسبة انما تعرض لها بعد خلقهم سبع طرائق هي
السموات السبع سميت بها لانها طورق بعضها فوق بعض مطارقة النعل فان كل ما فوقه مثله
فهو طريقة او لانها طرائق الملائكة والكواكب في مسيرها وما كنا عن الخلق عن ذلك المخلوق الذي هو
السموات او عن جميع المخلوقات التي هي من جملتها او عن الناس غافلين مهملين امرها بل نحفظها عن
الزوال والاختلال وندبر امرها حتى تبلغ منتهى ما قدر لها من الكمال حسبما اقتضته الحكمة وتعلقت
به المشيئة ويصل اليها ما في الارض من منافعها كما ينبئ عنه قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء هو المطر
او الانهار النازلة من الجنة قيل هي خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات
نهر الهند وجيحون نهر بلخ ودجلة والفرات نهر العراق والنيل نهر مصر انزلها الله تعالى من عين
واحدة من عيون الجنة فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في فنون
معايشهم ومن ابتدائية متعلقة بانزلنا وتقديمها على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاعتناء
بالمقدم والتشويق الى المؤخر والعائد ولعين الانهار ولان الانزال لا يعتبر فيه عنوان كونها
طرائق بل مجرد كونها جهة العلو بقدر بتقدير لائق لاستجلاب منافعهم ودفع مضارهم
او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض اي جعلناه ثابتا قارا فيها وانا على ذهاب

اى ازالته بالافساد او التصعيد او التعوير بحيث يتعذر استنباطه لقادرون كما كنا قادرين
على انزاله وفى تنكير ذهاب ايماء الى كثرة طرقه ومبالغة فى الايعاد به ولذلك جعل ابلغ من قوله
تعالى قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين فانشانا لكم به اى بذلك الماء جنات من
نخيل واعناب لكم فيها فى الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها من الجنات تاكلون تغذيا او ترزقون
وتحصلون معايشكم من قولهم فلان ياكل من حرفته ويجوز ان يكون الضميران للنخيل والاعناب
اى لكم فى ثمراته انواع من الفواكه الرطب والعنب والتمر والزبيب والعصير والدبس وغير ذلك
وطعام تاكلونه وشجرة بالنصب عطف على جنات وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف دل عليه
ما قبله اى ومما انشانا لكم به شجرة وتنبت بعد الطوفان تخرج من طور سيناء وهو جبل موسى
عليه السلام بين مصر وايلة وقيل بفلسطين ويقال له طور سينين فاما ان يكون الطور اسم الجبل
وسيناء اسم البقعة اضيف اليها او المركب منهما علم له كامرئ القيس ومنع صرفه للتعريف
والعجمة والتانيث على تاويل البقعة لا للالف لانه فيعال كديماس من السناء بالمد وهو
الرفعة او بالقصر وهو النور او ملحق بفعلال كعلباء من السين اذ لا فعلاء بالف التانيث بخلاف
سينا فانه فيعال ككيسان او فعلاء كصحراء اذ لا فعلال فى كلامهم وقرئ بالكسر والقصر والجملة
صفة لشجرة وتخصيصها بالخروج منه مع خروجها من سائر البقاع ايضا لتعظيمها ولانه المنشا
الاصلى لها وقوله تعالى تنبت بالدهن صفة اخرى لشجرة والباء متعلقة بمحذوف وقع حالا منها
اى تنبت ملتبسة به ويجوز كونها صلة معدية اى تنبته بمعنى تتضمنه وتحصله فان النبات
حقيقة صفة للشجرة لا للدهن وقرئ تنبت من الافعال وهو اما من انبت بمعنى نبت كما فى
قول زهير رايت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل او على تقدير تنبت
زيتونها ملتبسا بالدهن وقرئ على البناء للمفعول وهو كالاول وتثمر بالدهن وتخرج بالدهن
وتنبت بالدهن وصبغ للاكلين معطوف على الدهن جار على اعرابه عطف احد وصفى الشئ على الاخر
اى تنبت بالشئ الجامع بين كونه دهنا يدهن به ويسرج منه وكونه اداما يصبغ فيه الخبز اى
يغمس للائتدام وقرئ وصباغ كدباغ فى دبغ وان لكم فى الانعام لعبرة بيان للنعم الفائضة عليهم
من جهة الحيوان اثر بيان النعم الواصلة اليهم من جهة الماء والنبات وقد بين انها مع كونها فى نفسها
نعمة ينتفعون بها على وجوه شتى عبرة لا بد من ان يعتبروا بها ويستدلوا باحوالها على عظيم
قدرة الله عز وجل وسابغ رحمته ويشكروه ولا يكفروه وخص هنا بالحيوان الانعام لما ان محل العبرة
فيه اظهر مما فى النبات وقوله تعالى نسقيكم مما فى بطونها تفصيل لما فيها من مواقع العبرة وما فى
بطونها عبارة اما عن الالبان فمن تبعيضية والمراد بالبطون الجوف او عن العلف الذى يتكون منه
الدر فمن ابتدائية والبطون على حقيقتها وقرئ بفتح النون وبالتاء اى تسقيكم الانعام ولكم فيها
منافع كثيرة غير ما ذكر من اصوافها واشعارها ومنها تاكلون فتنتفعون باعيانها كما تنتفعون
بما يحصل منها وعليها اى وعلى الانعام فان الحمل عليها لا يقتضى الحمل على جميع انواعها بل يتحقق بالحمل
على البعض كالابل ونحوها وقيل المراد هى الابل خاصة لانها هى المحمول عليها لا يقتضى الحمل على
جميع انواعها بل يتحقق بالحمل على البعض عندهم والمناسب للفلك فانها سفائن البر قال ذو الرمة
سفينة بر تحت خدى زمامها فالضمير فيه كما فى قوله تعالى وبعولتهن احق بردهن وعلى الفلك
تحملون اى فى البر والبحر وفى الجمع بينها وبين الفلك فى ايقاع الحمل عليهما مبالغة فى تحملها الحمل وهو
الداعى الى تاخير ذكر هذه المنفعة مع كونها من المنافع الحاصلة منها عن ذكر منفعة الاكل المتعلقة
بعينها ولقد ارسلنا نوحا الى قومه شروع فى بيان اهمال الامم السابقة وتركهم النظر والاعتبار
فيما عدد من النعم الفائتة للحصر وعدم تذكرهم بتذكير رسلهم وما حاق بهم لذلك من فنون العذاب
تحذيرا للمخاطبين وتقديم قصة نوح عليه السلام على سائر القصص مما لا يخفى وجهه وفى ايرادها
اثر قوله تعالى وعلى الفلك تحملون من حسن الموقع ما لا يوصف والواو ابتدائية واللام جواب
قسم محذوف وتصدير القصة به لاظهار كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد ارسلنا نوحا الى قومه
ونسبه الكريم وكيفية بعثه وكمية لبثه فيما بينهم قد مر تفصيله فى سورة الاعراف وسورة هود
فقال متعطفا عليهم ومستميلا لهم الى الحق يا قوم اعبدوا الله اى اعبدوه وحده كما يفصح عنه
قوله تعالى فى سورة هود الا تعبدوا الا الله وترك التقييد به للايذان بانها هى العبادة فقط
واما العبادة بالاشراك فليست من العبادة فى شئ راسا وقوله تعالى ما لكم من اله غيره استئناف
مسوق لتعليل العبادة المامور بها او تعليل الامر بها وتعليله بالرفع صفة لاله باعتبار محله

الذى

محله الذى هو الرفع على انه فاعل او مبتدا خبره لكم او محذوف ولكم للتخصيص والتبيين اى
ما لكم فى الوجود او فى العالم اله غيره وقرئ بالجر باعتبار لفظه افلا تتقون انفسكم عذابه
الذى يستوجبه ما انتم عليه من ترك عبادته تعالى كما يفصح عنه قوله تعالى انى اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم وقوله تعالى عذاب اليم وقيل افلا عبادته تعالى كما تخافون ان ترفضوا عبادة
الله الذى هو ربكم الى اخره وليس بذاك وقيل افلا تخافون ان يزيل عنكم نعمه الى اخره وفيه
ما فيه والهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اتعرفون
ذلك اى مضمون قوله تعالى ما لكم من اله غيره افلا تتقون عذابه بسبب اشراككم به فى العبادة
ما لا يستحق الوجود لولا ايجاد الله تعالى اياه فضلا عن استحقاق العبادة فالمنكر عدم الاتقاء
مع تحقق ما يوجبه او الا تلاحظون ذلك فلا تتقونه فالمنكر كلا الامرين فالمبالغة حينئذ
فى الكمية وفى الاول فى الكيفية فقال الملا اى الاشراف الذين كفروا من قومه وصف الملا بما
ذكر مع اشتراك الكل فيه للايذان بكمال عراقتهم فى الكفر وشدة شكيمتهم فيه اى قالوا لعوامهم
ما هذا الا بشر مثلكم اى فى الجنس والوصف من غير فرق بينكم وبينه وصفوه عليه الصلاة والسلام
بذلك مبالغة فى وضع رتبته العالية وحطها عن منصب النبوة يريد ان يتفضل عليكم اى يريد
ان يطلب الفضل عليكم ويتقدمكم بادعاء الرسالة مع كونه مثلكم وصفوه بذلك اغضابا للمخاطبين
عليه الصلوة والسلام واغراء لهم على معاداته عليه السلام وقوله تعالى ولو شاء الله لانزل
ملائكة بيان لعدم رسالة البشر على الاطلاق على زعمهم الفاسد بعد تحقيق بشريته عليه
الصلوة والسلام اى لو شاء الله تعالى ارسال الرسول لارسل رسلا من الملائكة وانما قيل لانزل
لان ارسال الملائكة لا يكون الا بطريق الانزال فمفعول المشية مطلق الارسال المفهوم من الجواب
لا نفس مضمونه كما فى قوله تعالى ولو شاء لهديكم ونظائره ما سمعنا بهذا اى بمثل هذا الكلام الذى
هو الامر بعبادة الله تعالى خاصة وترك عبادة ما سواه وقيل بمثل نوح عليه السلام
فى دعوى النبوة فى ابائنا الاولين اى الماضين قبل بعثته عليه السلام قالوه اما لكونهم وابائهم
فى فترة متطاولة واما لفرط غلوهم فى التكذيب والعناد وانهماكهم فى الغى والفساد واياما كان
فقولهم هذا ينبغى ان يكون هو الصادر عنهم فى مبادى دعوته عليه الصلوة والسلام كما ينبئ عنه
الفاء فى قوله تعالى فقال الملا الى اخره وقيل معناه ما سمعنا به عليه الصلاة والسلام انه نبى
فالمراد بابائهم الاولين الذين مضوا قبلهم فى زمن نوح عليه الصلاة والسلام وقولهم المذكور
هو الذى صدر عنهم فى اواخر امره عليه السلام وهو المناسب لما بعده من حكاية دعائه عليه
الصلاة والسلام وقولهم المذكور هو الذى هو صدر عنهم فى اخر امره عليه السلام وهو المناسب
لما بعده من حكاية دعائه عليه الصلاة والسلام وقولهم ان هو اى ما هو الا رجل به جنة اى جنون
او جن يخبلونه ولذلك يقول ما يقول فتربصوا به اى احتملوه واصبروا عليه وانتظروا حتى
حين لعله يفيق مما فيه محمول حينئذ على ترامى احوالهم فى المكابرة والعناد واضرابهم عليه السلام
به من التشويه وارادة التفضيل الى وصفه عليه السلام بما ترى وهم يعرفون انه عليه السلام ارجح الناس
عقلا وارزنهم قولا وعلى تناقض احوالهم مقالاتهم الفاسدة قاتلهم الله انى يؤفكون قال
استئناف مبنى على سؤال نشا من حكاية كلام الكفرة كانه قيل فماذا قال عليه السلام بعد ما سمع
منهم هذه الاباطيل فقيل قال لما راى انهم قد اصروا على الكفر والتكذيب وتمادوا فى الغواية والضلال حتى
يئس من ايمانهم بالكلية وقد اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن رب انصرنى باهلاكهم
بالمرة فانه حكاية اجمالية لقوله عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا الى اخره
بما كذبون اى بسبب تكذيبهم فاوحينا اليه عند ذلك ان اصنع الفلك ان مفسرة لما فى الوحى من
معنى القول باعيننا ملتبسا بحفظنا وكلاءتنا كان معه عليه الصلاة والسلام منه عز وعلا حفاظا
وحراسا يكلؤونه باعينهم من التعدى او من الزيغ فى الصنعة ووحينا وامرنا وتعليمنا لكيفية صنعها
والفاء فى قوله فاذا جاء امرنا لترتيب مضمون ما بعدها على تمام صنع الفلك والمراد بالامر العذاب
كما فى قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله لا الامر بالركوب كما قيل وبمجيئه كمال اقترابه او ابتدا
ظهوره اى اذا جاء اثر تمام الفلك عذابنا وقوله تعالى وفار التنور عطف بيان لمجئ الامر روى
انه قيل له عليه السلام اذا فار الماء من التنور اركب انت ومن معك وكان تنورا لادم فصار الى
نوح عليهما السلام فلما نبع منه الماء اخبرته امراته فركبوا واختلف فى مكانه فقيل كان فى مسجد
الكوفة او فى موضعه عن يمين الداخل من باب كندة اليوم وقيل كان فى عين وردة من الشام وقد كان

من تفسيره في سورة هود فاسلك فيها اي ادخل فيها يقال سلك فيه اي دخل فيه ومنه قوله تعالى
ما سلككم في سقر من كل اي من كل امة زوجين اي فردين مزدوجين كما يعرب عنه قوله تعالى
اثنين فانه نص في الفردين دون الجمعين والفريقين وقرئ بالاضافة على ان المفعول اثنين اي
من كل امة زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك وهذا صريح
في ان الامر كان قبل صنعه الفلك وفي سورة هود حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها
من كل زوجين فالوجه ان يحمل ما على انه حكاية الامر اجمالي بجزئي وورد عند فور التنور الذي نيط به
الامر التعليقي قبل تحقيق المعلق به في ايجاب المامور به بمنزلة المعدوم جعل كانه انما حدث عند
تحققه فحكي على صورة التنجيز وقد مر في تفسير قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم واهلك
منصوب بفعل معطوف على فاسلك لا بالعطف على زوجين او اثنين على القراءتين لادائه الى اختلال
المعنى اي واسلك اهلك والمراد به امراته وبنوه وتاخير الامر بادخالهم عما ذكر من ادخال الازواج
فيها لكونه عريقا فيما امر به من الادخال فانه محتاج الى مزاولة الاعمال منه عليه السلام بل الى
معاونة من اهله واتباعه وانعام فانما يدخلونها باختيارهم بعد ذلك ولان في المؤخر ضرب
تفصيل بذكر الاستثناء وغيره فتقديمه يودي الى الاخلال بتجاوب اطراف النظم الكريم الا من سبق
عليه القول منهم اي القول باهلاك الكفرة وانما جيء بعلى لكون السابق ضارا كما جيء باللام في قوله
تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى لكونه نافعا ولا تخاطبني في الذين ظلموا بالدعاء لانجائهم انهم
مغرقون تعليل للنهي او لما ينبئ عنه من عدم قبول الدعاء اي انهم مقضي عليهم بالاغراق لا محالة
لظلمهم بالاشراك وسائر المعاصي ومن هذا شانه لا يشفع له ولا يشفع فيه كيف لا وقد امر
بالحمد على النجاة منهم بهلاكهم بقوله تعالى فاذا استويت انت ومن معك اي من اهلك واشياعك
على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين على طريقة قوله تعالى فقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين وقل رب انزلني في السفينة او منها منزلا مباركا اي انزالا او موضع
انزال يستتبع خيرا كثيرا وقرئ منزلا اي موضع نزول فانت خير المنزلين امر عليه السلام بان
يشفع دعاءه بما يطابقه من ثنائه عز وجل توسلا به الى الاجابة وافراده عليه السلام بالامر
مع شركة الكل في الاستواء والنجاة لاظهار فضله عليه السلام والاشعار بان في دعائه وثنائه
مندوحة عما عداه ان في ذلك الذي ذكر مما فعل به عليه السلام وبقومه لآيات جليلة يستدل
بها اولوا الابصار ويعتبر بها ذوو الاعتبار وان كنا لمبتلين ان مخففة واللام فارقة بينها
وبين النافية وضمير الشان محذوف اي وان الشان كنا مصيبين قوم نوح بعذاب عظيم وعقاب
شديد او مختبرين بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويتذكر لقوله تعالى ولقد تركناها آية
فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم اي من بعد اهلاكهم قرنا آخرين هم عاد حسبما روي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وعليه اكثر المفسرين وهو الاوفق لما هو المعهود في سائر السور الكريمة
من ايراد قصتهم اثر قصة قوم نوح وقيل هم ثمود فارسلنا فيهم جعلوا موضعا للارسال كما في قوله
تعالى كذلك ارسلناك في امة ونحوه لا غاية له كما في مثل قوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه
للايذان من اول الامر بان من ارسل اليهم لم ياتهم من غير مكانهم بل انما نشا فيما بين اظهرهم كما ينبئ
عنه قوله تعالى رسولا منهم اي من جملتهم نسبا فانهما عليهما السلام كانا منهم وان في قوله تعالى
ان اعبدوا الله مفسرة لارسلنا متضمنة معنى القول اي قلنا لهم على لسان الرسول ان اعبدوا
الله وقوله تعالى ما لكم من اله غيره تعليل للعبادة المامور بها او للامر بها او لوجوب الامتثال به
افلا تتقون اي عذابه الذي يستدعيه ما انتم عليه من الشرك والمعاصي والكلام في العطف كالذي
مر في قصة نوح عليه السلام وقال الملا من قومه حكاية لقولهم الباطل الذي تفوهوا به حكاية
ارسال الرسول بطريق العطف على ان المراد حكاية مطلق تكذيبهم له عليه السلام اجمالا لا الحكاية
ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من المحاورة والمقاولة تفصيلا حتى يحكى بطريق الاستئناف المبني
عن السؤال كما ينبئ عنه ما ياتي من حكاية سائر الامم اي وقال الاشراف من قومه الذين كفروا في محل
الرفع على انه صفة للملا وصفوا بذلك ذما لهم وتنبيها على غلوهم في الكفر وتاخيره من قومه لعطف
قوله تعالى وكذبوا بلقاء الآخرة وما عطف عليه على الصلة الاولى اي كذبوا بلقاء ما فيها من الحساب
والثواب والعقاب اي بمعادهم الى الحياة الثانية بالبعث واترفناهم ونعمناهم في الحياة الدنيا
بكثرة الاموال والاولاد اي قالوا لاعقابهم مضلين لهم ما هذا الا بشر مثلكم اي في الصفات والاحوال
وايثار مثلكم على مثلنا للمبالغة في تهوين امره عليه السلام وتوهينه ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما

تشربون

تشربون تقرير للمماثلة وتاخيرها والعائد الى الثاني منصوب محذوف او مجرور قد حذف مع الجار
لدلالة ما قبله عليه ولئن اطعتم بشرا مثلكم اي فيما ذكر من الاحوال والصفات اي امتثلتم باوامره
انكم اذا اي على تقدير الاتباع لخاسرون عقولكم ومغبونون في آرائكم حيث اذللتم انفسكم انظر كيف
جعلوا اتباع الرسول الحق الذي يوصلهم الى سعادة الدارين خسرانا دون عبادة الاصنام التي لا
خسران وراءها قاتلهم الله انى يؤفكون واذا وقع بين اسم ان وخبرها لتاكيد مضمون الشرط والجملة
جواب قسم محذوف قبل ان الشرطية المصدرة باللام الموطئة اي والله لئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا
متم بكسر الميم من مات يمات وقرئ بضمها من مات يموت وكنتم ترابا وعظاما نخرة مجردة عن اللحوم
والاعصاب اي كان بعض اجزائكم من اللحم ونظائره ترابا صرفا ومتاخركم عظاما وقوله تعالى انكم
تاكيد للاول لطول الفصل بينه وبين خبره الذي هو قوله تعالى مخرجون اي من القبور احياء كما
كنتم قبل وقيل انكم مخرجون مبتدا واذا متم خبره على معنى اخراجكم اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم
وقيل رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء الشرط كانه قيل اذا متم وقع اخراجكم ثم وقعت الجملة
الشرطية خبرا عن انكم والذي يقتضيه جزالة النظم الكريم هو الاول وقرئ ايعدكم اذا متم الخ
هيهات هيهات تكرير لتاكيد البعد اي بعد الوقوع او الصحة لما توعدون وقيل اللام لبيان
المستبعد ما هو كما في هيت لك لانهم لما صوتوا بكلمة الاستبعاد قيل لما توعدون وقيل هيهات بمعنى
البعد وهو مبتدا خبره لما توعدون وقرئ بالفتح منونا للتنكير وبالضم منونا على انه جمع هيهة
وغير منون تشبيها بقبل وبالكسر على الوجهين وبالسكون على لفظ الوقف وابدال التاء هاء ان هي الا
حياتنا الدنيا اصله ان الحياة الا حياتنا فاقيم الضمير مقام الاولى لدلالة الثانية عليها حذرا
من التكرير واشعارا باغنائها عن التصريح كما في النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول ما شاءت
وحيث كان الضمير بمعنى الحياة الدالة على الجنس كانت ان النافية بمنزلة لا النافية للجنس وقوله
تعالى نموت ونحيا جملة مفسرة لما ادعوه من ان الحياة هي الحياة الدنيا اي يموت بعضنا ويولد بعض
الى انقراض العصر وما نحن بمبعوثين بعد الموت ان هو اي ما هو الا رجل افترى على الله كذبا
فيما يدعيه من ارساله وفيما يعدنا من ان الله تعالى يبعثنا وما نحن له بمؤمنين بمصدقين فيما
يقوله قال اي هود عليه السلام عند ياسه من ايمانهم بعد ما سلك في دعوتهم كل مسلك
متضرعا الى الله عز وجل رب انصرني عليهم وانتقم لي منهم بما كذبون اي بسبب تكذيبهم
اياي وما صاروا عليه قال تعالى اجابة لدعائه وعدة بالقبول عما قليل اي عن زمان قليل وما
مزيدة بين الجار والمجرور لتاكيد معنى القلة كما زيدت في قوله تعالى فبما رحمة من الله او
نكرة موصوفة اي شيء قليل ليصبحن نادمين على ما فعلوا من التكذيب وذلك عند معاينتهم
للعذاب فاخذتهم الصيحة لعلهم حين اصابتهم الريح العقيم اصيبوا في تضاعيفها بصيحة
هائلة ايضا وقد روي ان شداد بن عاد حين اتم بناء ارم سار اليها باهله فلما دنا منها بعث الله تعالى
عليهم صيحة من السماء فهلكوا وقيل الصيحة نفس العذاب والموت وقيل هي العذاب المصطلم
قال القائل • صاح الزمان بآل برمك صيحة • خروا لشدتها على الاذقان • بالحق متعلق بالاخذ
اي بالامر الثابت الذي لا دفاع له او بالعدل من الله تعالى او بالوعد الصدق فجعلناهم غثاء اي
كغثاء السيل وهو حميله فبعدا للقوم الظالمين اخبار او دعاء وبعدا من المصادر التي لا تكاد
تستعمل ناصبها والمعنى بعدوا بعدا اي هلكوا واللام لبيان من قيل له بعدا ووضع الظاهر موضع
الضمير للتعليل ثم انشانا من بعدهم اي بعد هلاكهم قرونا آخرين هم قوم صالح ولوط وشعيب عليهم السلام
وغيرهم ما تسبق من امة اجلها اي ما تتقدم امة من الامم المهلكة الوقت الذي عين لهلاكهم اي ما
تهلك امة قبل مجيء اجلها وما يستاخرون ذلك الاجل ساعة وقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا عطف
على انشانا لكن لا على معنى ان ارسالهم متراخ عن انشاء القرون المذكورة جميعا بل على معنى ان ارسال
كل رسول متاخر عن انشاء قرن مخصوص بذلك الرسول كانه قيل ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين
قد ارسلنا الى كل قرن منهم رسولا خاصا به والفصل بين المعطوف بالجملة المعترضة الناطقة
بعد تقدم الامم اجلها المضروب لهلاكهم للمسارعة الى بيان هلاكهم على وجه اجمالي تترى اي متواترين
واحدا بعد واحد من الوتر وهو الفرد والتاء بدل من الواو كما في تولج وتتقون والالف للتانيث
باعتبار ان الرسل جماعة وقرئ بالتنوين على انه مصدر بمعنى الفاعل وقع حالا وقوله تعالى كل ما جاء
امة رسولها كذبوه استئناف مبين لمجيء كل رسول لامته ولما صدر عنهم عند تبليغ الرسالة والمراد
بالمجيء التبليغ واما حقيقة المجيء فللايذان بانهم كذبوه في اول الملاقاة واضافة الرسول

ايعدكم انكم اذا متم استئناف سيق لتقرير ما قبله من زجرهم عن اتباعه عليه السلام بانكار [illegible] الايمان واستبعاده
س

الا مة مع اضافته اليهم فيما سبق الى نون العظمة لتحقيق ان كل رسول جاء امته الخاصة به لا ان كلهم
جاؤا كل الامم وللاشعار بكمال شناعتهم وضلالهم حيث كذبت كل واحدة منهم رسولها المعين لها وقيل
لان الارسال لائق بالرسل والمجيء بالمرسل اليهم فاتبعنا بعضهم بعضا في الهلاك حسبما تبع بعضهم
بعضا في مباشرة اسبابه التي هي الكفر والتكذيب وساير المعاصي وجعلناهم احاديث لم يبق منهم الا حكايات
يعتبر بها المعتبرون وهو اسم جمع للحديث او جمع احدوثة وهو ما يتحدث به تلهيا وتعجبا فبعدا لقوم
لا يؤمنون اقتصر هاهنا على وصفهم بعدم الايمان حسبما اقتصر على حكاية تكذيبهم اجمالا واما القرون
الاولون فحيث نقل عنهم ما مر من الغلو وتجاوز الحد في الكفر والعدوان وصفوا بالظلم ثم ارسلنا
موسى واخاه هرون باياتنا هي الايات التسع من اليد والعصا والجراد والقمل والضفادع والدم
ونقص الثمرات والطاعون ولا مساغ لعد فلق البحر منها اذ المراد هي الايات التي كذبوها واستكبروا
عنها وسلطان مبين اي حجة واضحة ملزمة للخصم وهي اما العصا وافرادها بالذكر مع اندراجها
في الايات لما انها ام اياته عليه السلام واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها ثعبانا
وتلقفها لما افكته السحرة حسبما فصل في تفسير سورة طه واما التعرض لانفلاق البحر وانفجار
العيون من الحجر بضربها وحراستها وصيرورتها شمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشا وغير
ذلك مما ظهر منها من قبل ومن بعد في غير مشهد فرعون وقومه فغير ملائم لمقتضى المقام واما
نفس الايات كقوله ∴ الى الملك القرم وابن الهمام ∴ عبر عنها بذلك على طريقة العطف تنبيها على
جمعها لعنوانين جليلين وتنزيلا لتغايرهما منزلة التغاير الذاتي الى فرعون وملائه اي اشراف
قومه خصوا بالذكر لان ارسال بني اسرائيل منوط بارائهم لا باراء اعقابهم فاستكبروا عن الانقياد
وتمردوا وكانوا قوما عالين متكبرين متمردين فقالوا عطف على استكبروا وما بينهما اعتراض
مقرر للاستكبار اي كانوا قوما عادتهم الاستكبار والتمرد اي قالوا فيما بينهم بطريق المناصحة
انؤمن لبشرين مثلنا ثنى البشر لانه يطلق على الواحد لقوله تعالى بشرا سويا كما يطلق على
الجمع كما في قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا ولم يثن المثل نظرا الى كونه في حكم المصدر وهذه
القصص كما ترى تدل على ان مدار شبه المنكرين للنبوة قياس حال الانبياء على احوالهم بناء على
جهلهم بتفاصيل شؤون الحقيقة البشرية وتباين طبقات افرادها في مراقي الكمال ومهاوي النقصان
بحيث يكون بعضها في اعلى عليين وهم المختصون بالنفوس الزكية المؤيدون بالقوة القدسية
المتعلقون لصفاء جواهرهم بكلا العالمين الروحاني والجسماني يتلقون من جانب ويلقون الى جانب
ولا يعوقهم التعلق بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق وبعضها في اسفل سافلين كاولئك الجهلة
الذين هم كالانعام بل هم اضل سبيلا وقومهما يعنون بني اسرائيل لنا عابدون اي خادمون
منقادون لنا كالعبيد وكانهم قصدوا بذلك التعريض بشانهما عليهما السلام وحط رتبتهما
العلية عن منصب الرسالة من وجه اخر غير البشرية واللام في لنا متعلق بعابدون قدمت
عليه رعاية للفواصل والجملة حال من فاعل نؤمن مؤكدة لانكار الايمان لهما بناء على زعمهم الفاسد
المؤسس على قياس الرياسة الدينية على الرياسات الدنيوية الدائرة على التقدم في نيل الحظوظ
الدنية من المال والجاه كدأب قريش حيث قالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وقالوا لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم وجهلهم بان مناط الاصطفاء للرسالة هو السبق في حيازة ما
ذكر من النعوت العلية واحراز الملكات جبلة واكتسابا فكذبوهما اي فتموا على تكذيبهما واصروا
واستكبروا استكبارا فكانوا من المهلكين بالغرق في بحر القلزم ولقد اتينا اي بعد اهلاكهم وانجاء بني
اسرائيل من ملكتهم موسى الكتاب اي التوراة وحيث كان ايتاؤه عليه الصلوة والسلام اياها
لارشاد قومه الى الحق كما هو شان الكتب الالهية جعلوا كانهم اوتوها فقيل لعلهم يهتدون اي الى
طريق الحق بالعمل بما فيها من الشرايع والاحكام ∘ وقيل اريد اتينا قوم موسى فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى على خوف من فرعون وملئهم اي من ال فرعون وملئهم ولا سبيل
الى عود الضمير الى فرعون وقومه لظهور ان التوراة انما نزلت بعد اغراقهم لبني اسرائيل ∘ واما
الاستشهاد على ذلك بقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى فمما
لا سبيل اليه ضرورة ان ليس المراد بالقرون الاولى ما يتناول قوم فرعون بل من قبلهم من الامم
المهلكة خاصة كقوم نوح وقوم هود وقوم لوط كما سياتي في سورة القصص وجعلنا ابن مريم
وامه اية واي اية دالة على عظيم قدرتنا بولادته منها من غير مسيس بشر فالاية امر واحد
نسب اليهما او وجعلنا ابن مريم اية بان تكلم في المهد وظهر منه معجزات جمة وامه اية بان ولدته

من

من غير مسيس فحذف الاولى لدلالة الثانية عليها والتعبير عنهما بما ذكر من العنوانين وهما كونه
عليه السلام ابنها وكونها امه عليهما السلام للايذان من اول الامر بحقيقة كونهما اية فان نسبته
عليه السلام اليها مع ان النسب الى الاباء دالة على ان لا اب له وان امه التي ولدته خاصة من غير مشاركة
الاب امه وتقديمه عليه السلام لاصالته فيما ذكر من كونهما اية كما ان تقديم امه في قوله تعالى وجعلناها
وابنها اية للعالمين لاصالتها فيما نسب اليهما من الاحصان والنفخ واويناهما الى ربوة اي ارض
مرتفعة قيل هي ايليا ارض بيت المقدس فانها مرتفعة وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء
بثمانية عشر ميلا على ما يروى عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وقيل فلسطين والرملة ∘ وقيل مصر
فان قراها على الربى وقرئ بكسر الراء وضمها وبرباوة بالكسر والضم ذات قرار مستقر من ارض
منبسطة سهلة يستقر عليها ساكنوها وقيل ذات ثمار وزروع لاجلها يستقر فيها ساكنوها
ومعين اي وماء معين ظاهر جار فعيل من معن الماء اذا جرى واصل الابعاد في الشيء او من الماعون
وهو المنفعة لانه نفاع او مفعول من عانه اذا ادركه بالعين فانه لظهوره يدرك بالعيون
وصف ماؤها بذلك للايذان بكونه جامعا لفنون المنافع من الشرب وسقي ما يسقى من
الحيوان والنبات بغير كلفة والتنزه بمنظره المونق يا ايها الرسل كلوا من الطيبات حكاية لرسول
الله صلى الله عليه وسلم على وجه الاجمال لما خوطب به كل رسول في عصره جيء بها اثر حكاية ايواء
عيسى عليه السلام وامه الى الربوة ايذانا بان ترتيب مبادي التنعم لم يكن من خصايصه عليه
السلام بل اباحة الطيبات شرع قديم جرى عليه جميع الرسل عليهم السلام ووصوا به اي وقلنا لكل
رسول كل من الطيبات واعمل صالحا فعبر عن تلك الاوامر المتعددة المتعلقة بالرسل بصيغة
الجمع عند الحكاية اجمالا للايجاز وفيه من الدلالة على بطلان ما عليه الرهبانية من رفض الطيبات
ما لا يخفى وقيل حكاية لما ذكر لعيسى عليه السلام وامه عند ايوائهما الى الربوة ليقتديا بالرسل
في تناول ما رزقنا وقيل نداء وخطاب له والجمع للتعظيم ∘ وعن الحسن ومجاهد وقتادة والسدي
والكلبي رضي الله عنهم انه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وحده على دأب العرب في مخاطبة الواحد
بلفظ الجمع وفيه ابانة لفضله وقيامه مقام الكل عند حيازته كمالاتهم والطيبات ما يستلذ
ويستطاب من مباحات الماكل والفواكه حسبما ينبئ عنه سياق النظم الكريم فالامر للتسوية واعملوا
صالحا اي عملا صالحا فانه المقصود منكم والنافع عند ربكم اني بما تعملون من الاعمال الظاهرة
والباطنة عليم فاجازيكم عليه وان هذه استئناف داخل فيما خوطب به الرسل عليهم السلام على
الوجه المذكور مسوق لبيان ان ملة الاسلام والتوحيد مما امر به كافة الرسل والامم وانما
اشير اليها بهذه للتنبيه على كمال ظهور امرها في الصحة والسداد وانتظامها بسبب ذلك في سلك
الامور المشاهدة امتكم اي ملتكم وشريعتكم ايها الرسل والامم المؤمنة بالرسل والمعنى ان هذه
جماعتكم جماعة واحدة متفقة على الايمان والتوحيد في العبادة وانا ربكم من غير ان يكون لي
شريك في الربوبية وضمير المخاطب فيه وفي قوله تعالى فاتقون في شق العصا والمخالفة
بالاخلال بمواجب ما ذكر من اختصاص الربوبية به تعالى واتحاد الامة فان كلا منهما موجب
للاتقاء حتما وقرئ وان هذه بفتح الهمزة على حذف اللام اي ولان هذه امتكم امة وانا ربكم
فاتقون كما مر في قوله تعالى واياي فارهبون وقيل على العطف على ما اي اني عليم بان امتكم امة الى
اخره وقيل على حذف فعل عامل فيه اي واعلموا ان هذه امتكم الى اخره وقرئ وان هذه على انها
مخففة من ان فتقطعوا امرهم حكاية لما ظهر من امم الرسل بعدهم من مخالفة الامر وشق العصا
والضمير لما دل عليه الامة من اربابها او لها على التفسير والفاء لترتيب عصيانهم على الامر لزيادة
تقبيح حالهم اي تقطعوا امر دينهم مع اتحاده وجعلوه قطعا متفرقة واديانا مختلفة بينهم زبرا
اي قطعا جمع زبور بمعنى الفرقة ويؤيده قراءة زبرا بفتح الباء وهو حال من امرهم او من واو تقطعوا
او مفعول ثان له فانه متضمن لمعنى جعلوا وقيل كتبا فيكون مفعولا ثانيا او حالا من امرهم على
تقدير المضاف اي مثل زبر وقرئ بتخفيف الباء كل حزب من اولئك المتحزبين بما لديهم
من الدين الذي اختاروه فرحون معجبون ومعتقدون انه الحق فذرهم في غمرتهم شبه ما هم فيه
من الجهالة بالماء الذي يغمر القامة لانهم مغمورون فيها لاعبون بها وقرئ في غمراتهم والخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب الامر بالترك على ما قبله من كونهم فرحين بما لديهم
فان انهماكهم فيما هم فيه واصرارهم عليه من مخايل كونهم مطبوعا على قلوبهم اي اتركهم على حالهم حتى حين
هو حين قتلهم او موتهم على الكفر او عذابهم فهو وعيد لهم بعذاب الدنيا والاخرة وتسلية للرسول

امة واحدة اي ملة وشريعة متحدة في اصول الشرائع التي
لا تتبدل بتبدل الاعصار ∘ وقيل هذه اشارة الى الامم من

صلى الله عليه وسلم ونهي له عن الاستعجال بعذابهم والجزع عن تأخيره وفي التنكير والابهام
ما لا يخفى من التهويل ايحسبون انما نمدهم اي نعطيهم اياه ونجعله مددا لهم فما موصولة وقوله
تعالى من مال وبنين بيان لها وتقديم المال على البنين مع كونهم اعز منه قد مر وجهه في سورة الكهف
لا خبر لان وانما الخبر قوله تعالى نسارع لهم في الخيرات على حذف الراجع الى الاسم اي ايحسبون
ان الذي نمدهم به من المال والبنين نسارع لهم فيما فيه خيرهم واكرامهم على ان الهمزة لانكار
الواقع واستقباحه وقوله تعالى بل لا يشعرون عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام اي كلا لا نفعل
ذلك بل هم لا يشعرون بشيء اصلا كالبهائم لا فطنة لهم ولا شعور ليتأملوا ويعرفوا ان ذلك
الامداد استدراج الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة في الخيرات وقرئ يمدهم على الغيبة وكذلك
يسارع ويسرع ويحتمل ان يكون فيهما ضمير الممد به وقرئ يسارع مبنيا للمفعول ان الذين هم من خشية
مشفقون استيناف مسوق لبيان من له المسارعة في الخيرات اثر اقناط الكفار وابطال حسبانهم الكاذب
اي من خوف عذابه حذرون والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا ولا خفيا ولذلك اخر عن الايمان
بالآيات والتعرض لعنوان الربوبية في المواقع الثلاثة للاشعار بعليتها للاشفاق والايمان
وعدم الاشراك والذين يؤتون ما آتوا اي يعطون ما اعطوه من الصدقات وقرئ يأتون ما اتوا
اي يفعلون ما فعلوه من الطاعات وايا ما كان فصيغة الماضي في الصلة الثانية للدلالة على التحقق
كما ان صيغة المضارع في الاولى للدلالة على الاستمرار وقلوبهم وجلة حال من فاعل يؤتون او يأتون
اي يؤتون ما اتوا ويفعلون من العبادات ما فعلوه والحال ان قلوبهم خائفة اشد الخوف انهم الى ربهم
راجعون اي من ان رجوعهم اليه عز وجل على ان مناط الوجل ان لا يقبل منهم ذلك وان لا يقع على
الوجه اللائق فيؤاخذوا به حينئذ لا مجرد رجوعهم اليه تعالى وقيل لان مرجعهم اليه تعالى والموصولات
الاربعة عبارة عن طائفة واحدة متصفة بما ذكر في حيز صلاتها من الاوصاف الاربعة لا عن طوائف
كل واحدة منها متصفة بواحد من الاوصاف المذكورة كانه قيل ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
وبآيات ربهم يؤمنون الى آخره وانما كرر الموصول ايذانا باستقلال كل واحدة من تلك الصفات
بفضيلة باهرة على حيالها وتنزيلا لاستقلالها منزلة استقلال الموصوف بها اولئك اشارة اليهم
باعتبار اتصافهم بها وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعد رتبتهم في الفضل اي اولئك المنعوتون
بما فصل من النعوت الجليلة خاصة دون غيرهم يسارعون في الخيرات اي في نيل الخيرات التي من جملتها
الخيرات العاجلة الموعودة على الاعمال الصالحة كما في قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن
ثواب الآخرة وقوله تعالى وآتيناه اجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين فقد اثبت لهم ما نفي
عن اضدادهم خلا انه غير الاسلوب حيث لم يقل اولئك نسارع لهم في الخيرات بل اسند المسارعة
اليهم ايماء الى كمال استحقاقهم لنيل الخيرات بمحاسن اعمالهم وايثار كلمة في على كلمة الى للايذان بانهم
متقلبون في فنون الخيرات لا انهم خارجون عنها متوجهون اليها بطريق المسارعة كما في قوله تعالى
وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة الآية وهم لها سابقون اي اياها سابقون واللام لتقوية العمل
كما في قوله تعالى هم لها عاملون اي ينالونها قبل الآخرة حيث عجلت لهم في الدنيا وقيل المراد
بالخيرات الطاعات والمعنى يرغبون في الطاعات والعبادات اشد الرغبة وهم لاجلها فاعلون
السبق او لاجلها سابقون الناس والاول هو الاولى ولا نكلف نفسا الا وسعها جملة مستأنفة
سيقت للتحريض على ما وصف به السابقون من فعل الطاعات المؤدي الى نيل الخيرات ببيان سهولته
وكونه غير خارج عن حد الوسع والطاقة اي عادتنا جارية على انا لا نكلف نفسا من النفوس
الا ما في وسعها على ان المراد استمرار النفي بمعونة المقام لا نفي الاستمرار كما مر مرارا او للترخيص
فيما هو قاصر عن درجة اعمال اولئك الصالحين ببيان انه تعالى لا يكلف عباده الا ما في وسعهم
فان لم يبلغوا في فعل الطاعات مراتب السابقين فلا عليهم بعد ان يبذلوا طاقتهم ويستفرغوا وسعهم
قال مقاتل من لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع القعود فليوم ايماء وقوله تعالى
ولدينا كتاب الى آخره تتمة لما قبله ببيان ما لعمله من الاعمال واحكامها المترتبة عليها من
الثواب والحساب والعقاب والمراد بالكتاب صحائف الاعمال التي يقرؤونها عند الحساب حسبما يعرب
عنه قوله تعالى ينطق بالحق كقوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون
اي عندنا كتاب قد اثبت فيه اعمال كل واحد على ما هي عليه او اعمال السابقين والمقتصدين جميعا لا انه
اثبت فيه اعمال الاولين واهمل اعمال الآخرين ففيه قطع معذرتهم ايضا وقوله بالحق متعلق بينطق
اي يظهر الحق المطابق للواقع على ما هو عليه ذاتا ووصفا ويبينه للناظر كما يبينه النطق ويظهره للسامع فيظهر

هنالك

هنالك جلائل اعمالهم ودقائقها ويرتب عليها اجزيتها ان خيرا فخير وان شرا فشر وقوله تعالى وهم لا يظلمون
بيان لفضله تعالى وعدله في الجزاء اثر بيان لطفه في التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون في الجزاء بنقص ثواب
او زيادة عذاب بل يجزون بقدر اعمالهم التي كلفوها ونطقت بها صحائفها بالحق وقد جوز ان يكون تقريرا لما
قبله من التكليف وكتب الاعمال اي لا يظلمون بتكليف ما ليس في وسعهم ولا بعدم كتب بعض اعمالهم التي من
جملتها اعمال المقتصدين بناء على قصورها عن درجة اعمال السابقين بل نكتبها كل منها على مقاديرها وطبقاتها
والتعبير عما ذكر من الامور بالظلم مع ان شيئا منها ليس بظلم على ما تقرر من ان الاعمال الصالحة لا توجب اصل
الثواب فضلا عن ايجاب مرتبة معينة منه حتى يعد الاثابة بما دونها نقصا وكذلك الاعمال السيئة
لا توجب درجة معينة من العذاب حتى يعد التعذيب بما فوقها زيادة وكذلك تكليف ما في الوسع
وكتب الاعمال ليسا مما يجب عليه سبحانه حتى يعد تركهما ظلما لكمال تنزيه ساحة السبحان عنها بتصويرها
بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى وتسميتها باسمه وقوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا اضراب
عما قبله والضمير للكفرة لا للكل كما قبله اي بل قلوب الكفرة في غفلة غامرة لها من هذا الذي بين في القرآن من ان
لديه كتابا ينطق بالحق ويظهر لهم اعمالهم السيئة على رؤوس الاشهاد فيجزون بها كما ينبئ عنه ما سيأتي من قوله
تعالى قد كانت آياتي تتلى عليكم الى آخره وقيل مما عليه اولئك الموصوفون بالاعمال الصالحة ولهم اعمال سيئة كثيرة
من دون ذلك الذي ذكر من كون قلوبهم في غفلة عظيمة مما ذكر وهي فنون كفرهم ومعاصيهم التي من جملتها ما حكي
من طعنهم في القرآن حسبما ينطق عنه قوله تعالى مستكبرين به سامرا تهجرون وقيل متخطية لما وصف به المؤمنون من الاعمال
الصالحة المذكورة وفيه انه لا مزيد في وصف اعمالهم الخبيثة بالتخطي للاعمال الحسنة بالمؤمنين وقيل متخطية
عما هم عليه من الشرك ولا يخفى بعده لعدم جريان ذكره هم لها عاملون مستمرون عليها معتادون فعلها ضارون
بها لا يكادون يبرحونها حتى اذا اخذنا مترفيهم اي متنعميهم وهم الذين امدهم الله
تعالى بما ذكر من المال والبنين مع كونهما غاية لاعمالهم مبتدأ لما بعدها من مضمون الشرطية اي لا يزالون يعملون
اعمالهم الى حيث اذا اخذناهم بالعذاب قيل هو القتل والاسر يوم بدر وقيل هو الجوع الذي اصابهم حين
دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني
يوسف فقحطوا حتى اكلوا الكلاب والجيف والعظام المحرقة والاولاد والحق انه العذاب الاخروي اذ هو الذي
يفاجؤون عنده الجؤار فيجابون بالرد والاقناط عن النصر واما عذاب يوم بدر فلم يوجد لهم عنده جؤار حسبما
ينبئ عنه قوله تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون فان المراد بهذا العذاب ما جرى
عليهم يوم بدر من القتل والاسر حتما واما عذاب الجوع فان ابا سفيان وان تضرع فيه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم لكن لم يرد عليه بالاقناط روي انه عليه الصلاة والسلام قد دعا بكشفه فكشف عنهم ذلك اذا هم
يجأرون وهو جواب الشرط وتخصيص مترفيهم بما ذكر من الاخذ بالعذاب ومفاجأة الجؤار مع عمومه لغيرهم
من المنعة والحشم حين لقوا ما لقوا من الحالة العظيمة فلان يلقاها من عداهم من الحماة والخدم اولى واقدم
لا تجأروا اليوم على اضمار القول مسوقا للرد وتبكيتهم واقناطهم مما علقوا به اطماعهم الفارغة من الاعانة
والاغاثة من جهته تعالى وتخصيص اليوم بالذكر لتهويله والايذان بتفويتهم وقت الجؤار وقد جوز كونه
جواب الشرط وانت خبير بان المقصود الاصلي في الجملة الشرطية هو الجواب فيؤدي ذلك الى ان يكون مفاجأتهم
الى الجؤار غير مقصود اصلي وقوله تعالى انكم منا لا تنصرون تعليل للنهي عن الجؤار ببيان عدم افادته ونفعه اي لا
يلحقكم من جهتنا نصرة تنجيكم مما دهمكم وقيل لا تغاثون ولا تمنعون منا ولا يساعده سباق النظم الكريم لا نجوارهم
ليس الى غيره تعالى حتى يرد عليهم بعدم منصوريتهم من قبله ولا سياقه فان قوله تعالى قد كانت آياتي تتلى
الى آخره صريح في انه تعليل لما ذكر من عدم لحوق النصر من جهته تعالى بسبب كفرهم بالآيات ولو كان النفي المنفي
متوهما من الغير لعلل بعجزه وذلته اي بعزة الله تعالى وقوته اي قد كانت آياتي تتلى عليكم في الدنيا فكنتم على
اعقابكم تنكصون اي تعرضون عن سماعها اشد الاعراض فضلا عن تصديقها والعمل بها والنكوص الرجوع قهقرى
مستكبرين به سامرا تهجرون اي بالبيت الحرام او الحرم والاضمار قبل الذكر لاشتهار استكبارهم وافتخارهم
بانهم خدامه وقوامه او بكتابي الذي عبر عنه بآياتي على تضمين الاستكبار معنى التكذيب او لان استكبارهم على
المسلمين قد حدث بسبب استماعه ويجوز ان يتعلق الباء بقوله تعالى سامرا اي يسمرون بذكر القرآن وبالطعن
فيه حيث كانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته شعرا او
سحرا والسامر كالحاضر في الاطلاق على الجمع وقيل هو مصدر جاء على لفظ الفاعل وقرئ سمرا وسمارا وان يتعلق
بقوله تعالى تهجرون من الهجر بالفتح بمعنى الهذيان او الترك اي تهذون في شان القرآن او تتركونه او من الهجر
بالضم وهو الفحش ويعضده قراءة تهجرون من اهجر في منطقه اذا فحش فيه وقرئ تهجرون من هجر الذي هو
مبالغة في هجر اذا هذى افلم يدبروا القول الهمزة لانكار الواقع واستقباحه والفاء للعطف على مقدر

يستحب عليه الكلام اي فعلوا ما فعلوا من النكوص والاستكبار والهجر فلم يتدبروا القرآن ليعرفوا ما فيه من
اعجاز النظم وصحة المدلول والاخبار عن الغيب انه الحق من ربهم فيؤمنوا به فضلا عما فعلوه في شانه من
القبائح وام في قوله تعالى ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين منقطعة وما فيها من معنى بل للاضراب عن التوبيخ
بما ذكر الى التوبيخ باخر والهمزة لانكار الوقوع لا لانكار الواقع اي بل اجاءهم من الكتاب ما لم يات اباءهم
الاولين حتى استبدعوه واستبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال يعني ان مجئ الكتاب من جهته تعالى الى الرسل
عليهم الصلاة والسلام سنة قديمة له تعالى لا تكاد تنكر وان مجئ القرآن على طريقته فمن اين ينكرونه وقيل
ام جاءهم من الامن من عذابه تعالى ما لم يات اباءهم الاولين كاسمعيل عليه السلام واعقابه من عدنان وقحطان
ومضر وربيعة وقس والحارث بن كعب واسد بن خزيمة وتميم بن مرة وتبع وضبة بن اد فامنوا به تعالى وبكتبه
تعالى ورسله واطاعوه ام لم يعرفوا رسولهم اضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر الى التوبيخ بوجه اخر والهمزة
لانكار الوقوع ايضا اي بل الم يعرفوه عليه الصلاة والسلام بالامانة والصدق وحسن الاخلاق وكمال العلم
مع عدم التعلم من احد وغير ذلك مما حازه من الكمالات اللائقة بالانبياء عليهم السلام فهم له منكرون
اي جاحدون بنبوته فجحودهم له مترتب على عدم معرفتهم بشانه عليه الصلاة والسلام ومن ضرورة
انتفاء المبنى بطلان ما بني عليه او فهم غير عارفين له عليه الصلاة والسلام فهو تاكيد لقوله ام يقولون به
جنة انتقال الى توبيخ اخر والهمزة لانكار الواقع كالاولى اي بل ايقولون به جنون مع انه ارجح الناس عقلا
واثقبهم ذهنا واتقنهم رايا واوفرهم رزانة ولقد روعي في هذه التوبيخات الاربعة التي اثنان منها متعلقان
بالقرآن والباقيان به عليه الصلاة والسلام الترقي من الادنى الى الاعلى حيث وبخوا اولا بعدم التدبر
وذلك يتحقق مع كون القول غير معترض له بوجه من الوجوه ثم وبخوا بشئ لو اتصف به القول لكان
سببا لعدم تصديقهم به ثم وبخوا بما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم من عدم معرفتهم به صلى الله
عليه وسلم بذلك يتحقق بعدم المعرفة بحيث لا شئ مما لو كان فيه عليه الصلاة والسلام لقدح
في رسالته صلى الله عليه وسلم بل جاءهم بالحق اضراب عما يدل عليه ما سبق اي ليس الامر كما زعموا في حق
القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم بل جاءهم عليه الصلاة والسلام بالحق اي الصدق الثابت الذي
لا محيد عنه اصلا ولا مدخل للباطل بوجه من الوجوه واكثرهم للحق من حيث هو حق اي حق كان لا لهذا
الحق فقط كما ينبئ عنه الاظهار في موقع الاضمار كارهون لما في جبلتهم من الزيغ والانحراف المناسب
للباطل ولذلك كرهوا هذا الحق الابلج وزاغوا عن الطريق الانهج وتخصيص اكثرهم بهذا الوصف لا يقتضي
الا عدم كراهة الباقين لكل حق من الحقوق وذلك لا ينافي كراهتهم لهذا الحق المبين فتامل وقيل تقييده
الحكم بالاكثر لان منهم من ترك الايمان استنكافا من توبيخ قومه او لقلة فطنته وعدم تفكره لا كراهة
للحق وانت خبير بان التعرض لعدم كراهة بعضهم للحق مع اتفاق الكل على الكفر به مما لا يساعده المقام
اصلا ولو اتبع الحق اهواءهم استئناف مسوق لبيان ان اهواءهم الزائغة التي ما كرهوا الحق الا لعدم موافقته
اياها مقتضية للطامة اي لو كان ما كرهوه من الحق الذي من جملته ما جاء به صلى الله عليه وسلم موافقا لاهوائهم
الباطلة لفسدت السموات والارض ومن فيهن وخرجت عن الصلاح والانتظام بالكلية لان مناط النظام
ليس الا ذلك وفيه من تنويه شان الحق والتنبيه على سمو مكانه ما لا يخفى واما ما قيل لو اتبع الحق الذي جاء به
عليه الصلاة والسلام اهواءهم وانقلب شركا لجاء الله تعالى بالقيمة ولاهلك العالم ولم يؤخر ففيه
انه لا يلائم فرض مجيئه عليه الصلاة والسلام به وكذا ما قيل لو كان في الواقع الهان لا يناسب المقام واما
ما قيل لو اتبع الحق اهواءهم لخرج عن الالهية مما لا احتمال له اصلا بل اتيناهم بذكرهم انتقال من تشنيعهم
بكراهة الحق الذي به يقوم العالم الى تشنيعهم بالاعراض عما جبل عليه كل نفس من الرغبة فيما فيه خيرها
والمراد بالذكر القرآن الذي هو فخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه حسبما ينطق به قوله
تعالى وانه لذكر لك ولقومك اي بل اتيناهم بفخرهم وشرفهم الذي كان يجب عليهم ان يقبلوا عليه اكمل
اقبال فهم بما فعلوا من النكوص عن ذكرهم اي فخرهم وشرفهم خاصة معرضون لا عن غير ذلك مما لا يوجب
الاقبال عليه والاعتناء به وفي وضع الظاهر موضع المضمر مزيد تشنيع لهم وتقريع
والفاء لترتيب ما بعدها من اعراضهم عن ذكرهم على ما قبلها من اتيان ذكرهم لا لترتيب الاعراض على الاتيان
مطلقا فان المستتبع لكون اعراضهم اعراضا عن ذكرهم هو اتيان ذكرهم لا الاتيان مطلقا وفي اسناد الاتيان
بالذكر الى نون العظمة بعد اسناده الى ضميره صلى الله عليه وسلم تنويه بشان النبي صلى الله عليه وسلم
وتنبيه على كونه بمثابة عظيمة منه عز وجل وفي ايراد القرآن الكريم عند نسبته اليه عليه الصلاة
والسلام بعنوان الحقية وعند نسبته اليه تعالى بعنوان الذكر من النكتة السرية والحكمة العبقرية
ما لا يخفى فان التصريح بحقيته المستلزمة لحقية من جاء به هو الذي يقتضيه مقام حكاية ما قاله المبطلون

في

في شانه واما التشريف فانما يليق به تعالى لا سيما رسول الله صلى الله عليه وسلم احد المشرفين وقيل
المراد بالذكر ما تمنوه بقولهم لو ان عندنا ذكرا من الاولين وقيل وعظهم وايد ذلك بانه قرئ بذكراهم وعن
ذكرهم الذي والتشنيع على الاولين اشد فان الاعراض عن ذكرهم ليس في مثابة اعراضهم عن وعظهم وعن ذكرهم
الذي يتمنونه في الشناعة والقباحة ام تسألهم انتقال من توبيخهم بما ذكر من قولهم ام يقولون به جنة
الى التوبيخ بوجه اخر كانه قيل ام يزعمون انك تسالهم على اداء الرسالة خرجا اي جعلا فلاجل ذلك لا يؤمنون
بك وقوله تعالى فخراج ربك خير اي رزقه في الدنيا وثوابه في الاخرة تعليل لنفي السؤال المستفاد من
الانكار اي لا تسالهم ذلك فان ما رزقك الله في الدنيا والعقبى خير لك من ذلك وفي التعرض لعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تعليل الحكم وتشريفه عليه الصلاة والسلام ما لا يخفى والخرج
بازاء الدخل يقال لما تخرجه الى غيرك والخراج غالب في الضريبة على الارض وقيل الخرج ما تبرعت به
والخراج اخص من الخراج ففي النظم الكريم اشعار بالكثرة واللزوم وقرئ خرجا فخرج وخرجا فخراج وهو خير
الرازقين تقرير لخيرية خراجه تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم تشهد العقول السليمة باستقامته
ليس فيه شائبة اعوجاج توجب اتهامهم لك بوجه من الوجوه ولقد الزمهم الله عز وجل وازاح
عللهم في هذه الايات حيث حصر اقسام ما يؤدي الى الانكار والاتهام وبين انتفاءها ما عدا كراهتهم للحق
وقلة فطنتهم وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط وصفوا بذلك تشنيعا بما هم عليه من الانهماك
في الدنيا وزعمهم ان لا حياة الا الحياة الدنيا واشعارا بعلة الحكم فان الايمان بالاخرة وخوف ما فيها
من الدواهي من اقوى الدواعي الى طلب الحق وسلوك سبيله عن الصراط اي عن جنس الصراط لناكبون لعادلون
فضلا عن الصراط المستقيم او عن الصراط المستقيم الذي يدعوهم اليه والاول ادل على كمال ضلالهم وغاية غوايتهم
لما انه مبني على كون ما ذهبوا اليه مما لا يطلق عليه اسم الصراط ولو كان معوجا ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم
من ضر اي قحط وجدب للجوا لتمادوا في طغيانهم افراطهم في الكفر والاستكبار وعداوة الرسول صلى الله عليه
وسلم والمؤمنين يعمهون اي عامهين عن الهدى روي انه لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة عن
اهل مكة واخذهم الله تعالى بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال انشدك الله والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الاباء بالسيف والابناء
بالجوع فنزلت والمعنى لو كشفنا عنهم ما اصابهم من القحط والهزال برحمتنا اياهم ووجدوا الخصب لارتدوا
الى ما كانوا عليه من الافراط في الكفر والاستكبار ولذهب عنهم هذا التملق والابلاس وقد كان كذلك وقوله
تعالى ولقد اخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم بذلك اي لم يخضعوا ولم يتذللوا على انه استفعال
من الكون واللام جواب قسم محذوف لان المفتقر انتقل من كون الى كون او افتعال من السكون قد اشبعت
فتحته كمنتزاح في منتزح بل اقاموا على ما كانوا عليه من العتو والاستكبار وقوله تعالى وما يتضرعون
اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي وليس من عادتهم التضرع الى الله تعالى حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد
هو العذاب الاخروي كما ينبئ عنه التهويل بفتح الباب والوصف بالشدة وقرئ فتحنا بالتشديد اذا هم فيه مبلسون
اي متحيرون ايسون من كل خير اي محناهم بكل محنة من القتل والاسر والجوع وغير ذلك فما روي منهم
لين مقادة وتوجه الى الاسلام قطعا واما ما اظهره ابو سفيان فليس من باب الاستكانة له تعالى والتضرع
اليه تعالى في شئ وانما هو نوع جنوح الى ان يتم غرضه فحاله كما قيل اذا جاع ضغا وان اشبع طغى واكثرهم
مستمرون على ذلك الى ان يروا عذاب الاخرة فحينئذ يبلسون وقيل المراد بالباب الجوع فانه اشد واعم من الاسر
والقتل والمحق اخذناهم بما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد منهم تضرع واستكانة
حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اطم واتم فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم
شكيمة في العناد يستعطفك والوجه هو الاول وهو الذي انشا لكم السمع والابصار لتشاهدوا بها الايات
التنزيلية والتكوينية والافئدة لتتفكروا بها ما تشاهدونه وتعتبروا اعتبارا لائقا قليلا ما تشكرون
اي شكرا قليلا غير معتد به تشكرون تلك النعم الجليلة لما ان العمدة في الشكر صرف تلك القوى التي هي في انفسها
نعم باهرة الى ما خلقت هي له وانتم تخلون بذلك اخلالا عظيما وهو الذي ذرأكم في الارض اي خلقكم وبثكم
فيها بالتناسل واليه تحشرون اي تجمعون يوم القيمة بعد تفرقكم لا الى غيره فما لكم لا تؤمنون به ولا تشكرونه
وهو الذي يحيي ويميت من غير ان يشاركه في ذلك شئ من الاشياء وله خاصة اختلاف الليل والنهار اي هو
المؤثر في اختلافهما اي تعاقبهما او اختلافهما ازديادا وانتقاصا او لامره وقضائه اختلافهما افلا تعقلون
اي الا تتفكرون فلا تعقلون بالنظر والتامل ان الكل منا وان قدرتنا تعم جميع الكائنات التي من جملتها
البعث وقرئ يعقلون على ان الالتفات الى الغيبة لحكاية سوء حال المخاطبين لغيرهم وقيل عن ان الخطاب الاول
لتغليب المؤمنين وليس بذاك بل قالوا عطف على مضمر يقتضيه المقام اي فلم يعقلوا بل قالوا مثل ما قال الاولون

اى اباؤهم ومن دان بدينهم قالوا ءاذا متنا وكنا ترابا وعظاما ءانا لمبعوثون تفسير لما قبله من المبهم
وتفصيل لما فيه من الاجمال وقد مر الكلام فيه لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل وبمحذوف وقع حالا
من آبائنا اى كائنين من قبل ان هذا اى ما هذا الا اساطير الاولين اى اكاذيبهم التى سطروها جمع اسطورة
كأحدوثة واعجوبة وقيل اسطار جمع سطر قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات تغليبا للعقلاء على غيرهم
ان كنتم تعلمون جوابه محذوف ثقة بدلالة الاستفهام عليه بدلالة الاستفهام عليه اى ان كنتم تعلمون
شيئا فاخبرونى به فان ذلك كاف فى الجواب وفيه من المبالغة فى وضوح الامر وفى تجهيلهم ما لا يخفى او ان
كنتم تعلمون ذلك فاخبرونى وفيه استهانة بهم وتقرير لجهلهم ولذلك اخبر بجوابهم قبل ان يجيبوا حيث
قيل سيقولون لله لان بديهة العقل تضطرهم الى الاعتراف بانه تعالى خالقها قل اى عند اعترافهم بذلك
تبكيتا لهم افلا تعقلون تذكرون اى اتعلمون ذلك فلا تتذكرون ان من فطر الارض ومن
فيها ابتداء قادر على اعادتها ثانيا فان البدء ليس باهون من الاعادة بل الامر بالعكس فى قياس العقول
وقرئ تتذكرون على الاصل قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم اعيد الرب تنويها
لشأن العرش ورفعا لمحله من ان يكون تبعا للسموات وجودا وذكرا ولقد روعى فى الامر بالسؤال
التى فى من الادنى الى الاعلى سيقولون لله باللام نظرا الى معنى السؤال فان قولك من ربه ولمن هو فى
معنى واحد وقرئ هو وما بعده بغير لام نظرا الى لفظ السؤال قل افحاما لهم وتوبيخا افلا تتقون اى
اتعلمون ذلك ولا تتقون انفسكم عقابه بعدم العمل بموجب العلم حيث تكفرون به وتنكرون البعث
وتثبتون له شريكا فى الربوبية قل من بيده ملكوت كل شئ مما ذكر ومما لم يذكر اى ملكه التام القاهر
وقيل خزائنه وهو يجير اى يغيث غيره اذا شاء ولا يجار عليه اى ولا يغيث احد عليه اى لا يمنع احد منه بالنصر
عليه ان كنتم تعلمون اى شيئا ما او ذلك فاجيبونى على ما سبق ان كنتم تعلمون سيقولون لله اى لله ملكوت
كل شئ وهو الذى يجير ولا يجار عليه قل فانى تسحرون اى فمن اين تخدعون وتصرفون عن الرشد مع علمكم
به الى ما كنتم عليه من الغى فان من لا يكون مسحورا مختل العقل لا يكون كذلك بل اتيناهم بالحق الذى لا
محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث ما اتخذ الله من ولد وانهم لكاذبون فيما قالوا من الشرك
وانكار البعث ما اتخذ الله من ولد كما تقوله النصارى والقائلون ان الملائكة بنات الله تعالى جواب
لحاجتهم وجزاء الشرطية قد حذف لدلالة ما قبله عليه اى لو كان معه آلهة كما تزعمون لذهب كل
واحد منهم بما خلقه واستبد به الله عن ذلك علوا كبيرا وما كان معه من اله يشاركه فى الالوهية
كما يقوله عبدة الاوثان وغيرهم اذا لذهب كل اله بما خلق جواب لحاجتهم وجزاء الشرط قد حذف لدلالة
ما قبله عليه اى لو كان معه آلهة كما تزعمون لذهب كل اله منهم بما خلقه واستبد به وامتاز ملكه
عن ملك الآخرين ووقع بينهم التغالب والتحارب كما هو الجارى فيما بين الملوك ولعلا بعضهم على بعض
فلم يكن بيده وحده ملكوت كل شئ وهو باطل لا يقول به عاقل قط مع قيام البرهان على استناد جميع الممكنات
الى واجب الوجود واحد بالذات سبحان الله عما يصفون اى يصفونه من ان يكون له انداد واولاد عالم الغيب
والشهادة بالجر على انه بدل من الجلالة وقيل صفة لها وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف وايا ما كان فهو دليل
آخر على انتفاء الشريك بناء على توافقهم فى تفرده تعالى بذلك ولذلك رتب عليه بالفاء قوله تعالى فتعالى الله عما
يشركون فان تفرده تعالى بذلك موجب لتعاليه عن ان يكون له شريك قل رب اما تريني اى ان كان لا بد من
ان تريني ما يوعدون من العذاب الدنيوى المستأصل واما العذاب الاخروى فلا يناسبه المقام رب فلا
تجعلنى فى القوم الظالمين اى قرينا لهم فيما هم فيه من العذاب وفيه ايذان بكمال فظاعة ما وعدوه من العذاب
الاخروى فلا يناسبه المقام وكونه بحيث يجب ان يستعيذ منه من لا يكاد يمكن ان يحيق به ورد لانكارهم اياه
واستعجالهم به على طريقة الاستهزاء به وقيل امر به صلى الله عليه وسلم هضما لنفسه وقيل لان شؤم الكفرة قد
يحيق بمن وراءهم كقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة وروى انه تعالى اخبر نبيه صلى
الله عليه وسلم بان له فى امته نقمة ولم يطلعه على وقتها فامره بهذا الدعاء وتكرير النداء وتصدير كل من الشرط
والجزاء به لابانة كمال الضراعة والابتهال وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون وكنا نؤخره لعلمنا بان بعضهم
او بعض اعقابهم يؤمنون او لانا لا نعذبهم وانت فيهم وقيل قد اراه ذلك وهو ما اصابهم يوم بدر او فتح
مكة ولا يخفى بعده فان المتبادر ان يكون ما يستحقونه من العذاب الموعود عذابا مستأصلا لا يظهر
على يديه عليه الصلاة والسلام للحكمة الداعية اليه ادفع بالتى هى احسن السيئة الشرك وقيل هو
الامر بالمعروف والسيئة المنكر وهو ابلغ من ادفع بالحسنة السيئة لما فيه من التنصيص على التفضيل وتقديم
الجار والمجرور على المفعول فى الموضعين للاهتمام نحن اعلم بما يصفون اى بما يصفونك به او بوصفهم اياك
على خلاف ما انت عليه وفيه وعيد لهم بالجزاء والعقوبة وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وارشاد

له صلى الله عليه وسلم الى تفويض امره اليه تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين اى وساوسهم
المغرية على خلاف ما امرت به من المحاسن التى من جملتها دفع السيئة بالحسنة واصل الهمز النخس ومنه
مهماز الرائض شبه حثهم للناس على المعاصى بهمز الرائض الدواب على الاسراع او الوثب والجمع للمرات او
لتنويع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون امر صلى الله عليه وسلم بان يعوذ به
تعالى من حضورهم بعد ما امر بالعوذ من همزاتهم للمبالغة فى التحذير عن ملابستهم واعادة الفعل مع
تكرير النداء لاظهار كمال الاعتناء بالمأمور به وعرض نهاية الابتهال فى الاستدعاء اى اعوذ بك من ان
يحضرونى ويحوموا حولى فى حال من الاحوال وتخصيص حال الصلاة وقراءة القرآن كما روى عن ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما وحال حلول الاجل كما روى عن عكرمة لانها احرى الاحوال بالاستعاذة منها حتى اذا جاء
احدهم الموت حتى هى التى يبتدأ بها الكلام دخلت على الجملة الشرطية وهى مع ذلك غاية لما قبلها متعلقة
بيصفون وما بينهما اعتراض مؤكد للاغضاء بالاستعاذة بالله تعالى من الشياطين ان يزلوه صلى الله عليه وسلم
عن الحلم ويغروه على الانتقام لكن لا بمعنى انه العامل فيه لفساد المعنى بل بمعنى انه معمول المحذوف يدل عليه
ذلك وتعلقها بكاذبون فى غاية البعد لفظا او معنى اى يستمرون على الوصف المذكور حتى اذا جاء احدهم
اى احد كان الموت الذى لا مرد له وظهرت له احوال الآخرة قال تحسرا على ما فرط فيه من الايمان والطاعات
رب ارجعون اى ردونى الى الدنيا والواو لتعظيم المخاطب وقيل لتكرير قوله رب ارجعون كما فى قفا نبك
ونظيره لعلى اعمل صالحا فيما تركت اى فى الايمان الذى تركته لم انتظمه فى سلك الرجاء كسائر الاعمال
الصالحة كأنه قيل لعلى اؤمن فاعمل الى آخره للاشعار بانه امر متقرر الوقوع غنى عن الاخبار بوقوعه قطعا
فضلا عن كونه مرجو الوقوع اى لعلى اعمل فى الايمان الذى آتى به البتة عملا صالحا وقيل فيما تركت من المال
او من الدنيا وعنه صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة قالوا نرجعك الى دار الدنيا فيقول الى
دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة
واستبعاد لها انها اى قوله رب ارجعون الى آخره كلمة هو قائلها لا محالة لتسلط الحسرة عليه ومن ورائهم
اى امامهم والضمير لاحدهم والجمع باعتبار المعنى لانه فى حكم كلهم كما ان الافراد فى الضمائر الاول باعتبار
اللفظ برزخ حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم يبعثون يوم القيمة وهو اقناط كلى عن الرجعة الى الدنيا وانما
الرجعة يومئذ الى الحياة الاخروية فاذا نفخ فى الصور لقيام الساعة وهى النفخة الثانية التى يقع عندها
البعث والنشور وقيل المعنى فاذا نفخ فى الاجساد ارواحها على ان الصور جمع الصورة لا القرن ويؤيده
القراءة بفتح الواو وبه مع كسر الصاد فلا انساب بينهم تنفعهم لزوال التراحم والتعاطف من فرط الحيرة
واستيلاء الدهشة بحيث يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه او لا انساب يفتخرون بها يومئذ
كما بينهم اليوم ولا يتساءلون اى لا يسأل بعضهم بعضا لاشتغال كل منهم بنفسه ولا ينافيه قوله تعالى
فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون لان هذا عند ابتداء النفخة الثانية وذلك بعد ذلك فمن ثقلت موازينه
موزونات حسناته من العقائد والاعمال اى فمن كانت له عقائد صحيحة واعمال صالحة يكون لها وزن
وقدر عند الله تعالى فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مهروب ومن خفت
موازينه ومن لم يكن له من العقائد والاعمال ما له وزن وقدر عند الله تعالى وهم الكفار لقوله تعالى فلا
نقيم لهم يوم القيمة وزنا وقد مر تفصيل ما فى هذا المقام من الكلام فى تفسير سورة الاعراف فاولئك الذين
خسروا انفسهم ضيعوها بتضييع زمان استكمالها وابطلوا استعدادها لنيل كمالها واسم الاشارة فى الموضعين
عبارة عن الموصول وجمعه باعتبار معناه كما ان افراد الضمير فى الصلتين باعتبار لفظه فى جهنم خالدون بدل
من الصلة او خبر ثان لاولئك تلفح وجوههم النار تحرقها واللفح كالنفح الا انه اشد تأثيرا منه وتخصيص
الوجوه بذلك لانها اشرف الاعضاء فبيان حالها ازجر عن المعاصى المؤدية الى النار وهو السر فى تقديمها
على الفاعل وهم فيها كالحون من شدة الاحتراق والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان وقرئ كلحون الم
تكن آياتى تتلى عليكم على اضمار القول اى يقال لهم تعنيفا وتوبيخا وتذكيرا
لما به استحقوا ما ابتلوا به من العذاب الم تكن آياتى تتلى عليكم فى الدنيا فكنتم بها تكذبون حينئذ قالوا ربنا غلبت
علينا شقوتنا وكنا بسبب ذلك قوما ضالين عن الحق ولذلك فعلنا ما فعلنا من التكذيب وهذا كما ترى اعتراف
منهم بان ما اصابهم بسوء صنيعهم واما ما قيل من انه اعتذار منهم بغلبة ما كتب عليهم من الشقاوة الازلية
فمع انه باطل فى نفسه لما انه لا يكتب عليهم من السعادة والشقاوة الا ما علم الله تعالى انهم يفعلونه
باختيارهم ضرورة ان العلم تابع للمعلوم يرده قوله تعالى ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون اى اخرجنا
من النار وارجعنا الى الدنيا فان عدنا بعد ذلك الى ما كنا فيه من الكفر والمعاصى فانا متجاوزون الحد فى الظلم ولو
كان اعتقادهم انهم مجبورون على ما صدر عنهم لما سألوا الرجعة الى الدنيا ولما وعدوا الايمان والطاعات

وانما الموعود على تقدير الرجعة الى الدنيا الثبات عليها لا اجلا انها قال اخسئوا فيها اى اسكتوا فى النار
سكوت هوان وذلوا وانزجروا انزجار الكلاب اذا زجرت من خسأت الكلب اذا زجرته مخسئا اى انزجر
ولا تكلمون اى باستدعاء الاخراج من النار والرجع الى الدنيا وقيل لا تكلمون فى رفع العذاب ويرده التعليل
الاتى وقيل لا تكلمون راسا وهو اخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق والزفير والعواء كعواء
الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون ويرده الخطابات الاتية قطعا وقوله تعالى انه تعليل لما قبله من الزجر
عن الدعاء اى ان الشان وقرئ بالفتح اى لان الشان كان فريق من عبادى وهم المؤمنون وقيل هم الصحابة
وقيل اهل الصفة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يقولون فى الدنيا ربنا امنا فاغفر لنا
وارحمنا وانت خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا اى تشاغلتم عن الله عما يقولكم ربنا الى اخره لذلكم كنتم
تستهزؤن بالداعين بقولهم ربنا امنا الى اخره وتتشاغلون استهزاءهم حتى انسوكم اى الاستهزاء بهم ذكرى
من فرط اشتغالكم استهزاءكم بهم وكنتم منهم تضحكون وذلك غاية الاستهزاء وقوله تعالى انى جزيتهم اليوم
استيناف لبيان حسن حالهم وانهم انتفعوا بما اذوهم بما صبروا اى بسبب صبرهم على اذيتكم وقوله تعالى انهم
هم الفائزون ثانى مفعولى الجزاء اى جزيتهم فوزهم بمجامع مراداتهم مخصوصين به وقرئ بكسر الهمزة على انه
تعليل للجزاء وبيان لكونه فى غاية ما يكون من الحسن قال اى الله عز وجل او الملك المامور بذلك تذكيرا
لما لبثوا فيما سألوا الرجوع اليه من الدنيا بعد التنبيه على استحالته بقوله اخسئوا فيها الى اخره وقرئ
قل على الامر للملك كم لبثتم فى الارض التى تدعون ان ترجعوا اليها عدد سنين تمييز لكم قالوا لبثنا
يوما او بعض يوم استقصارا لمدة لبثهم فيها فاسأل العادين اى المتمكنين من العد فانا بما دهمنا من العذاب
بمعزل من ذلك او الملائكة العادين للاعمار للعباد واعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى المتعدين
فانهم ايضا يقولون ما نقول كانهم الاتباع يسمون الرؤساء بذلك لظلمهم اياهم باضلالهم وقرئ العادين
اى القدماء المعمرين فانهم ايضا يستقصرون مدة لبثهم قال اى الله تعالى او الملك وقرئ قل ان لبثتم
ان لبثتم الا قليلا تصديق لهم فى ذلك لو انكم كنتم تعلمون اى تعلمون شيئا او لو كنتم من اهل العلم والجواب
محذوف ثقة بدلالة ما سبق عليه اى لعلمتم يومئذ قلة لبثكم فيها كما علمتم اليوم ولعملتم بموجبه ولم
تخلدوا اليها افحسبتم انما خلقناكم عبثا اى الم تعلموا شيئا فحسبتم انما خلقناكم لغير حكمة بالغة حتى انكرتم
البعث فعبثا حال من نون العظمة اى عابثين او مفعول له اى انما خلقناكم للعبث وانكم الينا لا ترجعون
عطف على انما فان خلقكم بغير بعث من قبيل العبث وانما خلقناكم لنعيدكم ونجازيكم على اعمالكم وقرئ
ترجعون بفتح التاء من الرجوع فتعالى الله استعظام له تعالى ولشؤونه التى تصرف عليها عباده من البدء
والاعادة والاثابة والعقاب بموجب الحكمة البالغة اى ارتفع بذاته وتنزه عن مماثلة المخلوقين فى ذاته
وصفاته واحواله وافعاله وصفاته وعن خلو افعاله عن الحكم والمصالح والغايات الحميدة الملك الحق الذى
يحق له الملك على الاطلاق ايجادا واعداما بدءا واعادة واحياء واماتة عقابا واثابة وكل ما سواه مملوك
له مقهور تحت ملكوته لا اله الا هو فان كل ما عداه عبيده رب العرش الكريم فكيف بما تحته ويحاط
به من الموجودات كائنا ما كان ووصفه بالكرم اما لانه منه ينزل الوحى الذى هو القران الكريم او الخير
والرحمة والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين وقرئ الكريم بالرفع على انه صفة للرب كما فى قوله تعالى
ذو العرش المجيد ومن يدع مع الله الها اخر يعبده افرادا او اشراكا لا برهان له به صفة لازمة لالهة كقوله
يطير بجناحيه جئ بها للتاكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على ان التدين بما لا دليل عليه باطل فكيف بما شهدت
به بديهة العقول بخلافه او اعتراض بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق منه بالاحسان
فالله مثيبه فانما حسابه عند ربه فهو مجاز له على قدر ما يستحقه انه لا يفلح الكافرون اى ان الشان
الى اخره وقرئ بالفتح على انه تعليل او خبر ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو
فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع فى معنى الجمع ولذلك حسابه انه لا يفلح فى معنى حسابهم انهم
لا يفلحون بديت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين وختمت بنفى الفلاح عن الكافرين ثم امر
صلى الله عليه وسلم بالاستغفار والاسترحام فقيل وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين ايذانا بانهما
من الاهم الامور الدينية حيث امر به من قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكيف عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقربه عينه عند نزول ملك الموت وعنه
صلى الله عليه وسلم انه قال لقد انزلت على عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المؤمنون حتى ختم
العشر وروى ان اولها واخرها من كنوز الجنة من عمل بثلاث ايات من اولها واتعظ باربع من اخرها نجا وافلح والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم سورة خبر مبتدأ محذوف اى هذه السورة وانما اشير اليها مع عدم سبق
ذكرها لانها باعتبار كونها فى شرف الذكر فى حكم الحاضر المشاهد وقوله تعالى انزلناها مع ما عطف عليه صفات
لها مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة من حيث الذات بالفخامة من حيث الصفات واما كونها مبتدأ محذوف
الخبر على ان يكون التقدير فيما اوحينا اليك سورة انزلناها فلا محل لها حينئذ من الاعراب فيأباه ان مقتضى
المقام بيان شان هذه السورة الكريمة لا ان فى جملة ما اوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم سورة انزلناها فلا محل
لها حينئذ من الاعراب او على مقدر اقرأ ونحوه او دونك عند من يسوغ حذف اداة الاغراء فمحل انزلناها النصب
على الوصفيه وفرضناها اى اوجبنا ما فيها من الاحكام ايجابا قطعيا وفيه من الايذان بغاية وكادة الفرضية
ما لا يخفى وقرئ فرضناها بالتشديد لتاكيد الايجاب او لتعدد الفرائض او لكثرة المفروض عليهم من السلف
والخلف وانزلنا فيها اى فى تضاعيف السورة ايات بينات ان اريد به الايات التى نيطت بها الاحكام
المفروضة وهو الاظهر فكونها فى السورة ظاهر ومعنى كونها بينات وضوح دلالتها على احكامها لا على
معانيها على الاطلاق فانها اسوة لساير الايات فى ذلك وتكرير انزلناها مع تكرير انزال السورة لان
انزالها لابراز كمال العناية بشانها وان اريد جميع الايات فالظرفية باعتبار اشتمال الكل على كل واحد من
اجزائه وتكرير انزال السورة لا انزالها لابراز كمال العناية انزلنا مع ان جميع الايات عين السورة وانزالها
عين انزالها لاستقلالها بعنوان رائق داع الى تخصيص انزالها بالذكر ابانة لخطرها ورفعا لمحلها لقوله تعالى
ونجيناهم من عذاب غليظ بعد قوله تعالى نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا لعلكم تذكرون بحذف
احدى التاءين وقرئ بادغام الثانية فى الذال تتذكرونها فتعملون بموجبها عند وقوع الحوادث الداعية
الى اجراء احكامها وفيه ايذان بان حقها ان تكون على ذكر منهم بحيث متى مست الحاجة اليها استحضروها
الزانية والزانى شروع فى تفصيل ما ذكر من الايات البينات وبيان احكامها والزانية هى المراة المطاوعة
للزنا الممكنة منه كما ينبئ عنه الصيغة لا المزنية كرها وتقديمها على الزانى لانها الاصل فى الفعل لكون الداعية
فيها اوفر ولولا تمكينها منه لم يقع ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط اذ اللام بمعنى الموصول والتقدير التى زنت والذى زنى كما فى قوله تعالى
واللذان ياتيانها منكم فاذوهما وقيل الخبر محذوف اى فيما انزلنا او فيما فرضنا الزانية والزانى اى حكمهما وقوله
تعالى فاجلدوا الى اخره بيان لذلك الحكم وكان هذا عاما فى حق المحصن وغيره وقد نسخ الكتاب بالسنة
المشهورة وفى الايضاح الرجم حكم ثبت بالسنة المشهورة المتفق عليها فجازت الزيادة بها على الكتاب وروى
عن على رضى الله تعالى عنه جلدتها بكتاب الله تعالى ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ باية
منسوخة التلاوة الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ويأباه
ما روى عن على رضى الله تعالى عنه ولا تأخذكم بهما رافة وقرئ بفتح الهمزة وبالمد على فعالة اى رحمة
ورقة فى دين الله فى طاعته واقامة حده فتعطلوه او تسامحوا فيه وقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر من باب التهييج والالهاب
فان الايمان بهما يقتضى الجد فى طاعته تعالى والاجتهاد فى اجراء احكامه تعالى وذكر اليوم الاخر لتذكير
ما فيه من العقاب فى مقابلة المسامحة والتعطيل وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين
لزيادة التنكيل فان التفضيح قد ينكل اكثر مما ينكل التعذيب والطائفة فرقة يمكن ان تكون حافة حول
الشئ من الطوف واقلها ثلاثة او اربعة عند قتادة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما اربعة الى اربعين وعن
الحسن عشرة والمراد جمع يحصل به التشهير الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها
الا زان او مشرك حكم مؤسس على الغالب المعتاد جئ به لزجر المؤمنين عن نكاح الزوانى بعد زجرهم عن
الزنا بهن وقد رغب بعض من ضعفة المهاجرين فى نكاح موسرات كانت بالمدينة من بغايا المشركين
لانه قيل الزانى لا يرغب الا فى نكاح احديهما فلا تحوموا حوله كيلا تنتظموا فى سلكهما او تتسموا بسمتهما
فايراد الجملة الاولى مع ان مناط التنفير هى الثانية اما للتعريض بقصرهم الرغبة عليهن حيث استاذنوا
فى نكاحهن او لتاكيد العلاقة بين الجانبين مبالغة فى الزجر والتنفير
لما فى الاولى اشبعا فى التنفير من الزانية بنظمها فى سلك الشركة وحرم ذلك اى نكاح الزوانى على المؤمنين
لما فيه من التشبه بالفسقة والتعرض للتهمة والتسبب لسوء القالة والطعن فى النسب واختلال
امر المعاش وغير ذلك من المفاسد عبر عن التنزه بالتحريم مبالغة فى الزجر وقيل النفى بمعنى النهى وقد قرئ به والتحريم على حقيقته والحكم
اما مخصوص بسبب النزول او منسوخ بقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فانه متناول المسافحات
ويؤيده ما روى انه صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال اوله سفاح واخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال

وما قيل من ان المراد بالنكاح هو الوطء بين البطلان والذين يرمون المحصنات بيان لحكم العفائف اذا نسبن
الى الزنا بعد بيان حكم الزواني ويعتبر في الاحصان هاهنا مع مدلوله الوضعي الذي هو العفة عن الزنا
الحرية والبلوغ والاسلام وفي التعبير عن التفوه بما قالوا في حقهن بالرمي المنبئ عن صلابة الالة وايلام المرمي
وبعده عن الرامي ايذان بشدة تأثيره فيهن وكونه رجما بالغيب والمراد رميهن بالزنا لا غير وعدم
التصريح به للاكتفاء بايرادهن عقيب الزواني ووصفهن بالاحصان الدال بالوضع على نزاهتهن
عن الزنا خاصة فان اخر نزول الاية عن قوله تعالى فاستشهدوا عليهن اربعة ولا يبعد موجوب الحد
بالرمي بغير الزنا على ان فيه شبهة المصادرة كانه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين
به من الزنا على ان فيه شبهة المصادرة كانه قيل والذين يرمون العفائف المنزهات عما رمين به من
الزنا ثم لم يأتوا باربعة شهداء يشهدون عليهن بما رموهن به وفي كلمة ثم اشعار بجواز تأخير الاتيان
بالشهود كما ان في كلمة لم اشارة الى التحقق العجز عن الاتيان بهم وتقرره خلا ان اجتماع الشهود لا بد منه
عند الاداء خلافا للشافعي فانه جوز التراخي بين الشهادات كما بين الرمي والشهادة ويجوز ان يكون
احدهم زوج المقذوفة خلافا له ايضا وقرئ باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة لظهور كذبهم
وافترائهم لعجزهم عن الاتيان بالشهداء لقوله تعالى فاذ لم يأتوا بالشهداء فاولئك عند الله هم الكاذبون
وانتصاب ثمانين كانتصاب المصادر ونصب جلدة على التمييز وتخصيص رميهن بهذا الحكم مع ان
حكم رمي المحصنين ايضا كذلك لخصوص الواقعة وشيوع الرمي فيهن ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا
عطف على اجلدوا وداخل في حكمه تتمة له لما فيه من معنى الزجر لانه مؤلم للقلب كما ان الجلد مؤلم
للبدن وقد اذى المقذوف بلسانه فعوقب باهدار منافعه جزاء وفاقا واللام في لهم متعلقة
بمحذوف هو حال من شهادة قدمت عليها لكونها نكرة ولو تأخرت عنها لكانت صفة لها وفائدتها
تخصيص الرد بشهادتهم الناشئة عن اهليتهم الثابتة لهم عند الرمي وهو السر في قبول شهادة
الكافر المحدود في القذف بعد التوبة والاسلام لانها ليست ناشئة من اهليته السابقة بل من اهلية
له حدثت له بعد اسلامه فلا يتناولها الرد فتدبر ودع عنك ما قيل من ان المسلمين لا يعبأون
بسب الكفار فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما يلحقه بقذف المسلم فان ذلك
بمعزل مما من الاعتبار تعليل في مقابلة النص ولا يخفى حاله فالمعنى لا تقبلوا منهم شهادة من
الشهادات حال كونها حاصلة لهم عند الرمي ابدا اي مدة حياتهم وان تابوا واصلحوا لما عرفت من
انه تتمة للحد كانه قيل فاجلدوهم وردوا شهادتهم اي فاجمعوا لهم الجلد والرد فيبقى كاصله
واولئك هم الفاسقون كلام مستأنف مقرر لما قبله ومبين لسوء حالهم عند الله عز وجل
وما في اسم الاشارة من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في السوء والفساد اي اولئك هم المحكوم
عليهم بالفسق والخروج عن الطاعة والتجاوز عن الحدود الكاملون فيه كانهم هم المستحقون لاطلاق اسم
الفاسق عليهم لا غيرهم من الفسقة وقوله تعالى الا الذين تابوا استثناء من الفاسقين كما ينبئ عنه التعليل
الاتي ومحل المستثنى النصب لانه عن موجب قوله تعالى من بعد ذلك لتهويل المتوب عنه اي من
بعد ما اقترفوا ذلك الذنب العظيم الهائل واصلحوا اي اصلحوا اعمالهم التي من جملتها ما فرط منهم بالتلافي
والتدارك ومنه الاستسلام للحد والاستحلال من المقذوف فان الله غفور رحيم تعليل لما يفيده
الاستثناء من العفو عن المؤاخذة بموجب الفسق كانه قيل فحينئذ لا يؤاخذهم الله تعالى بما فرط منهم
ولا ينظمهم في سلك الفاسقين لانه مبالغ في المغفرة والرحمة هذا وعلق الشافعي رحمه الله تعالى
الاستثناء بالنهي فحمل الاستثناء حينئذ على التدلية بين الضمير في لهم وجعل الابد عبارة عن مدة كونه
قاذفا فاذا قامت تهمته بالتوبة فتقبل شهادته بعدها والذين يرمون ازواجهم بيان لحكم الرامين لازواجهم
خاصة بعد بيان حكم رامين لغيرهن لكن لا بان يكون هذا مخصصا للمحصنات بالاجنبيات ليلزم بقاء
الاية السابقة ظنية فلا يثبت بها الحد فان من شرائط المخصص ان لا يكون متراخي النزول بل بكونه
ناسخا لعمومها في صورة ولتراخي نزولها كما ينبئ عنه ما في الاية السابقة قطعية الدلالة فيما بقي بعد النسخ لما
بين في موضعه ان صيغة النسخ غير معلل ولم يكن لهم شهداء يشهدون بما رموهن به من الزنا وقرئ بتانيث
الا انفسهم بدل من الشهداء او صفة لها على ان الا بمعنى غير جعلوا من جملة الشهداء ايذانا من اول الامر
لعدم الغاء قولهم بالمرة ونظمه في سلك الشهادة في الجملة وبذلك ازداد حسن اضافة الشهادة اليهم في قوله
تعالى فشهادة احدهم اي شهادة كل واحد منهم وهو مبتدأ وقوله تعالى اربع شهادات خبره اي فشهادتهم
المشروعة اربع شهادات بالله متعلق بشهادات لقربها وقيل بشهادة لتقدمها وقرئ اربع شهادات
بالنصب على المصدر والعامل فشهادة على انه اما خبر لمبتدأ محذوف اي فالحكم فشهادة احدهم واجبة انه

لمن

لمن الصادقين اي فيما رماها به من الزنا واصله على انه الى اخره فحذف الجار وكسرت ان وعلق العامل
عنها للتأكيد والخامسة اي الشهادة الخامسة للاربع المتقدمة اي الجاعلة لها خمسا بانضمامها اليهن
وافرادها عنهن مع كونها شهادة ايضا لاستقلالها بالفحوى ووكادتها في افادة ما يقصد بالشهادة من تحقيق
الخبر واظهار الصدق وهي مبتدأ خبره ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا فاذا
لاعن الزوج حبست الزوجة حتى تعترف فترجم او تلاعن ويدرأ عنها العذاب اي العذاب الدنيوي
وهو الحبس المغيا على احد الوجهين بالرجم الذي هو اشد العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه اي
دفع لمن الكاذبين اي الزوج من الصادقين اي فيما رماها به من الزنا وقرئ والخامسة بالرفع على الابتدا
وقرئ ان بالتخفيف في الموضعين ورفع اللعنة والغضب وقرئ ان غضب الله وتخصيص الغضب بجانب
المرأة للتغليظ عليها لما انها مادة الفجور ولان النساء كثيرا ما يستعملن اللعن فربما يجترئن على التفوه به لسقوط
وقعه عن قلوبهن بخلاف غضبه تعالى روي ان اية القذف لما نزلت قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام عاصم بن عدي الانصاري رحمه الله تعالى فقال جعلني الله فداك ان وجد رجل مع امرأته رجلا فاخبر جلد
ثمانين وردت شهادته وفسق وان ضربه بالسيف قتل وان سكت سكت على غيظ والى ان يجيء باربعة شهداء
فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم افتح وخرج فاستقبله هلال بن امية او عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت
على امرأتي خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال والله هذا سؤالي ما اسرع ما ابتليت به فرجعا فاخبرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فانكرت فلاعن بينهما والفرقة الواقعة باللعان في حكم التطليقة
البائنة عند ابي حنيفة ومحمد رحمهما الله تعالى ولا يتأبد حكمها حتى اذا اكذب الرجل نفسه بعد ذلك فحد
جاز له ان يتزوجها وعند ابي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي رحمهم الله تعالى هي فرقة
بغير طلاق توجب تحريما مؤبدا ليس لهما اجتماع بعد ذلك ابدا ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب
حكيم التفات الى خطاب الرامين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان حقه وجواب لولا
محذوف لتهويله والاشعار بضيق العبارة عن حصره كانه قيل لولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وان الله
تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع افعاله واحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان
مما لا يحيط به نطاق البيان ومن جملته انه تعالى لو لم يشرع لهم ذلك لوجب على الزوج حد القذف
مع ان الظاهر صدقه لانه اعرف بحال زوجته وانه لا يفتري عليها لاشتراكهما في الفضاحة وبعد ما
شرع لهم ذلك لو جعل شهادته موجبة لحد الزنا عليها لفات النظر لها ولو جعل شهاداتها موجبة لحد القذف
عليه لفات النظر له ولا ريب في خروج الكل عن سنن الحكمة والفضل والرحمة فجعل شهادات كل منهما
مع الجزم بكذب احدهما حتما دارئة لما توجه اليه من الغائلة الدنيوية وقد ابتلي الكاذب منهما في تضاعيف
شهاداته من العذاب بما هو اتم مما درأته عنه واطم وفي ذلك من احكام الحكم البالغة واثار التفضل والرحمة
ما لا يخفى اما على الصادق فظاهر واما على الكاذب فامهاله والستر عليه في الدنيا ودرء الحد عنه وتعريضه
للتوبة حسبما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية سبحانه ما اعظم شانه واوسع رحمته وادق حكمته
ان الذين جاءوا بالافك اي بابلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك واصله
الافك وهو القلب لانه مأفوك عن وجهه وسننه والمراد به ما افك به الصديقة ام المؤمنين رضي الله تعالى
عنها وفي لفظ المجيء اشارة الى انهم اظهروه من عند انفسهم من غير ان يكون له اصل وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا اراد سفرا اقرع بين نسائه فايتهن خرجت قرعتها استصحبها قالت عائشة رضي الله تعالى عنها
فاقرع بيننا في غزوة غزاها قبل غزوة بني المصطلق فخرج سهمي فخرجت معه صلى الله عليه وسلم بعد نزول
اية الحجاب فحملت في هودج فسرنا حتى اذا قفلنا ودنونا من المدينة نزلنا منزلا ثم نودي بالرحيل فقمت ومشيت
حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقدي من جزع ظفار قد انقطع فرجعت
فلمسته فحبسني ابتغاؤه واقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري وهم يحسبون
اني فيه لخفتي فلم يستنكروا خفة الهودج وذهبوا بالبعير ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت
منازلهم وليس فيها داع ولا مجيب فتيممت منزلي وظننت انهم سيفقدونني ويعودون في طلبي فبينما انا
جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش فلما راني عرفني فاستيقظت
باسترجاعه فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ
راحلته فوطئ على يدها فقمت اليها فركبتها وانطلق يقود بي الراحلة حتى اتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة
وهم نزول وافتقدني الناس حين نزلوا وماج القوم في ذكري فبينا الناس كذلك اذ هجمت عليهم فخاض
الناس في حديثي فهلك من هلك عصبة منكم خبر ان اي جماعة وهي من العشرة الى الاربعين وكذا العصابة
وهم عبد الله بن ابي وزيد بن رفاعة وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم

اي فيما رماها به والخامسة بالنصب عطفا على اربع
شهادات ان غضب الله عليها ان كان من الص

وقوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم استئناف خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعائشة وصفوان
تسلية لهم من اول الامر والضمير للافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم وظهور كرامتكم على الله
على الله عز وجل بانزال ثمان عشرة آية في نزاهة ساحتكم وتعظيم شأنكم وتشديد الوعيد فيمن تكلم فيكم
والثناء على من ظن بكم خيرا لكل امرئ منهم اي من اولئك العصبة ما اكتسب من الاثم بقدر ما خاض فيه
والذي تولى كبره منهم اي معظمه وقرئ بضم الكاف وهي لغة فيه من هم من العصبة وهو ابن ابي فانه
بدا به واذاعه بين الناس عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو وحسان ومسطح فانهما شايعاه
بالتصريح فافراد الموصول باعتبار الفوج او الفريق او نحوهما له عذاب عظيم اي في الآخرة او في الدنيا
ايضا فانهم جلدوا وردت شهادتهم وصار ابن ابي مطرودا مشهودا عليه بالنفاق وحسان اعمى
واشل اليدين ومسطح مكفوف البصر وفي التعبير عنه بالذي وتكرير الاسناد وتنكير العذاب
ووصفه بالعظم من تهويل الخطب ما لا يخفى لولا اذ سمعتموه تلوين للخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وذويه الى الخائضين بطريق الالتفات لتشديد ما في لولا التحضيضية من التوبيخ ثم العدول
الى الغيبة في قوله تعالى ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا لتأكيد التوبيخ والتشنيع لكن لا بطريق
الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم على وجه المباثة بل بالتوسل بذلك الى وصفهم بما يوجب الاتيان
بالمحضض عليه ومقتضيه اقتضاء تاما ويزجرهم عن ضده زجرا بليغا فان كون وصف الايمان مما يحملهم على
احسان الظن ويكفهم عن اساءته بانفسهم اي بابناء جنسهم النازلين منزلة انفسهم كقوله تعالى ولا تلمزوا
انفسكم ولا ريب فيه وامثاله مما يوجب ذلك الوصف اقبح وتشنيعهم لتوبيخ عليه ادخل مع ما فيه
من التوسل به الى التصريح بالتوبيخ الخائضات ثم ان كان المراد بالايمان الحقيقي فايجابه لما ذكر واضح
والتوبيخ خاص بالمؤمنين وان كان مطلق الايمان الشامل لما يظهره المنافقون ايضا فايجابه لهم من حيث
انهم كانوا يحترزون عن اظهار ما ينافي مدعاهم فالتوبيخ حينئذ متوجه الى الكل وتوسيط الظرف بين
لولا وفعلها لتخصيص التحضيض باول زمان سماعهم وقصر التوبيخ على تأخير الاتيان بالمحضض عليه عن
ذلك الآن والتردد فيه ليفيد ان عدم الاتيان به رأسا في غاية ما يكون من القباحة والشناعة اي
كان الواجب ان يظن المؤمنون والمؤمنات اول ما سمعوه ممن اخترعه بالذات او بالواسطة من غير تلعثم
وتردد بمثلهم من آحاد المؤمنين خيرا وقالوا في ذلك الآن هذا افك مبين اي ظاهر مكشوف كونه افكا فكيف
بالصديقة ابنة الصديق حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا جاءوا عليه باربعة شهداء من
تمام القول المحضض عليه مسوق لحث السامعين على الزام المسمعين وتكذيبهم اثر ما سمعوه منهم بقولهم
هذا افك مبين وتوبيخهم على تركه اي هلا جاء الخائضون باربعة شهداء يشهدون على ما قالوا فاذ لم
يأتوا بهم وانما قيل بالشهداء لزيادة التقرير فاولئك اشارة الى الخائضين وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلتهم في الفساد وبعد منزلتهم في الشر اي اولئك المفسدون عند الله اي في حكمه وشريعته المؤسسة
على الدلائل الظاهرة المتقنة هم الكاذبون الكاملون في الكذب المشهود عليهم بذلك المستحقون
لاطلاق الاثم عليهم بذلك المستحقون لاطلاق الاسم عليهم دون غيرهم ولذلك رتب عليه الحد خاصة
واما كله من مبتدأ مسوق من جهته تعالى للاحتجاج على كذبهم بكون ما قالوه قولا لا يساعده الدليل
اصلا ولولا فضل الله عليكم خطاب للسامعين والمسمعين جميعا ورحمته في الدنيا من فنون النعم التي من
جملتها الامهال للتوبة والآخرة من ضروب الآلاء التي من جملتها العفو والمغفرة لمسكم عاجلا فيما افضتم
فيه بسبب ما خضتم فيه من حديث الافك والابهام لتهويل امره والاستهجان بذكره يقال افاض في
الحديث وخاض واندفع وهضب بمعنى عذاب عظيم يستحقر دونه التوبيخ والجلد اذ تلقونه ظرف لمسكم اي
لمسكم ذلك العذاب العظيم وقت تلقيكم اياه من المخترعين بالسنتكم والتلقي والتلقف
والتلقن معان متقاربة خلا ان في الاول معنى الاستقبال وفي الثاني معنى الخطف وفي الثالث معنى الحذق
والمهارة وقرئ تتلقونه على الاصل وتلقونه من لقيه وتلقونه بكسر حرف المضارعة وتلقونه من القاء
بعضهم على بعض وتلقونه وتالقونه من الولق والالق وهو الكذب وتثقفونه من ثقفته اذا طلبته فوجدته
وتقفونه اي تتبعونه وتقولون بافواهكم ما ليس لكم به علم اي تقولون قولا مختصا بالافواه من غير ان يكون
له مصداق ومنشأ في القلوب لانه ليس بتعبير عن علم به في قلوبكم كقوله تعالى يقولون بافواههم ما ليس في
قلوبهم وتحسبونه هينا سهلا لا تبعة له او ليس له كثير عقوبة وهو عند الله والحال انه عنده عز وجل
عظيم لا يقادر قدره في الوزر واستجرار العذاب ولولا اذ سمعتموه من المخترعين والتابعين لهم قلتم تكذيبا
وتهويلا لما ارتكبوه ما يكون لنا ما يمكننا ان نتكلم بهذا وما يصدر عنا ذلك بوجه من الوجوه وحاصله نفي
وجود التكلم به لا نفي وجوده على وجه الصحة او الاستقامة والانبغاء وهذا اشارة الى ما سمعوه وتوسط

الظرف

الظرف بين لولا وقلتم لما مر من تخصيص التحضيض باول وقت السماع وقصر التوبيخ واللوم على تأخير
القول المذكور عن ذلك الآن ليفيد انه المحتمل للوقوع المفتقر الى التحضيض على تركه واما القول نفسه
رأسا فمما لا يتوهم وقوعه حتى يحضض على فعله ويلام على تركه وعلى هذا ينبغي ان يحمل ما قيل ان المعنى انه كان
الواجب عليهم ان يتفادوا اول ما سمعوا بالافك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت اهم وجب التقديم واما
ما قيل من ان ظروف الاشياء منزلة منزلة انفسها لوقوعها فيها وانها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع
فيها ما لا يتسع في غيرها ففي ضابطة ربما تستعمل فيما اذا وضع الظرف موضع المظروف بان جعل مفعولا
صريحا لفعل مذكور كما في قوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء او مقدر كعامة الظروف المنصوبة باضمار اذكر
واما هاهنا فلا حاجة اليها اصلا لما تحققت ان مناط التقديم توجه التحضيض اليه وذلك يتحقق في جميع
متعلقة الفعل كما في قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها سبحانك تعجب ممن تفوه به واصله
ان يذكر عند معاينة العجيب من صنائعه تعالى تنزيها له سبحانه من ان يصعب عليه امثاله ثم كثر حتى
استعمل في كل متعجب منه او تنزيه له تعالى من ان تكون حرمة نبيه فاجرة فان فجورها تنفير عنه ومخل
بمقصود الزواج فيكون تقريرا لما قبله وتمهيدا لقوله تعالى هذا بهتان عظيم لعظمة المبهوت عليه واستحالة
صدقه فان حقارة الذنوب وعظمها باعتبار متعلقاتها يعظكم الله ان تعودوا لمثله اي كراهة ان
تعودوا او ينهاكم من ان تعودوا او في ان تعودوا من قولك وعظته فتركه ابدا اي مدة حياتكم ان
كنتم مؤمنين فان الايمان وازع عنه لا محالة وفيه تهييج وتقريع ويبين الله لكم الآيات الدالة على الشرائع
ومحاسن الآداب دلالة واضحة لتتعظوا وتتأدبوا بها ان ينتهوا كذلك اي مبينة ظاهرة الدلالة على
معانيها لا انه يبينها بعد ان لم تكن كذلك وكما في قولهم سبحان من صغر البعوض وكبر الفيل اي خلقهما
صغيرا وكبيرا ومنه قولك ضيق فم الركية ووسع اسفلها واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتفخيم
شأن البيان والله عليم باحوال جميع مخلوقاته جلائلها ودقائقها حكيم في جميع تدابيره وافعاله فاني يمكن
صدق ما قيل في حق حرمة من اصطفاه لرسالته وبعثه الى كافة الخلق ليرشدهم الى الحق ويزكيهم ويطهرهم
تطهيرا واظهار الاسم الجليل هاهنا لتأكيد استقلال الاعتراض التذييلي والاشعار بعلية الالوهية للعلم
والحكمة ان الذين يحبون اي يريدون ويقصدون ان تشيع الفاحشة اي تنتشر الخصلة المفرطة في القبح وهي
الفرية والرمي بالزنا او نفس الزنا بسبب ما شيوع خبرها اي يحبون شيوعها ويتصدون مع ذلك لاشاعتها
وانما لم يصرح به اكتفاء بذكر المحبة فانها مستتبعة له لا محالة في الذين آمنوا متعلق بتشيع الفاحشة فيما بين
الناس وذكر المؤمنين لانهم العمدة فيهم او بمضمر هو حال من الفاحشة الموصول لا عبارة عن المؤمنين خاصة
اي يحبون ان تشيع الفاحشة كائنة في حق المؤمنين وفي شأنهم لهم بسبب ما ذكر عذاب اليم في الدنيا من الحد
وغيره مما يتفق من البلايا الدنيوية ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي وحسانا
ومسطحا حد القذف وضرب صفوان حسانا ضربة بالسيف وكف بصره والآخرة من عذاب النار وغير ذلك
مما يعلمه الله عز وجل والله يعلم جميع الامور التي من جملتها ما في الضمائر من المحبة المذكورة وانتم لا تعلمون
ما لا يعلمه تعالى بل انما تعلمون ما ظهر لكم من الاقوال والافعال المحسوسة فابنوا امركم على ما تعلمونه وعاقبوا
في الدنيا على ما تشاهدونه من الاحوال الظاهرة والله سبحانه هو المتولي للسرائر فيعاقب في الآخرة على ما
تكنه الضمائر والصدور [illegible]
عليه [illegible]
[illegible] النظم الكريم فيكون [illegible] للعذاب عليها [illegible]
والعظم ويكون الاعتراض التذييلي [illegible] وقوله تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون تقرير لثبوت العذاب
العظيم لهم وتعليلا ولولا فضل الله عليكم ورحمته تكرير للمنة بترك المعاجلة بالعقاب للتنبيه
على كمال عظم الجريمة وان الله رؤوف رحيم عطف على فضل الله واظهار الاسم الجليل لتربية المهابة
والاشعار باستتباع صفة الالوهية للرأفة والرحمة وتغيير سبكه وتصديره بحرف التحقيق لما ان المراد
بيانه اتصافه تعالى في ذاته بالرأفة التي هي كمال الرحمة والرحيمية التي هي المبالغة فيها على الدوام والاستمرار لا بيان
حدوث تعلق رأفته ورحمته بهم كما ان المراد بالمعطوف عليه وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله عليه
يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا مسالكه في كل ما تأتون وما تذرون من الافاعيل
التي من جملتها اشاعة الفاحشة وحبها وقرئ خطوات بسكون الطاء وبفتحها ايضا ومن يتبع خطوات الشيطان
وضع الظاهران موضع ضميرهما حيث لم يقل ومن يتبعها او ومن يتبعه لزيادة التقرير والمبالغة
في التنفير والتحذير فانه اي الشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر علة للجزاء وضعت موضعه كانه قيل فقد ارتكب الفحشاء
والمنكر لان دأبه المستمر ان يأمر بهما فمن اتبع خطواته فقد امتثل بامره قطعا والفحشاء ما افرط قبحه

بما لفاحشة والمنكر ما ينكره الشرع وضمير انه للشيطان وقيل هو عايد الى من اى فان ذلك متبع يامر الناس
بهما لان شان الشيطان هو الاضلال فمن اتبعه يترقى من رتبة الضلال والفساد الى رتبة الاضلال
والافساد ولولا فضل الله عليكم ورحمته بما من جملته هاتيك البيانات والتوفيق للتوبة الماحصة
للذنوب وشرع الحدود المكفرة لها ما زكى اى ما طهر من دنسها وقرئ ما زكى
بالتشديد اى ما طهر الله تعالى ومن فى قوله تعالى منكم من احد زايدة واحد فى محل
الرفع على الفاعلية على القراءة الاولى وفى محل النصب على المفعولية على القراءة الثانية ابدا اى الى نهاية ولكن الله
يزكى يطهر من يشاء من عباده باقامة اثار فضله ورحمته عليه وحمله على التوبة ثم قبولها منه كما فعل بكم
والله سميع مبالغ فى سمع الاقوال التى من جملتها ما اظهروه من التوبة عليم بجميع المعلومات التى
من جملتها نياتهم وفيه حث لهم على الاخلاص فى التوبة واظهار الاسم الجليل للايذان باستدعاء الالوهية
للسمع والعلم مع ما فيه من تأكيد استقلال الاعتراض التذييلى ولا يأتل اى لا يحلف افتعال من الالية وقيل
لا يقصر من الالو والاول هو الاول لنزوله فى شان الصديق رضى الله تعالى عنه حين حلف الا ينفق على مسطح
بعد وكان ينفق عليه لكونه ابن خالته وكان من فقراء المهاجرين ويعضده قراءة من قرأ ولا يتأل اولوا الفضل منكم
فى الدين وكفى به دليلا على فضل الصديق رضى الله تعالى عنه والسعة فى المال ان يؤتوا اى على ان لا يؤتوا
وقرئ بتاء الخطاب على الالتفات اولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله صفات لموصوف واحد جئ بها
بطريق العطف تنبيها على ان كلا منها علة مستقلة لاستحقاقه الايتاء وقيل لموصوفات اقيمت هى مقامها
وحذف المفعول الثانى لغاية ظهوره اوعلا ان لا يؤتيهم شيئا وليعفوا ما فرط منهم وليصفحوا بالاغضاء
عنه وقرئ الامر بتاء الخطاب على وفق قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم اى بمقابلة عفوكم
وصفحكم واحسانكم الى من اساء اليكم والله غفور رحيم مبالغ فى المغفرة والرحمة مع كمال قدرته على المؤاخذة
وكثرة ذنوب العباد الداعية اليها وفيه ترغيب عظيم فى العفو ووعد كريم بمقابلته كانه قيل الا تحبون
ان يغفر الله لكم فهذا من موجباته روى انه صلى الله عليه وسلم قرأها على ابى بكر رضى الله تعالى عنه فقال
بلى احب ان يغفر الله لى فرجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا ان الذين يرمون المحصنات اى
العفائف مما رمين به من الفاحشة الغافلات عنها على الاطلاق بحيث لم يخطر ببالهن شئ منها ولا من مقدماتها
اصلا ففيها من الدلالة على كمال النزاهة ما ليس فى المحصنات اى السليمات الصدور النقيات القلوب
عن كل سوء المؤمنات اى المتصفات بالايمان بكل ما يجب ان يؤمن به من الواجبات والمحظورات وغيرهما
ايمانا حقيقيا تفصيليا كما ينبئ عنه تأخير المؤمنات عما قبلها مع اصالة وصف الايمان فانه للايذان بان
المراد بها المعنى الوصفى المعرب عما ذكر لا المعنى الاسمى المصحح لاطلاق الاسم فى الجملة كما هو المتبادر على تقدير
التقديم والمراد بها عائشة الصديقة رضى الله تعالى عنها والجمع باعتبار ان رميها رمى لساير امهات المؤمنين
لاشتراك الكل فى العصمة والنزاهة والانتساب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فى قوله تعالى كذبت
قوم نوح المرسلين ونظايره وقيل امهات المؤمنين فيدخل فيه الصديقة دخولا اوليا واما ما قيل من
ان المراد هى الصديقة والجمع باعتبار استتباعها بالصفات المذكورة من نساء الامة فيأباه ان العقوبات
المرتبة على رمى هؤلاء عقوبات مختصة بالكفار والمنافقين ولا ريب فى ان رامى امهات المؤمنين ليس بكفر
فيجب ان يكون المراد اياهن على احد الوجهين فانهن قد خصصن من بين ساير المؤمنات فجعل رميهن كفرا ابرازا
لكرامتهن على الله عز وجل وحماية لحمى الرسالة عن ان يحوم حوله احد بسوء حتى ان ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما جعله اغلظ من ساير افراد الكفر حين سئل عن هذه الايات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت
توبته الا من خاض فى امر عايشة رضى الله تعالى عنها وهو منه رضى الله تعالى عنه الا لتهويل الامر الافك
والتنبيه على انه كفر غليظ لعنوا بما قالوا فى حقهن فى الدنيا والاخرة حيث يلعنهم اللاعنون من المؤمنين
والملائكة ابدا ولهم مع ما ذكر من اللعن الابدى عذاب عظيم هايل لا يقادر قدره لغاية عظيم ما
اقترفوه من الجناية وقوله تعالى يوم تشهد عليهم الى اخره اما متصل بما قبله مسوق لتقرير العذاب
المذكور بتعيين وقت حلوله وتهويله ببيان ظهور جناياتهم الموجبة له مع ساير جناياتهم المستتبعة
لعقوباتها على كيفية هايلة وهيئة خارقة للعادات فيوم ظرف لما فى الجار والمجرور المتعلق من معنى
الاستقرار لا لعذاب وان اعتمد على وصفه لاخلاله بجزالة المعنى واما منقطع عنه مسوق لتهويل
اليوم بتهويل ما يحويه على انه ظرف لفعل مؤخر قد ضرب عنه الذكر صفحا للايذان بقصور العبارة
عن تفصيل ما يقع فيه من الطامات التامة والدواهى العامة كانه قيل يوم تشهد عليهم السنتهم
وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به حيطة المقال على ان الموصول
المذكور عبارة عن جميع اعمالهم السيئة وجناياتهم القبيحة المعهودة فقط ومعنى شهادة الجوارح المذكورة بها

انه

بها انه تعالى ينطقها بقدرته فتخبر كل جارحة منها بما صدر عنها من افاعيل صاحبها لا ان كلا منها تخبر بجناياتهم
المعهودة فحسب فالمفعول المحذوف عبارة عن خصوص جناياتهم المعهودة وحمل شهادة الجوارح على اخبار الكل
بما يجنى الفواحش وتهوين تدمى للوانع والجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل للدلالة على استمرارهم عليها فى
الدنيا وتقديم عليهم على الفاعل للمسارعة الى بيان كون الشهادة ضارة لهم مع ما فيه من التشويق الى المؤخر كما
مر مرارا وقوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اى يومئذ تشهد جوارحهم باعمالهم القبيحة يعطيهم الله
جزاءهم الثابت الذى يحق ان يثبت لهم لا محالة وافيا كاملا كلام مبتدأ مسوق لبيان ترتيب حكم الشهادة
عليها متضمن لبيان ذلك المبهم المحذوف على وجه الاجمال ويجوز ان يكون يوم تشهد ظرفا ليوفيهم ويومئذ
بدلا منه وقيل هو منصوب على انه مفعول لفعل مضمر اى اذكر يوم تشهد بالتذكير للفصل ويعلمون عند
معاينتهم الاهوال والخطوب حسبما نطق به القران الكريم ان الله هو الحق الثابت الذى يحق اى يثبت لا
محالة فى ذاته وصفاته وافعاله التى من جملتها كلماته التامة المنبئة عن الشؤون التى يشاهدونها منطبقة
عليها المبين المظهر للاشياء كما هى فى انفسها او الظاهر انه هو الحق وتفسيره بظهور الوهيته تعالى وعدم مشاركة
الغير له فيها وعدم مقدرة ما سواه على الثواب والعقاب ليس له كثير مناسبة للمقام كما ان تفسير الحق
المبين بالعادل الظاهر عدله كذلك ولو تتبعت ما فى القران المجيد من ايات الوعيد الواردة فى حق كل
كفار مريد وجبار عنيد لا تجد شيئا منها فوق هاتيك القوارع المشحونة بفنون التهديد والتشديد وما
ذلك الا لاظهار منزلة النبى صلى الله عليه وسلم فى علو الشان والنزاهة وابراز رتبة الصديقة رضى
الله تعالى عنها فى العفة والنزاهة وقوله تعالى الخبيثات الى اخره كلام مستأنف مؤسس على قاعدة السنة
الالهية الجارية فيما بين الخلق على موجب ان لله تعالى ملكا يسوق الاهل الى الاهل اى الخبيثات من النساء
للخبيثين من الرجال اى مختصات بهم لا يكدن يتجاوزنهم الى غيرهم على ان اللام للاختصاص والخبيثون ايضا
للخبيثات لان المجانسة من دواعى الانضمام والطيبات منهن للطيبين منهم والطيبون ايضا للطيبات منهن بحيث
لا يكادون يتجاوزونهن الى من عداهن وحيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الاطيبين وخيرة الاولين
والاخرين تبين كون الصديقة رضى الله تعالى عنها من اطيب الطيبات بالضرورة واتضح بطلان ما قيل
فى حقها من الخرافات حسبما نطق به قوله تعالى اولئك مبرؤن مما يقولون على ان الاشارة الى اهل البيت
المنتظمين للصديقة انتظاما اوليا وقيل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والصديقة وصفوان وما
فى الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليهم وبعد منزلتهم فى الفضل اى اولئك الموصوفون
بعلو الشان مبرؤن مما يقوله اهل الافك فى حقهم من الاكاذيب الباطلة وقيل الخبيثات من القول
للخبيثين من الرجال والنساء اى مختصة ولايقة بهم لا ينبغى ان يقال فى حق غيرهم وكذا الخبيثون من الفريقين مختصة
وحقيقة بهم وهم احقاء بان يقال فى شانهم طيبات الكلم اولئك الطيبون مبرؤن مما يقول الخبيثون فى حقهم فماله الا
تبرئة الصديقة ايضا وقيل خبيثات القول مختصة بالخبيثين من فريقى الرجال والنساء لا يصدر عن غيرهم
والخبيثون من الفريقين مختصون بخبائث القول متعرضون لها والطيبات من الكلام للطيبين من الفريقين اى مختصة
بهم لا تصدر من غيرهم والطيبون من الفريقين مختصون بطيبات الكلام لا يصدر عنهم غيرها اولئك الطيبون
مبرؤن مما يقوله الخبيثون من الخبائث اى لا يصدر عنهم مثل ذلك فماله تنزيه القايلين سبحانك هذا
بهتان عظيم لهم مغفرة عظيمة لما لا يخلو عنه البشر من الذنب ورزق كريم هو الجنة يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم اثر ما فصل الزواجر عن الزنا وعن رمى العفايف عنه شرع فى تفصيل الزواجر عما عسى
يؤدى الى احدهما من مخالطة الرجال بالنساء ودخولهم عليهن فى اوقات الخلوات وتعليم الاداب الجميلة
والافاعيل المرضية المستتبعة لسعادة الدارين ووصف البيوت بمغايرة بيوتهم خارج مخرج العادة التى
هى سكنى كل احد فى مسكنه والا فالاجر والمعير ايضا منهيان عن الدخول بغير اذن وقرئ بيوتا غير بيوتكم بكسر الباء
لاجل الياء حتى تستأنسوا اى تستأذنوا من يملك الاذن من اصحابها من الاستيناس بمعنى الاستعلام من انس
الشئ اذا ابصره فان المستأذن مستعلم للحال مستكشف انه هل يؤذن له او تستأنس وتسلموا على اهلها عند
الاستيذان روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان التسليم ان يقول السلام عليكم اادخل ثلث مرات فاذا
اذن له دخل والا رجع ذلكم اى الاستيذان مع التسليم خير لكم من ان تدخلوا بغتة او على تحية الجاهلية
حيث كان الرجل منهم اذا اراد ان يدخل بيتا غير بيته يقول حييتم صباحا حييتم مساء فيدخل فربما اصاب
الرجل مع امرأته فى لحاف وروى ان رجلا قال للنبى صلى الله عليه وسلم اتحب ان تراها عريانة قال لا قال
صلى الله عليه وسلم فاستأذن لعلكم تذكرون متعلق بمضمر اى امرتم به او قيل لكم هذا كى تذكروا وتتعظوا
وتعملوا بموجبه فان لم تجدوا فيها احدا اى ممن يملك الاذن على ان من لا يملكه من النساء والولدان وجدانه
كفقدانه او احدا اصلا على ان مدلول النص الكريم عبارة هو النهى عن دخول البيوت الخالية لما فيه

من الاطلاع على ما يعتاد الناس اخفاءه مع ان التصرف في ملك الغير محظور مطلقا واما حرمة دخول
ما فيه النساء والولدان فثابتة بدلالة النص لان الدخول حينئذ حرم مع ما ذكر من العلة فلان
يحرم عند انضمام ما هو اقوى منه اليه اعني الاطلاع على العورات اولى فلا تدخلوها فاصبروا حتى
يؤذن لكم اي من جهة من يملك الاذن عند اتيانه ومن فسره بقوله حتى يأتي من يأذن لكم او حتى تجدوا من
يأذن لكم فقد ابرز القطعي في معرض الاحتمال ولما نجعل النهي معنا بالاذن مما يوهم الرخصة في الانتظار
على الابواب مطلقا بل في تكرير الاستيذان ولو بعد الرد دفع ذلك بقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا
فارجعوا اي ان امرتم من جهة اهل البيت بالرجوع سواء كان الامر ممن يملك الاذن اولا فارجعوا ولا
تلحوا بتكرير الاستيذان كما في الوجه الاول ولا يلحق بالاصرار على الانتظار الى ان يأتي الاذن كما في
الوجه الاول ولا يلحق بالاصرار على الانتظار الى ان يأتي الاذن كما في الثاني فان ذلك مما يجلب الكراهة
في قلوب الناس ويقدح في المروءة اي قدح هو اي الرجوع ازكى لكم اي اطهر مما لا تخلوا عنه اللج والعناد
والوقوف على الابواب من دنس الدناءة والرذالة والله بما تعملون عليم فيعلم ما تأتون وما تذرون
مما كلفتموه فيجازيكم عليه ليس عليكم جناح ان تدخلوا اي بغير استيذان بيوتا غير مسكونة اي غير موضوعة
لسكنى طائفة مخصوصة فقط بل يستمتع بها من يضطر اليها كائنا من كان من غير ان يتخذها سكنا كالربط
والخانات والحوانيت والحمامات ونحوها فانها معدة لمصالح الناس كافة كما ينبئ عنه قوله تعالى فيها متاع لكم
فانه صفة للبيوت او استئناف جار مجرى التعليل لعدم الجناح اي فيها حق تمتع لكم كالاستكنان من الحر
والبرد وايواء الامتعة والرحال والشراء والبيع والاغتسال وغير ذلك مما يليق بحال البيوت وداخليها
فلا بأس بدخولها بغير استيذان من داخليها من قبل ولا ممن يتولى امرها ويقوم بتدبيرها من قوام
الرباطات والخانات واصحاب الحوانيت ومتصرفي الحمامات ونحوهم ويروى ان ابا بكر رضي الله تعالى عنه
قال يا رسول الله تعالى لقد انزل عليك اية في الاستيذان وانا نختلف في تجاراتنا فننزل الخانات
افلا ندخلها الا باذن فنزلت ● وقيل هي الخربات يتبرز فيها والمتاع التبرز والظاهر انها من جملة ما
تنتظمه البيوت لا انها المراد فقط وقوله تعالى والله يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد لمن يدخل
مدخلا من هذه المداخل لفساد او اطلاع على عورات قل للمؤمنين شروع في بيان احكام كلية شاملة
للمؤمنين كافة يندرج فيها حكم المستأذنين عند دخولهم البيوت اندراجا اوليا وتلوين الخطاب وتوجيهه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رأيه صلى الله عليه
وسلم وتفويض ما في حيزه من الاوامر والنواهي الى رأيه صلى الله عليه وسلم لانها تكاليف متعلقة
بامور جزئية كثيرة الوقوع حقيقة بان يكون الآمر بها والمتصدي لتدبيرها حافظا
ومهيمنا عليهم ومفعول الامر امر آخر قد حذف تعويلا على دلالة جوابه عليه اي قل لهم غضوا
يغضوا من ابصارهم عما يحرم ويقتصروا به على ما يحل ويحفظوا فروجهم الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وتقييد
الغض بمن التبعيضية دون الحفظ لما في امر النظر من السعة وقيل المراد بالحفظ هاهنا خاصة هو الستر
ذلك اي ما ذكر من الغض والحفظ ازكى لهم اي اطهر لهم من دنس الريبة ان الله خبير بما يصنعون
لا يخفى عليه شيء مما يصدر عنهم من الافاعيل التي من جملتها اجالة النظر واستعمال سائر الحواس
وتحريك الجوارح وما يقصدون بذلك فليكونوا على حذر منه في كل ما يأتون وما يذرون وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن فلا ينظرن الى ما لا يحل لهن النظر اليه ويحفظن فروجهن بالتستر او التصون
عن الزنا وتقديم الغض لان النظر بريد الزنا ورائد الفساد ولا يبدين زينتهن كالحلي وغيرها مما تتزين
به وفيه من المبالغة في النهي عن ابداء مواضعها ما لا يخفى الا ما ظهر منها عند مزاولة الامور التي
لا بد منها عادة كالخاتم والكحل والخضاب ونحوها فان في سترها حرجا بينا وقيل المراد بالزينة مواضعها
على حذف المضاف او ما يعم المحاسن الخلقية والتزيينية والمستثنى هو الوجه والكفان لانها ليست
بعورة وليضربن بخمرهن على جيوبهن ارشاد الى كيفية اخفاء بعض مواضع الزينة بعد النهي عن ابدائها
وقد كانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من
جيوبهن لوسعها فامرن بارسال خمرهن الى جيوبهن سترا لما يبدو منها وقد ضمن الضرب معنى الالقاء
فعدي بعلى وقرئ بكسر الجيم كما تقدم ولا يبدين زينتهن كرر النهي لاستثناء بعض موارد الرخصة عنه باعتبار
الناظر بعدما استثني عنه بعض موارد الضرورة باعتبار المنظور الا لبعولتهن فانهم هم المقصودون
بالزينة ولهم ان ينظروا الى جميع بدنهن حتى الموضع المعهود او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء
بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لكثرة المخالطة الضرورية بينهم وبينهن وقلة توقع
الفتنة من قبلهم لما في طباع الفريقين من النفرة عن مماسة القرائب ولهم ان ينظروا منهن الى ما يبدو عند

المهنة

المهنة والخدمة وعدم ذكر الاعمام والاخوال لما ان الاحوط ان يتسترن عنهم حذارا من ان يصفوهن
لابنائهم او نسائهن المختصات بهن بالصحبة والخدمة من حرائر المؤمنات فان الكوافر لا يتحرجن عن وصفهن
للرجال او ما ملكت ايمانهن اي من الاماء فان عبد المرأة بمنزلة الاجنبي منها وقيل من الاماء والعبيد لما
روي انه صلى الله عليه وسلم اتى فاطمة رضي الله تعالى عنها بعبد وهبه لها وعليها ثوب اذا قنعت به
رأسها لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ رأسها فقال صلى الله عليه وسلم انه ليس عليك بأس
انما هو ابوك وغلامك او التابعين غير اولي الاربة من الرجال اي اولي الحاجة الى النساء وهم الشيوخ
والممسوحون وفي المجبوب والخصي خلاف وقيل هم البله الذين يتبعون الناس لفضل طعامهم ولا
يعرفون شيئا من امور النساء وقرئ غير بالنصب على الحالية او الطفل الذين لم يظهروا على عورات
النساء لعدم تمييزهم من الظهور بمعنى الاطلاع او لعدم بلوغهم حد الشهوة من الظهور بمعنى الغلبة
والطفل جنس وضع موضع الجمع اكتفاء بدلالة الوصف ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين اي ما
يخفينه من الرؤية من زينتهن اي لا يضربن بارجلهن الارض ليتقعقع خلخالهن فيعلم انهن ذوات
خلخال فان ذلك مما يورث الرجال ميلا اليهن ويوهم ان لهن ميلا اليهم وفي النهي عن ابداء صوت
الحلي بعد النهي عن ابدائها من المبالغة في الزجر عن ابداء مواضعها ما لا يخفى وتوبوا الى الله جميعا تلوين
الخطاب وصرف له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في
حيزه من امر التوبة وانها من معظمات المهمات الحقيقة بان يكون سبحانه وتعالى هو الآمر بها لما انه لا يكاد
يخلو احد من المكلفين عن نوع تفريط في اقامة مواجب التكاليف كما ينبغي وناهيك بقوله صلى الله
عليه وسلم شيبتني سورة هود لما فيها من قوله عز وجل فاستقم كما امرت لا سيما اذا كان المأمور به الكف
عن الشهوات وقيل توبوا عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فانه وان جب بالاسلام لكنه يجب الندم عليه
والعزم على تركه كلما خطر بباله وفي تكرير الخطاب بقوله تعالى ايها المؤمنون تأكيد للايجاب وايذان
بان وصف الايمان موجب للامتثال حتما وقرئ ايه المؤمنون لعلكم تفلحون تفوزون بذلك بسعادة
الدارين وانكحوا الايامى منكم بعدما زجر تعالى عن السفاح ومباديه القريبة والبعيدة امر بالنكاح
فانه مع كونه مقصودا بالذات من حيث كونه مناط بقاء النوع خير مزجرة عن ذلك والايامى مقلوب
ايائم جمع ايم وهو من لا زوج له من الرجال والنساء بكرا كان او ثيبا كما يفصح عنه قول من قال ● فان
تنكحي انكح وان تتأيمي ● وان كنت افتى منكم اتأيم ● اي زوجوا من لا زوج له من الاحرار والحرائر والصالحين من عبادكم
وامائكم على ان الخطاب للاولياء والسادات واعتبار الصلاح في الارقاء لان من لا صلاح له منهم بمعزل
من ان يكون خليقا بان يعتني مولاه بشأنه ويشفق عليه ويتكلف في نظم مصالحه بما لا بد منه شرعا
وعادة من بذل المال والمنافع بل حقه ان لا يستبقيه عنده واما عدم اعتبار الصلاح في الاحرار والحرائر
فلان الغالب فيهم الصلاح على انهم يستبدون في التصرفات المتعلقة بانفسهم واموالهم فاذا عزموا النكاح
فلا بد من مساعدة الاولياء لهم اذ ليس عليهم في ذلك غرامة حتى يعتبر في مقابلتها غنيمة عائدة اليهم
عاجلة وقيل المراد هو الصلاح للنكاح والقيام بحقوقه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله ازاحة
لما عسى ان يكون وازعا عن النكاح من فقر احد الجانبين اي لا يمنعن فقر الخاطب او المخطوبة من المناكحة فان
فضل الله عز وجل غنية عن المال فانه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب او وعد منه سبحانه
بالاغناء وقوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الغنى في هذه الاية لكنه مشروط بالمشيئة كما في قوله تعالى
وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء والله واسع غني ذو سعة لا يرزؤه اغناء الخلائق اذ لا
نفاد لنعمته ولا غاية لقدرته ومع ذلك عليم يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر حسبما تقتضيه الحكمة
والمصلحة وليستعفف ارشاد للعاجزين عن مبادي النكاح واسبابها الى ما هو الاولى لهم والاحرى بهم بعد
بيان جواز مناكحة الفقراء وليجتهدوا في العفة وقمع الشهوة الذين لا يجدون نكاحا اي اسباب نكاح
او لا يتمكنون مما ينكح به من المال حتى يغنيهم الله من فضله عدة كريمة بالتفضل عليهم بالغنى ولطف
بهم في استعفافهم وتقوية لقلوبهم وايذان بان فضله تعالى اولى بالاعفاء وادنى من الصلحاء والذين
يبتغون الكتاب بعدما امر بانكاح المماليك الاحقاء بالانكاح امر بكتابة من يستحقها منهم
والكتاب مصدر كاتب كالمكاتبة اي الذين يطلبون المكاتبة مما ملكت ايمانكم عبدا كان او امة وهي ان يقول
المولى لمملوكه كاتبتك على كذا درهما تؤديه الي وتعتق ويقول المملوك قبلته او نحو ذلك فان اداه اليه
عتق قالوا معناه كتبت لك على نفسي ان تعتق مني اذا وفيت لي بالمال وكتبت لي على نفسك ان تفي بذلك او كتبت
عليك الوفاء بالمال وكتبت على العتق عنده والتحقيق ان المكاتبة اسم العقد الحاصل من مجموع كلامهما كسائر
العقود الشرعية المنعقدة بالايجاب والقبول ولا ريب في ان ذلك لا يصدر حقيقة الا من المتعاقدين

وليس وظيفة كل منهما في الحقيقة الا الاتيان باحد شطريه معربا عما يتم من قبله ويصدر من الفعل الخاص به
من غير تعرض لما يتم من قبل صاحبه ويصدر عنه من فعله الخاص به الا ان كلا من ذينك الفعلين لما كانت بحيث لا
يمكن تحققه في نفسه الا منوطا بتحقق الاخر ضرورة ان التزام العتق بمقابلة البدل من جهة المولى لا يتصور
تحققه وتحصله الا بالتزام البدل من طرف العبد كما ان عقد البيع الذي هو تمليك المبيع بالثمن من جهة البايع
لا يمكن تحققه الا بتملكه به من جانب المشتري ضمنا ايقاعا متوقفا على رأيه توقفا شبيها بتوقف عقد الفضولي
لذلك قول المولى كاتبتك على كذا انشاء العقد الكتابة ايقاع لما يتم من قبله من التزام العتق بمقابلة البدل
اصالة ولما يتم من قبل العبد من التزام البدل ضمنا ايقاعا متوقفا على قبوله فاذا قبل تم العقد ومحل الموصول
الرفع على الابتداء خبره فكاتبوهم والفاء لتضمنه معنى الشرط او النصب على انه مفعول لمضمر يفسره هذا
والامر فيه للندب لان الكتابة عقد يتضمن الارفاق فلا تجب كغيرها ويجوز حالا ومؤجلا ومنجما وغير
منجم وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز الا مؤجلا منجما وقد فصل في موضعه ان علمتم فيهم خيرا امانة
ورشدا وقدرة على اداء البدل بتحصيله من وجه حلال وصلاحا لا يؤذي الناس بعد العتق واطلاق العنان
وآتوهم من مال الله الذي آتاكم امر للموالي ببذل شيء من اموالهم وفي حكمه حط شيء من مال الكتابة
ويكفي في ذلك اقل ما يتمول وعن علي رضي الله عنه حط الربع وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الثلث
وهو للندب عندنا وعند الشافعي للوجوب ويرده قوله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه
درهم اذ لو وجب الحط لسقط عنه الباقي حتما وايضا لو وجب الحط لكان وجوبه معلقا بالعقد فيكون
العقد موجبا ومسقطا معا وايضا فهو عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة كما لبيع وقيل معنى آتوهم
اقرضوهم وقيل هو امر لهم بان ينفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا واضافة المال اليه تعالى ووصفه
بايتائه اياهم للحث على الامتثال بالامر بتحقيق المأمور به كما في قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين
فان ملاحظة وصول المال اليهم من جهته تعالى مع كونه هو المالك الحقيقي له من اقوى الدواعي الى صرفه
الى الجهة المأمور بها وقيل هو امر باعطاء سهمهم من الصدقات فالامر للوجوب حتما والاضافة
والوصف لتعيين المأخذ وقيل هو امر ندب لعامة المسلمين باعانة المكاتبين بالتصدق عليهم ويحل
ذلك للمولى وان كان غنيا لتبدل العنوان حسبما ينطق به قوله صلى الله عليه وسلم في حديث بريرة هو لها
صدقة ولنا هدية ولا تكرهوا فتياتكم اي اماءكم فان كلا من الفتى والفتاة كناية مشهورة من العبد
والامة وعلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي ولهذه
العبارة في هذا المقام باعتبار مفهومها الاصلي حسن موقع ومزيد مناسبة لقوله تعالى على البغاء
وهو الزنا من حيث صدوره عن النساء لانهن اللاتي يتوقع منهن ذلك غالبا دون من عداهن من العجايز
والصغار وقوله تعالى ان اردن تحصنا ليس لتخصيص النهي بصورة ارادتهن التعفف عن الزنا واخراج
ما عداها عن حكمه كما اذا كان الاكراه بسبب كراهتهن الزنا لخصوص الزاني او لخصوص الزمان او لخصوص
المكان او لغير ذلك من الامور المصححة للاكراه في الجملة بل للمحافظة على عادتهم المستمرة حيث كانوا
يكرهونهن على البغاء وهن يردن التعفف عنه مع وفور شهوتهن الآمرة بالفجور وقصورهن في معرفة الامور
الداعية الى المحاسن الزاجرة عن تعاطي القبايح فان عبد الله بن ابي كانت له ست جوار يكرههن على الزنا
وضرب عليهن ضرايب فشكت اثنتان منهن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفيه من زيادة
تقبيح حالهم وتشنيعهم على ما كانوا يفعلونه من القبايح ما لا يخفى فان من له ادنى مروة لا يكاد يرضى بفجور
من يحويه حرمه من امائه فضلا عن امرهن به او اكراههن عليه لا سيما عند ارادتهن التعفف فتأمل
ودع عنك ما قيل من ان ذلك لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن في حين التردد والشك
فكيف ان كانت محققة الوقوع كما هو الواقع وتعليله بان الارادة المذكورة منهن في حين الشاذ النادر
مع خلوه عن الجدوى بالكلية يأباه اعتبار تحققها ابا ما هي وقوله تعالى لتبتغوا عرض الحياة الدنيا
قيد الاكراه لكن لا باعتبار انه مدار للنهي عنه بل باعتبار انه المعتاد فيما بينهم كما قبله جيء به تشنيعا لهم
فيما هم عليه من احتمال الوزر الكبير لاجل النزر الحقير لا تفعلوا ما انتم عليه من اكراههن على البغاء لطلب
المتاع السريع الزوال الوشيك الاضمحلال فالمراد بالابتغاء الطلب المقارن لنيل المطلوب واستيفائه
بالفعل اذ هو الصالح لكونه غاية للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث عليه
ومن يكرههن الى آخره جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص
المكرهات عن عقوبة ورجوع غائلة للاكراه مترتبا عليه لا المطلق المتناول للطلب السابق الباعث
عليه ومن يكرههن الى آخره جملة مستأنفة سيقت لتقرير النهي وتأكيد وجوب العمل به ببيان خلاص
المكرهات عن عقوبة ورجوع غائلة الاكراه الى المكرهين اشارة اي ومن يكرههن على ما ذكر من البغا

فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم اي لهن كما وقع في مصحف ابن مسعود وعليه قراءة ابن عباس رضي الله
تعالى عنهم كما ينبئ عنه قوله تعالى من بعد اكراههن اي كونهن مكرهات على ان الاكراه مصدر من المبني للمفعول
فان توسيطه بين اسم ان وخبرها للايذان بان ذلك هو السبب للمغفرة والرحمة وكان الحسن البصري اذا قرأ
هذه الآية يقول لهن والله لهن وفي تخصيصهن بهن وتعيينهن مدار الاكراه مع سبق ذكر المكرهين ايضا في الشرطية
دلالة بينة على كونهم محرومين منهما بالكلية كأنه قيل لا للمكره ولظهور هذا التقدير اكتفي به عن العائد
الى اسم الشرط فيجوز تعلقهما بهم بشرط التوبة استقلالا او معهن اخلال بجزالة النظم الجليل
وتهوين لامر النهي في مقابلة التهويل وحاجتهن الى المغفرة المنبية عن سابقة الاثم اما باعتبار انهن
وان كن مكرهات لا يخلون في تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة ما بحكم الجبلة البشرية واما باعتبار
ان الاكراه قد يكون قاصرا عن حد الالجاء المزيل للاختيار بالمرة واما لغاية تهويل امر الزنا وحث
المكرهات على التثبت في التجافي عنه والتشديد في تحذير المكرهين ببيان انهن حيث كن عرضة للعقوبة
لولا ان تداركهن المغفرة والرحمة مع قيام العذر في حقهن فما حال من يكرههن في استحقاق العقاب ولقد
انزلنا اليكم آيات مبينات كلام مستأنف جيء به في تضاعيف ما ورد من الآيات السابقة واللاحقة لبيان
جلالة شؤونها المستوجبة للاقبال الكلي على العمل بمضمونها وما صدر بالقسم الذي يعرب عنه اللام لابراز
كمال العناية بشأنه اي وبالله لقد انزلنا اليكم في هذه السورة الكريمة آيات مبينات لكل ما بكم حاجة
الى بيانه من الحدود وساير الاحكام والآداب وغير ذلك مما هو من مبادي بيانها على ان الاسناد اليها
مجازي او آيات واضحات تصدقها الكتب القديمة والعقول السليمة على ان المبينة ... السورة
في معاني الاحكام والحدود وقد جوز ان يكون الاصل مبينا فيها الاحكام فاتسع في الظرف باجرائه مجرى
المفعول ومثلا من الذين خلوا من قبلكم عطف على آيات اي وانزلنا مثلا كائنا من قبيل امثال الذين مضوا
من قبلكم من القصص العجيبة والامثال المضروبة لهم في الكتب السابقة والكلمات الجارية على السنة
الانبياء عليهم السلام فتنتظم قصة عايشة رضي الله تعالى عنها المحاكية لقصة يوسف عليه السلام
وساير الامثال الواردة في السورة الكريمة انتظاما واضحا وتخصيص الآيات البينات بالسوابق وحمل
المثل على القصة فقط يأباه تعقيب الكلام بما ليس في المتمثلات وعد وموعظة تتعظون به وتنزجرون
عما لا ينبغي من المحرمات والمكروهات وساير ما يخل بمحاسن الآداب فهي عبارة عما سيق من الآيات والمثل
لظهور كونهما من المواعظ بالمعنى المذكور ومدار العطف هو التغاير العنواني المنزل منزلة التغاير
الذاتي وقد خصت الآيات بما يبين الحدود والاحكام والموعظة بما وعظ به من قوله تعالى ولا تأخذكم
بهما رأفة في دين الله وقوله تعالى لولا اذ سمعتموه وغير ذلك من الآيات الواردة في شأن الآداب
وانما قيل للمتقين مع شمول الموعظة للكل حسب شمول الانزال لقوله تعالى انزلنا اليكم حثا للمخاطبين
على الاعتناء بالانتظام في سلك المتقين ببيان انهم المغتنمون لآثارها المقتبسون من انوارها فحسب
وقيل المراد بالآيات البينات والمثل والموعظة جميع ما في القرآن المجيد من الآيات والامثال والمواعظ
فقوله تعالى الله نور السموات والارض الى آخره حينئذ استئناف سيق لتقرير ما فيها من البيان مع
الاشعار بكونه في غاية الكمال على الوجه الذي ستعرفه واما على الاول فلتحقيق ان بيانه تعالى ليس
مقصورا على ما ورد في السورة الكريمة بل هو شامل لكل ما يحتاج بيانه من الاحكام والشرايع ومباديها
وغاياتها المترتبة عليها في الدنيا والآخرة وغير ذلك مما له مدخل في البيان وانه واقع منه تعالى على اتم
الوجوه واكملها حيث عبر عنه بالتنوير الذي هو اقوى مراتب البيان واجلاها وعبر عن المنور بنفس النور
تنبيها على قوة التنوير وشدة التأثير وايذانا بانه تعالى ظاهر بذاته وكل ما سواه ظاهر باظهاره كما ان
النور نير بذاته وما عداه مستنير به واضيف النور الى السموات والارض للدلالة على كمال شيوع
البيان المستعار له وغاية شموله لكل ما يليق من الامور التي لها مدخل في ارشاد الناس بواسطة
بيان شمول المستعار منه بجميع ما يقبله ويستحقه من الاجرام العلوية والسفلية فانهما قطران
للعالم الجسماني الذي لا مظهر للنور الحسي سواه او على شمول البيان لاحوالهما واحوال ما فيهما من
الموجودات اذ ما من موجود الا وقد بين من احواله ما يستحق البيان اما تفصيلا او اجمالا كيف لا ولا
ريب في بيان كونه دليلا على وجود الصانع وصفاته وشاهدا بصحة البعث او على تعلق البيان باهلهما
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هادي اهل السموات والارض فهم بنوره يهتدون وبهداه من حيرة
الضلالة ينجون هذا واما حمل التنوير على اخراجه تعالى للماهيات من العدم الى الوجود اذ هو الاصل
في الاظهار كما ان الاعدام هو الاصل في الاخفاء او على تزيين السموات بالنيرين وساير الكواكب
وما يفيض عنهما من الانوار او بالملائكة عليهم السلام وتزيين الارض بالانبيا عليهم السلام والعلما

والمؤمنين او بالنبات والاشجار او على تدبيره تعالى لامورهما وامور ما فيهما مما لا يلايم المقام ولا يساعده حسن النظام مثل نوره اى نوره الفايض منه تعالى على الاشيا المستنيرة به وهو القران المبين كما يعرب عنه ما قبله من وصف اياته بالانزال والتبيين وقد صرح بكونه نورا ايضا في قوله تعالى وانزلنا اليكم نورا مبينا وبه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والحسن وزيد ابن اسلم وجعله عبارة عن الحق وان شاع استعارته له كاستعارة الظلمة للباطل يا باه مقام بيان شان الايات ووصفها بما ذكر من التبيين مع عدم سبق ذكر الحق ولان المعتبر في مفهوم النور هو الظهور والاظهار كما هو شان القران الكريم واما الحق فالمعتبر في مفهومه من حيث هو حق هو الظهور لا الاظهار والمراد بالمثل الصفة العجيبة اى صفة نوره العجيبة كمشكاة اى كصفة كوة غير نافذة في الجدار في الانارة والتنوير فيها مصباح سراج ضخم ثاقب وقيل المشكاة الانبوبة في وسط القنديل والمصباح الفتيلة المشتعلة المصباح في زجاجة اى قنديل من الزجاج الصافى الازهر وقرئ بفتح الزاى وكسرها في الموضعين الزجاجة كانها كوكب متلألئ وقاد شبيه بالدر في صفائه وزهرته درى اى كوكب من الكواكب عظامها المشهورة وقرئ درى بالدال مكسورة والراء مشددة والياء ممدودة بعدها همزة على انه فعيل من الدرء وهو الدفع اى مبالغ في دفع الظلام بضوئه او في دفع بعض اجزائه بعضا لبعض عند البريق واللمعان وقرئ بضم الدال والباقى على حاله وفي اعادة المصباح والزجاجة معرفين اثر سبقهما منكرين والاخبار عنهما بما بعدهما مع انتظام الكلام بان يقال كمشكاة فيها مصباح في زجاجة كانها كوكب درى من تفخيم شانهما ورفع مكانهما بالتفسير اثر الابهام والتفصيل بعد الاجمال وباثبات ما بعدهما لهما بطريق الاخبار المنبى عن القصد الاصلى دون الوصف المبنى على الاشارة الى الثبوت في الجملة ما لا يخفى ومحل الجملة الرفع على انها صفة لمصباح ومحل الثانية الجر على انها صفة لزجاجة واللام مغنية عن الرابط كانه قيل فيها مصباح هو في زجاجة كانها كوكب درى توقد من شجرة اى يبتدئ ايقاد المصباح من شجرة مباركة اى كثيرة المنافع بان رويت ذبالته بزيتها وقيل انما وصفت بالبركة لانها تنبت في الارض التى بارك الله تعالى فيها للعالمين زيتونة بدل من شجرة وفي ابهامها ووصفها بالبركة ثم الابدال ما هنا تفخيم لشانها وقرئ توقد بالتاء على ان الضمير القائم مقام الفاعل للزجاجة دون المصباح وقرئ توقد على صيغة الماضى من التفعل اى ابتدأ ثقوب المصباح منها وقرئ توقد بحذف احدى التائين من تتوقد على اسناده الى الزجاجة لا شرقية ولا غربية تقع الشمس عليها وقتا دون وقت بل بحيث تقع عليها طول النهار كالتى على قلة او صحرا واسعة فتقع الشمس عليها حالتى الطلوع والغروب وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وقال الفراء والزجاج لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها لكنها شرقية غربية اى تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية غربية تاخذ حظها من الامرين فيكون زيتها اصفى وقيل لا نابتة في شرق المعمورة ولا في غربها بل في وسطها وهو الشام فان زيتونها اجود ما يكون وقيل لا في مضحى تشرق الشمس عليها فتحرقها ولا في مقناة تغيب عنها دائما فتتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما في مضحى يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار اى هو في الصفاء والانارة بحيث يكاد يضيء بنفسه من غير مساس نار اصلا وكلمة لو في امثال هذه المواقع ليست لبيان انتفاء شيء في الزمان الماضى لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف ثقة بدلالة ما قبلها عليه ملاحظة قصدية الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل هي لبيان تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفى على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له اجمالا بادخالها على ابعدها منه اما لوجود المانع كما في قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة واما لعدم الشرط كما في هذه الاية الكريمة ليظهر بثبوته او انتفائه معه ثبوته او انتفاؤه مع ما عداه من الاحوال بطريق الاولوية لما ان الشيء متى تحقق مع ما ينافيه من وجود المانع او عدم الشرط فلان يتحقق بدون ذلك اولى ولذلك لا يذكر معه شيء اخر من ساير الاحوال ويكتفى عنه بذكر الواو العاطفة للجملة لنظايرها المقابلة لها المتناولة لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها وهذا معنى قولهم انها لاستقصاء الاحوال على سبيل الاجمال وهذا امر مطرد في الخبر الموجب والمنفى فانك اذا قلت فلان جواد يعطى ولو كان فقيرا او بخيل لا يعطى ولو كان غنيا تريد بيان تحقق الاعطاء في الاول وعدم تحققه في الثانى في جميع الاحوال المفروضة والتقدير يعطى لو لم تكن فقيرا ولا يعطى لو لم يكن غنيا ولو كان غنيا فالجملة مع ما عطفت عليه في حيز النصب على الحالية من المستكن في الفعل الموجب او المنفى اى يعطى او لا يعطى كاينا على جميع الاحوال وتقدير الاية الكريمة يكاد زيتها يضيء لو مسته نار ولو لم تمسسه نار اى يضيء كاينا على كل حال من وجود الشرط وعدمه وقد حذفت الجملة الاولى حسبما هو المطرد في الباب

بدلالة

بدلالة الثانية عليها دلالة واضحة نور خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى على نور متعلق بمحذوف هو صفة له مؤكدة لما افادة التنكير من الفخامة والجملة تذكلة وتصريح بما حصل منه وتمهيد لما يعقبه اى ذلك النور الذى عبر به عن القران ومثلت صفته العجيبة الثانى بما فصل من صفة المشكاة نور عظيم كاين على نور كذلك لا انه عبارة عن نور واحد معين وتحديد مراتب تضاعيف ما شبه به من نور كذلك لا انه عبارة المشكاة بما ذكر لكونه اقصى مراتب تضاعفه عادة فان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان اضوأ له واجمع لنوره بسبب انضمام الشعاع المنعكس منه الى اصل الشعاع بخلاف المكان المتسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون شيء على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه وليس وراء هذه المراتب مما يزيد نورها اشراقا ويمده باضاءة مرتبة اخرى هذا وجعل النور عبارة عن النور المشبه به مما لا يليق بشان التنزيل الجليل يهدى الله لنوره من يشاء اى يهدى هداية خاصة موصلة الى المطلوب حتما لذلك النور المتضاعف العظيم الشان واظهاره في مقام الاضمار لزيادة تقريره وتاكيد فخامته الذاتية بفخامة الاضافة الناشئة من اضافته الى ضميره عز وجل من يشاء هدايته من عباده بان يوفقهم لفهم ما فيه من دلايل حقيقته وكونه من عند الله تعالى من الاعجاز والاخبار بالغيب وغير ذلك من موجبات الايمان وفيه ايذان بان مناط هذه الهداية وملاكها ليس الا مشيئته تعالى وان تظاهر الاسباب بدونها بمعزل من الافضاء الى المطالب ويضرب الله الامثال للناس في تضاعيف الهداية حسبما يقتضى حالهم فان له مدخلا عظيما في باب الارشاد لانه ابراز للمعقول في هيئة المحسوس وتصوير لاوابد المعانى بصورة المانوس ولذلك مثل نوره المعبر به عن القران المبين بنور المشكاة واظهار الاسم الجليل في مقام الاضمار للايذان باختلاف حال ما اسند اليه تعالى من الهداية العامة كما يفصح عنه تعليق الاولى بمن يشاء والثانية بالناس كافة والله بكل شيء عليم معقولا كان او محسوسا ظاهرا كان او باطنا ومن قضيته ان تتعلق مشيته بهداية من يليق بها ويستحقها من الناس دون من عداهم لمخالفة الحكمة التى عليها مبنى التكوين والتشريع وان يكون هدايته العامة على فنون مختلفة وطرايق شتى حسبما تقتضيه احوالهم والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله واظهار الاسم الجليل لتاكيد الاستقلال الجملة والاشعار بعلة الحكم وما ذكر من اختلاف حال المحكوم به ذاتا وتعلقا في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه لما ذكر شان القران الكريم في بيانه للشرايع والاحكام ومبادئها وغاياتها المترتبة عليها من الثواب والعقاب وغير ذلك من احوال الاخرة واهوالها واشير الى كونه في غاية ما يكون من التوضيح والاظهار حيث مثل بما فصل من نور المشكاة واشير الى ان ذلك النور مع كونه في اقصى مراتب الظهور انما يهتدى بهداه من تعلقت مشية الله تعالى بهدايته دون من عداه عقب ذلك بذكر الفريقين وتصوير بعض اعمالهم المعربة عن كيفية احوالهم في الاهتداء وعدمه والمراد بالبيوت المساجد كلها حسبما روى عن ابن عباس وقيل هي المساجد التى بناها نبى من انبياء الله تعالى الكعبة التى بناها ابراهيم واسمعيل عليهما السلام وبيت المقدس الذى بناه داود وسليمان عليهما السلام ومسجد المدينة ومسجد قبا اللذان بناهما النبى صلى الله عليه وسلم وتنكيرها للتفخيم والمراد بالاذن في رفعها الامر ببنائها رفيعة لا كساير البيوت وقيل هو الامر برفع مقدارها بعبادة الله تعالى فيها فيكون عطف الذكر عليها من قبيل العطف التفسيرى وايا ما كان ففى التعبير عنه بالاذن تلويح بان اللايق بحال المامور ان يكون متوجها الى المامور به قبل ورود الامر به ناويا لتحققه كانه مستاذن في ذلك فيقع الامر به موقع الاذن فيه والمراد بذكر اسمه تعالى ما يعم جميع اذكاره تعالى وكلمة في متعلقة بقوله تعالى يسبح له وقوله تعالى فيها تكرير لها للتاكيد والتذكير لما بينهما من الفاصلة وللايذان بان التقديم للاهتمام لا لقصر التسبيح على الوقوع في البيوت فقط واصل التسبيح التنزيه والتقديس ويستعمل بالله معدى وبدونه ايضا كما في قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى قالوا اريد به الصلوات المفروضة كما ينبئ عنه تعيين الاوقات بقوله تعالى بالغدو والاصال اى بالغدوات والعشايا على ان الغدو جمع غداة كقنى في جمع قناة كما قيل او مصدر اطلق على الوقت حسبما يشعر به اقترانه بالاصال وهو جمع اصل وهو العشى وهو شامل للاوقات ما عدا صلاة الفجر المعبر عنها بالغداة ويجوز ان يراد به نفس التنزيه على انه عبارة عما يقع منه في اثناء الصلوات اوقاتها لزيادة شرفه وانافته على ساير افراده او عما يقع في جميع الاوقات وافراد طرفى النهار بالذكر لقيامهما مقام كلها لكونهما العمدة فيهما لكونهما مشهودين ولكونهما اشهر ما يقع فيه المباشرة للاعمال والاشتغال وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصال وقوله تعالى رجال فاعل يسبح وتاخيره عن الظروف لما مر مرارا من الاعتناء بالمقدم

والتشويق الى المؤخر ولان في ومنعه نوع طول فيخل تقديمه بحسن الانتظام وقرى يسبح على البنا للمفعول
باسناده الى احد الظروف ورجال مرفوع بما ينبئ عنه حكاية الفعل من غير تسمية الفاعل على طريقة قوله
لبيك يزيد ضارع لخصومة كانه قيل من يسبح له فقيل يسبح له رجال وقرى تسبح بتانيث الفعل مبنيا
للفاعل لان جمع التكسير يعامل معاملة المونث ومبنيا على ان يسند الى اوقات الغدو والاصال بزيادة
الباء ويجعل الاوقات مسبحة مع كونها مسبحا فيها او يسند الى ضمير التسبيحة اى يسبح له التسبيحة على
المجاز المسوغ لاسناده الى الوقتين كما خرجوا قراءة ابي جعفر ليجزى قوما اى ليجزى قوما بل هنا اولى من ذلك
اى ليس هنا مفعول صريح لا تلهيهم تجارة صفة لرجال مؤكدة لما افادة التنكير من الفخامة مفيدة
لكمال تبتلهم الى الله تعالى واستغراقهم فيما حكى عنهم من التسبيح من غير صارف يلويهم ولا عاطف
يثنيهم كائنا ما كان وتخصيص التجارة بالذكر لكونها اقوى الصوارف عندهم واشهرها اى لا يشغلهم
نوع من انواع التجارة ولا بيع اى ولا فرد من افراد المبايعات وان كان في غاية الربح وافراده بالذكر
مع اندراجه تحت التجارة للايذان باناقته على سائر انواعها لان ربحه متيقن ناجز وربح ما
عداه متوقع في ثاني الحال عند البيع فلم يلزم من نفي الهائه ما عداه نفي الهائه ولذلك كلمة لا لتذكير
النفي وتاكيده وقد نقل عن الواقدي ان المراد بالتجارة هو الشراء لانه اصلها ومبداها وقيل
هو الجلب لانه الغالب فيها ومنه يقال تجر في كذا اى جلبه عن ذكر الله بالتسبيح والتحميد واقام الصلاة
اى اقامتها من غير تاخير وقد اسقطت التاء المعوضة عن العين الساقطة بالاعلال وعوض عنها
الاضافة كما في قول من قال ● واخلفوا عد الامر الذى وعدوا ● اى عدة الامر وايتاء الزكوة اى المال
الذى فرض اخراجه للمستحقين وايرادهما وان لم يكن مما يفعل في البيوت لكونه قرينة لا تفارق اقامة
الصلاة في عامة المواضع مع ما فيه من التنبيه على ان محاسن اعمالهم غير منحصرة فيما يقع في المساجد
ولذلك قوله تعالى يخافون الى اخره فانه صفة ثانية لرجال او حال من مفعول لا تلهيهم وايا ما كان
فليس خوفهم مقصورا على كونهم في المساجد وقوله تعالى يوما مفعول ليخافون لا ظرف له وقوله
تعالى تتقلب فيه القلوب والابصار صفة ليوما اى تضطرب وتتغير في انفسها من الهول والفزع
وتشخص كما في قوله تعالى واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتتغير احوالها وتتقلب
فتتفقه القلوب بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر الابصار بعد ان كانت مطبوعا عليها وتبصر
الابصار بعد ان كانت عميا او تتقلب القلوب بين النجاة وخوف الهلاك والابصار اى من ناحية
يؤخذ بهم ويؤتى كتابهم ليجزيهم الله متعلق بمحذوف يدل عليه ما حكى من اعمالهم المرضية اى يفعلون
ما يفعلون من المداومة على التسبيح والذكر وايتاء الزكاة والخوف من غير صارف لهم عن ذلك ليجزيهم
الله تعالى احسن ما عملوا اى احسن جزاء اعمالهم حسبما وعد لهم بمقابلة حسنة واحدة عشر امثالها الى سبعماية
ضعف ويزيدهم من فضله اى يتفضل عليهم باشياء لم توعد لهم بخصوص صياتها او بمقاديرها ولم يخطر ببالهم
كيفياتها وكمياتها بل انما وعدت بطريق الاجمال في مثل قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
وقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عنه عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وغير ذلك من المواعيد الكريمة التي من جملتها قوله تعالى والله يرزق
من يشاء بغير حساب فانه تذييل مقرر للزيادة وعدكيم بانه تعالى يعطيهم غير اجزية اعمالهم من الخيرات
ما لا يفي به الحساب واما عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو بوجه
ما فيابا ه نظمها في سلك الغاية عدم سبق الوعد بالزيادة ولو اجمالا وعدم خطورها ببالهم ولو
بوجه ما فيا باة نظمها في سلك الغاية والموصول عبارة عمن ذكرت صفاتهم الجميلة كانه قيل والله
يرزقهم بغير حساب ووضعه موضع ضميرهم للتنبيه بما في حيز الصلة على ان مناط الرزق المذكور
محض مشيئة تعالى لا اعمالهم المحكية كما اصلها المناط لما سبق من الهداية لنوره تعالى لا تظاهر
الاسباب وللايذان بانهم ممن يشاء الله تعالى ان يرزقهم كما انهم ممن يشا والله تعالى ان يهديهم
لنوره حسبما يعرب عنه ما فصل من اعمالهم الحسنة فان جميع ما ذكر من الذكر والتسبيح واقامة الصلوة
وايتاء الزكاة وخوف اليوم الاخر وما هو له ورجا الثواب مقتبس من القران العظيم الذى هو المعنى
بالنور وبه يتم بيان احوال من اهتدى بهداه على اوضح وجه واجلاه هذا وقد قيل قوله تعالى في بيوت
الى اخره من تتمة التمثيل وكلمة في متعلقة بمحذوف هو صفة لمشكاة اى كائنة في بيوت وقيل لمصباح
وقيل لزجاجة وقيل متعلقة بتوقد فالكل مما لا يليق بشان التنزيل الجليل كيف لا وان ما بعد قوله
تعالى ولو لم تمسسه نار نور على ماهو الحق او ما بعد قوله تعالى نور على نور على ما قيل الى قوله تعالى بكل شيء
عليم كلام متعلق بالممثل قطعا فتوسيطه بين اجزاء التمثيل مع كونه من قبيل الفصل بين الشجر

ولحاية

ولحايه بالاجنبي يؤدي الى كون ذكر حال المنتفعين بل لتمثيل المهديين لنور القران الكريم بطريق د
الاستتباع والاستطراد مع كون بيان حال اضدادهم مقصودا بالذات ومثل هذا مما لا عهد به
في كلام الناس فضلا ان يحمل عليه الكلام المعجز والذين كفروا اعمالهم اى اعمالهم التي هي من ابواب
البر كصلة الارحام وفك العناة وسقاية الحاج وعمارة البيت واغاثة الملهوفين وقرى الاضياف
ونحو ذلك مما لو قارنه الايمان لاستتبع الثواب كما في قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد
الاية كسراب وهو ما يرى في الفلوات من لمعان الشمس عليها وقت الظهيرة فيظن انه ما يشرب اى
يجرى بقيعة متعلق بمحذوف هو صفة لسراب اى كائن في قاع وهي الارض المنبسطة المستوية
وقيل هي جمع كجيرة جمع جار وقرى بقيعات بتا ممدودة كديمات اما على انها جمع قيعة او على ان د
الاصل قيعة قد اشبعت فتحة العين فتولد منها الف يحسبه الظمان ماء صفة اخرى لسراب
وتخصيص الحسبان بالظمان مع شموله لكل من يراه كائنا من كان من العطشان نحسبه ما وعلق به رجاه
وقيل موضعه لم يجده اى ما حسبه ما وعلق به رجاه شيئا اصلا لا متحققا ولا متوهما كما كان يراه
من قبل فضلا عن وجدانه ماء وبه تم بيان احوال الكفرة بطريق التمثيل وقوله تعالى ووجد الله عنده
فوفاه حسابه والله سريع الحساب بيان لبقية احوالهم العارضة لهم بعد ذلك بطريق التكملة
لئلا يتوهم ان قصارى امرهم هو الخيبة والقنوط فقط كما هو شان الظمان ويظهر انه يعتريهم بعد
ذلك من سوء الحال ما لا قدر عنده للخيبة اصلا فليست الجملة معطوفة على لم يجده شيئا بل على ما يفهم
منه بطريق التمثيل من عدم وجدان الكفرة من اعمالهم المذكورة عينا ولا اثرا كما في قوله تعالى وقدمنا
الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كيف لا وان الحكم بان اعمال الكفرة كسراب يحسبه الظمان ماء حتى
اذا جاءه لم يجده شيئا حكم بانها بحيث يحسبونها في الدنيا نافعة لهم حتى اذا جاؤها لم يجدوها شيئا ووجد
الله اى حكمه وقضاءه وعند المجيء وقيل عند العمل فوفاهم اى اعطاهم وافيا كاملا حسابهم اى
حساب اعمالهم المذكورة وجزاءها فان اعتقادهم لنفعها بغير ايمان وعملهم بموجبه كفر على كفر موجب
للعقاب قطعا وافراد الضميرين الراجعين الى الذين كفروا اما لارادة الجنس كالظمان الواقع في التمثيل
واما للحمل على كل واحد منهم وكذا افراد ما يرجع الى اعمالهم هذا وقد قيل انها نزلت في عتبة بن ربيعة
بن امية كان قد تعبد في الجاهلية ولبس المسوح والتمس الدين فلما جاء الاسلام كفر او كظلمات عطف
عطف على كسراب وكلمة او للتنويع اثر ما مثلت اعمالهم التي كانوا يعتمدون عليها اقوى اعتماد ويفتخرون
في كل واد وناد بما ذكر من حال السراب مع زيادة حساب وعقاب مثلت اعمالهم القبيحة التي ليست
فيها شائبة خير يغتر بها المغترون بظلمات كائنة في بحر لجي اى عميق كثير الما منسوب الى اللج وهو اعظم
ما البحر وقيل الى اللجة وهي ايضا معظمه يغشاه صفة اخرى للبحر اى يستره ويغطيه بالكلية موج وقوله
تعالى من فوقه موج جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على انها صفة لموج او الصفة هي الجار والمجرور
وموج الثاني فاعل له لاعتماده على الموصوف والجملة مرفية كما مر في قوله تعالى نور على نور يغشاه امواج
متراكبة بعضها على بعض وقوله تعالى من فوقه سحاب صفة لموج الثاني على احد الوجهين المذكورين
اى من فوق ذلك الموج سحاب ظلماني ستر اضوا النجوم وفيه ايماء الى غاية تراكم الامواج وتضاعفها حتى
كانها بلغت السحاب ظلمات خبر مبتدا محذوف اى هي ظلمات بعضها فوق بعض اى متكاثفة متراكمة
وهذا بيان لكمال شدة الظلمات كما ان قوله تعالى نور على نور بيان لغاية قوة النور خلا ان ذلك متعلق
بالمشبه وهذا بالمشبه به كما يعرب عنه ما بعده وقرى بالجر على الابدال من الاولى وقرى باضافة السحاب
اليها اذا اخرج اى من ابتلى بها واضماره من غير ذكره لدلالة المعنى عليه دلالة واضحة يده وجعلها
بمراى منه قريبة من عينه لينظر اليها لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا الى اخره اعتراض تذييلي
جئ به لتقرير ما افاده التمثيل من كون اعمال الكفرة كما فصل وتحقيق ان ذلك لعدم هدايته تعالى
اياهم لنوره وايراد الموصول للاشارة بما في حيز الصلة اى علة الحكم وانهم ممن لم يشاء الله تعالى
هدايتهم اى ومن لم يشاء الله ان يهديه لنوره الذى هو القران هداية خاصة مستتبعة للاهتداء
حتما ولم يوفقه للايمان به فما له من نور اى فما له هداية ما من احد وقوله تعالى الم تر الى اخره
استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم للايذان بانه تعالى قد افاض عليه صلى الله عليه وسلم
عليه اعلى مراتب النور وبين له من اسرار الملك والملكوت ادقها واخفاها والهمزة للتقرير اى قد
علمت يقينا شبيها بالمشاهدة في القوة والرصانة بالوحي الصريح والاستدلال الصحيح ان الله
يسبح له اى ينزهه تعالى على الدوام في ذاته وصفاته وافعاله عن كل ما لا يليق بشانه الجليل من
نقص او خلل من في السموات والارض اى ما فيهما اما بطريق الاستقرار فيهما من العقلاء وغيرهم

والذين كفروا اعطف على ما ينساق اليه ما قبله كانه قيل الذين
امنوا اعمالهم حالا ومالا كما وصف والذين كفروا اص

والعيان التكميل التنبيه تحقيق شركة ظرفية في وجه الشبه
الذى هو المطلع والمقطع المونس حتى اذا جاءه العطشان ص

كما ينبا ما كان او بطريق الجزئية منها تنزيها معنويا تفهمه العقول السليمة فان كل موجود من الموجودات الممكنة مركبا كان او بسيطا فهو من حيث ماهيته ووجوده واحواله يدل على وجود صانع واجب الوجود متصف بصفات الكمال مقدس عن كل ما لا يليق بشانه من شؤونه الجليلة وقد نبه على قوة تلك الدلالة وغاية وضوحها حيث عبر عنها بما يخص العقلاء من التسبيح الذي هو اقوى مراتب التنزيه واظهرها تنزيلا للسان الحال منزلة لسان المقال واكد ذلك بايثار كلمة من على ما كان كل شيء مما عز وهان وكل فرد من افراد الاعراض والاعيان عاقلا ناطقا ومخبرا صادقا بعلو شانه تعالى وعزة سلطانه وتخصيص التنزيه بالذكر مع دلالة ما فيها على اتصافه تعالى بنعوت الكمال ايضا لما ان مساق الكلام لتقبيح حال الكفرة في اخلالهم بالتنزيه بجعلهم الجمادات شركاء له في الالوهية ونسبتهم اياه الى اتخاذ الولد تعالى عن ذلك علوا كبيرا وحمل التسبيح على ما يليق بكل نوع من انواع المخلوقات بان يراد به معنى مجازي شامل لتسبيح العقلاء وغيرهم حسبما هو المتبادر من قوله تعالى قد علم صلاته وتسبيحه يرده ان بعضا من العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ما ذكر من الدلالة التي يشاركهم فيها غير العقلاء وهم الكفرة من الثقلين لا يسبحونه بذلك المعنى قطعا وانما تسبيحهم ايضا وفيه مزيد تخطئة لهم وتحقير ببيان انهم يسبحونه تعالى باعتبار اخس جهاتهم التي هي الجمادية والجسمية والحيوانية ولا يسبحونه باعتبار اشرفها التي هي الانسانية والطير بالرفع عطف على من وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في جملة ما في الارض لعدم استمرار قرارها فيها واستقلالها بصنع بارع وانشاء رائع قصد بيان تسبيحها من تلك الجهة لوضوح انبائها عن كمال قدرة صانعها ولطف تدبير مبدعها حسبما يعرب عنه التقييد بقوله تعالى صافات اي تسبحه تعالى حال كونها صافات اجنحتها فان اعطاءه تعالى للاجرام الثقيلة ما تتمكن به من الوقوف في الجو والحركة كيف تشاء من الاجنحة والاذناب الخفيفة وارشادها الى كيفية استعمالها بالقبض والبسط حجة نيرة واضحة المكنون وآية بينة لقوم يعقلون دالة على كمال قدرة الصانع المجيد وغاية حكمة المبدي المعيد وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه بيان لكمال عراقة كل واحد مما ذكر في التنزيه ورسوخ قدمه فيه بتمثيل حاله بحال من يعلم ما يصدر عنه من الافاعيل فيفعلها عن قصد ونية لا عن اتفاق بلا روية وقد ادمج في تضاعيفه الاشارة الى ان لكل واحد من الاشياء المذكورة مع ما ذكر من التنزيه حاجة ذاتية اليه تعالى واستفاضة منه لما يهمه بلسان استعداده وتحقيقه ان كل واحد من الموجودات الممكنة في حد ذاته بمعزل من استحقاق الوجود لكنه مستعد لان يفيض منه عليه تعالى ما يليق بشانه من الوجود وما يتبعه من الكمالات ابتداء وبقاء فهو مستفيض منه تعالى على الاستمرار فيفيض عليه في كل آن من فنون الفيوض المتعلقة بذاته وصفاته ما لا يحيط به نطاق البيان بحيث لو انقطع ما بينه وبين العناية الربانية من العلاقة لانعدم بالمرة وقد عبر عن تلك الاستفاضة المعنوية بالصلاة التي هي الدعاء والابتهال لتكميل التمثيل وافادة تمييز المزايا المذكورة فيما مر على التفصيل وتقديمها على التسبيح في الذكر لتقدمها عليه في الرتبة هذا ويجوز ان يكون العلم على حقيقته ويراد به مطلق الادراك وبما ناب عنه التنوين في كل انواع الطير وافرادها وبالصلاة والتسبيح ما الهمهما الله تعالى كل واحد منها من الدعاء والتسبيح المخصوصين به لكن لا على ان يكون الطير معطوفا على كلمة من مرفوعا برفعها فانه يؤدي الى ان يراد بالتسبيح معنى مجازي شامل للتسبيح المقالي والحالي من العقلاء وغيرهم وقد عرفت ما فيه بل بفعل مضمر اريد به التسبيح المخصوص بالطير معطوف على المذكور كما مر في قوله تعالى وكثير من الناس اي ويسبح الطير تسبيحا خاصا بها حال كونها صافات اجنحتها وقوله تعالى قد علم صلاته وتسبيحه اي دعاءه وتسبيحه اللذين الهمهما الله عز وجل اياه لبيان كمال رسوخه فيهما وان صدورهما عنه ليس بطريق الاتفاق بلا روية بل عن علم وايقان من غير اخلال بشيء منهما حسبما الهمه الله تعالى فان في الهامه تعالى لكل نوع من انواع المخلوقات علوما دقيقة لا تكاد تهتدي اليها جهابذة العقلاء مما لا سبيل الى انكاره اصلا كيف لا وان القنفذ مع كونه ابعد الاشياء من الادراك قالوا انه يحس بالشمال والجنوب قبل هبوبهما فيغير المدخل الى جحره حتى روي انه كان بقسطنطينية قبل الفتح الاسلامي رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر الناس بالرياح قبل هبوبها وينتفعون بانذاره بتدارك امور سفائنهم وغيرها وكان السبب في ذلك انه كان يقتني في داره قنفذا يستدل باحواله على ما ذكر وتخصيص تسبيح الطير بهذا المعنى بالذكر لما ان اصواتها اظهر وجودا واقرب حملا على التسبيح وقوله تعالى والله عليم بما يفعلون اي بما يفعلونه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله وما على الوجه الاول فعبارة عما ذكر من الدلالة الشاملة لجميع الموجودات من العقلاء وغيرهم والتعبير عنها

بالفعل مسندا الى ضمير العقلاء لما مر غير مرة وعلى الثاني ما عبارة عنها وعن التسبيح الخاص بالطير معا او عن تسبيح الطير فقط بالفعل على حقيقته واسناده الى ضمير العقلاء لما مر والاعتراض حينئذ مقرر لتسبيح الطير فقط وعلى الاولين لتسبيح كل قد علم الله تعالى صلاة كل واحد مما في السموات والارض وتسبيحه فالاعتراض حينئذ مقرر لمضمون على الوجهين لكن لا على ان يكون ما عبارة عما تعلق به علمه تعالى من صلاته وتسبيحه بل عن جميع احواله العارضة له وافعاله الصادرة عنه وهما داخلتان فيهما دخولا اوليا ولله ملك السموات والارض لا لغيره لانه الخالق لهما ولما فيهما من الذوات والصفات وهو المتصرف في جميعها ايجادا واعداما بدءا واعادة وقوله تعالى والى الله اي واليه تعالى خاصة لا الى غيره المصير اي رجوع الكل بالفناء والبعث بيان لاختصاص الملك به تعالى في المعاد اثر بيان اختصاصه به تعالى في المبدأ واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتربية المهابة والاشعار بعلة الحكم الم تر ان الله يزجي سحابا الازجاء سوق الشيء برفق وسهولة غلب في سوق شيء يسير او غير معتد به ومنه البضاعة المزجاة ففيه ايماء الى ان السحاب بالنسبة الى قدرته تعالى مما لا يعتد به ثم يؤلف بينه اي بين اجزائه بضم بعضها الى بعض وقرئ يولف بغير همزة ثم يجعله ركاما اي متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر اثر تكاثفه وتراكمه وقوله تعالى يخرج من خلاله اي من فتوقه حال من الودق لان الرؤية بصرية وفي تعقيب الجعل المذكور برؤيته خارجا لا بخروجه من المبالغة في سرعة الخروج على طريقة قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق من الاعتناء بتقريب الرؤية ما لا يخفى والخلال جمع خلل كجبال وجبل وقيل مفرد كحجاب وحجاز ويؤيده انه قرئ من خلله وينزل من السماء من الغمام فان كل ما علاك سماء من جبال اي من قطع عظام تشبه الجبال في العظم كائنة فيها وقوله تعالى من برد مفعول ينزل على ان من تبعيضية والاوليان لابتداء الغاية على ان الثانية بدل اشتمال من الاولى باعادة الجار اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها بعض برد وقيل المفعول محذوف ومن برد بيان للجبال اي ينزل مبتدئا من السماء من جبال فيها من جنس البرد بردا وقيل المفعول محذوف ومن برد والاول اظهر لخلوه عن ارتكاب الحذف والتصريح ببعضية المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية المنزل وقيل المفعول من جبال على ان من تبعيضية ومن برد بيان للجبال اي ينزل من السماء بعض جبال كائنة فيها من برد اي مشبهة بالجبال في الكثرة واياما كان فتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة من الاعتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل المراد بالسماء المظلة وفيها جبال من برد كما ان في الارض جبالا من حجر وليس في العقل ما ينفيه من قاطع والمشهور ان الابخرة اذا تصاعدت ولم تحللها حرارة فبلغت الطبقة الباردة من الهواء وقوي البرد اجتمع هناك وصار سحابا وان لم يشتد البرد تقاطر مطرا وان اشتد فان اصاب الاجزاء البخارية قبل اجتماعها نزل ثلجا وقد يبرد الهواء بردا مفرطا فينقبض وينعقد سحابا وينزل منه المطر والثلج وكل ذلك مسند الى ارادة الله تعالى فيصيب به اي يصرفه عنه فينجو من غائلته يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب الموصوف بما مر من الازجاء والتاليف وغيرهما واضافة البرق اليه قبل الاخبار بوجوده فيه للايذان بظهور امره واستغنائه عن التصريح به وبالمد بمعنى الرفعة والعلو وبادغام الدال في السين وبرقه بفتح الراء على انه جمع برقة وهي مقدار من البرق كالغرفة وبضمها للاتباع بضمة الباء يذهب بالابصار اي يخطفها من فرط الاضاءة وسرعة ورودها في اطلاق الابصار مزيد تهويل لامره وبيان لتاثيره فيها كانه يكاد يذهب بها ولو عند الاغماض وهذا من اقوى الدلائل على كمال القدرة من حيث انه توليد للضد من الضد وقرئ يذهب من الاذهاب على زيادة الباء يقلب الله الليل والنهار بالمعاقبة بينهما او بنقص احدهما وزيادة الاخر او بتغيير احوالهما بالحر والبرد وغيرهما مما يقع فيهما من الامور التي من جملتها ما ذكر من ازجاء السحاب وما ترتب عليه ان في ذلك اشارة الى ما فصل آنفا وما فيه من معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته لعبرة اي لدلالة واضحة على وجود الصانع القديم ووحدته وكمال قدرته واحاطة علمه بجميع الاشياء ونفاذ مشيئته وتنزهه عما لا يليق بشانه العلي لاولي الابصار لكل من له بصر والله خلق كل دابة اي كل حيوان يدب على الارض وقرئ خالق كل دابة بالاضافة من ماء هو جزء مادته او ماء مخصوص هو النطفة فيكون تنزيلا للغالب منزلة الكل اذ من الحيوان ما يتولد لا عن نطفة وقيل من ماء متعلق بدابة وليست صلة لخلق فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وتسمية حركتها مشيا مع كونها زحفا بطريق الاستعارة او المشاكلة ومنهم من يمشي على رجلين كالانس والطير ومنهم من يمشي على

اديج كالنعم والوحش وعدم التعرض لما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب ونحوها من الحشرات لعدم
الاعتداد بها وتذكير الضمير في منهم لتغليب العقلاء والتعبير عن الاصناف بكلمة من ليوافق التفصيل الاجمال
والترتيب لتقديم ما هو اعرق في القدرة يخلق الله ما يشاء مما ذكر ومما لم يذكر بسيطا كان او مركبا على
ما يشاء من الصور والاعضاء والهيئات والحركات والطبايع والقوى والافاعيل مع اتحاد العنصر واظهار
الاسم الجليل في موضع الاضمار لتفخيم شان الخلق المذكور والايذان بانه من احكام الالوهية ان الله على
كل شيء قدير فيفعل ما يشاء واظهار الجلالة مع ما ذكر مع تاكيد لاستقلال الاستيناف التعليلي لقد
انزلنا ايات مبينات اي لكل ما يليق بيانه من الاحكام الدينية والاسرار التكوينية والله يهدي من
يشاء ان يهديه بتوفيقه للنظر الصحيح فيها وارشاده الى التامل في مطاويها الى صراط مستقيم
موصل الى حقيقة الحق والفوز بالجنة ويقولون امنا بالله وبالرسول شروع في بيان احوال بعض من لم
يشاء الله تعالى هدايته الى الصراط المستقيم قال الحسن نزلت في المنافقين الذين كانوا يظهرون
الايمان ويسرون الكفر وقيل نزلت في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه الى كعب بن الاشرف واليهودي
يدعوه الى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في المغيرة بن وائل خاصم عليا رضي الله تعالى عنه وايا ما
كان فصيغة الجمع للايذان بان للقايل طائفة يساعدونه ويشايعونه في تلك المقالة كما يقال بنوا
فلان قتلوا فلانا والقاتل واحد منهم واطعنا اي اطعناهما في الامر والنهي ثم يتولى عن قبول حكمه
فريق منهم من بعد ذلك اي من بعد ما صدر عنهم من ادعاء الايمان بالله وبالرسول والطاعة لهما على
التفصيل وما في ذلك من معنى البعد للايذان بكونه امرا معتدا به واجب المراعاة وما اولئك اشارة
الى القايلين لا الى الفريق المتولي منهم فقط لعدم اقتضاء نفي الايمان عنهم نفيه عن الاولين بخلاف
العكس فان نفيه عن القايلين مقتض لنفيه عنهم على ابلغ وجه واكده وما فيه من معنى البعد للاشعار
ببعد منزلتهم في الكفر والفساد اي وما اولئك الذين يدعون الايمان والطاعة ثم يتولى بعضهم الذين
يشاركونهم في العقد والعمل بالمؤمنين اي المؤمنين حقيقة كما يعرب عنه اللام اي ليسوا بالمؤمنين
المعهودين بالاخلاص في الايمان والثبات عليه واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول بينهم انه المباشر
للحكم حقيقة وان كان حكم الله تعالى حقيقة وذكر الله تعالى لتفخيمه عليه السلام والايذان بان له جلالة
عنده تعالى اذا فريق منهم معرضون اي فاجأ فريق منهم الاعراض عن المحاكمة اليه صلى الله عليه وسلم لكون
الحق عليهم وعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم يحكم بالحق عليهم وان يكن لهم الحق ياتوا فان الاتيان والمجي
بعديان بالى ولذا عدي بعلى لتضمين معنى الاسراع والاقبال كما في قوله تعالى فاقبلوا اليه يزفون
والتقديم للاختصاص افي قلوبهم مرض انكار واستقباح لاعراضهم المذكور وبيان لمنشايه بعد ما
استقصاء من القبائح المحققة فيهم والمتوقعة منهم وترديد المنشاية بينهما فمدار الاستفهام
ليس هو ليته المبهمة وما هو من الامور الثلاثة بل هو منشايتها له كانه قيل اذلك اي اعراضهم المذكور
لانهم مرضى القلوب لكفرهم ونفاقهم ام لانهم ارتابوا في امر نبوته صلى الله عليه وسلم مع ظهور
حقيقتها ام لانهم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله اضراب عن الكل وابطلت منشايته
وحكم بان المنشا شيء اخر من شنايعهم حيث قيل بل اولئك هم الظالمون اي ليس ذلك لشيء مما ذكر
اما الاولان فلانه لو كان لشيء منهما لاعرضوا عنه صلى الله عليه وسلم عند كون الحق لهم ولما اتوا اليه
صلى الله عليه وسلم مذعنين لحكمه لتحقق نفاقهم وارتيابهم حينئذ ايضا واما الثالث فلانتفائه
راسا حيث كانوا لا يخافون الحيف لمعرفتهم بتفاصيل احواله صلى الله عليه وسلم في الامانة والثبات
على الحق لانهم هم الظالمون يريدون ان يظلموا من الحق عليهم ويتم لهم جحوده فيابون المحاكمة اليه
صلى الله عليه وسلم لعلمهم بانه صلى الله عليه وسلم يقضي عليهم بالحق فمناط النفي المستفاد من
الاضراب في الاولين هو وصف منشايتهما للاعراض فقط مع تحققهما في نفسهما وفي الثالث هو الاصل
والوصف جميعا هذا وقد خص الارتياب بما له منشا صحيح لعروضه لهم في الجملة فالمعنى ام ارتابوا
بان راوا منه تهمة فزالت ثقتهم ويقينهم به صلى الله عليه وسلم فمدار النفي حينئذ نفس الارتياب
ومنشايته معا فتامل فيما ذكر على التفصيل ودع عنك ما قيل وقيل حسبما يقتضيه النظر الجليل
انما كان قول المؤمنين بالنصب على انه خبر كان وان مع ما في حيزها اسمها وقرئ بالرفع على العكس
والاول اقوى صناعة لان الاولى للاسمية ما هو اوغل في التعريف وذلك هو الفعل المصدر بان
اذ لا سبيل اليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين فانه يحتمله كما اذا اعتزلت عنه الاضافة لكن قراءة
الرفع اقعد بحسب المعنى واوفى لمقتضى المقام لما ان مصب الفائدة وموقع البيان في الجمل هو
الخبر فالاحق بالخبرية ما هو اكثر افادة واظهر دلالة على الحدوث واوفر اشتمالا على نسب خاصة

بعيدة

وهو شرح للمولع ومبالغة فيه وان يكن لهم الحق
لا عليهم ياتوا اليه مذعنين منقادين لجزمهم
بانه صلى الله عليه وسلم يحكم بالحق ص

بعيدة الا منافاة من النسبة المطلقة الاجمالية فحيث كانت قليلة الجدوى سهلة الحصول خارجا وذهنا
كان حقها ان تلاحظ ملاحظة مجملة وتجعل عنوانا للموضوع فالمعنى انما كان مطلق القول الصادر عن
المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم اي الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم اي وبين خصومهم سواء
كانوا منهم او من غيرهم ان يقولوا سمعنا واطعنا اي خصوصية هذا القول المحكي عنهم لا قولا اخر
اصلا واما قراءة النصب فمعناه انما كان قول المؤمنين اي انما كان قولا لهم عند الدعوة خصوصية
قولهم المحكي عنهم ففيه من جعل اخص النسبتين وابعدهما وقوعا وحضورا في الاذهان واحقهما بالبيان
مفروغا عنه عنوانا للموضوع وابراز ما هو بخلافه في معرض القصد الاصلي ما لا يخفى وقرئ ليحكم على بناء الفعل
للمفعول مسندا الى مصدره مجاوزا بالقول له تعالى اذا دعوا اي ليفعل الحكم كما في قوله تعالى لقد تقطع بينكم اي
وقع التقطع بينكم واولئك اشارة الى المؤمنين باعتبار صدور القول المذكور عنهم وما فيه من معنى
البعد للاشعار بعلو رتبتهم وبعد منزلتهم في الفضل اي اولئك الموصوفون بما ذكر من النعت الجميل
هم المفلحون اي هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل محذور ومن يطع الله ورسوله استيناف جيء
به لتقرير مضمون ما قبله من حسن حال المؤمنين وترغيب من عداهم في الانتظام في سلكهم اي ومن
يطعهما كائنا من كان فيما امرا به من الاحكام الشرعية اللازمة والمتعدية وقيل في الفرائض والسنن
والاول هو الانسب بالمقام ويخش الله ويتقه باسكان القاف المبني على تشبيهه بكتف وقرئ بكسر الهاء
والقاف وباسكان الهاء اي ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل فاولئك الموصوفون
بما ذكر من الطاعة والخشية والاتقاء هم الفائزون بالنعيم المقيم لا من عداهم واقسموا بالله حكاية لبعض
اخر من اكاذيبهم مؤكدا بالايمان الفاجرة وقوله تعالى جهد ايمانهم نصب على انه مصدر مؤكد لفعله
الذي هو في حيز النصب على انه حال من فاعل اقسموا اي اقسموا به تعالى يجهدون ايمانهم جهدا ومعنى جهد
اليمين بلوغ غايتها بطريق الاستعارة من قولهم جهد نفسه اذا بلغ اقصى وسعها وطاقتها اي جاهدين
باليمين اقصى مراتب اليمين في الشدة والوكادة وقيل هو مصدر مؤكد لاقسموا اي اقسموا اقسام اجتهاد
في اليمين قال مقاتل من حلف بالله فقد اجتهد في اليمين لئن امرتهم اي بالخروج الى الغزو لا عن ديارهم واموالهم
كما قيل لانه حكاية لما كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا
وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقوله تعالى ليخرجن جواب لاقسموا بطريق حكاية فعلهم لا حكاية
قولهم وحيث كانت مقالتهم هذه كاذبة ويمينهم فاجرة امر صلى الله عليه وسلم بردها حيث قيل
قل اي ردا عليهم وزجرا لهم عن التفوه بها واظهارا لعدم القبول لكونهم كاذبين فيها لا تقسموا اي على
ما ينبي عنه كلامكم من الطاعة وقوله تعالى طاعة معروفة خبر مبتدا محذوف والجملة تعليل للنهي اي لا
تقسموا على ما تدعون من الطاعة لان طاعتكم طاعة نفاقية واقعة باللسان فقط من غير مواطاة من
القلب وانما عبر عنها بمعروفة للايذان بان كونها كذلك مشهور معروف لكل احد وقرئ بالنصب والمعنى
يطيعون طاعة معروفة هذا وحملها على الطاعة الحقيقية بتقدير ما يناسبها من مبتدا او خبر او فعل
مثل الذي يطلب منكم طاعة معروفة حقيقية لا نفاقية وطاعة معروفة امثل او لتكن طاعة معروفة
اي اطيعوا طاعة معروفة مما لا يساعده المقام ان الله خبير بما تعملون من الاعمال الظاهرة والباطنة
التي من جملتها ما تظهرونه من الاكاذيب المؤكدة بالايمان الفاجرة وما تضمرونه في قلوبكم من الكفر
والنفاق والعزيمة على مخادعة المؤمنين وغيرها من فنون الشر والفساد والجملة تعليل للحكم بان طاعتهم
طاعة نفاقية مشعرة بان مدار شهرة امرها فيما بين المؤمنين اخباره تعالى بذلك ووعيد لهم بانه
تعالى مجازيهم بجميع اعمالهم السيئة التي منها نفاقهم قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول كرر الامر بالقول لابراز
كمال العناية به والاشعار باختلافهما من حيث ان المقول في الاول نهي بطريق الرد والتقريع كما في
قوله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون وفي الثاني امر بطريق التكليف والتشريع واطلاق الطاعة المامور
بها عن وصف الصحة والاخلاص ونحوهما بعد وصف طاعتهم بما ذكر للتنبيه على انها ليست من
الطاعة في شيء اصلا وقوله تعالى فان تولوا خطاب للمامورين بالطاعة من جهته تعالى وارد لتاكيد
الامر بها والمبالغة في ايجاب الامتثال به والحمل عليه بالترهيب والترغيب لما ان تغيير الكلام المسوق
لمعنى من المعاني وصرفه عن سننه المسلوك ينبي عن اهتمام جديد بشانه من المتكلم ويستجلب مزيد
رغبة فيه من السامع كما اشير اليه في تفسير قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا لا سيما اذا كان ذلك
بتغيير الخطاب بالواسطة الى الخطاب بالذات فان في خطابه تعالى اياهم بالذات بعد امره تعالى اياهم
بواسطته عليه الصلاة والسلام في تصديه لبيان حكم الامتثال بالامر والتولي عنه اجمالا وتفصيلا من
افادة ما ذكر من التاكيد والمبالغة ما لا غاية وراءه وتوهم انه داخل القول المامور بحكايته من جهته تعالى

فانه ابلغ في التبكيت تعكس في الامر والفا لترتيب ما بعدها على تبليغه صلى الله عليه وسلم للمامور اليهم
وعدم التصريح به للايذان بغاية ظهور مسارعته صلى الله عليه وسلم الى تبليغ ما امر به وعدم الحاجة
الى الذكر اي ان تتولوا عن الطاعات اثر ما امرتم بها فانما عليه اي فاعلموا انما عليه صلى الله عليه وسلم عليه
ما حمل اي ما امر به من التبليغ وقد شاهدتموه عند قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وعليكم ما حملتم اي ما
امرتم به من الطاعة ولعل التعبير عنه بالتحميل للاشعار بثقله وكونه مؤنة باقية في عهدتهم بعد كانه قيل
وحيث توليتم عن ذلك فقد بقيتم تحت ذلك الحمل الثقيل وقيل وقوله تعالى ما حمل محمول على المشاكلة وان
تطيعوه اي فيما امركم به من الطاعة تهتدوا الى الحق الذي هو المقصد الاعلى الموصل الى كل خير والمنجي عن كل
شر وتأخيره عن بيان حكم التولي لما في تقديم الترهيب من تأكيد الترغيب وتقريبه مما هو من بابه من الوعد
الكريم وقوله تعالى وما على الرسول الا البلاغ المبين اعتراض مقرر لما قبله من ان غائلة التولي وفائدة
الاطاعة مقصورتان عليهم واللام اما للجنس المنتظم له صلى الله عليه وسلم انتظاما اوليا او للعهد
ما جنس الرسول كائنا من كان او ما عليه صلى الله عليه وسلم الا التبليغ الموضح لكل ما يحتاج الى الايضاح
او الواضح على ان المبين من ابين بمعنى بان وقد علمتم انه قد فعله بما لا مزيد عليه وانما بقي ما حملتم وقوله
تعالى وعد الله الذين امنوا منكم استئناف مقرر لما في قوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا من الوعد الكريم
ومعرب عنه بطريق التصريح ومبين لتفاصيل ما اجمل فيه من فنون السعادات الدينية والدنيوية
التي هي من اثار الاهتداء ومتضمن لما هو المراد بالطاعة التي نيط بها الاهتداء والمراد بالذين امنوا كل
من اتصف بالايمان بعد الكفر على الاطلاق من اي طائفة كان وفي اي وقت كان لا من امن من طائفة المنافقين
فقط ولا من امن بعد نزول الاية الكريمة فقط ضرورة عموم الوعد الكريم للكل كافة فالخطاب في منكم
لعامة الكفرة لا للمنافقين خاصة ومن تبعيضية وعملوا الصالحات عطف على امنوا داخل معه في حيز
الصلة وبه يتم تفسير الطاعة التي امر بها ورتب عليها ما انتظم في سلك الوعد الكريم كما اشير اليه
وتوسيط الظرف بين المعطوفين لاظهار اصالة الايمان وعراقته في استتباع الاثار والاحكام وللايذان
بكونه اول ما يطلب منهم واهم ما يجب عليهم واما تأخيره عنهم في قوله تعالى وعد الله الذين
امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فلان من هناك بيانية والضمير للذين معه
عليه الصلاة والسلام من خلص المؤمنين ولا ريب في انهم جامعون بين الايمان والاعمال الصالحة
مثابرون عليها فلا بد من ورود بيانهم بعد ذكر نعوتهم الجليلة بكمالها هذا ومن جعل الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والامة عموما على ان من تبعيضية او له صلى الله عليه وسلم ولمن معه من المؤمنين
خصوصا على انها بيانية فقد نأى عما تقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه بمنازل وابعد عما يليق بشأنه
صلى الله عليه وسلم بمراحل ليستخلفنهم في الارض جواب للقسم اما بالاضمار او بتنزيل وعده تعالى
منزلة القسم لتحقق انجازه لا محالة اي ليجعلنهم خلفاء متصرفين فيها تصرف الملوك في ممالكهم
او خلفا من الذين لم يكونوا على حالهم من الايمان والاعمال الصالحة كما استخلف الذين من قبلهم هم
بنو اسرائيل استخلفهم الله عز وجل في مصر والشام بعد اهلاك فرعون والجبابرة او هم ومن قبلهم من الامم
المؤمنة التي انبئ اليهم في قوله تعالى الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات الى قوله تعالى فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين
ولنسكننكم الارض من بعدهم ومحل الكاف النصب على انه مصدر تشبيهي مؤكد للفعل بعد تأكيده
بالقسم وما مصدرية اي ليستخلفنهم استخلافا كائنا كاستخلافه تعالى للذين من قبلهم وقرئ كما استخلف
على البناء للمفعول فليس العامل في الكاف حينئذ الفعل المذكور بل هو ما يدل عليه من فعل مبني للمفعول
جار منه مجرى المطاوع فان استخلافه تعالى اياهم مستلزم لكونهم مستخلفين لا محالة كانه قيل ليستخلفنهم
في الارض فيستخلفن فيها استخلافا اي مستخلفية كائنة كمستخلفية من قبلهم وقد مر تحقيقه في قوله
تعالى كما سئل موسى من قبل ومن هذا القبيل قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا على احد الوجهين اي فنبتت
نباتا حسنا وعليه قول من قال ● وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ● من المال الا مسحتا او مجلف ●
اي فلم يبق الا مسحت الى اخره وليمكنن لهم دينهم عطف على ليستخلفنهم منتظم معه في سلك الجواب وتأخيره
عنه مع كونه اجل الرغائب الموعودة واعظمها لما ان النفوس الى الحظوظ العاجلة اميل فتصدير
المواعيد بها في الاستمالة ادخل ليجعل والمعنى ليجعلن دينهم ثابتا مقررا بحيث يستمرون على العمل باحكامه
ويرجعون اليه في كل ما يأتون وما يذرون والتعبير عن ذلك بالتمكين الذي هو جعل الشيء مكانا لآخر
يقال مكن له في الارض اي جعلها مقرا له ومنه قوله تعالى انا مكنا له في الارض ونظائره وكلمة في
الايذان بان ما جعل مقرا له قطعة منها لا كلها للدلالة على كمال ثبات الدين ورسوخ احكامه

في

في الارض وتقديم صلة التمكين على مفعوله الصريح للمسارعة الى بيان كون الموعود من منافعهم تشويقا لهم
اليه وترغيبا لهم في قبوله عند وروده ولان في توسطها بينه وبين وصفه اعني قوله تعالى الذي ارتضى
لهم وتأخيرها عنه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وفي اضافة الدين اليهم وهو دين الاسلام
ثم وصفه بارتضائه لهم تأليف لقلوبهم ومزيد ترغيب فيه وفضل تثبيت عليه وليبدلنهم بالتشديد
وقرئ بالتخفيف من الابدال من بعد خوفهم اي من الاعداء امنا حيث كان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم قبل الهجرة عشر سنين بل اكثر خائفين ثم هاجروا الى المدينة وكانوا يصبحون في السلاح ويمسون
كذلك حتى قال رجل منهم ما يأتي علينا يوم نأمن فيه فقال صلى الله عليه وسلم لا تغبرون الا يسيرا
حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة فانزل الله هذه الاية وانجز
وعده واظهرهم على جزيرة العرب وفتح لهم بلاد الشرق والغرب وصار الحال كما قال فهم كل
من عداهم وفيه من الدلالة على صحة النبوة للاخبار بالغيب على ما هو عليه قبل وقوعه ما لا يخفى
وقيل المراد الخوف من العذاب والامن منه في الاخرة يعبدونني حال من الموصول الاول مفيدة لتقييد
الوعد بالثبات على التوحيد او استئناف ببيان المقتضي للاستخلاف وما انتظم معه في سلك الوعد
لا يشركون بي شيئا حال من الواو في يعبدونني اي يعبدونني غير مشركين بي في العبادة شيئا ومن كفر اي اتصف بالكفر
بان ثبت واستمر عليه ولم يتأثر بما مر من الترغيب والترهيب فان الاصرار عليه بعد مشاهدة
دلائل التوحيد كفر مستأنف زائد على الاصل وقيل كفر هذه النعمة العظيمة والاول هو الانسب بالمقام
بعد ذلك اي بعد ذلك الوعد الكريم بما فصل من المطالب العالية المستوجبة لغاية الاهتمام بتحصيلها
والسعي الجميل في حيازتها فاولئك البعداء عن الحق التائهون في تيه الغواية والضلال هم الفاسقون
الكاملون في الفسق والخروج عن حدود الكفر والطغيان واقيموا الصلوة واتوا الزكوة عطف على مقدر
ينسحب عليه الكلام ويستدعيه النظام فان الخطاب به تعالى للمؤمنين بالطاعة على طريقة الترهيب من
التولي بقوله تعالى فان تولوا الى اخره وترغيبه تعالى اياهم في الطاعات بقوله تعالى وان تطيعوه تهتدوا
الى اخره ووعده تعالى اياهم على الايمان والعمل الصالح والنهي عن الكفر فكانه قيل فامنوا واعملوا صالحا
واقيموا او فلا تكفروا واقيموا وعطفه على اطيعوا الله مما لا يليق بجزالة النظم الكريم واطيعوا الرسول
امرهم الله تعالى بالذات بما امرهم به بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم من طاعته التي هي طاعته
تعالى في الحقيقة تأكيدا للامر السابق وتقريرا لمضمونه على ان المراد بالمطاع فيه جميع الاحكام الشرعية
المنتظمة للاداب المرضية ايضا اي فاطيعوه في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه او تكميلا لما قبله من الامرين
الخاصين المتعلقين بالصلاة والزكاة على ان المراد بما ذكر ما عداهما من الشرائع اي واطيعوه في سائر ما يأمركم به
الى اخره لعلكم ترحمون متعلق على الاول بالامر الاخير المشتمل على جميع الاوامر وعلى الثاني بالاوامر الثلاثة
اي ما ذكر من الاقامة والايتاء والاطاعة راجين ان ترحموا لا تحسبن الذين كفروا لما بين حال من
اطاعة الله صلى الله عليه وسلم واشير الى فوزه بالرحمة المطلقة المستتبعة لسعادة الدارين عقب
ذلك ببيان حال من عصاه صلى الله عليه وسلم ومآل امره في الدنيا والاخرة بعد بيان تناهيه في الفسق
تكميلا لامر الترغيب والترهيب والخطاب اما لكل احد يصلح له كائنا من كان واما للرسول صلى الله
عليه وسلم على منهاج قوله تعالى فلا تكونن من المشركين ونظائره للايذان بان الحسبان المذكور من
القبح والمحذورية بحيث ينهى عنه من يمتنع صدوره عنه فكيف بمن يمكن ذلك منه ومحل الموصول
النصب على انه مفعول اول للحسبان وقوله تعالى معجزين ثانيهما وقوله تعالى في الارض ظرف لمعجزين
لكن لا لافادة كون الاعجاز المنفي فيها لا في غيرها فان ذلك مما لا يحتاج الى البيان بل لافادة شمول عدم الاعجاز
المنفي فيها لا في اجزائها اي لا تحسبنهم معجزين الله عز وجل عن ادراكهم واهلاكهم في قطر من اقطار الارض
بما رحبت وان هربوا منها كل مهرب وقرئ لا يحسبن بالياء على ان الفاعل كل احد ● والمعنى كما ذكر اي
لا يحسبن احد الكافرين معجزين له سبحانه في الارض او هو الموصول والمفعول الاول محذوف لكونه
عبارة عن انفسهم ● قيل لا يحسبن الكافرون انفسهم معجزين في الارض وانما جعل معجزين مفعولا اولا
وفي الارض مفعولا ثانيا فقد عدل عن المطابقة لمقتضى المقام ضرورة ان مصب الفائدة هو المفعول
الثاني ولا فائدة في بيان كون المعجزين في الارض وقوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة وقوله تعالى
ومأواهم النار معطوف على جملة النهي بتأويلها بجملة خبرية لان المقصود النهي عن الحسبان تحقيق نفي
الحسبان كانه قيل ليس الذين كفروا معجزين ومأواهم الى اخره او على جملة مقدرة وقعت تعليلا
للنهي كانه قيل لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الارض فانهم مدركون ومأواهم الى اخره ● وقيل
الجملة المقدرة بل هم مقهورون فتدبر ولبئس المصير جواب لقسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف

اى وبالله لبئس المصير هى اى النار والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله وفى ايراد النار بعنوان كونها
مأوى ومصيرا لهم اثر نفى فوتهم بالهرب فى الارض كل مهرب من الجزالة ما لا غاية وراءه فلله در
شأن التنزيل يا ايها الذين آمنوا رجوع الى بيان تتمة الاحكام السابقة بعد تمهيد ما يوجب
الامتثال بالاوامر والنواهى الواردة فيها وفى الاحكام اللاحقة من التمهيدات والترغيب والترهيب
والوعد والوعيد والخطاب اما للرجال خاصة والنساء داخلات بدلالة النص او للفريقين جميعا
بطريق التغليب • روى ان غلاما لاسماء بنت ابى مرثد دخل عليها فى وقت كرهته فنزلت • وقيل ارسل
رسول الله صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو الانصارى وكان غلاما الى عمر رضى الله تعالى عنه
ليدعوه فدخل عليه وهو نائم قد انكشف عنه ثوبه فقال عمر رضى الله تعالى عنه لوددت ان الله تعالى نهى
آباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعة الا باذن ثم انطلق معه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فوجده وقد انزلت عليه هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم من العبيد
والجوارى والذين لم يبلغوا الحلم اى الصبيان القاصرون عن درجة البلوغ المعهود والتعبير عنه
بالحلم لكونه اظهر دلائله منكم اى من الاحرار ثلاث مرات اى ثلاثة اوقات فى اليوم والليلة والتعبير
عنها بالمرات للايذان بان مدار وجوب الاستئذان مقارنة تلك الاوقات لمرور المستأذنين
بالمخاطبين لا انفسها من قبل صلاة الفجر لظهور انه وقت القيام من المضاجع وطرح ثياب اليقظة
ومحله النصب على انه بدل من ثلاث مرات او الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اى احدها من قبل الى
آخره وحين تضعون ثيابكم اى ثيابكم التى تلبسونها فى النهار وتخلعونها لاجل القيلولة وقوله تعالى
من الظهيرة وهى شدة الحر عند انتصاف النهار بيان للحين والتصريح بمدار الامر اعنى وضع الثياب
فى هذا الحين دون الاول والآخر لما ان التجرد عن الثياب فيه لاجل القيلولة لقلة زمانها
كما ينبئ عنها ايراد الحين مضافا الى فعل حادث منقض ووقوعها فى النهار الذى هو مئنة لكثرة الورود
والصدور ومظنة لظهور الاحوال وبروز الامور ليس من التحقق والاطراد بمنزلة ما فى الوقتين
المذكورين فان تحقق التجرد واطراده فيهما امر معروف لا يحتاج الى التصريح به ومن بعد صلاة العشاء
ضرورة انه وقت التجرد عن اللباس والالتحاف باللحاف وليس المراد بالقبلية والبعدية المذكورتين
مطلقهما المتحقق فى الوقت الممتد المتخلل بين الصلاتين كما فى قوله تعالى وان كنت من قبله لمن الغافلين
وقوله تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى بل ما يعرض منهما طرفى ذلك الوقت الممتد
المتصلين بالصلاتين المذكورتين اتصالا عاديا وقوله تعالى ثلاث عورات خبر مبتدأ محذوف وقوله
تعالى لكم متعلق بمحذوف هو صفة لثلاث عورات اى كائنة لكم والجملة استئناف مسوق لبيان علة
وجوب الاستئذان اى هن ثلاث اوقات يختل فيها التستر عادة والعورة فى الاصل هو الخلل غلب فى
الخلل الواقع فيما يهم حفظه ويعتنى بستره اطلقت الاوقات المشتملة عليها مبالغة كانها نفس
العورة وقرئ ثلاث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات ليس عليكم ولا عليهم اى على المماليك
والصبيان جناح اى اثم فى الدخول بغير استيذان لعدم ما يوجبه من مخالفة الامر والاطلاع على
العورات بعدهن اى بعد كل واحدة من تلك العورات الثلاث وهى الاوقات المتخللة بين كل اثنتين
منهن وايرادها بعنوان البعدية مع ان كل وقت من تلك الاوقات قبل عورة من العورات كما انها
بعد اخرى منهن لتوفية حق التكليف والترخيص الذى هو عبارة عن رفعه اذ الرخصة انما
تتصور فى فعل يقع بعد زمان وقوع الفعل المكلف والجملة على القراءتين مستأنفة مسوقة لتقرير
ما قبلها بالطرد والعكس • وقد جوز على القراءة الاولى كونها فى محل الرفع على انها صفة اخرى لثلاث
عورات واما على القراءة الثانية فهى مستأنفة لا غير اذ لو جعلت صفة لثلاث عورات وهى بدل من
ثلاث مرات لكان التقدير ليستأذنكم هؤلاء فى ثلث عورات لا اثم فى ترك الاستيذان بعدهن من حيث
كان انتفاء الاذن حينئذ مما لا يعلمه السامع الا بهذا الكلام لم يستحسن ايراده فى معرض الصفة بخلاف
قراءة الرفع فان انتفاء الاذن حينئذ معلوم من صدر الكلام وقوله تعالى طوافون عليكم استئناف
ببيان العذر المرخص فى ترك الاستئذان وهى المخالطة الضرورية وكثرة المداخلة وفيه دليل
على تعليل الاحكام وكذا فى الفرق بين الاوقات الثلاثة وبين غيرها بكونها عورات بعضكم على بعض
بعضكم طائفا كثيرا او بعضكم يطوف على بعض كذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما
فيه من معنى البعد لما مر مرارا من تفخيم شأن المشار اليه والايذان ببعد منزلته وكونه من
الوضوح بمنزلة المشار اليه حسا اى مثل ذلك التبيين يبين الله لكم الآيات • الدالة على الاحكام
اى ينزلها مبينة واضحة الدلالات عليها لا انه تعالى يبينها بعد ان لم تكن كذلك والكاف مقحمة

وقد

وقد مر تفصيله فى قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا ولكم متعلق بيبين وتقديمه على المفعول
الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر وقيل يبين علل الاحكام وليس بواضح مع
انه مؤد الى تخصيص الآيات بما ذكر هاهنا والله عليم مبالغ فى العلم بجميع المعلومات فيعلم احوالكم
حكيم فى جميع افاعيله فيشرع لكم ما فيه صلاح امركم معاشا ومعادا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم لما بين
فيما مر آنفا حكم الاطفال فى انه لا جناح فى ترك الاستيذان فيما عدا الاوقات الثلاثة عقب ببيان
حالهم بعد البلوغ دفعا لما عسى ان يتوهم انهم وان كانوا اجانب ليسوا كسائر الاجانب بسبب اعتيادهم
الدخول اى اذا بلغ الاطفال الاحرار الاجانب فليستأذنوا اى اذا ارادوا الدخول عليكم وقوله تعالى
كما استأذن الذين من قبلهم فى حيز النصب على انه نعت لمصدر مؤكد للفعل والموصول عبارة عمن
قيل لهم لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا الآية ووصفهم بكونهم قبل هؤلاء باعتبار ذكرهم
لا باعتبار بلوغهم قبل بلوغهم كما قيل لان المقصود بالتشبيه بيان كيفية استيذان هؤلاء وزيادة
ايضاحه ولا يتسنى ذلك الا بتشبيهه باستيذان المعهودين عند السامع ولا ريب فى ان بلوغهم قبل
بلوغ هؤلاء مما لا يخطر ببال احد وان كان الامر كذلك فى الواقع وانما المعهود المعروف ذكرهم
قبل ذكرهم اى فليستأذنوا استيذانا كائنا مثل استيذان المذكورين قبلهم بان يستأذنوا فى جميع
الاوقات ويرجعوا ان قيل لهم ارجعوا حسبما فصل فيما سلف كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم
الكلام فيه كالذى سبق والتكرير للتأكيد والمبالغة فى الامر بالاستيذان واضافة الآيات الى
ضمير الجلالة لتشريفها والقواعد من النساء اى العجائز اللاتى قعدن عن الحيض والحمل اللاتى لا
يرجون نكاحا اى لا يطمعن فيه لكبرهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اى الثياب الظاهرة
كالجلباب ونحوه والفاء فيه لان اللام فى القواعد بمعنى اللاتى او للوصف بها غير متبرجات بزينة
غير مظهرات لزينة مما امر باخفائه فى قوله تعالى ولا يبدين زينتهن واصل التبرج التكلف فى اظهار
ما يخفى من قولهم سفينة بارجة لا غطاء عليها والبرج سعة العين بحيث يرى بياضها محيطا
بسوادها كله الا انه خص بكشف المرأة زينتها ومحاسنها للرجال وان يستعففن بترك الوضع
خير لهن من الوضع لبعده من التهمة والله سميع مبالغ فى جميع ما يسمع فيسمع ما يجرى بينهن
وبين الرجال من المقاولة عليم فيعلم مقاصدهن وفيه من الترهيب ما لا يخفى ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج كانت هذه الطوائف يتحرجون من مواكلة الاصحاء حذرا
من استقذارهم اياهم وخوفا من تأذيهم بافعالهم واوضاعهم فان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت اليه
عين اكيله ولا يشعر به والاعرج يتفسح فى مجلسه فيأخذ اكثر من موضعه فيضيق على جليسه
والمريض لا يخلو عن حالة تؤذى قرينه وقيل كانوا يدخلون على الرجل لطلب العلم فاذا لم يكن عنده
ما يطعمهم ذهب بهم الى بيوت آبائهم وامهاتهم او الى بعض من سماهم الله عز وجل فى الآية الكريمة
فكانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى بيت غيره ولعل اهله كارهون لذلك وكذا كانوا يتحرجون
من الاكل من اموال الذين كانوا اذا خرجوا الى الغزو وخلفوا هؤلاء الضعفاء فى بيوتهم ودفعوا
اليهم مفاتيحها واذنوا لهم ان يأكلوا مما فيها مخافة ان لا يكون اذنهم عن طيب نفس منهم وكان
غير هؤلاء ايضا يتحرجون من الاكل فى بيوت غيرهم فقيل لهم ليس على الطوائف المعدودة
ولا على انفسكم اى عليكم وعلى من يماثلكم فى الاحوال من المؤمنين حرج ان تأكلوا اى ان تأكلوا انتم ومن معكم
وتعميم الخطاب للطوائف المذكورة ايضا يأباه ما قبله وما بعده فان الخطاب فيهما لغير اولئك الطوائف
حتما من بيوتكم اى البيوت التى فيها ازواجكم وعيالكم فيدخل فيها بيوت الاولاد لان بيتهم كبيته
لقوله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه او بيوت آبائكم او
بيوت امهاتكم وقرئ بكسر الهمزة والميم وبكسر الاولى وفتح الثانية او بيوت اخوانكم او بيوت
اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او ما ملكتم مفاتحه من البيوت التى تملكون التصرف فيها باذن اربابها
على الوجه الذى مر بيانه وقيل هى بيوت المماليك والمفاتح جمع مفتح وجمع المفتاح مفاتيح وقرئ مفتاحه
او صديقكم اى او بيوت صديقكم وان لم يكن بينكم وبينهم قرابة نسبية فانهم ارضى بالتبسط واسر به
من كثير من الاقرباء وروى عن ابن عباس ان الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا
بالآباء والامهات وانما قالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم والصديق يقع على الواحد والجمع كالخليط
والقطين واضرابهما وهذا فيما علم رضى صاحب البيت بصريح الاذن او بقرينة دالة ولذلك خص
هؤلاء بالذكر لاعتيادهم التبسط فيما بينهم وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا
كلام مستأنف مسوق لبيان حكم آخر من جنس ما بين قبله حيث كان فريق من المؤمنين كبنى ليث

بن عمرو بن كنانة يتحرجون ان يأكلوا طعامهم منفردين وكان الرجل منهم لا يأكل ويمكث يومه
حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يواكله لم يأكل شيئا وربما قعد الرجل منهم لا يأكل ويمكث
يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فان لم يجد من يواكله لم يأكل شيئا وربما قعد الرجل والطعام بين
يديه لا يتناوله من الصباح الى الرواح وربما كان معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من
يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقيل كان الغني منهم يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصداقته
فيدعوه الى طعامه فيقول اني اتحرج ان آكل معك وانا غني وانت فقير وقيل كان قوم من الانصار
لا يأكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم ان يأكلوا كيف شاؤوا • وقيل كانوا اذا اجتمعوا
ليأكلوا طعاما عزلوا للاعمى وغيره طعاما على حدة فبين الله تعالى ان ذلك ليس بواجب
وقوله تعالى جميعا حال من فاعل تأكلوا او اشتاتا عطف عليه داخل في حكمه وهو جمع شت على انه
صفة كالحق يقال شيء شت اي متفرق او على انه في الاصل مصدر وصف به مبالغة اي ليس عليكم
ان تأكلوا مجتمعين او متفرقين فاذا دخلتم شروع في بيان الآداب التي يجب رعايتها عند مباشرة
ما رخص فيه اثر بيان الرخصة فيه بيوتا اي من البيوت المذكورة فسلموا على انفسكم اي على اهلها
الذين بمنزلة انفسكم لما بينكم وبينهم من القرابة الدينية والنسبية الموجبة لذلك تحية من
عند الله اي ثابتة بأمره مشروعة من لدنه ويجوز ان يكون صلة للتحية فانها طلب الحياة التي
هي من عنده تعالى وانتصابها على المصدرية لانها بمعنى التسليم مباركة مستتبعة لزيادة الخير
والثواب ودوامها طيبة تطيب بها نفس المستمع • وعن انس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله
عليه وسلم قال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم عليهم
يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين كذلك يبين الله لكم الآيات تكرير
لتأكيد الاحكام المختتمة به وتفخيمها لعلكم تعقلون اي ما في تضاعيفها من الشرائع والاحكام
وتعملون بموجبها وتفوزون بذلك بسعادة الدارين وفي تعليل هذا التبيين بهذه الغاية
القصوى بعد تذييل الاولين بما يوجبهما من الجزالة ما لا يخفى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله
استيناف جيء به في اواخر الاحكام السابقة تقريرا لها وتأكيدا لوجوب مراعاتها وتكميلا لها
ببيان بعض آخر من جنسها وانما ذكر الايمان بالله تعالى ورسوله في حيز الصلة للموصول الواقع
خبرا للمبتدا [illegible] وايذانا بانه حقيق بان يجعل قرينا للايمان بهما فقيل هم على الطوايف
منتظما في سلكه فقوله تعالى واذا كانوا معه على امر جامع الى آخره معطوف على آمنوا داخل معه
في حيز الصلة اي انما الكاملون في الايمان الذين آمنوا بالله ورسوله عن صميم قلوبهم واطاعوهما
في جميع الاحكام التي من جملتها ما فصل من قبل الاحكام المتعلقة بعامة احوالهم المطردة في الوقوع
واحوالهم الواقعة بحسب الاتفاق كما اذا كانوا معه صلى الله عليه وسلم على امر مهم يجب اجتماعهم في
شأنه كالجمعة والاعياد والحروب وغيرها من الامور الداعية الى اجتماع اولي الآراء والتجارب
ووصف الامر بالجمع للمبالغة وقرئ امر جميع لم يذهبوا اي من المجمع مع كون ذلك الامر مما
يوجب حضورهم لا محالة كما عند اقامة الجمعة ولقاء العدو بل يسوغ التخلف عنه حتى يستأذنوه
صلى الله عليه وسلم في الذهاب لا على ان نفس الاستيذان غاية لعدم الذهاب بل الغاية هي الاذن
المنوط برأيه صلى الله عليه وسلم والاقتصار على ذكره لانه الذي يتم من قبلهم وهو المعتبر في كمال
الايمان لا الاذن ولا الذهاب المترتب عليه واعتباره في ذلك لما انه كالمصداق لصحته والمميز
للمخلص عن المنافق فان ديدنه التسلل للفرار ولتعظيم ما في الذهاب بغير اذنه صلى الله عليه
وسلم من الجناية وللتنبيه على ذلك عقب بقوله تعالى ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون
بالله ورسوله فقضى بان المستأذنين هم المؤمنون بالله ورسوله كما حكم في الاول بان الكاملين في
الايمان هم الجامعون بين الايمان بهما وبين الاستيذان وفي اولئك من تفخيم شأن المستأذنين ما لا يخفى
فاذا استأذنوك بيان لما هو وظيفته صلى الله عليه وسلم في هذا الباب اثر بيان ما هو وظيفة المؤمنين
فان الاذن عند الاستيذان ليس بامر محتوم بل هو مفوض الى رأيه صلى الله عليه وسلم والفاء لترتيب
ما بعدها على ما قبلها اي بعد ما تحقق ان الكاملين في الايمان هم المستأذنون فاذا استأذنوك لبعض
شأنهم اي لبعض امرهم المهم وخطبهم فأذن لمن شئت منهم لما علمت في ذلك من حكمة ومصلحة
واستغفر لهم الله فان الاستيذان وان كان لعذر قوي لا يخلو عن شائبة تقديم امر الدنيا على امر الآخرة
ان الله غفور مبالغ في مغفرة فرطات العباد رحيم مبالغ في افاضة آثار الرحمة عليهم والجملة تعليل
للمغفرة الموعودة في ضمن الامر بالاستغفار لهم يا ايها الذين آمنوا لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم

استيناف مقرر لمضمون ما قبله والالتفات لابراز مزيد الاعتناء بشأنه اي لا تجعلوا دعوته
صلى الله عليه وسلم اياكم في الاعتقاد والعمل بها كدعاء بعضكم بعضا اي لا تقيسوا دعاءه صلى الله
عليه وسلم اياكم على دعاء بعضكم بعضا في حال من الاحوال وامر من الامور التي من جملتها المساهلة فيه
والرجوع عن مجلسه صلى الله عليه وسلم بغير استيذان فان ذلك من المحرمات وقيل لا تجعلوا دعاءه
صلى الله عليه وسلم ربه كدعاء صغيركم كبيركم يجيبه مرة ويرده اخرى فان دعاءه مستجاب لا مرد
له عند الله عز وجل وتقرير الجملة حينئذ لما قبلها اما من حيث ان استجابته تعالى لدعائه صلى الله
عليه وسلم مما يوجب امتثاله باوامره صلى الله عليه وسلم المؤدي الى ما يوجب هلاككم من دعائه
صلى الله عليه وسلم عليهم واما ما قيل من ان المعنى لا تجعلوا نداءه عليه السلام كنداء بعضكم بعضا
باسمه ورفع الصوت والنداء من وراء الحجرات ولكن بلقبه المعظم مثل يا رسول الله يا نبي
الله مع غاية التوقير والتعظيم والتواضع وخفض الصوت فلا يناسب المقام فان قوله تعالى
قد يعلم الله الذين يتسللون منكم الى آخره وعيد للمخالفين امره صلى الله عليه وسلم فيما ذكر من قبل
فتوسيط ما ذكر بينهما مما لا وجه له والتسلل الخروج من البين على التدريج والخفية وقد للتحقيق
كما ان رب يجيء للتكثير حسبما بين في سورة الحجر اي يعلم الله الذين يخرجون من الجماعة قليلا قليلا
على خفية لواذا اي ملاوذة بان يستتر بعضهم ببعض حتى يخرج بان يلوذ بمن يخرج بالاذن اراءة انه
من اتباعه صلى الله عليه وسلم وقرئ بفتح اللام وانتصابه على الحالية من ضمير يتسللون اي ملاوذين
او على انه مصدر موكد بفعل مضمر هو الحال في الحقيقة اي يلوذون لواذا والفاء في قوله تعالى
فليحذر الذين يخالفون عن امره لترتيب الحذر والامر به على ما قبلها من علمه تعالى باحوالهم فانه
مما يوجب الحذر البتة اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن اما
لتضمينه معنى الاعراض او حمله على معنى يصدون عن امره دون المؤمنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه
دونه وحذف المفعول لما ان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله تعالى لانه الآمر
حقيقة او للرسول صلى الله عليه وسلم لانه المقصود بالذكر ان تصيبهم فتنة اي محنة في الدنيا او يصيبهم
عذاب اليم اي في الآخرة وكلمة او لمنع الخلو دون الجمع واعادة الفعل صريحا للاعتناء بالتهديد
والتحذير واستدل به على ان الامر للايجاب فان ترتيب العذاب على مخالفته كما يعرب عنه التحذير
عن اصابتهما يوجب وجوب الامتثال حتما الا ان لله ما في السموات والارض من الموجودات بأسرها
خلقا وملكا وتصرفا ايجادا واعداما بدأ واعادة قد يعلم ما انتم عليه ايها المكلفون من الاحوال
والاوضاع التي من جملتها الموافقة والمخالفة والاخلاص والنفاق ويوم يرجعون اليه عطف على ما
انتم عليه اي يعلم يوم يرجع المنافقون المخالفون للامر اليه تعالى للجزاء والعقاب وتعليق علمه تعالى
بيوم رجعهم لا برجعهم لزيادة تحقيق علمه تعالى بذلك وغاية تقريره لما ان العلم بوقت وقوع الشيء
مستلزم للعلم بوقوعه على ابلغ وجه وآكده وفيه اشعار بان علمه تعالى بنفس رجعهم من الظهور
بحيث لا يحتاج الى البيان قطعا ويجوز ان يكون الخطاب ايضا خاصا بالمنافقين على طريقة الالتفات
وقرئ يرجعون مبنيا للفاعل فينبئهم بما عملوا من الاعمال السيئة التي من جملتها مخالفة الامر ويرتب عليه
ما يليق به من التوبيخ والجزاء وقد مر وجه التعبير عن الجزاء بالتنبئة في قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم
الآية والله بكل شيء عليم لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة النور اعطي من الاجر عشر حسنات فيما بقي وفيما مضى والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان البركة النماء والزيادة حسية كانت او معنوية
وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه
عما سواه في ذاته وصفاته وافعاله التي من جملتها تنزيل القرآن الكريم المعجز الناطق بعلو شأنه تعالى
وسمو صفاته وابتناء افعاله على اساس الحكم والمصالح وخلوها عن شائبة الخلل بالكلية وصيغة
التفاعل للمبالغة فيما ذكر فان ما لا يتصور نسبته اليه سبحانه حقيقة من الصيغ كالتكبر ونحوه لا
تنسب اليه تعالى الا باعتبار غاياتها وعلى المعنى الثاني باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته لا سيما
على الانسان من فنون الخيرات التي من جملتها تنزيل القرآن المنطوي على جميع الخيرات الدينية والدنيوية
والصيغة حينئذ يجوز ان تكون لافادة نماء تلك الخيرات وتزايدها شيئا فشيئا وآنا فآنا بحسب حدوثها

او حدوث متعلقا تهما به ستقلاله لها بالدلالة على غاية الكمال وتحققها بالفعل والاشعار بالتعجيب المناسب
للانشاء والانباء عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره تعالى ولا استعمال غيرها من الصيغ في حقه تعالى
والفرقان مصدر فرق بين الشيئين اي فصل بينهما به سمي القرآن لغاية فرقه بين الحق والباطل باحكامه
او بين المحق والمبطل باعجازه او لكونه مفصولا بعضه عن بعض في نفسه او في انزاله على عبده محمد صلى الله
عليه وسلم وايراده صلى الله عليه وسلم بذلك العنوان التشريفي والايذان بكونه صلى الله عليه وسلم
في اقصى مراتب العبودية والتنبيه على ان الرسول لا يكون الا عبدا للمرسل ردا على النصارى ليكون
غاية للتنزيل اي نزله عليه ليكون هو صلى الله عليه وسلم او الفرقان للعالمين من الثقلين نذيرا اي منذرا
او انذارا مبالغة او ليكون تنزيله انذارا وعدم التعرض للتبشير لانسياق الكلام على احوال الكفرة وتقديم
اللام على عاملها لمراعاة الفواصل وايراد تنزيل القرآن في معرض الصلة التي حقها ان تكون معلومة الثبوت
للموصول عند السامع مع انكار الكفرة له لاجرائه مجرى المعلوم المسلم تنبيها على كمال قوة دلائله وكونه
بحيث لا يكاد يجهله احد كقوله تعالى لا ريب فيه الذي له ملك السموات والارض اي له خاصة دون غيره لا
استقلالا ولا اشتراكا السلطان القاهر والاستيلاء الباهر عليهما المستلزمان للقدرة التامة والتصرف
الكلي فيهما وفيما فيهما ايجادا واعداما واحياء واماتة وامرا ونهيا حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على
الحكم والمصالح ومحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها او على انه نعت
للموصول الاول او بيان له او بدل منه وما بينهما ليس باجنبي لانه من تمام صلته ومعلومية مضمونه
للكفرة بما لا ريب فيه لقوله تعالى قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله ونظائره
او مدح له تعالى بالرفع او النصب ولم يتخذ ولدا كما يزعم الذين يقولون في حق المسيح والملائكة ما يقولون
فسبحان الله عما يصفون وهو معطوف على ما قبله من الجملة الظرفية ونظمه في سلك الصلة للايذان بان
مضمونه من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد يجهله جاهل لا سيما بعد تقرر ما قبله ولم يكن له شريك في
الملك اي في ملك السموات والارض وهو ايضا عطف على الصلة وافراده بالذكر بعد ما ذكر من
اختصاص ملكهما به تعالى مستلزم له قطعا للتصريح ببطلان زعم الثنوية القائلين بتعدد الآلهة والرد
في نحورهم وتوسيط نفي اتخاذ الولد بينهما للتنبيه على استقلاله واصالته والاحتراز عن توهم كونه تتمة للاول
وخلق كل شيء اي احدث كل موجود من الموجودات احداثا جاريا على سنن التقدير حسبما اقتضته ارادته
المبنية على الحكم البالغة بان خلق كلا منهما من مواد مخصوصة على صور معينة ورتب فيه قوى وخواص
مختلفة الاحكام والآثار فقدره اي هيأه لما اراد به من الخصائص والافعال اللائقة به تقديرا بديعا
لا يقادر قدره ولا يبلغ كنهه كتهيئة الانسان للفهم والادراك والنظر والتدبر في امور المعاد والمعاش واستنباط
الصنائع المتنوعة ومزاولة الاعمال المختلفة وهكذا احوال سائر الانواع وقيل اريد بالخلق مطلق
الايجاد والاحداث مجازا من غير ملاحظة معنى التقدير واعتباره فيه بوجه من الوجوه تحرزا بالمرام
قطعا وقيل المراد بالتقدير الثاني هو التقدير للبقاء الى الاجل المسمى وايا ما كان فالجملة جارية مجرى التعليل
لما قبلها من الجمل المنتظمة مثلها في سلك الصلة فان خلقه تعالى لجميع الاشياء على ذلك النمط البديع
كما يقتضي استقلاله تعالى باتصافه بصفات الالوهية يقتضي انتظام كل ما سواه كائنا ما كان تحت
ملكوته القاهر بحيث لا يستبد بها شيء من ذلك قطعا ومن كان كذلك كيف يتوهم كونه ولدا له سبحانه
او شريكا في ملكه واتخذوا من دونه آلهة بعد ما بين حقيقة الحق ومطلع السورة الكريمة بذكر تنزيله
تعالى للفرقان العظيم على رسوله صلى الله عليه وسلم ووصفه تعالى بصفات الكمال وتنزهه عما لا
يليق بشانه الجليل عقب ذلك بحكاية اباطيل المشركين في حق المنزل سبحانه والمنزل عليه على الترتيب
واظهار بطلانها والاضمار من غير جريان ذكرهم للثقة بدلالة ما قبله من نفي الشريك عليهم اي
اتخذوا لانفسهم متجاوزين الله الذي ذكر بعض شئونه العظيمة من اختصاص ملك السموات والارض
به تعالى وانتفاء الولد والشريك عنه وخلق جميع الاشياء وتقديرها ابدع تقدير آلهة لا يخلقون
شيئا اي لا يقدرون على خلق شيء من الاشياء اصلا وهم يخلقون كسائر المخلوقات وقيل لا يقدرون
على ان يختلقوا شيئا وهم يختلقون حيث يختلقهم عبدتهم بالنحت والتصوير وقوله تعالى ولا
يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا لبيان ما لم يدل عليه ما قبله من مراتب عجزهم وضعفهم فان بعض
المخلوقين العاجزين عن الخلق ربما يملك دفع الضر وجلب النفع في الجملة كالحيوان وهؤلاء لا يقدرون
على التصرف في دفع ما ليدفعوه عن انفسهم ولا في نفع ما حتى يجلبوه اليهم فكيف يملكون شيئا
منهما لغيرهم وتقديم ذكر الضر لان دفعه مع كونه اهم في نفسه اول مراتب النفع واقدم منها
والتنصيص على قوله تعالى ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا اي لا يقدرون على التصرف في شيء

منها باماتة الاحياء واحياء الموتى وبعثهم بعد بيان عجزهم عما هو من هذه الامور من دفع الضر وجلب
النفع للتصريح بعجزهم عن كل واحد مما ذكر على التفصيل والتنبيه على ان الاله يجب ان يكون قادرا
على جميع ذلك وفيه ايذان بغاية جهلهم وسخافة عقولهم كانهم غير عارفين بانتفاء ما نفي عن آلهتهم من
الامور المذكورة مفتقرون الى التصريح بذلك وقال الذين كفروا ان هذا الا افك شروع في
حكاية اباطيلهم المتعلقة بالمنزل والمنزل عليه معا وابطالها والموصول اما عبارة عن غلاتهم في
الكفر والطغيان وهم النضر بن الحارث وعبد الله بن امية ونوفل بن خويلد ومن ضاهاهم وروي عن
الكلبي ومقاتل ان القائل هو النضر بن الحارث والجمع لمتابعة الباقين له في ذلك واما عن كلهم ووضع
الموصول موضع ضميرهم للذم بما في حيز الصلة والايذان بان ما تفوهوا به كفر عظيم وفي كلمة هذا حط
لرتبة المشار اليه اي ما هذا الا كذب مصروف عن وجهه افتراه يريدون انه اختلقه رسول الله
صلى الله عليه وسلم واعانه عليه اي على اختلاقه قوم آخرون يعنون اليهود بان يلقوا اليه اخبار
الامم الدارجة وهو يعبر عنه بعبارته وقيل جبر ويسار كانا يصنعان السيف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل
وقيل هو عداس وقد مر تفصيله في سورة النحل فقد جاءوا ظلما منصوب بجاءوا فان جاء واتى يستعملان
في معنى فعل فيعديان تعديته او بنزع الخافض وبظلم قاله الزجاج والتنوين للتفخيم اي جاءوا بما
قالوا ظلما هائلا عظيما لا يقادر قدره حيث جعلوا الحق البحت الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه افكا مفترى من قبل البشر وهو من جهة نظمه الرائق وطرزه الفائق بحيث لو اجتمعت
الانس والجن على مباراته لعجزوا عن الاتيان بمثل آية من آياته ومن جهة اشتماله على الحكم الخفية والاحكام
المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والامور الغيبية بحيث لا تناوله عقول البشر ولا تفي
بفهمه القوى والقدر وزورا اي كذبا كبيرا لا يبلغ غايته حيث نسبوا اليه صلى الله عليه وسلم
ما هو بريء منه والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها لكن لا على انهما امران متغايران حقيقة يقع
احدهما عقيب الآخر ويحصل بسببه بل على ان الثاني هو عين الاول حقيقة وانما الترتيب بحسب
التغاير الاعتباري وقد لتحقيق ذلك المعنى فان ما جاءوه من الظلم والزور هو عين ما حكي عنهم
لكنه لما كان مغايرا له في المفهوم واظهر منه بطلانا رتب عليه بالفاء ترتيب اللازم على الملزوم
تهويلا لامره وقالوا اساطير الاولين بعد ما جعلوا الحق الذي لا محيد عنه افكا مختلقا باعانة البشر
بينوا على زعمهم الفاسد كيفية الاعانة والاساطير جمع اسطار او اسطورة كاحدوثة وهي
ما سطره المتقدمون من الخرافات اكتتبها اي كتبها لنفسه على الاسناد المجازي او استكتبها وقرئ على
وقرئ على البناء للمفعول لانه صلى الله عليه وسلم امي واصله اكتتبها له كاتب فحذفت اللام وافضى
الفعل الى الضمير فصار اكتتبها اياه كاتب ثم حذف الفاعل لعدم تعلق الغرض العلمي بخصوصه وبني
الفعل للضمير المنفصل فاستتر فيه فهي تملى عليه اي تلقى عليه تلك الاساطير بعد اكتتابها ليحفظها
من افواه من يمليها عليه من ذلك المكتتب لكونه اميا لا يقدر على ان يتلقاها منه بالقراءة او تملى على
الكاتب على ان معنى اكتتبها اراد اكتتابها او استكتبها ورجع الضمير المجرور اليه صلى الله عليه وسلم
لاسناد الكتابة في ضمن الاكتتاب اليه صلى الله عليه وسلم بكرة واصيلا اي دائما او خفية قبل
انتشار الناس وحين يأوون الى مساكنهم انظر الى هذه الجراءة العظيمة قاتلهم الله انى يؤفكون
قل لهم ردا عليهم وتحقيقا للحق انزله الذي يعلم السر في السموات والارض وصفه تعالى باحاطة
علمه بجميع المعلومات الجلية والخفية للايذان بانطواء ما انزله على اسرار مطوية عن عقول البشر مع
ما فيه من التعريض بمجازاتهم بجناياتهم المحكية التي هي من جملة معلوماته تعالى اي ليس ذلك مما
يفترى ويفتعل باعانة قوم وكتابة آخرين من الاحاديث الملفقة واساطير الاولين بل هو
امر سماوي انزله الله تعالى الذي لا يعزب عن علمه شيء من الاشياء واودع فيه فنون الحكم والاسرار
على وجه بديع لا تحوم حوله الافهام حيث اعجزكم قاطبة بفصاحته وبلاغته واخبركم بمغيبات
مستقبلة وامور مكنونة لا يهتدى اليها ولا يوقف عليها الا بتوفيق العليم الخبير وقد جعلتموه
افكا مفترى من قبيل الاساطير واستوجبتم ان يصب عليكم سوط العذاب صبا فقوله تعالى
انه كان غفورا رحيما تعليل لما هو المشاهد من تاخير العقوبة اي انه تعالى ازلا وابدا مستمر على المغفرة
والرحمة المستتبعتين للتاخير ولذلك لا يعجل بعقوبتكم على ما تقولون في حقه مع كمال استيجابكم اياها
وغاية قدرته عليها وقالوا ما لهذا الرسول شروع في حكاية جناياتهم المتعلقة بخصوصية المنزل
عليه وما استفهامية بمعنى انكار الوقوع ونفيه مرفوعة على الابتداء خبرها ما بعدها من الجار
والمجرور وفي هذا تصغير لشانه صلى الله عليه وسلم وتسميته صلى الله عليه وسلم رسولا بطريق

الاستهزاء صلى الله عليه وسلم كما قال فرعون ان رسولكم الذي وقوله تعالى يأكل الطعام حال من الرسول والعامل
فيها ما عمل في الجار من معنى الاستقرار اي اي شيء واي سبب حصل لهذا الذي يدعي الرسالة حال كونه
يأكل الطعام كما نأكل ويمشي في الاسواق لابتغاء الارزاق كما نفعله على توجيه الانكار والنفي الى السبب
فقط مع تحقق المسبب الذي هو مضمون الجملة الحالية كما في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون وقوله
تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فكما ان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء محقق قد انكروا استبعد تحققه
لانتفاء سببه بل الوجود سبب نقيضه كذلك كل من الاكل والمشي بطريق التهكم والاستهزاء فانهم
لا يستبعدونهما ولا يكون سببهما حقيقة بل هم معترفون بوجودهما وتحقق سببهما وانما الذي
يستبعدونه الرسالة المنافية لهما على زعمهم بعنوان انه انضح ما يدعيه فما باله يخالف حاله
حالنا وما هو الا لعمههم وركاكة عقولهم وقصور انظارهم على المحسوسات فان تميز الرسل
عما عداهم ليس بامور جسمانية وانما هو بامور نفسانية كما اشير اليه بقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الي انما الهكم اله واحد لولا انزل اليه ملك اي على صورته وهيئته فيكون معه نذيرا تنزلوا منهم
عن اقتراح ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والشرب الى اقتراح ان يكون معه ملك يصدقه
ويكون ردءا له في الانذار وهو يعبر عنه وتفسير ما يقوله للعامة وقوله تعالى او يلقى اليه كنز
تنزل من تلك المرتبة الى اقتراح او يلقى اليه من السماء كنز يستظهر به ولا يحتاج الى طلب
المعاش ويكون ذلك دليلا على صدقه وقوله تعالى او تكون له جنة يأكل منها تنزل من تلك الرتبة
الى اقتراح ما هو ايسر منه واقرب من الوقوع وقرئ نأكل بنون الحكاية وفيه مزيد مكابرة وفرط
تحكم وقال الظالمون هم القائلون الاولون وانما وضع المظهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم
بالظلم وتجاوز الحد فيما قالوا لكونه اضلالا خارجا عن حد الضلال مع ما فيه من نسبته صلى الله
عليه وسلم الى المسحورية اي قالوا للمؤمنين ان تتبعون اي ما تتبعون الا رجلا مسحورا قد سحر فغلب
على عقله وقيل ذا سحر وهي الرئة اي بشرا لا ملكا على ان الوصف لزيادة التقرير والاول هو
الانسب بحالهم انظر كيف ضربوا لك الامثال استعظام للاباطيل التي اجترؤا على التفوه بها
وتعجيب منها اي انظر كيف قالوا في حقك تلك الاقاويل العجيبة الخارجة عن العقول الجارية
لغرابتها مجرى الامثال واخترعوا لك الصفات والاحوال الشاذة البعيدة من الوقوع فضلوا
اي عن طريق المحاجة حيث لم يأتوا بشيء يمكن صدوره عمن له ادنى عقل وتمييز فبقوا متحيرين
فلا يستطيعون سبيلا الى القدح في نبوتك بان يجدوا قولا يستقرون عليه وان كان باطلا في
نفسه او فضلوا عن الحق ضلالا مبينا فلا يجدون طريقا موصلا اليه فان من اعتاد امثال هذه
الاباطيل لا يكاد يهتدي الى استعمال المقدمات الحقة تبارك الذي اي تكاثر وتزايد خير الذي
ان شاء جعل لك في الدنيا عاجلا شيئا خيرا لك من ذلك الذي اقترحوه من ان يكون لك جنة
تأكل منها بان يعجل لك مثل ما وعدك في الآخرة وقوله تعالى جنات تجري من تحتها الانهار بدل
من خيرا محقق لخيريته مما قالوا لان ذلك كان مطلقا عن قيد التعدد وجريان الانهار
ويجعل لك قصورا عطف على محل الجزاء الذي هو جعل وقرئ بالرفع عطفا على نفسه لان الشرط
اذا كان ماضيا جاز في جزائه الرفع والجزم كما في قول القائل . وان اتاه خليل يوم مسالة . يقول
لا غائب مالي ولا حرم . ويجوز ان يكون استئنافا بوعد ما يكون له في الآخرة وقرئ بالنصب على انه
جواب بالواو وتعليق ذلك بمشيئته تعالى للايذان بان عدم جعلها بمشيئته المبنية على الحكم والمصالح
وعدم التعرض لجواب الاقتراحين للتنبيه على خروجهما عن دائرة العقل واستغنائهما عن الجواب لظهور
بطلانهما ومنافاتهما للحكمة بالكلية فان بعض الانبياء عليهم السلام قد اوتوا في الدنيا مع النبوة
ملكا عظيما بل كذبوا بالساعة اضراب عن توبيخهم بحكاية جناياتهم السابقة وانتقال منه الى
توبيخهم بحكاية جنايتهم الاخرى للتخلص الى بيان ما لهم في الآخرة بسببها من فنون العذاب بقوله
تعالى واعتدنا لمن كذب بالساعة الى آخره اي اعتدنا لهم نارا عظيمة شديدة الاشتعال
شأنها كيت وكيت بسبب تكذيبهم بها على ما يشعر به وضع الموصول موضع ضميرهم او لكل من كذب بها
كائنا من كان وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا ووضع الساعة موضع ضميرها للمبالغة
في التشنيع ومدار اعتاد السعير لهم وان لم يكن مجرد تكذيبهم الساعة بل مع تكذيبهم بسائر ما
جاءت به الشريعة الشريفة لكن الساعة لما كانت هي العلة القريبة لدخولهم السعير اشير
الى سببية تكذيبها لدخولها وقرئ وقيل هو عطف على ما قالوا اما لحقنا الى آخره على معنى بل اتوا
باعجب من ذلك حيث كذبوا بالساعة وانكروها والحال انا قد اعتدنا لكل من كذب بها سعيرا فان

جزاؤهم

جزاؤهم على التكذيب بها وعد من خوفهم بما اعد لمن كذب بها من انواع العذاب اعجب من القول السابق
وقيل هو متصل بما قبله من الجواب المبني على التحقيق المبني عن الوعد بالجنات في الآخرة مسوق لبيان
ان ذلك لا يجدي نفعا ولا يحصل به طائل على طريقة قول من قال . عوجوا لنعم فحيوا دمنة الدار . ماذا
تحيون من نؤي واحجار . والمعنى انهم لا يؤمنون بالساعة فكيف يقتنعون بهذا الجواب وكيف
يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وقيل المعنى بل كذبوا بها فقصرت انظارهم على
الحظوظ الدنيوية وظنوا ان الكرامة ليست الا بالمال وجعلوا فقرك ذريعة الى تكذيبك وقوله
تعالى اذا رأتهم الى آخره صفة للسعير اي اذا كانت منهم بمرأى الناظر في البعد كقوله صلى الله عليه
وسلم لا تتراءى نارهما اي لا يتقاربان بحيث يكون احدهما بمرأى من الآخر على المجاز كأن بعضها يرى
البعض فنسبة الرؤية اليها لا اليهم للايذان بان التغيظ والزفير منها لهيجان غضبها عليهم عند
رؤيتها اياهم حقيقة او تمثيلا وفي قوله تعالى من مكان بعيد اشعار بان بعد ما بينها وبينهم من
المسافة حين رأتهم خارج عن حدود البعد المعتاد في المسافات المعهودة وفيه مزيد تهويل لامرها
قال الكلبي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة سمعوا لها تغيظا وزفيرا اي صوت تغيظ على
تشبيه صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره وهو صوت يسمع من جوفه هذا وان الحياة لما لم تكن
مشروطة عندنا بالبنية امكن ان يخلق الله تعالى فيها حياة فترى وتتغيظ وتزفر وقيل ان ذلك لزبانيتها
فنسب اليها على حذف المضاف واذا القوا منها مكانا نصب على الظرفية ومنها حال منه لانه
في الاصل صفة له ضيقا صفة لمكانا مفيدة لزيادة شدة فان الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة
وهو السر في وصف الجنة بان عرضها السموات والارض . وعن ابن عباس وابن عمر رضي الله تعالى
عنهم تضيق جهنم عليهم كما يضيق الزج على الرمح . وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال والذي
نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط قال الكلبي الاسفلون يرفعهم اللهب
والاعلون يحطهم الداخلون فيزدحمون فيها وقرئ ضيقا بسكون الياء مقرنين حال من مفعول
القوا اي اذا القوا منها مكانا ضيقا حال كونهم مقرنين قد قرنت ايديهم الى اعناقهم بالجوامع وقيل
مقرنين مع الشياطين في السلاسل كل كافر مع شيطانه وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك اي في ذلك
المكان الهائل والحالة الفظيعة ثبورا اي يتمنون هلاكا وينادونه يا ثبوراه تعال فهذا حينك و
اوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا على تقدير قول اما منصوب على انه حال من فاعل دعوا اي دعوا
مقولا لهم ذلك حقيقة بان تخاطبهم الملائكة به لتنبيههم على خلود عذابهم فانهم لا يجابون الى ما يدعونه
ولا ينالون ما يتمنونه من الهلاك المنجي او تمثيلا وتصويرا لحالهم بحال من يقال له ذلك من غير
ان يكون هناك قول ولا خطاب اي دعوة حال كونهم احقاء بان يقال لهم ذلك واما مستأنفا
وقع جوابا عن سؤال ينسحب عليه الكلام كأنه قيل فماذا يكون عند دعائهم المذكور فقيل يقال لهم
ذلك اقناطا مما علقوا به اطماعهم من الهلاك وتنبيها على ان عذابهم الملجئ لهم الى استدعاء الهلاك
بالمرة ابدي لا خلاص لهم منه اي لا تقتصروا على دعاء ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا اي بحسب
كثرة الدعاء المتعلق به لا بحسب كثرته في نفسه فان ما يدعونه ثبور واحد في حد ذاته لكنه
كلما تعلق به دعاء من تلك الادعية الكثيرة صار كأنه ثبور مغاير لما تعلق به دعاء آخر وتحقيقه لا تدعوا مرة
ثبورا واحدا وادعوا ادعية كثيرة فان ما انتم فيه من العذاب لغاية شدته وطول مدته مستوجب
لتكرير الدعاء في كل آن وهذا ادل على فظاعة العذاب وهوله من جعل تعدد الدعاء وتجدده لتجدد
العذاب بتعدد انواعه والوانه او لتعدده بتجدد الجلود كما لا يخفى واما ما قيل من ان المعنى انكم
وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا انما هو ثبور كثير اما لان العذاب الوان وانواع كل نوع منها
ثبور لشدته وفظاعته او لانه كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم فلا يلائم
المقام كيف لا وهم انما يدعونه هلاكا ينهي عذابهم وينجيهم منه فلا بد ان يكون الجواب اقناطا
لهم عن ذلك ببيان استحالته وبيان ما يوجب استدعاءهم من العذاب الشديد وتقييد النهي باليوم
والامر لمزيد التهويل والتفظيع والتنبيه على انه ليس كسائر الايام المعهودة قيل تقريعا لهم
وتهكما بهم وتحسيرا على ما فاتهم قل اذلك اشارة الى ما ذكر من السعير باعتبار اتصافها بما فصل من
الاحوال الهائلة وما فيه من معنى البعد للاشعار بكونها في الغاية القاصية من الهول والفظاعة
اي قل لهم اذلك الذي ذكر من السعير التي اعتدت لمن كذب بالساعة وشأنها كيت وكيت
وشأن اهلها ذيت وذيت خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون اي وعدها المتقون فاضافة
الجنة الى الخلد للمدح وقيل للتمييز عن جنات الدنيا والمراد بالمتقين المتصفون بمطلق التقوى لا

لا بالمرتبة الثانية او الثالثة منها فقط كانت تلك الجنة لهم في علم الله تعالى او في اللوح او لان
ما وعده الله تعالى فهو كائن لا محالة محكي بتحققه ووقوعه جزاء وعلى اعمالهم حسبما من من الوعد
الكريم ومصيرا ينقلبون اليه لهم فيها ما يشاؤن اي ما يشاؤنه في فنون الملاذ والمشتهيات
وانواع النعيم كما في قوله تعالى ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولعل كل فريق منهم يقتنع بما اتيح له من
درجات النعيم ولا تمتد اعناق هممهم الى ما فوق ذلك من المراتب العالية فلا يلزم الحرمان ولا
تساوي مراتب اهل الجنان خالدين حال من الضمير المستكن في الجار والمجرور لاعتماده على المبتدا وقيل من
فاعل يشاؤن كان الخ اي ما يشاؤنه وقد قيل الوعد المدلول عليه بقوله تعالى وعد المتقون على ربك
وعدا مسئولا اي موعودا حقيقا بان ينال ويطلق لكونه مما يتنافس فيه المتنافسون او مسئولا
يسأله الناس في دعائهم بقولهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة بقولهم ربنا وادخلهم
جنات عدن التي وعدتهم وما في على من معنى الوجوب لامتناع الخلف في وعده تعالى ولا يلزم منه
الالجاء الى الانجاز فان تعلق الارادة بالموعود متقدم على الوعد الموجب للانجاز وفي التعرض
لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم من تشريفه والاشعار بانه صلى الله
عليه وسلم هو الغاية من انشاء الوعد الكريم ما لا يخفى ويوم يحشرهم نصب على انه مفعول
بمضمر مقدر معطوف على قوله تعالى قل اذلك الى اخره اي واذكر لهم بعد التقريع والتحسير
يوم يحشرهم الله عز وجل وتعليق التذكير باليوم مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث
الهائلة قد مر وجهه غير مرة او على انه ظرف لمضمر مؤخر قد حذف للتنبيه على كمال هوله وفظاعة
ما فيه والايذان بقصور العبارة عن بيانه اي يوم يحشرهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا
يفي ببيانه المقال وقرئ بنون العظمة بطريق الالتفات من الغيبة الى التكلم وبكسر الشين ايضا
وما يعبدون من دون الله اريد به ما يعم العقلاء وغيرهم اما بان يراد به ما هو موضوع للكل كما ينبئ
عنه انك اذا رأيت شبحا من بعيد تقول ما هو ولانه اريد به الوصف لا الذات كانه قيل ومعبودهم
او لتغليب الاصنام على غيرها تنبيها على انهم مثلها في السقوط عن رتبة العبودية واعتبارا
لغلبة عبدتها او اريد بها الملائكة والمسيح وعزير بقرينة السؤال والجواب او الاصنام ينطقها
الله تعالى او تكلم بلسان الحال كما قيل في شهادة الايدي والارجل فيقول اي الله عز وجل للمعبودين
اثر حشر الكل تقريعا للعبدة وتأكيدا وتبكيتا لهم وقرئ بالنون كما عطف عليه وقرئ هذا بالياء
والاول بالنون على طريق الالتفات الى الغيبة أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء بان دعوتموهم الى
عبادتكم كما في قوله تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ام هم ضلوا السبيل
اي عن السبيل بانفسهم لاخلالهم بالنظر الصحيح واعراضهم عن المرشد فحذف الجار واوصل
الفعل الى المفعول كقوله تعالى وهو يهدي السبيل والاصل الى السبيل او للسبيل وتقديم الضميرين
على الفعلين لما ان المقصود بالسؤال هو التصدي للفعل لا نفسه قالوا استئناف مبني على سؤال
نشأ من حكاية السؤال كانه قيل فماذا قالوا في الجواب فقيل قالوا سبحانك تعجبا لما قيل لهم لانهم
اما ملائكة معصومون او جمادات لا قدرة لها على شيء او اشعارا بانهم الموسومون بتسبيحه
تعالى وتوحيده فكيف يتأتى منهم اضلال عباده او تنزيها له عن الانداد ما كان ينبغي لنا اي ما
صح وما استقام لنا ان نتخذ من دونك اي متجاوزين اياك من اولياء نعبدهم لما بنا من الحالة
المنافية له فانى يتصور ان نحمل غيرنا على ان يتخذ وليا وغيرك فضلا ان يتخذنا اولياء اي ان نتخذ من
دونك اولياء اي اتباعا فان الولي كما يطلق على المطبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الاعلى
والاسفل ومنه اولياء الشيطان اي اتباعه وقرئ على البناء للمفعول من المتعدي الى المفعولين كما
في قوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومفعوله الثاني من اولياء وعلى ان من للتبعيض اي نتخذ
بعض اولياء وهي على الاول مزيدة وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء مخصوصون وهم الجن والاصنام
ولكن متعتهم واباءهم استدراك مسوق لبيان انهم هم الضالون بعد بيان تنزههم عن اضلالهم
ولقد نعى عليهم صنيعهم حيث جعلوا اسباب الهداية اسبابا للضلالة اي ما اضللناهم ولكن متعتهم
واباءهم بانواع النعم كي يعرفوا ويشكروها فاستغرقوا في الشهوات وانهمكوا فيها حتى نسوا
الذكر اي غفلوا عن ذكرك وعن التذكر في الايات والتدبر في اياتك فجعلوا اسباب الهدايات
بسوء اختيارهم ذريعة الى الغواية وكانوا اي في قضائك المبني على علمك الازلي المتعلق بما سيصدر
عنهم فيما لا يزال باختيارهم من الاعمال السيئة قوما بورا هالكين على ان بورا على مصدر وصف به
الفاعل مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والجمع وجمع بائر كعوذ في عائذ والجملة اعتراض تذييلي

مقرر لمضمون ما قبله وقوله تعالى فقد كذبوكم حكاية لاحتجاجه تعالى على العبدة بطريق تلوين
الخطاب وصرفه عن المعبودين عند تمام جوابهم وتوجيهه الى العبدة مبالغة في تقريعهم وتبكيتهم على
تقدير قول مرتب على الجواب اي فقال الله تعالى عند ذلك فقد كذبكم المعبودون ايها الكفرة بما تقولون
اي في قولكم انهم الهة وقيل في قولكم هؤلاء اضلونا والباء ان يكن بمعنى في هذا القول لا تعلق له بما بعده
من عدم استطاعتهم للصرف والنصر اصلا وانما الذي يستتبعه تكذيبهم في زعمهم انهم الهتهم وناصروهم
واياما كان فالباء بمعنى في او هي صلة للتكذيب على ان الجار والمجرور بدل اشتمال من الضمير المنصوب
وقرئ بالياء اي كذبوكم بقولهم سبحانك الاية فما يستطيعون اي ما يملكون صرفا اي دفعا للعذاب عنكم
بوجه من الوجوه كما يعرب عنه التنكير اي لا بالذات ولا بالواسطة وقيل حيلة من قولهم انه ليتصرف
في اموره اي يحتال فيها وقيل توبة ولا نصرا اي فردا من افراد النصر لا من جهة انفسكم ولا من جهة
غيركم والفاء لترتيب عدم الاستطاعة على ما قبلها من التكذيب لكن لا على معنى انه لولاه لوجدت
الاستطاعة حقيقة بل في زعمهم حيث كانوا يزعمون كانوا يدفعون عنهم العذاب وينصرونهم وفيه
ضرب تهكم بهم وقرئ يستطيعون على صيغة الغيبة اي ما يستطيع الهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او
يحتالوا لكم ولا ان ينصروكم ورتب ما بعد الفاء على ما قبلها كما مر بيانه ومن يظلم منكم ايها المكلفون
كهؤلاء حيث ركبوا متن المكابرة والعناد واستمروا على ما هم عليه من الفساد وتجاوزوا في اللجاج
كل حد معتاد نذقه في الاخرة عذابا كبيرا لا يقادر قدره وهو عذاب النار وقرئ نذقه على ان الضمير
لله سبحانه وقيل للمصدر الفعل الواقع شرطا وتعميم الظلم لا يستلزم اشتراك الفاسق للكافر في
اذاقة العذاب الكبير فان الشرط في اقتضاء الجزاء مقيد بعدم المزاحم وفاقا وهو التوبة والاحباط بالطاعة
اجماعا وبالعفو عندنا وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق
جواب عن قولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق والجملة الواقعة بعد الا صفة
لموصوف قد حذف ثقة بدلالة الجار والمجرور عليه واقيمت هي مقامه كما في قوله تعالى وما منا
الا له مقام معلوم والمعنى ما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا اكلين وماشين وقيل هي حال
والتقدير الا وانهم ليأكلون الى اخره الا انهم ليأكلون وقرئ يمشون على البناء للمفعول اي تمشيهم حوائجهم
او الناس وجعلنا بعضكم تلوين للخطاب بتعميمه لسائر الرسل عليهم السلام بطريق
التغليب والمراد بهذا البعض كفار الامم فان اختصاصهم بالرسل وتبعيتهم لهم مصحح لان يعدوا
بعضا منهم وبما في قوله تعالى لبعض رسلهم لكن لا على معنى جعلنا مجموع البعض الاول فتنة اي
ابتلاء ومحنة لمجموع البعض الثاني ولا على معنى جعلنا كل فرد من افراد البعض الثاني ولا على معنى جعلنا
بعضا منها من الاولين فتنة لبعض منهم من الاخرين ضرورة ان مجموع الرسل من حيث هو مجموع غير
مفتونين بمجموع الامم ولكن لفرد منهم بكل فرد من الامم ولا بعض منهم من الاولين لبعض منهم
من الاخرين بل على معنى جعلنا كل بعض معين من الامم فتنة لبعض معين من الرسل كانه قيل وجعلنا
كل امة مخصوصة من الامم الكافرة فتنة لرسولها المعين المبعوث بما لم يصرح بذلك تعويلا على شهادة
الحال هذا وما تعميم الخطاب لجميع المكلفين وابقاء البعضين على العموم والابهام على معنى وجعلنا بعضكم
ايها الناس فتنة لبعض اخر منكم فيأباه قوله تعالى أتصبرون فانه غاية للجعل ومن البين ان ليس
ابتلاء كل احد من احاد الناس معنيا بالصبر بل بما يناسب حاله على ان الاقتصار على الاقتصار على
ذكره من غير تعرض لما له مما يدل على اللائق بحال المفتونين والمتوقع حضور صدوره عنهم هو الصبر
لا غير فلا بد ان يكون المراد بهم الرسل فيحصل به تسليته صلى الله عليه وسلم فالمعنى جرت سنته لا بموجب
كلمتنا على ابتلاء المرسلين بامهم وبمناصبتهم لهم العداوة وايذائهم لهم وباقاويلهم الخارجة
عن حدود الانصاف لنعلم صبركم وقوله تعالى وكان ربك بصيرا وعد كريم للرسول صلى الله عليه
وسلم بالاجر الجزيل لصبره الجميل مع مزيد تشريف له صلى الله عليه وسلم بالالتفات الى اسم
الرب مضافا الى ضميره صلى الله عليه وسلم وقال الذين لا يرجون لقاءنا شروع في حكاية بعض
اخر من اقاويلهم الباطلة وبيان بطلانها اثر ابطال اباطيلهم السابقة والجملة معطوفة على
قوله تعالى وقالوا ما لهذا الرسول الى اخره ووضع الموصول موضع الضمير للتنبيه بما في حيز الصلة
على ان ما يحكى عنهم من الشناعة بحيث لا يصدر عمن يعتقد المصير الى الله عز وجل ولقاء الشيء عبارة
عن مصادفته من غير ان يمنع مانع عن ادراكه بوجه من الوجوه والمراد بلقائه تعالى اما الرجوع
اليه تعالى بالبعث والحشر ولقاء حسابه تعالى كما في قوله تعالى اني ظننت اني ملاق حسابيه
وعدم رجائهم اياه عدم توقعهم له اصلا لانكارهم البعث والحساب بالكلية لعدم املهم حسن

اللقا لان عدمها غير مستلزم لما هم عليه من العتو والاستكبار دوان كان البعث والحساب لا ترجوا
اي وقال الذين لا يتوقعون الرجوع الينا اي حسابنا المؤدي الى سوء العذاب الذي يستوجبه مقالتهم
لولا انزل علينا الملئكة اي هلا انزلوا علينا ليخبرونا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هلا
انزلوا علينا بطريق الرسالة وهو الانسب بقولهم اونرى ربنا من حيث ان كلا القولين ناشي عن
عن غلبة غلوهم في المكابرة والعتو حسبما يعرب عنه قوله تعالى لقد استكبروا في انفسهم اي في شانهم حتى
اجترؤا على التفوه بمثل هذه العظيمة الشنعاء وعتوا اي تجاوزوا الحد في الظلم والطغيان عتوا كبيرا
بالغا اقصى غاياته حيث املوا نيل مرتبة المفاوضة الالهية من غير توسط الرسل والملك كما قالوا
لولا يكلمنا الله ولم يكتفوا بما عاينوا من المعجزات القاهرة التي تخر لها صم الجبال فذهبوا الى اقتراح
كل مذهب حتى منتهم انفسهم الخبيثة اماني لا يكاد يدنوا اليها احداق الادم ولا تمتد اليها احداق
الهمهم ولا ينالها الا اولوا العزائم الماضية من الانبيا عليهم الصلاة والسلام واللام جواب قسم
محذوف اي والله لقد استكبروا الاية وفيه من الدلالة على غاية قبح ما هم عليه والاشعار
بالتعجب من استكبارهم وعتوهم ما لا يخفى يوم يرون الملئكة استيناف مسوق لبيان ما يلقونه
عند مشاهدتهم لما اقترحوه من نزول الملئكة عليهم السلام بعد استعظامه وبيان كونه في غاية
ما يكون من الشناعة وانما قيل يوم يرون دون ان يقال يوم تنزل الملئكة ايذانا من اول الامر بان
رؤيتهم لهم ليست على طريق الاجابة الى ما اقترحوه بل على وجه اخر غير معهود ويوم منصوب على
الظرفية بما يدل عليه قوله تعالى لا بشرى يومئذ للمجرمين فانه في معنى لا يبشر يومئذ المجرمون
والعدول الى نفي الجنس للمبالغة في نفي البشرى وما قيل من انه بمعنى يمنعون البشرى ويعدمونها
تهوين للخطب في مقام التهويل فان منع البشرى وفقدانها مشعر بان هناك بشرى يمنعونها
ويفقدونها واين هذا من نفيها بالكلية وحيث كان نفيها كناية عن اثبات ضدها كما ان نفي المحبة
في مثل قوله تعالى والله لا يحب الكافرين كناية عن البغض والمقت دل على ثبوت النذرى على
على ابلغ وجه واكده وقيل منصوب بفعل مقدر يكره لبشرى على ان لا غير نافيه للجنس وقيل
منصوب على المفعولية بمضمر مقدم عليه اي اذكر يوم يرونهم الملئكة ويومئذ على كل حال
تكرير للتاكيد والتهويل مع ما فيه من الايذان بان تقديم الظرف للاهتمام لا لقصد نفي البشرى
على ذلك الوقت فقط وان ذلك مخل بتفظيع حالهم وللمجرمين تبيين على انه مظهر وضع موضع
الضمير تسجيلا عليهم بالاجرام مع ما هم عليه من الكفر وحمله على العموم بحيث لا يتناول الفساق
المؤمنين ثم الالتجا في اخراجهم عن الحرمان الحمل الى ان نفي البشرى حينئذ لا يستلزم نفيه في جميع
الاوقات فيجوز ان يبشروا بالعفو والشفاعة في وقت اخر بمعزل من الحق بعيد ويقولون عطف
على ما ذكر من الفعل المنفي المنبي عن كمال فظاعة ما يحيق بهم من الشر وغاية هول مطلعه ببيان
انهم يقولون عند مشاهدتهم له حجرا محجورا وهي كلمة يتكلمون بها عند لقاء عدو موتور وهجوم
نازلة مهولة يضعونها موضع الاستعاذة حيث يطلبون من الله تعالى ان يمنع المكروه فلا
يلحقهم وكان المعنى نسال الله تعالى ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وكسر الحا تصرف فيه لاختصاصه
بموضع واحد كما في قعدك وعمرك وقرئ حجرا بالضم والمعنى انهم يطلبون والملئكة عليهم السلام
ويفتقدونه وهم اذا راوهم كرهوا لقاءهم اشد كراهة وفزعوا فزعا شديدا وقالوا ما كانوا يقولون
عند نزول خطب شنيع وحلول باس فظيع ومحجورا وارد للتاكيد كما قالوا ذيل ذايل وليل
اليل وقيل يقولها الملئكة مقنطا للكفرة بمعنى حراما محرما عليكم الغفران او الجنة او البشرى اي جعل
الله ذلك حراما عليكم وليس بواضح وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا بيان لحال
ما كانوا يعملونه في الدنيا من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من
مكارمهم ومحاسنهم التي لو كانوا عملوها مع الايمان لنالوا ثوابها بتمثيل حالهم وحال اعمالهم المذكورة
بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اسبابهم وقصد الى ما تحت ايديهم فافنى عليها
بالافساد والتحريق ومزقها كل ممزق بحيث لم يبق لها عينا ولا اثرا اي عمدنا اليها وابطلناها اي
اظهرنا بطلانها بالكلية من غير ان يكون هناك قدوم على شيء ولا نحو ويقصد تشبيهه به غبار
يرى في شعاع الشمس يطلع من الكوة من الهبوط وهي الغبار منثورا صفته تشبيه به اعمالهم به
الحبطة في الحقارة وعدم الجدوى ثم بالمنثور منه في الانتشار بحيث لا يمكن نظمه او مفعول
ثالث من حيث انه كالخبر بعد الخبر كما في قوله تعالى كونوا قردة خاسئين اصحاب الجنة هم المؤمنون
المشار اليهم بقوله تعالى اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون الى اخره يومئذ اي يوم اذ يكون

اذ يكون ما ذكر من عدم التبشير وقولهم حجرا محجورا وجعل اعمالهم هباء منثورا خير مستقرا المستقر
المكان الذي يؤوى اليه للاستراحة في الازواج والتمتع بمغازلتهن سمي بذلك لما ان التمتع به يكون
وقت القيلولة غالبا وقيل لانه يفرغ من الحساب في منتصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنة في الجنة
واهل النار في النار وفي وصفه بزيادة الحسن مع حصول الخيرية بعطفه على المستقر رمز الى انه
مزين بفنون الزين والزخارف والتفضل المعتبر فيهما اما لارادة الزيادة على الاطلاق اي هم في
اقصى ما يكون من خيرية المستقر وحسن المقيل واما بالاضافة الى ما للكفرة المتنعمين في الدنيا او الى
ما لهم في الاخرة بطريق التحكم بهم كما مر في قوله تعالى قل اذلك خير الاية هذا وقد جوز ان يراد
باحدهما المصدر او الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم اطيب ما يتخيل من الامكنة والازمنة
ويوم تشقق السماء اي تتفتح واصله تتشقق فحذف احدى التائين كما في تلظى وقرئ بادغام التا
وقرئ بادغام التا في الشين بالغمام بسبب طلوع الغمام منها وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى
هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملئكة قيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابة
ولم يكن الا لبني اسرائيل ونزل الملئكة تنزيلا اي تنزيلا عجيبا غير معهود قيل تشقق سما سما
وتنزل الملئكة خلال ذلك الغمام بصحائف اعمال العباد وقرئ ونزلت الملئكة وتنزل وتنزل
على صيغة المتكلم من الانزال والتنزيل وتنزلت الملئكة ونزل الملئكة وتنزل الملئكة على حذف النون
الذي هو فا الفعل من تنزل الملك يومئذ الحق للرحمن اي السلطانة القاهرة والاستيلاء الكلي العام
الثابت الصورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له اصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدا
والحق صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدا وفائدة التقييد ان ثبوت الملك
المذكور له تعالى خاصة يومئذ واما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف صوري في
الجملة وقيل مبتدا والحق خبره وللرحمن متعلق بالحق او بمحذوف هو صفة للحق ويومئذ معمول الملك
وقيل الخبر يومئذ والحق نعت للملك والرحمن على ما ذكر واياما كان فالجملة بمعناها عاملة في الظرف اي
ينفرد الله بالملك يوم تشقق ٭ وقيل الظرف منصوب بما ذكر فالجملة حينئذ استيناف مسوق لبيان
احواله واهواله وايراده تعالى بعنوان الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون
خطب الكفرة لعدم استحقاقهم للرحمة كما في قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم والمعنى ان
الملك الحقيقي يومئذ للرحمن وكان ذلك اليوم مع كون الملك فيه لله تعالى المبالغ في الرحمة لعباده
يوما على الكافرين عسيرا شديدا لهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل واما المؤمنين
فيكون يسيرا بفضل الله تعالى وقد جاء في الحديث انه يهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون
اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله ويوم يعض
الظالم على يديه عض اليدين والانامل واكل البنان وحرق الاسنان ونحوها كنايات عن الغيظ
والحسرة لانها من روادفهما والمراد بالظالم اما عقبة ابن ابي معيط على ما قيل من انه كان يكثر مجالسة
النبي صلى الله عليه وسلم فدعاه يوما الى ضيافته فابى صلى الله عليه وسلم ان ياكل من طعامه حتى
ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي ابن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات فقال لا ولكن ابى ان ياكل
من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له فقال اني لا ارضى عنك الا ان تاتيه فتطا قفاه
وتبزق في وجهه فاتاه فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لا القاك
خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فاسر يوم بدر فامر عليا رضي الله تعالى عنه فقتله وقيل
قتله عاصم بن ثابت الانصاري وطعن صلى الله عليه وسلم ابيا يوم احد في المبارزة فرجع الى مكة
ومات واما جنس الظالم وهو داخل فيه دخولا اوليا وقوله تعالى يقول الى اخره حال من فاعل
يعض وقوله تعالى يا ليتني الى اخره محكي به ويا اما لمجرد التنبيه من غير قصد الى تعيين المنبه او المنادى
محذوف اي يا قوم ويا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا اي طريقا واحدا منجيا من هذه الورطات
وهو طريق الحق ولم تتشعب بي طرق الضلالة او حصلت في صحبته صلى الله عليه وسلم طريقا ولم اكن
ضالا لا طريق لي قطعا يا ويلتي بقلب ياء المتكلم الفا كما في صحاري ومداري وقرئ على الاصل يا ويلتي اي
هلكتي تعالي واحضري فهذا اوانك ليتني لم اتخذ فلانا خليلا يريد من اضله في الدنيا فان فلانا
كناية عن الاعلام كما ان هنا كناية عن الاجناس وقيل فلان كناية عن علم ذكور من يعقل وفلانة عن علم
اناثهم وفل كناية عن نكرة من يعقل من الذكور وفلة عمن يعقل من الاناث والفلان والفلانة عن غير العاقل
ويختص فل بالنداء الا في ضرورة كما في قوله ٭ في لجة امسك فلانا عن فل ٭ وقوله ٭ خدا حدا نا زعن
فل وفلان ٭ وليس فل مرخما من فلان خلافا للفرا واختلفوا في لام فل وفلان فقيل واو وقيل ياء

تعقيبه وكثنا الاوقات للتجالس والتحادث
واحسن تقليد العقيل الحاذق النحرير

فان اريد بالظالم عقبة ففلانا كناية عن ابي وان اريد به الجنس فهو كناية عن علم كل من يضله كما بينا
من كان من شياطين الجن والانس هذا التمني منه وان كان مسوقا لابراز الندم والحسرة لكنه متضمن
لنوع تعلل واعتذار بتوسيله جنايته الى الغير وقوله تعالى لقد اضلني عن الذكر تعليل لتمنيه المذكور
وتوضيح لتعلله وتصديره باللام القسمية للمبالغة في بيان خطايه واظهار ندمه وحسرته اي
والله لقد اضلني عن ذكر الله تعالى او عن القران او عن موعظة الرسول صلى الله عليه وسلم او كلمة
الشهادة بعد اذ جاءني وتمكنت منه وقوله تعالى وكان الشيطان للانسان خذولا اي مبالغا في الخذلان
حيث يواليه حتى يؤديه الى الهلاك ثم يتركه ولا ينفعه اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اما من جهته تعالى
او من تمام كلام الظالم على انه سمى خليله شيطانا بعد وصفه بالاضلال الذي هو اخص الاوصاف
الشيطانية او على انه اراد بالشيطان ابليس لانه الذي حمله على مخالة المضلين ومخالفة الرسول صلى الله
عليه وسلم بوسوسته واغوايه فان وصفه بالخذلان يشعر بانه كان يعده في الدنيا ويمنيه بان ينفعه
في الاخرة وهو اوفق لحال ابليس وقال الرسول عطف على قوله تعالى قال الذين لا يرجون لقاءنا وما
بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحيق بهم في الاخرة من الاهوال والخطوب وايراده
صلى الله عليه وسلم بعنوان الرسالة لتحقيق الحق والرد على نحورهم حيث كان ما يحكى عنهم قدحا في نبوته
صلى الله عليه وسلم اي قال الرسول اثر ما شاهد منهم غاية العتو ونهاية الطغيان
بطريق البث الى ربه عز وجل يا رب ان قومي يعني الذين حكى عنهم ما حكى من الشنايع اتخذوا هذا القران
الذي من جملته هذه الايات الناطقة بما يحيق بهم في الاخرة من فنون العقاب كما تنبي عنه كلمة الاشارة
مهجورا اي متروكا بالكلية ولم يؤمنوا به ولم يرفعوا اليه راسا ولم يتاثروا بوعيده وفيه تلويح بان
من حق المؤمن ان يكون كثير التعاهد للقران اي كيلا يندرج تحت ظاهر النظم الكريم فانه روي عنه صلى
الله عليه وسلم من تعلم القران وعلق مصحفا لم ينظر فيه جاء يوم القيمة متعلقا به يقول يا رب العالمين
عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه اما على زعمهم
الباطل واما بان هجروا فيه اذا سمعوه كما يحكى عنهم من قولهم لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وقيل
ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا وهذيانا وفيه من التحذير والتخويف
ما لا يخفى فان الانبياء عليهم السلام اذا شكوا الى الله تعالى قومهم عجل لهم العذاب ولم ينظروا وقوله تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحمل له على الاقتداء
بمن قبله من الانبياء عليهم السلام الذين هم اصحاب الشريعة والدعوة اليها عدوا من مجرمي قومهم فاصبر
كما صبروا وقوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا وعد كريم له صلى الله عليه وسلم بالهداية الى كافة
مطالبه والنصر على اعدائه اي كفاك مالك امرك ومبلغك الى الكمال هاديا لك الى ما يوصلك الى غاية
الغايات التي من جملتها تبليغ الكتاب اجله واجراء احكامه في اكناف الدنيا الى يوم القيمة ونصيرا لك
على جميع من يعاديك وقال الذين كفروا حكاية لاقتراحهم الخاصة بالقران الكريم بعد حكاية اقتراحهم في
حقه صلى الله عليه وسلم والقائلون هم القائلون اولا وايرادهم بعنوان الكفر لذمهم به والاشعار
بعلة الحكم لولا نزل عليه القران التنزيل هاهنا مجرد عن معنى التدريج كما في قوله تعالى يسالك اهل
الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء ويجوز ان يراد به الدلالة على كثرة المنزل في نفسه اي هلا انزل كله
جملة واحدة ككتب الثلاثة وبطلان هذه الكلمة الحمقاء مما لا يكاد يخفى على احد فان الكتب المتقدمة
لم يكن شاهد صحتها ودليل كونها من عند الله تعالى اعجازها واما القران العظيم فبينة صحته وآية كونه
من عند الله تعالى نظمه المعجز الباقي على مر الدهور المتحقق في كل جزء من اجزائه المقدر بمقدار اقصر
السور حسبما وقع به التحدي ولا ريب في ان ما يدور عليه فلك الاعجاز هو المطابقة لما
تقتضيه الاحوال ومن ضرورة تغيرها وتجددها تغير ما يطابقها حتما على ان فيه فوايد جمة قد
اشير الى بعض منها بقوله تعالى كذلك لنثبت به فؤادك فانه استيناف وارد من جهته تعالى لرد
مقالتهم الباطلة وبيان الحكمة في التنزيل التدريجي ومحل الكاف النصب على انها صفة
لمصدر مؤكد معلل بما بعده وذلك اشارة الى ما يفهم من كلامهم اي مثل ذلك التنزيل المفرق الذي
قدحوا فيه نزلناه لا تنزيلا مغايرا له لنقوي بذلك التنزيل المفرق فؤادك فان فيه تيسير الحفظ
النظم وفهم المعاني وضبط الاحكام على تفاصيل ما روعي فيها من الحكم والمصالح المبنية على المناسبة
على انها منوطة باسبابها الداعية الى شرعها ابتداء او تغييرها بالنسخ من احوال المكلفين ولذلك عامة ما
ورد في القران المجيد من الاخبار وغيرها متعلقة بامور حادثة من الاقاويل والافاعيل ومن قضية تجددها
تجدد ما يتعلق بها كالاقتراحات الواقعة من الكفرة الداعية الى حكايتها وابطالها وبيان ما يؤول اليه

حالهم

حالهم في الاخرة على انهم في هذا الاقتراح كالباحث عن حتفه بظلفه حيث امروا بالاتيان بمثل
نوبة من نوب التنزيل فظهر عجزهم عن المعارضة وضاقت عليهم الارض بما رحبت فكيف لو
تحدوا بالكل وقوله تعالى ورتلناه ترتيلا عطف على ذلك المضمر وتنكير ترتيلا للتفخيم اي كذلك
نزلناه ورتلناه ترتيلا بديعا لا يقادر قدره ومعنى ترتيله تفريقه اية بعد اية قاله النخعي و
الحسن وقتادة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بيناه بيانا فيه ترتيل وتثبت وقال السدي
فصلناه تفصيلا وقال مجاهد جعلنا بعضه اثر بعض وقيل هو الامر بترتيل قراءته وقوله تعالى
ورتل القران ترتيلا وقيل قراناه عليك بلسان جبريل شيئا فشيئا في عشرين او في ثلاث وعشرين سنة
على تؤدة وتمهل ولا ياتونك بمثل من الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة
لذلك مجرى الامثال التي من جملتها ما حكي من اقتراحاتهم القبيحة الخارجة عن دايرة العقول الجارية
مجرى الامثال اي لا ياتونك بكلام عجيب هو مثل في البطلان يريدون به القدح في حقك
وحق القران الا جيناك في مقابلته بالحق اي بالجواب الحق الثابت الذي ينحي عليه بالابطال ويحسم
مادة القيل والقال كما مر من الاجوبة الحقة لعروق اسئلتهم الشنيعة الدامغة لها بالكلية
وقوله تعالى واحسن تفسيرا عطف على الحق اي جيناك باحسن تفسيرا او على محل بالحق واحسن تفسيرا
اي بيانا وتفصيلا على انه في غاية ما يكون من الحق في مدناته لان ما ياتون به له حسن في الجملة وهذا
احسن منه كما مر والاستثناء مفرغ محله النصب على الحالية لا ياتونك بمثل الا حال اتياننا
اياك الحق الذي لا محيد عنه وفيه من الدلالة على المسارعة الى ابطال ما ياتون به وتثبيت فؤاده
صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وهذا بعبارته وفيه من الدلالة على المسارعة الى اتيانها او توابه
ناطق ببطلان جميع الاسيلة وبصحة جميع الاجوبة وباشارته منبئ عن بطلان السؤال الاخير وصحة
جوابه اذ لولا ان تنزيل القران على التدريج لما امكن ابطال تلك الاقتراحات الشنيعة ولما
حصل تثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم من تلك الحيثية هذا وقد جوز ان يكون المثل عبارة عن
الصفة الغريبة التي كانوا يقترحون كونه عليه السلام عليها من مقارنة الملك والاستغناء عن الاكل
والشرب وحيازة الكنز والجنة ونزول القران عليه جملة واحدة على معنى لا ياتونك بحالة عجيبة
يقترحون اتصافك بها قائلين هلا كان على هذه الحالة الا اعطيناك نحن من الاحوال الممكنة لك ما يحق
لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته وهو الذي
انت عليه في الذات والصفات ويأباه الاستثناء المذكور فان المتبادر منه ان يكون ما اعطاه الله
تعالى من الملكات السنية اللايقة بالرسالة قد اتاه اول الامر لا بمقابلة ما حكي عنهم من الاقتراحات
لابطالها ودفعها وابطالها الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اي يحشرون كائنين على وجوههم يسحبون
عليها ويجرون الى جهنم وقيل مقلوبين وجوههم على قفاهم وارجلهم الى فوق روي انه صلى الله عليه
وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اثلاث ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على
اقدامهم ينسلون نسلا واما ما قيل متعلقة قلوبهم بالسفليات متوجهة وجوههم اليها فبعيد
لان هول ذلك اليوم ليس بحيث يبقى لهم عنده تعلق بالسفليات او توجه اليها في الجملة ومحل
الموصول اما النصب او الرفع على الذم او الرفع على الابتداء وقوله اولئك بدل منه او بيان له
وقوله شر مكانا واضل سبيلا خبر له او اسم الاشارة مبتدا ثان وشر خبره والجملة خبر الموصول
ووصف السبيل بالضلال من باب الاسناد المجازي للمبالغة والمفضل عليه الرسول صلى الله عليه
وسلم على منهاج قوله تعالى قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه
كانه قيل ان حاملهم على هذه الاقتراحات تحقير مكانه صلى الله عليه وسلم وتضليل سبيله ولا يعلمون
حالهم ليعلموا انهم شر مكانا واضل سبيلا وقيل هو متصل بقوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا
واحسن مقيلا ولقد اتينا موسى الكتاب جملة مستانفة سيقت لتاكيد ما مر من التسلية والوعد
بالهداية والنصر في قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا بحكاية ما جرى بين من ذكر من الانبياء
عليهم السلام وبين قومهم حكاية اجمالية كافية فيما هو المقصود واللام جواب لقسم محذوف
اي وبالله لقد اتينا موسى التوراة اي انزلناها عليه بالاخرة وجعلنا معه الظرف متعلق بجعلنا
وقوله تعالى اخاه مفعول اول له وقوله تعالى هارون بدل من اخاه او عطف بيان له على عكس ما
وقع في سورة طه وقوله تعالى وزيرا مفعول ثان له وقد مر تحقيق معنى الوزير اي جعلناه في اول
الامر وزيرا له فقلنا لهما حينئذ اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا هم فرعون وقومه والايات
هي المعجزات التسع المفصلات الظاهرة على يدي موسى عليه الصلاة والسلام ولم يوصف القوم

لهما عند ارسالهما اليهم بهذا الوصف صورة تاخر تكذيب الايات عن اظهارهما المتاخر عن ذهابهما
المتاخر عن الامر فاريناهم اياتنا كلها تكذيبا فدمرناهم اثر ذلك التكذيب المستتبع تدميرا تدميرا
عجيبا هائلا لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه فاقتصر على حاشيتي القصة اكتفاء بما هو المقصود
وحمل قوله تعالى فدمرناهم على معنى فحكمنا بتدميرهم مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا وجه له اذ لا فائدة
يعتد بها في حكاية الحكم بتدمير قد وقع فاقتضى والتعرض في مطلع القصة لايتاء الكتاب مع انه
كان بعد مهلك القوم ولم يكن له مدخل في هلاكهم كسائر الايات للايذان من اول الامر ببلوغه
عليه السلام غاية الكمال ونيله نهاية الامال التي هي انجاء بني اسرائيل من ملكة فرعون وارشادهم
الى طريق الحق بما في التوراة من الاحكام اذ به يحصل تاكيد الوعد بالهداية على الوجه الذي مر بيانه
وقرئ فدمرتهم وفدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيل وقوم نوح منصوب بمضمر
يدل عليه قوله تعالى فدمرناهم اي ودمرنا قوم نوح وقيل على مفعول فدمرناهم وليس من ضرورة
ترتب تدميرهم على ما قبله تدمير هؤلاء عليه لا سيما وقد بين سببه بقوله تعالى لما كذبوا الرسل
اي نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده لان تكذيبه تكذيب للكل لاتفاقهم على التوحيد
والاسلام وقيل هو منصوب بمضمر يفسره قوله تعالى اغرقناهم وانما يتسنى ذلك على تقدير كون
كلمة لما ظرفا زمانيا واما على تقدير كونها حرف وجود لوجود فلا لانه حينئذ جواب لها وجواب لما
لا يفسر ما قبله مع انه مخل بعطف المنصوبات الاتية على قوم نوح لما ان اهلاكهم ليس بالاغراق
فالوجه ما تقدم وقوله تعالى اغرقناهم استئناف مبين لكيفية تدميرهم وجعلناهم اي جعلنا
اغراقهم او قصتهم للناس اية اي اية عظيمة يعتبر بها كل من شاهدها او سمعها وهو مفعول
ثان لجعلنا وللناس ظرف لغو له او متعلق بمحذوف وقع حالا من اية اذ لو تأخر عنها لكان صفة
لها واعتدنا للظالمين اي لهم والاظهار في موقع الاضمار للايذان بتجاوزهم الحد في الكفر والتكذيب
عذابا اليما هو عذاب الاخرة اذ لا فائدة في الاخبار باعتاد العذاب الذي قد اخبر بوقوعه من قبل
او لجميع الظالمين الباقين الذين لم يعتبروا بما جرى عليهم من العذاب فيدخل في زمرتهم قريش دخولا
اوليا ويحتمل العذاب الدنيوي والاخروي وعادا عطف على قوم نوح وقيل على المفعول الاول
لجعلناهم وقيل على محل الظالمين اذ هو في معنى وعدنا الظالمين وكلاهما بعيد وثمودا الكلام
فيه وفيما بعده كما فيما قبله وقرئ وثمود على تأويل الحي وعلى انه اسم الاب الاقصى واصحاب الرس
هم قوم يعبدون الاصنام بعث الله تعالى اليهم شعيبا عليه السلام فكذبوه فبينماهم حول الرس
وهي البئر التي لم تطو بعد اذ انهارت فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة كان فيها
بقايا ثمود فبعث اليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود وقيل بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا
النجار • وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان النبي عليه السلام ابتلاهم الله تعالى بطير عظيم كان
فيها من كل لون وسموها عنقاء لطول عنقها وكانت تكون جبلهم الذي يقال له فتخ او دمخ فتنقض على
صبيانهم فتخطفهم اعوزها الصيد ولذلك سميت مغربا فدعا عليها حنظلة عليه السلام
فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوه عليه السلام فاهلكوا وقيل قوم كذبوا رسولهم ورسوه اي دسوه
في بئر وقرونا اي اهل قرون قيل القرن اربعون سنة وقيل سبعون وقيل مائة وعشرون بين ذلك
اي بين ذلك المذكور من الطوائف والامم وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك
ويحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على ذلك المذكور وذلك المحسوب
كثيرا لا يعلم مقدارها الا العليم الخبير ولعل الاكتفاء في شؤون تلك القرون بهذا البيان الاجمالي
لما ان كل قرن منها لم يكن في الشهرة وغرابة القصة بمثابة الامم المذكورة وكلا منصوب بمضمر يدل
عليه ما بعده فان ضرب المثل في معنى التذكير والتحذير والمحذوف الذي عوض عنه التنوين
عبارة لما اما عن الامم التي طريقة كتب اسباب اهلاكهم واما عن الكل فان ما حكي عن قوم نوح وقوم
فرعون وتكذيبهم بالايات والرسل لا يعدم التأثر من الامثال المضروبة اي ذكرنا وانذرنا كل
واحد من المذكورين ضربنا له الامثال اي بينا له القصص العجيبة الزاجرة عما هم عليه من الكفر
والمعاصي بواسطة الرسل وكلا اي كل واحد منهم لا بعضهم دون بعض تبرنا تتبيرا عجيبا هائلا
لما انهم عاندوا لما انهم لم يتأثروا بذلك ولم يرجعوا اليه راسا وتمادوا على ما هم عليه من الكفر
العدوان واصل التتبير التفتيت قال الزجاج كل شيء كسرته وفتتته فقد تبرته ومنه التبر
لفتات الذهب والفضة ولقد اتوا جملة مستانفة مسوقة لبيان مشاهدتهم لاثار هلاك
بعض الامم المتبرة وعدم اتعاظهم بها وتصديرها بالقسم لمزيد تقرير مضمونها اي وبالله لقد

اتى

اتى قريش في متاجرهم الى الشام على القرية التي امطرت مطر السوء اي اهلكت بالحجارة وهي قرى
قوم لوط وكانت خمسا وقرئ ما نجا منها الا واحدة كان اهلها لا يعملون العمل الخبيث واما البواقي
فاهلكها الله تعالى بالحجارة وهي المراد بقوله تعالى مطر السوء وانتصابه اما على انه مصدر مؤكد
بحذف الزوائد كما قيل في انبته الله تعالى نباتا حسنا اي امطار السوء او على انه مفعول ثان اذ المعنى
اعطيت او اوليت مطر السوء افلم يكونوا يرونها في مرار مرورهم ليتعظوا بما كانوا يشاهدونه من
اثار العذاب فالمنكر في الاول ترك النظر وعدم الرؤية معا وفي الثاني عدم الرؤية مع تحقق
النظر الموجب لها وقوله تعالى بل كانوا لا يرجون نشورا اضراب عما قبله من عدم رؤيتهم لاثار
ما جرى على اهل القرى من العقوبة وبيان لعدم كون اتعاظهم بسبب انكارهم لكون ذلك عقوبة
لمعاصيهم لا لعدم رؤيتهم لاثارها اي انه اكتفى عن التصريح بانكارهم ذلك بذكر ما يستلزمه من
من انكارهم الجزاء الاخروي الذي هو الغاية من خلق العالم وقد كنى عن ذلك بعدم رجاء النشور اي
عدم توقعه كانه قيل بل كانوا ينكرون النشور المستتبع للجزاء الاخروي ولا يرون لنفس من
النفوس نشورا اصلا مع تحققه حتما وشموله للناس عموما واطراده وقوعا فكيف يعترفون بالجزاء
الدنيوي في حق طائفة خاصة مع عدم الاطراد والملازمة بينه وبين المعاصي حتى يتعظوا ويتذكروا
بما يشاهدونه من اثار الهلاك وانما يحملونه على الاتفاق وما انتقال بما ذكر من التوبيخ من ترك التذكر
الى التوبيخ بما هو اعظم منه من عدم توقع النشور واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك
الا هزوا به على معنى قصر معاملتهم معك عليه السلام على معنى قصر اتخاذهم على كونه هزوا وقد
مر تحقيقه في قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الي من سورة الانعام وقوله تعالى اهذا الذي بعث الله
رسولا محكي بعد قول مضمر هو حال من فاعل يتخذونك اي يستهزؤن بك قائلين اهذا الذي الى اخره
والاشارة للاستحقار واخراج بعث الله رسولا في معرض التسليم بجعله صلة للموصول الذي هو صفته
عليه الصلاة والسلام مع كونهم في غاية الانكار لبعثه عليه السلام بطريق التهكم والاستهزاء والا
لقالوا ابعث الله هذا رسولا او اهذا الذي يزعم انه بعثه الله رسولا ان كاد ان مخففة من ان وضمير
الشان محذوف اي انه كان ليضلنا عن الهتنا اي ليصرفنا عن عبادتها صرفا كليا لا عن عبادتها فقط
والعدول الى الاضلال لغاية ضلالهم بادعاء ان عبادتها طريق سوي لولا ان صبرنا عليها اي ثبتنا عليها واستمسكنا
بعبادتها ولولا في امثال هذا الكلام تجري مجرى التقييد للحكم المطلق من حيث المعنى كما اشير اليه في
قوله تعالى ولقد همت به الى اخره وهذا اعتراف منهم بانه صلى الله عليه وسلم قد بلغ من الاجتهاد
في الدعوة الى الحق واظهار المعجزات واقامة الحجج والبينات الى حيث شارفوا ان يتركوا دينهم لولا فرط
لجاجهم وغاية عنادهم يروى انه من قول ابي جهل وسوف يعلمون جواب من جهته تعالى لاخر كلامهم
ورد لما ينبئ عنه من نسبته عليه الصلاة والسلام الى الضلال في ضمن الاضلال اي سوف يعلمون
البتة وان تراخى حين يرون العذاب الذي يستوجبه كفرهم وعنادهم من اضل سبيلا
وفيه ما لا يخفى من الوعيد والتنبيه على انه تعالى لا يهملهم وان امهلهم ارايت من اتخذ الهه هواه
افانت تكون عليه وكيلا تعجيب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من شناعة حالهم بعد حكاية قبائحهم
من الاقوال والافعال وبيان ما لهم من المصير والمال وتنبيه على ان ذلك من الغرابة بحيث ان يرى
ويتعجب منه والهه مفعول ثان لاتخذ قدم على الاول للاعتناء به لانه الذي يدور عليه امر التعجيب
ومن توهم انهما على الترتيب بناء على تساويهما في التعريف فقد غفل عنه ان المفعول الثاني في هذا الباب هو
المتلبس بالحالة الحادثة اي ارايت من جعل هواه الها لنفسه من غير ان يلاحظه وبنى عليه امر دينه
معرضا عن استماع الحجة الباهرة والبرهان النير بالكلية على معنى انظر اليه وتعجب منه وقوله تعالى
ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون اضراب وانتقال من الانكار المذكور الى انكار حسبانه صلى
الله عليه وسلم انهم ممن يسمع او يعقل حسبما ينبئ عنه جده صلى الله عليه وسلم في الدعوة واهتمامه
بالارشاد والتذكير لكن لا على انه لا ينبغي ان يقع اي بل اتحسب ان اكثرهم يسمعون ما يتلى عليهم من
الايات حق السماع او يعقلون ما في تضاعيفها من المواعظ الزاجرة عن القبائح الداعية الى المحاسن
فتهتم بشانهم وتطمع في ايمانهم وضمير اكثرهم لمن وجمعه باعتبار معناه كما ان الافراد في الضمائر
الاول باعتبار لفظها وضمير الفعلين للاكثر لا لما اضيف هو اليه وقوله تعالى ان هم الا
كالانعام الى اخره جملة مستانفة مسوقة لتقرير النكير وتاكيده وحسم مادة الحسبان بالمرة اي
ما هم في عدم الانتفاع بما يقرع اذانهم من قوارع الايات وانتفاء التدبر فيما يشاهدونه من الدلائل
والمعجزات الا كالبهائم التي هي مثل في الغفلة وعلم في الضلالة بل هم اضل سبيلا لما انها تنقاد لصاحبها

الذي يعقلها ويتعهدها وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها
وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها ومشاربها وتاوي الى معاطنها وهؤلاء لا ينقادون الى ربهم
وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو اعدى عدوهم ولا يطلبون
الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار والمهالك ولا يهتدون
للحق الذي هو المشرع الهني والمورد العذب الروي ولانها ان لم تعتقد حقا مستتبعا لاكتساب الخير
لم تعتقد باطلا مستوجبا لاقتراف الشر بخلاف هؤلاء حيث مهدوا قواعد الباطل وفرعوا عليها
الاحكام والشرور ولان احكام جهالتها وضلالتها مقصورة على انفسها لا تتعدى الى احد وجهالة
هؤلاء مؤدية الى ثوران الفتنة والفساد وصد الناس عن سنن السداد وهيجان الهرج والمرج فيما
بين العباد ولانها غير معطلة لقوة من القوى المودعة بل صارفة لها الى ما خلقت له فلا تقصير
في طلب الكمال ولا ما هو كذلك فهم معطلون لقواهم مضيعون للفطرة الاصلية التي فطر الناس عليها
مستحقون بذلك اعظم العقاب واشد النكال الم تر الى ربك بيان لبعض دلائل التوحيد اثر بيان
جهالة المعرضين عنها وضلالتهم والخطاب للرسول الله صلى الله عليه وسلم والهمزة لتقرير والعنوان
الربوبية مع الاضافة الى ضميره صلى الله عليه وسلم للايذان بان ما يعقبه من اثار ربوبيته ورحمته
تعالى اي الم تنظر الى بديع صنعته تعالى كيف مد الظل اي كيف انشاه اي ظل كان من جبل او بناء او
شجر عند ابتداء طلوع الشمس ممتدا لا انه تعالى مده بعد ان لم يكن كذلك كما بعد نصف النهار الى
غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح يكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه اياه كذلك كما بعد
نصف النهار الى غروبها فان ذلك مع خلوه عن التصريح يكون نفسه بانشائه تعالى واحداثه اياه
سياق النظم الكريم فاما ما قيل من ان المراد بالظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس فانه اطيب
الاوقات فان الظلمة الخالصة تنفر عنها الطبائع وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر ولذلك
وصف به الجنة في قوله تعالى وظل ممدود ففيه بعد شديد اذ لا ريب في ان المراد تنبيه الناس على عظيم
قدرة الله عز وجل وبالغ حكمته فيما يشاهدونه فلا بد ان يراد بالظل ما يتعارفونه من حالة مخصوصة
يشاهدونها في موضع يحول بينه وبين الشمس جسم كثيف مخالفة لما في جوانبه من مواقع ضح
الشمس وما ذكروا ان كان في الحقيقة ظلا للافق الشرقي لكنهم لا يعدونه ظلا ولا يصفونه باوصافه
المعهودة ولان توجيه الرؤية اليه سبحانه مع ان المراد به تقرير رؤيته صلى الله عليه وسلم
كيفية مد الظل للتنبيه على ان نظره صلى الله عليه وسلم مقصور على ما يطالعه من الاثار والصنائع
بل مطمح انظاره معرفة شئون الصانع المجيد وقوله تعالى ولو شاء لجعله ساكنا جملة اعتراضية
بين المعطوفين للتنبيه من اول الامر على انه لا مدخل فيما ذكر من المد للاسباب العادية وانما
المؤثر فيه المشيئة والقدرة ومفعول المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة من وقوعها شرطا
ويكون مفعولها مضمون الجزاء اي لو شاء سكونه لجعله ساكنا ثابتا على حاله من الطول والامتداد
وانما عبر عن ذلك بالسكون لما ان مقابله الذي هو تغير حاله حسب تغير الاوضاع بين الظل وبين
الشمس يرى رأي العين حركة وانتقالا وحاصله ان لا يعتريه اختلاف حال بان لا تنسخه الشمس
واما التعليل بان يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد فمدار العقل عما سبق له النظم الكريم ونطق
به صريحا من بيان كمال قدرته القاهرة وحكمته الباهرة بنسبة جميع الامور الحادثة اليه تعالى
بالذات واسقاط الاسباب العادية عن رتبة السببية والتأثير بالكلية وقصرها على مجرد الدلالة
على وجود المسببات بذكر قدرته تعالى على بعض الخوارق كاقامة الشمس في مقام واحد على انها اعظم
من ابقاء الظل على حاله في الدلالة على ما ذكر من كمال القدرة والحكمة لكونه من فروعها ومستتبعاتها فهي
اولى واحق بالايراد في معرض البيان وقوله تعالى ثم جعلنا الشمس عليه دليلا عطف على مد داخل
في حكمه اي جعلناها علامة يستدل باحوالها المتغيرة على احواله من غير ان يكون بينهما سببية وتأثير
قطعا حسبما نطق به الشرطية المعترضة والالتفات الى نون العظمة لما في الجعل المذكور العاري عن
التأثير مع ما يشاهد بين الشمس والظل من الدوران المطرد المنبئ عن السببية من مزيد دلالة على عظم
القدرة ودقة الحكمة وهو السر في ايراد كلمة التراخي وقوله تعالى ثم قبضناه عطف على مد داخل في
حكمه وثم للتراخي الزماني لما ان في بيان كون القبض والمد مرتبتين دائرتين على قطب مصالح
المخلوقات مزيد دلالة على الحكمة الربانية ويجوز ان يكون للتراخي الرتبي اي ازلناه بعد ما
انشاناه ممتدا ومحوناه بمحض قدرتنا ومشيئتنا عند ايقاع شعاع الشمس موقعه من غير ان يكون
له تأثير في ذلك اصلا وانما عبر عنه بالقبض المنبئ عن جمع المنبسط وطيه لما انه قد عبر عن احداثه

بالمد

الذي هو البسيط طولا وقوله تعالى الينا للتنصيص على كون مرجعه اليه تعالى كما ان حدوثه منه عز وجل
قبضا يسيرا اي على مهل قليلا قليلا حسب ارتفاع دليله على وتيرة معينة مطردة مستتبعة لمصالح
المخلوقات ومرافقها وقيل ان الله تعالى حين بنى السماء كالقبة المضروبة ودحى الارض تحتها القت القبة
ظلها على الارض لعدم النير وذلك مده تعالى اياه ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة
ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك الظل اي سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل
في الطريق فهو يزيد بها وينقص ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير
ويقبضه عند قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه
كما ذكر انشاءه بانشائها ووصفه باليسير على طريقة قوله تعالى ذلك حشر علينا يسير وصيغة الماضي
للدلالة على تحقق الوقوع وهو الذي جعل لكم الليل لباسا بيان لبعض بدائع اثار قدرته تعالى
وحكمته وروائع احكام رحمته ونعمته الفائضة على الخلق وتلوين الخطاب لتوفية مقام الامتنان
حقه واللام متعلقة بجعل وتقديمها على مفعولية للاعتناء ببيان كون ما يعقبه من منافعهم وفي
تعقيب بيان احوال الظل ببيان احكام الليل الذي هو ظل الارض من لطف المسلك ما لا مزيد عليه
اي هو الذي جعل لكم الليل كاللباس يستركم بظلامه كما يستر اللباس والنوم سباتا اي وجعل النوم
الذي يقع في الليل غالبا قطعا من الافاعيل المختصة بحال اليقظة عبر عنه بالسبات الذي هو الموت
لما بينهما من المشابهة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله
تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وجعل النهار نشورا اي ذا نشور ينبعث من
ذلك السبات كبعث الموتى على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه او نفس النشور على
طريق المبالغة وفيه اشارة الى ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور وعن لقمان عليه
السلام يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وهو الذي ارسل الرياح وقرئ بالتوحيد على
ان المراد هو الجنس نشرا تخفيف نشر جمع نشور اي ناشرين وقرئ بشرى وقرئ نشرا بالنون جمع
نشور اي ناشرات للسحاب وقرئ بالتخفيف المنون ايضا على انه مصدر وصف به مبالغة وقوله
تعالى بين يدي رحمته استعارة بديعة اي قدام المطر والالتفات الى نون العظمة في قوله تعالى
وانزلنا من السماء ماء طهورا لابراز كمال العناية بالانزال لانه نتيجة ما ذكر من ارسال الرياح
اي انزلنا بعظمتنا بما ارسلنا رتبنا من ارسال الرياح من جهة الفوق ماء بليغا في الطهارة وما
قيل انه ما يكون طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فهو شرح لبلاغته في الطهارة كما ينبئ عنه قوله تعالى
صلى الله عليه وسلم التراب طهور المؤمن وقد جاء بمعنى الطهارة كما في قولك تطهرت طهورا حسنا
كقولك وضوءا حسنا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة الا بطهور ووصف الماء به اشعار
بتمام المنة فيه وتتميم للمنة فيما بعده فان الماء الطهور اهنى وانفع مما خالطه ما
يزيل طهوريته وتنبيه على ان ظواهرهم لما كانت مما ينبغي ان يطهروها فبواطنهم احق بذلك
لنحيي به بلدة ميتا اي بانشاء النبات وتذكير ميتا لان البلدة
بمعنى البلد ولانه غير جار على الفعل كسائر ابنية المبالغة فاجري مجرى الجامد والمراد به القطعة
من الارض عامرة كانت او غيرها ونسقيه اي ذلك الماء الطهور عند جريانه في الاودية او اجتماعه
في الحياض والمنابع او الابار مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا اي اهل البوادي الذين يعيشون بالحيا
ولذلك نكر الانعام والاناسي وتخصيصهم بالذكر لان اهل القرى والامصار يقيمون بقرب الانهار
والمنابع فبهم وبما لهم من الانعام غنية عن سقيا السماء وسائر الحيوانات تبعد في
طلب الماء فلا يعوزها الشرب غالبا مع ان مساق الايات الكريمة كما هو للدلالة على عظم القدرة
فهو لتعداد انواع النعمة والانعام حيث كانت قنية لهم وعامة منافعهم ومعايشهم منوطة
بها قدم سقيها على سقيهم كما قدم عليها احياء الارض فانه سبب لحياتها وتعيشها وقرئ نسقيه واناسي
بحذف الياء وقيل سقاه جعل له سقيا واناسي جمع انسي او انسان كظرابي في ظربان على ان اصله اناسين
فقلبت نونه ياء وقرئ اناسي بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كانعام جمع نعم ولقد صرفناه اي وبالله
لقد كررنا هذا القول الذي هو ذكر انشاء السحاب وانزال المطر لما ذكر من الغايات الجليلة في القرآن
وغيره من الكتب السماوية بينهم اي بين الناس من المتقدمين والمتأخرين ليذكروا ليتفكروا
ويعرفوا بذلك كمال قدرته تعالى وواسع رحمته في ذلك ويقوموا بشكره حق القيام وقيل
صرفنا المطر وتصريفه بينهم انزاله في بعض البلاد دون بعضها وفي بعض الاوقات دون بعض
او جعله تارة وابلا واخرى طلا وحينا ديمة والاول هو الاولى فابى اكثر الناس

ممن سلف وخلف الا كفورا اى لم يفعل الا كفران النعمة وقلة الاكتراث لها او الا جحودها بان يقولوا
مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله تعالى ورحمته ومن لا يرى الامطار الا من الانواء فهو كافر بخلاف
من يرى ان الكل بخلق الله تعالى والانواء امارات بجعل الله تعالى ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا
نبيا ينذر اهلها فيخف عليه اعباء النبوة لكن لم نشأ ذلك فلم نفعله بل قصرنا الامر عليك حسبما
ينطق به قوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا اجلالا لك وتعظيما وتفضيلا لك على سائر الرسل فلا تطع
الكافرين اى فقابل ذلك بالثبات والاجتهاد فى الدعوة واظهار الحق والتشديد معهم كانه نهى لرسول
الله صلى الله عليه وسلم عن المداراة معهم والتلطف فى الدعوة لما انه صلى الله عليه وسلم كان
يود ان يدخلوا فى الاسلام ويجتهد فى ذلك بتأليف قلوبهم اشد الاجتهاد وجاهدهم به اى
بالقرآن بتلاوة ما فى تضاعيفه من القوارع والزواجر والمواعظ وتذكير احوال الامم المكذبة
جهادا كبيرا فان دعوة كل العالمين على الوجه المذكور جهاد كبير لا يقادر قدره كما وكيفا وقيل
الضمير المجرور لترك الطاعة المفهوم من النهى عن الطاعة وانت خبير بان مجرد ترك الطاعة
يتحقق بلا دعوة اصلا وليس فيه شائبة الجهاد فضلا عن الجهاد الكبير اللهم الا ان يجعل الباء
للملابسة ليكون المعنى وجاهدهم بما ذكر من احكام القرآن الكريم ملابسا بترك طاعتهم كانه قيل
فجاهدهم بالشدة والعنف لا بالملاءمة والمداراة كما فى قوله تعالى يا ايها النبى جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم وقيل الضمير لما دل عليه قوله تعالى ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا من
كونه صلى الله عليه وسلم نذيرا كافة القرى لانه لو بعث فى كل قرية نذيرا لوجب على كل نذير
مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المجاهدات كلها فكبر من اجل
ذلك جهاده وعظم فقيل له صلى الله عليه وسلم وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا
كبيرا جامعا لكل مجاهدة وانت خبير بان بيان سبب كبر المجاهدة بحسب الكمية ليس فيه مزيد
فائدة فانه بين بنفسه وانما اللائق بالمقام بيان سبب كبرها وعظمها فى الكيفية وهو الذى
مرج البحرين اى خلاهما متجاورين متلاصقين بحيث لا يتمازجان من مرج دابته اذا خلاها
هذا عذب فرات قاطع للعطش لغاية عذوبته وهذا ملح اجاج بليغ الملوحة وقرئ ملح ولعله
بتخفيف مالح كبرد فى بارد وجعل بينهما برزخا حاجزا غير مرئى من قدرته كما فى قوله تعالى بغير عمد
ترونها وحجرا محجورا وتنافرا مفرطا كان كلا منهما يتعوذ من الآخر بتلك المقالة وقيل حدا محدودا
وذلك كدجلة تدخل البحر وتشقه وتجرى فى خلاله فراسخ لا يتغير طعمها وقيل المراد بالبحر
العذب النهر العظيم وبالمالح البحر وتشقه الكبير وبالبرزخ ما بينهما من الارض فيكون اثر
القدرة فى الفصل والاختلاف الصفة ان مقتضى طبيعة كل عنصر التعادل والتلاصق والتشابه
فى الكيفية وهو الذى خلق من الماء بشرا هو الماء الذى خمر به طينة آدم عليه السلام وجعله جزءا
من مادة البشر ليجمع ويسلس ويستعد لقبول الاشكال والهيئات بسهولة او هو النطفة فجعله
نسبا وصهرا اى قسمه قسمين ذوى نسب اى ذكورا ينسب اليهم وذوات صهر اى اناثا يصاهر بهن
كقوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا مبالغا فى القدرة حيث قدر
على ان يخلق من مادة واحدة بشرا ذا اعضاء مختلفة وطباع متباعدة وجعله قسمين متقابلين
وربما يخلق من مادة واحدة توأمين ذكرا وانثى ويعبدون من دون الله الذى شأنه ما ذكر
ما لا ينفعهم ولا يضرهم اى ما ليس من شأنه النفع والضر اصلا وهو الاصنام او كل ما يعبد من
من دونه تعالى اذ ما من مخلوق يستقل بالنفع والضر وكان الكافر على ربه الذى ذكرت آثار ربوبيته
ظهيرا يظاهر الشيطان بالعداوة والشرك والمراد بالكافر الجنس او ابو جهل وقيل هينا مهينا لا وقع له عنده
من قولهم ظهرت به اذا نبذته خلف ظهرك فيكون كقوله تعالى ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم وما ارسلناك الا مبشرا
للمؤمنين ونذيرا للكافرين قل لهم ما اسألكم عليه اى على تبليغ الرسالة الذى ينبئ عنه الارسال من
اجر من جهتكم الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اى الا فعل من يريد ان يتقرب اليه تعالى ويطلب
الزلفى عنده بالايمان والطاعة حسبما ادعوهم اليها فصور بذلك بصورة الاجر من حيث انه
مقصود الاتيان به واستثناه منه قلعا كليا لشائبة الطمع واظهارا لغاية الشفقة عليهم حيث جعل
ذلك مع كون نفعه عائدا لهم عائدا اليه صلى الله عليه وسلم وقيل الاستثناء منقطع اى لكن من
شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحى الذى لا يموت فى الاستكفاء عن شرورهم والاغناء عن
اجورهم فانه الحقيق بان يتوكل عليه دون الاحياء الذين من شأنهم الموت فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل
عليهم وسبح بحمده ونزهه عن صفات النقصان مثنيا عليه بنعوت الكمال طالبا لمزيد الانعام بالشكر

على

على سوابقه وكفى به بذنوب عباده ما ظهر منها وما بطن خبيرا اى مطلعا عليها بحيث لا يخفى عليه
شئ منها فيجزيهم جزاء وافيا الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام ثم استوى على العرش
قد سبق تفسيره ومحل الموصول الجر على انه صفة اخرى للحى وصف بالصفة الفعلية بعد وصفه
بالابدية التى من الصفات الذاتية والاشارة الى اتصافه بالعلم الشامل لتقرير وجوب التوكل عليه
تعالى وتأكيده فان من انشأ هذه الاجرام العظام على هذا النمط الفائق والنسق الرائق بتدبير
متين وترتيب رصين فى اوقات معينة مع كمال قدرته على ابداعها دفعة لحكم جليلة وغايات جميلة
لا يقف على تفاصيلها العقول لحقيق بان يتوكل عليه واولى من يفوض الامر اليه الرحمن مرفوع على المدح اى
هو الرحمن وهو فى الحقيقة وصف آخر للحى كما قرئ بالجر مفيدة لزيادة تأكيد ما ذكر من وجوب التوكل عليه
تعالى وان لم يتبعه فى الاعراب لما تقرر من ان المنصوب والمرفوع مدحا وان خرجا عن التبعية لما
قبلهما صورة حيث لم يتبعاه فى الاعراب وبذلك سميا قطعا لكنهما تابعان له حقيقة الا ترى
كيف التزموا حذف الفعل والمبتدأ فى النصب والرفع روما لتصوير كل منهما بصورة متعلق من
متعلقات ما قبله وتنبيها على شدة الاتصال بينهما وقد مر تمام التحقيق فى تفسير قوله عز وجل الذين
يؤمنون بالغيب الآية وقيل الموصول مبتدأ والرحمن خبره وقيل الرحمن بدل من المستكن فى استوى
فاسأل به اى بتفاصيل ما ذكر اجمالا من الخلق والاستواء لا بنفسهما فقط اذ بعد شأنهما لا يبقى الى السؤال
حاجة الا فى تعديته بالباء فائدة فانها مبنية على تضمينه معنى الاعتناء المستدعى لكون المسؤول امرا
خطيرا مهما بشأنه غير حاصل للسائل وظاهر ان نفس الخلق والاستواء بعد الذكر ليس كذلك وما قيل
من ان التقدير ان شككت فيه فاسأل به خبيرا على ان الخطاب له صلى الله عليه وسلم وغيره بمعزل من السداد
بل التقدير ان شئت تحقيق ما ذكر او تفصيل ما ذكر فاسأل معتنيا به خبيرا عظيم الشأن محيطا بظواهر
الامور وبواطنها وهو الله سبحانه يطلعك على جلية الامر وقيل فاسأل به من وجده فى الكتب
المتقدمة ليصدقك فيه فلا حاجة حينئذ الى ما ذكرنا وقيل الضمير للرحمن والمعنى ان انكروا اطلاقه
على الله تعالى فاسأل به عنه من يخبرك من اهل الكتاب ليعرفوا مجئ ما يرادفه فى كتبهم وعلى هذا يجوز ان
يكون الرحمن مبتدأ وما بعده خبرا وقرئ فسل واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قالوه لما
انهم ما كانوا يطلقونه على الله سبحانه او لانهم ظنوا ان المراد به غيره تعالى ولذلك قالوا انسجد لما
تأمرنا اى للذى تأمرنا بسجوده او لامرك ايانا من غير ان نعرف ان المسجود ماذا وقيل لانه كان معربا
لم يسمعوه وقرئ يأمرنا بالياء على انه قول بعضهم لبعض وزادهم اى الامر بسجود الرحمن نفورا
عن الايمان تبارك الذى جعل فى السماء بروجا هى البروج الاثنا عشر سميت به وهى القصور العالية لانها
للكواكب السيارة كالمنازل الرفيعة لسكانها واشتقاقه من التبرج لظهوره وجعل فيها سراجا
هى الشمس لقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهى الشمس والكواكب الكبار وقمرا منيرا
مضيئا بالليل وقرئ قمرا اى ذا قمر وهى جمع قمراء ولما ان الليالى بالقمر تكون قمرا اضيف اليها ثم حذف
واجرى حكمه على المضاف اليه القائم مقامه كما فى قول حسان رضى الله تعالى عنه بردى يصفق بالرحيق السلسل
اى ماء بردى ويحتمل ان يكون القمر كالرشد والرشد والعرب والعرب وهو الذى جعل الليل والنهار
خلفة اى ذوى خلفة يخلف كل منهما الآخر بان يقوم مقامه فيما ينبغى ان يعمل فيه او بان يعتقبا كقوله
تعالى واختلاف الليل والنهار وهى اسم للحالة من خلف كالركبة والجلسة من ركب وجلس لمن اراد
ان يذكر او اراد شكورا اى ان يشكر الله تعالى على ما فيهما من النعم ويشكرنا او ليكون اوقاتا للذاكرين من فاته
ورده فى احدهما تداركه فى الآخر وقرئ ان يذكر من ذكر بمعنى تذكر وعباد الرحمن كلام مستأنف مسوق
لبيان اوصاف خلص عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال النافرين عن عبادته
والسجود له والاضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه وقيل هو ما فى
آخر السورة الكريمة من الجملة المصدرة باسم الاشارة وقرئ وعباد الرحمن عباده المقبولين الذين يمشون
على الارض هونا اى بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على انه حال من فاعل يمشون
او على انه نعت لمصدره اى يمشون هينين لينى الجانب من غير فظاظة او مشيا هينا وقوله تعالى واذا خاطبهم
الجاهلون اى السفهاء كما فى قول من قال الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا قالوا
سلاما بيان لحالهم فى المعاملة مع غيرهم اثر بيان حالهم فى انفسهم اى اذا خاطبوهم بالسوء قالوا
تسلما منكم ومتاركة لا خير بيننا وبينكم ولا شر وقيل سدادا من القول يسلمون به من الاذية والاثم
وليس فيه تعرض لمعاملتهم مع الكفرة حتى يقال نسختها آية القتال كما نقل عن ابى العالية وقوله
تعالى والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما بيان لحالهم فى معاملتهم مع ربهم اى يكونون ساجدين

لربهم وقياما اي يحيون الليل كلا او بعضا بالصلاة وقيل من قرا شيئا في صلاة وان قل فقد بات ساجدا
وقائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشا وتقديم السجود على القيام لرعاية
الفواصل والذين يقولون اي في اعقاب صلواتهم او في عامة اوقاتهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم
ان عذابها كان غراما اي شرا دائما وهلاكا لازما وفيه مزيد مدح لهم ببيان انهم مع حسن معاملتهم
مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق يخافون العذاب ويبتهلون الى الله تعالى في عبادة الحق يخافون
العذاب ويبتهلون الى الله تعالى في صرفه عنهم غير محتفلين باعمالهم كقوله تعالى والذين يؤتون ما
اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون انها ساءت مستقرا ومقاما تعليل لاستدعايهم المذكور
بسوء حالها في نفسها اثر تعليله بسوء حال عذابها وقد جوز ان يكون تعليلا للاولى وليس بذاك
وساءت في حكم بيست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا
ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي يربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان تكون ساءت
بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز وهو بعيد حالهما في الدخول من المبالغة
في بيان سوء حالها وكذا حمل التعليل من جهته تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا اي لم يجاوزوا
حد الكرم ولم يقتروا ولم يضيقوا تضييق الشحيح وقيل الاسراف هو الانفاق في المعاصي والتقتير
منع الواجبات والقرب. وقرئ بكسر التاء مع فتح اليا وبكسرها مخففة ومشددة مع ضم اليا
وكان بين ذلك اي بين ما ذكر من الاسراف والقتر قواما وسطا وعدلا سمي به لاستقامة
الطرفين كما سمي سوا لاستوائهما وقرئ بالكسر وهو ما تقام به الحاجة لا يفضل عنها ولا ينقص
وهو خبر ثان او حال موكدة او هو الخبر وبين ذلك لغو وقد جوز ان يكون اسم كان على انه مبني
لاضافته الى غير متمكن ولا يخفى ضعفه فانه بمعنى القوام فيكون كالاخبار بالشيء عن نفسه والذين
لا يدعون مع الله الها اخر شروع في بيان اجتنابهم عن المعاصي بعد بيان اتيانهم بالطاعات وذكر
نفي الاشراك والقتل لتحقيق معنى الاقتصار والتصريح بوصفهم بنفي الاشراك مع ظهور ايمانهم
لاظهار كمال الاعتنا بالتوحيد والاخلاص وتهويل امر القتل والزنا بنظمهما في سلكه
وللتعريض بما كانوا عليه الكفرة من قريش وغيرهم اي لا يعبدون معه تعالى الها اخر ولا يقتلون
النفس التي حرم الله اي حرمها بمعنى حرم قتلها فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
في التحريم الا بالحق اي لا يقتلونها بسبب من الاسباب الا بسبب الحق المزيل لحرمتها وعصمتها
او لا يقتلونها قتلا ما الا قتلا ملتبسا بالحق او لا يقتلونها في حال من الاحوال الا حال كونهم ملتبسين
بالحق ولا يزنون اي الذين لا يفعلون شيئا من هذه العظايم القبيحة التي جمعتهن الكفرة حيث
كانوا مع اشراكهم به سبحانه مداومين على قتل النفوس المحرمة التي من جملتها الموءودة مكبين على
الزنا الذي يعدون منه اضله ومن يفعل ذلك اي ما ذكر كما هو دأب الكفرة المذكورين يلق في الاخرة
وقرئ يلقى وقرئ يلق بالتشديد مجزوما اثاما وهو جزا الاثم كالوبال والنكال والزنا وزنا ومعنى وقيل
هو الاثم اي يلق جزا الاثم والتنوين على التقدير بن التقوى وقرئ اياما اي شدايد يقال يوم
ذو ايام لليوم العصيب يضاعف له العذاب يوم القيمة بدل من يلق لاتحادهما في المعنى كقوله
متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا . تجد حطبا جزلا ونارا تاججا . وقرئ بالرفع على الاستيناف وعلى الحالية
وكذا ما عطف عليه وقرئ يضعف ونضعف له العذاب بالنون ونصب العذاب ويخلد فيه في
ذلك العذاب المضاعف مهانا ذليلا محتقرا جامعا للعذاب الجسماني والروحاني وقرئ يخلد ويخلد
مبنيا للمفعول من الاخلاد والتخليد وقرئ تخلد بالتاء على الالتفات المنبي عن شدة الغضب جا
ومضاعفة العذاب لانضمام المعاصي الى الكفر كما ينبئ عنه قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا
صالحا وذكر الموصوف مع جريان الصالح والصالحات مجرى الاسم للاعتنا به والتنصيص على مغايرته
للاعمال السابقة فاولئك اشارة الى الموصول والجمع باعتبار معناه كما ان الافراد في الافعال الثلاثة
باعتبار لفظه اولئك الموصوفون بالتوبة والايمان والعمل الصالح يبدل الله سياتهم حسنات
بان يمحو سوابق معاصيهم بالتوبة ويثبت مكانها لواحق طاعاتهم او يبدل بملكة المعصية عنها وذوا
في النفس ملكة الطاعة بان يزيل الاولى ويأتي بالثانية وقيل بان يوفقه لاضداد ما سلف منه
او بان يثبت له بدل كل عقاب ثوابا وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا
عفة واحصانا وكان الله غفورا رحيما اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من المحو والاثبات ومن تاب
اي عن المعاصي بتركها بالكلية والندم عليها وعمل صالحا يتلافى به ما فرط منه او خرج عن المعاصي ودخل
في الطاعات فانه بما فعل يتوب الى الله اي يرجع اليه تعالى متابا اي متابا عظيم الشان مرضيا عنده

تعالى

تعالى ماحيا للعقاب محصلا للثواب او يتوب متابا الى الله تعالى الذي يحب التوابين ويحسن اليهم
او فانه يرجع اليه تعالى والى ثوابه مرجعا حسنا وهذا تعميم بعد تخصيص والذين لا يشهدون الزور
لا يقيمون الشهادة الكاذبة او لا يحضرون محاضر الكذب فان مشاهدة الباطل مشاركة فيه واذا مروا
على طريق الاتفاق باللغو اي بما يجب ان يلغى ويطرح مما لا خير فيه مروا كراما معرضين عنه مكرمين
انفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ومن ذلك الاغضا عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية
عما يستهجن التصريح به والذين اذا ذكروا بايات ربهم المنطوية على المواعظ والاحكام لم يخروا عليها صما
وعميانا اي اكبوا عليها سامعين باذان واعية وانما عبر عن ذلك بنفي الضد تعريضا لما يفعله الكفرة
والمنافقون وقيل الضمير للمعاصي المدلول عليها باللغو والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا
وذرياتنا قرة اعين بتوفيقهم للطاعة وحيازة الفضايل فان المؤمن اذا ساعده اهله في طاعة
الله تعالى وشاركوه فيها يسر بهم قلبه وتقر بهم عينه لما يشاهده من متابعتهم له في مناهج
الدين وتوقع لحوقهم به في الجنة حسبما وعد بقوله تعالى الحقنا بهم ذرياتهم ومن ابتدائية او بيانية
وقرئ وذريتنا وتنكير الاعين لارادة تنكير القرة تعظيما وتقليلها لان المراد اعين المتقين ولا ريب
في قلتها نظرا الى غيرها واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا بحيث يقتدون بنا في اقامة مراسم الدين
بافاضة العلم والتوفيق للعمل وتوحيده للدلالة على الجنس وعدم الالتباس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا
ولانه مصدر في اصله او لان المراد واجعل كل واحد منا اماما او لانهم كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم واتفاق كلمتهم كذا
قالوا . وانت خبير بان مدار الكل ثبوت صدور هذا الدعا اعني اجعل بطريق المعية وانه محال
لاستحالة اجتماعهم في عصر واحد فما ظنك باجتماعهم في مجلس واحد واتفاقهم على كلمة واحدة
وانما هي كل واحد منهم بطريق تشريك غيره في استدعا الامامة وانه ليس بثابت جزما بل الظاهر
صدوره عنهم بطريق الانفراد وان عبارة كل واحد منهم عند الدعا واجعلني للمتقين اماما خلا
انه حكيت عبارة الكل بصيغة المتكلم مع الغير للقصد الى الايجاز على طريقة قوله تعالى يا ايها الرسل
كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وبقي اماما على حاله وقيل الامام جمع ام بمعنى قاصد كصيام جمع
صايم ومعناه قاصدين لهم مقتدين بهم واعادة الموصول في المواقع السبعة مع كفاية ذكر
الصلات بطريق العطف على صلة الموصول الاول للايذان بان كل واحد مما ذكر في حيز صلة الموصولات
المذكورة وصف جليل على حياله له شان خطير حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شي من
من ذلك تتمة لذلك وتوسيط العاطف بين الموصولات لتنزيل الاختلاف العنواني منزلة الاختلاف
الذاتي كما في قوله . الى الملك القرم وابن الهمام . وليث الكتيبة في المزدحم . اولئك اشارة الى المتصفين
بما فصل في حيز صلة الموصولات الثمانية من حيث اتصافهم به وفيه دلالة على انهم متميزون
بذلك اكمل تميز ومنتظمون في سلك الامور المشاهدة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلتهم في الفضل وهو مبتدا خبره قوله تعالى يجزون الغرفة والجملة مستانفة لا محل لها من
الاعراب مبينة لما لهم في الاخرة من السعادة الابدية اثر بيان ما لهم في الدنيا من الاعمال السنية
والغرفة الدرجة العالية من المنازل وكل بنا مرتفع عال اي يثابون اعلى منازل الجنة وهي اسم
جنس اريد به الجمع كقوله تعالى وهم في الغرفات امنون وقيل هي من اسما الجنة بما صبروا بصبرهم على
المشاق من مضض الطاعة ورفض الشهوات وتحمل المجاهدات ويلقون فيها من جهة الملايكة تحية
وسلاما اي يحييهم الملايكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة عن الافات او يعطون التبقية
والتخليد مع السلامة من كل افة وقيل يحيي بعضهم بعضا ويسلم وقرئ يلقون خالدين فيها لا يموتون
ولا يخرجون حسنت مستقرا ومقاما الكلام فيه من في مقابله قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يبين للناس ان الفايزين بتلك النعم الجليلة التي يتنافس المتنافسون انما نالوها بما عدد من
محاسنهم ولولاه لم يعتد بهم اصلا اي قل لهم كافة مشافها لهم بما صدر عن جنسهم من خير وشر
ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم اي اي عبا يعبا بكم واي اعتداد يعتد بكم لولا عبادتكم له تعالى حسبما
تفصيله فان ما خلق له الانسان معرفته تعالى وطاعته والا فهو وساير البهايم سوا . وقال
الزجاج معناه اي وزن يكون لكم عنده . وقيل معناه ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤكم اياكم الى الاسلام
. وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه الهة ويجوز ان تكون ما نافية وقوله تعالى فقد كذبتم
بيان لحال الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم اي فقد كذبتم بما اخبرتم به
وخالفتموه ايها الكفرة من المخاطبين كما ان ما قبله بيان لحال المؤمنين منهم ولم تعملوا عمل اولئك
المذكورين وقيل فقد قصرتم في العبادة من قوله كذب القتال اذا لم يبالغ فيه وقرئ فقد كذب

يحاقون منكم لعموم الخطاب للفريقين وفايدته الايذان لان مناط فوز احدهما وخسران
الاخر معه لا مجرد الجنس المصحح للاشتراك والفوز ليس الا اختلافهما في الاعمال فسوف يكون لزاما
اي يكون جزاؤه التكذيب او اثره لازما يحيق بكم لا محالة حتى يكبكم في النار وكما تعرب عنه الفاء الدالة
على لزوم ما بعدها لما قبلها وانما اضمر من غير ذكر للايذان بغاية ظهوره وتهويل امره للتنبيه على
انه مما لا يكتنهه البيان وقيل يكون العذاب لزاما وعن مجاهد انه القتل يوم بدر وانه لوزم بين
القتلى وقرئ لزاما بالفتح بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
الفرقان لقي الله تعالى وهو مؤمن بان الساعة اتية دخل الجنة بغير نصب ● والله سبحانه وتعا بالصوا

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الالف وبامالتها واظهار النون وبادغامها في الميم وهو
اما مسرود على نمط التعديد بطريق التحدي على احد الوجهين المذكورين في فاتحة سورة البقرة
فلا محل لها من الاعراب واما اسم للسورة كما عليه اطباق الاكثر فمحله الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف وهو
اظهر من الرفع على الابتداء وقد مر وجهه في مطلع سورة يونس عليه السلام او النصب بتقدير فعل
لائق بالمقام نحو اذكر او اقرا وتلك في قوله تعالى تلك ايات الكتاب المبين اشارة الى السورة سواء
كان طسم مسرودا على نمط التعديد او اسما للسورة حسبما مر تحقيقه هنالك وما في اسم الاشارة من
معنى البعد للتنبيه على بعد منزلة المشار اليه في الفخامة ومحله الرفع على انه مبتدا خبره ما بعده
وعلى تقدير كون طسم مبتدا فهو مبتدا ثان او بدل من الاول والمراد بالكتاب القران وبالمبين الظاهر
اعجازه على انه من ابان بمعنى بان او المبين للاحكام الشرعية وما يتعلق بها او الفاصل بين الحق والباطل
والمعنى هي ايات مخصوصة منه مترجمة باسم مستقل والمراد ببيان كونها بعضا منه وصفها بما
اشتهر به الكل من النعوت الفاضلة لعلك باخع نفسك اي قاتل اصل البخع ان يبلغ بالذبح النخاع
وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح وقرئ باخع نفسك على الاضافة ولعل للاشفاق
اي اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين اي
لعدم ايمانهم بذلك الكتاب المبين او خيفة ان لا يؤمنوا به وقوله تعالى ان نشا الى اخره
استيناف مسوق لتعليل ما يفهم من الكلام من النهي عن التحسر المذكور ببيان ان ايمانهم ليس مما
تعلقت به مشية الله تعالى ننزل عليهم من السماء اية اي ملجئة لهم الى الايمان قاسرة عليه وتقديم
الظرف على الموصول المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر
فظلت اعناقهم لها خاضعين اي منقادين واصله فظلوا لها خاضعين فاقحمت الاعناق لزيادة
التقرير ببيان موضع الخضوع وترك الخبر على حاله وقيل لما وصفت الاعناق بصفة العقلاء اجريت
مجراهم في الصفة ايضا كما في قوله تعالى رايتهم لي ساجدين وقيل اريد بها الرؤساء او الجماعات من قولهم
جاءنا عنق من الناس بصفة العقلاء اجريت مجراهم في الصفة ايضا اي فوج منهم وقرئ خاضعة وقوله
تعالى فظلت عطف على ننزل باعتبار محله وقوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن الا محدث الا كانوا
عنه معرضين بيان لشدة شكيمتهم وعدم ارعوائهم عما كانوا عليه من الكفر والتكذيب لغير ما ذكر
من الاية الملجئة لصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلامهم وقطع رجائه عنه
ومن الاولى مزيدة لتاكيد العموم والثانية لابتداء الغاية مجازا متعلقة بياتيهم او بمحذوف هو صفة
لذكر او ما كان فيه دلالة على فضله وشرفه وشناعة ما فعلوا به والتعرض لعنوان الرحمة
لتغليظ شناعتهم وتهويل جنايتهم فان الاعراض عما ياتيهم من جنابه عز وجل على الاطلاق شنيع قبيح
وعما ياتيهم بموجب رحمته تعالى لمحض منفعتهم اشنع واقبح اي ما ياتيهم من موعظة من المواعظ
القرانية او من طايفة نازلة من القران تذكرهم وتنبيههم عن الغفلة اتم تنبيه كانها نفس الذكر
من جهته تعالى بمقتضى رحمته الواسعة محدث تنزيله حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة
الا جددوا اعراضا عنه على وجه التكذيب والاستهزاء واصرارا على ما كانوا عليه من الكفر والضلال
والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال الا حال كونهم معرضين عنه فقد كذبوا اي كذبوا بالذكر الذي ياتيهم
تكذيبا صريحا مقارنا للاستهزاء به ولم يكتفوا بالاعراض عنه حيث جعلوه تارة سحرا واخرى
اساطير واخرى شعرا والفاء في قوله تعالى فسياتيهم لترتيب ما بعدها على ما قبلها والسين
لتاكيد مضمون الجملة وتقريره اي فسياتيهم البتة من غير تخلف اصلا انباء ما كانوا به يستهزئون

عدول

عدول عما تقتضيه ظاهر ما سلف من الاعراض والتكذيب للايذان بانهما كانا مقارنين للاستهزاء كما اشير
اليه حسبما وقع في قوله تعالى وما ياتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا
بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن وانباؤه ما سيحيق بهم من العقوبات
العاجلة والآجلة عبر عنها بذلك اما لكونها مما انبا بها القران الكريم واما لانهم بمشاهدتها يقفون
على حقيقة حال القران كما يقفون على الاحوال الخافية عنهم باستماع الانباء وفيه تهويل له لان النبا
لا يطلق الا على الاخبار الخطير له وقع عظيم اي فسياتيهم لا محالة مصداق ما كانوا يستهزؤن به
قبل من غير ان يتدبروا في احواله ويقفوا عليها اولم يروا الى الارض الهمزة للانكار التوبيخي والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي افعلوا ما فعلوا من الاعراض عن الايات والتكذيب والاستهزاء بها ولم
ينظروا الى الارض اي الى عجايبها الزاجرة عما فعلوا الداعية الى الاقبال على ما اعرضوا عنه والى الايمان
وقوله تعالى كم انبتنا فيها من كل زوج كريم استيناف مبين لما في الارض من الايات الزاجرة عن الكفر
الداعية الى الايمان وكم خبرية منصوبة بما بعدها على المفعولية والجمع بينها وبين كل لافادة الاحاطة
والكثرة معا ومن كل زوج اي صنف بهيج والكريم من كل شيء مرضيه محموده اي كثيرا من كل صنف
مرضي كثير المنافع انبتنا فيها وتخصيص النبات النافع بالذكر دون ما عداه من انه مناف لاختصاصه بالدلالة
على القدرة والنعمة معا ويحتمل ان يراد به جميع اصناف النبات نافعها وضارها ويكون وصف الكل
بالكرم للتنبيه على انه تعالى ما انبت شيئا الا وفيه فائدة كما نطق به قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا فان الحكيم لا يكاد يفعل فعلا الا وفيه حكمة بالغة وان غفل عنها الغافلون ولم يتوصل
الى معرفة كنهها العاقلون ان في ذلك اشارة مصدرها انبتنا او الى كل واحد من تلك الازواج
واياما كان ففيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته لاية اي اية عظيمة دالة على كمال قدرة
منبتها وغاية وفور علمه وحكمته ونهاية سعة رحمته موجبة للايمان وازعة عن الكفر وما كان اكثرهم
اي اكثر قومه صلى الله عليه وسلم مؤمنين قيل اي في علم الله تعالى وقضائه حيث علم انهم
سيصرفون [illegible] ولا يزال اختلافهم الذي عليه يدور امر التكاليف الشرعية [illegible] لا يتدبرون في
هذه الايات العظام وقال سيبويه كان صلة والمعنى وما اكثرهم مؤمنين وهو الانسب بمقام [illegible]
في المكابرة والعناد مع تعاضد بيان موجبات الايمان من جهته تعالى وما نسبة كفرهم الى علمه تعالى
وقضائه [illegible] من التحقيق بمقام
العلماء المتعين لما يقول ان في تلك لاية باهرة موجبة للايمان وما اكثرهم مؤمنين مع ذلك لغاية
تماديهم في الكفر والضلال وانهماكهم في الغي والجهالة ونسبة عدم الايمان الى اكثرهم لان منهم من
سيؤمن وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من
هؤلاء الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يواخذهم بغتة بما اجترؤا عليه من العظائم
الموجبة لفنون العقوبات وفي التعرض لوصف الربوبية [illegible] واذ نادى ربك
موسى كلام مستانف مسوق لتقرير ما قبله من اعراضهم عن كل ما ياتيهم من الايات التنزيلية وتكذيبهم
لها بين اعراضهم عن ما شاهدوه من الايات التكوينية واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب
به النبي صلى الله عليه وسلم اي واذكر لاولئك المعرضين المكذبين وقت ندائه اياه عليه السلام وذكرهم
بما جرى على قوم فرعون بسبب تكذيبهم اياه زجرا لهم عما هم عليه من التكذيب وتحذيرا من ان
يحيق بهم مثل ما حاق باضرابهم المكذبين الظالمين حتى يتضح لك انهم لا يؤمنون بما ياتيهم من الايات
لكن لا بقياس حال هؤلاء بحال اولئك فقط بل بمشاهدة اصرارهم على ما هم عليه بعد سماع الوحي
الناطق بقصتهم وعدم اتعاظهم بذلك لا يلوح به تكرير قوله تعالى ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين عقيب كل قصة وتوجيه الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود بذلك تذكير ما وقع
فيه من الحوادث قد مر سره مرارا ان ايت بمعنى اي ايت على ان مفسرة او بان ايت على ان المصدرية
به حذف عنها الجار القوم الظالمين اي بالكفر والمعاصي والاستعباد وبني اسرائيل وذبح ابنائهم
وليس هذا مطلع ما ورد في حين النداء وانما هو ما فصل في سورة طه من قوله تعالى اني انا ربك
الى قوله لنريك من اياتنا الكبرى اذ ما جرى في قصة واحدة من المقالات بعبارات شتى
واساليب مختلفة قد مر تحقيقه في اوائل سورة الاعراف عند قوله قال انظر في قوم فرعون
بدل من الاول او عطف بيان جيء به للايذان بانهم علم في الظلم كان معنى القوم الظالمين وترجمته
قوم فرعون والاقتصار على ذكر قومه للايذان بشهرة ان نفسه اول داخل في الحكم الا يتقون
استيناف جيء به اثر ارساله عليه السلام اليهم للانذار تعجيبا من غلوهم في الظلم وافراطهم في

العدوان وقرئ بتاء الخطاب على طريقة الالتفات المبني زيادة الغضب عليهم كان ذكر ظلمهم ادى
الى مشافهتهم بذلك وهم وان كانوا غيبا لكنهم قد اجري مجرى الحاضرين في كلام المرسل اليهم من حيث انه
يبلغه اليهم واستماعه مبدا اسماعهم مع ما فيه من مزيد الحث على التقوى لمن تدبر وتامل وقرئ
بكسر النون اكتفاء به عن ياء المتكلم وقد جوز ان يكون بمعنى الا تاس تتقون نحو الا يا اسجد قال استيناف
مبني على سؤال نشا من حكاية ما مضى كانه قيل فماذا قال موسى عليه السلام فقيل قال متضرعا الى
الله عز وجل رب اني اخاف ان يكذبون من اول الامر ويضيق صدري ولا ينطلق لساني معطوفان
على اخاف فارسل اي جبرئيل عليه السلام الى هرون ليكون معا اتعاضد به في تبليغ الرسالة
رتب عليه السلام استدعا ذلك على الامور الثلاثة خوف التكذيب وضيق الصدر وازدياد
ما كان فيه من حبسة اللسان بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه بحيث لا ينطلق لانها
اذا اجتمعت تمس الحاجة الى معين يقوي قلبه وينوب منابه اذا اعتراه حبسه حتى لا يختل دعوته
ولا ينقطع حجته وليس هذا من التعلل والتوقف في تلقي الامر في شيء انما هو استدعا لما يعينه
على الامتثال به وتمهيد عذره فيه وقرئ ويضيق ولا ينطلق بالنصب عطفا على يكذبون فيكونان من
جملة ما يخاف منه ولهم علي ذنب فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او سمي باسمه والمراد به
قتل القبطي وتسميته ذنبا بحسب زعمهم كما ينبئ عنه قوله لهم وهذا اشارة الى قصة مبسوطة في
غير موضع فاخاف اي ان اتيتهم وحدي ان يقتلون بمقابلته قبل اداء الرسالة كما ينبغي وليس هذا ايضا تعللا
وانما هو استدفاع للبلية المتوقعة قبل وقوعها وقوله تعالى قال كلا فاذهبا باياتنا حكاية لاجابته
تعالى الى الطلبتين الردع المفهوم من الردع عن الخوف وضم اخيه المفهوم من توجيه الخطاب اليهما بطريق
التغليب فانه معطوف على مضمر ينبئ عنه الردع كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت ومن
استدعيته وفي قوله تعالى باياتنا رمز الى انها تدفع ما تخافه وقوله تعالى انا معكم مستمعون تعليل
للردع عن الخوف ومزيد تسلية لهما لضمان كمال الحفظ والنصرة كقوله تعالى انني معكما اسمع وارى
وحيث كان الموعود بحضر من فرعون اعتبر هاهنا في المعية وقيل اجري مجرى الجماعة وباين ما بعده وما
قبله من ضميري التثنية اي سامعون لما يجري بينكما وبينه فنظهركما عليه مثل حاله تعالى بحال ذي
شوكة قد حضر مجادلة قوم يسمع ما يجري بينهم ليمد اولياءه ويظهرهم على اعدائهم مبالغة في الوعد
بالاعانة ولعله الاستماع الذي هو بمعنى الاصغاء للسمع الذي هو العلم بالحروف والاصوات وهو
خبر ثان او خبر وحده ومعكم ظرف لغو او الظرف في قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
لترتيب ما بعدها على ما قبلها من الوعد الكريم وليس هذا مجرد تاكيد الامر بالذهاب لان معناه
الوصول الى المأتي لا مجرد التوجه اليه كالذهاب وافراد الرسول اما باعتبار الرسالة كل منهما او لانه
مصدر وصف به وان في قوله تعالى ان ارسل معنا بني اسرائيل مفسرة لتضمن الارسال المفهوم
من الرسول معنى القول ومعنى ارسالهم تخليتهم وشانهم ليذهبوا معهما الى الشام قال اي فرعون
لموسى عليه السلام بعد ما اتياه وقالا له ما امرا به يروى انهما انطلقا الى باب فرعون فلم يؤذن لهما
سنة حتى قال البواب ان هاهنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين فقال ايذن له لعلنا نضحك
فاديا اليه الرسالة فعرف موسى عليه السلام فقال عند ذلك الم نربك فينا وليدا في حجرنا
ومنازلنا وليدا اي طفلا عبر عنه بذلك لقرب عهده بالولادة
ولبثت فينا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلاثين سنة ثم خرج الى مدين واقام به عشر سنين ثم عاد
اليهم يدعوهم الى الله عز وجل ثلاثين سنة ثم بقي بعد ذلك الغرق خمسين وقيل وكز القبطي وهو ابن
ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثر ذلك والله اعلم وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتل القبطي
بعد ما عدد نعمته من تربيته وتبليغه مبلغ الرجال وبخه بما جرى عليه من قتل خبازه وعظمه
ذلك وفظعه وقرئ فعلتك بكسر الفاء لانها كانت نوعا من القتل وانت من الكافرين اي بنعمتي
حيث عمدت الى رجل من خواصي او انت ممن تكفرهم الان وقد افترى عليه عليه السلام او جهل امره
عليه السلام حيث كان يعايشهم بالتقية والا فاين هو عليه السلام من مشاركتهم في الدين فالجملة
حينئذ حال من احدى التاءين ويجوز ان يكون حكما مبتدا عليه بانه من الكافرين بالهيته او ممن يكفرون
في دينهم حيث كانت لهم الهة يعبدونهم او من الكافرين بالنعم المعتادين لغمطها ومن اعتاد ذلك
لا يكون مثل هذه الجناية بدعا منه قال مجيبا له مصدقا له في القتل ومكذبا فيما نسبه اليه من الكفر
فعلتها اذا وانا من الضالين اي من الجاهلين وقد قرئ كذلك لا من الكافرين كما زعمت اي من فعل الجملة
والسفهاء او من المخطئين لانه لم يتعمد قتله بل اراد تاديبه او الناسين عما يؤدي اليه الوكز او الناشئين

كقوله تعالى ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى ففررت منكم الى ربي لما خفتكم ان تصيبوني
بمضرة وتؤاخذوني بما لا استحقه بجنايتي من العقاب فوهب لي ربي حكما اي حكمة او نبوة وجعلني
من المرسلين ازاد وتزيد بذلك ما يجبه به قطعا في نبوته ثم كر على ما عيره به من النعمة ولم يصرح برده حيث كان
صدقا غير قادح في دعواه بل نبه على ان ذلك كان في الحقيقة نقمة فقال وتلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت
بني اسرائيل اي تلك التربية نعمة تمن علي بها ظاهرا وهي في الحقيقة تعبيدك بني اسرائيل وقصدك
اياهم بذبح ابنائهم فانه السبب في وقوعي عندك وحصولي في تربيتك وقيل انه مقدر
بهمزة الانكار اي او تلك نعمة تمنها علي وهي ان عبدت بني اسرائيل ومحل ان عبدت الرفع على انه
خبر مبتدا محذوف او بدل من نعمة او الجر باضمار الباء او النصب بحذفها وقيل تلك اشارة الى خصلة
شنعاء مبهمة وان عبدت عطف بيان لها والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وتوحيد الخطاب
في تمنها وجمعه فيما قبله لان المنة منه خاصة والخوف والفرار منه ومن ملائه قال فرعون لما
سمع منه عليه السلام تلك المقالة المبنية وشاهد تصلبه في امره وعدم تاثره بما قدمه من
الابراق والابعاد شرع في الاعتراض على دعواه عليه السلام فبدا بالاستفسار عن المرسل فقال وما رب
العالمين حكاية لما وقع في عبارته عليه السلام اي اي شيء رب العالمين الذي ادعيت انك رسوله
منكرا لان يكون للعالمين رب سواه حسبما يعرب عنه قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري
وينطق به وعيده عند تمام اجوبته عليه السلام قال موسى عليه السلام مجيبا له رب السموات
والارض وما بينهما تعيين لما اراد بالعالمين وتفصيل له لزيادة التحقيق والتقرير وحسم مادة
تزوير اللعين وتشكيكه بحمل العالمين على ما تحت مملكته ان كنتم موقنين اي ان كنتم موقنين بالاشيا
محققين لها علمتم بذلك او ان كنتم موقنين بشيء من الاشيا فهذا اولى بالايقان لظهوره وانارة
دليله قال اي فرعون عند سماع جوابه عليه السلام خوفا من تاثيره في قلوب قومه واذعانهم له
لمن حوله من اشراف قومه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكانوا اي فرعون عند سماع جوابه
عليه السلام مخوفا من تاثيره في قلوب قومه واذعانهم ابية عليهم الاسا ورو كانت الملوك خاصة
الا تستمعون مرايا لهم ان ما سمعوه من جوابه عليه السلام مع كونه مما يليق بان يعتد به ام
حقيق بان يتعجب منه كانه قال الا تستمعون ما يقوله فاستمعوه وتعجبوا منه حيث يدعي خلاف
ام محقق الاستنابة وفيه يريد به ربوبيته نفسه قال عليه السلام مصرحا بما كان مندرجا تحت
جوابه السابقين ربكم ورب ابائكم الاولين ان رسولكم الذي ارسل وحطاله عن ادعا الربوبية الى مرتبة الربوبية قال
فرعون لما واجهه موسى عليه السلام بما ذكر طاله ذلك وخاف من تاثير قومه منهم فازاحم ان
ما قاله عليه السلام مما لا يصدر عن العقلاء حسدا لهم فقال مولدا لمقالته الشنعاء بحرف التاكيد
ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ليصرفهم بذلك ويصرفهم عن قبول الحق وسماه رسولا بطريق
الاستهزاء متعمدا اضافته الى مخاطبيه ترفعا من ان يكون مرسلا الى نفسه قال عليه السلام رب المشرق
والمغرب قال عليه السلام مكملا لجوابه الاول وتفسيرا وتنبيها على جهلهم وعدم فهمهم لمعنى مقالته
فان بيان ربوبيته تعالى للسموات والارض وما بينهما وان كان متضمنا للبيان ربوبيته تعالى
للخافقين وما بينهما لكن لما لم يكن فيه تصريح باستناد حركات السموات وتغيرات احوالها واوضاعها
وكون الارض تارة مظلمة واخرى منورة الى الله تعالى ارتدهم الى طريق معرفته ربوبيته تعالى
لما ذكر فان ذكر المشرق والمغرب مبني عن شروق الشمس وغروبها وضوء المنوطين بحركات
السموات وما فيها على نمط بديع يترتب عليه هذه الاوضاع الرصينة وكل ذلك امور
حادثة مفتقرة الى محدث عليم حكيم لا للذوات السموات والارض التي ربما يتوهم جهلة المتوهمين
باستنادها استغنائها عن الموجد المتصرف وما بينهما ان كنتم تعقلون اي ان كنتم تعقلون شيئا من
الاشيا او ان كنتم من اهل العقل علمتم ان الامر كما قلته وفيه ايذان بغاية وضوح الامر بحيث
لا يشتبه على من له عقل في الجملة وتلويح بانهم بمعزل من دائرة العقل فانهم متصفون بما رموه عليه
السلام به من الجنون قال لما سمع اللعين منه عليه السلام تلك المقالات المبنية على اساس الحكم
البالغة وشاهد شدة حزمه وقوة عزمه على تمشية امره فانه فيمن لا يبارى في حلبته المجاورة
ضرب صفحا عن المقاولة بالانصاف وناي بجانبه الى العدوة الجور والاعتساف فقال مظهرا لما كان
يضمر عند السؤال والجواب لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين لم يقتنع منه عليه السلام
بترك دعوى الرسالة وعدم التعرض حتى كلفه عليه السلام ان يتخذ الها الغاية عتوه وغلوه
فيما فيه من دعوى الالوهية وهذا صريح في ان تعجيبه وتعجيبه من الجواب الاول ونسبته عليه السلام الى

المجنون في الجواب الثاني كان لنسبته عليه السلام الى الربوبية الغير ٭ واما ما قيل من ان سؤاله كان عن حقيقة
الرسل ونحيبه عن جوابه كان لعدم مطابقته لكونه بدل كما قاله فلا يساعده النظر الكريم ولا حال
فرعون ولا ما يقال له والله من المسجونين لعهد اي لاجعلنك ممن عرفت احوالهم في سجوني حيث كان
يطرحهم في هوة عميقة حتى يموتوا ولذلك لم يقل لاسجننك قال اولو جئتك بشيء مبين اي اتفعل بي
ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي موضح لصدق دعواي من ظهرت عليه يداه والمعتبر عنها بالشيء
للتهويل قالوا الواو للحال وليها الهمزة اولو جئتك بشيء مبين الحال دخلت عليها همزة الاستفهام
بشيء مبين اي موضح لصدق دعواي وقد سلف مرارا انها للعطف وان كلمة لو
ليست لانتفاء الشيء في الزمان الماضي لانتفاء غيره فيه فلا يلاحظ لها جواب قد حذف تعويلا على دلالة
ما قبلها عليه ملاحظة قصد به الا عند القصد الى بيان الاعراب على القواعد الصناعية بل لبيان
تحقق ما يفيده الكلام السابق من الحكم الموجب او المنفي على كل حال مفروض من الاحوال المقارنة له
على الاجمال بادخالها على ابعدها منه وما لا يظن بثبوته او بانتفائه معه ماعداه من
الاحوال بطريق الاولوية ان الشيء متى تحقق مع المنافي القوي فلان يتحقق مع غيره اولى ولذلك
لا يذكر معه شيء من سائر الاحوال ويكتفى فيه بذكر العاطف للجملة على نظيرها المقابلة لها المتناولة
لجميع الاحوال المغايرة لها عند تعددها ليظهر ما ذكر عند تحقق الحكم على جميع الاحوال فانك اذا
قلت فلان جواد يعطي ولو كان فقيرا تريد بيان تحقق الاعطاء منه على كل حال من احواله
المفروضة فتعلق الحكم بما بعدها منه ليظهر بتحققه معه تحققه مع ما عداه من الاحوال التي
لا منافاة لها وبين الحكم بطريق الاولوية المنبئة عنها الواو والاكتفاء بذكر العاطف عن تفصيلها كانك قلت فلان
جواد يعطي ولو لم يكن فقيرا ولو كان فقيرا اي يعطي حال كونه غنيا وحال كونه فقيرا فالحال في الحقيقة
كلتا الجملتين المتعاطفتين لا المذكورة على ان الواو للحال وتقدير المجيء بما ذكر بكلمة لو دون ان ليس
لبيان استبعاده من نفسه بل بالنسبة الى فرعون والمعنى اتفعل بي ذلك حال عدم مجيئي بشيء مبين
وحال مجيئي به قال فأت به ان كنت من الصادقين اي فيما يدل عليه كلامك من انك تأتي بشيء مبين
موضح لصدق دعواك او في دعوى الرسالة وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه فالقى
عصاه فاذا هي ثعبان مبين اي ظاهر ثعبانيته لا انه شيء يشبهه واشتقاق الثعبان من ثعبت الماء
ثعب اي فجرته فانفجر وقد مر بيان كيفية الحال في سورة الاعراف وفي سورة طه ونزع يده
من جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين قيل لما رأى فرعون الاية الاولى قال هل لك غيرها فاخرج يده
فقال ما هذه قال فرعون يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها ولها شعاع كاد يغشي الابصار
ويسد الافق قال للملأ حوله اي مستقرين حوله فهو ظرف وقع موقع الحال ان هذا لساحر عليم
فائق في فن السحر يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تأمرون بهره سلطان المعجزة وحيره
حتى حطه عن ذروة ادعاء الربوبية الى حضيض الخضوع لعبيده في زعمه والامتثال بامرهم او الى مقام
مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا بالرأي والتدبير واظهر استشعار الخوف من استيلائه على
ملكه ونسبة الاخراج والارض اليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام قالوا ارجه واخاه اي اخر امرهما
وقيل احبسهما وابعث في المدائن حاشرين اي شرطا يحشرون السحرة يأتوك بكل سحار
عليم فائق في فن السحر وقرئ بكل ساحر فجمع السحرة لميقات يوم معلوم هو ما عينه عليه السلام
لقوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى وقيل للناس هل انتم مجتمعون قيل لهم ذلك
استبطاء لهم في الاجتماع وحثا لهم على المبادرة اليه لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لا موسى
عليه السلام وليس مرادهم ان يتبعوا دينهم حقيقة وانما غرضهم ان لا يتبعوا موسى عليه السلام
لكنهم ساقوا الكلام مساق الكناية حملا لهم على الاهتمام والجد في المغالبة فلما جاء السحرة قالوا لفرعون
ائن لنا لاجرا اي اجرا عظيما ان كنا نحن الغالبين لا موسى عليه السلام قال نعم لكم ذلك وانكم مع
ذلك اذا لمن المقربين عندي قيل قال لهم تكونوا اول من يدخل علي واخر من يخرج من عندي وقرئ نعم بكسر
العين وهما لغتان قال لهم موسى اي بعد ما قال له السحرة اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين القوا
ما انتم ملقون ولم يرد به الامر بالسحر والتمويه بل الاذن في تقديم ما هم فاعلوه البتة توسلا به الى
اظهار الحق وابطال الباطل فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا اي وقد قالوا عند الالقاء بعزة فرعون انا لنحن
الغالبون قالوه لفرط اعتقادهم في انفسهم واتيانهم باقصى ما يمكن ان يؤتى به من السحر فالقى موسى
عصاه فاذا هي تلقف اي تبتلع بسرعة وقرئ تلقف بحذف احدى التاءين من تتلقف ما يأفكون اي
ما يقلبونه عن وجهه وصورته بتمويههم وتزويرهم فيخيلون حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى او افكهم

تسميته ثعبانا فوقه به مبالغة فالقى السحرة ساجدين اي اثر ما شاهدوا ذلك من غير تلعثم وتردد
غير متمالكين كان ملقيا القاهم لعلمهم بان مثل ذلك خارج عن حدود السحر وانه امر الهي قد ظهر
على يده عليه السلام لتصديقه وفيه دليل على ان منتهى ما ينتهي اليه مهرة السحرة هو التمويه
والتزوير وتخييل شيء لا حقيقة له قالوا امنا برب العالمين بدل الاشتمال من القوا وحال باضمار
قد وقوله تعالى رب موسى وهرون بدل من رب العالمين للتوضيح ودفع توهم ارادة فرعون
حيث كان قومه الجهلة يسمونه بذلك والاشعار بان الموجب لايمانهم به تعالى ما اجراه على ايديهما من
المعجزة القاهرة قال اي فرعون للسحرة امنتم له قبل ان اذن لكم اي بغير ان اذن لكم كما في قوله تعالى لنفد البحر
قبل ان تنفد كلمات ربي لا ان الايمان منه ممكن او متوقع انه لكبيركم الذي علمكم السحر فتواطأتم على ما فعلتم
او علمكم شيئا دون شيء فلذلك غلبكم اراد به بذلك التلبيس على قومه كيلا يعتقدوا انهم امنوا عن
بصيرة وظهور حق وقرئ ا امنتم بهمزتين فلسوف تعلمون اي وبال ما فعلتم وقوله لاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين بيان لما وعدهم به قالوا اي السحرة لا ضير اي لا ضرر فيه علينا
وقوله تعالى انا الى ربنا منقلبون تعليل لعدم الضير اي لا ضير في ذلك بل لنا فيه نفع عظيم لما يحصل لنا
في الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير الخطايا والثواب العظيم او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل
انه لا بد لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهونها وارجاها وقوله تعالى انا نطمع
ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اي لان كنا اول المؤمنين اي من اتباع فرعون او من اهل المشهد تعليل ثان لنفي
الضير اي لا ضير علينا في قتلك انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا لكوننا اول المؤمنين وقرئ ان كنا على الشرط
لهضم النفس وعدم الثقة بالخاتمة او على طريقة قول المدل بامره كقول العامل المتاخر
اجرته ان كنت عملت لك فوفني اجري واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي وذلك بعد بضع سنين
اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات فلم يزيدوا الا عتوا وعنادا حسبما فصل في سورة
الاعراف بقوله تعالى ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين الايات وقرئ بكسر النون ووصل الالف من السرى
وقرئ بسر انكم متبعون تعليل للامر بالاسراء اي يتبعكم فرعون وجنوده مصبحين فاسر بمن معك حتى لا يدركوكم
قبل الوصول الى البحر فيدخلوا مداخلكم فاطبقه عليهم فاغرقهم فارسل فرعون حين اخبر بمسيرهم في المدائن
حاشرين جامعين للعساكر ليتبعوهم ان هؤلاء يريد بني اسرائيل لشرذمة قليلون استقلهم وهم ستمائة
الف وسبعون الفا بالنسبة الى جنوده اذ روي انه ارسل في اثرهم الف الف وخمسمائة الف ملك مسور
مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم وكانت مقدمته سبعمائة الف رجل على حصان وعلى
راسه بيضة وعن ابن عباس رضي الله عنهما خرج فرعون في الف الف حصان سوى الاناث وانهم لنا لغائظون
اي فاعلون ما يغيظنا وانا لجميع حذرون يريد انهم لقلتهم لا يبالي بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون
افعالا تغيظنا وتضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا
خرج علينا خارج سارعنا الى اطفاء نائرة فساده وهذه معاذير اعتذر بها الى اهل المدائن لئلا يظن به
ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون فالاول دال على التجدد والثاني على الثبات ٭ وقيل الحاذر المؤدي
في السلاح وقرئ حادرون بالدال المهملة اي اقوياء واشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حدارة
في اجسامهم فاخرجناهم بان خلقنا فيهم داعية الخروج بهذا السبب فحملهم عليه من جنات وعيون وكنوز
ومقام كريم كانت لهم في ذلك كذلك اما مصدر تشبيهي اي اخرجناهم مثل ذلك الاخراج العجيب
اخرجناهم او صفة لمقام كريم اي من مقام كريم كائن كذلك او خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك واورثناها
بني اسرائيل اي مكناهم اياها على طريقة تمليك مال المورث للوارث كانهم ملكوها من حين خروج اربابها
منها قبل ان يقبضوها ويتسلموها فاتبعوهم اي فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت
شروق الشمس اي طلوعها فلما تراءى الجمعان تقاربا بحيث رأى كل واحد منهما الاخر وقرئ تراءت
الفئتان قال اصحاب موسى انا لمدركون جاؤوا بالجملة الاسمية مؤكدة بحرف التاكيد للدلالة على تحقق الادراك
واللحاق والتحيير بهما وقرئ لمدركون بتشديد الدال من ادرك الشيء اذا تتابع ففني اي انا لمتتابعون في الهلاك
على ايديهم قال كلا ارتدعوا عن ذلك فانهم لا يدركونكم ان معي ربي بالنصرة والهداية سيهدين الى طريق
النجاة منهم بالكلية روي ان يوشع عليه السلام قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا
قال عليه السلام ههنا فخاض يوشع عليه السلام الماء وضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر فكان
ما كان وروي ان مؤمنا من آل فرعون كان بين يدي موسى عليه السلام فقال اين امرت فهذا البحر امامك
وقد غشيك ال فرعون قال امرت بالبحر ولعلي اؤمر بما اصنع فامر بما امر به وذلك قوله تعالى فاوحينا
الى موسى ان اضرب بعصاك البحر القلزم او النيل فانفلق الفاء فصيحة اي فضرب فانفلق فصار اثنا عشر

فرقا بعدد الاسباط بينهن مسالك فكان كل فرق كالطود العظيم كالجبل المنيف الثابت في مقره فدخلوا
في شعبها كل سبط في شعب منها وازلفنا اي قربنا ثم الاخرين اي فرعون وقومه حتى دخلوا على اثرهم
مداخلهم وانجينا موسى ومن معه اجمعين بحفظ البحر على تلك الهيئة الى ان عبروا الى البر ثم اغرقنا الاخرين
باطباقه عليهم ان في ذلك اي في جميع ما فصل مما ظهر عن موسى عليه السلام وظهر على يديه من المعجزات
القاهرة ومما فعل به بفرعون وقومه من الاقوال والافعال وما فعل بهم من العذاب والنكال
وما في اسم الاشارة من معنى البعد لتهويل الامر المشار اليه وتفظيعه لتنكير الاية في قوله تعالى
لاية اي اية اية واية عظيمة لا يكاد يوصف موجبة لان يعتبر بها المعتبرون ويقيسوا شان النبي
صلى الله عليه وسلم بشان موسى عليه السلام وحال انفسهم بحال اولئك ويجتنبوا ما كانوا يتعاطونه
من الكفر والمعاصي ومخالفة الرسول ويؤمنوا بالله تعالى ويطيعوا رسوله صلى الله عليه وسلم كيلا يحل
بهم مثل ما حل باولئك وان ما فصل من القصة من حيث حكايته عليه السلام اياها على ما هي عليه من
غير ان يسمعها من احد لاية عظيمة دالة على ان ذلك بطريق الوحي الصادق موجبة للايمان بالله تعالى
وحده وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وما كان اكثرهم اي اكثر هؤلاء الذين سمعوا قصتهم منه
عليه السلام مؤمنين لا بان يقيسوا شانه بشان موسى عليهما الصلاة والسلام وحال انفسهم بحال
اولئك المكذبين المهلكين ولا بان يتدبروا في حكايته عليه السلام لقصتهم من غير ان يسمعها من احد
مع كون كل من الطريقين لا يؤدي الى الايمان قطعا ومعنى وما كان اكثرهم مؤمنين على ان كان زائدة
كما هو رأي سيبويه فيكون كقوله تعالى وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وهو اخبار منه تعالى بما
سيكون من المشركين بعد ما سمعوا الايات الناطقة بالقصة تقريرا لما مر من قوله تعالى وما ياتيهم
ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا الى اخره فان ايراد الجملة الاسمية للدلالة على
استقرارهم على عدم الايمان واستمرارهم عليه ويجوز ان يجعل كان بمعنى صار كما قيل ذلك في قوله تعالى
وكان من الكافرين فالمعنى وما صار اكثرهم مؤمنين مع ما سمعوا من الاية العظيمة الموجبة له بما ذكر من
الطريقين فيكون الاخبار بعدم الصيرورة قبل الحدوث للدلالة على كمال تحققه وتقوية لقوله تعالى
اتى امر الله الاية وان ربك لهو العزيز الغالب على كل ما يريده من الامور التي من جملتها الانتقام من
المكذبين الرحيم المبالغ في الرحمة ولذلك يمهلهم ولا يعجل لهم عقوبتهم بعد عدم ايمانهم بعد مشاهدة
هذه الاية العظيمة بطريق الوحي مع كمال استحقاقهم لذلك هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم
من مطلع السورة الكريمة الى اخر القصص السبع بل الى اخر السورة الكريمة اقتضاء بينا لا ريب فيه واما ما
قيل من ان ضمير اكثرهم لاهل عصر فرعون من القبط وغيرهم وان المعنى وما كان اكثر اهل مصر مؤمنين حيث
لم يؤمن منهم الا اسية وخربيل ومريم ابنة يا موسى التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام وبنوا
اسرائيل بعد ما نجوا سألوا بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فبمعزل
من التحقيق كيف لا ومساق كل قصة من القصص الواردة في السورة الكريمة سوى قصة ابراهيم عليه
السلام انما هو لبيان حال طائفة معينة قد عتوا عن امر ربهم وعصوا رسله عليهم السلام كما يفصح عنه
تصدير القصص بتكذيبهم المرسلين بعد ما شاهدوا بايديهم من الايات العظام ما يوجب عليهم الايمان
ويزجرهم عن الكفر والعصيان واصروا على ما هم عليه من التكذيب فعاقبهم الله تعالى لذلك بالعقوبة
الدنيوية وقطع دابرهم بالكلية فكيف يمكن ان يخبر عنهم بعدم ايمان اكثرهم لا سيما بعد الاخبار باهلاكهم
وعد المؤمنين من جملتهم اولا واخراجهم منهم اخرا مع عدم مشاركتهم لهم في شيء مما حكي عنهم من الجنايات
اصلا مما يجب عن تنزيه التنزيل عن امثاله فتدبر واتل عليهم عطف على المضمر العامل في اذ
اذ نادى الى اخره واتل على المشركين نبا ابراهيم اي خبره العظيم الشان حسبما اوحي اليك لتقف على ما
ذكر من عدم ايمانهم بما ياتيهم من الايات باحد الطريقين اذ قال منصوب اما على الظرفية للنبا اي نباه
وقت قوله لابيه وقومه او على المفعولية لاتل على انه بدل من نبا اي واتل عليهم وقت قوله لهم
ما تعبدون على ان المتلو ما قاله لهم في ذلك الوقت سالهم عليه السلام عن ذلك ليبني على جوابهم ما يعلمه
بمعزل من استحقاق العبادة بالكلية قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين لم يقتصروا على الجواب الكافي
بان يقولوا اصناما كما في قوله تعالى ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو وقوله تعالى ماذا انزل ربكم قالوا
الحق ونظائرهما بل اطنبوا فيه باظهار الفعل وعطف دوام عكوفهم على اصنامهم قصدا الى ابراز ما في نفوسهم
الخبيثة من الابتهاج والافتخار بذلك والمراد بالظلول الدوام وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل
وصلة العكوف كلمة على وايراد اللام لافادة معنى زائد كانهم قالوا فنظل لاجلها مقبلين على عبادتها او
مستديرين حولها وهذا ايضا من جملة اطنابهم قال استئناف مبني على سؤال نشا من تفصيل جوابهم قال

يسمعونكم

يسمعونكم اي هل يسمعون دعاءكم على حذف المضاف او يسمعونكم تدعون كقولك سمعت زيدا
يقول كيت وكيت فحذف لدلالة قوله تعالى اذ تدعون عليهم وقرئ هل يسمعونكم من الاسماع
اي يسمعونكم شيئا من الاشياء او الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وصيغة المضارع مع اذ على
الحكاية حكاية الحال الماضية لاستحضار صورتها كانه قيل لهم استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم
تدعونها فيها وقولوا هل سمعوا او اسمعوا قط او ينفعونكم بسبب عبادتكم لها او يضرون اي
يضرونكم بترككم لعبادتها اذ لا بد للعبادة لا سيما عند كونها على ما وصفتم من المبالغة فيها من
جلب نفع او دفع ضر قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اعترفوا بانها بمعزل مما ذكر من السمع
والمنفعة والمضرة بالمرة واضطروا الى اظهار انه لا سند لهم سوى التقليد اي ما علمنا او ما رأينا منهم
ما ذكر من الامور بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اي مثل عبادتنا يعبدون فاقتدينا بهم قال
افرايتم ما كنتم تعبدون اي انظرتم فابصرتم او تاملتم فعلمتم ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون
حق الابصار او حق العلم وقوله تعالى فانهم عدو لي بيان لحال ما تعبدونه بعد التنبيه على عدم
علمهم بذلك اي فاعلموا انهم اعداء لعابديهم الذين يحبونهم كحب الله تعالى لما انهم يتضررون من جهتهم
فوق ما يتضرر الرجل من جهة عدوه او لان من يغريهم على عبادتهم ويحملهم عليها الشيطان الذي هو اعدى
عدو الانسان لكنه عليه السلام صور الامر في نفسه تعريضا بهم على انه انفع في النصيحة من
التصريح واشعارا بانها النصيحة بدأ بها نفسه ليكون ادعى الى القبول وافراد العدو لانه في الاصل مصدر او
بمعنى الواحد ومن قوله تعالى وهم لكم عدو وتشبيه بالمصادر الموازنة كالقبول والولوع والحنين
والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع اي لكن رب العالمين ليس كذلك بل هو وليي في الدنيا
والاخرة لا يزال يتفضل علي بمنافعهما حسبما يعرب عنه ما وصفه تعالى به من احكام الولاية
وقيل متصل وهو قول الزجاج على ان الضمير لكل معبود وكان من ابائهم من عبد الله تعالى وقوله تعالى
الذي خلقني صفة لرب العالمين وجعله مبتدأ وما بعده خبره غير حقيق بجزالة التنزيل بل حسبما يعرب
عنه ما وصفه به من احكام والطافه تعالى بذلك بما عطف عليه [illegible]
تحت ربوبيته تعالى للعالمين تصريحا بالنعم الخاصة به عليه السلام وتفصيلا لكونها داخل في
اقتضاء تخصيص العبادة به تعالى وقصر الالتجاء في جلب المنافع الدينية ودفع المضار العاجلة
والاجلة عليه تعالى فهو يهدين اي هو يهديني وحده الى كل ما يهمني ويصلحني من امور الدين والدنيا
بهداية متصلة عن الخلق ونفخ الروح متجددة على الاستمرار كما ينبئ عنه الفاء وصيغة المضارع فانه
[illegible]

اما الثالثة فظاهر لوقوعها بعد مهاجرته عليه السلام الى الشام واما الاوليان فلانهما وقعتا مكتنفتين
بكسر الاصنام ومن البين ان جريان هذه المقالات فيما بينهم كان في مبادي الامر وتعليق مغفرة الخطيئة بيوم الدين
مع انها انما تغفر في الدنيا لان اثرها يومئذ يتبين وفي ذلك تهويل له واشارة الى وقوع الجزاء فيه ان لم تغفر
رب هب لي حكما بعد ما ذكر عليه السلام فنون الالطاف الفائضة عليه من الله عز وجل من مبدأ خلقه
الى يوم بعثه حمله ذلك على مناجاته تعالى ودعائه لربط العتيد وجلب المزيد والحكم والحكمة التي هي الكمال
في العلم والعمل بحيث يتمكن به من خلافة الحق ورياسة الخلق والحقني بالصالحين ووفقني من العلوم والاعمال والملكات
لما ان يرشحني للانتظام في زمرة الكاملين الراسخين في الصلاح المتنزهين عن كبائر الذنوب وصغائرها او اجمع
بيني وبينهم في الجنة فقد اجابه تعالى حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين اي
جاها وحسن صيت في الدنيا بحيث يبقى اثره الى يوم الدين ولذلك لا ترى امة من الامم الا وهي محبة له
او مثنية عليه او صادقا من ذريتي يجدد اصل ديني ويدعو الناس الى ما كنت ادعوهم اليه من التوحيد وهو
النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابي ابراهيم عليه السلام واجعلني من
ورثة جنة النعيم وقد مر معنى الوراثة في سورة مريم واغفر لابي بالهداية والتوفيق للايمان كما كان
يلوح به تعليله بقوله تعالى انه كان من الضالين اي طريق الحق وقد مر تحقيق المقام في تفسير سورة التوبة
وسورة مريم بما لا مزيد عليه ولا تخزني بمعاتبتي على ما فرطت او بنقص رتبتي عن بعض الوارث او بتعذيب
لخفاء العاقبة وجواز التعذيب عقلا وكل ذلك مبني على هضم النفس منه عليه السلام او بتعذيب والدي
او ببعثه في عداد الضالين بعدم توفيقه للايمان وهو من الخزي بمعنى الهوان او من الخزاية بمعنى الحياء يوم يبعثون
اي الناس كافة واضمارهم وقبل الذكر لما في عموم البعث من الشهرة الفاشية المغنية عنه وتخصيصه
بالضالين مما يخل بتهويل اليوم يوم لا ينفع مال ولا بنون بدل من يوم يبعثون جيء به تأكيدا للتهويل
وتمهيدا لما يعقبه من الاستثناء وهو من اعم المفاعيل فلا ينفع مال وان كان مصروفا في الدنيا الى وجوه البر
والخيرات ولا بنون وان كانوا صلحاء مستأهلين للشفاعة الا من اتى الله بقلب سليم اي عن مرض الكفر
والنفاق ضرورة اشتراط نفع كل منهما بالايمان وفيه تأييد لكون استغفاره لابيه طلبا لهدايته الى
الايمان لاستحالة طلب مغفرته بعد موته كافرا مع علمه عليه السلام بعدم نفعه لانه من باب الشفاعة
وقيل هو استثناء من فاعل ينفع بتقدير المضاف اي الا مال من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف
ليس من جنس المستثنى منه حقيقة كما في قوله ۞ تحية بينهم ضرب وجيع ۞ اي الا حال من
اتى الله بقلب سليم على انها عبارة عن سلامة قلب من اتى الله الآية وقيل الجملة وقف ما دل عليه المال
والبنون من الغنى وهو المستثنى منه كأنه قيل لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله الآية وقيل المضاف اي
الا مال من اذنبوا من اتى الله الآية وقيل المضاف المحذوف لانه غني المال في دينه بسلامة قلبه ۞
وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لكن سلامة قلبه تنفعه وازلفت الجنة للمتقين عطف على لا ينفع وصيغة
الماضي فيها وفيما بعده من الجمل المنتظمة معه في سلك العطف للدلالة على تحقق الوقوع وتقرره
كما ان صيغة المضارع في المعطوف عليه للدلالة على استمرار انتفاء النفع ودوامه حسبما يقتضيه
مقام التهويل والتفظيع اي قربت الجنة للمتقين عن الكفر والمعاصي بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون
على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم المحشورون اليها وبرزت الجحيم للغاوين الضالين عن طريق
الحق الذي هو الايمان والتقوى اي جعلت بارزة لهم بحيث يرونها مع ما فيها من انواع الاحوال الهائلة
ويوقنون بانهم مواقعوها ولا يجدون عنها مصرفا وقيل لهم اينما كنتم في الدنيا تعبدون من دون الله اي
اين الهتكم الذين كنتم تزعمون في الدنيا انهم شفعاؤكم في هذا الموقف هل ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون
بدفعه عن انفسهم وهذا سؤال تقريع وتبكيت لا يتوقع له جواب ولذلك قيل فكبكبوا فيها اي القوا في
الجحيم على وجوههم مرة بعد اخرى الى ان يستقروا في قعرها هم اي الهتهم والغاوون الذين كانوا يعبدونهم وفي
تأخير ذكرهم عن ذكر الهتهم رمز الى انهم يؤخرون عنها في الكبكبة ليشاهدوا سوء حالها فيزدادوا غما الى غمهم
وجنود ابليس اي شياطينه الذين كانوا يغوونهم ويوسوسون اليهم ما هم عليه من عبادة الاصنام وسائر
فنون الكفر والمعاصي ليجتمعوا في العذاب حسبما كانوا مجتمعين فيما يوجبه ۞ وقيل متبعوه من عصاة
الثقلين والاول هو الوجه اجمعون تأكيد للضمير وما عطف عليه وقوله تعالى قالوا الى آخره استئناف
وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حالهم كأنه قيل ماذا قالوا حين فعل بهم ما فعل فقيل قالوا اي العبدة
وهم فيها يختصمون اي قالوا معترفين بخطاياهم في انهماكهم في الضلال متحسرين معيرين لانفسهم والحال
انهم في الجحيم بصدد الاختصام مع من معهم من المذكورين مخاطبين لمعبوداتهم على ان الله تعالى يجعل
الاصنام صالحة للاختصام بان يعطيها القدرة على النطق والفهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين ان مخففة

من

من الثقيلة قد حذف منها اسمها الذي هو ضمير الشأن واللام مفارقة بينها وبين النافية اي ان الشأن كنا
في ضلال واضح لا خفاء فيه ووصفهم له بالوضوح للاشباع في اظهار ندمهم وتحسرهم وبيان عظم خطائهم
في رأيهم مع وضوح الحق كما ينبئ عنه تصدير قسمهم بحرف التاء المشعرة بالتعجب وقوله تعالى اذ نسويكم
برب العالمين ظرف لكونهم في ضلال مبين وقيل لما دل عليه الكلام اي ضللنا وقيل للضلال المذكور وان
كان فيه ضعف صناعي من حيث ان المصدر المحدود لا يعمل في المفعول وقيل ظرف لمبين وصيغة المضارع
لاستحضار الصورة الماضية اي تالله لقد كنا في غاية الضلال الفاحش وقت تسويتنا اياكم ايها
الاصنام في استحقاق العبادة برب العالمين الذي انتم ادنى مخلوقاته واذلهم واعجزهم وما اضلنا
الا المجرمون بيان لسبب ضلالهم بعد اعترافهم بصدوره عنهم لكن لا على معنى قصر الاضلال على
المجرمين دون من عداهم بل على معنى قصر ضلالهم على كونه بسبب اضلالهم والمراد بالمجرمين الذين
اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما في قوله تعالى ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيل ۞ وعن
السدي رحمه الله تعالى الاولون الذين اقتدوا بهم وايا ما كان ففيه اوفر نصيب من التعريض للذين
قالوا انا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون وعن ابن جريج ابليس وابن آدم القاتل لانه اول من سن القتل
وانواع المعاصي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء على ان عدمهما كناية
عن عدم نفعهما كما ان عدم المحبة في مثل قوله تعالى والله لا يحب الفساد كناية عن البغض حسبما ينبئ عنه قوله
تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او وقعنا في مهلكة لا يخلصنا منها شافع ولا صديق
على ان المراد بعدمهما عدم اثرهما وجمع الشافع لكثرة الشفعاء عادة كما ان افراد الصديق لقلته او لصحة
اطلاقه على الجمع كالعدو تشبيها لهما بالمصادر كالحنين والقبول وكلمة لو في قوله تعالى فلو ان لنا كرة
للتمني لما ان بين معنييهما تلاقيا في التقدير كأنه قيل فليت لنا كرة اي رجعة الى الدنيا وقيل
هي على اصلها من الشرط وجوابه محذوف كأنه قيل فلو ان لنا كرة لفعلنا من الخيرات كيت وكيت وياباه قوله
تعالى فنكون من المؤمنين لتحتم كونه جوابا للتمني مفيدا لترتب ايمانهم على وقوع الكرة البتة فلا يتخلف
كما هو مقتضى حالهم وعطفه على كرة على طريقة للبس عباءة وتقر عيني كما يستدعيه كون لو على اصلها انما
يفيد تحقق مضمون الجواب على تقدير تحقق كرتهم وايمانهم من غير دلالة على استلزام الكرة للايمان اصلا
مع انه المقصود حتما ان في ذلك اي فيما ذكر من نبأ ابراهيم عليه السلام المشتمل على البيان بطلان ما كانوا
عليه اهل مكة من عبادة الاصنام وتفصيل ما يؤول اليه امر عبدتها يوم القيامة من اعترافهم بخطاياهم
الفاحش وندمهم وتحسرهم على ما فاتهم من الايمان وتمنيهم الرجعة الى الدنيا ليكونوا مؤمنين عند مشاهدتهم
لما ازلفت لهم جنات النعيم وبرزت لانفسهم الجحيم وغشيهم ما غشيهم من الوان العذاب وانواع العقاب
لآية اي آية عظيمة لا يقادر قدرها موجبة على عبدة الاصنام كافة لا سيما على اهل مكة الذين يدعون
انهم على ملة ابراهيم عليه السلام ان يجتنبوا كل الاجتناب ما كانوا عليه من عبادتها خوفا ان يحيق بهم
مثل ما حاق باولئك من العذاب بحكم الاشتراك فيما يوجبه وان ذكر نبائه وتلاوته عليهم على ما هو
عليه من غير ان يسمعه من احد لآية عظيمة دالة على ان ما يتلوه عليهم وحي صادق نازل من جهة الله تعالى
موجبة للايمان به قطعا وما كان اكثرهم مؤمنين اي اكثر هؤلاء الذين يتلو عليهم النبأ مؤمنين
بل هم مصرون على ما كانوا عليه من الكفر والضلال واما ان ضمير اكثرهم لقوم ابراهيم عليه السلام كما توهم
فمما لا سبيل اليه اصلا لظهور انهم ما ازدادوا بما سمعوا منه عليه السلام الا طغيانا وكفرا حتى
اجترؤوا على تلك العظيمة التي فعلوا به عليه السلام فكيف يتوهم منهم ايمان اكثرهم وانما آمن له
لوط فنجاهما الله عز وجل الى الشام وقد مر بقية الكلام في آخر قصة موسى عليه السلام وان ربك
لهو العزيز الرحيم اي هو القادر على تعجيل العقوبة لقومك ولكنه يمهلهم بحكم رحمته الواسعة
ليؤمن بعض منهم او من ذرياتهم كذبت قوم نوح المرسلين القوم مؤنث ولذلك يصغر على
قويمة وقيل القوم بمعنى الامة وتكذيبهم للمرسلين اما باعتبار اجماع الكل على التوحيد واصول
الشرائع التي لا تختلف باختلاف الازمنة والاعصار واما لان المراد بالجمع الواحد كما يقال فلان
يركب الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد واذ في قوله تعالى اذ قال لهم ظرف للتكذيب
على انه عبارة عن زمان مديد وقع فيه ما وقع من الجانبين الى تمام الامر كما ان تكذيبهم عبارة عما
صدر عنهم من حين دعوته عليه السلام الى انتهائها اخوهم اي نسيبهم نوح الا تتقون الله حيث
تعبدون غيره اني لكم رسول من جهته تعالى امين مشهور بالامانة فيما بينكم فاتقوا الله واطيعون
فيما امركم به من التوحيد والطاعة لله تعالى وما اسألكم عليه اي على ما انا متصد له من الدعاء
والنصح من اجر اصلا ان اجري فيما اتولاه الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون

لترتيب ما بعدها على ما قبلها من تنزيهه عليه السلام من الطمع كما ان نظيرتها السابقة لترتيب ما
بعدها على امانته والتكرير للتاكيد والتنبيه على ان كلا منهما مستقل في ايجاب التقوى والطاعة
فكيف اذا اجتمعا وقرئ ان اجري بسكون اليا قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اي الاقلون جاها
ومالا جمع الارذل على الصحة فانه بالغلبة صار جاريا مجرى الاسم كالاكبر والاكابر وقيل جمع ارذل
كالكالب واكلب وقرئ واتباعك وهو جمع تابع كشاهد واشهاد او وهو جمع تبع كبطل وابطال
يعنون انه لا عبرة لاتباعهم لك اذ ليس لهم رزانة عقل ولا اصابة رأي وقد كان ذلك منهم في
بادي الراي كما ذكر في موضع اخر وهذا من كمال سخافة عقولهم وقصرهم انظارهم على حطام الدنيا
وكون الاشرف عندهم من هو اكثر منها حظا والارذل من حرمها وجهلهم انها لا تزن عند الله جناح
بعوضة وان النعيم هو نعيم الاخرة والاشرف من فاز به والارذل من حرمه قال وما علمي بما كانوا يعملون
جواب عما اشير اليه من قولهم ان ايمانهم لم يكن عن نظر وبصيرة اي وما وظيفتي الا اعتبار الظواهر وبناء
الاحكام عليها دون التفتيش عن بواطنهم والشق عن قلوبهم ان حسابهم اي ما محاسبة اعمالهم والتنقير
عن كيفياتها البادية والخافية الا على ربي فانه المطلع على السرائر والضمائر لو تشعرون اي بشيء
من الاشياء او لو كنتم من اهل الشعور لعلمتم ذلك ولكنكم لستم كذلك فتقولون ما تقولون وما انا بطارد
المؤمنين جواب عما اوهمه كلامهم من استدعاء طردهم وتعليق ايمانهم بذلك حيث جعلوا اتباعهم مانعا
عنه وقوله تعالى ان انا الا نذير مبين كالعلة له اي ما انا الا رسول مبعوث لانذار المكلفين وزجرهم
عن الكفر والمعاصي سواء كانوا من الاعزاء او الاذلاء فكيف يتسنى لي طرد الفقراء لاستتباع الاغنياء او ما
علي الا انذاركم بالبرهان الواضح وقد فعلته وما علي استرضاؤكم وجعلكم بطرد الاخرين قالوا لئن لم تنته
يا نوح عن قولك لتكونن من المرجومين من المشتومين او المرجومين بالحجارة قالوه قاتلهم الله تعالى
في اواخر الامر ومعنى قوله تعالى قال رب ان قومي كذبون صمموا على تكذيبي واصروا على ذلك بعد ما
دعوتهم هذه الازمنة المتطاولة ولم يزدهم دعائي الا فرارا كما يعرب عنه دعاؤه بقوله فافتح بيني وبينهم
فتحا اي احكم بيننا بما يستحقه كل واحد منا وهذه احالة لدعائه المفصل في سورة نوح ونجني ومن معي
من المؤمنين اي من قصدهم او من شؤم اعمالهم فانجيناه ومن معه حسب دعائه في الفلك المشحون اي
المملوء بهم وبما لابد لهم منه ثم اغرقنا بعد اي بعد انجائهم الباقين اي من قومه ان في ذلك لاية وما
كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم الكلام فيه كالذي مر خلا ان حمل اكثرهم على اكثر من
قوم ابعد من السداد كذبت عاد المرسلين انث عادا باعتبار القبيلة وهو اسم الاب الاقصى اذ قال لهم اخوهم
هود الا تتقون الكلام فيه ان المراد بتكذيبهم وبما وقع فيه من الزمان ما ذكر في قصة نوح
عليه السلام الا تتقون الله تعالى فتفعلون ما تفعلون فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين الكلام فيه كالذي مر وتصدير القصص به للتنبيه على ان مبنى البعثة
هو الدعاء الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى الثواب ويبعده من العقاب وان الانبيا
عليهم السلام مجمعون على ذلك وان اختلفوا في بعض فروع الشرائع المختلفة باختلاف الازمنة والاعصار
وانهم منزهون عن المطامع الدنية والاغراض الدنيوية بالكلية اتبنون بكل ريع اي مكان مرتفع
ومنه ريع الارض لارتفاعها اية علما للمارة تعبثون ببنائها اذ كانوا يهتدون بالنجوم في اسفارهم
فلا يحتاجون اليها او بروجا للحمام او بنيانا يجتمعون اليه ليعبثوا بمن مر عليهم او قصورا عالية
يفتخرون بها وتتخذون مصانع اي ماخذ للماء وقيل قصورا مشيدة وحصونا لعلكم تخلدون اي راجين ان
تخلدوا في الدنيا اي عاملين عمل من يرجو ذلك فلذلك تحكمون بنيانها واذا بطشتم بسوط او سيف
بطشتم جبارين متسلطين غاشمين بلا رأفة ولا قصد تأديب ولا نظر في العاقبة فاتقوا الله واتركوا
هذه الافعال واطيعون فيما ادعوكم اليه فانه انفع لكم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون به من انواع
النعماء ما لا يخفى عليكم امدكم بانعام وبنين باعادة الفعل لزيادة التقرير
فان التفصيل بعد الاجمال والتفسير اثر الابهام ادخل في ذلك وجنات وعيون اني اخاف عليكم
ان لم تتقوا ولم تشكروا هذه النعم عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فان كفران النعمة مستتبع
للعذاب كما ان شكرها مستلزم لزيادتها قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي
لشديد قالوا سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين فانا لن نرعوي عما نحن عليه وتغيير
الشق عن مقابله للمبالغة في بيان قلة اعتدادهم بوعظه كانهم قالوا ام لم تكن من اهل الوعظ ومباشرته
اصلا ان هذا الا خلق الاولين اي ما هذا الذي جئتنا به الا اخلاق الاولين اي عادتهم كانوا يلفقون مثله ويسطرونه
اي ماهذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ماهذا الذي

نحن

وعادتهم ونحن بهم مقتدون او ماهذا الذي نحن عليه من الموت والحياة الا عادة قديمة لم تزل
الناس عليها وقرئ خلق الاولين بفتح الخاء اي اختلاق الاولين كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا
هذا الا خلق نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب وما نحن بمعذبين على ما نحن عليه
من الاعمال فكذبوه اي اصروا على ذلك فاهلكناهم بسببه بريح صرصر ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم
مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اتتركون فيما هاهنا امنين انكار ونفي لان يتركوا فيما هم فيه من النعمة او تذكير بالنعمة في تخلية
تعالى اياهم واسباب تنعمهم امنين وقوله تعالى في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم
تفسير لما قبله من المبهم والهضيم اللطيف اللين للطف الثمر وان النخل ابقى وطلع الاناث
الطف وهو ما يطلع منها كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو ومتدل متكسر من كثرة الحمل
وافراد النخل لفضله على سائر اشجار الجنات او لان المراد بها غيرها من الاشجار وتنحتون من الجبال
بيوتا فارهين بطرين او حاذقين من الفراهة وهي النشاط فان الحاذق يعمل بنشاط وطيب قلب
وقرئ فرهين وهو ابلغ فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين استعير الطاعة التي هي انقياد
الامور لامتثال الامر او نسب حكم الامر الى امره مجازا الذين يفسدون في الارض
وصف موضح لاسرافهم ولذلك عطف ولا يصلحون على يفسدون لبيان خلوص افسادهم عن
مخالطة الاصلاح قالوا انما انت من المسحرين اي الذين سحروا حتى غلب على عقولهم او من ذوي السحر اي الرئة
من الانس فيكون قوله تعالى ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له فات باية ان كنت من الصادقين اي في
دعواك قال هذه ناقة اي بعد ما اخرجها الله تعالى من الصخرة بدعائه عليه السلام حسبما مر
تفصيله في سورة الاعراف وسورة هود لها شرب اي نصيب من الماء كالسقي والقيت للحظ من السقي
والقوت وقرئ بالضم ولكم شرب يوم معلوم فاقتنعوا بشربكم ولا تزاحموا على شربها ولا تمسوها
بسوء كضرب وعقر فياخذكم عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم ما يحل فيه وهو ابلغ من
تعظيم العذاب فعقروها اسند العقر الى كلهم لما ان عاقرها انما عقر برضاهم ولذلك عمهم العذاب فاصبحوا
نادمين خوفا من حلول العذاب لا توبة او عند معاينتهم لبادية ولذلك لم ينفعهم الندم وان كان
بطريق الندم وان كان بطريق التوبة فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود ان في ذلك لاية وما كان
اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قيل في نفي الايمان عن اكثرهم في هذا المعرض ايماء الى انه لو امن
اكثرهم او شطرهم لما اخذوا بالعذاب وان قريشا انما عصموا من مثله ببركة من امن منهم فانت خبير بان
قريشا لم يؤمن بعد ايمان اكثرهم كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون الذكران
من العالمين اي اتاتون من بين بني ادم من العالمين الذكران لا يشارككم فيه غيركم او اتاتون من اولاد
ادم مع كثرتهم وغلبة النساء مع كونهن اليق بالاستمتاع فالمراد بالعالمين على الاول كل ما ينكح من
الحيوان وعلى الثاني الناس وتذرون ما خلق لكم ربكم لاجل استمتاعكم وكلمة من في قوله تعالى من
ازواجكم للبيان ان اريد بها جنس الاناث وهو الظاهر وللتبعيض ان اريد بها العضو المباح منهن
تعريضا بانهم كانوا يفعلون ذلك بنسائهم ايضا بل انتم قوم عادون متعادون متجاوزون الحد في
جميع المعاصي وهذا من جملتها وقيل متجاوزون عن حد الشهوة حيث زادوا على سائر الناس بل الحيوانات
قالوا لئن لم تنته يا لوط اي عن تقبيح امرنا ونهينا عنه او عن دعوى النبوة التي من جملة احكامها التعرض
لنا لتكونن من المخرجين اي من المنفيين من قريتنا وكانهم كانوا يخرجون من اخرجوه من بينهم على عنف
وسوء حال قال اني لعملكم من القالين اي من المبغضين غاية البغض كانه يقلي الفؤاد والكبد
لشدته وهو ابلغ من ان يقال اني لعملكم قال لدلالته انه عليه السلام من زمرة الراسخين في بغضه
المشهورين في قلاه ولعله عليه السلام اراد اظهار الكراهة من مساكنتهم والرغبة في الخلاص من سوء
جوارهم ولذلك اعرض عن محاورتهم وتوجه الى الله تعالى قائلا رب نجني واهلي مما يعملون اي من شؤم عملهم
وغائلته فنجيناه واهله اجمعين اي اهل بيته ومن اتبعهم في الدين باخراجهم من بينهم عند مشارفة
نزول العذاب بهم الا عجوزا هي امرأة لوط استثنيت من اهله فلا يضره كونها كافرة لان لها شركة في
الاهلية بحق الزوج في الغابرين اي مقدرا كونها من الباقين في العذاب لانها كانت مائلة الى القوم
راضية بفعلهم وقد اصابها الحجر في الطريق فاهلكها كما مر في سورة الحجر وسورة هود وقيل كانت
فيمن بقي في القرية ولم يخرج مع لوط عليه السلام ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم اشد الاهلاك

وانقطعه وامطرنا عليهم مطرا اى مطرا غير معهود وقيل امطر الله تعالى على شذاذ القوم حجارة فاهلكتهم
فساء مطر المنذرين اللام فيه للجنس وبه يتسنى وقوع المضاف فاعل ساء والمخصوص بالذم
محذوف وهو مطرهم ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم كذب
اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة التى تنبت ناعم الشجر وهى غيضة بقرب مدين يسكنها
طائفة ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام وكان اجنبيا منهم ولذلك قيل اذ قال لهم شعيب الا
تتقون ولم يقل اخوهم وقيل الايكة الشجر الملتف وكان شجرهم الدوم وهو المقل وقرئ بحذف
الهمزة والقاء حركتها على اللام وقرئ كذلك مفتوحة على انها ليكة وهى اسم بلدهم وانما كتب
هاهنا وفى ص بغير الف اتباعا للفظ اللافظ انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم
عليه من اجر ان اجرى الا على رب العالمين اوفوا الكيل اى اتموه ولا تكونوا من المخسرين اى حقوق
الناس بالتطفيف وزنوا اى الموزونات بالقسطاس المستقيم بالميزان السوى وهو ان كان
عربيا فان كان من القسط ففعلاس بتكرير العين والا ففعلال وقرئ بضم القاف ولا تبخسوا
الناس اشياءهم اى لا تنقصوا شيئا من حقوقهم اى حق كان وهذا تعميم بعد تخصيص لبعض المواد
بالذكر لغاية انهماكهم فيها ولا تعثوا فى الارض مفسدين بالقتل والغارة وقطع الطريق
واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين اى وذوى الجبلة الاولين وهم من تقدمهم من الخلائق وقرئ
بضم الجيم والباء وبكسر الجيم وسكون الباء كالخلقة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر
مثلنا ادخال الواو بين الجملتين للدلالة على ان كلا من التسحير والبشرية مناف للرسالة مبالغة
فى التكذيب وان نظنك لمن الكاذبين فيما تدعيه من النبوة فاسقط علينا كسفا من السماء اى
قطعا وقرئ بسكون السين وهو ايضا جمع كسفة وقيل الكسف والكسفة كالريع والريعة وهى
القطعة والمراد بالسماء اما السحاب المظلة ولعله جواب لما اشعر به الامر بالتقوى من التهديد
ان كنت من الصادقين فى دعواك فلم يكن طلبهم بذلك الا لتصميمهم على الجحود والتكذيب والا لما
اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه قال ربى اعلم بما تعملون من الكفر والمعاصى وبما تستحقون بسببه
من العذاب فسينزل فى وقته المقدر لا محالة فكذبوه اى فتموا على تكذيبه واصروا عليه فاخذهم
يوم الظلة حسبما اقترحوا اما ان ارادوا بالسماء السحاب فظاهر واما ان ارادوا المظلة فلان
نزول العذاب من جهتها وفى اضافة العذاب الى يوم الظلة دون نفسها ايذان بان لهم يومئذ
عذابا اخر اى غير عذاب الظلة وذلك بان سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليها فاخذ
بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا شرب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة
وجدوا لها بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا روى ان شعيبا عليه
السلام بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت مدين بالصيحة والرجفة
واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم اى فى الشدة والهول والفظاعة وما
وقع فيه من الطامة والداهية التامة ان فى ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو
العزيز الرحيم هذا اخر القصص السبع التى اوحيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لصرفه
صلى الله عليه وسلم عن الحرص على اسلام قومه وقطع رجائه عنه ودفع تحسره على فواته تحقيقا
لمضمون ما مر فى مطلع السورة الكريمة من قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا
عنه معرضين فقد كذبوا الاية فان كل واحدة من هذه الاية ذكر مستقل متجدد النزول قد اتاهم
من جهته تعالى بموجب رحمته الواسعة وما كان اكثرهم مؤمنين بعد ما سمعوها على التفصيل
قصة لا بان يتدبروا فيها ويعتبروا بما فى كل واحدة من الدواعى الى الايمان والزواجر عن الكفر
والطغيان ولا بان يتاملوا فى شان الايات الكريمة الناطقة بتلك القصص على ما هى عليه مع علمهم
بانه صلى الله عليه وسلم لم يسمع شيئا فيها من احد اصلا واستمروا على ما كانوا عليه من الكفر
والضلال كان لم يسمعوا شيئا يزجرهم عن ذلك قطعا كما حقق فى خاتمة موسى عليه السلام وانه
اى ما ذكر من الايات الكريمة الناطقة بالقصص المحكية او القران الذى هى من جملته لتنزيل رب العالمين
اى منزل من جهته تعالى سمى به مبالغة ووصفه تعالى بربوبية العالمين للايذان بان تنزيله من احكام
تربيته تعالى ورأفته للكل كقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين نزل به اى انزله الروح
الامين اى جبريل عليه السلام فانه امين وحيه تعالى وموصله الى انبيائه عليهم السلام وقرئ
بتشديد الزاى ونصب الروح والامين اى جعله الله تعالى الروح الامين نازلا به على قلبك
اى روحك وان اريد به العضو فتخصيصه به لان المعانى الروحانية تنزل اولا على الروح ثم تنتقل

منه

منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتصعد الى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة لتكون من
المنذرين متعلق بنزل به اى انزله لتنذرهم بما فى تضاعيفه من العقوبات الهائلة وايثار ما
عليه النظم الكريم للدلالة على انتظامه صلى الله عليه وسلم فى سلك اولئك المنذرين المشهورين
فى حقية الرسالة وتقرر وقوع العذاب المنذر بلسان عربى مبين ظاهر المعنى واضح المدلول
لئلا يبقى لهم عذر ما هو ايضا متعلق بنزل به وتاخيره للاعتناء بامر الانذار وللايماء الى ان مدار كونه من
جملة المنذرين عليهم السلام مجرد انزاله عليه الصلاة والسلام لا انزاله باللسان العربى وجعله
متعلقا بالمنذرين كما جوزه الجمهور يؤدى الى ان غاية الانزال كونه صلى الله عليه وسلم من جملة المنذرين
باللغة العربية فقط من هود وصالح وشعيب ولا يخفى فساده كيف لا والطامة الكبرى فى باب الانذار
ما انذره نوح وموسى عليهما السلام واشد الزواجر تاثيرا فى قلوب المشركين ما انذرهم ابراهيم عليه
السلام وانه لفى زبر الاولين اى وان ذكره او معناه لفى الكتب المتقدمة فان احكامه التى لا تحتمل النسخ
والتبديل بحسب تبدل الاعصار من التوحيد وسائر ما يتعلق بالذات والصفات مسطورة فيها وكذا
ما فى تضاعيفه من المواعظ والقصص وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بواضح اولم
يكن لهم اية الهمزة للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل اغفلوا عن ذلك ولم
يكن لهم اية دالة على انه او على صحته حال من اية قدمت عليها لكونها نكرة واية خبر للكون قدم على
اسمه الذى هو قوله تعالى ان يعلمه علماء بنى اسرائيل للاعتناء بالمقدم والتشويق الى
المؤخر اى يعرفوه بنعوته المذكورة فى كتبهم ويعرفوا من انزل عليه وقرئ تكن بالتاء وجعلت اية اسمها
وان يعلمه خبرا وفيه ضعف حيث وقع النكرة اسما والمعرفة خبرا وقد قيل فى تكن ضمير القصة واية
ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز ان يكون لهم اية هى جملة الشان وان يعلمه بدلا من اية ويجوز مع
نصب اية تانيث تكن كما فى قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا وقرئ تعلمه بالتاء ولو نزلناه كما هو بنظمه
الرائق المعجز على بعض الاعجمين الذين لا يقدرون على التكلم بالعربية وهو جمع اعجمى على التخفيف ولذلك جمع
جمع السلامة وقرئ الاعجميين وفى لفظ البعض اشارة الى كون ذلك واحدا من عرض تلك الطائفة كائنا من
كان فقراه عليهم قراءة صحيحة خارقة للعادات ما كانوا به مؤمنين مع انضمام اعجاز القراءة الى اعجاز المقروء
لفرط عنادهم وشدة شكيمتهم فى المكابرة وقيل ولو نزلناه على بعض الاعجمين بلغة العجم فقراه عليهم ما كانوا
مؤمنين لعدم فهمهم واستنكافهم من اتباع العجم وليس بذاك فانه بمعزل من المناسبة لمقام بيان
تماديهم فى المكابرة والعناد كذلك سلكناه اى مثل ذلك السلك البديع المذكور سلكناه اى ادخلنا
القرآن فى قلوب المجرمين ففهموا معانيه وعرفوا فصاحته وانه خارج عن القوى البشرية من حيث النظم المعجز
ومن حيث الاخبار عن الغيب وقد انضم اليه اتفاق علماء اهل الكتب المنزلة قبله على تضمنها البشارة
بانزاله وبعثة من انزل عليه باوصافه فقوله تعالى لا يؤمنون به جملة مستأنفة مسوقة لبيان انهم لا
يتاثرون بامثال تلك الامور الداعية الى الايمان به بل يستمرون على ما هم عليه حتى يروا العذاب الاليم
الملجئ الى الايمان به حين لا ينفعهم الايمان فيأتيهم بغتة اى فجاءة فى الدنيا والاخرة وهم لا يشعرون باتيانه
فيقولوا هل نحن منظرون تحسرا على ما فات من الايمان وتمنيا للامهال لتلافى ما فرطوا وقيل معنى كذلك
سلكناه مثل تلك الحال وتلك الصفة من الكفر والتكذيب له وضعناه فى قلوبهم وقوله تعالى لا يؤمنون
به فى موضع الايضاح والتلخيص له اى فى موقع الحال اى سلكناه فيها غير مؤمن به والاول هو الانسب
بمقام بيان غاية عنادهم ومكابرتهم مع تعاضد ادلة الايمان وتاخذ مبادى الهداية والارشاد وانقطاع
اعذارهم بالكلية وقيل ضمير سلكناه للكفر المدلول عليه بقوله تعالى ما كانوا به مؤمنين ونقل عن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والحسن والمجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب فى قلوب المجرمين افبعذابنا
يستعجلون بقولهم امطر علينا حجارة من السماء وائتنا بعذاب اليم وقوله فاتنا بما تعدنا ونحوهما وحالهم عند
نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وصفهم طلب الانظار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام اى يكون حالهم كما ذكر من الاستنظار عند نزول العذاب الاليم فيستعجلون بعذابنا وبينهما من التنافى
ما لا يخفى على احد او اتغفلون عن ذلك مع تحققه وتقرره فيستعجلون الخ وانما قدم الجار والمجرور
للايذان بان مصب الانكار والتوبيخ كون المستعجل به عذابه تعالى مع ما فيه من رعاية الفواصل افرايت
لما كانت الرؤية من اقوى اسباب الاخبار بالشئ واشهرها شاع استعمال ارايت فى معنى اخبرنى والخطاب
لكل من يصلح له كائنا من كان والفاء لترتيب الاستخبار على قولهم هل نحن منظرون وما بينهما اعتراض للتوبيخ
والتبكيت وهى متقدمة فى المعنى على الهمزة وتاخيرها عنها صورة لاقتضاء الهمزة الصدارة كما هو راى
الجمهور اى فاخبرونى ان متعناهم سنين متطاولة بطول الاعمار وطيب المعاش ثم جاءهم ما كانوا يوعدون من العذاب

ما اغنى عنهم اى شىء او اى شىء اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اى كونهم ممتعين ذلك التمتيع المديد على ان ما
مصدرية او ما كانوا يمتعون من متاع الحياة الدنيا على انها موصولة حذف عايدها واياما كان فالاستفهام
للانكار والنفى وقيل ما نافية اى لم يغن عنهم تمتعهم المتطاول فى دفع العذاب وتخفيفه والاول اولى
لكونه اوفق لصورة الاستخبار وادل على انتفاء الاغناء على ابلغ وجه واكده كان كل من شانه الخطاب قد
كلف بان يخبرهم ما افادهم واى شىء اغنى عنهم فلم يقدر احد ان يجيب بشىء من ذلك اصلا وقرئ يمتعون من
الامتاع وما اهلكنا من قرية من القرى المهلكة الا لها منذرون قد انذروا اهلها الزاما للحجة ذكرى
اى تذكرة ومحلها النصب على العلة او المصدر لانها فى معنى الانذار كانه قيل الا لها مذكرون تذكرة او على انه
مصدر موكد لفعل هو صفة لمنذرين اى الا لها منذرون يذكرونهم ذكرى او الرفع على انها صفة لـ
منذرون باضمار ذوو او بجعلهم ذكرى لامعانهم فى التذكرة او خبر مبتدأ محذوف والجملة اعتراضية
وضمير لها للقرى المدلول عليها بمفرد ما الواقع فى حيز النفى على معنى ان الكل منذرين اعم من ان يكون لكل
قرية منها منذر واحد او اكثر وما كنا ظالمين فنهلك غير الظالمين وقيل الانذار والتعبير عن ذلك بنفى
الظالمية مع ان اهلاكهم قبل الانذار ليس بظلم اصلا على ما تقرر من قاعدة اهل السنة لبيان كمال نزاهته
تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه تعالى من الظلم وقد مر فى تفسير سورة آل عمران عند
قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد وما تنزلت به الشياطين رد لما زعمه الكفرة فى حق القرآن الكريم
من قبيل ما يلقيه الشياطين على الكهنة بعد تحقيق الحق ببيان انه نزل به الروح الامين وما ينبغى لهم اى وما
يصح وما يستقيم لهم ذلك وما يستطيعون ذلك اصلا انهم عن السمع لكلام الملائكة لمعزولون لانتفاء المشاركة
بينهم وبين الملائكة فى صفات الذات والاستعداد لقبول فيضان انوار الحق والانتقاش بصور العلوم الربانية
والمعارف النورانية كيف لا ونفوسهم خبيثة ظلمانية شريرة بالذات غير مستعدة الا لقبول ما لا خير
فيه اصلا من فنون الشرور فمن اين لهم ان يحوموا حول القرآن الكريم المنطوى على الحقائق الرائقة الغيبية
التى لا يمكن تلقيها الا من الملائكة عليهم السلام فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين خوطب به
النبى صلى الله عليه وسلم مع ظهور استحالة النهى عنه صلى الله عليه وسلم تهييجا وحثا على ازدياد الاخلاص
ولطفا لسائر المكلفين ببيان ان الاشراك من القبح والشرية بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه فكيف بمن
عداه وانذر العذاب الذى يستتبعه الشرك والمعاصى عشيرتك الاقربين الاقرب منهم فالاقرب فان
الاهتمام بشانهم اهم • روى انه لما نزلت صعد الصفا وناداهم فخذا فخذا حتى اجتمعوا فقال لو اخبرتكم
ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد وروى انه قال
يا بنى عبد المطلب يا بنى هاشم يا بنى عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فانى لا اغنى عنكم شيئا ثم قال يا عائشة
بنت ابى بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية عمة محمد اشترين انفسكن من النار فانى لا
اغنى عنكن شيئا واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين اى لين جانبك لهم مستعار من حال الطائر فانه اذا اراد
ان ينحط خفض جناحه ومن للتبيين لان من اتبع للدين اعم من ان يكون مؤمنا او للتبعيض على ان المراد بالمؤمنين المشارفون
للايمان او المصدقون باللسان فحسب فان عصوك ولم يتبعوك فقل انى برىء مما تعملون اى مما تعملونه
او من اعمالكم وتوكل على العزيز الرحيم الذى يقدر على قهر اعدائه ونصر اوليائه ويكفيك شر من يعصيك
منهم ومن غيرهم وقرئ فتوكل على انه بدل من جواب الشرط الذى يراك حين تقوم اى الى التهجد وتقلبك
فى الساجدين وترددك فى تصفح احوال المتهجدين كما روى انه لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله تعالى
والتلاوة او تصرفك فيما بين المصلين بالقيام والركوع والسجود والقعود اذا اممتهم وانما وصف الله
تعالى ذاته بعلمه بحاله صلى الله عليه وسلم التى بها يستأهل ولايته بعد ان عبر عنه بما ينبئ عن قهره اعدائه
ونصره اوليائه من وصفى العزيز الرحيم تحقيقا للتوكل وتطمينا لقلبه صلى الله عليه وسلم انه هو السميع
بما تقوله العليم بما تنويه وتعمله هل انبئكم على من تنزل الشياطين اى تتنزل بحذف احدى التائين وهو استيناف
مسوق لبيان استحالة تنزل الشياطين على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بيان امتناع تنزيلهم بالقرآن
ودخول حرف الجر على الاستفهامية لما انها ليست موضوعة للاستفهام بل الاصل امن فحذف حرف
الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف من هل والاصل أهل قوله تعالى تنزل على كل افاك اثيم
قصر لتنزلهم على كل من اتصف بالافك الكثير والاثم الكثير من الكفرة الكهنة والمتنبئة وتخصيص لهم بهم
بحيث لا يتخطاهم الى غيرهم وحيث كانت ساحة رسول الله صلى الله عليه وسلم منزهة عن ان يحوم
حولها شائبة شىء من تلك الاوصاف اتضح استحالة تنزلهم عليه عليه الصلاة والسلام يلقون اى الافاكون
السمع الى الشياطين فيتلقون منهم اوهاما وامارات لنقصان علمهم فيضمون اليها بحسب
تخيلاتهم الباطلة خرافات لا يطابق اكثرها الواقع وذلك قوله تعالى واكثرهم كاذبون اى فيما قالوه

من

قالوه من الاقاويل وقد ورد فى الحديث الكلمة يخطفها الجنى فيقرها فى اذن وليه فيزيد فيها اكثر من مائة
كذبة او يلقون السمع اى المسموع من الشياطين الى الناس واكثرهم كاذبون يفترون على الشياطين ما لم
يوحوا اليهم والاكثرية باعتبار اقوالهم على معنى ان هؤلاء قل ما يصدقون فيما يحكون عن الجنى واما
فى اكثره فهم كاذبون وما كانوا اقوالهم كاذبة الاعتبار ذواتهم حتى يلزم من نسبة الكذب الى اكثرهم كون اقلهم
صادقين على الاطلاق وليس معنى الافاك من لا ينطق الا بالافك حتى يمتنع منه الصدق بل من يكثر الافك
فلا ينافيه ان يصدق نادرا فى بعض الاحايين وقيل الضمير للشياطين اى يلقون السمع اى المسموع من الملأ
الاعلى قبل ان رجموا من بعض المغيبات الى اوليائهم واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم اذ لا يسمعونهم على
نحو ما تكلمت به الملائكة لشرارتهم او لقصور فهمهم او ضبطهم او افهامهم ولا سبيل الى حمل القاء السمع على
تسمعهم وانصاتهم الى الملأ الاعلى قبل الرجم كما جوزه الجمهور لان يلقون كما مر حوابه اما حال من ضمير تنزل
مفيدة لمقارنة التنزيل للالقاء او استيناف مبين للغرض من التنزل مبنى على السؤال عنه ولا ريب فى ان القاء
السمع الى الملأ الاعلى بمعزل من احتمال ان يقارن التنزل ويكون غرضا منه لتقدمه عليه قطعا وانما المحتمل
لهما الالقاء بالمعنى الاول فالمعنى على تقرير كونه حالا تنزل الشياطين على الافاكين ملقين اليهم ما سمعوه وحمله
على الاستيناف الاخبار كما فعله بعضهم غير سديد لان ذكر حالهم السابقة على تنزلهم المذكور قبله غير خليق
بجزالة التنزيل واما على تقدير كون ضمير يلقون للافاكين فهو صفة لكل افاك لانه فى معنى الجمع سواء اريد
بالقاء السمع الاصغاء الى الشياطين او القاء المسموع الى الناس ويجوز ان يكون استينافا اخبارا بحالهم
على كلا التقديرين لما ان كلا من تلقيهم من الشياطين والقائهم الى الناس يكون بعد التنزيل وان يكون
استينافا مبنيا على السؤال على التقدير الاول فقط كانه قيل ما ذا يفعلون عند تنزل الشياطين عليهم
فقيل يلقون اليهم اسماعهم ليحفظوا ما يوحون به اليهم وقوله تعالى والشعراء يتبعهم
الغاوون استيناف مسوق لابطال ما قالوا فى حق القرآن العظيم من انه من قبيل الشعر وان رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الشعراء ببيان حال الشعراء المنافية لحاله صلى الله عليه وسلم بعد ابطال ما قالوا انه
من قبيل تلقى الشياطين على الكهنة من الاباطيل بما مر من بيان احوالهم المضادة لاحواله صلى الله عليه وسلم
والمعنى ان الشعراء تتبعهم اى تجاريهم وتسلك مسلكهم وتكون من جملتهم الغاوون الضالون عن السنن
الحائرون فيما يأتون وما يذرون لا يستمرون على وتيرة واحدة فى الاقوال والافعال والاحوال لا غيرهم
من اهل الرشد المهتدين الى طريق الحق الثابتين عليه وقوله تعالى الم تر انهم فى كل واد يهيمون استشهاد على
ان الشعراء انما يتبعهم الغاوون وتقرير له والخطاب لكل من تتأتى منه الرؤية للقصد الى ان حالهم من الجلاء
والظهور بحيث لا يختص برؤية راء دون راء اى الم تر انهم فى كل واد من اودية القيل والقال وفى
كل شعب الوهم والخيال وفى كل مسلك من مسالك الغى والضلال يهيمون على وجوههم لا يهتدون الى
سبيل معين بل يتحيرون فى فيافى الغواية والسفاهة ويتيهون فى تيه الصلف والوقاحة
ديدنهم تمزيق الاعراض المحمية والقدح فى الانساب الطاهرة السنية والنسيب بالحرم والغزل
والابتهار والتردد بين طرفى الافراط والتفريط فى المدح والهجاء وانهم يقولون ما لا يفعلون من الافاعيل غير مبالين
بما يستتبعه من اللوائم فكيف يتوهم ان يتبعهم فى مسلكهم ذلك ويلحق بهم وينتظم فى مسلكهم من تنزهت
ساحته عن ان يحوم حولها شائبة الاتصاف بشىء من الامور المذكورة واتصف بمحاسن الصفات الجليلة
وتخلق بمكارم الاخلاق الجميلة وحاز جميع الكمالات القدسية وفاز بجملة الملكات الانسية مستقرا
على المنهاج القويم مستمرا على الصراط المستقيم ناطقا بكل امر رشيد داعيا الى صراط العزيز الحميد مؤيدا
بمعجزات قاهرة وآيات ظاهرة مشحونة بفنون الحكم الباهرة وصنوف المعارف الزاهرة مستقلة
بنظم رائق اعجز كل منطيق ماهر وبكت كل مفلق ساحر هذا وقد قيل فى تنزيه ساحته صلى الله عليه وسلم عن
ان يكون من الشعراء ان اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا كاتباعهم ولا ريب فى ان تعليل عدم كونه
صلى الله عليه وسلم منهم بكون اتباعه عليه السلام غير غاوين مما لا يليق بشانه العالى وقيل الغاوون
الرواة وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن الزبعرى وهبيرة ابن ابى وهب المخزومى
ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحى ومن ثقيف امية بن ابى الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد
صلى الله عليه وسلم وقرئ والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر وقرئ يتبعهم على التخفيف
ويتبعهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا
استثناء للشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله عز وجل ويكون
اكثر اشعارهم فى التوحيد والثناء على الله تعالى والحث على طاعته والحكمة والموعظة والزهد فى الدنيا
والترغيب عن الركون اليها والزجر عن الاغترار بزخارفها والافتتان بملاذها الفانية ولو وقع منهم فى

بطريق الانتصار ممن يهاجيهم وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان ابن مالك وكعب ابن مالك وكعب ابن زهير ابن سلمى والذين كانوا ينافحون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكافحون هجاة قريش وعن كعب بن مالك رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تهديد شديد ووعيد اكيد لما في سيعلم من تهويل متعلقه وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد قاله صلى الله عليه وسلم ابو بكر رضي الله عنهما حين عهد اليه وقرئ اي منقلب ينفلتون من الانفلات بمعنى النجاة والمعنى ان الظالمين يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله تعالى وسيعلمون ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الشعراء كان له عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وصالح وشعيب وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم طس بالتفخيم وقرئ بالامالة والكلام فيه كما الذي مر في نظايره من الفواتح الشريفة ومحله على تقدير كونه اسما للسورة وهو الاظهر الاشهر الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي هذا بعدها خبر منيف لما ذكر طس اي مسما به والاشارة اليه قبل ذكره قد مر وجهها في فاتحة سورة يونس وغيرها او رفعه بالابتدا على ان ما بعدها خبر منيف لما ذكر هنا لكن تلك اشارة الى نفس السورة لانها الذي نوهت بذكر اسمها الى اياتها العدم ذكرها صريحا ولان اضافتها الى القران كما سياتي وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل والشرف ومحله الرفع على الابتدا خبره ايات القران والجملة مستانفة مقررة لما افادته التسمية من نباهة شان المسمى والقران عبارة عن الكل او عن الجميع المنزل عند نزول السورة حسبما ذكر في فاتحة الكتاب اي تلك ايات القران المعروف بعلو الشان اي بعض منه مترجم مستقل باسم خاص وكتاب اي كتاب عظيم الشان مبين مظهر لما في تضاعيفه من الحكم والاحكام واحوال الاخرة التي من جملتها الثواب والعقاب او لسبيل الرشد والغي الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام او ظاهر الاعجاز على انه من ابان بمعنى بان ولتعد فخم شانه الجليل بما جمع فيه من وصف القرانية المنبئة عن كونه بديعا في بابه ممتازا عن غيره بالنظم المعجز كما يعرب عنه قوله تعالى قرانا عربيا غير ذي عوج ووصف الكتابية المنبئة عن اشتماله على صفات كمال الكتب الالهية فكانه كلها وقدم الوصف الاول ههنا نظرا الى تقدم القرانية على حال الكتابية وعكس في سورة الحجر نظرا الى ما ذكر هنالك من الوجه وما قيل من ان الكتاب هو اللوح المحفوظ وابانته انه خط فيه ما هو كاين فهو يبينه للناظرين فيه لا يساعده اضافة الايات اليه اذ لا عهد باشتماله على الايات ولا بوصفه بالهداية والبشارة اذ هما باعتبار ابانته فلابد من اعتبارها بالنسبة الى الناس الذين من جملتهم المؤمنون لا الى الناظرين فيه وقرئ وكتاب بالرفع على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اي وايات كتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين في حيز النصب على الحالية من الايات على انهما مصدران اقيما مقام الفاعل للمبالغة كانهما نفس الهدى والبشارة والعامل معنى الاشارة اي هادية ومبشرة او الرفع على انهما بدلا من الايات او خبران اخران لتلك او لمبتدا محذوف ومعنى هدايتها لهم وهم مهتدون انها تزيدهم هدى قال تعالى فاما الذين امنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما معنى تبشيرها اياهم فظاهر لانها تبشرهم برحمة من الله ورضوان وجنات لهم فيها نعيم وقوله تعالى الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة صفة مادحة لهم وتخصيصهما بالذكر لانهما قرينتا الايمان وقطرا العبادات البدنية والمالية مستتبعان لساير الاعمال الصالحة وقوله تعالى وهم بالاخرة هم يوقنون جملة اعتراضية كانه قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات هم الموقنون بالاخرة حق الايقان لا من عداهم لان تحمل مشاق العبادات وخوف العقاب ورجاء الثواب او هو من تتمة الصلة والواو للحال او عاطفة له على الصلة الاولى وتغيير نظمها للدلالة على قوة يقينهم وثباته وانهم اوحديون فيه ان الذين لا يؤمنون بالاخرة بيان لاحوال الكفرة بعد بيان احوال المؤمنين اي لا يؤمنون بها وبما فيها من الثواب على الاعمال الصالحة والعقاب على السيات حسبما ينطق به القران زينا لهم اعمالهم القبيحة حيث جعلناها مشتهاة للطبع محبوبة للنفس كما ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم حفت النار بالشهوات والاعمال

الحسنة

الحسنة ببيان حسنها في انفسها حالا واستتباعها الفنون المنافع مالا واضافتها اليهم باعتبار امرهم بها وايجابها عليهم فهم يعمهون يتحيرون ويترددون عن التجدد والاستمرار في الاشتغال بها والانهماك فيها من غير ملاحظة لما يتبعها من نفع او ضر او في الضلال والاعراض عنها والفاء الاولى لترتيب المسبب على السبب وعلى الثاني لترتيب ضد المسبب كما في قولك وعظته فلم يتعظ وفيه ايذان بكمال عتوهم ومكابرتهم وتعكيسهم في الامور اولئك اشارة الى المذكورين وهو مبتدا وخبره الموصول بعده اي اولئك الموصوفون بالكفر والعمه الذين لهم سوء العذاب اي في الدنيا كالقتل والاسر يوم بدر وهم في الاخرة هم الاخسرون اي اشد الناس خسرانا لفوات الثواب واستحقاق العذاب وانك لتلقى القران كلام مستانف قد سيق بعد بيان بعض شؤون القران الكريم تمهيدا لما يعقبه من الاقاصيص وتصديره بحرفي التاكيد لابراز كمال العناية بمضمونه اي لتؤتاه بطريق التلقية والتلقين من لدن حكيم عليم اي اي حكيم واي عليم وفي تفخيمهما تفخيم لشان القران وتنصيص على طبقته صلى الله عليه وسلم في معرفته والاحاطة بما فيه من الجلايل والدقايق فان من تلقى الحكم والعلوم من مثل ذلك الحكيم العليم يكون علما في رصانة العلم والحكمة والجمع بينهما مع دخول العلم في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بان ما في القران من العلوم منها ما هو حكمة كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار الغيبية وقوله تعالى اذ قال موسى لاهله منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم قاموا بتلاوة بعض من القران الذي تلقاه صلى الله عليه وسلم من لدنه عز وجل وتقريرا لما قبله وتحقيقا له اي اذكر لهم وقت قوله صلى الله عليه وسلم لاهله في وادي طوى وقد غشيتهم ظلمة الليل وقدح فاصلد زنده فبدا له من جانب الطور نارا اني انست نارا ساتيكم منها بخبر اي عن حال الطريق وقد كانوا ضلوه والسين للدلالة على نوع بعد في المسافة وتاكيد الوعد والجمع ان صح انه لم يكن معه عليه السلام الا امراته لما كنى عنها بالاهل للتعظيم مبالغة في التسلية او اتيكم بشهاب قبس بتنوينهما على ان الثاني بدل من الاول او صفة له لانه بمعنى مقبوس اي شعلة نار مقبوسة اي ماخوذة من اصلها وقرئ بالاضافة على التقديرين فالمراد تعيين المقصود الذي هو القبس الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لان من النار ما ليس بقبس كالجمرة كلتا العدتين منه عليه السلام بطريق الظن كما يفصح عن ذلك ما في سورة طه من صيغة الترجي والترديد للايذان بانه ان لم يظفر بهما لم يعدم احدهما بناء على ظاهر الامر ثقة بسنة الله تعالى فانه تعالى لا يكاد يجمع على عبده حرمانين لعلكم تصطلون رجاء ان تستدفئوا بها والصلاء النار العظيمة فلما جاءها نودي من جانب الطور ان بورك معناه ان بورك على ان ان مفسرة لما في النداء من معنى القول او بان بورك على انها مصدرية حذف عنها الجار جريا على القاعدة المستمرة وقيل مخففة من الثقيلة ولا ضير في فقدان التعويض بلا او قد او السين او سوف لان الدعاء يخالف غيره في كثير من الاحكام من في النار ومن حولها اي في مكان النار وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله سبحانه نودي من شاطئ الوادي الايمن في البقعة المباركة ومن حولها وقرئ تباركت الارض ومن حولها والظاهر عمومه لكل من في ذلك الوادي وحواليه من ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء عليهم السلام وكفاتهم احياء وامواتا ولا سيما تلك البقعة التي كلم الله تعالى موسى فيها وقيل المراد موسى والملائكة الحاضرون وتصدير الخطاب بذلك بشارة بانه قد قضي له امر عظيم ديني تنتشر بركاته في اقطار الشام وهو تكليمه تعالى اياه عليه السلام واستنباؤه له واظهار المعجزات على يده عليه السلام وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى عليه السلام من ذلك وايذان بان ذلك مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكاين من جلايل الامور وعظايم الشؤون من احكام تربيته تعالى للعالمين يا موسى انه انا الله استيناف مسوق لبيان اثار البركة المذكورة والضمير اما للشان وانا الله جملة مفسرة له واما راجع الى المتكلم وانا خبره والله بيان له وقوله تعالى العزيز الحكيم صفتان لله تعالى ممهدتان لما اريد اظهاره على يده من المعجزات اي انا القوي القادر على ما لا تناله الاوهام من الامور العظام التي من جملتها امر العصا واليد الفاعل كل ما افعله بحكمة بالغة وتدبير متين والق عصاك عطف على بورك منتظم معه في سلك تفسير النداء اي نودي ان بورك وان الق عصاك حسبما نطق به قوله تعالى وان الق عصاك بتكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليه ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر والفاء في قوله تعالى فلما راها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها ودلالة على سرعة وقوع مضمونها كما في قوله تعالى فلما راها تهتز فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بظهورها دلالة على سرعة فلما راينه اكبرنه بعد قوله تعالى اخرج عليهن كانه قيل فالقاها فانقلبت حية تسعى فلما ابصرها بسرعة واضطراب وقوله تعالى كانها جان اي حية خفيفة سريعة الحركة جملة حالية اما من مفعول راى مثل تهتز كما اشير اليه او من ضمير تهتز على طريقة التداخل

وقرئ جان على لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ولى مدبرا من الخوف ولم يعقب اى لم يرجع على عقبه من عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما اعتراه الرعب لظنه ان ذلك لا مر اريد به كما ينبئ عنه قوله تعالى يا موسى لا تخف اى من غير ثقة بى او مطلقا لقوله تعالى انى لا يخاف لدى المرسلون فانه يدل على نفى الخوف عنهم مطلقا لكن لا فى جميع الاوقات بل حين يوحى اليهم لوقت الخطاب فانهم حينئذ مستغرقون فى مطالعة شؤون الله عز وجل لا يخطر ببالهم خوف من احد اصلا واما فى ساير الاحيان فهم اخوف الناس منه سبحانه او لا يكون لهم عندى سوء عاقبة ليخافوا منه الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانى غفور رحيم استثنا منقطع استدرك به ما عسى يختلج فى الخلد من نفى الخوف عن كلهم من ان منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم وان صدر عنهم شيء من ذلك فقد فعلوا عقيبه ما يبطله ويستحقون به من الله تعالى مغفرة ورحمة وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه السلام من وكزة القبطى والاستغفار وتسميتها ظلما لقوله عليه الصلاة والسلام رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له وادخل يدك فى جيبك لانه كان مدرعة صوف لا كم لها وقيل الجيب القميص لانه يجيب اى يقطع تخرج بيضاء من غير سوء اى افة كبرص ونحوه فى تسع ايات فى جملتها او معها على ان التسع هى الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة والجدب فى بواديهم او اذهب فى تسع ايات على انه استيناف بالارسال فيتعلق به الى فرعون وقومه وعلى الاولين يتعلق بنحو مبعوثا او مرسلا انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال اى خارجين عن الحدود فى الكفر والعدوان فلما جاءتهم اياتنا فظهرت على يد موسى مبصرة بينة اسم فاعل اطلق على المفعول اشعارا بانها لفرط اتارتها ووضوحها كانها تبصر نفسها لو كانت مما يبصر او ذات تبصر من حيث انها تهدى والعمى لا يهتدون فعتك عن الهداية او مبصرة كل من ينظر اليها ويتامل فيها وقرئ مبصرة اى مكانا يكثر فيه التبصرة قالوا هذا سحر مبين واضح سحريته وجحدوا بها اى كذبوا بها واستيقنتها انفسهم الواو للحال وقد استيقنتها اى علمتها انفسهم علما يقينيا لانفسهم وليس بذلك ظلما وعلوا اى استكبارا عن الايمان بها كقوله تعالى والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها وانتصابهما اما على العلة من جحدوا بها او على الحالية من فاعله اى جحدوا بها ظالمين لها مستكبرين عنها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين من الاغراق على الوجه الهائل الذى هو عبرة للعالمين وانما لم يذكر تنبيها على انه عرضة لكل ناظر مشهورة فيما بين كل باد وحاضر ولقد اتينا داود وسليمان علما كلام مستانف مسوق لتقرير ما سبق من انه صلى الله عليه وسلم تلقى القران من لدن حكيم عليم فان قصتهما عليهما السلام من جملة القران الكريم لقيه عليه السلام من لدنه كقصة موسى عليه السلام وتصديره بالقسم لاظهار كمال الاعتنا بتحقيق مضمونه اى اتينا كل واحد منهما طائفة من العلم لائقة به من علم الشرايع والاحكام وغير ذلك مما يختص بكل منهما كصنعة لبوس ومنطق الطير وعلما سنيا عزيزا وقالا اى قال كل واحد منهما شكرا لما اوتيه من العلم الحمد لله الذى فضلنا بما اتانا من العلم على كثير من عباده المؤمنين على ان عبارة كل منهما فضلنى الا انه عبر عنها عند الحكاية بصيغة المتكلم مع الغير ايجازا فان حكاية الاقوال المتعددة سواء كانت صادرة عن المتكلم او عن غيره بعبارة جامعة للكل مما ليس بعزيز ومن الاول قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد مر فى سورة قد افلح المؤمنون وبهذا ظهر حسن موقع العطف بالواو اذ المتبادر من العطف بالفاء ترتب حمد كل منهما على ايتاء ما اوتى نفسه فقط وقيل فى العطف بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء العلم وشيء من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قيل ولقد اتيناهما علما فعملا به وعلماه وعرفا حق النعمة فيه وقالا الحمد لله الاية فتامل والكثير المفضل عليه من لم يؤت مثل علمهما وقيل من لم يؤت علما وبا ياه الكثير بالمؤمنين فان خلوهم من العلم بالمرة مما لا يمكن وفى تخصيصهما الكثير بالذكر رمز الى ان البعض متفضلون عليهما وفيه اوضح دليل على ان فضل العلم وشرف اهله حيث شكرا على العلم وجعلاه اساس الفضل ولم يعتبرا دونه مما اوتيا من الملك الذى لم يؤته غيرهما وتحريض للعلماء على ان يحمدوا الله تعالى على ما اتاهم من فضله ويتواضعوا ويعتقدوا انهم وان فضلوا على كثير فقد فضل عليهم كثير وفوق كل ذى علم عليم ونعما قال امير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه كل الناس افقه من عمر وورث سليمان داود اى النبوة والعلم او الملك بان قام مقامه فى ذلك دون ساير بنيه وكانوا تسعة عشر وقال تشهيرا لنعمة الله تعالى وتنويها بها ودعا للناس الى التصديق بذكر المعجزة الباهرة التى اوتيها يا ايها الناس قد علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء المنطق فى التعارف كل لفظ يعبر به عما فى الضمير مفردا او مركبا وقد يطلق على كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد

يقال نطقت الحمامة وكل صنف من اصناف الطير تتفاهم اصواته والذى علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من معانيه واغراضه ويحكى انه مر على بلبل فى شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول فقالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اذا اكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفا وصاحت فاختة فاخبر انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلق وصاح طاوس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال يقول قدموا خيرا تجدوه وصاحت رخمة فقال تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمرى فاخبر انه يقول سبحان ربى الاعلى وقال الحدا تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت اخرك الموت والعقاب يقول فى البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربى القدوس واراد عليه السلام بقوله علمنا منطق الطير واوتينا بالنون التى يقال لها نون الواحد المطاع بيان حاله وصفته من كونه ملكا مطاعا لكن لا تكبرا وتجبرا بل لما اراد منها من حسن الطاعة والانقياد له فى اوامره ونواهيه حيث كان على عوعة المسير وقوله من كل شيء كثرة ما اوتيه كما يقال فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء ويراد به كثرة قصاده وغزارة علمه ومثله قوله تعالى واوتيت من كل شيء وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ما يهمه من امر الدنيا والاخرة وقال مقاتل يعنى النبوة والمملكة وتسخير الجن والانس والشياطين والريح ان هذا اشارة الى ما ذكر من التعليم والايتاء لهو الفضل والاحسان من الله تعالى المبين الواضح الذى لا يخفى على احد وان هذا الفضل الذى اوتيته هو الفضل المبين على انه عليه السلام قاله على سبيل الشكر والحمد كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر اى اقول هذا القول شكرا لا فخرا ولعله عليه السلام رتب على كلامه ذلك دعوة الناس الى العزوفان اخبارهم بايتاء كل شيء من الاشيا التى من جملتها الايات الحرب واسباب الغزو مما ينبئ عن ذلك فمعنى قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده جمع له عساكره من الجن والانس والطير بمباشرة مخاطبيه فانهم كانوا رؤساء مملكته وعظماء دولته من الثقلين وغيرهم تبعتهم الناس للكل تغليبا وتقديم الجن على الانس فى البيان للمسارعة الى الايذان بكمال قوة ملكه وعزة سلطانه من اول الامر لما ان الجن طائفة عاتية وقبيلة طاغية ماردة بعيدة من الحشر والتسخير فهم يوزعون اى يحبس اوايلهم على اواخرهم اى يلحق ساقة العسكر حتى يجتمع التوالى فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة ويجوز ان يكون ذلك لترتيب الصفوف كما هو المعتاد فى العساكر وفيه اشعار بكمال مسارعتهم الى المسير وتخصيص حبس اوايلهم بالذكر دون سوق اواخرهم مع ان التلاحق يحصل بذلك ايضا لما ان اواخرهم غير قادرين على ما يقدر عليه اوايلهم من السير الشديع وهو اذا لم يسيرهم بتسيير الريح فى الجو روى ان معسكره عليه السلام كان ماية فرسخ ماية خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له اى عليه السلام الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثماية منكوحة وسبعماية سرية وقد نسجت له الجن بساطا من ذهب وابريسم فرسخا فى فرسخ وكان يوضع منبره فى وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه وحوله ستماية الف كرسى من ذهب وفضة فتقعد الانبياء عليهم السلام على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه الشمس وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر الرخاء تسيره فاوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك ان لا يتكلم احد بشيء الا القته الريح فى سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتى ال داود ملكا عظيما فالقته الريح فى اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما اوتى ال داود حتى اذا اتوا على واد النمل حتى هى التى يبتدأ بها الكلام ومع ذلك هى غاية لما قبلها كالتى فى قوله تعالى حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل الاية وهى ههنا غاية لما ينبئ عنه قوله تعالى فهم يوزعون من السير كانه قيل فساروا حتى اذا اتوا الى اخره وواد النمل واد بالشام كثير النمل على ما قاله مقاتل وبالطايف على ما قاله كعب وقيل هو واد تسكنه الجن والنمل مراكبهم وتعدية الفعل اليه بكلمة على اما لان اتيانهم كان من فوق واما لان المراد بالاتيان عليه قطعه من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ اخره ولعلهم ارادوا ان ينزلوا عند منتهى الوادى اذ حينئذ يخافهم ما فى الارض لا عند مسيرهم فى الهوا وقوله تعالى قالت نملة جواب اذا كانها لما راتهم متوجهين الى الوادى فرت منهم فصاحت صيحة تنبه بها ما بحضرتها من النمل لمرادها فتبعها فى الفرار فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم فاجروا مجراهم حيث جعلت هى قايلة

وما عداها من النمل مقولا لهم حيث قيل يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم مع انه لا يمتنع ان يخلق الله تعالى فيها النطق وفيما عداها العقل والفهم وقرئ نملة يا ايها النمل بضم الميم وهو الاصل كالرجل وتسكين الميم تخفيف منه كالسبع في السبع وقرئ بضم النون والميم قيل كانت نملة عرجا تمشي وهي تتكاوس فنادت بما قالت فسمع سليمان عليه السلام كلامها من ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وقرئ مسكنكم وقوله تعالى لا يحطمنكم سليمان وجنوده نهي في الحقيقة للنمل عن التاخر في دخول مساكنهم وان كان بحسب الظاهر نهيا اليه عليه السلام ولجنوده عن الحطم كقولهم لا ارينك ههنا فهو استيناف او بدل من الامر كقول من قال فقلت له ارحل لا تقيمن عندنا الا جواب له فان النون لا تدخله في السعة وقرئ لا يحطمنكم بالنون الخفيفة وكسرها واصله لا يحتطمنكم وقوله تعالى وهم لا يشعرون حال من فاعل لا يحطمنكم مفيدة لتقييد الحطم بحال عدم شعورهم بمكانهم حتى لو شعروا بذلك لم يحطموا وارادت بذلك الايذان بانها عارفة بشؤون سليمان وسائر الانبيا عليهم السلام من عصمتهم عن الظلم والايذا وقيل هو استيناف اي فهم سليمان ما قالته والقوم لا يشعرون بذلك فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من حذرها واهتدايها الى تدبير مصالحها ومصالح بني نوعها وسرورا بشهرة حاله وحال جنوده في باب التقوى والشفقة فيما بين اصناف المخلوقات التي هي ابعدها من ادراك امثال هذه الامور وابتهاجا بما خصه الله تعالى به من ادراك همسها وفهم مرادها وروي انها احست بصوت الجنود ولا تعلم انهم في الهوا فامر سليمان الريح فوقفت لئلا يذعرن حتى دخلن مساكنهن وقال رب اوزعني ان اشكر نعمتك اي اجعلني ازع شكر نعمتك عندي واكفه وارتبطه بحيث لا ينفك عنا حتى لا انفك عن شكرك وقرئ بفتح يا اوزعني التي انعمت علي وعلى والدي ادرج فيه ذكرهما تكثيرا للنعمة فان الانعام عليهما انعام عليه مستوجب للشكر وان اعمل صالحا ترضاه اتماما للشكر واستدامة للنعمة وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين في جملتهم الجنة التي هي دار الصالحين وتفقد الطير اي تعرف احوال الطير فلم ير الهدهد فيما بينها فقال ما لي لا ارى الهدهد ام كان من الغائبين كانه قال اولا ما لي لا اراه لساتر ستره او لسبب آخر ثم بدا له انه كان غايبا فاضرب عنه فاخذ يقول اهو غائب لاعذبنه عذابا شديدا قيل كان تعذيبه للطير نتف ريشه وتشميسه وقيل بجعله مع ضده وقيل بالتفريق بينه وبين الفه اولا بحنه ليعتبر به ابنا جنسه او ليأتيني بسلطان مبين بحجة تبين عذره والحلف في الحقيقة على احد الاولين على تقدير عدم الثالث وقرئ ليأتينني بنونين اولاهما مفتوحة مشددة وقيل انه عليه السلام لما اتم بناء بيت المقدس تجهز للحج فوافى الحرم واقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة ثم عزم على المسير الى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى ارضا حسنا اعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجد الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الارض كما ترى الماء في الزجاجة فتجيء الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وقد كان حين نزل سليمان عليه السلام حلق الهدهد فرأى هدهدا واقفا فانحط اليه فوصف له ملك سليمان عليه السلام وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه ملك بلقيس وان تحت يدها اثني عشر الف قايد تحت يد كل قايد مائة الف وذهب معه لينظر فما رجع الا بعد العصر وذلك قوله تعالى فمكث غير بعيد اي زمانا غير مديد وقرئ بضم الكاف وذكر انه وقعت نغبة من الشمس على راس سليمان عليه السلام فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به فارتفعت فنظرت فاذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله تعالى وقال بحق الذي قواك واقدرك علي الا رحمتني فتركته وقالت ثكلتك امك ان نبي الله حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت بلى قال او ليأتيني بسلطان مبين فلما قرب من سليمان عليه السلام ارخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا له فلما دنا منه اخذ عليه السلام برأسه فمده اليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام وعفا عنه ثم سأله فقال احطت بما لم تحط به اي علما ومعرفة وحفظته من جميع جهاته وقرئ احطت بادغام الطاء في التاء باطباق وبغير اطباق وفي تخصيص [illegible] الاحاطة به ما هو من حقائق العلوم ودقائق التعارف التي يكون معرفتها والاحاطة بها من وظائف ارباب العلم والحكمة لتوقفها على علم راسخ وفضل مبين حتى يكون ابتلاء النفسه بين يدي نبي الله سليمان تعديا عن طوره وتجاوزا عن دائرة قدره وتعريضا منه عليه السلام بجنايته فيحتاج الى الاعتذار عنه بان ذلك كان منه بطريق الالهام فكافة عليه السلام بذلك مع ما اوتي عليه السلام

من

من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له عليه السلام في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه تعالى واضعفهم من احاط علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له في ترك الاعجاب الذي هو فتنة العلماء بل اراد به ما هو من الامور المحسوسة التي لا تعد الاحاطة بها فضيلة ولا الغفلة عنها نقيصة لعدم توقف ادراكها الا على مجرد احساس يستوي فيه العقلاء وغيرهم وقد علم انه عليه السلام لم يشاهده ولم يسمع خبره من غيره قطعا فعبر عنه بما ذكر لترويج كلامه عنده عليه السلام وترغيبه في الاصغاء الى اعتذاره واشتماله قلبه نحو قبوله فان النفس للاعتذار المبني على امر بديع اقبل والى تلقي ما لا تعلمه اميل ثم ايده بقوله وجئتك من سبا بنبا يقين حيث فسر ابهامه نوع تفسير واراه عليه السلام انه كان بصدد اقامة خدمة مهمة له حيث عبر عما جاء به بالنبا الذي هو الخبر الخطير والشان الكبير ووصفه بما وصفه ولله دره شان ما صدر عنه عليه السلام من ما حكي عنه من الحمد والشكر واشتد مالا يزاغ حتى يليق بالحكمة الالهية تنبيه عليه السلام على تركه وسبا منصرف على انه اسم لحي سموا باسم ابيهم الاكبر وهو سبا بن يشجب بن قحطان قالوا اسمه عبد شمس لقب به لكونه اول من سبى وقرئ بفتح الهمزة غير منصرف على انه اسم للقبيلة ثم سميت مدينة مارب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث وعلى هذه القراءة يجوز ان يراد به القبيلة او المدينة واما على القراءة الاولى فالمراد هو الحي لا غير وعدم معرفة سليمان عليه السلام على بنا بهم قبل انباء الهدهد ليس بامر بديع لا بد له من حكمة داعية اليه وان استمال الخلق افعاله تعالى من الحكم والمصالح لما ان المسافة بين محله عليه السلام وبين مارب وان كانت قصيرة ولكن مدة ما بين نزوله عدم هنالك وبين مجي الهدهد بالخبر ايضا قصيرة نعم اختصاص الهدهد بذلك مع كون الجن اقوى منه مبني على حكم بالغة يستاثر بها علام الغيوب وقوله تعالى اني وجدت امرأة تملكهم استيناف لبيان ما جاء به من النبا وتفصيل له اثر الاجمال وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وورث الملك من اربعين ابا ولم يكن له ولد غيرها فغلبت بعده على الملك ودانت لها الامة وكانت هي وقومها مجوسا يعبدون النار وايثار وجدت على رايت لما اشير اليه من الايذان بكونه عند غيبته بصدد خدمته عليه السلام بابراز نفسه في معرض من يتفقد احوالها ويتعرف فيها كانها طليعته وعاملته ليعرضها على سليمان عليه السلام وضمير تملكهم لسبا على انه اسم الحي او لاهلها الذي يدل عليهم ذكر مدينتهم على انه اسم لها واوتيت من كل شيء اي من الاشيا التي يحتاج اليها الملوك ولها عرش عظيم قيل كان ثلاثين ذراعا في ثلاثين عرضا وسمكا وقيل ثمانين من ذهب وفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد عليه سبعة ابيات على كل باب بيت مغلق واستعظام الهدهد لعرشها مع ما كان يشاهده من ملك سليمان عليه السلام اما بالنسبة الى حالها او الى عروش امثالها من الملوك وقد جوز ان لا يكون لسليمان عليه السلام مثله واياما كان فوصفه بذلك بين يديه عليه السلام لما مر من ترغيبه عليه السلام في الاصغاء الى حديثه وتوجيه عزيمته عليه السلام نحو تسخيرها ولذلك عقبه بما يوجب غزوها من كفرها وكفر قومها حيث قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله اي يعبدونها متجاوزين عبادة الله تعالى وزين لهم الشيطان اعمالهم التي هي عبادة الشمس ونظائرها من اصناف الكفر والمعاصي فصدهم بسبب ذلك عن السبيل اي سبيل الحق والصواب فان تزيين اعمالهم لا يتصور بدون تقبيح طرق كفرهم ومنالهم ومن ضرورته نسبة طريق الحق الى العوج فهم بسبب ذلك لا يهتدون اليه وقوله تعالى الا يسجدوا لله مفعول له اما للصد او للتزيين على حذف اللام منه اي فصدهم لان لا يسجدوا وقيل هو في موقع المفعول ليهتدون باسقاط الخافض ولا مزيدة كما في قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والمعنى فهم لا يهتدون لان يسجدوا لله تعالى وقرئ الا يا اسجدوا على التنبيه والندا والمنادى محذوف اي الا يا قوم اسجدوا كما في الا اسلمي يا دارمي على البلى ونظائره وعلى هذا يحتمل ان يكون استينافا من جهة الله تعالى او من سليمان ويوقف على لا يهتدون فيكون امرا بالسجود وعلى الوجوه المتقدمة ذما على تركه واياما كان فالسجود واجب وقرئ هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وقرئ هلا يسجدون بمعنى الا يسجدون على الخطاب الذي يخرج الخبء في السموات والارض اي يظهر ما هو مخبوء ومخفي فيهما كاينا ما كان وتخصيص هذا الوصف بالذكر بصدد بيان تفرده تعالى باستحقاق السجود له من بين سائر اوصافه الموجبة لذلك لما انه ارسخ في معرفته والاحاطة باحكامه بمشاهدة آثاره التي هي من جملتها ما اودعه تعالى في نفسه من القدرة على معرفة الماء تحت الارض وايثار يعطف قوله تعالى ويعلم ما يخفون وما يعلنون على ان الله تعالى يخرج ما في العالم الانساني من الخفايا كما يخرج ما في العالم الكبير من الخبايا لما ان المراد يخرج ما يخفونه يظهر ما يخفونه من الاحوال فيجازيهم بها وذكر ما تعلنون لتوسيع دائرة العلم للتنبيه على تساويهما بالنسبة الى العلم الالهي وقرئ ما يخفون وما يعلنون على صيغة الغيبة بلا التفات واخراج الخبايا اشراق الكواكب واظهارها من آفاقها بعد استتارها وراها وانزال الامطار

وانبات النبات بل الانشاء الذي هو اخراج ما في الشيء بالقوة الى الفعل والابداع الذي هو اخراج ما في الامكان
والعدم الى الوجود وغير ذلك من غيوبه عز وجل وقرئ الخب بتخفيف الهمزة بالحذف وقرئ الخبا بتخفيفها بالقلب
وقرئ الا يسجدون لله الذي يخرج الخبائث من السموات والارض ويعلم سركم وما تعلنون الله لا اله الا هو
رب العرش العظيم الذي هو اول الاجرام وقرئ العظيم بالرفع على انه صفة الرب واعلم ان ما حكي عن الهدهد
من قوله الذي يخرج الخبء الى هنا ليس داخلا تحت قوله احطت بما لم تحط به وانما هو من العلوم والمعارف
التي اقتبسها من سليمان عليه السلام اورده بيانا لما هو عليه واظهارا لتصلبه في الدين وكل ذلك
لتوجيه قلبه عليه السلام نحو قبول كلامه وصرف عنان عزيمته عليه السلام الى غزوها وتسخير ولايتها
قال استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية كلام الهدهد كانه قيل فما فعل سليمان عليه السلام عند
ذلك فقيل قال سننظر اي فيما ذكرته من النظر بمعنى التأمل والسين للتاكيد اي سنعرف بالتجربة البتة ام
اصدقت ام كنت من الكاذبين كما مقتضى الظاهر ام كذبت وايثار ما عليه النظم الكريم للايذان بان كذبه
في هذه المادة يسلكه وانتظامه في سلك الموسومين بالكذب الراسخين فيه بان مساق هذه الاقاويل
الملفقة على الترتيب الانيق يستميل قلوب السامعين نحو قبولها من غير ان يكون لها مصداق اصلا لا سيما بين
يدي نبي عظيم الشان لا يكاد يتصدى له الا من له قدم راسخ في الكذب والافك وقوله تعالى اذهب بكتابي هذا
فالقه اليهم استيناف مبين لكيفية النظر الذي وعده عليه السلام وقد قاله عليه السلام بعد ما كتب
كتابه في ذلك المجلس او بعده وتخصيصه عليه السلام اياه بالرسالة دون سائر ما تحت ملكه من امناء
الجن الاقوياء على التصرف والتعرف لما عاين فيه من مخايل العلم والحكمة وصحة الفراسة ولئلا يبقى له عذرا
اصلا ثم تول عنهم ثم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى فيه فانظر اي تامل وتعرف ماذا يرجعون ماذا
ماذا يرجع بعضهم الى بعض من القول وجمع الضمائر لما ان مضمون الكتاب الكريم دعوة الكل الى الاسلام
قالت اي بعد ما ذهب الهدهد بالكتاب فالقيه اليهم وتنحى عنهم حسبما امر به وانما طوي ذكره ايذانا بكمال
مسارعته الى اقامة ما امر به من الخدمة واشعارا باستغنائه عن التصريح به لغاية ظهوره روي انه
عليه السلام كتب كتابه وطبعه بالمسك وختمه بخاتمه ودفعه الى الهدهد فوجدها الهدهد راقدة في
قصرها بمارب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح
الكتاب على نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حوالها فرفرف
ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية من نسل تبع
الحميري فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت فعند ذلك قالت لاشراف قومها يا ايها الملأ اني القي الي
كتاب كريم وصفته بالكرم لكرم مضمونه او لكونه مختوما او لغرابة شانه ووصوله اليها على منهاج غير
معتاد انه من سليمان استيناف وقع جوابا لسؤال مقدر كانه قيل ممن هو وماذا مضمونه فقالت انه من
سليمان وانه اي مضمونه او المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم وفيه اشارة الى سبب وصفها اياه بالكرم
وقرئ انه بالفتح على حذف اللام كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وبكونه مصدرا باسم الله تعالى
وقيل على انه بدل من كتاب انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم على ان ان المفسرة ان لا تعلوا علي ان
مفسرة ولا ناهية اي لا تتكبروا كما يفعل جبابرة الملوك وقيل مصدرية ناصبة للفعل ولا نافية ومحلها
الرفع على انها بدل من كتاب او خبر لمبتدأ مضمر يليق بالمقام اي مضمونه ان لا تعلوا او النصب باسقاط الخافض
اي بان لا تعلوا علي وقرئ ان لا تغلوا بالغين المعجمة اي لا تتجاوزوا حدكم واتوني مسلمين اي مؤمنين وقيل
منقادين والاول هو اللائق بشان النبي صلى الله عليه وسلم على ان الايمان مستتبع للانقياد حتما يروى ان نسخة
الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ السلام على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا علي
واتوني مسلمين وليس الامر فيه بالاسلام قبل اقامة الحجة على رسالته حتى يتوهم كونه استدعاء للتقليد فان
القاء الكتاب اليها على تلك الحالة معجزة باهرة دالة على رسالة مرسلها دلالة بينة قالت كررت حكاية
قولها للايذان بغاية اعتنائها بما في حيزه من قولها يا ايها الملأ افتوني في امري اي اجيبوني في امري الذي
حزبني وذكرت لكم خلاصته وعبرت عن الجواب بالفتوى الذي هو الجواب في الحوادث المشكلة غالبا تهويلا
للامر ورفعا لمحلهم بالاشعار بانهم قادرون على حل المشكلات الملمة وقولها ما كنت قاطعة امرا اي من
الامور المتعلقة بذلك حتى تشهدون اي الا بمحضركم وبموجب ارائكم استعطاف لهم واستمالة لقلوبهم لئلا
يخالفوها في الراي والتدبير قالوا استيناف مبني على سؤال نشا من حكاية قولها كانه قيل فماذا قالوا في جوابها
قالوا نحن اولوا قوة في الالات والاجساد والعدد واولوا باس شديد اي نجدة وشجاعة مفرطة وبلاء
في الحرب والامر اليك اي موكول اليك فانظري ماذا تامرين نحن مطيعون لك فمرينا بامرك نمتثل به
ونتبع رايك او ارادوا نحن من ابناء الحرب لا من ابناء الراي والمشورة واليك الراي والتدبير فانظري ماذا

تامرين نكن في الخدمة فلما احست منهم الميل الى الحرب والعدول عن سنن الصواب شرعت في تزييف
مقالتهم المنبئة عن الغفلة عن شان سليمان عليه السلام وقوله تعالى قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية
من القرى على منهاج المقاتلة والحرب افسدوها بتخريب عماراتها واتلاف ما فيها من الاموال وجعلوا
اعزة اهلها اذلة بالقتل والاسر والاجلاء وغير ذلك من فنون الاهانة والاذلال وكذلك يفعلون
تاكيد لما وصفت من حالهم بطريق الاعتراض التذييلي والتقرير له بان ذلك عادتهم المستمرة وقيل هو من
جهته تعالى على طريقة قوله تعالى ولو جئنا بمثله مددا اثر قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات
ربي واني مرسلة اليهم بهدية تقرير لرايها بعد ما زيفت اراءهم واتت بالجملة الاسمية الدالة على الثبات
المصدرة بحرف التحقيق للايذان بانها مزمعة على رايها لا يلويها عنه صارف ولا يثنيها عاطف اي
واني مرسلة اليهم رسلا بهدية عظيمة فناظرة بم يرجع المرسلون حتى اعمل بما يقتضيه الحال روي
انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة
بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان
والف لبنة من ذهب وفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة
عذراء ودرة معوجة الثقب وبعثت رجلين من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو واخر ذا راي
وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا
ثم قالت للمنذر ان نظر اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل
الهدهد فاخبر سليمان عليه السلام بذلك فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين
يديه طوله سبعة فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفاته من الذهب والفضة وامر باحسن
الدواب التي في البر والبحر فربطوها عن يمين الميدان ويساره وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا على
اليمين واليسار ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس
صفوفا والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم نظروا وبهتوا وراوا الدواب تروث
على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم ورموا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال
ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر بالارضة
فاخذت شعرة ونفذت في الدرة فجعل رزقها في الشجر واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها ونفذت في
الخرزة فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تاخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى ثم تضرب به
وجهها والغلام كما ياخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وذلك قوله تعالى فلما جاء سليمان اي الرسول
قال اي مخاطبا للرسول والمرسل تغليبا للحاضر على الغائب وقيل للرسول ومن معه ويؤيده انه قرئ فلما
جاؤوا والاول اولى لما فيه من تشديد الانكار والتوبيخ لبلقيس وقومها ويؤيده الافراد في قوله تعالى
ارجع اليهم اتمدونني بمال وهو انكار لامداده عليه السلام بالمال مع علو شانه وسعة سلطانه
وتوبيخ لهم بذلك وتنكير المال للتحقير وقوله تعالى فما آتاني الله اي مما رايتم اثاره من النبوة والملك الذي
لا غاية وراءه خير مما آتاكم اي من المال الذي من جملته ما جئتم به فلا حاجة الى هديتكم ولا وقع لها عندي
تعليل ولعله عليه السلام انما قال لهم هذه المقالة الى اخرها بعد ما جرى بينه وبينهم ما حكي من قصة
الحق وغيرها لا انه عليه السلام خاطبهم بها اول ما جاؤوه كما يفهم من ظاهر قوله تعالى فلما جاء
الى اخره وقرئ اتمدونني بالادغام وبنون واحدة وبنونين وحذف اليا وقوله تعالى بل انتم بهديتكم تفرحون
اضراب عما ذكر من انكار الامداد بالمال الى التوبيخ بفرحهم بهديتهم التي اهدوها اليه عليه السلام فرح افتخار
وامتنان واعتداد بها كما ينبئ عنه ما ذكر من حديث الحق والجزعة وتغيير زي الغلمان بالجواري وغير ذلك وفائدة
الاضراب التنبيه على ان امداده عليه السلام بالمال منكر قبيح وعد ذلك مع انه لا قدر له عنده عليه السلام
مما يتنافس فيه المتنافسون اقبح والتوبيخ به ادخل وقيل المضاف اليه للمهدى اليه والمعنى بل انتم بما يهدى
اليكم تفرحون حبا لزيادة المال لما انكم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا ارجع افراد الضمير ههنا بعد جمع
الضمائر الخمسة فيما سبق لاختصاص المرجوع بالرسول وعموم الامداد ونحوه للكل اي ارجع ايها الرسول
اليهم اي الى بلقيس وقومها فلناتينهم اي فوالله لناتينهم بجنود لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم بمقاومتها
وقرئ بهم ولنخرجنهم عطف على جواب القسم منها من سبأ اذلة اي حال كونهم اذلة بعد ما كانوا فيه من
العز والتمكين وفي جمع القلة تاكيد لذلتهم وقوله تعالى وهم صاغرون اي اسارى مهانون حال اخرى
مفيدة لكون اخراجهم بطريق الاجلاء وعدم وقوع جواب القسم لانه كان معلقا بشرط قد حذف
عند الحكاية ثقة بدلالة الحال عليه كانه قيل ارجع اليهم فلياتوا مسلمين والا فلناتينهم الخ قال يا ايها
الملأ ايكم ياتيني بعرشها قال عليه السلام لما دنا مجيء بلقيس اليه يروى انها لما رجعت رسلها اليها بما حكي من

خبر سليمان عليه السلام وقالت والله قد علمت ما هذا بملك ولا لنا به من طاقة وبعثت الى سليمان انى
قادمة اليك بملوك قومي حتى انظر ما امرك وما تدعوا اليه من دينك ثم اذنت بالرحيل الى سليمان عليه
السلام فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل تحت يد كل قيل الوف ويروى انها امرت فجعلت عرشها في اخر
سبعة ابيات بعضها فوق بعض في اخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حراسا
يحرسونه ولعله اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يريها بعض ما خصه الله
تعالى من سلطانه به من اجرا العجايب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه
السلام ويختبر عقلها بان ينكر عرشها فينظر اتعرفه ام لا وتقييد الاتيان به بقوله تعالى قبل ان ياتوني مسلمين
لما ان ذلك ابدع واغرب وابعد من الوقوع عادة وادل على عظيم قدرة الله تعالى وصحة نبوته عليه
السلام وليكون اختبارها واطلاعها على بدايع المعجزات في اول مجيها وقيل لانها اذا اتت مسلمة لم يحل له
اخذ مالها بغير رضاها قال عفريت اي مارد خبيث من الجن بيان له اذ يقال للرجل الخبيث المنكر المعفر
لاقرانه وكان اسمه ذكوان او صخرا انا اتيك به اي بعرشها قبل ان تقوم من مقامك اي من مجلسك للحكومة
وكان يجلس الى نصف النهار واتيك اما صيغة المضارع او الفاعل وهو الانسب لمقام ادعا الاتيان به
لا محالة واوفق لما عطف عليه من الجملة الاسمية اي انا ات به في تلك المدة البتة واني عليه اي على الاتيان
به لقوي لا يثقل علي حمله امين لا اختزل منه شيا ولا ابدله قال الذي عنده علم من الكتاب فصل عما
قبله للايذان بما بين القايلين ومقالتيهما وكيفيتي قدرتيهما على الاتيان به من كمال التباين او لاسقاط الاول
عن درجة الاعتبار وقيل هو اصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام وقيل رجل كان عنده اسم
الله الاعظم الذي اذا سيل به اجاب وقيل الخضر او جبريل او ملك ايده الله عز وجل به عليهم السلام
وقيل هو سليمان نفسه عليه السلام وفيه بعد لا يخفى والمراد بالكتاب الجنس المنتظم لجميع الكتب
المنزلة او اللوح وتنكير علم للتفخيم والرمز الى انه علم غير معهود ومن ابتدائية انا اتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شي وارتداده انضمامهما ولكونه امرا طبيعيا غير
منوط بالقصد اوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة كما في وعد العفريت
استغنى عن التاكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بانه امر متحقق غني عن الاخبار به وجي
وطوى بالفا الفصيحة لا داخلة على جملة مقدرة دالة على تحققه فقط كما في قوله عز وجل فقلنا اضرب
بعصاك البحر فانفلق ونظايره بل داخلة على الشرطية حيث قيل فلما راه مستقرا عنده اي العرش حاضرا
لديه كما في قوله عز وجل فلما راينه اكبرنه للدلالة على كمال ظهور ما ذكر من تحقق استغنايه عن الاخبار
به ببيان ظهور ما يترتب عليه من روية سليمان عليه السلام اياه واستغنايه ايضا عن التصريح به اذ
التقدير فاتاه به فراه فلما راه الخ فحذف ما حذف لما ذكر وللايذان بكمال سرعة الاتيان به كانه لم
يقع بين الوعد به وبين رويته عليه السلام اياه شي ما وفي تقييد رويته باستقراره عنده عليه
السلام تاكيد لهذا المعنى لايهامه انه لم يتوسط بينهما ابتدا الاتيان ايضا كانه لم يزل موجودا عنده
مع ما فيه من الدلالة على دوام قراره عنده منتظما في سلك ملكه قال اي سليمان عليه السلام تلقيا
للنعمة بالشكر جريا على سنن ابنا جنسه من انبيا الله تعالى عليهم السلام وخلص عباده هذا اي حضور
العرش بين يديه استحقاق له من قبلي ليبلوني ااشكر بان اراه محض فضله تعالى من غير حول من جهتي ولا
قوة واقوم بحقه ام اكفر بان اجد لنفسي مدخلا في البين او اقصر في اقامة مواجبه كما هو شان ساير
النعم الفايضة على العباد ومن شكر فانما يشكر لنفسه لانه يرتبط به عتيدها ويستجلب به مزيدها
ويحط به عن ذمته عبء الواجب ويتخلص عن وصمة الكفران ومن كفر اي لم يشكر فان ربي غني عن شكره كريم
بترك تعجيل العقوبة والانعام مع عدم الشكر ايضا قال اي سليمان عليه السلام كررت الحكاية مع كون
المحكي سابقا ولاحقا من كلامه عليه السلام تنبيها على ما بين السابق واللاحق من المخالفة لما ان الاول من باب
الشكر لله تعالى والثاني امر لخدمه نكروا لها عرشها اي غيروا هياته بوجه من الوجوه ننظر بالجزم على انه
جواب الامر وقرئ بالرفع على الاستيناف اتهتدي الى معرفته او الى الجواب اللايق بالمقام وقيل الى الايمان بالله
تعالى ورسوله عند رويتها لتقدم عرشها من مسافة طويلة في مدة قليلة وقد خلفته مغلقة عليه الابواب
موكلة عليه الحراس والحجاب ويأباه تعليقه النظر المتعلق بالاهتدا بالتنكير فان ذلك مما لا دخل فيه للتنكير
ام تكون اي بالنسبة الى علمنا من الذين لا يهتدون اي الى ما ذكر من معرفة عرشها او الجواب الصواب فان كونها
من نفس الامر منهم وان كان امرا مستمرا لكن كونها منهم عند سليمان عليه السلام وقومه امر حادث يظهر
بالاختبار فلما جاءت شروع في حكاية التجربة التي قصدها سليمان عليه السلام اي فلما جاءت بلقيس
سليمان عليه السلام وقد كان العرش بين يديه قيل اي من جهة سليمان عليه السلام او بالواسطة

في هذه المدة القصيرة او التمكن من احضاره بالواسطة او بالذات كما قيل من فضل ربي اي تفضله علي من غير

اهكذا عرشك لم يقل اهذا عرشك لئلا يكون تلقينا لها فيفوت ما هو المقصود من الامر بالتنكير من ابراز العرش
في معرض الاشكال والاشتباه حتى يتبين حالها وقد ذكرت عنده عليه السلام بسخافة العقل قالت كانه هو
فابانت عن كمال رجاحة عقلها حيث لم تقل هو مع علمها بحقيقة الحال تلويحا بما اعتراه بالتنكير من نوع مغايرة
في الصفات مع اتحاد الذات ومراعاة لحسن الادب في محاورته عليه السلام واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين
من تتمة كلامها كانها ظنت انه عليه السلام اراد بذلك اختبار عقلها واظهار معجزة لها فقالت اوتينا
العلم بكمال قدرة الله تعالى وصحة نبوتك من قبل هذه المعجزة التي شاهدناها بما سمعناه من المنذر من
الايات الدالة على ذلك وكنا مسلمين من ذلك الوقت وفيه من الدلالة على كمال رزانة رايها ورصانة
فكرها ما لا يخفى وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبد من دون الله بيان من جهته تعالى لما كان يمنعها من اظهار
ما ادعته من الاسلام الى الان اي صدها عن ذلك عبادتها القديمة للشمس وقوله تعالى انها كانت من قوم كافرين
تعليل لسببية عبادتها المذكورة للصد اي انها كانت من قوم راسخين في الكفر ولذلك لم تكن قادرة على اظهار
اسلامها وهي بين ظهرانيهم الى ان دخلت تحت ملك سليمان عليه السلام وقرئ انها بالفتح على البدلية من
فاعل صد او على التعليل بحذف اللام هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واوتينا العلم الى قوله تعالى من قوم
كافرين من كلام سليمان عليه السلام وملايه كانهم لما سمعوا قولها كانه هو تفطنوا لاسلامها فقالوا استحسانا
لشانها اصابت في الجواب وعلمت قدرة الله تعالى وصحة النبوة بما سمعت من المنذر من الايات المتقدمة
وبما عاينت من هذه الاية الباهرة من امر عرشها ورزقت الاسلام فعطفوا على ذلك قولهم واوتينا العلم
الخ اي اوتينا نحن العلم بالله تعالى وبالاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس
ونشوها بين ظهراني الكفرة فمما لا يخفى ما فيه من البعد والتعسف قيل لها ادخلي الصرح الصرح القصر وقيل
صحن الدار وروي ان سليمان عليه السلام امر قبل قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجري
من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه
الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لامره وتحقيقا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان
الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد
يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجوا من ملك سليمان الى ملك هو اشد وافظع فقالوا ان في عقلها شيا
وهي شعرا الساقين ورجلها كحافر الحمار فاختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها
فلما راته وهو ماثل بين يديها كما يعرب عنه الامر بدخولها واحاطت بتفاصيل احواله خبرا حسبته لجة
وكشفت عن ساقيها وتشمرت لئلا تبتل اذيالها فاذا هي احسن الناس ساقا وقدما خلا انها شعرا قيل هي
السبب في اتخاذ النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها وامر الجن فبنوا لها سيلحين وغمدان وكان
يزورها في الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام وقيل بل زوجها ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر
زوبعة امير الجن ان يطيعه فبنى لها المصانع وقرئ سأقيها حملا للمفرد على الجمع في سؤق واسؤق قال عليه السلام
حين راى ما اعتراها من الدهشة والرعب انه اي ما توهمته ماء صرح ممرد اي مملس من قوارير من الزجاج
قالت حين عاينت تلك المعجزة ايضا رب اني ظلمت نفسي بما كنت عليه الى الان من عبادة الشمس وقيل بظني
بسليمان حيث ظنت انه يريد اغراقها في اللجة وهو بعيد واسلمت مع سليمان تابعة له مقتدية به وما في
قوله تعالى لله رب العالمين من الالتفات الى الاسم الجليل ووصفه بربوبيته العالمين لاظهار معرفتها
بالوهيته تعالى وتفرده باستحقاق العبادة وربوبيته لجميع الموجودات التي من جملتها ما كانت تعبده قبل
ذلك من الشمس ولقد عطف على قوله تعالى اتينا داود وسليمان علما مسوق لما سيق هو له من تقرير انه
عليه الصلاة والسلام تلقى القران من لدن حكيم عليم فان هذه القصة ايضا من جملة القران الكريم الذي
لقيه عليه الصلاة والسلام جواب قسم محذوف اي وبالله لقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان في قوله
تعالى ان اعبدوا الله مفسرة لما في الارسال من معنى القول او مصدرية حذف عنها البا وقرئ بضم النون
اتباعا للبا فاذا هم فريقان يختصمون ففاجؤوا التفرق والاختصام فامن فريق وكفر فريق والواو لمجموع
الفريقين قال عليه السلام للفريق الكافر منهم بعد ما شاهد منهم ما شاهد من نهاية العتو والعناد حتى
بلغوا من المكابرة الى ان قالوا له عليه السلام يا صالح ايتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين يا قوم لم
تستعجلون بالسيئة اي بالعقوبة السيئة قبل الحسنة اي التوبة فتوخرونها الى حين نزولها لولا هلا
تستغفرون لقبولها اذ لا امكان للقبول عند النزول لعلكم ترحمون اصله تطيرنا والتطير التشاؤم عبر
عنه بذلك لما انهم كانوا اذا خرجوا مسافرين فيمرون بطير يزجرونه فان مر سانحا تيمنوا وان مر بارحا
تشاءموا فلما نسبوا الخير والشر الى الطير استعير لما كان سببا لهما من قدر الله تعالى وقسمته او من عمل العبد
اي تشاءمنا قالوا بك وبمن معك في دينك حيث تتابعت علينا الشدايد وقد كانوا قحطوا او لم نزل

ايضا

في اختلاف وافتراق منذ اخترعتم دينكم قال انما طائركم اى سببكم الذى منه ينالكم ما ينالكم من الشر عند الله
وهو قدره او عملكم المكتوب عنده وقوله تعالى بل انتم قوم تفتنون اى تختبرون بتعاقب السراء والضراء
وتعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته الى ما انتم عليه اضراب من بيان طائرهم الذى هو مبدأ ما يحيق بهم الى ذكر
ما هو الداعى اليه وكان في المدينة وهى الحجر تسعة رهط اى اشخاص وبهذا الاعتبار وقع تمييز التسعة لا باعتبار
لفظه والفرق بينه وبين النفر انه من الثلاثة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة
واسماؤهم حسبما نقل عن وهب الهذيل بن عبد رب وغنم بن غنم ورياب بن مهرج ومصدع بن مهرج وعمير بن
كردبه وعاصم بن مخرمة وسبيط بن صدقة وسمعان بن صفى وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة
وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم يفسدون في الارض اى في المدينة فقط افسادا لا
يخالطه شيء ما من الاصلاح كما ينطق به قوله تعالى ولا يصلحون لا يفعلون شيئا من الاصلاح ولا يخلطون
شيئا من الاشياء قالوا استئناف ببيان بعض ما فعلوا من الفساد اى قال بعضهم لبعض في اثناء المشاورة
في امر صالح عليه السلام وكان ذلك غب ما انذرهم بالعذاب وقوله تعالى تمتعوا في داركم ثلاثة ايام
الى اخره تقاسموا بالله اما امر مقول لقالوا او ماض وقع حالا منه او بدلا من قالوا باضمار قد
وقوله تعالى لنبيتنه واهله اى لنباغتن صالحا واهله ليلا ولنقتلنهم وقرئ بالتاء على خطاب بعضهم بعضا
وقرئ بالياء والتاء كما قبله ما شهدنا مهلك اهله اى ما حضرنا هلاكهم او وقت هلاكهم او مكان هلاكهم
فضلا ان تتولى اهلاكهم وقرئ مهلك بفتح اللام فيكون مصدرا وانا لصادقون من تمام القول
او حال اى نقول ما نقول والحال انا لصادقون في ذلك لان الشاهد للشيء غير المباشر له عرفا او لانا
ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم جميعا كقولك ما رايت ثمة رجلا بل رجلين ومكروا مكرا بهذه
المواضعة ومكرنا مكرا اى اهلكناهم اهلاكا غير معهود وهم لا يشعرون او جزيناهم مكرهم من حيث لا
يحتسبون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم شروع في بيان ما يترتب على ما باشروه من المكر وكيف معلقة
لفعل النظر ومحل الجملة النصب بنزع الخافض اى تفكر في انه كيف كان عاقبة مكرهم وقوله تعالى
انا دمرناهم اما بدل من عاقبة مكرهم على انه فاعل وهى تامة وكيف حال اى فانظر كيف حصل على اى وجه حدث
تدميرنا اياهم واما خبر لمبتدا محذوف والجملة مبينة لما في عاقبة مكرهم من الابهام اى هى تدميرنا اياهم وقومهم
الذين لم يكونوا معهم في مباشرة التبييت اجمعين بحيث لم يشذ منهم شاذ وما تعليل لما ينبئ عنه الامر
بالنظر في كيفية عاقبة مكرهم من غاية الهول والفظاعة بحذف الجار اى لانا دمرناهم الى اخره وقيل كان
ناقصة اسمها عاقبة مكرهم خبرها كيف كان حالا ووجه صحة ان يكون قوله تعالى انا دمرناهم الى اخره تعليلا
لما ذكر وقرئ انا دمرناهم الى اخره بالكسر على الاستئناف روى انه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في
شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا
الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من الهضب حيالهم
فبادروا فطبقت عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله تعالى
كلا منهم في مكانه ونجا صالحا ومن معه. وقيل جاءوا بالليل شاهرى سيوفهم وقد ارسل الله تعالى الملائكة
ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة وهم يرون راميا فتلك بيوتهم جملة مقررة لما قبلها وقوله تعالى
خاوية اى خالية او ساقطة متهدمة بما ظلموا اى بسبب ظلمهم المذكور حال من بيوتهم والعامل معنى
الاشارة وقرئ خاوية بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف ان في ذلك اى فيما ذكر من التدمير العجيب
بظلمهم لاية لعبرة عظيمة لقوم يعلمون اى ما من شانه ان يعلم من الاشياء او لقوم يتصفون بالعلم وانجينا
الذين امنوا صالحا ومن معه من المؤمنين وكانوا يتقون اى الكفر والمعاصى اتقاء مستمرا فلذلك خصوا
بالنجاة ولوطا منصوب بمضمر معطوف على ارسلنا في صدر قصة صالح داخل معه في حيز القسم اى ارسلنا
لوطا وقوله تعالى اذ قال لقومه ظرف للارسال على ان المراد به امر ممتد وقع فيه الارسال وما جرى
بينه وبين قومه من الاقوال والاحوال وقيل انتصاب لوطا باضمار اذكر واذ بدل منه وقيل العطف
على الذين امنوا وانجينا لوطا وهو بعيد اتاتون الفاحشة اى الفعلة المتناهية في القبح والسماجة
وقوله تعالى وانتم تبصرون جملة حالية من فاعل تاتون مفيدة لتاكيد الانكار وتشديد التوبيخ فان
تعاطى القبيح من العالم بقبحه اقبح واشنع وتبصرون من بصر القلب اى اتفعلونها والحال انكم تعلمون
علما يقينا بكونها كذلك وقيل تبصرونها بعضكم من بعض لما كانوا يعلنون بها ائنكم لتاتون الرجال
شهوة تثنية للانكار وتكرير للتوبيخ وبيان لما ياتونه من الفاحشة بطريق التصريح وتحلية الجملة بحرفي
التاكيد للايذان بان مضمونها مما لا يصدق وقوعه احد لكمال بعده من العقول وايراد المفعول بعنوان
الرجولية لتربية التقبيح وتحقيق المباينة بينها وبين الشهوة التى علل بها الاتيان من دون النساء

بتا الفتية وضم التاء على ان تقاسموا فعل ماض
ثم لنقولن لوليه اى لولى صالح وقرئ ص

متجاوزين

متجاوزين النساء اللاتى هن محال الشهوة بل انتم قوم تجهلون تفعلون فعل الجاهلين بقبحه او يتجهل
العاقبة او الجهل بمعنى السفاهة والمجون اى بل انتم قوم سفهاء ماجنون والتاء فيه مع كونه صفة
لقوم مع كونهم في حيز الخطاب فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس
يتطهرون يتنزهون عن افعالنا او عن الاقذار ويعدون فعلنا قذرا وعن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما انه استهزاء وقد مر في سورة الاعراف ان هذا الجواب هو الذى صدر عنهم في المرة الاخيرة من
مرات مواعظ لوط عليه السلام بالامر والنهى لا انه لم يصدر عنهم كلام اخر غيره فانجيناه واهله
الا امراته قدرناها اى قدرنا انها من الغابرين اى الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا غير معهود
فساء مطر المنذرين قد مر بيان كيفية ما جرى عليهم من العذاب غير مرة قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى اثر ما قص الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم قصص الانبياء المذكورين
عليهم السلام واخبارهم الناطقة بكمال قدرته تعالى وعظم شانه وبما خصهم به من الايات القاهرة
والمعجزات الباهرة الدالة على جلالة اقدارهم وصحة اخبارهم وبين على السنتهم حقيقة الاسلام
والتوحيد وبطلان الكفر والاشراك وان من اقتدى بهم فقد اهتدى ومن اعرض عنهم فقد تردى
في مهاوى الردى وشرح صدره بالاسلام في تضاعيف تلك القصص من فنون المعارف الربانية
ونور قلبه بانوار الملكات السبحانية الفائضة من عالم القدس وقرر بذلك فحوى ما نطق به قوله
عز وجل وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم امره صلى الله عليه وسلم بان يحمده تعالى على ما افاض
عليه من تلك النعم التى لا مطمع وراءها لطامع ولا مطمح من دونها لطامح ويسلم على طائفة الانبياء
الذين من جملتهم الذين قصت عليهم اخبارهم التى هى من جملة المعارف التى اوحيت اليه عليه
السلام اداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وقيل هو امر للوط عليه السلام بان يحمده تعالى على اهلاك
كفرة قومه ويسلم على من اصطفاه بالعصمة عن الفواحش والنجاة من الهلاك ولا يخفى بعده الله خير اما
يشركون اى الله الذى ذكرت شؤونه العظيمة خير اما يشركون به تعالى من الاصنام ومرجع الترديد
الى التهديد بتبكيت الكفرة من جهته تعالى وتسفيه ارائهم الركيكة والتهكم بهم اذ من البين ان
ليس فيما اشركوه به تعالى شائبة خير ما حتى يمكن ان يوازن بينه وبين من لا خير الا خيره ولا اله غيره
وقرئ يشركون بالتاء الفوقانية بطريق تلوين الخطاب وتوجيهه الى الكفرة وهو الاليق بما بعده
من سياق النظم الكريم المبنى على خطابهم وجعله من جملة القول المامور به ياباه قوله تعالى فانبتنا به
الى اخره فانه صريح في ان التبكيت من قبله عز وجل بالذات وحمله على انه حكاية منه عليه السلام
الامر به بعبادته كما في قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم تعسف ظاهر من غير داع
اليه وام في قوله تعالى امن خلق السموات والارض منقطعة وما فيها من كلمة بل على الاول للاضراب
والانتقال من التبكيت تعريضا الى التصريح به خطابا على وجه اشد منه لمزيد التاكيد والتشديد
واما على القراءة الثانية فلتثنية التبكيت وتكرير الالزام كنظائرها الاتية والهمزة لتقريرهم
اى حملهم على الاقرار بالحق على وجه الاضطرار فانه لا يتمالك احد ممن له ادنى تمييز ولا يقدر على
ان لا يعترف بخيرية من خلق جميع المخلوقات وافاض على كل منها ما يليق به من منافعه من اخس
تلك المخلوقات وادناها بل بان لا خيرية فيه بوجه من الوجوه قطعا ومن مبتدا خبره محذوف
مع ام المعادلة للهمزة تعويلا على ما سبق من الاستفهام الاول خلا ان تشركون هنا بالخطاب على
القراءتين معا وهكذا في المواضع الاربعة الاتية والمعنى بل امن خلق قطرى العالم الجسمانى ومبدأ منافع
ما بينهما وانزل لكم التفات الى خطاب الكفرة على القراءة الاولى لتشديد التبكيت والالزام اى انزل
لاجلكم ومنفعتكم من السماء ماء اى نوعا منه هو المطر فانبتنا به حدائق اى بساتين محدقة ومحاطة
بالحوائط ذات بهجة حسن ورونق يبتهج به النظار ما كان لكم اى ما صح لكم وما امكن لكم ان تنبتوا
شجرها فضلا عن ثمرها وساير صفاتها البديعة خير ام ما تشركون [illegible]
لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والالتفات الى التكلم في قوله تعالى فانبتنا لتاكيد اختصاص
الفعل بذاته تعالى وللايذان بان انبات تلك الحدائق المختلفة الاصناف والاوصاف والالوان
والطعوم والاشكال مع ما لها من الحسن البارع والبهاء التابع بماء واحد مما لا يكاد يقدر عليه
الا هو وحده حسبما ينبئ عنه تقييدها وقوله تعالى ما كان لكم الى اخره سواء كانت صفة لها او حالا
وتوحيد وصفها الاول اعنى ذات بهجة لما ان المعنى جماعة حدائق ذات بهجة على نهج قولهم النساء
ذهبت له وكذا الحال في ضمير شجرها أاله مع الله اى اله اخر كائن مع الله الذى ذكر بعض افعاله
التى لا يكاد يقدر عليها غيره حتى يتوهم جعله شريكا له تعالى في العبادة وهذا تبكيت لهم بنفى الالهية

عنه بما ذكر عن الترديد فان احدا ممن له تمييز في الجملة كما لا يقدر على انكار انتفاء الخيرية عنه بالمرة
لا يكاد يقدر على انكار انتفاء الالوهية عنه رأسا لا سيما بعد ملاحظة انتفاء احكامها عما سواه تعالى
وهكذا الحال في المواقع الاربعة الاتية وقيل المراد نفي ان يكون معه تعالى اله اخر فيما ذكر من الخلق
وما عطف عليه لكن لا على ان التبكيت بنفس ذلك النفي فقط وكيف لا وهم لا ينكرونه حسبما ينطق به
قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله بل على اشراكهم به تعالى في العبادة وما ه
يعترفون بعدم مشاركته له تعالى في العبادة وقيل المعنى اغيره يقرن به ويجعل له شريكا في العبادة مع
تفرده تعالى بالخلق والتكوين فالانكار للتوبيخ والتبكيت مع تحقق المنكر دون النفي كما في الوجهين ه
السابقين والاول هو الاظهر الموافق لقوله تعالى ءاله مع الله والاوفق بمقام فاقامة نفي وجود
اله اخر معه تعالى راسا لا نفي معيته في الخلق وفي عدمه فقط وقرئ اءله بتوسيط مدة بين الهمزتين وباخراج
الثانية بين بين وقرئ االها باضمار فعل يناسبه المقام مثل اتدعون او تشركون بل هم قوم يعدلون ه
اضراب وانتقال من تبكيتهم بطريق الخطاب الى بيان سوء حالهم وحكايته لغيرهم اي بل هم قوم عادتهم
العدول عن طريق الحق بالكلية والانحراف عن الاستقامة في كل امر من الامور وكذلك يفعلون من
العدول عن الحق الواضح الذي هو التوحيد والعكوف في الباطل البين الذي هو الاشراك وقيل
يعدلون تعالى غيره وهو بعيد خال عن الافادة امن جعل الارض قرارا قيل هو بدل من امن خلق ه
السموات الى اخره وكذا ما بعده من الجمل الثلاث وحكم الكل واحد والاظهر ان كل واحدة منها
اضراب وانتقال من التبكيت بما قبلها الى التبكيت بوجه اخر داخل في الالزام بجهة من الجهات
اي جعلها بحيث يستقر عليها الانسان والدواب بابداء بعضها من الماء ودحوها وتسويتها حسبما
يدور عليه منافعهم وجعل خلالها اوساطها انهارا جارية ينتفعون بها وجعل لها رواسي اي جبالا
ثوابت تمنعها ان تميد باهلها ويكون فيها المعادن وينبع في حضيضها الينابيع ويتعلق بها من
المصالح ما لا يخفى وجعل بين البحرين اي العذب والمالح او خليجي فارس والروم حاجزا برزخا مانعا
من الممازجة وقد مر في تفسير سورة الفرقان والجعل في المواقع الثلث الاخيرة ابداعي وتاخير
مفعوله عن الظروف لما مر مرارا من التشويق ءاله مع الله في الوجود او في ابداع هذه البدايع
على ما مر بل اكثرهم لا يعلمون اي شيئا من الاشياء ولذلك لا يفهمون بطلان ما هم عليه من الشرك
مع كمال ظهوره امن يجيب المضطر اذا دعاه وهو الذي احوجته شدة من الشدائد والجأته الى اللجا
والضراعة الى الله عز وجل اسم مفعول من الاضطرار الذي هو الافتعال من الضرورة • وعن ابن عباس
هو المجهود وعن السدي من لا حول له ولا قوة وقيل المذنب اذا استغفر واللام للجنس لا للاستغراق
حتى يلزم اجابة كل مضطر ويكشف السوء وهو الذي يعتري الانسان مما يسوءه ويجعلكم خلفاء الارض
اي خلفاء فيها بان ورثكم سكناها والتصرف فيها ممن قبلكم من الامم وقيل المراد بالخلافة الملك
والتسلط ءاله مع الله الذي يفيض على كافة الانام هذه النعم الجسام قليلا ما تذكرون اي تذكرا
قليلا او زمانا قليلا تتذكرون وما مزيدة لتاكيد معنى القلة التي اريد بها العدم او ما يجري
مجراه في الحقارة وعدم الجدوى وفي تذييل الكلام بنفي التذكر عنهم ايذان بان مضمونه مركوز في ذهن
كل ذكي وغبي وانه من الوضوح بحيث لا يتوقف الا على التوجه اليه وتذكره وقرئ تتذكرون على
على الاصل وتذكرون ويذكرون بالياء والتاء مع الادغام امن يهديكم في ظلمات البر والبحر اي في ظلمات
الليالي فيهما على ان الاضافة للملابسة او في مشتبهات الطريق يقال طريقة ظلماء وعمياء للتي لا منار بها
ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وهي المطر ان السبب الاكثر في تكوين الريح معاودة
الادخنة الصاعدة من الطبقة الباردة لانكسار حرها وتموجها في الهوا فلا ريب في ان الاسباب
الفاعلية والقابلية لذلك كله من خلق الله عز وعلا والفاعل للسبب فاعل للمسبب قطعا ه
ءاله مع الله نفي لان يكون معه اله اخر وقوله تعالى تعالى الله عما يشركون تقرير وتحقيق له
واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار للاشعار بعلة الحكم اي تعالى وتنزه بذاته المنفردة بالالوهية
المستتبعة لجميع صفات الكمال ونعوت الجمال والجلال المقتضية لكون كل المخلوقات مقهورا تحت
قدرته عما يشركون اي عن وجود ما يشركون به عن وجود ما يشركون به تعالى لا مطلقا فان وجوده
مما لا مرد له بل عن وجوده لعنوان كونه الها وشريكا له تعالى او عن اشراكهم امن يبدؤا الخلق ثم
يعيده اي بل امن يبدأ الخلق ثم يعيده بالبعث ومن يرزقكم من السماء والارض اي باسباب سماوية
قدرتها على ترتيب بديع مقتضية للحكمة التي عليها بني امر التكوين خير اما يشركونه وقوله تعالى
قل هاتوا برهانكم امر له صلى الله عليه وسلم بتبكيتهم اثر تبكيت اي هاتوا برهانا عقليا او نقليا يدل

على

على ان معه تعالى الها لا على ان غيره تعالى يقدر على شيء مما ذكر من افعاله تعالى كما قيل فانهم لا يدعونه
صريحا ولا يلتزمون كونه من لوازم الالوهية وان كان منها بالحقيقة فمطالبتهم بالبرهان عليه لا على صريح
دعواهم مما لا وجه له وفي اضافة البرهان الى ضميرهم تهكم بهم لما فيها من ايهام ان لهم ذلك ان كنتم
صادقين اي في تلك الدعوى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله بعد ما حقق تفرده تعالى
بالالوهية ببيان اختصاصه بالقدرة الكاملة التامة والرحمة الشاملة العامة عقب بذكر
ما هو من لوازمه وهو اختصاصه بعلم الغيب تكميلا لما قبله وتمهيدا لما بعده من امر البعث ه
الاستثنا منقطع ورفع المستثنى على اللغة التميمية للدلالة على استحالة علم الغيب من اهل السموات
والارض بتعليقه بكونه سبحانه وتعالى منهم كافة قيل ان كان الله تعالى ممن فيهما ففيهم من يعلم الغيب
او متصل على ان المراد بمن في السموات والارض من تعلق علمه بهما واطلع عليهما اطلاع الحاضر فيهما
فان ذلك معنى مجازي عام له تعالى ولاولي العلم من خلقه ومن موصولة او موصوفة وما يشعرون
ايان يبعثون اي متى ينشرون من القبور مع كونه مما لا بد لهم منه ومن اهم الامور عندهم وايان ه
مركبة من اي وان وقرئ بكسر الهمزة والضمير للكفرة وان كان عدم الشعور بما ذكر عاما لئلا يلزم ه
التفكيك بينه وبين ما سياتي من سائر الضماير الخاصة بهم مطلقا وقيل الكل لمن واسناد خواص الكفرة
الى الجميع من قبيل قولهم بنو فلان فعلوا كذا والفاعل بعض منهم بل ادارك علمهم في الاخرة لما نفي عنهم
علم الغيب واكد ذلك بنفي شعورهم بوقت ما هو مصيرهم لا محالة بولغ في تقريره وتاكيده بان اضرب
عنه وبين انهم في جهل افحش من جهلهم بوقت بعثهم حيث لا يعلمون احوال الاخرة مطلقا مع تعاضد
اسباب معرفتها على ان ادارك علمهم في الاخرة بمعنى تدارك وتتابع علمهم في شان الاخرة التي ما ذكر من
البعث حال من احوالها حتى انقطع ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا لكن لا على انه كان
لهم علم بذلك على الحقيقة ثم انتفى شيئا فشيئا بل على طريقة المجاز بتنزيل اسباب العلم ومباديه من الدلائل
العقلية والسمعية منزلة نفسه واجراء ساقطها عن درجة اعتبارهم كلما لاحظوها مجرى تتابعها الى
الانقطاع ثم اضرب وانتقل عن بيان علمهم بها الى بيان ما هو اسوا منه وهو حيرتهم في ذلك حيث قيل
بل هم في شك منها اي في شك مريب من نفس الاخرة وتحققها كمن تحير في امر لا يجد فيه دليلا فضلا
عن الامور التي ستقع فيها ثم اضرب عن ذلك الى بيان ان ما هم فيه اسوا من الشك حيث قيل
بل هم منها عمون بحيث لا يكادون يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم بالكلية وقرئ بل ادارك علمهم
بمعنى انتهى وفني وقد فسره الحسن البصري باضمحل علمهم وقيل كلتا الصيغتين على معناها الظاهر اي
تكامل واستحكم او تم اسباب علمهم بان القيمة كائنة لا محالة من الايات القاطعة والحجج الساطعة وتمكنوا
من المعرفة فضل تمكن وهم جاهلون في ذلك وقوله تعالى بل هم في شك منها اضراب وانتقال من وصفهم
بمطلق الجهل الى وصفهم بالشك وقوله تعالى بل هم منها عمون من وصفهم بالشك الى وصفهم بما هو اشد
منه وافظع من العمى وانت خبير بان تنزيل اسباب العلم منزلة العلم سنن مسلوك لكن دلالة النظم الكريم على
جهلهم حينئذ ليست بواضحة وقيل المراد وصفهم باستحكام العلم وتكامله تهكما بهم فيكون وصفهم
بالجهل مبالغة والاضربان على ما ذكر واصل ادارك تدارك وبه قرا ابي فابدلت التاء دالا وسكنت ه
فتعذر الابتداء فاجتلبت همزة الوصل فصار ادارك وقرئ بل ادرك واصله افتعل وبل اأدرك
بهمزتين وبل آادرك بالف بينهما وبل ادرك بالتخفيف والنقل وبل ادارك وبلى ادرك ولم تدارك
وهذه ثنتي عشرة قراءة فما فيه استفهام صريح او مضمن من ذلك وهو انكار لعلمهم وما فيه بلى فاثبات
لشعورهم وتفسير له بالادراك على وجه التهكم الذي هو ابلغ وجوه النفي وما بعده من الانكار والاضراب
عن التفسير مبالغة في النفي ودلالة على ان شعورهم بها انهم شاكون فيها بل انهم منها عمون او رد وانكار
لشعورهم وقال الذين كفروا بيان لجهلهم بالاخرة وعمههم منها بحكاية انكارهم للبعث ووضع الموصول
موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز صلتهم والاشعار بعلة حكمهم الباطل في قولهم ائذا كنا ترابا وعظاما
وآباؤنا لمخرجون اي لمخرج ضميرهم لذمهم بما في حيز صلتهم والاشعار بعلة حكمهم الباطل من القبور
الا انا كنا ترابا بما ينبئ عنه مخرجون ولا مساغ لان يكون هو العامل مع موانع لو تفرد واحد منها
يكفي في المنع وتقييد الاخراج بوقت كونهم ترابا ليس لتخصيص الانكار بالاخراج حينئذ فقط فانهم
منكرون للاحياء بعد الموت مطلقا وان كان البدن على حاله بل لتقوية الانكار لا تكرار التاكيد
كما يوهمه ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها صدارة كما في قوله تعالى افلا تعقلون ونظايره
على راي الجمهور فان المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعاقب كما هو المشهور وقرئ
اذا كنا بهمزة واحدة مكسورة وقرئ اننا لمخرجون على الخبر لقد وعدنا هذا اي الاخراج نحن واباؤنا من قبل

الناس

اي من قبل وعده صلى الله عليه وسلم وتقديم الموعود على نحن لانه المقصود بالذكر وحيث اخر قصد به
المبعوث والجملة استيناف مسوق لتقرير الانكار وتصديرها بالقسم لمزيد التاكيد وقوله تعالى ان هذا
الا اساطير الاولين تقرير اخر تقرير قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بسبب تكذيبهم
للرسل عليهم السلام فيما دعوهم اليه من الايمان بالله عز وجل وحده وباليوم الاخر الذي هم ينكرونها
فانه في مشاهدة عاقبتهم ما فيه كفاية لاولي الابصار وفي التعبير عن المكذبين بالمجرمين لطف بالمؤمنين
في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لاصرارهم على الكفر والتكذيب ولا تكن في ضيق في حرج صدر مما يمكرون
من مكرهم فان الله يعصمك من الناس وقرئ بكسر الضاد وهما لغتان ويجوز ان يكون المفتوح
مخففا من ضيق وقد قرئ كذلك اي لا تكن في امر ضيق ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب العاجل
العاجل الموعود ان كنتم صادقين في اخباركم باتيانه والجمع باعتبار شركة المؤمنين في الاخبار بذلك
قل عسى ان يكون ردف لكم اي تبعكم ولحقكم مزيده للتاكيد كالبا في قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة او الفعل مضمن معنى فعل يعدى باللام وقرئ بفتح الدال وهي لغة فيه بعض الذي تستعجلون
وهو عذاب يوم بدر وعسى ولعل وسوف في مواعيد الملوك بمنزلة الجزم بها وانما يطلقونها اظهارا
للوقار واشعارا بان الرمز من امثالهم كالتصريح ممن عداهم وعلى ذلك يجري وعد الله تعالى ووعيده
وايثار ما عليه النظم الكريم على ان يقال عسى ان يردفكم الى اخره لكونه ادل على تحقق الوعد وان ربك
لذو فضل على الناس اي لذو افضال وانعام ومن جملة انعامه تاخير عقوبة هؤلاء على
ما يرتكبونه من المعاصي التي من جملتها استعجال العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون لا يعرفون حق النعمة
فلا يشكرونه بل يستعجلون بجهلهم وقوعه كدأب هؤلاء وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي ما تخفيه
وقرئ بفتح التاء من كننت اي سترت وما يعلنون من الاقوال والافعال التي من جملتها ما حكي عنهم من
استعجال العذاب وفيه ايذان بان لهم قبائح غير ما يظهرونه وانه تعالى يجازيهم على الكل وتقديم السر
على العلن قد مر سره في سورة البقرة عند قوله تعالى اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون
وما من غائبة في السموات والارض اي ما من خافية فيهما وهما من الصفات الغالبة والتاء للمبالغة كما في
الرواية او اسمان لما يغيب ويخفى والتاء للنقل الى الاسمية الا في كتاب مبين اي بين او مبين لما فيه لمن
يطالعه وهو اللوح المحفوظ وقيل هو القضاء العدل بطريق الاستعارة ان هذا القران يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون من جملته ما اختلفوا فيه في امر المسيح وتحزبوا فيه احزابا وركبوا متن العتو
في الغلو في الافراط والتفريط والتشبيه والتنزيه ووقع بينهم التناكد في اشياء حتى بلغت المشاقة الى
حيث لعن بعضهم بعضا وقد نزل القران الكريم ببيان كنه الامر لو كانوا في حيز الانصاف وانه لهدى
ورحمة للمؤمنين على الاطلاق فيدخل فيهم من امن من بني اسرائيل دخولا اوليا ان ربك يقضي بينهم
اي بين بني اسرائيل بحكمه بما يحكم به وهو الحق او بحكمته ويؤيده انه قرئ بحكمه وهو العزيز فلا يرد حكمه
وقضاؤه العليم بجميع الاشياء التي من جملتها ما يقضي به والفاء في قوله تعالى فتوكل على الله لترتيب الامر
على ما ذكر من شؤونه عز وجل فانها توجب على كل احد ان يتوكل عليه ويفوض جميع اموره اليه وقوله
تعالى انك على الحق المبين تعليل صريح للتوكل عليه تعالى انك لا تسمع الموتى الى اخره تعليل اخر للتوكل الذي
هو عبارة عن التبتل الى الله تعالى وتفويض الامر والاعراض عن التشبث بما سواه وقد علل اولا بما يوجبه
من جهته تعالى اعني تحققه بالحق وتاييده للمحق ثم علل ثانيا بما يوجبه لكن لا بالذات بل بواسطة ايجابه
للاعراض عن التشبث بما سواه تعالى فان كونهم كالموتى والصم والعمي موجب لقطع الطمع عن مشايعتهم
ومعاضدتهم راسا وداع الى تخصيص الاعتضاد به تعالى وهو المعني بالتوكل عليه تعالى وانما شبهوا
بالموتى لعدم تاثرهم بما يتلى عليهم من القوارع واطلاق الاسماع عن المفعول لبيان عدم سماعهم
لشيء من المسموعات ولعل تشبيه قلوبهم بالموتى فيما ذكر من عدم الشعور فان القلب مشعر من المشاعر
اشير الى بطلانه بالمرة ثم بين بطلان مشعري الاذن والعين كما في قوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها
ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون بها والا فبعدما شبهوا انفسهم بالموتى لا يظهر لتشبيههم
بالصم والعمي مزيد مزية ولا تسمع الصم الدعاء اي الدعوة الى امر من الامور وتقييد النفي بقوله تعالى
اذا ولوا مدبرين لتكميل التشبيه وتاكيد النفي فانهم مع صممهم عن الدعاء الى الحق معرضون عن الداعي
مولون على ادبارهم ولا ريب في ان الاصم لا يسمع الدعاء مع كون الداعي بمقابلة صماخه قريبا منه
فكيف اذا كان خلفه بعيدا منه وقرئ ولا يسمع الصم الدعاء وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم هداية
موصلة الى المطلوب كما في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت فان الاهتداء منوط بالبصر ومن متعلقه
بالهداية باعتبار تضمنه معنى الصرف وقيل بالعمي من كذا وفيه بعد وايراد الجملة الاسمية للمبالغة

في

في نفي الهداية وقرئ وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع سماعا يجدي السامع نفعا
الا من يؤمن باياتنا اي من شانهم الايمان بها وايراد الاسماع في النفي والاثبات دون الهداية
مع قربها بان يقال ان تهدي الا من يؤمن الى اخره لما ان طريق الهداية هو اسماع الايات
التنزيلية فهم مسلمون تعليل لايمانهم كانه قيل منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله
تعالى بلى من اسلم وجهه لله تعالى واذا وقع القول عليهم بيان لما اشير اليه بقوله تعالى واذا
وقع عليهم القول بيان لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذي تستعجلون من بقية ما يستعجلونه
من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق به من الايات الكريمة من مجيء الساعة وما فيها من
فنون الاهوال التي كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك به للايذان
بشدة وقعها وتاثيرها واسناده الى القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق
للقول الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما في قوله اتى امر الله اي اذا دنى
وقوع مدلول القول المذكور الذي لا يكادون يسمعونه ومصداقه اخرجنا لهم دابة من الارض
وهي الجساسة وفي التعبير عنها باسم الجنس وتاكيد ابهامه بالتنوين التفخيمي من الدلالة على غرابة
شانها وخروج اوصافها عن طور البيان ما لا يخفى وقد ورد في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا
يدركها طالب ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان وعن ابن
جريج في وصفها راس ثور وعين خنزير واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر
وخاصرة بقرة وذنب كبش وخف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع ادم عليه
السلام وقال وهب وجهها وجه الرجل وباقي خلقها خلق الطير وعن علي رضي الله تعالى عنه انه
قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية كانه يشير الى انه رجل والمشهور انها دابة وروي
لا يخرج الا راسها وراسها تبلغ عنان السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
فيها كل لون ما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن رضي الله تعالى عنه لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة
ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم سئل من اين تخرج الدابة
فقال من اعظم المساجد حرمة على الله تعالى يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج ثلاث خرجات تخرج
باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا الناس في اعظم المساجد حرمة على الله
تعالى واكرمها فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد
فقوم يهربون وقوم يقفون نظارا وقيل تخرج من الصفا وروي بينا عيسى عليه السلام
يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما
يلي المسعى فتخرج دابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليه السلام فتضرب المؤمن في
مسجده بالعصا فتنكت نكتة بيضاء فتفشو حتى يضيء لها وجهه وتكتب بين عينيه هو مؤمن
وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر ثم تقول
لهم انت يا فلان من اهل الجنة وانت يا فلان من اهل النار وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة تسمع قرع عصاي هذه وروى ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بئس الشعب شعب جياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول
الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين تكلمهم بالعربية بلسان ذلق
وذلك قوله تعالى تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اي تكلمهم انهم كانوا لا يوقنون
بايات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة والاول هو الحق كما ستحيط به علما وقرئ بان الناس والاية
واضافة الايات الى نون العظمة لانها حكاية منه تعالى لمعنى قولها لا لعين عبارتها وقيل لانها
حكاية منها لقول الله عز وجل وقيل لاختصاصها به تعالى واثرها عنده كما يقول بعض خواص
الملك خيلنا وبلادنا وانما الخيل لمولاه وقيل هناك مضاف محذوف اي بايات ربنا ووصفهم بعدم
الايقان بها مع انهم كانوا جاحدين بها للايذان بانه كان من حقهم ان يوقنوا بها ويقطعوا
بصحتها وقد اتصفوا بنقيضه وقرئ ان الناس بالكسر على اضمار القول او اجراء الكلام مجراه في
الاضافة كالذي سبق وقيل هو استيناف مسوق من جهته تعالى لتعليل اخراجها وتكليمها ويرده
الجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل فانه صريح في كونه حكاية لعدم ايقانهم السابق في الدنيا
والمراد بالناس اما الكفرة على الاطلاق او مشركوا مكة وقد روي عن وهب انها
تخبر كل من تراه من اهل مكة كانوا يجحدون القران لا يوقنون وقرئ تكلمهم من الكلم الذي
هو الجرح والمراد به ما نقل من الوسم بالعصا والخاتم وقد جوز كون القراءة المشهورة ايضا

منه لمعنى التكذيب وله يخفى بعده ويوم نحشر من كل امة فوجا بيان اجمالى لحال
المكذبين عند قيام الساعة بعد بيان مباديها ويوم منصوب بمضمر خوطب به النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد بهذا الحشر هو الحشر للعذاب بعد الحشر الكلى الشامل لكافة الخلق وتوجيه
الامر بالذكر الى الوقت مع ان المقصود تذكير ما وقع فيه من الحوادث قد مر بيانه
مرارا اى واذكر لهم وقت حشرنا اى جمعنا من كل امة من الامم الانبياء عليهم السلام او من
اهل كل قرن من القرون جماعة فمن تبعيضية لان كل امة منقسمة الى مصدق ومكذب وقوله
تعالى ممن يكذب بياتنا بيان للفوج اى فوجا مكذبين بها فهم يوزعون اى يحبس اولهم على آخرهم
حتى يتلاحقوا ويجتمعون فى موقف التوبيخ والمناقشة وفيه من الدلالة على كثرة عددهم وتباعد
اطرافهم ما لا يخفى وعن ابن عباس رضى الله عنهما ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة
يساقون بين يدى اهل مكة وهكذا يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار حتى اذا جاؤا
الى موقف السؤال والجواب والمناقشة والحساب قال اى الله عز وجل موبخا لهم على التكذيب فى
الالتفات لتربية المهابة اكذبتم باياتى الناطقة بلقاء يومكم هذا وقوله تعالى ولم تحيطوا بها علما
جملة حالية مفيدة لزيادة شناعة التكذيب وغاية قبحه ومؤكدة للانكار والتوبيخ اى اكذبتم
بها بادى الرأى غير ناظرين فيها نظرا يؤدى الى العلم بكنهها وانها حقيقة بالتصديق حتما وهذا
نص فى ان المراد بالآيات فيما سلف فى الموضعين هى الآيات القرآنية لانها هى المنطوية على دلائل
الصحة وشواهد الصدق التى لم يحيطوا بها علما مع وجوب ان يتأملوا ويتدبروا فيها لا نفس
الساعة وما فيها وقيل هو معطوف على كذبتم اى اجمعتم بين التكذيب وعدم التدبر فيها
اماذا كنتم تعملون ام اى شىء كنتم تعملون بها او ام اى شىء كنتم تعملون غير ذلك بمعنى انه لم يكن لهم
عمل غير ذلك كأنهم لم يخلقوا الا للكفر والمعاصى مع انهم ما خلقوا الا للايمان والطاعة يخاطبون
بذلك تبكيتا ثم يكبون فى النار وذلك قوله تعالى ووقع القول عليهم اى حل بهم العذاب الذى
هو مدلول القول الناطق بحلوله ونزوله بما ظلموا بسبب ظلمهم الذى هو تكذيبهم بآيات الله
فهم لا ينطقون لانقطاعهم من الجواب بالكلية وابتلائهم بشغل شاغل من العذاب الاليم الم يروا
انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه الرؤية قلبية لا بصرية لان نفس الليل والنهار وان كان من
المبصرات لكن جعلهما كما ذكر من قبيل المعقولات اى الم يعلموا انا جعلنا الليل بما فيه من الاظلام
ليستريحوا فيه بالنوم والقرار والنهار مبصرا اى ليبصروا بما فيه من الاضاءة طرق التقلب فى
امور المعاش فبولغ فيه حيث جعل الابصار الذى هو حال الناس حالا له ووصفا من اوصافه
التى جعل عليها بحيث لا ينفك عنها ولم يسلك فى الليل هذا المسلك لما ان تأثير ظلام الليل
فى السكون ليس بمثابة تأثير ضوء النهار فى الابصار ان فى ذلك اى فى جعلهما كما وصفا وما فى اسم
الاشارة من معنى البعد للاشعار ببعد درجته فى الفضل لآيات عظيمة كثيرة لقوم يؤمنون
دالة على صحة البعث وصدق الآيات الناطقة به دلالة واضحة كيف لا وان من تأمل فى تعاقب
الليل والنهار واختلافهما على وجوه بديعة مبنية على حكم رائقة يحار فى فهمها العقول
ولا يحيطوا بها الا الله عز وعلا وشاهد فى الآفاق تبدل ظلمة الليل الحاكية للموت بضياء
النهار المضاهى للحياة وعاين فى نفسه تبدل النوم الذى هو اخو الموت بالانتباه الذى هو
مثل الحياة قضى بان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من فى القبور قضاء متقنا
وجزم بانه تعالى قد جعل هذا انموذجا له ودليلا به على تحققه وان الآيات الناطقة به وبكون
حال الليل والنهار برهانا عليه وسائر الآيات كلها حق نازل من عند الله تعالى ويوم ينفخ فى الصور
اما معطوف على يوم نحشر منصوب بناصبه او بمضمر معطوف عليه والصور هو القرن
الذى ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه
اسرافيل عليه السلام فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر قال قلت يا
رسول الله ما الصور قال القرن قال قلت كيف هو قال عظيم والذى نفسى بيده ان عظم دارة
فيه كعرض السموات والارض فيؤمر بالنفخ فيه فينفخ نفخة لا يبقى عندها فى الحياة احد الا من شاء الله تعالى
وذلك قوله تعالى ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم يؤمر باخرى فينفخ نفخة
لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون والذى يستدعيه سياق
النظم الكريم وسياقه ان المراد بالنفخ ههنا هى النفخة الثانية وبالفزع فى قوله تعالى ففزع من فى السموات ومن فى الارض

فى نفى الهداية وقرئ وما انت تهدى العمى ان تسمع اى ما تسمع سماعا يجدى السامع نفعا الا من يؤمن بآياتنا اى
من شأنهم الايمان بها وايراد الاسماع فى النفى والاثبات دون الهداية مع قربها بان يقال ان تهدى الا من
يؤمن الى آخره لما ان طريق الهداية هو اسماع الآيات التنزيلية فهم مسلمون تعليل لايمانهم بها كأنه قيل
منقادون للحق وقيل مخلصون لله تعالى من قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله تعالى واذا وقع القول عليهم بيان
لما اشير اليه بقوله تعالى بعض الذى تستعجلون من الساعة ومباديها والمراد بالقول ما نطق به من الآيات
الكريمة من مجىء الساعة وما فيها من فنون الاهوال التى كانوا يستعجلونها وبوقوعه قيامها وحصولها عبر عن ذلك
به للايذان بشدة وقعها وتأثيرها واسناده الى القول لما ان المراد بيان وقوعها من حيث انها مصداق للقول
الناطق بمجيئها وقد اريد بالوقوع دنوه واقترابه كما فى قوله اتى امر الله اى اذا دنى وقوع مدلول القول
المذكور الذى لا يكادون يسمعونه ومصداقه اخرجنا لهم دابة من الارض وهى الجساسة وفى التعبير عنها
باسم الجنس وتأكيد ابهامه بالتنوين التفخيمى من الدلالة على غرابة شأنها وخروج اوصافها عن طور
البيان ما لا يخفى وقد ورد فى الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب ما يفضى
الكل عند البعث والنشور بمشاهدة الامور الهائلة الخارقة للعادات فى الانفس والآفاق من الرعب والرهب
المضروب بين الحين وايراد صيغة الماضى مع كون المعطوف عليه اعنى ينفخ مضارعا للدلالة على تحقق
وقوعه اثر النفخ ولعل تأخير بيان الاحوال الواقعة عند ابتداء النفختين عن بيان ما يقع بعدها من حشر
المكذبين من كل امة لتثنية التهويل بتقرير التذكير ايذانا بان كل واحد منهما طامة كبرى وداهية دهيا
حقيقة بالتذكير على حالها ولو روعى الترتيب الوقوعى لربما توهم ان الكل داهية واحدة قد امر بذكرها كما
مر فى سورة البقرة الا من شاء الله حضروا الموقف بين يدى رب العزة جل جلاله للسؤال والجواب والمناقشة
والحساب وقرئ اتاه باعتبار لفظ الكل كما ان القراءة الاولى باعتبار معناه وقرئ اتوه اى حاضرون داخرين اى
صاغرين وقرئ دخرين وقوله تعالى وترى الجبال عطف على ينفخ داخل فى حكم التذكير وقوله عز وعلا تحسبها
جامدة اى ثابتة فى اماكنها اما بدل منه او حال من ضمير ترى او من مفعوله وقوله تعالى وهى تمر مر السحاب حال
من ضمير الجبال فى تحسبها او فى جامدة اى تراها رأى العين ساكنة والحال انها تمر مر السحاب الذى تسيره الرياح سيرا
حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحو سمت لا تكاد تتبين حركتها وعليه قول من قال بارعن مثل
الطود تحسب انهم ° وقوف لحاج والركاب تهملج ° وقد ادمج فى هذا التشبيه حال الجبال بحال السحاب فى تخلخل
الاجزاء وانتفاشها كما فى قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش وهذا ايضا مما يقع بعد النفخة الثانية
عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض يغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من
الهيئة الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهى وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى فتسييرها وتسوية
الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما نطق به قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم
ان صيغة الماضى فى المعطوف مع كون المعطوف عليه مستقبلا للدلالة على تقدم الحشر على التسيير والرؤية
كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك هذا وقد قيل ان المراد هى النفخة الاولى والفزع هو الذى يستتبع الموت
لغاية شدة الهول كما فى قوله تعالى فصعق من فى السموات ومن فى الارض الى آخره فيختص اثرها بمن كان حيا
عند وقوعها دون من مات قبل ذلك من الامم وجوز ان يراد بالاتيان داخرين رجوعهم الى امره تعالى
وانقيادهم له ولا ريب فى ان ذلك مما ينبغى ان ينزه ساحة التنزيل عن امثاله وابعد من هذا ما قيل ان
المراد بهذه النفخة نفخة الفزع التى تكون قبل نفخة الصعق وهى التى اريد بقوله وما ينظر هؤلاء الا
صيحة واحدة ما لها من فواق فيسير الله تعالى عندها الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا وترتج الارض
باهلها رجا فتكون كالسفينة الموسقة فى البحر وكالقنديل المعلق وترجحه الرياح فانه مما لا ارتباط له
بالمقام قطعا والحق الذى لا محيد عنه وقد مر وبما هو فيه فى الباب تطبيقا بين قوله تعالى وهم من فزع يومئذ
آمنون صنع الله مصدر مؤكد لمضمون ما قبله اى صنع الله ذلك صنعا على انه عبارة عما ذكر من النفخ فى
الصور وما ترتب عليه جميعا قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الافاعيل وتهويل امرها والايذان
بانها ليست بطريق اخلال نظام العالم وافساد احوال الكائنات بالكلية من غير ان يدعو اليها داعية
ويكون لها عاقبة بل هى من قبيل بدائع صنع الله تعالى المبنية على اساس الحكمة المستتبعة للغايات
الجميلة التى لاجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادى الابداع على الوجه المتين والنهج الرصين كما يعرب
عنه قوله تعالى الذى اتقن كل شىء اى احكم خلقه وسواه على ما تقتضيه الحكمة وقوله تعالى انه خبير بما
تفعلون تعليل لكون ما ذكر صنعا محكما له تعالى ببيان ان علمه تعالى بظواهر افعال المكلفين وبواطنها
مما يدعو الى اظهارها وبيان كيفياتها على ما هى عليه من الحسن والسوء وترتيب اجزيتها عليها بعد
بعثهم وحشرهم وجعل السموات والارض والجبال على وفق ما نطق به التنزيل ليتحقق بمشاهدة ذلك

أى ان لا يفزع فيلهم عند النفخة وحل اتوه من

ان وعد الله حق لا ريب فيه وقرئ خبير بما يفعلون وقوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها بيان لما اشير
اليه باحاطة علمه تعالى بافعالهم من ترتيب اجزيتها عليها اى من جاء منكم او من اولئك الذين اتوه
تعالى بالحسنة فله من الجزاء هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل
فله من الجزاء هو خير منها اما باعتبار انه اضعافها واما باعتبار دوامه وانقضائها وقيل فله خير حاصل
من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الحسنة كلمة الشهادة وهم اى الذين جاؤا بالحسنات
من فزع اى عظيم هائل لا يقادر قدره وهو الفزع الحاصل من مشاهدة العذاب بعد تمام المحاسبة وظهور
الحسنات والسيئات وهو الذى فى قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وعن الحسن رضى الله تعالى عنه حين يؤمر
بالعبد الى النار وقال ابن جريج حين يذبح الموت وينادى يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار
خلود بلا موت يومئذ اى يوم اذ ينفخ فى الصور آمنون لا يعتريهم ذلك الفزع الهائل ولا يلحقهم ضرره
اصلا واما الفزع الذى يعترى كل من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله تعالى فانما التهيب
والرعب الحاصل فى ابتداء النفخة من معاينة فنون الدواهى والاهوال ولا يكاد يخلو منه احد بحكم
الجبلة وان كان آمنا من لحوق الضرر الا من يستعمل بالجان ويبد منه كما فى قوله تعالى فامنوا مكر الله
وقرئ من فزع يومئذ بالاضافة مع كسر الميم وفتحها ايضا والمراد هو الفزع المذكور فى القراءة الاولى
لا جميع الافزاع الحاصلة يومئذ ومدار الاضافة كونه اعظم الافزاع واكبرها كان ما عداه ليس بفزع
بالنسبة اليه ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار اى كبوا فيها على وجوههم منكوسين او كبت فيها
انفسهم على طريقة ... هل تجزون الا ما كنتم تعملون على الالتفات للتشديد
او على اضمار القول اى مقولا لهم ذلك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها امر صلى الله عليه وسلم
بان يقول لهم ذلك بعد ما بين لهم احوال المبدأ والمعاد وشرح احوال القيمة تنبيها له على انه قد اتم امر
الدعوة بما لا مزيد عليه ولم يبق له صلى الله عليه وسلم بعد ذلك شان سوى الاشتغال بعبادة الله تعالى
والاستغراق فى مراقبته غير مبال بهم ضلوا ام رشدوا اصلحوا ام فسدوا ليحملهم ذلك على ان يهتموا بامور
انفسهم ولا يتوهموا من شدة اعتنائه صلى الله عليه وسلم بامر دعوتهم انه صلى الله عليه وسلم يظهر لهم
ما يلجئهم الى الايمان لا محالة ويشتغلوا بتدارك احوالهم ويتوجهوا نحو التدبر فيما شاهدوه من
الآيات الباهرة والبلدة هى مكة المعظمة وتخصيصها بالاضافة لتفخيم شانها واجلال مكانها والتعرض لتحريمه
تعالى اياها تشريفا لها بعد تشريف وتعظيما اثر تعظيم مع ما فيه من الاشعار بعلة الامر وموجب الامتثال به
كما فى قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذى اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ومن الرمز الى غاية
شناعة ما فعلوا فيها الا ترى انهم مع كونها محرمة من ان تنتهك حرمتها باختلاء خلاها وعضد شجرها
وتنفير صيدها وارادة الالحاد فيها بوجه من الوجوه قد استمروا فيها على تعاطى افجر افراد الفجور واشنع
آحاد الالحاد حيث تركوا عبادة ربها ونصبوا فيها الاوثان وعكفوا على عبادتها قاتلهم الله انى يؤفكون
وقرئ حرمها بالتخفيف وقوله تعالى وله كل شئ اى خلقا وملكا وتصرفا من غير ان يشاركه شئ فى شئ من
ذلك تحقيق للحق وتنبيه على ان افراد مكة بالاضافة لما ذكر من التفخيم والتشريف مع عموم الربوبية
لجميع الموجودات وامرت ان اكون من المسلمين اى اثبت على ما كنت عليه من كونى من جملة الثابتين على
ملة الاسلام والتوحيد اى الذين اسلموا وجوههم لله خالصة من قوله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم
وجهه لله وان اتلو القرآن اى واواظب على تلاوته لينكشف لى حقائقه الرائقة المخزونة فى تضاعيفه شيئا فشيئا او على
تلاوته على الناس بطريق تكرير الدعوة وتثنية الارشاد فيكون ذلك تنبيها على كفايته فى الهداية والارشاد
من غير حاجة الى اظهار معجزة اخرى فمعنى قوله تعالى فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه حينئذ فمن اهتدى
باهتدائه بالايمان به والعمل بما فيه من الشرائع والاحكام وعلى الاول فمن اهتدى باتباعه اياى فيما ذكر
من العبادة والاسلام وتلاوة القرآن فانما منافع اهتدائه عائدة اليه لا الى غيره ومن ضل بالكفر به
والاعراض عن العمل بما فيه او بمخالفتى فيما ذكر فقل فى حقه انما انا من المنذرين وقد خرجت عن عهدة الانذار
فليس على من وباله شئ وانما هو عليه فقط وقل الحمد لله اى على ما افاض على من نعمائه التى اجلها نعمة
النبوة المستتبعة لفنون النعم الدينية والدنيوية ووفقنى لتحمل اعبائها وتبليغ احكامها الى كافة
الورى بالآيات البينة والبراهين النيرة وقوله تعالى سيريكم آياته من جملة الكلام المامور به اى
سيريكم البتة فى الدنيا آياته الباهرة التى نطق بها القرآن كخروج الدابة وسائر الاشراط وقد عد منها
وقعة بدر ورد بانه قوله تعالى فتعرفونها اى فتعرفون انها آيات الله تعالى حين لا تنفعكم المعرفة لانهم
لا يعترفون بكون وقعة بدر كذلك وقيل سيريكم فى الآخرة وقوله تعالى وما ربك بغافل عما تعملون كلام مسوق
من جهته تعالى بطريق التذييل مقرر لما قبله متضمن للوعد والوعيد كما ينبئ عنه اضافة الرب الى ضمير

النبي

النبى صلى الله عليه وسلم وتخصيص الخطاب اولا به صلى الله عليه وسلم وتعميمه ثانيا للكفرة تغليبا اى
وما ربك بغافل عما تعمل انت من الحسنات وما تعملون انتم ايها الكفرة من السيئات فيجازى كلا منكم بعمله
لا محالة وقرئ عما يعملون على الغيبة فهو وعيد محض والمعنى وما ربك بغافل عن اعمالهم فسيعذبهم البتة
فلا تحسبوا ان تاخير عذابهم لغفلته تعالى عن اعمالهم الموجبة له والله اعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وهود وصالح وابراهيم
وشعيب عليهم السلام ومن كذب • ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله • والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم طسم تلك آيات الكتاب المبين قد مر ما يتعلق به من الكلام بالاجمال
والتفصيل فى نظائره نتلوا عليك اى نقرأ بواسطة جبريل ويجوز ان يكون التلاوة مجازا من التنزيل
من نبأ موسى وفرعون مفعول نتلوا اى بعض نبئهما بالحق محذوف هو حال من فاعل نتلوا او من مفعوله
او صفة المصدر اى نتلوا عليك بعض نبئهما ملتبسين او ملتبسا بالحق لقوم يؤمنون متعلق بنتلوا
وتخصيصهم بذلك مع عموم الدعوة والبيان للكل لانهم المنتفعون به ان فرعون علا فى الارض استئناف
جار مجرى التفسير للمجمل الموعود وتصديره بحرف التاكيد للاعتناء بتحقيق مضمون ما بعده اى انه تجبر
وطغى فى ارض مصر وجاوز الحدود المعهودة فى الظلم والعدوان وجعل اهلها شيعا اى فرقا يشيعونه
فى كل ما يريد من الشر والفساد او يشيع بعضهم بعضا فى طاعته او اصنافا فى استخدامه يستعمل
كل صنف فى عمل من بناء وحرث وحفر وغير ذلك من الاعمال الشاقة ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية
او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة والبغضاء لئلا تتفق يستضعف طائفة منهم وهم بنوا
اسرائيل والجملة اما حال من فاعل جعل او صفة لشيعا او استئناف وقوله تعالى يذبح ابناءهم ويستحيى
نساءهم بدل منها وكان ذلك لما ان كاهنا قال له يولد فى بنى اسرائيل مولود يذهب ملكك على يده وما ذاك
الا لغاية حمقه اذ لو صدق فماذا يفيد القتل وان كذب فما وجهه انه كان من المفسدين اى الراسخين فى الافساد
ولذلك اجترأ على مثل تلك العظيمة من قتل المعصومين من اولاد الانبياء عليهم السلام ونريد ان نمن
اى نتفضل على الذين استضعفوا فى الارض على الوجه المذكور بانجائهم من باسه وصيغة المضارع فى
نريد حكاية حال ماضية وهو معطوف على ان فرعون علا لتناسبهما فى الوقوع فى التفسير
للنبا او حال من يستضعف بتقدير المبتدا اى يستضعفهم فرعون ونحن نريد ان نمن عليهم وليس من ضرورة مقارنة
الارادة للاستضعاف مقارنة المراد لها لان تعلق الاستقبال اعنى منة الله تعالى عليهم بالخلاص لما كانت فى شرف
الوقوع جاز اجراؤها مجرى الواقع المقارن لها ووضع الموصول موضع الضمير لابانة قدر النعمة
فالمنة بذكر حالتهم السابقة المباينة لها ونجعلهم ائمة يقتدى بهم فى امور الدين بعد ان كانوا اتباعا
مسخرين لآخرين ونجعلهم الوارثين لجميع ما كان منتظما فى سلك ملك فرعون وقومه وراثة معهودة
فيما بينهم كما ينبئ عنه تعريف الوارثين وتأخير ذكر وراثتهم له عن ذكر جعلهم ائمة مع تقدمها عليه
زمانا لانحطاط رتبتها عن الامامة لئلا ينفصل عنه ما بعده مع كونه من مرادفه اعنى قوله
تعالى ونمكن لهم فى الارض اى ارض مصر والشام يتصرفون فيها كيف ما يشاؤن واصل
التمكين ان يجعل للشئ مكانا يتمكن فيه ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم اى من اولئك
المستضعفين ما كانوا يحذرون ويجتهدون فى دفعه من ذهاب ملكه وهلكهم على يد مولود منهم وقرئ
ويرى بالياء ورفع ما بعده على الفاعلية واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا ان ارضعيه ما امكنك اخفاؤه
فاذا خفت عليه اى يحس به الجيران عند بكائه وينموا عليه فالقيه فى اليم فى البحر وهو النيل ولا تخافى
عليه ضيعة بالغرق ولا شدة ولا تحزنى انا رادوه اليك عن قريب بحيث تأمنين عليه وجاعلوه من المرسلين
والجملة تعليل للنهى عن الخوف والحزن وايثار الجملة الاسمية وتصديرها بحرف التحقيق للاعتناء بتحقيق
مضمونها اى انا فاعلون لرده وجعله من المرسلين لا محالة • روى ان بعض القوابل الموكلات
بحبالى بنى اسرائيل كانت مصافية لام موسى عليه السلام فقالت لها لينفعنى حبك اليوم •
فعالجتها فلما وقع الى الارض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه فى قلبها ثم قالت
ما جئتك الا لاقتل مولودك واخبر فرعون ولكنى وجدت لابنك فى قلبى محبة ما وجدت مثلها
لاحد فلما خرجت جاء عيون فرعون فلفته فى خرقة فالقته فى تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش
من عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهى لا تدرى مكانه فسمعت بكاءه من التنور فانطلقت

اليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما الخ فرعون فى طلب الولدان اوحى الله تعالى ما اوحى وقد
روى انها ارضعته ثلاثة اشهر فى تابوت بردى مطلى بالقار من داخله والقا فى قوله تعالى فالتقطه
آل فرعون فصيحة مفصحة عن عطفه على جملة مترتبة على ما قبلها من الامر بالقا فقد حذف تعويلا
على دلالة الحال وايذانا بكمال سرعة الامتثال اى فالقته فى اليم بعد ما جعلته فى التابوت حسبما
امرت به فالتقطه آل فرعون اى اخذوه اخذ اعتنا به وصيانة له عن الضياع قال ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما وغيره كان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان
بها برص شديد وعجزت الاطباء عن علاجه فقالوا لا تبرا الا من قبل البحر يوخذ منه شبه انس يوم
كذا وساعة كذا من شهر كذا حين تشرق الشمس فيوخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرا فلما
كان فى ذلك اليوم علا فرعون فى مجلس له على شفير النيل ومعه امراته آسية بنت مزاحم بن عبيد
بن الريان بن الوليد الذى كان فرعون مصر فى زمن يوسف الصديق عليه السلام وقيل كانت من
بنى اسرائيل من سبط موسى عليه السلام وقيل كانت عمته حكاه السهيلى واقبلت بنت فرعون فى
جواريها حتى جلست على شاطئ النيل فاذا بتابوت فى النيل يضربه الامواج فتعلق بشجرة فقال فرعون
ايتونى به فابتدروا بالسفن فاحضروه بين يديه فعالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وقصدوا
كسره فاعياهم فنظرت آسية فرات نورا فى جوف التابوت لم يره غيرها فعالجته ففتحته فاذا هى
بصبى صغير فى مهده واذا نور بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فالقى الله تعالى محبته فى قلوب القوم
وعمدت ابنة فرعون الى ريقه فلطخت به برصها فبرات من ساعتها وقيل لما نظرت الى وجهه برات
فقالت الغواة من قوم فرعون انا نظن هذا هو الذى نحذر منه رمى فى البحر فرقا منك فاقتله
فهم فرعون فاستوهبته آسية فتركه كما سياتى واللام فى قوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا لام
العاقبة ابرز مدخولها فى معرض العلة لالتقاطهم تشبيها له فى الترتيب عليه فى الغرض الحامل عليه
وقرئ حزنا وهما لغتان كالسقم والسقم جعل عليه السلام نفس الحزن ايذانا بقوة سببيته لحزنهم ان
فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين فى كل ما ياتون وما يذرون فلا غرو فى ان قتلوا الالوف
لاجله ثم اخذوا يربونه ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرون روى انه ذبح فى طلبه عليه السلام تسعون
الف وليد فكانوا مذنبين فعاقبهم الله تعالى بان ربى عدوهم على ايديهم والجملة اعتراضية لتاكيد
خطابهم وللبيان الموجب لما ابتلوا به وقرئ خاطين على انه تخفيف خاطئين او على انه بمعنى متعدين الصواب
الى الخطا وقالت امراة فرعون اى لفرعون حين اخرجته من التابوت قرة عين لى ولك اى هو قرة عين
لنا لانهما لما راياه اخرجاه او لما ذكر من برء ابنته من البرص بريقه وفى الحديث انه قال لك لا لى ولو
قال هو لى لهداه الله تعالى كما هداها لا تقتلوه خاطبته بلفظ الجمع تعظيما ليساعده فيما تريده عسى ان
ينفعنا فان فيه مخايل اليمن ودلائل النجابة وذلك لما رات فيه من العلامات المذكورة او نتخذه
ولدا اى نتبناه فانه خليق بذلك وهم لا يشعرون حال من آل فرعون والتقدير فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امراته كيت وكيت وهم لا يشعرون بانهم على خطا عظيم فيما صنعوا من
الالتقاط ورجا النفع منه والتبنى له وقوله ان فرعون الآية اعتراض وقع بين المعطوفين لتاكيد
خطائهم وقيل حال من احد ضميرى نتخذه على ان الضمير للناس اى وهم لا يعلمون انه لغيرنا وقد تبنيناه
واصبح فؤاد ام موسى فارغا صفرا من العقل لما دهمها من الخوف والحيرة حين سمعت بوقوعه فى يد
فرعون كقوله تعالى وافئدتهم هوا اى خلا لا عقول فيها ويعضده انه قرئ فزعا من قولهم دماؤهم
بينهم فرغ اى هدر وقيل فارغا من الهم والحزن لغاية وثوقها بوعد الله تعالى او لسماعها ان فرعون عطف
عليه وتبناه ان كادت لتبدى به اى انها كادت لتظهر بموسى او بامره او بقصته من فرط الحيرة والدهشة
والدهشة والفرح لتبنيه لولا ان ربطنا على قلبها بالصبر والثبات لتكون من المؤمنين اى المصدقين
بوعد الله تعالى او الواثقين بحفظه لا بتبنى فرعون وتعطفه وقرئ موسى اجرا للضمة فى جارة
الواو مجرى فى لتدعائها مع تهاهنة واو وجوه وهو علة الربط وجواب لولا محذوف لدلالة ما قبله
عليه وقالت لاخته مريم والتعبير عنها باخته عليه السلام دون ان يقال لبنتها للتصريح بمدار
المحبة لله متثال بالامر قصيه اى اتبعى اثره وتتبعى خبره فبصرت به وابصرته عن جنب عن بعد
وقرئ بسكون النون وعن جانب والكل بمعنى وهم لا يشعرون انها تقصه وتتعرف حاله او انها اخته
وحرمنا عليه المراضع اى منعناه ان يرتضع من المرضعات والمراضع جمع مرضع وهى المراة التى
ترضع او مرضع هو الرضاع او موضعه اعنى الثدى من قبل قصها اثره فقالت عند رؤيتها لعدم
قبوله الثدى واعتنا فرعون بامره وطلبهم من يقبل ثديها هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم

اى لاجلكم وهم له ناصحون لا يقصرون فى ارضاعه وتربيته روى ان هامان لما سمعه منها قال انها
لتعرفه واهله فخذوها حتى تخبر بحاله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون فامرها فرعون بان
تاتى بمن يكفله فاتت بامه وموسى على يد فرعون يبكى وهو يعلل فدفعه اليها فلما وجد ريحها استانس
والتقم ثديها فقال من انت منه فقد ابى كل ثدى الا ثديك فقالت انى امراة طيبة اللبن لا اوتى
بولد الا قبلنى فقرره فى يدها واجرى عليها فرجعت به الى بيتها من يومها وذلك قوله تعالى فرددناه الى
امه كى تقر عينها بوصول ولدها اليها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله اى جميع ما وعده من رده
وجعله من المرسلين حق لا خلف فيه بمشاهدة بعضه وقياس بعضه عليه ولكن اكثرهم لا يعلمون ان
الامر كذلك فيرتابون فيه ولما بلغ اشده اى المبلغ الذى لا يزيد عليه نشوه وذلك من ثلاثين الى
اربعين سنة فان العقل يكمل حينئذ وروى انه لم يبعث نبى الا على راس الاربعين واستوى اتيناه اى
اى اعتدل قده او عقله اتيناه حكما اى نبوة وعلما بالدين او علم الحكما والعلما وسمتهم قبل استنبائه فلا
يقول ولا يفعل فعلا يجهل فيه او فق لنظم القصة لانه تعالى استنباه بعد الهجرة الى المراجعة وكذلك
مثل ذلك الذى جعلنا بموسى وامه نجزى المحسنين على احسانهم ودخل المدينة اى مصر من قصر فرعون
او منف او حابين او عين شمس من نواحيها على حين غفلة من اهلها اى فى وقت لا يعتاد دخولها او لا
يتوقعونه فيه قيل كان وقت القيلولة وقيل بين العشائين فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته
اى ممن شايعه على دينه وهم بنو اسرائيل وهذا من عدوه اى من مخالفيه دينا وهم القبط والاشارة
على الحكاية فاستغاثه الذى من شيعته اى سأله ان يغيثه بالاعانة كما ينبئ عنه تعديته بعلى وقرئ
استعانه على الذى من عدوه فوكزه موسى اى ضرب القبطى بجمع كفه وقرئ فلكزه اى فضرب به
صدره فقضى عليه فقتله واصله انهى حياته من قوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر قال هذا من عمل
الشيطان لانه لم يكن مأمورا بقتل الكفار ولانه كان ماموما لتامنهم فلم يكن له اغتيالهم ولا يقدح
ذلك فى عصمته لكونه خطأ وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر عنه جريا على سنن المقربين
فى استعظام ما فرط منهم ولو كان من محقرات الصغاير انه عدو مضل مبين ظاهر العداوة والاضلال
قال توسيط بين كلاميه عليه السلام لابانة ما بينهما من المخالفة من حيث انه مناجاة ودعا بخلاف
الاول رب انى ظلمت نفسى اى بقتله فاغفر لى ذنبى فغفر له ذلك انه هو الغفور الرحيم اى المبالغ فى
مغفرة ذنوب العباد ورحمتهم قال رب بما انعمت على اما قسم محذوف الجواب اى اقسم بانعامك على
بالمغفرة لاتوبن فلن اكون بعد هذا ظهيرا للمجرمين واما استعطاف اى بحق انعامك على اعصمنى فلن
اكون معينا لمن تؤدى معاونته الى الجرم وعن ابن عباس رضى الله تعالى انه عليه السلام لم يستثن فابتلى
به مرة اخرى وهذا يؤيد الاول وقيل معناه بما انعمت على من القوة اعنى او لتلك فلن استعملها فى
مظاهرة اعدائك فاصبح فى المدينة خائفا يترقب بترصد الاستعاذة او الاجناد فاذا الذى استنصره
بالامس يستصرخه اى يستغيثه برفع الصوت من الصراخ قال له موسى انك لغوى مبين اى لموبس
والاسرائيل اذ لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بنى اسرائيل على الاطلاق وقرئ يبطش بضم
الطا قال اى الاسرائيلى ظانا انه عليه السلام يريد ان يبطش به لما توهمه من تسميته اياه غويا يا موسى اتريد
ان تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس قالوا لما سمع القبطى قول الاسرائيلى علم ان موسى هو الذى قتل ذلك
الفرعونى فانطلق الى فرعون فاخبره بذلك وامر فرعون بقتل موسى عليه السلام وقيل قاله القبطى
ان تريد اى ما تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وهو الذى يفعل كل ما يريده من الضرب والقتل ولا
ولا ينظر فى العواقب وقيل المتعظم الذى لا يتواضع لامر الله سبحانه وتعالى وما تريد ان تكون من
المصلحين بين الناس بالقول والفعل وجاء رجل من اقصى المدينة اى كاين من اخرها او جاء من اخرها يسعى
اى يسرع صفة لرجل او حال منه على ان الجار والمجرور صفة له لا متعلق له بجاء فان تخصيصه ملحق
بالمعارف وقيل هو من الفرعون واسمه حزقيل وقيل شمعون وقيل شمعان قال يا موسى ان الملا ياتمرون
بك ليقتلوك اى يتشاورون بسببك فان كلا من المتشاورين يامر الاخر ويأتمر فاخرج اى
من المدينة انى لك من الناصحين اللام للبيان لان معمول الصلة لا يتقدم عليها فخرج منها اى من المدينة
خائفا يترقب لحوق الطالبين قال رب نجنى من القوم الظالمين خلصنى منهم واحفظنى من لحوقهم
ولما توجه تلقاء مدين اى نحو مدين وهى قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم
عليه السلام ولم يكن تحت سلطان فرعون وكان بينها وبين مصر ثمانية ايام قال عسى ربى ان
يهدينى سواء السبيل توكلا على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه وكان لا يعرف الطريق فعن له ثلاث
طرائق فاخذ الوسطى وجاء الطلاب فشرعوا فى الاخرين وقيل خرج حافيا لا يعيش الا بورق

أى بين الغواية تقتل رجل وتقاتل اخر
فلما ان اراد ان يبطش بالذى هو عدو لهما

الشجر فما وصل حتى سقط خف قدميه وقيل جاء ملك على فرس وبيده عنزة فانطلق به الى مدين
ولما ورد ماء مدين اى وصل اليه وهو بير كانوا يسقون منها وجد عليه اى فوق شفيرها امة جماعة
كثيفة من الناس يسقون ووجد من دونهم فى موضع اسفل منهم امرأتين تذودان اى يمنعان ما
معهما من الاغنام عن التقدم الى البير كيلا يختلط باغنامهم مع عدم الفائدة فى التقدم قال عليه
السلام لهما حين رآهما على ما هما عليه من التأخر والذود ما خطبكما ما شأنكما فيما انتما عليه من
التأخر والذود ولم لا تباشران السقى كدأب هؤلاء قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء اى عادتنا ان لا نسقى
حتى يصرف الرعاء مواشيهم بعد ريها عن الماء عجزا عن مساجلتهم وحذرا عن مخالطة الرجال فاذا
لا نسقى اليوم الى تلك الغاية وحذف مفعول السقى والذود والاصدار لما ان الغرض هو بيان
تلك الافعال انفسها اذ هى التى دعت موسى عليه السلام الى ما صنع فى حقهما من المعروف فانه عليه
السلام انما رحمهما لكونهما على الذياد العجز والعفة وكونهم على السقى غير مبالين بهما وما رحمهما لكون
مذودهما غنما ومسقيهم ابلا مثلا • وقرئ لا نسقى من الاسقاء ويصدر من المصدر والرعاء بضم الراء
وهو اسم جمع كالرجال واما الرعاء فجمع قياسى كقيام وقوله تعالى وابونا شيخ كبير ابلاء منهما العذر اليه
فى توليهما السقى بانفسهما كأنهما قالتا انا امرأتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال
ومزاحمتهم وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ كبير السن قد اضعفه الكبر فلا بد لنا من تأخير
السقى الى ان يقضى الناس اوطارهم من الماء فسقى لهما رحمة عليهما والكلام فى حذف مفعوله كما مر آنفا
• روى ان الرجال كانوا يضعون على رأس البير حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل عشرة وقيل اربعون
وقيل مائة فاقله مع ما كان به من الوصب والجراحة والجوع ولعله عليه السلام زاحمهم فى السقى لهما
فوضعوا الحجر على البير لتعجيزه عليه السلام عن ذلك فانه الظاهر مما يشاهد حالهما سابقا الى السقى لهما
وقد روى انه دفعهم عن الماء الى ان سقى لهما وقيل كانت هناك بير اخرى عليها الصخرة المذكورة
وروى انه عليه السلام سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكان لا ينزعها الا اربعون
فاستقى بها وصبها فى الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما واصدرهما ثم تولى الى الظل الذى كان هناك
فقال رب انى لما انزلت الى اى شئ انزلته الى من خير جل او قل وحمله الاكثرون على الطعام بمعونة المقام
فقير اى محتاج لتضمنه معنى السؤال والطلب جىء بلام الدعامة لتقوية العمل وقيل المعنى لما
انزلت الى من خير عظيم وهو خير الدين صرت فقيرا فى الدنيا لانه كان فى سعة من العيش عند فرعون
قاله عليه السلام اظهارا للتبجح والشكر على ذلك فجاءته احداهما قيل هى كبراهما واسمها صفوراء او
صفرا وقيل صغراهما واسمها صفيراء اى جاءته عقيب ما رجعتا الى ابيهما • روى انهما لما رجعتا الى ابيهما
قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا
فقال لاحداهما اذهبى فادعيه لى وقوله تعالى تمشى حال من فاعل جاءت وقوله تعالى على استحياء متعلق
بمحذوف هو حال من ضمير تمشى على استحياء ومعناه انها كانت على استحياء حالتى المشى والمجىء معا لا عند
المجىء فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل جاءته متخفرة اى شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها
قالت استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية مجيئها اياه عليه السلام كأنه قيل فماذا قالت له عليه
السلام فقيل قالت ان ابى يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا اى جزاء سقيك لنا اسندت الدعوة
الى ابيها وعللتها بالجزاء لئلا يوهم كلامها ريبة وفيه من الدلالة على كمال العقل والحياء والعفة
ما لا يخفى روى انه عليه السلام اجابها فانطلقا وهى امامه فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته
فقال لها امشى خلفى وانعتى لى الطريق ففعلت حتى اتيا دار شعيب عليه السلام فلما جاءه وقص
عليه القصص اى ما جرى عليه من الخبر المقصوص فانه مصدر سمى به المفعول قال لا تخف نجوت
من القوم الظالمين الذى يلوح من ظاهر النظم الكريم ان موسى عليه السلام انما اجاب المستدعية
من غير تلعثم ليتبرك برؤية شعيب عليه السلام ويستظهر برأيه لا ليأخذ بمعروفه اجره حسبما صرحت به
الا ترى الى ما روى ان شعيبا لما قدم اليه طعاما قال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض
ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا فلم يتناوله حتى قال شعيب عليه السلام هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا
فتناول بعد ذلك على سبيل التقبل لمعروف مبتدأ كيف لا وقد قص عليه قصته وعرفه انه من بيت النبوة
من اولاد يعقوب عليهم السلام ومثله حقيق بان يضيف ويكرم لا سيما فى دار نبى من انبياء الله
تعالى عليهم الصلاة والسلام ان يقبل الاجر لاضطرار الفقر والفاقة وقد روى عن عطاء بن السائب
انه عليه السلام رفع صوته بدعائه ليسمعها ولذلك قيل ليجزيك الخ ولعله عليه السلام
انما فعله ليكون ذريعة الى استدعائه لا لاستيفاء الاجر قالت احداهما وهى التى استدعته الى ابيها

وهى

ابيها وهى التى زوجها موسى عليه السلام يا ابت استأجره اى لرعى الغنم والقيام بامرها ان خير من
استأجرت القوى الامين تعليل جار مجرى الدليل على انه حقيق بالاستئجار وللمبالغة فى ذلك جعل
خيرا اسما لان وذكر الفعل على صيغة الماضى للدلالة على انه امر مجرب روى ان شعيبا عليه السلام قال لها وما اعلمك
بقوته وامانته فذكرت ما شاهدت منه عليه السلام من اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب رأسه
حتى بلغته رسالته وامرها بالمشى خلفه قال انى اريد ان انكحك احدى ابنتى ان تكون اجيرا لى او يثيبنى
من اجرته كذا اذا اثبته اياه فقوله على ان تأجرنى ثمانى على الاول ظرف وعلى الثانى مفعول به على تقدير
مضاف اى رعيه ثمانى حجج ونقل عن المبرد انه يقال اجرت دارى ومملوكى غير ممدود وآجرت ممدودا
والاول اكثر فعلى ذلك يكون المفعول الثانى محذوفا والمعنى ان تأجرنى نفسك وقوله تعالى ثمانى حجج
ظرف كالوجه الاول فان اتممت عشرا فى الخدمة والعمل فمن عندك اى فهو من عندك بطريق التفضل
لا من عندى بطريق الالزام عليك وهذا من شعيب عليه السلام عرض لرأيه على موسى عليه السلام
واستدعاء للعقد لا انشاء وتحقيق له بالفعل وما اريد ان اشق عليك بالزام اتمام العشر او المناقشة
فى مراعاة الاوقات واستيفاء الاعمال واشتقاق المشقة من الشق فان ما يصعب عليك يشق عليك
اعتقادك فى طاقته ويوزع رأيك فى مزاولته ستجدنى ان شاء الله من الصالحين فى حسن المعاملة ولين
الجانب والوفاء بالعهد ومراده صلى الله عليه وسلم بالاستثناء التبرك به وتفويض امره الى توفيقه لا تعليق
صلاحه بمشيئته تعالى قال ذلك بينى وبينك مبتدأ وخبر اى ذلك الذى قلته وعاهدتنى فيه وشارطتنى
عليه قائم وثابت بيننا جميعا لا يخرج عنه واحد منا لا انا عما شرطت على ولا انت عما شرطت على
نفسك وقوله تعالى ايما الاجلين اى اكثرهما او اقصرهما قضيت اى وفيتكه باداء الخدمة فيه فلا عدوان على
تصريح بالمراد وتقرير لامر الخيرة اى لا عدوان على بطلب الزيادة على ما قضيته من الاجلين وتعميم انتفاء
العدوان لكلا الاجلين لصدد المشارطة بعدم تحقق العدوان فى اكثرهما للقصد الى التسوية بينهما
فى الانتفاء اى كما انا لا اطالب بالزيادة على العشر لا اطالب بالزيادة على الثمانى او ايما الاجلين قضيت فلا
اثم على يعنى كما لا اثم على فى قضاء الاكثر لا اثم على فى قضاء الاقصر وقرئ اى الاجلين ما قضيت فما
مزيدة لتأكيد الفعل كما انها فى القراءة الاولى مزيدة لتأكيد ابهام اى وشياعها وقرئ ايما بسكون الياء
كقول من قال • تنظرت نصرا والسماكين ايهما • على من الغيث استهلت مواطره • والله على ما نقول من
الشروط الجارية بيننا وكيل شاهد وحفيظ فلا سبيل لاحد منا الى الخروج عنه اصلا وليس ما حكى عنهما
عليهما السلام تمام ما جرى بينهما من الكلام فى انشاء عقد النكاح وعقد الاجارة بل هو بيان لما عزما عليه
واتفقا على ايقاعه حسبما يتوقف عليه مساق القصة اجمالا من غير تعرض لبيان مواجب العقدين فى تلك
الشريعة تفصيلا روى انهما لما اتما العقد قال شعيب لموسى عليهما السلام ادخل ذلك البيت فخذ عصا
من تلك العصى وكانت عنده عصى الانبياء عليهم السلام فاخذ عصا هبط بها آدم عليه السلام من الجنة
ولم تزل الانبياء يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب عليه السلام وكان مكفوفا فضن بها وقال غيرها
فما وقع فى يده الا هى سبع مرات فعلم ان له شأنا وقيل اخذها جبريل بعد موت آدم عليهما السلام فكانت معه
حتى لقى بها موسى ليلة وقيل اودعها شعيبا ملك فى صورة رجل فامر بنته ان تأتيه بعصا فاتت بها
فردها سبع مرات فلم يقع فى يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا
ان يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهى له فعالجها الشيخ فلم يطقها ورفعها
موسى عليه السلام • وعن الحسن رضى الله تعالى عنه ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبى
الشجرة التى منها نودى شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب صلوات الله وسلامه
عليهما اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على يمينك فان الكلأ وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشى
عليك وعلى الغنم فاخذت الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها ومشى على اثرها فاذا عشب وريف لم
ير مثله فنام فاذا بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى عليه السلام دامية
فلما ابصرها دامية والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب عليه السلام مس الغنم فوجدها
ملاء البطون فاخبره موسى بالشأن ففرح وعلم ان لموسى والعصا شأنا وقال له انى وهبت لك من نتاج
غنمى هذا العام كل ادرع ودرعاء فاوحى اليه فى المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطأت
واحدة الا وضعت ادرع ودرعاء فوفى له بشرطه والفاء فى قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل فصيحة اى
فعقدا العقدين وباشرا ما التزماه فلما اتم الاجل وسار باهله نحو مصر باذن من شعيب عليهما السلام
روى انه عليه السلام قضى ابعد الاجلين ومكث عنده بعد ذلك عشر سنين ثم عزم على العود الى
مصر فاستأذنه فى ذلك فاذن له فخرج باهله آنس من جانب الطور نارا اى ابصر من الجهة التى تلى

الطور نارا قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر اى بخبر الطريق وقد كانوا ضلوه او جذوة
اى عود غليظ سواء كانت فى رأسه نار او لا قال قائلهم ● باتت حواطب ليلى يلتمسن لها ● جزل الجذى
غير خوار ولا دعر ● وقال ● والقى على قبس من النار جذوة ● عليها ● حرها والتهابها ● وكذلك بين بقوله
تعالى من النار وقرئ بكسر الجيم وبضمها وكلها لغات لعلكم تصطلون تستدفئون فلما اتاها اى النار
التى آنسها نودى من شاطئ الواد الايمن اى اتاه النداء من الشاطئ الايمن بالنسبة الى موسى عليه
السلام فى البقعة المباركة متصل بالشاطئ او صلة لنودى من الشجرة بدل اشتمال من شاطئ لانها
كانت نابتة على الشاطئ ان يا موسى انى انا الله رب العالمين وهذا وان خالف لفظا ما فى طه والنمل
لكنه موافق له فى المعنى المراد وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وكلاهما مفسر لنودى والفاء فى
قوله تعالى فلما رآها تهتز فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت تعويلا على دلالة الحال عليها واشعارا
بغاية سرعة تحقق مدلولها اى فالقاها فصارت ثعبانا فاهتزت فلما رآها تهتز كانها جان اى فى
سرعة الحركة مع غاية جثتها ولى مدبرا اى منهزما من الخوف ولم يعقب اى لم يرجع يا موسى اى قيل
يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين عن المخاوف فانه لا يخاف لدى المرسلون اسلك يدك فى جيبك
اى ادخلها فيه تخرج بيضاء من غير سوء واضمم اليك جناحك اى يديك المبسوطتين لتتقى بهما الحية
كالخائف الفزع بادخال اليمنى تحت العضد الايسر واليسرى تحت الايمن او بادخالهما فى الجيب فيكون
تكريرا لغرض آخر وهو ان يكون ذلك فى وجه العدو اظهار جرأة ومبدأ لظهور معجزة ويجوز ان يراد
بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا ثعبانا استعارة من حال الطائر فانه اذا خاف نشر
جناحيه واذا امن ضمهما اليه من الرهب اى من اجل الرهب اى اذا عراك الخوف فافعل ذلك تجلدا
وضبطا لنفسك وقرئ بضم الراء وسكون الهاء وبضمهما والكل لغات فذانك اشارة الى العصا
واليد وقرئ بتشديد النون فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان حجتان نيرتان
وبرهان فعلان لقولهم ابره الرجل اذا جاء بالبرهان من قولهم بره الرجل اذا ابيض ويقال للمرأة البيضاء
برهاء وبرهرهة ونظيره تسمية الحجة سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها وقيل هو فعلال
لقولهم برهن ومن فى قوله تعالى من ربك متعلقة بمحذوف هو صفة لبرهانان اى كائنان منه تعالى
الى فرعون وملائه واصلان ومنتهيان اليهم انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن حدود
الظلم والعدوان وان كانوا احقاء بان نرسلك اليهم بهاتين المعجزتين الباهرتين قال رب انى قتلت منهم
نفسا فاخاف ان يقتلون بمقابلتها واخى هرون هو افصح منى لسانا فارسله معى ردءا اى معينا وهو
فى الاصل اسم ما يعان به كالدفء وقرئ ردا بالتخفيف يصدقنى بتلخيص الحق وتقرير الحجة بتوضيحها او
تزييف الشبهة انى اخاف ان يكذبون ولسانى لا ينطلق فهو عند المحاجة وقيل المراد تصديق القوم
لتقريره وتوضيحه لكنه اسند اليه اسناد الفعل الى السبب وقرئ يصدقنى بالجزم على انه جواب الامر
قال سنشد عضدك باخيك اى سنقويك به فان قوة الشخص بشدة اليد على مزاولة الامور
ولذلك يعبر عنه باليد وشدتها بشدة العضد ونجعل لكما سلطانا اى تسلطا وغلبة وقيل حجة وليس
بذلك فلا يصلون اليكما باستيلاء او محاجة باياتنا متعلق بمحذوف قد صرح به فى مواضع اخر اى اذهبا
باياتنا او بنجعل او بنسلطكما باياتنا او اضمرت او بمعنى لا يصلون اى يمتنعون منهم بها وقيل هو قسم
وجوابه لا يصلون وقيل هو بيان للغالبون فى قوله تعالى انتما ومن اتبعكما الغالبون اى واضحة
الدلالة على صحة رسالته بمعنى انه صلة لما يبينه او صلة له على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذى فلما
جاءهم موسى باياتنا بينات اى واضحات الدلالة على صحة رسالة موسى عليه السلام منه تعالى
والمراد بها العصا واليد اذ هما اللتان اظهرهما موسى عليه السلام اذ ذاك والتعبير عنهما بصيغة
الجمع قد مر سره فى سورة طه قالوا ما هذا الا سحر مفترى اى سحر لم يفعل قبل هذا مثله وسحر تعمله
ثم تفتريه على الله تعالى او سحر موصوف بالافتراء كسائر انواع السحر وما سمعنا بهذا اى السحر او ادعاء
النبوة فى آبائنا الاولين اى واقعا فى ايامهم وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده يريد به
نفسه وقرئ قال بغير واو لانه جواب عن مقالهم ووجه العطف ان المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما
فيميز صحيحهما من الفاسد ومن يكون له عاقبة الدار اى العاقبة المحمودة فى الدار وهى الدنيا وعاقبتها
الاصلية هى الجنة لانها خلقت مجازا الى الآخرة ومزرعة لها والمقصود بالذات منها الثواب واما العقاب
فمن نتائج اعمال العصاة وسيئاتهم وقرئ يكون بالياء انه لا يفلح الظالمون اى لا يفوزون بمطلوب
ولا ينجون عن محذور وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى قاله اللعين بعد ما جمع السحرة
وتصدى للمعارضة فكان من امرهم ما كان فاوقد لى يا هامان على الطين اى اصنع فاجعل لى منه صرحا

اى

اى قصرا رفيعا لعلى اطلع الى اله موسى كانه توهم انه لو كان لكان جسما فى السماء يمكن الترقى اليه ثم
قال وانى لاظنه من الكاذبين واراد ان يبنى له رصدا يترصد منه اوضاع الكواكب فيرى فيها ما يدل
على بعثة رسول الله وتبدل دولته وقيل المراد بنفى العلم نفى المعلوم كما فى قوله تعالى قل اتنبئون الله
بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض فان معناه بما ليس فيهن وهذا من خواص العلوم الفعلية فانها
لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من انتفائها انتفاء معلوماتها ولا كذلك العلوم الانفعالية قيل
اول من اتخذ الآجر فرعون ولذلك امر باتخاذه على وجه يتضمن تعليم الصنعة مع ما فيه من تعظيم
ولذلك نادى هامان باسمه بيا فى وسط الكلام واستكبر هو وجنوده فى الارض بغير الحق بغير
استحقاق وظنوا انهم الينا لا يرجعون بالبعث للجزاء وقرئ بفتح الياء وكسر الجيم من رجع رجوعا والاول
من رجع رجعا وهو الانسب بالمقام فاخذناه وجنوده حسبما بلغوا من الكفر والعتو اقصى
الغايات فنبذناهم فى اليم قد مر تفصيله وفيه من تفخيم شان الاخذ وتهويله واستحقار المأخوذين
المنبوذين ما لا يخفى كانه تعالى اخذهم مع كثرتهم فى كف فطرحهم فى البحر ونظيره قوله تعالى وما
قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر كيف
كان عاقبة الظالمين وبينها للناس ليعتبروا بها وجعلناهم اى صيرناهم فى عهدهم ائمة يدعون الناس
الى النار الى ما يؤدى اليها من الكفر والمعاصى اى قدوة يقتدى بهم اهل الضلال لما صرفوا اختيارهم
الى تحصيل تلك الحالة وقيل سميناهم ائمة دعاة الى النار كما فى قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا فالانسب حينئذ ان يكون الجعل تعبدهم فيما بينهم وتكون الدعوة الى نفس النار
وقيل معنى الجعل منع الالطاف الصارفة عن ذلك ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب عنهم
بوجه من الوجوه واتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة طردا وابعادا من الرحمة ولعنا من اللاعنين حيث
لا تزال تلعنهم الملائكة عليهم السلام مع المؤمنين خلفا عن سلف ويوم القيمة هم من المقبوحين من المطرودين
المبعدين وقيل من الموسومين بعلامة منكرة كزرقة العيون وسواد الوجوه قاله ابن عباس رضى
الله تعالى عنهما يقال قبحه الله وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عبيدة من المهلكين ويوم
القيمة اما متعلق بالمقبوحين على ان اللام للتعريف لا بمعنى الذى او بمحذوف يفسره ذلك كانه قيل
وقبحوا يوم القيمة نحو لعملكم من القالين ولقد آتينا موسى الكتاب اى التوراة من بعد ما اهلكنا القرون
الاولى هم قوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام والتعرض لبيان ان كون ايتائها بعد اهلاكهم
للاشعار بمساس الحاجة الداعية اليه تمهيد الى انزال القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان اهلاك القرون الاولى من موجبات اندراس معالم الشرائع وانطماس آثارها واحكامها المؤدين
الى اختلال نظام العالم وفساد احوال الامم المستدعى للتشريع الجديد بتقرير الاصول الباقية
على ممر الدهور وترتيب الفروع المتبدلة بتبدل العصور وتذكير احوال الامم الخالية الموجبة
للاعتبار كانه قيل ولقد آتينا موسى التوراة على حين حاجة الى ايتائها بصائر للناس اى انوارا لقلوبهم
تبصر بها الحقائق وتميز بين الحق والباطل حيث كانت عميا عن الفهم والادراك بالكلية فان البصيرة نور
القلب الذى به يستبصر كما ان البصر نور العين الذى به تبصر وهدى اى هداية الى الشرائع والاحكام
التى هى سبل الله تعالى ورحمة حيث ينال من عمل به رحمة الله تعالى وانتصاب الكل على الحالية من
الكتاب على انه نفس البصائر والهدى والرحمة او على حذف المضاف اى ذا بصائر الخ وقيل على العلة اى
آتيناه الكتاب للبصائر والهدى والرحمة لعلهم يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وقد مر
تحقيق القول فى ذلك عند قوله تعالى لعلكم تتقون فى سورة البقرة وقوله تعالى وما كنت بجانب
الغربى شروع فى بيان ان انزال القرآن الكريم ايضا واقع فى زمان شدة مساس الحاجة اليه واقتضاء
الحكمة له البتة وقد صدر بتحقيق كونه وحيا صادقا من عند الله عز وجل ببيان ان الوقوف على ما
فصل من الاحوال لا يتسنى الا بالمشاهدة او التعلم ممن شاهدها وحيث انتفى كلاهما تبين انه بوحى من
علام الغيوب لا محالة على طريقة قوله تعالى وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم الآية
اى وما كنت بجانب الجبل او المكان الغربى الذى وقع فيه الميقات على حذف الموصوف واقامة
الصفة مقامه او بجانب الغربى الذى تقع فيه على اضافة الموصوف الى الصفة اذ قضينا الى موسى
الامر اى عهدنا اليه واحكمنا امر نبوته بالوحى وايتاء التوراة وما كنت من الشاهدين اى من جملة
الشاهدين للوحى وهم السبعون المختارون للميقات حتى تشاهد ما جرى من امر موسى فى ميقاته
وكتبه التوراة له فى الالواح فتخبره للناس ولكنا انشأنا قرونا اى ولكنا خلقنا بين زمانك وزمان
موسى قرونا كثيرة فتطاول عليهم العمر وتمادى الامد فتغيرت الشرائع والاحكام وعميت عليهم

الا بنا لا سيما على اخرهم واقتضى الحال التشريع الجديد فاوحينا اليك فحذف المستدرك اكتفا بذكر ما
يوجبه ويدل عليه قوله تعالى وما كنت ثاويا في اهل مدين نفي لاحتمال كون معرفته صلى الله عليه
وسلم للقصة بالسماع ممن شاهدها اى وما كنت مقيما في اهل مدين شعيب والمؤمنين به وقوله
تعالى تتلوا عليهم اى تقرا على اهل مدين بطريق التعلم منهم اياتنا الناطقة بالقصة اما حال من المستكن
في ثاويا او خبر ثان لكنت ولكنا كنا مرسلين اياك وموحين اليك تلك الايات ونظائرها وما
كنت بجانب الطور اذ نادينا اى وقت ندائنا موسى انى انا الله رب العالمين واستنبائنا اياه وارساله
الى فرعون ولكن رحمة من ربك اى ولكن ارسلناك بالقران الناطق بما ذكر وبغيره لرحمة عظيمة
كائنة منا لك للناس وقيل علمناك ذلك وليس بذاك كما استعرفته والالتفات الى اسم الرب
للاشعار بعلة الرحمة والتشريفه صلى الله عليه وسلم بالاضافة وقد اكتفي عند ذكر المستدرك
ههنا بذكر ما يوجبه من جهة الناس وصرح به فيما بينهما تنصيصا على ما هو المقصود واشعارا بانه
المراد فيما ايضا ولله در شان التنزيل وقوله تعالى لتنذر قوما متعلق بالفعل المعلل بالرحمة
فهو ما ذكرنا من ارساله صلى الله عليه وسلم بالقران حتما لما ان المعلل بالانذار لا تعليم ما ذكر
وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى ما اتاهم من نذير من قبلك صفة لقوما
اى لم ياتهم نذير لوقوعهم في فترة بينك وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة او بينك وبين
اسمعيل بناء على ان دعوة موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل لعلهم يتذكرون اى يتعظون
بانذارك وتغيير الترتيب الوقوعي بين قضاء الامر والثوى في اهل مدين والنداء للتنبيه على ان
كلا من ذلك برهان مستقل على ان حكايته عليه الصلاة والسلام للقصة بطريق الوحي الالهي ولو
ذكر اولا للترتيب الوقوعي لربما توهم ان الكل دليل واحد على ما ذكر كما مر في سورة البقرة ه
ولولا ان تصيبهم مصيبة اى عقوبة بما قدمت ايديهم اى بما اقترفوه من الكفر والمعاصي فيقولوا
عطف على تصيبهم داخل في حيز لولا الامتناعية على ان مدار انتفاع ما يجاب به هو امتناعه لا امتناع
المعطوف عليه وانما ذكر في حيزها للايذان بانه السبب الملجئ لهم الى قولهم ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا اى هلا ارسلت الينا رسولا مؤيدا من عندك بالايات فنتبع اياتك الظاهرة على يديه
وهو جواب لولا الثانية ونكون من المؤمنين بها وجواب لولا الاولى محذوف ثقة بدلالة الحال
عليه والمعنى لولا قولهم هذا عند اصابة عقوبة جناياتهم التي قدموها ما ارسلناك لكن لما كان
قولهم ذلك محققا لا محيد عنه ارسلناك قطعا لمعاذيرهم بالكلية فلما جاءهم اى اهل مكة الحق
من عندنا وهو القران المنزل عليه صلى الله عليه وسلم قالوا تعنتا واقتراحا لولا اوتي اى هلا اوتي
صلى الله عليه وسلم مثل ما اوتي موسى عليه السلام من الكتاب المنزل جملة واما اليد والعصا
فلا تعلق لهما بالمقام كسائر معجزاته عليه السلام وقوله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل
رد عليهم واظهار لكون ما قالوه تعنتا محضا لا طلبا لما يرشدهم الى الحق اى الم يكفروا من قبل هذا القول بما
اوتي موسى من الكتاب كما كفروا بهذا الحق وقوله تعالى قالوا استيناف مسوق لتقرير كفرهم المستفاد
من الانكار السابق وبيان كيفيته وقوله تعالى ساحران خبر لمبتدا محذوف اى هما يعنون ما اوتي
محمد صلى الله عليه وسلم وما اوتي موسى عليه الصلاة والسلام ساحران تظاهرا اى تعاونا بتصديق
كل واحد منهما الاخر وذلك انهم بعثوا رهطا الى رؤسا اليهود في عيد لهم فسالوهم عن شانه صلى الله
عليه وسلم فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط فاخبروهم بما قالت اليهود
قالوا ذلك وقوله تعالى وقالوا انا بكل اى بكل واحد من الكتابين كافرون تصريح بكفرهم بهما
وتاكيد لكفرهم المفهوم من تسميتها سحرا وذلك لغاية عتوهم وتماديهم في الكفر والطغيان وقرئ
ساحران تظاهرا يعنون موسى ومحمدا صلى الله عليه وسلم هذا هو الذي يستدعيه جزالة النظم
الجليل فتامل ودع عنك ما قيل وقيل الاول انسب لقوله تعالى قل فاتوا بكتاب من عند الله هو اهدى
منهما مما اوتياه من التوراة او القران وسميتموها سحرين فانه نص فيما ذكر وقوله تعالى اتبعه
جواب للامر اى ان تاتوا به اتبعه ومثل هذا الشرط مما ياتي به من يدل بوضوح حجته وسنوح
محجته لان الاتيان بما هو اهدى من الكتابين من قبيل الاستحالة فيتوسع دائرة الكلام للتبكيت
والافحام ان كنتم صادقين اى في انهما سحران مختلفان وفي ايراد كلمة ان مع امتناع صدقهم نوع تهكم
بهم فان لم يستجيبوا لك اى فان لم يفعلوا ما كلفتهم من الاتيان بكتاب هو اهدى منهما كقوله
تعالى فان لم تفعلوا وما عبر عنه بالاستجابة ايذانا بانه صلى الله عليه وسلم على كمال امن من امرهم
امره صلى الله عليه وسلم له بالاتيان بما ذكر دعا لهم الى امر يريد وقوعه والاستجابة تتعدى الى

الدعا بنفسه والى الداعي باللام فيحذف الدعا عند ذلك غالبا ولا يكاد يقال له دعا فاعلم انما يتبعون
اهواءهم الزائغة من غير ان يكون لهم متمسك اصلا اذ لو كان لهم ذلك لاتوا به ومن اضل ممن اتبع هواه
استفهام انكاري للنفي اى لا اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله اى هو اضل من كل ضال وان كان ظاهر
السبك لنفي الاضل لا لنفي المساوي كما مر في نظائره مرارا وتقييد اتباع الهوى بعدم الهدى من الله
تعالى لزيادة التقريع والاشباع في التشنيع والتضليل والا فمقارنته لهدايته تعالى بينة الاستحالة
ان الله لا يهدي القوم الظالمين الذين ظلموا انفسهم بالانهماك في اتباع الهوى والاعراض عن الايات
الهادية الى الحق المبين ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون وقرئ بالتخفيف اى انزلنا القران
عليهم متواصلا بعضه اثر بعض حسبما تقتضيه الحكمة والمصلحة او متتابعا وعدا ووعيدا وقصصا
وعبرا ومواعظ ونصائح لعلهم يتذكرون فيؤمنون به الذين اتيناهم الكتاب من قبله اى من قبل
ايتاء القران هم به يؤمنون وهم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل اربعون من اهل الانجيل اثنان
وثلاثون جاؤا مع جعفر من الحبشة وثمانية من الشام واذا يتلى اى القران عليهم قالوا امنا به انه الحق من
ربنا اى الحق الذي كنا نعرف حقيقته وهو استيناف لبيان ما اوجب ايمانهم وقوله تعالى انا كنا من
قبله اى من قبل نزوله مسلمين بيان لكون ايمانهم به امرا متقادم العهد لما شاهدوا ذكره في الكتب
المتقدمة وانهم على دين الاسلام قبل نزول القران اولئك الموصوفون بما ذكر من النعوت يؤتون
اجرهم مرتين مرة على ايمانهم بكتابهم ومرة على ايمانهم بالقران بما صبروا بصبرهم وثباتهم على الايمانين
او على الايمان بالقران قبل النزول وبعده او على اذى من هاجرهم من اهل دينهم ومن المشركين ويدرؤن
بالحسنة السيئة اى يدفعون بالطاعة المعصية لقوله صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة السيئة تمحها
ومما رزقناهم ينفقون في سبيل الخير واذا سمعوا اللغو من اللاغين اعرضوا عنه عن اللغو تكرما لقوله
تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقالوا للاغين لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم بطريق المتاركة والتوديع
لا نبتغي الجاهلين لا نطلب صحبتهم ولا نريد مخالطتهم انك لا تهدي هداية موصلة الى البغية لا محالة
من احببت من الناس ولا تقدر على ان تدخله في الاسلام وان بذلت فيه غاية المجهود وجاوزت في السعي
كل حد معهود ولكن الله يهدي من يشاء اى يهديه ويدخله في الاسلام وهو اعلم بالمهتدين بالمستعدين
لذلك والجمهور على انها نزلت في ابي طالب فانه لما احتضر جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك لصادق ولكني اكره ان
يقال جزع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة بعدي لقلتها ولا قررت بها عينك
عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب و
هاشم وعبد مناف وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل
بن عبد مناف حيث اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف ان اتبعناك وخالفنا
العرب انما نحن اكلة راس ان يتخطفونا من ارضنا فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما امنا اى الم نجعل
مكانهم حرما ذا امن بحرمة البيت الذي يتناحر العرب حوله وهم امنون فيه يجبى اليه وقرئ بالتاء
ويحمل اليه ثمرات كل شيء من كل اوب وهي جملة صفة اخرى لحرما دافعة لما عسى يتوهم من تضررهم بانقطاع
الميرة رزقا من لدنا فاذا كان حالهم ما ذكر وهم عبدة الاصنام فكيف نعرضهم للتخوف والتخطف اذا ضموا الى
حرمة البيت حرمة التوحيد ولكن اكثرهم لا يعلمون جهلة لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا ذلك
وقيل هو متعلق بقوله تعالى من لدنا اى قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله تعالى
اذ لو علموا لما خافوا غيره وانتصاب رزقا على انه مصدر مؤكد لمعنى يجبى اليه او حال من الثمرات على
انه بمعنى مرزوق لتخصصها بالاضافة
بقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اى وكثيرا من اهل قرية كانت حالهم كحال هؤلاء في الامن
وخفض العيش والدعة حتى اشروا وطغوا فدمر الله عليهم وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية بما ظلموا لم تسكن
من بعدهم الا قليلا الا زمانا قليلا اذ لا يسكنها الا المارة يوما او بعض يوم او لم يبق
من يسكنها الا قليلا منهم وكنا نحن الوارثين منهم
وسائر متروكاتهم وانتصاب معيشتها بنزع الخافض او بجعلها ظرفا بنفسها كقولك زيد ظني مقيم
او باضمار زمان مضاف اليه او بجعله مفعولا على تضمين بطرت معنى كفرت وما كان ربك مهلك
القرى بيان للعناية الربانية اثر بيان اهلاك القرى المذكورة اى وما صح وما استقام بل استحال
في سنته المبنية على الحكم البالغة او ما كان في حكمه الماضي وقضائه السابق ان يهلك القرى قبل
الانذار بل كانت عادته ان لا يهلكها حتى يبعث في امها اى في اصلها وقصبتها التي هي اعمالها وتوابعها

من بعدهم

لكون اهلها افطن واصل برسوله يتلوا عليهم اياتنا الناطقة بالحق ويدعوهم اليه بالترغيب والترهيب
وذلك لالزام الحجة وقطع المعذرة بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك والالتفات
الى نون العظمة لتربية المهابة وادخال الروعة وقوله تعالى وما كنا مهلكى القرى عطف على ما كان
ربك وقوله تعالى الا واهلها ظالمون استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى وما كنا مهلكين لاهل القرى
بعد بعثنا فى امها رسولا يدعوهم الى الحق ويرشدهم اليه فى حال من الاحوال الا حال كونهم ظالمين بتكذيب
رسولنا والكفر باياتنا فالبعث غاية لعدم صحة الاهلاك بموجب السنة الالهية لا لعدم وقوعه
حتى يلزم تحقق الاهلاك عقيب البعث وقد مر تحقيقه فى سورة بنى اسرائيل وما اوتيتم من شىء
من امور الدنيا فمتاع الحياة الدنيا وزينتها اى فهو شىء شانه ان يتمتع ويتزين به اياما قلائل وما
عند الله وهو الثواب خير فى نفسه من ذلك لانه لذة خالصة عن شوائب الالم وبهجة كاملة عارية
من سمة الهم وابقى لانه ابدى افلا تعقلون الا تتفكرون فلا تعقلون هذا الامر الواضح فتستبدلون الذى
هو ادنى بالذى هو خير وقرئ بالياء على الالتفات المبنى على اقتضاء سوء صنيعهم الاعراض عن مخاطبتهم افمن
وعدناه وعدا حسنا اى وعدا بالجنة فان حسن الوعد بحسن الموعود فهو لاقيه اى مدركه لا محالة
لاستحالة الخلف فى وعده تعالى ولذلك جئ بالجملة الاسمية المفيدة لتحققه البتة وعطفت بالفاء
المنبئة عن السببية كمن متعناه متاع الحياة الدنيا الذى هو مشوب بالالام منغص بالاكدار مستتبع
للتحسر على الانقطاع ومعنى الفاء الاولى ترتيب انكار التشابه بين اهل الدنيا واهل الاخرة على ما
قبلها من ظهور التفاوت الظاهر بين الفريقين وقوله تعالى ثم هو يوم القيمة من المحضرين
عطف على متعناه داخل معه فى حيز الصلة مؤكد لانكار التشابه مقرر له كانه قيل كمن متعناه متاع
الحياة الدنيا ثم نحضره او احضرناه يوم القيمة النار او العذاب وايثار الجملة الاسمية للدلالة على التحقق
حتما وفى جعله من جملة المحضرين من التهويل ما لا يخفى وثم للتراخى فى الزمان او فى الرتبة وقرئ ثم هو بسكون
الهاء تشبيها للمنفصل بالمتصل ويوم يناديهم منصوب بالعطف على يوم القيمة لاختلافهما عنوانا وان اتحد
ا ذاتا او باضمار اذكر فيقول تفسير للنداء اين شركائى الذين كنتم تزعمون اى الذين كنتم تزعمونهم
شركائى فحذف المفعولان معا ثقة بدلالة الكلام عليهما قال استئناف مبنى على حكاية السؤال
كانه قيل فماذا صدر عنهم حينئذ فقيل قال الذين حق عليهم القول وهم شركاؤهم من الشياطين ورؤساؤهم
الذين اتخذوهم اربابا من دون الله تعالى بان اطاعوهم فى كل ما امروهم به ونهوا عنه ومعنى حق عليهم القول
انه ثبت مقتضاه وتحقق مؤداه وهو قوله تعالى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره من
ايات الوعيد وتخصيصهم بهذا الحكم مع شموله للاتباع ايضا لانهم ائمتهم فى الكفر واستحقاق العذاب
حسبما يعرب به قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم وتصديهم للجواب مع كون السؤال
للعبدة اما لتفطنهم ان السؤال عنهم لاستحضارهم وتوبيخهم بالاضلال وجزمهم بان العبدة سيقولون
هؤلاء اضلونا واما لان العبدة قد قالوه اعتذارا وهؤلاء انما قالوه ردا لقولهم الا انه لم يحك قول
العبدة ايجازا لظهوره ربنا هؤلاء الذين اغوينا اى هم الذين اغويناهم فحذف الراجع الى الموصول
ومرادهم بالاشارة بيان انهم يقولون ما يقولون بمحضر منهم وانهم غير قادرين على انكاره ورده وقوله
تعالى اغويناهم كما غوينا هو الجواب حقيقة وما قبله تمهيد له اى ما اكرهناهم على الغى وانما اغويناهم
بطريق الوسوسة والتسويل لا بالقسر والالجاء فغووا باختيارهم غيا مثل غينا باختيارنا ويجوز ان
يكون الذين صفة لاسم الاشارة واغويناهم الخبر تبرأنا اليك منهم ومما اختاروه من الكفر والمعاصى هوى
منهم وهو تقرير لما قبله وكذلك لم يعطف عليه قوله تعالى ما كانوا ايانا يعبدون اى ما كانوا يعبدوننا
وانما كانوا يعبدون اهواءهم وقيل ما مصدرية متصلة بقوله تعالى تبرأنا اى تبرأنا من عبادتهم ايانا وقيل
ادعوا شركاءكم امر لهم بذلك تهكما بهم وتبكيتا لهم فدعوهم لفرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم ضرورة عدم قدرتهم بل
الاستجابة والنصرة ورأوا العذاب قد غشيهم لو انهم كانوا يهتدون لوجه من وجوه الحيل يدفعون به
العذاب او الى الحق لما لقوا ما لقوا وقيل لو للتمنى اى تمنوا لو انهم كانوا مهتدين ويوم يناديهم فيقول
ماذا اجبتم المرسلين عطف على ما قبله سئلوا اولا عن اشراكهم وثانيا عن جوابهم للرسل الذين نهوهم
عن ذلك فعميت عليهم الانباء يومئذ اى صارت كالعمى عنهم لا تهتدى اليهم واصله فعموا عن الانباء
وقد عكس للمبالغة والتنبيه على ما يحضر الذهن يفيض عليه ويصل اليه من خارج فاذا اخطأه
لم يكن له حيلة الى استحضاره وتعدية الفعل بعلى لتضمنه معنى الخفاء والاشتباه منهم مما اجابوا به
الرسل وبجميع الانباء وهى داخلة فيه دخولا اوليا واذا كانت الرسل عليهم السلام يفوضون العلم فى
ذلك فى المقام الهائل الى علام الغيوب مع نزاهتهم عن غائلة السؤال فما ظنك باولئك الضلال من الامم

فهم

فهم لا يتساءلون لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب لفرط الدهشة او العلم بان الكل سواء فى الجهل فاما من
تاب من الشرك وامن وعمل صالحا اى جمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يكون من المفلحين اى الفائزين
بالمطلوب عنده تعالى الناجين عن المهروب وعسى للتحقيق على عادة الكرام او للترجى من قبل التائب
بمعنى فليتوقع الافلاح وربك يخلق ما يشاء ويختار ما يشاء اى يخلقه ويختاره من غير ايجاب عليه ولا
منع له اصلا ما كان لهم الخيرة اى التخير كالطيرة بمعنى التطير والمراد نفى الاختيار المؤثر عنهم وذلك
مما لا ريب فيه وقيل انه ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه ولذلك خلا عن العاطف ويؤيده
ما روى انه نزل فى قول الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم والمعنى
لا يبعث الله الرسل باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذى كان لهم فيه الخيرة والصلاح
سبحان الله اى تنزه بذاته تنزها خاصا به من ان ينازعه احد او يزاحم اختياره اختياره وتعالى
عما يشركون عن اشراكهم او عن مشاركة ما يشركونه به وربك يعلم ما تكن صدورهم كعداوة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحقده وما يعلنون كالطعن فيه وهو الله اى المستحق للعبادة لا اله الا
هو لا احد يستحقها الا هو له الحمد فى الاولى والاخرة لانه المولى للنعم كلها عاجلها واجلها على الخلق كافة
يحمده المؤمنون فى الاخرة كما حمدوه فى الدنيا بقولهم الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى
صدقنا وعده ابتهاجا بفضله والتذاذا بحمده وله الحكم اى القضاء النافذ فى كل شىء من غير مشاركة
فيه لغيره واليه ترجعون بالبعث لا الى غيره قل ارايتم اى اخبرونى ان جعل الله
عليكم الليل سرمدا دائما من السرد وهو المتابعة والاطراد والميم مزيدة كما فى دلامص من الدلاص
يقال درع دلاص اى ملساء لينة الى يوم القيمة باسكان الشمس تحت الارض او تحريكها حول الافق
الغائر من اله غير الله صفة لاله يأتيكم بضياء صفة له اخرى عليها يدور امر التبكيت والالزام
كما فى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض وقوله فمن يأتيكم بماء معين ونظائرهما خلا انه
قصد بيان انتفاء الموصوف بانتفاء الصفة ولم يقل هل اله الخ لايراد التبكيت والالزام
على نهجهم وقرئ بضئاء بهمزتين افلا تسمعون هذا الكلام الحق سماع تدبر واستبصار حتى تذعنوا
له وتعملوا بموجبه قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة باسكانها فى وسط
السماء او تحريكها على مدار فوق الافق من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه استراحة من
متاعب الاشغال ولعل تجريد الضياء عن ذكر منافعه لكونه مقصودا بذاته ظاهر الاستتباع
لما نيط به من المنافع افلا تبصرون هذه المنفعة الظاهرة التى لا تخفى على من له بصر ومن رحمته
جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اى فى الليل ولتبتغوا من فضله اى فى النهار بانواع المكاسب
ولعلكم تشكرون ولكى تشكروا نعمته تعالى فعل ما فعل او لتعرفوا نعمته تعالى وتشكروه ويوم يناديهم
منصوب باذكر فيقول اين شركائى الذين كنتم تزعمون تقريع اثر تقريع للاشعار بانه لا شىء
اجلب لغضب الله عز وجل من الاشراك به كما لا شىء ادخل فى مرضاته من توحيده سبحانه وقوله تعالى
ونزعنا من كل امة عطف على يناديهم وصيغة الماضى للدلالة على التحقق او حال من فاعله باضمار قد
والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال الاعتناء بشأن النزع وتهويله اى اخرجنا من كل امة من الامم
شهيدا نبيا يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد فقلنا لكل امة من تلك
الامم هاتوا برهانكم على صحة ما كنتم تدينون فعلموا يومئذ ان الحق لله فى الالهية لا يشاركه فيه احد
وضل عنهم اى غاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يفترون فى الدنيا من الباطل ان قارون كان من قوم موسى
كان ابن عمه يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى عليه السلام بن عمران بن قاهث وقيل
كان موسى عليه السلام ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وقيل كان اقرأ بنى اسرائيل
للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامرى وقال اذا كانت لهرون الحبورة والنبوة لموسى والمذبح والقربان لهرون
فما لى وروى انه لما جاوز موسى بهم البحر صارت الرسالة والحبورة لهرون يقربون القربان فوجد قارون فى نفسه
وحسدهما فقال لموسى الامر لكما ولست على شىء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله تعالى قال
لا اصدقك حتى تأتى باية فامر رؤساء بنى اسرائيل ان يجئ كل واحد منهم بعصا فحزمها والقاها فى
القبة التى كان الوحى ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا فاذا بعصا هرون تهتز ولها
ورق اخضر فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر وقوله تعالى فبغى عليهم فطلب الفضل
عليهم وان يكونوا تحت امره او ظلمهم قيل وذلك حين ملكه فرعون على بنى اسرائيل وقيل حسدهم
وذلك ما ذكر منه فى حق موسى وهرون عليهما السلام واتيناه من الكنوز اى الاموال المدخرة
ما ان مفاتحه اى مفاتح صناديقه وهو جمع مفتح بالكسر وما يفتح به وقيل خزائنه وقياس

واحد ها الفتح بالمفتح لتنوء بالعصبة اولى القوة خبر ان والجملة صلة ما وهو ثاني مفعولي آتى وناء به
الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة والعصابة الجماعة الكثيرة وقرئ لينوء بالياء على اعطاء المضاف
حكم المضاف اليه كما في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين اذ قال له قومه منصوب
بتنوء وقيل ببغى ورد بان البغي ليس مقيدا بذلك الوقت وقيل باتيناه ورد بان الايتاء ايضا غير
مقيد به وقيل بمضمر فقيل هو اذكر وقيل هو اظهر الفرح ويجوز ان يكون منصوبا بما بعده من قوله
تعالى قال انما اوتيته وتكون الجملة مقررة لبغيه لا تفرح لا تبطر والفرح في الدنيا مذموم مطلقا لانه
نتيجة حبها والرضا بها والذهول عن ذهابها فان العلم بان ما فيها من اللذة مفارقة لا محالة يوجب الترح
حتما ولذلك قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وعلل النهي ههنا بكونه مانعا من محبته عز وعلا ان الله
لا يحب الفرحين اي بزخارف الدنيا وابتغ وقرئ واتبع فيما آتاك الله من الغنى الدار الآخرة اي ثواب
الله تعالى فيها بصرفه الى ما يكون وسيلة اليه ولا تنس اي لا تترك نصيبك من الدنيا وهو ان تحصل
بها آخرتك وتاخذ منها ما يكفيك واحسن الى عباد الله تعالى كما احسن الله اليك فيما انعم به عليك
وقيل احسن بالشكر والطاعات كما احسن الله اليك بالانعام ولا تبغ الفساد في الارض نهي عما كان عليه
من الظلم والبغي ان الله لا يحب المفسدين لسوء افعالهم قال مجيبا الناصحية انما اوتيته على علم عندي
كانه يريد به الرد على قولهم كما احسن الله اليك لدلالته على انه تعالى انعم عليه بتلك الاموال والذخائر
من غير سبب واستحقاق من قبله اي فضلت به على الناس واستوجبت به التفوق عليهم بالمال والجاه وعلى علم
في موقع الحال وهو علم التوراة وكان اعلمهم بها وقيل هو الكيميا وقيل هو علم التجارة والدهقنة وساير
المكاسب وقيل علم فتح الكنوز والدفاين وعندي صفة له او متعلق باوتيته كقولك جاز هذا عندي
في ظني ورأيي اولم يعلم ان الله قد اهلك من القرون من هو اشد منه قوة واكثر توبيخ له من جهته عز وجل
على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك قراءة في التوراة وتلقيا من موسى عليه السلام وسماعا من حفاظ
التواريخ وتعجيب منه فالمعنى الم يقرأ التوراة ولم يعلم ما فعل الله تعالى بامثاله من اهل القرون السابقة
حتى لا يغتر بما اغتر به ورد لادعائه العلم وتعظمه به بنفي هذا العلم منه فالمعنى اعلم ما ادعاه ولم يعلم هذا
حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام بل يعذبون بها كان
قارون لما هدد بذكر اهلاك من قبله ممن كان اقوى منه واغنى اكد ذلك بان بين ان ذلك لم يكن مما
يخص اولئك المهلكين بل الله تعالى مطلع على ذنوب كافة المجرمين معاقبهم عليها لا محالة فخرج على قومه
عطف على قال وما بينهما اعتراض وقوله تعالى في زينته اما متعلق بخرج او بمحذوف هو حال من فاعله اي
فخرج عليهم كاينا في زينته قيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة
الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن يمينه ثلاثمائة جارية بيض عليهن الحلي
والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر قال الذين يريدون
الحياة الدنيا من المؤمنين جريا على سنن الجبلة البشرية من الرغبة في السعة واليسار يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون وعن قتادة انهم تمنوه ليتقربوا به الى الله تعالى وينفقوه في سبيل الخير وقيل كان المتمنون قوما
كفارا انه لذو حظ عظيم تعليل لتمنيهم وتاكيد له وقال الذين اوتوا العلم اي باحوال الدنيا والآخرة كما
ينبغي وانما لم يوصفوا بارادة ثواب الآخرة تنبيها على ان العلم باحوال النشأتين يقتضي الاعراض عن الاولى
والاقبال على الثانية حتما وان تمني المتمنين ليس الا لعدم علمهم بهما كما ينبغي ويلكم دعاء بالهلاك شاع
استعماله في الزجر عما لا يرتضى ثواب الله في الآخرة خير مما تتمنونه لمن آمن وعمل صالحا فلا يليق بكم ان
تتمنوه غير مكتفين بثوابه ولا يلقاها في معنى السيرة والطريقة الا الصابرون اي على الطاعات وعن
الشهوات فخسفنا به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسى كل وقت وهو يداريه لقرابته حتى نزلت
الزكاة فصالحه عن كل الف على واحد فحسبه واستكثره فعمد الى ان يفضح موسى عليه السلام بين بني اسرائيل
فجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل طستا من ذهب مملوءا ذهبا فلما كان يوم عيد قام موسى
عليه السلام فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى في محصن رجمناه فقال قارون
ولو كنت قال ولو كنت قال بنو اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها عليه السلام
ان تصدق فقالت قد جعل لي قارون جعلا ان ارميك بنفسي فخر موسى ساجدا لربه يبكي ويقول يا رب ان
كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله تعالى اليه ان مر الارض بما شئت فقال يا بني اسرائيل ان الله
بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا
غير رجلين ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وهم يناشدونه عليه السلام بالله تعالى وبالرحم
وهو لا يلتفت اليهم لشدة غيظه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم فاصبحت بنو اسرائيل يتناجون بينهم

انما

انما دعا عليه السلام عليه ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وامواله فما كان له من
فئة جماعة مشفقة ينصرونه من دون الله بدفع العذاب عنه وما كان من المنتصرين اي من الممتنعين
عنه بوجه من الوجوه يقال انتصر من عدوه فانتصر اي منعه فامتنع واصبح الذين تمنوا مكانه منزلته
بالامس منذ زمان قريب يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر اي يفعل كل
واحد من البسط والقدر بمحض مشيته لا لكرامة توجب البسط ولا لهوان يقتضي القبض وويكأن
عند البصريين مركب من وي للتعجب وكأن للتشبيه والمعنى ما اشبه الامر ان الله يبسط الى آخره وعند الكوفيين
من ويك بمعنى ويلك وان وتقديره ويك اعلم ان الله وانما يستعمل عند التنبه على الخطأ والتندم والمعنى
انهم قد تنبهوا على خطأهم في تمنيهم وتندموا على خطأهم في تمنيهم وتندموا على ذلك لولا ان من الله علينا بعدم
اعطائه واعطائنا مثل ما اعطاه اياه وقرئ لولا من الله علينا لخسف بنا كما خسف به وقرئ لخسف بنا
على البناء للمفعول وبنا هو القائم مقام الفاعل وقرئ لا نخسف بنا كقولك انقطع به وقرئ لتخسف بنا
ويكأنه لا يفلح الكافرون لنعمة الله تعالى او المكذبون برسوله وبما وعدوا به من ثواب الآخرة تلك الدار
الآخرة اشارة تعظيم وتفخيم كانه قيل تلك التي سمعت خبرها او بلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض اي غلبة وتسلطا ولا فسادا اي ظلما وعدوانا على العباد كارادة فرعون وقارون وفي تعليق
الموعد بترك ارادتهما لا بتركهما انفسهما مزيد تحذير منهما وعن علي رضي الله تعالى عنه ان الرجل ليعجبه
ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها والعاقبة الحميدة للمتقين اي الذين
يتقون ما لا يرضاه الله تعالى من الاقوال والافعال من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا ووصفا
وقدرا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات وضع فيه الموصول والظاهر موضع الضمير
لتهجين حالهم بتكرير اسناد السيئة اليهم الا ما كانوا يعملون اي الا مثل ما كانوا يعملون فحذف المثل واقيم
ما كانوا يعملون مقامه مبالغة في المماثلة ان الذي فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه والعمل
به لرادك الى معاد اي معاد تمتد اليه اعناق الهمم وتتوق اليه احداق الامم وهو المقام المحمود الذي وعدك
ان يبعثك فيه وقيل هو مكة المعظمة على انه تعالى قد وعده وهو بمكة في اذية وغلبة من اهلها انه يهاجر
منها ثم يعيده اليها ظاهرا وسلطان قاهر وقيل نزلت عليه حين بلغ الجحفة في مهاجره وقد اشتاق
الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم عليه السلام فنزل جبرئيل عليه السلام فقال له اتشتاق الى
مكة قال نعم فاوحاها اليه قل ربي اعلم من جاء بالهدى وما يستحقه من الثواب والنصرة من منتصب بفعل
يدل عليه اعلم اي يعلم وقيل باعلم على انه بمعنى عالم ومن هو في ضلال مبين وما يستحقه من العذاب والاذلال
يعني بذلك نفسه والمشركين وهو تقرير للوعد السابق وكذا قوله وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب
اي سنردك الى معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه الا رحمة من ربك ولكن القاه اليك رحمة
منه ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا رحمة اي لاجل الترحم
فلا تكونن ظهيرا للكافرين بمداراتهم والتحمل عنهم والاجابة الى طلبتهم ولا يصدنك اي الكافرون عن
آيات الله اي عن قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك وقرئ يصدنك من اصده بمعنى
صده وادع الناس الى ربك الى عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين بمساعدتهم في الامر
ولا تدع مع الله الها آخر هذا وما قبله للتهييج والالهاب وقطع اطماع المشركين عن مساعدته صلى الله
عليه وسلم لهم واظهار ان المنهي عنه في القبح والشدة بحيث ينهى عنه من لا يمكن صدوره عنه اصلا
لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه الا ذاته فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم عرضة للهلاك
والعدم له الحكم اي القضاء النافذ في الخلق واليه ترجعون عند البعث للجزاء بالحق والعدل وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب
ولم يبق ملك في السموات والارض الا يشهد له يوم القيمة بانه كان صادقا

بسم الله الرحمن الرحيم الم الكلام فيه كما مر في نظايره من الفواتح المكية مقدار ما بعده
لا يحتمل ان يتعلق به تعلقا اعرابيا احسب الناس الحسبان ونظايره لا يتعلق بمعاني المفردات بل
بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء او انتفاء شيء عن شيء بحيث يتحصل مفعولاه اما بالفعل كما في
عامة المواقع واما بنوع تصرف فيهما كما في الجمل المصدرة بان الواقعة صلة للموصول الاسمي او الحرفي
فان كلا منها صالحة لان يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم

لا يفتنون في قوة ان يقال احسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد ان يقولوا امنا وان يقال احسبوا تركهم
غير مفتونين بقولهم امنا ما فلا متحققا والمعنى انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم
بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظايف الطاعات وفنون المصائب
في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب
اعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من الخلود في النار روي انها نزلت في ناس
من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين جزعوا من اذية المشركين وقيل في عمار وقد عذب في الله وقيل
في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه رماه عامر بن الحضرمي يوم بدر بسهم فقتله فجزع
عليه ابوه وامرأته وهو اول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد
الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله
تعالى احسب او بقوله تعالى لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما
بين الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع خلافها والمعنى ان الامم الماضية قد اصابهم من ضروب الفتن والمحن
ما هو اشد مما اصاب هؤلاء فصبروا كما يعرب عنه قوله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما
وهنوا لما اصابهم في سبيل الله الايات وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار
على رأسه فيفرق فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب
ما يصرفه ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين صدقوا اي في قولهم امنا وليعلمن الكاذبين في ذلك
والفاء لترتيب ما بعدها على ما ينفصح عنه ما قبلها من وقوع الامتحان واللام جواب القسم والالتفات
الى الاسم الجليل لادخال الروعة وتربية المهابة وتكرير الجواب لزيادة التاكيد والتقرير اي فوالله
ليتعلقن علمه بالامتحان تعلقا حاليا يتميز به الذين صدقوا في الايمان الذي اظهروه والذين هم
كاذبون فيه مستمرون على الكذب ويترتب عليه اجزيتهم من الثواب والعقاب ولذلك قيل المعنى
ليميزن او ليجازين وقرئ وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الناس او ليسمنهم بسمة يعرفون بها يوم
القيمة كبياض الوجوه وسوادها ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا اي يفوتونا فلا نقدر على
مجازاتهم بمساوي اعمالهم وهو ساد مسد مفعولي حسب لاشتماله على مسند ومسند اليه وام منقطعة
وما فيها من معنى بل للاضراب والانتقال عن التوبيخ بانكار حسبانهم متروكين غير مفتونين الى التوبيخ
بانكار ما هو ابطل من الحسبان الاول وهو حسبانهم ان لا يجازوا بسيئاتهم وهم وان لم يحسبوا انهم يفوتونه تعالى
ولم يحدثوا نفوسهم بذلك لكنهم حيث اصروا على المعاصي ولم يتفكروا في العاقبة نزلوا منزلة من
يطمع في ذلك كما في قوله تعالى يحسب ان ماله اخلده ساء ما يحكمون اي بئس الذي يحكمونه حكمهم ذلك
او بئس حكما يحكمونه حكمهم ذلك من كان يرجوا لقاء الله اي يتوقع ملاقاة جزائه ثوابا او عقابا او
ملاقاة حكمه يوم القيمة وقيل يرجوا لقاء الله عز وجل في الجنة وقيل يرجوا ثوابه وقيل يخاف عقابه وقيل
لقاؤه تعالى عبارة عن الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت والبعث والحساب والجزاء على تمثيل تلك
الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على جميع ما كان ياتي ويذر فاما ان يلقاه
ببشر وكرامة لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخطه فان اجل الله الاجل عبارة عن غاية زمان ممتد
عينت لامر من الامور وقد يطلق على ذلك الزمان والاول هو الاشهر في الاستعمال اي فان الوقت
الذي عينه تعالى لذلك لات لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لان اجزاء الزمان على
التقضي والتصرم دائما فلا بد من اتيان ذلك الجزء ايضا البتة واتيان وقته موجب لاتيان اللقاء حتما
والجواب محذوف اي فليبادر من الاعمال ما يؤدي الى حسن الثواب وليحذر ما يسوقه الى سوء العذاب كما في قوله
تعالى فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الاية وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى وقيل فليبادر
ما يحقق امله ويصدق رجاءه او ما يوجب القربة والزلفى وهو السميع لاقوال العباد العليم باحوالهم من الاعمال
الظاهرة والباطنة ومن جاهد في طاعة الله عز وجل فانما يجاهد لنفسه بعود منفعتها اليها ان الله لغني عن
العالمين فلا حاجة الى طاعتهم وانما امرهم بها تعريضا لهم بالثواب بموجب رحمته والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنكفرن عنهم سيئاتهم الكفر والايمان والمعاصي بما يتبعهما من الطاعات ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون
اي احسن جزاء اعمالهم لا جزاء احسن اعمالهم فقط ووصينا الانسان بوالديه حسنا اي بايتاء والديه حسنا
وايلائهما فعلا ذا حسن او ما هو في حد ذاته حسن لفرط حسنه لقوله تعالى وقولوا للناس حسنا ووصى
يجري مجرى امر معنى وتصرفا غير انه يستعمل فيما كان في المامور به نفع عايد الى المامور او غيره وقيل هو
بمعنى قال فالمعنى وقلنا احسن بوالديك حسنا وقيل انتصاب حسنا بمضمر على تقدير قول مفسر
للتوصية اي وقلنا اولهما او افعل بهما حسنا وهو اوفق لما بعده وعليه يحسن الوقف بوالديه وقرئ

حسنا

حسنا واحسانا وان جاهداك لتشرك بي ما ليس لك به علم اي بالهيته عبر عن نفيها بنفي العلم بها للايذان
بان ما لا يعلم صحته لا يجوز اتباعه وان لم يعلم بطلانه فكيف بما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك فانه لا
طاعة لمخلوق في معصية الخالق ولا بد من اضمار القول ان لم يضمر فيما قبل وفي تعليق النهي عن طاعتهما بمجاهدتهما
في التكليف اشعار بان موجب النهي فيما دونه من التكليف ثابت بطريق الاولوية الي مرجعكم اي مرجع
من امن منكم ومن اشرك ومن بر بوالديه ومن عق فانبئكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بعمله ان
خيرا فخير وان شرا فشر والاية نزلت في سعد بن ابي وقاص عند اسلامه حيث حلفت امه حمنة بنت
ابي سفيان بن امية انها لا تنتقل من الضح الى الظل ولا تطعم ولا تشرب حتى يرتد فلبثت ثلاثة ايام
كذلك وكذا التي في سورة لقمان وسورة الاحقاف وقيل نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك
انه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل والحارث اخوه لامه
اسما فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلى الله عليه وسلم صلة الارحام وبر الوالدين وقد
تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تاوي بيتا حتى تراك فاخرج معنا وفتلا منه في الذروة والغارب
واستشار عمر رضي الله تعالى عنه فقال عمر انهما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك فما
زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر رضي الله تعالى عنه اما اذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا
بعير يلحقها فان رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني
معك فنزل ليوطئ لنفسه وله فاخذاه فشداه وثاقا وجلداه كل واحد مائة جلدة وذهبا به الى
امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في
الصالحين اي في زمرة الراسخين في الصلاح والكمال والصلاح منتهى درجات المؤمنين وغاية مامول
انبياء الله المرسلين قال الله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وقال في حق ابراهيم عليه السلام وانه في الاخرة لمن الصالحين او في مدخل الصالحين وهي
الجنة ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله اي في شانه تعالى بان عذبهم الكفرة على الايمان
جعل فتنة الناس اي ما يصيبه من اذيتهم كعذاب الله في الشدة والهول فيرتد عن الدين مع انه
لا قدر لها عند نفحة من عذاب الله تعالى اصلا ولئن جاء نصر من ربك اي نصر وغنيمة ليقولن
بضم اللام نظرا الى معنى من كما ان الافراد فيما سبق بالنظر الى لفظها وقرئ بالفتح انا كنا معكم اي مشايعين
لكم في الدين فاشركونا في المغنم وهم ناس من ضعفة المسلمين كانوا اذا مسهم اذى من الكفار وافقوهم
وكانوا يكتمونه من المسلمين فرد عليهم ذلك بقوله تعالى اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين اي باعلم
منهم بما في صدورهم من الاخلاص والنفاق حتى يفعلوا من الارتداد والاخفاء عن المسلمين وادعائهم
منهم لنيل الغنيمة [illegible] وليعلمن الله الذين امنوا [illegible]
وليعلمن المنافقين [illegible] ليميز بينهم [illegible] من الايمان والنفاق وقال
الذين كفروا للذين امنوا بيانا لحملهم المؤمنين على الكفر [illegible] بعد بيان حملهم له عليه بالاذية
والوعيد ووصفهم بالكفر ها هنا دون ما سبق لما ان مساق الكلام لبيان جنايتهم وفيما سبق لبيان
جناية من اضلوه واللام للتبليغ اي قالوا مخاطبين لهم اتبعوا سبيلنا [illegible] ولنحمل
خطاياكم [illegible]
[illegible]
نؤاخذ عليها بالبعث كما تقولون وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم بالاتباع للمبالغة في
تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان ثمة وزر فرد عليهم بقوله تعالى وما هم
بحاملين من خطاياهم من شيء [illegible]
انهم لكاذبون [illegible]
وحيث اخبروا في ضمن وعدهم بالحمل [illegible]
باعتبار منطوقه [illegible]
[illegible] وليحملن اثقالهم بيان لما يستتبعه قولهم ذلك في الاخرة من المضرة لانفسهم بعد بيان عدم
منفعته لمخاطبيهم اصلا والتعبير عن الخطايا بالاثقال للايذان بغاية ثقلها وكونها فادحة واللام جواب
قسم مضمر اي والله ليحملن اثقال انفسهم كاملة واثقالا اخرى مع اثقالهم [illegible]
والحمل على الكفر والمعاصي من غير ان ينتقص من اثقال من اضلوه شيء ما اصلا وليسئلن يوم القيمة
سؤال تقريع وتبكيت عما كانوا يفترون اي يختلقونه في الدنيا من الاكاذيب والاباطيل التي من جملتها
كذبهم هذا ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما شروع في بيان افتتان الانبياء

عليهم الصلاة والسلام بأذية أممهم اثر بيان افتتان المؤمنين بأذية الكفار تأكيداً للانكار على الذين
يحسبون ان يتركوا بمجرد الايمان بلا ابتلاء وحثاً لهم على الصبر فان الانبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بما اصابهم
من جهة أممهم من فنون المكاره وصبروا عليها فلأن يصبر هؤلاء اولى واحرى فان كان عمر نوح عليه السلام
الفاً وخمسين عاماً وعاش بعد الطوفان ستين سنة وعن وهب انه عاش الفاً واربعمائة سنة ولعل ما عليه
النظم الكريم للدلالة على كمال العدد فان تسعمائة وخمسين قد تطلق على ما يقرب منه ولما في ذكر الالف من تخييل
طول المدة فان المقصود من القصة تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيته على ما كان عليه من
مكابدة لما يناله من الكفرة واظهار ركاكة رأي الذين يحسبون انهم يتركون بلا ابتلاء واختلاف المميزين لما في
التكرير من نوع بشاعة فأخذهم الطوفان اي عقب تمام المدة المذكورة والطوفان يطلق على كل ما
يطوف بالشيء على كثرة وشدة من السيل والريح والظلام وقد غلب على طوفان الماء وهم ظالمون اي والحال
انهم مستمرون على الظلم لم يتأثروا بما سمعوا من نوح عليه السلام من الآيات ولم يرعووا عما هم عليه
من الكفر والمعاصي هذه المدة المتمادية فأنجيناه واصحاب اي نوحاً عليه السلام واصحاب السفينة اي ومن
ركب معه من اولاده واتباعه وكانوا ثمانين وقيل ثمانية وسبعين وقيل عشرة وقيل ثمانية نصفهم ذكور
ونصفهم اناث وجعلناها اي السفينة او الحادثة او القصة آية للعالمين يتعظون بها وابراهيم نصب
بالعطف على نوحاً وقيل باضمار اذكر وقرئ بالرفع على تقدير ومن المرسلين ابراهيم اذ قال لقومه على الاول
ظرف للارسال اي ارسلناه حين تكامل عقله وقدر على النظر والاستدلال وترقى من رتبة الكمال اي
درجة التكميل حيث تصدى لارشاد الخلق الى طريق الحق وعلى الثاني بدل اشتمال من ابراهيم اعبدوا الله اي
وحده واتقوه ان تشركوا به شيئاً ذلكم اي ما ذكر من العبادة والتقوى خير لكم اي مما انتم عليه ومعنى
التفضيل مع انه لا خير فيه قطعاً باعتبار زعمهم الباطل ان كنتم تعلمون اي الخير والشر وتميزون احدهما
وان كنتم تعلمون شيئاً من الاشياء بوجه من الوجوه فان ذلك كاف في الحكم بخيرية ما ذكر من العبادة والتقوى
انما تعبدون من دون الله اوثاناً بيان لبطلان دينهم وشريته في نفسه بعد بيان شريته بالنسبة
الى دين الحق اي انما تعبدون من دونه تعالى اوثاناً هي في نفسها تماثيل مصنوعة لكم ليس فيها وصف غير
ذلك وتخلقون افكاً اي وتكذبون كذباً حيث تسمونها آلهة وتدعون انها شفعاؤكم عند الله تعالى
او تعملونها وتنحتونها للافك وقرئ تخلقون بالتشديد للتكثير في الخلق بمعنى الكذب والافتراء وتخلقون
بحذف احدى التاءين من تخلق بمعنى كذب وتخرص وقرئ افكاً على انه مصدر كالكذب واللعب او نعت
بمعنى خلقاً ذا افك ان الذين تعبدون من دون الله بيان لشرية ما يعبدونه من انه لا يكاد يجديهم
نفعاً لا يملكون لكم رزقاً اي لا يقدرون على ان يرزقوكم شيئاً من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله
كأنه هو الرزاق ذو القوة المتين واعبدوه وحده واشكروا له على نعمائه متوسلين الى مطالبكم بعبادته
مقيدين بالشكر للعتيد ومستجلبين للمزيد اليه ترجعون اي بالموت ثم بالبعث لا الى غيره فافعلوا ما
امرتكم به وقرئ ترجعون من رجع رجوعاً وان تكذبوا اي وان تكذبوني فيما اخبرتكم به من انكم اليه ترجعون
فقد كذب امم من قبلكم تعليل للجواب اي فلا تضرونني بتكذيبكم فان من قبلكم من الامم قد كذبوا من قبلي
من الرسل وهم شيث وادريس ونوح عليهم السلام فلم يضرهم تكذيبهم شيئاً وانما ضروا انفسهم حيث
تسببوا لما حل بهم من العذاب فكذا تكذيبكم وما على الرسول الا البلاغ المبين اي التبليغ الذي لا يبقى
معه شك وما عليه ان يصدقه البتة وقد خرجت عن عهدة التبليغ بما لا مزيد عليه فلا يضرني
تكذيبكم بعد ذلك اصلاً أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق كلام مستأنف مسوق من جهته تعالى للانكار
على تكذيبهم بالبعث مع وضوح دليله وسنوح سبيله والهمزة للانكار بعد مدونهم الموجب لتقررها
والواو للعطف على مقدر اي ألم ينظروا ولم يعلموا علماً جارياً مجرى الرؤية في الجلاء والظهور كيفية خلق
الله تعالى الخلق ابتداء من مادة ومن غير مادة اي قد علموا ذلك وقرئ بصيغة الخطاب لتشديد الانكار
وتأكيده وقرئ يبدأ وقوله تعالى ثم يعيده عطف على أولم يروا لا على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه
فهو اخبار بانه تعالى يعيد الخلق قياساً على الابداء وقد جوز العطف على يبدئ لعدم وقوع الرؤية عليه
وبتأويل الاعادة بانشائه تعالى كل سنة مثل ما انشأ في السنة السابقة من النبات والثمار وغيرهما
فان ذلك مما يستدل به على صحة البعث ووقوعه من غير ريب ان ذلك اي ما ذكر من الاعادة على الله
يسير اذ لا يفتقر فعله الى شيء اصلاً قل سيروا في الارض امر لابراهيم عليه السلام ان يقول لهم ذلك
اي سيروا فيها فانظروا كيف بدأ الخلق اي كيف خلقهم ابتداء على اطوار مختلفة وطبائع متغايرة واخلاق
شتى فان ترتيب النظر على السير في الارض مؤذن بتتبع احوال اصناف الخلق القاطنين في اقطارها
ثم الله ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى التي شاهدتموها والتعبير عن الاعادة التي هي محل النزاع

بالنشأة الآخرة المشعرة بكون البدء نشأة اولى للتنبيه على ان كلاً منهما انشاء واحد من شؤون الله تعالى حقيقة
واسماً من ان كلاً منهما اختراع واخراج من العدم الى الوجود ولا فرق بينهما الا بالاولية والآخرية
وقرئ النشاءة بالمد وهما لغتان كالرأفة والرآفة ومحلها النصب على انها مصدر مؤكد لينشئ بحذف الزوائد والاصل
الانشاءة او بحذف العامل اي ينشئ فينشؤون النشأة الآخرة كما في قوله تعالى وانبتها نباتاً حسناً والجملة معطوفة
على جملة سيروا في الارض داخلة معها في حيز القول وإظهار الاسم الجليل وإيقاعه مبتدأ مع اضماره
في بدأ لإبراز مزيد الاعتناء ببيان تحقق الاعادة بالاشارة الى علة الحكم وتكرير الاسناد وقوله تعالى ان الله
على كل شيء قدير تعليل لما قبلها بطريق التحقيق فان من علم قدرته تعالى على جميع الاشياء التي من
جملتها الاعادة لا يتصور ان يتردد في قدرته عليها ولا في وقوعها بعد ما اخبر به يعذب اي بعد
النشأة الآخرة من يشاء ان يعذبه وهم المنكرون لها حتماً ويرحم من يشاء ان يرحمه وهم المصدقون بها
والجملة تكملة لما قبلها وتقديم التعذيب لما ان الترهيب انسب بالمقام من الترغيب واليه تقلبون
عند ذلك لا الى غيره فيفعل بكم ما يشاء من التعذيب والرحمة وما انتم بمعجزين في الارض له تعالى
عن اجراء حكمه وقضائه عليكم في الارض ولا في السماء اي في التمادي في الارض والهبوط في مهاويها
ولا بالتحصن في السماء والتي هي اوسع منها لو استطعتم الرقي فيها كما في قوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا
من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان او القلاع الذاهبة فيها وقيل في السماء صفة لمحذوف
معطوف على انتم اي ولا من في السماء وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير يحرسكم مما يصيبكم من بلاء
يظهر من الارض او ينزل من السماء ويدفعه عنكم والذين كفروا بآيات الله اي بدلائله التكوينية
والتنزيلية الدالة على ذاته وصفاته وافعاله فيدخل فيه النشأة الاولى الدالة على تحقق البعث
والآية الناطقة به دخولاً اولياً وتخصيصها بالدليل ووحدانيته تعالى لا يناسب المقام ولقائه الذي
ينطق به تلك الآيات اولئك الموصوفون بما ذكر من الكفر بآياته تعالى ولقائه يئسوا من رحمتي اي
ييأسون منها يوم القيامة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه او يئسوا منها في الدنيا لانكارهم
البعث والجزاء واولئك لهم عذاب اليم وفي تكرير اسم الاشارة وتكرير الاسناد وتنكير العذاب
ووصفه بالاليم من الدلالة على كمال فظاعة حالهم ما لا يخفى اي اولئك الموصوفون بالكفر
بآيات الله تعالى ولقائه وباليأس من رحمته المتمادون بذلك عن سائر الكفرة لهم بسبب تلك
الاوصاف القبيحة عذاب اليم لا يقادر قدره في الشدة والايلام فما كان جواب قومه بالنصب على
انه خبر كان فاسمها قوله تعالى الا ان قالوا اقتلوه وقرئ بالرفع على العكس وقد مر ما فيه من تحقيره
وليس المراد انه لم يصدر عنهم بصدد الجواب عن حجج ابراهيم عليه السلام الا هذه المقالة الشنيعة كما
هو المتبادر من ظاهر النظم الكريم بل ان ذلك هو الذي استقر عليه جوابهم بعد اللتيا والتي في المرة
الاخيرة والا فقد صدر عنهم من الخرافات والاباطيل ما لا يخفى فانجاه الله من النار الفاقصة اي
فالقوه في النار فانجاه الله تعالى بان جعلها عليه الصلاة والسلام برداً وسلاماً حسبما بين في موضع
آخر وقد مر في سورة الانبياء كيفية انه الفاه عليه السلام فيها وانجاه اليه تعالى قيل لم
ينتفع يومئذ بالنار في موضع اصلاً ان في ذلك اي في انجائه منها لآيات بينة عجيبة هي حفظه تعالى
اياه من حرها واخمادها في زمان يسير وانشاء روض في مكانها لقوم يؤمنون واما من عداهم فهم عن اجتلائها
غافلون وعن الفوز بمغانم آثارها محرومون وقال اي ابراهيم مخاطباً لهم انما اتخذتم من دون الله اوثاناً
مودة بينكم في الحياة الدنيا اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها وائتلافكم وثاني
مفعولي اتخذتم محذوف اي اوثاناً آلهة ويجوز ان يكون مودة هو المفعول بتقدير المضاف او بتأويلها
بالمودودة منونة منصوبة ناصبة للظرف وقرئت بالرفع والاضافة على انها خبر مبتدأ محذوف اي
اي هي مودة او نفس المودة او سبب مودة بينكم والجملة صفة اوثاناً او خبر ان على ان ما مصدرية او
موصولة قد حذفت عائدها وهو المفعول الاول وقرئت مرفوعة منونة ومضافة بفتح بينكم كما
قرئ لقد تقطع بينكم على احد الوجهين وقرئ انما مودة بينكم والمعنى ان اتخاذكم اياها مودة بينكم
ليس الا في الحياة الدنيا وبعد انقطاعها احكامه حيث فعلتم ما فعلتم لاجل مودتكم لها كانت مبنياً كما ينبئ عنه
قوله تعالى وانصروا آلهتكم ثم يوم القيامة تنقلب الامور ويتبدل التواد تباغضاً والتلاطف تلاعناً
حيث يكفر بعضكم وهم العبدة ببعض وهم الاوثان ويلعن بعضكم بعضاً اي يلعن كل فريق منكم ومن
الاوثان حيث ينطقها الله تعالى الفريق الآخر ومأواكم النار اي هي منزلكم الذي تأوون اليه ولا ترجعون
منه ابداً وما لكم من ناصرين يخلصونكم منها كما خلصني ربي من النار التي القيتموني فيها وجمع الناصر
لوقوعه في مقابلة الجمع اي ما لاحد منكم من ناصر اصلاً فآمن له لوط اي صدقه في جميع مقالاته لا في

لنبوته وهاديا اليه من التوحيد فقط فانه كان منزها عن الكفر وما قيل انه امن له حين راى النار
لم تحرقه ينبغي ان يحمل على ما ذكرنا او على ان يراد بالايمان الرتبة العالية منها وهي التي لا يرتقي اليها الا الا
فراد ولوط هو ابن اخته عليهما السلام وقال اني مهاجر اي من قومي الى ربي الى حيث امرني انه هو
العزيز الغالب على امره فيمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يفعل فعلا الا وفيه حكمة ومصلحة فلا يامرني
الا بان فيه صلاحي روي انه هاجر من كوثى من سواد الكوفة مع لوط وسارة ابنة عمه الى حران
ثم منها الى الشام فنزل فلسطين ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحاق ويعقوب ولدا ونافلة حين
ايس من عجوز عاقر وجعلنا في ذريته النبوة فكثر منهم الانبياء والكتاب اي جنس الكتاب ا
لمتناول للكتب الاربعة واتيناه اجره بمقابلة هجرته الينا في الدنيا باعطاء الولد في الدنيا
والذرية الطيبة واستمرار النبوة فيهم وانتماء اهل الملل اليه والثناء والصلاة عليه الى اخر
الدهر وانه في الاخرة لمن الصالحين اي الكاملين في الصلاح ولوطا منصوب اما بالعطف على نوحا
او على ابراهيم وبالجملة في قوله تعالى اذ قال لقومه كالذي مر في قصة ابراهيم انكم لتاتون الفاحشة
اي الخصلة المتناهية في القبح وقرئ ائنكم ما سبقكم بها من احد من العالمين استئناف مقرر لكمال
قبحها فان اجماع جميع افراد العالمين على التحاشي عنها ليس الا لكونها تشمئز منه الطباع
وتنفر منه النفوس ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل وتتعرضون للسابلة اي بالفاحشة
روي انهم كانوا كثيرا ما يفعلونها بالغربا وقيل تقطعون سبيل النساء بالاعراض عن الحرث واتيان
ما ليس بحرث وقيل تقطعون السبيل بالقتل واخذ المال وتاتون في ناديكم اي تفعلون في مجلسكم
الجامع لاصحابكم المنكر كالجماع والضراط وحل الازار وغيرها مما لا خير فيه من الافاعيل المنكرة
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو الحذف بالحصا والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك
والسواك بين الناس وحل الازرار والسباب والفحش في المزاح وقيل السخرية بمن مر بهم وقيل
المجاهرة في ناديهم بذلك العمل فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله ان اي فما كان جوابا
ان كنت من الصادقين اي فما كان جوابا من جهتهم بشيء من الاشياء الا هذه الكلمة الشنيعة اي لم
يصدر عنهم في هذه المرة من مرات مواعظ لوط عليه السلام وقد كان اوعدهم فيها بالعذاب
واما ما في سورة الاعراف من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم الاية
وما في سورة النمل من قوله تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم الاية
هو الذي صدر عنهم بعد هذه المرة وهي المرة الاخيرة من مرات المقاولات الجارية بينهم وبينه
عليه السلام وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف قال رب انصرني اي بانزال العذاب الموعود على
القوم المفسدين بابتداع الفاحشة وسنها فيمن بعدهم والاصرار عليها واستعجال العذاب بطريق
الاستهزاء انما وصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب عليهم ولما جاءت رسلنا
ابراهيم بالبشرى اي بالبشارة بالولد والنافلة قالوا اي لابراهيم عليه السلام في تضاعيف الكلام
حسبما فصل في سورة هود وسورة الحجر انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم
والاضافة لفظية لان المعنى على الاستقبال ان اهلها كانوا ظالمين تعليل للاهلاك باصرارهم على
الظلم وتماديهم في فنون الفساد وانواع المعاصي قال ان فيها لوطا فكيف تهلكونها قالوا نحن اعلم بمن
فيها لننجينه واهله ارادوا انهم غير غافلين عن مكان لوط عليه السلام فيها بل من حيث يتعرض له ابراهيم
عليه السلام من اتباعه المؤمنين وانهم معتنون بشانه اتم اعتناء حسبما ينبئ عنه تصدير الوعد
بالتنجية بالقسم اي والله لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين اي الباقين في العذاب او القرية
ولما ان جاءت رسلنا ابراهيم المذكورون بعد مفارقتهم ابراهيم عليه السلام لوطا سيء بهم اي
اعتراه المساءة بسببهم مخافة ان يتعرض له قومه بسوء وكلمة ان لتاكيد ما بين الفعلين من الاتصال
وضاق بهم ذرعا اي ضاق بشانهم وبتدبير امرهم ذرعه اي طاقته كقولهم ضاقت يده وبازائه رحب
ذرعه بكذا اذا كان مطيقا به قادرا عليه وذلك ان طويل الذراع ينال ما لا يناله قصير الذراع
وقالوا لما شاهدوا فيه مخايل التضجر من جهتهم وعاينوا انه قد عجز عن مدافعة قومه بعد اللتيا
والتي الى ان ال به الحال الى ان قال لو ان لي بكم قوة او اوي الى ركن شديد لا تخف اي من قومك علينا
ولا تحزن على شيء وقيل باهلاكنا اياهم انا منجوك واهلك مما يصيبهم من العذاب الا امراتك
كانت من الغابرين وقرئ لننجينه ومنجوك من الانجاء وايا ما كان فمحل الكاف الجر على المختار ونصب
اهلك باضمار فعل او بالعطف على محلها باعتبار الاصل انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السما
استئناف مسوق لبيان ما اشير اليه بوعد التنجية من نزول العذاب عليهم والرجز العذاب الذي

يقلق

المعذب اي يجيء بمجيئه من قولهم ارتجز اذا ارتجس واضطرب وقرئ منزلون بالتشديد بما كانوا يفسقون
بسبب فسقهم المستمر ولقد تركنا منها اي من القرية اية بينة هي قصتها او اثار ديارها الخربة وقيل
الحجارة الممطورة فانها كانت باقية بعدها وقيل الماء الاسود على وجه الارض لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم في الاستبصار والاعتبار وهو متعلق اما بتركنا او ببينة والى مدين اخاهم شعيبا متعلق
بمضمر معطوف على ارسلنا في قصة نوح اي وارسلنا الى مدين شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وحده
وارجوا اليوم الاخر اي توقعوه وما سيقع فيه من فنون الاهوال وافعلوا اليوم من الاعمال
ما تامنون غائلته وقيل وارجوا ثوابه بطريق اقامة المسبب مقام السبب وقيل الرجاء بمعنى الخوف
ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة وفي سورة
هود واخذت الذين ظلموا الصيحة اي صيحة جبريل عليه السلام فانها الموجبة للرجفة بسبب
تموجها الهواء وما يجاورها من الارض فاصبحوا في دارهم اي بلدهم او منازلهم في الاقرار الا من
اللبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا وثمودا منصوبان باضمار فعل ينبئ عنه ما قبله
اي واهلكنا وقرئ وثمود بتاويل الحي وقد تبين لكم من مساكنهم اي وقد ظهر لكم اهلاكنا اياهم من
جهة مساكنهم بالنظر اليها عند اجتيازكم بها ذهابا الى الشام وايابا منه وزين لهم الشيطان
اعمالهم من فنون الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل السوي الموصل الى الحق وكانوا مستبصرين
متمكنين من النظر والاستدلال ولكنهم لم يفعلوا ذلك او مستبينين ان العذاب لاحق بهم لاخبار
الرسل عليهم السلام ولكنهم لجوا حتى لقوا ما لقوا وقارون وفرعون وهامان معطوف على عادا
قيل تقديم قارون لشرف نسبه ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين
مفلتين فائتين من قولهم سبق طالبه اذا فاته ولم يدركه ولقد ادركهم امر الله عز وجل اي ادراك
فتداركوا نحو الدمار والهلاك فكلا تفسير لما ينبئ عنه عدم سبقهم بطريق الابهام اي كل واحد
من المذكورين اخذنا بذنبه اي عاقبناه بجنايته لا بعضه دون بعض كما يشعر به تقديم المفعول
فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا تفصيل للاخذ اي ريحا عاصفا فيها حصباء وقيل ملكا رماهم بها وهم
قوم لوط ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم من اغرقنا
كقوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم فان ذلك محال من جهته تعالى ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بالاستمرار على ما يوجب ذلك من انواع الكفر والمعاصي مثل الذين اتخذوا من دون الله
فيما اتخذوه معتمدا ومتكلا كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما نسجته في الوهن والخور بل ذلك اوهن من هذا
لان له حقيقة وانتفاعا في الجملة او مثلهم بالاضافة الى الموحد كمثله بالاضافة الى رجل بنى بيتا من
حجر وجص والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغالب في الاستعمال التانيث
وتاؤه كتاء طاغوت ويجمع على عناكب وعنكبوتات فاما العكاب والعكب والاعكب فاسماء الجمع
وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت حيث لا ترى شيئا يدانيه في الوهن والوهي لو كانوا يعلمون
اي شيئا من الاشياء لعلموا ان هذا مثلهم وان دينهم اوهى من ذلك ويجوز ان يجعل بيت العنكبوت
عبارة عن دينهم تحقيقا للتمثيل فالمعنى وان اوهن ما يعتمد به في الدين دينهم ان الله يعلم ما يدعون
من دونه من شيء على اضمار القول اي قل للكفرة ان الله الخ وما استفهامية منصوبة بيدعون
معلقة ليعلم وما بعدها ومن مزيدة وشيء مفعول يدعون او عايدة المحذوف وقرئ
تدعون بالتاء والكلام على الاول تجهيل لهم وتاكيد للمثل وعلى الاخرين وعيد لهم وهو العزيز
الحكيم تعليل على المعنيين فان اشراك ما لا يعد شيئا من هذا شانه من فرط الغباوة والجهل
بالنسبة الى القادر القاهر على كل شيء البالغ في العلم واتقان الفعل الغاية القاصية كالمعدوم
البحت وان من هذا صفاته قادر على مجازاتهم وتلك الامثال اي هذا المثل وامثاله نضربها للناس
تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها على ما هو عليه من الحسن واستتباع الفوائد الا العالمون
الراسخون في العلم المتدبرون في الاشياء على ما ينبغي وعنه صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه فقال
العالم من عقل عن الله تعالى فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق
اي محقا مراعيا للحكم والمصالح على انه حال من فاعل خلق او ملتبسة بالحق الذي لا محيد عنه
مستتبعة للمنافع الدينية والدنيوية على انه حال من مفعوله فانها مع اشتمالها على جميع ما يتعلق به
معاشهم شواهد دالة على شؤونه تعالى المتعلقة بذاته وصفاته كما يفصح عنه قوله تعالى ان في ذلك
لاية للمؤمنين دالة على ما ذكر من شؤونه سبحانه وتخصيص المؤمنين بالذكر مع عموم الهداية والارشاد
في خلقهما للكل لانهم المنتفعون بذلك اتل ما اوحي اليك من الكتاب تقربا الى الله تعالى بقراءته

وتذكيرا لما فى تضاعيفه من المعانى وتذكيرا للناس وحملا لهم على العمل بما فيه من الاحكام ومحاسن الاداب
ومكارم الاخلاق واقم الصلاة اى دم على اقامتها وحيث كانت الصلاة منتظمة للصلوات المكتوبة
المؤداة بالجماعة وكان امره صلى الله عليه وسلم باقامتها متضمنا لامر الامة بها علل بقوله تعالى
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كانه قيل وصل بهم ان الصلاة تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ومعنى نهيها
عنهما انها سبب للانتهاء عنهما لانها مناجاة لله تعالى فلا بد ان تكون مع اقبال تام على طاعته واعراض
عن كل معاصيه عن ابن مسعود وابن عباس رضى الله تعالى عنهم فى الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصى الله
تعالى ومن لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله تعالى الا بعدا وقال
الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وروى انس رضى الله تعالى عنه
ان فتى من الانصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه
فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وحسن حاله
ولذكر الله اكبر اى وللصلاة اكبر من سائر الطاعات وانما عبر عنها به كما فى قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله
للايذان بان ما فيها من ذكره تعالى هو العمدة فى كونها مفضلة على الحسنات الناهية عن السيئات ولذكر
الله تعالى عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما اكبر فى الزجر عنهما وقيل ولذكر الله
اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون منه ومن سائر الطاعات فيجازيكم بها
احسن المجازاة ولا تجادلوا اهل الكتاب من اليهود والنصارى الا بالتى هى احسن اى بالخصلة التى
هى احسن كمقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والمشاغبة بالنصح والمشورة على وجه لا يؤدى الى
الضعف ولا يؤدى الى اعطاء الدنية وقيل منسوخ باية السيف الا الذين ظلموا منهم بالافراط فى الاعتداء
والعناد او باثبات الولد وقولهم يد الله مغلولة ونحو ذلك فانه يجب حينئذ المدافعة بما يليق بحالهم
وقولوا امنا بالذى انزل الينا من القران وانزل اليكم اى وبالذى انزل اليكم من التوراة والانجيل
وقد مر تحقيق كيفية الايمان بهما فى خاتمة سورة البقرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل
الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم
تكذبوهم والهنا والهكم واحد لا شريك له فى الالوهية ونحن له مسلمون مطيعون خاصة وفيه تعريض
بحال الفريقين حيث اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وكذلك تجريد الخطاب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى مصدر الفعل الذى بعده وما فيه من معنى البعد للايذان
ببعد منزلة المشار اليه فى الفضل اى مثل ذلك الانزال البديع الموافق لانزال سائر الكتب انزلنا
اليك الكتاب اى القران الذى من جملته هذه الاية الناطقة بما ذكر من المجادلة بالحسنى فالذين اتيناهم
الكتاب من الطائفتين يؤمنون به اريد بهم عبد الله بن سلام واضرابه من اهل الكتابين خاصة كأن من
عداهم لم يؤتوا الكتاب حيث لم يعملوا بما فيه او من تقدم عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كانوا
مصدقين بنزوله حسبما شاهدوا فى كتابيهما وتخصيصهم بايتاء الكتاب للايذان بان من بعدهم من معاصرى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزع عنهم الكتاب بالنسخ فلم يؤتوه والفاء لترتيب ما بعدها على ما
قبلها فان ايمانهم به مترتب على انزاله على الوجه المذكور ومن هؤلاء اى من العرب او من اهل مكة على
الاول او ممن فى عصره صلى الله عليه وسلم على الثانى من يؤمن به اى بالقران وما يجحد باياتنا عبر عن الايات
بالكتاب للتنبيه على ظهور دلالتها على معانيها وعلى كونها من عند الله تعالى واضيفت الى نون العظمة
لمزيد تفخيمها وغاية تشنيع من يجحد بها الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المصممون عليه فان ذلك يصدهم
عن التامل فيما يؤديهم الى معرفة حقيتها وقيل هم كعب بن الاشرف واضرابه وما كنت تتلو من قبله اى
ما كنت قبل انزالنا اليك تقدر على ان تتلو شيئا من كتاب ولا تخطه لا تقدر على ان تخطه بيمينك
حسبما هو المعتاد او ما كانت عادتك ان تتلوه ولا ان تخطه اذا لارتاب المبطلون اى لو كنت ممن يقدر
على التلاوة والخط او ممن يعتاده لارتابوا وقالوا لعله التقطه من كتب الاوائل وحيث لم تكن
كذلك لم يبق فى شانك منشا ريب اصلا وتسميتهم مبطلين فى ارتيابهم للاحتمال المذكور مع ظهور
نزاهته عليه السلام عن ذلك بل هو اى القران ايات بينات واضحات ثابتة راسخة فى صدور الذين اوتوا
العلم من غير ان يلتقط من كتاب يحفظونه بحيث لا يقدر احد على تحريفه وما يجحد باياتنا مع كونها كذلك
الا الظالمون المتجاوزون للحدود فى الشر والمكابرة والفساد وقالوا لولا انزل عليه ايات من ربه
مثل ناقة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام وقرئ اية قل انما الايات عند الله ينزلها
حيث ما يشاء من غير دخل لاحد فى ذلك قطعا وانما انا نذير مبين ليس من شانى الا الانذار بما اعطيت
من الايات او لم يكفهم كلام مستانف وارد من جهته تعالى ردا على اقتراحهم وبيانا لبطلانه والهمزة

للانكار

للانكار والنفى والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى اقصر ولم يكفهم اية مغنية عن سائر الايات
انا انزلنا عليك الكتاب الناطق بالحق المصدق لما بين يديه من الكتب السماوية وانت بمعزل من
مدارستها وممارستها يتلى عليهم فى كل زمان ومكان فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل
كما تزول كل اية بعد كونها وتكون فى مكان دون مكان او يتلى على اليهود بتحقيق ما فى ايديهم من نعتك
ونعت دينك ان فى ذلك الكتاب العظيم الشان الباقى على مر الدهور لرحمة اى لنعمة عظيمة وذكرى
اى تذكرة لقوم يؤمنون اى لقوم همهم الايمان لا التعنت كاولئك المقترحين وقيل ان ناسا من
المؤمنين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف فيها بعض ما يقول اليهود فقال كفى بها ضلالة
قوم ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا بما صدر عنى
وعنكم يعلم ما فى السموات والارض اى من الامور التى من جملتها شانى وشانكم فهو تقرير لما قبله
من كفايته تعالى شهيدا والذين امنوا بالباطل وهو ما يعبد من دون الله سبحانه وكفروا بالله مع تعاضد
موجبات الايمان به تعالى اولئك هم الخاسرون المغبونون فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان بان
ضيعوا الفطرة الاصلية والادلة السمعية الموجبة للايمان والاية من قبيل المجادلة التى هى احسن لم
يصرح بنسبة الايمان بالباطل والكفر بالله والخسران اليهم بل ذكر على منهاج الاسلام على قوله تعالى
وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ويستعجلونك بالعذاب على طريقة الاستهزاء بقولهم متى هذا الوعد
وقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم ونحو ذلك ولولا اجل مسمى قد ضربه الله
تعالى لعذابهم وبينه فى اللوح لعذاب الاستئصال وان يؤخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر
وقيل وقت فنائهم باجالهم وفيه بعد ظاهر لانهم ما كانوا يوعدون بفنائهم الطبيعى ولا كانوا يستعجلون
به لجاءهم العذاب جملة مستانفة مبينة لما اشير اليه فى الجملة السابقة من مجىء العذاب عند حلول الاجل
اى وبالله لياتينهم وليأتينهم الذى عين لهم عند حلول الاجل بغتة اى فجاة وهم لا يشعرون اى باتيانه
ولعل المراد باتيانه كذلك انه لا ياتيهم بطريق التعجيل عند استعجالهم والاجابة الى مسؤولهم فان ذلك
اتيان برايهم وشعورهم لا انه لا ياتيهم وهم غارون امنون لا يخطرونه بالبال كدأب بعض العقوبات النازلة
على بعض الامم بياتا وهم نائمون او ضحى وهم يلعبون لما ان اتيان عذاب الاخرة وعذاب يوم بدر ليس
من هذا القبيل يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين استئناف مسوق لغاية تجهيلهم
وركاكة رايهم وفيه دليل على ان ما استعجلوه عذاب الاخرة اى يستعجلونك بالعذاب والحال ان محل
العذاب الذى لا عذاب فوقه محيط بهم كانه قيل يستعجلونك بالعذاب ان لمحيط بهم اى سيحيط بهم وانما
بالجملة الاسمية دلالة على تحقق الاحاطة واستمرارها وتنزيلا لحال السبب منزلة حال المسبب فان
الكفر والمعاصى الموجبة لدخول جهنم محيطة بهم وقيل ان الكفر والمعاصى الموجبة لدخول جهنم محيطة
بهم وقيل ان الكفر والمعاصى هى النار فى الحقيقة ظهرت فى هذه النشاة بهذه الصورة وقد مر تفصيله
فى سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق واللام فى الكافرين اما للعهد ووضع الظاهر موضع
المضمر اما للاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا يوم يغشاهم العذاب ظرف لمضمر
قد طوى ذكره ايذانا بغاية كثرته وفظاعته كانه قيل يوم يغشاهم العذاب الذى اشير اليه باحاطة جهنم
بهم يكون من الاحوال والاهوال ما لا يفى به المقال وقيل ظرف للاحاطة من فوقهم ومن تحت ارجلهم
اى من جميع جهاتهم ويقول اى الله عز وجل ويعضده القراءة بنون العظمة او بعض ملائكته بامره ذوقوا ما كنتم
تعملون اى جزاء ما كنتم تعملونه فى الدنيا على الاستمرار من السيئات التى من جملتها الاستعجال بالعذاب
يا عبادى الذين امنوا خطاب تشريف لبعض المؤمنين الذين لا يتمكنون من اقامة امور الدين كما ينبغى
لممانعة من جهة الكفرة وارشاد الى الطريق الاسلم ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون اى اذا لم تتسهل
العبادة فى بلد ولم يتيسر لكم اظهار دينكم فهاجروا الى حيث يتمشى لكم ذلك وعنه صلى الله عليه وسلم من
فر بدينه من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام
والفاء جواب شرط محذوف اذ المعنى ان ارضى واسعة ان لم تخلصوا العبادة لى فى ارض فاخلصوها فى غيرها
ثم حذف الشرط وعوض عنه تقديم المفعول مع افادة تقديمه معنى الاختصاص والاخلاص كل نفس
ذائقة الموت ثم الينا ترجعون جملة مستانفة جىء بها حثا على المسارعة فى الامتثال بالامر اى كل نفس من
النفوس واجدة مرارة الموت وكربه فراجعة الى حكمنا وجزائنا بحسب اعمالها فمن كانت هذه عاقبته
فليس له بد من التزود والاستعداد لها وقرئ يرجعون والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم
لننزلنهم من الجنة غرفا اى علالى وهو مفعول ثان للتبوئة وقرئ لنثوينهم من الثواء بمعنى الاقامة
وانتصاب غرفا حينئذ اما باجرائه مجرى لننزلنهم او بنزع الخافض او بتشبيه الظرف الموقت

بالمهم كما في قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم تجري من تحتها الانهار صفة لغرفا خالدين فيها اي
في الغرف او في الجنة نعم اجر العاملين اي الاعمال الصالحة والمخصوص بالمدح محذوف ثقة بدلالة ما قبله
عليه وقرئ فنعم الذين صبروا اما صفة للعاملين او نصب على المدح اي صبروا على اذية المشركين وشدايد
المهاجرة وغير ذلك من المحن والمشاق وعلى ربهم يتوكلون ولم يتوكلوا فيما ياتون ويذرون الا على الله تعالى
وكاين من دابة لا تحمل رزقها روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المؤمنين الذين كانوا بمكة بالمهاجرة
الى المدينة قالوا كيف نقدم بلدة ليس لنا فيها معيشة فنزلت اي وكم من دابة لا تطيق حمل رزقها
لضعفها ولا تدخر انما تصبح ولا معيشة عندها الله يرزقها واياكم ثم انها مع ضعفها وتوكلها
واياكم مع قوتكم واجتهادكم سواء في انه لا يرزقها واياكم الا الله تعالى لان الرزق لا يحصل الا باسباب هو
المسبب لها وحده فلا تخافوا الفقر بالمهاجرة وهو السميع المبالغ في السمع فيسمع قولكم هذا العليم
المبالغ في العلم فيعلم ضمايركم ولئن سألتهم اهل مكة من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر
ليقولن الله اذ لا سبيل لهم الى انكاره ولا الى التسوية فيه فانى يؤفكون انكار واستبعاد من جهته
تعالى لتركهم العمل بموجبه اي فكيف يصرفون عن الاقرار بتفرده تعالى في الالهية مع اقرارهم
بتفرده تعالى فيما ذكر من الخلق والتسخير الله يبسط الرزق لمن يشاء اي يبسط له من عباده ويقدر له
اي يقدر لمن يشاء ان يقدر له منهم كاينا من كان على ان الضمير منهم حسب ابهام مرجعه او يقدر لمن
يبسط له على التعاقب ان الله بكل شيء عليم فيعلم من يليق ببسط الرزق فيبسط ومن يليق بقدره له
او فيعلم ان كلا من البسط والقدر في اي وقت يوافق الحكمة والمصلحة فيفعل كلا منهما في وقته ولئن
سألتهم من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله معترفين بانه الموجد للممكنات
باسرها اصولها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يكاد يتوهم منه القدرة على اي شيء
ما اصلا قل الحمد لله على ان جعل الحق بحيث لا يجترئ المبطلون على جحوده وان اظهر حجتك عليهم وقيل على ان
عصمك من امثال هذه الضلالات ولا يخفى بعده بل اكثرهم لا يعقلون اي شيئا من الاشياء فلذلك لا يعملون
بمقتضى قولهم هذا فيشركون به سبحانه اخس مخلوقاته فقيل لا يعقلون من تريد بتحميدك عند مقالهم
هذا وما الحياة الدنيا اشارة تحقير وازدراء للدنيا وكيف لا وقد قال صلى الله عليه وسلم لو
كانت الدنيا تزن جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء الا لهو ولعب الا كما يلهو ويلعب
به الصبيان يجتمعون عليه ويتهجون به ساعة ثم يتفرقون عنه وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي لهي دار
الحياة الحقيقية لامتناع طريان الموت والفناء عليها او هي في ذاتها حياة للمبالغة والحيوان مصدر حي سمي به
ذو الحياة واصله حييان فقلبت الياء الثانية واوا وفي بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب اللازم
للحيوان ولذلك اختير على الحياة في هذا المقام المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون اي لما اثروا عليها الدنيا
التي اصلها عدم الحياة ثم ما يحدث فيها من الحياة عارضة سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال فاذا ركبوا
في الفلك متصل بما دل عليه شرح حالهم والركوب هو الاستعلاء على الشيء المتحرك وهو متعد بنفسه
كما في قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها واستعماله هاهنا وفي امثاله بكلمة في للايذان بان المركوب
في نفسه من قبيل الامكنة وحركته قسرية غير ارادية كما مر في سورة هود والمعنى انهم على ما وصفوا من الاشراك
واذا ركبوا في البحر ولقوا شدة دعوا الله مخلصين له الدين اي كاينين على صورة المخلصين لدينهم من المؤمنين
حيث لا يدعون غير الله تعالى لعلمهم بانه لا يكشف الشدايد عنهم الا هو فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون
اي فاجؤا المعاودة الى الشرك ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا اي يفاجؤون الاشراك ليكونوا كافرين
بما اتيناهم من نعمة الانجاء التي حقها ان يشكروها فسوف يعلمون اي عاقبة ذلك وغايلته حين يرون العذاب
اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا انا جعلنا اي بلدهم حرما امنا مصونا عن النهب والتعدي سالما
اهله من كل سوء ويتخطف الناس من حولهم اي والحال انهم يختلسون من حولهم قتلا وسبيا اذ كانت العرب
حوله في تغاور وتناهب افبالباطل يؤمنون اي ابعد ظهور الحق الذي لا ريب فيه بالباطل خاصة يؤمنون
دون الحق وبنعمة الله يكفرون وهي المستوجبة للشكر حيث يشركون به غيره وتقديم الصلة في الموضعين
لاظهار كمال شناعة ما فعلوه ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان زعم بان له شريكا اي هو اظلم من كل
ظالم وان كان سبك النظم دالا على نفي الاظلم من غير تعرض لنفي المساوي وقد مر مرارا او كذب بالحق لما
جاءه اي بالرسول او بالقرآن وفي لما تسفيه لهم بان لم يتوقفوا ولم يتاملوا حين جاءهم بل سارعوا الى التكذيب
اثر ذي اثير اليس في جهنم مثوى للكافرين تقرير لثوائهم فيها كقول من قال الستم خير من ركب المطايا
اي الا يستوجبون الثواء فيها وقد فعلوا ما فعلوا من الافتراء على الله تعالى والتكذيب بالحق الصريح
وانكار واستبعاد لاجترائهم على ما ذكر من الافتراء والتكذيب مع علمهم بحال الكفرة اي الم يعلموا

ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا هذه الجراءة والذين جاهدوا فينا اي في شأننا ولوجهنا خالصا م
اطلق المجاهدة ليعم جهاد الاعادي الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا سبل السير الينا والوصول
الى جنابنا ولنزيدنهم هداية الى سبيل الخير وتوفيقا لسلوكها لقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى
وفي الحديث من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين معية النصرة والمعونة وعنه صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين والله اعلم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الم الكلام فيه كما للذي مر في امثاله من الفواتح الكريمة غلبت الروم
في ادنى الارض اي ادنى ارض العرب منهم اذ هي الارض المعهودة عندهم وهي اطراف الشام او في ادنى ارضهم
من العرب على ان اللام عوض عن المضاف اليه قال مجاهد هي ارض الجزيرة وهي ادنى ارض الروم الى فارس
وعن ابن عباس الاردن وفلسطين وقرئ في ادانى وهم اي الروم من بعد غلبهم اي من بعد مغلوبيتهم وقرئ
بسكون اللام وهي لغة كالجلب والجلب سيغلبون اي سيغلبون فارس في بضع سنين في بضع سنين روي
ان فارس غزوا الروم فوافوهم باذرعات وبصرى وقيل بالجزيرة كما مر فغلبوا عليهم وبلغ الخبر مكة
ففرح المشركون وشمتوا بالمسلمين وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر
اخواننا على اخوانكم فلنظهرن عليكم فقال ابو بكر رضي الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن
الروم على فارس بعد بضع سنين فقال له ابي بن خلف اللعين كذبت اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه فناحبه
على عشر قلائص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلاث سنين فاخبر به ابو بكر رضي الله عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في
الاجل فجعلاها ماية قلوص الى تسع سنين ومات ابي بن خلف من جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم
وظهرت الروم على فارس عند راس سبع سنين وذلك يوم الحديبية وقيل كان يوم بدر للفريقين
واخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي فجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق به وكان ذلك
قبل تحريم القمار وهذه الاية من البينات الباهرة الشاهدة بصحة النبوة وكون القرآن من عند الله
عز وجل حيث اخبرت عن الغيب الذي لا يعلمه الا العليم الخبير وقرئ غلبت على البناء للفاعل وسيغلبون
على البناء للمفعول والمعنى ان الروم غلبت في ريف الشام وسيغلبهم المسلمون وقد غزاهم المسلمون في
السنة التاسعة من نزولها ففتحوا بعض بلادهم فاضافة الغلب حينئذ الى الفاعل لله الامر من قبل
ومن بعد اي في اول الوقتين وفي اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين وهو
وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين والمعنى ان كلا من كونهم
مغلوبين اولا وغالبين اخرا ليس الا بامر الله تعالى وقضايه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرئ
من قبل ومن بعد بالجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا واخرا
ويومئذ اي يوم اذ يغلب الروم على فارس ويحل ما وعد الله تعالى من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله
وتغليبه من له كتاب على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكة وكون ذلك من دلايل غلبة
المؤمنين فيما اخبروا به المشركين من غلبة الروم على فارس وقيل بنصره تعالى انه ولى بعض الظالمين بعضا
وفرق بين كلمتهم حتى تناقصوا وتعاونوا وحل كل منهما شوكة الاخر وفي ذلك قوة وعن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه انه وافق ذلك يوم بدر وفيه من نصر الله العزيز للمؤمنين وفرحهم ما لا يخفى والاول
هو الانسب لقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد ينصر من يشاء وهو العزيز المبالغ في العزة والغلبة
فلا يعجزه من يشاء ان ينصر عليه كائنا من كان الرحيم المبالغ في الرحمة فينصر من يشاء وان ينصره اي فريق
كان والمراد بالرحمة هي الدنيوية اما على القراءة المشهورة فظاهر لما ان كلا الفريقين لا يستحق الرحمة
الدنيوية والتقديم وصف العزة لتقدمه في الاعتبار وعد الله مصدر موكد لنفسه لان ما قبله
في معنى الوعد كانه وعد الله وعدا لا يخلف الله وعده اي وعد كان مما يتعلق بالدنيا والاخرة لاستحالة
الكذب عليه سبحانه واظهار الاسم في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتفخيمه والجملة استيناف مقرر
لمعنى المصدر وقد جوز ان يكون حالا منه فيكون كالمصدر الموصوف كانه قيل وعد الله وعدا غير
مخلف ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ما سبق من شئونه تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهو ما
يشاهدونه من زخارفها وملاذها وساير احوالها الموافقة لشهواتهم الملائمة لاهوائهم المستدعية
لانهماكهم فيها وعكوفهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها وساير احوالها الموافقة لشهواتهم

الملكة لا هوائهم المستدعية لانهماكهم فيها وعلوقهم عليها لا تمتعهم بزخارفها وتنعمهم بملاذها
كما قيل فانهما عما علموه منها بل من افعالهم المترتبة على علومهم وتنكير ظاهرا للتحقير والتخسيس دون
الوحدة كما توهم اي يعلمون ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا وهم عن الاخرة التي هي الغاية القصوى
والمطلب الاسنى هم غافلون لا يخطرونها بالبال ولا يدركون من الدنيا ما يؤدي الى معرفتها من احوالها
ولا به يتفكرون فيها كما سياتي والجملة معطوفة على ما يعلمون وايرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم
ودوامها وهم الثانية تكرير للاولى او مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر للاولى وهو على الوجهين مناد على تمكن
غفلتهم من الاخرة المحققة المقتضي للجملة المتقدمة تقريرا لجهالتهم وتشبيها بالبهائم المقصور ادراكها
من الدنيا على ظواهرها الحسية دون احوالها التي هي من مبادي العلم بامور الاخرة والواو للعطف
على مقدر يقتضيه المقام وقوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم ظرف للتفكر وذكره مع ظهور استحالة
كونه في غيرها لظهور تحقيقا امره وتصوير حال المتفكر وقوله تعالى ما خلق الله السموات والارض وما بينهما
الا بالحق متعلق بالعلم الذي يؤدي اليه التفكر ويدل عليه بالقول الذي يترتب عليه كما في قوله تعالى
ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا اي اعلموا ظاهر الحياة الدنيا فقط اي
قصروا النظر عليه فلم يحدثوا التفكر في قلوبهم فيعلموا انه تعالى ما خلقهما وما بينهما من المخلوقات التي
هم من جملتها ملتبسة بشيء من الاشياء الا ملتبسة بالحق ويقولوا هذا القول معترفين بمضمونه اثر ما
علموه والمراد بالحق هو الثابت الذي يحق ان يثبت لا محالة لابتنائه على الحكمة البالغة والغرض الصحيح
الذي استشهاد المكلفين بذواتها وصفاتها واحوالها المتغيرة على وجود صانعها عز وجل ووحدته
وعلمه وقدرته وحكمته واختصاصه بالمعبودية وصحة اخباره التي من جملتها احياؤهم بعد الفنا
بالحياة الابدية ومجازاتهم وحسب اعمالهم غب ما تبين المحسن من المسيء وامتازت درجات افراد
كل من الفريقين حسب امتياز طبقات علومهم واعتقاداتهم المترتبة على انظارهم فيما نصب في
الموضوعات من الدلائل والامارات والمخايل كما نطق به قوله تعالى وهو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وان العمل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره
صلى الله عليه وسلم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وقد مر تحقيقه
في اوائل سورة هود عليه السلام وقوله تعالى واجل مسمى عطف على الحق اي وباجل معين قدره الله
تعالى لبقائها لا بد لها من ان تنتهي اليه لا محالة وهو وقت قيام الساعة وقد جوز ان يكون قوله تعالى
في انفسهم صلة للتفكر على معنى اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب المخلوقات اليهم وهم اعلم بشؤونها
واخبر باحوالها منهم باحوال ما عداها فيتدبروا ما اودعها الله تعالى ظاهرا وباطنا من غرائب الحكم
الدالة على التدبير دون الاهمال فانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها الحكيم الذي دبر امورها
على الاحسان احسانا وعلى الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها
جار على الحكمة والتدبير وانه لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت وانت خبير بان امر معاد الانسان
ومجازاته بما عمل من الاساءة والاحسان هو المقصود بالذات والمحتاج الى الاثبات فجعله ذريعة الى
اثبات معاد ما عداه مع كونه بمعزل من الجزاء تعكيس للامر فتدبر وقوله تعالى وان كثيرا من الناس بلقاء
ربهم لكافرون تذييل مقرر لما قبله ببيان اكثرهم غير مقتصرين على ما ذكر من الغفلة عن الاحوال الاخرة
والاعراض عن التفكر فيما يرشدهم الى معرفتها من خلق السموات والارض وما بينهما من المصنوعات
بل هم منكرون جاحدون بلقاء حسابه تعالى وجزائه بالبعث اولم يسيروا توبيخ لهم بعدم اتعاظهم
بمشاهدة باحوال امثالهم الدالة على عاقبتهم ومآلهم والهمزة والتقدير المنفي والواو للعطف على
مقدر يقتضيه المقام اي اقعدوا في اماكنهم ولم يسيروا في الارض وقوله تعالى فينظروا عطف على
يسيروا داخل في حكم التقرير والتوبيخ والمعنى انهم قد ساروا في اقطار الارض وشاهدوا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة كعاد وثمود وقوله تعالى كانوا اشد منهم قوة الخ بيان
لمبدأ احوالهم ومآلها يعني كانوا اقدر منهم على التمتع بالحياة الدنيا حيث كانوا اشد منهم قوة
واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة والحرث وقيل لاستنباط المياه واستخراج المعادن وغير ذلك
وعمروها اي عمروها اولئك بفنون العمارات من الزراعة والغرس والبنا وغيرها
مما يعد عمارة لها اكثر مما عمروها اي عمارة اكثر كما وكيفا وزمانا من عمارة هؤلاء اياها كيف
لا وهم اهل واد غير ذي زرع لا تبسط لهم في غيره وفيه تهكم بهم حيث كانوا مغترين بالدنيا مفتخرين
بمتاعها مع ضعف حالهم وضيق عطنهم اذ مدار امرها على التبسط في البلاد والتسلط على العباد
والتقلب في اكناف الارض باصناف التصرفات وهم ضعفة ملجاؤون الى واد لا نفع فيه يخافون

ان يتخطفهم الناس وجاءتهم رسلهم بالبينات بالمعجزات والايات الواضحة فما كان الله ليظلمهم اي
فكذبوهم فاهلكهم الله فما كان الله تعالى ليهلكهم من غير جرم يستدعيه من قبلهم والتعبير عن ذلك
بالظلم مع ان اهلاكه تعالى اياهم بلا جرم ليس من الظلم في شيء على ما تقرر من قبلهم والتعبير عن ذلك
بقاعدة اهل السنة لاظهار كمال نزاهته تعالى عن ذلك بابرازه في معرض ما يستحيل صدوره عنه تعالى
وقد مر في سورة الانفال وسورة ال عمران ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان اجترؤا على اقتراف ما
يوجبه من المعاصي العظيمة ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوءى اي عملوا السيئات ووضع الموصول موضع
ضميرهم للتسجيل عليهم بالاساءة والاشعار بعلة الحكم والسوءى اي العقوبة التي هي اسوأ العقوبات
وافظعها التي هي العقوبة بالنار فانها تانيث الاسوأ كالحسنى تانيث الاحسن او مصدر كالبشرى
ووصف به العقوبة مبالغة كانها نفس السوء وهي مرفوعة على انها اسم كان وخبرها عاقبته
وقرئ على العكس وهو ادخل في الجزالة وقوله تعالى ان كذبوا بايات الله
علة لما اشير اليه من تعذيبهم الدنيوي والاخروي اي بان كذبوا او لان كذبوا بايات الله المنزلة
على رسوله عليهم السلام ومعجزاته الظاهرة على ايديهم وقوله تعالى وكانوا بها يستهزؤن
عطف على كذبوا داخل معه في حكم العلية وايراد الاستهزاء بصيغة المضارع للدلالة على استمراره
وتجدده وهذا هو اللائق بجزالة النظم الكريم وقد قيل وقيل الله يبدأ الخلق اي ينشئهم ثم
يعيده بعد الموت بالبعث ثم اليه ترجعون اي موقف الحساب والجزاء والالتفات للمبالغة في
الترهيب وقرئ بالياء ويوم تقوم الساعة التي هي وقت اعادة الخلق ورجعهم اليه يبلس المجرمون
اي يسكتون متحيرين لا ينبسون يقال ناظرته فابلس اذا سكت وايس من ان يحتج وقرئ بفتح
اللام من ابلسه اذا افحمه فاسكته ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء يجيرونهم من عذاب الله تعالى
كما كانوا يزعمونه وصيغة الجمع لوقوعها في مقابلة الجمع اي لم يكن لواحد منهم شفيع اصلا وكانوا
بشركائهم كافرين بشيبهم وليس بذلك اذ ليس في الاخبار به فائدة يعتد بها ويوم تقوم الساعة
اعيد تهويله وتفظيع ما يقع فيه وقوله تعالى يومئذ يتفرقون تهويل وفيه رمز الى ان التفرق يقع
في بعض منه وضمير يتفرقون لجميع الخلق المدلول عليهم بما تقدم من بدئهم واعادتهم ورجعهم لا المجرمون
خاصة وليس المراد بتفرقهم افتراق كل فرد منهم عن الاخر بل تفرقهم الى فريقي المؤمنين والكافرين
كما في قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وذلك بعد تمام الحساب وقوله تعالى فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون تفصيل وبيان لاحوال ذينك الفريقين والروضة كل
ارض ذات نبات وماء ورونق ونضارة وتنكيرها للتفخيم والمراد بها الجنة والحبور السرور يقال
حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلف فيه الاقاويل
لاحتماله الوجوه جميع الملاذ فعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومجاهد يكرمون وعن قتادة ينعمون
وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وعن وكيع السماع في الجنة وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخريات القوم اعرابي فقال يا رسول الله
هل في الجنة سماع فقال صلى الله عليه وسلم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل خوصانية
يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها فذلك افضل نعيم الجنة وقال الراوي فسألت ابا الدردا
رضي الله تعالى عنه بما يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة اشجارا عليها اجراس من فضة فاذا
اراد اهل الجنة السماع بعث الله تعالى ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاشجار فتحرك تلك
الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا التي
من جملتها هذه الايات الناطقة بما فصل ولقاء الاخرة صرح بذلك مع اندراجه في تكذيب الايات
للاعتناء بامره وقوله تعالى فاولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة من الكفر
والتكذيب باياته تعالى وبلقاء الاخرة للايذان بكمال تميزهم بذلك عن غيرهم وانتظامهم في سلك
المشاهدات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لبعد منزلتهم في الشر اولئك
الموصوفون بما فصل من القبائح في العذاب محضرون على الدوام لا يغيبون عنه ابدا فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون اثر ما بين حال الفريقين
المؤمنين العاملين للصالحات والكافرين المكذبين بالايات وما لهما من الثواب والعذاب امر بما
ينجي من الثاني ويفضي الى الاول من تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق بشأنه سبحانه ومن حمده تعالى
على نعمه العظام وتقديم الاول على الثاني لما ان التخلية متقدمة على التحلية والفاء لترتيب ما بعدها
على ما قبلها اي اذا علمتم ذلك فسبحوا الله تعالى اي نزهوه عما ذكر سبحانه اي تسبيحه اللائق في هذه

الاوقات واحمدوه فان الاخبار بثبوت الحمد له تعالى ووجوبه على المميزين من اهل السموات والارض
في معنى الامر به على ابلغ وجه واكده وتوسيط بين اوقات التسبيح للاعتنا بشانه والاشعار
بان حقهما ان يجمع بينهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وقوله تعالى فسبح بحمد ربك
وقوله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان من قال حين يصبح
وحين يمسي سبحانه وبحمده مائة مرة لم يأت احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال
مثل ما قال او زاد عليه قوله صلى الله عليه وسلم كلمتان حقيقتان على اللسان ثقيلتان في
الميزان سبحان الله بحمده سبحان الله العظيم وغير ذلك مما لا يحصى من الايات والاحاديث وتخصيصها
بتلك الاوقات للدلالة على ان ما يحدث فيها من ايات قدرته تعالى واحكام رحمته ونعمته
وشواهد ناطقة بتنزهه تعالى واستحقاقه الحمد موجبة لتسبيحه وتحميده حتما وقوله تعالى
وعشيا عطف على حين تمسون وتقديمه على حين تظهرون لمراعاة الفواصل وتغيير الاسلوب
لما انه لا يجي منه الفعل بمعنى الدخول في العشي كالمسا والصباح والظهيرة ولعل السر في ذلك
انه ليس من الاوقات التي يختلف فيه احوال الناس تغيرا ظاهرا مصححا لوصفهم بالخروج
عما قبلها والدخول فيها كالاوقات المذكورة فان كلا منها وقت يتغير فيه الاحوال تغيرا
ظاهرا اما في المسا والصباح فظاهر واما في الظهيرة فلانها وقت يعتاد فيه التجرد عن الثياب
للقيلولة كما مر في سورة النور وقيل المراد بالتسبيح والحمد الصلاة لاشتمالها عليهما وقد
روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الاية جامعة للصلوات الخمس تمسون صلاة المغرب
والعشا وتصبحون صلاة الفجر وعشيا صلاة العصر وتظهرون صلاة الظهر ولذلك ذهب الحسن
رضي الله عنه الى انها مدنية لانه كان يقول ان الواجب بمكة ركعتان في اي وقت اتفقتا وانما فرضت
الخمس بالمدينة والجمهور على انها فرضت بمكة وهو الحق لحديث [illegible] وفي اخره في خمس
صلوات في كل يوم وليلة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى
فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح
فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون اي تمسون فيه وتصبحون فيه يخرج الحي من الميت كالانسان
من النطفة والطير من البيضة ويخرج الميت من الحي النطفة والبيضة من الحيوان ويحيي الارض
بالنبات بعد موتها يبسها وكذلك مثل ذلك الاخراج تخرجون من قبوركم وقرئ تخرجون
بفتح التا او ضم بما سبق قال دلالة بدء خلقه على اعادتهم اظهر من دلالة اخراج الحي من الميت واخراج
الميت من الحي ومن اياته ومن دلالة احيا الارض بعد موتها ان خلقكم اي في ضمن خلق ادم عليه
السلام لما مر مرارا من ان خلقه عليه السلام منطو على خلق ذرياته انطوا اجماليا من تراب لم يشم
رايحة الحياة قط ولا مناسبة بينه وبين ما انتم عليه في صفاتكم وذاتكم ثم اذا انتم بشر تنتشرون
اي فاجاتم بعد ذلك وقت كونكم بشرا تنتشرون في الارض وهذا مجمل ما فصل في قوله تعالى يا ايها
الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة الاية ومن اياته الدالة
على ما ذكر من البعث وما بعده من الجزاء ان خلق لكم اي لاجلكم من انفسكم ازواجا فان خلق اصل
ازواجكم حوا من ضلع ادم عليه السلام متضمن لخلقهن من انفسكم على ما عرفته من التحقيق
او من جنسكم لا من جنس اخر وهو الاظهر لقوله تعالى لتسكنوا اليها اي لتالفوها وتميلوا
اليها وتطمئنوا بها فان المجانسة من دواعي التضام والتعارف كما ان المخالفة من اسباب
التفرق والتنافر وجعل بينكم اي بين الازواج اي على تغليب الرجال على النسا في الخطاب او على
حذف ظرف معطوف على الظرف المذكور اي جعل بينكم وبينهن كما مر في قوله تعالى لا نفرق بين
احد من رسله وقيل او بين افراد الجنس اي بين الرجال والنساء ويأباه قوله تعالى مودة ورحمة
فان المراد منهما ما كان منهما بعصمة الزواج قطعا اي جعل بينكم بالزواج الذي شرعه لكم توادا
وتراحما من غير ان يكون بينكم سابقة معرفة ولا رابطة مصححة للتعاطف من قرابة او رحم
وقيل المودة والرحمة من قبل الله تعالى والفرك من الشيطان وعن الحسن رحمه الله المودة
كناية عن الجماع والرحمة عن الولد كما قال تعالى ورحمة منا ان في ذلك اي فيما ذكر من خلقهم
من تراب وخلق ازواجهم من انفسهم والقي المودة والرحمة بينهم وما فيه من معنى البعد
مع قرب المشار اليه للاشعار ببعد منزلته لايات عظيمة لا يكتنه كنهها ولا يقادر قدرها
لقوم يتفكرون في تضاعيف تلك الافاعيل المبنية على الحكم البالغة والجملة تذييل مقرر لمضمون
ما قبله مع التنبيه على ان ما ذكر ليس باية فذة كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن اياته بل هي مشتملة

على

على ايات شتى ومن اياته الدالة على ما ذكر من امر البعث وما يتلوه من الجزا خلق السموات والارض
اما من حيث ان القادر على خلقهما بما فيهما من المخلوقات بلا مادة مستعدة لها اظهر قدرة على اعادة
ما كان حيا قبل ذلك اما من حيث ان خلقهما وما فيهما ليس الا لمعاش البشر ومعاده كما يفصح عنه
قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقوله تعالى هو الذي خلق السموات والارض في
ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا واختلاف السنتكم اي لغاتكم بان علم كل
صنف لغته او الهمه ووفقكم ومنعها واقدره عليها ان اجناس واشكاله فانك لا تكاد تسمع
منطقين متساويين في الكيفية من كل وجه والوانكم بياض الجلد وسواده وتوسطه فيما بينهما
وتخطيطات الاعضا وهيأتها والوانها وحلاها بحيث وقع بها التمايز بين الاشخاص حتى التوأمين
مع توافق سوادهما واصلهما والامور الملاقية لهما في التخليق يختلفان في شيء من ذلك لا محالة
وان كانا في غاية التشابه وانما نظم هذا في سلك الايات الافاقية من خلق السموات والارض
مع كونه من الايات الانفسية الحقيقة بالانتظام في سلك ما سبق في خلق انفسهم وازواجهم
للايذان باستقلاله والاحتراز عن توهم كونه من تتمات خلقهم ان في ذلك اي فيما ذكر من خلق
السموات والارض واختلاف الالسنة والالوان لايات عظيمة في نفسها كثيرة في عددها للعالمين
اي للمتصفين بالعلم كما في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون وقرئ بفتح اللام وفيه دلالة على
كمال وضوح الايات وعدم خفائها على احد من الخلق كافة ومن اياته منامكم بالليل والنهار لاستراحة
القوى النفسانية وتقوي القوة الطبيعية وابتغاؤكم من فضله فيهما فان كلا من المنام وابتغاء
الفضل يقع في الملوين وان كان الاغلب وقوع الاول في الاول والثاني في الثاني ومنامكم بالليل
وابتغاؤكم بالنهار كما هو المعتاد لساير الايات الواردة في ذلك خلا انه فصل بين الفريقين
الاولين بالقرينين الاخيرين لانهما زمانان والزمان مع ما وقع فيه كشيء واحد مع اعانة اللف
على الاتحاد ان في ذلك لايات لقوم يسمعون اي شانهم ان يسمعوا الكلام سماع تفهم واستبصار
حيث يتاملوا في تضاعيف هذا البيان ويستدلون بذلك على شؤونه تعالى ومن اياته يريكم البرق
الفعل اما مقدر بان كما في قول من قال ۰ الا ايهذا الزاجري احضر الوغا ۰ اي احضر وينزل منزلة
المصدرية كما في المثل المشهور تسمع بالمعيدي خير من ان تراه وهو على حاله صفة لمحذوف اي اية يريكم
بها البرق كقوله من قال ۰ وما الدهر الا تارتان فمنهما ۰ اموت واخرى ابتغي العيش اكدح ۰ اي فمنهما
تارة اموت فيها واخرى ابتغي فيها او ومن اياته شيء او سحاب يريكم البرق خوفا من الصاعقة للمسافر
وطمعا في الغيث او المقيم ونصبهما على العلة لفعل يستلزمه المذكور فان اراءتهم البرق مستلزمة
لرؤيتهم اياه او المذكور نفسه على تقدير مضاف نحو اراءة خوف وطمع او على تاويل الخوف والطمع
بالاخافة والاطماع كقولك فعلته رغما للشيطان او على الحال نحو كلمته شفاها وينزل من السماء ماء
وقرئ بالتخفيف فيحيي به الارض بالنبات بعد موتها يبسها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون فانها من
الظهور بحيث يكفي في ادراكها مجرد العقل عند استعماله في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ومن اياته
ان تقوم السماء والارض بامره اي بارادته تعالى بقيامهما والتعبير عنها بالامر للدلالة على كمال
القدرة والغنى من المبادي والاسباب وليس المراد بقاؤهما انشائهما لانه قد بين حاله بقوله
تعالى ومن اياته ان خلق السموات والارض ولا قيامهما بغير مقيم محسوس كما قيل فان ذلك من
تتمات انشائهما وان لم يتصرح به تعويلا على ما ذكر في غير موضع من قوله تعالى خلق السموات بغير
عمد ترونها الاية بل قيامهما واستمرارهما على ما هما عليه الى اجلهما الذي نطق به قوله تعالى فيما
قبل ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وحيث كانت هذه الاية متاخرة
عن ساير الايات المعدودة متصلة بالبعث في الوجود اخرت عنهن وجعلت متصلة به في الذكر
ايضا فقيل ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون فان كلام مسوق للاخبار بوقوع البعث
ووجوده انقضا اجل قيامهما فترتب على تعداد اياته الدالة عليه غير منتظم في سلكهما كما قيل
كانه قيل ومن اياته قيام السموات والارض على هيأتهما بامره تعالى الى اجل مسمى قدره الله
تعالى لقيامهما ثم اذا دعاكم بعد انقضا الاجل من الارض وانتم في قبوركم دعوة واحدة بان قال
ايها الموتى اخرجوا فاجاتم الخروج منها وذلك كقوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي ومن الارض
متعلق بدعاكم اذ يكفي في ذلك كون المدعو فيها يقال دعوته من اسفل الوادي فطلع الي لا بتخرجون
لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها وله خاصة من في السموات والارض من الملائكة والثقلين خلقا
وملكا وتصرفا ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه كل له قانتون اي منقادون لفعله لا

يستنعون عليه في شان من شؤونه تعالى وهو الذي اي بالاضافة الى قدرتكم والقياس على اصولكم
والا فهما عليه سواء وقيل اهون • بمعنى هين وتذكير الضمير مع رجوعه الى الاعادة لما انها مؤولة
بان يعيده وقيل هو راجع الى الخلق وليس بذاك واما ما قيل من ان الانشا بطريق التفضيل الذي
يتخير فيه الفاعل بين الفعل والترك والاعادة من قبيل الواجب الذي لا بد من فعله حتما فكان
اقرب الى الحصول من الانشا المتردد بين الحصول وعدمه فيجعل من التفضيل اذ ليس المراد بما هونه
الفعل اقربيته الى الوجود باعتبار كثرة الامور الداعية الى الفاعل الى ايجاده وقوة اقتضائها
لتعلق قدرته به بل اسهلية تأتيه وصدوره عنه بعد تعلق قدرته بوجوده وكونه واجبا لا
بالغير لا تفاوت في ذلك بين ان يكون ذلك التعلق بطريق الايجاب او بطريق الاختيار وله
المثل الاعلى اي الوصف الاعلى العجيب الشان من القدرة العامة والحكمة التامة وساير صفات
الكمال التي ليس لغيره ما يدانيها فضلا عما يساويها ومن فسره بقوله لا اله الا الله اراد به
الوصف بالوحدانية في السموات والارض متعلق بمضمون الجملة المتقدمة على انه تعالى قد
وصف وعرف فيهما على السنة الخلائق والسنة الدلايل وقيل متعلق بالاعلى
وقيل محذوف هو حال منه او من المثل او من ضميره في الاعلى وهو العزيز القادر الذي لا يعجز
عن بدء ممكن واعادته الحكيم الذي يجري الافعال على سنن الحكمة والمصلحة ضرب لكم مثلا يبين به بطلان
هل من ما ملكت اي منتزعا من احوالها التي هي اقرب الامور اليكم واعرفها عندكم واظهرها دلالة
على ما ذكر من بطلان الشرك لكونها بطريق الاولوية وقوله تعالى هل لكم الى اخره تصوير للمثل
اي هل لكم مما ملكت ايمانكم من الارقاء العبيد من شركاء فيما رزقناكم من الاموال وما يجري مجراها
وما تتصرفون فيها فمن الاولى ابتدائية والثانية تبعيضية والثالثة مزيدة لتاكيد النفي المستفاد
من الاستفهام وقوله تعالى فانتم فيه سواء تحقيق لمعنى الشركة بيان لكونها وشركائهم متساويين
في التصرف فيما ذكر من غير مزية لهم عليها على ان هناك محذوفا معطوفا على انتم لانه عام للفريقين
بطريق التغليب اي هل ترضون لانفسكم والحال ان عندكم امثال من البشرية والحكما منها ان يشارككم
فيما رزقناكم هو مستعار لكم فانتم فيه سواء شرع يتصرفون فيه كتصرفكم من غير فرق بينكم وبينهم
تخافونهم خبر لانتم وحال او حال من ضمير الفاعل في سواء اي تهابون ان تستبدوا بالتصرف فيه دون
رايهم كخيفتكم انفسكم اي خيفة كائنة مثل خيفتكم من الاحرار المساهمين لكم فيما ذكر والمعنى نفي مضمون
ما فصل من الجملة الاستفهامية اي لا ترضون بان يشارككم فيما هو معاركم مما ليكم امثالكم في البشرية
غير مخلوقين لكم بل لله تعالى فكيف يشركون به سبحانه في المعبودية التي هي من خصايصه الذاتية
مخلوقة بل مصنوع مخلوقة حيث تصنعونه بايديكم ثم تعبدونه كذلك اي مثل ذلك التفصيل
الواضح نفصل الايات اي نبينها ونوضحها لا تفصيلا ادنى منه فان التمثيل تصوير للمعاني المعقولة
بصورة المحسوس وابرازا لاوابد المدركات على هيئة المانوس فيكون في غاية البيان والايضاح
لقوم يعقلون اي يستعملون عقولهم في تدبر الامور وتخصيصهم بالذكر مع عموم التفصيل الايات
للكل لانهم المنتفعون بها بل اتبع الذين ظلموا اعرض عن مخاطبتهم ومحاولة ارشادهم الى الحق بضرب المثل
وتفصيل الايات لتعاطيهم المتقدمات الحقة المعقولة وبيان انه ستحالة تبعيتهم للحق قيل لم يعقلوا شيئا
من الايات المفصلة بل اتبعوا اهواءهم الزايغة ووضع الموصول موضع ضميره للتسجيل عليهم بانهم
في ذلك الاتباع ظالمون واضعون الشيء في غير موضعه او ظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد
بغير علم اي جاهلين ما اتوا منكبين عليه لا يلويهم عنه صارف حسبما يصرف العالم اذا اتبع الباطل علمه
ببطلانه فمن يهدي من اضل الله اي خلق فيه الضلال بصرف اختياره الى كسبه اي لا يقدر على هدايته
احد وما لهم اي لمن اضله الله تعالى والجمع باعتبار المعنى من ناصرين يخلصونهم من الضلال ويحفظونهم
من تبعاته على معنى ليس لواحد منهم ناصر واحد على ما هو قاعدة مقابلة الجمع بالجمع فاقم وجهك للدين
تمثيل لاقباله على الدين واستقامته واهتمامه بترتيب اسبابه فان من اهتم بشيء محسوس بالبصر
عقد عليه طرفه وسدد اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا عليه اي فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت
يمينا وشمالا وقوله تعالى حنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله الفطرة الخلقة وانتصابها
على الاغراء اي الزموا وعليكم فطرة الله فان الخطاب للكل كما يفصح عنه قوله تعالى منيبين لا من هو المراد
بلزومها الجريان على موجبها وعدم الاخلال به باتباع الهوى وتسويل الشيطان وقيل على المصدر اي فطرة
الله فطرة وقوله تعالى التي فطر الناس عليها صفة لفطرة الله مؤكدة لوجوب الامتثال بالامر فان
خلق الناس على فطرته التي هي عبارة عن قبولهم الحق وتمكينهم من ادراكه او عن ملة الاسلام من حيث

لزومها

لزومها والتمسك بها قطعا فانهم لو خلوا وما خلقوا عليه ادى بهم اليها وما اختاروا عليها دينا اخر ومن
غوى منهم فباغواء الشياطين الانس والجن ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن رب العزة كل عبادي
خلقت حنفا فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله صلى الله عليه وسلم
كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه اللذان يهودانه وينصرانه وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله
تعليل للامر بلزوم فطرته تعالى او لوجوب الامتثال به اي لا صحة ولا استقامة لتبديله بالاخلال
بموجبه وعدم ترتيب مقتضاه عليه بقبول الهوى واتباع وسوسة الشيطان وقيل لا يقدر احد على
ان يغيره فلا بد حينئذ من حمل التبديل على تبديل نفس الفطرة بازالتها ووضع فطرة اخرى مكانها
غير مصححة لقبول الحق والتمكن من ادراكه ضرورة ان التبديل بالمعنى الاول مقدور بل واقع قطعا
والتعليل حينئذ من جهة ان سلامة الفطرة متحققة في كل واحد فلا بد من لزومها بترتيب مقتضاها
عليه وعدم الاخلال به بما ذكر من اتباع الهوى وخطوات الشيطان ذلك اشارة الى الدين المامور
باقامة الوجه او الى لزوم فطرة الله المستفاد من الاغراء او الى الفطرة ان فسرت بالملة والتذكير
بتاويل المذكور وباعتبار الخبر الدين القيم المستوي الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
فيصدون عنه صدودا منيبين اليه حال من الضمير في الناصب المقدر لفطرة الله او في اقم لعمومه
للامة حسبما يشير اليه وما بينهما اعتراض اي راجعين اليه من اناب اذا رجع مرة بعد اخرى وقوله
تعالى واتقوه اي من مخالفة امره عطف على المقدر المذكور وكذا قوله تعالى واقيموا الصلوة ولا تكونوا
من المشركين المبدلين لفطرة الله تعالى تبديلا من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين باعادة الجار
وتفريقهم لدينهم اختلافهم فيما يعبدونه على اختلاف اهوائهم وفائدة الابدال التحذير عن الانتماء الى
حزب من احزاب المشركين ببيان ان الكل على الضلال المبين وقرئ فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به
وكانوا شيعا اي فرقا تشايع كل منها امامها الذي اضلها كل حزب بما لديهم فرحون من الدين المعوج
على الزايغ والزعم الباطل فرحون مسرورون ظنا منهم انه حق وانى له ذلك فالجملة اعتراض مقرر
لمضمون ما قبله من تفريق دينهم وكونهم شيعا وقد جوز ان يكون فرحون صفة لكل على ان الخبر هو الظرف
المقدم اعني من الذين فرقوا ولا يخفى بعده واذا مس الناس ضر اي شدة دعوا ربهم منيبين اليه راجعين
عن دعاء غيره ثم اذا اذاقهم منه رحمة خلاصا من تلك الشدة اذا فريق منهم بربهم الذي كانوا دعوه
منيبين اليه يشركون اي فاجأ فريق منهم الاشراك وتخصيص هذا الفعل ببعضهم لما ان بعضهم ليسوا
كذلك كما في قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على الطريق القسط او متوسط في الكفر
لانزجاره في الجملة ليكفروا بما اتيناهم اللام فيه للعاقبة وقيل للامر التهديدي لقوله تعالى فتمتعوا
غير انه التفت فيه للمبالغة وقرئ وليتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة تمتعكم وقرئ بالياء على ان
تمتعوا ماض والالتفات الى الغيبة في قوله تعالى ام انزلنا عليهم للايذان بالاعراض عنهم وتعديد
جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة سلطانا اي حجة واضحة وقيل ذا سلطان اي ملكا معه برهان فهو يتكلم
تكلم دلالة كما في قوله تعالى هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق او تكلم نطق بما كانوا به يشركون باشراكهم به
تعالى او بالامر الذي بسببه يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة واضحة وسعة فرحوا بها بطروا
بطرا واشرا لا حمدا وشكرا وان تصبهم سيئة شدة بما قدمت ايديهم بشوم معاصيهم اذا هم يقنطون فاجؤوا
القنوط من رحمته تعالى وقرئ بكسر النون اولم يروا اي الم ينظروا ولم يشاهدوا ان الله يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر فما لهم لم يشكروا ولم يحتسبوا في السراء والضراء كالمؤمنين ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون ه
فيستدلون على كمال القدرة والحكمة فات ذا القربى حقه من الصلة والصدقة وساير المبرات والمسكين
وابن السبيل ما يستحقانه والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم او لمن بسط له كما تؤذن الفاء ذلك خير
للذين يريدون وجه الله ذاته تعالى وجهته ويقصدون بمعروفهم اياه تعالى خالصا او جهة التقرب
اليه لا جهة اخرى اولئك هم المفلحون حيث حصلوا بما بسط لهم النعيم المقيم وما اتيتم من ربا
زيادة خالية عن العوض عند المعاملة وقرئ اتيتم بالقصر اي غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا
ليربوا في اموال الناس ليزيد ويزكوا في اموالهم فلا يربوا عند الله اي لا يبارك فيه وقرئ ليربوا
اي لتزيدوا او ليصير ربا وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله اي تبتغون به وجهه تعالى خالصا فاولئك
هم المضعفون اي ذوو الاضعاف من الثواب ونظير المضعف المقوي والموسر لذوي القوة واليسار
والذين ضعفوا ثوابهم واموالهم بالبركة وقرئ بفتح العين وفي التعبير النظم الكريم والالتفات
من الجزالة ما لا يخفى الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء
ثبت له تعالى لوازم الالوهية وخواصها ونفاها راسا عما اتخذوه شركاء له تعالى من الاصنام

وغيرها مؤكدا لا نكاره على ما دل عليه البرهان والعيان ووقع عليه الوفاق ثم استنتج من تنزهه
عن الشركاء بقوله تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون وقد يجوز ان يكون الموصول صفة والخبر هل من
شركائكم والرابط قوله تعالى من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية مفيد ان شيوع الحكم
في جنس الشركاء وافعاله والثالثة مزيدة لتعميم المنفي وكل منهما مستقلة بالتاكيد وقرئ يشركون
بصيغة الخطاب ظهر الفساد في البر والبحر كالجدب والموتان وكثرة الحرق والغرق واخفاق الغاصة
ومحق البركات وكثرة المضار وقلة المنافع وقيل المراد بالبحر قرى السواحل وقرئ البحور بما
كسبت ايدي الناس بسوء معاصيهم او بكسبهم اياه وقيل ظهر الفساد في البر بقتل قابيل اخاه هابيل
وفي البحر بان جلندي كان يأخذ كل سفينة غصبا ليذيقهم بعض الذي عملوا اي بعض جزائه فان تمامه
للاخرة واللام للعلة او للعاقبة وقرئ لنذيقهم بالنون لعلهم يرجعون عما هم عليه قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل لتشاهدوا اثارهم كان اكثرهم مشركين استيناف
للدلالة على ان ما اصابهم لفشو الشرك فيما بينهم او كان الشرك في اكثرهم وما دونه من المعاصي في
قليل منهم فاقم وجهك للدين القيم اي البليغ الاستقامة من قبل ان يأتي يوم لا مرد له لا يقدر على احد
على رده من الله متعلق بيأتي او بمرد لانه مصدر والمعنى لا يرده الله تعالى لتعلق ارادته القديمة
بمجيئه يومئذ يصدعون اصله يتصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير من كفر فعليه
كفره اي وبال كفره وهو النار المؤبدة ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون اي يسوون منزلا
في الجنة وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على الاختصاص ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات من فضله
متعلق بيصدعون وقيل بيمهدون اي يتفرقون بتفريق الله تعالى فريقين ليجزي كلا منهما بحسب اعماله وحيث
كان جزاء المؤمنين هو المقصود بالذات ابرز ذلك في معرض الغاية وعبر عنه بالفضل لما ان الاثابة
بطريق التفضل لا الوجوب واشير الى جزاء الفريق الاخر بقوله تعالى انه لا يحب الكافرين فان عدم
محبته تعالى كناية عن بغضه الموجب لغضبه المستتبع للعقوبة لا محالة ومن اياته ان يرسل الرياح
اي الشمال والصبا والجنوب فانها رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقرئ الريح على ارادة الجنس مبشرات بالمطر
وليذيقكم من رحمته وهي المنافع التابعة لها وقيل الخصب التابع لنزول المطر المسبب عنها او الروح
الذي مع هبوبها واللام متعلقة بيرسل والجملة معطوفة على مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم
بها وليذيقكم او بمحذوف يفهم من ذكر الارسال تقديره وليذيقكم وليكون كذا وكذا يرسلها لا لانها
لا تعلق له بمنافعكم ولتجري الفلك يسوقها بامره ولتبتغوا من فضله بتجارة البحر ولعلكم تشكرون
ولتشكروا نعمة الله تعالى فيما ذكر من الغايات الجليلة ولقد ارسلنا من قبلك رسلا كما ارسلناك الى
قومك فجاؤهم بالبينات اي جاء كل رسول قومه بما يخصه من البينات كما جئت قومك ببيناتك
والفاء في قوله تعالى فانتقمنا من الذين اجرموا فصيحة اي فكذبوهم فانتقمنا منهم وانما وضع موضع
ضميرهم الموصول للتنبيه على مكان المحذوف والاشعار بكونه علة للانتقام وفي قوله تعالى وكان حقا علينا
نصر المؤمنين مزيد تشريف وتكرمة للمؤمنين حيث جعلوا مستحقين على الله تعالى ان ينصرهم واشعار بان
الانتقام من الكفرة لاجلهم وقد توقف على انه متعلق بالانتقام ولعل توسيط الاية الكريمة بطريق
الاعتراض بين ما سبق وما لحق من احوال الرياح واحكامها لانذار الكفرة وتحذيرهم عن الاخلال بموجب
الشكر المطلوب بقوله تعالى لعلكم تشكرون بمقابلة النعم المعدودة المنوطة بارسالها كيلا يحل بهم مثل
ما حل باولئك الامم من الانتقام الله الذي يرسل الرياح استيناف مسوق لبيان ما اجمل فيما سبق من احوال
الرياح فتثير سحابا فيبسطه متصلا تارة في السماء في جوها كيف يشاء سائرا او واقفا مطبقا وغير مطبق من
جانب دون جانب الى غير ذلك فيجعله كسفا تارة اخرى اي قطعا وقرئ بسكون السين على انه مخفف جمع
كسفة او مصدر وصف به فترى الودق المطر يخرج من خلاله في التارتين فاذا اصاب به من يشاء من عباده اي
بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون اي فاجؤوا الاستبشار بمجيء الخصب وان كانوا ان مخففة من ان وضمير
الشان الذي هو اسمها محذوف اي وان الشان كانوا من قبل ان ينزل عليهم اي المطر من قبله تكرير للتاكيد
والايذان بطول عهدهم بالمطر واستحكام يأسهم منه وقيل الضمير للمطر او للسحاب او للارسال وقيل
للكسف على القراءة بالسكون وليس بواضح واقرب من ذلك ان يكون الضمير للاستبشار بالاشارة الى
غاية تقاربهما بيان اتصال اليأس بالتنزيل المتصل بالاستبشار بشهادة اذا الفجائية
لمبلسين خبر كانوا واللام فارقة اي آيسين فانظر الى اثر رحمة الله المترتبة على تنزيل المطر من النبات
والاشجار وانواع الثمار والفاء للدلالة على سرعة ترتبها عليه وقرئ اثر بالتوحيد وقوله تعالى

كيف

كيف يحيي اي الله تعالى الارض بعد موتها في حيز النصب بنزع الخافض وكيف معلق لانظروا اي
احيائه البديع للارض بعد موتها وقيل على الحالية بالتأويل وايا ما كان فالمراد بالنظر التنبيه على عظيم
قدرته تعالى وسعة رحمته مع ما فيه من التمهيد لما يعقبه من امر البعث وقرئ يحيي بالتانيث على الاسناد
الى ضمير الرحمة ان ذلك العظيم الشان الذي ذكر بعض شؤونه لمحيي الموتى لقادر على احيائهم
فانه احداث لمثل ما كان في مواد ابدانهم من القوى الحيوانية كما ان الارض احداث لمثل ما كان فيها من القوى
النباتية او لمحييهم البتة وقوله تعالى وهو على كل شيء قدير تذييل مقرر لمضمون ما قبله اي مبالغ في
المقدرة على جميع الاشياء التي من جملتها احياؤهم لما ان نسبة قدرته الى الكل سواء ولئن ارسلنا ريحا
اي الاثر المدلول عليه بالاثار والنبات المعبر عنه بالاثار فانه اسم جنس يعم القليل والكثير من
فراوه بعد خضرته وقد يجوز ان يكون الضمير للسحاب ولانه اذا كان مصفرا لم يمطر ولا يخفى بعده
واللام في ولئن موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط والفاء في فراوه فصيحة واللام في قوله تعالى
مصفرا لظلوا لام جواب للقسم الساد مسد الجوابين اي بالله لئن ارسلنا ريحا حارة او باردة فضربت
زرعهم بالصفار فراوه مصفرا من بعده يكفرون من غير تلعثم وفيه من ذمهم بعد ما تبينهم وسرعة
تزلزلهم بين طرفي الافراط والتفريط ما لا يخفى حيث كان الواجب عليهم ان يتوكلوا على الله
تعالى في كل حال ويلجؤوا اليه بالاستغفار اذا احتبس عنهم القطر ولا ييأسوا من روح الله تعالى
ويبادروا الى الشكر والطاعة اذا اصابهم برحمته ولا يفرطوا في الاستبشار وان يصبروا على بلائه اذا
اعترى زرعهم افة ولا يكفروا بنعمائه فعكسوا الامر وابوا ما يجديهم واتوا بما يرديهم فانك لا تسمع
الموتى لما انهم مثلهم لانسداد مشاعرهم عن الحق ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين تقييد الحكم
بما ذكر لبيان كمال سوء حال الكفرة والتنبيه على انهم جامعون لخصلتي السوء نبو اسماعهم عن الحق واعراضهم
عن الاصغاء اليه ولو كان فيهم احداهما لكفاهم ذلك فكيف وقد جمعوهما فان الاصم المقبل الى المتكلم ربما
يفطن عن اوضاعه وحركاته بشيء من كلامه وان لم يسمعه اصلا واما اذا كان معرضا عنه فلا يكاد يفهم
منه شيئا وقرئ بالياء المفتوحة ورفع الصم وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم سموا عميا اما لفقدهم
المقصود الحقيقي من الابصار او لعمى قلوبهم وقرئ تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يؤمن باياتنا فان
ايمانهم تدعوهم الى التدبر فيها وتلقيها بالقبول او الى من يشارف الايمان بها ويقبل عليها اقبالا لائقا
فهم مسلمون منقادون لما تامرهم به من الحق الله الذي خلقكم من ضعف مبتدا وخبر اي ابتداكم ضعفا
وجعله اساس امركم كقوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا اي خلقكم من اصل ضعيف هو النطفة ثم جعل
من بعد ضعف قوة وذلك عند بلوغكم الحلم او تعلق بابدانكم الروح ثم جعل من بعد قوة ضعفا
وشيبة اذا اخذ منكم السن وقرئ بضم الضاد في الكل وهو اقوى لقول ابن عمر رضي الله تعالى عنهما
قرأتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقرأني من ضعف وهما لغتان كالفقر والفقر والتنكير مع
التكرير لان المتقدم غير المتأخر يخلق ما يشاء من الاشياء التي من جملتها ما ذكر من الضعف والقوة
والشيبة وهو العليم القدير المبالغ في العلم والقدرة فان الترديد فيما ذكر من الاطوار المختلفة
من اوضح دلائل العلم والقدرة ويوم تقوم الساعة اي القيمة سميت بها لانها تقوم في اخر ساعة من
من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة وصارت علما لها بالغلبة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة يقسم المجرمون
ما لبثوا اي في القبور او في الدنيا غير ساعة والاول هو الاظهر لان لبثهم مغيا بيوم البعث كما سيأتي وليس
لبثهم في الدنيا كذلك وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وانقطاع عذابهم وفي الحديث ما بين فناء الدنيا
والبعث اربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام وقيل لا يعلم احد اربعون سنة او اربعون
الف سنة غير ساعة استقلوا مدة لبثهم نسيانا او كذبا او تخمينا كذلك كانوا يؤفكون مثل ذلك
الصرف كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق والصدق وقال الذين اوتوا العلم والايمان في الدنيا من الملائكة
والانسيين لقد لبثتم في كتاب الله اي في علمه وقضائه او ما كتبه واوجبه او في اللوح او في القران
وهو قوله تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون الى يوم البعث ردوا بذلك ما قالوه وايدوه باليمين كما هم من
فرط حيرتهم لا يدرون ان ذلك هو البعث الموعود الذي كانوا ينكرونه وكانوا يسمعون انه يكون
بعد فناء الخلق كافة ويقولون لذلك تعالوا بها مونا وان لم يعتقدوا احقيته في العالمين مقالتهم
وينبهوهم على انهم لبثوا الى غاية بعيدة كانوا يسمعونها وينكرونها ويبكتوهم بالاخبار بوقوعها حيث
قالوا فهذا يوم البعث الذي كنتم توعدون في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون انه حق فتستعجلون به
استهزاء والفاء جواب شرط محذوف كما في قول من قال قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا
ثم القفول فقد جئنا خراسانا فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي عذرهم وقرئ بالتاء

محافظة على ظاهر اللفظ وان توسط بينهما فاصل ولا هم يستعتبون لا يدعون الى ما يقتضى اعتابهم اى
ازالة عتبهم من التوبة والطاعة كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبنى فلان فاعتبته اى استرضانى
فلان فارضيته ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اى وبالله لقد بينا لهم كل حال ووصفنا لهم
كل صفة كانها في غرابتها مثل وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كقصة المبعوثين يوم القيمة في
قصتهم وما يقولون وما يقال لهم ويفعل بهم من رد اعتذارهم ولئن جئتهم باية من ايات القرآن
الناطقة بامثال ذلك ليقولن الذين كفروا لفرط عتوهم وعنادهم وقساوة قلوبهم مخاطبين
للنبى صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين ان انتم الا مبطلون اى مزورون كذلك مثل ذلك الطبع
الفظيع يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون لا يطلبون العلم ولا يتحرون بل يعتقدون على خرافات
اعتقدوها وترهات ابتدعوها فان الجهل المركب يمنع ادراك الحق ويوجب تكذيب المحق
فاصبر على ما تشاهد منهم من الاقوال الباطلة والافعال السيئة ان وعد الله حق وقد وعدك
بالنصرة واظهار الدين واعلاء كلمة الحق ولا بد من انجازه والوفاء به لا محالة ولا يستخفنك لا
يحملنك على الخفة والقلق الذين لا يوقنون بما تتلوا عليهم من الايات البينة بتكذيبهم اياها
وايذائهم لك باباطيلهم التى من جملتها قولهم ان انتم الا مبطلون فانهم شاكون ضالون ولا يستبدع
منهم امثال ذلك وقرئ بالنون المخففة وقرئ لا يستحقنك من الاستحقاق اى لا يفتننك
فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين واياما كان فظاهر النظم الكريم وان كان نهيا للكفرة عن
عن استخفافه صلى الله عليه وسلم واستحقاقه لكنه في الحقيقة نهى له صلى الله عليه وسلم عن التاثر
من استخفافهم والافتتان بفتنتهم على طريق الكناية كما في قوله تعالى لا يجرمنكم شنان قوم على ان لا
تعدلوا عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد كل ملك سبح لله تعالى بين السماء والارض وادرك ما ضيع في يومه وليلته

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك ايات الكتاب سلف بيانه في نظائره الحكيم اى ذى الحكمة
لاشتماله عليها او هو وصف له بنعته تعالى واصله الحكيم مالكه او قائله فحذف المضاف واقيم
المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا فاستكن في الصفة المشبهة وقيل الحكيم فعيل بمعنى مفعل
كما قالوا اعقدت اللبن فهو عقيد اى معقد وهو قليل وقيل بمعنى فاعل هدى ورحمة بالنصب على الحالية
من الايات والعامل فيهما معنى الاشارة وقرئ بالرفع على انهما خبران اخران لاسم الاشارة او لمبتدا
محذوف للمحسنين اى العاملين للحسنات فان اريد بها مشاهيرها المعهودة في الدين فقوله تعالى الذين
يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالاخرة هم يوقنون بيان لما عملوها من الحسنات على طريقة قوله • الالمعى الذى
يظن بك الظن كان قد رأى وقد سمعا • وان اريد بها جميع الحسنات فهو تخصيص لهذه الثلاث
بالذكر من بين سائر شعبها لاظهار فضلها وانافتها على غيرها وتخصيص الوجه الاول بصورة
كون الموصول صفة للمحسنين والوجه الاخير بصورة كونه مبتدا مما لا وجه له اولئك على هدى من
ربهم واولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب والناجون من كل مهروب لحيازتهم قطرى العلم
والعمل وقد مر ما فيه من المقال في مطلع سورة البقرة لا مزيد عليه ومن الناس الرفع على الابتدا
باعتبار مضمونه او بتقدير الموصوف ومن قوله تعالى من يشترى لهو الحديث موصولة او موصوفة
او موصوفة محلها الرفع على الخبرية والمانع وبعض الناس او وبعض من الناس الذى يشترى او
فريق يشترى على ان مناط الافادة والمقصود بالاصالة هو اتصافهم بما في حيز الصلة او الصفة لا
كونهم ذوات اولئك المذكورين كما في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله واليوم الاخر لا
وما هم بمؤمنين ولهو الحديث ما يلهى عما يعنى من المهمات كالاحاديث التى لا اصل لها والاساطير
التى لا اعتداد بها والمضاحك وسائر ما لا خير فيه من فضول الكلام والاضافة بمعنى التبيين
ان اريد بالحديث المنكر او بمعنى التبعيضية ان اريد به الاعم من ذلك وقيل نزلت الاية في
النضر بن الحارث اشترى كتبا للاعاجم وكان يحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد صلى الله
عليه وسلم يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا احدثكم باحاديث رستم واسفنديار والاكاسرة وقيل
كان يشترى القيان ويحملهن على معاشرة من اراد الاسلام ومنعه عنه ليضل عن سبيل الله
اى دينه الحق الموصل اليه تعالى او عن قراءة كتابه الهادى اليه تعالى وقرئ ليضل بفتح الياء اى ليثبت

ويستمر على مداومته او ليزداد فيه بغير علم اى بحال ما يشتريه او بالتجارة حيث استبدال الشئ بالخير
المحض ويتخذها بالنصب عطفا على يضل والضمير للسبيل فانه مما يذكر ويؤنث وهو دين الاسلام
او القرآن اى ويتخذها هزوا هزواة بها • وقرئ ويتخذها بالرفع عطفا على يشترى وقوله تعالى
اولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار لفظها وما فيه من
معنى البعد مع قرب العهد بذكر المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الشر اى اولئك الموصوفون
بما ذكر من الاشتراء للاضلال لهم عذاب مهين لما اتصفوا به من اهانتهم الحق بايثار الباطل عليه
وترغيب • الناس فيه واذا تتلى عليه اى على المشترى افرد الضمير فيه وفيما بعده كالضمائر الثلثة
الاول باعتبار لفظه من بعد ما جمع فيما بينهما اياتنا التى آيات الكتاب الحكيم وهدى للمحسنين ولى اعرض
عنها غير معتد بها مستكبرا مبالغا في التكبر كان لم يسمعها حال من ضمير ولى او من ضمير مستكبرا
والاصل كانه فحذف ضمير الشان وخففت المثقلة اى مشبها حاله حال من لم يسمعها وهو سامع وفيه
رمز الى ان من سمعها لا يتصور منه التولية والاستكبار لما فيها من الامور الموجبة للاقبال
والخضوع لها على طريق قول من قال • كانك لم تجزع على ابن طريف • كان في اذنيه وقرا حال من ضمير لم
يسمعها اى مشبها حاله حال من في اذنيه ثقل مانع من السماع ويجوز ان يكونا استئنافين وقرئ في اذنيه
بسكون الذال فبشره بعذاب اليم اى فاعلمه بان العذاب المفرط في الايلام لاحق به لا محالة وذكر البشارة
للتهكم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات بيان لحال المؤمنين باياته تعالى اثر بيان الكافرين بها اى الذين
امنوا باياته وعملوا بموجبها لهم بمقابلة ما ذكر من ايمانهم واعمالهم جنات النعيم مرتفعا به على الفاعلية
وقوله تعالى خالدين فيها حال من الضمير في لهم اى من جنات النعيم لاشتماله على ضميرهما والعامل ما تعلق
به واللام وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول لنفسه والثانى لغيره لان قوله تعالى لهم جنات
النعيم في معنى وعد الله جنات النعيم فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقه فدال على معنى الوعد ومؤكد
هو جميعا لهم جنات النعيم وهو العزيز الذى لا يغلبه شئ ولا يمنعه من انجاز وعده وتحقيق وعيده
الحكيم الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة خلق السموات بغير عمد الى اخره استئناف مسوق
للاستشهاد بما فصل فيه على عزته تعالى التى هى كمال القدرة وحكمته التى هى كمال العلم وتمهيد قاعدة
التوحيد وتقريره وابطال امر الاشراك وتبكيت اهله والعمد جمع عماد كاهب جمع اهاب وهو ما
يعمد به اى ما يسند يقال عمدت الحائط اذا دعمته اى بغير دعائم على ان الجمع لتعدد السموات وقوله
تعالى ترونها استئناف جئ به للاستشهاد على ما ذكر من خلقه تعالى غير معمودة بمشاهدتهم لها او صفة
لعمد اى خلقها بغير عمد مرئية على ان التقييد للرمز الى انه تعالى عمدها لا ترى هى عمد القدرة والقى
في الارض رواسى بيان لصنعه البديع في قرار الارض اثر بيان صنعه الحكيم في قرار السموات اى القى فيها
جبالا ثوابت وقد مر ما فيه من الكلام في سورة الرعد ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فان بساطة
اجزائها تقتضى تبدل احيازها واوضاعها لامتناع اختصاص كل منها لذاته او لشئ من لوازمه بحيز
معين ووضع مخصوص وبث فيها من كل دابة من كل نوع من انواعها وانزلنا من السماء ماء هو المطر
فانبتنا فيها بسبب ذلك الماء من كل زوج كريم من كل صنف كثير المنافع والالتفات الى نون العظمة
في الفعلين لابراز مزيد الاعتناء بامرهما هذا اى ما ذكر من السموات والارض وما تعلق بهما من الامور
المعدودة خلق الله اى مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين من دونه مما اتخذتموهم شركاء له سبحانه
في العبادة حتى استحقوا ومانا نصب بخلق او ماذا مرتفع بالابتداء وخبره والصلة واروني متعلق
به وقوله تعالى بل الظالمون في ضلال مبين اضراب عن تبكيتهم بما ذكر من التسجيل عليهم بالضلال
المبين المستدعى للاعراض عن مخاطبتهم بالمقدمات المعقولة الحقة لاستحالة ان يفهموا منها شيئا
فيهتدوا به الى العلم ببطلان ما هم عليه او يتأثروا عن الالزام والتبكيت لينزجروا عنه ووضع الظاهر
موضع ضميرهم للدلالة على انهم باشراكهم واضعون للشئ في غير موضعه ومتعدون عن حدوده
والظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ولقد اتينا لقمان الحكمة كلام مستأنف مسوق لبيان
بطلان الشرك وهو لقمان بن باعوراء من اولاد آزر بن اخت ايوب عليه السلام او خالته وعاش
حتى ادرك داود عليه السلام واخذ عنه العلم وكان يفتى قبل مبعثه وقيل كان قاضيا في بنى اسرائيل
والجمهور على انه كان حكيما ولم يكن نبيا والحكمة في عرف العلماء استكمال النفس الانسانية باقتباس
العلوم النظرية واكتساب الملكة التامة على الافعال الفاضلة على قدر طاقتها ومن حكمته انه
صحب داود عليه السلام شهورا وكان يسرد الدرع فلم يسأله عنها فلما اتمها لبسها فقال نعم لبوس
الحرب انت فقال الصمت حكمة وقليل فاعله فقال داود عليه السلام بحق ما سميت حكيما وان

وان داوود عليه السلام قال الله يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يد غيري فتفكر داود عليه
السلام فبحق ما سميت حكيما وان داوود عليه السلام قال له يوما كيف اصبحت فقال اصبحت في يد
غيري فتفكر داوود عليه السلام فيه فصعق صعقة وانه امره مولاه ان يذبح شاة ويأتي باطيب
مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امر بان يأتي باخبث مضغتين وانه امره مولاه ان
يذبح شاة ويأتي باطيب مضغتين منها فاتى باللسان والقلب ثم بعد ايام امره بان يأتي باخبث
مضغتين منها فاتى بهما ايضا فسأله عن ذلك فقال هما اطيب شيء اذا طابا واخبث شيء اذا خبثا
ومعنى ان اشكر لله اي يشكر له تعالى على ان ان مفسرة فان ايتا الحكمة في معنى القول وقوله تعالى
ومن يشكر الى اخره استيناف مقرر لمضمون ما قبله موجب للامتثال للامر اي ومن يشكر له
تعالى فانما يشكر لنفسه لان منفعته التي هي ارتباط القيد واستجلاب المزيد مقصورة عليها
ومن كفر فان الله غني عن كل شيء فلا يحتاج الى الشكر ليتضرر بكفر من كفر حميد حقيق بالحمد وان لم
يحمده احد ان محمود بالفعل ينطق بحمده جميع المخلوقات بلسان الحال وعدم التعرض لكونه تعالى
مشكورا لما ان الحمد متضمن للشكر وهو رأسه كما قال صلى الله عليه وسلم الحمد رأس الشكر لم يشكر الله
عبد لم يحمده فاثباته له تعالى اثبات للشكر قطعا واذ قال لقمان لابنه الخ وقيل اسلم وقيل ماثان
وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وقرئ يا بني باسكان الياء وبكسرها لا تشرك بالله قيل كان ابنه
كافرا فلم يزل به حتى اسلم ومن وقف على لا تشرك جعل بالله قسما ان الشرك لظلم عظيم تعليل
للنهي او الانتهاء عن الشرك ووصينا الانسان بوالديه الى اخره كلام مستانف اعتراضا على نهج
الاستطراد في اثنا وصية لقمان تاكيدا لما فيها من النهي عن الشرك وقوله تعالى حملته امه الى قوله عامين
اعتراض بين المفسر والمفسر وقوله تعالى وهنا حال من امه اي ذات وهن او مصدر موكد لفعل
هو الحال اي تهن وهنا وقوله تعالى على وهن صفة للمصدر اي كائنا على وهن اي تضعف ضعفا فوق
ضعف فانها لا تزال يتضاعف وهنها وقرئ وهنا على وهن بالتحريك يقال وهن يهن وهنا ووهن
يهن وهنا وفصاله في عامين اي فطامه في تمام عامين وهي مدة الرضاع عند الشافعي رحمه الله تعالى
وعند ابي حنيفة رحمه الله هي ثلاثون شهرا وقد بين وجهه في موضعه وقرئ وفصله ان اشكر لي
ولوالديك تفسير لوصينا وما بينهما اعتراض موكد للوصية في حقها خاصة ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم لمن قال له عليه الصلاة والسلام من ابر قال امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك الي المصير تعليل
لوجوب الامتثال بالامر اي الي الرجوع لا الى غيره فاجازيك على ما صدر منك من الشكر والكفر وان
جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اي بشركته تعالى في استحقاق العبادة فلا تطعهما
في ذلك وصاحبهما في الدنيا معروفا اي صحابا معروفا يرتضيه الشرع وتقتضيه المروة واتبع سبيل من اناب
الي بالتوحيد والاخلاص في الطاعات ثم الي مرجعكم اي مرجعك ومرجعهما ومرجع من اناب الي فانبئكم
عند رجوعكم بما كنتم تعملون بان اجازي كلا منكم بما صدر عنه من الخير والشر وقوله تعالى
يا بني الى اخره شروع في حكاية بقية وصايا لقمان اثر تقريرها في مطلعها من النهي عن الشرك وتاكيده
بالاعتراض انها ان تك مثقال حبة من خردل اي ان الخصلة من الاساءة والاحسان ان تك مثلا
في الصغر كحبة الخردل وقرئ بالرفع مثقال على ان الضمير للقصة وكان تامة والتانيث لاضافة
المثقال الى الحبة كما في قوله من قال كما شرقت صدر القناة من الدم او لان المراد به الحسنة
والسيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض اي فتكن مع كونها في اقصى غايات الصغر
والقماءة في اخفى مكان واحرزه كجوف الصخرة او حيث كانت في العالم العلوي او السفلي يأت بها الله
اي يحضرها ويحاسب عليها ان الله لطيف يصل علمه الى كل خفي خبير بكنهه وبعد ما امره
بالتوحيد الذي هو اول ما يجب على الانسان في ضمن النهي عن الشرك ونبهه على كمال علمه تعالى
وقدرته امره بالصلاة التي هي اكمل العبادات تكميلا له من حيث العمل به تكميله من حيث
اعتقاد فقال مستميلا له يا بني اقم الصلاة تكميلا لنفسك وامر بالمعروف وانه عن المنكر تكميلا
لغيرك واصبر على ما اصابك من الشدائد والمحن لا سيما فيما امرت به ان ذلك اشارة الى ما ذكر وما
فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في
الفضل من عزم الامور اي مما عزمه الله تعالى فاذا عزم الامر اي جد والجملة تعليل لوجوب
الامتثال بما سبق من الامر والنهي وايذان بان ما بعدها ليس بمثابته ولا تصاعر خدك للناس
اي لا تمله ولا تولهم صفحة وجهك كما هو ديدن المتكبرين من الصعر وهو داء يصيب البعير فيلوي
منه عنقه وقرئ ولا تصاعر من الافعال والكل بمعنى مثل علا وعالى واعلى ولا تمش في الارض مرحا

اي

اي مرحا مصدر وقع موقع الحال او مصدر موكد لفعل هو الحال اي تمرح مرحا او لاجل المرح
والبطر ان الله لا يحب كل مختال فخور تعليل للنهي وتاخير الفخور مع كونه بمقابلة المصعر خده
عن المختال هو بمقابلة الماشي مرحا لرعاية الفواصل واقصد في مشيك بعد الاجتناب عن المرح فيه
اي توسط بين الدبيب والاسراع وعنه صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن
وقول عائشة في عمر رضي الله تعالى عنهما كان اذا مشى اسرع فالمراد به ما فوق دبيب المتماوت
وقرئ بقطع الهمزة من اقصد الرامي اذا اسدد سهمه نحو الرمية واغضض من صوتك وانقص
منه واقصر ان انكر الاصوات اي اوحشها لصوت الحمير تعليل للامر على ابلغ وجه وآكده مبني
على تشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق وافراط في التعزير عن رفع الصوت
او التنفير عنه وافراد الصوت مع اضافته الى الجمع لما ان المراد ليس بيان حال صوت كل
واحد من احاد هذا الجنس حتى يجمع بل بيان هذا حال صوت هذا الجنس من بين اصوات ساير
الاجناس وقوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض رجوع الى سنن ما سلف
قبل قصة لقمان من خطاب المشركين وتوبيخ لهم على اصرارهم على ما هم عليه مع شاهدتهم لدلائل
التوحيد والمراد بالتسخير اما جعل المسخر بنفع المسخر له اعم من ان يكون منقادا له يتصرف فيه
كيف يشاء ويستعمله حسب ما يريد كعامة ما في الارض من الاشياء المسخرة للانسان المستعملة
له من الجماد او لا يكون كذلك بل يكون سببا لحصول مراده من غير ان يكون له دخل في استعماله كجميع
ما في السموات من الاشياء التي ينطلق بها مصالح العباد معاشا ومعادا واما جعله منقادا
للامر مذللا على ان معنى لكم لاجلكم فان جميع ما في السموات والارض من الكائنات مسخرة لله
تعالى مستتبعة لمنافع الخلق وما يستعمله الانسان حسبما يشاء وان كان بحسب الظاهر فهو في الحقيقة
مسخر لله تعالى واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة محسوسة ومعقولة معروفة لكم وغير معروفة
وقد مر شرح النعمة وتفصيلها في الفاتحة وقرئ اصبغ بالصاد وهو جار في كل سين قارنت
الغين او القاف كما تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر في سالغ وقرئ انعمه ومن الناس من يجادل في الله
توحيده وصفاته بغير علم مستفاد من دليل ولا هدى من جهة الرسول عليه السلام ولا كتاب منير
انزله الله تعالى بل بمجرد التقليد واذا قيل لهم اي لمن يجادل والجمع باعتبار المعنى اتبعوا ما انزل الله
قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا يريدون به عبادة الاصنام اولو كان الشيطان يدعوهم اي
اباءهم لا انفسهم كما قيل فان مدار انكار الاتباع واستبعاده كون المتبوعين تابعين للشيطان لا كون
انفسهم كذلك اي ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم فيما هم عليه من الشرك الى عذاب السعير
فهم متوجهون اليه حسبما دعوته والجملة في حيز النصب على الحالية وقد مر تحقيقه في قوله تعالى
اولو كان اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون من سورة البقرة اي لا مزيد عليه ومن يسلم وجهه الى الله
بان فوض اليه جميع اموره واقبل عليه بكليته وحيث عدي باللام قصد معنى الاختصاص
وقرئ بالتشديد مع تحقيقه وهو محسن اي في اعماله آت بها جامعة بين الحسن الذاتي والوصفي
وقد مر في اخر سورة النحل فقد استمسك بالعروة الوثقى اي تعلق باوثق ما يتعلق به من الاسباب
وهو تمثيل لحال المتوكل المشتغل بالطاعة بحال من اراد ان يترقى الى شاهق جبل فتمسك باوثق عرى
الحبل المتدلي منه والى الله لا الى احد غيره عاقبة الامور فيجازيه احسن الجزاء ومن كفر فلا يحزنك
كفره فانه لا يضرك في الدنيا ولا في الاخرة وقرئ فلا يحزنك من احزن المنقول من حزن بكسر الزاي
ليس بمستفيض الينا مرجعهم لا الى غيرنا فننبئهم بما عملوا في الدنيا من الكفر والمعاصي بالعذاب
والعقاب والجمع في الضماير الثلاثة باعتبار لفظها ان الله عليم بذات الصدور تعليل للتنبيه
المعبر بها عن التعذيب نمتعهم قليلا تمتيعا او زمانا قليلا فان ما يزول وان كان بعد امد طويل بالنسبة
الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم الى عذاب غليظ يثقل عليهم ثقل الاجرام الغلاظ او يضم الى الاحراق
الضغط والتضييق ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لغاية وضوح الامر بحيث
اضطروا الى الاعتراف به قل الحمد لله على ان جعل دليل التوحيد بحيث لا يكاد يجحده المكابرون
ايضا بل اكثرهم لا يعلمون شيئا من الاشياء فلذلك لا يعلمون بمقتضى اعترافهم وقيل لا يعلمون ان ذلك
يلزمهم لله ما في السموات والارض فلا يستحق العبادة فيهما غيره ان الله هو الغني عن العالمين الحميد
المستحق للحمد وان لم يحمده احد او المحمود بالفعل يحمده كل مخلوق بلسان الحال ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام اي لو ان الاشجار اقلام وتوحيد الشجرة لما ان المراد تفصيل الاحاد والبحر يمده
من بعده اي من بعد نفاده سبعة ابحر اي والحال ان البحر المحيط بسعته يمده الابحر السبعة مدا

لا ينقطع ابدا وكتبت بتلك الاقلام بذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلمات الله ونفدت
ونفدت تلك الاقلام والمداد كما في قوله تعالى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وقرئ
وقرئ يمده من الامداد بالياء والتاء وانما اسند المد الى الابحر السبعة دون البحر المحيط مع كونه اعظم
منها واطم لانها هي المجاورة للجبال ومنابع المياه الجارية واليها تنصب الانهار العظام اولا ومنها
تنصب الى البحر المحيط ثانيا وايثار جمع القلة في الكلمات للايذان بان ما ذكر لا يفي بالقليل منها
فكيف بالكثير ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه وحكمته امر فلا تنفد كلماته المؤسسة
عليها ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها في سهولة التأتي اذ لا يشغله شأن
لان مناط وجود الكل تعلق ارادته الواجبة مع قدرته الذاتية حسبما يفصح عنه قوله
تعالى انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ان الله سميع يسمع كل مسموع بصير
يبصر كل مبصر لا يشغله علم بعضها عن بعض فكذلك الخلق والبعث الم تر قيل الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل احد ممن يصلح للخطاب وهو الانسب بما سبق وما لحق اي
الم تعلم علما قويا جاريا مجرى الرؤية ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي يدخل
كل واحد منهما في الآخر ويضيفه اليه ويتفاوت بذلك حاله زيادة ونقصانا وسخر الشمس
والقمر عطف على يولج والاختلاف بينهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الآخر متجددة
في كل حين واما تسخير النيرين فامر لا تعدد فيه ولا تجدد وانما التعدد والتجدد في آثاره
وقد اشير الى ذلك حيث قيل كل يجري اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات
اليومية المتخالفة المتعددة حسب تعدد الايام جريا مستمرا الى اجل مسمى قدره الله تعالى
لجريهما وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن رضي الله تعالى عنهما فانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ
والجملة على تقدير عموم الخطاب اعتراض بين المعطوفين لبيان الواقع بطريق الاستطراد
وعلى تقدير اختصاصه به عليه الصلاة والسلام يجوز ان يكون حالا من الشمس والقمر فان
جريانهما الى يوم القيمة من جملة ما في حيز رؤيته عليه الصلاة والسلام هذا وقد جعل جريانهما
عبارة عن حركتهما الخاصة بهما في فلكهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما وجعل مدة الجريان للشمس
سنة وللقمر شهرا فالجملة حينئذ بيان لحكم تسخيرهما وتنبيه على كيفية ايلاج احد الملوين في
الآخر وكون ذلك بحسب اختلاف جريان الشمس والقمر على مداراتهما اليومية فكلما كان
جريانهما متوجها الى سمت الرأس تزداد القوس التي هي فوق الارض كبرا فيزداد النهار طولا
بانضمام بعض اجزاء الليل اليه الى ان يبلغ المدار الذي هو اقرب المدارات الى سمت الرأس وذلك
عند بلوغها الى رأس السرطان ثم ترجع متوجهة الى التباعد عن سمت الرأس فلا تزال القسي
التي فوق الارض تزداد صغرا فيزداد النهار نقصا بانضمام بعض اجزائه الى ان يبلغ المدار الذي
هو ابعد المدارات اليومية عن سمت الرأس وذلك عند بلوغها برج الجدي وقوله تعالى وان الله
بما تعملون خبير عطف على ان الله يولج الى آخره وداخل معه في حيز الرؤية على تقديري
خصوص الخطاب وعمومه فان من شاهد ذلك الصنع الرائق والتدبير اللائق لا يكاد يغفل
عن كون صانعه عز وجل محيطا بجلائل اعماله ودقائقها ذلك اشارة الى ما تلي من الآيات الكريمة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى بان الله
هو الحق اي بسبب بيان انه تعالى هو الحق الهيته فقط ولاجله لكونها ناطقة بالتوحيد وان ما يدعون
من دونه الباطل اي ولاجل بطلان الهية ما يدعونه من دونه تعالى لكونها متشاهدة بذلك مثبتة له
بينة لا ريب فيها وقرئ بالتاء والتصريح بذلك مع ان الدلالة على اختصاص حقية الالهية به
تعالى مستتبعة للدلالة على بطلان الهية ما عداه لابراز كمال الاعتناء بامر التوحيد وللايذان بان
الدلالة على ما ذكر ليس بطريق الاستتباع فقط بل بطريق الاستقلال ايضا وان الله هو العلي الكبير
اي وبيان انه تعالى المرتفع عن كل شيء المتسلط عليه فان ما في تضاعيف الآيات الكريمة مبين
لاختصاص العلو والكبرياء به تعالى بسبب انه المالك في ذاته الواجب من جميع جهاته والثابت
الهيته وانت خبير بان حقيته تعالى وعلوه وكبرياءه وان كانت صالحة لمناطية ما ذكر من الاحكام
المعدودة لكن بطلان الهية الاصنام لا دخل له في المناطية قطعا فلا مساغ لنظمه في سلك الاسباب
بل هو تعكيس للامر ضرورة ان الاحكام المذكورة هي المقتضية لبطلانها لا ان بطلانها يقتضيها
الم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله باحسانه في تهيئة اسبابه وهو استشهاد آخر على باهر قدرته
وغاية حكمته وشمول انعامه والباء اما متعلقة بتجري او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسة بنعمته

تعالى

تعالى وقرئ الفلك بضم اللام وبنعمات الله وعين فعلات يجوز فيه الفتح والكسر والسكون ليريكم من
آياته اي بعض دلائل وحدته وعلمه وقدرته وقوله تعالى ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور تعليل
لما قبله اي فيما ذكر لآيات عظيمة في ذاتها كثيرة في عددها لكل من يبالغ في الصبر على المشاق فيتعب
نفسه في التفكر في الانفس والآفاق ويبالغ في الشكر على نعمائه وهما صفتا المؤمن فكأنه قيل لكل مؤمن
واذا غشيهم اي علاهم واحاط بهم موج كالظلل كما يظل من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ كالظلال هو
جمع ظلة كقلة وقلال دعوا الله مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من الهوى والتقليد بما دهاهم
من الدواهي والشدائد فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اي مقيم على القصد السوي الذي هو التوحيد
او متوسط في الكفر لانزجاره في الجملة وما يجحد باياتنا الا كل ختار غدار فانه نقيض للعهد الفطري
او لما كان في البحر والختر اشد الغدر واقبحه كفور مبالغ في كفران نعم الله تعالى يا ايها الناس
اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده اي لا يقضي عنه وقرئ لا يجزئ من اجزأ اذا اغنى
والعائد الى الموصول محذوف اي لا يجزي فيه ولا مولود عطف على والد وهو مبتدأ خبره هو جاز عن
والده شيئا وتغيير النظم للدلالة على ان المولود اولى بان لا يجزي وقطع طمع من توقع من المؤمنين
اباه الكافر في الآخرة ان وعد الله بالثواب والعقاب حق اي لا يمكن اخلافه اصلا فلا تغرنكم الحياة
الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان المبالغ في الغرور بان يحملكم على المعاصي ويزينها لكم
ويرجيكم التوبة والمغفرة ان الله عنده علم الساعة علم وقت قيامها لما روي ان الحارث بن عمرو
اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة واني قد القيت حباتي في الارض فمتى السماء تمطر وحمل
امرأتي ذكر ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزلت • وعنه صلى الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس
وتلا هذه الآية وينزل الغيث في ابانه الذي قدره الى محله الذي عينه في علمه وقرئ ينزل من الانزال
ويعلم ما في الارحام من ذكر او انثى او تام او ناقص وما تدري نفس من النفوس ماذا تكسب غدا من
خير وشر وربما تعزم على شيء منها فتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت كما لا تدري في اي
وقت تموت روي ان ملك الموت مر على سليمان عليه السلام فجعل ينظر الى رجل من جلسائه فقال
الرجل من هذا قال ملك الموت قال كانه يريدني فمر الريح ان يحملني وتلقيني في بلاد الهند وهو عنده والحكاية
مشهورة ونسبة العلم الى الله عز وجل والدراية الى العبد للايذان بانه ان اعمل حيله وبذل في التعرف
وسعه لم يعرف ما هو لاحق به من كسبه وعاقبته فكيف بغيره مما لم ينصب له دليل عليه باية
ارض وشبه سوية تأنيثهما بتأنيث كل في كلمتين ان الله عليم مبالغ في العلم فلا يعزب عن علمه شيء من
الاشياء التي من جملتها ما ذكر خبير يعلم بواطنها كما يعلم ظواهرها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة لقمان كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

بسم الله الرحمن الرحيم الم اما اسم للسورة فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى
بالم والاشارة اليها قد مر وجه صحتها مع عدم جريان ذكرها قد عرفت سره واما مسرود على نمط التعديد فلا محل له من
الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة
وعلى الثاني خبر لمبتدأ محذوف اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل خبر لهذا اي الذي هو
تنزيل الكتاب وقد مر مرارا ان ما يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب
اليه واذ لا عهد بالتسمية قبل فحقها الاخبار بها وقوله تعالى لا ريب فيه خبر ثالث على الوجه الاول
وثان على الاخيرين وقيل خبر لتنزيل الكتاب فقوله تعالى من رب العالمين متعلق بمضمر هو حال
من الضمير المجرور اي كائنا منه تعالى لا بتنزيل لان المصدر لا يعمل فيما بعد الخبر واما وحينئذ لانه
لحين ولا ريب فيه حال من الكتاب او اعتراض والضمير فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب
في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويؤيده قوله تعالى ام يقولون افتراه فان قولهم هذا
منع لكونه من رب العالمين فلا بد ان يكون مورده حكما مقصود الافادة لا قيدا للحكم بنفي الريب عنه
وقد رد عليهم ذلك وابطل حيث جيء بام المنقطعة انكارا له وتعجيبا منه لغاية ظهور بطلانه
واستحالة كونه مفترى ثم اضرب عنه الى بيان حقية ما انكروه وحيث قيل بل هو الحق من ربك
لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون فان غاية الشيء وحكمته لا سيما عند كونها
غاية جميلة مستتبعة لمنافع جليلة في وقت شدة الحاجة اليها مما يقرر وجود الشيء ويؤكده

لا محالة ولقد كان قريش اضل الناس واحوجهم الى الهداية بارسال الرسول وتنزيل الكتاب حيث لم يبعث
اليهم من رسول قبله صلى الله عليه وسلم اى ما اتاهم من نذير من قبل انذارك او من قبل زمانك والترجي
معتبر من جهته لتنذرهم راجيا لاهتدائهم واعلم ان ما ذكر من التاييد انما يتسنى على ما ذكر من كون تنزيل
الكتاب مبتدا واما على سائر الوجوه فلا تاييد اصلا لان قوله من رب العالمين خبر رابع على الوجه
الاول وخبر ثالث على الوجهين الاخيرين واياما كان فكونه من رب العالمين حكم مقصود الافادة لا قيد
لحكم اخر فتدبر الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش مر بيانه
فيما سلف ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اى ما لكم اذا جاوزتم رضاه تعالى احد ينصركم ويشفع لكم
ويجيركم من باسه او ما لكم سواه ولي ولا شفيع بل هو الذي يتولى مصالحكم وينصركم في مواطن النصر على
ان الشفيع عبارة عن الناصر مجازا فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير افلا تتذكرون اى الا تسمعون
هذه المواعظ فلا تتذكرون بها او تسمعونها فلا تتذكرون بها فالانكار على الاول متوجه الى
عدم السماع يدبر الامر من السماء الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملئكة
وغيرها نازلة اثارها الى الارض قيل يدبر امر الدنيا باسباب سماوية من الملئكة وغيرها ثم يعرج
اليه اى يثبت في علمه موجودا بالفعل في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون اى في برهة من الزمان
متطاولة والمراد بيان طول امتداد ما بين تدبير الحوادث وحدوثها من الزمان وقيل يدبر امر الحوادث
اليومية باثباتها في اللوح المحفوظ فتنزل بها الملئكة ثم يعرج اليه في زمان هو كالف سنة مما تعدون
فان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وقيل يقضي قضاء الف سنة فينزل به الملك ثم يعرج
بعد الالف لالف اخر وقيل يدبر امر الدنيا جميعا الى قيام الساعة ثم يعرج اليه الامر كله عند
قيامها وقيل يدبر المامور به من الطاعات منزلا من السماء الى الارض بالوحي ثم لا يرجع اليه خالصا
الا في مدة متطاولة لقلة المخلصين والاعمال الخلص وانت خبير بان قلة الاعمال الخالصة لا تقتضي بطء
رجوعها الى السماء بل قلته وقرئ يعدون بالياء ذلك اشارة اليه عز وجل باعتبار اتصافه بما
ذكر من خلق السموات والارض والاستواء على العرش وانحصار الولاية والنصرة فيه وتدبير امر
الكائنات على ما ذكر من الوجه البديع وهو مبتدا خبره وما بعده اى ذلك العظيم الشان عالم
الغيب والشهادة فيدبر امرهما حسبما تقتضيه الحكمة العزيز الغالب على امره الرحيم على عباده وهما
خبران اخران وفيه ايماء الى انه تعالى متفضل في جميع ما ذكر فعلي بالاحسان الذي احسن كل شيء
خلقه خبر اخر او نصب على المدح اى حسن كل مخلوق خلقه اذ ما من مخلوق الا وهو مرتب على ما
تقتضيه الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن اى ما يحسن معرفته
ويعرفه معرفة حسنة وقيل بتحقيق وايقان وقرئ خلقه على انه بدل اشتمال من كل شيء والضمير للمبدل
منه اى احسن خلق كل شيء وقيل بدل الكل على ان الضمير لله تعالى والخلق بمعنى المخلوق اى حسن كل
مخلوقاته وقيل هو مفعول ثان لاحسن على تضمينه معنى اعطى كل شيء خلقه اللائق به بطريق
الاحسان والتفضل وقيل هو مفعوله الاول وكل شيء مفعوله الثاني وقيل الخلق بمعنى المخلوق
وضميره لله سبحانه وتعالى على تضمين الاحسان معنى الالهام والتوفيق والتعريف والمعنى الهم خلقه
كل شيء مما يحتاجون اليه وقال ابو البقاء عرف مخلوقاته كل شيء يحتاجون اليه فيؤول الى معنى قوله
تعالى الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وبدا خلق الانسان من بين جميع المخلوقات من طين على وجه
بديع تحار العقول في فهمه يراد ادم عليه السلام على فطرة عظيمة عجيبة منطوية على فطرة سائر
افراد الجنس انطواء اجماليا مستتبعا لخروج كل فرد منها من القوة الى الفعل بحسب استعداداتها المتفاوتة
قربا وبعدا كما ينبئ عنه قوله تعالى ثم جعل نسله الى اخره اى ذريته سميت بذلك لانها تنسل وتنفصل منه من
سلالة من ماء مهين هو المني الممتهن ثم سواه اى عدله بتكميل اعضائه في الرحم وتصويرها على ما ينبغي
ونفخ فيه من روحه اضافه اليه تعالى تشريفا له وايذانا بانه خلق عجيب وصنع بديع وان له شانا
له مناسبة الى الحضرة الربوبية وان اقصى ما تنتهي اليه العقول البشرية من معرفته هذا القدر الذي
يعبر عنه تارة بالاضافة اليه تعالى واخرى بالنسبة الى امره تعالى كما في قوله تعالى قل الروح من امر ربي
وجعل لكم السمع والابصار والافئدة الجعل ابداعي واللام متعلقة به والتقديم على المفعول الصريح
لما مر مرات من الاهتمام بالمقدم والتشويق الى المؤخر مع ما فيه من نوع طول يخل تقديمه بجزالة
النظم الكريم اى خلق لمنفعتكم تلك المشاعر لتعرفوا انها مع كونها في انفسها نعما جليلة لا يقادر قدرها
وسائل الى التمتع بسائر النعم الدنيوية والدينية الفائضة عليكم وتشكروها بان تصرفوا كلا منها

الى

الى ما خلق هو له فتدركوا بسمعكم الايات التنزيلية الناطقة بالبعث وبالتوحيد وبابصاركم الايات
التكوينية الشاهدة بهما وتستدلوا بافئدتكم على حقيقتهما وقوله تعالى قليلا ما تشكرون بيان لكفرهم
بتلك النعم بطريق الاعتراض التذييلي على ان القلة بمعنى النفي كما ينبئ عنه ما بعده اى تشكرون شكرا قليلا او
زمانا قليلا تشكرون وفي حكاية احوال الانسان من مبدا فطرته الى نفخ الروح فيه بطريق الغيبة
وحكاية احواله بعد ذلك بطريق الخطاب المنبئ عن استعداده للفهم وصلاحيته له من الجزالة ما لا
غاية وراءه وقالوا كلام مستانف مسوق لبيان اباطيلهم بطريق الالتفات ايذانا بان ما ذكر من عدم
شكرهم بتلك النعم موجب للاعراض عنهم وتعديد جناياتهم لغيرهم بطريق المباثة ائذا ضللنا في الارض
اى صرنا ترابا مخلوطا بترابها بحيث لا نتميز منه او غبنا فيها بالدفن وقرئ ضللنا بكسر اللام من
باب علم وصللنا بالصاد المهملة من صل اللحم اذا انتن وقيل من الصلة وهي الارض اى صرنا من جنس
الصلة قيل القائل ابي بن خلف ولرضاهم بقوله اسند القول الى الكل والعامل فيما يدل عليه قوله
تعالى ائنا لفي خلق جديد وهو نبعث او يجدد خلقنا والهمزة لتذكير الانكار السابق لتاكيده
وقرئ انا على الخبر واياما كان فالمعنى على تاكيد الانكار لا انكار التاكيد كما هو المتبادر من تقدم
الهمزة على ان فانها مؤخرة عنها في الاعتبار وانما تقديمها عليها لاقتضائها الصدارة بل هم بلقاء ربهم
كافرون اضراب وانتقال من بيان كفرهم بالبعث الى بيان ما هو ابلغ واشنع منه وهو كفرهم بالوصول
الى العاقبة وما يلقونه فيها من الاحوال والاهوال جميعا قل بيانا للحق وردا على زعمهم الباطل
يتوفاكم ملك الموت لا كما تزعمون ان الموت من الاحوال الطبيعية العارضة للحيوان بموجب الجبلة اى
يقبض ارواحكم بحيث لا يبقي فيكم شيئا او لا يترك منكم احدا على اشد ما يكون من الوجوه وافظعها
من ضرب وجوهكم وادباركم الذي وكل بكم اى بقبض ارواحكم واحصاء اجالكم ثم الى ربكم ترجعون
بالبعث للحساب والجزاء ولو ترى اذ المجرمون هم القائلون ائذا ضللنا في الارض الاية ناكسوا رؤوسهم
عند ربهم من الحياء والخزي وعند ظهور قبائحهم التي اقترفوها في الدنيا ربنا اى يقولون ربنا ابصرنا
وسمعنا اى صرنا ممن يبصر ويسمع وحصل لنا الاستعداد لادراك الايات المبصرة والايات المسموعة
وكنا من قبل عميا وصما لا ندرك شيئا فارجعنا الى الدنيا نعمل عملا صالحا حسبما تقتضيه تلك الايات
وقوله تعالى انا موقنون ادعاء منهم لصحة الافئدة والاقتدار على فهم معاني الايات والعمل بموجبها
كما ان ما قبله ادعاء لصحة مشعري البصر والسمع كانهم قالوا وايقنا وكنا من قبل لا نعقل شيئا اصلا
وانما عدلوا الى الجملة الاسمية المؤكدة اظهارا لثباتهم على الايقان وكمال رغبتهم فيه وكل ذلك في الجد
في الاستدعاء طمعا في الاجابة الى ما سالوه من الرجعة وانى لهم ذلك ويجوز ان يقدر لكل من الفعلين
مفعول مناسب لما بعده مما يبصرونه ويسمعونه فانهم حينئذ يشاهدون الكفر والمعاصي على صور منكرة هائلة
ويخبرهم الملئكة بان مصيرهم الى النار لا محالة فالمعنى ابصرنا قبائح اعمالنا وكنا نراها في الدنيا حسنة وسمعنا
منك تصديق رسلك وانت خبير بان تقييد ذلك بما ذكر لا يلائم ما بعده
والوعيد لا بد ما دعوتهم حتى
واذعان ولا يقدر لترى مفعول اذ المعنى لو يكون منك روية ذلك الموقف
فيها ولو للتمني والمضي في اذ لان الثابت في علم الله تعالى بمنزلة الواقع وجواب لو محذوف اى لرايت امرا فظيعا لا
يقادر قدره والخطاب له صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن يصلح له كما من كان المراد بيان كمال سوء حالهم وبلوغها
من الفظاعة الى حيث لا يختص استغرابها واستفظاعها براء دون راء ممن اعتاد مشاهدة الامور
البديعة والدواهي الفظيعة بل كل من يتاتى منه الروية يتعجب من هولها وفظاعتها هذا وقد
مال بعضهم الى الخطاب القصد الى بيان ان حالهم قد بلغت من الظهور الى حيث يمتنع خفاؤها البتة فلا
تختص رؤية راء دون راء بل كل من يتاتى منه الروية له مدخل في هذا الخطاب فقد نأى عن تحقيق
الحق لان المقصود بيان كمال فظاعة حالهم كما يفصح عنه الجواب المحذوف لا بيان كمال ظهورها فانه
مسوق مساق المسلمات فتدبر ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها مقدر بقول معطوف على مقدر وقيل
قوله تعالى ربنا ابصرنا الى اخره اى فنقول لو شئنا ان نعطي كل نفس من
النفوس البرة والفاجرة ما تهتدي به الى الايمان والعمل الصالح لاعطيناها اياه في الدنيا التي هي
دار الكسب وما اخرناه الى دار الجزاء ولكن حق القول مني اى سبقت كلمتي حيث قلت لابليس عند
قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وهو المعني بقوله لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فبموجب ذلك القول لم نشأ اعطاء الهدى على العموم بل
منعناه من اتباع ابليس الذين انتم من جملتهم حيث صرفتم اختياركم الى الغي باغوائه ومشيئتنا لافعال

العباد منوطة باختيارهم اياها فلما لم يختاروا الهدى واختاروا الضلالة لم نشأ اعطاءه لكم وانما اعطيناه
الذين اختاروه من النفوس البرة وهم المعنيون بما سياتي في قوله تعالى انما يؤمن باياتنا الاية فمناط عدم
مشيئة اعطاء الهدى في الحقيقة سوء اختيارهم لا تحقق القول وانما قيدنا المشيئة بما مر من التعلق
الفعلي بافعال العباد عند حدوثها لان المشيئة الازلية من حيث تعلقها بما سيكون من افعالهم اجمالا
متقدمة على تحقق كلمة العذاب فلا يكون عدمها منوطا بتحققها وانما مناطها علمه تعالى ازلا بصرف
اختيارهم فيما سياتي على الغي وايثارهم له على الهدى فلو اريدت هي من تلك الحيثية لا ستدرك البعد
وينتظم ذلك بما ذكر من النظم على منهاج قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم فالتوهم ان المعنى
ولو شئنا لاعطينا كل نفس ما عندنا من اللطف الذي لو كان منهم اختياره لاهتدوا ولكن لم نعطهم
لما علمنا منهم من اختيار الكفر وايثاره فقد غفل عما عليه الشؤون والفاء في قوله تعالى فذوقوا
لترتيب الامر بالذوق على ما يعرب عنه ما قبله من نفي الرجع الى الدنيا او على الوعيد المحكي بالباقي
في قوله تعالى لترتيب الامر بما نسيتم لقاء يومكم هذا للدلالة بان تعذيبهم ليس لمجرد سبق الوعيد به
فقط بل هو وسبق الوعيد ايضا بسبب موجب له من قبلهم كانه قيل لا رجع لكم الى الدنيا وحق
وعيدي فذوقوا بسبب نسيانكم لقاء هذا اليوم الهائل وترككم التفكر فيه والاستعداد له بالكلية
انا نسيناكم اي تركناكم في العذاب ترك المنسي بالمرة وقوله تعالى وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم
تعملون تكرير للتاكيد والتشديد وتعيين المفعول المطوي للذوق والاشعار بان سببه ليس
مجرد ما ذكر من النسيان بل له اسباب اخر من فنون الكفر والمعاصي التي كانوا مستمرين عليها في الدنيا
وعدم نظم الكل في سلك واحد للاستقلال كل منهما في استيجاب العذاب وفي ابهام الذوق اولا
وبيانه ثانيا بتكرير الامر وتوسيط الاستيناف المبني عن كمال السخط بينهما من الدلالة على غاية التشديد
في الانتقام منهم ما لا يخفى وقوله تعالى انما يؤمن باياتنا استيناف مسوق لتقرير عدم استحقاقهم
لايتاء الهدى والاشعار بعدم ايتائهم لو اتوه بتعيين من يستحقه بطريق القصر كانه قيل انكم لا تؤمنون
باياتنا ولا تعملون بموجبها عملا صالحا ولو رجعناكم الى الدنيا كما تدعون حسبما ينطق به قوله تعالى ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانما يؤمن بها الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا خروا سجدا اي خروا ساجدين من
غير تردد ولا تلعثم فضلا عن التسويف الى ما نطقت به من الوعد والوعيد اي سقطوا على وجوههم
وسبحوا بحمد ربهم اي ونزهوه عند ذلك عن كل ما لا يليق به من الامور التي من جملتها العجز عن
البعث متلبسين بحمده تعالى على نعمائه التي اجلها الهداية بايتاء الايات والتوفيق للاهتداء بها
والتعرض لعنوان الربوبية بطريق الالتفات مع الاضافة الى ضميرهم للاشعار بعلة التسبيح والتحميد
تتجافى جنوبهم اي ترتفع وتتنحى عن المضاجع اي الفرش والمواضع المعدة للنوم والجملة مستانفة لبيان بقية
محاسنهم وهم المتهجدون بالليل قال انس رضي الله تعالى عنه نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي
المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشا مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله تعالى
عنه ايضا انه قال نزلت في اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب
الى صلاة العشا وهي صلاة الاوابين وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر وهو مروي عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلون العشا الاخرة والفجر في جماعة والمشهور ان المراد
منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة لقوله صلى الله عليه وسلم افضل
الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل وعن النبي صلى الله
عليه وسلم في تفسيرها قيام العبد من الليل وعنه صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين
جاء مناد ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين
تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فيقول ليقم الذين يحمدون الله في البأساء
والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقوله تعالى يدعون ربهم
حال من ضمير جنوبهم اي داعين له تعالى على الاستمرار خوفا من سخطه وعذابه وعدم قبول عبادته
وطمعا في رحمته ومما رزقناهم من المال ينفقون في وجوه الحسنات فلا تعلم نفس من النفوس لا ملك
مقرب ولا نبي مرسل فضلا عمن عداهم ما اخفي لهم اي لاولئك الذين عددت نعوتهم الجليلة من
قرة اعين مما تقر به اعينهم وعنه صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتم عليه اقرأوا ان شئتم فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم على البناء للفاعل والله سبحانه وقرئ قرات اعين لاختلاف انواعها والعلم بمعنى
المعرفة وما موصولة او استفهامية علق عنها الفعل جزاء بما كانوا يعملون اي جوزوا جزاء واخفي لهم

الجزا

الجزاء بما كانوا يعملون في الدنيا من الاعمال الصالحة قيل هؤلاء القوم اخفوا اعمالهم فاخفى الله ثوابهم افمن
كان مؤمنا كمن كان فاسقا اي ابعد ظهور ما بينهما من التباين البين يتوهم كون المؤمن الذي حكيت
اوصافه الفاضلة كالفاسق الذي ذكرت احواله لا يستوون التصريح به مع افادة الانكار لنفي
المشابهة بالمرة على ابلغ وجه واكده لبناء التفصيل الاتي عليه والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد
فيما سبق باعتبار لفظها وقوله تعالى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى تفصيل
لمراتب الفريقين في الاخرة بعد ذكر احوالهما في الدنيا واضيفت الجنة الى الماوى لانها الماوى الحقيقي
وانما الدنيا منزل مرتحل عنه لا محالة وقيل الماوى من الجنات وايا ما كان فلا يبعد ان يكون فيه
رمز الى ما ذكر من تجافيهم عن مضاجعهم التي هي مأويهم في الدنيا من الاعمال الصالحة او باعمالهم واما
الذين فسقوا اي خرجوا عن الطاعة فماويهم اي ملجؤهم ومنزلهم النار مكان جنات الماوى
للمؤمنين كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها استيناف لبيان كيفية النار وما يهم روي انه
يضربهم لهيب النار فيرتفعون الى طبقاتها حتى اذا قربوا من بابها وارادوا ان يخرجوا منها يضربهم لهب
النار فيهوون الى قعرها وهكذا يفعل بهم ابدا وكلمة في للدلالة على انهم مستقرون فيها وانما الاعادة
من بعض طبقاتها الى بعض وقيل لهم تشديدا عليهم وزيادة في غيظهم ذوقوا عذاب النار الذي
كنتم به تكذبون اي بعذاب النار تكذبون على الاستمرار في الدنيا ولنذيقنهم من العذاب الادنى
اي عذاب الدنيا وهو ما محنوا به من السنة سبع سنين والقتل والاسر دون العذاب الاكبر
الذي هو عذاب الاخرة لعلهم لعل الذين يشاهدونهم وهم في الحياة يرجعون يتوبون عن الكفر
روي ان الوليد بن عقبة فاخر عليا رضي الله تعالى عنه يوم بدر فنزلت هذه الايات ومن
اظلم ممن ذكر بايات ربه ثم اعرض عنها بيان اجمالي لحال من قابل ايات الله تعالى بالاعراض بعد بيان
حال من قابلها بالسجود والتسبيح وكلمة ثم لاستبعاد الاعراض عنها عقلا مع غاية وضوحها
وارشادها الى سعادة الدارين كما في بيت الحماسة ولا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات
الموت ثم يزورها اي هو اظلم من كل ظالم وان كان سبك التركيب على نفي الاظلم من غير تعرض
لنفي المساوي وقد مر مرارا انا من المجرمين اي من كل من اتصف بالاجرام وان هانت جريمته منتقمون
فكيف بمن هو اظلم من كل ظالم واشد جرما من كل مجرم ولقد اتينا موسى الكتاب اي التوراة عبر
عنها باسم الجنس لتحقيق المجانسة بينها وبين الفرقان والتنبيه على ان ايتاءه لرسول الله صلى الله
عليه وسلم كايتائها لموسى عليه السلام فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب الذي هو الفرقان
كقوله وانك لتلقى القران والمعنى انا اتينا موسى مثل ما اتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما
لقيناك من الوحي فلا تكن في شك من انك لقيت مثله ونظيره وقيل من لقاء موسى الكتاب او من
لقائك موسى عليه السلام وعنه صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي موسى عليه السلام
رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال شنوءة وجعلناه اي الكتاب الذي اتيناه موسى هدى لبني اسرائيل
قيل لم يتعبد بما في التوراة ولد اسمعيل وجعلنا منهم ائمة يهدون بقيتهم بما في تضاعيف الكتاب
من الحكم والاحكام الى طريق الحق او يهدونهم الى ما فيه من دين الله وشرائعه بامرنا اياهم بذلك
او بتوفيقنا له لما صبروا هي لما التي فيها معنى الجزاء نحو احسنت اليك لما جئتني والضمير للائمة
تقديره لما صبروا جعلناهم ائمة او هي ظرف بمعنى الحين اي جعلناهم ائمة حين صبروا والمراد صبرهم
على مشاق الطاعات ومقاساة الشدائد في نصرة الدين او صبرهم عن الدنيا وقرئ لما صبروا اي
لصبرهم وكانوا باياتنا يوقنون التي في تضاعيف الكتاب لامعانهم فيها والمعنى كذلك لنجعلن
الكتاب الذي اتيناكه هدى لامتك ولنجعلن منهم ائمة يهدون مثل تلك الهداية ان ربك هو
هو يفصل اي يقضي بينهم قيل بين الانبياء واممهم وقيل بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة فيميز
بين المحق والمبطل فيما كانوا فيه يختلفون من امور الدين اولم يهد لهم الهمزة للانكار والواو
للعطف على منوي يقتضيه المقام والفعل الهداية اما من قبيل فلان يعطي في ان المراد ايقاع نفس
الفعل بلا ملاحظة المفعول واما التبيين والمفعول محذوف والفاعل ما دل عليه قوله تعالى
كم اهلكنا اي اغفلوا ولم يفعل الهداية لهم او لم يبين لهم مآل امرهم كثرة اهلاكنا من قبلهم من القرون
مثل عاد وثمود وقوم لوط وقرئ نهد لهم بنون العظمة وقد جوزوا ان يكون الفاعل على القراءة
الاولى ايضا ضميره تعالى فيكون قوله تعالى كم اهلكنا الى اخره لبيان سبيل كيفية هدايته
تعالى يمشون في مساكنهم اي يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم ويشاهدون اثار هلاكهم
والجملة حال من ضميرهم وقرئ يمشون للتكثير ان في ذلك اي فيما ذكر من كثرة اهلاكنا الامم الخالية

في الدنيا نزلا اي ثوابا وهو في الاصل ما يعد للنازلين
من الطعام والشراب وانتصابه على الحالية بما كانوا
يعملون صح

العاتية او في مساكنهم لايات عظيمة في انفسها كثيرة في عددها افلا يسمعون هذه الايات سماع تدبر
وايقاظ اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز اى التى جرز نباتها اى قطع وازيل بالمرة وقيل هو
اسم موضع باليمن فنخرج به من تلك الارض زرعا تاكل منه اى من ذلك الزرع انعامهم كالتبن والقصل
والورق وبعض الحبوب المخصوصة بها وقرئ ياكل بالياء وانفسهم كالحبوب التى يقتاتها الانسان ه
والثمار افلا يبصرون اى الا ينظرون فلا يبصرون ذلك ويستدلوا به على كمال قدرته تعالى وفضله
ويقولون كان المسلمون يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان اهل مكة
اذا سمعوه يقولون بطريق الاستعجال تكذيبا واستهزاء متى هذا الفتح اى النصر او الفصل بالحكومة
ان كنتم صادقين في ان الله تعالى ينصركم او يفصل بيننا وبينكم قل تبكيتا لهم وتحقيقا للحق يوم
الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون يوم الفتح القيمة وهو يوم الفصل بين المؤمنين
واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة والعدول
عن تطبيق الجواب على ظاهر سؤالهم للتنبيه على انه ليس مما ينبغى ان يسئل عنه لكونه امرا بينا
غنيا عن الاخبار به وكذا ايمانهم واستنظارهم يومئذ وانما المحتاج الى البيان عدم نفع ذلك
الايمان وعدم الامهال كانه قيل لا تستعجلوا فكانى بكم قد امنتم فلم ينفعكم واستنظرتم فلم تنظروا
وهذا على الوجه الاول ظاهر واما على الاخيرين فالموصول عبارة عن المقتولين يومئذ لا عن
كافة الكفرة كما في الاوجه الاول كيف لا وقد نفع الايمان الطلقاء يوم الفتح وناسا امنوا يوم بدر
فاعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم وانتظر النصرة عليهم وهلاكهم انهم منتظرون قيل اى الغلبة
عليكم كقوله تعالى فتربصوا انا معكم متربصون والاظهر ان يقال انهم منتظرون اهلاكهم كما في
قوله تعالى هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام الاية ويقرب منه قيل وانتظر عذابنا
فانهم منتظرون فان استمرارهم المذكور وعكوفهم على ما هم عليه من الكفر والمعاصى في حكم
انتظارهم العذاب المترتب عليه لا محالة وقرئ على صيغة المفعول على معنى انهم احقاء بان ينتظر هلاكهم
او فان الملئكة ينتظرونه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل وتبارك الذى بيده الملك اعطى
من الاجر كمن احيى ليلة القدر وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبى اتق الله في ندائه صلى الله عليه وسلم بعنوان النبوة
تنويه بشانه وتنبيه على سمو مكانه والمراد بالتقوى المامور بها الثبات عليها والازدياد منها
فان لها بابا واسعا وعرضا عريضا لا ينال مداه ولا تطع الكافرين اى المجاهرين بالكفر والمنافقين
المضمرين له اى فيما يعود بوهن في الدين واعطاء دنية فيما بين المسلمين روى ان سفيان بن حرب
وعكرمة بن ابى جهل وابا الاعور السلمى قدموا عليه صلى الله عليه وسلم في الموادعة التى كانت
بينه صلى الله عليه وسلم وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابى مصعب بن قشير والجد بن قيس فقالوا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وندعك وربك فشق ذلك على
النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اى اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة
ولا تساعد الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك ان الله كان
عليما حكيما مبالغا في العلم والحكمة فيعلم جميع الاشياء من المصالح والمفاسد فلا يامرك الا بما فيه
مصلحة ولا ينهاك الا عن ما فيه مفسدة ولا يحكم الا بما يقتضيه الحكمة البالغة فالجملة تعليل
للامر والنهى موكد لمضمون وجوب الامتثال بهما واتبع اى في كل ما تاتى وما تذر من امور الدين ما
يوحى اليك من ربك من الايات التى من جملتها هذه الاية الامرة بتقوى الله الناهية عن مسا
عدة الكفرة والمنافقين والتعرض لعنوان الربوبية لتاكيد وجوب الامتثال بالامر ان الله كان
بما تعملون خبيرا قيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقيل له صلى الله عليه
وسلم وللمؤمنين وقيل للغائبين بطريق الالتفات ولا يخفى بعده نعم يجوز ان يكون للكل على ضرب
من التغليب واياما كان فالجملة تعليل للامر وتاكيد لموجبه اما على الوجهين الاولين فبطريق
الترغيب والترهيب كانه قيل ان الله خبير بما تعملونه من الامتثال وتركه فيرتب على كل منهما جزاءه
ثوابا وعقابا واما على الوجه الاخير فبطريق الترغيب فقط كانه قيل ان الله خبير بما يعمله كلا
الفريقين فيرشدك الى ما فيه صلاح حالك وانتظام امرك ويطلعك على ما يعملونه من المكايد

والمفاسد

والمفاسد ويامرك بما ينبغى لك ان تعمله في دفعها وردها فلا بد من اتباع الوحى والعمل بمقتضاه حتما
وتوكل على الله اى فوض جميع امورك اليه وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه كل الامور ما جعل
الله لرجل من قلبين في جوفه شروع في القاء الوحى الذى امر عليه باتباعه وهذا مثل ضربه الله تعالى
تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم وما جعل ادعياءكم
ابناءكم وتنبيها على كون المظاهر منها اما وكون الدعى ابنا اى بمنزلة الام والابن في الاثار والاحكام
المعهودة فيما بينهم في الاستحالة بمنزلة اجتماع قلبين في جوف واحد وقيل هو رد لما كانت العرب
تزعم من ان اللبيب الاريب له قلبان ولذلك قيل لابى معمر او جميل بن اسد الفهرى ذو
القلبين اى ما جعل الله قلبين في رجل واحد وذكر الجوف لزيادة التقرير كما في قوله تعالى ولكن تعمى
القلوب التى في الصدور ولا زوجية وامومة في امراة ولا دعوة وبنوة في شخص لكن لا بمعنى نفى
الجمع بين حقيقة الزوجية والامومة والنفى الجمع بين احكام الدعوة واحكام البنوة لابطال
ما كانوا عليه من اجراء احكام الامومة المظاهر منها واجراء احكام البنوة على الدعى ومعنى الظهار
ان يقول لزوجته انت على كظهر امى ماخوذ من الظهر باعتبار اللفظ كالتلبية من لبيك وتعديته
بمن لتضمنه معنى التجنب لانه كان طلاقا في الجاهلية وهو في الاسلام يقتضى الطلاق والحرمة الى
اداء الكفارة كما عدى الى بها وهو بمعنى حلف وذكر الظهار للكناية عن البطن الذى هو عموده فان
ذكره قريب من ذكر الفرج او للتغليظ في التحريم فانهم كانوا يحرمون اتيان الزوجة وظهرها الى السماء
وقرئ اللاء وقرئ تظاهرون بحذف احدى التاءين من تتظاهرون وتظاهرون بادغام التاء
الثانية في الظاء ويظهرون من اظهر بمعنى تظهرون وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد
وتظهرون من ظهر ظهورا وادعياء جمع دعى وهو الذى يدعى ولدا على الشذوذ كانه شبه بفعيل
بمعنى فاعل كتقى واتقياء كانه شبه في اللفظ فجمع جمعه كقتلاء واسراء ذلكم اشارة الى ما يفهم مما
ذكر من الظهار والادعاء او الى الاخير الذى هو المقصود من مساق الكلام اى دعاؤكم بقولكم هذا
ابنى قولكم بافواهكم فقط من غير ان يكون له مصداق وحقيقة في الاعيان فاذا هو بمعزل من استتباع
احكام البنوة كما تزعمون والله يقول الحق المطابق للواقع وهو يهدى السبيل اى سبيل الحق لا غير فدعوا
اقوالكم وخذوا بقوله هذا ادعوهم لابائهم اى انسبوهم اليهم وخصوهم بقوله عز
وجل هو اقسط عند الله تعليل له والضمير لمصدر ادعوا كما في قوله تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى
واقسط افعل تفضيل قصد به الزيادة مطلقا من القسط بمعنى العدل اى الدعاء لابائهم
بالغ في العدل والصدق في حكم الله تعالى بمقتضاه فان لم تعلموا اباءهم فتنسبوهم اليهم اى الدعاء
بما لا ياتيهم فهو اخوانكم في الدين ومواليكم واوليائكم فيه اى فادعوهم بالاخوة الدينية
والمولوية وليس عليكم جناح اى اثم فيما اخطاتم به اى فيما فعلتموه من ذلك مخطئين بالسهو
او النسيان او سبق اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم اى ولكن الجناح فيما تعمدت قلوبكم بعد النهى او ما
تعمدت قلوبكم فيه الجناح وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن المخطئ وحكم التبنى بقوله هو ابنى اذا كان
عبد الله اذا كان الحق على كل حال ولا يثبت نسبه منه الا اذا كان مجهول النسب وكان بحيث يولد
مثله لمثل المتبنى ... النبى اولى بالمؤمنين من انفسهم اى في كل امر من امور
الدين والدنيا كما يشهد به الاطلاق فيجب عليهم ان يكون صلى الله عليه وسلم احب اليهم من
انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه اثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه اقدم من
شفقتهم عليها روى انه صلى الله عليه وسلم اراد غزوة تبوك فامر الناس بالخروج فقال
ناس منهم نستاذن اباءنا وامهاتنا فنزلت وقرئ وهو اب لهم اى في الدين فان كل نبى اب لامته من
حيث انه اصل فيما به الحياة الابدية ولذلك صار المؤمنون اخوة وازواجه امهاتهم اى منزلات
منزلتهن في التحريم واستحقاق التعظيم واما فيما عدا ذلك فهن كالاجنبيات ولذلك قالت عائشة
رضى الله تعالى عنها لسنا امهات النساء واولوا الارحام اى ذوو القرابات بعضهم اولى ببعض
في التوارث وهو نسخ لما كان في صدر الاسلام من التوارث بالهجرة والموالاة في الدين في كتاب الله
في اللوح او فيما انزله وهو هذه الاية او اية المواريث او فيما فرضه الله تعالى من المؤمنين والمهاجرين
بيان لاولى الارحام او صلة لاولى اى اولوا الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المؤمنين بحق
الدين والمهاجرين بحق الهجرة الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا استثناء من اعم ما يقدر الاولوية
فيه من النفع والمراد بفعل المعروف التوصية او منقطع كان ذلك في الكتاب مسطورا اى
ثابتا في اللوح او القران وقيل في التوراة واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم

فاخوانكم

اى وقت اخذنا من النبيين كافة عهودهم بتبليغ الرسالة والدعا الى الدين الحق ومنك ومن نوح وابراهيم
وعيسى بن مريم تخصيصهم بالذكر مع اندراجهم فى النبيين اندراجا مبينا للايذان بمزيد مزيتهم وفضلهم
وكونهم من مشاهير ارباب الشرائع واساطين اولى العزم من الرسل وتقديم نبينا عليه وعليهم
افضل الصلاة والسلام لابانة خطره الجليل واخذنا منهم ميثاقا غليظا اى عهدا عظيم الشان او
موكدا باليمين وهذا هو الميثاق الاول بعينه واخذه هو اخذه من العطف مبنى على تنزيل التغاير العنوانى
منزلة التغاير الذاتى تفخيما لشانه كما فى قوله تعالى ونجيناهم من عذاب غليظ اثر قوله تعالى نجينا هودا
والذين امنوا معه برحمة منا ليسال الصادقين عن صدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق لبيان
ما هو داع الى ما ذكر من اخذ الميثاق وغاية له لا باخذنا فان المقصود تذكير نفس الميثاق ثم
بيان الغرض منه بيانا قصديا كما ينبى عنه تغيير الاسلوب بالالتفات الى الغيبة اى فعل الله ذلك
ليسال يوم القيمة الانبياء الذين صدقوا عهودهم عما قالوا لقومهم او عن تصديقهم اياهم تبكيتا لهم
كما فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم او المصدقين لهم عن تصديقهم فان مصدق
الصادق صادق وتصديقه صدق واما ما قيل من ان المعنى ليسال المؤمنين الذين صدقوا عهدهم
حين اشهدهم على انفسهم عن صدقهم عهدهم فياباه مقام ذكر ميثاق النبيين وقوله تعالى واعد
للكافرين عذابا اليما عطف على ما ذكر من المضمر لا على اخذنا كما قيل والتوحيد باذ بعثه الرسل واخذ
الميثاق منهم لاثابة المؤمنين او بان الله تعالى اكد على الانبياء بالدعوة الى دينه لاجل اثابة
المؤمنين تعسف ظاهر مع انه مفض الى كون بيان اعداد العذاب الاليم للكافرين غير مقصود
بالذات نعم يجوز عطفه على ما دل عليه قوله تعالى ليسال الصادقين عن صدقهم كانه قيل فاثاب
المؤمنين واعد للكافرين الاية يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم ان جعل النعمة مصدرا
فالجار متعلق بها والا فهو متعلق بمحذوف هو حال منها اى كائنة اذ جاءتكم جنود ظرف لنفس
النعمة او لثبوتها لهم وقيل منصوب باذكروا على انه بدل اشتمال من نعمة الله تعالى والمراد بالجنود
الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير وكانوا زهاء اثنى عشر الفا فلما سمع به
رسول الله صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسى ثم خرج
فى ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذرارى والنساء
فرفعوا فى الاطام واشتد الخوف وظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق فى المنافقين حتى قال معتب
ابن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا نقدر الان ان نذهب الى الغائط ومضى على الفريقين
قريب من شهر لاحرب بينهم لاان تذهب الى الغائط ومضى على الفريقين قريب من شهر لاحرب
بينهم الا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن ود وعكرمة ابن ابى جهل وهبيرة بن وهب ونوفل
بن عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو بنى محارب قد ركبوا خيولهم وتيمموا من الخندق مكانا
ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحموا فاقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو معلما ليرى مكانه فقال
له على رضى الله عنه يا عمرو انى ادعوك الى الله ورسوله والاسلام وقال لا حاجة لى اليه قال فانى
ادعوك الى النزال قال يا ابن اخى لا احب ان اقتلك قال على رضى الله عنه ولكنى والله احب ان
اقتلك قال على رضى الله عنه ولكنى والله احب ان اقتلك فحمى عمرو عند ذلك وكان غيورا
مشهورا بالشجاعة واقتحم عن فرسه فعقره وضرب وجهه ثم اقبل على على رضى الله عنه فتنازلا
وتجاولا فضربه على رضى الله عنه ضربة ذهبت فيها نفسه فلما قتله انهزمت خيله
حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل عمرو رجله منه ابن عثمان بن عبد الدار ونوفل بن عبد الله
ابن المغيرة المخزومى قتله ايضا على رضى الله عنه وقيل لم يكن بينهم الا الترامى بالنبل والحجارة
حتى انزل الله تعالى النصر وذلك قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا عطف على جاءتكم مسوق لبيان
النعمة اجمالا وسياق بقيتها فى اخر القصة وجنودا لم تروها وهم الملائكة عليهم السلام وكانوا الفا
بعث الله عليهم صبا باردة فى ليلة شاتية فاحصرتهم وسفت التراب فى وجوههم وامر الملائكة
فقلعت الاوتاد وقطعت الاطناب واطفات النيران واكفات القدور وماجت الخيل بعضها
فى بعض وقذفت فى قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة فى جوانب فقال طليحة بن خويلد الاسدى
اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وكان الله بما تعملون من حفر الخندق و
وترتيب مبادى الحرب وقيل من التجائكم اليه ورجائكم من فضله وقرئ بالياء اى بما يعمله
الكفار من التحزب والمحاربة او من الكفر والمعاصى بصيرا ولذلك فعل ما فعل من نصركم
عليهم والجملة اعتراض مقرر لما قبله اذ جاءوكم بدل من اذ جاءتكم من فوقكم من اعلى الوادى

من

من جهة المشرق وهم بنو غطفان ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن حصن وعامر بن
الطفيل وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومن اسفل منكم اى من اسفل الوادى من قبل المغرب
وهم قريش ومن شايعهم من الاحابيش وبنى كنانه واهل تهامه وقائدهم ابو سفيان وكانوا عشرة
الاف واذ زاغت الابصار عطف على ما قبله داخل معه فى حكم التذكير اى حين مالت عن سننها
وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شئ فلم تلتفت الا الى عدوها لشدة الروع
وبلغت القلوب الحناجر لان الرئة تنتفخ عنده من شدة الفزع فيرتفع القلب بارتفاعها الى راس
الحنجرة وهى منتهى الحلقوم وقيل هو مثل فى اضطراب القلوب ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقة والخطاب
فى قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا لمن اظهر الايمان على الاطلاق اى تظنون بالله تعالى انواع الظنون المختلفة
حيث ظن المخلصون الثبت القلوب ان الله تعالى منجز وعده فى اعلاء دينه كما يعرب عنه ما سيحكى عنهم
من قولهم هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله الاية او يمتحنهم فخافوا الزلل وضعف
الاحتمال والضعاف القلوب والمنافقون ما حكى عنهم مما لا خير فيه والجملة معطوفة على زاغت وصيغة
المضارع لاستحضار الصورة والدلالة على الاستمرار وقرئ الظنون بغير الف وهو القياس وزيادة
لمراعاة الفواصل كما تزاد فى القوافى هنالك ظرف زمان او ظرف مكان لما بعده اى فى ذلك الزمان
الهائل او المكان الدحض ابتلى المؤمنون اى عوملوا معاملة من يختبر فظهر المخلص من المنافق والراسخ من
المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا من الهول والفزع وقرئ بفتح الزاء واذ يقول المنافقون عطف على اذ
زاغت وصيغة المضارع لما مر من الدلالة على استمرار القول واستحضار صورته والذين فى قلوبهم مرض
اى ضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله من اعلاء الدين والظفر الا غرورا اى وعدا مغرورا وقيل قولا
باطلا القائل لذلك معتب بن قشير واضرابه رضوان به قال يعدنا محمد بفتح كنوز كسرى وقيصر و
احدنا لا يقدر ان يبرز فرقا ما هذا الا وعد غرور واذ قالت طائفة منهم هم اوس بن قيظى واتباعه
عبد الله بن ابى واشياعه يا اهل يثرب هو اسم للمدينة المطهرة وقيل المدينة فى ناحية منها وقد نهى
النبى صلى الله عليه وسلم ان يسمى بها كراهة لها وقال هى طيبة او طابة كانهم ذكروها بهذا الاسم مخالفة
له صلى الله عليه وسلم ونداؤهم اياهم بعنوان اهليتهم لها ترشيح لما بعدها من الامر بالرجوع اليها
لا مقام لكم لا موضع اقامة لكم هاهنا يريدون المعسكر وقرئ بفتح الميم اى لا قيام او لا موضع قيام لكم
فارجعوا اى الى منازلكم بالمدينة مرادهم الامر بالفرار لكنهم عبروا عنه بالرجوع ترويجا لمقالهم وايذانا
بانه ليس من قبيل الفرار المذموم وقيل المعنى لا قيام لكم فى دين محمد صلى الله عليه وسلم فارجعوا الى
ما كنتم عليه من الشرك او فارجعوا عما بايعتموه عليه واسلموه الى اعدائه او لا مقام لكم فى يثرب
فارجعوا كفارا ليتمكن لكم المقام بها والاول هو الانسب لما بعده فان قوله تعالى ويستاذن فريق منهم
النبى معطوف على ما قالت وصيغة المضارع لما مر من استحضار الصورة وهم بنو حارثة وبنو سلمة
استاذنوه صلى الله عليه وسلم فى الرجوع ممتثلين بامرهم وقوله تعالى يقولون بدل من يستاذن او
حال من فاعله او استيناف مبنى على السؤال عن كيفية الاستيذان ان بيوتنا عورة اى غير حصينة معرضة للعدو
والسراق فاذن لنا حتى نحصنها ثم نرجع الى العسكر والعورة فى الاصل الخلل اطلقت على المختل مبالغة ويجوز
ان يكون تخفيف عورة من عورت الدار اى اختلت وقد قرئ بها والاول هو الانسب بمقام الاعتذار
كما يفصح عنه تصدير مقالهم بحرف التحقيق وما هى بعورة والحال انها ليست كذلك ان يريدون ما يريدون
بالاستيذان الا فرارا من القتال ولو دخلت عليهم اسند الدخول الى بيوتهم واوقع عليهم لما ان المراد فرض
دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور من اقطارها اى من
جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلة بالكلية ودخلها كل من اراد
الدعارة والفساد ثم سئلوا من جهة طائفة اخرى عند تلك النازلة والرجفة الهائلة الفتنة اى الردة
والرجعة الى الكفر مكان ما سئلوا من الايمان والطاعة لاتوها لاعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية
الدهيا والغارة الشعواء وقرئ لاتوها بالقصر اى لفعلوها وجاؤها وما تلبثوا بها بالفتنة اى ما لبثوا
بها وما اخروها الا يسيرا ريثما يسمع السؤال والجواب من الزمان فضلا عن التعلل باختلال البيوت
مع سلامتها كما فعلوا الان وقيل ما لبثوا بالمدينة بعد الارتداد الا يسيرا والاول هو اللائق بالمقام
هذا وما تخصيص فرض الدخول بتلك العساكر المتحزبة فمع منافاته للعموم المستفاد من تجريد الدخول
عن الفاعل ففيه ضرب من فساد الوضع لما عرفت من ان مساق النظم الكريم لبيان انهم اذا دعوا
الى الحق العساكر المذكوره ولنادى لقتال المؤمنين المصرون على الاعراض عن الحق المجدون فى الدعا الى
الكفر والضلال بمعزل من التقريب ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فان بنى حارثه

عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حين فشلوا الفتنة الدعوة ان لا يعودوا لمثله وقيل
هم قوم غابوا عن وقعة بدر وما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والفضيلة فقالوا لئن اشهدنا الله
قتالا لنقاتلن وكان الله مسؤلا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به وقيل مسؤلا عن الوفا به ومجازى عليه
قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فانه لا بد لكل شخص من حتف انف او قتل بسيف فى
وقت معين سبق به القضاء وجرى عليه القلم واذا لا تمتعون الا قليلا اى وان نفعكم الفرار مثلا
فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتع الا تمتيعا او زمانا قليلا قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان اراد بكم
سوءا او اراد بكم رحمة اى او يصيبكم بسوء ان يدفع عنهم الضرر ام اراد بكم رحمة فاختصر الكلام
او حمل الثانى على الاول لما فى العصمة من معنى المنع ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
يدفع عنهم الضرر قد يعلم الله المعوقين منكم اى المبطلين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهم المنافقون والقايلين لاخوانهم من منافقى المدينة هلم الينا وهو صوت سمى به فعل متعد
نحو احضر او اقرب ويستوى الواحد والجماعة لغة اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون هلم يا رجل
وهلموا يا رجال اى قربوا انفسكم الينا وهذا يدل على انهم عند هذا القول خارجون عن المعسكر متوجهون
نحو المدينة ولا ياتون البأس اى الحرب والقتال الا قليلا اى اتيانا او زمانا او بأسا فانهم يعتذرون
ويتثبطون ما امكن لهم ويخرجون مع المؤمنين يوهمونهم انهم معهم لا تراهم يبارزون ويقاتلون الا شيا
قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا وقيل انه من تتمة كلامهم معناه ولا يأتى اصحاب محمد
حرب الاحزاب ولا يقاومونهم الا قليلا اشحة عليكم اى بخلاء عليكم بالمعاونة او النفقة فى سبيل الله
والظفر والغنيمة جمع شحيح ونصب على الحالية من فاعل يأتون او من المعوقين او على الذم فاذا جاء
الخوف سلقوكم بالسنة حداد رأيتهم ينظرون اليك تدور اعينهم فى احداقهم كالذى يغشى عليه من الموت
صفة لمصدر ينظرون او حال من فاعليه او المصدر تدور او حال من اعينهم اى ينظرون نظرا كائنا كنظر
المغشى عليه من معالجة سكرات الموت حذرا وخورا او لواذا او ينظرون كائنين كالذى الخ او تدور
اعينهم دورانا كائنا كدوران عينه او تدور اعينهم كائنة كعينه فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم سلقوكم
ضربوكم بالسنة حداد وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا
نصرتم عليه والسلق البسط بقهر باليد واللسان وقرئ صلقوكم اشحة على الخير نصب على الحالية او الذم
ويؤيده القراءة بالرفع اولئك الموصوفون بما ذكر من صفات السوء لم يؤمنوا بالاخلاص فاحبط الله اعمالهم
اى اظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم اعمال فتبطل او ابطل تصنعهم ونفاقهم فلم يبق مستتبعا للمنفعة دنيوية
اصلا وكان ذلك الاحباط على الله يسيرا هينا وتخصيص يسره بالذكر مع ان كل شئ عليه تعالى يسير
لبيان ان اعمالهم حقيقة بان يظهر وضوحها الجمال تعالى عند الدولى وعدم الصوارف بالكلية يحسبون
الاحزاب لم يذهبوا اى هؤلاء لجبنهم يظنون ان الاحزاب لم ينهزموا ففروا الى داخل المدينة وان يأت الاحزاب
كرة ثانية يودوا لو انهم بادون فى الاعراب تمنوا انهم خارجون الى البدو وحاصلون بين الاعراب وقرئ
بدى جمع باد كغاز وغزى يسألون كل قادم من جانب المدينة وقرئ يساءلون اى يتساءلون ومعناه
يقول بعضهم لبعض ما ذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما يقال رايت الهلال وتراءيناه فان
صيغة التفاعل قد تجرد عن معنى كون ما اسند اليه فاعلا من وجه ومفعولا من وجه ويكتفى بتعدد
الفاعل كما فى المثال المذكور ونظايره عن انبائكم عما جرى عليكم ولو كانوا فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى
المدينة وكان قتال ما قاتلوا الا قليلا رياء وخوفا من التعيير لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة
خصلة حسنة حقها ان يؤتسى بها كالثبات فى الحرب ومقاساة الشدايد او هو فى نفسه قدوة يحق التاسى
به كقولك فى البيضة عشرون منا حديدا اى هى فى نفسها هذا القدر من الحديد وقرئ بكسر الهمزة وهى لغة
فيها لمن كان يرجو الله واليوم الاخر اى ثواب الله او لقاءه او ايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل هو
مثل قولك ارجو زيدا وفضله فان اليوم الاخر من ايام الله تعالى ولمن كان صلة لحسنة او صفة لها
وقيل بدل من لكم والاكثرون على ان ضمير المخاطب لا يبدل منه وذكر الله اى وقرن الرجاء بذكر الله كثيرا
اى ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا فان المتابعة على ذكره تعالى تؤدى الى ملازمة الطاعة وبها يتحقق
الايتساء برسول الله صلى الله عليه وسلم ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا بيان لما صدر عن خلص
المؤمنين عند اشتباه الشؤون واختلاف الظنون بعد حكاية ما صدر عن غيرهم اى لما شاهدوهم حيث هو
من غير ان يخطر ببالهم لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ كما فى قوله تعالى
فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى وجعله اشارة الى الخطب او البلاء من تتابع النظر الجليل فتدبر نعم
يجوز التذكير باعتبار الذى هو ما وعدنا الله ورسوله فان ذلك العنوان اول ما يخطر ببالهم عند المشاهدة

ومرادهم

ومرادهم بذلك ما وعدوه بقوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
الى قوله تعالى الا ان نصر الله قريب وقوله صلى الله عليه وسلم ان الاحزاب سايرون اليكم بعد تسع
ليال او عشر وقرئ بكسر الراء وفتح الهمزة وصدق الله ورسوله اى ظهر صدق خبر الله تعالى
ورسوله صلى الله عليه وسلم او صدق النصرة والثواب كما صدق فى البلاء واظهار الاسم للتعظيم وما
زادهم اى ما رأوه الا ايمانا بالله تعالى وبمواعيده وتسليما لاوامره ومقاديره من المؤمنين اى المؤمنين
بالاخلاص مطلقا لا الذين حكيت محاسنهم خاصة رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع الرسول
صلى الله عليه وسلم والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضى الله تعالى عنهم نذروا انهم اذا
لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن
عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وانس ابن النضر وغيرهم رضوان
الله عليهم اجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقنى اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما
بطريق الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما فى قولهم صدقنى سن بكره اى فى سنه واما بجعل المعاهد عليه
مصدوقا على المجاز كانهم خاطبوه خطاب من قال لكرماية • تحرينى الاعداء ان لم تخزنى وقالوا له سنفى
بك وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه لكان مكذوبا فمنهم من قضى نحبه تفصيل
حال الصادقين وتقسيم لهم الى قسمين والنحب النذر وهو ان يلزم الانسان شيئا من اعماله ويوجبه
على نفسه وقضاؤه الفراغ منه والوفاء به ومحله الجار والمجرور والرفع على الابتداء على احد الوجهين
المذكورين فى قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الاية اى فبعضهم او فبعض منهم من خرج عن
العهدة كحمزة ومصعب ابن عمير وانس ابن النضر عم انس مالك رضوان الله عليهم اجمعين فانهم
قد قضوا نذورهم سواء كان النذر على حقيقته بان يكون ما نذروه افعالهم الاختيارية التى هى المقاتلة
بما ليس مما لا بد لها تحت النذر وهو الموت شهيدا او كان مستعارا لالتزامه على طلباق ومتهم او
وبعضهم او بعض منهم من ينتظر اى قضى نحبه لكونه موقتا كعثمان وطلحة وغيرهما ممن استشهد يوم
ذلك رضوان الله عليهم فانهم مستمرون على نذورهم وقد قضوا بعضها الباقى وهو القتال الى الموت
شهيدا هذا ان يكون النحب مستعارا لالتزام الموت شهيدا اما بتنزيل التزام اسبابه التى هى افعال
اختيارية للناذر منزلة التزامه نفسه واما بتنزيل نفسه منزلة اسبابه وايراد الالتزام عليه وهو
الانسب بمقام المدح واياما كان ففى وصفهم بانتظاره المبنى عن الرغبة المنتظر شهادة حقه بكمال
اشتياقهم الى الشهادة واما ما قيل من ان النحب استعير للموت لانه كنذر لازم فى رقبة كل حيوان
ففيه الاستعارة وذهاب برونقها واخراج النظم الكريم عن مقتضى الكلام من الحظية وما بدلوا عطف على
صدقوا وفاعله فاعله وما بدلوا العهد ولا غيروه تبديلا اى تبديلا ما لا اصلا ولا وصفا بل ثبتوا عليه
راغبين فيه مراعين لحقوقه على احسن ما يكون اما الذين قضوا فظاهر واما الباقون فيشهد به
انتظارهم اصدق شهادة وتعميم عدم التبديل للفريق الاول مع ظهور حالهم للايذان بمساواة
الفريق الثانى لهم فى الحكم ويجوز ان يكون ضمير بدلوا للمنتظرين خاصة بناء على ان المحتاج الى البيان حالهم
وقد روى ان طلحة رضى الله تعالى عنه ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده
فقال صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة وفى رواية اوجب طلحة وعنه صلى الله عليه وسلم فى رواية
جابر من سره ان ينظر الى شهيد يمشى على الارض فلينظر الى طلحة بن عبيد الله وفى رواية عائشة رضى الله
تعالى عنها من سره ان ينظر الى شهيد يمشى على الارض وقد قضى نحبه فلينظر الى طلحة وهذا يشير الى انه
من الاولين كما ليجزى الله الصادقين بصدقهم متعلق بمضمر مستانف مسوق بطريق الفذلكة لبيان
ما هو داع الى وقوع ما حكى من الاقوال والاحوال على التفصيل وغاية له كما فى قوله تعالى ليسأل
الصادقين عن صدقهم كانه قيل وقع جميع ما وقع ليجزى الله الصادقين بما صدر عنهم من الصدق والوفا
قولا وفعلا ويعذب المنافقين بما صدر عنهم من الاقوال والاعمال المحكية ان شاء تعذيبهم او يتوب
عليهم ان تابوا وقيل متعلق بما قبله من نفى التبديل المنطوق واثباته المعرض بمن كان من المنافقين قصدوا
بالتبديل عاقبة السوء كما قصد المخلصون بالثبات والوفا العاقبة الحسنى وقيل تعليل لصدقوا وقيل لما
يفهم من قوله تعالى وما زادهم الا ايمانا وتسليما وقيل لما يستفاد من قوله تعالى ولما راى المؤمنون
الاحزاب كانه قيل ابتلاهم الله تعالى برؤية ذلك الخطب ليجزى الاية تامل وبالله التوفيق ان الله
كان غفورا رحيما لمن تاب وهو اعتراض فيه بعث الى التوبة وقوله تعالى ليجزى الله سبحانه قبل اشد
حكاية الامور المذكورة وقع ما وقع من الحوادث ورد الله الذين كفروا الى الاخرة وما علل ارسلنا وقد وقع بينهما
كون ما ذكر واقعة طامة تحيرت العقول ولا فهامها امية تامة كما حكت منها الركب وذلك منها

الاقدام وتفصيل ما صدر عن فريقى اهل الايمان واهل الكفر والنفاق من الاحوال والاقوال لاظهار عظم
النعمة وابانة خطرها الجليل ببيان وصولها اليهم عند غاية احتياجهم اليها اى فارسلنا عليهم ريحا
وجنودا لم تروها ورددنا بذلك الذين كفروا اولا لتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وادخال
الروعة وقوله تعالى بغيظهم حال من الموصول اى متلبسين به وقوله تعالى لم ينالوا خيرا بتداخل
او تعاقب او غيره ظافرين بخير الثانية بيان للاولى او استيناف وكفى الله المؤمنين القتال بما ذكر
من ارسال الريح والجنود وكان الله قويا على احداث كل ما يريد عزيزا غالبا على كل شئ وانزل الذين
ظاهروهم اى عاونوا الاحزاب المردودة من اهل الكتاب وهم بنو قريظة من صياصيهم من حصونهم
جمع صيصة وهى ما يتحصن به ولذلك يقال لقرن الثور والظبى وشوكة الديك وقذف فى قلوبهم
الرعب الخوف الشديد بحيث اسلموا انفسهم للقتل واهليهم واولادهم للاسر حسبما ينطق به
قوله تعالى فريقا تقتلون وتاسرون فريقا من غير ان يكون من جهتهم حراك فضلا عن المخالفة والاستعصا
روى ان جبريل اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب
ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا السلاح فقال اتنزع لامتك والملائكة ما وضعوا
السلاح ان الله يامرك ان تسير الى قريظة وانا عامد اليهم فاذن فى الناس ان لا يصلوا العصر الا
ببنى قريظة فحاصروهم احدى وعشرين او خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم تنزلون
على حكمى فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فحكم سعد بقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم
ونسائهم فكبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة فقتل منهم
ستماية مقاتل وقيل من ثمان ماية الى تسعماية واسر سبعماية وقرئ تاسرون بضم السين كما قرئ
الرعب بضم العين ولعل تاخير المفعول فى الجملة الثانية مع ان مساق الكلام لتفصيله وتقسيمه
كما فى قوله تعالى ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقوله تعالى ففريقا كذبوا وفريقا يقتلون لمراعاة
الفواصل واورثكم ارضهم وديارهم اى حصونهم واموالهم نقودهم واثاثهم ومواشيهم روى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار فى ذلك
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم فى منازلكم فقال عمر رضى الله عنه اما تخمس كما خمست يوم
بدر فقال صلى الله عليه وسلم انما جعلت هذه لى طعمة دون الناس قالوا رضينا بما صنع الله
ورسوله وارضا لم تطئوها اى وذكم فى علمه وتقديره ارضا لم تقبضوها بعد فارس والروم
وقيل بل ارض من تفتح الى يوم القيمة وقيل خيبر وكان الله على كل شئ قديرا فقد شاهدتم بعض مقدوراته
من ايراث الاراضى التى تسلمتموها فقيسوا عليها ما عداها يا ايها النبى قل لازواجك ان كنتن تردن
الحياة الدنيا اى السعة والتنعم فيها وزينتها وزخارفها فتعالين اى اقبلن بارادتكن واختياركن
لاحدى الخصلتين كما يقال اقبل يكلمنى وذهب يخاصمنى وقام يهددنى امتعكن بالجزم جوابا للامر
وكذا واسرحكن اى اعطكن المتعة واطلقكن سراحا جميلا طلاقا من غير ضرار وقرئ بالرفع على
الاستيناف روى انهن سالنه صلى الله عليه وسلم ثياب الزينة وزيادة النفقة فنزلت فبدا بعايشة
فخيرها فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة ثم اختارت الباقيات اختيارها فشكر لهن الله
ذلك فنزل لا يحل لك النساء من بعد واختلف فى ان هذا التخيير هل كان تفويض الطلاق اليهن حتى
وانما كان تخييرا لهن بين الارادتين على انهن ان اردن الدنيا فارقهن صلى الله عليه وسلم كما ينبئ
عنه وقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن وذهب بعضهم الى انه كان تفويضا للطلاق اليهن
حتى لو انهن اخترن انفسهن كان ذلك طلاقا وكذا اختلف فى حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود رضى
الله تعالى عنهم اذا خير رجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شئ اصلا ولو اختارت نفسها وقعت
طلقة باينة عندنا ورجعية عند الشافعى وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابى ليلى وسفيان
رحمهم الله تعالى وروى عن زيد بن ثابت انها ان اختارت زوجها يقع طلقة واحدة وان اختارت
نفسها يقع ثلاث تطليقات وهو قول الحسن ورواية عن مالك وروى عن على رضى الله تعالى عنه
انها ان اختارت زوجها لا يقع شئ اصلا وعليه اجماع فقهاء الامصار وقد روى عن عايشة رضى
الله تعالى عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه ولم يعده طلاقا وتقديم التمتيع
على التسريح من باب الكرم وفيه قطع لمعاذيرهن من اول الامر والمتعة فى المطلقة التى لم يدخل
بها ولم يفرض لها صداق عند العقد واجبة عندنا وفيما عداها مستحبة وهى درع وخمار وملحفة
بحسب السعة والاقتار الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فحينئذ يجب لها الاقل منهما ولا
ينقص من خمسة دراهم وان كنتن تردن الله ورسوله اى تردن رسوله وذكر الله عز وجل للايذان

بجلالة

بجلالة محمد صلى الله عليه وسلم عنده تعالى والدار الاخرة اى نعيمها الذى لا قدر عنده للدنيا
وما فيها جميعا فان الله اعد للمحسنات منكن بمقابلة احسانهن اجرا عظيما لا يقادر قدره ولا
تبلغ غايته ومن للتبيين لان كلهن محسنات وتجريد الشرطية الاولى عن الوعيد للمبالغة فى تحقيق
معنى الاختيار مع شايبة الاكراه وهو السر فيما ذكر من تقديم التمتيع على التسريح وفى وصف
التسريح بالجميل يا نساء النبى تلوين للخطاب وتوجيه اليهن لاظهار الاعتناء بنصحهن ونداؤهن ههنا
وفيما بعده بالاضافة اليه صلى الله عليه وسلم لانها التى يدور عليها ما يرد عليهن من الاحكام من يات
منكن بفاحشة بكبيرة مبينة ظاهرة القبح من بين بمعنى تبين وقرئ بفتح الياء والمراد بها كل ما اقترفن
من الكباير وقيل هى عصيانهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق
عليه او يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقرئ تات بالفوقانية يضاعف لها العذاب ضعفين اى
يعذبن ضعفى عذاب غيرهن اى مثليه لان الذنب منهن اقبح فان زيادة قبحه تابعة لزيادة
فضل المذنب والنعمة عليه ولذلك جعل حد الحر ضعف حد الرقيق وعوتب الانبياء صلى الله
عليه وسلم بما لا يعاتب به الامم وقرئ يضعف على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بنون العظمة
على البناء للفاعل ونصب العذاب وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه عن التضعيف كونهن نساء النبى
صلى الله عليه وسلم بل يدعوه اليه لمراعات حقه ومن يقنت منكن وقرئ بالتاء اى ومن تدم على
الطاعة لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين مرة على الطاعة والتقوى واخرى على طلبهن
رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقناعة وحسن المعاشرة وقرئ يعمل بالياء حملا على لفظ من و
ونؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا لها فى الجنة زيادة على اجرها المضاعف رزقا كريما مرضيا
يا نساء النبى لستن كاحد من النساء اصل احد وحد بمعنى الواحد ثم وضع فى النفى مستويا فيه المذكر
والمونث والواحد والكثير والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعة النساء فى الفضل والشرف ان
اتقيتن مخالفة حكم الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم وان اتصفتن بالتقوى كما هو اللايق بحالكن
فلا تخضعن بالقول عند مخاطبة الناس اى لا تجئن بقولكن خاضعا لينا على سنن قول المريبات
والمومسات فيطمع الذى فى قلبه مرض اى فجور وريبة وقرئ بالجزم عطفا على محل فعل النهى على انه
نهى لمريض القلب عن الطمع عقيب نهيهن عن الاطماع بالقول الخاضع كانه قيل فلا تخضعن بالقول
فيطمع الذى فى قلبه مرض فلا يطمع مريض القلب وقلن قولا معروفا بعيدا من الريبة والاطماع بجد
وخشونة من غير تخشين او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن امر من قر يقر من
باب علم واصله اقررن فحذفت الراء الاولى والقيت فتحتها على ما قبلها كما فى قولك ظلن او من قار يقار
اذا اجتمع وقرئ بكسر القاف من وقر يقر فحذفت احدى راءى اقررن ونقلت كسرتها الى القاف كما
تقول ظلن ولا تبرجن اى لا تبخترن فى مشيكن تبرج الجاهلية الاولى اى تبرجا مثل تبرج النساء فى الجاهلية
القديمة وهى ما بين آدم ونوح وقيل ما بين ادريس ونوح وقيل الزمان الذى ولد فيه ابراهيم عليهم
السلام كانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشى تعرض نفسها على الرجال وقيل زمن داود وسليمان
عليهما السلام والجاهلية الاخرى ما بين محمد وعيسى عليهما السلام وقيل الجاهلية الاولى جاهلية الكفر
والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق فى الاسلام ويؤيده قوله عليه السلام لابى الدرداء ان فيك
جاهلية قال جاهلية كفر او جاهلية اسلام قال بل جاهلية كفر واقمن الصلوة واتين الزكوة امرهن بهما
لانافتهما على غيرهما وكونهما اصل الطاعات المالية والبدنية واطعن الله ورسوله اى فى كل ما تاتين وما
تذرن لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اى الذنب المدنس
لعرضكم وهو تعليل لامرهن ونهيهن على الاستيناف ولذلك عمم الحكم بتعميم الخطاب لغيرهن وصرح بالمقصود
حيث قيل بطريق النداء والمدح اهل البيت المراد بهم من حواهم بيت النبوة ويطهركم من اوضار
الاوزار والمعاصى تطهيرا بليغا واستعارة الرجس للمعصية والترشيح بالتطهير لمزيد التنفير عنها وهذه
كما ترى اية بينة وحجة نيرة على كون نساء النبى صلى الله عليه وسلم من اهل بيته قاضية ببطلان راى
الشيعة فى تخصيصهم اهلية البيت بفاطمة رضى الله عنها وعلى وابنيهما رضوان الله عليهم واما ما
تمسكوا به من ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل من شعر اسود فجلس
فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء على رضى الله عنه فادخله فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهما فيه ثم قال
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت فانه يدل على كونهم من اهل البيت لا على ان من عداهم
ليسوا كذلك ولو فرضت دلالته على ذلك لما اعتد بها لكونها فى مقابلة النص واذكرن ما يتلى فى
بيوتكن اى اذكرن للناس بطريق العظة والتذكير ما يتلى فى بيوتكن من ايات الله والحكمة من الكتاب

الجامع بين كونه ايات الله البينة الدالة على صدق النبوة بنظمه المعجز وكونه حكمة منطوية على فنون
العلم والشرايع وهذا تذكير بما انعم عليهن حيث جعلهن اهل بيت النبوة ومهبط الوحي وما شاهدن
من برحا الوحي مما يوجب قوة الايمان والحرص على الطاعة حثا على الانتهاء والايتمار فيما كلفنه
والتعرض للتلاوة في البيوت دون النزول فيها مع انه الانسب لكونها مهبط الوحي لعمومها لجميع
الايات ووقوعها في كل البيوت وتكررها الموجب لتمكنهن من الذكر والتذكير بخلاف النزول
وعدم تعيين التالي لتعم تلاوة جبريل وتلاوة النبي صلى الله عليه وسلم وتلاوتهن وتلاوة غيرهن
تعلما وتعليما ان الله كان لطيفا خبيرا يعلم ويدبر ما يصلح في الدين ولذلك فعل ما فعل من الامر
والنهي او يعلم من يصلح للنبوة ومن يستاهل ان يكون من اهل بيته ان المسلمين والمسلمات الداخلين في
السلم المنقادين لحكم الله تعالى من الذكور والاناث والمؤمنين والمؤمنات المصدقين بما يجب ان
يصدق به من الفريقين والقانتين والقانتات المداومين على الطاعات القائمين بها والصادقين
والصادقات المتواضعين لله تعالى بقلوبهم وجوارحهم والصابرين والصابرات والمتصدقين
والمتصدقات بما وجب في مالهم والصائمين والصائمات الصوم المفروض والحافظين فروجهم
والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات بقلوبهم والسنتهم اعد الله لهم بسبب ما عملوا
من الحسنات المذكورة مغفرة لما اقترفوا من الصغاير لانهن مكفرات بما عملوا من الاعمال الصالحة
واجرا عظيما على ما صدر عنهم من الطاعة والاية وعد لهن ولامثالهن على الطاعة والتدرع بهذه الخصال
الحميدة روي ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران
بخير فما فينا خير نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فنزلت وقيل السائلة ام سلمة وروي انه
لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قال نساء المؤمنين فما نزل فينا شيء فنزلت وعطف
الاناث على الذكور لاختلاف الجنس وهو ضروري وانما عطف الزوجين لتغاير الوصفين فلا يكون
ضروريا ولذلك ترك في قوله تعالى مسلمات مؤمنات وفايدته الدلالة على ان مدار اعداد
ما اعد لهم جمع هذه النعوت الجميلة وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اي ما صح وما استقام لرجل ولا
امراة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا قضى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره
والاشعار بان قضاءه صلى الله عليه وسلم قضاء الله عز وجل لانه نزل في زينب بنت جحش بنت
عمته اميمة بنت عبد المطلب خطبها رسول الله لزيد بن حارثة فابت هي واخوها عبد الله وقيل
في ام كلثوم بنت عقبة ابن ابي معيط وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد
فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون لهم الخيرة من امرهم
اي ان يختاروا من امرهم ما شاؤوا بل يجب عليهم ان يجعلوا رايهم تبعا لرايه صلى الله عليه وسلم
واختيارهم تلوا لاختياره وجمع الضميرين لعموم مؤمن ومؤمنة لوقوعهما في سياق النفي وقيل الضمير
الثاني للرسول صلى الله عليه وسلم والجمع للتعظيم وقرئ تكون بالتاء ومن يعص الله ورسوله في امر من
الامور ويعمل فيه برايه فقد ضل طريق الحق ضلالا مبينا اي بين الانحراف عن سنن الصواب واذ تقول
اي اذكر وقت قولك للذي انعم الله عليه بتوفيقه للاسلام وتوفيقك بحسن تربيته ومراعاته
وانعمت عليه بالعمل بما وفقك الله له من فنون الاحسان التي من جملتها تحريره وهو زيد بن حارثة
وايراده بالعنوان المذكور لبيان منافات حاله لما صدر عنه صلى الله عليه وسلم من اظهار خلاف
ما في ضميره اذ هو انما يقع عند الاستحيا او الاحتشام وكلاهما مما لا يتصور في حق زيد امسك عليك
زوجك اي زينب وذلك انه صلى الله عليه وسلم ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت في نفسه حالة
جليلة لا يكاد يسلم عنها البشر فقال سبحان مقلب القلوب وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد
ففطن لذلك ووقع في نفسه كراهة صحبتها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني اريد ان افارق
صاحبتي فقال ما لك اارابك منها شيء قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها لشرفها تتعظم علي فقال
امسك عليك واتق الله في امرها ولا تطلقها اضرارا وتعللا بتكبرها وتخفي في نفسك ما الله مبديه
وهو نكاحها ان طلقها او ارادة طلاقها وتخشى الناس تعييرهم اياك به والله احق ان تخشاه ان كان
فيه ما يخشى والواو للحال وليست المعاتبة على الاخفاء وحده بل على الاخفا مخافة قالة الناس واظهار
ما ينافي اضماره فان الاولى في امثال ذلك ان يصمت او يفوض الامر الى رايه فلما قضى زيد منها وطرا
حاجة بحيث لم يبق له فيها حاجة وطلقها وانقضت عدتها وقيل قضاء الوطر كناية عن الطلاق مثل
لا حاجة لي فيك زوجناكها وقرئ زوجتكها والمراد الامر بتزويجها منه صلى الله عليه وسلم وقيل
جعلها زوجته بلا واسطة عقد ويؤيده انها كانت تقول لساير النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى

تولى نكاحي وانتن زوجكن اولياؤكن وقيل كان زيد السفير في خطبتها وذلك ابتلاء عظيم وشاهد عدل
بقوة ايمانه لكيلا يكون على المؤمنين حرج ضيق ومشقة في ازواج ادعيائهم في حق تزوجهن
اذا قضوا منهن وطرا فان لهم في رسول الله اسوة حسنة وفيه دليل على ان حكمه صلى الله عليه وسلم
وحكم الامة سواء الا ما خصه الدليل وكان امر الله اي ما يريد تكوينه من الامور او بامره الحاصل
بكن مفعولا مكونا لا محالة اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله ما كان على النبي من حرج اي ما صح
وما استقام في الحكمة ان يكون ضيق فيما فرض الله له اي قسم له وقدر من قولهم فرض له في الديوان
كذا ومنه فروض العساكر لاعطياتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا
مؤكد لما قبله من نفي الحرج اي سن الله ذلك سنة في الذين خلوا مضوا من قبل من الانبياء عليهم
السلام حيث وسع عليهم في باب النكاح وغيره ولقد كان لداود عليه السلام مائة امراة
وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه السلام مائة امراة وثلاثمائة سرية ولسليمان عليه السلام
ثلثمائة امراة وسبعمائة سرية وقوله تعالى وكان امر الله قدرا مقدورا اي قضاء مقضيا وحكما مبتوتا
اعتراض بين الموصولين الجاريين مجرى الواحد للمسارعة الى تقرير نفي الحرج وتحقيقه الذين يبلغون
رسالات الله صفة للذين خلوا او مدح لهم بالنصب او بالرفع وقرئ رسالة الله ويخشونه
في كل ما ياتون ويذرون لاسيما في امر تبليغ الرسالة حيث لا يخرمون منها حرفا ولا تاخذهم في
ذلك لومة لائم ولا يخشون احدا الا الله في وصفهم بقصر الخشية على الله تعالى تعريض بما صدر
عنه صلى الله عليه وسلم من الاحتراز عن لائمة الخلق بعد التصريح في قوله تعالى وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فينبغي ان لا يخشى غيره او محاسبا على الصغيرة
والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية منه تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي على الحقيقة حتى
يثبت بينه وبينه ما بين الوالد وولده من حرمة المصاهرة وغيرها ولا ينتقض عمومه بكونه صلى
الله عليه وسلم ابا الطاهر والقاسم وابراهيم لانهم لم يبلغوا الحلم ولو بلغوا لكانوا رجالا له صلى الله
عليه وسلم لا لهم ولكن رسول الله اي كان رسول الله وكل رسول ابو امته لكن لا حقيقة بل بمعنى
انه شفيق ناصح لهم وسبب لحياتهم الابدية وما زيد الا واحد من رجالكم الذين لا ولادة بينهم
وبينه صلى الله عليه وسلم فحكمه حكمهم وليس للتبني والادعاء حكم سوى التقريب والاختصاص
وخاتم النبيين اي كان اخرهم الذين ختموا به وقرئ بكسر التاء اي كان خاتمهم ويؤيده قراءة ابن
مسعود رضي الله تعالى عنه ولكن نبيا ختم النبيين واياما كان فلو كان له ابن بالغ لكان نبيا ولم
يكن هو صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين كما يروى انه قال في ابراهيم عليه السلام لو عاش لكان
نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى عليه السلام بعده لان معنى كونه خاتم النبيين انه لا ينبا
احد بعده وعيسى ممن نبي قبله وحين ينزل انما ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
مصليا الى قبلته كانه بعض امته وكان الله بكل شيء عليما ومن جملته هذه الاحكام التي بينها
لكم وكنتم منها في شك مريب يا ايها الذين امنوا اذكروا الله بما هو اهله من التهليل والتحميد
والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات والاحوال وسبحوه ونزهوه عما لا يليق به بكرة
واصيلا اول النهار واخره على ان تخصيصهما بالذكر ليس لقصر التسبيح عليهما دون ساير الاوقات
بل لابانة فضلهما على ساير الاوقات لكونهما مشهودين كافراد التسبيح به من بين الاذكار
مع اندراجه فيها لكونه العمدة فيها وكلا الفعلين متوجه اليهما كقولك صم وصل يوم الجمعة
وقيل المراد بالتسبيح الصلاة هو الذي يصلي عليكم الى اخره استيناف جار مجرى التعليل لما
قبله من الامر فان صلاته تعالى عليهم مع عدم استحقاقهم لها وغناه عن العالمين مما يوجب
عليهم المداومة على ما يستوجبه تعالى عليهم من ذكره تعالى وتسبيحه وقوله تعالى وملائكته عطف
على المستكن في يصلي لمكان الفصل المغني عن التاكيد بالمنفصل لكن لا على ان يراد بالصلاة الرحمة اولا
والاستغفار ثانيا فانه استعمال اللفظ الواحد في معنيين متغايرين مما لا مساغ له بل على ان يراد بها
معنى مجازي عام يكون كلا المعنيين فردا حقيقيا له وهو الاعتناء بما فيه خيرهم وصلاح امرهم
فان كلا من الرحمة والاستغفار فرد حقيقي له او الترحم والانعطاف المعنوي الماخوذ من الصلاة
المشتملة على الانعطاف الصوري الذي هو الركوع والسجود ولا ريب في ان استغفار الملائكة
ودعاءهم للمؤمنين ترحم عليهم واما ان ذلك سبب للرحمة لكونهم مجابي الدعوة كما قيل فاعتباره
ينزع الى الجمع بين المعنيين المتغايرين فتدبر ليخرجكم من الظلمات الى النور الطاعة وقوله تعالى
وكان بالمؤمنين رحيما اعتراض مقرر لمضمون ما قبله اي كان بكافة المؤمنين الذين انتم من زمرتهم

رحيما ولذلك يفعل بكم ما يفعل من الاعتنا باصلاحكم بالذات وبالواسطة ويهديكم الى الايمان
والطاعات وكان بكم رحيما على ان المؤمنين مظهر موضع المضمر مدحا لهم واشعارا بعلة الرحمة
وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام بيان للاحكام الآجلة لرحمته تعالى بهم بعد بيان آثارها
العاجلة التي هي العناية بامرهم وهدايتهم الى الطاعة اي ما يحيون به على انه مصدر اضيف الى مفعوله
يوم القيمة عند الموت او عند البعث من القبور او عند دخول الجنة تسليم عليهم من الله عز
وجل تعظيما لهم او من الملئكة بشارة لهم بالجنة او تكرمة لهم كما في قوله تعالى والملئكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم او اخبار بالسلامة عن كل مكروه وآفة وقوله تعالى واعد لهم
اجرا كريما بيان لآثار رحمته الفائضة عليهم بعد دخول الجنة عقيب بيان آثار رحمته
الواصلة اليهم قبل ذلك ولعل ايثار الجملة الفعلية على الاسمية المناسبة لما قبلها بان يقال
مثلا واجرهم او ولهم اجر كريم للمبالغة في الترغيب والتشويق الى الموعود لبيان ان الاجر الذي
هو المقصود الاصلي الاقصى من بين سائر آثار الرحمة موجود بالفعل مهيا لهم مع ما فيه من
مراعاة الفواصل يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم ترقب احوالهم وتشاهد
اعمالهم وتتحمل منهم الشهادة بما صدر عنهم من التصديق والتكذيب وسائر ما هم عليه من الهدى
والضلالة وتؤديها يوم القيمة اداء مقبولا فيما لهم وما عليهم وهو حال مقدرة ومبشرا ونذيرا
تبشر المؤمنين بالجنة وتنذر الكفرة بالنار وداعيا الى الله الى الاقرار به وبوحدانيته
وبسائر ما يجب الايمان به من صفاته وافعاله باذنه اي بتيسيره اطلق عليه مجازا لما انه من
اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا بانها امر صعب المنال وخطب في غاية الاعضال لا يتاتى الا بامداد
من جناب قدسه كيف لا وهو صرف للوجوه عن القبل المعبودة وادخال الاعناق في قلادة غير
معهودة وسراجا منيرا يستضاء به في ظلمات الجهل والغواية ويهتدى بانواره الى مناهج الرشد
والهداية وبشر المؤمنين عطف على مقدر يقتضيه المقام ويستدعيه النظام كانه قيل فراقب احوال
الناس وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا اي على مؤمني سائر الامم في الرتبة والشرف وزيادة
على اجور اعمالهم بطريق التفضل والاحسان ولا تطع الكافرين نهي عن مداراتهم في امر الدعوة
ولين الجانب في التبليغ والمسامحة في الانذار كنى عن ذلك بالنهي عن طاعتهم مبالغة في الزجر
عن المنهي عنه بنظمه في سلكها وتصويره بصورتها ومن حمل النهي على التهييج والالهاب فقد ابعد عن التحقيق
بمراحل ودع اذيهم اي لا تبال باذاهم لك بسبب تصلبك في الدعوة والانذار وتوكل على الله
في كل ما تاتي وما تذر من الشؤون التي من جملتها هذا الشان فانه تعالى يكفيكهم وكفى بالله
وكيلا موكولا اليه الامور في كل الاحوال واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لتعليل الحكم وتاكيد
استقلال الاعتراض التذييلي ولما وصفه صلى الله عليه وسلم بنعوت خمسة قوبل كل منها بخطاب
يناسبه خلا انه لم يذكر مقابل الشاهد صريحا وهو الامر بالمراقبة ثقة بظهور دلالة المبشر عليه
وهو الامر بالتبشير حسبما ذكر آنفا وقوبل النذير بالنهي عن مداراة الكفار والمنافقين والمسامحة
في انذارهم كما حققه وقوبل الداعي اليه تعالى باذنه بالامر بالتوكل عليه من حيث انه عبارة عن
الاستمداد منه تعالى والاستعانة به وقوبل السراج المنير بالاكتفاء به تعالى فان من ايده الله تعالى
بالقدرة القدسية ورشحه للنبوة وجعله برهانا نيرا يهدي الخلق من ظلمات الغي الى نور الرشاد حقيق
بان يكتفي به عن كل ما سواه يا ايها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل
ان تمسوهن اي تجامعوهن وقرئ تماسوهن بضم التاء فما لكم عليهن من عدة بايام يتربصن فيها
بانفسهن تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها وحقيقته عدها لنفسه
وكذلك كلته فاكتال والاسناد الى الرجال للدلالة على ان العدة حق الازواج كما اشعر به قوله
تعالى فما لكم وقرئ تعتدونها على ابدال احدى التائين بالياء او على انه من الاعتداء بمعنى تعتدون
فيها والخلوة الصحيحة حكمها حكم المس وتخصيص المؤمنات مع عموم الحكم للكتابيات للتنبيه على ان المؤمن
من شانه ان يتخير لنطفته ولا ينكح الا مؤمنة وفائدة ثم ازاحة ما عسى يتوهم ان تراخي الطلاق
ريثما يمكن الاصابة يؤثر في العدة كما يؤثر في النسب فمتعوهن اي ان لم يكن مفروضا لها في العقد
فان الواجب للمفروض لها المتعة فانها مستحقة عندنا في رواية وفي اخرى غير مستحبة وسرحوهن
اي اخرجوهن من منازلكم اذ ليس لكم عليهن عدة سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع ولا مساغ
لتفسيره بالطلاق السني لانه انما يتسنى في المدخول بها يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي
آتيت اجورهن اي مهورهن فان المهور اجور الابضاع وايتاؤها اما اعطاؤها معجلة او تسميتها

في

او تسميتها في العقد وايا ما كان فتقييد الاحلال له صلى الله عليه وسلم ليس لتوقف الحل عليه ضرورة
انه يصح العقد بلا تسمية ويجب مهر المثل والمتعة على تقدير الدخول وعدمه بل لايثار الاولى والاولى
له صلى الله عليه وسلم كتقييد احلال المملوكة بكونها مسبية في قوله تعالى وما ملكت يمينك مما
افاء الله عليك فان المشتراة لا يتحقق بدء امرها وما جرى عليها وكتقييد القرائب بكونهن مهاجرات
معه في قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ويحتمل
تقييد الحل بذلك في حقه صلى الله عليه وسلم خاصة يعضده قول ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الآية فلم احل له لاني لم اهاجر معه
كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة بالنصب عطفا على مفعول احللنا اذ ليس معناه انشاء الاحلال
الناجز بل اعلام مطلق الاحلال المنتظم لما سبق ولحق وقرئ بالرفع على انه مبتدا خبره محذوف
اي احللناها لك ايضا ان وهبت نفسها للنبي اي ملكته بضعها باي عبارة كانت بلا مهر ان اتفق ذلك كما
ينبئ عنه تنكيرها لا كلية لا مطلقا بل عند ارادته صلى الله عليه وسلم مجرى استنكاحها كما نطق به
قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها اي ان يتملك بضعها كذلك اي بلا مهر فان ذلك جار مجرى
صلى الله عليه وسلم مجرى القبول وحيث لم يكن نصا في كون تمليكها بلفظ الهبة لم يصلح ان يكون مناطا
للخلاف في انعقاد النكاح بلفظ الهبة ايجابا او سلبا واختلف في اتفاق هذا العقد فعن ابن عباس
رضي الله عنهما لم يكن عنده صلى الله عليه وسلم احد منهن بالهبة وقيل الموهوبات اربع ميمونة
بنت الحارث وزينب بنت خزيمة الانصارية وام شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم وايراده
صلى الله عليه وسلم في الموضعين بعنوان النبوة بطريق الالتفات للتكرمة والايذان بانها المناط لثبوت
الحكم فيختص به صلى الله عليه وسلم حسب اختصاصها به كما ينطق به قوله تعالى خالصة لك اي خلص لك
احلالها خالصة اي خلوصا فان الفاعلة في المصادر غير عزيزة كالعاقبة والكاذبة كالخلوص وخلوص احلال
ما احللنا لك من المذكورات بالقيود المذكورة ومعنى قوله تعالى من دون المؤمنين على ان الاولى ان
الاحلال المذكور في المادة المعهودة غير متحقق في حقهم فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهود
وانما المتحقق هناك الاحلال بمهر المثل وعلى الثاني ان احلال الجميع على القيود المذكورة غير متحقق في حقهم
فيه احلال البعض المعدود على الوجه المعهودة وقرئ خالصة بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
اي ذلك خلوص لك خصوص اي هي اي تلك المرأة او الهبة خالصة لك لا تتجاوز المسلمين حيث لا تحل لهم
بغير مهر المثل لا يجوز ولا تقع الهبة بل يجب مهر المثل وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اي على
المؤمنين في ازواجهم اي في حقهن اعتراض مقرر لما قبله من خلوص الاحلال المذكور لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وعدم مجاوزته للمؤمنين ببيان انه قد فرض عليهم من شرائط العقد وحقوقه ما لم يفرض
عليه في حق ازواجهم وما ملكت ايمانهم وعلى اي حد وعلى اي صفة يحق وان لم يفرض عليهم ففرضنا ما
ما فرضنا على ذلك الوجه وخصصناك ببعض الخصائص لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق واللام
متعلقة بخالصة باعتبار ما فيها من معنى ثبوت الاحلال وخلوصه وحصوله عليه السلام مرادا من مدار
انتفاء الحرج هو الاول لا الثاني الذي هو عبارة عن عدم ثبوته لغيره وكان الله غفورا رحيما لما
تعسر التحرز عنه ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك من تشاء منهن وتضاجعها
او تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء وقرئ ترجئ بالهمزة والمعنى واحد ومن ابتغيت اي طلبت
ممن عزلت طلقت بالرجعة فلا جناح عليك في شيء مما ذكر وهذه قسمة جامعة لما هو الغرض لانه
اما ان كان يطلق او يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك يقسم لهن ما شاء كما شاء وقسم او لم يقسم وروي
انه ارجا منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكان
مما آوى اليه عائشة وحفصة وام سلمة وزينب فارجى خمسا وآوى اربعا وروي انه كان يسوي
بينهن مع ما اطلق له خلا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها وقالت لا تطلقني حتى
احشر في زمرة نسائك ذلك اي ما ذكر من تفويض الامر الى مشيئتك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن
ويرضين بما آتيتهن كلهن اي اقرب الى قرة منك وحين ذلك وان رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله
تعالى فتطمئن به نفوسهن وقرئ بضم التاء والمفعول وكلهن تاكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب على انه
تاكيد لهن والله يعلم ما في قلوبكم من الضمائر والخواطر فاجتهدوا في احسانها وكان الله عليما مبالغا في العلم
فيعلم كل ما تبدونه وتخفونه حليما لا يعاجل بالعقوبة فلا تغتروا بالفضل وقرئ بالتاء من بعد اي من
بعد التسع وهو في حقه كالاربع في حقنا وقال ابن عباس وقتادة من بعد هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن
فاخترنك وقيل من بعد اختيارهن الله ورسوله ورضاهن بما تؤتيهن من الوصل والهجران ولا ان تبدل

تا خبيصا فانه امهال لا امهال لا تحل لك النساء
باليا دون تانيث الجمع غير حقيقي لوجود

تحذف احدى التائين بهن اي بهؤلاء التسع من ازواج بان تطلق واحدة منهن وتنكح مكانها اخرى ومن مزيدة
لتأكيد الاستغراق اراد الله تعالى لهن كرامة وجزاء على ما اخترن ورضين فقصر رسوله عليهن وهن
التسع اللاتي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن وهن عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام
حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وام سلمة بنت ابي امية وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة
بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الاسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وقال عكرمة
المعنى لا يحل لك النساء من بعد الاجناس الاربعة اللاتي احللناهن لك بالصفة التي تقدم ذكرها
من الاعرابيات والغرائب او من الكتابيات او من الاماء بالنكاح ويأباه قوله تعالى ولا ان تبدل
بهن فان معنى لا احلال الاجناس المذكورة اخلال الاجناس المذكورة احلال نكاحهن فلا بد ان
يكون معنى التبدل بهن احلال النكاح غيرهن بدل احلال نكاحهن وذلك انما يتصور بالنسخ الذي
من الوظائف البشرية ولو اعجبك حسنهن اي حسن الازواج المستبدلة وهو حال من فاعل ان تبدل
لا من مفعوله وهو من ازواج لتوغله في التنكير قيل تقديره مفروضا اعجابك بهن وقد مر تحقيقه
في قوله تعالى ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر
بن ابي طالب رضي الله عنه اي هي ممن اعجبه صلى الله عليه وسلم حسنهن واختلف ان الاية محكمة
او منسوخة قيل بقوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء وقيل بقوله تعالى انا احللنا لك
وقال انس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء لانه
يتناول الازواج والاماء وقيل منقطع وكان الله على كل شيء رقيبا فاحفظوا مجاوزة حدود
وتخطي حلاله الى حرامه يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي شروع في بيان ما يجب مراعاته على
الناس من حقوق نساء النبي صلى الله عليه وسلم اثر بيان ما يجب مراعاته صلى الله عليه وسلم
من الحقوق المتعلقة بهن وقوله تعالى الا ان يؤذن لكم استثناء مفرغ من اعم الاحوال اي لا تدخلوها
في حال من الاحوال الا حال كونكم مأذونا لكم وقيل من اعم الاوقات اي لا تدخلوها في حال من الاحوال
وقت من الاوقات الا وقت ان يؤذن لكم ورد عليه بان النحاة نصوا على ان الوقوع موقع الظرف
مختص بالمصدر الصريح دون المأول به يقال اتيتك ان يصيح الديك وانما يقال صياح الديك وقوله
تعالى الى طعام متعلق بيؤذن بتضمين معنى الدعاء والاشعار بانه لا ينبغي ان تدخلوا على الطعام بغير
دعوة وان تحقق الاذن كما يشعر به قوله تعالى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقته وادراكه وهو
حال من فاعل لا تدخلوا على ان الاستثناء واقع على الوقت والحال معا عند من يجوزه او من المجرور في لكم
وقرئ بالجر صفة لطعام فيكون جاريا على غير من هو له بلا ابراز الضمير وهو غير سائغ عند البصريين
وقرئ بالامالة لانه مصدر اني الطعام اي ادرك ولكن اذا دعيتم فادخلوا استدراك من النهي
عن الدخول بغير اذن وفيه دلالة بينة على ان المراد بالاذن الى الطعام هو الدعوة اليه فاذا طعمتم
فانتشروا فتفرقوا ولا تلبثوا لانه خطاب لقوم كانوا يتحينون طعام النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون
ويقعدون منتظرين لادراكه مخصوصة بهم وبامثالهم والا لما جاز لاحد ان يدخل بيوته صلى الله عليه
وسلم باذن لغير الطعام ولا اللبث بعد الطعام لامر مهم ولا مستأنسين لحديث اي لحديث بعضكم
بعضا او لحديث اهل البيت بالتسمع له عطف على ناظرين او مقدر بفعل اي ولا تدخلوا ولا تمكثوا
مستأنسين الى اخره ان ذلكم اي الاستئناس الذي كنتم تفعلونه من قبل كان يؤذي النبي لتضييق المنزل
عليه وعلى اهله وايجابه للاشتغال بما لا يعنيه وصده عن الاشتغال بما يعنيه فيستحيي منكم اي من اخراجكم
لقوله تعالى والله لا يستحيي من الحق فانه يستدعي ان يكون المستحيى منه امرا حقا متعلقا بهم لا انفسهم
وما ذلك الا اخراجهم فينبغي ان لا يترك حياء ولذلك لم يتركه تعالى وامركم بالخروج والتعبير
عنه بعدم الاستحياء للمشاكلة وقرئ لا يستحي بحذف الياء الاولى والقاء حركتها الى ما قبلها واذا سألتموهن
الضمير لنساء النبي المدلول عليهن بذكر بيوته صلى الله عليه وسلم متاعا اي شيئا يتمتع به من الماعون
وغيره فاسألوهن اي المتاع من وراء حجاب اي ستر روي انه صلى الله عليه وسلم عمر رضي الله عنه
قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فنزلت وروي
انه صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة رضي الله عنها فكره النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك فنزلت ذلكم اي ما ذكر من عدم الدخول بغير اذن وعدم الاستئناس للحديث عند
الدخول وسؤال المتاع من وراء حجاب اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي اكثر تطهيرا من الخواطر الشيطانية
وما كان لكم اي وما صح وما استقام لكم ان تؤذوا رسول الله اي ان تفعلوا في حياته فعلا يكرهه
ويتأذى به ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده اي من بعد وفاته وفراقه ان ذلكم اشارة الى ما ذكر من ايذائه صلى الله عليه وسلم

ونكاح

ونكاح ازواجه من بعده وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الشر والفساد كان
عند الله عظيما اي امرا عظيما وخطبا هائلا لا يقادر قدره من تعظيمه تعالى لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وايجاب حرمته حيا وميتا ولذلك بالغ تعالى في الوعيد حيث قال ان تبدوا شيئا مما لا خير
فيه كنكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله كان بكل شيء عليما فيجازيكم بما صدر عنكم من المعاصي
البادية والخافية لا محالة وفي هذا التعميم مع البرهان على المقصود مزيد تهويل وتشديد ومبالغة
في الوعيد لا جناح عليهن في ابائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن استئناف
لبيان من لا يجب الاحتجاب عنهم روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب يا رسول
الله او نكلمهن ايضا من وراء حجاب فنزلت وانما لم يذكر العم والخال لانهما بمنزلة الوالدين ولذلك
سمي العم ابا في قوله تعالى واله ابائك ابراهيم واسمعيل واسحق او لانه اكتفى بذكرهما عن ذكر
ابناء الاخوة وابناء الاخوات فان مناط عدم لزوم الاحتجاب بينهن وبين الفريقين عين ما بينهن
وبين العم والخال من العمومة والخؤولة لانهن عمات لابناء الاخوة وخالات لابناء الاخوات وقيل
لانه كره ترك الاحتجاب منهما مخافة ان يصفاهن لابنائهما ولا نسائهن اي نساء المؤمنات ولا ما ملكت
ايمانهن من العبيد والاماء وقيل من الاماء خاصة وقد مر في سورة النور واتقين الله في كل ما تأتون
وما تذرون لا سيما فيما امرتن به ونهيتن عنه ان الله كان على كل شيء شهيدا لا يخفى عليه خافية ولا يتفاوت
في علمه الاحوال ان الله وملائكته وقرئ وملائكته بالرفع عطفا على محل ان واسمها عند الكوفيين وحملا
على حذف الخبر ثقة بدلالة ما بعده على رأي البصريين يصلون على النبي قيل الصلاة من الله تعالى
رحمته ومن الملائكة الاستغفار وقال ابن عباس رضي الله عنهما اراد ان الله يرحمه والملائكة يدعون له وعنه
ايضا يصلون يتبركون وقال ابو العالية صلاة الله تعالى عليه ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاتهم
دعاؤهم فينبغي ان يراد بها في يصلون معنى مجازي عام يكون كل واحد من المعاني المذكورة فردا حقيقيا
له اي يعتنون بما فيه خيره وصلاح امره ويهتمون باظهار شرفه وتعظيم شأنه وذلك من الله سبحانه
بالرحمة ومن الملائكة بالدعاء والاستغفار يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اعتنوا انتم ايضا بذلك
فانكم اولى به وسلموا تسليما قائلين اللهم صل على محمد وسلم ونحو ذلك وقيل المراد بالتسليم انقياد
امره والاية دليل على وجوب الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم مطلقا من غير تعرض لوجوب
التكرار وعدمه قيل يجب ذلك كلما جرى ذكره لقوله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل
علي وقوله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار فابعده الله ويروى انه صلى الله عليه وسلم قال وكل الله
تعالى بي ملكين فلا اذكر عنده مسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي دخل النار فيصلي علي الا وقالت
ذلك الملكان غفر الله لك وقال الله تعالى وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ولا اذكر عند
مسلم فلا يصلي علي الا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك ويقول الله تعالى وملائكته لذينك الملكين
امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره صلى الله عليه وسلم كما قيل في اية السجدة وتشميت
العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله واخره ومنهم من قال بالوجوب في العمر مرة وكذا قال في اظهار الشهادتين
والذي يقتضيه الاحتياط ويستدعيه معرفة علو شأنه صلى الله عليه وسلم ان يصلى عليه كلما جرى ذكره الرفيع
الصلاة عليه في الصلاة بان يقال اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم
في العالمين انك حميد مجيد وليست بشرط في جواز الصلاة عندنا وعن ابراهيم النخعي رحمه الله ان
الصحابة رضي الله عنهم كانوا يكتفون عن ذلك في التشهد بقولهم السلام عليك ايها النبي واما الشافعي
رحمه الله فقد جعلها شرطا واما الصلاة على غير الانبياء عليهم السلام من الصلاة فيجوز تبعا ويكره
استقلالا لانه في العرف شعار ذكر الرسل ولذلك كره ان يقال محمد عز وجل مع كونه عزيزا جليلا
ان الذين يؤذون الله ورسوله اريد بالايذاء اما فعل ما يكرهانه من الكفر والمعاصي مجازا لاستحالة
حقيقة التأذي في حقه تعالى وقيل في ايذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة
وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
وقيل قول الذين يلحدون في اياته وفي ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل
هو كسر رباعيته وشج وجهه الكريم يوم احد وقيل طعنهم في نكاح صفية والحق هو العموم فيهما واما ايذاؤه
صلى الله عليه وسلم خاصة بطريق الحقيقة وذكر الله عز وجل لتعظيمه والايذان بجلالة مقداره عنده تعالى فان
ايذاءه عليه السلام ايذاء له سبحانه لعنهم الله طردهم وابعدهم من رحمته في الدنيا والاخرة بحيث
لا يكادون ينالون فيهما شيئا منها واعد لهم مع ذلك عذابا مهينا يصيبهم في الاخرة خاصة والذين
يؤذون المؤمنين والمؤمنات يفعلون بهم ما يتأذون به من قول او فعل وتقييده بقوله تعالى

بغير ما اكتسبوا اى بغير جناية يستحقون بها الاذية بعد اطلاقه فيما قبله للايذان بان اذى الله
ورسوله لا يكون الا غير حق واما اذى هؤلاء فمنه ومنه فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا اى ظاهرا
او بينا قيل انها نزلت فى منافقين كانوا يؤذون عليا رضى الله عنه ويسمعونه ما لا خير فيه وقيل
فى اهل الافك وقال الضحاك والكلبى فى زناة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن
وكانوا لا يتعرضون الا للاماء ولكن ربما كان يقع منهم التعرض للحرائر ايضا جهلا او تجاهلا لاتحاد
الكل فى الزى واللباس والظاهر عمومه لكل ما ذكر ولما سياتى من اراجيف المرجفين يا ايها
النبى بعد ما بين حال سوء المؤذين زجرا لهم عن الايذاء امر النبى صلى الله عليه وسلم بان يامر بعض المتاذين منهم
بما يدفع اذاهم فى الجملة من التستر والتميز عن مواقع الايذاء فقيل قل لازواجك وبناتك ونساء
المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الجلباب ثوب اوسع من الخمار دون الرداء تلويه المراة على
على راسها ويبقى منه ما ترسله على صدرها وقيل هى الملحفة وكل ما يتستر به اى يغطين بها وجوههن
وابدانهن اذا برزن لداعية من الدواعى ومن للتبعيض لما مر من ان المعهود التلفع ببعضها وارخاء
بعضها وعن السدى تغطى احدى عينيها وجبهتها والشق الاخر الا العين ذلك اى ما ذكر من التغطى
ادنى اقرب ان يعرفن ويميزن عن الاماء والقينات اللاتى هن مواقع تعرضهم وايذائهم فلا يؤذين
من جهة اهل الريبة بالتعرض لهن وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط رحيما بعباده
حيث يراعى من مصالحهن امثال هاتيك الجزئيات لئن لم ينته المنافقون عما هم عليه من النفاق
واحكامه الموجبة للايذاء والذين فى قلوبهم مرض عما هم عليه من التزلزل وما يستتبعه مما لا خير فيه
والمرجفون فى المدينة من الفريقين عما هم عليه من نشر اخبار السوء عن سرايا المسلمين وغير ذلك
من الاراجيف المتعلقة للاذية واصل الارجاف التحريك من الرجفة التى هى الزلزلة وصفت به
الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة لنغرينك بهم لنامرنك بقتالهم واجلائهم او بما يضطرهم
الى الجلاء ولنحرضنك على ذلك ثم لا يجاورونك عطف على جواب القسم وثم للدلالة على ان الجلاء ومفارقة
الرسول صلى الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم فيها اى فى المدينة الا قليلا زمانا او جوارا قليلا ريثما يتبين حاله من الانتهاء
وعدمه ملعونين نصب على الشتم او الحال على ان الاستثناء وارد عليه ايضا على راى من يجوزه كما مر فى قوله
تعالى غير ناظرين اناه ولا سبيل الى انتصابه عن قوله تعالى اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما
بعد كلمة الشرط لا تعمل فيما قبلها سنة الله فى الذين خلوا من قبل اى سن الله ذلك فى الامم الماضية
سنة وهى ان يقتل الذين نافقوا الانبياء عليهم السلام وسعوا فى توهينهم بالارجاف ونحوه
اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا لابتنائها على اساس الحكمة الذى عليها يدور فلك التشريع
يسالك الناس عن الساعة اى عن وقت قيامها كان المشركون يسالونه صلى الله عليه وسلم عن
ذلك استعجالا بطريق الاستهزاء واليهود امتحانا لما ان الله تعالى عمى وقتها فى التوراة
وسائر الكتب قل انما علمها عند الله لا يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله تعالى وما
يدريك خطاب مستقل له صلى الله عليه وسلم غير داخل تحت الامر مسوق لبيان انها مع كونها غير معلومة للخلق
مرجوة المجىء عن قريب اى اى شىء يعلمك بوقت قيامها اى لا يعلمك به شىء اصلا لعل الساعة
تكون قريبا اى شيئا قريبا او تكون الساعة فى وقت قريب وانتصابه على الظرفية ويجوز ان يكون
التذكير باعتبار ان الساعة فى معنى اليوم او الوقت وفيه تهديد للمستعجلين وتبكيت للمتعنتين
والاظهار فى حين الاضمار للتهويل وزيادة التقرير وتاكيد استقلال الجملة لما اشير اليه ان الله
لعن الكافرين على الاطلاق اى طردهم وابعدهم من رحمته العاجلة والآجلة واعد لهم مع ذلك
سعيرا نارا شديدة الاتقاد سوتها فى الاخرة خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا يحفظهم ولا نصيرا
يخلصهم منها يوم تقلب وجوههم فى النار ظرف لعدم الوجدان وقيل لخالدين وقيل
لنصيرا وقيل منصوب باذكر اى يوم تصرف وجوههم فيها من جهة الى جهة كاللحم يشوى فى النار
او يطبخ فى القدر فيدور به الغليان من جهة الى جهة او من حال الى حال او يطرحون فيها مقلوبين
منكوسين وقرئ تقلب بحذف احدى التائين من تتقلب ونقلب باسناد الفعل الى نون العظمة
ونصب وجوههم وتقلب باسناده الى السعير وتخصيص الوجوه بالذكر لما انها اكرم الاعضاء ففيه
مزيد تفظيع للامر وتهويل للخطب ويجوز ان يكون عبارة عن كل الجسد فقوله تعالى يقولون استئناف
مبنى على سؤال نشا من حكاية حالهم الفظيعة كانه قيل فماذا يصنعون عند ذلك فقيل يقولون
متحسرين على ما فاتهم يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا فلا نبتلى بهذا العذاب او حال من ضمير
وجوههم او من نفسها او هو العامل فى يوم وقالوا عطف على يقولون والعدول الى صيغة الماضى

للاشعار

للاشعار بان قولهم هذا ليس مستمرا كقولهم السابق بل هو ضرب اعتذار ارادوا به ضربا من
التشفى بمضاعفة عذاب الذين ناقضوا القويم فى تلك الورطة فان عد مواعد مقبوله فى حق
خلاصهم منها ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعنون قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرئ ساداتنا
للدلالة على الكثرة وقيل فالتعبير عنهم بعنوان السيادة والكبر لتقوية الاعتذار والا فهم
فى مقام التحقير والاهانة فاضلونا السبيل بما زينوا لنا الاباطيل والالف للاطلاق كما فى واطعنا
الرسولا ربنا آتهم ضعفين من العذاب اى مثلى العذاب الذى آتيتناه لانهم ضلوا واضلوا
والعنهم لعنا كبيرا اى شديدا عظيما وقرئ كثيرا وتصدير الدعاء بالنداء المكرر للمبالغة فى الجؤار واستدعاء الاجابة
يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى قيل نزلت فى شان زيد وزينب وما سمع فيه من
قالة الناس فبراه الله مما قالوا اى فاظهر براءته عليه السلام مما قالوا فى حقه اى من مضمونه
ومؤداه الذى هو الامر المعيب وذلك ان قارون اغرى مومسة على قذفه عليه السلام بنفسها
بان دفع اليها مالا عظيما فاظهر الله تعالى براءته عليه السلام من ذلك بان اقرت المومسة بالمصانعة
الجارية بينها وبين قارون وفعل بقارون ما فعل كما فصل فى سورة القصص وقيل اتهمه ناس
بقتل هارون عند خروجه معه الى الطور فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به حتى راوه غير
مقتول وقيل احياه الله تعالى فاخبرهم ببراءته وقيل قذفوه بعيب فى بدنه من برص او ادرة
لفرط تستره حياء فاطلعهم الله تعالى على براءته بان فر الحجر بثوبه حين وضعه عليه عند اغتساله
والقصة مشهورة وكان عند الله وجيها ذا قربة ووجاهة وقرئ وكان عبد الله وجيها
يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله فى كل ما تاتون وما تذرون لا سيما فى ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يؤذى
رسوله صلى الله عليه وسلم وقولوا فى كل شان من الشؤون قولا سديدا قاصدا الى الحق من سد
يسد سدادا اى يقال سد السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها والمراد نهيهم عما خاضوا من حديث
زينب الجائر عن العدل والقصد يصلح لكم اعمالكم يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة
عليها ويغفر لكم ذنوبكم ويجعلها مكفرة باستقامتكم فى القول والعمل ومن يطع الله ورسوله فى
الاوامر والنواهى التى من جملتها هذه التكليفات فقد فاز فى الدارين فوزا عظيما لا يقادر قدره
ولا يبلغ غايته انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها
لما بين عظم شان طاعة الله ورسوله ببيان مآل الخارجين عنها من العذاب الاليم ومنال المراعين
لها من الفوز العظيم عقب ذلك ببيان عظم شان ما يوجبها من التكاليف الشرعية وصعوبة
امرها بطريق التمثيل مع الايذان بان ما صدر عنهم من الطاعة وتركها صادر عنهم بعد القبول
والالتزام وعبر عنها بالامانة تنبيها على انها حقوق مرعية اودعها الله تعالى المكلفين وائتمنهم عليها
واوجب عليهم تلقيها بحسن الطاعة والانقياد وامرهم بمراعاتها والمحافظة عليها وادائها من
غير اخلال بشىء من حقوقها وعبر عن اعتبارها بالنسبة الى استعداد ما ذكر من السموات وغيرها بالعرض
عليهن لاظهار مزيد الاعتناء بامرها والرغبة فى قبولهن لها وعن عدم استعدادهن لها بالاباء والاشفاق منها لتهويل امرها
وتربية فخامتها وعن قبولها بالحمل لتحقيق معنى الصعوبة المعتبرة فيها بجعلها من قبيل الاجسام
الثقيلة التى يستعمل فيها القوى الجسمانية التى اشدها واعظمها ما فيهن من القوة والشدة والمعنى
ان تلك الامانة فى عظم الشان بحيث لو كلفت هاتيك الاجرام العظام التى هى مثل فى
القوة والشدة مراعاتها وكانت ذات شعور وادراك لابين قبولها واشفقن منها ولكن
صرف الكلام عن سننه بتصوير المفروض بصورة المحقق روما لزيادة تحقيق المعنى المقصود بالتمثيل
وتوضيحه وحملها الانسان اى عند عرضها عليه اما باعتبارها بالاضافة الى استعداده او بتكليفه
اياها يوم الميثاق اى تكلفها والتزمها مع ما فيه من ضعف البنية ورخاوة القوة وهو اما
عبارة عن قبولها بموجب استعداده الفطرى او عن اعترافه بقوله بلى وقوله تعالى انه كان ظلوما
جهولا اعتراض وسط بين الحمل وغايته للايذان من اول الامر بعدم وفائه بما عاهده وتحمله اى
انه كان مفرطا فى الظلم مبالغا فى الجهل اى بحسب غالب افراده الذين لم يعملوا بموجب فطرتهم السليمة
او اعترافهم السابق دون من عداهم من الذين لم يبدلوا فطرة الله تبديلا والى الفريق الاول
اشير بقوله عز وجل ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اى حملها الانسان
ليعذب الله بعض افراده الذين لم يراعوها ولم يقابلوها بالطاعة على ان اللام للعاقبة فان
التعذيب وان لم يكن غرضا له من الحمل لكن لما ترتب عليه قوله بالنسبة الى بعض افراده ترتب
الاغراض على الافعال المعللة بها ابرز فى معرض الغرض اى كان عاقبة حمل الانسان لان يعذب

الله تعالى هو الاول من افراده لخيانتهم الامانة وخروجهم عن الطاعة بالكلية والى الفريق الثاني
اشير بقوله ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اى كان عاقبة حملها ان يتوب الله على هولاء
من افراده اى يقبل توبتهم لعدم خلعهم ربقة الطاعة من رقابهم وتلافيهم لما فرط منهم من
فرطات قلما يخلوا عنها الانسان بحكم جبلته وتداركهم بالتوبة والانابة والالتفات الى الاسم الجليل
اولا لتهويل الخطب وتربية المهابة والاظهار في موقع الاضمار ثانيا لابراز مزيد الاعتناء بامر
المؤمنين توفية لكل من مقامي الوعيد والوعد حقه والله تعالى اعلم وجعل الامانة التي شانها
ان تكون من جهته تعالى عبارة عن الطاعة التي هي من افعال المكلفين التابعة للتكليف بمعزل
من التقريب وحمل الكلام على تقدير الوعد الكريم الذي هو ينبئ عنه وقوله تعالى ومن
يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما تعظيم لشان الطاعة ذريعة الى ذلك بان مقام تحقيق
مثل هذا الامر العظيم الشان ورعاها فهو جدير بان يكون بحيث الدانين ياباه ووصفه
بالظلم والجهل اولا وتعليل الحمل بتعذيب فريق والتوبة على فريق ثانيا وقيل المراد بالامانة
مطلق الانقياد الشامل للطبيعي والاختياري وبعرضها استدعاؤها الذي يعم طلب الفعل
من المختار وارادة صدوره من غيره وبحملها الخيانة فيها والامتناع عن ادائها فيكون الاباء
امتناعا عن الخيانة واتيانا بالمراد فالمعنى ان هذه الاجرام مع عظمها وقوتها ابين الخيانة لا
ماناتها وابين بما امرناهن به لقوله تعالى اتينا طائعين وخانها الانسان حيث لم يات بما امر به
انه كان ظلوما جهولا وقيل انه تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها فهما وقال لها اني فرضت
فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني ونارا لمن عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة
ولا نبتغي ثوابا ولا عقابا ولما خلق ادم عليه السلام عرض عليه مثل ذلك فحمله وكان ظلوما لنفسه
بتحمل ما يشق عليها جهولا بسوء خاتمة عاقبته وقيل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها
عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعدادهن وبابائهن الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة
والاستعداد لها وبحمل الانسان قابليته واستعداده وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة
الغضبية والشهوية وهذا قريب من التحقيق فتامل والله الموفق وقرئ ويتوب الله على الاستيناف
وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة حيث تاب عليهم وغفر لهم فرطاتهم واثاب بالفوز على
طاعتهم قال عم من قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض اى له تعالى خلقا وملكا
وتصرفا بالايجاد والاعدام والاحياء والاماتة جميع ما وجد فيهما داخلا في حقيقتهما او خارجا
عنهما متمكنا فيهما فكانه قيل جميع المخلوقات كما مر في اية الكرسي ووصفه تعالى بذلك لتقرير ما افاده
تعليق الحمد المعرف باللام الجنسية بالاسم الجليل من اختصاص جميع افراده به تعالى على ما بين
في فاتحة الكتاب ببيان تفرده تعالى واستقلاله بما يوجب ذلك وكون كل ما سواه من الموجودات
التي من جملتها الانسان تحت ملكوته تعالى ليس لها في حد ذاتها استحقاق الوجود فضلا عما
عداه من صفاتها بل كل ذلك نعم فائضة عليها من جهته عز وجل فما هذا شانه فهو بمعزل من
استحقاق الحمد الذي مداره الجميل الصادر عن القادر بالاختيار فظهر اختصاص جميع افراده به تعالى
وقوله تعالى وله الحمد في الاخرة بيان لاختصاص الحمد الاخروي به تعالى اثر بيان اختصاص الدنيوي
به على ان الجار متعلق اما بنفس الحمد او بما تعلق به الخبر من الاستقرار واطلاقه عن ذكر ما يشعر
به بالمحمود عليه ليس في الدنيا عن ذكر ما يشعر بكون الحمد ايضا فيها النعم الاخروية كما في
قوله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض وقوله تعالى الذي احلنا دار المقامة
من فضله الاية وما يكون ذريعة الى نيلها من النعم الدنيوية كما في قوله تعالى الحمد لله الذي هدانا
لهذا اى لما جزاؤه هذا من الايمان والعمل الصالح والفرق بين الحمدين مع كون نعمتي الدنيا والاخرة
بطريق التفضل ان الاول على نهج العبادة والثاني على وجه التلذذ والاغتباط وقد ورد في الخبر
انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس وهو الحكيم الذي احكم امور الدين والدنيا ودبرها حسبما
تقتضيه الحكمة الخبير ببواطن الاشياء ومكنوناتها وقوله تعالى يعلم ما يلج في الارض الخ
تفصيل لما لبعض ما يحيط به علمه من الامور التي نيطت بها مصالحهم الدينية والدنيوية

اى يعلم ما يدخل فيها من الغيث والكنوز والدفاين والاموات ونحوها وما يخرج منها كالحيوان
والنبات وماء العيون ونحوها وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير ونحوها وقرئ وما
ننزل بالتشديد ونون العظمة وما يعرج فيها كالملائكة واعمال العباد والابخرة والادخنة وهو
الرحيم للحامدين على ما ذكر من نعمه الغفور للمفرطين في ذلك بلطفه وكرمه وقال الذين كفروا
لا تاتينا الساعة ارادوا بضمير المتكلم جنس البشر قاطبة لا انفسهم او معاصريهم فقط كما ارادوا
بنفي اتيانها ولان وجودها الاموجبا لزمانية المستقبلة لا سيما اجال الزمانية المستقبلة لا سيما
اجل الزمان لا يكون الا بالاتيان والحضور وقيل هو استبطاء لاتيانها الموعود بطريق الهزء
والسخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى رد لكلامهم واثبات لما نفوه على معنى ليس الامر الا
اتيانها وقوله تعالى وربي لتاتينكم تاكيد له على اتم الوجوه واكملها وقرئ ليأتينكم على تاويل الساعة
باليوم او الوقت وقوله تعالى عالم الغيب الى اخره ايراد للتاكيد وتشديد له من تشديد وكسر لصورة
امر تشديد وكسر وتكبير ونحو استبعادهم فان تعقيب القسم بجلائل نعوت المقسم به على الاطلاق يؤذن
بفخامة شان المقسم عليه وقوة اثباته وصحته لما ان ذلك في حكم الاستشهاد على الامر لا ريب
في ان المستشهد به كلما كان اجل واعلى كانت الشهادة اكد واقوى والمستشهد عليه احق بالثبوت
واولى لاسيما اذا خص بالذكر من النعوت ما له تعلق خاص بالمقسم عليه كما نحن فيه فان وصفه بعلم
الغيب الذي اشهر افراده وادخلها في الخفاء المقسم عليه تنبيه لهم على علة الحكم وكونه مما لا يحوم
حوله شائبة ريب ما وفائدة الامر بهذه اليمين ان لا يبقى للمعاندين عذر ما اصلا
فانهم كانوا يعرفون امانته ونزاهته عن وصمة الكذب فضلا عن اليمين الفاجرة وانما لم يصدقوه
مكابرة وقرئ علام الغيب بالرفع على المدح لا يعزب عنه اى لا يبعد وقرئ بكسر الزاي مثقال
ذرة مقدارها اصغر نملة في السموات ولا في الارض اى كائنة فيهما ولا اصغر من ذلك اى مثقال ذرة
ولا اكبر اى منه ورفعهما على الابتداء والخبر قوله تعالى الا في كتاب مبين هو اللوح المحفوظ والجملة
مؤكدة لنفي العزوب وقرئ ولا اصغر ولا اكبر بفتح الراء على نفي الجنس ولا يجوز ان يعطف المرفوع على
مثقال ذرة ولا المفتوح على ذرة بانه فتح في حيز الجر لامتناع الصرف لان الاستثناء يمنعه اللهم الا ان
يجعل الضمير في عنه للغيب ويجعل المثبت في اللوح خارجا عنه لظهوره للمطالعين له فيكون المعنى لا
ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله تعالى
لتاتينكم وبيان لما يقتضي اتيانها اولئك اشارة الى الموصول من حيث اتصافه بما في حيز الصلة
وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلتهم في الفضل والشرف اى اولئك الموصوفون
بالصفات الجليلة لهم بسبب ذلك مغفرة لما فرط منهم من بعض فرطات قلما يخلو عنها البشر ورزق
كريم لا تعب فيه ولا من عليه والذين سعوا في اياتنا بالقدح فيها وصد الناس عن التصديق بها معاجزين
اى مسابقين كي يفوتونا وقرئ معجزين اى مثبطين عن الايمان من اراده اولئك لهم عذاب الكلام فيه
كالذي مر انفا ومن في قوله تعالى من رجز قال قتادة الرجز سوء العذاب وقوله تعالى اليم صفة
عذاب اى اولئك الساعون لهم عذاب من جنس سوء العذاب شديد الايلام وقرئ اليم بالجر
صفة لرجز ويرى الذين اوتوا العلم اى يعلم اولوا العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
شايعهم من علماء الامة او من علماء اهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب واضرابهم رضي الله
عنهم الذي انزل اليك من ربك اى القران هو الحق بالنصب على انه مفعول ثان ليرى وقوله تعالى
ويرى الى اخره مستانف مسوق للاستشهاد باولي العلم على الجهلة الساعين في الايات وقيل منصوب
معطوف على يجزي اى وليعلم اولوا العلم عند مجيء الساعة معاينة انه الحق حسبما علموه الان برهانا ويحتجوا
به على المكذبين وقد جوز ان يراد باولي العلم من لم يؤمن من الاحبار ليعلموا يومئذ انه هو الحق
فيزدادوا حسرة وغما ويهدي عطف على الحق عطف الفعل على الاسم لانه في تاويله كما في قوله
تعالى صافات ويقبضن اى وقابضات كانه قيل ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من
ربك الحق هاديا الى صراط العزيز الحميد الذي هو التوحيد والتدرع بلباس التقوى وقيل
مستانف وقيل حال من الذي انزل على اضمار المبتدا اى وهو يهدي كما في قول من قال نجوت
وارهنهم مالكا وقال الذين كفروا هم كفار قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل
يعنون به النبي صلى الله عليه وسلم وانما قصدوا بالتنكير الطنز والسخرية فاتاهم الله تعالى
ينبئكم اى يحدثكم باعجب الاعاجيب وقرئ ينبيكم من الانباء اذا مزقتم كل ممزق اى اذا متم ومزقت اجسادكم
كل ممزق وفرقت كل تفريق بحيث صرتم ترابا ورفاتا انكم لفي خلق جديد اى مستقرون فيه عند اليه

عن الجمل الفعلية الدالة على الحدوث مثل تبعثون اى تخلقون خلقا جديدا الله شائع فى الاستبعاد والتعجيب
وكذلك تقديم الظرف والعامل فيه ما دل عليه المذكور لا نفسه لما ان بعد ان لا تعمل فيما قبلها
وجديد فعيل بمعنى فاعل من جد فهو جديد وقل فهو قليل وقيل بمعنى مفعول من جد النساج الثوب اذا
قطعه ثم شاع افترى على الله كذبا فيما قال له ام به جنة اى جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه
واستدل بهذا الترتيب على ان بين الصدق والكذب واسطة هو ما لا يكون من الاخبار عن
بصيرة بين العباد ولظهور كون الافترا اخص من الكذب بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال
البعيد جواب من جهة الله تعالى عن ترديدهم فى الترداد على طريقة الاستفهام واضراب عن شقيه وابطال
لهما واثبات قسم ثالث كاشف عن حقيقة الحال ناع عليهم سوء حالهم وابتلاءهم بما قالوا فى حقه صلى الله عليه وسلم
كانه قيل ليس الامر كما زعموا بل هم فى كمال اختلال العقل وغاية الضلال عن الفهم وادراك الذى هو الجنون
حقيقة وفيما يؤدى اليه ذلك من العذاب ولذلك يقولون ما يقولون وتقديم العذاب على ما يوجبه ويستتبعه
للمسارعة الى بيان ما يسوؤهم وينغص فى اعتقادهم والاشعار بغاية سرعة ما يترتب عليه كانه يسابقه فيسبقه
ووصف الضلال بالبعد الذى هو وصف الضال للمبالغة ووضع الموصول موضع ضميرهم للتنبيه بما فى حيز الصلة
لان على علة ما اجترؤا عليه من الشناعة الفظيعة كفرهم بالآخرة وما فيها من فنون العقاب ولولاه ولولاه
لما فعلوا ذلك خوفا من غائلته وقوله تعالى أفلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض استئناف
مسوق لتهويل ما اجترؤا عليه من تكذيب آيات الله واستعظام ما قالوا فى حقه صلى الله عليه وسلم وانه
من العظائم الموجبة لتنزيل اشد العقاب وحلول افظع العذاب من غير ريث والفاء للعطف على مقدر يقتضيه
المقام وقوله تعالى ان نشأ الى آخره بيان لما ينبئ عنه ذكر احاطتهما بهم من المحذور المتوقع من جهتهما وفيه
تنبيه على انه لم يبق من اسباب وقوعه الا تعلق المشيئة اى افعلوا ما فعلوا من المنكر الهائل المستتبع للعقوبة
فلم ينظروا الى ما احاط بهم من جميع جوانبهم بحيث لا مفر لهم عنه ولا محيص ان نشأ جريا على موجب جناياتهم
نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا اى قطعا من السماء كما اسقطناها على اصحاب
الايكة لاستيجابهم ذلك بما ارتكبوه من الجرائم وقيل هو تذكير بما يعاينون مما يدل على كمال قدرته وما
يحتمل فيه ازاحة لاستحالتهم البعث حتى جعلوه افترا وهزوا وتهديدا عليها والمعنى اعموا فلم ينظروا الى ما
احاط بجوانبهم من السماء والارض ولم يتفكروا اهم اشد خلقا ام هى وان نشأ نخسف بهم الارض او
نسقط عليهم كسفا من السماء لتكذيبهم بالآيات بعد ظهور البينات فتأمل وكن على الحق المبين وقرئ
ويسقط بالياء لقوله تعالى افترى على الله وكسفا بسكون السين ان فى ذلك اى فيما ذكر من السماء والارض
من حيث احاطتهما بالناظر من جميع الجوانب او فيما تلى من الوحى الناطق بذلك لآية واضحة لكل عبد منيب شانه
الانابة الى ربه فانه اذا تامل فيهما او فى الوحى المذكور ينزجر عن تعاطى القبائح وينيب اليه تعالى وفيه
حث بليغ على التوبة والانابة وقد اكد ذلك بقوله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا اى آتيناه لحسن
انابته وصحة توبته فضلا على سائر الانبياء عليهم السلام وهو نوع من الفضل وهو ما ذكر بعد وقيل
معجزة خاصة به عليه السلام او على سائر الناس فيندرج فيه النبوة والكتابة والملك والصوت الحسن
فتنكيره للتفخيم ومنا لتأكيد فخامته الذاتية بفخامته الاضافية كما فى قوله تعالى وآتيناه من لدنا علما
وتقديمه على المفعول الصريح للاهتمام بالمقدم مع التشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم اذا اخر تبقى
النفس مترقبة له فاذا وردها تمكن عندها فضل تمكن يا جبال اوبى معه من التأويب اى رجعى معه
التسبيح او التوجه على الذنب وذلك اما بان يخلق الله تعالى فيها صوتا مثل صوته كما خلق الكلام فى الشجرة
او بان يتمثل له ذلك وقرئ اوبى من الاوب اى ارجعى معه فى التسبيح كلما رجع فيه وكان كلما سبح عليه السلام
يسمع من الجبال ما يسمع من المسبح معجزة له عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت
الجبال تسعده على نوحه باصدائها والطير باصواتها وهو بدل من آتينا باضمار قولنا او من فضلا باضمار
قولنا والطير بالنصب عطفا على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير لان ايتاءها اياه عليه السلام تسخيرها
له فلا حاجة الى اضماره كما نقل عن الكسائى ولا الى تقدير مضاف اى تسبيح الطير كما نقل عنه فى رواية وقيل
عطفا على محل الجبال وفيه من التكلف لفظا ومعنى ما لا يخفى وقرئ بالرفع عطفا على لفظها تشبيها
للحركة البنائية العارضة بالحركة الاعرابية وقد جوز انتصابه على انه مفعول معه والاول هو الوجه
وفى تنزيل الجبال والطير منزلة العقلاء المطيعين لامره تعالى المذعنين لحكمه المشعر بانه ما من حيوان
وجماد وصامت وناطق الا وهو منقاد لمشيئته غير ممتنع على ارادته من الفخامة المعربة عن غاية
عظمة شانه تعالى وكمال كبرياء سلطانه ما لا يخفى على اولى الالباب والنا له الحديد اى جعلناه لينا فى نفسه
كالشمع يصرفه فى يده كيف شاء من غير احماء ولا ضرب بمطرقة او جعلناه بالنسبة الى قوته التى

اتيناها

آتيناها اياه كالشمع بالنسبة الى سائر القوى البشرية ان اعمل اى امرناه ان اعمل على ان مصدرية حذف
منها الباء وفى حملها على المفسرة تكلف لا يخفى سابغات واسعات وقرئ صابغات وهى الدروع الواسعة
الضافية وهو عليه السلام اول من اتخذها وكانت قبل صفائح قالوا كان عليه السلام حين
ملك على بنى اسرائيل يخرج متنكرا فيسال الناس ما يقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله له
ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود فسأله فقال لولا
انه يطعم عياله من بيت المال فعند ذلك سأل ربه ان يسبب له ما يستغنى به عن بيت المال فعلمه
تعالى صنعة الدروع وقيل كان يبيع الدرع باربعة آلاف فينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق
على الفقراء وقدر فى السرد السرد نسج الدروع اى اقتصد فى نسجها بحيث تتناسب حلقها وقيل قدر
مساميرها فلا تجعلها دقاقا ولا غلاظا ورد بان دروعه عليه السلام لم تكن مسمورة كما ينبئ عنه
الانة الحديد وقيل ومعنى قدر فى السرد لا تصرف جميع اوقاتك اليه بل مقدار ما يحصل به القوت
واما الباقى فاصرفه الى العبادة وهو الانسب بقوله تعالى واعملوا صالحا لعموم الخطاب حسب عموم التكليف
له عليه السلام ولاهله انى بما تعملون بصير اى جريها بالغداة تعليل للامر او لوجوب الامتثال بها
ولسليمان الريح اى وسخرنا له الريح وقرئ برفع الريح اى لسليمان الريح مسخرة غدوها شهر ورواحها شهر
اى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك والجملة اما مستأنفة او حال من الريح وقرئ
غدوتها وروحتها وعن الحسن رحمه الله كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر ثم يروح فيكون رواحه
بكابل وقيل كان يتغدى بالرى ويتعشى بسمرقند ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه
بعض اصحاب سليمان عليه السلام نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه وغدونا من اصطخر فقلناه ونحن
رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له عين القطر اى النحاس المذاب اسالها من معدنه
كما الان الحديد لداود عليه السلام فنبع منه نبوع الماء من الينبوع ولذلك سماه عينا وكان ذلك باليمن وقيل كان
يسيل فى الشهر ثلاثة ايام وقوله تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه اما جملة من مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على
الريح ومن الجن حال متقدم باذن ربه بامره تعالى كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يزغ منهم عن امرنا اى ومن
يعدل منهم عما امرناه به من طاعة سليمان وقرئ يزغ على البناء للمفعول من ازاغه نذقه من عذاب السعير
اى عذاب النار فى الآخرة وهو المروى عن السدى رحمه الله كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى
عليه ضربه من حيث لا يراه الجنى يعملون له ما يشاء تفصيل لما ذكر من عملهم وقوله تعالى من محاريب الى آخره
بيان لما يشاء اى من قصور حصينة ومساكن شريفة سميت بذلك لانها يذب عنها ويحارب عليها
وتماثيل وصور الملائكة والانبياء عليهم السلام على ما اعتادوه فانها كانت تعمل حينئذ فى المساجد
ليراها الناس ويعبدوا مثل عبادتهم وحرمة التصاوير شرع جديد وروى انهم عملوا اسدين
فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد اظله النسران
باجنحتهما وجفان جمع جفنة وهى الصحفة كالجواب كالحياض الكبار جمع جابية من الجباية لاجتماع الماء
فيها وهى من الصفات الغالبة كالدابة وقرئ باثبات الياء قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقدور
راسيات ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب
على انه مفعول به اى اعملوا شكرا وقليل من عبادى الشكور اى المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه
وجوارحه اكثر اوقاته ومع ذلك لا يوفى حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعى شكرا آخر لا الى نهاية
ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وروى انه عليه الصلاة والسلام جزأ ساعات الليل والنهار
على اهله فلم تك تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى فلما قضينا عليه الموت اى على
سليمان ما دلهم اى الجن او آله على موته الا دابة الارض اى الارضة اضيفت الى فعلها وقرئ بفتح الراء
وهو تأثر الخشبة من فعلها يقال ارضت الارضة الخشبة ارضا فارضت ارضا مثل اكلت القوادح
الاسنان اكلا فاكلت اكلا تاكل منساته اى عصاه من نسأت البعير اذا طردته لانها يطرد بها ما يطرد
وقرئ منساته بالف ساكنة بدلا من الهمزة وبهمزة ساكنة وباخراجها بين بين عند الوقف ومنساته
على مفعالة كميضاءة فى ميضاءة ومن ساته اى من طرف عصاه من سأة القوس وفيه لغتان كما فى قحة بالكسر
وقرئ من ساته فلما خر تبينت الجن من تبينت الشئ اذا علمته بعد التباسه اى علمت الجن علما بينا بعد
التباس الامر عليهم ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين اى انهم لو كانوا يعلمون الغيب
كما يزعمون لعلموا موته عليه السلام حينما وقع فلم يلبثوا بعده حولا كاملا فى تسخيره الى ان خر او
من تبين الشئ اذا ظهر وتجلى اى ظهرت الجن وان مع ما فى حيزها بدل اشتمال من الجن اى
ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب الى آخره وقرئ تبينت الجن على البناء للمفعول على ان المتبين فى الحقيقة

هو ان مع ما في صلتها لانه بدل وقرئ تبينت الانس والضمير في كانوا للجن في قوله تعالى ومن الجن من يعمل وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روي ان داود عليه السلام اسس بنيان البيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فتوفي قبل تمامه فوصى به الى سليمان عليه السلام فاستعمل فيه الجن والشياطين فباشروه حتى اذا حان اجله وعلم به سأل ربه ان يعمي عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب فدعا فبنوا عليه صرحا من قوارير فقام يصلي متكئا على عصاه فقبض روحه وهو متكئ عليها فبقي كذلك وهم فيما امروا به الى ان اكلت الارضة عصاه فخر ميتا وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى عليه السلام فلم يكن ينظر اليه شيطان في صلاته الا احترق فمر به يوما شيطان فنظر فاذا سليمان عليه السلام قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا الارضة على العصا فاكلت في يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وكان عمره عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين سنة وابتدأ بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه لقد كان لسبأ بيان لاخبار بعض الكافرين بنعم الله تعالى اثر بيان احوال الشاكرين لها اي لاولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقرئ بمنع الصرف على انه اسم القبيلة وقرئ بقلب الهمزة الفا ولعله اخراج لها بين بين في مسكنهم وقرئ بكسر الكاف كالمسجد وقرئ بلفظ الجمع اي مواضع سكناهم وهي باليمن يقال لها مأرب بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث ليال آية دالة بملاحظة احوالها السابقة واللاحقة على وجود الصانع المختار القادر على كل ما يشاء من الامور البديعة المجازي للمحسن والمسيء ومعاضدة للبرهان السابق كما في قصتي داود وسليمان عليهما السلام جنتان بدل من آية او خبر لمبتدأ محذوف اي هي جنتان وفيه معنى المدح ويؤيده قراءة النصب على المدح والمراد بهما جماعتان من البساتين عن يمين وشمال جماعة عن يمين مسكنه وعن شماله كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها او لما نطق به لسان الحال او بيان لكونهم احقاء بان يقال لهم ذلك بلدة طيبة ورب غفور استئناف مبين لما يوجب الشكر المأمور به اي بلدتكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم فيها من الطيبات وطلب منكم الشكر رب غفور لفرطات من يشكره وقرئ الكل بالنصب على المدح قيل كانت اطيب البلاد نحوا واخصبها وكانت المرأة تخرج وعلى رأسها المكتل فتعمل بيديها وتسير فيما بين الاشجار فيمتلئ المكتل بما يتساقط فيه من الثمار ولم يكن فيه من مؤذيات الهوام شيء فاعرضوا عن الشكر بعد اتيانه الآيات الداعية لهم اليه قيل ارسل لهم ثلاث عشرة نبيا فدعوهم الى الله تعالى وذكروهم بنعمه وانذروهم عقابه فكذبوهم فارسلنا عليهم سيل العرم اي سيل الامر العرم اي الصعب من عرم الرجل فهو عارم وعرم اذا شرس خلقه وصعب او المطر الشديد وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة وقيل هو السكر الذي يحبس الماء وقيل هو اسم للبناء الذي يجعل سدا وقيل هو البناء الرصين الذي بنته الملكة بلقيس بين الجبلين بالصخر والقار وحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه خروقا على ما يحتاجون اليه في سقيهم وقيل العرم الجرذ الذي نقب عليهم ذلك السد وهو الفأر الاعمى الذي يقال له الخلد سلطه الله تعالى على سدهم فنقبه فغرق بلادهم وقيل العرم اسم الوادي وقيل المسناة قالوا ان ذلك في الفترة التي بين عيسى والنبي عم وبدلناهم بجنتيهم اي اذهبنا جنتيهم واتيناهم بدلهما جنتين ذواتى اكل خمط اي ثمر بشع فان الخمط كل نبت اخذ طعما من مرارة حتى لا يمكن اكله وقيل هو الحامض والمر من كل شيء وقيل هو ثمر شجرة يقال لها فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع بها وقيل هو الاراك او كل شجر ذي شوك والتقدير اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرئ اكل خمط بالاضافة وبتخفيف الاكل واثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل لا على خمط فان الاثل هو الطرفاء وقيل شجر يشبهه اعظم منه ولا ثمر له وقرئ واثلا وشيئا عطفا على جنتين قيل وصف السدر بالقلة لان جناه وهو النبق مما يطيب اكله ولذلك يغرس في البساتين والصحيح ان السدر صنفان صنف يؤكل ثمره وينتفع بورقه لغسل اليد وصنف له ثمر عفص لا يؤكل اصلا ولا ينتفع بورقه وهو الضال والمراد هاهنا هو الثاني حتما وقال قتادة كان شجرهم خير الشجر فصيره الله تعالى من شر الشجر باعمالهم وتسمية البدل جنتين للمشاكلة والتهكم ذلك اشارة الى مصدر قوله تعالى جزيناهم او الى ما ذكر من التبديل وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد رتبته في الفظاعة ومحله على الاول النصب على انه مصدر مؤكد للفعل المذكور وعلى الثاني منصوب النصب على انه

مفعول

مفعول ثان له اي ذلك الجزاء الفظيع جزيناهم لا جزاء آخر او ذلك التبديل جزيناهم لا غيره بما كفروا بسبب كفرانهم النعمة حيث نزعناها منهم ووضعنا مكانها ما تسمع او بسبب كفرهم بالرسل وهل نجازي الا الكفور اي وما نجازي هذا الجزاء الا المبالغ في الكفران او الكفر وقرئ يجازي على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وهل يجازى على البناء للمفعول ورفع الكفور وهل يجازى على البناء للمفعول ايضا وهذا بيان لما اوتوا من النعم الحاضرة في مساكنهم وما فعلوا بها من الكفران وما فعل بهم من الجزاء وقوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها حكاية لما اوتوا من النعم البادية في مسايرهم ومتاجرهم وما فعلوا بها من الكفران وما حاق بهم بسبب ذلك تكملة لقصتهم وبيانا لعاقبتهم وانما لم يذكر الكل معا لما في التثنية والتكرير من زيادة التنبيه والتذكير وهو عطف على كان لسبأ لا على ما بعده من الجمل الناطقة بافعالهم وباجزيتها اي وجعلنا مع ما آتيناهم في مساكنهم من فنون النعم بينهم اي بين بلادهم وبين القرى الشامية التي باركنا فيها للعالمين قرى ظاهرة اي متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي ظاهرة لاعين اهلها او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة غير بعيدة عن مسالكهم حتى تخفى عليهم وقدرنا فيها السير اي جعلناها في نسبة بعضها الى بعض على مقدار معين يليق بما لابناء السبيل قيل كان الغادي من قرية يقيل في اخرى والرائح منها يبيت في اخرى الى ان يبلغ الشام كل ذلك كان تكميلا لما اوتوا من انواع النعماء وتوفيرا لها في الحضر والسفر سيروا فيها على ارادة القول اي وقلنا لهم سيروا فيها في تلك القرى ليالي واياما اي متى شئتم من الليالي والايام آمنين من كل ما تكرهونه لا يختلف الامن فيها باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين فان تطاولت مدة سفركم وامتدت ليالي واياما كثيرة او سيروا فيها لياليكم واياما ولا تلقون فيها الا آمنين فان تطاولت مدة سفركم الا الامن لكن لا على الحقيقة بل على تنزيل تمكينهم من السير المذكور وتسوية مباديه واسبابه على الوجه المذكور منزلة امرهم بذلك فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا وقرئ يا ربنا بطروا النعمة وسئموا اطيب العيش وملوا العافية فطلبوا الكد والتعب وسألوا الله تعالى ان يجعل بينهم وبين الشام مفاوز وقفارا ليركبوا فيها الرواحل ويتزودوا الازواد ويتطاولوا فيها على الفقراء فعجل الله لهم الاجابة بتخريب تلك القرى المتوسطة وجعلها بلقعا لا يسمع فيها داع ولا مجيب وقرئ بعد وربنا باعد بين اسفارنا على صيغة الخبر ورفع ربنا على الابتداء والمعنى على خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها وسيرهم لمن يسلكها لفرط تنعمهم وغاية ترفههم وعدم اعتدادهم بنعم الله تعالى كانهم يتشاكون على الله ويتجنون عليه وظلموا انفسهم حيث عرضوها للسخط والعذاب حين بطروا النعمة او غمطوها فجعلناهم احاديث اي جعلناهم بحيث يتحدث الناس بهم متعجبين من احوالهم ومعتبرين بعاقبتهم ومآلهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم كل تفريق على ان الممزق مصدر او كل مطرح ومكان تفريق على انه اسم مكان وفي عبارة التمزيق الخاص بتفريق المتصل وخرقه من تهويل الامر والدلالة على شدة التأثير والايلام ما لا يخفى اي فرقناهم تفريقا لا غاية وراءه يضرب به الامثال في كل فرقة ليس بعدها وصال حتى لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان واصل قصتهم على ما رواه الكلبي عن ابي صالح ان عمرو بن عامر من اولاد سبأ وبينهما اثنا عشر ابا وهو الذي يقال له مزيقيا بن ماء السماء اخبرته طريفة الكاهنة بخراب سد مأرب وتغريق سيل العرم الجنتين وعن ابي زيد الانصاري ان عمرا رأى جرذا يحفر السد فعلم انه لا بقاء له بعد وقيل انه كان كاهنا وقد علمه بكهانته فعلمه فباع املاكه وسار بقومه وهم الوف من بلد الى بلد حتى انتهى الى مكة المعظمة واهلها جرهم وكانوا قهروا الناس وحازوا ولاية البيت على بني اسمعيل عليه السلام وغيرهم فارسل الله اليهم ثعلبة بن عمرو بن عامر يسألهم المقام معهم الى ان يرجع اليه رواده الذين ارسلهم الى اصقاع البلاد يطلبون له موضعا يسعه ومن معه من قومه فابوا فاقتتلوا ثلاثة ايام فانهزمت جرهم ولم يفلت منهم الا الشريد واقام ثعلبة بمكة ونواحيها في قومه وعساكره حولا فاصابتهم الحمى فاضطروا الى الخروج وقد رجع اليه رواده فافترقوا فرقتين فرقة توجهت نحو عمان وهم الازد وكندة وحمير ومن يتلوهم وسار ثعلبة نحو الشام فنزل الاوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة المدينة وهم الانصار ومضت غسان فنزلوا بالشام وانخزعت خزاعة بمكة فاقام بها ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر وهو لحي فولي امر مكة وحجابة الكعبة ثم جاءهم اولاد اسمعيل عليه السلام فسألوهم السكنى معهم وحولهم فاذنوا لهم في ذلك وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان فروة بن مسيك المرادي سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن سبأ فقال هو رجل كان له عشرة اولاد ستة سكنوا اليمن وهم مذحج وكندة والازد والاشعريون وحمير وانمار منهم بجيلة وخثعم واربعة منهم سكنوا الشام وهم لخم وجذام وعاملة وغسان لما هلكت اموالهم وخربت

بلادهم تفرقوا اى سبا شذر مذر فتفرقت طوايف منهم بالحجاز فمنهم خزاعة نزلوا بظاهر مكة ونزلت
الاوس والخزرج بيثرب فكانوا اول من سكنها ثم نزل عندهم ثلاث قبايل من اليهود بنوا قينقاع وبنوا قريظة
والنضير فخالفوا الاوس والخزرج واقاموا عندهم ونزلت طوايف اخرى بالشام وهم الذين تنصروا فيما
بعد وهم غسان وعاملة ولخم وجذام وتنوخ وتغلب وغيرهم وسبا تجمع هذه القبايل كلها والجمهور على ان جميع
العرب قسمان قحطانية وعدنانية والقحطانية شعبان سبا وحضرموت والعدنانية شعبان ربيعة
ومضر واما قضاعة فمختلف فيها فبعضهم ينسبونها الى قحطان وبعضهم الى عدنان والله اعلم ان فى ذلك
اى فيما ذكر من قصتهم لايات عظيمة لكل صبار شكور اى شانه الصبر عن الشهوات ودواعى الهوى وعلى مشاق
الطاعة والشكر على النعم وتخصيص هؤلاء بذلك لانهم المنتفعون بها ولقد صدق عليهم ابليس ظنه
اى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا وقرئ بالتخفيف اى صدق فى ظنه او صدق فظن ظنه ويجوز
تعدية الفعل اليه بنفسه لانه نوع من القول وقرئ بنصب ابليس ورفع الظن مع التشديد بمعنى
وجد ظنه صادقا ومع التخفيف بمعنى قال لهم الصدق حين عوام وبرفعهما والتخفيف على الابدال
وذلك اما ظنه بسبا حين راى انهماكهم فى الشهوات او ببنى ادم حين شاهد اباهم عليه السلام قد اصغى الى وسوسته
قال لاغوينه استضعف منه عزما وقيل ظن ذلك عند اخبار الله تعالى الملئكة انه يجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدما وقال لاضلنهم ولاغوينهم فاتبعوه اى اهل سبا او الناس الا فريقا من المؤمنين الا فريقا
هم المؤمنون لم يتبعوه وعلى ان من بيانية وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من فرق المؤمنين
لم يتبعوه وهم المخلصون وما كان له عليهم من سلطان اى تسلط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء
الا لنعلم من يؤمن بالاخرة ممن هو منها فى شك استثناء مفرغ من اعم العلل ومن موصولة او
وما كان تسلطه عليهم الا ليتعلق علمنا بمن يؤمن ومن يؤمن بالاخرة متميزا ممن هو منها فى شك منها
تعلقا حاليا يترتب عليه الجزاء او الا لنميز المؤمن من الشاك او الا ليؤمن من قدر ايمانه ويتحقق
ايمانه ويشك من قدر ضلاله والمراد من حصول العلم متعلقه مبالغة وربك على كل شى حفيظ اى
محافظ عليه فان فعيلا ومفاعلا صيغتان متاخيتان قل اى للمشركين اظهارا لبطلان ما هم عليه وتبكيتا
لهم ادعوا الذين زعمتم اى زعمتموهم الهة وهما مفعولا زعم حذف الاول لطول الموصول بصلته والثانى
لقيام صفته اعنى قوله تعالى من دون الله مقامه ولا سبيل الى جعله ثانيا لانه لا يلتئم مع الضمير كلاما
ولا لقوله لا يملكون لانهم لا يزعمونه والمعنى ادعوهم فيما يهمكم من جلب نفع او دفع ضر لعلهم يستجيبون لكم
ان صح دعواكم ثم اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة
من خير او شر ونفع وضر فى السموات ولا فى الارض اى فى امر ما من الامور وذكرهما للتعميم عرفا او لان
الهتهم بعضها سماوية كالملئكة والكواكب وبعضها ارضية كالاصنام او لان الاسباب القريبة للخير
والشر سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم وما لهم اى للالهة فيهما من شرك اى شركة لا خلقا
ولا ملكا ولا تصرفا وما له اى لله تعالى منهم من ظهير من معين يعينه فى تدبير امرهما ولا تنفع
الشفاعة عنده اى لا توجد راسا كما فى قوله • ولا ترى الضب بها ينجحر لقوله تعالى من ذا الذى يشفع
عنده الا باذنه وانما علق النفى بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفى ما هو غرضهم من وقوعها وقوله تعالى الا لمن
اذن له استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى لا تقع الشفاعة فى حال من الاحوال الا كاينة لمن اذن له فى الشفاعة
فى حال من الاحوال الا كاينة لمن اذن له فى الشفاعة من النبيين والملئكة ونحوهم من المستاهلين لمقام
الشفاعة المستحقين لها لقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا ومن البين ان الشفاعة
للكفرة بمعزل من الصواب او لا تنفع الشفاعة من الشافعين المستاهلين لها فى حال من الاحوال الا كاينة
لمن اذن له اى لاجله وفى شانه من المستحقين للشفاعة واما من عداهم من غير المستحقين لها فلا تنفعهم اصلا
وان فرض وقوعها وصدورها عن الشفعاء اذ لم يؤذن لهم فى شفاعتهم بل فى شفاعة غيرهم فعلى هذا يثبت
حرمانهم من شفاعة هؤلاء بعبارة النص وعن شفاعة الاصنام بدلالته اذ حين حرموها من جهة القادرين
على شفاعة بعض المحتاجين اليها فلان يحرموا من جهة العجزة عنها اولى وقرئ اذن له مبنيا للمفعول حتى اذا
فزع عن قلوبهم اى قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين واما الكفرة فهم من موقف الاستشفاع
بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بالف متقل والتفزيع ازالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع واسند الفعل الى
الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الاشعار بوقوع الاذن لمن اذن له فانه مسبوق بالاستيذان
المستدعى للترقب والانتظار للجواب كانه سيل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون فى موقف الاستيذان والاستدعاء
ويتوقفون على وجل وفزع مليا حتى اذا ازيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتى وظهرت لهم تباشير الاجابة
قالوا اى المشفوع لهم الشفعاء لانهم المباشرون للاستيذان بالذات المتوسطون بينهم وبين عز وجل والشفعاء

الحق

الحق اى قال ربنا القول الحق وهو الاذن فى الشفاعة للمستحقين لها وقرئ الحق مرفوعا اى ما قاله الحق وهو العلى
الكبير من تمام كلام الشفعاء قالوه اعترافا بغاية عظمة جناب العزة عز وجل وقصور شان كل من سواه
اى هو المتفرد بالعلو والكبرياء ليس لاحد من اشراف الخلايق ان يتكلم الا باذنه وقرئ فزع مخففا بمعنى فزع
على البناء للفاعل هو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة اى نفى الوجل عنها وافنى من فرغ الزاد
اذا لم يبق منه شى وهو من الاسناد المجازى لان الفراغ وهو لحقائق حال ظرفه عند نفاده فاسند اليه
على عكس قولهم جرى النهر ومن الحسن تخفيف الى الفاعل واصله فرغ الوجل عنها اى انتفى عنها وفنى ثم حذف الفاعل
واسند الى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرئ افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها قل من
يرزقكم من السموات والارض امر صلى الله عليه وسلم بتبكيت المشركين بحملهم على الاقرار بان الهتهم لا
يملكون مثقال ذرة فيهما وان الرازق هو الله تعالى وانهم لا يتكلمون انكانوا عنه قوله تعالى قل من
يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار فسيقولون الله وحيث كانوا يتلعثمون احيانا
فى الجواب مخافة الالزام قيل عليه السلام قل الله اذ لا جواب سواه عندهم ايضا وانا او اياكم لعلى هدى
او فى ضلال مبين اى وان احد الفريقين من الذين يوحدون بالرزق والقدرة الذاتية ويخصونه بالعبادة
والذين يشركون به فى العبادة الجماد النازل فى ادنى مراتب الامكانية لعلى احد الامرين من الهدى والضلال
المبين وهذا بعد ما سبق من التقرير البليغ الناطق بتعيين من هو على الهدى ومن هو فى الضلال ابلغ من
التصريح بذلك لجريانه على سنن الانصاف المسكت للخصم الالد وقرئ وانا واياكم اما على هدى او فى
ضلال مبين واختلاف الجارين للايذان بان الهادى كمن استعلى منارا ينظر الاشياء ويتطلع
عليها والضال كانه منغمس فى ظلام لا يرى شيئا او محبوس فى مطمورة لا يستطيع الخروج عنها قل لا
تسئلون عما اجرمنا ولا نسئل عما تعملون وهذا ابلغ فى الانصاف وابعد من الجدل والاعتساف حيث
اسند فيه الاجرام وان اريد به الزلة وترك الاولى الى انفسهم ومطلق العمل الى المخاطبين مع ان
اعمالهم اكبر الكباير قل يجمع بيننا ربنا يوم القيمة عند الحشر والحساب ثم يفتح بيننا بالحق اى يحكم
بيننا ويفصل بعد ظهور حال كل منا ومنكم بان يدخل المحقين الجنة والمبطلين النار وهو الفتاح
الحاكم الفيصل فى القضايا المتعلقة العليم بما ينبغى ان يقضى به قل اروني الذين الحقتم به شركاء
اريد بامرهم باراءة الاصنام مع كونها بمراى منه عليه السلام اظهار خطائهم العظيم واطلاعهم على بطلان رايهم
اى اروني لانظر باى صفة الحقتموها بالله الذى ليس كمثله شى فى استحقاق العبادة وفيه مزيد تبكيت لهم
بعد الزام الحجة عليهم كلا ردع لهم عن المشاركة بعد ابطال المقايسة بل هو الله العزيز الحكيم اى الموصوف
بالغلبة القاهرة والحكمة الباهرة فاين شركاؤكم التى هى اخس الاشياء واذلها من هذه الرتبة العالية
والضمير اما لله عز وجل او للشان كما فى قل هو الله احد وما ارسلناك الا كافة للناس الا رسالة عامة
لهم فانها اذا عمتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم او الا جامعا لهم فى الابلاغ فهى حال من الكاف والتاء
للمبالغة ولا سبيل الى جعلها حالا من الناس لاستحالة تقدم الحال على صاحبها المجرور بشيرا ونذيرا ولكن
اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغى والضلال ويقولون من فرط جهلهم
وغاية عتوهم متى هذا الوعد بطريق الاستهزاء يعنون به المبشر به والمنذر عنه او الموعود بقوله تعالى
يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا ان كنتم صادقين مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين قل لكم ميعاد
يوم او وعد يوم او زمان وعد واضافة الميعاد الى يوم للتبيين ويؤيده انه قرئ ميعاد يوم منونين على البدل
اعنى التعظيم لا تستاخرون عنه ساعة عند مفاجاته ولا تستقدمون صفة لميعاد وفى هذا الجواب من
المبالغة فى التهديد ما لا يخفى حيث جعل الاستيخار والاستحالة كما لاستقدام الممتنع عقلا وقد
مر بيانه مرارا ويجوز ان يكون نفى الاستيخار والاستقدام غير مقيد بالمفاجاة فيكون وصف الميعاد
بذلك لتحقيقه وتقريره وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذى بين يديه اى من الكتب
القديمة الدالة على البعث وقيل ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبروهم انهم يجدون نعته فى كتبهم فغضبوا فقالوا ذلك وقيل الذى بين يديه القيمة ولو ترى
اذ الظالمون المنكرون للبعث موقوفون عند ربهم اى فى موقف المحاسبة يرجع بعضهم الى بعض
القول اى يتحاورون ويتراجعون القول يقول الذين استضعفوا بدل من يرجع الى اخره اى
يقول الاتباع للذين استكبروا فى الدنيا اى يتحاورون وكانوا يستتبعونهم فى الغى والضلال لولا انتم لولا اضلالكم
وصدكم لنا عن الايمان لكنا مؤمنين باتباع الرسول ثم قال الذين استكبروا للذين استضعفوا
استيناف مبنى على السؤال كانه قيل فماذا قال الذين استكبروا فى الجواب فقيل قالوا انحن صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين منكرين لكونهم الصادين لهم عن الايمان مثبتين انهم هم الصادون

لولا انتم

بانفسهم بسبب كونهم راسخين في الاجرام وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا اضربا عن اضرابهم
وابطالا بل مكر الليل والنهار اى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه
الظرف اتساعا اى بل صدنا مكركم بنا بالليل والنهار فحذف المضاف اليه واقيم مقامه الظرف اتساعا
او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى وقرئ بل مكر الليل والنهار بالتنوين ونصب الظرفين
اى بل صدنا مكركم في الليل والنهار على ان التنوين عوض عن المضاف اليه او مكر عظيم على انه للتفخيم وقرئ
بل مكر الليل والنهار بالرفع والنصب اى تكرون الاغواء مكرا دائبا لا يفترون عنه بالرفع على الفاعلية
اى بل صدنا مكركم الاغواء في الليل والنهار على ما سبق من الاتساع في الظرف باقامته مقام المضاف اليه
فالنصب على المصدرية اى بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار اى مكرا دائما وقوله تعالى اذ تامروننا
ظرف للمكر اى بل مكركم الدائم وقت امركم لنا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا على ان المراد بمكرهم اما نفس
امرهم بما ذكر كما في قوله تعالى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا
فان الجعلين المذكورين نعمة من الله تعالى واى نعمة واما امور اخر مقارنة لامرهم داعية الى
الامتثال به من الترغيب والترهيب وغير ذلك واسروا الندامة لما راوا العذاب اى اضمر الفريقان
الندامة على ما فعلوه من الضلال والاضلال واخفاها كل منهما عن الاخر مخافة التعيير او اظهروها
فانه من الاضداد وهو المناسب لحالهم وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اى في اعناقهم والاظهار
في موضع الاضمار للتنويه بذمهم والتنبيه على ما يوجب اغلالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون اى لا
يجزون الا جزاء ما كانوا يعملون على نزع الجار وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها
انا بما ارسلتم به كافرون تسلية لرسول الله ص مما مني به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به
والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بحظوظ الدنيا وزخارفها والتكبر بذلك على
المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اى الفريقين خير مقاما واحسن نديا بانه لم يرسل قط الى اهل
قرية من نذير الا قال مترفوها مثل ما قال مترفوا اهل مكة في حقه ص وكادوه بنحو ما كادوه به ص
وقاسوا امور الاخرة الموهومة والمفروضة عندهم على امور الدنيا وزعموا انهم لو لم يكرموا على الله
تعالى لما رزقهم طيبات الدنيا ولولا ان المؤمنين هانوا عليه تعالى لما حرموها وعلى ذلك الراى الركيك
بنوا احكامهم وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين اما بناء على انتفاء العذاب الاخروى راسا
او على اعتقاد انه تعالى اكرمهم في الدنيا فلا يهينهم في الاخرة على تقدير وقوعها قل ردا عليهم وحسما لمادة
طمعهم الفارغ وتحقيقا للحق الذي عليه يدور امر التكوين ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ان يبسطه له
ويقدر على من يشاء ان يقدره عليه من غير ان يكون لاحد من الفريقين داع الى ما فعل به من البسط والقدر
فربما يوسع على العاصي ويضيق على المطيع وربما يعكس الامر وربما يوسع عليهما معا وقد يضيق عليهما
وقد يوسع على شخص تارة ويضيق عليه اخرى يفعل كلا من ذلك حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على
الحكم البالغة فلا يقاس على ذلك امر الثواب والعذاب اللذين مناطهما الطاعة وعدمها وقرئ
بالتشديد ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك فيزعمون ان مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار
القدر هو الهوان ولا يدرون ان الاول كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والثاني بطريق الابتلاء ورفع
الدرجات وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى كلام مستانف من جهته عز وعلا خوطب
الناس بطريق التلوين والالتفات مبالغة في تحقيق الحق وتقرير ما سبق اى وما جماعة اموالكم ولا
اولادكم بالجماعة التي تقربكم عندنا قربة فان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التانيث
او بالخصلة التي تقربكم عندنا وقرئ بالذي اى بالشيء الذي الا من امن وعمل صالحا استثناء من مفعول
تقربكم وما الاموال والاولاد تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي انفق امواله في سبيل الله تعالى
وعلم اولاده الخير ورباهم على الصلاح وحثهم على الطاعة وقيل من اموالكم واولادكم على حذف المضاف
اى الا اموال من امن الخ فاولئك اشارة الى من والجمع باعتبار معناها كما ان الافراد في الفعلين باعتبار
لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو مرتبتهم وبعد منزلتهم
في الفضل اى فاولئك المنعوتون بالايمان والعمل الصالح لهم جزاء الضعف اى ثابت لهم ذلك على
ان الجار والمجرور خبر لما بعده والجملة خبر لاولئك وفيه تاكيد بتكرر الاسناد او يثبت لهم ذلك
على ان الجار والمجرور خبر لاولئك وما بعده مرتفع على الفاعلية واضافة الجزاء الى الضعف من اضافة
المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف جزاء وجزاء الضعف على
ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف بالرفع بدل لهم جزاء بما عملوا من الصالحات وهم في الغرفات اى
غرفات الجنة امنون من جميع المكاره وقرئ بفتح الراء وبسكونها وقرئ في الغرفة على ارادة الجنس

والذين

والذين يسعون في اياتنا بالرد والطعن فيها معاجزين سابقين فينا لاسابينا او زاعمين انهم يفوتوننا
اولئك في العذاب محضرون لا يجديهم ما عولوا عليه نفعا قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده
اى يوسعه عليه تارة ويقدر له اى يضيقه عليه اخرى فلا تخشوا الفقر وانفقوا في سبيل الله وتعرضوا
لنفحاته تعالى وما انفقتم من شيء فهو يخلفه عوضا اما عاجلا واما اجلا وهو خير الرازقين فان غيره
وسائطه في ايصال رزقه لا حقيقة لرازقيته ويوم يحشرهم جميعا اى المستكبرين والمستضعفين يوم
ظرف لمضمر متاخر سياتي تقديره او مفعول لمضمر مقدم نحو اذكر ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون تقريعا للمشركين وتبكيتا لهم على نهج قوله تعالى أانت قلت للناس اتخذوني الى اخره واقناطا لهم
عما علقوا به اطماعهم الفارغة من شفاعتهم وتخصيص الملائكة لانهم اشرف شركائهم والصالحون
للخطاب منهم ولان عبادتهم مبدا الشرك فيظهر قصورهم عن رتبة المعبودية وتنزههم عن عبادتهم
يظهر حال سائر شركائهم بطريق الاولوية وقرئ الفعلان بالنون قالوا استيناف مبني على سؤال
نشا من حكاية سؤال الملائكة كانه قيل فما تقول الملائكة حينئذ فقيل يقولون متنزهين عن ذلك
سبحانك انت ولينا من دونهم والعدول الى صيغة الماضي للدلالة على التحقق اى انت الذي نواليه
من دونهم لا موالاة بيننا وبينهم وكانوا بينوا بذلك براءتهم من الرضا بعبادتهم ثم اضربوا عن ذلك
ونفوا انهم عبدوهم حقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اى الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة
غير الله سبحانه وقيل كانوا يتمثلون لهم ويخيلون لهم انهم الملائكة فيعبدونهم وقيل يدخلون
اجواف الاصنام اذا عبدت فيعبدون بعبادتها اكثرهم بهم مؤمنون الضمير الاول للانس
والثاني للجن او الاكثر بمعنى الكل والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا من جملة
ما يقال للملائكة عند جوابهم بالتنزه والتبري مما نسب اليهم الكفرة يخاطبون بذلك على رؤس الاشهاد
اظهارا لعجزهم وقصورهم عند عبدتهم وتنصيصا على ما يوجب خيبة رجائهم بالكلية والفاء ليست
لترتيب ما بعدها من الحكم على جواب الملائكة فانه محقق اجابوا بذلك ام لا بل لترتيب الاخبار به عليه
ونسبة عدم النفع والضر الى البعض المبهم للمبالغة فيما هو المقصود الذي هو بيان عدم النفع من
الملائكة للعبدة منتظمة في سلك عدم النفع للعبدة لهم كان نفع الملائكة لعبدتهم في الاستحالة
والانتفاء كنفع العبدة لهم والتعرض لعدم الضر مع انه لا بحث عنه اصلا اما لتعميم العجز
او لحمل عدم النفع على تقدير تركها اولان المراد دفع الضر على حذف المضاف وتقييد هذا الحكم بذلك
اليوم مع ثبوته على الاطلاق لانعقاد رجائهم على تحقق النفع يومئذ وقوله عز وجل ونقول
للذين ظلموا عطف على نقول للملائكة لا على يملك كما قيل لانه مما يقال يوم القيمة خطابا للملائكة مترتبا
على جوابهم المحكي وهذا حكاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما سيقال للعبدة حينئذ ذوقوا عذاب النار
التي كنتم بها تكذبون يكون من الاحوال والاهوال الا يطيق به نطاق المقال وقوله تعالى واذا
تتلى عليهم اياتنا بينات الى اخر من كفرانهم اى اذا تتلى عليهم بلسان الرسول ص اياتنا الناطقة
بحقيقة التوحيد وبطلان الشرك قالوا ما هذا يعنون رسول الله ص الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد اباؤكم فيستتبعكم بما يستبدعه من غير ان يكون هناك دين الهي واضافة الاباء الى المخاطبين
لا الى انفسهم لتحريك عرق العصبية منهم مبالغة في تقريرهم على الشرك وتنفيرهم عن التوحيد
وقالوا ما هذا يعنون القران الكريم الا افك اى كلام مصروف عن وجهه لا مصداق له في الواقع
مفترى باسناده الى الله تعالى وقال الذين كفروا للحق اى لامر النبوة او الاسلام او القران على ان
العطف لاختلاف العنوان بان يراد بالاول معناه وبالثاني نظمه المعجز لما جاءهم من غير تدبر
ولا تامل ان هذا الا سحر مبين ظاهر سحريته وفي تكرير الفعل والتصريح بذكر الكفرة وما في اللامين
من الاشارة الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المسارعة الى البت بهذا القول الفاسد الباطل
انكار عظيم له وتعجيب بليغ منه وما اتيناهم من كتب يدرسونها وفيها دليل على صحة الاشراك
كما في قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله تعالى ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون وقرئ
يدرسونها وتدرسونها بتشديد الدال يفتعلون من التدريس وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير
يدعوهم اليه وينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا وقد بان من قبل ان لا وجه له بوجه من الوجوه
بان ذهبوا هذا المذهب الزائغ وهذا غاية تجهيل لهم وتسفيه لهم ثم هددهم بقوله تعالى وكذب
الذين من قبلهم من الامم المتقدمة والقرون الخالية كما كذبوا وما بلغوا معشار ما اتيناهم اى ما
بلغ هؤلاء عشر ما اتينا اولئك من القوة وطول العمر وكثرة المال او ما بلغ اولئك عشر ما اتينا

حكاية ما سيقال للملائكة اى سنحشرهم جميعا ثم للملائكة
كذا وكذا ونقول لعبدتهم كذا وكذا ونقول للمشركين ذوقوا

اوليك من القوة وطول العمر وكثرة المال وما بلغ اوليك عشر ما اتينا هؤلاء من البنات والهدى
وكذب رسلى عطف على كذب الذين الذين الى اخره بطريق التفصيل والتفسير لقوله تعالى كذبت
قوم نوح فكذبوا عبدنا الى اخره فكيف كان نكير اى انكارى لهم بالتدمير فليحذر هؤلاء من مثل
ذلك قل انما اعظكم بواحدة اى ما ارشدكم اى ما انصح لكم الا بخصلة واحدة هى ما دل عليه بقوله
تعالى ان تقوموا لله على انه بدل منها وبيان لها او خبر مبتدا محذوف اى هى ان تقوموا من مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم او تنتصبوا للامر خالصا لوجه الله تعالى معرضا عن المماراة والتقليد
مثنى وفرادى اى متفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان الازدحام يشوش الافهام ويخلط الافكار
بالاوهام وفي تقديم مثنى ايذان بانه اوثق واقرب من الاطمئنان ثم تتفكروا في امره عليه السلام وما جاء به
لتعلموا حقيقته وقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة استئناف مسوق لبيان من جهته تعالى التنبيه
على طريقة النظر والتامل بان مثل هذا الامر العظيم الذي تحته ملك الدنيا والاخرة ولا
يتصدى لادعائه الا مجنون لا يبالي بافتضاحه عند مطالبته بالبرهان وظهور عجزه او مؤيد
من عند الله مرشح للنبوة واثق بحجته وبرهانه واذ قد علمتم انه صلى الله عليه وسلم ارجح
العالمين عقلا واصدقهم قولا وانزههم نفسا وافضلهم علما واحسنهم عملا واجمعهم للكمالات
البشرية وجب ان تصدقوه في دعواه فكيف وقد انضم الى ذلك معجزات تخر لها صم الجبال ويجوز
ان يتعلق بما قبله من معنى ثم تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز ان يكون ما استفهامية
على معنى ثم تتفكروا في اي شيء به من اثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد هو عذاب
الاخرة فانه عليه السلام مبعوث في نسيم الساعة قل ما سالتكم من اجر فهو لكم اى اى شيء سالتكم من اجر على الرسالة
فهو لكم والمراد نفي السؤال راسا كقول من قال لمن لم يعطه شيئا ان اعطيتني شيئا فخذه وقيل ما موصولة
اريد بها ما سالهم بقوله تعالى ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وقوله تعالى لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى واتخاذ السبيل اليه تعالى منفعتهم الكبرى وقرباه عليه السلام قرباهم ان اجري الا على الله
وهو على كل شيء شهيد مطلع يعلم خلوص نيتي وقرئ ان اجري بسكون الياء قل ان ربي يقذف بالحق اى
يلقيه وينزله على من يجتبيه من عباده او يرمي به الباطل فيدمغه او يرمي به في اقطار الافاق فيكون
وعدا باظهار الاسلام واعلاء كلمة الحق علام الغيوب صفة محمولة على محل ان واسمها او بدل من المستكن في
يقذف او خبر ثان لان او خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي او مقدر باعني وقرئ بكسر الغين
وبالفتح كصبور مبالغة غائب قل جاء الحق اى الاسلام والتوحيد وما يبدئ الباطل وما يعيد اى زهق
الشرك بحيث لم يبق اثره اصلا ماخوذ من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعل مثلا في
الهلاك بالمرة ومنه قول عبيد • افقر من اهله عبيد فليس يبدئ ولا يعيد • وقيل ما استفهامية منصوبة
بما بعدها قل ان ضللت عن الطريق الحق فانما اضل على نفسي فان وبال ضلالي عليها لانه بسببها اذ هي الجاهلة
بالذات والامارة بالسوء وبهذا الاعتبار قوبل الشرطية بقوله تعالى وان اهتديت فبما يوحي الى ربي
لان الاهتداء بهدايته وبتوفيقه وقرئ ربي بفتح الياء انه سميع قريب يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله
وان بالغ في اخفائهما ولو ترى اذ فزعوا عند الموت او البعث او يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم وجواب لو محذوف اى لرايت امرا هائلا
فلا فوت فلا يفوتون الله عز وجل بهرب او تحصن واخذوا من مكان قريب من ظهر الارض او من الموقف
الى النار او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم والجملة معطوفة على فزعوا وقيل على لا فوت
على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا ويؤيده انه قرئ بالعطف على محله فلا فوت هناك واخذ وقالوا
امنا به اى بمحمد عليه السلام وقد مر ذكره في قوله تعالى ما بصاحبكم وانى لهم التناوش التناول السهل اى ومن اين
لهم ان يتناولوا الايمان تناولا سهلا من مكان بعيد فانه في حيز التكليف وهو منهم بمراحل بعيد وهو تمثيل حالهم في الاستخلاص
بالايمان ما فات عنهم وبعد بحال من يريد ان يتناول الشيء من غلوة تناوله من ذراع والاستحالة وقرئ
بالهمز على قلب الواو لضمها وهو من باب ناشت الشيء اذا طلبته وعن ابي عمرو التناؤش بالهمز التناول
من بعد من قولهم ناشت اذا ابطات وتاخرت ومنه قول من قال • تمنى نئيشا ان يكون اطاعني • وقد حدثت
بعد الامور امور • وقد كفروا به اى بمحمد صلى الله عليه وسلم او بالعذاب الشديد الذي انذرهم اياه
من قبل من قبل ذلك اى اوان التكليف ويقذفون بالغيب ويرجمون بالظن ويتكلمون بما لم يظهر لهم
في حق الرسول عليه السلام من المطاعن او في العذاب المذكور من بت القول بنفيه من مكان بعيد من جهة بعيدة
من حاله صلى الله عليه وسلم حيث ينسبونه عليه السلام الى السحر والشعر والكذب وان ابعد شيء من عادته المعروفة
فيما بين الناس والقاضي الكذب ولعله تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا لا يراه من مكان بعيد

لا

لا مجال للوهم في لحوقه وقرئ يقذفون على ان الشيطان يلقي اليهم ويلقنهم ذلك وهو معطوف على وقد كفروا
به على حكاية الحال الماضية او على قالوا فيكون تمثيلا لحالهم بحال القاذف في تحصيل ما ضيعوا من الايمان في الدنيا
وحيل بينهم وبين ما يشتهون من نفع الايمان والنجاة من النار وقرئ باشمام الضم للحاء كما فعل باشياعهم
من قبل اى باشباههم من كفرة الامم الدارجة انهم كانوا في شك مريب اى موقع في الريبة منقول من اريب ان
يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والثاني من صاحب الشك الى الشك كما يقال شعر شاعر والله اعلم عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيمة رفيقا ومصافحا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي فاطر السموات والارض بدعهما من غير مثال يحتذيه
ولا قانون ينتحيه من الفطر وهو الشق وقيل الشق طولا كانه شق العدم باخراجهما منه والاضافة محضة لانه
بمعنى الماضي فهو نعت للاسم الجليل ومن جعلها غير محضة جعله بدلا منه وهو قليل في المشتق جاعل الملئكة
الكلام في اضافته وكونه نعتا او بدلا كما قبله وقوله تعالى رسلا منصوب به على الوجه الثاني من الاضافة
بالاتفاق واما على الاول فكذلك عند الكسائي واما عند البصريين فبمضمر يدل هو عليه لان اسم الفاعل
اذا كان بمعنى الماضي لا يعمل عندهم الا بمعنى اللام وقال ابو سعيد السيرافي اسم الفاعل المتعدي الى اثنين يعمل
في الثاني لان باضافته الى الاول تعذرت اضافته الى الثاني فتعين نصبه له وعلل بعضهم ذلك بانه بالاضافة
اشبه المعرف باللام فعمل عمله وقرئ جاعل بالرفع على المدح وقرئ الذي فطر السموات والارض وجعل الملئكة
اى جاعلهم وسائط بينه تعالى وبين انبيائه والصالحين من عباده يبلغون اليهم رسالاته بالوحي والالهام والرؤيا
الصادقة او بينه تعالى وبين خلقه ايضا بحيث يتصلون اليهم اثار قدرته وصنعه هذا على تقدير كون
الجعل تصييرا اما على تقدير كونه ابداعيا فرسلا نصب على الحالية وقرئ رسلا بسكون السين اولي اجنحة صفة
لرسلا واولوا اسم جمع كذو وكما ان اولاء اسم جمع كذا ونظيرهما في الاسماء المتمكنة المخاض والخلفة وقوله
تعالى مثنى وثلث ورباع صفات لاجنحة اى ذوي اجنحة متعددة متفاوتة في العدد حسب تفاوت
ما لهم من المراتب ينزلون بها ويعرجون او يسرعون بها والمعنى ان الملئكة خلقا لكل واحد منهم
جناحان وخلقا اجنحة بجناحيه لكل منهم ثلاثة وخلقا اخر لكل منهم اربعة اجنحة ويروى ان صنفا
من الملئكة لهم ستة اجنحة بجناحين منها يلفون اجسادهم وباخرين منها يطيرون فيما امروا به من جهته
تعالى وجناحان منها مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى
جبريل عليه السلام ليلة المعراج وله ستماية جناح وروى انه عليه السلام سال ان يريه ايام في صورته فقال
انك لن تطيق ذلك فقال اني احب ان تفعل فخرج عليه السلام في ليلة مقمرة فاتاه جبريل عليه السلام في
صورته فغشي عليه السلام ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه
فقال سبحان الله ما كنت ارى شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل عليه السلام فكيف لو رايت اسرافيل له
اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح منها بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل
الاحايين لعظمة الله عز وجل حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير يزيد في الخلق ما يشاء استئناف
مقرر لما قبله من تفاوت احوال الملئكة في عدد الاجنحة ويؤذن بان ذلك من احكام مشيئته تعالى لا لامر
راجع الى ذواتهم ببيان حكم كلي بانه تعالى يزيد في اي خلق كان كل ما يشاء ان يزيده بموجب مشيته
ومقتضى حكمته من الامور التي لا يحيط بها الوصف وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من تخصيص بعض
المعاني بالذكر من الوجه الحسن والصوت والشعر الحسن فبيان لبعض المواد المعهودة بطريق التمثيل لا بطريق
الحصر فيها وقوله تعالى ان الله على كل شيء قدير تعليل بطريق التحقيق للحكم المذكور فان شمول قدرته تعالى
لجميع الاشياء مما يوجب قدرته تعالى على ان يزيد كل ما يشاء ايجابا بينا ما يفتح الله للناس من رحمة عبر عن
ارسالها بالفتح ايذانا بانها انفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون واعزها منالا وتنكيرها للاشاعة
والابهام اى اي شيء يفتح الله من خزائن رحمته اى رحمة كانت من نعمة وصحة وامن وعلم وحكمة الى
غير ذلك مما لا يحاط به فلا ممسك لها اى لا احد يقدر على امساكها وما يمسك اى اي شيء يمسك فلا مرسل
اى لا احد يقدر على ارساله واختلاف الضميرين على ان مرجع الاول مفسر بالرحمة ومرجع الثاني مطلق
يتناولها وغيرها كائنا ما كان وفيه اشعار بان رحمته سبقت غضبه من بعده اى من بعد امساكه وهو العزيز
الغالب على كل ما يشاء من الامور التي من جملتها الفتح والامساك الحكيم الذي يفعل كل ما يفعل حسبما
تقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة تذييل مقرر لما قبلها ومعرب عن كون كل من الفتح والامساك بموجب

الحكمة التي عليها يدور امر التكوين وبعد ما بين سبحانه انه الموجد للملك والملكوت والمتصرف فيهما بالقبض والبسط من غير ان يكون لاحد في ذلك دخل ما بوجه من الوجوه امر الناس قاطبة او اهل مكة خاصة بشكر نعمائه فقال يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم اي انعامه عليكم ان جعلت النعمة مصدرا او كائنة عليكم ان جعلت اسما اي راعوها واحفظوها بمعرفة حقها والاعتراف بها وتخصيص العبادة والطاعة بموليها ولما كانت نعم الله تعالى مع تشعب فنونها منحصرة في نعمة الايجاد ونعمة الابقاء نفى ان يكون في الوجود شيء غيره تعالى يصدر عنه احد النعمتين بطريق الاستفهام الانكاري المنادي باستحالة ان يجاب عنه بنعم فقال هل من خالق غير الله اي هل خالق مغاير له تعالى موجود على ان خالق مبتدأ محذوف الخبر زيد عليه كلمة من لتاكيد العموم وغير الله نعت له باعتبار محله انه نعت له في قراءة الجر باعتبار لفظه وقرئ بالنصب على الاستثناء وقوله تعالى يرزقكم من السماء والارض اي بالمطر والنبات كلام مبتدأ على التقادير لا محالة من الاعراب داخل في حيز النفي او الانكار ولا مساغ لما قيل من انه صفة اخرى لخالق مرفوعة المحل او مجرورته لان معناه نفي وجود خالق موصوف بوصفي المغايرة والرازقية معا من غير تعرض لنفي وجود ما اتصف بالمغايرة فقط ولذا لما قيل انه مفسر لمضمر ارتفع به قوله تعالى من خالق على الفاعلية اي هل يرزقكم من خالق حينئذ لما ان معناها نفي وان فيه خالق مغاير له تعالى من غير تعرض لنفي وجوده رأسا انه الى ادخاله ادرى اليه قوله تعالى لا اله الا هو فانه استئناف مسوق لتقرير النفي المستفاد منه قصدا وجاريا مجرى الجواب عما يوهمه الاستفهام صورة فحيث كان هذا ناطقا بنفي الوجود وتعيين ان يكون ذلك ايضا كذلك قطعا والفا في قوله تعالى فانى تؤفكون لترتيب انكار عدولهم عن التوحيد الى الاشراك على ما قبلها كانه قيل واذا تبين تفرده تعالى بالالوهية والخالقية والرازقية فمن اي وجه تصرفون عن التوحيد الى الشرك وقوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك تلوين للخطاب وتوجيه له الى رسول الله وتم بين خطاب الناس مسارعة الى تسليته وتم لعموم البلية اولا والاشارة الى الوعد والوعيد ثانيا اي وان استمروا على ان يكذبوك فيما بلغت اليهم من الحق المبين بعد ما اقمت عليه الحجة والزمتهم الحجة فتأس بذلك الرسل في المصابرة على ما اصابهم من قبل قومهم فوضع موضعه ما ذكر اكتفاء بذكر السبب عن ذكر المسبب وتنكير الرسل للتفخيم الموجب لمزيد التسلية والتوجه الى المصابرة اي رسل اولوا شان خطير وعدد كثير والى الله ترجع الامور لا الى غيره فيجازي كلا منك ومنهم بما انت عليه من الاحوال التي من جملتها صبرك وتكذيبهم وفي الاقتصار على ذكر اختصاص المرجع بالله تعالى مع ابهام الجزاء ثوابا وعقابا من المبالغة في الوعد والوعيد ما لا يخفى وقرئ ترجع بفتح التا من الرجوع والاول ادخل في التهويل يا ايها الناس رجوع الى خطابهم وتكرير النداء لتاكيد العظيمة والتذكير ان وعد الله المشار اليه بقوله والى الله ترجع الامور اليه تعالى من البعث والجزاء حق ثابت لا محالة من غير خلف ولا تغرنكم الحياة الدنيا بان يذهلكم التمتع بمتاعها ويلهيكم التلهي بزخارفها عن تدارك ما يهمكم يوم حلول الميعاد والمعاد نهيهم عن الاغترار بها وان توجه النهي صورة اليها كما في لا ارينك هاهنا ولا يغرنكم بالله وعفوه وكرمه تعالى الغرور اي المبالغ في الغرور وهو الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعاصي قائلا اعملوا ما شئتم الله غفور يغفر الذنوب جميعا فان ذلك وان امكن لكن تعاطي الذنوب بهذا التوقع من قبيل تناول السم تعويلا على دفع الطبيعة وتكرير فعل النهي للمبالغة فيه ولاختلاف الغرورين في الكيفية كما وقرئ الغرور بالضم على انه مصدر او جمع غار كقعود جمع قاعد ان الشيطان لكم عدو عداوة قديمة لا تكاد تزول وتقديم لكم للاهتمام فاتخذوه عدوا بمخالفتكم له في عقائدكم واعمالكم وكونكم على حذر منه في مجامع احوالكم وقوله تعالى انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير تقرير لعداوته وتحذير من طاعته بالتنبيه على ان غرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى والركون الى ملاذ الدنيا ليس تحصيل مطالبهم ومنافعهم الدنيوية كما هو مقصد المتحابين في الدنيا عند سعي بعضهم في حاجة بعض بل هو توريطهم والقاؤهم في العذاب المخلد من حيث لا يحتسبون الذين كفروا لهم بسبب كفرهم واجابتهم لدعوة الشيطان واتباعهم لخطواته عذاب شديد لا يقادر قدره مديد لا يبلغ مداه والذين امنوا وعملوا الصالحات لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح الذي من جملته عداوة الشيطان مغفرة عظيمة واجر كبير لا غاية لهما افمن زين له سوء عمله فراه حسنا الخ تقرير لما سبق من التباين بين عاقبتي الفريقين ببيان تباين حاليهما المؤديين الى تينك العاقبتين والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها اي بعد كون حاليهما كما ذكر يكون من زين له الكفر من جهة الشيطان فانهمك فيه كمن استقبحه واجتنبه واختار الايمان والعمل الصالح حتى لا يكون عاقبتاهما كما ذكر فحذف ما حذف لدلالة ما سبق عليه وقوله تعالى

يضل

يضل من يشاء تقرير له وتحقيق للحق ببيان ان الكل بمشيئة الله تعالى اي فانه تعالى اي يضل من يشاء ان يضله لاستحسانه واستحبابه الضلال وصرف اختياره اليه فيرده اسفل سافلين ويهدي من يشاء ان يهديه بصرف اختياره الى الهدى فيرفعه الى اعلا عليين واما تمهيد لما يعقبه من نهيه عن التحسر والتحزن عليهم لعدم اسلامهم ببيان انهم ليسوا باهل لذلك بل بان يضرب عنهم صفحا ولا يبالي بهم قطعا اي بعد كون حالهم كما ذكر تتحسر عليهم فحذف لما دل عليه وقوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات دليل له بينة واما تمهيد بصرفه ومع ما كان عليه من الحرص الشديد على اسلامهم والمبالغة في دعوتهم اليه ببيان استحالة تحولهم عن الكفر بكونه في غاية الحسن اي ابعد ما ذكر من زين له الكفر من قبل الشيطان فراه حسنا فانهمك فيه يقبل الهداية حتى تطمع في اسلامه وتتعب نفسك في دعوته فحذف ما حذف لدلالة ما مر من قوله تعالى فان الله يضل من يشاء الى اخره على انه ممن شاء الله تعالى ان يضله فمن يهدي من اضل الله وما لهم من ناصرين وقرئ فلا تذهب نفسك وقوله تعالى حسرات مفعول له اي فلا تهلك نفسك للحسرات والجمع للدلالة على تضاعف اغتمامه وتم على احواله او على كثرة قبائح اعمالهم الموجبة للتاسف والتحسر وعليهم صلة تذهب كما يقال هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته واما حال كان كلها صارت حسرات وقوله تعالى ان الله عليم بما يصنعون اي من القبائح تعليل لما قبله على الوجوه الثلاثة مع ما فيه من الوعيد عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها نزلت في ابي جهل ومشركي مكة والله الذي ارسل الرياح مبتدأ وخبره وقرئ الريح وصيغة المضارع في قوله تعالى فتثير سحابا لحكاية الحال الماضية استحضارا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة والحكمة ولان المراد بيان احداثها لتلك الخاصية ولذلك اسند اليها والفاء للدلالة على عدم تراخي اثاره فسقناه الى بلد ميت وقرئ بالتخفيف فاحيينا به الارض اي بالمطر النازل منه المدلول عليه بالسحاب فان بينهما تلازما في الذهن كما في الخارج او بالسحاب فانه سبب السبب بعد موتها اي يبسها وايراد الفعلين على صيغة الماضي للدلالة على التحقق والنون العظمة المنبئ عن اختصاصها به تعالى لما فيهما من مزيد الصنع وتكميل المماثل بين احياء الارض وبين البعث الذي شبه به بقوله تعالى كذلك النشور في كمال الاختصاص بالقدرة الربانية والكاف في حيز الرفع على الخبرية اي مثل ذلك الاحياء الذي تشاهدونه احياء الاموات في صحة المقدورية وسهولة التاتي من غير تفاوت بينهما اصلا سوى الالف في الاول دون الثاني وقيل في كيفية الاحياء يرسل الله تعالى من تحت العرش ماء تنبت به اجساد الخلق من كان يريد العزة هم المشركون الذين كانوا يتعززون بعبادة الاصنام كقوله تعالى واتخذوا من دونه الهة ليكونوا لهم عزا والذين كانوا يتعززون بهم من الذين امنوا بالسنتهم كما في قوله تعالى الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة والجمع بين كان ويريد للدلالة على دوام الارادة واستمرادها فلله العزة جميعا اي له تعالى وحده لا لغيره عزة الدنيا وعزة الاخرة اي فليطلبها منه لا من غيره فاستغنى عن ذكره بذكر دليله ايذانا بان اختصاص العزة به تعالى موجب طلبها به تعالى وقوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه بيان لما يطلب به العزة وهو التوحيد والعمل الصالح وصعودهما اليه مجاز عن قبوله تعالى اياهما او صعود الكتبة بصحيفتهما وتقديم الجار والمجرور عبارة عن كمال الاعتداد به كقوله تعالى هو الذي يقبل التوبة عن عباده وياخذ الصدقات اي اليه يصل الكلم الطيب الذي يطلب العزة لا الى الملائكة الموكلين باعمال العباد وهو يعني صاحبه ويعطى طلبته بالذات والمستكن في يرفعه الكلم فان مدار قبول العمل هو التوحيد ويؤيده القراءة بالنصب العمل والعمل فانه يحقق الايمان ويقويه ولا تنال الدرجات الا العالية الا به وقرئ يصعد من الاصعاد على التباين والصعد هو الله سبحانه او الكلم به او الملك وقيل الكلم الطيب يتناول الذكر والدعاء والاستغفار وقراءة القران وعنه وتم انه سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قاله العبد عرج به الملك الى السماء وحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله تعالى الا اخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه فيصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا للقائلهن حتى يحيي بهن وجه رب العالمين ومصداقه قوله عز وجل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح وانتصاب السيئات على انها صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون المكرات السيئات على انها صفة للمصدر المحذوف اي يمكرون وهي مكرات قريش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتداعيهم الراي في احدى الثلاث التي هي

الخ والذين يمكرون السيئات بيان لحال الكلم الخبيث والعمل السيئ واصحابهما بعد بيان حال الكلم الطيب ص

الاثبات والقتل والاخراج لهم بسبب مكرهم عذاب شديد لا يقادر قدره ولا يؤبه عنده لما يمكرون
ومكر اولئك وضع اسم الاشارة موضع ضميرهم للايذان بكمال تميزهم بما فيه من الشر والفساد وعن سائر
المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي امرهم في الطغيان وبعد منزلتهم
في العدوان اي ومكر اولئك المفسدين الذين ارادوا ان يمكروا به صلى الله عليه وسلم هو يبور اي هو
يهلك ويفسد خاصة لا من مكروا به ولقد ابادهم الله تعالى بعد ابادة مكراتهم حيث اخرجهم من مكة
وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم الثلاث التي اكتفوا في حقه عليه السلام بواحدة منهن والله
خلقكم من تراب دليل اخر على صحة البعث والنشور اي خلقكم ابتداء منه في ضمن خلق آدم عليه السلام
خلقا اجماليا كما مر تحقيقه مرارا ثم من نطفة اي خلقكم منها خلقا تفصيليا ثم جعلكم ازواجا اي اصنافا
او ذكرانا واناثا وعن قتادة جعل بعضكم ازواجا لبعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه الا ملتبسة
بعلمه تابعة لمشيته وما يعمر من معمر اي من احد وانما سمي معمرا باعتبار مصيره اي وما يمد في عمر احد
ولا ينقص من عمره اي من عمر احد على طريقة قولهم لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق لكن لا على
معنى لا ينقص من عمره بعد كونه زائدا بل على معنى لا يجعل من الابتداء ناقصا وقيل الزيادة والنقص
في عمر واحد باعتبار اسباب مختلفة اثبتت في اللوح مثل ان يكتب في اللوح ان حج فلان فعمره ستون
والا فاربعون واليه اشار عليه السلام بقوله الصدقة والصلة يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وقيل المراد
بالنقص ما يمر من عمره وينقص فانه يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب تحت ذلك ذهب
يوم ذهب يومان وهكذا الى ان يأتي على اخره وقرئ ولا ينقص على البناء للفاعل ومن عمره بسكون
الميم الا في كتاب عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه اللوح وقيل علم الله عز وجل وقيل صحيفة
كل انسان ان ذلك اي ما ذكر من الخلق وما بعده مع كونه محيرا للعقول والافهام على الله يسير لا
وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات
الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والاجاج الذي يحرق بملوحته وقرئ
سيغ كسيد وسيغ بالتخفيف وملح ككتف وقوله تعالى ومن كل اي ومن كل واحد منهما تأكلون لحما طريا
وتستخرجون اي من المالح خاصة حلية تلبسونها اما استطراد في صفة البحرين وما فيهما من النعم والمنافع
واما تكملة للتمثيل والمعنى كما انهما وان اشتركا في بعض الفوائد لا يتساويان من حيث انهما متفاوتان
فيما هو المقصود بالذات من الماء لما خالط احدهما ما افسده وغيره عن كمال فطرته لا يساوي الكافر
المؤمن وان شاركه في بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة ونحوهما لتباينهما فيما هو الخاصية العظمى لبقاء
احدهما على فطرته الاصلية وجبلته دون الاخر وتفضيل للاجاج على الكافر من حيث انه
يشارك العذب في منافع كثيرة والكافر خلو من المنافع بالكلية على طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم
من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق
فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله والمراد بالحلية اللؤلؤ والمرجان وترى الفلك فيه
اي في كل منهما وافراد ضمير الخطاب مع جمعه فيما سبق وما لحق لان الخطاب لكل احد يتأتى منه الرؤية دون
المنتفعين بالبحرين فقط مواخر شواق للماء بجريها مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا من فضله من
فضل الله تعالى بالنقلة فيها واللام متعلقة بمواخر وقد جوز تعلقها بما يدل عليه الافعال المذكورة
اي فعل ذلك لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون بزيادة احدهما ونقص الاخر باضافة بعض اجزاء كل
اي تشكروا على ذلك وحرف الترجي للايذان بكونه مرضيا عنده تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار في
الليل بزيادة احدهما ونقص الاخر باضافة بعض اجزاء كل منهما الى الاخر وسخر الشمس والقمر عطف
على يولج واختلافهما صيغة لما ان ايلاج احد الملوين في الاخر متجدد حينا فحينا واما التسخير فامر
لا تعدد فيه وانما المتعدد والمتجدد اثاره وقد اشير اليه بقوله تعالى كل يجري
اي بحسب حركته الخاصة وحركته القسرية على المدارات اليومية المتعددة حسب تعدد ايام السنة
جريا مستمرا لاجل مسمى قدره الله تعالى لجريانهما وهو يوم القيمة كما روي عن الحسن رحمه الله وقيل
جريانهما عبارة عن حركتهما الخاصتين بهما في فلكيهما والاجل المسمى عن منتهى دورتهما ومدة الجريان
للشمس سنة وللقمر شهر وقد مر تفصيله في سورة لقمان ذلكم اشارة الى فاعل الافاعيل المذكورة
وما فيه من معنى البعد للايذان بغاية العظمة وهو مبتدأ وما بعده اخبار مترادفة اي ذلكم العظيم
الشان الذي ابدع هذه الصنائع البديعة الله ربكم له الملك وفيه من الدلالة على ان ابداعه
تعالى لتلك البدائع مما يوجب ثبوت تلك الاخبار له ما لا يخفى ويجوز ان يكون الاخير كلاما
مبتدأ في مقابلة قوله تعالى والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده تعالى

بالالوهية والربوبية وقرئ يدعون بالياء التحتانية والقطمير لفافة النواة وهو مثل في القلة
والحقارة ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم استيناف مقرر لمضمون ما قبله كاشف عن جلية حال
ما يدعونه بانه جماد ليس من شانه السماع ولو سمعوا على الفرض والتقدير ما استجابوا لكم لعجزهم
عن الافعال بالمرة لا لما قيل من انهم متبرؤون منكم ومما تدعون لهم فان ذلك مما لا يتصور منهم في الدنيا
ويوم القيمة يكفرون بشرككم اي يجحدون باشراككم لهم وعبادتكم اياهم بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون
ولا ينبئك مثل خبير اي لا يخبرك بالامر مخبر مثل خبير اخبرك به وهو الحق سبحانه فانه الخبير
بكنه الامور دون سائر المخبرين والمراد تحقيق ما اخبر به من حال الهتهم ما نفي ما يدعون لهم
من الالهية يا ايها الناس انتم الفقراء الى الله في انفسكم وفيما يعن لكم من امر مهم او خطب ملم
وتعريف الفقراء للمبالغة في فقرهم كانهم لكثرة افتقارهم وشدة احتياجهم هم الفقراء فحسب
وان افتقار سائر الخلائق بالنسبة الى فقرهم بمنزلة العدم ولذلك قال تعالى وخلق الانسان
ضعيفا والله هو الغني الحميد اي المستغني على الاطلاق المنعم على سائر الموجودات المستوجب للحمد
ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ليسوا على صفتكم بل مستمرون على الطاعة او بعالم اخر غير ما
يعرفونه وما ذلك اي ما ذكر من الاذهاب بهم والاتيان باخرين على الله بعزيز بمتعسر ولا متعذر
ولا تزر وازرة اي لا تحمل نفس اثمة وزر اخرى اثم نفس اخرى بل انما تحمل كل منهما وزرها واما
في قوله تعالى وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم من حمل المضلين اثقال الاغنياء اثقالهم فهو حمل
اثقال انفسهم وكلاهما اوزارهم ليس فيهما من اوزار غيرهم شيء وان تدع مثقلة اي نفس
اثقلها الاوزار الى حملها لتحمل بعض اوزارها لا يحمل منه شيء لم يجب بحمل شيء منه ولو كان اي المدعو
المفهوم من الدعوة ذا قربى ذا قرابة من الداعي وقرئ ذو قربى وهذا نفي للحمل اختيارا والاول نفي
له اجبارا انما تنذر استيناف مسوق لبيان من يتعظ بما ذكر اي انما تنتفع بهذه الانذارات الذين
يخشون ربهم بالغيب اي يخشونه تعالى غائبين عن عذابه او عن الناس في خلواتهم او يخشون عذابه
وهو غائب عنهم واقاموا الصلوة اي راعوها كما ينبغي وجعلوها منارا منصوبا وعلما مرفوعا اي انما
ينفع انذارك وتحذيرك هؤلاء من قومك او من عداهم من اهل التمرد والعناد ومن تزكى اي تطهر
من اوضار الاوزار والمعاصي بالتأثر من هذه الانذارات فانما يتزكى لنفسه مباني لتزكيه والى الله
المصير لا الى احد غيره استقلالا ولا اشتراكا فيجازيهم على تزكيتهم احسن الجزاء وما يستوي الاعمى والبصير
اي الكافر والمؤمن ولا الظلمات ولا النور اي ولا الباطل ولا الحق وجمع الظلمات مع افراد النور
لتعدد فنون الباطل واتحاد الحق ولا الظل ولا الحرور اي ولا الثواب ولا العقاب ولا دخال لا على
المتقابلين لتذكير نفي الاستواء وتوسيطها بينهما والحرور فعول من الحر غلب على السموم وقيل السموم
ما يهب نهارا والحرور ما يهب ليلا وما يستوي الاحياء ولا الاموات تمثيل اخر للمؤمنين والكافرين
ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل واوثرت صيغة الجمع في الطرفين تحقيقا للتباين بين افراد الفريقين
وقيل تمثيل للعلماء والجهلة ان الله يسمع من يشاء اي يسمعه ويوفقه لفهم اياته والاتعاظ بعظاته
وما انت بمسمع من في القبور ترشيح للتمثيل المصرين على الكفر بالاموات واشباع في اقناطه عليه السلام
من ايمانهم ان انت الا نذير ما عليك الا الانذار واما الاسماع البتة فليس من وظائفك ولا حيلة
لك اليه في المطبوع على قلوبهم انا ارسلناك بالحق اي محقين او محقا انت او ارسالا مصحوبا بالحق
ويجوز ان يتعلق بقوله بشيرا ونذيرا بالوعيد الحق وان من امة اي ما من امة من الامم الدارجة في
الازمنة الماضية الا خلا اي مضى فيها نذير من نبي او عالم ينذرهم والاكتفاء بذكره للعلم بان النذارة
قرينة البشارة لا سيما وقد اقترنا انفا ولان الانذار هو الانسب بالمقام وان يكذبوك اي تموا
على تكذيبك فلا تبال بهم وبتكذيبهم فقد كذب الذين من قبلهم من الامم الماضية جاءتهم رسلهم
بالبينات اي بالمعجزات الظاهرة الدالة على نبوتهم وبالزبر كصحف ابراهيم وبالكتاب المنير
كالتوراة والانجيل والزبور على ارادة التفصيل دون الجمع ويجوز ان يراد بهما واحد والعطف
لتغاير العنوانين ثم اخذت الذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة
والاشعار بعلة الاخذ فكيف كان نكير اي انكاري بالعقوبة وفيه مزيد تهويل وتشديد لها الم تر استيناف
مسوق لتقرير ما قبله من اختلاف احوال الناس ببيان ان الاختلاف والتفاوت امر مطرد في جميع المخلوقات
من النبات والجماد والحيوان والرؤية قلبية اي الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به بذلك الماء
والالتفات لاظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبي عن كمال القدرة والحكمة ثمرات
مختلفا الوانها اي اجناسها او اوصافها على ان كلا منها ذو اصناف مختلفة او هيئاتها واشكالها قالوا

انها من الصفرة والخضرة والحمرة وغيرها وهو الاوفق لما في قوله تعالى ومن الجبال جدد اى ذو جدد
اى خطط وطرايق ويقال جدة الحمار للخطة السودا وقرئ جُدد جمع جديدة وجدد بفتحتين وهو الطريق الواضح
بيض وحمر مختلف الوانها بالشدة والضعف وغرابيب سود عطف على بيض او على جدد كانه قيل ومن
الجبال مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وهو تاكيد لمضمر يفسره ما بعده فان
الغربيب تاكيد للاسود كالفاقع للاصفر والقاني للاحمر ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد ونظيره في
الصفة قول النابغة • والمؤمن العايذات الطير يمسحها • وفي مثله مزيد تاكيد لما فيه من التكرار
باعتبار الاضمار والاظهار ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه اى ومنهم بعض مختلف الوانه
على ما مر في قوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله وايراد الجملتين اسميتين مع مشاركتهما لما
قبلهما من الجملة الفعلية في الاستشهاد بمضمونها على تباين الناس في الاحوال الباطنة لما ان اختلاف
الجبال والناس والدواب والانعام فيما ذكر من الالوان امر مستمر فعبر عنه بما يدل على الاستمرار
واما اخراج الثمرات المختلفة فحيث كان امرا حادثا عبر عنه بما يدل على الحدوث ثم لما كان فيه نوع
خفا علق به الروية بطريق الاستفهام التقريري المبني على الحمل عليها والترغيب فيها بخلاف احوال
الجبال والناس وغيرهما فانها مشاهدة غنية عن التامل فلذلك جردت عن التعلق بالروية فتدبر
وقوله تعالى كذلك مصدر تشبيهي لقوله تعالى مختلف اى صفة لمصدره المؤكد تقديره مختلف اختلافا
كذلك اى كاختلاف الثمار والجبال وقرئ الوانها وقرئ والدواب بالتخفيف مبالغة في الهرب من
التقاء الساكنين وقوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون
ربهم بالغيب بتعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلافهم في اختلاف طبقاتهم
وتباين مراتبهم اما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق
التصريح توفية لكل واحدة منهما حقها اللايق بها من البيان انما يخشاه تعالى بالغيب العالمون
به عز وجل وما يليق به من البيان اى انما يخشاه تعالى بالغيب صفاته الجليلة وافعاله الجميلة لما ان
مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤونه فمن كان اعلم به تعالى كان اخشى له عز وجل كما قال صلى الله
عليه وسلم انا اخشاكم لله واتقاكم له ولذلك عقب بذكر افعاله الدالة على كمال قدرته وحيث
كان الكفرة بمعزل من هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر
الفاعلية ولو اخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة
للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب
للمصر على طغيانه غفور للتايب عن عصيانه ان الذين يتلون كتاب الله اى يداومون على قراءته او
متابعة ما فيه حتى صارت سمة لهم وعنوانا والمراد بكتاب الله تعالى القران وقيل جنس كتب الله
تعالى فيكون ثناء على المصدقين من الامم بعد اقتصاص حال المكذبين منهم وليس بذلك فان صيغة
المضارع منادية باستمرار مشروعية تلاوته والعمل بما فيه واستتباعهما لما ساق من توفية الاجور
وزيادة الفضل وحملها على حكاية الحال الماضية مع كونه تعسفا ظاهرا مما لا سبيل اليه كيف لا
والمقصود الترغيب في دين الاسلام والعمل بالقران الناسخ لما بين يديه من الكتب والتعرض لبيان حقيتها
قبل انتساخها والانباع في ذكر استتباعها لما ذكر من الفوايد المعظمة مما يورث الرغبة في تلاوتها
والاقبال على العمل بها وتخصيص التلاوة بما لم ينسخ منها باطل قطعا لما ان الباقي مشروعا ليس الا حكمها
لكن لا من حيث انه حكمها بل من حيث انه حكم القران اما تلاوتها فبمعزل من المشروعية واستتباع الاجر
بالمرة فتدبر واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية كيف ما اتفق من غير قصد اليهما وقيل
السر في المسنونة والعلانية في المفروضة يرجون تجارة تحصيل ثواب بالطاعة وهو خبر ان وقوله تعالى
لن تبور اى لن تهلك ولن تكسد بالخسران صفة لتجارة جي بها للدلالة على انها ليست كساير التجارات
الدايرة بين الربح والخسران لانه اشتراء باق بفان والاخبار برجائهم من اكرم الاكرمين عدة قطعية
بحصول مرجوهم وقوله تعالى ليوفيهم اجورهم متعلق بلن تبور على معنى انه ينتفي عنها الكساد وتنفق
عند الله تعالى ليوفيهم اجور اعمالهم ويزيدهم من فضله على ذلك من خزاين رحمته ما يشاء وقيل بمنفي
دل عليه ما عد من افعالهم المرضية اى فعلوا ذلك ليوفيهم الخ وقيل بيرجون على ان اللام للعاقبة
انه غفور شكور تعليل لما قبله من التوفية والزيادة اى غفور لفرطاتهم شكور لطاعتهم اى مجازيهم
عليها وقيل هو خبر ان الذين ويرجون حال من واو وانفقوا والذي اوحينا اليك من الكتاب وهو القران
ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض وقيل اللوح ومن للابتداء هو الحق مصدقا لما بين يديه اى احقه مصدقا
لما تقدمه من الكتب السماوية حال مؤكدة لان حقيته تستلزم موافقته اياه في العقايد واصول

الاحكام

الاحكام ان الله بعباده لخبير بصير محيط ببواطن امورهم وظواهرها فلو كان في احوالك ما ينافي النبوة
ما اوحى مثل هذا المعجز الذي عيار على ساير الكتب وتقديم الخبير للتنبيه على ان العمدة هي الامور الروحانية
ثم اورثنا الكتاب اى قضينا بتوريثه منك او نورثه والتعبير عنه بالماضي لتقرره وتحقيقه وقيل اورثناه
من الامم السالفة اى اخرناه عنهم واعطيناه الذين اصطفينا من عبادنا وهم علماء الامة من الصحابة ومن بعدهم
ممن يسير بسيرتهم او الامة باسرهم فان الله تعالى اصطفاهم على ساير الامم وجعلهم وسطا ليكونوا شهداء
على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسله عليه الصلوة والسلام وليس من ضرورة وراثة
الكتاب مراعاته حق رعايته لقوله تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب الاية فمنهم ظالم لنفسه في
التقصير بالعمل به وهو المرجا لامر الله ومنهم مقتصد يعمل به في اغلب الاوقات ولا يخلو من خلط السيء
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قيل هم السابقون يعمل به في اغلب الاوقات وهم الاولون من المهاجرين
والانصار وقيل هم العلماء القائمون على اقامة مواجبه علما وعملا وتعليما وفي قوله تعالى اى بتيسيره وتوفيقه
تنبيه على عزة منال هذه الرتبة وصعوبة ماخذها وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق
العالم وقيل الظالم المجرم والمقتصد الذي خلط الصالح بالسيء والسابق الذي ترجحت حسناته بحيث صارت
سيئاته مكفرة وهو معنى قوله صلى الله عليه وسلم اما الذين سبقوا فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب
اما المقتصد فاولئك يحاسبون حسابا يسيرا واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر
ثم يتلقاهم الله تعالى برحمته وقد روي ان عمر رضي الله تعالى عنه قال وهو على المنبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له ذلك اشارة الى السبق بالخيرات وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته في الشرف هو الفضل الكبير من الله عز وعلا
لا ينال الا بتوفيقه تعالى جنات عدن بدل من الفضل الكبير بتنزيل السبب منزلة المسبب او مبتدا
خبره يدخلونها وعلى الاول هو مستانف وجمع الضمير لان المراد بالسابق الجنس وتخصيص حال السابقين
وما لهم بالذكر والسكوت عن الفريقين وتحريضا على السعي في ادراك شاو السابقين وقرئ جنات عدن
وجنة عدن على النصب بفعل يفسره الظاهر وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول يحلون فيها خبر ثان او
حال مقدرة وقرئ يحلون من حليت المراة فهي حالية من اساور هي جمع اسورة جمع سوار من ذهب
من الاولى تبعيضية والثانية بيانية اى يحلون بعض اساور ولؤلؤا بالجر عطفا على ذهب اى من ذهب مرصع
من لؤلؤ او من ذهب في صفا اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير وتغيير الاسلوب قد مر في سورة الحج وقالوا اى
يقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقق الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة
وعن ابن عباس حزن الاعراض والافات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن وسوسة ابليس وهم المعاش
وقيل حزن زوال النعم والظاهر انه الجنس المنتظم لجميع احزان الدين والدنيا وقرئ الحزن وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا
الله يخرجون من قبورهم ينفضون التراب عن وجوههم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان
ربنا لغفور شكور للمطيعين الذي احلنا دار المقامة اى دار الاقامة التي لا انتقال عنها ابدا
من فضله من انعامه وتفضله من غير ان يوجبه شيء من قبلنا لا يمسنا فيها نصب تعب ولا يمسنا فيها
لغوب كلال والفرق بينهما ان النصب التعب والمشقة والكلفة واللغوب ما يحدث منه من الفتور
والتصريح بنفي الثاني مع استلزام نفي الاول وتكرير الفعل المنفي للمبالغة في بيان انتفا كل منهما
والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم لا يحكم عليهم بموت ثان فيموتوا ويستريحوا ونصبه باضمار
ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ولا يخفف عنهم من عذابها
بل كلما خبت زيد استعارها كذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او الكفران
لا جزاء اخف وادنى منه وقرئ يجزى على البناء للمفعول واسناده الى كل وقرئ نجازي وهم
يصطرخون فيها يستغيثون فيها والاصطراخ افتعال من الصراخ استعمل في الاستغاثة لجهد
المستغيث صوته ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل باضمار القول وتقييد العمل الصالح
بالوصف المذكور للتحسر على ما عملوه من غير الصالح والاعتراف والاشعار بان استخراجهم لتلافيه
وانهم كانوا يحسبونه صالحا والان تبين خلافه وقوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب
من جهته تعالى وتوبيخ لهم والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام وما
نكرة موصوفة اى الم نمهلكم ولم نؤخركم ولم نعمركم عمرا يتذكر فيه من تذكر اى يتمكن فيه المتذكر
من التذكر والتفكر قيل هو اربعون سنة وعن ابن عباس ستون سنة وعن علي رضي الله تعالى عنه هو العمر الذي
اعذر الله تعالى فيه الى ابن ادم قال صلى الله عليه وسلم اعذر الله الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وقوله تعالى

وجاءكم النذير عطف على الجملة الاستفهامية لانها في معنى قد عمرناكم كما في قوله تعالى الم نشرح لك
صدرك ووضعنا الخ لانه في معنى قد شرحنا الى اخره والمراد بالنذير محمد او ما معه من القران
وقيل العقل وقيل الشيب وقيل موت الاقارب والاقتصار على ذكر النذير لانه الذي يلائمه قوله تعالى فذوقوا
والترتيب الاول بالذوق على ما قبلها من التعمير ومجيء النذير وفي قوله تعالى فما للظالمين من نصير لتعليل
ان الله عالم غيب السموات والارض بالاضافة وقرئ بالتنوين ونصب غيب على المفعولية اى لا يخفى عليه
ما فيهما فلا يخفى عليه احوالهم انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله لانه اذا علم مضمرات
الصدور وهي اخفى ما يكون كان اعلم بغيرها هو الذي جعلكم خلائف في الارض يقال للمستخلف خليفة
وخليف والاول يجمع خلائف والثاني خلفاء والمعنى انه تعالى جعلكم خلفاء في ارضه والقى اليكم مقاليد
التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم منافعها او جعلكم خلفاء ممن قبلكم من الامم واورثكم ما
بايديهم من متاع الدنيا لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم مثل هذه النعمة السنية وغمطها
فعليه كفره اى وبال كفره لا يتعداه الى غيره وقوله تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا
ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا بيان لوبال الكفر وغائلته وهو مقت الله تعالى اياهم اى بغضه
الشديد الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الاخرة الذي ما بعده شر وخسار والتكرير لزيادة
التقرير والتنبيه على ان اقتضاء الكفر لكل واحد من الامرين الهائلين القبيحين بطريق الاستقلال والاصالة
قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله اى الهتكم والاضافة اليهم لانهم جعلوهم
شركاء لله تعالى من غير ان يكون له اصل ما اصلا وقيل جعلوهم شركاء لانفسهم فيما يملكونه ويأباه سياق
النظم الكريم وسياقه اروني ماذا خلقوا من الارض بدل اشتمال من ارايتم كانه قيل اخبروني عن شركائكم
اروني اى جزء خلقوا من الارض ام لهم شرك في السموات اى ام لهم شركة مع الله سبحانه في خلق السموات
ليستحقوا بذلك شركة في الالوهية ذاتية ام اتيناهم كتابا ينطق بانا اتخذناهم شركاء فهم على بينة منه
اى حجة ظاهرة من ذلك الكتاب بان لهم شركة جعلية ويجوز ان يكون ضمير اتيناهم للمشركين كما في
قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا الاية وقرئ على بينات وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد فيه من تعاضد
الدلائل بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا لما نفى انواع الحجج في ذلك اضرب عنه بذكر ما حملهم
عليه وهو تقرير الاسلاف للاخلاف واضلال الرؤساء للاتباع بانهم شفعاء عند الله يشفعون لهم
بالتقرب اليه ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا استئناف مسوق لبيان غاية قبح الشرك وهوله
اى يمسكهما كراهة ان تزولا او يمنعهما ان تزولا لان الامساك منع ولئن زالتا ان امسكهما
من احد من بعده اى ما امسكهما احد من بعد امساكه تعالى او من بعد الزوال والجملة سادة مسد الجوابين ومن الاولى مزيدة لتاكيد
العموم والثانية للابتداء انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة التي تستوجبها جناياتهم حيث امسكهما وكانتا
جديرتين بان تهدا هدا حسبما قال تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض الاية واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل
فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول الله لنكونن اهدى من احدى الامم اليهود والنصارى وغيرهم
من الامة التي يقال لها احدى الامم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة فلما جاءهم
نذير اى اشرف الرسل عليهم الصلاة والسلام ما زادهم اى النذير او مجيئه الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا
في الارض بدل من نفورا او مفعول له ومكر السيء اصله وان مكروا السيء اى المكر السيء ثم ومكر السيء
وقرئ بسكون الهمزة في الوصل ولعله اختلاس ظن سكونا او وقف خفيفة وقرئ ومكرا سيئا ولا
يحيق المكر السيء الا باهله فهل ينظرون اى ما ينتظرون الا سنة الاولين اى سنة الله فيهم بتعذيب
مكذبيهم فلن تجد لسنة الله تبديلا بان يضع موضع العذاب غير العذاب ولن تجد لسنة الله تحويلا
بان ينقله من المكذبين الى غيرهم وفي التعليل ما يفيده الحكم بانتظارهم العذاب من مجيئه ونفي وجدان
التبديل والتحويل عبارة عن نفي وجودهما بالطريق البرهاني وتخصيص كل منهما بنفي مستقل لتاكيد
انتفائهما اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استشهاد على ما قبله من
جريان سنته تعالى على تكذيب المكذبين بما يشاهدونه في مسايرهم الى الشام واليمن والعراق من
اثار ديارهم الماضية الهائلة والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يليق بالمقام اى
اقعدوا في مساكنهم ولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا اشد
منهم قوة واطول اعمارا فما نفعهم طول المدى وما اغنى عنهم شدة القوة ومحل الجملة النصب على
الحالية وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء اى ليسبقه ويفوته في السموات ولا في الارض

اعتراض

اعتراض مقرر لما يفهم مما قبله من استيصال الامم السابقة وقوله تعالى وما كان الله ليعجزه من شيء انه
كان عليما قديرا اى مبالغا في العلم والقدرة ولذلك علم بجميع اعمالهم السيئة فعاقبهم بموجبها تعليل لذلك
ولو يؤاخذ الله الناس جميعا بما كسبوا من السيئات كما فعل باولئك ما ترك على ظهرها اى على ظهر الارض
من دابة من نسمة تدب عليها من بني ادم وقيل ومن غيرهم ايضا من شؤم معاصيهم وهو المروي عن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنهما ويعضد الاول قوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى هو يوم القيامة فاذا جاء
اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم عند ذلك باعمالهم ان خيرا فخير وان شرا فشر عن النبي عم من قرأ
سورة الملائكة ثمانية ابواب الجنة ان ادخلي من اي باب شئت والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم يس اما مسرودة على نمط التعديد فلا حظ لها من الاعراب او
اسم للسورة كما نص عليه الخليل وسيبويه وعليه الاكثر فمحله الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او النصب
انه مفعول لفعل مضمر وعليه مدار قراءة يس بالنصب والرفع اى هذه ياسين ولا مساغ للنصب باضمار
فعل القسم لان ما بعده مقسم به وقد ابوا الجمع بين قسمين على شيء واحد قبل انقضاء الاول ولا مجال
للعطف لاختلافهما اعرابا وقيل هو مجرور باضمار باء القسم مفتوح لكونه غير منصرف كما سلف في
فاتحة سورة البقرة من انها حيث كانت من هذه الفواتح مفردة مثل ص وق ونون او كانت موازنة
لمفرد نحو طس وياسين وحم الموازنة لقابيل وهابيل يتاتى فيها الاعراب اللفظي ذكره سيبويه
في باب اسماء السور من كتابه وقيل هما حركتا بناء كما في حيث واين حسبما يشهد بذلك قراءة ياسين
بالكسر كجير وقيل الفتح والكسر تحريك للحذف في الهرب من التقاء الساكنين وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما ان معناه يا انسان في لغة طيء قالوا المراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اصله
يا انيس فاقتصر على شطره كما قيل م الله في ايمن الله والقران بالجر على انه مقسم به ابتداء وقد جوز ان
يكون عطفا على يس على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم والقران بالجر على انه الحكيم اى المتضمن للحكمة
او الناطق بها بطريق الاستعارة او المتصف بها على الاسناد المجازي وقد جوز ان يكون الاصل الحكيم
قائله فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة
كما في صدر لقمان انك لمن المرسلين جواب للقسم والجملة لرد انكار الكفرة بقولهم في حقه عم لست مرسلا
وهذه الشهادة منه عز وجل من جملة ما اشير اليه في قوله تعالى في جوابهم قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
وفي تخصيص القران بالاقسام به اولا وبوصفه بالحكيم ثانيا تنويه بشانه وتنبيه على انه كما يشهد برسالته
عم من حيث نظمه المعجز المنطوي على بدائع الحكم يشهد بها من حيث الحكمية ايضا لما ان الاقسام بالشيء
استشهاد به على تحقق مضمون الجملة القسمية وتقوية لثبوته فيكون شاهدا به ودليلا عليه قطعا
وقوله تعالى على صراط مستقيم خبر ثان او حال من المستكن في الجار والمجرور على انه عبارة عن
الشريعة الشريفة بكمالها لا عن التوحيد فقط وفائدته بيان ان شريعته عم اقوم الشرائع
واعدلها كما يعرب عنه التنكير التفخيمي والوصف اثر بيان انه صلى الله عليه وسلم من جملة
المرسلين بالشرائع تنزيل العزيز الرحيم نصب على المدح وقرئ بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
وبالجر على انه بدل من القران واياما كان فهو مصدر بمعنى المفعول عبر به عن القران بيانا لكمال
عراقته في كونه منزلا من عنده عز وجل كانه نفس التنزيل واظهارا لفخامته الاضافية بعد
بيان فخامته الذاتية بوصفه بالحكمة وفي تخصيص الاسمين الكريمين المعربين عن الغلبة التامة والرافة
العامة حث على الايمان به ترغيبا وترهيبا واشعار بان تنزيله ناشئ عن غاية الرحمة حسبما نطق
به قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقيل النصب على انه مصدر مؤكد لفعله المضمر نزل
تنزيل العزيز الرحيم على انه استئناف مسوق لبيان ما ذكر من فخامة شان القران وعلى كل تقدير
ففيه فضل تاكيد لمضمون الجملة القسمية لتنذر متعلق بتنزيل على الوجوه الاول وبعامله المضمر على
الوجه الاخير اى لتنذر به كما في صدر الاعراف وقيل هو متعلق بما يدل عليه لمن المرسلين اى انك
مرسل لتنذر قوما ما انذر اباؤهم اى لم ينذر اباؤهم الاقربون لتطاول مدة الفترة على انها نافية
فتكون صفة مبينة لغاية احتياجهم الى الانذار اباؤهم الاقدمون على انها مصدرية فيكون نعتا
لمصدر مؤكد اى لتنذر انذارا كائنا فهم غافلون على الوجه الاول متعلق بنفي الانذار مترتب
عليه والضمير للفريقين اى لم ينذر اباؤهم فهم جميعا لاجله غافلون وعلى الوجوه الباقية

متعلق بقوله تعالى لتنذر او بما يفيده انك لمن المرسلين وارد لتعليل انذاره ﷺ او ارساله
لغفلتهم المحوجة اليهما على ان الضمير للقوم خاصة فالمعنى فهم غافلون عنه اي عما انذر اباؤهم
الاقدمون لامتداد المدة واللام في قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم جواب القسم اي والله
لقد ثبت وتحقق عليهم البتة لكن لا بطريق الجبر من غير ان يكون من قبلهم ما يقتضيه بل بسبب اصرارهم
الاختياري على الكفر والانكار وعدم تأثرهم من التذكير والانذار وغلوهم في العتو والطغيان وتماديهم
في اتباع خطوات الشياطين بحيث لا يلويهم صارف ولا يثنيهم عاطف كيف لا والمراد بما حق من
القول قوله تعالى لابليس عند قوله لاغوينهم اجمعين لاملأن
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وهو المعنى بقوله تعالى لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين كما يلوح به تقديم الجنة على الناس فانه كما ترى قد اوقع فيه الحكم بادخال جهنم على من تبع
ابليس وذلك تعليل له بتبعيته قطعا وثبوت القول على هؤلاء الذين عبر عنهم باكثرهم انما هو
لكونهم من جملة اولئك المصرين على تبعية ابليس ابدا واذ قد تبين ان مناط ثبوت القول وتحققه
عليهم اصرارهم على الكفر الى الموت ظهر ان قوله تعالى فهم لا يؤمنون متفرع في الحقيقة على ذلك على
ثبوت القول وقوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الخ تقرير لتصميمهم على الكفر وعدم
ارعوائهم عنه بتمثيل حالهم بحال الذين غلت اعناقهم فهي الى الاذقان فهم مقمحون اي فالاغلال
منتهية الى اذقانهم فلا تدعهم يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا يطاطئون رؤسهم
له فهم مقمحون رافعون رؤسهم غاضون ابصارهم بحيث لا يكادون يرون الحق او ينظرون
الى جهته وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون اما تتمة
للتمثيل وتكميل له اي وجعلنا مع ما ذكر من امامهم سدا عظيما ومن ورائهم سدا كذلك
فغطينا بهما ابصارهم فهم بسبب ذلك لا يقدرون على ابصار شيء ما اصلا واما تمثيل مستقل
فان ما ذكر من جعلهم محصورين بين سدين هائلين قد غطيا ابصارهم بحيث لا يبصرون شيئا قطعا
كاف في الكشف عن كمال فظاعة حالهم وكونهم محبوسين في مطمورة الغي والجهالات محرومين عن النظر
في الادلة والآيات وقرئ سدا بالضم وهي لغة فيه وقيل ما كان من عمل الناس فهو بالفتح وما كان من
خلق الله فبالضم وقرئ فاعشيناهم من العشى وقيل الآيتان في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف
لئن رأى رسول الله ﷺ يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو صلى الله عليه وسلم يصلي ومعه حجر ليدمغه
فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم بذلك
فقال مخزومي آخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله تعالى بصره وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم
بيان لشأنهم بطريق التصريح اثر بيانه بطريق التمثيل اي مستو عندهم انذارك اياهم وعدمه حسبما
مر تحقيقه في سورة البقرة وقوله تعالى لا يؤمنون استئناف مؤكد لما قبله مبين لما فيه من اجمال
ما فيه الاستواء او حال مؤكدة له او بدل منه ولما بين كون الانذار عندهم كعدمه عقب ببيان
من يتأثر منه فقيل انما تنذر اي انذارا مستتبعا للاثر من اتبع الذكر اي القرآن بالتأمل فيه او
الوعظ ولم يصر على اتباع خطوات الشيطان وخشي الرحمن بالغيب اي خاف عقابه وهو غائب
عنه على انه حال من الفاعل او المفعول او خافه في سريرته ولم يغتر برحمته فانه منتقم قهار
كما انه رحيم غفار كما نطق به قوله تعالى نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم فبشره بمغفرة عظيمة واجر كريم لا يقادر قدره والفاء لترتيب البشارة او الامر بها على ما
قبلها من اتباع الذكر والخشية انا نحن نحيي الموتى بيان لشأن عظيم ينطوي على الانذار والتبشير
انطواء اجماليا اي نبعثهم بعد مماتهم وعن الحسن احياؤهم اخراجهم من الشرك الى الايمان فهو حينئذ
عدة كريمة بتحقيق المبشر به ونكتب ما قدموا اي ما اسلفوا من الاعمال الصالحة وغيرها
وآثارهم التي ابقوها من الحسنات كعلم علموه او كتاب الفوه او حبيس وقفوه او بناء بنوه من المساجد والرباطات
والقناطر وغير ذلك من وجوه البر ومن السيئات كتأسيس قوانين الظلم والعدوان وترتيب مبادي
الشر والفساد فيما بين العباد وغير ذلك من فنون الشرور التي احدثوها وسنوها لمن بعدهم من المفسدين
وقيل هي آثار المشائين الى المساجد ولعل المراد انها من جملة الآثار وقرئ ويكتب على البناء للمفعول
ورفع آثارهم وكل شيء من الاشياء كائنا ما كان احصيناه في امام مبين اصل عظيم الشأن مظهر
لجميع الاشياء مما كان وما سيكون وهو اللوح المحفوظ وقرئ كل شيء بالرفع واضرب لهم مثلا
اصحاب القرية ضرب المثل يستعمل تارة في تطبيق حالة غريبة بحالة اخرى مثلها كما في قوله تعالى
ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط واخرى في ذكر حالة غريبة وبيانها للناس

من

للناس من غير قصد الى تطبيقها بنظيرة لها كما في قوله تعالى وضربنا لكم الامثال على احد الوجهين
اي بينا لكم احوالا بديعة هي في الغرابة كالامثال فالمعنى على الاول اجعل اصحاب القرية مثلا
لهؤلاء في الغلو في الكفر والاصرار على تكذيب الرسل اي طبق حالهم بحالهم على ان مثلا مفعول ثان لاضرب
واصحاب القرية مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرحه وبيانه وعلى الثاني اذكر وبين
لهم قصة هي في الغرابة كالمثل وقوله اصحاب القرية بدل منه بتقدير المضاف او بيان له والقرية
انطاكية اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية وهم رسل عيسى عليه السلام
الى اهلها ونسبة ارسالهم اليه تعالى في قوله اذ ارسلنا اليهم اثنين بناء على انه كان بامره
تعالى لتكميل التمثيل وتتميم التسلية وهما يحيى ويونس وقيل غيرهما فكذبوهما اي فاتياهم
فدعواهم الى الحق فكذبوهما في الرسالة فعززنا بثالث اي فقويناهما يقال عززت المطر الارض اذا
لبدها وقرئ بالتخفيف من عزه اذا غلبه وقهره وحذف المفعول لدلالة ما قبله عليه ولان
المقصود ذكر المعزز به وهو شمعون فقالوا اي جميعا انا اليكم مرسلون مؤكدين كلامهم
لسبق الانكار لما ان تكذيبهما تكذيب للثالث لاتحاد كلمتهم وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو
حبيب النجار فسألهما فاخبراه قال امعكما آية فقالا نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص
وكان له ولد مريض منذ سنتين فمسحاه فشفي فآمن حبيب على ايديهما وفشا الخبر فآمن على
ايديهما خلق وبلغ حديثهما الى الملك فقال لهما ألنا اله سوى آلهتنا قالا نعم من اوجدك
وآلهتك فقال لهما حتى انظر في امركما فتبعهما الناس وقيل ضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى عليه
السلام شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك
فأنس به فقال له يوما بلغني انك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب
بيني وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له
شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك
فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله تعالى حتى انشق له بصر فاخذا بندقتين فوضعاهما
في حدقتيه فصارتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارأيت لو سألت الهك حتى يصنع مثل
هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لي عنك سر ان الهنا لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا
ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلي ويتضرع ويحسبون انه منهم ثم قال ان قدر
الهكما على احياء ميت آمنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام فقام فقال اني ادخلت في
سبعة اودية من النار فقال انا احذركم ما انتم فيه فآمنوا وقال فتحت ابواب السماء فرأيت
شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك من هم قال شمعون وهذان فتعجب الملك
فلما رأى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فآمن وآمن قوم ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام
فهلكوا هكذا قالوا ولكن لا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه ثم حيث اقتصر فيه على حكاية تماديهم
في العناد واللجاج وركوبهم متن المكابرة في الحجاج ولم يذكر مؤمن احد سوى حبيب ولو آمن الملك
وقوم من حواشيه لكان الظاهر ان يظاهروا الرسل ويساعدوهم قبلوا في ذلك او قتلوا كدأب
النجار الشهيد ولكان لهم فيه ذكر ما بوجه من الوجوه اللهم الا ان يكون ايمان الملك بطريق الخفية
على خوف من عتاة ملائه فيعتزل به معتذرا بعد ذهاب الاعذار قالوا اي اهل انطاكية الذين
لم يؤمنوا مخاطبين للثلاثة ما انتم الا بشر مثلنا من غير مزية لكم علينا موجبة لاختصاصكم بما
تدعونه ودفع تشبثوا بتناقض النفي المقتضي لاعمال ما بالالا وما انزل الرحمن من شيء مما تدعونه
من الوحي والرسالة ان انتم الا تكذبون في دعوى الرسالة قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون
استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم مع ما فيه من تحذيرهم معارضة علم الله
تعالى وارادوا واللام المؤكدة لما شاهدوا منهم من شدة الانكار وما علينا اي من جهة ربنا
الا البلاغ المبين اي الا تبليغ رسالته تبليغا ظاهرا بالآيات الشاهدة بالصحة وقد خرجنا
عن عهدته فلا مؤاخذة لنا بعد ذلك من جهة ربنا او وما علينا شيء نطالب به من جهتكم
الا تبليغ الرسالة على الوجه المذكور وقد فعلنا فاي شيء تطلبون منا حتى تصدقونا بذلك
قالوا لما ضاقت عليهم الحيل وعيت بهم العلل انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم جريا على ديدن الجهلة حيث
كانوا يتيمنون بكل ما يوافق شهواتهم وان كان مستجلبا لكل شر ووبال ويتشاءمون بما لا يوافقها
وان كان مستتبعا لسعادة الدارين وبناء على ان الدعوة تحملوا عن الوعيد بما يكرهونه من

اصابة ضير متعلق بانفسهم واهليهم واموالهم وان لم يؤمنوا وكانوا ينفرون عنه وقد نعى انه حبس عنهم القطر فقالوا لئن لم تنتهوا اى عن مقالتكم هذه لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم لا يقادر قدره قالوا طائركم اى سبب شؤمكم معكم لا من قبلنا وهو سوء عقيدتكم وقبح اعمالكم وقرئ طيركم ائن ذكرتم اى وعظتم بما فيه سعادتكم وجواب الشرط محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه اى تطيرتم وتوعدتم بالرجم والتعذيب وقرئ بالف بين همزتين وبفتح ان بمعنى اتطيرتم لان ذكرتم وان ذكرتم بمعنى استفهاما ماء ين ذكرتم بمعنى طائركم معكم حيث جرى ذكركم وهو ابلغ بل انتم قوم مسرفون اضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم او مصححا للتوعد اى ليس الامر كذلك بل انتم قوم عادتكم الاسراف فى العصيان فلذلك اتاكم الشؤم او فى الظلم والعدوان ولذلك توعدتم وتشاءمتم بمن يجب اكرامه والتبرك به وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان ينحت اصنامهم وهو ممن آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما آمن به تبع الاكبر وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يؤمن بنبى غيره عليه الصلاة والسلام قبل مبعثه وقيل كان فى غار يعبد الله تعالى فلما بلغه خبر الرسل عليهم السلام اظهر دينه قال استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية مجيئه فقيل قال يا قوم اتبعوا المرسلين تعرض لعنوان رسالتهم حثا لهم على اتباعهم كما ان خطابهم بيا قوم لتأليف قلوبهم واستمالتها نحو قبول نصيحته وقوله تعالى اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون تكرير للتأكيد للتوسل به الى وصفهم بما يرغبهم فى اتباعهم من التنزه عن الغرض الدنيوى والاهتداء الى خير الدنيا والدين وما لى لا اعبد الذى فطرنى تلطف فى الارشاد بايراده فى معرض المناصحة لنفسه وامحاض النصح حيث اراهم انه اختار لهم ما يختار لنفسه والمراد تقريعهم على ترك عبادة خالقهم الى عبادة غيره كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه ترجعون مبالغة فى التهديد ثم عاد الى المساق الاول فقال أأتخذ من دونه آلهة انكار ونفى لاتخاذ الآلهة على الاطلاق وقوله تعالى ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا اى لا ينفعنى شيئا من النفع ولا ينقذون من ذلك الضر بالنصرة والمظاهرة استئناف سيق لتعليل النفى المذكور وجعله صفة لآلهة كما ذهب اليه بعضهم ربما يوهم ان هناك آلهة ليست كذلك وقرئ ان يردن بفتح الياء على معنى انه يوردنى ضرا اى يجعلنى موردا للضر انى اذا اى اذا اتخذت من دونه آلهة لفى ضلال مبين فان ايثار ما ليس من شأنه نفع ولا دفع ضر بالخالق المقتدر الذى لا قادر غيره ولا خير الا خيره ضلال بين لا يخفى على احد ممن له تمييز فى الجملة انى آمنت بربكم خطاب منه للرسل بطريق التلوين قيل لما نصح قومه بما ذكر هموا برجمه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتلوه فقال ذلك ولذا اكد لاظهار صدوره عنه بكمال الرغبة والنشاط واضاف الرب الى ضميرهم وما لزيادة التحقيق واظهار للاختصاص والاقتداء بهم كانه قال بربكم الذى تدعوننا الى الايمان به فاسمعون اى فاسمعوا ايمانى واشهدوا لى به عند الله تعالى وقيل الخطاب للكفرة شافههم بذلك اظهارا للتصلب فى الدين وعدم المبالاة بالقتل واضافة الرب الى ضميرهم لتحقيق الحق والتنبيه على بطلان ما هم عليه من اتخاذ الاصنام اربابا قيل ادخل الجنة قيل له ذلك لما قتلوه اكراما له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى الى الجنة قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة قاله الحسن وعن قتادة ادخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها وانما لم يقل له لان الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة فى المسارعة الى بيانه والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية حاله وما له كانه قيل كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى دينه والتسخى بروحه لوجهه تعالى فقيل قيل ادخل الجنة وكذلك قوله قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فانه جواب عن سؤال نشأ من حكاية حاله كانه قيل فماذا قال عند نيله تلك المراتب السنية فقيل قال الى آخره وانما تمنى علم قومه بحاله ليحملهم ذلك على اكتساب مثله بالتوبة عن الكفر والدخول فى الايمان والطاعة جريا على سنن الاولياء فى كظم الغيظ والترحم على الاعداء او ليعلموا انهم كانوا على خطأ عظيم فى امره وانه كان على الحق وان عداوتهم لم تكسبه الا سعادة وقرئ من المكرمين وما موصولة او مصدرية والباء صلة يعلمون او استفهامية وردت على الاصل والباء متعلقة بغفر اى بأى شيء غفر لى ربى تريد به تفخيم شأن المهاجرة عن ملتهم والمصابرة على اذيتهم وما انزلنا على قومه من بعده من بعد قتله او رفعه من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم كما فعلناه يوم بدر والخندق بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار لهم ولاهلاكهم وايماء الى تفخيم

بشان

بشان الرسول صلى الله عليه وسلم وما كنا منزلين وما صح فى حكمتنا ان ننزل لاهلاك قومه جندا من السماء لما انا قدرنا لكل شيء سببا حيث اهلكنا بعض من اهلكنا من الامم بالحاصب وبعضهم بالاغراق وجعلنا انزال الجند من خصائصك فى الانتصار من قومك وقيل ما موصولة معطوفة على جند اى وما كنا منزلين على من قبلهم من حجارة وريح وامطار شديدة وغيرها ان كانت اى ما كانت الاخذة والعقوبة الا صيحة واحدة صاح بها جبريل عليه السلام وقرئ الا صيحة بالرفع على ان كانت تامة والا وقرئ الا زقية واحدة من زقا الطائر اذا صاح فاذا هم خامدون ميتون شبهوا بالنار رمزا الى ان الحى كالنار الساطعة فى الحركة والالتهاب والميت كالرماد كما قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد تعالى فهذه من الاحوال التى حقها ان تحضرى فيها وهى ما دل عليه قوله تعالى ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن فان المستهزئين بالناصحين الذين ينطوت عبصالحهم سعادة الدارين احقاء بان يتحسروا ويتحسر عليهم المتحسرون او قد تلهف على حالهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين ويجوز ان يكون تحسرا عليهم من جهة الله تعالى بطريق الاستعارة لتعظيم ما جنوه على انفسهم ويؤيده قراءة يا حسرتا لان المعنى يا حسرتى ونصبها لطولها بما تعلق بها من الجار وقيل باضمار فعلها والمنادى محذوف وقرئ يا حسرة العباد بالاضافة على الفاعل او المفعول ويا حسرة على العباد باجراء الوصل مجرى الوقف الم يروا اى الم يعلموا وهو معلق عن العمل فى قوله تعالى كم اهلكنا قبلهم من القرون لان كم لا يعمل فيها ما قبلها وان كانت خبرية لان اصلها الاستفهام خلا ان معناه نافذ فى الجملة كما نفذ فى قولك الم تر ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل فى لفظه انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى اى الم يروا كثرة اهلاكنا من قبلهم من المذكورين آنفا ومن غيرهم كونهم غير راجعين اليهم وقرئ بالكسر على الاستئناف وقرئ الم يروا من اهلكنا والبدل حينئذ بدل اشتمال وان كل لما جميع لدينا محضرون بيان لرجوع الكل الى المحشر بعد بيان عدم الرجوع الى الدنيا وان نافية وتنوين كل عوض عن المضاف اليه ولما بمعنى الا وجميع فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لما بعده والمعنى ما كلهم الا مجموعون لدينا محضرون للحساب والجزاء وقيل محضرون معذبون وكل عبارة عن الكفرة وقرئ لما بالتخفيف على ان ان مخففة من الثقيلة واللام فارقة وما مزيدة للتأكيد والمعنى ان كلهم مجموعون الى آخره وآية لهم الارض الميتة بالتخفيف وقرئ بالتشديد قوله تعالى آية خبر مقدم للاهتمام به وتنكيرها للتفخيم ولهم اما متعلقة بها لانها بمعنى العلامة او بمضمر هو صفة لها والارض مبتدأ والميتة صفتها وقوله تعالى احييناها استئناف مبين لكيفية كونها آية وقيل آية مبتدأ ولهم خبر والارض الميتة مبتدأ واحييناها خبره والجملة خبر لآية وقيل الخبر لها هو الارض واحييناها صفتها لان المراد بها الجنس لا المعينة والاول هو الاول لان مصب الفائدة هو كون الارض آية لهم لا كون الآية هى الارض واخرجنا منها حبا جنس الحب فمنه يأكلون تقديم الصلة للدلالة على ان الحب معظم ما يؤكل ويعاش به وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب اى من انواع النخل والعنب ولذلك جمعا دون الحب فان الدال على الجنس مشعر بالاختلاف ولو كذلك الدال على النوع وذكر النخيل دون التمور ليطابق الحب والاعناب لاختصاص شجرها بمزيد النفع وآثار الصنع وفجرنا فيها وقرئ بالتخفيف والفجر كالفتح والتفجير كالتفتيح لفظا ومعنى من العيون اى بعضا من العيون فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او العيون ومن مزيدة على رأى الاخفش ليأكلوا من ثمره متعلق بجعلنا وتأخيره عن تفجير العيون لانه من مبادى الاثمار اى وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب ورتبنا مبادى اثمارها ليأكلوا من ثمر ما ذكر من الجنات والنخيل باجراء الضمير مجرى اسم الاشارة وقيل الضمير لله تعالى بطريق الالتفات الى الغيبة والاضافة لان الثمر بخلقه تعالى وقرئ بضمتين وهى لغة فيه او جمع ثمار وبضمة وسكون وما عملته ايديهم عطف على ثمره وهو ما يتخذ منه من العصير والدبس ونحوهما وقيل ما نافية والمعنى ان الثمر بخلق الله تعالى لا بفعلهم ومحل الجملة النصب على الحالية ويؤيد الاول قراءة عملت بلا هاء فان حذف العائد من الصلة احسن من حذفه من غيرها افلا يشكرون انكار واستقباح لعدم شكرهم للنعم المعدودة والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى ايرون هذه النعم او ايتنعمون بها فلا يشكرونها سبحان الذى خلق الازواج كلها استئناف مسوق لتنزيهه تعالى عما فعلوه من ترك شكره على الآية المذكورة واستعظام ما ذكر فى حيز الصلة من بدائع آثار قدرته واسرار حكمته وروائع نعمائه الموجبة للشكر وتخصيص العبادة به والتعجب من اخلالهم بذلك والحالة هذه وسبحان علم للتسبيح الذى هو التبعيد عن السوء اعتقادا وقولا اى اعتقاد البعد عنه

والحكم منه من سبح في الارض والماء اذا ابعد فيهما اذا معن ومنه فرس سبوح اي واسع الجري وانتصابه
على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه اي سبح سبحانه اي انزهه عما لا يليق به عقلا وعملا تنزيها خاصا به
حقيقا بشانه وفيه مبالغة من جهة الاشتقاق من السبح ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول
عن المصدر الدال على الجنس الى الاسم الموضوع له خاصة لا سيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة في الذهن
ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران اريد به التنزه الى الذات القدسية
فالمعنى تنزه بذاته عن كل ما لا يليق به تنزها خاصا به والجملة على هذا اخبار من الله تعالى ببراءته وتنزهه
عن كل ما لا يليق به مما فعلوه وما تركوه وعلى الاول لحكم منه عز وجل بذلك وتلقين للمؤمنين ان يقولوه
ويعتقدوا مضمونه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه والمراد بالازواج الاصناف والانواع مما تنبت الارض
بيان لها والمراد به ما ينبت فيها من الاشياء المذكورة وغيرها ومن انفسهم اي خلق الازواج من انفسهم
اي الذكر والانثى ومما لا يعلمون اي والازواج مما لم يطلعهم الله تعالى على خلقه مما لا تعلمون لما نيط به
وقوفهم على عظم قدرته تعالى وسعة ملكه وسلطانه وآية لهم الليل جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر
كما مر وقوله تعالى نسلخ منه النهار جملة مبينة لكيفية كونه آية اي نزيله ونكشف عن مكانه مستعار من
السلخ وهو ازالة ما بين الحيوان وجلده من الاتصال والاغلب في الاستعمال تعليقه بالجلد يقال سلخت
الاهاب من الشاة وقد يعكس منه الشاة المسلوخة فاذا هم مظلمون اي داخلون في الظلام مفاجاة وفيه
رمز الى ان الاصل هو الظلام والنور عارض والشمس تجري لمستقر لها لحد معين تنتهي اليه دورها فشبه
بمستقر المسافر اذا قطع مسيره او كبد السماء فان حركتها فيه توجد ابطأ بحيث يظن ان لها هناك وقفة
قال • والشمس حيرى لها في الجو تدويم • او لمستقر لها على نهج مخصوص او لمنتهى مقدر لكل يوم من المشارق والمغارب
فان لها في دورها ثلثمائة وستين مشرقا ومغربا تطلع كل يوم من مطلع وتغرب من مغرب ثم لا تعود اليهما
الى العام القابل او لمنقطع جريها عند خراب العالم وقرئ الى مستقر لها وقرئ لا مستقر لها اي لا سكون لها
فانها متحركة دائما وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك اشارة الى جريها وما فيه من معنى البعد
مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد منزلته اي ذلك الجري البديع المنطوي على الحكم
الرائقة التي تحار في فهمها العقول والافهام تقدير العزيز الغالب بقدرته على كل مقدور
العليم المحيط علمه بكل معلوم والقمر قدرناه منازل بالنصب باضمار فعل يفسره الظاهر • وقرئ
بالرفع على الابتداء اي قدرنا له منازل وقيل قدرنا مسيره منازل • وقيل قدرناه ذا منازل وهي ثمانية
عشرون • السرطان • البطين • الثريا • الدبران • الهقعة • الهنعة • الذراع • النثرة • الطرف • الجبهة • الزبرة
الصرفة • العوا • السماك • الغفر • الزبانا • الاكليل • القلب • الشولة • النعائم • البلدة • سعد الذابح
سعد بلع • سعد السعود • سعد الاخبية • فرغ الدلو المقدم • فرغ الدلو المؤخر • الرشا • وهو
بطن الحوت • ينزل كل ليلة في واحدة منها لا يتخطاها ولا يتقاصر عنها فاذا كان في آخر منازله وهو الذي
يكون قبيل الاجتماع دق واستقوس حتى عاد كالعرجون القديم كالشمراخ المعوج فعلون من الانعراج
وهو الاعوجاج وقرئ كالعرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون لا الشمس ينبغي لها اي يصح
ويتسهل لها ان تدرك القمر في سرعة السير فان ذلك يخل بتكون النبات وتعيش الحيوان او في الآثار
والمنافع او في المكان بان تنزل في منزله او سلطانه فتطمس نوره وايلاء حرف النفي الشمس للدلالة على انها
مسخرة لا يتيسر لها الا ما قدر لها ولا الليل سابق النهار اي يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه وقيل المراد بهما
آيتاهما وهما النيران وبالسبق سبق القمر الى سلطان الشمس فيكون عكسا للاول وايراد السبق مكان
الادراك لانه الملائم لسرعة سيره وكل اي وكلهم على ان التنوين عوض عن المضاف اليه الذي هو
الضمير العائد الى الشمس والقمر والجمع باعتبار التكاثر العارض لهما بتكاثر مطالعهما فان اختلاف
الاحوال يوجب تعددا ما في الذات او الى الكواكب فان ذكرهما مشعر بها في فلك يسبحون يسيرون
بانبساط وسهولة وآية لهم انا حملنا ذريتهم اولادهم الذين يبعثونهم الى تجاراتهم او صبيانهم ونساءهم
الذين يستصحبونهم فان الذرية تطلق عليهن لا سيما مع الاختلاط وتخصيصهم بالذكر لما ان
استقرارهم في السفن اشق واستمساكهم فيها ابدع في الفلك المشحون اي المملوء وقيل هو فلك نوح عليه
السلام ومعنى حمل ذرياتهم فيها حمل آبائهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وتخصيص اعقابهم
بالذكر دونهم لانه ابلغ في الامتنان وادخل في التعجب الذي عليه يدور كونه آية وخلقنا لهم من مثله
من مماثل الفلك ما يركبون من الابل فانها سفائن البر وما يماثل ذلك الفلك من السفن
والزوارق وجعلها مخلوقة لله تعالى مع كونها من مصنوعات ليس بمجرد كون صنيعهم باقدار
الله تعالى والهامه بل بمزيد اختصاص اصلها بقدرته تعالى وحكمته حسبما يعرب عنه قوله عز وجل

واصنع

واصنع الفلك باعيننا ووحينا والتعبير عن ملابستهم بهذه السفن بالركوب لانها باختيارهم كما ان
التعبير عن ملابسة ذرياتهم بفلك نوح عليه السلام بالحمل لكونها بغير شعور منهم واختيار وان نشأ
نغرقهم الى آخره من تمام الآية فانهم معترفون بمضمونه كما ينطق به قوله تعالى واذا غشيهم موج كالظلل دعوا
الله مخلصين له الدين وقرئ بالتشديد وفي تعليق الاغراق بمحض المشيئة اشعار بانه قد تكامل ما يوجب
اهلاكهم وانما بقي ما يبقيهم الا تعلق مشيئته تعالى بهم اي ان نشأ نغرقهم في اليم مع ما حملناهم فيه
من الفلك فحديث خلق الابل حينئذ كلام جيء به في خلال الآية بطريق الاستطراد لكمال التناسب بين الابل والفلك فكانهما
نوع منه او مع ما يركبون من السفن والزوارق فلا صريخ لهم اي فلا مغيث لهم يحرسهم من الغرق ويدفعه
عنهم قبل وقوعه وقيل فلا استغاثة لهم من قولهم اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون اي ينجون منه بعد وقوعه
وقوله تعالى الا رحمة منا ومتاعا استثناء مفرغ من اعم العلل الشاملة للباعث المتقدم والغاية
المتأخرة اي لا يغاثون ولا ينقذون بشيء من الاشياء الا لرحمة عظيمة من قبلنا داعية الى الاغاثة والانقاذ
وتمتيع بالحياة الدنيا مترتب عليهما ويجوز ان يراد بالرحمة ما يقارن التمتيع من الرحمة الدنيوية فيكون
كلاهما غاية للاغاثة والانقاذ اي لنوع من الرحمة وتمتيع الى حين اي الى زمان قدر فيه آجالهم كما قيل
• ولم اسلم لكي ابقى ولكن • سلمت من الحمام الى الحمام • واذا قيل لهم اتقوا بيان لاعراضهم عن الآيات التنزيلية
بعد بيان اعراضهم عن الآيات التنزيلية بعد بيان اعراضهم عن الآيات الآفاقية التي كانوا يشاهدونها
وعدم تأملهم فيها اي اذا قيل لهم بطريق الانذار بما نزل من الآيات او بغيره اتقوا ما بين ايديكم وما
خلفكم من الآفات والنوازل فانها محيطة بكم او ما يصيبكم من المكاره من حيث تحتسبون ومن حيث لا تحتسبون
او من الوقائع النازلة على الامم الخالية قبلكم والعذاب المعد لكم في الآخرة او من نوازل السماء ونوائب
الارض او من عذاب الدنيا او عذاب الآخرة او ما تقدم من الذنوب وما تأخر لعلكم ترحمون اما
حال من واو اتقوا او غاية له اي راجين ان ترحموا او كي ترحموا فتنجوا من ذلك لما عرفتم ان مناط
النجاة ليس الا رحمة الله تعالى وجواب اذا محذوف ثقة بانفهامه من قوله تعالى وما تأتيهم من آية
من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين انفهاما بينا اما اذا كان الانذار بالآية الكريمة فبعبارة النص
واما ان كان بغيرها فبدلالته لانهم حين اعرضوا عن آيات ربهم فلأن يعرضوا عن غيرها بطريق الاولوية
كأنه قيل واذا قيل لهم اتقوا العذاب اعرضوا حسبما اعتادوه وما نافية وصيغة المضارع للدلالة على
الاستمرار التجددي ومن الاولى مزيدة لتأكيد العموم والثانية تبعيضية واقعة مع مجرورها
صفة لآية واضافة الآيات الى اسم الرب المضاف الى ضميرهم لتفخيم شأنها المستتبع لتهويل ما اجترؤوا
عليه في حقها والمراد بها اما الآيات التنزيلية فاتيانها نزولها والمعنى ما ينزل اليهم آية من الآيات
القرآنية التي من جملتها هذه الآيات الناطقة بما فصل من بدائع صنع الله تعالى وسوابغ آلائه الموجبة
للاقبال عليها والايمان بها الا كانوا عنها معرضين على وجه التكذيب والاستهزاء واما ما يعمها وغيرها
من الآيات التكوينية الشاملة للمعجزات وغيرها من تعاجيب المصنوعات التي من جملتها الآيات الثلاث
المعدودة آنفا فالمراد باتيانها ما يعم بوحدانيته تعالى وتفرده بالالوهية الا كانوا عنها معرضين
على وجه التكذيب تاركين للنظر الصحيح المؤدي الى الايمان به تعالى واثباته على ان يقال الا اعرضوا
عنها لما وقع مثله في قوله تعالى وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر للدلالة على استمرارهم
على الاعراض حسب استمرار اتيان الآيات وعن متعلقة بمعرضين قدمت عليه مراعاة للفواصل
والجملة في حيز النصب على انها حال من مفعول تأتي او من فاعله المتخصص بالوصف لاشتمالها على ضمير
كل منهما والاستثناء مفرغ من اعم الاحوال اي ما تأتيهم من آية من آيات ربهم في حال من احوالهم الا حال
اعراضهم عنها او ما تأتيهم آية منها في حال من احوالها الا حال اعراضهم عنها واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم
الله اي اعطاكم بطريق التفضل والانعام من انواع الاموال وعبر عنها بذلك تحقيقا للحق وترغيبا
في الانفاق على منهاج قوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك تنبيها على عظم جنايتهم في ترك الامتثال
بالامر وكذلك من التبعيضية اي اذا قيل لهم بطريق النصيحة انفقوا بعض ما اعطاكم الله تعالى من
فضله على المحتاجين فان ذلك مما يرد البلاء ويدفع المكاره قال الذين كفروا بالصانع عز وجل وهم
زنادقة كانوا بمكة للذين آمنوا تهكما بهم وبما كانوا عليه من تعليق الامور بمشيئة الله تعالى انطعم
حسبما ينطق به قولهم من لو يشاء الله اطعمه اي على زعمكم وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة اذا امروا بالصدقة
على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل قاله مشركو قريش حين استطعمهم فقراء المؤمنين
من اموالهم التي زعموا انهم جعلوها لله تعالى من الحرث والانعام يوهمون ان الله تعالى لما لم يشأ اطعامهم
وهو قادر عليه فنحن احق بذلك وما هو الا لفرط جهالتهم فان الله تعالى يطعم عباده باسباب من جملتها

حث الاغنياء على اطعام الفقراء وتوقيفهم لذلك ان انتم الا في ضلال مبين حيث تامروننا بما يخالف مشية الله تعالى وقد جوز ان يكون جوابا لهم من جهته تعالى او حكاية لجواب المؤمنين ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اى فيما تعدوننا به من قيام الساعة مخاطبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لما انهم ايضا كانوا يتلون عليهم ايات الوعيد بها ومعنى القرب في هذا اما بطريق الاستهزاء واما باعتبار قرب العهد بالوعد ما ينظرون جواب من جهته تعالى اى ما ينتظرون الا صيحة واحدة هي النفخة الاولى تأخذهم مفاجاة وهم يخصمون اى يختصمون في متاجرهم ومعاملاتهم لا يخطر ببالهم شيء من مخايلها كقوله تعالى فاخذتهم الساعة وهم لا يشعرون فلا تغتروا بعدم ظهور علاماتها ولا تزعموا انها لا تأتيهم واصل يخصمون يختصمون فسكنت التاء وادغمت في الصاد ثم كسرت الخاء لالتقاء الساكنين وقرئ بكسر الياء للاتباع وبفتح الخاء على نقل حركة التاء اليه وقرئ على الاختلاس وبالاسكان على تجويز الجمع بين الساكنين اذا كان الثاني منهما وان لم يكن الاول حرف مد وقرئ يخصمون من خصمه اذا جادله فلا يستطيعون توصية في شيء من امورهم ان كانوا فيما بين اهليهم ولا الى اهلهم يرجعون ان كانوا في خارج ابوابهم بل تبغتهم الصيحة فيموتون حيث ما كانوا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية بينها وبين الاولى اربعون سنة اى ينفخ فيه وصيغة الماضي للدلالة على تحقق وقوعها فاذا هم من الاجداث اى القبور جمع جدث وقرئ بالفاء الى ربهم مالك امورهم على الاطلاق ينسلون يسرعون بطريق الاجبار دون الاختيار لقوله تعالى لدينا محضرون وقرئ بضم السين قالوا اى في ابتداء بعثهم من القبور يا ويلنا احضرى فهذا اوانك وقرئ يا ويلتنا من بعثنا من مرقدنا وقرئ من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه وقرئ من هبنا بمعنى اهبنا وقيل اصله هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل الى الضمير قيل فيه ترشيح ورمز الى انهم لاختلاط عقولهم يظنون انهم كانوا نياما وعن مجاهد ان للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور يقولون ذلك وعن ابن عباس وابي بن كعب وقتادة رضي الله عنهم ان الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بالنفخة الثانية وشاهدوا من اهوال القيمة ما شاهدوا دعوا بالويل وقالوا ذلك وقيل اذا عاينوا جهنم وما فيها من الوان العذاب يصير عذاب القبر في جنبها مثل النوم فيقولون ذلك وقرئ من بعثنا ومن هبنا على من الجارة والمصدر والمرقد اما مصدر من رقد رقادا او اسم مكان اريد به الجنس فينتظم مراقد الكل هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون جملة من مبتدا وخبر وما موصولة محذوفة العائد او مصدرية وهو جواب من قبل الملئكة والمؤمنين عدل به عن سنن سؤالهم تذكيرا لكفرهم وتقريعا لهم عليه وتنبيها على ان الذي يهمهم هو السؤال عن نفس البعث ما هو دون الباعث كانهم قالوا بعثكم الرحمن الذي وعدكم ذلك في كتبه وارسل اليكم الرسل فصدقوكم فيه وليس الامر كما تتوهمونه عن الباعث وقيل هو من كلام الكافرين حيث يتذكرون ما سمعوه من الرسل عليهم السلام فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا وقيل هذا صفة لمرقدنا وما وعد الى اخره مبتدا محذوف او مبتدا خبره محذوف اى وما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق ان كانت اى ما كانت النفخة التي حكيت انفا الا صيحة واحدة حصلت من نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور فاذا هم جميع اى مجموع لدينا محضرون من غير لبث ما طرفة عين وفيه تهويل امر البعث والحشر والايذان باستغنائهما عن الاسباب ما لا يخفى فاليوم لا تظلم نفس من النفوس برة كانت او فاجرة شيئا من الظلم ولا تجزون الا ما كنتم تعملون اى الا جزاء ما كنتم تعملون في الدنيا على الاستمرار من الكفر والمعاصي على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه للتنبيه على قوة التلازم والارتباط بينهما كانهما شيء واحد او الا بما كنتم تعملون اى بمقابلته او بسببه وتعميم الخطاب للمؤمنين يرده انه تعالى يوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله اضعافا مضاعفة وهذه حكاية لما سيقال لهم حين يرون العذاب المعد لهم تحقيقا للحق وتقريعا لهم قوله تعالى ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون من جملة ما سيقال لهم يومئذ زيادة لحسرتهم وندامتهم فان الاخبار بحسن حال اعدائهم اثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة على مساءة وفي هذه الحكاية مزجرة لهؤلاء الكفرة عما هم عليه ومدعاة الى الاقتداء بسيرة المؤمنين والشغل هو الشان الذي يصد المرء ويشغله عما سواه من شؤونه لكونه اهم عنده من الكل اما لايجابه كمال المسرة والبهجة او كمال المساءة والغم والمراد ههنا هو الاول وما فيه من التنكير والابهام للايذان بارتفاعه عن رتبة البيان والمراد به ما هم فيه من فنون الملاذ التي تلهيهم عما عداها بالكلية واما ان المراد به افتضاض الابكار او السماع وضرب الاوتار او التزاور او ضيافة الله تعالى او شغلهم عما فيه اهل النار على الاطلاق او شغلهم عن اهاليهم في النار لا يهمهم امرهم

ولا

ولا يبالون بهم كيلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم كما روي كل واحد منها عن واحد من اكابر السلف فليس مرادهم بذلك حصر شغلهم فيما ذكروه فقط بل بيان انه من جملة اشغالهم وتخصيص كل منهم كلا من تلك الامور بالذكر محمول على اقتضاء مقام البيان اياه وهو مع جاره لان فاكهون خبر اخر لها اى انهم مستقرون في شغل واى شغل عظيم الشان متنعمون بنعيم مقيم فائزون بملك كبير والتعبير عن حالهم هذه بالجملة الاسمية قبل تحققها بتنزيل المترقب المتوقع منزلة الواقع للايذان بغاية سرعة تحققها ووقوعها ولزيادة مساءة المخاطبين بذلك وقرئ في شغل بسكون الغين وفي شغل بفتحتين وبفتحة وسكون والكل لغات فكهون للمبالغة وفكهون بضم الكاف وهو لغة كنطس وفاكهين وفكهين على الحال من المستكن في الظرف وقوله تعالى هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون استيناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة ازواجهم لهم فيما هم فيه من الشغل والفكاهة على انهم مبتدا وازواجهم عطف عليه ومتكئون خبره والجاران صلتان له قدمتا عليه لمراعات الفواصل او هو الجار والمجرور بما تعلقا به من الاستقرار واخبار مترتبة وقيل الخبر هو الظرف الاول والثاني مستانف على انه متعلق بمتكئون وهو خبر لمبتدا محذوف وقيل على انه خبر مقدم ومتكئون مبتدا موخر وقرئ متكئين بلا همز نصبا على الحال من المستكن في الظرف او احدهما وقيل هم تاكيد للمستكن في خبر ان ومتكئون مبتدا موخر وقيل متكين بلا همز نصبا على الحال من المستكن خبرا خبرا لها وعلى الارائك متعلق به وكذا في ظلال اى هذا بمعنى حال من المعطوفين والظلال جمع ظل كشعاب جمع شعب او جمع ظلة ويؤيده قراءة في ظلل والارائك جمع اريكة وهي السرير المزين بالثياب والستور قال ثعلب الاريكة لا تكون اريكة حتى يكون عليها حجلة وقوله تعالى لهم فيها فاكهة الى اخره بيان لما يتمتعون به في الجنة من المآكل والمشارب ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان ما لهم فيها من مجالس الانس ومحافل القدس تكميلا لبيان كيفية ما هم فيه من الشغل والبهجة اى لهم فاكهة كثيرة من كل نوع من انواع الفواكه وما في قوله تعالى ولهم ما يدعون موصولة او موصوفة عبر بها عن مدعو عظيم الشان معين او مبهم ايذانا بانه الحقيق بالادعاء دون ما عداه ثم صرح به روما لزيادة التقرير بالتحقيق بعد التشويق كما ستعرفه او هي باقية على عمومها قصد بها التعميم بعد تخصيص بعض المواد المعتادة بالذكر وايا ما كان فهو مبتدا ولهم خبره والجملة معطوفة على الجملة السابقة وعدم الاكتفاء بعطف ما يدعون على فاكهة لئلا يتوهم كونها عبارة عن توابع الفاكهة وتتماتها والمعنى ولهم ما يدعون به لانفسهم من مدعو عظيم الشان او كل ما يدعونه به كائنا ما كان من اسباب البهجة وموجبات السرور وايا ما كان ففيه دلالة على انهم في اقصى غاية البهجة والغبطة ويدعون يفتعلون من الدعاء كالاشتواء اليه مثل اشتوى واحتمل اذا شوى وحمل لنفسه وقيل بمعنى يتداعون كالارتماء بمعنى الترامي وقيل بمعنى يتمنون من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وقال الزجاج هو من الدعاء اى ما يدعونه اهل الجنة ياتيهم فيكون الافتعال بمعنى الفعل كالاحتمال بمعنى الحمل والارتحال بمعنى الرحلة ويعضده القراءة بالتخفيف كما ذكره الكواشي وقوله تعالى سلام على التقدير الاول بدل من ما يدعون او خبر لمبتدا محذوف وقوله مصدر مؤكد لفعل هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة لسلام وما بعده من الجار متعلق بمضمر هو صفة له كانه قيل ولهم سلام اى ما يدعون سلام يقال لهم قولا كائنا من جهة رب رحيم اى يسلم عليهم من جهته تعالى بواسطة الملك او بدونها مبالغة في التعظيم قال ابن عباس رضي الله عنهما والملئكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين واما على التقدير الثاني فقد قيل انه خبر يدعون ولهم لبيان الجهة كما يقال لزيد الشرف متوفر على ان الشرف مبتدا ومتوفر خبره والجار والمجرور لبيان من له ذلك اى ما يدعون سالم لهم خالص لا شوب فيه وقوله حينئذ مصدر مؤكد لمضمون الجملة اى عدة من رب رحيم او سلامة من الافات فيكون قوله مصدر مؤكد لمضمون الجملة اى عدة من رب رحيم او سلامة من الافات فيكون قولا مصدر مؤكد لمضمون الجملة كما سبق وقيل تقديره سلام عليهم فيكون حكاية لما سيقال لهم من جهته تعالى يومئذ وقيل خبره الفعل المقدر ناصبا لقولا وقيل خبره من رب رحيم وقرئ سلاما بالنصب على الحالية اى لهم مرادهم سالما خالصا وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وامتازوا اليوم عطف اما على الجملة السابقة المسوقة لبيان احوال اهل الجنة لكن لا على ان المقصود عطف فعل الامر بخصوصه حتى يتمحل له مشاكل يصح عطفه عليه بل على انه عطف قصة سوء حال هؤلاء وكيفية عقابهم على قصة حسن حال اولئك ووصف ثوابهم كما في قوله تعالى وبشر الذين امنوا الاية وكان تغيير السبك لتخييل كمال التباين بين الفريقين

خاليهما واما على معنى ينساق اليه حكاية اهل الجنة كانه قيل اثر بيان كونهم في شغل عظيم الشان وفوزهم بنعيم
مقيم يقصر عنه البيان فليقروا بذلك عينا وامتازوا عنهم ايها المجرمون الى مصيركم وعن قتادة اعتزلوا
عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى واما ما قيل من ان المعنى فليمتاز
فيعزل عن السداد لما ان المحكي عنهم ليس مصيرهم الى ما ذكر من الحال المرضية حتى يستوي ترتيب الامر
المذكور عليه بل انما هو استقرارهم عليها بالفعل وكون ذلك بطريق التنزيل المترقب منزلة الواقع
لا يجدي نفعا لان مناط الاضمار انسياق الافهام اليه وانصباب نظم الكلام عليه فبعد ما
نزلت تلك الحال منزلة الواقع بالفعل لما اقتضاه المقام من النكتة البالغة البارعة والحكمة
الرايعة حسبما مر بيانه ولعقد كونها مترقبة عن درجة الافهام اعتبارا بالكلية يكون التصدي
لاضمار شيء يتعلق به اخراجا للنظم الكريم عن الجزالة بالمرة الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا
الشيطان من جملة ما يقال لهم بطريق التقريع والالزام والتبكيت بين الامر بالامتياز وبين الامر
بالاصلاء وبين الامر بدخول جهنم بقوله تعالى اصلوها اليوم والعهد الوصية والتقدم بامر فيه
خير ومنفعة والمراد بها هنا ما كلفهم الله تعالى على السنة الرسل عليهم السلام من الاوامر والنواهي
التي من جملتها قوله تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة الاية وقوله تعالى
لا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين وغيرهما من الايات الكريمة الواردة في هذا المعنى
وقيل هو الميثاق الماخوذ عليهم حين اخرجوا من ظهر ادم واشهدوا على انفسهم وقيل هو ما نصب لهم من
الحجج العقلية والسمعية الامرة بعبادته تعالى الزاجرة عن عبادة غيره والمراد بعبادة الشيطان
طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه عبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير عنها ولوقوعها
في مقابلة عبادته عز وجل وقرئ اعهد بكسر الهمزة فاعهد بكسر الهاء واحهد بالحاء مكان العين
واحد بالادغام وهي لغة بني تميم انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وهو تعليل لوجوب
الانتهاء عن المنهي عنه وقيل تعليل للنهي وان اعبدوني عطف على ان لا تعبدوا وان فيهما مفسرة
للعهد الذي فيه معنى القول بالنهي والامر او مصدرية حذف عنها الجار اي الم اعهد اليكم في ترك
عبادة الشيطان وفي عبادتي وفي تقديم النهي على الامر ما لا يخفى من تقديم التخلية على التحلية كما في
كلمة التوحيد وليتصل به قوله تعالى هذا صراط مستقيم فانه اشارة الى عبادته تعالى التي هي عبارة عن
التوحيد والاسلام وهو المشار اليه بقوله تعالى هذا صراط مستقيم والمقصود بقوله تعالى لاقعدن
لهم صراطك المستقيم والتنكير للتفخيم واللام في قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا كثيرا
جواب قسم محذوف والجملة استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتاكيد التقريع ببيان ان جناياتهم ليست
بنقض العهد فقط بل به وبعدم الاتعاظ بما شاهدوا من العقوبات النازلة على الامم الخالية بسبب
طاعتهم للشيطان والخطاب لمتاخريهم الذين من جملتهم كفار قريش مكة خصوا بزيادة التوبيخ والتقريع
لتضاعف جناياتهم والجبل بكسر الجيم والباء وتشديد اللام الخلق وقرئ بضمتين وتشديد وقرئ
بضمتين وتخفيف وبضمة وسكون والكل لغات وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق في جمع فطرة وخلقة
وقرئ جيلا بالياء وهو الصنف من الناس اي وبالله لقد اضل منكم خلقا كثيرا او صنفا كثيرا عن ذلك
الصراط المستقيم الذي امرتكم بالثبات عليه فاصابهم لاجل ذلك ما اصابهم من العقوبات الهائلة التي
ملأ الافاق اخبارها وبقي مدى الدهر اثارها والفاء في قوله تعالى افلم تكونوا تعقلون للعطف على مقدر
يقتضيه المقام اي اكنتم تشاهدون اثار عقوباتهم افلم تكونوا تعقلون انها لضلالهم او فلم تكونوا
تعقلون شيئا اصلا حتى ترتدعوا عما كانوا عليه كيلا يحيق بكم العقاب وقوله تعالى هذه جهنم التي
كنتم توعدون استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والالزام والتبكيت عند اشرافهم
على شفير جهنم اي كنتم توعدونها على السنة الرسل عليهم السلام بمقابلة عبادة الشيطان بمثل قوله
تعالى لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم
جزاؤكم جزاء موفورا وقوله تعالى قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لاملأن جهنم
منكم اجمعين وغير ذلك مما لا يحصى وقوله تعالى اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون امر تنكيل واهانة
كقوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم اي ادخلوها من فوق وقاسوا فنون عذابها اليوم بكفركم
المستمر في الدنيا وقوله تعالى اليوم نختم على افواههم اي نمنعها عن الكلام الملتفت الى الغيبة
للايذان بان ذكر احوالهم القبيحة استدعى ان يعرض عنهم ويحكي احوالهم الفظيعة لغيرهم مع ما
فيه من ايماء الى ان ذلك من مقتضيات الختم لان الخطاب لتلقي الجواب وقد انقطع بالكلية وقرئ
يختم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون يروى انهم يجحدون ويخاصمون فتشهد

عليهم

عليهم جيرانهم واهاليهم وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم و
ارجلهم وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز علي الا شاهدا من نفسي فيختم على فيه ويقال لاركانه
انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل وقيل تكليم
الاركان وشهادتها ظهور اثار المعاصي عليها ودلالتها على افعالها وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد
ارجلهم بلام كي على معنى وكذلك نختم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام الامر والجزم
ولو نشاء لطمسنا على اعينهم اي لمسحناها حتى تصير ممسوحة ومفعول
المشيئة محذوف على القاعدة المستمرة التي هي وقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء اي ولو نشاء
ان نطمس على اعينهم لطمسناها وايثار صيغة الاستقبال وان كان المعنى على المضي لافادة ان عدم
الطمس على اعينهم لاستمرار عدم المشية فان المضارع المنفي الواقع موقع الماضي ليس بنص في افادة
انتفاء استمرار الفعل بل قد يفيد استمرار انتفائه ايضا بحسب المقام كما في قوله تعالى ولو يعجل الله للناس
الشر استعجالهم بالخير فاستبقوا الصراط اي فارادوا ان يسبقوا الى الطريق الذي اعتادوا سلوكه
على ان انتصابه بنزع الجار او بتضمين الاستباق معنى الابتدار او بالظرفية فانى يبصرون الطريق
وجهة السلوك ولو نشاء لمسخناهم بتغيير صورهم وابطال قواهم على مكانتهم اي مكانهم اذ المكانة
اخص كالمقامة والمقام وقرئ على مكاناتهم اي لمسخناهم مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوا باقبال
ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع وذلك قوله تعالى فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون اي ولا رجوعا فوضع موضعه
الفعل لمراعاة الفاصلة عن ابن عباس رضي الله عنهما قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على
ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بكسر الميم وفتحها وليس مناط الشرطيتين مجرد بيان قدرته تعالى
على ما ذكر من عقوبة الطمس والمسخ بل بيان ان المانع من ذلك ليس الا عدم المشيئة الاولى وانه تعالى قادر على
عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لكنا لم نشأها
جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين الى امهالهم ومن نعمره اي نطيل عمره ننكسه في الخلق اي نقلبه
فيه ونخلقه على عكس ما خلقناه اولا فلا يزال يتزايد ضعفه ويتناقص قوته وتنتقص بنيته ويتغير
شكله وصورته حتى يعود الى حالة شبيهة بحال الصبي في ضعف الجسد وقلة العقل والخلو عن الفهم
والادراك وقرئ ننكسه من الثلاثي وننكسه من الانكاس افلا يعقلون اي ايرون ذلك فلا يعقلون
ان من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ وان عدم ايقاعهما لعدم مشيته تعالى لهما
وقرئ تعقلون بالتاء لجري الخطاب قبله وما علمناه الشعر رد وابطال لما كانوا يقولونه في حقه عليه السلام من
انه شاعر وما يقوله شعر اي ما علمناه الشعر بتعليم القران على معنى ان القران ليس بشعر فان الشعر
كلام متكلف موضوع ومقال مزخرف مصنوع منسوج على منوال الوزن والقافية مبني على خيالات
واوهام واهية فاين ذلك من التنزيل الجليل الخطر المنزه عن مماثلة كلام البشر المشحون بفنون الحكم
والاحكام الباهرة الموصلة الى سعادة الدنيا والاخرة ومن اين اشتبه عليهم الشئون واختلط بهم
الظنون قاتلهم الله انى يؤفكون وما ينبغي له وما يصح له الشعر ولا يتأتى له لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد
قرض الشعر لا يتأتى له كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط لتكون الحجة اثبت والشبهة ادحض وما قوله عليه السلام انا النبي
لا كذب * انا ابن عبد المطلب * وقوله عليه السلام هل انت الا اصبع دميت * وفي سبيل الله ما لقيت * فمن قبيل الاتفاقات
الواردة من غير قصد اليها وعزم على ترتيبها وقيل الضمير في له للقران وما ينبغي للقران ان يكون شعرا
ان هو اي ما القران الا ذكر اي عظة من الله عز وجل وارشاد للثقلين كما قال تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقران
مبين اي كتاب سماوي بين كونه كذلك اي فارق بين الحق والباطل يقرأ في المحاريب
ويتلى في المعابد وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه وبين ما قالوا لينذر اي القران او
الرسول عليه السلام ويؤيده القراءة بالتاء وقرئ لينذر من نذر به اي علمه ولينذر مبنيا للمفعول من الانذار من كان
حيا اي عاقلا متاملا فان الغافل بمنزلة الميت او مؤمنا في علم الله تعالى فان الحياة الابدية بالايمان
وتخصيص الانذار به لانه المنتفع به ويحق القول اي تجب كلمة العذاب على الكافرين المصرين على الكفر
وفي ايرادهم بمقابلة من كان حيا اشعار بانهم لخلوهم عن اثار الحياة واحكامها التي هي المعرفة اموات في الحقيقة
اولم يروا انا الهمزة للانكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة مستتبعة للمعطوف
اي الم يتفكروا او الم يلاحظوا ولم يعلموا علما يقينا متاخما للمعاينة انا خلقنا لهم اي لاجلهم
وانتفاعهم مما عملت ايدينا اي مما توليناه احداثه بالذات وذكر الايدي واسناد العمل اليها استعارة
في الاختصاص والتفرد بالاحداث والاعتناء به انعاما مفعول خلقنا وتأخيره عن الجارين المتعلقين

به مع انحقاقه التقدم عليهما للامر بما اذا مر انه عتناء بالمقدم والتشويق الى المؤخر فان ما حقه التقديم
اذا اخر تبقى النفس مترقبة له فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن لا سيما عند كون المقدم منبئا عن
كون المؤخر امرا نافعا خطيرا كما في النظم الكريم فان الجار الاول المعرب عن كون المؤخر من منافعهم
والثاني المفصح عن كونه من الامور الخطيرة يزيد ان النفس شوقا اليه ورغبة فيه ولان التاخير
في تاخيره جمعا بينه وبين احكامه المتفرعة عليه بقوله تعالى فهم لها مالكون اى الايات اى فمكناها
اياهم وايثار الجملة الاسمية على ذلك للدلالة على استقرار مالكيتهم لها واستمرارها واللام متعلقة
بمالكون لتقوية لعمله اى فهم مالكون لها بتمليكنا اياها لهم متصرفون فيها بالاستقلال مختصون
بالانتفاع بها لا يزاحمهم في ذلك غيرهم او قادرون على ضبطها متمكنون من التصرف فيها باقدارنا
وتمكيننا وتسخيرنا اياها لهم • كما في قول من قال • اصبحت لا احمل السلاح ولا • املك راس البعير ان نفرا •
والاول هو الاظهر ليكون قوله وذللناها لهم تاسيسا النعمة على حيالها لا تتمة لما قبلها اى صيرناها منقادة
لهم بحيث لا تستعصى عليهم في شيء مما يريدون بها حتى الذبح حسبما ينطق به قوله تعالى فمنها ركوبهم
الى اخره فان الفاء فيه لتفريع احكام التذليل عليه وتفصيلها اى فبعض منها ركوبهم او مركوبهم اى
معظم منافعها الركوب وعدم التعرض للحمل لكونه من تتمات الركوب وقرئ ركوبتهم وهى بمعناه كالحلوب
والحلوبة وقيل الركوبة اسم جمع وقرئ ركوبهم اى ذو ركوبهم ومنها يأكلون اى وبعض منها يأكلون لحمه
ولهم فيها اى في الانعام بجملة تسميتها منافع اخر غير الركوب والاكل كالجلود والاصواف والاوبار وغيرها
وكالحراثة بالثيران ومشارب من اللبن جمع مشرب فهذا مجمل على ما فصل في سورة النحل افلا يشكرون
اى ايشاهدون هذه النعم او ايتمتعون بها فلا يشكرون المنعم بها واتخذوا من دون الله اى متجاوزين الله
الذى شاهدوا وتفرده بتلك القدرة الباهرة وتفضيله عليهم بهاتيك النعم المتظاهرة الهة من الاصنام
واشركوها به تعالى في العبادة لعلهم ينصرون رجاء ان ينصروا من جهتهم فيما حزبهم من الامور وينفعوا
لهم في الاخرة وقوله تعالى لا يستطيعون الى اخره استئناف سيق لبيان بطلان رايهم وخيبة رجائهم
وانعكاس تدبيرهم اى لا تقدر الهتهم على نصرهم وهم اى المشركون لهم اى لالهتهم جند محضرون يشيعونهم
عند مساقتهم الى النار وقيل معدون في الدنيا لحفظهم وخدمتهم والذب عنهم ولا يساعده مساق
النظم الكريم فان الفاء في قوله تعالى فلا يحزنك قولهم لترتيب النهى على ما قبله فلا بد ان يكون عبارة
عن خسرانهم وحرمانهم عما علقوا به اطماعهم الفارغة وانعكاس الامر عليهم بترتيب الشيء على ما
رتبوه لرجاء الخير فان ذلك مما يهون الخطب ويورث السلوة واما كونهم معدين لحفظهم وخدمتهم
فبمعزل من ذلك والنهى وان كان بحسب الظاهر متوجها الى قولهم لكنه في الحقيقة متوجه الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونهى له عن التاثر منه بطريق الكناية على ابلغ وجه واكده فان النهى عن اسباب الشيء ومباديه
المؤدية اليه نهى عنه بالطريق البرهاني وابطال للسببية وقد يوجه النهى الى المسبب كما في قوله • لا ارينك
ههنا يريد به نهى مخاطبه عن الحضور لديه والمراد بقولهم ما ينبئ عنه ما ذكر من اتخاذهم الاصنام
الهة فان ذلك مما لا يخلو عن التفوه بقولهم هؤلاء الهتنا وانهم شركاء الله سبحانه في المعبودية
وغير ذلك مما يورث الحزن وقرئ يحزنك بضم الياء وكسر الزاى من احزن المنقول من حزن
اللازم وقوله تعالى انا نعلم ما يسرون وما يعلنون تعليل صريح للنهى بطريق الاستئناف بعد
تعليله بطريق الاستعارة فان العلم بما ذكر مستلزم للمجازاة قطعا اى انا نجازيهم بجميع جناياتهم
الخافية والبادية التى لا يعزب عن علمنا شيء منها وفيه فضل تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم السر
على العلن اما للمبالغة في بيان شمول علمه تعالى لجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه اقدم
منه بما يعلنونه مع استوائهما في الحقيقة فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء
في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى وفي هذا المعنى لا يختلف الحال بين الاشياء البارزة والكامنة واما لان مرتبة
السر متقدمة على مرتبة العلن اذ ما من شيء يعلن الا وهو او مباديه مضمر في القلب قبل ذلك فتعلق علمه
تعالى بحالته الاولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية حقيقة اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة كلام
مستانف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا في انفسهم اوضح دلائله واعدل شواهده
كما ان ما سبق من اشراكهم بالله تعالى بعد ما عاينوا فيما بايديهم ما يوجب التوحيد والاسلام مر واما ما قيل
من انه تسلية ثانية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهوين ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر فكلا والهمزة للانكار
والتعجب والواو للعطف على جملة مقدرة وهى مستتبعة للمعطوف كما مر في الجملة الانكارية
السابقة اى الم يتفكر الانسان ولم يعلم علما يقينيا انا خلقناه من نطفة الى اخره او هى عين الجملة السابقة
اعيدت تاكيدا للنكير السابق وتمهيدا لانكار ما هو احق منه بالانكار والتعجب ان المنكر هنالك

عدم

عدم علمهم بما يتعلق بخلق اسباب معايشهم وههنا عدم علمهم بما يتعلق بخلق انفسهم ولا ريب
في علم الانسان باحوال نفسه اتم واحاطته بها اسهل واكمل فان الانكار والتعجب من الاول لا بل
الثاني ادخل كانه قيل الم يعلموا خلقه تعالى لاسباب معايشهم ولم يعلموا خلقه تعالى لانفسهم ايضا مع كون
العلم بذلك في غاية الظهور ونهاية الاهمية على معنى ان المنكر الاول بعيد قبيح والثاني ابعد واقبح
ويجوز ان يكون الواو لعطف الجملة الانكارية الثانية على الاولى على انها متقدمة في الاعتبار
وان تقدم الهمزة عليها لاقتضائها الصدارة في الكلام كما هو راى الجمهور وايراد الانسان
مورد الضمير لان مدار الانكار متعلق باحواله من حيث هو انسان كما في قوله تعالى فاذا هو خصيم
مبين اى شديد الخصومة والجدال بالباطل عطف على الجملة المنفية وداخل في حيز الانكار والتعجب
كانه قيل اولم يعلم انا خلقناه من اخس الاشياء او مهينها ففاجأ خصومتنا في امر يشهد بصحته
وتحقيقه مبدأ فطرته شهادة مبينة وايراد الجملة الاسمية للدلالة على استقراره في الخصومة
واستمراره عليها روى ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل والعاص بن وائل
والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي بن خلف الا ترون الى ما يقول محمد ان الله يبعث
الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده
ويقول • بعد ما رم قال عم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم فنزلت وقيل معنى قوله تعالى فاذا هو خصيم
مبين فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه
فصيح فهو حينئذ معطوف على خلقناه غير داخل تحت الانكار والتعجب بل هو من متممات شواهد
البعث وضرب لنا مثلا معطوف حينئذ على الجملة المنفية داخلة في حيز الانكار والتقبيح واما على
التقدير الاول فهو عطف على الجملة الفجائية والمعنى ففاجأ خصومتنا وضرب لنا مثلا اى اورد
في شاننا قصة عجيبة في نفس الامر هى في الغرابة والبعد عن العقول كالمثل وهى انكار احيائنا العظام
او قصة عجيبة في زعمه واستبعدها وعدها من قبيل المثل وانكرها اشد الانكار وهى احياؤنا
اياها او جعل لنا مثلا ونظيرا من الخلق وقاس قدرتنا على قدرتهم ونفى الكل على العموم وقوله تعالى
ونسى خلقه اى خلقنا اياه على الوجه المذكور الدال على بطلان ما ضرب به اما عطف على ضرب
داخل في حيز الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه وقوله تعالى قال
استئناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية ضربه المثل كانه قيل اى مثل ضرب او ماذا قال
فقيل قال من يحيى العظام منكرا له اشد النكير مؤكدا له بقوله وهى رميم اى بالية اشد البلى
بعيدة من الحياة غاية البعد فالمثل على الاول هو انكار احيائه تعالى العظام فانه امر عظيم في
نفس الامر حقيق بغرابته وبعده من العقول بان يعد مثلا ضربته جزم العقول ببطلان
الانكار ووقوع المنكر لكونه كالانشاء بل هو اهون منه في قياس العقل وعلى الثاني هو احياؤه تعالى
فانه امر عظيم في زعمه قد استبعده وعده من قبيل المثل وانكره اشد الانكار مع انه في نفس الامر
اقرب شيء من الوقوع لما سبق من كونه مثل الانشاء او هو اهون منه واما على الثالث فلا فرق بين ان
يكون المثل هو الانكار او المنكر وعدم تانيث الرميم مع وقوعه خبرا للمؤنث لانه اسم لما بلي من
العظام غير صفة كالرفات وقد تمسك بظاهر الاية الكريمة من اثبت للعظم حياة بنى عليه الحكم بنجا
سة عظم الميتة واما اصحابنا فلا يقولون بحياته كالشعر ويقولون المراد باحياء العظام ردها الى
ما كانت عليه من الغضاضة والرطوبة في بدن حي حساس قل تبكيتا له بتذكير ما نسيه من فطرته الدالة
على حقيقة الحال وارشاده الى طريقة الاستشهاد بها يحييها الذى انشاها اول مرة فان قدرته كما
كما هى لاستحالة التغير فيها والمادة لحفظها على حالها وهو بكل خلق عليم مبالغ في العلم بتفاصيل كيفيات
الخلق والايجاد انشاء واعادة محيط بجميع الاجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الاشخاص اصولها
وفروعها ومواقعها وطرق ضم بعضها الى بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلا من ذلك
على النمط السابق مع القوى التى كانت قبل والجملة اما اعتراض تذييلي مقرر لمضمون الجواب او معطوفة
على الصلة والعدول الى الجملة الاسمية للتنبيه على ان علمه تعالى بما ذكر امر مستمر ليس كانشائه
للمنشآت وقوله تعالى الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا بدل من الموصول الاول وعدم الاكتفاء
بعطف صلته للتاكيد ولتفاوتهما في كيفية الدلالة اى خلق لاجلكم ومنفعتكم منه نارا على ان الجعل
ابداعي والجاران متعلقان به قدما على مفعوله الصريح مع تاخرهما عنه رتبة لما مر من الاعتناء بالمقدم
والتشويق الى المؤخر ووصف الشجر بالاخضر نظرا الى اللفظ وقد قرئ الخضراء نظرا الى المعنى وهو
المرخ والعفار وهى اثنى فيتقدح النار باذن الله تعالى فاذا انتم منه توقدون تحقيق على احداث

النار من الحدث الاخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها بكيفيته كان اقدر على اعادة الغضاضة الى
ما كان غضا فطرا عليه اليبوسة والبلى وقوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض الى اخره
استيناف مسوق من جهته تعالى لتحقيق مضمون الجواب الذي امر به صلى الله عليه وسلم بان يخاطبهم بذلك ويلزمهم الحجة
والهمزة للانكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي اليس الذي انشاها اول
مرة وليس الذي جعل لهم من الشجر الاخضر نارا اوليس الذي خلق السموات والارض مع كبر جرمهما وعظم
شانهما بقادر على ان يخلق مثلهم في الصغر والحقارة بالنسبة اليهما فان بديهة العقل قاضية على ان من
قدر على خلقهما فهو على خلق الاناسي اقدر كما قال تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ
يقدر وقوله تعالى بلى جواب من جهة الله تعالى وتصريح بما افاده الاستفهام الانكاري من تقرير ما بعد
النفي وايذان بتعين الجواب نطقوا به او تلعثموا فيه مخافة الالزام وقوله تعالى وهو الخلاق العليم
عطف على ما يفيده الايجاب اي بلى هو قادر على ذلك وهو المبالغ في الخلق والعلم كيفا وكما انما امره اي
شانه اذا اراد شيئا من الاشياء ان يقول له كن اي ان تعلق به فيكون فيحدث من غير توقف على شيء اخر
اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى فيما اراده بامر الامر المطاع للمامور المطيع في سرعة حصول
المامور به من غير توقف على شيء ما وقرئ فيكون بالنصب عطفا على يقول فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء تنزيه له عز وعلا عما وصفوه به تعالى وتعجيب لتنزهه تنزيها كلا يحاب كما انه وصفه تعالى
بالمالكية الكلية المطلقة للاشياء وبانها مقتضية لذلك اي اقتضاء والملكوت مبالغة في الملك
كالرحموت والرهبوت وقرئ ملكة كل شيء ومملكته كل شيء وملك كل شيء واليه ترجعون لا الى غيره
وقرئ ترجعون بفتح التاء من الرجوع وفيه من الوعد والوعيد ما لا يخفى عن ابن عباس رضي الله عنهما
كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه بهذه الاية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وان قلب القران يس من قراها يريد بها وجه الله تعالى غفر الله له واعطي من الاجر
كانما قرا القران اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس
نزل بكل حرف فيها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا يصلون ويستغفرون له ويشهدون غسله
ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم
يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها وهو على فراشه
فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى
يدخل الجنة وهو ريان وقال صلى الله عليه وسلم ان في القران سورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم والصافات اقسام من الله عز وجل بطوايف الملائكة على ان المراد ايقاع
نفس الفعل من غير قصد الى المفعول والصافات انفسها اي الناظمات لها في سلك الصفوف بقيامها
في مقاماتها المعلومة حسبما ينطق به قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم وعلى صد بن مغيبين مدار
قوله تعالى وانا لنحن الصافون وقيل الصافات اقدامها في الصلاة وقيل اجنحتها في الهوا فالزاجرات زجرا
اي الفاعلات للزجر والزاجرات لما ينطبها زجره من الاجرام العلوية والسفلية وغيرها على وجه
يليق بالمزجور ومن جملة ذلك زجر العباد عن المعاصي وزجر الشياطين عن الوسوسة والاغواء وعن
استراق السمع كما سيأتي وصفا وزجرا مصدران مؤكدان لما قبلهما ومفعولا بهما وزجرا بليغا
واما ذكرا في قوله تعالى فالتاليات ذكرا فمفعول التاليات او التاليات ذكرا عظيم الشان من ايات الله
تعالى وكتبه المنزلة على الانبياء عليهم السلام وغيرها من التسبيح والتقديس والتحميد وقيل هو ايضا
مصدر مؤكد لما قبله فان التلاوة من باب الذكر ثم ان هذه الصفات ان اجريت على الكل فعطفها
بالفاء للدلالة على ترتيبها في الفضل ما يكون الفضل للصف ثم للتلاوة او على العكس وان اجريت
على طوايف معينة فهو في الدلالة على ترتيبها في الفضل اما يكون الفضل للصف ترتيب الموصوفات
في مراتب الفضل بمعنى ان طوايف الصافات ذوات فضل والزاجرات افضل والتاليات ابهر فضلا او
على العكس وقيل المراد بالمذكورات نفوس العلماء العمال الصافات انفسها في صفوف الجماعات
واقدامها في الصلاة الزاجرات بالمواعظ والنصائح التاليات ايات الله تعالى الدارسات شرايعه
واحكامه وقيل طوايف الغزاة الصافات انفسهم في مواطن الحروب كانهم بنيان مرصوص وطوايف
قوادم الصافات لهم فيها والزاجرات الخيل للجهات سوقا والعدو في المعارك طردا التاليات ايات

الله تعالى وذكره وتسبيحه في تضاعيف ذلك والكلام في العطف وفي دلالته على ترتيب الصافات في الفضل وترتيب
موصوفها فانه فيه كالذي سلف واما الدلالة على الترتيب في الوجود كما في قوله * يا لهف زيابة للحارث *
الصابح فالغانم فالايب * فغير ظاهر في شيء من الطوايف المذكورة فانه لو سلم تقدم الصف على الزجر
في الملائكة والغزاة فتاخر التلاوة عن الزجر غير ظاهر وقيل الصافات الطير من قوله تعالى والطير
صافات والزاجرات كل ما يزجر عن المعاصي والتاليات كل من يتلو كتاب الله وقيل الزاجرات القوارع
القرانية وقرئ بادغام التاء في الصاد والزاي والذال ان الهكم لواحد جواب للقسم والجملة تحقيق للحق
الذي هو التوحيد بما هو المالوف في كلامهم من التاكيد بالقسم وتمهيد لما يعقبه من البرهان الناطق به
اعني قوله تعالى رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق فان وجودها وانتظامها على هذا
النمط البديع من اوضح دلائل وجود الصانع وعلمه وقدرته واعدل شواهد وحدته كما في قوله
تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ورب خبر ثان لان او خبر لمبتدا محذوف اي مالك السموات
والارض وما بينهما من الموجودات ومربيها ومبلغها الى كمالاتها والمراد بالمشارق مشارق الشمس
واعادة الرب فيها لغاية ظهور اثار الربوبية فيها وتجددها كل يوم فانها ثلاثمائة وستون مشرقا لكل
يوم من مشرق منها وبحسبها تختلف المغارب وتغرب كل يوم في مغرب واما قوله تعالى رب المشرقين
ورب المغربين فهما مشرقا الصيف والشتاء ومغرباهما انا زينا السماء الدنيا اي القربى منكم بزينة عجيبة
الكواكب بالجر على انه بدل من زينة على ان المراد بها الاسم اي ما يزان به لا المصدر فان الكواكب في انفسها واوضاع
بعضها من بعض زينة واي زينة وقرئ بالاضافة على انها بيانية لما ان الزينة مبهمة صادقة على كل ما
يزان به فتقع الكواكب بيانا لها ويجوز ان يراد بزينة الكواكب ما زينت هي به وهو ضوءها وروي عن
ابن عباس رضي الله عنهما بزينة الكواكب والمراد هو التشابين في راي العين فان جميع الكواكب من
الثوابت والسيارات تبدو للناظرين كانها جواهر متلالية في سطح سماء الدنيا بصور بديعة واشكال
فائقة ولا يقدح في ذلك ارتكاب الثوابت في الفلك الثامن وما عدا القمر في الستة المتوسطة اذ تبت
ذلك وحفظا منصوب اما بعطفه على زينة باعتبار المعنى فانه قيل انا خلقنا الكواكب زينة للسماء
وحفظا من كل شيطان مارد وزينا بالكواكب كقوله تعالى انا زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها
رجوما للشياطين وقوله تعالى لا يسمعون الى الملا الاعلى كلام مبتدا مسوق لبيان حالهم بعد بيان
حال حفظ السماء عنهم مع التنبيه على كيفية الحفظ وما يعتريهم في اثناء ذلك من العذاب ولا سبيل الى جعله
صفة لكل شيطان ولا جوابا عن سؤال مقدر لعدم استقامة المعنى ولا علة للحفظ على ان يكون الاصل لئلا
يسمعوا فحذفت اللام كما حذفت في قوله * جئتك ان تكرمني * فبقي ان لا يسمعوا ثم حذفت ان واهدر
عملها كما في قول من قال * الا ايها الزاجري احضر الوغى * لما ان كل من ذينك الحذفين غير منكر بانفراده
فاما اجتماعهما فمن المنكرات التي يجب تنزيه ساحة التنزيل الجليل عنها واصل لا يسمعون
يتسمعون والملا الاعلى الملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما الكتبة وعنه رضي الله عنه اشراف الملائكة عليهم السلام
اي لا يتطلبون السماع ولا يصغون اليهم وقرئ يسمعون بالتخفيف ويقذفون ويرمون من كل جانب من
جميع جوانب السماء اذا قصدوا الصعود اليها دحورا علة للقذف اي للدحور وهو الطرد او حال بمعنى
مدحورين او مصدر مؤكد لهما لانهما من واد واحد وقرئ دحورا بفتح الدال على انه مصدر كالقبول او صفة
في الطرد ويجوز ان يكون مصدرا كالقبول ولهم عذاب واصب اي عذاب اخر لهم في الاخرة غير ما في
الدنيا من عذاب الرجم بالشهب عذاب شديد دائم غير منقطع كقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير الا من
خطف الخطفة استثناء من واو يسمعون ومن بدل منه والخطف الاختلاس والمراد اختلاس كلام الملائكة
مسارقة كما يعرب عنه تعريف الخطفة وقرئ بكسر الخاء والطاء مشددة وبفتح الخاء وكسر الطاء وتشديدها
واصلها اختطف فاتبعه شهاب ثاقب فاتبعه ولحقه وقرئ فاتبعه والشهاب ما يرى منقضا من السماء ثاقب
مضيء في الغاية كانه يثقب الجو بضوئه ويدحرهم الشياطين اذا صعدوا لاستراق السمع فيقتلهم او يحرقهم
او لا يعودون ويحتمل انهم لا يعلمون حين يطمعون في السلامة وقيل الموج فاستفتهم فاستخبرهم
مشركي مكة اهم اشد خلقا اي اقوى خلقة او امتن بنية او اصعب خلقا واشق ايجادا ام من خلقنا من الملائكة
والسماء والارض وما بينهما والمشارق والكواكب والشهب الثواقب ومن لتغليب العقلاء
على غيرهم ويدل عليه اطلاقه ومجيئه بعد ذلك وقوله تعالى انا خلقناهم
من طين لازب فانه الفارق بينهم وبينها لا بينهم وبين من قبلهم من الامم كعاد وثمود ولان المراد
اثبات المعاد ورد استحالتهم والامر فيه بالاضافة اليهم والى من قبلهم سواء وقرئ لاتب
بل عجبت اي من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وانكارهم البعث ويسخرون من تعجبك
وتقريرك للبعث وقرئ بضم التاء على معنى انه بلغ كمال قدرتي وكثرة خلائقي الى حيث عجبت منها وهؤلاء

عليهم يسخرون منهم او عجبت من ان ينكروا البعث ممن هذه افاعيله ويسخروا ممن يجوزه والعجب من الله تعالى
اما على الفرض والتخييل او على معنى الاستعظام للشيء وقيل انه مقدر بالقول اى قل يا محمد بل عجبت
واذا ذكروا اى وعظوا بهم المستهزئين انهم اذا وعظوا بشيء من المواعظ لا يذكرون لا يتعظون واذا ذكر لهم ما يدل
على صحة البعث لا ينتفعون به لغاية بلادتهم وقصور فكرهم واذا راوا اية اى معجزة تدل على صدق القايل
به يستسخرون يبالغون في السخرية ويقولون انه سحر او يستدعى بعضهم من بعض ان يسخر منها وقالوا ان هذا
اى ما يرونه من الاية الباهرة الا سحر مبين ظاهر سحريته ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما اى كان بعض اجزائنا
ترابا وبعضها عظاما وتقديم التراب لانه منقلب من الاجزاء البادية والعامل فى اذا ما دل عليه مبعوثون
فى قوله تعالى ائنا لمبعوثون اى انبعث لا بنفسه لان دونه خطوبا لا يتعدى واحد منها لكفى في المنع وتقديم
الظرف لتقوية الانكار بالبعث بتوجيهه الى حالة منافية غاية المنافاة وكذا تكرير الهمزة في ائنا
للمبالغة والتشديد في ذلك وكذا تحلية الجملة بان واللام لتاكيد الانكار لا لانكار التاكيد كما يوهمه
ظاهر النظم فان تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما في مثل قوله تعالى افلا تعقلون على راى الجمهور فان
المعنى عندهم تعقيب الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور وقرئ بطرح الهمزة الاولى وبطرح الثانية
او اباؤنا الاولون رفع على الابتدا وخبره محذوف عند سيبويه اى واباؤنا الاولون ايضا مبعوثون وقيل
عطف على محل ان واسمها وقيل على الضمير في مبعوثون للفصل بهمزة الانكار الجارية مجرى حرف النفي في
قوله تعالى ما اشركنا ولا اباؤنا يا ما كان في ادم زيادة الاستبعاد بنا وعلى انهم اقدم فبعثهم ابعد
على زعمهم وقرئ او اباؤنا قل نعم تبكيتا لهم نعم والخطاب في قوله تعالى وانتم داخرون لهم ولابائهم بطريق
التغليب والجملة حال من فاعل ما دل عليه نعم اى كلكم مبعوثون والحال انكم صاغرون اذلا وقرئ نعم
بكسر العين وهي لغة فيه فانما هي زجرة واحدة هي ما ضمير مبهم يفسره خبره او ضمير البعثة والجملة جواب
شرط مضمر او تعليل للنهي مقدر اى اذا كان كذلك فانما هي الى اخره ولا تستصعبوه فانما هي الى اخره
فالزجرة الصيحة من زجر الراعي غنمه اذا صاح عليها وهي النفخة الثانية فاذا هم قيام قايمون من مراقدهم احياء
ينظرون يبصرون كما كانوا او ينتظرون ما يفعل بهم وقالوا اى المبعوثون وصيغة الماضي للدلالة على
التحقق يا ويلنا اى هلاكنا احضر فهذا اوان حضورك وقوله تعالى هذا يوم الدين تعليل
لدعائهم الويل بطريق الاستيناف اى اليوم الذى نجازى فيه الاعمال باعمالنا وانما علموا ذلك لانهم كانوا
يسمعون في الدنيا انهم يبعثون ويحاسبون ويجزون باعمالهم فلما شاهدوا البعث ايقنوا بما بعده ايضا وقوله
تعالى هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون كلام الملائكة جوابا لهم بطريق التوبيخ والتقريع وقيل هو ايضا
من كلام بعضهم لبعض والفصل القضاء او الفرق بين فرق الهدى والضلال وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا
خطاب من الله عز وجل للملائكة او من بعضهم لبعض بحشر الظلمة من مقامهم الى الموقف وقيل من الموقف
الى الجحيم وازواجهم اى اشباههم ونظراءهم من العصاة عابد الصنم مع عبدته وعابد الكواكب مع عبدته كقوله
تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتي على دينهم وما كانوا يعبدون
من دون الله من الاصنام ونحوها زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم قيل وهو عام مخصوص بقوله تعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى الاية الكريمة وانت خبير بان الموصول عبارة عن المشركين خاصة جيء به لتعليل الحكم بما
في حيز صلته فلا عموم ولا تخصيص فاهدوهم الى صراط الجحيم اى عرفوهم طريقها ووجهوهم اليها وفيه
تهكم بهم وقفوهم احبسوهم في الموقف كان الملائكة سارعوا الى ما امروا به من حشرهم الى الجحيم فامروا
بذلك وعلل بقوله تعالى انهم مسئولون ايذانا من اول الامر بان ذلك ليس للعفو عنهم ولا ليستريحوا
بتاخير العذاب في الجملة بل ليسالوا لكن لا عن عقايدهم واعمالهم كما قيل فان ذلك قد وقع قبل الامر بهم الى
الجحيم بل عما ينطق به قوله عز وجل ما لكم لا تناصرون بطريق التوبيخ والتقريع والتهكم اى لا ينصر بعضكم
بعضا كما كنتم تزعمون في الدنيا وتاخير هذا السؤال الى ذلك الوقت لانه وقت تنجز العذاب
وشدة الحاجة الى النصرة وحالة انقطاع الرجاء عنها بالكلية فالتوبيخ والتقريع حينئذ اشد وقعا
وتاثيرا وقرئ لا تتناصرون بالادغام بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لظهور عجزهم
او اسلم بعضهم بعضا وخذله عن عجز فكلهم مستسلم غير منتصر وقيل حينئذ بعضهم على بعض الاتباع
والرؤساء او الكفرة والقرناء يتساءلون يسال بعضهم بعضا سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال قالوا
استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من حكاية تساؤلهم كانه قيل كيف تساءلوا فقيل قالوا اى الاتباع للرؤساء
او الجن للغواة انكم كنتم تاتوننا عن اليمين عن اقوى الوجوه وايمنها او عن الدين او عن الخير كانكم
تنفعوننا نفع السايح فتبعناكم وهلكنا مستعار من يمين الانسان الذى هو اشرف الجانبين واقواهما وانفعهما
وكذلك يتيمن بها او تمنعوننا من السايح او عن القوة والقسر تقسروننا على الغى وهو الاوفق للجواب
او عن الحلف حيث كانوا يحلفون انهم على الحق قالوا استيناف كما سبق اى قال الرؤساء او القرناء بل لم تكونوا مؤمنين

اى

اى لم تمنعكم من الايمان بل لم تكونوا مؤمنين باختياركم واعرضتم عنه مع تمكنكم منه وابيتم [illegible] وما كان
لنا عليكم من سلطان من قهر وتسلط نسلبكم به اختياركم بل كنتم قوما طاغين مختارين للطغيان مصرين عليه
فحق علينا اى على ثبت علينا قول ربنا وهو قوله تعالى لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين انا
لذائقون اى العذاب الذى ورد به الوعيد فاغويناكم فدعوناكم الى الغي دعوة غير ملجئة فاستجبتم لنا باختياركم
واستحبابكم الغي على الرشد انا كنا غاوين فلا عتب علينا في تعرضنا لاغوائكم بتلك الدعوة لتكونوا
امثالنا في الغواية فانهم اى الاتباع والمتبوعين يومئذ في العذاب مشتركون حسبما كانوا مشتركين في الغواية
انا كذلك اى مثل ذلك الفعل البديع الذى تقتضيه الحكمة التشريعية نفعل بالمجرمين المتناهين في الاجرام
وهم المشركون كما يعرب عنه التعليل بقوله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم بطريق الدعوة والتلقين لا اله الا
الله يستكبرون عن القبول ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين
رد عليهم وتكذيب لهم ببيان ان ما جاء به من التوحيد هو الحق الذى قام به البرهان واجمع عليه كافة
الرسل عليهم السلام فاين الشعر والجنون من ساحته الرفيعة وحضرته المنيعة [illegible]
[illegible] لذائقوا العذاب الاليم والالتفات لاظهار كمال الغضب عليهم وقرئ
بنصب العذاب على تقدير النون كقوله ولا ذاكر الله الا قليلا وقرئ لذائقون العذاب على الاصل
وما تجزون الا ما كنتم تعملون اى الا جزاء ما كنتم تعملونه من السيئات او الا بما كنتم تعملونه منها الا
عباد الله المخلصين استثناء منقطع [illegible]
[illegible] عباد الله المخلصين [illegible] فانهم يجزون [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] اولئك لهم رزق معلوم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وقيل معلوم الوقت كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها [illegible]
بكرة وعشيا [illegible] فواكه [illegible]
بالذكر لان [illegible]
[illegible]
[illegible] وهم مكرمون [illegible]
[illegible]
[illegible] في جنات النعيم [illegible]
[illegible]
[illegible] على سرر متقابلين [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
قال تعالى وانهار من خمر لذة للشاربين صفتان ايضا لكاس ووصفها بلذة اما للمبالغة كانها
نفس اللذة او لانها تانيث اللذ بمعنى اللذيذ ووزنه فعل قال • ولذة كطعم الصرخدي تركته • بارض
العدى من خيفة الحدثان • بريد بها النوم لا فيها غول اى غائلة كما في خمور الدنيا من غاله اذا افسده
واهلكه ومنه الغول ولا هم عنها ينزفون يسكرون من نزف الشارب فهو نزيف ومنزوف اذا ذهب
عقله ويقال للمطعون نزف فمات اذا خرج دمه كله افرد هذا بالنفي مع اندراجه فيما قبله من نفي الغول
عنها لما انه من معظم مفاسد الخمر كانه جنس براسه والمعنى لا فيها نوع من انواع الفساد من مغص
او صداع او خمار او عربدة او لغو او تاثيم ولا هم يسكرون وقرئ ينزفون بكسر الزاي من انزف الشارب
اذا نفد عقله او شرابه وقرئ يتعرفون بضم الزاي من نزف بمعنى انزف وعندهم قاصرات الطرف
قصرن ابصارهن على ازواجهن لا يمددن طرفا الى غيرهم عين نجل العيون جمع عيناء والنجل سعة العين

كانهن بيض مكنون لشبههن ببيض النعام المصون من الغبار ونحوه في الصفا والبياض المخلوط بادنى صفرة
فان ذلك احسن الوان الابدان فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون معطوف على يطاف اى يشربون فيتحادثون
على الشراب كما هو عادة الشرب قال ° وما بقيت من اللذات الا ° احاديث الكرام على المدام فيقبل بعضهم
على بعض يتساءلون عن الفضائل والمعارف وعما جرى لهم وعليهم في الدنيا والتعبير عنه بصيغة الماضي
للتأكيد والدلالة على تحقق الوقوع حتما قال قائل منهم في تضاعيف محاوراتهم انى كان لى في الدنيا قرين
مصاحب يقول لى على طريقة التوبيخ بما كنت عليه من الايمان والتصديق بالبعث ائنك لمن المصدقين اى بالبعث
وقرئ بتشديد الصاد من التصدق والاول هو الاوفق لقوله تعالى ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون
اى لمبعوثون ومجزيون من الدين بمعنى الجزاء او لمسوسون يقال دانه اى ساسه ومنه الحديث العاقل من دان
نفسه وقيل كان رجل تصدق بماله لوجه الله تعالى فاحتاج فاستجدى بعض اخوانه فقال اين مالك قال
تصدقت به ليعوضنى الله في الآخرة خيرا منه فقال ائنك لمن المصدقين بيوم الدين او من المتصدقين
لطلب الثواب والله لا اعطيك شيئا فيكون التعرض لذكر موتهم وكونهم ترابا وعظاما حينئذ لتأكيد
انكار الجزاء المبنى على انكار البعث قال اى ذلك القائل بعد ما حكى لجلسائه مقالة قرينه في الدنيا هل انتم
مطلعون اى الى اهل النار لاريكم ذلك القرين فتعلموا اين منزلتكم من منزلتهم قيل ان في الجنة كوى ينظر منها
اهلها الى اهل النار فاطلع اى عليهم فرآه اى قرينه في سواء الجحيم اى في وسطها وقرئ فاطلع على لفظ المضارع
المنصوب وقرئ مطلعون فاطلع وفاطلع بالتخفيف على لفظ الماضي والمضارع المنصوب يقال طلع
علينا فلان واطلع بمعنى واحد والمعنى هل انتم مطلعون الى القرين فاطلع انا ايضا او عرض عليهم الاطلاع
فقبلوا ما عرضه فاطلع هو بعد ذلك وان جعل الاطلاع متعديا فالمعنى انه لما شرط في اطلاعه اطلاعهم
عليه كما هو ديدن الجلساء فكأنهم مطلعون وقيل الخطاب على هذا للملائكة وقرئ مطلعون بكسر النون اراد
مطلعون اياى فوضع المتصل موضع المنفصل كقوله ° هم الفاعلون الخير والآمرونه ° وشبه اسم الفاعل
بالمضارع لما بينهما من التآخى قال اى القائل مخاطبا لقرينه تالله ان كدت لتردين اى لتهلكنى بالاغواء
وقرئ لتغوين والتاء فيه معنى التعجب وان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف واللام
فارقة اى تالله ان الشأن كدت لتردين ولولا نعمة ربى بالهداية والعصمة لكنت من المحضرين اى من
الذين احضروا العذاب كما احضرته انت وامثالك وقوله تعالى افما نحن بميتين رجوع الى محاورة
جلسائه بعد اتمام الكلام مع قرينه تبجحا وابتهاجا بما اتاح الله تعالى لهم من الفضل العظيم والنعيم المقيم
والهمزة للتقرير وفيها معنى التعجب والفاء للعطف على مقدر يقتضيه نظم الكلام اى انحن مخلدون
منعمون فما نحن بميتين اى بمن شأنه الموت وقرئ بمائتين الا موتتنا الاولى التى كانت في الدنيا
وهى متناولة لما في القبر بعد الاحياء بالسؤال لا نه تصديقا لقوله تعالى لا يذوقون فيها الموت
الا الموتة الاولى وقيل ان اهل الجنة اول ما دخلوا الجنة لا يعلمون انهم لا يموتون فاذا جئ بالموت
على صورة كبش املح وذبح فنودى يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت يعلمونه
فيقولون ذلك تحدثا بنعمة الله عز وجل واغتباطا بها وما نحن بمعذبين كالكفار فان النجاة من العذاب
ايضا نعمة جليلة مستوجبة للتحدث بها ان هذا اى الامر العظيم الذى نحن فيه لهو الفوز العظيم وقيل
هو من قول الله عز وجل تقريرا لقولهم وتصديقا له وقرئ لهو الرزق العظيم وقيل هو من قول الله
عز وجل وهو ما نذوقه من السعادة العظمى لمثل هذا فليعمل العاملون اى لنيل هذا المرام الجليل
يجب ان يعمل العاملون لا للحظوظ الدنيوية السريعة الانصرام المشوبة بفنون الآلام وهذا ايضا
يحتمل ان يكون من كلام رب العزة اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم اصل النزل الفضل والريع
فاستعير للحاصل من الشئ فانتصابه على التمييز اى اذلك الرزق المعلوم الذى حاصله اللذة والسرور
خير نزلا ام شجرة الزقوم التى حاصلها الالم والغم ويقال النزل لما يقام ويهيأ من الطعام الحاضر
للنازل فانتصابه على الحالية والمعنى ان الرزق المعلوم نزل اهل الجنة واهل النار نزلهم شجرة الزقوم
فايهما خير في كونه نزلا والزقوم اسم شجرة صغيرة الورق ومرة كريهة الرائحة تكون في تهامة سميت
به الشجرة الموصوفة انا جعلناها فتنة للظالمين محنة وعذابا لهم في الآخرة وابتلاء في الدنيا فانهم
لما سمعوا انها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم يعلموا ان من يقدر على خلق حيوان يعيش
في النار ويتلذذ بها اقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الاحراق انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها
اى حملها الذى يخرج منها مستعار من طلع النخلة لمشاركته له في الشكل او الطلوع من شجر قالوا اول
التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم بسر ثم رطب ثم تمر كأنه رؤوس الشياطين في تناهى القبح والهول وهو تشبيه
بالمخيل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك وقيل الشياطين حيات هائلة قبيحة المنظر لها اعراف وقيل

ان

ان شجر يقال له الاستن خشنا منتنا منكر الصورة ويسمى ثمرة الشياطين فانهم لآكلون منها اى من
طلعها والتأنيث مكتسب من المضاف اليه فمالئون منها البطون لغلبة الجوع او للقسر على اكلها وان كان
كريها ليكون ذلك بابا من العذاب ثم ان لهم عليها اى على الشجرة التى ملأوا منها بطونهم بعد ما شبعوا
منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم كما ينبئ عنه كلمة ثم ويجوز ان يكون لما في شرابهم من مزيد الكراهة
والبشاعة لشوبا من حميم لشرابا من غساق او صديد مشوبا بماء حميم يقطع امعاءهم وقرئ بالضم وهو اسم
لما يشاب به والاول مصدر سمى به ثم ان مرجعهم اى مصيرهم وقد قرئ كذلك لالى الجحيم اى الى دركاتها او الى نفسها
فان الزقوم والحميم نزل يقدم اليهم قبل دخولها وقيل الجحيم خارج عنها لقوله تعالى هذه جهنم التى يكذب بها
المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يذهب بهم عن مقارهم ومنازلهم في الجحيم الى شجرة الزقوم فيأكلون
منها الى ان يمتلئوا ويسقون من الحميم ثم يردون الى الجحيم ويؤيده انه قرئ ثم ان منقلبهم انهم الفوا آباءهم
ضالين تعليل لاستحقاقهم ما ذكر من فنون العذاب بتقليد الآباء في الدين من غير ان يكون لهم ولا لآبائهم
شئ يتمسك به اصلا اى وجدوهم ضالين في نفس الامر ليس لهم ما يصلح شبهة فضلا عن صلاحية الدليل فهم
على آثارهم يهرعون من غير ان يتدبروا انهم على الحق اولا مع ظهور كونهم على الباطل بادنى تأمل والاهراع الاسراع
الشديد كأنهم يزعجون ويحثون حثا على الاسراع على آثارهم وقيل هو اسراع فيه شبه رعدة ولقد ضل
قبلهم اى قبل قومك قريش اكثر الاولين من الامم السالفة وهو جواب قسم محذوف وكذا قوله تعالى ولقد
ارسلنا فيهم منذرين اى انبياء اولى عدد كثير وذوى شأن خطير بينوا لهم بطلان ما هم عليه وانذروهم عاقبته
الوخيمة وتكرير القسم لابراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا الى الانذار ولم يرفعوا له رأسا والخطاب اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد
ممن يتمكن من مشاهدة آثارهم وحيث كان المعنى انهم اهلكوا اهلاكا فظيعا استثنى منهم المخلصون بقوله
تعالى الا عباد الله المخلصين اى الذين اخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للايمان والعمل بموجب الانذار
وقرئ المخلصين بكسر اللام اى الذين اخلصوا دينهم لله تعالى ولقد نادانا نوح نوع تفصيل لما اجمل فيما قبل
ببيان احوال بعض المرسلين وحسن عاقبتهم متضمن لسوء عاقبة بعض المنذرين حسبما اشير اليه بقوله تعالى
فانظر كيف كان عاقبة المنذرين كقوم نوح وآل فرعون وقوم لوط وقوم الياس وحسن عاقبة بعضهم الذين
اخلصهم الله تعالى ووفقهم للايمان كما اشير اليه بالاستثناء كقوم يونس عليه السلام
ووجه تقديم قصة نوح على سائر القصص غنى عن البيان واللام جواب قسم محذوف وكذا ما في قوله تعالى
فلنعم المجيبون اى وبالله لقد دعانا نوح حين يئس من ايمان قومه بعد ما دعاهم اليه احقابا ودهورا فلم يزدهم
دعاؤه الا فرارا ونفورا فاجبناه احسن الاجابة فوالله لنعم المجيبون نحن فحذف ما حذف ثقة بدلالة ما ذكر
عليه والجمع دليل العظمة والكبرياء ونجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الغرق وقيل من اذية قومه وجعلنا
ذريته هم الباقين فحسب حيث اهلكنا الكفرة بموجب دعائه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقد روى
انه مات كل من كان معه في السفينة غير بنيه وازواجهم وقال قتادة الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام وكان له ثلاثة اولاد سام وهو ابو العرب
وفارس والروم وحام وهو ابو السودان من المشرق الى المغرب ويافث وهو ابو الترك ويأجوج ومأجوج وتركنا عليه
في الآخرين من الامم سلام على نوح اى هذا الكلام بعينه وهو وارد على الحكاية كقولك قرأت سورة انزلناها
والمعنى يسلمون عليه تسليما ويدعون له على الدوام امة بعد امة وقيل ثمة قول مقدر اى فقلنا سلام
على نوح وقوله تعالى في العالمين متعلق بالجار والمجرور ومعناه
الدعاء بثبوت هذه التحية واستمرارها في العالمين من الملائكة والثقلين جميعا وقوله تعالى انا كذلك
نجزي المحسنين تعليل لما فعل به عليه السلام من التكرمة السنية باجابة دعائه احسن اجابة وابقاء ذريته
وتبقية ذكره الجميل وتسليم العالمين عليه الى آخر الدهر بكونه من زمرة المعروفين بالاحسان الراسخين
فيه وان ذلك من قبيل مجازاة الاحسان بالاحسان وذلك اشارة الى ما اشير اليه من الكرامات السنية التى وقعت
له جزاء عليه السلام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو رتبته وبعد
منزلته في الفضل والشرف والكاف متعلقة بما بعده اى مثل ذلك الجزاء الكامل نجزى الكاملين
في الاحسان لا جزاء ادنى منه انه من عبادنا المؤمنين تعليل لكونه من المحسنين بخلوص عبوديته
وكمال ايمانه وفيه من الدلالة على جلالة قدر الايمان ما لا يخفى ثم اغرقنا الآخرين اى المغايرين لنوح واهله
وهم كفار قومه اجمعين وان من شيعته اى ممن شايعه في اصول الدين لابراهيم وان اختلفت فروع
شرائعهما ويجوز ان يكون بين شريعتيهما زمان طويل وعن ابن عباس رضى الله عنهما من اهل دينه وعلى
سنته او ممن شايعه على التصلب في دين الله ومصابرة المكذبين وكان بينهما نبيان هود وصالح
عليهما السلام وكان بين نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة اذ جاء ربه منصوب بما في
او متعلق بما في الشيعة من معنى المشايعة بقلب سليم من آفات القلوب او من العلائق باى

الشيعة من معنى المشايعة عن التبتل الى الله عز وجل ومعنى المجيء به اخلاصه له كانه جاء به متحفا اياه
وبطريق التمثيل اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاولى او ظرف لجاء او لسليم اي اي شيء تعبدون
ائفكا آلهة دون الله تريدون اي تريدون آلهة من دون الله افكا اي للافك فقدم المفعول على الفعل
للعناية ثم المفعول له على المفعول به لان الاهم مكافحتهم بانهم على افك وباطل في شركهم وذلك ويجوز ان يكون
افكا مفعولا به بمعنى أتريدون افكا ثم يفسر الافك بقوله آلهة من دون الله دلالة على انها افك في
نفسها للمبالغة او يراد بها عبادتها بحذف المضاف ويجوز ان يكون حالا بمعنى آفكين فما ظنكم برب العالمين
اي بمن هو حقيق بالعبادة لكونه ربا للعالمين حتى تركتم عبادته خاصة واشركتم به نفس مخلوقاته او
فما ظنكم به اي شيء هو من الاشياء حتى جعلتم الاصنام له اندادا او فما ظنكم به ماذا يفعل بكم وكيف
يعاقبكم بعد ما فعلتم من الاشراك به فنظر نظرة في النجوم قيل كانت له عليه السلام حمى لها نوبة
معينة في بعض ساعات الليل فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فاذا هي قد حضرت فقال اني سقيم
وكان صادقا في ذلك فجعله عذرا في تخلفه عن عيدهم وقيل اراد اني سقيم القلب لكفركم وقيل نظر
في علمها او في كتبها او في احكامها ولا منع من ذلك حيث كان قصده عليه السلام ايهامهم حين ارادوا ان
يخرجوا به عليه السلام الى معبدهم ليتركوه فان القوم كانوا نجامين فتفرقوا عنه فاوهمهم انه قد
استدل بامارة في علم النجوم على انه سقيم اي مشارف للسقم وهو الطاعون وكان اغلب الاسقام عليهم
وكانوا يخافون العدوى فتفرقوا عنه فهربوا الى ابنية معبدهم وتركوه في بيت الاصنام وذلك قوله
تعالى فتولوا عنه مدبرين اي هاربين مخافة العدوى فراغ الى آلهتهم اي ذهب اليها في خفية واصله الميل
بحيلة فقال اي للاصنام استهزاء الا تأكلون اي من الطعام الذي كانوا يصنعونه لكم عندها
لتبرك عليه ما لكم لا تنطقون اي بجوابي فراغ عليهم مستعليا عليهم وقوله تعالى ضربا باليمين مصدر
مؤكد لراغ عليهم فانه بمعنى ضربهم او لفعل مضمر هو حال من فاعله اي فراغ عليهم يضربهم ضربا او
هو الحال منه على انه مصدر بمعنى الفاعل اي فراغ عليهم ضاربا باليمين اي ضربا شديدا قويا وذلك
لان اليمين اقوى الجارحتين واشدهما وقوة الآلة تقتضي قوة الفعل وشدته وقيل بالقوة والمتانة
كما في قوله اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين اي بالقوة وقيل بسبب الحلف
وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اي الى ابراهيم عليه السلام بعد
ما رجعوا من عيدهم الى بيت الاصنام فوجدوها مكسورة فسألوا عن الفاعل فظنوا انه عليه السلام
فعله فاتوا به يزفون حال من واو اقبلوا اي يسرعون من زفيف النعام وقرئ يزفون من ازف
اذا دخل في الزفيف او من ازفه اي حمله على الزفيف اي يزف بعضهم بعضا ويزفون على البناء
للمفعول اي يحملون على الزفيف ويزفون من وزف يزف اذا اسرع ويزفون من زفاه اذا حداه
كان بعضهم يزفوا بعضا لتسارعهم اليه عليه السلام قال اي بعد ما اتوا به عليه السلام
وجرى بينه وبينهم من المحاورات ما نطق به قوله تعالى قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم الى
قوله تعالى فاسألوهم ان كانوا ينطقون اتعبدون ما تنحتون اي ما تنحتونه من الاصنام وقوله تعالى والله
خلقكم وما تعملون حال من فاعل تعبدون مؤكدة للانكار والتوبيخ اي والحال انه تعالى خلقكم وخلق
ما تعملونه فان جواهر اصنامهم ومادتها بخلقه تعالى وشكلها وان كان بفعلهم لكنه باقداره تعالى
اياهم عليه وخلقه ما يتوقف عليه فعلهم من الدواعي والعدد والاسباب وما تعملون اما
عبارة عن الاصنام فوضعه موضع ضمير ما تنحتون للايذان بان مخلوقيتها لله عز وجل
ليست من حيث نحتهم لها فقط بل من حيث سائر اعمالهم ايضا من التصوير والتحلية والتزيين
ونحوها واما على عمومه فينتظم الاصنام انتظاما اوليا مع ما فيه من تحقيق الحق ببيان ان جميع
ما يعملونه كائنا ما كان مخلوق له سبحانه وقيل ما مصدرية اي عملكم على انه بمعنى المفعول وقيل
بمعناه فان فعلهم اذا كان بخلق الله تعالى كان مفعولهم المتوقف على فعلهم اولى بذلك قالوا ابنوا
له بنيانا فالقوه في الجحيم اي في النار الشديدة الاتقاد من الجحمة وهي شدة التأجج واللام عوض
عن المضاف اليه اي جحيم ذلك البنيان وقد ذكر كيفية بنائهم له في سورة الانبياء فارادوا به
كيدا فانه عليه السلام لما قهرهم بالحجة والقمهم الحجر قصدوا تعذيبه بذلك لئلا يظهر للعامة
عجزهم فجعلناهم الاسفلين الاذلين بابطال كيدهم وجعله برهانا نيرا على علو شأنه عليه
السلام بجعل النار عليه بردا وسلاما وقال اني ذاهب الى ربي اي مهاجر الى حيث امرني ربي
كما قال اني مهاجر الى ربي وهو الشام او حيث اتجرد فيه لعبادته تعالى سيهدين اي الى ما فيه صلاح
ديني او الى مقصدي وبت القول بذلك لسبق الوعد او لفرط توكله او للبناء على عادته تعالى
معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل ولذلك اتى
بصيغة التوقع رب هب لي من الصالحين اي بعض الصالحين يعينني على الدعوة والطاعة ويؤنسني

ان

في

في الذرية يعني الولد لان لفظ الهبة على الاطلاق خاص به وان كان قد ورد مقيدا بالاخوة في قوله تعالى و
فبشرناه بغلام حليم فانه صريح في ان المبشر به غير ما استوهبه عليه السلام ولعله جمع فيه بشارات
ثلاث بشارة انه غلام وانه يبلغ اوان الحلم وانه يكون حليما واي حليم يعادل حلمه عليه السلام حين عرض عليه
ابوه الذبح فقال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقيل ما نعت الله الانبيا
عليهم السلام باقل مما نعتهم بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه فانه تعالى نعتهما به وحالهما المحكية
بعد تشهد بذلك والفاء في فلما بلغ معه السعي فصيحة معربة عن مقدر قد حذف تعويلا على شهادة
الحال وايذانا بعدم الحاجة الى التصريح به لاستحالة التخلف والتأخير بعد البشارة كما في قوله تعالى فلما رآه
مستقرا عنده اي فوهبنا له فنشأ فلما بلغ رتبة ان يسعى معه في اشغاله وحوائجه ومعه متعلق بـ
محذوف ينبئ عنه السعي لا بنفسه لان صلة المصدر لا تتقدمه ولا ببلغ لان بلوغهما لم يكن معا
كانه لما ذكر السعي قيل مع من فقيل معه وتخصيصه لان الاب اكمل في الرفق والاستصلاح فلا يستعجله
قبل اوانه او لانه استوهبه لذلك وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة قال اي ابراهيم عليه السلام
يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك اي ارى هذه الصورة بعينها او ما هذه عبارته وتأويله وقيل
رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في ذلك
من الصباح الى الرواح من الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثمة سمي يوم التروية فلما امسى رأى
مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثم سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي
اليوم يوم النحر وقيل ان الملائكة حين بشرته بغلام حليم قال اذا ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعي
معه قيل له اوف بنذرك والاظهر الاشهر ان المخاطب اسماعيل عليه السلام اذ هو الذي وهب
اثر المهاجرة ولان البشارة باسحاق بعده معطوف على البشارة بهذا الغلام ولقوله عليه السلام انا ابن
الذبيحين فاحدهما جده اسماعيل عليه السلام والآخر ابوه عبد الله فان عبد المطلب نذر ان يذبح
ولدا ان سهل الله له حفر بئر زمزم او بلغ بنوه عشرة فلما حصل ذلك وخرج السهم على عبد الله
فداه بمائة من الابل ولذلك سنت الدية مائة ولان ذلك كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين
بالكعبة حتى احترقا في ايام ابن الزبير ولم يكن اسحاق ثمة ولان بشارة اسحاق كانت مقرونة بولادة
يعقوب منه فلا يناسبه الامر بذبحه مراهقا وما روي انه عليه السلام سئل اي النسب اشرف فقال
يوسف صديق الله بن يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله فالصحيح انه
عليه السلام قال يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم والزوائد من الراوي وما روي من ان يعقوب كتب
الى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقرئ اني بفتح الياء فيهما فانظر ماذا ترى من الرأي وانما شاوره فيه
وهو امر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى فيثبت قدمه ان جزع ويأمن عليه ان سلم
وليوطن نفسه عليه فيهون ويكتسب المثوبة عليه بالانقياد له قبل نزوله وقرئ ماذا تري بضم التاء وكسر
الراء وفتحهما مبنيا للمفعول قال يا ابت افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار والا على القاعدة المطردة
ثم حذف العائد الى الموصول بعد انقلابه منصوبا بايصال الفعل اليه او فافعل امرك على
على اضافة المصدر الى المفعول وتسمية المأمور به امرا وقرئ ما تؤمر به وصيغة المضارع للدلالة
على ان الامر متعلق به متوجه اليه مستمر الى حين الامتثال به ستجدني ان شاء الله من الصابرين
على الذبح او على قضاء الله تعالى فلما اسلما اي استسلما لامر الله تعالى وانقادا وخضعا له تعالى وسلم
لامر الله واسلم واستسلم بمعنى واحد وقد قرئ بهن جميعا واصله من قولك سلم هذا لفلان اذا خلص
له ومعناه سلم من ان ينازع فيه وقولهم سلم لامر الله تعالى واسلم له منقولان منه ومعناه اخلص
نفسه لله تعالى وجعلها سالمة له وكذلك معنى استسلم استخلص نفسه لقوله تعالى وعن قتادة رضي الله
عنه في اسلما اسلم ابراهيم ابنه واسماعيل نفسه لله وتله للجبين صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض
وهو احد جانبي الجبهة وقيل كبه على وجهه باشارته كيلا يرى منه ما يورث رقة تحول بينه وبين امر الله
تعالى وكان ذلك عند الصخرة بمنى وقيل في الموضع المشرف على مسجد منى وقيل المنحر الذي ينحر فيه اليوم
وناديناه ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالعزم على الاتيان بالمأمور به وترتيب مقدماته وقد روي
انه امر السكين على حلقه مرارا فلم تقطع ثم وضع السكين على قفاه فانقلب السكين فعند ذلك وقع النداء
وجواب لما محذوف ايذانا بعدم التحيز بتفاصيله كأنه قيل كان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان من
استبشارهما وشكرهما لله تعالى على ما انعم به عليهما من دفع البلاء بعد حلوله والتوفيق لما لم يوفق احد
لمثله واظهار فضلهما بذلك على العالمين واحراز الثواب العظيم الى غير ذلك انا كذلك نجزي
المحسنين تعليل لتفريج تلك الكربة عنهما باحسانهما واحتج به من جوز النسخ قبل الوقوع المأمور به

فانه عليه السلام كان ماموراً بالذبح لقوله تعالى افعل ما تؤمر ولم يحصل ان هذا لهو البلاء المبين اي
الابتلاء البين الذي يتميز فيه المخلص عن غيره او المحنة البينة الصعوبة اذ لا شيء اصعب منها وفديناه
بذبح عما يذبح به فيتم به الفعل عظيم اي عظيم الجثة سمين او عظيم القدر لانه يفدي الله به نبيا ابن نبي واي
من نسله سيد المرسلين قيل كان ذلك كبشاً من الجنة عن ابن عباس رضي الله عنه انه الكبش الذي قربه
هابيل فتقبل وكان يرعى في الجنة حتى فدي به اسماعيل عليه السلام وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير
وروي انه هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى اخذه فبقيت سنة في الرمي وروي انه
رمى الشيطان حين تعرض له بالوسوسة عند ذبح ولده وروي انه لما ذبحه قال جبريل عليه السلام
الله اكبر الله اكبر فقال الذبيح ولده وروي انه لما ذبحه جبريل عليه السلام لا اله الا
الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة والفادي في الحقيقة هو ابراهيم
وانما قيل وفديناه لانه تعالى هو المعطي والامر به على التجوز في الفداء او الاسناد وتركنا عليه في
الاخرين سلام على ابراهيم قد سلف بيانه في خاتمة قصة نوح كذلك نجزي المحسنين ذلك اشارة الى
ابقاء ذكره الجميل فيما بين الامم لا الى ما اشير اليه فيما سبق فلا تكرار لا سيما بعد تقييد الجملة بانا للاكتفاء بمرة
انه من عبادنا المؤمنين الراسخين في الايمان على وجه الايقان والاطمئنان وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين
اي مقضيا بنبوته مقدراً كونه من الصالحين وبهذا الاعتبار وقعا حالين فلا حاجة الى وجود المبشر به
وقت البشارة فان وجود ذي الحال ليس بشرط وانما الشرط مقارنة تعلق الفعل به لاعتبار معنى
الحال فلا حاجة الى تقدير مضاف يجعل عاملا فيهما مثل وبشرناه بوجود اسحاق بان يوجد اسحق نبيا
من الصالحين ومع ذلك لا يصير نظير قوله فادخلوها خالدين فانهم كانوا مقدرين في نحو وقت الدخول
واسحاق عليه السلام لم يكن مقدرا نبوة نفسه وصلاحها حين ما يوجد ومن فسر الغلام باسحاق
جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشانه وايماء الى انه الغاية
لها لتضمنها معنى الكمال والتكميل بالفعل على الاطلاق وباركنا عليه اي على ابراهيم في اولاده
وعلى اسحاق بان اخرجنا من صلبه انبياء بني اسرائيل وغيرهم كايوب وشعيب عليهم السلام او افضنا
عليهما بركات الدين والدنيا وقرئ وبركنا ومن ذريتهما محسن في عمله او لنفسه بالايمان والطاعة
وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي مبين ظاهر ظلمه وفيه تنبيه على ان النسب لا اثر له في الهداية
والضلال وان الظلم في اعقابهما لا يعود عليهما بنقيصة ولا عيب ولقد مننا على موسى وهرون
اي انعمنا عليهما بالنبوة وغيرها من النعم الدينية والدنيوية ونجيناهما وقومهما وهم بنو اسرائيل
من الكرب العظيم هو تملك ال فرعون وتسلطهم عليهم بالوان العسف والعذاب كما في قوله تعالى واذ
نجيناكم من ال فرعون وقيل هو الغرق وهو بعيد لانه لم يكن عليهم كربا ومشقة ونصرناهم اي اياهما
وقومهما على عدوهم فكانوا بسبب ذلك هم الغالبين عليهم غالبية لا غاية وراءها بعد ان كان قومهما في
اسرهم وقسرهم مقهورين تحت ايديهم العادية يسومونهم سوء العذاب وهذه النتيجة وان كانت بحسب
الوجود متقاربة لما ذكر من النصر والغلبة لكنها لما كانت بحسب المفهوم عبارة عن التخليص المذكور
بدئ بها ثم بالنصر الذي يتحقق مدلوله بمحض تنجية المنصور من عدوه من غير تغلبه عليه ثم بالغلبة
لتوفية مقام الامتنان حقه باظهار ان كل مرتبة من هذه المراتب الثلاث نعمة جليلة على حيالها
واتيناهما بعد ذلك الكتاب المستبين اي البليغ في البيان والتفصيل وهو التوراة وهديناهما بذلك
الصراط المستقيم الموصل الى الحق والصواب بما فيه من تفاصيل الشرايع وتفاريع الاحكام وتركنا
عليهما في الاخرين سلام على موسى وهرون اي ابقينا فيما بين الامم الاخرين هذا الذكر الجميل
والثناء الجزيل انا كذلك الجزاء الكامل نجزي المحسنين الذين هما من جملتهم لا جزاء قاصرا عنه انهما
من عبادنا المؤمنين سبق بيانه وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين بن سبط هارون اخي موسى
عليهم السلام بعث بعده وقيل ادريس لانه قرئ مكانه ادريس وادراس وقرئ ابليس وقرئ
الياس بحذف الهمزة اذ قال لقومه الا تتقون اي عذاب الله تعالى اتدعون بعلا اتعبدونه
وتطلبون الخير منه وهو اسم صنم كان لاهل بك من الشام وهو البلد المعروف اليوم ببعلبك
قيل كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعمائة
سادن وجعلوهم انبياء فكان الشيطان يدخل في جوفه ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها
ويعلمونها الناس وقيل البعل الرب بلغة اليمن اي اتعبدون بعض البعول وتذرون احسن الخالقين
اي تتركون عبادته وقد اشير الى المقتضي للانكار المعني بالهمزة ثم صرح بقوله تعالى الله
ربكم ورب ابائكم الاولين بالنصب على البدلية من احسن الخالقين وقرئ بالرفع على الابتداء و[illegible]

لذكر

لذكر ربوبيته تعالى لابائهم لتاكيد انكار تركهم عبادته تعالى والاشعار ببطلان اتباع ابائهم ايضا
فكذبوه فانهم بسبب تكذيبهم ذلك لمحضرون اي العذاب والاطلاق للاكتفاء بالقرائن على ان الاحضار
المطلق مخصوص بالشر عرفا الا عباد الله المخلصين استثناء من ضمير محضرون وتركنا عليه في الاخرين
سلام على الياسين هو لغة في الياس كسينا في سينين وقيل هو جمع له اريد به هو واتباعه كالمهلبين
والخبيبين وفيه ان العلم اذا جمع يجب تعريفه كالمشار اليه انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين مر تفسيره وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه اي اذكر وقت تنجيتنا اياه واهله اجمعين الا
عجوزا في الغابرين اي الباقين في العذاب او الماضين الهالكين ثم دمرنا الاخرين فان ذلك شواهد
على جلية امره وكونه من جملة المرسلين وانكم يا اهل مكة داخلين في الصباح وبالليل اي ومساء
او نهارا وليلا ولعلها وقعت بقرب منزل يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد له مساء افلا تعقلون
اي تشاهدون ذلك فلا تعقلون حتى تعتبروا وتخافوا ان يصيبكم مثل ما اصابهم وان يونس لمن المرسلين
وقرئ بكسر النون اذ ابق اي هرب واصله الهرب من السيد لكن لما كان هربه من قومه بغير اذن
ربه حسن اطلاقه عليه الى الفلك المشحون اي المملوء فساهم فقارع اهله فكان من المدحضين فصار
من المغلوبين بالقرعة واصله المزلق عن مقام الظفر روي انه عليه السلام لما وعد قومه بالعذاب
خرج من بينهم قبل ان يامره الله تعالى به فركب السفينة فوقفت فقالوا هنا عبد ابق فاقترعوا
فخرجت القرعة عليه فقال انا الابق ورمى بنفسه في الماء فالتقمه الحوت فابتلعه من اللقمة وهو
مليم داخل في الملامة او ات بما يلام عليه او مليم نفسه وقرئ مليم بالفتح مبنيا من ليم كمشيب في مشوب
فلولا انه كان من المسبحين الذاكرين الله كثيرا او المسبحين مدة عمره او في بطن الحوت وهو قوله
لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل من المصلين فانه عليه السلام كان كثير الصلاة
في الرخاء للبث في بطنه الى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا وفيه حث على اكثار الذكر وتعظيم شانه ومن
اقبل عليه في السراء اخذ بيده عند الضراء فنبذناه بالعراء بان حملنا الحوت على لفظه بالمكان الخالي عما
يغطيه من شجر او نبت روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس عليه السلام
ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شيء فاسلموا وروي ان الحوت قذفه
بساحل قرية من الموصل واختلفت في مقدار لبثه فقيل اربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة
وقيل ثلاثة وقيل لم يلبث الا قليلا ثم اخرج من بطنه بعيد الوقت الذي التقم فيه وروى عطاء انه حين
ابتلعه اوحى الله تعالى الى الحوت اني جعلت بطنك له سجنا ولم اجعله لك طعاما وهو سقيم مما ناله
قيل صار بدنه كبدن الطفل حين يولد وانبتنا عليه اي فوقه مظلة عليه شجرة من يقطين وهو كل ما
ينبسط على الارض ولا يقوم على ساقه كشجر البطيخ والقثاء والحنظل وهو يفعيل من قطن بالمكان اذا اقام به
والاكثرون على انه الدباء غطته باوراقها عن الذباب فانه لا يقع عليه ويدل عليه انه قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم انك تحب القرع قال اجل هي شجرة اخي يونس وقيل هي التين وقيل الموز تغطى بورقه واستظل
باغصانه وافطر على ثماره وقيل كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من لبنها
وارسلناه الى مائة الف هم قومه الذين هرب منهم وهم اهل نينوى والمراد به ارساله السابق اوبيانه
من المرسلين على الاطلاق ثم الاخبار بانه قد ارسل الى امة جمة وكان توسيطها تذكير وقت هربه
عليه السلام الى الفلك وما بعده تنبيها لتذكير سببه وهو ما جرى بينه عليه السلام وبين قومه من
انذاره اياهم عذاب الله تعالى وتعيينه لوقت حلوله وتعللهم وتعليقهم لايمانهم بظهور اماراته كما مر
تفصيله في سورة يونس ليعلم ان ايمانهم الذي سيحكى بعد لم يكن عقيب الارسال كما هو المتبادر من
ترتيب الايمان عليه بالفاء بل بعد اللتيا والتي وقيل هو ارسال اخر اليهم وقيل الى غيرهم وليس بظاهر او يزيدون
اي في مرأى الناظر فانه اذا نظر اليهم قال هم مائة الف او يزيدون والمراد هو الوصف بالكثرة وقرئ بالواو
فامنوا اي بعد ما شاهدوا علائم حلول العذاب ايمانا خالصا فمتعناهم اي بالحياة الدنيا الى حين قدره
الله سبحانه وتعالى لهم ولعل عدم ختم هذه القصة وقصة لوط بما ختم به سائر القصص للتفرقة
بينهما وبين ارباب الشرايع الكبر واولي العزم من الرسل اكتفاء بالتسليم الشامل لكل الرسل المذكورين في
اخر السورة فاستفتهم امر الله عز وجل في صدر السورة الكريمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبكيت قريش وابطال
مذهبهم في انكار البعث بطريق الاستفتاء وساق البراهين القاطعة بتحققه لا محالة وبين وقوعه وما
سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب واستثنى منهم عباده المخلصين وفصل ما لهم من النعيم المقيم ثم ذكر
انه قد ضل من قبلهم اكثر الاولين وانه تعالى ارسل اليهم منذرين على وجه الاجمال ثم اورد قصص
كل واحد منهم على وجه التفصيل مبينا في كل قصة منها انهم من عباده تعالى واصفا لهم تارة بالاخلاص

لتمرون عليهم على منازلهم في متاجركم الى الشام وتشاهدون
اثار هلاكهم فان سدوم في طريق الشام مصبحين ص

واخرى بالايمان ثم امره بتبكيتهم بطريق الاستفتاء عن وجه امر منكر خارج عن العقول بالكلية
وهي القسمة الباطلة اللازمة لما كانوا عليه من الاعتقاد الزايغ حيث كانوا يقولون كبعض اجناس العرب
جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح الملائكة بنات الله والفاء لترتيب الامر على ما سبق من كون اوليك
الرسل الذين هم اعلام الخلق عليهم السلام عباده تعالى فان ذلك مما يوكد التبكيت ويظهر بطلان مذهبهم
الفاسد ثم بتبكيتهم بما يتضمنه كفرهم المذكور من الاستهانة بالملائكة بجعلهم اناثا ثم ابطل اصل كفرهم
المنطوي على هذين الكفرين وهو نسبة الولد اليه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ولم ينظمه في سلك
التبكيت لمشاركتهم النصارى في ذلك اي فاستخبرهم الربك البنات اللاتي هن اوضع الجنسين ولهم البنون
الذين هم ارفعهما فان ذلك مما لا يقول به من له ادنى شيء من العقل وقوله تعالى ام خلقنا الملائكة اناثا
اضراب وانتقال من التبكيت بالاستفتاء السابق الى التبكيت بهذا كما يشير اليه اي بل اخلقنا الملائكة
الذين هم من اشرف الخلائق وابعدهم من صفات الاجسام ورذائل الطباع اناثا والانوثة من
اخس صفات الحيوان وقوله تعالى وهم شاهدون استهزاء بهم وتجهيل لهم كقوله تعالى اشهدوا خلقهم
وقوله تعالى ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فان امثال هذه الامور لا تعلم
الا بالمشاهدة عند خلقهم والجملة اما حال من فاعل خلقنا اي بل اخلقناهم اناثا والحال انهم حاضرون
حينئذ او عطف على خلقنا اي بل اهم شاهدون وقوله تعالى الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله
استيناف من جهته غير داخل تحت الامر بالاستفتاء مسوق لابطال مذهبهم الفاسد ببيان ان مبناه
ليس الا الافك الصريح والافتراء القبيح من غير ان يكون لهم دليل او شبهة قطعا وانهم لكاذبون في قولهم
ذلك كذبا بينا لا ريب فيه وقرئ ولد الله على انه خبر مبتداء محذوف اي الملائكة ولده تعالى عن
ذلك علوا كبيرا فان الولد فعل بمعنى مفعول يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اصطفى البنات
على البنين اثبات لافكهم وتقرير لكذبهم فيما قالوا ببيان استلزامه لامر بين الاستحالة وهو اصطفاؤه
تعالى البنات على البنين والاصطفاء اخذ صفوة الشيء لنفسه وقرئ بكسر الهمزة على حذف حرف الاستفهام
ثقة بدلالة القراين عليه وجعله بدلا من ولد الله ضعيف وتقدير القول اي لكاذبون في قولهم
اصطفى الى اخره تعسف بعيد ما لكم كيف تحكمون بهذا الحكم الذي تقضي ببطلانه بديهة العقول
افلا تذكرون بحذف احدى التاءين من تتذكرون وقرئ تذكرون من ذكر والفاء للعطف على مقدر اي
الا تلاحظون ذلك فلا تذكرون بطلانه فانه مركوز في عقل كل ذكي وغبي ام لكم سلطان مبين
اضراب وانتقال من توبيخهم وتبكيتهم بتكليفهم بما لا يدخل تحت الوجود اصلا اي بل الكم حجة
واضحة نزلت عليكم من السماء بان الملائكة بناته تعالى ضرورة ان الحكم بذلك لا بد له من سند حسي
او عقلي وحيث انتفى كلاهما فلا بد من سند نقلي فاتوا بكتابكم الناطق بصحة دعواكم ان كنتم صادقين
فيها وفي هذه الآيات من الانباء على السخط العظيم والانكار الفظيع لاقاويلهم والاستبعاد
الشديد لاباطيلهم وتسفيه احلامهم وتركيك عقولهم وافهامهم مع استهزاء بهم وتعجيب من جهلهم
ما لا يخفى على من تامل فيها وقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا التفات الى الغيبة للايذان
بانقطاعهم عن درجة الخطاب واقتضاء حالهم ان يعرض عنهم ويحكى جناياتهم للآخرين والمراد بالجنة
الملائكة قالوا الجنس واحد ولكن من خبث من الجن ومرد وكان شرا كله فهو شيطان ومن طهر منهم
ونسك وكان خيرا كله فهو ملك وانما عبر عنهم بذلك الاسم وضعا منهم تقصيرا بهم مع عظم شانهم
فيما بين الخلق ان يبلغوا منزلة المناسبة التي اضافوها اليهم فجعلهم هذا عبارة عن قولهم الملائكة بنات
الله وانما اعيد ذكره تمهيدا لما يعقبه من قوله تعالى ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اي وبالله لقد
علمت الجنة التي عظموها بان جعلوا بينها وبينه تعالى نسبا وهم الملائكة ان الكفرة لمحضرون النار معذبون
بها لكذبهم وافترايهم في قولهم ذلك والمراد به المبالغة في التكذيب ببيان ان الذين يدعي هؤلاء لهم
تلك النسبة ويعلمون انهم اعلم منهم بحقيقة الحال فانهم يكذبونهم في ذلك ويحكمون بانهم معذبون لاجله حكما
مؤكدا وقيل ان قوما من الزنادقة يقولون الله تعالى وابليس اخوان فالله هو الخير الكريم وابليس هو
الشرير اللئيم هو المراد بقوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الامام الرازي وهذا القول
عندي اقرب الاقوال وهو مذهب المجوس القائلين بيزدان واهرمن وقال مجاهد قالت قريش
الملائكة بنات الله تعالى فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهم تبكيتا لهم فقالوا سروات
الجن وقيل معنى جعلوا بينه وبين الجنة نسبا جعلوا بينهما مناسبة حيث اشركوا به تعالى الجن في استحقاق
العبادة فعلى هذا التاويل يجوز ان يكون الضمير في انهم لمحضرون للجنة فالمعنى لقد علمت الشياطين
ان الله تعالى يحضرهم النار ويعذبهم بها ولو كانوا مناسبين له تعالى او شركاء في استحقاق العبادة لما عذبهم

والوعيد

والوجه هو الاول فان قوله سبحان الله عما يصفون حكاية لتنزيه الملائكة اياه سبحانه وتعالى عما وصفه
المشركون به بعد تكذيبهم لهم في ذلك بتقدير قول معطوف على علمت وقوله تعالى الا عباد الله المخلصين
شهادة منهم ببراءة المخلصين من ان يصفوه تعالى بذلك متضمنة لتبريهم منه بحكم اندراجهم في زمرة
المخلصين على ابلغ وجه واكده على انه استثناء منقطع من واو يصفون كانه قيل ولقد علمت الملائكة ان
المشركين لمعذبون لقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفونه به لكن عباد الله الذين نحن من جملتهم
برآء من ذلك الوصف وقوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين تعليل وتحقيق لبراءة
المخلصين عما ذكر ببيان عجزهم عن اغوائهم واضلالهم والالتفات الى الخطاب لاظهار كمال الاعتناء بتحقيق
مضمون الكلام وما تعبدون عبارة عن الشياطين الذين اغووهم وفيه ايذان بتبريهم عنهم وعن عبادتهم
لقولهم بل كانوا يعبدون الجن وما نافية وانتم خطاب لهم ولمعبوديهم تغليبا وعليه متعلقة بفاتنين يقال
فتن فلان على فلان امرأته اي افسدها والمعنى فانكم ومعبودكم ايها المشركون لستم بفاتنين عليه
تعالى بافساد عباده واضلالهم الا من هو صال الجحيم منهم اي داخلها بقوله تعالى بانه يصلى لا محالة
بسوء اختياره ويصير من اهل النار لا محالة واما المخلصون منهم فانتم بمعزل من افسادهم واضلالهم
فهم لاجرم برآء من ان يفتتنوا بكم ويسلكوا مسلككم في وصفه تعالى بما وصفتموه به وقرئ صال بضم
اللام على انه جمع محمول على معنى من قد سقط واوه لالتقاء الساكنين وقوله تعالى وما منا الا له
مقام معلوم تبيين لجلية امرهم وتعيين لحيزهم في موقف العبودية بعد ما ذكر من تكذيب الكفرة
فيما قالوا وتنزيه الله تعالى عن ذلك وتبرية المخلصين منه واظهار لقصور شانهم وقماءتهم اي وما
منا احد الا له مقام معلوم في العبادة والانتهاء الى امر الله عز وجل مقصور عليه لا يستطيع ان يتجاوزه
ولا يزل عنه خضوعا لعظمته وخشوعا لهيبته وتواضعا لجلاله كما روي فمنهم راكع لا يقيم صلبه
وساجد لا يرفع راسه قال ابن عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وعنه
صلى الله عليه وسلم اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع الا وفيه ملك
واضع جبهته ساجد لله تعالى وقال السدي الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة وانا لنحن
الصافون في مواقف الطاعة ومواطن الخدمة وانا لنحن المسبحون المقدسون لله سبحانه عن كل ما لا
يليق بجناب كبريائه وتحلية كلامهم بفنون التاكيد للايذان بان صدوره عنهم بكمال الرغبة والنشاط
هذا هو الذي تقتضيه جزالة التنزيل وقد ذكر في تفسير الآيات الكريمة واعرابها وجوه اخر فتامل والله
الموفق وان كانوا ليقولون ان هي المخففة من الثقيلة وضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة اي ان
الشان كانت قريش تقول لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي كتابا من كتب الاولين من التوراة والانجيل
لكنا عباد الله المخلصين اي لاخلصنا العبادة لله تعالى ولما خالفنا كما خالفوا وهذا كقولهم لئن جاءهم نذير
ليكونن اهدى من احدى الامم والفاء في قوله تعالى فكفروا به فصيحة كما في قوله تعالى فقلنا اضرب
بعصاك البحر فانفلق اي فجاءهم ذكر اي ذكر سيد الاذكار وكتاب مهيمن على سائر الكتب والاسفار
فكفروا به فسوف يعلمون اي عاقبة كفرهم وغائلته ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين استيناف مقرر
للوعيد وتصديره بالقسم لغاية الاعتناء بتحقيق مضمونه اي وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة
وهو قوله تعالى انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون على اعدائهم في الدنيا
والآخرة ولا يقدح في ذلك انهزامهم في بعض المشاهد فان قاعدة امرهم واساسه الظفر والنصرة
وان وقع في تضاعيف ذلك شوب من الابتلاء والمحنة والحكم للغالب وعن ابن عباس رضي الله عنهما
ان لم ينصروا في الدنيا نصروا في الآخرة وقرئ على عبادنا بتضمين سبقت معنى حقت وتسميتها كلمة مع
انها كلمات لانتظامها في معنى واحد وقرئ على عبدك فتول عنهم فاعرض عنهم واصبر حتى حين
الى مدة يسيرة وهي مدة الكف عن القتال وقيل يوم بدر وقيل يوم الفتح وابصرهم على سوء حال
وما يحل بهم من القتل والاسر والمراد بالامر بابصارهم الايذان بغاية قربه كانه بين يديه
فسوف يبصرون ما يقع حينئذ من الامور وسوف للوعيد دون التبعيد افبعذابنا يستعجلون روي
انه لما نزلت فسوف يبصرون قالوا متى هذا فنزل فاذا نزل بساحتهم اي فاذا نزل العذاب الموعود
بفنائهم كانه جيش قد هجمهم فاناخ بفنائهم بغتة فشن عليهم الغارة وقطع دابرهم بالمرة وقيل المراد
نزول رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وقرئ نزل بساحتهم على اسناده الى الجار والمجرور وقرئ نزل
مبنيا للمفعول من التنزيل اي نزل العذاب فساء صباح المنذرين فبئس صباح المنذرين صباحهم
واللام للجنس والصباح مستعار من صباح الجيش المبيت لوقت نزول العذاب ولما كثرت الغارة
منهم في الصباح سموها صباحا وان وقعت ليلا روي انه صلى الله عليه وسلم لما اتى خيبر وكانوا خارجين الى

منازعهم ومعهم المساحي قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال عم خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة
قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون تسلية لرسول الله عم اثر تسلية
وتأكيد لوقوع الميعاد غب تأكيد مع ما في اطلاق الفعلين عن المفعول من الايذان بان ما يبصره عم
حينئذ من فنون المسار وما يبصرونه من الوان المضار لا يحيط به الوصف والبيان وقيل اريد بالاول
عذاب الدنيا وبالثاني عذاب الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون تنزيه لله سبحانه عن كل ما يصفه
المشركون به مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته مما ذكر في السورة الكريمة وما لم يذكر من الامور التي
من جملتها ترك انجاز الموعود على موجب كلمته السابقة لا سيما في حق رسول الله عم كما ينبئ عنه
التعرض بعنوان الربوبية المعربة عن التربية والتكميل والمالكية الكلية مع الاضافة الى ضميره عم
والى العزة ثانيا كأنه قيل سبحان من هو مربيك ومكملك ومالك العزة والغلبة على الاطلاق عما
يصف المشركون به من الاشياء التي منها ترك نصرتك عليهم كما يدل عليه استعجالهم بالعذاب وقوله
تعالى وسلام على المرسلين تشريف لهم عليهم السلام بعد تنزيهه تعالى عما ذكر وتنويه بشأنهم وايذان
انهم سالمون عن كل المكاره فائزون بجميع المآرب وقوله تعالى والحمد لله رب العالمين اشارة الى
وصفه عز وجل بصفاته الكريمة الثبوتية بعد التنبيه على اتصافه تعالى بجميع صفاته السلبية وايذان
باستتباعها الافعال الجميلة التي من جملتها افاضته عليهم من فنون الكرامات السنية والكمالات الدينية والدنيوية
واسباغه عليهم وعلى من تبعهم من فنون النعماء الظاهرة والباطنة الموجبة لحمده تعالى واشعار بان
ما وعده عم من النصرة والغلبة قد تحققت والمراد تنبيه المؤمنين على كيفية تسبيحه تعالى وتحميده
والتسليم على رسله الذين هم وسائط بينهم وبينه عز وعلا في فيضان الكمالات الدينية والدنيوية
عليهم ولعل توسيط التسليم على المرسلين بين تسبيحه تعالى وتحميده لختم السورة الكريمة بحمده
تعالى مع ما فيه من الاشعار بان توفيقه تعالى للتسليم عليهم من جملة نعمه الموجبة للحمد عن علي رضي الله
عنه من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيمة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وعنه صلى الله
عليه وسلم من قرأ والصافات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه
مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيمة انه كان مؤمنا بالمرسلين

بسم الله الرحمن الرحيم ص بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح ويجوز ان يكون الفتح
باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر او اقرأ او
فتحا كما من في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها علم للسورة وقد صرفها
من قرأ صاد بالتنوين على انه اسم الكتاب او التنزيل وقيل هو في قراءة الكسر امر من المصاداة وهي
المعارضة والمقابلة ومنها الصدى الذي ينعكس من الاجسام الصلبة بمقابلة الصوت ومعناه
عارض القرآن بعملك فاعمل باوامره وانته عن نواهيه وتخلق باخلاقه ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا
على منهاج التحدي او الرمز الى كلام مثل صدق الله او صدق محمد كما نقل عن اكابر السلف او اسما للسورة
خبرا لمبتدأ محذوف او نصبا على اضمار اذكر او اقرأ او امرا من المصاداة فالواو في قوله تعالى والقرآن
ذي الذكر للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه فان اريد بالقرآن كله فالمغايرة بينهما حقيقية
وان اريد عين السورة فهي اعتبارية كما في قولك مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة وايا ما كان ففي
التكرير مزيد تأكيد لمضمون الجملة المقسم عليها والذكر الشرف والنباهة كما في قوله تعالى وانه لذكر لك
ولقومك او الذكرى والموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في امر الدين من الشرائع والاحكام وغيرها من
اقاصيص الانبياء عليهم السلام واخبار الامم الدارجة والوعد والوعيد والجواب القسم على الوجه الاول
والرابع والخامس محذوف ما ينبئ عنه التحدي والامر والاقسام به من كون المتحدى به معجزا وكون
المأمور به واجبا وكون المقسم به بانه عظام اي اقسم بالقرآن او بهذه السورة انه لمعجز او لواجب
العمل به او لحقيق بالاعظام واما على الوجهين الباقيين فهو الكلام المرموز اليه ونفس الجملة قبل
القسم فان التسمية تنويه بشأن المسمى وتنبيه على عظم خطره اي انه لصادق والقرآن ذي الذكر وهذه
السورة عظيمة الشأن والقرآن الى آخره على طريقة قولهم هذا حاتم والله لما كان كل واحد منه الا حق
منبئا عن انتفاء الريب عن مضمونه بالكلية ابنا بنيا كان قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق اضرابا عن ذلك

كانه

كانه قيل لا ريب فيه بل هم في استكبار وحمية شديدة وشقاق بعيد لله تعالى ولرسوله ولذلك لا
لا يذعنون له وقيل لا ريب فيه الجواب ما دل عليه الجملة الاضرابية اي ما كفر به من كفر لخلل وجده
فيه بل الذين كفروا الى آخره وقرئ في غرة اي في غفلة عما يجب عليهم التنبه له من مبادي الايمان ودواعيه
كم اهلكنا من قبلهم من قرن وعيد لهم على كفرهم واستكبارهم ببيان ما اصاب من قبلهم من المستكبرين
وكم مفعول اهلكنا ومن قرن تمييز والمعنى قرنا كثيرا اهلكنا من القرون الخالية فنادوا عند نزول العذاب
وحلول النقمة استغاثة وتوبة لينجوا من ذلك وقوله تعالى ولات حين مناص حال من ضمير نادوا
واستغاثوا طلبا للنجاة والحال ان ليس الحين حين مناص اي فوت ونجاة من ناصه اي فاته لا من ناص
بمعنى تأخر ولا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت
بنفي الاحيان ولات حين مناص منصوب اي على انه اسمها اي ولا حين مناص لهم او بفعل مضمر اي ولا ارى
حين مناص وقرئ بالرفع فهو على الاول اسمها والخبر محذوف اي ليس حين مناص حاصلا لهم وعلى الثاني
مبتدأ محذوف الخبر اي ولا حين مناص كائن لهم وقرئ بالكسر كما في قوله • طلبوا صلحنا ولات اوان
فاجبنا ان لات حين بقاء • املا ان لات تجر الاحيان كما ان لولا تجر الضمائر في نحو قوله • حين قالت
لولاك هذا العام لم احجج • او لان اوان شبه باذ كما في قوله • نهيتك عن طلابك ام عمرو • بعاقبة
وانت اذ صحيح • في انه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان اصله وان صح ثم حمل عليه
حين مناص تنزيلا لقطع المضاف اليه من مناص اذ اصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لما بين
المضافين من الاتحاد ثم بني الحين لاضافته الى غير متمكن وقرئ لات بالكسر كجير ويقف الكوفيون عليها
بالهاء كالاسماء والبصرية بالتاء كالافعال واما ما قيل من ان التاء مزيدة على حين لاتصالها به في الامام
مما لا وجه له فان خط المصحف خارج عن القياس وعجبوا ان جاءهم منذر منهم حكاية لاباطيلهم
المتفرعة على ما حكي من استكبارهم وشقاقهم اي عجبوا من ان جاءهم رسول من جنسهم بل ادون منهم في
الرياسة الدنيوية والحال على معنى انهم عدوا ذلك امرا عجيبا خارجا عن احتمال الوقوع وانكروه اشد
الانكار لانهم اعتقدوا وقوعه وتعجبوا منه وقال الكافرون وضع الظاهر فيه موضع المضمر غضبا
عليهم وايذانا بانه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه الا المتوغلون في الكفر والفسوق هذا ساحر فيما
يظهره من الخوارق كذاب فيما يسنده الى الله تعالى من الارسال والانزال اجعل الآلهة الها واحدا
بأن نفى الالوهية عنهم وقصرها على واحد ان هذا لشيء عجاب بليغ في العجب وذلك لانه خلاف ما الفوا
عليه آباءهم الذين اجمعوا على الوهيتهم وواظبوا على عبادتهم كابرا عن كابر فان مدار كل ما يأتون وما
يذرون من امور دينهم هو التقليد والاعتياد فيعدون ما يخالف ما اعتادوه عجيبا بل محالا واما جعل
مدار تعجبهم عدم وفاء علم الواحد وقدرته بالاشياء الكثيرة فلا وجه له لانهم لا يدعون ان لآلهتهم علما وقدرة
ومدخلا في حدوث شيء من الاشياء حتى يلزم من نفي الوهيتهم بقاء الآثار بلا مؤثر وقرئ عجاب
بالتشديد وهو ابلغ ككرام وكرام روي انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش فاجتمع خمسة وعشرون
من صناديدهم فأتوا ابا طالب فقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وجئناك
لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فاستحضر رسول الله عم وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك
السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال عم ماذا تسألونني فقالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا
وندعك والهك فقال عم أرأيتم ان اعطيتكم ما سألتم أمعطي انتم كلمة واحدة تملكون بها العرب
وتدين لكم بها العجم قالوا نعم وعشرا فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا اجعل الآلهة الآية وانطلق الملأ منهم
اي وانطلق الاشراف من قريش عن مجلس ابي طالب بعد ما بكتهم رسول الله عم بالجواب العتيد وشاهدوا
تصلبه عم في الدين وعزيمته على ان يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط ابي طالب من المصالحة
على الوجه المذكور ان امشوا اي قائلين بعضهم لبعض على وجه النصيحة امشوا واصبروا على آلهتكم اي واثبتوا على
عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح وان هي المفسرة لان الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو
عن القول وقيل المراد بالانطلاق الاندفاع في القول وامشوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه
الماشية للتفاؤل اي اجتمعوا واكثروا وقرئ امشوا بغير ان على اضمار القول وقرئ يمشون ان اصبروا
ان هذا لشيء يراد تعليل للامر بالصبر او لوجوب الامتثال به اي هذا الذي شاهدناه من محمد صلى الله
عليه وسلم من امر التوحيد ونفي آلهتنا وابطال امرها لشيء يراد اي من جهته عم امضاؤه وتنفيذه
لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان او امر يرجى فيه المسامحة
بشفاعة او امتنان فاقطعوا اطماعكم من استنزاله من رأيه بواسطة ابي طالب وشفاعته وحسبكم ان لا
تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة وقيل

ان قدا الا من لشي يريده الله تعالى ويحكم بالمطاعة وما اراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر وقيل
الامر لشي من نوايب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل ان دينكم لشي يراد ان يطلب ويؤخذ منكم
وتغلبوا عليه وقيل ان هذا الذي يدعيه من التوحيد او يقصده من الرياسة والترفع على العرب والعجم ليس بتمني ويريده
كل واحد فتامل في هذه الاقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل ما سمعنا بهذا الذي يقوله في الملة الاخرة اي
الملة النصرانية التي هي اخر الملل فانهم مثلثة او في الملة التي ادركنا عليها اباءنا ويجوز ان يكون الجار والمجرور حالا
من الذي هذا اي ما سمعنا بهذا من اهل الكتاب ولا الكهان كاينا في الملة المترقبة وفيه كذبوا في ذلك فان حديث
البعثة والتوحيد كان اشهر الامور قبل الظهور ان هذا اي ما هذا الا اختلاق اي كذب اختلقه اانزل عليه
الذكر اي القران من بيننا ونحن رؤسا الناس واشرافهم كقولهم لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم
ومرادهم انكار كونه ذكرا منزلا من الله عز وجل كقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه وامثال هذه المقالات
الباطلة دليل على ان مناط تكذيبهم ليس الا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي بل هم في شك من ذكري اي من
القران او من الوحي لميلهم الى التقليد واعراضهم عن النظر في الادلة المؤدية الى العلم بحقيقته وليس في عقيدتهم
ما يبتون به فهم مذبذبون بين الاوهام ينسبونه تارة الى السحر واخرى الى الاختلاق بل لما يذوقوا عذاب
اي بل لم يذوقوا بعد عذابي فاذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال وفي لما دلالة على ان ذوقهم على شرف الوقوع والمعنى انهم
لا يصدقون به حتى يمسهم العذاب وقيل لم يذوقوا عذابي الموعود في القران ولذلك شكوا فيه ام عندهم خزاين
رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم خزاين رحمته تعالى يتصرفون فيها حسب ما يشاؤون حتى يصيبوا بها من يشاؤون
ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى ارائهم فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم والمعنى ان النبوة عطية
من الله عز وجل يتفضل بها على من يشاء من عباده المصطفين لا مانع له فانه العزيز اي الغالب الذي لا يغالب
الوهاب الذي له ان يهب كل ما يشاء لمن يشاء وفي اضافة اسم الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال الى ضميره عم
من تشريفه واللطف به ما لا يخفى وقوله تعالى ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما ترشيح لما سبق اي بل
لهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الامور الربانية ويتحكموا في التدبيرات الالهية التي
يستاثر بها رب العزة والكبرياء وقوله تعالى فليرتقوا في الاسباب جواب شرط محذوف اي ان كان لهم ما ذكر
من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا امر العالم وينزلوا
الوحي الى من يختارون ويستصوبون وفيه من التهكم بهم ما لا غاية له وراءه والسبب في الاصل هو الوصلة وقيل
المراد بالاسباب السموات لانها اسباب للحوادث السفلية وقيل ابوابها جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب
اي هم جند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث بما يهذون
وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو قولك اكلت شيئا ما وقيل للتعظيم على الهزء وهنالك اشارة الى
حيث وضعوا فيه انفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون
ذو الاوتاد الى اخره استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان احوال العتاة الطغاة الذين هؤلاء جند ما من
جنودهم بما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب وذو الاوتاد معناه ذو الملك الثابت من ثبات
البيت المطنب باوتاده فاستعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة الامر قال الاسود بن يعفر
ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • في ظل ملك ثابت الاوتاد • او ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لان بعضهم يشد
كالوتد يشد البناء وقيل نصب اربع سوار وكان يمد يدي المعذب ورجليه اليها ويضرب عليها اوتادا ويتركه
حتى يموت وقيل كان يشد بين اربعة اوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له اوتاد وحبال يلعب بها
بين يديه وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة من قوم شعيب عليه السلام وقوله تعالى اولئك الاحزاب اما
بدل من الطوايف المذكورة كما ان ذلك الكتاب بدل من الم على احد الوجوه وفيه فضل تاكيد وتنبيه على انهم
الذين جعلوا الجند المهزوم منهم وقوله تعالى ان كل الا كذب الرسل استئناف جيء به تقريرا لتكذيبهم وبيان
كيفيته وتمهيدا لما يعقبه اي ما كل احد من احاد اولئك الاحزاب او ما كل حزب منهم الا كذب الرسل [illegible]

[illegible]

على انهم جعل الجند المهزوم منهم وانهم الذين وجد منهم التكذيب فتدبر واما ما قيل من انه خبر والمبتدا وقوله
وعاد الى اخره اي وقوله وقوم لوط الى اخره فمما يجب تنزيه ساحة التنزيل عن امثاله ومايتعلق هؤلاء شروع
في بيان عقاب كفار مكة اثر بيان عقاب اخزابهم من الاحزاب الذين اخبر فيما سبق بانهم جند حقير منهم مهزوم
عن قريب فان ذلك انتظار السامع وترقبه الى بيانه قطعا وفي الاشارة اليهم بهؤلاء تحقير لشانهم وتهوين لامرهم واما
جعله اشارة الى الاحزاب باعتبار حضورهم بحسب الذكر او حضورهم في علم الله عز وجل وليس في حيز الاحتمال اصلا
كيف والانتظار سواء كان حقيقة او استهزاء انما يتصور في حق من لم يترتب على اعماله نتايجها بعد وبعد ما بين
عقاب الاحزاب والاستيصال بالمرة لم يبق مما اريد بيانه من عقوباتهم او منتظرا وانما الذي في صدد الانتظار
كفار مكة حيث ارتكبوا من عظايم الجرايم وكبائر الجرائم الموجبة لاشد العقوبات مثل ما ارتكب الاحزاب
او اشد منه ولما يلاقوا بعد شيئا من غوايلها اي وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم امثال اولئك الطوائف
المهلكة في الكفر والتكذيب الا صيحة واحدة هي النفخة الثانية لا بمعنى انه ليس بينهم وبين حلول ما اعد لهم
الا عقابهم نفسها فانها من الشدة والهول فانها داهية يعم هولها جميع الامم برها وفاجرها بل بمعنى انه ليس
بينهم وبين حلول ما اعد لهم من العقاب الفظيع الا هي حيث اخرت عقوباتهم الى الاخرة لما ان تعذيبهم بالاستيصال
حسبما يستحقونه والنبي بين اظهرهم خارج عن السنة الالهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم واما ما كان يحياء عند وقوعها وليس عقابهم الموعود واقعا عقيبها ولا العذاب المطلق
موخرا اليها بل يحل بهم من حين موتهم ما لها من فواق اي من توقف مقدار فواق وهو ما بين الحلبتين وقرئ بضم الفاء
وهما لغتان وقوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب حكاية لما قالوه عند سماعهم بتاخير عقابهم
الى الاخرة اي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية عجل لنا قطنا من العذاب الذي توعدنا به ولا تؤخره الى يوم
الحساب الذي مبداه الصيحة المذكورة والقط القطعة من الشيء من قطه اي قطعه ويقال لصحيفة الجايزة قط
لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بها اي عجل لنا صحيفة اعمالنا لننظر فيها وقيل ذكر رسول الله صلعم وعد
المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء به عجل لنا نصيبنا منها وتصدير دعائهم بالنداء المذكور للامعان في الاستهزاء
كانهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال اصبر على ما يقولون من امثال هذه المقالات الباطلة واذكر لهم
عبدنا داود اي قصته تهويلا لامر المعصية في اعينهم وتنبيها لهم على كمال قبح ما اجترؤا عليه من المعاصي فانه
عليه السلام مع علو شانه واختصاصه بعظائم النعم واكرام المات لما اتى بصغيرة نزل عن منزلته ووبخه الملائكة
بالتمثيل والتعريض حتى تفطن فاستغفر ربه واناب ووجد منه ما يحكى من بكاء الدايم وغم الهايم وندم
الدايم فما الظن بهؤلاء الكفرة الاذلين من كل ذليل المتكبرين لاكبر الكبائر المصرين على اعظم المعاصي او تذكر
قصته عليه السلام وصن نفسك ان تزل فيما كلفت من مصابرتهم وتحمل اذيتهم لئلا يلقاك من المعاتبة
ذا الايد اي ذا القوة يقال فلان ايد وذو ايد واد بمعنى واياد كل شيء ما يتقوى به انه اواب رجاع الى
مرضات الله تعالى وهو تعليل لكونه ذا الايد ودليل على ان المراد به القوة في الدين فانه عليه السلام كان يصوم يوما
ويفطر يوما ويقوم نصف الليل انا سخرنا الجبال معه استئناف مسوق لتعليل قوته في الدين واوابيته
الى مرضاته تعالى ومع متعلقة بالتسخير وايثاره على اللام لما اشير اليه في سورة الانبياء من ان تسخير الجبال
له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف الكلي فيها اليه عليه السلام كتسخير الريح وغيرها لسليمان
عليه السلام بل بطريق التبعية له عليه السلام والاقتداء به في عبادة الله تعالى وقيل متعلقة بما بعدها
وهو اقرب بالنسبة الى ما في سورة الانبياء يسبحن اي يقدسن الله عز وجل بصوت يتمثل له ويخلق الله
تعالى فيها الكلام او بلسان الحال وقيل يسرن معه من السباحة وهو حال من الجبال ووضع موضع مسبحات للدلالة
على تجدد التسبيح حالا بعد حال او استيناف مبين لكيفية التسخير بالعشي والاشراق اي وقت الاشراق
وهو حين تشرق الشمس اي تضيء ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى واما شروقها فطلوعها يقال شرقت
الشمس ولما تشرق وعن ام هاني رضي الله تعالى عنها انه صلعم صلى صلاة الضحى وقال هذه صلاة الاشراق
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الاية والطير عطف على الجبال محشورة حال
من الطير والعامل سخرنا اي وسخرنا الطير حال كونها محشورة عن ابن عباس كان اذا سبح جاوبته الجبال
بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت وذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع على الابتداء والخبرية كل له
اواب استيناف مقرر لمضمون ما قبله مصرح بما فهم منه اجمالا من تسبيح الطير اي كل واحد من الجبال والطير
لاجل تسبيحه رجاع الى التسبيح ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع
لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب هو التواب الكثير الرجوع الى الله تعالى ومن دابه
اكثار الذكر وادامة التسبيح والتقديس وقيل الضمير لله تعالى اي كل من داود والجبال والطير لله اواب اي رجاع
مرجع للتسبيح وشددنا ملكه قويناه بالهيبة والنصرة وكثرة الجنود وقرئ بالتشديد للمبالغة قيل كانت يبيت

حول المحراب اربعون الف مستليم وقيل ادعى رجل على اخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فاوحى اليه في المنام ان اقتل
المدعى عليه فتاخر فاعيد الوحي في اليقظة فاعلم الرجل فقال ان الله تعالى لم يأخذني بهذا الذنب ولكني قتلت
اباه هذا غيلة فقتله فقال الناس انه ان اذنب احد ذنبا اظهره الله داود عليه فقتله فهابوه وعظمت هيبته
في القلوب واتيناه الحكمة النبوة وكمال العلم واتقان العمل وقيل الزبور وعلم الشرايع وقيل كل كلام وافق الحكمة
وفصل الخطاب اي فصل الخطاب بتمييز الحق عن الباطل او الكلام الملخص الذي يتبينه المخاطب على المرام من
غير التباس لما قد روعي فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستيناف والاضمار والاظهار والحذف
والتكرار ونحوها وانما سمي به اما بعد لانه يفصل المقصود عما سبق تمهيدا له كالحمد والصلاة وقيل هو الخطاب
القصد الذي ليس فيه ايجاز مخل ولا اطناب ممل كما جاء في نعت كلام النبوة فصل لا نزر ولا هذر وهل اتيك
نبأ الخصم استفهام معناه التعجيب والتشويق الى استماع ما في حيزه لايذانه بانه من الانباء البديعة التي
حقها ان تشيع فيما بين كل حاضر وباد والخصم في الاصل مصدر ولذلك يطلق على الواحد والجمع كالضيف
ومعنى خصمان فريقان اذ تسوروا المحراب اذ تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره
تسنمه اذا علا سنامه وتذراه اذا علا ذروته واذ متعلقة بمحذوف اي نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا او بالنبأ على ان
المراد به الواقع في عهد داود عليه السلام وان اسناد الاتيان اليه على حذف مضاف اي قصته نبأ
الخصم اي نبأ الخصم لما فيه من معنى الخصومة لا يأتي لان اتيانه الرسول لم يكن حينئذ وقوله تعالى
اذ دخلوا على داود بدل مما قبله او ظرف لتسوروا ففزع منهم روي انه بعث اليه ملكين في صورة انسانين
قيل هما جبرئيل وميكائيل عليهما السلام فطلبا ان يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس
فتسوروا عليه المحراب بمن معهما من الملائكة فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهم لانهم
نزلوا عليه من فوق على خلاف العادة والحرس حوله وفي غير يوم الحكومة والقضاء قال ابن عباس ان داود
عليه السلام جزأ زمانه اربعة اجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخاصة نفسه ويوما
للوعظ والتذكير قالوا لا تخف استيناف وقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية فزعه عليه السلام كانه قيل فماذا
قالت الملائكة عند مشاهدتهم لفزعه لا تخف خصمان اي نحن فوجان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصما
بغى بعضنا على بعض هو على الفرض وقصد التعريض فلا كذب فيه فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر في
الحكومة وقرئ ولا تشطط اي لا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها بمعنى الشطط وهو
مجاوزة الحد وتخطي الحق واهدنا الى سواء الصراط الى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور
وارشاده الى منهاج الحق العدل ان هذا اخي استيناف لبيان ما فيه الخصومة اي اخي في الدين او في الصحبة
والتعرض لذلك لتمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى
من الضان وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض ابلغ في التعريض وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة
بكسر النون وقرئ ولي نعجة بسكون الياء فقال اكفلنيها اي ملكنيها وحقيقته اجعلني اكفلها كما اكفل
ما تحت يدي وقيل اجعلها كفلي ونصيبي وعزني في الخطاب اي غلبني في مخاطبته اياي محاجة بان جاء بحجاج
لم اقدر على رده او في مغالبته اياي في الخطبة يقال خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبني خطابا اي غالبني
في الخطبة فغلبني حيث زوجها دوني وقرئ وعازني اي غالبني وعزني بتخفيف الزاي طلبا للخفة وهو
تخفيف غريب كانه قيس على ظلت ومست قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه جواب قسم محذوف
جواب قسم محذوف قصد به عليه السلام المبالغة في انكار فعل صاحبه وتهجين طمعه في نعجة من ليس له غيرها
مع ان له قطيعا منها ولعله عليه السلام قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما ادعاه عليه او بناه على تقدير
صدق المدعي والسؤال مصدر مضاف الى مفعوله وتعديته الى مفعول اخر بالى لتضمنه معنى الاضافة والضم وان كثيرا
من الخلطاء اي الشركاء الذين خلطوا اموالهم ليبغي ليتعدى وقرئ بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة
وحذفها وبحذف الياء اكتفاء بالكسرة بعضهم على بعض غير مراع لحق الصحبة والشركة الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات منهم فانهم يتحامون عن البغي والعدوان وقليل ما هم اي وهم قليل وما مزيدة للابهام
والتعجيب من قلتهم والجملة اعتراض وظن داود انما فتناه الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما
من المشابهة الظاهرة اي علم بما جرى في مجلس الحكم وقيل لما قضى بينهما نظر احدهما الى صاحبه فضحك
ثم صعد الى السماء حيال وجهه فعلم عليه السلام انه تعالى ابتلاه وليس المعنى على تخصيص الفتنة به عليه
دون غيره بتوجيه القصر المستفاد من كلمة انما الى المفعول بالقياس الى مفعول اخر كما هو الاستعمال
الشايع الوارد في توجيهه الى متعلقات الفعل وقيوده باعتبار النفي فيه والاثبات فيها كما في مثل
قولك انما ضربت زيدا وانما ضربته تاديبا بل على تخصيص حاله عليه السلام بالفتنة بتوجيه القصر
الى نفس الفعل بالقياس الى ما يغايره من الافعال لكن لا باعتبار النفي والاثبات معا في خصوصية

الفعل

الفعل فانه غير ممكن قطعا بل باعتبار النفي فيما فيه من معنى مطلق الفعل باعتبار الاثبات فيما يقارنه من
المعنى المخصوص فان كل فعل من الافعال المخصوصة ينحل عند التحقيق الى معنى مطلق هو مدلول لفظ الفعل
والى معنى مخصوص يقارنه ويقيده وهو اثره في الحقيقة قال معنى نفي مثلا فعل النفي يرشدك الى ذلك
قولهم معنى فلان يعطي ويمنع يفعل الاعطاء والمنع فمورد القصر في الحقيقة ما يتعلق بالفعل باعتبار
النفي فيه والاثبات فيما يتعلق به فالمعنى وعلم داود انما فعلنا به الفتنة لا غير قيل ابتليناه بامرأة او
ريا وقيل امتحناه بتلك الحكومة هل يتنبه لما قصد منها وايثار طريق التمثيل لانه ابلغ في التوبيخ لان
التامل فيه اذا اداه الى الشعور بما هو الغرض كان اوقع في نفسه واعظم تاثيرا في قلبه وادعى الى التنبيه
للخطأ مع ما فيه من مراعاة حرمته عليه السلام بترك المجاهرة والاشعار بانه امر يستحيى من التصريح
به وتصويره بصورة التحاكم لالجائه عليه السلام الى التصريح بالنسبة نفسه الى الظلم وتنبيهه عليه السلام على
ان اوريا بصدد الخصام فاستغفر ربه اثر ما علم ان ما صدر عنه ذنب وخر راكعا اي ساجدا على تسمية
السجود ركوعا لانه مبداه او خر للسجود راكعا اي مصليا كانه احرم بركعتي الاستغفار واناب اي رجع
الى الله تعالى بالتوبة واصل القصة ان داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له اوريا فمال
قلبه اليها فسأله ان يطلقها فاستحيى ان يرده ففعل فتزوجها وهي ام سليمان عليه السلام وكان
ذلك جائزا اذا اعجبته وقد كان الانصار في صدر الاسلام يواسون المهاجرين بمثل ذلك من غير
نكير خلا انه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته وعلو شانه نبه بالتمثيل على انه لم يكن ينبغي له ان
يتعاطى ما يتعاطاه احاد امته ويسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة ان ينزل عنها فيتزوجها مع
كثرة نسائه بل كان يجب عليه ان يغالب هواه ويقهر نفسه ويصبر على ما امتحن به وقيل لم يكن او
ريا تزوجها بل كان خاطبها ثم خطبها داود عليه السلام فآثره عليه السلام اهلها فكان ذنبه
عليه السلام ان خطب على خطبة اخيه المسلم هذا واما ما يذكر من انه عليه السلام دخل ذات يوم
محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان في صورة حمامة من ذهب
فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت في كوة فتبعها فابصر امرأة
جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهي امرأة اوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى ايوب بن صوريا
وهو صاحب بعث البلقاء ان ابعث اوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له ان
يرجع حتى يفتح الله تعالى على يده او يستشهد ففتح الله تعالى على يده وسلم فامر برده مرة اخرى
وثالثة حتى قتل واتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فافك مبتدع مكروه
ومكر مخترع تمجه الاسماع وتنفر عنه الطباع وويل لمن ابتدعه واشاعه وتبا لمن اخترعه واذاعه ولذلك
قال علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين
وذلك حد الفرية على الانبياء عليهم السلام هذا وقد قيل ان قوما قصدوا ان يقتلوه عليه السلام
فتسوروا المحراب ودخلوا عليه فوجدوا عنده اقواما فتصنعوا بهذا التحاكم فعلم عليه السلام غرضهم
فهم ان ينتقم منهم فظن ان ذلك ابتلاء له من الله عز وجل فاستغفر ربه مما هم به فاناب فغفرنا
له ذلك اي ما استغفر عنه وروي انه عليه السلام بقي ساجدا اربعين يوما لا يرفع رأسه الا
لصلاة مكتوبة او لما لا بد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب الى رأسه ولا يشرب ماء
ثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك
حتى وثب ابن يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه فاجتمع اليه اهل الزيغ من بني اسرائيل فلما غفر له
حاربه فهزمه وان له عندنا لزلفى لقربة وكرامة بعد المغفرة وحسن مآب حسن مرجع في الجنة يا داود
انا جعلناك خليفة في الارض اما حكاية لما خوطب به عليه السلام مبينة لزلفاه عنده عز وجل واما مقول
لقول مقدر هو معطوف على غفرنا او حال من فاعله اي وقلنا له او قائلين له يا داود الخ اي استخلفناك
على الملك فيها والحكم فيما بين اهلها او جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل
على ان حاله عليه السلام بعد التوبة كما كانت قبلها لم تتغير قط فاحكم بين الناس بالحق بحكم الله تعالى فان
الخلافة بكلا معنييه مقتضية له حتما ولا تتبع الهوى اي هوى النفس في الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا
فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهي وقيل هو مجزوم بالعطف على النهي مفتوح لالتقاء الساكنين
اي فيكون الهوى او اتباعه سببا لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تشريعا وتكوينا وقوله تعالى
ان الذين يضلون عن سبيل الله تعليل لما قبله ببيان غائلته واظهار سبيل الله في موقع الاضمار لزيادة التقرير
والايذان بكمال شناعة الضلال عنه لهم عذاب شديد جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبرا لان والظرف
خبر لان وعذاب مرتفع على الفاعلية بما فيه من الاستقرار بما نسوا بسبب نسيانهم وقوله تعالى يوم الحساب

اما مفعول لنسوا فيكون تعليلا صريحا لثبوت العذاب الشديد لهم بنسيان يوم الحساب بعد الاشعار
بعلية ما يستتبعه ويستلزمه اعني الضلال عن سبيل الله فانه مستلزم لنسيان يوم الحساب بالمرة بل هو فرد من
افراده او ظرف لقوله تعالى لهم اي لهم عذاب شديد يوم القيمة بسبب نسيانهم الذي هو عبارة عن ضلالهم
وعن ضرورته ان يكون مفعول سبيل الله فيكون التعليل المصرح به حينئذ عين التعليل المشعر به بالذات غيره
بالعنوان ومن لم يتنبه لهذا السر السري قال بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن السبيل فان تذكره يقتضي ملازمة الحق
ومخالفة الهوى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا كلام مستانف مقرر لما قبله من امر البعث
والحساب والجزاء اي ما خلقناهما وما بينهما من المخلوقات على هذا النظام البديع الذي تحار في فهمه العقول خلقا
باطلا اي خاليا عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة بل منطويا على الحق المبين والحكمة البالغة حيث خلقنا من بين ايديهم
ما خلقنا نفوسا واودعناها منافعها وحددنا قانع مصالحها ونصبنا الحدود لدلائل افاقية وانفسية ومكناها القدرة على
الاستشهاد بها ثم لم يقتصر على ذلك المقدار من الالطاف بل ارسلنا اليها رسلا وانزلنا عليها كتبا بينا فيها كل جليل
ودقيق وازحنا عللها بالكلية وعرضنا بالتكليف للمنافع العظيمة واعددنا لها عاقبة وجزاء حسب اعمالها ذلك
اشارة الى ما نفي من خلق ما ذكر باطلا ظن الذين كفروا اي مظنونهم فان جحودهم بامر البعث والجزاء الذي عليه
يدور فلك تكوين العالم قول منهم ببطلان خلق ما ذكر وخلوه عن الحكمة سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا
فويل للذين كفروا مبتدأ وخبر والفاء لافادة ترتيب ثبوت الويل لهم على ظنهم الباطل كما ان وضع
الموصول موضع ضميرهم للاشعار بما في حيز الصلة بعلية كفرهم له ولا تنافي بينهما لان ظنهم من باب كفرهم ومن في
قوله تعالى من النار تعليلية كما في قوله تعالى فويل لهم مما كتبت ايديهم ونظائره مفيدة لعلية النار لثبوت
الويل لهم صريحا بعد الاشعار بعلية ما يؤدي من ظنهم وكفرهم اي فويل لهم بسبب النار المترتبة على ظنهم وكفرهم
ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام منقطعة وما فيها من بل للاضراب الانتقالي عن
تقرير امر البعث والحساب والجزاء بما مر من نفي خلق العالم خاليا عن الحكم والمصالح الى تقريره وتحقيقه بما في
الهمزة من انكار التسوية بين الفريقين ونفيها على ابلغ وجه واكده اي بل انجعل المؤمنين المصلحين كالكفرة
المفسدين في اقطار الارض كما يقتضيه عدم البعث وما يترتب عليه من الجزاء لاستواء الفريقين في التمتع بالحياة
الدنيا بل الكفرة اوسع حظا منها من المؤمنين لكن ذلك الجعل محال فتعين البعث والجزاء حتما لرفع الاولين الى
اعلى عليين ورد الاخرين الى اسفل سافلين وقوله تعالى ام نجعل المتقين كالفجار اضراب وانتقال عن اثبات ما ذكر
بلزوم ما هو اظهر منه استحالة وهو التسوية بين اتقياء المؤمنين واشقياء الكفرة وحمل الفجار على فجرة المؤمنين
مما لا يساعده المقام ويجوز ان يراد بهم مدين الفريقين عن الاولين ويكون التكرار باعتبار وصفين اخرين
هما ادخل في حينئذ انكار التسوية من الوصفين الاولين وقيل قال كفار قريش للمؤمنين انا نعطى في الاخرة
من الخير ما لا تعطون فنزلت كتاب خبر مبتدأ او صفة لكتاب محذوف هو عبارة عن القران او السورة وقوله
تعالى انزلناه اليك صفته وقوله تعالى مبارك خبر ثان للمبتدأ او صفة لكتاب عند من يجوز تاخير الوصف الصريح
وقرئ مباركا على انه حال من مفعول انزلنا ومعنى المبارك الكثير المنافع الدينية والدنيوية وقوله تعالى
ليدبروا اياته متعلق بانزلناه اي انزلناه ليتفكروا في اياته التي من جملتها هذه الايات المعربة عن اسرار التكوين
والتشريع فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من المعاني الفائقة والتاويلات اللائقة وقرئ ليتدبروا على الاصل
ولتدبروا على الخطاب اي انت وعلماء امتك بحذف احدى التاءين وليتذكر اولوا الالباب اي وليتعظ به ذوو العقول
السليمة او ليستحضروا ما هو كالمركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته لما نصب عليه من الدلائل فان
الكتب الالهية مبينة لما لا يعرف الا بالشرع ومرشدة الى ما لا سبيل للعقل اليه ووهبنا لداود سليمان نعم
العبد وقرئ نعم العبد اي سليمان كما ينبئ عنه تاخيره عن داود مع كونه مفعولا صريحا لوهبنا ولان قوله تعالى
انه اواب اي الى الله تعالى بالتوبة او الى التسبيح مرجع له تعليل للمدح وهو من حاله لما ان الضمير المجرور في
قوله تعالى اذ عرض عليه راجع اليه عليه السلام قطعا واذ منصوب باذكر اي اذكر ما صدر عنه اذ عرض عليه بالعشي وهو من الظهر
الى اخر النهار الصافنات فانه يشهد بانه اواب وقيل ظرف لاواب وقيل لنعم وتاخير الصافنات عن الظرفين
لما مر مرارا من التشويق الى المؤخر والصافن من الخيل الذي يقوم على طرف سنبك يد او رجل وهو من الصفات
المحمودة في الخيل لا يكاد يتفق الا في العراب الخلص وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما واما الذي يقف على
سنبكه فهو المتخيم الجياد جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه وقيل الذي يجود عند الركض وقيل
وصفت بالصفون والجودة ليان جمعها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية اذا وقفت كانت ساكنة
مطمئنة واذا جرت كانت سراعا خفافا في جريها وقيل هو جمع جيد روي انه عليه السلام غزا اهل دمشق
ونصيبين واصاب الف فرس وقيل اصابها ابوه من العمالقة فورثها منه وقيل خرجت من البحر لها اجنحة
فقعد يوما بعدما صلى الظهر على كرسيه فاستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر

اوعن

او عن ورد كان له من الذكر وقت العشي وهابوه فلم يعلموه ولذلك لما فاته فاستردها تقربا الى الله تعالى وليبقى منها
ماية فرس فما في ايدي الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها ابدله الله عز وجل خيرا منها وهي الريح تجري
بامره فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافا بما صدر عنه من
الاشتغال بها عن الصلاة وندما عليه وتمهيدا لما يعقبه من الامر بردها وعقرها والتعقيب باعتبار اخر
العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على ان اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر
واصل احببت ان يتعدى بعلى لانه بمعنى اثرت لكن لما انيب مناب انبت عدي بعن وحب الخير مفعوله كانه
قيل انبت حب الخير عن ذكر ربي ووضعته موضعه والخير المال الكثير والمراد به الخيل التي شغلته عليه السلام
ويحتمل انه سماها خيرا لتعلق الخير بها قال عليه السلام الخير معقود في نواصي الخيل الى يوم القيمة وقرئ اني حتى توارت
بالحجاب متعلق بقوله تعالى احببت باعتبار متعلق بقوله احببت باعتبار استمرار ذلك حتى توارت اي غربت
الشمس شبه غروبها في مغربها بتواري المخباة بحجابها واضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها وقيل الضمير
للصافنات اي حتى توارت بحجاب الليل اي بظلامه ردوها علي من تمام مقالة سليمان ومن فيه مزيد من تقديم
ما قدمه ومن طينة له مع ظهوره توهم انه متصل بمضمر هو جواب لمضمر اخر كان سائلا قال فماذا قال سليمان
فقيل قال ردوها علي فاخذ فتأمل والفاء في قوله تعالى فطفق مسحا فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت
ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الامتثال بالامر اي فردوها عليه فاخذ يمسح بالسيف مسحا بالسوق
والاعناق اي بسوقها واعناقها يقطعها من قولهم مسح علاوته اي ضرب عنقه وقيل يمسح بيده اعناقها وسوقها
حبا لها واعجابا بها وليس بذلك وقرئ بالسؤق اكتفاء بالواحد عن الجمع لا من الالباس ولقد فتنا سليمان والقينا على
كرسيه جسدا ثم اناب اظهر ما قيل في فتنته عليه السلام ما روي مرفوعا انه قال لاطوفن الليلة على سبعين
امراة تاتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امراة
واحدة جاءت بشق رجل قال والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل
ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله فعلم ذلك فكان يغذوه في السحاب فما شعر به الا ان القي على كرسيه
ميتا فتنبه لخطائه حيث لم يتوكل على الله عز وجل وقيل انه غزا صيدون من الجزائر فقتل ملكها واصاب
بنتا له تسمى جرادة من احسن الناس واصطفاها لنفسه واسلمت واحبها وكانت لا يرقى دمعها على ابيها فامر
الشياطين فمثلوا لها صورته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها كعادتهن في ملكه فاخبره
اصف بذلك فكسر الصورة وعاقب المراة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله
تعالى باكيا متضرعا وكانت له ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امراة يعطيها خاتمه وكان
ملكه فيه فاعطاها الخاتم يوما فتمثل لها بصورته شيطان اسمه صخر واخذ الخاتم فتختم به وجلس على كرسيه
فاجتمع عليه الخلق ونفذ حكمه في كل شيء الا في نسائه وغير سليمان عن هيئته فاتاها لطلب الخاتم فانكرته
وطردته فعرف ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان حثوا عليه التراب
وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك اربعين صباحا عدد
ما عبد الوثن في بيته فانكر اصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان ثم طار اللعين وقذف الخاتم في البحر
فابتلعته سمكة فوقعت في يد سليمان فبقر بطنها فاذا بالخاتم فتختم به وخر ساجدا وعاد اليه ملكه وجاب
صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليها باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص وقذفه في البحر وعلى هذا فالجسد عبارة
عن صخر سمي به وهو جسم لا روح له لانه تمثل بما لم يكن كذلك والخطيئة تغافله عليه السلام عن حال
اهله لان اتخاذ التماثيل لم يكن محظورا حينئذ وسجود الصورة بغير علم منه لا يضره قال بدل من اناب وتفسير
له رب اغفر لي اي ما صدر عني من الزلة وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لا يتسهل له ولا يكون ليكون
معجزة لي مناسبة لحالي فانه عليه السلام لما نشأ في بيت الملك والنبوة وورثهما معا استدعى من ربه
معجزة جامعة لحكميهما او لا ينبغي لاحد ان يسلبه مني بعد هذه السلبة او لا يصح لاحد من بعدي لعظمته
كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطى احد مثله فيكون
منافسة وقيل كان ملكا عظيما فخاف ان يعطى احد مثله فلا يحافظ على حدود الله تعالى وتقديم الاستغفار على
الاستيهاب لمزيد اهتمامه بامر الدين جريا على سنن الانبياء عليهم السلام وكون ذلك ادخل في الاجابة وقرئ
بفتح الياء انك انت الوهاب تعليل للدعاء بالمغفرة والهبة لا بالاخيرة فقط فان المغفرة ايضا من احكام وصف
الوهابية قطعا فسخرنا له الريح اي فذللناها لطاعته اجابة لدعوته فعاد امره عليه السلام الى ما كان عليه
قبل الفتنة وقرئ الرياح تجري بامره بيان لتسخيرها له رخاء اي لينة من الرخاوة طيبة لا تزعزع وقيل
طيعة لا تمتنع عليه كالمامور المنقاد حيث اصاب اي حيث قصد واراد حكى الاصمعي عن العرب اصاب
الصواب فاخطأ الجواب والشياطين عطف على الريح كل بناء وغواص بدل من الشياطين واخرين مقرنين

في الاصفاد عطف على كل بناء داخل في حكم البدل كانه عليه السلام فصل الشياطين الى عملة استعملهم في الاعمال
الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك والى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل لكفهم عن الشر بطريق
التمثيل والصفد القيد وسمي به العطا لانه مرتبط بالمنعم عليه وفرقوا بين فعليهما فقالوا صفده قيده
واصفده اعطاه على عكس وعد واوعد قوله تعالى هذا الى آخره اما حكاية لما خوطب به سليمان عليه السلام
مبنية لعظم شان ما اوتي من الملك وانه مفوض اليه تفويضا كليا واما مقول القول مقدر وهو معطوف
على سخرنا او حال من فاعله كما في خاتمة قصة داود عليه السلام وقلنا له اي قائلين له هذا الذي اعطيناكه
من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم نسلط عليه غيرك عطاؤنا الخاص بك فامنن واعط
من شئت وامنع من شئت بغير حساب حال من المستكن في الامر اي غير محاسب على منه وامساكه او صلة
له وما بينهما التفويض التصرف فيه اليك على الاطلاق او من العطا اي هذا عطاؤنا ملتبسا بغير حساب لغاية
كثرته او صلة له وما بينهما اعتراض على التقديرين وقيل الاشارة الى تسخير الشياطين فالمراد بالمن والامساك
الاطلاق والتقييد وان له عندنا لزلفى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا وحسن مآب هو
الجنة قيل فتن سليمان عليه السلام بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وذكر
الفقيه ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري في تاريخه ان سليمان عليه السلام ورث ملك ابيه في
عصر كيخسرو بن سياوش وسار من الشام الى العراق فبلغ خبره كيخسرو فهرب الى خراسان فلم يلبث حتى
هلك ثم سار سليمان عليه السلام الى مرو ثم الى بلاد الترك فوغل فيها ثم جاز بلاد الصين ثم عطف الى ان
وافى بلاد فارس فنزلها اياما فعاد الى الشام ثم امر ببناء بيت المقدس فلما فرغ منه سار الى صنعا وكان من
حديثه مع صاحبتها ما ذكره الله تعالى وغزا بلاد المغرب الاندلس وطنجة وغيرهما والله تعالى اعلم واذكر
عبدنا ايوب عطف على اذكر عبدنا داود وعدم تصدير قصة سليمان عليه السلام بهذا العنوان
لكمال الاتصال بينه وبين داود عليهما السلام وايوب هو ابن عيص بن اسحاق اذ نادى ربه بدل اشتمال
من عبدنا عطف بيان له اني باني مسني الشيطان بنصب بضم فسكون واسقاطها بنصب اي تعب وقرئ
بفتح النون وبفتحتين وبضمتين للتثقيل وعذاب اي الم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون
الشدائد وهو المراد بالضر في قوله اني مسني الضر وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته والا لقيل انه
مسه الى آخره والاسناد الى الشيطان اما لان الله تعالى مسه بذلك لما فعل من وسوسة كما قيل انه اعجب بكثرة ماله
استغاث به مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه او لان يمتحن صبره فيكون
اعترافا لذنب او مراعاة للادب او لانه وسوس الى اتباعه حتى رفضوه واخرجوه من ديارهم او لان المراد
بالنصب والعذاب ما كان يوسوس اليه في مرضه من تعظيم ما نزل به من البلاء والقنوط من الرحمة ويغريه
على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى في ان يكفيه ذلك بكشف البلاء او بالتوفيق لدفعه ورده بالصبر الجميل
وليس هذا تمام دعائه عليه السلام بل من جملته قوله وانت ارحم الراحمين فاكتفي ههنا عن ذكره بما في سورة
الانبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر ههنا وقوله تعالى اركض برجلك الى آخره اما حكاية لما قيل له او
مقول القول مقدر معطوف على نادى اي فقلنا له اركض برجلك اي اضرب بها الارض وقوله تعالى هذا مغتسل
بارد وشراب فانه ايضا حكاية لما قيل له بعد امتثاله بالامر ونبوع الماء او مقول لقول مقدر ينساق اليه
الكلام كانه قيل فضربها فنبعت عين فقلنا له هذا مغتسل تغتسل به وتشرب منه فيبرأ ظاهرك وباطنك
وقيل نبعت عينان حارة للاغتسال وباردة للشرب ويأباه ظاهر النظم الكريم وقوله تعالى ووهبنا له
اهله معطوف على مقدر يترتب على مقدر آخر يقتضيه القول المقدر كانه قيل فاغتسل وشرب فكشفنا بذلك
ما به من ضر كما في سورة الانبياء ووهبنا له اما باحيائهم بعد هلاكهم وهو المروي عن الحسن او بجمعهم بعد
تفرقهم كما قيل ومثلهم معهم عطف على اهله فكان له من الاولاد ضعف ما كان له قبل رحمة منا اي لرحمة عظيمة
عليه من قبلنا وذكرى لاولي الالباب ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر ويلجأوا الى الله فيما يحل بهم
ما فعل من حسن العاقبة وخذ بيدك ضغثا معطوف على اركض او على وهبنا بتقدير قلنا اي وقلنا لم خذ بيدك الى
آخره والاول اقرب لفظا وهذا انسب معنى فان الحاجة الى هذا الامر لا تمس الا بعد الصحة فان امرأته
رحمة بنت افرايم بن يوسف الصديق وقيل ليا بنت يعقوب وقيل ماصر بنت ميشا بن يوسف عليه
السلام ذهبت لحاجة فابطأت فحلف ان برئ ليضربنها مائة ضربة فامره الله تعالى باخذ الضغث وهو
الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قبضة من الشجر وقال فاضرب به اي بذلك
الضغث ولا تحنث في يمينك فان البر يتحقق به ولقد شرع الله سبحانه وتعالى هذه الرخصة رحمة عليه وعليها
لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها وهي باقية ويجب ان يصيب المضروب كل واحد من المائة اما باطرافها قائمة او
باعراضها مبسوطة على هيئة الضرب انا وجدناه صابرا فيما اصابه في نفسه واهله وماله وليس في شكواه الى الله

تعالى اخلالا بذلك فانه لا يسمى جزعا كتمني العافية وطلب الشفاء على انه قال ذلك خيفة الفتنة في الدين حيث
كان الشيطان يوسوس الى قومه بانه لو كان نبيا لما ابتلي بمثل ما ابتلي به وارادة القوة على الطاعة فقد
بلغ امره الى ان لم يبق منه الا القلب واللسان ويروى انه عليه السلام قال في مناجاته الهي قد علمت انه
لم يخالف لساني قلبي ولم يتبع قلبي بصري ولم يهبني ما ملكت يميني ولم آكل الا ومعي يتيم ولم ابت شبعان ولا
كاسيا ومعي جائع او عريان فكشف الله عنه نعم العبد اي ايوب انه اواب تعليل لمدحه اي رجاع الى الله تعالى
واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب عطف بيان وقيل بدل وقيل نصب باضمار اعني والباقيات عطف
على عبدنا واما على ان عبدنا اسم جنس وضع موضع الجمع اولي الايدي والابصار اولي القوة في الطاعات
والبصيرة في الدين او اولي الاعمال الجليلة والعلوم الشريفة فعبر بالايدي عن الاعمال لان اكثرها بمباشرتها
وبالابصار عن المعارف لانها اقوى مباديها وفيه تعريض بالجهلة والبطالين انهم كالزمنى والعماة وتوبيخ
على تركهم المجاهدة والتامل مع تمكنهم منهما وقرئ اولي الايدي بطرح الياء والاكتفاء بالكسرة وقرئ
اولي الايادي على جمع الجمع انا اخلصناهم بخالصة تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة في العلم
والعمل اي جعلناهم خالصين لنا بخصلة خالصة عظيمة الشان كما ينبئ عنه التنكير التفخيمي وقوله تعالى ذكرى الدار
الآخرة دائما فان خلوصهم في الطاعة بسبب تذكرهم لها وذلك لان مطمح انظارهم ومطرح ابهامها للتفخيم
اي تذكر للدار الآخرة افكارهم في كل ما ياتون وما يذرون جوار الله عز وجل والفوز بلقائه ولا يتسنى
ذلك الا في الآخرة وقيل اخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم في اختيارها ويعضد الاول قراءة من قرأ
بخالصتهم واطلاق الدار للاشعار بانها الدار في الحقيقة وانما الدنيا معبر وقرئ باضافة خالصة الى ذكرى
اي بما خلص من ذكرى الدار على معنى انهم لا يشوبون ذكراها بهم آخر اصلا او تذكيرهم الآخرة وترغيبهم
فيها وتزهيدهم في الدنيا كما هو شان الانبياء عليهم السلام وقيل ذكرى الدار الثناء الجميل في الدنيا ولسان
الصدق الذي ليس لغيرهم وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار لمن المختارين من امثالهم المصطفين عليهم
في الخير والاخيار جمع خير كشر واشرار وقيل جمع خير او خير مخفف منه كاموات في جمع ميت وميت
واذكر اسمعيل فصل ذكره عن ذكر ابيه واخيه للاشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكير واليسع
هو ابن اخطوب العجوز استخلفه الياس على بني اسرائيل ثم استنبئ واللام فيه حرف تعريف دخل عليه حرف
التعريف قال رأيت الوليد بن اليزيد مباركا وقرئ والليسع كان اصله ليسع فيعل من اللسع دخل عليه
حرف التعريف وقيل هو علم اعجمي دخل عليه اللام وقيل هو يوشع وذا الكفل هو ابن عم يسع
او بشر بن ايوب واختلف في نبوته ولقبه فقيل فر اليه مائة نبي من انبياء بني اسرائيل من القتل فآواهم
وقيل تكفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة وكل اي وكلهم من الاخيار المشهورين بالخيرية هذا
اشارة الى ما تقدم من الآيات الناطقة بمحاسنهم ذكر اي شرف لهم وذكر جميل يذكرون به ابدا او نوع من الذكر
الذي هو القرآن وباب منه مشتمل على انباء الانبياء عن ابن عباس رضي الله عنهما هذا ذكر من مضى من الانبياء
وقوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب شروع في بيان اجرهم الجزيل في الآجل بعد بيان ذكرهم الجميل في العاجل
وهو باب آخر من ابواب التنزيل والمراد بالمتقين اما الجنس وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا واما نفس
المذكورين عبر عنهم بذلك مدحا لهم بالتقوى التي هي الغاية القاصية من الكمال جنات عدن عطف بيان
لحسن مآب عند من يجوز تخالفهما تعريفا وتنكيرا فان عدنا معرفة لقوله تعالى جنات عدن التي وعد الرحمن
عباده او بدل منه او نصب على المدح وقوله تعالى مفتحة لهم الابواب حال من جنات عدن والعامل
فيها ما في المتقين من معنى الفعل والابواب منها او الالف واللام قائمة مقام ضميره كما هو رأي الكوفيين اذ
الاصل ابوابها وقرئتا مرفوعتين على الابتداء والخبر او على انهما خبران لمحذوف اي هي جنات عدن هي مفتحة
متكئين فيها حال من لهم والعامل فيها مفتحة وقوله تعالى يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب استئناف لبيان
حالهم فيها وقيل هو ايضا حال مما ذكر او من ضمير متكئين والاقتصار على دعاء الفاكهة للايذان بان مطاعمهم
لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي فانه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل ثمة وعندهم قاصرات الطرف
اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم اتراب لدات لهم فان التحاب بين الاقران ارسخ او بعضهن لبعض
لا عجوز فيهن ولا صبية واشتقاقه من التراب فانه يمسهم في وقت واحد هذا ما توعدون ليوم الحساب
اي لاجله فان الحساب علة للوصول الى الجزاء وقرئ بالياء ليوافق ما قبله والالتفات اليق بمقام الامتنان
والتكريم ان هذا اي ما ذكر من الوان النعم والكرامات لرزقنا اعطيناكموه ما له من نفاد انقطاع ابدا هذا
اي الامر هذا كما ذكر او هذا ذكر وقوله تعالى وان للطاغين لشر مآب شروع في بيان اضداد الفريق السابق جهنم
اعرابه كما سلف يصلونها اي يدخلونها حال من جهنم فبئس المهاد هو المهد والمفرش مستعار من فراش
النائم والمخصوص بالذم محذوف وهو جهنم لقوله تعالى لهم من جهنم مهاد هذا فليذوقوه وهو مبتدأ خبره حميم وغساق

وما بينهما اعتراض وهو على الاولين خبر مبتداء محذوف اى هو حميم والغساق وما يغسق من صديد اهل النار
من غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة فى
المشرق لنتنت اهل المغرب ولو قطرت قطرة فى المغرب لنتنت اهل المشرق وقيل الغساق عذاب لا يعلمه
الا الله تعالى وقرئ بتخفيف السين واخر من شكله اى ومذوق واخر او عذاب اخر من مثل هذا المذوق والعذاب
فى الشدة والفظاعة وقرئ واخر اى ومذوقات اخر او انواع عذاب اخر من شكلهما وتوحيد ضمير شكله
بتاويل ما ذكر والشراب الشامل للحميم والغساق او هو الى الغساق ازواج اى اجناس وهو خبر لاخر لانه
يجوز ان يكون ضربا له وصفة له او للثلاثة او مرتفع بالجار والخبر محذوف مثل قولهم هذا فوج مقتحم معكم
حكاية ما يقال من جهة الخزنة للرؤسا الطاغين اذا دخلوا النار واقتحمها معهم فوج كانوا يتبعونهم فى الكفر
والضلالة والاقتحام الدخول فى الشئ بشدة قال الراغب الاقتحام توسط شدة مخيفة لا مرحبا بهم
من تمام كلام الخزنة بطريق الدعاء على الفوج او صفة للفوج او حال منه او مقول او مقولا فى حقهم
لا مرحبا بهم اى ما اتاهم الله رحبا او لا رحبت بهم الدار مرحبا انهم صالوا النار تعليل من جهة الخزنة
لاستحقاقهم الدعاء عليهم او وصفهم بما ذكر وقيل لا مرحبا بهم الى هنا كلام الرؤسا فى حق اتباعهم عند خطاب
الخزنة لهم باقتحام الفوج معهم تضجرا من مقارنتهم وتنفرا من مصاحبتهم وقيل كلام الرؤسا فى خطاب
بعضهم مع بعض فى حق الاتباع قالوا اى الاتباع عند سماعهم ما قيل فى حقهم ووجه خطابهم للرؤسا فى
قولهم بل انتم لا مرحبا بكم الى اخره على الوجهين الاخيرين ظاهر واما على الوجه الاول فلعلهم انما خوطبوا
مع ان الظاهر ان يقولوا بطريق الاعتذار الى الخزنة بل هم لا مرحبا الى اخره قصدا منهم الى اظهار صدقهم
بالمخاصمة مع الرؤسا والتحاكم الى الخزنة فى قضائهم بتخفيف عذابهم وتضعيف عذاب خصمائهم اى بل انتم احق
بما قيل لنا او قلتم وقوله تعالى انتم قدمتموه لنا تعليل لاحقيتهم بذلك اى انتم قدمتم العذاب او الصلى
لنا واوقعتمونا فيه بتقديم ما يودى اليه من العقايد الزايغة والاعمال السيئة وتزيينها فى اعيننا واغرائنا
عليها لا انا باشرناها من تلقاء انفسنا فبئس القرار اى فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها تغليظ جناية
الرؤسا عليهم قالوا اى الاتباع ايضا وتوسيطه بين كلاميهم لما بينهما من التباين ذاتا وخطابا اى قالوا
معرضين عن خصومتهم متضرعين الى الله تعالى ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار لقولهم
ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار اى عذابا مضاعفا اى ذا ضعف وذلك بان يزيد عليه مثله
ويكون ضعفين كقولهم ربنا آتهم ضعفين من العذاب وقيل المراد بالضعف الحيات والافاعى وقالوا اى
الطاغون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنون فقراء المسلمين الذين كانوا يسترذلونهم
ويسخرون منهم اتخذناهم سخريا بهمزة استفهام سقطت لاجلها همزة الوصل والجملة استيناف لا محل
لها من الاعراب قالوه انكارا على انفسهم وتأنيبا فى الاستسخار ام زاغت عنهم الابصار متصلة باتخذناهم
باتخذناهم على ان ام متصلة والمعنى اى الامرين فعلنا بهم الاستسخار منهم ام الازدراء بهم وتحقيرهم وان
ابصارنا كانت تزيغ عنهم وتقتحمهم على معنى انكار كل واحد من الفعلين على انفسهم توبيخا لها وعلى انها منقطعة
والمعنى اتخذناهم سخريا بل ازاغت عنهم الابصار كقولك ازيد عندك ام عمرو على توبيخ انفسهم على
الاستسخار ثم الاضراب والانتقال منه الى التوبيخ على الازدراء والتحقير وقرئ اتخذناهم بغير همزة على
انه صفة اخرى لرجالا فقوله تعالى ام زاغت عنهم الابصار متصلة بقوله ما لنا لا نراهم فيها وقد جوز ان تكون الهمزة مقدرة
على هذه القراءة وقرئ بالضم السين ان ذلك الذى حكى من احوالهم لحق لا بد من وقوعه البتة وقوله تعالى تخاصم
اهل النار خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لذلك وفى الابهام اولا والتبيين ثانيا مزيد تقرير له وقيل بدل من محل
ذلك وقيل بدل من حق او عطف بيان له وقرئ بالنصب على انه بدل من ذلك وما قيل من انه صفة له فقد
قيل عليه السلام ان اسم الاشارة لا يوصف الا بالمعرف باللام يقال بهذا الرجل ولا يقال بهذا غلام الرجل
ولا يقال بهذا غلام الرجل قل امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول للمشركين انما انا منذر من جهته تعالى
انذركم عذابه وما من اله فى الوجود الا الله الواحد الذى لا يقبل الشركة والكثرة اصلا القهار لكل شئ سواه
رب السموات والارض وما بينهما من المخلوقات فكيف يتوهم ان يكون له شريك منها العزيز الذى لا يغالب
فى امر من اموره الغفار المبالغ فى المغفرة يغفر ما يشاء لمن يشاء وفى هذه النعوت من تقرير التوحيد والوعد
للموحدين والوعيد للمشركين ما لا يخفى وتثنية ما يشعر بالوعيد من وصفى القهر والعزة وتقديمهما على وصف
المغفرة لتوفية مقام الانذار حقه قل تكريرا للامر للايذان بان المقول امر جليل له شان خطير لا بد من
الاعتناء به امرا وايتمارا هو اى ما انبأتكم به من انى منذر من جهته تعالى وانه واحد لا شريك له
وانه متصف بما ذكر من الصفات الجليلة والاظهر انه القران وما ذكر داخل فيه دخولا اوليا كما يشهد به
اخر السورة الكريمة وهو قوله تعالى ابن عباس ومجاهد وقتادة رضى الله عنهم نبأ عظيم وارد من جهته

تعالى

تعالى وقوله تعالى انتم عنه معرضون استيناف ناع عليهم سوء صنيعهم به ببيان انهم لا يقدرون قدره الجليل
حيث يعرضون عنه مع عظمته وكونه موجبا للاقبال الكلى عليه وتلقيه بحسن القبول وقيل صفة اخرى لنبأ
وقوله تعالى ما كان لى من علم بالملأ الاعلى الى اخره استيناف مسوق لتحقيق انه نبأ عظيم وارد من جهته تعالى بذكر
نبأ من انبائه على التفصيل من غير سابقة معرفة به ولا مباشرة سبب من اسبابها المعتادة فان ذلك حجة
بينة دالة على ان ذلك بطريق الوحى من عند الله تعالى وان سائر انبائه ايضا كذلك والملأ الاعلى الملئكة
وادم عليهم السلام وابليس عليه اللعنة وقوله تعالى اذ يختصمون متعلق بمحذوف يقتضيه المقام اذ المراد
نفى علمه عليه السلام بحالهم لا بذواتهم وما كان لى فيما سبق علم ما بوجه من الوجوه بحال الملأ الاعلى وقت
اختصامهم بتقدير الكلام كما اختاره الجمهور مجرى للواسع فان علمه عليه السلام غير مقصور على ما جرى بينهم من الاقوال
فقط بل عام لها وللافعال ايضا من سجود الملئكة واستكبار ابليس وكفره حسبما ينطق به الوحى فلا بد من
اعتبار العموم فى نفيه ايضا لا محالة وقوله تعالى ان يوحى الى الا انما انا نذير مبين اعتراض وسط بين
اجمال اختصامهم وتفصيله تقرير الثبوت علمه عليه السلام وتعيينا لسببه الا ان بيان انتفائه فيما سبق لما كان
منبئا على ثبوته الان ومن البين عدم ملابسته عليه السلام بشئ من مباديه المعهودة تعين انه ليس الا بطريق
الوحى حتما فجعل ذلك امرا مسلم الثبوت غنيا عن الاخبار به قصدا وجعل مصب الفائدة والمقصود من
اخباره ما هو داع الى الوحى ومصحح له تحقيقا لقوله تعالى انما انا منذر فى ضمن تحقيق علمه عليه السلام بقصة الملأ
الاعلى فالقائم مقام الفاعل ليوحى اما ضمير عائد الى الحال الا انما انا منذر مبين من جهته تعالى فان كونه
عليه السلام كذلك من دواعى الوحى وموجباته حتما واما ان القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور وهو انما انا
نذير مبين بلا تقدير الجار فان المعنى ما يوحى الى الانذار وما يوحى الى الا ان انذر وابلغ وكلا افرط فى ذلك
كما قيل فمع ما فيه من الاضطرار الى التكلف فى توجيه قصر الوحى على كونه للانذار فى الاول وقصره على
الانذار فى الثانى خلا يساعده سياق النظم الكريم وسياقه كيف لا والاعتراض حينئذ يكون اجنبيا مما توسط
بينهما من اجمال الاختصام وتفصيله فتأمل والله المرشد وقرئ انما بالكسر بالحكاية وقوله تعالى اذ
اذ قال ربك للملئكة شروع فى تفصيل ما اجمل من الاختصام الذى هو ما جرى بينهم من التقاول وحيث
كان تكليمه تعالى اياهم بواسطة الملك صح اسناد الاختصام الى الملئكة واذ بدل من اذ الاولى وليس من
ضرورة البدلية دخولها على نفس الاختصام بل يكفى اشتمال ما فى حيزها عليه فان القصة ناطقة بذلك
تفصيلا والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والاشعار بالايذان
بان وحى هذا النبأ اليه تربية وتأييد له عليه السلام والكاف وارد على اصل الامر لكونه واجبا منزلا من عنده
تعالى كما فى قوله تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الى اخره دون حال المأمورين الا لقيل ربى لانه داخل فى
حيز الامر انى خالق اى فيما سيأتى وفيه ما ليس فى صيغة المضارع من الدلالة على انه تعالى فاعل له البتة من غير
صارف يلويه ولا عاطف يثنيه بشرا قيل اى جسما كثيفا يلاقى ويباشر وقيل خلقا باديا البشرة بلا صوف
ولا شعر ولعل ما جرى عنده عليه السلام وقوع المحكى ليس هذا الاسم الذى لم يخلق مسماه حينئذ فضلا عن تسميته به
بل عبارة كاشفة عن حاله وانما عبر عنه بهذا الاسم عند الحكاية من طين لم يتعرض من بشىء من اوصافه من التغير
والاسوداد والمسنونية اكتفاء بما ذكر فى مواضع اخر فاذا سويته اى صورته بالصورة الانسية والخلقة
البشرية او سويت اجزاء بدنه بتعديل طبايعه ونفخت فيه من روحى النفخ اجراء الريح الى تجويف جسم صالح
لامساكها والامتلاء بها وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة
القابلة لها اى فاذا كملت استعداده وافضت عليه ما يحيى به من الروح التى هى من امرى فقعوا له امر من
وقع وفيه دليل على ان المأمور به ليس مجرد الانحناء كما قيل اى اسقطوا له ساجدين تحية له وتكريما
فسجد الملئكة كلهم اى فخلقه فسواه ونفخ فيه الروح فسجد له الملئكة كلهم بحيث لم يبق منهم احد الا
سجد اجمعون اى بطريق المعية بحيث لم يتأخر فى ذلك اليوم احد عن احد ولا اختصاص لافادة هذا المعنى
بالحالية بل يفيده التأكيد ايضا وقيل اكد بتأكيدين مبالغة فى التعميم هذا وان سجودهم هذا مترتب
على ما حكى من الامر التعليقى كما تقتضيه هذه الاية الكريمة والتى فى سورة الحجر فان ظاهرهما يستدعى
ترتبه عليه من غير ان يتوسط بينهما شئ وغير ما يفصح عنه الفصيحة من الخلق والتسوية ونفخ الروح
الا ما يحكيه كما يقتضيه ما فى سورة البقرة وسورة الاعراف الا ابليس استيناف مبين لكيفية
ترك السجود المفهوم من الاستثناء فانه تركه يحتمل ان يكون للتامل والتروى وفيه يتحقق انه للاباء
والاستكبار وعلى الثانى يجوز اتصاله بما قبله اى لكن ابليس استكبر وكان من الكافرين اى وصار منهم بمخالفته
للامر واستكباره عن الطاعة او كان منهم فى علم الله عز وجل قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدى اى خلقته بالذات من غير توسط اب وام والتثنية لابراز كمال الاعتناء بخلقه عليه السلام المستدعى

استثناء واحدا منهم اولان الملئكة جنس ... وعلى قوله تعالى الا ابليس ... معهم او منقطع

١٢

لاجلاله وتعظيمه قصدا الى تأكيد الانكار وتشديد التوبيخ استكبرت بهمزة الانكار وطرح همزة الوصل اى
اتكبرت من غير استحقاق ام كنت من العالين المستحقين للتفوق وقيل استكبرت الان ام لم تزل مذ كنت من
المستكبرين وقرئ بحذف همزة الاستفهام ثقة بدلالة ام عليها وقوله تعالى قال انا خير منه ادعى منه
بشئ مستلزم لمنعه من السجود على زعمه واشعار بانه لا يليق ان يسجد الفاضل للمفضول كما يعرب عنه قوله
تعالى لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون وقوله تعالى خلقتنى من نار وخلقته من طين
تعليل لما ادعاه من فضله عليه السلام ولقد اخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة والعنصر وذهل
عنه ما من جهة الفاعل كما انبأ عنه قوله تعالى لما خلقت بيدى وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله
تعالى ونفخت فيه من روحى وما من جهة الغاية وهو ملاك الامر ولذلك امر الملئكة بسجوده عليه
السلام حين ظهر لهم انه اعلم منهم بما يدور عليه امر الخلافة في الارض وان له خواص ليست لغيره
قال فاخرج منها الفاء لترتيب الامر على ما ظهر من اللعين من المخالفة للامر الجليل وتعليلها بالاباطيل اى
فاخرج من الجنة او من زمرة الملئكة وهو المراد بالامر بالهبوط من السماء كما قيل فان وسوسته لآدم
عليه السلام كانت بعد هذا الطرد وقد بين كيفية وسوسته في سورة البقرة وقيل اخرج من الخلقة التى
كنت فيها وانسلخ منها فانه كان يفتخر بخلقته فغير الله تعالى خلقته فاسود بعد ما كان ابيض وقبح
بعد ما كان حسنا واظلم بعد ما كان نورانيا وقوله تعالى فانك رجيم تعليل للامر بالخروج اى مطرود من كل خير
وكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة او شيطان يرجم بالشهب وان عليك لعنتى اى ابعادى عن الرحمة
وتقييدها بالاضافة مع اطلاقها في قوله تعالى وان عليك اللعنة لما ان لعنة اللاعنين من الملئكة
والثقلين ايضا من جهته تعالى وانهم يدعون عليه بلعنة الله وابعاده من الرحمة الى يوم الدين اى يوم
الجزاء والعقوبة وفيه ايذان بان اللعنة مع كمال فظاعتها ليست جزاء لجنايته بل هى انموذج مما سيلقاه
مستمرا الى ذلك اليوم لكن لا على انها تنقطع يومئذ كما يوهمه ظاهر التوقيت بل على انه سيلقى يومئذ
من الوان العذاب وافانين العقاب ما ينسى عنده اللعنة ويصير كالزائل الا يرى الى قوله تعالى فاذن
مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى ويلعن بعضكم بعضا قال رب فانظرنى اى امهلنى
واخرنى والفاء متعلقة بمحذوف ينسحب عليه الكلام اى اذ جعلتنى رجيما فامهلنى ولا تمتنى الى يوم يبعثون
اى آدم وذريته للجزاء بعد فنائهم واراد بذلك ان يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو
من الموت بالكلية اذ لا موت بعد يوم البعث قال فانك من المنظرين وورود الجواب بالجملة الاسمية
مع التعرض لشمول ما سأله الآخرين على وجه يشعر بكون السائل تبعا لهم في ذلك دليل واضح على انه
اخبار بالانظار المقدر لهم ازلا لا انشاء الانظار خاص به قد وقع اجابة لدعائه وان استنظاره كان طلبا لتأخير
الموت اذ به يتحقق كونه منهم لا لتأخير العقوبة كما قيل فان ذلك معلوم من اضافة اليوم الى الدنيا
اولئك من جملة الذين اخرت آجالهم ازلا حسبما يقتضيه كلمة التكوين الى يوم الوقت المعلوم الذى
قدره الله تعالى وعينه لفناء الخلائق وهو وقت النفخة الاولى لا الى وقت البعث الذى هو المسئول فالفاء
ليست لربط نفس الانظار بالاستنظار بل لربط الاخبار المذكور به كما في قوله من قال لك فان ترحم فانت لذلك
اهل فانه لا امكان لجعل الفاء فيه ما له تعالى من الاهلية القديمة للرحمة الحادثة بل هى لربط الاخبار
بتلك الاهلية للرحمة بوقوعها هنا وقد ترك التوقيت في سورة الاعراف كما ترك النداء والفاء في الاستنظار
والانظار تعويلا على ما ذكر ههنا وفى سورة الحجر فان قيل اليس ان كل وجه من وجوه النظم الكريم لا
بد ان يكون له مقام يقتضيه مغاير لمقام غيره وان ما حكى عن اللعين ان ما صدر عنه مرة وكذا جوابه
لم يقع الا دفعة فمقام الاستنظار والانظار ان اقتضى احد الوجوه المحكية فذلك الوجه هو المطابق
لمقتضى الحال والبالغ الى رتبة البلاغة ودرجة الاعجاز وما عداه من الوجوه فهو بمعزل من بلوغ
طبقة البلاغة فضلا عن العروج الى معارج الاعجاز فقد سلف تحقيقه في سورة الاعراف بفضل الله
تعالى وتوفيقه والله اعلم قال فبعزتك الباء للقسم والفاء لترتيب مضمون الجملة على الانظار ولا ينافيه
قوله تعالى فبما اغويتنى وقوله تعالى رب بما اغويتنى فان اغواءه تعالى اياه اثر من آثار قدرته تعالى
وعزته وحكم من احكام قهره وسلطنته فمآل الاقسام بهما واحد ولعل اللعين اقسم بهما جميعا فحكى
تارة قسمه باحدهما واخرى بالآخر اى فاقسم بعزتك لاغوينهم اجمعين اى ذرية آدم بتزيين المعاصى
لهم الا عبادك منهم المخلصين وهم الذين اخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من الغواية وقرئ
المخلصين على صيغة الفاعل اى الذين اخلصوا قلوبهم واعمالهم لله تعالى قال اى الله عز وجل فالحق والحق
اقول برفع الاول على انه مبتدأ محذوف الخبر او خبر محذوف المبتدأ ونصب الثانى على انه مفعول لما بعده
قدم عليه للقصر اى لا اقول الا الحق والفاء محذوف الخبر او خبر محذوف لترتيب ما بعدها على ما قبلها

اى

اى فالحق قسمى لاملان جهنم على ان الحق اما اسمه تعالى او نقيض الباطل عظمه الله تعالى باقسامه او فانا
احق او فقولى الحق وقوله تعالى لاملان الى آخره جواب لقسم محذوف اى والله لاملان الى آخره وقوله تعالى
والحق على تقدير اعتراض مقرر على الوجهين الاولين لمضمون الجملة القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة
القسمية وعلى الوجه الثالث لمضمون الجملة المتقدمة اعنى فقولى الحق وقرئا منصوبين على ان الاول مقسم
به كقولك الله لافعلن وجوابه لاملان وما بينهما اعتراض وقرئا مجرورين على
ان الاول مقسم به قد اضمر حرف قسمه كقوله والله لافعلن والحق اقول على حكاية لفظ المقسم على
تقدير كونه نقيض الباطل ومعناه التاكيد والتشديد وقرئ بجر الاول على اضمار حرف القسم
ونصب الثانى على المفعولية منك اى من جنسك من الشياطين وممن تبعك في الغواية والضلال
منهم من ذرية آدم اجمعين تأكيد للكاف وما عطف عليه لاملانها من المتبوعين والاتباع اجمعين لقوله
تعالى لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين وهذا القول هو المراد بقوله تعالى ولكن حق القول منى
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وحيث كان مناط الحكم ههنا اتباع الشياطين اتضح ان مدار عدم
المشيئة في قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها اتباع الكفرة للشياطين لسوء اختيارهم لا تحقق
القول فليس في ذلك شائبة الجبر فتدبروا الله اعلم قل ما اسألكم عليه اى على القرآن او على تبليغ ما
يوحى الى من اجر دنيوى وما انا من المتكلفين اى المتصنعين بما ليسوا من اهله حتى انتحل النبوة واتقول
القرآن ان هو الا ذكر من الله عز وجل للعالمين للثقلين كافة ولتعلمن نبأه اى ما انبأ به من الوعد والوعيد
وغيرهما او صحة خبره وانه الحق والصدق بعد حين بعد الموت او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام
وفشوه وقيل من بقى علم ذلك اذا ظهر امره وعلا ومن مات علمه بعد الموت وفيه من التهديد ما لا
يخفى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله تعالى لداود عليه
السلام عشر حسنات وعصمه ان يصر على ذنب كبيرا وصغيرا وقيل ابو امامة اسمه الله تعالى من كل ذنب كبيرا او صغير

بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب خبر لمبتدأ محذوف هو اسم اشارة اشير به الى
السورة تنزيلا لها منزلة الحاضر المشار اليه لكونها على شرف الذكر والحضور كما مر مرارا وقيل هو ضمير
عائد الى الذكر في قوله تعالى ان هو الا ذكر للعالمين وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم صلة للتنزيل او
خبر او حال من التنزيل وعاملها معنى الاشارة او من الكتاب الذى هو مفعول معنى عاملها المضاف
وقيل هو خبر لتنزيل الكتاب والاوجه الاول اوفى بمقتضى المقام الذى هو بيان السورة او القرآن
تنزيل الكتاب من الله تعالى لا بيان ان تنزيل الكتاب منه تعالى لا من غيره كما يفيده الوجه الاخير
وقرئ تنزيل الكتاب بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ او الزم والتعرض لوصفى العزة والحكمة للايذان
بظهور اثرهما في الكتاب بجريان احكامه ونفاذ اوامره ونواهيه من غير مدافع ولا مانع وبابتناء
جميع ما فيه على اساس الحكم الباهرة والآيات القاهرة وقوله تعالى والمراد بالكتاب هو القرآن
واظهاره على تقدير كونه هو المراد بالاول ايضا لتعظيمه ومزيد الاعتناء بشأنه والباء اما متعلقة
بالانزال اى بسبب الحق واثباته واظهاره او بداعية الحق واقتضائه للانزال واما بمحذوف هو حال من
نون العظمة او من الكتاب اى انزلناه اليك محقين في ذلك او انزلناه ملتبسا بالحق والصواب اى كل ما
فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل به حتما والفاء في قوله تعالى فاعبد الله مخلصا له الدين لترتيب الامر
بالعبادة على انزال الكتاب اليك بالحق اى فاعبده تعالى ممحضا له الدين من شوائب الشرك والريا
حسبما تبين في تضاعيف ما انزل اليك وقرئ بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم عليه لتأكيد الاختصاص
المستفاد من اللام والجملة استئناف وقع تعليلا للامر باخلاص الدين له تعالى العبادة وقوله عز وعلا
الا لله الدين الخالص استئناف مقرر لما قبله من الامر باخلاص الدين له تعالى ووجوب الامتثال به على
القراءة الاخيرة مؤكد لاختصاص الدين به تعالى اى الا هو الذى يجب ان يخص باخلاص الطاعة لانه المتفرد
بصفات الالوهية التى من جملتها الاطلاع على السرائر والضمائر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اولياء
الى آخره تحقيق لحقية ما ذكر من اخلاص الدين الذى هو عبارة عن التوحيد ببيان بطلان الشرك الذى
هو عبارة عن ترك اخلاصه والموصول عبارة عن المشركين ومحل الرفع على الابتداء خبره ما سيأتى من الجملة
المصدرة بان والاولياء من الملئكة وعيسى عليهم السلام والاصنام وقوله تعالى ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله
زلفى حال بتقدير القول من واو اتخذوا مبينة لكيفية اشراكهم وعدم خلوص دينهم والاستثناء مفرغ

انا انزلنا اليك الكتاب بالحق شروع في بيان المنزل
اليه وما يجب عليه اثر بيان شأن المنزل وكونه من عند
الله تعالى صح

من اعم العلل وزلفى مصدر موكد على غير لفظ الصدر ملاق له في المعنى اى والذين لم يخلصوا العبادة لله تعالى
بل شابوها بعبادة غيره قايلين ما نعبدهم لشىء من الاشيا الا ليقربونا الى الله تعالى تقريبا ان الله يحكم بينهم اى
وبين خصمائهم الذين هم المخلصون من الخصم وقد حذف لدلالة الحال عليه كما في قوله تعالى لا نفرق بين احد
من رسله على احد الوجهين اى بين احد منهم وبين غيره وعليه قول النابغة ٭ فما كان بين الخير لو جاء سالما ٭ ابو حجر
الا ليال قلايل ٭ اى بين الخير وبينى وقيل ضمير بينهم للفريقين جميعا فيما هم فيه يختلفون من الدين الذى اختلفوا
فيه بالتوحيد والاشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك ادخال الموحدين الجنة
وادخال المشركين النار فالضمير للفريقين هذا هو الذى يستدعيه سياق النظم الكريم وانما يجوز ان يكون الموصول
عبارة عن المعبودين على حذف العايد على اضمار المشركين من غير ذكر تعويلا على دلالة الميثاق عليهم ويكون
التقدير والذين اتخذهم المشركون اوليا قايلين ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله تعالى ان الله يحكم بينهم اى بين
العبدة والمعبودين فيما هم فيه يختلفون حيث يرجوا العبدة شفاعتهم وهم يلعنونهم فبعد الاغضاء عما
فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها
الفريقان اختلافا محوجا الى الحكم والفصل وانما ذلك ما بين فريق الموحدين والمشركين في الدنيا من الاختلاف
في الدين الباقى الى يوم القيمة وقرئ قالوا ما نعبدهم فهو بدل من الصلة الاولى على من الموصول كما قيل اذ
ليس في الاخبار بذلك مزيد مزية وقرئ ما نعبدكم الا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به الهتهم وقرئ نعبدهم
اتباعا للباء ان الله لا يهدى اى لا يوفق للاهتدا الى الحق الذى هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب
من هو كاذب كفار اى راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قوله كذاب كفور فانهما فاقدان للبصيرة
غير قابلين للاهتداء لتغييرهما الفطرة الاصلية بالتمرن في الضلالة والتمادى في الغى والجملة تعليل لما ذكر
من حكمه تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا الى اخره استيناف مسوق لتحقيق الحق وابطال القول بان الملكة بنات
الله تعالى وعيسى ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه تعالى على الاطلاق ليندرج
فيه استحالة ما قيل اندراجا اوليا اى لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لاصطفى اى لاتخذ مما يخلق اى
من جملته ما يخلقه او من جنس ما يخلقه ما يشاء ان يتخذه اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوق له تعالى لامتناع
تعدد الواجب ووجوب استناد جميع ما عداه اليه ومن البين ان اتخاذ الولد منوط بالمماثلة بين المتخذ والمتخذ وان
المخلوق لا يماثل خالقه حتى يمكن اتخاذه ولدا فما فرضناه اتخاذ ولد بل اصطفا عبد واليه اشير حيث وضع
الاصطفا موضع الاتخاذ الذى يقتضيه الشرطية تنبيها على استحالة مقدمها لاستلزام فرض وقوعه بل
فرض ارادة وقوعه انتفاءه اى لو اراد الله تعالى ان يتخذ ولدا لفعل شيئا ليس هو من اتخاذ الولد في شىء
اصلا بل انما هو اصطفا عبد ولا ريب في ان ما يستلزم فرض وقوعه انتفاؤه فهو ممتنع قطعا فكانه قيل
لو اراد الله ان يتخذ ولدا لامتنع ولم يصح لكن لا على ان الامتناع منوط بتحقق الارادة بل على انه محقق
عندها بطريق الاولوية على منوال لو لم يخف الله لم يعصه وقوله سبحانه تقرير لما ذكر من استحالة اتخاذ
الولد في حقه تعالى وتاكيد له ببيان تنزهه تعالى عنه اى تنزه بالذات عن ذلك تنزهه الخاص به على ان
السبحان مصدر من سبح اى بعد او اسبحه تسبيحا لائقا به على انه علم للتسبيح مقول على السنة العباد
او سبحوه تسبيحا حقيقا بشانه وقوله تعالى هو الله الواحد القهار استيناف مبين لتنزهه تعالى بحسب الصفات
اثر بيان تنزهه تعالى عنه بحسب الذات فان صفة الالوهية المستتبعة لساير صفات الكمال النافية لسمات
النقصان والوحدة الذاتية الموجبة لامتناع المماثلة والمشاركة بينه وبين غيره على الاطلاق مما
تنزهه تعالى عما قالوه قضا متقنا وكذا وصف القهارية لما ان اتخاذ الولد شان من يكون تحت ملكوت
الغير عرضة للفنا ليقوم ولده مقامه عند فنائه وهو مستحيل الفنا قهار لكل الكاينات كيف يتصور
ان يتخذ من الاشيا الفانية ما يقوم مقامه وقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق تفصيل لبعض
افعاله الدالة على تفرده سبحانه وتعالى بما ذكر من الصفات الجليلة اى خلقهما وما بينهما من الموجودات ملتبسة
بالحق والصواب مشتملة على الحكم والمصالح وقوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل بيان
لكيفية تصرفه تعالى فيهما بعد بيان خلقهما فان حدوث الليل والنهار في الارض منوط بتحريك السموات اى
يغشى كل واحد منهما الاخر كانه يلفه عليه لف اللباس على اللابس او يغيبه به كما يغيب الملفوف باللفافة او يجعله كارا
عليه كرورا متتابعا تتابع اكوار العمامة وصيغة المضارع للدلالة على التجدد وسخر الشمس والقمر جعلهما
منقادين لامره تعالى وقوله تعالى كل يجرى لاجل مسمى بيان لكيفية تسخيرهما اى كل منهما يجرى لمنتهى دورته
او منقطع حركته وقد مر تفصيله غير مرة الا هو العزيز الغالب القادر على كل شىء من الاشيا التى من
جملتها عقاب العصاة الغفار المبالغ في المغفرة ولذلك لا يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنايع
البديعة من اثار الرحمة وتصدير الجملة بحرف التنبيه لاظهار كمال الاعتنا بمضمونها خلقكم من نفس واحدة بيان

لبعض

لبعض اخر من افعاله الدالة على ما ذكر وترك عطفه على خلق السموات للايذان باستقلاله في الدلالة
لما فيه من تعاجيب اثار القدرة واسرار الحكمة واصالته في المعرفة فان الانسان بحال نفسه اعرف والمراد
بالنفس نفس ادم عليه السلام وقوله تعالى ثم جعل منها زوجها اى على معنى واحدة اى من نفس وحدت
ثم جعل زوجها فشفعها او على خلقكم لتفاوت ما بينهما في الدلالة فانهما وان كانتا ايتين دالتين على ما ذكر
لكن الاولى لاستمرارها صارت معتادة خارجة عن قياس الاولى كما يشعر به التعبير عنها بالجعل دون الخلق
كانت ادخل في كونها اية فهو من التراخي في الحال والمنزلة وقيل اخرج ذرية ادم من ظهره كالذر ثم خلق
منه حوا ففيه ثلث ايات مرتبة خلق ادم عليه السلام بلا اب وام وخلق حوا من قصيراه ثم تشعب
الخلايق الفايتة للحصر منهما وقوله تعالى وانزل لكم بيان لبعض اخر من افعاله الدالة على ما ذكر اى قضى
او قسم لكم فان قضاياه وقسمه توصف بالنزول من السما حيث تكتب في اللوح المحفوظ او احدث لكم باحداث
اسباب النازلة من السما كالامطار واشعة الكواكب من الانعام ثمانية ازواج ذكرا وانثى من الابل
والبقر والضان والمعز وقيل خلقها في الجنة ثم انزلها وتقديم الظرفين على المفعول الصريح لما مر مرارا من
الاعتنا بالمقدم والتشويق الى ما اخر فان كون الانزال لنفعهم وكونه من الجهة العالية من الامور المهمة
المشوقة الى ما انزل لا محالة وقوله تعالى يخلقكم في بطون امهاتكم استيناف مسوق لبيان كيفية خلقهم
والاطوار المختلفة الدالة على القدرة الباهرة وصيغة المضارع للدلالة على التدرج والتجدد وقوله تعالى
خلقا من بعد خلق مصدر موكد اى يخلقكم فيها خلقا كاينا من بعد خلق اى خلقا مدرجا حيوانا سويا من بعد
عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من
بعد نطفة في ظلمات ثلث متعلق بيخلقكم وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة او ظلمة الصلب
والبطن والرحم ذلكم اشارة اليه تعالى باعتبار افعاله المذكورة وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد
منزلته تعالى في العظمة والكبرياء ومحله الرفع على الابتداء اى ذلكم العظيم الشان الذى عددت افعاله
الله وقوله تعالى ربكم خبر اخر اى مربيكم فيما ذكر من الاطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة
له الملك على الاطلاق في الدنيا والاخرة وليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه والجملة خبر اخر
وكذا قوله تعالى لا اله الا هو والفاء في قوله تعالى فانى تصرفون لترتيب ما بعدها على ما ذكر من شؤونه تعالى
اى فكيف تصرفون عن شؤونه تعالى مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية الى عبادة
غيره من غير داع اليها مع كثرة الصوارف ان تكفروا به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من نعوت جلاله ومعرفة شؤونه
العظيمة الموجبة للايمان والشكر فان الله غنى عنكم اى فاعلموا انه تعالى غنى عن ايمانكم وشكركم غير متاثر من
انتفايهما ولا يرضى لعباده الكفر اى عدم رضاه بكفر عباده لاجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره
تعالى به وان تشكروا يرضه لكم اى يرض الشكر لاجلكم ومنفعتكم لانه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه
تعالى به وانما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم وتعليله بكونهم عباده وقرئ يرضه باسكان الهاء ولا تزر وازرة
وزر اخرى بيان لعدم سراية كفر الكافر الى غيره اصلا اى لا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس اخرى
ثم الى ربكم مرجعكم بالبعث بعد الموت فينبئكم عند ذلك بما كنتم تعملون في الدنيا من اعمال
الكفر والايمان اى يجازيكم بذلك ثوابا وعقابا انه عليم بذات الصدور اى بمضمرات القلوب فكيف بالاعمال
الظاهرة وهو تعليل للتنبئة واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه راجعا اليه مما كان يدعوه
في حالة الرخاء لعلمه بانه بمعزل من القدرة على كشف ضره وهذا وصف للجنس بحال بعض افراده كقوله
تعالى ان الانسان لظلوم كفار ثم اذا خوله نعمة منه اى اعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى من التخويل
وهو التعهد اى جعله خائل مال من قولهم فلان خائل مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به او من الخول
وهو الافتخار اى جعله يخول اى يختال ويفتخر نسى ما كان يدعو اليه اى نسى الضر الذى كان يدعو الله
الى كشفه من قبل اى من قبل التخويل او نسى ربه الذى كان يدعوه ويتضرع اليه اما بناء على ان ما
بمعنى من كما في قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى وقوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد واما ايذانا بان
شانه بلغ من الجهل بحيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلا عن ان يعرف من هو كما مر في قوله تعالى
وجعل لله اندادا شركاء في العبادة ليضل الناس عن سبيله الذى هو التوحيد وقرئ ليضل بفتح
الياء اى ليزداد ضلالا او يثبت عليه والا فاصل الضلال غير متاخر عن الجعل المذكور واللام لام
العاقبة كما في قوله تعالى فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا خلا ان هذا اقرب الى الحقيقة لان
الجاعل هاهنا قاصد بجعله المذكور حقيقة الاضلال والضلال وان لم يعرف لجهله انهما ضلال واضلال
واما ال فرعون فهم غير قاصدين بالالتقاط العداوة اصلا قل تهديدا لذلك الضال المضل وبيانا لحاله
وماله تمتع بكفرك قليلا اى تمتعا قليلا او زمانا قليلا انك من اصحاب النار اى من ملازميها والمعذبين

فيها على التحاما وهو تعليل لقلة التمتع وفيه من الاقناط من النجاة ما لا يخفى كانه قيل اذا ثبت قبول ما امرت
به من الايمان والطاعة فمن حقك ان تؤمن بنبيك لتدفعوا عقوبته ام من هو قانت اناء الليل الى اخره من تمام
الكلام المأمور به وام اما متصلة قد حذف معادلها ثقة بدلالة مساق الكلام عليه كانه قيل له تاكيدا للتهديد
وتهكما به انت احسن حالا ومالا ام من هو قائم بمواجب الطاعات ودائم على اداء وظائف العبادات في ساعات
الليل التي السلو عنى الا عند مساس الضر فقط لذابك حال كونه ساجدا وقائما اى جامعا بين الوصفين
المحمودين وتقديم السجود على القيام لكونه ادخل في معنى العبادة وقرئ كلاهما بالرفع على انه خبر بعد خبر
يحذر الاخرة حال اخرى على التداخل او الترادف او استيناف وقع جوابا عما نشأ من حكاية حاله من القنوت
والسجود والقيام كانه قيل ما باله يفعل ذلك فقيل يحذر عذاب الاخرة ويرجوا رحمة ربه فينجوا بذلك
مما يحذره ويفوز بما يرجوه كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التبليغ الى الكمال مع الاضافة
الى ضمير الراجي لا انه يحذر ضر الدنيا ويرجوا خيرها فقط واما منقطعة وما فيها من الاضراب للانتقال
من التبكيت بتكليف الجواب الملجئ الى الاعتراف بما بينهما من التباين البين كانه قيل بل امن هو
قانت الى اخره افضل ام من هو كافر كما هو المعنى على قراءة التخفيف قل بيانا للحق وتنبيها على شرف العلم
والعمل هل يستوي الذين يعلمون حقائق الاحوال فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور والذين لا يعلمون
او ما ذكر شيئا فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كالذلك والاستفهام للتنبيه على ان كون الاولين في اعلى
معارج الخير وكون الاخرين في اقصى مدارج الشر من الظهور بحيث لا يكاد يخفى على احد من منصف ومكابر
وقيل هو وارد على سبيل التشبيه اى كما لا يستوي العالمون والجاهلون لا يستوي القانتون والعاصون وقوله
تعالى انما يتذكر اولوا الالباب كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى بعد الامر
بما ذكر من القوارع الزاجرة عن الكفر والمعاصي لبيان عدم تاثيرها في قلوب الكفرة لاختلال عقولهم كما في قول
من قال • عوجوا لمحمي النعمي دمنة الدار • ماذا تحيون من نؤى واحجار • اى انما يتعظ بهذه البيانات الواضحة
اصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل وهؤلاء بمعزل من ذلك وقرئ انما يذكر بالادغام قل يا عبادى الذين
امنوا اتقوا ربكم امر رسول الله ﷺ بتذكير المؤمنين وحملهم على التقوى والطاعة اثر تخصيص التذكر باولى
الالباب ايذانا بانهم كما سيصرح به اى قل لهم قولى هذا بعينه وفيه تشريف لهم باضافتهم الى ضمير الجلالة
ومزيد الاعتناء بشأن المأمور به فان نقل عين امر الله سبحانه وتعالى ادخل في ايجاب الامتثال به وقوله تعالى
للذين احسنوا الحسنى تعليل للامر اى لوجوب الامتثال به وايراد الاحسان في حيز الصلة دون التقوى للايذان
بانه من باب الاحسان وانهما متلازمان وكذا الصبر كما مر في قوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم
محسنون وفي قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق
باحسنوا اى عملوا الاعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الاخلاص وهو الذي عبر عنه رسول الله ﷺ حين سئل عن الاحسان
بقوله ﷺ ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك حسنة اى حسنة عظيمة لا يكتنه كنهها وهي
الجنة وقيل هو متعلق بحسنة على انه بيان لمكانها او حال من ضميرها في الظرف فالمراد حينئذ الصحة والعافية
وارض الله واسعة فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والاحسان في وطنه فليهاجر الى حيث يتمكن فيه من ذلك
كما هو سنة الانبياء والصالحين فانه لا عذر له في التفريط اصلا وقوله تعالى انما يوفى الصابرون الى اخره ترغيب
في التقوى المأمور بها اى ايثار الصابرين على المتقين للايذان بانهم حائزون لفضيلة الصبر كحيازتهم لفضيلة الاحسان
لما اشير اليه من استلزام التقوى مع ما فيه من زيادة حث على المصابرة والمجاهدة في تحمل مشاق المهاجرة
ومتاعبها اى انما يوفى الذين صبروا على دينهم وحافظوا على حدوده ولم يفرطوا في مراعات حقوقه لما اعتراهم في
ذلك من فنون الالام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الاهل ومفارقة الاوطان اجرهم بمقابلة ما كابدوا
من الصبر بغير حساب اى بحيث لا يحصى ولا يحصر عن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدي اليه حساب الحساب
ولا يعرف وفي الحديث انه تنصب الموازين يوم القيمة لاهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها اجورهم ولا
تنصب لاهل البلايا بل يصب عليهم الاجر صبا حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض
مما يذهب به اهل البلا من الفضل قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين اى من كل ما ينافيه من الشرك
والريا وغير ذلك امر رسول الله ﷺ ببيان ما امر به نفسه من الاخلاص في طاعة الله تعالى الذي هو عبارة
عما امر به المؤمنون من التقوى مبالغة في حثهم على الاتيان بما كلفوه وتمهيد لما يعقبه مما خوطب به المشركون
وامرت لان اكون اول المسلمين اى وامرت بذلك لاجل ان اكون مقدمهم في الدنيا والاخرة لان احراز قصب
السبق في الدين بالاخلاص فيه والعطف لمغايرة الثاني الاول بتقييده بالعلة والاشعار بان العبادة
المذكورة كما يقتضي الامر بها لذاتها تقتضيه لما يلزمها من السبق في الدين ويجوز ان تجعل اللام مزيدة كما في اردت
ان اقوم بدليل قوله تعالى وامرت ان اكون اول من اسلم فالمعنى وامرت ان اكون اول من اسلم من اهل زماني او

قومي اني اكون اول من دعى غيره الى ما دعى اليه نفسه قل اني اخاف ان عصيت ربي بترك الاخلاص والميل الى
ما انتم عليه عذاب يوم عظيم هو يوم القيمة وصف بالعظمة لعظمة ما فيه من الدواهي والاهوال قل الله اعبد
لا غيره لا استقلالا ولا اشتراكا مخلصا له ديني من كل مشوب امر ﷺ ثانيا ببيان كونه مامورا بعبادة الله
واخلاص الدين له ثم بالاخبار بخوفه من العذاب على تقدير العصيان بالاخبار بامتثاله بالامر على ابلغ وجه
واكده اظهارا لتصلبه في الدين حسما لاطماعهم الفاسدة تمهيدا لتهديدهم بقوله تعالى فاعبدوا ما شئتم ان
تعبدوه من دونه تعالى وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كانهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه
امروا به كيما يحل عليهم العقاب قل ان الخاسرين اى الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن اضاعة ما يهمه واتلاف
ما لا بد منه الذين خسروا انفسهم واهليهم باختيار الكفر لهما اى اضاعوهما واتلفوهما يوم القيمة حين يدخلون
النار حيث عرضوهما للعذاب السرمدي واوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها وقيل خسروا اهليهم لانهم ان كانوا
من اهل النار فقد خسروهم كما خسروا انفسهم وان كانوا من اهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا اياب بعده
وفيه ان المحذور ذهاب ما لو اب لا ينقطع به الخاسر وذلك غير متصور في الشق الاخير وعدم الحضور وهو لا يضر
لم يدخلوا مدخل الذين لهم اهل في الجنة وخسروا اهليهم الذين كانوا يتمتعون بهم لو امنوا
المراد تحريف الكاملين في الخسران بل بيان بما يعم اما بجعل الموصول عبارة عنهم
الا ذلك هو الخسران المبين مع الجملة الاستئنافية وتصديرها بحرف التنبيه
والاشارة بذلك الى بعد منزلة المشار اليه في الشر وتوسيط ضمير الفصل وتعريف الخسران ووصفه بالمبين
من الدلالة على كمال هوله وفظاعته وانه لا خسران وراءه ما لا يخفى وقوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار
الى اخره بيان لخسرانهم بعد تهويله بطريق الابهام على ان لهم خبر لظلل ومن فوقهم متعلق بمحذوف وقع
حالا من ظلل والظرف من النار صفة لظلل اى لهم كائنة من فوقهم ظلل كائنة من النار ومن تحتهم ظلل
ظلل كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض كائنة من النار ومن تحتهم ايضا ظلل اى اطباق كثيرة بعضها
ظلل للاخرين بل لهم ايضا ذلك العذاب الفظيع هو الذي يخوف الله تعالى به عباده ويحذرهم
اياه بايات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه يا عباد فاتقون ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة
من الله تعالى ونصيحة بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة وقرئ يا عبادي والذين اجتنبوا الطاغوت اى
البالغ اقصى غاية الطغيان فعلوت منه بتقديم اللام على العين بنى للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت ثم
وصف به للمبالغة في النعت والمراد به الشيطان ان يعبدوها بدل اشتمال منه فان عبادة غير الله تعالى عبادة
للشيطان وانابوا الى الله واقبلوا اليه معرضين عما سواه اقبالا كليا لهم البشرى بالثواب
على السنة الرسل او الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون وبعد ذلك فبشر عبادى الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه هم الموصوفون بالاجتناب والانابة بأعيانهم لكنه وضع الظاهر موضع ضميرهم تشريفا لهم بالاضافة ودلالة
على ان مدار اتصافهم بالوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل
اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبتهم وبعد
منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على انه مبتدأ خبره ما بعده من الموصول اى اولئك المنعوتون بالمحاسن الجليلة
الذين هداهم الله للدين الحق واولئك هم اولوا الالباب اى هم اصحاب العقول السليمة عن معارضة الوهم ومنازعة
الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها افمن حق
عليه كلمة العذاب الى اخره
عليهم بجريان الهداية وهم عبدة الطاغوت ومتبعوا خطواتها كما يلوح به التبعيد عنهم بمن حق عليه كلمة العذاب
فان المراد بها قوله تعالى لابليس لاملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وقوله تعالى لمن تبعك منهم
لاملأن جهنم منكم اجمعين واصل الكلام امن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه على ان الهمزة دخلت على الجملة
الهمزة للانكار ومضمونها ثم الفاء لعطفها على جملة مستتبعة مقدرة بعد الهمزة ليتعلق الانكار والنفي بمضمونها
معا اى انت مالك امر الناس فمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه ثم كررت الهمزة في الجزاء لتاكيد الانكار
وتنبيه لما طال الكلام ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الانكار والاستبعاد والتنبيه على ان المحكوم
عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار وان اجتهاده عليه السلام في دعائهم الى الايمان سعي في انقاذهم من النار ويجوز ان
يكون الجزاء محذوفا وقوله تعالى افانت الى اخره جملة مستقلة مسوقة لتقرير مضمون الجملة السابقة وتعيين
ما حذف منها وبه لا انكار وتنزيل من استحق العذاب منزلة من دخل النار وتصوير الاجتهاد في دعائه
الى الايمان بصورة الانقاذ من النار كانه قيل اولا افمن حق عليه العذاب افانت تخلصه منه ثم شدد التنكير
فقيل افانت تنقذ من في النار وفيه تلويح بانه تعالى هو الذي يقدر على الانقاذ لا غير وحيث كان المراد بمن في
النار الذين قيل في حقهم لهم من فوقهم ظلل من النار الى اخره استدرك عنهم بقوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف

من فوقها غرف وهم الذين خوطبوا بقوله تعالى يا عبادي فاتقون وهم وصفوا بما بعده بالصفات الفاضلة وهم المخاطبون
ايضا فيما سبق بقوله تعالى يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم الاية وبين ان لهم جنات درجات عالية في جنات النعيم
بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم اعلم علالي بعضها فوق بعض مبنية وبنا المنازل المبنية الموصوفة على الارض
في احسانه والاحكام تجري من تحتها الانهار من تحت تلك الغرف الانهار من غير تفاوت بين العلو والسفل وعد
الله اي وعد الله وعدا مصدر مؤكد لقوله تعالى لهم غرف الخ فانه وعد واي وعد
لا يخلف الله الميعاد لاستحالته عليه سبحانه الم تر ان الله انزل من السماء ماء استيناف وارد لتمثيل الحياة
الدنيا في سرعة الزوال وقرب الاضمحلال بما ذكر من احوال الزرع ترغيبا عن زخارفها وزينتها وتحذيرا من
الاغترار ببهجتها كما في نظائره من قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا الاية او للاستشهاد على تحقيق الموعود من
الانهار الجارية من تحت الغرف بما يشاهد من انزال الماء وما يترتب عليه من اثار قدرته تعالى واحكام حكمته
ورحمته والمراد بالماء المطر وقيل كل ما في الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله تعالى
بين البقاع فسلكه فادخله ونظمه ينابيع في الارض اي عيونا ومجاري كالعروق في الاجساد وقيل مياها
تابعة فيها فان الينبوع يطلق على المنبع والنابع فنصبها على الحال وعلى الاول بنزع الخافض اي كائنا في
ينابيع ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اصنافه من بر وشعير وغيرهما او كيفياته من الوانه الالوان
والطعوم وغيرهما وكلمة ثم للتراخي في الرتبة او الزمان وصيغة المضارع لاستحضار الصورة ثم يهيج اي يتم جفافه
ويشرف على ان يثور من منابته فتراه مصفرا من بعد خضرته ونضرته وقرئ مصفارا ثم يجعله حطاما فتاتا متكسرا
كان لم تغن بالامس وتكون هذه الحالة من الاثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالاخراج ان في ذلك اشارة الى ما
ذكر تفصيلا وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد منزلته في الغرابة والدلالة على ما قصد بيانه لذكرى لتذكيرا
عظيما لاولي الالباب لاصحاب العقول الخالصة عن شوائب الخلل لتنبيههم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك
ان حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا
يفتتنون بفتنتها او يجزمون على ان من قدر على انزال الماء من السماء واجرائه في ينابيع الارض قادر على اجراء
الانهار من تحت الغرف هذا واما ما قيل ان في ذلك لتذكيرا وتنبيها على انه لابد من صانع حكيم وانه كائن عن
تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال فمعزول من تفسير الاية الكريمة وانما يليق ذلك بما لو ذكر ما ذكر من الاثار
الجليلة والافعال الجميلة من غير اسنادها الى موثر ما فحيث ذكرت مسندة الى الله عز وجل تعين ان يكون متعلق
التذكير التنبيه لشئونه تعالى وشئون اثاره حسبما بين لا وجوده وقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام
الخ استيناف جار مجرى التعليل لما قبله من تخصيص الذكرى باولي الالباب وشرح الصدر للاسلام
عبارة عن تكميل الاستعداد له فانه محل للقلب الذي هو منبع للروح التي يتعلق بها النفس القابلة للاسلام
فانشراحه مستدع لانشراح القلب واستنارته بنوره فانه روي انه عم قال اذا دخل النور القلب انشرح
وانفسح فقيل فما علامة ذلك فقال عم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والتاهب للموت
قبل نزوله والكلام في الهمزة والفا كما مر في قوله عز وجل افمن حق عليه كلمة العذاب وخبر من محذوف لدلالة
ما بعده عليه والتقدير اكل الناس سواء فمن شرح صدره اي خلقه متسع الصدر مستعدا للاسلام فبقي
على الفطرة الاصلية ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادحة فيها فهو بموجب ذلك مستقر على نور عظيم
وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند من ربه وهو اللطف الالهي الفائض عليه عند مشاهده الايات
التكوينية والتنزيلية والتوفيق للاهتداء بها الى الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة
الله لسوء اختياره واستولى ظلمات الغي والضلال عليه حتى اعرض عن تلك الايات بالكلية حتى لا يتذكر
بها ولا يغتنمها فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله اي من اجل ذكره الذي حقه ان ينشرح له الصدور وتطمئن به
القلوب اي اذا ذكر الله تعالى عندهم واياته اشمأزوا من اجله وازدادت قلوبهم قساوة لقوله تعالى فزادتهم رجسا
وقرئ عن ذكر الله اي عن قبوله اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلوب في ضلال بعيد عن
الحق مبين ظاهر كونه ضلالا لكل احد قيل نزلت الاية في حمزة وعلي رضي الله عنهما وابي لهب وولده وقيل في عمار بن
ياسر رضي الله عنه وابي جهل وذريته الله نزل احسن الحديث هو القران الكريم روي ان اصحاب رسول الله عم
ملوا ملة فقالوا له حدثنا حديثا وعن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما قالوا لو حدثتنا فنزلت
والمعنى ان فيه مندوحة عن سائر الاحاديث وفي ايقاع الاسم الجليل مبتدأ وبناء نزل عليه من تفخيم احسن
الحديث ورفع محله والاستشهاد على حسنه وتاكيد استناده اليه تعالى وانه من عنده لا يمكن صدور مثله عن غيره
والتنبيه على انه وحي معجز ما لا يخفى كتابا بدل من احسن الحديث او حال منه سواء اكتسب من المضاف اليه تعريفا
اولا فان مساغ مجي الحال من النكرة المضافة اتفاقي ووقوعه حالا مع كونه اسما لا صفة لاتصافه بقوله
تعالى متشابها او لكونه في قوة مكتوبا ومعنى كونه متشابها تشابه معانيه في الصحة والاحكام والابتنا

على

على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب الفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الاعجاز
مثاني صفة اخرى لكتابا او حال اخرى منه وهو جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثني من قصصه وانبائه واحكامه
واوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه ثني في التلاوة وقيل هو جمع مثنى مفعل من
التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما في قوله تعالى فارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة ووقوعه صفة لكتابا
باعتبار تفاصيله كما يقال القران سور وايات ويجوز ان ينتصب على التمييز من متشابها كما يقال رايت رجلا
حسنا شمائل اي شمائله والمعنى متشابهة مثانيه تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم قيل صفة لكتابا
او حال منه لتخصصه بالصفة والاظهر انه استيناف مسوق لبيان اثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان
اوصافه في نفسه ولتقرير كونه احسن الحديث والاقشعرار التقبض يقال اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا
شديدا وتركيبه من القشع وهو الاديم اليابس قد ضم اليه الرا ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال
اقشعر جلده وقف شعره اذا عرض له خوف شديد من منكر هائل دهمه بغتة والمراد اما بيان افراط خشيتهم
بطريق التمثيل والتصوير او بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق والمعنى انهم اذا سمعوا
بالقران وقوارع اياته وعيده اصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم واذا ذكروا رحمة الله تعالى
تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة وذلك قوله تعالى ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي ساكنة مطمئنة
الى ذكر رحمته تعالى وانما لم يصرح بها ايذانا بانها اول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى ذلك اي الكتاب الذي
شرح احواله هدى الله يهدي به من يشاء ان يهديه بصرف مقدوره الى الاهتداء بتامله فيما في تضاعيفه من شواهد
الحقية ودلائل كونه من عند الله تعالى ومن يضلل الله اي يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته الى مبادئها واعراضه
عما يرشده الى الحق بالكلية وعدم تاثره بوعده ووعيده اصلا او ومن يخذله فما له من هاد يخلصه من ورطة الضلال
وقيل ذلك الذي ذكر من الخشية والرجا اثر هداه تعالى يهدي بذلك الاثر من يشاء من عباده ومن يضلل اي ومن
لم يؤثر فيه لطفه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد موثر فيه بشي افمن يتقي بوجهه الى اخره استيناف
جار مجرى التعليل لما قبله من تباين حاليهما بوجهه الذي هو اشرف اعضائه سوء العذاب اي العذاب السي
الشديد يوم القيمة لكون يده التي بها يتقي المكاره والمخاوف مغلولة الى عنقه كمن هو امن لا يعتريه
مكروه ولا يحتاج الى الاتقاء بوجه من الوجوه وقيل نزلت في ابي جهل وقيل للظالمين عطف على يتقي اي ويقال
لهم من جهة خزنة النار وصيغة الماضي للدلالة على التحقق والتقرر وقيل هو حال من ضمير يتقي باضمار
قد ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بعلة الامر في قوله تعالى ذوقوا ما كنتم تكسبون
اي وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والمعاصي كذب الذين من قبلهم استيناف مسوق لبيان
ما اصاب بعض الكفرة من العذاب الدنيوي اثر بيان ما يصيب الكل من العذاب الاخروي اي كذب الذين من قبلهم
من الامم السالفة فاتيهم العذاب المقدر لكل امة منهم من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر
ببالهم اتيان الشر منها فاذاقهم الله الخزي اي الذل والصغار في الحياة الدنيا كالمسخ والخسف والقتل والسبي
والاجلاء ونحو ذلك من فنون النكال ولعذاب الاخرة المعد لهم اكبر لشدته وسرمديته لو كانوا يعلمون
اي لو كان من شانهم ان يعلموا شيئا لعلموا ذلك واعتبروا به ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل
يحتاج اليه الناظر في امور دينه لعلهم يتذكرون كي يتذكروا به ويتعظوا قرانا عربيا حال مؤكدة من هذا على ان
مدار التاكيد هو الوصف كقولك جاءني زيد رجلا صالحا او مدح له غير ذي عوج لا اختلال فيه بوجه من الوجوه
فهو ابلغ من المستقيم واخص بالمعاني وقيل اريد بالعوج الشك لعلهم يتقون علة اخرى مترتبة على الاولى
ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون [illegible]
التذكر والاتعاظ بها وتحصيل التقوى [illegible]
[illegible] ومثلا مفعول ثان لضرب ورجلا مفعوله الاول [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

باختلاف النوع اولان المراد هل يستويان في الوصفين على ان الضمير للمثلين لان المتقدين مثل رجل فيه الى اخره
ومثل رجلا الى اخره وقوله تعالى الحمد لله تقرير لما قبله من نفي الاستوا بطريق الاعتراض وتنبيه للموحدين على ان
ما لهم من المزية بتوفيق الله وانها نعمة جليلة موجبة عليهم وان يداوموا على حمده وعبادته او على ان بيانه تعالى
بضرب المثل الاعلى وللمشركين مثل السوء صنع جميل ولطف تام منه عز وجل مستوجب لحمده وعبادته وقوله
تعالى بل اكثرهم لا يعلمون اضراب وانتقال من بيان عدم الاستوا على الوجه المذكور الى بيان ان اكثر الناس وهم المشركون
لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون في ورطة الشرك والضلال وقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تمهيد
لما يعقبه من الاختصام يوم القيمة وقرئ مائت ومائتون وقيل كانوا يتربصون برسول الله صلعم اى انكم
جميعا بصدد الموت ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فتحتج انت عليهم بانك بلغتهم ما ارسلت به من
الاحكام والمواعظ التي من جملتها ما في تضاعيف هذه الايات واجتهدت في الدعوة الى حق الاجتهاد
وهم قد لجوا في المكابرة والعناد وقيل المراد به الاختصام العام الجاري في الدنيا بين الانام ولعله هو الاظهر
الانسب بقوله تعالى فمن اظلم ممن كذب على الله فانه الى اخره مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري
في شان الكفر والايمان لا غير اى اظلم من كل ظالم افترى على الله سبحانه وتعالى ان اضاف اليه الشريك والولد
وكذب بالصدق اى بالامر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي صلعم اذ جاءه اى في اول
مجيئه من غير تامل فيه وتدبر اليس في جهنم مثوى للكافرين اى لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وسارعوا
الى التكذيب بالصدق ومحل الامر والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد في الضماير السابقة باعتبار لفظها
او الجنس الكفرة وهم داخلون في الحكم دخولا اوليا والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله
صلعم ومن تبعه كما ان المراد في قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون هو عليه السلام وقومه
وقيل عن الجنس المتناول للرسل والمؤمنين بهم ويؤيده قراءة ابن مسعود رضي الله تعالى عنه والذين جاؤا
بالصدق وصدقوا به وقيل هو صفة لمحذوف هو الفوج او الفريق اولئك الموصوفون بما ذكر من المجيء والصدق
والتصديق به هم المتقون المنعوتون بالتقوى الذي هو اجل الرغائب وقرئ وصدق بالتخفيف اى صدق به
فاداه اليهم كما نزل عليه من غير تغيير وقيل صار صادقا به اى بسببه لان ما جاء به من القرآن معجزة دالة
على صدقه صلعم وقرئ صدق به على البناء للمفعول لهم ما يشاؤن عند ربهم بيان لما لهم في الآخرة من حسن المآب
بعد بيان ما لهم في الدنيا من محاسن الاعمال اى لهم كل ما يشاؤنه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة
لا في الجنة فقط لما ان بعض ما يشاؤنه من تكفير السيئات والامن من الفزع الاكبر وساير اهوال القيامة وقد مر
تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى انما يقع قبل دخول الجنة ذلك الذي من حصول ما يشاؤنه جزاء المحسنين
اى الذين احسنوا اعمالهم وقد مر تفسير الاحسان غير مرة وقوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا الى اخره متعلق
بقوله تعالى لهم ما يشاؤن لكن باعتبار منطوقه صريحا ان التكفير المذكور لا يتصور كونه غاية لثبوت ما يشاؤن
في الآخرة كيف لا وهو بعض ما سيثبت لهم فيها بل باعتبار فحواه فانه حيث لم يكن اخبارا بما ثبت لهم فيما مضى
بل بما سيثبت فيما سياتي كان في معنى الوعد به كما مر في قوله وعد الله فانه مصدر مؤكد لما قبله من قوله تعالى
لهم غرف من فوقها غرف فانه في معنى وعدهم الله غرفا فانتصب به وعد الله كانه قيل وعدهم الله جميع ما يشاؤن
من زوال المضار وحصول المسار ليكفر عنهم بموجب ذلك الوعد اسوأ الذي عملوا دفعا للمضار ويجزيهم
اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اعطاء للمنافع واظهار الاسم الجليل في موقع الاضمار لابراز كمال الاعتناء
بمضمون الكلام واضافة الاسوا والاحسن الى ما بعدهما ليست من قبيل اضافة المفضل الى المفضل عليه
بل من اضافة الشيء الى بعضه للقصد الى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيل عليه وانما المعتبر فيهما مطلق
الفضل والزيادة لا على المضاف اليه المعين بخصوصه كما في قولهم الناقص والاشج اعدلا بني مروان خلا ان الزيادة
المعتبرة فيهما ليست بطريق الحقيقة بل هي في الاول بالنظر الى ما يتعلق بحاله من استعظام سيئاتهم وان قلت
واستصغار حسناتهم وان جلت والثاني بالنظر الى لطف اكرم الاكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها
بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة وان امكن في الاول بناء على ان تخصيص الاسوا بالذكر لبيان تكفير
ما دونه بطريق الاولوية ضرورة استلزام تكفير الاسوا لتكفير السيء لكن لما لم يمكن ذلك في الاحسن كان
الاحسن نظمهما في سلك واحد من الاعتبار والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون
الاول للايذان باستمرارهم على الاعمال الصالحة بخلاف السيئة اليس الله بكاف عبده انكار ونفي لعدم كفايته
تعالى على ابلغ وجه واكده كان الكفاية من التحقق والظهور بحيث لا يقدر احد على ان يتفوه بعدمها او يتلعثم
في الوجوب بوجودها والمراد بالعبد اما رسول الله صلعم او الجنس المنتظم له صلعم انتظاما اوليا ويؤيده قراءة
من قرأ عباده وفسر بالانبياء عليهم السلام وكذا قراءة من قرأ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده على
صيغة الماضي اما من الكفاية لافادة المبالغة فيها واما من المكافاة بمعنى المجازاة وهذا تسلية لرسول الله صلعم

بما قالت له قريش انا نخاف ان تخبلك آلهتنا وتصيبك معرتها لعيبك اياها وفي رواية قالوا لتكفن
عن شتم آلهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون كما قال قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء
وذلك قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه اى الاوثان التي اتخذوها آلهة من دونه تعالى والجملة
استيناف وقيل حال ومن يضلل الله حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له صلعم وخوفه بما لا ينفع ولا يضر اصلا
فما له من هاد يهديه الى خير ما ومن يهد الله فما له من مضل يصرفه عن مقصده او يصيبه بسوء يخل بسلوكه
اذ لا راد لفعله ولا معارض لارادته كما ينطق به قوله تعالى اليس الله بعزيز غالب لا يغالب منيع لا يمانع ولا
ينازع ذو انتقام ينتقم من اعدائه لاوليائه واظهار الاسم الجليل في موضع الاضمار لتحقيق مضمون الكلام
وتربية المهابة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لوضوح الدليل قل تبكيتا لهم
افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اى بعد ما تحققتم ان خالق العالم
العلوي والسفلي هو الله عز وجل فاخبروني ان آلهتكم ان ارادني الله بضر هل يكشفون عني ذلك الضر او ارادني
برحمة اى وان ارادني بنفع هل هن ممسكات رحمته فيمنعها عني وقرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته
بالتنوين فيهما ونصب ضره ورحمته وتعليق ارادة الضر والرحمة بنفسه صلعم للرد في نحورهم حيث كانوا
خوفوه معرة الاوثان ولما فيه من الايذان بامحاض النصيحة قل حسبي الله اى في جميع اموري من اصابة الخير
ودفع الشر روي انه صلعم لما سألهم سكتوا فنزل ذلك عليه يتوكل المتوكلون لا على غيره اصلا لعلمهم بان
كل ما سواه تحت ملكوته تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على حالتكم التي انتم عليها من العداوة
التي تمكنتم فيها فان المكانة تستعار للعين من اين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان مع كونهما للمكان وقرئ على
مكاناتكم اني عامل اى على مكانتي فحذف للاختصار وللمبالغة في الوعيد والاشعار بان حاله لا تزال تزداد
قوة بنصر الله عز وجل وتاييده ولذلك توعدهم بكونه منصورا عليهم في الدارين بقوله فسوف تعلمون
من ياتيه عذاب يخزيه فان خزي اعدائه دليل لغلبته صلعم وقد عذبهم الله تعالى واخزاهم يوم بدر ويحل
عليه عذاب مقيم اى دائم وهو عذاب النار انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق لاجلهم فانه مناط لمصالحهم
في المعاش بالحق حال من فاعل انزلنا او من مفعوله فمن اهتدى بان عمل بما فيه فلنفسه اى انما نفع به نفسه
ومن ضل بان لم يعمل بموجبه فانما يضل عليها لما ان وبال ضلاله مقصور عليها وما انت عليهم بوكيل لتجبرهم
على الهدى وما وظيفتك الا البلاغ وقد بلغت اى بلاغ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
اى يقبضها من الابدان بان يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها اما ظاهرا وباطنا كما عند الموت او ظاهرا
فقط كما عند النوم ويرسل الاخرى اى النائمة الى بدنها عند التيقظ الى اجل مسمى هو الوقت المضروب
لموته وهو غاية لجنس الارسال الواقع بعد الامساك لا لفرد منه فان ذلك مما لا امتداد فيه ولا كمية
وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس هي التي
بها التعقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فيتوفيان عند الموت ويتوفى النفس وحده قريب مما
ذكر ان في ذلك اى فيما ذكر من التوفي على الوجهين والامساك في احدهما والارسال في الآخر لايات عجيبة دالة
على كمال قدرته تعالى وحكمته وشمول رحمته لقوم يتفكرون في كيفية تعلقها بالابدان وتوفيها عنها تارة
بالكلية كما عند الموت وامساكها باقية لا تفنى بفنائها وما يعتريها من السعادة والشقاوة واخرى عن ظواهرها
فقط كما عند النوم وارسالها حينا بعد حين الى انقضاء آجالها ام اتخذوا اى بل اتخذ قريش من دون الله
من دون اذنه تعالى شفعاء يشفع لهم عنده تعالى قل اولو كانوا لا يملكون شيئا من الاشياء ولا يعقلون عن
ان يملكوا الشفاعة عند الله تعالى او هي لانكار الوقوع ونفيه على ان المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ
الشفعاء في شان لانه فرع كون الاوثان شفعاء وذلك اظهر المحالات فالمقدر جميعا في ما قدرناه اولا
وعلى اى تقدير كان فالواو للعطف على شرطية قد حذفت لدلالة المذكور عليه وقد مر تحقيقه مرارا قل
بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقا للحق لله الشفاعة جميعا اى هو مالكها لا يستطيع احد شفاعة ما الا
ان يكون المشفوع له مرتضى والشفيع ماذونا له وكلاهما مفقودان ههنا وقوله تعالى له ملك السموات
والارض تقرير له وتاكيد اى له ملكهما وما فيهما من المخلوقات لا يملك احد ان يتكلم في امر من اموره بدون
اذنه ورضاه ثم اليه ترجعون يوم القيمة لا الى احد سواه لا استقلالا ولا اشتراكا فيفعل يومئذ
ما يريد واذا ذكر الله وحده دون آلهتهم اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة اى انقبضت ونفرت
كما في قوله تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا واذا ذكر الذين من دونه فرادى
او مع ذكر الله تعالى اذا هم يستبشرون لفرط افتتانهم ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بولغ في بيان حالهم
القبيحين حيث بين الغاية فيهما فان الاستبشار هو ان يمتلئ القلب سرورا حتى تنبسط له بشرة الوجه
والاشمئزاز ان يمتلئ غيظا وغما ينقبض منه اديم الوجه والعامل في اذا الاولى اشمأزت وفي الثانية

ما هو العامل في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجؤا وقت الاستبشار قل اللهم فاطر
السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي التجئ اليه تعالى بالدعاء لما تحيرت في امر الدعوة وضجرت من
شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد فانه القادر على الاشياء بجملتها والعالم بالاحوال بينهما انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اي حكما يسلمه كل مكابر معاند ويخضع له كل عات مارد وهو العذاب الدنيوي
والاخروي وقوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا الى اخره كلام مستأنف مسوق لبيان
اثار الحكم الذي استدعاه النبي عم ودعاه شدته وفظاعته اي لو ان لهم جميع ما في الدنيا من الاموال والذخائر
ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيمة اي لجعلوا كل ذلك فدية لانفسهم من العذاب
الشديد وهيهات ولات حين مناص وهذا كما ترى وعيد شديد واقناط كلي لهم من الخلاص وبدا لهم من الله
ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم وهذه غاية من الوعيد لا غاية
وراءها ونظيره في الوعد قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وبدا لهم سيئات ما كسبوا سيئات
اعمالهم او كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون اي احاط بهم جزاؤه فاذا مس الانسان ضر
دعانا اخبار عن الجنس بما يفعله غالب افراده والفاء لترتيب ما بعدها من المناقضة والتعكيس على ما مر من
حالتيهم القبيحتين وما بينهما مؤكد للانكار عليهم اي انهم يشمئزون عن ذكر الله تعالى وحده ويستبشرون بذكر
الالهة فاذا مسهم ضر دعوا من اشمأزوا عن ذكره دون من استبشروا بذكره ثم اذا خولناه نعمة منا
اعطيناه اياها تفضلا فان التخويل مختص به لا يطلق على ما اعطي جزاء قال انما اوتيته على علم مني بوجوه كسبه
او باني ساعطاه لما لي من الاستحقاق او على علم من الله تعالى بي وباستحقاقي والهاء لما ان جعلت موصولة والا فللنعمة
والتذكير لما ان المراد شيئا من النعمة بل هي فتنة اي محنة وابتلاء له ايشكر ام يكفر وهو رد لما قاله وتغيير للسبك
للمبالغة فيه والايذان بان ذلك ليس من باب الابتلاء المبني على الكرامة وانما هو ما يني له بالحقيقة وتأنيث
الضمير باعتبار لفظ النعمة او باعتبار الخبر وقرئ بالتذكير ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كذلك وفيه دلالة
على ان المراد بالانسان هو الجنس قد قالها الذين من قبلهم لقولهم انما اوتيته على علم لانها كلمة وجملة وقرئ بالتذكير ولعل
عبارة عن قارون وقومه حيث قال انما اوتيته على علم عندي وهم راضون به فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من متاع
الدنيا ويجمعون منه فاصابهم سيئات ما كسبوا جزاء سيئات اعمالهم او جزاء ما كسبوا وتسميتها سيئات لانها في مقا
بلة سيئاتهم والذين ظلموا من هؤلاء المشركين ومن للبيان او للتبعيض اي افرطوا في الظلم والعتو سيصيبهم سيئات
ما كسبوا من الكفر والمعاصي كما اصاب اولئك والسين للتأكيد وقد اصابهم اي اصابة حيث قحطوا سبع سنين وقتل
صناديدهم يوم بدر وما هم بمعجزين اي فائتين او لم يعلموا اي قالوا ذلك ولم يعلموا او اغفلوا ولم يعلموا ان الله يبسط
الرزق لمن يشاء ان يبسط له ويقدر لمن يشاء ان يقدر له من غير ان يكون لاحد مدخل ما في ذلك حيث
حبس عنهم الرزق سبعا ثم بسط لهم سبعا ان في ذلك الذي ذكر لايات دالة على ان الحوادث كافة من الله عز وجل لقوم
يؤمنون اذ هم المستدلون بها على مدلولها قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم اي افرطوا في الجناية عليها
بالاسراف في المعاصي واضافة العباد تخصيصه بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن الكريم
لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأسوا من مغفرته اولا وتفضله ثانيا ان الله يغفر الذنوب جميعا عفوا لمن يشاء ولو بعد
حين بتعذيبه في الجملة وبغيره حسبما يشاء وتقييده بالتوبة خلاف الظاهر كيف لا وقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ظاهر في الاطلاق فيما عدا الشرك ومما يدل عليه التعليل بقوله تعالى انه هو الغفور
الرحيم على المبالغة وافادة الحصر والوعد بالرحمة بعد المغفرة وتقديم ما يستدعي عموم المغفرة مما في عبادي من الدلالة
على الذلة والاختصاص المقتضيين للترحم وتخصيص ضرر الاسراف بانفسهم والنهي عن القنوط مطلقا عن الرحمة
فضلا عن المغفرة واطلاقها وتعليله بان الله يغفر الذنوب ووضع الاسم الجليل موضع الضمير لدلالته على انه
المستغني والمنعم على الاطلاق والتأكيد بالجميع وما روي من اسباب النزول لا يدل على ورود الاية فيمن تاب لا يقتضي
اختصاص الحكم بهم ووجوب حمل المطلق على المقيد في كلام واحد مثل اكرم الفضلاء اكرم الكاملين غير مسلم
فكيف فيما هو بمنزلة كلام واحد ولا يخل بذلك الامر بالتوبة والاخلاص في قوله تعالى وانيبوا الى ربكم واسلموا
له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون اذ ليس المدعى ان الاية تدل على حصول المغفرة لكل احد من غير توبة
وسبق تعذيب لتغني عن الامر بهما وينافي الوعيد بالعذاب واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم اي القرآن او
المأمور به دون المنهي عنه والعزائم دون الرخص والناسخ دون المنسوخ ولعله ما هو انجى واسلم كالانابة
والمواظبة على الطاعة من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون بمجيئه لتتداركوا وتتأهبوا له ان تقول
نفس اي كراهة ان تقول والتنكير للتكثير كما في قوله تعالى علمت نفس ما احضرت فانه مسلك بما يسلك عند
ارادة التكثير والتعميم وقد مر تحقيقه في مطلع سورة الحجر يا حسرتا بالالف بدلا من ياء الاضافة وقرئ يا حسرتي
بهاء السكت وقفا وقرئ يا حسرتاي بالجمع بين العوضين وقرئ يا حسرتي على الاصل اي احضري فهذا اوانك حتى

على

على ما فرطت اي على تفريطي وتقصيري في جنب الله اي جانبه وفي حقه وطاعته وعليه قول من قال اما تتقين الله
في جنب وامق له كبد حرى وعين ترقرق وهو كناية فيها مبالغة وقيل في ذات الله عز وجل على تقدير مضاف
كالطاعة وقيل في قربه من قوله تعالى والصاحب بالجنب وقرئ في ذكر الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين
بدين الله تعالى واهله ومحل الجملة النصب على الحال اي فرطت وانا ساخر او تقول لو ان الله هداني بالارشاد
الى الحق لكنت من المتقين من الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة رجعة الى الدنيا فاكون من
المحسنين في العقيدة والعمل واو للدلالة على انها لا تخلو عن هذه الاقوال تحسرا او تحيرا او تعللا بما لا طائل
تحته وقوله تعالى بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد من الله تعالى عليه لما تضمنه قوله
لو ان الله هداني من معنى النفي وفصله عنه لما ان تقديمه يفرق القرائن وتأخير المردود يخل بالترتيب الوجودي لانه
يتحسر بالتفريط ثم يتعلل بفقد الهداية ثم يتمنى الرجعة وهو لا يمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه
من اسناد الفعل اليه كما عرفت وتذكير الخطاب باعتبار المعنى وقرئ بالتأنيث ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله بان
وصفوه تعالى بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد وجوههم مسودة بما ينالهم من الشدة او بما يتخيل عليها من ظلمة الجهل والجملة
حال قد اكتفى فيها بالضمير عن الواو على ان الرؤية بصرية او مفعول ثان لها على انها عرفانية اليس في جهنم مثوى اي
مقام للمتكبرين عن الايمان والطاعة وهو تقرير لما قبله من رؤيتهم كذلك وينجي الله الذين اتقوا الشرك والمعاصي
اي من جهنم وقرئ ينجي من الانجاء بمفازتهم مصدر ميمي اما من فاز بالمطلوب اي ظفر به والباء متعلقة بمحذوف هو حال
من الموصول مفيدة لمقارنة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب اي ينجيهم الله تعالى من مثوى المتكبرين ملتبسين بفوزهم
بمطلوبهم الذي هو الجنة وقوله تعالى لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون اما حال اخرى من الموصول او من ضمير مفازتهم مفيدة
لكون نجاتهم او فوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن واما من فاز منه اي نجا منه والباء للملابسة وقوله تعالى لا
يمسهم الخ تفسير وبيان لمفازتهم اي ينجيهم الله تعالى ملتبسين بنجاتهم الخاصة بهم اي بنفي السوء والحزن عنهم او للسببية اما
على حذف المضاف اي ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم كما يشعر به ايراده في حيز الصلة واما على اطلاق المفازة
على سببها الذي هو التقوى وليس المراد نفي دوام المساس والحزن بل دوام نفيهما كما مر مرارا الله خالق كل شيء من خير
وشر وايمان وكفر لكن لا بالجبر بل بمباشرة الكاسب لاسبابها وهو على كل شيء وكيل يتولى التصرف فيه كيف يشاء له
مقاليد السموات والارض لا يملك امرها ولا يتمكن من التصرف فيها غيره وهو عبارة عن قدرته تعالى وحفظه لها وفيه
مزيد دلالة على الاستقلال والاستبداد لان الخزائن لا يدخلها ولا يتصرف فيها الا من بيده مفاتيحها وهو جمع مقليد
او مقلاد من قلدته اذا الزمته وقيل جمع اقليد معرب كليد على الشذوذ كالمذاكير وعن عثمان رضي الله تعالى عنه
انه سأل النبي عم عن المقاليد فقال تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول
ولا قوة الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير والمعنى على هذا
ان لله تعالى هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهي مفاتيح خزائن السموات والارض من تكلم بها اصابه والذين كفروا
بايات الله اولئك هم الخاسرون متصل بما قبله والمعنى ان الله تعالى خالق لجميع الاشياء يتصرف فيها كيف ما يشاء
بالاحياء والاماتة بيده مقاليد العالم العلوي والسفلي والذين كفروا باياته التكوينية المنصوبة في الافاق
والانفس والتنزيلية التي من جملتها الايات الناطقة بذلك هم الخاسرون خسرانا لا خسران وراءه هذا وقيل هو
متصل بقوله تعالى وينجي الله وما بينهما اعتراض قل افغير الله تأمروني اعبد ايها الجاهلون اي ابعد مشاهدة
هذه الايات غير الله اعبد وتأمروني اعتراض للدلالة على انهم امروه به عقيب ذلك وقالوا استلم بعض الهتنا نؤمن
بك لفرط غباوتهم ويجوز ان ينتصب غير بما يدل عليه تأمروني اعبد لانه بمعنى تعبدونني وتقولون لي اعبد على
ان اصله تأمرونني ان اعبد فحذف ان ورفع ما بعدها كما في قوله الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل
انت مخلدي ويؤيده قراءة اعبد بالنصب وقرئ تأمرونني باظهار النونين على الاصل وبحذف الثانية ولقد اوحي
اليك والى الذين من قبلك اي من الرسل عليهم السلام لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين كلام وارد
على طريقة الفرض لتهييج الرسل واقناط الكفرة والايذان بغاية شناعة الاشراك وقبحه وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد
يمكن ان يباشره فكيف بمن عداه وافراد الخطاب باعتبار كل واحد واللام الاولى موطئة للقسم والاخريان للجواب
واطلاق الاحباط يحتمل ان يكون من خصائصهم لان اشراكهم اشد واقبح وان يكون مقيدا بالموت كما صرح به في قوله
تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم وعطف الخسران عليه من عطف المسبب
على السبب بل الله فاعبد رد لما امروه به ولولا دلالة التقديم على القصر لم يكن كذلك وكن من الشاكرين انعامه
عليك وفيه اشارة الى موجب الاختصاص وتقتضيه وما قدروا الله حق قدره ما قدروا عظمته تعالى في انفسهم حق
عظمته حيث جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤونه الجليلة وقرئ بالتشديد والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه تنبيه على غاية عظمته وكمال قدرته وحقارة الافعال العظام التي يتحير فيها الاوهام بالنسبة
الى قدرته تعالى ودلالة على ان تخريب العالم اهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين

حقيقة ولا مجاز كقولهم شابت لمة الليل والقبضة المرة من القبض اطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوض
بالكف تسمية بالمصدر او بتقدير ذات قبضة وقرئ بالنصب على الظرف تشبيها المؤقت بالمبهم وتاكيد الارض
بالجميع لان المراد بها الارضون السبع او جميع ابعاضها البادية والغائرة وقرئ مطويات على انها حال
والسموات معطوفة على الارض منظومة في حكمها سبحانه وتعالى عما يشركون ما ابعد وما اعلى من هذه قدرته
وعظمته عن اشراكهم او عما يشركونه من الشركاء ونفخ في الصور هي النفخة الاولى فصعق من في السموات ومن في
الارض اي خروا امواتا او مغشيا عليهم الا من شاء الله قيل جبرئيل وميكائيل واسرافيل فانهم لا يموتون الا بعد
وقيل حملة العرش ثم نفخ فيه اخرى نفخة اخرى هي النفخة الثانية واخرى يحتمل النصب والرفع فاذا هم قيام
قائمون من قبورهم او متوقفون وقرئ بالنصب على ان الخبر ينظرون هو حال من ضميره والمعنى يقلبون ابصارهم
في الجوانب كالمبهوتين او ينتظرون ما يفعل بهم واشرقت الارض بنور ربها بما اقام فيها من العدل استعير له
النور لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق كما سمي الظلم ظلمات يوم القيمة ولذلك اضيف الاسم الجليل ووضع
الكتاب الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه او صحايف الاعمال في ايدي العمال فاكتفى
باسم الجنس عن الجميع وقيل اللوح المحفوظ تقابل به الصحايف وجيء بالنبيين والشهداء للامم وعليهم من الملئكة
والمؤمنين وقيل المستشهدون وقضي بينهم بين العباد بالحق وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب على ما جرى
به الوعد ووفيت كل نفس ما عملت اي جزاءه وهو اعلم بما يفعلون فلا يفوته شيء من افعالهم وقوله تعالى وسيق
الذين كفروا الى جهنم زمرا الاخره تفصيل للتوفية وبيان لكيفيتها اي سيقوا اليها بالعنف والاهانة افواجا
متفرقة بعضها في اثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة والزمر جمع زمرة واشتقاقها
من الزمر وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلو عنه حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها ليدخلوها وحتى هي التي يحكى
بعدها الجملة وقرئ بالتشديد وقال لهم خزنتها تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم من جنسكم وقرئ نذر
منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي وقتكم هذا وهو وقت دخولكم النار وفيه
دليل على انه لا تكليف قبل الشرع من حيث انهم عللوا توبيخهم باتيان الرسل وتبليغ الكتب قالوا بلى قد
اتونا وانذرونا ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين حيث قال الله تعالى لابليس لاملان جهنم منك
وممن تبعك منهم اجمعين وقد كنا ممن تبعه وكذبنا الرسل وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا تكذبون قيل
ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها اي مقدرا خلودكم فيها وابهام القائل لتهويل المقول فبئس مثوى المتكبرين اللام
للجنس والمخصوص بالذم محذوف ثقة بذكره انفا اي فبئس مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في ان دخولهم النار لسبق
كلمة العذاب عليهم فانها انما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم وقد مر تحقيقه في سورة الم السجدة وسيق الذين
اتقوا ربهم الى الجنة مساق اعزاز وتشريف للاسراع بهم الى دار الكرامة وقيل سيق مراكبهم اذ لا يذهب
بهم راكبين زمرا متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وقرئ
بالتشديد وجواب اذا محذوف للايذان بان لهم حينئذ من فنون الكرامات ما لا يحيط به نطاق العبارات كانه
قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم من جميع المكاره والالام طبتم طهرتم من دنس
المعاصي او طبتم نفسا بما اتيح لكم من النعيم فادخلوها خالدين ما لا يخفى مما يقتضيه البيان وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده بالبعث والثواب واورثنا الارض يريدون المكان الذي استقروا فيه على الاستعارة وايراثها تمليكها
مخلفة عليهم من اعمالهم وتمكينهم من التصرف فيها تمكين الوارث فيما يرثه نتبوأ من الجنة حيث نشاء اي يتبوأ كل
واحد منا في اي مكان اراده من جنته الواسعة على ان فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها فنعم اجر العاملين
الجنة وترى الملئكة حافين محدقين من حول العرش اي حوله ومن مزيدة او لابتداء الحفوف يسبحون بحمد ربهم اي
ينزهونه تعالى عما لا يليق به متلبسين بحمده والجملة حال ثانية او مقيدة للاولى والمعنى ذاكرين له تعالى بوصفي
جلاله وكرامه تلذذا به وفيه اشعار بان اقصى درجات العليين واعلى لذائذهم هو الاستغراق في شؤونه عز
وجل وقضي بينهم بالحق اي بين الخلق بادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة او بين الملئكة باقامتهم في منازلهم على حسب
تفاضلهم وقيل الحمد لله رب العالمين اي على ما قضى بيننا بالحق والقائل لا مقالته التي هي حقه والقايلون هم المؤمنون
ممن قضى بينهم او الملئكة وطي ذكرهم لتعاينهم وتعظيمهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله تعالى
رجاءه يوم القيمة واعطاه ثواب الخائفين وعن عائشة رضي الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بني اسرائيل والزمر

بسم الله الرحمن الرحيم حم لتفخيم الالف وتسكين الميم وقرئ بامالة الالف واخراجها بين بين وبفتح
الميم لالتقاء الساكنين او بنصبها باضمار اقرأ ونحوه ومنع الصرف للتعريف والتانيث او للتعريف وكونها

على

على زنة قابيل وهابيل وبقية الكلام مر فيه وقوله تعالى تنزيل الكتاب كالذي سلف في الم السجدة وقوله تعالى
من الله العزيز العليم كما في مطلع سورة الزمر في الوجوه كلها ووجه التعرض لنعتي العزة والعلم ما ذكر هنالك
غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول صفات اخر لتحقيق ما فيه من الترغيب والترهيب والحث على
ما هو المقصود والاضافة فيها حقيقية على انه لم يرد بها زمان مخصوص واريد بشديد العقاب مشدده او
الشديد عقابه بحذف اللام للازدواج وامن الالتباس او ابدال وجعله وحده بدلا كما فعله الزجاج مشوش
للنظم وتوسيط الواو بين الاولين لافادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة او تغاير الوصفين اذ ربما يتوهم
الاتحاد او تغاير موقع الفعلين لان الغفر هو الستر مع بقاء الذنب وذلك لمن لم يتب فان التائب من الذنب كمن لا
ذنب له والتوب مصدر كالتوبة وقيل هو جمعها والطول الفضل بترك العقاب المستحق وفي توحيد صفة العذاب
مغمورة بصفات الرحمة [illegible] لا اله الا هو فيجب الاقبال الكلي على عبادته [illegible]
اليه المصير فحسب [illegible] فيجازي المطيع والعاصي [illegible] ما يجادل في ايات الله اي
بالطعن فيها واستعمال المقدمات الباطلة لادحاض الحق كقوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق الا الذين
كفروا بها واما الذين امنوا فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلا عن الطعن فيها واما الجدال فيها لحل عقدها
وكشف معضلها واستنباط حقائقها [illegible] وتوضيح مناهج الحق في مضايق الافهام [illegible]
شبه اهل الزيغ والضلال فمن اعظم الطاعات ولذلك قال [illegible] ان جدالا في القرآن كفر بالتنكير [illegible]
وجدال [illegible] فلا يغررك تقلبهم في البلاد [illegible]
عليهم [illegible]
يغتر بما هم فيه من حظوظ الدنيا [illegible] فانهم ماخوذون عما قليل اخذ من قبلهم من الامم [illegible]
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود
واضرابهم وهمت كل امة من تلك الامم العاتية برسولهم وقرئ برسولها ليأخذوه ليتمكنوا منه فيصيبوا به
ما ارادوا من تعذيب او قتل من الاخذ بمعنى الاسر وجادلوا بالباطل الذي لا اصل له ولا حقيقة اصلا ليدحضوا به الحق
ليدحضوا به الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء فاخذتهم بسبب ذلك اخذ عزيز مقتدر فكيف كان عقاب
الذي عاقبتهم به فان اثاره باقية عبرة للناظرين ولاخذن هؤلاء ايضا لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريرة
كما ينبئ عنه قوله تعالى وكذلك حقت كلمة ربك اي كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على اولئك
الامم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لادحاض الحق به وجب ايضا على الذين كفروا اي كفروا بك وتحزبوا
عليك وهموا بما لم ينالوا كما ينبئ عنه اضافة اسم الرب الى ضميره صلى الله عليه وسلم فان ذلك للاشعار بان وجوب كلمة العذاب
عليهم من احكام التربية التي من جملتها نصرته عليه السلام وتعذيب اعاديه وذلك انما يتحقق بكون الموصول
عبارة عن كفار قومه لا عن الامم المهلكة وقوله تعالى انهم اصحاب النار في حيز النصب بحذف لام التعليل اي
لانهم مستحقو اشد العقوبات وافظعها التي هي عذاب النار وملازموها ابدا لكونهم كفارا معاندين متحزبين على
الرسول وهكذا من قبلهم من الامم المهلكة فهم لساير فنون العقوبات اشد استحقاقا واحق استيجابا وقيل هو في
محل الرفع على انه بدل من كلمة ربك والمعنى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة المهلكة كونهم من اصحاب النار
اي كما وجب اهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستيصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الاخرة ومحل الكاف
على التقديرين النصب على انه نعت لمصدر محذوف الذين يحملون العرش ومن حوله وهم اعلى طبقات الملئكة
عليهم السلام واولهم وجودا وحملهم اياه وحفيفهم حوله مجاز عن حفظهم وتدبيرهم له وكناية عن قربهم من ذي
العرش جل جلاله ومكانتهم عنده وهل الموصول الرفع على الابتداء خبره يسبحون بحمد ربهم والجملة استيناف
مسوق لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان ان اشراف الملئكة مثابرون على ولاية من معه من المؤمنين ونصرتهم
واستدعاء ما يسعدهم في الدارين اي ينزهونه تعالى عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل متلبسين بحمده على نعمائه
التي لا تتناهى ويؤمنون به ايمانا حقيقيا بحالهم والتصريح به مع الغنى عن ذكره واسقط لاظهار فضيلة الايمان وابراز شرف
اهله والاشعار بعلة دعائهم للمؤمنين حسبما ينطق به قوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا فان المشاركة في
فان المشاركة في الايمان اقوى المناسبات واتمها وادعى الدواعي الى النصح والشفقة وفي نظم استغفارهم لهم في سلك
وظايفهم المفروضة عليهم من تسبيحهم وتحميدهم وايمانهم ايذان بكمال اعتنائهم به واشعار بوقوعه عند الله سبحانه وتعالى
في موضع القبول روي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون
طرفهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملئكة فان خلقا من الملئكة يقال له اسرافيل
زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من
عظمة الله حتى يصير كانه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى امر جميع الملئكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش
تفضيلا لهم على سايرهم وقيل خلق الله تعالى العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوايمه خفقان الطير المسرع ثمانين

الفه عام وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف
قيام قد وضعوا ايديهم على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا ايديهم
على الشمائل ما منهم من احد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر ربنا على ارادة القول اى يقولون ربنا على انه اما بيان
لاستغفارهم او حال وسعت كل شيء رحمة وعلما اى وسعت رحمتك وعلمك فازيل عن اصله للاغراق فى وصفه تعالى بالرحمة
والعلم والمبالغة فى عمومهما وتقديم الرحمة لانها المقصودة بالذات هاهنا والفاء فى قوله تعالى فاغفر للذين تابوا
واتبعوا سبيلك اى للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيل الحق لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم وقهم
عذاب الجحيم واحفظهم منه وهو تصريح بعد اشعار للتأكيد ربنا وادخلهم عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة فى
الجؤار جنات عدن التى وعدتهم اى وعدتهم اياها وقرئ جنة عدن ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم اى صلاحا ما
مصححا لدخول الجنة فى الجملة وان كان دون صلاح اصولهم وهو عطف على الضمير الاول اى وادخلها معهم هؤلاء ليتم سرورهم
ويتضاعف ابتهاجهم او على الثانى لكن لا بناء على الوعد العام للكل كما قيل اذ لا يبقى حينئذ للعطف وجه بل بناء على
الوعد الخاص بهم تعالى الحاقا بهم وذرياتهم بان يكونوا على درجة من ذرياتهم قال سعيد بن جبير يدخل المؤمن الجنة
فيقول اين ابى اين ولدى اين زوجى فيقال انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت اعمل لى ولهم فيقال ادخلوهم الجنة
وسبق الوعد بالادخال والالحاق ولا يستدعى حصول الموعود بلا توسط شفاعة واستغفار وعليه قول من قال
فائدة الاستغفار زيادة الكرامة والثواب والاول هو الاولى لان
الدعاء بالادخال فيه صريح وفى الثانى ضمنى وقرئ صلح بالضم وذريتهم بالافراد انك انت العزيز اى الغالب الذى
لا يمتنع عليه مقدور الحكيم اى الذى لا يفعل الا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الامور التى من جملتها انجاز الوعد
والجملة تعليل لما قبلها وقهم السيئات اى العقوبات لان جزاء سيئة او جزاء السيئات على حذف المضاف وهو تعميم
بعد تخصيص او مخصوص بالاتباع او المعاصى فى الدنيا فمعنى قوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ومن تقه
المعاصى فى الدنيا فقد رحمته فى الآخرة كانهم طلبوا السبب بعدما سألوا المسبب وذلك اشارة الى الرحمة المفهومة
من رحمته او الى الوقاية وما فيه من معنى البعد لما مر مرارا من الاشعار ببعد درجة المشار اليه هو
الفوز العظيم الذى لا يطمع وراءه الطامع ان الذين كفروا شروع فى بيان احوال الكفرة بعد دخولهم النار بعد ما
بين فيما سبق انهم اصحاب النار ينادون اى من مكان بعيد وهم فى النار وقد مقتوا انفسهم الامارة بالسوء التى
وقعوا فيما وقعوا بسبب اتباع هواها او مقت بعضهم بعضا من الاحباب لقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن
بعضكم بعضا اى ابغضوها اشد البغض وانكروها ابلغ الانكار واظهروا ذلك على رؤوس الاشهاد فيقال لهم عند
ذلك لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اى لمقت الله انفسكم الامارة بالسوء او مقته اياكم فى الدنيا اذ تدعون من جهة
الانبياء الى الايمان فتأبون قبوله فتكفرون اتباعا لانفسكم الامارة ومسارعة الى هواها او اقتداء باخلائكم المضلين
واستحبابا لآرائهم اكبر من مقتكم انفسكم الامارة ومن مقت بعضكم بعضا اليوم واذ ظرف لمقت الاول وان توسط
بينهما الخبر لما فى الظروف من الاتساع وقيل للمصدر آخر مقدر اى مقته اياكم اذ تدعون وقيل مفعول لاذكروا المضمر
الاصح وهو قيل هو الاصح وقيل كلا المقتين فى الآخرة واذ تدعون تعليل لما بين الظرف والسبب من علاقة اللزوم
والمعنى لمقت الله اياكم الآن اكبر من مقتكم انفسكم لما كنتم تدعون الى الايمان فتكفرون وتخصيص هذا الوجه
بصورة كون المراد بانفسهم امثالهم مما لا داعى اليه قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين صفتان لمصدرى
الفعلين المذكورين اى اماتتين واحياءتين او موتتين وحياتين على انهما مصدران لهما ايضا بحذف الزوائد او
لفعلين ينبئ يدل عليهما المذكوران فان الاماتة والاحياء ينبئان عن الموت والحياة حتما كانه قيل امتنا فمتنا
واحييتنا فحيينا حياتين اثنتين على طريقة قول من قال • وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع • من المال الا مسحتا او
مجلف • اى لم تدع فلم يبق الا مسحت الى آخره قيل اراد بالاماتة الاولى خلقهم امواتا وبالثانية اماتتهم عند
انقضاء آجالهم على ان الاماتة جعل الشيء عادم الحياة اعم من ان يكون بانشائه كذلك كما فى قوله سبحان من صغر
البعوض وكبر الفيل او بجعله كذلك بعد الحياة وبالاحياءين الاحياء الاول واحياء البعث وقيل اراد بالاماتة
الاولى ما بعد الحياة الدنيا وبالثانية ما بعد حياة القبر وبالاحياءين ما فى القبر وما عند البعث وهو الانسب بحالهم
واما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقيق حياة الدنيا فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها
لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها واحكامها بل بان مقصودهم احداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه فى الدنيا
كما ينطق به قولهم فاعترفنا بذنوبنا وهو التزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك الى ما علقوا به
اطماعهم الفارغة من الرجوع الى الدنيا كما قد صرحوا به كما قالوا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وهو الذى ارادوا
بقولهم فهل الى خروج من سبيل اى من نوع استبعاد واستشعار ياس لا انهم قالوه بطريق القنوط البحت كما قيل ولا
ريب فى ان الذى كانوا يكذبونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصى ليس الا الاحياء بعد الموت واما الاحياء
الاول فلم يكونوا ينكرونه لينظموه فى سلك ما اعترفوا به وزعموا ان الاعتراف به يجديهم نفعا وانما ذكروا الموتة

الاولى

الاولى مع كونهم معترفين بها فى الدنيا لتوقف حياة القبر عليها وكذا حال الموتة فى القبر فان مقصدهم الاصلى هو
الاعتراف بالاحياءين وانما ذكروا الاماتتين لترتبهما عليهما ذكرا حسب ترتبهما عليهما وجودا وتنكير سبيل للابهام
اى من سبيل ما كيف ما كان وقوله تعالى ذلكم جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من اعمالهم
السيئة اى ذلكم الذى انتم فيه من العذاب مطلقا لا مقيدا بالخلود كما قيل بانه اى بسبب ان الشأن اذا دعى الله
فى الدنيا اى عبد وحده اى منفردا كفرتم اى بتوحيده وان يشرك به تؤمنوا اى بالاشراك به وتسارعوا فيه
وفى ايراد اذا وصيغة الماضى فى الشرطية الاولى وان وصيغة المضارع فى الثانية ما لا يخفى من الدلالة على
كمال سوء حالهم وحيث كان حالكم كذلك فالحكم لله الذى لا يحكم الا بالحق ولا يقضى الا بما تقتضيه الحكمة العلى
الكبير الذى ليس كمثله شيء فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا معقب لحكمه
وقد حكم بانه لا مغفرة للمشرك ولا نهاية لعقوبته كما لا نهاية لشناعته فلا سبيل لكم الى الخروج ابدا هو
الذى يريكم آياته الدالة على شؤونه العظيمة الموجبة لتفرده بالالوهية لتستدلوا بها على ذلك وتعملوا بموجبها
فتوحدوه تعالى وتخصوه بالعبادة وينزل بالتشديد وقرئ من الانزال لكم من السماء رزقا اى سبب رزق
وهو المطر وافراده بالذكر مع كونه من جملة الآيات الدالة على كمال قدرته لتفرده بعنوان كونه من آثار
رحمته وجلائل نعمته الموجبة للشكر وصيغة المضارع فى الفعلين للدلالة على تجدد الاراءة والتنزيل
واستمرارهما وتقديم الجار والمجرور على المفعول لما مر غير مرة وما يتذكر بتلك الآيات الباهرة ولا يعمل
بمقتضاها الا من ينيب الى الله تعالى ويتفكر فيما اودعه فى تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته
الكاملة ونعمته الشاملة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى ومن ليس كذلك فهو بمعزل من التذكر
والاتعاظ فادعوا الله مخلصين له الدين اى اذا كان الامر كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب فاعبدوه ايها
المؤمنون مخلصين له دينكم بموجب انابتكم اليه تعالى وايمانكم به ولو كره الكافرون ذلك وغاظهم اخلاصكم
رفيع الدرجات خبر بعد خبر للضمير السابق على انه صفة مشبهة اضيفت الى فاعلها بعد النقل الى فعل بالضم كما هو
المشهور وتفسيره بالرافع ليكون من اضافة اسم الفاعل الى المفعول بعيد فى الاستعمال اى رفيع درجات
ملائكته ذو العرش اى معارجهم ومصاعدهم الى العرش اى مالكه وهما خبران آخران لقوله تعالى هو اخبر
عنه بهما ايذانا بعلو شأنه تعالى وعظم سلطانه الموجبين لتخصيص العبادة به واخلاص الدين له اما بطريق
الاستشهاد بهما عليهما فان ارتفاع معارج ملائكته الى العرش وكون العرش العظيم المحيط باكناف العالم العلوى
والسفلى تحت ملكوته وقبضة قدرته مما يقضى بكون علو شأنه وعظم سلطانه فى غاية لا غاية وراءها واما بجعلهما
عبارة عنهما بطريق المجاز المتفرع على الكناية كالاستواء على العرش وتمهيد لما يعقبهما من قوله تعالى يلقى الروح من امره
فانه خبر آخر لما ذكر مبنى عن انزال الرزق الروحانى الذى هو الوحى بعد بيان الرزق الجسمانى الذى هو المطر اى ينزل الوحى الجارى من القلوب منزلة الروح من
الاجساد وقوله تعالى من امره بيان للروح الذى اريد به الوحى فانه امر بالخير او حال منه اى حال كونه ناشئا او
مبتدئا من امره او صفة له على راى من يجوز حذف الموصول مع بعض صلته اى الروح الكائن من امره او متعلق
بيلقى ومن للسببية كالباء مثل ما فى قوله تعالى مما خطيئاتهم اى يلقى الوحى بسبب امره على من يشاء من عباده وهو الذين
اصطفاهم لرسالته وتبليغ احكامه اليهم لينذر اى الله تعالى او الملقى عليه او الروح وقرئ لتنذر على ان
الفاعل هو الرسول عليه الصلاة والسلام او الروح اى لينذر الناس العذاب يوم التلاق وهو يوم القيمة
لانه تتلاقى فيه الارواح والاجساد واهل السموات والارضين وهو المفعول الثانى اتساعا او اصالة فانه من
شدة هوله وفظاعته حقيق بالانذار اصالة وقرئ لينذر على البناء للمفعول ورفع اليوم يوم هم بارزون
بدل من يوم التلاق اى خارجون من قبورهم او ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل او اكمة او بناء لكون الارض
يومئذ قاعا صفصفا ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا
وقيل ظاهرة نفوسهم لا يحجبهم غواشى الابدان او اعمالهم وسرائرهم لا يخفى على الله منهم شيء استئناف لبيان
بروزهم وتقرير له وازاحة لما كان يتوهمونه فى الدنيا من الاستتار توهما باطلا او خبر ثان وقيل حال من ضمير
بارزون اى لا يخفى عليه تعالى شيء ما من اعيانهم واعمالهم واحوالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة لمن
الملك اليوم لله الواحد القهار حكاية لما يقع حينئذ من السؤال والجواب بتقدير قول معطوف على ما قبله
من الجملة المنفية المستأنفة او مستأنفا يقع جوابا عن سؤال نشأ من حكاية بروزهم وظهور احوالهم كانه قيل
فماذا يكون حينئذ فقيل يقال الى آخره اى ينادى مناد لمن الملك اليوم فيجيبه اهل المحشر لله الواحد القهار
وقيل المجيب هو السائل بعينه لما روى انه يجمع الله الخلائق يوم القيمة فى صعيد واحد فى ارض بيضاء
كانها سبيكة فضة لم يعص الله تعالى فيها قط فاول ما يتكلم به ان ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد
القهار وقيل هى حكاية لما ينطق به لسان الحال من تقطع اسباب التصرفات المجازية واختصاص جميع
الافاعيل بقبضة القدرة الالهية اليوم تجزى كل نفس بما كسبت الى آخره اما من تتمة الجواب لبيان حكم

اختصاص الملك به تعالى وسجيته التي هي الحكم السوي والقضاء بالحق وحكاية لما سيقوله تعالى يومئذ عقيب السؤال
والجواب اي تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة بما كسبت من خير او شر لا ظلم اليوم بنقص ثواب او زيادة عقاب
ان الله سريع الحساب اي سريع حسابه تعالى اذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن فيحاسب الخلائق قاطبة في اقرب
زمان كما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه تعالى اذا اخذ في حسابهم لم يقل اهل الجنة الا فيها ولا اهل النار
الا فيها فيكون تعليلا لقوله تعالى اليوم تجزى الى اخره قال ذلك اليوم بعينه يوم التلاق ويوم البروز
ربما يوهم استبعاد وقوع الكل فيه او سريع مجيئه فيكون تعليلا للانذار وانذرهم يوم الازفة اي القيمة
سميت بها لازوفها وهو القرب غير ان فيه اشعارا بضيق الوقت وقيل الخطة الازفة وهي مشارفة
اهل النار دخولها وقيل وقت حضور الموت كما في قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وقوله تعالى كلا اذا
بلغت التراقي اذ القلوب لدى الحناجر بدل من يوم الازفة فانها ترتفع عن اماكنها فتلتصق بحلوقهم فلا تعود
فيستريحوا ولا تخرج فيستريحوا بالموت كاظمين على الغم حال من اصحاب القلوب على المعنى اذ الاصل قلوبهم او من
ضميرها في الظرف وجمع السلامة باعتبار ان الكظم من احوال العقلاء كقوله تعالى فظلت اعناقهم لها خاضعين
او من مفعول انذرهم مقدرة اي انذرهم مشارفين الكظم ما للظالمين من حميم اي قريب مشفق ولا شفيع يطاع اي
لا شفيع يشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معا على طريقة قوله * على لاحب لا يهتدى بمناره * والضماير
ان عادت الى الكفار وهو الظاهر فوضع الظالمين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالظلم وتعليل الحكم به يعلم خائنة
الاعين النظرة الخائنة كالنظرة الثانية الى غير المحرم واستراق النظر اليه او خيانة الاعين على انها مصدر
كالعاقبة وما تخفي الصدور من الضمائر والاسرار والجملة خبر اخر مثل يلقي الروح للدلالة على انه ما
من خفي الا وهو متعلق العلم والجزاء والله يقضي بالحق لانه المالك الحاكم على الاطلاق فلا يقضي بشيء الا
وهو حق وعدل والذين يدعون يعبدونهم من دونه تعالى لا يقضون بشيء تهكم بهم لان الجماد لا يقال
في حقه يقضي او لا يقضي وقرئ تدعون على الخطاب التفاتا او على اضمار قل ان الله هو السميع البصير تقرير
لعلمه تعالى بخائنة الاعين وقضائه بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعريض بحال ما يدعون
من دونه اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم اي ما حال من قبلهم من الامم
المكذبة لرسلهم كعاد وثمود واضرابهم كانوا هم اشد منهم قوة قدرة وتمكنا من التصرفات وانما جيء بضمير
الفصل مع ان حقه التوسط بين معرفتين لمضاهاة افعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه وقرئ
اشد منكم بالكاف وآثارا في الارض مثل القلاع المحصنة والمدائن المشيدة وقيل المعنى واكثر آثارا كقوله متقلدا
سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم اخذا وبيلا وما كان لهم من الله من واق اي من عاق يقيهم عذاب الله ذلك
اي ما ذكر من الاخذ بانهم بسبب انهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات او بالاحكام الظاهرة فكفروا
فاخذهم الله انه قوي متمكن مما يريد غاية التمكن شديد العقاب لا يؤبه عند عقابه بعقاب ولقد ارسلنا
موسى باياتنا وهي معجزاته وسلطان مبين اي حجة قاهرة وهو اما عين الايات والعطف لتغاير العنوانين واما
بعضها المشهور كالعصا افردت بالذكر مع اندراجها تحت الايات لانافتها اي كجبرائيل وميكائيل مع دخولهما
في الملائكة عليهم السلام الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب اي فيما اظهره من المعجزات وفيما
ادعاه من رسالة رب الارض والسموات فلما جاءهم بالحق من عندنا وهو ما ظهر على يديه من المعجزات الظاهرة
قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم كما قال فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم اي اعيدوا
عليهم ما كنتم تفعلونه اولا وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام واحس بانه
قد وقع ما وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وزعما منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرته ظنا منهم انه المولود
الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده وما كيد الكافرين الا في ضلال اي في ضياع وبطلان لا يغني
عنهم شيئا وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم واللام اما للعهد والاظهار في موقع الاضمار
لذمهم وكفرهم بالكفر والاشعار بعلة الحكم او للجنس وهم داخلون فيه دخولا اوليا والجملة اعتراض جيء به
في تضاعيف ما حكي عنهم من الاباطيل للمسارعة الى بيان بطلان ما اظهروه من الابراق والارعاد وتحقق لحلول
بالدمار وقال فرعون ذروني اقتل موسى كان اذا هم بقتله عليه السلام كفوه بقولهم ليس هذا بالذي تخافه
وانه اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة وبقولهم اذا قتلته ادخلت على الناس شبهة واعتقدوا
انك عجزت عن معارضته بالحجة وعدلت الى المقارعة بالسيف والظاهر من دهاء اللعين ونكارته انه كان
قد استيقن انه نبي وانما جاء به آيات باهرة وما هو بسحر ولكن كان يخاف انه ان هم بقتله ان يعاجل بالهلاك فكان
قوله هذا تمويها على قومه وايهاما انهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله وما كان يكفه الا ما في نفسه من
الفزع الهائل بقوله وليدع ربه تجلد منه واظهار لعدم المبالاة بدعائه ولكنه اخوف ما يخافه اني اخاف
ان لم اقتله ان يبدل دينكم اي يغير ما انتم عليه من الدين الذي هو عبادة الاصنام لتقربهم اليه

وان

وان يظهر في الارض الفساد ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج ان لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية وقرئ
بالواو الجامعة وقرئ بفتح الياء والهاء ورفع الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء من تظهر اي تتابع وتعاون
وقال موسى اي لقومه حين سمع ما يقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام اني عذت بربي وربكم من كل
متكبر لا يؤمن بيوم الحساب صدر عليه السلام كلامه بان تأكيدا له واظهارا لمزيد الاعتناء بمضمونه وفرط
الرغبة فيه وخص اسم الرب المنبئ عن الحفظ والتربية لانهما الذي يستدعيه وما اضافه اليه واليهم حثا له على
موافقته في العياذ به تعالى والتوكل عليه فان في تظاهر النفوس تأثيرا قويا في استجلاب الاجابة ولم يسم فرعون
بل ذكره بوصف يعمه وغيره من الجبابرة والاشعار بعلة القساوة والجرأة على الله تعالى وقرئ عدت بالادغام
وقال رجل مؤمن من آل فرعون قيل كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا او غريبا
يكتم ايمانه اي من فرعون وملئه اتقتلون رجلا اتقصدون قتله ان يقول لان يقول او كراهة ان يقول ربي الله
اي وحده من غير روية وتأمل في امره وقد جاءكم بالبينات والحال انه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة والايات
الباهرة التي شاهدتموها وعهدتموها بل من ربكم اضافه اليهم بعد البينات احتجاجا عليهم واستنزالا لهم عن رتبة
المكابرة ثم اخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال وان يك كاذبا فعليه كذبه لا يتخطاه وبال كذبه
فيحتاج في دفعه الى قتله وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم اي ان لم يصبكم كله فلا اقل من اصابة بعضه
لا سيما ان تعرضتم له بسوء وهذا كلام صادر عن غاية الانصاف وعدم التعصب ولذلك قدم من شقي
الترديد كونه كاذبا ويصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض ما يعدهم كأنه خوفهم بما اظهر احتمالا
عندهم وتفسير البعض بالكل مستدلا بقول لبيد * تراك امكنة اذا لم ارضها * او يعتلق بعض النفوس حمامها *
مردود لما ان مراده بالبعض نفسه ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب احتجاج اخر ذو وجهين احدهما انه
لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله تعالى الى البينات ولما ايده بتلك المعجزات وثانيهما ان كان كذلك اخذه
الله تعالى واهلكه فلا حاجة بكم الى قتله ولعله اراد المعنى الثاني وهو عاكف على المعنى الاول لتلين به
شكيمتهم وقد عرض به لفرعون بانه مسرف كذاب لا يهديه الله تعالى الى سبيل الصواب ومنهاج النجاح
يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين غالبين عالين على بني اسرائيل في الارض اي ارض مصر لا يقاومكم احد
في هذا الوقت فمن ينصرنا من بأس الله من احد وعذابه ان جاءنا اي فلا تفسدوا امركم ولا تتعرضوا
لبأس الله بقتله فانه ان جاءنا لم يمنعنا منه احد وانما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الارض
اليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوءهم من مجيء بأس الله تعالى تطييبا لقلوبهم وايذانا بانه مناصح لهم
ساع في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتأثروا بنصحه قال فرعون بعدما سمع نصحه
ما اريكم اي ما اشير عليكم الا ما ارى من قتله وما اهديكم بهذا الرأي الا سبيل الرشاد اي الصواب او لا
اعلمكم الا ما اعلم ولا اسر عنكم خلاف ما اظهره ولقد كذب حيث كان مستشعرا للخوف الشديد ولكنه كان
يتجلد ولولاه لما استشار احدا ابدا وقرئ بتشديد الشين للمبالغة من رشد كعلام او من رشد كعباد لا
ارشد كجبار من اجبر لانه مقصور على السماع او للنسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى الفعل
وقال الذي آمن مخاطبا لقومه يا قوم اني اخاف عليكم في تكذيبه والتعرض له بالسوء مثل يوم الاحزاب
مثل ايام الامم الماضية يعني وقائعهم وجمع الاحزاب مع التفسير اغنى عن جمع اليوم مثل دأب قوم
نوح وعاد وثمود اي مثل جزاء ما كانوا عليه من الكفر وايذاء الرسل والذين من بعدهم كقوم لوط وما
الله يريد ظلما للعباد فلا يعاقبهم بغير ذنب ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام وهو ابلغ من قوله وما
ربك بظلام للعبيد لما ان المنفي فيه ارادة ظلم ما فينتفي الظلم بطريق الاولوية ويا قوم اني اخاف عليكم يوم
التناد خوفهم بالعذاب الاخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي ويوم التناد يوم القيمة لانه ينادي فيه
بعضهم للاستغاثة او يتصايحون بالويل والثبور ويتنادى اصحاب الجنة واصحاب النار حسبما حكي في سورة
الاعراف وقرئ بتشديد الدال وهو ان يند بعضهم من بعض لقوله تعالى يوم يفر المرء من اخيه وعن الضحاك
اذا سمعوا زفير جهنم ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبينما هم يموج بعضهم
في بعض اذ سمعوا زفير جهنم ندوا هربا فلا يجدوا مناديا اقبلوا الى الحساب يوم تولون مدبرين بدل من
يوم التناد اي منصرفين عن الموقف الى النار او فارين منها حسبما نقل آنفا ما لكم من الله من عاصم يعصمكم
من عذابه والجملة حال اخرى من ضمير تولون ومن يضلل الله فما له من هاد يهديه الى طريق النجاة ولقد
جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام على ان فرعون موسى او على نسبة احوال الاباء الى الاولاد
وقيل سبطه يوسف بن ابراهيم بن يوسف الصديق من قبل من قبل موسى بالبينات بالمعجزات الواضحة فما
زلتم في شك مما جاءكم به من الدين حتى اذا هلك بالموت قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ضما الى تكذيب
رسالته تكذيب رسالة من بعده او جزما بان لا يبعث تعالى رسولا مع الشك في رسالته وقرئ الن يبعث

يبعث الله على ان بعضهم بقي بعضنا بنفي البعث كذلك اي مثل ذلك الاضلال القطيع يضل الله من هو مسرف
في عصيانه مرتاب في دينه شاك فيما تشهد به البينات لغلبة الوهم والانهماك في التقليد الذين يجادلون
في ايات الله بغير سلطان اتيهم بدل من الموصول الاول وبيان لها وصفة باعتبار معناه كانه قيل كل مسرف
مرتاب والمسرفين المرتابين بغير سلطان متعلق بيجادلون اي بغير حجة صالحة للتمسك بها في الجملة اتاهم
صفة سلطان كبر مقتا عند الله وعند الذين امنوا فيه ضرب من التعجيب والاستعظام وفي كبر ضمير يعود
الى من وتذكيره باعتبار اللفظ وقيل الى الجدال المستفاد من يجادلون كذلك اي مثل ذلك الطبع القطيع
يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فيصدر عنه امثال ما ذكر من الاسراف والارتياب والجدال له بالباطل
وقرئ بالتنوين قلب ووصفه بالتكبر والتجبر لانه منبعهما وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا اي بناء
مكشوفا عاليا من صرح الشيء اذا ظهر لعلي ابلغ الاسباب اي الطرق اسباب السموات بيان لها وفي ابهامها
ثم ايضاحها تفخيم لشانها وتشويق للسامع الى معرفتها فاطلع الى اله موسى بالنصب
على جواب الترجي وقرئ بالرفع عطفا على ابلغ ولعله اراد ان يبني له رصدا في موضع عال يرصد منه احوال الكواكب
التي هي اسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه او ان يرى فساد
قوله عليه السلام بان اخباره من اله السماء يتوقف على اطلاعه عليه ووصوله اليه وذلك لا يتاتى الا
بالصعود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وما ذلك الا لجهله بالله سبحانه وكيفية استنبائه واني لاظنه كاذبا
فيما يدعيه من الرسالة وكذلك اي ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط زين لفرعون سوء عمله فانهمك فيه
انهماكا لا يرعوي عنه بحال وصد عن السبيل اي سبيل الرشاد والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زين
بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصد على ان فرعون صد الناس عن الهدى بامثال هذه التمويهات
والشبهات ويؤيده قوله تعالى وما كيد فرعون الا في تباب اي خسار وهلاك او على انه من صد صدودا على سوء
عمله وقرئ وصد اي هو وقومه وقال الذي امن يعني مؤمن ال فرعون وقيل موسى عليه السلام يا قوم اتبعون
بما دلكم عليه اهدكم الى سبيل الرشاد اي سبيلا يصل سالكه الى المقصود وفيه تعريض بان ما يسلكه فرعون
وقومه سبيل الغي والضلال يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ان تمتع يسير لسرعة زوالها اجمل لهم اولا ثم فسر
فافتتح بذم الدنيا وتصغير شانها لان الاخلاد اليها راس كل شر ومنه يتشعب فنون ما يؤدي الى سخط الله
تعالى ثم ثنى بتعظيم الاخرة فقال وان الاخرة هي دار القرار لخلودها ودوام ما فيها من عمل في الدنيا سيئة فلا يجزى
في الاخرة الا مثلها عدلا من الله سبحانه وفيه دليل على ان الجنايات تغرم بامثالها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو
مؤمن فاولئك الذين يعملون ذلك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب اي بغير تقدير وموازنة بالعمل
بل اضعافا مضاعفة فضلا من الله عز وجل ورحمة وجعل العمل عمدة والايمان حالا للايذان بانه لا عبرة به بدونه
وان ثوابه على من ذلك ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداءهم ايقاظا لهم عن سنة
الغفلة واعتناء بالمناداة له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصحه ومدار التعجب الذي يلوح
به الاستفهام دعوتهم اياه الى النار ودعوته اياهم الى النجاة كانه قيل ابعوي في كيف هذه الحال ادعوكم
الى الخير وتدعونني الى الشر وقد جعل بعضهم من قبيل ما لي اراك حزينا اي ما لك تكون حزينا الحال وقوله
تعالى تدعونني لاكفر بالله بدل او بيان فيه تعليل والدعاء كالهداية في التعدية بالى واللام واشرك به
ما ليس لي به علم بربوبيته والمراد نفي المعلوم والاشعار بان الالوهية لا
بد لها من برهان موجب للعلم بها وانا ادعوكم الى العزيز الغفار الجامع لجميع صفات الالوهية من كمال
القدرة والغلبة وهو مما يتوقف عليه من العلم والارادة والتمكن من المجازاة والقدرة على التعذيب و
الغفران لا جرم لا رد لما دعوه اليه وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى انما تدعونني
اليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الاخرة اي حق وجب عدم دعوة الهتكم الى عبادتها اصلا او عدم دعوة
مستجابة او عدم استجابة دعوة لها وقيل جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه اي كسب ذلك الدعاء اليه بطلان
دعوته بمعنى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته وقيل جرم فعل من جرم وهو القطع كما ان بدا من لا بد
فعل من التبديد اي التفريق والمعنى لا قطع لبطلان الوهية الاصنام اي لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقا
ويؤيده قولهم لا جرم انه يفعل بضم الجيم وسكون الراء وفعل لغتان كرشد ورشد وان مردنا الى الله اي بالموت
عطف على ان ما تدعونني داخل في حكمه وكذا قوله تعالى وان المسرفين اي في الضلال والطغيان كالاشراك
وسفك الدماء هم اصحاب النار ملازموها فستذكرون وقرئ فستذكرون اي فسيذكر بعضكم بعضا
عند معاينة العذاب ما اقول لكم من النصائح وافوض امري الى الله قاله لما انهم كانوا توعدوه ان الله بصير
بالعباد فيحرس من يلوذ به من المكاره فوقاه الله سيئات ما مكروا شدائد مكرهم وما هموا به من الحاق
انواع العذاب بمن خالفهم قيل يجامع موسى عليه السلام وحاق بال فرعون اي بفرعون وقومه وعدم التصريح

به

به لاستقعنا بذكرهم عن ذكره ضرورة انه اولى منهم بذلك وقيل بطلبه المؤمن من قومه لما هرب الى الجبل
فاتبعه طائفة ليأخذوه فوجدوه يصلي والوحوش صفوفا حوله فرجعوا رعبا فقتلهم سوء العذاب الغرق
والقتل والنار فيجبر مبتدأ محذوف كان قايلا يقول ما سوء العذاب فقيل هو النار ويعرضون استئناف لبيان
او بدل من سوء العذاب ويعرضون حال منها ومن الاول ولا يستقيم ان يكون الحال ذلك السوء
بعينه حتى يراد الى فرعون ظرفهم الحقوا بيه بالنار ولذلك يكون ابتداء من قبل رجوع ما هو عليه بل
يكفي في ذلك ان يكون مما يطلق عليه اسم السوء وقرئ منصوبة على الاختصاص او باضمار فعل يفسره
يعرضون مثل يصلون فان عرضهم على النار احراقهم بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اذا قتلوا به وذلك
لارواحهم كما روى ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان ارواحهم في اجواف طير سود تعرض على النار بكرة وعشيا
الى يوم القيمة وذكر الوقتين اما للتخصيص واما فيما بينهما فالله تعالى اعلم بحالهم واما للتابيد هذا ما دامت
الدنيا ويوم تقوم الساعة يقال للملائكة ادخلوا ال فرعون اشد العذاب عذاب جهنم فان عذابها
اشد من بعض وقرئ ادخلوا من الدخول اي يقال لهم ادخلوا يا ال فرعون اشد العذاب فيقول الضعفاء منهم
للذين استكبروا وهم رؤساؤهم انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم في جمع خادم او ذوي تبع على اضمار المضاف
او تبعا على الوصف بالمصدر مبالغة فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالدفع او بالحمل ونصيبا منصوب
بمضمر دل عليه مغنون اي دافعون عنا نصيبا او بمغنون على تضمينه معنى الحمل اي مغنون عنا حاملين
نصيبا او اخره منصب على المصدر كشيئا في قوله تعالى لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا فانه
في موقع غناء وكذلك نصيبا قال الذين استكبروا انا كل فيها اي نحن وانتم فكيف نغني عنكم ولو قدرنا
لاغنينا عن انفسنا وقرئ كلا على التاكيد لانه اسم بمعنى كلنا وتنوينه عوض عن المضاف اليه ولا يصح جعله
حالا من المستكن في الظرف فانه لا يعمل في الحال المتقدمة كما يعمل في الظرف المتقدم فانك تقول كل يوم لك
ثوب ولا تقول قائما في الدار زيد ان الله قد حكم بين العباد وقضى قضاء متقنا لا مرد له ولا معقب لحكمه
وقال الذين في النار من الضعفاء والمستكبرين جميعا لما ضاقت حيلتهم وعيت بهم الحيلة لخزنة جهنم اي للقوام
بتعذيب اهل النار ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل او للتفظيع او لبيان محلهم فيها بان تكون ابعد
دركات النار وفيها اعتى الكفرة واطغاهم او لكون الملائكة الموكلين بعذاب اهلها اقدر على الشفاعة لمزيد
قربهم من الله تعالى ادعوا ربكم يخفف عنا يوما اي مقدار يوم من الايام على انه ظرف لا معيار شيئا
من العذاب واقتصارهم في الاستدعاء على ما ذكر من تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان
دون رفعه راسا وتخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لان ذلك عندهم مما ليس في حيز الامكان
ولا يكاد يدخل تحت امانيهم قالوا اي الخزنة او لم تك تاتيكم رسلكم بالبينات اي الم تنبهوا على هذا ولم تك تاتيكم
رسلكم في الدنيا على الاستمرار بالحجج الواضحة الدالة على سوء مغبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي كما في قوله تعالى
الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ارادوا بذلك الزامهم وتوبيخهم على اضاعة
اوقات الدعاء وتعطيل اسباب الاجابة قالوا بلى اي اتونا بها فكذبناهم كما نطق به قوله تعالى بلى قد جاءنا
نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان انتم الا في ضلال كبير والفاء في قوله تعالى قالوا فادعوا فصيحة كما
في قول من قال فقد جئنا خراسانا • اي اذا كان الامر كذلك فادعوا انتم فان الدعاء لمن يفعل ذلك مما
يستحيل صدوره منا ولعل امتناعهم عن الدعاء وبعد مراد الاذن فيه مع عرابة عن بيان السببية من قبلهم كما
يفصح عنه الفاس بما يوهم ان الاذن في حين الامكان وانهم لو اذن لهم فيه لفعلوا واطمعوا بامرهم بالد
واقناطهم في الاجابة بل اقنطا طامعين منها واظهارا لخيبتهم حسبما صرحوا في قولهم وما دعاء الكافرين الا في
ضلال اي ضياع وبطلان وقوله تعالى انا لننصر رسلنا والذين امنوا الى اخره كلام مستانف مسوق من
جهته تعالى لبيان ان ما اصاب الكفرة من العذاب المحكي من فروع حكم تقتضيه الحكمة وهو ان شاننا
المستمر ان ننصر رسلنا واتباعهم في الحياة الدنيا بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستيصال
والقتل والسبي وغير ذلك من العقوبات ولا يقدح في ذلك وقد يتفق لهم في صورة الغلبة امتحانا اذ
العبرة انما هي بالعواقب وغالب الامر ويوم يقوم الاشهاد اي يوم القيمة عبر عنه بذلك للاشعار بكيفية
يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم بدل من الاول وعدم المعذرة لانها باطلة وقرئ بالتاء ولهم اللعنة
اي البعد عن الرحمة ولهم سوء الدار اي جهنم ولقد اتينا موسى الهدى ما يهتدى به من المعجزات والصحف
والشرائع واورثنا بني اسرائيل الكتاب وتركنا عليهم من بعده التوراة هدى وذكرى هداية وتذكرة
او هاديا ومذكرا لاولي الالباب لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه فاصبر على ما نالك
من اذية المشركين ان وعد الله اي وعده الذي ينطق به قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين
الى قوله الغالبون او وعده الخاص بك او جميع مواعيده التي من جملتها ذلك حق لا يحتمل الاخلاف اصلا

النار يعرضون عليها غدوا وعشيا جملة مستانفة مسوقة لبيان كيفية سوء العذاب صح

الفخر وقلة الكفرة عند جمع الاولين والاخرين لشهادة
الاشهاد للرسل بالتبليغ وعلى الكفرة بالتكذيب صح

واستشهد بحال موسى وفرعون ولتنتفع لذنبك تداركا لما فرط منك من ترك الاولى وفي بعض الحكايين فانه
تعالى كافيك في نصره دينك واظهاره على الدين كله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار اى ودم على التسبيح ملتبسا
بحمده تعالى وقيل لهذين الوقتين اذ كان الواجب بمكة ركعتين بكرة وركعتين عشيا وقيل صل
شكرا لربك بالعشي والابكار وقيل هما صلاتان صلاة العصر وصلاة الفجر ان الذين يجادلون في ايات الله
ويجدون بها بغير سلطان اتاهم في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة مع استحالة اتيانه للايذان بان التكلم
في امر الدين لابد من استناده الى سلطان مبين البتة وهذا عام لكل مجادل مبطل وان نزلت في مشركي
مكة قوله تعالى ان في صدورهم الا كبر خبر لان اى ما في قلوبهم الا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر وارادة
الرياسة والتقدم على الاطلاق او الا ارادة ان يكون النبوة لهم دونك حسدا وبغيا حسبما قالوا لولا نزل
هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقالوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولذلك يجادلون فيها لا ان
فيها موقع جدال ما او ان لهم شيئا يتوهم ان يصلح مدارا لمجادلتهم في الجملة وقوله تعالى ما هم
ببالغيه صفة لكبر قال مجاهد ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وهو ما ارادوه من الرياسة والنبوة وقيل
المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون لست بصاحبنا المذكور في التوراة بل هو المسيح بن داود يريدون
الدجال يخرج في اخر الزمان ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو اية من ايات الله تعالى
فيرجع الينا الملك فسمى الله تعالى تمنيهم ذلك كبرا ونفى ان يبلغوا متمناهم فاستعذ بالله اى فالتجئ
اليه من كيد من يحسدك ويبغي عليك وفيه رمز الى انه من همزات الشياطين انه هو السميع البصير
لاقوالكم وافعالكم وقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس تحقيق للحق وتبيين له
لاشهر ما يجادلون فيه من امر البعث على منهاج قوله تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم ولكن اكثر الناس لا يعلمون لقصورهم في النظر والتامل لفرط غفلتهم واتباعهم لاهوائهم
وما يستوي الاعمى والبصير اى الغافل والمستبصر والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء اى والمحسن
والمسيء فلا بد ان يكون لهم حال اخرى يظهر فيها ما بين الفريقين من التفاوت وهي فيما بعد البعث وزيادة
لا في المسيء لتاكيد النفي لطول الكلام بالصلة ولان المقصود نفي مساواته للمحسن فيما له من الفضل والكرامة
والعاطف الثاني عطف الموصول بما عطف عليه على الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الدلالة
بالصراحة والتمثيل قليلا ما تتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات اى تذكرا قليلا يتذكرون وقرئ على
الغيبة والضمير للناس او للكفار ان الساعة لاتية لا ريب فيها اى في مجيئها لوضوح شواهدها واجماع
الرسل على الوعد بوقوعها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لا يصدقون بها لقصور انظارهم على ظواهر ما يحسون
به وقال ربكم ادعوني اى اعبدوني استجب لكم اى اثبكم لقوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي
سيدخلون جهنم داخرين اى صاغرين اذلاء وان فسر الدعاء بالسؤال كان الامر الصارف عنه منزلا
منزلة الاستكبار عن العبادة للمبالغة والمراد بالعبادة الدعاء فانه من افضل ابوابها وقرئ سيدخلون
على صيغة المبني للمفعول من الادخال الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه بان خلقه باردا مظلما ليؤدي
الى ضعف الحركات وهدوء الحواس لتستريحوا فيه وتقديم الجار والمجرور على المفعول قد مر سره مرارا
والنهار مبصرا اى مبصرا فيه او به ان الله لذو فضل عظيم لا يوازيه ولا يدانيه فضل على الناس ولكن
اكثر الناس لا يشكرون لجهلهم بالمنعم واغفالهم مواضع النعم وتكرير الناس لتخصيص الكفران بهم ذلكم المنفرد
بالافعال المقتضية للالوهية والربوبية الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة تخصيص
بهم اللاحقة منها السابقة وتقررها وقرئ خالق بالنصب على الاختصاص فيكون لا اله الا هو استئنافا
بما هو كالنتيجة للاوصاف المذكورة فاني تؤفكون فكيف ومن اى وجه تصرفون عن عبادته خاصة الى عبادة
غيره كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون اى مثل ذلك الافك العجيب الذي لا وجه له
ولا مصحح اصلا يؤفك كل من جحد باياته تعالى اى اية كانت لا افكا اخر له وجه ومصحح في الجملة الله الذي جعل لكم
الارض قرارا والسماء بناء بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان وقوله تعالى
وصوركم فاحسن صوركم بيان لفضله تعالى المتعلق بانفسهم والفاء في احسن تفسيرية فان الاحسان عين
التصوير اى صوركم احسن تصوير حيث خلقكم منتصبي القامة بادي البشرة متناسبي الاعضاء والتخطيطات
متهيئا لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات ورزقكم من الطيبات اى اللذائذ ذلكم الذي نعت بما ذكر
من النعوت الجليلة الله ربكم خبران لذلكم فتبارك الله اى تعالى بذاته رب العالمين اى مالكهم
ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر اليه في ذاته ووجوده وسائر احواله جميعا بحيث لو انقطع
فيضه عنه انعدم بالكلية هو الحي المتفرد بالحياة الذاتية الحقيقية لا اله الا هو اذ لا موجود
يدانيه في ذاته وصفاته وافعاله فادعوه فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجب به تعالى مخلصين له

الدين اى الطاعة من الشرك الجلي والخفي الحمد لله رب العالمين اى قائلين ذلك عن ابن عباس رضي الله تعالى
تعالى عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون
من دون الله لما جاءني البينات من ربي من الحجج والايات او من الايات لكونها مؤيدة لادلة العقل منبهة
عليه فان الايات التنزيلية مفسرة للايات التكوينية والافاقية والانفسية وامرت ان اسلم لرب العالمين
اى بان انقاد له واخلص له ديني هو الذي خلقكم من تراب اى في ضمن خلق ادم عليه السلام منه حسبما مر
تحقيقه مرارا ثم من نطفة اى ثم خلقكم خلقا تفصيليا من نطفة اى مني ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا اى اطفالا
والافراد لارادة الجنس او لارادة كل واحد من افراده ثم لتبلغوا اشدكم علة ليخرجكم معطوفة على علة
اخرى له مناسبة لها كانه قيل ثم يخرجكم طفلا لتكبروا شيئا فشيئا ثم لتبلغوا كمالكم في القوة والعقل وكذا
الكلام في قوله تعالى ثم لتكونوا شيوخا ويجوز عطفه على لتبلغوا وقرئ شيخا كقوله تعالى طفلا ومنكم
من يتوفى من قبل اى من قبل الشيخوخة بعد بلوغ الاشد او قبله ايضا ولتبلغوا متعلق بفعل مقدر بعده
اى ولتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة يفعل ذلك ولعلكم تعقلون ولكي تعقلوا ما في
ذلك من فنون الحكم والعبر هو الذي يحيي الاموات ويميت الاحياء او الذي يفعل الاحياء والذي يفعل
الاماتة فاذا قضى امرا اى اراد امرا من الامور فانما يقول له كن فيكون من غير توقف على شيء من الاشياء
اصلا وهذا تمثيل لتاثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق ارادته بها وتصوير لسرعة ترتب المكونات
على تكوينه من غير ان يكون هناك امر ومامور والفاء الاولى للدلالة على ان ما بعدها من نتائج ما قبلها من
اختصاص الاحياء والاماتة به سبحانه الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله اني يصرفون تعجيب من
احوالهم الشنيعة وارائهم الركيكة وتمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القران وبسائر الكتب والشرائع
وترتيب الوعيد على ذلك كما ان ما سبق من قوله تعالى ان الذين يجادلون في ايات الله الى اخره بيان لابتناء
جدالهم على مبنى فاسد لا يكاد يدخل تحت الوجود هو الامنية الفارغة فلا تكرير فيه اى انظر الى هؤلاء المكابرين
المجادلين في ايات الله الواضحة الموجبة للايمان بها الزاجرة عن الجدال فيها كيف يصرفون عنها بالكلية وقوله تعالى
الذين كذبوا بالكتاب اى بكل القران او بجنس الكتب السماوية فان تكذيبه تكذيب لها في محل الجر على انه بدل
من الموصول الاول او في حيز النصب او الرفع على الذم وانما وصل الموصول الثاني بالتكذيب دون
المجادلة لان المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق كما ان صيغة
المضارع في الصلة الاولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها وبما ارسلنا به رسلنا من سائر الكتب السماوية
او مطلق الوحي والشرائع فسوف يعلمون كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته
اذ الاغلال في اعناقهم ظرف ليعلمون اذ المعنى على الاستقبال ولفظ الماضي لتيقنه والسلاسل عطف
على الاغلال والجار في نية التاخير او قيل مبتدا خبره محذوف لدلالة الاول عليه وقيل قوله تعالى يسحبون
بحذف العائد اى يسحبون بها وهو على الاولين حال من المستكن في الظرف وقيل استئناف وقع جوابا عن
سؤال نشا من حكاية حالهم كانه قيل فماذا يكون حالهم بعد ذلك فقيل يسحبون في الحميم وقرئ والسلاسل
يسحبون بالنصب وفتح الياء على تقديم المفعول وعطف الفعلية على الاسمية والسلاسل بالجر حملا على
المعنى لان قوله تعالى الاغلال في اعناقهم في معنى اعناقهم في الاغلال وايما والياء يدل عليه القراءة
به ثم في النار يسجرون اى يحرقون من سجر التنور اذا ملاه بالوقود ومنه السجير للصديق كانه يسجر بالحب اى
يملا والمراد بيان انهم يعذبون بالوان العذاب وينقلون من باب الى باب ثم قيل لهم اين ما كنتم تشركون من دون
الله قالوا ضلوا عنا اى يقال ويقولون وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ومعنى ضلوا عنا غابوا عنا وذلك
قبل ان يقرن بهم الهتهم او ضاعوا عنا فلم نجد ما كنا نتوقع منهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا اى بل
تبين لنا انا لم نكن نعبد شيئا بعبادتهم لما ظهر لنا اليوم انهم لم يكونوا شيئا يعتد به كقولك حسبته
شيئا فلم يكن كذلك اى مثل ذلك الضلال الفظيع يضل الله الكافرين حيث لا يهتدون الى شيء لا
ينفعهم في الاخرة كما ضل عنهم الهتهم يضلهم عن الهتهم حتى لو تطالبوا لم يتصادفوا ذلكم الاضلال بما كنتم
تفرحون في الارض اى تبطرون وتتكبرون بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تتوسعون
في البطر والاشر والالتفات للمبالغة في التوبيخ ادخلوا ابواب جهنم اى ابوابها السبعة المقسومة لكم
خالدين فيها مقدرا خلودكم فيها فبئس مثوى المتكبرين اى عن الحق جهنم والتعبير عن مدخلهم بالمثوى
لكون دخولهم بطريق الخلود فاصبر الى ان يلاقوا ما اعد لهم من العذاب ان وعد الله بتعذيبهم حق لا
كائن لا محالة فاما نرينك اى فان نرك وما مزيدة لتاكيد الشرطية ولذلك لحقت النون الفعل
ولا تلحقه مع ان وحدها بعض الذي نعدهم وهو القتل والاسر او نتوفينك قبل ذلك فالينا يرجعون
يوم القيمة فنجازيهم باعمالهم وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك وبرها

ويجوز ان يكون جوابا لهما بمعنى ان نعذبهم في حياتك او لم نعذبهم في الآخرة اشد العذاب او افظعه كما ينبئ
عنه الاقتصار على ذكره الى جوع في هذا الغرض ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم
من لم نقصص عليك اذ قيل عدد الانبياء عليهم السلام مائة واربعة وعشرون الفا والمذكور قصصهم
افراد معدودة وقيل اربعة الاف من بني اسرائيل واربعة الاف من سائر الناس وما كان لرسول اي
وما صح وما استقام لرسول منهم ان يأتي باية الا باذن الله فان المعجزات على تشعب فنونها عطايا من
الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في
ايثار بعضها والاستبداد باتيان المقترح بها فاذا جاء امر الله بالعذاب في الدنيا والآخرة قضي بالحق
بانجاء المحق واثابته واهلاك المبطل وتعذيبه وخسر هنالك اي وقت مجيء امر الله اسم مكان استعير للزمان
المبطلون اي المتمسكون بالباطل على الاطلاق ويدخل فيهم المعاند والمقترحون دخولا اوليا الله الذي
جعل لكم الانعام قيل هي الابل خاصة اي خلقها لاجلكم ولمصلحتكم وقوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون
تفصيل لما دل عليه اللام اجمالا ومن لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والاكل منها اي تعلقهما بها
وقيل للتبعيض اي لتركبوا بعضها وتأكلوا بعضها لا على ان كلا من الركوب والاكل مختص ببعض معين
منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان كل بعض منها صالح لكل منهما وتغيير النظم الكريم
في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الاشعار باصالة الركوب ولكم فيها منافع اخر غير الركوب والاكل
كالبانها واوبارها وجلودها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم بحمل اثقالكم من بلد الى بلد وعليها وعلى
الفلك تحملون تعليل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهوادج وهو السر في فصله عن الركوب والجمع
بينها وبين الفلك في الحمل لما بينهما من المناسبة التامة حتى سميت سفائن البر وقيل هي الازواج الثمانية
فمعنى الركوب والاكل منها تعلقهما بالكل لكن لا على ان كلا منهما يجوز تعلقه بكل منها ولا ان كل منها مختص
ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر بل على ان بعضها يتعلق به الاكل فقط كالغنم وبعضها
يتعلق به كلاهما كالابل والبقر والمنافع تعم الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر ويريكم اياته دلائله الدالة
على كمال قدرته ووفور رحمته فاي ايات الله اي فاي من تلك الآيات الباهرة تنكرون فان كلا منها من
الظهور بحيث لا يكاد يجترئ على انكارها من له عقل في الجملة وهو ناصب لاي واضافة الآيات الى الاسم الجليل
لتربية المهابة وتهويل انكارها وتذكير اي هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل لان التفرقة بين
المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في اي اغرب لابهامه افلم يسيروا
اي اقعدوا فلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الامم المهلكة وقوله تعالى
كانوا اكثر منهم واشد قوة واثارا في الارض استئناف مسوق لبيان مبادي احوالهم وعواقبها واثارا في
الارض باقية بعدهم من الابنية والقصور والمصانع وقيل هي اثار اقدامهم في الارض لعظم اجرامهم
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة باغنى والثانية موصولة
او مصدرية مرفوعة اي لم يغن عنهم او اي شيء اغنى عنهم مكسوبهم او كسبهم فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
المعجزات او بالآيات الواضحة فرحوا بما عندهم من العلم اي اظهروا الفرح بذلك وهو ما لهم من العقائد
الزائغة والشبه الداحضة وتسميتها علما للتهكم بهم او علم الطبائع والتنجيم والصنائع ونحو ذلك او هو
علم الانبياء الذي اظهره رسلهم على ان معنى فرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله
تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون وقيل الفرح ايضا للرسل فانهم لما شاهدوا تمادي جهلهم وسوء
عاقبتهم فرحوا بما اوتوا من العلم المؤدي الى حسن العاقبة وشكروا الله تعالى عليه وحاق بهم بالكافرين ما كانوا
به يستهزءون جزاء جهلهم واستهزائهم فلما رأوا بأسنا شدة عذابنا ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس قالوا امنا
بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين يعنون الاصنام فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا اي عند
رؤية عذابنا لامتناع قبوله حينئذ ولذلك قيل فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم والفاء الاولى لبيان عاقبة
كثرتهم وشدة قوتهم وما كانوا يكسبون بذلك زعما منهم ان ذلك يغني عنهم فلم يترتب عليه الا عدم الاغناء
فبهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة وان كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته فلم يتعظ والثانية
تفسير وتفصيل لما ابهم واجمل من عدم الاغناء وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على التفسير بعد
الابهام والتفصيل بعد الاجمال والثالثة لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعا لما قبلها واقعا عقيبه
لان مضمون قوله تعالى فلما جاءتهم الى اخره هو انهم كفروا فصار مجموع الكلام بمنزلة ان يقال فكفروا ثم لما رأوا
بأسنا امنوا والرابعة للعطف على امنوا كانه قيل فامنوا فلم ينفعهم لان النافع هو الايمان الاختياري سنة
الله التي قد خلت في عباده اي سن الله تعالى ذلك سنة ماضية في العباد وهي من المصادر المؤكدة وخسر هنالك
الكافرون اي وقت رؤيتهم البأس على انه اسم مكان قد استعير للزمان كما سلف انفا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له والله سبحانه وتعالى اعلم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعل اسما للسورة فهو اما خبر مبتدأ محذوف وهو الاظهر لما مر
مرارا او مبتدأ خبره تنزيل وهو على الاول خبر بعد خبر ومبتدأ محذوف وان جعل مسرودا على نمط التعديد
وقوله تعالى من الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية او خبر
اخر او تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره كتاب وهو على الوجه الاول بدل منه او خبر اخر او خبر لمحذوف
ونسبة التنزيل الى الرحمن الرحيم متعلق به مؤكد للايذان بان مدار المصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى
الرحمة الربانية حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فصلت اياته ميزت بحسب النظم
والمعنى وجعلت تفاصيل في اساليب مختلفة ومعان متغايرة من احكام وقصص ومواعظ وامثال ووعد
ووعيد وقرئ فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف الاساليب والمعاني من
قولك فصل من البلد فصولا قرانا عربيا نصب على المدح او الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة او من اياته لقوم
يعلمون اي معانيه لكونه على لسانهم وقيل لاهل العلم والنظر لانهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو
صفة اخرى لقرانا اي كائنا لقوم الى اخره او تنزيل على ان من الرحمن الرحيم ليست بصفة له او بفصلت بشيرا ونذيرا
صفتان اخريان لقرانا اي بشيرا لاهل الطاعة ونذيرا لاهل المعصية او حالان من كتاب او من اياته وقرئا بالرفع
على انه صفة لكتاب او خبرية لمحذوف فاعرض اكثرهم عن تدبره مع كونه على لغتهم فهم لا يسمعون سماع تفكر
وتامل حتى يفهموا جلالة قدره فيؤمنوا به وقالوا اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته اياهم الى الايمان والعمل بما في
القران قلوبنا في اكنة اي اغطية متكاثفة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر اي صمم واصله الثقل وقرئ بفتح
القاف ومن بيننا وبينك حجاب غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على ان الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث
استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ اصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن ادراك الحق
وقبوله ومج اسماعهم له كان بها صمما وامتناع مواصلتهم للرسل عليهم السلام فاعمل اي على دينك وقيل
في ابطال امرنا اننا عاملون على ديننا وقيل في ابطال امرك والاول هو الاظهر فان قوله تعالى قل انما
انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد تلقين للجواب عنه اي لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم
حجاب وتباين مصحح لتباين الاعمال والاديان كما ينبئ عنه قوله تعالى اننا عاملون بل انما انا بشر مثلكم
مامور بما امرتم به حيث اخبرنا جميعا بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم فان الخطاب في الحكم محكي به
[illegible] انه خطاب ثم التلقي كلا منكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنيا لا يمكنكم التلقي منه ولا
ادعوكم الى ما تنبو عنه العقول والاسماع وانما ادعوكم الى التوحيد والاستقامة في العمل وقد دلت عليهما
دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى انى لست بملك وانما انا بشر مثلكم وقد اوحى الي دونكم فصحت بالوحي الي
وانا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي فاستقيموا اليه [illegible] ما بعدها
على ما قبلها من ايحاء الوحدانية فان ذلك موجب لاستقامتهم اليه تعالى بالتوحيد والاخلاص في الاعمال واستغفروه
مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى وويل للمشركين ترهيب وتنفير لهم عن الشرك اثر ترغيبهم
في التوحيد ووصفهم بقوله تعالى الذين لا يؤتون الزكاة لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل
من اوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل وهم بالآخرة هم كافرون وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز
الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما ان عدم ايتائها متجدد والكفر امر مستمر وعن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما الذين لا يقولون لا اله الا الله فانها زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون
انفسهم من الشرك بالتوحيد وهو ماخوذ من قوله تعالى [illegible] وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون
في الطاعة ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون اعمالهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون
اي لا يمن به عليهم من المن او لا يقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى
اذا عجزوا عن الطاعات كتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
انكار وتشنيع لكفرهم وان واللام لتأكيد الانكار
البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج الى التأكيد
فان [illegible]
مقدار يومين او في نوبتين على ان ما يوجد في كل نوبة يوجد باسرع ما يكون
بعد وجود عالم اليوم الحقيقي انما يتحقق

في حكم الانكار والتوبيخ وجميع الانداد باعتبار ما هو الواقع لا بان يكون مدار الانكار هو التعدد اى وتجعلون له
انداداً اى والحال انه لا يكون له ند واحد ذلك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز الصلة وما في حيز الصلة
وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في العظمة وافراد الكاف لما مر مرارا اى ان
المراد ليس تعيين البعد مع قرب العهد للمخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده اى ذلك العظيم الشان الذي فعل ما ذكر
رب العالمين اى خالق جميع الموجودات ومربيها دون الارض خاصة فكيف يتصور ان يكون احسن مخلوقاته
نداً له وقوله تعالى وجعل فيها رواسي اى عطف على عطف داخل في حكم الصلة والجعل ابداع وحديث لزوم الفصل
بينهما بالجملتين الخارجتين عن حيز الصلة مدفوع بان الاول متحد مع قوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الاعادة
له والثانية اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد بالفصل بهما لا فصل على ان فيه فائدة التنبيه
على ان مجرد المعطوف عليه كاف في تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة ان يجعل له ند فكيف اذا انضم اليه المعطوفات
وقيل هو عطف على مقدر اى خلقها وجعل الى آخره وقيل هو كلام مستأنف وايا ما كان فالمراد تقرير الجعل لا
الجعل بالنقل وقوله تعالى من فوقها متعلق بجعل او بمضمر هو صفة لرواسي اى كائنة من فوقها مرتفعة عليها
لتكون منافعها معرضة لاهلها ويظهر للنظار ما فيها من مراصد الاعتبار ومطارح الانظار وبارك فيها اى قدر
ان يكثر خيرها بان يخلق انواع الحيوان التي من جملتها الانسان واصناف النبات التي منها معايشهم وقدر فيها
اقواتها اى حكم فيها اقواتها في اربعة ايام مرتبطا بالفذلكة سواء مصدر مؤكد بمضمر هو صفة للايام
اى استوت سواء اى استواء كما ينبئ عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير في اقواتها او في فيها وقرئ بالرفع
اى هو سواء للسائلين متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الارض وما فيها او بمقدر اى قدر فيها
اقواتها لاجل السائلين اى الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وقوله تعالى ثم استوى الى السماء شروع في
بيان كيفية التكوين اثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالارض واهلها لما ان بيان اعتنائه
تعالى بامر المخاطبين وترتيب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الايمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان
اى ثم قصد نحوها قصدا سويا لا يلوي على غيره وهي دخان اى امر ظلماني عبر به عن مادتها او عن الاجزاء
المتصغرة التي ركبت منها او دخان مرتفع من الماء كما سبق وانما خص الاستواء بالسماء مع ان الخطاب المترتب عليه
متوجه اليهما معا حسبما ينطق به قوله تعالى فقال لها وللارض اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنه
قيل فقال لها وللارض التي قدر وجودها ووجود ما فيها ائتيا اى كونا واحدثا على وجه معين
وفي وقت مقدر لكل منهما وهو عبارة عن تعلق ارادته تعالى بوجودهما تعلقا فعليا بطريق التمثيل بعد تقدير
امرهما من غير ان يكون هناك امر ومأمور كما في قوله تعالى طوعا او كرها تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما
واستحالة امتناعهما من ذلك لا اثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعا موقع الحال اى طائعتين او كارهتين
وقوله تعالى قالتا اتينا طائعين اى منقادين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما
امرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جاريا على مقتضى الحكمة فان الطوع منبئ عن ذلك والكره موهم
لخلافه وانما قيل طائعين باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى فقضاهن
سبع سموات تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالامر وجوابه لا انه فعل مترتب على تكوينهما
اى خلقهن خلقا ابداعيا واتقن امرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير للسماء على المعنى ومنهم من جعل سبع سموات
حالا على الاول وتمييزا على الثاني في يومين في وقت مقدر بيومين بحسب مقدار زمان خلق الارض وخلق
ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل في ستة ايام حسبما نص عليه في مواقع من التنزيل واوحى في كل
سماء امرها عطف على قضاهن اى خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات وغير ذلك مما لا يعلمه الا الله
تعالى كما قال قتادة والسدي والوحي عبارة عن التكوين فالامر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت او
اوحى الى كل منها اوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وايا ما كان فلعل
ما قرر من التخييل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين ايجاد الارض وايجاد السماء وانما الترتيب بين
تقديرها والايجاد واما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهي
وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن سبع
سموات يدل على التقدم خلق الارض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير
وقد روي ان العرش العظيم كان قبل خلق السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا
فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد فبقي على وجه الماء فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم
الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما
فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة وقيل ان
خلق جرم الارض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها

ولما روي عن الحسن رضي الله تعالى عنه من انه تعالى خلق الارض في بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها
ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منه الارض وذلك قوله تعالى كانتا
رتقا ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء في سلك الامر بالاتيان انشاؤها واحداثها بل انشاء وجود ما
وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كانه قيل ائتيا على ما ينبغي ان تأتيا عليه ايتي
يا ارض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتي يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع على ذلك الوجه
كما ينبئ عنه قراءة آتينا من المواتاة وهي الموافقة وانت خبير بان المذكور قبل الامر بالاتيان ليس مجرد خلق
جرم الارض حتى يتأتى ما ذكر بل خلق ما فيها ايضا من الامور المتأخرة عن دحوها قطعا فالاظهر ان يسلك
مسلك الاولين ويحمل الامر بالاتيان على تكوينهما متوافقين على الوجه المذكور وليس من ضرورته الا يكون
دحوها مترتبا على ذلك التكوين وانما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب في ان تكوين السماء
على الوجه اللائق بها كاف في حصوله ولا يقدح في ذلك تكوين الارض على الوجه المذكور قبل ذلك وان
يحمل الارض في قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها منصوب بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل
ذلك اشارة الى ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى انفسها ويحمل البعدية اما على
انه قصى عن الاول في الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل واما على انه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة
بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيلها اكمل وليس ما روي عن الحسن رضي الله
تعالى عنه نصا في ان الارض خلق الارض قبل السماء فان بسط الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء
بالواو فلا دلالة في ذلك على الترتيب قطعا وقد نقل الامام الواحدي عن مقاتل رحمه الله ان خلق السماء مقدم
على ايجاد الارض فضلا عن دحوها فلابد من حمل الامر باتيانهما حينئذ ايضا على ما ذكر من التوافق والمواتاة
ولا يقدح في ذلك تقدم خلق السماء على خلق الارض كما لم يقدح فيه تقدم خلق الارض على خلق السماء هذا
كله على تقدير كلمة ثم للتراخي الزماني واما على تقدير كونها للتراخي الرتبي كما جنح اليه الاكثرون فلا دلالة
في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الاول ولعل ذلك بين الحمل في تفسير قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا الآية وانما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه هنا لتوفية مقام الامتنان
وزينا السماء الدنيا بمصابيح من الكواكب فانها ترى متلألئة عليها كانها فيها والالتفات الى نون
العظمة لابراز مزيد العناية بالامر وقوله تعالى وحفظا مصدر مؤكد بفعل معطوف على زينا اى و
حفظناها من الآفات او من المسترقة حفظا او مفعول له على المعنى كانه قيل وخلقنا المصابيح
زينة وحفظا ذلك الذي ذكر بتفاصيله تقدير العزيز العليم المبالغ في القدرة والعلم فان اعرضوا متصل
بقوله تعالى قل ائنكم لتكفرون الخ اى فان اعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الامور الداعية الى الايمان او عن الايمان
بعد هذا البيان فقل انذرتكم صاعقة اى فحذرهم ان يصيبهم عذاب شديد الوقع كانه صاعقة
مثل صاعقة عاد وثمود وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهي المرة من الصعق او الصعاق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل اذ جاءتهم
الرسل حال من صاعقة عاد
من بين ايديهم ومن خلفهم متعلق بجاءتهم اى من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم
من كل جهة او من جهة الزمان الماضي بالانذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما اعد لهم
الا تعبدوا الا الله اى بان لا تعبدوا على ان ان مصدرية قالوا لو شاء ربنا ارسال الرسل
لانزل ملائكة فانا بما ارسلتم به كافرون اى بما ارسلتم به على زعمكم روي ان ابا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا امر
محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان عن امره فقال عتبة بن ربيعة
والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر فاتاه فقال انت يا محمد خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فيم تشتم آلهتنا وتضللنا
فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن اى بنات
قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله
الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده
بالرحم ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه

ياعتبة ما حلبك عنا الا انك قد صبات فغضب ثم قال فوالله لقد كلمته فاجابنى بشىء والله ما هو بشعر ولا
كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود امسكت فيه وناشدته بالرحم وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيئا فالعذاب
اثر حكاية لم يكذب فخفت ان ينزل بكم العذاب فاما عاد فاستكبروا فى الارض شروع فى حكاية ما يخص
كل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب اثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق اى فتعظموا فيها على اهلها
واستعلوا وتولوا على اهلها بغير الحق اى بغير استحقاق للتعظم والولاية وقالوا من اشد منا
قوة حيث كانوا ذوى اجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم ان الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل
فيقتلعها بيده اولم يروا اى اغفلوا ولم ينظروا ولم يعلموا علما جليا شبيها بالمشاهدة والعيان ان الله
الذى خلقهم هو اشد منهم قوة اى قدرة فانه تعالى قادر بالذات مقتدر على ما لا يتناهى قوى على ما لا
لادعائهم الشدة فى القوة بعينه ضرب من التهكم بهم وكانوا باياتنا المنزلة على الرسل يجحدون اى ينكرون
وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعا
فارسلنا عليهم ريحا صرصرا اى باردة تهلك وتحرق بشدة بردها من الصر وهو البرد الذى يصر اى يجمع
ويقبض او عاصفة تصوت فى هبوبها من الصرير فى ايام نحسات جمع نحسة من نحس نحسا نقيض سعد
سعدا وقرئ بالسكون على التخفيف او على انه نعت على فعل او وصف بمصدر مبالغة قيل كن اخر شوال
من الاربعاء الى الاربعاء وما عذب قوم الا فى يوم الاربعاء لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا وقرئ لتذيقهم على اسناد
الاذاقة الى الريح او الى الايام واضافة العذاب الى الخزى الذى هو الذل والاستكانة على انه وصف
له كما يعرب عنه قوله تعالى ولعذاب الاخرة اخزى وهو فى الحقيقة وصف للمعذب قد وصف به العذاب للمبالغة
وهم لا ينصرون بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه واما ثمود فهديناهم فدللناهم على الحق بنصب الايات
التكوينية وارسال الرسل وانزال الايات التشريعية وازحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى
فى تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرئ ثمود بالنصب بفعل يفسره ما بعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء
فاستحبوا العمى على الهدى اى اختاروا الضلالة على الهداية فاخذتهم صاعقة العذاب الهون داهية العذاب
وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة او ابدل منه بما كانوا يكسبون من اختيار
الضلالة ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله تعالى الذين هم
والاولين بعلة ما يحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الاولين والاخرين ويرده ما سياتى
من قوله تعالى فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقرئ يحشر على بناء الفاعل ونصب اعداء الله
وبنون العظمة وضم الشين وكسرها الى النار اى الى موقف الحساب اذ هناك تتحقق الشهادة الاتية لا بعد
تمام السؤال والجواب وسوقهم الى النار والتعبير عنه بالنار اما للايذان بانها عاقبة حشرهم وانهم على
شرف دخولها واما لان حسابهم يكون على شفيرها ويوم منصوب باذكر او ظرف لما سيأتى فهم يوزعون
حذف ايهاما لقصور العبارة عن تفصيله كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل
قوله تعالى فهم يوزعون اى يحبس اولهم على اخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل ان يساقون
ويدفعون الى النار وقوله تعالى حتى اذا ما جاؤها اى جميعا غاية ليحشروا وليوزعون حتى اذا حضروها
وما مزيدة لتاكيد اتصال الشهادة بالحضور شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون
فى الدنيا من فنون الكفر والمعاصى بان ينطقها الله تعالى او يظهر عليها اثار ما اقترفوا بها وقوله تعالى
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا فان ما تشهد به من الزنا اعظم جناية وقبحا واجلب للخزى والعقوبة
مما يشهد به السمع والابصار من الجنايات المكتسبة بتوسطها وقيل المراد بالجلود الجوارح اى سالوها
سؤال توبيخ لما فعلت انهم قالوا لها فعنكن كنا نناضل وفى رواية بعدا لكن وسحقا عنكن كنت اجادل وصيغة
جمع العقلاء فى خطاب الجلود وفى قوله تعالى قالوا انطقنا الله الذى انطق كل شىء لوقوعها فى موقع السؤال
والجواب المختصين بالعقلاء اى انطقنا الذى انطق كل شىء واقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم
بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل انطقنا الذى انطق كل شىء وليس بذلك
لما فيه من ايهام مراءاة منطوية فى الاخبار وقيل سالوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا
بعجب من قدرة الله تعالى الذى انطق كل شىء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون فان من قدر على
خلقكم وانشائكم اولا وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل
صيغة المضارع مع ان هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما ان المراد بالرجع ليس مجرد الرد الى
الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترتب عند التخاطب على تغليب المتوقع
على الواقع على ان فيه مراعاة الفواصل وقوله تعالى وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا
ابصاركم ولا جلودكم حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب

الجلود

الجلود اى ماكنتم تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة ان يشهد عليكم جوارحكم بذلك
كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء اصلا ولكن
ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون من القبائح الخفية فلا يظهرها فى الاخرة ولذلك اجترأتم
على ما فعلتم وفيه ايذان بان شهادة الجوارح باعلام الله تعالى اياها حينئذ علامة بما شهدت به عند صدوره
عنهم عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى
او قرشيان وثقفى فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول فقال الاخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع
ان اخفينا فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وما كنتم تستترون الاية فالحكم المحكى
حينئذ يكون خاصا بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة وذلكم اشارة الى ما ذكر من ظنهم وما فيه
من معنى البعد للايذان بغاية بعد منزلته فى الشر والسوء وهو مبتدا وقوله تعالى ظنكم الذى ظننتم
بربكم ارداكم خبران له ويجوز ان يكون ظنكم بدلا وارداكم خبرا فاصبحتم بسبب ذلك الظن السوء الذى
اهلككم من الخاسرين اذ صار ما منحوا للنيل سعادة الدارين سببا للشقاء النشاتين فان يصبروا فالنار
مثوى لهم اى محل ثواء واقامة ابدية بحيث لا براح لهم منها والالتفات الى الغيبة للايذان باقتضاء
حالهم ان يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم او للاشعار بابعادهم عن حيز الخطاب والقائهم فى غيابة دركات
النار وان يستعتبوا اى يسالوا العتبى وهو الرجوع الى ما يحبونه جزعا مما هم فيه فما هم من المعتبين المجابين
اليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين اى ان يسالوا ان يرضوا
ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة وقيضنا لهم اى قدرنا وقرنا للكفرة فى الدنيا قرناء جمع قرين
اى اخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل اصل القيض البدل ومنه
المقايضة للمعاوضة فزينوا لهم ما بين ايديهم من امور الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امور
الاخرة حيث اروهم ان لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط وحق عليهم القول اى ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب
وتحقق موجبها ومصداقها وهى قوله تعالى لابليس فالحق والحق اقول لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم اجمعين وقوله تعالى اذهب فمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين كما مر مرارا فى امم حال من الضمير المجرور
اى كائنين فى جملة امم وقيل فى بمعنى مع وهذا كما ترى صريح فى ان المراد باعداء الله تعالى فيما سبق المعهودين من
عاد وثمود لا الكفار من الاولين والاخرين كما قيل قد خلت صفة لامم قد مضت من قبلهم من الجن والانس
على الكفر والعصيان كثمود وانهم كانوا خاسرين تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للاولين وللاخرين
والاخرين وقال الذين كفروا من رؤساء المشركين لاعقابهم او قال بعضهم لبعض لا تسمعوا لهذا القران اى لا
تنقادوا له والغوا فيه وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء او ارفعوا اصواتكم بها لتشوشوا
على القارئ وقرئ بضم الغين والمعنى واحد يقال لغى يلغى ولغا يلغو اذا هذى لعلكم تغلبون اى تغلبونه
على قراءته فلنذيقن الذين كفروا اى فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين او جميع الكفار وهم داخلون فيهم
دخولا اوليا عذابا شديدا لا يقادر قدره ولنجزينهم اسوأ الذى كانوا يعملون اى جزاء سيئات اعمالهم التى
هى فى نفسها اسوأ وقيل انه لا يجازيهم بمحاسن اعمالهم كاغاثة الملهوفين وصلة الارحام وقرى الاضياف
لانها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عذابا شديدا يوم بدر واسوأ الذى كانوا يعملون فى
الاخرة ذلك مبتدا وقوله تعالى جزاء اعداء الله خبره اى ما ذكر من الجزاء الجزاء المعد لاعدائه تعالى وقوله
النار عطف بيان للجزاء او ذلك خبر مبتدا محذوف اى الامر ذلك على انه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء
وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى لهم فيها دار الخلد جملة مستقلة مقررة لما قبلها والنار مبتدا
هى خبره اى بعينها دار اقامتهم على ان فى التجريد وهو ان ينتزع من امر ذى صفة امرا اخر مثله مبالغة لكماله فيها
كما يقال فى البيضة عشرون منا حديد وقيل هى على معناها والمراد ان لهم فى النار المشتملة على الدركات دارا
مخصوصة هم فيها خالدون جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون منصوب بفعل مقدر اى يجزون جزاء او بالمصدر
السابق فان المصدر ينتصب بمثله كما فى قوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا والباء الاولى متعلقة بجزاء والثانية
بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل اى بسبب ما كانوا يجحدون باياتنا الحقة او يلغون فيها وذكر الجحود
لكونه سببا للغو وقال الذين كفروا وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب ربنا ارنا اللذين اضلانا من الجن
والانس يعنون فريقى شياطين النوعين المقيضين لهما الحاملين لهم على الكفر والمعاصى بالتسويل والتزيين
وقيل هما ابليس وقابيل فانهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرئ ارنا بالتخفيف كفخذ فى فخذ وقيل معناه اعطناهما
وقرئ باختلاس كسرة الراء نجعلهما تحت اقدامنا اى ندسهما انتقاما منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الاسفل
ليكونا من الاسفلين اى ذلا ومهانة او مكانا ان الذين قالوا ربنا الله شروع فى بيان حسن احوال
المؤمنين فى الدنيا احوال المؤمنين فى الدنيا والاخرة بعد بيان حال سوء الكفرة فيهما اى قالوا اعترافا بربوبيته

تعالى واقرار بوحدانيته ثم استقاموا اى ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخى فى الزمان او فى
الرتبة فان الاستقامة لها كله وما روى عن الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم فى معناها من الثبات
على الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بجزئياتها تتنزل عليهم الملئكة من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم
من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم العذاب للخوف والحزن بطريق الالهام
كما ان الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل
بالبشرى فى مواطن ثلاثة عند الموت وفى القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق كما ستعرفه
الا تخافوا ما تقدمون عليه فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه ولا تحزنوا على ما خلفتم فانه غم يلحق لوقوعه من
فوات نافع او حصول ضار وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الاطلاق والمعنى ان الله تعالى كتب لكم الامن
من كل غم فلن تذوقوه ابدا وان اما مفسرة او مخففة من الثقيلة والاصل بانه لا تخافوا والهاء ضمير الشان
وقرئ لا تخافوا اى يقولون لا تخافوا على انه حال من الملئكة او استئناف وابشروا اى اسروا بالجنة التى كنتم
توعدون فى الدنيا على السنة الرسل هذا من بشاراتهم فى احد المواطن الثلاثة وقوله تعالى نحن اولياؤكم
فى الحياة الدنيا الى اخره من بشاراتهم فى الدنيا اى اعوانكم فى اموركم نلهمكم الحق ونرشدكم الى ما فيه خيركم
بواسطة الملئكة عليهم السلام وفى الآخرة نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم
ما يقع من التعادى والخصام ولكم فيها ما تشتهى انفسكم من فنون الطيبات ولكم فيها ما تدعون ما تتمنون
افتعال من الدعاء بمعنى الطلب اى تدعون لانفسكم وهو اعم من الاول ولكم فى الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها
حال من ضميره فى الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهى للاشباع فى البشارة والايذان باستقلال
كل منهما نزلا من غفور رحيم حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة الى ما يعطون من عظائم
الاجور كالنزل للضيف ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اى الى توحيده تعالى وطاعته عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى المؤذنين والحق ان حكمها عام لكل من الخصال الحميدة
وان نزلت فيمن ذكر وعمل صالحا فيما بينه وبين ربه وقال اننى من المسلمين ابتهاجا بانه منهم او اتخاذا للاسلام
دينا ونحلة من قولهم هذا قول فلان اى مذهبه لا انه اذا تكلم بذلك وقرئ انى بنون واحدة ولا تستوى الحسنة
ولا السيئة لبيان محاسن الاعمال الجارية بين العباد اثر بيان محاسن الاعمال الجارية بين العبد وبين الرب
عز وجل ترغيبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصبر على اذية المشركين ومقابلة اساءتهم بالاحسان اى لا تستوى
الخصلة الحسنة والسيئة فى الآثار والاحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى وقوله تعالى ادفع بالتى
هى احسن الى آخره استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة اى ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض اعاديك
بالتى هى احسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالاحسان الى من اساء فانه احسن من العفو واخراجه
مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف ادفع للمبالغة ولذلك وضع احسن موضع الحسنة وقوله تعالى فاذا
الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم بيان لنتيجة الدفع المأمور به اى فاذا فعلت ذلك صار
عدوك المشاق مثل الولى الشفيق وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم
الجنة وقيل هو الثواب قيل نزلت فى ابى سفيان بن حرب مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من شره ولا تطعه انه هو السميع باستعاذتك العليم
بنيتك او بصلاحك وفى جعل ترك الدفع بالاحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير
عنه ومن آياته الدالة على شؤونه العظيمة الليل والنهار والشمس والقمر كل منها مخلوق من مخلوقاته
مسخر لامره لا تسجدوا للشمس ولا للقمر لانهما من جملة مخلوقاته المسخرة لامره مثلكم واسجدوا لله
الذى خلقهن الضمير للاربعة لان حكم جماعة ما لا يعقل حكم الانثى والاناث او لانها عبارة عن الآيات
وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للايذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية
بنظمهما فى المخلوقية فى سلك الاعراض التى لا قيام لها بذاتها وهو السر فى نظم الكل فى سلك آياته
تعالى ان كنتم اياه تعبدون فان السجود اقصى مراتب العبادة فلا بد من تخصيصه به سبحانه
وهو موضع السجود عند الشافعى وعندنا الآية الاخرى لانه تمام المعنى فان استكبروا عن الامتثال
فالذين عند ربك من الملئكة يسبحون له بالليل والنهار اى دائما وهم لا يسأمون لا يفترون ولا يملون
وقرئ لا يسأمون بكسر الياء ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة متطامنة مستعار من
الخشوع بمعنى التذلل فاذا انزلنا عليها الماء اى المطر اهتزت وربت اى تحركت بالنبات وانتفخت لان
النبت اذا دنا ان يظهر ارتفعت له الارض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات
وقرئ ربأت اى ارتفعت ان الذى احياها بما ذكر بعد موتها لمحيى الموتى بالبعث انه على كل شىء قدير
من الاشياء التى من جملتها الاحياء قدير مبالغ فى القدرة ان الذين يلحدون يميلون عن الاستقامة ويع

يلحدون

يلحدون فى آياتنا بالطعن فيها وبتحريفها بحملها على المحامل الباطلة لا يخفون علينا فنجازيهم بالحادهم وقوله تعالى
أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيمة تنبيه على كيفية الجزاء اعملوا ما شئتم من الاعمال المؤدية الى
ما ذكر من الالقاء فى النار والاتيان آمنا وفيه تهديد شديد انه بما تعملون بصير فيجازيكم بحسب اعمالكم وقوله
تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم بدل من قوله تعالى ان الذين يلحدون فى آياتنا وخبر ان هو الخبر السابق
وقيل مستأنف وخبرها محذوف مثل معاندون او هالكون وقيل اولئك ينادون والذكر القرآن وقوله تعالى
وانه لكتاب عزيز اى كثير النفع عديم النظير او منيع لا يتأتى ابطاله وتحريفه جملة حالية مفيدة لغاية شناعة
الكفر به وقوله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اى لا يتطرق اليه الباطل من جهة من
الجهات صفة اخرى لكتاب وقوله تعالى تنزيل من حكيم حميد خبر لمبتدأ محذوف او صفة اخرى لكتاب
مفيدة لفخامته الاضافية كما ان الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه
الباطل الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح للتأكيد
وقوله تعالى ما يقال لك الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من اذية الكفار اى ما يقال لك فى شأنك وشأن
ما انزل اليك من القرآن من جهة كفار قومك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اى الا مثل ما قد قيل فى حقهم
وحق ما جاءوا به ان ربك لذو مغفرة لانبيائه وذو عقاب أليم لاعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل
وانتقم من اعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وباعدائك ايضا ولو جعلناه قرآنا اعجميا جواب لقولهم هلا
انزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر لقالوا لولا فصلت آياته اى بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى
أأعجمى وعربى انكار مقرر للتحضيض والاعجمى يقال للكلام الذى لا يفهم وللمتكلم به
والمعنى أكلام اعجمى ورسول او مرسل اليه عربى
الثانى والثالث بين الكلام والمخاطب به
منسوب الى امة العجم وقرئ أعجمى
فصلت آياته فجعل بعضها اعجميا لافهام العجم وبعضها عربيا لافهام العرب والمقصود بيان انهم
آيات الله تعالى على اى وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به قل هو للذين آمنوا هدى يهديهم الى الحق وشفاء
من الشك والشبهة والذين لا يؤمنون مبتدأ خبره فى آذانهم وقر على ان قوله تعالى فى آذانهم وقر على
وقر خبر للضمير المقدر
وقيل خبر الموصول فى آذانهم وقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل
التقدير والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر فاعل منه وقيل من عطف الموصول على الموصول الاول اى هو
للاولين هدى وشفاء وللآخرين وقر فى آذانهم اولئك اشارة الى الموصول الثانى باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته
وما عطف ما اثبت له وما فيه من معنى البعد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته فى الشر مع ما فيه
من كمال المناسبة للنداء من بعيد اى اولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذى يسمعونه والتعامى
عن الآيات الظاهرة التى يشاهدونها ينادون من مكان بعيد تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى
من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الاصوات ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه كلام مستأنف
مسوق لبيان ان الاختلاف فى شأن الكتب عادة قديمة للامم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى ما يقال
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك اى وبالله لقد آتيناه التوراة فاختلف فيها فمن مصدق بها ومكذب وهكذا حال قومك
فى شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر ولولا كلمة سبقت من ربك فى حق امتك المكذبة وهى العدة
بتأخير عذابهم وفصل ما بينهم وبين المؤمنين من الخصومة الى يوم القيمة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم
وقوله تعالى ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى لقضى بينهم باستيصال المكذبين كما فعل بمكذبى الامم السالفة وانهم
اى كفار قومك لفى شك منه اى من القرآن مريب وجعل الضمير لليهود والثانى للتوراة مما لا وجه
له من عمل صالحا بان آمن بالكتب وعمل بموجبها فلنفسه اى فنفعه لنفسه او فلنفسه نفعه لا لغيره ومن اساء
فعليها ضرره لا على غيره وما ربك بظلام للعبيد اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مبنى على تنزيل ترك
اثابة المحسن بعمله او اثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير اساءة او باساءة غيره منزلة الظلم الذى
يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر ما فى المقام من التحقيق والتفصيل فى سورة آل عمران
وسورة الانفال اليه يرد علم الساعة اى اذا سئل عنها يقال الله يعلم او لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرة
من اكمامها اى من اوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرئ من ثمرة على ارادة الجنس
والجمع لاختلاف الانواع وقد قرئ بجمع الضمير ايضا وما نافية ومن الاولى مزيدة للاستغراق واحتمال
ان تكون موصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وقوله
تعالى الا بعلمه استثناء مفرغ من اعم الاحوال اى وما يحدث شىء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع

واصنع ملابسا للشيء من الاشيا الا ملابسة بطلعة المحيط ويوم يناديهم اين شركاي اي بزعمكم كما نص عليه
في قوله تعالى اي شركائي الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر او ظرف لمضمر موخر
قد ترك ايذانا بقصور البيان عنه كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل قالوا اذناك اي اخبرناك ما
منا من شهيد من احد يشهد لهم بالشركة اذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال وما منا احد الا وهو موحد لك او ما منا من
احد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء اي ما منا من شهيد يشهد لهم بانهم كانوا محقين
وقولهم اذناك اما لان هذا التوبيخ اعيد عليهم فاجابوا بهذا الجواب او لان معناه انك علمت من قلوبنا وعقايدنا الآن
انا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم اعلموه او لان معناه الانشاء لا الاخبار
بايذان قد كان قبل ذلك وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل اي يعبدون من قبل اي غابوا عنهم او ظهر عدم
نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم وظنوا اي ايقنوا ما لهم من محيص مهرب والظن معلق عنه بحرف النفي لا يسأم
الانسان اي لا يمل ولا يفتر من دعاء الخير من طلب السعة في النعمة واسباب المعيشة وقرئ من دعاء بالخير
وان مسه الشر اي العسر والضيق فيؤوس قنوط فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة ان
القنوط عبارة عن ياس مفرط يظهر اثره في الشخص فيتضاءل وينكسر اي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله
تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما ان الياس من رحمته تعالى لا يتأتى الا من الكافر
وسيصرح به ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته بتفريجها عنه ليقولن هذا لي اي حقي استحقه لما لي
من الفضل والعمل او لي لا لغيري فلا يزول عني ابدا وما اظن الساعة قائمة اي تقوم فيما سياتي ولئن رجعت
الى ربي على تقدير قيامها ان لي عنده للحسنى اي للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده ان ما اصابه
من نعم الدنيا لاستحقاق له وان نعم الاخرة كذلك فلننبئن الذين كفروا بما عملوا اي لنعلمنهم بحقيقة اعمالهم
حين اظهرناها بصورها الحقيقية وقد مر تحقيقه في سورة الاعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفي
قوله تعالى انما بغيكم على انفسكم من سورة يونس ولنذيقنهم من عذاب غليظ لا يقادر قدره ولا يبلغ
كنهه واذا انعمنا على الانسان اعرض عن الشكر ونأى بجانبه اي ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبرا وتعظما والجانب
مجاز عن النفس كما في قوله تعالى في جنب الله ويجوز ان يراد عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما
قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض اي كثير مستعار مما له عرض متسع للاشعار
بكثرته واستمراره وهو ابلغ من الطويل والطول اطول الامتدادين فاذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله
ولعل هذا في شان بعض غير البعض الذي حكي عنه الياس والقنوط او شان الكل في بعض الاوقات قل ارايتم
اي اخبروني ان كان اي القران من عند الله ثم كفرتم به مع تعاضد موجبات الايمان به من اضل ممن هو في
شقاق بعيد اي من اضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم سنريهم
اياتنا الدالة على حقيقته وكونه من عند الله في الافاق هو ما اخبرهم النبي ﷺ من الحوادث الاتية واثار
النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على افاق الدنيا والاستيلاء على
بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة وفي انفسهم هو ما ظهر فيما بين اهل مكة وما حل بهم وقال
ابن عباس في الافاق اي منازل اهل الامم الخالية واثارهم وفي انفسهم فتح مكة وقيل في الافاق اي في اقطار السموات
والارض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والاضواء والظلمات ومن النبات والاشجار
والانهار وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الاجنة في ظلمات الارحام وحدوث الاعضاء
العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون واعتبر بان معنى السين مع ارادة تلك
الايات قد حصلت بعد ذلك فانه تعالى سيطلعهم على تلك الايات زمانا وزمانا ويزيدهم وقوفا على حقايقها
يوما فيوما حتى يتبين لهم بذلك انه الحق اي القران او الاسلام او التوحيد اولم يكف بربك استيناف وارد
لتوبيخهم على ترددهم في شان القران وعنادهم المحوج الى اراءة الايات وعدم اكتفائهم باخباره تعالى والهمزة
للانكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام اي الم يغن ولم يكف بربك والباء مزيدة للتاكيد ولا تكاد
تزاد الا مع كفى وقوله تعالى انه على كل شيء شهيد بدل منه اي الم يغنهم عن اراءة الايات الموعودة المبينة
لحقية القران ولم يكفهم في ذلك انه تعالى شهيد على جميع الاشيا وقد اخبر بانه من عنده وقيل معناه
ان هذا الموعود من اظهار ايات الله تعالى في الافاق وفي انفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك
وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على انه حق وانه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوي هذه القوة ولما
نصر حاملوه هذه النصرة فتامل واما ما قيل من ان المعنى اولم يكفك انه تعالى على كل شيء شهيد محقق
له فيحقق امرك باظهار الايات الموعودة كما حقق ساير الاشياء الموعودة فمع كونه تعزية بما لا يليق بجلالة
منصبه ﷺ بمعزل من السداد فيما ذكره من تحقيق الموعود بحده قوله تعالى الا انهم في مرية من لقاء ربهم اي في شك
عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فانه صريح في ان عدم الكفاية معتبر بالنسبة اليهم وقرئ مرية بالضم وهو لغة

فيها

فيها الا انه بكل شيء محيط عالم بجميع الاشيا جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا يخفى عليه خافية منهم
وهو مجازيهم على كفرهم لا محالة عن النبي ﷺ من قرأ سورة السجدة اعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا ايتين وقيل اسم واحد
والفصل لتناسب ساير الحواميم وقرئ حم عسق فعلى الاول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق
خبره وعلى الثاني الكل خبر واحد وقوله تعالى كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم
كلام مستانف وارد لتحقيق ان مضمون السورة موافق لما في تضاعيف ساير الكتب المنزلة على الرسل
المتقدمة في الدعوة الى التوحيد والارشاد الى الحق وان ايحاءها مثل ايحائها بعد تنويهها بذكر اسمها
والتنبيه على فخامة شانها والكاف في حيز النصب على انه مفعول ليوحي على الاول وعلى انه نعت لمصدر موكد
له على الثاني وذلك على الاول اشارة الى ما فيها وعلى الثاني الى ايحائها وما فيه من معنى البعد للايذان بعلو
رتبة المشار اليه وبعد منزلته في الفضل اي مثل ذلك ما في هذه السورة من المعاني اوحي اليك عند ايحاء
ساير السور والى ساير الرسل عند ايحاء كتبهم اليهم لا ايحاء مغايرا له كما في قوله تعالى انا اوحينا اليك كما اوحينا
الى نوح الاية على ان مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية
للايذان باستمرار الوحي وان ايحاء مثله عادته وفي جعل مضمون السورة او ايحائها من تفخيمها ما لا يخفى ولذا
وصفه تعالى بوصفي العزة والحكمة وتاخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع ما فيه من التشويق وقرئ يوحى
على البناء للمفعول على ان كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند الى ضميره او مصدر يوحى مسند الى اليك والله
مرتفع بما دل عليه يوحى كانه قيل من يوحي فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له وقوله تعالى له ما في
السموات وما في الارض وهو العلي العظيم خبران له وعلى الوجوه السابقة استيناف مقرر لعزته وحكمته
تكاد السموات وقرئ بالياء يتفطرن يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل من دعاء الولد كما في سورة مريم
وقرئ ينفطرن والاول ابلغ لانه مطاوع فطر وهذا مطاوع فطر وقرئ يتفطرن بالتاء لتاكيد التانيث
وهو نادر من فوقهن اي يبتدئ التفطر من جهتهن الفوقانية وتخصيصها على الاول لما ان اعظم الايات وادلها
على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى الثاني للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الاولى لان تلك الكلمة
الشنعاء الواقعة في الارض حين اثرت في جهة الفوق فلان تؤثر في جهة التحت اولى وقيل الضمير للارض فانها
في معنى الارضين والملائكة يسبحون بحمد ربهم ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده ويستغفرون
لمن في الارض بالسعي فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والالهام وترتيب الاسباب المقربة الى الطاعة
واستدعاء تأخير العقوبة طمعا في ايمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر الاستغفار
بالسعي فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما في قوله تعالى ويستغفرون
للذين امنوا فالمراد به الشفاعة الا ان الله هو الغفور الرحيم اذ ما من مخلوق الا وله حظ عظيم من
رحمته تعالى والاية تدل على زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثاني بيان لكمال تقدسه عما نسب اليه
وان ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة وفرط غفرانه ورحمته
ففيها رمز الى انه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة رحمة والذين اتخذوا من دونه اولياء
شركاء وانداد الله حفيظ عليهم رقيب على احوالهم واعمالهم فيجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل بموكل بهم
او بموكول اليه امرهم وانما وظيفتك الانذار وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا ذلك اشارة الى مصدر
اوحينا ومحل الكاف النصب على المصدرية وقرانا عربيا مفعول لاوحينا اي ومثل ذلك الايحاء البديع
البين المفهم اوحينا اليك قرانا عربيا لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل اشارة الى معنى الاية المتقدمة
من انه تعالى هو الحفيظ عليهم وانما انت نذير فحسب والكاف مفعول به لاوحينا وقرانا عربيا حال من
المفعول به اي اوحيناه اليك وهو قران عربي مبين لتنذر ام القرى اي اهلها وهي مكة ومن حولها
من العرب وتنذر يوم الجمع اي يوم القيمة لانه يجمع فيه الخلائق قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل
يجمع فيه الارواح والاشباح وقيل الاعمال والعمال والانذار يتعدى الى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد
حذف هاهنا ثاني مفعولي الاول والاول مفعول الثاني للتهويل وايهام التعميم وقرئ لينذر بالياء
على ان فاعله ضمير القران لا ريب فيه اعتراض مقرر لما قبله فريق في الجنة وفريق في السعير اي بعد جمعهم
في الموقف فانهم يجمعون فيه اولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين
لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم وتقدير مع الجمع وهم متفرقين اي مشارفين

المتفرق او متفرقين اى فريقا الثواب والعقاب ولو شاء الله لجعلهم اى فى الدنيا امة واحدة قيل مهتدين
او ضالين وهو تفصيل لما اجمله ابن عباس فى قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى ولكن يدخل من يشاء فى
رحمته انه تعالى يدخل فى رحمته من يشاء ان يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء ان يدخله فيه ولا ريب
فى ان مشيته تعالى لكل من الادخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة
اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعا فلم يشأ جعل الكل امة واحدة بل جعلهم
فريقين وانما قيل والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير للايذان بان الادخال فى الرحمة لا لما قيل من المبالغة
فى الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ما قاله مقاتل على دين الاسلام كما فى قوله تعالى ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى لو شاء الله مشية قدرة
لقسرهم على الايمان ولكنه شاء مشية حكمة وكلفهم وبنى امرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين فى
رحمته وهم المرادون بقوله تعالى من يشاء وترك الظالمين بغير ولى ولا نصير وانت خبير بان قسر
الكل على الايمان يأباه تصدير الاستدراك بادخال بعضهم فى رحمته اذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان
المناسب حينئذ تصديره باخراج بعضهم من بينهم وادخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه سياق النظم الكريم
وسياقه ان يراد الاتحاد فى الكفر كما فى قوله تعالى كان الناس امة واحدة متفقة على الكفر بان لا يرسل
اليهم رسولا لينذرهم بما ذكر من يوم الجمع وما فيه من الوان الاهوال فيبقوا على ما هم عليه من الكفر ولكن
يدخل من يشاء فى رحمته اى شأنه ذلك فيرسل الى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم بالانذار ويصرفون
اختيارهم الى الحق فيوفقهم الله تعالى للايمان والطاعات ويدخلهم فى رحمته ولا يتأثر به الآخرون
ويتمادون فى غيهم والظالمون فيبقون فى الدنيا على ما هم عليه من الكفر ويصيرون فى الآخرة الى السعير ليس
لهم من ولى يلى امرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب ام اتخذوا من دونه اولياء جملة مستأنفة مقررة لما قبلها
من انتفاء ان يكون للظالمين ولى او نصير وام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها الى بيان
ما بعدها والهمزة لانكار الوقوع ونفيه على ابلغ وجه وآكده لا لانكار الواقع واستقباحه كما قيل اذ
المراد بيان ان ما فعلوا ليس من اتخاذ الاولياء فى شىء لان ذلك فرع كون الاصنام اولياء وهو اظهر
الممتنعات اى بل اتخذوا متجاوزين الله تعالى اولياء من الاصنام وغيرها هيهات فالله هو الولى جواب
شرط محذوف كأنه قيل بعد ابطال ولاية ما اتخذوهم اولياء فى الحقيقة فالله هو الولى لا ولى سواه
وهو يحيى الموتى اى ومن شأنه ذلك وهو على كل شىء قدير فهو الحقيق بان يتخذ وليا فليخصوه بالاتخاذ
دون من لا يقدر على شىء وما اختلفتم فيه من شىء حكاية لقول رسول الله ﷺ للمؤمنين اى ما خالفتم
الكفار فيه من امور الدين فاختلفتم انتم وهم فحكمه راجع الى الله وهو اثابة المحقين وعقاب المبطلين
ذلكم الحاكم العظيم الشان الله ربى مالكى عليه توكلت فى مجامع امورى خاصة لا على غيره واليه انيب ارجع
فى كل ما يعن لى من معضلات الامور لا الى احد سواه وحيث كان التوكل امرا واحدا مستمرا والانابة
متعددة متجددة حسب تجدد موادها اوثر فى الاول صيغة الماضى وفى الثانى صيغة المضارع وقيل وما
اختلفتم فيه وتنازعتم فى شىء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله ﷺ ولا تؤثروا على حكومته
حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه الى المحكم من كتاب
الله تعالى والظاهر من سنة رسول الله ﷺ وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتعلق بتكليفكم
ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله اعلم كمعرفة الروح ولا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة
الرسول ﷺ فاطر السموات والارض خبر آخر لذلكم او خبر لمبتدأ محذوف او مبتدأ خبره جعل لكم وقرئ
بالجر على انه بدل من الضمير او الوصف للاسم الجليل فى قوله تعالى الى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة
والموصوف من انفسكم من جنسكم ازواجا نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره
غير مرة ومن الانعام ازواجا اى وجعل للانعام من جنسها ازواجا او خلق لكم من الانعام اصنافا او ذكورا
واناثا يذرؤكم يكثركم من الذرء وهو البث وفى معناه الذر والذرو فيه اى فيما ذكر من التدبير فان جعل
الناس والانعام ازواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير ليس كمثله شىء اى ليس مثله
شىء فى شأن من الشؤون التى من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك
لا يفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فانه اذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه اولى ثم سلكت هذه الطريقة
فى شأن من لا مثل له وقيل مثله صفته اى ليس كصفته صفة وهو السميع البصير المبالغ فى العلم بكل
ما يسمع ويبصر له مقاليد السموات والارض اى خزائنها يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع
ويضيق حسبما تقتضيه مشيته المؤسسة على الحكم البالغة انه بكل شىء عليم مبالغ فى الاحاطة به
فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغى ان يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى شرع لكم

من

من الدين ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين
وايذان بان ما شرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما ان بيان نسبته الى المذكورين عليهم الصلاة والسلام
تنبيه على كونه دينا قديما اجمع عليه الرسل والخطاب لامته ﷺ اى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ومن
بعده من ارباب الشرائع واولى العزائم من مشاهير الانبياء عليهم الصلاة والسلام وامرهم به امرا
مؤكدا على ان تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة اليه لاتفاق الكل على نبوة
بعضهم وتفرد اليهود فى شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى فى حق عيسى عليه السلام والا فما
من نبى الا وهو مأمور بما امروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الاسلام الذى لا يختلف باختلاف الامم
وتبدل الاعصار من اصول الشرائع والاحكام كما ينبئ عنه التوصية فانها معربة عن تأكيد الامر
والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بايحائه ﷺ اما ما ذكر فى صدر السورة الكريمة وفى قوله تعالى وكذلك
اوحينا الآية او ما يعمهما وغيرهما وقع فى سائر المواقع التى من جملتها قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع
ملة ابراهيم حنيفا وقوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك
عند نسبته اليه عليه الصلاة والسلام بالذى لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وايثار الايحاء على ما
قبله وما بعده من التوصية لمراعاة ما وقع فى الآيات المذكورة ولما فى الايحاء من التصريح برسالته ﷺ
القامع لانكار الكفرة والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال الاعتناء بايحائه وهو السر فى تقديمه
على ما بعده مع تقدمه عليه زمانا وتقديم وصية نوح للمسارعة الى بيان كون المشروع لهم دينا قديما
وتوجيه الخطاب اليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على انه تعالى شرعه لهم
على لسانه ﷺ ان اقيموا الدين اى دين الاسلام الذى هو التوحيد وطاعة الله والايمان بكتبه ورسله
وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمنا والمراد باقامته تعديل اركانه وحفظه من ان يقع فيه
زيغ او المواظبة عليه والتشمر له ومحل ان اقيموا اما النصب على انه بدل من مفعول شرع والمعطوفين
عليه او الرفع على انه جواب عن سؤال نشأ من ابهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو اقامة الدين
وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما انه مع اختصاصه بالخروج عن حيز الايحاء الى النبى ﷺ مستلزم لكون
الخطاب فى قوله تعالى ولا تتفرقوا فيه للانبياء المذكورين عليهم السلام وتوجيه النهى الى امم
عما ذكر من الاصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الامم باختلاف الاعصار كما ينطق به قوله
تعالى لكل جعلنا شرعة ومنهاجا وقوله تعالى كبر على المشركين شروع فى بيان احوال بعض من شرع لهم
ما شرع من الدين القديم الذى عظم وشق عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض عبادة الاصنام
واستبعدوه حيث قالوا اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشىء عجاب وقوله تعالى الله يجتبى اليه استئناف
وارد لتحقيق الحق وفيه اشعار بان منهم من يجيب الى الدعوة اى الله يجتلب الى ما تدعوهم اليه من يشاء
اى يقبل اليه حيث يمده بالتوفيق والالطاف وقوله تعالى وما تفرقوا شروع فى بيان احوال اهل الكتاب
عقيب الاشارة الاجمالية الى احوال اهل الشرك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هم اليهود والنصارى
لقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة اى وما تفرقوا فى الدين الذى دعوا
اليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته بما شاهدوا فى رسول الله ﷺ والقرآن
من دلائل الحقية حسبما وجدوه فى كتابهم او العلم بمبعثه عليه الصلاة والسلام وهو استثناء مفرغ من
اعم الاحوال او من اعم الاوقات اى وما تفرقوا فى حال من الاحوال او فى وقت من الاوقات الا حال مجىء العلم
او الا وقت مجىء العلم بغيا بينهم وحمية وطلبا للرياسة لا لان لهم فى ذلك شبهة ولولا كلمة سبقت من ربك
وهى العدة بتأخير العقوبة الى اجل مسمى هو يوم القيامة لقضى بينهم لاوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب
جناياتهم لذلك قطعا وقوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب الى آخره بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن اثر
بيان كيفية كفر اهل الكتاب وقرئ ورثوا اى وان المشركين الذين اورثوا القرآن من بعدهم اى من بعد ما اورث
اهل الكتاب كتابهم لفى شك منه من القرآن مريب موقع فى القلق او فى الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا
لمحض البغى والمكابرة بعد ما علموا بحقيقته كاهل الكتاب هذا واما ما قيل من ان ضمير تفرقوا للامم
الانبياء عليهم السلام وان المراد تفرق كل امة بعد نبيها مع علمهم بان الفرقة ضلال وفساد وامر متوعد على
السنة الانبياء فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم وكذا ما قيل من ان الناس
كانوا امة واحدة مؤمنين بعد ما اهلك الله تعالى اهل الارض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء
فيما بينهم وذلك حين بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغى بينهم فان
الامم المذكورة قد اصابهم عذاب الاستئصال من غير انظار وامهال على ان مساق النظم الكريم لبيان احوال
هذه الامة وانما ذكر من ذكر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام لتحقيق ان ما شرع لهؤلاء دين قديم اجمع

اى بتخييره وهو منصرف اختياره الى الهادى
اليه كما ينبئ عنه قوله تعالى ويهدى اليه من ينيب
صح

عليه أولئك الأعلام عليهم الصلاة والسلام تأكيداً لوجوب إقامته وتشديد للزجر عن التفرق والاختلاف
فيه والتعرض لبيان تفرق أممهم عنه ربما يوهم الإخلال بالمقام فلذلك أي فلأجل ما ذكر من التفرق والشك
المريب أو فلأجل أنه شرع لهم الدين القويم الحقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون فادع أي الناس كافة إلى
إقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فإن كلا من تفرقهم وكونهم في شك مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على
لسان رسول الله ع م سبب للدعوة إليه والأمر بها وليس المشار إليه ما ذكر من التوصية والأمر بالإقامة
والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار إليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى إلى كما في قوله تعالى
بأن ربك أوحى لها أي فإلى ذلك الدين فادع واستقم عليه وعلى الدعوة إليه كما أمرت وأوحي إليك ولا تتبع أهواءهم
الباطلة وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب أي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض
وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب في الأصول وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان
كيفية الإيمان في خاتمة سورة البقرة وأمرت لأعدل بينكم في تبليغ الشرائع والأحكام وفصل القضايا
عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لأسوي بينكم ولا أميز بما لا أعلمه ولا أنفذ الحكم إلى ما نهيتكم عنه ولا أفرق
بين أكابركم وأصاغركم وباللام إما على حقيقتها والمأمور به محذوف أي أمرت بذلك لأعدل أو زائدة
أي أمرت أن أعدل والباء محذوفة الله ربنا وربكم أي خالقنا جميعا ومتولي أمورنا لنا أعمالنا لا يتخطانا
جزاؤها ثوابا كان أو عقابا ولكم أعمالكم لا يجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيئاتكم لا حجة بيننا
وبينكم أي لا محاجة ولا خصومة لأن الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محل سوى المكابرة
الله يجمع بيننا وبينكم وإليه المصير فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة في مواقف المجاوبة
لا متاركة في مواطن المحاربة حتى يصار إلى النسخ بآية القتال والذين يحاجون في الله أي في دينه من
بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم
إليه أي من بعد ما استجاب الله لرسول الله ع م وأيده بنصره أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب وأقروا
بنبوته ع م واستفتحوا به قبل مبعثه ع م وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل
كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق حجتهم داحضة عند ربهم زائلة باطلة لا بل لا حجة لهم
أصلا وإنما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعم الباطل وعليهم غضب عظيم لمكابرتهم الحق بعد
ظهوره ولهم عذاب شديد لا يقادر قدره الله الذي أنزل الكتاب أي جنس الكتاب بالحق ملتبسا به
في أحكامه وأخباره أي بما يحق إنزاله من العقائد والأحكام والميزان والشرع الذي يوزن به الحقوق
ويسوى بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة الوزن وما يدريك أي أي شيء يجعلك
عالما لعل الساعة التي يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق قريب أي شيء قريب أو قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى
ذات قرب أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح الإتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل
قبل أن يفاجئك اليوم الذي توزن فيه الأعمال ويوفى جزاؤها يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها استعجال
إنكار واستهزاء وكانوا يقولون متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذي نحن عليه أم محمد وأصحابه والذين
آمنوا مشفقون منها خائفون منها مع اعتنائهم بها لتوقع الثواب ويعلمون أنها الحق أي الكائن لا محالة ألا إن الذين
يمارون في الساعة يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لأن كلا من المتجادلين
يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة لفي ضلال بعيد عن الحق فإن البعث أشبه الغائبات بالمحسوسات
فمن لم يهتد إلى تجويزه فهو عن الاهتداء إلى ما وراءه بمعزل وأبعد الله لطيف بعباده أي بر بليغ البر بهم يفيض عليهم
من فنون الطاعة ما لا يكاد تناله أيدي الأفكار والظنون يرزق من يشاء أن يرزقه كيف ما شاء فيختص
كلا من عباده بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وهو القوي الباهر القدرة الغالب
على كل شيء العزيز المنيع الذي لا يغلب من كان يريد حرث الآخرة الحرث في الأصل إلقاء البذر في الأرض
يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال
الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الأعمال بالبذور أي من كان يريد ثواب الآخرة نزد له في حرثه
نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة إلى سبعمائة فما فوقها ومن كان يريد بأعماله حرث الدنيا وهو متاعها
وطيباتها نؤته منها أي شيئا منها حسبما قسمنا له لا ما يريده ويبتغيه وما له في الآخرة من نصيب إذ كانت
همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله في سورة الإسراء أم لهم شركاء أي بل ألهم شركاء من الشياطين
والهمزة للتقرير والتقريع شرعوا لهم بالتسويل من الدين ما لم يأذن به الله كالشرك وإنكار البعث
والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم وإضافتها إليهم لأنهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى وإسناد الشرع إليها
لأنها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى إنهن أضللن كثيرا أو تماثيل من سن الضلالة لهم ولولا كلمة الفصل
أي القضاء السابق بتأخير الجزاء أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم أي بين الكافرين والمؤمنين

أو بين المشركين وشركائهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم وقرئ بالفتح عطفا على كلمة الفصل أي ولولا كلمة
الفصل ولا تقدير عذاب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا فإن العذاب الأليم غالب في عذاب الآخرة
ترى الظالمين يوم القيمة والخطاب لكل أحد ممن يصلح له للقصد إلى أن سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون
راء مشفقين من السيئات خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم أي وباله لاحق بهم لا محالة أشفقوا
أو لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين من السيئات خائفين مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم أي
وباله لاحق بهم لا محالة أشفقوا أو لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين أو اعتراض والذين آمنوا
وعملوا الصالحات في روضات الجنات مستقرون في أطيب بقاعها وأنزهها لهم ما يشاؤون عند ربهم أي ما
يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على أن عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم وقيل
ظرف ليشاؤون ذلك إشارة إلى ما ذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة
المشار إليه هو الفضل الكبير الذي لا يقادر قدره ولا يبلغ غايته ذلك الفضل الكبير هو الذي يبشر الله
عباده الذي يبشرهم به فحذف الجار ثم العائد إلى الموصول كما في قوله أهذا الذي بعث الله رسولا أو ذلك
التبشير الذي يبشر الله تعالى عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقرئ يبشر من البشر قل لا أسئلكم عليه أجرا
روي أنه اجتمع المشركون فقال بعضهم لبعض أترون أن محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت أي لا أطلب
منكم إلا أن تودوا أهل قرابتي وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم عليه أجرا قط ولكن أسألكم المودة وفي
القربى حال منها أي إلا المودة ثابتة في القربى متمكنة في أهلها أو في حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى
بمعنى القرابة روي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين يجب علينا مودتهم قال
علي وفاطمة وابناهما عن النبي ع م حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى
أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا إذا لقيني يوم القيمة وقيل القربى التقرب إلى
الله تعالى أي إلا أن تتوددوا إلى الله ورسوله في تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ إلا مودة في القربى
ومن يقترف حسنة أي يكتسب أي حسنة نزد له فيها أي في الحسنة حسنا بمضاعفة الثواب وقرئ يزد أي
يزد الله وقرئ حسنى إن الله غفور لمن أذنب شكور لمن أطاع بتوفية الثواب وقرئ يزد أي يزد الله
والتفضل عليه بالزيادة أم يقولون بل أيقولون افترى محمد على الله كذبا بدعوة النبوة وتلاوة
القرآن على أن الهمزة للإنكار والتوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله ع م وهو هو إلى الافتراء لا سيما
الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وأفحشها وقوله تعالى فإن يشأ الله يختم على قلبك استشهاد على
استشهاد على بطلان ما قالوا ببيان أنه ع م لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعا وتحقيقه أن دعوى
كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم أنه تعالى لا يشاء صدوره عن النبي ع م بل يشاء عدم صدوره ومن
ضرورته منعه عنه قطعا فكأنه قيل لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وإن يشأ ذلك يختم على
قلبك بحيث لا يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الأمر كذلك بل
تواتر الوحي حينا فحينا تبين أنه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى إن يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فإنه
لا يجترئ على الافتراء عليه تعالى إلا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله ع م وأنه في البعد مثل
الشرك بالله تعالى والدخول في جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع
عنك الوحي يعني لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ما قيل لو كذب على الله لأنساه القرآن
وينقطع وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته
استئناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبئ عنه إظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما في
بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما في قوله تعالى ويدع الإنسان بالشر أي ومن عادته تعالى أن يمحو الباطل
ويثبت الحق بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلو كان افتراء كما زعموا
لمحقه ودمغه أو عدة لرسول الله ع م بأنه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب
ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن أو بقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليهم إنه عليم بذات الصدور
فيجري عليها أحكامها اللائقة بها من المحو والإثبات وهو الذي يقبل التوبة عن عباده التوبة هو الرجوع
عن المعاصي بالندم عليها والعزم على أن لا يعاودها أبدا وروي عن جابر رضي الله تعالى عنه أن أعرابيا
دخل مسجد رسول الله ع م وقال اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له
علي رضي الله تعالى عنه يا هذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج
إلى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضي من الذنوب الندامة
ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية وإذاقتها
مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته ويعفو عن السيئات صغيرها وكبيرها

لمن يشاء ويعلم ما يفعلون كائنا ما كان من خير وشر فيجازي ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم
والمصالح وقرئ ما تفعلون بالتاء ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب الله لهم
فحذف اللام كما في قوله تعالى واذا كالوهم اي كالوا لهم والمراد اجابة دعوتهم والاثابة على طاعتهم فانها
كدعاء وطلب لما ترتب عليها ومنه قوله افضل الدعاء الحمد لله او يستجيبون لله تعالى بالطاعة اذا دعاهم
اليها وعن ابراهيم بن ادهم قيل له ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو
الى دار السلام ويزيدهم من فضله على ما سألوا واستحقوا بموجب الوعد والكافرون لهم عذاب شديد بدل
ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض لتكبروا وافسدوا
فيها بطرا او لبغى بعضهم على بعض استيلاء واستعلاء كما عليه الجبلة البشرية واصل البغي في الارض طلب تجاوز
الاقتصاد فيما يتحرى من حيث الكمية والكيفية ولكن ينزل بقدر ما يشاء اي بتقدير حسبما يشاء ان ينزله
مما تقتضيه مشيئته انه بعباده خبير بصير محيط بخفايا امورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم
في كل وقت من اوقاتهم ما يليق بشأنهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطي ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه
الحكمة الربانية ولو اغناهم جميعا لبغوا ولو افقرهم لهلكوا وروي ان اهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت
وقيل نزلت في العرب كانوا اذا اخصبوا تحاربوا واذا اجدبوا انتجعوا وهو الذي ينزل الغيث اي المطر
الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرئ ينزل من الانزال من بعد ما قنطوا يئسوا
منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه ايضا لتذكير كمال النعمة وقرئ قنطوا
بكسر النون وينشر رحمته اي بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان
او رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاما اوليا وهو الولي الذي يتولى عباده بالاحسان ونشر
الرحمة الحميد المستحق للحمد على ذلك لا غيره ومن آياته خلق السموات والارض على ما هما عليه من تعاجيب
الصنائع فانها بذاتها وصفاتها تدل على شؤونه العظيمة وما بث فيهما عطف على السموات او الخلق
من دابة من حي على اطلاق اسم المسبب على السبب او مما يدب على الارض فان ما يختص باحد الشيئين
المتجاورين يصح نسبته اليهما كما في قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح وقد يجوز
ان يكون للملائكة عليهم السلام مشي مع الطيران فيوصفوا بالدبيب فان يخلق الله في السماء حيوانا
يمشون فيها مشي الاناسي على الارض كما ينبئ عنه قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين اسفله واعلاه كما بين السماء والارض ثم
فوق ذلك ثمانية اوعال بين ركبهن واظلافهن كما بين السماء الى الارض ثم فوق ذلك العرش العظيم
وهو على جمعهم اي حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله اذا يشاء متعلق بما قبله لا بقوله تعالى قدير فان
المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته واذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضي تدخل المضارع وما
اصابكم من مصيبة اي مصيبة كانت فبما كسبت ايديكم اي فهي بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها والفاء
لان ما شرطية او متضمنة معنى الشرط وقرئ بدونها اكتفاء بما في الباء من معنى التسبب ويعفو عن كثير
من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فان ما اصاب غيرهم لاسباب اخر منها تعريضه
للثواب بالصبر عليه وما انتم بمعجزين في الارض فائتين ما قضي عليكم من المصائب وان هربتم من اقطارها
كل مهرب وما لكم من دون الله من ولي يحميكم منها ولا نصير يدفعها عنكم ومن آياته الجوار السفن
الجارية في البحر وقرئ الجواري كالاعلام اي كالجبال على الاطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة
ان يشأ يسكن الريح التي تجريها وقرئ الرياح فيظللن رواكد على ظهره فيبقين ثوابت على ظهر البحر اي
غير جاريات لا غير متحركات اصلا ان في ذلك الذي ذكر من السفن المسخرة في مجاريها تارة وركودها اخرى على
حسب مشيئته تعالى لآيات عظيمة في انفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه تعالى لكل صبار
شكور لكل من حبس نفسه عن التوجه الى ما لا ينبغي ووكل همته بالنظر في آيات الله تعالى والتفكر
في الآية او لكل مؤمن كامل فان الايمان نصفه صبر ونصفه شكر او يوبقهن بما كسبوا عطف على يسكن
والمعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن او يرسلها فيغرقن بعصفها وايقاع الايباق عليهن مع انه حال
اهلهن للمبالغة والتهويل واجراء حكمه على العفو في قوله تعالى ويعف عن كثير لما ان المعنى او يرسلها
فيوبق ناسا وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرئ ويعفو على الاستئناف ويعلم الذين يجادلون في آياتنا
عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما في قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى
ولنعلمه من تأويل الاحاديث ونظائرهما وقرئ بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفا على يعف فيكون
المعنى او ان يشأ يجمع بين اهلاك قوم وانجاء قوم وتحذير قوم ما لهم من محيص اي من مهرب من العذاب والجملة
معلق عنها الفعل فما اوتيتم من شيء مما ترغبون فيه وتتنافسون فيه فمتاع الحياة الدنيا اي فهو متاع

تتمتعون

تتمتعون به مدة حياتكم وما عند الله من ثواب الآخرة خير ذاتا لخلوص نفعه وابقى زمانا حيث لا يزول
ولا يفنى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون لا على غيره اصلا والموصول الاول لما كان متضمنا لمعنى الشرط من
حيث ان ايتاء ما اوتوا سبب للتمتع بها في الحياة الدنيا دخلت جوابه الفاء بخلاف الثاني وعن علي رضي الله عنه
ان ابا بكر تصدق بماله كله فلامه جمع من المسلمين فنزلت وقوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الاثم اي الكبائر
من هذا الجنس والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون مع ما بعده عطف على الذين آمنوا او مدح بالنصب
او الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبرا له للدلالة على انهم الاخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرئ كبير
الاثم وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كبير الاثم هو الشرك والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة نزلت
في الانصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الايمان فاستجابوا له وامرهم شورى بينهم اي ذو شورى لا ينفردون
برأي دون رأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها اذا حزبهم امر اجتمعوا وتشاوروا ومما
رزقناهم ينفقون اي في سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات
والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون اي ينتقمون على من بغى عليهم على ما جعل الله لهم كراهة التذلل وهو
وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر امهات الفضائل وهذا لا ينافي وصفهم بالغفران فان كلا منهما
فضيلة محمودة في موقع نفسه ورذيلة مذمومة في موقع صاحبه فان الحلم عن العاجز وعوراء الكرام
محمود وعن المتغلب ولغو اللئام مذموم فانه اغراء على البغي وعليه قول من قال ◦ اذا انت اكرمت الكريم
ملكته ◦ وان انت اكرمت اللئيم تمردا ◦ وقال غيره ◦ ووضع الندا في موضع السيف بالعلا ◦ مضر كوضع
السيف في موضع الندا ◦ وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الجميلة
مع كونه في نفسه اساءة الى الغير بالاشارة الى ان البادئ هو الذي فعله لنفسه فان الافعال مستتبعة
لاجزيتها حتما ان خيرا فخير وان شرا فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدي واطلاق السيئة على الثانية لانها
تسوء من تنزل به فمن عفا عن المسيء اليه واصلح بينه وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى
فاذا الذي بينك وبين من يعاديه بالعفو والاغضاء كما في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم فاجره على الله عدة مبهمة منبئة عن عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود انه لا يحب
الظالمين البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ما ظلم وقد قرئ به فاولئك
اشارة الى من باعتبار المعنى كما ان الضميرين لها باعتبار اللفظ ما عليهم من سبيل بالمعاتبة والمعاقبة
انما السبيل على الذين يظلمون الناس يبتدئونهم بالاضرار او يعتدون في الانتقام ويبغون في الارض بغير
الحق اي يتكبرون فيها تجبرا وفسادا اولئك الموصوفون بما ذكر من البغي والظلم بغير الحق لهم عذاب اليم
بسبب ظلمهم وبغيهم ولمن صبر على الاذى وغفر لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض امره الى الله ان ذلك الذي
ذكر من الصبر والمغفرة لمن عزم الامور اي ان ذلك منه فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قوله السمن
منوان بدرهم وهذا في المواد التي لا يؤدي العفو الى الشر كما اشير اليه ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب اي حين يرونه وصيغة الماضي
للدلالة على التحقيق يقولون هل الى مرد من سبيل اي الى رجعة الى الدنيا من سبيل حتى نؤمن ونعمل صالحا وتراهم
يعرضون عليها اي على النار المدلول عليها بالعذاب والخطاب في المواضع لكل من يتأتى منه الرؤية
خاشعين من الذل متذللين متقاصرين مما دهاهم ينظرون من طرف خفي اي يبتدئ نظرهم الى النار من
تحريك لاجفانهم ضعيف كالمصبور ينظر الى السيف وقال الذين آمنوا ان الخاسرين اي المتصفين بحقيقة
الخسران الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض للعذاب الخالد يوم القيامة اما ظرف لخسروا والقول
في الدنيا او لقال اي يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضي للدلالة على تحققه وقوله تعالى
الا ان الظالمين في عذاب مقيم اي دائم تمام كلامهم او تصديق من الله تعالى لهم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم
بدفع العذاب عنهم من دون الله حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا ومن يضلل الله فما له من سبيل يؤدي
سلوكه الى النجاة استجيبوا لربكم اذ دعاكم الى الايمان على لسان نبيه من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله
تعالى اي لا يرده الله تعالى بعد ما حكم به على ان من صلة مرد او من قبل ان يأتي من الله يوم لا يمكن رده
ما لكم من ملجأ يومئذ اي مفر تلتجئون اليه وما لكم من نكير اي انكار لما اقترفتموه لانه مدون في
صحائف اعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا تلوين للكلام وصرف له
عن خطاب الناس بعد امرهم بالاستجابة وتوجيه له الى الرسول عليه الصلاة والسلام اي فان لم
يستجيبوا واعرضوا عما تدعوهم اليه فما ارسلناك رقيبا ومحاسبا عليهم ان عليك الا البلاغ وقد فعلت
وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة اي نعمة من الصحة والغنى والامن فرح بها اريد بالانسان الجنس وقوله
تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم اي بلاء من مرض وفقر وخوف بما قدمت ايديهم فان الانسان

كفور بليغ الكفر ينسى النعمة راسا ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتامل سببها بل يزعم انها اصابته بغير
استحقاق لها وايراد هذه الخصلة الجلية مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الافراد وتصدير
الشرطية الاولى باذا مع اسناد الاذاقة الى نون العظمة للتنبيه على ان ايصال النعمة محقق الوجود كثير
الوقوع وانه مقتضى الذات كما ان تصدير الثانية بان واسناد الاصابة الى السيئة وتعليلها باعمالهم للايذان بندرة
وقوعها وانها بمعزل من الانتظام في سلك الارادة بالذات ووضع الظاهر موضع المضمر للتسجيل
على ان هذا الجنس موسوم بكفران النعمة لله ملك السموات والارض فمن قضيته انه يملك التصرف فيهما
وفي كل ما فيهما كيف ما يشاء ومن جملته ان يقسم النعمة والبلية حسبما يريد يخلق ما يشاء مما يعلمه ومما
لا يعلمه يهب لمن يشاء اناثا من الاولاد ويهب لمن يشاء الذكور منهم من غير ان يكون في ذلك مدخل لاحد
او يزوجهم اي يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعا ذكرانا واناثا قال مجاهد هو ان تلد غلاما ثم
جارية ثم غلاما او تلد ذكرا وانثى توامين ويجعل من يشاء عقيما والمعنى يجعل احوال العباد في حق
الاولاد مختلفة على ما تقتضيه الحكمة المشية فيهب لبعض اما صنفا واحدا من ذكر وانثى واما
صنفين ويعقم اخرين ولعل تقديم الاناث لانها اكثر لتكثير النسل او لان مساق الاية للدلالة على ان الواقع
ما يتعلق به مشيته تعالى لا ما تتعلق به مشية الانسان والاناث كذلك او لان الكلام في البلاء
والعرب يعدونهن اعظم البلايا او لتطييب قلوب ابائهن او للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور
في البلاء والعيب بعدهن اعظم التاخير وتغيير العاطف في الثالث لانه قسم المشترك بين القسمين
ولا حاجة اليه في الرابع لافصاحه انه قسم المشترك بين الاقسام المتقدمة وقيل المراد بيان
احوال الانبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا وللنبي صلعم ذكورا
واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين انه عليم قدير مبالغ في العلم والقدرة فيفعل ما فيه مصلحة وحكمة
وما كان لبشر اي ما صح لفرد من افراد البشر ان يكلمه الله بوجه من الوجوه الا وحيا الا بان يوحي اليه
ويلهمه ويقذف في قلبه كما اوحى الى ام موسى والى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وقد روي عن مجاهد
اوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره او بان يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من
غير ان يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى او من وراء حجاب فانه تمثيل له بحال الملك المحتجب
الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة
عليهم السلام او بان يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى او يرسل رسولا اي ملكا فيوحي ذلك الرسول
الى المرسل اليه الذي هو الرسول البشري باذنه اي بامره تعالى وتيسيره ما يشاء ان يوحيه اليه وهذا
الذي يجري بينه تعالى وبين الانبياء عليهم الصلاة والسلام على عامة الاوقات من الكلام وقيل قوله
تعالى وحيا وقوله تعالى او يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى ومن وراء حجاب ظرف واقع
موقعها والتقدير وما صح ان يكلم موحيا او مسمعا من وراء حجاب او مرسلا وقرئ او يرسل بالرفع على
اضمار مبتدا وروي ان اليهود قالت للنبي صلعم الا تكلم الله تعالى وتنظر اليه فانا لن نؤمن حتى تفعل ذلك
فقال صلعم لم ينظر موسى عليه السلام الى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله تعالى عنها من زعم
انه محمدا راى ربه فقد اعظم على الله الفرية ثم قالت او لم تسمعوا ربكم يقول وتلت هذه الاية
انه علي متعال عن صفات المخلوقين لا يتاتى جريان المفاوضة بينه تعالى وبينهم الا باحد الوجوه المذكورة
حكيم يجري افعاله على سنن الحكمة فيكلم تارة بواسطة واخرى بدونها اما الهاما واما خطابا وكذلك
اي ومثل ذلك الايحاء البديع اوحينا اليك روحا من امرنا هو القران الذي هو للقلوب بمنزلة
الارواح للابدان حيث يحييها حياة ابدية وقيل هو جبريل عليه السلام ومعنى ايحائه اليه عليه
الصلاة والسلام ارساله اليه بالوحي ما كنت تدري قبل الوحي ما الكتاب اي اي شيء هو ولا الايمان
اي الايمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الامور التي لا تهتدي اليها العقول لا الايمان بما يستقل
به العقل والنظر فان درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعا ولكن جعلناه اي الروح الذي اوحينا اليك
نورا نهدي به من نشاء هدايته من عبادنا وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى وانك
لتهدي تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور اي وانك لتهدي
اي ليهديك الله وقرئ لتدعو صراط الله بدل من الاول واضافته الى الاسم الجليل ثم وصفه بقوله
تعالى الذي له ما في السموات وما في الارض لتفخيم شانه وتقرير استقامته وتاكيد وجوب سلوكه
فان كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقا وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك اتم ايجاب الا الى الله تصير
الامور اي امور ما فيهما قاطبة لا الى غيره فقط من الوعد للمهتدين الى الصراط المستقيم والوعيد للضالين
عنه ما لا يخفى عن النبي صلعم من قرا سورة حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

بسم

بذلك النور من نشاء هدايته الى صراط مستقيم هو صراط الاسلام ومعالم الشرائع والاحكام وقرئ ص

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كالذي مر في فاتحة سورة يس خلا ان الظاهر على تقدير
اسمية كونه اسما للقران لا للسورة كما قيل فان ذلك يخل بجزالة النظم الكريم والكتاب بالجر على انه
مقسم به اما ابتداء او عطفا على حم على تقدير كونه مجرورا باضمار باء القسم على ان مدار العطف المغايرة
في العنوان والمناط تكرير القسم للمبالغة في تاكيد مضمون الجملة القسمية المبين اي المنزل عليهم لكونه
بلغتهم وعلى اساليبهم او المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج اليه في ابواب الديانة
انا جعلناه قرانا عربيا جواب للقسم لكن على ان مرجع التاكيد جعله كذلك كما قيل هو غايته التي يعرب
عنها وقوله تعالى لعلكم تعقلون فانها المحتاجة الى التحقيق والتاكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بامرهم
واتمام النعمة عليهم وازاحة اعذارهم اي جعلنا ذلك الكتاب قرانا عربيا لكي تفهموه وتحيطوا بما فيه من
النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على ما يتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر
وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع اعذاركم بالكلية وانه في ام الكتاب اي في اللوح المحفوظ فانه اصل
الكتب السماوية وقرئ ام الكتاب بالكسر لدينا اي عندنا لعلي رفيع القدر بين الكتب شريف حكيم
ذو حكمة بالغة او محكم وهما خبران لان وما بينهما بيان لمحل الحكم كانه قيل بعد بيان اتصاله بما ذكر
من الوصفين الجليلين هذا في ام الكتاب ولدينا والجملة اما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة
في حكمها ففي الاقسام بالقران على علو قدره عند الله تعالى براعة بديعة وايذان بانه من علو الشان
بحيث لا يحتاج في بيانه الى الاستشهاد عليه بالاقسام بغيره بل هو بذاته كاف في الشهادة على ذلك من حيث
الاقسام به كما انه كاف فيها من حيث اعجازه ورمز الى انه لا يخطر بالبال عند ذكره شيء اخر اولى منه
بالاقسام به واما مستانفة مقررة لعلو شانه الذي انبا عنه الاقسام به على منهاج الاعتراض في
قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وبعد ما بين علو شان القران العظيم وحقق ان انزاله على
لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بانكار ان يكون الامر بخلافه فقيل
افنضرب عنكم الذكر اي ننحيه ونبعده عنكم مجازا من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه اشعار
باقتضاء الحكمة توجه الذكر اليهم وملازمته لهم كانه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه
المقام اي انهملكم فننحي الذكر عنكم صفحا اي اعراضا عنكم على انه مفعول له للمذكور او مصدر مؤكد لما دل
هو عليه فان التنحية منبئة عن الصفح والاعراض قطعا كانه قيل فنصفح عنكم صفحا او بمعنى الجانب
فينتصب على الظرفية اي فننحيه عنكم جانبا ان كنتم قوما مسرفين اي لان كنتم منهمكين في الاسراف مصرين
عليه على معنى ان حالكم وان اقتضى تخليتكم وشانكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا في العذاب
الخالد لكننا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم الى الحق بارسال الرسول الامين وانزال الكتاب المبين
وقرئ ان بالكسر على ان الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء محذوف ثقة
بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزئون
تقرير لما قبله ببيان ان اسراف الامم السالفة لم يمنعه تعالى من ارسال الانبياء عليهم السلام وتسلية
لرسول الله صلعم عن استهزاء قومه وقوله تعالى فاهلكنا اشد منهم بطشا اي من هؤلاء القوم المسرفين
عدة له صلعم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين ووصفهم باشدية البطش لاثبات حكمهم لهؤلاء القوم
المسرفين عدة له صلعم ووعيد لهم بمثل ما جرى على الاولين وبطريق الاولوية ومضى مثل الاولين
اي سلف في القران غير مرة ذكر قصتهم التي حقها ان تسير مسير المثل ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن خلقهن العزيز العليم اي ليسندن خلقها الى من هذا شانه في الحقيقة وفي نفس الامر لا انهم يعبرون
عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للاشعار بان اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والافعال
ومما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء امر بين لا ريب فيه وان الحجة قائمة عليهم شاؤوا او ابوا وقد جوز
ان يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى الذي جعل لكم الارض مهادا استئناف من جهته تعالى اي
بسطها لكم تستقرون فيها وجعل لكم فيها سبلا تسلكونها في اسفاركم لعلكم تهتدون اي لكي تهتدوا
بسلوكها الى مقاصدكم او بالتفكر فيها الى التوحيد الذي هو المقصد الاصلي والذي نزل من السماء ماء
بقدر بمقدار تقتضيه مشيته حكمته المبنية على الحكم والمصالح فانشرنا به اي احيينا بذلك الماء بلدة ميتا
خاليا عن النماء والنبات بالكلية وقرئ ميتا بالتشديد وتذكيره لان البلدة في معنى البلد والمكان
والالتفات الى نون العظمة لاظهار كمال العناية بامر الاحياء والاشعار بعظم خطره كذلك اي مثل ذلك

الاحيا الذي هو في الحقيقة اخراج النبات من الارض تخرجون اى تبعثون من قبوركم احياء وفي التعبير
عن اخراج النبات بالانشاء الذي هو احيا الموتى وعن احيائهم بالاخراج تفخيم لشان الانبات وتهوين لامر
البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس والذي خلق الازواج كلها اى اصناف المخلوقات
وعن بن عباس الازواج الضروب والانواع كالحلو والحامض والابيض والاسود والذكر والانثى وقيل
كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار الى غير ذلك وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون اى ما تركبونه تغليبا للانعام على الفلك فان الركوب متعد بنفسه واستعماله في الفلك ونحوها
بكلمة في للرمز الى مكانيتها وكون حركتها غير ارادية كما مر في سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا
فيها لتستووا على ظهوره اى لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والانعام والجمع باعتبار المعنى ثم
تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه اى تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بالسنتكم
وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا متعجبين من ذلك كما يروى عن النبي عم انه كان اذا وضع رجله في الركاب قال
بسم الله واذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا
وهلل ثلاثا وما كنا له مقرنين اى مطيقين من اقرن الشيء اذا اطاقه واصله وجده قرينته اذ الصعب لا يكون
قرينة للضعيف وقرئ بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف النعم عليه
بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولا حق المنعم واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى اذ بدون اعتراف
النعم عليه بالعجز بها وانا الى ربنا لمنقلبون اى راجعون وفيه ايذان بان حق الراكب ان يتامل فيما يلابسه من
المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التي هي الانقلاب الى الله تعالى فيبني اموره في مسيره ذلك على تلك
الملاحظة ولا يخطر بباله في شيء مما ياتي ويذر ما ينافيها ومن ضرورته ان يكون ركوبه لامر مشروع وجعلوا
له من عباده جزءا متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الى اخره اى وقد جعلوا له سبحانه بالسنتهم واعتقادهم بعد ذلك
الاعتراف من عباده ولدا وانما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرئ جزؤا بضمتين
ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون ما يقولون سبحان الله عما يصفون ام اتخذ
مما يخلق بنات ام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولدا على الاطلاق الى
بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من اخس صنفيه والهمزة للانكار والتوبيخ والتعجب من شانهم وقوله تعالى
واصفاكم بالبنين اما عطف على اتخذ داخل في حكم الانكار والتعجب او حال من فاعله باضمار قد او بدونه
على الخلاف المشهور والالتفات الى خطابهم لتاكيد الالزام وتشديد التوبيخ اى بل اتخذ من خلقه اخس
الصنفين واختار لكم افضلهما على معنى هبوا انكم اجترأتم على اضافة اتخاذ جنس الولد اليه سبحانه مع ظهور
استحالته وامتناعه اما كان لكم شيء من العقل ومسكة من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول
من ادعاء انه تعالى اثركم على نفسه بخير الصنفين واعلاهما وترك له شرهما وادناهما وتنكير بنات وتعريف
بنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة والفخامة واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا الى اخره استيناف
مقرر لما قبله وقيل حال على معنى انهم نسبوا اليه ما ذكر ومن حالهم ان احدهم اذا بشر به اغتم والالتفات
للايذان باقتضاء ذكر قبائحهم ان يعرض عنهم ويحكى لغيرهم تعجيبا منها اى اذا اخبر احدهم بولادة ما جعل
مثلا له سبحانه اذ الولد لا بد ان يجانس الوالد ويماثله ظل وجهه مسودا اى صار اسود في الغاية من سوء
ما بشر به وهو كظيم مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرئ مسود ومسواد على ان في ظل ضمير المبشر
ووجهه مسود جملة وقعت خبرا له او من ينشأ في الحلية تكرير للانكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة
بمضمر معطوف على جعلوا او جعلوا من شانه ان يربى في الزينة وهو عاجز عن ان يتولى لامره بنفسه فالهمزة
لانكار الواقع واستقباحه واقحامها بين المعطوفين لتذكير ما في ام المنقطعة من الانكار وتاكيده والعطف
للتغاير العنواني اى او اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته وهو مع ما ذكر من القصور في الخصام
اى الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الانسان في العادة غير مبين غير قادر على تقرير دعواه واقامة حجته
لنقصان عقله وضعف رايه واضافة غير لا تمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم لانه بمعنى النفي وقرئ
ينشأ ويناشأ من الافعال والمفاعلة والكل بمعنى ونظيره غلاه واغلاه وغالاه وجعلوا الملئكة الذين هم
عباد الرحمن اناثا بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر اخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم اكمل العباد
واكرمهم على الله تعالى انقصهم رايا واخسهم صنفا وقرئ عبيد الرحمن وقرئ عبد الرحمن على تمثيل زلفاهم
وقرئ انثا وهو جمع الجمع اشهدوا خلقهم اى احضروا خلق الله تعالى اياهم فشاهدوهم اناثا حتى يحكموا
بانوثتهم فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرئ اشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة
واشهدوا بالالف بينهما ستكتب شهادتهم هذه في ديوان اعمالهم ويسئلون عنها يوم القيمة وقرئ سيكتب
بالياء والنون وقرئ شهاداتهم وهو قولهم ان لله جزءا وان له بنات وانها الملئكة وقرئ يساءلون من المساءلة

المبالغة

المبالغة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم بيان لفن اخر من كفرهم اى لو شاء عدم عبادتنا للملئكة مشيئة
ارتضاء ما عبدناهم ارادوا بذلك بيان ان ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى وانهم انما يفعلونه بمشيئته تعالى
لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بانه بمشيئته تعالى اياهم منه مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا
للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين احداهما ان عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية ان ذلك مستلزم
لكونها مرضية عنده تعالى ولقد اخطأوا في الثانية جهلوا ان المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على
بعض كائنا ما كان من غير اعتبار الرضا والسخط في شيء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى ما لهم
بذلك اى بما ارادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فان ذلك محقق به
ما لا يحصى من الايات الكريمة من علم يستند الى مستند ما ان هم الا يخرصون يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز
ان يشار بذلك الى وجه الدعوى كانه لما اظهر وجوه فسادها وحكى شبههم الزائغة نفى ان يكون لهم بها علم
من طريق العقل ثم اضرب عنه ان يكون لهم سند من جهة النقل فقيل ام اتيناهم كتابا من قبله من قبل القرآن او من
قبل ادعائهم ينطق بصحة ما يدعونه فهم به اى بذلك الكتاب مستمسكون وعليه يعولون بل قالوا انا وجدنا
اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون اى لم ياتوا بحجة عقلية او نقلية بل اعترفوا بان لا سند لهم سوى تقليد ابائهم
الجهلة مثلهم والامة الدين والطريقة التي تؤم اى تقصد كالرحلة لما يرحل اليه وقرئ امة بالكسر وهي الحالة
التي يكون عليها الام اى القاصد وقوله تعالى على اثارهم مهتدون خبر ان والظرف صلة بمهتدون وكذلك اى
والامر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال
مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون استيناف مبين لذلك دال على ان التقليد فيما بينهم
ضلال قديم ليس لاسلافهم ايضا سند غيره وتخصيص المترفين بتلك المقالة للايذان بان التنعم وحب
البطالة هو الذي صرفهم عن النظر الى التقليد قل حكاية لما جرى بين المنذرين وبين اممهم عند تعللهم
بتقليد ابائهم اى قال كل نذير من اولئك المنذرين لاممهم اولو جئتكم اى اتقتدون بابائكم ولو جئتكم باهدى
بدين اهدى مما وجدتم عليه اباءكم من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء وانما عبر عنها بذلك مجاراة معهم
على مسلك الانصاف وقرئ قال على انه حكاية امر ماض اوحي حينئذ الى كل نذير على انه خطاب للرسول وكما قيل
لقوله تعالى قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانه حكاية عن الامم قطعا اى قالت كل امة لنذيرها انا بما ارسلتم به
الى اخره وقد اجمل عند الحكاية للايجاز كما مر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات وجعل حكاية عن قومه
عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم الى ما ارسل به الكل
من التوحيد لاجماعهم عليه كما في نظائر قوله تعالى كذبت عاد المرسلين بمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى فانتقمنا منهم
اى بالاستيصال فانظر كيف كان عاقبة المكذبين من الامم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك واذ قال ابراهيم
اى واذكر لهم وقت قول ابراهيم عليه السلام لابيه وقومه المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله
انني براء مما تعبدون وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه في الاستدلال او ليقلدوه ان لم يكن لهم بد من التقليد
فانه اشرف ابائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوي فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث
وقرئ بريء وبراء ككريم وكرام وما اما مصدرية او موصولة حذف عائدها اى انني بريء من عبادتكم او
معبودكم الا الذي فطرني استثناء منقطع او متصل على ان ما تعم اولي العلم وغيرهم وانهم كانوا يعبدون
الله تعالى والاصنام او صفة على ان ما موصوفة اى انني براء من الهة تعبدونها غير الذي فطرني فانه سيهدين اى
سيثبتني على الهداية او سيهدين الى ما وراء الذي هداني اليه الى الان والاوجه ان السين للتاكيد دون التسويف
وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار وجعلها اى جعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها عبارة عنها كلمة
باقية في عقبه اى في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب الاية فلا يزال
فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو الى توحيده وقرئ كلمة وفي عقبه على التخفيف لعلهم يرجعون علة للجعل اى
جعلها باقية في عقبه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم بدعاء الموحد بل متعت هؤلاء اضراب عن محذوف
ينساق اليه الكلام كانه قيل جعلها كلمة باقية في عقبه بان وصى بنيه رجاء ان يرجع اليها من اشرك منهم
بدعاء الموحد فلم يحصل ما رجاه بل متعت هؤلاء المعاصرين للرسول ص من اهل مكة حتى جاءهم اى
هؤلاء الحق اى القرآن ورسول مبين ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة او مبين للتوحيد بالايات
البينات والحجج وقرئ متعناه ومتعت بالخطاب على انه تعالى اعترض به في مناجاته على قوله تعالى وجعلها كلمة باقية
في عقبه مبالغة في تعييرهم فان التمتع بزيادة النعم يوجب عليهم ان يجعلوه سببا لزيادة الشكر والثبات على
التوحيد والايمان فجعلوه سببا لزيادة الكفران اقصى مراتب الكفر والضلال ولما جاءهم الحق لينبههم مما هم فيه من
الغفلة ويرشدهم الى التوحيد ازدادوا كفرا وعتوا وضموا الى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به
حيث وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اى من احدى القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعا

وقالوا هذا سحر وانا به كافرون فسموا القرآن سحرا
وكفروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم

يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان عظيم بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومي وعروة ابن مسعود الثقفي
وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسدا على نزوله الى الرسول عم
دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى انه لو كان قرآنا لنزل الى احدهما
بناء على ما تخيلوا من ان الرسالة منصب جليل لا يليق به الا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا انها
رتبة روحانية لا يرتقي اليها الا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية
المتحلين بالفضائل الانسية واما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من
استحقاق تلك الرتبة بالف منزل وقوله تعالى اهم يقسمون رحمة ربك انكار فيه تجهيل لهم وتعجب من
تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة نحن قسمنا بينهم معيشتهم اى اسباب معيشتهم في الحياة الدنيا قسمة تقتضيها
المشيئة المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض امرها اليهم علما منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية ورفعنا بعضهم
فوق بعض في الرزق وسائر مبادي المعاش درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة
فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليصرف بعضهم
بعضا في مصالحهم ويستخدموهم في مهنهم ويسخروهم في اشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى مرافقهم
لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر ولو فوضنا ذلك الى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فاذا كان في تدبير
خويصة امرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنية وهو في طرف التمام على هذه الحالة فما ظنهم بانفسهم في
تدبيرها من الدين وهذا ابعد من مناط العيوق ومن اين لهم البحث عن امر النبوة والتخيير لها من يصلح لها ويقوم
بامرها ورحمة ربك اى النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين خير مما يجمعون من حطام الدنيا الدنية الفانية
وقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة استيناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدرها عند الله تعالى
والمعنى ان حقارة شانه بحيث لولا ان يرغب الناس لحبهم في الدنيا في الكفر اذا راوا اهله في سعة وتنعم فيجتمعوا
عليه لاعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وادناهم منزلة وذلك قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم
سقفا من فضة اى متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع باعتبار معنى من كما ان افراد المستكن في
يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف وسقفا اكتفاء بجمع البيوت وسقف كانه لغة في سقف وسقوفا
ومعارج اى وجعلنا لهم معارج من فضة اى مصاعد جمع معرج وقرئ معاريج جمع معراج عليها يظهرون اى
يعلون السطوح والعلالي ولبيوتهم اى وجعلنا لبيوتهم ابوابا وسررا من فضة عليها اى على السرر يتكئون ه
ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير وزخرفا اى زينة عطفا على سقفا او ذهبا عطفا على محل من فضة وان
كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا وقرئ بتخفيف ما على ان هي المخففة واللام هي الفارقة وقرئ بكسر اللام على
انها لام العلة وما موصولة حذف عائدها اى الذي هو متاع كما في قوله تعالى تماما على الذي احسن
والآخرة بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان عند ربك للمتقين اى عن الكفر والمعاصي وبهذا تبين
ان العظيم هو العظيم في الآخرة لا في الدنيا ومن يعش اى يتعام ويعرض عن ذكر الرحمن وهو القرآن واضافته الى الاسم
الرحمن للايذان بنزوله رحمة للعالمين وقرئ يعش بالفتح اى يعم يقال عشي يعشى اذا كان في بصره آفة
وعشي يعشو اذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرئ يعشو على ان من موصولة غير متضمنة معنى الشرط والمعنى
ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه في حظوظها الفانية والشهوات نقيض له
شيطانا فهو له قرين لا يفارقه ولا يزال يوسوسه ويغويه ويغويه وقرئ يقيض بالياء على اسناده
الى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو فحقه ان يرفع نقيض وانهم اى الشياطين الذين قيض كل منهم لكل واحد
ممن يعشو ليصدونهم اى قرناءهم فمدار جمع الضميرين باعتبار معنى من كما ان مدار افراد الضمائر السابقة
اعتبار لفظها عن السبيل المستبين الذي يدعوا اليه القرآن ويحسبون اى العاشون انهم اى الشياطين
مهتدين مستلزم لاعتقادكونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدأ
او من فاعله او منهما لاشتمالها على ضميريهما اى وانهم ليصدونهم عن الطريق الحق ويحسبون انهم مهتدون اليه
وصيغة المضارع في الافعال الاربعة للدلالة على استمرار التجدد في قوله تعالى حتى اذا جاءنا فانه حتى
وان كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضي حتما ان يكون غاية لامر ممتد كما مر مرارا
وافراد الضمير في جاء وما بعده لما ان المراد حكاية مقالة كل واحد من العاشين لقرينه لتهويل الامر
وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصد والحسبان الباطل حتى اذا اتى
كل واحد منهم مع قرينه يوم القيمة قال مخاطبا له يا ليت بيني وبينك في الدنيا بعد المشرقين اى بعد ه
المشرق والمغرب اى تباعد كل منهما عن الآخر فغلب المشرق وثني واضيف البعد اليهما فبئس القرين
اى انت وقوله تعالى ولن ينفعكم الى آخره حكاية لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله تعالى توبيخا وتقريعا اى لن
ينفعكم اليوم اى يوم القيمة تمنيكم لمباعدتهم اذ ظلمتم اى لاجل ظلمكم في الدنيا باتباعكم اياهم في الكفر والمعاصي

وقيل

وقيل اذ ظلمتم بدل من اليوم اى اذا تبين عندكم وعند الناس جميعا انكم ظلمتم انفسكم في الدنيا وعليه قول من قال
اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ۝ اى تبين اني لم تلدني لئيمة اى كريمة وقوله تعالى انكم في العذاب مشتركون تعليل
لنفي النفع اى لان حقكم ان تشتركوا انتم وقرناؤكم في العذاب كما ينفع الواقعين في شدائد الدنيا اشتراكهم فيها
لتعاونهم في تحمل اعبائها وتقسيمهم في عنائها لان لكل منهم ما لا يبلغه طاقته كما قيل لان الانتفاع بذلك
الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث
كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا وقولكم فآتهم عذابا ضعفا من النار
ونظائرهما لتتشفوا بذلك وكان رسول الله عم يبالغ في المجاهدة في دعاء قومه وهم لا يزدادون الا غيا وتعاميا
عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاميا عما يسمعونه من بينات القرآن فنزل افانت تسمع الصم او تهدي العمى
وهو انكار تعجب من ان يكون هو الذي يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا في الكفر واستغرقوا في الضلال بحيث صار
ما بهم من العشا عمى مقرونا بالصمم ومن كان في ضلال مبين عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الانكار
هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه لا توهم القصور من قبل الهادي ففيه رمز الى
انه لا يقدر على ذلك الا الله تعالى وحده بالقسر والالجاء فاما نذهبن بك اى فان قبضناك قبل ان نبصرك
عذابهم ونشفي بذلك صدرك وصدور المؤمنين فانا منهم منتقمون لا محالة في الدنيا والآخرة فما مزيدة
للتاكيد بمنزلة لام القسم في انها لا تفارق النون المؤكدة او نرينك الذي وعدناهم اى او اردنا ان نريك
العذاب الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون بحيث لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد اراه ذلك يوم بدر فاستمسك بالذي اوحي اليك من الآيات ه
والشرائع سواء عجلنا لك الموعود او اخرناه الى اليوم الآخر وقرئ اوحى على البناء للفاعل وهو الله عز
وجل انك على صراط مستقيم تعليل للاستمساك وللامر به وانه لذكر لشرف عظيم لك ولقومك
وسوف تسألون يوم القيمة عنه وعن قيامكم بحقوقه واسأل من ارسلنا قبلك من رسلنا اى اممهم
واعلام دينهم لقوله تعالى فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على ان المسؤل
عنه عين ما نطقت به السنة الرسل لا ما يقوله اقوامهم من تلقاء انفسهم فانهم انما يخبرونه
عن كتب الرسل فاذا سألهم فكانه سأل الانبياء عليهم السلام اجعلنا من دون الرحمن آلهة
يعبدون اى هل حكمنا بعبادة الاوثان وهل جاءت في ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد باجماع الانبياء
على التوحيد والتنبيه على انه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ملتبسا بها
الى فرعون وملائه فقال اني رسول رب العالمين اريد باقتصاصه تسلية رسول الله عم والاستشهاد بدعوة
موسى عليه السلام الى التوحيد اثر ما اشير الى اجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه فلما جاءهم بآياتنا اذا هم
منها يضحكون اى فاجاؤا وقت ضحكهم منها اى استهزؤا بها اول ما راوها ولم يتاملوا فيها وما نريهم من آية من
الآيات الا هي اكبر من اختها الا وهي بالغة اقصى مراتب الاعجاز بحيث يحسب كل من ينظر اليها انها اكبر من كل
ما يقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور في شيء منها او الا وهي
مختصة بنوع من الاعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها واخذناهم بالعذاب كالسنين والطوفان
والجراد وغيرها لعلهم يرجعون لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر وقالوا يا ايها الساحر نادوه بذلك في مثل
تلك الحالة لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر ادع لنا
ربك ليكشف عنا العذاب بما عهد عندك من النبوة او من استجابة دعوتك او من كشف العذاب عمن اهتدى او
بما عهد عندك فوفيت به من الايمان والطاعة انا لمهتدون
فلما كشفنا عنهم العذاب بدعوته اذا هم ينكثون فاجاؤا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله في الاعراف ونادى فرعون بنفسه
او بمناديه في قومه في مجمعهم وفيما بينهم بعد ان كشف العذاب عنهم مخافة ان يؤمنوا قال يا قوم اليس لي ملك
مصر وهذه الانهار تجري من تحتي اى انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس
تجري من تحتي اى تحت قصري او امري وقيل من تحت سريري لارتفاعه وقيل بين يدي في جناني ه
والواو حالية وهذه الانهار عطف على ملك مصر وتجري حال منها او الواو حالية وهذه مبتدأ والانهار
صفتها وتجري خبرها افلا تبصرون ذلك يريد به استعظام ملكه ام انا خير مع هذه المملكة والبسطة من
هذا الذي هو مهين ضعيف حقير من المهانة وهي القلة ولا يكاد يبين الكلام لما به من الرتة وقاله افتراء عليه السلام
وتنقيصا له عليه السلام في اعين الناس باعتبار ما كان في لسانه من عقدة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى
فضله ومبادي خيريته اثبت عندكم واستقر لديكم اني انا خير وهذه حاله من هذا الى آخره واما متصلة ه

فالمعنى افلا تبصرون ام تبصرون خلا انه وضع قوله انا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له انت خير
فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز ان يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب
فان ابصارهم لما ذكر من اسباب فمنه سبب على زعمه لحكمهم بخيريته فلولا القى عليه اسورة من ذهب اى فهلا
القى اليه مقاليد الملك ان كان صادقا لما انهم كانوا اذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب واسورة
جمع سوار وقرئ اساور جمع اسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء اساوير وقد قرئ كذلك وقرئ
فالقى عليه اسورة واساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى او جاء معه الملائكة مقترنين مقرونين يعينونه
او يصدقونه من قرنته به فاقترن او متقارنين من اقترن بمعنى تقارن فاستخف قومه فاستفزهم
وطلب منهم الخفة فى مطاوعته اى فاستخف احلامهم فاطاعوه فيما امرهم انهم كانوا قوما فاسقين
فلذلك سارعوا الى طاعة ذلك الفاسق فلما آسفونا اى اغضبونا اشد الغضب منقول من اسف اذا
اشتد غضبه انتقمنا منهم فاغرقناهم اجمعين اى عظة لهم او قصة عجيبة تسير سير الامثال لهم فيقال
مثلكم مثل قوم فرعون ولما ضرب ابن مريم مثلا اى ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول الله صلعم فى قوله
تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال اهذا لنا ولآلهتنا ام لجميع الامم فقال صلعم
هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة اليست النصارى يعبدون المسيح
واليهود عزيرا وبنو مليح الملائكة فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا ان نكون نحن وآلهتنا معهم
به وضحكوا وارتفعت اصواتهم وذلك قوله تعالى اذا قومك منه اى من اجل ذلك المثل يصدون
اى يرتفع لهم ضجيج فرحا وجذلا وقرئ يصدون من اجل ذلك المثل يعرضون عن الحق اى يثبتون على
ما كانوا عليه من الاعراض او يزدادون فيه وقيل هو ايضا من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف
ويعكف وهو الاشبه بمعنى المفاجأة وقالوا آلهتنا خير ام هو يعنون محاكاة لكلامه من المثل المضروب قالوه
تمهيدا لما بنوه عليه من الباطل المموه ويغتر به السفهاء اى ظاهر ان عيسى خير من آلهتنا فيما زعم
ان ما نقل عنهم من الضجيج ورفع الاصوات فحكى لما قيل من انه صلعم سكت عند ذلك الى ان نزل قوله
تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية فان ذلك مع ايهامه لما يجب تنزيه ساحته صلعم عنه من شائبة
الانفحام يوهم ان الاية مخالف للواقع كيف لا وقد روى ان قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة
صدر عنه من اول الامر عند سماع الاية الكريمة فرد عليه النبى صلعم ما اجهلك بلغة قومك اما فهمت
ان ما لما لا يعقل وانما لم يخص صلعم هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم مع علمه بما ذكر
من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لان اخراج بعض المعبودين عنه عند الحاجة موهم للرخصة فى عبادته
فى الجملة فعمه صلعم للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك فى المعبودية
من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدة الشياطين التى امرتهم بذلك ان
الملائكة والمسيح بمعزل من ان يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا
يعبدون الجن الاية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الاية بل انما
اظهروه من الاحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله تعالى ما ضربوه
لك الا جدلا اى ما ضربوا لك ذلك المثل الا لاجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره
ببيانك بل هم قوم خصمون اى لداد شداد الخصومة مجبولون على اللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى ان مثل
عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن اهدى من النصارى لانهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة
فنزلت فقولهم آلهتنا خير ام هو حينئذ تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لان المراد بهم الملائكة ومعنى
ما ضربوه الى آخره ما قالوا هذا القول الا للجدال وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله الاية قالوا ما يريد
محمد بهذا الا ان نعبده وانه يستاهل ان يعبد ان كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى
يصدون يضجون ويضجرون والضمير فى ام هو لمحمد صلعم وغرضهم بالموازنة بينه صلعم وبين آلهتهم الاستهزاء
به ويجوز ان يكون مرادهم التنصل عما انكروا عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم كأنهم
قالوا ما قلنا منكرا من القول ولا فعلنا منكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه
فنحن اشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الاناسى فقوله تعالى ان هو الا
عبد انعمنا عليه اى بالنبوة وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل اى امرا عجيبا حقيقا بان يسير ذكره كالامثال
السائرة على الوجه الاول استئناف مسوق لتنزيهه عليه الصلاة والسلام عن ان ينسب اليه ما نسب
الى الاصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحا قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الى آخر الاية وفيه
تنبيه على بطلان رأى من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأى من رأى رأيهم فى شأن الملائكة
وعلى الثانى والرابع لبيان انه قياس باطل بباطل او باطل على زعمهم وما عيسى الا عبد كسائر العبيد

قصارى امره انه عبد انعمنا عليه بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بان خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا
آدم بوجه ابدع منه فاين هو من رتبة الربوبية ومن اين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يتجزأ عبدة
الملائكة بكونهم اهدى منهم او يعتذروا بان حالهم اشف او اخف من حالهم واما على الوجه الثالث فهو لرد
وتكذيبهم فى افترائهم على رسول الله صلعم ببيان ان عيسى فى الحقيقة وفيما اوحى الى الرسول عليه الصلاة والسلام
ليس الا عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه الصلاة والسلام بمعبوديته او كيف يتوهم او رضا بمعبودية
نفسه لقوله تعالى ولو نشاء الى آخره تحقيق ان مثل عيسى عليه السلام ليس ببديع من قدرة الله تعالى وانه
تعالى قادر على ابدع من ذلك وابدع مع التنبيه على سقوط الملائكة ايضا من درجة المعبودية اى قدرتنا بحيث
لو نشاء لجعلنا اى لخلقنا بطريق التوالد منكم وانتم رجال ليس من شأنكم الولادة ملائكة كما خلقناهم بطريق
الابداع فى الارض مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين فى السماء يخلفون اى يخلفونكم مثل اولادكم فيما
تأتون وما تذرون وتباشرون الافعال المنوطة بمباشرتكم مع ان شأنهم التقديس والتسبيح فى السماء فمن شأنهم
بهذه المثابة بالنسبة الى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية وانتسابهم اليه تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وانه اى وان عيسى لعلم للساعة اى انه بنزوله شرط من اشراطها وتسميته علما لحصوله به او بحدوثه
بغير اب او باحياء الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ما ينكره الكفرة من الامور الواقعة فى الساعة
وقرئ لعلم وقرئ للذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كتسمية ما يعلم به علما وفى الحديث ان عيسى عليه السلام
ينزل على ثنية بالارض المقدسة افيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتى بيت
المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الامام فيتقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على شريعة محمد صلعم
ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع ويقتل النصارى الا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما ان فيه الاعلام
بالساعة فلا تمترن بها فلا تشكن فى وقوعها واتبعون اى واتبعوا هداى او شرعى او رسولى وقيل هو قول
الرسول مأمورا من جهته تعالى هذا اى الذى ادعوكم اليه او القرآن على ان الضمير فى انه له صراط مستقيم موصل الى
الحق ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعى انه لكم عدو مبين بين العداوة حيث اخرج اباكم من الجنة وعرضكم للبلية
ولما جاء عيسى بالبينات اى بالمعجزات او بآيات الانجيل او بالشرائع الواضحات قال لبنى اسرائيل قد جئتكم
بالحكمة لاعلمكم اياها ولابين لكم بعض الذى تختلفون فيه وهو ما يتعلق بامور الدين واما ما يتعلق بامور الدنيا
فليس بيانه من وظائف الانبياء عليهم السلام كما قال صلعم انتم اعلم بامور دنياكم فاتقوا الله فى مخالفتى واطيعون
فيما ابلغه عنه تعالى ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه بيان لما امرهم بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد
بالشرائع هذا اى التوحيد والتعبد بالشرائع صراط مستقيم لا يضل سالكه وهو اما من تتمة كلامه صلعم
او استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام فاختلف الاحزاب الفرق المتحزبة من بينهم اى
من بين من بعث اليهم من اليهود والنصارى فويل للذين ظلموا من المختلفين من عذاب يوم اليم هو يوم القيامة
هل ينظرون اى ما ينتظرون الا الساعة ان تأتيهم بدل من الساعة بغتة اى فجأة لكن لا عند كونهم
مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بامور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى وهم لا يشعرون الاخلاء
المتحابون فى الدنيا على الاطلاق او فى الامور الدنيوية يومئذ يوم اذ تأتيهم الساعة بعضهم لبعض عدو لانقطاع
ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها اسبابا للعذاب الا المتقين فان خلتهم فى الدنيا لما كانت فى الله
تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الاول
متصل وعلى الثانى منقطع يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون
فى الله يومئذ تشريفا لهم وتطييبا لقلوبهم الذين آمنوا بآياتنا صفة للمنادى او منصوب على المدح وكانوا مسلمين
اى مخلصين وجوههم لنا جاعلين انفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا وعن مقاتل اذا بعث الله الناس
فزع كل منهم فينادى مناد يا عبادى فيرفع الخلائق رءوسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الاية فينكس
اهل الاديان الباطلة رءوسهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم نساؤكم المؤمنات تحبرون تسرون سرورا يظهر
حباره اى اثره على وجوهكم او تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة او تكرمون اكراما بليغا والحبرة المبالغة
فيما وصف بجميل يطاف عليهم بعد دخولهم الجنة حسبما امر به بصحاف من ذهب واكواب كذلك والصحاف
جمع صحفة قيل هى كالقصعة وقيل اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم الصحفة ثم المكيلة والاكواب جمع كوب
وهو كوز لا عروة له وفيها اى فى الجنة ما تشتهيه الانفس من فنون الملاذ وقرئ ما تشتهى وتلذ الاعين اى
تستلذه وتقر بمشاهدته وقرئ وتلذه وانتم فيها خالدون اتماما للنعمة واكمالا للسرور فان كل نعيم له
زوال لا محالة او ترقبه يعوق صفوه وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون من الاعمال الصالحة
الجنة مبتدأ وصفته والموصول صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الاول والخبر متعلق بما كنتم تعملون

كما في الاولين لكم فيها فاكهة كثيرة بحسب الانواع والاصناف لا بحسب الافراد فقط منها تاكلون اي بعضها تاكلون في كل نوبة واما الباقي فعلى الاشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهي مزينة بالثمار زايدة موقرة بها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها الا نبت مثلاها مكانها ان المجرمين اي الراسخين في الاجرام وهم الكفار حسبما ينبئ عنه ايرادهم في مقابلة المؤمنين بالايات في عذاب جهنم خالدون خبر ان او خالدون هو الخبر وفي متعلقة به لا يفتر عنهم اي لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلا والتركيب للضعف وهم فيه اي في العذاب وقرئ فيها اي في النار مبلسون اي ايسون من النجاة وما ظلمناهم بذلك ولكن كانوا هم الظالمين لتعريضهم انفسهم للعذاب الخالد ونادوا خازن النار يا مالك وقرئ يا مال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز الى ضعفهم وعجزهم عن تادية اللفظ بتمامه ليقض علينا ربك اي ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه اذا اماته والمعنى سل ربك ان يقضي علينا وهذا لا ينافي ما ذكر من ابلاسهم لانه جوار وتمن للموت لفرط الشدة قال انكم ماكثون اي في العذاب ابدا لا خلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه لا يجيبهم الا بعد الف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد اربعين سنة لقد جئناكم بالحق في الدنيا بارسال الرسل وانزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل في قال ضمير الله تعالى ولكن اكثركم للحق اي حق كان كارهون لا يقبلونه وينفرون منه واما الحق المعهود الذي هو التوحيد او القران فكلهم كارهون له مشمئزون منه ام ابرموا امرا كلام مبتدا ناع على المشركين ما فعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ اهل النار الى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للانكار فان اريد بالابرام الاحكام حقيقة فهي لانكار الوقوع واستبعاده وان اريد الاحكام صورة فهي لانكار الواقع واستقباحه اي ابرم مشركو مكة امرا من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون كيدنا حقيقة لا هم او فانا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما ابرموا كيدهم صورة كقوله تعالى ام يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون في انديتهم ويتشاورون في اموره صلى الله عليه وسلم ام يحسبون اي بل ايحسبون انا لا نسمع سرهم وهو ما حدثوا به انفسهم او غيرهم في مكان خال ونجواهم اي ما تكلموا به فيما بينهم بطريق التناجي بلى نسمعهما ونطلع عليهما ورسلنا الذين يحفظون عليهم اعمالهم ويلازمونهم اينما كانوا لديهم عندهم يكتبون اي يكتبونهما او يكتبون كل ما صدر عنهم من الافعال والاقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم والجملة اما عطف على ما يترجم عنه بلى او حال اي نسمعهما والحال ان رسلنا يكتبون قل للكفرة تحقيقا للحق وتنبيها لهم على ان مخالفتك لهم بعدم عبادتك ما يعبدونه من الملائكة عليهم السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم او لمعبودهم بل انما هو لجزمك باستحالة ما نسبوا اليهم وبنوا عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين اي له وذلك لانه صلى الله عليه وسلم اعلم الناس بشئونه تعالى وبما يجوز عليه وبما لا يجوز واولاهم بمراعاة حقوقه ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على ابلغ الوجوه واقواها وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم في باب التوحيد ما لا يخفى مع ما فيه من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه ايراد ان مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم الشرطية ان كان للرحمن ولد في زعمكم فانا اول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فانا اول الانفين المستنكفين منه او من ان يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد انفه وقيل ان نافية اي ما كان للرحمن ولد فانا اول من قال بذلك وقرئ ولد سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اي يصفونه به من الولد فان اضافة اسم الرب الى اعظم الاجرام واقواها تنبيه على انها وما فيها من المخلوقات بحيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم ان يكون شيء منها جزءا منه سبحانه وفي تكرير اسم الرب تفخيم لشان العرش فذرهم حيث لم يرعووا عن الجهل ما سمعوا هذا البرهان الجلي يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا في دنياهم فان ما هم فيه من الافعال والاقوال ليست الا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الامر حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم القيمة فانهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله مستحق لان يعبد فيهما والظرف متعلق بالمعنى الذي يتضمنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق وقرئ وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله والراجع الى الموصول مبتدا قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكونه الجار لان الجملة بيان للصلة وانه لكونه في السماء على سبيل الالهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفي الالهة السماوية والارضية وتخصيصه باستحقاق الالوهية به تعالى وقوله تعالى وهو الحكيم العليم كالدليل عليه وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما كالهواء وعنده علم الساعة اي العلم بالساعة التي تقوم القيمة فيها واليه ترجعون للجزاء وقرئ بالياء والتاء ولا يملك الذين يدعونه اي يدعونهم وقرئ بالتاء من دونه الشفاعة كما زعموا الا من شهد بالحق الذي هو التوحيد وهم يعلمون

بما يشهدون به عن بصيرة وايقان واخلاص وجمع الضميرين باعتبار معنى من كما ان الافراد اولا باعتبار لفظها ولئن سألتهم اما متصلة والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله او منفصل على انه خاص بالاصنام ولئن سألتهم من خلقهم اي سالت العابدين والمعبودين ليقولن الله لتعذر الانكار لغاية بطلانه فانى يؤفكون فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا لله تعالى وقيله بالجر اما عطف على الساعة وعلم قوله عليه السلام يا رب الى اخره فان القول والقيل والقال كلها مصادر وعلى ان الواو للقسم وقوله تعالى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون جوابه وفي الاقسام به من رفع شانه صلى الله عليه وسلم وتفخيم دعائه والتجائه اليه تعالى ما لا يخفى وقرئ بالنصب بالعطف على سرهم او محل الساعة او باضمار فعله او بتقدير فعل القسم وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر ما بعده وقد جوز عطفه على الساعة فاصفح عنهم فاعرض عن دعوتهم واقطع عن ايمانهم وقل سلام اي امري تسلم منكم ومتاركة فسوف يعلمون حالهم البتة وان تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية له صلى الله عليه وسلم وقرئ تعلمون على انه داخل في حيز قل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الزخرف فكان ممن يقال له يوم القيمة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

بسم الله الرحمن الرحيم حم والكتاب المبين الكلام فيه كالذي سلف في السورة السابقة انا انزلناه اي الكتاب المبين الذي هو القران في ليلة مباركة هي ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدئ فيها انزاله او انزل فيها جملة الى السماء الدنيا من اللوح واملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما في ثلاث وعشرين سنة كما مر في سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما ان نزول القران مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية باجمعها او لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة واجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الاقضية وفضيلة العبادة واعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد في هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهرة انا كنا منذرين استئناف مبين لما يقتضي الانزال كانه قيل انا انزلناه لان من شاننا الانذار والتحذير من العقاب وقيل جواب للقسم وقوله انا انزلناه الى اخره اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف فيها يفرق كل امر حكيم استئناف كما قبله فان كونها مفرق الامور المحكمة او الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعي ان ينزل فيها القران الذي هو من عظائمها وقيل صفة اخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على انها ليلة القدر ومعنى يفرق انه يكتب ويفصل كل امر حكيم من ارزاق العباد واجالهم وجميع امورهم من هذه الليلة الى الاخرى من السنة القابلة وقيل يبدا في استنساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة ويقع الفراغ في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبرئيل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت عليهم السلام وقرئ نفرق بنون العظمة امرا من عندنا نصب على الاختصاص اي اعني بهذا الامر امرا حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الاضافية اثر بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه حالا من كل او من امر لتخصصه بالوصف او من ضميره في حكيم وقد جوز ان يراد به مقابل النهي ويجعل مصدرا مؤكدا ليفرق ولاتحاد الامر والفرقان في المعنى او لفعله المضمر لان الفرق به او حالا من احد ضميري انزلناه اي امرين او مامورا انا كنا مرسلين بدل من انا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل مستانف وقوله تعالى رحمة من ربك غاية للارسال متاخرة عنه على ان المراد بها الرحمة الواصلة الى العباد لاجل افادة رحمتنا عليهم او لاقتضاء رحمتنا السابقة ارسالهم ووضع الرب موضع الضمير للايذان بان ذلك من احكام الربوبية ومقتضياتها واضافته الى ضميره صلى الله عليه وسلم لتشريفه وتعليل ليفرق او لقوله تعالى امرا على ان قوله تعالى رحمة مفعول للارسال كما في قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي يفرق فيها كل امر او تصدر الاوامر من عندنا لان من عادتنا ارسال رحمتنا فان قسمة الارزاق وغيرها والاوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فان الغاية لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرئ رحمة بالرفع اي تلك رحمة وقوله تعالى انه هو السميع العليم تحقيق لربوبيته تعالى وانه لا يحق لها الا هو رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك او بيان او نعت وقرئ بالرفع على انه خبر اخر او استئناف على اضمار مبتدا ان كنتم موقنين بدل من ربك او بيان اي ان كنتم من اهل الايقان في العلوم وان كنتم موقنين في اقراركم بانه تعالى رب السموات والارض وما بينهما اذا سالتم من خلقها فقلتم الله علمتم ان الامر كما قلنا او ان كنتم موقنين اليقين فاعلموا ذلك لا اله الا هو جملة مستانفة مقررة لما قبلها وقيل خبر الى قوله رب السموات الى اخره وما بينهما اعتراض يحيي ويميت مستانفة لما قبلها وكذا قوله تعالى ربكم ورب ابائكم الاولين اضمار مبتدا او بدل من رب السموات على قراءة الرفع او بيان او نعت له وفي يحيي ويميت ضمير راجع الى رب السموات وقرئ

وقرئ بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر بل هم في شك مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين في اقرارهم يلعبون
لا يقولون ما يقولون عن جد واذعان بل مخلوطا بهزؤ ولعب والفا في قوله تعالى فارتقب لترتيب الارتقاب
او الامر به على ما قبلها فان كونهم في شك مما يوجب ذلك حتما اي فانتظر لهم يوم تاتي السماء بدخان مبين
اي يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لان في عام
القحط يظلم الهواء لقلة الامطار وكثرة الغبار او لان العرب تسمي الشر الغالب دخانا وذلك ان قريشا لما
استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني
يوسف فاخذتهم سنة حتى اكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان
وكان يحدث الرجل ويسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى يغشى الناس اي يحيط بهم هذا عذاب
اليم اي قائلين ذلك فمضى اليه صلى الله عليه وسلم ابو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه ان دعا لهم
وكشف عنهم ان يؤمنوا وذلك قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون وهذا قول ابن عباس
وابن مسعود وبه اخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان ياتي من السماء قبل
يوم القيمة فيدخل في اسماع الكفرة حتى يكون الراس الواحد كالراس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام
وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول
عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة وما الدخان فتلا الاية قال
يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة واما الكافر فهو
كالسكران يخرج من منخريه واذنيه ودبره والاول هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعا فان قوله
تعالى انى لهم الذكرى الى اخره رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالايمان المنبئ عن التذكر
والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية اي كيف يتذكرون او من اين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الايمان
عند كشف العذاب عنهم وقد جاءهم رسول مبين اي والحال انهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ
ما هو اعظم منه في ايجابها حيث جاءهم رسول مبين عظيم الشان مبين لهم مناهج الحق باظهار ايات ظاهرة
ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال ثم تولوا عنه عن ذلك الرسول وهو هو بمجرد ما شاهدوا منه
ما شاهدوا من العظائم الموجبة للاقبال اليه ولم يقنعوا بالتولي وقالوا في حقه معلم مجنون اي
قالوا في حقه تارة يعلمه غلام اعجمي لبعض ثقيف واخرى مجنون او يقول بعضهم كذا واخرون كذا واخرون
كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم ان يتاثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم الا كمثل الكلب اذا جاع
ضغا واذا شبع طغا وقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون جواب من جهته تعالى عن قولهم
ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التهديد والتوبيخ وما بينهما اعتراض اي انا
نكشف العذاب المعهود عنكم كشفا قليلا انكم تعودون اثر ذلك الى ما كنتم عليه من العتو والاصرار
على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما
حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فما لبثوا ان عادوا الى ما كانوا فيه من العتو والعناد ومن فسر الدخان
بما هو من الاشراط قال اذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا
ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد اربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون
ولا يتمهلون يوم نبطش البطشة الكبرى اي يوم القيمة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه قوله تعالى
انا منتقمون لا لمنتقمون لان ان مانعة من ذلك اي يوم نبطش ننتقم انا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تاتي
الى اخره وقرئ نبطش اي نحمل الملئكة على ان يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بالعنف والصولة
او بجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرئ نبطش بضم الطاء وهي لغة ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون اي
امتحناهم بارسال موسى عليه السلام او اوقعناهم في الفتنة بالامهال وتوسيع الرزق عليهم وقرئ بالتشديد
للمبالغة او لكثرة القوم وجاءهم رسول كريم على الله تعالى او على المؤمنين او في نفسه لان الله تعالى لم يبعث
نبيا الا من سراة قومه وكرامهم ان ادوا الي عباد الله اي بان ادوا الي بني اسرائيل وارسلوهم الي او بان ادوا
الي عباد الله حقه من الايمان وقبول الدعوة وقيل ان مفسرة لان مجيء الرسول لا يكون الا برسالة ودعوة
وقيل مخففة من الثقيلة اي جاءهم بان الشان ادوا الى اخره وقوله تعالى اني لكم رسول امين تعليل للامر
بالوجوب المامور به اي رسول غير ظنين قد ائتمنني الله تعالى على وحيه وصدقني بالمعجزات القاهرة وان لا
تعلوا على الله اي لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وان كالتي سلفت وقوله تعالى اني
اتيكم اي من جهته تعالى بسلطان مبين تعليل للنهي اي اتيكم بحجة واضحة لا سبيل الى انكارها واتيكم على صيغة
الفاعل والمضارع وفي ايراد الادا مع الامين والسلطان مع العلا من الجزالة ما لا يخفى واني عذت بربي
وربكم ان ترجمون من ان ترجمون ان تؤذوني ضربا او شتما او ان تقتلوني قيل لما قال وان لا تعلوا على الله

توعدوه

اي وان كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لي فاعتزلون فكفوا لا علي ولا لي ولا تتعرضوا بشر ولا اذى فليس
ذلك جزاء من يدعوكم الى ما فيه صلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا اسباب الوصلة عني فلا موالاة بيني وبينكم من لا يؤمن
يابا المقام فدعا ربه بعد ما تموا على تكذيبه عليه السلام ان هؤلاء اي بان هؤلاء قوم مجرمون وهو
تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه به ولذلك سمي دعاء وقرئ بالكسر على اضمار القول قيل كان
دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين فاسر بعبادي ليلا
باضمار القول اما بعد الفا اي فقال ربه اسر بعبادي واما قبلها كانه قيل قال ان كان الامر كما تقول فاسر
بعبادي اي بني اسرائيل فقد دبر الله تعالى ان يتقدموا وقرئ بوصل الهمزة من سرى انكم متبعون اي يتبعكم
فرعون وجنوده بعدما علموا بخروجكم واترك البحر رهوا مفتوحا ذا فجوة واسعة او ساكنا على هيئته بعد ما
جاوزته ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط انهم جند مغرقون وقرئ انهم
بالفتح اي لانهم كم تركوا اي كثيرا تركوا بمصر من جنات وعيون وزروع ومقام كريم محافل مزينة ومنازل حسنة
ونعمة اي تنعم كانوا فيها فاكهين متنعمين وقرئ فكهين كذلك الكاف في حيز النصب وذلك اشارة الى مصدر
فعل يدل عليه تركوا اي مثل ذلك السلب سلبناهم اياها واورثناها قوما اخرين وقيل مثل ذلك الاخراج
اخرجناهم منها وقيل في حيز الرفع على الخبرية اي الامر كذلك فحينئذ يكون اورثناها معطوفا على تركوا وعلى الاول
على الفعل المقدر فما بكت عليهم السماء والارض مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه
تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت عليه السماء والارض ومنه ما روي ان المؤمن
ليبكي عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط رزقه واثاره في الارض وقيل تقديره اهل السماء
والارض وما كانوا منظرين لما جاء وقت هلاكهم منظرين ممهلين الى وقت اخر او الى الاخرة بل عجل لهم في الدنيا
ولقد نجينا بني اسرائيل بما فعلنا بفرعون وقومه ما فعلنا من العذاب المهين من استعباد فرعون اياهم وقتل
ابنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم من فرعون بدل من العذاب لافراطه فيه واما على حذف المضاف
اي عذاب فرعون او حال من المهين اي كائنا من فرعون وقرئ من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه
وتفرعنه وفي ابهام امره اولا وتبيينه بقوله تعالى انه كان عاليا من المسرفين ثانيا من الافصاح عن كونه
كنه امره في الشر والفساد ما لا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين فانه يقال له بليغا في الاسراف ولقد
اخترناهم اي بني اسرائيل على علم اي عالمين بانهم احقاء بالاختيار او عالمين بانهم يزيغون في بعض الاوقات ويكثر
منهم الفرطات على العالمين جميعا لكثرة الانبياء فيهم او على عالمي زمانهم واتيناهم من الايات التي لم يعهد مثلها في
غيرهم ما فيه بلاء مبين نعمة جلية او اختبار ظاهر لينظر كيف تعملون ان هؤلاء يعني كفار قريش لان الكلام فيهم
وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم في الاصرار على الضلالة والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم
ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى كما في قولك ان هي الا حياتنا الدنيا وقيل لما قيل لهم انكم تموتون
موتة يعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ما هي الا موتتنا الاولى اي ما الموتة التي يعقبها حياة
الا الموتة الاولى وقيل المعنى ليست الموتة الا هذه الموتة دون الموتة التي يعقبها ما يزعمون وما
نحن بمنشرين بمبعوثين فاتوا بابائنا خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسل عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين
ان كنتم صادقين فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر انه حق وقيل كانوا يطلبون اليهم ان
يدعوا الله تعالى فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات
اهم خير رد لقولهم وتهديد لهم اي ليسوا خيرا في القوة والمنعة اللتين يدفع بهما اسباب الهلاك ام قوم تبع
هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمنا وقومه كافرين
ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب في كتابه بسم الله الذي ملك برا وبحرا اي كثيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادري
اكان تبع نبيا او غير نبي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه كان نبيا وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون
كما يقال لهم الاقيال لانهم يتقيلون والذين من قبلهم عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود واضرابهم من
كل جبار عنيد اولي باس شديد والاستفهام لتقرير ان اولئك اقوى من هؤلاء وقوله تعالى اهلكناهم استئناف
لبيان عاقبة امرهم وقوله تعالى انهم كانوا مجرمين تعليل لاهلاكهم ليعلم ان اولئك حيث اهلكوا بسبب
اجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة فلان يهلك هؤلاء وهم شركاؤهم في الاجرام اضعف منهم في الشدة
والقوة اولى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما اي ما بين الجنسين وقرئ وما بينهن لاعبين لاهين من غير
ان يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة ما خلقناهما وما بينهما الا بالحق استثناء مفرغ من اعم الاحوال
او اعم الاسباب اي ما خلقناهما ملتبسا بشيء من الاشياء او ما خلقناهما بسبب من الاسباب الا بسبب الحق
الذي هو الايمان والطاعة والبعث والجزاء ولكن اكثرهم لا يعلمون اي انه من لذلك فينكرون البعث
والجزاء ان يوم الفصل اي فصل المحق عن المبطل وتمييز الحق من الباطل وفصل الرجل عن اقاربه واحبابه ميقاتهم

اي ما العاقبة ونهاية الامر الا الموتة الاولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد فيه الى اثبات موتة اخرى س

وقت موعدهم اجمعين وقرئ ميقاتهم بالنصب على انه اسم ان ويوم الفصل خبرها اي ان ميعاد حسابهم وجزائهم
في يوم الفصل يوم لا يغني بدل من يوم الفصل او صفة لميقاتهم او ظرف لما دل عليه الفصل لا لنفسه
مولى من قرابة او غيرها عن مولى اي مولى كان شيئا اي شيئا من الاغناء ولا هم ينصرون الضمير لمولى الاول
باعتبار المعنى لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه ومحل الرفع على البدل من الواو او النصب
على الاستثناء انه هو العزيز الذي لا ينتصر منه من اراد تعذيبه الرحيم لمن اراد ان يرحمه ان شجرة الزقوم وقرئ بكسر
الشين وقد مر معنى الزقوم في سورة الصافات طعام الاثيم اي الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما
قبله وما بعده عليه كالمهل وهو ما يمهل في النار حتى يذوب وقيل هو دردي الزيت تغلي في البطون وقرئ بالتاء
على ان الفاعل الشجرة كغلي الحميم غليا كغليه خذوه على ارادة القول والخطاب للزبانية فاعتلوه اي جروه
والعتل الاخذ بمجامع الشيء وجره بقهر وعنف وقرئ بضم التاء وهي لغة فيه الى سواء الجحيم اي وسطه ثم
صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم كان الاصل يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم العذاب
هو الحميم للمبالغة ثم اضيف العذاب الى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على ان المصبوب بعض هذا النوع
ذق انك انت العزيز الكريم اي وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعا له على ما كان يزعمه روي ان ابا جهل
قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها اعز ولا اكرم مني فوالله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئا وقرئ
بالفتح اي لانك او عذاب انك ان هذا اي العذاب ما كنتم به تمترون تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار
المعنى لان المراد جنس الاثيم ان المتقين اي عن الكفر والمعاصي في مقام في موضع قيام والمراد المكان على
الاطلاق فانه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم وقرئ بضم الميم وهو موضع اقامة امين يأمن
صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الامن الذي هو ضد الخيانة وصف به المكان بطريق الاستعارة
كان المكان المخيف يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره في جنات وعيون بدل من مقام جيء به دلالة على
نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب يلبسون من سندس واستبرق خبر ثان او حال من الضمير في
الجار او استئناف والسندس ما رق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب متقابلين في المجالس
ليستأنس بعضهم ببعض كذلك اي الامر كذلك وكذلك اثبناهم وزوجناهم بحور عين على الوصف وقرئ
بالاضافة اي قرناهم بهن والحور جمع الحوراء وهي البيضاء والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين واختلف
في انهن نساء الدنيا او غيرهن يدعون فيها بكل فاكهة اي يطلبون ويأمرون باحضار ما يشتهونه من الفواكه
لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان آمنين من كل ما يسوءهم لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى
بل يستمرون على الحياة ابدا والاستثناء منقطع او متصل على ان المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على
الاطلاق كانه قيل لا يذوقون فيها الموت الا اذا امكن ذوق الموتة الاولى حينئذ ووقاهم عذاب
الجحيم وقرئ مشددا للمبالغة في الوقاية فضلا من ربك اي اعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرئ
بالرفع اي ذلك فضل ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز وراءه اذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل كل
المطالب فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فذلكة للسورة الكريمة اي انما انزلنا الكتاب الكريم
بلغتك كي يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه واذا لم يفعلوا ذلك فارتقب فانتظر ما يحل بهم
انهم مرتقبون ما يحل بك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان في ليلة جمعة اصبح مغفورا له والله سبحانه اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم حم الكلام فيه كما مر في فاتحة سورة المؤمن وان جعل اسما للسورة
فمحله الرفع على انه خبر لمبتدأ محذوف اي هذا مسمى بحم والاشارة الى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت
على سره مرارا وان جعل مسرودا على نمط التعديد فلا حظ له من الاعراب وقوله تعالى تنزيل الكتاب
على الاول خبر بعد خبر على انه مصدر اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني خبر لمبتدأ مضمر يلوح به ما قبله
اي المؤلف من جنس ما ذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم اي المسمى به تنزيل الى آخره وقد مر مرارا
ان الذي يجعل عنوانا للموضوع حقه ان يكون قبل ذلك معلوم الانتساب اليه واذ لا عهد بالتسمية
فحقها الاخبار بها واما جعله خبرا له بتقدير المضاف وابقاء التنزيل على معناه اي تنزيل حم تنزيل الكتاب
ففيه غرابة مع افادة فائدة يعتد بها بل وقوله تعالى من الله العزيز الحكيم كما مر في صدر سورة الزمر
على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب صفته وجواب القسم قوله تعالى من الله العزيز الحكيم
كما مر في صدر سورة ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وهو على الوجوه المتقدمة كلام مستأنف
مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والانفسية ومحل الآيات اما انفس السموات والارض

فانهما

فانهما منطويتان من فنون الآيات على ما يقصر عنه البيان واما خلقهما كما في قوله تعالى ان في خلق السموات
والارض وهو الاوفق بقوله تعالى وفي خلقكم اي من نطفة ثم من علقة متقلبة في اطوار مختلفة الى تمام الخلق وما
يبث من دابة آيات بالرفع على انه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة
بان وقيل آيات عطف على ما قبلها من اسم ان والخبر كانه قيل وان في خلقكم وما يبث من دابة آيات
لقوم يوقنون اي من شأنهم ان يوقنوا بالاشياء على ما هي عليه واختلاف الليل والنهار بالجر على اضمار الجار
المذكور في الآيتين قبله وقد قرئ بذكره والمراد باختلافهما اما تفاوتهما طولا وقصرا واما تعاقبهما وما
انزل الله من السماء عطف على اختلاف من رزق اي مطر وهو سبب الرزق عبر عنه بذلك تنبيها على كونه
آية من جهتي القدرة والرحمة فاحيا به الارض بان اخرج منها اصناف الزرع والثمرات والنبات بعد
موتها ويبسها عن آثار الحياة وانتفاء القوة النامية منها وخلو اشجارها عن الثمار وتصريف الرياح من جهة
الى اخرى ومن حال الى حال وقرئ بتوحيد الريح وتأخيره عن انزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود واما
للايذان بانه آية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم ان مجموع تصريف الرياح وانزال
المطر آية واحدة واما لان كون التصريف آية ليس بمجرد كونه مبدأ لانشاء المطر بل له ولسائر المنافع التي من
جملتها سوق السفن في البحار آيات لقوم يعقلون بالرفع على انه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور و
الجملة معطوفة على ما قبلها وقرئ بالنصب على الاختصاص وقيل على انها اسم ان والمجرور المقدم خبرها بطريق
العطف على معمولي عاملين مختلفين هما ان وفي اقيمت الواو مقامهما فعملت الجر في اختلاف والنصب في آيات في
المواضع الثلاث للتفخيم كما وكيفا واختلاف الفواصل لاختلاف مراتب الآيات في الدقة والجلاء تلك آيات
الله مبتدأ وخبر وقوله تعالى نتلوها عليك حال عاملها معنى الاشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل او
عطف بيان بالحق حال من فاعل نتلو او مفعوله اي نتلوها محقين او ملتبسة بالحق فبأي حديث من الاحاديث
بعد الله وآياته اي بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما في قولهم اعجبني زيد وكرمه او بعد حديث
الله الذي هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل احسن الحديث فهو المراد بآياته ومناط العطف التغاير
العنواني يؤمنون بصيغة الغيبة وقرئ بالتاء ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الآثام يسمع آيات الله صفة اخرى
لافاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير في اثيم تتلى عليه حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا
ثانيا ليسمع لان شرطه ان يكون ما بعده مما لا يسمع كقولك سمعت زيدا يقرأ ثم يصر اي يقيم على كفره واصله
من اصرار الحمار على العانة مستكبرا عن الايمان بما سمعه من آيات الله والاذعان لما ينطق به من الحق
مزدريا لها معجبا بما عنده من الاباطيل وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يشتري من احاديث الاعاجم
ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته
ما هم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الاصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقها
ان تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما في قول من قال يرى غمرات الموت ثم يزورها كأن لم يسمعها
اي كأنه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصر اي يصر مثل غير السامع فبشره
بعذاب اليم على اصراره واستكباره واذا علم من آياتنا شيئا اي اذا بلغه من آياتنا شيء وعلم انه من آياتنا
لا انه علمه كما هو عليه فانه بمعزل من ذلك العلم وقيل اذا علم منها شيئا يمكن ان يتشبث به المعاند ويجعله
محملا فاسدا يتوسل به الى الطعن والغميزة اتخذها هزوا اي الآيات كلها هزوا لا ما سمعه فقط وقيل الضمير للشيء والتأنيث لانه في معنى الآية اولئك اشارة الى كل افاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح
والجمع باعتبار الشمول للكل كما في قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما ان الافراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد
لهم بسبب جناياتهم المذكورة عذاب مهين وصف العذاب بالاهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات
الله سبحانه وتعالى من ورائهم جهنم اي من قدامهم لانهم متوجهون الى ما اعد لهم او من خلفهم لانهم معرضون عن
ذلك مقبلون على الدنيا فان الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف وقدام ولا يغني عنهم ولا
يدفع ما كسبوا من الاموال والاولاد شيئا من عذاب الله تعالى ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي
الاصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع ان عدم اغناء الاصنام اظهر واجلى من عدم اغناء الاموال
والاولاد قطعا مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم ولهم فيما وراءهم من جهنم
عذاب عظيم لا يقادر قدره هذا اي القرآن هدى في غاية الكمال من الهداية كانه نفسها والذين كفروا
اي بالقرآن وانما وضع موضع ضميره قوله تعالى بآيات ربهم لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم لهم عذاب
من رجز اي من اشد العذاب اليم بالرفع صفة عذاب وقرئ بالجر على انه صفة رجز وتنوين عذاب
في المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه اما على الابتداء واما على الفاعلية الله الذي سخر لكم البحر بان جعله
املس السطح يطفو عليه ما يتخلخل كالاخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه لتجري الفلك فيه بامره

وانتم راكبوها ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا النعم
المترتبة على ذلك وسخر لكم ما في السموات وما في الارض من الموجودات بان جعلها مدارا لمنافعكم جميعا
اما حال من ما في السموات والارض وتوكيد له منه متعلق بمحذوف هو صفة لجميعا او حال من ما في السموات
اي جميعا كائنا منه تعالى او سخر لكم هذه الاشياء كائنة منه مخلوقة له او خبر لمبتدا محذوف اي ذلك
منه ان في ذلك اي فيما ذكر من الامور العظام لايات عظيمة الشان كثيرة العدد لقوم يتفكرون في بدايع
صنع الله تعالى فانهم يقفون بذلك على جلايل نعمه تعالى ودقايقها ويوفقون لشكرها قل للذين امنوا
حذف المقول لدلالة يغفروا عليه لانه جواب باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط اي قل لهم اغفروا
يغفروا للذين لا يرجون ايام الله اي يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقايعه تعالى بالثواب للمؤمنين
ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل اية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت في عمر رضي الله عنه حين شتمه
غفاري فهم ان يبطش به وقيل حين قال ابن ابي ما قال وذلك انهم في غزوة بني المصطلق نزلوا على
بير يقال لها المريسيع فارسل ابن ابي غلامه يستقي فابطا عليه فلما اتاه قال له ما حبسك قال غلام
عمر رضي الله تعالى عنه قعد على طرف البير فما ترك احدا يستقي حتى ملا قرب النبي ﷺ وقرب ابي
بكر رضي الله تعالى عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه اليه فانزلها الله تعالى ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
تعليل للامر بالمغفرة بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم اي امروا بذلك ليجزي قوما
يوم القيمة قوما ايما قوم قوما مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الاعمال الحسنة التي من جملتها الصبر
على اذية الكفار والاغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم
هذا وقد جوز ان يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة
الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه ان مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للامر بالمغفرة لتحققه على تقدير المغفرة
وعدمها فلا بد من تخصيصه في الكل بان لا يتحقق بعض منه في الدنيا او بما يصدر عنه بالذات
وفي ذلك من التكلف ما لا يخفى وارادة الكل القبيلين وهو اكثر تكلفا واشد تمحلا وقرئ ليجزى قوم
وليجزى قوما اي ليجزى الجزاء قوما وقرئ لنجزي بنون العظمة من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها
لا يكاد يسري عمل الى غيره عمله ثم الى ربكم مالك اموركم ترجعون فيجازيكم على اعمالكم خيرا كان او شرا
ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب اي التوراة والحكم اي الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين او
فصل الخصومات بين الناس اذ كان الملك فيهم والنبوة حيث كثر فيهم الانبياء ما لم يكثر في غيرهم
ورزقناهم من الطيبات مما احل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين حيث
اتيناهم ما لم نوت من عداهم من فلق البحر واظلال الغمام ونظايرهما وقيل على عالمي زمانهم واتيناهم بينات
من الامر دلايل ظاهرة في امر الدين او معجزات قاهرة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو العلم بمبعث
النبي ﷺ وما بين لهم من امره وانه يهاجر من تهامة الى يثرب ويكون انصاره اهل يثرب فما اختلفوا في ذلك
الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقته وحقيقته فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجبا لرسوخه بغيا
بينهم اي عداوة وحسدا لا شكا فيه ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه
يختلفون من امر الدين ثم جعلناك على شريعة اي سنة وطريقة عظيمة الشان من الامر اي من امر الدين
فاتبعها باجراء احكامها في نفسك وغيرك من غير اخلال بشيء منها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون
اي اراء الجهلة واعتقاداتهم الزايغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له ﷺ ارجع الى
دين ابائك انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا مما اراد بك ان اتبعتهم وان الظالمين بعضهم اولياء
بعض لا توالهم ولا تتبع اهواءهم الا من كان ظالما مثلهم والله ولي المتقين الذين انت قدوتهم فدم
على ما انت عليه من توليه خاصة والاعراض عما سواه بالكلية هذا اي القران اي اتباع الشريعة بصائر
للناس فان ما فيه من معالم الدين وشعاير الشرايع بمنزلة البصاير في القلوب وهدى من ورطة
الضلال ورحمة عظيمة لقوم يوقنون شانهم الايقان بالامور ام حسب الذين اجترحوا السيئات
استيناف مسوق لبيان تباين حالي المسيئين والمحسنين اثر بيان حالي الظالمين والمتقين وام منقطعة وما
فيها من معنى بل للانتقال الى البيان الاول الى الثاني والهمزة لانكار الحسبان لكن لا بطريق انكار
الوقوع ونفيه كما في قوله ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين
كالفجار بل بطريق انكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب ان نجعلهم اي
نصيرهم في الحكم والاعتبار وهم فيما هم فيه من محاسن الاعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة
ورفع الدرجة وقوله تعالى سواء محياهم ومماتهم اي محيا الفريقين جميعا ومماتهم حال من الضمير
في الظرف والموصول معا لاشتماله على ان السواء بمعنى المستوي ومحياهم ومماتهم كلا لا يستوون

في شيء منها فان هؤلاء في عز الايمان والطاعة وشرفهما في المحيا وفي لعنة الله والعذاب الخالد في
الممات شتان بينهما وقد قيل المراد انكار ان يستووا في الممات كما استووا في الحياة لان المسيئين والمحسنين
مستو محياهم في الرزق والصحة وانما يفترقون في الممات وقرئ محياهم ومماتهم بالنصب على انهما ظرفان
كمقدم الحاج وسواء حال على حاله اي كونهما لهم مستوين في محياهم ومماتهم وقد ذكر في الاية الكريمة
وجوه اخر من الاعراب الذي يليق بجزالة التنزيل هو الاول والتدبر وقرئ سواء بالرفع على انه خبر ومحياهم
مبتدا فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وايا ما كان فنسبة حسبان التساوي اليهم في ضمن الانكار والتشديد
والتوبيخ فان انكار حسبان التساوي والتوبيخ عليه انكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على ابلغ وجه
واكده ساء ما يحكمون اي ساء حكمهم هذا او بئس شيئا حكموا ذلك وخلق الله السموات والارض بالحق استيناف
مقرر لما سبق من الحكم فان خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضي للعدل يستدعي لا محالة تفضيل المحسن على المسيء في
المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم واذا لم يطرد ذلك في المحيا فهو بعد الممات حتما ولتجزى كل نفس
بما كسبت عطف على بالحق لان فيه معنى التعليل او معناه خلقها مقرونة بالحكم والصواب دون العبث والباطل
فحاصله خلقها خلقا لاجل ذلك ولتجزى الى اخره او على علة محذوفة مثل ليدل بها على قدرته او ليعدل ولتجزى
وهم اي النفوس المدلول عليها بكل نفس لا يظلمون بنقص ثواب او بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلما مع انه ليس كذلك
كما عرف من قاعدة اهل السنة لبيان تنزهه غاية ساحة لطفه تعالى فيما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره
عنه تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكان عبده اي انظر فرايته
فان ذلك مما يقضي منه التعجب وقرئ الهة هواه لان احدهم يستحسن حجرا فيعبده فاذا راى احسن منه
رفضه اليه فكانه اتخذ الهة شتى واضله الله وخذله على علم اي عالما بضلاله وتبدل لفطرة الله تعالى التي
فطر الناس عليها وختم على سمعه وقلبه بحيث لا يتاثر بالمواعظ ولا يتفكر بالايات وجعل على بصره غشاوة
مانعة على الاستبصار وقرئ بفتح العين وضمها فمن يهديه من بعد الله اي من بعد اضلاله تعالى اياه بموجب
تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي افلا تذكرون الا تلاحظون فلا تذكرون وقرئ تتذكرون على الاصل وقالوا
بيان لاحكام ضلالهم المحكي اي قالوا من غاية غيهم وضلالهم ما هي اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت
ونحيى اي يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون وما قبلها وما بعدها ونحيى بعد ذلك
او نموت بانفسنا ونحيى ببقاء اولادنا او يموت بعضنا ويحيى بعضنا وقد جوز ان يريدوا به التناسخ فانه عقيدة اكثر
عبدة الاوثان وقرئ نحيا وما يهلكنا الا الدهر الا مرور الزمان وهو في الاصل مدة بقاء العالم من دهره
اي غلبه وقرئ الا دهر يمر وكانوا يزعمون ان المؤثر في هلاك الانفس هو مرور الايام والليالي وينكرون
ملك الموت وقبضه للارواح بامر الله تعالى ويضيفون الحوادث الى الدهر والزمان ومنه قوله ﷺ
لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر فان الله هو الاتي بالحوادث لا الدهر وما لهم بذلك اي بما ذكر من اقتصار
الحياة على ما في الدنيا واسناد الحياة والموت الى الدهر من علم مستند الى عقل او نقل ان هم الا يظنون ما هم الا قوم
قصارى امرهم الظن والتقليد من غير ان يكون لهم شيء يصح ان يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في انفسهم
واذا تتلى عليهم اياتنا الناطقة بالحق الذي من جملته البعث بينات واضحات الدلالة على ما نطقت به او مبينا
له ما كان حجتهم بالنصب على انه خبر كان اي ما كان متمسكا لهم شيء من الاشياء الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم
صادقين في انا نبعث بعد الموت اي الا هذا القول الباطل الذي يستحيل ان يكون من قبيل الحجة وتسميته حجة مع انه ليس
لسوقهم مساق الحجة على سبيل التهكم بهم او لانه من قبيل تحية بينهم ضرب وجيع وقرئ برفع حجتهم على انها
اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئا من الاشياء الا هذا القول الباطل قل الله يحييكم ابتداء ثم يميتكم عند انقضاء اجالكم
لا كما تزعمون من انكم تحيون وتموتون بحكم الدهر ثم يجمعكم بعد البعث منتهين الى يوم القيمة للجزاء لا ريب فيه
اي في جمعكم فان من قدر على البدء قدر على الاعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالايات
دال على وقوعها حتما والاتيان بابائهم حيث كان مزاحما للحكمة التشريعية امتنع ايقاعه ولكن اكثر الناس لا
يعلمون استدلالا لذلك من قوله تعالى لا ريب فيه وهو امام بتمام الكلام او معه وسوق منجر تعالى
عنهما الحق تنبيها على ارتيابهم لجهلهم وقصورهم في النظر والتفكر لا لان فيه شائبة ريب ولله ملك السموات
والارض بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل اثر بيان تصرفه تعالى
في الناس بالاحياء والاماتة والبعث والجمع للمجازاة ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون العامل في
يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى كل امة من الامم المجموعة جاثية باركة على الركب مستوفزة وقرئ جاذية
جالسة على اطراف الاصابع والجذو اشد استيفازا من الجثو وعن ابن عباس جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثوة
وهي الجماعة كل امة تدعى الى كتابها الى صحيفة اعمالها وقرئ كل بالنصب على انه بدل من الاولى وتدعى صفة او
حال او مفعول ثان اليوم تجزون ما كنتم تعملون اي يقال لهم ذلك وقوله تعالى هذا كتابنا الى اخره من تمام ما يقال

حينئذ وحيث كان كتاب كل امة مكتوبا بامر الله تعالى اضيف الى نون العظمة تفخيما لشانه وتهويلا لامره
فهذا مبتدا وكتابنا خبره وقوله تعالى ينطق عليكم اى يشهد عليكم بالحق من غير زيادة ولا نقص خبر اخر
وحال بالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى انا كنا نستنسخ الى اخره تعليل لنطقه عليهم باعمالهم
من غير اخلال بشيء منها اى انا كنا فيما قبل نستكتب الملئكة ما كنتم تعملون فى الدنيا من الاعمال حسنة
كانت او سيئة وقوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته اى فى جنته تفصيل لما
يفعل بالامم بعد بيان ما لحقوا به من الكلام المنطوى على الوعد والوعيد ذلك الذى ذكر من الادخال
فى رحمته تعالى هو الفوز المبين الظاهر كونه فوزا لا فوز وراءه واما الذين كفروا افلم تكن اياتى تتلى عليكم اى
فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع الم تكن تأتيكم رسلى فلم تكن اياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة
القرينة عليه فاستكبرتم عن الايمان بها وكنتم قوما مجرمين اى قوما عادتهم الاجرام واذا قيل ان وعد الله حق
اى ما وعده من الامور الاتية او وعده بذلك حق اى واقع لا محالة او مطابق للواقع والساعة التى هى اشهر
ما وعده لا ريب فيها اى فى وقوعها وقرئ والساعة بالنصب عطفا على اسم ان وقراءة الرفع للعطف على محل
ان واسمها قلتم لغاية عتوكم ما ندرى ما الساعة اى اى شيء هى استغرابا لها ان نظن الا ظنا اى ما نفعل الا الظن
وقد مر تحقيقه فى قوله تعالى ان اتبع الا ما يوحى الى وقيل ما نعتقده الا ظنا لا علما وقيل ما نحن الا نظن ظنا
وقيل ما نظن الا ظنا ضعيفا ويؤيده قوله تعالى وما نحن بمستيقنين اى لامكانه فان مقابل الاستيقان مطلق
الظن لا الضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ما هى الا حياتنا الدنيا وبدا لهم اى ظهر لهم حينئذ سيئات
ما عملوا على ما هى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها او جزاءها فان جزاء السيئة سيئة
وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن من الجزاء والعقاب وقيل اليوم ننساكم نترككم فى العذاب ترك ما ينسى كما نسيتم
فى الدنيا لقاء يومكم هذا اى كما تركتم عدته ولم تبالوا به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى ظرفه وما لكم من
ناصرين اى ما لاحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها ذلكم العذاب بانكم بسبب انكم اتخذتم ايات الله هزوا اى مهزوا بها ولم
ترفعوا بها راسا وغرتكم الحياة الدنيا فحسبتم ان لا حياة سواها فاليوم لا يخرجون منها اى من النار وقرئ يخرجون من
الخروج والالتفات الى الغيبة للايذان باسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة لهم او بنقلهم من مقام الخطاب الى غيابة
النار ولا هم يستعتبون اى يطلبوا منهم ان يعتبوا ربهم اى يرضوه لفوات اوانه فلله الحمد خاصة رب السموات
ورب الارض رب العالمين فلا يستحق الحمد احد سواه وتكرير الرب للتاكيد والايذان بان ربوبيته تعالى لكل منها
بطريق الاصالة وقرئ بالرفع الثلاثة على المدح باضمار هو وله الكبرياء فى السموات والارض لظهور اثارها واحكامها
فيهما واظهارهما فى موقع الاضمار لتفخيم شان الكبرياء وهو العزيز الذى لا يغلب الحكيم فى كل ما قضى وقدر فاحمدوه
وكبروه واطيعوه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم الكلام فيه كما الذى مر فى مطلع
السورة السابقة ما خلقنا السموات والارض بما فيهما من حيث الجزئية فيهما ومن حيث الاستقرار فيهما
وما بينهما من المخلوقات الا بالحق استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اى الا خلقا ملتبسا بالحق الذى تقتضيه الحكمة
التكوينية والتشريعية او من اعم الاحوال من فاعل خلقنا او من مفعوله اى ما خلقناها فى حال من الاحوال الا حال
ملابستنا بالحق او حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء افعاله
على حكم بالغة وانتهائها الى غايات جليلة ما لا يخفى واجل مسمى عطف على الحق بتقدير مضاف اى وبتقدير اجل مسمى
ينتهى اليه امور الكل وهو يوم القيمة يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار
وقيل هو اخر البقا المقدر لكل احد ويأباه قوله تعالى والذين كفروا عما انذروا معرضون فان ما انذروه يوم القيمة
وما فيه من الطامة التامة والاهوال العامة لا اخر اعمارهم ويقتضون كون ما مصدرية والجملة حالية اى ما
خلقنا الخلق الا بالحق وتقدير الاجل الذى يجازون عنده والحال انهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن
الاستعداد له قل توبيخا لهم وتبكيتا ارايتم اخبرونى وقرئ ارايتكم ما تدعون ما تعبدون من دون الله من
الاصنام ارونى تاكيد لارايتم ماذا خلقوا من الارض بيان للابهام فى ماذا ام لهم شرك اى شركة مع الله تعالى
فى السموات اى فى خلقها او فى ملكها وتدبيرها حتى يتوهم ان يكون لهم شائبة استحقاق للعبودية فان ما لا مدخل
له فى وجود شيء من الاشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وان كان من الاحياء العقلاء
فما ظنك بالجماد وقوله تعالى ائتونى بكتاب الى اخره تبكيت لهم بتعجيزهم عن الاتيان بسند نقلى اى ائتونى بكتاب
الهى كاين من قبل هذا الكتاب اى القران الناطق بالتوحيد وابطال الشرك دال على صحة دينكم او اثارة من علم او بقية

من

من علم بقيت عليكم من علوم الاولين شاهد باستحقاقهم للعبادة ان كنتم صادقين فى دعواكم فانها لا تكاد تصح
ما لم يقم عليها برهان عقلى او سلطان نقلى وحيث لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على خلافها ادلة العقل
والنقل تبين بطلانها وقرئ اثارة بكسر الهمزة اى مناظرة فانها تثير المعانى واثرة اى شيء اوثرتم به
وخصصتم من علم مطوى عن غيركم واثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء فالمكسورة فبمعنى الاثرة واما
المفتوحة فهى المرة من اثر الحديث اى رواه واما المضمومة فاسم ما يؤثر كالخطبة التى هى اسم ما يخطب به ومن
اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له انكار ونفى لان يكون احد يساوى المشركين فى الضلال وان
كان سبك التركيب لنفى الاضل منهم من غير تعرض لنفى التساوى كما مر غير مرة اى هم اضل من كل ضال حيث
تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير الى عبادة مصنوعهم العارى عن السمع والقدرة والاستجابة
الى يوم القيمة غاية لنفى الاستجابة وهم عن دعائهم الضمير الاول لمفعول يدعوا والثانى لفاعله والجمع فيهما باعتبار
معنى من كما ان الافراد فيما سبق باعتبار لفظها غافلين لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لاجرائهم اياها مجرى العقلاء
ووصفهم بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى ان تدعوهم لا
يسمعوا دعاءكم الاية واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين اى مكذبين بلسان الحال والمقال
على ما يروى انه تعالى يحيى الاصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد جوز ان يراد بهم كل ما يعبدون من دون الله من الملئكة
والجن والانس وغيرهم ويستشهد برجاع الضماير واسناد العداوة والكفر اليهم على التغليب ويراد بذلك
تبريهم عنه وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبادة وذلك قولهم والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم اياتنا
بينات واضحات او مبينات قال الذين كفروا للحق اى لاجله وفى شانه وهو عبارة عن الايات المتلوة ووضع
موضع ضميرها تنصيصا على حقيتها ووجوب الايمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا
عليهم بكمال الكفر والضلالة لما جاءهم اى فى اول ما جاءهم من غير تدبر وتامل هذا سحر مبين اى ظاهر كونه سحرا
ام يقولون افتراه اضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة الى حكاية ما هو اشنع منها وما فى ام من
الهمزة للانكار التوبيخى المتضمن للتعجب اى بل ايقولون افترى القران قل ان افتريته على الفرض فلا تملكون
لى من الله شيئا اذ لا ريب فى انه تعالى يعاجلنى حينئذ بالعقوبة فكيف اجترى على ان افترى عليه تعالى كذبا
فاعرض نفسى للعقوبة التى لا مناص عنها هو اعلم بما تفيضون فيه اى تندفعون فيه من القدح فى وحى
الله تعالى والطعن فى اياته وتسميته سحرا تارة وفرية اخرى كفى به شهيدا بينى وبينكم حيث يشهد لى بالصدق
والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء افاضتهم وقوله تعالى وهو الغفور الرحيم وعد بالغفران
والرحمة لمن تاب وامن واشعار بحلم الله تعالى عنهم مع عظم جرايمهم قل ما كنت بدعا من الرسل البدع بمعنى
البديع كما قال بمعنى الخليل [illegible] وقرئ بفتح الدال على انه صفة [illegible] مقدر بمضاف
اى ذا بدع وقد جوز ذلك فى القراءة الاولى ايضا على انه مصدر نعتوا به [illegible] عليه وسلم ايات
عجيبة وما يالونه من المغيبات عنادا ومكابرة فامر [illegible] بان يقول لهم ما كنت بدعا من الرسل قادرا
على ما لم يقدروا عليه حتى اتيكم بكل ما تقترحونه [illegible]
لهم وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم اى فى الدارين [illegible]
لنا من قضاياه وعن الحسن رحمه الله ما ادرى ما يصير اليه امرى وامركم فى الدنيا وعن ابن عباس رضى
الله عنهما [illegible] منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر وقيل يجوز ان يكون المنفى هى الدراية المفصلة [illegible]
[illegible]
وروى عن الكلبى ان اصحاب النبى [illegible]
ما يفعل بى ولا بكم [illegible]
وقد جوز ان تكون ما موصولة [illegible]
المنسحب اليه وتاكيده وقرئ ما يفعل [illegible] ان اتبع الا ما يوحى الى
المبنى للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الاخبار عما لم يوح اليه [illegible] والسلام من الغيوب وقيل
عن استعجال المسلمين ان يتخلصوا عن اذية المشركين والاول اوفق لقوله تعالى وما انا الا نذير مبين
[illegible] بالمعجزات الباهرة قل ارايتم ان كان اى ما يوحى الى من القران
من عند الله لا سحر ولا مفترى كما تزعمون وقوله تعالى وكفرتم به [illegible]
وسطت بين اجزاء الشرط [illegible]
[illegible]

خاله في نفسه بل باعتبار حاله المعطوف عليه عندهم فان كفرهم به امر محقق عندهم ايضا وانما ترددهم في ان ذلك
كفر بما عند الله تعالى ام لا وكذا الحال في قوله تعالى وشهد شاهد من بني اسرائيل وما بعده من الفعلين فان الكل
امور متحققة عندهم وانما ترددهم في انها شهادة وايمان بما عند الله تعالى واستكبار عنه اولا والمعنى اخبروني
ان كان ذلك في الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشان من بني اسرائيل الواقفين على شؤون الله
تعالى واسرار الوحي بما اوتوا من التوراة على مثله اي مثل القران من المعاني المنطوية في التوراة المطابقة لما في القران
من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فانها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وانه لفي زبر
الاولين وقوله تعالى وانه لفي صحف الاولين ان هذا لفي الصحف الاولى والمثلية لما ذكر قبل المثل صلة والفا
في قوله تعالى فامن للدلالة على انه سارع الى الايمان بالقران لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق وهو
عبد الله بن سلام لما سمع للدلالة على انه مسارع الى الايمان بالقران لما علم انه من جنس الوحي الناطق بالحق
بمقدم رسول الله صلعم الى المدينة اتاه فنظر الى وجهه الكريم فعلم انه ليس بوجه كذاب فتامل وتحقق
انه النبي المنتظر فقال له اني سائلك عن ثلث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط الساعة وما اول طعام
ياكله اهل الجنة والولد بما ينزع الى ابيه او امه فقال صلعم اما اول اشراط الساعة فنار تحشرهم
من المشرق الى المغرب واما اول طعام اهل الجنة فزيادة كبد حوت واما الولد فان سبق ماء الرجل نزعه
واذا سبق ماء المراة نزعته فقال اشهد انك رسول الله حقا حقا ثم قال يا رسول الله اليهود قوم بهت
ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم عني بهتوني عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبي صلعم عبد الله فيكم قالوا خيرنا
وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا واعلمنا وابن اعلمنا قال ارايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله من ذلك فخرج
اليهم عبد الله فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال
هذا ما كنت اخاف يا رسول الله واحذر قال سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه ما سمعت رسول الله صلعم
يقول لاحد يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزلت وشهد شاهد الاية وقيل
الشاهد موسى عليه السلام وشهادته ما في التوراة من بعثة النبي عليه الصلاة والسلام وبه قال الشعبي
وقال مسروق والله ما نزلت في عبد الله بن سلام فان ال حم نزلت بمكة وانما اسلم عبد الله بالمدينة فاجاب
الكلبي بان الاية مدنية وان كانت السورة مكية واستكبرتم عطف على وشهد شاهد وجواب الشرط محذوف
والمعنى اخبروني ان كان من عند الله تعالى وشهد شاهد على ذلك اعلم بني اسرائيل فامن به من غير تلعثم واستكبرتم
عن الايمان به بعد هذه المرتبة من اضل منكم بقرينة قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من اضل
ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الظالمين فان عدم الهداية مما ينبئ عن الضلال قطعا
ووصفهم بالظلم للاشعار بعلة الحكم فان تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم وقال الذين كفروا حكاية لبعض اخر من اقاويلهم الباطلة
في حق القران العظيم والمؤمنين به اي قال كفار مكة للذين امنوا اي لاجلهم لو كان اي ما جاء به صلعم من القران
والدين خيرا ما سبقونا اليه فان معالي الامور لا ينالها ايدي الاراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال
ورعاة قالوه زعما منهم ان الرياسة الدينية مما ينال باسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم وزعمهم انها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الاعراض عن زخارف
الدنيا الدنية والاقبال على الاخرة بالكلية وان من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فما له منها من خلاق
وقيل قاله بنو عامر وغطفان واسد واشجع لما اسلم جهينة ومزينة واسلم وغفار وقيل قالت اليهود حين اسلم
عبد الله بن سلام واصحابه ويأباه ان السورة مكية لا بد حينئذ من ان يلتجأ الى ادعاء ان الاية نزلت بالمدينة
واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده اي واذ لم يهتدوا بالقران قالوا ما
قالوا فسيقولون غير مكتفين بنفي خيريته هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل المحذوف ظهر
عنادهم وليس بذاك ومن قبله اي من قبل القران وهو خبر لقوله تعالى كتاب موسى قيل والجملة حالية
او مستانفة وايا ما كان فهو رد لقولهم هذا افك قديم وابطال له فان كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر
لحقيته قطعا اماما ورحمة حالان من كتاب موسى اي اماما يقتدى به في دين الله تعالى وشرائعه كما
يقتدى بالامام ورحمة من الله تعالى لمن امن به وعمل بموجبه وهذا اي الذي يقولون في حقه ما يقولون
كتاب عظيم الشان مصدق اي لكتاب موسى الذي هو امام ورحمة ولما بين يديه من جميع الكتب
الالهية وقد قرئ كذلك لسانا عربيا حال من ضمير كتاب في مصدق او من نفسه لتخصصه بالصفة وعاملها
معنى الاشارة وعلى الاول مصدق وقيل مفعول لمصدق اي يصدق ذا لسان عربي لينذر الذين ظلموا
متعلق بمصدقا وفيه ضمير الكتاب او الله او الرسول صلعم ويؤيد الاخير القراءة بتاء الخطاب وبشرى
للمحسنين في حيز النصب عطفا على محل لينذر وقيل في محل الرفع على انه خبر مبتدأ مضمر اي هي وقيل
انه عطف على مصدق ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا اي جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة

العلم والاستقامة في امور الدين التي هي منتهى العمل وثم للدلالة على التراخي رتبة العمل وتوقف الاعتداد به
على التوحيد فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط
والمراد بيان دوام نفي الحزن كما توهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مرارا اولئك الموصوفون بما ذكر من الوصفين
الجليلين اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب وقوله تعالى جزاء منصوب بعامل مقدر اي يجزون
جزاء او بمعنى ما تقدم فان قوله تعالى اولئك اصحاب الجنة في معنى جازيناهم بما كانوا يعملون من الحسنات العلمية
والعملية ووصينا الانسان بان يحسن بوالديه حسنا وقرئ احسانا اي بان يفعل بهما حسنا اي فعلا ذا حسن
او كانه في ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرئ بضم السين ايضا وبفتحهما اي بان يفعل بهما فعلا حسنا او وصينا
ايصاء حسنا حملته امه كرها ووضعته كرها اي ذات كره او حملا ذا كره وهو المشقة وقرئ بالفتح وهما لغتان
كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر وحمله وفصاله اي مدة حمله وفصاله وهو الفطام
وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد به الرضاع التام المنتهى به كما اراد به
بالامد المدة من قال ● كل حي مستكمل مدة العمر ● مود اذا انتهى امده ● ثلاثون شهرا تمضي عليها بمعاناة
المشاق ومقاساة الشدائد لاجله وهذا دليل على ان اقل مدة الحمل ستة اشهر لما انه اذا حط منه للفصال
حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة تبقى للحمل ذلك وقيل ولعل تعيين اقل مدة الحمل
واكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما حتى اذا بلغ اشده اي اكتهل
واستحكم قوته وعقله وبلغ اربعين سنة قيل لم يبعث نبي قبل اربعين وقرئ حتى اذا استوى وبلغ اشده قال
رب اوزعني اي الهمني واصله اولعني من اوزعته بكذا ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي اي نعمة الدين
او ما يعمها وغيرها وان اعمل صالحا ترضاه التنكير للتفخيم والتكثير واصلح لي في ذريتي اي اجعل الصلاح ساريا
في ذريتي راسخا فيهم كما في قوله ● يجرح في عراقيبها نصلي ● قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما دعا ابو بكر رضي الله تعالى
عنه فاعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئا من الخير الا اعانه الله تعالى عليه ودعا
ايضا فقال واصلح لي في ذريتي فاجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد الا امنوا جميعا فاجتمع له اسلام ابويه
واولاده جميعا فادرك ابوه ابو قحافة رسول الله صلعم وابنه عبد الرحمن بن ابي بكر وابن عبد الرحمن ابو عتيق
كلهم ادركوا النبي صلعم ولم يكن ذلك لاحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين اني تبت اليك عما لا ترضاه
او عما يشغلني عن ذكرك واني من المسلمين الذين اخلصوا لك انفسهم اولئك اشارة الى الانسان والجمع لان المراد
الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته اي
اولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا من الطاعات فان المباح
حسن لا يثاب عليه ويتجاوز عن سيئاتهم وقرئ الفعلان بالياء على اسنادهما الى الله تعالى وعلى بنائهما
للمفعول ورفع احسن على انه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور في اصحاب الجنة اي كائنين في عدادهم منتظمين
في سلكهم وعد الصدق مصدر مؤكد لما ان قوله تعالى يتقبل ويتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز
الذي كانوا يوعدون على السنة الرسل والذي قال لوالديه عند دعوتهما له الى الايمان اف لكما هو صوت يصدر
عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما في هيت لك وقرئ اف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات
الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك اخبر عنه بالجمع كما سيأتي قيل
هو في الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وما
روي من انها نزلت في عبد الرحمن ابن ابي بكر رضي الله تعالى عنهما قبل اسلامه مما يرده ما سياتي من قوله تعالى
اولئك الذين حق عليهم القول الاية فانه كان من افاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة
رضي الله تعالى عنها من قال ذلك اتعدانني ان اخرج ابعث من القبر بعد الموت وقرئ اخرج من الخروج وقد
خلت القرون من قبلي ولم يبعث منهم احد وهما يستغيثان الله اي يقولان الغياث بالله منك انكارا لقوله ويلقنانه الايمان
ويلك اي قائلين له ويلك وهو في الاصل دعاء عليه بالثبور اريد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك
امن ان وعد الله حق اي البعث اضافه الى الله تعالى تحقيقا للحق وتنبيها على خطاه في اسناد الوعد
اليهما وقرئ ان وعد الله اي بان وعد الله حق فيقول مكذبا لهما ما هذا اي الذي تسميانه وعد الله
الا اساطير الاولين اباطيلهم التي سطروها في الكتب من غير ان يكون لها حقيقة اولئك القائلون هذه
المقالات الباطلة الذين حق عليهم القول وهو قوله تعالى لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين كما ينبئ عنه قوله تعالى في امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس وقد مر تفصيله في سورة الم
السجدة انهم جميعا كانوا خاسرين قد ضيعوا فطرتهم الاصلية الجارية مجرى رؤوس اموالهم باتباع الشيطان
والجملة تعليل للحكم بطريق الاستيناف التحقيقي ولكل من الفريقين المذكورين درجات مما عملوا مراتب من جزاء
ما عملوا من الخير والشر والدرجات غالبة في مراتب المثوبة وايرادها بطريق التغليب وليوفيهم اعمالهم

اى اجوبة اعمالهم وقرئ بنون العظمة وهم لا يظلمون بنقص ثواب الاولين وزيادة عقاب الاخرين وزيادة
والجملة حال موكدة للتوفية وليتناف مقدر لها والله متعلقة بمحذوف موخر كانه قيل وليوفيهم اعمالهم ولا نظلمهم
حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الاجزية على مقادير اعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات ويوم
يعرض الذين كفروا على النار اى يعذبون بها من قولهم عرض الاسارى على السيف اى قتلوا وقيل تعرض النار عليهم
بطريق القلب مبالغة اذهبتم طيباتكم اى يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرئ اذهبتم بهمزتين وبالف
بينهما على الاستفهام التوبيخي اى اصبتم واخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا واللذائذ ما في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم في الدنيا تستكبرون في الارض
بغير الحق بغير استحقاق لذلك وبما كنتم تفسقون اى تخرجون عن طاعة الله عز وجل اى بسبب استكباركم
وفسقكم المستمرين وقرئ تفسقون بكسر السين واذكر اخا عاد اى هودا عليه السلام اذ انذر
قومه بدل اشتمال منه اى وقت انذاره اياهم بالاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه اعوجاج من احقوقف
الشيء اذا اعوج وكانت عاد اصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بارض يقال لها الشحر من بلاد
اليمن وقيل بين عمان ومهرة وقد خلت النذر اى الرسل جمع نذير بمعنى المنذر من بين يديه اى من قبله
ومن خلفه اى من بعده والجملة اعتراض مقرر لما قبله موكد لوجوب العمل بموجب الانذار وسط بين انذار
قومه وبين قوله الا تعبدوا الا الله مسارعة الى ما ذكر من التقرير والتاكيد وايذانا باشتراكهم في العبادة المحكية
والمعنى واذكر لقومك انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد انذر من تقدمه من الرسل
ومن تاخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم واما جعلها حالا من فاعل انذر على انه عليه السلام انذرهم وقال
لهم لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقد اعلمهم ان الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون
بعده كلهم منذرون نحو انذاره ففيه ما فيه من تكلف تقريب الاعلام مريد في نسبة الخلو الى من بعده
من الرسل من تنزيل الاتي منزلة الخالي قالوا اجئتنا لتافكنا اى لتصرفنا عن الهتنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا
من العذاب العظيم ان كنت من الصادقين في وعدك بنزوله بنا قال انما العلم اى بوقت نزوله او العلم بجميع
الاشياء التي من جملتها ذلك عند الله وحده لا علم لي بوقت نزوله ولا مدخل لي في اتيانه وحلوله وانما
علمه عند الله تعالى فياتيكم به في وقته المقدر له وابلغكم ما ارسلت به من مواجب الرسالة التي من جملتها
بيان نزول العذاب ان لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله وقرئ ابلغكم من الابلاغ ولكني
اريكم قوما تجهلون حيث تقترحون على ما ليس من وظايف الرسل من الاتيان بالعذاب قبل نزوله وقته والفا
في قوله تعالى فلما راوه فصيحة والضمير اما مبهم يوضحه قوله تعالى عارضا اما تمييزا او حالا او راجع الى ما
استعجلوه بقوله فاتنا بما تعدنا اى فاتاهم فلما راوه سحابا يعرض في افق السماء مستقبل اوديتهم اى متوجها
فيه والاضافة لفظية كما في قوله تعالى قالوا هذا عارض ممطرنا ولذلك وقعا نعتين وصفين للنكرة بل هو اى
قال هود وقد قرئ كذلك وقرئ قل هو رد عليهم اى ليس الامر كذلك بل هو ما استعجلتم به من العذاب
ريح بدل من ما او خبر لمبتدا محذوف فيها عذاب اليم صفة ريح وكذا قوله تعالى تدمر اى تهلك كل شيء
من نفوسهم واموالهم باحداثها وقرئ تدمر كل شيء من دمر دمارا اذا هلك والعائد الى الموصوف اى هو
لها في ربها ويجوز ان يكون استئناف وارد البيان ان لكل ممكن فنا مقتضية منوطا بامر ربه وتكون الهاء
لكل شيء وكونه بمعنى الاشياء وفي ذكر الامر والرب والاضافة الى الريح من الدلالة على عظمة شانه عز وجل
ما لا يخفى والفا في قوله تعالى فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم فصيحة اى فجاءتهم الريح فدمرتهم فاصبحوا بحيث
لا يرى الا مساكنهم وقرئ ترى بالتاء ونصب مساكنهم كذلك اى مثل ذلك الجزاء الفظيع نجزي القوم المجرمين
وقد تفصيل القصة في سورة الاعراف وقد روي ان الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في
الجو حتى ترى كانها جرادة قيل اول من ابصر العذاب امراة منهم قالت رايت ريحا فيها كشهب النار وروي
انهم اول ما عرفوا به انه عذاب ما راوا ما كان في الصحراء من رجالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء
والارض فدخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم فامال الله تعالى الاحقاف
فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام لهم انين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم في البحر وروي
ان هودا عليه السلام ومن معه في حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها
لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة ولقد مكناهم اى قررنا عادا او اقدرناهم
وما في قوله تعالى فيما ان مكناكم فيه موصولة او موصوفة وان نافية اى في الذي او في شيء ما مكناكم فيه
من السعة والبسطة وطول الاعمار وسائر مبادي التصرفات كما في قوله تعالى وكم اهلكنا من قبلهم من
قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم ومما يحسن موقع ان هنا التفصي عن تكرر لفظة ما وهو الداعي الى قلب
الفها في مهما وجعلها شرطية او زائدة مما لا يليق بالمقام وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليستعملوها

فيما

هو له ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلون بها على شؤون منعمها عز وجل ويداوموا
على شكره فما اغنى عنهم سمعهم حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل ولا ابصارهم حيث لم يجتلوا
بها الايات التكوينية المنصوبة في صحايف العالم ولا افئدتهم حيث لم يستعملوها في معرفة الله تعالى من شيء
اى شيئا من الاغناء ومن مزيدة للتاكيد اذ كانوا يجحدون بايات الله متعلق بما اغنى وهو ظرف جرى مجرى
التعليل من حيث ان الحكم مرتب على ما اضيف اليه فان قولك اكرمته اذ اكرمني في قوة اكرمته لاكرامه لانك
انما اكرمته وقت اكرامه فانما اكرمته لوجود اكرامه فيه وكذا الحال في حيث وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون
من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين ولقد
اهلكنا ما حولكم يا اهل مكة من القرى كحجر ثمود وقرى قوم لوط وصرفنا الايات كررناها لعلهم يرجعون
لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة القربان
ما يتقرب به الى الله تعالى واحد مفعولي اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثاني الهة وقربانا حال والتقدير
فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم الهة حال كونها متقربا الى الله تعالى حيث كانوا يقولون
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قربانا مفعولا
ثانيا والهة بدلا منه لفساد المعنى فان البدل وان كان هو المقصود لكنه لا بد في غير بدل الغلط من صحة
المعنى بدونه ولا ريب في ان قولنا اتخذوهم من دون الله قربانا اى متقربا به مما لا صحة له قطعا لانه
تعالى متقرب اليه لا متقرب به فلا يصح انهم اتخذوهم قربانا متجاوزين الله تعالى في ذلك وقرئ قربانا
بضم الراء بل ضلوا عنهم اى غابوا عنهم وفيه تهكم اخر بهم كان عدم نصرهم لغيبتهم او ضاعوا عنهم بالكلية
وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغايب عن المنصور وذلك اى ضياع الهتهم عنهم وامتناع نصرتهم
افكهم اى اثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها الهة ونتيجة شركهم وقرئ ما افكهم وكلاهما مصدر
كالحذر والحذر وقرئ افكهم على صيغة الماضي فذلك اشارة حينئذ الى الاتخاذ اى وذلك الاتخاذ
الذي هو ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرئ افكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الافعال اى
جعلهم آفكين وقرئ آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافا الى ضميرهم اى قولهم الافك اى ذو الافك
كما يقال قول كاذب وما كانوا يفترون عطف على افكهم اى واثر افترائهم على الله تعالى او اثر الذي كانوا يفترون
على الله تعالى وقرئ وذلك افك مما كانوا يفترون اى بعض ما كانوا يفترون من الافك واذ صرفنا
اليك نفرا من الجن اى املناهم اليك واقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد للتكثير لانهم جماعة وهو ما بين
فجمع الضمير في قوله تعالى يستمعون القرآن وما بعده وهو حال مقدرة من نفرا لتخصصه بالصفة او
صفة اخرى له اى واذكر لقومك وقت صرفنا اليك نفرا كائنين من الجن مقدرا استماعهم القرآن فلما حضروه
اى القرآن عند تلاوته او الرسول عليه السلام قالوا اى قال بعضهم لبعض انصتوا اى اسكتوا لنسمعه
فلما قضي اتم وفرغ عن تلاوته وقرئ على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام
ولوا الى قومهم منذرين مقدرين انذارهم عند رجوعهم اليهم روي ان الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض
سبعة نفر او تسعة نفر من اشراف جن نصيبين او نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى
وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي او في صلاة الفجر فاستمعوا القراءة وذلك
عند منصرفه من الطائف وعن سعيد بن جبير ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو
في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فانبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل امره الله
تعالى ان ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فمن
يتبعني قالها ثلاثا فاطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال فانطلقنا حتى اذا كنا
باعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطا فقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا
شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته ثم
انقطعوا تقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت شيئا قلت نعم رجالا سودا مستثفري
ثياب بيض فقال اولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر الفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك
قالوا اى عند رجوعهم الى قومهم يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى قيل قالوه لانهم كانوا على اليهودية
وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى عليه السلام مصدقا لما بين يديه من التوراة
يهدي الى الحق من العقائد الصحيحة والى طريق مستقيم موصل اليه وهو الشرائع والاعمال الصالحة
يا قومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به اراد به ما سمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة الى الله تعالى
بعدما وصفوه بالهداية الى الحق والطريق المستقيم لتلازمهما دعوهم الى ذلك بعد بيان حقيته

واستقامته ترغيبا لهم في الاجابة ثم اكده بقوله يغفر لكم من ذنوبكم اى بعض ذنوبكم وهو ما كان في خالص
حق الله تعالى فان حقوق العباد لا تغفر بالايمان ويجركم من عذاب اليم معد للكفرة فاختلف في ان لهم اجرا
غير هذا اولا والاظهر انهم في حكم بني آدم ثوابا وعقابا وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض
ايجاب للاجابة بزيادة التقرير وتربية المهابة وادخال الروعة وتقييد الاعجاز بكونه في الارض
لتوسيع الدائرة اى فليس بمعجز له تعالى بالهرب وان هرب كل مهرب من اقطارها او دخل في اعماقها وقوله تعالى
وليس له من دونه اولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الاحاد الى الاحاد
كما في قوله تعالى اولئك بذلك الاعتبار اى اولئك الموصوفون بعدم اجابة داعي الله في ضلال مبين اى
ظاهر كونه ضلالا بحيث لا يخفى على احد حيث اعرضوا عن اجابة من هذا شانه اولم يروا الهمزة للانكار والواو
للعطف على مقدر يستدعيه المقام والروية قلبية اى الم يتفكروا ولم يعلموا علما جازما كالمشاهدة والعيان
ان الله الذي خلق السموات والارض ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه ولم يعي بخلقهن اى لم يتعب
ولم ينصب بذلك اصلا او لم يعجز عنه يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وقوله تعالى بقادر في حيز
الرفع لانه خبر ان كما ينبئ عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها في القراءة الاولى اشتمال النفي الوارد
في صدر الاية على ان وما في حيزها كانه قيل اوليس الله بقادر على ان يحيي الموتى ولذلك اجيب عنه بقوله
تعالى بلى انه على كل شيء قدير تقريرا للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود ويوم يعرض الذين
كفروا على النار ظرف عامله قول مضمر مقوله أليس هذا بالحق على ان الاشارة الى ما يشاهدونه حينئذ
من حيث هو من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه اذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه
وقد مر في سورة الاحقاف وقيل هي الى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده
وقولهم وما نحن بمعذبين قالوا بلى وربنا اكدوا جوابهم بالقسم كانهم يطمعون في الخلاص باعترافهم ه
بحقيتها في الدنيا وانى لهم ذلك قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بها في الدنيا ومعنى الامر الاهانة
بهم والتوبيخ لهم والفاء في قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل جواب شرط محذوف اى اذا كان
عاقبة امر الكفرة ما ذكر فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر اولوا الثبات والحزم من الرسل فانك
من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين وقيل للتبعيض والمراد باولوا العزم اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا
في تاسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى
وعيسى وقيل هم الصابرون على بلاء الله تعالى كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه ه
وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب
والسجن وايوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته
اربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين ولا تستعجل لهم اى لكفار
مكة بالعذاب فانه على شرف النزول بهم كانهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا في الدنيا الا
ساعة يسيرة من نهار لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى بلاغ خبر مبتدأ محذوف
اى هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة او تبليغ من الرسول ويؤيده انه قرئ بلغ وقرئ بلاغا اى بلغوا
بلاغا فهل يهلك الا القوم الفاسقون اى الخارجون عن الاتعاظ به او عن الطاعة وقرئ بفتح الياء وكسر
اللام وبفتحها من هلك وهلك بنون العظمة من الاهلاك ونصب القوم وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بكل رملة في الدنيا والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اى اعرضوا عن الاسلام
وسلوك طريقه من صد صدودا او منعوا الناس عن ذلك من صده صدا كالمطعمين يوم بدر وقيل هم
اثنا عشر رجلا من اهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الاسلام ويامرونهم بالكفر وقيل
اهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من اراد منهم ومن غيرهم ان يدخل في الاسلام وقيل هو عام في جميع من
كفر وصد اضل اعمالهم اى ابطلها وجعلها ضائعة لا اثر لها اصلا لكن لا بمعنى انه حكم ببطلانها ه
وضياعها فان ما كانوا يعملونه من اعمال البر كصلة الارحام وقرى الاضياف وفك الاسارى وغيرها
من المكارم ليس لها اثر من اصلها لعدم مقارنتها للايمان او ابطل ما عملوه من الكيد لرسول الله
صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بنصر رسوله واظهار دينه على الدين كله وهو الاوفق لما سياتي من قوله
تعالى فتعسا لهم واضل اعمالهم وقوله تعالى فاذا لقيتم الى آخره والذين آمنوا وعملوا الصالحات قيل ناس من

قريش

قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب وقيل تمام وآمنوا بما نزل على محمد خص بالذكر
الايمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويها بشانه وتنبيها على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الايمان
به وانه الاصل في الكل ولذلك اكد بقوله وهو الحق من ربهم بطريق حصر الحقيقة وقيل حقيقته بكونه ناسخا
غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الاول مقابل الباطل وايا ما كان فقوله تعالى من ربهم
حال من ضمير الحق وقيل نزل على البناء للفاعل وانزل على البنائين ونزل بالتخفيف كفر عنهم سيئاتهم اى سترها بالايمان
والعمل الصالح واصلح بالهم اى حالهم في الدين والدنيا بالتاييد والتوفيق ذلك اشارة الى ما مر من اضلال
الاعمال وتكفير السيئات واصلاح البال وهو مبتدأ خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا
اتبعوا الحق من ربهم اى ذلك كائن بسبب ان الاولين اتبعوا الشيطان كما قال مجاهد ففعلوا ما فعلوا من الكفر
والصد فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والاصلاح بعد الاشعار بسببية الايمان والعمل الصالح له
لتضمن بيان سببيتهما له لكونه مبتدأ ومنشأ لهما حتما فلا تدافع بين الاشعار والتصريح في شيء من الموضعين
ويجوز ان يحمل الباطل على ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذي لا اصل له اصلا فالتصريح بسببية اتباعه
لاضلال اعمالهم وابطالها لبيان ان ابطالها لبطلان مبناها وزواله واما حمله على ما لا ينتفع به فليس كما
ينبغي لما ان الكفر والصد اخس منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر بطريق القصر بعد الاشعار بسببيتهما
له فتدبر ويجوز ان يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الايمان والاعمال الصالحة فيكون
التنصيص على سببيتها لما ذكر من الاضلال ومن التكفير والاصلاح تصريحا بالسببية المشعر بها في الموقعين
كذلك اى مثل ذلك الضرب البديع يضرب الله اى يبين للناس امثالهم اى احوال الفريقين واوصافهما
الجارية في الغرابة مجرى الامثال وهي اتباع الاولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين
الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء في قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا لترتيب ما في حيزها من الامر على ما قبلها
فان ضلال اعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح احوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب ان يرتب على كل من الجانبين
ما يليق به من الاحكام اى فاذا كان الامر كما ذكر فاذا لقيتموهم في المحاربة فضرب الرقاب فاصله
فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر وانيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار
وتاكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له باشنع صورة وتهويل لامره وارشاد للغزاة الى ايسر ما يكون
منه حتى اذا اثخنتموهم اى اكثرتم قتلهم واغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ او اثقلتموهم بالقتل
والجراح حتى اذهبتم عنهم النهوض فشدوا الوثاق فاسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا
الوثاق بالكسر وقد قرئ بذلك فاما منا بعد واما فداء اى فاما تمنون منا بعد ذلك او تفدون فداء
والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعي رضي الله تعالى عنه وعندنا ه
منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم اما القتل او الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء
انما هو الاسلام او ضرب العنق وقرئ فدى كعصا حتى تضع الحرب اوزارها اوزار الحرب آلاتها واثقالها
التي لا تقوم الا بها من السلاح والكراع اسند وضعها اليها وهو لاهلها اسنادا مجازيا وحتى غاية عند
الشافعي رحمه الله تعالى لاحد الامور الاربعة او للمجموع فالمعنى انهم لا يزالون على ذلك ابدا الى ان لا يكون
مع المشركين حرب بان لا تبقى لهم شوكة وقيل بان ينزل عيسى عليه السلام واما عند ابي حنيفة رحمه
الله تعالى فان حمل الحرب على حرب بدر فهي غاية للمن والفداء والمعنى انهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع
جنس الحرب اوزارها بان لا يبقى للمشركين شوكة وقيل اوزارها آثامها اى حتى يترك المشركون شركهم
ومعاصيهم بان اسلموا ذلك اى الامر ذلك او افعلوا ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ببعض اسباب الهلكة
والاستئصال ولكن لم يشأ ذلك ليبلو بعضكم ببعض فامركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب
العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على ايديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر والذين
قتلوا في سبيل الله اى استشهدوا وقرئ قاتلوا اى جاهدوا وقتلوا فلن يضل اعمالهم اى فلن يضيعها
وقرئ يضل اعمالهم على البناء للمفعول ويضل اعمالهم من ضل وعن قتادة انها ه
نزلت في يوم احد سيهديهم في الدنيا الى ارشد الامور وفي الآخرة الى الثواب او سيثبت هدايتهم ويصلح بالهم
ويدخلهم الجنة عرفها لهم في الدنيا بذكر اوصافها بحيث اشتاقوا اليها او بينها لهم بحيث يعلم كل احد
منزلته ويهتدي اليه كانه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل ان الملك الموكل بعمله في الدنيا يمشي بين يديه
فيعرفه كل شيء اعطاه الله تعالى او طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة او حددها لهم وافرزها من عرف
الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة اما مستانفة او حال باضمار قد او بدونه يا ايها الذين آمنوا
ان تنصروا الله ينصركم اى دينه ورسوله ينصركم على اعدائكم ويفتح لكم ويثبت اقدامكم في مواطن الحرب
ومواقفها او على محجة الاسلام والذين كفروا فتعسا لهم التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد ه

والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل ناعس وتعس وانتصابه بفعل الواجب حذفه سماعا اى فقال
تعسا لهم او فقضى تعسا وقوله تعالى واضل اعمالهم عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول ذلك
اى ماذكر من التعس واضلال الاعمال بانهم بسبب انهم كرهوا ما انزل الله من القرآن لما فيه من التوحيد
وسائر الاحكام المخالفة لما الفوه واشتهته انفسهم الامارة بالسوء فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي
لو كانوا عملوها مع الايمان لاثيبوا عليها افلم يسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
من الامم المكذبة فان آثار ديارهم تنبئ عن اخبارهم وقوله تعالى دمر الله عليهم استئناف مبني على سؤال
نشأ من الكلام كانه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله عليهم ما اختص بهم من انفسهم واهليهم
واموالهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك عليه ما يختص به وللكافرين اى ولهؤلاء الكافرين
السائرين بسيرتهم امثالها امثال عواقبهم او عقوباتهم لكن لا على ان لهؤلاء امثال ما لاولئك واضعافه
بل مثله وانما جمع باعتبار مماثلة العواقب متعدد حسب تعدد الامم المعذبة وقيل يجوز ان يكون عذابهم اشد
من عذاب الاولين وقد قتلوا واسروا بايدي من كانوا يستحقرونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل اشد الما
من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كانه قيل دمر
الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة امثالها ذلك اشارة الى ثبوت امثالها عقوبة الامم السالفة لهؤلاء بان الله
مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله
تعالى ثم ردوا الى الله موليهم الحق فان المولى هناك بمعنى المالك ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الاخروية والذين كفروا يتمتعون اى ينتفعون
في الدنيا بمتاعها ويأكلون كما تأكل الانعام غافلين عن عواقبهم والنار مثوى لهم اى منزل ومقام والجملة
اما حال مقدرة من واو يأكلون او استئناف وكأين كلمة مركبة من الكاف واى بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع
بالابتداء وقوله تعالى من قرية تمييز لها وقوله تعالى هي اشد قوة من قريتك صفة لقرية كما ان قوله تعالى التي
اخرجتك صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف واجري احكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله
تعالى اهلكناهم اى وكم من اهل قرية هم اشد قوة من اهل قريتك الذين كانوا سببا لخروجك من بينهم ووصف القرية
الاولى بشدة القوة للايذان باولوية الثانية بينهما بالاهلاك لضعف قوتها كما ان وصف الثانية باخراجه عليه
الصلاة والسلام للايذان باولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة ● لعمري لكليب كان اكثر ناصرا ●
وايسر جرما منك ضرج بالدم ● وقوله تعالى فلا ناصر لهم بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الاعوان
والانصار اثر بيان عدم خلاصهم منه بانفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية
حال ماضية افمن كان على بينة من ربه تقرير لتباين حالي فريقي المؤمنين والكافرين وكون الاولين في اعلى عليين والآخرين
في اسفل سافلين وبيان لعلة ما لكل منهما من الحال والهمزة للانكار والفاء للعطف على ما قدر يقتضيه المقام وقد
قرئ بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بادلة الدين وجعلها عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم او عنه وعن المؤمنين
لا يساعده النظم الكريم على ان الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير
اليس الامر كما ذكر فمن كان مستقرا على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك امره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر
المعجزات والحجج العقلية كمن زين له سوء عمله من الشرك وسائر المعاصي مع كونه في نفسه اقبح القبائح واتبعوا بسبب
ذلك التزيين اهواءهم الزائغة وانهمكوا في فنون الضلالات من غير ان يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلا
عن حجة تدل عليها وجمع الضميرين للآخرين باعتبار معنى من كما ان افراد الاولين باعتبار لفظها مثل الجنة التي
وعد المتقون استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفا للمؤمنين وبيان كيفية انهارها التي اشير
الى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين ايذانا بان الايمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل
الواجبات باسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره
النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى فيها انهار الى آخره مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والاول
هو الانسب بصدر النظم الكريم وقيل المثل زائد كزيادة الاسم في قول من قال ● الى الحول ثم اسم السلام عليكما ●
والجنة مبتدأ خبره فيها انهار الى آخره من ماء غير آسن اى متغير الطعم والرائحة وقرئ غير أسن وانهار من
لبن لم يتغير طعمه بان صار قارصا ولا حازرا كالبان الدنيا وانهار من خمر لذة للشاربين لذيذة ليس فيها كراهة
طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار وانما هي لذيذة تلذذ محض ولذة اما تأنيث لذ بمعنى لذيذ او مصدر نعت
به مبالغة وقرئ لذة بالرفع على انها صفة انهار وبالنصب على العلة اى لاجل لذة الشاربين وانهار من عسل
مصفى لم يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفي هذا التمثيل لما يجري مجرى الاشربة في الجنة بانواع ما
يستطاب منها ويستلذ في الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها ودوامها ولهم فيها
مع ما ذكر من فنون الانهار من كل الثمرات اى صنف من كل الثمرات ومغفرة اى ولهم مغفرة عظيمة لا يقادر

قدرها

قدرها وقوله تعالى من ربهم متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة لما افاده التنكير من الفخامة الذاتية
والفخامة الاضافية اى كائنة من ربهم وقوله تعالى كمن هو خالد في النار خبر لمبتدأ محذوف تقديره امن هو خالد
في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد في النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل
الجنة على ان في الكلام حذفا تقديره امثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد في النار فعري عن حرف الانكار وحذف ما
حذف تصويرا لمكابرة من يسوي بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل
من الصفات الجليلة وبين النار وسقوا ماء حميما مكان تلك الاشربة فقطع امعاءهم من فرط الحرارة قيل اذا دنا
منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤوسهم فاذا شربوه قطع امعاءهم ومنهم من يستمع اليك هم المنافقون
وافراد الضمير باعتبار لفظة من كما ان الجمع فيما سياتي باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسمعون
كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاونا منهم حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم من الصحابة
رضي الله تعالى عنهم ماذا قال آنفا اى ما الذي قال الساعة على طريق الاستهزاء وان كانوا بصورة الاستعلام
وآنفا من قولهم انف الشيء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشيء وائتنف وهو ظرف بمعنى
وقتا مؤتنفا او حال من الضمير في قال اولئك الموصوفون بما ذكر الذين طبع الله على قلوبهم لعدم توجهها
نحو الخير اصلا واتبعوا اهواءهم الباطلة ولذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه والذين اهتدوا الى طريق الحق زادهم
اى الله تعالى هدى بالتوفيق والالهام وآتاهم تقواهم اعانهم على تقواهم او اعطاهم جزاءها او بين لهم ما يتقون فهل
ينظرون الا الساعة اى القيامة وقوله تعالى ان تأتيهم بغتة اى تباغتهم بغتة وهي المفاجأة بدل اشتمال من الساعة
والمعنى انهم لا يتذكرون بذكر احوال الامم الخالية ولا بالاخبار باتيان الساعة وما فيها من عظائم الاحوال
وما ينتظرون للتذكر الا اتيان الساعة نفسها بغتة وقرئ بغتة بفتح الغين وقوله تعالى فقد جاء اشراطها
تعليل لمفاجأتها لا لاتيانها مطلقا على انه طريق من الامور الموجبة للتذكر اى من مترقب ينتظرون سوى اتيانها
نفس الساعة اذ قد جاء اشراطها فلم يرفعوا لها رأسا ولم يعدوها من مبادي اتيانها فيكون اتيانها بطريق
المفاجأة لا محالة والاشراط جمع شرط بالتحريك وهي العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر
ونحوهما وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر الى اتيانها ببيان
استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وانى له الذكرى اى وكيف لهم ذكراهم اذا جاءتهم
على ان انى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ واذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزا الى غاية سرعة مجيئها واطلاق المجيء عن قيد البغتة لما ان مدار
استحالة نفع التذكر مع كونه عند مجيئها مطلقا لا مقيدا بقيد البغتة وقرئ ان تأتهم على انه شرط مستأنف
جزاؤه فانى لهم الخ والمعنى ان تأتهم الساعة بغتة لانه قد ظهر اماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم
اذا جاءتهم فاعلم انه لا اله الا الله اى اذا علمت ان مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو
الاشراك والعصيان فاثبت على ما انت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه واستغفر لذنبك وهو الذي
ربما يصدر عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الاولى وللمؤمنين والمؤمنات
تنبيه على التقائهم متعلقة حيث ... في حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه اشعار بعراقتهم في الذنب
وفرط افتقارهم الى الاستغفار والله يعلم متقلبكم في الدنيا فانها مراحل لا بد من قطعها ومثواكم في
العقبى فانها دار اقامتكم فلا يأمركم الا بما هو خير لكم فيهما فبادروا الى الامتثال بما امركم به فانه المهم لكم
في المقامين وقيل يعلم جميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ويقول الذين آمنوا اشتياقا منهم الى الوحي لولا نزلت
سورة اى هلا نزلت سورة في امر الجهاد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال بطريق الامر به
اى سورة مبينة لا تشابه ولا احتمال فيها بوجه آخر سوى وجوب القتال عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال
سورة محكمة لم تنسخ وقرئ فاذا انزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب
القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض اى ضعف في الدين وقيل نفاق وهو الاظهر فيما قبل ينظرون اليك نظر
المغشي عليه من الموت اى تشخص ابصارهم جبنا وهلعا كدأب من اصابته غشية الموت فاولى لهم
لهم وهو افعل من الولي وهو القرب وقيل معناه الدعاء عليهم بان يليهم المكروه او يؤول اليه امرهم وقيل هو مشتق
من الويل واصله اويل فقلبت العين الى ما بعد اللام طاعة وقول معروف كلام مستأنف اى امرهم
طاعة الى آخره او طاعة وقول معروف خير لهم او حكاية لقولهم ويؤيده قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف
فاذا عزم الامر اى جد وهو على الاسناد المجازي فلو صدقوا الله فيما قالوا من الكلام المنبئ عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه لكان اى
الصدق خيرا لهم وفيه دلالة على اشتقاق الاول ... فهل عسيتم

صدقوه في الايمان وواطات قلوبهم في ذلك السنتهم وايا ما كان فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض وهم المخاطبون
في قوله تعالى فهل عسيتم الى اخره بطريق الالتفات لتاكيد التوبيخ وتشديد التقريع اي هل يتوقع منكم
ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا
على الدنيا فان من شاهد احوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين امرتم بالجهاد الذي هو
عبارة عن احراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وانتم مامورون شانكم الطاعة والقول المعروف
يتوقع منكم اذا اطلقت اعنتكم وصرتم امرين ما ذكر من الافساد وقطع الارحام وقيل ان اعرضتم عن الاسلام
ان ترجعوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الافساد في الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام
بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وفيه ان الواقع في حيز الشرط في مثل هذا المقام لا بد ان يكون
محذورا باعتبار ما يستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب في ان الاعراض عن الاسلام راس كل شر
وفساد فحقه ان يجعل عمدة في التوبيخ لا وسيلة لما دونه من المفاسد وقرئ وليتم على البناء للمفعول اي جعلتم ولاة
وقرئ جور خرجتم معهم وساعدتموهم في الافساد وقطيعة الرحم وقرئ وتقطعوا من القطع والخلق [illegible] لغة
اهل الحجاز واما بنو تميم فيقولون عسى ان تفعل وعسى ان تفعلوا اولئك اشارة الى المخاطبين بطريق الالتفات
ايذانا بان ذكر هناتهم اوجب اسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية احوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدا خبره
الذين لعنهم الله اي ابعدهم من رحمته فاصمهم عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم واعمى ابصارهم لتعاميهم عما
يشاهدونه من الايات المنصوبة في الانفس والافاق افلا يتدبرون القران اي الا يلاحظونه ولا يتصفحونه
وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات ام على قلوب اقفالها فلا يكاد يصل
اليها ذكر اصلا وام منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر الى التوبيخ بكون
قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب اما للتهويل لحالها وتفظيع شانها
بابهام امرها في القساوة والجهالة كانه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها ولا يقادر قدرها في القسوة
واما لان المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون واضافة الاقفال اليها للدلالة على انها اقفال
مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الاقفال المعهودة وقرئ اقفلها واقفالها على المصدر
ان الذين ارتدوا على ادبارهم اي رجعوا الى ما كانوا عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف
بمرض القلوب وغيره من قبائح الافعال والاحوال فانهم قد كفروا به عليه السلام من بعد ما تبين لهم الهدى بالايات
الباهرات والمعجزات الظاهرة وقيل هم اليهود وقيل اهل الكتابين جميعا كفروا به عليه السلام بعد ما وجدوا نعته
عليه السلام في كتابهم وعرفوا انه المنعوت بذلك وقوله تعالى الشيطان سول لهم جملة من مبتدا وخبر وقعت
خبرا لان اي سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول لاستمرار القلب بمعنى
سول له امرا [illegible] ووقعه في امنيته فان السول الامنية وقرئ سول مبنيا للمفعول على حذف المضاف اي
كيد الشيطان واملى لهم ومد لهم في الامال والاماني وقيل امهلهم الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة
وقرئ املي لهم على صيغة التكلم فالمعنى ان الشيطان يغويهم وانا انظرهم فالواو للحال او للاستيناف وقرئ
املي لهم على البناء للمفعول اي امهلوا ومد في عمرهم ذلك اشارة الى ما ذكر من ارتدادهم لا الى الاملاء
ولا الى التسويل كما قيل لان شيئا منهما ليس مسببا عن القول الاتي وهو مبتدا خبره قوله تعالى بانهم اي بسبب
انهم قالوا يعني المنافقين المذكورين لا اليهود الكافرين بنعته عليه السلام في التوراة كما قيل فان كفرهم به ليس بسبب
هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان القول لهم والمنافقون والمشركين على راي القائل بل من حين
بعثته عليه السلام للذين كرهوا ما نزل الله اي لليهود الكارهين لنزول القران على رسول الله عليه السلام مع علمهم بانه من
عند الله تعالى حسدا وطمعا في نزوله عليهم لا للمشركين كما قيل فان قوله تعالى سنطيعكم في بعض الامر عبارة
قطعا عما حكي عنهم بقوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب
لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احدا ابدا وان قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا
يوالونهم ويوادونهم فارادوا بالبعض الذي اشاروا الى عدم طاعتهم فيه اظهار كفرهم واعلان امرهم
بالفعل قبل قتالهم واخراجهم من ديارهم فانهم كانوا يابون ذلك قبل المساس الحاجة الضرورية الداعية
اليه لما كان لهم في اظهار الايمان من المنافع الدنيوية وانما كانوا يقولون لهم ما يقولون سرا كما يعرب عنه
قوله تعالى والله يعلم اسرارهم اي اخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرئ اسرارهم اي جميع اسرارهم التي
من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للافشاء في الدنيا والتعذيب في الاخرة والفاء في
قوله تعالى فكيف اذا توفتهم الملائكة لترتيب ما بعدها على ما قبلها وكيف منصوب بفعل محذوف هو العامل
في الظرف كانه قيل يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيل فكيف يفعلون اذا توفتهم وقيل مرفوع على انه
خبر لمبتدا محذوف اي فكيف حالهم او حيلتهم اذا توفتهم الى اخره وقرئ توفاهم على انه اما ماض او مضارع

قد

قد حذف احدى تائيه يضربون وجوههم وادبارهم حال من فاعل توفاهم او مفعوله وهو تصوير لتوفيهم
على اهول الوجوه وافظعها وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا يتوفى احد على معصية الا تضرب الملائكة وجهه
ودبره ذلك التوفي الهائل بانهم اي بسبب انهم اتبعوا ما اسخط الله من الكفر والمعاصي وكرهوا رضوانه اي
ما يرضاه من الايمان والطاعات حيث كفروا بعد الايمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع
اليهود فاحبط لاجل ذلك اعمالهم التي عملوها حال ايمانهم من الطاعات او بعد ذلك من اعمال البر التي
لو عملوها حال الايمان لانتفعوا بها ام حسب الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون الذين فصلت احوالهم
الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار النعي عليهم بقوله تعالى ان لن يخرج الله اضغانهم ام منقطعة وان
مخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف ولن بما في حيزها خبرها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد
اي بل احسب الذين في قلوبهم مرض حقد وعداوة للمؤمنين ان لن يخرج الله احقادهم ولن يبرزها لرسوله
عليه السلام وللمؤمنين فتبقى امورهم مستورة والمعنى ان ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال ولو نشاء لاريناكهم
لعرفناكهم بدلائل تعرفهم باعيانهم معرفة متاخمة للرؤية والالتفات الى نون العظمة لابراز
العناية بالارادة فلعرفتهم بسيماهم بعلاماتهم التي نسمهم بها وعن انس رضي الله تعالى عنه ما خفي على
رسول الله عليه السلام بعد هذه الاية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها
تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة فاصبحوا وعلى وجه كل واحد منهم مكتوب هذا
منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتاكيد والفاء لترتيب المعرفة على الارادة واما ما في قوله تعالى
ولتعرفنهم في لحن القول فلجواب قسم محذوف ولحن القول نحوه واسلوبه او امالته الى جهة تعريض وتورية
وقيل منه للمخطئ لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب والله يعلم اعمالكم فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا
وعد للمؤمنين وايذان بان حالهم بخلاف حال المنافقين ولنبلونكم بالامر بالجهاد ونحوه من التكاليف
الشاقة حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاق الجهاد علما فعليا يتعلق به الجزاء ونبلو اخباركم
ما يخبر به عن اعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرئ ويبلو بالياء وقرئ ونبلو بسكون الواو على نحو نبلو ان
الذين كفروا وصدوا الناس عن سبيل الله وشاقوا الرسول وعادوه من بعد ما تبين لهم الهدى من بعد ما
شاهدوا نعته عليه السلام في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الايات وهم قريظة والنضير او المطعمون
يوم بدر لن يضروا الله شيئا بكفرهم وصدهم شيئا من الاشياء او شيئا من المضرة او لن يضروا رسول الله عليه السلام
بمشاقته شيئا وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع شانه وسيحبط اعمالهم اي مكايدهم التي نصبوها في ابطال
دينه تعالى ومشاقة رسوله عليه السلام فلا يصلون بها الى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا يتم لهم الا القتل والجلاء عن
اوطانهم يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم بما ابطل به هؤلاء اعمالهم من الكفر
والنفاق والعجب والرياء والمن والاذى ونحوها وليس فيه دليل على احباط الطاعة بالكبائر
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم حكم يعم كل من مات على الكفر وان صح نزوله
في اصحاب القليب فلا تهنوا وتدعوا الى السلم اي لا تضعفوا ولا تدعوا الكفار الى الصلح خورا فان ذلك اعطاء
الدنية ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان على جواب النهي وقرئ ولا تدعوا من ادعى القوم وتداعوا نحو ارتموا الصيد وتراموه
وانتم الاعلون اي الاغلبون والله معكم اي ناصركم فان كونهم الاغلبين وكونه تعالى ناصرهم من اقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة
ولن يتركم اعمالكم اي لن يضيعها من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد او اخ او حميم فافردته عنه من الوتر الذي هو الفرد فعبر عن ترك الاثابة
في مقابلة الاعمال بالوتر الذي هو اضاعة شيء معتد به من الانفس والاموال مع ان الاعمال غير موجبة للثواب على قاعدة
اهل السنة ابرازا لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق المستحق
انما الحياة الدنيا لعب ولهو لا ثبات لها ولا اعتداد بها وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم اي ثواب ايمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات
ولا يسالكم اموالكم بحيث يخل اداؤها بمعايشكم وانما يقتصر على نزر يسير هو ربع العشر تؤدونها الى فقرائكم
ان يسالكموها فيحفكم اي يجهدكم بطلب الكل فان الاحفاء والالحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال احفى شاربه اذا استاصله
تبخلوا فلا تعطوا ويخرج اضغانكم اي احقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة او للبخل
لانه سبب الاضغان وقرئ ويخرج بالياء والتاء مفتوحتين ورفع اضغانكم ها انتم هؤلاء اي انتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى
تدعون لتنفقوا في سبيل الله استيناف مقرر لذلك او صلة لهؤلاء على انه بمعنى الذين اي ها انتم الذين

تدعون فيه توبيخ عظيم وتحقير من شانهم والانفاق فى سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما فمنكم من
يبخل اى ناس يبخلون وهو فى حيز الدليل على الشرطية السابقة ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه فان كلا من نفع
الانفاق وضر البخل عائد اليه والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الامساك والتعدى والله الغنى
دون من عداه وانتم الفقراء فيما يأمركم به فهو لاحتياجكم اليه من المنافع فان امتثلتم فلكم وان
توليتم فعليكم وقوله تعالى وان تتولوا عطف على ان تؤمنوا اى وان تعرضوا عن الايمان والتقوى يستبدل
قوما غيركم يخلق مكانكم قوما اخرين ثم لا يكونوا امثالكم فى التولى عن الايمان والتقوى بل يكونوا راغبين
فيهما قيل هم الانصار وقيل الملائكة وقيل اهل فارس لما روى انه عم سئل عن القوم وكان سلمان الى جنبه
فقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة
والنخع وقيل العجم وقيل الروم عن النبى عم من قرا سورة محمد كان حقا على الله عز وجل ان يسقيه من
انهار الجنة والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة او صلحا بحرب
او بدونه فانه ما لم يظفر به منغلق ماخوذ من فتح باب الدار واسناده الى نون العظمة لاسناد افعال
العباد اليه تعالى خلقا وايجادا والمراد به فتح مكة وهو المروى عن انس بشرى به رسول الله عم عند
انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن سائر الاخبار الربانية لتحققه لا محالة
تاكيدا للتبشير كما ان تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظم شان المخبر
جل جلاله وعز سلطانه ما لا يخفى وقيل هو ما اتيح له صلى الله عليه وسلم فى تلك السنة من فتح خيبر
وهو المروى عن مجاهد وقيل هو فتح حديبية فانه وان لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين القوم
بسهام وحجارة ولكن لما كان الظهور للمسلمين حين سألهم المشركون الصلح كان فتحا مبينا وعن
ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رموا المشركين حتى ادخلوهم ديارهم وعن الكلبى ظهروا عليهم حتى
سألوا الصلح وقد روى انه عم حين بلغه ان رجلا قال ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد
هدينا قال بل هو اعظم الفتوح وقد رضى المشركون ان يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا
اليكم فى الامان وقد راوا منكم ما يكرهونه وعن الشعبى نزلت بالحديبية واصاب رسول الله عم
فى تلك الغزوة ما لم يصب فى غزوة حيث اصاب ان بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تاخر وبلغ الهدى محله واطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان فى فتح
الحديبية اية عظيمة هى انه عم نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله عم ثم مجه فيها
فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى لم يبق فيها امتلات ولم ينفد
ماؤها بعد وقيل هو جميع ما فتح له عم من الفتوح وقيل ما فتح له عم من الاسلام والنبوة والدعوة
بالحجة والسيف ولا فتح اعظم منه واتم وهو راس الفتوح كافة اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا
وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا
لك اهل مكة ان تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة رضى الله تعالى عنه وايا ما كان فحذف المفعول
للقصد الى نفس الفعل والايذان بان مناط التبشير هو نفس الفعل الصادر عنه سبحانه وتعالى
لا خصوصية المفتوح فتحا مبينا بينا ظاهر الامر مكشوف الحال او فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى
ليغفر لك الله غاية للفتح من حيث انه مترتب على سعيه عم فى اعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة شان الحروب
واقتحام موارد الخطوب والالتفات الى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للاشعار بان كل واحد
مما انتظم فى سلك الغاية من افعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الاخر مترتبة على صفة
من صفاته تعالى ما تقدم من ذنبك وما تاخر اى جميع ما فرط منك من ترك الاولى وتسميته ذنبا
بالنظر الى منصبه الجليل ويتم نعمته عليك باعلاء الدين وضم الملك الى النبوة وغيرهما مما افاضه
عليه من النعم الدينية والدنيوية ويهديك صراطا مستقيما فى تبليغ الرسالة واقامة مراسم
الرياسة واصل الاستقامة وان كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق
واستقامة مناهجه ما لم يكن حاصلا قبل وينصرك الله اظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات
ولاظهار كمال العناية بشان النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى نصرا عزيزا اى نصرا فيه عزة
ومنعة او قويا منيعا على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازا للمبالغة او عزيزا صاحبه وهو الله

الذي انزل السكينة بيان لما افاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمانينة اى انزلها فى قلوب
المؤمنين بسبب الصلح والامن اظهارا لفضله تعالى عليهم بتيسير الامن بعد الخوف ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
اى يقينا منضما الى يقينهم او انزل فيها السكون الى ما جاء به عم من التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج
والجهاد فازدادوا ايمانا مع ايمانهم او انزل فيها الوقار والعظمة لله ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا
مع ايمانهم الاية ولله جنود السموات والارض يدبر امرها كيف ما يريد يسلط بعضها على بعض تارة
ويوقع بينها السلم اخرى حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم والمصالح وكان الله عليما مبالغا فى العلم بجميع
الامور حكيما فى تقديره وتدبيره وقوله تعالى ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها متعلق بما يدل عليه ما ذكر من كون جنود السموات والارض له تعالى من معنى التصرف
والتدبير اى دبر ما دبر من تسليط المؤمنين ليعرفوا نعمة الله تعالى فى ذلك ويشكروها فيدخلهم الجنة
ويكفر عنهم سيئاتهم اى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الادخال فى الذكر على التكفير مع ان الترتيب فى الوجود
على العكس للمسارعة الى بيان ما هو المطلب الاعلى وكان ذلك اى ما ذكر من الادخال والتكفير عند الله
فوزا عظيما لا يقادر قدره لانه منتهى ما يمتد اليه اعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزا
لانه صفة فى الاصل فلما قدم عليه صار حالا اى كائنا عند الله اى فى علمه وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله
ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات عطف على يدخل وفى تقديم المنافقين على المشركين
ما لا يخفى من الدلالة على انهم احق منهم بالعذاب الظانين بالله ظن السوء اى ظن الامر السوء وهو ان لا ينصر
رسوله والمؤمنين عليهم دائرة السوء اى ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم
وقرئ دائرة السوء بالضم وهما لغتان من ساء كالكره خلا ان المفتوح غلب فى ان يضاف اليه ما يراد منه من كل
شيء واما المضموم فجار مجرى الشر وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم عطف لما استحقوه فى الاخرة على ما
استوجبوه فى الدنيا والواو فى الاخيرين مع ان حقهما الفاء المفيدة لسببية ما قبلها لما بعدها للايذان باستقلال
كل منهما فى الوعيد واصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض وساءت مصيرا اى جهنم ولله جنود السموات
والارض وكان الله عزيزا حكيما اعاده لما سبق قالوا فايلتها تنبيه على ان لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب
وان المراد ههنا جنود العذاب كما ينبئ عنه التعرض لوصف العزة انا ارسلناك شاهدا اى على امتك
لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا ومبشرا على الطاعة ونذيرا على المعصية لتؤمنوا بالله ورسوله
الخطاب للنبى عم ولامته وتعزروه وتقووه بتقوية دينه ورسوله وتوقروه وتعظموه وتسبحوه
وتنزهوه او تصلوا له من التسبيح بكرة واصيلا غدوة وعشيا عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما صلاة
الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقرئ بفتح التاء وضم الزاى وكسرها وتعززوه بزايين وتوقروه
من اوقره بمعنى وقره ان الذين يبايعونك اى على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى انما يبايعون الله
خبر ان يعنى ان مبايعتك هى مبايعة الله عز وجل لان المقصود توثيق العهد بمراعات نواهيه واوامره
وقوله تعالى يد الله فوق ايديهم حال او استيناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى ان عقد الميثاق مع
الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله وقرئ انما
يبايعون لله اى لاجله فمن نكث فانما ينكث على نفسه اى فمن نقض عهده فانما يعود ضرر نكثه على نفسه
وقرئ بكسر الكاف ومن اوفى بما عاهد عليه الله بضم الهاء فانه ابقى بعد حذف الواو وتوسلا بذلك الى
تفخيم لام الجلالة وقرئ بكسرها اى ومن اوفى بعهده فسيؤتيه بنون العظمة اجرا عظيما سيقول لك
المخلفون من الاعراب هم اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع واسلم والديل تخلفوا عن رسول الله
عم حين استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادى ليخرجوا معه عند ارادته المسير الى مكة
عام الحديبية معتمرا حذرا من قريش ان يتعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت واحرم عم وساق معه
الهدى ليعلم انه لا يريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا لن نذهب الى قوم قد غزوه فى عقر داره
بالمدينة وقتلوا اصحابه فيقاتلهم فاوحى الله تعالى اليه عم بانهم سيتقولون ويقولون شغلتنا اموالنا
واهلونا ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع شغلتنا بالتشديد للتكثير
فاستغفر لنا الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك عن اختيار بل عن اضطرار يقولون
بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم بدل من سيقول او استيناف لتكذيبهم فى الاعتذار والاستغفار قل ردا لهم عند
عند اعتذارهم اليك بأباطيلهم فمن يملك لكم من الله شيئا اى فمن يقدر لاجلكم من مشية الله
تعالى وقضائه على شيء من النفع ان اراد بكم ضرا اى ما يضركم من هلاك الاهل والمال وضياعهما
حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرئ ضرا بالضم او اراد بكم نفعا اى ومن يقدر
على شيء من الضر ان اراد بكم ما ينفعكم بحفظ اموالكم واهليكم واى حاجة الى التخلف لاجل القيام

بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم المحاذية وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على
تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة بيده. وقوله تعالى بل كان الله بما تعملون
خبيرا فانه اضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير كون صدقه اي ليس الامر كما تقولون
بل كان الله خبيرا بجميع ما تعملون من الاعمال التي من جملتها تخلفكم وما هو من مبادي. وقوله تعالى بل
ظننتم الى اخره بدل من كان الله الى اخره مفسر لما فيه من الابهام اي بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول
والمؤمنون الى اهليهم ابدا بان يستاصلهم المشركون بالمرة فخشيتم ان كنتم معهم ان يصيبكم ما اصابهم فلاجل
ذلك تخلفتم لا لما ذكر من المعاذير الباطلة والاهلون جمع اهل وقد يجمع على اهلات كارضات على تقدير
التانيث واما الاهالي فاسم جمع كالليالي وقرئ الى اهلهم وزين ذلك في قلوبكم وقبلتموه فاشتغلتم بشان
انفسكم غير مبالين بهم وقرئ زين على البناء للفاعل باسناده الى الله تعالى او الى الشيطان وظننتم
ظن السوء المراد به اما الظن الاول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء واما ما يعمه وغيره
من الظنون الفاسدة التي من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه السلام فان الجازم بصحتها لا يحوم حول
فكره ما ذكر من الاستيصال وكنتم قوما بورا اي هالكين عند الله تعالى مستوجبين لسخطه وعقابه
على انه جمع بائر كعائذ وعوذ او فاسدين في انفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم وقيل البور من بار
كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومن لم يؤمن بالله
ورسوله كلام مبتدا من جهته تعالى غير داخل في كلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته اي ومن لم
يؤمن بهما كهؤلاء المخلفين فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اي لهم وانما وضع موضع الضمير الكافرين
ايذانا بان من لم يجمع بين الايمان بالله ورسوله فهو كافر وانه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيرا
للتهويل او لانها نار مخصوصة ولله ملك السموات والارض وما فيهما يتصرف في الكل كيف يشاء
يغفر لمن يشاء ان يغفر له ويعذب من يشاء ان يعذبه من غير دخل لاحد في شيء منهما وجودا وعدما
وفيه حسم لاطماعهم الفارغة في استغفاره عليه السلام لهم وكان الله غفورا رحيما مبالغا في المغفرة والرحمة
لمن يشاء ولكن لا تقتضي الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله واما من عداه من الكافرين فهم بمعزل
من ذلك قطعا سيقول المخلفون اي المذكورون اولا وقوله تعالى اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها ظرف
لما قبله لا شرط لما بعده اي سيقولون عند انطلاقكم الى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم اياها
وخصكم بها عوضا مما فاتكم من غنائم مكة ذرونا نتبعكم الى خيبر ونشهد معكم قتال اهلها يريدون ان
يبدلوا كلام الله بان يشاركوا في الغنائم التي خصها باهل الحديبية وانه عليه السلام رجع من الحديبية في ذي
الحجة من سنة ست واقام بالمدينة بقيتها واوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها
وغنم اموالا كثيرة فخصها بهم حسبما امره الله عز وجل وقرئ كلم الله وهو جمع كلمة واياما كان فالمراد ما
ذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لاهل الحديبية لا قوله تعالى لن تخرجوا معي ابدا فان ذلك في غزوة تبوك قل
اقناطا لهم لن تتبعونا نفي في معنى النهي للمبالغة كذلكم قال الله من قبل اي عند الانصراف من الحديبية
للمؤمنين عند سماع هذا النهي بل تحسدوننا اي ليس ذلك النهي حكم الله بل تحسدوننا ان نشارككم
في الغنائم وقرئ تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اي الا فهما قليلا وهو
فطنتهم لامور الدنيا ولقولهم الباطل ووصف لهم بما هو اعظم من الحسد واطم من الجهل المفرط وسوء
الفهم في امور الدين قل للمخلفين من الاعراب كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة في ذمهم ستدعون الى قوم
اولي باس شديد تقاتلونهم هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب او غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول
الله عليه السلام والمشركون لقوله تعالى تقاتلونهم او يسلمون اي يكون احد الامرين اما المقاتلة ابدا او الاسلام
لا غير كما يفصح عنه قراءة او يسلموا واما من عداهم فينتهي قتالهم بالجزية كما ينتهي بالاسلام وفيه دليل
على امامة ابي بكر رضي الله تعالى عنه اذ لم يتفق هذه الدعوة لغيره الا اذا صح انهم ثقيف وهوازن
فان ذلك كان في عهد النبوة فيحقق دوام نفي الاتباع كما في غزوة خيبر كما قال محيي السنة وقيل هم فارس
والروم ومعنى يسلمون ينقادون فان الروم نصارى وفارس مجوس تقبل منهم الجزية فان تطيعوا
يؤتكم الله اجرا حسنا هو الغنيمة في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا عن الدعوة كما توليتم من قبل في الحديبية
يعذبكم عذابا اليما لتضاعف جرمكم ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي في
التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فان التكليف يدور على الاستطاعة وفي نفي
الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بامرهم وتوسيع لدائرة الرخصة ومن يطع الله
ورسوله فيما ذكر من الاوامر والنواهي يدخله جنات تجري من تحتها الانهار وقرئ ندخله بنون
العظمة ومن يتول اي عن الطاعة يعذبه عذابا اليما لا يقدر قدره وقرئ بالنون لقد رضي الله عن
المؤمنين وهم الذين ذكر شان مبايعتهم وبهذه الاية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى اذ يبايعونك تحت

الشجرة

الشجرة منصوب برضي وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به او بمحذوف هو حال من
مفعوله روي انه عليه السلام لما نزل الحديبية بعث جواس بن امية الخزاعي رسولا الى اهل مكة فهموا به فمنعه
الاحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان فاخبرهم انه عليه السلام لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما
لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت ان تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل ان يطوف رسول
الله عليه السلام واحتبس عندهم فارجف بانهم قتلوه فقال عليه السلام لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى
البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة وقيل سدرة على ان يقاتلوا قريشا ولا يفروا وروي على الموت
دونه وان لا يفروا فقال لهم رسول الله عليه السلام انتم اليوم خير اهل الارض وكانوا الفا وخمسمائة وعشرين وقيل
الفا واربعمائة وقيل الفا وثلثمائة وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم عطف على يبايعونك لما عرفت من
انه بمعنى بايعوك لا على رضي فان رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما في قلوبهم من الصدق والاخلاص عند
مبايعتهم له عليه السلام وقوله تعالى فانزل السكينة عليهم عطف على رضي اي فانزل عليهم الطمانينة والامن وسكون
النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح واثابهم فتحا قريبا هو فتح خيبر غب انصرافهم من الحديبية كما مر
تفصيله وقرئ واتاهم ومغانم كثيرة ياخذونها اي مغانم خيبر وفي الالتفات الى الخطاب لتشريفهم
في مقام الامتنان وكان الله عزيزا غالبا حكيما مراعيا لمقتضى الحكمة في احكامه وقضاياه وعدكم الله مغانم
كثيرة هي ما يفيئه على المؤمنين الى يوم القيامة تاخذونها في اوقاتها المقدرة لكل واحد منها فعجل لكم هذه
اي غنائم خيبر وكف ايدي الناس عنكم اي ايدي اهل خيبر وحلفائهم من بني اسد وغطفان حيث جاؤا
لنصرتهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل ايدي اهل مكة بالصلح ولتكون اية للمؤمنين
امارة يعرفون بها صدق الرسول عليه السلام في وعده اياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح
دخول المسجد الحرام واللام متعلقة اما بمحذوف مؤخر اي ولتكون اية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف
او بما تعلق به علة اخرى محذوفة من احد الفعلين اي فعجل لكم هذه وكف ايدي الناس لتغتنموها ولتكون
الى اخره فالواو على الاول اعتراضية وعلى الثاني عاطفة ويهديكم صراطا مستقيما هو الثقة
بفضل الله تعالى والتوكل عليه في كل ما تاتون وما تذرون واخرى عطف على هذه اي فعجل لكم هذه
المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها وهي مغانم هوازن في غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها
لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى قد احاط الله بها صفة اخرى لاخرى
مفيدة لسهولة تاتيها بالنسبة الى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر الى قدرتهم اي قد قدر الله عليها واستولى
واظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل اخرى منصوب بمضمر يفسره قد احاط الله بها اي
وقضى الله اخرى ولا ريب في ان الاخبار بقضاء الله تعالى اياها بعد اندراجها في جملة المغانم الموعودة بقوله
تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها ليس فيه مزيد فائدة وانما الفائدة في بيان تعجيلها وكان الله على كل
شيء قديرا لان قدرته تعالى ذاتية لا تختص بشيء دون شيء ولو قاتلكم الذين كفروا اي اهل مكة ولم يصالحوا وقيل حلفاء
خيبر لولوا الادبار لانهزموا ثم لا يجدون وليا يحرسهم ولا نصيرا ينصرهم سنة الله التي قد خلت من قبل اي سن الله
سنة انبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الامم ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا وهو الذي كف ايديهم اي ايدي
كفار مكة عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة اي في داخلها من بعد ان اظفركم عليهم وذلك ان عكرمة بن ابي جهل
خرج في خمسمائة الى الحديبية فبعث رسول الله عليه السلام خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى ادخلهم حيطان مكة
ثم عاد وقيل كان يوم الفتح واستشهد به ابو حنيفة على ان مكة فتحت عنوة لا صلحا وكان الله بما يعملون من مقاتلتهم
اولا طاعة لرسوله عليه السلام وكفهم ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرئ بالياء بصيرا فيجازيكم بذلك ويجازيهم
هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي بالنصب عطفا على الضمير المنصوب في صدوكم وقرئ بالجر عطفا
على المسجد بحذف المضاف اي ونحر الهدي وبالرفع على وصد الهدي وقوله تعالى معكوفا حال من الهدي اي محبوسا
وقوله تعالى ان يبلغ محله بدل اشتمال من الهدي اي منصوب بنزع الخافض اي محبوسا من ان يبلغ مكانه الذي
يحل نحره وبه استدل ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه ان المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروي
ان خيامه عليه السلام كانت في الحل ومصلاه في الحرم وهناك نحرت هداياه عليه السلام والمراد صدها عن محلها المعهود الذي
هو منى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم لم تعرفوهم باعيانهم لاختلاطهم وهو صفة
لرجال ونساء وقوله تعالى ان تطؤوهم ان توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم او من الضمير المنصوب في تعلموهم
فتصيبكم اي فتنالكم منهم معرة اي مشقة ومكروه كوجوب الدية والكفارة بقتلهم والتاسف عليهم وتعيير الكفار
وسوء قالتهم والاثم في التقصير بالبحث عنهم وهي مفعلة من عره اذا عراه ودهاه ما يكرهه بغير علم متعلق
بان تطؤوهم اي غير عالمين بهم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة ان تهلكوا اناسا مؤمنين
بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف ايديكم عنهم وقوله تعالى ليدخل الله في رحمته

متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه لكن كفها عنكم ليدخل بذلك الكف المؤدي الى الفتح بلا محذور في رحمته الواسعة بقسمها من يشاء وهم المؤمنون فانهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التي من جملتها الامن مستضعفين تحت ايدي الكفرة واما الرحمة الاخروية فهم وان كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين في اقامة مراسم العبادة كما ينبغي فتوفيقهم لاقامتها على الوجه الاتم ادخال لهم في الرحمة الاخروية وقد جوز ان يكون من يشاء عبارة عمن رغب في الاسلام من المشركين وياباه قوله تعالى لو تزيلوا في الرحمة الاخروية الى اخره فان فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه اقتضى تحقق المباينة بين الفريقين بالايمان والكفر قبل التزيل حتما اي لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرى لو تزايلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة مستانفة مقررة لما قبلها اذ جعل الذين كفروا منصوب باذكر على المفعولية او بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو احسن الله اليكم واياما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما في حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل اما بمعنى الالقاء فقوله تعالى في قلوبهم الحمية اي الانفة والتكبر متعلق به او بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له اي جعلوها ثابتة راسخة في قلوبهم حمية الجاهلية بدل من الحمية اي حمية الجاهلية او الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين على الاول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول عليه السلام والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثاني على ما تدل عليه الجملة الامتناعية كانه قيل لم يتزيلوا فلم يعذب فانزل الى اخره وعلى الثالث على المضمر تفسيرا له والسكينة الثبات والوقار روي ان رسول الله عليه السلام لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاحنف على ان يعرضوا على النبي عليه السلام ان يرجع من عامه ذلك على ان تخلي قريش مكة من عامه القابل ثلاثة ايام ففعلوا ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال لعلي رضي الله تعالى عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف هذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله عليه السلام اهل مكة فقالوا لو كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله اهل مكة فقال رسول الله عليه السلام اكتب ما يريدون فهم المؤمنون ان يابوا ذلك ويبطشوا بهم فانزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا والزمهم كلمة التقوى اي كلمة الشهادة او بسم الله الرحمن الرحيم او محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هي الوفاء بالعهد والثبات عليه واضافتها الى التقوى لانها سبب التقوى واساسها او كلمة اهلها وكانوا احق بها متصفين بمزيد استحقاق لها على ان صيغة التفضيل للزيادة مطلقا وقيل احق بها من الكفار واهلها اي المستاهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم حق كل شيء فيسوقه الى مستحقه لقد صدق الله رسوله الرؤيا لما رأى رسول الله عليه السلام قبل خروجه الى الحديبية كانه واصحابه قد دخلوا مكة امنين وقد حلقوا رؤوسهم وقصروا فقص الرؤيا على اصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا انهم داخلوها في عامهم فلما تاخر ذلك قال عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحارث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت اي صدقه عليه السلام في رؤياه كما في قولهم صدقني سن بكره وتحققه اراءة الرؤيا الصادقة وقوله تعالى بالحق اما صفة لمصدر مؤكد محذوف اي صدقا ملتبسا بالحق اي بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التي هي التمييز بين الراسخ في الايمان والمتزلزل فيه او حال من الرؤيا اي ملتبسة به ليست من قبيل اضغاث الاحلام وقد جوز ان يكون قسما بالحق الذي هو من اسماء الله تعالى او بنقيض الباطل وقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام جوابه وهو على الاولين جواب قسم محذوف اي والله لتدخلن الى اخره وقوله تعالى ان شاء الله تعليق للعدة بالمشية لتعليم العباد او للاشعار بان بعضهم لا يدخلون لموت او غيبة او غير ذلك او هو حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله عليه السلام او لما قاله عليه السلام لاصحابه امنين حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى محلقين رؤوسكم ومقصرين اي محلقا بعضكم ومقصرا اخرون وقيل محلقين حال من ضمير امنين فتكون متداخلة لا تخافون حال مؤكدة من فاعل لتدخلن او امنين او محلقين او مقصرين او استئناف اي لا تخافون بعد ذلك فعلم ما لم تعلموا عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلي المتعلق بامر حادث بعد المعطوف عليه اي فعلم عقيب ما اراه الرؤيا الصادقة ما لم تعلموا من الحكمة الداعية الى التقديم ما يشهد بالصدق علما فعليا فجعل لاجله من دون ذلك اي من دون مصداق ما اراه من دخول المسجد الحرام امنين الى اخره فتحا قريبا وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وانجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون اية للمؤمنين واما جعل ما في قوله تعالى ما لم تعلموا عبارة عن الحكمة في تاخير فتح مكة الى العام القابل كما جنح اليه الجمهور فياباه فان علمه تعالى بذلك متقدم على اراءة الرؤيا قطعا هو الذي ارسل رسوله بالهدى اي ملتبسا به او بسببه او لاجله ودين الحق وبدين الاسلام ليظهره على الدين كله ليعليه على جنس الدين

بجميع

بجميع افراده التي هي الاديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض الاحكام المتبدلة بتبدل الاعصار واظهار بطلان ما كان باطلا او بتسليط المسلمين على اهل سائر الاديان اذ ما من اهل دين الا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تاكيد لما وعد من الفتح وتوطين لقلوب المؤمنين على انه تعالى سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة وكفى بالله شهيدا على ان ما وعده كائن لا محالة او على نبوته عليه السلام باظهار المعجزات محمد خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى رسول الله بدل او بيان او نعت اي ذلك الرسول بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى والذين معه مبتدأ خبره اشداء على الكفار رحماء بينهم واشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى انهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم في الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقرئ اشداء رحماء بالنصب على المدح او على الحال من المستكن في معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى تراهم ركعا سجدا اي تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وعلى الاول خبر اخر او استئناف وقوله تعالى يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي ثوابا ورضا اما خبر اخر او حال من ضمير تراهم او من المستتر في ركعا سجدا او استئناف مبني على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كانه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم اي سمتهم وقرئ سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هي السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره في وجوههم اي في جباههم وقوله تعالى من اثر السجود حال من المستكن في الجار اي من التأثير الذي يؤثره كثرة السجود وما روي عن النبي عليه السلام من قوله لا تعلبوا صوركم اي لا تسموها انما هو فيما اذا اعتمد بجبهته على الارض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما اذا حدث في جبهة السجاد الذي لا يسجد الا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الامام زين العابدين وعلي بن عبد الله بن العباس رضي الله تعالى عنهما يقال لهما ذوا الثفنات لما احدثت كثرة سجودهما في مواقعه منهما اشباه ثفنات البعير قال قائلهم ● ديار علي والحسين وجعفر ● وحمزة والسجاد ذي الثفنات ● وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الارض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه السلام من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرئ من اثار السجود وكذا الهمزة ذلك اشارة الى ما ذكر من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو شانه وبعد منزلته في الفضل وهو مبتدأ وخبره وقوله تعالى مثلهم اي وصفهم العجيب الشان الجاري في الغرابة مجرى الامثال وقوله تعالى في التوراة حال من مثلهم والعامل معنى الاشارة وقوله تعالى ومثلهم في الانجيل عطف على مثلهم الاول كانه قيل ذلك مثلهم في التوراة والانجيل وتكرير مثلهم لتاكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى كزرع اخرج شطأه الى اخره تمثيل مستانف اي هم كزرع اخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على انه اشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم في الانجيل على ان الكلام متم عند قوله مثلهم في التوراة وقرئ شطاه بفتح التاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا فازره فقواه من الموازرة بمعنى المعاونة او من الايزار وهي الاعانة وقرئ فازره بالتخفيف وازره بالتشديد اي شد ازره وقواه فاستغلظ فصار غليظا بعد ما كان دقيقا فاستوى على سوقه فاستقام على قصبه جمع ساق وقرئ سؤقه بالهمز يعجب الزراع بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لاصحابه عليه السلام قلوا في بدء الاسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى امرهم يوما فيوما بحيث اعجب الناس وقيل مكتوب في الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما فان الكفار اذا سمعوا بما اعد للمؤمنين في الاخرة مع ما لهم في الدنيا من العزة غاظهم ذلك اشد غيظ ومنهم للبيان عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكانما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة ● ● ●

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على ان ما في حيزه امر خطير يستدعي مزيد اعتنائهم بشانه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالايمان لتنشيطهم والايذان بانه داع الى المحافظة عليه ووازع عن الاخلال به لا تقدموا اي لا تفعلوا التقديم على ان ترك المفعول للقصد الى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بامر من الامور على طريقة قولهم فلان يعطي ويمنع اي

يفعل الاعطاء والمنع ولا تقدموا امرا من الامور على ان حذف المفعول للقصد الى تعميمه والاول اوفى بحق المقام
لافادته النهي عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق
البرهاني وقد جوز ان يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرأ
لا تقدموا بحذف احدى التائين بين يدي الله ورسوله مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدي الانسان
تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا قبل ان يحكما به وقيل المراد بين يدي رسول الله ﷺ وذكر الله
تعالى لتعظيمه والايذان بجلالة محله عز وجل وقيل نزل فيما جرى بين ابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما لدى
النبي ﷺ في تأمير الاقرع بن حابس والقعقاع بن معبد واتقوا الله في كل ما تأتون وما تذرون من الاقوال
والافعال التي من جملتها ما نحن فيه ان الله سميع لاقوالكم عليم باحوالكم فمن حقه ان يتقى ويراقب
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي شروع في النهي عن التجاوز في كيفية القول
عند النبي ﷺ بعد النهي في نفس القول والفعل واعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة والايقاظ
والتنبيه والاشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه اي لا تبلغوا باصواتكم وراء
حد يبلغه ﷺ بصوته وقرئ لا ترفعوا باصواتكم على ان الباء زائدة ولا تجهروا له بالقول اذا كلمتموه كجهر
بعضكم لبعض اي جهرا كائنا كالجهر الجاري فيما بينكم بل اجعلوا اصواتكم اخفض من صوته ﷺ وتعهدوا في مخاطبته
اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهاب المعظم وحافظوا على مراعاة ابهة النبوة وجلالة
مقدارها وقيل معنى لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لا تقولوا له يا محمد يا احمد وخاطبوه بالنبوة
قال ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت هذه الاية قال ابو بكر يا رسول الله والله لا اكلمك الا السرار
او اخا السرار حتى القى الله. وعن عمر انه كان يكلم ﷺ كاخي السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان ابو بكر رضي الله
تعالى عنه اذا قدم على رسول الله ﷺ الوفود ارسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ولا يأمرهم كيف يسلمون ويأمرهم
بالسكينة والوقار عند رسول الله ﷺ وقوله تعالى ان تحبط اعمالكم اما علة للنهي اي لا تجهروا خشية ان تحبط
كما في قوله تعالى يبين الله لكم ان تضلوا او للنهي اي لا تجهروا لاجل الحبوط فان الجهر حيث كان بصدد الاداء الى
الحبوط فكانه فعل لاجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وليس المراد بما نهي عنه من الرفع
والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فان ذلك كفر بل ما يتوهم ان يؤدي اليه مما يجري بينهم في اثناء المحاورة
من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم لبعض خلا ان رفع الصوت فوق صوته ﷺ لما كان منكرا
محضا لم يقيد بشيء ولا بما يقع منهما في حرب او مجادلة معاند او ارهاب عدو ونحو ذلك وعن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما نزلت في ثابت بن شماس وكان في اذنه وقر وكان جهوري الصوت وربما كان يكلم رسول الله ﷺ فيتأذى بصوته
وعن انس انه لما نزلت الاية فقد ثابت وتفقده ﷺ فاخبر بشانه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد انزلت
اليك هذه الاية واني رجل جهير الصوت فاخاف ان يكون عملي قد حبط فقال له رسول الله ﷺ لست هناك
انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من اهل الجنة واما ما يروى عن الحسن انها نزلت في بعض المنافقين الذين
كانوا يرفعون اصواتهم فوق صوته ﷺ فقد قيل محمله ان نهيهم مندرج تحت نهي المؤمنين بدلالة النص وانتم
لا تشعرون حال من الفعل تحبط اي والحال انكم لا تشعرون بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى
ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية ترغيب في الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الاخلال به
اي يخفضونها مراعاة للادب او خشية من مخالفة النهي اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في
حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من تفخيم شانه وهو مبتدأ خبره
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى اي جربها للتقوى ومرنها عليها او عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فان الامتحان
سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف او للفعل باعتبار الاصل او ضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف
الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وميز
ابريزه من خبثه وعن عمر رضي الله تعالى عنه اذهب عنها الشهوات لهم في الاخرة مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر
عظيم لا يقادر قدره والجملة اما خبر اخر لان كالجملة المصدرة باسم الاشارة او استئناف لبيان جزائهم احمادا
لحالهم وتعريضا بسوء حال من ليس مثلهم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اي من خارجها من خلفها
او قدامها ومن ابتدائية دالة على ان المناداة نشأت من جهة الوراء وان المنادى داخل الحجرة لوجوب اختلاف
المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرئ الحجرات بفتح الجيم وسكونها
وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الارض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الابل حجرة وهي فعلة
من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات امهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها اما بانهم
اتوها حجرة حجرة فنادوه ﷺ من ورائها او بانهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له ﷺ فناداه بعض من وراء هذه
وبعض من وراء تلك فاسند فعل الابعاض الى الكل وقد جوز ان يكونوا قد نادوه من عداد الحجرة التي

كان

كان ﷺ فيها ولكنها جمعت اجلالا له ﷺ وقيل ان الذي ناداه عيينة الفزاري والاقرع بن حابس
وفدا على رسول الله ﷺ في سبعين رجلا من بني تميم في وقت الظهيرة وهو راقد فقالا
يا محمد اخرج الينا وانما اسند النداء الى الكل لانهم رضوا بذلك او امروا به اولانه وجد فيما بينهم اكثرهم لا يعقلون
اذ لو كان منهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الادب ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي ولو تحقق
صبرهم وانتظارهم حتى تخرج اليهم فان ان وان دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت
للفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني انك قائم وحتى تفيد ان الصبر ينبغي ان يكون مغياة بخروجه
ﷺ فانها مختصة بغاية الشيء في نفسه ولذلك تقول اكلت السمكة حتى راسها ولا تقول حتى نصفها او
ثلثها بخلاف الى فانها عامة وفي اليهم اشعار بانه لو خرج لا لاجلهم ينبغي ان يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام
او يتوجه اليهم لكان الصبر المذكور خيرا لهم من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الادب وتعظيم الرسول
الموجبين للثناء والثواب والاسعاف بالمسؤول اذ روي انهم وفدوا شافعين في اسارى بني العنبر
فاطلق النصف وفادى النصف والله غفور رحيم بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن
هؤلاء ان تابوا واصلحوا يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا اي فتعرفوا وتفحصوا روي انه
ﷺ بعث الوليد بن عقبة اخا عثمان لامه مصدقا الى بني المصطلق وكان بينه وبينهم احنة فلما سمعوا به
استقبلوه فحسب انهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله ﷺ قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم رسول الله
ﷺ بقتالهم فنزلت وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه
الصدقات فرجع وفي ترتيب الامر بالتبين على فسق المخبر اشارة الى قبول خبر الواحد العدل في بعض
المواد فتثبتوا اي توقفوا الى ان يتبين لكم الحال ان تصيبوا حذارا ان تصيبوا قوما بجهالة ملتبسين بجهالة
بحالهم ثم فتصبحوا بعد ظهور براءتهم عما اسند اليهم على ما فعلتم في حقهم نادمين مغتمين غما لازما متمنين
انه لم يقع فان تركيب هذه الاحرف الثلاثة يدور مع الدوام واعلموا ان فيكم رسول الله ان بما في
حيزها ساد مسد مفعولي اعلموا باعتبار ما بعده من قوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم فانه
حال من احد الضميرين في فيكم والمعنى ان فيكم كائنا على حالة لا يجب عليكم تغييرها او كائنين على حالة
الاخرى وهي انكم تريدون ان يتبع ﷺ رأيكم في كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم في الجهد والهلاك
وفيه ايذان بان بعضهم زينوا لرسول الله ﷺ الايقاع ببني المصطلق تصديقا لقول الوليد وانه ﷺ
لم يطع رأيهم واما صيغة المضارع فقد قيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لامتناع استمرار
طاعته ﷺ لهم لان عنتهم انما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الامور اذ فيه اختلال
الامر بالكلية وانقلاب الرئيس مرؤوسا لا من اطاعته في بعض ما يرونه نادرا بل فيها استمالتهم
بلا مزاحمة وقيل انها للدلالة على ان امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته ﷺ لهم في ذلك وان
المضارع للنفي قد يدل على استمرار النفي بحسب المقام كما في نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق
ان الاستمرار الذي تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة الى ما يتعلق بالفعل من الامور الزمانية
المتجددة ولذلك بان يعتبر الاستمرار في نفس الزمان المتجدد وذلك اذا اعتبر تعلقه بما يتعلق
به اولا ثم اعتبر استمراره فيتعين ان يكون ذلك بحسب الزمان فان اريد باستمرار الطاعة استمرارها
وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التي يفصح عنها قوله تعالى في كثير من الامر فالحق هو الاول
ضرورة ان مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان الامتناع بعدم وقوع
الطاعة في امر ما من تلك الامور الكثيرة اصلا او بعدم وقوعها في كلها مع وقوعها في بعض يسير منها
حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار باحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة في الكل وتجددها
بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثاني فان امتناع العنت حينئذ ليس مناط استمراره
الطاعة المذكورة ضرورة انه موجب لوقوع العنت بل هو استمرار زمان الامتناع تلك
الطاعة الواقعة في تلك الامور الكثيرة باحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بل وقعت تلك
الطاعة في وقت من الاوقات وقع العنت حتما واعلم ان الاحق بالاختيار والاولى بالاعتبار هو الوجه
الاول لانه اوفق للقياس المقتضي لاعتبار الامتناع واردا على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة
له وعلى صيغة المضارع المفيدة للثاني على ان اعتبار الاستمرار واردا على النفي على خلاف القياس
بمعونة المقام انما يصار اليه اذا تعذر الجريان على موجب القياس او لم يكن فيه مزيد مزية كما في مثل قوله
تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار نفي الحزن عنهم اذ ليس في نفي استمرار الحزن مزيد فائدة واما
اذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه بمعزل لا يخفى وقوله تعالى
ولكن الله حبب اليكم الايمان الاية تجريد الخطاب وتوجيهه الى بعضهم بطريق الاستدراك بيانا لبراءتهم

عن اوصاف الاولين واحمادا لافعالهم اى ولكنه تعالى جعل الايمان محبوبا اليكم وزينه فى قلوبكم حتى رسخ
حبه فيها ولذلك اتيتم بما يليق به من الاقوال والافعال وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
ولذلك اجتنبتم عما يليق بهما مما لا يخفى فيه من اثارهما واحكامهما ولما كان فى التحبيب والتكريه معنى
انهاء المحبة والكراهة عديا بما لهما اليهم استعمالا بكلمة الى وقيل هو استدراك ببيان عذر الاولين كانه
قيل لم يكن ما صدر عنكم فى حق بنى المصطلق من خلل فى عقيدتكم بل من فرط حبكم للايمان وكراهتكم للكفر
والفسوق والعصيان والاول هو الاظهر لقوله تعالى اولئك هم الراشدون اى السالكون الى
الطريق السوى الموصل الى الحق والالتفات الى الغيبة كما فى قوله تعالى وما اتيتم من زكاة تريدون
وجه الله فاولئك هم المضعفون فضلا من الله ونعمة اى انعاما تعليل لحبب او كره وما بينهما اعتراض
وقيل نصبهما بفعل مضمر اى جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا والله عليم مبالغ فى العلم فيعلم
احوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل حكيم يفعل كل ما يفعل بموجب الحكمة وان طائفتان من المؤمنين
اقتتلوا اى تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى فاصلحوا بينهما بالنصح والدعاء الى حكم الله فان بغت اى تعدت
احديهما على الاخرى ولم تتاثر بالنصيحة فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ اى ترجع الى امر الله الى حكمه او الى
ما امر به فان فاءت اليه واقلعت عن القتال حذرا من قتالكم فاصلحوا بينهما بالعدل بفصل ما بينهما
على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى يكون بينهما قتال فى وقت اخر وتقييد الاصلاح
بالعدل لانه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد اكد ذلك حيث قيل واقسطوا اى اعدلوا فى
كل ما تاتون وتذرون ان الله يحب المقسطين فيجازيهم احسن الجزاء والاية نزلت فى قتال حدث بين
الاوس والخزرج فى عهده عليه السلام بالسعف والنعال وفيها دلالة على ان الباغى لا يخرج بالبغى عن الايمان
وانه اذا امسك عن الحرب ترك لانه فئ الى امر الله تعالى وانه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم
النصح والسعى فى المصالحة انما المؤمنون اخوة استيناف مقرر لما قبله من الامر بالاصلاح اى انهم
منتسبون الى اصل واحد وهو الايمان الموجب للحياة الابدية والفاء فى قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم
للايذان بان الاخوة الدينية موجبة للاصلاح ووضع المظهر موضع المضمر مضافا الى المامورين للمبالغة
فى تاكيد وجوب الاصلاح والتحضيض عليه والتثنية بالذكر لاثبات وجوب الاصلاح فيما فوق ذلك
بطريق الاولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج وقرئ بين
اخوتكم واخوانكم واتقوا الله فى كل ما تاتون وما تذرون من الامور التى من جملتها ما امرتم به من
الاصلاح لعلكم ترحمون راجين ان ترحموا على تقواكم يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم اى منكم من قوم اخرين
ايضا منكم وقوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم تعليل للنهى او لموجبه اى عسى ان يكون المسخور منهم خيرا
عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لانهم القوام على النساء وهو فى الاصل اما جمع قائم
كصوم وزور فى جمع صائم وزائر او مصدر نعت به فشاع فى الجميع واما تعميمه فى الفريقين فى مثل قوم
عاد وقوم فرعون فاما للتغليب او لانهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية فى المجامع والتنكير
اما للتعميم او للقصد الى نهى بعضهم عن سخرية بعض لما انها مما يجرى بين بعض وبعض ولا نساء من
نساء عسى ان يكن خيرا منهن اى من الساخرات فان مناط الخيرية فى الفريقين ليس مما يظهر من الصور
والاشكال ولا الاوضاع والاطوار التى عليها يدور امر السخرية غالبا انما هو الامور الكامنة فى القلوب
فلا يجترئ احد على استحقار احد فلعله اجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير
من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله وقرئ عسوا ان يكونوا وعسين ان يكن فعسى حينئذ هى ذات
الخبر كما فى قوله تعالى فهل عسيتم واما على الاول فهى التى لا خبر لها ولا تلمزوا انفسكم اى ولا يعب بعضكم
بعضا فان المؤمنين كنفس واحدة ولا تفعلوا ما تلمزون به فان من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه
واللمز الطعن باللسان وقرئ بضم الميم ولا تنابزوا بالالقاب اى ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء فان
النبز مختص به عرفا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين ان يذكروا
بالفسق بعد دخولهم الايمان واشتهارهم به فان الاسم هنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى
الناس بالكرم او باللؤم والمراد به اما تهجين نسبة الكفر والفسوق الى المؤمنين خصوصا اذ روى
ان الاية نزلت فى صفية بنت حيى اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان النساء يقلن لى يا يهودية بنت
يهوديين فقال عليه السلام هلا قلت ان ابى هارون وعمى موسى وزوجى محمد عليهم الصلاة والسلام او الدلالة
على ان التنابز فسق والجمع بينه وبين الايمان قبيح ومن لم يتب عما نهى عنه فاولئك هم الظالمون
بوضع العصيان فى موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن
اى كونوا على جانب منه وابهام الكثير لايجاب الاحتياط والتامل فى كل ظن حتى يعلم انه من اى قبيل فان

من

من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم
كالظن فى الالهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن
فى الامور المعاشية ان بعض الظن اثم تعليل للامر بالاجتناب او لموجبه بطريق الاستيناف التحقيقى والاثم
الذنب الذى يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كانه يثلم الاعمال اى يكسرها ولا
تجسسوا ولا تتبعوا عورات المسلمين تفعل بالجس لما فيه من معنى الطلب كما ان التلمس بمعنى
التطلب لما فى اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وانا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من
الحس الذى هو اثر الجس وغايته لتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفى الحديث لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا
اى لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل عليه السلام عن الغيبة فقال ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه
فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس ايحب احدكم ان ياكل
لحم اخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر من المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على
افحش وجه وافظعه طبعا وشرعا وعقلا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريرى واسناد الفعل
الى احد ايذانا بان احدا من الاحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب
باكل لحم الانسان وجعل الماكول اخا للاكل ميتا واخراج تماثلهما مخرج امر بين غنى عن الاخبار وقرئ
ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء فى قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها
على ما قبلها من التمثيل كانه قيل وحيث كان الامر كما ذكر فكرهتموه اى جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك
ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ فى قبول التوبة وافاضة
الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يختص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم روى
ان رجلين من الصحابة بعثا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان اسامة على طعامه عليه السلام فقال
ما عندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو ما تناولنا فقال عليه السلام انكما قد اغتبتما فنزلت يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى من ادم وحواء او خلقنا كل واحد منكم من اب وام فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر
بالنسب ويجوز ان يكون تاكيدا للنهى السابق بتقرير الاخوة المانعة من الاغتياب وجعلناكم شعوبا
وقبائل الشعب الجمع العظيم المنتسبون الى اصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة
تجمع البطون والبطن يجمع الافخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة
وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب
لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا فيجتنب الانسان فلا يعتزى احدا الى ابائه لا لتفاخروا بالاباء والقبائل
وقد روعى التفاوت والتفاضل فى الانساب وقرئ لتتعارفوا على الاصل ولتعرفوا ان اكرمكم
عند الله اتقيكم تعليل للنهى عن التفاخر بالانساب المستفاد من الكلام بطريق الاستيناف
التحقيقى كانه قيل ان الاكرم عنده تعالى هو الاتقى فان فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرئ بان المفتوحة
على حذف لام التعليل كانه قيل لم لا تتفاخروا بالانساب فقيل لان اكرمكم عند الله اتقيكم لا انسبكم
لان مدار كمال النفوس وتفاوت الاشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلى فعليه بالتقوى
قال عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان رجل مؤمن تقى
كريم على الله وفاجر شقى هين على الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الاخرة التقوى ان الله
عليم بكم وباعمالكم خبير ببواطن احوالكم قالت الاعراب امنا نزلت فى نفر من بنى اسد قدموا المدينة
فى سنة جدبة فاظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال والعيال ولم
نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة يمنون عليه صلى الله عليه وسلم ما فعلوا قل ردا لهم لم تؤمنوا اذ
الايمان هو التصديق المقارن للثقة وطمانينة القلب ولم يحصل ذلك والا لما منوا عليك بذلك كما ينبئ
عنه اخر السورة ولكن قولوا اسلمنا فان الاسلام انقياد ودخول فى السلم واظهار الشهادتين وترك
المحاربة مشعر به وايثار ما عليه النظم على ان يقال لا تقولوا امنا ولكن قولوا اسلمنا او لم
تؤمنوا ولكن اسلمتم للاحتراز من النهى عن التلفظ بالايمان والتصديق على اخراج قولهم مخرج التسليم
والاعتداد به مع كونه تقولا محضا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم حال من ضمير قولوا اى ولكن قولوا
اسلمنا حال عدم مواطاة قلوبكم لالسنتكم وما فى لما من معنى التوقع مشعر بان هؤلاء قد امنوا
فيما بعد وان تطيعوا الله ورسوله بالاخلاص وترك النفاق لا يلتكم من اعمالكم لا ينقصكم
شيئا من اجورها من لاته يليته لتا اذا نقصه وقرئ لا يالتكم من الالت وهى لغة غطفان ايضا
من النقصان ان الله غفور لما فرط من المطيعين رحيم بالتفضل عليهم انما المؤمنون الذين امنوا

بالله ورسوله ثم لم يرتابوا لم يشكوا من ارتاب مطاوع رابه اذا اوقعه في الشك مع التهمة وفيه
اشارة الى ان فيهم ما يوجب نفي الايمان عنهم وثم للاشعار بان اشتراط عدم الارتياب في اعتبار الايمان
ليس في حال انشائه فقط بل فيما يستقبل فهي كما في قوله تعالى ثم استقاموا وجاهدوا باموالهم وانفسهم
في سبيل الله في طاعته على تكثير فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليهما
معا كالحج والجهاد اولئك الموصوفون بما ذكر من الاوصاف الحميدة هم الصادقون اي الذين صدقوا
في دعوى الايمان لا غيرهم روي انه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا انهم مؤمنون صادقون فنزلت
لتكذيبهم قوله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم اي اتخبرونه بذلك بقولكم آمنا والتعبير عنه بالتعليم
لغاية تشنيعهم وقوله تعالى والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شيء عليم تذييل
مقرر لما قبله اي مبالغ في العلم بجميع الاشياء التي من جملتها ما اخفوه من الكفر عند اظهارهم
الايمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم يمنون عليك ان اسلموا اي يعدون اسلامهم منة عليك
وهي النعمة التي لا يطلب موليها ثوابا ممن انعم بها عليه من المن بمعنى القطع لان المقصود بها قطع حاجته
وقيل النعمة الثقيلة من المن قل لا تمنوا علي اسلامكم اي لا تعدوا اسلامكم منة علي او لا تمنوا علي
باسلامكم فنصب بنزع الخافض بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان على ما زعمتم من ان الهداية لا تستلزم
الاهتداء وقرئ ان هداكم ان كنتم صادقين في ادعاء الايمان وجوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فلله المنة
وفي سياق النظم الكريم من اللطف ما لا يخفى فانهم لما سموا ما صدر عنهم ايمانا ومنوا به فنفى كونه ايمانا وسمى ما
قيل يمن عليك بما هو في الحقيقة اسلام وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للايمان فلله المنة عليهم بالهداية
اليه لا لهم ان الله يعلم غيب السموات والارض اي ما غاب فيهما والله بصير بما تعملون في سركم وعلانيتكم
فكيف يخفى عليه ما في ضمائركم عن النبي ﷺ من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر بعدد من اطاع الله وعصاه والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم ق والقرآن المجيد اي ذي المجد والشرف على سائر الكتب او لانه
كلام المجيد او لان من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه وفي الذي فصل
في مطلع سورة ص وقوله تعالى بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم اي لان جاءهم منذر من جنسهم لا من جنس
الملك او من جلدتهم اضراب عما ينبئ عنه جواب القسم المحذوف كانه قيل والقرآن المجيد انزلناه اليك
لتنذر به الناس حسبما ورد في صدر سورة الاعراف كانه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر
والمنذر به عرضة للنكير والتعجب مع كونهما اوفق شيء لقضية العقول واقربه الى التلقي بالقبول وقيل
التقدير والقرآن المجيد انك لمنذر ثم قيل بعده انهم شكوا فيه ثم اضربوا عنه وقيل بل عجبوا اي لم يكتفوا
بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الامور العجيبة وقيل هو اضراب عما يفهم
من وصف القرآن بالمجيد كانه قيل ليس سبب امتناعهم من الايمان بالقرآن انه لا مجد له ولكن لجهلهم
فقال الكافرون هذا شيء عجيب تفسير لتعجبهم وبيان لكونه مقارنا لغاية الانكار مع زيادة
تفصيل لمحل التعجب وهذا اشارة الى كونه ﷺ منذرا بالقرآن واضمارهم اولا للاشعار بتعينهم بما
اسند اليهم واظهارهم ثانيا للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه او عطف لتعجبهم من البعث على تعجبهم من
البعثة على ان هذا اشارة الى مبهم ما بعده من الجملة الانكارية ووضع المظهر موضع المضمر لما سبق او لان
بما يوجب كفرهم واما الايذان بان تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه
مع معاينتهم لقدرته تعالى على ما هو اشق منه في قياس العقل من مصنوعاته البديعة اشنع من الاول
واعرق في كونه كفرا اذا متنا وكنا ترابا تقرير للتعجب وتاكيد للانكار والعامل في اذا مضمر غني عن البيان
لغاية شهرته مع دلالة ما بعده عليه اي احين نموت ونصير ترابا نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به
مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر او على حذف اداة الانكار ذلك اشارة
الى محل النزاع رجع بعيد اي عن الاوهام او عن العادة او الامكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذي هو الجواب
فناصب الظرف حينئذ ما ينبئ عنه المنذر من البعث قد علمنا ما تنقص الارض منهم رد لاستبعادهم
وازاحة له فان من عم علمه ولطف حتى انتهى الى حيث علم ما تنقص الارض من اجساد الموتى وتأكل من لحومهم
وعظامهم كيف يستبعد رجعه اياهم احياء كما كانوا عن النبي ﷺ كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وقيل
ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن في الارض منهم وعندنا كتاب حفيظ حافظ لتفاصيل الاشياء
كلها او محفوظ من التغيير والمراد اما تمثيل علمه تعالى بكليات الاشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط

يتلقى منه كل شيء او تاكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها في اللوح المحفوظ عنده بل كذبوا بالحق اضراب وانتقال من
بيان شناعتهم السابقة الى بيان ما هو اشنع منه وافظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات
الباهرة لما جاءهم من غير تامل وتفكر وقرئ لما جاءهم بالكسر على ان اللام للتوقيت اي وقت مجيئه اياهم
وقيل الحق القرآن او الاخبار بالبعث فهم في امر مريج اي مضطرب لا قرار له من مرج الخاتم في اصبعه
حيث يقولون تارة انه شاعر وتارة انه ساحر وكاهن افلم ينظروا اي اغفلوا او عموا فلم ينظروا الى السماء
فوقهم بحيث يشاهدونها كل وقت كيف بنيناها اي رفعناها بغير عمد وزيناها بما فيها من الكواكب
المرتبة على نظام بديع وما لها من فروج من فتوق لسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تاخير هذا لمراعاة
الفواصل والارض مددناها اي بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت
والتعبير عنها بهذا الوصف للايذان بان القاءها لارساء الارض بها وانبتنا فيها من كل زوج من كل صنف
بهيج حسن تبصرة وذكرى علتان للافعال المذكورة معنى وان انتصبا بالفعل الاخير او لفعل مقدر
بطريق الاستئناف اي فعلنا ما فعلنا تبصيرا وتذكيرا لكل عبد منيب اي راجع الى ربه متفكر في بدائع
صنائعه وقوله تعالى ونزلنا من السماء ماء مباركا اي كثير المنافع شروع في بيان كيفية انبات ما
ذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على انبتنا وما بينهما على الوجه الاخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه
على ما بعده فانبتنا به اي بذلك الماء جنات كثيرة اي اشجارا ذوات ثمار وحب الحصيد اي حب الزرع
الذي شانه ان يحصد من البر والشعير وامثالهما وتخصيص انبات حبه بالذكر لانه المقصود بالذات
والنخل عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الجنات لبيان فضلها على سائر الاشجار
وتوسيط الحب بينهما للتاكيد لاستقلالها وامتيازها عن البقية مع ما فيه من مراعاة الفواصل باسقات
اي طوالا او حوامل من ابسقت الشاة اذا حملت فيكون من باب افعل فهو فاعل وقرئ باصقات لاجل
القاف لها طلع نضيد اي منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع او كثرة ما فيه من الثمر والجملة
حال من النخل كباسقات بطريق الترادف او من ضمير ها في باسقات على التداخل او الحال هو الجار
والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى رزقا للعباد اي لنرزقهم علة لقوله تعالى
فانبتنا وفي تعليله بذلك تعليل انبتنا الاول بالتبصرة والتذكير تنبيه على ان الواجب على العبد
ان يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكرة والاستبصار اهم واقدم من تمتعه من حيث الرزق
وقيل رزقا مصدر من معنى انبتنا لان الانبات رزق فاحيينا به اي بذلك الماء بلدة ميتا ارضا
جدبة لا نماء فيها اصلا بان جعلناها بحيث ربت وانبتت انواع النبات والازهار فصارت
تهتز بها بعدما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتا لان البلدة بمعنى البلد والمكان كذلك الخروج
جملة قدم فيها الخبر للقصد الى القصر وذلك اشارة الى الحياة المستفادة من الاحياء وما فيه من معنى البعد
للاشعار ببعد رتبتها اي مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لا شيء مخالف لها
وفي التعبير عن اخراج النبات من الارض بالاحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشان الانبات
وتهوين لامر البعث وتحقيق للمماثلة بين اخراج النبات واحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس
وتقريبه الى افهام الناس وقوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الى آخره استئناف وارد لتقرير
حقية البعث اليهم شعيب عليه السلام وقيل كما مر في سورة الفرقان على التفصيل وثمود وعاد
وفرعون اي هو وقومه ليلائم ما قبله وما بعده واخوان لوط قيل كانوا من اصهاره عليه السلام
واصحاب الايكة هم ممن بعث اليهم شعيب عليه السلام غير اهل مدين وقوم تبع سبق شرح حالهم
في سورة الدخان كل كذب الرسل اي فيما ارسلوا به من الشرائع التي من جملتها البعث اجمعوا عليه قاطبة
اي كل قوم من الاقوام المذكورين كذبوا رسولهم او كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وافراد
الضمير باعتبار لفظ الكل او كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة الى التوحيد
والانذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب الكل وهذا على تقدير رسالة تبع واما على
تقدير عدمها وهو الاظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم ممن قبلهم من الرسل المجمعين
على التوحيد والبعث والى ذلك كان يدعوهم تبع فحق وعيد اي فوجب وحل عليهم وعيدي وهي
كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله ﷺ وتهديد لهم افعيينا بالخلق الاول استئناف مقرر لصحة
البعث الذي حكيت احوال المنكرين له من الامم المهلكة والعي بالامر العجز عنه يقال عيي بالامر
وعيي به اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر ينبئ عنه العي من القصد
والمباشرة كانه قيل اقصدنا الخلق الاول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الاعادة بل هم في
لبس من خلق جديد عطف على مقدر يدل عليه ما قبله كانه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على الخلق

بل هم في خلط وشبهة في خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والاشعار
بخروجه عن حدود العادات والايذان بانه حقيق بان يبحث عنه ويهتم بمعرفته ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما تحدثه به نفسه وما هو يخطر بباله والوسوسة الصوت
بكذا او للانسان ان جعلت مصدرية والبا للتعدية به ونحن اقرب اليه من حبل الوريد اي اعلم بحاله
ممن كان اقرب اليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزا لانه موجب له وحبل
الوريد مثل في فرط القرب والحبل العرق واضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان
بصفحتي العنق في مقدمها متصلان بالوتين يردان من الراس اليه وقيل سمي وريدا لان
الروح ترده اذ يتلقى المتلقيان منصوب بما في اقرب من معنى الفعل والمعنى انه لطيف يتوصل
علمه الى ما لا شي اخفى منه وهو اقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان
ما يتلفظ به وفيه ايذان بانه تعالى غني عن استحفاظهما لاحاطة علمه بما يخفى عليهما وانما ذلك
لما في كتبتهما وحفظهما لاعمال العبد وعرضهما صحايفهما يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع
علمه باحاطته تعالى بتفاصيل احواله خبرا من زيادة لطف له في الكف عن السيئات والرغبة في
الحسنات وعنه عم ان مقعد ملكيك على ثنيتك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وانت
تجري فيما لا يعنيك لا تستحيي من الله تعالى ولا منهما وقد جوز ان يكون تلقي الملكين بيانا للقرب
على معنى انا اقرب اليه مطلعون على اعماله لان حفظتنا وكتبتنا موكلون به عن اليمين وعن الشمال
قعيد اي عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد اي مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظا ومعنى
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما في قول من قال • رماني بامر كنت منه ووالدي • بريا ومن
اجل الطوي رماني • وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما في قوله تعالى والملائكة بعد ذلك
ظهير ما يلفظ من قول ما يرمي به من فيه من خير او شر وقرئ ما يلفظ على البنا للمفعول
الا لديه رقيب ملك يرقب قوله ذلك ويكتبه فان كان خيرا فهو صاحب اليمين بعينه والا
فهو صاحب الشمال والوجه تغيير العنوان غني عن البيان والافراد مع وقوفهما معا على ما صدر
عنه اما لان كلا منهما رقيب لما فوض اليه لا لما فوض لصاحبه كما ينبئ عنه قوله تعالى عتيد اي معد
مهيا لكتابة ما امر به من الخير والشر ومن لم يتنبه له توهم ان معناه رقيبان عتيدان وتخصيص
القول بالذكر لاثبات الحكم في الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شيء حتى
انينه في مرضه وقيل انما يكتبان ما فيه اجر ووزر وهو الاظهر كما ينبئ عنه قوله عم كاتب
الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات
فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه
سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وجاءت سكرة الموت بالحق بعدما ذكر استبعادهم البعث والجزاء
وازيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وبين ان جميع اعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم اتبع ذلك بما
يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الاحوال والاهوال وقد عبر عن وقوع
كل منهما بصيغة الماضي ايذانا بتحققها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل
والبا اما للتعدية كما في قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى احضرت سكرة الموت حقيقة الامر
الذي نطقت به كتب الله ورسله او حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل
الحق الذي لا بد ان يكون لا محالة من الموت او الجزاء فان الانسان خلق لهما واما للملابسة كالتي في
قوله تعالى تنبت بالدهن اي ملتبسة بالحق اي بحقيقة الامر او بالحكمة الغائية الجليلة وقرئ سكرة
الحق بالموت والمعنى انها السكرة التي كتبت على الانسان بموجب الحكمة وانها لشدتها توجب زهوق
الروح او تستعقبه وقيل البا بمعنى مع وقيل سكرة الله تعالى على ان الاضافة للتهويل وقرئ
سكرات الموت ذلك اي الموت ما كنت منه تحيد اي تميل وتنفر عنه والخطاب للانسان فان
النفرة عنه شاملة لكل فرد من افراده طبعا ونفخ في الصور هي النفخة الثانية ذلك اي وقت
ذلك النفخ على حذف المضاف يوم الوعيد اي يوم انجاز الوعيد الواقع في الدنيا او يوم وقوع
الوعيد على انه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك اشارة الى الزمان المفهوم من نفخ
فان الفعل كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع انه يوم الوعد ايضا
لتهويله ولذلك بدئ ببيان حال الكفرة وجاءت كل نفس من النفوس البرة والفاجرة معها
سائق وشهيد وان اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا اي معها
ملكان احدهما يسوقها الى المحشر والاخر يشهد بعملها او ملك جامع بين الوصفين كانه قيل

معها

معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق
نفسه او قرينه والشهيد جوارحه واعماله ومحل معها النصب على الحالية من كل لاضافته الى ما هو
في حكم المعرفة كانه قيل كل النفوس او الجر على انه وصف لنفس او الرفع على انه وصف لكل وقوله
تعالى لقد كنت في غفلة من هذا محكي باضمار قول هو اما صفة اخرى لنفس او حال اخرى منها او
استيناف مبني على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت في غفلة وخطاب
الكل بذلك لانه ما من احد الا وله غفلة ما من الاخرة وقيل الخطاب للكافر وقرئ كنت بكسر
التاء على اعتبار تانيث النفس والتذكير على القراءة المشهورة بتاويل الشخص كما في قوله حيلة بن عمرو
• يا نفس انك باللذات مسرور • فكشفنا عنك غطاءك الغطاء الحاجب لامور المعاد وهو
الغفلة والانهماك في المحسوسات والالف بها وقصر النظر عليها فبصرك اليوم حديد نافذ
لزوال المانع للابصار وقرئ بكسر الكاف في المواضع الثلاثة وقال قرينه اي الشيطان المقيض له
مشيرا اليه هذا ما لدي عتيد اي هذا ما عندي وفي ملكتي عتيد لجهنم قد هياته لها باغوائي واضلالي
وقيل قال الملك مشيرا الى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندي عتيد مهيا للعرض وما ان
جعلت موصوفة فعتيد صفتها وان جعلت موصولة فهو بدل منها او خبر بعد خبر او لمبتدا محذوف
القيا في جهنم كل كفار خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد او للملكين من خزنة النار او الواحد على
تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال • فان تزجراني يا ابن عفان انزجر
• وان تدعاني احم عرضا ممنعا • وعلى ان الالف بدل من نون التاكيد على اجراء الوصل مجرى
الوقف ويؤيده قراءة القين بالنون الخفيفة عنيد معاند للحق مناع للخير كثير المنع للمال عن
حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الاسلام فان الاية نزلت في الوليد بن المغيرة لما منع بني
اخيه منه معتد ظالم متخط للحق مريب شاك في الله وفي دينه الذي جعل مع الله الها اخر مبتدا
متضمن معنى الشرط خبره فالقياه في العذاب الشديد قال قرينه اي الشيطان المقيض له وانما
استونفت استيناف الجمل الواقعة في حكاية المقاولة لما انه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى ربنا ما اطغيته
فانه مبني على سابقة كلام اعتذر به الكافر كانه قال هو اطغاني فاجاب قرينه بتكذيبه واسناد الطغيان اليه
بخلاف الجملة الاولى فانها واجبة العطف على ما قبلها دلالة على الجمع بين مفهوميهما في الحصول اعني مجيء كل
نفس مع الملكين وقول قرينه ولكن كان هو بالذات في ضلال بعيد من الحق فاعنته عليه بالاغواء والدعوة
اليه من غير قسر والجاء كما في قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي قال استيناف مبني
على سؤال نشا مما قبله كانه قيل فماذا قال الله تعالى لا تختصموا لدي اي في موقف الحساب والجزاء اذ لا فائدة
في ذلك وقد قدمت اليكم بالوعيد على الطغيان في دار الكسب في كتبي وعلى السنة رسلي فلا تطمعوا في
الخلاص عنه بما انتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهي على معنى لا تختصموا
وقد صح عندكم اني قدمت اليكم بالوعيد حيث قلت لابليس لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم
اجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام في هذا الوقت والبا مزيدة او معدية على ان
قدم بمعنى تقدم وقد جوز ان يكون قدمت واقعا على قوله تعالى ما يبدل القول لدي الى اخره ويكون
بالوعيد متعلقا بمحذوف هو حال من المفعول او الفاعل اي وقد قدمت اليكم هذا القول ملتبسا
بالوعيد مقترنا به او قدمته اليكم موعدا لكم فلا تطمعوا ان ابدل وعيدي والعفو عن بعض
المذنبين لاسباب داعية اليه ليس بتبديل فان دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله
تعالى وما انا بظلام للعبيد وارد لتحقيق الحق على الوجه الكلي وتبيين ان عدم تبديل القول وتحقيق
موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل انما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات
الموجبة له حسبما اشير اليه انفا اي وما انا بمعذب للعبيد بغير ذنب من قبلهم والتعبير عنه بالظلم
مع ان تعذيبهم بغير ذنب ليس بظلم على ما تقرر من قاعدة اهل السنة فضلا عن كونه ظلما مفرطا لبيان
كمال النزاهة تعالى عن ذلك بتصويره بصورة ما يستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة
المبالغة لتاكيد هذا المعنى بابراز ما ذكر من التعذيب بغير ذنب في معرض المبالغة في الظلم وقيل هي
لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على انها مبالغة كما لا كيفا يوم نقول
لجهنم هل امتلات وتقول هل من مزيد سؤال وجواب جيء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل
امرها والمعنى انها مع اتساعها وتباعد اقطارها يطرح فيها من الجنة والناس فوجا بعد فوج حتى
تمتلئ او انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ او انها لغيظها على العصاة تطلب زيادة
هم وقرئ يقول بالياء والمزيد اما مصدر كالمجيد والمحيد او مفعول كالمبيع ويوم اما منصوب باذكر او انذر

اى ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ اشارة اليه من غير حاجة الى تقدير مضاف او لمقدر مؤخر اى يكون من الاحوال
ما يقصر عنه المقال وازلفت الجنة للمتقين شروع فى بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجى النفوس الى موقف
الحساب وقد مر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ اى قربت للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها
من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بانهم محشورون اليها فائزون بها وقوله تعالى غير
بعيد تاكيد للازلاف اى مكانا غير بعيد اى شيئا غير بعيد ويجوز ان يكون التذكير لكونه على زنة المصدر
الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث او لتاويل الجنة بالبستان هذا ما توعدون اشارة الى الجنة والتذكير
لما ان المشار اليه هو المسمى من غير ان يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتانيثه فانهما من احكام اللفظ
العربى كما مر فى قوله تعالى فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا اكبر وقوله تعالى ولما راى المؤمنون الاحزاب
قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز ان يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل اشارة الى الثواب وقيل الى
مصدر ازلفت وقرئ يوعدون والجملة اما اعتراض بين البدل والمبدل منه واما مقدر بقول هو حال من
المتقين او من الجنة والعامل ازلفت او مقول لهم او مقولا فى حقهما هذا ما توعدون لكل اواب اى رجاع الى الله
تعالى بدل من المتقين باعادة الجار حفيظ حافظا لتوبته من النقض وقيل هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع
عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لاوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقه من خشى الرحمن
بالغيب وجاء بقلب منيب بدل بعد بدل او بدل من موصوف اواب ولا يجوز ان يكون فى حكمه لان من لا
يوصف به ولا يوصف الا بالذى او مبتدأ خبره ادخلوها بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله
تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشى او من مفعوله او صفة لمصدره اى خشية ملتبسة بالغيب
حيث خشى عقابه وهو غائب عنه او هو غائب عن الاعين لا يراه احد والتعرض لعنوان الرحمانية للاشعار بانهم
مع خشيتهم عقابه راجون رحمته او بان علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وانهم عاملون بموجب
قوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم وان عذابى هو العذاب الاليم ووصف القلب بالانابة لما ان العبرة
برجوعه الى الله تعالى بسلام متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها اى ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال
النعم او بسلام من جهة الله تعالى وملائكته ذلك اشارة الى الزمان الممتد الذى وقع فى بعض منه ما ذكر
من الامور يوم الخلود اذ لا انتهاء له ابدا لهم ما يشاؤن فيها من فنون المطالب كائنا ما كان فيها متعلق بـ
يشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول او من عائده المحذوف من صلته ولدينا مزيد هو ما لا يخطر
ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالى الكرامات التى لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل
ان السحابة تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد وكم اهلكنا قبلهم اى
قبل قومك من قرن هم اشد منهم بطشا اى قوة كعاد وامثالهم فنقبوا فى البلاد اى خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا
فى اقطارها وجالوا فى اكناف الارض كل مجال حذار الموت واصل التنقيب والنقب التنقير عن الامر والبحث
والطلب والفاء للدلالة على ان شدة بطشهم اقدرتهم على التنقيب قيل هى عاطفة فى المعنى كانه قيل اشتد
بطشهم فنقبوا الى اخره وقرئ بالتخفيف هل من محيص اى هل لهم من مخلص من امر الله تعالى والجملة اما على اضمار
قول هو حال من واو فنقبوا اى فنقبوا فى البلاد قائلين هل من محيص او على اجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع
والتفتيش مجرى القول او هو كلام مستانف وارد لنفى ان يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لاهل مكة
اى ساروا فى مسايرهم واسفارهم فى بلاد القرون فهل راوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم ويعضده
القراءة على صيغة الامر وقرئ فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو ان ينتقب خف البعير اى اكثروا السير
حتى نقبت اقدامهم او اخفاف ابلهم ان فى ذلك اى فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر من السورة لذكرى
لتذكرة وعظة لمن كان له قلب اى قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغى
فان من كان له ذلك يعلم ان مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة هذه الاية من غير
تذكير او القى السمع اى الى ما يتلى عليه من الوحى الناطق بما جرى عليهم فان من فعله يقف على جلية الامر
فينزجر عما يؤدى اليه من الكفر فكلمة او لمنع الخلو دون منع الجمع فان القاء السمع لا يجدى بدون سلامة
القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد اى حاضر بفطنته لان من لا يحضر ذهنه فكانه غائب وتجريد
القلب عما ذكر من الصفات للايذان بان من عرى قلبه عنها كمن لا قلب له اصلا ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما من اصناف المخلوقات فى ستة ايام وما مسنا بذلك مع كونه مما لا يفى به القوى والقدر من لغوب
من اعياء ولا تعب فى الجملة وهذا رد على جهلة اليهود فى زعمهم انه تعالى بدأ خلق العالم يوم الاحد وفرغ
منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون اى ما يقول المشركون
فى شان البعث من الاباطيل المبنية على الانكار والاستبعاد فان من فعل هذه الافاعيل بلا فتور قادر
على بعثهم والانتقام منهم او ما يقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه وسبح بحمد ربك اى نزهه تعالى

علوا كبيرا فاصبر على ما يقولون من

عن

عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف فى اخباره التى من جملتها الاخبار بوقوع البعث وعن
وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامدا له تعالى على ما انعم به عليك من اصابة الحق وغيرها قبل طلوع الشمس
وقبل الغروب وهما وقت الفجر والعصر وفضيلتهما مشهورة ومن الليل فسبحه وسبحه بعض الليل
وادبار السجود واعقاب الصلوات جمع دبر وقرئ بالكسر من ادبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه
وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلاة فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب لا
الظهر والعصر وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى ادبار السجود النوافل بعد المكتوبات واستمع
اى لما يوحى اليك من احوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به يوم ينادى المناد اى اسرافيل او
جبرئيل عليهما السلام فيقول ايتها العظام البالية والعروق المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله تعالى
يامركن ان يجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبرائيل ينادى بالحشر من مكان قريب بحيث يصل
نداؤه الى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت اقدامهم وقيل من منابت شعورهم
يسمع من كل شعرة ولعل ذلك فى الاعادة مثل كن فى البدء يوم يسمعون الصيحة بدل من يوم ينادى
الى اخره وهى النفخة الثانية بالحق متعلق بالصيحة والعامل فى الظرف ما يدل عليه قوله تعالى ذلك
يوم الخروج اى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور انا نحن نحيى
ونميت فى الدنيا من غير ان يشاركنا فى ذلك احد والينا المصير للجزاء فى الاخرة لا الى غيرنا لا استقلالا
ولا اشتراكا يوم تشقق الارض عنهم بحذف احدى التائين وقرئ بتشديد الشين وتشقق على البناء
للمفعول من التفعيل وتنشق سراعا مسرعين ذلك حشر بعث وجمع وسوق علينا يسير اى هين وتقديم
الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى نحن اعلم بما يقولون من نفى البعث وتكذيب الايات الناطقة
به وغير ذلك مما لا خير فيه وما انت عليهم بجبار بمتسلط تقسرهم على الايمان او تفعل ما تريد
وانما انت مذكر فذكر بالقران من يخاف وعيد واما من عداهم فنحن نفعل بهم ما يوجبه قولهم ويستدعيه اعمالهم
من الوان العقاب وفنون العذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هون الله تعالى تارات الموت وسكراته
والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا اى الرياح التى تذرو التراب وغيره وقرئ
بادغام التاء فى الذال فالحاملات وقرا اى السحب الحاملة للمطر او الرياح الحاملة للسحاب وقرئ وقرا
على تسمية المحمول بالمصدر فالجاريات يسرا اى السفن الجارية فى البحر او الرياح الجارية فى مهابها او السحب
الجارية فى الجو بسوق الرياح او الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها ويسرا صفة لمصدر محذوف اى جريا
ذا يسر فالمقسمات امرا اى الملائكة التى تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها او السحب التى
يقسم الله تعالى بها ارزاق العباد وقد جوز ان يراد بالكل الرياح تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة
اختلاف الذات فانها كما تذرو تثير السحاب وتحمله وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار
بتصريف السحاب فى الاقطار فان حملت الامور المقسم بها على ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الاقسام
باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة والا فهى لترتيب ما صدر عن الريح
من الافاعيل فانها لا تذرو الابخرة الى الجو حتى تنعقد سحابا فتجرى به باسطة له الى ما امرت به فتقسم
المطر وقوله تعالى انما توعدون لصادق وان الدين لواقع جواب للقسم وفى تخصيص الامور المذكورة
بالاقسام بها رمز الى شهادتها بتحقيق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انها امور بديعة مخالفة
لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما مصدرية ووصف الوعد بالصدق
كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء وواقع لحاصل والسماء ذات الحبك قال ابن عباس رضى الله عنهما
وقتادة وعكرمة ذات الخلق السوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هى المتقنة البنيان
وقال مقاتل والكلبى والضحاك ذات الطرائق والمراد اما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب
او المعقولة التى يسلكها النظار والنجوم فان لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين
الموشى طرائق الوشى وهى اما جمع حباك او حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن
القفل والحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالابل انكم لفى
قول مختلف اى متخالف متناقض وهو قولهم فى حقه عليه السلام تارة شاعر وتارة ساحر وفى شان القران
الكريم تارة شعر وتارة سحر واخرى اساطير الاولين وفى هذا الجواب تاكيد لكون الحبك عبارة
عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك ان قول الكفرة لا يكون مستويا انما هو متناقض مختلف

وقيل النكتة فى هذا القسم تشبيه اقوالهم فى اختلافها وتنافى اغراضها بطرايق السموات وتباعدها واختلاف
غاياتها وليس بذاك يؤفك عنه من افك اى يصرف عن القران او الرسول الله صلى الله عليه وسلم من صرف اذ لا صرف
اقطع منه واشد وقيل يصرف عنه من صرف فى علم الله تعالى وقضائه ويجوز ان يكون الضمير للقول
المختلف على معنى يصدر افك من افك عن ذلك القول وقرئ من افك اى من افك الناس وهم قريش
حيث كانوا يصدون الناس عن الايمان قتل الخراصون دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما اكفره واصله
الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى بعده والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم اصحاب
القول المختلف كانه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين اى قتل الله الذين هم فى غمرة من الجهل
والضلال ساهون غافلون عما امروا به يسألون ايان يوم الدين اى متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق
الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرئ بكسر الهمزة يوم هم على النار يفتنون
جواب للسؤال اى يقع يوم هم على النار يحرقون ويعذبون ويجوز ان يكون خبر المبتدا محذوف اى
هو يوم الى اخره والفتح لاضافته الى غير متمكن ويؤيده انه قرئ بالرفع ذوقوا فتنتكم اى مقولا لهم
هذا القول وقوله تعالى هذا الذى كنتم به تستعجلون جملة من مبتدا وخبره داخلة تحت القول
المضمر اى هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء ويجوز ان يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب
الذى صفته ان المتقين فى جنات وعيون لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها اخذين ما اتاهم ربهم
اى قابلين لما اعطاهم راضين به على ان كل ما اتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول انهم كانوا قبل ذلك
فى الدنيا محسنين اى لاعمالهم الصالحة اتين بها على ما ينبغى فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم
ومعنى الاحسان بالاجمال ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك وقد فسره بقوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون اى كانوا يهجعون وطائفة قليلة من
الليل على ان قليلا ظرف اى كانوا يهجعون هجوعا قليلا على انه صفة لمصدر وما مزيدة فى الوجهين
ويجوز ان يكون مصدرية او موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية اى كان قليلا من الليل هجوعهم
او ما يهجعون فيه وفيه مبالغات فى تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت
الراحة والهجوع الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى انهم لا يهجعون
من الليل قليلا بل يحيونه كله لما ان ما النافية لا يعمل فيها ما بعدها فيما قبلها وبالاسحار هم
يستغفرون اى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الاسحار كانهم اسلفوا
ليلهم باقتراف الجرائم وفى بناء الفعل على الضمير اشعار بانهم الاحقاء بان يوصفوا بالاستغفار كانهم
المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه وفى اموالهم حق اى نصيب وافر يستوجبونه على انفسهم
تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس للسائل والمحروم المستجدى والمتعفف الذى يحسبه الناس
غنيا فيحرم الصدقة وفى الارض ايات للموقنين اى دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفصيل من
حيث انها مدحوة كالبساط الممتد وفيها مسالك وفجاج للمتقلبين فى اقطارها والسالكين فى مناكبها
وفيها جبل وسهل وبر وبحر متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وانها تلقح بالوان النبات
وانواع الاشجار واصناف الثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها
ودبر لمنافع ساكنيها ومصالحهم فى صحتهم واعتلالهم وفى انفسكم اى وفى انفسكم ايات اذ ليس فى العالم شئ
الا وفى الانفس له نظير تدل دلالته على انفراده من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة
والتمكين من الافعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة افلا تبصرون اى الا
تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة وفى السماء رزقكم اى اسباب رزقكم او تقديره وقيل المراد بالسماء
السحاب وبالرزق المطر فانه سبب الاقوات وما توعدون من الثواب لان الجنة فى السماء السابعة او لان
الاعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل انه مبتدا خبره وقوله تعالى فورب السماء والارض انه
لحق على ان الضمير لما واما على الاول فلما ذكر من الايات والرزق على انه مستعار
لاسم الاشارة مثل ما انكم تنطقون اى كما انه لا شك لكم فى انكم تنطقون ينبغى ان لا تشكوا فى حقيته
ونصبه على الحالية من المستكن فى لحق او على انه لحق حقا مثل نطقكم وقيل انه مبنى على الفتح لاضافته
الى غير متمكن وهو ما ان كانت عبارة وان بما فى حيزها ان جعلت زائدة ومحله الرفع على انه صفة
ويؤيده القراءة بالرفع هل اتيك حديث ضيف ابراهيم تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على انه ليس مما
علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحى والضيف فى الاصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد
والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل
وميكائيل وملك اخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث

اماقوم

امنا فتهم ابراهيم عليه السلام او لانهم كانوا فى حسبانه كذلك المكرمين اى المكرمين عند الله تعالى
وعند ابراهيم حيث خدمهم بنفسه وبزوجته اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او لما فى الضيف من معنى
الفعل او المكرمين ان فسر باكرام ابراهيم فقالوا سلاما اى نسلم عليك سلاما قال اى ابراهيم سلام
اى عليكم سلام عدل به الى الرفع بالابتدا للقصد الى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه السلام
احسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلم وقرئ منصوبا والمعنى واحد قوم منكرون انكرهم عليه
السلام ولعله انما قاله فى نفسه من غير ان يشعرهم بذلك لانه خاطبهم به جهرا او سألهم ان يعرفوه
انفسهم كما قيل وانما لو كشفوا احوالهم عند ذلك ولم يتصد عليه السلام لمقدمات الضيافة فراغ الى
اهله اى ذهب اليهم على خفية من ضيفانه فان من اداب المضيف ان يبادر بالقرى ويبادر به حذرا
من ان يكفه ويعذره او يصير منتظرا والفاء فى قوله تعالى فجاء بعجل سمين فصيحة مفصحة عن جمل
قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وايذانا بكمال سرعة المجئ بالطعام كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب
بعصاك البحر فانفلق اى فجاء به فقربه اليهم بان وضعه لديهم حسب ما هو المعتاد قال الا تأكلون
انكار لعدم تعرضهم للاكل فاوجس منهم خيفة اضمر منهم خيفة لتوهم انهم جاؤا للشر وقيل وقع فى قلبه
انهم ملائكة جاؤا للعذاب قالوا لا تخف قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج
حتى لحق بامه فعرفهم وامن منهم وبشروه وفى سورة الصافات وبشرناه اى بواسطتهم بغلام
هو اسحق عليه السلام عند بلوغه وانتوا به فاقبلت امرأته سارة لما سمعت بشارتهم الى بيتها وكانت
فى زاوية تنظر اليهم فى صرة فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية او المفعولية ان جعلت
اقبلت بمعنى اخذت كما يقال اقبل يشتمنى فصكت وجهها اى لطمته من الحياء لما انها وجدت حرارة دم
الطمث وقيل ضربت باطراف اصابعها جبينها كما يفعل المتعجب وقالت عجوز عقيم اى انا عجوز عاقر
فكيف الد قالوا كذلك اى مثل ذلك القول الكريم قال ربك وانما نحن معبرون نخبرك عنه تعالى لا انا
نقوله من تلقاء انفسنا انه هو الحكيم العليم فيكون قوله حقا وفعله متقنا لا محالة روى ان جبريل عليه
السلام قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المقاولة
مع سارة فقط بل مع ابراهيم عليه السلام ايضا حسبما شرح فى سورة
الحجر وانما لم يذكر هنا اكتفاء بما ذكر هناك كما انه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر هنا وفى سورة هود
قال اى ابراهيم عليه السلام لما علم انهم ملائكة ارسلوا لامر فما خطبكم اى شأنكم الخطير الذى لاجله
ارسلتم سوى البشارة ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يعنون قوم لوط لنرسل عليهم اى
بعد ما قلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل فى سائر السور الكريمة حجارة من طين متحجرة هو السجيل
مسومة مرسلة من اسمت الماشية اى ارسلتها او معلمة من السومة وهى العلامة وقد مر تفصيله فى
سورة هود عند ربك للمسرفين المجاوزين الحد فى الفجور وقوله تعالى فاخرجنا الى اخره حكاية من جهته
تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين ابراهيم من الكلام
والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها فى مواضع اخر كانه قيل فباشروا ما امروا به فاخرجنا
بقولنا فاسر باهلك الى اخره من كان فيها اى فى قرى قوم لوط وانما لم يعد ذكرها لشهرتها من المؤمنين
ممن امن بلوط فما وجدنا فيها غير بيت اى غير اهل بيت من المسلمين قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط واهل
بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وتركنا فيها اى فى القرية اية اى علامة دالة على ما اصابهم من العذاب قيل
هى تلك الاحجار او صخر منضود فيها او ماء منتن للذين يخافون العذاب الاليم اى من شأنهم ان يخافوه لسلامة
فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لا يعتدون به ولا يعدونه اية وفى موسى
عطف على قوله تعالى وتركنا فيها على معنى وجعلنا فى موسى اية كقول من قال علفتها تبنا وماء باردا اذ ارسلنا
قيل هى منصوب باية وقيل بمحذوف اى كائنة وقت ارسلنا وقيل بتركنا الى فرعون بسلطان مبين هو ما ظهر
على يديه من المعجزات الباهرة فتولى بركنه اى فاعرض عن الايمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى
بما يتقوى به من ملكه وعسكره فان الركن اسم لما يركن اليه الشئ وقرئ بركنه بضم الكاف وقال ساحر او مجنون
كانه نسب ما ظهر على يديه من الخوارق العجيبة الى الجن وتردد فى انه حصل باختياره وسعيه او بغيرهما فاخذناه
وجنوده فنبذناهم فى اليم وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قماءة فرعون وقومه ما لا
يخفى وهو مليم اى ات بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير فى فاخذناه وفى عاد اذ ارسلنا
عليهم الريح العقيم وصفت بالعقم لانها اهلكتهم وقطعت دابرهم او لانها لم تتضمن خيرا ما من انشاء مطر او
القاح شجر وهى الدبور او الجنوب ما تذر من شئ اتت عليه اى جرت عليه الا جعلته كالرميم
وهو كل ما رم وبلى وتفتت من عظم او نبات او غير ذلك وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين وهو قوله

تعالى تمتعوا في داركم ثلثة ايام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فعتوا عن امر ربهم اي فاستكبروا عن الامتثال به فاخذتهم الصاعقة قيل لما راوا العلامات التي بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا الى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى الى ارض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الثالث تحنطوا وتكفنوا بالانطاع فاتتهم الصيحة فهلكوا وقرئ الصعقة وهي المرة من الصعق وهم ينظرون اليها ويعاينونها فما استطاعوا من قيام كقوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاثمين وما كانوا منتصرين لغيرهم كما لم يمتنعوا بانفسهم وقوم نوح اي واهلكنا قوم نوح فان ما قبله يدل عليه واذكر وجوز ان يكون معطوفا على محل في عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف فاخذناه من قبل اي من قبل هؤلاء المهلكين انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي والسماء بنيناها بايدي اي بقوة وانا لموسعون لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الانفاق او لموسعون السماء او ما بينها وبين الارض او الرزق والارض فرشناها مهدناها وبسطناها لتستقروا عليها فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء اي من الاجناس خلقنا زوجين اي نوعين ذكرا وانثى وقيل متقابلين السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر لعلكم تذكرون اي فعلنا ذلك كله كي تتذكروا فتعرفوا انه خالق الكل ورازقه وانه المستحق للعبادة وانه قادر على اعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله تعالى ففروا الى الله مقدر بقول خوطب به النبي عليه السلام بطريق التلوين والفاء اما لترتيب الامر على ما حكى من اثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن احكام رحمته المستدعية للفرار اليها كانه قيل قل لهم اذا كان الامر كذلك فاهربوا الى الله تعالى الذي هذه شئونه بالايمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه واما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كانه قيل قل لهم فتذكروا ففروا الى الله تعالى الخ وقوله تعالى اني لكم نذير مبين تعليل للامر بالفرار اليه او لوجوب الامتثال به اي اني لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذرا لما يجب الحذر منه من العذاب المنذر به وفي امره تعالى للرسول عليه السلام بان يامرهم بالهرب اليه تعالى من عقابه وتعليله بانه تعالى عليه السلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها آخر نهي موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى اني لكم منه اي من الجعل المنهي عنه نذير مبين فان تعلق كلمة من بالانذار مع كونه صلته بالباء لتضمينه معنى الافراد يقال فر منه اي هرب وافرده غيره كانه قيل وفروا من ان تجعلوا معه تعالى اعتقادا او قولا الها آخر وفيه تاكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بالنهي عن سببه وايجاب الفرار عنه كذلك اي الامر مثل ما ذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحرا او مجنونا وقوله تعالى ما اتى الذين من قبلهم الخ تفسير له اي ما اتاهم من رسول من رسل الله الا قالوا في حقه ساحر او مجنون ولا سبيل الى انتصاب الكاف باتى لامتناع عمل ما بعدها النافية فيما قبلها اتواصوا به انكار وتعجيب من حالهم واجماعهم على تلك الكلمة الشنعاء التي لا تكاد تخطر ببال احد من العقلاء فضلا عن التفوه بها اي او ما اوصى بهذا القول بعضهم بعضا حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى بل هم قوم طاغون اضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك واثبات لكونه امرا اقبح من التواصي واشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على ان صدور تلك الكلمة الشنعاء عن كل واحد منهم بمقتضى طباعهم فتول عنهم فاعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فابوا الا الاباء فما انت بملوم على التولي بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الابلاغ كل حد معهود وذكر اي فعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة او فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الامر فان الذكرى تنفع المؤمنين اي الذين قدر الله تعالى ايمانهم او الذين آمنوا بالفعل فانها تزيدهم بصيرة وقوة في اليقين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون استئناف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغيا بعبادتهم تعالى مما يدعوه عليه السلام الى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها اتم استعداد واكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتيب الغاية على ما هي ثمرة له منزلة ترتيب الغرض على ما هو الغرض له فان استتباع افعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعا كيف لا وهي رحمة منه تعالى وتفضل على عباده واما الذي لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لافضائه الى استكماله بفعله وهو الحامل بالفعل على كل وجه واما بمعنى نهاية يعني اليها فعل الفاعل على الحق فغير منتف من افعاله تعالى بل كلها جارية على ذلك المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفي في تحقق معنى التعليل على ما يقوله الفقهاء ويتعارفه اهل اللغة هذا القدر وبه

يتحقق

يتحقق مدلول اللام واما الارادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الارادة فان تعوق البعض عن الوصول الى الغاية مع تعاضد المبادي وتاخذ المقدمات الموصلة اليها لا يمنع كونها غاية كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور ونظائره وقيل المعنى الا ليؤمروا بعبادتي كما في قوله تعالى كتاب انزلناه اليك لتخرج وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وقيل المراد سعداء الجنسين كما ان المراد بقوله تعالى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس اشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والانس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوي معناه الا ليعرفون ومداره قوله عليه السلام فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لاعرف ولعل السر في التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق اطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على ان المعتبر هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون لكون شانه تعالى مع عبادته متعاليا عن ان يكون كشان السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة ارزاقهم ما اريد ان اصرفهم في تحصيل رزقي ولا رزقهم بل اتفضل عليهم برزقهم وما يصلحهم ويعيشهم من عندي فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ان الله هو الرزاق الذي يرزق كل ما يفتقر الى الرزق وفيه تلويح انه غني عنه وقرئ اني انا الرزاق ذو القوة المتين بالرفع على انه نعت للرزاق او لذو او خبر بعد خبر وخبر لمحذوف وقرئ بالجر على انه وصف للقوة على تاويل الاقتدار او الايد فان للذين ظلموا اي ظلموا انفسهم بتعريضها للعذاب الخالد بتكذيب رسول الله عليه السلام او وضعوا مكان التصديق تكذيبا وهم اهل مكة ذنوبا اي نصيبا وافرا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم مثل انصباء نظرائهم من الامم المحكية وهو ماخوذ من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء فلا يستعجلون اي لا يطلبوا مني ان اعجل في المجيء به يقال استعجله اي حثه على العجلة وامره بها ويقال استعجله اي طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى اتى امر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين فويل للذين كفروا وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما في حيز الصلة من الكفر واشعارا بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على ان لهم عذابا عظيما كما ان الفاء الاولى لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك من يومهم الذي يوعدون من للتعليل اي يوعدونه من يوم بدر وقيل يوم القيامة وهو الانسب بما في صدر السورة الكريمة الاولى والاول هو الاوفق لما قبله من حيث انهما من العذاب الدنيوي عن النبي عليه السلام من قرأ سورة والذاريات اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا والله وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والطور الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله عز وجل سبحانه وكتاب مسطور مكتوب على وجه الانتظام فان السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن او الواح موسى عليه السلام وهو الانسب بالطور او ما يكتب في اللوح او ما يكتبه الحفظة في رق منشور الرق الجلد الذي يكتب فيه استعير لما يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم او للاشعار بانهما ليسا مما يتعارفه الناس والبيت المعمور اي الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين او الضراح وهو في السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشية من الملائكة والسقف المرفوع اي السماء لا يخفى حسن موقع العنوان المذكور والبحر المسجور اي المملوء وهو البحر المحيط او الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت والمراد به الجنس روي ان الله تعالى يجعل البحار نارا يسجر بها نار جهنم ان عذاب ربك لواقع اي لنازل جواب للقسم وقوله تعالى ما له من دافع اما خبر ثان لان او صفة لواقع ومن دافع اما مبتدأ للظرف او مرتفع منه على الفاعلية ومن مزيدة للتاكيد وتخصيص هذه الامور بالاقسام بها لانها عظام مبنئ عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب والتردد في المجيء والذهاب وقيل هو تحرك في تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحى وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تختلف اجزاؤها وتسير الجبال سيرا اي تزول عن وجه الارض فتصير هباء وتاكيد الفعلين بمصدريهما للايذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة اي مورا عجيبا وسيرا بديعا لا يدرك كنههما فويل يومئذ للمكذبين اي اذا وقع ذلك او اذا كان الامر كما ذكر فويل يومئذ يقع ذلك لهم والذين هم في خوض اي اندفاع عجيب في الاباطيل والاكاذيب يلعبون يلهون يوم يدعون الى نار جهنم دعا اي يدفعون اليها دفعا عنيفا شديدا بان تغل ايديهم الى اعناقهم وتجمع نواصيهم الى اقدامهم فيدفعون الى النار وتقول

يدعون من الدعا فيكونون دعا بحالة بمعنى المدعوين ويوم اما بدل من يوم تمور او ظرف يقول مقدر يقل
قوله تعالى هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحي
الناطق بها افسحر وتقديم بها وقوله تعالى افسحر هذا توبيخ وتقريع لهم حيث كانوا يسمعونه سحرا كانه قيل
كنتم تقولون للقران الناطق بهذا سحر وتقديم الخبر لانه محط الانكار ومدار التوبيخ ام انتم لا تبصرون
ام انتم عمي عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر ام سدت ابصاركم كما سدت في الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون
انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا اي ادخلوها وقاسوا شدائدها
فافعلوا ما شئتم من الصبر وعدمه سواء عليكم اي الامران في عدم النفع لا يدفع العذاب ولا يخففه
وقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل للاستقرار فان الجزاء حيث كان واجب الوقوع حتما كان
الصبر وعدمه سواء في عدم النفع ان المتقين في جنات ونعيم اي في اية جنات واي نعيم على ان التنوين
للتفخيم او في جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على انه للتنويع فاكهين ناعمين مستلذين بما اتاهم ربهم
وقرئ فكهين وفاكهون على انه الخبر والظرف متعلق بالخبر وخبر اخر ووقاهم ربهم عذاب
الجحيم عطف على اتاهم على ان ما مصدرية او على خبران او على حال باضمار قد اما من المستكن في الخبر وفي الحال
واما من فاعل اتى او من مفعوله او منهما واظهار الرب في موقع الاضمار مضافا الى ضميرهم للتشريف
والتعليل كلوا واشربوا اي يقال لهم كلوا واشربوا اكلا وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هنيئا وهو الذي لا تنغيص
فيه بما كنتم تعملون بسببه او بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئا اي هنأكم ما كنتم تعملون اي جزاؤه
متكئين على سرر مصفوفة مصطفة وزوجناهم بحور عين وقرئ بعيس عين على اضافة الموصوف الى صفته
بالتاويل المشهور والباء لما ان التزويج مما يتعدى الى مفعولين بما فيه من معنى الوصل والالصاق
والسببية والمعنى صيرناهم ازواجا بسببهن فان الزوجية لا تتحقق بدون انضمامهن اليهم وقوله تعالى
والذين امنوا الاخ كلام مستانف مسوق لبيان حال طائفة من اهل الجنة اثر بيان حال الكل وهم الذين
شاركتهم ذرياتهم في الايمان وهو مبتدا خبره الحقنا بهم وقوله تعالى واتبعناهم ذرياتهم عطف على امنوا وقيل
اعتراض وقوله تعالى بايمان متعلق بالاتباع اي اتبعهم ذرياتهم بايمان في الجملة قاصرين عن رتبة ايمان الاباء
واعتبار هذا القيد للايذان بثبوت الحكم في الايمان الكامل اصالة لا الحاقا وقرئ ذرياتهم للمبالغة في
الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرئ واتبعناهم ذرياتهم اي جعلناهم تابعين لهم في الايمان وقرئ اتبعهم الحقنا
بهم ذرياتهم اي في الدرجة كما روي انه عليه السلام قال ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن في درجته وان كانوا دونه لتقر بهم
عينه ثم تلا هذه الاية وما التناهم وما نقصنا الاباء بهذا من عملهم من ثواب عملهم من شيء بان اعطينا بعض
مثوباتهم ابناءهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وانما رفعناهم الى منازلهم بمحض التفضل والاحسان
والاحسان وقرئ لتناهم بكسر اللام من الت يالت كعلم يعلم والاولى كضرب يضرب ولتناهم من لات
يليت والتناهم من الت يلوت ولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف
على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين امنوا اي بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة
بمؤانسة الاخوان المؤمنين فقوله تعالى واتبعناهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بايمان متعلق بما بعده
اي بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الاباء الحقنا بدرجاتهم ذرياتهم وان كانوا لا يستاهلونها تفضلا
عليهم وعلى ابائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم او بسبب ايمان داني المنزلة وهو ايمان الذرية كانه قيل بشيء
من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الاباء الحقناهم بهم كل امرئ بما كسب رهين قيل هو فعيل بمعنى المفعول والمعنى كل
امرئ بما كسب راهن اي دائم ثابت وهذا انسب بالمقام فان الدوام يقتضي عدم المفارقة بين المرء وعمله
ومن ضرورته ان لا ينقص من ثواب الاباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون
وزدناهم على ما كان لهم من مبادي التنعم وقتا فوقتا ما يشتهون من فنون النعماء والوان الالاء يتنازعون فيها
اي يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق كما ينبئ عنه التعبير عن ذلك بالتنازع كاسا اي خمرا
تسمية لها باسم محلها لا لغو فيها اي في شربها حيث لا يتكلمون في اثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام
ولا تاثيم ولا يفعلون ما ياثم به فاعله اي ينسب الى الاثم لو فعله في دار التكليف كما هو ديدن المنادمين
في الدنيا وانما يتكلمون بالحكم واحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرئ لا لغو فيها ولا تاثيم بالفتح
ويطوف عليهم اي بالكاس غلمان لهم اي مماليك مخصوصون بهم وقيل هم اولادهم الذين سبقوهم كانهم لؤلؤ
مكنون مصون في الصدف من بياضهم وصفائهم او مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالي قال قتادة
هذا الخادم فكيف بالمخدوم فقال عليه السلام والذي نفسي بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان ادنى اهل الجنة منزلة من ينادي الخادم من خدامه فيجيبه الف
لبيك لبيك واقبل بعضهم على بعض يتساءلون اي يسال كل بعض منهم بعضا اخر عن احواله واعماله فيكون كل بعض سائلا

ومسئولا

ومسئولا لا انه يسال بعض منهم معين بعضا اخر معينا قالوا اي المسئولون وهم كل واحد منهم في الحقيقة
انا كنا قبل في الدنيا في اهلنا مشفقين ارقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته
او وجلين من العاقبة فمن الله علينا بالرحمة او التوفيق للحق ووقانا عذاب السموم عذاب النار النافذة
انه هو البر المحسن الرحيم الكثير الرحمة الذي اذا عبد اثاب واذا سئل اجاب وقرئ انه بالفتح بمعنى
لانه فذكر فاثبت على ما انت عليه من التذكير بما انزل عليك من الايات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون
مما لا خير فيه من الاباطيل فما انت بنعمة ربك بحمده وانعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل بكاهن
ولا مجنون كما يقولون قاتلهم الله انى يؤفكون ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون وهو ما يقلق
النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو في الاصل فعول من منه اذا قطعه
لان الموت قطوع اي بل يقولون ننتظر به نوائب الدهر قل تربصوا فاني معكم من المتربصين اتربص
هلاككم كما تتربصون هلاكي وفيه عدة كريمة باهلاكهم ام تامرهم احلامهم اي عقولهم بهذا اي بهذا التناقض
في القال فان الكاهن يقول يكون ذا فطنة ودقة نظر في الامور والمجنون مغطى عقله مختل فكره والشاعر
ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع اوصاف هؤلاء في واحد وامر الاحلام بذلك مجاز عن ادائها
اليه ام هم قوم طاغون مجاوزون الحدود في المكابرة والعناد لا يحومون حول الرشد والسداد ولذلك
يقولون ما يقولون من الاكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرئ بل هم ام يقولون تقوله
اي اختلقه من تلقاء نفسه بل لا يؤمنون فلكفرهم وعنادهم يرمونه بهذه الاباطيل التي لا يخفى على احد
بطلانها كيف لا وما رسول الله عليه السلام الا واحد من العرب فكيف اتى بما عجز عنه كافة الامم من العجم والعرب
فلياتوا بحديث مثله مثل القران في النعوت التي استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى ان كانوا صادقين
فيما زعموا فان صدقهم في ذلك يستدعي قدرتهم على الاتيان بمثله بقضيته والتمرن والمبالغة في حفظ
الوقائع والايام ولا ريب في ان القدرة على الشيء من موجبات الاتيان به ودواعي الامر بذلك ام
خلقوا من غير شيء اي ام احدثوا وقدروا هذا التقدير البديع من غير محدث ومقدر وقيل ام خلقوا
من اجل لا شيء من عبادة وجزاء ام هم الخالقون لانفسهم ولذلك لا يعبدون الله سبحانه ام خلقوا السموات
والارض بل لا يوقنون اي اذا سئلوا من خلقهم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا
والا لما اعرضوا عن عبادته ام عندهم خزائن ربك اي خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤوا
او اعندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره ام هم المسيطرون اي الغالبون على
الامور يدبرونها كيف ما شاؤوا حتى يدبروا امر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ
المصيطرون بالصاد ام لهم سلم منصوب الى السماء يستمعون فيه صاعدين الى كلام الملائكة وما
يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم يتقولون فيه رجما بالغيب ويعلقون بها اطماعهم
الفارغة فليات مستمعهم بسلطان مبين بحجة واضحة تصدق استماعه ام له البنات ولكم البنون تسفيه لهم
وتركيك لعقولهم وايذان بان من هذا رايه لا يكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقي الى عالم الملكوت والتطلع
على الاسرار الغيبية والالتفات الى الخطاب لتشديد ما في ام المنقطعة من الانكار والتوبيخ ام تسالهم اجرا
على تبليغ الرسالة فهم من مغرم اي غرامة فادحة مثقلون محملون الثقل فلذلك لا يتبعونك ام عندهم الغيب اي اللوح المحفوظ المثبت
فيه الغيوب فهم يكتبون ما فيه حتى يتكلموا في ذلك بنفي او اثبات ام يريدون كيدا وهو كيدهم برسول الله
في دار الندوة فالذين كفروا هم المكيدون
كيدهم او يعود عليهم وبال كيدهم وهو قتلهم يوم بدر ام لهم اله غير الله
يدفع عنهم سبحان الله عما يشركون اي عن اشراكهم او عن شركة ما يشركونه
وان يروا كسفا قطعة من السماء ساقطا لتعذيبهم يقولوا من فرط طغيانهم وعنادهم
سحاب مركوم اي هذا سحاب تراكم بعضه على بعض وهذا جواب لقولهم او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا فذرهم
حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة او من اصعقته وقرئ يصعقون
بفتح الياء والعين وهو يوم تعميم الصاعقة بالقتل يوم بدر لا يوم النفخة الاولى كما قيل اذ لا يصعق بها
من كان حيا حينئذ ولان قوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون بدل من يومهم
ان التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعي استعمالهم له طمعا في الانتفاع به وليس ذلك الا ما
في امورهم من الكيد الذي من جملته مناصبتهم يوم بدر واما النفخة الاولى فليست مما يجري فيه المكايد

الكيد والحيل وقيل هو يوم بدر وفيه ما فيه مع ما يأباه الاضافة المنبئة عن اختصاصه بهم ولا هم
ينصرون من جهة الغير في دفع العذاب عنهم وان للذين ظلموا اى لهم ووضع الموصول موضع الضمير لما
ذكر من قبل اى وان لهؤلاء الظلمة عذابا آخر دون ذلك دونه لانه نوع من القتل اى قبل وهو القحط الذى
اصابهم سبع سنين او عذابه كما في قوله ● تريك القذى من دونها وهى دونها ● وهو عذاب القبر وما بعده
من فنون عذاب الآخرة وقرئ دون ذلك قريبا ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الامر كما ذكر وفيه اشارة الى ان فيهم
من يعلم ذلك وانما يصر على الكفر عنادا او لا يعلمون شيئا اصلا فاصبر لحكم ربك بامهالهم الى يومهم الموعود
وابقائك فيما بينهم مع مقاساة الاحزان ومعاناة الهموم فانك باعيننا اى في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك
ونكلؤك وجمع العين لجمع الضمير والايذان بغاية الاعتنا بالحفظ وسبح اى نزهه تعالى عما لا يليق به ملتبسا
بحمد ربك على نعمائه الفائتة للحصر حين تقوم من اى مكان تقوم قال سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم
من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما معناه صل لله حين تقوم من مقامك
وقال الضحاك والربيع اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك
ولا اله غيرك وقوله تعالى ومن الليل فسبحه افراد لبعض الليل بالتسبيح لما ان العبادة اشق على النفس
وابعد عن الريا كما يلوح به تقديمه على الفعل وادبار النجوم اى وقت ادبارها من آخر الليل اى غيبتها
بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشائين وادبار النجوم صلاة الفجر وقرئ ادبار النجوم
بالفتح اى في اعقابها اذا غربت او خفيت النبى عم من قرا سورة الطور كان حقا على الله تعالى ان يؤمنه من عذابه وان
ينعمه في جنته والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى المراد بالنجم اما الثريا فانه اسم غالب له او جنس
النجوم وهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هويا بوزن قبول اذا غرب وهويا بوزن غروب اذا علا
وصعد واما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل في اذا فعل القسم فانه بمعنى مطلق الوقت
منسلخ من معنى الاستقبال كما في قولك آتيك اذا احمر البسر وفي الاقسام بذلك على نزاهته عم عن شائبة
الضلال والغواية من البراعة العجيبة البديعة وحسن الموقع ما لا غاية وراءه اما على الاولين فلان النجم
شانه ان يهتدى به السارى الى مسالك الدنيا كانه قيل والنجم الذى يهتدى به السابلة الى سواء السبيل
ما ضل صاحبكم اى ما ضل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة وما غوى اى وما اعتقد باطلا قط اى
هو في غاية الهدى والرشد ليس مما يتوهمونه من الضلال والغواية في شئ اصلا واما على الثالث فلانه
تنويه بشان القرآن كما اشير اليه في مطلع سورة يس وسورة الزخرف والتنبيه على مناط اهتدائه عم
ومدار رشاده كانه قيل والقرآن الذى هو علم في الهداية الى مناهج الدين ومسالك الحق ما ضل
عنها محمد عم وما غوى والخطاب لقريش وايراده عم بعنوان صاحبيته لهم للايذان بوقوفهم على
تفاصيل احواله عم واحاطتهم بما نفى عنه بالكلية وباتصافه عم بغاية الهدى والرشاد فان طول صحبتهم له عم
ومشاهدتهم لمحاسن شؤونه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجه
الاخير ظاهر واما على الاولين فلان النجم لا يهتدى به السارى عند كونه في وسط السماء ولا يعلم المشرق
من المغرب ولا الشمال من الجنوب وانما يهتدى به عند هبوطه او صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة
لما سيحكى من تدلى جبريل من الافق الاعلى ودنوه منه عليه السلام هذا هو اللائق بشان التنزيل الجليل
واما حمل هواه على الانتثار يوم القيمة او على انقضاض النجم به او حمل النجم على النبات وحمل هواه على
سقوطه على الارض او على ظهوره منها فمما لا يناسب المقام وما ينطق عن الهوى اى وما يصدر نطقه
بالقرآن عن هواه ورايه اصلا فان المراد استمرار نفى النطق عن الهوى لا نفى استمرار النطق عنه كما مر مرارا
ان هو اى ما الذى ينطق به من القرآن الا وحى من الله تعالى وقوله تعالى يوحى صفة مؤكدة لوحى رافعة لاحتمال
المجاز مفيدة للاستمرار التجددى علمه شديد القوى اى ملك شديد قواه وهو جبريل عليه السلام
فانه الواسطة في ابداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته انه قلع قرى قوم لوط من الماء الاسود
الذى تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة فاصبحوا جاثمين
وكان هبوطه على الانبيا وصعوده اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اى حصافة في عقله ورايه ومتانة في
دينه فاستوى عطف على علمه بطريق التفسير فانه الى قوله تعالى ما اوحى بيان لكيفية التعليم اى فاستقام
على صورته التى خلقه الله عليها دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وذلك ان رسول
الله عم فنزل جبريل في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما راه احد

من

من الانبيا في صورته غير النبى عم فانه راه فيها مرتين مرة في الارض ومرة في السماء وقيل استوى بقوته
على ما جعل له من الامر وقوله تعالى وهو بالافق الاعلى اى افق الشمس حال من فاعل استوى ثم دنا اى اراد الدنو
من النبى عليهما الصلاة والسلام فتدلى اى استرسل من الافق الاعلى مع تعلق به فدنا من النبى عم يقال
تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وادلى دلوه والدوالى الثمر المتعلق فكان اى مقدار مسافة ما بينهما
قاب قوسين او ادنى اى مقدارهما فان القاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقيل فكان جبريل
عليه السلام منه كما في قولك هو منى معقد الازار او ادنى او على تقديركم كما في قوله تعالى او يزيدون والمراد
تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد الملبس فاوحى اى جبريل الى عبده عبد الله
تعالى فاضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما في قوله تعالى ما ترك على ظهرها ما اوحى اى من الامور العظيمة
التى لا تفى بها العبارة او فاوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما اوحى قيل اوحى اليه ان الجنة محرمة
على الانبيا حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها امتك ما كذب الفؤاد اى فؤاد محمد عم ما راى
اى ما راه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام اى ما قال فؤاده لما راه لم اعرفك ولو قال ذلك
لكان كاذبا لانه عرفه بقلبه كما راه ببصره وقرئ ما كذب اى صدقه ولم يشك انه جبريل بصورته
افتمارونه على ما يرى اى اتكذبونه فتجادلونه على ما راه معاينة او بعد ما ذكر من احواله المنافية للمماراة
تمارونه من المرى وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كان كلا من المتجادلين يمرى ما عند
صاحبه وقرئ افتمرونه اى فتغلبونه في المراة من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال
غلبته على كذا وقيل افتمرونه افتجحدونه من مراه حقه اى جحده ولقد راه نزلة اخرى وبالله لقد راى
جبريل في صورته مرة اخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم
للمرة من الفعل فكانت في حكمها وقيل تقديره نازلا نزلة اخرى فنصبها على المصدر عند سدرة المنتهى
هى شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيلة ينبع من اصلها الانهار
التى ذكرها الله تعالى في كتابه يسير الراكب في ظلها سبعين عاما لا يقطعها والمنتهى موضع الانتهاء او الانتهاء
كانها في منتهى الجنة قيل اليها ينتهى علم الخلائق واعمالهم ولا يعلم احد ما وراءها وقيل ينتهى اليها ارواح
الشهداء وقيل ينتهى اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل اضافة السدرة الى المنتهى اما اضافة
الشئ الى مكانه كقولك اشجار البستان او اضافة المحل الى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها
منتهى العلوم او اضافة الملك الى المالك على حذف الجار والمجرور اى سدرة المنتهى اليه وهو الله عز وجل قال
تعالى الى ربك المنتهى عندها جنة المأوى اى الجنة التى يأوى اليها المتقون او ارواح الشهداء والجملة
حال وقيل الاحسن ان يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى ظرف زمان لراه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والغشيان
بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى او بمعنى الاتيان يقال فلان يغشى زيدا كل حين اى ياتيه والاول هو
اللائق بالمقام وفي ابهام ما يغشى من التفخيم ما لا يخفى وتاخيره عن المفعول للتشويق اليه اى ولقد راه عند
السدرة وقت ما غشيها ما غشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفى به البيان ولا كما وكيفا والمضارع لحكاية
الحال الماضية استحضارا للصورة البديعة وللايذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير
من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات
انوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما تجلى للجبل لكنها كانت اقوى من الجبل واثبت حيث لم يصبها ما اصابه من
الدك وقيل يغشاها فراش او جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك رضى الله تعالى عنهم وروى
عن النبى عم انه قال رايت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قائما يسبح الله تعالى
وعن النبى عم يغشاها رفرف من طير خضر ما زاغ البصر اى ما مال بصره عم عما راه وما طغى ما تجاوزه
مع ما شاهد هناك من الامور المذهلة مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا متيقنا او ما عدل عن رؤية العجائب
التى امر برؤيتها وما جاوزها لقد راى من آيات ربه الكبرى اى والله لقد راى الآيات التى هى كبراها وعظماها
حين عرج به الى السماء فارى من عجائب الملك والملكوت ما لا يحيط به نطاق العبارة ويجوز ان تكون الكبرى
صفة للآيات والمفعول محذوف اى شيئا عظيما من آيات ربه وان يكون من مزيدة افرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الاخرى هى اصنام كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى
لانهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرئ بتشديد التاء على انه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت
ويطعمه الحاج وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمى الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى
تانيث الاعز كانت لغطفان وهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله عم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت
منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على راسها وهى تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكانها سميت مناة
لان دماء النسائك كانت تمنى عندها اي تراق وقرئ ومناءة وهي مفعلة من النوء كانهم كانوا يستمطرون عندها
الانواء تبركا بها والاخرى صفة ذم لها وهي المتاخرة الوضيعة المقدار وقد يجوز ان تكون الاولية والتقدم
عندهم للات والعزى ثم انهم كانوا مع ما ذكر من عبادتهم لها يقولون ان الملائكة وتلك الاصنام بنات الله تعالى
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فقيل لهم تبكيتا وتوبيخا افرأيتم الى آخره والهمزة للانكار والفاء [illegible]
ترتيب الرؤية على ما ذكر من شؤون الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهي قلبية ومفعولها الثاني
محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ما سمعتم من آثار كمال عظمته عز وجل في ملكه وملكوته وجلاله
وجبروته واحكام قدرته ونفاذ امره في الملأ الاعلى وما تحت الثرى وما بينهما رأيتم هذه الاصنام
مع غاية حقارتها وقماءتها بنات الله تعالى وقيل افرأيتم هذه الاصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله
تعالى مع ما تقدم من عظمته وقيل اخبروني عن آلهتكم هل لها شيء من القدرة والعظمة التي وصف بها رب
العزة في الآي السابقة وقيل المعنى اظننتم ان هذه الاصنام التي تعبدونها تنفعكم وقيل اظننتم انها تشفع لكم
في الآخرة وقيل اظننتم ان هذه الاصنام ان عبدتموها لا تنفعكم وان تركتموها لا تضركم والاول هو الحق كما يشهد
به قوله تعالى الكم الذكر وله الانثى شهادة بينة فانه توبيخ على التوبيخ الاول حيث كان مداره تفضيل جانب
انفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم اليه تعالى الاناث مع اختيارهم لانفسهم الذكور وجب ان يكون مناط الاول
نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثاني عليه ظاهر ان ليس في شيء من التقديرات المذكورة من تلك
النسبة عين ولا اثر واما ما قيل من ان هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد الى الاول لان الاصل
اخبروني في اللات والعزى ومناة الكم الذكر وله هن اي تلك الاصنام فوضع موضعها الانثى لمراعاة الفواصل
وتحقيق مناط التوبيخ مع ما فيه من التمحلات التي ينبغي تنزيه ساحة التنزيل عن امثالها فيقتضي اقتصار
التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد اليه سبحانه
تلك اشارة الى القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية اذا قسمة ضيزى اي جائرة حيث جعلتم له تعالى ما
تستنكفون منه وهي فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل في بيض فان فعل بالكسر لم يأت
في الوصف وقرئ ضئزى بالهمز من ضأزه اذا ظلمه على انه مصدر نعت به وقرئ ضيزى اما على انه مصدر وصف به
كدعوى او على انه صفة كسكرى وعطشى ان هي الضمير للاصنام اي ما الاصنام باعتبار الالوهية التي يدعونها الا
اسماء محضة ليس تحتها مما تنبئ هي عنه من معنى الالوهية شيء ما اصلا وقوله تعالى سميتموها صفة لاسماء
وضميرها لها لا للاصنام والمعنى جعلتموها اسماء لا جعلتم لها اسماء فان التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فاذا قيست الى الاسم
فمعناه جعله اسما للمسمى واذا قيست الى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وانما اختير هاهنا المعنى الاول من غير تعرض للمسمى لتحقيق
ان تلك الاصنام التي يسمونها آلهة اسماء مجردة ليس لها مسميات قطعا كما في قوله تعالى ما تعبدون من دونه
الا اسماء سميتموها الآية لا ان هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هي للاسماء الثلاثة المذكورة حيث
كانوا يطلقونها على تلك الاصنام لاعتقادهم انها تستحق العكوف على عبادتها والاعزاز والتقرب اليها
بالقرابين وانت خبير بانه لو سلم دلالة الاسماء المذكورة على ثبوت تلك المعاني الخاصة للاصنام فليس في سلبها
عنها مزيد فائدة بل انما هي في سلب الالوهية عنها كما هو زعمهم المشهور في حق جميع الاصنام على وجه برهاني
فان انتفاء الموصوف يقتضي انتفاء الوصف بطريق الاولوية اي ما هي الا اسماء خالية عن المسميات وضعتموها انتم وآباؤكم
بمقتضى اهوائكم الباطلة ما انزل الله بها من سلطان برهان تتعلقون به ان يتبعون بالالتفات الى الغيبة ايذانا بان
تعداد قبائحهم اقتضى الاعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم اي ما يتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها
الا الظن الا توهمهم ان ما هم عليه حق توهما باطلا وما تهوى الانفس اي تشتهيه انفسهم الامارة بالسوء ولقد
جاءهم من ربهم الهدى قيل هو حال من فاعل يتبعون او اعتراض وايا ما كان ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى
النفس وزيادة تقبيح لحالهم فان اتباعهما من اي شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بارسال الرسول عليه السلام
وانزال الكتاب اقبح ام للانسان ما تمنى ام منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ان ما عليه غير مستند
الا الى توهمهم وهوى انفسهم الى بيان ان ذلك مما لا يجدي نفعا اصلا والهمزة للانكار والنفي اي ليس للانسان
كل ما يتمناه حتما فلله الآخرة والاولى فان اختصاص امور الآخرة والاولى جميعا به تعالى مقتض لان يكون له الامر
من الامور وقوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا اقناط لهم مما علقوا به اطماعهم من
شفاعة الملائكة لهم موجب لاقناطهم عن شفاعة الاصنام بطريق الاولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير
محلها الرفع على الابتداء والخبر هي الجملة المنفية وجمع الضمير مع شفاعتهم في افراد الملك باعتبار المعنى اي
وكثير من الملائكة لا تغني شفاعتهم عند الله شيئا من الاغناء في وقت من الاوقات الا من بعد ان يأذن الله
لهم في الشفاعة لمن يشاء ان يشفعوا له ويرضى ويراه اهلا للشفاعة من اهل التوحيد والايمان واما من

عداهم

عداهم من اهل الكفر والطغيان فهم من اذن الله تعالى بمعزل له من الشفاعة بالف معزل فاذا كان حال الملائكة
في باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الاصنام ان الذين لا يؤمنون بالآخرة وبما فيها من العقاب على ما
يتعاطونه من الكفر والمعاصي ليسمون الملائكة المنزهين عن صفات النقصان على الاطلاق تسمية الانثى اي
يسمون كل واحد منهم بان كلا منهم بنته سبحانه وهي التسمية بالانثى وفي تعليقها بعدم الايمان بالآخرة اشعار
بانها في الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة في الآخرة بحيث لا يجترئ عليها الا من لا يؤمن بها رأسا
وقوله تعالى وما لهم به من علم حال من فاعل يسمون اي يسمونهم والحال انهم لا علم لهم بما يقولون اصلا وقرئ
بها اي بالملائكة او بالتسمية ان يتبعون في ذلك الا الظن الفاسد وان الظن اي جنس الظن كما يلوح به
الاظهار في موقع الاضمار لا يغني من الحق شيئا من الاغناء فان الحق الذي هو عبارة عن حقيقة الشيء لا
يدرك الا بالعلم والظن لا اعتداد به في شأن المعارف الحقيقية وانما يعتد به في العمليات وما يؤدي اليها
فاعرض عن من تولى عن ذكرنا اي عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به الى وصفهم بما في حيز صلته
من الاوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها اي فاعرض عمن اعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقيني وهو القرآن المنطوي
على علوم الاولين والآخرين المذكر لامور الآخرة او عن ذكرنا كما ينبغي فان ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما
فيها من الامور المرغوب فيها والمرهوب عنها ولم يرد الا الحياة الدنيا راضيا بها قاصرا نظره عليها والمراد
النهي عن دعوته والاعتناء بشأنه فان من اعرض عما ذكر وانهمك في الدنيا بحيث كانت هي منتهى همته وقصارى
سعيه لا تزيده الدعوة الى خلافها الا عنادا واصرارا على الباطل ذلك اي ما اداهم الى ما هم فيه من التولي
وقصر الارادة على الحياة الدنيا مبلغهم من العلم لا يكادون يجاوزونه الى غيره حتى تجديهم الدعوة والارشاد
وجمع الضمير في مبلغهم باعتبار معنى من كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الادراك
المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ما قبلها من قصر الارادة على الحياة الدنيا وقوله تعالى
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى تعليل للامر بالاعراض وتكرير قوله تعالى هو اعلم
لزيادة التقرير والايذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من اصر عليه ولم يرجع الى الهدى اصلا
وبمن اهتدى من من شأنه الاهتداء في الجملة اي هو المبالغ في العلم بمن لا يرعوي عن الضلال ابدا وبمن يقبل
الاهتداء في الجملة لا غير فلا تتعب نفسك في دعوتهم فانهم من القبيل الاول وفي تعليل الامر بالاعراض ثم
عن الاعتناء بامرهم باختصاص العلم باحوال الفريقين عليه تعالى رمز الى انه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم
فيجزي كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمنا حسبما يفصح عنه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في
الارض اي خلقا وملكا لا لغيره اصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى ليجزي الى آخره متعلق بما
دل عليه اعلم الى آخره وما بينهما اعتراض مقرر لما قبله فان كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى
باحوالهم الا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى فيحفظهما ليجزي الذين اساؤوا
السوء بما عملوا اي بعقاب ما عملوا من الضلال الذي عبر عنه بالاساءة بيانا لحاله او بسبب ما عملوا
ويجزي الذين احسنوا اي اهتدوا بالحسنى اي بالمثوبة الحسنى التي هي الجنة او بسبب اعمالهم الحسنى وقيل متعلق
بضل واهتدى ليؤول امره الى ان يجزيه بالحسنى وفيه من البعد ما لا يخفى وتكرير الفعل لابراز كمال
الاعتناء بامر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين الذين يجتنبون كبائر الاثم بدل من الموصول الثاني وصيغة
الاستقبال في صلته للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره او بيان له او نعت او منصوب على المدح
وكبائر الاثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرئ كبير الاثم على ارادة
الجنس او الشرك والفواحش وما فحش من الكبائر خصوصا الا اللمم اي الا ما قل وصغر فانه مغفور
ممن يجتنب الكبائر وقيل هي النظرة والغمزة والقبلة وقيل هي الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر
الله عليه حدا ولا عذابا وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع ان ربك واسع المغفرة حيث
يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على ان اخراجه عن حكم المؤاخذة
ليس لخلوه عن الذنب في نفسه بل لسعة المغفرة الربانية وقيل المعنى له ان يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما
يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها ولعل تعقيب وعيد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا
ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليه تعالى هو اعلم بكم اي باحوالكم يعلمها
اذ انشأكم في ضمن انشاء ابيكم آدم عليه السلام من الارض انشاء اجماليا حسبما مر تحقيقه مرارا واذ انتم
اجنة ووقت كونكم اجنة في بطون امهاتكم على اطوار مختلفة مترتبة لا يخفى عليه حال من احوالكم وعمل
من اعمالكم التي من جملتها اللمم الذي لولا المغفرة الواسعة لاصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء
في قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم لترتيب النهي عن تزكية النفس على ما سبق من ان عدم المؤاخذة باللمم ليس
لعدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم اي اذا كان الامر كذلك فلا

تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصي بالكلية او بما يستلزمها من ذكا العمل وبما للنمى بلا شكروا الله تعالى على
فضله ومغفرته هو اعلم بمن اتقى المعاصي جميعا وهو استيناف مقرر للنهى ومشعر بان فيهم من يتقيها
باسرها وقيل كان الناس يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان
بطريق الاعجاب او الريا فاما من اعتقد ان ما عمله من الاعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتاييده
ولم يقصد به التمدح لم يكن من المشركين انفسهم فان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر افرايت الذى
تولى اى عن اتباع الحق والثبات عليه واعطى قليلا اى شيئا قليلا واعطى قليله واكدى اى قطع العطاء من قولهم
اكدى الحافر اذا بلغ الكدية اى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه ان يحفر قالوا نزلت فى الوليد بن المغيرة
كان يتبع النبى صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الاشياخ وضللت فقال اخشى عذاب الله
فضمن ان يتحمل عنه العذاب اذا اعطاه بعض ماله فارتد فاعطاه بعض المشروط وبخل بالباقى وقيل
نزلت فى العاص بن وايل السهمى لما انه كان يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وقيل فى ابى جهل كان ربما
يوافق النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الامور وكان يقول والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق وذلك قوله
واعطى قليلا واكدى والاول هو الانسب المناسب لما بعده من قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى
الى اخره اى اعنده علم بالامور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيمة ام لم ينبا بما فى صحف
موسى وابراهيم الذى وفى اى حفظ واتم ما ابتلى به من الكلمات او امر به او بالغ فى الوفا بما عاهد الله
وتخصيصه بذلك لاحتماله ما لم يحتمله غيره كالصبر على نار نمرود حتى انه اتاه جبريل عليهما
السلام وهو يلقى فى النار فقال الك حاجة فقال اما اليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى انه كان يمشى
كل يوم فرسخا ليرى ضيفا فان وافقه اكرمه والا نوى الصوم وتقديم موسى لما ان صحف التى ويروى
انه كان يمشى هى التورية اشهر عندهم واكثر الا تزر وازرة وزر اخرى اى انه لا تحمل نفس من شانها
الحمل حمل نفس اخرى على ان هى المخففة من الثقيلة وضمير الشان الذى هو اسمها محذوف ولا يقدح فى ذلك
قوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيمة فان ذلك وزر الاضلال الذى
هو وزره وقوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان بعمل غيره من حيث
جلب النفع اليه اثر بيان عدم انتفاعه من حيث دفع الضرر عنه واما شفاعة الانبيا عليهم السلام
واستغفار الملئكة عليهم السلام ودعا الاحيا للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من
من الامور النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذى هو الايمان
والفلاح ولم يكن بشىء منها نفع ما ابدونه جعل النافع لنفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وان هى
مخففة كاختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى وان سعيه سوف يرى اى يعرض عليه ويكشف له يوم القيمة
فى صحيفته وميزانه من اريته الشىء ثم يجزاه اى يجزى الانسان سعيه يقال جزاه الله تعالى بعمله وجزاه على
عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز ان يجعل الضمير الجزاء ثم يفسره بقوله تعالى الجزاء الاوفى او يبدل
عنه كما فى قوله تعالى واسروا النجوى الذين ظلموا وان الى ربك المنتهى اى منتهى الخلق ورجوعهم اليه تعالى
لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا وقرئ بكسر ان على الابتدا وانه هو اضحك وابكى اى هو خلق قوة الضحك
والبكا وانه هو امات واحيى لا يقدر على الاماتة والاحيا غيره فان اثر القاتل نقض البنية والتفريق
الاتصال وانما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة
اذا تمنى تدفق فى الرحم او تخلق ويقدر منها الولد من منى بمعنى قدر وان عليه النشاة الاخرى اى الاحيا
بعد الموت وقرئ النشاة بالمد وهو ايضا مصدر نشاه وانه هو اغنى واقنى اى اعطى القنية وهى ما يتاثل
من الاموال وافرادها بالذكر لانها اشرف الاموال او ارضى وتحقيقه جعل الرضا له قنية وانه هو رب
الشعرى اى رب معبودهم وهى العبور وهى اشد ضيا من الغميصا وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك
ابو كبشة رجل من اشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابو كبشة تشبيها له صلى الله عليه وسلم به لمخالفته
اياهم فى دينهم وانه اهلك عادا الاولى هم قوم هود عليه السلام وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى
القدما لانهم اول الامم هلاكا بعد قوم نوح وقرئ عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها الى اللام
وعاد لولى بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة اولى ونقل حركتها الى لام التعريف وثمودا عطف
على عادا لان ما بعده لا يعمل فيه وقرئ وثمود بالتنوين فما ابقى اى احدا من الفريقين وقوم نوح عطف عليه
ايضا من قبل اى من قبل اهلاك عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين حيث كانوا يؤذونه
وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم ان يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه السلام حتى لا يكون
به حراك وما اثر فيهم وعادوه قريبا من الف سنة والمؤتفكة هى قرى قوم لوط ائتفكت باهلها اى
انقلبت بهم اهوى اى اسقطها الى الارض بعد ان رفعها على جناح جبريل عليه السلام الى السماء فغشاها

ما غشى من فنون العذاب وفيه من التفظيع والتهويل ما لا غاية وراءه فباى الاء ربك تتمارى تتشكك
والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على طريقة قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك او لكل احد واسناد فعل التمارى الى
الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فان صيغة التفاعل وان كانت موضوعة لافادة صدور
الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى
فيراد بها المعنى الاول فقط كما فى يتداعونهم اى يدعونهم وقد تجرد عنه ايضا فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد
متعلقه كما فى ما نحن فيه فان المتعدد بتعدد الالا وتسمية الامور المعدودة الا مع ان بعضها ليس
نعم لما انها ايضا نعم من حيث انها نصرة للانبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين هذا نذير
من النذر الاولى هذا اما اشارة الى القران والنذير مصدر او الى الرسول صلى الله عليه وسلم والنذير بمعنى المنذر
وايا ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد اى هذا القران
الذى تشاهدونه نذير من قبيل الانذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها او هذا الرسول منذر من جنس
المنذرين الاولين والاولى على تاويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم احوال قومهم المنذرين وفى
تعقيبه بقوله تعالى ازفت الازفة اشعار بان تعذيبهم موخر الى يوم القيمة اى دنت الساعة الموصوفة
بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اى ليس لها نفس قادرة على كشفها
عند وقوعها الا الله تعالى لكنه لا يكشفها او ليس لها الان نفس قادرة على كشفها عند وقوعها الا الله تعالى
لكنه لا يكشفها او ليس لها الان نفس كاشفة بتاخيرها الا الله تعالى فانه المؤخر لها او ليس لها كاشفة
لوقتها الا الله تعالى كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو او ليس لها من دون الله تعالى كشف على ان كاشفة
مصدر كالعافية افمن هذا الحديث اى القران تعجبون انكارا وتضحكون استهزاء مع كونه ابعد شىء من ذلك
ولا تبكون حزنا على ما فرطتم فى شانه وخوفا من ان يحيق بكم ما حاق بالامم المذكورة وانتم سامدون
اى لاهون او مستكبرون من سمد البعير اذا رفع راسه او مغتون ليشغلوا الناس عن استماعه من
السمود بمعنى الغناء على لغة حمير او خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما فى قول من قال
رمى الحدثان نسوة ال سعد • بمقدار سمدن له سمودا • فرد شعورهن السود بيضا • ورد وجوههن البيض
سودا والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا ان مضمونها على الوجه الاخير قيد للمنفى والانكار وارد على نفى
البكا والسمود معا وعلى الوجوه الاول قيد للنفى والانكار متوجه الى نفى البكا ووجود السمود والاول اوفى
المقام فتدبر والفاء فى قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا لترتيب الامر او موجبه على ما تقرر من بطلان
مقابلة القران بالانكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالايمان مع كمال الخضوع والخشوع اى واذا كان الامر كذلك
فاسجدوا لله الذى انزله واعبدوه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النجم اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد
صلى الله عليه وسلم وجحد به بمكة

بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة وانشق القمر روى ان الكفار سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اية فانشق القمر قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رايت
حرا بين فلقتى القمر وعن عثمان بن عطا عن ابيه ان معناه سينشق يوم القيمة ويرده قوله تعالى وان يروا
اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر فانه ناطق بانه قد وقع وانهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظايره وقرئ
وقد انشق القمر اى اقتربت الساعة وقد حصل من ايات اقترابها ان القمر قد انشق ومعنى الاستمرار
الاطراد والاستحكام اى وان يروا اية من ايات الله تعالى يعرضوا عن التامل فيها ليقفوا على حقيقتها وعلو
طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتى به محمد صلى الله عليه وسلم على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كساير انواع السحر
او قوى مستحكم لا يمكن ازالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وهو الانسب
بغلوهم فى العناد والمكابرة ويؤيده ما ياتى لرده وقرئ وان يروا على البناء للمفعول من الاراءة وكذبوا
اى بالنبى صلى الله عليه وسلم وما عاينوه مما اظهره الله تعالى على يده من المعجزات واتبعوا اهواءهم التى زينها الشيطان
لهم او كذبوا الاية التى هى انشقاق القمر واتبعوا اهواءهم وقالوا سحر القمر او سحر اعيننا والقمر بحاله
وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقوله تعالى وكل امر مستقر استيناف مسوق لاقناطهم عما علقوا به
امانيهم الفارغة من عدم استقرار امره صلى الله عليه وسلم حيث قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه اى وكل
امر من الامور مستقر اى منته الى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها امر النبى صلى الله عليه وسلم فيصير الى غاية
تتبين عندها حقيقته وعلو شانه وابهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة الى التصريح
به وقيل المعنى كل امر من امرهم وامره صلى الله عليه وسلم مستقر اى سيثبت ويستقر على حالة الخذلان او نصرة فى الدنيا

وسقاوة او سعادة في الاخرة وقرئ بالفتح على انه مصدر او اسم مكان او زمان اي بدو استقرار وذو موضع
استقرار وبالكسر والجر على انه صفة امر وكل عطف على الساعة اي اقتربت الساعة وكل امر مستقر ولقد جاءهم
اي القران وقوله من الانباء اي انبا القرون الخالية او انباء الاخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده اي
وبالله لقد جاءهم كاينا من الانباء ما فيه مزدجر اي ازدجار من تعذيب او وعيد او موضع ازدجار
على ان في تجريديه والمعنى انه في نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا وتدغم الدال والذال والزاي
للتناسب وقرئ مزجر بقلبها زايا وادغامها حكمة بالغة غايتها لا خلل فيها وهي بدل من ما او خبر لمحذوف
وقرئ بالنصب حالا منها فانها موصوله او موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها فما تغني
النذر نفي للاغناء او انكار له والفاء لترتيب عدم الاغناء واستمراره حسب تجدد مجيء الزواجر واستمراره
وما منصوبة اي فاي اغناء تغني النذر وهو جمع النذير بمعنى الانذار فتول عنهم لعلمك
بان الانذار لا يؤثر فيهم يوم يدع الداع منصوب بيخرجون او باذكر والداعي اسرافيل عليه السلام ويجوز
ان يكون الدعاء فيه كالامر في قوله تعالى كن فيكون واسقاط اليا للاكتفا بالكسرة تخفيفا الى شيء نكر
اي منكر فظيع تنكره النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيمة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى
انكر خشعا ابصارهم حال من فاعل يخرجون والتقديم لان العامل متصرف اي يخرجون من الاجداث
اذلة ابصارهم من شدة الهول وقرئ خاشعا والافراد والتذكير لان فاعله ظاهر غير حقيقي التانيث وقرئ
خاشعة على الاصل وقرئ خشع ابصارهم على الابتداء والخبر على ان الجملة حال كانهم جراد منتشر في الكثرة
والتموج والتفرق في الاقطار مهطعين الى الداع مسرعين مادا اعناقهم اليه او ناظرين اليه يقول
الكافرون استيناف وقع جوابا عما نشا من وصف اليوم بالاهوال واهله بسوء الاحوال كانه قيل فما
يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفي اسناد القول المذكور الى الكفار
تلويح بان المؤمنين ليسوا في تلك المرتبة من الشدة كذبت قبلهم قوم نوح في تعداد بعض ما ذكر من
الانبات الموجبة للازدجار نوع تفصيل لها وبيان لعدم تاثرهم بها تقريرا لفحوى قوله تعالى فما تغني
النذر اي فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى فكذبوا عبدنا تفسير لذلك
التكذيب المبهم كما في قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الى اخره وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب
وقيل معناه كذبوه تكذيبا اثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن اخر مكذب مثله
وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لانه من جملتهم وفي ذكره عليه السلام بعنوان العبودية مع
الاضافة الى نون العظمة تفخيم له عليه السلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه وقالوا مجنون اي
لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه الى الجنون وازدجر عطف على قالوا اي وزجر عن التبليغ بانواع
الاذية وقيل هو من جملة ما قالوه اي هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته فدعا ربه اني اي باني
وقرئ بالكسر على ارادة القول مغلوب اي من جهة قومي ما لي قدرة على الانتقام منهم فانتصر اي فانتقم
لي منهم وذلك بعد تقرر ياسه عنهم بعد اللتيا والتي فقد روي ان الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه
حتى يخر مغشيا ويقول نوح اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر منصب
وهو تمثيل لكثرة الامطار وشدة انصبابها وقرئ ففتحنا بالتشديد لكثرة الابواب وفجرنا الارض
عيونا اي جعلنا الارض كلها كانها عيون متفجرة واصله وفجرنا عيون الارض فغير تفخيما لحق المقام فالتقى الماء
اي ماء السماء وماء الارض والافراد لتحقيق ان التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق
الاختلاط والاتحاد وقرئ الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واوا على امر قد قدر اي
كاينا على حال قدرها الله تعالى من غير تفاوت او على حال قدرت وسويت وهو ان قدر ما انزل على قدر ما
اخرج او على امر قد قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان وحملناه اي نوحا عليه السلام
على ذات الواح اخشاب عريضة ودسر ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهي صفة للسفينة
اقيمت مقامها من حيث انها كالشرح لها تؤدي مؤداها تجري باعيننا بمرأى منا اي محفوظة بحفظنا جزاء لمن
كان كفر اي فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لانه كان نعمة كفروها فان كل نبي نعمة من الله تعالى على
امته ورحمة واي نعمة واي رحمة ويجوز ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل الى الضمير واستتاره
في الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرئ لمن كفر اي للكافرين ولقد تركناها اي السفينة او الفعلة اية
يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة ابقاها الله تعالى بارض الجزيرة وقيل على الجودي دهرا طويلا
حتى نظر اليها اوائل هذه الامة فهل من مدكر معتبر بتلك الاية الحقيقة بالاعتبار وقرئ مذتكر
على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا والادغام فيها فكيف كان عذابي ونذر استفهام تعظيم وتعجيب
اي كانا على كيفية هائلة لا يحيط بها الوصف والنذر جمع نذير بمعنى الانذار ولقد يسرنا القران الى اخره

جملة قسمية وردت في اخر القصص الاربع تقريرا لمضمون ما سبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء ما فيه
مزدجر حكمة بالغة فما تغني النذر وتنبيها على ان كل قصة منها مستقلة بايجاب الادكار كافية
في الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة في حيز الاعتبار اي وبالله لقد سهلنا القران لقومك بان انزلناه
على لغتهم وشحناه بانواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه من الوعد والوعيد للذكر اي للتذكر والاتعاظ فهل
من مدكر انكار ونفي للمتعظ على ابلغ وجه واكده حيث يدل على انه لا يقدر احد ان يجيب المستفهم بنعم
وحمل تيسيره على تسهيل حفظه بجزالة نظمه وعذوبة الفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام كذبت
عاد اي هودا عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له عليه السلام روما للاختصار ومسارعة الى
بيان ما فيه من الازدجار من العذاب وقوله تعالى فكيف كان عذابي ونذر لتوجيه قلوب السامعين نحو
الاصغاء الى ما يلقى اليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كانه
قيل كذبت عاد فهل سمعتم او فاسمعوا كيف كان عذابي وانذاراتي لهم وقوله تعالى انا ارسلنا عليهم الى
ريحا صرصرا استيناف ببيان ما اجمل اولا اي ارسلنا عليهم ريحا باردة او شديدة الصوت في يوم نحس
مستمر اي شومه او مستمر عليهم الى ان اهلكهم او شاملا لجميعهم كبيرهم وصغيرهم او مشتد مرارته
وكان يوم الاربعاء اخر الشهر تنزع الناس تقلعهم روي انهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم
ببعض فنزعتهم وصرعتهم موتى كانهم اعجاز نخل منقعر اي منقلع عن مغارسه شبهوا باعجاز النخل وهي اصولها
بلا فروع لان الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى اجسادا وجثثا بلا رؤس وتذكير صفة نخل للنظر الى اللفظ كما
ان تانيثها في قوله تعالى اعجاز نخل خاوية للنظر الى المعنى فكيف كان عذابي ونذر تهويل لهما وتعجيب
من امرهما بعد بيانهما وليس فيه شائبة تكرار وما قيل من ان الاول لما حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيق
بهم في الاخرة يرده ترتيب الثاني على العذاب الدنيوي ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر
الكلام فيه كالذي مر فيما سبق كذبت ثمود بالنذر اي بالانذارات والمواعظ التي سمعوها من صالح او
بالرسل عليهم السلام فان تكذيب احدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على اصول الشرائع فقالوا ابشرا منا
اي كائنا من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره ما بعده واحدا اي منفردا لا تبع له او واحدا من احادهم لا من
اشرافهم وهو صفة اخرى لبشرا وتاخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على ان كلا من الجنسية والوحدة مما
يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرئ ابشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى نتبعه
خبره والاول اوجه للاستفهام انا اذا اي على تقدير اتباعنا له وهو منفرد ونحن امة جمة لفي ضلال
عن الصواب وسعر اي جنون فان ذلك بمعزل من مقتضى العقل وقيل كان يقول لهم ان لم تتبعوني كنتم في
ضلال عن الحق وسعر اي نيران جمع سعير فعكسوا عليه لغاية عتوهم فقالوا ان اتبعناك كنا اذا كما تقول
القي الذكر اي الكتاب والوحي عليه من بيننا وفينا من هو احق منه بذلك بل هو كذاب اشر اي ليس
الامر كذلك بل هو كذاب اشر حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر
حكاية لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعدا له ووعيدا لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتاكيده
والمراد بالغد وقت نزول العذاب اي سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الاشر الذي حمله اشره وبطره
على الترفع اصالح هو ام من كذبه وقرئ ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ او على حكاية ما اجابهم
به صالح وقرئ الاشر كقولهم حذر في حذر وقرئ الاشر اي الابلغ في الشرارة وهو اصل مرفوض كالاخير وقيل
المراد يوم القيمة وياباه قوله تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فانه استيناف سيق لبيان مبادي الموعود
حتما اي مخرجوها من الهضبة حسبما سالوا فتنة لهم اي امتحانا فارتقبهم اي فانتظرهم وتبصر ما يصنعون
واصطبر على اذيتهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم مقسوم لهم يوم ولها يوم وبينهم لتغليب العقلاء
كل شرب محتضر يحضره صاحبه في نوبته فنادوا صاحبهم وهو قدار بن سالف احيمر ثمود فتعاطى فعقر
فتناولها او فتعاطى تناول الشيء بتكلف فكيف كان عذابي ونذر الكلام فيه كالذي مر في صدر قصة عاد انا
ارسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام فكانوا اي فصاروا كهشيم المحتظر اي كالشجر اليابس
الذي يتخذه من يعمل الحظيرة لاجلها او كالحشيش اليابس الذي يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته في الشتا
وقرئ بفتح الظا اي كهشيم الحظيرة او الشجر المتخذ لها ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت قوم
لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ريحا تحصبهم اي ترميهم بالحصباء الا ال لوط نجيناهم بسحر
في سحر وهو اخر الليل وقيل هو السدس الاخير منه او ملتبسين بسحر نعمة من عندنا اي انعاما منا وهو
علة لنجينا كذلك اي مثل ذلك الجزاء العجيب نجزي من شكر نعمتنا بالايمان والطاعة ولقد انذرهم
لوط بطشتنا اي اخذتنا الشديدة بالعذاب فتماروا فكذبوا بالنذر متشاكين ولقد راودوه عن
ضيفه قصدوا الفجور بهم فطمسنا اعينهم فمسحناها وسويناها كساير الوجه روي انهم لما دخلوا

دائرة منوه صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى اخرجهم
لوط فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة او هو ظاهر الحال والمراد به الطمس فانه
من جملة ما انذروه من العذاب ولقد صبحهم بكرة وقرئ بكرة غير مصروفة على ان المراد بها اول نهار
مخصوص عذاب مستقر لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار وفي وصفه بالاستقرار ايماء الى ان ما قبله
من عذاب الطمس ينتهي به فذوقوا عذابي ونذر حكاية لما قيل لهم حينئذ من جهته تعالى تشديدا للعذاب
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر مر ما فيه من الكلام ولقد جاء آل فرعون النذر صدرت قصتهم
بالتوكيد القسمي لابراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظمة ما فيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه
من العذاب وقوة ايجابها الاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بان نفسه اولى بذلك اي وبالله لقد
جاءهم الانذارات وقوله تعالى كذبوا بآياتنا كلها استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية مجيء النذر كأنه قيل
فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهي الآيات التسع فأخذناهم أخذ عزيز لا يغالب مقتدر
لا يعجزه شيء أكفاركم يا معشر العرب خير قوة وشدة وعدة او مكانة من اولئكم الكفار المعدودين
والمعنى اصابهم ما اصابهم مع ظهور خيرتهم منكم فيما ذكر من الامور فهل تطمعون ان لا يصيبكم مثل ذلك
وانتم شر منهم مكانا واسوأ حالا وقوله تعالى ام لكم براءة في الزبر اضراب وانتقال من التبكيت بما ذكر الى
التبكيت بوجه آخر اي بل ألكم براءة وأمن من تبعات ما تعملون من الكفر والمعاصي وغوائلها في الكتب السماوية
فلذلك تصرون على ما انتم عليه وقوله تعالى ام يقولون نحن جميع منتصر اضراب من التبكيت المذكور
الى وجه آخر من التبكيت والالتفات للايذان باقتضاء حالهم للاعراض عنهم واسقاطهم عن رتبة الخطاب
وحكاية قبائحهم لغيرهم اي بل ايقولون واثقين بشوكتهم نحن اولو حزم ورأي امرنا مجتمع لا نرام ولا
نضام او منتصر من الاعداء لا نغلب او متناصر ينصر بعضنا بعضا والافراد للفظ الجميع وقوله تعالى سيهزم
الجمع رد وابطال لذلك والسين للتأكيد اي يهزم جمعهم البتة ويولون الدبر اي الادبار وقد قرئ
وقد قرئ كذلك والتوحيد لارادة الجنس او ارادة ان كل واحد منهم يولي دبره وقد كان كذلك يوم بدر
قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر
لا ادري اي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون
فعرفت تأويلها وقرئ سيهزم الجمع اي الله عز وجل بل الساعة موعدهم اي ليس هذا تمام عقوبتهم بل
الساعة موعد اصل عذابهم وهذا من طلائعه والساعة ادهى وامر اي في اقصى غاية من الفظاعة والمرارة
والداهية الامر الفظيع الذي لا يهتدى الى الخلاص عنه واظهار الساعة في موقع اضمارها للتهويل
ان المجرمين من الاولين والآخرين في ضلال وسعر اي في هلاك ونيران مسعرة وقيل في ضلال عن الحق
في الدنيا ونيران في الآخرة وقوله تعالى يوم يسحبون الى آخره منصوب اما بما يفهم من قوله تعالى في ضلال
اي كائنون في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم واما بقول مقدر بعده اي يوم يسحبون
يقال لهم ذوقوا مس سقر اي حر النار وألمها وسقر علم لجهنم ولذلك لم يصرف من سقرته النار
وصقرته اذا لوحته وانا القول المقدر على الوجه الاول حال من ضمير يسحبون انا كل شيء من الاشياء خلقناه
بقدر اي ملتبسا بقدر معين اقتضته الحكمة التي عليها يدور امر التكوين او مقدرا مكتوبا في اللوح قبل وقوعه
وكل شيء منصوب بفعل يفسره ما بعده وقرئ بالرفع على انه مبتدأ وخلقناه خبره وما امرنا الا واحدة
الا كلمة واحدة سريعة التكوين وهو قوله تعالى كن او الا فعلة واحدة هو الايجاد بلا معالجة كلمح بالبصر
هو النظر بالعجلة وقيل معناه قوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم
في الكفر من الامم وقيل اتباعكم فهل من مدكر يتعظ بذلك وكل شيء فعلوه من الكفر والمعاصي مكتوب على
التفصيل في الزبر اي في ديوان الحفظة وكل صغير وكبير من الاعمال مستطر مسطور في اللوح المحفوظ بتفاصيله
ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى ان المجرمين الى آخره مما يستدعي بيان حسن حال المؤمنين ليكتنف
في الترغيب والترهيب بين حالهم تحلى الحال بطريق الاجمال فقيل ان المتقين من الكفر والمعاصي في جنات
عظيمة الشان ونهر اي انهار كذلك والافراد للاكتفاء باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرئ نهر جمع
نهر كأسد وأسد في مقعد صدق في مكان مرضي وقرئ في مقاعد صدق عند مليك مقتدر اي مقربين
عند مليك مقتدر لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شيء الا وهو تحت ملكوته سبحانه ما اعظم شانه
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر في كل غب بعثه الله تعالى يوم القيمة ووجهه مثل القمر ليلة البدر والله اعلم

لما عدد في السورة السابقة ما نزل بالامم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب

منها ان القرآن قد يسر لتذكر الناس وتعاظيهم ونعى عليهم اعراضهم عن ذلك عدد في هذه السورة
الكريمة ما افاض على كافة الانام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية وانكر عليهم
اثر كل فن منها اخلالهم بمواجب شكرها وبدأ بتعليم القرآن فقيل بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن
لانه اعظم النعم شانا وارفعها مكانا كيف لا وهو مدار السعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر
الكتب السماوية ما من وصف تتوالى اليه اعناق الاوهام الا وهو منشأه ومناطه ولا مقصد يمتد اليه اعناق
الهمم الا منهجه ومناطه وفي اسناد تعليمه الى اسم الرحمن للايذان بانه من آثار الرحمة الواسعة واحكامه وقد
اقتصر على ذكره تنبيها على اصالته وجلالة قدره ثم قيل خلق الانسان علمه البيان تعيينا للمعلم وتبيينا
لكيفية التعليم والمراد بخلق الانسان انشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو
التعبير عما في الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الانسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره
ايضا اذ هو الذي يدور عليه تعليم القرآن والجمل الثلاث اخبار مترادفة للرحمن واخلاء الاخيرتين
عن العاطف لورودهما على منهاج التعديد الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب مقدر في
بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك امور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والاوقات ويعلم
السنون والحساب والنجم اي النبات الذي ينجم اي يطلع من الارض ولا ساق له والشجر الذي له ساق
يسجدان اي ينقادان له تعالى فيما يريد منهما طبعا انقياد الساجد من المكلفين طوعا والجملتان خبران للرحمن
جردتا عن الرابط اللفظي تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوي اذ لا يتوهم ذهاب الوهم الى كون حال الشمس
والقمر بتسخير غيره تعالى ولا الى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه
والنجم والشجر يسجدان له واخلاء الجملة الاولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية
لتناسبهما من حيث التقابل لما ان الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث ان كلا من حال
العلويين وحال السفليين من باب الانقياد لامر الله عز وجل والسماء رفعها اي خلقها مرفوعة محلا ومرتبة
حيث جعلها منشأ احكامه وقضاياه ومتنزل اوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شانه وعظم
ملكه وسلطانه ما لا يخفى وقرئ بالرفع على الابتداء ووضع الميزان اي شرع العدل وامر به بان وفر على كل
مستحق ما يستحقه ووفى كل ذي حق حقه حتى انتظم به امر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام
بالعدل قامت السموات والارض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما في قوله تعالى
وانزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو ما يعرف به مقادير الاشياء من ميزان ومكيال ونحوهما
وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به احكام
عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل في اخذهم واعطائهم الا تطغوا في الميزان على
انها مفسرة لما في الشرع من معنى القول ولا ناهية اي لا تعتدوا ولا تجاوزوا الانصاف وقرئ لا تطغوا
على ارادة القول واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان اي لا تنقصوه امر بالتسوية
ثم نهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان
تشديدا للتوصية وتأكيدا للامر باستعماله والحث عليه وقرئ ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها
يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين ايضا على ان الاصل ولا تخسروا في الميزان فحذف الجار
واوصل الفعل والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الماء للانام اي الخلق قيل المراد به كل ذي روح
وقيل كل ما ظهر على الارض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى فيها فاكهة الى آخره استئناف مسوق
لتقرير ما افادته الجملة السابقة من كون الارض موضوعة لمنافع الانام وتفصيل المنافع العائدة
الى البشر وقيل حال مقدرة من الارض فالاحسن حينئذ ان يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة
رفع على الفاعلية اي فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به والنخل ذات الاكمام هي اوعية الثمر جمع كم وكل
ما يكم اي يغطى من ليف وسعف وكفرى فانه مما ينتفع به كالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه والحب
وهو ما يتغذى به كالحنطة والشعير ذو العصف هو ورق الزرع وقيل التبن والريحان قيل هو
الرزق اريد به اللب اي فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذي وهو ثمر النخل وما
يتغذى به وهو الحب الذي له هو علف الانعام وريحان هو مطعم الناس وقرئ والحب ذو العصف
والريحان اي خلق الحب والريحان او واخص ويجوز ان يراد وذو الريحان فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه والريحان اما فيعلان من روح فقلبت الواو ياء وادغم ثم خفف او فعلان قلبت واوه
ياء للتخفيف او للفرق بينه وبين الروحان وهو ما له روح قاله القرطبي فبأي آلاء ربكما تكذبان الخطاب
للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للانام وسينطق به قوله تعالى ايها الثقلان والفاء لترتيب
الانكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للايمان والشكر حتما والتعريض

لعنوان الربوبية المنبئة على المالكية الكلية والتربية مع الاضافة الى ضميرهم لتاكيد النكير وتشديد التوبيخ
ومعنى تكذيبهم بالآية تعالى كفرهم بها اما بانكار كونه نعمة في نفسه كتعليم القرآن وما تستند اليه النعم
الدنيوية الواصلة اليهم باسناده الى غيره تعالى استقلالا او اشتراكا صريحا او دلالة فان اشراكهم لآلهتهم به
تعالى في العبادة من دواعي اشراكهم له تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم بها بالتكذيب بها لا محالة فاذا كان الامر
كما فصل فبأي المذكور بالتكذيب لما ان دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الايمان والشكر شهادة منها
بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة فاذا كان الامر كما فصل فبأي فرد من افراد الآلاء [illegible]
الآء تكذبان مع ان كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق خلق الانسان من صلصال كالفخار تمهيد للتوبيخ
على اخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتي كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذي له
صلصلة والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب ان جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم
صلصالا فلا تنافي بين الآية الناطقة باحدها وبين ما نطق باحد الاخريين وخلق الجان اي الجن او ابا الجن
من مارج من لهب صاف من نار بيان لمارج فانه في الاصل للمضطرب من مرج اذا اضطرب فبأي آلاء ربكما
تكذبان مما افاض عليكما في تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم رب المشرقين ورب المغربين بالرفع على خبرية
مبتدأ محذوف اي الذي فعل ما ذكر من الافاعيل البديعة رب مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما ومن
قضيته ان يكون رب ما بينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء وخبره قوله تعالى مرج البحرين وقرئ
بالجر على انه بدل من ربكما فبأي آلاء ربكما تكذبان مما في ذلك من فوائد لا تحصى من [illegible]
ارسلتها والمعنى ارسل البحر الملح والبحر العذب يلتقيان يتجاوران ويتماس سطوحهما لا فصل بينهما في مرأى
العين وقيل بحري فارس والروم يلتقيان في المحيط لانهما خليجان يتشعبان منه بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله
تعالى او من الارض لا يبغيان اي لا يبغي احدهما على الآخر بالممازجة وابطال الخاصية او لا يتجاوزان حدهما
باغراق ما بينهما فبأي آلاء ربكما تكذبان وليس منهما شيء يقبل التكذيب يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان اللؤلؤ
الدر والمرجان الخرز الاحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فنسبة خروجهما حينئذ
من البحرين مع انهما يخرجان من الملح على ما قالوا لما قيل انهما لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب او لانهما لما
التقيا وصارا كالشيء الواحد شاع ان يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر مع انهما لا يخرجان من جميع البحر
ولكن من بعضه وهو الاظهر وقرئ يُخرَج مبنيا للمفعول من الاخراج ومبنيا للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان
وبنون العظمة فبأي آلاء ربكما تكذبان اي السفن جمع جارية وقرئ برفع الراء بحذف الياء كقول من قال
لها ثنايا اربع حسان * واربع فكلها ثمان * المنشآت في البحر المرفوعات الشرع والمصنوعات وقرئ بكسر الشين
اي الرافعات الشرع او اللاتي ينشئن الامواج بجريهن في البحر كالاعلام كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل
الطويل فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق مواد السفن والارشاد الى اخذها وكيفية تركيبها واجرائها في
البحر بحيث لا يقدر على خلقها وتركيبها غيره سبحانه كل من عليها فان اي على الارض من الحيوانات او المركبات ومن للتغليب
او من الثقلين فان هالك لا محالة ويبقى وجه ربك اي ذاته عز وجل ذو الجلال والاكرام اي ذو
الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذي عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم
صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وقرئ ذي على انه صفة ربك وايا ما كان ففي
وصفه تعالى بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى ايذان بانه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم ايضا آثار لطفه وكرمه
حسبما ينبئ عنه قوله تعالى فبأي آلاء ربكما تكذبان من خلق فان احياءهم بالحياة الابدية واثابتهم بالنعيم
المقيم اجل النعماء واعظم الآلاء يسأله من في السموات والارض قاطبة ما يحتاجون اليه في ذواتهم ووجوداتهم
حدوثا وبقاء وساير احوالهم سواء كان ذلك بلسان المقال او بلسان الحال فانهم كافة من حيث حقايقهم
الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية
الالهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود اصلا فهم في كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال
وقد مر تفسير قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها من سورة ابراهيم عليه السلام كل يوم اي
كل وقت من الاوقات هو في شأن من الشؤون التي من جملتها اعطاء ما سألوا فانه تعالى لا يزال ينشئ
اشخاصا ويفني آخرين ويأتي باحوال ويذهب باحوال حسبما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة وفي الحديث من شأنه ان
يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون ان الله لا
يقضي يوم السبت شيئا فبأي آلاء ربكما تكذبان مع مشاهدتكم لما ذكر من احسانه سنفرغ لكم سنتجرد
لحسابكم وجزائكم وذلك يوم القيمة عند انتهاء شؤون الخلق المشار اليها بقوله تعالى كل يوم هو في شأن
فلا يبقى حينئذ الا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل مستعار من قول المهدد
لصاحبه سافرغ لك اي سأتجرد للايقاع بك من كل ما يشغلني عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام

منه

منه وقرئ سيفرغ مبنيا للفاعل والمفعول وقرئ سيفرغ اليكم ايها الثقلان وهما الانس والجن سميا بذلك
لثقلهما على الارض او لرزانة آرائهما او لانهما مثقلان بالتكليف فبأي آلاء ربكما تكذبان التي من جملتها
التنبيه على ما سيلقونه يوم القيمة والتحذير عما يؤدي الى سوء الحساب تكذبان باقوالكما واعمالكما يا معشر
الجن والانس هما الثقلان خوطبا باسم جنسهما لزيادة التقرير ولان الجن مشهورون بالقدرة على الافاعيل
الشاقة فخوطبوا بما ينبئ عن ذلك لبيان ان قدرتهم لا تفي بما كلفوه ان استطعتم ان
تنفذوا من اقطار السموات والارض اي ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكوتي ومن اقطار السموات
والارض فانفذوا منها وخلصوا انفسكم من عقابي لا تنفذون لا تقدرون على النفوذ الا بسلطان اي
بقوة وقهر وانتم بذلك بمعزل بعيد روي ان الملائكة تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس
هربوا فلا يأتون وجها الا وجدوا الملائكة احاطت به فبأي آلاء ربكما تكذبان اي من التنبيه والتحذير
والمساهلة والعفو مع كمال القدرة على العقوبة يرسل عليكما شواظ قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان
وقيل اللهب الاخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان
جميعا وقرئ شواظ بكسر الشين من نار متعلق بيرسل او بمضمر هو صفة لشواظ اي كائن من نار والتنوين
للتفخيم ونحاس اي دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرئ بكسر النون وقرئ بالجر
عطفا على نار وقرئ نرسل بنون العظمة ونصب شواظا ونحاسا وقرئ ونحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف
وقرئ ونحس اي نقتل بالعذاب فلا تنتصران اي لا تمتنعان فبأي آلاء ربكما تكذبان فان بيان عاقبة ما هم عليه
من الكفر والمعاصي لطف ونعمة واي نعمة فاذا انشقت السماء اي انصدعت يوم القيمة فكانت
وردة كوردة حمراء وقرئ وردة بالرفع على ان كان تامة اي حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول
من قال * ولئن بقيت لارحلن بغزوة * تحوي الغنائم او يموت كريم * كالدهان خبر ثان لكانت او نعت لوردة
او حال من اسم كانت اي كالدهن الزيت وهو اما جمع دهن او اسم لما يدهن به كالحزام والادام وقيل هو
الاديم الاحمر وجواب اذا محذوف اي يكون من الاحوال والاهوال ما لا يحيط به دائرة المقال فبأي آلاء ربكما تكذبان
مع عظم شأنها فيومئذ اي يوم تنشق السماء حسبما ذكر لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان لانهم يعرفون بسيماهم
وذلك اول ما يخرجون من القبور ويحشرون الى الموقف ذودا على اختلاف مراتبهم واما قوله تعالى فوربك
لنسألنهم اجمعين ونحوه ففي موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للانس لتقدمه رتبة وافراده لما
ان المراد فرد من الانس كانه قيل لا يسئل عن ذنبه انسي ولا جني فبأي آلاء ربكما تكذبان مع كثرة
منافعهما فان الاخبار بما ذكر مما يزجركم عن الشر المؤدي اليه واما من قيل مما انعم الله تعالى على عباده
المؤمنين في هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم استيناف يجري مجرى التعليل لعدم
السؤال قيل يعرفون بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن فيؤخذ بالنواصي
والاقدام الجار والمجرور هو القائم مقام الفاعل يقال اخذه اذا كان المأخوذ مقصودا بالاخذ ومنه قوله
تعالى لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي وقول المستغيث خذ بيدي اخذ الله بيدك اي يجمع بين نواصيهم واقدامهم
في سلسلة من وراء ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة بالنواصي وتارة بالاقدام فبأي آلاء ربكما تكذبان وقوله
تعالى هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون على ارادة القول اي يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ على ان الجملة اما
استيناف وقع جوابا عن حكاية سؤال نشأ من حكاية الاخذ بالنواصي والاقدام كانه قيل فماذا يفعل بهم عند
ذلك فقيل يقال الخ او حال من اصحاب النواصي والاقدام لان الالف واللام عوض عن المضاف اليه وما بينهما
اعتراض يطوفون بينها وبين حميم آن اي ماء بالغ من الحرارة اقصاها يصب عليهم او يسقون
منه وقيل اذا استغاثوا من النار اغيثوا بالحميم فبأي آلاء ربكما تكذبان وقد اشير الى سر كون بيان
امثال هذه الامور من قبيل الآلاء مرارا ولمن خاف مقام ربه شروع في تعداد الآلاء الفائضة عليهم في
الآخرة بعد تعداد ما وصل اليهم في الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم ان ما عد فيما بين هذه
الآية وبين خاتمة السورة الكريمة من فنون الكرامات كما انها في انفسها آلاء جليلة واصلة اليهم في الآخرة
كذلك حكاياتها الواصلة اليهم في الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم الى السعي في تحصيل ما يؤدي
الى نيلها من الايمان والطاعة وان ما فصل من فاتحة السورة الكريمة الى قوله تعالى كل يوم هو في شأن من
النعم الدينية والدنيوية الانفسية والآفاقية آلاء جليلة واصلة اليهم في الدنيا وكذلك حكاياتها من
حيث ايجابها للشكر والمثابرة على ما يؤدي الى استدامتها واما ما عد فيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين
هذه الآية من الاحوال الهائلة التي ستقع في الآخرة فليست هي من قبيل الآلاء وانما الآلاء حكاياتها
الموجبة للانزجار عما يؤدي الى الابتلاء بها من الكفر والمعاصي كما اشير اليه في تضاعيف تعدادها ومقامه
تعالى موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيامه على احواله من

قام عليه اذا راقبه او مقام الخائف عند ربه للحساب باحد المعنيين واضافته الى الرب للتفخيم والتهويل وهو مقحم
للتعظيم جنتان جنة للخائف الانسي وجنة للخائف الجني فان الخطاب للفريقين والمعنى لكل خائفين منكما او لكل
واحد جنة لعقيدته واخرى لعمله او جنة لفعل الطاعة واخرى لترك المعاصي او جنة يثاب بها واخرى
يتفضل بها عليه او روحانية وجسمانية وكذا ما جاء مثنى بعد فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ذواتا
افنان صفة للجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيها على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب
للانكار والتوبيخ والافنان اما جمع فن اي ذواتا انواع من الاشجار والثمار او جمع فنن اي ذواتا اغصان
متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لانها التي تورق وتثمر وتمد الظل فباي الاء ربكما تكذبان
وليس فيها شيء يقبل التكذيب فيهما عينان تجريان صفة اخرى للجنتان في كل واحدة منهما عين تجري
كيف يشاء صاحبها في الاعالي والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان
بالماء الزلال احديهما التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احديهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر
لذة للشاربين قال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله
عز وجل فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان اي صنفان معروف وغريب او
رطب ويابس صفة اخرى للجنتان وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر من نظائرها فباي الاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى متكئين حال من الخائفين لان من خاف في معنى الجمع او نصب على المدح على فرش بطائنها من استبرق
من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرها من سندس وقوله تعالى وجنى
الجنتين دان اي ما يجتنى من اشجارهما من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وان شاء
مضطجعا وقرئ جنى بكسر الجيم فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن اي في الجنان المدلول عليها بقوله
تعالى جنتان لما عرفت انهما لكل خائفين من الثقلين او لكل خائف حيث يتعدد عمله وقد اعتبر الجمعية
في قوله تعالى متكئين وقيل فيهما من الاماكن والقصور وقيل في الالاء المعدودة من الجنتين والعينين
والفاكهة والفرش قاصرات الطرف نساء يقصرن ابصارهن على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان اي لم يمس الانسيات احد من الانس ولا الجنيات احد من الجن قبل ازواجهن المدلول
عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متكئين وفيه دليل على ان الجن يطمثون وقرئ يطمثهن بضم الميم
والجملة صفة لقاصرات الطرف لان اضافتها لفظية او حال منها لتخصيصها بالاضافة فباي الاء ربكما تكذبان
وقوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان اما صفة لقاصرات الطرف او حال منهن كالتي قبلها اي مشبهات
بالياقوت في حمرة الوجه والمرجان اي صغار اللؤلؤ في بياض البشرة وصفائها فان صغار الدر انصع
بياضا من كباره قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة
البيضاء فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان استئناف مقرر لمضمون ما قبله
اي ما جزاء الاحسان في العمل الا الاحسان في الثواب فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى ومن دونهما جنتان
مبتدأ وخبر اي ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان اخريان لمن دونهم من
اصحاب اليمين فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى مدهامتان صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر
من التنبيه على ان تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالانكار والتوبيخ اي خضراوان تضربان
الى السواد من شدة الخضرة وفيه اشعار بان الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة
على وجه الارض وعلى الاوليين الاشجار والفواكه فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اي
فوارتان بالماء والنضخ اكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل
ورمان عطف الاخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكائيل على الملائكة بيانا لفضلهما فان ثمرة النخل
فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه من حلف لا ياكل فاكهة
فاكل رمانا او رطبا لم يحنث فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى فيهن خيرات صفة اخرى لجنتان كالجملة
التي قبلها والكلام في جمع الضمير كالذي مر فيما مر خيرات مخففة من خيرات لان خيرا الذي بمعنى اخير
لا يجمع وقد قرئ على الاصل حسان اي حسان الخلق فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى حور بدل
من خيرات مقصورات في الخيام قصرن في خدورهن يقال امراة قصيرة وقصورة اي مخدرة او
مقصورات الطرف على ازواجهن وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوفة فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان كالذي مر في نظيره في جميع الوجوه فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى
متكئين نصب على الاختصاص على رفرف خضر رفرف اما اسم جنس او اسم جمع واحده رفرفة قيل هو ما يدل
على الاسرة من غالي الثياب وقيل هو ضرب من البسط او البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل كل ثوب عريض

رفوف

رفوف وقيل لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه وعبقري حسان
العبقري منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد للجن فينسبون اليه كل شيء عجيب والمراد الجنس ولذلك
وصفه بالجمع حملا على المعنى كما في رفرف على احد الوجهين وقرئ على رفارف خضر وعباقري كمدائني نسبة الى
عباقر اسم البلد فباي الاء ربكما تكذبان وقوله تعالى تبارك اسم ربك تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير
لما ذكر في السورة الكريمة من الالاء الفائضة على الانام اي تعالى اسمه الجليل الذي من جملته ما صدرت به السورة
من اسم الرحمن المنبئ عن افاضة الالاء المفصلة وارتفع عما لا يليق بشانه من الامور التي من جملتها جحود
نعمائه وتكذيبها واذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الاقدس الاعلى وقيل الاسم بمعنى الصفة
وقيل مقحم كما في قول من قال الى الحول ثم اسم السلام عليكما ذي الجلال والاكرام وصف به الرب سبحانه وتعالى تكميلا
لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرئ ذو الجلال على انه نعت للاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الرحمن فقد ادى شكر
ما انعم الله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة اي اذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية
والتعبير عنها بالواقعة للايذان بتحقق وقوعها لا محالة كانها واقعة في نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع
في حين الشرط كانه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب اذا بمضمر ينبئ عن الهول والفظاعة كانه
قيل اذا وقعت الواقعة يكون من الاحوال ما لا يفي به المقال وقيل بالنفي المفهوم من قوله تعالى ليس لوقعتها
كاذبة اي لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى او تكذب في نفيها كما تكذب اليوم واللام كهي
في قوله تعالى يا ليتني قدمت لحياتي وهذه الجملة على الوجه الاول اعتراض مقرر لمضمون الشرط وعلى ان
الكاذبة مصدر كالعافية اي ليس لها حين وقعتها وفي حقها كذب اصلا بل كل ما ورد في شانها من الاخبار
حق صادق لا ريب فيه وقوله تعالى خافضة رافعة خبر مبتدأ محذوف اي هي خافضة لاقوام رافعة
لاخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لامرها فان الوقائع العظام شانها كذلك او بيان لما يكون يومئذ من
حط الاشقياء الى الدركات ورفع السعداء الى الدرجات ومن زلزلة الاشياء وازالة الاجرام عن مقارها
بنثر الكواكب واسقاط السماء كسفا وتسيير الجبال في الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد في التهويل
وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال من الواقعة وقوله تعالى اذا رجت الارض رجا اي زلزلت زلزالا
شديدا بحيث ينهدم ما فوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة اي تخفض وترفع وقت رج الارض اذ
عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض او بدل من اذا وقعت وبست الجبال بسا اي فتتت
حتى صارت مثل السويق الملتوت من بس السويق اذا لته او سيقت وسيرت من اماكنها من بس الغنم اذا ساقها
كقوله تعالى وسيرت الجبال وقرئ رجت وبست اي ارتجت وذهبت فكانت اي فصارت بسبب ذلك هباء
غبارا منبثا منتشرا وكنتم اما خطاب للامة الحاضرة او للامم السالفة تغليبا او للحاضرة فقط ازواجا اي
اصنافا ثلاثة فكل صنف يكون مع صنف اخر في الوجود او في الذكر فهو زوج وقوله تعالى فاصحاب الميمنة
ما اصحاب الميمنة واصحاب المشامة ما اصحاب المشامة تقسيم وتنويع للازواج الثلاثة مع الاشارة
الاجمالية الى احوالهم وقيل تفصيلها فقوله تعالى فاصحاب الميمنة مبتدأ وقوله تعالى ما اصحاب الميمنة خبر على
ان ما الاستفهامية خبر ثان ما بعده مبتدأ والجملة خبر للاول والاصل ما هم اي اي شيء هم في حالهم وصفتهم فان
ما وان شاعت في طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال
عالم او طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه ادخل في التفخيم وكذا الكلام في قوله تعالى واصحاب
المشامة ما اصحاب المشامة والمراد تعجيب السامع من شان الفريقين في الفخامة والفظاعة كانه قيل
فاصحاب الميمنة في غاية حسن الحال واصحاب المشامة في نهاية سوء الحال وتكلموا في الفريقين فقيل اصحاب
الميمنة اصحاب المنزلة السنية واصحاب المشامة اصحاب المنزلة الدنية اخذا من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم
بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بايمانهم والذين يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات
اليمين الى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل اصحاب اليمن واصحاب الشؤم فان السعداء
ميامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعاصيهم وقوله تعالى والسابقون السابقون هو
القسم الثالث من الازواج الثلاثة ولعل تاخير ذكرهم مع كونهم اسبق الاقسام في الفضل ليقترن
ذكرهم ببيان محاسن احوالهم على ان ايرادهم بعنوان السبق مطلق معرب عن احرازهم لقصب السبق من
جميع الوجوه وتكلموا فيهم ايضا فقيل هم الذين سبقوا الى الايمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم
وتوان وقيل الذين سبقوا في حيازة الفضائل والكمالات وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين كما

قال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل
المسارعون في الخيرات وايا ما كان فالجملة مبتدا وخبره والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت احوالهم وعرفت
محاسنهم كقول ابي النجم • انا ابو النجم وشعري شعري • وفيه من تفخيم شانهم وانه يفان بشيوع فضلهم
واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى وقيل السابقون الى طاعة الله السابقون الى رحمته والسابقون
الى الخير السابقون الى الجنة وقوله تعالى اولئك اشارة الى السابقين وما فيه من معنى البعد قرب العهد
بالمشار اليه ببعد منزلتهم في الفضل ومحله الرفع على الابتداء وخبره ما بعده اي اولئك الموصوفون بذلك
النعت الجليل المقربون اي الذين قربت الى العرش العظيم درجاتهم واعليت مراتبهم ورقيت الى حظائر القدس
نفوسهم الزكية هذا اظهر ما ذكر في اعراب هذه الجمل واشهره والذي يقتضيه جزالة التنزيل ان قوله تعالى
فاصحاب الميمنة خبر مبتدا محذوف وكذا قوله تعالى واصحاب المشأمة وكذا قوله تعالى والسابقون فان المعنى
المترقب عند بيان انقسام الناس الى الاقسام الثلاثة بيان انفس الاقسام واما اوصافها واحوالها فحقها ان
تبين بعد ذلك باسنادها اليها والتقدير فاحدها اصحاب الميمنة والاخر اصحاب المشأمة والثالث السابقون
خلا انه لما اخر بيان احوال القسمين الاولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين مبينة عن ترامي
احوالهما في الخير والشر بيانا اجماليا مشعرا بان لاحوال كل منهما تفصيلا مترقبا لكن لا على ان ما الاستفهامية مبتداء
وما بعدها خبرها على ما رواه سيبويه في امثاله بل على انها خبر لما بعدها فان مناط الافادة بيان ان اصحاب
الميمنة امر بديع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا اصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدا وكذا الحال فيما
اصحاب المشأمة واما القسم الاخير فحيث قرن بيان محاسن احواله بذكره لم يحتج فيه الى تقديم الانموذج
فقوله تعالى السابقون مبتداء والاظهار في مقام الاضمار للتفخيم اولئك مبتدا ثان او بدل من الاول
وما بعده خبر له او للثاني والجملة خبر للاول وقوله تعالى في جنات النعيم متعلق بالمقربون او بمضمر هو حال
من ضميره اي كائنين في جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الاشارة وفيه اخبار بكونهم في جنات ليس فيه مزيد
مزية وقرئ في جنة النعيم وقوله تعالى ثلة من الاولين خبر مبتدا محذوف اي هم امة جمة من الاولين
وهم الامم السالفة من لدن ادم الى نبينا عليهم الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الانبياء العظام وقليل من
الاخرين اي من هذه الامة لا يخالفه قوله ﷺ ان امتي يكثرون سائر الامم فان اكثرية سابقي الامم
السالفة من سابقي هذه الامة لا يمنع اكثرية تابعي هؤلاء وتابعي اولئك ولا يرده قوله تعالى في اصحاب
اليمين ثلة من الاولين وثلة من الاخرين لان كثرة كل من الفريقين في انفسهما لا تنافي اكثرية احدهما
من الاخر وسياتي ان الثلتين من هذه الامة وقد روي مرفوعا ان الاولين والاخرين ههنا ايضا متقدموا
هذه الامة ومتاخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر على سرر موضونة حال اخرى من المقربين او
من ضميرهم في الحال الاولى وقيل خبر اخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت
او المتواصلة من الوضن وهو النسج متكئين عليها متقابلين حال من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر اي
مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم الى اقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة
وتهذيب الاخلاق والاداب ويطوف عليهم حال اخرى او استيناف اي يدور حولهم للخدمة ولدان مخلدون
اي مبقون ابدا على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم اولاد اهل
الدنيا لم يكن لهم حسنات يثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روي ذلك عن علي رضي الله عنه وعن الحسن
رضي الله تعالى عنه وفي الحديث اولاد الكفار خدام اهل الجنة باكواب بانية لا عرى لها ولا خراطيم
واباريق اي انية ذات عرى وخراطيم وكاس من معين اي خمر جارية من العيون قيل انما افرد الكاس لانها
لا تسمى كاسا الا اذا كانت مملوءة لا يصدعون عنها اي بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرئ لا يصدعون
ولا ينزفون كقوله يومئذ يصدعون وقرئ لا يصدعون اي لا يفرق بعضهم بعضا ولا ينزفون اي لا
يسكرون من انزف الشارب اذا نفد عقله او شرابه وفاكهة مما يتخيرون اي يختارونه خيره وافضله
ولحم طير مما يشتهون اي يتمنون وقرئ لحوم طير وحور عين بالرفع عطفا على ولدان او مبتدا محذوف
الخبر اي وفيها او ولهم حور وقرئ بالجر عطفا على جنات النعيم كانه قيل هم في جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة
حور او على اكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون باكواب ينعمون باكواب وبالنصب اي ويؤتون
كامثال اللؤلؤ المكنون صفة لحور او حال جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي يفعل بهم ذلك كله جزاء
باعمالهم او مصدر مؤكد اي يجزون جزاء لا يسمعون فيها لغوا اي باطلا ولا تاثيما اي ولا نسبة الى
الاثم اي لا لغو فيها ولا تاثيم ولا سماع كقوله • ولا ترى الضب بها ينجحر • الا قيلا اي قولا سلاما سلاما
بدل من قيلا كقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما او صفته او مفعوله بمعنى لا يسمعون فيها الا ان
يقول سلاما سلاما والمعنى انهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام او لا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه

الاسلاما الا سلاما او خر بعد او رد وقرئ سلام على الحكاية وقوله تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين
جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها ومحلها اما الرفع على
انها خبر المبتداء او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى في سدر مخضود وهو على الاول خبر ثان للمبتدا او
خبر لمبتدا او معترضة لا محل لها والخبر قوله تعالى محذوف والجملة استيناف لبيان ما ابهم في قوله ما اصحاب
اليمين من علو الشان اي هم في سدر غير ذي شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كانه خضد شوكه اي
قطع وقيل مخضود اي مثني اغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب وطلح منضود قد نضد
حمله من اسفله الى اعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر الموز او ام غيلان وله انوار كثيرة منتظمة
طيبة الرايحة وعن السدي شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر احلى من العسل وعن علي رضي الله تعالى عنه
انه قرأ وطلع وما شان الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل او نحولها فان القران لا يهاج ولا
يحول وعن ابن عباس نحوه وظل ممدود ممتد منبسط لا يتقلص ولا يتفاوت كظل ما بين طلوع الفجر
وطلوع الشمس وماء مسكوب يسكب لهم اين شاؤا وكيف شاؤا ارادوا بلا تعب او مصبوب
سايل يجري على الارض في غير اخدود وكانه قيل حال السابقين باقصى ما يتصور لاهل المدن وحال
اصحاب اليمين باكمل ما يتصور لاهل البوادي ايذانا بالتفاوت بين الحالين وفاكهة كثيرة بحسب الانواع
والاجناس لا مقطوعة في وقت من الاوقات كفواكه الدنيا ولا ممنوعة عن تناولها بوجه من الوجوه
لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرئ فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الى اخره كقوله تعالى
وحور عين وفرش مرفوعة اي رفيعة القدر او منضدة اي مرتفعة او مرفوعة على الاسرة وقيل
الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المراة وارتفاعها كونهن على الارائك قال تعالى هم وازواجهم
على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى انا انشاناهن انشاء وعلى التفسير الاول اضمر لهن لدلالة
ذكر الفراش التي هي المضاجع عليهن دلالة بينة والمعنى ابتدانا خلقهن ابتداء جديدا او ابداعهن من غير ولادة
ابداء واعادة وفي الحديث هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله تعالى بعد
الكبر اترابا على ميلاد واحد في الاستواء كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وذلك قوله تعالى فجعلناهن
ابكارا وقوله تعالى عربا اترابا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل وقرئ عربا بسكون
الراء مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا ازواجهن واللام في قوله تعالى لاصحاب
اليمين متعلقة بانشانا او بجعلنا او باترابا كقولك هذا ترب لهذا اي مساو له في السن وقيل بمحذوف هو
صفة لابكارا كاينات لاصحاب اليمين او خبر مبتدا محذوف اي هن لاصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى
ثلة من الاولين وقليل من الاخرين وهو بعيد بل هو خبر مبتدا محذوف اي هم ثلة [illegible] اصحاب اليمين
هم امة من الاولين وامة من الاخرين وعن ابي العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من
الاولين اي من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين من هذه الامة في اخر الزمان وعن سعيد بن جبير
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في هذه الاية قال رسول الله ﷺ هم جميعا من امتي واصحاب الشمال
شروع في تفاصيل احوالهم التي اشير عند التقسيم الى هولها وفظاعتها بعد تفصيل حسن حال اصحاب
اليمين والجملة في قوله تعالى ما اصحاب الشمال على ما فصل في نظيره وقوله تعالى في سموم وحميم
خبر [illegible] والسموم حر نار ينفذ في المسام والحميم الماء المتناهي في الحرارة وظل من يحموم من دخان اسود بهيم لا بارد كسائر الظلال
ولا كريم فيه خير ما
الى تحقيق انه ليس بظل انهم كانوا قبل ذلك مترفين تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب اي انهم كانوا قبل ذلك في الدنيا
منعمين بانواع النعم من الماكل والمشارب والمساكن والمقاعد الطيبة المنهمكين في الشهوات
فلا جرم عذبوا بنقائضها وكانوا يصرون على الحنث العظيم اي الذنب العظيم الذي هو الشرك وقيل الحنث
بلغ الغلام الحنث اي الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا
ترابا وعظاما اي كان بعض اجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاما نخرة وتقديم التراب لعراقته
في الاستبعاد وانقلابها من الاجزاء البادية ائنا لمبعوثون والعامل في اذا ما دل عليه قوله
تعالى ائنا لمبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان والهمزة لا يعمل فيما قبلها او اباؤنا الاولون
للاكتفاء وتقييد بالوقت المذكور
البدن على حاله
لتاكيد النكير
تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة

الانكار لا انكار التعقيب كما هو المشهور فليس مدار انكارهم كونهم ثابتين له في المبعوثية بالفعل في حال
كونهم ترابا وعظاما بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعهم الى انكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من
الدلالة على غلوهم في الكفر وتماديهم في الضلال ما لا مزيد عليه وتكرير الهمزة في قوله تعالى اوآباؤنا الاولون
لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن في لمبعوثون وحسن ذلك قوله الفصل بالهمزة يعنون ان بعث آبائهم
الاولين ابعد من الوقوع وقرئ او آباؤنا قل ردا لانكارهم وتحقيقا للحق ان الاولين والآخرين من الامم الذين
من جملتهم انتم وآباؤكم وفي تقديم الاولين مبالغة في الرد حيث كان انكارهم لبعث آبائهم اشد من انكارهم
لبعثهم من مراعاة الترتيب الوجودي لمجموعون بعد البعث وقرئ لمجتمعون الى ميقات يوم معلوم الى
ما وقت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة ثم انكم ايها الضالون عطف على ان الاولين
داخل تحت القول وثم للتراخي زمانا او رتبة المكذبون اي بالبعث والخطاب لاهل مكة واضرابهم لآكلون
بعد البعث والجمع ودخول جهنم من شجر من زقوم من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره
اي مبتدئون الاكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلق بمضمر هو صفة لشجر اي كائن من زقوم فمالئون منها
البطون اي بطونكم من شدة الجوع فشاربون عليه عقيب ذلك بلا ريث من الحميم اي الماء الحار في الغاية وتأنيث
ضمير الشجر اولا وتذكيره ثانيا باعتبار المعنى واللفظ وقرئ من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للاكل وقوله
تعالى فشاربون شرب الهيم كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا اي لا يكون شربكم شربا معتادا بل
يكون مثل شرب الهيم وهي الابل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع اهيم وهيماء وقيل الهيم
الرمال على انه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما
فعل بجمع ابيض والمعنى انه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في احشائهم ما يضطرهم الى اكل الزقوم الذي هو
كالمهل فاذا ملأوا منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذي
هو يقطع امعاءهم فيشربونه شرب الهيم وقرئ شرب الهيم بالفتح وهو ايضا مصدر وقرئ بالكسر على انه اسم
المشروب هذا الذي ذكر من الوان العذاب نزلهم يوم الدين اي يوم الجزاء فاذا كان ذلك نزلهم وهو ما
يعد للنازل مما حضر فما بالك بما لهم بعد ما استقر بهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم
بهم ما لا يخفى وقرئ نزلهم بسكون الزاي تخفيفا والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون
الكلام الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون تلوين للخطاب وتوجيه الى
الكفرة بطريق الالزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ما قبلها اي فهلا تصدقون بالخلق فان ما لا
يحققه العمل ولا يساعده بل ينبئ عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا بالانشاء فان
من قدر عليه قدر على الاعادة حتما والاول هو الوجه كما ستحيط به خبرا افرأيتم ما تمنون اي تقذفونه في
الارحام من النطف وقرئ بفتح التاء من منى النطفة بمعنى امناها أانتم تخلقونه اي بل انحن الخالقون على ان
الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون الخالقون له من غير دخل شيء فيه وام قيل منقطعة لان ما
بعدها جملة فالمعنى بل انحن الخالقون على ان الاستفهام للتقرير وقيل متصلة ومجيء الخالقون بعد نحن بطريق
التأكيد لا بطريق الخبر به اصالة نحن قدرنا بينكم الموت اي قسمناه عليكم ووقتنا موت كل احد بوقت معين حسبما
تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرئ قدرنا بالتخفيف وما نحن بمسبوقين اي انا قادرون على ان نبدل
امثالكم لا يغلبنا احد على ان نذهبكم ونأتي مكانكم باشباهكم من الخلق وننشئكم فيما لا تعلمون من الخلق والاطوار
ولا تعهدون بمثلها قال الحسن رضي الله عنه اي نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم في البعث على
غير صوركم في الدنيا فمن هذا شأنه كيف يعجز عن اعادتكم وقيل المعنى ما يسبقنا احد فيهرب من الموت او
يغير وقته وعلى ان نبدل الى آخره اما حال من فاعل قدرنا او علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض
ولقد علمتم النشأة الاولى اي خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هي فطرة آدم عليه السلام
من التراب فلولا تذكرون فهلا تذكرون ان من قدر عليها قدر على النشأة الاخرى حتما فانه اقل صنعا
لحصول المواد وتخصيص الاجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرئ فلولا تذكرون من الثلاثي
وفي الخبر عجبا كل العجب للمكذب بالنشأة الاخرى وهو يرى النشأة الاولى وعجبا للمصدق بالنشأة الآخرة
وهو يسعى لدار الغرور افرأيتم ما تحرثون اي تبذرون حبه وتعملون في ارضه أانتم تزرعونه تنبتونه
وتردونه نباتا يرف ام نحن الزارعون اي المنبتون لا انتم والكلام في ام كما مر آنفا لو نشاء لجعلناه حطاما
هشيما متكسرا متفتتا بعد ما انبتناه وصار بحيث طمعتم في حيازة غلاله فظلتم بسبب ذلك تفكهون
تعجبون من سوء حاله اثر ما شاهدتموه على احسن ما يكون من الحال او تندمون على ما تعبتم فيه وانفقتم
عليه او على ما اقترفتم لاجله من المعاصي فتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير
للتنقل بالحديث وقرئ تفكنون اي تندمون وقرئ فظلتم بالكسر وفظلتم على الاصل انا لمغرمون اي

بعد نحن بطريق التاكيد لا بطريق تقدرونه
وتصورونه بشرا سويا ام نحن الخالقون صح

لملزمون

لملزمون غرامة ما انفقنا او مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرئ ائنا على الاستفهام والجملة
على القراءتين مقدرة بقول هو في حيز النصب على الحالية من فاعل تفكهون اي قائلين او تقولون انا
لمغرمون بل نحن محرومون حرمنا رزقنا او مجارفون محدودون لا حظ لنا ولا بخت لا مجدودون
افرأيتم الماء الذي تشربون عذبا فراتا وتخصيصه بهذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لان الشرب اهم
المقاصد المنوطة به أانتم انزلتموه من المزن اي من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الابيض وماؤه
اعذب ام نحن المنزلون له بقدرتنا لو نشاء جعلناه اجاجا ملحا زعاقا لا يمكن شربه وحذف اللام ههنا مع
اثباتها في الشرطية الاولى للتعويل على علم السامع او الفرق بين المطعوم والمشروب في الاهمية وصعوبة
الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان ان نعمته تعالى للزرع والماء مما يخل بالتمتع بهما
نعمة اخرى بعد نعمة الانبات والانزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى فلولا تشكرون تحضيض على شكر
الكل افرأيتم النار التي تورون اي تقدحونها وتستخرجونها من الزناد أانتم انشأتم شجرتها التي منها
الزناد وهي المرخ والعفار ام نحن المنشئون لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالانشاء المنبئ عن بديع
الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الاشجار
التي لا تخلو عن النار حتى قيل في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما ان التعبير عن نفخ الروح
بالانشاء في قوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر كذلك وقوله تعالى نحن جعلناها تذكرة استئناف مبين
لمنافعها اي جعلناها تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها اسباب المعاش لينظروا اليها ويذكروا ما اوعدوا
به من نار جهنم او تذكرة وانموذجا لما روي عن النبي عليه السلام ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء من
سبعين جزءا من نار جهنم وقيل تبصرة في امر البعث فانه ليس بابدع من اخراج النار من الشجر الرطب
ومتاعا ومنفعة للمقوين للذين ينزلون القواء وهي القفر وتخصيصهم بذلك لانهم احوج اليها فان
المقيمين او النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين الى الاقتداح بالزناد وقد جوز ان يراد بالمقوين الذين
خلت مزاودهم وبطونهم من الطعام وهو بعيد لعدم اعتبار حاجتهم ونيتهم خلتهم فيما لا يؤكل الا بالطبخ
وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على ان الاهم هو النفع الاخروي والفاء في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم
لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى اما تنزيها له
تعالى عما يقوله الجاحدون لوحدانيته تعالى الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها او تعجبا من امرهم في غمط
تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور امرها او شكرا على تلك النعم السابقة اي فاحدث التسبيح
بذكر اسمه تعالى او بذكره فان اطلاق الاسم للشيء ذكره والعظيم صفة للاسم او للرب فلا اقسم لا
اقسم ولا مزيدة للتأكيد كما في قوله تعالى لئلا يعلم او فلانا اقسم فحذف المبتدأ واشبع فتحة لام الابتداء
ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم او فلارد لكلام يخالف المقسم عليه واما ما قيل من ان المعنى فلا اقسم اذ الامر
اوضح من ان يحتاج الى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن المقسم به بمواقع النجوم اي بمساقطها
وهي مغاربها وتخصيصها بالقسم لما في غروبها من زوال اثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لا يتغير ولان
ذلك وقت قيام المتهجدين المبتهلين اليه تعالى واوان نزول الرحمة والرضوان عليهم او بمنازلها
ومجاريها فان له تعالى في ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته ما لا يحيط به البيان وقيل النجوم نجوم
القرآن ومواقعها اوقات نزولها وقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض في اعتراض وقصد به المبالغة
في تحقيق مضمون الجملة القسمية وتأكيده حيث اعترض بقوله وانه لقسم بين المقسم وجوابه الذي هو
قوله تعالى انه لقرآن كريم اي كثير النفع لاشتماله على اصول العلوم المهمة في صلاح المعاش والمعاد او
حسن مرضي او كريم عند الله تعالى او بقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف والصفة وجواب لو اما متروك
اريد به نفي علمهم او محذوف ثقة بظهوره اي لعظمتموه او لعملتم بموجبه في كتاب مكنون اي مصون
من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهو اللوح لا يمسه الا المطهرون اما صفة اخرى
لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية واوضار الاوزار او للقرآن
فالمراد هم المطهرون من الاحداث فيكون نفيا بمعنى النهي اي لا ينبغي ان يمسه الا من كان على طهارة من
الناس على طريقة قوله عليه السلام المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه اي لا ينبغي له ان يظلمه او يسلمه الى من
يظلمه وقيل لا يطلبه الا المطهرون وقرئ المتطهرون بالادغام والمطهرون اي انفسهم او غيرهم
بالاستغفار او غيره تنزيل من رب العالمين صفة اخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه
وقرئ تنزيلا افبهذا الحديث الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لاعظامه واجلاله وهو القرآن
الكريم انتم مدهنون اي متهاونون به كمن يدهن في الامر اي يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به
وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون اي تضعون التكذيب موضع الشكر وقرئ وتجعلون

شكركم انكم تكذبون اى تجعلون شكركم لنعمة القرآن انكم تكذبون به وقيل الى نقا المطر والمعنى تجعلون من

شكركم ما رزقكم الله تعالى من الغيث انكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى الانوا والاول هو الاوفق
لسياق النظم الكريم وسياقه فان قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم الى اخره تبكيت مبنى على تكذيبهم بالقرآن
فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم الى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم
ومن حيث طعامهم ومن حيث شرابهم وساير اسباب معايشهم كما يشعف عليه ولولا للتحضيض لانها لتحضهم
واذا ظرف فيه اى فلولا اذا بلغت النفس اى الروح وقيل نفس احدكم الحلقوم وتداعت الى الخروج وانتم حينئذ
ايها الحاضرون حول صاحبها تنظرون الى ما فيه من الغمرات ونحن اقرب اليه علما وقدرة وتصرف منكم
حيث لا تعرفون من حاله الا ما تشاهد به من اثار الشدة من غير ان تقفوا على كنهها وكيفيتها واسبابها ولا ان
تقدروا على دفع ادنى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل احواله لعلمنا وقدرتنا او بملائكة الموت ولكن لا تبصرون
لا تدركون ذلك لجهلكم بشوننا وقوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اى غير مربوبين من دان السلطان
رعيته اذا ساسهم فاستعبدهم ناظر الى قوله نحن خلقناكم فلولا تصدقون فان التحضيض يستدعى عدم المحضض
عليه حتما وقوله تعالى ترجعونها اى النفس الى مقرها هو العامل فى اذا المحضض عليه بلولا الاولى والثانية
مكررة للتاكيد وهى مع ما فى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى ان كنتم غير مربوبين كما ينبئ عنه عدم تصديقكم
بخلقنا اياكم فهلا ترجعون النفس الى مقرها عند بلوغها الحلقوم ان كنتم صادقين فى اعتقادكم فان عدم
تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم بعدم خالقيته تعالى لموجب مذهبهم وقوله تعالى فاما ان كان
من المقربين الى اخره شروع فى حال بيان المتوفى بعد الممات اثر بيان حاله عند الوفاة اى فاما ان كان الذى
بين حاله من السابقين من الازواج الثلاثة عبر عنهم باجل اوصافهم فروح اى فله استراحة وقرئ فروح
بضم الراء وفسر بالرحمة لانها سبب لحيوة المرحوم وبالحياة الدائمة وريحان ورزق وجنة نعيم اى ذات تنعم
واما ان كان من اصحاب اليمين عبر عنهم بالعنوان السابق اذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف انبئ عن شانهم سواه كما ذكر
للفريقين الاخرين وقوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح
عنه اللام لا حكاية انشاء السلام بعضهم على بعض الا لقيل عليك والالتفات الى الخطاب كل واحد منهم للتشريف
واما ان كان من المكذبين الضالين وهم اصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان احوالهم وقوله
تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون ذما لهم بذلك وتنبيها على سبب ما ابتلوا به من العقاب فنزل اى فله نزل كاين
من حميم يشرب بعد اكل الزقوم كما فصل فيما قبل وتصلية جحيم اى ادخال فى النار وقيل اقامة فيها ومقاساة
لالوان عذابها وقيل ذلك ما يجده فى القبر من سموم النار ودخانها ان هذا اى الذى ذكر فى السورة الكريمة لهو حق
اليقين اى حق الخبر اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء فى قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لترتيب التسبيح
والامر به على ما قبلها فان حقيقته ما فصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشانه الجليل
من الامور التى من جملتها الاشراك به والتكذيب باياته عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقادا وقولا و
عملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح فى الارض والماء اذا ذهب وابعد فيهما وحيث اسند هاهنا الى غير العقلاء ايضا فان
ما فى السموات والارض يعم جميع ما فيهما سواء كان مستقرا فيهما او جزءا منهما كما مر فى اية الكرسى اريد به معنى عام
مجازى يتناول ما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فان كل فرد من
افراد الموجودات يدل على امكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود والمتصف بالكمال المنزه عن
نقصان وهو المراد بقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما فى قوله تعالى ويسبحوه واللام
اما مزيدة للتاكيد كما فى نصحت له وشكرت له او للتعليل اى فعل التسبيح لاجل الله تعالى وخالصا لوجهه ومجيئه
فى بعض الفواتح ماضيا وفى البعض مضارعا للايذان بتحققه فى جميع الاوقات وفيه تنبيه على ان من حق من شانه
التسبيح الاختيارى ان يسبحه تعالى فى جميع اوقاته كما عليه الملأ الاعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وهو العزيز القادر الغالب الذى لا يمانعه ولا ينازعه شيء الحكيم الذى لا يفعل الا ما يقتضيه الحكمة والمصلحة
والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى له ملك السموات والارض اى
التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث الايجاد والاعدام وساير التصرفات مما نعلمه ومما لا
نعلمه قوله تعالى يحيى ويميت استئناف مبين لبعض احكام الملك وجعله حالا من ضمير له ليس كما ينبغى وهو على
كل شيء قدير من الاشياء التى من جملتها ما ذكر من الاحياء والاماتة قدير مبالغ فى القدرة هو الاول السابق
على ساير الموجودات لما انه مبدؤها ومبدعها والاخر الباقى بعد فنائها حقيقة او نظرا الى ذاتها مع

قطع

النظر عن مبقيها فان جميع الموجودات الممكنة اذا قطع النظر عن علتها فهى فانية والظاهر وجوده لكثرة
دلائله الواضحة والباطن حقيقته فلا تحوم حولها العقول والواو الاولى والاخرة للجمع بين الوصفين المكتنفين
بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود فى جميع الاوقات والظهور والخفا وهو بكل شيء
عليم لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفى هو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش
مثال البعض احكام ملكهما وقد مر تفسيره مرارا يعلم ما يلج فى الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما
يعرج فيها مر بيانه فى سورة سبا وهو معكم اينما كنتم تمثيل لاحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم
اينما داروا وقوله تعالى والله بما تعملون بصير عبارة عن احاطته باعمالهم وتاخيره عن الخلق لما ان المراد به
ما يدور عليه الجزاء من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من انه دليل عليه وقوله تعالى له ملك السموات
والارض تكرير للتاكيد وتمهيد لقوله تعالى والى الله ترجع الامور اى اليه وحده لا الى غيره استقلالا او اشتراكا
ترجع جميع الامور على البناء للمفعول من رجع رجعا وقرئ على البناء للفاعل من رجع رجوعا يولج الليل فى النهار
ويولج النهار فى الليل مر تفسيره مرارا وقوله تعالى وهو عليم اى مبالغ فى العلم بذات الصدور اى بمكنوناتها
اللازمة لها بيان لاحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم بعد بيان احاطته باعمالهم التى يظهرونها امنوا
بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه اى جعلكم خلفاء فى التصرف فيه من غير ان تملكوه حقيقة
عبر عما بايديهم من الاموال والارزاق بذلك تحقيقا للحق وترغيبا لهم فى الانفاق فان من علم انها لله عز وجل
وانما هو بمنزلة الوكيل يصرفها الى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الانفاق او جعلكم خلفاء عمن
كان قبلكم فيما كان بايديهم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا
تبخلوا به فالذين امنوا وانفقوا حسبما امروا به لهم بسبب ذلك اجر كبير وفيه من المبالغات ما لا يخفى
حيث جعل الجملة اسمية واعيد ذكر الايمان والانفاق وكرر الاسناد وفخم الاجر بالتنكير ووصف بالكبير
وقوله عز وجل وما لكم لا تؤمنون بالله استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الايمان حسبما امروا به بانكار
ان يكون لهم فى ذلك عذر ما فى الجملة على ان لا تؤمنون حال من الضمير فى لكم والعامل ما فيه من معنى الاستقرار
اى اى شيء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الانكار والنفى الى السبب فقط مع تحقق المسبب لا الى السبب
والمسبب جميعا كما فى قوله تعالى كذلك ما الاستفهامية قد تكون لانكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه
فى قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا فيكون مضمون الجملة الحالية محققا فان كلا من عدم الايمان وعدم الرجاء
امر محقق قد انكر ونفى سببه وقد يكون لانكار سبب الوقوع ونفيه فيه بان المسبب ايضا كما فى قوله تعالى وما لى
لا اعبد الذى فطرنى الى اخره فيكون مضمون الجملة الحالية المفروض قطعا فان امر العبادة امر مفروض حتما قد انكر
ونفى سببه فانتفى بنفسه ايضا وقوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم
على الكفر مع تحقق ما يوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم ما يوجبه اى واى عذر فى ترك الايمان والرسول
اليه وينبهكم عليه وقوله تعالى وقد اخذ ميثاقكم حال من مفعول يدعوكم وقد اخذ الله تعالى ميثاقكم بالايمان
من قبل وذلك بنصب الادلة والتمكين من النظر وقرئ وقد اخذ مبنيا للمفعول برفع ميثاقكم ان كنتم مؤمنين
لموجب ما فان هذا موجب لا موجب وراءه هو الذى ينزل على عبده حسبما يعن لكم من المصالح ايات بينات
واضحات ليخرجكم اى الله تعالى او العبد بها من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر الى نور الايمان وان الله بكم لرؤف رحيم
حيث يهديكم الى سعادة الدارين بارسال الرسول وتنزيل الايات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى وما لكم الا
تنفقوا فى سبيل الله توبيخ لهم على ترك الانفاق المامور بعد توبيخهم على ترك الايمان بانكار ان يكون لهم فى ذلك
ايضا عذر من الاعذار وحذف المفعول لظهور انه الذى بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ اى واى
شيء لكم فى ان لا تنفقوا فيما هو قربة الى الله تعالى ما هو له فى الحقيقة وانما انتم خلفاؤه فى صرفه الى ما عينه من
المصارف وقوله تعالى ولله ميراث السموات والارض حال من فاعل لا تنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فان ترك
الانفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق ما يوجب الانكار اشد فى القبح وادخل فى الانكار فان بيان بقاء جميع ما فى
السموات والارض من الاموال الاخرة لله عز وجل من غير ان يبقى من اصحابها احد اقوى فى ايجاب الانفاق عليهم من
بيان انها لله تعالى فى الحقيقة وهم خلفاؤه فى التصرف فيها كانه قيل وما لكم فى ترك انفاقها فى سبيل الله والحال انه
لا يبقى لكم منها شيء بل تبقى كلها لله تعالى واظهار الاسم الجليل فى موقع الاضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة
وقوله تعالى لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل بيان لتفاوت درجات المنفقين للايذان بانه من اهم
مواد الانفاق مع كونه فى نفسه من افضل العبادات وانه لا يخلوا من الانفاق اصلا وقسيم من انفق محذوف لظهوره
ودلالة ما بعده عليه وقرئ قبل الفتح بغير من الفتح فتح مكة اولئك اشارة الى من انفق والجمع بالنظر الى معنى
من كما ان افراد الضميرين السابقين بالنظر الى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار
ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء اى اولئك المنعوتون بذينك النعتين الجليلين اعظم

درجة وارفع منزلة من الذين انفقوا من بعد ما قاتلوا لانهم انما فعلوا ما فعلوا من الانفاق والقتال قبل عزة
الاسلام وقوة اهله عند كمال الحاجة الى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار
الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم لو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا ما فعلوا
بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه افواجا وقلة الحاجة الى الناس والقتال وكلا اي وكل واحد من الفريقين
وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة لا الاولين فقط وقرئ كل بالرفع على الابتداء اي وكل وعده الله تعالى الى اخره
والله بما تعملون خبير فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الاية في ابي بكر رضي الله عنه فانه اول من
امن وانفق في سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضربا اشفي منه على الهلاك من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا ندب بليغ من الله تعالى الى الانفاق في سبيله تعالى رجاء ان يعوضه كمن يقرضه وحسن الانفاق بالاخلاص
فيه وتحري اكرم المال وافضل الجهات فيضاعفه له بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كانه قيل
ايقرض الله احد فيضاعفه له اي فيعطيه اجره اضعافا وله اجر كريم اي وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف
كريم في نفسه حقيق بان يتنافس فيه المتنافسون وان لم يضاعف فكيف وقد ضوعف اضعافا كثيرة وقرئ
بالرفع عطفا على يقرض او حملا على تقدير مبتدا اي فهو يضاعفه وقرئ يضعفه بالرفع والنصب يوم ترى المؤمنين
والمؤمنات ظرف لقوله تعالى وله اجر كريم او لقوله تعالى فيضاعفه او منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك
اليوم وقوله تعالى يسعى نورهم حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذي يرى بين ايديهم وبايمانهم وقيل
هداهم وبايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم وقيل هو القران وعن ابن مسعود رضي الله
عنه يؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وادناهم نورا
من نوره على ابهام رجله ينطفئ تارة ويلمع اخرى وقال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم
دليلا الى الجنة بشراكم اليوم جنات مقدر بقول هو حال او استئناف اي يقال لهم بشراكم اي ما تبشرون به
جنات او بشراكم دخول جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك اي ما ذكر من النور والبشرى بالجنات
المخلدة هو الفوز العظيم الذي لا غاية وراءه وقرئ ذلك الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات
بدل من يوم ترى للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم اي انتظرونا يقولون ذلك لما ان المؤمنين يسرع
بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة او انظروا الينا فانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم
بوجوههم فيستضيئون بالنور الذي بين ايديهم وقرئ انظرونا من النظرة وهي الامهال جعل اتئادهم في المضي الى
ان يلحقوا بهم من جهة المؤمنين او من جهة الملائكة قيل ارجعوا وراءكم اي الى الموقف فالتمسوا نورا فانه من
ثمة يقتبس او الى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الايمان والاعمال الصالحة او ارجعوا خائبين
خاسئين فالتمسوا نورا اخر وقد علموا ان لا نور وراءهم وانما قالوه تخييبا لهم او ارادوا بالنور ما وراءهم من
الكشفة تهكما بهم فضرب بينهم بين الفريقين بسور اي حائط والباء زائدة له باب باطنه اي باطن السور
او الباب وهو الجانب الذي يلي الجنة فيه الرحمة وظاهره وهو الطرف الذي يلي النار من قبله من جهته العذاب
وقرئ فضرب على البناء للفاعل ينادونهم استئناف مبني على السؤال كانه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور
ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم الم نكن معكم في الدنيا يريدون به موافقتهم لهم في الظاهر قالوا بلى كنتم معنا
بحسب الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم محنتموها بالنفاق واهلكتموها وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وارتبتم في امر الدين
وغرتكم الاماني الفارغة التي من جملتها الطمع في انتكاس امر الاسلام حتى جاء امر الله اي الموت وغركم بالله
الكريم الغرور اي غركم الشيطان بان الله عفو كريم لا يعذبكم وقرئ الغرور بالضم فاليوم لا يؤخذ منكم فدية
فداء وقرئ تؤخذ بالتاء ولا من الذين كفروا اي ظاهرا وباطنا مأواكم النار لا تبرحونها ابدا هي مولاكم
اي اولى بكم حقيقة مكانكم الذي يقال فيه هو اولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم اي مكان لقول القائل انه لكريم
او مكانكم عن قريب من الولي وهو القرب او ناصركم على طريقة قوله • تحية بينهم ضرب وجيع • او متوليكم يتولاكم كما
توليتم موجباتها وبئس المصير اي النار الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله استئناف ناع عليهم تثاقلهم
في امور الدين ورخاوة عقيدتهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا اليه بالترغيب والترهيب وروي ان المؤمنين
كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا اصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن عباس رضي الله
عنهما ان الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من وقت نزول القران اي الم يجئ وقت ان
تخشع قلوبهم لذكر الله تعالى وتطمئن به ويسارعوا الى طاعته بالامتثال باوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا
فتور من انى الامر اذا جاء اناه اي وقته وقرئ الم يئن من آن يئين بمعنى انى وقرئ الما يان وفيه دلالة على ان المنفي
متوقع وما نزل من الحق اي القران وهو عطف على ذكر الله فان كان هو المراد به ايضا فالعطف لتغاير العنوانين
فانه ذكر وموعظة كما انه حق نازل من السماء والا فالعطف كما في قوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ومعنى الخشوع له الانقياد التام لاوامره ونواهيه والعكوف

بعد الامر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين اي من ذا الذي ينفق ماله في سبيله صح

على

على العمل بما فيه من الاحكام التي من جملتها ما سبق وما لحق من الانفاق في سبيل الله تعالى وقرئ نزل من التنزيل
مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل ونزل من الانزال ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع وقرئ بالياء على
الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهي عما تلاه اهل الكتاب في قسوة القلوب بعد ان وبخوا وذلك ان بني
اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله تعالى ورقت قلوبهم فطال
عليهم الامد اي الاجل وقرئ الامد بتشديد الدال اي الوقت الاطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة
التي كانت تأتيهم من الكتابين فقست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة وكثير منهم فاسقون اي خارجون عن
حدود دينهم رافضون لما في كتابهم بالكلية اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها تمثيل لاحياء القلوب
القاسية بالذكر والتلاوة باحياء الارض الميتة بالغيث للترغيب في الخشوع والتحذير عن القساوة قد بينا لكم الايات
التي من جملتها هذه الايات لعلكم تعقلون كي تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها فتفوزوا بسعادة الدارين ان المصدقين
والمصدقات اي المتصدقين والمتصدقات وقد قرئ كذلك وقرئ بتخفيف الصاد من التصديق اي الذين صدقوا الله
ورسوله واقرضوا الله قرضا حسنا قيل هو عطف على ما في المصدقين من معنى الفعل فانه في حكم الذين اصدقوا او
صدقوا على القراءتين وعقب بان فيه فصلا بين اجزاء الصلة باجنبي وهو المصدقات واجيب بان المعنى من غير فصل
وقيل ان المتصدقات ليس بعطف على المتصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كانه قيل ان المصدقين على العموم
تغليبا واخص المصدقات من بينهم كما تقول ان الذين امنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن
المصدقين على ان المراد بالتخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الاجر كما في المثال المذكور بل زيادة احتياجهن
الى التصدق الداعية الى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روي انه عليه السلام قال يا معشر النساء تصدقن فاني رايتكن
اكثر اهل النار وقيل هو صلة الموصول محذوف معطوف على المصدقين كانه قيل والذين اقرضوا الله
والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة يضاعف لهم
على البناء للمفعول مسند الى ما بعده من الجار والمجرور وقيل الى مصدر ما في حيز الصلة على حذف مضاف اي
ثواب التصدق وقرئ على البناء للفاعل اي يضاعف الله تعالى وقرئ يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم
مر ما فيه من الكلام والذين امنوا بالله ورسله كافة وقد مر بيان كيفية الايمان بهم في خاتمة سورة البقرة
اولئك اشارة الى الموصول الذي هو مبتدا وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للاشعار بعلو درجته
من اشار اليه وهو مبتدا ثان وقوله تعالى هم مبتدا ثالث خبره الصديقون والشهداء وهو مع خبره خبر للاول او هم
ضمير الفصل وما بعده خبر لاولئك والجملة خبر للموصول اي اولئك عند ربهم بمنزلة الصديقين والشهداء
المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا في سبيل الله وهم المبالغون
في الصدق حيث امنوا وصدقوا جميع اخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى وبالوحدانية ولهم
بالايمان او على الامم يوم القيامة وقوله تعالى لهم اجرهم ونورهم بيان لثمرات ما وصفوا به من نعوت الكمال
على انه جملة من مبتدا وخبر محلها الرفع على انها خبر ثان للموصول والخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على
الفاعلية والضمير الاول على الوجه الاول للموصول والاخيران للصديقين والشهداء اي لهم مثل اجرهم ونورهم
المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف اداة التشبيه تنبيها على قوة المماثلة وبلوغها حد الاتحاد كما فعل
ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء وليست المماثلة بين ما للفريق الاول من الاجر والنور وبين تمام ما
للفريقين الاخيرين بل بين تمام ما للاول من الاصل والاضعاف وبين ما للاخيرين بدون الاضعاف واما على
الوجه الثاني فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الاجر والنور الموعود ان لهم هذا هو الذي تقتضيه جزالة النظم الكريم
وقد قيل والشهداء مبتدا وعند ربهم خبره وقيل الخبر لهم اجرهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك الموصوفون
بتلك الصفة القبيحة اصحاب الجحيم بحيث لا يفارقونها ابدا اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم
وتكاثر في الاموال والاولاد بعدما بين حال الفريقين في الاخرة شرح حال الحياة الدنيا التي اطمأن بها الفريق
الثاني واشير الى انها من محقرات الامور التي لا يركن اليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وانها مع ذلك سريعة
الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل كمثل غيث اعجب الكفار اي الحراث نباته اي النبات الحاصل به ثم يهيج اي
يجف بعد خضرته ونضارته فتراه مصفرا بعدما رايته ناضرا مونقا وقرئ مصفارا وانما لم يقل فيصفر
ايذانا بان اصفراره مقارن لجفافه وانما المترتب عليه رؤيته كذلك ثم يكون حطاما هشيما متكسرا ومحل الكاف
قيل النصب على الحالية من الضمير في لعب لانه في معنى الموصوف وقيل النصب على الحالية من الضمير في لعب وقيل
الرفع على انه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف اي مثل الحياة الدنيا كمثل الخ وبعدما بين حقارة امر
الدنيا تزهيدا فيها وتنفيرا عن العكوف عليها اشير الى فخامة شان الاخرة وعظم ما فيها من اللذات ترغيبا في تحصيل
نعيمها المقيم وتحذيرا من عذابها الاليم وقدم ذكر العذاب فقيل وفي الاخرة عذاب شديد لانه من نتائج الانهماك
فيما فصل من احوال الحياة الدنيا ومغفرة عظيمة من الله ورضوان عظيم لا يقادر قدره وما الحياة الدنيا الا

متاع الغرور اى لمن اطمان بها ولم يجعلها ذريعة الى الاخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ان الهتك
عن طلب الاخرة فاما اذا دعتك الى طلب رضى الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة سابقوا اى سارعوا مسارعة
المسابقين لاقرانهم فى المضمار الى مغفرة عظيمة كائنة من ربكم اى الى موجباتها من الاعمال الصالحة وجنة عرضها
كعرض السماء والارض اى كعرض منهما جميعا واذا كانت عرضها كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة
وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية اعدت للذين امنوا بالله ورسله فيه دليل على ان الجنة مخلوقة بالفعل
وان الايمان وحده كاف فى استحقاقها ذلك الذى وعد من المغفرة والجنة فضل الله عطاؤه يؤتيه من يشاء تفضلا
واحسانا من يشاء ايتاؤه اياه من غير ايجاب والله ذو الفضل العظيم ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل
الذى لا غاية وراءه ما اصاب من مصيبة فى الارض كجدب وعاهة فى الزرع والثمار ولا فى انفسكم كمرض وافة
الا فى كتاب الا مكتوب فى مشيته تعالى فى علم الله تعالى او فى اللوح من قبل ان نبراها اى نخلق الانفس والمصايب
والارض ان ذلك اى اثباتها فى كتاب على الله يسير لاستغنائه فيه عن العدة والمدة لكيلا تاسوا اى اخبرنا بذلك
لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا ولا تفرحوا بما اتاكم اى اعطاكم الله تعالى منها فان من علم ان الكل مقدر
يفوت ما قدر فواته ويأتى ما قدر اتيانه لا محالة لا يعظم جزعه على ما فات ولا فرحه بما هو ات وقرئ بما
اتاكم من الاتيان وفى القراءة الاولى اشعار بان فوات النعم يلحقها اذا خليت وطباعها واما حصولها وبقاؤها
فلا بد لها من سبب يوجدها ويبقيها وقرئ بما اوتيتم والمراد به نفى الاسى المانع عن التسليم لامر الله تعالى
تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور فان من
فرح بالحظوظ الدنيوية عظمت فى نفسه اختال وافتخر بها ولعله وفى تخصيص التذييل بالنهى عن الفرح
المذكور ايذانا بانه اقبح من الاسى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل بدل من كل مختال فان المختال
بالمال يضن به غالبا ويأمر غيره او مبتدا خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغنى
الحميد لان معناه ومن يعرض عن الانفاق فان الله غنى عنه وعن انفاقه محمود فى ذاته لا يضره الاعراض عن شكره
بالتقرب اليه بشئ من نعمه وفيه تهديد واشعار بان الامر بالانفاق لمصلحة المنفق وقرئ فان الله الغنى
لقد ارسلنا رسلنا اى الملائكة الى الانبياء او الانبياء الى الامم وهو الاظهر بالبينات اى الحجج والمعجزات وانزلنا
معهم الكتاب اى جنس الكتاب الشامل للكل والميزان ليقوم الناس بالقسط اى بالعدل روى ان جبريل عليه
السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل انه يريد به العدل ليقام
بالسياسة ويدفع به العدوان وانزلنا الحديد قيل نزل ادم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشياء من
قيل نزل ادم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة اشيا من حديد المسنة والكلبتان والميقعة والمطرقة
والابرة وروى ومعه المر والمسحات وعن الحسن وانزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وانزل لكم من الانعام
وذلك اوامره تعالى وقضاياه واحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى فيه بأس شديد لان الات الحروب انما
تتخذ منه ومنافع للناس اذ ما من صنعة الا والحديد او ما يعمل بالحديد التها والجملة حال من الحديد وقوله
تعالى وليعلم الله من ينصره ورسله عطف على محذوف يدل عليه ما قبله فانه حال متضمنة للتعليل كانه
قيل ليستعملوه وليعلم الله علما يتعلق به الجزاء من ينصره ورسله باستعمال السيوف والرماح وساير الاسلحة فى
مجاهدة اعدائه او متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية اى وليعلم الله من ينصره ورسله انزله وقيل
عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى بالغيب حال من فاعل ينصر او مفعوله اى غايبا منهم
او غايبين منه وقوله تعالى ان الله قوى عزيز اعتراض تذييلى جئ به تحقيقا للحق وتنبيها على ان تكليفهم الجهاد
وتعريضهم للقتال ليس لحاجتهم فى اعلاء دينه واظهار كلمته الى نصرتهم بل انما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال
الامر الى الثواب والا فهو غنى بقدرته وعزته عنهم فى كل ما يريده ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم نوع تفصيل لما
اجمل فى قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا الى اخره وتكرير القسم لاظهار مزيد الاعتناء بالامر اى وبالله لقد ارسلناهما
وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب بان استنبأناهم واوحينا اليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم
فمنهم اى من الذرية او من المرسل اليهم المدلول عليهم بذكر الارسال والمرسلين مهتد الى الحق وكثير
منهم فاسقون خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والايذان بغلبة
الضلال وكثرته ثم قفينا على اثارهم برسلنا اى ثم ارسلنا بعدهم رسلنا وقفينا بعيسى بن مريم اى ارسلنا رسولا
بعد رسول حتى انتهى الى عيسى عليه السلام والضمير لنوح وابراهيم ومن ارسلنا اليهم او من عاصرهم
من الرسل لا للذرية فان الرسل المقفى بهم من الذرية واتيناه الانجيل وقرئ بفتح الهمزة فانه اعجمى لا يلزم فيه
مراعاة ابنية العرب وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة وقرئ رآفة على فعالة ورحمة اى وفقناهم للتراحم
والتعاطف بينهم ونحوه فى شان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم ورهبانية منصوب اما بفعل مضمر يفسره الظاهر
اى وابتدعوا رهبانية ابتدعوها واما بالعطف على ما قبلها وابتدعوها صفة لها اى وجعلنا فى قلوبهم

رسلنا

رأفة

رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم اى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها
وهى المبالغة فى العبادة والرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو
الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ بضم الراء كانها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب
وركبان وسبب ابتداعهم اياها ان الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث
مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا ان يفتتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية فى قلل الجبال فارين
بدينهم مخلصين انفسهم للعبادة وقوله تعالى ما كتبناها عليهم جملة مستانفة وقيل صفة اخرى لرهبانية
والنفى على الوجه الاول متوجه الى اصل الفعل وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اى
ما فرضناها عليهم راسا ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم جميعا بقوله تعالى فما رعوها حق رعايتها
من حيث ان النذر عاهد مع الله لا يحل نكثه لا سيما اذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثانى متوجه الى
قيده لا الى نفسه والاستثناء متصل من اعم العلل اى ما كتبناها عليهم بان نحفظها ولا بتداعها لشئ من الاشياء
الا ليبتغوا رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك ان يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما
رعوها كلهم بل بعضهم فاتينا الذين امنوا منهم ايمانا صحيحا وهو الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا
مجرد رعايتها فانها بعد البعثة لغو محض وكفر بحت وانى لها استتباع الاجر اجرهم اى ما يخصهم من الاجر وكثير
منهم فاسقون خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ
والمخلين بها اذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض بالايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم وكفرهم
به مما لا يساعده المقام يا ايها الذين امنوا اى بالرسل المتقدمة اتقوا الله فيما نهاكم عنه وامنوا برسوله
اى بمحمد صلى الله عليه وسلم وفى الحذفه ايذان بانه علم فرد فى الرسالة لا يذهب الوهم الى غيره يؤتكم كفلين نصيبين من
رحمته لايمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم السلام لكن لا على معنى ان شريعتهم باقية بل على انها كانت
حقة قبل النسخ ويجعل لكم نورا تمشون به يوم القيمة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
ويغفر لكم ما اسلفتم من الكفر والمعاصى والله غفور رحيم اى مبالغ فى المغفرة والرحمة وقوله تعالى ويغفر لكم
ما اسلفتم من الكفر والمعاصى والله غفور رحيم اى مبالغ فى المغفرة والرحمة وقوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب
متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط اذ التقدير ان تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا
لئلا يعلم الذين لم يسلموا من اهل الكتاب اى ليعلموا ولا مزيدة كما ينبئ عنه قراءة ليعلم ولكى يعلم ولان يعلم
بادغام النون فى الياء وان فى قوله تعالى الا يقدرون على شئ من فضل الله مخففة من الثقيلة واسمها الذى
هو ضمير الشان محذوف والجملة فى حيز النصب على انها مفعول يعلم اى ليعلموا انه لا ينالون شيئا مما ذكر من فضله
من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم ياتوا بشرطه الذى هو الايمان برسوله وقوله تعالى
وان الفضل بيد الله عطف على ان لا يقدرون وقوله تعالى يؤتيه من يشاء خبر ثان لان وقيل هو الخبر والجار
حال لازمة وقوله تعالى والله ذو الفضل العظيم اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ما قبله وقد جوز ان يكون الامر
بالتقوى والايمان لغير اهل الكتاب والمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ما وعد من امن من
اهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل اجرهم لانكم مثلهم فى
الايمانين لا تفرقون بين احد من رسله وروى ان مؤمنى اهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بانهم يؤتون اجرهم مرتين
وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرئ لئلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد الكسرة وقرئ بسكون الياء وفتح اللام
كاسم المراة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرئ انهم لا يقدرون وقد قيل لا غير مزيدة وضمير لا يقدرون
للنبى صلى الله عليه وسلم واصحابه والمعنى لئلا يعتقد اهل الكتاب انه لا يقدر النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون على شئ من فضل الذى هو
عبارته عما اوتوه من سعادة الدارين على انه عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه
فيكون قوله تعالى وان الفضل بيد الله الى اخره عطفا على لئلا يعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الحديد كتب من الذين امنوا
بالله ورسله والصديقين

بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله باظهار الدال وقرئ بادغامها فى السين قول التى تجادلك فى زوجها
اى تراجعك الكلام فى شانه وفيما صدر عنه فى حقها من الظهار وقرئ تحاورك وتجادلك اى
تسائلك وتشتكى الى الله عطف على تجادلك اى تتضرع اليه تعالى وقيل حال من فاعله اى تجادلك وهى متضرعة
اليه تعالى وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خزامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها اوس بن الصامت اخو
عبادة ثم ندم على ما قال ثم قال لها ما اظنك الا حرمت على فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفى رواية ما اراك الا قد حرمت

عليه في المحاورة كلها فقالت اشكوا الى الله فاقتي ووحدتي وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قال حرمت
عليه هتفت وشكت الى الله تعالى فنزلت فكلمة قد اشعار بان الرسول صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان ان ينزل الله
حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لها عندي في امرك شيء وانها كانت
ترفع رأسها الى السماء وتقول اللهم اني اشكوا اليك فانزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها اجابة دعائها
لا مجرد علمه تعالى لقولها كما هو المعنى بقوله تعالى والله يسمع تحاوركما اي يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة
على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفي نظمها في سلك الخطاب تغليبا تشريف لها من جهتين والجملة
استيناف جار مجرى التعليل لما قبله فان الحاقها في المسالة ومبالغتها في التضرع الى الله تعالى ومدافعته صلى الله عليه وسلم
اياها بجواب منبئ عن التوقف وترقب الوحي وعلمه تعالى بحالهما من دواعي الاجابة وقيل هي حالية وهو بعيد وقوله
عز وجل ان الله سميع بصير تعليل لما قبله بطريق التحقيق اي مبالغ في العلم بالمسموعات والمبصرات ومن
قضيته ان يسمع تحاوركما ويرى ما يقارنه من الهيئات التي من جملتها رفع رأسها الى السماء وسائر آثار التضرع
واظهار الاسم الجليل في الموقعين لتربية المهابة وتعليل الحكم بوصف الالوهية وتاكيد استقلال الجملتين
وقوله تعالى الذين يظهرون منكم من نسائهم شروع في بيان الظهار في نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق
الاستيناف والظهار ان يقول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي مشتق من الظهر وقد مر تفصيله في سورة
الاحزاب ويلحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفي منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فانه كان من
ايمان اهل الجاهلية خاصة دون سائر الامم وقرئ تظاهرون من اظاهر ويتظاهرون ويظهرون وقوله تعالى ما هن
امهاتهم خبر للموصول اي ما نساؤهم امهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرئ امهاتهم بالرفع على لغة تميم
وبامهاتهم ان امهاتهم اي ما هن الا اللائي ولدنهم فلا تشبه بهن في الحرمة الا من الحقهن الشرع بهن من المرضعات
وازواج النبي عليه السلام فقد دخلن بذلك في حكم الامهات واما الزوجات فابعد شيء من الامومة وانهم ليقولون بقولهم
ذلك منكرا من القول على ان مناط التاكيد ليس صدور القول عنهم فانه امر محقق بل كونه منكرا اي عند الشرع
وعند العقل والطبع ايضا كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله تعالى انكم لتقولون قولا عظيما وزورا اي محرفا عن
الحق وان الله لعفو غفور اي مبالغ في العفو والمغفرة ويغفر لما سلف منه على الاطلاق او بالمتاب عنه وقوله
تعالى والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق
التشريع الكلي المنتظم لحكم الحادثة انتظاما اوليا اي تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه امرا منكرا بطريق التشريع
اي والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا اي الى ما قالوا بالتدارك والتلافي لا بالتقرير والتكرير
كما في قوله تعالى ان تعودوا لمثله ابدا فان اللام والى تتعاقبان كثيرا كما في قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى
فاهدوهم الى صراط الجحيم وقوله تعالى بان ربك اوحى لها وقوله تعالى واوحي الى نوح فتحرير رقبة اي فتداركه
او فعليه اي فالواجب اعتاق رقبة اي رقبة كانت وعند الشافعي رحمه الله يشترط الايمان والفاء للسببية ومن
فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ما قالوا عبارة عما حرموه على انفسهم بلفظ
الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر في قوله تعالى ونرثه ما يقول اي المقول فيه من المال والولد
فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا اي من قبل ان يستمتع كل من المظاهر
والمظاهر منها بالاخر جماعا ولمسا ونظرا الى الفرج بشهوة وان وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه ان
يستغفر ولا يعود حتى يكفر وان اعتق بعض الرقبة ثم مس عليه ان يستانف عند ابي حنيفة رحمه الله ذلكم
اشارة الى الحكم المذكور وهو مبتدا وخبره توعظون به اي تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فان الغرامات
مزاجر عن تعاطي الجنايات والمراد بذكره بيان ان المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير
الرقبة التي من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار خبير اي عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها
فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها فمن لم يجد اي الرقبة فصيام شهرين فعليه صيام
شهرين متتابعين من قبل ان يتماسا ليلا او نهارا عمدا او خطا فمن لم يستطع اي الصيام بسبب من الاسباب فاطعام
ستين مسكينا لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من تمر او شعير ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستانف ان
مس في خلال الاطعام ذلك اشارة الى ما مر من البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها او مما فيه من معنى
البعد قد مر سره مرارا او محله اما الرفع على الابتداء او النصب بمضمر معلل بما بعده اي ذلك واقع
وجعلنا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتعملوا بشرائعه التي شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه في جاهليتكم
وتلك اشارة الى الاحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة حدود الله التي لا يجوز
تعديها وللكافرين اي الذين لا يعملون بها عذاب اليم عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن
كفر فان الله غني عن العالمين ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادونهما ويشاقونهما فان كلا من
المتعادين كما انه يكون في عدوة وشق غير عدوة الاخر وشقه كذلك يكون في حد غير حد الاخر غير

صح هو علم في استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه والله بما تعملون من الاعمال التي من جملتها

أن

ان لو تعد المحاورة في اثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه كبتوا
اي اخزوا وقيل خذلوا وقيل اذلوا وقيل اهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا والمعنى
كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى اتى امر الله وقيل اهل الكتب كما كبت الذين من قبلهم من كفار
الامم الماضية المعادين للرسل عليهم السلام وقد انزلنا آيات بينات حال من واو كبتوا اي كبتوا لمحادتهم
والحال انا انزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الامم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات
تدل على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة ما جاء به وللكافرين اي بتلك الآيات او بكل ما يجب الايمان به فيدخل فيه
تلك الآيات دخولا اوليا عذاب مهين يذهب بعزهم وكبرهم يوم يبعثهم الله منصوب بما تعلق به اللام
من الاستقرار او بمهين او باضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له جميعا اي كلهم بحيث لا يبقى منهم احد غير
مبعوث او مجتمعين في حالة واحدة فينبئهم بما عملوا من القبائح ببيان صدورها عنهم او بتصويرها في تلك
النشاة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤوس الاشهاد تخجيلا لهم وتشهيرا بحالهم وتشديدا للعذاب بهم
وقوله تعالى احصاه الله استيناف وقع جوابا عما نشأ مما قبله من السؤال اما عن كيفية التنبيه او عن سببها
كانه قيل كيف ينبئهم باعمالهم وهي اعراض منقضية متلاشية فقيل احصاه الله عددا لم يغب منه شيء فقوله
تعالى ونسوه حينئذ حال من مفعول احصى باضمار قد او بدونه على الخلاف المذكور وقيل او بانهم بذلك
فقيل احصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا ان ما عاينوه من العذاب انما حاق بهم لاجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم
لهم غير التخجيل والتشهير والله على كل شيء شهيد لا يغيب عنه امر من الامور قط والجملة اعتراض تذييلي
مقرر لاحصائه تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض استشهاد على شمول شهادته تعالى
كما في قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه وفي قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون اي الم تعلم علما
يقينا كما بالمشاهدة انه تعالى يعلم ما فيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما او بالجزئية وقوله تعالى
ما يكون من نجوى ثلاثة الى آخره استيناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان
التامة وقرئ تكون بالتاء باعتبار تانيث النجوى وان كان غير حقيقي اي ما يقع من تناجي ثلاثة نفر اي
من مسارتهم على ان نجوى مضافة الى ثلاثة او على انها موصوفة بها اما بتقدير مضاف اي من اهل نجوى ثلاثة
او بجعلهم نجوى في انفسهم مبالغة الا هو اي الله عز وجل رابعهم اي جاعلهم اربعة من حيث انه تعالى يشاركهم
في الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من اعم الاحوال ولا خمسة ولا نجوى خمسة الا هو سادسهم وتخصيص
العددين بالذكر اما لخصوص الواقعة فان الآية نزلت في تناجي المنافقين واما لبناء الكلام على اغلب عادات
المتناجين وقد عمم الحكم بعد ذلك فقيل ولا ادنى من ذلك اي مما ذكر كالواحد والاثنين ولا اكثر كالستة
وما فوقها الا هو معهم يعلم ما يجري بينهم وقرئ ولا اكثر بالرفع عطفا على محل من نجوى او محل ولا ادنى بان جعل لا
لنفي الجنس اين ما كانوا من الاماكن ولو كانوا تحت الارض فان علمه تعالى بالاشياء ليس لقرب مكاني حتى يتفاوت
بقرب الامكنة قربا وبعدا ثم ينبئهم وقرئ ينبئهم بالتخفيف بما عملوا يوم القيامة تفضيحا لهم واظهارا لما يوجب
عذابهم ان الله بكل شيء عليم لان نسبة ذاته المقتضية للعلم الى الكل سواء الم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم
يعودون لما نهوا عنه نزلت في اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون باعينهم اذا رأوا المؤمنين
فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع
للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى ويتناجون بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول عطف عليه داخل في حكمه اي بما هو اثم في نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول صلى الله عليه وسلم
وذكره بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين اليه صلى الله عليه وسلم لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرئ
وينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون
السام عليك او انعم صباحا والله سبحانه وتعالى يقول وسلام على المرسلين ويقولون في انفسهم اي فيما بينهم لولا
يعذبنا الله بما نقول اي هلا يعذبنا الله بذلك لو كان محمد نبيا حسبهم جهنم عذابا يصلونها فبئس المصير
اي جهنم يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم في انديتكم وفي خلواتكم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
كما يفعله المنافقون وقرئ فلا تنتجوا وقرئ فلا تناجوا بحذف احدى التائين وتناجوا بالبر والتقوى
اي بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول صلى الله عليه وسلم واتقوا الله الذي اليه تحشرون وحده لا الى
غيره استقلالا او اشتراكا فيجازيكم بكل ما تاتون وما تذرون انما النجوى المعهودة التي هي التناجي بالاثم
والعدوان من الشيطان لا من غيره فانه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى ليحزن الذين آمنوا خبر آخر
اي انما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم انها في نكبة اصابتهم وليس بضارهم اي الشيطان او التناجي بضار المؤمنين
شيئا من الاشياء او شيئا من الضرر الا باذن الله اي بمشيئته وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولا يبالوا بنجواهم
فان الله تعالى يعصمهم من شره وضره يا ايها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا اي توسعوا اي ليفسح بعضكم عن

عن بعض ولا تتضاموا من غيرهم فسيح عنه اى تنح وقرئ تفاسحوا وقوله تعالى فى المجالس متعلق بقيل وقرئ فى المجلس على ان المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وكانوا يتضامون تنافسا فى القرب منه صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتى الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ فى المجلس بفتح اللام فهو متعلق بـ فسحوا قطعا اى توسعوا فى جلوسكم ولا تتضايقوا فيه فافسحوا يفسح الله لكم اى فى كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها واذا قيل انشزوا اى انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلاة او جهاد او غيرهما من اعمال الخير فانشزوا اى انهضوا للتوسعة على المقبلين او لما امرتم به من صلاة او جهاد او غيرهما واذا قيل انشزوا فانهضوا ولا تثبطوا ولا تفرطوا وقرئ بكسر الشين يرفع الله الذين آمنوا منكم بالنصر وحسن الذكر فى الدنيا والايواء الى غرف الجنان فى الآخرة والذين اوتوا العلم منهم خصوصا درجات عالية بما جمعوا من اثرى العلم والعمل فان العلم مع علو رتبته يقتضى العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العارى عنه وان كان فى غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم فى افعاله ولا يقتدى بغيره وفى الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والله بما تعملون خبير تهديد لمن يتمثل بالامر وقرئ يعملون بالياء التحتانية يا ايها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فى بعض شؤونكم المهمة الداعية الى مناجاته صلى الله عليه وسلم فقدموا بين يدى نجواكم صدقة اى فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفى هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والزجر عن الافراط فى السؤال والتمييز بين المخلصين والمنافقين ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى انه للندب او للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وان كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله آية ما عمل بها احد غيرى كان لى دينار فصرفته وكنت اذا ناجيته صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على انه لم يتفق للاغنياء مناجاة فى مدة بقائه اذ روى انه لم يبق الا عشرا وقيل الا ساعة ذلك اى التصدق خير لكم واطهر اى لانفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر بالندب لكن قوله تعالى فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم مبنى على الوجوب لانه ترخيص لمن لم يجد فى المناجاة بلا تصدق أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات اى اخفتم الفقر من تقديم الصدقات او اخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع صدقات لجمع المخاطبين فاذ لم تفعلوا ما امرتم به وشق عليكم ذلك وتاب الله عليكم بان رخص لكم ان لا تفعلوا وفيه اشعار بان اشفاقهم ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ما قام مقام توبتهم واذ على بابها من المضى وقيل بمعنى اذا كما فى قوله تعالى اذ الاغلال فى اعناقهم وقيل بمعنى ان فاقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اى فاذا فرطتم فيما امرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على اقامة الصلاة وايتاء الزكوة واطيعوا الله ورسوله فى سائر الاوامر فان القيام بها كالجابر لما وقع فى ذلك من التفريط والله خبير بما تعملون ظاهرا وباطنا الم تر تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود اولياء يناصحونهم وينقلون اليهم اسرار المؤمنين اى الم تنظر الى الذين تولوا اى والوا قوما غضب الله عليهم اى اليهود كما انبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ما هم منكم ولا منهم لانهم منافقون مذبذبون بين ذلك والجملة مستأنفة او حال من فاعل تولوا ويحلفون على الكذب اى يقولون والله انا مسلمون وهو عطف على تولوا داخل فى حكم التعجب وصيغة المضارع للدلالة على تكرار الحلف وتجدده حسب تكرر ما يقتضيه وقوله تعالى وهم يعلمون حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة ما فعلوا فان الحلف على ما يعلم انه كذب فى غاية القبح وفيه دلالة على ان الكذب يعم ما يعلم المخبر عدم مطابقته للواقع وما لا يعلمه روى انه صلى الله عليه وسلم كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعينى شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان ازرق فقال له صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى انت واصحابك فحلف بالله ما فعل فقال صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء باصحابه فحلفوا بالله تعالى ما سبوه فنزلت اعد الله لهم بسبب ذلك عذابا شديدا نوعا من العذاب متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل وضروا به واصروا عليه اتخذوا ايمانهم الفاجرة التى يحلفون بها عند الحاجة وقرئ بكسر الهمزة اى ايمانهم الذى اظهروه لاهل الاسلام جنة وقاية وسترة دون دمائهم واموالهم والاتخاذ على هذه القراءة عبارة عن التستر بما اظهروه بالفعل واما على القراءة الاولى فهى عبارة عن اعدادهم لايمانهم الكاذبة وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يعرب عنه الفاء فى قوله تعالى فصدوا اى الناس عن سبيل الله فى خلال امنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول فى الاسلام وتضعيف امر المسلمين عندهم فلهم عذاب مهين وعيد ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب الآخرة لن تغنى عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله اى من عذابه تعالى شيئا من الاغناء روى ان رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بانفسنا

وانفسنا

وانفسنا واولادنا اولئك الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة اصحاب النار اى ملازموها ومقارنوها هم فيها خالدون لا يخرجون منه ابدا يوم يبعثهم الله جميعا قيل هو ظرف لقوله تعالى لهم عذاب مهين فيحلفون له اى لله تعالى يومئذ على انهم مسلمون كما يحلفون لكم فى الدنيا ويحسبون فى الآخرة انهم بتلك الايمان الفاجرة على شىء من جلب منفعة او دفع مضرة كما كانوا عليه فى الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن ارواحهم واموالهم ويستجرون بها فوائد دنيوية الا انهم هم الكاذبون البالغون فى الكذب الى غاية ما فعلوا حيث تجاسروا على الكذب بين يدى علام الغيوب وزعموا ان ايمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه عند الغافلين استحوذ عليهم الشيطان اى استولى عليهم من حذت الابل اذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الاصل كاستصوب واستنوق اى ملكهم فانسيهم ذكر الله بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بالسنتهم اولئك الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان اى جنوده واتباعه الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله استئناف مسوق لتقرير ما قبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيز الصلة على ان موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والاشعار بعلة الحكم

اولئك بما فعلوا من التولى والموادة فى الاذلين اى فى جملة من هو اذل خلق الله من الاولين والآخرين لان المواخاة ذلة احد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك كتب الله استئناف وارد لتعليل كونهم فى الاذلين اى قضى واثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم اجيب بما يجاب به فقيل لاغلبن انا ورسلى اى بالحجة والسيف وما يجرى مجراه او باحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقرئ ورسلى بفتح الياء ان الله قوى على نصر انبيائه عزيز لا يغلب عليه فى مراده لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم او لكل احد وتجد اما متعد الى اثنين فقوله تعالى يوادون مفعوله الثانى او الى واحد فهو حال من مفعوله لتخصيصه بالصفة وقيل صفة اخرى له اى قوما جامعين على الايمان بالله واليوم الآخر وبين موادة اعداء الله تعالى ورسوله والمراد بنفى الوجدان نفى الموادة على معنى انه لا ينبغى ان يتحقق ذلك وحقه ان يمتنع ولا يوجد بحال وان جد فى طلبه كل احد ولو كانوا اى من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فيما قبله باعتبار لفظها آباءهم اى آباء الموادين او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم فان قضية الايمان بالله تعالى ان يهجر الجميع بالمرة والكلام فى لو قد مر مرارا على التفصيل اولئك اشارة الى الذين لا يوادونهم ولو كانوا اقرب الناس اليهم وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره كتب الله فى قلوبهم الايمان اى اثبته فيها وفيه دلالة على خروج العمل من مفهوم الايمان فان الجزء الثابت فى القلب ثابت فيه قطعا ولا شىء من اعمال الجوارح يثبت فيه وايدهم اى قواهم بروح منه اى من عند الله تعالى وهو نور القلب او القرآن او النصر على العدو وقيل الضمير للايمان لحياة القلوب به فمن تجريديه وقوله تعالى ويدخلهم الى بيان آثار رحمته الاخروية اثر بيان الطافه الدنيوية اى ويدخلهم فى الآخرة جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا الابدين وقوله تعالى رضى الله عنهم استئناف جار مجرى التعليل لما افاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى ورضوا عنه بيان لابتهاجهم بما اوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى اولئك حزب الله تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى الا ان حزب الله هم المفلحون بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة النشأتين والكلام فى تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر فى مثلها والله اعلم عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم مر ما فيه من الكلام فى صدر سورة الحديد وتكرير الموصول ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روى انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة صالح بنى النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هارون عليه السلام نزلوا المدينة فى فتن بنى اسرائيل انتظارا لبعثة النبى صلى الله عليه وسلم وعاهدهم ان لا يكونوا له ولا عليه فلما ظهر صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما كان يوم احد ما كانوا ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى اربعين راكبا الى مكة فحالفوا قريشا عند الكعبة على قتاله صلى الله عليه وسلم فامر صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة وكان اخاه من الرضاع ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه صلى الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن ابى المنافق واصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم النبى صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله

قعيا

في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ان يحمل كل ثلاثة ابيات على
بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى اريحا واذرعات الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب
فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات الى قوله تعالى والله على كل شيء
قدير وقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم بيان لبعض آثار عزته تعالى واحكام
حكمته اثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الاطلاق والضمير لبعض آثار عزته تعالى واحكام
راجع اليه تعالى بذلك العنوان اما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام او على
جعله مستعارا لاسم الاشارة كما في قوله تعالى قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير
الله يأتيكم به اي بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج • كانه في الجلد توليع البهق • كما هو المشهور كانه قيل ذلك
كانه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذي اخرج الخ ففيه اشعار بان في الاخراج حكمة باهرة كما
هو المشهور كانه قيل وذلك المنعوت بالعزة وقوله تعالى لاول الحشر اي في اول حشرهم الى الشام وهذا اول
حشرهم واخر حشرهم اجلاء وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم اول من اخرج من جزيرة العرب الى الشام وهذا اول
حشرهم ثم اخر حشرهم اجلاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياهم من خيبر الى الشام وقيل اخر حشرهم حشر يكون
يوم القيمة لان المحشر يكون بالشام ما ظننتم ايها المسلمون ان يخرجوا من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة باسهم
وقوة منعتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله اي ظنوا ان حصونهم تمنعهم او ما نعتهم من باس الله وتغيير
النظم بتقديم الخبر واسناد الجملة الى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم في انفسهم انهم
في عزة ومنعة لا يبالي معها باحد يتعرض لهم او يطمع في معازتهم ويجوز ان يكون مانعتهم خبرا لان وحصونهم
مرتفعا على الفاعلية فاتاهم الله اي امر الله تعالى وقدره المقدور لهم من حيث لم يحتسبوا اي لم يخطر ببالهم
وهو قتل رئيسهم كعب بن الاشرف فانه مما اضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة
وقيل الضمير في اتيهم ولم يحتسبوا للمؤمنين اي فاتاهم نصر الله وقرئ فآتاهم اي العذاب او النصر وقذف في
قلوبهم الرعب اي اثبت فيها الخوف الذي يرعبها اي يملؤها يخربون بيوتهم بايديهم ليسدوا بما نقضوا منها
من الخشب والحجارة افواه الازقة ولئلا تبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب
فيها مما يقبل النقل وايدي المؤمنين حيث كانوا يخربونها ازالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسيعا لمجال القتال
ونكاية لهم واسناد هذا اليهم لما انهم السبب فيه فكانهم كلفوهم اياه وامروهم به قيل الجملة حال او تفسير
للرعب وقرئ يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الاخراب التعطيل وترك الشيء خرابا والتخريب النقض والهدم
فاعتبروا يا اولي الابصار فاتعظوا بما جرى عليهم من الامور الهائلة على وجه لا تكاد تهتدي اليه الافكار واتقوا
مباشرة ما اداهم اليه من الكفر والمعاصي واعبروا من حال الفريقين الى حال انفسكم فلا تعولوا على
تعاضد الاسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل في موضعه ولولا ان
كتب الله عليهم الجلاء اي الخروج من اوطانهم على ذلك الوجه الفظيع لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي
كما فعل ببني قريظة ولهم في الاخرة عذاب النار استئناف غير متعلق بجواب لولا جيء به لبيان انهم ان نجوا
من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الاخرة ذلك اي ما حاق بهم وما سيحيق بانهم بسبب انهم
شاقوا الله ورسوله وفعلوا ما فعلوا مما حكي عنهم من القبائح ومن يشاق الله وقرئ يشاقق الله كما في
الانفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها المشاقة لرسوله فان الله شديد
العقاب وهو اما نفس الجزاء قد حذف منه العائد الى من عند من يلتزمه اي شديد العقاب له او تعليل
للجزاء اي يعاقبه الله فان الله شديد العقاب واياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه
وتحقيق للسببية بالطريق البرهاني كانه قيل ذلك الذي حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب
مشاقتهم الله تعالى ورسوله وكل من يشاقق الله كائنا من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فاذن لهم عذاب
شديد ما قطعتم من لينة اي اي شيء قطعتم من نخلة وهي فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة
ما قبلها كديمة وتجمع على الوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهي النخلة الكريمة او تركتموها الضمير لما وتأنيثه
بالتفسير باللينة كما في قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قائمة على اصولها كما كانت
من غير ان يتعرضوا لشيء وقرئ على اصلها اما على الاكتفاء من الواو بالضم او على انه جمع كرهن وقرئ قائمة على
اصولها اما على الاكتفاء بالواو بالضم او على انه جمع كرهن وقرئ قائمة على اصله ذهابا الى لفظ ما
فباذن الله فذلك اي قطعها وتركها بامر الله تعالى وليخزي الفاسقين اي وليذل اليهود ويغيظهم اذن
في تركها وقطعها لانهم اذا راوا المؤمنين يتحكمون في اموالهم كيف احبوا ويتصرفون فيها حيث ما شاؤا من
الترك والقطع يزدادون غيظا ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع
اشجارهم واحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع ان كانت من الالوان لاستيفاء

العجوة

العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخل وان كانت هي الكرام ليكون غيظهم اشد وقوله تعالى وما افاء الله
على رسوله شروع في بيان حال ما اخذ من اموالهم بعد بيان ما حل بانفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل
فعل بايديارهم ونخيلهم من التحريق والقطع اي وما اعاده اليه من مالهم وفيه اشعار بانه كان حقيقا بان يكون
له لانه انما وقع في ايديهم بغير حق فرجعه الله تعالى الى مستحقه لانه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق
ليتوسلوا به الى طاعته فهو جدير بان يكون للمطيعين منهم اي من بني النضير فما اوجفتم عليه اي فما اجريتم على
تحصيله وتغنمه من الوجيف وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب هي ما يركب من الابل خاصة كما ان
الراكب عندهم راكبها لا غير واما راكب الفرس فانما يسمونه فارسا ولا واحد لها من لفظها وانما الواحدة
منها راحلة والمعنى ما قطعتم بها مشقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديدا وذلك لانه كانت
قراهم على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا وما كان فيهم راكب الا النبي صلى الله عليه وسلم ففتحها صلحا من غير ان يجري
بينهم مسايفة كانه قيل وما افاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء اي سنته جارية تعالى جارية على ان يسلطهم على من يشاء من اعدائهم تسليطا خاصا وقد سلط النبي عليه السلام
على هؤلاء تسليطا غير معتاد من غير ان يقتحموا مضايق الخطوب ويقاسوا شدائد الحروب فلا حق لكم في
اموالهم والله على كل شيء قدير فيفعل ما يشاء تارة على الوجوه المعهودة واخرى على غيرها وقوله تعالى ما افاء الله على
رسوله من اهل القرى بيان لمصارف الفيء بعد بيان افاءته عليه الصلاة والسلام من غير ان يكون للمقاتلة فيه حق
حق ولذا لم يعطف عليه كانه لما كان عين الاول لم يعطف عليه كما هو عادة غير العبادة الا وفي لزيادة التقرير ووضع اهل القرى موضع ضميرهم للاشعار بشمول ما لعقاراتهم
ايضا فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختلف في قسمة الفيء قيل يسدس لظاهر
الاية ويصرف سهم الله تعالى الى عمارة الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لان ذكر الله للتعظيم ويصرف الان
سهم الرسول الى الامام على قول والى العساكر والثغور على قول والى مصالح المسلمين على قول وقيل
يخمس خمسه كالغنيمة فانه عليه السلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الاخماس الاربعة كما يشاء والان على الخلاف
المذكور كيلا يكون اي الفيء الذي حقه ان يكون للفقراء دولة بضم الدال وقرئ بفتحها وهو ما يدول
للانسان اي يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بالضم وبالضم بالملك بالكسر
او بالضم في المال وبالفتح في النصرة اي كيلا يكون جدا بين الاغنياء منكم يتكاثرون اي كيلا يكون دولة
جاهلية بينكم فان الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم ما يتداول
كالغرفة لما يغترف فالمعنى كيلا يكون الفيء شيئا تداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء
والدولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم او كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجه
الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على ان كان تامة اي كيلا يقع دولة على ما فصل من المعاني وما اتاكم
من الفيء او من الامر فخذوه فانه حقكم او فتمسكوا به فانه واجب عليكم وما نهاكم عنه عن اخذه او عن
تعاطيه فانتهوا عنه واتقوا الله في مخالفته ان الله شديد العقاب فيعاقب من يخالف امره ونهيه
للفقراء المهاجرين بدل من لذي القربى وما عطف عليه فان الرسول عليه السلام لا يسمى فقيرا ومن اعطاه
اغنياء ذوي القربى خص الابدال بما بعده واما تخصيص اعتبار الفقر بفيء بني النضير فتعسف الذين
اخرجوا من ديارهم واموالهم حيث اضطرهم كفار مكة واحوجوهم الى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا
منها يبتغون فضلا من الله ورضوانا اي طالبين منه تعالى رزقا في الدنيا ومرضاة في الاخرة وصفوا اولا
بما يدل على استحقاقهم للفيء من الاخراج من الديار والاموال وقيد ذلك ثانيا بما يوجب تفخيم شانهم
ويؤكده وينصرون الله ورسوله عطف على يبتغون فهي حال مقدرة اي ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله
او مقارنة فان خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين الى المدينة نصرة اي نصرة اولئك الموصوفون
بما فصل من الصفات الحميدة هم الصادقون اي الراسخون في الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهورا
بينا والذين تبوؤا الدار والايمان كلام مستأنف مسوق لمدح الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم
للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم احسن رضى واكمله والمعنى تبوؤا الدار اي اتخذوا الدار
مباءة وتمكنوا فيها اشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوؤ معنى ولزموا الهجرة معنى
اللزوم وقيل تبوؤا الدار واخلصوا الايمان كقول من قال • علفتها تبنا وماء باردا • وقيل المعنى تبوؤا
الدار الهجرة ودار الايمان فحذف الايمان المضاف من الثاني والمضاف اليه من الاول وعوض عنه
اللام وقيل سمي المدينة بالايمان لكونها مظهره ومنشأه من قبلهم اي من قبل هجرة المهاجرين على
المعاني الاول عبارة عن اقامة كافة حقوقه التي من جملتها اظهار عامة شعائره واحكامه ولا ريب في
تقدم الانصار في ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعضها لا عن اخلاصه قلبا واعتقادا
اذ لا يتصور تقدمهم عليهم في ذلك يحبون من هاجر اليهم خبر للموصول اي يحبونهم من حيث مهاجرتهم اليهم

الرسول اي اعطاهم

لحبهم الايمان ولا يجدون في صدورهم اى في نفوسهم حاجة اى شيئا محتاجا اليه يقال خذ منه حاجتك اى
ما تحتاج اليه وقيل اثر حاجة كالطلب والحزازة والحسد والغيظ مما اوتوا اى مما اوتي المهاجرون من
الفيء وغيره ويؤثرون اى يقدمون المهاجرين على انفسهم في كل شيء من اسباب المعاش حتى ان من كان عنده
امرأتان كان ينزل عن احديهما ويزوجها واحدا منهم ولو كان بهم خصاصة اى حاجة وخلة واصلها خصاص
البيت وهي فروجه والجملة في حيز الحال وقد عرفت وجهه مرارا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير
على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين ابا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف
والحارث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه
الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم
لهم من ديارنا واموالنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح في ان قوله تعالى
والذين تبوؤا الدار الى اخره مستانف غير معطوف على الفقراء والمهاجرين نعم يجوز عطفه على اولئك
فان ذلك انما يستدعي شركة الانصار للمهاجرين في الصدق دون الفيء فيكون قوله تعالى يحبون وما
عطف عليه استينافا مقررا لصدقهم او حالا من ضمير صدقوا ومن يوق شح نفسه الشح بالضم والكسر
وقد قرئ به ايضا اللؤم واضافته الى النفس لانه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذي هو البخل
اى ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الانفاق فاولئك
اشارة الى من باعتبار معناها هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة
اعتراض وارد لمدح الانصار والثناء عليهم وقرئ يوق بالتشديد والذين جاؤا من بعدهم هم الذين
هاجروا بعدما قوي الاسلام او التابعون باحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين الى يوم القيمة
ولذلك قيل ان الاية قد استوعبت جميع المؤمنين ايا ما كان فالموصول مبتدأ خبره يقولون الى اخره والجملة
مسوقة لمدحهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الاخوة في الدين والسبق بالايمان كما ان ما عطفت
عليه من الجملة السابقة لمدح الانصار اى يدعون لهم ربنا اغفر لنا ولاخواننا اى في الدين الذي هو
اعز واشرف عندهم من النسب الذين سبقونا بالايمان وصفوهم بذلك اعترافا بفضلهم ولا تجعل في قلوبنا
غلا وقرئ غمرا اى حقدا للذين امنوا على الاطلاق ربنا انك رءوف رحيم اى مبالغ في الرأفة والرحمة
فحقيق بان تجيب دعاءنا الم تر الى الذين نافقوا حكاية لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الاقوال الكاذبة والاحوال
الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية محاسن احوال المؤمنين واقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
او لكل احد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى يقولون الى اخره استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة
المضارع للدلالة على استمرار قولهم او لاستحضار صورته واللام في قوله تعالى لاخوانهم الذين كفروا من اهل
الكتاب للتبليغ والمراد باخوانهم ما توافقهم في الكفر وصداقتهم وموالاتهم واللام في قوله تعالى لئن
اخرجتم اى من دياركم قسرا موطئة للقسم وقوله تعالى لنخرجن معكم جواب القسم اى والله لئن اخرجتم لنخرجن
معكم البتة ونذهبن في صحبتكم اينما ذهبتم ولا نطيع فيكم اى في شأنكم احدا اى يمنعنا من الخروج معكم ابدا وان
طال الزمان ولا نطيع في قتالكم او خذلانكم وليس بذلك لان تقدير القتال مترقب بعد ولان
وعدهم على ذلك التقدير ليس مجرد عدم طاعتهم لمن يدعوهم الى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق عليه
قوله تعالى وان قوتلتم لننصرنكم اى لنعاونكم على عدوكم على ان دعوتهم الى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين حتى يعدوا عدم طاعتهم فيها ضرورة انها لو كانت لكانت عند استعدادهم لنصرتهم
واظهار كفرهم ولا ريب في ان ما يفعله صلى الله عليه وسلم ذلك قتلهم لا دعوتهم الى ترك نصرتهم واما الخروج معهم فليس
بهذه المرتبة من اظهار الكفر لجواز ان يدعوا ان خروجهم معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة
في الدين والله يشهد انهم لكاذبون في مواعيدهم المؤكدة بالايمان الفاجرة وقوله تعالى لئن اخرجوا لا
يخرجون معهم الى اخره تكذيب لهم في كل واحد من اقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم في الكل على الاجمال ولئن قوتلوا
لا ينصرونهم وكان الامر كذلك فان ابن ابي واصحابه ارسلوا الى بني النضير ذلك سرا ثم اخلفوهم وفيه
حجة بينة لصحة النبوة واعجاز القران ولئن نصروهم على الفرض والتقدير ليولن الادبار فرارا ثم لا ينصرون
اى المنافقون بعد ذلك اى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم او ليهزمن اليهود ثم لا ينفعهم
نصرة المنافقين لانتم اشد رهبة اى اشد مرهوبية على انها مصدر من المبني للمفعول في صدورهم من الله اى
رهبتهم منكم في السر اشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فانهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله ذلك
اى ما ذكر من كون رهبتهم منكم اشد من رهبة الله بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون اى شيئا حتى يعلموا عظمة الله
فيخشونه حق خشيته لا يقاتلونكم اى اليهود والمنافقون بمعنى لا يقدرون على قتالكم جميعا اى مجتمعين متفقين في موطن
من المواطن الا في قرى محصنة بالدروب والخنادق او من وراء جدر دون ان يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم

وقرئ

وقرئ جدر بالتخفيف وقرئ جدار وجدر بفتح الدال وجدر وجدر وهما الجدار بأسهم بينهم شديد استيناف
سبق لبيان ان ما ذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم في انفسهم فان بأسهم بالنسبة الى اقرانهم شديد وانما
ضعفهم وجبنهم بالنسبة اليكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب تحسبهم جميعا مجتمعين متفقين وقلوبهم شتى
متفرقة لا الفة بينها ذلك بانهم قوم لا يعقلون اى لا يعقلون شيئا حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به
قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحد فيقعون في تيه الضلال وتتشتت قلوبهم بحسب تفرق
فنونه واما ما قيل من ان المعنى لا يعقلون ان تشتت القلوب بما يوهن قواهم مخذول من السداد وقوله تعالى
كمثل الذين من قبلهم خبر مبتدأ محذوف تقديره مثلهم اى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل اهل بدر
وبني قينقاع على ما قيل انهم اخرجوا قبل بني النضير في زمان قريب (قريبا) وانتصابه بمثل اذ التقدير كوقوع
مثل الى اخره ذاقوا وبال امرهم اى سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم لا يقادر قدره
لا يقادر قدره والمعنى ان حال هؤلاء كحال اولئك في الدنيا والاخرة لكن لا على ان حال كلهم كحالهم بل حال
بعضهم الذين هم اليهود كذلك واما حال المنافقين فهو ما نطق به قوله تعالى كمثل الشيطان فانه خبر
ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال اخرى لليهود وهي اغترارهم بمقالة المنافقين اولا وخيبتهم
ثانيا وقد اجمل في النظم الكريم حيث اسند كل من الخبرين الى المقدر المضاف الى ضمير الفريقين من غير تعيين
ما اسند اليه بخصوصه ثقة بان السامع يرد كل من المثلين الى ما يماثله كانه قيل مثل اليهود في حلول
العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم ومثل المنافقين في اغرائهم اياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان
اذ قال للانسان اكفر اى اغراه على الكفر اغراء الامر للمامور به فلما كفر قال اني بريء منك
وقرئ انا بريء منك ان اريد بالانسان الجنس فهذا التبري من الشيطان يكون يوم القيمة كما ينبئ عنه قوله
تعالى اني اخاف الله رب العالمين وان اريد به ابو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول ابليس يوم
بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ اني بريء منكم اني ارى ما لا
ترون اني اخاف الله الاية فكان عاقبتهما بالنصب على انه خبر كان واسمها انهما في النار وقرئ بالعكس
وقد مر ما وضح خالدين فيها وقرئ خالدان فيها على انه خبر ان وفي النار لغو وذلك جزاء الظالمين
اى الخلود في النار جزاء الظالمين على الاطلاق دون هؤلاء خاصة يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في كل
ما تأتون وما تذرون ولتنظر نفس ما قدمت لغد اى اي شيء قدمت من الاعمال ليوم القيمة
عبر عنه بذلك لدنوه او لان الدنيا كيوم والاخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كانه لغد لا يعرف
كنهه لغايته واما تنكير نفس فلاستقلال الانفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كانه قيل
ولتنظر نفس واحدة في ذلك واتقوا الله تكرير للتاكيد او الاول في اداء الواجبات كما يشعر به ما بعده من
الامر بالعمل وهذا في ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى ان الله خبير بما تعملون اى من المعاصي
ولا تكونوا كالذين نسوا الله اى نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا مواجب اوامره
ونواهيه حق رعايتها فانساهم بسبب ذلك انفسهم اى جعلهم ناسين لها حتى لم يسمعوا ما ينفعها ولم
يخلصوا الى ما يخلصها او اراهم يوم القيمة من الاهوال ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون الكاملون
في الفسوق لا يستوي اصحاب النار الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود في النار واصحاب الجنة الذين
اتقوا الله فاستحقوا الخلود في الجنة ولعل تقديم اصحاب النار في الذكر للايذان من اول الامر بان القصور الذي
ينبئ عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فان مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة
ونقصانا وان جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى
هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور الى غير ذلك من المواقع واما قوله تعالى هل يستوي
الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لان صلته ملكة لصلة المفضول والاعدام مسبوقة
بملكاتها ولا دلالة في الاية الكريمة على ان المسلم لا يقتص بالكافر وان الكفار لا يملكون اموال المسلمين
بالقهر لان المراد عدم الاستواء في الاحوال الاخروية كما ينبئ عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية
الجنة وكذا قوله تعالى اصحاب الجنة هم الفائزون فانه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين اى هم
الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه لو انزلنا هذا القران العظيم الشان المنطوي على فنون القوارع
على جبل من الجبال لرأيته مع كونه علما في القسوة وعدم التأثر مما يصادمه خاشعا متصدعا من خشية الله
اى متشققا منها وقرئ مصدعا بالادغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شان القران وقوة تاثير ما فيه من المواعظ
كما ينطق به قوله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اريد به توبيخ الانسان على قسوة قلبه
وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه هو الله الذي لا اله الا هو وحده عالم الغيب والشهادة اى ما
غاب من الحس من الجواهر القدسية واحوالها وما حضر له من الاجرام واعراضها وتقديم الغيب على

الشهادة لتقدمه في الوجود وتعلق العلم القديم به او المعدوم والموجود او السر والعلانية هو الرحمن الرحيم
هو الله الذي لا اله الا هو كرر لابراز الاعتناء بامر التوحيد الملك القدوس البليغ في النزاهة عما يوجب
نقصانا وقرئ بالفتح وهي لغة فيه السلام ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة المؤمن
واهب الامن وقرئ بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار المهيمن الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الامن قلبت همزته
هاء العزيز الغالب الجبار الذي جبر خلقه على ما اراد او جبر احوالهم اي اصلحها المتكبر الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة
او نقصانا او البليغ الكبرياء والعظمة سبحان الله عما يشركون تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى او عن اشراكهم
به تعالى اثر تعداد صفاته التي لا يمكن ان يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما اصلا هو الله الخالق المقدر للاشياء
على مقتضى حكمته البارئ الموجد لها بريئا من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالاشكال المختلفة المصور
الموجد لصورها وكيفياتها كما اراد له الاسماء الحسنى لدلالتها على المعاني الحسنة يسبح له ما في السموات والارض
ينطق بتنزهه تعالى عن جميع النقائص تنزها ظاهرا وهو العزيز الحكيم الجامع للكمالات كافة فانها مع كثرتها و
تشعبها راجعة الى الكمال في القدرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء نزلت في حاطب
ابن ابي بلتعة وذلك انه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد وقال انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة
معها كتاب حاطب الى اهل مكة فخذوه منها وخلوها فان ابت فاضربوا عنقها فادركوها ثم جحدت
فسل علي رضي الله عنه سيفه فاخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا وقال له ما حملك على
هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكني كنت امرأ ملصقا
في قريش ليس فيهم من يحمي اهلي فاردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقبل عذره تلقون اليهم بالمودة اي توصلون اليهم المودة على ان الباء زائدة كما في قوله تعالى ولا تلقوا
بايديكم الى التهلكة او تلقون اليهم اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم والجملة اما حال من
فاعل لا تتخذوا او صفة لاولياء وابراز الضمير في الصفات الجارية على غير من هي له انما يشترط في الاسم دون
الفعل او استيناف وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لا تتخذوا
وقرئ لما جاءكم اي كفروا لاجل ما جاءكم بمعنى جعلوا ما هو سبب الايمان سبب الكفر يخرجون الرسول واياكم اي من مكة
وهو اما حال من فاعل كفروا او استيناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى ان
تؤمنوا بالله ربكم تعليل للاخراج وفيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات من التكلم الى الغيبة للاشعار
بما يوجب الايمان من الالوهية والربوبية ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي متعلق بلا تتخذوا كانه
قيل لا تتولوا اعدائي ان كنتم اوليائي وقوله تعالى تسرون اليهم بالمودة استيناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ
اي تسرون اليهم بالمودة او الاخبار بسبب المودة وانا اعلم واي حال اي اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم ومطلع رسولي
على ما تسرون فاي طائل لكم في الاسرار وقيل اعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة او مصدرية وتقديم
الاخفاء على الاعلان قد مر وجهه في قوله تعالى يعلم ما يسرون وما يعلنون ومن يفعله منكم اي الاتخاذ فقد
ضل سواء السبيل فقد اخطأ طريق الحق والصواب ان يثقفوكم اي ان يظفروا بكم يكونوا لكم اعداء اي يظهروا
ما في قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها احكامها ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بما يسوءكم من القتل
والاسر والشتم وودوا لو تكفرون اي تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضي للايذان بتحقق ودادهم قبل ان يثقفوكم
ايضا لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم ولا اولادكم الذين توالون المشركين لاجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم
يوم القيامة بجلب نفع او دفع ضر يفصل بينكم استيناف لبيان عدم نفع الارحام والاولاد يومئذ اي
يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الاخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء
من اخيه الاية فما لكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شانه وقرئ يفصل ويفصل مبنيا للمفعول
ويفصل ويفصل مبنيا للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون والله بما تعملون بصير فيجازيكم به
قد كانت لكم اسوة حسنة اي خصلة حميدة حقيقة بان يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى في ابراهيم والذين
معه اي من اصحابه المؤمنين صفة ثابتة لاسوة او خبر لكان ولكم للبيان او حال من المستكن في حسنة او صلة
لها لا لاسوة عند من لا يجوز العمل بعد الوصف اذ قالوا ظرف لخبر كان لقومهم انا برآء منكم اي بدينكم او بمعبودكم
او بكم وبه فلا نعتد بشانكم وبالهتكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا اي هذا دابنا معكم لا نتركه

حتى

حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما انتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة
الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك استثناء من قوله تعالى اسوة حسنة فان استغفاره عليه السلام لابيه
الكافر وان كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين انه من اصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغي ان
يؤتسى به اصلا اذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الاعراض عنه بما ياتي من قوله تعالى
ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فاستثناؤه من الاسوة انما يفيد عدم وجوب استدعاء الايمان والمغفرة
للكافر المرجو ايمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل واما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعا
هذا واما تعليل عدم كون استغفاره له عليه السلام لابيه الكافر مما ينبغي ان يؤتسى به بانه كان قبل النهي
لاستغفاره عليه السلام له وانتهائه عن كونه مؤتسى به لما نهيه عنه وكلاهما بين البطلان لما ان مورد النهي
هو الاستغفار للكافر بعد تبين امره وقد عرفت ان استغفاره عليه السلام لابيه كان قبل ذلك قطعا
وان ما يؤتسى به ما يجب الاتيان به لا ما يجوز فعله في الجملة وتجويز ان يكون استغفاره له عليه السلام بعد النهي
كما هو المفهوم من ظاهر قوله الا عن موعدة وعدها اياه مما لا مساغ له او توجيه الاستثناء الى العدة بالاستغفار
الى نفس الاستغفار بقوله واغفر لابي الاية لانها كانت هي الحاملة له عليه السلام وتخصيص هذه العدة بالذكر
دون ما وقع في سورة مريم تعالى سأستغفر لك ربي لورودها على طريق التوبة وقوله تعالى وما املك لك
من الله من شيء من تمام القول المستثنى محله النصب على انه حال من فاعل لاستغفرن لك وهو لا يستغفر ذلك فانه
الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذي هو في نفسه من خصال الخير لكونه اظهارا للعجز وتفويضا للامر الى
الله تعالى وقوله تعالى ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير الى اخره من تمام ما نقل عن ابراهيم
عليه السلام ومن معه من الاسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والانابة والمصير الى الله تعالى
قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء الى الله عز وجل في جميع امورهم لا سيما في مدافعة الكفرة وكفاية
شرورهم كما ينطق به قوله تعالى ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا بان تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه
واغفر لنا ربنا ما فرط منا من الذنوب انك انت العزيز الغالب الذي لا يذل من التجا اليه ولا يخيب رجاء
من توكل عليه الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة في التضرع والجؤار وهذا ايضا
الا يبين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وامرا لهم بان يتوكلوا وينيبوا اليه ويستعيذوا من فتنة الكفرة ويستغفروا
مما فرط منهم تكملة لما امرهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم لقد كان لكم فيهم اي
في ابراهيم ومن معه اسوة حسنة تكرير للمبالغة في الحث على الائتساء به عليه السلام ولذلك صدر بالقسم
وقوله تعالى لمن كان يرجو الله واليوم الاخر بدل من لكم فائدته الايذان بان من يؤمن بالله واليوم الاخر
لا يترك الاقتداء بهم وان تركه من مخايل عدم الايمان بهما كما ينبئ عنه قوله تعالى ومن يتول فان الله هو الغني الحميد
فانه مما يوعد بامثاله الكفرة عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من اقاربكم المشركين مودة
بان يوافقوكم في الدين وعدهم بذلك تطييبا لقلوبهم ولقد انجز وعده الكريم حين اباح لهم ذلك الفتح
فاسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافي ما تم والله قدير اي مبالغ في القدرة فيقدر على تقليب القلوب
وتغيير الاحوال وتسهيل اسباب المودة والله غفور رحيم فيغفر لمن اسلم من المشركين ويرحمهم وقيل
غفور لما فرط منكم من موالاتهم من قبل ولما بقي في قلوبكم من ميل الرحم لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين ولم يخرجوكم من دياركم اي لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فان قوله تعالى وتقسطوا اليهم بالقسط اي العدل
ان الله يحب المقسطين اي العادلين روي ان قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها اسماء بنت ابي
بكر رضي الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها
وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه
ولا يعينوا عليه انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا
على اخراجكم وهم سائر اهلها ان تولوهم بدل اشتمال من الموصول اي انما ينهاكم عن ان تتولوهم ومن يتولهم
فاولئك هم الظالمون لوضعهم الولاية في موضع العداوة او هم الظالمون لانفسهم بتعريضها للعذاب
يا ايها الذين امنوا بيان لحكم من يظهر الايمان بعد بيان حكم فريقي الكافرين اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
من بين الكفار فامتحنوهن فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن في الايمان روي ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتي يمتحنها بالله الذي لا اله الا هو ما خرجت من بغض زوج بالله ما خرجت
رغبة عن ارض الى ارض بالله ما خرجت الا حبا لله ورسوله الله اعلم بايمانهن لانه المطلع على ما في
قلوبهن والجملة اعتراض فان علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات علما يمكنكم تحصيله وهو بلغة طاقتكم بعد
الايمان والتحري اي الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهادات بالامارات والمخايل وهو الظن الغالب
وتسميته علما للايذان بانه جار مجرى العلم في وجوب العمل به فلا ترجعوهن الى الكفار اي الى ازواجهن

الكفرة بذلك لما راى منهم من التصلب في الدين
والتشديد في معاداة ابائهم وابنائهم وسائر اقربائهم ومخالطتهم
ايامهم

ان تبروهم بدل من الموصول

الكفرة في قوله تعالى لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فانه تعليل للنهي عن رجعهن اليهم والتكرير اما للتاكيد
للحرمة او لان الاول لبيان زوال النكاح الجديد واتوهم ما انفقوا اي واعطوا ازواجهن مثل ما دفعوا
اليهن من المهور وذلك ان صلح الحديبية كان على ان من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحارث الاسلمية
مسلمة والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية فاقبل زوجها مسافر المخزومي وقيل صيفي بن الراهب فقال يا محمد اردد علي
امراتي فانك قد شرطت ان ترد علينا من اتاك منا فنزلت لبيان ان الشرط انما كان في الرجال دون النساء
فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فاعطى زوجها ما انفق وتزوجها عمر رضي الله عنه ولا جناح
عليكم ان تنكحوهن فان اسلامهن حال بينهن وبين ازواجهن الكفار اذا اتيتموهن اجورهن شرط ايتاء المهر
في نكاحهن ايذانا بان ما اعطي ازواجهن لا يقوم مقام المهر ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما
يعتصم به من عقد وسبب اي لا يكون بينكم وبين المشركات عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضي
الله عنهما من كانت له امراة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها وعن
النخعي رحمه الله هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد امرهم بطلاق الباقيات مع الكفار
ومفارقتهن وقرئ ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف احدى التائين من تتمسكوا واسئلوا ما انفقتم
من مهور نسائكم اللاحقات بالكفار وليسئلوا ما انفقوا من مهور ازواجهم المهاجرات ذلكم الذي ذكر حكم الله
وقوله تعالى يحكم بينكم كلام مستانف او حال من حكم الله على حذف الضمير اي يحكمه الله او جعل الحكم حاكما على
المبالغة والله عليم حكيم يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة روي انه لما نزلت الاية ادى المؤمنون ما امروا
به من مهور المهاجرات الى ازواجهن المشركين وابى المشركون ان يؤدوا شيئا من مهور الكوافر الى ازواجهن
المسلمين فنزل قوله تعالى وان فاتكم اي سبقكم وانفلت منكم شيء من ازواجكم الى الكفار اي احد من ازواجكم وقرئ
كذلك وايقاع شيء موقعه للتحقير والاشباع في التعميم او شيء من مهور ازواجكم فعاقبتم اي فجاءت عقبتكم
اي نوبتكم من اداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من اداء هؤلاء تارة واداء اولئك
مهور نساء هؤلاء اخرى بامر يتعاقبون فيه كما يتعاقب في الركوب وغيره فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا من مهر المهاجرة التي تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه ان فاتكم فاصبتم
من الكفار عقبى وهي الغنيمة فاتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرئ فاعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم
بالتخفيف وبفتح القاف وكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين ست نسوة ام الحكم بنت ابي
سفيان وفاطمة بنت امية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت ابي جهل وكلثوم
بنت جرول واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان يقتضي التقوى منه تعالى يا ايها النبي اذا جاءك
المؤمنات يبايعنك اي مبايعات لك اي قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فانه صلى الله عليه وسلم لما فرغ عن بيعة
الرجال شرع في بيعة النساء على ان لا يشركن بالله شيئا اي شيئا من الاشياء او شيئا من الاشراك ولا يسرقن
ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن اريد به وأد البنات وقرئ ولا يقتلن بالتشديد ولا ياتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن كانت المراة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك كني عنه بالبهتان المفترى
بين يديها ورجليها لان بطنها الذي تحمله بين يديها ومخرجه بين رجليها ولا يعصينك في معروف اي
فيما تامرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يامر
الا به للتنبيه على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق وتخصيص الامور المعدودة بالذكر في حقهن
لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن اي على ما ذكر وما لم يذكر لوضوح امره وظهور
اصالته في المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر اركان الدين وشعائر الاسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر
بمجيئهن لحثهن على المسارعة اليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن اليها واستغفر لهن الله زيادة لما في
ضمن المبايعة فانها عبارة عن ضمان الثواب من قبله صلى الله عليه وسلم بمقابلة الوفاء بالامور المذكورة من قبلهن ان الله
غفور رحيم اي مبالغ في المغفرة والرحمة سيغفر لهن ويرحمهن اذا وفين بما بايعن عليه واختلف في كيفية
مبايعته صلى الله عليه وسلم لهن يومئذ فروي انه صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رضي الله عنه اسفل
منه فجعل صلى الله عليه وسلم يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروي انه صلى الله عليه وسلم كلف امراة وقيل الابنا امر الله تعالى وما
مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امراة قط وكان يقول الله عز وجل يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات الى اخر الاية
فاذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله
عليهم هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روي انها نزلت في بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا
من ثمارهم قد يئسوا من الاخرة لكفرهم بها او لعلمهم بانه لا خلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت
في التوراة المؤيد بالايات كما يئس الكفار من اصحاب القبور اي كما يئس منها الذين ماتوا منهم لانهم
وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلائهم بعذابها الاليم والمراد وصفهم بكمال

اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم ان يبعثوا ويرجعوا الى الدنيا احياء والاظهار في موقع الاضمار
للاشعار بعلة يأسهم والله سبحانه وتعالى اعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الممتحنة كان له المؤمنون
والمؤمنات شفعاء يوم القيمة

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم
الكلام فيه كالذي مر في نظيره يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا ان تقولوا عند
الله ما لا تفعلون روي ان المسلمين قالوا لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لبذلنا فيه اموالنا وانفسنا
فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من ان المراد بقوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا
بين الاختلاف طرد وروي انهم قالوا يا رسول الله لو علمنا احب الاعمال الى الله تعالى لسارعنا اليه فنزلت هل
ادلكم على تجارة الى قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم فولوا يوم احد وفيه ان ترتيب
ترتيب الايات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما اخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة
اللهم اشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فنزلت وقيل انها نزلت فيمن يتبجح كاذبا
حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل اذى المسلمين يوم بدر
ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله اخر فنزلت في المنتحل وقيل نزلت في المنافقين ونداؤهم بالايمان
تهكم بهم وبايمانهم ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت الفها
تخفيفا لكثرة استعمالها معا كما في عم وفيم ونظائرهما معناها لاي شيء تقولون نفعل ما لا تفعلونه من
الخير والمعروف على ان مدار التعيير والتوبيخ في الحقيقة عدم فعلهم وانما وجها الى قولهم تنبيها على تضاعف
معصيتهم ببيان ان المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به ايضا وقد كانوا يحسبونه معروفا
ولو قيل لم لا تفعلون ما تقولون لفهم منه ان المنكر هو ترك الموعود كبر مقتا تمييز مبهم مفسر بالنكرة بعده
وان تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه واسند الى ان تقولوا ونصب مقتا على
تفسيره دلالة على ان قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا يشوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم وقوله تعالى ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا بيان لما هو مرضي عنده تعالى بعد بيان ما هو ممقوت عنده وهذا صريح في
ان ما قالوه عبارة عن الوعد بالقتال لا عمن بقوله المتبجح والمنتحل وادعاه المنافقون فان مناط التعيير والتوبيخ
هو اخلافهم لا وعدهم كما اشير اليه وقرئ يقاتلون بالفتح ويقتلون وصفا مصدر وقع موقع الفاعل او
المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم او مصفوفين وقوله تعالى كانهم بنيان مرصوص
حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف
حتى صار شيئا واحدا وقوله تعالى واذ قال موسى لقومه كلام مستانف مقرر لما قبله من شناعة ترك
القتال واذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين اي اذكر لهؤلاء المعرضين
عن القتال وقت قول موسى لبني اسرائيل حين ندبهم الى قتال الجبابرة بقوله يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا امره وعصوه اشد عصيان حيث قالوا
يا موسى ان فيها قوما جبارين الى قوله فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون واصروا على ذلك
واذوه عليه السلام كل الاذية يا قوم لم تؤذونني اي بالمخالفة والعصيان فيما امرتكم به وقد تعلمون اني
رسول الله اليكم جملة حالية مؤكدة لانكار الاذية ونفي سببه وقد لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة
على استمراره اي والحال انكم تعلمون علما قطعيا مستمرا بمشاهدة ما ظهر بيدي من المعجزات القاهرة التي
معظمها اهلاك عدوكم وانجاؤكم منه اني رسول الله اليكم لارشادكم الى خير الدنيا والاخرة ومن
قضيته علمكم بذلك ان تبالغوا في تعظيمي وتسارعوا الى طاعتي فلما زاغوا اصروا على الزيغ عن الحق الذي جاء
به موسى عليه السلام واستمروا عليه ازاغ الله قلوبهم اي صرفها عن قبول الحق والميل الى الصواب لصرف
اختيارهم نحو الغي والضلال وقوله تعالى والله لا يهدي القوم الفاسقين اعتراض تذييلي مقرر لمضمون
ما قبله من الازاغة ومؤذن بعلته اي لا يهدي القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق ومصرين على الغواية
هداية موصلة الى البغية لان هداية موصلة الى ما يوصل اليها فانها متكفلة للكل والمراد بهم اما المذكورون
خاصة والاظهار في موضع الاضمار لذمهم بالفسق كما في قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين
هذا هو الذي يقتضيه جزالة النظم الكريم ويرتضيه الذوق السليم واما ما قيل بصدد بيان اسباب الاذية من
انهم كانوا يؤذونه عليه السلام بانواع الاذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود اياته وعصيانه فيما تعود اليهم

مناضعة ومعاداتهم البقوه وطلبهم روية الله عزوجل جهرة والتكذيب الذى هو تضييع حق الله وحقه
فالاتعلق له بالمقام معقوله تعالى واذ قال عيسى بن مريم اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما
معمول لمضمر معطوف على ما قبلها واذ قال عيسى ابن مريم اما معطوف على اذ الاولى معمول لعاملها واما
يا بنى اسرائيل ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم الى تصديقه فى قوله تعالى انى رسول الله اليكم مصدقا لما
بين يدى من التورية فان تصديقه عليه السلام اياها من اقوى الدواعى الى تصديقهم اياه وقوله تعالى
ومبشرا برسول ياتى من بعدى معطوف على مصدقا داع الى تصديقه عليه السلام مثله من حيث ان البشارة
به واقعة فى التورية والعامل فيهما ما فى الرسول من معنى الارسال لا الجار فانه صلة للرسول والصلات
بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل اى ارسلت اليكم حال كونى مصدقا لما تقدمنى من التورية
ومبشرا بمن ياتى من بعدى فتح من رسول اسمه احمد اى محمد صلى الله عليه وسلم يريد ان دينى التصديق بكتب الله وانبيائه
جميعا ممن تقدم ومما تاخر وقرئ من بعدى بفتح الياء فلما جاءهم بالبينات اى بالمعجزات الظاهرة قالوا
هذا سحر مبين مشيرين الى ما جاء به او اليه عليه السلام وتسميته سحرا للمبالغة ويؤيده قراءة من قرا هذا
ساحر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام اى اى الناس اشد ظلما ممن يدعى الى
الاسلام الذى يوصله الى سعادة الدارين فيضع موضع الاجابة الافتراء على الله عزوجل بقوله لكلامه
الذى هو عبارة الى الحق هذا سحر اى هو اظلم من كل ظالم فان لم يتعرض ظاهر الكلام لنفى المساوى وقد مر بيانه
غير مرة وقرئ يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه والله لا يهدى القوم الظالمين اى لا يرشدهم الى
ما فيه فلاحهم لعدم توجههم اليه يريدون ليطفئوا نور الله اى يريدون ان يطفئوا دينه او كتابه او حجته النيرة
واللام مزيدة لما فيها من معنى الارادة تاكيدا لها كما زيدت لما فيها من معنى الاضافة تاكيدا لها فى لا اباً لك
او يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله بافواههم بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه
والله متم نوره اى مبلغه الى غايته وقرئ متم نوره بلا اضافة ولو كره الكافرون ارغاما لهم والجملة فى محل الحال
على ما تبين حالا هو الذى ارسل رسوله بالهدى بالقران وبالمعجزة ودين الحق والملة الحنيفية ليظهره على الدين كله
ليعليه على جميع الاديان المخالفة له ولقد انجز الله عزوجل وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الاديان
الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام ولو كره المشركون ذلك وقرئ هو الذى ارسل نبيه يا ايها الذين
امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون بالله وقرئ تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى ورسوله وتجاهدون
فى سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف وقع جوابا عما نشا قبله كانهم قالوا كيف نعمل او ماذا نصنع فقيل تؤمنون
بالله الى اخره وهو خبر فى معنى الامر جى به للايذان بوجوب الامتثال فكانه قد وقع فاخبر بوقوعه ويؤيده
قراءة من قرا امنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرئ تؤمنوا وتجاهدوا على اضمار لام الامر ذلكم اشارة
الى ما ذكر من الايمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر من تفسيره غير مرة خير لكم على الاطلاق او من
اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون اى ان كنتم من اهل العلم فان الجهلة لا يعتد بافعالهم او ان كنتم تعلمون انه
خير لكم كان كذلكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه احببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون انفسكم واموالكم
فتخلصون وتفلحون يغفر لكم ذنوبكم جواب للامر المدلول عليه بلفظ الخبر او بشرط او استفهام دل عليه الكلام
تقديره ان تؤمنوا وتجاهدوا او هل تقبلون ان ادلكم يغفر لكم وجعله جوابا لهل ادلكم بعيد لان مجرد الدلالة
لا يوجب المغفرة ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك اى ما ذكر من
المغفرة وادخال الجنات الموصوفة بما ذكر من الاوصاف الجليلة الفوز العظيم الذى لا فوز وراءه واخرى تحبونها
اى ولكم الى هذه النعم العظيمة نعمة اخرى عاجلة تحبونها وفى تحبونها تعريض بانهم يؤثرون العاجل على الاجل
وقيل اخرى منصوبة باضمار يعطكم او تحبون او مبتدأ خبره نصر من الله وهو على الاول بدل او بيان وعلى
تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف وفتح قريب اى عاجل عطف على نصر او على محذوف مثل قل يا ايها الذين
امنوا وبشر او على تؤمنون فانه فى معنى امنوا كانه قيل امنوا وجاهدوا ايها المؤمنون وبشرهم ايها
الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا واجلا يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله وقرئ انصارا لله بلا اضافة
ان المعنى كونوا بعض انصار الله وقرئ كونوا انتم انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى الى الله اى من
جندى متوجها الى نصرة الله كما يقتضيه قوله تعالى قال الحواريون نحن انصار الله والاضافة الاولى اضافة احد
المشاركين الى الاخر لما بينهما من الاختصاص والثانية اضافة الفاعل الى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى اى كونوا
انصار الله كما كان الحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين
والحواريون انصاره حين قال لهم عيسى من انصارى الى الله او قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون اصفياؤه
وهم اول من امن به وكانوا اثنى عشر رجلا فامنت طائفة من بنى اسرائيل اى بعيسى واطاعوه فيما امرهم به من نصرة
الدين وكفرت طائفة اخرى به وقاتلوهم فايدنا الذين امنوا على عدوهم اى قويناهم بالحجة او بالسيف بعد رفع

عيسى

عيسى عليه السلام فاصبحوا ظاهرين غالبين روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الصف كان عيسى مصليا
عليه مستغفرا له ما دام فى الدنيا وهو يوم القيمة رفيقه والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض تسبيحا مستمرا الملك القدوس
العزيز الحكيم وقد قرئ الصفات الاربع بالرفع على المدح هو الذى بعث فى الاميين رسولا اى فى العرب لان
اكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤن قيل بدئت الكتابة بالطائف اخذوها من اهل الحيرة وهم من اهل الانبار رسولا
منهم اى كائنا من جملتهم اميا مثلهم يتلوا عليهم اياته مع كونه اميا مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم
ويزكيهم صفة اخرى لرسولا معطوفة على يتلوا اى يحملهم على ما يصيرون به ازكياء من خبائث العقائد
والاعمال ويعلمهم الكتاب والحكمة صفة اخرى لرسولا مرتبة فى الوجود على التلاوة وانما وسط بينهما التزكية
التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية
بالتعليم المترتبة على التلاوة للايذان بان كلا من الامور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو
روعى الترتيب الوجودى لتبادر الى الفهم كون الكل نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما فى تضاعيف
الاحاديث النبوية من الاحكام والشرايع وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين من الشرك وخبث الجاهلية وهو
بيان لشدة افتقارهم الى من يرشدهم وازاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه الصلاة والسلام من الغير وان
هى المخففة واللام هى الفارقة واخرين منهم عطف على الاميين او على المنصوب فى يعلمهم اى يعلمهم ويعلم
اخرين منهم اى من الاميين وهم الذين جاؤا بعد الصحابة الى يوم الدين فان دعوته صلى الله عليه وسلم وتعليمه يعم الجميع
لما يلحقوا بهم صفة لاخرين اى لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون وهو العزيز الحكيم المبالغ فى العزة والحكمة ولذلك
مكن رجلا اميا من ذلك الامر العظيم واصطفاه من بين كافة البشر ذلك الذى امتاز به من بين سائر الافراد
فضل الله يؤتيه من يشاء تفضلا وعطية والله ذو الفضل العظيم الذى يستحقر دونه نعم الدنيا ونعم الاخرة
مثل الذين حملوا التورية اى علموها وكلفوا العمل بها ثم لم يحملوها اى لم يعملوا بما فى تضاعيفها من الايات التى
من جملتها الايات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم كمثل الحمار اذ ليس المراد به معينا فهو فى حكم النكرة كما فى
يحمل اسفارا اى كتبا من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل اما حال والعامل معنى المثل او صفة للحمار
اذ ليس المراد به معينا فهو فى حكم النكرة كما فى قول من قال ولقد امر على اللئيم يسبنى بئس مثل القوم الذين
كذبوا بايات الله على ان التمييز محذوف والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول
صفة للقوم او بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا على ان الموصول صفة للقوم والمخصوص بالذم محذوف
وهم اليهود الذين كذبوا بايات الله على ان الفريقين مثل الفريقين القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود
الذين كذبوا بما فى التورية من الايات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدى القوم الظالمين الواضعين
للتكذيب فى موضع التصديق او الظالمين لانفسهم بتعريضها للعذاب الخالد قل يا ايها الذين هادوا اى تهودوا
ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس كانوا يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويدعون ان الدار الاخرة لهم
عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة الا من كان هودا فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول لهم اظهارا لكذبهم
ان زعمتم ذلك فتمنوا الموت اى فتمنوا من الله ان يميتكم وينقلكم من دار البلية الى دار الكرامة ان كنتم صادقين
جوابه محذوف لدلالة ما قبله عليه اى ان كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بانه حق فتمنوا الموت فان من ايقن بانه
من اهل الجنة احب ان يتخلص اليها من هذه الدار التى هى قرارة الاكدار ولا يتمنونه ابدا اخبار بما سيكون منهم
والباء فى قوله تعالى بما قدمت ايديهم متعلقة بما يدل عليه النفى اى يابون التمنى بسبب ما عملوا من الكفر
والمعاصى الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الانسان مناط عامة افاعيله عبر بها تارة
عن النفس واخرى عن القدرة والله عليم بالظالمين اى بهم وايثار الاظهار على الاضمار لذمهم والتسجيل عليهم
بانهم ظالمون فى كل ما ياتون وما يذرون من الامور التى من جملتها ادعاء ما هم عنه بمعزل والجملة تذييل لما
قبلها مقررة لمضمونه اى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية الى افانين العذاب وبما
سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى الى ذلك فوقع الامر كما ذكر فلم يتمن منهم موته احد
قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم فان ذلك انما يقال لهم بعد ظهور فرارهم من التمنى وقد قال
صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لشرقوا به ثم لم يبق منهم احد وهذه احدى المعجزات اى ان الموت الذى تفرون منه
مخافة ان تؤخذوا بوبال كفركم كما حلا منكم من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الفعل معنى
الشرط باعتبار الوصف وقرئ بدونها وقرئ تفرون منه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة الذى لا يخفى

عليه خافيه فينبئكم بما كنتم تعملون من الكفر والمعاصي بان يجازيكم بها يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة اي فعل النداء لها من يوم الجمعة بيان لاذا وتفسير لها وقيل اول من سماها جمعة كعب بن لوي وكانت العرب تسميه العروبة وقيل ان الانصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين فذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فانزل الله تعالى اية الجمعة فهي اول جمعة كانت في الاسلام فاما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي انه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف واقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة فاسعوا الى ذكر الله اي امشوا واقصدوا الى الخطبة والصلاة وذروا البيع واتركوا المعاملة ذلكم اي السعي الى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مباشرته فان نفع الاخرة اجل وابقى ان كنتم تعلمون اي الخير والشر الحقيقيين او ان كنتم اهل العلم فاذا قضيت الصلاة اي اديت وفرغ منها فانتشروا في الارض لاقامة مصالحكم وابتغوا من فضل الله اي الربح فالامر للاطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضي الله عنهما لم يؤمروا بطلب شيء من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة اخ في الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع واذكروا الله كثيرا ذكرا كثيرا او زمانا كثيرا ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة لعلكم تفلحون اي كي [هامش: تفوزوا بخير الدارين واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روي ان اهل المدينة اصابهم جوع وغلاء سعر] فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشية ان يسبقوا اليه فما بقي معه صلى الله عليه وسلم الا ثمانية وقيل احد عشر وقيل اثنا عشر وقيل اربعون فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا وكانوا اذا اقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لانها المقصودة اما لان الانفضاض للتجارة مع الحاجة اليها والانتفاع بها اذا كان مذموما فما ظنك بالانفضاض باللهو وهو مذموم في نفسه وقيل تقديره اذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه فحذف الثاني لدلالة الاول عليه وقرئ اليهما وتركوك قائما قل ما عند الله من الثواب خير من اللهو ومن التجارة فان ذلك النفع محقق مخلد بخلاف ما فيهما من النفع المتوهم والله خير الرازقين فاليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق فانه هو الرزاق روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الجمعة اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة ومن لم ياتها في امصار المسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون اي حضروا مجلسك قالوا نشهد انك لرسول الله مؤكدين كلامهم بان واللام للايذان بان شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى والله يعلم انك لرسوله اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى والله يشهد ان المنافقين لكاذبون تحقيقا وتعيينا لما نيط به التكذيب من انهم قالوه عن اعتقاد كما اشير اليه واماطة من اول الامر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب الى منطوق كلامهم اي والله يشهد انهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من انها صادرة عن اعتقاد وطمانينة قلبية وفي الاظهار في موقع الاضمار لذمهم والاشعار بعلة الحكم اتخذوا ايمانهم الفاجرة التي من جملتها ما حكي عنهم جنة اي وقاية عما يتوجه اليهم من المؤاخذة بالقتل والسبي او غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن اعدادهم وتهيئتهم لها الى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فان ذلك متاخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لا بد ان يكون قبل المؤاخذة وعن سببها ايضا كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله بالنهي عنه كما يحكى عنهم ولا ريب في ان هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرئ ايمانهم اي ما اظهروه على السنتهم فاتخاذ جنة عبارة عن استعماله بالفعل فانه وقاية دون دمائهم واموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والاعراض عن سبيله تعالى انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق والصد وفي ساء معنى التعجب وتعظيم امرهم عند السامعين ذلك اشارة الى ما تقدم من القول الناعي عليهم انهم اسوا الناس اعمالا او الى ما وصف من حالهم في النفاق والكذب والاستتار بالايمان الصوري وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه لما مر مرارا من الاشعار ببعد منزلته في الشر بانهم بسبب انهم امنوا اي نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل في الاسلام ثم كفروا اي ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله او نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم فطبع على قلوبهم حتى تمرنوا على الكفر واطمانوا به وقرئ على البناء للفاعل وقرئ فطبع الله فهم لا يفقهون حقيقة الايمان ولا يعرفون حقيقته اصلا واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لضخامتها ويروقك

منظرهم

منظرهم لصباحة وجوههم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحتهم وذلاقة السنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن ابي جسيما فصيحا يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من امثاله وهم رؤساء المدينة وكان صلى الله عليه وسلم ومن معه يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم وقيل الخطاب لكل احد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى كانهم خشب مسندة في حيز الرفع على انه خبر مبتدا محذوف او كلام مستانف لا محل له شبهوا في جلوسهم في مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة الى الحائط في كونهم اشباحا خالية عن العلم والخير وقرئ خشب على انه جمع خشبة كبدنة وبدن وقيل هو جمع خشباء وهي الخشبة التي دعر جوفها او فسد شبهوا بها في نفاقهم وفساد بواطنهم وقرئ خشب كمدرة ومدر يحسبون كل صيحة عليهم اي واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم وما في قلوبهم من الرعب وقيل كانوا على وجل من ان ينزل الله فيهم ما يهتك استارهم ويبيح دماءهم واموالهم هم العدو اي هم الكاملون في العداوة والراسخون فيها فان اعدى الاعادي العدو المداجي الذي يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوي والجملة مستانفة لا وجعلها مفعولا ثانيا للحسبان بما لا يساعده النظم الكريم اصلا فان الفاء في قوله تعالى فاحذرهم لترتيب الامر بالحذر على كونهم اعدى الاعداء قاتلهم الله دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى ان يلعنهم ويخزيهم او تعليم للمؤمنين ان يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى انى يؤفكون تعجيب من حالهم اي كيف يصرفون عن الحق الى ما هم عليه من الكفر والضلال واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم اي عطفوها استكبارا ورايتهم يصدون يعرضون عن القائل او عن الاستغفار وهم مستكبرون عن ذلك سواء عليهم استغفرت لهم اذا جاؤوك معتذرين من جناياتهم وقرئ استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة ام عليه وقرئ آستغفرت باشباع همزة الاستفهام للاظهار لا لقلب همزة الوصل الفا ام لم تستغفر لهم لانهم مصرون على قبائحهم والتكبر عن الاستغفار والاعتذار لن يغفر الله لهم ابدا لاصرارهم على الفسق ورسوخهم في الكفر ان الله لا يهدي القوم الفاسقين الكاملين في الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين في الكفر والنفاق والمراد اما هم باعيانهم والاظهار في موقع الاضمار لبيان غلوهم في الفسق او الجنس وهم داخلون في زمرتهم دخولا اوليا وقوله تعالى هم الذين يقولون اي للانصار لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم او لعدم مغفرته تعالى لهم وقرئ حتى ينفضوا من انفض القوم اذا فنيت ازوادهم وحقيقته حان لهم ان ينفضوا مزاودهم ولله خزائن السموات والارض رد وابطال لما زعموا من ان عدم انفاقهم يؤدي الى انفضاض الفقراء من حوله صلى الله عليه وسلم ببيان ان خزائن الارزاق بيد الله تعالى يعطي من يشاء ولكن المنافقين لا يفقهون ولذلك يقولون من مقالات الكفر ما يقولون روي ان جهجاه بن سعيد اجير عمر على سنانا الجهني ولطم سنانا فاشتكى الى ابن ابي يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل روي ان جهجاها جمالا من فقراء المهاجرين لطم سنانا فاشتكى الى ابن ابي فقال للانصار لا تنفقوا الى اخره والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل جانب المؤمنين واسناد القول المذكور الى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين اي ولله الغلبة بالقوة ولمن اعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم ولكن المنافقين لا يعلمون من جهلهم وغرورهم فيهذون ما يهذون روي ان عبد الله ابن ابي لما اراد ان يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله ابن ابي وكان مخلصا وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعزة لاضربن عنقك فلما راى منه الجد قال لما راى منه الجد قال ان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسول الله وعن المؤمنين خيرا يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله اي لا يشغلكم الاهتمام بتدبير امورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلاة وسائر العبادات المذكرة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهي بها وتوجيه النهي اليها للمبالغة كما في قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الى اخره ومن يفعل ذلك اي التلهي بالدنيا عن الدين فاولئك هم الخاسرون اي الكاملون في الخسران حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وانفقوا مما رزقناكم اي بعض ما اعطيناكم تفضلا من غير ان يكون حصوله من جهتكم ادخارا للاخرة من قبل ان ياتي احدكم الموت بان يشاهد دلائله ويعاين اماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مرارا من الاهتمام بما قدم والتشويق الى ما اخر فيقول عند تيقنه بحلوله رب لولا اخرتني اي امهلتني الى اجل قريب اي امد قصير فاصدق بالنصب على جواب التمني وقرئ فاتصدق واكن من الصالحين بالجزم عطفا على محله وقرئ بالرفع اي وانا اكون عندئذ منه بالصلاح ولن يؤخر الله نفسا اي ولن يمهلها اذا جاء اجلها اي اخر عمرها وانتهى ان اريد بالاجل الزمان الممتد من اول العمر الى اخره والله خبير بما تعملون فيجازيكم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر فسارعوا في الخيرات واستعدوا لما هو ات وقرئ بالياء التحتانية والله تعالى اعلم روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة المنافقين برئ من النفاق والله سبحانه وتعالى اعلم سورة التغابن

بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض اى ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من
المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيها مستمرا له الملك وله الحمد لا لغيره اذ هو المبدئ لكل شيء وهو القائم
به والمهيمن عليه وهو المولى لاصول النعم وفروعها واما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره من اعتداد بان
نعمة الله جرت على يده وهو على كل شيء قدير لان نسبة ذاته المقتضية للقدرة الى الكل سواء هو الذي خلقكم خلقا
بديعا حاويا لجميع مبادى الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك فمنكم كافر اى فبعضكم او فبعض منكم مختار
للكفر كاسب له على خلاف ما يستدعيه خلقته ومنكم مؤمن مختار للايمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان
الواجب عليكم جميعا ان تكونوا مختارين للايمان شاكرين لنعمة الخلق والايجاد وما يتفرع عليهما من سائر النعم
فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعبا وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لانه الاغلب فيما بينهم
والانسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر في علمه كفره موجه اليه ما يحمله ومؤمن مقدر ايمانه
موفق لما يدعوه اليه مما لا يلائم المقام والله بما تعملون بصير فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم
من الايمان والطاعة واياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة المتضمنة
للمصالح الدينية والدنيوية وصوركم فاحسن صوركم حيث برأكم في احسن تقويم واودع فيكم من القوى والمشاعر
الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم
بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم انموذج جميع مخلوقاته في هذه النشاة واليه المصير في النشاة الاخرى
لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فاحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له يعلم ما في السموات
وما في الارض من الامور الكلية والجزئية والاحوال الجلية والخفية ويعلم ما تسرون وما تعلنون اى ما
تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الامور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لانه الذي يدور عليه الجزاء
ففيه تاكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى والله عليم بذات الصدور اعتراض تذييلي مقرر لما قبله
من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم اى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها اصلا
فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه واظهار الجلالة للاشعار بعلة الحكم وتاكيد استقلال الجملة قيل وتقديم
القدرة على الاختصاص تعريض والعلم لان دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتقان
والاختصاص ببعض الانحاء الم ياتكم ايها الكفرة نبأ الذين كفروا من قبل كقوم نوح ومن بعدهم من الامم المصرة
على الكفر فذاقوا وبال امرهم عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على امر من الامور وامرهم
كفرهم عبر عنه بذلك للايذان بانه امر هائل وجناية عظيمة اى الم ياتكم خبر الذين كفروا من قبل فذاقوا
من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم في الدنيا ولهم في الاخرة عذاب اليم لا يقادر قدره ذلك اى ما ذكر
من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الاخرة ذلك بانه بسبب انه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات
اى بالمعجزات الظاهرة فقالوا عطف على كانت ابشر يهدوننا اى قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي
اتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك ابشر يهدوننا كما قالت ثمود ابشرا
منا واحدا نتبعه وقد اجمل في الحكاية فاسند القول الى جميع الاقوام واريد بالبشر الجنس فوصف
بالجمع كما اجمل الخطاب والامر في قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فكفروا اى بالرسل
وتولوا عن التدبر فيما اتوا به من البينات وعن الايمان بهم واستغنى الله اى ظهر استغناؤه عن ايمانهم وطاعتهم
حيث اهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك والله غني عن العالمين فضلا عن ايمانهم وطاعتهم حميد
يحمده كل مخلوق بلسان الحال او مستحق للحمد بذاته وان لم يحمده حامد زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا
الزعم ادعاء العلم يتعدى الى مفعولين لن يبعثوا بعد موتهم ابدا قل رد عليهم وابطال لزعمهم باثبات ما نفوه بلى اى
يبعثون وقوله وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم اى لتحاسبن ولتجزون باعمالكم جملة مستانفة داخلة تحت
الامر واردة لتاكيد ما افاده كلمة بلى من اثبات البعث وبيان تحقيق امر اخر متفرع عليه منوط به ففيه
تاكيد لتحقيق البعث بوجهين وذلك اى ما ذكر من البعث والجزاء على الله يسير لتحقق القدرة التامة وقبول المادة
والفاء في قوله تعالى فامنوا فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره اى اذا كان الامر كذلك
فامنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا وهو القران فانه بنفسه مبين لغيره كما ان النور كذلك
والالتفات الى نون العظمة لابراز كمال العناية بامر الانزال والله بما تعملون من الامتثال بالامر وعدمه
خبير فيجازيكم عليه والجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من الامر موجب للامتثال به بالوعد و
الوعيد والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة وتاكيد استقلال الجملة يوم يجمعكم ظرف لتنبؤن وقيل

الخبير

خبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله يجازيكم ومعاقبكم يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم
او مفعول لاذكر بنون العظمة ليوم الجمع ليوم يجمع فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله يجازيكم ومعاقبكم
يوم يجمعكم او مفعول لاذكر وقرئ نجمعكم بنون العظمة الاولون والاخرون اى لاجل ما فيه من الحساب و
الجزاء ذلك يوم التغابن اى يوم غبن فيه بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الاشقياء لو كانوا سعداء
وبالعكس وفي الحديث ما من عبد يدخل الجنة الا ارى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل
النار الا ارى مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للايذان بان التغابن
في الحقيقة هو الذي يقع فيه لا ما يقع من امور الدنيا ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا اى عملا صالحا يكفر الله
عز وجل وقرئ بنون العظمة عنه سيئاته يوم القيمة ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا وقرئ بالنون ندخله ذلك اى ما ذكر من تكفير السيئات وادخال الجنات الفوز العظيم الذي لا فوز
وراءه لانطوائه على النجاة من اعظم المهلكات والظفر باجل الطلبات والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير اى النار كان هاتين الايتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن ما
اصاب من مصيبة من المصائب الدنيوية الا باذن الله اى بتقديره وارادته كانها بذاتها متوجهة الى الانسان
متوقفة على اذنه تعالى ومن يؤمن بالله يهد قلبه عند اصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم ان
ما اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه اى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير
وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرئ بنصبه على نهج سفه نفسه وقرئ يهدأ قلبه اى ما ذكر واطيعوا
الله واطيعوا الرسول كرر الامر للتاكيد والايذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في
قوله تعالى فان توليتم اى عن طاعة الرسول وقوله تعالى فانما على رسولنا البلاغ المبين تعليل للجواب المحذوف
فلا باس عليه اذ ما عليه الا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه واظهار الرسول مضافا الى نون العظمة
مقام اضماره لتشريفه والاشعار بمدار الحكم الذي هو كون وظيفته محض البلاغ ولزيادة التشنيع
بالتولي عنه الله لا اله الا هو جملة من مبتدا وخبر اى هو المستحق للمعبودية لا غيره وفي اضمار خبر لا مثل
في الوجود او يصح ان يوجد خلاف للنحاة معروف وعلى الله اى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا
اشتراكا فليتوكل المؤمنون واظهار الجلالة في موقع الاضمار للاشعار بعلة التوكل والامر به فان الالوهية
مقتضية للتبتل اليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم يشغلونكم عن طاعة الله تعالى او يخاصمونكم في امور الدين او الدنيا فاحذروهم الضمير للعدو فانه
يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فانهم عدو لي الا رب العالمين او للازواج والاولاد جميعا فالمامور
على الاول الحذر عن الكل وعلى الثاني اما الحذر عن البعض لان منهم من ليس بعدو واما من مجموع الفريقين
لاشتمالهم على العدو وان تعفوا عن ذنوبهم القابلة للعفو بان تكون متعلقة بامور الدنيا او بامور الدين لكن
مقارنة للتوبة وتصفحوا بترك التثريب والتعيير وتغفروا باخفائها وتمهيد عذرهم فان الله غفور رحيم
يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل ان ناسا من المسلمين ارادوا الهجرة عن مكة فثبطهم ازواجهم واولادهم
قالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك وراوا المهاجرين الاولين قد فقهوا في الدين
ارادوا ان يعاقبوا ازواجهم واولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم اين تذهبون وتدعون عشيرتكم واموالكم
فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله في دار الهجرة لن تصيبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على ان يعفوا عنهم
ويردوا اليهم البر والصلة انما اموالكم واولادكم فتنة بلاء ومحنة يوقعونكم في الاثم من حيث لا تحتسبون والله
عنده اجر عظيم لمن اثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الاموال والاولاد والسعي في تدبير مصالحهم فاتقوا الله
ما استطعتم اى ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم واسمعوا مواعظه واطيعوا اوامره وانفقوا مما رزقكم في الوجوه
التي امركم بالانفاق فيها خالصا لوجهه الكريم خيرا لانفسكم اى ايتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وانفع
وهو تاكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لكون الامور المذكورة خيرا لانفسكم ويجوز ان يكون صفة
لمصدر محذوف اى انفاقا خيرا او خبرا لكان مقدرا جوابا للاوامر اى يكن خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فاولئك
هم المفلحون الفائزون بكل امر ان تقرضوا الله بصرف اموالكم الى المصارف التي عينها قرضا حسنا مقرونا
بالاخلاص وطيب النفس يضاعفه لكم بالواحد عشرة الى سبعمائة واكثر ويغفر لكم ببركة الانفاق ما فرط منكم
من بعض الذنوب والله شكور يعطي الجزيل بمقابلة القليل حليم لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب
والشهادة لا يخفى عليه خافية العزيز الحكيم المبالغ في القدرة والحكمة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التغابن رفع
الله عنه موت الفجاة والله سبحانه وتعالى اعلم

بالجزاء اى يسكن بالله بكل شيء وعليم فلا الانبياء والتمتع حيلتها القلوب وما هو الحواعليم فيعلم انما المؤمن خفيد قلبه م

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النسا تخصيص النداء به ﷺ مع عموم الخطاب لامته
ايضا للتشريف ﷺ واظهار جلالة منصبه وتحقيق انه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه ﷺ
وتغليبه عليهم لا لان نداه كندايهم فان ذلك الاعتبار لوكان في حين الرعاية لكان الخطاب الحق به لشموله حكمه
للكل قطعا والمعنى اذا اردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة فطلقوهن لعدتهن اى
مستقبلات لها كقولك اتيته لليلة خلت من شهر كذا فان المراد اذا طلقت في طهر يعقبه القرو الاول من
اقرايها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد ان يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا
احسن الطلاق وادخله في السنة واحصوا العدة واضبطوها واكملوها ثلاثة قروء واتقوا الله ربكم في تطويل
العدة عليهن والاضرار بهن وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تاكيد للامر ومبالغة في ايجاب الاتقاء لا تخرجوهن
من بيوتهن من مساكنهن عند الفراق الى ان تنقضي عدتهن واضافتها اليهن وهي لازواجهن لتاكيد النهي
ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كانها ملكهن ولا يخرجن ولو باذن منكم فان الاذن بالخروج في حكم الاخراج وقيل
المعنى لا يخرجن باستبداد منهن اما اذا اتفقا على الخروج جاز اذ الحق لا يعدوهما الا ان ياتين بفاحشة مبينة [illegible]
منهن قيل هي الزنا فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا ان يبذون على الاحماء فيحل حينئذ اخراجهن ويويده
قراءة الا ان يفحشن عليكم او من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان ان خروجها فاحشة وتلك اشارة الى ما
ذكر من الاحكام وما في اسم الاشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجتها وبعد
منزلتها حدود الله التي عينها لعباده ومن يتعد حدود الله اى حدوده المذكورة بان اخل بشيء منها على ان الاظهار
في حيز الاضمار لتهويل امر التعدي والاشعار بعلة الحكم في قوله تعالى فقد ظلم نفسه اى اضر بها وتفسير الظلم
تعريضها للعقاب ويا باه قوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا فانه استيناف مسوق لتعليل
الحكم المضمون ان الشرطية وقد قالوا ان الامر الذي يحدثه الله تعالى ان يقلب قلبه عما فعله بالتعدي الى خلافه
فلا بد ان يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه او عن مطلق الضرر
الشامل للدنيوي والاخروي ويخص التعليل بالدنيوي لكون احتراز الناس منه اشد واهتمامهم بدفعه
اقوى وقوله تعالى لا تدري خطاب للمتعدي بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدي لا للنبي ﷺ
كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد اضر بنفسه فانك لا تدري ايها المتعدي عاقبة الامر لعل الله
يحدث في قلبك بعد ذلك الذي فعلت من التعدي امرا يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة
وباعراض عنها اقبالا اليها ولا يتسنى تلافيه برجعة او استيناف نكاح فاذا بلغن اجلهن شارفن اخر عدتهن
فامسكوهن فراجعوهن بمعروف بحسن معاشرة وانفاق لائق او فارقوهن بمعروف بايفاء الحق واتقاء الضرار
بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة واشهدوا ذوي عدل منكم عند المراجعة والفرقة قطعا للتنازع وهذا
امر ندب كما في قوله تعالى واشهدوا اذا تبايعتم ويروى عن الشافعي انه للوجوب في الرجعة واقيموا الشهادة
لله ايها الشهود عند الحاجة خالصا لوجهه تعالى ذلكم اشارة الى الحث على الاشهاد والاقامة او على جميع ما في الاية
يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر اذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى ومن يتق الله الى اخره
جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على مراعاتها كما ان ما
تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكدة له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق
الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها عن مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له
مخرجا مما عسى يقع في شان الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب ◦
ويرزقه من حيث لا يحتسب اى من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه انه ويجوز ان يكون كلاما جيء به على نهج
الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله فيندرج ما نحن فيه اندراجا اوليا وعن النبي
ﷺ انه قرأها فقال مخرجا مخلصا من غموم الدنيا والاخرة وعنه قال مخرجا من شبهات الدنيا [illegible] ومن
يتق الله فما زال يقولها ويعيدها وروي ان عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنه سالما فاتى النبي ﷺ
فقال اسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ﷺ اتق الله واكثر قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل
فبينا هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت ومن يتوكل على
الله فهو حسبه اى كافيه في جميع اموره ان الله بالغ امره بالاضافة اى منفذ امره وقرئ بتنوين بالغ
خبره مقدم والجملة خبر ان او بالغ خبر ان وامره مرتفع به على الفاعلية اى نافذ امره وقرئ بالغا امره على
انه حال وخبر ان قوله تعالى قد جعل الله لكل شيء قدرا اى تقديرا او توقيتا او مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل
عليه تعالى وتفويض الامر اليه تعالى لانه اذا علم ان كل شيء من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى
الا التسليم للقدر والتوكل على الله واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس
وخمسين ان ارتبتم اى شككتم وجهلتم كيف عدتهن فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن بعد لصغرهن
اى فعدتهن ايضا كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه واولات الاحمال اجلهن اى منتهى عدتهن ان يضعن

حملهن

حملهن سواء كن مطلقات او متوفى عنهن ازواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ◦
ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا لتراخي نزوله عن ذلك لما صح المشهور من قول ابن
مسعود رضي الله عنه من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التي في سورة البقرة وقد
صح ان سبيعة بنت الحارث الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ
فقال لها قد حللت فتزوجي ومن يتق الله في شان احكامه ومراعاة حقوقها يجعل له من امره يسرا اى
يسهل عليه امره ويوفقه للخير ومن يتق الله في شان احكامه ذلك اشارة الى ما ذكر من الاحكام وما فيه
من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته في الفضل وافراد الكاف مع ان الخطاب
للجميع كما يفصح عنه قوله تعالى امر الله انزله اليكم لما انها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية
المخاطبين وقد مر في قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله من سورة البقرة ومن يتق الله بالمحافظة
على احكامه يكفر عنه سيئاته فان الحسنات يذهبن السيئات ويعظم له اجرا بالمضاعفة وقوله تعالى اسكنوهن
من حيث سكنتم استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله من الحث على التقوى كانه قيل كيف نعمل بالتقوى في
شان المعتدات فقيل اسكنوهن مكانا من حيث سكنتم اى بعض مكان سكناكم وقوله تعالى من وجدكم اى من وسعكم اى
مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له ولا تضاروهن على الارتفاع وائتمروا بينكم بمعروف اى
اى تشاوروا حقيقته ليامر بعضكم بعضا بجميل في الارضاع والاجر ولا يكن من الاب مماكسة ولا من الام معاسرة
وان تعاسرتم اى تضايقتم فسترضع له اخرى اى فسيوجد ولا يعوز مرضعة اخرى وفيه معاتبة للام على
المعاسرة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله وان قل اى لينفق كل واحد
من المعسر والموسر ما يبلغه وسعه لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها جل او قل فانه تعالى لا يكلف نفسا الا
ما آتاها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل المجهود وقد اكد ذلك بالوعد حيث قيل سيجعل الله
بعد عسر يسرا اى عاجلا او اجلا وكاين من قرية اى كثير من اهل قرية عتت اى اعرضت عن امر ربها ورسله
بالعتو والتمرد والعناد فحاسبناها حسابا شديدا بالاستقصاء والتنقير والمناقشة في كل نقير وقطمير
وعذبناها عذابا نكرا اى منكرا عظيما وقرئ نكرا والمراد حساب الاخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضي للدلالة
على تحققهما كما في قوله تعالى ونادى اصحاب الجنة فذاقت وبال امرها وكان عاقبة امرها خسرا لا خسر
وراءه اعد الله لهم عذابا شديدا تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كانه قيل اعد الله لهم هذا العذاب فاتقوا
الله يا اولي الالباب ويجوز ان يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم واثباتها في صحائف الحفظة وبالعذاب ما اصابهم
عاجلا وقد جوزوا ان يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية واعد الله لهم جوابا لقوله تعالى كاين الذين
امنوا منصوب باضمار اعني بيانا للمنادى او عطف بيان له او نعت وفي ابداله منه ضعف لتعذر حلوله
محله قد انزل الله اليكم ذكرا هو جبريل عليه السلام سمي به لكثرة ذكره او لنزوله بالذكر الذي هو القرآن
كما ينبئ عنه ابداله قوله تعالى رسولا [illegible] او لانه مذكور في السموات وفي الامم او ذا ذكر اي شرف
كما في قوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك [illegible]
وشرف [illegible] لقوله تعالى عند ذي العرش مكين او هو النبي ﷺ وعليه الاكثر عبر عنه وعبر عن
انزاله بالانزال بطريق الترشيح او لانه مسبب عن انزال الوحي اليه وابدل منه رسولا للبيان او هو القرآن
ورسولا منصوب بمقدر مثل ارسل او بذكرا على انه مصدر المنون او بدل منه على انه بمعنى الرسالة
وقوله تعالى يتلو عليكم آيات الله مبينات نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها [illegible]
مبينات لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام وقرئ مبينات اي بينها الله تعالى كقوله تعالى قد بينا لكم الايات
واللام في قوله تعالى ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات متعلقة بيتلو او بانزل وفاعل يخرج اما الله تعالى او
الرسول [illegible] والموصول عبارة عن المؤمنين بعد انزال [illegible]
من الايمان والعمل الصالح [illegible] من الظلمات الى النور من الضلالة الى الهدى ومن
يؤمن بالله ويعمل صالحا حسبما بين في تضاعيف ما انزل الله من الايات المبينات يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار وقرئ ندخله بالنون وقوله تعالى خالدين فيها ابدا حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما ان
الافراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله تعالى قد احسن الله له رزقا حال اخرى منه او من الضمير في
خالدين بطريق التداخل وافراد الضمير فيه باعتبار لفظ من ايضا وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين
من الثواب الله الذي خلق سبع سموات مبتدأ وخبر ومن الارض مثلهن اي وخلق من الارض مثلهن في العدد
وقرئ مثلهن بالرفع على انه مبتدأ ومن الارض خبره واختلف في كيفية طبقات الارض قال الجمهور على انها
سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة ما بين السماء والارض وفي كل ارض سكان
من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبي

والاول وصح لان الاخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من ان كعبا حلف بالذي فلق البحر لموسى انه صهيبا
حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب
الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين نسالك خير هذه القرية
وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان نافع ابن الازرق
ساله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما ذا الخلق قال اما ملائكة او جن قال الماوردي وعلى هذا تختص
دعوة الاسلام باهل الارض العليا دون من عداهم وان كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء
واستمدادهم الضوء قولان احدهما انهم يشاهدون السماء من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضياء منها والثاني
انهم لا يشاهدون السماء وان الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع
ارضين متفرقة بالبحار ومظل الجميع السماء ويتنزل الامر بينهن اي يجري امره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن
وعن قتادة في كل سماء وفي كل ارض خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجايب
تدبيره وقرئ ينزل الامر لتعلموا ان الله على كل شيء قدير متعلق بخلق او يتنزل او بمضمر يعمهما او فعل ذلك لتعلموا
ان من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء وان الله قد احاط بكل شيء علما لاستحالة صدور الافاعيل المذكورة
ممن ليس كذلك ويجوز ان يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الامر اي اوحى ذلك وبينه
لتعلموا بما ذكر من الامور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات انه لا يخرج عن قدرته
وعلمه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم تب علينا

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك روي ان النبي صلى الله عليه وسلم خلا بمارية
في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقالت لها اكتمي علي فقد حرمت مارية على نفسي وابشرك ان ابا بكر
وعمر يملكان بعد امر امتي فاخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فارضاها بذلك
واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل به جبرئيل عليه السلام فقال راجعها فانها صوامة قوامة
وانها من نسائك في الجنة وروي انه صلى الله عليه وسلم شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة
فقالت نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم
ما احل الله لك من ملك اليمين او من العسل تبتغي مرضات ازواجك اما تفسير لتحرم او حال من فاعله
او استيناف ببيان ما دعاه اليه والله غفور رحيم لك والله غفور مبالغ في الغفران قد غفر لك
هذه الزلة رحيم قد رحمك ولم يواخذك به وانما عاتبك محاماة على عصمتك قد فرض الله لكم تحلة
ايمانكم اي شرع لكم تحليلها وهو حل ما عقده بالكفارة او بالاستثناء متصلا حتى لا يحنث والاول المراد
ههنا مولاكم والله مولاكم سيدكم ومتولي اموركم وهو العليم بما يصلحكم فيشرعه لكم الحكيم المتقن في افعاله
واحكامه فلا يامركم الا بما تقتضيه الحكمة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه يعني حفصة حديثا اي حديث
تحريم مارية او العسل او امر الخلافة فلما نبأت به اي اخبرت حفصة عائشة بالحديث وافشته اليها وقرئ
انبأت به واظهره الله عليه اي اطلع الله النبي صلى الله عليه وسلم على افشائها عرف بعضه اي النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بعض
الحديث الذي افشته قيل هو حديث الامامة روي انه عليه السلام قال لها الم اقل لك اكتمي علي قالت والذي
بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها اباها واعرض عن بعض اي عن تعريف بعض
تكرما قيل هو حديث مارية فلما نبأها به اي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بما عرفه من الحديث قالت من انبأك هذا
اي افشاءها الحديث قال نبأني العليم الخبير الذي لا يخفى عليه خافية ان تتوبا الى الله خطاب لحفصة وعائشة
على الالتفات للمبالغة في العتاب فقد صغت قلوبكما فالتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق اي
فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يوجب عليكما من مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه
وكراهة ما يكرهه وقرئ فقد زاغت وان تظاهرا عليه باسقاط احدى التائين وقرئ على الاصل وبتشديد
الظاء وتظهرا اي تتعاونا عليه بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فان الله هو مولاه وجبريل
وصالح المؤمنين اتباعه واعوانه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اراد بصالح المؤمنين ابا بكر وعمر رضي
الله عنهما وقد روي ان ذلك مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللايق بتوسيطه بين جبرئيل
والملائكة عليهم السلام فانه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وان جبرئيل ظهير له صلى الله عليه وسلم
يؤيده بالتاييدات الالهية وهما وزيراه وظهيراه في تدبير امور الرسالة وتمشية احكامها الظاهرة ولان
بيان مظاهرتهما له صلى الله عليه وسلم اشد تاثيرا في قلوبهما وتوهينا الامر عليهما فكان حقيقا بالتقديم وصالح المؤمنين

ظهير

ظهيرا اي فوج مظاهر له كانهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما
ينبئ عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضله نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث ان نصرة الكل نصرة الله تعالى لهم
ومظاهرتهم افضل من ساير وجوه نصرته هذا ما قالوا ولعل الانسب ان يجعل ذلك اشارة الى مظاهرة
صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة بدل كما لا يوهمه الترتيب المذكور من افضلية
المقدم فكانه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وساير الملائكة بعد ذلك ظهير له صلى الله عليه وسلم ايذانا بعلو رتبة
مظاهرتهم بعد منزلتها وجبر الفضلها عن مظاهرة جبرئيل عليه السلام عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
اي يعطيه صلى الله عليه وسلم بدلكن ازواجا خيرا منكن على تغليب او تعميم الخطاب وليس فيه ما يدل على انه صلى الله عليه وسلم
لم يطلق حفصة وان في النساء خيرا منهن فان تعليق طلاق الكل لا ينافي تطليق واحدة وما تعليق على ما لم يقع
لا يجب وقوعه وقرئ ان يبدله بالتشديد مسلمات مؤمنات مقرات مخلصات او منقادات مصدقات
قانتات مصليات او مواظبات على الطاعة تائبات من الذنوب عابدات متعبدات او متذللات لامر
الرسول صلى الله عليه وسلم سائحات صائمات سمي الصائم سائحا لانه يسيح في النهار بلا زاد او مهاجرات وقرئ سيحات
ثيبات وابكارا وسط بينهما العاطف لتنافيهما يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات
واهليكم بان تاخذوهم بما تاخذون به انفسكم وقرئ واهلوكم عطفا على الواو فيكون انفسكم عبارة عن النفس
الجمل على تغليب المخاطبين اي قوا انتم واهلوكم انفسكم نارا وقودها الناس والحجارة اي نارا تتقد بهما اتقاد
غيرها بالحطب وامر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير
عليها ملائكة اي تلي امرها وتعذيب اهلها وهم الزبانية غلاظ شداد غلاظ الاقوال شداد الافعال
او غلاظ الخلق شداد الخلق اقويا على الافعال الشديدة لا يعصون الله ما امرهم اي امره على انه بدل
اشتمال من الله او فيما امرهم به على نزع الخافض اي لا يمتنعون من قبول الامر ويلتزمونه ويفعلون ما يؤمرون
اي يؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم
معمول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه اي يقال لهم ذلك عند ادخال الملائكة اياهم النار حسبما
امروا به انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر والمعاصي بعدما امرتم عنها اشد النهي وامرتم بالايمان والطاعة
فلا عذر لكم قطعا يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك
على الاسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو ان ينصحوا بالتوبة انفسهم فيأتوا بها على طريقتها وذلك ان يتوبوا
عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين اشد الاغتمام لارتكابها عازمين على انهم لا يعودون في قبيح من
القبائح موطنين انفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف اصلا وعن علي رضي الله عنه ان التوبة يجمعها ستة
اشياء على الماضي من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وان تعزم على ان لا تعود وان
تذيب نفسك في طاعة الله تعالى كما ربيتها في المعصية وان تذيقها مرارة الطاعة كما اذقتها حلاوة المعاصي
وعن شهر بن حوشب ان لا يعود ولو حز بالسيف واحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب اي توبة لا
ترفوا خروقك في دينك وترم خللك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز ان يراد توبة
تنصح الناس اي تدعوهم الى مثلها لظهور اثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضاها وقرئ
توبا نصوحا وهو مصدر نصح فان النصح كالشكر والشكور اي ذات نصوح او تنصح نصوحا ان توبوا النصح
انفسكم على انه مفعول له عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ورود صيغة
الاطماع للجري على سنن الكبرياء والاشعار بانه تفضل والتوبة غير موجبة وان العبد ينبغي ان يكون بين
خوف ورجاء وان بالغ في اقامة وظايف العبادة يوم لا يخزي الله النبي ظرف ليدخلكم والذين امنوا معه
عطف على النبي وفيه تعريض بمن اخزاهم الله تعالى من اهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على انه عصمهم
من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم اي على الصراط وهو على الاول
استيناف او حال وكذا قوله تعالى يقولون على الاخير وعلى الثاني خبر اخر للموصول اي يقولون اذا طفئ نور المنافقين
ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير وقيل يدعون تقربا الى الله مع تمام نورهم وقيل تتفاوت
انوارهم بحسب اعمالهم فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم
حبوا وزحفا واولئك الذين يقولون ربنا اتمم لنا نورنا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين بالحجة واغلظ
عليهم واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة ومأويهم جهنم يرون فيها عذابا
غليظا وبئس المصير اي جهنم او مصيرهم ضرب الله مثلا للذين كفروا ضرب المثل في امثال هذه المواقع
عبارة عن ايراد حالة غريبة ليعرف بها حالة اخرى مشاكلة لها في الغرابة اي جعل الله مثلا لحال هؤلاء
الكفرة حالا ومالا على ان مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى امرأة نوح وامرأة لوط
اي حالهما مفعوله الاول اخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله

تعالى كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين بيان لحالهما الداعية لهما الى الخير والصلاح اى كانتا فى عصمة نبيين عظيمى الشان متمكنين من تحصيل خيرى الدنيا والاخرة وحيازة سعادتهما وقوله تعالى فخانتاهما بيان لما صدر عنهما من الخيانة العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبى عم اى فخانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحكية لحال هؤلاء الكفرة فى خياناتهم لرسول الله عم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الايمان والطاعة وقوله تعالى فلم يغنيا الاخره بيان لما ادى اليه خيانتهما اى فلم يغن النبيان عنهما بحق النكاح من الله اى من عذابه تعالى شيئا اى شيئا من الاغناء وقيل لهما عند موتهما او يوم القيمة ادخلا النار مع الداخلين اى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون اى جعل لها مثلا لحال المؤمنين فى ان وصلة الكفرة لا تضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت اعدا الله وهى فى اعلا غرف الجنة وقوله تعالى اذ قالت ظرف لمحذوف اى اشيرا ليه اى ضرب الله مثله للمؤمنين حالها رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة قريبا من رحمتك او فى اعلا درجات المقربين وروى انها لما قالت ذلك اريت بيتها فى الجنة من درة وانتزع روحها ونجنى من فرعون وعمله اى من نفسه الخبيثة وعمله الشنيع ونجنى من القوم الظالمين من القبط التابعين له فى الظلم ومريم ابنت عمران عطف على امرأة فرعون تسلية للارامل اى ضرب الله مثلا للذين امنوا حالها وما اوتيت من كرامة الدنيا والاخرة والاصطفا على نساء العالمين مع كون قومها كفارا التى احصنت فرجها فنفخنا فيه وقرئ فيها اى فى مريم من روحنا من روح خلقناه بلا توسط اصل وصدقت بكلمات ربها بصحفه المنزلة او بما اوحى الى انبيائه وكتبه بجميع كتبه المنزلة وقرئ بكلمة من الله وبكتابه اى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل وكانت من القانتين اى من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والاشعار بان طاعتها لم يقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم او من نسلهم لانها من اعقاب هارون اخى موسى عليه السلام وعن النبى عم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد عم وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعنه صلى الله عليه وسلم من قرا سورة التحريم اعطاه الله توبة نصوحا اللهم تب علينا

بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذى بيده الملك البركة النماء والزيادة حسية كانت او عقلية وكثرة الخير ودوامه ايضا ونسبتها الى الله عز وجل على المعنى الاول وهو الاليق بالمقام باعتبار تعاليه عما سواه فى ذاته وصفاته وافعاله وصيغة التفاعل للمبالغة فى ذلك فان ما لا يتصور الى الله تعالى من الصيغ كالتكبر ونحوه انما ينسب اليه سبحانه باعتبار غاياتها وعلى الثانى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات والصيغة حينئذ يجوز ان يكون لافادة نماء تلك الخيرات وازديادها شيئا فشيئا واناقتها بحسب حدوثها او حدوث متعلقاتها ولاستقلالها بالدلالة على غاية الكمال وابانتها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها فى حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ فى حقه سبحانه وتعالى واسنادها الى الموصول للاستشهاد بما فى حيز الصلة على تحقيق مضمونها واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل اى تعالى وتعاظم عن كل سوء ذاتا وصفة وفعلا الذى بقبضة قدرته التصرف الكلى فى كل الامور وهو على كل شئ من الاشياء قدير مبالغ فى القدرة يتصرف فيه حسبما يقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان احكام ملكه تعالى فى جلائل الامور ودقائقها وقوله تعالى الذى خلق الموت والحياة شروع فى تفصيل بعض احكام الملك وآثار القدرة وبيان ابتنائها على قوانين الحكم والمصالح واستتباعها لغايات جليلة والموصول بدل من الموصول الاول داخل معه فى حكم الشهادة بتعاليه تعالى والموت عند اصحابنا صفة وجودية مضادة للحياة واما ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما من انه تعالى خلق الموت فى صورة كبش املح ولا يمر بشئ ولا يجد رائحته شئ الا مات وخلق الحياة فى صورة فرس بلقاء لا تمر بشئ ولا يجد رائحتها شئ الا حيى فكلام وارد على منهاج التمثيل التصوير وقيل هو عدم الحياة فمعنى خلقه حينئذ تقديره او ازالة الحياة وايا ما كان فالاقرب ان المراد به الموت الطارى والحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما لما ينطق به قوله تعالى ليبلوكم ايكم احسن عملا فان استدعاء ملاحظتهما لاحسان العمل مما لا ريب فيه مع ان نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية وتقديم الموت لكونه ادعى الى احسان العمل واللام متعلقة بخلق اى خلق موتكم وحياتكم وعلى ان الالف واللام معوض عن المضاف اليه ليعاملكم معاملة من يختبركم ايكم احسن عملا فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت صفات علومكم واعمالكم فان العامل غير مختص بعمل الجوارح ولذلك فسره

عم بقوله ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع فى طاعة الله فان لكل من القلب والقالب عملا خاصا به فكما ان الاول اشرف من الثانى كذلك الحال فى عمله كيف لا ولا عمل بدون معرفة الله عز وجل الواجبة على العباد اثر ذى اثير وانما طريقها النظرى التفكر فى امر الله عز وجل الذى هو عمل القلب ضرورة احدا لا يقادر على او يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل اهل الارض وتعليق فعل البلوى اى تعقيبه بحرف الاستفهام لا التعلق المشهور الذى يقتضى عدم ايراد المفعول اصلا مع اختصاصه بافعال القلوب لما فيه من معنى العلم باعتبار عاقبته كالنظر ونظايره ولذلك اجرى مجراه بطريق التمثيل وقيل بطريق الاستعارة التبعية وايراد صيغة التفضيل مع ان الابتلاء شامل لهم باعتبار اعمالهم المنقسمة الى الحسن والقبيح لا الى الحسن والاحسن فقط للايذان بان المراد بالذات والمقصد الاصلى من الابتلاء هو ظهور كمال احسان المحسنين مع تحقق الاصل الايمان والطاعة فى الباقين ايضا لكمال تعاضد الموجبات له واما الاعراض عن ذلك فبمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلا عن الانتظام فى سلك الغاية للافعال الالهية وانما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب وفيه من الترغيب فى الترقى الى معارج العلوم ومدارج الطاعة والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى وهو العزيز الغالب الذى لا يفوته من اساء العمل الغفور لمن تاب منهم الذى خلق سبع سموات قيل هو نعت للعزيز الغفور او بيان او بدل والاوجه انه نصب او رفع على المدح متعلق بالموصولين السابقين معنى وان كان منقطعا عنهما اعرابا كما من تفصيله فى قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة منتظم معهما فى سلك الشهادة بتعاليه سبحانه وتعالى مع الموصول الثانى فى كونه مدارا للبلوى كما نطق به قوله تعالى وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام وكان عرشه على الماء ليبلوكم ايكم احسن عملا وقوله تعالى طباقا صفة لسبع سموات اى مطابقة على انه مصدر طابقت النعل اذا خصفتها وصفت به المفعول او مصدر مؤكد بمحذوف هو صفتها اى طوبقت طباقا وقوله تعالى ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت صفة اخرى لسبع سموات وضع فيها خلق الرحمن موضع الضمير للتعظيم والاشعار بعلة الحكم وبانه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا وبان فى ابداعها نعما جليلة او استيناف والخطاب للرسول عم او لكل احد ممن يصلح للخطاب ومن لتاكيد للنفى اى ما ترى فيه شيئا من تفاوت اى اختلاف وعدم تناسب من الفوت فان كلا من المتفاوتين يفوت منه بعض ما فى الاخر وقرئ من تفوت ومعناهما واحد وقوله تعالى فارجع البصر هل ترى من فطور متعلق به على معنى التسبب حيث اخبر اولا بانه لا تفاوت فى خلقهن ثم قيل فارجع البصر حتى يتصح لك ذلك بالمعاينة ولا تبقى عندك شبهة ما والفطور الشقوق والصدوع جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ثم ارجع البصر كرتين اى رجعتين اخريين فى ارتياد الخلل والمراد بالتثنية التكثير والتكرير كما فى لبيك وسعديك اى رجعة بعد رجعة وان كثرت ينقلب اليك البصر خاسئا اى بعيدا محروما من اصابة ما التمسه من العيب والخلل كانه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماة وهو حسير اى كليل بطول المعاودة وكثرة المراجعة وقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بيان لكون خلق السموات فى غاية الحسن والبهاء اثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لابراز كمال الاعتناء بمضمونها اى وبالله لقد زينا اقرب السموات الى الارض بمصابيح اى بكواكب مضيئة بالليل اضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كانها كلها مركوزة فيها مع ان بعضها فى سائر السموات وما ذلك الا لان كل واحدة منها مخلوقة على نمط رائق يحار فى فهمه الافكار بطراز فائق يهيم فى دركه الانظار وجعلناها رجوما للشياطين اى وجعلنا لها فائدة اخرى فى رجم اعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من نار الكواكب وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم المنجمون ولا يساعده المقام والرجوم جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به واعتدنا لهم فى الاخرة عذاب السعير بعد الاحراق فى الدنيا بالشهب وللذين كفروا بربهم من الشياطين وغيرهم عذاب جهنم وقرئ بالنصب على انه عطف على عذاب السعير وللذين على لهم وبئس المصير اى جهنم اذا القوا فيها سمعوا لها اى لجهنم هو متعلق بمحذوف وقع حالا من قوله تعالى شهيقا لانه فى الاصل صفة فلما قدمت صارت حالا اى سمعوا كائنا لها شهيقا اى صوتا كصوت الحمير وهو حسيسها المنكر الفظيع وقالوا الزفير فى الصدر والشهيق لاهلها منهم وممن طرح فيها قبلهم كما فى قوله تعالى لهم فيها زفير وشهيق يريده قوله تعالى تكاد تميز اى تتميز وتتفرق من الغيظ اى من شدة الغضب عليهم فانه صحيح فى انه من اثار الغضب عليهم كما فى قوله تعالى سمعوا لها تغيظا وزفيرا وابن هو من شهيقهم الناشى من شدة ما يقاسونه من العذاب الاليم والجملة اما حال من فاعل تفور او خبر اخر وقوله تعالى كلما القى فيها فوج الخ استيناف مسوق لبيان حال اهلها بعد بيان حال نفسها وقيل حال من ضميرها اى كلما القى فيها جماعة من الكفرة سألهم خزنتها بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذابا فوق عذاب وحسرة على حسرة الم يأتكم نذير يتلوا عليكم آيات ربكم

عطف التفسيرى

وللتوجهى تفعدا اى على للدلالة انما تعلق بم غليان المرجل بما فيه وجعل الشهيق مع

ويقولون لكم لقاء يومكم هذا كما وقع في سورة الزمر ويعرب عن جوابهم ايضا قالوا اعترافا بانه تعالى قد ازاح
عللهم بالكلية بلى قد جاءنا نذير جامعين بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف بمجيء النذير
وتحسرا على ما فاتهم من السعادة في تصديقهم وتمهيدا لما وقع منهم في التفريط تندما واعتمادا على ذلك اي
كل فوج من تلك الافواج قد جاءنا نذير اي واحد حقيقة او حكما كانبياء بني اسرائيل فانهم في حكم نذير
واحد فانذرنا وتلا علينا ما نزل الله تعالى عليه من اياته فكذبنا ذلك النذير في كونه نذيرا من جهته تعالى
وقلنا في حق ما تلاه من الايات افراطا في التكذيب وتماديا في النكير ما نزل الله على احد من شيء من الاشياء فضلا
عن تنزيل الايات عليكم ان انتم اي ما انتم في ادعاء انه تعالى نزل عليكم ايات تنذروننا بما فيها الا في ضلال كبير
بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع ان مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على امثاله مبالغة في التكذيب
وتماديا في التضليل كما ينبئ عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فانه يلوح بعمومه حتما واما اقامة
تكذيب الواحد مقام تكذيب الكل فامر تحقيقي يصار اليه لتهويل ما ارتكبوه من الجناية لا مساغ لاعتباره
من جهتهم ولا لادراجه تحت عبارتهم كيف لا وهو منوط بملاحظة اجماع الكل على ما لا يختلف من الشرائع
والاحكام باختلاف العصور ولا عوامروا بينهم من ذلك وقد حال الجريض دون القريض هذا اذا جعل ما ذكر
حكاية عن كل واحد من الافواج واما اذا جعل حكاية عن الكل فالنذير اما بمعنى الجمع لانه فعيل او مصدر مقدر
بمضاف عام اي اهل نذير او منعوت به فيتفق كلاهما في الخطاب الجمعية ومن اعتبر الجمعية باحدى الوجوه الثلاثة
على التقدير الاول ولم يخص اعتبارها بالتقدير الاخير فقد اشتبه عليه الشؤون واختلط به الظنون وقد جوز
ان يكون الخطاب من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول على ان مرادهم بالضلال ما كانوا عليه في الدنيا
او هلاكهم او عقاب ضلالهم تسمية له باسم سببه وان يكون من كلام الرسل للكفرة وقد حكوه للخزنة فتامل وكن
على الحق المبين وقالوا ايضا معترفين بانهم لم يكونوا ممن يسمع او يعقل لو كنا نسمع او نعقل شيئا اصلا ما كنا في
السعير اي في عدادهم ومن اتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى واعتدنا لهم عذاب السعير كان الخزنة قالوا لهم في
تضاعيف التوبيخ الم تسمعوا ايات ربكم ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فاجابوا بذلك فاعترفوا بذنبهم
فسحقا بسكون الحاء وقرئ بضمها مصدر موكد اما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد كما في قعدك الله اي
فاسحقهم الله اي ابعدهم من رحمته سحقا اي اسحاقا او لفعل مترتب على ذلك الفعل اي فاسحقهم فسحقوا اي
بعدوا سحقا كما في قول من قال ● وعضة دهر يا ابن مروان لم تدع ● من المال الا مسحتا او مجلف ● اي لم تدع
ولم تبق الا مسحت الى اخره وعلى هذين الوجهين قوله تعالى وانبتها نباتا حسنا واللام في قوله تعالى لاصحاب
السعير للبيان كما في هيت لك ونحوه والمراد بهم الشياطين والداخلون في عدادهم بطريق التغليب ان الذين
يخشون ربهم بالغيب اي يخافون عذابه غائبا عنهم او غائبين عنه او عن اعين الناس او بما خفي منهم وهو قلوبهم
لهم مغفرة عظيمة لذنوبهم واجر كبير لا يقادر قدره واسروا قولكم او اجهروا به بيان لتساوي السر والجهر
بالنسبة الى علمه تعالى كما في قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به قال ابن عباس رضي الله عنهما
نزلت في المشركين كانوا ينالون من النبي عم فيوحى اليه فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم حتى لا يعلم رب
محمد فقيل لهم اسروا ذلك او اجهروا فان الله يعلمه وتقديم السر على الجهر للايذان بافتضاحهم ووقوع
ما يحذرونه من الامر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كان علمه تعالى بما يسرونه
اقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على التسوية فان علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها
بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة اليه تعالى او لان مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر اذ ما من شيء يجهر به
الا وهو او مباديه مضمر في القلب يتعلق به الاسرار غالبا فتعلق علمه تعالى بحالته الاولى متقدم على
تعلقه بحالته الثانية وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور تعليل لما قبله وتقرير له وفي صيغة الفعيل
وتحلية الصدور بلام الاستغراق ووصف الضمائر بصاحبتها من الجزالة ما لا غاية وراءه كانه قيل انه
مبالغ في الاحاطة بمضمرات جميع الناس واسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها
اصلا فكيف يخفى عليه ما يسرونه ويجهرون به ويجوز ان يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور
والمعنى انه عليم بالقلوب واحوالها فلا يخفى عليه سر من اسرارها وقوله تعالى الا يعلم من خلق هو
انكار ونفي لعدم احاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر اي الا يعلم السر والجهر من اوجد بموجب حكمته
جميع الاشياء التي هما من جملتها وقوله تعالى وهو اللطيف الخبير حال من فاعل يعلم موكدة للانكار والنفي
اي الا يعلم ذلك والحال انه المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز ان يكون من خلق منصوبا
والمعنى الا يعلم الله من خلقه والحال انه بهذه المثابة من شمول العلم ولا مساغ لاخلاء العلم عن المفعول
باجرائه مجرى يعطي ويمنع على معنى الا يكون عالما من خلق لان الخلق لا يتاتى بدون العلم لخلو الحال حينئذ عن
الافادة لان نظم الكلام حينئذ الا يكون عالما وهو مبالغ في العلم هو الذي جعل لكم الارض ذلولا لينة يسهل

عليكم

عليكم السلوك فيها وتقديم لكم على مفعولي الجعل مع ان حقه التاخير عنهما للاهتمام بما قدم والتشويق الى
ما اخر فان ما حقه التقديم اذا اخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى
النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن والفاء في قوله تعالى فامشوا في مناكبها
لترتيب الامر على الجعل المذكور اي فاسلكوا في جوانبها او جبالها وهو مثل لفرط التذلل فان منكب البعير
رق اعظمه وابناها عن ان يطأه الراكب بقدمه فاذا جعل الارض في الذل بحيث يتاتى المشي في مناكبها
لم يبق منها شيء لم يتذلل وكلوا من رزقه والتمسوا من نعم الله تعالى واليه النشور اي المرجع بعد البعث
لا الى غيره فبالغوا في شكر نعمه والائه ءامنتم من في السماء اي الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم او الله
سبحانه وتعالى على تأويل من في السماء امره وقضاؤه او على زعم العرب حيث كانوا يزعمون انه تعالى في السماء
اي ءامنتم من تزعمون انه في السماء وهو متعال عن المكان ان يخسف بكم الارض بعد ما جعلها لكم ذلولا
تمشون في مناكبها وتاكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة التي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل
بقارون وهو بدل اشتمال من من وقيل على حذف المضاف اي من ان يخسف فاذا هي تمور اي تضطرب
ذهابا ومجيئا على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان ام امنتم من في السماء اضراب عن التهديد
بما ذكر وانتقال الى التهديد بوجه اخر اي بل امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا اي حجارة من السماء كما
ارسلها على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة وحصباء كانها تقلع الحصباء لشدتها وقوتها وقيل
هي سحاب فيها حجارة فستعلمون عن قريب البتة كيف نذير اي انذاري عند مشاهدتكم للمنذر به ولكن
لا ينفعكم العلم حينئذ وقرئ فسيعلمون بالياء ولقد كذب الذين من قبلهم من قبل كفار مكة من كفار الامم
السالفة كقوم نوح وعاد واضرابهم والالتفات الى الغيبة لابراز الاعراض عنهم فكيف كان نكير اي
انكاري عليهم بانزال العذاب اي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا هو مورد التاكيد القسمي لا
تكذيبهم فقط وفيه من المبالغة في تسلية رسول الله عم وتشديد التهديد لقومه ما لا يخفى
اولم يروا اغفلوا ولم ينظروا الى الطير فوقهم صافات باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها فانهن اذا
بسطنها صففن قوادمهن صفا ويقبضن اي يضممنها اذا ضربن بها جنوبهن حينا فحينا للاستظهار
على التحريك وهو السر في ايثار ويقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات ●
ما يمسكهن في الجو عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الا الرحمن الواسع رحمته كل شيء بان
برأهن على اشكال وخصائص وهياهن للجري في الهوى والجملة مستانفة او حال من الضمير في يقبضن انه
بكل شيء بصير يعلم كيفية ابداع المبدعات وتدبير المصنوعات وقوله تعالى امن هذا الذي هو جند لكم
ينصركم من دون الرحمن تبكيت لهم بنفي ان يكون لهم ناصر غير الله تعالى كما يلوح به التعرض لعنوان
الرحمانية ويعضده قوله تعالى ما يمسكهن الا الرحمن او ناصر من عذابه تعالى كما هو الانسب بالسياق
من قوله تعالى ان امسك رزقه كقوله تعالى ام لهم الهة تمنعهم من دوننا في المعنى خلا ان الاستفهام
هناك متوجه الى نفس المانع وتحققه وههنا الى تعيين الناصر لتبكيتهم باظهار عجزهم عن تعيينه وام
منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التامل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة
عن تعاجيب اثار قدرة الله عز وجل الى التبكيت بما ذكر والالتفات الى الخطاب للتشديد في ذلك ولا سبيل الى
تقدير الهمزة معها لان ما بعدها من الاستفهامية وهي مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته كما في
قوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وايثار هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند باعتبار
لفظه ومن دون الرحمن على الوجه الاول اما حال من فاعل ينصركم او نعت لمصدره وعلى الثاني متعلق بينصركم
كما في قوله تعالى من ينصرني من الله فالمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم ينصركم متجاوزا نصر الرحمن
او ينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى او ينصركم من عذاب كائن من عذاب الله عز وجل وتوهم ان ام معادلة
لقوله تعالى اولم يروا الخ مع القول بان من استفهامية مما لا تقريب له اصلا وقوله تعالى ان الكافرون
الا في غرور اعتراض مقرر لما قبله ناع عليهم ما هم فيه من غاية الضلال اي ما هم في زعمهم انهم محفوظون من
النوائب بحفظ الهتهم لا بحفظه تعالى فقط وان الهتهم تحفظهم من بأس الله الا في غرور عظيم وضلال
فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات الى الغيبة للايذان ●
باقتضاء حالهم للاعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والاظهار في موقع الاضمار لذمهم بالكفر وتعليل
غرورهم به والكلام في قوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه اي الله عز وجل رزقه بامساك
المطر وسائر مباديه كالذي مر تفصيله خلا ان قوله تعالى بل لجوا في عتو ونفور مبني على مقدر يستدعيه
المقام كانه قيل اثر تمام التبكيت والتعجيز لم يتاثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو
اي عناد واستكبار وطغيان ونفور اي شراد عن الحق وقوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى الى اخره

مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحا لحالهما وتحقيقا لشان مذهبهما والفا للترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وخرجهم في عتوهم وبعد وعدهم متى غشوا اذا اعتووا النفور وعدم اهتدائهم في مسالك الحجة الحجة بتوهمهم فيها ارشد في الجملة فان تقدم الهمزة عليها صورة انما هو لاقتضائها الصدارة واما حسب المعنى فالامر بالعكس كما هو المشهور حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من تمشي مكبا الى اخره والمكب الساقط على وجهه يقال كب خر على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب كما قشع الغمام والمعنى افمن يمشي وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلاف قواه اهدى الى المقصد الذي يؤمه امن يمشي سويا اي قائما سالما من الخبط والعثار على صراط مستقيم مستوى الاجزاء او الاعوج فيه ولا انحراف قيل خبر من الثانية محذوف لدلالة خبر الاولى عليه ولا حاجة الى ذلك فان الثانية معطوفة على الاولى عطف المفرد على المفرد كقولك ازيد افضل ام عمرو وقيل اريد بالمكب الاعمى وبالسوي البصير وقيل من يمشي مكبا هو الذي يحشر على وجهه الى النار ومن يمشي سويا الذي يحشر على قدميه الى الجنة قل هو الذي انشاكم انشا بديعا وجعل لكم السمع لتسمعوا ايات الله وتمتثلوا بما فيها من الاوامر والنواهي وتتعظوا بمواعظها والابصار لتنظروا بها الى الايات التكوينية الشاهدة بشؤون الله عز وجل والافئدة لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الايات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الايمان والطاعة قليلا ما تشكرون اي باستعمالها فيما خلقت لاجله من الامور المذكورة وقليلا اما نعت لمحذوف وما مزيدة لتاكيد القلة اي شكرا قليلا او زمانا قليلا تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قل هو الذي ذراكم في الارض اي خلقكم وكثركم فيها لا غيره واليه تحشرون للجزاء لا الى غيره اشتراكا او استقلالا فابنوا امور كم على ذلك ويقولون من فرط عتوهم متى هذا الوعد اي الحشر الموعود كما ينبئ عنه قوله تعالى واليه تحشرون ان كنتم صادقين يخاطبون به النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الايات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف اي ان كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته قل انما العلم اي العلم بوقته عند الله عز وجل لا يطلع عليه غيره كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي وانما انا نذير مبين انذركم وقوع الموعود لا محالة واما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الانذار والفا في قوله تعالى فلما راوه فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كانه قيل وقد اتاهم الموعود فراوه فلما راوه الى اخره كما مر تحقيقه في قوله تعالى فلما راوه مستقرا عنده لان المقدر هناك امر واقع مترتب على ما قبله بالفاء وههنا امر منزل منزلة الواقع وارد على طريقة الاستئناف وقوله تعالى زلفة حال من مفعول راوه اما بتقدير المضاف اي ذا زلفة وقرب او على انه مصدر بمعنى الفاعل اي مزدلفا او على انه مصدر نعت به مبالغة او ظرف اي راوه في مكان ذي زلفة سيئت وجوه الذين كفروا بان غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وقيل توبيخا لهم وتشديدا لعذابهم هذا الذي كنتم به تدعون اي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه انكارا واستهزاء على انه تفتعلون من الدعاء وقيل هو من الدعوى اي تدعون ان لا بعث ولا حشر وقرئ تدعون هذا وقد روي عن مجاهد ان الموعود عذاب يوم بدر وهو بعيد قل ارايتم اي اخبروني ان اهلكني الله اي اماتني والتعبير عنه بالاهلاك لما كانوا يدعون عليه عليه السلام وعلى المؤمنين بالهلاك ومن معي من المؤمنين او رحمنا بتاخير اجالنا فنحن في جوار رحمته متربصون احدى الحسنيين فمن يجير الكافرين من عذاب اليم اي لا يجيركم منه احد متنا او بقينا ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الانجاء به قل هو الرحمن اي الذي ادعوكم الى عبادته مولى النعم كلها امنا به وحده لما علمنا ان كل ما سواه اما نعمة او منعم عليه وعليه توكلنا لا على غيره اصلا لعلمنا بان ما عداه كائنا ما كان بمعزل من النفع والضر فستعلمون عن قريب البتة من هو في ضلال مبين منا ومنكم وقرئ فسيعلمون بالياء التحتانية قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا في الارض بالكلية وقيل بحيث لا ينال له الدلاء وهو مصدر وصف به فمن ياتيكم بماء معين جار او ظاهر سهل المأخذ سبحانه وتعالى اعلم بالصواب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملك فكانما احيى ليلة القدر والله هو التواب الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم ن بالسكون على الوقف وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز ان يكون الفتح باضمار حرف القسم في موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وان يكون ذلك نصبا باضمار اذكر فيما سبق في فاتحة سورة البقرة وامتناع الصرف للتعريف والتانيث على انه علم للسورة ثم ان جعل اسما للحرف مسرودا على نمط التعديد للتحدي باحد الطريقين المذكورين في موقعه او اسما للسورة منصوبا

على

على الوجه المذكور او مرفوعا على انه خبر لمبتدا محذوف قالوا وفي قوله تعالى والقلم للقسم وان جعل مقسما به فهي للعطف عليه واياما كان فان اريد به قلم اللوح والكرام الكاتبين فاستحقاقه للاستعظام بالاقسام به ظاهر وان اريد به الجنس فاستحقاق ما في ايدي الناس لذلك لكثرة منافعه ولو لم يكن له مزية سوى انه اله لتحرير كتب الله عز وجل لكفى به فضلا موجبا لتعظيمه وقرئ بادغام النون في الواو وما يسطرون الضمير لاصحاب القلم المدلول عليهم بذكره وقيل للقلم على ان المراد به اصحابه كانه قيل واصحاب القلم وما مسطوراتهم على ان ما موصولة او سطرهم على انها مصدرية وقيل للقلم نفسه باسناد الفعل الى الالة واجرائه مجرى العقلاء لاقامته مقامهم وقيل المراد بالقلم ما خط اللوح خاصة والجمع للتعظيم وقوله تعالى ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبر ما والعامل فيها معنى النفي كانه قيل انت بريء من الجنون ملتبسا بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والتعرض بوصف الربوبية المنبئة عن التبليغ الى معارج الكمال مع الاضافة الى ضميره عليه السلام لتشريفه عليه السلام والايذان بانه تعالى يتم نعمته عليه ويبلغه من العلو الى غاية لا غاية وراءها والمراد تنزيهه عليه السلام عما كانوا ينسبونه عليه السلام اليه من الجنون حسدا وعداوة ومكابرة مع جزمهم بانه عليه السلام في غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية من حصافة العقل ورزانة الراي وان لك بمقابلة مقاساتك الوان الشدائد من جهتهم وتحملك لاعباء الرسالة لاجرا لثوابا عظيما لا يقادر قدره غير ممنون مقطوع كقوله تعالى عطاء غير مجذوذ او غير ممنون عليك من جهة الناس فانه عطاؤه تعالى بلا توسط وانك لعلى خلق عظيم لا يدرك شاوه احد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه عليه السلام فقالت كان خلقه القران الست تقرا القران قد افلح المؤمنون والجملتان معطوفتان على جواب القسم فستبصر ويبصرون قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما فستعلم ويعلمون يوم القيمة حين يتبين الحق من الباطل وقيل فستبصر ويبصرون في الدنيا بظهور عاقبة امرك بغلبة الاسلام واستيلائك عليهم بالقتل والنهب وصيرورتك مهيبا معظما في قلوب العالمين وكونهم اذلة صاغرين قال مقاتل هذا وعيد بعذاب يوم بدر بايكم المفتون اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء مزيدة او بايكم الجنون على ان المفتون مصدر كالمعقول والمجلود او باي الفريقين منكم المجنون ابفريق المؤمنين ام بفريق الكافرين اي في ايهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بابي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة واضرابهما كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر وقوله تعالى ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعليل لما ينبئ عنه ما قبله من ظهور جنونهم بحيث لا يخفى على احد منهم وتاكيد لما فيه من الوعد والوعيد اي هو اعلم بمن ضل عن سبيله تعالى المؤدي الى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجها الى ما يفضيه الى الشقاوة الابدية وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعا فيؤثره والنفع ضرا فيهجره وهو اعلم بالمهتدين الى سبيله الفائزين بكل مطلوب الناجين عن كل محذور وهم العقلاء والمراد الجزاء من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب واعادة هو اعلم لزيادة التقرير والفا في قوله تعالى فلا تطع المكذبين لترتيب النهي على ما ينبئ عنه ما قبله من اهتدائه عليه السلام وضلالهم او على جميع ما فصل من اول السورة وهذا تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم اي دم على ما انت عليه من عدم طاعتهم وتصلب في ذلك او نهي عن مداهنتهم ومداراتهم باظهار خلاف ما في ضميره عليه السلام استجلابا لقلوبهم لا عن طاعتهم حقيقة كما ينبئ عنه قوله تعالى ودوا لو تدهن فانه تعليل للنهي او للانتهاء وانما عبر عنها بالطاعة للمبالغة في الزجر والتنفير اي احبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الامور فيدهنون اي فهم يدهنون حينئذ او فهم الان يدهنون طمعا في ادهانك وقيل هو عطف على تدهن داخل في حيز لو والمعنى ودوا لو يدهنون عقيب ادهانك وياباه ما سياتي من بناء ودهم الادهان على ان ادهانهم امر محقق لا يناسب ادخاله تحت التمني واياما كان فالمعتبر في جانبهم حقيقة الادهان الذي هو اظهار الملاينة واضمار خلافها واما في جانبه عليه السلام فالمعتبر بالنسبة الى ودادهم هو اظهار الملاينة واضمار خلافها فليس في حيز الاعتبار بل هم في غاية الكراهة له وانما اعتباره بالنسبة اليه عليه السلام وفي بعض المصاحف فيدهنوا على انه جواب التمني المفهوم من ودوا وان ما بعده حكاية لودادتهم وقيل على انه عطف على تدهن بناء على ان لو بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا لودوا وكانه قيل ودوا ان تدهن فيدهنوا وقيل لو على حقيقتها وجوابها محذوف وكذا مفعول ودوا اي ودوا ادهانك لو تدهن فيدهنون لسروا بذلك ولا تطع كل حلاف كثير الحلف في الحق والباطل وتقديم هذا الوصف على سائر الاوصاف الزاجرة من الطاعة لكونه ادخل في الزجر مهين حقير الراي هماز عياب طعان مشاء بنميم مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم فان النميم السعاية مناع للخير اي بخيل او مناع للناس من الخير الذي هو الايمان والطاعة والانفاق معتد متجاوز في الظلم

اثيم كثير الآثام عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف وغلظة بعد ذلك اى بعد ما عد من مثالبه زنيم
دعى مأخوذ من زنمة الشاة وهى المتدلية فى حلقها تقطع فتخلى متدلية وفى قوله تعالى بعد ذلك
دلالة على ان دعوته اشد معايبه واقبح قبائحه قيل هو الوليد بن المغيرة فانه كان دعيا فى قريش وليس
من سنخهم ادعاه المغيرة بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل هو الاخنس بن شريق اصله من ثقيف وعداده فى زهرة
ان كان ذا مال وبنين متعلق بقوله تعالى لا تطع اى لا تطع من هذه مثالبه لان كان ذا مال مستظهرا بالبنين
وقوله تعالى اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين استئناف جار مجرى التعليل للنهى وقيل متعلق بما دل عليه الجملة
الشرطية من معنى الجحود والتكذيب لا بجواب الشرط لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله كانه قيل لكونه مستظهرا
بالمال والبنين كذب باياته وفيه انه يدل على ان مدار تكذيبه كونه ذا مال وبنين من غير ان يكون لسائر قبائحه دخل
فى ذلك وقرئ ان كان على معنى الان كان ذا مال كذب بها او اطيعه ان كان ذا مال وقرئ ان كان بالكسر والشرط
للمخاطب اى لا تطع كل حلاف شارطا يساره لان اطاعة الكافر لغناه بمنزلة اشتراط غناه فى الطاعة سنسمه
على الخرطوم بالكى على اكرم مواضعه لغاية اهانته واذلاله قيل اصاب انف الوليد جراحة يوم بدر
فبقيت علامتها وقيل معناه سنعلمه يوم القيمة بعلامة مسودة يعلم بها عن سائر الكفرة انا بلوناهم
اى اهل مكة بالقحط بدعوة رسول الله صلعم كما بلونا اصحاب الجنة وهم قوم من اهل الصلاة كانت لابيهم
هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان ياخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقى وكان ينادى الفقراء وقت
الصرام ويترك لهم ما اخطأه المنجل وما فى اسفل الاكداس وما اخطأه القطاف من العنب وما بقى
على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات ابوهم قال بنوه ان فعلنا ما كان
يفعل ابونا ضاق علينا الامر فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها
داخلين فى الصباح ولا يستثنون اى لا يقولون ان شاء الله وتسميته استثناء مع انه شرط من حيث ان
مؤداه مؤدى الاستثناء فان قولك لا اخرج ان شاء الله ولا اخرج الا ان يشاء الله بمعنى واحد او لا
يستثنون حصة المساكين كما كان يفعله ابوهم والجملة مستأنفة فطاف عليها اى على الجنة طائف من ربك بلاء
طائف وقرئ طيف من ربك مبتدئ من جهته تعالى وهم نائمون غافلون عما جرت به المقادير فاصبحت كالصريم
كالبستان الذى صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شئ فعيل بمعنى مفعول وقيل كالليل اى احترقت فاسودت
وقيل كالنهار اى يبست وابيضت سميا بذلك لان كلا منهما ينصرم عن صاحبه وقيل الصريم الرمال فتنادوا اى نادى
بعضهم بعضا مصبحين داخلين فى الصباح ان اغدوا اى اغدوا على ان ان مفسرة او بان اغدوا على انها
مصدرية اى اخرجوا غدوة على حرثكم بساتينكم وضيعتكم وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال والاستيلاء
ان كنتم صارمين قاصدين للصرم فانطلقوا وهم يتخافتون اى يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة وخفى
وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش ان لا يدخلنها اى الجنة اليوم عليكم مسكين
ان مفسرة للتخافت من معنى القول وقرئ بطرحها على اضمار القول والمراد بنهى المسكين عن الدخول المبالغة
فى النهى عن تمكينه من الدخول كقولهم لا ارينك هاهنا وغدوا على حرد قادرين اى على نكد لا غير من
حاردت السنة اذا لم يكن فيها مطر وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى انهم ارادوا ان ينكدوا
على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان
وذلك انهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة او وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها
قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها اى غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم
قادرين على الانتفاع وقيل الحرد الحرد وقد قرئ بذلك اى لم يقدروا الا على حنق بعضهم لبعض لقوله تعالى
يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة اى غدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة قادرين عند انفسهم على صرامها
وقيل هو علم للجنة فلما راوها قالوا فى بديهة رؤيتهم انا لضالون اى طريق جنتنا وما هى بها بل نحن محرومون
قالوه بعد ما تاملوا ووقفوا على حقيقة الامر مضربين عنه قولهم الاول اى لسنا ضالين بل نحن محرومون
حرمنا خيرها بجنايتنا على انفسنا قال اوسطهم اى رأيا او سنا الم اقل لكم لولا تسبحون لولا تذكرون الله تعالى
وتتوبون اليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وتوبوا اليه عن العزيمة
الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم كما ينبئ عنه قوله تعالى
قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لاشتراكهما فى التعظيم او لانه تنزيه له تعالى
عن ان يجرى فى ملكه ما لا يشاؤه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا فان منهم من اشار بذلك
ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضيا به ومنهم من انكره قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين متجاوزين حدود الله
عسى ربنا ان يبدلنا وقرئ بالتشديد اى يعطينا بدلا منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة خيرا منها انا الى ربنا
راغبون راجون العفو طالبون الخير والى لانتهاء الرغبة او لتضمنها معنى الرجوع وعن مجاهد تابوا فابدلوا

خيرا

خيرا منها وروى انهم تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنع ابونا فدعوا الله تعالى وتضرعوا
اليه فابدلهم الله تعالى من ليلتهم ما هو خير منها قالوا ان الله تعالى امر جبريل عليه السلام ان يقتلع تلك
الجنة المحترقة فيجعلها بزغر من ارض الشام ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضى الله
انه ان القوم لما اخلصوا وعرف الله منهم الصدق ابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا
وقال ابو خالد اليمانى من اهل الجنة امى اهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن الحسن رضى الله عنه قول اصحاب
الجنة انا الى ربنا راغبون لا ادرى ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشدة
متوقف فى امرهم والاكثرون على انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيرى كذلك العذاب جملة من مبتدأ وخبر مقدم
لافادة القصر واللام للعهد اى مثل الذى بلوناه به اهل مكة واصحاب الجنة عذاب الدنيا ولعذاب
الآخرة اكبر اعظم واشد لو كانوا يعلمون انه اكبر لاحترزوا عما يؤديهم اليه ان للمتقين اى من الكفر والمعاصى عند
ربهم فى الآخرة او فى جوار القدس جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه
من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا وقوله تعالى افنجعل المسلمين كالمجرمين تقرير لما قبله من فوز
المتقين بجنات النعيم ورد لما يقوله الكفرة عند سماعهم بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين فيها فانهم كانوا
يقولون ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا
ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا والهمزة للانكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام اى انحيف
فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده ما لكم كيف تحكمون
تعجيبا من حكمهم واستبعادا له وايذانا بانه لا يصدر عن عاقل ام لكم كتاب نازل من السماء فيه تدرسون اى تقرؤون
ان لكم فيه لما تخيرون اى ما تختارونه وتشتهونه واصله ان لكم بالفتح لانه مدروس فلما جئ باللام كسرت ويجوز
ان يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين وتخير الشئ واختاره
اخذ خيره ام لكم ايمان علينا اى عهود مؤكدة بالايمان بالغة متناهية فى التوكيد وقرئ بالنصب على الحال
والعامل فيها احد الظرفين الى يوم القيمة متعلق بالمقدر فى لكم اى ثابتة لكم الى يوم القيمة لا تخرج عن عهدتها
حتى نحكمكم يومئذ ونعطيكم ما تحكمون او ببالغة اى ايمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها
يمين ان لكم لما تحكمون جواب القسم لان معنى ام لكم علينا ايمان اى ام اقسمنا لكم سلهم تلوين للخطاب وتوجيه له
الى رسول الله صلعم باسقاطهم عن رتبة الخطاب اى سلهم مبكتا لهم ايهم بذلك الحكم الخارج عن العقول زعيم اى قائم
يتصدى لتصحيحه ام لهم شركاء يشاركونهم فى هذا القول ويذهبون مذهبهم فيه فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين
فى دعواهم اذ لا اقل من التقليد وقد نبه فى هذه الآيات الكريمة على ان ليس لهم شئ يتوهم ان يتشبثوا به حتى التقليد
الذى لا يفلح من تشبث بذيله وقيل المعنى ام لهم شركاء يجعلونهم مثل المسلمين فى الآخرة يوم يكشف عن ساق
اى يوم يشتد الامر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل فى ذلك واصله تشمير المخدرات عن سوقهن فى
الهرب قال حاتم اخو الحرب ان عضت به الحرب عضها وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا وقيل ساق الشئ
اصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اى يوم يكشف عن اصل الامر فتظهر حقائق الامور واصولها
بحيث تصير عيانا وتنكيره للتهويل او للتعظيم وقرئ تكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول والفعل
للساعة او للحال وقرئ نكشف بالنون وتكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من اكشف الامر اى دخل فى
الكشف وناصب الظرف فليأتوا او مضمر مقدم اى اذكر يوما او مؤخر اى يوم يكشف عن ساق الى
آخره يكون من الاهوال وعظائم الاحوال ما لا يبلغه الوصف ويدعون الى السجود توبيخا وتعنيفا على
تركهم اياه فى الدنيا وتحسيرا لهم على تفريطهم فى ذلك فلا يستطيعون لزوال القدرة عليه وفيه دلالة
على انهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم اصلابهم اى ترد
عظما واحدا بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى اصلابهم طبقا واحدا اى فقارة واحدة
خاشعة ابصارهم حال من مرفوع يدعون على ان ابصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع الى الابصار
لظهور اثره فيها ترهقهم ذلة تلحقهم وتغشاهم ذلة شديدة وقد كانوا يدعون الى السجود فى الدنيا والاظهار
فى موضع الاضمار لزيادة التقرير او لان المراد به الصلاة اوما فيها من السجود والدعوة دعوة التكليف وهم
سالمون متمكنون منه اقوى تمكن فلا يجيبون اليه ويأبونه وانما ترك ذكره ثقة بظهوره فذرنى ومن
يكذب بهذا الحديث اى كله اى فانى اكفيك امره اى حسبك فى الايقاع به والانتقام منه ان تكل امره الى
وتخلى بينى وبينه فانى عالم بما يستحقه من العذاب ومطيق له والفاء لترتيب الامر على ما قبلها من احوالهم
المحكية اى واذا كان حالهم فى الآخرة كذلك فذرنى ومن يكذب بالقرآن وتوكل على فى الانتقام منه وقوله تعالى
سنستدرجهم استئناف مسوق لبيان كيفية التعذيب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار
معناه كما ان الافراد فى يكذب باعتبار لفظها اى سندنيهم فى العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة

وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون انه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون انه ايثار لهم وتفضيل على المؤمنين
مع انه سبب لهلاكهم واملى لهم وامهلهم ليزدادوا اثما وهم يزعمون ان فى ذلك لا رادة الخير بهم ان كيدى متين
لا يوقف عليه ولا يدفع بشىء وذلك كيدا لكونه فى صورة الكيد امر تسالهم على الا بلاغ والارشاد اجرا
فهم لاجل ذلك من مغرم اى غرامة مالية مثقلون مكلفون حملا ثقيلا فيعرضون عنك ام عندهم الغيب
اى اللوح او المغيبات فهم يكتبون منه ما يحكمون ويستغنون به عن علمك فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم وتاخير
نصرتك عليهم ولا تكن كصاحب الحوت اى يونس عليه السلام اذ نادى فى بطن الحوت وهو مكظوم مملوء غيظا
والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهى لا على النداء فانه امر مستحق ولذلك لم يذكر المنادى واذ منصوب
بمضاف محذوف اى لا تكن حالك كحاله وقت ندائه اى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة
فتبتلى ببلائه ولولا ان تداركه نعمة من ربه وقرئ رحمة هى توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن التذكير الفعل
الفصل بالضمير وقرئ تداركته وتداركه اى تداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا ان كان يقال فيه تتداركه
لنبذ بالعراء بالارض الخالية من الاشجار وهو مذموم مليم مطرود من الرحمة والكرامة وهو حال من مرفوع
نبذ عليها يعتمد جواب لولا لانها هى المنفية لا النبذ بالعراء كما مر فى الحال الاولى والجملة الشرطية استئناف
وارد لبيان كون المنهى عنه امرا محذورا مستتبعا للغائلة وقوله تعالى فاجتباه ربه عطف على مقدر اى فتداركته
نعمة من ربه فاجتباه بان رد اليه الوحى وارسله الى مائة الف او يزيدون وقيل استنباه ان صح انه لم يكن نبيا
قبل هذه الواقعة فجعله من الصالحين من الكاملين فى الصلاح بان عصمه من ان يفعل فعلا يكون تركه اولى روى
انها نزلت باحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل فاراد ان يدعو على المنهزمين من المؤمنين وقيل حين اراد ان يدعو على ثقيف
وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وقرئ ليزلقونك بفتح الياء من زلقه بمعنى ازلقه ويزهقونك
وان هى المخففة واللام دليلها والمعنى انهم من شدة عداوتهم لك ينظرون اليك شزرا بحيث يكادون يزلون قدمك
فيرمونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى اى لو امكنه بنظره الصرع لفعله او انهم يكادون يصيبونك بالعين
اذ قد روى انه كان فى بنى اسد عيانون فاراد بعضهم ان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وفى الحديث ان العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ولعله من خصائص بعض النفوس وعن الحسن دواء الاصابة بالعين ان تقرا
هذه الآية لما سمعوا الذكر اى وقت سماعهم القرآن على ان لما ظرفية منصوبة بيزلقونك وذلك لاشتداد
بغضهم وحسدهم عند سماعه ويقولون لغاية حيرتهم فى امره عليه السلام ونهاية جهلهم بما فى تضاعيف القرآن من
تعاجيب الحكم وبدائع العلوم المحجوبة عن العقول المنغمسة باحكام الطبائع ولتنفير الناس عنه انه
لمجنون وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوه منه عليه السلام رد ذلك ببيان علو شانه وسطوع برهانه
فقيل وما هو الا ذكر للعالمين على انه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب السامعين من
جراتهم على تفوه تلك العظيمة اى يقولون ذلك والحال انه ذكر للعالمين اى تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون
اليه من امور دينهم فاين من انزل عليه ذلك وهو مطلع على اسراره طرا ومحيط بجميع حقائقه خبرا مما
قالوا وقيل معناه شرف وفضل كقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون وقيل الضمير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكونه مذكرا وشرفا للعالمين لا ريب فيه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة
القلم اعطاه الله ثواب الذين حسن الله اخلاقهم

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة الساعة او الحالة الثابتة الوقوع الواجبة المجىء لا محالة
او التى يحق فيها الامور الحقة من الحساب والثواب والعقاب او التى يحق فيها الامور اى تعرف على الحقيقة
من حقه يحقه اذا عرف حقيقته جعل الفعل لها مجازا وهو لما فيها من الامور او لمن فيها من اولى العلم واياما كان
فحذف الموصول للايذان بكمال ظهور اتصافه بهذه الصفة وجريانها مجرى الاسم وارتفاعها على الابتداء وخبرها
ما الحاقة على ان ما مبتدأ ثان والحاقة خبره والجملة خبر للمبتدأ والاصل ما هى اى اى شىء هى فى حالها وصفتها فان
ما يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع الضمير تاكيدا لهولها هذا ما ذكروه فى اعراب هذه الجملة
ونظائرها وقد سبق فى سورة الواقعة ان مقتضى التحقيق ان يكون ما الاستفهامية خبرا لما بعدها فان مناط
الافادة بيان ان الحاقة امر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبرا لا بيان ان امرا بديعا الحاقة كما يفيده
كونها مبتدأ وكون الحاقة خبرا وقوله تعالى وما ادراك اى اى شىء اعلمك ما الحاقة تاكيد لهولها
وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة العلوم المخلوقات على معنى ان عظم شانها ومدى هولها وشدتها بحيث
لا تكاد تبلغه دراية احد ولا مساغ هاهنا للعكس وما الحاقة جملة من مبتدأ وخبر على الوجه الذى عرفته

ولا وهمه وكيف ما قدرت حالها فهى اعظم من ذلك واعظم فلا يتسنى الاعلام وما فى حيز الرفع على الابتداء وادراك الخبر ص

محلها النصب على اسقاط الخافض لان ادرى يتعدى الى المفعول الثانى بالباء كما فى قوله تعالى ولا ادراكم به فلما
وقعت جملة الاستفهام متعلقة له كانت فى موضع المفعول الثانى والجملة الكبيرة معطوفة على ما قبلها
من الجملة الواقعة خبرا لقوله تعالى الحاقة مؤكدة لها كما مر كذبت ثمود وعاد بالقارعة اى بالحالة التى
تقرع الناس بعنوان الافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف
والنجوم بالطمس والانكدار ووضعها موضع ضمير الحاقة مؤكدة لهولها والجملة استئناف مسوق لاعلام بعض
احوال الحاقة له عليه السلام اثر تقرير انه مما لا ادراك له باحوالها كما فى قوله تعالى وما ادراك ما هيه نار حامية
ونظائره خلا ان المبين هناك نفس المسؤول عنها وهنا حال من احوالها كما فى قوله تعالى وما ادراك ما ليلة
القدر ليلة القدر خير من الف شهر فان المبين هناك ليس نفس ليلة القدر بل فضلها وشرفها كذلك المبين
هاهنا هو الحاقة واعظم شانها وكونها بحيث يحق اهلاك من يكذب بها كانه قيل وما ادراك ما الحاقة كذبت بها
ثمود وعاد فاهلكوا فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية اى الواقعة المجاوزة للحد وهى الصيحة والرجفة واما عاد
فاهلكوا بريح صرصر اى شديدة الصوت لها صرصرة او شديدة البرد تحرق ببردها عاتية شديدة العصف
كانها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها او على عاد فما قدروا على ردها وقوله تعالى سخرها عليهم الخ
استئناف جىء به بيانا لكيفية اهلاكهم بالريح اى سلطها الله عليهم بقدرته القاهرة سبع ليال وثمانية ايام حسوما
اى متتابعات جمع حاسم كشهود جمع شاهد من حسمت الدابة اذا تابعت بين كيها او نحسات حسمت كل خير
واستاصلته او قاطعات قطعت دابرهم ويجوز ان يكون مصدرا منتصبا على العلة بمعنى قطعا او على المصدر
لفعله المقدر حالا اى تحسمهم حسوما ويؤيده القراءة بالفتح وهى كانت ايام العجوز من صبيحة اربعاء الى غروب
الاربعاء الاخرى وانما سميت عجوزا لان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فاهلكتها
وقيل هى ايام العجز وهى اخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والوبر والامر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر
وقيل مكفى الظعن فترى القوم ان كنت حاضرا حينئذ فيها فى مهابها او فى تلك الليالى والايام صرعى موتى جمع صريع
كانهم اعجاز نخل اى اصول نخل خاوية متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية اى بقية او نفس باقية او بقاء على
انها مصدر كالكاذبة والطاغية وجاء فرعون ومن قبله اى ومن تقدمه وقرئ ومن قبله اى ومن عنده
من اتباعه ويؤيده انه قرئ ومن معه والمؤتفكات اى قرى قوم لوط اى اهلها بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة او الافعال
ذات الخطاء التى من جملتها تكذيب البعث والقيامة فعصوا رسول ربهم اى فعصى كل امة رسولها حين نهوهم
عما كانوا يتعاطونه من القبائح فاخذهم الله عز وجل اخذة رابية اى زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم
فى القبح من ربا الماء اذا زاد انا لما طغى الماء بسبب اصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصى ومبالغتهم فى تكذيبه

[illegible]

الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة
الثور وبعضهم على صورة النسر وعن ثمانية املاك في الخلق الاول ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة
سبعين عاما وعن شهر بن حوشب اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك
واربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله اعلم اثمانية ام ثمانية
الاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله تعالى ويجوز ان يكون الثمانية من الروح او من خلق اخر
وقيل هو تمثيل لعظمته تعالى بما يشاهد من احوال السلاطين يوم خروجهم على الناس للقضاء العام لكونها
اقصى ما يتصور من العظمة والجلال والا فشؤنه تعالى اجل من كل ما يحيط به ذلك العبارة والغشاوة يومئذ
تعرضون اى تسئلون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيها له بعرض السلطان العسكر ليعرف احوالهم روى ان
في يوم القيمة ثلاث عرضات فاما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ واما الثالثة ففيها تنتشر الكتب
فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا وان كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم
اسما لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وادخال اهل الجنة الجنة واهل النار
النار صح جعله ظرفا للكل لا تخفى منكم خافية حال من مفعول تعرضون اى تعرضون غير خاف عليه تعالى
يومئذ شىء من سرائركم وقرئ بخفى بالياء التحتانية فاما من اوتى كتابه بيمينه تفصيل لاحكام العرض فيقول
هاؤم اقرؤا كتابيه هاؤم اسم لخذ وفيه ثلاث لغات اجودها هاء يا رجل وهاء يا امرأة وهاؤما
يا رجلان وامرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة ومفعوله محذوف وكتابيه مفعول اقرؤا
لانه اقرب العاملين ولانه لو كان مفعول هاؤم لقيل اقرؤه اذ الاولى اضماره حيث امكن والهاء فيه وفي
حسابيه وماليه وسلطانيه للسكت تثبت في الوقف وتسقط في الوصل واستحب اثباتها لثباتها في الامام
انى ظننت انى ملاق حسابيه اى علمت ولعل التعبير عنه بالظن للاشعار بانه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في
النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالبا فهو في عيشة راضية ذات رضى على النسبة
بالصيغة كلابن وتامر او جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها وذلك لكونها صافية عن الشوائب
دائمة مقرونة بالتعظيم في جنة عالية مرتفعة المكان لانها في السماء او الدرجات او الابنية والاشجار قطوفها
جمع قطف وهو ما يجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر دانية يتناولها القاعد كلوا واشربوا باضمار
القول والجمع باعتبار المعنى هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما اسلفتم بمقابلة ما قدمتم من الاعمال
الصالحة في الايام الخالية اى الماضية في الدنيا وعن مجاهد ايام الصيام وروى يقول الله تعالى يا اوليائى طال
ما نظرت اليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت اعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم
في نعيمكم وكلوا واشربوا الاية واما من اوتى كتابه بشماله ويرى ما فيه من قبائح الاعمال فيقول يا ليتنى لم
اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما شاهد من سوء العاقبة يا ليتها يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية
اى القاطعة لامرى ولم ابعث بعدها او يا ليت هذه الحالة التي شاهدتها كانت الموتة ويجوز ان يكون لما شاهده من الحالة
اى يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت على لانه وجدها امر من الموت فتمناه عندها وقد جوز ان
يكون للحياة الدنيا اى يا ليت الحياة الدنيا كانت الموتة ولم اخلق حيا ما اغنى عنى ماليه مالى من المال والاتباع
على ان ما نافية والمفعول محذوف او استفهامية للانكار اى اى شىء اغنى عنى ما كان لى من اليسار هلك عنى سلطانيه
اى ملكى وتسلطى على الناس او حجتى التي كنت احتج بها في الدنيا او تسلطى على القوى والالات فعجزت عن استعمالها
في العبادات خذوه حكاية لما يقوله الله تعالى يومئذ لخزنة النار فغلوه اى شدوه بالاغلال ثم الجحيم
صلوه اى لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظيمة ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس ثم في
سلسلة ذرعها اى طولها سبعون ذراعا فاسلكوه فادخلوه فيها بان تلفوها على جسده وهو فيما بينها مرهق
لا يستطيع حراكا وتقديم السلسلة كتقديم الجحيم للدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر الوان ما يعذب به
وثم لتفاوت ما بين الغل والتصلية وما بينهما وبين السلك والسلسلة في الشدة انه كان لا يؤمن بالله العظيم
تعليل بطريق الاستيناف التحقيقي ووصفه تعالى بالعظيم للايذان بانه المستحق للعظمة فمن تعظم
في نفسه استحق اعظم العقوبات ولا يحض على طعام المسكين ولا يحث على بذل طعامه او على اطعامه
فضلا على ان يبذل من ماله وقيل ذكر الحض للتنبيه على ان تارك الحض بهذه المنزلة فما ظنك بتارك
الفعل وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة قالوا تخصيص الامرين بالذكر
لما ان اقبح العقائد الكفر واشنع الرذائل البخل وقسوة القلب فليس له اليوم هاهنا حميم اى قريب يحميه
ويدفع عنه ويحزن عليه لان اولياءه يتحامونه ويفرون منه ولا طعام الا من غسلين اى من غسالة اهل
النار وصديدهم فعلين من الغسل لا يأكله الا الخاطئون اصحاب الخطايا من خطئ الرجل اذا تعمد الذنب
من الخطأ المقابل للصواب دون المقابل للعمد عن ابن عباس انهم المشركون وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء

وقري

وقرئ بطرحها فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ... يرادبهم الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله فلا اقسم اى فاقسم
على ان لا مزيدة للتاكيد وما حمله على معنى نفى الاقسام لظهور الامر واستغنائه عن التحقيق فيرده
تعيين المقسم به بقوله تعالى بما تبصرون وما لا تبصرون كما مر في سورة الواقعة اى اقسم بالمشاهدات
والمغيبات وقيل بالدنيا والاخرة وقيل بالاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة
والباطنة والاول منتظم للكل انه اى القران لقول رسول يبلغه عن الله تعالى فان الرسول لا يقول عن نفسه
كريم على الله تعالى وهو النبى او جبريل عليهما السلام وما هو بقول شاعر كما تزعمون تارة قليلا ما تؤمنون
ايمانا قليلا تؤمنون ولا بقول كاهن كما تدعون ذلك تارة اخرى قليلا ما تذكرون اى تذكرا قليلا او زمانا
قليلا تتذكرون على ان القلة بمعنى النفى اى لا تؤمنون ولا تتذكرون اصلا قيل ذكر الايمان مع نفى الشاعرية
والتذكر مع نفى الكهانة لما ان عدم مشابهة القران للشعر امر بين لا ينكره الا معاند بخلاف مباينته
للكهانة فانها تتوقف على تذكر احواله عليه السلام ومعانى القران المنافية لطريقة الكهنة ومعانى اقوالهم وتخبيهم
بان ذلك ايضا مما لا يتوقف على تامل قطعا وقرئ بالياء فيهما تنزيل من رب العالمين نزله على لسان جبريل
عليه السلام ولو تقول علينا بعض الاقاويل سمى الافتراء تقولا لانه قول متكلف والاقوال المفتراة اقاويل
تحقيرا لها كانه جمع افعولة من القول كالاضاحيك لاخذنا منه باليمين اى بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين اى نياط
قلبه بضرب عنقه وهو تصوير لاهلاكه بافظع ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه وهو ان يأخذ القتال
بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه وقيل اليمين بمعنى القوة قال قائلهم • اذا ما راية رفعت لمجد •
تلقاها عرابة باليمين • فما منكم ايها الناس من احد عنه من القتل او المقتول حاجزين دافعين وصف لاحد
فانه عام وانه اى القران لتذكرة للمتقين لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين فنجازيهم على تكذيبهم
وانه لحسرة على الكافرين عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين وانه لحق اليقين الذى لا يحوم حوله ريب ما
فسبح باسم ربك العظيم اى فسبح بذكر اسمه العظيم تنزيها له عن الرضا بالتقول عليه وشكرا على ما اوحى اليك
والله سبحانه اعلم عن النبى عم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل اى دعا داع بعذاب واقع اى استدعاه وطلبه وهو النضر بن
الحارث حيث قال انكارا واستهزاء ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب
اليم وقيل ابو جهل حيث قال اسقط علينا كسفا من السماء وقيل هو الحرث بن النعمان الفهرى وذلك انه
لما بلغه قول رسول الله عم في على رضى الله عنه اللهم من كنت مولاه فعلى مولاه قال اللهم ان كان ما يقول
محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء فما لبث ان رماه الله تعالى بحجر فوقع على دماغه فخرج من اسفله فهلك
من ساعته وقيل هو الرسول عم دعا عليهم وقرئ سال وهو اما من السؤال على لغة قريش فالمعنى ما مر
او من السيلان ويؤيده انه قرئ سال سيل اى اندفع وادبعذاب واقع وصيغة الماضى للدلالة على تحقق وقوعه
اما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فان النضر قتل يومئذ صبرا وقد مر حال الفهرى واما في الاخرة فهو عذاب
النار للكافرين صفة اخرى لعذاب اى كائن للكافرين او صلة لواقع او متعلق بسأل اى دعا للكافرين بعذاب
واقع وقوله تعالى ليس له دافع صفة اخرى لعذاب او حال منه لتخصصه بالصفة او بالعمل او من الضمير
في للكافرين على تقدير كونه صفة للعذاب او استيناف من الله متعلق بواقع او بدافع اى ليس له دافع من جهته
تعالى ذى المعارج ذى المصاعد التي تصعد فيها الملائكة بالاوامر والنواهى او هى عبارة عن السموات المترتبة
بعضها فوق بعض تعرج الملائكة والروح اى جبريل عليه السلام افرد بالذكر لتميزه وفضله وقيل الروح خلق
هم حفظة على الملائكة كما ان الملائكة حفظة على الناس اليه الى عرشه تعالى والى حيث تهبط منه اوامره تعالى
وقيل هو من قبيل قول ابراهيم عليه السلام انى ذاهب الى ربى اى حيث امرنى به في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة مما يعده الناس وهو بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل
والمعنى انها من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في زمان لكان ذلك الزمان مقدار خمسين الف سنة من سنى
الدنيا وقيل معناه تعرج الملائكة والروح الى عرشه تعالى في يوم كان مقداره مقدار خمسين الف سنة
اى يقطعون في يوم ما يقطعه الانسان في خمسين الف سنة لو فرض ذلك وقيل في يوم متعلق بواقع وقيل
بسأل على تقدير كونه من السيلان فالمراد به يوم القيمة واستطالته اما لانه كذلك في الحقيقة او لشدته
على الكفار او لكثرة ما فيه من الحالات والمحاسبات وايا ما كان فذلك في حق الكافر واما في حق المؤمن فلا
لما روى ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قيل لرسول الله عم ما اطول هذا اليوم فقال عم والذى

أي العذاب الواقع ويوم القيمة على تقدير تعلق في يوم بواقع

نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى انه يكون اخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وقوله تعالى
فاصبر صبرا جميلا متعلق بسال لان السؤال كان على استهزاء وتعنت وتكذيب الوحي وذلك مما يضجره عليه السلام
او كان عن تضجر واستبطاء للنصر او بسال سائل او سال سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فقد شارفت الانتقام
انهم يرونه بعيدا اي يستبعدونه بطريق الاحالة ولذلك يسالون به ونراه قريبا هينا في قدرتنا غير
بعيد علينا ولا متعذر على ان البعد والقرب معتبران بالنسبة الى الامكان والجملة تعليل للامر بالصبر وقوله
تعالى يوم تكون السماء كالمهل متعلق بقريبا اي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم او بمضمر دل عليه واقع او
بمضمر مؤخر اي يوم تكون السماء كالمهل الى اخره يكون من الاحوال ما لا يوصف او بدل في يوم على تقدير تعلقه
بواقع هذا ما قالوا ولعل الاقرب ان قوله تعالى سال سائل حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى
يسالونك عن الساعة وقوله تعالى ويقولون متى هذا الوعد ونحوهما اذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا
به النضر او ابو جهل او الحرث فالسؤال بمعناه والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى فاسئل به خبيرا وقوله تعالى
ليس له دافع الى اخره استيناف مسوق لبيان وقوع المسؤول عنه لا محالة وقوله تعالى يوم يكون الى اخره
متعلق بليس فاصبر صبرا جميلا مترتب عليه وقوله تعالى انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا تعليل للامر بالصبر
كما ذكر وقوله تعالى يوم تكون الى اخره متعلق بليس له دافع او بما يدل هو عليه اي يقع يوم تكون السماء
كالمهل وهو ما اذيب على مهل من الفلزات وقيل دردي الزيت وتكون الجبال كالعهن كالصوف المصبوغ
الوانا لاختلاف الوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فاذا بست وطيرت في الجو اشبهت العهن
المنفوش اذا طيرته الريح ولا يسال حميم حميما اي لا يسال قريب قريبا عن احواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم
بما يشغله عن ذلك وقرئ على البناء للفاعل اي لا يطلب من حميم حميم او لا يسال منه حاله يبصرونهم اي يبصر
الاحماء ولا يخفون عليهم وما يمنعهم من التساؤل الا تشاغلهم عنهم بحال انفسهم وقيل ما يغني عنه من مشاهدة الحال
كبياض الوجه وسواده والاول ادخل في التهويل وجمع الضميرين لعموم الحميم وقرئ يبصرونهم والجملة استيناف
يود المجرم اي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب وقوله تعالى لو يفتدي من عذاب يومئذ اي العذاب الذي ابتلوا
به يومئذ وصاحبته واخيه حكاية لودادتهم ولو في معنى التمني وقيل هي بمنزلة ان الناصبة فلا يكون لها جواب
وينسبك منها ومما بعدها مصدر يقع مفعولا ليود والتقدير يود افتداءه ببنيه الى اخره والجملة استيناف
لبيان ان اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ الى حيث يتمنى ان يفتدي باقرب الناس اليه واعلقهم بقلبه فضلا عن
ان يهتم بحاله ويسال عنها وقرئ يومئذ بالفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن وبتنوين عذاب ونصب يومئذ
وانتصابه بعذاب لانه في معنى تعذيب وفصيلته اي عشيرته التي فصل عنهم التي تؤويه التي تضمه في
النسب او عند الشدائد ومن في الارض جميعا من الثقلين او الخلائق ومن للتغليب ثم ينجيه عطف على يفتدي
اي يود لو يفتدي ثم لو ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الانجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده
ويبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات كلا ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع الانجاء
وضمير انها اما للنار المدلول عليها بذكر العذاب او هو مبهم ترجم عنه الخبر الذي هو قوله تعالى لظى وهي
علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب نزاعة للشوى نصب على الاختصاص او حال مؤكدة والشوى الاطراف
او جمع شواة وهي جلدة الراس وقرئ نزاعة بالرفع على انه خبر ثان لان او هو الخبر ولظى بدل من الضمير او الضمير
للقصة ولظى مبتداء ونزاعة خبره تدعو اي تجذب وتحضر وقيل تدعو وتقول لهم الي الي يا كافر يا منافق
وقيل تدعو الكافرين والمنافقين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب وقيل تدعو تهلك وقيل زبانيتها
من ادبر اي عن الحق وتولى اعرض عن الطاعة وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته
وحقوقه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه حرصا وتاميلا ان الانسان خلق هلوعا الهلع سرعة الجزع عند مس
المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره احسن تفسير قوله تعالى اذا مسه الشر اي الضر والفقر او المرض
جزوعا مبالغا في الجزع مكثرا منه واذا مسه الخير اي السعة والصحة منوعا مبالغا في المنع
والامساك والاوصاف الثلاثة احوال مقدرة او محققة لانها طبائع جبل الانسان عليها واذا الاولى ظرف
لجزوعا والثانية لمنوعا الا المصلين استثناء للمتصفين بالنعوت الجليلة الاتية من المطبوعين على القبائح
الماضية لانباء نعوتهم عن الاستغراق في طاعة الحق والاشفاق على الخلق والايمان بالجزاء والخوف من [illegible]
العقوبة وكسر الشهوة وايثار الاجل على العاجل على خلاف القبائح المذكورة الناشئة من الانهماك
في حب العاجل وقصر النظر عليه الذين هم على صلاتهم دائمون لا يشغلهم عنها شاغل والذين في اموالهم حق معلوم
اي نصيب معين يستوجبونه على انفسهم تقربا الى الله تعالى واشفاقا على الناس من الزكاة المفروضة والصدقات
الموظفة للسائل للذي يسال والمحروم اي الذي لا يسال فيظن انه غني فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين
اي باعمالهم حيث يتعبون انفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعا في المثوبة الاخروية حيث يستدلون

بذلك

بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون على انفسهم مع ما لهم من الاعمال
الفاضلة استقصارا لها واستعظاما لجنابه عز وجل كقوله تعالى والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم
الى ربهم راجعون وقوله تعالى ان عذاب ربهم غير مامون اعتراض مؤذن بانه تعالى لا ينبغي لاحد ان يامن
عذابه تعالى وان بالغ في الطاعات والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم
غير ملومين سلف تفسيره في سورة المؤمنون فمن ابتغى اي طلب لنفسه وراء ذلك وراء ما ذكر من الازواج
والمملوكات فاولئك هم العادون المتعدون لحدود الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم
راعون لا يخلون بشيء من حقوقها والذين هم بشهاداتهم قائمون اي مقيمون لها بالعدل احياء لحقوق
الناس وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الامانات لابانة فضلها وقرئ لامانتهم وبشهادتهم على ارادة الجنس
والذين هم على صلاتهم يحافظون اي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها واذابها وتكرير
ذكر الصلاة ووصفهم بها اولا واخرا باعتبارين للدلالة على فضلها وانافتها على سائر الطاعات وتكرير
الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات كما في قول من قال ● الى الملك القرم
وابن الهمام ● وليث الكتائب في المزدحم ● ايذانا بان كل واحد من الاوصاف المذكورة نعت جليل على
حياله له شان خطير مستتبع لاحكام جمة حقيق بان يفرد له موصوف مستقل ولا يجعل شيء منها تتمة للاخر
اولئك اشارة الى الموصوفين بما ذكر من الصفات وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه
للايذان بعلو شانهم وبعد منزلتهم في الفضل وهو مبتدا خبره في جنات اي مستقرون في جنات لا يقادر
قدرها ولا يدرك كنهها وقوله تعالى مكرمون خبر اخر او هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة
الفواصل او نصب على الحال من الضمير في الخبر اي كائنين مكرمين في جنات فمال الذين كفروا قبلك مهطعين
مسرعين نحوك مادي اعناقهم اليك مقبلين بابصارهم عليك عن اليمين وعن الشمال عزين اي فرقا شتى
جمع عزة واصلها عزوة من العزو كان كل فرقة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى كان المشركون
يحلقون حول رسول الله ﷺ حلقا حلقا وفرقا فرقا ويستهزئون بكلامه ﷺ ويقولون ان دخل هؤلاء
الجنة كما يقول رسول الله ﷺ فلندخلنها قبلهم ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم بلا ايمان كلا
ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ انا خلقناهم مما يعلمون قيل هو تعليل للردع والمعنى انا خلقناهم من اجل
ما يعلمون كما في قول الاعشى ● ازمعت من ال ليلى ابتكارا ● وشطت على ذي هوى ان تزارا ● وهو تكميل
النفس بالايمان والطاعة فمن لم يستكملها بذلك فهو بمعزل من ان يتبوا مبوا الكاملين فمن اين لهم
ان يطمعوا في دخول الجنة وهم مكبون على الكفر والفسوق وانكار البعث وقيل انا خلقناهم مما يعلمون
من نطفة مذرة فمن اين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل انهم مخلوقون
من نطفة مذرة لا تناسب عالم القدس فمن لم يستكمل الايمان والطاعات ولم يتخلق بالاخلاق الملكية
لم يستعد لدخولها ولا يخفى ما في الكل من التمحل والاقرب انه كلام مستانف قد سيق تمهيدا لما بعده من
بيان قدرته تعالى على ان يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله ﷺ وبما نزل عليه من الوحي
وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشئ بدلهم قوما اخرين فان قدرته تعالى على ما يعلمون من النشاة
الاولى حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما ينبئ عنه الفا الفصيحة في قوله تعالى فلا اقسم برب المشارق
والمغارب والمعنى اذا كان الامر كما ذكر من انا خلقناهم مما يعلمون فاقسم برب المشارق والمغارب انا
لقادرون على ان نبدل خيرا منهم اي نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم وناتي بدلهم بخلق اخرين ليسوا
على صفتهم وما نحن بمسبوقين بمغلوبين ان اردنا ذلك لكن مشيتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت
تاخير عقوباتهم فذرهم يخوضوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم ويلعبوا في دنياهم
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون وهو يوم البعث عند النفخة الثانية لا يوم النفخة الاولى كما
توهم فان قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث بدل من يومهم وقرئ يخرجون على البناء للمفعول من الاخراج
سراعا الى من يدعوهم كانهم الى نصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله تعالى وقرئ
بسكون الصاد وبفتح النون وسكون الصاد ايضا يوفضون يسرعون خاشعة ابصارهم وصفت ابصارهم
بالخشوع مع انه وصف الكل لغاية ظهور اثاره فيها ترهقهم ذلة تغشاهم ذلة شديدة ذلك الذي
ذكر ما سيقع فيه من الاحوال الهائلة اليوم الذي كانوا يوعدون في الدنيا وهم يكذبون به عن النبي ﷺ من
قرا سورة سال سائل اعطاه الله ثواب الذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والله تعالى اعلم بالصواب

بسم الله الرحمن الرحيم إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك أي بأن أنذر على أن أن مصدرية حذف منها الجار وأوصل إليها الفعل فإن حذفه مع أن وأن مطرد وجعلت صلتها أمرا كما في قوله تعالى وأن أقم وجهك للدين لأن مدار وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والإنشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بهما فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهي والمضي والاستقبال كأنه قيل أرسلناه بالإنذار وقيل المعنى أرسلناه بأن قلنا له أنذر أي أرسلناه بالأمر بالإنذار ويجوز أن تكون مفسرة لما في الإرسال من معنى القول فلا يكون للجملة محل من الإعراب وعلى الأول محلها النصب عند سيبويه والفراء والجر عند الخليل والكسائي كما هو المعروف وقيل وقرئ أنذر بغير أن على إرادة القول من قبل أن يأتيهم عذاب أليم عاجل أو آجل لئلا يبقى لهم عذر ما أصلا قال استئناف مبني على سؤال نشأ من حكاية إرساله عليه السلام بالوجه المذكور كأنه قيل فما فعل عليه السلام فقيل قال لهم يا قوم إني لكم نذير مبين منذر موضح لحقيقة الأمر وقوله تعالى أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون متعلق بنذير على الوجهين المذكورين يغفر لكم من ذنوبكم أي بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فإن الإسلام يجبه ويؤخركم إلى أجل مسمى هو الأمد الأقصى الذي قدره الله تعالى لهم بشرط الإيمان والطاعات وراء ما قدره لهم على تقدير بقائهم على الكفر والعصيان فإن وصف الأجل بالمسمى وتعليق تأخيرهم إليه بالإيمان والطاعة صريحان في أن لهم أجلا آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا وهو المراد بقوله تعالى إن أجل الله أي ما قدره لكم على تقدير بقائكم على الكفر إذا جاء وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر لا يؤخر فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا إليه ويجوز أن يراد به وقت إتيان العذاب المذكور في قوله تعالى من قبل أن يأتيهم عذاب أليم فإنه أجل موقت له حتما وحمله على الأجل الأطول يأباه مساعدة المقام كيف لا والجملة تعليل للأمر بالعبادة المستتبعة للمغفرة والتأخير إلى الأجل المسمى فلا بد أن يكون المنفي عند مجيء الأجل هو التأخير الموعود فكيف يتصور أن يكون ما فرض مجيئه هو الأجل المسمى لو كنتم تعلمون أي لو كنتم تعلمون شيئا لسارعتم إلى ما أمرتكم به قال أي نوح عليه السلام مناجيا ربه وحاكيا له تعالى وهو أعلم بما جرى بينه وبين قومه من القال والقيل في تلك المدد الطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الإنذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل رب إني دعوت قومي إلى الإيمان والطاعة ليلا ونهارا أي دائما من غير فتور ولا توان فلم يزدهم دعائي إلا فرارا مما دعوتهم إليه وإسناد الزيادة إلى الدعاء لسببيته لها كما في قوله تعالى فزادتهم إيمانا وإني كلما دعوتهم أي إلى الإيمان لتغفر لهم بسببه جعلوا أصابعهم في آذانهم أي سدوا مسامعهم من استماع الدعوة واستغشوا ثيابهم أي بالغوا في التغطي بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه كراهة النظر إليه أو لئلا يعرفهم فيدعوهم وأصروا أي أكبوا على الكفر والمعاصي مستعار من أصر الحمار على العانة إذا صر أذنيه وأقبل عليها واستكبروا عن اتباعي وطاعتي استكبارا عظيما ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا أي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أشد من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد ولتراخي بعضها من بعض وجهارا منصوب بدعوتهم على المصدر لأنه أحد نوعي الدعاء أو أريد بدعوتهم جاهرتهم صفة لمصدر أي دعوتهم دعاء جهارا أي مجاهرا به أو مصدر في موقع الحال أي مجاهرا فقلت استغفروا ربكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي إنه كان غفارا للتائبين كأنهم تعللوا وقالوا إن كنا على الحق فكيف نتركه وإن كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعد ما عكفنا عليه دهرا طويلا فأمرهم بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب لهم المنافع ولذلك وعدهم بما هو أوقع في قلوبهم وأحب إليهم من الفوائد العاجلة وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله تعالى عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم أنهم إن آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويدفع عنهم ما هم فيه يرسل السماء عليكم مدرارا أي كثير الدرور والمراد بالسماء المظلة أو السحاب ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات بساتين ويجعل لكم فيها أنهارا جارية ما لكم لا ترجون لله وقارا إنكار لأن يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقارا على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم على أن الإنكار متوجه إلى السبب فقط مع تحقق مضمون الجملة الحالية لا إليهما معا كما في قوله تعالى وما لي لا أعبد الذي فطرني ولله متعلق بمضمر وقع حالا من وقارا ولو تأخر لكان صفة أي سبب حصل لكم حال كونكم معتقدين لله تعالى عظمة موجبة لتعظيمه بالإيمان به والطاعة له و

وقد

وقد خلقكم أطوارا أي والحال أنكم على حالة منافية لما أنتم عليه بالكلية وهي أنكم تعلمون أنه تعالى خلقكم تارات عناصر ثم أغذية ثم أخلاطا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ولحوما ثم أنشأكم خلقا آخر فإن التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والإحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل هذا وقد قيل الرجاء بمعنى الأمل أي ما لكم لا تأملون له تعالى توقيرا أي تعظيما لمن عبده وأطاعه ولا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله تعالى إياكم في دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار والأول هو الذي يستدعيه الجزالة التنزيلية فإن اللائق بحال الكفرة استبعاد أن لا يعتقدوا وقارا لله تعالى وعظمته مع مشاهدتهم لآثارها وأحكامها الموجبة للاعتقاد حتما وأما عدم رجائهم لتعظيم الله إياهم في دار الثواب فليس في حيز الاستبعاد ولا كلام مع أن في جعل الوقار بمعنى التوقير من التعسف وفي قوله لله بيان للموقر ولو تأخر لكان صلة للوقار من التناقض ما لا يخفى فإن كونه بيانا للموقر أن يكون توقيرا صادرا عنه تعالى للوقار ووصفا للمخاطبين وكونه صلة موجب كون الوقار وصفا له تعالى وقيل ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرة على أخذكم بالعقوبة أي أي عذر لكم في ترك الخوف منه تعالى وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما ما لكم لا ترجون تخشون لله عقابا ولا ترجون منه ثوابا وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا ترجون لله عظمة قال قطرب هي لغة حجازية يقولون لم أرج أي لم أبال وقوله تعالى ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا أي متطابقة بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا أي منورا لوجه الأرض في ظلمة الليل ونسبته إلى الكل لما أنه في السماء الدنيا لما أنها محاطة لسائر السموات فما فيها يكون في الكل ولأن كل واحدة منها كأنه في الكل وجعل الشمس سراجا تزيل ظلمة الليل ويبصر أهل الدنيا في ضوئها وجه الأرض ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى إبصاره وليس القمر بهذه المثابة إنما هو نور في الجملة والله أنبتكم من الأرض نباتا أي أنشأكم منها فاستعير الإنبات للإنشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض ونباتا إما مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى مصدرا أو لما ترتب عليه من فضله أي أنبتكم من الأرض فنبتم نباتا ويجوز أن يكون الأصل أنبتكم من الأرض إنباتا فنبتم نباتا فحذف من الجملة الأولى المصدر ومن الثانية الفعل اكتفاء في كل منهما بما ذكر في الأخرى كما في قوله تعالى أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وقوله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله ثم يعيدكم فيها بالدفن عند موتكم ويخرجكم منها عند البعث والحشر إخراجا محققا لا ريب فيه والله جعل لكم الأرض بساطا تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم والتوسيط لكم بين الجعل ومفعوليه مع أن التأخير كما مر مرارا من الاهتمام ببيان كون المجعول من منافعهم والتشويق إلى المؤخر فإن النفس عند تأخير ما حقه التقديم لا سيما عند كون المقدم ملوحا لكونه من المنافع تبقى مترقبة له فيتمكن عند وروده لها فضل تمكن لتسلكوا منها سبلا فجاجا أي طرقا واسعة جمع فج وهو الطريق الواسع وقيل هو المسلك بين الجبلين ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أو بمضمر هو حال من سبلا أي كائنة من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها قال نوح أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه أي قال مناجيا له تعالى رب إنهم عصوني أي تموا على عصياني فيما أمرتهم به مع ما بالغت في إرشادهم بالعظة والتذكير واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا أي استمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصار ذلك سببا لزيادة خساراتهم في الآخرة فصاروا أسوة لهم في الخسار وفي وصفهم بذلك إشعار بأنهم إنما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسبب الأموال والأولاد لما شاهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع في الجملة وقرئ وولده بالضم والسكون على أنه لغة كالحزن أو جمع كالأسد ومكروا مكرا كبارا عطف على صلة من والجمع باعتبار معناها كما أن الإفراد في الضميرين الأولين باعتبار لفظها مكرا كبارا أي كبيرا في الغاية وقرئ بالتخفيف والأول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير وذلك احتيالهم في الدين وصدهم للناس عنه وتحريشهم له على أذية نوح عليه السلام وقالوا لا تذرن آلهتكم أي لا تتركوا عبادتها على الإطلاق إلى عبادة رب نوح ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا أي ولا تذرن عبادتها ولا تخصيصها بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام عنهم إلى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد ونسر لحمير وقيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم عليه السلام فلما ماتوا قال إبليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون إليهم فتتبركون بهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم إنهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وقرئ ودا بضم الواو ويغوثا ويعوقا للتناسب ومنع صرفهما للعجمة والعلمية وقد أضلوا أي الرؤساء كثيرا خلقا كثيرا أو الأصنام كقوله تعالى رب إنهن أضللن كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين إلا ضلالا عطف على قوله تعالى رب إنهم عصوني على حكاية كلام نوح بعد قال وبعد الواو النائبة

منه اى قال رب انهم عصونى وقال لا تزد الظالمين الا ضلالا ووضع الظاهر موضع ضميرهم للتسجيل عليهم
بالظلم المفرط وتعليل الدعاء به والمطلوب هو الضلال فى تمشية مكرهم ومصالح دنياهم او الضياع والهلاك كما
فى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر ويؤيده ما سيأتى من دعائه عليه السلام مما خطيئاتهم اى من اجل خطيئاتهم
وما مزيده بين الجار والمجرور للتوكيد والتفخيم ومن لم يرها زيادة جعلها نكره وجعل خطيئاتهم المعدوده
وغيرها من خطاياهم اغرقوا بالطوفان لا بسبب اخر فادخلوا نارا المراد بها عذاب القبر فهو عقيب الاغراق
وان كانوا فى الماء عن الضحاك انهم كانوا يغرقون من جانب ويحرقون من جانب او عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله
منزلة المتعقب لاغراقهم لاقترابه وتحققه لا محاله وتنكير النار اما لتعظيمها وتهويلها او لانه تعالى اعد
لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا اى لم تجد احد منهم واحدا من الانصار
وفيه تعريض باتخاذهم الهة من دون الله تعالى وبانها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم وقال نوح رب لا تذر على
الارض من الكافرين ديارا عطف على نظيره السابق وقوله مما خطيئاتهم الخ اعتراض وسط بين دعائيه عليه
السلام للايذان من اول الامر بان ما اصابهم من الاغراق والاحراق لم يصبهم الا لاجل خطيئاتهم التى عددها
نوح عليه السلام واشارة الى استحقاقهم للاهلاك لاجلها لا لحكاية النفس الاغراق والاحراق على طريقة حكاية
ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الاقوال والاحوال والا لاخر عن حكاية دعائه هذا وديارا من الاسماء
المستعملة فى النفى العام يقال ما بالدار ديار او ديور كقيام وقيوم اى احد وهو فيعال من الدور او من الدار
اصله ديوار ففعل به ما فعل باصل سيد لا فعال والا لكان دوارا انك ان تذرهم عليها كلا او بعضا
يضلوا عبادك عن طريق الحق ولا يلدوا الا فاجرا كفارا اى الا من سيفجر ويكفر فوصفهم بما سيصيرون اليه وكانه
اعتذار مما عسى يرد عليه من ان الدعاء بالاستئصال مع احتمال ان يكون من اخلافهم من يؤمن منكر وانما قاله
لاستحكام علمه بما يكون منهم ومن اعقابهم بعد ما جربهم واستقرأ احوالهم قريبا من الف سنة رب اغفر لى ولوالدى
ابوه لمك بن متوشلخ وامه شمخا بنت انوش كانا مؤمنين وقيل هما ادم وحواء وقرئ ولدى يريد ساما وحاما
ولمن دخل بيتى اى منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى مؤمنا بهذا القيد خرجت امرأته وابنه كنعان ولكن لم
يجزم عليه السلام بخروجه الا بعد ما قيل له انه ليس من اهلك وقد مر تفصيله فى سورة هود وللمؤمنين والمؤمنات
عمهم بالدعاء اثر ما خص به من يتصل به نسبا ودينا ولا تزد الظالمين الا تبارا اى هلاكا قيل غرق معهم صبيانهم
ايضا لكن لا على وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب ابائهم وامهاتهم باراءة هلاك اطفالهم الذين كانوا اعز عليهم
من انفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا ويصدرون مصادر شتى وعن الحسن سئل عن ذلك فقال علم الله
براءتهم فاهلكهم بغير عذاب وقيل اعقم الله تعالى ارحام نسائهم وايبس اصلاب ابائهم قبل الطوفان باربعين سنة
او سبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين غرقوا ما روى من فضائلها من النبى عم من قرا سورة نوح كان من
المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحى الى وقرئ احى اصله وحى وقد قرئ كذلك من وحى اليه فقلبت
الواو المضمومة همزة كاعد واقتت فى وعد ووقتت انه بالفتح لانه فاعل اوحى والضمير للشان استمع اى القرآن كما
ذكر فى الاحقاف وقد حذف لدلالة ما بعده عليه نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة والعشرة والجن
اجسام عاقلة خفية يغلب عليهم النارية او الهوائية وقيل نوع من الارواح المجردة وقيل هى النفوس البشرية
المفارقة عن ابدانها وفيه دلالة على انه عليه السلام ما رآهم ولم يقرأ عليهم وانما اتفق حضورهم فى
بعض اوقات قراءته فاستمعوها فاخبره الله تعالى بذلك وقد مر ما فيه من التفصيل فى سورة الاحقاف فقالوا
لقومهم عند رجوعهم اليهم انا سمعنا قرآنا عجبا اى كتابا مقروا بديعا مباينا لكلام الناس فى حسن النظم ودقة
المعنى وهو مصدر وصف به للمبالغة يهدى الى الرشد الى الحق والصواب فامنا به اى بذلك القرآن ولن
نشرك بربنا احدا حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد وانه تعالى جد ربنا قالوا هو وما بعده من
الجمل المصدرة بان فى احد عشر موضعا عطف على محل الجار والمجرور فى فامنا به كانه قيل فصدقناه وصدقنا
انه تعالى جد ربنا اى ارتفع عظمته من جد فلان فى عينى اى عظم تمكنه او سلطانه او غناه على انه مستعار من
الجد الذى هو البخت والمعنى وصفه بالاستغناء عن الصاحبة والولد لعظمته او لسلطانه او لغناه وقرئ
بالكسر وكذا الجمل المذكورة عطفا على المحكى بعد القول وهو الاظهر لوضوح اندراج كلها تحت القول واما
اندراج الجمل الاتية تحت الايمان والتصديق كما يقتضيه عطف على محل الجار والمجرور ففيه اشكال كما تحيط
به خبرا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لحكم تعالى جده وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر اى صدق

ربوبيته

ربوبيته وحق الوهيته وعن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك انهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد
والايمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله تعالى بخلقه فى اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه
ونزهوه تعالى عنه وانه كان يقول سفيهنا اى ابليس او مردة الجن على الله شططا اى قولا ذا شطط اى بعد
عن القصد ومجاوزة للحد او هو شطط فى نفسه لفرط بعده عن الحق وهو نسبة الصاحبة والولد اليه تعالى
وتعلق الايمان والتصديق بهذا القول ليس باعتبار نفسه فانهم كانوا عالمين بقول سفهائهم من قبل ايضا بل
باعتبار كونه شططا كانه قيل وصدقنا ان ما كان يقوله سفيهنا فى حقه تعالى كان شططا واما تعلقهما
بقوله تعالى وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا ففيه خفاء وهو اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم
اى انا كنا نظن انه لن يكذب على الله تعالى احد ابدا ولذلك اتبعنا قوله وكذبا مصدر مؤكد لتقول لانه
نوع من القول او وصف للمصدر المحذوف اى قولا كذبا اى مكذوبا فيه وقرئ لن تقول بحذف احدى التائين
فكذبا مصدر مؤكد لان الكذب هو التقول وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن كان الرجل
من العرب اذا امسى فى واد قفر فى مخافة يقول اعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا
سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الانس والجن وذلك قوله تعالى فزادوهم اى زاد الرجال العائذون الجن
رهقا اى تكبرا وعتوا او فزاد الجن العائذين غيا بان اضلوهم حتى استعاذوا بهم وانهم ظنوا اى الانس كما ظننتم
ايها الجن على انه كلام بعضهم لبعض ان لن يبعث الله احدا وقيل المعنى ان الجن ظنوا كما ظننتم ايها الكفرة الى اخره
فتكون هذه الاية وما قبلها من جملة الكلام الموحى به والاقرب ان ذلك على تقدير عطفها على انه استمع لانه
معنى لاندراجهما تحت ما ذكر من الايمان والتصديق وكذا قوله تعالى وانا لمسنا السماء وما بعده من الجمل
المصدرة بانا فينبغى ان تكون معطوفة على ذلك على ان الوحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كانه قيل قل
اوحى الى كيت وكيت وهذه العبارة اى طلبنا بلوغ السماء او خبرها واللمس مستعار من المس للطلب
كالجس يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه فوجدناها ملئت حرسا اى حراسا اسم جمع كخدم
مفرد اللفظ ولذلك قيل شديدا قويا وهم الملائكة يمنعونهم عنها وشهبا جمع شهاب وهى الشعلة المقتبسة
من نار الكواكب وانا كنا نقعد قبل هذا منها من السماء مقاعد للسمع خالية عن الحرس والشهب او صالحة
للترصد والاستماع وللسمع متعلق بنقعد اى لاجل السمع او بمضمر هو صفة لمقاعد اى مقاعد كائنة للسمع
فمن يستمع الان فى مقعد من المقاعد يجد له شهابا رصدا له ولاجله يمنعه عن الاستماع بالرجم او ذوى شهاب
راصدين له على انه اسم مفرد فى معنى الجمع كالحرس قيل حدث هذا عند مبعث النبى عم والصحيح انه كان قبل
المبعث ايضا لكنه كثر الرجم بعد البعثة وزاد زيادة حتى تنبه لها الجن والانس ومنع الاستراق اصلا فقالوا
ما هذا الا لامر اراده الله تعالى باهل الارض وذلك قولهم وانا لا ندرى اشر اريد بمن فى الارض بحراسة السماء
ام اراد بهم ربهم رشدا اى خيرا وفى نسبة الخير الى الله تعالى دون الشر من الاداب الشريفة القرانية ما فى قوله تعالى واذا
مرضت فهو يشفين ونظائره وانا منا الصالحون اى الموصوفون بصلاح الحال فى شان انفسهم وفى معاملتهم مع غيرهم
المائلون الى الخير والصلاح حسبما تقتضيه الفطرة السليمة لا الى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة
ومنا دون ذلك اى قوم دون ذلك فحذف الموصوف وهم المقتصدون فى صلاح الحال على الوجه المذكور لا فى
الايمان والتقوى كما توهم فان هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب عنه قوله تعالى كنا طرائق قددا
واما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى الى قوله تعالى وانا منا المسلمون اى كنا قبل هذا
ذوى طرائق اى مذاهب او مثل طرائق فى اختلاف الاحوال او كانت طرائقنا طرائق قددا اى مختلفة متفرقة جمع
قدة من قد كالقطعة من قطع وانا ظننا اى علمنا الان ان لن نعجز الله اى ان الشان لن نعجز الله كائنين فى الارض
اينما كنا من اقطارها ولن نعجزه هربا هاربين منها الى السماء او لن نعجزه فى الارض ان اراد بنا امرا ولن نعجزه
هربا ان طلبنا وانا لما سمعنا الهدى اى القرآن الذى هو الهدى بعينه امنا به من غير تلعثم وتردد فمن يؤمن بربه وبما
انزله فلا يخاف فهو لا يخاف بخسا اى نقصا فى الجزاء ولا رهقا ولا ان ترهقه ذلة او جزاء بخس ولا رهق اذ لم
يبخس احدا حقا ولا رهق ظلما احدا فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على ان من حق من امن بالله تعالى ان يجتنب
المظالم وقرئ فلا يخف والاول ادل على تحقيق نجاة المؤمن واختصاصها به وانا منا المسلمون ومنا القاسطون
الجائرون عن طريق الحق الذى هو الايمان والطاعة فمن اسلم فاولئك اشارة الى من اسلم والجمع باعتبار المعنى تحروا
توخوا رشدا عظيما يبلغهم الى دار الثواب واما القاسطون الجائرون عن سنن الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا
اى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص كذا وكانوا لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد بكفرة الانس وان لو استقاموا ان
مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعا على انه استمع والمعنى واوحى الى ان الشان لو استقام الانس والجن
او كلاهما على الطريقة التى هى ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا اى لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء
الغدق وهو الكثير بالذكر لانه اصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن

على الطريقة المثلى اى لو ثبت ابوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله تعالى وطاعته ولم يستكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولو يكفر وتبعه ولده فى الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا رزقهم لنفتنهم فيه لنختبرهم كيف يشكرونه وقيل معناه لو استقاموا الجن على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسعنا عليهم الرزق مستدرجا لنوقعهم فى الفتنة ونعذبهم فى كفران النعمة ومن يعرض عن ذكر ربه عن عبادته او عن موعظته او وحيه يسلكه يدخله عذابا صعدا اى شاقا صعبا يعلو المعذب ويغلبه على انه مصدر وصف به مبالغة وان المساجد لله عطف على قوله تعالى انه استمع اى اوحى الى ان المساجد مختصة بالله تعالى وقيل معناه ولان المساجد لله فلا تدعوا اى فلا تعبدوا فيها مع الله احدا غيره وقيل المراد بالمساجد المسجد الحرام والمعنى لان كل ناحية منه مسجد له قبلة مخصوصة او لانه قبلة المساجد وقيل الارض كلها لانها جعلت مسجدا للنبى عليه السلام وقيل مواضع السجود على ان المراد النهى عن السجود لغير الله تعالى وقيل اعضاء السجود السبعة وقيل السجدات على انه جمع المصدر وانه من جملة الموحى اى واوحى الى ان الشان لما قام عبد الله اى النبى عليه السلام وايراده بلفظ العبد للاشعار بما هو المقتضى لقيامه وعبادته وللتواضع لانه واقع موقع كلامه عن نفسه يدعوه حال من فاعل قام اى يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما مر تفصيله فى الاحقاف كادوا اى الجن يكونون عليه لبدا متراكمين من ازدحامهم تعجبا مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قرائته واقتداء اصحابه به قياما وركوعا وسجودا لانهم رأوا ما لم يروا مثله وسمعوا ما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام عليه السلام يعبد الله وحده مخالفا للمشركين كاد المشركون يزدحمون عليه متراكمين واللبد جمع لبدة وهى ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا جمع لبدة وهى بمعنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجدا ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفئوه فابى الله الا ان يظهره على من ناواه قل انما ادعوا ربى اى اعبده ولا اشرك به فى العبادة احدا فليس ذلك ببدع ولا مستنكر يوجب التعجب والاطباق على عداوتى وقرئ قال على انه حكاية لقوله عليه السلام للمتراكمين والاول هو الاظهر والاوفق لقوله تعالى قل انى لا املك لكم ضرا ولا رشدا كانه امر بان يقول لهم لا املك ضرا ولا نفعا ولا غيا ولا رشدا فترك من كلا المتقابلين ما ذكر فى الاخر قل انى لن يجيرنى من الله احد ان اراد بى سوء ولن اجد من دونه ملتحدا ملتجا ومعدولا وهذا بيان لعجزه عليه السلام عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عليه السلام عن شؤون غيره وقوله تعالى الا بلاغا من الله استثناء من قوله لا املك فان التبليغ ارشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفى الاستطاعة او من ملتحدا اى لن اجد من دونه ملجا الا ان ابلغ عنه ما ارسلنى به وقيل الا مركبة من ان الشرطية ولا النافية ومعناه ان لا ابلغ بلاغا من الله والجواب محذوف لدلالة ما قبله عليه ورسالاته عطف على بلاغا من الله صوته لا ما لته اى لا املك لكم الا التبليغ والا رسالاته تعالى التى ارسلنى بها ومن يعص الله ورسوله فى التوحيد اذ الكلام فيه فان له نار جهنم وقرئ بفتح الهمزة على فجزاؤه ان له نار جهنم خالدين فيها فى النار او فى جهنم والجمع باعتبار المعنى ابدا بلا نهاية وقوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لانصاره عليه السلام واستقلالهم لعدده كانه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا راوا ما يوعدون من فنون العذاب فى الاخرة فسيعلمون حينئذ من اضعف ناصرا واقل عددا وقيل ما يوعدون على ما راوه يوم بدر ويأباه قوله تعالى قل ان ادرى اى ما ادرى اقريب ما توعدون ام يجعل له ربى امدا فانه رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون ذلك الموعود انكارا له واستهزاء به فقيل قل انه كائن لا محالة واما وقته فما ادرى متى يكون عالم الغيب بالرفع قيل هو بدل من ربى او بيان له ويأباه الفاء فى قوله تعالى فلا يظهر على غيبه احدا اذ يكون النظم حينئذ ام يجعل له عالم الغيب امدا فلا يظهر عليه احدا وفيه من الاختلال ما لا يخفى فهو خبر مبتدا محذوف اى هو عالم الغيب والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية والفاء لترتيب عدم الاظهار على تفرده اى يعلم الغيب على الاطلاق اى فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين احدا من خلقه الا من ارتضى من رسول اى الا رسولا ارتضاه لاظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقا اما لكونه من مبادى رسالته بان يكون معجزة دالة على صحتها واما لكونه من اركانها واحكامها كعامة التكاليف الشرعية التى امر بها المكلفون وكيفيات اعمالهم واجزيتها المترتبة عليها فى الاخرة وما يتوقف هو عليه من احوال الاخرة التى من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الامور الغيبية التى بيانها من وظائف الرسالة واما ما لا يتعلق بها على احد الوجهين من الغيوب التى من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه احدا ابدا على ان بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التى عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفى كرامات الاولياء المتعلقة بالكشف فان اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب

لغيرهم

الصريح

لغيرهم اصلا ولا يدعيه احد لاحد من الاولياء وما فى رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحى وقوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا تقرير وتحقيق للاظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته اى فانه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند اظهاره على غيبه حرسا من الملائكة يحرسونه من تعرض الشياطين لما اظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته وقوله تعالى ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم متعلق بيسلك غاية له من حيث انه مترتب على الابلاغ المترتب عليه اذ المراد به العلم المتعلق بالابلاغ الموجود بالفعل وان مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشان محذوف والجملة خبرها ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذى اريد به اظهاره على من ارتضى عليه والجمع باعتبار تعدد افراده وضمير ابلغوا اما للرصد والمعنى انه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم ان الشان قد ابلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علما مستتبعا للجزاء وهو موجودا حاصلا بالفعل كما فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين والغاية فى الحقيقة هو الابلاغ والجهاد وايراد علمه تعالى لابراز اعتنائه تعالى بامرهما والاشعار بترتب الجزاء عليهما والمبالغة فى الحث عليهما والتحذير عن التفريط فيهما واما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما ان الافراد فى الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم انه قد ابلغ الرسل الموحى اليهم رسالات ربهم الى اممهم كما هى من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما ابلغها الرصد اليهم كذلك وقوله تعالى واحاط بما لديهم اى بما عند الرصد او الرسل عليهم السلام حال من فاعل يسلك باضمار قد او بدونه على الخلاف المشهور جىء به لتحقيق استغنائه تعالى فى العلم بالابلاغ عما ذكر من سلك الرصد على الوجه المذكور اى يسلكهم بين يديه ومن خلفه لترتيب علمه تعالى بالذكر والحال انه تعالى قد احاط بما لديهم من الاحوال جميعا واحصى كل شىء وقد كان وما سيكون عددا اى فردا فردا وهو تمييز منقول من المفعول به كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا والاصل احصى عدد كل شىء وقيل هو حال اى معدودا محصورا او مصدر بمعنى احصاء وايا ما كان ففائدته بيان علمه تعالى بالاشياء ليس على وجه كلى اجمالى بل هو على وجه جزئى تفصيلى فان الاحصاء قد يراد به الاحاطة الاجمالية كما فى قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها اى لا تقدروا على حصرها اجمالا فضلا عن التفصيل وذلك لان اصل الاحصاء ان الحاسب اذا بلغ عقدا معينا من عقود الاعداد كالعشرة والمائة والالف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبنى على ذلك حسابه هذا واما ما قيل من ان قوله تعالى واحاط بما لديهم الى اخره فمعزول من السداد وما روى عن فضائل هذه السورة ما روى عن النبى عليه السلام من قرا سورة الجن كان له بعدد كل من صدق محمد صلى الله عليه وسلم وكذب به عتق رقبة

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اى المتزمل من تزمل بثيابه اذا تلفف بها فادغم التاء فى الزاء وقد قرئ على الاصل وقرئ المزمل من زمله مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل خوطب النبى عليه السلام تهجينا لما كان عليه من الحالة حيث كان النبى عليه السلام ملتفا بقطيفة مستعدا للنوم كما يفعله من لا يهمه امر ولا يعنيه شان فامر بان يترك التزمل الى التشمر للعبادة والهجود الى التهجد وقيل دخل عليه السلام على خديجة وقد خشى فرقا اول ما اتاه جبرئيل عليه السلام وبوادره ترعد فقال زملونى زملونى فحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه جبرئيل فقال يا ايها المزمل فيكون تخصيص وصف التزمل بالخطاب للملاطفة والتانيس كما فى قوله عليه السلام لعلى رضى الله عنه حين غاضب فاطمة رضى الله عنها فاتاه وهو نائم وقد لصق بجنبه التراب قم يا ابا تراب ملاطفة له واشعارا بانه غير عاتب عليه وقيل المعنى يا ايها الذى حمل امرا عظيما وهو امر النبوة اى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله فالتعرض للوصف حينئذ للاشعار بعلية للقيام او الامر به فان تحمله عليه السلام لاعباء النبوة مما يوجب الاجتهاد فى العبادة قم الليل اى قم الى الصلاة وانتصاب الليل على الظرفية وقيل القيام مستعار للصلاة ومعنى قم صل وقرئ بضم الميم وفتحها الا قليلا استثناء من الليل وقوله تعالى نصفه بدل من الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل اى قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لاظهار كمال الاعتداد بشان الجزء المقارن للقيام والايذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام فى اكثره فى كثرة الثواب واعتبار قلته بالنسبة الى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر او انقص منه اى انقص القيام من النصف المقارن له فى الصورة الاولى قليلا اى نقصا قليلا او مقدارا قليلا بحيث لا ينحط الى نصف النصف او زد عليه اى زد القيام على النصف المقارن له فالمعنى تخييره عليه السلام بين ان يقوم نصفه او اقل منه او اكثر وقيل قوله تعالى نصفه بدل من قليلا والتخيير بقوله بحاله وليس

بشديد اما اولا فلان الحقيق بالاعتناء الذى ينبئ عنه الابدال هو الجزء الباقى بعد الثنيا المقارن
للقيام لا الجزء المخرج العارى عنه واما ثانيا فلان النقص من القيام والزيادة انما يعتبران بالقياس
الى معياره الذى هو النصف المقارن له فلو جعل نصفه بدلا من قليلا لم يتسن اعتبار نقص القيام وزيادته
بالقياس الى ما هو عار عنه بالكلية والاعتذار بتساوى النوعين مع كونه تمحلا ظاهرا اعتراف بان الحق هو
الاول وقيل نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى
التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على البتات وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان
من النصف والزيادة عليه وقيل الضميران للاقل من النصف كانه قيل قم اقل من نصفه او قم انقص من ذلك
الاقل او ازيد منه قليلا وقيل والذى يليق بجزالة التنزيل هو الاول والله اعلم بما فى كتابه الجليل ورتل القرآن
فى اثناء ما ذكر من القيام اى اقرأه على تؤدة وتبيين حروف ترتيلا بليغا بحيث يتمكن السامع من عدها من
قولهم ثغر رتل ورتل اذا كان مفلجا انا سنلقى عليك اى سنوحى اليك وايثار الالقاء عليه لقوله تعالى
قولا ثقيلا وهو القرآن العظيم المنطوى على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين لا سيما على الرسول عم فانه عم
مأمور بتحملها وتحميلها للامة والجملة اعتراض بين الامر وتعليله لتسهيل ما كلفه عم من القيام وقيل معنى
كونه ثقيلا انه رصين لرزانة لفظه ومتانة معناه او ثقيل على المتأمل فيه لافتقاره الى مزيد تصفية
للسر وتجريده للنظر او ثقيل فى الميزان او على الكفار والفجار او ثقيل تلقيه عن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا
نزل عليه الوحى ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضى الله عنها رايته ينزل عليه الوحى فى اليوم
الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا ان ناشئة الليل اى ان النفس التى تنشأ من مضجعها
الى العبادة اى تنهض من نشأ من مكانه اذا نهض او ان قيام الليل على ان الناشئة مصدر من نشأ كالعافية
او ان العبادة التى تنشأ بالليل اى تحدث او ان ساعات الليل فانها تحدث واحدة بعد واحدة او ساعاتها
الاول من نشأ اذا ابتدأ هى اشد وطئا اى هى خاصة اشد ثبات قدم او كلفة فلا بد من الاعتناء بالقيام
وقرئ وطاء اى اشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان اريد بها النفس او يواطئ فيها قلب القائم لسانه
ان اريد به القيام او العبادة او الساعات او اشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص واقوم قيلا
واشد مقالا واثبت قراءة لحضور القلب وهدو الاصوات ان لك فى النهار سبحا طويلا اى تقلبا وتصرفا
فى مهماتك واشتغالا بشواغلك فلا تستطيع ان تتفرغ للعبادة فعليك بها فى الليل وهذا بيان للداعى
الخارجى الى قيام الليل بعد بيان ما فى نفسه من الداعى وقرئ سبخا اى تفرق قلب بالشواغل مستعار من
سبخ الصوف وهو نفشه ونشر اجزائه واذكر اسم ربك ودم على ذكره تعالى ليلا ونهارا على اى وجه
كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم وتبتل اليه اى وانقطع اليه بمجامع الهمة
واستغراق العظمة فى مراقبته وحيث لم يكن ذلك الا بتجريد نفسه عليه الصلاة والسلام عن العوائق
الصادة عن مراقبة الله تعالى وقطع العلائق عما سواه قيل تبتيلا مكان تبتلا مع ما فيه من رعاية
الفواصل رب المشرق والمغرب مرفوع على المدح وقيل على الابتداء خبره لا اله الا هو وقرئ بالجر
على انه بدل من ربك وقيل على اضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو والفاء فى قوله تعالى فاتخذه وكيلا
لترتيب الامر وموجبه على اختصاص الالوهية والربوبية به تعالى واصبر على ما يقولون مما لا خير
فيه من الخرافات واهجرهم هجرا جميلا بان تجانبهم وتداريهم ولا تكافئهم وتكل امورهم الى ربهم كما يعرب
عنه قوله تعالى واصبر على ما يقولون مما لا خير فيه وذرنى والمكذبين اى دعنى واياهم وكل امرهم الى فان فى ما
كفهم اولى النعمة ارباب التنعم وهم صناديد قريش ومهلهم قليلا زمانا قليلا ان لدينا انكالا جمع نكل
وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للامر اى ان لدينا امورا مضادة لتنعمهم وجحيما وطعاما ذا غصة ينشب
فى الحلوق ولا يكاد يساغ كالضريع والزقوم وعذابا اليما ونوعا اخر من العذاب مؤلما لا يقادر قدره ولا يدرك
كنهه كل ذلك معد لهم ومرصد وقوله تعالى يوم ترجف الارض والجبال اى تضطرب وتتزلزل ظرف
للاستقرار الذى تعلق به لدينا وقيل متعلق بمضمر هو صفة لعذابا اى عذابا واقعا يوم ترجف وكانت
الجبال مع صلابتها وارتفاعها كثيبا رملا مجتمعا من كثب الشئ اذا جمعه كانه فعيل بمعنى مفعول
مهيلا منثورا من هيل هيلا اذا نثره انا ارسلنا اليكم يا اهل مكة رسولا شاهدا عليكم يشهد
يوم القيمة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان كما ارسلنا الى فرعون رسولا هو موسى عليه السلام وعدم
تعيينه لعدم دخله فى التشبيه فعصى فرعون الرسول الذى ارسلناه ومحل الكاف النصب على انها صفة
لمصدر محذوف اى انا ارسلنا اليكم رسولا فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى شاهدا عليكم ارسالا كائنا
كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصاه وقوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا خارج عن التشبيه جئ به للتنبيه على انه
سيحيق بهؤلاء ما حاق باولئك لا محالة والوبيل الثقيل الغليظ من قولهم كلأ وبيل اى وخيم لا يستمرأ

لثقله والوبيل العصا الضخمة فكيف تتقون اى كيف تقون انفسكم ان كفرتم اى بقيتم على الكفر يوما اى
عذاب يوم يجعل الولدان من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهى شيبا شيوخا جمع اشيب اما حقيقة
او تمثيلا واصله ان الهموم والاهوال اذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه واسرعت فيه الشيب وقد يجوز
ان يكون ذلك وصفا لليوم بالطول وليس بذاك السماء منفطر اى منشق وقرئ متفطر اى متشقق
والتذكير لاجرائه على موصوف مذكر اى شئ منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على انها تبدلت حقيقتها
وزال عنها اسمها ورسمها ولم يبق منها الا ما يعبر عنه بالشئ وقيل لتاويل السماء بالسقف وقيل هو من
باب النسب اى ذات انفطار والباء فى قوله تعالى به مثلها فى فطرت العود بالقدوم كان وعده مفعولا
الضمير لله عز وجل والمصدر مضاف الى فاعله او لليوم فهو مضاف الى مفعوله ان هذه اشارة الى الايات
المنطوية على القوارع المذكورة تذكرة موعظة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا بالتقرب اليه بالايمان
والطاعات فانه المنهاج الموصل الى مرضاته تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثى الليل اى اقل
منهما استعير له الادنى لما ان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ونصفه وثلثه بالنصب
عطفا على ادنى وقرئا بالجر عطفا على ثلثى الليل وطائفة من الذين معك اى ويقوم معك طائفة من اصحابك
والله يقدر الليل والنهار وحده لا يقدر على تقديرهما احد اصلا فان تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء
يقدر عليه موجب للاختصاص قطعا كما يعرب عنه قوله تعالى علم ان لن تحصوه اى علم ان الشان لن تقدروا
على تقدير الاوقات ولن تستطيعوا ضبط الساعات ابدا فتاب عليكم بالترخيص فى ترك القيام المقدر ورفع
التبعة عنكم فى تركه فاقرءوا ما تيسر من القرآن فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل عبر عن الصلاة بالقراءة
كما عبر عنها بسائر اركانها قيل كان التهجد واجبا على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به ثم نسخ هذا
بالصلوات الخمس وقيل هى القرآن بعينها قالوا من قرأ مائة اية من القرآن فى ليلة لم يحاجه وقيل من قرأ مائة
اية كتب من القانتين وقيل خمسين اية علم ان سيكون منكم مرضى استئناف مبين لحكمة اخرى داعية الى الترخيص
والتخفيف واخرون يضربون فى الارض يسافرون فيها للتجارة يبتغون من فضل الله وهو الربح وقد
عمم ابتغاء الفضل لتحصيل العلم واخرون يقاتلون فى سبيل الله واذا كان الامر كما ذكر وتعاضدت الدواعى
الى الترخيص فاقرءوا ما تيسر منه من غير تحمل المشاق واقيموا الصلوة اى المفروضة واتوا الزكوة الواجبة
وقيل هى زكاة الفطر اذ لم يكن بمكة زكاة ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل اخر السورة مدنية واقرضوا
الله قرضا حسنا اريد به الانفاقات فى سبيل الخيرات او اداء الزكاة على احسن الوجوه وانفعها للفقراء وما
تقدموا لانفسكم من خير اى خير كان مما ذكر وما لم يذكر تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا من الذى
تؤخرونه الى الوصية عند الموت وخيرا ثانى مفعولى تجدوا وهو تاكيد او فصل وان لم يقع بين
معرفتين فان افعل فى حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقرئ هو خير على الابتداء والخبر
واستغفروا الله فى كافة احوالكم فان الانسان قلما يخلو عن تفريط ان الله غفور رحيم عن النبى عم من
قرأ سورة المزمل رفع الله عنه العسر فى الدنيا والاخرة ورزقه اليسر فيهما

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المدثر اى المتدثر وهو من يلبس فوق الشعار الذى يلى الجسد قيل هى
اول سورة نزلت روى عن جابر رضى الله عنه عن النبى عم انه قال كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد
انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم ار شيئا فنظرت فوق فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض
يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال
يا ايها المدثر وعن الزهرى انه اول ما نزل سورة اقرأ الى قوله تعالى ما لم يعلم فحزن رسول الله عم وجعل
يعلو شواهق الجبال فاتاه جبريل عليه السلام وقال انك نبى الله فرجع الى خديجة وقال
دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل يا ايها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه متفكرا
كما يفعل المغموم فامر ان لا يدع انذارهم وان اسمعوه واذوه وقيل كان نائما متدثرا وقيل المراد المدثر
بلباس النبوة والمعارف الالهية وقرئ المدثر على صيغة اسم المفعول من دثره اى الذى على الاصل
قم اى من مضجعك او قم قيام عزم فانذر اى افعل الانذار واحدثه وقيل انذر قومك وقوله
تعالى وانذر عشيرتك الاقربين او جميع الناس حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة
للناس بشيرا ونذيرا وربك فكبر واختص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقادا وقولا ويروى
انه لما نزل قال رسول الله عم الله اكبر فكبرت خديجة وفرحت وايقنت انه الوحى وقد يحمل على تكبير

الصلاة والفاء بمعنى الشرط فكانه قيل مهما كان اى اى شئ حدث فلا تدع تكبيره اى الدلالة على ان المقصود
الاولى من الانذار القيام ان يكبر ربه وينزهه عن الشرك فان اول ما يجب معرفة الصانع من جلاله
ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه وثيابك فطهر مما ليس بطاهر فانه واجب فى الصلاة واولى واجب فى غيرها وذلك
لصيانتها وحفظها عن النجاسات وغسلها بعد تلطخها وتقصيرها ايضا فان طولها يؤدى الى جر الذيول على
القاذورات وهو اول ما امر به عم من رفض العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر
من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الثياب الذيل والاردان اذا وصفوه بالنقاء من المعايب
ومدانى الاخلاق والرجز فاهجر اى واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدى اليه من الماثم وقرئ بكسر
الراء وهما لغتان كالذكر والذكر ولا تمنن تستكثر ولا تعط مستكثرا اى رائيا لما تعطيه او طالبا للكثير
على انه نهى عن الاستكثار وهو ان يهب شيئا وهو يطمع ان يتعوض من الموهوب له اكثر مما اعطاه وهو جائز
ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته فالنهى اما للتحريم وهو خاص برسول الله عم لان الله تعالى اختار له
اشرف الاخلاق واحسن الاداب او للتنزيه وقرئ تستكثر بالسكون اعتبارا لحال الوقف او ابدالا من تمنن
كانه قيل ولا تمنن ولا تستكثر على انه من المن الذى هو فى قوله تعالى منا ولا اذى لان من يمن لا يعطى مستكثرا
ويعتد به وقرئ بالنصب مع ابقاء عملها كقوله من قال • الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى • وقرئ باثباتها
ويجوز فى قراءة الرفع ان يحذف ان ويبطل عملها كما روى احضر الوغى بالرفع ولربك اى لوجهه تعالى ولامره
فاصبر فاستعمل الصبر وقيل على اذية المشركين وقيل على اداء الفرائض فاذا نقر فى الناقور اى نفخ
فى الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت واصله القرع الذى هو سبب الصوت والفاء للسببية كانه
قيل اصبر على اذاهم فبين ايديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة امرهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل
واذا ما دل عليه قوله تعالى فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين فان معناه عسر الامر على الكافرين
وذلك اشارة الى وقت النقر وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان ببعد منزلته
فى الهول والفظاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ بدل منه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن
والخبر يوم عسير وقيل بمحذوف هو صفة العسير او حال من المستكن فيه وقوله تعالى غير يسير
تاكيد لعسره عليهم مشعر بيسره على المؤمنين واختلف فى المراد به يوم النفخة الاولى او الثانية
والحق انها الثانية وهى التى يختص عسرها بالكافرين واما النفخة الاولى فحكمها الذى هو الاصعاق
يعم البر والفاجر على انها تعم فى تلك مختصة بمن كان حيا عند وقوعها وقد جاء فى الاخبار ان فى الصور
ثقبا بعدد الارواح كلها وانها تجمع فى تلك الثقب فى النفخة الثانية فتخرج عند النفخ من كل
ثقبه روح الى الجسد الذى نزعت منه فيعود الجسد حيا باذن الله تعالى عز وجل ذرنى ومن خلقت
وحيدا حال اما من الياء اى ذرنى وحدى معه فانى اكفيكه فى الانتقام منه او من التاء اى خلقته وحدى
لم يشركنى فى خلقه احد او من العائد المحذوف اى ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وقيل
نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد فتهكم به وبلقبه وصرفه
عن الغرض الذى يؤمونه من مدحه الى جهة ذمه لكونه وحيدا من المال والولد او وحيدا من ابيه لانه
كان زنيما كما مر او وحيدا فى الشرارة وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا كثيرا او ممدا بالنماء من مد النهر ومن
نهر اخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو ما كان له بين مكة
والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له فى الطائف بستان لا ينقطع ثماره صيفا ولا شتاء وقيل
وقال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وكان له الف دينار وبنين شهودا حضورا معه بمكة يتمتع
بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف فى عمل او تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم او حضورا
فى الاندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم قيل كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة
عشر كلهم رجال الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام
وعمارة ومهدت له تمهيدا وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش ثم يطمع ان
ازيد على ما اوتيه وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه ومعاندة المنعم وقيل كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت
الجنة الا لى كلا ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله تعالى انه كان لاياتنا
عنيدا تعليل لذلك على وجه الاستئناف التحقيقى فان معاندة ايات المنعم مع وضوحها وكفران نعمته مع
سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وانما اوتى ما اوتى استدراجا قيل ما زال بعد نزول هذه الاية فى
نقصان من ماله حتى هلك سارهقه صعودا سأغشيه بدل ما يطمعه من الزيادة عقبة شاقة
المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذى لا يطاق وعن النبى عم يكلف ان يصعد عقبة فى النار
كلما وضع يده عليها ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عم

الصعود

الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك ابدا انه فكر وقدر تعليل للوعيد والتحقيق
له والبيان لمعناه لآياته تعالى اى فكر ماذا يقول فى شأن القرآن وقدر فى نفسه ما يقوله فقتل كيف قدر
تعجيب من تقديره واصابته فيه المرمى الذى كان يتمحه قريش قاتلهم الله او ثناء عليه بطريق الاستهزاء به او حكاية
لما كرروه من قولهم قتله الله ما اشجعه • واخزاه الله ما اشعره • الاشعار فانه قد بلغ من الشجاعة والشعر
مبلغا حقيقا بان يدعو عليه حاسد وبه يروى ان الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد
انفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان
اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى عليه فقالت قريش صبأ والله الوليد لتصبان قريش كلها فقال ابن اخيه
ابو جهل انا اكفيكموه فقعد عنده حزينا وكلمه بما احماه فقام فاتاهم فقال تزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه
يخنق وتقولون انه كاهن فهل رايتموه يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رايتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون
انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر
اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يؤثره عن اهل بابل فارتج النادى
فرحا وتفرقوا متعجبين بقوله متعجبين منه ثم قتل كيف قدر تكرير للمبالغة وثم للدلالة على ان الثانية ابلغ
من الاولى وفيما بعد على اصلها من التراخى الزمانى ثم نظر اى فى القرآن مرة بعد مرة ثم عبس قطب وجهه لما
لم يجد فيه مطعنا ولم يدر ماذا يقول وقيل نظر فى وجوه الناس ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول
الله عم ثم قطب فى وجهه وبسر اتباع لعبس ثم ادبر عن الحق وعن رسول الله عم واستكبر عن اتباعه فقال
ان هذا الا سحر يؤثر اى يروى ويتعلم والفاء للدلالة على ان هذه الكلمة لما خطرت بباله من غير تلعثم وتلبث
وقوله تعالى ان هذا الا قول البشر تاكيد لما قبله ولذلك اخلى عن العاطف ساصليه سقر بدل من
ساصعقه صعودا وما ادراك ما سقر اى اى شئ اعلمك ما سقر مبتدا اى اى شئ على ان ما الاولى مبتدا
وادريك خبره وما الثانية خبر لانها المفيد لما قصد افادته من التهويل والتقطيع وسقر مبتدا اى
اى شئ هى فى وصفها الخاص من ادراك ما قد يطلب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة
وقوله تعالى لا تبقى ولا تذر بيان لوصفها وحالها وانجاز للوعد الضمنى الذى يلوح به وما ادراك ما
سقر وقيل حال من سقر وليس بذاك اى لا تبقى شيئا يلقى فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذره هالكا
حتى يعاد اولا تبقى على شئ ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لواحة للبشر مغيرة
لها على الجلد مسودة له قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه اشد سوادا من الليل وقيل تلوح للناس وقيل لقوله
تعالى ثم لترونها عين اليقين وقرئ لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل عليها تسعة عشر اى ملكا او صنفا
او صفا او نقيبا من الملائكة يلون امرها ويتسلطون على اهلها وقرئ بسكون عين عشر حذرا من توالى
الحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وقرئ تسعة اعشر جمع عشر مثل يمين وايمن وما جعلنا اصحاب النار اى
المدبرين لامرها القائمين بتعذيب اهلها الا ملائكة ليخالفوا جنس المعذبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا
اليهم ولانهم اقوى الخلق واقومهم بحق الله عز وجل وبالغضب له تعالى واشدهم باسا عن النبى عم لاحدهم
مثل قوة الثقلين يسوق احدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم وروى انه لما
نزل عليها تسعة عشر قال ابو جهل لقريش ايعجز كل عشرة منكم ان يبطشوا برجل منهم فقال ابو الاسود بن
اسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر فاكفونى انتم اثنين فنزلت اى وما جعلناهم
رجالا من جنسكم وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا اى وما جعلنا عددهم الا العدد الذى تسبب لافتتانهم
وهو التسعة عشر فعبر بالاثر عن المؤثر تنبيها على التلازم بينهما وليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك
العدد المعين فى نفس الامر بل جعله فى القرآن ايضا كذلك وهو الحكم بان عليها تسعة عشر اذ بذلك
يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم تولى هذا العدد القليل لتعذيب اكثر الثقلين واستهزائهم حسبما ذكر
وعليه يدور ما سيأتى من استيقان اهل الكتاب وازدياد المؤمنين ايمانا قالوا المخصص لهذا العدد
ان اختلال النفس البشرية فى النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاثنى عشر والطبيعية السبع او ان
جهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفرة وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والاقرار والعمل انواعا
من العذاب يناسبها وعلى كل نوع منها ملك او صنف او صف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون
فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه واحد او ان الساعات اربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلوات
الخمس فيبقى تسعة عشر قد تصرف الى ما يؤاخذ به بانواع من العذاب تتولاها الزبانية ليستيقن
الذين اوتوا الكتاب متعلق بالجعل على المعنى المذكور اى ليكتسبوا اليقين بنبوته عم وصدق
القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقا لما فى كتابهم ويزداد الذين امنوا ايمانا اى يزداد ايمانهم كيفية بما
رأوا من تسليم اهل الكتاب وتصديقهم انه كذلك او كمية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما

انزل ويرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تاكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفي
لما قد يعتري المستيقن من شبهة ما وانما لم ينظم المؤمنون في سلك اهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم
يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين اليقينين حالا فان انتفاء الارتياب من اهل الكتاب مقارن لما ينافيه من
الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الايمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول
والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للايذان بثباتهم على الايمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك وليقول
الذين في قلوبهم مرض شك او نفاق فيكون اخبارا بما سيكون في المدينة بعد الهجرة والكافرون المصرون على
التكذيب ماذا اراد الله بهذا مثلا اي شيء اراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وقيل لما
استبعدوه حسبوا انه مثل مضروب وافراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للاشعار باستقلاله
في الشناعة كذلك يضل الله من يشاء ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل
النصب على انها صفة لمصدر محذوف واصل التقدير يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء اضلالا وهداية
كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر واقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة
القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء اضلاله لصرف اختياره الى
جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ويهدي من يشاء هدايته لصرف اختياره الى جانب
لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالا وهداية اخرين منهما وما يعلم جنود
ربك اي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون الا هو لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على
حقائقها وصفاتها ولو اجمالا فضلا عن الاطلاع على تفاصيل احوالها من كم وكيف ونسبة وما هي اي سقر او عدة
خزنتها او الآيات الناطقة باحوالها الا ذكرى للبشر الا تذكرة لهم كلا ردع لمن انكرها او انكار ونفي لان
يكون لهم تذكرة والقمر والليل اذ ادبر وقرئ اذا دبر بمعنى ادبر كقبل بمعنى اقبل ومنه قولهم صاروا
كامس الدابر وقيل هو من دبر الليل والنهار اذا خلفه والصبح اذا اسفر اي اضاء وانكشف انها لاحدى
الكبر جواب للقسم او تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت الف التانيث كتائها
فكما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظيرها القواصع في جمع القاصعاء كانها جمع قاصعة اي لاحدى البلايا الكبر
او لاحدى الدواهي الكبر على معنى ان البلايا الكبر او الدواهي الكبر كثيرة وهذه واحدة في العظم لا نظير لها
نذيرا للبشر تمييز اي لاحدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة وقرئ نذير بالرفع
على انه خبر ثان او لمبتدا محذوف لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر بدل من البشر اي نذيرا لمن شاء منكم ان
يتقدم اي الى الخير فيهديه الله تعالى او يتاخر دون ذلك فيضله وقيل لمن شاء خبر وان يتقدم او يتاخر مبتدا
فيكون في معنى قوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مرهونة عند الله تعالى
بكسبها او الى هيئة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم لا صفة والا لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول
لا يدخله التاء الا اصحاب اليمين فانهم فاكون رقابهم بما احسنوا من اعمالهم كما يفك الراهن رهنه باداء
الدين وقيل هم الملائكة وقيل هم الاطفال وقيل هم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى وقيل الذين كانوا على
يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بايمانهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يدرك
وصفها وهو خبر لمبتدا محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا مما قبله من استثناء اصحاب
اليمين كانه قيل ما بالهم فقيل هم في جنات وقيل حال من اصحاب اليمين وقيل من ضميرهم في قوله تعالى يتساءلون وقيل
ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم ان يسال بعضهم بعضا على ان يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤولا معا بل
صدور السؤال عنهم مجردا عن وقوعه عليهم بان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور
الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه معا بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تراءى القوم اي
رأى كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجردت عن المعنى الثاني ويقصد بها الدلالة على الاول فقط فيذكر للفعل
حينئذ مفعول كما في قولك تراءوا الهلال فمعنى يتساءلون عن المجرمين يسالونهم عن احوالهم وقد حذف
المسؤول لكونه عين المسؤول عنه وقوله تعالى ما سلككم في سقر مقدر بقول هو حال من فاعل يتساءلون
اي يسالونهم قائلين اي شيء ادخلكم فيها فاجابوا لم عدم منك ما تكلف فيه المكلفون قالوا اي المجرمين
مجيبين للسائلين لم نك من المصلين للصلاة الواجبة ولم نك نطعم المسكين على معنى استمرار النفي لا الاطعام
لا على نفي الاستمرار الاطعام كما مر مرارا وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة وكنا
نخوض مع الخائضين اي نشرع في الباطل مع الشارعين فيه وكنا نكذب بيوم الدين اي بيوم الجزاء اضافوه
الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال ما لا غاية له لانه ادهاها واهولها وانهم ملابسوه وقد مضت
بقية الدواهي وتاخير جنايتهم هذه مع كونها اعظم من الكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين
بيوم الدين ولبيان كون تكذيبهم به مقارنا لسائر جناياتهم المعدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبما نطق به

قولهم حتى اتانا اليقين اي الموت ومقدماته فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو شفعوا لهم جميعا فالفاء في قوله
تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال
عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية
وان متعلقة به اي فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فاي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات
الاقبال عليه وتآخذ الدواعي الى الايمان به وقوله تعالى كانهم حمر مستنفرة اي اسد فعولة من القسر وهو
القهر والغلبة وقيل جماعة الرماة الذين يتصيدونها شبهوا في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ
وشرادهم عنه بحمر جدت في نفارها مما افزعها وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى وقوله تعالى بل يريد
كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة عطف على مقدر يقتضيه المقام كانه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة
ولا يرضون بها بل يريد كل واحد منهم ان يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لن نتبعك حتى تاتي كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها
باتباعك كما قالوا لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقيل صحفا منشرة بسكون الحاء والنون كلا
ردع عن اعراضهم عن تلك الحياة بل لا يخافون الآخرة فلذلك يعرضون عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف
كلا ردع عن اعراضهم انه اي القرآن تذكرة اي تذكرة فمن شاء ذكره وفاز بسببه بسعادة الدارين
وما يذكرون بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى وما يذكرون اذ لا تاثير لمشيئة العبد
وارادته في افعاله وقوله تعالى الا ان يشاء الله استثناء مفرغ من اعم العلل او من اعم الاحوال اي وما
يذكرون بعلة من العلل او في حال من الاحوال الا بان يشاء الله او حال ان يشاء الله ذلك وهو تصريح
بان افعال العباد بمشيئة الله تعالى وقرئ تذكرون على الخطاب التفاتا وقرئ بهما مشددا هو اهل التقوى
اي حقيق بان يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع واهل المغفرة اي حقيق بان يغفر لمن آمن به واطاعه وما
جاء في فضائل هذه السورة من الاحاديث ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة المدثر
اعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وسلم وعدد من كذب به

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة ادخال لا النافية على فعل القسم شايع
وفائدتها توكيد للقسم قالوا انها صلة مثلها في قوله تعالى لئلا يعلم وقيل هي للنفي لكن لا لنفي الاقسام بل
لنفي ما ينبئ عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه كان معنى لا اقسم بكذا اني لا اعظمه باقسامي به حق اعظامه
الله تعالى فانه حقيق باكثر من ذلك فاما ما قيل من ان المعنى نفي الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت حاله
في قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وقيل ان لا نفي ورد لكلام معهود قبل القسم كانهم انكروا البعث فقيل
لا اي ليس الامر كذلك وقيل اقسم بيوم القيمة من الجزاء لما لا مزيد عليه وقد مر تفصيله في سورة يس
وسورة الاحزاب والزخرف ولا اقسم بالنفس اللوامة اي بالنفس المتقية التي تلوم النفوس يومئذ على
تقصيرها في التقوى وفيه طرف من البراعة التي في القسم السابق اما بالنفس المطمئنة اللائمة للنفس
الامارة بسوء وقيل بالجنس لما روي عن انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس برة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها
يوم القيمة ان عملت خيرا قالت كيف لم ازدد وان عملت شرا قالت يا ليتني كنت قصرت ولا يخفى ضعفه
فان هذا القدر من اللوم لا يكون مدارا للاعظام بالاقسام فان صدوره عن النفس المؤمنة المسيئة فكيف من
الكافرة المندرجة وقيل نفس آدم عليه السلام فانها لا تزال تلوم على فعلها التي خرجت به من الجنة
وجواب القسم ما دل عليه قوله تعالى ايحسب الانسان ان لن نجمع عظامه وهو ليبعثن والمراد بالانسان
الجنس والهمزة لانكار الواقع واستقباحه وان مخففة من الثقيلة وضمير الشان الذي هو اسمها محذوف
اي ايحسب ان الشان لن نجمع عظامه فان ذلك حسبان باطل فانا نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما
ورفاتا مختلطا بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اقطار الارض والقتها في البحار قالوا ان عدي
ابن ابي ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفني
جاري السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثني عن يوم القيمة متى يكون وكيف امره فاخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك او يجمع الله هذه العظام بلى اي نجمعها حال كوننا قادرين
على ان نسوي بنانه اي نجمع سلامياته ونضم بعضها الى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار
العظام او على ان نسوي اصابعه التي هي اطرافه وآخر ما يتم به خلقه وقرئ قادرون اي نحن قادرون
بل يريد الانسان ليفجر امامه عطف على ايحسب اما على انه استفهام مثله اضرب عن التوبيخ بذلك الى

الى التوبيخ بهذا او على انه ايجاب انتقل اليه عن الاستفهام اى بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من
الاوقات وما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه يسئل ايان يوم القيمة اى متى يكون استبعادا او استهزاء
فاذا برق البصر اى تحير فزعا من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ بفتح الرا وهى لغة او من البريق
بمعنى لمع من شدة شخوصه وقرئ بلق اى انفتح او انفرج وخسف القمر اى ذهب ضوءه وقرئ على البناء
للمفعول وجمع الشمس والقمر بان يطلعهما الله تعالى من المغرب وقيل جمعا فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان
اسودين مكورين كانهما ثوران عقيران فى النار وتذكير الفعل لتقدمه وتغليب المعطوف يقول
الانسان يومئذ اى يوم اذ تقع هذه الامور اين المفر اى الفرار يأسا منه وقرئ بالكسر اى موضع
الفرار وقد جوز ان يكون هو ايضا مصدرا كالمرجع كلا ردع عن طلب المفر بمعنى لا وزر مستعار من
الجبل وقيل كل ما التجات اليه وتخلصت به فهو وزرك الى ربك يومئذ المستقر اى اليه وحده استقرار
العباد او الى حكمه استقرار امرهم او الى مشيته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ينبؤ
الانسان يومئذ اى يخبر كل امرء برا كان او فاجرا عند وزن الاعمال بما قدم واخر اى بما عمل من عمل خير او شر فيثاب
بالاول ويعاقب الثانى او بما قدم من حسنة او سيئة وبما اخر من حسنة او سيئة تعمل بها بعده او بما قدم من مال
تصدق به فى حياته وبما خلفه او وقفه او اوصى به او باول عمله واخره او اخر اى لم يعمل خيرا كان او شرا
فيعاقب بالاول ويثاب بالثانى بل الانسان على نفسه بصيرة اى حجة بينة على نفسه شاهدة بما صدر عنه
من الاعمال السيئة كما ينبئ عنه كلمة على وما يليق من الجملة الحالية وصفت بالبصيرة مجازا كما وصفت الايات
بالابصار فى قوله فلما جاءتهم اياتنا مبصرة اى عين بصيرة او التاء للمبالغة ومعنى بل الترقى اى ينبأ الانسان باعماله
بل هو يومئذ عالم بتفاصيل احواله شاهد على نفسه لان جوارحه تنطق بذلك فقوله تعالى ولو القى معاذيره
اى ولو جاء بكل معذرة يمكن ان يعتذر بها عن نفسه حال من المستكن فى بصيرة او من مرفوع بصيرة على نفسه
تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو اعتذر بكل معذرة او ينبؤ باعماله ولو اعتذر الى اخره والمعاذير
اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل هو جمع معذار وهو الستر اى ولو ارخى ستوره كان
رسول الله صلعم اذا لقن الوحى نازع جبرئيل عليه السلام القراءة ولم يصبر الى ان يتمها مسارعة الى
الحفظ وخوفا من ان ينفلت منه فامر بان يستنصت له ملقيا اليه قلبه وسمعه حتى يقضى اليه
ثم يعقبه بالدراسة الى ان يرسخ فيه لا تحرك به اى بالقران لسانك عند القاء الوحى لتعجل به اى لتاخذه
على عجلة مخافة ان ينفلت منك ان علينا جمعه فى صدرك بحيث لا يذهب عليك شئ من معانيه وقرانه
اى اثبات قراءته فى لسانك فاذا قراناه اى اتممنا قراءته عليك بلسان جبرئيل عليه السلام والقران القراءة
الحطية المبالغة فى ايجاب الثانى فاتبع قرانه فكن مقفيا له ولا تراسله ثم ان علينا بيانه اى بيان ما اشكل عليه
من معانيه واحكامه كلا ردع له صلعم عن عادة العجلة وترغيب له فى الاناة واكد ذلك بقوله تعالى بل تحبون
العاجلة وتذرون الاخرة على تعميم الخطاب للكل اى بل انتم يا بنى ادم لما خلقتم من عجل وجبلتم عليه تعجلون فى
كل شئ ولذلك تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقيل كلا ردع للانسان عن الاغترار بالعاجل فيكون جمع
الضمير فى الفعلين باعتبار معنى الجنس ويؤيده قراءة الفعلين على صيغة الغيبة وجوه يومئذ ناضرة اى وجوه
كثيرة هى وجوه المؤمنين المخلصين يوم ان تقوم القيمة متهللة يشاهد عليها بصيرة النعيم على ان وجوه ناضرة
ويومئذ مبتدا ناضرة وناظرة فى قوله تعالى الى ربها ناظرة خبران للمبتدا او نعت لناضرة والى ربها متعلق بناظرة وصحة
النكرة مبتدا لان المقام مقام تفصيل لا على ان ناضرة صفة لوجوه الخبر ناظرة كما قيل لما هو المشهور من ان
حق الصفة ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف عند المخاطب وحيث لم يكن ثبوت النضرة للوجوه
لذلك فحقه ان يخبر به ومعنى كونها ناظرة الى ربها انها تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل
عما سواه وتشاهده بلا كيف ولا على جهة وليس هذا فى جميع احوالهم حتى ينافيه نظرها الى غيره وقيل منتظرة
انعامه ورد بان الانتظار لا يسند الى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا
يعدى بالى ووجوه يومئذ باسرة شديدة العبوس وهى وجوه الكفرة تظن تتوقع
اربابها ان يفعل بها فاقرة داهية عظيمة تقصم فقار الظهر كلا ردع عن ايثار العاجلة على الاخرة
اى ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين ايديكم من الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من
العلاقة اذا بلغت التراقى اى بلغت النفس اعالى الصدر وهى العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال
وقيل من راق اى قال من حاضرى صاحبها من يرقيه وينجيه مما هو فيه من الرقية وقيل هو من كلام ملك
الموت ايكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة او ملائكة العذاب من الرقى وظن انه الفراق وايقن المحتضر ان
ما نزل به الفراق من الدنيا ونعيمها والتفت الساق بالساق والتفت ساقه بساقه والتوت عليها
عند حلول الموت وقيل هما شدة فراق الدنيا وشدة اقبال الاخرة وقيل هما ساقاه حين تلفان فى اكفانه

الى

الى ربك يومئذ المساق اى الى الله والى حكمه يساق لا الى غيره فلا صدق ما يجب تصديقه من الرسول
والقران الذى نزل عليه او فلا صدق ماله ولا زكاه ولا صلى ما فرض عليه والضمير فيهما للانسان المذكور
فى قوله تعالى ايحسب الانسان وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالفروع فى حق المؤاخذة كما مر ولكن
كذب ما ذكر من الرسول والقران وتولى عن الطاعة ثم ذهب الى اهله يتمطى يتبختر افتخارا بذلك من المط
فان المتبختر يمد خطاه فيكون اصله يتمطط او من المطا وهو الظهر فانه يلويه اولى لك فاولى اى ويل
لك واصله اولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما فى ردف لكم او اولى لك الهلاك وقيل هو افعل
من الويل بعد القلب كادنى من دون او فعلى من ال يؤول بمعنى عقباك النار ثم اولى لك فاولى اى يتكرر
عليه ذلك مرة بعد اخرى ايحسب الانسان ان يترك سدى اى يخلى مهملا فلا يكلف ولا يجزى وقيل
ان يترك فى قبره فلا يبعث وقوله تعالى الم يك نطفة من منى يمنى الى اخره استيناف وارد لابطال الحسبان المذكور
فان مداره لما كان استبعادهم للاعادة استدل على تحققها ببدء الخلق ثم كان علقة اى بقدرة الله تعالى لقوله
ثم جعلنا النطفة علقة فخلق اى فقدره بان جعلها مضغة فسوى فعدل وكمل نشاته فجعل منه اى من
الانسان الزوجين اى الصنفين الذكر والانثى بدل من الزوجين اليس ذلك العظيم الشان الذى انشا
هذه الاشياء البديع بقادر على ان يحيى الموتى وهو اقرب من البدء فى قياس العقل روى ان النبى صلعم كان
اذا قرا قال سبحانك بلى وعنه صلعم من قرا سورة القيمة شهدت له انا وجبرئيل يوم القيمة انه كان مؤمنا بيوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى استفهام تقرير وتقريب فان هل بمعنى قد والاصل اهل اتى على الانسان
قبل زمان قريب حين من الدهر اى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد لم يكن شيئا مذكورا بل كان
شيئا غير مذكور بالانسانية اصلا كالعنصر والنطفة وغير ذلك والجملة المنفية حال من الانسان اى
غير مذكور او صفة اخرى لحين على حذف العائد الموصوف اى لم يكن فيه شيئا مذكورا والمراد بالانسان
الجنس فالاظهار فى قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة لزيادة التقرير او ادم عليه السلام وهو المروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة والثورى وعكرمة والشعبى قال ابن عباس فى رواية ابى صالح عنه
مرت به اربعون سنة قبل ان ينفخ فيه الروح ثم من صلصال فاقام اربعون وهو ملقى بين مكة والطائف
وفى رواية الضحاك عنه انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون فاقام اربعين سنة
ثم من صلصال فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ثم نفخ فيه الروح وحكى الماوردى
عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الحين المذكور هاهنا هو الزمن الطويل الذى لا يعرف مقداره فيكون
الاول اشارة الى قوله وعرفنا بيانا لخلق بنيه امشاج اخلاط جمع مشج اى مشيج من مشجت الشىء
اذا خلطته ووصف النطفة به لما ان المراد به مجموع ما ينفصل منهما اوصاف مختلفة من اللون والرقة
والغلظة والخواص متباينة فان ماء الرجل ابيض غليظ فيه قوة العقد وماء المراة اصفر رقيق
فيه قوة الانعقاد يخلق منهما الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فهو من ماء الرجل وما كان من دم
ولحم وشعر فمن المراة وقال القرطبى وقد روى هذا مرفوعا وقيل مفرد كاعشار وقيل امشاج الوان
واطوار فان النطفة تصير علقة ثم مضغة الى تمام الخلقة وقوله تعالى نبتليه حال من فاعل خلقنا
اى مريدين ابتلاءه بالتكليف فيما ياتى او ناقلين له من حال الى حال على طريقة الاستعارة كما روى عن
ابن عباس نصرفه فى بطن امه نطفة ثم علقة الى اخره فجعلناه سميعا بصيرا ليتمكن من استماع الايات التنزيلية
ومشاهدة الايات التكوينية فهو كالمسبب من الابتداء فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء
ورتب عليه قوله تعالى انا هديناه السبيل بانزال الايات ونصب الدلائل اما شاكرا واما كفورا
حال من مفعول هديناه اى مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الموصل الى البغية فى حاليه جميعا او
للتفصيل والتقسيم اى هديناه اى مكناه واقدرناه على سلوك الطريق الى ما يوصل اليهما فى حالية
جميعا او مقسوما اليهما بعضهم شاكرا وبعضهم كفورا على وصف السبيل بوصف سالكه مجازا وقرئ اما
بالفتح على حذف الجواب اما شاكرا فبتوفيقنا واما كفورا فبسوء اختياره لا بجبرنا اجبارا من غير
اختيار من قبله وايراد الكفور لمراعات الفواصل والاشعار بان الانسان قل ما يخلو من كفران وانما
المؤاخذة عليه من الكفر المفرط انا اعتدنا للكافرين من افراد الانسان الذى هديناه السبيل سلاسل بها
يقادون واغلالا تغل بها ايديهم وسعيرا بها يحرقون وتقديم وعيدهم مع تاخيرهم للجمع بينهما فى الذكر
كما فى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم الاية ولان الانذار

على ان وصفهم تفضيلا وتما يخل تقديمه بتجاوب اطراف النظم الكريم وقرئ سلاسل للتناسب ان الابرار شروع فى بيان حسن صح

هموا نفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين احسن حال الشاكرين وايرادهم بعنوان البر له شعار
بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والابرار جمع بر كارباب وشاهد واشهاد وقيل
هو من بر خالقه اى يطيعه وقيل من يمتثل امره تعالى وقيل من يؤدى حق الله تعالى ويوفى بالنذر
عن الحسن البر من لا يؤذى الذر يشربون من كاس هى الزجاجة اذا كانت فيها من خمر وتطلق على نفس
الخمر ايضا فمن على الاول ابتدائية وعلى الثانى تبعيضية او بيانية كان مزاجها اى ما يمتزج به كافورا
اى ماء كافورا وهو اسم عين فى الجنة ماؤها فى بياض الكافور ورايحته وبرده والجملة صفة كاس وقوله تعالى
عينا بدل من كافورا وعن قتادة يمزج لهم الكافور ويختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رايحة الكافور
وبياضه وبرده فكانها مزجت بالكافور فنصبها على هذين القولين بدل من محل من كاس على تقدير
مضاف اى يشربون خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص او بقوله تعالى يشرب بها عباد الله صفة عينا
اى يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها وقيل ضمن يشربون معنى يتلذذ وقيل الباء بمعنى من وقيل
زائدة ويعضده قراءة ابن ابى عبلة يشربها عباد الله وقيل الضمير للكاس والمعنى يشربون عين تلك
الكاس يفجرونها تفجيرا اى يجرونها حيث شاؤا من منازلهم اجراء سهلا لا يمتنع عليهم بل تجرى جريا بقوة
واندفاع والجملة صفة اخرى لعينا وقوله تعالى يوفون بالنذر استيناف مسوق لبيان ما لاجله رزقوا
ما ذكر من النعيم مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الابرار اجمالا كانه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا
تلك المرتبة العالية فقيل يوفون بما اوجبوه على انفسهم فكيف بما اوجبه الله عليهم ويخافون يوما كان شره
عذابه مستطيرا فاشيا منتشرا فى الاقطار غاية الانتشار من استطار الحريق والفجر وهو ابلغ من طار
بمنزلة استنفر من نفر ويطعمون الطعام على حبه اى كائنين على حب الطعام والحاجة اليه كما فى قوله تعالى
لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او على حب الاطعام بان يكون ذلك بطيب النفس او كائنين على
حب الله تعالى او اطعاما كائنا على حبه تعالى وهو الانسب لما سياتى من قوله تعالى لوجه الله مسكينا ويتيما واسيرا
اى اسير كان فانه عليه السلام كان يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول احسن اليه او اسيرا مؤمنا
فيدخل فيه المملوك والمسجون وقد سمى رسول الله عليه السلام الغريم اسيرا فقال غريمك اسيرك فاحسن
الى اسيرك انما نطعمكم لوجه الله على ارادة قول هو فى موقع الحال من فاعل يطعمون اى قائلين ذلك
بلسان الحال او بلسان المقال ازاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافاة المنقصة للاجر وعن
الصديقة رضوان الله عليها انها كانت تبعث بالصدقة الى اهل بيت ثم تسال الرسول ما قالوا فاذا ذكر
دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا اى شكرا
انا نخاف من ربنا يوما عبوسا وهو فى الشدة والضراوة قمطريرا شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل
رجاء ان يقينا ربنا بذلك شره وقيل هو تعليل لعدم ارادة الجزاء والشكور اى نخاف عقاب الله تعالى ان اردناهما
فوقاهم الله شر ذلك اليوم بسبب خوفهم وتحفظهم عنه ولقاهم نضرة وسرورا اى اعطاهم بدل عبوس الفجار
وحزنهم نضرة فى الوجوه وسرورا فى القلوب وجزاهم بما صبروا بصبرهم على مشاق الطاعة ومهاجرة هوى النفس
فى اجتناب المحرمات وايثار الاموال جنة بستانا ياكلون منه ما شاؤا وحريرا يلبسونه ويتزينون به
وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما النبى عليه السلام فى ناس معه فقالوا
لعلى رضى الله عنه لو نذرت على ولدك فنذر على وفاطمة رضى الله عنهما وفضة جارية لهما ان برئا مما بهما
ان يصوموا ثلاثة ايام فشفيا وما معهما شىء فاستقرض على رضى الله عنه من شمعون الخيبرى ثلث
اصوع من شعير فطحنت فاطمة رضى الله عنها صاعا واختبزت خمسة اقراص على عددهم فوضعوها بين ايديهم
ليفطروا فوقف عليهم سايل فقال السلام عليكم اهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعمونى اطعمكم
الله من موايد الجنة فاثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة اسير ففعلوا مثل ذلك فلما اصبحوا اخذ على بيد الحسن
والحسين رضى الله عنهم فاقبلوا على النبى عليه السلام فلما ابصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع فقال كم
ما اسوءنى ما ارى بكم وقام وانطلق معهم فرأى فاطمة فى محرابها قد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها
فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال خذها يا محمد هناك الله بها فى اهل بيتك فاقرأه السورة
متكئين فيها على الارائك حال من هم فى جزاهم والعامل فيها جزى وقيل صفة لجنة من غير ابراز الضمير والارائك
هى السرر فى الحجال وقوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اما حال ثانية من الضمير او من المستكن فى متكئين
والمعنى انه يمر عليهم هواء معتدل لا حار محم ولا بارد موذ وقيل الزمهرير القمر فى لغة طىء والمعنى ان هواءها
مضىء بذاته لا يحتاج الى شمس ولا قمر ودانية عليهم ظلالها عطف على ما قبلها حال مثلها او صفة لمحذوف
معطوف على جنة اى وجنة اخرى دانية عليهم ظلالها على انهم وعدوا جنتين كما فى قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقرئ دانية بالرفع على انه خبر ظلالها والجملة فى حيز

الحال

الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية قالوا معناه ان ظلال اشجار الجنة قريبة
من الابرار مظلة عليهم زيادة فى نعيمهم على معنى انه لو كان هناك شمس موذية لكانت اشجارها مظلة
عليهم مع انه لا شمس ولا قمر وذللت قطوفها تذليلا اى سخرت ثمارها لمتناولها وسهل اخذها من
الذل وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية اى تدنو ظلالها عليهم مذللة قطوفها او معطوفة على
دانية اى دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وعلى تقدير رفع دانية فهى جملة فعلية معطوفة على
جملة اسمية ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب الكواب كوز العظيم الذى لا اذن له ولا عروة كانت
قواريرا قوارير من فضة اى تكونت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها والجملة صفة
لاكواب وقرئ قوارير الثانى ايضا وقرئا بغير تنوين وقرئ الثانى بالرفع على هى قوارير قدروها تقديرا
صفة لقوارير ومعنى تقديرهم لها انهم قدروها فى انفسهم وارادوا ان تكون على مقادير واشكال معينة
موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها او قدروها باعمالهم الصالحة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين
بها المدلول عليهم بقوله تعالى ويطاف عليهم فالمعنى قدروا اسرابها على قدر اشتهائهم وقرئ قدروها على
البناء للمفعول اى جعلوا قادرين لها كما شاؤا من قدر منقولا من قدرت الشىء ويسقون فيها كاسا
كان مزاجها زنجبيلا اى ما يشبه الزنجبيل فى الطعم وكان الشراب الممزوج به اطيب ما يستطيبه العرب
والذ ما يستلذ به عينا بدل من زنجبيلا وقيل يمزج كاسهم بالزنجبيل بعينه او يخلق الله تعالى طعمه فيها
فعينا حينئذ بدل من كاسا كانه قيل ويسقون فيها كاسا كاس عين او نصب على الاختصاص فيها تسمى سلسبيلا
لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل ولذلك حكم بزيادة
الباء والمراد بيان انها فى طعم الزنجبيل وليس فيها لذعة بل نقيض اللذع الذى هو السلاسة
ويطوف عليهم ولدان مخلدون اى دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا
منثورا لحسنهم وصفاء الوانهم واشراق وجوههم وانبثاثهم فى مجالسهم ومنازلهم وانعكاس اشعة بعضهم
الى بعض واذا رايت ثم ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا متوكل على معناه ان يصل رؤيتك اى ما وقع
فى الجنة رايت نعيما وملكا كبيرا اى هنيئا واسعا وفى الحديث ادنى اهل الجنة منزلة من ينظر فى ملكه
الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه وقيل لا زوال له وقيل تسلم عليه الملائكة ويستاذنون عليه عاليهم
ثياب سندس خضر قيل عاليهم ظرف على انه خبر مقدم فوق ثياب مبتدا موخر والجملة صفة اخرى
لولدان كانه قيل يطوف عليهم ولدان فوقهم ثياب سندس وقرئ خضر بالجر حملا على سندس بالمعنى
لكونه اسم جنس واستبرق بالرفع عطف على ثياب وقرئ برفع الاول وجر الثانى وقرئ بالعكس وقرئ
بجرهما وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مستفعل من البريق جعل علما لهذا النوع من الثياب
وحلوا اساور من فضة عطف على يطوف عليهم ولا ينافيه قوله تعالى اساور من ذهب لامكان الجمع
والمعاقبة والتبعيض فان حلى اهل الجنة تختلف بحسب اختلاف اعمالهم فلعله تعالى اساور من ذهب
لامكان الجمع والمعاقبة يفيض عليهم جزاء ما عملوه بايديهم حليا وانوارا تتفاوت تفاوت الذهب والفضة
او حال باضمار قد وعلى هذا يجوز ان يكون هذا للخدم وذاك للمخدومين وسقاهم ربهم شرابا طهورا
هو نوع اخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد اليه اسناد سقيه الى رب العالمين ووصفه بالطهورية
فانه يطهر شاربه عن دنس الميل الى الملاذ الحسية والركون الى ما سوى الحق فيتجرد لمطالعة جماله
ملتذا بلقائه باقيا ببقائه وهى الغاية القاصية من منازل الصديقين ولذلك ختم بها مقالة
ثواب الابرار ان هذا على اضمار القول اى يقال لهم ان هذا الذى ذكر من فنون الكرامات كان لكم جزاء
بمقابلة اعمالكم وكان سعيكم مشكورا مرضيا مقبولا مقابلا بالثواب انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا
اى مفرقا منجما لحكم بالغة مقتضية له لا غيره كما يعرب عنه تكرير الضمير مع ان فاصبر لحكم ربك بتاخير
نصرك على الكفار فان له عاقبة حميدة ولا تطع منهم اثما او كفورا اى كل واحد من مرتكب الاثم الداعى
لك اليه ومن الغالى فى الكفر الداعى اليه واو للدلالة على انهما سيان فى استحقاق العصيان والاستقلال
به والتقسيم باعتبار ما يدعونه اليه فان ترتيب النهى على الوصفين مشعر بانه لهما فلا بد
ان يكون النهى عن الاطاعة فى الاثم والكفر لا فيما ليس باثم ولا كفر وقيل الاثم عتبة فانه كان ركابا للماثم
متعاطيا لانواع الفسوق والكفور الوليد فانه كان غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو واذكر اسم
ربك بكرة واصيلا وداوم على ذكره فى جميع الاوقات او دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فان الاصيل
ينتظمهما ومن الليل فاسجد له وبعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء وتقديم الظرف لما فى صلاة
الليل من مزيد الكلفة والخلوص وسبحه ليلا طويلا وتهجد له قطعا من الليل طويلا ان هؤلاء يحبون
العاجلة وينهمكون فى لذاتها الفانية ويذرون وراءهم اى امامهم لا يستعدون له او ينبذون وراء ظهورهم

يوما ثقيلا لا يعبأون به ووصفه بالثقل لتشبيه هوله بثقل شيء فادح باهظ لحامله بطريق الاستعارة
وهو التعليل لما امر به والنهي عنه نحن خلقناهم لا غيرنا وشددنا اسرهم اي احكمنا ربط مفاصلهم بالاعصاب
واذا شئنا بدلنا امثالهم بعد اهلاكهم تبديلا بديعا لا ريب فيه وهو البعث كما ينبئ عنه كلمتا اذا وبدلنا
غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى يستبدل قوما غيركم والاول ادل على تحقق القدرة وقوله الماعية ان هذه تذكرة
اشارة الى السورة والايات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا اي فمن شاء ان يتخذ اليه سبيلا اي وسيلة
توصله الى ثوابه اتخذه اي تقرب اليه بالعمل بما في تضاعيفها وقوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله
تحقيق للحق ببيان ان مجرد مشيئتهم غير كاف في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية اي وما تشاؤن
اتخاذ السبيل ولا يقدرون على تحصيله في وقت من الاوقات الا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم اذ لا دخل
لمشيئة العبد الا في الكسب وانما التاثير والخلق لمشيئته عز وجل وقرئ تشاؤن بالتاء وقرئ الا ما شاء الله
تعالى وقوله تعالى ان الله كان عليما حكيما بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على اساس العلم والحكمة والمعنى انه
تعالى مبالغ في العلم والحكمة ومعنى انه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيعلم ما يستاهله كل احد فلا يشاء لهم الا
ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته وقوله تعالى يدخل من يشاء في رحمته بيان لاحكام مشيئته المترتبة
على علمه وحكمته اي يدخل في رحمته من يشاء ان يدخله وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل اليه تعالى
حيث يوفقه الى ما يؤدي الى دخول الجنة من الايمان والطاعة والظالمين وهم الذين صرفوا مشيئتهم الى خلاف
ما ذكر اعد لهم عذابا اليما اي متناهيا في الايلام قال الزجاج نصب الظالمين لان ما قبله منصوب اي يدخل
من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون اعد لهم تفسيرا للمضمر وقرئ بالرفع على الابتداء وما جاء في فضائل
هذه السورة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ سورة هل اتى على الانسان كان جزاؤه على الله جنة وحريرا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقة
فرقا فالملقيات ذكرا اقسام من الله عز وجل بطوايف من الملائكة ارسلهن بأوامره فعصفن في مضيهن عصف
الرياح مسارعة في الامتثال بالامر وبطوايف اخرى نشرن اجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي او نشرن
الشرايع في الاقطار او نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما اوحين ففرقن بين الحق والباطل فالقين
ذكرا الى الانبياء عذرا للمحقين او نذرا للمبطلين ولعل تقديم نشر الشرايع ونشر النفوس والفرق على
الالقاء للايذان بكونهما غاية للالقاء حقيقة بالاعتناء بها او للاشعار بان كلا من الاوصاف المذكورة
مستقل بالدلالة على استحقاق الطوايف الموصوفة بها للتفخيم والاجلال بالاقسام بهن ولو جيء بها
على ترتيب الوقوع لربما فهم ان مجموع الالقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق او اقسام
برياح عذاب ارسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب في الجو ففرقن بينه كقوله تعالى فيجعله كسفا اي
بسحايب نشرن الموات ففرقن كل صنف منها عن ساير الاصناف بالشكل واللون وساير الخواص او فرقن بين
من يشكر الله تعالى وبين من يكفر به فالقين ذكرا او عذرا للمعتذرين الى الله تعالى بتوبتهم واستغفارهم
عند مشاهدتهم لاثار رحمته تعالى في الغيث يشكرونها واما انذارا الى الذين يكفرونها وينسبونها الى
الانوا واسناد القاء الذكر اليهن بكونهن سببا في حصوله اذا شكرت النعمة فيهن او كفرت او اقسام بايات
القران المرسلة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصفن بساير الكتب بالنسخ والنشرن اثار الهدى في مشارق الارض
ومغاربها وفرقن بين الحق والباطل فالقين ذكر الحق في اكناف العالمين والعرف اما نقيض المنكر وانتصابه
على العلة اي ارسلن للاحسان والمعروف فان ارسال ملايكة العذاب معروف للانبياء عليهم السلام
والمؤمنين واعني المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحالية من ذكرا او على العلة وقرئ بالتثقيل ان
ما توعدون لواقع جواب للقسم اي ان الذي توعدونه من مجيء القيامة كاين لا محالة فاذا النجوم طمست
محيت ومحقت او ذهب بنورها واذا السماء فرجت صدعت وفتحت فكانت ابوابا واذا الجبال نسفت
جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وقيل اخذت من مقارها بسرعة من
انتسفت الشيء اذا اختطفته وقرئ طمست وفرجت ونسفت مشددة واذا الرسل اقتت اي عين لهم
الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على اممهم وذلك عند مجيئه وحضوره اذ لا يتعين لهم قبله او بلغوا
الميقات الذي كانوا ينتظرونه وقرئ وقتت على الاصل وبالتخفيف فيهما لاي يوم اجلت مقدر بقول
هو جواب لاذا في قوله تعالى واذا الرسل اقتت او حال من مرفوع اقتت اي يقال لاي يوم اخرت الامور المتعلقة
بالرسل والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله وقوله تعالى ليوم الفصل بيان ليوم التاخير

وهذا

وهذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلايق وما ادراك ما يوم الفصل ما مبتدا وادراك خبره اي اي شيء
جعلك داريا ما هو فوضع موضع الضمير يوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على ان ما خبر ويوم الفصل
مبتدا لا بالعكس كما اختاره سيبويه لان محط الفايدة بيان كون يوم الفصل امرا بديعا هايلا لا يقادر
قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون امر بديع من الامور يوم الفصل اي بديعا
هايلا كما يفيده عكسه ويل يومئذ للمكذبين اي في ذلك اليوم الهايل وويل في الاصل مصدر منصوب
ساد مسد فعله لكن عدل به الى الرفع للدلالة على اثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ويومئذ
ظرفه او صفته الم نهلك الاولين كقوم نوح وعاد وثمود لتكذيبهم به وقرئ نهلك بفتح النون من هلك
بمعنى اهلكه ثم نتبعهم الاخرين بالرفع على ثم نحن نتبعهم الاخرين من نظرايهم السالكين لمسلكهم في الكفر
والتكذيب وهو وعيد لكفار مكة وقرئ نستتبعهم وقرئ نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك فيكون
المراد بالاخرين المتاخرين هلاكا من المذكورين كقوم لوط وشعيب وموسى عليهم السلام كذلك مثل
ذلك الفعل الفظيع نفعل بالمجرمين اي سنة جارية على ذلك ويل يومئذ اي يوم اذ اهلكناهم للمكذبين
بايات الله تعالى وانبيائه وليس تكريرا لان الويل الاول لعذاب الاخرة وهذا لعذاب الدنيا الم نخلقكم
اي الم نقدركم من ماء مهين اي من نطفة قذرة مهينة فجعلناه في قرار مكين هو الرحم الى قدر معلوم اي
مقدار معلوم من الوقت الذي قدره الله تعالى للولادة تسعة اشهر او اقل منها او اكثر فقدرنا
اي فقدرناه وقرئ مشددا او فقدرنا على ذلك على ان المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور
بالفعل فنعم القادرون اي نحن ويل يومئذ للمكذبين بقدرتنا على ذلك او على الاعادة الم نجعل الارض
كفاتا الكفات اسم ما يكفت اي يضم ويجمع من كفت الشيء اذا ضمه وجمعه كالضمام لما يضم ويجمع
اي الم نجعلها كفاتا تكفت احياء كثيرة على ظهرها واموات غير محصورة في بطنها وقيل هو مصدر نعت
به للمبالغة وقيل جمع كافت كصايم وصيام او كفت وهو الوعاء اجرى على الارض باعتبار اقطاعها وقيل
تنكير احياء وامواتا لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات وقيل انتصابهما على الحالية من محذوف
اي كفاتا تكفتكم احياء وامواتا وجعلنا فيها رواسي اي جبالا ثوابت شامخات طوالا شواهق ووصف
جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كاجذوع واجزع واشهر معلومات وتنكيرها للتفخيم او للاشعار
بان فيها ما لم يعرف واسقيناكم ماء فراتا بان خلقنا فيها انهارا ومنابع ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه
النعم العظيمة انطلقوا اي يقال لهم يومئذ انطلقوا للتوبيخ والتقريع انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون
في الدنيا من العذاب انطلقوا خصوصا الى ظل اي ظل دخان جهنم كقوله تعالى وظل من يحموم وقرئ انطلقوا
على لفظ الماضي اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لاضطرارهم اليه تطوعا ذي ثلاث شعب
تتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شان الدخان العظيم تراه يتفرق ذوايب وقيل يخرج لسان من النار
فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون
في ظل العرش قيل خصوصية الثلاث اما لان حجاب النفس عن انوار القدس الحس والخيال والوهم
او لان المؤدي الى هذا العذاب هو القوة الا لوهية الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ والقوة
والغضبية السبعية التي عن يمين القلب والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره ولذلك قيل تقف شعبة
فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره لا ظليل تهكم بهم ورد لما اوهمه لفظ الظل ولا يغني من
اللهب اي غير مغن لهم عن حر اللهب شيئا انها ترمي بشرر كالقصر اي كل شررة كالقصر من القصور في عظمها
وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمر وجمرة وقرئ كالقصر بفتحتين وهي اعناق الابل
او اعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرئ كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرئ كالقصر نحو قصرة
كانه جمالة قيل هو جمع جمل والتاء لتانيث الجمع يقال جمل وجمال وجمالة وقيل اسم جمع كالحجارة
صفر فان الشرار لما فيه من النارية يكون اصفر وقيل سود لان سود الابل يضرب الى الصفرة وقرئ جمالات جمع
جمالة وقد قرئ بها وهي الحبل العظيم من حبال السفن وقلوس الجسور والتشبيه في امتداده والتفافه
ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون اشارة الى وقت دخولهم النار اي هذا يوم لا ينطقون فيه
بشيء من الالسنة السؤال والجواب والحساب وقد انقضت قبل ذلك اليوم القيامة طويل له مواطن
ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم او لا ينطقون بشيء ينفعهم فان ذلك كلا
نطق وقرئ بنصب اليوم اي هذا الذي فصل واقع يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون عطف على
يؤذن منتظم في سلك النفي اي لا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير ان يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن
كما لو نصب ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل بين المحق والمبطل والحق والباطل جمعناكم خطاب لامة محمد
صلى الله عليه وسلم والاولين من الامم وهذا تقرير وبيان للفصل فان كان لكم كيد فكيدون فان جميع من كنتم تقلدونهم

وتتفقدون بهم حاصبون وهذا تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا واظهار لعجزهم ويل يومئذ للمكذبين
حيث ظهر ان لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب ان المتقين من الكفر والتكذيب في ظلال وعيون
وفواكه مما يشتهون اى مستقرون في فنون الترفه وانواع التنعم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم
تعملون مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر اى مقولا لهم كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملونه
في الدنيا من الاعمال الصالحة انا كذلك نجزي المحسنين اى في عقائدهم واعمالهم لا جزاء
ادنى منه ويل يومئذ للمكذبين حيث نال اعداءهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل
كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون مقدر بقول هو حال من المكذبين اى الويل ثابت لهم مقولا لهم ذلك
تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على انفسهم من ايثار المتاع الفاني عن قريب عن النعيم الخالد
وعلل ذلك باجرامهم دلالة على ان كل مجرم ماله هذا وقيل هو كلام مستأنف خوطب به المكذبون في
الدنيا بعد زمان حالهم وقرر ذلك بقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين لزيادة التوبيخ والتقريع واذا
قيل لهم اركعوا اى اطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا لقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا
الاستكبار والنخوة لا يركعون لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل
اذا امروا بالصلاة او بالركوع لا يفعلون اذ روى انه نزل حين امر رسول الله صلعم ثقيفا بالصلاة فقالوا
لا نجبي فانها مسبة علينا فقال صلعم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود وقيل هو يوم القيمة حين
يدعون الى السجود فلا يستطيعون ويل يومئذ للمكذبين وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون في
الفروع في حق المؤاخذة فباى حديث بعده اى بعد القران الناطق باحاديث الدارين واخبار النشأتين
على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة يؤمنون اذا لم يؤمنوا به وقرئ تؤمنون
عن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المرسلات كتب انه ليس من المشركين

بسم الله الرحمن الرحيم عم اصله عما فحذفت الالف منه اما فرقا بين ما الاستفهامية وغيرها
وقصدا للخفة لكثرة استعمالها وقرئ على الاصل وما فيها من الابهام للايذان بفخامة شان المسؤل عنه
وهوله وخروجه عن حدود الاجناس المعهودة اى عن اى شيء عظيم الشان يتساءلون اى اهل مكة وكانوا
يتساءلون عن البعث فيما بينهم ويخوضون فيه انكارا واستهزاء لكن لا على طريقة التسائل عن حقيقته
ومسماه بل عن وقوعه الذى هو حال من احواله ووصف من اوصافه فان ما وان وضعت لطلب حقائق
الاشياء ومسميات اسمائها كما في قولك ما الملك وما الروح لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد
فتقول عالم او طبيب وقيل كانوا يسألون عنه الرسول صلعم والمؤمنين استهزاء كقولهم يتداعونهم اى يدعونهم
وتحقيقه ان صيغة التفاعل في الافعال المتعدية موضوعة لافادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه
بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا لكنه يرفع باسناد الفعل اليه ترجيحا لجانب فاعليته
ويحال بمفعوليته على دلالة العقل عن المتعدد باعتبار وقوعه عليه فيكون الفعل حينئذ مفعول متعدد
كما في المثال المذكورة وواحد كما في قولك تراءوا الهلال وقد يجرد لظهوره كما فيما نحن فيه فالمعنى عن اى شيء
يتساءلونه والقوم الرسول صلعم والمؤمنين وقد يجرد عن صدور الفعل عن المتعدد ايضا فيراد بها تعدده
باعتبار تعدد متعلقه مع وحدة الفاعل كما في قوله تعالى عن النبأ العظيم بيان لشأن المسؤل عنه اثر تفخيمه
بابهام امره وتوجيه اذهان السامعين نحوه وتنزيلهم منزلة المستفهمين فان ايراده على طريقة الاستفهام
من علام الغيوب للتنبيه على انه لانقطاع قرينه وانعدام نظيره خارج عن دائرة علوم الخلق خليق
بان يعتنى بمعرفته ويسأل عنه كانه قيل عن اى شيء يتساءلون هل اخبركم به ثم قيل بطريق الجواب
عن النبأ العظيم على منهاج قوله تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فعن متعلقة بما يدل عليه
المذكور من مضمر حقه ان يقدر بعدها مسارعة الى البيان ومراعاة لترتيب السؤال هذا هو الحقيق
بجزالة التنزيل وقد قيل هي متعلقة بالمذكور وعم متعلق بمضمر مفسر به وايد ذلك بانه قرئ عمه
والاظهر انه مبني على اجراء الوصل مجرى الوقف وقيل عن الاولى للتعليل كانه قيل لم يتساءلون عن
النبأ العظيم وقيل عن الثانية استفهام مضمر كانه قيل عم يتساءلون أعن النبأ العظيم والنبأ الخبر الذي
له شأن وخطر وقد وصف بقوله تعالى الذي هم فيه مختلفون بعد وصفه بالعظيم تأكيدا لخطره اثر
تأكيد واشعارا بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل
وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات اى هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته

يقول

يقول ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما نحن بمبعوثين وشاك يقول ما ندري
ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وقيل منهم من ينكر المعادين معا كهؤلاء ومنهم من ينكر
المعاد الجسماني فقط كجمهور النصارى وقد حمل الاختلاف على الاختلاف في كيفية الانكار فمنهم من ينكره
لانكاره الصانع المختار ومنهم من ينكره بناء على استحالة اعادة المعدوم بعينه وحمله على الاختلاف
بالنفي والاثبات بناء على تعميم التساؤل لفريقي المسلمين والكافرين على ان سؤال الاولين ليزدادوا خشية الله
واستعدادا وسؤال الاخرين ليزدادوا كفرا وعنادا يرده قوله كلا سيعلمون فانه صريح في ان المراد اختلاف
الجاهلين به المنكرين له اذ عليه يدور الردع والوعيد لا على خلاف المؤمنين وتخصيصهما بالكفرة بناء على
تخصيص ضمير سيعلمون بهم مع عموم الضميرين السابقين مخل بما ينبغي تنزيه التنزيل عن امثاله هذا ما ادى
اليه جليل النظر والذي يقتضيه التحقيق ويستدعيه النظر الدقيق ان يحمل اختلافهم على مخالفتهم للنبي
صلعم بان يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد حسبما ذكر في التساؤل فان الافتعال
والتفاعل صيغتان متآخيتان كالاستباق والتسابق والانتضال والتناضل الى غير ذلك يجري في كل منهما
ما يجري في اخته لا على مخالفة بعضهم لبعض لان الكل وان استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب
لهما ليس لمخالفته للجانب الاخر اذ لا حقيقة في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته
صلعم فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف
وتعليل للردع والسين للتقريب والتاكيد وليس مفعوله ما ينبئ عنه المقام من وقوع ما يتساءلون
عنه ووقوع ما يختلفون فيه كما في قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت الى
قوله ليبين لهم الذي يختلفون فيه الاية فان ذلك عار عن صريح الوعيد بل هو عبارة عما يلاقونه
من فنون الدواهي والعقوبات والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف
والمعنى ليرتدعوا عما هم عليه فانهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال اذا حل بهم العذاب والنكال وقوله تعالى
ثم كلا سيعلمون تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التاكيد والتشديد وثم للدلالة على ان الوعيد
الثاني ابلغ واشد وقيل الاول عند النزع والثاني في القيمة وقيل الاول للبعث والثاني للجزاء وقرئ
ستعلمون بالتاء على نهج الالتفات الى الخطاب الموافق لما بعده من الخطابات للتشديد في الردع والوعيد
لا على تقدير قل لهم كما يتوهم فان فيه من الاخلال بجزالة النظم الكريم ما لا يخفى وقوله تعالى الم نجعل الارض
مهادا والجبال اوتادا الى اخره استئناف مسوق لتحقيق النبأ المتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة
بحقيقته اثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هاهنا اتضح ان المسؤل عنه هو البعث لا القران
ونبوة النبي صلعم كما قيل والهمزة للتقرير والالتفات الى الخطاب على القراءة المشهورة للمبالغة في الالزام
والتبكيت والمهاد البساط والفراش وقرئ مهدا على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه
تسمية للممهود بالمصدر وجعل الجبال اوتادا لها ارساؤها بها كما يرسى البيت بالاوتاد وخلقناكم عطف
على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فانه في قوة اما جعلنا الى اخره او على ما يقتضيه الانكار التقريري
فانه في قوة ان يقال قد جعلنا الخ ازواجا اصنافا ذكرا وانثى ليسكن كل من الصنفين الى الاخر وينتظم
امر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل وجعلنا نومكم سباتا اى موتا فانه احد التوفيين لما بينهما
من المشاركة التامة في انقطاع احكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل قطعا عن الاحساس والحركة لازاحة
القوى الحيوانية وازاحة كلالها والاول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه وجعلنا الليل الذي يقع فيه
النوم غالبا لباسا يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من
اللحاف ونحوه فان شبه الليل به اكمل واعتباره في تحقيق المقصد ادخل فهو جعل الليل محلا للنوم الذي
جعل موتا كما جعل النهار محلا لليقظة المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى وجعلنا النهار معاشا اى وقت
حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو اخو الموت كما في قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم
سباتا وجعل النهار نشورا وجعل كون الليل لباسا عبارة عن ستره عن العيون لمن اراد هربا من
عدو او بياتا له ونحو ذلك مما لا مناسبة له بالمقام وكذا جعل النهار وقت التقلب في تحصيل
المعاش والحوائج وبنينا فوقكم سبعا شدادا اى سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مرور
الدهور وكر العصور والتعبير عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق
وتقديم الظرف على المفعول ليس لمراعاة الفواصل فقط بل للتشويق اليه فان ما حقه التقديم اذا اخر
تبقى النفس مترقبة له فاذا ورد عليها تمكن عندها فضل تمكن وجعلنا سراجا وهاجا الجعل بمعنى الانشاء
والابداع كالخلق خلا انه مختص بالانشاء التكويني وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عامله كما في الاية

الكونية وللتسويق ايضا كما في قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة الى اخره وقوله تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا واياما كان ففيه ابنا وعلى ملابسة مفعوله بشيء اغرب ان يكون فيه اوله او منه
او يكون لك ملابسة مصححة لان يتوسط بينهما وقوله تعالى وجعل فيها رواسي وقوله تعالى واجعل
لنا من لدنك وليا فان كل واحد من هذه الظروف اما متعلق بنفس الجعل او بمحذوف وقع حالا من مفعوله
تقدمت عليه لكونه نكرة وايا ما كان فهو قايد في الكلام حتما اذا اقتضى الحال وقوعه عمدة فيه يكون الجعل
متعديا الى اثنين هو ثانيهما كما في قوله تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم وربما يشتبه الامر فيظن انه عمدة فيه وهو
في الحقيقة قيد باحد الوجهين كما سلف في قوله تعالى اني جاعل في الارض خليفة والوهاج الوقاد المتلألئ من وهجت
النار اذا اضاءت او البالغ في الحرارة من الوهج والمراد به الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير
عن خلق السموات بالبناء وانزلنا من المعصرات هي السحائب اذا اعصرت اي شارفت ان تعصرها الرياح فتمطر
كما في احصد الزرع اذا حان له ان يحصد ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض او الرياح التي حان لها ان
تعصر السحائب وقرئ بالمعصرات ووجه ذلك ان الانزال حيث كان من المعصرات سواء اريد بها السحائب
او الرياح فقد كان بها كما يقال اعطاه من يده وبيده وقد فسرت المعصرات بالرياح ذوات الاعاصير ووجه
ان الرياح التي تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصلحت ان تجعل مبتدأ للانزال ماء ثجاجا منصبا بكثرته يقال
ثج الماء اي سال بكثرة وثجه اي اساله ومنه قوله عليه السلام افضل الحج العج والثج اي رفع الصوت بالتلبية وصب دماء
الهدي وقرئ ثجاجا ومثاجج الماء مصابه لنخرج به بذلك الماء حبا كالحنطة والشعير
ونحوهما ونباتا يعتلف كالتبن والحشيش وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الاخراج لاصالته وشرفه لان غالبه
غذاء للانسان وجنات الجنة في الاصل هي المرة من مصدر جنه اذا ستره يطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل
بالتفاف اغصانه قال زهير بن ابي سلمى • كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا • وعلى الارض ذات
الشجر • قال الفراء الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والاول هو المراد وقوله تعالى الفافا اي
ملتفة تداخل بعضها في بعض قالوا لا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف ككن واكنان او لفيف
كشريف واشراف وقيل هو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء وقيل هو جمع ملتفة بحذف الزوائد واعلم ان فيما
ذكر من افعاله عز وجل دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة الاول باعتبار قدرته تعالى فان من
قدر على انشاء هذه الافعال البديعة من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه كان على الاعادة اقدر واقوى والثاني
باعتبار علمه وحكمته فان من ابدع هذه المصنوعات على نمط رايع مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة
الى الخلق يستحيل ان يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة والثالث باعتبار نفس الفعل فان اليقظة بعد النوم
انموذج للبعث بعد الموت يشاهدونه كل يوم وكذا اخراج الحب والنبات من الارض الميتة يعاينونه كل حين
كانه قيل الم نفعل هذه الافعال الافاقية والانفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة
للايمان به فما لكم تخوضون فيه انكارا وتتساءلون عنه استهزاء وقوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا
شروع في بيان سر تاخير ما يتساءلون عنه ويستعجلون به قائلين متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ونوع
تفصيل لكيفيته ووقوعه وما سيلقونه عند ذلك من فنون العذاب حسبما جرى به الوعيد اجمالا اي ان يوما
فصل الله عز وجل بين الخلائق كان في علمه وتقديره ميقاتا وميعادا لبعث الاولين والاخرين وما يترتب
عليه من الجزاء ثوابا وعقابا لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر وقيل حدا توقت به الدنيا وتنتهي عنده او حدا
للخلائق ينتهون اليه ولا ريب في انهما بمعزل من الترتيب الذي اشير اليه على ان الدنيا تنتهي عنده النفخة الاولى
وقوله تعالى يوم ينفخ في الصور بدل من يوم الفصل او عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه
وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فانه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل
ومباديه وآثاره والصور هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ الله تعالى من خلق السموات والارض خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو
واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش متى يؤمر بالنفخ فيه فينفخ فيه نفخة لا يبقى عندها
في الحياة غير من شاء الله تعالى وذلك قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله ثم يؤمر بالاخرى فينفخ نفخة لا يبقى معها ميت الا بعث وقام وذلك قوله تعالى ثم نفخ فيه
اخرى فاذا هم قيام ينظرون والفاء في قوله تعالى فتأتون فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة
الحال عليها وايذانا بغاية سرعة الاتيان كما في قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فتبعثون من قبوركم
فتأتون الى الموقف عقيب ذلك من غير لبث افواجا اي امما كل امة مع امامها كما في قوله تعالى يوم
ندعوا كل اناس بامامهم او زمرا وجماعات مختلفة الاحوال متباينة الاوضاع حسب اختلاف اعمالهم وتباينها
عن معاذ رضي الله عنه انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال يا معاذ سألت عن امر عظيم ثم ارسل عينيه وقال

تحشر عشرة اصناف من امتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم
فوق ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون السنتهم
وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من افواههم يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم
وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران
لازقة بجلودهم فاما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس واما الذين على صورة الخنازير فاهل
السحت واما المنكسون على وجوههم فاكلة الربا واما العمي فالذين يجورون في الحكم واما الصم البكم فالمعجبون
باعمالهم واما الذين يمضغون السنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالفت اقوالهم اعمالهم واما الذين قطعت ايديهم
وارجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم واما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان واما
الذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله تعالى في اموالهم واما الذين
يلبسون الجباب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السماء عطف على ينفخ وصيغة الماضي للدلالة على
التحقق وقرئ فتحت بالتشديد وهو للتكثير فكانت ابوابا اي كثرت ابوابها المفتحة لنزول
الملائكة نزولا غير معتاد حتى صارت كانها ليست الا ابوابا مفتحة كقوله تعالى وفجرنا الارض عيونا كأن كلها
عيونا متفجرة وهو المراد بقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وهو الغمام الذي
ذكر في قوله تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقيل الابواب الطرق والمسالك
اي تكشف فيتفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شيء وسيرت الجبال اي في الجو على هيئتها بعد قلعها من مقارها
كما يعرب عنه قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي الاية اي تراها رأي العين ساكنة في اماكنها
والحال انها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيرا حثيثا وذلك ان الاجرام العظام اذا تحركت نحوا
من الانحاء لا تكاد تتبين حركتها وان كانت في غاية السرعة لاسيما من بعيد وعليه قول من قال • بارعن
مثل الطود تحسب انهم • وقوف لحاج والركاب تهملج • وقد ادمج في هذا التشبيه تشبيه حال الجبال
بحال السحاب في تخلخل الاجزاء وانتفاشها كما ينطق به قوله تعالى وتكون الجبال كالعهن المنفوش ثم
يبدد الله تعالى الارض وتبقى هيئتها وتسير الجبال على تلك الهيئة الهائلة عند حشر الخلائق بعد النفخة
الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى فكانت سرابا اي فصارت بعد تسييرها
مثل السراب كقوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا اي غبارا منتشرا وهي وان اندكت
وانصدعت عند النفخة الاولى ولكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية
كما نطق به قوله تعالى ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها
عوجا ولا امتا يومئذ يتبعون الداعي وقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا
لله الواحد القهار فان اتباع الداعي الذي هو اسرافيل عليه السلام وبروز الخلق لله تعالى لا يكون الا بعد
النفخة الثانية ان جهنم كانت مرصادا شروع في تفصيل احكام الفصل الذي اضيف اليه اليوم اثر بيان
تقديم بيان حال الكفار ليحذرهم فيها للطاغين متعلق بمضمر هو اما نعت لمرصادا اي كائنا للطاغين وقوله
تعالى مآبا بدل منه اي مرجعا يرجعون اليه لا محالة واما حال من مآبا قدمت عليه لكونه نكرة ولو
تأخرت لكانت صفة وقد جوز ان يتعلق بنفس مرصادا على انها مرصاد للكفرة مآبا للكافرين خاصة
ولا يخفى بعده فان المتبادر من كونها مرصادا لطائفة كونها معدة لها وقد قيل انها مرصاد لاهل الجنة
ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهي مآب للطاغين لابثين فيها حال مقدرة
من المستكن في الطاغين وقرئ لبثين وقوله تعالى احقابا ظرف للبثهم اي دهورا متتابعة كلما مضى حقب
اخر الى غير نهاية فان الحقب لا يكاد يستعمل الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها فليس فيه ما يدل على
تناهي تلك الاحقاب ولو اريد بالحقب ثمانون سنة او سبعون الف سنة لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا
حميما وغساقا جملة مبتدأة اخبر عنهم بانهم لا يذوقون فيها شيئا ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا
من شراب يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وقرئ غساقا بالتخفيف
وكلاهما بمعنى صديد يسيل من صديدهم جزاء اي جوزوا بذلك جزاء وفاقا ذا وفاق لاعمالهم او نفس الوفاق مبالغة
او وافقها وفاقا وقرئ وفاقا على انه فعال من وفقه كذا اي لاقه انهم كانوا لا يرجون حسابا تعليل لاستحقاقهم
الجزاء المذكور اي كانوا لا يخافون ان يحاسبوا باعمالهم وكذبوا باياتنا الناطقة بذلك كذابا اي تكذيبا مفرطا ولذلك
كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي وفعال من باب فعل شايع فيما بين الفصحاء وقرئ بالتخفيف وهو
مصدر كذب قال الشاعر • فصدقتها وكذبتها • والمرء ينفعه كذابه • وانتصابه اما
بفعله الدال عليه يكذبوا اي وكذبوا باياتنا فكذبوا كذابا واما بنفس كذبوا لتضمنه معنى كذبوا
فان كل من يكذب بالحق فهو كاذب وقرئ كذابا وهو جمع كاذب فانتصابه على الحالية اي كذبوا

بآياتنا كذابا تكذيبا وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ في الكذب فيجعل صفة لمصدر كذبوا اي تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وكل شيء من الاشيا والتي من جملتها اعمالهم وانتصابه بمضمر يفسره احصيناه اي حفظناه وضبطناه وقرئ بالرفع على الابتدا كتابا مصدر موكد لاحصيناه لما ان الاحصا والكتبة من واد واحد او لفعله المقدر او حال بمعنى مكتوبا في اللوح او في صحف الحفظة والجملة اعتراض وقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وبالالتفات المنبي عن التشديد في التهديد وايراده لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على التبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي عم ان هذه الاية اشد ما في القران على اهل النار ان للمتقين مفازا شروع في بيان محاسن احوال المؤمنين اثر بيان احوال المؤمنين الكفرة اي للذين يتقون الكفر وساير قبايح اعمال الكفرة فوزا وظفرا بمباغيهم او موضع فوز وقيل نجاة مما فيه اوليك او موضع نجاة وقوله تعالى حدايق واعنابا اي بساتين فيها انواع الاشجار المثمرة وكروما بدل من مفازا وكواعب اي نسا فلكت ثديهن وهي النواهد اترابا اي لدات وكاسا دهاقا اي مترعة يقال ادهق الحوض اي ملاه لا يسمعون فيها اي في الجنة وقيل في الكاس لغوا ولا كذابا اي لا ينطقون بلغو ولا يكذب بعضهم بعضا وقرئ كذابا بالتخفيف اي لا يكذب به او لا يكاذبه جزاء من ربك مصدر موكد منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا فانه في قوة ان يقال جازى المتقين بمفاز جزاء كاينا من ربك والتعرض لعنوان الربوبية المنبية عن التبليغ الى الكمال شيئا فشيئا مع الاضافة الى ضميره عم مزيد تشريف له عم عطا اي تفضيلا واحسانا منه تعالى اذ لا يجب عليه شيء وهو بدل من جزاء حسابا صفة لعطا بمعنى كافيا على انه مصدر اقيم مقام الوصف او بولغ فيه من احسبه الشيء اذا كفاه حتى قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم وقرئ حسابا بالتشديد على انه بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك رب السموات والارض وما بينهما بدل من ربك وقوله تعالى الرحمن صفة له وقيل صفة للاول وايا ما كان في ذكر ربوبيته تعالى ورحمته الواسعة اشعار بمصدر الجزاء المذكور وقوله تعالى لا يملكون منه خطابا استيناف مقرر لمضمون لما افادته الربوبية والعامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطا من غير ان يكون لاحد قدرة عليه وقرئ برفعهما فقيل على انهما خبران لمبتدا مضمر وقيل الثاني نعت للاول وقيل الاول مبتدا والثاني خبره ولا يملكون خبر اخر وهو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدا والرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره اخر او هو الخبر والرحمن صفة للاول وقيل لا يملكون حال لازمة وقيل الاول مبتدا والرحمن مبتدا ثان ولا يملكون خبره والجملة اي خبر للاول وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه على راي من يقول به والاوجه ان يكون كلاهما مرفوعا على المدح او يكون وحصل الربط بتكرير المبتدا بمعناه على راي من يقول به الثاني نعتا للاول ولا يملكون استيناف على حاله ففيه ما ذكر من الاشعار بمدار الجزاء والعطا كما في البدلية لما ان المرفوع او المنصوب مدحا تابع لما قبله معنى وان كان منقطعا عنه اعرابا كما فصل في قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب من سورة البقرة وقرئ بجر الاول على البدلية ورفع الثاني على الابتدا والخبر ما بعده او على انه خبر لمبتدا مضمر وما بعده استيناف او خبر ثان او حال وضمير لا يملكون لاهل السموات والارض اي لا يملكون ان يخاطبوه تعالى من تلقا انفسهم كما ينبئ عنه لفظ الملك خطابا ما في شيء ما والمراد نفي قدرتهم على ان يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب او زيادة الثواب من غير اذنه على ابلغ وجه واكده وقيل ليس في ايديهم مما يخاطب الله تعالى به ويومر به في امر الثواب والعقاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه او ينقصون منه يوم يقوم الروح والملايكة صفا قيل الروح خلق اعظم من الملايكة واشرف منهم واقرب من العالمين وقيل هو ملك ما خلق الله بعد العرش اعظم منه عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اذا كان يوم القيمة قام هو وحده صفا والملايكة كلهم صفا وعنه عن النبي عم انه قال الروح جند من جنود الله تعالى ليسوا ملايكة لهم روس وايد وارجل ياكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح الاية وهذا قول ابي صالح ومجاهد قالوا ما ينزل من السما ملك الا ومعه واحد منهم نقله البغوي وقيل هم اشراف الملايكة وقيل هم حفظة على الملايكة وقيل هو جبريل عليه السلام وصفا حال اي مصطفين قيل هما صفان الروح صفا واحدا ومتولد والملايكة صفا وقيل صفوف وهو الاوفق بقوله تعالى والملك صفا صفا وقيل يقوم الكل صفا واحدا ويوم ظرف لقوله تعالى لا يتكلمون وقوله تعالى الا من اذن له الرحمن وقال صوابا بدل من ضمير لا يتكلمون العايد الى اهل السموات والارض الذين من جملتهم الروح والملايكة وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبريا ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام الا من اذن

الله تعالى لهم منهم في التكلم وقال ذلك الماذون له قولا صوابا اي حقا فكيف بما يملكون خطاب رب العزة مع كونه اخص من مطلق الكلام واعز منه مراما والا على معنى ان الروح والملايكة مع كونهم افضل الخلايق واقربهم افضل الخلايق واقربهم من الله تعالى اذا لم يقدروا ان يتكلموا بما هو صواب من الشفاعة لمن ارتضى الا باذنه فكيف يملك غيرهم كما قيل فانه مؤسس على قاعدة الاعتزال فمن يسلكه مع تجويزه ان يكون يوما ظرف لما يملكون فعدا اشتبه عليه الشؤون واختلطت به الظنون وقيل الا من اذن الخ منصوب على اصل الاستثنا والمعنى لا يتكلمون الا في حق شخص اذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صوابا اي حقا هو التوحيد واظهار الرحمن في موقع الاضمار للايذان بان مناط الاذن هو الرحمة البالغة لان احدا يستحقه عليه سبحانه وتعالى ذلك اشارة الى يوم قيامهم على الوجه المذكور وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار اليه للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الهول والفخامة ومحله الرفع على الابتدا خبره ومابعده اي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملايكة مصطفين غير قادرين هم وغيرهم على التكلم من الهيبة والجلال اليوم الحق اي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء في قوله تعالى فمن شاء اتخذ الى ربه مابا فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشية محذوف لوقوعها شرطا وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفا الغرابة في تعلقها بها حسب القاعدة المستمرة والى ربه متعلق بمابا قدم عليه اهتماما به ورعاية للفواصل كانه قيل واذا كان الامر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء ان يتخذ مرجعا الى ثواب ربه الذي ذكر شانه العظيم فعل ذلك بالايمان والطاعة وقال قتادة مابا اي سبيلا انا انذرناكم اي بما ذكر في السورة من الايات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواهي او بها وبساير القوارع الواردة في القران عذابا قريبا هو عذاب الاخرة وقربه لتحقق اتيانه حتما ولانه قريب بالنسبة اليه تعالى وان راه بعيدا وسيرونه قريبا لقوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وعن قتادة هي عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين وعن مقاتل هو مقاتل قريش يوم بدر ويابا ه قوله تعالى يوم ينظر المرء ما قدمت يداه فانه اما بدل من عذابا او ظرف لمضمر هو صفة له اي عذابا كاينا يوم ينظر المرء اي يشاهد ما قدمه من خير او شر على ان ما موصولة منصوبة بينظر والعايد محذوف اي ينظر اي شيء قدمت يداه على انها استفهامية منصوبة بقدمت وقيل المرء عبارة عن الكافر وضع المظهر موضع المضمر لزيادة الذم وقيل اي في قوله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ظاهر موضع المضمر لزيادة الذم ويقول الكافر يعني بمنه ليتني كنت ترابا في الدنيا فلم اخلق ولم اكلف او ليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم ابعث وقيل يحشر الله تعالى الحيوان فيقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى ادم وولده وثوابهم فيتمنى ان يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين وما جاء في فضايلها ما روي عن النبي عم انه قال من قرا سورة عم يتساءلون سقاه الله تعالى برد الشراب يوم القيمة والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه

بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات امرا اقسام من الله عز وجل بطوايف الملايكة الذين ينزعون الارواح من الاجساد على الاطلاق كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما او مجاهدا ارواح الكفرة كما قاله علي رضي الله عنه وابن مسعود وسعيد بن جبير ومسروق وينشطونها اي يخرجونها من الاجساد من نشط الدلو من البير اذا اخرجها ويسبحون في اخراجها سبح الغواص الذي يخرج من البحر ما يخرج فيسبقون بارواح الكفرة الى النار وبارواح المؤمنين الى الجنة فيدبرون امر عقابها وثوابها بان تهيؤها لادراك ما اعد لها من الالام واللذات والعطف مع اتحاد الكل تنزيل التغاير العنواني منزلة التغاير الذاتي كما في قوله تعالى حيث قال الشاعر • الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتايب في المزدحم • للاشعار بان كل واحد من الاوصاف المعدودة من معظمات الامور حقيق بان يكون على حياله مناطا لاستحقاق موصوفه للاجلال والاعظام بالاقسام به من غير انضمام الاوصاف الاخر اليه والفا في الاخيرين للدلالة على ترتبهما بغير مهلة • كما في قوله قال • يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالايب • وغرقا مصدر موكد بحذف الزوايد اي اغراقا في النزع حيث تنزعها من اقاصي الاجساد قال ابن مسعود رضي الله عنه تنزع روح الكافر من جسده من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين ثم تغرقها في جسدها ثم تنزعها حتى اذا كادت تخرج تردها في جسده فهذا عملها بالكفار

وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وانتصاب نشطا وسبحا وسبقا ايضا على المصدرية
واما امرا مفعول للمدبرات وتنكيره للتهويل والتفخيم ويجوز ان يراد بالسابحات وما بعدها طوائف
من الملئكة يسبحون في مضيهم اي يسرعون فيه فيسبقون الى ما امروا به من الامور الدنيوية والاخروية
والمقسم عليه محذوف تعويلا على اشارة ما قبله من المقسم به عليه ودلالة ما بعده من احوال القيمة
وهو لتبعثن فان الاقسام بمن يتولى نزع الارواح ويقوم بتدبير امورها يلوح بكون المقسم عليه من
قبيل تلك الامور لا محالة وفيه من الجزالة ما لا يخفى وقد يجوز ان يكون اقساما بالنجوم التي تنزع من
المشرق الى المغرب غرقا في النزع بان تقطع الفلك حتى تنحط في اقصى الغرب وتنشط من برج الى برج اي
تخرج من نشط الثور اذا خرج من بلد الى بلد وتسبح في الفلك فيسبق بعضها بعضا فتدبر امرا نيط بها كاختلاف
الفصول وتقدير الازمنة وتبيين مواقيت العبادات وحيث كانت حركتها من المشرق الى المغرب قسرية
وحركاتها من برج الى برج ملائمة عبر عن الاولى بالنزع وعن الثانية بالنشط او بانفس الغزاة او بايديهم التي تنزع القسي
باغراق السهام وينشطون بالسهم للرمي ويسبحون في البر والبحر فيسبقون الى حرب العدو فيدبرون امرها
او بخيلهم التي تنزع في اعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى
دار الحرب وتسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر امر الظفر والغلبة واسناد التدبير اليها لانها من
اسبابه به مكان والذي يليق بشان التنزيل هو الاول وقوله تعالى يوم ترجف الراجفة منصوب بالمضمر
المضمر والمراد بالراجفة الواقعة التي ترجف عندها الاجرام الساكنة التي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل
زلزلة عظيمة كالارض والجبال وهي النفخة الاولى وقد قيل الراجفة الارض والجبال لقوله تعالى يوم
ترجف الارض والجبال وقوله تعالى تتبعها الرادفة اي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية
حال من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفا للبعث لتبعثن يوم النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك
فانها عبارة عن الزمان الممتد الذي يقع فيه النفختان وبينهما اربعون سنة واعتبار امتداده مع ان البعث لا
يكون الا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعا لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الاولى
حي الا مات ولا عند وقوع الثانية ميت الا بعث وقام وجعله منافة الى الاول ظاهر وقوله وقيل يوم
ترجف منصوب باذكر فتكون الجملة استئنافا مقررا لمضمون كانه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذكر لهم يوم النفختين
فانه وقت بعثهم وقيل هو منصوب بما دل عليه قوله تعالى قلوب يومئذ واجفة اي يوم ترجف وجفت القلوب
قيل قلوب مبتداء ويومئذ متعلق بواجفة وهي صفة للقلوب مسوغة لوقوعه مبتدأ وقوله تعالى ابصارها
اي ابصار اصحابها خاشعة جملة من مبتداء وخبر وقعت خبرا للقلوب وقد قالوا ان حق الصفة ان تكون
معلومة الانتساب الى الموصوف عند السامع حتى قالوا ان الصفات قبل العلم بها اخبار والاخبار بعد
العلم بها صفات فحيث كان ثبوت الوجيف للقلوب وثبوت الخشوع لابصار اصحابها سواء في المعرفة
والجهالة كان جعل الاول عنوانا للموضوع مسلم الثبوت مفروغا عنه وجعل الثاني مخبرا به مقصودا
لافادة تحكما بحتا على ان الوجيف الذي هو عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف
والوجل اشد من خشوع البصر واهول فجعل اهون الشرين عمدة واشدهما فضلة مما لا عهد له في الكلام
وايضا تخصيص الخشوع بقلوب موصوفة بصفة معينة غير مشعرة بالعموم والشمول تهوين للخطب في
موقع التهويل فالوجه ان يقال تنكير قلوب يقوم مقام الوصف المختص سواء حمل على التنويع كما قيل
وان لم يذكر النوع المقابل فان المعنى منسحب عليه او على التكثير كما في شر اهر ذا ناب فان التفخيم كما
يكون بالكيفية يكون بالكمية ايضا كانه قيل قلوب كثيرة يومئذ تقع النفختان واجفة اي شديدة
الاضطراب قال ابن عباس رضي الله عنه خائفة وجلة وقال السدي زائلة عن اماكنها كما في قوله تعالى
اذ القلوب لدى الحناجر وقوله تعالى يقولون ائنا لمردودون في الحافرة حكاية لما يقوله المنكرون للبعث
المكذبون بالايات الناطقة اثر بيان وقوعه بطريق التوكيد القسمي وذكر مقدماته الهائلة وما
يعرض عند وقوعها للقلوب والابصار اي يقولون اذا قيل لهم انكم تبعثون منكرين له متعجبين منه ائنا
لمردودون بعد موتنا في الحافرة في الحالة الاولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته اي طريقته
التي جاء فيها فحفرها اي اثر فيها بمشيه وتسميتها حافرة مع انها محفورة كقوله تعالى عيشة راضية
اي منسوبة الى الحفر والرضاء او كقولهم نهاره صائم على تسمية القابل بالفاعل وقرئ في الحفرة وهي
بمعنى المحفورة وقوله تعالى ائذا كنا عظاما نخرة تاكيد لانكار الرد ونفيه بنسبته الى حالة منافية
له والعامل في اذا مضمر يدل عليه مردودون اي ائذا كنا عظاما بالية نرد ونبعث مع كونها ابعد
شيء من الحياة وقرئ اذا كنا على الخبر واسقاط حرف الانكار وناخرة من نخر العظم فهو نخر وناخر وهو البالي
الاجوف الذي تمر به الريح فيسمع له نخير قالوا حكاية لكفر اخر متفرع على كفرهم السابق ولعل توسيط

قالوا

قالوا بينهما للايذان بان صدور هذا الكفر عنهم ليس بطريق الاطراد والاستمرار مثل كفرهم السابق
المستمر صدوره عنهم في كافة اوقاتهم حسبما ينبئ عنه حكايته بصيغة المضارع اي قالوا بطريق الاستهزاء
مشيرين بطريق الى ما انكروه من الردة في الحافرة مشعرين بغاية بعدها من الوقوع تلك اذا كرة
خاسرة اي ذات خسران او خاسرة اصحابها اي ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وقوله تعالى فانما
هي زجرة واحدة تعليل لمقدر يقتضيه انكارهم لاحياء العظام النخرة التي عبروا عنها بالكرة فان
مداره لما كان استصعابهم اياها رد عليهم بذلك فقيل لا تستصعبوها فانما هي صيحة واحدة اي حاصلة
بصيحة واحدة اي هي النفخة الثانية عبر عنها بها تنبيها على كمال اتصالها بها كانها عينها وقيل هي راجع
الى الرادفة فقوله تعالى فاذا هم بالساهرة حينئذ بيان لترتيب الكرة على الزجرة مفاجاة اي فاذا هم
احياء على وجه الارض بعدما كانوا امواتا في جوفها وعلى الاول بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي
عبر عنها بالزجرة والساهرة الارض البيضاء والمستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من
قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة وقيل لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وقيل اسم
لجهنم وقال الراغب هي وجه الارض وقيل هي ارض القيمة وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ان الساهرة ارض من فضة لم يعص الله تعالى عليها قط خلقها حينئذ وقيل هي ارض يجددها الله
عز وجل يوم القيمة وقيل هي اسم الارض السابعة ياتي بها الله تعالى فيحاسب الخلايق عليها وذلك
حين تبدل الارض وقال المسعودي الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس
وقيل الساهرة بمعنى الصحراء على شفير جهنم وقوله تعالى هل اتيك حديث موسى كلام مستانف وارد
لتسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه بانه يصيبهم مثل ما اصاب من كان اقوى منهم واعظم ومعنى هل
اتيك ان اعتبر هذا اول ما اتاه الله صلى الله عليه وسلم من حديثه عليه الصلاة والسلام ترغيب له في استماع حديثه
كانه قيل هل اتيك حديثه انا اخبرك به وان اعتبر اتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الايجاز في الاقتصاص
اليس قد اتاك حديثه وقوله تعالى اذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى ظرف للحديث لا للاتيان لاختلاف
وقتيهما طوى بضم الطاء غير منون وقرئ منونا وقرئ بالكسر منونا وغير منون فمن نونه اوله بالمكان دون
البقعة وقيل هو كثنى مصدر لنادى او المقدس اي ناداه نداءين او المقدس مرة بعد اخرى اذهب الى فرعون
على ارادة القول وقيل هو تفسير للنداء اي ناداه اذهب وقيل هو على حذف ان المفسرة ويدل عليه قراءة عبد
الله ان اذهب لان في النداء معنى القول انه طغى تعليل للامر او لوجوب الامتثال به فقل بعدما اتيته
هل لك رغبة وتوجه الى ان تزكى بحذف احدى التائين من تتزكى اي تتطهر من دنس الكفر والطغيان وقرئ
تزكى بالتشديد واهديك الى ربك وارشدك الى معرفته عز وجل فتعرفه فتخشى اذ الخشية لا تكون الا
بعد معرفته عز وجل قال عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء وجعل الخشية غاية للهداية لانها ملاك
الامر من خشي الله تعالى اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر امره عليه السلام ان يخاطبه بالاستفهام
الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله
تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والفاء في قوله تعالى فاراه الاية الكبرى فصيحة تفصح عن جمل
مطوية تعويلا على تفصيلها في السور الاخرى فانه عليه السلام ما اراه اياها عقيب هذا الامر بل بعد
ما جرى بينه وبين الله تعالى ما جرى من الاستدعاء والاجابة وغيرهما من المراجعات
وبعد ما جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات الى ان قال ان كنت جئت باية فات بها ان كنت من
الصادقين والاراءة اما بمعنى التبصير او التعريف فان اللعين حين ابصرها عرفها وادعاء سحريتها
كان ارادة منه واظهارا للتجلد ونسبتها اليه عليه السلام بالنظر الى الظاهر كما ان نسبتها الى نون العظمة
في قوله ولقد اريناه اياتنا كلها بالنظر الى الحقيقة والمراد بالاية الكبرى قلب العصا حية وهو قول ابن عباس
رضي الله عنهما فانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها وهو قول مجاهد فانهما كالاية
الواحدة وقد عبر عنهما بصيغة الجمع حيث قيل اذهب انت واخوك باياتي باعتبار ما في تضاعيفهما من بدائع
الامور التي كل منها اية بينة لقوم يعقلون كما مر تفصيله في سورة طه ولا مساغ لحملها على مجموع معجزاته
فان ما عدا الايتين من الايات التسع انما ظهرت على يده عليه السلام بعد ما غلب السحرة على
مهل في نحو من عشرين سنة كما مر في سورة الاعراف ولا ريب في ان هذا مطلع القصة وامر السحرة مترتب
عليه فكذب بموسى وسمى معجزته سحرا وعصى الله عز وجل بالتمرد بعد ما علم صحة الامر ووجوب الطاعة
اشد عصيان واقبحه حيث اجترأ على انكار وجود رب العالمين رأسا وكان اللعين وقومه مأمورين
بعبادته عز وعلا وترك العظيمة التي كان يدعيها الطاغية ويقبلها منه فئته الباغية لا بارسال بني
اسرائيل من الاسر والقسر فقط ثم ادبر اي تولى عن الطاعة وانصرف عن المجلس يسعى يجتهد في

معا دهشة الاية او اريد ثم اقبل اي انشا يسعى في منع موضعه ادبر متحاشيا عن وصفه بالاستقبال
وقيل ادبر هاربا من الثعبان فانه روي انه عليه السلام لما القى العصا انقلبت ثعبانا اشعر فاغرا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر فتوجه نحو فرعون فهرب
واحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون الفا انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل ثم
انحطت مقبلة نحو فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون انشدك الله بالذي ارسلك
الا اخذته فاخذه فعاد عصا وياباه ان ذلك كان قبل الاصرار على التكذيب والعصيان والتصدي للمعارضة
كما يعرب عنه قوله تعالى فحشر اي فجمع السحرة لقوله فارسل في المداين حاشرين وقوله تعالى فتولى فرعون فجمع
اي ما يكاد به من السحرة والاتهم وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة فاخذه الله نكال الاخرة والاولى
النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب الذي ينكل من رآه او سمعه ويمنعه من تعاطي ما
يفضي اليه ومحله النصب على انه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله نكال الاخرة
والاولى وهو الاحراق في الاخرة والاغراق في الدنيا وقيل مصدر لاخذ اي اخذه الله اخذ نكال الاخرة وقيل
مفعول له اي اخذه لاجل نكال الاخرة وقيل نصب على نزع الخافض اي اخذه بنكال الاخرة والاولى
واضافته الى الدارين باعتبار وقوع نفس الاخذ فيهما لا باعتبار ان ما فيه من معنى المنع يكون فيهما
فان ذلك لا يتصور في الاخرة بل في الدنيا فان العقوبة الدنيوية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي
ما يؤدي اليها لا محالة وقيل المراد بالاخرة والاولى قوله انا ربكم الاعلى وقوله ما علمت لكم من اله غيري
قيل كان بين الكلمتين اربعون سنة والاضافة اضافة السبب الى المسبب ان في ذلك اي فيما ذكر من قصة
فرعون وما فعل وما فعل به لعبرة عظيمة لمن يخشى اي لمن من شانه ان يخشى وهو من من شانه المعرفة وقوله
تعالى اانتم اشد خلقا خطاب لاهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت
بعد ما بين كمال سهولته بالنسبة الى قدرة الله عز وجل بقوله تعالى فانما هي زجرة واحدة اي اخلقكم بعد موتكم اشد
اي اشق واصعب في تقديركم ام السماء اي ام خلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله تعالى او ليس الذي
خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقوله تعالى بناها الى اخره بيان وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد
من قوله ام السماء وفي عدم ذكر الفاعل فيه وفيما عطف عليه من الافعال من التنبيه على ان تعينه وتفخيم شانه
عز وجل ما لا يخفى وقوله تعالى رفع سمكها بيان للبناء اي جعل مقدار ارتفاعها من الارض وذهابها الى سمت
العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام فسويها فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور او
فتممها بما علم انها تتم به من الكواكب والتداوير وغيرها مما لا يعلمه الا الخالق العليم من قولهم سوى امره فلان
اذا اصلحه واغطش ليلها اي جعله مظلما يقال غطش الليل واغطشه الله تعالى كما يقال ظلم واظلمه وقد مر
هذا في قوله تعالى واذا اظلم عليهم قاموا ويقال ايضا اغطش الليل كما يقال اظلم واخرج ضحيها اي ابرز نهارها
وعبر عنه بالضحى لانه اشرف اوقاته واطيبها فكان احق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تاخير ذكره
عن ذكر الليل وفي التعبير عن احداثه بالاخراج فان اضافة النور بعد الظلمة اتم في الانعام واكمل في
الاحسان والاضافة الليل والضحى الى السماء لانهما يحدثان بحركتها ويجوز ان يكون اضافة الضحى
اليها بواسطة النور والارض بعد ذلك دحيها اي بسطها ومهدها لسكنى اهلها وتقلبهم في اقطارها وانتصاب الارض بمضمر يفسره دحيها اخرج
منها ماءها بان فجر منها عيونا واجرى انهارا ومرعيها اي رعيها وهو في الاصل موضع الرعي وقيل هو مصدر
ميمي بمعنى المفعول وتجريد الجملة عن العاطف اما لانها بيان وتفسير لدحيها وتكملة له فان السكنى لا
تتاتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية امر المعاش من الماكل والمشارب حتما واما لانها حال من
فاعله باضمار قد عند الجمهور او بدونه عند الكوفيين والاخفش كما في قوله تعالى او جاؤكم حصرت صدورهم
والجبال منصوب بمضمر يفسره ارسيها اي اثبتها واثبت بها الارض ان تميد باهلها وهذا تحقيق الحق وتنبيه
على ان الرسو المنسوب اليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها
بل هو بارسائه عز وجل ولولاه لما ثبتت في نفسها فضلا عن اثباتها الارض وقرئ والارض والجبال
بالرفع على الابتداء ولعل تقديم اخراج الماء والمرعى ذكرا مع تقدم الارساء عليه وجودا وشدة تعلقه
بالدحو لابراز كمال الاعتناء بامر الماكل والمشرب مع ما فيه من دفع توهم رجوع ضمير الماء والمرعى
الى الجبال وهذا كما ترى يدل بظاهره على تاخير دحو الارض عن خلق السماء وما فيها لما يروى عن الحسن من
انه تعالى خلق الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم اصعد الدخان
وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض وذلك قوله تعالى كانتا رتقا
ففتقناهما الاية وقد مر في سورة حم السجدة ان قوله تعالى قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في
يومين الى قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان الاية ان حمل على ما فيه من الخلق وما عطف عليه

[هامش: بجنوده ويجوز ان يراد بجمع الناس فنادى في المجمع بنفسه او بواسطة المنادي فقال انا ربكم الاعلى قيل صح]

[هامش: الضحى اي ابرز ضوء شمسها والتعبير عنه بالضحى لانه وقت قيام سلطانها وكمال اشراقها والارض بعد ذلك دحيها اي بسطها صح]

من

620

من الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة لا على تقديرها فهو وما في سورة البقرة من قوله تعالى هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات يدلان على تقديم خلق الارض
وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه اطباق اكثر اهل التفسير وقد روي ان العرش كان قبل خلق
السموات والارض على الماء ثم انه تعالى احدث في الماء اضطرابا فازبد فارتفع منه دخان فاما الزبد
فبقي على وجه الماء فخلق منه اليبوسة فجعله ارضا واحدة ثم فتقها فجعلها ارضين واما الدخان فارتفع
وعلا فخلق منه السموات وروي انه تعالى خلق جرم الارض يوم الاحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق
ما فيها يوم الثلثاء ويوم الاربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق ادم عليه السلام
في اخر ساعة منه وهي الساعة التي تقوم فيها القيمة فالاقرب كما قيل تاويل هذه الاية بان يجعل ذلك
اشارة الى ذكر ما ذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا الى نفسها ويحمل بعدية الدحو عنها
على البعدية في الذكر كما هو المعهود في السنة العرب والعجم لا في الوجود لما عرفت من ان انتصاب الارض
بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد القصر ويتعين البعدية في الوجود
وفائدة تاخيره في الذكر اما التنبيه على انه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة الى احوال
السماء واما الاشعار بانه ادخل في الالزام لما ان المنافع المنوطة بما في الارض اكثر وتعلق مصالح الناس
بذلك اظهر واحاطتهم بتفاصيل احواله اكمل وليس ما روي عن الحسن رحمه الله تعالى نصا في تاخر دحو
الارض عن خلق السماء فان دحو الارض معطوف على اصعاد الدخان وخلق السماء بالواو التي هي بمعزل
عن الدلالة على الترتيب هذا على تقدير حمل ما ذكر في ايات سورة السجدة من الخلق وما عطف عليه من
الافعال الثلاثة على معانيها الظاهرة واما اذا حملت على تقديرها فلا دلالة فيها الا على تقديم تقدير
الارض وما فيها على ايجاد السماء كما لا دلالة على الترتيب اصلا اذا حملت كلمة ثم فيها وفيما في سورة
البقرة على التراخي في الرتبة وقد سلف تفصيل الكلام في السورة المذكورة وقوله تعالى متاعا لكم
اما مفعول له اي فعل ذلك تمتيعا لكم ولانعامكم لان فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد واخراج
الماء والمرعى واصلة اليهم والى انعامهم فان المراد بالمرعى ما يعم ما ياكله الانسان وغيره بناء على استعارة
الرعي للاكل على الاطلاق كاستعارة المرسن للانف وقيل مصدر مؤكد لفعله المضمر اي متعكم بذلك
متاعا او مصدر من غير لفظه فان قوله تعالى اخرج منها ماءها ومرعاها في معنى متع بذلك وقوله
تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات اي تعلوها وتغلبها
وهي القيمة والنفخة الثانية وقيل هي الساعة التي يساق فيها الخلايق الى محشرهم وقيل التي يساق فيها اهل الجنة
الى الجنة واهل النار الى النار شروع في بيان احوال معادهم اثر بيان احوال معاشهم بقوله تعالى متاعا لكم
الى اخره والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها كما ينبئ عنه لفظ المتاع يوم يتذكر الانسان ما سعى
قيل هو بدل من اذا جاءت والاظهر انه منصوب باعني كما قيل تفسير للطامة الكبرى فان الابدال منها بالظرف
المحض مما يوهن تعلقها بالجواب ويجوز ان يكون بدلا من الطامة الكبرى مفتوحا لاضافته الى الفعل على راي
الكوفيين اي يتذكر فيه كل احد ما عمله من خير او شر بان يشاهده مدونا في صحيفة اعماله وقد كان نسيه
من فرط الغفلة وطول الامل كقوله تعالى احصاه الله ونسوه ويجوز ان يكون ما مصدرية وبرزت الجحيم
عطف على جاءت اي اظهرت اظهارا بينا لا يخفى على احد لمن يرى اي كائنا من كان يروى انه يكشف عنها
فتتلظى فيراها كل ذي بصر وقرئ وبرزت بالتخفيف لمن رأى ولمن ترى على ان فيه ضمير الجحيم كما في قوله
تعالى فاما من طغى الى اخره جواب فاذا جاءت على طريقة قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى الاية
وقيل هو تفصيل للجواب المحذوف تقديره انقسم الراؤون قسمين فاما من الى اخره والذي يستدعيه
فخامة التنزيل ويقتضيه مقام التهويل ان الجواب المحذوف كان من عظائم الشؤون ما لم تشاهده
العيون كما مر في قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل اي فاما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد
في العصيان واثر الحياة الدنيا التي ذكرتها هي الماوى اي هي ماواه واللام سادة مسد الاضافة
للعلم بان صاحب الماوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف ودخول اللام في الماوى والطرف
للتعريف لانهما معروفان وهي ضمير فصل او مبتدا قيل نزلت الاية في النضر وابيه الحارث المشهورين
بالغلو في الكفر والطغيان واما من خاف مقام ربه اي مقامه بين يدي مالك امره يوم الطامة
الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى ونهى النفس عن الهوى عن الميل اليه بحكم الجبلة البشرية
ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علما منه بوخامة عاقبتها
فان الجنة هي الماوى له لا غيرها وقيل نزلت الايتان في ابي عزيز بن عمير ومصعب ابن عمير وقد
قتل مصعب اخاه ابا عزيز يوم احد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى استشهد رضي الله عنه هذا

[هامش: الغاية التي هي على جناح النفوات فانه ... فيما ... الاخرة الابدية بالابيات ... فان الجحيم صح]

وقد قيل جواب اذا ما يدل عليه قوله تعالى يوم يتذكر الى آخره اى فاذا جاءت الطامة الكبرى
الانسان ما سعى على طريقة قوله تعالى علمت نفس ما احضرت وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت
فيكون قوله تعالى وبرزت الجحيم عطفا عليه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وحالا من الانسان
باضمار قد او بدونه على اختلاف الرايين ولمن يرى معنى عن العايد وقوله تعالى فاما من طغى الى اخره
تفصيل لحال يتذكر ما سعى تقسيما له بحسب اعماله الى القسمين المذكورين يسألونك عن الساعة ايان
مرسيها متى ارساؤها اى اقامتها يريدون متى يقيمها الله تعالى ويثبتها ويكونها وقيل ايان منتهاها
ومستقرها كما ان مرسى السفينة حيث تنتهى اليه وتستقر فيه وقوله تعالى فيم انت من ذكريها انكار
انكار ورد لسؤال المشركين عنها اى فى اى شىء انت من ان تذكر لهم وقتها وتعلمهم حتى يسألونك بيانها
كقوله تعالى يسألونك كانك حفى عنها اى ما انت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شىء لان ذلك فرع
علمك به وانى لك ذلك وهو مما استاثر بعلمه علام الغيوب ومن قال بصدد التعليل فان ذكرها
لا يزيدهم الا غيا فقد نأى وانى لك ذلك وهو مما اختار عن الحق وقيل فيم انكار لسؤالهم وما بعده من
الاستيناف تعليل للانكار وبيان لبطلان السؤال اى فيم هذا السؤال ثم ابتدأ فقيل انت من ذكراها
اى ارسالك وانت خاتم الانبياء المبعوث فى نسم الساعة علامة من علاماتها ودليل يدلهم على
العلم بوقوعها عن قريب فحسبهم هذه المرتبة من العلم فالمعنى قوله تعالى الى ربك منتهاها اى على هذا
الوجه اليه تعالى يرجع منتهى علمها اى علمها بكنهها وتفاصيل امرها ووقت وقوعها لا الى احد غيره
وانما وظيفتهم ان يعلموا باقترابها ومشارفتها وقد حصل لهم ذلك ببعثتك فما معنى سؤالهم بعد
ذلك واما على الاول فمعناه اليه تعالى انتهاء علمها ليس لاحد منه شىء ما كائنا من كان فلاى شىء يسألونك
عنها انما انت منذر من يخشيها على الوجه الاول تقرير لما قبله من قوله تعالى فيم انت من ذكراها يوم بيان
ان ليس له عم ان يذكرها بوجه من الوجوه فاسع ذلك ببيان ان المنهى عنه عم ذكرها لهم بتعيين وقتها حسبما
كانوا يسألونه عنها فالمعنى انما انت منذر من يخشاها وظيفتك الامتثال بما امرت به من بيان اقترابها
وتفصيل ما فيها من فنون الاهوال كما تحيط به خبرا لا تعيين وقتها الذى لم يفوض اليك فما لهم يسألونك
عما ليس من وظايفك بيانه وعلى الوجه الثانى هو تقرير لقوله تعالى انت من ذكراها ببيان ان ارساله
عم وهو خاتم الانبياء عليهم الصلاة والسلام منذر بمجىء الساعة كما ينطق به قوله عم بعثت انا والساعة
كهاتين اى كادت لتسبقنى وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف صالح للحال والاستقبال
فاذا اريد الماضى تعينت الاضافة وتخصيص الانذار بمن يخشى مع عموم الدعوة لانه المنتفع به وقوله تعالى
كانهم يوم يرونها اما تقرير وتاكيد لما ينبئ عنه الانذار من سرعة مجىء المنذر به لا سيما على الوجه الثانى
اى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا بعد الانذار بها الا عشية يوم واحد او ضحاها فلما ترك اليوم اضيف
ضحاه الى عشيته واما رد لما يدعونه فى سؤالهم لانهم كانوا يسألونك عنها بطريق الاستبطاء مستعجلين
لها وان كان على نهج الاستهزاء بها على عشية او ضحاها فاعتبار كون اللبث فى الدنيا او فى القبور لا
يقتضيه اعتبار كونه بعد الانذار او بعد الوعيد تحقيقا للانذار ورد الاستبطائهم والجملة على الاول
حال من الموصول فانه على تقدير الاضافة وعدمها مفعول لمنذر كما ان قوله تعالى كان لم يلبثوا الا
ساعة من النهار حال من ضمير المفعول فى يحشرهم اى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث فى الدنيا الا ساعة
خلا ان التشبيه هناك فى الاحوال الظاهرة من الزى والهيئة وفيما نحن فيه من الاعتقاد كانه قيل
تنذرهم مشبهين يوم يرونها فى الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الانذار بها الا تلك المدة اليسيرة وعلى
الثانى مستأنفة لا محل لها من الاعراب عن النبى عم انه قال من قرأ سورة والنازعات كان ممن
حبسه الله عز وجل فى القبر والقيمة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة والله سبحانه اعلم ٭ ٭

بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى روى ان ابن ام مكتوم واسمه عبد الله
ابن شريح بن مالك ابن ربيعة الفهرى وام مكتوم اسم ام ابيه اتى رسول الله عم وعنده صناديد
قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف
والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال له يا رسول الله اقرئنى
وعلمنى مما علمك الله تعالى وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عم بالقوم فكره رسول الله عم قطعه
لكلامه وعبس على اختلاف الى واعرض عنه فنزلت فكان رسول الله عم يكرمه ويقول مرحبا

بمن

مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقرئ عبس
بالتشديد للمبالغة وان جاءه علة للتولى او عبس على اختلاف الرايين اى لان جاءه الاعمى
والتعرض لعنوان عماه اما لتمهيد عذره فى الاقدام على قطع كلامه عم بالقوم والايذان
باستحقاقه بالرفق والرافة واما لزيادة الانكار كانه قيل تولى لكونه اعمى كما ان الالتفات فى قوله
تعالى وما يدريك لذلك فان المشافهة ادخل فى التشديد والعتاب اى واى شىء يجعلك داريا
بحاله حتى تعرض عنه وقوله لعله يزكى استيناف وارد لبيان ما يلوح به ما قبله فانه مع اشعاره بان
له شانا منافيا للاعراض عنه خارجا عن دراية الغير وادرائه مؤذن بانه تعالى يدريه ذلك اى لعله
يتطهر بما يقتبس منك من اوضار الاوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكى واردة على سنن الكبرياء
او على اعتبار معنى الترجى بالنسبة اليه عم للتنبيه على ان الاعراض عنه عند كونه مرجو التزكى مما لا يجوز
فكيف اذا كان مقطوعا بالتزكى كما فى قولك لعلك ستندم على ما فعلت وفيه اشارة الى ان من تصدى
لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكى والتذكر اصلا وقوله تعالى او يذكر عطف على يزكى داخل معه
فى حكم الترجى وقوله تعالى فتنفعه الذكرى بالنصب على جواب لعل وقرئ بالرفع عطفا على يذكر اى
او يتذكر فتنفعه موعظتك ان لم يبلغ درجة التزكى التام وقيل الضمير فى لعله للكافر فالمعنى انك
طمعت فى ان يتزكى او يتذكر فتنفعه الذكرى الى قبول الحق ولذلك توليت عن الاعمى وما يدريك ان
ذلك مرجو الوقوع اما من استغنى اى عن الايمان وعما عندك من العلوم والمعارف التى تنطوى
عليها القرآن فانت له تصدى اى تتصدى وتتعرض بالاقبال عليه والاهتمام بارشاده واستصلاحه
وفيه مزيد تنفير له عم عن مصاحبتهم فان الاقبال على المدبر ليس من شيم الكرام وقرئ تصدى بادغام
التاء فى الصاد وقرئ تصدى بضم التاء اى تعرض ومعناه يدعوك الى التصدى له داع الى الحرص والتهالك
على اسلامه وما عليك الا يزكى وليس عليك باس فى ان لا يتزكى بالاسلام حتى تهتم بامره وتعرض عمن
اسلم والجملة حال من ضمير تصدى وقيل ما استفهامية للانكار اى اى شىء عليك فى ان لا يتزكى ومآله النفى ايضا
واما من جاءك يسعى اى حال كونه مسرعا طالبا لما عندك من احكام الرشد وخصال الخير وهو يخشى اى الله
تعالى وقيل يخشى اذية الكفار فى اتيانك وقيل يخشى الكبوة فانه لم يكن معه قائد والجملة حال من فاعل
يسعى كما انه حال من فاعل جاءك فانت عنه تلهى تتشاغل يقال لهى عنه والتهى وتلهى اى بالتهيك شان
الصناديد وفى تقديم ضميره عم على الفعلين تنبيه على ان مناط الانكار خصوصيته عم اى مثلك خصوصا
لا ينبغى ان يتصدى للمستغنى ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وتقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عم
من التصدى والتلهى عما دعاه اليه من الايمان والطاعة وما يوجبهما من القرآن الكريم مبالغ فى
الاهتمام بامرهما الفاعل لملامة معرضا بسبب ذلك عن ارشاد من يسترشده وقوله تعالى انها
تذكرة اى موعظة يجب ان يتعظ بها ويعمل بموجبها تعليل للردع عما ذكر ببيان علو رتبة القرآن العظيم
الذى استغنى عنه من تصدى عم له وتحقيقه ان شاء ذكره ان يكون موعظة حقيقة بالاتعاظ بها فمن رغب فيها
اتعظ بها كما نطق به قوله تعالى فمن شاء ذكره اى حفظه واتعظ به ومن رغب عنها كما فعله المستغنى فلا
حاجة الى الاهتمام بامره فالضمير ان للقرآن وتانيث الاول لتانيث خبره وقيل الاول للسورة او
للآيات السابقة والثانى للتذكرة لانها فى معنى الذكر والوعظ وليس بذاك فان السورة والآيات
وان كانت متصفة بما سيأتى من الصفات الشريفة لكنها ليست مما القى على من استغنى عنه واستحق بسبب
ذلك ما سياتى من الدعاء عليه والتعجب من كفره المفرط لنزولها بعد الحادثة واما من جوز رجوعهما الى العتاب
المذكور فقد اخطأ واساء الادب وخبط خبطا يقضى منه العجب فتامل وكن على الحق المبين وقوله تعالى
فى صحف مكرمة متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض جىء به للترغيب فيها والحث على حفظها اى
كائنة فى صحف منتسخة من اللوح او خبر ثان لان مكرمة عند الله عز وجل مرفوعة اى فى السماء
السابعة او مرفوعة المقدار مطهرة منزهة عن مساس ايدى الشياطين بايدى سفرة اى كتبة
من الملائكة عليهم السلام ينتسخون الكتب من اللوح على انه جمع سافر من السفر وهو الكتب وقيل
بايدى رسل من الملائكة يسفرون بالوحى بينه تعالى وبين الانبياء على انه جمع سفير من السفارة
وحملهم على الانبياء عليهم السلام بعيد فان وظيفتهم التلقى من الوحى لا الكتب منه وارشاد الامة
بالامر والنهى وتعليم الشرايع والاحكام لا مجرد السفارة اليهم وكذا حملهم على القراء لقراءتهم الاسفار او على
اصحابه عم وقد قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وان جاز الاطلاق بحسب
اللغة والباء متعلقة بمطهرة وقال القفال لما لم يمسها الا الملائكة المطهرون اضيف التطهير اليها
لطهارة من يمسها وقال القرطبى ان المراد بما فى قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون هؤلاء السفرة

الكرام البررة كرام عند الله عز وجل او متعطفين على المؤمنين يكلمونهم ويستغفرون لهم بررة
اتقياء وقيل مطيعين لله تعالى من قولهم فلان يبر خالقه اى يطيعه وقيل صادقين من بر في يمينه
قتل الانسان دعاء عليه باشنع الدعوات وقوله تعالى ما اكفره تعجب من افراطه في الكفران وبيان
لاستحقاقه للدعاء عليه والمراد به اما من استغنى عن القرآن العظيم الذي ذكرت نعوته الجليلة الموجبة
للاقبال عليه والايمان به واما الجنس باعتبار انتظامه له ولامثاله من افراده لا باعتبار جميع افراده
وفيه مع قصر متنه وتقارب قطريه من الانباء عن سخط عظيم ومذمة بالغة ما لا غاية وراءه وقوله
تعالى من اى شيء خلقه شروع في بيان افراطه في الكفران بتفصيل ما افاض عليه من مبدا فطرته الى منتهى
عمره من فنون النعم الموجبة لقضاء حقها بالشكر والطاعة مع اخلاله بذلك وفي الاستفهام عن مبدا
خلقه ثم بيانه بقوله تعالى من نطفة خلقه تحقير له اى من اى شيء حقير مهين خلقه من نطفة مذرة خلقه
فقدره فهيأه لما يصلح له ويليق به من الاعضاء والاشكال او فقدره اطوارا الى ان تم خلقه وقوله تعالى
ثم السبيل يسره منصوب بمضمر يفسره الظاهر اى ثم سهل مخرجه من البطن بان فتح له فم الرحم والهمه ان
تنتكس او بين له سبيل الخير والشر ومكنه من السلوك فيهما وتعريف السبيل باللام دون الاضافة
للاشعار بعمومه ثم اماته فاقبره اى جعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحا على وجه
الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه واقبره اذا امر بدفنه او مكن
منه وعد الاماتة من النعم لانها وصلة في الجملة الى الحياة الابدية والنعيم المقيم ثم اذا شاء انشره
اى انشاءه انشره على القاعدة المستمرة في حذف مفعول المشيئة وفي تعليق الانشار بمشيئته تعالى
ايذان بان وقته غير متعين بل هو تابع لها كلا ردع للانسان عما هو عليه وقوله تعالى لما يقض
ما امره بيان لسبب الردع اى لم يقض بعد من لدن آدم عليه السلام الى هذه الغاية مع طول المدى
وامتداده ما امره الله تعالى باسره اذ لا يخلو احد من تقصير ما كذا قالوا وهكذا نقل عن مجاهد
وقتادة ولا ريب في ان مساق الآيات الكريمة لبيان غاية عظم جناية الانسان وتحقيق كفرانه المفرط
المستوجب للسخط العظيم وظاهر ان ذلك لا يتحقق بهذا القدر من التقصير لا يخلو عنه احد من افراده
كيف لا وقد قال عليه السلام شيبتني سورة هود لما فيها من قوله تعالى فاستقم كما امرت فالوجه ان يحمل
عدم القضاء على عموم النفي لا على نفي العموم اما على ان المحكوم عليه هو المستغني او هو الجنس لكن
لا على الاطلاق بل على ان مصداق الحكم بعدم القضاء بعض افراده وقد اسند الى الكل كما في قوله تعالى
ان الانسان لظلوم كفار للاشباع في اللوم بحكم المجانسة على طريقة قولهم بنو فلان قتلوا فلانا
والقاتل واحد منهم واما على ان مصداقه كل من يجب كل بطريق رفع الايجاب الكلي دون السلب
الكلي فالمعنى لما يقض جميع افراده ما امره بل اخل به بعضها بالكفر والعصيان مع ان مقتضى ما
فصل من فنون النعماء الشاملة للكل ان لا يتخلف عنه احد اصلا هذا وقد قيل كلا بمعنى حقا
فيتعلق بما بعده اى حقا لم يعمل بما امر به وقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه شروع في تعداد
النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه اى فلينظر الى طعامه الذي عليه يدور
امر معاشه كيف دبرناه وقوله تعالى انا صببنا الماء صبا اى الغيث بدل اشتمال من طعامه لان الماء
سبب لحدوث الطعام فهو مشتمل عليه وقرئ انا على الاستئناف وقرئ انى بالامالة اى كيف صببنا الى
آخره اى صببناه صبا عجيبا ثم شققنا الارض اى بالنبات شقا بديعا لائقا بما يشقها من النبات صغرا
وكبرا وشكلا وهيئة وجعل شقها على ما كرّاب يجعل اسناده الى نون العظمة من قبيل اسناد الفعل الى سببه
يأباه كلمة ثم والفاء في قوله تعالى فانبتنا فيها حبا فان الشق بالمعنى المذكور لا ترتب بينه وبين
الامطار اصلا ولا بينه وبين انبات الحب بلا مهلة وانما الترتيب بين الامطار وبين الشق بالنبات
على التراخي المعهود وبين الشق المذكور وبين انبات الحب مهلة فان المراد بالنبات ما نبت من
الارض الى ان يتكامل النمو وينعقد الحب فان انشقاق الارض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع الى
تلك المرتبة على ان مساق النظم الكريم لبيان النعم الفائضة من جنابه تعالى على وجه بديع خارج
عن العادات المعهودة كما ينبئ عنه تأكيد الفعلين بالمصدرين فتوسيط فعل المنعم عليه في حصول
تلك النعم مخل بالمرام وقوله تعالى وعنبا عطف على حبا وليس من لوازم العطف ان يقيد المعطوف
بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو انبات العنب عن شق الارض وقضبا اى رطبة
سميت بمصدر قضبه اى قطعه مبالغة كانها لتكرر قطعها وتكثره نفس القطع وزيتونا ونخلا
الكلام فيهما وفي امثالهما كما في العنب وحدائق غلبا اى عظاما وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة
اشجارها او لانها ذات اشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب وفاكهة وابا اى مرعى من ابه

[illegible]
او لاجل من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به واما الفرار حذرا من مطالبتهم
او بغضا لهم كما يروى عن ابن عباس انه يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه ويفر ابراهيم
عليه السلام من ابيه ونوح عليه السلام من ابنه ولوط عليه السلام من امرأته فليس من قبيل
هذا المقام وكذا ما يروى ان الرجل يفر من اصحابه واقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال
وقرئ يعنيه بالياء المفتوحة والعين المهملة اى يهمه من عناه الامر اذا اهمه اى اوقعه في الهم ومنه من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه لا من عناه اذا قصده كما قيل وقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة بيان لمآل المذكورين
وانقسامهم الى السعداء والاشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وان كانت نكرة لكونها
في حيز التنويع ومسفرة خبره ويومئذ متعلق به اى مضيئة متهللة من اسفر الصبح اذا اضاء وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان ذلك من قيام الليل وفي الحديث من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من
آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة مستبشرة بما تشاهده من النعيم المقيم والبهجة
الدائمة ووجوه يومئذ عليها غبرة اى غبار وكدورة ترهقها قترة تعلوها وتغشاها قترة اى سواد وظلمة
اولئك اشارة الى اصحاب تلك الوجوه وما فيه من معنى البعد للايذان ببعد درجتهم في سوء الحال اى اولئك
الموصوفون بسواد الوجه وغيره اولئك هم الكفرة الفجرة الجامعون بين الكفر والفجور فلذلك جمع الله
عز وجل الى سواد وجوههم الغبرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت اى لفت من كورت العمامة اذا لففتها على ان المراد
بذلك اما رفعها واذهابها عن مقرها فان الثوب اذا اريد رفعه يلف لفا ويطوى ونحوه قوله تعالى يوم نطوي
السماء واما لف ضوئها المنبسط في الآفاق المنتشر في الاقطار على انه عبارة عن ازالتها والذهاب بها بحكم
استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم او القيت عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره
اذا القاه على الارض وعن ابي صالح كورت نكست وعن ابن عباس تكويرها ادخالها في العرش ومدار التركيب
على الادارة والجمع وارتفاع الشمس على انه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور وعند البعض على الابتداء
واذا النجوم انكدرت اى انقضت وقيل تناثرت وتساقطت روي عن ابن عباس انه لا يبقى يومئذ نجم الا سقط
في الارض وعنه ايضا رضي الله عنه ان النجوم قناديل معلقة بين السماء والارض بسلاسل من نور بايدي ملائكة من نور
فاذا مات من في السموات ومن في الارض تساقطت من ايديهم وقيل انكدارها انطماس نورها ويروى ان الشمس
والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها كما قال تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم واذا الجبال

سيرت اى عن اماكنها بالرجفة الحاصلة لا فى الجو فان ذلك بعد النفخة الثانية واذا العشار جمع عشرا وهى الناقة
التى اتى على حملها عشرة اشهر وهو اسمها الى ان تضع لتمام السنة وهى انفس ما تكون عند اهلها واعزها عليهم
عطلت تركت مهملة لاشتغال اهلها بانفسهم وقيل العشار السحائب فان العرب تشبهها بالحامل ومنه
قوله تعالى والحاملات وقرا وتعطيلها عدم امطارها وقرئ عطلت بالتخفيف واذا الوحوش حشرت
اى جمعت من كل جانب وقيل بعثت للقصاص قال قتادة يحشر كل شى والذباب للقصاص فاذا اقتص منها ردت
ترابا فلا يبقى الا ما فيه سرور لبنى ادم واعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وقرئ حشرت بالتشديد
واذا البحار سجرت اى احميت او ملئت بتفجير بعضها الى بعض حتى يعود بحرا واحدا التنور واذا ملاه بالحطب
ليحميه وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب اهل النار ويحتمل يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة
وقرئ سجرت بالتخفيف واذا النفوس زوجت اى قرنت باجسادها اى قرنت كل نفس بشكلها او بعملها او
نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين واذا الموؤدة اى المدفونة حية وكانت العرب تئد البنات
مخافة الاملاق بهم من اجلهن قيل كان الرجل اذا ولدت له بنت البسها جبة من صوف او شعر حتى اذا
بلغت ست سنين ذهب بها الى الصحراء وقد حفر لها فيلقيها فيها ويهيل عليها التراب وقيل كانت الحامل
اذا قربت حفرت فتمخضت على راس الحفرة فاذا ولدت بنت رمت بها فى الحفرة وان ولدت ابنا حبسته
سئلت باى ذنب قتلت توجيه السؤال اليها لتسليتها واظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها واسقاطه
عن درجة الخطاب والمبالغة فى تبكيته كما فى قوله تعالى انت قلت للناس اتخذونى وامى الهين الاية وقرئ
سالت اى خاصمت او سالت الله تعالى او قاتلها وانما قيل قتلت لما ان الكلام اخبار عنها لا حكاية لما
خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب ولا حكاية لكلامها حين سالت ليقال قتلت على
الحكاية عن نفسها وقد قرئ كذلك بالتشديد ايضا وعن ابن عباس رضوان الله عليهم انه سئل عن اطفال المشركين
فقال لا يعذبون واحتج بهذه الاية واذا الصحف نشرت اى صحف الاعمال فانها تطوى عند الموت وتنشر عند
الحساب عن النبى عم قال يحشر الناس حفاة عراة فقالت ام سلمة فكيف بالنساء فقال عليه افضل الصلاة
والسلام شغل الناس يا ام سلمة قالت وما يشغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل
وقيل نشرت اى فرقت بين اصحابها عن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيمة تطايرت الصحف من تحت العرش
فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم اى مكتوب فيها ذلك
وهى صحف غير صحف الاعمال واذا السماء كشطت قلعت وازيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء
عن الشى المستور به وقرئ قشطت واعتقاب القاف والكاف غير عزيز كما قرئ القافور والكافور واذا الجحيم سعرت
اى اوقدت ايقادا شديدا قيل سعرها غضب الله عز وجل وخطايا بنى ادم وقرئ سعرت بالتخفيف
والجنة ازلفت اى قربت من المتقين كقوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد وقيل هذه الاية اثنى عشر
خصلة ست منها فى الدنيا اعنى فيما بين النفختين وهن من اول السورة الى قوله تعالى واذا البحار سجرت على ان
المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست فى الاخرة اى بعد النفخة الثانية وقوله
تعالى علمت نفس ما احضرت جواب اذا على ان المراد بها زمان واحد ممتد يسع ما فى سياقها وسياق ما عطف
عليها من الخصال مبداه النفخة الاولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى انها تعلم ما تعلم فى كل
جزء من اجزاء ذلك الوقت المديد او عند وقوع داهية من تلك الدواهى بل عند نشر الصحف الا انه لما كان
بعض تلك الدواهى من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك الى زمان وقوع كلها تهويلا للخطب وتفظيعا
للحال والمراد بما احضرت اعمالها من الخير والشر وبحضورها اما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها واما
حضور انفسها على ما قالوا من ان الاعمال الظاهرة فى النشاة بصور عرضية تبرز فى النشاة الاخرة بصور جوهرية
مناسبة لها فى الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيآت معينة حتى ان الذنوب والمعاصى تتجسم هنا
وتتصور بصورة النار وعلى ذلك حمل قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وقوله تعالى ان الذين ياكلون
اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا وكذا قوله عم فى حق من يشرب من انية الذهب والفضة انما
يجرجر فى بطنه نار جهنم ولا بعد فى ذلك الا ترى ان العلم يظهر فى عالم المثال على صورة اللبن كما لا يخفى
على من له خبرة باحوال الحضرات الخمس وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه يؤتى بالاعمال الصالحة
على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع فى الميزان واياما كان فالمراد احضارها
الى النفس مع انها تحضرها من الله عز وجل كما ينطق به قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
الاية لانها لما عملتها فى الدنيا فكانها احضرتها فى الموقف ومعنى علمها بها حينئذ انها تشاهدها على صور
احسن مما كانت تشاهدها على ما هى عليه فى الحقيقة فان كانت صالحة تشاهدها على صور احسن مما كانت تشاهد
ها عليه فى الدنيا لان الطاعة لا تخلو فيها عن نوع مشقة وان كانت سيئة تشاهدها على خلاف ما كانت

تشاهدها

وترك الاعتدال لها منامل الخلق الى اخره نعمة
التكليف عند ذى العرش مكين ذى مكانة رفيعة
عند الله تعالى صح

تشاهدها عليه هاهنا لانها كانت مزينة لها موافقة لهواها وتنكير النفس المفيد لثبوت العلم المذكور
لفرد من النفوس وللبعض منها للايذان بان ثبوته لجميع افرادها قاطبة من الظهور والوضوح بحيث لا يكاد
يحوم حوله شائبة اشتباه قطعا يعرفه كل احد قطعا ولو جئ بعبارة تدل على خلافه والرمز الى ان
تلك النفوس العالمة بما ذكر مع توفير افرادها وتكثر اعدادها مما يستقل الى جناب الكبرياء الذى اليه يرجع الى بعض
بدايع شؤونه المنبئة عن عظم سلطانه واما ما قيل من ان هذا من قبيل عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط
فيما يعكس عنه ومثله بقوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ويقول من قال قد اترك القرن
مصفرا انامله ويقول من قال حين سئل عن عدد فرسانه رب فارس عندى وعند المقانب قاصدا بذلك
التمادى فى التكثير لشانه واظهار براءته من التزيد وانه من قلل كثير ما عنده فضلا ان يتزيد فمن لوامع
النظر الجليل لما ان الكلام المعكوس عنه فيما ذكر من الامثلة مما يقبل الافراط والتمادى فيه فانه فى الاول
كثرة ما يود وفى الثانى كثرة ما ترك فى الثالث كثرة الفرسان وكل واحد من ذلك قابل للافراط والمبالغة
فيه لعدم انحصار مراتب الكثرة وقد قصد بعكسه ما ذكر من التمادى فى التكثير حسبما فصل واما فيما
نحن فيه فالكلام الذى عكس عنه علمت كل نفس ما احضرت كما صرح به القايل وليس فيه امكان التكثير
حتى يقصد بعكسه المبالغة والتمادى فيه وانما الذى يمكن فيه من المبالغة بما ذكرناه فتامل ويجوز ان
يكون ذلك للاشعار بانه اذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما احضرت وجب على كل نفس اصلاح عملها
مخافة ان يكون من تلك التى علمت ما احضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه لعلك
ستندم على ما فعلت وربما ندم الانسان على ما فعل فانك لا تقصد بذلك ان ندمه مرجو الوجود لا
متيقن به او نادر الوقوع بل تريد ان العاقل يجب عليه ان يجتنب امرا يرجى فيه الندم او قلما يقع
فيه فكيف به اذا كان قطعى الوجود كثير الوقوع فلا اقسم بالخنس الكواكب الرواجع من خنس اذا تاخر
وهذا ما وعد اليمين من الدراري الخمسة وهى بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى وصفت بقوله
تعالى الجوار الكنس لانها تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تختفى تحت ضوء الشمس فخنسها رجوعها وكنوسها
اختفاؤها تحت ضوئها من كنس الوحشى اذا دخل كناسه وهو بيته الذى يتخذه من اغصان الشجر وقيل هى
جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل اى تطلع فى اماكنها كالوحش فى كنسها
والليل اذا عسعس اى ادبر ظلامه او اقبل عليه فانه من الاضداد ولذلك سعسع قال الفرا اجمع
المفسرون على ان معنى عسعس ادبر وعليه قول العجاج حتى اذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها
وعسعسا والصبح اذا تنفس لانه اول النهار وقيل ادباره اقرب من تنفس الصبح ومعناه ان الصبح اذا
اقبل يقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له مجازا فقيل تنفس الصبح انه اى القران الناطق بما ذكر
من الدواهى الهائلة لقول رسول كريم هو جبريل عليه السلام قاله من جهة الله تعالى ذى قوة شديدة
كقوله تعالى شديد القوى وقيل المراد القوة فى اداء طاعة الله تعالى عند ذى العرش مكين اى امر وتشريف لا عندية
مكان مطاع فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رايه ثم امين على الوحى وثم ظرف
لما قبله وقيل لما بعده وقرئ ثم تعظيما لوصف الامانة وتفضيلا لها على ساير الاوصاف وما صاحبكم هو
رسول الله صلعم بمجنون كما يتهمه الكفرة والتعرض للتلويح باحاطتهم بتفاصيل احواله صلعم خبرا وعلمهم
بنزاهته عما نسبوه اليه بالكلية وقد استدل به على فضل جبريل عليه السلام للتباين البين بين وصفيهما
وهو ضعيف اذ المقصود رد قول الكفرة فى حقه صلعم انما يعلمه بشر افترى على الله كذبا ام به جنة لا تعداد
فضائلهما والموازنة بينهما ولقد راه اى وبالله لقد راه اى رسول الله صلعم جبريل عليهما السلام بالافق المبين
بمطلع الشمس الاعلى وما هو اى رسول الله صلعم على الغيب على ما يخبره من الوحى اليه وغيره من الغيوب
بضنين اى ببخيل لا يبخل بالوحى ولا يقصر فى التبليغ والتعليم وقرئ بظنين اى بمتهم من الظنة وهى التهمة
وما هو بقول شيطان رجيم اى بقول بعض المسترقة للسمع وهو نفى لقولهم انه كهانة وسحر فاين تذهبون
استضلال لهم فيما يسلكونه فى امر القران والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور انه وحى مبين
وليس مما يقولون فى شى كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فاين تذهب ان هو
اى ما هو الا ذكر للعالمين موعظة وتذكير لهم وقوله لمن شاء منكم بدل من العالمين باعادة الجار وقوله
تعالى ان يستقيم مفعول لمن شاء اى لمن شاء منكم الاستقامة بتحرى الحق وملازمة الصواب وابداله
من العالمين لانهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤن اى الاستقامة مشية مستتبعة للاقامة فان مشيتكم لا
تستتبعها بدون مشية الله لها فى الوقت من الاوقات الا ان يشاء الله تعالى اى الا وقت ان يشاء الله
تعالى تلك المشية اى المستتبعة للاقامة فان مشيتكم لا تستتبعها بدون مشية الله تعالى لها رب العالمين
مالك الخلق ومربيهم اجمعين ما جاء فى فضائل هذه السورة ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم

لتبعة قال من قرا سورة التكوير اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انفطرت اى انشقت لنزول الملئكة كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملئكة تنزيلا وقوله تعالى وفتحت السماء فكانت ابوابا والكلام من ارتفاع السماء وبما من فى ارتفاع الشمس واذا الكواكب انتثرت اى تساقطت متفرقة واذا البحار فجرت فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالاجاج وزال ما بينهما من البرزخ الحاجز وصارت البحار بحرا واحدا وروى ان الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقيل ان مياه البحار الان راكدة مجتمعة فاذا فجرت تفرقت وذهبت وقرئ فجرت بالتخفيف مبنيا للمفعول ومبنيا للفاعل ايضا بمعنى فتحت من الفجور نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان واذا القبور بعثرت اى قلب ترابها واخرج موتاها وتقلبه بمعنى لفظا ومعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت اليهما وقوله تعالى علمت نفس ما قدمت واخرت جواب اذا لكن لا على انها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما علمت من ان المراد بها زمان واحد مبدؤه النفخة الاولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا ازمنة متعددة حسب تعدد كلمة اذا وانما كررت لتهويل ما فى حيزها من الدواهى والكلام فيه كالذى مر تفصيله فى نظيره ومعنى ما قدمت واخرت ما اسلف من عمل خير او شر او من سنة حسنة او سيئة يعمل بها بعده قاله ابن وبن مسعود وعن ابن عباس ايضا ما قدمت من معصية واخرت من طاعة وقيل اول عمله واخره وعلى علمها بهما علمها التفصيلى حسبما ذكر فيما مر يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اى اى شىء خدعك وجراك على عصيانه وقد علمت ما بين يديك من الدواهى الطامة والعواقب التامة وما يكون حينئذ من مشاهدة اعمالك كلها والتعرض لعنوان كرمه تعالى للايذان بانه ليس مما يصلح ان يكون مدارا لاغتراره حسبما يغويه الشيطان ويقول له افعل ما شئت فان ربك كريم قد تفضل عليك فى الدنيا وسيفعل مثله فى الاخرة فانه قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة فى الاقبال على الايمان فى الطاعات والاجتناب عن الكفر والعصيان كانه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عنه الداعية الى خلافه وقوله تعالى الذى خلقك فسويك فعدلك صفة ثانية مقررة للربوبية مبنية للكرم منبهة على ان من قدر على ذلك بدءا قدر عليه اعادة والتسوية جعل الاعضاء سوية سليمة معدة لمنافعها والتعديل جعل بعضها ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت او صرفها عن خلقة غير ملائمة لها وقرئ فعدلك بالتشديد اى صيرك معتدل متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فى اى صورة ما شاء ركبك اى ركبك فى اى صورة شاءها واختارها لك من الصور العجيبة الحسنة لقوله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم وانما لم يعطف الجملة على ما قبلها لانها بيان لعدلك كلا ردع من الاغترار بكرم الله تعالى وجعله ذريعة الى الكفر والمعاصى مع كونه موجبا للشكر والطاعة وقوله تعالى بل تكذبون بالدين اضراب عن جملة مقدرة ينساق اليها الكلام كانه قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وانتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون على اعظم من ذلك حيث تكذبون بالجزاء والبعث راسا او بدين الاسلام الذين هما من جملة احكامه فلا تصدقون سؤالا ولا جوابا ولا ثوابا ولا عقابا وقيل كانه قيل انكم لا تستقيمون على ما توجبه عليكم وارشادى لكم بل تكذبون الاخرة وقال القفال ليس الامر كما تقولون من انه لا بعث ولا نشر ثم قيل انكم فى تشككون بهذا لبيان بل تكذبون بيوم الدين وقوله تعالى وان عليكم لحافظين حال من فاعل تكذبون مفيدة لبطلان تكذيبهم وتحقيق ما يكذبون به من الجزاء اى والحال ان عليكم من قبلنا لحافظين لاعمالكم كراما كاتبين لها يعلمون ما تفعلون من الافعال قليلا وكثيرا ويضبطونه نقيرا وقطميرا لتجازوا بذلك وفى تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لامر الجزاء وانه عند الله عز وجل من جلائل الامور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام وقوله تعالى ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم استئناف مسوق لبيان نتيجة الحفظ والكتاب من الثواب والعقاب وفى تنكير النعيم والجحيم من التفخيم والتهويل ما لا يخفى وقوله تعالى يصلونها اما صفة للجحيم او استئناف مبنى على سؤال نشا من تهويلها كانه قيل ما حالهم فقيل يقاسون حرها يوم الدين يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به وما هم عنها بغائبين طرفة فان المراد دوام نفى الغيبة لا نفى دوام الغيبة كما مر وان الجملة المنفية الاسمية قد يراد بها استمرار النفى لا نفى الاستمرار باعتبار ما يفيده من الدوام والثبات هنا النفى لا قبله وقيل معناه وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها فى قبورهم حسبما قال النبى صلى الله عليه وسلم القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وقوله تعالى وما ادريك ما يوم الدين ثم ما ادريك ما يوم

ولو اخرنا السلف بخطيئة او سنة حسنة عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم قال قدمت ما عملت واخرت ما سنت

الدين تفخيم لشأن يوم الدين الذى يكذبون به اثر تفخيم وتهويل لامره بعد تهويل لبيان انه خارج عن دائرة دراية الخلق على اى صورة تصوروه فهو فوقها وكيف ما تخيلوه فهو اطم من ذلك واعظم اى واى شىء جعلك داريا ما يوم الدين على ان ما الاستفهامية خبر ليوم الدين لا بالعكس كما هو راى سيبويه لما مر من ان مدار الافادة هو الخبر لا المبتدا ولا ريب فى ان مناط افادة الهول والفخامة هنا هو ما لا يوم الدين اى اى شىء عجيب هو فى الهول والفظاعة لما مر غير مرة ان كلمة ما قد يطلب بها الوصف وان كانت موضوعة لطلب الحقيقة وشرح الاسم يقال ما زيد فيقال فى الجواب كاتب او طبيب وفى اظهار يوم الدين فى موقع الاضمار تاكيد لهوله وفخامته يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله بيان اجمالى لشأن يوم الدين اثر ابهامه وبيان خروجه عن علوم الخلق بطريق انجاز الوعد فان نفى ادرائهم مشعر بالوعد الكريم بالادراء قال ابن عباس كل ما فى القران من قوله تعالى ما ادراك فقد ادراه وكل ما فيه من قوله وما يدريك فقد طوى عنه ويوم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف وحركته الفتح لاضافته الى غير متمكن كانه قيل هو يوم لا تملك نفس من النفوس شيئا من الاشياء الى اخره او منصوب باضمار اذكر وقيل بعد تفخيم امر يوم الدين وتشويقه الى معرفته اذكر يوم لا تملك نفس الى اخره فانه يدريك ما هو وقيل باضمار يدانون وليس بذلك فانه عار عن افادة ما افاده ما قبله كان ابداله من يوم الدين على قراءة الرفع كذلك بل الحق حينئذ الرفع على انه خبر لمبتدا محذوف عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الانفطار كتب الله له بعدد كل قطرة نزلت من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين قيل الويل شدة الشر وقيل العذاب الاليم وقيل هو واد فى جهنم يهوى فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره واياما كان فهو مبتدا وان كان نكرة لوقوعه فى موقع الدعاء والتطفيف البخس فى الكيل والوزن لان ما يبخس شىء طفيف حقير روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وبها رجل يعرف بابى جهينة ومعه صاعان يكيل باحدهما ويكتال بالاخر وقيل كان اهل المدينة تجارا يطففون فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقراها عليهم وقال خمس بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وقوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون الى اخره صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذى استحقوا به الذم والدعاء بالويل اى اذا اكتالوا من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على بمن لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء او للاشارة الى انه اكتيال مضر بهم لكن لا على اعتبار الضرر فى حيز الشرط الذى يتضمنه كلمة اذا لاخلاله بمعنى بل فى نفس الامر بموجب الجواب فان المراد بالاستيفاء ليس اخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الاخذ الوافر حسبما ارادوا باى وجه تيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل وتحريك المكيال والاحتيال فى ملئه واما ما قيل من ان ذلك الدلالة على اكتيالهم لما لهم على الناس من طريق الشراء ونحوه مع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شىء بطريق الشراء ونحوه مع ان الشائع فيما بينهم يقتضى ان يكون معنى الاستيفاء اخذ اموالهم عليهم وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق فى معرض الحق فلا يكون مدارا للذم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم من معنى ما سيكون لهم عليهم مع كونه بعيدا احتمالا لا يجدى نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان او مالا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما وهكذا حال ما نقل عن الفراء من ان وعلى يعتقبان فى هذا الموضع لانه حق عليه فاذا اكتلت عليك فكانه قال اخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقولك استوفيت منك فتامل وقد جوز ان يكون على متعلقة بيستوفون فيكون تقديمها على الفعل لافادة المخصوصة اى يستوفون على الناس خاصة فاما انفسهم فيستوفون لها وانت خبير بان القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به فيقصد بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور ايضا حسب تعلقه به فيقصد بالتقديم الجار والمجرور قصره عليه بطريق القلب والافراد والتعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب فى ان الاستيفاء الذى هو عبارة عن الاخذ الوافى مما لا يتصور ان يكون على انفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على ان الحديث واقع فى الفعل لا فيما عليه فتدبر والضمير البارز فى قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم للناس كالوا لهم او وزنوا لهم للبيع ونحوه يخسرون اى ينقصون يقال خسر الميزان واخسره فحذف الجار واوصل الفعل كما فى قوله ولقد جنيتك اكموا

وعساقا اي خبيث لك وجعل المبارز تاكيد للمستكن بما لا يليق بجزالة التنزيل ولعل ذكر الكيل والوزن
في سورة الاخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء لما انهم لم يكونوا متمكنين من الاختيال عند
لا توان تمكنهم منه عند الكيل والوزن وعدم التعرض للكل والموزون في الصورتين لان مساق الكلام لبيان
سوء معاملتهم في الاخذ والاعطاء في خصوصية الماخوذ والمعطي وقوله تعالى الا يظن اولئك انهم مبعوثون
استيناف وارد لتهويل ما ارتكبوه من التطفيف والتعجيب من اجترائهم عليه واولئك اشارة الى المطففين
ووضع موضع ضميرهم للاشعار بمناط الحكم الذي هو وصفهم فان الاشارة الى الشيء متعرضة من حيث اتصافه
بوصفه واما الضمير للاشعار بمناط الحكم الذي فلا يتعرض لوصفه وللايذان بانهم ممتازون بذلك
الوصف القبيح عن سائر الناس اكمل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من
معنى البعد للاشعار ببعد درجتهم في الشرارة والفساد اي الا يظن اولئك الموصوفون بذلك الوصف
الشنيع الهائل انهم مبعوثون ليوم عظيم لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه ويحاسبون فيه على مقدار الذرة
والخردلة فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا مع تخالج الشك والوهم لا يكاد يتجاسر على امثال
هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه وقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين اي لحكمه وقضائه منصوب
باضمار اعني وقيل بمبعوثون او مرفوع المحل خبر مبتدا مضمر او مجرور بدلا من يوم عظيم مبني على الفتح
لاضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو راي الكوفيين ويؤيده الاخيرين القراءة بالجر وفي هذا
الانكار والتعجيب وايراد الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه كافة لله تعالى خاضعين
ووصف تعالى بربوبية رب العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وامثاله
ما لا يخفى كلا ردع لما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب وقوله تعالى ان كتاب الفجار
لفي سجين الى اخره تعليل للردع او وجوب الارتداع بطريق التحقيق وسجين علم لكتاب جامع وهو ديوان الشر
دون ديوان الخير دون فيه اعمال الشياطين واعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم
واصله فعيل من السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق في جهنم او لانه مطروح كما قيل تحت
الارض السابعة في مكان مظلم موحش وهو مسكن ابليس وذريته فالمعنى ان كتاب الفجار الذين من جملتهم
المطففون اي ما يكتب من اعمالهم او كتابة اعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح اعمال المذكورين
وقوله تعالى وما ادريك ما سجين تهويل لامره اي هو بحيث لا يبلغه دراية احد وقوله تعالى كتاب
مرقوم اي مسطور بين الكتابة او معلم يعلم من راه انه لا خير فيه وقيل هو اسم المكان والتقدير ما
كتاب السجين او محل كتاب مرقوم وقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس
لرب العالمين وما بينهما اعتراض وقوله تعالى الذين يكذبون بيوم الدين اما مجرور على انه صفة ذامة
للمكذبين او بدل منه او مرفوع او منصوب على الذم وما يكذب به الا كل معتد اي متجاوز عن حدود
النظر والاعتبار غال في التقليد قدرة الله وعلمه عن الاعادة مع مشاهدته للبدء اثيم اي منهمك
في الشهوات المخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراها من اللذات التامة الباقية وحملته على انكارها اذا
تتلى عليه اياتنا الناطقة بذلك قال من فرط جهله واعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه اساطير الاولين
اي هي حكايات الاولين قال الكلبي المراد بالمعتدي الاثيم هو الوليد بن المغيرة وقيل النضر بن الحارث
وقيل عام لكل من اتصف بالاوصاف المذكورة وقرئ اذا يتلى بتذكير الفعل وقرئ ااذا تتلى على الاستفهام
الانكاري كلا ردع للمعتدي الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله تعالى بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون بيان لما ادى بهم الى التفوه بتلك العظيمة اي ليس في اياتنا ما يصح ان يقال
في شانها مثل هذه المقالات الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبون من الكفر
والمعاصي حتى صارت كالصداء في المراة فحال ذلك بينهم من معرفة الحق كما قال عليه السلام ان العبد كلما
اذنب ذنبا حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا والرين الصدا يقال
ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغينا ويقال ران فيه النوم اي رسخ فيه وقرئ بادغام اللام في الراء
كلا ردع وزجر عن الكسب الراين انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فلا يرونه بخلاف المؤمنين وقيل
تمثيل لاهانتهم من يحجب عن الدخول على الملوك وعن ابن عباس وقتادة وابن ابي مليكة محجوبون عن رحمته وعن
ابن كيسان عن كرامته ثم انهم لصالوا الجحيم اي لداخلون النار وثم لتراخي الرتبة فان صلي الجحيم اشد
من الاهانة والحرمان من الرحمة والكرامة ثم يقال لهم توبيخا وتقريعا من جهته الزبانية هذا الذي كنتم
به تكذبون فذوقوا عذابه كلا ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر وقوله تعالى ان كتاب الابرار
لفي عليين استيناف مسوق لبيان محل كتاب الابرار بعد بيان سوء حال الفجار متصل ببيان سوء حال
كتابهم وفيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو سمي بذلك اما

لانه

لانه سبب الارتفاع الى اعلى الدرجات في الجنة واما لانه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكرو
بيون تعظيما له وتكريما والكلام في قوله تعالى وما ادريك ما عليون كتاب مرقوم كما في نظيره
وقوله تعالى يشهده المقربون صفة اخرى لكتاب اي يحضرونه ويحفظونه او يشهدون بما فيه يوم القيمة
ان الابرار لفي نعيم شروع في بيان محاسن احوالهم اثر بيان حال كتابهم على طريقة ما مر في شان الفجار
على الارائك اي الاسرة في الحجال ولا يكاد تطلق الاريكة على السرير عندهم الا عند كونه في الحجلة
ينظرون اي الى ما شاؤوا مد اعينهم اليه من رغائب مناظر الجنة والى ما اولاهم الله عز وجل من النعمة
والكرامة والى اعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال ابصارهم عن الادراك تعرف في وجوههم
نضرة النعيم اي بهجة التنعم وماءه ورونقه والخطاب لكل احد ممن له حظ من الخطاب للايذان
بان ما لهم من اثار النعمة واحكام البهجة بحيث لا يختص برؤيته راء دون راء يسقون من رحيق
شراب خالص لا غش فيه مختوم ختامه مسك اي مختوم اوانيه واكوابه بالمسك دون
الطين ولعله تمثيل لكمال بقائه وقيل ختامه اي مقطعه رائحة مسك وقرئ خاتمه
بفتح التاء وكسرها اي ما يختم به ويقطع وفي ذلك اشارة الى الرحيق وهو الانسب لما بعده
او الى ما ذكر من احوالهم وما فيه من معنى البعد اما للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته او
لكونه في الجنة او في ذلك خاصة دون غيره فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون
بالمبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل فليعمل العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل
فليستبق المستبقون واصل التنافس التغالب في الشيء النفيس واصله من النفس قال الواحدي
نفست الشيء انفسه والتنافس التفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستاثر به
وقال البغوي واصله من الشيء النفيس الذي تحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد
لنفسه وينفس به على غيره اي يضن به ومزاجه من تسنيم عطف على ختامه صفة اخرى
لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته اي ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم على
ان من بيانية او تبعيضية او من نفسه على انها ابتدائية والتسنيم علم لعين بعينها سميت به
اما لانها ارفع شراب في الجنة او لانها تاتيهم من فوق وروي انها تجري في الهواء متسنمة
فتنصب في اوانيهم عينا نصب على الاختصاص ويجوز ان يكون حالا من تسنيم مع كونه جامدا
لاتصافه بقوله تعالى يشرب بها المقربون فانهم يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة والباء
مزيدة او بمعنى من قوله تعالى ان الذين اجرموا الى اخره حكاية لبعض قبائح مشركي قريش
جي بها تمهيدا لذكر بعض احوال الابرار في الجنة كانوا في الدنيا من الذين امنوا يضحكون
اي يستهزؤن بفقراء المؤمنين كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين وتقديم الجار والمجرور
اما للقصر اشعارا بغاية شناعة ما فعلوا اي كانوا من الذين امنوا يضحكون مع ظهور عدم
استحقاقهم لذلك على منهاج قوله تعالى افي الله شك او لمراعاة الفواصل واذا مروا بهم اي فقراء
المؤمنين بهم بالمشركين وفي اتيهم وهو الاظهر لان مجاز العكس ايضا يتغامزون اي يغمز بعضهم
بعضا ويشيرون باعينهم واذا انقلبوا اي المشركون الى اهلهم انقلبوا فكهين ملتذين بذكرهم بالسوء
والسخرية منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بمراى من المارين بهم ويكتفون حينئذ
بالتغامز وقرئ فاكهين قيل هما بمعنى وقيل فكهين اشرين وقيل فرحين وفاكهين متفكهين وقيل ناعمين
وقيل معجبين واذا راوهم اي المؤمنين قالوا ان هؤلاء لضالون اي نسبوا المسلمين ممن راوهم منهم
بطريق التاكيد وما ارسلوا عليهم على المسلمين حافظين حال من واو قالوا اي قالوا ذلك والحال انهم ما
ارسلوا من جهة الله تعالى موكلين بهم يحفظون عليهم احوالهم ويهيمنون على اعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم
وهذا تهكم بهم واشعار بان ما اجترؤا عليه من القول من وظائف الرسل من جهته تعالى ويجوز
ان يكون ذلك من جملة قول المجرمين كانهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما ارسلوا علينا حافظين انكارا
لصدهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وانما قيل عليهم نقلا له بالمعنى كما في قولك حلف ليفعلن
لا بالعبارة كما في قولك حلف لافعلن فاليوم الذين امنوا اي المعهودون من الفقراء من الكفار اي
من المعهودين وهو الاظهر وان امكن التعميم من الجانبين يضحكون حين يرونهم اذلاء مغلولين قد
غشيهم فنون الهوان والصغار بعد العزة والكبر ورهقهم الوان العذاب بعد التنعم والترفه
وتقديم الجار والمجرور للقصر تحقيقا للمقابلة اي فاليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا
يفعلون في الدنيا وقوله تعالى على الارائك للمقابلة اي فاليوم هم على الارائك ينظرون حال
من فاعل يضحكون اي يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار

باب الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل بهم ذلك مرارا ويضحك المؤمنون
منهم وذلك قوله تعالى هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون فانه صريح في ان ضحك المؤمنين منهم
جزاء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشاكلة حتما والتثويب والاثابة المجازاة وقرئ
بادغام اللام في الثاء وعنه عم من قرا سورة المطففين سقاه الله يوم القيمة من الرحيق المختوم

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت اى بالغمام كما في قوله تعالى ويوم تشقق السماء
بالغمام وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة واذنت لربها واستمعت اى انقادت واذعنت لتاثير
قدرته تعالى حين تعلقت ارادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع اذا ورد عليه امر الآمر المطاع
والتعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة اليها للاشعار بعلة الحكم ومعنى الجملة ونظيرتها الاتية بمنزلة
قوله تعالى اتينا طائعين في الانباء عن كون ما نسب الى السماء والارض من الانشقاق والمد وغيرهما
جاريا على مقتضى الحكمة كما اشير اليه فيما سلف وحقت اى جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد لكن
لا بعد ان لم تكن كذلك بل في نفسها وحد ذاتها من قولهم هو محقوق بكذا او حقيق به والمعنى انقادت
لربها وهي حقيقة بذلك لا على ان للدلالة خصوصية ذاتها من بين ساير المقدورات بل لخصوصية
القدرة القاهرة الربانية التي ياتي لها كل مقدور ولا يتخلف عنها امر من الامور فحق الجملة ان تكون
اعتراضا مقررا لما قبلها لا معطوفة عليه واذا الارض مدت اى بسطت بازالة جبالها وآكامها عن مقارها
وتسويتها بحيث صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا او زيدت سعة وبسطة من مده
بمعنى مدده اى زاده والقت ما فيها اى رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز كقوله تعالى واخرجت الارض
اثقالها وتخلت وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه كانها تكلفت في ذلك اقصى جهدها
واذنت لربها في الالقاء والتخلي وحقت اى وهي حقيقة بذلك اى شانها ذلك بالنسبة الى القدرة
الربانية والتكرير لكلمة اذا مع اتحاد الافعال المنسوبة الى السماء والارض وقوعا في الوقت الممتد الذي
هو مدلولها قد مر سره فيما مر يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اى جاهد ومجد الى الموت
وما بعده من الاحوال التي مثلت باللقاء مبالغ في ذلك فانما الكدح جهد النفس في العمل والكد فيه
بحيث لا يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه فملاقيه اى فملاق له عقيب ذلك لا محالة من غير صارف
يلويه عنه وقوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا الى اخره قيل جواب اذا كما في
قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله تعالى يا ايها
الانسان الى اخره اعتراض وقيل هو محذوف للتهويل والايماء الى قصور العبارة عن بيانه او للتعويل
على دلالة ما مر في سورتي التكوير والانفطار عليه وقيل هو ما دل عليه قوله تعالى يا ايها الانسان
تقديره لاقى الانسان كدحه وقيل هو قوله تعالى فملاقيه وما قبله اعتراض وقيل هو قوله يا ايها الانسان
الى اخره باضمار القول ومعنى يسيرا سهلا لا مناقشة فيه ولا اعتراض وعن الصديقة رضي الله عنها
هو ان يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وينقلب الى اهله مسرورا اى عشيرته المؤمنين او فريق المؤمنين
مبتهجا بحاله قائلا هاؤم اقرؤا كتابيه وقيل الى اهله في الجنة من الحور العين والغلمان واما من اوتي كتابه
وراء ظهره اى يؤتاه بشماله من وراء ظهره قيل تغل يمناه الى عنقه ويجعل شماله وراء ظهره فيؤتى
كتابه بشماله وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره فسوف يدعوا ثبورا اى يتمنى الثبور وهو
الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعال فانه اوانك واني له ذلك ويصلى سعيرا اى يدخلها وقرئ
يصلى كقوله تعالى وتصلية جحيم وقرئ ويصلى كما في قوله تعالى ونصليه جهنم انه كان في اهله مسرورا
فيما بين اهله وعشيرته في الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كدأب الفجار الذين لا يهمهم ولا يخطر
ببالهم امور الاخرة ولا يتفكرون في العواقب ولم يكن حزينا متفكرا في حاله ومآله كسنة
الصلحاء والمتقين والجملة استيناف لبيان علة ما قبلها وقوله تعالى انه ظن ان لن يحور تعليل لسروره
في الدنيا ايضا اى ظن انه لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا للمعاد وان مخففة من ان سادة مع ما في حيزها مسد
مفعولي الظن او احدهما على الخلاف المعروف بلى ايجاب لما بعد لن وقوله تعالى ان ربه كان به بصيرا
تحقيق وتعليل له اى بلى يحورن البتة ان ربه الذي خلقه كان به وباعماله الموجبة للجزاء بصيرا
بحيث لا يخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتما وقيل نزلت الايتان في ابي سلمة
عبد الاسد واخيه الاسود فلا اقسم بالشفق هي الحمرة التي تشاهد في افق المغرب بعد الغروب

او البياض الذي يليها سمي به لرقته ومنه الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب والليل وما وسق
وما جمع وما ضم يقال وسقه فاتسق واستوسق اى جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل
ويأوي الى مكانه من الدواب وغيرها والقمر اذا اتسق اى اجتمع وتم بدرا ليلة اربعة عشر
لتركبن طبقا عن طبق اى لتلاقن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة لاختها في الشدة والفظاعة
وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الاوفق للركوب المنبئ عن الاعتلاء والمعنى لتركبن احوالا
احوالا بعد احوال هي طبقة في الشدة بعضها ارفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيمة
ودواهيها وقرئ لتركبن بالافراد على خطاب الانسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لافراده كالقراءة
الاولى وقرئ بكسر الباء على خطاب النفس وليركبن بالياء اى ليركبن الانسان ومحل عن طبق النصب
على انه صفة لطبقا اى طبقا مجاوزا لطبق او حال من الضمير في لتركبن اى لتركبن طبقا مجاوزين او
مجاوزا على حسب القراءة والفاء في قوله تعالى فما لهم لا يؤمنون لترتيب ما بعدها من الانكار
والتعجيب على ما قبلها من احوال يوم القيمة واهوالها الموجبة للايمان والسجود اى اذا كان حالهم
يوم القيمة كما ذكر فاى شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين او اى شيء يمنعهم من الايمان مع تعاضد موجباته
وقوله تعالى واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقا على ما قبلها
فاى مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة القران وقيل قرأ النبي عم ذات يوم
واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه
احتج ابو حنيفة رحمه الله على وجوب السجدة وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس في المفصل سجدة وعن
ابي هريرة انه سجد فيها وقال والله ما سجدت الا بعد ان رايت النبي عم يسجد فيها وعن الحسن رضي
الله عنه صليت خلف ابا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فسجدوا وعن الحسن رضي الله عنه هي غير واجبة
بل الذين كفروا يكذبون بالقران الناطق بما ذكر من احوال القيمة واهوالها مع تحقق موجبات تصديقه
ولذلك لا يخضعون عند تلاوته والله اعلم بما يوعون بما يضمرون في قلوبهم ويجمعون في صدورهم
من الكفر والحسد والبغي والبغضاء او بما يجمعون في صحفهم من اعمال السوء ويدخرون لانفسهم من انواع
العذاب علما فعليا فبشرهم بعذاب اليم لان علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتما
الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع ان جعل الموصول عبارة عن المؤمنين كافة ومتصل ان
اريد به من امن منهم بعد ذلك وقوله تعالى لهم اجر غير ممنون اى غير مقطوع او ممنون به عليهم استيناف
مقرر لما افاده الاستثناء من انتفاء العذاب عنهم ومبين لكيفيته ومقارنته للثواب العظيم عن النبي عم
من قرا سورة انشقت اعاذه الله تعالى ان يعطيه كتابه وراء ظهره

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج هي البروج الاثنى عشر شبهت بالقصور لانها
تنزلها السيارات ويكون فيها الثوابت او منازل القمر او عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها او ابواب
السماء فان النوازل تخرج منها واصل التركيب للظهور واليوم الموعود اى يوم القيمة وشاهد ومشهود
اى ومن يشهد في ذلك اليوم من الخلائق وما يحضر فيه من العجائب وتنكيرهما للابهام في الوصف اى وشاهد
ومشهود لا يكتنه وصفهما او للمبالغة في الكثرة وقيل الشاهد محمد عم والمشهود يوم القيمة وقيل عيسى
عليه السلام وامته لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا الخ وقيل محمد عم وساير الانبياء وقيل يوم عرفة
وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الشاهد محمد عم والحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالي وبنو
ادم وعن الحسن ما من يوم الا وينادي اني يوم جديد وانا على ما يعمل في شهيد فاغتنمني ولو غابت شمسي لم
تدركني الى يوم القيمة وقيل الحفظة وبنوا ادم وقيل الانبياء ومحمد عليهم الصلاة والسلام قتل اصحاب
الاخدود قيل هو جواب القسم على حذف اللام منه للطول والاصل لقتل كما في قول
حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا فما ان من حديث ولا صال وقيل تقديره لقد قتل وايا ما
كان فالجملة خبرية والاظهر انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اي كفار مكة ملعونون
كما لعن اصحاب الاخدود فان السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على اذية الكفرة
وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان وصبرهم على ذلك حتى ياتسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقونه
من قومهم ويعلموا ان هؤلاء عند الله عز وجل بمنزلة اولئك الملعونين
قيل ضم وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد في الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق

النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فسمع
منه فرأى في طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس قيل كانت الدابة اسدا فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان
الراهب احب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص ويشفي من الادواء وعمي
جليس للملك فابراه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الراهب
فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار واتي بالغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف
بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا
فقال للملك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد وتصلبني على جذع وتأخذ سهما من كنانتي وتقول بسم الله
رب الغلام ثم ترميني به فرماه فوقع في صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس امنا برب الغلام فقيل
للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد في افواه السكك واوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه
فيها حتى جاءت امرأة معها صبي فتقاعست فقال الصبي يا اماه اصبري فانك على الحق فاقتحمت وقيل
قال لها قعي ولا تنافقي ما هي الا غميضة فصبرت قيل اخرج الغلام من قبره في خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه واصبعه بدمه وطلب المخرج فقالت له المخرج ان تخطب بالناس فتقول ان الله قد احل
نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله قد حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط
فيهم السيف ففعل فلم يقبلوا فامر بالاخاديد واوقد النار وطرح من ابى منهم الذين ارادهم الله
تعالى بقوله قتل اصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم
فاجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودي بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني
عشر الفا في الاخاديد وقيل سبعين الفا وذكر ان طول الاخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا
النار بدل اشتمال من الاخدود ذات الوقود وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه
من الحطب وابدان الناس وقرئ الوقود بالضم وقوله تعالى اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا
حين احدقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الاخدود كما في قوله • بات على النار
الندى والمحلق • وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود اي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بان احدا لم
يقصر فيما امر به او انهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين من العذاب حضور لا يرقون لهم لغاية قسوة قلوبهم
هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد روي ان الجبابرة لما القوا المؤمنين
في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار فاحرقتهم ونجى الله عز وجل المؤمنين منها سالمين والى هذا القول
ذهب الربيع بن انس والواحدي وعلى ذلك حملا قوله تعالى ولهم عذاب الحريق وما نقموا منهم وما عابوا
الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد استثناء مفرغ عن اعم ما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله • •
ولا عيب فيهم غير ان ضيوفهم • تلام بنسيان الاحبة والوطن • ووصفه تعالى بكونه عزيزا غالبا
يخشى عقابه وحميدا منعما يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله الذي له ملك السموات والارض للاشعار بمناط
ايمانهم وقوله تعالى والله على كل شيء شهيد وعد لهم ووعيد شديد لمعذبيهم فان علمه تعالى بجميع الاشياء
التي من جملتها اعمال الفريقين يستدعي توفية جزاء كل منهما حتما ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات
اي محنوهم في دينهم ليرجعوا عنه والمراد بهم اما اصحاب الاخدود خاصة وبالمفتونين المطروحون في الاخدود
واما الذين بلوهم في ذلك بالاذية والتعذيب على الاطلاق وهم داخلون في جملتهم دخولا اوليا ثم لم
يتوبوا اي عن كفرهم وفتنتهم فان ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من غير الكافر فلهم وقوله تعالى
فلهم عذاب جهنم جملة وقعت خبرا لان او الخبر لهم وعذاب مرتفع به على الفاعلية وهو الاحسن لتضمن
المبتدا معنى الشرط ولذا صدر في الخبر بالفاء ولا تنافيه ان خلافا للاخفش والمعنى لهم في الاخرة عذاب جهنم بسبب
كفرهم ولهم عذاب الحريق وهي نار اخرى عظيمة بسبب فتنتهم المؤمنين ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
على الاطلاق من المفتونين وغيرهم لهم بسبب ما ذكر من الايمان والعمل الصالح جنات تجري من تحتها
الانهار ان اريد بالجنات الاشجار فجريانها سارية لساحتها يعرب عنه اسم الجنة وعند من بيانه مرادا ذلك

اشارة اما الى الجنات الموصوفة والتذكير لتأويلها بما ذكر للاشعار بان مدار الحكم عنوانها الذي
يتنافس فيه المتنافسون فان اسم الاشارة متعرض لذات المشار اليه من حيث اتصافه باوصافه
المذكورة لا لذاته فقط كما هو شأن الضمير فاذا اشير الى الجنات من حيث ذكرها فقد اعتبر معها عنوانها
المذكور حتما واما الى ما يفيده قوله تعالى جنات الى اخره من احرازهم لها فان حصولها لهم مستلزم لحيازتهم
قطعا واياما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو درجته وبعد منزلته في الفضل والشرف ومحله
الرفع على الابتداء خبره ما بعده اي ذلك المذكور العظيم الشأن الفوز الكبير الذي تصغر عنده الدنيا
وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فعلى الاول هو مصدر

اطلق على المفعول مبالغة وعلى الثاني مصدر على حاله ان بطش ربك لشديد استئناف خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم
ايذانا بان لكفار قومه نصيبا موفورا من مضمونه كما ينبئ عنه التعريض لعنوان الربوبية مع الاضافة
الى ضميره صلى الله عليه وسلم والبطش الاخذ بعنف وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة
والظلمة واخذه اياهم بالعذاب والانتقام كقوله تعالى وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان
اخذه اليم شديد انه هو يبدئ ويعيد اي هو يبدئ الخلق وهو يعيده من غير دخل لاحد في شيء منهما
ففيه مزيد تقرير لشدة بطشه او هو يبدئ البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الاخرة وهو الغفور
لمن تاب وامن الودود المحب لمن اطاع ذو العرش خالقه وقيل المراد بالعرش الملك اي ذو السلطنة
القاهرة وقرئ ذي العرش على انه صفة ربك المجيد العظيم في ذاته وصفاته فانه واجب الوجود
وتام القدرة والحكمة وقرئ بالجر على انه صفة لربك او للعرش ومجده علوه وعظمته فعال لما يريد
بحيث لا يتخلف عن ارادته مراد من افعاله تعالى وافعال غيره وهو خبر مبتدا محذوف وقوله تعالى
هل اتيك حديث الجنود استئناف مقرر لشدة بطشه تعالى بالظلمة العصاة والكفرة العتاة وكونه فعالا
لما يريد متضمن لتسليته صلى الله عليه وسلم بالاشعار بانه سيصيب قومه ما اصاب الجنود فرعون وثمود بدل من
الجنود لان المراد بفرعون هو وقومه والمراد بحديثهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حل بهم
من العذاب والنكال والمعنى قد اتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا وما فعل بهم فذكر قومك شؤون
الله تعالى وانذرهم ان يصيبهم مثل ما اصاب امثالهم وقوله تعالى بل الذين كفروا في تكذيب اضراب عن
مماثلتهم في ذلك بلهم اشد منهم في استحقاقها العذاب واستيجاب العقاب فانهم مستقرون في تكذيب شديد
للقران الكريم او قيل ليست جنايتهم مجرد عدم التذكر والاتعاظ بما سمعوا من حديثهم بلهم مع ذلك
في تكذيب شديد للقران الناطق لكن لا انهم يكذبون بوقوع الحادثة بل بكون ما نطق به قرانا من عند
الله تعالى مع وضوح امره وظهور حاله بالبينات الباهرة والله من ورائهم محيط تمثيل لعدم نجاتهم
من بأس الله تعالى بعدم فوت المحاط المحيط بل هو قران مجيد رد لكفرهم وابطال لتكذيبهم وتحقيق
للحق اي ليس الامر كذلك بل هو كتاب شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الالهية في النظم والمعنى وقرئ
قران مجيد بالاضافة اي قران رب مجيد في لوح محفوظ اي من التحريف ووصول الشياطين اليه
وقرئ محفوظ بالرفع على انه صفة قران وقرئ في لوح الهواء اي ما فوق السماء السابعة التي فيه اللوح
عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج اعطاه الله بعدد كل جمعة وعرفة تكون في الدنيا عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق الطارق في الاصل اسم فاعل من طرق طرقا
وطروقا اذا جاء ليلا قال الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة وانما سمي قاصد
الليل طارقا لاحتياجه الى طرق الباب غالبا ثم اتسع في كل ما ظهر بالليل كائنا ما كان ثم اتسع في التوسع
حتى اطلق على الصور الخيالية البادية بالليل قال فيه • طرق الخيال ولا كليلة مدلج • سدكا باركلنا ولم يتعرج
والمراد هنا الكوكب البادي بالليل اما على انه اسم جنس او كوكب معهود وقيل الطارق النجم الذي
يقال له كوكب الصبح وقوله تعالى وما ادريك ما الطارق تنويه بشانه اثر تفخيمه بالاقسام به
وتنبيه على انه رفعة قدره بحيث لا ينالها ادراك الخلق فلا بد من تلقيها من الخلاق العليم فما الاولى
مبتدأ وادريك خبره والثانية خبر والطارق مبتدأ وحسبما بين في نظائره اي واي شيء اعلمك ما
الطارق وقوله تعالى النجم الثاقب خبر مبتدأ محذوف والجملة استئناف وقع جوابا عن استفهام نشأ
عن ما قبله كانه قيل ما هو فقيل هو النجم المضيء في الغاية كانه يثقب الظلام او الافلاك لذلك بضوئه
وينفذ فيها والمراد به اما الجنس فان لكل كوكب ضوءا ثاقبا لا محالة واما كوكب معهود قيل هو زحل
وقيل الثريا وقيل الجدي وقيل النجم الثاقب النجم في السماء السابعة لا يسكنها غيره فاذا اخذت
النجوم امكنتها من السماء هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السماء السابعة وهو زحل
فهو طارق حين ينزل وحين يصعد وفي ايراده عند الاقسام به بوصف مشترك بينه وبين غيره
ثم الاشارة الى ان ذلك الوصف غير كاشف عن كنه امره وان ذلك مما لا يبلغه ادراك الخلائق
ثم تفسيره بالنجم الثاقب من تفخيم شانه واجلال قدره ومحله ما لا يخفى وقوله تعالى ان كل نفس
لما عليها حافظ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لما ذكر من تاكيد فخامة المقسم به المستتبع
لتاكيد مضمون الجملة المقسم عليها وان نافية ولما بمعنى الا اي ما كل نفس الا عليها حافظ مهيمن

رقيب وهو الله عز وجل كما في قوله تعالى وكان الله على كل شيء رقيبا وقيل هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى وان عليكم لحافظين كراما الاية وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة وقوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه وقرئ لما مخففة ان ان مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف واللام هي الفارقة وما مزيدة اي ان الشان كل نفس لعليها حافظ يحصي عليها كل والثاني قوله تعالى فلينظر الانسان مما خلق للتنبيه على ما بين من ان كل نفس عليها حافظ يحصي عليها كل ما يصدر عنها من قول وفعل مستوجب على الانسان ان يتفكر في مبدا فطرته حق التفكر حتى يتضح له ان من قدر على انشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على ان اعادته بل هو اقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ما ينفعه يومئذ ويجديه ولا يملي على حافظه ما يرديه وقوله تعالى خلق من ماء دافق استئناف وقع جوابا عن استفهام مقدر كانه قيل مم خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة والمراد به الممتزج من المائين في الرحم كما ينبئ عنه قوله تعالى يخرج من بين الصلب والترائب اي صلب الرجل وترائب المراة وهي عظام صدرها قالوا ان النطفة تتولد من فضل الهضم الرابع وتنفصل عن جميع الاعضاء حتى تستعد لان يتولد منها مثل تلك الاعضاء ومقرها عروق يلتف بعضها ببعض عند البيضتين فالدماغ اعظم الاعضاء معونة في توليدها ولذلك تشبهه ويورث الافراط في الجماع الضعف فيه وله خليفة هي النخاع وهو في الصلب وشعب كثيرة نازلة الى الترائب وهما اقرب الى اوعية المني فلذلك خصا بالذكر وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه رابعة هي صالب انه الضمير للخالق تعالى فان قوله تعالى خلق يدل عليه اي ان ذلك الذي خلقه ابتداء مما ذكر على رجعه اي اعادته بعد موته لقادر لبين القدرة يوم تبلى السرائر اي تتعرف ويتميز ما استتر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما اخفي من الاعمال ويميز بين ما طاب منها وخبث وهو ظرف لرجعه فما له اي للانسان من قوة في نفسه يمتنع بها ولا ناصر ينصره والسماء ذات الرجع اي المطر سمي رجعا لما ان العرب كانوا يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض او ارادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه اوبا او لان الله تعالى يرجعه حينا فحينا والارض ذات الصدع هو ما تتصدع عنه الارض من النبات او مصدر من المبني للمفعول وهو تشققها بالنبات لا بالعيون كما قيل فان وصف السماء والارض عند الاقسام بهما على حقيقة القران الناطق بالبعث بما ذكر من الوصفين للايماء الى انهما في انفسهما من شواهده وهو السر في التعبير عنه وعن المطر بالرجع وذلك في تشقق الارض بالنبات المحكي للنشور حسبما ذكر في مواقع من التنزيل لا في تشققها بالعيون انه اي القران الذي من جملته ما تلي من الايات الناطقة بمبدا حال الانسان ومعاده لقول فصل اي فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كانه نفس الفصل وما هو بالهزل اي ليس في شيء منه شائبة هزل بل كله محض جد لا هوادة فيه ومن حقه ان يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة انهم اي اهل مكة يكيدون في ابطال امره واطفاء نوره كيدا حسبما تفي به قدرتهم واكيد كيدا اي اقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون فمهل الكافرين اي لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك ولا تستعجل به والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان الاخبار بتوليه اكيدهم بالذات مما يوجب امهالهم وترك التصدي لمكايدتهم وقوله تعالى امهلهم بدل من مهل وقوله تعالى رويدا اما مصدر مؤكد بمعنى الفاعل او نعت لمصدره المحذوف اي امهلهم امهالا رويدا اي قريبا كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما او قليلا كما قاله قتادة قال ابو عبيدة هو في الاصل تصغير رود مصدرا رود بالترخيم وله في الاستعمال وجهان اخران كونه اسم فعل نحو رويد زيدا وكونه حالا نحو ساروا القوم رويدا اي متمهلين والمراد البدل بصيغة لا تحتمل التكثير وتقييده برويدا على احد الوجهين المذكورين من تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسكين قلبه ما لا يخفى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا سورة الطارق اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك الاعلى اي نزه اسمه عز وجل عن الالحاد فيه بالتاويلات الزائغة وعن اطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه وعن ذكره لا على وجه الاعظام والاجلال والاعلى اما صفة للرب وهو الاظهر او للاسم وقرئ سبحان ربي الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها

في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت الذي خلق فسوى صفة اخرى للرب على الوجه الاول منصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة بصفة غيره اي خلق كل شيء فسوى خلقه بان جعل له ما به يتاتى كماله ويتم معاشه وقوله تعالى والذي قدر اما صفة اخرى للرب كالموصول الاول او معطوف عليه وكذا حال ما بعده اي قدر اجناس الاشياء وانواعها وافرادها ومقاديرها وصفاتها وافعالها وآجالها فهدى اي فوجه كل واحد منها الى ما يصدر عنه وينبغي له طبعا او اختيارا ويسره لما خلق له بخلق الميول والالهامات ونصب الدلائل وانزال الايات ولو تتبعت احوال النباتات والحيوانات لرايت في كل منها ما تحار فيه العقول يحكى ان الافعى اذا بلغت الف سنة عميت وقد الهمها الله تعالى ان تمسح عينها بورق الرازيانج الغض يهديها اليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبين الريف مسافة طويلة فتطويها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينها بورقها فترجع بصيرة باذن الله تعالى عز وجل ويروى ان التمساح لا يكون له دبر وانما يخرج فضلات ما ياكله من فمه حيث قيض الله تعالى طائرا قد رزقه من ذلك واذا راه من ذلك وانا له التمساح يفتح له فمه فيدخله الطائر فياكل ما فيه وقد خلق الله له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه هذا وامثال هذه الهدايات سبحانه وتعالى للانسان من حيث الجسمية ومن حيث الحيوانية لا سيما من حيث الانسانية مما لا يحيط به فلك العبارة والتحرير ولا يعلمه الا العليم الخبير والذي اخرج المرعى اي انبت ما ترعاه الدواب غضا طريا يرف فجعله بعد ذلك غثاء احوى اي دريسا اسود وقيل احوى حال من المرعى اي اخرجه احوى من شدة الخضرة والريّ فجعله غثاء بعد ذلك وقوله تعالى سنقرئك فلا تنسى بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله صلى الله عليه وسلم اثر بيان هدايته تعالى العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته صلى الله عليه وسلم لتلقي الوحي وحفظ القران الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه صلى الله عليه وسلم لهداية الناس اجمعين والسين اما للتاكيد واما لان المراد اقراء ما اوحي اليك حينئذ وما سيوحى اليك بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالاقراء اي سنقرئك ما نوحي اليك الان وفيما بعد على لسان جبريل عليه السلام او سنجعلك قارئا بالالهام اي قريبا بالهام القراءة فلا تنسى اصلا من قوة الحفظ والاتقان مع انك امي لا تدري ما الكتاب وما القراءة ليكون ذلك اية اخرى لك مع تضاعيف ما تقروه من الايات البينات وقيل فلا تنسى نهي والالف لمراعاة الفاصلة كما في قوله تعالى فاضلونا السبيلا وقوله تعالى الا ما شاء الله استثناء مفرغ من اعم المفاعيل اي لا تنسى مما تقروه شيئا من الاشياء الا ما شاء الله ان تنساه ابدا بان تنسخ تلاوته والالتفات الى الاسم الجليل لتربية المهابة والايذان بدوران المشيئة على عنوان الالوهية المستتبعة لسائر الصفات وقيل المراد به النسيان في الجملة على القلة والندرة كما روي انه صلى الله عليه وسلم اسقط اية في قراءته في الصلاة فحسب ابي انها نسخت فساله فقال صلى الله عليه وسلم نسيتها وقيل نفي النسيان راسا فان القلة قد تستعمل في النفي فالمراد بالنسيان حينئذ بالكلية اذ هو المتمني راسا الا ما قل ينسى ثم يذكر انه يعلم الجهر وما يخفى تعليل لما قبله اي يعلم ما ظهر وما بطن من الامور التي من جملتها ما اوحي اليك فينسي ما يشاء ويبقي محفوظا ما يشاء ابقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم ونيسرك لليسرى عطف على سنقرئك كما ينبئ عنه الالتفات الى الحكاية وما بينهما اعتراض وارد لما ذكر من التعليل وتعليق التيسير به صلى الله عليه وسلم مع ان الشائع تعليقه بالامور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى ويسر لي امري للايذان بقوة تمكنه صلى الله عليه وسلم من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كانه صلى الله عليه وسلم جبل عليها كما في قوله صلى الله عليه وسلم اعملوا فكل ميسر لما خلق له اي نوفقك توفيقا مستمرا للطريقة اليسرى في كل باب من ابواب الدين علما وتعليما واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي والاحاطة بما فيه من احكام الشريعة السمحة والنواميس الالهية مما يتعلق بتكميل نفسه صلى الله عليه وسلم وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى فذكر ان نفعت الذكرى اي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى اليك واهدهم الى ما في تضاعيفه من الاحكام الشرعية كما كنت تفعله لا بعد ما تيسر بذلك الامر كما قيل وتعليق التذكير بنفع الذكرى لما انه صلى الله عليه وسلم طال ما كان يذكرهم ويستفرغ فيه غاية المجهود ويتجاوز في الجد كل حد معهود حرصا على ايمانهم وما كان يزيد ذلك بعضهم الا كفرا وعنادا فامر صلى الله عليه وسلم بان يخص بالتذكير مواد النفع في الجملة بان يكون من يذكره كلا او بعضا ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يورثه التذكير الا عتوا ونفورا من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى فذكر بالقران من يخاف وعيد وقوله تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا وقيل هو ذم للمذكورين واخبار

عن حالهم واستبعاد لتأثير التذكير ولا فيهم ويستحيل عليهم بالطبع على قلوبهم كقولك للواعظ عظ
المكالبين ان سمعوا منك قصدا الى انه مما لا يكون والاول انسب لقوله تعالى سيذكر من يخشى اى
سيتذكر بتذكيرك من شانه ان يخشى الله تعالى حق خشيته او من يخشى الله تعالى في الجملة فيزداد
بذلك بالتذكير فيتفكر في امر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وقيل ان بمعنى اذ كما في
قوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اى اذ كنتم وقيل بمعنى ما اى تذكر ما نفعت الذكرى فانها
لا تخلوا عن نفع بكل حال وقيل هنالك محذوف فالتقدير ان نفعت الذكرى وان لم تنفع كقوله تعالى
سرابيل تقيكم الحر قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي ويتجنبها اى الذكرى الاشقى من الكفرة
لتوغله في عداوة النبي عم قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة ابن ابي ربيعة الذي يصلى النار
الكبرى اى الطبقة السفلى من طبقات النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى النار الدنيا كقوله عم
ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ثم لا يموت فيها ولا يحيى حتى يستريح ولا يحيى حياة
تنفعه وثم للتراخي في مراتب الشدة لان التردد بين الموت والحياة اقطع من الصلى قد افلح اى نجا من
المكروه وظفر بما يرجوه من تزكى اى تطهر من الكفر والمعاصي بتذكيره واتعاظه بالذكرى او تكثر من
التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وقيل تطهر للصلاة وقيل تزكى تفعل من الزكاة وكلمة
قد لما ان عند الاخبار بسوء حال المجتنب عن الذكرى في الاخرة يتوقع السامع الاخبار بحسن
حال المتذكر فيها وينتظره وذكر اسم ربه بقلبه ولسانه فصلى اقام الصلوات الخمس كقوله تعالى
اقم الصلاة لذكرى اى كبر تكبيرة الافتتاح فصلى وقيل تزكى اى تصدق صدقة الفطر وذكر اسم ربه
اى كبره يوم العيد فصلى بل يؤثرون الحياة الدنيا اضراب عن مقدر ينساق اليه الكلام كانه
اثر بيان ما يؤدي الى الفلاح لا تفعلوا ذلك بل تؤثرون اللذات العاجلة الفانية فتسعون
بتحصيلها والخطاب اما للكفرة فالمراد بايثار الحياة الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض
عن الاخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها
الاية او للكل فالمراد بايثارها ما هو اعم مما ذكر وما لا يخلوا عنه الناس غالبا من ترجيح جانب الدنيا
على الاخرة في السعي وترتيب المبادي والالتفات على الاول لتشديد التوبيخ وعلى الثاني كذلك
في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين وقرئ يؤثرون بالياء وقوله تعالى والاخرة خير
وابقى حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب اى تؤثرونها على الاخرة والحال ان الاخرة
خير في نفسها لما ان نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة ابدي
لا تصرم له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه قليل لغاية ظهوره
ان هذا اشارة الى ما ذكر من قوله تعالى قد افلح من تزكى وقيل الى ما في السورة جميعا لفي الصحف
الاولى اى ثابت فيها معناه صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفي ابهامها ووصفها بالقدم
ثم بيانها وتفسيرها من تفخيم شانها ما لا يخفى روي ان جميع ما انزل الله تعالى من كتاب مائة واربعة
كتب انزل على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر
صحف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ما جاء في فضائل هذه السورة ما روي عن النبي عم
من قرا سورة الاعلى اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى
ومحمد عليه الصلاة والسلام والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتاك حديث الغاشية قيل هل بمعنى قد كما في قوله تعالى
هل اتى على الانسان الاية قال قطرب اى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية وليس بذلك بل هو استفهام
اريد به التعجب مما في خبره والتشويق الى سماعه والاشعار بانه من الاحاديث البديعة التي حقها ان
يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد والغاشية الداهية الشديدة التي
تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم باهوالها وهي القيمة من قوله تعالى يوم يغشيهم العذاب الاية
وقيل هي النار من قوله تعالى وتغشى وجوههم النار وقوله تعالى ومن فوقهم غواش والاول هو الحق
فان ما سيروى من حديثها ليس مختصا بالنار واهلها بل ناطق باحوال اهل الجنة ايضا وقوله
تعالى وجوه يومئذ خاشعة الى قوله مبثوثة استيناف وقع جوابا عن سؤال نشا من الاستفهام
التشويقي كانه قيل من جهته عم ما اتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذ اى يوم اذ غشيت

دليلة قال ابن عباس لم يكن اتاه عم حديثها فاخبره جبرئيل عليه السلام عنها فقال وجوه يومئذ الى
اخره فوجوه مبتدا ولا باس بتنكيرها لانها في موقع التنويع وخاشعة خبره وقوله تعالى عاملة ناصبة
خبران اخران لوجوه اذ المراد بها اصحابها اى تعمل اعمالا شاقة تتعب فيها وهي جر السلاسل والاغلال
والخوض في النار خوض الابل في الوحل والصعود والهبوط في تلال النار ووهادها وقيل عملت في الدنيا
اعمال السوء والتذت بها فهي يومئذ في نصب منها وقيل عملت ونصبت في اعمال لا تجدي عليها في
الاخرة وقوله تعالى تصلى اى تدخل نارا حامية اى متناهية في الحر خبر اخر لوجوه وقيل هو الخبر وما
قبله صفات لوجوه وقد مر غير مرة ان الصفة حقها ان تكون معلومة الانتساب الى الموصوف
عند السامع قبل جعلها صفة له ولا ريب في ان صلى النار وما قبله من الخشوع والعمل والنصب
امور متساوية في الانتساب الى الوجوه معرفة وجهالة فجعل بعضها عنوانا للموضوع قيدا
مفروغا عنه غير مقصود الافادة وبعضها مناطا للافادة تحكم بحت ويجوز ان يكون هذا وما
بعده من الجملتين استينافا مبينا لتفاصيل احوالها تسقى من عين انية اى متناهية في الحر كما في قوله
وبين حميم ان ليس لهم طعام الا من ضريع بيان لطعامهم اثر بيان شرابهم والضريع يبيس الشبرق
وهو شوك ترعاه الابل ما دام رطبا واذا يبس تحامته وهو سم قاتل وقيل هي شجرة نارية تشبه
الضريع وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون الى الله تعالى طلبا
للاخلاص منه فسمي بذلك وهذا طعام بعض اهل النار والزقوم والغسلين لاخرين لا يسمن
ولا يغني من جوع اى ليس من شانه الاسمان والاشباع كما هو شان طعام الدنيا وانما هو شيء
يضطرون الى اكله من غير ان يكون له دفع لضرورتهم لكن لا على ان لهم استعداد للشبع والسمن الا انه
لا يفيدهم شيئا منها بل على انه لا استعداد من جهتهم ولا افادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك ان
جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشاة من حالة عارضة للانسان
عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له الى المطعوم والمشروب بحيث يلتذ بهما
عند الاكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا
عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرام النار في احشائهم الى ادخال شيء كثيف
يملؤها ويخرج ما فيها من اللهب واما ان يكون لشوق الى مطعوم ما او التذاذ به عند الاكل واستغناء
عن الغير واستفادة قوة منها اصلا وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند اكل الضريع والتهابه
في بطونهم الى شيء مائع بارد يطفئه من غير ان يكون لهم التذاذ بشربه او استفادة قوة به
في الجملة وهو المعنى بما روي انه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم الى اكل الضريع فاذا اكلوه
يسلط عليهم العطش فيطلبون الماء فيسقون من عين انية فيشوي الحميم وجوههم ويقطع امعاءهم وتنكير الجوع
للتحقير [illegible]
[illegible]
عن الجوع [illegible] وجوه يومئذ ناعمة
شروع في رواية حديث اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار [illegible]
في حديث الغاشية وتفخيم حديثها [illegible] حكاية حسن حال اهل الجنة بعد حكاية سوء حال اهل النار
[illegible] المحكي حسنا وبهجة [illegible] الجملة كالذي في نظيرتها [illegible]
[illegible] ناعمة ذات بهجة وحسن كقوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم
او متنعمة لسعيها راضية اى لعملها الذي عملته في الدنيا حين شاهدت ثمرته في جنة عالية رفيعة
المحل او عالية القدر لا تسمع اى انت او الوجوه فيها لاغية لغوا وكلمة ذات لغو او نفسا تلغو
فان كلام اهل الجنة كله [illegible] وقرئ لا يسمع على البناء للمفعول بالياء والتاء ورفع لاغية
فيها عين جارية اى عيون كثيرة تجري مياهها [illegible] فيها سرر مرفوعة رفيعة
السمك او القدر واكواب جمع كوب وهو اناء لا عروة له موضوعة [illegible] ونمارق
وسائد جمع نمرقة [illegible] مصفوفة بعضها الى جنب بعض وزرابي [illegible]
مبثوثة مبسوطة افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت استيناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث
الغاشية وما هو مبني عليه من البعث الذي هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما لا يستطيعون انكاره
والهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكلمة كيف منصوبة [illegible]
في قوله تعالى كيف [illegible] الجملة في حيز الخفض على انها بدل اشتمال من الابل
[illegible] ما ذكر من البعث واحكامه ويستبعدون وقوعه من قدرة الله عز وجل فلا ينظرون

الى الابل التي هي نصب اعينهم يستعملونها كل حين الى انها كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن
خلقة ساير انواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هياتها اللايقة بتاتي ما يصدر
عنها من الافاعيل الشاقة كالنهوض بالاوقار الثقيلة وجر الاثقال الفادحة الى الاقطار النازحة
وفي صبرها على الجوع والعطش حتى ان اظماؤها لتبلغ العشر فصاعدا واكتفائها باليسير ورعيها
بالبسيس ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعه ساير البهايم وبانقيادها
بقطارها لكل صغير وكبير والى السماء وفي انقيادها مع ذلك للانسان في الحركة والسكون
والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيف ما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير
والى السماء التي تشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار كيف رفعت رفعا سحيق المدى بلا عماد
ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والادراك والى الجبال التي ينزلون في اقطارها وينتفعون
بمياهها واشجارها كيف نصبت نصبا رصينا فهي راسخة لا تميل ولا تميد والى الارض التي
تضربون فيها وتتقلبون كيف سطحت سطحا بتوطية وتمهيد وتسوية حسبما يقتضيه صلاح
امور ما عليه من الخلايق وقرئ سطحت مشددا وقريت الافعال الاربعة على البناء للفاعل للمتكلم
وحذف الراجع المنصوب والمعنى افلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار الى كيفية خلق هذه المخلوقات
بجهة البعث والنشور ليرجعوا عما هم عليه من الانكار والنفور ويسمعوا انذارك ويستعدوا له
للقايه والايمان والطاعة والفاء في قوله تعالى فذكر لترتيب الامر بالتذكير على ما ينبئ عنه الانكار
السابق من عدم النظر اي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك انهم لا ينظرون ولا يتذكرون
وقوله تعالى انما انت مذكر تعليل للامر وقوله تعالى لست عليهم بمسيطر تقرير له وتحقيق بمعنى الانذار
اي لست بمتسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار وقرئ بالسين على
الاصل وبالاشمام وقرئ بفتح الطاء وهي لغة تميم فان سيطر عندهم متعد ومنه قولهم سيطر
الا من تولى وكفر استثناء منقطع اي لكن من تولى منهم فان الله تعالى الولاية والقهر فيعذبه الله
العذاب الاكبر الذي هو عذاب جهنم وقيل استثناء متصل من قوله فذكر اي فذكر الا من انقطع
طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض ويعضد الاول انه قرئ الا على
التنبيه وقوله تعالى ان الينا ايابهم تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الاكبر اي الينا رجوعهم بالموت
والبعث لا الى احد سوانا لا استقلالا ولا اشتراكا وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من
كما ان افراده فيما سبق باعتبار لفظها وقرئ ايابهم على انه فيعال مصدر فيعل من الاياب او فعال
من اوب كقيام من قيس ثم قيل ايوابا كديوان ودوان ثم قلبت الواو ياء فادغمت الياء الاولى
في الثانية ثم ان علينا حسابهم في المحشر لا على غيرنا وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فان الترتيب
الزماني بين ايابهم وحسابهم لا بين كون ايابهم اليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فانهما امران مستمران
وفي تصدير الجملتين بان وتقديم خبرها وعطف الثانية على الاولى بكلمة ثم المفيدة لبعد منزلة
الحساب في الشدة من الانباء عن غاية السخط الموجب لتشديد العذاب ما لا يخفى عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر اقسم سبحانه وتعالى بالفجر كما اقسم بالصبح حيث قال
والصبح اذا تنفس وقيل المراد به صلاته وليال عشر هو عشر ذي الحجة ولذلك فسر الفجر بفجر عرفة
او النحر او العشر الاواخر من رمضان وتنكيرها للتفخيم وقرئ وليال عشر بالاضافة على ان المراد
بالعشر الايام والشفع والوتر اي الاشياء كلها شفعها ووترها او شفع هذه الليالي ووترها وقد روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم فسرهما بيوم النحر ويوم عرفة ولقد كثرت فيهما الاقوال والله اعلم بحقيقة الحال
وقرئ بكسر الواو وهما لغتان كالحبر والحبر وقيل الوتر بالفتح في العدد وبالكسر في الذحل وقرئ
والوتر بفتح الواو وكسر التاء والليل اذا يسر اي يمضي كقوله تعالى والليل اذ ادبر والليل اذا
عسعس والتقييد لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة او يسرى فيه من قولهم
صلى المقام اي صلى فيه وحذف الياء اكتفاء بالكسر وقرئ باثباتها على الاصل هل في ذلك قسم
الى امر محقق لفخامة شان المقسم بها وكونها امورا جليلة حقيقة بالاعظام والاجلال عند ارباب
العقول وتنبيه على ان الاقسام بها امر معتد به خليق بان يؤكد به الاخبار على طريقة قوله تعالى

وانه

وانه لقسم لو تعلمون عظيم وذلك اشارة اما الى الامور المقسم بها والتذكير بتاويل ما ذكر كما مر
تحقيقه او الى الاقسام بها وايا ما كان فما فيه من معنى البعد للايذان بعلو رتبة المشار اليه وبعد
منزلته في الفضل والشرف اي هل فيما ذكر من الاشياء قسم او مقسم به لذي حجر يراه حقيقا بان يقسم به
اجلالا وتعظيما والمراد تحقيق ان الكل كذلك وانما اوثرت هذه الطريقة هضما للحق وايذانا بظهور
الامر او هل في اقسامي بتلك الاشياء اقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به
المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر صاحبه اي يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية لانه ينهى
ويعقل وحصاة ايضا من الاحصاء وهو الضبط قال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا
منا بطالها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن كما ينبئ عنه قوله عز وجل الم تر كيف فعل ربك بعاد
الى اخره استشهاد بعلمه صلى الله عليه وسلم بما يدل عليه من تعذيب عاد واضرابهم المشاركين لقومه صلى الله عليه وسلم في الطغيان
والفساد على طريقة قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الاية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون
كانه قيل الى ماهنا الم تعلم علما يقينا كيف عذب ربك عاد ونظايرهم فسيعذب الى ماهنا والفساد على
طريقة قوله تعالى الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الاية وقوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون
كانه قيل الم تعلم علما يقينا كيف عذب ربك عادا ونظايرهم فسيعذب هؤلاء ايضا لاشتراكهم فيما يوجبه
من الكفر والمعاصي والمراد بعاد اولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه
السلام سموا باسم ابيهم كما سمي بنو هاشم هاشما وقد قيل لاوايلهم عاد الاولى ولاواخرهم عاد الاخرة قال
عماد الدين ابن كثير كل ما ورد في القران خبر عاد الاولى الا في سورة الاحقاف وقوله تعالى ارم عطف
بيان لعاد للايذان بانهم عاد الاولى بتقدير مضاف اي سبط ارم او اهل ارم على ما قيل من ان ارم اسم
بلدتهم وارضهم التي كانوا فيها ويؤيده القراءة بالاضافة وايا ما كان فامتناع صرفها للتعريف والتانيث
وقرئ ارم باسكان الراء تخفيفا كما قرئ ذات العماد صفة لارم اي ذات القدود الطوال على تشبيه
قاماتهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا او ذات الخيام والاعمدة حيث كانوا بدويين
اهل عمد او ذات البناء الرفيع او ذات الاساطين على ان ارم اسم بلدتهم وقرئ ذات العماد بالاضافة
ارم ذات العماد والارم العلم اي بعادا هل اعلام ذات العماد على انها اسم بلدتهم وقرئ ارم ذات العماد
اي جعلها الله تعالى رميما بدلا من فعل ربك وقيل هي جملة دعائية اعترضت بين الموصوف والصفة
وروي انه كان لعاد ابنان شديد وشداد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا
ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحارى عدن في ثلاثمائة سنة
وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف
الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة
بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها
فحمل ما قدر عليه مما ثمة وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فساله فقال
هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه
خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل التي لم يخلق مثلها في البلاد
صفة اخرى لارم اي لم يخلق مثلهم في عظم الاجرام والقوة حيث كان طول الرجل منهم اربعمائة ذراع
وكان ياتي بالصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم او لم يخلق مثل مدينة شداد في جميع بلاد الدنيا
وقرئ لم يخلق على اسناده الى الله تعالى وثمود عطف على عاد وهي قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم
ثمود اخي جديس وهما ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وكانوا عربا من العاربة يسكنون
الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الاصنام كعاد الذين جابوا الصخر بالواد اي قطعوا صخر الجبال
واتخذوا فيها بيوتا كقوله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا قيل هم اول من نحت
الجبال والصخور والرخام وقد بنوا الف وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة وفرعون ذي الاوتاد
وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم او لتعذيبه بالاوتاد الذين طغوا
في البلاد اما مجرور على انه صفة للمذكورين او منصوب او مرفوع على الذم اي طغى كل طايفة
منهم في بلادهم وكذا الكلام في قوله تعالى فاكثروا فيها الفساد اي بالكفر وساير المعاصي فصب
عليهم ربك سوط عذاب اي انزل انزالا شديدا على كل طايفة من اوليك الطوايف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد
ربك سوط عذاب اي عذابا شديدا لا يدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب
التي سمعت في ساير السور الكريمة وتسميته سوطا للاشارة الى ان ذلك بالنسبة الى ما اعد لهم في
الاخرة بمنزلة السوط عند السيف والتعبير عن انزاله بالصب للايذان بكثرته واستمراره وتتابعه

فانه عبارة عن اراقة شئ مايع او جار مجراه فى الشدة والكثرة كالمطر والحبوب وافراغه بشدة وكثرة واستمرار ونسبته الى الصوت مع انه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيهه فى نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بنزول الشئ المصبوب وقيل السوط خلط الشئ بعضه ببعض فالمعنى ما خلط لهم من انواع العذاب وقد فسر بالنصيب الى اعتبار وتكرير تعلقه بالعذاب كما فى المعنى الاول فان كل واحد من هذه المعانى مما يقبل الاستمرار فى نفسه وقوله تعالى ان ربك لبالمرصاد تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه عم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض بعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم فاندفع وقيل جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان يترقب فيه الرصاد مفعال من رصده تعليل لما قبله وايذان بان كفار قومه عم سيصيبهم مثل ما اصاب المذكورين من العذاب كما ينبئ عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميره عم الى ما هنا وقيل هو جواب القسم وما بينهما اعتراض والمرصاد المكان يترقب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا تمثيل لارصاده تعالى بالعصاة وانهم لا يفوتونه وقوله تعالى فاما الانسان الى اخره متصل بما قبله كانه قيل انه تعالى بصدد مراقبة احوال عباده ومجازاتهم باعمالهم خيرا وشرا فاما الانسان فلا يهمه ذلك وانما مطمح انظاره ومرصد افكاره الدنيا ولذائذها اذا ما ابتليه ربه اى عامله معاملة من يبتليه بالغنى واليسار والفاء فى قوله تعالى فاكرمه ونعمه تفسيرية فان الاكرام والتنعيم عين الابتلاء فيقول ربى اكرمن اى فضلنى بما اعطانى من الجاه والمال حسب ما كنت استحقه ولا يخطر بباله انه فضل تفضل به ليبلوه ايشكر ام يكفر وهو خبر للمبتدا الذى هو الانسان والفاء لما فى اما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التاخير كانه قيل فاما الانسان فيقول ربى اكرمن وقت ابتلائه بالانعام وانما تقديمه للايذان من اول الامر بان الاكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكى واما اذا ما ابتليه اى واما هو اذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه حسب ما تقتضيه مشيته المبنية على الحكم البالغة فيقول ربى اهانن ولا يخطر بباله ان ذلك ليبلوه ايصبر ام يجزع مع انه ليس من الاهانة فى شئ بل التقدير قد يؤدى الى كرامة الدارين والتوسعة قد تفضى الى خسرانهما وقرئ فقدر بالتشديد وقرئ اكرمنى واهاننى باثبات الياء واكرمن واهانن بسكون النون فى الوقف كلا ردع للانسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيهما فى كلتا الحالتين قال ابن عباس المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته على ولم ابتله بالفقر لهوانه على بل ذلك لمحض القضاء والقدر وحمل الردع والتكذيب الى قوله الاخير بعيد وقوله تعالى بل لا تكرمون اليتيم انتقال من بيان سوء اقواله الى بيان سوء افعاله والالتفات الى الخطاب للايذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديدا للتقريع وتاكيدا للتشنيع والجمع باعتبار معنى الانسان اذ المراد هو الجنس اى بل لكم احوال اشد شرا مما ذكر وادل على تهالككم على المال وحيث يكرمكم الله تعالى بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من اكرام اليتيم بالمبرة به وقرئ لا يكرمون ولا تحاضون بحذف احدى التائين من تتحاضون اى لا يحض بعضكم بعضا على طعام المسكين اى على اطعامه وقرئ تحاضون من المحاضة وقرئ يحضون بالتاء والياء وتاكلون التراث اى الميراث واصله وراث الملما اى ذا لم اى جمع بين الحلال والحرام فانهم كانوا لا يورثون النساء والبنات ويأكلون انصباءهم او ياكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام عالمين بذلك وتحبون المال حبا جما كثيرا مع حرص وشره وقرئ ويحبون بالياء كلا ردع لهم عن ذلك وقوله تعالى اذا دكت الارض دكا دكا استئناف جيء به بطريق الوعيد تعليلا للردع اى اذا دكت الارض دكا متتابعا حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وابنية وقصور حين زلزلت وصارت هباء منبثا وقيل الدك حط المرتفع بالبسط والتسوية فالمعنى اذا سويت بعد تسوية ولم يبق على وجهها شئ حتى صارت كالصخرة الملساء واياما كان فهو عبارة عن ما عرض لها عند النفخة الثانية وجاء ربك اى ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السلطان من احكام هيبته وسياسته وقيل جاء امره تعالى وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل والملك صفا صفا اى مصطفين او ذوى صفوف فانه ينزل يومئذ ملئكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم محدقين بالجن والانس وجيء يومئذ بجهنم كقوله تعالى وبرزت الجحيم قال ابن مسعود ومقاتل تقاد جهنم بالف زمام كل زمام معه سبعون الف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير ورواه مسلم فى صحيحه عن ابن مسعود مرفوعا يومئذ بدل من اذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى يتذكر الانسان اى يتذكر ما فرط منه بتفاصيله بمشاهدة آثاره واحكامه او بمعاينة عينه على ان الاعمال تتجسم فى

النشاة الاخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة او يتعظ وقوله تعالى وانى له الذكرى اعتراض جيء به لتحقيق انه ليس بتذكر حقيقة لبرائه عن الجدوى لعدم وقوعه فى اوانه وانى خبر مقدم والذكرى مبتدا وله متعلق بما تعلق به الخبر اى ومن اين يكون له الذكرى وقد استدل به على عدم وجوب قبول التوبة فى دار التكليف مما لا وجه له على ان تذكره ليس من التوبة فى شئ فانه عالم بانها انما تكون فى الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى يقول يا ليتنى قدمت لحياتى وهو بدل اشتمال من يتذكر او استئناف وقع جوابا عن سؤال نشا منه كانه قيل ماذا يقول عند تذكره فقيل يقول يا ليتنى عملت لاجل حياتى هذه او وقت حياتى فى الدنيا اعمالا صالحة انتفع بها اليوم وليس فى هذا التمنى شائبة الدلالة على استقلال العبد بفعله وانما الذى يدل عليه ذلك اعتقاده كونه متمكنا من تقديم الاعمال الصالحة واما ان ذلك بمحض قدرته او بخلق الله تعالى عند صرف قدرته او يخلق الله تعالى عند صرف قدرته الكاسبة اليه فكلا واما ما قيل من ان المحجوب قد يتمنى انه كان متمكنا منه فربما يوهم ان من صرف قدرته الى احد طرفى الفعل يعتقد انه محجور عن الطرف الاخر وليس كذلك بل كل احد جازم انه لو صرف قدرته الى اى طرف كان من افعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف والزام الحجة فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد الهاء لله تعالى اى لا يتولى عذاب الله تعالى ووثاقه احد سواه اذ الامر كله له او للانسان اى لا يعذب احد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرئ الفعلان على البناء للمفعول والضمير للانسان ايضا وقيل المراد به ابى بن خلف اى لا يعذب احد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه فى الكفر والفساد وقيل لا يحمل عذاب الانسان احد كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة حكاية لاحوال من اطمان بذكر الله عز وجل وطاعته اثر حكاية احوال من اطمان بالدنيا وصفت بالاطمئنان لانها تترقى فى معارج الاسباب والمسببات الى المبدا الموثق بالذات فتستقر دون معرفته وتستغنى به فى وجودها وسائر شؤونها عن غيرها بالكلية وقيل هى النفس المؤمنة المطمئنة الى الحق الواصلة الى برد اليقين بحيث لا يخالطها شك ما وقيل هى الامنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن ويؤيده انه قرئ يا ايتها النفس الامنة المطمئنة اى يقول الله تعالى ذلك بالذات كما كلم موسى او على لسان الملك عند تمام حسابها الناس وهو الاظهر وقيل عند الموت وقيل عند البعث ارجعى الى ربك اى الى موعده او الى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلى فى عبادى اى فى زمرة عبادى الصالحين المختصين لى وادخلى جنتى معهم وانتظمى فى سلك المقربين واستضيئى بانوارهم فان الجواهر القدسية كالمرايا المتقابلة وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلى اجساد عبادى التى فارقت عنها وادخلى دار ثوابى ومما يؤيده الخطاب عند البعث وقرئ فادخلى فى عبدى وقرئ فى جسد عبدى وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى رضى الله عنه والظاهر العموم عن النبى عم من قرا سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قراها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد اقسم سبحانه بالبلد الحرام وعطف عليه على ان الانسان خلق ممنوعا بمقاساة الشدايد ومعاناة المشاق واعترض بين القسم وجوابه بقوله تعالى وانت حل بهذا البلد اما لتشريفه عم بجعل حلوله به مناطا لاعظامه بالاقسام به او للتنبيه من اول الامر على تحقق مضمون الجواب بذكر بعض مواد المكابدة على نهج براعة الاستهلال وبيان انه عليه الصلاة والسلام مع جلالة قدره وعظم حرمته قد استحلوه فى هذا البلد الحرام وتعرضوا له بما لا خير فيه وهموا بما لم ينالوا عن شرحبيل يحرمون ان يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك او لتسليته عم بالوعد بفتحه على معنى وانت حل به فى المستقبل كما فى قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون تصنع فيه ما تريده من القتل والاسر وقد كان كذلك حيث احل له عم مكة وفتحها عليه وما فتحت على احد قبله ولا احلت له فاحل عم ما شاء وحرم ما شاء وقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار ابى سفيان ثم قال ان الله تعالى حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى ان تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد وقال

العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال عم الا الاذخر ووالد عطف
هذا الولد والمراد به ابراهيم ويقوله تعالى وما ولد اسمعيل والنبي عم حسب ما ينبئ عنه المعطوف عليه فانه
هم ابراهيم ومنشأ اسمعيل ومسقط رأس رسول الله عم والتعبير عنهما بما دون من لتفخيم والتعظيم كتنكير
والد وايثاره على كلمة والديا ادم بعنوان الوالد دون تشبيه لمضمون الجواب وايماء الى انه متحقق في حالتي
الوالدية والولدية وقيل ادم عليه السلام ونسله وهو انسب لمضمون الجواب من حيث شموله للكل الا ان التفخيم
المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب وقيل كل والد وولده لقد خلقنا الانسان في كبد اى
تعب ومشقة فانه لا يزال يقاسي فنون الشدائد من وقت نفخ الروح الى حين نزعها وما وراءه يقال
كبد الرجل كبدا اذا وجعت كبده واصله كبده اذا اصاب كبده ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل تعب
ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته اهلكه وهو تسلية لرسول الله عم مما كان يكابده من كفار
قريش والضمير في قوله تعالى ايحسب لبعضهم الذي كان عم يكابد منهم ما يكابد كالوليد بن المغيرة
واضرابه وقيل هو ابو الاشد بن كلدة الجمحي وكان شديد القوة مغترا بقوته وكان يبسط له الاديم العكاظي
فيقوم عليه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة فينقطع قطعا ولا تزول قدماه اي يظن ان
لن يقدر على الانتقام منه احد هذا القوي المارد المتضعف للمؤمنين ان لن يقدر عليه احد ان مخففة
من ان واسمها الذي هو ضمير الشان محذوف اى ايحسب انه لن يقدر على الانتقام منه احد يقول اهلكت
مالا لبدا يريد كثرة ما انفقه فيما كان اهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالي ومفاخر
ايحسب ان لم يره احد حين كان ينفق فانه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما
ولسانا يترجم به عن ضمائره وشفتين يستر بهما فاه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وغيرها
وهديناه النجدين اى طريقي الخير والشر او الثديين واصل النجد المكان المرتفع فلا اقتحم العقبة
اى فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالاعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة التي هي الطريق في الجبل لصعوبة
سلوكها وقوله تعالى وما ادراك ما العقبة اى اى شيء اعلمك ما اقتحام العقبة لزيادة تقريرها
وكونها عند الله تعالى بمكانة رفيعة فك رقبة اى هو اعتاق رقبة او اطعام في يوم ذي مسغبة
اى مجاعة يتيما ذا مقربة اى قرابة او مسكينا ذا متربة اى افتقار وحيث كان المراد باقتحام العقبة
هذه الامور حسن دخول لا على الماضي فانها لا تكاد تقع الا مكررة اذ المعنى فلا فك رقبة ولا اطعم
يتيما او مسكينا والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب وترب اذا
افتقر وقرئ فك رقبة او اطعم على الابدال من اقتحم ثم كان من الذين آمنوا عطف على المنفي بلا وثم
للدلالة على تراخي رتبة الايمان ورفعة محله لاشتراط جميع الاعمال الصالحة به وتواصوا بالصبر عطف
على آمنوا اى اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وتواصوا بالمرحمة بالرحمة على عباده او بموجبات
رحمته تعالى من الخيرات اولئك اشارة الى الموصول باعتبار اتصافه بما في حيز صلته وما فيه من
معنى البعد مع قرب المشار اليه للايذان ببعد منزلتهم في الشرف والفضل اى اولئك
الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة اصحاب الميمنة اى اليمين او اليمن والذين كفروا بآياتنا بما نصبنا
دليلا على الحق من كتاب وحجة او بالقرآن هم اصحاب المشأمة اى الشمال او الشؤم عليهم نار مؤصدة
مطبقة من اصد الباب اذا اطبقته واغلقته وقرئ موصدة بغير همزة من اوصدته عن النبي عم
من قرأ سورة لا اقسم بهذا البلد اعطاه الله الامان من غضبه يوم القيمة

بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحاها اى ضوئها اذا اشرقت وقام سلطانها وقيل
الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكان ينتصف والقمر
اذا تلاها بان طلع بعد غروبها وقيل اذا تلاه طلوعه طلوعها وقيل اذا تلاها في الاستدارة وكمال النور
والنهار اذا جلاها اى جلى الشمس فانها تنجلي عند انبساط النهار فكانه جلاها مع انها التي تبسطه او جلى
الظلمة او الدنيا او الارض وان لم يجر لها ذكر للعلم بها والليل اذا يغشاها اى الشمس فيغطي ضوءها
والافاق والارض وحيث صارت الواوات العاطفة نوائب الواو الاولى القسمية القائمة مقام
الفعل والباء سادة مسدهما معا في قولك اقسم بالله حقيقين ان تعمل عمل الفعل والجار جميعا كما تقول
ضرب زيد عمرا وبكر خالدا والسماء وما بناها وايثار ما على من لارادة الوصفية تفخيما كانه
قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها وجعلها مصدرية مخل بالنظم الكريم وكذا الكلام في قوله

تعالى والارض وما طحاها اى بسطها من كل جانب كدحاها ونفس وما سواها اى انشأها وابدعها
مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب
للجواب فالهمها فجورها وتقواها اى افهمها اياهما وعرفها حالهما من الحسن والقبح وما يؤدي اليه كل
منهما ومكنها من اختيار ايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل قد افلح من زكاها اى فاز بكل
مطلوب ونجا من كل مكروه من انماها واعلاها بالتقوى وهو جواب القسم وحذف اللام لطول
الكلام وتكرير قد في قوله تعالى وقد خاب من دساها لابراز الاعتناء بتحقيق مضمونه والايذان
بتعلق القسم به ايضا اصالة اى خسر من نقصها واخفاها بالفجور واصل دسى دسس وتقضى وقيل
هو كلام تابع لقوله تعالى كذبت ثمود بطغواها عليه كانه قيل ليدمدمن الله تعالى على كفار مكة لتكذيبهم
رسول الله عم كما دمدم على ثمود لتكذيبهم صالحا عليه السلام وهو على الاول استيناف وارد لتقرير مضمون
قوله تعالى وقد خاب من دساها والطغوى بالفتح الطغيان والباء للسببية اى فعلت التكذيب بسبب
طغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله تعالى او اهلكوا بالتكذيب اى كذبت بما وعدت به من العذاب ذي
الطغوى كقوله تعالى فاهلكوا بالطاغية وقرئ بطغواها بالضم كالرجعى والحسنى وهو ايضا مصدر كالرجعى اذ انبعث
اشقاها منصوب بكذبت او بالطغوى اى حين قام اشقى ثمود وهو قدار بن سالف او هو ومن تصدى معه
لعقر الناقة من الاشقياء فان افعل التفضيل اذا اضيفت تصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث
وفضل شقاوتهم على من عداهم لمباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضا به فقال لهم رسول الله اى لثمود
رسول الله اى صالح عليه السلام عبر عنه بعنوان الرسالة ايذانا بوجوب طاعته وبيانا لغاية عتوهم
وتماديهم في الطغيان وهو السر في اضافة الناقة اليه تعالى في قوله تعالى ناقة الله اى ذروا ناقة الله
وسقياها ولا تذودوها عنها في نوبتها فكذبوه اى فيما حذرهم منه في قوله تعالى ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب
اليم وقد يجوز ان يكون ضمير لهم للاشقين ولا يلائمه ذكر سقياها فعقروها اى الاشقى والجمع على
تقدير وحدته لرضا الكل بفعله وقال قتادة بلغنا انه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم ذكرهم
وانثاهم وقال الفراء عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس فدمدم عليهم ربهم فاطبق
عليهم العذاب وهو من قولهم ناقة مدمومة اذا البسها الشحم بذنبهم بسبب ذنبهم المحكي والتصريح بذلك
مع دلالة الفاء عليه للايذان بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب فسواها اى الدمدمة بينهم لم يفلت
منهم احد من صغيرهم وكبيرهم او فسوى ثمود بالارض او سواها في الاهلاك ولا يخاف عقباها اى
عاقبتها وتبعتها كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك فيبقي بعض الابقاء وذلك انه تعالى لا يفعل
فعلا الا بحق وكل من فعل بحق فانه لا يخاف عاقبة فعله وان كان من شانه الخوف والواو فيها
للحال او للاستيناف وقرئ فلا يخاف وقرئ ولم يخف عن رسول الله عم من قرأ سورة الشمس فكانما
تصدق بكل ما طلعت عليه الشمس والقمر والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم والليل اذا يغشى اى حين يغشى الشمس لقوله تعالى والليل اذا يغشاها
او النهار او كل ما يواريه بظلامه والنهار اذا تجلى ظهر بزوال ظلمة الليل او تبين وتكشف بطلوع
الشمس وما خلق الذكر والانثى اى والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والانثى من كل
ما له توالد وقيل هما آدم وحواء وقرئ والذكر والانثى وقيل ما مصدرية ان سعيكم لشتى جواب
القسم وشتى جمع شتيت اى ان مساعيكم لاشتات مختلفة وقوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى الى آخره تفصيل لتلك المساعي المشتتة وتبيين لاحكامها اى فاما من اعطى حقوق ماله
واتقى محارم الله تعالى التي نهى عنها وصدق بالخصلة الحسنى وهي الايمان وبالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد
وبالملة الحسنى وهي ملة الاسلام او بالمثوبة الحسنى وهي كلمة التوحيد او بالملة الحسنى وهي ملة الاسلام
او بالمثوبة الحسنى وهي الجنة فسنيسره لليسرى فسنهيئه للخصلة التي تؤدي الى يسر وراحة كدخول
الجنة ومباديه من يسر الفرس في الركوب اذا اسرجها والجمها واما من بخل اى بماله فلم يبذله في
سبيل الخير واستغنى اى زهد فيما عنده تعالى كانه مستغن عنه فلم يتقه او استغنى بشهوات الدنيا
عن نعيم الاخرة وكذب بالحسنى اى بما ذكر من المعاني المتلازمة فسنيسره للعسرى اى للخصلة
المؤدية الى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها ولعل تصدير القسمين
بالاعطاء والبخل مع ان كلا منهما ادنى رتبة مما بعدها من التصديق والتقوى والتكذيب

والاستغنا وتفسير الاول باعطا الطاعة والثانى بالبخل بها امرته مع كونه خلاف الظاهر ياباه قوله
تعالى وما يغنى عنه ماله اى ولا يغنى او اى شئ يغنى عنه ماله الذى يبخل به اذا تردى اى هلك تفعل
من الردى الذى هو الهلاك او تردى فى الحفرة اذا قبر او تردى فى قعر جهنم ان علينا للهدى استئناف
مقرر اى ان علينا بموجب قضائنا المبنى على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة ان نبين لهم طريق
الهدى وما يؤدى اليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين
ترغيبا وترهيبا ومن ههنا تبين ان الهداية هى الدلالة على ما يوصل الى البغية لا الدلالة الموصلة
اليها قطعا وان لنا للآخرة والاولى اى التصرف الكلى فيهما كيف نشاء فنفعل فيهما ما نشاء من
الافعال التى من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وقيل لنا ثواب الدنيا
والآخرة فلا يضرنا تركم الاهتداء بهدانا فانذرتكم نارا تلظى بحذف احدى التائين من تتلظى اى تتلهب
وقرئ على الاصل لا يصليها صليا لازما الا الاشقى الا الكافر فان الفاسق لا يصليها صليا لازما
وقد صرح به قوله تعالى الذى كذب وتولى اى كذب بالحق واعرض عن الطاعة وسيجنبها اى يبعد عنها
الاتقى المبالغ فى اتقاء الكفر والمعاصى فلا يحوم حولها فضلا عن دخولها او صليها الابدى واما
دونه ممن يتقى الكفر دون المعاصى فلا يبعد عنها هذا التبعيد وذلك لا يستلزم صليها بالمعنى
المذكور فلا يقدح فى الحصر السابق الذى يؤتى ماله يعطيه ويصرفه فى وجوه البر والحسنات وقوله
تعالى يتزكى اما بدل من يؤتى داخل فى حكم الصلة لا محل له او فى حيز النصب على انه حال من ضمير يؤتى
اى يطلب ان يكون عند الله تعالى زاكيا ناميا لا يريد به رياء ولا سمعة وما لاحد عنده من نعمة تجزى
استئناف مقرر لكون ابتغائه للتزكى خالصا لوجه الله تعالى اى ليس لاحد عنده نعمة من شأنها
ان تجزى وتكافأ فيقصد باتيانه ما يؤتى مجازاتها وقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى استثناء منقطع
من نعمة وقرئ بالرفع على البدل من محل من نعمة فانه الرفع اما على الفاعلية او على الابتداء ومن
مزيدة ويجوز ان يكون مفعولا له لان المعنى لا يؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه الاعلى لا لمكافأة نعمة
والآيات نزلت فى حق ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين اشترى بلالا فى جماعة كان يؤذيهم المشركون
فاعتقهم ولذلك قالوا المراد بالاشقى ابو جهل او امية بن خلف وقد روى عطاء والضحاك عن ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما انه عذب المشركون بلالا وبلال يقول احد احد فمر به النبى ص فقال احد يعنى الله
تعالى ينجيك ثم قال لابى بكر ان بلالا يعذب فى الله فعرف مراده ص فانصرف الى منزله فاخذ رطلا
من ذهب ومضى به الى امية بن خلف وقال له اتبيعنى بلالا قال نعم فاشتراه واعتقه فقال المشركون
ما اعتقه ابو بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وقوله تعالى ولسوف يرضى جواب قسم مضمر اى وبالله
لسوف يرضى وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على اجمل الوجوه واجلها اذ به يتحقق الارتضاء وقرئ
يرضى مبنيا للمفعول من الارضاء عن النبى ص من قرأ سورة والليل اعطاه الله تعالى حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر
له اليسر

بسم الله الرحمن الرحيم والضحى هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار وتخصيصه بالاقسام
به لانها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام والقى فيها السحرة سجدا لقوله تعالى وان يحشر الناس
ضحى وقيل اريد به النهار كما فى قوله تعالى ان ياتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا والليل اذا سجى الليل
اذا سجى اى سكن اهله او ركد ظلامه من سجى البحر سجوا اذا سكنت امواجه ونقل عن قتادة ومقاتل
وجعفر الصادق ان المراد بالضحى هو الضحى الذى كلم الله تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل
ليلة المعراج وقوله تعالى ما ودعك ربك جواب القسم اى ما قطعك قطع المودع وقرئ
بالتخفيف اى ما تركك وما قلى وما ابغضك وحذف المفعول اما للاستغناء عنه بذكره من قبل
او للقصد الى نفى صدور الفعل عنه تعالى بالكلية مع ان فيه مراعاة للفواصل روى ان الوحى تأخر
عن رسول الله ص اياما لتركه الاستثناء كما مر فى سورة الكهف او لزجره سائلا ملحا فقال المشركون
ان محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت ردا عليهم وتبشيرا له ص بالكرامة الحاصلة والمتوقعة كما يشعر به
ايراد الرب المنبئ عن التربية والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميره ص ومن حيث تضمن ما
سبق من نفى التوديع والقلى انه تعالى مواصله بالوحى والكرامة فى الدنيا بشره ص بان ما
سيؤتيه فى الآخرة اجل واعظم من ذلك فقيل وللآخرة خير لك من الاولى لانها باقية خالصة عن الشوا

على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما اوتى ص من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا
يدانيه فضل لكنه لا يخلو فى الدنيا من بعض العوارض القادحة فى تمشية الاحكام مع انه عند ما اعد له
ص فى الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والمرسلين يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين
وكون امته شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات
السنية التى لا تحيط بها العبارة بمنزلة بعض المبادى بالنسبة الى المطالب وقيل المراد بالآخرة عاقبة امره
ص اى لنهاية امرك خير من بدايته لا يزال يتزايد قوة ويتصاعد رفعة وقوله تعالى ولسوف يعطيك ربك
فترضى عدة كريمة شاملة لما اعطاه الله تعالى فى الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخرين وظهور
الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة فى عصره ص وفى ايام الخلفاء الراشدين وغيرهم من الملوك الاسلامية
وفشو الدعوة والاسلام فى مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التى لا يعلمها الا
الله عز وجل وقد انبأنا ابن عباس عن شمة منها حيث قال له ص فى الجنة الف قصر من لؤلؤ ابيض ترابه
المسك واللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولانت سوف
يعطيك الخ لا للقسم لانها لا تدخل على المضارع الا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة
على ان الاعطاء كائن لا محالة وان تراخى لحكمة وقيل هى للقسم وقاعدة التلازم بينها وبين نون التوكيد
قد استثنى النحاة منها صورتين احديهما ان يفصل بينها وبين الفعل بحرف التنفيس كهذه الآية
وكقولك والله لساعطيك والثانية ان يفصل بينهما بمعمول الفعل كقوله تعالى لالى الله تحشرون وقد
قال ابو على الفارسى ليست هذه اللام هى التى فى قولك ان زيدا لقائم بل هى التى فى قولك لاقومن
ونابت سوف عن احدى نونى التأكيد فكانه قيل وليعطينك وكذلك اللام فى قوله تعالى
وللآخرة الخ الم يجدك يتيما فآوى تعديد لما افاض عليه ص من اول امره الى ذلك الوقت من فنون
النعماء العظام ليستشهد بالحاضر الموجود على المترقب الموعود فيطمئن قلبه وينشرح صدره والهمزة لانكار
النفى وتقرير المنفى على ابلغ وجه كانه قيل قد وجدك الخ والوجود بمعنى العلم ويتيما مفعوله
الثانى وقيل بمعنى المصادفة ويتيما حال من مفعوله روى انه ص مات ابوه وهو جنين قد اتت عليه
ستة اشهر وماتت امه وهو ابن ثمانى سنين فكفله عمه ابو طالب وعطفه الله عليه وقرئ فأوى
وهو من اواه او من اوى له اذا رحمه وقوله تعالى ووجدك ضالا عطف على ما يقتضيه الانكار السابق كما
اشير اليه او على المضارع المنفى بلم داخل فى حكمه كانه قيل اما وجدك يتيما فآوى ووجدك غافلا
عن الشرائع التى لا تهتدى اليها العقول كما فى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب وقيل ضل فى صباه
فى بعض شعاب مكة فرده ابو جهل الى عبد المطلب وقيل ضل مرة اخرى فطلبوه فلم يجدوه فطاف
عبد المطلب بالكعبة سبعا وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادى من السماء يا معشر الناس لا تضجوا
فان لمحمد ربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادى تهامة عند شجرة السمر فسار عبد المطلب وورقة
بن نوفل فاذا النبى ص قائم تحت شجرة يلعب بالاغصان والاوراق وقيل اضلته مرضعته حليمة
عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل فى طريق الشام حين خرج به
ابو طالب يروى ان ابليس اخذ بزمام ناقته فى ليلة مظلمة فعدل به عن الطريق فجاء جبريل
عليه السلام فنفخ فيه نفخة وقع منها الى ارض الهند ورده الى القافلة فهدى فهداك الى مناهج
الشرائع المنطوية فى تضاعيف ما اوحى اليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم او ازال ضلالك
عن جدك وعمك ووجدك عائلا اى فقيرا وقرئ عديما فاغنى فاغناك بمال خديجة او بما حصل
لك من ربح التجارة او بما افاء عليك من الغنائم قال ص جعل رزقى تحت ظل رمحى وقيل قنعك
فاغنى قلبك فاما اليتيم فلا تقهر فلا تغلبه على ماله وقال مجاهد لا تحتقر وقرئ فلا تكهر بالكاف
اى فلا تعبس فى وجهه واما السائل فلا تنهر فلا تزجره ولا تغلظ له القول بل رده ردا جميلا قال
ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وقال ابراهيم النخعى السائل بريد الآخرة
يجئ الى باب احدكم فيقول ابعثون الى اهلكم بشئ وقيل المراد بالسائل ههنا الذى يسأل عن الدين
واما بنعمة ربك فحدث بشكرها واشاعتها واظهار آثارها واحكامها اريد بها ما افاضه الله تعالى عليه
ص من فنون النعم التى من جملتها النعم الموجودة منها والمعدودة والمعنى انك كنت يتيما وضالا
وعائلا فآواك الله تعالى وهداك واغناك فمهما يكن من شئ فلا تنس حقوق نعم الله تعالى عليك فى هذه
الثلاث والمعنى انك كنت يتيما واقتد بالله واحسن كما احسن الله اليك فتعطف على اليتيم فآوه
وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك وحدث بنعمة الله كلها وحيث كان معظمها
نعمة النبوة فقد اندرج تحت الامر هدايته ص للضلال وتعليمه للشرائع والاحكام حسب

ما هداه الله عز وجل وعلمه من الكتاب والحكمة عن النبي صلعم من قرأ سورة والضحى جعله الله تعالى فيمن يرضى لمحمد ان يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله تعالى له بعدد كل سائل ويتيم

بسم الله الرحمن الرحيم الم نشرح لك صدرك الم نفسح صدرك حتى وسع مناجاة الحق ودعوة الخلق فكان غائبا حاضرا لسائر ما ينال من العلوم والادراكات والملكات والارادات وغيرها حتى يسعه عن توسيع دائرة تصرفاتها بتأييدها بالقوة القدسية وتحليتها بالكمالات الانسية اي الم نفسحه حتى حوى عالم الغيب والشهادة وجمع بين الملكتي الاستفادة والافادة فلا صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس انوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق وقيل اريد به ما يدعى ان جبرئيل اتى رسول الله صلعم في صباه او يوم الميثاق فاستخرج قلبه فغسله ثم ملأه ايمانا وعلما ولعله تمثيل لما ذكر او انموذج جسماني لما سيظهر له صلعم من الكمال الروحاني والتعبير عن ثبوت الشرح بالاستفهام انكارا لانتفائه للايذان بان ثبوته من الظهور بحيث لا يقدر احد على ان يجيب عنه بغير بلى وزيادة لك الجار والمجرور مع توسيطه بين الفعل والمفعول للايذان من اول الامر بان الشرح من منافعه صلعم ومصالحه مسارعة الى ادخال المسرة في قلبه صلعم وتشويقا له الى ما يعقبه ليتمكن عنده وقت وروده فضل تمكن وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك عطف على ما اشير اليه من مدلول الجملة السابقة كانه قيل قد شرحنا صدرك ووضعنا الى اخره وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح مع ان حقه التاخر عنه لما مر آنفا من القصد الى تعجيل المسرة والتشويق الى المؤخر ولما في وصفه نوع طول فتاخير الجار والمجرور عنه مخل بتجاوب اطراف النظم الكريم اي حططنا عنك عبئك الثقيل الذي انقض ظهرك اي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي الى الانتقاض من ثقل الحمل مثل به حاله صلعم بما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة او من عدم احاطته بتفاصيل الاحكام والشرائع او من تهالكه على اسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عنه مغفرته وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد ان بلغ وبالغ وقرئ وحططنا وحللنا مكان وضعنا وقرئ وحللنا عنك وقرك ورفعنا لك ذكرك يعني بعنوان النبوة واحكامها اي رفع حيث قرن اسمه باسم الله تعالى في كلمة الشهادة والاذان والاقامة وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وامر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله صلعم والكلام في العطف وزيادة لك كما الذي سلف وقوله تعالى فان مع العسر يسرا تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له صلعم وللمؤمنين كانه قيل خولناك ما خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله تعالى ولطفه وان مع العسر يسرا كثيرا وفي كلمة مع اشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كانه مقارن للعسر ان مع العسر يسرا تكرير للتاكيد او عدة مستأنفة بان العسر مشفوع بيسر اخر كثواب الآخرة كقولك ان للصائم فرحة اي فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه وعليه قوله صلى الله عليه وسلم لن يغلب عسر يسرين فان المعرف اذا اعيد يكون الثاني عين الاول سواء كان معهودا او جنسا واما المنكر فيحتمل ان يراد بالثاني فرد مغاير لما اريد بالاول فاذا فرغت اي من التبليغ وقيل من الغزو فانصب فاجتهد في الدعاء وقيل اذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك والى ربك وحده فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فانه القادر على اسعافه لا غيره وقرئ فرغب الناس الى طلب ما عنده عن النبي صلعم من قرأ سورة الم نشرح لك فكانما جاءني وانا مغتم ففرج عني

[هامش: العبادة واتعب شكرا لما اولينا لك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآنفة وقيل فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء]

بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون هما هذا التين وهذا الزيتون خصهما الله سبحانه من بين الثمار بالاقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة فان التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن ويفتح سدد الكبد والطحال وروي انه اهدي الى النبي صلعم طبق من تين فاكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فانه يقطع البواسير وينفع من النقرس وعن علي بن موسى الرضا رضي الله عنهما التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو امان من الفالج واما الزيتون فهو فاكهة وادام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها لكفى به فضلا وشجرته هي الشجرة المباركة المشهودة في التنزيل ومر معاذ بن جبل بشجرة زيتون فاخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت النبي صلعم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هو سواكي وسواك الانبياء قبلي وقيل هما جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور زيتا وطور تينا لانهما منشأ التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق وقيل التين جبال ما بين حلوان وهمدان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كانه قيل ومنابت التين والزيتون وقال قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون مسجد ايليا وعن ابن عباس التين مسجد نوح عليه السلام الذي بناه على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى والصحيح هو الاول قال ابن عباس رضي الله عنهما هو تينكم الذي تأكلونه وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت وبه قال مجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطاء وجابر ابن زيد ومقاتل والكلبي وطور سينين هو الجبل الذي ناجى عليه موسى ربه وسينين وسيناء علم للموضع الذي هو فيه ولذلك اضيف اليهما وسينون وكسينون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بالحركات الاعرابية وهذا البلد الامين اي الآمن من امن الرجل امانة فهو امين وهو مكة شرفها الله تعالى وامانتها انها تحفظ من دخلها كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز ان يكون فعيلا بمعنى مفعول من امنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذي امن ووجه الاقسام بها تلك البقاع المباركة المشحونة بخيرات الدنيا والدين عن الشيخ والتين لقد خلقنا الانسان اي جنس او شان في احسن تقويم اي كائنا في احسن ما يكون من التقويم احسانا في احسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث براه الله تعالى مستوي القامة متناسب الاعضاء متصفا بالحياة والعلم والقدرة والارادة والتكلم والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات التي هي انموذجات من الصفات السبحانية وآثارها وقد عبر بعض العلماء عن ذلك بقوله خلق آدم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن وبنى عليه تحقيق معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وقال النفس الانسانية مجردة ليست حالة في البدن ولا خارجة عنه متعلقة به تعلق التدبير والتصرف وتستعمله كيف ما شاءت فاذا ارادت فعلا من الافاعيل الجسمانية تلقيه الى ما في القلب من الروح الحيواني الذي هو اعدل الارواح واصفاها واقربها منها واقواها مناسبة الى عالم المجردات القاء روحانيا وهو يلقيه بواسطة ما في الشرايين من الارواح الى الدماغ الذي هو منبت الاعصاب التي فيها القوى المحركة للانسان فعند ذلك يحرك من الاعضاء ما يليق بذلك الفعل من متاديه البعيد والقريب فيصدر عنه ذلك بهذه الطريقة فمن عرف نفسه على هذه الكيفية من صفاتها وافعالها تسنى له الترقي الى معارج معرفة رب العزة عز سلطانه ويطلع على انه سبحانه منزه عن كونه داخلا في العالم او خارجا منه يفعل فيه ما يشاء ويحكم ما يريد بواسطة ما يتبعه فيه من الملائكة الذين يشد لهم شؤونهم بما ذكر من الارواح والقوى المرتبة في العالم الانساني الذي هو نسخة العالم الاكبر وانموذج منه وقوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين اي جعلناه من اهل النار الذين هم اقبح من كل قبيح واسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في اعلى عليين وقيل رددناه الى ارذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى ومن نعمره ننكسه في الخلق واياما كان فاسفل سافلين والاول اظهر وقرئ اسفل السافلين وقوله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات على الاول استثناء متصل من ضمير رددناه فانه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع اي لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم اجر غير ممنون غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم او غير ممنون به عليهم وهذه الجملة على الاول مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد ومبينة لكيفية حالهم والخطاب في قوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين للرسول صلعم اي فاي شيء يكذبك دلالة او نطقا بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به وقيل ما بعد من قبيل الخطاب للانسان على طريق الالتفات لشدة التوبيخ والتبكيت اي ما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل فالمعنى ان خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتحويله من حال الى حال كمالا ونقصانا من اوضح الدلائل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فاي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع الى ان تكون كاذبا بسبب تكذيبه ايها الانسان اليس الله باحكم الحاكمين اي اليس الذي فعل ما ذكر

هذا

احكم الحاكمين صنعا وتدبيرا حتى يتوهم عدم الاعادة والجزاء وحيث استحال عدم كونه احكم الحاكمين تعين الاعادة
والجزاء فالجملة تقرير لما قبلها وقيل الحكم بمعنى القضاء فهي وعيد للكفار وانه يحكم عليهم بما يستحقونه من العذاب
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا قرأها يقول بلى وانا على ذلك من الشاهدين وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين اعطاه الله
تعالى الخصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا واذا مات اعطاه الله من الاجر بعدد من قرأ هذه السورة والله سبحانه اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ اي ما يوحى اليك فان الامر بالقراءة يقتضي المقروء قطعا وحيث لم
يعين وجب ان يكون ذلك ما يتصل بالامر حتما سواء كانت السورة اول ما نزل اولا والاقرب انه هذا
الى قوله تعالى ما لم يعلم اول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم كما ينطق به حديث الزهري المشهور وقوله تعالى باسم ربك
متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل اي اقرأ ملتبسا باسمه تعالى اي مبتديا به لتتحقق مقارنته لجميع اجزاء
المقروء والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ الى الكمال اللائق شيئا فشيئا مع الاضافة
الى ضميره صلى الله عليه وسلم للاشعار بتبليغه صلى الله عليه وسلم الى الغاية القاصية من الكمالات البشرية بانزال الوحي المتواتر
ووصف الرب بقوله الذي خلق لتذكير اول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على ان من قدر
على خلق الانسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة
الحياة فضلا عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم والذي انشأ الخلق واستأثر به او خلق كل
شيء وقوله تعالى خلق الانسان على الاول تخصيص لخلق الانسان بالذكر من بين سائر المخلوقات بالبيان
وتفخيم لشانه اذ هو اشرفهم واليه التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز ان يراد بالفعل الاول ايضا
خلق الانسان ويقصد بتجريده عن المفعول الابهام ثم تفسيره روما للتفخيم فطرته وقوله تعالى من علق
اي دم جامد لبيان كمال قدرته تعالى باظهار ما بين حالتيه الاولى والاخرة من التباين البين وايراده
بلفظ الجمع بناء على ان الانسان في معنى الجمع لمراعاة الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه بالذكر من بين
سائر اطوار الفطرة الانسانية مع كون النطفة والتراب ادل منه على كمال القدرة لكونهما ابعد منه بالنسبة
الى الانسانية ولما كان خلق الانسان اول النعم الفائضة عليه منه تعالى واقدم الدلائل الدالة على وجوده
عز وجل وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته بذلك اولا ليستشهد عليه الصلاة والسلام على تمكينه
له تعالى من القراءة ثم كرر الامر بقوله تعالى اقرأ اي افعل ما امرت به تأكيدا للايجاب وتمهيدا لما يعقبه من قوله
تعالى وربك الاكرم الى اخره فانه كلام مستأنف وارد لازاحة ما بينه صلى الله عليه وسلم من العذر بقوله عليه الصلاة
والسلام ما انا بقارئ يريد ان القراءة شان من يكتب ويقرأ وانا امي فقيل له وربك الذي امرك بالقراءة
مبتديا باسمه هو الاكرم الذي علم بالقلم اي علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارئ بواسطة الكتابة
والقلم يعلمك بدونهما وقوله تعالى علم الانسان ما لم يعلم بدل اشتمال من علم بالقلم اي علمه به وبدونه
من الامور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله وفي حذف المفعول اولا وايراده بعنوان
عدم المعلومية ثانيا من الدلالة على كمال قدرته تعالى وكمال كرمه والاشعار بانه تعالى يعلمه من العلوم
ما لا تحيط به العقول ما لا يخفى كلا ردع لمن كفر بنعمة الله تعالى عليه بطغيانه وان لم يسبق ذكره
للمبالغة في الزجر وقوله تعالى ان الانسان ليطغى اي ليجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه
قيل هذا الى اخر السورة نزل في ابي جهل بعد زمان وهو الظاهر وقوله تعالى ان رآه استغنى مفعول له اي
ليطغى لان رأى نفسه مستغنيا على ان استغنى مفعول ثان لانه بمعنى علم ولذلك ساغ كون فاعله ومفعوله
ضميري واحد كما في علمتني وانجوزه بعضهم في الرؤية البصرية ايضا وجعله من ذلك قول عائشة رضي الله
عنها لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا طعام الا الاسودان وتعليل طغيانه برؤيته لا بنفس
الاستغناء كما ينبئ عنه قوله تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض للايذان بان مدار طغيانه
زعمه الفاسد روي ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتزعم ان من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة ذهبا
وفضة لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل عليه السلام فقال ان شئت
فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا باصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم
وقوله تعالى ان الى ربك الرجعى تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان والالتفات للتشديد في
التهديد والرجعى مصدر بمعنى الرجوع اي الشرعي وتقديم الجار والمجرور عليه للقصر اي ان الى مالك
امرك رجوع الكل بالموت والبعث لا الى غيره استقلالا ولا اشتراكا فسترى حينئذ عاقبة طغيانك وقوله
تعالى ارأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى تقبيح وتشنيع لحاله وتعجيب منها وايذان بانها من الشناعة والغرابة

بحيث يجب ان يراها كل من يتأتى منه الرؤية ويقضي منه العجب روي ان ابا جهل قال في ملأ من
قريش لئن رأيت محمدا يصلي لاطأن عنقه فرآه صلى الله عليه وسلم في الصلاة فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا ما لك قال
ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فنزلت ولفظ العبد وتنكيره لتفخيمه صلى الله عليه وسلم واستعظام النهي
وتأكيد التعجب منه والرؤية ههنا بصرية واما ما في قوله تعالى ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى
وما في قوله تعالى ارأيت ان كذب وتولى فقلبية معناه اخبرني فان الرؤية لما كانت سببا للاخبار عن
المرئي اجري الاستفهام عنها مجرى الاخبار عن متعلقها والخطاب لكل من صلح للخطاب ونظم الامر بالتقوى
والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار نفس الافعال المذكورة من حيث
صدورها عن الفاعل فان ذلك ليس في حيز التردد اصلا بل باعتبار اوصافها التي كونها امرا بالتقوى
تكذيبا وتوليا كما في قوله تعالى قل ارأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به كما مر والمفعول الاول لرأيت
محذوف وهو ضمير يعود الى الموصول او اسم اشارة يشار به اليه ومفعوله الثاني سد مسده الجملة
الشرطية بجوابها المحذوف فان المفعول الثاني لارأيت لا يكون الا جملة استفهامية او قسمية والمعنى
اخبرني ذلك الناهي ان كان على الهدى فيما ينهى عنه من عبادة الله تعالى او امر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة
الاوثان كما يعتقده او مكذبا للحق معرضا عن الثواب كما تقول نحن الم يعلم بان الله يرى اي يطلع على احواله
فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل وانما افرد التكذيب والتولي بالشرطية مستقلة مقرونة بالجواب
مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظما في سلك الشرط الاول بعطفهما على كان للايذان باستقلالهما
بالوقوع في نفس الامر واستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب واما القسم الاول فامر مستحيل قد ذكر
في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الاولى عن الجواب والاحالة به على جواب
الثانية هنا وقد قيل ارأيت الاول بمعنى اخبرني مفعوله الاول الموصول ومفعوله الثاني الشرطية
الاولى بجوابها المحذوف لدلالة جواب الشرطية الثانية عليه وارأيت في الموضعين تكرير للتأكيد
ومعناه اخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من
عبادة الله تعالى او كان امرا بالمعروف والتقوى فيما يأمر به من عبادة الاوثان كما يعتقده وكذلك
ان كان على التكذيب للحق والتولي عن الدين الصحيح كما تقول نحن الم يعلم بان الله يرى ويطلع على احواله
من هداه وضلاله ويجازيه على حسب ذلك فتأمل وقيل المعنى ارأيت الذي ينهى عبدا يصلي والمنهي على
الهدى آمر بالتقوى والناهي مكذب متول فما اعجب من ذا وقيل الخطاب الثاني للكافر فانه تعالى كالحاكم
الذي حضره الخصمان يخاطب هذا مرة والاخر اخرى فكأنه قال يا كافر اخبرني ان كان صلاته هدى
ودعاؤه الى الله تعالى امرا بالتقوى اتنهاه وقيل هو امية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة كلا
ردع للناهي اللعين وخسوء له واللام في قوله تعالى لئن لم ينته موطئة للقسم اي والله لئن لم ينته عما هو
عليه ولم ينزجر لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشيء وجذبه
بعنف وشدة وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرئ لاسفعن وكتبته في المصحف بالالف على حكم الوقف
والاكتفاء بلام العهد عن الاضافة لظهور ان المراد ناصية المذكور ناصية كاذبة خاطئة بدل
من الناصية وانما جاز ابدالها عن المعرفة وهي نكرة لوصفها وقرئت بالرفع على هي ناصية وبالنصب وكلاهما
على الذم ووصفها بالكذب والخطأ على الاسناد المجازي وهو لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في
قولك ناصية كاذب خاطئ فليدع ناديه اي اهل ناديه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدي فيه القوم اي
يجتمعون روي ان ابا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال الم انهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اتهددني وانا اكثر اهل الوادي ناديا فنزلت سندع الزبانية ليجروه الى النار والزبانية الشرط
الواحدة زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبني وكأنه نسب الى الزبن ثم غير واصلها
زباني فقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء والمراد ملائكة العذاب عن النبي صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لاخذته
الملائكة عيانا كلا ردع بعد ردع وزجر لا تطعه اي دم على ما انت عليه من معاصاته واسجد
وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به واقترب وتقرب بذلك الى ربك وفي الحديث اقرب
ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق اعطي من الاجر كأنما قرأ المفصل كله

بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة القدر تنويه لشان القرآن الكريم واجلال
لمحله باضماره المؤذن بغاية نباهته المغنية عن التصريح به كأنه حاضر في جميع الاذهان ويسناد

انزاله الى نون العظمة المنبئ عن كمال العناية به وتفخيم وقت انزاله بقوله تعالى وما ادريك ما ليلة القدر لما فيه من الدلالة على ان علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدري بها الا علام الغيوب كما يشعر به قوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر فانه بيان اجمالي لشانها اثر تشويقه عم الى درايتها فان ذلك معرب عن الوعد بادرائها وقد مر بيان كيفية الاعراب الجملتين وفي اظهار ليلة القدر في الموضعين من تاكيد التفخيم ما لا يخفى والمراد بانزاله فيها انزاله الى السماء الدنيا كما روي انه انزل جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا واملاه جبرئيل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي عم نجوما في ثلاث وعشرين سنة واما ابتداء انزاله فيها كما نقل عن الشعبي وقيل المعنى انا انزلناه في فضل ليلة القدر وفضلها كما في قول عمر رضي الله تعالى عنه خشيت ان ينزل في قرآن وقول عائشة رضي الله عنها لانا احقر في نفسي ان ينزل في قرآن والانسب ان يجعل الضمير حينئذ للسورة التي جعلتها جزءا من القرآن لا الكل واختلفوا في وقتها فاكثرهم على انها في شهر رمضان في العشر الاواخر في اوتاره واكثر الاقاويل انها السابعة والعشرون ولعل السر في اخفائها تعريض من يريدها للثواب باحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها وتسميتها بذلك اما لتقدير الامور وقضائها فيها لقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم او لخطرها وشرفها على سائر الليالي وتخصيص الالف بالذكر اما للتكثير او لما روي ان رسول الله عم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فعجب المؤمنون منه وتقاصرت اليهم اعمالهم فاعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله تعالى الف شهر فاعطوا ليلة ان احيوها كانوا احق بان يسموا عابدين من اولئك العباد وقيل اري النبي عم اعمار الناس كافة فاستقصر اعمار امته فخاف ان لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر لسائر الامم وقيل لما كان ملك سليمان عليه السلام خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقوله تعالى تنزل الملئكة والروح فيها استيناف مبين لما له فضلها على تلك المدة المتطاولة وقد سبق في سورة النساء ما قيل في شان على التفضيل وقيل هم خلق من الملئكة لا يراهم الملئكة الا تلك الليلة اي تنزل الملئكة والروح في تلك الليلة من كل سماء الى الارض او الى السماء الدنيا باذن ربهم متعلق بتنزل او بمحذوف هو حال من فاعله اي ملتبسين باذن ربهم او بامره من كل امر اي من اجل كل امر نقضاه الله عز وجل لتلك السنة الى قابل كقوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم وقرئ من كل امرئ اي من اجل كل انسان قيل لا يلقون فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه سلام هي اي ما هي الا سلامة اي لا يقدر الله تعالى فيها الا السلامة والخير واما في غيرها فيقضي سلامة وبلاء او ما هي الا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين حتى مطلع الفجر اي وقت طلوعه وقرئ بالكسر على انه مصدر كالمرجع او اسم زمان على غير قياس كالمشرق وحتى متعلقة بتنزل على انها غاية لحكم التنزل اي لمكثهم في محل تنزلهم او لنفس تنزلهم بان لا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج الى طلوع الفجر وقيل متعلقة بسلام بناء على ان الفصل بين المصدر ومعموله بالمبتدا مغتفر في الظرف عن النبي عم من قرأ سورة القدر اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيى ليلة القدر ○ ○ ○ ○ ○ ○

بسم الله الرحمن الرحيم لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب اي اليهود والنصارى وايرادهم بذلك العنوان للاشعار بعلة ما نسب اليهم من الوعد باتباع الحق فان مناط ذلك وجدانهم له في كتابهم وايراد الصلة فعلا لما ان كفرهم حادث بعد انبيائهم والمشركين اي عبدة الاصنام وقرئ والمشركون عطفا على الموصول منفكين اي عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والايمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان ويقولون لاعدائهم من المشركين فلعله قد وقع من متاخريهم بعد ما شاع ذلك من اهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على اسلافهم كما يشهد به انهم كانوا يسألونهم عن رسول الله عم هل هو المذكور في كتابهم وكانوا يغترون بتعيين نعوته عليه السلام وانفكاك الشيء من الشيء ان يزايله بعد التحامه كالعظم اذا انفك عن مفصله وفيه اشارة الى كمال وكادة وعدهم اي لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على انجازه حتى تاتيهم البينة التي قد جعلوا اتيانها ميقاتا لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتا للانفكاك والافتراق واخلاف الوعد والتعبير باتيانها بصيغة المضارع باعتبار حال المحكي لا باعتبار حال الحكاية كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين اي تلت وقوله تعالى رسول

بدل

بدل من البينة عبر عنه عم بالبينة للايذان بغاية ظهور امره وكونه ذلك الموعود في الكتابين وقوله تعالى من الله متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكدة لما افاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الاضافية اي رسول واي رسول كائن منه تعالى وقوله تعالى يتلوا صفة اخرى له او حال من الضمير في متعلق الجار من الضمير في متعلق الجار صحفا مطهرة اي منزهة عن الباطل لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن ان يمسه غير المطهرين ونسبة تلاوتها اليه عم من حيث ان تلاوة ما فيها بمنزلة تلاوتها وقوله تعالى فيها كتب قيمة صفة لصحفا او حال من ضميرها في مطهرة ويجوز ان تكون الصفة او الحال الجار والمجرور فقط وكتب مرتفعا به على الفاعلية ومعنى قيمة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الى آخره كلام مسوق لغاية تشنيع اهل الكتاب خاصة وتغليظ جناياتهم ببيان ان ما نسب اليهم من الانفكاك لم يكن لاشتباه في الامر بل كان بعد وضوح الحق وتبين الحال وانقطاع الاعذار بالكلية وهو السر في وصفهم بايتاء الكتاب المنبئ عن كمال تمكنهم من مطالعته والاحاطة بما في تضاعيفه من الاحكام والاخبار التي من جملتها نعوت النبي عم بعد ذكرهم بما هو جار مجرى اسم الجنس للطائفتين ولما كان هؤلاء والمشركون باعتبار اتفاقهم على الراي المذكور في حكم فريق واحد عبر عما صدر عنهم عقيب الاتفاق عند الاخبار بوقوعه بالانفكاك وعند بيان كيفية وقوعه بالتفرق اعتبارا لاستقلال كل من فريق اهل الكتاب وايذانا بان انفكاكهم عن الراي المذكور ليس بطريق الاختلاف القديم وقوله تعالى الا من بعد ما جاءتهم البينة استثناء مفرغ من اعم الاوقات اي ما تفرقوا في وقت من الاوقات الا من بعد ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على ان رسول الله عم هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها كقوله تعالى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم وقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا اي والحال انهم ما امروا في كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي جاعلين دينهم خالصا له تعالى او جاعلين انفسهم خالصة له تعالى في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة ان اريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة فالامر ظاهر وان اريد ما في شريعتنا فمعنى امرهم بهما في الكتابين ان امرهم باتباع شريعتنا امر لهم بجميع احكامها التي هما من جملتها وذلك اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى بالاخلاص والصلاة وايتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته دين القيمة على تاويل الدين بالملة هذا وقد قيل قوله تعالى لم يكن الذين كفروا الى قوله تعالى كتب قيمة حكاية لما كانوا يقولونه بل صيغته وعم من انهم لا ينفكون عن دينهم الى صيغته ويعودون ان حكاية لما كانوا ينفكوا عنه حينئذ ويتفقوا على الحق وقوله تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الى آخره بيان لاخلافهم الوعد وتعكيسهم الامر بجعلهم ما هو سبب لانفكاكهم عن دينهم الباطل حسبما وعدوه سببا لثباتهم عليه وعلى ما انفكاكهم عنه ومثل ذلك بان يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لا انفك مما انا فيه حتى تغنيني فيستغني فيزداد فسقا فيقول له واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما عكفت على الفسق الا بعد اليسار وانت خبير بان هذا انما يتسنى بعد اللتيا والتي على تقدير ان يراد بالتفرق تفرقهم عن الحق بان يقال التفرق عن الحق مستلزم للثبات على الباطل فكانه قيل وما اجمعوا على دينهم الا من بعد ما جاءتهم البينة واما على تقدير ان يراد به تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من عرف وعاند كما جوزه القائل فلا ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم بيان لحال الفريقين في الآخرة بعد بيان حالهم في الدنيا وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم باهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم ومعنى كونهم فيها انهم يصيرون اليها يوم القيمة وايراد الجملة الاسمية للايذان بتحقق مضمونها لا محالة او انهم فيها الآن اما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم واما على ان ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار الا انها ظهرت في هذه النشاة بصورة عرضية وستخلعها في النشاة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية كما في قوله تعالى وان جهنم لمحيطة بالكافرين وفي سورة الاعراف خالدين فيها حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فان جهنم دركات وعذابها الوان اولئك اشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما هم فيه من القبائح المذكورة وما فيه من معنى البعد للاشعار بغاية بعد منزلتهم في الشر اولئك البعداء المذكورون هم شر البرية اي الخليقة اي اعمالا وهو الموافق للسياق في حق المؤمنين ويكون في حيز التعليل لخلودهم في النار او اشرهم مقاما ومصيرا فيكون تاكيدا لفظاعة حالهم وقرئ بالهمز على الاصل ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات بيان لمحاسن

حال المؤمنين اثر بيان حال الكفرة جريا على السنة القرآنية من شفع الترغيب بالترهيب اوليك
المنعوتون بما هو جمع خير نحو جيد وجياد في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الايمان
والطاعات هم خير البرية وقرئ خيار البرية وهو جمع خير نحو جياد جزاؤهم بمقابلة ما لهم
من الايمان والطاعة عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار ان اريد بالجنات الاشجار الملتفة
الاغصان كما هو الظاهر فجريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها باعتبار
الجزء الظاهر واما ما كان فالمراد جريان الانهار من تحتها ظاهر وان اريد بها مجموع الارض وما عليها
باعتبار الجزء الظاهر وايا ما كان فالمراد جريانها بغير اخدود خالدين فيها ابدا متنعمين بفنون
النعم الجسمانية والروحانية وفي تقديم مدحهم بخيرية البرية وذكر الجزاء الموذن بكون ما منحوه
في مقابلة ما وصفوا به وبيان كونه من عنده تعالى والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية
والتبليغ الى الكمال مع الاضافة الى ضميرهم وجمع الجنات وتقييدها بالاضافة وبما يزيدها نعيما
وتاكيد الخلود بالابد من الدلالة على غاية حسن حالهم ما لا يخفى رضي الله عنهم استئناف مبين لما يتفضل
عليهم زيادة على ما ذكر من اجزية اعمالهم ورضوا عنه حيث بلغوا من المقاصد قاصيتها وملكوا من
المآرب ناصيتها واتيح لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذلك اي ما ذكر
من الجزاء والرضوان لمن خشي ربه فان الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله عز وجل مناط
لجميع الكمالات العلمية المستتبعة للسعادة الدينية والدنيوية والتعرض لعنوان الربوبية
المعربة عن المالكية والتربية للاشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرأ سورة لم يكن كان يوم القيمة مع خير البرية مساء ومقيلا ● ● ● ● ●

بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض اي حركت تحريكا عنيفا متكررا متداركا
زلزالها اي الزلزال المخصوص بها على مقتضى المشيئة الالهية المبنية على الحكم البالغة وهو الزلزال
الشديد الذي لا غاية وراءه او زلزالها العجيب الذي لا يقادر قدره او زلزالها الداخل في حيز
الامكان وقرئ بفتح الزاي وهو اسم وليس في الابنية فعلال بالفتح الا في المضاعف وقولهم ناقة خزعال
نادر وقيل الزلزال بالفتح ايضا مصدر كالوسواس والجرجار والقلقال وذلك عند النفخة
الثانية لقوله عز وجل واخرجت الارض اثقالها اي ما في جوفها من الاموات والدفائن جمع ثقل
وهو متاع البيت واظهار الارض في موضع الاضمار لزيادة التقرير والايماء الى تبدل الارض غير
الارض او لان اخراج الاثقال حال بعض اجزائها وقال الانسان اي كل فرد من افراده لما يدهمهم
من الطامة التامة ويبهرهم من الداهية العامة ما لها زلزلت هذه المرتبة الشديدة من الزلزال
واخرجت ما فيها من الاثقال استعظاما لما شاهدوه من الامر الهائل وقد سيرت الجبال في الجو وصارت
هباء وقيل هو قول الكافر اذ لم يكن مؤمنا بالبعث والاظهر هو الاول على ان المؤمن يقوله بطريق
الاستعظام والكافر بطريق التعجب يومئذ بدل من اذا وقوله تعالى تحدث اخبارها عامل فيهما ويجوز ان
يكون اذا منتصبا بمضمر اي يوم اذا زلزلت الارض تحدث الخلق اخبارها اما بلسان الحال او المقال حيث ينطقها
الله تعالى فتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انها تشهد على كل احد بما عمل على ظهرها وقرئ
تنبئ اخبارها وقرئ تنبئ من الانباء بان ربك اوحى لها اي تحدث اخبارها بسبب ايحاء ربك لها
وامره اياها بالتحديث على احد الوجهين ويجوز ان يكون بدلا من اخبارها كانه قيل تحدث باخبارها
بان ربك اوحى لها لان التحدث يستعمل بالباء وبدونها واوحى لها بمعنى اوحى اليها يومئذ اي يوم اذ
يقع ما ذكر يصدر الناس من قبورهم الى موقف الحساب اشتاتا متفرقين بحسب طبقاتهم بيض الوجوه
آمنين وسود الوجوه فزعين كما في قوله تعالى فتأتون افواجا وقيل يصدرون عن الموقف اشتاتا
ذات اليمين الى الجنة وذات الشمال الى النار ليروا اعمالهم اي اجزية اعمالهم خيرا كان او شرا وقرئ
ليروا بالفتح وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره تفصيل ليروا وقرئ يره والذرة النملة الصغيرة
وقيل ما يرى في شعاع الشمس من الهباء وايا ما كان فمعنى رؤية ما يعادلها من خير وشر اما مشاهدة
جزائه فمن الاولى مختصة بالسعداء والثانية بالاشقياء كيف وحسنات الكافر محبطة بالكفر
وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر مكفرة وما قيل من ان حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب
يرده قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واما مشاهدة نفسه من غير ان يعتبر

ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

معه

معه الجزاء ولا عدمه بل بعوض بل منها الى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن
الكبائر واثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه فالمعنى ما روي عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيرا او شرا الا اراه الله تعالى اياه اما المؤمن
فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته واما الكافر فيرد حسناته تحسيرا ويعاقب بسيئاته وعن النبي صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت اربع مرات كمن قرأ القرآن ● ● ● ● ● ●

بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات اقسم سبحانه بخيل الغزاة التي تعدو فالعدو
وقوله تعالى ضبحا مصدر منصوب اما بفعله المحذوف الواقع حالا منها اي تضبح ضبحا وهو صوت
انفاسها عند عدوها او بالعاديات فان العدو مستلزم للضبح كانه قيل والضابحات او على انه
مصدر بمعنى الفاعل اي ضابحات فالموريات قدحا الايراء اخراج النار والقدح الصك يقال قدح
فاورى اي فالتي تورى النار من حوافرها قدحا اي صكا
فالمغيرات التي تغير على العدو بالنهب او بالقتل والاسر اسند الاغارة التي هي حال اهلها ايذانا بانها العمدة
في اغارتها صبحا اي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلا لئلا يشعر بهم العدو ويهجموا
عليهم صباحا ليروا ما ياتون وما يذرون وقوله تعالى فاثرن به عطف على الفعل الذي دل عليه اسم
الفاعل اذ المعنى واللاتي عدون فاورين فاغرن فاثرن به اي فهيجن بذلك الوقت نقعا اي غبارا
وتخصيص اثارته بالصبح لانه لا يثور ولا يظهر في الليل وبهذا يظهر ان الايراء الذي لا يظهر في
النهار واقع في الليل ولله در شأن التنزيل وقيل النقع الصياح والجلبة وقرئ فاثرن بالتشديد
بمعنى فاظهرن به غبارا لان التاثير فيه معنى الاظهار فوسطن به اي فتوسطن بذلك الوقت او
ملتبسات بالنقع جمعا من جموع الاعداء او فتوسطن ملتبسات به
بالعدو او بالنقع ان الانسان لربه لكنود اي لكفور من كند النعمة كنودا
على ان الغارة انما هي على اهلها والاول اولى ان الانسان لربه لكنود جواب القسم
النعمة كنود اجواب القسم والمعنى على انه تعالى اقسم بما ذكر روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى اناس من بني
كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقباء فابطأ عليه خبرها
وبشارة له بانها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود وفي تخصيص خيل
الغزاة بالاقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه فانه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت
وقد ارجف هؤلاء في حق اصحابها ما ارجفوا انهم مغالبون في الكفران وانه على ذلك اي وان الانسان
على كنوده لشهيد على نفسه بالكنود لظهور اثره عليه وانه لحب الخير اي المال كما في قوله تعالى ان ترك
خيرا لشديد اي لقوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه يقال هو شديد لهذا الامر وقوي له
اذا كان مطيقا له ضابطا وقيل الشديد اي البخيل لاجل حب المال وثقل انفاقه عليه لبخيل ممسك
ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للايماء الى ان من جملة الامور الداعية
للمنافقين الى النفاق حب المال لانهم بما يظهرون من الايمان يعصمون اموالهم ويحوزون من الغنائم
نصيبا وقوله تعالى افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور الى آخره تهديد ووعيد والهمزة للانكار والفاء للعطف
على مقدر يقتضيه المقام اي ايفعل ما يفعل من القبائح او الا يلاحظ فلا يعلم حاله اذا بعثر من في
القبور من الموتى والايراد ما لكونهم اذ ذاك بمعزل من رتبة العقلاء وقرئ بحثر وبحث وبحث
على بنائهما للفاعل وحصل اي جمع محصلا او ميز خيره من شره وقرئ حصل مبنيا للفاعل
وحصل مخففا ما في الصدور من الاسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي
فضلا عن الاعمال الجلية ان ربهم اي المبعوثين كنى عنهم بعد الاحياء الاول حيث التفت الى الخطاب
في قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار الآية بعد قوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه ايذانا
لصلاحيتهم للخطاب بعد النفخ الروح وبعدمها قبله كما اشير اليه هناك بهم بذواتهم وصفاتهم
واحوالهم بتفاصيلها يومئذ يوم اذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور لخبير
اي عالم بظواهر ما عملوا وبواطنه علما موجبا للجزاء متصلا به كما ينبئ عنه تقييده بذلك اليوم
والا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما يكون وقوله تعالى بهم ويومئذ متعلقان بخبير قدما عليه
لمراعاة الفواصل واللام غير مانعة من ذلك وقرئ ابن السماك انه ربهم يومئذ لخبير عن النبي صلى الله عليه وسلم

من قراء سورة والعاديات اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بمزدلفة وشهد جمعاً

بسم الله الرحمن الرحيم القارعة القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه
صوت شديد وهي القيامة التي مبدأها النفخة الاولى ومنتهاها فصل القضا بين الخلائق كما مر
في صورة التكوير سميت بها لانها تقرع القلوب والاسماع بفنون الافزاع والاهوال وتخرج
جميع الاجرام العلوية والسفلية من حال الى حال السما بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم
بالتكوير والانتثار والارض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله تعالى ما القارعة
على ان ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ لا بالعكس لما مر غير مرة ان محط الافادة هو الخبر
لا المبتدأ ولا ريب في ان مدار افادة التهويل والفخامة ههنا هو كلمة ما القارعة اي اي شيء عجيب
هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل وقوله تعالى وما ادراك
ما القارعة تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم الخلق على معنى ان عظم شأنها ومدى
شدتها بحيث لا تكاد تناله دراية احد حتى يدريك بها وما في حيز الرفع والابتدا وادراك الخبر
ولا سبيل الى العكس ههنا وما القارعة جملة كما مر محلها النصب على نزع الخافض لان ادرى
يتعدى الى المفعول الثاني بالباء كما في قوله تعالى ولا ادراكم به فلما وقعت الجملة الاستفهامية المتعلقة
له كانت في موقع المفعول الثاني له والجملة الكبيرة المعطوفة على ما قبلها من الجملة الواقعة خبراً
للمبتدأ الاول اي فاي شيء اعلمك ما شان القارعة ولما كان هذا مبنياً عن الوعد الكريم باعلامها
اخر ذلك بقوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث على ان يوم مرفوع على انه خبر مبتدأ
محذوف وحركته الفتح لاضافته الى الفعل وان كان مضارعاً كما هو رأي الكوفيين اي هو يوم يكون
الناس فيه كالفراش المبثوث في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير الى
الداعي كتطاير الفراش الى النار او منصوب باضمار اذكر كانه قيل بعد تفخيم امر القارعة وتشويقه
عليه السلام الى معرفته اذكر يوم يكون الناس الى اخره فانه يدريك ما هي هنا وقد قيل انه ظرف ناصبه
مضمر يدل عليه القارعة اي تقرع يوم يكون الى اخره وقيل تقديره ستأتيكم القارعة يوم يكون الى اخره
وتكون الجبال كالعهن المنفوش اي كالصوف الملون بالالوان المختلفة المندوف في تفرق اجزائها وتطايرها في
الجو حسبما نطق به قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وكلا الامرين من اثار القارعة
بعد النفخة الثانية عند حشر الخلق يبدل الله عز وجل الارض غير الارض ويغير هياتها وتسير الجبال عن
مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها اهل المحشر وهي وان اندكت وتصدعت عند النفخة الاولى
لكن تسييرها وتسوية الارض انما يكونان بعد النفخة الثانية كما ينطق به قوله تعالى ويسألونك عن
الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً يومئذ يتبعون الداعي وقوله
تعالى فاما من ثقلت موازينه الى اخره بيان اجمالي لتحزب الناس الى حزبين وتنبيه على كيفية الاحوال
الخاصة بكل منهما اثر بيان الاحوال الشاملة للكل والموازين اما جمع موزون وهو العمل الذي له وزن
وخطر عند الله تعالى كما قاله الفراء او جمع ميزان قال ابن عباس انه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه
الا الاعمال قالوا توضع فيه صحائف الاعمال فتنظر اليه الخلائق اظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة وقيل
الوزن عبارة عن القضاء السوي والحكم العدل وبه قال مجاهد والاعمش والضحاك واختاره كثير من
المتأخرين قالوا ان الميزان لا يتوصل به الا الى معرفة مقادير الاجسام فكيف يمكن ان يعرف به مقادير
الاعمال التي هي اعراض منقضية وقيل ان الاعمال الظاهرة في هذه النشأة بصورة عرضية
تبرز في النشأة الاخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح وقد روي عن ابن عباس رضي
الله عنه انه يؤتى بالاعمال الصالحة على صورة حسنة وبالاعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع
في الميزان اي فمن ترجحت مقادير حسناته فهو في عيشة راضية اي ذات رضا او مرضية واما من
خفت موازينه بان لم يكن له حسنة يعتد بها او ترجحت سيئاته على حسناته فامه اي فمأواه هاوية
هي من اسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي ان اهل النار تهوي فيها سبعين خريفاً
وقيل انها اسم الباب الاسفل فيها وعبر عن المأوى بالام لان اهلها يأوون اليها كما يأوي الولد الى امه
وعن قتادة وعكرمة والكلبي ان المعنى فام راسه هاوية في قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوساً
والاول هو الموافق لقوله تعالى وما ادريك ماهيه نار حامية فانه تقرير لها بعد ابهامها والاشعار

بخروجها

بخروجها عن الحدود المعهودة للتفخيم والتهويل وهي ضمير الهاوية والهاء للسكت واصل القراء
حذفها وقيل حقها ان لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة في المصحف وقد اجيز اثباتها
مع الوصل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله تعالى بها ميزانه يوم القيمة والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم التكاثر اي شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها روي ان
بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسيادة والاشراف في الاسلام فقال كل من
الفريقين نحن اكثر منكم سيداً واعز عزيزاً واعظم نفراً فكثرهم بنو عبد مناف فقال بنو سهم والمعنى
انكم تكاثرتم بالاحياء حتى زرتم المقابر اي حتى استوعبتم المقابر عدداً صرتم الى التفاخر والتكاثر
بالاموات عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكماً بهم وقيل كانوا يزورون المقابر
فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان يفتخرون بذلك وقيل المعنى الهيكم التكاثر بالاموال والاولاد
الى ان متم وقبرتم مضيعين اعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لاخراكم فيكون زيارة
القبور عبارة عن الموت وقرئ الهاكم على الاستفهام التقريري كلا ردع وتنبيه على ان العاقل ينبغي
ان لا يكون معظم همه مقصوراً على الدنيا فان عاقبة ذلك وخيمة سوف تعلمون سوء عاقبة ما انتم
عليه اذا عاينتم عاقبته ثم كلا سوف تعلمون تكرير للتأكيد وثم للدلالة على ان الثاني ابلغ من الاول
والاول عند الموت او في القبر والثاني عند النشور كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون ما بين ايديكم علم
الامر اليقين اي كعلمكم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه فحذف الجواب للتهويل وقوله تعالى
لترون الجحيم جواب قسم مضمر اكد به الوعيد وشدد به التهديد واوضح به ما انذروه بعد ابهامه
تفخيماً ثم لترونها تكرير للتأكيد والاولى اذا رأتهم من مكان بعيد والثانية اذا وردوها او المراد بالاولى
المعرفة والثانية المشاهدة والمعاينة عين اليقين اي الرؤية التي هي نفس اليقين فان علم المشاهدة
اقصى مراتب اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم اي عن النعيم الذي الهاكم الالتذاذ به عن الدين
وتكاليفه فان الخطاب مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس
اللين ويقطع اوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل لنفسه مشاقهما فاما من تمتع بنعمة الله تعالى
ويقوى بها على طاعته وكان ناهضاً بالشكر فهو من ذلك بمعزل بعيد وقيل الاية مخصوصة بالكفار عن النبي ص من
قرأ سورة التكاثر لم يحاسبه الله تعالى بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كانما قرأ الف اية

بسم الله الرحمن الرحيم والعصر اقسم سبحانه بصلاة العصر لفضلها الباهر او بالعشي الذي هو
ما بين الزوال والغروب كما اقسم بالضحى او بعصر النبوة لظهور فضله على سائر الاعصار او بالدهر
لانطوائه على تعاجيب الامور القارة والمارة ان الانسان لفي خسر اي خسران في متاجرهم ومساعيهم
وصرف اعمارهم في مباغيهم والتعريف للجنس والتنكير للتفخيم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم
في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس بالباقي النفيس واشتروا الباقيات الصالحات بالغاديات
الرائحات فيا لها من صفقة ما اربحها وهذا بيان لتكميلهم لانفسهم وقوله تعالى وتواصوا بالحق الى
اخره بيان لتكميلهم لغيرهم اي وصى بعضهم بعضاً بالامر الثابت الذي لا سبيل الى انكاره ولا زوال في
الدارين لمحاسن اثاره وهو الخير كله من الايمان بالله عز وجل واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل وتواصوا
بالصبر اي عن المعاصي التي تشتاق اليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها
ادائها او على ما يبلو الله به عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي
بالحق لابراز كمال الاعتناء به او لان الاول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى والثاني
عن رتبة العبودية التي هي الرضا بما فعل الله تعالى فان المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تتشوق
اليه من فعل او ترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضا به ظاهراً وباطناً عن رسول الله ص
من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم ويل مبتدا خبره لكل همزة لمزة وساغ الابتدا به مع كونه نكرة لانه
دعا عليهم بالهلكة او شدة الشر والهمز الكسر كالهمز واللمز الطعن كالهمز شاعا في الكسر من
اعراض الناس والطعن فيهم وبنا فعله على ان ذلك للدلالة منه عادة مستمرة قد جرى بها وكذلك
اللعنة والضحكة وقرئ لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذي ياتي بالاضاحيك فيضحك
منه ويستهزى به وقيل نزلت في الاخنس بن شريق فانه كان ضاريا بالغيبة والوقيعة وقيل في امية
بن خلف وقيل في الوليد ابن المغيرة واغتيابه لرسول الله عم وغضه من جنابه الرفيع واختصاص
السبب لا يستدعي خصوص الوعيد بهم بل كل من اتصف بوصفهم القبيح فله ذنوب مثل ذنوبهم الذي
جمع مالا بدل من كل او منصوب او مرفوع على الذم وقرئ جمع بالتشديد للتكثير والتنكير مالا
للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى وعدده وقيل معنى عدده جعله عدة لنوايب الدهر وعدد
الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار والاعوان
وقيل هو فعل ماض بفك الادغام يحسب ان ماله اخلده اي يعمل عمل من يظن ان ماله يبقيه حيا
والاظهار في موقع الاضمار لزيادة التقرير وقيل طول المال امله ومناه الاماني البعيدة حتى
اصبح لفرط غفلته وطول امله يحسب ان المال تركه خالدا في الدنيا لا يموت وقيل هو تعريض بالعمل
الصالح والزهد في الدنيا وانه هو الذي اخلد صاحبه في الحياة الابدية والنعيم المقيم فاما المال
فليس بخالد ولا بمخلد وروي ان الاخنس كان له اربعة الاف دينار وقيل عشرة الاف والجملة
مستانفة او حال من فاعل جمع كلا ردع له عن ذلك الحسبان الباطل وقوله تعالى لينبذن جواب
قسم مقدر والجملة استيناف مبين لعلة الردع اي والله ليطرحن بسبب تعاطيه الافعال المذكورة
في الحطمة اي في النار التي شانها ان تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما ان شانه كسر اعراض الناس وجمع المال
وقوله تعالى وما ادراك ما الحطمة لتهويل امرها ببيان انها ليست من الامور التي تنالها عقول
الخلق وقوله تعالى نار الله خبر مبتدا محذوف والجملة بيان لشان المسئول عنها اي هي نار الله
الموقدة بامر الله عز وجل سلطانه وفي اضافتها اليه سبحانه ووصفها بالايقاد من تهويل امرها
ما لا مزيد عليه التي تطلع على الافئدة اي اوساط القلوب وتغشاها وتخصيصها بالذكر لما ان
الفواد الطف ما في الجسد واشده تالما بادنى اذى يمسه او لانه محل العقايد الزايغة والنيات
الخبيثة ومنشا الاعمال الخبيثة انها عليهم موصدة اي مطبقة من اوصدت
الباب واصدته اي اطبقته في عمد ممددة اما حال من الضمير المجرور في عليهم اي كاينين في عمد ممددة
اي موثقين فيها مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص او خبر مبتدا مضمر اي هم في عمد او صفة
لموصدة قاله ابو البقاء اي كاينة في عمد ممددة بان توصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد
استيثاقا في استيثاق اللهم بفضلك وكرمك يا كريم يا اكرم الاكرمين وارحم الراحمين اجرنا
يا مجير مستجارا وقرئ عمد بضمتين عن النبي عم من قرا سورة الهمزة اعطاه الله عشر حسنات بعدد من
استهزا بمحمد عم

بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل الخطاب لرسول الله عم
والهمزة لتقرير رويته عم بانكار عدمها وكيف متعلقة بفعل الروية منصوبة بما بعدها والروية
علمية اي الم تعلم علما رصينا متاخما للمشاهدة والعيان باستماع الاخبار المتواترة ومعاينة الاثار
الظاهرة وتعليق الروية بكيفية فعله عز وجل لا بنفسه بان يقال الم تر ما فعل ربك الى اخره
لتهويل الحادثة والايذان بان وقوعها على كيفية هايلة وهيئة عجيبة دالة على عظيم قدرة الله
تعالى وكمال علمه وحكمته وعزة نبيه وشرف رسول الله عم فان ذلك من الارهاصات لما روي
ان القصة وقعت في السنة التي ولد فيها عم وتفصيلها ان ابرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن
من قبل اصحمة النجاشي بنى بصنعا وسماها القليس واراد ان يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة
فقعد فيها ليلا فاغضبه ذلك وقيل اججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فاحرقتها فحلف
ليهدمن الكعبة فخرج مع الحبشة ومعه فيل اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره
وقيل ثمانية وقيل الف فيل وقيل كان معه الفيل محمود وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب
وعرض عليه ثلاث اموال تهامة ليرجع فابى وعبا جيشه وقدم الفيل فكان كلما وجهوه الى الحرم

برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن او الى غيره من الجهات يهرول فارسل الله تعالى طيرا سودا وقيل
خضرا وقيل بيضا مع كل طاير حجر في منقاره وحجران في رجليه اكبر من العدسة واصغر من الحمصة فكان
الحجر يقع على راس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل
وروي ان ابرهة تساقطت انامله واعضاوه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره
ابو يكسوم وطاير يحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين
يديه وقيل ان ابرهة اخذ لعبد المطلب مايتي بعير فخرج اليه في شانها فلما راه ابرهة عظم في عينه
وكان وسيما جسيما وقيل لابرهة هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل
والوحوش في روس الجبال فنزل ابرهة عن سريره وجلس معه على بساطه وقيل اجلسه معه على
سريره ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فلما ذكر حاجته قال سقطت من عيني حيث جئت لاهدم
البيت الذي هو دينك ودين ابايك وعصمتكم وشرفكم من قديم الدهر لا تكلمني فيه الهاك عنه ذود
اخذت لك فقال عبد المطلب انا رب الابل وان للبيت ربا يحميه ثم رجع واتى باب الكعبة واخذ
بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن
فقال والله انها لطير غريبة ما هي نجدية ولا تهامية فارسل حلقة الباب ثم انطلق مع اصحابه
ينظرون ماذا يفعل ابرهة فارسل الله عليهم الطير فكان ما كان وقيل كان ابرهة جد النجاشي الذي
كان في زمن النبي عم وعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت رايت قايد الفيل وسايسه اعميين
مقعدين يستطعمان وقرئ الم تر بسكون الرا للجد في اظهار اثر الجازم وقوله تعالى الم يجعل كيدهم
في تضليل الى اخره بيان اجمالي لما فعل الله بهم والهمزة للتقرير كما سبق ولذلك عطف على الجملة
الاستفهامية ما بعدها كانه قيل قد جعل كيدهم في تعطيل الكعبة وتخريبها في تضييع وابطال بان
دمرهم اشنع تدمير وارسل عليهم طيرا ابابيل اي خرايق وجماعات جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت
بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل ابابيل مثل عباديد وشماطيط لا واحد لها ترميهم بحجارة صفة
لطير وقرئ يرميهم بالتذكير لان الطير اسم جمع وتانيثه باعتبار المعنى من سجيل من طين متحجر معرب
سنك كل وقيل كانه علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما ان سجينا علم للديوان الذي يكتب
فيه اعمالهم كانه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال
فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع وقع فيه الاكال وهو ان ياكله الدود او كتبن اكلته الدواب وراثته
اشير باول حاله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
الفيل اعفاه الله تعالى ايام حياته من المسخ والمسخ والخسف والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش متعلق بقوله فليعبدوا والفا في الكلام من معنى
الشرط اذ المعنى ان نعم الله تعالى عليهم غير محصورة فان لم يعبدوه لساير نعمه فليعبدوه لهذه النعمة
الجليلة وقيل لمضمر تقديره اعجبوا لايلاف وقيل لما قبله من قوله تعالى فجعلهم كعصف ماكول
ويويده انهما في مصحف ابي سورة واحدة بلا فصل والمعنى اهلك من قصدهم من الحبشة ليتسامع الناس
بذلك فيتهيبوا اليهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن في رحلتيهم فلا
يجترى عليهم احد وكانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتا الى اليمن وفي الصيف الى الشام فيمتارون
ويتجرون وكانوا في رحلتهم امنين لانهم اهل حرم الله تعالى وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس
بين متخطف ومنهوب والايلاف من قولك الفت المكان ايلافا اذا الفته وقرئ لالاف قريش اي
لمؤالفتهم وقيل يقال الفته الفا والافا وقرئ لالف قريش وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير
القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش
وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو
الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم في البلاد ايلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من الاول
ورحلة مفعول لايلافهم وافرادها مع ان المراد رحلتا الشتاء والصيف لامن الالباس وفي اطلاق
الايلاف عن المفعول اولا وابدال هذا منه تفخيم لامره وتذكير لعظيم النعمة فيه وقرئ ليالف قريش
الفهم رحلة الشتاء والصيف وقرئ رحلة بالضم وهي التي يرحل اليها فليعبدوا رب هذا البيت الذي
اطعمهم بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا فيها بواسطة كونهم من جيرانه من جوع شديد كانوا فيه

قبلها وقيل اريد به القحط الذي اكلوا فيه الجيف والعظام وا منهم من خوف عظيم لا يقادر قدره هو خوف
اصحاب الفيل او خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم وقيل الخوف الجذام فلا يصيبهم في بلدهم عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة قريش اعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها • • •

بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين استفهام اريد به تشويق السامع
الى معرفة من سيق له الكلام والتعجيب منه والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لكل عاقل والروية بمعنى
المعرفة وقرئ اريتك بزيادة حرف الخطاب والفا في قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم جواب شرط
محذوف على ان ذلك مبتدا والموصول خبره والمعنى هل عرفت الذي يكذب بالجزاء او بالاسلام ان لم
تعرفه او ان اردت تعرفه فهو الذي يدفع اليتيم دفعا عنيفا ويزجره زجرا قبيحا ووضع اسم الاشارة
المتعرض لوصف المشار اليه موضع الضمير للاشعار بعلة الحكم والتنبيه على ما فيه من معنى البعد على
بعد منزلته في الشر والفساد قيل هو ابو جهل كان وصيا ليتيم فاتاه عريانا يسال من مال نفسه فدفعه
دفعا شنيعا وقيل ابو سفيان نحر جزورا فساله يتيم لحما فقرعه بعصاه وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل
هو العاص بن وايل السهمي وقيل هو رجل بخيل من المنافقين وقيل الموصول على عمومه وقرئ يدع اليتيم
اي يتركه ويجفوه ولا يحض اي اهله وغيرهم من الموسرين على طعام المسكين واذا كان حال من ترك حث
غيره على ما ذكر فما ظنك بحال من ترك ذلك مع القدرة عليه والفا في قوله تعالى فويل الى اخره
اما لربط ما بعدها بشرط محذوف كانه قيل اذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دليل
التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون غافلين غير مبالين
الذين هم يراؤن اي يرون الناس اعمالهم ليروهم الثنا عليها ويمنعون الماعون اي الزكاة او ما يتعاور
عادة فان عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان مما ذكر فعدم المبالاة بالصلاة التي هي عماد الدين
والريا الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الاسلام وسوء المعاملة مع الخلق احق
بذلك واما لترتيب الدعا عليهم بالويل على ما ذكر من قبايحهم ووضع المصلين موضع ضميرهم للتوسل
بذلك الى بيان ان لهم قبايح اخر غير ما ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الدين غفر له ان كان للزكاة موديا

بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك وقرئ انا انطيناك الكوثر اي الخير المفرط الكثرة من
شرف النبوة الجامعة لخير الدارين الرياسة المستتبعة لسعادة الدنيا والدين فوعل من الكثرة وقيل
هو نهر في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قراها فقال اتدرون ما الكوثر انه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه
خير كثير وروي في صفته احلى من العسل واشد بياضا من اللبن وابرد من الثلج والين من الزبد
حافتاه الزبرجد وانيته من فضة عدد نجوم السماء وروي لا يظما من شرب منه ابدا اول وارديه
فقرا المهاجرين الدنسو الثياب الشعثو الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا يفتح لهم ابواب
السدد يموت احدهم وحاجته تتلجلج في صدره ولو اقسم على الله لابره وعن ابن عباس انه فسر الكوثر
بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير فان ناسا يقولون هو نهر في الجنة فقال هو من الخير الكثير وقيل
هو حوض فيها وقيل هو اولاده واتباعه او علما امته او القران بحاوي بخيري الدنيا والدين والفا
في قوله تعالى فصل لربك وانحر لترتيب ما بعدها على ما قبلها فان اعطاه تعالى اياه عليه الصلاة والسلام
ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطها احد من العالمين مستوجبة للمامور به اي استيجاب اي فدم
على الصلاة لربك الذي افاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا يضاهيها نعمة خالصا لوجهه خلاف
الساهين عنها المرائين فيها ادا لحقوق شكرها فان الصلاة جامعة لجميع اقسام الشكر وانحر البدن
التي هي خيار اموال العرب باسمه تعالى وتصدق على المحاويج خلافا لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون
وعن عطيه هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هي جنس الصلاة والنحر
وضع اليمين على الشمال وقيل هو ان يرفع يديه في التكبير الى نحره هو المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما استقبل القبلة بنحرك وهو قول الفرا والكلبي وابي الاحوص ان شانيك اي
مبغضك كائنا من كان هو الابتر الذي لا عقب له حيث لا يبقى منه نسل ولا حسن ذكر واما انت

ذريتك وحسن ذكرك واثار فضلك الى يوم القيمة ولك في الاخرة ما لا يندرج تحت البيان وقيل نزلت
في العاص بن وايل واياما كان فلا ريب في عموم الحكم عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكوثر سقاه الله من كل
نهر في الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد في يوم النحر والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون هم كفرة مخصوصون قد علم الله تعالى انه لا يتاتى
علم الله تعالى انه لا يتاتى منهم الايمان ابدا روي ان رهطا من عتاة قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هلم
فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله ان اشرك بالله غيره
فقالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش
فقام على رؤسهم فقراها عليهم فايسوا لا اعبد ما تعبدون اي فيما يستقبل لان لا لا تدخل غالبا الا على
مضارع في معنى الاستقبال كما ان ما لا تدخل الا على المضارع في معنى الحال والمعنى لا افعل في المستقبل
ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون فيه ما اطلب منكم
من عبادة الهي ولا انا عابد ما عبدتم اي وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه اي لم يعهد مني
عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الاسلام ولا انتم عابدون ما اعبد اي وما عبدتم في وقت
من الاوقات ما انا على عبادته وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالا كما ان الاوليين لنفيها استقبالا
وانما لم يقل ما عبدت ليوافق ما عبدتم لانهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الاصنام وهو عليه
الصلاة والسلام لم يكن حينئذ موسوما بعبادة الله تعالى وايثار ما في اعبد على من لان المراد هو
الوصف كانه قيل ما اعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدره عظمته وقيل انها مصدرية
اي لا اعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي وقيل الاوليان بمعنى الذي والاخريان مصدريتان وقيل
قوله تعالى ولا انتم عابدون ما عبدتم تاكيد لقوله تعالى لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انتم
عابدون ما اعبد ثانيا تاكيد لمثله المذكور اولا وقوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله تعالى ولا انتم عابدون
ما عبدتم والمعنى ان دينكم الذي هو الاشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه الى الحصول لي ايضا
كما تطمعون فيه فلا تعلقوا به امانيكم الفارغة فان ذلك من المحالات ولي دين الذي هو التوحيد
مقصور على الحصول لي لا يتجاوزه الى الحصول لكم ايضا لانكم علقتموه على المحال الذي هو عبادتي
لالهتكم واستلامي اياها ولان ما وعدتموه عين الاشراك وحيث كان مبنى قولهم تعبد الهتنا سنة
ونعبد الهك سنة على شركة الفريقين في كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر
افراد حتما وقيل المعنى اني نبي مبعوث اليكم لادعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا مني ولم تتبعوني فدعوني
كفافا ولا تدعوني الى الشرك عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الكافرون فكانما قرا ربع القران
وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وتعافى من الفزع الاكبر

بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله والفتح اي اعانته تعالى واظهاره اياك على
عدوك والفتح اي فتح مكة وقيل جنس نصر الله تعالى ومطلق الفتح فان فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح
لفتوح ومناطها كما ان نفسها نفس ادم القرى وامها جعل مجيئه بمنزلة مجي سائر الفتوح وعلق
به امره صلى الله عليه وسلم بالتسبيح والحمد والتعبير عن حصول النصر والفتح بالمجي للايذان بانهما متوجهان نحوه
صلى الله عليه وسلم وانهما على جناح الوصول اليه عليه الصلاة والسلام عن قريب روي انها نزلت قبل الفتح وعليه
الاكثر وقيل في ايام التشريق بمنى في حجة الوداع فكلمة اذا حينئذ باعتبار ان بعض ما في حيزها اعني رؤية
دخول الناس الى اخره غير منقض بعد وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع
النبي صلى الله عليه وسلم عشرة الاف من المهاجرين والانصار وطوايف العرب واقام بها خمس عشرة ليلة وحين
دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده
وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا اهل مكة ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
قال اذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم صلى الله عليه وسلم وقد كان الله تعالى امكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيئا
ولذلك سمي اهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام ثم خرج الى هوازن ورايت الناس اي ابصرتهم

ولا انا عابد ما عبدتم
لا اعبد ما تعبدون وقوله تعالى ولا انا عابد ما عبدتم كما ان قوله تعالى لكم دينكم تقرير لقوله تعالى

او علمتهم يدخلون في دين الله اي ملة الاسلام التي لا دين يضاف اليه تعالى غيرها والجملة
على الاول حال من الناس وعلى الثاني مفعول ثان رايت وقوله تعالى افواجا حال من فاعل يدخلون
اي يدخلون فيه جماعة كثيرة كاهل مكة والطايف واليمن وهوازن وساير قبايل العرب وكانوا
قبل ذلك يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين روي انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة اقبلت العرب
بعضها على بعض فقالوا اذا ظفر باهل الحرم فلن يقاومهم احد وقد كان الله تعالى اجارهم من اصحاب
الفيل ومن كل من ارادهم فكانوا يدخلون في دين الاسلام افواجا من غير قتال وقرئ فتح الله
والنصر وقرئ يدخلون على البنا للمفعول فسبح بحمد ربك فقل سبحان الله حامدا له اي فتعجب
لتيسير الله تعالى ما لم يخطر ببال احد من ان يغلب احد على اهل حرمه المحترم واحمده على جميل
صنعه هذا على الرواية الاولى ظاهر واما على الثانية فلعله صلى الله عليه وسلم امر بان يا ومر على ذلك استعظاما
لنعمته لا باحالات التعجب لما ذكر فانه انما يناسب حالة الفتح او مما ذكره سبحانه حامدا في زيادة
عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك او فصل له حامدا على نعمه روي انه لما فتح باب
الكعبة صلى صلاة الضحى ثماني ركعات او فنزهه عما يقوله الظلمة حامدا له على ان صدق وعده
او فاثن على الله تعالى بصفات الجلال حامدا له على صفات الاكرام واستغفره هضما لنفسك واستقصارا
لعملك واستغفارا لما حقوق الله تعالى واستدراكا لما فرط منك من ترك الاولى عن عايشة رضي الله
عنها انه صلى الله عليه وسلم كان يكثر قبل موته ان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك وعنه
صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر في اليوم والليلة مائة مرة وروي انه لما قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه استبشروا
وبكى العباس فقال ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فلم ير صلى الله عليه وسلم بعد ذلك
ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذي قال ذلك فقال صلى الله عليه وسلم لقد اوتي هذا الغلام علما ولعل
ذلك للدلالة على تمام امر الدعوة وتكامل امر الدين كقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم وروي
انها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله تعالى بين الدنيا وبين لقايه فاختار
لقاء الله تعالى فعلم ابو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بانفسنا واموالنا واولادنا وعنه صلى الله عليه وسلم
انه دعى فاطمة رضي الله تعالى عنها فقال يا ابنتاه انه نعيت الي نفسي فبكت فقال لا تبكي فانك
اول اهلي لحوقا بي وعن ابن مسعود ان هذه السورة تسمى سورة التوديع وقيل هو امر بالاستغفار
لامته انه كان توابا منذ خلق المكلفين اي مبالغا في قبول توبتهم فليكن كل تايب مستغفرا متوقعا
للقبول عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النصر اعطي من الاجر كمن شهد مع محمد صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم تبت اي هلكت يدا ابي لهب هو العبد العزى بن عبد المطلب
وايثار التباب على الهلاك واسناده الى يديه لما روي انه لما نزل وانذر عشيرتك الاقربين رقي
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا وجمع اقاربه فانذرهم فقال ابو لهب تبا لك الهذا دعوتنا واخذ حجرا ليرميه
صلى الله عليه وسلم وتب اي وهلك كله وقيل المراد بالاول هلاك جملته كقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة ومعنى
وتب وكان ذلك وحصل كقول من قال • جزاني جزاه الله شر جزايه • جزاء الكلاب العاديات وقد فعل
ويؤيده قراءة من قرا وقد تب وقيل الاول اخبار عن هلاك عمله لان الاعمال تزاول غالبا بالايدي
والثاني اخبار عن هلاك نفسه وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك وقيل الاول دعاء والثاني اخبار وذكر كنيته
للتعريض بكونه جهنميا ولاشتهاره بها والكراهة ذكر اسمه القبيح وقرئ ابي لهب كما قيل علي بن ابو طالب
وقرئ ابي لهب • بسكون الهاء • ما اغنى عنه ماله وما كسب اي لم يغن عنه حين حل به التباب على ان
ما نافية او اي شيء اغنى عنه على انها استفهامية للانكار منصوبة بما بعدها اصل ماله وما
كسب من الارباح والنتايج والمنافع والوجاهة والاتباع او ماله الموروث عن ابيه والذي كسبه بنفسه
او عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي صلى الله عليه وسلم او عمله الذي ظن انه منه على شيء لقوله تعالى
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كسب ولده وروي
انه كان يقول ان كان ما يقول ابن اخي حقا فانا افدي منه نفسي بمالي وولدي واتخلص منه وقد خاب
مرجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة اسد في طريق الشام بين العير المكتنفة وقد كان صلى الله عليه وسلم
دعى عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وهلكت نفسه بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليال
فاجتنبه اهله مخافة العدوى وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثا حتى انتن ثم استاجروا بعض

السودان فاحتملوه فدفنوه فكان الامر كما اخبر به القران سيصلى بفتح اليا وقرئ بضمها وفتح اللام
بالتخفيف والتشديد والسين لتاكيد الوعيد وتشديده اي سيدخل لا محالة بعد هذا العذاب العاجل
في الاخرة نارا ذات لهب اي نارا عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصا في انه لا يؤمن
ابدا حتى يلزم من تكليفه الايمان بالقران ان يكون مكلفا بان يؤمن ابدا فيكون مامورا بالجمع بين
النقيضين كما هو المشهور فان صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز ان يفهم من هذا ان ابا لهب دخوله
النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره ولا اضطرار الى الجواب المشهور لان ما كلفه من الايمان بجميع ما جا
به النبي صلى الله عليه وسلم اجمالا لا الايمان بتفاصيل ما نطق به القران حتى يلزم ان يكلف الايمان بعدم ايمانه
المستمر وامراته عطف على المستكن في سيصلى لمكان الفصل بالمفعول وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي
سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم مرطاه كما
الحريري وقيل كانت تمشي بالنميمة ويقال لمن يمشي بالنمايم ويفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم النايرة
حمالة الحطب بالنصب على الشتم والذم وقيل على الحالية بناء على ان الاضافة غير حقيقية اذ المعنى انها
تحمل يوم القيمة حزمة من حطب جهنم كالزقوم والضريع وعن قتادة انها مع كثرة مالها كانت
تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل فالنصب حينئذ على الشتم حتما وقرئ بالرفع على انه
خبر وامراته مبتدا وقوله حمالة الحطب نصبا ورفعا وقرئ مرتبة بالتصغير للتحقير في جيدها
حبل من مسد جملة من خبر مقدم ومبتدا موخر والجملة حالية وقيل الظرف خبر لامراته وحبل
مرتفع به على الفاعلية وقيل هو حال من امراته على تقدير عطفها على ضمير سيصلى وحبل فاعل كما ذكر
والمسد ما يفتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل وقيل من اي ليف كان وقيل من لحا شجر باليمن وقد
يكون من جلود الابل واوبارها والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وانها تحمل تلك الحزمة من
الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن
لتتغضب من ذلك ويتغضب بعلها وهما بيت العز والشرف قال مرة الهمداني كانت ام جميل تاتي كل يوم
باباله من حسك فتطرحها في طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر
لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختنقت بحبلها عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة تبت رجوت ان لا يجمع
بينه وبين ابي لهب في دار واحدة

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد الضمير للشان ومدار وضعه موضعه مع عدم
سبق ذكره للايذان بانه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل احد واليه يشير كل مشير واليه يعود
كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي هو القصد اطلق على المفعول مبالغة ومحله الرفع على الابتدا خبره
الجملة بعده ولا حاجة الى الرابط لانها عين الشان الذي عبر عنه بالضمير والسر في تصدير الجملة
للتنبيه على فخامة الامر على فخامة مضمونها وجلالة خطرها مع ما فيه من زيادة تحقيق وتقرير فان
الضمير لا يفهم منه من اول الامر على فخامة مضمونها وجلالة خطرها الا شان منهم له مختلف
جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده له فضل
تمكن وهمزة احد مبدلة من الواو واصله وحد لا كهمزة ما يلازم النفي ويراد به العموم كما في قوله
تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وما في قوله صلى الله عليه وسلم ما احلت الغنايم لاحد سود الرؤس
غيركم فانها اصلية وقال مكي اصل احد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان لان الهمزة
تشبه الالف فحذفت احديهما تخفيفا وقال ثعلب وان احدا لا يبنى عليه العدد ابتدا فلا يقال
احد واثنان ولا يقال لرجل احد كما يقال رجل واحد ولذلك اختص به تعالى او هو لما سئل عنه
اي الذي سئلت عنه هو الله اذ روي ان قريشا قالوا صف لنا ربك الذي تدعونا اليه وانسبه
فنزلت والضمير مبتدا والله خبره واحد بدل منه او خبر مبتدا محذوف وقرئ الله احد بغير
قل هو الواحد وقوله تعالى الله الصمد مبتدا وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد بمعنى
انا قصده او هو السيد المصمود اليه في الحوايج المستغني بذاته وكل ما عداه يحتاج اليه في جميع جهاته
وقيل الصمد الدايم الباقي الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف
احديته وتكرير الاسم الجليل للاشعار بان من لم يتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية
التعدية به الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى بين اولا الوهيته عز وجل المستتبعة الكافة

نعوت الجمال ثم احديته الموجبة لتنزاهته عن سابقة التعدد والتركيب لوجه من الوجوه وتوهم
المشاركة في الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع
المخلوقات اليه في وجودها وبقائها وسائر احوالها تحقيقا للحق وارشادا لهم الى سننه الواضح ثم
صرح ببعض احكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقيل لم يلد تنصيصا على ابطال زعم
المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي اي لم يلد عنه ولد لانه لا يجانسه
شيء ليمكن ان يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد كما نطق به قوله تعالى انى يكون له ولد ولم تكن
له صاحبة ويخلق كل شيء ولا يفتقر الى ما يعينه ويخلفه لاستحالة الحاجة والفنا عليه سبحانه
ولم يولد اي لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم اليه سابقا ولاحقا والتصريح به مع كونهم
معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى انهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد
يولد وما لم يلد فلا ومن قضيته بانه لم يولد الاعتراف بانه لم يلد فهو قريب من عطف لا يستقدمون
على لا يستأخرون كما من تحقيقه ولم يكن له كفوا احد اي لم يكافيه احد ولم يماثله ولم يشاكله من صاحبه
وغيرها وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التاخر عنه للاهتمام بها لان المقصود نفي المكافاة
عن ذاته تعالى وقد جوز ان يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من احد ليس بذاك واما تاخير اسم
كان فلمراعاة الفواصل ووجه الوصل بين هذه الجمل غني عن البيان وقرئ بضم الكاف والفا مع
تسهيل الهمزة وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفا ولاشتمال هذه السورة الكريمة مع تقاربها
قطريها على اثبات المعارف الالهية والرد على من الحد فيها ورد في الحديث النبوي انها تعدل ثلث
القرآن فان مقاصده منحصرة في بيان العقايد والاحكام والقصص ومن عدلها بكله اعتبر
المقصود بالذات منه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اسست السموات السبع والارضون السبع على
قل هو الله احد اي ما خلقت الا لتكون دليلا على توحيد الله تعالى ومعرفة صفاته التي هاهنا
السورة الكريمة وعنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأ قل هو الله احد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله
قال وجبت الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق الفلق الصبح كالفرق لانه يفلق عنه
الليل من عموده وقيل كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن
الامطار والحب والنوى عما يخرج منهما وغير ذلك وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى
الفلق المنبي عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتوه بعد الرتق عدة كريمة باعاذة
العايذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظايره ومزيد ترغيب له في الجد
والاعتنا بقرع باب الالتجا اليه تعالى واما الاشعار بان من قدر ان يزيل ظلمة الليل عن هذا العالم
قدر ان يزيل عن العايذ ما يخافه كما قيل فلا اذ لاريب للعايذ في قدرته تعالى على ذلك حتى لا يحتاج
الى التنبيه عليها من شر ما خلق اي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كاينا من كان من ذوات الطبايع
والاختيار وهو كما ترى شامل لجميع الشرور فمن توهم الاستعاذة هاهنا من المضار البدنية وانها
تعم الانسان وغيره مما ليس بصدد الاستعاذة ثم جعل عمومها مدار الاضافة الى الرب الى الفلق
فقد نأى عن الحق بمراحل واضافة الشر اليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد
المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض
منزه عن شوايب الشر بالمرة وقوله تعالى ومن شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع
اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة والدعاء الى العادة اي من شر ليل معتكر
ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل واصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا
وقيل هو السيلان وغسق الليل انصباب ظلامه وغسق العين سيلان دمعها واضافة الشر الى
الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع افراده ولا لكل اجزائه وتقييده
بقوله تعالى اذا وقب اي دخل ظلامه في كل شيء لان حدوثه فيه اكثر والتحرز منه اضعف واعسر
ولذلك قيل الليل اخفى للويل وقيل الغاسق هو القمر اذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف
واسوداده لما روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فاشار الى
القمر وقال تعوذي بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب وقيل التعبير عن القمر بالغاسق

لان جزءا منه مظلم وانما يستنير بضوء الشمس ووقوعه المحق في اخر الشهر والمنجمون يعدونه نحسا
ولذلك لا يشتغل السحرة بالسحر المورث بالتمرد الا في ذلك الوقت قيل وهو المناسب لسبب
النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لانها اذا سقطت كثرت الامراض والطواعين
وقيل هو كل شر يعتري الانسان ووقوبه هجومه ومن شر النفاثات في العقد اي ومن شر النفوس او النسا
السواحر اللاتي يعقدن عقدا في خيوط ينفثن عليها والنفث النفخ مع ريق وقيل بدون ريق
وقرئ النافثات كما قرئ النفاثات بغير الف وتعريفها اما للعهد او للايذان بشمول الشر لجميع
افرادها وتمحضها فيه وتخصيصه بالذكر لما روي ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما انه كان
غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم وكان عنده اسنان من مشطه صلى الله عليه وسلم فاعطاها اليهود فسحروه صلى الله عليه وسلم
وتولاه لبيد بن الاعصم اليهودي وبناته وهن النافثات في العقد فدفنها في بئر ريس فمرض
النبي صلى الله عليه وسلم فنزل جبرئيل عليه السلام بالمعوذتين واخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فبعث
صلى الله عليه وسلم عليا كرم الله وجهه والزبير وعمارا فنزحوا ماء البئر فكان نقاعة الحناء ثم رفعوا راعوفة البئر
وهي الصخرة التي توضع في اصل البئر فاخرجوا من تحتها الاسنان ومعها وتر قد عقد فيه احدى عشرة
عقدة مغرزة بالابر فجاؤا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ اية انحلت عقده
ووجد صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ اية انحلت عقده ووجد صلى الله عليه وسلم خفة حتى
انحلت العقدة الاخيرة عند تمام السورتين فقام صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال فقالوا يا رسول الله
افلا تقتل الخبيث قال صلى الله عليه وسلم اما انا فقد عافاني الله واكره ان اثير على الناس شرا قالت عائشة رضي
الله عنها ما غضب النبي صلى الله عليه وسلم غضبا ينتقم لنفسه قط الا ان يكون شيئا هو لله تعالى فيغضب لله
وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد ابطال عزايم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث
الريق ليسهل حلها ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات
الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولا او فعلا وتقييد بذلك لان ضرر الحسد قبله انما يحيق
بالحاسد لا غير عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي انزلها الله تعالى والله تعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ وقرئ في السورتين بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام
برب الناس اي مالك امورهم ومربيهم بافاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم وقوله تعالى ملك الناس
عطف بيان جيء به لبيان ان تربيته تعالى اياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت ايديهم مما
يملكونه بل بطريق الملك الكامل والتصرف الكلي والسلطان القاهر وكذا قوله تعالى اله الناس فانه
لبيان ان ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليه والقيام بتدبير امور سياستهم والتولي بترتيب
مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى امر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الالوهية
المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم احياء واماتة وايجادا واعداما وتخصيص الاضافة
بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته والوهيته للارشاد الى منهاج
الاستعاذة المرضية عنده تعالى الحقيقة بالاعاذة فان توسل العايذ بربه وانتسابه اليه تعالى
بذلك من دواعي الوعد الكريم بالاعاذة لا محالة ولان المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعداوتهم
ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز الى انجائهم من ملكة الشيطان
وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فمن جعل مدار تخصيص الاضافة
مجرد الاستعاذة من المضار المختصة بالنفوس البشرية فقد قصر في توفية المقام حقه واما جعل
المستعاذ منه فيما سبق المضار البدنية فقد عرفت حاله وتكرير المضاف اليه لمزيد الكشف والتقرير
والتشريف بالاضافة من شر الوسواس هو اسم من الوسوسة وهو الصوت الخفي كالزلزال بمعنى الزلزلة
واما المصدر فبالكسر والمراد به الشيطان سمي بفعله مبالغة كانه نفس الوسوسة الخناس الذي عادته
ان يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه الذي يوسوس في صدور الناس اي يلقوا عن ذكره تعالى ومحل
الموصول اما الجر على الوصف واما الرفع والنصب على الذم من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على انه
ضربان جني وانسي كما قال عز وجل شياطين الانس والجن او متعلق بيوسوس اي يوسوس في صدورهم
من جهة الجن ومن جهة الانس الناس وقد جوز ان يكون بيانا للناس على انه يطلق على الجن ايضا حسب

حسب اطلاق النفر والرجال عليهم ولا تعويل عليه واقرب منه ان يراد بالناس الناشي ويجعل
سقوط اليا كسقوطها في قوله تعالى يوم يدع الداع ثم بين بالجنة والناس فان كل فرد من افراد
الفريقين المبتلى بنسيان حق الله تعالى الا من تداركه لوافع عصمته وتناوله اوسع رحمته
وعصمنا الله تعالى من الغفلة عن ذكره
ووفقنا لاداء حقوق شكره
وكان الفراغ من كتابته يوم الخمس
المبارك عشرين ربيع الاخر
سنه ١١٨٨ احسن الله
عاقبتها
آمين

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما ابدا

نحمد الله تعالى على توفيقه لنا لاختتام كتاب تفسير ابو السعود ونشكره تعالى على تسهيله
لاتمام تسطير كتاب تفسير ابو السعود ونجله تعالى ونعظمه لاكرامه ايانا بتيسير تخطيط
كتاب ابو السعود ونصلي على سيدنا محمد الذي الف لاظهار قدره كتاب ابو السعود فمن تعلم
او كتبه فقد وجد لامراض ظاهره وباطنه الشفاء بكتابة ابو السعود وعلى اله واصحابه خير الاول
وخير الاصحاب اهل كتاب ابو السعود اما بعد فاقول لما انعم على المنعم الوهاب
بسبب دخول تحت دار رخاصته لذيه ينال الكريم العميق وبه يتوصل الى جزيل الاجر بتحقيق تعلمت
وحصلت بعض الكمالات والمعارف واردت تحديث نعمه بكتب كتاب ابو السعود
وجعلت ذلك الكتاب تحفة وهدية لعتبة السلطان الاعظم والخاقان المعظم مالك رقاب
الامم وجامع الخصائل والشيم ومظهر ابواب الالاء والنعم وهو السلطان عبد الحميد خان
ابن السلطان الغازي احمد خان ايد الله تعالى سلطنته العلية وعرج بخته السنية الى
مدارج اوج شمس الفلك الجلي ما دام دوران الشمس
في مكانه العلي وارجو من عميم كرمه ان يقبله على التوكل
واليه انيب وانا عبد المذنب الخاطي الضعيف
محمد ضيا قوني من تلاميذ اسمعيل [illegible] سنه
ثمان وثمانين ومائة والف من هجرة النبوة

643